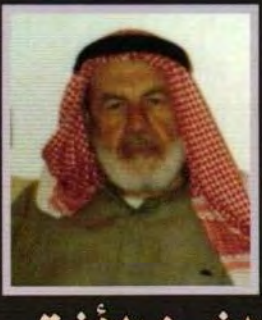
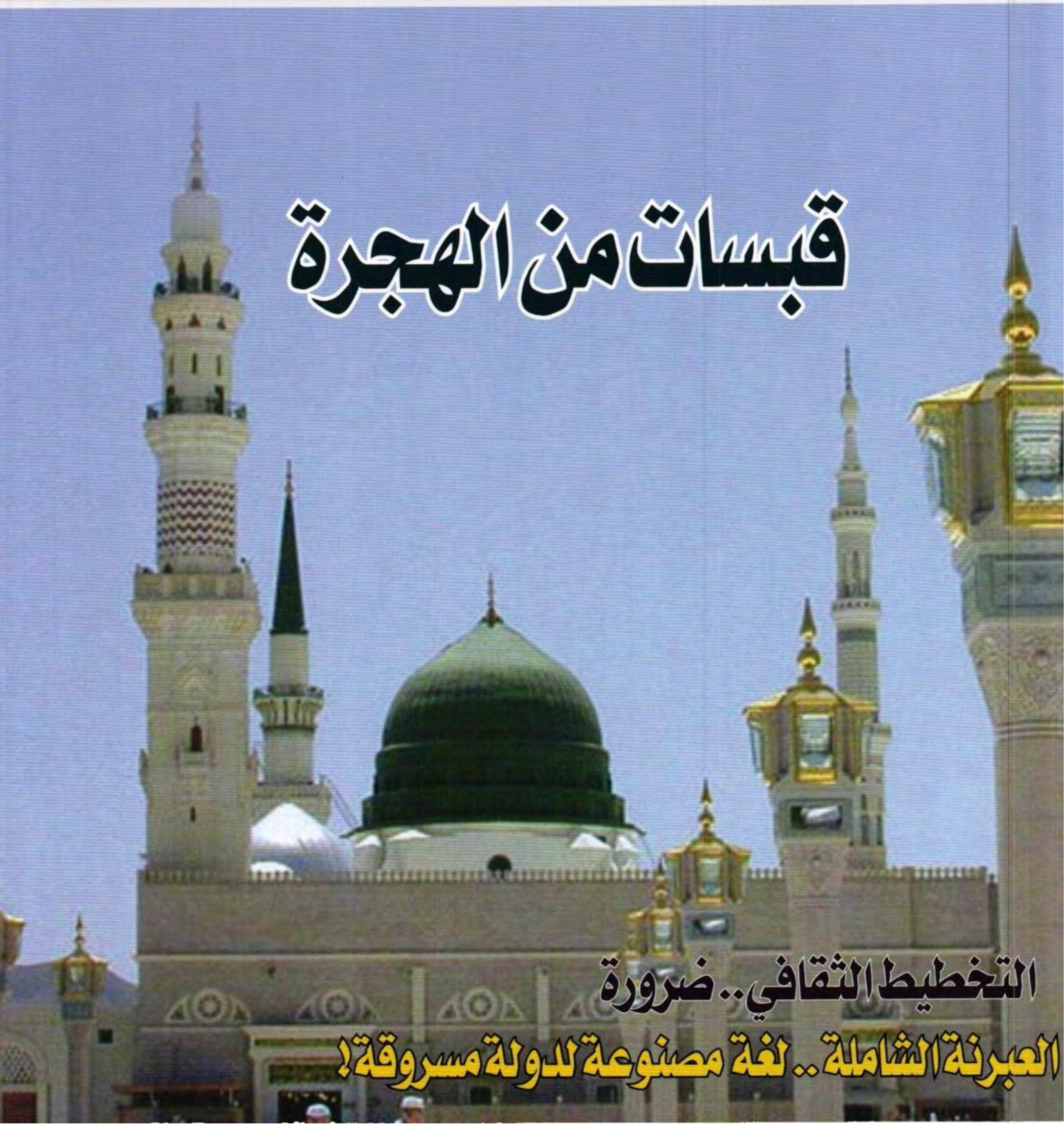
أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة



الشيخ الأشقر في ذمة الله



قبسات من الهجرة

التخطيط الثقافي.. ضرورة

العبرنة الشاملة.. لغة مصنوعة لدولة مسروقة!

من إصدارات الوعي الإسلامي



ضمن سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي» يأتي الإصدار الحادي عشر كتاب: «التجديد في التفسير .. نظرة في المفهوم والضوابط» للدكتور عثمان أحمد عبدالرحيم، وهو كاتب مهتم بالنظر في مناهج المفسرين، وفي الكتاب بعض التصورات العلمية حول منهج التجديد في علم التفسير، وانعكاس ذلك على فهم القرآن الكريم.

الرسالة الخالدة

العالم تتصارع فيه العقائد والأفكار، وتتصادم فيه المبادئ والآراء، وقد اقتضت سنة الله في هذا الكون أن يكون الصراع بين الخير والشر صراعًا مستمرًا ما استمرت الحياة، وأن الإسلام الذي هو خير كله اختاره الله دينا للبشرية.

ولقد تعاهد الله تعالى البشرية بالمرسلين، وختم الرسالات برسالة خاتم المرسلين محمد، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهي الرسالة الخالدة التي نقلت الناس من الفوضى إلى البناء.

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورًا مسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم

رسالة الإسلام أيقظت العالم وجعلته يمضي قدمًا وهي شاملة جامعة، وهي البديل عن الفوضى، وأسباب انتشارها السريع بساطة تعاليمها وخلوها من التعقيدات الغيبية الغامضة المعقدة، ولأن الدخول في الإسلام سهل مُيسَّر، لابد أن يتوافر فيه شرط الإيمان بالله وحده، والإيمان بالحنيفيّة السَمْحة.

إن هذه الرسالة الخالدة شملت العلوم والحضارة، فانطلق علماء المسلمين يحققون نتائج مذهلة في العلوم والطبيعة والإنسانية حتى غيروا مسار تلك العلوم قرونا وقرونا، كما تشهد ميادين العلم في الرياضيات وعلم النبات والطب وفروعه، ونشأت في ظل الإسلام وترعرعت علومُ المعاجم والموسوعات وكتب التاريخ وعلم الاجتماع.

فرسالة الإسلام هي الفطرة التي يقر بها النظام الإلهي الذي يحفز إلى العمل وإلى التنافس الذي هو سبب العمران.

وقد حرص الإسلام على تمييز المسلمين عن سائر الأمم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل، وهو دين عالميٌّ ورسالته موجَّهة لأهل الأرض جميعًا، فهو البديل عن الفوضى المعاصرة التي وصلت إلى درجة الشقاء على الرغم من التقدم المادي والعلمي، فالأمراض النفسية والقلق والجنون والانتحار والمخدرات والجريمة، كلّها، دلائل، على هذا الشقاء، سواء وعى الناس ذلك أو لم يعوه.

فدخول الألوف في الإسلام إشارة إلى مستقبلٍ معيّن يريده الله تعالى، وإشارةٌ إلى بدء إدراك الناس ووعيهم، ولو كان المسلمون اليوم على المنهج الرباني السليم والرسالة الخالدة الصحيحة فلربما كان الداخلون في الإسلام اليوم بالملايين بدلا من الألوف، ولكن البشارة تؤذن بالعودة إلى الإسلام الصّحيح، وعودةُ الأمة إلى رسالتها مبشّرٌ بالخير لكلّ البشرية.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد




منهج تعلم الفقه 10

حوار مع د. عبدالله التطاوي 40




العبرنة الشاملة 52

ثقافة التلفزيون 70

معاقل العلم والعلماء 80



مسجد الحنابلة 86



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٣

العام السابع والأربعون

محرم ١٤٣١ هـ

يناير ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥. رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء. رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



لقد كانت الهجرة إيذاناً بأن صولة الباطل مهما عظمت فمصيرها إلى زوال، وإيذانًا بأن الحق، وإن طال مغيبه، لابد له من يوم تحطم فيه الأغلال وترتفع فيه كلمته.

داخل العدد

التخطيط الثقافي ١٤

المعاصرة والعقل الإسلامي ٣٤

اللفظ والمعنى ٤٤

بين الشافعي والشيباني ٥٠

الإسلام لكل العصور ٥٤

في فقه التراث ٩٨

كلمة العدد

ابدأ بنفسك

الإنسان المسلم في حاجة دائمة للعناية بنفسه، والحرص على ما ينفعها في دينها ودنياها، فما أجمله حين يتهدى بعبارة «ابدأ بنفسك»، فيعمل بمقتضاها، ويسير على سُننها، وهي لفظةٌ نبويّةٌ شريفةٌ قالها رسول الله ﷺ في مواضع عدّة ومُحصّلها أنّ المرء إذا اعتنى بنفسه وبصّرها، وبدأ بإصلاحها، صار قدوةً وإمامًا ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء: 73)، فيحوز أولًا رضا ربه سبحانه وتعالى، ويسلم من الناقد البصير ثانيًا، وتجد دعوته الى الخير قبولًا عند سامعيه ثالثًا، فقد جاء رجلٌ إلى ابن عباس فقال له: إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر! قال: أوبلغت؟- أي: تستطيع ذلك؟ - قال: أرجو، قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله عز وجل فافعلْ، قال: وما هنّ؟ قال: قوله عز وجل ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فالحرف الثاني؟ قال: قوله عز وجل ﴿كبرُ مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، فالحرف الثالث؟ قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام ﴿وما أريدُ أنْ أُخالفكُمْ إلى ما أنهاكُم عَنْهُ﴾ أحكمت هذه الآية؟ قال:لا، قال: فابدأ بنفسك.

وما أحسن ما قال الشاعر:

يأيها الرجلُ المعَلمُ غيرَه
هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك تُعذَرُ إن وعظْتَ ويُقتدَى
بالقول منك ويُقبل التّعليمُ
لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلْت عظيمُ

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلسا ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريال ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

ترسيخًا لمبدأ الشراكة في العمل الإسلامي وتأصيلًا للفكر الإسلامي الوسطي

وزارة الأوقاف تقيم مؤتمر «السابقون الأولون»

تمام أحمد

برعاية كريمة من صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي أناب عنه في افتتاح المؤتمر نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد، عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومبرة الآل والأصحاب في دولة الكويت، مؤتمر «السابقون الأولون» وذلك خلال الفترة من ١٥-١٦ ذوالقعدة ١٤٣٠هـ الموافق من ٣-٤ نوفمبر ٢٠٠٩م.

في حفل الافتتاح الذي حضره أكثر من ستين شخصية عالمية وجمهور كبير من العلماء والمفكرين، أكد وزير الأوقاف المستشار راشد الحماد أن القرآن الكريم حرص على الربط بين الصف الأول من المؤمنين السابقين بقصدهم وصدقهم، المتقدمين بجهادهم وفهمهم، وبين اللاحقين من المؤمنين الراغبين في اتباع الصفوة المختارة واقتفاء أثرها، وبين أن الحاجة اليوم ماسة جدا لتوضيح صورة أولئك السابقين الأولين ممن عادتهم قريش والعرب والعالم ومن لم يؤمن ولم يصدق آنذاك، وهم الذين من يعادينا فيهم العالم الملحد اليوم ويحاربنا من أجلهم، وأشار إلى أن الأيام الطوال والدهور المتلاحقة تزيدنا تعلقًا بهم وحاجة إليهم أكثر من تأثيرها في البعد عنهم، وأوضح أنه لا يوجد مسلم فوق البسيطة ينتمي للإسلام انتماء حقيقيا غير مزيف إلا ويكنُّ لهم كل تقدير واحترام، وأكد أن المؤتمر جاء ليقرب بيننا في الأحكام والمواقف كما قرب بيننا في الأبدان والمقاعد، وليوحدنا في الفهم والرؤى، كما وحد بيننا في الأحاسيس والمشاعر، ولتبرز بواسطته القواسم المشتركة الكثيرة بيننا، وخلص إلى أن مجرد التفافنا حول هذا العنوان الكبير لهو أكبر دليل على أن ملف السيرة النبوية والصحابة الكرام وآل البيت النجباء من أهم ملفات حياتنا أثرًا وأشدها حاجة إلى تكرار النظر وترداده في كل مناسبة ومحفل.



الإنسان بحاجة إلى نماذج

من جانبه أكد وكيل الوزارة د.عادل الفلاح أن الحياة المعاصرة بتعقيداتها وانطلاقها أبرزت أن الإنسان دائمًا بحاجة إلى نماذج وأمثلة من بني جنسه يكونون له قدوة ونبراسًا، ويقفون أمامه سادة وأبطالًا، ويتعامل معهم باحترام، ويعتبرهم الأسوة الحسنة في الأخلاق، والقدوة الصالحة في التشريع، والنموذج الكامل في الحياة والتطور، وبيَّن أن للحرية نماذج، وللعدالة رموزا، ولحقوق الإنسان أبطالا وللسبق في التطور والاختراعات روادا، وهؤلاء السابقون الأولون في نظر الأمم الشرقية والغربية سخرت لهم إبداعات، وبُذلت من أجلهم الأموال، وسطرت أسماؤهم في حضارتنا وتاريخنا وديننا لما نرى لهم من فضل وما نعرف عنهم من أصالة.

الصحابة طراز فريد

أما الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة د.عبدالله التركي فأشار إلى أن العالم الإسلامي الذي نعتز به وننتسب إليه قد دخل معظم شعوبه في دين الإسلام على أيدي الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من حكام المسلمين، وبين أن الصحابة طراز فريد وقدوة صالحة لمن جاء بعدهم من التابعين ومن بعدهم، ولن تستطيع الأمة أن تخرج جيلًا أهدى سبيلًا ولا أقوم على الإسلام من جيلهم، وهم الجسر الواصل بين الأمة وبين مصدر شريعتها، وبين أن الانتقاص من الصحابة الكرام لم يجلب على المسلمين إلا الضعف من جراء الشقاق والصراع الداخلي المستهلك لطاقة الأمة المادية والفكرية في غير المجال الذي يجب أن تصرف فيه، والعقلاء من مختلف فئات المسلمين يدركون أن حجم التحديات التي تواجهها أمتنا في هذا العصر يستدعي العمل على توطيد الصلة بين مختلف فئاتها على أسس من الروابط المشتركة التي تحميهم تحت مظلة الإسلام.





لبنة في بناء صرح اجتماعي

وفي كلمته في افتتاح المؤتمر قال رئيس مبرة الآل والأصحاب د.عبدالمحسن الخرافي: إنه من المؤسف أن يكون هناك جهل كبير في الأمة المسلمة بتراث أولئك السابقين وهم من هم في سابق فضلهم، لذلك أنشئت مبرة الآل والأصحاب في الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ٢٠٠٥م.

وبين د.الخرافي أن المؤتمر جاء ليناقش قضية مهمة من قضايا تراثنا العريق لندرك جيدا الظروف التي تدور في واقعنا المعاصر، ونعرف بدقة الأحداث الخطيرة التي تمر بها أمتنا، وأن هذا المؤتمر جاء ليكون لبنة في بناء صرح اجتماعي سليم ونسيج وطني قوي يتحدى التيارات الهدامة ويستعصي على محاولات التشوية والتشويش، بعيدًا عن النعرات الطائفية والجدل العقيم.

التوصيات

وبعد مناقشات مستفيضة لمحاور المؤتمر من خلال البحوث التي استعرضها الباحثون وناقشتها ورش العمل التي كانت مصاحبة للمؤتمر أوصى المؤتمر بما يلي:

في مجال الدعوة

١- التأكيد على فضل آل البيت والصحابة الكرام وعدالتهم وسمو مكانتهم وعلو قدرهم، لسابقتهم في الإسلام ونصرة رسول الله ﷺ والدفاع عن الدين والسعي لنشره في أرجاء المعمورة.

٢- موالاة آل البيت والصحابة ومحبتهم ونصرتهم والدفاع عنهم والترضي عنهم فهم أفضل الأمة وخير القرون.

٣- التزام الوسطية والاعتدال في الموقف من الآل والأصحاب، والحذر من الغلو والجفاء.

في مجال التربية والثقافة

أكد المؤتمر على أهمية الاستفادة من مآثر الآل والأصحاب في تربية الأجيال ودعا إلى:

- إدخال ثقافة الحب والتوقير للآل والأصحاب وبيان مآثرهم في المناهج والمناشط الدراسية من قصة ودورات تدريبية وعلمية ومسابقات وأسابيع ثقافية وكراسي علمية مع تشجيع التفرغ الدعوي لعدد من الدعاة للتخصص في هذا المجال.

- تقوية أوجه التعاون بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين ومبرة الآل والأصحاب وغيرها من الجهات ذات الاختصاص من حيث تبادل الخبرات ومد جسور التواصل وتكامل الأعمال والمناشط في جميع المجالات العلمية والثقافية والتطوير والتدريب وغيرها.

الحماد: المسلم الحقيقي يكن للصحابة وآل البيت كل تقدير واحترام

وفي المجال الإعلامي

دعا المؤتمر وسائل الإعلام الإسلامية إلى الإسهام في:

- نشر ثقافة الأمة الواحدة بإبراز علاقة الآل والأصحاب في الوسائل الإعلامية.

- تحري الدقة والموضوعية في تناول الأحداث التاريخية، والابتعاد عما يثير الفتنة الطائفية التي تورث المسلمين الفرقة والتناحر.

- إعداد برامج إعلامية للتوعية بتراث الآل والأصحاب لعرضها في وسائل الإعلام المختلفة.

- إنشاء موقع على شبكة الانترنت بلغات كثيرة يعنى بتراث الآل والأصحاب وإبراز مآثرهم والدفاع عنهم.

- تشجيع إقامة مؤسسات تعنى بتراث الآل والأصحاب في البلاد الإسلامية، والإفادة من التجارب القائمة، ومن أبرزها مبرة الآل والأصحاب في دولة الكويت.

المشروعات العالمية

١- إقامة مؤتمر دوري للجهات والشخصيات المعنية بتراث الآل والأصحاب.

٢- تشجيع ودعم المشروعات التي تساهم في تحقيق توصيات المؤتمر.

٣- السعي إلى تأسيس مشروع وقفي لدعم الإصدارات العلمية والإعلامية في تراث الآل والأصحاب.

٤- تكوين لجنة تنفيذية من الجهات التي نظمت المؤتمر والمشاركين فيه لمتابعة إنجاز التوصيات العلمية التي أوصى بها المؤتمر.

العلامة أ. د. محمد سليمان الأشقر في ذمة الله

محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد (وهو الأشقر) بن سليمان دغلس، من أهل «برقة» (١) بفلسطين ردها الله إلى أحضان المسلمين. وبرقة قرية من قرى نابلس تبعد عنها إلى الشمال مسافة ١٦ كيلومترًا تقريبًا. تقع في منطقة جبلية على سفح جبلين أحدهما شرقيها وآخر شماليها، وتحيط بها بساتين الزيتون والتين وبها من سائر الأشجار المثمرة، وتمتاز ببرودة الهواء وطيبه، وبها عيون كثيرة طيبة عذبة الماء.

قال فيها مصطفى الدباغ: «ومن يشرف عليها ير منظرًا من أجمل المناظر في الوطن الحبيب...»، وأهلها في أغلبهم من «الحفاة» وهم فرع من «الروقة» من قبيلة «عتيبة» على ما ذكرته دائرة معارف البستاني في مادة «أحفاة». وذكره «إحسان النمر» في كتابه «تاريخ جبل نابلس»، وذكره أيضًا مصطفى الدباغ في كتابه المذكور آنفًا، ومن الحفاة آل دغلس الذين أنتمي إليهم.

وقد مر ببرقة الشيخ عبدالغني النابلسي سنة (١١٠١هـ) وقال فيها:

ضفنا ببرقة من أعمال نابلس
أهل المكارم والأخلاق والشيم
قومًا لقد جمع الله الكريم لهم
بين القرينين بش الوجه والكرم

ولدت ببرقة في ١٦ من أيلول سنة ١٩٣٠م، ونشأت في كنف والدي، وكان والدي رحمه الله أميا، إلا أنه كان يحب أهل العلم والإيمان ويبرهم، وحرص على تعليم أولاده وحملهم على مكارم الأخلاق، وكان أكثر عمله في الزراعة، ووالدتي حفظها الله كذلك في حرصها على تربية بنيها على حب العلم والدين، وقد قرأت القرآن دون معلم.

التحقت بالدراسة الابتدائية بقريتنا، وتخرجت منها عام ١٩٤٤م، ثم التحقت بالدراسة الثانوية بالمدرسة الصلاحية بنابلس حيث مكثت بها أربع سنين، ذهبت بعدها إلى المملكة العربية السعودية فعملت في التدريس الابتدائي سنة في مدينة بريدة (١٣٦٩هـ) وعملت في التجارة بالرياض (١٣٧٠هـ) وعندما افتتح معهد الرياض الديني الثانوي (١٣٧١هـ) بادرت إلى الالتحاق به الى أن تخرجت في كلية الشريعة بالرياض (١٣٧٦هـ) في الفوج الأول، وأخذت فيها العلم عن مشايخ أجلاء، فأخذت التفسير وأصوله وأصول الفقه على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والفقه والعقيدة على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والفرائض على الشيخ عبدالعزيز بن رشيد، والحديث على الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، والنحو على الشيخ عبداللطيف سرحان والشيخ إبراهيم الضبع، وغيرهم، رحم الله الموتى منهم وحفظ الأحياء وجزاهم عنا أحسن الجزاء، ثم عملت في التدريس بمعهد «شقراء» العلمي، وأسندت إليّ إدارته عام (١٣٧٧هـ) نقلت بعدها للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، وكنت أول من درس بها من خريجيها، فبقيت كذلك من (١٣٧٨- ١٣٨٣هـ)، ثم التحقت بالتدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فبقيت فيها سنتين، إلى أن أراد الله تعالى لي النقلة إلى أرض الكويت حيث أسندت إلي أمانة مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية اثني عشر عامًا من سنة (١٣٨٥- ١٣٩٧هـ) حصلت في أثناء ذلك على درجتي الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر.



العلامة الأشقر بصحبة الشيخ أحمد الغنام

وكانت رسالتي للدكتوراه بعنوان «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية».

وهي فيما يتعلق من علم أصول الفقه بالسنن الفعلية، وكانت بإشراف الشيخ عبدالغني عبدالخالق حفظه الله، وقد يسر الله تعالى فيها كشف كثير من غوامض هذا العلم، والحمد لله على فضله.

ولما أن استأنفت وزارة الأوقاف بالكويت مشروع الموسوعة الفقهية نقلت للعمل مع العاملين فيه. والله المسؤول أن يأخذ بيد القائمين عليه حتى يكمل على خير الوجوه.

وشاركت في لجنة الفتوى الشرعية بالكويت كعضو من أعضائها منذ سنة ١٩٦٩م، والله المستعان أن يتم علينا نعمته بالهداية والسداد ويوفقنا لصالح القول والعمل ويختم لنا عليهما.

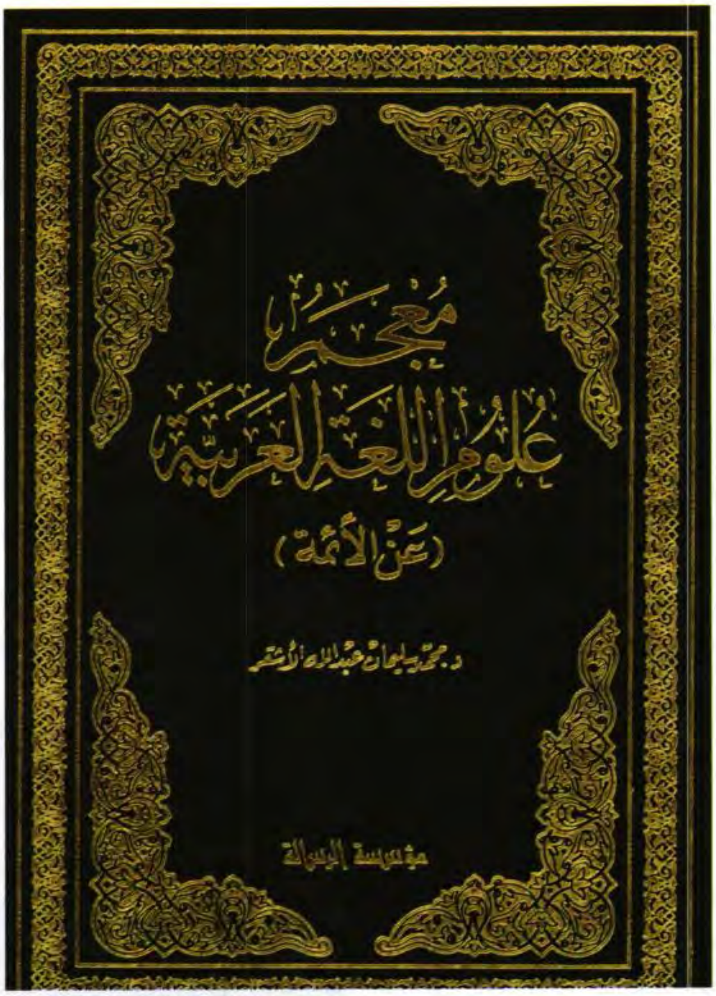
مؤلفاته

أثرى الشيخ – رحمه الله- المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات المتميزة، منها:

في التفسير

١- زبدة التفسير من فتح القدير (وهو مختصر تفسير الشوكاني).

٢- نفحة العبير من زبدة التفسير.



في الفقه وأصوله

٣- أفعال الرسول ﷺ ودلالتها في الأدلة الشرعية (أطروحة الدكتوراه في مجلدين).

٤- الواضح في أصول الفقه للمبتدئين.

٥- الفتيا ومناهج الإفتاء.

٦- معجم المغني لابن قدامة، بالاشتراك مع آخرين.

٧- المجلي في الفقه الحنبلي.

٨- أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي.

أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة

١- الأصول المحاسبية للتقويم في الأموال الزكوية.

٢- أحكام المال الحرام، وحكم إخراج زكاته.

٣- الإلزام بالزكاة في الظاهر والباطن من الأموال، ومشمولات كل منهما في العصر الحديث.

بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة

١- التأمين على الحياة، وإعادة التأمين.

٢- بدل الخلو.

٣- بيع المرابحة كما تجريه المصارف الإسلامية.

٤- الأسس والقواعد التي تحكم النظام التجاري في الإسلام.

٥- الامتيازات الاتفاقية على الديون.

٦- عقد السلم.

٧- عقد الاستصناع.

٨- آداب الاستقراض.

٩- النقود وتقلب قيمة العملات.

١٠- صيانة الأعيان المؤجرة، وتبعية ذلك على المؤجر والمستأجر.

أبحاث فقهية متعددة ظهرت في الموسوعة الفقهية الكويتية، منها:

مادة: «تصوير»، «دعوة»، «ذكر»، «بيت المال»، «مصحف»، «لحية»، «رق»، «أرض الحوز».

في الفهرسة:

١٢- الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي.

١٣- فهرس المغني في الفقه الحنبلي لابن قدامة.

١٤- فهرس البداية والنهاية، ونهاية البداية، لابن كثير.

في الدعوة والتزكية

١٥- كيف تدخل في الإسلام؟ (مختصر للدعاة).

١٦- فقه العمل للآخرة، وجزاء الأعمال وموازنتها في الكتاب والسنة.

في اللغة

١٧- معجم علوم اللغة العربية.

تحقيقاته لكتب التراث

١- نيل المآرب شرح دليل الطالب في الفقه، للشيخ عبدالقادر التغلبي الشيباني الحنبلي (مجلدان).

٢- حاشية الشيخ عبدالغني اللبدي على نيل المآرب.

٣- رسالتان في الصحابة للحافظ العلائي، وهما:

أ- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة.

ب- منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة.

٤- مجموع بالمناقلة والاستبدال بالأوقاف، لابن قاضي الجبل الحنبلي وآخرين.

٥- المستصفى من علم الأصول، للغزالي (مجلدان).

مؤلفات مخطوطة

١- الجامع العزيز في الحديث.

٢- الأربعون حديثًا الطوال، جمع ودراسة وشرح.

٣- لهجة برقة ووادي الشعير من قرى فلسطين (معجم مصنف).

٤- مجموعة أبحاث أصولية.

٥- ترميز كتب الحديث (بحث مقدم إلى مؤتمر السنة في قطر ١٤١٠هـ).

٦- مشاركة النساء في الولايات العامة والجزئية ومجالس الشورى والمجالس النيابية.

٧- صحيح مسند الإمام أحمد على شرط البخاري.

٨- التفسير المنير مختصر تفسير ابن كثير.

وفاته

وافته المنية يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة لعام (١٤٣٠هـ) الموافق ١٥/١١/٢٠٠٩م، ودفن يوم الاثنين بعد صلاة الظهر بمسجد مقبرة سحاب في ضواحي مدينة عمان بالأردن.

رحمة الله على الشيخ محمد الأشقر، وجزاه الله على ما قدم للأمة خير الجزاء وأوفاه، وبارك له في مؤلفاته.

أكثر هذه الترجمة بقلم الشيخ (رحمه الله) وقد أضفنا لها الجديد من مؤلفاته وأبحاثه العلمية.

(١) هي بضم الباء، وقد تحدث عنها السيد مصطفى مراد الدباغ في كتابه القيم «بلادنا فلسطين» في القسم الأول من الجزء الخاص بالديار النابلسية ص٤١٣-١٢٤.

تعليم المتعلم طريق التعلم

منهج تعلُّم الفقه

التحرير

من نعمة الله على المرء أن يحبِّب إليه العلم الشرعي، وييسِّر له سُبُل طلبه، ويوفقه إلى ذلك، وإنه لعلامة على إرادة الله الخيرَ للمرء أن يجد نفسه في حلقات العلم حاضرًا بروحه، ومستمعًا بأذنه، ومنصتًا بقلبه ووجدانه، سائلا عما لم يفهمه، وقد ثبت في السنة «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدِّين» (رواه البخاري).

وقد تميّزت الأمة المسلمة بثراء فقهيّ، ونبغ فيها نوابغ قلّ أن يوجد لهم نظيرٌ، حتى إنه ليتضاءل أمامهم مَن يوصفون بعباقرة العالم اليوم، ذلك لأنهم لم يقولوا يوما «ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين»، وإن الأئمة الذين نفاخر بهم كُثرٌ، ولكن أشهرهم في المجال الفقهي أربعة، هم أبوحنيفة ومالك والشافعي وأحمد، شكّلوا أربع مدارس فقهيّة، سُمّيت بالمذاهب، واستقرت من أيام أصحابها إلى يوم الناس هذا.



وهذه المذاهب الفقهيّة هي اجتهاداتٌ في فهم النصوص الشرعية، قد تصيب وقد تخطئ، ولهذا فالحقّ ليس محصورًا في أحدها لا يخرج عنه، بل الحقّ موزّع عليها جميعًا، ولذلك فقد حظيت هذه المذاهب الأربعة بقبول واسع لدى المسلمين، وجاءت فترات للأمة لا تكاد تجد فيها أحدًا إلا وهو ينتسب لمذهب منها، بل استحوذ كلّ مذهب في غالب الأحيان على مناطق ومواضع شاسعة، فيقال مثلا بلاد كذا جميعها حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة.

الموقف من المذهبيّة الفقهية

انقسم الناس في «المذهبية الفقهيّة» على قسمين، مغالين فيها متعصّبين لها، ومغالين في رفضها وعدِّها بدعة لا يجوز اتباعها، ويبدو أنّ هذا التوجّه كان ردّة فعل لغلوّ المقلّدة في تقليد الأئمة والتعصب لهم، ولو كان على حساب القرآن والسنة.

والصّواب أنّ المذاهب الفقهية هي حصيلة اجتهادات العلماء من لدن الصحابة إلى الآن، وفيها من العلم الجمّ المبارك الكثير، وشطبها بجرّة قلم، أو بكلمة نابية عابرة خطأٌ فادح، وعليه فالدراسة المذهبية لأيّ مذهب كانت هي أفضل وسيلة للتفقّه والتمرّس في مجال العلم الشرعي، وعندما نحبّذ للطالب دراسة الفقه المذهبيّ نحبّذ أن يدرس المذهب المنتشر في بلده، لكي يعرف الخلفية الفقهيّة لأعمال وعوائد الناس؛ لأنها كثيرا ما تستند إلى إفتاء علماء المذهب، في حين أنّ مَن لم يتعلم ذلك قد يسارع إلى الإنكار والاستغراب، كما ينبغي أن يستقر في ذهن الطالب وهو يدرس الفقه المذهبي أنه إنما يدرسه من أجل التفقه والتمرس فيه ومعرفة طرق استدلال واستنباط الفقهاء، بلا تعصّب ولا غرور.

الطريقة المثلى في تعلم الفقه

اتبع المسلمون في تدريس العلوم الشرعية في العصور الماضية طريقة أصيلة، تقوم على أساس تحفيظ الطالب منذ الصغر متونًا في علوم الشريعة؛ ممّا يشتمل على مبادئ العلوم وأساسياتها، بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث السهلة، ثم تدرّجوا بالطالب في تعليم العلوم الشّرعيّة إلى أن تتحقق له الملكات العلميّة المطلوبة، وهذه هي الطريقة المثلى في تكوين الملكات العلمية للطالب وتقوية الذاكرة عنده.

والطريقة التي كان يتبعها المدرسون للفقه في جميع المذاهب الفقهية أن يبدأ المدرس مع الطالب بتحفيظه مختصرًا في فقه المذهب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى كتاب أوسع يحكي اختلاف الفقهاء في المذهب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تبين أدلة الآراء المختلفة في المذهب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تحكي مذاهب السلف والمدارس الفقهية المشهورة.

ودراسة الفقه على مذهب معيّن في بداية التحصيل العلمي هي اللائقة بالطالب، شرط أن يكون بعيدًا عن التعصب، وذلك لضرورة هذه الطريقة للتأصيل والتأسيس في علم الفقه، ومما يؤيد هذا أنّ عبدالرحمن ابن خلدون- رحمه الله- (في المقدمة صـ:٥٣١-٥٣٢) ذكر التدرّج في التعليم، وقال ما ملخّصه: اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج، شيئًا فشيئًا، يلقى عليه أولاً مسائل من كلّ باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك عقله

واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن، فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شذا، فلا يترك عويصًا ولا مهمًّا ولا مغلقًا إلا وضحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته، هذا وجه التعليم المفيد.ا.هـ بتصرف

وقبل أن نبيّن المنهج الدراسي للفقيه يلزم أن نشير إلى حقيقة غاية في الأهمية، وهي أن الفقيهَ الذي يريد أن يكون الفقه سجية عنده، لابد أن تكون اللغة العربية عنده ملكة، بحيث يفهم نصوص الشريعة من غير تكلف ولا توقف، وعليه فينبغي له أن يشرع في دراسة متن من متون النحو، مثل «الآجرّوميّة» ثم «قطر الندى»، ثم «الألفية لابن مالك» وشروحها، وذلك حتى تحصل له المَلَكة في النحو.

المنهج الدراسي لتعلم الفقه

من المقومات الأساسيّة للمَلَكة الفقهيّة وجودُ منهاج دراسيٍّ أصيل يتلقّاه المتفقّهُ في مراحل دراسته، ويتمثل في المختصرات والكتب الأساسيّة التي ينبغي له أن يدرسها في أول أمر الطلب، وها نحن نضعها مجدولةً بين يدي طالب الفقه، كلٌّ حسب مذهبه الفقهيّ الذي عليه نشأ وعلى أصوله تربّى، وقد راعيْنا في الجدول اختلاف البلدان وتنوّع طرائق المعلمين.

جدول كتب الفقه المعتمدة في التدريس المذهبيّ بحسب اختلاف البلدان ومراعاة التدرّج

المذهب المتّبع	المبتدئ	المتوسط	المتقدّم
الحنفي	- نور الإيضاح وشرحه مراقي الفلاح - متن القُدوري - الوقاية لفضل الشريعة وشرحه لصدر الشريعة - الهدية لابن العماد وشرحه نهاية المراد	- الاختيار لتعليل المختار للموصلي - اللباب في شرح الكتاب للميداني - ملتقى الأبحر للحلبي - كشف الحقائق شرح كنز الدقائق للأفغاني الدرر والغرر لمنلا خسرو	- حاشية ابن عابدين - الهداية للمرغيناني وشروحها - مَجْمَع الأنهر شرح ملتقى الأبحر لداماد أفندي - البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم -فتح القدير لابن الهمام - بدائع الصنائع للكاساني -المبسوط للسرخسي
المالكي	- نظم المرشد المعين (ابن عاشر) وشروحه - متن العشماوية - مختصر الأخضري	- الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني - جامع الأمهات لابن الحاجب -أقرب المسالك للدردير - تدريب السالك إلى أقرب المسالك لعبدالعزيز بن حمد آل مبارك، وشرحه تبيين المسالك - التلقين والمعونة كلاهما للقاضي عبدالوهاب	- مختصر خليل، مع شروحه وحواشيه - النوادر والزيادات لابن أبي زيد - البيان والتحصيل لابن رشد الجد - الذخيرة للقرافي - تحفة الحُكّام لابن عاصم وشروحها
الشافعي	- المقدّمة الحضرمية لبافضل وشرحه -متن سفينة النجاة لسالم الحضرمي وشرحه - متن الغاية والتقريب لأبي شجاع مع شرحه الإقناع - نظم الزُّبد لابن رسلان -نظم نهاية التدريب للعمريطيّ	- المنهاج للنوويّ وشروحه، النهاية للرّملي، والتّحفة لابن حجرالهيتميّ، والمغني للخطيب	- روضة الطّالبين للنووي - المهذّب وشروحه، المجموع، والبيان للعمراني - نهاية المطلب للجويني -الحاوي الكبير للماوردي
الحنبلي	- بداية العابد وشرحه للبعلي - أخصر المختصرات لابن بلبان وشروحه - دليل الطالب للشيخ مرعي الكرمي - زاد المستقنع	- نيل المآرب على دليل الطالب للتغلبي -منار السّبيل شرح الدليل لابن ضويان -الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي	- منتهى الإرادات للفتوحي وشرحه - الإقناع للحجّاوي وشرحه -غاية المنتهى لمرعي الكرمي وشرحه - الإنصاف للمرداوي - الفروع لابن مفلح - المغني لابن قدامة

من صور الحياة العلمية في الكويت

«مدرسة السعادة للأيتام»

التحرير

صفحة من صفحات العمل التطوّعي بدولة الكويت التي امتازت بالعطاء، والبذل، والحب، وعمل الخير.
مدرسة السعادة: هي تلك المدرسة العظيمة التي تُعَدُّ من أهم المؤسسات التعليميَّة في دولة الكويت مطلع القرن العشرين.

مؤسس المدرسة

هو المحسن المفْضال شملان بن علي بن سيف بن محمد الدراج، ولد، رحمه الله، في الحي الشرقي من مدينة الكويت، في عام (١٢٨١هـ الموافق: ١٨٦٤م)، ونشأ في بيت عز وجاه وثراء، تعلم على يد الشيخ أحمد ابن محمد بن محمود القطان، حيث تتلمذ معه على الشيخ عدد من أبناء الكويت منهم: سالم بن مبارك الصباح (حاكم الكويت)، وأخوه الشيخ ناصر بن مبارك الصباح، والشيخ عيسى القناعي (قاضي الكويت)، رحمهم الله جميعًا.

وبعد أن توفي والده نهض لإدارة عمل الأسرة بهمة ونشاط، ونما ماله وكثر حتى أواخر العشرينيات من القرن العشرين، حيث كسدت تجارة اللؤلؤ، ووقع في ضائقة مالية كبيرة.

تمتع شملان بعلاقة واسعة مع الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي، فكانت له علاقة وطيدة مع الملك عبدالعزيز آل سعود، وحكّام قطر والبحرين، وزعماء القبائل المجاورة لدولة الكويت، وشغل عضوية كل من: «المجلس الاستشاري»، «مجلس المعارف»، «لجنة الصنف»، وحرص رحمه الله على الأعمال الخيرية بمختلفها ومنها: إرساله لطلاب العلم للدراسة خارج الكويت، وبناء المساجد وعمارتها، فبنى مسجد «المطبة»، ومسجد «علي الشملان»، وساهم ببناء مسجد «سعد أخو ناهض»، فكان رحمه الله محسنًا، مفضالاً، كريمًا، مضيافًا، جوادًا.

توفي رحمه الله في عام (١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م)، عن عمر ناهز (٨٣) عامًا، وخلّدت الدولة اسمه بتسمية إحدى مدارس الكويت وأحد وشوارعها باسمه، رحمه الله رحمة واسعة.

تاريخ وأسباب تأسيس المدرسة

أسس شملانُ المدرسة في عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م)، وأطلق عليها اسم «مدرسة السعادة» ليكون قريبًا من اسم أخته «سعيدة» التي أحبها كثيرًا.

ويعود سبب تأسيسها إلى حبه وحرصه على طلب العلم، واهتمامه بالأيتام والفقراء، وأحوالهم، بالإضافة إلى رغبته بتدريس أبنائه فيها، ولعل إدخال مادة الإنجليزي إلى منهاج المدرسة المباركية، واعتراض أهالي منطقة الشرق عليه، كان من أهم الأسباب الدافعة لبناء هذه المدرسة.



شجعه الكثير من فضلاء الكويت، حيث شكروه وآزروه، فلما علِمَ الشيخ عبدالعزيز العلجي برغبة شملان بتأسيس هذه المدرسة، أرسل إليه رسالة يشكره فيها على هذا التأسيس المبارك، ومما جاء فيها:

«لحضرة من سلّمت لمجده الأمثال، واقتدت بفضله الأفاضل... وكان الحقيق بقول القائل:

نميل على جوانبه كأنّا
نَميل إذا نميل على يمينا
ونأتيه لنَخْبُرَ حالتيه
فنخبر منهما كرمًا ودينا

.... فقد بلغني أنه ثبت لكم العزم التام على بناء مدرسة للأيتام، فلا زلت يا أبا المجد موفقًا لأمثال هذه الآثار الحميدة في الحال والمال، ولا زلت كما قال الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد
تلقاها عُرابةُ باليمين

مقر المدرسة

تطلّ المدرسة على البحر مباشرة في الحي الشرقي بدولة الكويت في «فريج ابن خميس»، في الجهة الغربية من وزارة الصحة حاليًا، وهي عبارة عن طابقين، في الدور الأول عدد (٤) غرف، وممرات، وهي مخصصة للطلاب الصغار، وفي الدور الثاني غرفتان، وسطح كبير.

افتتاحها

افتُتحت مدرسة السعادة عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م)، بحفل كبير حضره العديد من رجالات الكويت، وعلمائها، وممن حضر هذا الافتتاح الشيخ عبدالله الخلف الدحيَّان عالم الكويت وقاضيها.

وقد أثنى الزائرون عليها، لما رأوا من جهد متميز من المدرِّسين والطلاب، كما أصبح للمدرسة علاقة وثيقة مع العلماء من داخل وخارج الكويت، وقامت المدرسة بالاشتراك في مجلة الهلال، وأصبح للمدرسة متبرعون من أهل الخير يقدمون لها الأموال مشاركة مع مؤسسها شملان لتواصل عطاءها ونجاحها.

طلابها

كان عدد طلاب المدرسة في بدايتها ما يقرب من (٤٠) طالبًا، وكان معظمهم من الأيتام الذين قَدموا من المدرسة المباركيَّة، والمَدرسة الأحمديَّة، والكتاتيب، ووُزِعوا في أربعة فصول، ثم ارتفع عدد الطلاب ليبلغ (٢٥٠) طالبًا، ثلثهم من الأيتام والفقراء، وعدد منهم من أبناء عائلة الشملان، والعدد الآخر من أبناء التجار والمقتدرين، وكان تعليمهم فيها بالمجَّان، بل كان يُصرَف لهم ملابس لكسوة الصيف والشتاء، ومواد غذائية شهرية، ومن طلاب



مدرسة السعادة للأيتام

هذه المدرسة

١- خالد صالح حمد الرومي، رحمه الله تعالى.

٢-المربي الفاضل السيد/ أحمد علي بوكحيل، رحمه الله.

٣-المؤرخ الكويتي الكبير السيد/ سيف مرزوق الشملان، حفيد مؤسس المدرسة.

٤- النوخذة/ يعقوب خلف اليتامى وإخوانه، إبراهيم وخليفة، وكانوا أيتامًا.

وغيرهم من أبناء الكويت الكرام.

ناظر المدرسة

تم اختيار الشيخ أحمد الخميس الجبران، ليكون ناظرًا ومديرًا للمدرسة، وطلب إليه أن يختار مدرسين لديهم الخبرة والكفاءة لتعليم الأبناء.

قسَّم الشيخ الخميس الطلابَ إلى قسمين بحسب السن، وتولى بنفسه تدريس الطلاب الكبار، بالإضافة إلى إشرافه على المدرسة.

دَرَس الشيخ أحمد الخميس، رحمه الله، بمدينة الزبير في العراق، ثم رجع إلى الكويت ليتلقى العلوم الشرعية على «خاله» الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، رحمه الله، ثم درَّس في مدارس الزبير في بداية طريقه العلمي، ولما عاد إلى الكويت درَّس في عدة مدارس فيها مثل «المباركية، العامرية، السعادة، كشك الصقر»، كما تولى الإمامة في مسجد البدر خلفًا لخاله الدحيان، ثم عُيّن قاضيًا في المحكمة الشرعية في العام (١٩٦١)، ثم وكيلًا للمحكمة الكليّة في العام (١٩٦٤)، ثم مستشارًا في محكمة الاستئناف العليا في العام (١٩٦٦م)، بالإضافة إلى عضويته في المجلس البلدي.

توفي رحمه الله في العام (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

المدرّسون

تعاقب على التدريس فيها عدد من المدرسين والعلماء الذين تم اختيارهم بعناية، منهم:

١- الشيخ عيسى خليفة الجيران، (ت: ١٣٥٤هـ).

٢- الشيخ علي بداح المطيري، (ت: ١٣٧٢هـ).

٣- الأستاذ عبدالمحسن عبدالله البحر، (ت: ١٣٧٧هـ).

٤- الملا أحمد سيد محمد عقيل، (ت: ١٣٨٥هـ).

٥- الشيخ عبدالوهاب ابن عبدالرحمن الفارس، (ت: ١٤٠٣هـ).

٦- الأستاذ عبدالقادر عبدالعزيز العثمان، (ت: ١٤٠٨هـ).

٧- الملا عيسى مطر حسن مطر، (ت: ١٤١٥هـ).

٨- الأستاذ أحمد محمد محمد السنان، (ت: ١٤٢٢هـ).

٩- الأستاذ عبدالكريم محمد العثمان البدر، (ت: ١٤٢٣هـ).

١٠- الأستاذ سليمان أحمد علي بوكحيل، (ت: ١٤٢٩هـ).

المنهج التعليمي

اهتمت المدرسة بتدريس المواد الشرعية، بالإضافة إلى اللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، ومبادئ الجغرافيا، وبعد زيارة الشيخ محمد الخضري للمدرسة تم اعتماد تدريس الفقه على المذهب المالكي، بعد أن كان يُدَرَّس كل طالب مذهبه، وكانت الدراسة من الصباح حتى الظهر.

ذاع الحديث عن مدرسة السعادة في الكويت، وفي أنحاء العالم العربي والإسلامي؛ فأرسل العديد من رجالات العلم في العالم رسائل شكر وثناء للقائمين عليها، ومن هؤلاء، الشيخ عبدالوهاب الزيَّاني.

ومن العلماء و الوجهاء الذين زاروا المدرسة:

١- الشيخ المصلح المجاهد عبدالعزيز الثعالبي التونسي.

٢- الوجيه عبدالرحمن إبراهيم القصيبي.

٣- الأديب قاسم الشيراوي.

٤- الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود وأخوه الأمير خالد.

٥- أمير البلاد الشيخ أحمد الجابر الصباح، رحمه الله.

٦- الشيخ محمد محمد الخضري.

٧- الشيخ حافظ وهبة المصري.

٨- الشيخ محمد رشيد رضا.

مصاريف المدرسة وضائقتها المالية واغلاقها

تبرع شملان ببناء المدرسة من أمواله الخاصة، وأوقف أوقافًا خيرية للصرف على رواتب المدرسين، وخصص إحدى سفنه التجارية، ليصرف من أرباحها على المدرسة، كما ساهم غيره من المحسنين في دعمها.

وبعد الكساد الذي لحق بتجارة اللؤلؤ خسر شملان أمواله وتجارته، ولم يستطع الإنفاق



ناظر المدرسة الشيخ أحمد الخميس الجبران

عليها، فاضطر إلى إغلاقها في عام (١٩٣٢م)، وجعل مقرها وقفًا على مسجد ابن خميس.

تم فُتِحت أبواب المدرسة مجددًا عام (١٩٣٣م)، لتصبح مقرًا لمدرسة «الإرشاد لتعليم الأولاد»، والتي أنشأها الملا قاسم حمادة، والملا راشد حمادة، واستمرت حتى العام (١٩٣٦م)، حيث أسست دائرة المعارف وانصرف الطلاب إلى مدارسها.

هدم المدرسة

بعد أن توسعت الكويت في شوارعها، وبدأ التنظيم الجديد لها، هُدمت المدرسة في عام (١٩٤٧م)، لتوسيع شارع الميدان الذي يصل إلى البحر مباشرة.

وتابع أبناء الكويت اهتمامهم بهذا الصرح الكبير حتى بعد هدمه، فجسده د.خالد يوسف الشطي في كتابه «مدرسة السعادة للأيتام»، الذي قام فيه بدراسة شاملة لهذه المدرسة ألقى الضوء فيها على كثير من الوثائق والإنجازات، وترجم لصاحبها ومدرسيها.

المصادر

١. مدرسة السعادة للأيتام د.خالد يوسف ربيع الشطي.

التخطيط الثقافي.. ضرورة

د. فاتح ممدوح عبد الحليم

ربما يستغرب بعض القراء الكرام حقيقة امتداد ميادين ومجالات التخطيط إلى قطاع الثقافة، في وقت يدرك آخرون مدى أهميته، وهم بالتالي لا ينفونه، إنما يثمنون دوره وأهميته في الوصول إلى ثقافة متميزة، مادتها ثقافة نوعية، والمتعامل معها هو المثقف الحقيقي، وأما صانعها فهو المبدع.

لو حاولنا عزيزي القارئ أن نبسط مفهوم التخطيط الثقافي، لوجدنا أن من معناه وضع استراتيجية أو أجندة حالية أو مستقبلية (قريبة أو بعيدة) تأخذ بالاعتبار ركائز عملية إنتاج أو توليد المادة الثقافية الإبداعية، تلحظ أيضًا تقويم ما أنجز خلال الخطة الثقافية، كل ذلك في سبيل التطوير الثقافي والوصول إلى جيل مثقف قادر على حمل رسالة الثقافة وغاياتها الإنسانية السامية والنبيلة.

تخطيط الأنظمة والاستعمار

ما من شك بأن الكثير من الأنظمة لها سياسات معينة تجاه ثقافة بلادها، منها أنظمة تركز على ثقافة تدميرية، يعني «بصريح العبارة» أنها تقوم بكل ما لم يقم به المستعمر، وقد جاءت أصلًا لتكمل دوره في هدم البنيان الثقافي، ومثل هذه الأنظمة لها استراتيجيات ترمي في نهاية المطاف إلى نسف الإبداع الحقيقي، والاكتفاء بتلميع مبدعين (أو هكذا تسميهم أنظمتهم) إذ لا ندري ما هي الأسس التي اعتمدتها ولا نعرف المعايير التي استخدمتها في تصنيفها غير الولاء المطلق وتقديم جميع أنواع التنازلات وتأدية كل أنواع الخدمات للأسياد، على أية حال، مثل هؤلاء هم من ضمن خطط أنظمتهم، وبالتالي فإن وجودهم لم يكن عبثًا ولا بالمصادفة، إنهم نالوا رضا واستحسان أسيادهم لما قاموا به من اجتثاث لجذور ثقافة الأصالة.

ولعل ما أعنيه في هذا السياق هو إغراق أسواقنا الثقافية بنتاج (حجم هائل يركز على ثقافة الكم وفي حقيقته أمي أو جاهل بثقافة النوع) مثل هذا النتاج سواء كان كتابًا أو وسيلة إعلام (مسرحا، سينما) وغيرها من سبل الثقافة يراد به أصلاً الوصول إلى نوع من الأشخاص المؤطرين هم في حقيقتهم غير مثقفين إلا من جانب ثقافة السلطة.

حقيقة فاعلة

اذا كان ذلك هو حال بعض الأنظمة التي تعيش خارج حدود وأسوار العصر، فإن أنظمة أخرى أعطت أهمية كبيرة للثقافة ورصدت الكثير من الإمكانات، فهي تطمح إلى وجود المثقف الحقيقي، وبالمناسبة مثل هذه الأنظمة لم تخطط لـ«مقص» الرقيب إلا في حدود وحالات ضيقة جدًا، بحيث إنها تريد أن تصل إلى مثقف يقتنع بأن ما قد يتعامل معه من مادة ثقافية هو هابط وغير جدير بالمتابعة وأنه من الواجب أن يخرجه من دائرة تعامله.

ولعلي كلما تذكرت مقص الرقيب الخاص ببعض الأنظمة المترهلة أبتسم ساخرًا وأنا أردد: القائم بهذا الأمر يعمل ضمن منظومة تخطط وتعرف أبعاد ما تقوم به، لكن ما يجهله هو أن المتعامل مع المادة المبتورة أو المساء إليها بهذا القص والإلغاء، مثل هذه المادة ستشد الكثيرين وربما تشدني شخصيًا لمتابعتها وقد يكون ذلك من باب الفضول، يعني أن هناك الكثيرين ممن لم



كاتب سوري

يكن في أذهانهم التعامل مع مثل هذه المادة باتوا الآن أمام أبوابها، وربما دخلوا في عوالمها وتفاعلوا معها بدرجة كبيرة.

أعود إلى نقطة مهمة تتعلق بربط ما أشرت إليه بالتخطيط الثقافي، فبإمكان الرقيب (لو كان مخلصًا للثقافة بالفعل) أن يخطط للوصول إلى حالة أو مرحلة يستطيع من خلالها أن يرد على تلك المادة بطريقة مقنعة توضح للآخر أنها فعلًا ستسيء له إذا ما تعامل معها.

التخطيط الثقافي ومعاناته

عندما يكون القائمون على عملية التخطيط الثقافي أشخاصًا يتسمون بكفاءات وإمكانات وإبداعات ثقافية، فلابد لخططهم أن ترتكز على أسس موضوعية وصحيحة، مثل هؤلاء بالتأكيد يضعون في مقدمة خططهم مصلحة البلد الثقافية، وفي أذهانهم ملامح غد واعد ومستقبل مشرق يسعون إليه، كل ذلك انطلاقًا من اقتناعهم بأن هذا لا يرسمه أو لا يصله غير المثقف الحقيقي عبر ما يقدم له من مادة جادة وهادفة، أو من خلال ما يصنعه من ثقافة لا تغيب عن فضاءاتها نسمات العلم والاختراع والقيم السامية والنبيلة، أو كل ما هو جديد ويقدم خدمة للمجتمع.

وبعكس ذلك نجد أنه عندما يكون القائمون على التخطيط الثقافي أشخاصًا نفعيين وانتهازيين لا علاقة لهم بالثقافة، اللهم إلا من جانب ثقافة «تسريحات الشعر» أو «السهرات»، إضافة إلى ثقافة كتابة التقارير التي تخدم أنظمتهم.. تقارير علاقتها تنحصر بثقافة الزيف والمكر والخداع، فأية خطط نتوقعها من مثل هؤلاء، وأية لوحات ننتظرها منهم مستقبلًا غير لوحات التضليل وإفساد كل من لم يفسد بعد.

مثل هؤلاء عزيزي القارئ يلحظون في خططهم محاولة التغلغل أو اعتلاء منابر ثقافية نعتز بها أشد اعتزاز، ربما نجح بعضهم في ذلك، وهذا مؤلم ومؤسف لنا ولثقافتنا، وبالمناسبة أقول للقائمين على تلك المنابر: احذروا تلك الأبواق والطبول الجوفاء، فهم دائمًا يرددون «لسنا الوحيدين الفاسدين».

مفسدو الثقافة

من المفيد لثقافتنا أن نحسن التعامل مع مفرزاتهم (سأكون مخطئاً لو قلت نتاجهم) وأظن أن في ذلك مشكلة ستعترضنا، وأسئلتي: مع أية مكبات للنفايات سنتعامل بحيث أنها تستوعب هذا الحجم أو الكم الذي أتخمنا طويلًا طويلًا؟ ماذا عن تأثيره في المدى القريب والبعيد على بيئتنا الثقافية؟ وما هي أفضل السبل للتخلص من آثاره أو من بقاياه؟

يهمنا أيضًا عملية الوصول إلى ثقافة الآخر والتخطيط للتلاقح معها، فنحن نريد منه فهم ثقافتنا، وعلينا أن نثبت له بأن ما لدينا حسنٌ، في وقت نحترم ما بحوزته، نريد منه أيضًا ألا تأخذه نزعة أو عاطفة ما فيكون حكمه غير صائب على ثقافتنا، وطبعًا يساعد على إنجاز ذلك التخطيط لإيجاد ملحقين ثقافيين حقيقيين، واستبعاد الكثير من الحاليين وإعادتهم إلى مؤسساتهم غير الثقافية أصلًا.

العلّامة الشيخ فريد الأنصاريّ إلى رحمة الله



انتقل إلى رحمة الله تعالى مساءَ يوم الخميس ٥-١١-٢٠٠٩ الفقيه والعالم المغربي أ.د.فريد الأنصاريّ، رائد مشروع «مجالس القرآن» بتُركيا، حيث كان في رحلة علاجيّة. وقد نقل جثمان المرحوم إلى بلده المغرب يوم السبت ٧-١١-٢٠٠٩م، وبقلوب حزينة شيّعت يوم الأحد ٢١ ذي القعدة ١٤٣٠ الموافق ٨ نوفمبر ٢٠٠٩ جنازةَ العلامة الشيخ الدكتور فريد الأنصاري، تغمده الله بواسع رحمته، جموعٌ غفيرة من الناس أتت من مختلف نواحي المغرب، لتحضر جنازة هذا العالم الجليل، حيث أقيمت صلاة الجنازة بعد أداء صلاة الظهر بمسجد الروى بمكناس، حيث امتلأ عن آخره بالمصلين، ثم انطلق الموكب الجنائزي الطويل في جو مهيب نحو مقبرة الزيتون.

ولقد عُرف الفقيد بعطائه العلميّ والدعويّ، حيث أثْرت مؤلفاته المكتبةَ الإسلامية داخل المغرب وخارجه، وكان آخرها، قبل شهر، كتابه حول «الدين هو الصلاة .. والسجود لله باب الفرج»، بعد كتابه السابق قبل شهور: «الفطرية».

وبفقدان الدّاعية الأنصاري يكون المغرب بهيئاته الرسمية والشعبية والعالم الإسلامي قد فقد منارة من منارات العلم الأصيل.

سيرة ومسيرة

وُلد الشيخ فريد الأنصاريّ بالجُرّف الرشيدية (جنوب شرق المغرب) سنةَ ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م، وانخرط في سلك الدّعوة العامّة عبر مؤسّسات المجلس العلميّ الأعلى والمحلي بمدينة مكناس المغربيّة، وفي مساره العلميّ حصل الأنصاريّ على إجازة الدراسات الإسلاميّة من جامعة محمد بن عبدالله بكلية الآداب بفاس، ودبلوم الدراسات العليا (الماجستير) في الدراسات الإسلامية تخصّص أصول الفقه من جامعة محمد الخامس بالرباط، ثم دكتوراه الدّولة في الدراسات الإسلامية تخصّص أصول الفقه من جامعة الحسن الثاني بكلية الآداب المحمّدية، والفقيد عضو مؤسّسٌ لمعهد الدراسات المصطلحية التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وعمل أستاذا لكرسي التفسير بالجامع العتيق بمدينة مكناس، وأستاذا لأصول الفقه ومقاصد الشريعة بكلية الآداب جامعة المولى إسماعيل بمدينة مكناس.

وتولى أيضا رئاسة «وحدة الفتوى والمجتمع ومقاصد الشريعة» لقسم الدراسات العليا بجامعة المولى إسماعيل بمدينة مكناس.

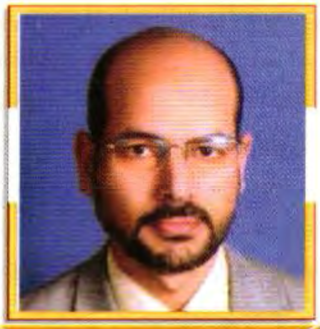
واتجهت مؤلفاته العلميّة الأخيرة إلى ترسيخ الدعوة لتأصيل العلم الشرعيّ، وإشاعة «مجالس القرآن» وتدبّر «بلاغات الرّسالة القرآنية» أسوةً بالتجربة النّورسيّة.

وإجمالا دعتْ مؤلّفاته العلميّة إلى الانطلاق من القرآن إلى العمران، كما بشّر فيها بعودة الإسلام إلى الحياة العامّة.

■ نقلا عن بعض المواقع في الشبكة المعلوماتية، وبالأخص موقع إسلام أون لاين.

نظرات تحليلية

المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه



وصفي عاشور أبوزيد *

> يعتبر التجديد الحقيقي فريضة من الفرائض، وضرورة من الضرورات، وسنة من السنن، وطبيعة من طبائع الأشياء، فهو مطلوب في كل شيء، في الماديات والمعنويات، في الدين والدنيا وفي الإيمان، حتى الدين نفسه يحتاج إلى تجديد، وقد روى أبوداود بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدِّدُ لها دينَها» (سنن أبي داود)، وهو حديث يصرح بشرعية التجديد في الدين، ويشير إلى أنه فريضة تهدف إلى أن دينها محفوظ يقيض الله له من يحفظه سواء كان فردا أو جماعة، ولهذا ظهر في تاريخنا الحافل من عُرفوا باسم «المجددون»، مثل عمر بن عبدالعزيز والشافعي والغزالي وابن تيمية وغيرهم.

ليس معنى التجديد أن نتخلص من القديم أو نهدمه ونستعيض عنه بمستحدثات مبتكرة، فهذا ليس من التجديد، بل هو تبديد، إنما المراد به الاحتفاظ بالقديم، وترميم ما بلي منه، وإدخال التحسين عليه(١)، ومحاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ، دون المساس بثوابت هذا القديم، أو العبث بخصائصه الأصيلة وطابعه المميز، ولولا هذا ما سمي تجديدا، لأن التجديد إنما يكون لشيء قديم.

وبهذا لا يكون التجديد مناقضا للأصالة، بل إنه- بالحفاظ على جوهر القديم والترحيب بكل جديد لا يتنافى مع الموروث- آية من آيات الأصالة، وعامل من عوامل الحفاظ عليها وإثرائها(٢).

وعلم أصول الفقه من أشرف العلوم الإسلامية، وليس بمعزل عن التجديد، ذلك أن التجديد مشروع في الدين بصفة عامة كما يشير الحديث السابق، وأولى الميادين بالتجديد هو علم الأصول الذي يعتمد عليه علم الفقه المتسم بالسعة والمرونة والذي يضمن للدين النشاط والحركة، ويحتضن كل جديد بالفتوى والبيان.

والدعوة إلى تجديد علم الأصول ليست وليدة العصر الحديث، ولكنّ لها جذورٌ تمتد إلى الماضي، فللغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في «المستصفى» و«شفاء الغليل» إشارات تدل على أن طرفا من قضايا هذا العلم تحتاج إلى تحرير القول فيها، ثم جاء الشاطبي في موافقاته فنبه إلى أن في علم الأصول مسائل ليست منه، وأن الركن الثاني من أركان هذا العلم- وهو ركن المقاصد- لم يلق اهتمام علمائه الجدير به، ثم حاول الشوكاني محاولته البارزة في تاريخ التجديد كما ينبئ عنوان كتابه: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول(٣).

وقد أثيرت قضيته في العدد الافتتاحي من «مجلة المسلم المعاصر»، حيث دعت المجلة إلى اجتهاد شامل يعتمد على أصول الإسـلام، ولا يغفل حاجات العصر(٤)، وظهرت في عصرنا محاولات عديدة في تجديد أصول الفقه تتعذر الإحاطة بها، بلغت بها بعض الدراسات الأكاديمية نيفا وثلاثين محاولة، تتفاوت في مدى عمليتها واقترابها أو ابتعادها عن معايير التجديد الحقيقية، وتتراوح في أصالتها بين القوة والضعف، والالتزام بسلطان العلم وعدم الالتزام.

* باحث في المركز العالمي للوسطية

وباستقراء هذه المحاولات وُجد أنها أخذت صورا عديدة، منها غير الأصيل، ومنها الأصيل، والذي تميز بالأصالة منه ما اتصل بالشكل والصياغة، ومنه ما اتصل بالمضمون، والأخير منه ما أضاف إلى مسائله، ومنه ما حذف منها، ومنه ما يتصل بإعادة النظر في هيكل العلم، ومنه ما يعود إلى تعميق البحث وتوسيع مداه، ومنه ما انطلق بالعلم إلى مجالات أخرى رحيبة، ليتفاعل معها ويؤثر فيها، إلى غير ذلك من محاولات، وسوف نتحدث هنا عن المحاولات الأصيلة التي التزمت بأصول التجديد وعملت تحت مظلة العلم وسلطانه، أما المحاولات غير الأصيلة فلها حديث آخر.

محاولات أصيلة في تجديد الأصول

ونقصد بالأصيلة هنا باختصار تلك المحاولات التي ترتكز على أساسيات هذا العلم، كما استقرت أصوله وقواعده على مر القرون، وتسير في مظلته، وتتحدث تحت سلطانه، وهذه المحاولات أيضا ليست بالقليلة، إنما هي كثيرة نقدمها في اتجاهين:

الاتجاه الأول: إعادة صياغة القديم بأسلوب جديد

وهو اتجاه من اتجاهات التجديد الذي تصاغ فيه مصطلحات هذا العلم وتعريفاته وقضاياه ومباحثه بأسلوب سهل العبارة قريب المأخذ واضح البيان خالٍ من الألغاز والإعجاز.

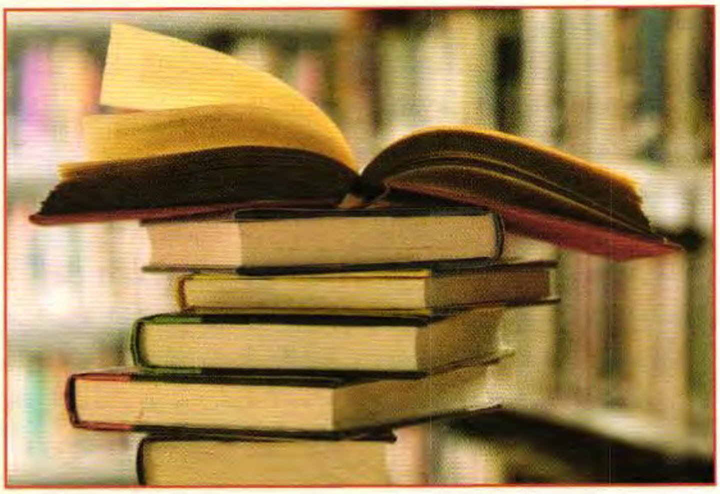
وقد ظهرت هذه الدعوة على يد مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم(٥)، ثم توالت المجهودات في هذا الطريق، فألف أحمد إبراهيم بك «علم أصول الفقه»، وعبد الوهاب خلاف «علم أصول الفقه»، ومحمد أبوزهرة «أصول الفقه»، وعلي حسب الله «أصول التشريع الإسلامي»، كما ساهم الحقوقيون في ذلك من تلامذة خلاف وأبي زهرة وعلي حسب الله، مثل بدران أبوالعنين بدران في «أصول الفقه الإسلامي»، وزكريا البرديسي في «أصول الفقه»، وعبدالكريم زيدان في «الوجيز في أصول الفقه»، وغيرهم.

وفي خط مواز جاءت جهود رجال الأزهر مع دعوة الشيخ محمد المدني لعلماء كلية الشريعة إلى التأليف، وعدم الركون إلى تدريس القديم من المتون والشروح.

وهذا الفريق يرى أن التجديد في أصول الفقه أو في الصياغة الميسرة لمسائله إنما تكون في التحقيق العلمي لما اختلف فيه أهل العلم وعرض القضايا الأصولية عرضا موضوعيا مبسطا، لأنه شائع بين علماء الأزهر أن القسمة العقلية للآراء الأصولية قد انتهت، فلا مزيد ولا رأي جديدا في مسائل الأصول، حيث قد قيل كل ما يمكن أن يقال، فما من رأي يظنه صاحبه جديدا وتكون له وجاهة إلا سنجده عند الأقدمين(٦).

ومن هنا انبرت تلك الأقلام لاختصار مسائل العلم دون الإخلال بمحتواه، مع العبارة السهلة الواضحة، فهذا الشيخ الخضري في أصوله الذي ألفه للتدريس يقول: «بذلت الجهد في أن أجعل ما أمليه عليهم سهل العبارة واضح المعنى، ورأيت أن لا فائدة من إكثار الموضوعات مع استغلاق الألفاظ»(٧).

وهذا الشيخ أحمد إبراهيم بك في أصوله الذي ألفه للتدريس أيضا يقول: «وبعدُ، فهذه مذكرة موجزة في علم أصول الفقه... سلكت فيها طريقة مبتكرة ابتدأتها، رجاء أن ينتفع بها الطلاب نفعا صحيحا، وأن تكون باكورة عمل نافع لطلاب القوانين والشريعة، وأساس بناء صالح لهيكل تشريعي جديد تأتلف فيه الشريعة والقانون في جميع الفروع»(٨).



التجديد ليس مناقضاً للأصالة بل هو الحفاظ على القديم والترحيب بكل جديد

يضاف إلى هذه المحاولات محاولات بعض المعاصرين دراسة بعض الأبواب بصورة مستقلة في كتاب، لاستيفائه، وذكر الآراء المختلفة حوله، وتحرير محالّ النزاع، وترجيح ما قوي دليله، وهو اتجاه في أصول الفقه أشبه باتجاه التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

ومن العلماء الذين شاركوا في ذلك د.يوسف القرضاوي في كتابه: «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية»، ود.شعبان إسماعيل في كتابه: «قول الصحابي»، ود.علي جمعة في كتبه: «الإجماع»، و«القياس»، و«الحكم الشرعي»، ود.البوطي في كتابه: «ضوابط المصلحة»، وغيرهم من العلماء.

محاولة الشيخ محمد الخضري

وسنكتفي في هذا المطلب بإشارات سريعة من كتاب الشيخ الخضري- باعتباره باكورة هذا الاتجاه- تبين طبيعة هذا الاتجاه وقيمته العلمية.

بدأ الشيخ الخضري كتابه بمقدمة تاريخية عن العلم ذكر فيها أن الشافعي أول من صنف فيه، وتحدث عن مباحث العلم وكيف انقسمت إلى أبواب أربعة: الحكم، والأدلة، وطرق الاستنباط، وأحكام المجتهد، ثم بيّن طرق التأليف التي سلكها العلماء في هذا العلم، وهي طريقة المتكلمين، وطريقة الحنفية، وطريقة تجمع بين المتكلمين والحنفية، وذكر مصنفات لكل طريقة تمثيلا لها.

ويعلق الشيخ الخضري على مصنفات الطريقة الثالثة فيقول:

«وهـذه الكتب التـي عُنيتْ بأن تجمع كل شيء استعملت الإيجاز في عباراتها حتى خرجت إلى حد الإلغاز والإعجاز، وتكاد لا تكون عربية المبنى، وأدخلُها في ذلك كتاب التحرير لابن الهمام، لأنك إذا جردته من شروحه وحاولت أن تفهم مـراد قائلـه فكأنما تحاول فتح المعميات»(٩).

ويـذكـر الـشيـخ الخـضـري منهجه في عرض المسائل فيقول: «والطريقة التي جريت عليها هي أنني أذكر القاعدة أولا- حسبما يقع في نفسي أنه الصحيح- ثم أتبع ذلك ببيان شاف لها، ثم أبرهن على صحتها، ثم أذكر قول المخالفين إن رأيت لخلافهم وجها، ولا أضن على القرطاس بذكر مثال أو أكثر مما ينطبق على هذه القاعدة»(١٠).

ثم يمضي الشيخ ذاكرا حد العلم وموضوعه واستمداده والغاية منه كما هـي عادة المصنفين، ثم يقسم الكتاب إلى أبواب أربعة كما ذكرنا من قبل.

ونظرة سريعة على تعريف المصطلحات فقط بين الخضري والقدماء توقفك على مدى الفرق بين الصياغتين، فالخضري يعرف أصول الفقه مثلا فيقول: «أصول الفقه هو القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة»(١١).

أما القدماء فإنهم يقررون ابتداء أن أصول الفقه قول مؤلف من مضاف هو الأصول، ومضاف إليه هو الفقه، ولن نعرف المضاف قبل معرفة المضاف إليه، ثم يعرفون أصول الفقه.

يقول الغزالي: «وقد عرفتَ من هذا أن أدلة الأحكام الكتابُ والسنة والإجماع، فالعلم بطرق ثبوت هذه الأصول الثلاثة وشروط صحتها ووجوه دلالتها على الأحكام هو العلم الذي يعبر عنه بأصول الفقه»(١٢).

وقال الآمدي: «فأصول الفقه هي أدلة الفقه وجهات دلالاتها على الأحكام الشرعية وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة لا من جهة التفصيل»(١٣).

وفي تعريف النسخ قال الخضري: «هو رفع الشارع حكما شرعيا بدليل شرعي»(١٤).

بينما قال الجصاص مثلا: «والنسخ في الشريعة هو بيان مدة الحكم الذي كان في توهمنا وتقديرنا جواز بقائه فتبين لنا أن ذلك الحكم مدته إلى هذه الغاية وأنه لم يكن قط مرادا بعدها»(١٥).

وقال الغزالي: «حده أنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه»(١٦).

ويقول الخضري في تعريف النهي: «هو طلب الكف عن فعل على جهة الاستعلاء»(١٧).

بينما قال الجويني: «النهي قسم من أقسام الكلام القائم بالنفس وهو في اقتضاء الانكفاف عن المنهي عنه بمثابة الأمر في اقتضاء به»(١٨).

إلى غير ذلك من مصطلحات، ناهيك عن طريقة التناول والعرض، وسرد الاختلاف الطويل، وإيراد مسائل لا طائل تحتها، وتفريع المسائل والقضايا، وغير ذلك مما لو تكلمنا عنه لسُوِّدت به صفحات كثيرة.

والحكم على محاولة الخضري في التبسيط والتيسير هو الحكم على أول ما يوضع في أي علم، فقد تجد في أصول الخضري سردا لخلاف طويل لمسألة من المسائل لا أثر عمليا لها، كما تجد مثلا في مسألة التحسين والتقبيح العقليين، وهي مسألة من مسائل علم الكلام، إلا أن الكتاب فتح بابًا مهما لمن أتوا بعده، فاستطاعوا أن يبلغوا مبلغا بعيدا في تيسير مسائل العلم، مع الاقتصار على ما تستدعيه الحاجة في استمداد الأحكام الشرعية من مصادرها، دون إخلال بالمضمون بلغ أوجّه في أصول خلاف وأبي زهرة.

وعلى كل حال فالذين شاركوا في هذا الاتجاه لم يختلفوا في الكيف، إنما تكررت في مؤلفاتهم التعريفات والتقسيمات والمسائل والشواهد، وجاء تفاوتهم في الكم والأسلوب في الصياغة من حيث الإيجاز أو الإطناب والدقة في تناول الموضوعات، ومن ثم لم يقدم هذا الاتجاه تجديدا ذا بال مما دعا بعض المعاصرين إلى مسألة التجديد حتى يتسنى للاجتهاد أن يواجه تطورات الحياة ومشكلاتها.



الاتجاه الثاني: اتجاه التجديد المحدود والمتناثر

وهو اتجاه يتوقف على الإتيان بجديد في مسائل الأصول نفسها، والقول برأي لم يُسبق إليه، أو على الأقل لا نجده فيما بين أيدينا من كتب الأصول، وهو يكاد يكون نادرا لاسيما بعد انحسار الاجتهاد والتجديد في أصول الفقه، وإنما سمينا هذا المطلب «اتجاه التجديد المحدود والمتناثر» لأن:

■ هذا النوع من التجديد لا يحسنه إلا من تضلع من علم الأصول وعلم الفقه وعلوم الشريعة واللغة بوجه عام، وينتج عن ذلك تولد مسائل أصولية جديدة، ومن أجل ذلك سمّيناه «المحدود».

■ هذا النوع من التجديد لا تجده في كل أبواب ومسائل الأصول، ذلك أن معظم مسائل الأصول قسمة عقلية لا تقبل الزيادة ولا النقص، إنما يكون في أماكن متفرقة ومسائل متناثرة، ولذلك سمّيناه «المتناثر».

محاولة الشيخ عبد الله الغماري

وممن ساهموا في هذا الاتجاه العلامة المحدث عبد الله بن الصديق الغماري، وقد أهله لذلك تلقيه العلم من علماء لا يحصون كثرة فأتقن فنونا كثيرة

قلما تجتمع لواحد في عصره، منها- كما قال(١٩): علم العربية، والفقه المالكي والشافعي، والأصول والمنطق، والتفسير، والحديث والمصطلح، والتوحيد، والفرائض، وعلوم اللغة والبلاغة، وغير ذلك.

ويضيف مع علمه لهذه الفنون قوله: «مع تحقيق بحوث في كثير منها- أي العلوم- بطريقة لم أسبق إليها»(٢٠)، والذي يطالع مصنفاته لاسيما المتعلق منها بالفقه والأصول يجده يعقد فيها مباحث أصولية موسعة لقضية معينة يأتي فيها بأقوال مبتكرة، ويهمنا من هذا كله ما قاله الشيخ في مجال أصول الفقه، ومدى ما أضافه من جديد في مسائله.

يقول: «ذِكر بعض ما حررته من الفوائد ومنها ما لم أسبق إليه:

- منها أنني فرقت بين دلالة الاقتران، التي اشتهرت بين العلماء أنها ليست بحجة، وجعلتها نوعين:

نوع ليس بحجة باتفاق وهو أن تقترن بأفعال متعاطفة بأو تكون داخلة تحت أمر عام أو بالواو أيضا مثل: خمس من الفطرة... الحديث.

فلا يدل ذكر الختان فيها على أن غيره واجب كالختان.

ولا يدل ذكر السواك فيها على أن غيره ليس بواجب كالختان، فهذه الدلالة ضعيفة باتفاق.

النوع الآخر: أن يقترن أمران في نهي، نحو النهي عن كل مسكر ومفتر، فهذه الدلالة حجة في تحريم المفتر مثل الخمر لأنهما اندرجا تحت نهي يخصهما.

وانظر توضيح هذه الفائدة في آخر كتابي «واضح البرهان».

- ومنها أنني ذكرت أن الشيء قد يحرم ويباح مرتين وأكثر، مثل نكاح المتعة، قد نسخ تحريمه مرتين أو ثلاثة، ثم نسخت إباحته إلى الأبد.

أما الواجب فإنه إذا نسخ لا يعود واجبا أبدا، وهذا لم يقله أحد قبلي.

وهاتان الفائدتان مذكورتان في كتابي «الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر».

- ومنها أن ابن حزم أكثر في كتابه «المحلى» من إلزام خصومه بالقياس، مع أنه لا يقول به، وتبعه مقلدوه في المغرب.

فقررت أن المعلوم عند علماء الجدل أن العالم لا يلزم خصمه في المناظرة إلا بما يعتقده ويذهب إليه، ولا يجوز أن يلزمه بما لا يذهب إليه، لأن الغرض من المناظرة عند علماء الجدل الوصول إلى الحق من أحد الطرفين، وليس الغرض الإلزام للمخاصم فقط.

وهذه الفائدة نبهتُ عليها في «الرأي القويم».

- ومنها أنني نبهت على أن نسخ التلاوة الذي أجمع عليه الأصوليون ليس بجائز، بل هو مستحيل عقلا، وكتبت فيه «ذوق الحلاوة» وهي مطبوعة، وقد خالفني في رأيي هذا بعض العلماء تقليدا لما عرف عند الأصوليين، وإني مستعد لموافقتهم بشروط:

١- أن يثبتوا أن تلك الآيات ثبتت قرآنيتها بالتواتر، وهذا غير موجود قطعا.

٢- أن يبينوا الحكمة من نسخ التلاوة بعد وجوده في القرآن.

٣- أن يجيبوا عن قول الله تعالى: ﴿لا مبدل لكلمات الله﴾(٢١). ا.هـ.

أدلّة الأحكام هي الكتاب والسنة والإجماع والعلم بثبوتها هو «أصول الفقه»

وممن سار في هذا الاتجاه د.أحمد حمد في كتابه: «الإجماع بين النظرية والتطبيق»، حيث قسم كتابه قسمين: الأول نظري، والثاني تطبيقي، وقال في بداية القسم الثاني إنه سار فيه على منهج هو إلى التجديد أقرب منه للتقليد حيث عالج قضايا في الإجماع لم تطرق من قبل، مثل: معالم الإجماع في الأمة، والإجماع في عهد الخلفاء الراشدين، وأنواع الإجماع التي بلغت خمسة عشر نوعا، وأركان الإجماع، ومناقشة صعوبات في طريق الإجماع، وقواعد الإجماع، والإجماع عند غير المسلمين، إلى غير ذلك من مسائل جديدة وحيوية.

ويرى د.علي جمعة أنه على الرغم من أن كثيرا من القضايا التي أثارها الكتاب لا يسلمها له علماء الأصول، وأنه ستختلف مواقفهم منها بين الرفض الشديد والقبول الحذر فإنه كتاب جدير بالمناقشة والفحص(٢٢).

وهذا الاتجاه من الاجتهاد عموما لا يقدم عليه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد أو قارب، وتضلع من علم الأصول، وهي درجة قلما يبلغها عالم في عصرنا الحاضر.

وينبغي لهذا النوع من الاجتهاد أن يشجع، وتستنفر فيه وله طاقات العلماء الراسخين، وتعقد له المؤتمرات، وتدار فيه الندوات، وتكتب فيه الأبحاث، حتى نصل في هذا العلم إلى قواعد مقررة، ومسائل محققة.

الهوامش

(١) راجع الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد: ٢٩-٣٠، د.يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة. ط ثانية. ١٤١٩هـ.

(٢) التجديد في الفقه الإسلامي: ٤٨/١، د.محمد الدسوقي. ضمن سلسلة «قضايا إسلامية» طبع وزارة الأوقاف المصرية، وراجع الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد للقرضاوي: ص٢٥ وما بعدها.

(٣) راجع: نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه: ١٣٧، د.محمد الدسوقي، بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد الثاني عشر ١٤١٥هـ.

(٤) الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: ٦٧، د.يوسف القرضاوي، ط. دار القلم، الكويت.

(٥) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٢٢٦-٢٢٧، د.علي جمعة محمد، بحث منشور في العدد العاشر من حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية. ١٤١٢هـ.

(٦) السابق: ٢٢٧-٨٢٢.

(٧) أصول الفقه: ١٣، المكتبة التجارية. ط. ثانية. ١٣٥٢هـ.

(٨) علم أصول الفقه: ٢، طبع دار الأنصار. القاهرة، وراجع مثل هذه العبارات وما في معناها وهدفها عند عبد الوهاب خلاف في علم أصول الفقه: ٨، مكتبة دار التراث. القاهرة، وعند الشيخ محمد أبي زهرة في أصول الفقه: ٧، دار الفكر العربي. القاهرة. ١٩٩٧م، وعند الشيخ علي حسب الله في أصول التشريع الإسلامي: صفحتي ج، د من المقدمة.

(٩) أصول الفقه: ١١.

(١٠) السابق: ٤١.

(١١) السابق: ٥١.

(١٢) المستصفى: ٥-٦.

(١٣) الإحكام في أصول الأحكام:١/٢٣. تحقيق د.سيد الجميلي. دار الكتب العربية. بيروت. ط. أولى. ١٤٠٤هـ.

(١٤) أصول الفقه: ١١٣.

(١٥) الفصول ٢/٧٩١.

(١٦) المستصفى: ٦٨.

(١٧) أصول الفقه: ٩٤٢.

(١٨) البرهان في أصول الفقه: ١/١٩٩. تحقيق د. عبد العظيم الديب. دار الوفاء. المنصورة. مصر. ط. رابعة. ١٤١٨هـ.

(١٩) سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق: ٥١. مكتبة الدار البيضاء.

(٢٠) السابق: ٤٥.

(٢١) السابق: ١٣٦-٨٣١.

(٢٢) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٧٣٢.

لا هجرة من العجز إلى النصر إلا بالتضحية والفداء يا أمة الإسلام!

د. ماهر عباس جلال

إن المتأمل للأحداث التاريخية الفارقة في حياة الأمم، سيدرك أن الانتصار فيها كان له ثمن دفعته الأجيال لتحقيق هذا الانتصار، وتحقيق الغايات السامية المنشودة، تلك سنة الله في كونه، ولن نجد لسنة الله تبديلًا.

المعنى اللغوي للهجرة

ومن هذه الأحداث التاريخية الفارقة، بل على رأسها الهجرة إلى المدينة المنورة، فقد تجسد فيها أسمى معاني التضحية والفداء، ونظرة أولية إلى المعاني اللغوية لمادة «هجر» تؤكد هذه المعاني، فمن المعاني اللغوية لمادة «هجر»: الترك، والإعراض، والسير في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر، وتسمى المهاجرون مهاجرين، لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة.

حقيقة الهجرة

إذن فالهجرة- في حقيقتها- ترك للأهل والوطن، والإعراض عن زخارف الدنيا وعرَضها الزائل، وتحمُّل الآلام والمعاناة المادية والمعنوية في سبيل تحقيق الأهداف السامية للهجرة، وهي الانتقال بالدعوة الإسلامية إلى بيئة إيمانية صالحة لاستنباتها واحتضانها، وتأسيس مجتمع إسلامي يتولى رعايتها ويحمل لواء نشرها في العالم، فلا هجرة إذن دون تضحية وفداء.

نماذج حية للتضحية في الهجرة

من النماذج الحية الرائعة التي تعكس لنا هذه المعاني السامية للتضحية والفداء:

١- هجرة أم سلمة رضي الله عنها

كان أول المهاجرين إلى يثرب (المدينة المنورة فيما بعد) من المسلمين، أبو سلمة المخزومي ومعه زوجه أم سلمة وولده سلمة، ولما رآه بنو المغيرة رهط زوجه، قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيتك صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوا أم سلمة منه، وعند ذلك غضب بنو عبدالأسد رهط أبي سلمة، وقالوا: لا، والله، لا نترك ابننا عندها إذ انتزعتموها من صاحبنا، وأخذ الفريقان يتجاذبان سلمة حتى خلعوا يده، وقلب أم سلمة أخذ يتحرق



• كاتب مصري

من معاني الهجرة

لم تكن هجرةُ الرَّسول الكريم، ﷺ، هربًا من المشركين ولا يأسًا من واقعٍ بئيس مقيت، ولم تكن هجرته، ﷺ، حُبًا في الشُّهرة أو الجاه والسُّلطان؛ إذ كيف يكون ذلك وقد جاءه أشرافُ مكة وصناديدُها، وقالوا له: «إنْ كنتَ تريدُ بما جئتَ به مالًا جمعنا لكَ من أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالًا، وإنْ كنتَ تريدُ مُلكًا ملَّكْناكَ علينا»، ولكنَّ نبيَّنا الكريم، ﷺ، كان أسمى وأعزَّ وأنبل من أنْ يكونَ مقصودُه حطام الدنيا وبهرجُ زينتها.

ولم تكُن الهجرة النبوية المباركة التماسًا للهدوء وطلبًا للراحة، فهو يعلم يقينا أنّها دعوةُ حقٍّ ورسالةُ صدْق، لابُدَّ أنْ يُؤدِّيها على أتمِّ وجوه التبليغ والأداء، كما أمَرَه ربُّه جلَّ وعلا، ولذلك واجه عمَّه الحانيَ عليه بقوله: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أنْ أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُهُ حتى يُظهرَهُ الله أو أهلكَ دونَهُ».

لقد أجمع مشركو مكّة أمرَهم على قتْل رسول الله، ﷺ، للخلاص منه ومن دعوته، فجمعوا لأجل ذلك من كلِّ قبيلة رجلًا جَلْدًا نَسيبًا ليضربوهُ ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيتفرّق دمُهُ في القبائل، ولكن عناية اللهِ تعالى وحمايته أبَتْ أن يُغدَر بحبيبِ الله، ﷺ، ليقضيَ الله بعد ذلك أمرًا كان مفعولًا.

لقد كانت الهجرةُ إيذانًا بأنَّ صوْلةَ الباطل مهما عظُمَتْ ومهما بلغَتْ؛ فمصيرُها إلى زوالٍ، ونهايتُها إلى فشَلٍ وبَوار، وإيذانًا بأنَّ الحقَّ، وإنْ طال مغيبُه واشتدَّ البطش بأهله، لابدَّ له من يوم تُحطَّم فيه الأغلال، وتعلو فيه رايتُهُ وترتفعُ كلمتُه، وكيف لا، والله سبحانه وتعالى وعدَ المؤمنينَ بالنّصر المبين وجعل لهم بعد الشدّة فرجًا، ومن العُسر يُسْرًا، ومن الضّيق سَعة؟ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

إنَّ الدروسَ المستفادةَ من الهجرة كثيرةٌ، ومن جُمْلَتها ضرورةُ الصّبر على الشدائد والبلايا، وأنواع الظلم والاستبداد كافّة، وأهمّية الصّمود في وجه الباطل، والثّبات في ميادين الجهاد، والوقوف إلى جانب الحقّ في شجاعة وحزْم وصرامة.

إنَّ بهجتنا بهذه الذكرى تمتزج بعزمنا على الاقتداء بصاحب الذكرى، ﷺ، والتمسّك بهديه الكريم وعقيدته الصّافية، والالتزام بشريعته، مُعلّمين ومتعلّمين؛ فهو القائل ﷺ: «بلّغوا عنّي ولو آية».

إعداد : تمام الصباغ

على ولدها حزنًا وكمدًا، فهاجر أبو سلمة صابرًا محتسبًا فراق زوجه وولده وما لحق به من ضرّ، أما أم سلمة فظلت تبكي فراق زوجها وولدها حتى رق بنو المغيرة لحالها فأذنوا لها بالهجرة، ورد بنو عبدالأسد إليها ولدها.

فوضعت أم سلمة ولدها في حجرها وهاجرت ليس معها زاد ولا راحلة تقطع المسافات الطويلة وسط الصحراء المقفرة وفي لهيب الحر، فهيأ الله لها أحد مشركي مكة عثمان بن أبي طلحة، حيث دفعه كرم نفسه العربية ونخوة رجولته الأبية إلى عونها، فاصطحبها على ناقته حييًا شهمًا إلى المدينة، ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فحب الله ورسوله كان الدافع لأم سلمة لتحمل فراق زوجها وولدها الذي فقد ذراعه، وقوة الإيمان واليقين في الله ونصره جعلها تسافر مع ولدها الصغير بلا زاد ولا راحلة وسط الرمضاء، وهي تعلم أنها ربما لقيت حتفها وصغيرها في هذه الصحراء الموحشة، وحينما انقطعت أسباب الأرض تدخلت أسباب السماء والعناية الإلهية، فهيأ الله لها هذا الرجل الشهم الحيي رغم أنه مشرك، فالله ينصر دينه بالبار والفاجر، بالمؤمن والكافر.

امرأة من الجنس الناعم تتجاسر على ما يعجز عنه جلة من الرجال، لأنها اختارت ما عند الله على متاع الدنيا الزائل، واحتسبت نفسها وولدها عند الله، فضربت لنساء المسلمين القدوة الحسنة، وأن المرأة المسلمة ليست بأقل من الرجل في التحمل والصبر والتضحية والفداء إذا تمكن نور الإيمان من قلبها، وكان الله ورسوله أحب إليها مما سواهما.

٢- هجرة صهيب بن سنان

كما ضرب صهيب الرومي بن سنان المثل الرائع في التضحية بالمال في سبيل الله، واستبدل بعرض الدنيا الزائل ثواب الله الباقي، يرجو تجارة لن تبور، فقد كانت عنده أواق من الذهب وحلتان ذهبيتان، فلماً همَّ بالخروج مهاجرًا اعترضه فتيان من قريش، فحبسوه عن الهجرة، فساومهم بأن يتنازل لهم عن هذا ويدَعوه يهاجر، فلما قدم على الرسول ﷺ، بشره الرسول ﷺ فقال: «يا أبا يحيى، ربح البيع. ثلاثاً» فعندئذ قال صهيب، يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام. (أخرجه الحاكم في مستدركه).

وما قاله الرسول ﷺ لصهيب، إنما هو لكل مسلم أو مسلمة يضحي بماله في سبيل الله، ولنصرة الإسلام والمسلمين، ولوضع لبنة في صرح الحضارة الإسلامية، إذ المال عصب الحياة، وشريان الحضارة، ووقود التقدم والرقي، فحينئذ يقال لكل من ضحى بماله في سبيل ذلك كله: ربح البيع يا عبدالله! ربح البيع يا أمة الله!



حب الله ورسوله كان الدافع لأم سلمة لتحمل فراق زوجها وولدها

٣- صنيع أبي بكر الصديق

كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال، وما تردد لحظة حين عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام، وشهد له الرسول ﷺ بذلك فقال: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه».

وقد ضرب أبوبكر الصديق أمثلة حية للتضحية بالمال والنفس والولد في سبيل الله، حين هاجر مع الرسول ﷺ، فقد احتمل معه ماله كله تاركاً أهله وأباه من دون مال، وهو لا يعلم إن كان سينجو في رحلته هذه أم لا، وهل سيجمع الله بينه وبين أهله ثانية في الدنيا أم سيفرق بينهما الموت أو كفار قريش؟

ومشهد آخر له وهو مع الرسول ﷺ في طريقهما إلى غار «ثور»، حيث جعل يمشي ساعة بين يدي الرسول ﷺ وساعة خلفه، حتى فطن الرسول ﷺ لذلك فقال: «يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟»

فقال أبوبكر: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد (الجواسيس) فأمشي بين يديك.

فقال له الرسول ﷺ «يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟» قال أبوبكر: نعم، والذي بعثك بالحق.

فأبوبكر رضي الله عنه يوضح لنا فهمًا دقيقًا للدعوة الإسلامية، فهلاك فرد من المسلمين، وليكن أبا بكر، يعني هلاك نفس واحدة، أما هلاك الرسول القائد- معاذ الله- فيعني هلاك أمة بأكملها.

وحين انتهيا إلى الغار لم يشأ أبوبكر أن يدخله الرسول ﷺ أولا، حتى يستبرئه أبوبكر ويطمئن على خلوه من أي حيوان مفترس، أو حشرة سامة، أو جاسوس يترصدهما، فلما اطمأن دعا رضي الله عنه الرسول ﷺ إلى نزول الغار.

ومواقفه رضي الله عنه في الهجرة كثيرة وجليلة، وتعظم تضحيته فيها وخاصة في الغار، وكان الفاروق عمر بن الخطاب يقول فيها: «والذي نفسي بيده، لتلك الليلة خير من آل عمر».

مما سبق يتبين لنا أن الإيمان إذا وقر في القلوب ضحت في سبيله النفوس والأبدان، فلا خوف ولا هلع، بل ثبات ويقين وتضحية وفداء، فما عند الله خير وأبقى، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة، ولا بين شيخ وشاب، ولا بين كبير وصغير، فالجميع لابد لهم من تضحية، فدين الله ثمنه غال، وقد دفعه أسلافنا، ولابد أن ندفعه في عصرنا لنشعر بلذة الإيمان، ولنسترد كرامتنا، ولنسترجع أعراضنا المستباحة، ولنفوز بوعد الله ونصره، فكلنا بحاجة إلى هجرة واقعنا المرير لمستقبل أفضل نتبوأ فيه المكانة اللائقة بأمة محمد ﷺ، ولا هجرة دون تضحية وفداء يا أمة الإسلام!

الإيثار أحد دروس الهجرة

عبدالجواد محمد الخضري *



تعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة نموذجًا فريدًا للمدينة الفاضلة، والمجتمع المثالي الذي فاق في نظمه تصورات الفلاسفة، بيد أنه بُني على الواقع بإرادة إلهية، ثم نفذه سيد البشر محمد ﷺ ومن أهم الفضائل التي ظهرت ملامحها في هجرة المصطفى ﷺ خلق «الإيثار»، ذلكم الخلق الكريم الذي يحمي الديار ويؤمن الذمار، ويجعل المسلمين يدًا واحدة لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم، ولا بين عبدهم وسيدهم، أَوَلَيْسُوْا لآدم وآدم من تراب؟ إنهم أمة واحدة منذ أن أعلنوا التوحيد!

والإيثار «تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فيما عند الله، وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة، والصبر على المشقة يقال: آثرته بكذا أي خصصته به وفضلته» (١)، ومضاده الأثرة، وهي الأنانية التي تجر صاحبها إلى قتل نفسه طمعًا! هلا علم أن رزقه في خزائن الغني المغني، وعمره لن ينقص عند مقدر الأقدار، فلم الحرص على الدنيا وعلام الجري وراء الملاذ الواهمة؟!

لقد سجل التاريخ بحروف من نور كيف كان صحابة رسول الله ﷺ حين استقبلوا إخوتهم الذين تركوا المال والولد فارين بدينهم غير مبالين بالنتائج إذ هاجروا بلا زاد ولا متاع، فكان الأنصار أهل نجدة ومروءة حيث استقبلوا أهل مكة أكرم استقبال، حتى ليكاد الضيف يحس أنه في مكة بل في منزلٍ أحب إليه من منزله الذي فيه أهله!

لقد استحقوا الوسام ولهجت بذكرهم القلوب قبل الألسن، يقول تعالى ﴿والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر:٩).

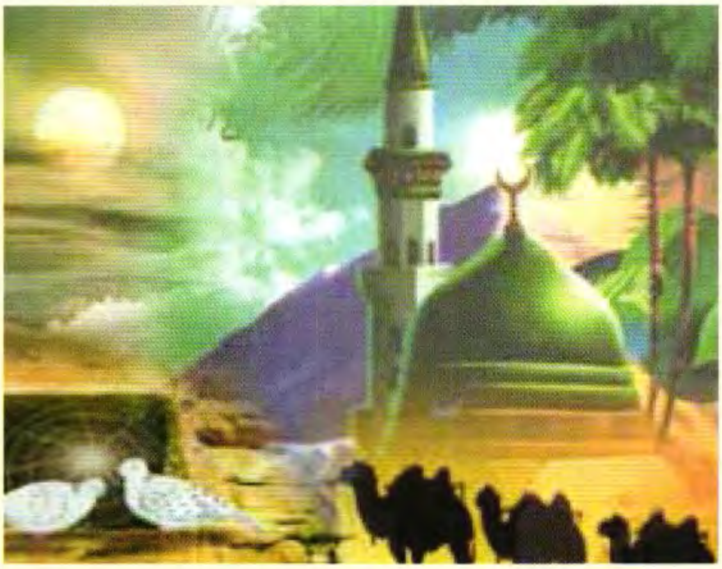
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا من كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم» (٢).

يروي القرطبي في تفسيره قائلًا: «كان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صدقوا ما عاهدوا الله عليه مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم وإشراكهم في أموالهم، ثم قال: إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم، فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا، ونادت الأنصار رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأعطى رسول الله المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئًا إلا ثلاثة نفر لأسباب خاصة» (٣).

وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال: «كانت الأنصار إذا جزوا نخلهم قسم الرجل ثمره قسمين أحدهما أقل من الآخر ثم يجعلون السعف مع أقلهما ثم يخيرون المسلمين يأخذون أكثرهما، ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السعف حتى فتحت خيبر، فقال رسول الله: وفيتم بالذي كان عليكم فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم، قالوا: إنه قد كان

* كاتب مصري





الأخوة بين المسلمين لا تحتكم إلى معيار السن أو القبيلة أو النسب والقرابة

لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة قد فعلنا الذي سألتنا بأن لنا شرطنا قال: فذاكم لكم!

وعن أنس رضي الله عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال: أما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثرة» رواه البخاري.

وتزخر كتب السيرة النبوية بعشرات المواقف التي تتجلى فيها صفة الإيثار والتضحية بأغلى ما يملك الإنسان من أجل أخيه المسلم ابتغاء مرضاة الله، ومن العجيب أن البذل والجود قد وصل بهؤلاء القوم إلى التنافس في مد يد العون إلى الآخرين حتى تمت المؤاخاة.

الأخوة تذيب الفوارق

إذا تصادق اثنان في الله ارتفعت بينهما الكلفة، وأصبحا كالجسد الواحد ينطلقان إلى غاية مشتركة تجعل المجتمع مترابطًا متضامنًا شعاره الحب، وسمته الوئام والعطف، إنه مجتمع المدينة المنورة الجديد التي وصلت درجة التآخي فيه إلى مستوى جعلت المهاجري يرث الأنصاري دون ذوي رحمه! للإخوة التي قررها النبي ﷺ، لما نزلت الآية الكريمة: ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قال: ﴿والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ (النساء: ٣٣)، أي من النصر والرفادة والنصيحة ثم ذهب الميراث ويوصى له.

آخى النبي ﷺ بين جماعتين من المهاجرين والأنصار قائلاً: «تآخوا في الله أخوين» ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال «هذا أخي»، فكان رسول الله إمام المرسلين وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وعمه الحبيب وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وكان أبوبكر الصديق وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبوعبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين، وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلمة أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين، وسلمة بن عبيدالله وكعب بن مالك أخوين، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبوأيوب أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان أخوين، وسلمان الفارسي وأبي الدرداء أخوين...» (٤). حتى وصلت المؤاخاة بين تسعين رجُلا من المهاجرين والأنصار.

دلالات وإشارات

المؤاخاة التي حدثت بين النبي ﷺ وعلى بن أبي طالب على الرغم من وجودهما معًا في منزل واحد تجعلنا نتساءل لماذا كانت؟!

وأجيب: لكي يعلم المسلمون أن الأخوة بين المسلمين لا تحتكم إلى معيار السن، فعلي يصغر النبي ﷺ بثلاثين عامًا على الأقل لكنه الأخ المختار لأفضل الخلق، مما يجعلنا ننظر الى العلاقات الإنسانية بمنظار الإيمان حين نقيم تواصلًا مع الناس ففارق السن ليس حاجزًا، المسلم أخو المسلم بغض النظر عن عمرهما السني، وبذا يرسي الإسلام قاعدة مثلى للصحبة.

والمؤاخاة بين حمزة أسد رسول الله وزيد بن حارثة تمت لتهدم العصبية القبلية القائمة على تقسيم البشر الى سادة وعبيد، ناهيك أن الإسلام يدعو الى عبودية الله وحده ومَنْ كان يعتقد أن يكون حمزة وهو مَنْ هو عزًا وجاهًا ومنعة أخًا لمولى رسول الله ﷺ؟!

والمؤاخاة بين جعفر بن أبي طالب- المقيم بالحبشة حينها- ومعاذ بن جبل تعلمنا أن رابطة الأخوة لا تعرف وطنًا ولا يحدها مكان، فالمسلم اليوغسلافي أخو المسلم السعودي، والمسلم الكويتي أخو المسلم المصري، والمسلم الإماراتي أخو المسلم السوداني، لا فرق بين من يعيش في سراييفو ولا من يقيم بأم القرى، كلاهما شرف بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجًا.

والمؤاخاة بين أبي بكر الصديق وخارجة ترينا مدى التربية المحمدية للمسلمين، فأبوبكر الذي يعلمه القاصي والداني من رجالات مكة والمدينة التاجر الشهير صاحب النبي يغدو اليوم أخًا لخارجة، منتهى العظمة الإسلامية التي لا تحتكم الى معايير التفرقة الإنسانية.

ثم نأتي الى المؤاخاة بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، سلمان ليس عربيًا لكنه مسلم إذن هو عربي! ويؤاخي أبا الدرداء العربي القح الذي شرب القيم العربية ورضع لبان الصحراء، كي ينصهرا في بوتقة واحدة هي «الإسلام» فيستويان في القومية الدينية «سلمان منا آل البيت»!

وإنك لواجد في اختيار الأخوة للتآخي أعظم الدروس العملية في التنشئة الاجتماعية لمجتمع تباينت أطرافه واختلفت طباعه، لكن الإسلام حين يتدخل في سلوكيات الناس فإنه يصفي فطرهم ويعيدهم الى نقائها الذي خلقت به وجبلت عليه مما أهل المجتمع المدني ليقود العالم مستقبلًا.

نموذج فذ في الإيثار

أخرج الإمام أحمد عن أنس: أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه فقال سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالًا، فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك! دلوني على السوق فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن ثم لبث ما شاء الله له أن يلبث فجاء وعليه ردع زعفران فقال رسول الله ﷺ مَهْيَم؟! فقال يارسول تزوجت امرأة! قال ما أصدقتها؟ قال: وزن نواة من ذهب! قال: أولم ولو بشاة، قال عبدالرحمن رضي الله عنه فلقد رأيتني ولو رفعت مجرًا لرجوت أن أصيب ذهبًا وفضة» (٥).

انظر الى مدى الكرم الإلهي، والتفضل الإسلامي، والمشاركة الوجدانية منقطعة النظير، هل قبل عبدالرحمن هذا العرض المغري؟!

إن الإسلام رباه على العزة والكرامة، وصيانة النفس عن المذلة والمهانة، فلم يعش عالة على غيره باسم الهجرة! لقد دعا لأخيه بالبركة وشكر له صنيعه، ثم قال له: دلني على السوق فباع واشترى وتحول الى ثري يشار إليه بالبنان وهو الذي ترك من قبل كل شيء، فعوضه الله بما لا يخطر على باله فاتسعت تجارته وزادت ممتلكاته حتى أخطأ العادون فيها، يروى أنه «تصدق مرة بسبعمائة جمل بأحمالها قدمت الى مكة من الشام، وأعتق ثلاثين ألف رقبة في يوم واحد، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقي ممن شهد بدرًا لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها، وتصدق على عهد النبي بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف ألف درهم، ثم حمله على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وباع ضيعة له بخمسة عشر ألف درهم قسمها في الأطباق (٦).

بهذه الروح الإيمانية الكريمة تمت المؤاخاة في جو مفعم بالمحبة، وبهذا الإخاء الشامل أرسى الرسول دولة الإسلام، وبدأت معالم البناء الحضاري الشامخ تتبلور بعد الهجرة المباركة.

إن الإيثار هو دستور الأخوة الخالصة التي تجردت من المطامع، وتنزهت عن الضغائن، وأقبلت تعطي بلا أذى، فمكن الله لسلفنا الصالح في الأرض وبوأهم مكانة سامية يتيهون بها على مر الدهور وكر العصور.

الإيثار دستور الأخوة الخالصة التي تجردت من المطامع وتنزهت عن الضغائن



الهوامش

١- الجمل (الفتوحات الإلهية) ج ٤ص٣١٦ ط الحلبي (بدون).
٢- ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج٤ ص٣٣٧ ط التراث (بدون).
٣- القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص٦٥ط الشعب ١٩٦٨م.
٤- ابن كثير (البداية والنهاية) ج٢ ص٢٦٤ط الغد العربي ١٤١١هـ.
٥- محمد كرد علي (الإسلام والحضارة العربية) ج١ ص١٥٥ ط دار الكتب ١٩٣٤م.
٦- الأطباق = الجماعات من الناس.

بواعث الفكرة في حوادث الهجرة

محمد بن ناصر العجمي *

اهتم أئمتنا الأوائل بالسيرة النبوية وألَّفوا فيها المؤلفات الكثيرة، ومن ذلك ما أُلِّف في هجرته ﷺ، وهذه منظومة في هجرته لأحد الأئمة حفاظ الحديث وهو ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ، أحد المعاصرين للإمام ابن حجر العسقلاني، وقد تم نشرها عن نسختين إحداهما من مكتبة وزارة الأوقاف في الكويت برقم ٢٨٦/٢ وهي منسوخة قبل وفاة المصنف، وذلك سنة ٨٣٤ هـ، والأخرى من المكتبة المركزية في جامعة أم القرى برقم ٢٩٩٢، قال المصنف رحمه الله:

سنو هجرة المختار فيها حوادث ... فخذ نثرها من كل عام وأحكم

مصلى قبًا في «أول» ثم مسجدًا ... بني وبيوتًا والصلاة فأتمم

وحلف أذان جمعة مات أسعد ... براء وعبدالله أسلم فاسلم

و«ثان» صيام فطرة أم كعبة ... وغزوة ودانا بواط لمغنم

عشير وبدر عرس عائش مثله ... البتول وموت لابن مظعون أكرم

سويق سليم قينقاع ومسور ... ومروان والنعمان سروا بمقدم

كذا ابن زبير مثل موت رقية ... أبو بنت هند أنمار كانت بمعلم

غزا أحدًا في «ثالث» قتل حمزة ... وذا أمر والخمر ردت فحرم

وحمراء مع بدر أخيرًا بناؤه ... بزينب ذات البر كسبا لمعدم

كذا حفصة مع أم كلثوم زوجت ... أتى حسن قبل الحسين المقدم

وفي «رابع» تزويج هند معونة ... نضير وقصر والتيمم فافهم

مريسيع إفك والرقاع وموعد ... ورجم وموت أم المساكين عظم

وصلى لخوف ثم في «الخمس» خندق ... قريظة سعد مات دومة قدم

ضمام أتى إسلام عمرو وخالد ... وعثمان الداري التزلزل فاعلم

وفي «سادس» لحيان ذو قرد به ... حديبية استسقى ابن خولة أعظم

مقوقس أهدى والظهار وخاتم ... لشيرويه الطاعون حج لمسلم

وخيبر في «سبع» صفية رملة ... زواجهما ذو الحبس آبوا بأنعم

قدوم أبي هر هدايا عطية ... قضا عمرة تزويج ميمونة أتمم

«وثامن» عام مؤتة الفتح أسلموا ... ومولد إبراهيم نجل المعظم

حنين غلاء طائف نصب منبر ... وبنت رسول الله زينب سلم

«بتسع» تبوك والوفود وجزية ... وحج أبي بكر وموت أم كلثم

ومات ابن بيضا والنجاشي وعروة ... قتيل ثقيف والسلولي فافهم

لعان وإيلاء وبوران ملكت ... لقتل فتى شيرويه بتظلم

وفي «العاشر» إبراهيم مات ومولد ... لنجل أبي بكر محمد أعلم

جرير اهتدى ضلت بأسود عنسة ... كسوف بخلف حجة التم أعجم

وسبع وعشرون المغازي ومثلها ... سراياه مع عشرين أرِّخ لمقدم

أصبنا «لإحدى عشرة» بنبينا ... فيا عظمه رزءًا لدى كل مسلم

بها بايعوا الصديق ردة وابكين ... لفاطمة مع أم أيمن واختم

نبذة من ترجمة الناظم من كتاب الاعلام للزركلي (٢٣٧/٦)

هو محمد بن عبدالله أبو بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد، القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين.. حافظ للحديث، مؤرخ.

أصله من حماة، ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية (سنة ٨٣٧) وقتل شهيدًا في إحدى قرى دمشق.

من كتبه «افتتاح القاري لصحيح البخاري» و«عقود الدرر في علوم الأثر» و«الرد الوافر - ط» في الانتصار لابن تيمية، و«برد الأكباد عن فقد الأولاد - ط» و«شرح منظومة الاصطلاح - خ» في مصطلح الحديث، و«بديعة البيان -خ»، أرجوزة في التراجم، على طريقة مبتكرة في تواريخ الوفيات، و«التبيان - خ» شرحها، و«السراق والمتكلم فيهم من الرواة - خ» و«كشف القناع عن حال من ادعى الصحبة أو له اتباع - خ» و«الإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام - خ»، و«المولد النبوي» ثلاثة أجزاء، و«سلوة الكئيب بوفاة الحبيب - خ» في خزانة الرباط (٢٦٩٤ كتاني) و«مختصر إعراب القرآن، للسفاقسي - خ» النصف الثاني منه، في الظاهرية بدمشق، و«ريع الفرع في شرح حديث أم زرع - خ» رسالة في خزانة الرباط (٢١٢٤ كتاني).

* باحث كويتي

الهجرة وضرورة التحرك الإيجابي في حياة الأمة

د. الشبراوي محمد عبد الهادي الجهوري *

كانت حياة رسول الله ﷺ مثالًا للمسلم العالم الآخذ بالأسباب المتحرك بإيمان صادق وإيجابية فعالة نحو تبليغ ما كلف بتبليغه للناس وانجاز المهمة التي أمره الله بها في قوله تعالى: ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من بك وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (المائدة: ٦٧)، فالتحرك الإيجابي والعمل الجاد الدؤوب نحو التماس منافذ وسبل تتيح له ﷺ نشر دعوته وتبليغ رسالته وأداء مهمته كان ديدنه وكان دأبه ﷺ وقد تجلى ذلك بوضوح في هجرته ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة وما سبقها من أحداث واجهته ﷺ، فعمل جاهدا للتغلب عليها وتحرك ﷺ نحو تحقيق هدفه بإيجابية وفعالية نالت إعجاب وتقدير المؤرخين، حتى رأينا المؤرخ الإنجليزي وليم موير يقول: «امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وقد أتم من الأعمال مايدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد (١).

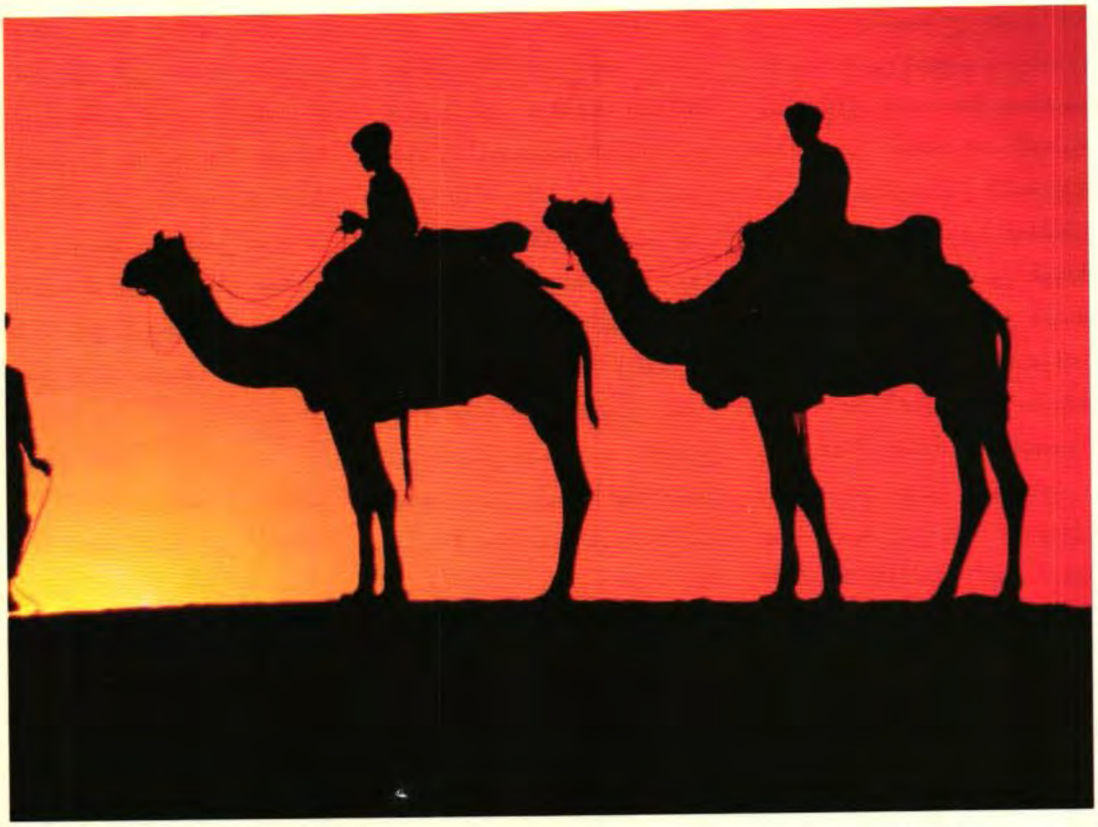
ونحن عندما نتعاطى موضوع الهجرة النبوية المشرفة تتراءى لنا أمور ثلاثة لابد من الوقوف عندها والاستفادة منها في حياتنا لأن الله عز وجل أمرنا أن نأخذ القدوة الحسنة من حياة رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ (الأحزاب: ٢١).

١- أما الأمر الأول فهو الواقعية الإيجابية، وإنما بدأنا بالواقعية لأن هجرة رسول الله ﷺ جاءت نتيجة واقع حاول المشركون في مكة فرضه على رسول الله ﷺ ونعني بالواقعية الايجابية قراءة الواقع والتحرك على أساسه وتوظيف جميع الطاقات واستخدام جميع الطرق المشروعة للوصول للهدف وعدم التراجع أمام المثبطات والمعوقات التي تعترض طريق الإنسان، وهذا ما نجده في مسيرة الدعوة التي قطعها رسول الله ﷺ منذ بعثته، وتجلت بوضوح في تحركاته ﷺ قبل هجرته بوقت قصير، فقد مات عمه أبوطالب في السنة العاشرة من البعثة وهو الذي كان يدفع عنه أذى المشركين وماتت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في السنة نفسها وكانت بمثابة وزير صدق لرسول الله ﷺ يشكو إليها همومه ويبثها أحزانه، وبموتهما لاقى رسول الله ﷺ وأصحابه من العنت والايذاء ما لم تكن تطمع قوى الشرك والطغيان فيه قبل ذلك، فلم يستسلم رسول الله ﷺ لهذا الواقع ولم تثنه المعوقات عن أداء رسالته ولكنه ﷺ جد في التماس الطرق والوسائل التي تعينه على تخطي هذا الواقع، وتحرك بايجابية وفاعلية نشطة لاجتيازه والوصول إلى ما يصبو إليه، وهو نشر دعوته وتبليغ رسالة ربه إلى الناس مؤتمرًا بأمر الله عز وجل حيث ناداه قائلًا: ﴿يأيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر﴾ (المدثر: ١-٧).



وقد تعامل رسول الله ﷺ مع الظروف التي كان يواجهها بواقعية عملية، حيث أدرك أن قوة الشرك قد جمدت على عقائدها الباطلة ونهضت بكل ما أوتيت من قوة تحارب الدعوة الجديدة وصاحبها حفاظا على زعامتها ودفاعًا عن سلطانها وسطوتها

* كاتب مصري



فأخذ رسول الله ﷺ يضع الخطط ويستخدم كل الإمكانات المتاحة لتبليغ دعوته للناس، وقد تمثل ذلك أولاً في عرض نفسه ودعوته على القبائل التي كانت تنهال على مكة في موسم الحج يطلب منهم أن يمنحوه أرضهم ويحموه ليبلغ رسالة ربه، ولكن قريشاً كانت تقف له بالمرصاد وتصد عنه كل من جاء ليتعرف على الدعوة الجديدة وصاحبها.

كان رسول الله ﷺ يقف على قبائل العرب يعرض عليهم الإسلام قائلاً: يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دون الله من الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوني حتى أبين عن الله ما بعثني به، يقول ابن إسحق «كان رسول الله ﷺ على ذلك - أي مستمرًا في دعوته مداوما عليها - كلما اجتمع الناس في موسم الحج أتاهم يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من المعروف والرحمة وكان ﷺ لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ماعنده» (٢).

وهكذا كانت حياة رسول الله ﷺ حركة دائبة، وعملاً مستمرا لا يتراجع أمام المعوقات ولا يتعلل بالظروف والأحداث، بل كان يعرف طريقه ويمضي فيه بكل حزم وعزم، وهذا هو ما يجب علينا اليوم، ألا نستسلم للواقع وألا نتعلل بالظروف وألا نخضع للأحداث الجسام التي تواجهنا، بل علينا أن نجد ونجتهد لتخطي هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات ودولا، ملتمسين في سيرة رسول الله ﷺ وفي تحركه الايجابي وفي اقتحامه الصعاب وفي تغلبه عليها القدوة الحسنة والدرس المستفاد.

إن مفهوم الواقعية الايجابية الذي نلمسه في سيرة رسول الله ﷺ جدير بالطرح والبحث الجاد، الآن، لأنه على أساسه يتحرك الإنسان ويحاول التماس الحلول المناسبة للمشكلات التي تعترض طريقه، وتخطي العقبات التي تقف دون تحقيق أهدافه حسب الإمكانات المتاحة وبالطرق المشروعة، ودائرة الواقعية الايجابية هذه تتسع فتتخطى حيز الإنسان كفرد إلى حيز المجموع كجماعة أو كدولة، فالكل مطالب أن يعمل لإيجاد حلول سريعة واقعية في الوقت نفسه، نقتحم بها الصعاب ونتخطى الحواجز النفسية والعقبات المادية التي تعترض طريقنا حتى نصل بأنفسنا وبأمتنا إلى بر الأمان ونجتاز الأخطار التي تحاك لنا ولأمتنا.

٢- أما الأمر الثاني الذي يجب أن نخرج به من درس الهجرة فهو المصداقية في القول والعمل، نتبين ذلك بوضوح عند عرض رسول الله ﷺ دعوته على القبائل، فقد كان ﷺ صادقاً مع ربه صادقاً مع نفسه صادقاً مع الناس، لم يستعمل التدليس والخداع وسيلة للوصول إلى هدفه مستخدما ما يقوله البعض اليوم «إن الغاية تبرر الوسيلة» لأن صدق الإيمان يستدعي بل يستوجب طهارة الوسيلة ومشروعيتها وصدق السالك لها وهذا ما كان من رسول الله ﷺ عندما عرض نفسه على القبائل ومنها قبيلة بني عامر بن صعصعة، فقد قالوا له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الأمر لله يضعه حيث شاء» (٣)، لقد رأى رسول الله ﷺ أن القوم طالبو دنيا، فلم يخدعهم ولم يغرر بهم ولم يمنهم بجاه أو

ثروة ولكنه ﷺ قال لهم بكل صدق «إن الأمر لله يضعه حيث يشاء» وهكذا يظهر صدق الداعية وأمانته نحو الكلمة التي يبلغها للناس.

كما تجلى صدق رسول الله ﷺ وأمانته مع أصحابه عندما أشار عليهم بالهجرة قبله، فلقد آثر رسول الله ﷺ أن يهاجر أصحابه إلى المدينة المنورة قبله ليبقى هو آخر المهاجرين، حرصا منه ﷺ على أصحابه، على خلاف عادة الزعماء والرؤساء الذين يحيطون أنفسهم بهالة من التحوط والأمن واتقاء الشرور ودفع الأذى عن أنفسهم بأقرب الناس إليهم من الرعية، إن رسول الله ﷺ الذي أمرنا بتحري الصدق في قوله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا» (صحيح البخاري) لقد كان رسول الله ﷺ يعطينا درسا عمليا في الصدق والأمانة مع أصحابه أثناء الهجرة فهو ﷺ لم يشأ أن يتركهم يعانون العذاب والآلام في مكة، لكنه ﷺ آثرهم على نفسه فأمرهم بالهجرة إلى المدينة المنورة قبله ليكونوا في مأمن من ظلم وطغيان أهل مكة، إنها الصداقة الحقة التي تجعل المسلم حريصًا على سلامة أخيه المسلم وأمنه، لا يظلمه ولا يسلمه للأعداء ولا يتخلى عنه في أوقات الشدة، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ في حديثه الشريف الذي يقول فيه: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة» (صحيح البخاري).

٣- الحركة العاقلة: هذا هو الدرس الثالث الذي نود أن نخرج به من الهجرة النبوية المباركة، ونسارع فنقول: إن المؤمن مطالب بالتحرك الإيجابي المتعقل، وإذا قصر المسلم في الحركة وتعلل بالعلل الواهية وضع نفسه موضع التقصير في حق نفسه وفي حق دينه، واندرج ضمن من ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا﴾ (النساء: ٩٧)، والله عز وجل يقول في نفس السورة: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ (النساء: ١٠٠)، إن الحركة المتعقلة المحسوبة تهدي إلى الخير، وتقود إلى النصر والظفر، وتحقق النجاح والفلاح، وهذا ما نجده في هجرة رسول الله ﷺ، فعندما جمدت مكة على عقائدها البالية لم يتوقف رسول الله ﷺ ولكنه تحرك صوب الطائف يلتمس النصرة من قبيلة ثقيف والمنعة بهم من قومه آملا منهم أن يقبلوا دعوته، فلما رده أهلها ردًا عنيفًا وأساءوا مقابلته ورفضوا دعوته لم ييأس ولم يتوان، لكنه اتجه إلى الله عز وجل متضرعًا قائلا: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الرحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إذا لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، وأخذ رسول الله ﷺ يبحث عن أنصار جدد للدعوة وعن منافذ أخرى يستطيع من خلالها توصيل رسالة ربه للناس، فتحرك رسول الله في كل اتجاه يبحث عن أرض صالحة يقبل أصحابها دعوته ويدافعون عنه بإخلاص، وكانت العقبة الأولى في السنة العاشرة من البعثة فاتحة خير، فقد التقى رسول الله ﷺ بنفر من الخزرج وعرض عليهم

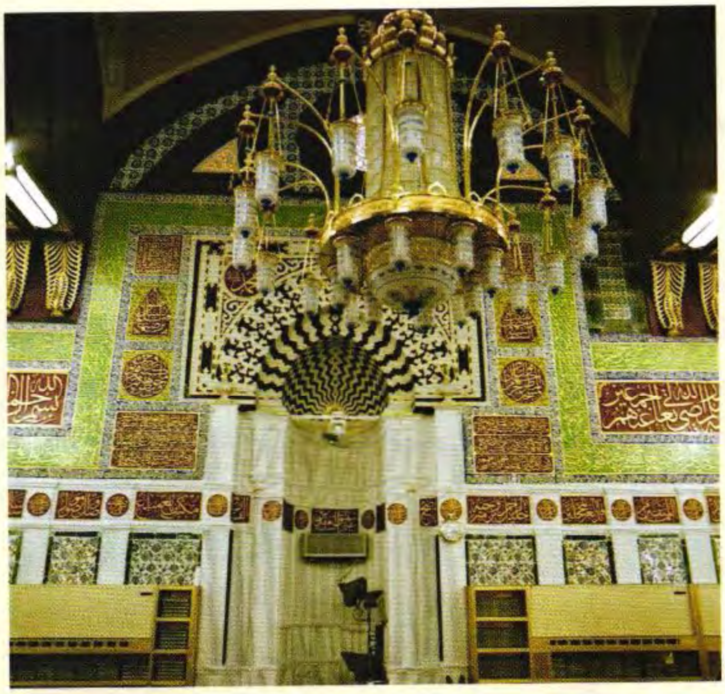
كان رسول الله ﷺ يعطينا درسا عمليا في الصدق والأمانة مع أصحابه أثناء الهجرة



الإسلام فآمنوا به وصدقوه، فلما عادوا إلى قومهم في يثرب- المدينة المنورة فيما بعد- ذكروا رسول الله لقومهم ودعوهم للإسلام فأسلموا وفشا فيهم الإسلام وانتشر بينهم، ثم كانت العقبة التالية في العام الحادي عشر، وفيها التقى رسول الله ﷺ بنفر من الأوس والخزرج عددهم اثنا عشر رجلًا بايعوا رسول الله بيعة الإسلام إيمانا بعقيدته والتزاما بقيم الإسلام وتمسكا بأخلاقياته، فقد بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأرسل رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير يعلمهم أمر دينهم ويستوثق من القوم، وجاء العام الثاني عشر وكانت العقبة الكبرى والتي تعهد فيها الأنصار على حماية رسول الله ﷺ ونصرة دينه والدفاع عنه وعن دعوته وتجلت عبقرية رسول الله ﷺ في اختياره اثني عشر نقيبًا من الأنصار، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ليشرفوا بأنفسهم على سير الدعوة في يثرب ويهيئوا الأجواء لهجرة رسول الله ﷺ وقيام الدولة الجديدة.

وضع رسول الله ﷺ خطته المحكمة لهجرته المباركة فوظف كل الإمكانات المتاحة والمؤدية لنجاحها، فاختار الرفيق الأمين الذي سيرافقه على درب الرحلة، وكان هذا الرفيق هو أبوبكر الصديق أول من آمن به من الرجال وصدق بكل ما جاء به، واستعمل رسول الله ﷺ فطنته في وضع طريقة استطاع من خلالها التمويه على كفار مكة حتى اختفى عن أعينهم في غار ثور، فجعل علي بن أبي طالب ينام في فراشه ليوهم الكفار أن رسول الله مازال نائما في فراشه وليرد علي رضي الله عنه الأمانات التي كانت عند رسول الله ﷺ لأصحابها، كما اختار رسول الله ﷺ دليلًا عالما بالصحراء ودروبها ليسلك به طريقا غير مألوف لدى أهل مكة، وكان هذا الدليل هو عبدالله بن أريقط، كما أعد رسول الله ﷺ جهاز مخابرات دقيق ومحكم تمثل في شخصين أولهما عبدالله بن أبي بكر الذي أمره رسول الله ﷺ أن يتحسس أخبار قريش بالنهار ويأتيه بها ليلا ليعرف رسول الله ما تفكر فيه قريش، وثانيهما عامر بن فهيرة الذي أمره رسول الله ﷺ أن يتحرك بالأغنام التي كان يرعاها لأبي بكر حول الغار وفي الطرقات المؤدية إليه ليخفي آثار أقدام عبدالله بن أبي بكر، وليشرب رسول الله وصاحبه الأمين أبوبكر من ألبانها حتى تحين لحظة التحرك صوب المدينة المنورة.

إنها خطوات محكمة وتحرك إيجابي مدروس قام على الأخذ بالأسباب الموصلة إلى تحقيق الهدف، يرافق كل ذلك اعتماد على الله عز وجل ترجمه رسول الله ﷺ في دعائه الذي توجه به إلى ربه قائلًا: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠).



هجرة رسول الله ﷺ كانت انطلاقة من السكون إلى الحركة وانتقالا من الضعف إلى القوة

إن هجرة رسول الله ﷺ كانت انطلاقة من السكون إلى الحركة، وانتقالا من الضعف إلى القوة، واجتيازا لحالة الضيق والحصار الذي فرضته دولة الكفر والشرك في مكة على رسول الله ﷺ وأتباعه إلى حالة من السعة والانفتاح على الدنيا لتبليغ قضية التوحيد إلى الناس في مشارق الأرض ومغاربها، فهل نأخذ الدرس والعبرة من هجرة رسول الله ﷺ فننطلق بإيجابية وفاعلية من واقعنا المتردي إلى آفاق أرحب نعمل ونبني ونعمر بصدق وإخلاص، إنا لنأمل ذلك ونرجوه، وما ذلك على الله بعزيز.

جعلنا الله عز وجل من المتقدين برسول الله ﷺ في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الهوامش

١- مجلة منبر الإسلام العدد٣ ربيع أول ١٤١٩هـ ص ٨٦ مقال للأستاذ: عادل عبدالباري محمد، تحت عنوان «شخصية الرسول في مرآة نوابغ الغرب ومفكريه».

٢- سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٥، تحقيق جمال ثابت ومحمدمحمود، طبعة دار الحديث بمصر.

٣- المرجع السابق ص ٥٣.

الهجرة.. تأملات وخواطر

د. أمان عبدالمؤمن قحيف *

مغرية هي أحداث الهجرة على التأمل والتدبر بما تحويه من دلالات ومعان راقية وسامية.. وإذا كان المتفق عليه بين اللغويين أن الهجرة هي الترك والمفارقة، فإن الهجرة في حالتنا هذه كانت تهدف إلى أن يهجر المسلمون مجتمع قريش ويتركوه، ولقد كان من أهداف الهجرة النبوية المباركة السعي باتجاه تهيئة الجو والمناخ الملائم لأن يتمسك المسلمون بدينهم ويعضوا عليه بالنواجذ، وذلك من خلال العيش في مجتمع جديد يصنعه الدين وتصوغه شريعة الإسلام الحنيف.

ولقد شغل حدث الهجرة مساحات واسعة من كتابات علماء السيرة الذين أرخوا لحياة الرسول ﷺ، وكان لابد له أن يشغل هذه المساحة وذلك للعديد من الأسباب التي نوجزها فيما يلي:

أ- كانت الهجرة النبوية إلى يثرب بمنزلة الإعلان الرسمي عن استعداد الرسول ﷺ للتمسك بهذا الدين وتلك الرسالة مهما تكبد في سبيل ذلك من صعوبات ومشاق، وحملت الهجرة الدليل الساطع والقوي على تلك الحقيقة، إذ ترك الرسول ﷺ مكة المكرمة التي هي موطنه ومسقط رأسه ومرتع طفولته وصباه، وبها الأهل والأقارب والعشيرة، كل هذا من أجل اللحاق بأرض تتسع لدين الله تعالى، وتتيح له ﷺ العمل على التأسيس لمجتمع الإسلام الأول الذي ستكون مهمته الأساسية بعد ذلك حمل لواء الدعوة وتبليغ الرسالة إلى الناس حيثما كانوا.

ب- برهنت الهجرة على أن الإسلام لم يأت لوطن محدد أو أرض معينة دون سواها، فالإسلام ينظر إلى أرض الله تعالى كلها باعتبارها تمثل ميدانًا للدعوة، ومن ثم فالرسالة عامة وعالمية، وبالتالي فهي ليست ملكًا لأمة ولا حكرا على شعب دون بقية الشعوب أو أمة دون بقية الأمم.

ج- أثبتت الهجرة أن الرسول ﷺ قد انطبق عليه نفس القانون أو السنة التي انطبقت على باقي الأنبياء والمرسلين، فما جاء أحد بمثل ما جاء به النبي ﷺ إلا وأخرجه قومه، كما أخبره بذلك ورقة بن نوفل يوم أن ذهب إليه مع السيدة خديجة رضوان الله عليها ليستفتيه فيما رآه وحدث له في غار حراء في بداية عهده بنزول الوحي.



والمتأمل في الهجرة يستطيع الانتهاء إلى مجموعة من الحقائق نذكرها على النحو التالي:

أولا: الرسول ﷺ هاجر بحثا عن الحرية الدينية

نستطيع الاشارة إلى أن الرسول ﷺ هاجر بحثًا ودعما وتنفيذًا لقاعدة أساسية أرساها القرآن الكريم، ألا وهي القاعدة المتمثلة في قول الله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة:٢٥٦)، فهو ﷺ قد هاجر طلبًا لتعزيز هذا المبدأ، مبدأ الحرية في الاعتقاد، فالثابت أنه «لم يكن يفكر في مُلك ولا في مال ولا في تجارة، بل كان كل همه توفير الطمأنينة لمن يتبعون رسالته، وكفالة الحرية لهم في عقيدتهم ككفالتها لغيرهم في عقيدتهم.. يجب أن يكون المسلم واليهودي والنصراني سواء في حرية العقيدة، وفي حرية الرأي وحرية الدعوة إليه، فالحرية وحدها هي الكفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال في وحدته العليا، وكل حرب على الحرية تمكين للباطل ونشر لجيوش الظلام لتقضي على جذوة النور المضيئة في النفس الإنسانية، والتي تصل بينها وبين الكون كله، من أزله إلى أبده، صلة اتساق ومحبة ووحدة، لا صلة نفور وفناء» (١).

فهو ﷺ قد هاجر طلبًا لحرية العقيدة لأن المسلمين كانوا قد تعرضوا للكثير من أشكال الإيذاء ليس لذنب اقترفوه أو لسلوك شائن سلكوه، كل ما في الأمر أنهم آمنوا بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، فاضطهدتهم قريش لهذا السبب، الأمر الذي يؤكد أن بيئة مكة لم تكن تعرف حرية العقيدة، أو بالأحرى لم تكن تعرف أي نوع من أنواع الحرية

* كاتب مصري

أو درجاتها.

ومما يؤكد لنا أنه ﷺ كان شديد الحرص على تحقق هذه الحرية على أرض الواقع أنه لم يشأ ان يكره يهود المدينة على الدخول في الإسلام بل تركهم- هم وغيرهم- على دينهم ولم يطلب منهم تغيير هذا الدين، بل منحهم الحق في البقاء على معتقداتهم وأعطاهم حقوقا وواجبات كالمسلمين سواء بسواء، وقال قولته الرائعة التي تتضاءل أمامها كل المواثيق البشرية، وتتراجع أمامها كل أقوال من يتحدثون عن حقوق المواطنة، وكذلك كل الشعارات التي ترفعها منظمات حقوق الإنسان، لقد قال ﷺ: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

إن هذا الإيمان العميق بحرية العقيدة لم يكن ليتوافر في هذا الوقت الموغل في القدم إلا لدى إنسان يحمل منهجًا سماويا، لأن البيئة وقتها كانت مشبعة بثقافة القهر للعبيد الأرقاء وللنساء وللقبائل التي لا تستطيع الدفاع عن حرماتها وأموالها، وكانت الخشونة في التعامل والغلظة في الأقوال هي السمات السائدة بين الجميع، فهي بيئة لا تمنح حرية القول أو الفعل إلا للأقوياء الذين تتوافر لهم الأسباب لقهر الآخرين والسيطرة عليهم، ولقد كان من الصعب- بل من المستحيل- أن يتحدث أحد وسط هذا الجو العام عن الحق في حرية العقيدة أو عن الحق في ممارسة اختيار الدين أو الملة التي يحب أن ينتمي إليها، لأن البيئة كانت ترفض ذلك تماما بكل مكوناتها الثقافية والاجتماعية والدينية، الأمر الذي يؤكد لنا أن الرسول ﷺ لم يكن مجرد مُصلح أو عبقري ظهر في هذه البيئة، ويؤكد أيضًا أنه لم يكن من هواة المناصب أو من الساعين إلى الانخراط في النخب أصحاب الحظوة أو السلطان، لأن المصلح أو العبقري اذا جاء إلى الدنيا في بيئة كهذه لم يكن ليعنى بالحديث عن الحرية الدينية، بل إنه كان سيسخر أغلب جهده أو وقته للتحدث في الحرية المدنية، كما فعل فلاسفة اليونان وعباقرتهم الكبار أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، الذين لم ينشغلوا بالحريات الدينية بقدر ما انشغلوا بالحديث عن حرية الأوطان، بل إن هؤلاء الثلاثة الكبار لم ينصفوا الضعفاء والنساء والعبيد من ظلم وتكبر واستعلاء أهل السيطرة والسيادة، بينما رسول الله ﷺ ركز- لأنه مبعوث السماء إلى أهل الأرض - على دعم وتكريس مسألة حرية الناس في اختيار الدين الذي يقتنعون به كمنهج لعبادة الله تعالى، وركز أيضا على نصرة الضعفاء من خلال الإعلان عن المساواة بين البشر أجمعين.



رسول الله ﷺ هاجر بحثاً ودعماً وتنفيذاً للقاعدة المتمثلة في قوله تعالى (لا إكراه في الدين)

إن تركيز الرسول ﷺ على الحريات الدينية يؤكد لنا أنه نبي مرسل وليس مجرد عبقري مصلح، لأن القول بالحرية الدينية يصب في النهاية في تأكيد مسؤولية الإنسان عن اختياراته وقناعاته، وبالتالي فهو محاسب عن ذلك أمام الله، وتلك مهمة لا يضطلع بها إلا الرسل والأنبياء (٢).

ثانيا: الهجرة اثبتت ثقة المؤمنين اللانهائية في صدق الرسول ﷺ

لقد تسابق المسلمون وتسارعوا في تلبية دعوة الرسول لهم بالهجرة بصورة تدعو إلى العجب والدهشة!، إذا سارع المؤمنون إلى الخروج باتجاه يثرب، لدرجة أنه لم يمر غير وقت قصير إلا وكان كل الصحابة القادرين على الهجرة - تقريبا- قد هاجروا، لذلك تذكر كتب السيرة أن رسول الله ﷺ أقام في مكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين، إلا من حبس أو فُتن، إلا علي بن أبي طالب، وأبوبكر بن أبي قحافة، رضي الله عنهما، وكان أبوبكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ «لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا»، فيطمع أبوبكر أن يكونه. (٣).

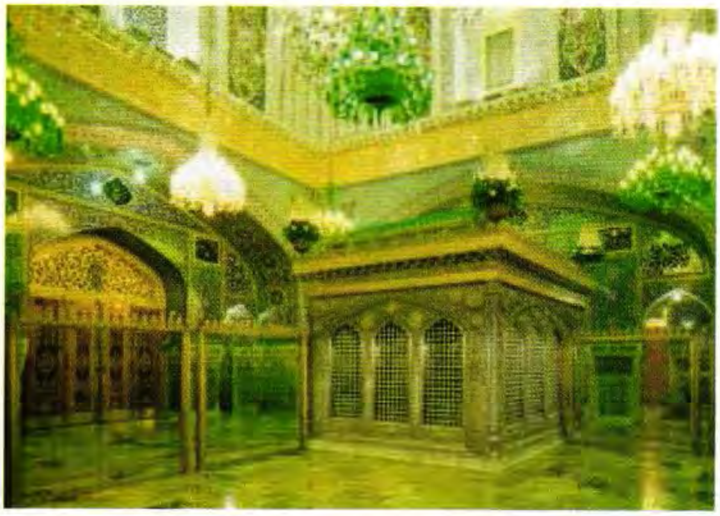
والآن يأتي السؤال: ماذا يعني اندفاع المؤمنين، بل ربما تسابقهم إلى الهجرة بمجرد سماعهم بدعوة الرسول لهم إليها؟ لاشك أن هذا الموقف يعني أول ما يعني أن الإيمان قد رسخ لدى هؤلاء الطيبين الأبرار الأطهر بأن هذه النبي ﷺ على حق، وأنه صادق في كل ما يقول، وأن الله لابد ناصره ومظهر ودينه، ولابد أنهم قد أدركوا هذا من خلال متابعتهم ومشاهدتهم لسلوك الرسول ﷺ، ومن إدراكهم لسمو رسالته ونبل الأخلاقيات والقيم والعقيدة التي يدعو الناس الى الإيمان لها والالتزام بتنفيذها ما كانت لهم الحياة وما كان لهم البقاء في هذ الدنيا، فهم اقتنعوا من خلال رؤيتهم لأخلاقه العملية وأقوله النظرية وأفعاله الذاتية بأنه مرسل من رب العالمين لتبليغ رسالته تعالى إلى الناس كافة، وأنه النبي المنتظر المشار إليه في الكتب السماوية التي كانت موجودة بين أيدي أهل الكتاب وقتذاك.

ولعل يقين الصحابة بصدقه ﷺ هو الذي جعلهم يتركون المال، والوطن والولد من أجل الهجرة، فهم استصغروا كل

شيء أمام الدين وأمام قناعتهم بصدق صاحب الرسالة.. والحق أن هناك العديد والعديد من الأمثلة التي يمكن أن نضربها ونستشهد بها في هذا السياق لنثبت انهم- رضوان الله عليهم - استهانوا بكل ما هو عزيز من أجل الفوز بالهجرة، تنفيذا لأمر الرسول ﷺ (٤)، غير أن موقف صهيب يغني عن الكثير، حيث ذكرت كتب السيرة أن صهيبًا أراد الهجرة، فقال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني جعلت لكم مالي، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «ربح صهيب ربح صهيب» (٥)

ثالثا: أيام الغار أكدت ثقة الرسول ﷺ المطلقة في توفيق الله تعالى له

لقد كشف الرسول ﷺ عن بعض أبعاد ثقته في الله عندما صعب الأمر، واشتد الكرب، وندرت الحيل، وتأزم الموقف لدرجة جعلت أبابكر الصديق يقول - عندما شعر بوجود قريش بالقرب من الغار - من شدة ألمه وحزنه وتوتره: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وأغلب الظن أن الرسول ﷺ كان شديد القرب من الله تعالى في هذه اللحظة، وكان يشعر بهذا القرب بروحه وقلبه ووجدانه، الأمر الذي جعله يجيب على كلمة أبي بكر إجابة تثلج صدر السائل وتطفئ نار القلق والتوتر والغليان التي كانت قد استعرت بين جنبيه خوفًا على الرسول وحزنًا على الرسالة.. لقد قال



الرسول لأبي بكر: «لا تحزن إن الله معنا».. كلمات قليلات لكنها تحمل العديد من المعاني والدلالات التي تفيد وتؤكد ثقة الرسول ﷺ في نجاح دعوته، وأن الله تعالى متم نوره ولو كره الكافرون.. وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الموقف خير تعبير بقوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ (التوبة:٤٠).

لقد كان رد الرسول ﷺ على استغاثة أبي بكر- إن صح التعبير- كحبات الندى التي تتساقط الهوينا على الزهور فتزيدها جمالا على جمال وروعة على روعة، حيث هدأت كلمات الرسول ﷺ الطيبات من روع أبي بكر، وأذهبت ثورة التوتر والحزن التي تفاعلت داخل نفسه رضي الله عنه، وأنزل الله تعالى سكينته على هذا الجمع المبارك، وانصرف أهل الكفر والطغيان ترهقهم ذلة ويحتويهم الإحساس بالفشل.

رابعًا: فرحة أهل المدينة .. ضرب من الإعجاز

لقد انتابت أهل المدينة حالة من البهجة والسرور بوصول رسول الله ﷺ إليهم بصورة لم يسجل التاريخ مثلها على الإطلاق لا في أزمنته القديمة الموغلة في القدم ولا في أيامه الحديثة التي نشهدها بأم أعيننا ونعيش أحداثها ليل نهار، وكم قاسى أهل يثرب وعانوا من حرارة الشمس ولهيب الصحراء في عز الصيف يوم وقفوا في انتظار وصول الوافد الكريم إليهم (٦).

وثمة اسئلة كثيرة يطرحها العقل البشري الذي يتأمل هذا الموقف ويتعقل هذا اللقاء، منها: هل فرح أهل المدينة بمقدم الرسول ﷺ لأنه جاء إليهم محملا بالرخاء الاقتصادي والتقدم العمراني الذي ينفعهم وينفع ذريتهم من بعدهم؟ أم فرحوا لأنه جاء لينصرهم على عدوهم الذي كان يهددهم ويتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمر؟ أم فرحوا لأنه جاء إليهم وبين يديه أمصال تقي أجسامهم وعلاجات تشفي أبدانهم من أمراض كانت ترهقم وتنهك قواهم؟ أم فرحوا لأنه كان محملا بمبيدات لقتل الآفات والحشرات التي كانت تهلك حرثهم وتقض مضاجع نسلهم؟

الحق أن رسول الله ﷺ لم يكن محملا عند دخوله المدينة بهذا أو بذاك، لكنه كان محملا بما هو أفضل من هذا وذاك، لقد جاء الرسول الى المدينة بالعقيدة الجديدة والدين الوليد فمن الذي ألف قلوب أهل المدينة على حب هذا الوافد الجديد وجعلهم يعاهدونه على النصرة والعون، وأن يحفظوه مما يحفظون منه نساءهم وأبناءهم!(٧)

الخلاصة

ستظل الهجرة النبوية تجذب الباحثين في التاريخ العربي الإسلامي وستظل تدفعهم إلى طرح العديد من التساؤلات، وذلك لعظمتها ولصعوبة تكرارها على مدى التاريخ الإنساني، ونظرًا لما تحمله من دلالات عظيمة ومعان راقية.. وسيعجز التاريخ عن إفراز حدث يتساوى في الأهمية والقيمة مع حدث الهجرة، لأن الأحداث العظام لا تقع إلا مع الرجال العظام.. وكانت الهجرة عظيمة لأن الله قد وفر لها الرجل العظيم، والنبي العظيم، والرسول العظيم، محمدًا ﷺ.

الهوامش

١- محمد حسين هيكل، حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- ٢٠٠٥ الطبعة الخامسة، ص ٢٣٥.
٢- راجع مقالنا، الهجرة وبراهين نبوة محمد ﷺ تحت النشر.
٣-ا بن هشام، ج ٢، ص ٧٩.
٤- راجع مقالنا السابق.
٥- ابن هشام ص ٧٨.
٦- راجع تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٨٩.
٧- راجع مقالنا السابق.

• شاعر مصري

الهجرة فتح أبدي

للشاعر: يس الفيل *

تتغير الأقدام والأكوان
ويزول من بعد المكان مكان
ويدب فوق الأرض ألف معمر
وتموت - رغم شبابها - فتيان
وتطول ألف بناية، وبنايةٌ
تهوي ليعلو فوقها بنيان
كلٌ إلى أجلٍ يعيش مخلفًا
لك أنت فيض الخلد يا رحمن
إني لأعجز حين يجمح خاطري
ويدور بي خلف الزمان زمان
أين الذين استنفروا سبق الردى
وبهم تراكض للردى عصيان؟
أين الجبابرة العتاة وقد مضوا
وعن اللحاق بهم كبت فرسان؟
ليظل هذا الدين رغم أنوفهم
أملا يقاوم إن عدا شيطان
هاجرتَ عن وطن المحبة معلنا
أن الخضوع لأمره إيمان
لم تثنك الآمالُ أنَ بمكة
بيتا بألوية السماء يصان
هاجرتَ محتسبًا جهادك للذي
لو شاء حاصرهم لظىً ودخان
لتظل يا امل السماء محمدًا
في الأرض حتى يأذن الديان
ياخير مبعوث وخير مهاجر
إن المحبة للهدى عنوان
هذي أناشيد الوفاء تشدنا
لربى سمت وبها استقر أمان
في هذه الذكرى يطيب لنا الهوى
ما استنفرتنا للعطاء جنان



* شاعر مصري

حق يراد به باطل

«المعاصرة» والعقل الإسلامي

محمد أبوالوفا

هناك حالة من التسطيح الغريب للفكر العربي الجديد في تعامله مع المصطلحات الجديدة بوجه خاص، حيث تغيب الرؤى النقدية، ويغيب تمحيص المصطلح والتحقق الموضوعي من سلامته ومن دلالاته، تمامًا كما حدث مع عبارة «العالم أصبح قرية واحدة»، وهي التي تحولت في أفهام البعض إلى كونها مجرد «جسر» تعبر من فوقه جيوش الغزو الثقافي والأخلاقي إلى العقل المسلم ومجتمعه، وما هكذا قصد صاحب العبارة، ولا هكذا فهم الغرب نفسه!

وإنما حاول بعض أبناء الأمة «تسويق» هذا المعنى محليا، بحسن نية أو بفسادها على حد سواء.

ومصطلح «المعاصرة» مثال جيد على هذا العبث، وتلكم السطحية في التعامل مع المصطلحات الجديدة.

التحقيق التالي يمحص مصطلح «المعاصرة» حتى لا ينخدع البسطاء والعامة، بل الصفوة، عند الترويج له أو تسويقه.

بداية يعلق الكاتب الإسلامي جمال سلطان بقوله: هذا المصطلح أصبح يؤسس للسلبية المطلقة في العقل الإسلامي ومجتمعه، رغم أن ظاهر أمره يخدع بغير ذلك، وبداية فإن الحديث عن «العصر» أصبح حديثا عن كيان فكري وحضاري كامل متكامل وناضج، نجح الآخرون في إنتاجه، وأصبح الموقف المطلوب من المسلم حيال هذا «الكيان» هو الانصياع لمرجعيته الفكرية والقيمية والسلوكية معا.. وغدا من الشائع إذا اختلف اثنان في فكرة أن يبادر أحدهما صاحبه بالقول: «إنك تعيش خارج العصر.. أو ينبغي عليك أن تتواءم مع العصر الجديد»، ونحو ذلك من عبارات تشير إلى معنى خطير.. وهو أننا- نحن العرب والمسلمين- مجرد فضاء فكري وقيمي وسلوكي يتحرك في إنتاج «الآخرين» الثقافي والقيمي والسلوكي، وانتهت الدعوة إلى «المعاصرة» إلى مجرد دعوة للتبعية الثقافية وتسليم مفاتيح العقل والضمير والأخلاق إلى الآخرين الذين صنعوا العصر.



كشف الزيف

يستطرد سلطان: بوجه آخر، فإن المعاصرة أشبه بحالة «التسوق» الثقافي مما هو متاح من بضائع في السوق، أو «استيراد» الأفكار والمناهج والقيم من الخارج.. مع السيارة وجهاز الحاسوب والمناديل الورقية! وأصبح من الطبيعي- وفق هذا المنطق- أن يكون هناك بعض «الوكلاء التجاريين» لتلك البضائع الثقافية في بلادنا ممن يتوسدون بعض المؤسسات الثقافية أو المنابر الإعلامية، الذين لا يهدأون في سبيل الترويج لبضائعهم المستوردة، وإذا خالفهم أحد، أو كشف زيفهم وسطحيتهم وتبعيتهم، كان أول سلاح يشهرونه هو «المعاصرة»، ويصبح المخالف لهم خارجا على العصر، ومن ثم فهو رجعي أو ظلامي أو جامد أو... الخ.

ويشدد سلطان على أن مصطلح «المعاصرة» بحاجة ماسة إلى إعادة إبراز وجهه الإيجابي وكشف اللاديني «العلماني» في الترويج له.

ويختتم سلطان موضحا أن المعاصرة هي دعوة للمشاركة، وليست للتلقي.. دعوة للنقد والمراجعة وليست للتقليد والتبعية.. دعوة لتنشيط الجهد الخلاق والمبدع والأصيل الذي يضيف إلى الحياة الإنسانية الجديد ولا يواكبها فقط.. المعاصرة هي دعوة إلى فقه الواقع وممارسة الاجتهاد لإبراز ما يصلحه ويحجم من الفساد فيه.. المعاصرة هي وجه قول السلف الصالح: «رحم الله امرءًا عرف زمانه فاستقامت طريقته».. المعاصرة ليست أن أساير قيما وأنماطا حياتية صنعها الآخرون، وإنما هي أن أفيد مما أحسن فيه الآخرون لصياغة عصري الجديد..

* كاتب مصري

عصر الإسلام.

ويعلق أستاذ علم الأخلاق والفلسفة الإسلامية د.أحمد عبدالرحمن على مصطلح المعاصرة قائلا: هو مصطلح مشتق من العصر الراهن، ولا يوجد يوم معين يبدأ فيه هذا العصر، والعلمانيون يقصدون بالمعاصرة الفلسفة المادية والفكر المادي العلماني الذي لا يعترف بأي مصدر من مصادر المعرفة غير الحواس، بعبارة أخرى المعرفة خبرة إنسانية عندهم.. أي إنه لا مجال للوحي.. فالكتاب والسنة والكتب السماوية لدى أصحاب الأديان الأخرى لا يُعترف بالمعلومات التي وردت فيها عندهم، فالمعرفة خبرة إنسانية، والخبرة الإنسانية تأتي من العلوم المختلفة.. المادية والاجتماعية والفكر الفلسفي.

باختصار.. المعاصرة جوهرها أن المعرفة خبرة إنسانية، والإنسان المعاصر هو الذي يعتمد على الخبرة الإنسانية من صياغة القوانين والأخلاقيات.

يستطرد د.أحمد عبدالرحمن: الخبرة البشرية متغيرة متطورة نسبية، ليس فيها ثوابت، ولذلك أدخلوا النسبية في المعاصرة، فأصبح مبدأ التغير والتطور والتحول سمة أساسية في المعاصرة، كما أن الثبات فكرة رجعية وغير معاصرة، حتى الدين نفسه أرادوا أن يغيروا ويبدلوا فيه لكي يصبح معاصرا.

فالعدو اللدود للمعاصرة هو الثبات والمبادئ الثابتة، والمشكلة التي تواجه المعاصرة هي تعميم فكرة النسبية، لأن النسبية الجزئية مقبولة، نظرا لأن هناك متغيرات لا يمكن إنكارها، مثل التقنية ونظم التعليم والصحة والسياسة ونظم الحكم، فلا أحد ينكر المتغيرات، لكنّ إنكار الثوابت غير ممكن أيضاً، وهذه هي الصخرة التي اصطدموا بها وقد أدمت رؤوسهم، فالرياضيات فيها حقائق ثابتة، وكذلك باقي العلوم فيها حقائق ثابتة لا تتغير، والخدعة عند هؤلاء هي الخلط بين المعرفة والحقيقة.

نحن في الإسلام عندنا الثوابت والمتغيرات، ومن فضل الله علينا أن المتغيرات ليست محددة بنصوص ثابتة قاطعة، فالشرع لم يجبر المسلم- مثلا- على الحج على الإبل، لأن هذه وسيلة تتغير، وكذلك الحرب، فلم يفرض الإسلام الحرب بالسيف، ولكن قال اجتهدوا وأعدوا... وهكذا.

ومن جهته يرى أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة برمنجهام بالمملكة المتحدة د.بسطامي سعيد خير أن كثيرًا من المصطلحات الفكرية والعلمية المتداولة اليوم بين المسلمين ترجع إلى أصول غربية، وقد جنى ذلك على التصورات والمفاهيم الإسلامية أسوأ جناية، إذ إن المصطلحات الغربية قد نشأت في ثقافة وبيئة وظروف تاريخية مختلفة، وتحمل في طياتها عقائد الغرب وفلسفاته الخاصة المباينة للإسلام، بل المناهضة له في أحيان كثيرة، وحين يجري البحث عن رؤية إسلامية لهذه المفاهيم الغربية يتخبط كثير

المعاصرة ليست مسايرة أنماط حياتية وقيم صنعها الآخرون

من الباحثين ويلتبس عليهم الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك مثل حال بعض سلف لهم ممن يسمون خطأً بالفلاسفة المسلمين، الذين أتوا بخيالات وشبهات الإغريق وأحلوها في عقائد المسلمين، وما أشبه الليلة بالبارحة في تناول كثير من القضايا الفكرية، ومن ذلك قضية المعاصرة.

أهواء العصر

ويفسر د.بسطامي هذا المصطلح بقوله: هو مذهب نشأ في كل الأديان من جراء مواجهتها للحضارة الغربية القائمة اليوم، ويسعى في مجمله إلى محاولة صبغ الدين بصبغة جديدة تجعله موائما وموافقا لمعارف العصر ونظمه، وذلك باعتبار أن نصوص الدين وأحكامه لا تثبت وتجمد على فهم الأولين لها، بل تخضع للمراجعة وإعادة التفسير حسب الظروف المتغيرة.

ومن هذا المنطق زعم «العصرانيون تجديد الدين بإخضاعه لأهواء العصر، وأخذوا ضمن ما أخذوا المفهوم الغربي له، وأعجبوا به غاية الإعجاب، وجعلوه من شروط حركة النهضة، وراحوا يلبسونه ثوبا إسلاميا، وذلك بتأويل النصوص وأقوال السلف التي أعملوا فيها يد القص والتهذيب، بل الإلغاء أحيانا إن استعصت عليهم، و ﴿... يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾ (النساء: ٦٢).

يستطرد د.بسطاوي: وقد يبدو منهج هؤلاء لأول وهلة حميدا في نظر عوام الناس ومن لا علاقة له بنصوص الشرع، ولكن نظرة فاحصة تبين أن أكبر خطأ يقعون فيه أنهم يحسنون الظن بنماذج من المصطلحات الغربية ويجعلونها أصلا يطوعون النظم الإسلامية لاستيعابه والتوافق معه، بدلا من أن يجعلوا الإسلام هو الأصل، ولعل هذا الموقف أثر من آثار الهزيمة النفسية أمام الغرب، ونتيجة لرؤية نظمه واقعا مجسدا مع غياب نماذج عملية لنظم الإسلام، فالمنهج السليم لرؤية إسلامية صحيحة بلورته القرون الأولى من المسلمين، وصنعت به نمط حياة إسلامية وعمرانا وحضارة من نسيج فريد، ويقوم هذا المنهج على تلقي التصورات والقيم والمفاهيم من نصوص القرآن والسنة حسب أصول وطرائق محددة، حتى إذا استقام العقل المسلم واستوى بنيانه العلمي والفكري أخذ بمبدأ الاجتهاد ليوسع دائرة النصوص وتطبيقاتها على جوانب الحياة المتطورة المتغيرة.

وأخيرا يشير د.بسطامي قائلا: عندما كانت هناك حاجة لاستعارة شيء من الثقافات والحضارات الأخرى، صهره العقل المسلم صهرا لينفي عنه خبثه والشوائب العالقة به، وصقله صقلا، وصاغه صياغة جديدة فاستقر في موضعه الذي وضع فيه بإحكام كأنه قد تولد منه ونبت فيه، وحين تخلى المسلمون عن هذا المنهج وضعفت قدراتهم العقلية عنه، انحطت حضارتهم وغلبت عليهم الثقافات الجاهلية بعد أن فتحوا لها المنافذ والأبواب التي كانت موصدة أمامها.

دمج المعوقين في المدارس العامة

أحمد حسن الخميسي

كثيرًا ما تلحق الإعاقة بالإنسان ضررًا يجعله يقصر في القيام ببعض ما عليه من واجبات حياتية وإنسانية واجتماعية، ولكن المعوق لا يكون عالة على أهله ومجتمعه، بل هو إنسان- وإن فقد بعض حواسه أو نقصت قدرته- يمتلك قدراتٍ لا يستهان بها إن ساعدناه على تربيتها وتوظيفها ما يجعله يقدم لنفسه وأمته خدمات جُلى.

يجب على الأهل والمجتمع أن يهتموا بتربية المعوقين وتعليمهم، وهذه التربية لها طريقتان: طريقة العزل، وتتم في مؤسسات أو مدارس خاصة تناسب طبيعة إمكاناتهم واستعداداتهم وتوافق حالة الإعاقة التي هم فيها سواء أكان ذلك في القدرات العقلية أم الجسمية أم الانفعالية الاجتماعية أو التواصلية.

وطريقة الدمج أو ما يسمى نظام الدمج: حيث يتلقى المعاقون التربية في المدارس العامة مع العاديين.

دمج الأطفال المعوقين

ظهر الاهتمام بنظام الدمج في السبعينيات من القرن العشرين وذلك للتخلص من سلبيات مدارس المعاقين الخاصة.

واتخذ نظام الدمج شكلين هما: إيجاد صفوف خاصة بالمعوقين في المدرسة العادية، والثاني: دمج المعوقين مع العاديين في صفوف المدرسة العامة.

أما الشكل الأول: فيتم الدمج فيه بفتح صفوف خاصة للمعوقين في المدرسة العادية يتلقون فيها دروسهم من قبل مدرس التربية الخاصة، كما يتلقون برامج تعليمية مشتركة مع الأطفال العاديين في الصفوف العادية، حيث يسمح هذا الشكل بسهولة الانتقال من الصف الخاص إلى الصف العادي، كما أن ذلك يوفر فرص التفاعل الاجتماعي والتربوي، واندماج الاطفال المعوقين مع العاديين وتقبل بعضهم بعضًا، وتزال الحواجز فيما بينهم، ويقدرون زملاءهم، ويقر كل منهم بقدرات الآخر ومواهبه، ويتم ذلك اثناء الدروس والفرص والرحلات والألعاب والأنشطة التي يقوم بها التلاميذ مع مشرفيهم بشكل جماعي.

أما الشكل الثاني من الدمج: فيقصد به أن يلتحق الأطفال المعوقون مع التلاميذ العاديين في الصفوف العادية طوال الوقت بحيث يتلقون البرامج التعليمية نفسها، ويشترط في هذا النوع من الدمج توافر مجموعة من المستلزمات مثل تقبل الطرفين لبعضهما، ووجود مدرس التربية الخاصة جنبًا الى جنب مع معلم الصف العادي، أو تأهيل معلم الصف العادي من أجل أن يتعامل مع هؤلاء الأطفال، ويتم توصيل المادة العلمية بأشكال مختلفة، وكذلك وجود مستلزمات تقانية وبنائية تسهل وجود هؤلاء الأطفال في المدرسة العادية، وتعتبر المدرسة الشاملة شكلًا من أشكال هذا الدمج، وفي هذا الإطار يمكن لبعض الفئات الخفيفة في الاعاقة أن تدمج في الصف العادي دون الحاجة لوسائل وتدابير داعمة، وبعض الفئات من الإعاقة المتوسطة تدمج مع تقديم المساعدة ووجود خبير متخصص أو وجود معلم للتربية الخاصة.

ولكي تتضح الصورة أمامنا، نبيِّن هنا إيجابيات الدمج وسلبياته:

ايجابيات الدمج

١- تُجهز المدارس العادية



كاتب سوري

الطبيعية التي يمكن للأطفال المعاقين والعاديين أن يتلقوا فيها التربية والتعليم معًا بعد إجراء بعض التعديلات في تلك البيئة، لتفي بالاحتياجات التربوية والاجتماعية والنفسية الخاصة بالأطفال المعاقين.

٢- يتيح الدمج التربوي للأطفال المعوقين فرصة البقاء في منازلهم مع أسرهم طوال حياتهم الدراسية، الأمر الذي يمكنهم من أن يكونوا أعضاء عاملين في أسرهم وبيئاتهم الاجتماعية، ويمكّن أسرهم من القيام بالتزاماتهم تجاههم.

٣- يشكل الدمج التربوي وسيلة تعليمية مرنة يمكن من خلالها زيادة وتطوير وتنويع الخدمات التربوية المقدمة للتلاميذ المعوقين كما يتيح الفرصة للمؤسسات التربوية للاستفادة من تجربة تربية الأطفال المعوقين، والحد من مركزية تقديم الخدمات التعليمية.

٤- تعمل البيئة الاندماجية على زيادة التقبل الاجتماعي للأطفال المعوقين من قبل أقرانهم العاديين، وإتاحة فرصة التفاعل والتواصل معهم، وتمكين المعوقين من محاكاة وتقليد سلوك الأطفال العاديين وزيادة الألفة بينهم.

٥- يسهم احتكاك الأطفال المعوقين بأقرانهم العاديين في سن مبكرة في تحسين اتجاهات الأطفال المعوقين والعاديين نحو بعضهم بعضًا، ويعمل على إيجاد بيئة اجتماعية يتمكن فيها الأطفال العاديون من التخلص من المفاهيم الخاطئة لديهم عن المعاقين.

٦- يعمل الدمج التربوي على إيجاد بيئة واقعية، يتعرض فيها الأطفال المعوقون الى خبرات متنوعة من شأنها أن تمكنهم من تكوين مفاهيم صحيحة واقعية عن العالم الذي يعيشون فيه، وأن تشجع التنافس التعليمي بين جميع التلاميذ.



المعاق يمتلك قدرات لا يُستهان بها إذا ساعدناه على تربيتها وتوظيفها

سلبيات الدمج

١- يحتاج الدمج إلى وجود نظام مساند قوي متماسك، يمكّن المعلمين والإداريين في التعليم الخاص والتعليم العام من الوفاء بالاحتياجات الأساسية للأطفال المعوقين لكي يمارسوا أنشطتهم الأكاديمية والاجتماعية في المدارس العادية بكل فاعلية، وأي فشل أو خلل في هذا النظام المساند سيؤدي حتمًا إلى نتائج تضر جميع التلاميذ معوقين وغير معوقين، بل إن آثاره السلبية ستمتد الى المجتمع بوجه عام.

٢- تؤدي الاتجاهات السلبية التي قد توجد لدى معلمي الفصول العادية أو لدى آباء الأطفال غير المعوقين الى جعل عملية دمج الأطفال المعوقين في المدارس العادية تجربة تعليمية سلبية.

٣- تشكل الحواجز في مباني بعض المدارس العادية عدة صعوبات تحد من قدرة التلاميذ المعوقين على ممارسة أنشطتهم العلمية والاجتماعية.

٤- يؤدي الاعتقاد بضرورة دمج جميع الأطفال المعوقين في المدارس العادية إلى عدم استفادة هؤلاء الأطفال كثيرًا من وجودهم في تلك المدارس إما بسبب شدة إعاقتهم أو تعددها.

العوامل المساعدة على عملية الدمج

إذا أردنا للدمج أن يحقق نجاحًا أكبر فلابد أن تتوافر عوامل عدة منها:

١- تقبل معلم الفصل العادي للتلميذ المعوق ومرونته في تعليمه.

٢- تفاعل تلاميذ الفصل العادي مع التلميذ المعوق وتقبلهم له بينهم.

٣- المهارات الاجتماعية لدى التلميذ المعوق.

٤- التحصيل العلمي لدى التلميذ المعوق.

٥- النظرة الإيجابية لدى التلميذ المعوق نحو مفهوم ذاته.

٦- استقلالية واعتماد التلميذ المعوق على نفسه.

٧- اتجاهات الأسرة الإيجابية وتقبلها لطفلها المعوق.

٨- الدافعية العامة لدى التلميذ المعوق.

٩- توافر المستلزمات البشرية المساندة للتلميذ المعوق.

١٠- توافر المستلزمات التجهيزية الخاصة بالتلميذ المعوق.

الدمج في دول العالم

قامت العديد من الدول العالمية والعربية بنظام الدمج ونجح فيها الى حد كبير، وحققت الكثير من الإيجابيات، وقللت نسبة السلبيات، ومن هذه الدول التي قامت بالدمج، بريطانيا والفلبين والمملكة العربية السعودية.

الدمج في المملكة العربية السعودية

اهتم المسؤولون في المملكة العربية السعودية في العقد الأخير من القرن العشرين بمسألة الدمج في المدارس العادية نتيجة لإدراكهم بأن كثيرًا من حاجات ذوي الحاجات الخاصة يمكن تحقيقها في المدارس العادية، فقد وضعت وزارة المعارف مجموعة من الضوابط لتطبيق مبدأ الدمج، ومنها إيجابية الاتجاهات التربوية لإدارة المدرسة والمدرسين نحو تطبيق البرنامج، وألا تزيد كثافة التلاميذ في فصل الدمج عن ٢٥ تلميذًا.

وحرصت المملكة على وجود غرفة مصادر، كما حددت الوزارة مجموعة من الإجراءات الأولية الضرورية لتنفيذ عملية الدمج ومنها: عقد دورات تأهيلية قصيرة للمدرسين عن مفهوم الدمج وأهدافه ونظامه ومتطلباته بقصد تغيير اتجاهاتهم نحو المعاقين وإمكانية دمجهم.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

الإنتاج الابتكاري

تشهد الساحة الاجتماعية اليوم أحداثا جديدة ما تفتأ تفتك بالجسد الإسلامي المتهالك من خلال تقديم بعض أجهزة الإعلام الحمراء للرأي العام وجبة دسمة من التشاؤم والإحباط واليأس، متمثلة في تربية الفرد على السلبية والتقليدية بدلا من بناء الإنسان الايجابي المبتكر، ما ساهم في انتشار ثقافة «اللامبالاة» في أوساط الشباب، حتى أصبحت تسود المجتمع في مؤسساته كلها.

ومن المعلوم أن الابتكار بات اليوم أحد أهم العناصر الأساسية لتطوير الحياة بمختلف أشكالها وألوانها، وإعمار الأرض، وبناء المستقبل المشرق، وإيجاد السعادة الدنيوية، لذا نجد أن بعض الهيئات والمؤسسات الأهلية أفردت دورات وبرامج علمية وعملية للتطوير الإبداعي والابتكاري.

ولعل من علامات المجتمعات الصحية أن يتم التطرق إلى مثل هذه المواضيع التجديدية لمواكبة تطورات العصر، سواء كانت سلبية أو إيجابية، لمراجعة مفاهيمنا وأنماطنا في التفكير والتنظير والعمل، ومحاولة إعادة تشكيل العقل العربي المسلم لإخراج الأمة من حالة التيه والسبات العميق إلى اليقظة والقيادة والريادة.

كذلك ينبغي الأخذ في الاعتبار أهمية العناية بمفهوم دقيق في الابتكار، ألا وهو الابتكار الإنتاجي باعتباره المفهوم الشمولي المبني على الفهم والعمل والأصالة والجدة والمغزى، فالعالم أندرسون يربط دائما الابتكار بالإنتاج في شكلين هما الإنتاج المحسوس الواقعي المنفصل نسبيا، مثل العمل الأدبي، واختراع جهاز، واكتشاف مادة، والإنتاج الذي لا ينفصل عن مبدعه، بل يتصل به اتصالا مباشرا مثل الإبداع في مجال العلاقات الإنسانية.

إن الابتكار العملي ناتج عن تفاعل الشخص مع بيئته، وعمليات تتم داخل الفرد ذاته، ويبدأ بإدراك الاختلال في المعلومات، ثم البحث عن دلائل في الموقف، ووضع الفروض لسد الثغرات، واختبار صحتها، ثم الربط بين النتائج، ثم نشر النتائج.

وتنحصر العملية الابتكارية في تنمية الفرد لذاته وتوسيع قدراته الذهنية وتفكيره، فنحن لسنا مستقبلين للمعلومات بقدر ما لدينا قدرة على نقد ما يحدث وتقويمه، وأيضا لابد من أن يكون المبدع قادرا على التوقع والحدس، ويستطيع تشكيل المادة المطروحة وإعادة صياغتها، إلى جانب الإحساس بالعالم المحيط به إحساساً فريداً.

ويمكن القول إن فريق المبتكرين في حياتنا لا يكتفي بالتعامل مع ما هو موجود، ولا بتكراره والسير على الأنماط المألوفة، بل يملك الرغبة في التغيير والقدرة عليه، فإذا كان تغييراً نحو الأحسن فهو الابتكار، وأصحابه صنف نادر في الحياة، وعليه المعول في تحويل تيار المجتمع نحو الأفضل.



وإذا كان وجود المبدعين مهمًا في كل الظروف، فإنه في ظروف الضعف والركود والإحباط يكون في غاية الأهمية، إذ لا مخرج من أزمات الأمة إلا بوجود أصحاب المواهب والكفاءات المتميّزة، وليس المراد أن يأتي المبدع بشيء جديد منقطع عما قبله، بل أن يبني على ما سبقه ويأتي بالمزيد، ويكون إبداعه بمقدار حجم هذا المزيد ونوعه وقيمته.

في المجمل لا توجد قيود على الفكر الإبداعي والمبدع الذكي في المجتمعات العملية والعلمية، في الوقت الذي نجد فيه مجتمعاتنا النامية لا تستطيع توظيف تفكير أبنائها نحو الأمور والأشياء والأزمات، سعيا لتطويرها وإيجاد حلول جديدة قابلة للتطبيق، الأمر الذي يتطلب إعادة هيكلة منظومتنا العقلية من خلال البعد عن الجمود والاقتراب من الواقع المتغير الذي يفرض علينا التأقلم والمرونة وحتمية تطويع إمكاناتنا لصالح من حولنا.

إن أية محاولة لتنمية الإبداع والابتكار في حراكنا الاجتماعي تتطلب ضرورة غرس قيم الإيمان العميق بالإنجاز والعمل والعطاء المثمر، بالإضافة إلى إشاعة التفكير الإبداعي الشمولي القائم على العودة إلى الذات، بكل أبعادها، والبعث على التفاؤل والاستبشار بالخير، ونبذ التبعية، والانفكاك من أسر المشاعر الدونية، وتعزيز روح المبادرة في التعامل مع القضايا والأمور كلها.. والله ولي التوفيق.

لغة وأدب

أرضٌ وماء!

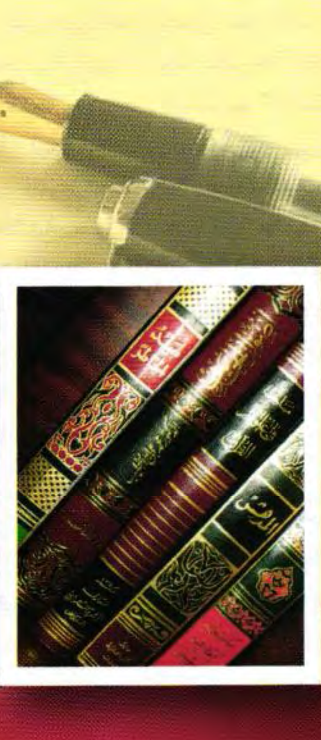
قد يهرع البعض إلى قراءة كتاب علمي لينهل من فيض كنوزه، وقد يفضل آخرون قراءة رواية ليسبحوا في خضم نفسيات أبطالها، أو ليعيشوا أحداثها، وقد يتلذذ غيرهم بترانيم قصيدة يطير اللبُّ لصورها، غير أن هناك دربًا آخر من دروب التفاعل ربما لا يلتفت إليه كثيرون رغم أنه أدوم أثرًا وأبقى وقعًا.

فكما أن كتب العلوم تزيد رصيد قارئها، وكتب الآداب تسمو بوجدانه، فإن ذلك كله يُطبع- وإن بمقادير متباينة- في النتاج الأسلوبي لقارئه، تعمد ذلك أم لم يتعمد، فطن إليه أم لم يفطن، ولا يعد ذلك قدحًا فيمن يأتيه، بل هو قمة التمكن، وقديمًا قال مارسيل بروست «وما الليثُ إلا عدة خرافٍ مهضومة».

وأذكر أن معلمًا حكيمًا تكاثر عليه طلابه، كلٌّ يدلي بدلوه، فهذا يعطيه قصيدة ليعرف رأيه فيها، وذاك يقدم مقالا، وآخر رواية... فقال الأستاذ الحكيم لطلابه: من أراد أن يكتب بيت شعرٍ فليقرأ ألف بيت وليحفظ ما تيسر، ومن أراد أن يكتب مقالًا ...إلخ، أما أن يتوهم تالٍ أن يبذ شأو مقدم من دون أن يطلع على ما قدمه ذلك المُقدَّم، فإنه يضرب بنواميس الكون عرضَ الحائط، ولن يلبثَ أن يسقط على الأرض فينكسر جناحاه.. وهيهات له قيام، ولات حين مناص.

ولا يُظن أن هذا دعوة إلى التقليد الشكلي، أو السعي إلى ذلك، بل هو يسعى ولا يُسعى إليه، والكل يقرأ، فمن كان مهيأ للاستقبال استقبل وأرسل، فهو أرض أُمطرت فأنبتت، ومن لم يكن كذلك أمسكت أرضه الماء ولم تثمر، غير أنه ينتفع بمائها، أما أسوأ الأحوال فأن يصيب الماء الأرض فلا تنبت ولا تمسك الماء، وأسوأ الأسوأ أن تُكسى الأرض بعازلٍ فلا ترى الماء أصلًا!

المحرر





د.عبدالله التطاوي أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة:

الأدب الإسلامي يخدم «الدعوة» والشعراء نشروا الإسلام بـ«قصائدهم»

فاروق الدسوقي

أكد د.عبدالله التطاوي أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة أن الأدب الإسلامي أدى - على مدار أكثر من ألف وأربعمائة عام - دورا رائدا ومميزا في خدمة الدعوة الإسلامية.

وقال: إن الشعراء المسلمين في صدر الإسلام استخدموا قصائدهم «وسيلة» في نشر تعاليم الإسلام والتعريف بأحكامه وغاياته وتعاليمه السامية، والدفاع عنه في مواجهة مزاعم الخصوم والأعداء.

وشدد في حوار لـ«الوعي الإسلامي» على أن الأديب المسلم ينبغي أن يستمد أفكاره وألفاظه ومعالجاته من المصادر الإسلامية، وعلى رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأضاف قائلا: إن الشاعر المسلم تشغله دائما القضايا الإسلامية، ويستلهم معالجاته دائما من قيم وأخلاق وتعاليم دينه، فيذكر رسول الله ﷺ ورسالته، ويستوقفه أمر جبريل عليه السلام كواسطة للوحي بين الله سبحانه وتعالى وبين رسوله عليه الصلاة والسلام، فيسجل ما يعرفه عن القرآن الكريم أو إعجازه وتشريعه، ويتخذ مواقفه من صورة النبي ﷺ وغزواته، وموقف المسلمين ممن آمنوا به وآزروه، أو موقف كفار مكة ممن عاندوه وحاربوه.

ويضيف: إن الشاعر المسلم أدخل من معجم الإسلام ما يتعلق بقضايا العقيدة بكل فخر وثقة واطمئنان، مشيرا إلى أن المسلمين الأوائل قد تحولوا عقائديا من وثنية غائمة أغرقهم ضلالها في تيه عميق من الجهل، إلى ما أنقذهم به الدين الجديد منذ أسلموا، فآمنوا ونصروا الرسول ﷺ، ولم يشغلوا أنفسهم بجدل، أو فلسفة رفض على نحو ما شُغل به المشركون في مكة.

لقد التزم الشعراء المسلمون بما عرضه القرآن الكريم فيما يتعلق بأسلوب الرسول ﷺ في نشر الدعوة طبقا للمبدأ الإسلامي الذي هداه إليه ربه سبحانه وتعالى في قوله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٢٥: النحل)، وما شهد له به الله سبحانه وتعالى من كرم الخلق وسماحته، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، ومن وداعة القلب ولُطف المعاشرة في التعامل مع جمهور البشر عامة من حوله، لقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

صدق الرسالة

ومضى د.التطاوي قائلًا: إنه بهذا المنطلق وبأبعاده المختلفة تبدو المؤشرات الأولى لانعكاسات المعجم الإسلامي من خلال شعراء صدر الإسلام، فإذا بالشاعر في المدائح النبوية - مثلا - يتجاوز الملامح التقليدية التي رصدت في صورة البطولة الجاهلية على ما قد يشوبها من عنف وعدوانية أو فوضى الغزو والثأر، لتتحول على يديه إلى صورة منضبطة ينبثق منها الحس الإسلامي الجديد، وينسبها الشاعر دائما إلى الله سبحانه وتعالى، ويعرض من خلالها موقف فريق المسلمين وموقف المشركين، فإذا بملامح البطولة تتراءى مجسدة في مكانة رسول الله ﷺ كهاد للأمة وبشير بالحق.



د.عبدالله التطاوي

وتبدو البطولة رهنا بعموم الدلالة على صدق رسالة البطل التي يحرص الشاعر المسلم على التصديق بها، حتى ليبدو البطل هاديا لأمة بأكملها، يساعده من صدق به ويرتدي معه درع البطولة، ولكن بطولته المطلقة تظل سائدة متميزة، ففيها نور اليقين والهداية، وفيها قوة البطل على نشر الدعوة المسندة إليه جهادا دينيا بالدرجة الأولى.

ويشتد حرص الشاعر المسلم على تسجيل إيمانه بالرسول ﷺ من منطق الحس الغيبي، خاصة حين يسلم بالمبادئ العقائدية حول صدق الرسالة، وتأكيد الإيمان بمصدرها واليقين بواسطتها، ومن ثم راح شاعر العصر يسجل ما يستطيع من ملامح إيمانه بالدعوة من منطق الاقتناع بها من جانب، والخوف من عقاب الله سبحانه من جانب آخر.

إيمان والتزام

وأوضح د.التطاوي أن الشاعر المسلم يستمد مادته اللفظية من رسول الله ﷺ، والهدى، والكتاب، والنور، والتقوى، والرضا،

والحذر من النار، فكانت الصياغة إسلامية المصدر، ومن منطلق الإيمان بأصول الدعوة الإسلامية راح بعض الشعراء يعرض من الجوانب الدينية ما حاول طرحه في شعره، وهو في ذلك لم يكن يستوحي المعاني أو الصور من معجم الجاهلية الموروث، بل بدا المعجم الإسلامي أساسا جديدا لمادة التصوير.

ويجزم د.التطاوي بأن الشاعر المسلم يستوحي من الدلالات القرآنية ضرورة حمد الخالق سبحانه وتعالى، ومع الحمد يرصد ضرورة التوحيد وعدم الشرك بالله، مما يقترب من كثير من معاني الآيات.

ويضيف أن روح الوضوح والإبانة أشد سيطرة على أذهان شعراء ذلك الجيل، فظهروا شديدي التأثر بقيم الدين الجديد ومعجمه، شديدي الالتزام بمبادئه، حتى جعلوا من شعرهم معرضا طيبا لها.. صحيح أنهم ظلوا على صلة وثيقة بالشكل الفني للقصيدة الجاهلية، ولكنهم لم يقصروا عن طرح القيم الجديدة من خلال ذلك الشكل - على تنوع مستوياته - بين قصائد طوال أو قصار أو مقطوعات أو حتى رجز، وفي غير حاجة إلى تعليق شيوع التقريرية ومباشرة الأداء بما يتسق مع إيقاع الحياة الجديدة، وطبيعة الموضوعات المعالجة في ظلالها، فثمة فروق مؤكدة بين موضوعات كالمدح أو الهجاء.

ويلاحظ على شعراء هذا الفريق أنهم ظلوا شديدي الصلة بالمصدر القرآني، يأخذ الواحد منهم من القرآن الكريم بحرص شديد، ولا غرابة في ذلك في فترة لم يكن مطلوبا من أولئك الشعراء، ولا المنتظر لديهم أن يفلسفوا قضايا العقيدة، أو أن يشغلوا أنفسهم عن تفسير الآيات القرآنية إلى تأويلها، خاصة أن تلك القضايا ظلت واضحة وضوح التساؤلات، وما يليها من بيان الإجابات الشافية من قبل رسول الله ﷺ، إلى جانب ما نص عليه من فتح باب الاجتهاد للعقل كمصدر ثالث لفهم العقيدة بعد الأخذ بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وقياس الأحكام على ضوء ما جاء به من صيغ التشريع.

وعلى هذا النحو بدا الشاعر المسلم واضح العقيدة وضوح لغته وشعره، فلم يشأ أن يصل بمبادئها إلى درجات من التعقيد، بقدر ما اكتفى بما أخذه منها عن اقتناع، مما دفعه إلى الجهاد في سبيل الانتصار لدين الله، وهو يصرح بذلك ويطرحه من منظور ديني محض، يدحض به شريعة الغزو والبطش التي شاعت في الجاهلية، فإذا بالنابغة الجعدي نفسه يرفض مطلب زوجته التي راحت تناشده البقاء خوفا عليه من الموت، فيجيبها بأنه لا عذر له إن تقاعس عن الخروج مجاهدا في سبيل الله، ومنفذا تعاليم الكتاب الكريم، بل كأنه يعكس معجمه اللفظي من خلال كتاب الله، وقد أطاع دعوته فكانت دافعا لإصراره على الخروج، ثم أطاعه مرة أخرى حين استقى منه مبرراته وإيمانه المطلق بقضاء الله وقدره.

مبادئ العقيدة

ويقول د.عبدالله: لاشك في أن شاعر العصر الإسلامي الأول بدا قانعا بما التقطه من هذا المعجم الإسلامي، فكان امتدادا لسعادته باعتباره مسلما، على هذا النحو الذي صاغه في أقواله شاكرا الله على نعمة الإسلام، حيث استمد مادته من مؤشرات الآيات القرآنية في قوله تعالى ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (النجم: ٦٢)، وقوله تعالى أيضا ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (البقرة: ١١٢).

فكانت مادته موزعة بين السجود والتسليم والعقاب العاجل والآجل، ومشاهد جهنم كلها منتزعة من المعجم الإسلامي.

وعلى هذا النحو بدا المعجم الإسلامي معينا للشاعر على عرض القيم أو تصويرها سواء في سياق فخره أو هجائه على السواء، وقد تكرر الإلحاح على تصوير مبادئ العقيدة من منطق التأثر بالآيات القرآنية أيضا، فكانت منطقة الغيبيات أشد سيطرة على الأبيات بين حديث الجنة والنار ومشاهد القيامة.. وغيرها.

ويضيف أن المعجم الإسلامي عرف طريقه عبر موضوعات كثيرة، فإذا به يسود وينتشر لينسج خيوطه من خلال كل الموضوعات التي طرقها شعراء العصر تقريبا، ففي غير لوحات المديح أو الفخر تأتي المعاني الإسلامية بصورة مكثفة، ففي رثاء الشعراء لرسول الله ﷺ، وكذلك في رثاء الراشدين رضوان الله عليهم تبرز هذه الملامح المتميزة.

ومن هنا انتشر رصيد متميز من معاني الآيات القرآنية بين أبيات الشعراء، وكأنما حرصوا على انتقاء الألفاظ الجديدة التي تكشف عن القيم الإسلامية المستحدثة في العصر، ولم يكن للجاهلية بها عهد إلا فيما يتعلق بالأوثان، وعبادتها في الأرض، أما بقية المعاني والقيم فقد طرحت من منطق الحس الغيبي والتسليم بمشاهد القيامة والجنة والنار والبعث والنشور.

وكذلك كان صدور الشاعر المسلم عن المنطق العقائدي حول تعاليم الإسلام والاعتراف بنعم الله تعالى وحمده عليها، ومثله ما كان من أمر الوحي ونور الهداية إلى غيرها من المعاني الدينية التي عرضها حول العبادات ونور الله، والرسول، والنبي، والوحي، والهدى، والاستقامة، والرسل، والتوحيد، والعبادة، والجنة، وتنزيه الخالق وعلو شأنه، والاستعانة به، وقصر العبادة على توحيده والاعتراف بنعمه وفضله.



المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية



د. خالد فهمي ◆

أنتجت الحضارة الإسلامية نظرية عسكرية متفردة الجوانب منذ اليوم الذي فرض الله سبحانه فيه الجهاد والقتال، وكان نزول قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (الحج: ٣٩) مفتتحًا واضحًا بعد زمان طويل من الدعوة التي ترفع شعار «كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة»، وهي حقبة امتدت لتغطي مساحة البعثة المكية كاملة، وامتدت ظلالها مدة سنتين بعد الهجرة النبوية المشرفة تقريبا، يقول القرطبي في الجامع (٦٨/١٢) «لما هاجر نزلت ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...﴾ وهي أول آية نزلت في القتال»(١) افتتح بها عهد الإعداد له.

منذ هذا التاريخ البعيد تشكلت أبعاد النظرية العسكرية الإسلامية بنطاقاتها المختلفة من أصول حاكمة وأخلاق مقيدة، ومعرفة منظمة، وواكب هذا التطور والتشكل جهاز اصطلاحي كاشف عن هذه الحدود والأبعاد، وهو الأمر الذي يظهر أن تاريخ ظهور مصطلحات العسكرية الإسلامية يبدأ من الإذن بالقتال، وإن كان ثمة ألفاظ عسكرية موروثة من الحقبة الجاهلية، ولكن وهبها من روحه الإسلامية، وصبغها بصبغته ومبادئه.

مصادر مصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية

أولا: المصادر التاريخية

العناية بمصطلحات العسكرية العربية، جمعًا وشرحًا وتصنيفًا، لا يمكننا أن نتغافل عن مصنفات التاريخ العربي بحال من الأحوال، ويمكن تمييز عدد من أنواع المصنفات التاريخية المعتبرة وأهميتها في هذا السياق كما يلي:

١- المصنفات التاريخية المعنية في المقام الأول بالتأريخ لأيام العرب وحروبهم معًا قديمًا وحديثًا، ولاسيما مصنفات التاريخ العام، كتاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير.

القرآن الكريم يزخر بالعديد من الالفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة والتخطيط

٢- مصنفات السيرة النبوية بوجه عام من لدن ابن هشام وإلى الصالحي الشامي صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مع عدم إهمال المؤلفات المعاصرة في هذا الميدان.

٣- مصنفات الغزوات تعيينًا، من مثل المغازي للواقدي، والغزوات لابن حبيش، والاكتفا في مغازي الرسول والثلاثة الخلفا للكلاعي.

٤- مصنفات الفتوح الإسلامية، من مثل فتوح البلدان للبلاذري، والفتوح لابن أعثم الكوفي وغيرهما.

٥- مصنفات الحكومة الإسلامية أو إدارة الدولة عند المسلمين، من مثل تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، وشرحه وتطويره المسمى بالتراتيب الإدارية للكتاني.

٦- المصنفات الموسوعية العربية، كنهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي.

٧- مصنفات التراجم الشخصية المعنية بالشخصيات العسكرية تعيينا، على ما نرى في سيرة صلاح الدين لابن شداد، والاعتبار لأسامة ابن متقذ.

ثانيا: المصادر الشرعية

القرآن الكريم مليء بعدد ضخم من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة، والتخطيط، ومواجهة العدو، والجغرافية العسكرية، مما هو ظاهر في عمل المرحوم محمود شيت خطاب، مما سنقف عليه بعد قليل.

ولا تقل مصنفات السنة الشريفة أهمية في هذا الميدان، ذلك أن عددًا من أبواب كتب السنة تشتمل على ألفاظ عسكرية كثيرة، ولاسيما في أبواب الجهاد والفتن.

ثالثا: المصنفات الفنية

١- مصنفات القنص والصيد، وهي مفيدة جدا في استخراج عدد من المصطلحات العسكرية العربية المتعلقة بالتدريب والخطط على وجه التعيين، بالإضافة إلى ألفاظ الأدوات وألفاظ الطرق التي كانت مستعملة في الصيد والقنص... إلى غير ذلك.

ومن أشهر مصنفات الصيد والقنص عند العرب: المصائد والمطارد لكشاجم، وانتهاز الفرص في الصيد والقنص للناشري(٢).

٢- مصنفات الأسلحة عند العرب، وهي مفيدة جدًا في استخراج المصطلحات العسكرية الخاصة بالأسلحة والذخيرة، ومفيدة في بيان ما كان مستعارا من غير العرب، ومن أشهر هذا النوع من المصنفات العسكرية الخاصة بصناعة الأسلحة عند المسلمين كتاب «الأنيق في المنجنيق، لابن أرنبغا الزردكاش» (٣).

٣- مصنفات المناصب الحربية، وهي مهمة في الكشف عن جوانب الفكر العسكري

◆ أستاذ اللغة في جامعة المنوفية

الإسلامي وما قدمه من أفكار حول الخطط العسكرية والآلات، ومن الكتب المهمة في هذا المجال كتاب الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين الرماح المعروف بالأحدب (٤).

رابعا: المعاجم اللغوية العربية

ضرورة العناية الفائقة بفرع من المعاجم العربية الخاصة بالموضوعات العسكرية، مما يسمى في تاريخ المعجمية العربية بالرسائل اللغوية الصغيرة، أو المعاجم الموضوعية ذات الموضوع الواحد، مثل كتاب السلاح لأبي عبيد، وأسماء السيف لابن خالويه، والرسائل الخاصة بالنبل والسهام والرماح.

خامسا: مؤلفات رواد النهضة الإسلامية المعاصرة

كان من المجالات التي لمسها هؤلاء الرواد ضرورة التنبيه إلى خطر إزاحة عدد من المصطلحات المتعلقة بالهوية الإسلامية، ومنها عدد من المصطلحات العسكرية المنبثقة من الحضارة العربية والإسلامية؛ فظهر التحذير من إماتة ألفاظ من مثل: الجهاد لمصلحة الدفاع، والمجاهد لمصلحة الجندي أو العسكر، والمرشد لمصلحة ألفاظ أجنبية أو معربة للفظ مكافئ دال على رتبة عسكرية بعينها.

ومن المهم جدا عدم إهمال أمثال كتابات محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا والعقاد ومالك بن نبي وعلال الفاسي، والبشير الإبراهيمي، والكواكبي وغيرهم حول شروط النهضة والتغيير والإصلاح.



وظائف المصطلحات العسكرية

١- الوظيفة الدينية والإيمانية؛ بمعنى أن النظر إلى حقل المصطلح العسكري في لغة العرب يصور ما صبغه الإسلام لهذا الجهاز الاصطلاحي؛ ذلك أن عددا من الألفاظ العسكرية أصابها قدر ضخم من التطور أو التغير على مستوى الدلالة والمعنى، بحيث يمكن قياس فارق ما بين دلالات المصطلح العسكري الإسلامي ودلالات المصطلح العسكري العربي قبل الإسلام؛ وقراءة ألفاظ من مثل: المُثلة قائد إلى تصور منظومة الأخلاق التي أحاطت بعدد كبير من ألفاظ هذا الميدان المعرفي.

٢- الوظيفة الحضارية والمعرفية

يؤدي معجم المصطلحات العسكرية دورًا حضاريًا بما يعكسه من علامات تصب في هذا الباب المهم؛ ذلك أن الألفاظ العسكرية في العربية تعكس ما طوره المجاهد المسلم في مجالات العمل العسكري المختلفة بدءًا من الإعداد والتعبئة، وانتهاء بالنصر أو بتوقف القتال.

٣- الوظيفة اللغوية

وهي من الوظائف الهامة جدا في السياق المعاصر، لاسيما في مواجهة عدد من الأصوات المنتمية معرفيا لحقول العلم التطبيقية والتجريبية والتقنية، والتي لا ترى في الأفق قدرة للعربية على استيعاب المنجز المعرفي الغربي في هذه الميادين والتفاعل معها والتعبير عنها؛ ذلك أن تأمل ما وضعه اللسان العربي من تسميات ومصطلحات لعدد ضخم جدا لتصورات ومفاهيم منضوية تحت العلوم العسكرية، وما استطاعت أن تستوعبه هذه المفاهيم وتعربه مما نقل من تسميات ومصطلحات عسكرية من الأمم الأخرى لهو أمر يدعو إلى الإعجاب بهذه اللغة.

٤- الوظيفة المعجمية التاريخية

ثمة تأريخ لعدد كبير من الابتكارات في الميدان العسكري، في معاناة العرب المسلمين في جهادهم الطويل دفعا أو طلبا، وهو ما واكبه استحداث ألفاظ دالة معبرة عن هذه المبتكرات، مما يسهم في خدمة المعجمية التاريخية العربية في الحقل المتخصص.

في المعجمية المعاصرة

مع الإقرار بالآثار السلبية لتغييب عدد كبير جدا من المصطلحات العسكرية العربية- لأسباب كثيرة- عن الاستعمال العسكري المعاصر، لعل أهمها روح التبعية التي خلفها الاحتلال الغربي في البلدان العربية المختلفة، فإن ثمة بعضا من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المختصة المعاصرة، نقف عند تجربتين تعكسان وعيا بقيمة هذا التراث الممتد لألفاظ العسكرية العربية الإسلامية، وهما:

١- «معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، لمحمود شيت خطاب، يرحمه الله، والذي صدر عام (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) في مجلدين، الأول يبدأ بالهمزة وينتهي بالطاء، والثاني يبدأ بالعين وينتهي بالياء، فيما يقرب من مائة وألف صفحة.

٢-«معجم السفن الإسلامية»، لدرويش النخيلي، الذي صدر بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٤م.

وقد اعتنى فيه ببيان أنواع السفن الحربية، وهو ما يدخل في الميدان الذي نعرض لأشكال العناية به في اللسان العربي، وقد رتبها جميعًا على حروف المعجم، وفق الترتيب الهجائي الشائع طلبًا للتيسير، وقد كان صانع هذا المعجم حريصًا على بيان السفن الحربية، بالنص تعيينا لمستوى استعمالها.



اللفظ والمعنى

عبدالهادي صافي ◆

هذه القضية لها أهميتها وخطرها في باب النقد، وقد اشتغل عليها كثير من النقاد في العصر العباسي، وليس ابن رشيق بدعا بين النقاد، ولكنه في كتاب العمدة يكرر هذه القضية ويثيرها من جديد، لأن الجدل والصراع النقديين يكادان لا ينتهيان حولها.

والسؤال يجب أن يطرح على النحو التالي: أيهما أكثر تأثيرا في العملية الشعرية اللفظ أم المعنى؟! وأين تظهر الشاعرية؟! وأين يكمن الإبداع الشعري، في اختيار اللفظ، أو في شرف المعنى وجدته وحداثته وطرافته؟!

هناك من الشعراء والنقاد القدامى من كان يفضل اللفظ على المعنى، ويجعله كل اهتمامه وغايته، يقول ابن رشيق في معرض الحديث عن اللفظ والمعنى «ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار بن برد:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكنا حجاب الشمس أو قطّرت دما

وهذا النوع أدل على القوة، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار، وفرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر...».

وهذا الاختلاف في اللفظ والمعنى بدأ منذ العصر الأموي، واختلف الأدباء فيما بينهم عليهما، وصارت هذه القضية مدار النقد كله، ثم اختلفوا في اللفظ أيهما أفضل، اللفظ الجزل القوي الذي يذهب فيه الشاعر مذهب القدماء من الشعراء، واللفظ الحوشي الغريب، أم اللفظ الجديد يبتدعه الشاعر ابتداعا ويستخرجه استخراجا دونما اعتماد على المتقدمين من الشعراء، واختلفوا كذلك في المعنى أيه أفضل، المعنى الذي يصور حياة البادية والصحراء والفيافي والإبل، أم المعنى الذي يصف حياة الشاعر وواقعه ومحيطه وبيئته.

◆ كاتب سوري

إن اختلاف النقاد في العصور الأدبية المختلفة دليل على تعمقهم في النقد، فقد نقدوا اللفظ ونقدوا المعنى واختلفوا في نقدهما أيما اختلاف، ودخلوا في التفاصيل فأثاروا قضايا نقدية تثير الدهشة والإعجاب، وكانت الأجواء والمناخات الأدبية متاحة لهذه المناقشات والخصومات، فبعد الفتوحات الإسلامية، وانتشار الإسلام، هدأ الناس، واستراحوا واطمأنوا في أمصارهم وبلدانهم، فراحوا يبحثون في الأدب والنقد، ويكتبون في التاريخ والمدن والأمصار، ويؤلفون في الحديث والفقه والتفسير، ويترجمون الكتب اليونانية إلى العربية ويقيّمون ويشرحون وينقدون.

ولابن رشيق في هذا الفصل كلام جديد، لم أقرأ مثله في الكتب النقدية القديمة، يجد فيه الارتباط المحكم بين اللفظ والمعنى، وكأنني به يقول لا يكون التفاضل بين اللفظ والمعنى، ولا يصح ذلك لأنهما مرتبطان ارتباط الروح بالجسد، إنه يقدم لهذه المسألة النقدية بهذا التقرير القوي المتين: «اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إذا ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظا، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى، لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة».

فالرأي عنده ليس في تفضيل اللفظ على المعنى ولا في إيثار المعنى على اللفظ، وإنما اللفظ والمعنى كلاهما ضروري لإقامة البناء الفني للقصيدة، وهذا رأي معتدل ومنصف، فاللفظ يجب أن يكون سليما غير مختل من حيث حروفه، يجري على قواعد الفصاحة والبلاغة مع خلوه من التعقيد والغرابة وتكون مخارج حروفه متقاربة، بالإضافة إلى جزالته ومتانته، والمعنى يجب أن يكون قويا لا ضعف فيه، وصحيحا لا سقم يعتريه.

إن خصائص اللفظ عند هذا الفريق، الذي يؤثر اللفظ على المعنى، أن يكون فخما، جزلا، يجري على مذهب العرب، غير متكلف ولا متصنع، وفريق آخر «ذهب إلى سهولة اللفظ فعُني بها، واغتفر له في الركاكة واللين المفرط كأبي العتاهية، وعباس بن الأصق، ومن تابعهما...».

والفريق الآخر الذي يؤثر المعنى على اللفظ فأولئك- برأي ابن رشيق- يضعون شرطا فنيا هو صحة المعنى وإن كان اللفظ هجينا خشنا قبيحا، ويمثل لأصحاب هذا المذهب بابن الرومي وأبي الطيب وما شاكلهما، ويسميهم المطبوعين الذين يجرون على الطبع دونما تكلف للفظ أو رونق.

وأما الذين يفضلون اللفظ على المعنى ويعطونه الأسبقية في عملية الشعر فيضعون

أسبابا فنية لرأيهم ومذهبهم الأدبي «وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، قال العلماء: اللفظ أغلى من المعنى ثمنا وأعظم قيمة، وأعز مطلبا، فإن المعنى موجود في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف، ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر، وفي الإقدام بالأسد، وفي المضاء بالسيف، وفي العزم بالسيل، وفي الحسن بالشمس، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قدر» .

إن جهود ابن رشيق القيرواني في النقد تدلّ على شدّة حرصه على المساهمة في البناء المعرفي النقدي في عصره، والتميز النقدي الذي نراه واضحا أمامنا يدل على تفتح في الذهنية الثقافية عنده، كان ذا فكر مستقل، وشخصية خصوصية لا تتساق لآراء سبقت، ولا ينجر وراء أفكار قديمة، ولكنه يحاول- ما استطاع- أن يجد لنفسه رأيا ومذهبا نقديا مغايرا ومختلفا عن سائر الآراء والمذاهب التي سادت عصره أو تلك التي وجدت قبله.

ولكنه عرض لرأيه النقدي ومذهبه الفني في بداية الحديث عن اللفظ والمعنى، وأعلنه مسبقا حين قال بالارتباط القوي بين اللفظ والمعنى وبأن اللفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم.. فلا يصلح، بناء على هذا، في عملية الإبداع الشعري أن تقوم على أحد هذين العمودين، وقد شبه تخلف اللفظ عن المعنى بالرجل المريض المشلول، جسمه شاخص للعيان إلا أنه لا قدرة له على الحركة والمسير، فالقصيدة الشعرية لا تقوم لها قائمة إلا بهذين الأساسين اللفظ والمعنى، فمن يفضل اللفظ على المعنى- برأيه- خاطئ، ومن يفضل المعنى على اللفظ جانب الصواب.

ومع شدّة حرصه على التجديد والحداثة إلا أنه لا يسمح بتجاوز عمود الشعر وخصائصه الموروثة وتقاليده وأصوله المعتمدة، ونراه يغلق الباب والنوافذ أمام تيارات التجديد في الأدب، فهو يختتم حديثه عن اللفظ والمعنى بهذا الكلام القاسي بحق النقد والتجديد «وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكُتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة، وعلى سبيل الخطرة، كما فعل الأعشى قديما وأبو نواس حديثا، فلا بأس بذلك.. والفلسفة وجرّ الأخبار باب آخر غير الشعر، وإنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس، وحرّك الطباع، فهذا هو الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه» .

إن ابن رشيق يعلي من شأن القارئ، ويرضي غروره، ويقدم إليه عبر النص كل ما يحتاجه من موسيقى شعرية تهزه من الأعماق، وإلى تحريك غرائزه الحسيّة، وإذا أعطينا رأي ابن رشيق أبعاده، يمكن أن نقول إن قوله في العناية بالمتلقي يتقاطع مع ما تذهب إليه البنيوية والتفكيكية من الاحتفال بالمتلقي وإغفال كل ما هو خارج السياق النصي.

وهكذا يأخذ ابن رشيق يوضح هذه القضايا الأدبية التي اشتغل عليها النقاد القدامى، يوازون بين الألفاظ ويقارنون بينها، فالألفاظ يجب أن تكون أدبية تعلو على ألفاظ السوقة، ولا تقترب من الألفاظ الوحشية، ولكننا نتساءل هنا: لماذا كان هذا التعويل على إثارة هذه القضية.. قضية اللفظ والمعنى؟ أهما فقط من أعمدة القصيدة العربية، دون الالتفات إلى أعمدة أخرى، أو مقومات فنية للقصيدة العربية؟ لماذا لم يبحث قضية الصورة الفنية في هذا الوقت- وقت ابن رشيق- ولماذا لم يبحث قضية الوزن الشعري ووجوب مواءمته لموضوع القصيدة؟! أو غيرها من القضايا التي تتعلق ببناء القصيدة العربية، ولكي لا نظلم ابن رشيق علينا أن نتوسع في مصطلح اللفظ والمعنى إلى مصطلح أكبر وأوسع وهو مصطلح الشكل والمضمون، والشكل يجمع الألفاظ والتراكيب والصور، والوسائل التعبيرية الأخرى، وهذا ما يرمي إليه ابن رشيق القيرواني.





مع استحداث عام للطفل:

أدب الطفل.. من يقف إلى جانبه؟

السيد مسعد

حينما يصرخ كاتب كعبدالتواب يوسف بأن ثقافة أطفالنا مريضة، وأن إعلام أطفالنا عليل، فبالقطع يكون هناك خطر.. لماذا؟
لأن عبدالتواب يوسف كاتب أوقف قلمه وفكره وشطرًا من حياته منذ أن تخرج في دار العلوم، على الكتابة للطفل، ووسائله: الكتاب والإذاعة والتليفزيون وبعض المجلات المتخصصة، والصحافة العامة.
ولأن له مؤلفات عن الطفل مثل: فصول في أدب الطفل المسلم، فصول حول الطفل والقراءة، شموع في ثقافة الطفل، فصول في أدب الطفل العربي، فصول في أدب الطفل العالمي.
ولأن من قصصه للطفل: خيال الحقل، الشجرة المنتصرة، أشبال ٦ أكتوبر، الله جل جلاله، قلبي وعقلي وقلمي، ولأنه حائز على جائزة الدولة التقديرية في أدب الطفل.



أما لماذا هذا القلق؟ فيجيب في بحث عن أدب الطفل (١)، وعلى لسان من تعرض للكتابة للطفل، وهو واحد منهم، قائلا: لأننا قدمنا لأطفالنا على الشاشة الصغيرة، سذاجة مقيتة، وإعلانات رديئة، وأفلام عنف مدمرة لقيمنا وتراثنا.

ومن خلال الميكروفون، ضاعت كلماتنا وأصواتنا وسط ركام من نصائح غليظة كالعصي، ووعظ منفر كالقذائف.

وعلى خشبة المسرح.. عرضنا عرائس باهتة، هزيلة الشكل والمضمون، في عمل واحد سنوي يخبو وينطفئ لتتكرر المحنة.

وفي السينما، اكتفينا بالمستورد الذي لا يمت إلينا ولا ينتمي، وشاشة السينما لم تضأ لأكبادنا.

وفي الصحافة، تقف مجلة عربية واحدة أمام سيل المترجمات.

وأما في مجال الكتاب، فقد تركنا نهر «الفجالة»، حي المكتبات بالقاهرة، المتدفق بالكتب السيئة، وغمرتنا أعمال «بيروت» مخربة.

ثم، انسكاب فيض كتب الشرق- المترجمة والملونة- تساندها الكتلة الشرقية، وإلى جانب ما يغمرنا به الغرب تسانده دوله.

ويثور سؤال: من يقف بجانب الثقافة الوطنية والقومية؟

ويأتي الجواب من خلال سطوره.

حيث يرى أن أطفالنا يولدون أذكياء، بل أقرب إلى العباقرة، لكن التوجيه الثقافي يجانبه الكثير من الصواب، وأنه بات من الضروري أن نمسك بأيدينا ثقافة أبنائنا، فإننا إذا كنا اليوم نملك مصائرهم فلسوف يملكون هم غدنا، فإذا أساءوا إلينا فنحن إذن الملومون.

وفي سبيل العلاج.. فإنه يجب ربطهم بكتب التراث العربي والإسلامي، منها تلك التي يبدأ الصغار في قراءتها في سن مبكرة، مع أنها ليست مكتوبة لهم.

من بين هذه الكتب.. المعالم، أعظم كتاب حكايات ظهر في العصر الوسيط ومازال يقرأ بلهفة وشغف، ومازال منبعًا، كتاب «ألف ليلة وليلة»، وما نظن أن طفلًا في العالم منذ دون هذا الكتاب في القاهرة، لم يسمع بـ: شهرزاد، ودنيا زاد الصغيرة، والحكايات التي أنقذت رقاب الفتيات وأنقذت البشرية.

ومن بين هذه الكتب المعالم، «حي بن يقظان» لابن طفيل، ويحكي عن طفل وحيد ولد ونشأ في جزيرة بلا رفيق، وبالفطرة تعرف على وجود الله سبحانه وتعالى، وبعده بستة قرون ظهرت «روبنسون كروزو» متأثرة بها.

ومن هذه الكتب المعالم في تلك الفترة «كليلة ودمنة» لابن المقفع، وهو من أروع ما كتب عن الحيوان وقصصه.

وعندنا السير الشعبية، والملاحم قريبة منها، إنها حكايات طويلة عن أبطال كان لهم دورهم في المجتمعات.

وحديثًا وبالذات، في العصر

• كاتب مصري



الحديث، الذي اصطلح على أنه يبدأ مع حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م وما تبع ذلك من ثقافات غربية، نرى مسايرة أدب الطفل لها، ومن معالمه في البداية: رفاعة الطهطاوي، الأزهري المتفتح المتقد الذهن، الذي سافر إمامًا لبعثة طلابية الى فرنسا، وإذا به يتحول إلى طالب علم ودارس من الطراز المتفرد وعاد إلى مصر ليشع النور في البلاد، ويعطي للتعليم عناية واهتمامًا، وأبدع العديد من الأعمال التنويرية (المرشد الأمين للبنات والبنين، روضة المدارس - مجلة للمعلمين والطلاب معًا، ثم تخليص الإبريز في تخليص باريز) وبالقطع انعكس كل ذلك على البلاد العربية والإسلامية فيما بعد، ومن ناحية أخرى، تأثرت البلاد بما حدث في أوروبا، وتأثر أطفالنا بأدب: إيسوب، وشارل بيرو، ولافونتين، وجريم، وأندرسون، وقد حدثت محاولات للإضافة، بمعنى أن عثمان جلال وأمير الشعراء شوقي، وغيرهما قدموا صياغات منقولة عن هؤلاء الرواد، شعرية جميلة، وتبعهم إبراهيم العرب، وهو شاعر مصري ألف ديوان شعر للأطفال نشر عام ١٩١١م، ثم معروف الرصافي، من العراق، ثم شعراء أطفال معاصرون من بينهم: سليمان العيسى من سوريا، فاروق سلوم من العراق، حسين سرحان من السعودية، ابراهيم شعراوي من مصر.

وجميعهم كانوا يحاولون استرجاع الأطفال إلى ساحة الشعر بعد أن غادروها منذ وقت بسبب الشعر المدرسي الجاف الذي تتضمنه كتبهم المنهجية.

الأطفال يولدون أذكياء وعباقرة لكن التوجيه الثقافي لهم يجانبه الكثير من الصواب

أما في ميدان القصة..

فإن الريادة، بالقطع، كانت لكامل كيلاني الذي بدأ في نشر أعماله منذ عام ١٩٢٧م، مقتبسًا ومترجمًا، ثم محمد سعيد العريان الذي كتب «رحلات سندباد»، ومحمد فريد أبوحديد الذي كتب أولى الروايات العربية للأطفال، في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي، مثل «عمرون شاه»، «كريم الدين البغدادي»، ومن منا- في العالم العربي- لم يقرأها في طفولته؟

ثم بعد ذلك بفترة زمنية، يأتي توفيق الحكيم، أحمد عطية الله، أمين بقطر، أحمد شفيق زاهر، محمد صادق عبدالرحمن (بابا صادق) ثم فؤاد حجازي، أحمد نجيب، وصفي آل وصفي، عبدالمنعم خوجة، عبدالتواب يوسف- في المقدمة طبعًا، وكاتب هذه السطور.

ما هو أدب الطفل؟

الحقيقة، أن الإجابات كثيرة، ومتضاربة أيضًا، منها ما أنكرت وجود شيء اسمه أدب الطفل انطلاقًا من أن كل ما يكتب للأطفال ما هو إلا تعليم وتربية، كما جاء في مؤتمر اتحاد الكتاب بالجزائر، ومنها ما رأت أنه الأدب المكتوب للأجيال الجديدة، كما جاء بندوة كتاب آسيا وإفريقيا.

بينما رأت مادلين لنجل، رئيس اتحاد الكتاب في أميركا، أنه لا شيء اسمه الكتابة للطفل قائلة: أنا أكتب أدبًا فمن يجد لديه الرغبة في قراءته فأهلًا وسهلًا، لكنني لا أستهدف قارئًا صغيرًا ولا مرحلة عمرية في كتاباتي.

معاونة الطفل على القراءة

ومهما كانت التعاريف فإن الهدف هو إيصال هذا الذي يكتب للطفل، من أدب وثقافة، إلى الطفل ذاته، لكن لابد من الوقوف عند نقطة مهمة ألا وهي: متى يبدأ الطفل في التدريب على القراءة الاختيارية؟

والجواب.. يكون ذلك بعد أن يتعلم الطفل القراءة، وما من نقطة محددة بعد ذلك تغرس عادة القراءة ولا نقطة انتهاء، بل هي عملية تدريجية، وربما تبدأ قبل سن المدرسة بألفة خاصة للكتاب.

لذلك يرى البعض تقسيمها إلى مراحل يعتبرونها كلًا متكاملًا، حيث إن القارئ الجيد هو من كانت لديه ثروة لغوية كبيرة يستطيع أن يلون بها قراءته بشكل متوازن، كما أنه يقرأ بسرعة، خاصة إذا كانت الرواية خفيفة ليخرج منها بأفكار وانطباعات عامة، أما القراءة ذات الطابع العلمي فلابد لها من التفاصيل، فيقرأ بعناية أكبر وفي تمهل لتثبيت المعلومات وترابطها.

ومما لاشك فيه أن هناك عوامل مؤثرة في علاقة الطفل بالقراءة تتمثل في:

العوامل المادية، وهي الصحية والبصر والسمع، وفي وقت القراءة، مكانها، الضوء والجلسة.

والسرعة في القراءة، وهذه تأتي من القراءة «الباطنة»، وهل هي قراءة كلمات، أم عبارات وجمل كاملة؟ الى أي مدى تمضي العين في السطور المقروءة؟ هل تتغير السرعة إزاء المادة المقروءة؟

ثم .. القراءة الجهرية، إذ لابد من نطق الكلمات نطقًا صحيحًا دون جهد أو تعب وبشكل يفهمه السامع، وبعدها: هل يمكن التلخيص؟

والحصيلة اللغوية، هل قاموس هذا الطفل كبير؟ هل قاموسه في كل مادة واسع؟ هل يفهم الكلمات الصعبة أو الجديدة من خلال ما يقرأ؟ هل يلجأ إلى المعاجم؟

والفهم والاستيعاب، مثلًا، الهدف من القراءة، هل تحقق؟ هل يركز دون تشتت؟ هل يدير في رأسه ما قرأه؟ هل يصل إلى الفكرة الأساسية للموضوع المقروء؟ هل يمكن أن يلخصها؟

وهناك أشياء تعين على القراءة، مثل: الوسائط التعليمية (الوسائل)، الصور، هل يعرف كيف يقرأ الصورة؟ وهل يستخدم دوائر المعارف؟ الأطالس؟... إلخ.

وأخيرًا.. ماذا قرأ الطفل بشكل منتظم في الشهور الأخيرة؟ أهي قراءات منوعة؟ هل يستسهل؟ هل يحسن الاختيار؟ هل يحدد الكتب التي يحتاجها بالذات؟

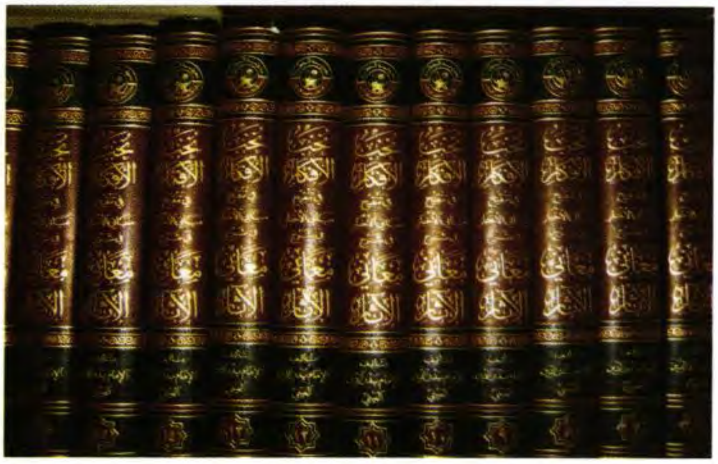
الهوامش

١- عن أدب الطفل «الهيئة العامة لقصور الثقافة» سلسلة «مكتبة الشباب» رقم ٢٣.

«نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار

للإمام بدرالدين العيني (٧٦٢هـ - ٨٥٥هـ)

التحرير



اسم الكتاب: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار.

المؤلف: الحافظ بدرالدين العينيّ الحنفيّ.

الجهة الطابعة: طبع هذا الكتاب في تسعة عشر مجلدا (١٩)، بتحقيق الأستاذ ياسر بن إبراهيم، وقد قامت على إخراجه لجنةُ إحياء التراث الإسلاميّ بإدارة الشؤون الإسلاميّة بوزارة الأوقاف القطرية.

هذا الكتاب دفع الشبهات التي علقت بأذهان البعض ... فأضحى كنزاً للأحناف في نصرة مذهبهم

ترجمة الإمام الطحاوي صاحب الكتاب الأصل

هو العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك الطحاوي الحنفيّ، ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وبرز في علم الحديث وفي الفقه، وكان ثقةً ثبتًا فقيهًا عاقلاً، لم يخلّف مثلَه. قال الشيخ أبوإسحق الشيرازيّ في «طبقات الفقهاء»: «وأبوجعفر الطحاويّ انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، أخذ العلم عن أبي جعفر بن أبي عمران، وأبي خازم وغيرهما، وكان شافعيًا يقرأ على أبي إبراهيم المزني، فقال له يوما: والله لا جاء منك شيءٌ، فغضب أبوجعفر من ذلك، وانتقل إلى ابن أبي عمران، فلمّا صنّف مختصره، قال: «رحم الله أبا إبراهيم؛ لو كان حيًّا لكفّر عن يمينه». صنّف «اختلاف العلماء»، و«الشروط»، و«أحكام القرآن»، و«معاني الآثار».

ترجمة الحافظ بدرالدين العيني صاحب الشرح

هو الحافظ محمود بن أحمد بن موسى بن محمود البدر الحلبيّ الأصل ثم القاهري الحنفي ويعرف بالعيني، ولد في ١٧رمضان ٧٦٢هـ، وكان إمامًا عالمًا علامة عارفًا بالصرف والعربية وغيرها، حافظًا للتاريخ وللغة، مشاركًا في الفنون، لا يملّ من المطالعة والكتابة، اشتُهر اسمه وبعُد صيته، مع لطف العشرة والتواضع، وقد حدّث وأفتى ودرّس، وأخذ عنه الأئمة من كلّ مذهب، طبقة بعد أخرى، ومات في ليلة الثلاثاء سنة ٨٥٥هـ.

أهمية الكتاب الأصل «شرح معاني الآثار»

كتاب «شرح معاني الآثار» من الكتب المهمة والنفيسة، ذات الفائدة والنّفع، ولعل المتأمّل فيه يجده نفيسًا جيّدا في بابه، وقد قال الحافظ الذهبيّ- رحمه الله- في ترجمة الإمام الطحاويّ من كتابه «السِّير»: «ومَن نظر في تواليف هذا الإمام علِمَ محلّه من العلم وسَعَة المعرفة»، وممّا يدل على عظَم علم الطحاوي- رحمه الله- واتّساع روايته وجلالة قدره في البحث والمدارسة: أنّه ربما أخرج في حكم واحد نادر الوقوع بالنسبة إلى غيره عن اثني عشر صحابيًا، مع استنباط الأحكام والتوغّل فيها (كما في باب الصدقة على بني هاشم مثلا).

وقد كانت للحافظ بدرالدين العينيّ- رحمه الله- عناية خاصة بهذا الشرح، وكان الدّاعي لتأليفه شرْحَهُ عليه؛ دفع اتهام الحنفيّة- رحمهم الله- بأخذهم بالرأي وتأخيرهم للأثر، لذلك

العيني شرح الكتاب شرحا جميلا منسقا شاملا

شدّ العزم، وأخرج ما في جعبته لنصرة المذهب، ودفع الشبهات التي علقت بأذهان البعض عنه، فأضحى هذا الكتاب كنزًا للأحناف في نصرة مذهبهم.

منهج العيني في شرحه

شرح العيني كتاب «شرح معاني الآثار» شرحا جميلا منسّقًا، يذكر فيه مناسبة الحديث للباب، ومناسبة الباب لما قبله من الأبواب، ويتكلم على رجال إسناده بإسهاب، ويبيّن فيه اللغات والإعراب، ووجوه المعاني والبيان، والأسئلة والاعتراضات والأجوبة، وتخريج مواضع الحديث، وما يستنبط منه من الأحكام.



وقد قام- رحمه الله- بوضع الحرف (ص) قبل الفقرة التي يريد شرحها من الكتاب الأصل؛ دلالة على أنه من كلام المصنِّف، أو إشارة إلى أن هذا الكلام هو صدر الكتاب، ووضع الحرف (ش) قبل شرحه؛ إشارة إلى أنه كلامه هو.

ثم يبدأ شرح الأبواب مبتدئا بتفسير الترجمة وعلاقة الباب بما قبله وسبب تأخيره عنه.

ثم يترجم رواة الحديث رجلا رجلا، مقتصرا على اسمه ونسبه ولقبه ومرتبته في الجرح والتعديل، وذكر من وثقه ومن جرحه، ومن أخرج له من أصحاب الكتب الستة.

وغالبا ما يضبط الأسماء والألفاظ المشتبهة بالشَّكل أو بالحروف.

ثم يذكر من أخرج الحديث من أصحاب الكتب الستة، ويحكم على الحديث بالصّحة أو بالضعف على حسب ما تبدَّى له من نظره الفاحص- رحمه الله.

ثم يشرع في شرح غريب الألفاظ، وإعراب ما يشكل من الجمل والكلمات، ثم ينقل آراء المذاهب الفقهية المتعلقة بالمسألة ويناقشها ويتوسّع فيها، فيذكر آراء الصحابة والتابعين وبقية الفقهاء، مع أدلتهم والردود عليها، وغالبا ما يرجّح رأي مذهبه الحنفيّ وينتصر له ويقرره، وربما تكلّف الرّدّ على من خالفه، ناقلا عن أمهات كتب الفقه والحديث.

ومن عادة الحافظ العيني- رحمه الله- أنه يكثر من إيراد الاعتراضات مبرزا إياها بقوله «فإن قيل» ويجيب عنها بقوله «قلت»، وغالبا ما يذكر بعض الفوائد المنتقاة من الأحاديث في آخر كل حديث، وربّما يُعمّي الطحاوي بعض الفقهاء أو الفرق والمذاهب، فيقوم العيني ببيان ذلك وتوضيحه وتسميته.

وعند انتهاء المسألة وسرّد أدلتها يذكر في الغالب الأحاديث التي لم يذكرها الطحاوي ويخرجّها.

(ملاحظة: أكثر ما ورد في التعريف بهذا الكتاب مقتبسٌ من مقدّمة المحقق ياسر بن إبراهيم).

مُساجلات الأقران

بين الإمامين الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني رحمهما الله تعالى،

حول (الدعاء الدُّنيويّ في الصلاة) و(الرّدّ على أهل المدينة)

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجَودة القريحة، وصفاء النّفْس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقفين للتأمُّل وطول التدبُّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنفوس من الخلل والتأثر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُسَاجلة: أن يَسْتَقيَ ساقيان فيُخْرجُ كلُّ واحد منهما في سَجْله مثلَ ما يُخْرجُ الآخر، فأيُّهما نَكل فقد غلبَ. فضربتْه العربُ مثلًا للمُفاخرة، فإذا قيل: فلان يُساجلُ فلانًا، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشّرَف مثلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سجال».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعَة، ويُخْملُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد مَمّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العلْم، وسَعَةَ الاطّلاع، وجوْدةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

د. الطاهر خذيري

ALmadani9@Gmail.com

حديثُنا اليوم عن عَلَمين من أعلام الأمّة ورجالاتها الفقهاء العظام.

أمّا أحدُهما فهو الإمام محمّد بن إدريس الشّافعيّ (١٥٠-٢٠٤هـ)، من معادن الفقه، ونُقّاد المعاني، وجهابذة الألفاظ، وهو فقيه الأمّة ونَسيب رسول الله ﷺ، وابنُ عمّه، ولد بغزّة، ومات أبوه شابًّا، فنشأ الإمام يتيمًا في حجْر أمّه، فخافت عليه الضّيْعة، فتحوّلت به إلى مكّة فنشأ بها، وأقبل على العربيّة والشّعر، فبرع في ذلك وتقدّم، ثم حُبّب إليه الفقه، فساد أهلَ زمانه، وصنّف التصانيف، ودوّن العلم، وردّ على الأئمّة متّبعًا الأثر، وبَعُد صيتُه، ونال بعض النّاس منه غضًّا، فما زاده ذلك إلا رفْعة وجلالة، وقلّ مَن برز في الإمامة، وردّ على مَن خالفه إلاّ عُودي «كما جاء في سير أعلام النبلاء».

قال يونس بن عبد الأعلى الصّدفيّ رحمه الله: «ما رأيتُ أعقل من الشّافعيّ، ناظرْتُه يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيَني، فأخذ بيدي، ثم قال: ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة»، وكان يقول رحمه الله: «ما ناظرتُ أحدًا قطّ على الغَلَبة، وبوُدّي أنّ جميع الخلق تعلّموا هذا الكتاب- يعني كتُبَه- على ألا ينسب إليّ منه شيءٌ».

ومن كلماته الرّشيقة المشهورة: «ليس إلى السّلامة من النّاس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه»، «ما رفعتُ من أحد فوق منزلته إلاّ وضع منّي بمقدار ما رفعت منه».

ولقد قال المعلميُّ «رحمه الله» في «التنكيل بما في تأنيب الكوثريّ من الأباطيل: ١٣٣/٢-١٣٤»: «من مكارم أخلاق الشّافعيّ، وكمال عقْله، وصدْق إخلاصه، أنّ غالب ما يسوقُه من المناظرات لا يُسمّي مَن المناظر، لأنّ مقصوده إنّما هو تقرير الحقّ، ودفْع الشّبهات، وتعليم طُرُق النظر، وتسمية المناظر يُتَوهّم فيها حظّ النفس؛ كأنّه يقول: ناظرْتُ فلانًا المشهور فقطعتُه، وفيها غضّ من المناظر بما يبيّنُ من أخْطائه،... ومن براعة الشّافعيّ الفائقة ومهارته الخارقة، أنّه يجمع في مناظراته بين لطْف الأدب، وحسْن العشرة، واستيفاء الحقّ حتى في التّشنيع»!

وأما ثانيهما فهو: محمد بن الحسن الشيبانيّ، العلاّمة، فقيه العراق، صاحب الإمام أبي حنيفة (١٣٢-١٨٩هـ)، أخذ عنه الشّافعيُّ «كما في سير النبلاء» فأكْثَرَ جدًّا، وقال: كَتبتُ عنه وقْر بُخْتيٍّ، وما ناظرْتُ سمينًا أذكى منه، ولو أشاء أنْ أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقُلْتُ، لفصاحته.

قيل: إنّه لمّا احتضر، قيل له: أتبكي مع العلم؟ قال: أرأيت إنْ أوْقفني الله، وقال: يا محمّد، ما أقدَمَك الرّيّ؟ الجهاد في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقول؟

وفي «تعجيل المنفعة للحافظ ابن حجر: ١٧٥/٢»: قال محمد بن عبدالله بن عبد الحكم: سمعت الشافعيّ يقول: قال لي محمد بن الحسن: «أقمْتُ على مالك ثلاث سنين، وسمِعتُ من لفظه سبعمائة حَديث»، وكان مالكٌ لا يحدّث من لفظه إلاّ قليلًا؛ فلولا طول إقامة محمّد عنده وتمكُّنه منه ما حصل له عنه هذا».

وفي «تاريخ بغداد: ١٧٦/٢»: من رواية الرّبيع بن سليمان المراديّ قال: «وقف رجل على الشافعيّ، فسأله عن مسألة، فأجابه؛ فقال له الرّجل: يا أبا عبدالله، خالفك الفقهاء! فقال له الشافعيّ: «وهل رأيتَ فقيهًا قطّ؟ اللهم إلا أن تكون رأيت محمد بن الحسن. فإنه كان يملأ العين والقلب».

وفيه «١٧٦/٢» من طريق حرملة بن يحيى قال: «نبأنا محمد بن إدريس الشافعي قال: كان محمد بن الحسن الشيبانيّ إذا أخذ في المسألة، كأنّه قرآنٌ يُنْزَل عليه، لا

يُقدِّمُ حرفًا ولا يُؤَخِّر».

وفي «توالي التأسيس: ص/٧١ نقلًا عن التنكيل» من طريق أبي حسان الحسن بن عثمان الزّياديّ قال: «كنت في دهليز محمد بن الحسن فخرج محمد راكبًا، فنظر فرأى الشّافعيّ قد جاء، فثنى رجله ونزل، وقال لغلامه: اذهب فاعتذر، فقال له الشّافعيّ: لنا وقتٌ غير هذا. قال: لا. وأخذ بيده فدخلا الدار. قال أبوحسان: وما رأيت محمدًا يعظّم أحدًا إعظام الشّافعيّ».

ولذلك قال المعلّمي في «التنكيل: ١٣٤/٢»: «ومن تدبّر مناظرات الشّافعيّ لمحمد، وجدها مناظرة الأكفاء، وعلم منها أنّ الشّافعيّ كان حينئذ مجتهدًا كاملًا، وأنّ محمدًا كان- مع مكانته من الفقه والسّنن والمنْزلة من الدّولة وكثرة الأتباع- على غاية من الإنصاف في البحث والنظر. والإنصافُ أنّه كان لتلك المناظرات أثرٌ في الرّجلين، فاتفقا على مسائل، رجع فيها الشّافعيُّ عمّا كان يتابع فيه مالكًا، أو رَجَع محمّد عمّا كان يتابع فيه أبا حنيفة».

قال ابن حجر عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني: كما في «رواة الآثار: ص/١٦٣»: «كان من أفراد الدّهر في الذّكاء، وعظمت منزلتُه عند الرّشيد جدًّا، ولـمّا مات وهو معه، وكذلك الكسائيّ بالرّيّ قال: دفنْتُ الفقه والعربيّة بالرّيّ».

الدّعاء الدّنيويّ في الصّلاة

وقد حدثتْ بين الإمامين محاوراتٌ ومناقشاتٌ بحكم الصّلة العلميّة القويّة التي كانت تربطُهُما، ومن ذلك ما جاء في «طبقات الشافعيّة الكبرى» (٧٠/٢) قال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم: حدثنا الشّافعيّ قال: ذكرتُ لمحمّد بن الحسن الدّعاءَ في الصّلاة؛ فقال لي: لا يجوز أن يُدعَى في الصّلاة إلاّ بما في القرآن وما أشبهه، قلت له: فإنْ قال رجلٌ: اللهم أطعمْني قثّاء وبصلًا وعدسًا، أو ارزقني ذلك، أو أخرجه لي من أرض؛ أيجوز ذلك؟ قال: لا، قلت: فهذا في القرآن، فإن كنتَ إنّما تُجيز ما في القرآن خاصّة فهذا فيه، وإن كنتَ تجيز غير ذلك، فلم حظرْتَ شيئًا وأبحتَ شيئًا؟ قال: فما تقول أنتَ؟ قلت: كلّ ما جاز للمرء أن يدعو الله به في غير صلاة، فجائزٌ أن يدعو به في الصّلاة، بل أستحبّ ذلك؛ لأنّه موضعٌ يرجَى سرعةُ الإجابة فيه، والصّلاةُ: القراءة والدّعاء، والنهيُ عن الكلام في الصّلاة هو كلام الآدميّين بعضِهم لبعض في غير أمر بصلاة.

الردّ على أهل المدينة

ومن ذلك ما جاء في «طبقات الشافعية الكبرى» أيضًا (٧٩/٢) قال أبوثور: سمعت الشّافعيّ يقول: حضرتُ مجلسًا، وفيه محمد بن الحسن يقول: قد وضعت كتابًا لو علمتُ أنّ أحدًا يردّ عليّ منه شيئًا تُبَلِّغنيه الإبلُ لأتيْتُه؛ قال: فقلت له: قد نظرتُ في كتابك هذا؛ فإذا ما بعد البسملة خطأٌ كلّه! قال: وما ذاك؟ قلت له: قال أهل المدينة كذا؛ فإن أردت كلّهم فخطأٌ؛ لأنهم لم يتّفقوا على ما قلتَ، وإن أردت مالكًا وحده فأظهَرُ في الخطأ؛ إذ ليس هو كلُّ أهل المدينة، وقد كان من علماء المدينة في زمنه من يشتدّ نكيرُه عليه، فأي الأمرين قصدتَ فقد أخطأتَ!

وقد نقل بعض أصحاب الشّافعي عن محمد بن الحسن أنّه كان يقول: إنْ تابعكم الشّافعيّ فما عليكم من حجازيّ كُلْفة بعده! قال الشافعيّ: فجئت يومًا فجلستُ إليه؛ فلمّا أنْ جلستُ إليه أقبل يطعن على أهل دار الهجرة، فقلت: على من تطعن، على البلد أم على أهله؟! والله لئن طعنت على أهله إنّما تطعن على أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وإن طعنتَ على البلدة فإنّها بلدتهم التي دعا لهم رسول الله ﷺ أنْ يبارِك لهم في صاعهم ومُدّهم، وحرّمه كما حرّم إبراهيم مكّة، لا يُقْتلُ صيدُها، فعلى أيِّهم تطعن؟ فقال: معاذ الله أن أطعن على أحد منهم أو على بلدته، وإنما أطعن على حُكْم من أحكامه.

فقلت له: وما هو؟ قال: اليمين مع الشّاهد. قلت له: ولم طعنت؟ قال: فإنه مخالفٌ لكتاب الله.

فقلت له: فكلّ خبر يأتيك مخالفًا لكتاب الله أَيَسْقُطُ؟ قال: كذا يجب.

فقلت له: ما تقول في الوصيّة للوالدين؟ فتفكّر ساعة وقال: لا تجب.

فقلت له: فهذا مخالفٌ لكتاب الله، لم قلتَ: إنه لا يجوز؟ فقال: لأنّ رسول الله ﷺ قال: «لا وصية للوالدين».

فقلت له: أخبرني عن شاهدين، حتْمٌ من الله؟ قال: فما تريد من ذا؟ فقلت له: لئن زعمْتَ أنّ الشاهدين حتمٌ من الله لا غيره كان ينبغي لك أن تقول: إذا زنى زانٍ فشهد عليه شاهدان إن كان محصَنًا رجمْتَه، وإن كان غير محصن جلدتَه.

قال: فإن قلت لك: ليس هو حتمًا من الله؟ قلت له: إذا لم يكن حتمًا من الله فنُنْزل كلّ الأحكام مَنَازله في الزّنا أربعًا، وفي غيره شاهدين، وفي غيره رجلًا وامرأتين، وإنما أعني في القتل لا يجوز إلاّ شاهدان، فلمّا رأيتُ قتلا وقتلا، أعني بشهادة الزّنا، وأعني بشهادة القتل، فكان هذا قتلًا، وهذا قتلًا، غير أنّ أحكامَهما مختلفةٌ، فكذلك كلّ حكم ننزله حيث أنزله الله، منها بأربع، ومنها بشاهدين، ومنها برجل وامرأتين، ومنها شاهد واليمين، فرأيتك تحكم بدون هذا، قال: وما أحكم بدون هذا؟

فقلت له: ما تقول في الرجل والمرأة إذا اختلفا في متاع البيت؟

فقال: أصحابي يقولون فيه: ما كان للرّجال فهو للرّجال، وما كان للنّساء فهو للنّساء. فقلت: أبكتاب الله هذا أم بسنّة رسول الله ﷺ؟

وقلت له: فما تقول في الرّجلين إذا اختلفا في الحائط؟ فقال: في قول أصحابنا: إذا لم يكن لهم بيّنةٌ ينظر إلى العقد من أين هو البناءُ فأَحْكُمُ لصاحبه. فقلت له: أبكتاب الله قلتَ هذا أم بسنّة رسول الله ﷺ قلتَ هذا؟

وقلت له: ما تقول في رجلين بينهما خُصٌّ فيختلفان لمن يُحْكَم إذا لم يكن لهما بيّنةٌ؟ قال: أَنْظُر إلى مَعَاقده من أيّ وجه هو فأحكمُ له. قلت له: بكتابَ الله قلتَ هذا أم بسنّة رسول الله ﷺ؟

وقلت له: فما تقول في ولادة المرأة إذا لم يكن يحضرها إلاّ امرأةٌ واحدةٌ وهي القابلة وحْدَها ولم يكن غيرُها؟ فقال: الشّهادة جائزةٌ بشهادة القابلة وحدها نقْبَلها، فقلت له: قلتَ هذا بكتاب الله أم بسنّة رسول الله ﷺ؟

قلت له: مَن كانت هذه أحكامَه، فلا يطعن على غيره، ثم قلت له: أتعجب من حُكْم حَكم به رسول الله ﷺ، وحكم به أبوبكر وعمر وعليّ، وقضى به شريحٌ؟!

رحمة الله ورضوانه على الإمامين

العبرنة الشاملة.. لغة مصنوعة لدولة مسروقة

د.رفيق حسن الحليمي

لا أحد ينكر أن أكبر سرقة في التاريخ تتمثل في إقامة دولة إسرائيل على أنقاض الشعب الفلسطيني، واستلاب فلسطين بمدنها وقراها وحقولها ومزارعها ومنشآتها وموانيها وجبالها ووديانها ووهادها وسهولها وكل شيء على أرضها، وأكثر من ذلك تشريد شعبها في آفاق الأرض، واختلاق إسرائيل القديمة وإسكات التاريخ الفلسطيني.

هناك كتاب منصفون منهم يهود وغربيون اعترفوا وأقروا بهذه الحقيقة المرة، وهناك حقيقة لا تقل مرارة وهي صناعة اللغة العبرية الحديثة لنصبح نحن والعالم بالقوة والتزييف أمام لغة مصنوعة لدولة مسروقة!

اللغة العبرية

تعد اللغة العبرية إحدى اللغات السامية (الآشورية، والبابلية، والآرامية، والفينيقية، والعبرية، والعربية، واليمنية القديمة، والحبشية)، وقد اعتمد الباحثون في هذه التوليفة أو الفصيلة اللغوية على ما بين هذه اللغات من صلات القرابة التي تربطها بعضها ببعض، وما بينها من أوجه التشابه في كثير من الأمور والظواهر (بعض الأفعال والأسماء والأعداد والضمائر والقواعد النحوية والصرفية)، وهذه الظواهر تعد الناظم المشترك بين اللغات السامية.

وقد حرص اليهود- على امتداد تاريخهم الطويل وتواجدهم في شتى بقاع الأرض- على اللغة العبرية، وتعليمها لأبنائهم جيلاً بعد جيل في البيت وفي الغيتو (حارة اليهود)، وفي مدارسهم الخاصة بهم- إن وجدت- إلى جانب تعلم لغة من يعيشون بينهم، وقد عاش اليهودي التائه (كما تحلو تسميته لدى بعض الباحثين) في ازدواجية لغوية (معرفة لغتين)، أو في تعددية لغوية (معرفة أكثر من لغة)، وقد ترك ذلك أثره على اللغة العبرية، حيث أصبحت عرضة لاقتباس الكثير من مفردات غيرها من اللغات، الأمر الذي جعل التباين بين عبرية وعبرية أخرى واضحًا، وعند قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين التاريخية بعد نكبة ١٩٤٨م فرضت دولة إسرائيل على رعاياها (المهاجرين) إليها من مختلف بقاع المعمورة تعلم اللغة العبرية!

إحياء العبرية القديمة (العبرنة)

قام علماء اليهود بدور كبير في إحياء موات اللغة العبرية، التي تعرضت في ماضيها إلى حالة من العزلة والمحدودية والانكفاء، وأخذوا على عاتقهم مراجعة «مفردات اللغة العبرية» الموجودة بين أيديهم، وأضافو إليها- عن طريق الاقتباس والأخذ والاستعارة من لغات شتى- ما ليس موجودًا فيها أصلًا، وأضفوا الصبغة العبرية (العبرنة) على هذه المفردات حتى تبدو كأنها لغة عبرية أصيلة، كان ذلك بهدف التغلب على قصور اللغة القديمة وفقرها من ناحية الصرف والنحو والاشتقاق، وعجزها عن التعبير عن مقتضيات العصر المتجددة، وحاجات الإنسان التي لا تتوقف عند حد، وكان أكثر ما اقتبسوه من اللغة الألمانية ومن اللغة العربية لدرجة أن أحدهم قال: لولا العربية لاندثرت العبرية، ولولا العربية لما عرفت العبرية!

صعوبات وتحديات

في بداية الأمر واجه علماء اللغة بعد تدفق المهاجرين إلى «أرض الميعاد» من كل حدب وصوب مسألتين في غاية الصعوبة:

الأولى: إشكالية التباين والاختلاف في أنماط اللغة العبرية، فالقادمون من شرق أوروبا وروسيا لهم عبرية «اليديش»، وهي تختلف في أمور عن لغة القادمين من وسط أوروبا وغربها، وهذه وتلك تختلفان عن عبرية القادمين من دول عربية (أكثر من ٥٠٠ ألف مهاجر حتى عام ١٩٥٤م)، فكان توحيد هذه اللغات العبرية المتباينة في لغة واحدة مشتركة يفهمها الجميع من المهام الصعبة التي ينبغي تذليلها.

الثانية: العمل على نشر اللغة العبرية الجديدة بين رعايا هذه الدولة، فقد رافق عملية التوحد اللغوي قرارات رسمية بفرض «العبرنة الشاملة» في مختلف مناحي الحياة، حتى تصبح اللغة العبرية الحديثة تمثل الهوية الوطنية لدولة إسرائيل، فكان لابد أن تكون اللغة الرسمية للدولة، ولغة الخطاب والمحادثة في البيت والشارع، ولغة التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات، ولغة التأليف والترجمة والنشر.. ولا أكاد أتصور إنسانًا يقتنع بوجود دولة ما دون لغة قومية تجسد الهوية الوطنية لتلك الدولة وتعبر عنها، وهو ما سعى إليه المنظرون من وراءالعبرنة الشاملة، وقد أصبح لزاما على كل يهودي مقيم على أرض إسرائيل أن يتقن اللغة العبرية الحديثة قراءة وكتابة ومحادثة واستماعًا، مع وجود تفاوت بين شرائح المجتمع اليهودي، ولكن بين الالتزام بتلك القرارات وبين الواقع المعاش بون شاسع ومسافة كبيرة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل مشروع العبرنة الشاملة الذي تبنته الحركة الصهيونية كان ناجحًا؟ وجوابي عنه من خلال معطيات مسموعة ومقروءة ومنظورة هو: «نعم» و «لا»، نعم على المستوى الرسمي، وأما على المستوى العام في الخطاب اليومي فلا! وربما كان فاشلًا بدرجة عالية، وأكبر دليل على هذا ظهور بعض المتحدثين على التلفاز وهم يتحدثون باللغة الإنجليزية بدلًا من العبرية، ومازالت كل جماعة مهاجرة تتكفأ على ذاتها وتتقوقع داخل بؤرها الاستيطانية ولغتها القديمة، فطبيعة تكوين الشخصية اليهودية لا تتقبل حتى مع أبناء جلدتها الاندماج



الاجتماعي الكلي، الذي تزول فيه الفوارق بين الطبقات وتتحد فيه الطقوس والعادات، المجتمع اليهودي لا يبدو متحدًا ولا موحدًا إلا عندما تقع الواقعة ويشعر بالتهديد الشديد.

من أهداف العبرنة

استهدف المنظرون من وراء العبرنة الشاملة خلق «لغة موحدة» تجمع اليهود قاطبة على اختلاف ألوانهم وأعراقهم، وأدركوا أن خلو المجتمع العبري من لغة قومية مشتركة سيؤدي إلى نزاعات لها أول وليس لها آخر، فالمجتمع اليهودي في دولة إسرائيل- من بين مجتمعات العالم قاطبة- تتجاذبه انقسامات عرقية حادة، واختلافات دينية مذهبية وثقافات متباينة واستعلاء واستكبار بين بعضهم على بعض، فعلى مستوى الأعراق هناك السود (الفلاشا الذين ينتمون إلى الجنس الحامي وليس للجنس السامي) والهنود، وهناك الشرقيون (السفرديم)، وهناك الغربيون (الإشكناز)، وهناك الخزر الذين لا ينتمون للعرق اليهودي ولا للدين اليهودي، (دخلوا في اليهودية هروبًا من سلطة روما إذا ما دخلوا المسيحية وهروبًا من الخلافة الإسلامية إذا دخلوا الإسلام)، وهناك المرتزقة، وعلى مستوى الدين: هناك القراءون (الذين يؤمنون بالتوراة ولا يؤمنون بالتلمود)، وهناك الربانيون (الذين يؤمنون بالتلمود ولا يؤمنون بالتوراة)، وهناك أمميون

الاتجاه نحو «عبرنة» اللغة في الأرض المحتلة يهدف إلى إنشاء حي يهودي كبير هو «إسرائيل اليهودية»

لا يؤمنون بدين (الحزب اليساري)، وهناك المثقفون ثقافة عالية، وهناك من تنحدر ثقافتهم وتعليمهم إلى درجة هابطة، فكان لابد من توحيد اللغات العبرية من الوجهة النظرية في لغة واحدة، غير أن ذلك اصطدم بواقع جعل العبرنة في حدودها الدنيا.

هذا ولم تقتصر عملية العبرنة الشاملة على اللغة، بل طالت أسماء المدن والقرى والشوارع والأماكن العامة، وكتبت على لوحات إرشادات الطرق الأسماء بالعبرية وفي أسفلها بالعربية ثم بالإنجليزية، وامتدت هذه العملية إلى العملة الرسمية، ومنذ أيام طالعتنا الأخبار برغبة اليمين المتطرف وهو الحزب الحاكم بالمطالبة بالاعتراف بدولة إسرائيل دولة يهودية، وقد قوبل هذا المطلب بالرفض من قبل جميع أطراف الصراع العربي، ومن بعض دول غربية (أوروبا وأميركا) تقع خارج الصراع مع دولة إسرائيل التي تستهدف من وراء هذا المطلب الخطير جعل دولة إسرائيل خالصة لليهود وحدهم، وهم بذلك يقضون على قرار حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ويمهدون إلى طرد المسلمين والمسيحيين خارج دولة إسرائيل، تحت ذريعة أن هذه الدولة هي دولة يهودية.

ولعل آخر صيحة في حركة العبرنة الشاملة المطالبة حديثًا من قبل وزارة النقل الإسرائيلية بعبرنة أسماء المدن العربية ومحوها من لوحات اتجاهات السير، فالقدس سيكتب مكانها الاسم العبري فقط «يروشاليم» بالخط العبري ثم العربي فالانجليزي، كما تنطق بالعبرية، و«يافو» لمدينة يافا، و«ناتزرات» لمدنية الناصرة، و«اتساف» لصفد.

إنهم يستهدفون من وراء هذا الصنيع- كما يبدو ظاهريا- محو الهوية العربية من الذاكرة على مر العقود والأجيال، ولكن الحقيقة الغائبة التي لابد من استجلائها أنهم يستهدفون خلق «غيتو» (حي يهودي) كبير، وهو دولة إسرائيل اليهودية، بحيث لا يسكنها إلا يهود، كما هو الحال في حارات اليهود المنتشرة في مختلف أنحاء المعمورة، تلك الأحياء التي ارتبطت بعقلية اليهودي «التائه»، وأصبحت جزءا من ثقافته وتكوينه النفسي وواقعه الاجتماعي وهاجسه الأمني، فلا يجد راحته الكبرى وأمنه واستقراره إلا عندما يدخل الغيتو، ذلك الحي المغلق على اليهود والمحصن تحصينًا جيدًا، وليس جدار الفصل العنصري إلا أحد مظاهر الغيتو الكبير، وليس محو الأسماء العربية إلا محاولة لطمس كل ما يذكرهم بما هو غير يهودي، وربما يذكرهم- وهو الأهم- باستلاب الحقوق والأوطان العربية والإسلامية.

الإسلام لكل العصور



زبير سلطان *

من يقرأ كتابات وتصريحات الحاقدين على الإسلام، وما يقدمونه من برامج تلفزيونية في الغرب يدرك أن هؤلاء إما أنهم يجهلون الإسلام ومرتكزاته وفرائضه وواجباته وأركانه ومعاملاته الاقتصادية والاجتماعية وأطروحاته السياسية والثقافية، أو أنهم يعرفون تلك الحقائق التي يقوم عليها الإسلام فيزورونها بغية تشويه صورته أمام الرأي العام في العالم عامة والغرب خاصة.

إنهم ينطلقون من أيديولوجيات حاقدة على الإسلام، لكونه مناقضا لها في الوسائل والأهداف، ورافضًا لممارساتها التي أنتجت سلوكيات الحروب والدمار والهيمنة، ونهب ثــروات الشـعـوب والاسـتـبـداد والاحتلال، خلافًا لما يعلنون في وسائل إعلامهم من شعارات براقة كالحرية وحقوق الإنسان، فهم كانوا ومازالوا ينشرون الفساد في الأرض باستباحة كل المحرمات الدينية والمادية، وفي العديد من بقاع الأرض شواهد كثيرة على هذا الفساد الذي دمر البلاد والعباد.

ومن السوء أنهم يرفضون كل دعوة سامية لإصلاح الأرض، ووقف الفساد المدمر، ومن المأساة أنهم اعتبروا ما يقومون به من فساد ديموقراطية، وأنهم حماتها، ومن واجبهم فرضها على الشعوب بالقوة والرشوة، وشراء الذمم، وإن تطلب هذا الإصلاح الديموقراطي استخدام الصواريخ والطائرات وأحدث أسلحة الدمار لقتل الشعوب حتى تستجيب لمطالبهم، وهذا ما حدث في القرنين السابقين في آسيا وإفريقيا، وما جرى منذ بداية القرن الحالي مما يسمى فرض الديموقراطية في بعض بقاع الأرض، مما أنتج فسادا مدمرا في العديد من البلدان، تحت ذريعة الإصلاح، قال تعالى ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة:١١-١٢).

فالإسلام لم يشرعه الله عز وجل للبشرية لممارسة طقوس عبادية فقط، وإنما جعله منهاجًا وعقيدة وأسلوبًا وطريقة تنقل البشرية إلى الحياة الكريمة السعيدة التي سعت إليها منذ نشأتها، كما ج اء في قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...﴾ (الأنفال: ٢٤).

فالإسلام إلى جانب دعوته للبشرية إلى التوحيد وإلى التخلص من كل أشكال الشرك والفساد والظلم، فإنه كان متكاملا حين قدم حلولا ورؤى لمسائل الحياة بكل مكوناتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، من خلال تشريع متكامل لكل قضايا الحياة، ينقلها من ظلام الفساد والبغي والظلم والجوع والفقر والتفاوت الطبقي واختلال موازين الحياة إلى مجتمع العدل والمساواة، مجتمع النور، ذلك المجتمع الذي حلمت البشرية به وسعت لتحقيقه والوصول إليه، فتجد فيه الحلول لجميع إشكالياتها الصعبة والمعقدة مهما صغرت أو كبرت، والتي فشلت كل الأيديولوجيات والفلسفات الوضعية القديمة والحديثة في حلها، أو أن تجد السبل والوسائل الموضوعية لحلها، أو أن تحقق ما ادعت به ايديولوجياتها في بناء مجتمع السعادة والعدل والمساواة.

وثبت مع مرور مئات السنين أن الإسلام، دينًا ومنهجًا وعقيدة، كان ومازال صالحًا لكل زمان ومكان، مقولة لا تحمل في طياتها التعصب الديني، ولا تحمل المغالاة، أو نبذ ورفض الآخر، بل هي حقيقة علمية، يدركها كل إنسان تعرف على حقيقة عقيدة الإسلام، وتعرف على مشروعه الحضاري، واطلع بعيون العالم الباحث المتجرد عن كل هوى أو معتقد، وبفكر لا يحمل خلفية عداء مسبق لنصوص القرآن الكريم ولأحاديث الرسول ﷺ أو ما تضمنته شريعته من أحكام، وما طبقه الخلفاء الراشدون في أصول الحكم، وما قدم علماء الإسلام من تراث فكري، سيصل حتما إلى الاعتراف بحقيقة صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وأن الإسلام هو الحل لأزمات البشرية التي تعاني من الظلم والاستبداد والقهر والحرمان، ومن طغيان تتنوع صوره وأشكاله، أدى إلى موت ملايين البشر قتلًا أو جوعًا أو سحقا بأسلحة صنعها الجبابرة من عتاة البشر، كما تم استعباد ملايين فتحولوا إلى أرقاء لبشر أو لمعتقدات أرضية وأيديولوجيات هدفها الاستغلال، وامتصاص ثروات الشعوب.

الشرعية الإسلام هو الحل ، قاعدة صحيحة أكدها كتاب غير مسلمين من مفكري الغرب والشرق، حين تعرفوا على ما يقدم

* كاتب سوري

الإسلام من حلول لمسائل معقدة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سلوكية، استعصت حلولها على علمائهم ومفكريهم، ولا أريد هنا أن أستعرض رأي جميع من قال بوجود الحل في الإسلام، بل سأستشهد بأهم الكتاب والمفكرين الغربيين في القرن العشرين، فمثلا الفيلسوف الانجليزي برناردشو، الذي قال حين رأى ما في الإسلام من حقائق «لقد كنت دائمًا أكن غاية الاحترام لدين محمد بسبب حيويته العجيبة، وفي رأيي أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يملك الاستعداد للتلاؤم، ولتوجيه الحالات المتنوعة، والصور الحياتية المتغيرة، ولمواجهة العصور المختلفة، وإنني لأتنبأ أن دين محمد سيكون محل قبول أوروبا غدا».

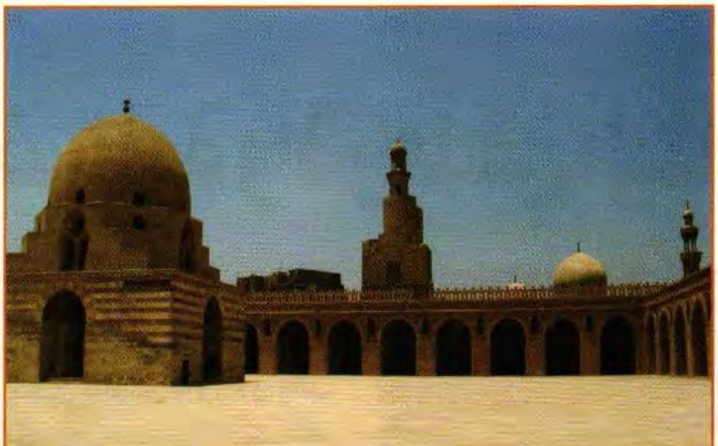
وقال أيضا: «إن رجال الدين في القرون الوسطى- نتيجة الجهل أو التعصب- قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، فقد كانوا يعتبرونه عدوا للمسيحية، لكنني قد اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوا للمسيحية، بل إنه يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها».

إن الإسلام وضع مجموعة من الأنظمة والقوانين والسلوكات التي تنظم حياة المجتمع والفرد، وتحدد واجبات المواطن والحاكم، وعلاقة الفرد مع أسرته، وعلاقاته مع محيطه الاجتماعي، وواجباته وحقوقه تجاه وطنه ومجتمعه، إضافة إلى العبادات التي حددتها قواعد الفقه، ووضع الإسلام أجوبة لجميع المسائل الحياتية اليومية والمستقبلية، سواء أكانت للفرد أم للمجتمع.

وأرسى الإسلام ثوابت غير قابلة للتغيير مهما تبدلت الأحوال في الأزمنة والأمكنة، ومنها رفضه لقتل أي إنسان بغير نفس أو فساد في الأرض، أو كسب مال عن طريق الغش والحرام، والمحافظة على بناء الأسرة على القيم والمثل العليا، واحترام الوالدين وطاعتهما، والتكافل الاجتماعي بين الناس والسلطة، ورفض الاغتصاب للمال أو الأرض أو النفس، واحترام حرية الاعتقاد والاختيار بما لا يضر المجتمع، ونهى عما يخالف السلوك الإنساني، وترك الأخذ بالمتغير مما يوافق العقل والقلب ولا يضر بالآخرين.

هذه الثوابت لا تعني الجمود العقائدي، وعدم الأخذ بالتطور الزمني وحاجات الإنسان والمجتمع المتجددة التي تفرضها قوانين التطور، كما يطرح بعض المفكرين الغربيين في كتبهم ومقالاتهم، ورأوا أن السبب الذي أدى إلى تخلف المسلمين اليوم يعود إلى الجمود العقدي والفكري للإسلام مما يدلل على ما ذكرناه سابقًا، إنهم يجهلون شريعة الإسلام، وقوانينه وفرائضه وسننه، وما طرح علماؤه وفلاسفته ومفكروه من حلول لجميع إشكاليات البشرية كلها.

هذا الجهل هو ما أشار إليه الفيلسوف العلماني شميل الشميل المعروف بنزعته المادية، في ترجمته لكتاب دارون «النشوء والارتقاء» بأن هؤلاء الكتاب الغربيين يهاجمون الإسلام، فهم إما أنهم لا يعرفونه، أو أنهم سيئو النية، يريدون تشويه صورة القوانين والمقررات الإسلامية، بل لم يخف إعجابه بالإسلام، وقال: «إن الإسلام مبدأ قابل للتطبيق في كل زمان».



فالإسلام يسعى لبناء مجتمع النور الذي يؤسس على مبدأ الاستقامة في السلوك للحاكم والمحكوم، والذي حثت عليه النصوص القرآنية كقوله تعالى ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم...﴾ (الشورى: ١٥)

وفي قوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ (فصلت:٣٠).

فمرتكز الاستقامة للإنسان والمجتمع هو العمود الفقري الذي يقوم عليه مجتمع النور، مجتمع العدل والمساواة والفضيلة، الذي تسعى البشرية للوصول إليه، وأثبت التاريخ أن الفلسفات كافة فشلت في إيجاد الطريق الموضوعي للوصول إليه.

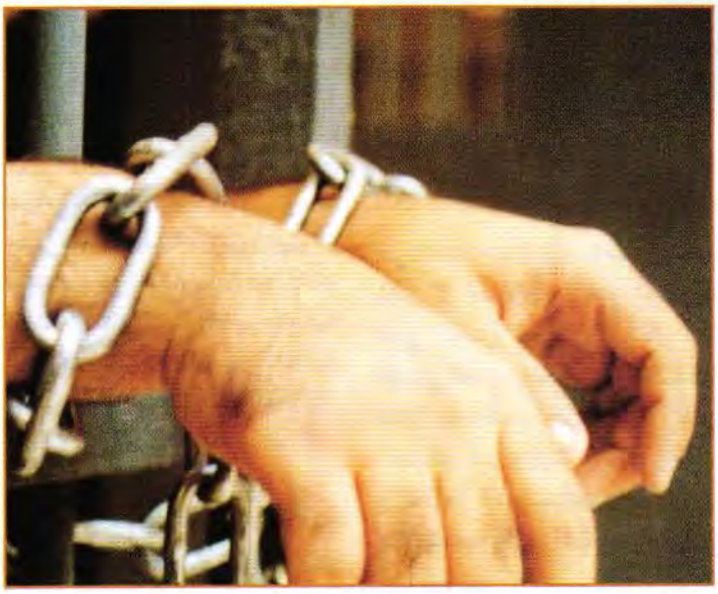
هذه الثوابت التي أكدت كل مراحل التاريخ البشري صحتها ومصداقيتها ونجاعتها في حل إشكاليات المجتمعات البشرية، لم تكن جمودًا ثبت باطله ليتم تغييره، بل ثوابت لابد منها لإقامة المجتمع السليم، المعافى، السعيد، الذي يتظلل بالأمن والعيش الرغيد، فهي ثوابت سلوكية أخلاقية أساسية لبناء المجتمع الصالح لا يمكن أن تتغير بمرور الزمن، فلا يمكن أن تتغير، مهما تبدل الزمن، محاربة الفساد ورفض البغي والظلم والقتل والزنا وغيرها من المفاسد المدمرة للنسيج الاجتماعي، ولابد من التأكيد على تعزيز الإخاء والمحبة والعدل والإنصاف، ومساواة جميع الناس أمام القانون، وبر الوالدين، والمودة في القربى، ورعاية الفقراء... وغيرها، تلك قواعد ثابتة لا يمكن للمجتمع المسلم أن يتخلى عنها لأنها من صلب العقيدة الإسلامية، أما الفروع التي تتبدل بتطور الزمان والمكان، فهي القابلة للتغيير وفق القاعدة الإسلامية الشهيرة «تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان».

إن الإسلام صالح لكل العصور والأزمان، لأنه المعبر الحقيقي عن حاجات الإنسان والمجتمع، مهما تبدلت الأحوال، وتغيرت الأزمان، وليس مغالاة، ولا ابتعادا عن الحقيقة أن نقول: من يبحث عن حل في أية مسألة مادية أو روحية، سيجد في الإسلام الحل الناجع لها.

والإسلام صالح لكل زمان ومكان لأنه منهج الخلاص للبشرية، لما يدعو إليه من مبادئ عليا توافقت مع مكونات البشرية، وفي ذلك يقول فضيلة الإمام الشيخ جادالحق شيخ الأزهر السابق - يرحمه الله - «فالإسلام منهاج شامل للدين والدنيا.. للعقيدة والشريعة، والحضارة، والأخلاق، للحياة الدنيا وللآخرة التي هي خير وأبقى».

الكرامة الإنسانية وأثرها في البناء الحضاري

د. ربيع خليفة *



شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان أعظم مخلوق وأسمى كائن، فميزه الله عز وجل بالعقل والإرادة، وأمر ملائكته بالسجود له تحية وتكريما، ومن هنا أنشأ الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان الحق في الكرامة والسمو على بقية المخلوقات، وكان من مقتضى نعمة هذا التكريم حرمة النفس، وبعث الرسل، وتنزيل الشرائع الضابطة لعلاقة الإنسان بالإنسان، والمنظمة لها تنظيما يحفظ ما منحه الله إياه من تكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

فالكرامة قيمة عليا جامعة، خص الله عز وجل بها الإنسان، وتعني فيما تعني: النفاسة، والرفعة، والعزة، وعلو الشأن، وانتفاء أي معنى من معاني الخسة والصغار والذل والهوان والابتذال.

من تجليات التكريم الإلهي للإنسان

تأتي خلافة الإنسان في الأرض- بطاقاته وقدراته الروحية والعقلية والعملية الخلاقة- في مقدمة تجليات هذا التكريم الإلهي، قال تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، والمعلوم أن كرامة الإنسان قد شملتها أصول رسالة الإسلام، على مستوى العقيدة أولاً، ثم في الجانب السياسي والاجتماعي والحضاري بكل مظاهره وكامل أنشطته.

من مقتضيات الكرامة الإنسانية

أ- المساواة:

انعكست تلك الرؤية للكرامة انعكاسا تاما على مسألة جليلة الأهمية، وهي قضية المساواة، والمساواة في الأساس، وطبقا لما أقره الإسلام، تعم الجنس البشري كله، وهي المساواة في القيمة الإنسانية المشتركة التي تتمثل في الاعتقاد بأن جميع الناس سواسية في طبيعتهم البشرية، وعنصرهم الإنساني من حيث هو، وخلقهم الأول، وأن ليس هناك جماعة تتحدر من سلالة خاصة ينتقل أصلها هذا إليها بطريق الوراثة، إنما يقوم التفاضل بين الناس جميعا على أسس خارجة عن ذلك كله، مثل الكفاية والعلم والأخلاق والعمل...إلخ(١).

إن مبدأ المساواة في الإسلام يؤسَّس على قاعدتين راسختين، هما: وحدة الأصل البشري، وشمول الكرامة الإنسانية لكل البشر، وذلك من منطلق قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (فاطر: ١١)، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم «... الناس بنو آدم و آدم من تراب» (رواه الترمذي).

ولو تلمسنا سر هذه المساواة، لوجدناه نابعا من عقيدة التوحيد ذاتها، وما يؤسَّس عليها من عبادات وتعاليم، فالجميع- طبقًا لهذه العقيدة- ينتظمه سلك العبودية المطلقة لله تعالى وحده، ومن تطاول فوقها وجب قمعه حتى يستكين في مكانته، لا يعدوها ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣)، كما أن المسلم- في نظرته إلى الناس قويهم وضعيفهم- يدرك أن زمام أمورهم في النهاية بين يدي الله تعالى، فلا يكون هيابًا لجبار، أو أسيرا لتقسيم طبقي عنصري يسلبه إنسانيته، لثقته في قول الله عز وجل ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٦، ١٧)، فلا شك أنه «بهذه الروح المفعمة باليقين والإباء، أبى الإنسان المسلم الاعتراف بأنّ لأحد من الخلق اختراق أسوار المساواة العامة، والاستعلاء على غيره من الناس»(٢).

ب- كفالة الحريات:

إن الحريات التي ضمنها الإسلام للإنسان- من حرية الاعتقاد وحرية التفكير والتعبير والعمل والحرية السياسية، وضرورة حفظ العرض والنفس والمال، مع التأكيد الشديد على أن ذلك كله أساسه عدم الاعتداء على حق الآخر- هي في الحقيقة من أهم مقتضيات الكرامة، وهي في الوقت نفسه تعزيز لقيمة الإنسان، وعمل على ترسيخ التكريم الإلهي له، وغضبة الفاروق عمر، رضي الله عنه، عندما اشتكى القبطي إليه عمرو بن العاص وابنه، وقولة

* كاتب مصري

عمر المشهورة «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»، دلالة على احترامه البالغ للكرامة الإنسانية، وهذا نابع من روح الإسلام ونظرته السامية إلى الإنسان مسلمًا كان أم غير مسلم.

ج - مشكلة الرق:

ثم يجيء موقف الإسلام من قضية الرق، ومعالجته العميقة لها إنسانيا واجتماعيا، تأسيسا على ما كرسه من قيم الكرامة والعدالة والحرية والمساواة، وفي مقدمة عناصر تلك المعالجة الناجعة- دون الدخول في تفصيلات وتفريعات- أنه جعل تحرير الرق من مصارف الصدقات، ومن بين كفارات الأيمان، والقتل الخطأ، والجماع في نهار رمضان، والظهار.

وخلاصة ذلك، كما يصوغها الباحثون، أن رسالة الإسلام أغلقت المصادر والروافد التي تمد نهر الرق بالمزيد والجديد، ولم يبق سوى الحرب المشروعة، وحتى رقيقها أو أسراها شرع لهم الفداء سبيلا لحريتهم، بل ندب المن ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ (محمد: ٤)، ثم ذهب الإسلام فوسع المَصابَّ التي تؤدي إلى تجفيف هذا النهر، بالعتق والتحرير(٣).

من أسس البناء الحضاري

أ- الإنسان:

ليس من شك في أن بحث العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها أمر ضروري وبالغ الأهمية، ولعل من الدقة القول أن مشكلة كل أمة هي في جوهرها مشكلة حضارتها، ولا يمكن لأمة أن تفهم مشكلتها وتعالجها ما لم ترتفع بفكرتها إلى الأحداث الإنسانية، التي تكمن فيها، وبها وحدها قيام عملية الحضارة أو انهيارها، ومن هنا فإن مسألة بناء الحضارة تتطلب أن نفكر أول ما نفكر في عناصر ومقومات هذا البناء(٤).

خلافة الإنسان في الأرض تأتي في مقدمة التكريم الإلهي لأعظم مخلوق

ويرى فلاسفة الحضارة أن هناك عوامل عديدة تؤسس لقيام أي حضارة، منها: العلم، والقيم من حق وخير وجمال، وللقيم دور كبير ليس في تأسيس الحضارة فحسب، ولكن في الحفاظ عليها وضمان استمرارها، ومع هذا يمثل الإنسان الأهمية في هذا الصدد، فالحضارة تعتمد على أقصى تطور ممكن في قوى الكائنات الإنسانية الفردية، وما القيم المذكورة إلا تجليات لتجربة الأفراد؛ ولهذا يرى المنظرون لإشكالية قيام الحضارات وانهيارها أن أي نظام سياسي أو ديني أو تعليمي أو ثقافي أو اجتماعي لا يوفر المناخ الإنساني المناسب لا تقوم عليه حضارة؛ لأن خصوبة الحياة والعطاء والإبداع لا تلبث أن تتلاشى وتتبخر في حرارة الطغيان والاستبداد.

وانطلاقًا من ذلك لابد من استحضار قضية حرية الفرد بصورها المختلفة، إذ لا سبيل إلى الوصول للحضارة بغير حريات الفرد.

إن الحضارة تقوم أول ما تقوم على الإنسان، وتقوم له، من حيث إن هدفها الأساسي هو تنميته، وتطويره، وتلبية حاجياته، وتحقيق إنسانيته في أبعادها وجوانبها المتنوعة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ ولهذا فدوره في منظومة الحضارة مركزي إلى أبعد حد، أو هو- كما يرى بعض الباحثين- الخلية الحضارية الأولى، التي يجب تكوينها وبناؤها ورعايتها لتكون متناغمة مع شروط النهضة وحيثيات الحضارة، ولو توفر الحرص على تنمية قدراته، وصقل مواهبه، ونفض غبار التخلف عن عزيمته، وتفجير طاقاته، لاستيقظت روح العمل فيه وتدفق عطاؤه الحضاري، ويمكن القول في هذا السياق: إن أعظم اكتشافات اليابان هو الإنسان ذاته، إذ به نهضت، وبه تجاوزت نكبة القنبلة الذرية، وبه شيدت حضارة تطاول بنيانها.

إذن فضمان الشعور بالكرامة الإنسانية هو ما يحرر الفرد من كل خوف، ومن كل ضغط يملى عليه، وفي ذلك يرى مؤرخ الحضارة «ول ديورانت» أن الحضارة تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء، وحينئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريق فهم الحياة وإزهارها.

ويمكن صياغة ذلك في معادلة رياضية، يحرص مالك بن نبي على إيرادها في غير موضع، على هذا النحو: الحضارة (الإنسان + التراب + الوقت).

ب - الروح والمادة:

ليست غائبة عنا فكرة الدين ودورها الأساسي في بناء الحضارة، بما تقدمه من رؤية مرجعية في الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد، بل رؤية أشمل إلى الكون والوجود والإنسان ذاته تظهر على مكونات الحضارة ومقوماتها المختلفة، وهنا تبرز أهمية الإنسان وقيمته وكرامته في الثقافة الإسلامية، إذن الفكرة الدينية رافقت دائما تركيب الحضارة خلال مسيرة التاريخ الطويل، وهو أمر معروف أو محسوم في أكثر الأحيان لدى الباحثين والمفكرين.

وبعيدًا عن الاختلاف الشديد حول مفهوم الحضارة والثقافة، فلعل من الجدير ذكره أن مفهوم الحضارة يشمل كل ما من شأنه تحقيق الحياة الإنسانية الكريمة والرقي بالإنسان، ثقافة وقيَما وسياسة واجتماعا واقتصادا، وقد أكد بعضهم أننا مهما فرقنا بين المدنية والحضارة، فلا يمكن تجاهل التأثير المتبادل بين النشاط الروحي، والنشاط المادي في الحياة، ولكل دور بالغ في توجيه الآخر.

إن الكرامة التي يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية تشمل الحماية والحصانة المكفولة للإنسان، التي يستمدها من طبيعته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، وتشمل عزة وسيادة، تتغذيان من عقيدته ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، ليترتب على ذلك كرامة أخرى، هي كرامة استحقاق وجدارة يستوجبها بعمله وسيرته في حقل الإثمار الحضاري بأبعاده المختلفة، قال تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ (الأحقاف: ١٩)، وقال تعالى ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود: ٣).

الهوامش

١- د.علي عبد الواحد وافي، المساواة في الإسلام، دار نهضة مصر، بدون تاريخ، ص٩.

٢- الشيخ محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٥، ص٣٣- ٥٣.

٣- د.محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان.. ضرورات لا حقوق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٨٥، ص ٩١.

٤- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة د.عبد الصبور شاهين، إشراف وإصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥، ص ٢٠.

٥- المرجع السابق، ص٤٤- ٦٤.

النصيحة السياسية في الفقه المعاصر

عبدالصمد بلحاج

توافق الفقهاء على اعتبار النصيحة قولا فيه دعوة صلاح ونهي عن فساد . ويمكن النظر إلى فقه النصيحة من ثلاث جهات: من جهة مصدره، ومن جهة موضوعه، ومن جهة منهجه، فأما مصدره فهو الشريعة، نصوصاً وإجماعاً، وكذا آثار الصحابة، ولأن دور الفقيه هو حفظ الدين في أي نظام سياسي يتبناه المسلمون فإن النصيحة تصبح- من ثم- واجبة عليه، خاصة حين تتنكب السياسة طريق الشريعة، وأما من حيث الموضوع فلا يكون إسداء النصح لكيفية إدارة الحكم بشكل فعّال وعادل، كما هو الشأن في أدب النصيحة السلطاني، بل التذكير بمبادئ الإسلام في الحكم وبسيرة النبوة والخلافة فيه، وأما منهجه فهو، في الغالب، نقلي معضد بالقياس الفقهي، فهو جزء من فقه السياسة الذي اعتبره الجابري كجميع فروع الفقه الأخرى بدأ بالحديث النبوي ، ويحكم فقه النصيحة في تبويبه ومضمونه حديث «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم).



والنصيحة السياسية عملية تواصل تقتضي ناصحا ومنصوحا ومنصوحا به ، حيث يكون الناصح فاعلا سياسيا يملك سلطة رمزية دينية ما- فقيه أو داعية- أو سياسية- أمير، وزير أو خليفة- ويسدي النصح للمنصوح- حاكم المسلمين أو أفرادهم أو جماعاتهم، أما المنصوح به فهو مضمون النصيحة، وهناك عنصران خارجيان في عملية النصيحة هما سياق النصيحة، الوضع السياسي في الغالب، وصيغة النصيحة- رسالة أو وصية أو خطبة- وتصير النصيحة فعلا سياسيا إذا كان المنصوح يملك سلطة سياسية أو اجتماعية، ومن هنا تأتي أهمية المفهوم عند الفقهاء حيث يمثل الصلة بين المسؤول والرعية ، أما إذا كان موجها إلى أشخاص مجردين من تلك السلطة، أفرادا كانوا أو جماعات، فإنه يكون فعلا أخلاقيا أو وعظيا على الأكثر، وينتج عنه أن النصيحة تفاعل في النظر السياسي بين الفقه والواقع.

في الفقه الإسلامي

ذكر محيي الدين يحيى بن شرف النووي (توفي سنة ٦٧٦هـ) في كتابه «تهذيب الأسماء» أن من نصيحة السلطان في الأحكام «تنبيهه إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام، وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية والاهتمام بالضعفة وإزالة الضرر عنهم» ، فهي إذن تخص الجانب الشرعي التطبيقي (الأحكام)، والجانب الاجتماعي (العدل)، ويؤكد الجانب الاجتماعي في العدل بقوله «إنه تجب الشفقة على الراعي والرعية ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم فإن الدين النصيحة» ، أما عواقب النصيحة السياسية فيرى النووي أن «التهديد أو أكثر منه لا يمنع من نصيحة السلطان، فإني أعتقد أن هذا واجب علي وعلى غيري» ونصّ النووي على وجوب النصيحة السياسية فقال «وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان- أعز الله أنصاره- ونصيحة عامة المسلمين» هذا الكلام في النصيحة ضمنه النووي «ورقة كتبها إلى الملك الظاهر تتضمن العدل في الرعية وإزالة المكوس» ، لذلك فهي شهادة في فقه النصيحة وممارستها في آن واحد.

وأضاف محمد بن علي بن جماعة (توفي سنة ٧٣٣هـ) النص على النصيحة العامة في كتابه «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام»، ففي معرض سرده لحقوق السلطان، ذكر «الحق الثاني، بذل النصيحة له سرا وعلانية» ، ثم استشهد لدعم رأيه، بحديث «الدين النصيحة».

في بعض الاجتهادات الفقهية المعاصرة

نبدأ برأي الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (توفي سنة ١٤٢١هـ) في وجوب التناصح بين الرعية والرعاة، ولابد هنا من الإشارة إلى أنه يعتبر أن دلالة «أئمة المسلمين تشمل النوعين، أئمة الدين وهم العلماء، وأئمة السلطان وهم الأمراء، وإن شئت فقل أئمة البيان وأئمة السلطان، أئمة البيان وهم العلماء الذين يبينون للناس، وأئمة السلطان وهم الأمراء الذين ينفذون شريعة الله بقوة السلطان، إذن أئمة المسلمين

الاجتهادات المعاصرة تعتبرها تذكيراً ببعض وظائف الحاكم من منظور الشريعة

سواء أئمة العلم والبيان أو أئمة القوة والسلطان»، وقد يرد إشكال حول الحكومات التي تستند إلى شرعية دينية، هل يصبح الحاكم فيها محتكرا لقوة البيان وقوة السلطان؟ إن كان الأمر كذلك فقد يكون خارج دائرة النصيحة. ويبدو أن الشيخ العثيمين يحرص، ولو ضمنيا، على توازن السلطات بين السلطة الرمزية للفقيه والسلطة المادية للسياسي، وتوازن السلطتين يقتضي الفصل بينهما.

يرى الشيخ العثيمين أن «من حقوق الرعاة على رعيتهم أن يناصحوهم ويرشدوهم، وألا يجعلوا من خطئهم إذا أخطأوا سلّما للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس، فإن ذلك يوجب التنفير عنهم وكراهيتهم وكراهية ما يقومون به من أعمال وإن كانت حقا، ويوجب عدم السمع والطاعة لهم، وإن من الواجب على كل ناصح، وخصوصا من ينصح ولاة الأمور أن يستعمل الحكمة في نصيحته، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن رأى ممن ينصحه من ولاة الأمور قبولا للحق وانقيادا له فذلك، وإلا فليتثبت في الأمر وليتحقق من وقوع الخطأ منه وإصراره عليه، ثم ليرفعه إلى من فوقه إن كان في ذلك مصلحة وإزالة للظلم» ، ومنه يفهم أن النصيحة حق للحاكم على المحكومين.. لكن هل النصيحة المقصودة هنا هي النصيحة العامة، أو بتعبير ابن جماعة «النصيحة علانية» في قول الشيخ العثيمين «ونشر عيوبهم بين الناس» إيماء منه إلى كراهية النصيحة العامة؟ أما أسلوب النصيحة فهو يراعي السياق السياسي واستعداد المنصوح لتلقي النصيحة، وهذا يعني أن مراعاة شروط النصح يمكنها أن تعيق واجب النصيحة.

ومع ذلك فإن الشيخ العثيمين يتمسك بمبدأ وجوب النصيحة السياسية، لكنه يشترط السرية والتثبت، أي تبين سياق النصيحة والمنصوح وصحة المنصوح به أو فيه، فيقول «يجب علينا أن نناصحهم وأن نحرص على بذل النصيحة لهم في الدفاع عنهم وستر معايبهم وعلى أن نكون معهم إذا أخطأوا في بيان ذلك الخطأ لهم بيننا وبينهم، لأنه ربما نعتقد أن هذا العالم مخطئ، أو أن هذا الأمير مخطئ، وإذا ناقشناه تبين لنا أنه غير مخطئ، كما يقع هذا كثيرا، كذلك أيضا ربما تنقل لنا هذه الأشياء عن العالم أو عن الأمير على غير وجهها، إما لسوء القصد من الناقل، لأن بعض الناس، والعياذ بالله، يحب تشهير السوء بالعلماء وبالأمراء، فيكون سيئ القصد ينقل عليهم ما لم يقولوا وينسب إليهم ما لا يفعلوا، فلابد إذا سمعنا عن عالم أو عن أمير ما نرى أنه خطأ، لابد في تمام النصيحة من الاتصال به ومناقشته وبيان الأمر وتبيّنه حتى نكون على بصيرة» .

ولأن الشأن السياسي هو بطبيعته شأن عام، فإن الشيخ عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه اختار النصيحة العامة العلنية في رسالة إلى الفرقاء السياسيين المتحاربين في الصومال بعنوان «الدين النصيحة»، وهي عبارة عن رد على شبهتين يتمسك بهما رافضو السلم في الصومال «شبهة عدم تطبيق أحكام الحدود من طرف حكومة شريف، وشبهة الولاء والبراء، باعتبار أن حكومة شريف لها علاقات بدول غير مسلمة»، ويلاحظ أن الشيخ بن بيه يسلك في النصيحة أسلوب الرد الفقهي والكلامي من خلال عرض رأي المنصوح (الشبهة)، ثم نقضه بالحجج، وهو تارة يأتي بالآيات والأحاديث وأخبار الخلفاء، وتارة أخرى يستعمل النظر المقاصدي المصلحي في وجوب حفظ النظام ومراعاة ضرورات السياسة، فيرد بقوله «فأما بالنسبة للشبهة الأولى وهي تطبيق الشريعة في مجال العقوبات، فأود أن أقول: إن مضمون الشريعة واسع، متسع الأرجاء، مترامي الأطراف، فهو يشمل كل الأوامر والنواهي في شتى مجالات الحياة وميادين الأعمال الصالحات التي تخدم الفرد والمجتمع، ومجال العقوبات أحدها، وتطبيق الشرع فيه واجب، فهو أمر مطلوب شرعا ومرغوب طبعا، لأنه يقطع دابر الفساد، لكنه محاط بشروط، أولها توفر نظام مستقر مطاع، فهو من الأحكام السلطانية، كما هو معلوم» ، وبالنسبة للولاء والبراء فينصح الشيخ بن بيه الفرقاء بعدم التمسك بهذه الشبهة لقتال القوات الإفريقية التي «جاءت لمساعدة البلاد بقرار إقليمي ومحلي من حكومة شريف «فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم»، فكيف إذا كان مسؤولا كبيرا، فلا يجوز قتالهم بحال من الأحوال، بل عليكم أن تتفقوا مع إخوانكم لتحديد مدة مأموريتهم، ومدى صلاحيتهم، وباتفاقكم مع إخوانكم يسهل انسحابهم وتنتفي الحاجة إليهم» ، ويختم الشيخ بن بيه نصيحته «هذه نصيحتنا ونحن مستعدون لإجراء حوار معكم لبيان الحق حول هذه القضايا وغيرها» .

وختاما فإن الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد البدر أوجب أن تكون «النصيحة لولاة الأمور وغيرهم سرا وبرفق ولين، وإذا خلا النصح من الرفق واللين وكان علانية فإنه يضر ولا ينفع، ومن المعلوم أن أي إنسان إذا كان عنده نقص يحب أن يُنصح برفق ولين، وأن يكون ذلك سرا، فعليه أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به» ، لكن النصيحة في رأيه لابد أن تكون مرفقة بالسمع والطاعة في المعروف، فيقول «فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة في ذلك، ومن النصح للولاة الدعاء لهم وعدم الدعاء عليهم، وهي طريقة أهل السنة والجماعة إذا حصل من ولاة الأمر فسق أو جور فلا يجوز الخروج عليهم، لأنه يترتب على الخروج عليهم من الفوضى والفساد أضعاف ما يحصل من الجور، ولا يجوز الخروج عليهم إلا إذا حصل منهم كفر واضح بيّن، ومن قواعد الشريعة ارتكاب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدهما» .

وخلاصة استعراضنا لبعض الاجتهادات الفقهية المعاصرة أن النصيحة السياسية واجبة لكنها ليست شكلا من أشكال التفاعل السياسي المباشر بين الحاكم والمحكومين، وهي أيضا تختلف عن الضغط أو التأثير الذي يمارس في الديموقراطيات الغربية، بل هي وعظ أو تذكير ببعض وظائف الحاكم من منظور الشريعة، ويشترط فيها البعض أن تكون سرية مما يبعدها عن الحياة السياسية العامة، والمصدر الشرعي لهذه الصياغة هو عقيدة أهل السنة والجماعة في تحريم الفتنة والتزام الوحدة من جهة، ومن جهة أخرى المصلحة التي تتقي عواقب النصيحة.

الكتابة التاريخية.. الكتابة المحلية في المشرق الإسلامي

محمد عويس ◆

تعددت الآراء حول نشأة الكتابة التاريخية المحلية وبواعث نموها ومظاهر انتشارها بعامة، وفي المشرق الإسلامي بخاصة، فهذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه، كما أن ظهور هذا النمط عند المؤرخين المسلمين يرجع إلى الاتصال الحضاري والامتداد التراثي بوقوفهم على النماذج والمؤلفات الخاصة بالمدن التي تم فتحها، أو عملت الدولة الإسلامية على جمع معلومات عنها، كما هي الحال في تواريخ أنطاكية وروما والقسطنطينية.

وينكر روزنتال هذا الرأي بحجة أن أقدم الكتب الإسلامية المحلية المعروفة نشأت في العراق وليست في الشام، ومن المعروف أن القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، شهد مولد الكتابة التاريخية المحلية بشكل واضح بسبب انتشار حركة الترجمة إلى العربية، وأصبح في متناول علماء المسلمين معرفة إسهامات أقرانهم في اليونان وبلاد الفرس والهند وغيرها من الحضارات، فساعد ذلك على نقل التجارب والمناهج التي امتلكتها الحضارات السابقة لعلماء المسلمين الذين قاموا بنقلها وأضافوا عليها، فحدث الامتزاج الفكري الذي كان من نتيجته الاستمرارية والتواصل العلمي.

د.إبراهيم علي القلا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة جنوب الوادي أشار في دراسة له بعنوان «الكتابة التاريخية- الكتابة المحلية في المشرق الإسلامي» إلى أن للعامل السياسي أثره في ظهور الكتابة التاريخية المحلية، حيث كانت الخلافة الإسلامية على مدى قرنين من الهجرة تعبر عن الوحدة السياسية والإدارية للعالم الإسلامي، وتدور في فلكها من الناحية الإدارية الولايات في المشرق الإسلامي، وخاصة بعد أن استقرت الفتوحات الإسلامية وانتشر الإسلام بين أهالي تلك الأقاليم الجديدة، فأثر ذلك على المناخ السياسي السائد في الدولة العباسية ونظامها في الحكم، فتحولت إلى دولة إسلامية ذات انتماءات عنصرية وسياسية مختلفة. ومن أسباب ظهور الكتابة الإقليمية، الدويلات المستقلة كأسر ونظم حاكمة وافقت الخلافة على وجودها مضطرة، فواكب هذه الدول توجه ثقافي يميل إلى الإقليمية أو المحلية، خاصة بين الفرس فانطبع ذلك على الكتابة التاريخية، حيث كانت الأسر الحاكمة هي التي تطلب من بعض المؤرخين كتابة تواريخ الأقاليم وبعض المدن، بهدف تسجيل الإنجازات السياسية والحضارية التي تمت في فترات حكم هذه الأسر، وهذه النوعية من الكتب كانت بطبيعة الحال مطبوعة بطابع الذاتية إلى حد كبير، ويضاف إلى ذلك أن توزيعًا جديدًا للمدارس التاريخية قد ظهر بعد خمود جذوة مدرسة بغداد المسيطرة حتى أوائل



القرن الرابع الهجري، حيث إن الأقاليم الجديدة من العالم الإسلامي دخلت بدورها ميدان التأليف التاريخي، فقد وجد في البلاد المختلفة من شعروا بهذه الحقيقة، وبأن لديهم من الأخبار والأحوال ما يستحق التسجيل، وفي ذلك الكثير من النزعة الوطنية من جهة، ومن نزعة التقدير للأخبار المحلية المشهودة مقابل الأحداث البعيدة غير المشهودة، وهذا هو مبرر تأليف عدد من التواريخ المحلية الإقليمية، وهناك سبب وجيه للكتابة المحلية، حيث كان لكل قطر كما قال المسعودي «عجائب يقتصر على علمها أهله، وليس من لزم جمرات وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قطع الأقطار ووزع أيامه بين تفاوت الأسعار واستخراج كل دقيق من معدنه...»، فالواجب على صاحب المعرفة من أهل البلاد أن يعلم معظم أبنائها ويحفظ أيام أمرائها، وعليه أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله.

ومن أسباب الكتابة التاريخية المحلية التفاخر بحمل الروايات والحديث، والتنافس

◆ باحث مصري

بين الأمصار في الرواة والرجال والسند وكثرة الحفاظ، فكثير من المؤلفين أعطوا المبررات لإقدامهم على التأليف لأقاليمهم أو مدنهم رغبة منهم في إبراز علماء بلدهم وإثبات فضله، فبعضهم سمى هذا النوع من التاريخ فضائل مثل «كتاب فضائل بلخ» أو «محاسن أهل بلخ» لأبي زيد البلخي من رجال القرن الرابع الهجري، وبعضهم سماه بشكل أدق «طبقات المحدثين»، مثل طبقات المحدثين بأصفهان لأبي الشيخ الأنصاري عبدالله بن حيان توفي سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٥م)، أو تاريخ مدينة بغداد أو بخارى.

كما أن الرحلات كرحلات الحج والوفود وحب الاستطلاع والتجسس، والدعوة، كلها كانت تسهم في كسر الطوق الإقليمي المحلي عن التواريخ، وتدفعها رغم عناوينها الإقليمية أحيانًا واهتماماتها المحلية إلى الإحاطة بأخبار بعض أقاليم العالم الإسلامي أو كلها.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره في سبب وجود الكتابة الإقليمية المحلية، فقد أدى الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به معظم بلدان المشرق الإسلامي في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، التاسع والعاشر والحادي عشر للميلاد، بتقدم الزراعة والصناعة والتجارة مما أدى إلى تمكين السلطات المحلية وأمراء الأقاليم من منح العلماء والمؤرخين الذين كانوا معهم الهدايا والهبات، مما ساعد على انتشار كتب التواريخ الإقليمية.

أما العامل الأخير فيرتبط بالعنصر الاجتماعي والنفسي، حيث يميل الإنسان بطبعه إلى مسقط رأسه في الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة تعبيرًا عن شعور الجماعة، وقد سيطر الفكر الإقليمي المحلي على انفعال المؤرخ، فكان نتاج ذلك العديد من كتب الأقاليم والمدن، حيث كانت الظروف السياسية بالمشرق الإسلامي بأقاليمه المتعددة أشبه بمجتمعات منفصلة سياسيًا وعسكريًا في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة.



ويرى القلا أنه يمكننا أن نميز في كتابة التاريخ المحلي الإقليمي بين نوعين واضحي المعالم، ولكنهما متصلان، أحدهما دنيوي والثاني ديني.

١- التاريخ المحلي الدنيوي

ترجع أقدم أمثلة كتب التاريخ المحلي الدنيوي الإسلامية إلى العراق، وأقدم ما تم تأليفه في تاريخها «تاريخ بغداد» لأحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، وهو يشكل فصلا خاصا بخطط بغداد، ثم تتابعت المؤلفات المحلية الدنيوية عن مصر والشام والأندلس وغيرها.

أما في فارس وبلاد ما وراء النهر فقد ظهر التاريخ المحلي الدنيوي بصورة واضحة، باعتباره مظهرًا من مظاهر القومية الفارسية أو التركية والتي عرفت بالشعوبية، والتي كان لها أثرها في الدراسات التاريخية، أو سعى أصحابها إلى تشويه تاريخ العرب فاهتموا بالتوسع في الثقافة الفارسية والتراث الفارسي، ومثال لذلك التاريخ المحلي الدنيوي عن خراسان كتاب «تاريخ أصفهان» لحمزة الأصفهانى، و«تاريخ قم» للحسن بن محمد القمي، و«محاسن أصفهان» للمافروخي.

اهتمت الكتب الدنيوية في الغالب بطبوغرافية المدينة وتاريخها القديم وعادات أهلها وتقاليدهم، فكان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وأحيائها، أما مادة الكتاب فكان عمادها الأساسي دراسة الشخصيات التي كان لها مكانة مرموقة في البلد أو الإقليم، وإن كانت هذه الشخصيات اقتصرت في بادئ الأمر على رجال الدين، ثم تطورت وشملت كل الشخصيات البارزة في الإقليم من أدباء وعلماء وتجار وأعيان، وأقدم ما وصل إلينا من هذا النوع من التاريخ كتاب «تاريخ واسط» لأبي الحسن أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف باسم بخشل الواسطي المتوفى فيما يقرب من سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، وهذا الكتاب يتضمن تاريخ واسط وأطرافها وعلماء الدين فيها وبعض الرواة.

٢- التاريخ المحلي الديني

الكتب التي ظهرت في هذا المجال استهدفت تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ الديني لهذه المدن، ومثال لذلك كتاب «تاريخ بخارى» للنرشخي، حتى تصور بعض المؤرخين أن معظم كتب الأقاليم خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة أقرب لطابع المؤلفات الدينية منها إلى المؤلفات التاريخية، ومما جعلهم يتصورون ذلك افتتاحيات الكتب وما كانت تضمه من أحاديث نبوية وأقوال الصحابة في مدينة ما.

وفي القرن الرابع الهجري أصبحت التراجم مرتبة على حروف الهجاء، وكان ذلك الأساس الذي اعتمدت عليه كتب التاريخ المحلي الديني، وأقدم كتاب تاريخي محلي ديني رتب على نظام المعاجم هو «تاريخ علماء الأندلس» لأبي الوليد عبدالله بن القرضي الأندلسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وأيضًا اتبع الخطيب البغدادي الذي عاش في القرن الخامس الهجري في كتابه تاريخ بغداد طريقة المعجم في ترتيب أسماء التراجم وأسماء آبائهم، واتبع مؤرخو المشرق الإسلامي هذا النهج في كتبهم عن التراجم.

وقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الأدبية الوحيدة في العالم الإسلامي بأسره على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وذلك راجع لوحدة العالم الإسلامي وتماسكه، وتشجيع الخلفاء للعلم والعلماء، كما أنها لغة القرآن الكريم، وقد حرص الجميع على تعلمها، خاصة الشعوب التي دخلت في الإسلام كالفرس والروم والمصريين وغيرهم.

د.خديجة النبراوي صاحبة أضخم موسوعة في أصول الفكر الإسلامي في حوار مع «الوعي الإسلامي»:

العولمة ليست «صنما» نعبده.. والأمة صاحبة مبادئ سامية

صابر رمضان



الباحثة الإسلامية د.خديجة عبدالله النبراوي لها نشاط واسع وجهد حثيث في مجال الدعوة الإسلامية، وعلى الرغم من أنها ليست خريجة الأزهر الشريف، حيث تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٧٠ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف الأولى، فإنها عكفت على دراسة شؤون دينها وأحكامه وشرائعه لتعطي نفسها حقها من العلم الديني الذي هو حياة النفوس وإشراقها، اشتركت في العديد من المسابقات الإسلامية وفازت بالمراكز الأولى، وكان من بينها مسابقة «دور الأزهر في الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج» بمناسبة العيد الألفي للأزهر، والتي كانت على مستوى العالم الإسلامي عام ١٩٨١، ولم يفز فيها إلا ثلاثة فقط، وقد كانت الدكتورة واحدة منهم.

قدمت للمكتبة الإسلامية أضخم موسوعة في أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والتي استقتها من السنة النبوية المشرفة وهدي الخلفاء الراشدين، وهي تبويب للأحاديث كما وردت، تبويبًا سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا حسب مفهوم البحث، مما يفتح مجالًا واسعًا للباحثين لتحقيق التطور المنشود في تلك العلوم، وهي موسوعة من خمسة مجلدات، كما فازت بالجائزة الكبرى في المسابقة الثقافية لفكر الإمام «النورسي» عن «دور رسائل النور في يقظة الأمة».

«الوعي الإسلامي» التقت الدكتورة.. وإليكم نص الحوار:

■ بداية كيف تقرئين المشهد الآن على الساحة الإسلامية؟

- واقع الأمة الإسلامية الآن ينطبق عليه قول الله تعالى ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ (الكهف: ٩٩)، حيث هناك خليط من الآراء والفقه ومن الفتاوى، وكأننا نعيش الآية القرآنية أيضًا ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (الروم: ٣٢)، وهذا أخطر ما يواجه الشعوب الإسلامية لأن أساس الإسلام هو التوحد ومحاربة من يخرج عن نطاق الوحدة الإسلامية الشاملة، حتى إن الرسول ﷺ يجعل الصبر على حاكم فاسد أفضل من رفع السلاح عليه أو مواجهته بالسلاح لتحقيق الوحدة السياسية لأمة الإسلام، ومنع الفوضى التي قد تزلزل أركان الأمة، وهو ما نعيشه الآن، فالمفروض في خضم تلك الصراعات الرهيبة التي يواجهها العالم بأسره أن تكون هناك مجموعة من العلماء العابدين المخلصين العاملين لتحديد الاتجاهات العامة والسلوكيات الحديثة، التي تجدّ مع تطور الأحداث بما يحقق للإنسان الارتباط بالأصول الشرعية ومواءمة التطورات العصرية، أي إنني مع الشورى الجماعية.

■ في ظل محاولات فرض الثقافات والصراعات الآن، هل تعتقدين أن قيم الحضارة الإسلامية قادرة على الوصول إلى الغرب والتأثير فيه؟

- بالتأكيد.. وهذا ما نادى به بعض الغربيين بعد الانهيار الاقتصادي الذي حدث في أميركا، حيث طالبوا بتطبيق النظام المالي الإسلامي بما يحمله من ضمانات تحقق الاستقرار للاقتصاد القومي، هذا من ناحية النظام الاقتصادي، أما السياسي والاجتماعي فلم يصل أحد بعد إلى عظمة تلك النظم في تحقيق الحضارة الحقيقية، ليس للمسلمين فحسب بل للإنسانية بأسرها، خاصة أن الحضارة الإسلامية هي أول من أرسى مفاهيم العدل والسلام والمساواة ومحاربة التمييز العنصري، وجعلت الرحمة ركيزة أساسية تسود الحاكم والمحكوم، فإذا كان البعض لا يعتقد بعظمة الحضارة الإسلامية، فهذا لجهل بأصولها وقواعدها العميقة والشاملة لكل نواحي الحياة، وهذا الجهل ناتج من حالة التيه التي تعيشها الشعوب الإسلامية بما أدى إلى ضياع هويتها ومعالم شخصيتها.

■ وهل يمكن للمستشرقين أن يؤدوا دورًا في التقريب بين الحضارات؟

- هذا يتوقف على المستشرقين أنفسهم، فإذا كانوا ذوي ثقة في كتاباتهم وغير متعصبين ويتميزون بالنزاهة، فمن الممكن أن يؤدوا دورًا كبيرًا في التقريب بين الحضارات.

■ المنهج الحضاري في الإسلام له ثوابت ربانية تشكل المقاصد الكلية للشريعة، فما أهمها من وجهة نظرك؟

– بالنسبة للنواحي السياسية والاجتماعية، فتلك الثوابت هي العدل والمساواة والحرية والشورى والسلام، سواء الاجتماعي أو العالمي، والرحمة، وبالنسبة للنواحي الاقتصادية فأهم الأهداف هي إشباع الحاجات العامة، عدالة توزيع الثروات، والتنمية الاقتصادية إلى أقصى مدى، وتشجيع الادخار والاستثمار، ومحاربة الاستهلاك الترفي، ومحاربة مبدأ أن الغاية تبرر الوسيلة، ففي الإسلام الغاية شريفة والوسائل يجب أن تكون شريفة، فيمنع الغش والاحتكار والغرر، إلى جانب الكثير من أصول البيع التي تحقق استقرار السوق وتوازن الأسعار.

■ **هناك اتهام دائم للإسلام بأنه يحرم المرأة من حقوقها، فما ردك على هذا الاتهام؟**

– هذا الاتهام نتيجة قصور الفكر، وعدم الاطلاع على ما كانت تعيشه المرأة في الماضي قبل ظهور الإسلام وما عاشته بعد ظهور الإسلام، حتى إنها حصلت على حريات وحقوق قبل المرأة الأوروبية بحوالي ٢٠٠ سنة، وعلى سبيل المثال، حقها في الاستقلال المالي وعدم اختلاط أموالها بأموال الزوج كما كان في أوروبا، هذا علاوة على أنه سمح لها بالمشاركة السياسية وإبداء الرأي والمشاركة في النشاط الاجتماعي من أوسع الأبواب، أي أن الإسلام غَرَس في المرأة الإيجابية والإحساس بالآخرين بعكس الحضارة الأوروبية التي غرست فيها الأنانية والحرص على المادية، وبذلك فهناك فرق كبير بين المرأة في أوروبا والمرأة في الإسلام، فالمرأة الأوروبية تعيش الحرية المادية غير الملتزمة بأي حضارة أخلاقية، أما في الإسلام فهي تعيش الحرية المنضبطة بقواعد أخلاقية تحميها وتحمي الآخرين من تمرد المادية الرهيبة التي تحرم الأمة من منابع الرحمة والحنان التي تمتلكها المرأة المسلمة.

■ **حملات تشكيك من آن لآخر ضد القرآن والسنة، ترى، ما أسبابها ودوافعها**

– القرآن شهد له كثير من الغربيين بأنه يحمي قوانين الحياة بما لا يتوافر في أي كتاب سماوي آخر، لدرجة أن البعض أسلم من عظمة ما يحويه القرآن من إجابات عن أسئلة العلماء، وعندما يشكك أحد في القرآن، فهذا ناتج عن حقد أعمى وليس عن نظرة موضوعية، لأن الحق سبحانه وتعالى قال: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ (فصلت: ٤٢)، فلو كان هؤلاء المشككون يدرسون القرآن بتجرد لرأوا ما فيه من مبادئ وأخلاق وتشريعات لصالح الإنسان وتحقيق النضج والرقي المطلوب له، وهذا ما دفع بعض العلماء الذين حصلوا على دراسات متطورة بعد دراستهم للقرآن أن يعلنوا إسلامهم، لأنهم كانوا يبحثون عن منابع الحقيقة التي لا يلوثها زيف أو أهواء، أما السنة فهي المذكرة التطبيقية للقرآن الكريم، وهما توأم لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، ومحاولة التشكيك في السنة تعني منع المسلمين من التحليق في آفاق عالية من التطبيق الفعلي للقرآن، لأن القرآن والسنة هما جناحا المؤمن في العروج إلى الأنوار السماوية، وتحقيق الذات الإنسانية بكل ما تعنيه من كمال ونضج ورقي.

■ **ما رأيك في مستوى عقلانية الحوار مع الغرب، وماذا علينا أن نفعل؟**

– أولًا الغرب يؤمن بالقوة، حتى إنه يعرف حقوق الإنسان بأنها مدى قوته واستطاعته الحصول على حقه، وبالتالي يرى أن الشعوب الضعيفة لا حق لها في الاستمتاع بالحياة، وهو ما يجعلهم يحصلون على حقوقهم من تلك الشعوب بالحروب،



وشعارهم «البقاء للأقوى»، ولغة الحوار الوحيدة لديهم هي مدى الرقي المادي، ولذلك يقول بعض العلماء الموثوق فيهم: لا يمكن إعلاء كلمة الله في زمننا الحاضر إلا بالرقي المادي، فعلينا بدلًا من الانشغال بالحوار أن ننشغل بالعمل وتحقيق الغاية المطلوبة، ووقتها سيحترم الغرب قوتنا والمبادئ التي حققت لنا تلك القوة.

■ **كيف نتعامل مع «العولمة» بعد أن فرضت نفسها بقوة على كل مناحي الحياة؟**

– نتعامل معها بالثبات على الحق، وأن نردد قول الحق تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ (لقمان: ٢٢)، فالعولمة ليست «صنمًا» نعبده، ولكن لنا نظامنا ومبادئنا التي يجب أن نعتز بها، ونكون مثل المؤمنين الذين دخلوا سفينة نوح لينجوا من طوفان المادية، فإذا كانت أفكار الآخرين تتناسب مع مبادئ ديننا فلا مانع منها، ولكن إذا كانت تتصادم معها فلنطبق قول الرسول ﷺ «لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك» (صححه الألباني)، فالبعد عن مبادئ العقيدة يؤدي إلى الهلاك والغرق في مبادئ الآخرين.

■ **بعض المتشدقين يقولون إن أمة الإسلام خرجت من عباءة التاريخ، ولم تعد من صناع الحضارة الإنسانية، فما قولك؟**

– نقول إن هناك فرقًا بين عالمية الدولة الإسلامية وعالمية الدعوة الإسلامية، فإذا كانت الدولة الإسلامية قد تضاءل حجمها ودورها نتيجة صراعات سياسية كثيرة، فإن الدعوة الإسلامية قائمة ومازال يؤمن بها غربيون كثيرون رغم التطور الحضاري الذي يعيشونه، لأنهم وجدوا فيها الأمن والحضارة الحقيقيين ورقي النفس الإنسانية، ونجد أن تطبيقهم وتمسكهم بمبادئ الإسلام متجدد دائمًا مهما كانت الظروف التي تسود الشعوب، فالإسلام يملك قوة الدفع الذاتي.

على ضفاف الاستقامة

علاء الدين حسن

إنَّ الثبات على الطاعة من أخلاق المؤمنين، قال تعالى ﴿إنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة الَّتي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون. نزلاً من غفور رحيم﴾ (فصّلت: ٣٠ - ٣١).

قالوا ربُّنا الله، أي وحَّدوا الله ولم يشركوا به شيئًا، وأخلصوا العبادة له، وعلموا أن له الخلق والأمر، فأقرّوا بأنَّ الله هو الخالق وحده، وما سواه مخلوق، وهو الرازق وحده، وما سواه مرزوق، وهو المالك وحده، وما سواه مملوك. وهذا هو أصل الدين وأساسه، ولأجل هذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب، فلا خضوع إلا لله، ولا انقياد إلا لله، ولا تسليم إلا لله، ولا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا من الله، ولا تفويض إلا إلى الله، ولا توكل إلا على الله، ولا استعانة إلا بالله .. هو الواحد المتفرد بأسماء الجلال وصفات الكمال، لا ندَّ له، ولا ضدَّ له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا زوج له، ولا مثيل له، ولا نظير له، ولا شبيه له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، فلابدَّ من الولاء لله، ولابدَّ من الاستقامة على منهج الله.

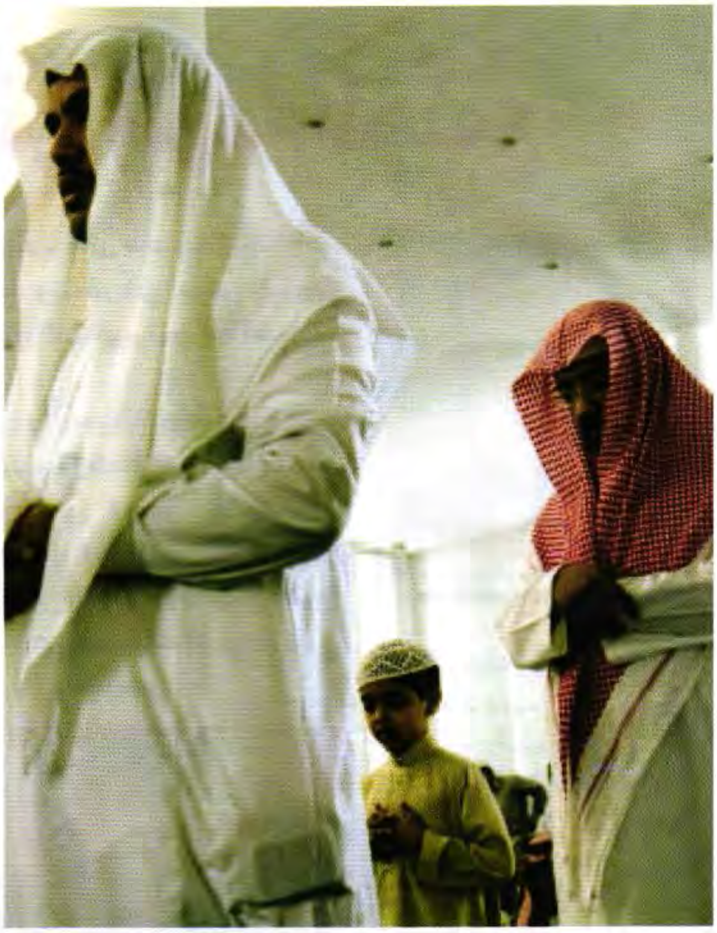
العاقبة الطيّبة

والعاقبة الطيبة للراسخين في الإيمان، المثابرين على العمل بطاعة الرحمن، فمن آمن بالله واستقام على طاعته، تنزلت عليه الملائكة عند المهمات الدنيوية بما يشرح صدره ويدفع عنه الهمَّ والحزن، وقالت له: لا تخف من الموت وما بعده، ولا تحزن على ما خلَّفتَ من أهل وولد، وأبشر بالجنة التي وعدك الله إيّاها، إكراماً من الله كما يكرم صاحب المنزل ضيفه، قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (أولئك أصحاب الجنَّة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون﴾ (الأحقاف: ١٣ - ١٤)

وعن سفيان بن عبد الله



باحث سوري



الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم» (١) .

وهذا الحديث من جوامع كلم رسول الله وبدائع حكمه ﷺ، فهو على اختصاره جمع أصول الإسلام في كلمتين : الإيمان، والاستقامة. والإسلام توحيد وطاعة، والطاعة لا تتحقق إلا بالاستقامة.

قل لي في الإسلام قولاً، أي: قل لي في جوهر الإسلام قولاً جامعاً لمعاني الدين، قولاً واضحاً بيّناً لا يحتاج إلى شرح أو تفسير .

قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» أي: جدد إيمانك بالله، متذكراً بقلبك، ذاكراً بلسانك، لتستحضر جميع تفاصيل أركان الإيمان، ثم داوم واثبت على عمل الطاعات، واجتنب جميع المخالفات، وامتثل كل مأمور، وانته عن كل محظور.

أصل الاستقامة

وأصل الاستقامة استقامة القلب «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٢) .

وأهم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح «اللسان»، وفي الحديث عن أحمد وغيره من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولن يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (٣).

وقال ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه » (٤).

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ :«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (٥) .

والاستقامة: أن تجعل لأفعالك ولأقوالك ولنياتك قيمة، فإذا كانت لأفعالك قيمة، وإذا كانت لأقوالك قيمة، وإذا كانت لنياتك قيمة فأنت مستقيم، إذا كان قولك ذا قيمة عند الله، وإذا كان فعلك ذا قيمة عند الله، وإذا كانت نيتك ذات قيمة عند الله فأنت مستقيم.

الاستقامة درجة بها كمال الأمور، وبوجودها حصول الخيرات، ومن لم يكن مستقيماً ضاع سعيه وخاب جده.

الاستقامة لا يطيقها إلاّ الأكابر لأنها خروج عن المعهودات ومفارقة للعادات

اكتمال المحاسن

الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر، لأنها خروج عن المعهودات، ومفارقة للعادات، ولأنها قيام بين يدي الله بصدق، فالاستقامة هي الخصلة التي بها كملت المحاسن.

الاستقامة: درجة قصوى في كمال المعارف والأحوال، وصفاء للقلب في الأقوال والأفعال، وتنزيه للعقائد من سفاسف الأهواء والضلال .

الاستقامة: أن تتبع الصراط المستقيم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» (٦) ، ثم تلا قول الله ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون» (الأنعام : ١٥٣).

ومما يؤكد على أهمية الاستقامة، أن الله تعالى أمر بها نبيه المصطفى ﷺ، قال الله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت ﴾(هود: ١١٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أنزل على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، وعندما قال الصحابة رضي الله عنهم: قد أسرع إليك الشيب يا رسول الله، قال ﷺ «شيبتني هود وأخواتها» (٧).

وذكر القشيري عن بعضهم أنه رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: يا رسول الله! قلت: «شيبتني هود وأخواتها»، فما شيبك منها؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿فاستقم كما أمرت ﴾.

الهوامش

١- رواه مسلم في كتاب الإيمان- باب : جامع أوصاف الإسلام- رقم ٣٨، والترمذي في الزهد، باب : ما جاء في حفظ اللسان- رقم ٢٤١٢.

٢- البخاري: ٢٢/١، ومسلم : ٥٠/٥.

٣- رواه أحمد في مسنده- حديث رقم ٢١٢٨٩.

٤- رواه البخاري في صحيحه- حديث رقم ٦١١٣.

٥- ص البخاري- ك الأدب- ح رقم ٦٠١٨.

٦- رواه أحمد في مسنده برقم ٤٢٢٥.

٧- صحيح الشمائل / ٣٥.

المخدرات تفتك بالفرد وتهدم المجتمع



د. عبدالرحمن النمر

يندر أن تُجْمِعَ دولُ العالم كافة وبلا استثناء على أمر كما أجمعت على محاربة المخدرات، فالخطر ليس مقصورا على أفراد، وإنما يفتك بالمجتمعات فتكًا، وينخر في أساس البنيان الاجتماعي الذي يقوم عليه أي بلد، لذلك فإن محاربة المخدرات والعقاقير المحرمة أصبحت ساحة «تعاون دولي»، قلَّ أن نشهد له نظيرًا في أي ميدان آخر.

وقد يتبادر إلى الأذهان أن «آفة المخدرات» لم تظهر إلا حديثًا، والحقيقة إنها قديمة قدم التاريخ الإنساني نفسه، وإنما زادت حدتها نتيجة للضغوط النفسية والقلاقل الاجتماعية التي يعاني منها الناس في العصر الحاضر، الأمر الذي أدى إلى تصور البعض- للأسف- أن الهروب إلى عالم المخدرات قد يكون هو العلاج أو السبيل لمقاومة تلك الضغوط المتزايدة، مع أن الطب يقول غير ذلك، كما ينفي ذلك التصورَ أدنى قدر من المنطق والتفكير السليم، وفوق هذا وذاك، فإن الدين ينكره وينهى عنه بصراحة ووضوح، وقد جاء في الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مُسْكِرٍ خمر، وكل خمر حرام» (رواه مسلم).



إن الاستعمال غير الطبي للعقاقير مشكلة تاريخية ضاربة في القدم، والمجتمعات الحديثة ليست استثناء مما وقعت فيه، وعانت منه المجتمعات البشرية السابقة، مع فارق واضح هو أن الإقبال على تعاطي العقاقير لأغراض غير طبية ولا علاجية يأخذ أبعادًا وبائية في هذا الزمان! إذ لا يكاد يسلم مجتمع بشرى واحد في عالم اليوم من تلك الآفة، وإن تفاوتت أبعادها.

وقد امتد لهيب المشكلة إلى أكثر المجتمعات العربية، بحيث بات يكتوي بنارها مئات الضحايا، أغلبهم في عمر الزهور! وينتشر اللهيب ليحرق- مع الضحايا- عشرات الأسر، ويترك من ثَمَّ أثرًا غير هيِّن في المجتمع.

الدافع لتعاطي العقاقير

■ الهروب من ضغوط الحياة ومشاكلها، ولذلك يتناسب تعاطي العقاقير طرديًا مع مشاكل الحياة.

■ تخفيف مشاعر القلق والتوتر الناتجة عن مواقف الحياة اليومية، وأكثر العقاقير التي تستخدم لهذا الغرض هي التبغ والكحول والحشيش.

■ استخدام العقار كعلاج لحالة نفسية، أو كتنفيس عن موقف عاطفي معين.

■ التمرد على ظروف اجتماعية قاسية يعجز المرء عن تغييرها، فيلجأ إلى المخدرات بدافع اللهو والتسلية والإثارة والفضول.

فضلا عن ذلك، هناك عوامل مهمة أخرى، تلعب دورًا رئيسيا في انتشار عقار معين في زمن ما في مجتمع ما، من ذلك عوامل جغرافية واقتصادية وثقافية واجتماعية.

من جهة ثانية، تلعب الصداقات التي يكوِّنها الإنسان في سني الطفولة، والجماعات التي ينتمي إليها، دورا بالغ الأهمية فيما إذا كان ذلك الإنسان سوف يقبل على تعاطي العقاقير، بل حتى في تحديد نوع العقار، إذا حدث وأقبل على تعاطي العقاقير!

الاحتمال والإدمان

بعد فترة من تعاطي عقار ما، تنشأ ظاهرة تسمى «الاحتمال Tolerance»، وهي خفوت الأثر الذي يحصل عليه متعاطي العقار من جرعة محددة، وعلىذلك فإن متعاطي العقار يحتاج إلى زيادة الجرعة من حين إلى آخر، ليحصل على نفس الأثر الذي حصل عليه لأول مرة من الجرعة الأولى.

وظاهرة «الاحتمال» هي التي تفسر السلوك التصاعدي في جميع حالات تعاطي العقاقير، فمدخن التبغ- أو الحشيش- يبدأ بلفافة واحدة في اليوم، وبمرور الوقت، لا تحدث اللفافة الواحدة نفس الأثر الذَي أحدثته اللفافة الأولى، فيرتفع العدد إلى لفافتين أو ثلاث في اليوم، وهكذا تزداد الجرعة تدريجيا إلى أن يصبح تعاطي العقار ضرورة على فترات زمنية قصيرة جدا! ونفس الكلام يقال عن شارب الكحول الذي يبدأ بكأس واحدة في اليوم، ثم ينتهي به الحالِ إلى كأس أو أكثر كل ساعة! وقُل الشيء ذاته عن تعاطي الأفيون والهيروين

طبيب مصري

وغيرهما، من سائر أنواع العقاقير المستخدمة لأغراض غير طبية.

وتؤدى ظاهرة الإدمان إلى سلوك مميز عند المدمن، يعرف باسم «تعاطي العقار الإجباري»، ذلك أن الإنسان عندما يقع في حبائل عقار معين، فإنه يفقد اختياره أمام تعاطي العقار، بمجرد ظهور علامات الإدمان، الأمر الذي يجعله مجبرا أو مكرها على الاستمرار في تعاطي العقار! وعندما يصل المدمن إلى هذه المرحلة، مرحلة التعاطي الإجباري للعقار، يصبح مضطرا لفعل أي شيء للحصول على العقار، فيسرق ويرتشي ويختلس ليستطيع دفع ثمن العقار! وقد يبيع أثاث بيته، وحتى عِرْضه، ثمنا للعقار! وكثيرا ما تتوّج سلسلة الجرائم بالقتل! «ما بدأ كنزوة، انتهي بنقمة!».

المخاطر والعواقب

إذا اجترأ إنسان وشرب السم للتجربة، فما العاقبة؟! بعض الناس يجد التجربة الأولى غير سارة، فينصرف عن العقاقير جملة وتفصيلا، إلا أن البعض الآخر، تحت ضغوط نفسية أو اجتماعية، أو نتيجة أفكار معينة، يستمر في تعاطي العقار مستمرئا ومستعذبا «نشوة العقار»! وقد يكون للعقار نشوة، إلا أنها باهظة الثمن للفرد والمجتمع على حد سواء.

أولا: المخاطر الفردية

في المدى القريب قد لا تكون آثار تعاطي العقار واضحة للفرد أو لمن حوله، لكن على المدى البعيد يكون تعاطي العقار سببا في النبذ الاجتماعي وفقدان العمل، وحتى فقدان القدرة على الكسب المشروع، وقد لا يستطيع المدمن مواصلة تعليمه، خصوصا إذا بدأ تعاطي العقاقير في سن مبكرة.

أما المخاطر الصحية، فحدث ولا حرج، فما من جهاز في الجسم إلا ويصيبه التلف- بدرجات متفاوتة- نتيجة الاستعمال غير الطبي للعقاقير.. وتدخينُ التبغ الذي يبدو أهون المحظورات على القائمة يرتبط ارتباطا موثقا بالأدلة بسرطان الرئة والشفتين واللسان والبلعوم والحنجرة والقصبة الهوائية، وحتى سرطان الجلد! فضلا عن ارتباطه بأكثر أمراض الجهاز التنفسي المزمنة.

والذي ثبت أخيرا، فيما يتعلق بالاستعمال غير الطبي للعقاقير أنها تؤدي إلى نشوء الأمراض النفسية.

ثانيا: المخاطر الاجتماعية

ترتبط الجريمة ارتباطا وثيقا بتعاطي العقاقير، ويضيق المقام هنا عن إيراد الإحصاءات التي تبين ذلك بالدليل الدامغ.

وفي مجال الأسرة، يضيق المقام كذلك عن بيان الأضرار الناشئة عن تعاطي العقاقير، إذ تتراوح الأضرار بين معاملة الأطفال بوحشية تصل إلى حد تعذيبهم، مرورا بالعراك والمشاحنات المستمرة، وانتهاء بالطلاق وتشتيت شمل الأسرة.



تحريم الخمر والميسر والانصاب والأزلام في القرآن الكريم يغلق بابا واسعا من أبواب الشرور

التحريم في الإسلام

يجب التنبيه إلى أن الإقلاع عن تعاطي العقاقير أمر غير يسير، إذ متى وقع إنسان في شباك المخدرات وحبائل الإدمان، فإنه يكون في حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها! ذلك أنه إذا أقلع عن العقار، عرَّضَ نفسه لأعراض الانسحاب وما تسببه من ألم قد يقود في حالات كثيرة إلى ميتة بشعة! وإذا استمر في تعاطي العقار، فإنه يكون أسير العقار حبيس الإدمان، فيفتك السم بجسمه إلى أن يقضي عليه!

ويكون حل مشكلة الإدمان باستئصالها من جذورها، أي بعدم الوقوع فيها أصلا، وهذا ما فعلته الشريعة الإسلامية الغراء، حين حرمت تعاطي هذه العقاقير، ففي الذكر الحكيم نقرأ قول الله تبارك وتعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة: ٩٠).

قال المفسرون: الخمر جميع الأشربة التي تسكر، وفعل الأمر في الآية الكريمة (فاجتنبوه) ليس دالا على التحريم فحسب، بل على وجوب الابتعاد عن كل ما يقرب من هذه الآفات.

هذا التحريم في الشريعة الإسلامية الغراء، يغلق بابا واسعا من أبواب الشرور، ويسد منفذا خطيرا من منافذ الفساد الاجتماعي والأخلاقي، وبذلك تكون حكمة المنع جلية لا تحتاج إلى مزيد بيان.

ويتعين على الجهات والمؤسسات المنوط بها التصدي لهذه الآفة الخطيرة (التعاطي غير الطبي للعقاقير)، اتخاذ التدابير اللازمة لحماية المجتمع من الشرور والمفاسد، التي تفت في عضد المجتمع وتسلب الناس أمنهم وسكينتهم، ومن تلك التدابير ما يلي:

- نشر الوعي بين جماهير الناس، خصوصا طلبة المدارس المتوسطة والثانوية، حيث الفئة العمرية التي يسهل التغرير بها، لبيان أضرار وعواقب الاستعمال غير الطبي للعقاقير، بالنسبة للفرد وللمجتمع، على أن تشارك في هذا الجهد وسائل الإعلام كافة.
- توقيع العقوبات الرادعة على مهربي ومروجي المخدرات والسموم.
- الإعلان عن القوانين والقرارات التي أصدرتها هيئة كبار العلماء، والتي نصت على معاقبة مهرب ومروج المخدرات بالقتل، ليكون في ذلك ردع للناس عن ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء.

ثانويات الأئمة والخطباء في تركيا

ناظم جمهور

افتتحت في تركيا عام ١٩٥١م الثانويات التي تعرف باسم ثانويات الأئمة والخطباء، والتي تستغرق مدة الدراسة فيها حاليا أربع سنوات بما فيها السنة التحضيرية، ووصل عدد هذه الثانويات التابعة لوزارة التربية والتعليم في العام الدراسي ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ إلى خمسمائة ثانوية تقريبا في مختلف مدن تركيا، وعدد الدارسين فيها يصل إلى ٧٨٠٠٠ دارس تقريبًا.

تستقبل ثانويات الأئمة والخطباء طلابها من أبناء الأتراك ومن أبناء العالم الإسلامي الحاصلين على الدراسة المتوسطة أو ما يعادلها، وتسهر على إعدادهم علميا وتربويا ليكونوا مؤهلين للالتحاق بكليات جامعات تركيا، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات بما فيها السنة التحضيرية كما تقدم، يحصل الطالب في نهايتها على شهادة إتمام الدراسة الثانوية.

تتخذ هذه الثانويات نظام الفصول أساسًا للدراسة، وتنقسم السنة إلى فصلين دراسيين.

الخطة الدراسية

تدرس اللغة العربية والعلوم الشرعية في تلك الثانويات خلال مدة الدراسة كمادة أساسية، وخطة الدراسة كالآتي:

أولاً: السنة التحضيرية، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة) ٨ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة) ١٥ محاضرة في الأسبوع.

٣- المعلومات الأساسية الدينية، محاضرتان في الأسبوع.

يخضع الطلبة عند بداية وصولهم إلى الثانوية لامتحان الكفاءة في اللغة العربية، وينتقل الطلبة الناجحون إلى الصف الأول دون دراسة السنة التحضيرية.

ثانيا: السنة الأولى، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٣- السيرة النبوية، محاضرتان في الأسبوع.

ثالثًا: السنة الثانية، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٣- التفسير، محاضرتان في الأسبوع.

٤- الحديث، محاضرتان في الأسبوع.

٥- الفقه، محاضرتان في الأسبوع.

٦- التاريخ الإسلامي، محاضرتان في الأسبوع.

رابعًا: السنة الثالثة، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

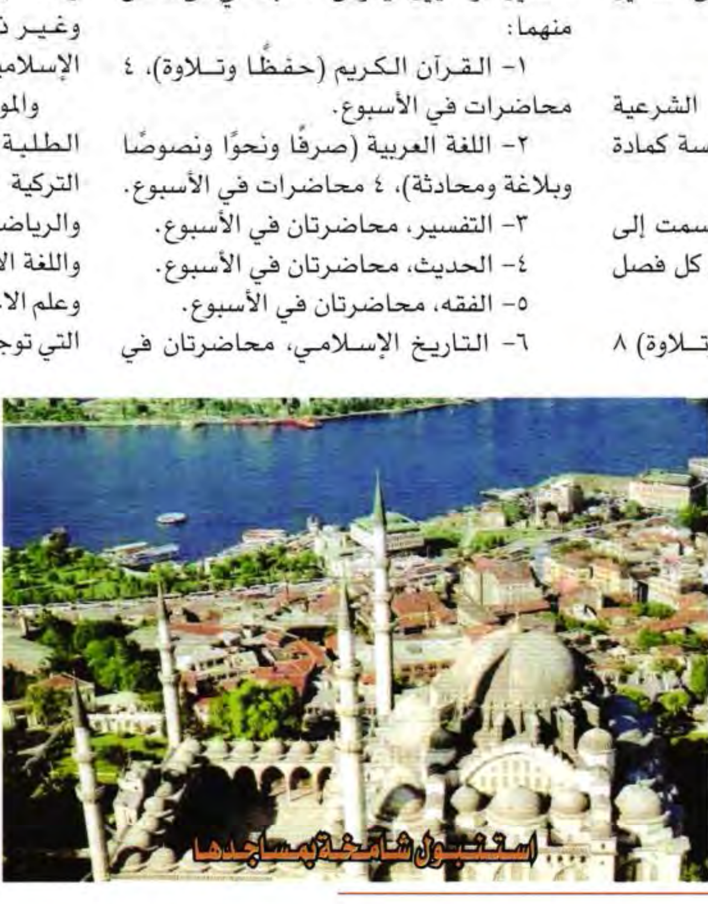
٣- الكلام (العقيدة)، محاضرتان في الأسبوع.

٤- الخطابة والموعظة الدينية، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٥- تاريخ مقارنة الأديان، محاضرتان في الأسبوع.

وهناك مواد أخرى اختيارية لجميع السنوات، مثل الخط العربي والتذهيب، والأناشيد الدينية، وتاريخ الدولة العثمانية، وغير ذلك من المواد المتعلقة بالثقافة الإسلامية.

والمواد الإجبارية والاختيارية التي يدرسها الطلبة خلال السنوات الأربع مثل اللغة التركية والأدب التركي والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا واللغة الأجنبية والرياضة البدنية وعلم النفس وعلم الاجتماع والمنطق والرسم، والمواد الأخرى التي توجد بعينها في الثانويات الأخري الأدبية والفنية.



استنبول شامخة بمساجدها

مسابقة حفظ الحديث الشريف

أقيم أخيراً في مدرسة الأئمة والخطباء في منطقة «منديك» باستنبول مسابقة في حفظ حديث رسول الله ﷺ، وقد شارك في هذه المسابقة ٢٨٤ طالبًا وطالبة، وقد فازت في هذه المسابقة الطالبات راخية جوبان، حيث حفظت ١٠١٠ أحاديث، أسماء يايلاء، وقد حفظت ٨٨٥ حديثًا، اداء قراجه حيث حفظت ٧٠٠ حديث.

• باحث تركي

الأم مدرسة

على الرغم من أن تقارير الأمم المتحدة في مجال الدراسات السكانية قد أكدت بصورة لا لبس فيها على أن الأم المسلمة هي أسلم امرأة في الدنيا، وذلك بسبب الرضاعة الطبيعية، وأن الطفل المسلم هو أصح طفل في العالم، وفي ضوء تلك الحقائق أدرك الغربيون أن عملية فرض النمط الغربي على المجتمع الإسلامي أصبحت أمرًا مستعصيًا، فاتجهوا إلى البحث عن وسيلة لتفكيك هذه المنظومة المتلاحمة داخل الأسرة المسلمة، ووجهوا سهامهم بصورة خاصة تجاه المرأة المسلمة والأم المسلمة، واصفين إياها بأنها مجرد وعاء حاضن للحمل والولادة، وأنها حبيسة البيت والمطبخ دونما غاية أو هدف في هذه الحياة، واستنفر الغرب بمنظماته ومؤسساته لعولمة المرأة المسلمة.

لقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن الله عز وجل خلق الذكر والأنثى بحكمته وإرادته، وأوكل لكل منهما دورًا في إعمار الكون، وأن دور المرأة لا يقل أهمية عن دور الرجل، إن لم يزد عليه، فهي مربية الأبناء وصانعة الأجيال، وهي مدرسة متكاملة في عملية البناء والتربية كما وصفها الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

ثقافة التلفزيون

إيمان القدوسي

ابتلعت ثقافة التلفزيون كل الثقافات الفرعية والمحلية، فقد كانت لكل أسرة أو قبيلة أو قرية مفرداتها الخاصة بها.

والثقافة التلفزيونية ترجع لارتفاع معدل المشاهدة لدى الجمهور وخصوصا المرأة، وفي دراسة حديثة أعدها الأستاذ بكلية الإعلام -جامعة القاهرة د.عادل عبدالغفار اتضح أن ٩٢ في المائة من النساء في مصر يشاهدن التلفزيون، ويعتبرن هذا السلوك هو الترفيه الأساسي وربما الوحيد بالنسبة لهن.

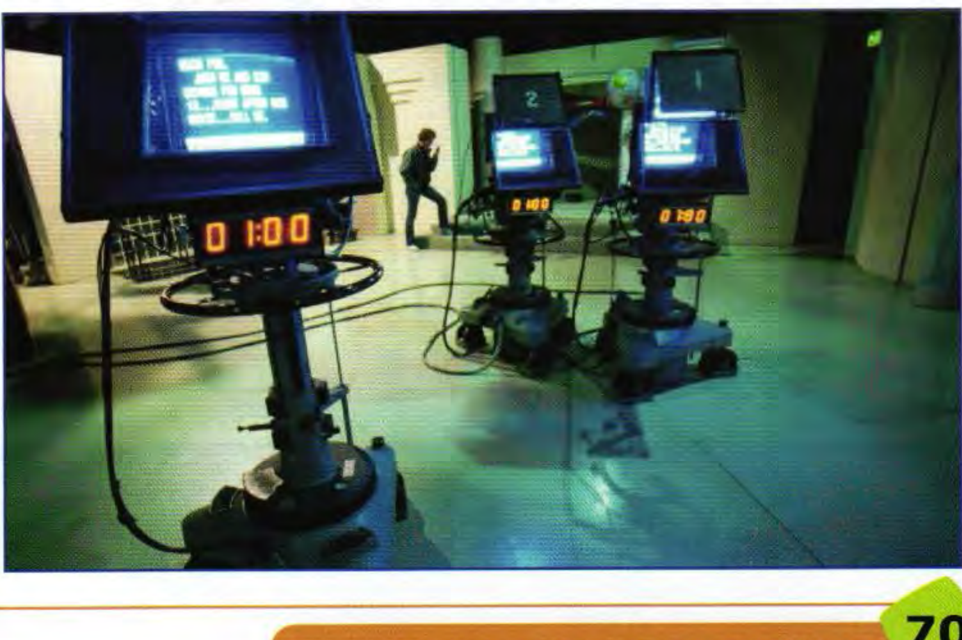
تحتل الدراما، سواء أفلام أو مسلسلات، المكانة الأولى في المواد المفضلة لدى المرأة، وذلك لأنها مواد مسلية جذابة وليست جافة، وكذلك لأنها لا تستدعي التفرغ الكامل أثناء المشاهدة، فيمكن لربة البيت أن تمارس كل أعمالها المنزلية وهي تتابع التلفزيون قدر الإمكان دون أن يفوتها الكثير، وتعتبر النساء هذا السلوك مجرد تسلية وصوت يؤنسها ويكسر شعورها بالوحدة والملل، ولكن الحقيقة أنه أثناء الاسترخاء الطويل أمام التلفزيون تتسرب الكثير من القيم وتترسخ داخل اللاوعي، وتسهم في تكوين الرؤية الذاتية للحياة والعلاقات بين الناس.

التسلية لا تكون أبدًا بمعزل عن القيم، بل إنها فترة مناسبة جدا لتمرير الكثير من القيم، والمساهمة في التكوين الثقافي، وذلك لأن الإنسان في تلك الحالة يكون وعيه مسترخيا وخطوط دفاعه مستباحة، وفي حالة تسمح له بتقبل كل شيء، وما بين الدموع والضحكات ولحظات الحب والفرح والتشويق يتم إعادة التشكيل الثقافي، ومع انعزال الناس عن بعضهم والاتجاه إلى الانكفاء على الذات وتقلص وجود الأسر الممتدة، وتفضيل الحياة داخل حدود الأسرة والمنزل تزايدت أهمية الثقافة التلفزيونية إذ أصبحت هي اللاصق الاجتماعي والثقافي الذي يربط فئات المجتمع المختلفة.

تحتل العلاقة بين الزوجين مساحة ضخمة في اهتمامات الدراما، وقد نشرت الكثير من المفاهيم والتي صارت كأنها مسلمات لدى النساء، خاصة في السن الصغيرة، ولم يقل أحد لهن أن هذه أوهام وأقاويل مغلوطة، وأنها حبال ذائبة من الخطر التعلق بها، مثل الاعتقاد أن الزواج هو نهاية المشوار وما بعده هو الاستغراق في بحور العسل والهناء، فعادة نهاية الفيلم زفاف البطل والبطلة وانتهاء كل المشكلات وترفرف السعادة بأجنحتها الذهبية عليهما، في حين أن الزواج هو البداية الحقيقية لتحمل المسؤولية، وبصفة عامة لا توجد نهايات في الحياة إلا بانتهاء الحياة نفسها، وكل خطوة هي بداية لمرحلة جديدة ونهاية للمرحلة السابقة، ومن المفاهيم الشائعة أيضا الاعتقاد بأن الزوج مكلف بإسعاد زوجته وتحقيق كل أحلامها، وهذا أيضا وهم.. فالزوجة كائن عاقل مستقل وعلى عاتقها وحدها تقع مسؤولية سعادتها والعلاقة بين الزوجين تبادلية، ومن أكثر المفاهيم الشائعة خطرا الاعتقاد أن الزوجين السعيدين لا يختلفان أبدا وتكون الحياة بينهما سلسلة متصلة الحلقات من البهجة والسرور، والحقيقة أن مزاج كل منهما وأحداث الحياة واختلاف التربية والفروق الفردية الكثيرة بينهما كلها عوامل تؤدي لتعارض الإرادات واختلاف وجهات النظر، وهو أمر صحي ولا يخيف أبدا، بل بالعكس يؤدي لمزيد من التفاهم ويعمق الفهم المشترك بينهما، وتؤدي كثرة المجاملات والكلام الناعم الزائف في الأفلام إلى اعتقاد خطأ أن هذا السلوك مرغوب، والحقيقة أن ما يسعد الطرف الآخر هو المصارحة والتعبير الصادق عن النفس.

لكل عروس جديدة أقول استمعي لصوت فطرتك، وتجاوبي مع زوجك في حدود الواقع المشترك، وحاولي الإمساك بنقاط الالتقاء والغزل عليها، ولا تتخذي ما تشاهدينه في الأفلام قدوة أو نموذجاً لأنه «شغل» سينما وأحلام تجارية ملونة هدفها الربح والتلاعب بالعقول.

ليس مهما على الإطلاق أن تكوني في جمال فاتنات الشاشة المصنوعات، ولا أن يكون زوجك ثريا وسيما معسول القول لتتحقق لكما السعادة، ولكن الأهم أن يكون بينكما تفاهم وصدق وإخلاص وتوفيق من المولى عز وجل ليكون لكما عش هادئ آمن سعيد وبعيد عن الأضواء وعن ثقافة التلفزيون.



بين الأم وبناتها

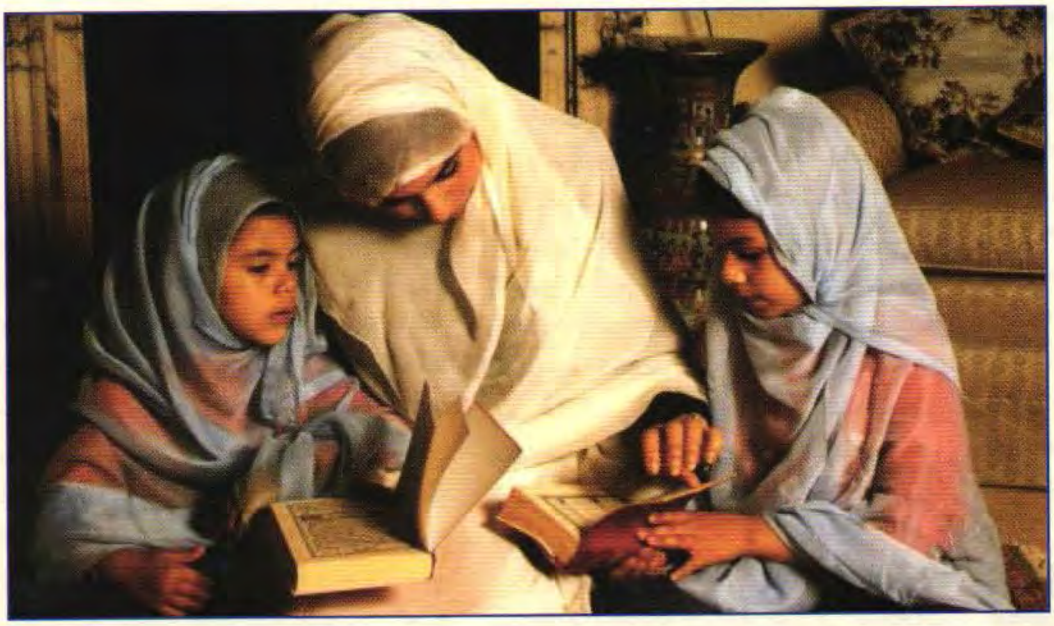
بريهان فارس عيسى

الأم هي ابنتها، والابنة هي أمها، ولذلك عندما يريد الرجل أن يتزوج بفتاة، فعليه ألا يهمل دور الأم التي ربت هذه الفتاة والتي ستكون جدة لأولاده، والأمثال الشعبية تقول: «ضع الجرة على فمها، تكون الابنة كأمها».

من هنا كان دور الأم فاعلا بالنسبة لأولادها بشكل عام، وبالنسبة لبناتها بشكل خاص.

ومن المعلوم أن الطفل يتأثر بأي سلوك يراه، أو أي حركة تمثل أمامه، فيقوم بتكرارها، والطفل سريع الالتقاط لأي أفعال تجري أمام عينيه.

والأم هنا تكون قدوة فاعلة في البيت، وعلى الأخص بالنسبة لبناتها، لأن الطفلة لا تريد أن تكون نسخة من أحد، ولكنها تريد أن تكون نسخة مصغرة من أمها، وهي لا ترضى عن نفسها إلا إذا كانت نسخة من أمها.



وهنا تكمن خطورة دور الأم، ومدى حساسية هذا الدور الذي تؤديه، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مع بناتها على وجه الخصوص.

كذلك تمر المرأة بمراحل انتقالية كبرى، تسعى من خلالها إلى تطوير نفسها مع كل مرحلة انتقالية جديدة، وتلجها، فعندما تتزوج تودع مرحلة وتستقبل مرحلة أخرى جديدة عندما تنجب أطفالاً، تستقبل مرحلة الأمومة الجديدة، فترتقي إلى المرحلة بتصرفاتها، وممارستها لحياتها اليومية، وحديثها، بل وحتى ثيابها، وبعض طبائعها التي ترى أن تعدل وتضيف وتحذف منها بما يتماشى وفق المرحلة الجديدة التي دلفتها، فهي هنا تفقد شيئًا من حريتها الشخصية التي كانت تمارسها وهي فتاة عزباء في بيت أهلها، هذه الحرية التي باتت الآن لا تؤثرها على أولادها وهي ترى أن ابنتها تحذو حذوها في بعض التصرفات، بل حتى تذهب الطفلة فتمثلها في رضاعة ألعابها، وهدهدة هذه الألعاب، والنوم على ذات الوسادة، في حين أن الولد لا يقوم بذلك، وهي إشارة أولى للأم التي تدرك مدى تأثير تصرفاتها على بناتها.

إن دور الأم بالنسبة لبناتها هو دور غاية في الحساسية والحذر، لأن البنات يتأثرن بأي حركة، أو أي سلوك يبدر منها، وهنا تكون أمام الأم فرصة ذهبية لتعزز السلوكيات الإيجابية عند بناتها، فهي عندما تصلي، ترى ابنتها الطفلة تقف إلى جوارها وتقلدها بذات الحركات، بل تذهب فترتدي ثياب الصلاة مقلدة أمها.

في المقابل نجد أن الأم التي تبر بوالدتها، تبرها ابنتها مقلدة لسلوكها، والأم التي تتحدث عن أمها بتهذيب ووقار واحترام، فإن ابنتها تتحدث عنها بذات المضمون، وكذلك فإن الأم التي تعق أمها، فإن ابنتها ستعقها، من هنا كان النبي ﷺ يرفع من شأن الأم وهو يوصي الإنسان المؤمن: أمك.. أمك.. أمك.

إنها مدرسة الأمومة التي تكون في البيت مع انبثاق الوعي بالنسبة للأطفال، بيد أن التأثير يكون أكثر وقعا وفاعلية بالنسبة للبنات لكون الابنة أقرب إلى أمها من النواحي الفيسيولوجية والسيكولوجية كونها كأمها مشروع أم في المستقبل، كما أن الابن يتأثر بأبيه لأنه مشروع أب في المستقبل.

إن الابنة هي ابنة أمها سلوكيًا، وتربويًا، وأخلاقيًا، وثقافيًا.

والأم، شئنا أم أبينا، هي ابنتها، كما أن الابنة، شئنا أم أبينا، هي أمها في هذه التكاملية الجمالية بين الأم وبناتها.

الأم تصنع عبقرية الأبناء ومجد الأوطان

د.زياد موسى

في أي زمان وأي مكان يحتاج بناء أمجاد الأوطان إلى منظومة متكاملة، تتكامل فيها أدوار الأفراد والمؤسسات من أجل التقدم والرقي، وإني أركز من خلال هذه السطور على دور الأم في تربية أبنائها ودفعهم للنبوغ والتفوق والعبقرية.

ونحن إذا قرأنا صفحات التاريخ من فجره حتى يومنا هذا فسنجد أمهات أهدين البشرية أبناء عظماء غيروا التاريخ وبنوا الأمجاد، فعظمة الأوطان يتم وضع أساسها بواسطة الأم التي ترضع أبناءها لبن الطموح، وتغذيهم العبقرية، وتربيهم على مبادئ النبوغ والمجد.

وسأحاول من خلال هذا المقال أن أعطي أمثلة لأمهات سجلهن التاريخ في صفحات كتبت بالذهب، كانت كل واحدة منهن كالبستاني الماهر، وكان أبناؤهن نعم الأبناء.

وسنستفتح الموضوع بالسيدة هاجر أم نبي الله إسماعيل، المصرية الأصل، أم صالحة اجتباها الله، واختارها لتكون زوجة أبي الأنبياء خليل الله إبراهيم. فعندما تركها إبراهيم في مكة وهي صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، قالت لنبي الله إبراهيم آلله أمرك بذلك؟.. فعندما علمت من زوجها أنه أمر الله قالت في يقين: إذن لن يضيعنا الله، فقدمت للأمهات نموذجا للإيمان واليقين بالله، وتشريفًا للأم الجليلة هاجر خلد الله محاولتها للبحث عن ماء في صحراء مكة الجرداء بالطواف بين الصفا والمروة سبع مرات بأن جعلها الله من مناسك الحج والعمرة، وكرمها الله وولدها بالماء المعجزة الذي تفجر من بين قدمي ولدها وصار البئر المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة (بئر زمزم)، وقامت هاجر وحدها بتربية نبي الله إسماعيل، ربته على الإيمان بالله، فقدم إسماعيل عليه السلام وهو لا يزال صبيا أروع النماذج على الإيمان بالله، وأطاع الله وأطاع أباه في أمر الذبح، وكان الفداء بالذبح العظيم الذي خلده الله سنة في عيد الأضحى إلى يوم الدين، وشرف الله إسماعيل بأن رفع قواعد البيت الحرام مع أبيه إبراهيم وأذن للناس بالحج، فاستجاب الناس لدعوة أبي الأنبياء بالحج إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فسلام على نبي الله إسماعيل، وعلى أمه هاجر.

وأم السيدة مريم أم صالحة قالت ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾ (آل عمران: ٣٥) فتقبل منها الله، فأنجبت السيدة مريم الطاهرة، فأنبتها الله نباتا حسنا، وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وكانت الأم المعجزة التي أنجبت بغير أب السيد المسيح عيسى عليه السلام، فسلام على نبي الله عيسى، وسلام على أمه مريم، وسلام على جدة نبي الله عيسى أم مريم.

وفي تاريخنا الإسلامي الجميل، إذ نقلب صفحاته الناصعة البراقة، نجد في صفحات من أجمل صفحاته قصة بنت بائعة اللبن التي رفضت أن تغش اللبن بالماء، واختارها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لتكون زوجة لأحد أبنائه، لأنه يرى من صلاحها ومن شخصيتها أنها سوف تنجب عظماء،

فتزوجها ابنه عاصم، فكانت أما عظيمة، أنجبت بنتا عظيمة، فكانت بنت ابنة بائعة اللبن هي أم عمر بن عبدالعزيز الخليفة الذي ملأ الأرض عدلا، إذ جعلته يقتدي بجده عمر بن الخطاب، فما أروع جدته وأمه، فهما من أهدتا للبشرية هذا النموذج الرائع للعدل والصلاح والإيمان.

وعندما نطالع صفحات تاريخ العلماء الغربيين في العصر الحديث نجد صورة باهرة لأم غيرت وجه العالم، بل أنارت العالم، وأهدت العالم عبقرية علمية غيرت وجه الأرض، أم العالم الأميركي توماس أديسون الذي تعثر في بداية تعليمه، وكان أبوه قاسي القلب، ضربه على أذنيه فأفقده السمع، وأخرجه من المدرسة، وجعله يعمل بائعًا للجرائد، ولكن أمه غيرت حياته، فعلمت ابنها القراءة والكتابة وأتت له بكتب في الفيزياء، وأتت له بأجهزة قديمة يقوم بفكها وتركيبها، وزرعت فيه طموح العلم والاختراعات، فكان هذا العالم الذي أهدى البشرية العديد من الاختراعات التي غيرت الحياة على الأرض، وأبرزها المصباح الكهربائي، وجهاز الأشعة، وغير ذلك الكثير.

وهذا نابليون بونابرت الذي يعترف بفضل أمه عليه، وأنها من أسست شخصيته، وكان من أقوال نابليون بونابرت: «إن الأم تهز مهد طفلها بيمينها، وتهز عرش العالم بشمالها»، لقد كانت أمه هي من زرعت فيه بذور الطموح الذي غير به تاريخ فرنسا



◆ دكتوراه في فلسفة العلوم (ميكروبيولوجي)

الحديث.

وصدق الشاعر الراحل حافظ إبراهيم إذ يقول:

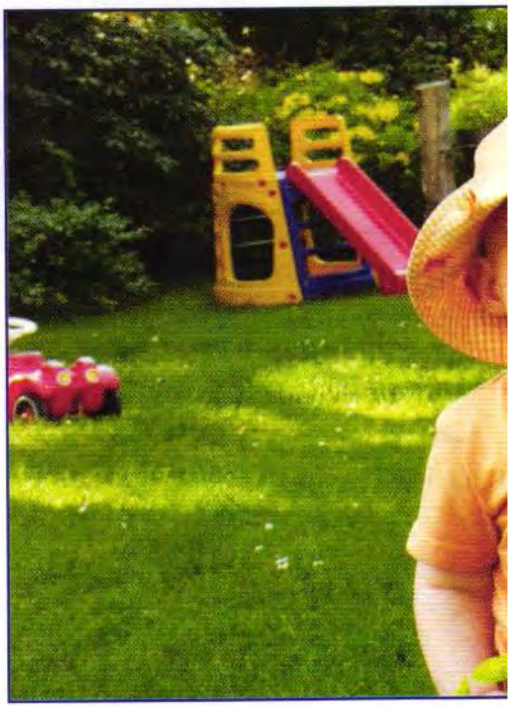
الأم مـدرسـة إذا أعـددتـهـا
أعددت شعبًا طيب الأعـراق
الأم روض إن تـعـهـده الـحـيـا
بـالـري أورق أيـمـا إيـراق
الأم أسـتـاذ الأسـاتـذة الألـى
شغلت مـآثرهم مـدى الآفاق

فـالأم هـي الأستاذة الأولـى لأبنائها، بل هي مدرسة بأكملها، فهي المدرسة الأولى التي يتعلم منها أبناؤها الأخلاق والطموح وفن صناعة المجد، فـالأم هي التي تصنع عبقرية أبنائها.

وفي الأثر «الجنة تحت أقدام الأمهات» أي أن طاعة الأمهات والبر بهن طريق إلى رضا الله ودخول الجنة في الآخرة،إن شاء الله.

وإن بمقدور الأمهات في الدنيا حسن تربية أبنائهن، ورعايتهم وغرس الأخلاق الحميدة في نفوسهم، وتعليمهم الدين الصحيح، وتنمية مواهبهم، ليحققوا التقدم لأوطاننا، والازدهار لأمتنا.

فـالأم هـي المحطة الأولـى التـي ينطلق منها ركب الحضارة والتقدم والرقي.



مَن أصدقاء أطفالنا؟

أميرة سليمان محمد



الطفل يتعلق بأي طفل آخر في مثل سنه، لكنه يبقى تعلقًا مؤقتًا، فلا توجد صداقات بالمعنى الصحيح في السنة الأولى من حياة طفلك، ولكن بعد مرور سنتين تقريبًا من حياته يبدأ الانتباه لمن حوله من الأطفال، وتبدو عليه ملامح الاستمتاع بمصاحبة أصدقائه، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة تعلقه بهم، لكنه مع هذا يبقى أنانيًا، حيث يصر على الاحتفاظ بألعابه لنفسه ويرفض أن يشاركه أحد فيها.

وفي سن الرابعة تتسع دائرة الطفل بشكل ملحوظ، فيقضي الكثير من وقته في اللعب مع الأطفال الآخرين ويبدو مستمتعًا برفقتهم، ويشعر بالأسف والحزن إذا أساء أحد أصدقائه إليه، وابتداء من السادسة يطرأ تغير كبير في شخصيته، حيث يستوعب مفهوم المشاركة بشكل جيد، ويبدي استعدادًا كبيرًا للتعاون مع رفاقه ومشاركتهم اللعب والمرح.

وفي كل المراحل يحتاج الطفل إلى مساعدة أبويه في اختيار أصدقائه، لأن المهمة ليست سهلة، ويتم ذلك من خلال غرس حب الناس في نفسه، وتعليمه آداب تبادل الحديث مع الآخرين، وعدم تشجيعه على الأنانية وحب الذات، ومساعدته على فهم معنى الصداقة من خلال الاستعانة ببعض الأناشيد أو القصص المسلية التي تركز على مفهوم الصداقة وما تمثله من محبة وإخلاص، والمراحل المتقدمة من أعمارهم تقتضي مراقبتهم لحمايتهم من رفاق السوء، ولتعزيز ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على الاختيار الجيد، وهذا يقتضي توسيع فرص الاختيار من بين أبناء المعارف والأقارب، ومن المهم أن يتفهم الأبوان وجهة نظر الابن في اختيار صديقه، ومناقشته بهدوء إذا كان اختياره خاطئًا حتى يقتنع ويغير رأيه.

الثمار المرة

منى الشريف



ما زال دعاة تحرير المرأة في بلادنا ينعقون بضرورة تخليص المرأة المسلمة من قيود العادات والتقاليد- على حد زعمهم- ولم يسلم الدين من هذه الدعاوى، ضاربين المثل بالمرأة الغربية وكيف أنها استطاعت تحقيق ذاتها وإثبات شخصيتها والحصول على حقوقها بخروجها من بيتها ومنافسة الرجل في كافة الميادين، وهم في كل هذا متغافلين عن ذكر الواقع المرير الذي تعيشه المرأة في البلاد الغربية، وسائر البلاد الإباحية التي لم تعرف من حقوق وكرامة المرأة سوى الشعارات البراقة، فلم تعد للمرأة الغربية قيمة سوى أنها مجرد متعة جسدية وسلعة جنسية، ولم تحصل على ما أرادت من حقوق، بل خسرت بيتها وكرامتها وعفافها وصار لسان حالها يصرخ في أوجه من غرروا بها قائلا «يا دعاة الحرية إن ثماركم مرة»، أين تقع المرأة الغربية على المدرجة الإنسانية؟ ومن يمثل هذه المرأة ؟ نساء البهرج والزيف المصقول على شاشات هوليود أم أولئك المسحوقات تحت وطأة العمل المنهك، وسوط الرجل الذي لا يرحم..! في حوار الحضارات، هل يمكن لدراسة حقيقية أن تقرن واقعًا بواقع، لنصير إلى الجواب العملي لا الإعلامي، أيهما أكرم وأرقى؟!

في إعلام يسيطر عليه المفسدون، اعتبر حجاب المرأة الدليل الأوضح على امتهانها وتخلفها وانحطاطها وجهلها و... ولكن المتاجرة بجسد المرأة لم تعتبر قط كذلك! وفي ظل شعار التحرير سُحقت إنسانية المرأة في الغرب، وعُطّل أو عرقل دورها الإنساني الطبيعي ورسالتها المقدسة في تشييد دعائم الأسرة متكاملة ومتضامنة مع الرجل، وحرمت من التمتع بحقها في كفالة الرجل لها وإنفاقه عليها حينما أجبرت – باسم التحرر والمساواة مع الرجل – على الخروج من المنزل، ودفع بها إلى المصانع والمكاتب لتكدح يومها كله من أجل الحصول على لقمة العيش، واستدرجت ـ باسم الفن والمدنية الحديثة ـ إلى مواطن الرذيلة والفساد الخلقي، واتخذت أسواق الرأسمالية الجديدة التي لا تعرف معنى للعفة والشرف من جسدها فتنة جنسية تروّج بها سلعها وبضائعها التجارية.

وفي سياق رؤيتنا الحضارية لواقع المرأة الغربية من الداخل، سنترك دائمًا أصحاب الشأن يتكلمون، وسنترك الأرقام تفصح عن الحقيقة، فربما ننشئ حوار حضارات حقيقياً، ليس فقط بين فكرين أو منهجين، وإنما أيضًا بين واقعين.

باحث أميركي: تحرير المرأة خدعة خرّبت الحضارة الغربية

وإذا كان دعاة التحررية في بلادنا لا يغريهم أو يقنعهم إلا الاستماع إلى أحاديث أسيادهم الغربيين، فلندع المجال أولا لقول المنصفين من أهل الغرب، فأهل مكة أدرى بشعابها، يقول د. هنري ماكوو، وهو أستاذ جامعي ومؤلف وباحث أميركي متخصص في الشؤون النسائية والحركات التحررية: «تحرير المرأة خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأميركيات وخربت الحضارة الغربية».

وتقول المحامية الأميركية ماري آن ميزن

المتخصصة في قوانين الأحوال الشخصية في كتابها مصيدة المساواة: «إنَّ حملة الدعوة للمساواة تجاهلت الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة، ومتطلبات الأمومة، وإنَّ المرأة التي تكون أمًا وتعتني بالبيت والأطفال لا يمكن أن تنافس الرجل في أعماله التي وضعت ورسمت هياكلها أساسًا للرجل المتفرغ تمامًا للكد والعمل، وكان هذا على حساب البيت والأسرة، لذلك كانت هذه المساواة خسارة للمرأة لا كسبًا لها، لأنَّ هذه المساواة المزعومة التي طالبت بها الحركات النسائية في الستينيات من القرن الماضي، إنَّما تضع على كاهل المرأة أعباءً كثيرة، وتحملها مسؤوليات ضخمة، دون أن تحظى بأي مقابل، ودون أن تخفف من المسؤوليات الأسرية»، وترى المؤلفة أن تدفق النساء في سوق العمل كان كسبًا لأصحاب الأعمال الذين وجدوا عمالة نسائية كثيرة ورخيصة لا تكلفهم، بل يكلفهم الرجل حيث إنَّ التفاوت لا يزال كبيرًا في الأجور بين الرجال والنساء، فكل امرأة في أميركا تحصل على سبعين سنتًا مقابل دولار واحد يتقاضاه الرجل، إضافة إلى أنَّ هناك نساءً يتاجرن بأعراضهن وبأجسادهن، ومنهن من تعرضن إلى الابتزاز الجنسي من رؤسائهن، وهناك من الأزواج من يقامر على زوجته، إضافة إلى إقصائهن عن الأعمال القيادية، ونسبة المتقلدات هذه المناصب لا تعادل ١ في المائة بالنسبة للعاملات.

والنموذج الغربي في التحرر الجنسي لم يؤد، بالنسبة لقضايا الأخلاق، إلى استقلالية أكبر للمرأة فحسب، وإنما إلى طرق جديدة للاستغلال الجنسي أيضا، وهكذا تصبح التجارة بالخدمات الجنسية أكبر قطاعات صناعة وسائل التسلية في هذا المجتمع، وصار في الإمكان كسب أموال عن طريق التجارة بالنساء والسياحة الجنسية، أكثر من المتاجرة بالأسلحة والمخدرات معا، فكشفت إحصائية أميركية أن ٨٠ في المائة من الأميركيات يعتقدن أن من أبرز النتائج التي نتجت عن التغير الذي حدث في دورهن في المجتمع وحصولهن على الحرية، انحدار القيم الأخلاقية لدى الشباب هذه الأيام،



باسم التحرر والمساواة تم حرمان المرأة من التمتع بكفالة الرجل لها وإنفاقه عليها

وقالت ٧٥ في المائة من اللواتي شاركن في الاستفتاء: إنهن يشعرن بالقلق لانهيار القيم التقليدية والتفسخ العائلي، وقالت ٦٦ في المائة منهن: إنهن يشعرن بالكآبة والوحدة. وبالنسبة للنساء العاملات، قالت ٨٠ في المائة منهن: إنهن يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسؤولياتهن تجاه العمل ومسؤولياتهن تجاه المنزل والزوج والأولاد، وقالت ٧٤ في المائة: إن التوتر الذي يعانين منه في العمل ينعكس على حياتهن داخل المنزل، ولذلك فإنهن يواجهن مشاكل الأولاد والزوج بعصبية، وأية مشكلة مهما كانت صغيرة تكون مرشحة للتضخم.

وفي أحدث التقارير الأميركية وجد أن هناك ٣٥٠ ألف حالة حمل لفتيات دون السادسة عشرة، وذلك لأن جريمة الزنا أصبحت أمرا طبيعيا لكل فتاة، وبحماية من قانونهم ودستورهم المسمى بحرية التعبير، كما يؤكد تقرير صادر من مركز «ارنوت اوجدون» بأن هناك مليون حالة لمرضى السيلان وهذا نتاج الإباحية الجنسية، وهناك ما يربو على الأربعة ملايين حالة مرضية لأمراض تصنف أنها جنسية لها نتائج وخيمة، نتج عنها في أحد الأعوام ما يفوق ١٥٠ ألف حالة عقم، أما تقارير وزارة العدل فتؤكد بأن هناك ١٥٠ ألف حالة تم القبض فيها على نساء يعملن بما يسمى بالرقيق الأبيض، وهناك ما يفوق المليون امرأة يعملن بنفس المجال تحت مسمى عاملات جنس.

وعن فشل حالات الزواج وبتقرير من وزارة العدل يؤكد أنها بلغت ما نسبته ٥٠ في المائة من حالات الزواج، وهذا يعود إلى الإباحية الجنسية، وأن ٥٠ في المائة من عدد الأطفال يعيشون مع أزواج أمهاتهم أو زوجات آبائهم، مما يؤدي بالطبع إلى انهيار الأطفال نفسيا نتيجة التقصير في التربية، وهذا ما يؤكده تقرير مركز المخابرات الفيدرالي الأميركي الذي يوضح بأن من كل أربعة شباب تتراوح أعمارهم بين ١٢-١٧ قد قام واحد منهم بجريمة، كما أن القانون الوضعي الذي يكفل لمن دون الثامنة عشرة حمل السلاح قد تسبب في مقتل ٢٥ طفل يوميا، هذا ويقتل بالسلاح ما عدده ٤١٧٣ شاب سنويا.

هذا فيض من غيض مما جناه المجتمع الأميركي من جراء سوء فهم دور المرأة ومحاربة الأمومة، وإذا كان هؤلاء الأطفال هم مستقبل الشعب الأميركي، فهل يقبل عقل أو منطق أو علم أو أية ملة تنتمي إلى التحضر والتقدم أن يصبح المجرمون المشردون هم قادة العالم؟

لقد كانت دعوة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل النواحي اعتداءً على أنوثة المرأة وذكورة الرجل معًا، فرعاية الفوارق بين الجنسين في الوظائف والنشاطات والنواحي السيكولوجية والبيولوجية- وليس في القيمة الإنسانية- واجبةٌ مواءمةً للفطرة السوية والسنن الإلهية، ولعل ذلك الخلط هو سبب الشذوذ الجنسي الذي أصبح شرعيا في كثير من الدول الغربية!.

مخاوف الطفل.. المساعدة ضرورية

د. خالد سعد النجار *

«الرهاب» أو (الفوبيا) عبارة عن خوف مبالغ فيه ومتكرر أو شبه دائم، مما لا يخيف أغلب من في سن الطفل عادة، وقد يكون خوفًا غير محدد، وبإمكان الطفل أن يدرك أن هذا الخوف غير متناسب مع درجة الخطورة، ولكنه لا يزال غير قادر على الشعور بالطمأنينة للابتعاد عن الحالة أو الشيء تماما.

إن الرهاب هو أكثر أنواع اضطرابات القلق شيوعا، ومعظم حالات الرهاب المحدد تبدأ في مرحلة الطفولة في سن سبع سنوات، وبخلاف الخوف والقلق، فإن الرهاب يتدخل في حياة الطفل، والطفل عادة لا يملك السيطرة على مشاعر الخوف التي تتمالكه.

وللرهاب آثار سلبية بعيدة المدى تحتاج إلى تدخل نفسي وتربوي، فهو مصدر للإحجام، ويقود في أغلب الأوقات إلى ضعف في الأداء والتفاعل، وبالتالي فهو يؤدي إلى السلبية في مرحلة الطفولة، كما يؤدي إلى ضعف التعليم، ويقود إلى انخفاض نسبة النمو العام في الشخصية الإنسانية.

توجيهات عملية

■ إحاطة الطفل بجو من الدفء العاطفي والمحبة ليشعر بالأمن والطمأنينة، ولا تنس أن تمزج ذلك بدرجة معقولة ومرنة من الحزم.

■ رَبِّ طفلك على الشجاعة، ولا تخجل من مخاوفه، ومن المهم تعليم طفلك -عن طريق الكلام والأفعال- أن القلق والخوف جزء من التجربة الإنسانية، وأنها مشاعر طبيعية.

■ إن صادف الطفل موقف يخيفه فلا تدفعه إلى نسيانه، فالنسيان يدفن المخاوف في النفس لتصبح فيما بعد مصدرًا للقلق والاضطراب، بل أوضح الموقف له لكي لا يبالغ بالخوف، وأشبع فضوله، وطَمْئنه دون أن تخدعه.

■ إذا كان الطفل قد تعرض لموقف مخيف في وقت أو مرحلة سابقة من عمره، فإنه يعمم الخوف على كل المواقف المتشابهة، وهنا يجب عليك أن تعرّضه تدريجيًا لتلك المواقف التي خاف منها سابقا، وتكون ملاصقًا له، ثم تتركه رويدًا رويدًا حتى يتأكد بنفسه ألا شيء يخيف، وعلى الآباء مساعدة الطفل على مواجهة المواقف المرتبطة بانفعال الخوف بالتشجيع دون زجر أو نقد، وذلك بدافع من نفس الطفل والثقة بوالديه.

■ ادعم في طفلك روح الاستقلال والاعتماد على النفس ما أمكن، مما يعزز ثقته بنفسه ويشعر باحترامه.. جرب تهيئة بيئة تسمح لطفلك بالاعتداد بنفسه.. شجع طفلك دائما على التحديات الجديدة، لأن ذلك سيمنحه القوة والثقة.

■ حاول تجنب الإفراط في حماية طفلك، فهذا سيجعل الأمر أكثر سوءا. مثال، إذا كان طفلك يخاف من الحشرات، لا تجعله يتفاداها تماما، لأن ذلك سيعزز مفهومه أن الحشرات مخيفة، ويجب تجنبها، فعاجلا أم آجلا سيكون طفلك في وضع توجد فيه حشرات، وقد لا تكون معه.

■ حاول تجنب ترديد عبارات تفيد إصابة طفلك بالخوف أو الرهاب، أو خوف من حالة معينة، لأن ذلك سيؤثر سلبا عليه.

■ لا تضحك أو تقلل من الخوف الذي يشعر به طفلك، فهذا سيضره، وقد يحاول إخفاء مخاوفه مستقبلا، كما أن السخرية من مخاوف طفلك لن تعالجها.

■ يجب الاعتراف بأن الخوف حقيقي، بغض النظر عن تفاهته، طالما يبعث القلق في طفلك.. تقبّل خوف الطفل والأزمة الّتي يشعر بها.. عانقه وقبله وقربه منك، ثم قم بتهدئة الطفل وإعطائه الشّعور بالأمان.. إفساح المجال للطفل للتّعبير عن مشاعره واحترامها.. حثّ الطفل على معرفة مصدر الخوف.. استعمال اللّعب التمثيليّ وتبادل الأدوار بهدف ترويض المواقف المخيفة.

■ من أجل تبديد المشاعر المثيرة للرعب، على الأم أو الأب محاولة تجريد المخاوف من



* كاتب مصري

صفتها الخاصة، وحث طفلهما على التحدث عن الشيء الذي يخيفه، فتجاهل مشاعر الخوف أو السبب الذي يرعب الطفل لن يؤدي إلى تبديد خوفه، كما أن محاولة إقناع الطفل بأن لا مبرر لخوفه ستنقلب نتائجها رأسًا على عقب، ويجب الانتباه إلى عدم إثارة هذا الموضوع عند اقتراب موعد النوم، حيث يشعر الأطفال عادة بالخوف أكثر.

■ يجب على الأهل أن يتجنبوا استغلال الخوف في محاولة إخضاع الطفل لأوامرهما، مع ضرورة تنمية شخصيته وتعويده النظام والواجب دون تخويف، مما يساعد الطفل على المحافظة على نفسه والتكيف مع المجتمع.

■ تنمية مهارات التفكير لديه وخلق الأفكار، لأن الخوف يشعر الإنسان بالضعف، ولكن بإخراج الأفكار يستطيع الإنسان التعامل مع الخوف، وتساعده عملية التفكير على استعادة بعض القوى التي فقدها.

■ لا تحاول أبدا إجبار طفلك في عمل شيء يخافه، فهذا سيؤدي به إلى مزيد من القلق، وربما يصاب طفلك بنوبة ذعر، أو يفقد ثقته بك.

■ من الأفضل تعليم الطفل كيفية تهدئة نفسه، عندما يشعر بالقلق أو الخوف، بدلًا من الإسراع إلى طمأنته، لأن ذلك يفيده على المدى البعيد، فإذا كان يشعر بالاستياء أو كان كثير الحركة، يمكن الطلب منه أخذ نَفَس عميق أو ترديد أنشودته المفضلة، وسوف يستعيد السيطرة على حركات جسمه، من خلال توجيه انتباهه بعيدًا عن مصدر الخوف، ومن ثم يتم العمل على تهدئة مشاعره.

■ إزالة خوف الطفل، بربط مخاوفه بانفعال السرور، أي قاعدة الاشتراط تطبق عكسية، عن طريق محو استجابة الخوف، وإحلال استجابة السرور.. فالقاعدة العامة هي أن الأطفال تقل حساسيتهم من الخوف عندما يتم إقران موضع الخوف أو الفكرة المثيرة له بأي شيء سار (اشتراط مضاد)، فمن المفيد جدا جعل الأطفال يلعبون إحدى ألعابهم المفضلة أو ينهمكون بأي نشاط ممتع أثناء الخوف، على سبيل المثال: يمكن للطفل أن يرتدي زي بطل معروف ويقوم بتمثيل



«الرهاب» هو أكثر أنواع اضطرابات القلق شيوعاً عند الأطفال

بعض المشاهد في غرفة خافتة الإضاءة كخطوة أولى للتغلب على الخوف من الظلام، كما يمكن للطفل أن يلعب لعبة «الاستغماية» في غرفة مظلمة، فيختبئ الأب أولا بينما يبحث عنه الطفل، ثم يختبئ الطفل وهكذا.

■ من المهم أن يمدح الكبار أي خطوة صغيرة يقوم بها الطفل، والتركيز على ما أنجزه بدلًا من الخوف بذاته.

■ استعمل الخوف البنَّاء في تغذية إيمان طفلك بالله، وتنمية شخصيته، وتعويده احترام النظام، وأبعده عن مُثيرات الخوف، كالمآتم، والقصص المُخيفة عن الغولة والجن والعفاريت.

■ تجنب التهديد والوعيد مع الطفل، فذلك كفيل بفقدان الشعور بالأمن لديه.

■ توفير جو من الاستقرار العائلي يتصف بالهدوء والحميمية.

■ احرص على أن يكون سلوك المحيطين بطفلك متَّزنًا، خاليًا من الهلع والفزع في أي موقف من المواقف، وخصوصًا إذا مرض الطفل أو أصابه مكروه.

■ تعد طريقة «ملاحظة النماذج» طريقة طبيعية لتقليل الحساسية، فالطفل يتعلم من خلال الملاحظة كيف يتعامل الأفراد غير الخائفين مع المواقف، فيبدأ بشكل تدريجي بالتعامل دون خوف مع المواقف التي تزداد درجة الإخافة فيها شيئًا فشيئًا، ويفضل أن تكون النماذج من الأشخاص العاديين حتى لا يرى الطفل النموذج وكأنه شخص يتمتع بصفات خاصة تجعله قادرا على أن يكون شجاعا.

■ يميل الطفل إلى الشعور بالخوف من طبيب الأسنان أو من التحليق في الطائرة، عندما يرى والدته تتصبب عرقًا، خوفًا من صعودها إلى الطائرة، أما عندما ترتعد لدى زيارتها طبيب الأسنان، فلا مانع أن تعترف الأم أمام طفلها بأنها كانت تخاف الذهاب إلى طبيب الأسنان، عندما كانت في مثل عمره، لكن مع الإشارة أيضًا أنها كانت تتغلب على خوفها، لأنها لا تريد أن تصاب أسنانها بالتسوس، هذا الاعتراف يُفهم الطفل أنه ليس وحيداً فيما يمر به، وأن والدته تعلمت كيفية التغلب على مخاوفها.

■ العلاج الجماعي، بتشجيع الطفل على الاندماج مع غيره من الأطفال، وتنمية قدرته على التفاعل الاجتماعي.

أطفال ولكن مدمنون!!

تحقيق: صلاح محمد أبوزيد

بات من الطبيعي أن نشاهد كثيرًا من الأطفال والمراهقين يقضون الساعات الطوال أمام شاشات الحواسب الآلية، فيما يشبه الادمان، مستغرقين في تصفح المواقع المختلفة على شبكة المعلومات الدولية أو ممارسة ألعابهم المفضلة دون أن ننتبه لما يمثله هذا السلوك من خطر على صحة الطفل النفسية والبدنية والاجتماعية.



أعراض انسحابية

في البداية يقول د.عادل المدني أستاذ علم النفس المعروف: فكرة الإدمان واحدة، فالإنسان يتعود على تعاطي أشياء معينة كالخمور أو المخدرات وغيرهما أو ممارسة سلوكات معينة يوميا وبإفراط مثل إدمان الإنترنت الذي يؤدي إلى مظاهر انسحابية من الحياة الاجتماعية، فالشخص الذي يدمن الجلوس أمام حاسوبه أوقاتًا طويلة كل يوم ينعزل عن محيطه الاجتماعي، لأنه وجد حياة أخرى يتواصل معها بخياله بعيدًا عن الضغوط أو المسؤولية أو الخطوط الحمراء، كما أننا نجد مدمن الإنترنت ينسحب من واقعه ليعيش أحلام اليقظة والخيال التي هي دائمًا أجمل من الواقع، وقد يتعرف المراهق أو الحدث على شخصيات مريضة تؤثر فيه سلبًا، وكم من أفكار غريبة وشاذة تسللت عبر غرف الدردشة ووجد فيها الشباب نوعًا من الطرافة والتميز بينما هي في حقيقتها ضارة ومرفوضة دينيًا واجتماعيًا.

غرف الدردشة

ويواصل د.المدني قائلا: هناك أوجه تشابه كثيرة بين مدمن الإنترنت ومدمن المخدرات، ومنها التوتر والعصبية وعدم التركيز والاستغراق في الأحلام، وأيضًا الاحتياج الشديد إلى استخدام الانترنت والجلوس ساعات طويلة أمام الحاسوب كل يوم، وعدم القدرة على التخلي عن هذه العادة، وغرف الدردشة إذا كانت تجذب اصدقاء جددًا، وتنمي ثقافة ما، وتفتح قنوات مختلفة للتحاور مع الآخرين، فإنها إذا استغرق الطفل أو المراهق في الارتباط بها أبعدت المسافة بين أبناء الأسرة الواحدة، وقضت على العلاقة الحميمة بين الأبناء والآباء، لأنها تجعل الشخص يدور حول ذاته فقط، وقد تؤدي إلى وقوع جرائم غريبة على مجتمعاتنا العربية والإسلامية كالاعتداء على الآباء والأمهات وكبار السن.

خنق الحرية

وتشير د.هناء أبوبكر أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة إلى أن غالبية مدمني الإنترنت يفضلون المكوث بجوار حواسبهم على المشاركة في النشاطات أو المناسبات الاجتماعية المختلفة أو الاختلاط بالآخرين، وأكثر الشباب عرضة للإدمان هم الخجولون والقلقون، لأنهم يجدون في عالم الإنترنت كل الحرية في التواصل مع الآخرين دون الالتقاء بهم وجهًا لوجه.

وهذا يفرض على الأبوين المتابعة الدقيقة والصارمة لأبنائهم ليس بغرض التضييق وخنق الحرية بل للتوجيه والإرشاد والمساعدة، فيجب مثلا تقليص عدد الساعات التي يقضيها الطفل أو المراهق أمام شاشة الحاسوب على أن يشغل وقت فراغه ببعض العلاقات الاجتماعية المفيدة، ولا يجب أن يقتصر دور الأهل على شراء الحواسب لأبنائهم أو منحهم النقود اللازمة لذلك فقط، إضافة الى أن إلمام الأهل ببعض المعلومات عن التكنولوجيا الحديثة أمر مهم للغاية حتى يتمكنوا من متابعة الأبناء وتوجيههم، وقد أدرك الصينيون فداحة خطر إدمان الأطفال للإنترنت فافتتحوا أول



عندما يبالغ الطفل في الارتباط بالآلة يتبلد إحساسه وينعزل عن مجتمعه ويصبح محرومًا من دفء العواطف الإنسانية

مستشفى في العالم لعلاج مدمني الإنترنت من أجل إعادة تأهيلهم وعودتهم إلى حياتهم الاجتماعية الطبيعية والتخلص من إدمان أجهزة الحاسب الآلي، ومن الطريف أن العلاج يشتمل على بعض العقاقير المهدئة وجلسات الوخز بالإبر وممارسة الرياضة، وقد تستمر فترة بقاء المدمن في المستشفى خمسة عشر يومًا متصلة.

ألعاب.. ولكنها خطيرة!

ولعل إدمان الأطفال لألعاب الحاسوب يمثل نوعًا آخر من الإدمان لا يحظى بالاهتمام اللازم على ما فيه من خطر على صحة الطفل النفسية والاجتماعية، فقد أصبح الطفل يفضل التوجه إلى جهاز الحاسوب أو مقهى الإنترنت القريب من منزله والاستغراق في ممارسة ألعابه المفضلة بدلا من الالتقاء بزملائه وأقرانه، وحسب بحث علمي قام به العلماء في جامعة طوكيو اليابانية فإن ألعاب الحاسوب لا تحفز من أجزاء الدماغ البشري سوى تلك المتعلقة بكل من الرؤية والحركة بينما لا تساعد في تنمية وتطوير الذاكرة أو العواطف أو مهارات التعليم.

وعن هذا النوع من الإدمان يقول د.محمد المفتي أستاذ علوم التربية بجامعة حلوان: أصبحنا الآن نجد أطفالا لا تتعدى أعمارهم خمسة أو ستة أعوام يتعاملون مع الحاسوب والإنترنت ببراعة فائقة تثير الإعجاب والدهشة والقلق أيضًا، وكما هو الحال دائمًا فلكل أداة إيجابياتها وسلبياتها فالحاسوب يزود الطفل بالعديد من الجوانب المعرفية ويرفع قدرته على التخيل ويكثف معلوماته ويرفع سقف طموحاته، ولكن إذا بالغ الطفل في الارتباط بالآلة تتبلد عواطفه ويصبح محرومًا من دفء العواطف الإنسانية، وكما هو معروف فإن معظم ألعاب الحاسوب تنطوي على أشكال مختلفة من العنف الذي ينطبع على شخصية الطفل ويضر به كثيرًا، ويغذي مشاعر الغضب لديه ويكسبه كثيرًا من الأخلاقيات السيئة.

وينصح د. المفتي الآباء بأن يشاركوا الطفل اهتماماته، وأن يشاركوا في اختيار الألعاب التي يمارسها، وعليهم أن يشغلوا أوقات فراغ الأبناء ببعض النشاطات المفيدة كالقراءة والرياضة وغيرها.

لا للرقابة الخانقة

ويرى د. علي عبدالفتاح أستاذ العلوم الاجتماعية بجامعة قناة السويس أن أسلوب المنع يعود بنتائج عكسية، وهو أيضًا غير واقعي وغير قابل للتنفيذ، كما أن الرقابة الخانقة على الطفل أو المراهق تدفعه إلى مزيد من التمرد أو الإقدام على الخطأ ليثبت لنفسه وللآخرين مدى استقلاليته وقدرته على تحمل المخاطرة، والأصوب هو إعطاء الأبناء شيئًا من الحرية والثقة دون أن نفقد هيبتنا واحترامنا أمامهم.

ويشير د.عبدالفتاح إلى نقطة بالغة الاهمية فيقول: في العصر الحديث تنازل الأبوان بمحض إرادتهما عن دورهما في حياة الأبناء، فالاسر الثرية تلجأ عادة الى المربيات ليحملن عبء تربية الأبناء وتنشئتهم، وكلنا قد رأى حجم الكوارث الناتجة عن ذلك، وفي الأسر الفقيرة يكون الأب مشغولا بأكثر من عمل والأم كذلك، فيبدأ الطفل في البحث عن بدائل للأب والأم ويجد ضالته غالبًا في عالم التكنولوجيا المدهش والمثير.. وبالتالي يصبح الحاسوب هو مصدر القيم والعادات والسلوكات لدى الأبناء.

القيم الدينية

وتقول د.هناء حمدالله الخبيرة بمركز البحوث الاجتماعية: إن تحول الأب إلى مجرد ممول لرغبات أبنائه من الناحية المادية كان له أثره الكبير في تقلص سلطته الروحية والتربوية على أبنائه، فبعدما كان الأب هو المثل والقدوة لطفله، أصبح الآن مصدرًا لتوفير احتياجاته المادية.

وتواصل قائلة: نحن نعيش العصر الذهبي للتكنولوجيا المسموعة والمرئية، وعلينا أن نعلم أطفالنا كيفية التعامل المقنن والمفيد معها بدلا من تركهم فريسة سائغة أمامها، وبالطبع فإن غرس القيم الدينية الرفيعة في نفوس أبنائنا منذ الصغر يجعل لديهم ما يشبه المناعة الذاتية من الأخطار المحدقة.

الاختلاط المعاصر.. المشكلة والحل

السيد علي شعيب



ساهم الغزو الفكري الحديث للعالم الإسلامي في حدوث موجة عاتية من تقليد المجتمعات الغربية في أفكارها وأخلاقها وعوائدها ونظمها والتنكر لكل ما هو شرقي أو عربي أو إسلامي، وانعكست مشكلات المجتمع الغربي وقضاياه على الواقع العربي والإسلامي سواء القضايا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية، ومن هذه القضايا قضية الدين والدولة، وقضية الدين والعلم، وقضية التعامل بالربا، وقضايا الاشتراكية والعلمانية والديمقراطية وقضايا المرأة...الخ.

خلف التقدم العلمي الحديث كثيرا من المشكلات الحياتية في المجتمعات التي لم تزل تعاني من الفقر والجهل والمرض وعلى رأسها المجتمعات الإسلامية، رغم النقلة الحضارية الهائلة التي حققتها العلوم والتكنولوجيا في حياة الأمم والشعوب على اختلافها.

ولاشك أن قضية الاختلاط بين الرجل والمرأة أو مشاركة المرأة الرجل في الحياة العامة هي أبرز هذه القضايا الاجتماعية.

ولقد تطور الاختلاط المعاصر بصورة كبيرة حتى زاحمت النساء الرجال في ميادين الحياة المختلفة.. في الشارع وفي الأسواق والجامعات والمنتديات والمصانع والمتاجر وفي الحدائق والمتنزهات، بل وصل الاختلاط إلى أشده في المواصلات العامة التي يحشر فيها الناس حشرا.

والأكثر من ذلك أن التكنولوجيا الحديثة سهلت للشباب والفتيات تبادل الأحاديث- سواء المحرمة أو المباحة- عبر الشات والهواتف الخلوية.

ولقد كتب الكتاب والمفكرون والباحثون عن الاختلاط بين الرجل والمرأة كتبا كثيرة وحرروا أبحاثا شتى وانقسموا بين مؤيد ومعارض، فاتجاه يرى القول بتحريم الاختلاط مطلقا، ويرى وجوب الفصل بين الرجل والمرأة في المجتمع، ويتمسك ببعض النصوص القرآنية التي تأمر المرأة بالقرار في البيت والاحتجاب عن أعين الرجال، والتوجيهات النبوية التي تحذر الرجال من المرأة وتعتبرها فتنة على الرجال، كما يعتمد على شواهد لبعض الغربيين الذين اكتووا بالاختلاط المطلق بين الجنسين وذهبوا إلى القول بضرورة منعه والفصل بين الرجل والمرأة...الخ.

واتجاه آخر يذهب إلى القول بإباحة الاختلاط بين الرجل والمرأة بقيود وضوابط هي غض البصر والقول المعروف وعدم الخضوع بالقول والتحلي باللباس الشرعي.

ويعتمد في ذلك على القول باشتراك الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية،كما أنه من أمور الفطرة، واعتمدوا على ما وصل إليه علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية من نتائج ونظريات في هذه المسألة.

وبينما اعتمد أصحاب الاتجاه الأول على القاعدة الأصولية في تحريم الاختلاط وهي «سد الذرائع»، اعتمد الآخرون على قاعدة «رفع الحرج والتيسير على الناس»، وتظل القضية سجالا بين الفريقين، ويظل الاختلاط قائما على صورته، ويتعود الناس على ممارسته بل تتطور أشكاله يوما بعد يوم.

والحقيقة أن مرد هذا الخلاف ومنشأه إنما يرجع إلى أسباب عدة منها:

أولا: الخلاف بين الباحثين والمفكرين

التربية المغلقة لم يعد لها مكان ولابد من الموازنة بين رسالة المـرأة في البيت ودورهـا في المجتمع

في هـذه القضية يمكن إرجاع معظمه إلى الخلاف حول دلالة المصطلح والخلط بينه وبين غيره من المصطلحات الأخرى المتشابهة ومـن ثم الحكم عليه فينبغي وضع حدود فاصلة بين مصطلحات الاختلاط والخلوة والتزاحم والالتصاق والفتنة والاجتماع والمشاركة واللقاء...الخ.

ثانيا: التقصير في تناول الموضوع من أبعاد وزوايا أخرى مهمة، منها الأبعاد النفسية والاجتماعية والواقعية والاقتصادية، فخروج المرأة لتعمل تحت إلحاح الفقر أصبح ضرورة اقتصادية، كما أن التربية المغلقة لم تعد تصلح في عصر الانفتاح الثقافي والعلمي والتكنولوجي وتشابك المصالح والحاجيات.

ثالثا: ينبغي الموازنة بين رسالة المرأة في بيتها ورسالتها في مجتمعها بحيث لا يطغى جانب على آخر.

الخروج من المأزق

يمكن الخروج من هذا المأزق من خلال وسائل عدة هي كالتالي:

<u>١- التربية الإسلامية الصحيحة لكل من الرجل والمرأة</u>، فإذا كانت تربية المرأة المسلمة عقليا ونفسيا واجتماعيا وإيمانيا من الأهمية بمكان حتى ليقول عنها الشاعر:

من لي بتربية النساء فإنها
في الشرق علة ذلك الإخفاق

فإن تربية الرجل المسلم لا تقل عنها شأنا ولا أهمية، لأنهما شريكان في إعمار الكون وإقامة شرع الله عز وجل، فلا ينبغي أن نرفع من شأن أحدهما على حساب الآخر.

يقول العقاد: النساء والرجال جنسان لا ينفصلان، ولا يخلق أحدهما إلا وهو شطر وله بقية، ولا سبيل إلى انفراد بينهما في تركيب الطبيعة ولا في وظيفة النوع، فإذا انفردا في تكاليف المجتمع فتلك علامة الخلل والانحراف.

ويقول الإمام محمد عبده في خطاب ألقاه في احتفال الجمعية الخيرية الإسلامية سنة ١٣١٤ هـ: الواجب علينا أن نعتني قبل كل شيء بما تعتني به الأمم الأخرى الناجحة قبل غيره، وهي لم تعتن بشيء أكثر من التربية وتحسين أخلاق العامة.

إن الإنسان لا يكون إنسانًا حقيقيا إلا بالتربية، وليست هي إلا عبارة عن اتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والحِكَم والتعاليم، وهي عبارة عن السعادة الحقيقية.

ليست القوانين التي تفرض العقوبات على الجرائم وتقدر المغارم على المخالفات هي التي تربي الأمم وتصلح من شؤونها، فإن القوانين لم توضع في جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات، وأما القوانين العامة المصلحة فهي نواميس التربية الايمانية لكل أمة.

انظروا إلى المرأة حين تقول لابنها مثلا إذا أرادت أن تمنحه شيئا: خذ هذا وأخفه عن الأعين حتى لا يراك أخوك، فكم من نقيصة علمته بمثل هذا القول؟ علمته ثلاث خصال هن الموبقات المهلكات: الأثرة والدناءة والسرقة، وربما توصيه بإنكار ما أعطته إذا سأله أخوه، فتعلمه بذلك أقبح خصال السوء والفساد وهو الكذب، وقد لا يتعلم الطفل عندما يراد تمرينه على النطق والكلام غير ألفاظ السباب والشتائم القبيحة، فيشب الطفل متعودا على أن تلفظ شفتاه كل كلام قبيح، لا يعبأ بماذا ينطق ولا يبالي بما يقول.

فتأملوا في فظاعة الأخلاق التي يشب عليها أبناء وبنات العامة من الأمة، ولا خلاص لنا من هذه الورطة الشنيعة إلا بالتربية الكاملة الشاملة للأبناء والبنات، فالنساء الجاهلات والرجال الجاهلون لا يمكن أن تتكون من بينهم أمة ولا جمعية، خاصة إذا أصبحت العلائق والروابط الطبيعية مهددة بين الناس كما نشاهد الآن. اللهم إن كنا نريد الحياة الطيبة والسعادة الدائمة فلنعمل لإصلاح شؤون الناشئين بالتربية المثقفة المهذبة، ولنجهد أنفسنا في طريق استكمال الأخلاق الفاضلة، وكلما زدنا في سبيل ذلك سعيا توافر لدينا حب تعضيد هذه الجمعية ونمت ثروتها، فأدت وظيفتها للأمة كما ينبغي، ونسأل الله أن يصلح ما بيننا من فساد، وأن يوفقنا جميعا إلى ما به نجاحنا وفلاحنا وسعادتنا.

ويؤكد الغزالي حرب على أهمية التربية فيقول: إننا يجب ألا نصدع رؤوس نسائنا بوساوس الفتنة التي نحن من خوفها في فتنة، وحسبنا أولا وأخيرا أن تأخذ فتياتنا ونساؤنا بآداب التربية الاجتماعية القويمة الجامعة بين الجنسين في جلاء ووضوح وفي كل مرحلة من مراحل العمر والدراسة.

٢- تنظيم العلاقات بين الجنسين

مما لاشك فيه أن تنظيم العلاقات والمشاركات الاجتماعية بين الرجل والمرأة في المجتمع الإسلامي على نحو يحقق المصلحة والمنفعة العامة أمر يساهم كثيرا في حل إشكالية الاختلاط المعاصر، بمعنى أنه إذا عني المسؤولون بتنظيم الميادين والمجالات التي يشترك فيها الرجل والمرأة في الحياة العامة،كدور العبادة وقاعات العلم ووسائل المواصلات...الخ، بحيث يرى كل منهما الآخر وربما يتم التحادث الجاد بينهما في جو آمن نظيف، وبحيث لا يقع الازدحام والالتصاق بين الرجال والنساء كما هو حادث في بعض الحافلات ووسائل النقل في بلادنا، فإن ذلك لا محالة يدفع المجتمع إلى المحافظة على أفراده رجالا ونساء، وتبادل المصالح والمنافع المختلفة، وترشيد مسألة الاختلاط وإشاعة ثقافة منضبطة وواعية عن العلاقة بين الجنسين.

وهكذا لم تعد الحلول النظرية أيا كانت قيمتها ذات مغزى قوي أو تأثير فعال وذلك لتفاقم مشكلة الاختلاط وتعقدها لاسيما وقد تخللتها أسباب اقتصادية واجتماعية لا يمكن إغفالها.

المراجع:

١- عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن- طبعة نهضة مصر- الطبعة الرابعة، ص١٤٠

٢- مجلة المنار ٧٥٦/٢٦.

٣- الغزالي حرب: استقلال المرأة في الإسلام- دار المستقبل العربي- القاهرة، ص: ١٧٧.

مسلمو جزيرة ريونيون.. على هامش الحياة

عبده دسوقي *

يقول ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو ذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» (رواه ابن حبان في صحيحه).

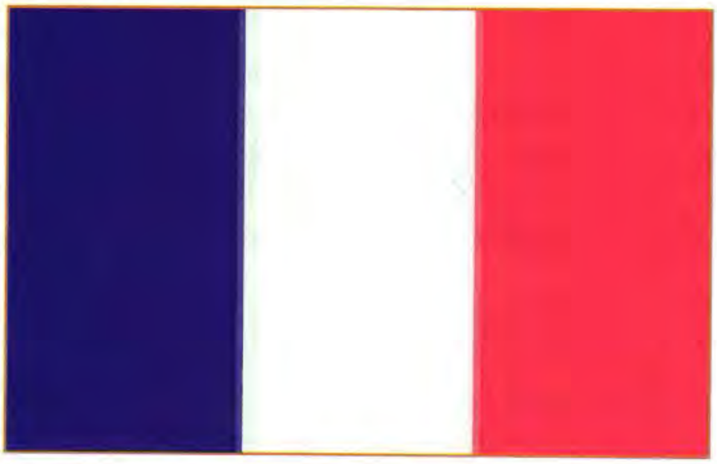
صدق رسول الله ﷺ، لقد بلغ الإسلام كل مكان حتى إنه يوجد في أماكن لا يعلم المسلم هل بها مسلمون أم لا.

إنها دعوة الله الذي تكفل بنشرها بالرغم مما يحاك لها من فتن واضطهاد، حتى في قلب أوطانها الإسلامية.

جزيرة ريونيون

هي الجزيرة التي نفي إليها المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي عام ١٩٢٦م، وبقي فيها حتى عام ١٩٤٧م، حيث أرادت الحكومة الفرنسية جلبه إلى باريس لتحقيق أهداف سياسية للضغط على الملك المغربي محمد الخامس، فهي جزيرة تقع في المحيط الهندي، وتقع على بعد حوالي ٦٥ كيلو مترا شرقي جزيرة مدغشقر، وقريبة من موريشيوس، وترجع هذه الجزيرة إلى أصل بركاني، وتبلغ مساحتها حوالي ٩٦٩ ميلا، وطولها ٦٣ كم، وعرضها ٤٥ كم، أما عاصمتها فهي «سان دينيس»، التي يبلغ عدد سكانها مائة وتسعة آلاف و٧٢ نسمة، وجزيرة ريونيون خاضعة للإدارة الفرنسية الخارجية منذ ١٩٤٦، وأهم منتجاتها هي: الفانيليا والتبغ والشاي وقصب السكر والعطور والذرة ونخيل الزيت والنرجيل، هذا إلى جانب ثروة حيوانية ضئيلة.

ويتكون سكان الجزيرة البالغ عددهم حتى عام ٢٠٠٧م ما يقرب من ٧٩٣ ألف نسمة، من الكريوليين الفرنسيين، أي السلالات الناتجة عن



الإسلام وصل إلى الجزيرة عن طريق العمالة المهاجرة من جزر القمر والهند

التزاوج بين الفرنسيين وأبناء الجزيرة الأصليين، إلى جانب عدد محدود من الهنود والباكستانيين، هذا إلى جانب العناصر المهاجرة من مدغشقر وجزر القمر وساحل شرقي إفريقيا (كريول) تكملها تدفقات الهجرة من الأفارقة، والصينيين، والملايو، أي إن الجزيرة خليط عرقي.

اكتشفها العرب قبل وصول البرتغاليين ولم يستقروا بها، ثم وصلها البرتغاليون في مطلع القرن السادس عشر، ولكنها ظلت غير مأهولة بالسكان حتى استولى عليها الفرنسيون في سنة ١٦٤٢م، وقد أطلقوا عليها أولا اسم «بوربون»، وقد حصلت الجزيرة على اسمها الحالي في عام ١٧٩٣م بموجب مرسوم صادر عن اتفاقية مع سقوط «بيت بوربون»، ويتولى تسيير شؤون الجزيرة مجلس يضم ٣٦ عضوا ينتخبهم الشعب، واللغة الرسمية هي الفرنسية.

تعتبر «لاريونيون» جزيرة استوائية، ففصل الشتاء عندهم (يونيو إلى أغسطس) تنخفض درجة الحرارة إلى البرودة ليلا مع اعتدالها نهارا، و تتساقط الأمطار، أما فصل الصيف (ديسمبر إلى مارس) فترتفع درجة الحرارة إلى ٣٥ درجة كحد أقصى، مع اعتدال الطقس ليلا مع الرطوبة، وما يميز هذا الفصل الأعاصير والأمطار، ولا ينصح بزيارة الجزيرة في هذا الوقت، وفصل الربيع من شهر سبتمبر إلى نوفمبر، فدرجة الحرارة تتراوح بين ١٨ و ٢٨ درجة، والأمطار تكاد تنعدم في هذا الفصل، ولا توجد أعاصير ولا رطوبة.

لا يوجد طيران مباشر من منطقة الشرق الأوسط إلى هذه الجزيرة، لكن يمكن الوصول إليها عن طريق طيران موريشيوس أو بوربون للطيران مباشرة على مطار «رولاند جاروس Roland Garros»، ويوجد بها متحف «ليون» الذي يحمل اسم الشاعر ليون، وموقعه في شارع باريس، مبنى البلدية القديم، والذي تم تحويله إلى فندق دي فيل.

مسجد نور الإسلام

مسجد نور الإسلام في شارع ماريشال لوكليرك، الذي يتسع لـ ٤٠٠٠ مصل، وسط المدينة حيث تشاهد فيه إخواننا المسلمين هناك.

الإسلام على أرض جزيرة ريونيون

وصل الإسلام إلى جزر

* باحث مصري في التاريخ

ريونيون مع العمالة المهاجرة، الذين جلبهم الفرنسيون من جزر القمر ومن الهند لزراعة المحصولات المدارية بالجزيرة، وينتشر المسلمون في العاصمة، وفي سانت بول، وسانتا مري، وسانت اندرية، وسانت دينيس، وسانت بير، وبها تجمع إسلامي وجمعية إسلامية.

يعمل أغلب المسلمين في الجزيرة بالتجارة، ومن المسلمين حوالي ١٠ آلاف مسلم من أصول هندية باكستانية، وحوالي ٦ آلاف مسلم من جزر القمر، وينتشر المسلمون في العاصمة، ولذلك لا توجد نظرة استغراب بالنسبة للحجاب، لأن نساء المسلمين من أهل الجزيرة يرتدينه، فهو ليس بالمنظر غير المألوف لديهم، إذ الجزيرة خليط عرقي من المسلمين وغيرهم.

وتقوم بالعمل الإسلامي بعض الجمعيات مثل جمعية أهل السنة والجماعة، وتشرف على ١٤ مسجدًا و١١ مدرسة، والتعليم باللغة الأردية، كذلك يوجد نشاط لجماعة التبليغ، كما يوجد مركز إسلامي في سانت بير، وفي الجزيرة حركة إسلامية جيدة التنظيم، وتدرس اللغة العربية ويقوم بتدريسها أئمة المساجد، وبالجزيرة مبعوث لدار الإفتاء.

وبالجزيرة أكثر من ٣٠ مسجدًا تنتشر في معظم مدنها، وأغلبها بالعاصمة وبمدينة سانت بير، وتلحق بالمساجد مدارس قرآنية، ويوجد مركز إسلامي في



الهندوسية والتنصير من أبرز التحديات التي تواجه مسلمي الجزيرة

سانت دينيس، ويصدر المجلس الإسلامي مجلة باللغة العربية واللغة الأردية.

ومن أهم التحديات التي تواجه المسلمين في الجزيرة وجود الهندوسية، وكذلك بعثات التنصير، والخلاف بين جماعة التبليغ وجمعية السنين، ومن أبرز المتطلبات الحاجة إلى الدعاة، والمدرسين، وحالة المسلمين بالجزيرة جيدة.

وبالرغم من ذلك فالجزيرة في حاجة لمدارس إسلامية، ويذكر الداعية محمود غلام عطيشة، أن المسلمين في ريونيون يعانون من الفقر والعوز، الأمر الذي يشكل تهديدًا للهوية الإسلامية للأجيال القادمة من أبنائهم، مشيرًا في الوقت ذاته إلى أن رابطة العالم الإسلامي قدمت مساهمات عديدة لسد جزء كبير من احتياجات المسلمين هناك، تمثلت في بناء مدرسة إسلامية كبيرة لتعليم أبناء الجزيرة، بالإضافة إلى بناء العديد من المساجد.

مسلمو الجزيرة والاتصال الخارجي

يكاد يكون اتصال سكان الجزيرة، لاسيما المسلمين، بالعالم الخارجي محدودا، وذلك بسبب عدم وجود تواصل مباشر من قبل الدول الإسلامية بمسلمي الجزيرة، وبالرغم من أنها تعد جزيرة ساحرة، فإن بعض الرحلات التي يقومون بها مثل رحلات الحج تتم عن طريق جزيرة مورشيوس، وقد أشاد رئيس بعثة حج ريونيون السيد مولانا عبدالله بالجهود العظيمة والخدمات الرائعة التي تقدمها المملكة العربية السعودية، كما تطرق رئيس مجلس إدارة مؤسسة مطوفي حجاج الدول الإفريقية غير العربية إلى استعدادات المؤسسة التي تهدف لخدمة وراحة الحجاج الذين تتشرف بخدمتهم المؤسسة.

لكن الأمر الذي يحتاجه المسلمون هناك لمواجهة التحديات، من تنصير واضطهاد من بعض الأقليات الهندوسية، هو وجود مربين ومعلمين يعرفونهم أمور دينهم ويربطون بينهم وبين الدول الإسلامية الأخرى.. فهل سيجدون من يهتم بهم؟

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإن من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقترن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرّفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحد من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أنه قد اهتم علماء المسلمين بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهامٌ بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد جميل النورستاني

«بخارى»

سأبدأ بالمدن أو الأقاليم التي ينتسب إليها أصحاب الكتب الستة، وذلك لشدة حاجة المعنيين إليها، وأولى تلك المدن: مدينة الإمام البخاري «بخارى».

«بخارى» مدينة من كبريات المدن في منطقة «ما وراء النهر» (٢)، قال عنها صاحب كتاب «الصور»: «وأما نزهة بلاد «ما وراء النهر» فإني لم أر- ولا بلغني- في الإسلام بلدًا أحسن خارجًا من بخارى، لأنك إذا علوت قهندزها- أي: قلعتها- لم يقع بصرك من جميع النواحي إلّا على خضرة، متصلة خضرتها بخضرة السماء، مكبوبة على بساط أخضر، تلوح القصور فيما بينها كالنّواوير فيها، وأراضي ضياعهم منعوتة بالاستواء كالمرآة، وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى، ولا أكثر عددًا على قدرها في المساحة» (٣).

وقال ياقوت الحموي: «بخارى- بالضم- من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر إليها من آمل الشط... وكانت قاعدة السامانية» (٤).

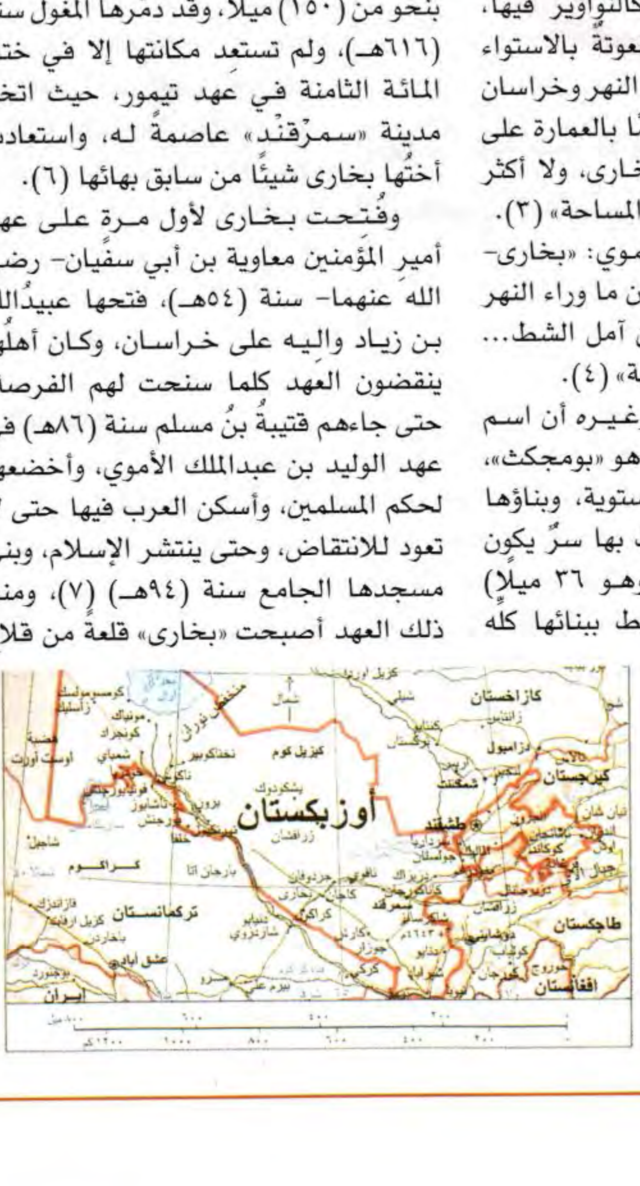
وذكر الحموي وغيره أن اسم مدينة «بخارى» قديمًا هو «بومجكث»، وكانت على أرض مستوية، وبناؤها خشب مشبك، ويحيط بها سورٌ يكون اثني عشر فرسخًا (وهو ٣٦ ميلًا) في مثلها، وهو يحيط بنائها كله من القصور والبساتين والمحالّ والسكك المفترشة، والقرى المتصلة، ولا يُرى في خلال ذلك قفارٌ ولا خراب.

وهناك سورٌ آخر خارج هذا السور يحيطُ بضواحي المدينة، وهي القصبةُ وما يتصلُ بها من القصور والمساكن والمحالّ والبساتين، وفيه مدينةٌ حصينةٌ فيها قلعةٌ بها مسكن وُلاة خراسان من آل سامان (٥).

وقد وصفها الثعالبيُّ بأنها كانت مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر.

وتقعُ مدينةُ «بُخارى» على نهر «زرافشان»- نهر الصغد- عند التقائه برافده المنحدر من الجنوب، إلى الغرب من مدينة «سمرْقَنْد» بنحو من (١٥٠) ميلًا، وقد دمّرها المغولُ سنة (٦١٦هـ)، ولم تستعد مكانتها إلا في ختام المائة الثامنة في عهد تيمور، حيث اتخذ مدينة «سمرْقنْد» عاصمةً له، واستعادت أختُها بخارى شيئًا من سابق بهائها (٦).

وفُتحت بخارى لأول مرة على عهد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- سنة (٥٤هـ)، فتحها عبيدُالله بن زياد واليه على خراسان، وكان أهلُها ينقضون العهد كلما سنحت لهم الفرصة، حتى جاءهم قتيبةُ بنُ مسلم سنة (٨٦هـ) في عهد الوليد بن عبدالملك الأموي، وأخضعها لحكم المسلمين، وأسكن العرب فيها حتى لا تعود للانتقاض، وحتى ينتشر الإسلام، وبنى مسجدها الجامع سنة (٩٤هـ) (٧)، ومنذ ذلك العهد أصبحت «بخارى» قلعةً من قلاع







الإسلام، وحصنا حصينا من حصونه.

وقد دخلها الأوزبك عام (٩٠٥هـ)، ولكنهم أبقوا «سمرْقنْد» عاصمةً لهم، وحكمت بخارى أسرةٌ أوزبكيّةٌ تُسمّى «بني منغيت»، واستمرّ حكمُها حتى عام (١٣٣٩هـ- ١٩٢٠م) حيث هاجم الروسُ المدينة واستولوا عليها، واضطرّ آخرُ أمرائها إلى الهجرة إلى أفغانستان، حيث توفي هناك عام ١٣٦٣هـ.

وتقعُ الآن في جمهورية «أوزبكِسْتان»، وعددُ سكانها يناهز ربع المليون من الأنفس (٨).

وينسب إلى مدينة «بخارى» خلقٌ كثيرٌ من أئمة المسلمين في فنونٍ شتى، على رأسهم أميرُ المؤمنين في الحديث الإمامُ أبوعبدالله محمدُ بنُ إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبه الجعفي مولاهم، البخاري، كان جدُّه الثالث «بَرْدِزْبه» فارسيًّا على دين قومه، ثم أسلم ولدُه المغيرة- أبو جدِّ الإمام البخاري- على يد اليمان الجُعفيِّ- حاكم بخارى- وأتى بخارى، فنُسب إليه نسبة ولاء؛ عملًا بمذهب من يرى أنّ من أسلم على يده شخصٌ كان ولاؤه له.

ولد الإمامُ البخاريُّ سنة (١٩٤هـ) ببخارى، وتوفي سنة (٢٥٦هـ) بقرية «خرْتنْك» قريبًا من «بخارى».

وكان الإمامُ البخاريُّ قد غادر مسقط رأسه «بخارى» وهو في الخامسة عشرة من عمره، ثم ظلّ يجوبُ الأمصار طلبًا للحديث، تخلّل ذلك إقامتُه في بعض المدن لسنوات عدّة، كإقامته بالبصرة خمس سنين متواصلةً، وكإقامته بالحجاز ستّة أعوام، ولكن يبدو أنها لم تكن متواصلة، حتى انتهى به المطافُ إلى مدينة «نيسابور»، التي وردها سنة (٢٥٠هـ)، وقد استُقبل الإمامُ البخاريُّ من أهالي نيسابور استقبالًا حافلًا منقطع النظير، وظلّ يُحدِّثُ فيها طيلة خمس سنوات.

ويبدو أنّ الإمام البخاريّ كان قد استوطنها بدلًا من مدينته «بخارى»، ولم يكن يرغبُ في الذهاب إلى بخارى لغلبة المخالفين فيها حسب تعبيره، ولكنه لم يستطع أن يستوطنها، بل خرج منها بعد خمس سنوات مكرهًا، وذلك بعد وقوع الوحشة بينه وبين إمام نيسابور محمد بن يحيى الذهليِّ، ومنع الأخير تلاميذه من حضور دروس الإمام البخاري، وبعد محنة دامت سنوات، قرّر الإمامُ البخاريُّ مغادرة نيسابور، فودّعها متوجِّهًا إلى مسقط رأسه بخارى.

ولما سمع أهلُ بلده برجوعه نُصبت له القبابُ على فرسخ من البلد، واستقبله عامّةُ أهل البلد، حتى لم يبق مذكورٌ لم يُشارك في استقباله، ونُثرت الدراهمُ والدنانير فرحًا بمقدمه، وبقي هناك مدةً وهو على ما يكون عليه أمثالُه من إقبال الناس عليهم ونشر العلم، حتى وقعت وحشةٌ بينه وبين أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلي، وكان هذا سبب مغادرته لبخارى.

وبعد وقوع الوحشة بين الإمام والأمير استعان الأميرُ ببعض من ينتسبُ إلى العلم من بعض المتعصِّبة حتى تكلموا في مذهب الإمام البخاري، فنفاه عن البلد.

وهكذا أخرج هذا الإمامُ العملاقُ من مسقط رأسه «بخارى»، ولم تسعْه هذه المدينةُ التي خلّدها البخاريُّ على مدار التاريخ، وسُمِّيت بسببه «قبّة الإسلام»، ومع كثرة المشاهير الذين خرجوا من هذه المدينة العريقة، فإنها لم تنل من الشهرة ما نالته إلا بسبب الإمام العبقريِّ الفذِّ العظيم.

وبعد خروج الإمام البخاريِّ من بخارى توجّه إلى قرية «خرْتنْك» وهي على فرسخين من مدينة «سمرْقنْد»، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، وتوفي هناك.

ونقل ابنُ عديٍّ عن عبدالقُدُّوس بن عبدالجبار السمرقنديِّ أنه سمع البخاريَّ ليلةً يدعو- وقد فرغ من صلاة الليل- قائلًا: «اللهمّ إنه قد ضاقتْ عليّ الأرضُ بما رحُبت، فاقبِضْني إليك»، قال: فما تمّ الشهرُ حتى مات، وقبرُه بخرتنك (٩).

وهكذا انتهت حياةُ هذا الإمام العظيم، ولكنّ ذكره مخلّدٌ مازالت الأجيالُ المتعاقبة تُغرِّدُ باسمه، وتحلّي المجالس بذكره، ولا زال يسكنُ قلوب ملايين المسلمين، بما أفنى عمره في خدمة سنة النبيِّ ﷺ وحفظ أحاديثه ويكفيه فخرًا كتابُه الذي هو أصحُّ الكتب بعد كتاب الله تعالى.

الهوامش

(١) عدّه الإمامُ ابنُ الصلاح النوع (٦٥) من أنواع علوم الحديث.

(٢) إقليم «ماوراء النّهْر» يقع الآن ضمن دولتين من الجمهوريّات التي تحرّرت من الاستعمار الروسي، وهي «طاجِكسْتان» و«أوزبكِسْتان».

(٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي (١/ ٢٨٠).

(٤) المصدر السابق.

(٥) الدولةُ السّامانيّة أسّسها أحمدُ بنُ سامان عام (٢٦١هـ)، واستمرّت (١٧٠) عامًا.

(٦) بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٦.

(٧) وقد جُدِّد هذا المسجدُ ومنارتُه عام (٥١٥هـ) بأمر ارسلان خان، وقد حُوِّل بعد السيطرة الشيوعيّة إلى متحف ومكتبة، ووُضعت أمامه التماثيل، وسمِّيت المكتبة باسم «مكتبة ابن سينا».

(٨) موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٠٩.

(٩) أسامي من روى عنهم محمدُ بنُ إسماعيل البخاري، لابن عدي، ص٦٧، تاريخ بغداد، ٢/ ٣٤، تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٦٦)، سير أعلام النبلاء، (١٢/ ٤٦٦).

جامع الحنابلة (المظفري)

بصالحية جبل قاسيون بدمشق الشام

تركي محمد النصر

حي الصالحية في دمشق أثر مبارك من آثار المهاجرين الذين تركوا بلادهم في فلسطين، هربًا بدينهم من الصليبيين، عام (٥٥٠ هـ . ١١٥٥م). وسميت الصالحية لأنها كانت مسكناً للصالحين.

وفيه يقول الشاعر:

الصالحيَّة جنَّة
والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها
منِّي التحيَّة والسلام

ومسجدها أقدم آبدة أيوبية ما زالت ماثلة في دمشق الشام، قال فيه يوسف بن عبدالهادي:

بالله إن جزت الصوالح فاقرها
مني السلام ولا تذد عن صدرها
شوقي يزيد إلى محلة أنسها
والقلب مني دائمًا في ذكرها
فالسهم منها قد أصاب لمهجتي
والعين تجري مذ غدت في نهرها
والجامع المشهور شملي جامعًا
وبه مدار الأنس صبَّ بنُعرها
والروضة الفيحاء ليس كمثلها
وبها الفحول وسادة في قعرها

موقعه

يقع جامع الحنابلة خارج أسوار المدينة القديمة، في صالحيَّة دمشق الشام بحي «أبو جرش» في زقاق الحنابلة، محاذيًا لشارع الشيخ عبدالغني النابلسي، عند السفح الشرقي لجبل قاسيون.

أسماؤه

قال يوسف بن عبدالهادي، له أربعة نِسَب:

الأولى: الجامع المظفَّري، نسبة للسلطان مظفر الدين كوكبوري (صاحب إربل)، زوج شقيقة السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي تمم بناءه، وهي أقدم تسمية للجامع وأكثرها استعمالاً عند المؤرخين، ونجدها بكثرة في السماعات التي قُرِئت في الجامع.

الثاني: جامع الجبل، لأنه في مصاعد جبل قاسيون.

الثالث: جامع الحنابلة، لأنه كان وقفًا حنبليًا.

الرابع: جامع الصالحين.

خصائصه وما قيل فيه

هو أول جامع كبير بُني في دمشق بعد الجامع الأموي.

قال ابن عبدالهادي: «الجامع المظفري أول مباني الصالحيَّة، وتاليه المدرسة العمرية».



الجامع العريق عرف بمجالس السماع الجماعي التي يشترك فيها عدد من العلماء

وقال ابن كنان عنهما: «وخصهما بالذكر لما هو مشاهد من بركتهما لكل أحد، ولأنه كثر فيهما اشتغال الدروس، وهما محل الحفَّاظ والمحدثين، واجتمع فيهما ما لا يجتمع في غيرهما».

قال ابن طولون الصالحي: «مئذنة جامع الحنابلة وهي من آجر بطبقتين»

بناؤه

تشير النصوص التاريخية إلى أن الذي بدأ في بناء الجامع المظفري هو الإمام محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الذي هاجر مع أهله سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥م) من فلسطين، واستقر بصالحيَّة دمشق، وباشر بناءه سنة (٥٩٨هـ - ١٢٠٢م)، بعد انتهائه من بناء دير الحنابلة، وجعله رديفًا له بمساحة (٢٥×٣٧).

وأنفق على بنائه تاجر يُقال له أبوداود الفامي، ثم نفد ماله فتوقف العمل ولمَّا يرتفع البناء عن مستوى القامة.

بلغ ذلك الملك المظفر كوكبوري (صاحب إربل)؛ فبعث لهم ثلاثة آلاف دينار لتتميم عمارته، كما أرسل الملك المظفر أيضًا ألف دينار لسقيا الماء إلى الجامع من قرية «برزة» المجاورة، فلم يتم ذلك خوفًا من نبش القبور في الطريق، فعوض عن ذلك بحفر بئر ماء، ووقفت عليه.

وانتهى بناء المسجد في ١٧ رجب سنة ٦١٠هـ.

ويذكر أن الذي تولى عمارة الجامع وأبدع فيها هو الشيخ أحمد بن يونس بن حسن المقدسي المرداوي (ت: ٦٢٢هـ)، وهو من مهاجري المقادسة، وكان يُضرب به المثل في الأمانة والخير والمروءة والدين والعقل والصلاح.

وصف الجامع وتطوره

يُلاحظ أن مخطط الجامع وشكله العام قُصد به إلى حد بعيد محاكاة الجامع الأموي ومخطَّطه وشكله، وللجامع جبهة حجرية غربية فيها الباب الغربي الكبير الذي يؤدي إلى صحن الجامع المربع الشكل الذي تتوسطه بركة ماء مربعة، وللمسجد باب آخر يواجه الباب الغربي.

كما يتوسط الجدار الجنوبي للجامع محراب حجري بديع الصنع، يكتنفه عمودان من الرخام الأبيض المجزَّع، ويقوم إلى يمين المحراب منبر خشبي، وهو آية من آيات الفن، وهو هدية من الملك كوكبوري، وقد زُين بمواضيع نباتية وهندسية تعد من روائع الفن الإسلامي، وتشير الدراسات التاريخية إلى أن منبر المسجد كان في البدء شبيهًا بمنبر مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة من ثلاث درجات، إلى أن تم صنع المنبر الحالي آنف الذكر سنة ٦٠٤هـ.

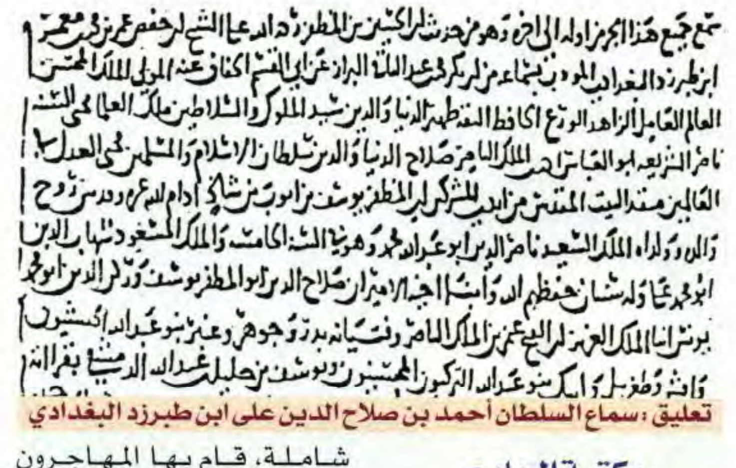
ويذكر المؤرخون أنه كان للمسجد مئذنتان تهدمت إحداهما، وبقيت الأخرى المعروفة بالمئذنة الشمالية خلف البئر مما يلي الجبل، يعود بناؤها إلى سنة ٦١٠هـ في عهد الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وهي مربعة الشكل بطول ١٨,٨٠م.

والخلاصة أن الجامع أحد روائع دمشق بمخططه وزخارفه الفريدة من نوعها.

وكانت له أوقاف جيدة، وتضاف له أوقاف المساجد والجوامع الأخرى، لما له من الشهرة والقدسية.

وقد أصاب الجامع نكبات كثيرة ومتوالية، ابتداءً من هجوم قازان سنة ٦٩٩هـ، وما تلاه من هجمات التتار الوحشية، التي انتهت سنة ٨٠٣هـ، ثم كانت فتنة جان بردي الغزالي بعد موت السلطان سليم الأول.

وقد رُمِّم الجامع في السبعينيات، ولا يزال يحافظ على مخطط بنائه القديم، وعلى معظم أقسامه الرئيسية.



تعليق: سماع السلطان أحمد بن صلاح الدين على ابن طبرزد البغدادي

مكتبة الجامع

كان للجامع مكتبة صغيرة موقوفة عليه، ومعظم الحنابلة كانوا يقرأون دروسهم فيها، وتضم مجموعة من الكتب الفقهية الحنبلية، والكتب الحديثية، إضافة إلى كتب في العلوم الأخرى، غير أن النكبات التي أصابت الجامع أثرت فيها، ولعل صغرها يعود إلى وجود مكتبتين كبيرتين متجاورتين في دار الحديث الضيائية والمدرسة العمرية.(الواقعة أمامه)

أئمة الجامع وخطباؤه

الإمام والخطيب فيه هو مدرس ومقرئ ومرب وموجه، ولا يكتفي بما أُسند إليه بل يهب حياته كلها للعلم وخدمة الناس، وهذا ما قام به أول إمام وخطيب له وهو أبوعمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، عميد المقادسة في دمشق، ثم تابع عمله أخوه الإمام موفق الدين المقدسي، فأمَّ وخطب ودرَّس وساعده ابنه الشيخ عيسى، ومن بعدهم تولى الإمامة أبناء أبي عمر وأحفاده على مدى أكثر من ثلاثمائة سنة، ثم قام بعد ذلك أئمة منهم ومن غيرهم.

التاريخ العلمي للجامع

التاريخ العلمي للجامع المظفري يمثل نهضة علمية شاملة، قام بها المهاجرون المقادسة في الصالحية، على أن ظاهرة سماع الحديث، ثم قراءته رواية ودراية كانت من الأمور التي تميز بها المقادسة في الصالحيّة، حيث كانوا يُسمِعون أولادهم منذ الصغر، فكانوا يسعون إلى كبار العلماء من سكان دمشق والواردين إليها، كي يتلقوا عنهم في الجامع المظفري الذي درَّس فيه طائفة عظيمة من العلماء لا يمكن حصر أسمائهم في هذا المقال، ولكني أقتصر على ذكر بعضهم، **فمن مشاهير العلماء الذين سكنوا الصالحية، و سمِعوا وأسمَعوا في الجامع المظفري:**

١- أحمد بن عبيدالله بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت: ٦١٢هـ).

٢- العماد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي (ت: ٦١٤هـ).

٣- عبدالرحمن بن محمد بن عبدالجبار المقدسي الحنبلي (ت: ٦٣٥هـ).

٤- أحمد بن علي بن الحسن الجزري (ت: ٧٤٣هـ).

٥- يوسف بن محمد بن عبدالله المرداوي (ت: ٧٦٩هـ).

٦- محمد بن علي بن طولون الدمشقي (ت: ٩٥٣هـ).

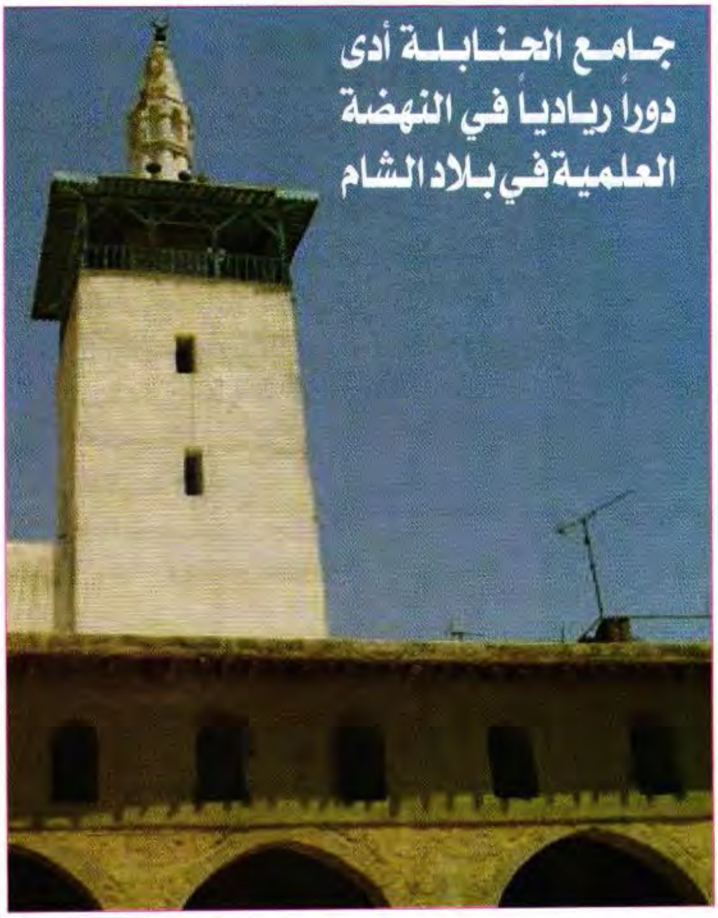
وكان **لمجالس السماع الجماعي** نصيب في الجامع المظفري وهي مجالس يشترك فيها عدد من الشيوخ، وربما شاركتهم بعض الشيخات في مجلس واحد لإسماع بعض كتب الحديث الشريف، وهذه الطريقة فريدة تميَّز بها علماء الصالحية، وتكون بأن يتفق فيها عدد من الشيوخ لإسماع الحديث بقراءة أحد طلاب العلم وهم يستمعون، وربما شرح أحدهم بعض ما يتعلق بالأحاديث وعلو سندها، وكثيرًا ما نجد اشتراك شيخين أو أكثر، كاشتراك الفخر بن البخاري والإمام عبدالرحمن ابن أبي عمر المقدسي، ومنها السماع على ١٤ شيخًا وشيخة لجزء فيه انتخاب الطبراني لابنه أبي ذر في الجامع المظفري سنة (٧٠٧ هـ)، ومن هؤلاء المشايخ: سعد الدين أبي محمد يحيى المقدسي، ومن الشيخات: أم محمد ست العرب، وأم حبيبة بنتا إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر بن قدامة المقدسي.

وقد ذيلوا المحضر: صح ذلك في يوم الأحد الثاني من ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة، بالجامع المظفري بسفح قاسيون، وأجاز لهم الشيوخ رواية جميع ما يروونه.

وقد ورد إلى الجامع المظفري كوكبة عظيمة من كبار العلماء والحفاظ من شتى أنحاء العالم، فأسمعوا الحديث فيه، ومن أشهرهم:

١- حنبل بن عبدالله الرصافي المكبر (ت: ٦٠٤هـ)، وهو آخر من روى المسند عن أبي القاسم بن الحصين، وقد سمع عليه طلاب العلم الكثير من مروياته، ومنها: مسند

جامع الحنابلة أدى دوراً ريادياً في النهضة العلمية في بلاد الشام



عبدالله بن مسعود من مسند الإمام احمد، وأحاديث منتخبة منه سنة (٦٠٢هـ).

٢- عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي (ت: ٦٠٧هـ)، وقد سمع عليه السلطان أحمد بن صلاح الدين الأيوبي لحديث أبي الحسين بن المظفر سنة (٦٠٤هـ).

٣- إسحق بن يحيى بن إسحق الآمدي الحنفي (ت: ٧٢٥هـ)، وهو شيخ دار الحديث الظاهرية بدمشق، وسمع منه جماعة من طلاب العلم، وأجاز لهم جميع مروياته.

٤- أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية) الحراني، (ت:٧٢٨هـ)، وقد درّس، رحمه الله، في المدرسة السكرية والمدرسة الحنبلية بدمشق، وقد سمع من شيخه الإمام عبدالرحيم بن عبدالملك المقدسي، وإسماعيل بن أبي عبدالله العسقلاني بالجامع المظفري سنة (٦٧٥هـ). ووُجِد نص السماع بخطه رحمه الله.

٥- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي، (ت:٧٤٨هـ)، شيخ المحدثين وقدوة الحفاظ، ومؤرخ الشام، سمع على شيخه إسماعيل الفرَّاء سنة (٦٩٤هـ) بالجامع المظفري.

٦- إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، الإمام المفتي المحدث البارع، صاحب البداية والنهاية، سمع أحاديث أبي الحسين بن المظفر على شيخه أحمد بن المحب سنة (٧٣٠هـ) بالجامع المظفري.

٧- أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر العسقلاني) صاحب الفتح، (ت: ٨٥٢ هـ)، خاتمة الحفاظ وقاضي القضاة، أقام بالصالحية مائة يوم حصّل فيها ألف جزء غير الكتب الكبار، واجتمع فيها مع الإمام إبراهيم بن مفلح الحنبلي بالجامع المظفري.

ومن أشهر الشيخات اللات ي أسمعن الحديث في الجامع المظفري:

١- خديجة بنت عبدالرحمن بن محمد المقدسية (ت: ٧٠١هـ)، ومما سُمِع عليها مجلس البطاقة من أمالي حمزة الكتاني سنة ٦٩٨ هـ بالجامع المظفري.

٢- ست الفقهاء بنت إبراهيم الواسطي (ت: ٧٢٦هـ)، سُمِعَ عليها نسخة الزبير بن عدي الكوفي سنة ٧٢٤هـ بالجامع المظفري.

٣- حبيبة بنت إبراهيم المقدسية (ت: ٧٤٥هـ)، سمع منها الإمام الذهبي «انتخاب الطبراني» بالجامع المظفري.

٤-فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية الصالحية (ت: ٨٠٣هـ)، سمعت من الحجَّار بالجامع المظفري، وقال ابن حجر: قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية.

٥- عائشة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية الصالحية (ت: ٨١٦هـ)، سمعت على الحجَّار «صحيح البخاري» وغيره بالجامع المظفري، وتفردت بذلك، وقرأ عليها الحافظ ابن حجر كتبًا كثيرة كصحيح البخاري وغيره، كانت في آخر عمرها أسند أهل الأرض.

يتبين لنا مما سبق ذكره الدور الريادي الرفيع الذي كان يحتله هذا الجامع في النهضة الدينية العلمية في بلاد الشام، حيث جذب كبار العلماء والحفاظ إليه ليدّرُسوا ويدرِّسوا فيه شتى العلوم، فقد كان بحق مركزا للإشعاع الثقافي، حيث انطلقت من فوق منبره ومن حلقاته ومجالسه النهضة الثقافية العلمية بدمشق، الأمر الذي دفع بكثير من العلماء بتأليف الكتب في هذا الجامع ومنها كتاب: «جامع الحنابلة المظفري بصالحية جبل قاسيون»، للدكتور محمد مطيع الحافظ، حيث تناول المسجد بدراسة تفصيلية تحدث فيها عن بناء الجامع وتأسيسه وخصائصه وفضائله ووصفه وأوقافه وما أصابه من نكبات منذ إنشائه حتى عصرنا الحاضر، ثم تناول دوره الريادي في النهضة الدينية والعلمية في بلاد الشام، فترجم لأئمته وخطبائه، ثم للعلماء والحفاظ والمحدثين والمسندين والمدرّسين المقيمين فيه أو الواردين عليه من البلاد الأخرى- من الرجال والنساء- الذين علّموا أو رَوَوْا الحديث الشريف أو سمعوه فيه، وقد ختم الكتاب بذكر أربعين حديثًا منتقاة عن أربعين شيخًا من أربعين كتابًا مسموعًا بالجامع المظفري، والقصد أن تُقرأ في هذا الجامع العريق ليعود اتصال السند ورواية الحديث فيه، وكان أول من قرأ هذه الأحاديث على د.الحافظ مجموعة من طلاب العلم عند زيارته للكويت سنة ١٤٢٦هـ.

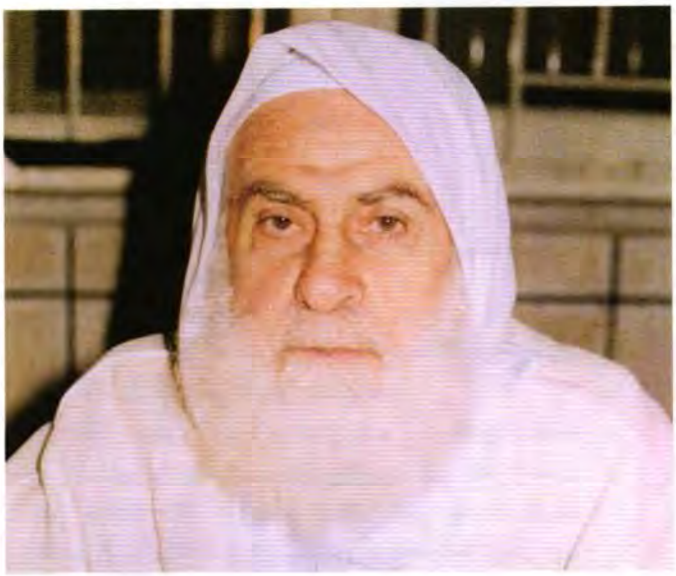
المصادر

١-جامع الحنابلة (المظفري)، د. محمد مطيع الحافظ.
٢- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، لابن طولون الصالحي.

الشيخ محمد أديب الكلّاس في ذمة الله

التحرير

فقدت الأمّة الإسلامية صباح يوم الأربعاء ٣ ذوالقعدة ١٤٣٠هـ الموافق ٢١/١٠/٢٠٠٩م، العلامة الفقيه المربي، فضيلة الشيخ محمد أديب الكلاس، عن عمر ناهز ٨٩ سنة، أمضاها في خدمة العلم والدين، ويعتبر الشيخ، المولود في حي «القيمرية» بدمشق الشام عام ١٩٢١م، من أبرز علماء الأمة الإسلامية.



تربى الشيخ العلامة في كنف والده الزاهد الذي أودعه في كتاتيب المشايخ لتلقي العلوم النافعة، بعيدًا عن المدارس العامة، فدرس في المدرسة الكامليَّة ثم الجوهريَّة ثم السفرجلانيَّة، ثم انتقل إلى المدرسة الأمينيَّة، ثم إلى الكتّاب وجامع المنجلاني، ثم إلى مدرسة الإرشاد والتعليم، وقرأ في صغره على الشيخ محمد صالح الفرفور الأربعين النووية ومبادئ الفقه بنور الإيضاح، ثم وضعه والده بمهنة الخياطة، ثم الكلاسة، فانقطع عن شيخه في هذه الآونة ثم عاد إليه، فلما رآه رحب به وقال له: وجهك أم ضوء القمر! لما عرف عنه من نباهته وفطنته وحفظه، وجعله في حلقة الأستاذ عبدالحليم فارس، فقرأ عليه النحو، وتابع عند الشيخ الفرفور النحو وشرح ابن عقيل والبلاغة الواضحة، وعلم التوحيد، والمنطق والفرائض، والتفسير، والعروض، ومصطلح الحديث، والتجويد، وأجازه الشيخ إجازة عامة بالعلوم الشرعية والعربية وغيرهما.

وقرأ على الشيخ عبدالرزاق الحلبي بعض المتون وأجازه وتبادل الإجازة معه، وقرأ على الشيخ العلامة محمود فايز الديرعطاني بعضًا من سور القرآن الكريم، وسُرَّ منه لنباهته وفطنته، وقرأ على الشيخ فوزي المنيّر، وعلى الشيخ أحمد عبدالمجيد الدوماني، كما قرأ أيضًا القرآن على الشيخ أبي الحسن الخباز، وكان معروفًا بإتقانه لكتاب الله عز وجل. نبغ الشيخ نبوغًا كبيرًا وكأنه حوى في صدره كل ما قرأه ووعاه حتى غدا جبلًا من جبال العلم يمشي على الأرض، ومع ذلك لم يترك مساعدة والده في عمله، وكان يحرص على نيل رضاه.

تولى الشيخ الإمامة والخطابة والتدريس في العديد من مساجد دمشق، منها مسجد «تحت القناطر» ومسجد «القطط» ومسجد «السيدة رقية»، ومسجد «تنكز»، وجامع «الخير» في حي المهاجرين، وأخيرًا شغل منصب خطيب جامع «الحمد» على رابية قاسيون، كما درَّس في معهد الفتح الإسلامي في قسم التخصص فيه، وفي الكثير من المدارس. كلل الشيخ طريقه العلمي بالقراءة على العلامة الطبيب الشيخ محمد أبواليسر عابدين مفتي سوريا الذي كان يقول له: «ليتني عرفتك من قبل»، لما أعجبه من علمه واطلاعه، وتدقيقه لمسائل العلوم، والتواضع والزهد، وأجازه إجازة عامة، كما أجازه الشيخ محمد سعيد البرهاني، والشيخ أحمد وهاج الصديقي الباكستاني، والتقى الشيخ في أسفاره إلى الحجاز مع كبار العلماء والمحدثين وتبادل الإجازات معهم.

برع الشيخ في المناظرة وإبطال الشبهات، والرد على أهل الأهواء والملحدين والمبتدعين، كما كان له شغف بعلم العقيدة والتوحيد؛ لذلك فهو صاحب حجة وبرهان وإقناع مع رحابة صدر شديدة وتواضع جم وزهد كبير.

تلاميذ الشيخ

تلاميذه هم الذين قرأوا عليه أو حضروا دروسه، وهم لا يحصون كثرةً من بلاد العالم الإسلامي كله، ومن تلامذته كثير ممن تخرجوا من معهد الفتح الإسلامي وواظبوا على دروسه ورأى فيهم نباهة طلاب العلم، فأجازهم جميعًا بإجازاته عن شيوخه بالمعقول والمنقول، بعد أن فتح داره لكل سائل يرجو بذلك ثواب الله وحده. كان الشيخ كريمًا جوادًا، متواضعًا، مؤْثرًا على نفسه، متأدبًا مع شيوخه وطلابه، صاحب دعابة وتودد، واصلًا لرحمه، يقدم طلب العلم على راحته، لا يحب الظهور، ويحب الشفاعة لغيره.

ومع كل ذلك كان يقول رحمه الله: أنا كلاس ما عندي شيء، والفضل لله وحده.

توفي الشيخ يوم الأربعاء ٢١/ ١٠/ ٢٠٠٩م وصلّى عليه ابنه الشيخ أحمد الكلاس، بعد صلاة العصر بالجامع الأموي حيث اكتظ الجامع بعشرات الآلاف من المصلين الذين جاؤوا من مختلف الأحياء ليشيعوا الشيخ.

وخرجت الجنازة من الجامع الأموي، ومرت بسوق «الحميدية» ثم باب «الجابية»، لتصل إلى مقبرة «باب الصغير»، حيث دفن الشيخ، رحمه الله وعفا عنه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إعداد: هالة محمد

كما تتكلم تسمع



توصل علماء إلى أن اكتساب القدرة على الحديث يؤثر أيضًا في الطريقة التي تسمع بها الكلمات، وذكر العلماء في مختبرات «هاسكينز» في جامعة «يال» الأميركية أن ذلك قد يؤدي إلى تحسين حالة الذين يعانون من الاضطرابات في النطق بشكل كبير.

وقال دافيد أوستري الذي يعد أحد كبار العلماء في مختبرات هاسكينز، والبروفيسور في علم النفس في جامعة ماك غيل «إن النتائج التي توصلنا إليها تشير إلى أن تعلم كيفية الكلام أو التحدث يجعل من السهل فهم ما يقوله الآخرون».

وقال أوستري إنه «عندما يكتسب الطفل القدرة على التكلم أو عندما يتعلم الشخص البالغ لغة جديدة تزداد قدرتهما على التمييز بين أصوات الكلام المختلفة»، مشيرا إلى انه في حين أن هذه القدرات قد تتطور بشكل منعزل عن غيرها من العوامل الأخرى، فإن اكتساب القدرة على الكلام قد يغير الطريقة التي تسمع بها أصوات الكلام الصادرة من حولنا.

وتوصل أوستري إلى أن عضلات الوجه، وخاصة تلك التي حول الفم تلعب دورًا مهما ليس من حيث التمييز بين الأصوات التي نسمعها ولكن حول كيفية سماعنا لها أيضا.

شرائح لمراقبة جسم الإنسان

توصل العلماء اخيرًا إلى اختراع شرائح الكترونية تزرع في جسم الإنسان يتمكن الطبيب من خلالها من مراقبة العمليات الأيضية في الجسم، ومراقبة درجة الحرارة وضغط الدم وغيرها، وأبرز المعوقات التي تعترض عمل هذه الشرائح هي طبقة الجلد السميك أو طبقات الدهون لدى الناس المصابين بالسمنة لأنها ستحجب الإشارة اللاسلكية التي تؤمن الاتصال بين الشريحة في الجسم ونظام المراقبة عند الطبيب.

قمر لبحث الدورة المائية على الأرض

تم إطلاق قمر اصطناعي أوروبي يعتبر الأول من نوعه في العالم لجمع معلومات عن الدورة المائية على الكرة الأرضية، ونقل عن مدير قسم رصد الأرض في وكالة الفضاء الأوروبية قوله: إنه تم إطلاق قمر جديد من نوعه يعرف باسم «ميراس» ويبلغ قطره ثمانية أمتار، وهو عبارة عن ثلاثة أجنحة أشبه بشفرات مروحية طائرة عمودية، وتضم الأجنحة ٦٩ هوائيًا.

وأضاف أن القمر يعمل بتقديم خرائط مفصلة عن كميات الرطوبة الموجودة في التربة وكميات الأملاح في مياه المحيطات والتي سيتم الاعتماد عليها في تحسين دقة الأرصاد الجوية والتحذير من الأحوال الجوية الخطرة مثل احتمال حدوث فيضانات، كما أن المعلومات التي سيجمعها القمر ستساعد في تحسين المعرفة بعمل الدورة المائية على الكرة الأرضية، وسيوضح كيفية انتقالها بين سطح المحيطات واليابسة والغلاف الجوي.

وقود الايثانول من ثمار البطيخ

في محاولة للاستفادة من فائض محصول البطيخ في الولايات المتحدة، وهو ما يزيد عن ٣٤٠ مليون كيلوجرام يتم التخلص منها سنويا، نجحت مجموعة من الباحثين في ولاية أوكلاهوما في استخراج الايثانول، الذي يستعمل كوقود، من ثمار البطيخ.

وفي هذا الصدد قال بوب موريسي المدير التنفيذي للجمعية القومية لمنتجي البطيخ: إن الجمعية قد بدأت قبل نحو أربع سنوات بدراسة إمكانية استخراج فيلايتانول، من السكر الموجود في البطيخ، ودفعها إلى ذلك عدم وصول قدر كبير من المحصول في الولايات المتحدة إلى الأسواق، ويشير إلى أن نجاح التجربة قد يفتح سوقا جديدًا أمام المزارعين الذين سيكون بإمكانهم بيع محصولهم الجيد من البطيخ إلى المواطنين، والتالف منه إلى منشآت تصنيع الايثانول.



وإذا نجحت التجربة فسيضمن المزارعون الذين يشعرون بالقلق لتلف قدر كبير من محصولهم تحقيق قدر أكبر من الربح كل عام.

ويقول الباحثون إن مادة الايثانول المستخرج من البطيخ لفتت الانتباه إلى الدرجة التي دفعت شركة في ولاية تكساس الأميركية إلى تشغيل وحدة متنقلة لتحويل السكر المستخرج من البطيخ إلى إيثانول مباشرة في

الجامعات الأميركية في الصدارة

هيمنت الجامعات الأميركية هذه السنة على التصنيف العالمي لأفضل مائة جامعة الذي تعده جامعة شنغهاي للاتصالات وتطعن به بعض الدول، وفي تصنيف عام ٢٠٠٩م حلت جامعة كامبريدج (رابعة) وجامعة أكسفورد (عاشرة) وهما الجامعتان البريطانيتان الوحيدتان اللتان حققتا مركزين بين الجامعات العشر الأوائل، بينما احتلت جامعات أميركية بقية المراكز، وعلى رأسها جامعة هارفارد حيث جاءت في المرتبة الأولى وستانفورد الثانية وبيركلي الثالثة، وحلت ١٨ جامعة أميركية بين الجامعات الـ ١٩ الأولى في التصنيف الذي يضم مائة جامعة.

ويقول واضعو التصنيف إنه يستند إلى الأداء الأكاديمي أو البحثي والمقالات المنشورة في بعض الصحف والمجلات، وعدد الفائزين بجوائز نوبل وجوائز أخرى عريقة.

ومن جانب آخر قال تقرير أصدرته طوسون رويترز إن الباحثين الصينيين أنتجوا أبحاثا علمية تزيد على مثلي ما كانوا ينتجونه في السابق، وأن الصين الآن في المرتبة الثانية من حيث حجم الأبحاث فقط بعد الولايات المتحدة الأميركية.

التغير المناخي قد يقتل ٢٥٠ ألف طفل

التغير المناخي قد يتسبب في قتل ٢٥٠ ألف طفل العام المقبل، وهذا العدد يتزايد لأكثر من ٤٠٠ ألف طفل بحلول عام ٢٠٣٠م، وفي تقرير جديد لموسسة «أنقذوا الأطفال» يحذر من أن أكثر من ٩٠٠ مليون طفل في الجيل المقبل سيتأثرون بسبب نقص المياه، وأن ١٦٠ مليون طفل سيكونون عرضة لخطر الإصابة بمرض الملاريا أحد أكبر الأمراض القاتلة للأطفال دون الخامسة، مع انتشاره الى اجزاء جديدة من العالم، وقالت المؤسسة: إن التغير المناخي يمثل أكبر تهديد عالمي لصحة الأطفال في القرن الحادي والعشرين، حيث يجبر الجفاف والفيضانات العائلات على ترك منازلهم، والأطفال على التسرب من مدارسهم، وأضاف ان المجاعة والانهيار الاقتصادي اللذين تتسبب بهما الكوارث الطبيعية قد يؤديان الى مزيد من عمليات الاتجار في الأطفال وتشغيلهم، كما تتوقع المؤسسة أن ١٨٥ مليون طفل - ما يعادل تقريبًا ثلاثة أضعاف سكان بريطانيا- سيعانون سنويا من نتائج الكوارث الطبيعية مثل الأعاصير والجفاف والفيضانات بحلول عام ٢٠٣٠م.



حصاد العلوم والمعرفة

■ أظهرت آخر الدراسات أن الأشخاص الذين يخزنون المبيدات الحشرية في منازلهم أكثر تعرضًا للمعاناة من أفكار انتحارية.

■ تعهد رئيس بلدية العاصمة الروسية موسكو بأن يكون شتاء المدينة هذا العام خاليا من الثلوج وذلك من خلال خطة لرش مواد كيماوية في الأجواء باستخدام طائرات مستأجرة من سلاح الجو الروسي.

■ اختراع علمي جديد لرادار محمول باليد يمكن الشرطة من مشاهدة ما يدور في الغرفة أو المبنى أو الجدران الأسمنتية.

■ اكتشف باحثون في الطب الطبيعي أن السمسم يفيد الكبد ويقيه العديد من العلل، كما يملك تأثيرًا مضادا لارتفاع ضغط الدم ويعتبر مضادا للأكسدة بشكل قوي لغناه بفيتامين E المعروف بفوائده الصحية كما يعتبر مصدرًا جيدًا للكالسيوم والزيوت النباتية المفيدة للجسم، لذا يعد مفيدا للعظام والعضلات.

■ توصل باحثون من جامعة «موناش» في ملبورن راجعوا ٣٠٠ منزل تستخدم مياه المطر التي يتم تجميعها في خزانات كمصدر رئيسي للشرب أن معدل إصابتهم بالأمراض أقل من غيرهم ممن يستخدمون مياه الصنبور أو مياه الزجاجات المعبأة، وجاءت هذه الدراسة وسط تزايد القلق بشأن التأثير البيئي لمنتجات المياه المعبأة التي غالبًا ما تنقل لمسافات طويلة وتعبأ في زجاجات بلاستيكية.

تكرار

يعد تكرار القصص في القرآن الكريم مع اختلاف طريقة روايتها معجزة إلهية، فمن الذي يقدر على الإتيان بقصة واحدة يسردها عدة مرات مع استخدام ألفاظ مختلفة ثم تؤدي نفس المعنى، ومن الذي يقدر على الإتيان بقصة يسردها تارة في صفحات وأخرى في سطر، من الذي يقدر على الإتيان بمثل هذه الأشياء العظيمة إلا العظيم؟! فسبحان الله العظيم، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

■ **بلسم حمدي حسين خالد - مصر**

أزمة العقل المسلم

■ الأزمات المعاصرة التي يعاني منها المجتمع المسلم، أزمة فكر وعدم استخدام العقل، مما أثر على الهوية، واصلاح الأمر بحاجة لإعادة بناء الطاقات وتنقية النفوس، وامتلاك ناصية المعرفة والقدرة على الأداء.

وقد انشغل العقل المسلم بمعارك صغيرة لا تقدم في الميزان الحقيقي للأمور شيئا ولا تؤخر، وأصبح كل مجتمع مسلم منقسم على نفسه، حتى اختلطت السبل، وفكر الاصلاح غائب وكأنه جريح ومريض، بفعل قلة الاجتهاد، والركون إلى حلاوة الشعارات، وتم خلط الهوية الإسلامية بالهوية الحزبية أو المذهبية، مع الفشل في كسب ثقة كثير من قوى التحديث والمعاصرة، فكيف تختلط السبل، وقد قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (الأنعام:١٥٣).

تلك الوصية تعتمد على التعقل والتذكر والتقوى، حيث لا مجال لفكر منحرف أو بدع أو أهواء، كما أن الاختلاف مفسدة للقلوب، قال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ (الأنعام: ١٥٩).

لذلك يجب رفض التقسيمات الايدلوجية لأبناء الامة لترتفع فوقها هوية واحدة ومصلحة واحدة للارتقاء بالأمة.

■ **يحيى السيد النجار**

الشباب

من هم الشباب؟

ولماذا الحديث عن الشباب؟

■ الشباب رجال الغد، وآباء المستقبل، ثروات البلاد ومصدر القوة والنشاط والحيوية، فبهم إصلاح الأمة وإصلاح المجتمعات، فهم الحركة والبركة والقوة لمجتمعنا ومجتمعات أخرى مختلفة، وللشباب ذكر في قرآننا الكريم، قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ (يوسف:١١١)، ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ (الممتحنة: ٤).

وعندما ذكر الله عز وجل قصص الأنبياء ما كان ذلك من فراغ أبداً، إنما لحكم عديدة وكثيرة وهامة، وأهمها الاقتداء بهم والإيمان والدعوة والصبر، قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ (الأحقاف: ٣٥)، فيا أخي الشاب وابن ديني وأمتي إليك بعض التوجيهات التي يمليها عليك دينك.

■ حافظ على رجولتك، وتجنب إضعافها بالميوعة والتكسّر.

■ اعرف ما لوطنك وولاة أمره من الحق.

■ احذر الأفكار الهدامة حتى لو كان ظاهرها الإصلاح، حتى لا تقع فريسة رخيصة في أيدي الكفرة ودعاة الباطل.

■ التزم بالحلال وحلاوته وتجنب الحرام، وادعُ الله دائما «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك» (سنن الترمذي).

■ لتكن على ثقة وإيمان أن الله معك في كل خطواتك، فأنت ابن المستقبل وذخره، فاستعد لتربية أبنائك تربية دينية صالحة صحيحة وسلح نفسك وغيرك بالعلم والأدب.

■ عليك أن تكون دائم الارتباط بالله تعالى وذلك من خلال الالتزام بالصلاة والإكثار من الدعاء والتوكل على الله في كل الأمور.

■ **منيرة عيسى شبلاق**

تنمية الثقافة الإسلامية.. ليست ترفاً

إن أول آيات نزلت من القرآن الكريم هي قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١-٥).

في هذه الآيات الكريمة ذكر الله تعالى أمره سبحانه بالقراءة مرتين، وذكر مادة العلم، وذكر أداة من أدوات التعليم وهي القلم، وكان ذلك كله في ابتداء الوحي، يقول تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وإنه بمقدار تعمق الإنسان المؤمن في الجانب العلمي بصدق وإخلاص تكون خشيته لله تعالى، ذلك أنه يرى من نواميس الكون ومن الإتقان في الصنع ومن الحكمة في التدبير، ما يجعله ساجدًا لمبدعه ومنسقه.

وخشية الله، التي هي ثمرة العلم، أساس من أهم أسس إسلام الوجه لله عز وجل، ومن هنا كانت ضرورة العلم في الإسلام، إنه ضرورة وليس ترفًا، فهو من أسس الإسلام نفسه، ومن أجل ذلك كان العلم من أهم مقومات شخصية المسلم.

العلم بالكون وبالإنسان وبكل ما تتسع له الكلمة من معنى كريم.

ومما يرفع من قدر العلم والقائمين عليه أن الله سبحانه قرن العلماء به وبملائكته في شهادة التوحيد، وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه تكريم العلماء من مكانة، قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

وشهادة التوحيد التي هي الركن الأول في الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يعرف معناها إلا العلماء المؤمنون.

■ **محمد السيد عامر**

تعقيب

قرأت مقال للسيد سعيد سعد الغامدي في ركن أسرتي من مجلة الوعي الإسلامي (العدد ٥٣٠ شوال ١٤٣٠ ص٥٤) يتحدث عن دراسة بحثية أعدتها د. سماح خالد عبدالقوي زهران من جامعة عين شمس بعنوان «المسؤولية المجتمعية إزاء أشكال العنف ضد الأطفال».

الذي يقرأ المقال مجرداً عن قضية (مكافحة العنف) الأممية، والتي تثيرها بين الحين والآخر وكالات غربية في محاولة لتفريغ مجتمعاتنا ورميها بالتقصير في معاملة المرأة ومعاملة الطفل، يفاجأ كل المفاجأة بطريقة العرض التي جاءت منساقة مع ذلك التيار الأممي مكررة مقالاته دون تمحيص، ومثال ذلك ذكره لختان الإناث وهو ممارسة قديمة جدًا في البلدان الإفريقية تعتبر نوعًا من المعالجة في رأي القائمين بها مثل الحجامة والكي.

المثال الآخر جعل البيت المكان الأول لذلك، وهو في الحقيقة من بدهيات الدراسة التي ركزت على العنف الأسري، لأن الأطفال، ولاحظوا الشريحة العمرية التي بين ١٥-١٨ والتي يصح أن نطلق عليها اسم المراهقين، مازالوا في وصاية أسرهم في الأعم الأغلب، إن الذي يعرف مجتمعاتنا الشرقية التي تعتمد الشرعية في الصلات بين الجنسين تجعل نسبة الحوادث التي يقصد فيها الإساءة للطفل كما في حالة عشيق الزوجة أو طفل الخطيئة من الأمور التي لا تبلغ نسبتها ما عند مجتمعات الغرب ذات الحرية الجنسية والتي نشأت فيها مشاكل العنف المذكورة.

ومما يؤكد أن هذه الظاهرة ليست من صميم نسيج مجتمعنا أن الدراسة ردت أسباب العنف إلى الضوضاء والتلوث وتناقضات العصر وقنوات العنف والإباحية، كل هذه الأسباب من أمراض الحضارة الوافدة.

والدليل على أن الدراسة سارت ولو بشكل لاإرادي ضمن موجة التفريع الآنفة الذكر، أنها لم تميز بين العنف الذي مرده الأساليب التربوية التي شاعت في مجتمعنا، وبين العنف الذي هو إيذاء لأجل الإيذاء أو فيما وصفته الدراسة بالانتقام، وعددت من صوره الخنق، والإلقاء من الشرفة، والضرب بآلة حادة حتى الموت، والإلقاء في الماء، أو تحت القطار.

وتميز الدراسة بين العنف المتعمد وبين العنف العرضي الذي يكون خلفه مرض نفسي أو ضغوط مادية أو إدمان، ولنلاحظ أن المجتمع الغربي كثيراً ما يعتمد الأمور السابقة كأعذار محلة من العقوبة لمرتكبي جرائم قد تصل إلى القتل.

ما أريد قوله ألا نكتفي بالأمور الظاهرة بل نقرأ ما خلف السطور من نية الوصاية علينا، فهم يريدون إعطاء الطفل الحرية الكاملة في ممارسة كل ما يشتهي ولو كان معصية، ولا يريدون أن يكون لأهله الحق في تقريعه، بحجة أن هذا نوع من العنف النفسي أو اللفظي، ولذا فإن فلسفة الترغيب والترهيب تفقد تكاملها إذا سلمنا بهذه الثقافة.

إنهم يريدون تعميم فكرة شكوى الطفل من أهله إذا قاوموا رغباته الطائشة أو انحرافه، ومن مقترحاتهم أن يُجر الوالد أو الوالدة اللذان يتهمان بذلك إلى مخفر الشرطة، وينظم محضر بتقريعها ويتعهدان بعدم العودة تحت طائلة المحاكمة والعقوبة لدرجة سحب الطفل منهما وعزله عنهما.

هل نتصور نحن الآباء الغيورين أن غيرتنا على الولد ورغبتنا في وقايته من شر هذه الأمراض التي تقضي عليه وهو في مقتبل عمره قبل أن تصيبنا نحن يعتبر في عرفهم عنفًا وجرمًا؟

يجب أن نعترف أن الثقافة الشرقية ترى في الضرب وسيلة من الوسائل التربوية، وبالطبع فإن الشرع الإسلامي قد جعل لذلك حدودًا كأن يضرب باليد أو بالجورب، وألا يصل العدد إلى أدنى حد من الحدود الشرعية.

التوجه الأخلاقي أيضًا للشرع يحث على الرفق ويكره العنف، ولكن كل هذا يوضع في إطار حب الطفل والحرص عليه وإيثار مصلحته، الأمر الذي هو الأساس في ثقافتنا والتي بالأساس نبت من الحلال وافتراض العلاقات المشروعة بين الجنسين التي تقلل من وجود أولاد الزنا وما يحيط بهم من كره واستثقال.

ثقافتنا الشرقية ترى في العبودية لله وفي الترهيب بالعقوبة والحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة وسائل تربوية، بينما الثقافة الغربية ترى الانعتاق من هذه العبودية وترى أن الطفل- ولو كان غير شرعي- هو للمجتمع قبل أن يكون لأبويه أو لأمه، وعلى هذا الكبير أن يرعاه كواجب اجتماعي بغض النظر عن أصله أو الإحساس بتحدره من صلبه، وهو مجبر بالمؤيدات الجزائية على القيام بذلك الواجب.

العنف المذموم هو الذي يرتكبه كبار تجاه صغار لأغراض شخصية، أو أمراض نفسية، وليس ما يقوم به أب أو أم بهدف تقويم سلوك ابنهم وارادة الفضيلة له، واذا أخطأ السبيل بزيادة جرعة الزجر فهذا لا يمكن إزالته بالعنف المذكور سابقًا.

ما يجدر ذكره في هذا المقام أن القوات الغربية في كل من فلسطين والعراق وأفغانستان تضرب بدون شفقة كثيرًا الأطفال الأبرياء، دون أن يطرف لها جفن، وهذا لا يذكر في موضوع مكافحة العنف بل يغض الطرف عنه.

إن الآباء والأمهات ليسوا قتلة لأطفالهم كما زعمت الدراسة، بل القتله.. هم الأعداء، والقضاء ليس هو الحل الأمثل للشؤون الأسرية على المستوى المصغر ولا أسلوب العقوبة، بل التوعية والموعظة والوقاية والإصلاح بين الأرحام وإعلاء شأن التربية المتوازنة وضرب الأمثلة بتكريم المحسنين من الآباء ومكافآتهم هو أفضل من أن نشغل القضاء الذي لم يعد يقضي بالسرعة الممكنة بين الكبار حتى نحمله عبء القضاء بين الصغار والكبار ونجعلهم خصومًا بدل أن نجعل رائدنا قوله تعالى ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾.

إن كانت هناك بعض الحقائق في تلك الدراسة وبعض الحوافز النبيلة عليها، فما هي إلا جسر يراد النزول به إلى أمثال تلك المحذورات، فلنكن منها على حذر بالغ ولا نقع فيما وقع بعضنا من إحسان النية بآراء الغربيين الذي يريدون أن يحيكوا من هذه المظاهر الإنسانية شركًا يبررون به تدخلهم في أخص أحوالنا، ومادة ضغط يرفعونها كسوط على من لم يمتثل لسياستهم الطامعة فينا.

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

■ مأمون الجويجاتي

فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

دفع الكفارة لنشر الدعوة الإسلامية

هل يجوز دفع مال كفارة الإفطار في رمضان أو غيره، أو فوائد الربا لشخص دون معرفته بحرمة الربا، وذلك لتمويل الدعوة الإسلامية؟

يجوز دفع مال الكفارات أو الفدية عن الإفطار في رمضان أو غيره في تمويل الدعوة الإسلامية إذا كان المنتفعون من هذه الأموال من الفقراء والمسلمين، مع مراعاة إيصال مبلغ الكفارة الواحدة إلى العدد المطلوب في النصوص الشرعية، أما أموال الفوائد الربوية فإن الأولوية في صرفها هي لمن هم في حالات الاضطرار والمجاعات.

بيع الشيك بأقل من قيمته

تعلمون أن كثيرًا من التجار والمتعاملين في الأسهم يعطون شيكات بأجل، فيقوم آخرون بشراء هذه الشيكات بمبالغ أقل من قيمتها مقابل دفعها نقدًا، فما حكم ذلك في الإسلام؟

هذا يعتبر من باب تمليك الدين لغير من عليه الدين، وهو غير جائز، لاسيما أنه يبيعه بأقل من قيمته فيعتبر ربا.

الوصية لوارث

هل تجوز الوصية للوارث بأكثر من نصيبه، كأن يوصي المتوفى بتركته كلها لزوجته وابنته فقط ويحرم بقية الورثة؟

الوصية للزوجة والبنت بأكثر من نصيبهما لا تجوز، لأنه لا وصية لوارث.

بيع وشراء المحار

يوجد حاليًا سوق رسمي بالشويخ لبيع المحار في أكياس، وتقدر قيمة الكيس تقريبًا من ٦ إلى ٤٥ دينارًا كويتيًا، وقد يزن الكيس الواحد ٣ كيلوجرامات تقريبًا، ويعلم الجميع بأن المحار "نصيب"، أي قد يجد فيه المشتري اللؤلؤ وقد لا يجد، والكل يعلم ذلك.. هذا حلال أم حرام؟

إنه مادام الوضع- كما هو الآن في الكويت- على عدم اتجاه القصد في البيع إلى المحار نفسه لعدمص الاستفادة من صدفه ولا من اللحم الذي بداخله، فإنه لا يجوز بيعه لما فيه من الغرر الفاحش، وقد "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وبيع الغرر" كما روى مسلم، فهو من قبيل أكل المال بالباطل وشبيه بالقمار المحرم، لكن إن تغير الحال وصار صدف المحار أو ما بداخله من اللحم، أو مما يقصد للشراء لجريان الانتفاع به، فحينئذ يجوز بيع المحار أصالة، أما بيع اللؤلؤ الذي في المحار قبل فتحه فلا يجوز بأي حال، لأنه لا يعلم وجوده.

الحول الميلادي

هل يجوز إخراج الزكاة بحساب الحول على التاريخ الميلادي؟

الزكاة تجب كل عام قمري، لأنه هو الحول المعتبر شرعًا، فإذا كانت الميزانية تعد على السنة الميلادية، فيمكن مراعاة الفرق بين العامين القمري والميلادي، وهو(١١ يوماً تقريبا)، ومن طرق مراعاة ذلك أن تحسب نسبة الزكاة ٢,٥٧٧٥ بدلا من ٢,٥ في المائة، حيث تعطى هذه الزيادة فرق الأيام بين السنتين.

تأجير محل لتزيين النساء

يرجى التفضل بإعلامنا عن مدى جواز تأجير أحد الفروع المستثمرة في مجمع الدكاكين التابع لجمعيتنا التعاونية لإنشاء كوافير للسيدات لخدمة أهالي منطقتنا.

لابد من مراعاة القواعد الآتية في الأماكن التي تقدم فيها خدمات تزيين النساء:

أ- أن يمنع حضور الرجال، سواء كانوا من العاملين في هذه الأماكن أو من الرجال المرافقين للراغبات في التزين، ولو كانوا أزواجا أو محارم.

ب- التحرز من استخدام المواد النجسة في التزيين.

ج- تجنب أي زينة تحدث تشبها بالرجال.



د- تجنب النظر أو اللمس لما هو عورة من المرأة على المرأة، وهو ما بين السرة إلى الركبة.

هـ- ألا تستخدم في هذه الأماكن عاملات عرفن بترويج الفساد أو كشف أسرار المترددات للتزين، على أنه تجب ملاحظة المرأة التي تأتي للتزين، فإن كان معلوما أنها ستخرج بتلك الزينة متبرجة فإن قيام الصالون بتزيينها حرام لا يحل، لأنها إعانة لها على معصية الله تعالى، ويجوز استخدام غير المسلمات في أعمال التجميل والتزيين، على ألا تطلع من المرأة على عورتها إلا على ما تحتاج إلى كشف، حال المهنة، وهو كشف الرأس والعنق والذراعين والساقين بشرط أن تكون مأمونة، لا تصفها للرجال الأجانب، والأولى عدم استخدام غير المسلمات في مثل هذه الأعمال وغيرها، والاستغناء بالمسلمات عنهن.

وعليه فلا ترى اللجنة مانعا من تأجير أحد فروع الجمعية لهذا الأمر، إذا كان منضبطاً بالضوابط المذكورة.

زكاة الأرض المتنازع عليها

هل على الأرض المتنازع عليها بين ورثة أو ملاك زكاة، مع العلم بأن الأرض في حوزة القاضي، وحال عليها حول أو أكثر، وإن كان عليها زكاة فكيف يتم ذلك؟

إن الأرض المتنازع عليها لا تجب فيها الزكاة، حتى تثبت ملكيتها، فإذا ثبتت ملكيتها لشخص ما فإنه يجب عليه أن يدفع الزكاة عنها، فيقوِّمها آخر كل عام بقيمتها السوقية، هذا إذا نوى بها التجارة، أما إذا لم ينو التجارة فليس فيها زكاة إلا أن يتصدق.

الحلف بالطلاق

رجل قال لصاحبه: عليَّ الطلاق أن تأكل عندي اليوم، فلم يستجب له صاحبه، ما الحكم؟

ذلك يعتبر يمينا يكفر عنها كفارة يمين إذا لم يقصد الحالف بهذا اللفظ طلاقا علمًا بأنه لا يجوز الحلف بغير الله تعالى، لقول النبي ﷺ: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (متفق عليه).

القاعدة الفقهية «العادة محكمة»

أصلها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ (الأنفال: ١٩٩)، وحديث: «ما رآه المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا، فهو عند الله سيء» والعادة لغة: من العود، وهو معاودة الشيء وتكراره، ويرادفها العرف مطلقا، وقيل: بل العرف العملي خاصة، والخلف لفظي والعادة في الاصطلاح: ما اشتهر بين الناس وتعارفوا عليه، ولم يخالف شرعا أو شرطا.

ومحكمة: من التحكيم، وهو جعل الشيء حكما، بمعنى قاعدة «العادة محكمة» دليل «العرف والعادة» عند الأصوليين قال ابن نجيم- رحمه الله: «واعلم أن اعتبار العادة والعرف يرجع إليه في مسائل كثيرة، حتى جعلوا ذلك أصلا» والحقائق كالمعاني ثلاث: شرعي، ولغوي، وعرفي.

القواعد المتفرعة عنها

العبرة بالعرف الغالب والمقارن، لا النادر والمتأخر.

- الحقيقة قد تترك بدلالة العادة، كلفظ هجر الناس معناه الحقيقي إلى معنى آخر عرفي.

- الإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان والمعروف عرفا كالمشروط شرطا: كالدينار إذا أطلق عينه عرف.

- البلد والتعيين بالعرف كالتعيين بالنص: كأوسط الطعام واللباس في كفارة اليمين

- لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأحوال، كاختلاف فتوى المجتهد.

انظر المنهاج في علم القواعد الفقهية د.رياض بن منصور الخليفي

من فتاوى مجمع الفقهي الإسلامي

رابطة العالم الإسلامي «عن إذاعة الأذان موحدا عن طريق جهاز تسجيل»

١- إن الأذان من شعائر الإسلام التعبدية الظاهرة، المعلومة من الدين بالضرورة بالنص وإجماع المسلمين، ولهذا فالأذان من العلامات الفارقة بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر، وقد حكي الاتفاق على أنه لو اتفق أهل بلد على تركه لقوتلوا.

٢- التوارث بين المسلمين، من تاريخ تشريعه في السنة الأولى من الهجرة وإلى الآن، ينقل العمل المستمر بالأذان لكل صلاة من الصلوات الخمس في كل مسجد، وإن تعددت المساجد في البلد الواحد.

٣- في حديث مالك بن الحويرث، رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا حضَرت الصلاةُ فلْيُؤذِّنْ لكم أحدُكم ولْيَؤمَّكم أكبرُكم» (متفق عليه).

٤- إن النية من شروط الأذان، ولهذا لا يصح من المجنون ولا من السكران ونحوهما، لعدم وجود النية في أدائه، فكذلك في التسجيل المذكور.

٥- إن الأذان عبادة بدنية، قال ابن قدامة- رحمه الله تعالى: في المغني ٤٢٥/١: «وليس للرجل أن يبني على أذان غيره، لأنه عبادة بدنية، فلا يصح من شخصين كالصلاة».

٦- إن في توحيد الأذان للمساجد بواسطة مسجل الصوت على الوجه المذكور عدة محاذير ومخاطر منها ما يلي:

أ- أنه يرتبط بمشروعية الأذان أن لكل صلاة في كل مسجد سننًا وآدابًا، ففي الأذان عن طريق التسجيل تفويت لها وإماتة لنشرها مع فوات شرط النية فيه.

ب - أنه يفتح على المسلمين باب التلاعب بالدين، ودخول البدع على المسلمين في عباداتهم وشعائرهم، لما يفضي إليه من ترك الأذان بالكلية والاكتفاء بالتسجيل.

وبناء على ما تقدم فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي يقرر ما يلي: أن الاكتفاء بإذاعة الأذان في المساجد عند دخول وقت الصلاة بواسطة آلة التسجيل ونحوها لا يجزئ ولا يجوز في أداء هذه العبادة، ولا يحصل به الأذان المشروع، وأنه يجب على المسلمين مباشرة الأذان لكل وقت من أوقات الصلوات في كل مسجد على ما توارثه المسلمون منذ عهد نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلى الآن.

ينابيع المعرفة

إعداد : محمد شفيق

قوام الدنيا

قوام الدنيا أربعة أشياء: أولها بعلم العلماء، وثانيها بسخاء الأغنياء، وثالثها دعاء الفقراء، ورابعها عدل الأمراء، فلولا علم العلماء لهلك الجاهلون، ولولا سخاء الأغنياء لهلك الفقراء، ولولا دعاء الفقراء لهلك الأغنياء، ولولا عدل الأمراء لأكل الناس بعضهم بعضاً.

سيدة أبكتني

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي، لم تبكني في حياتي مثل امرأة أعرابية حسناء كانت محتاجة، وخاطبتني ببلاغة لم أعهدها في سيدة غيرها، قالت: أيا قوم، لقد تعثر بنا الدهر، وخاننا الجانب المشرق من الحياة، وقل منا الشكر، وفارقنا الغنى إلى غير رجعة، وحالفنا الفقر، فرحم الله امرءًا فهم بعقل، وأعطى من فضل، وواسى من كفاف، وأعلن على عفاف. فلم أبارحها أنا ومن معي إلا بعد أن أقلنا عثرتها، وشاهدنا بسمة على شفتيها، وهكذا يكون الفضل لمن يستحقون الفضل.

وصايا حكيم

أوصى حكيم ولده فقال: لا تذيعن سرا هو لك، واجعل الحزم حاكما لأمرك دائما، ولا تجعلن الجفاء من أخلاقك، ولا الحمق من طبيعتك، واجعل الكرم في بيتك ركنا دائما، ولا تجعلن نظرك عن المحارم شاخصا، ولا تكن بنفسك شحيحا ولا مفرطا، وأد للناس حقوقهم، ولا تكن لهم كثيرا معاتبا.

سعيد بن جبير والحجاج

يروي لنا التاريخ العربي أن الحجاج بن يوسف لما أمر بقتل سعيد بن جبير قال له سعيد ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾، فقال الحجاج بغضب: شدوه إلى غير القبلة، عندئذ قال سعيد: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فقال الحجاج: كبوه على وجهه، فقال سعيد ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾. ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

مناجاة

كان يحيى بن معاذ، رحمه الله، يناجي ربه قائلا: إلهي، لا يطيب الليل إلا بمناجاتك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

الشجرة الملعونة

هي شجرة الزقوم، يقول المفسرون هي الشجرة الملعونة، وسميت فتنة لأن المشركين قالوا إن النار تحرق الشجرة، فكيف تنبت فيها الشجرة؟ وشجرة الزقوم يقتاتها أهل النار، لها ثمرة مرة خشنة الملمس منتنة الرائحة، وهي ملعونة ملعون أهلها وآكلوها.

عالم وسكّير

حاور سكير عالما فقال له: هل ترى بأسا إن أكلت ثمرا؟ العالم: أبدا، السكير: وإن أكلت معه بعض العشب؟ العالم: لا يمنع من ذلك مانع، السكير: وإن شربت عليهما ماءً؟ العالم: اشرب هنيئا، السكير: مادام هذا جائزا، فلماذا تحرمون علينا الخمر؟ العالم: إن صببت عليك ماءً، هل كان يضرك؟ السكير: لا يضرني منه شيء، العالم: لو نثرت عليه ترابا، هل كان يقتلك؟ السكير: لا يقتل التراب أحدا، العالم: لو أخذت الماء والتراب وخلطتهما وجعلت من ذلك لبنة عظيمة فقذفتك بها، هل كان ذلك يضرك؟ السكير: كنت تقتلني، قال العالم: هكذا الخمر!

البلاغة عند أهل الصناعة!

أصحاب الصناعات الدقيقة يحتفظون لأنفسهم بعبارات فخمة ضخمة تميزهم عن غيرهم، فقد اجتمع قوم من أهل البلاغات فوصفوا بلاغاتهم عن طريق صناعاتهم:

قال الجوهري: أحسن الكلام نظاما ما ثقبته يد الفكرة ونظمته الفطنة.

قال العطار: أطيب الكلام ما عجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه، ففاح نسيم شمه، وسطعت رائحة عبقه، فتعلقت به الرواة.

وقال الحداد: خير الكلام ما نصبت عليه منفحة الروية، وأشعلت فيه نار البصيرة، ثم أخرجته من فحم الأفحام ورققته بفطيس (المطرقة) الأفهام.

لكل لذته

سؤال واحد اختلفت وتعددت الإجابة عنه، حسب مقام الرجال وأشخاصهم وأقدارهم، والسؤال هو: ما اللذة؟ قال ملك: ظفر بعد هزيمة، وليالي سمر، وقال تاجر: ربح على السوم، ونقد في اليوم، وقال عالم: في حجة تتبختر اتضاحا، وشبهة تتضاءل افتضاحا، وقال راع: في واد عشيب، ولبن حليب، وقال عابد: في عمل يخلص، ورياء ينقص، وقلب عن الدنيا يسلو، وهمة إلى الله عز وجل تعلو، وقال كاتب: في معنى أنهيته، وكلام أنشيته، وقال غاز: في سرية مقبلة، وغنيمة مستقبلة، وقال فقير: في إزاحة العلل وقضاء الوطر.

دعاء

اللهم اجعل قلبي ينبوعًا للمعرفة، وصوتًا للناس، وسيفًا لنصرة الحق، وملاذًا لكل مظلوم، ولجامًا لكل ظالم.

من آراء الشعوب في المرأة

يقول العربي: إنها ريحانة النفوس، يقول الصيني: إنها ابنة التنين، يقول الياباني: إنها زهرة المنزل، يقول الأميركي: إنها نصف الرجل القوي، يقول الإنجليزي: إنها أساس المنزل، يقول الفرنسي: إنها زهرة الهيئة الاجتماعية.

الماء أم الزيت؟

قال ابن الجوزي مبينا عاقبة الصبر: صب في القنديل ماء ثم صب زيت، فصعد الزيت على سطح الماء، فقال الماء: أنا الذي سقيت شجرتك فأين الأدب؟ لم ترتفع عليّ؟ قال الزيت: لأنك بينما كنت في بطن الأرض تجري على طريق السلامة، صبرت أنا على العصر وطحن الرحاء، وبالصبر يرتفع القدر، قال الماء: إلا أني أنا الأصل، قال الزيت: استر عيبك، فإنك لو لامست شعلة المصباح لانطفأ!

الفكاهة

الفكاهة جاء اسمها من الفاكهة، وهذا الاسم الجميل اشتقته العرب من الثمار الحلوة التي نتناولها في نهاية العام، فتعد بمثابة الحلو بعد الغداء، والفاكهة ليست حلوة المذاق فقط، بل أيضا شفاء وعلاج، وهكذا الفكاهة، فالضحك واحة الأمل لكل من وقع في براثن القلق.

كلمات هارون الرشيد على فراش الموت

هارون الرشيد الخليفة المجاهد الذي كان يغزو عاما ويحج عاما، وكثرت في خلافته الفتوحات، عند موته استدعوا له الأطباء فيئسوا منه، فلما شعر بدنو أجله، قال يصف حاله:

إن الطبيب بطبه ودوائه
لا يستطيع دفاع موت قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي
قد كان أبرأ مثله فيما مضى؟!
مات المداوي والمداوى والذي
جلب الدوا أو باعه ومن اشترى

أبو حنيفة النعمان

سأل هارون الرشيد أبا يوسف أن يصف أخلاق أبي حنيفة النعمان، فقال: كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله، مجانبًا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته إلا صائنا لنفسه ودينه، مشتغلا بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدا إلا بخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

كلمات مضيئة

- الفضيلة في الفهم الصحيح لمعنى احترام النفس والذات.
- أكثر ما يثير قلقي أن أعرف رجلا لا يعرف القلق!
- خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.
- العمل المليح لا يحتاج إلى أي مديح.
- فكر مرة قبل أن تعمل، ومرتين قبل أن تتكلم.
- من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه.
- من كثر اعتباره قل عثاره.

حيزبون أصغر من لطلط!

لأبي منصور الثعالبي تصنيف للمراحل العمرية للمرأة يقول فيه: هي «طفلة» ما دامت صغيرة، ثم «وليدة» إذا تحركت، ثم «كاعب» إذا لعب ثدياها أي برزا، ثم «ناهد» إذا زاد ثدياها، ثم «معصر» إذا أدركت، ثم «عانس» إذا ارتفعت عن حد الإعصار، ثم «خود» إذا توسطت، ثم «مسلف» إذا جاوزت الأربعين، ثم «تصاب» إذا كانت بين الشباب والتعجيز، ثم «شهلة كهلة» إذا عجزت وفيها تماسك، ثم «حيزبون» إذا صارت عالية السن ناقصة القوة، ثم «لطلط» اذا انحنى قدها وسقطت أسنانها.

مسك الختام



السيد المخزنجي

في فقه التراث العربي الإسلامي

لاشك في أن معرفة تراثنا العربي الإسلامي، ودراسته وتمحيصه واستلهامه في حاضرنا والاستعانة به في إبصار مستقبل أمتنا، أمور بالغة الأهمية، إذ تفجر قضية التراث ودوره في بناء الحاضر وإبصار المستقبل عديدا من الإشكاليات البحثية من جهة، إلى جانب ما تثيره من قضايا تفرض مناقشتها وتحليلها على بساط البحث من جهة أخرى.

ويتجلى ذلك فيما يواجهنا اليوم - وربما لسنوات مقبلة - من محاولات مسخ هويتنا وتذويبنا في مستنقع «التغريب» و«الأوربة» و«الأمركة» و«العولمة»... وما إلى ذلك من الأساليب والمخططات التي ما تلبث أن تصيبنا بشيء من التيه والبلبلة، بهدف زلزلة كيان الأمة ومحقها وسحقها تحت وطأة التحريف والتزييف والتشكيك في ميراثنا القيمي والعقدي، ومن ثم اغتيال ذاتيتنا وإثنائنا عن الفعل والإنجاز، مادمنا مستمسكين «بصلب» هذا التراث وقواعده المتينة الراسخة على مدى تاريخ أمتنا العربية والإسلامية العريق.

فللتراث دوره الفعال في تطور الحضارة - إن لم يكن هو الباعث الأول على نشأتها وتكونها - حتى إنه بلغ من شدة تلازمهما أن صارت دراسة التراث دراسة للحضارة نفسها، فكلاهما ينبثق من روح المجتمع الذي ينتسب إليه، قبل أن يقتحم ما حوله من البيئات ليسمو إلى درجة الشعور بإنسانيته التي تجعل من الزمن أحد عناصره ومكوناته، ومن ثم يكون موقفنا من التراث هو موقف تأمل ونظر، موقف اعتبار وعدل يعطى به كل شيء قسطه من الحق والإنصاف والتقدير.

من المفاهيم القاصرة والمغلوطة في النظر إلى التراث، محاولة البعض حصره في نطاق ضيق محدود يتمثل في المخطوطات في علوم العربية والإسلام وتحقيقها، فدراسة التراث انطلاقا من الواقع تستهدف أساسا تحقيق وعي سليم متجدد بالواقع ذاته، وتعميق مستمر لهذا الوعي.

ولعل من المطالب الملحة على النطاق العربي والإسلامي (في مقام تأكيد اهتمامنا بالتراث في حاضرنا وواقعنا المعاصر) أن نقوم بحملة جادة ومخلصة تهتم بجمع المخطوطات من مختلف الفنون والعلوم، والعمل على حمايتها وصيانتها من التلف أو الضياع وإمداد الباحثين بها حتى يتم تحقيقها والتعليق عليها وشرحها، فنتمكن بذلك من تقويم «وفرز» ما تبقى لنا من كنوز في ميدان العلم والفكر على السواء، «فتراثنا هو الذي يجب أن تكون له الأولوية في اهتمامنا بحمايته والتنقيب عن كنوزه، لأننا منه نشأنا وإليه نعود، وهو من مقومات ذاتيتنا، ومن ثم لابد من المحافظة عليه، لأن في ذلك تأكيدا لهويتنا وشخصيتنا الحضارية، العربية والإسلامية».

ولكن النظرة الحقة، والموقف العدل، يكمنان في ضرورة الإبقاء منه على ما يقبل التطور والاستمرار والتجديد والتوظيف (فيما يعرف بتوظيف التراث والجمع بين الأصالة والمعاصرة) باعتبار أن ذلك هو الطابع العام للتراث، لما يقوم به من دور إيجابي في نسج أو تشكيل الملامح الرئيسية المميزة لشخصية الأمة التي أنتجته، وما يبثه - في ذات الوقت - من روح جدلية مع الواقع ومثمرة وبناءة.

ولعل مطالبتنا بالنظر الى معطيات التراث كمنظومة واحدة، ونبذ الموقف الإقصائي لدى البعض في التعامل مع التراث، تدعونا الى بيان «منهجية النظر في التعامل مع التراث».

ولذا يمكننا القول إن إمكانات تجاوز الأمة لواقعها في الفكر العربي المعاصر، تعتمد، الى حد كبير، على قدرتنا اليوم على استعادة تلك الفاعلية المفتقدة لهذا الفكر الذي تكمن وظيفته الأساسية - من حيث تعامله مع التراث - في الترشيد والتصويب، وليس كما هو الشائع في التسويغ والتبرير أو الندب على هذا التراث!

فإذا أردنا لتراثنا العربي الإسلامي أن يؤدي دورا فعالا، ويكون طاقة إبداعية خلاقة ومحفزة في حاضرنا ومستقبل أمتنا المأمول فلابد أن نعي أولا القيمة الحقيقية للتيارات الفكرية والمذاهب والفرق والفلسفات التي تكوّن في مجموعها صفحات هذا التراث.

فعلى الباحث في التراث أن يكون - إضافة الى تحرره الذهني - على قدر من الإدراك لدواعي تحيزه الحضاري، فلا موضع لدعوى الموضوعية الكاذبة أو الموهومة اذا ما افترض ذلك تجرده العلمي، فالباحث في التراث هو بالضرورة صاحب موقف.

وعليه فإن التحيز الحضاري المطلوب في باحث التراث هو شرط للاستشراف العلمي، وهو الذي يمهد لدقة الرصد ويشحذ قريحة التفاعل والتتبع في وسط المجهول الذي ليس بالغريب، والذي يحفز الخيال المبدع على تجاوز التلقي وسبر الغور، وقراءة ما بين السطور ووضع النقاط على الحروف عند تحرير المعاني واستخلاص الدلالات من الألفاظ، وعلى الجملة فإن التحيز الحضاري هو كذلك مناط الاستشراف العلمي في حقل البحوث الحضارية، وهو الذي يثري عمليات التفكيك واعادة التركيب التي لا غنى عنها عند التعامل مع النص - أي نص- وبوجه خاص عندما يكون التعامل مع نصوص التراث.



إصـــدارات صــوتيــة على
أقراص CD
أناشيد همسات الجزء الأول والثاني
ألوان من الحياة الجزء الأول والثاني
جعلت إدارة الإعلام الديني لكل أفراد الأسرة
نصيباً من الإعلام القيمي الهادف، تسعدنا
زيارتك للحصول على نسخة من هذه
الإصدارات الصوتية
أعزائي الصغار الجزء الأول والثاني
أبناء الغد الجزء الأول والثاني
سلسلة أعزائي الصغار ①
سلسلة أبناء الغد ①
إصدارات مرئية على أشرطة فيديو
أحكام وفتاوي الحج
نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com
info@nafaess.com
مجمع الوزارات - بلوك 16 - الدور الأول - تلفون : 8 / 22487327 - فاكس : 22487326







أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة



هوفمان: الإسلام.. النموذج الأمثل لعولمة ذاتيات الشعوب



النفايات الثقافية.. كيف نتعامل معها؟

التاريخ بين العبث والصيانة

علم الفروق الفقهية

بين البيهقي والجويني

التشاؤم

إذا قوي التوكل على الله تعالى والإيمان بقضائه وقدره قويت النفس على مباشرة الأسباب، اعتمادًا على الله ورجاء منه ألا يحصل ضرر، فإن التوكل من أعظم الأعمال القلبية التي تُستجلب بها المنافع، وتُستدفع بها المضار، إذ هو هجر العلائق، ومواصلة الحقائق، ومن أعظم ما يحصل به المطلوب، ويندفع به المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، بل التجرد من الأسباب ممتنع عقلًا وشرعًا وحسًا، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، فالتوكل علم وعمل، فالعلم معرفة القلب أن الله هو النافع والضار، والعمل هو ثقة القلب بالله، وفراغه من كل ما سواه، فالله خلق كل شيء فسوَّاه، وقدر ما أراده من حكمه وأمضاه، فلا راد لما قضاه، ولا مانع لما أعطاه، ولا مؤثر في الكائنات سواه، خلق الزمان والمكان، وقدر الخير والشر، وله الحكمة البالغة، وأنه لا يغني أحدًا حذر عن قدر، ولا محيد له عما قضاه الله ولا مفر.

بعث الله رسوله بالهدى، وبصَّر به من العمى، ذهبت بأنواره ظلمات الجاهلية الجهلاء، وتشاؤمها بالشهور والأيام والأنواء، فلا شؤم بصفر ولا سعادة ليوم ولا نحس لأربعاء، فلا سب للأوقات ولا الدهور، ولا تشاؤم بالأيام والسنين والشهور، ولا ينسب النفع والضر إلا إلى من إليه ترجع الأمور، والتشاؤم داء قديم ذكره الله عن الأمم السالفة، وكان العرب يتشاءمون بالطير وبالزمان والمكان وبالأشخاص، وما انتشر في هذه الأيام مما يسمى بعلم الأبراج والنجوم والحظ والطالع، وتصديق العرافين والكهنة الذين يدَّعون علم الغيب ويعبثون بعقول الناس، ليبتزوا الأموال ويغروهم بالآمال، فالإنسان إذا فتح على نفسه باب التشاؤم ضاقت عليه الدنيا، وصار يتخيل كل شيء أنه شؤم، فينكد عليه عيشه، والرسول الأمين، عليه أفضل الصلاة والتسليم، قد بيَّن للأمة بالحجج والبراهين فساد الشؤم ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم على ما يتشاءم منه علامة، ولا فيه دلالة، ولا فيه سبب لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم، فقطع علق التشاؤم من قلوبهم، فمن استمسك بالعروة الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على رب العالمين، قطع هاجس التشاؤم من قبل استقراره، وبادر خواطره من قبل استمكانه، كل ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها، فيجب على من وجد شيئًا من ذلك في نفسه أن يجاهدها على دفعه ويستعين بالله ويتوكل عليه، حتى يبعد عن قلبه أثر ذلك التشاؤم من الحزن والألم والهم والوسواس والضعف، فالشؤم كله في معاصي الله، والهلاك كل الهلاك في الاجتراء على محارم الله.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٣٤
العام السابع والأربعون
صفر ١٤٣١هـ
فبراير ٢٠١٠م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

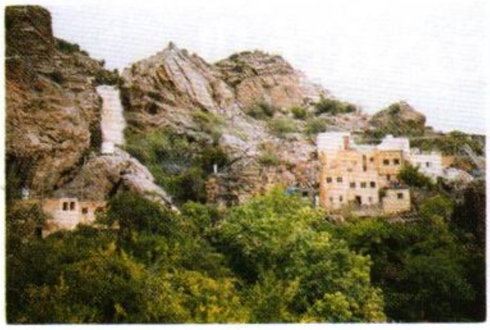
التنفيذ والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

في هذا العدد





حوار مع مراد هوفمان 10

القصة القصيرة في عمان 44



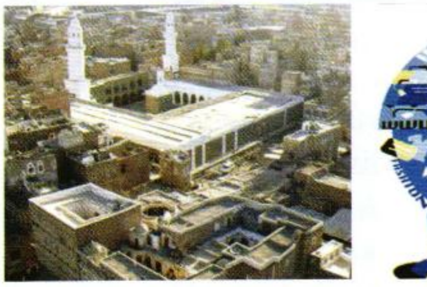


الحضارة المتبرجة 56

فتوى الوكالة 62



عولمة قضايا الطفل 70



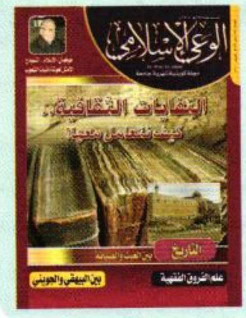
مسجد صنعاء الجامع 84

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



الأمانة المثالية في كتابة التاريخ تجعله وسيلة ناجحة من وسائل التقدم والرقي، لأن صفحات الماضي يعتريها غلط المواقف وصوابها.

داخل العدد

البرهان القرآني في كشف الإلحاد النفساني ١٦

مقاهي زمان.. أدب وثقافة ٣٦

نعزي العلم في نجم ٤٣

كيف تحمي قلبك؟ ٦٦

مكتبة المخطوطات الإسلامية ٨٠

المقامة العكسية ٩٨

كلمة العدد

وحدة الصف

من المعلوم أن وحدة الصف المسلم وجمع الكلمة ونبذ الفرقة من مقاصد الشريعة السمحة، فكل أمة من الأمم تمر بعقبات، لعل أهمها كيفية توحيد صفوف أفرادها من الداخل حتى تكون لحمة في مواجهة الأعداء.

ومن أعظم النعم على أمتنا الوحدة العقدية، والتآلف القلبي، والرابط اللغوي، لاسيما أن الخطر الأكبر الذي يواجهنا هو خطر شق وحدة صفوفنا، وغرس بذور الطائفية الشيطانية في منظومتنا الحياتية.

فالقلوب المتفرقة خلف الأهواء هي مصدر المشاكل التي نعاني منها اليوم، حتى باتت الأمة مرتعا خصبا للتجارب، فكل صاحب هوى ينفث بأفكاره السامة فيجد من يقبلها، ثم نأتي لنعالج تلك الأفكار فنجد أنها قد تجذرت وامتدت لفئة كبيرة من الناس وأننا قد تأخرنا كثيرا في علاجها؛ لذا أمرنا رسولنا الكريم ﷺ بسد الثغرات والتراص في الصلاة حتى لا يجد الشيطان مكانًا بين المصلين فيفسد عليهم دينهم وقلوبهم.

ولعل الخروج من الصف ينبع من اتباع الهوى والإعجاب بالرأي، حتى إن كثيرًا من الناس تزين له نفسه صنيعه حتى يظن أنه هو الصواب بعينه، ويظل على ذلك وقتا طويلا وقد يموت على تلك المبادئ، معتنقا لها، مفارقا بها صفوف المسلمين ووحدتهم، بالإضافة إلى أن البعض يتعمد استمرارية الخلل بدعم المتهافتين على السياسة والإعلام والاقتصاد ورصد الأموال لترسيخ سفههم، فإذا كان ذلك، فأنى تكون لنا أمة قوية متحضرة؟!

إن الفتنة لا تفرق بين شخص وآخر، وإذا نزلت بمكان أكلت الأخضر واليابس، ولنا في التاريخ خير شاهد، فلنقف وقفة حازمة ضد هذه المواقف المقيتة، ولنع آثار إثارة الخلافات والنزاعات على وحدة المجتمعات.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلسا ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريال ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المشاركون في مؤتمر «قضايا الإصلاح في ماليزيا.. الواقع والتحديات» يؤكدون:

التعليم.. كلمة السر في نجاح النموذج الماليزي

مي محمود

يظل النموذج الماليزي للتنمية نموذجا ملهما لعدد كبير من الدول النامية التي مازالت تحبو على طريق التقدم والرقي.. فبعد أربعة عقود نجحت ماليزيا فيما فشل فيه آخرون واستطاعت أن تطور نموذجا تنمويا إصلاحيا يستند إلى عناصر ثقافية نابعة من ذاتها ومن بيئتها. ولقد تحددت العناصر التنموية في الثقافة الماليزية- التي تدرك أهمية العنصر البشري - في مجموعة من القيم أهمها: القانون، والنظام، والعمل الشاق، والاهتمام بالتعليم والعائلة، وتحقيق الإنجاز، والانتماء الشديد للدولة.



وتبقى كلمة السر في نجاح النموذج الماليزي هي التعليم ثم التعليم ثم التعليم! هذا ما أكده الأساتذة والخبراء المشاركون في المؤتمر الذي نظمه مركز الدراسات الآسيوية بالتعاون مع كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة يوم ٩ ديسمبر ٢٠٠٩ تحت عنوان: «قضايا الإصلاح في ماليزيا.. الواقع والتحديات» كما أشاروا إلى ضرورة عدم إغفال البعد الإسلامي لهذا النموذج الناجح، في ذلك التوقيت الذي يتعرض فيه الإسلام للهجوم ومحاولة إلصاق تهم العجز والتخلف والعنف بمعتنقيه.

رؤية القيادة

في البداية قال د.جابر سعيد عوض أستاذ العلوم السياسية ومدير مركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة: إن ماليزيا استطاعت تحقيق طفرة تنموية كبيرة استحقت بالفعل وصف «المعجزة»، وذلك على الرغم من الشكوك والمخاوف التي كانت تثار قبل الاستقلال عام ١٩٥٧م حول إمكانية ميلاد الدولة الماليزية أو بقائها واستمرارها على قيد الحياة إذا ما قدر لها أن تولد، فلم تكن ماليزيا قبل الاستقلال سوى مجتمع زراعي يتسم أبناؤه بانخفاض مستوى الدخل وتنوع أصولهم العرقية والدينية والثقافية، وتباين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ولا يكاد يوجد بينهم شيء سوى الجغرافيا.

فماليزيا الآن إحدى الدول الصناعية الجديدة من الجيل الثاني بعد النمور الآسيوية وتمتلك قوة عاملة ماهرة ومدربة، يبلغ متوسط النمو الاقتصادي السنوي بها ٧٪ ولا يزيد معدل التضخم فيها عن ٣ إلى ٤٪ سنويا فقط، ولا تتجاوز نسبة الفقراء بها ١٠ ٪ من السكان، كما يبلغ متوسط الدخل الفردي أكثر من ٨٠٠٠ دولار سنويا.

وتابع: لقد مثلت الأوضاع المجتمعية التي عرفتها البلاد غداة الاستقلال، أو ما أطلق عليها رئيس الوزراء السابق د.محاضير محمد «معضلة المالايا» العامل البارز الذي يصعب - إن لم يكن من المستحيل- أن نفهم الدور الذي لعبته الدولة الماليزية في عملية التنمية بدونه، باعتبار أنه العامل الحاسم الذي سيطر على فكر القيادات السياسية التي تعاقبت على حكم ماليزيا بدءًا بتنكو عبدالرحمن أول رئيس وزراء لدولة المالايا المستقلة (ماليزيا فيما بعد) والملقب بـ«أبو الاستقلال»، ومرورا بكل من تون عبدالرازق الملقب بـ«أبوالسلام»، وتون حسين عون، ود.محاضير محمد الذي قاد البلاد اثنين وعشرين عاما كرئيس للوزراء، والذي يشهد بإنجازاته الجميع، حتى أولئك المختلفون معه، ليخلفه د.عبدالله أحمد بدوي خامس رئيس وزراء ثم في عام ٢٠٠٩ يأتي د.محمد نجيب عبدالرازق ابن ثاني رئيس وزراء ليقود البلاد على خطى سابقيه، ومن الملاحظ أن معظمهم كانوا وزراء للتعليم قبل أن يتولوا رئاسة الوزراء نظرا لأهمية هذا المنصب وما يتضمنه من محورية ومركزية التعليم في التجربة الماليزية الصاعدة.

وأوضح د.جابر سعيد عوض أن دور القيادة في ماليزيا وفي أي مكان هو دور في غاية الأهمية لأنه يحدد ثلاثة أمور أساسية:

- إدراك القيادة للمشاكل والتحديات التي تواجهها الدولة أو تجاهلها والتغافل عنها.
- الوقوف على الخطط المناسبة لحل المشكلات ووضع الخطط البديلة.
- المتابعة الدقيقة ووضع معايير للتقدم والإنجاز.

فالقيادة الماليزية أولت أهمية كبيرة للتخطيط الاقتصادي منذ البداية، حتى قبل الحصول رسميا على الاستقلال.

والخطة الاقتصادية الأولية (١٩٥٦ . ١٩٦٠) هدفت إلى تطوير البنية التحتية، ومع تبني السياسة الاقتصادية الجديدة أضحت الخطط الاقتصادية أكثر دقة وتقدما.

وبين أن ماليزيا تمر الآن بمرحلة الخطة الخمسية التاسعة (٢٠٠٥ . ٢٠١٠)، وهي خطة شاملة ومتكاملة ببرامج اجتماعية واقتصادية.

وقد مثلت الخطط الخمسية المختلفة جزءًا من خطط طويلة المدى تمتد لعشرين عاما تضم أربع خطط خمسية، تتم مراجعة وإعادة

النظر في الخطة الخمسية في منتصفها أي كل سنتين ونصف.

وعلى شاكلة الخطط طويلة الأمد، هناك المشروع المعروف بـ «ماليزيا ٢٠٢٠» الذي يهدف إلى تحقيق قدرة ماليزية عالية على المنافسة في الأسواق الدولية، فضلا عن خلق مجتمع متناغم وموحد وسليم دينيا وأخلاقيا وقيميا، وذي مستوى معيشي مرتفع.

تطوير مؤسسات المجتمع المدني

وأشارت د.ناهد عزالدين أستاذة العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة إلى أن خريطة المجتمع المدني في ماليزيا زاخرة بشتى التصنيفات والتنويعات والألوان، فهي لم تقتصر على النوع الأول من المنظمات التي وفرت أطر العمل الجمعي للأعراق والإثنيات بصفاتها الجماعية، فالمجتمع المدني في ماليزيا ضم عددا من المنظمات غير الحكومية المعنية بالدفاع عن الحريات الفردية ضد ما يواجهها من قيود، وحركات سياسية أوسع مثل حركة الإصلاحيين Reformasi. كما شمل عناصر أخرى مكونة للمجتمع المدني بمفهومه الأوسع مثل أحزاب المعارضة السياسية وكذلك الائتلافات ومن أشهرها PAS. وهو حزب للملاي المسلمين Parti Agama se-Malaysia وأيضا Barisan Alternatif، وبعض المؤسسات الحكومية التي تسيطر عليها أحزاب معارضة مثلما هو الحال في ولايات Kelantan and Terengganu.

وأضافت أن المجتمع المدني في ماليزيا اتسم بتنوع وتعدد ملحوظين في الفاعلين والأطر التنظيمية التي تضم جماعاته وتلك ظاهرة صحية ونقطة قوة، ولكنها أيضا كانت محل جدل وخلاف شديد بين وجهتين

سياسة الفرز القيمي التي قامت على المزج بين الثقافات الإسلامية جنباً إلى جنب مع الصينية والهندية .. أساس المعجزة



للنظر على طرفي نقيض، وجهة النظر الأولى الغربية المناهضة لسياسة محاضير محمد، والتي أكدت على إساءة استغلال الحكومة للتنوع في إثارة الانقسامات وتأجيج الصراعات داخل المجتمع من خلال اتهام قوى المعارضة الحزبية والسياسية ودعاة الإصلاح والتغيير بالتعبير عن مصالح إثنية وعرقية، وبالتالي ترجمة رؤى محدودة ومطالب ضيقة تتنافى مع اعتبارات الوحدة الوطنية للأمة ككل.

وقد كان من شأنه أن غلبت على تركيبة المجتمع المدني حالة من السيولة التي ارتبطت بكثرة خطوط الانقسام الإثنية والعرقية، ومثلت تلك الانقسامات نقطة ضعف المجتمع المدني.

فهذا التيار اعتبر أن نظام محاضير ضرب المثل على استغلال الحاكم حالة التنوع الاثني لتطبيق سياسة «فرق تسد» بين الجماعات المتعددة، وذلك بهدف الاحتفاظ بالسيطرة على السلطة وتقييد مساحات الحركة المتاحة أمام المعارضة لأضيق حدود ممكنة، فثمة حكم مسبق بإدانتها وتخوينها واتهامها بالعمالة أو السعي لتفتيت المجتمع الماليزي وتهديد كيانه وضرب وحدته القومية لمجرد إبداء النقد على سياسات الحكومة القائمة وهو نوع من الابتزاز والضغط على المعارضة لإفراغها من مضمونها الحقيقي.

وجهة النظر الثانية، هي وجهة النظر الإسلامية والتنموية المؤيدة لنهج محاضير، وهي ترى في المقابل أن سياسة الفرز القيمي التي انتهجتها ماليزيا، والتي يعود الفضل لقيادة محاضير محمد في الدعوة لتبنيها قامت على المزج بين الثقافات الإسلامية جنبا إلى جنب مع الصينية والهندية، في إطار تعظيم الأبعاد الإيجابية وتقليل الأبعاد السلبية، وكانت هي السر وراء المعجزة الماليزية.

وعن معالم التوازن في الاستراتيجية المتبعة في ماليزيا وكونها قد حققت شروط المعادلة الصعبة أوضحت د.ناهد عزالدين أن هذه الاستراتيجية قامت على أربع ركائز أساسية هي:

- القومية الماليزية على وعي واحد بالعيش المشترك.
- التنمية الرأسمالية التي حققت بالفعل مستويات مرتفعة للمعيشة والاستهلاك.
- دور الإسلام باعتباره قوة دفع للتنمية.
- دولة رشيدة قادرة على التخطيط، بالإضافة لمستوى لا بأس به من الاستقرار السياسي والاجتماعي برغم تحدي الانقسامات.

وقالت إن التناقض بين وجهتي النظر تعكسه على أوضح ما تكون تلك التقييمات المختلفة لنفس الظاهرة الواحدة ما بين التفاؤل الذي يبرز ما تحمله من إيجابيات وفرص والتشاؤم الذي يركز فقط على الجوانب السلبية وصعوبات تكتنف تطور المجتمع المدني الماليزي.

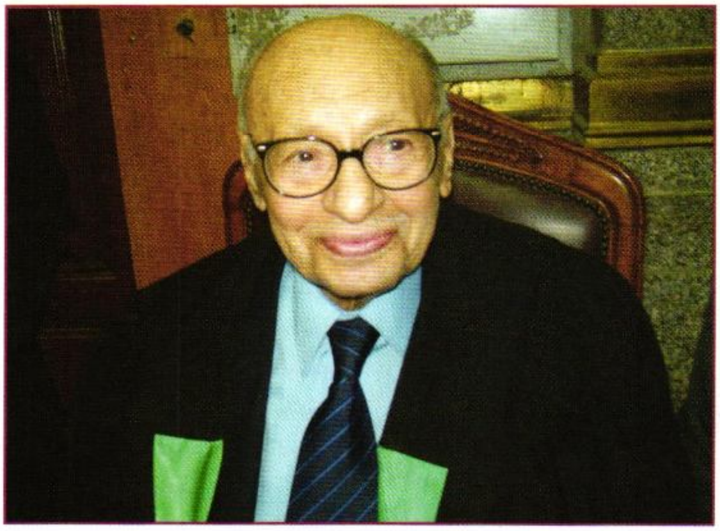
فبعض التحليلات يعتبر أن ظهور التيار الإسلامي الراديكالي لا يقتصر على تحدي السلطوية التي يجسدها حزب الأمنو الحاكم فقط، فيما يعد خطوة تمهيدية في اتجاه الديموقراطية، ولكنه يمثل عائقا أمام تبلور المجتمع المدني، حيث يرفض كثيرا من الأسس الفكرية والقيم والمبادئ التي يستند إليها المجتمع المدني، ومنها مثلا احترام حقوق الإنسان والحريات وقبول الآخر وحقه في الاختلاف (دينيا وثقافيا ولغويا... الخ)، خصوصا في مجتمع يتسم بالتعددية الثقافية.

ولذا فإنه لا يعول عليه كثيرا في تحقيق التحول الديموقراطي، بل على العكس فهو يشكل بتناميه وصعوده تحديا أمام مثل هذا التحول.

على العكس تذهب تحليلات أخرى إلى تأكيد أن مجرد صعود قوى جديدة (أيا كانت توجهاتها أو مواقفها الفكرية) مضادة للنظام القائم وللحزب الحاكم يشكل زعزعة لاستقراره واهتزازا لركائز شرعيته ويمهد السبيل للتحول حيث يفتح أبواب النظام أمام رياح التغيير.

أكبر باحث في العالم يحصل على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية وهو في الرابعة والتسعين من العمر!

بدر محمد بدر



شهد قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة، يوم الثلاثاء ١٧ نوفمبر الماضي واحدة من اللحظات التاريخية النادرة، أثناء مناقشة رسالة الدكتوراه المقدمة من محمد فريد عبدالخالق الذي يبلغ الرابعة والتسعين من العمر، ليصبح بذلك أكبر باحث يحصل على الدكتوراه في العالم، حسب شهادة المفكر الإسلامي المعروف الدكتور محمد سليم العوا الذي ناقش الرسالة، بالإضافة إلى كل من الدكتور يوسف قاسم أستاذ ورئيس قسم الشريعة بالكلية (سابقا) رئيسا ومشرفا، والدكتور محمد نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية ووكيل كلية الحقوق عضوا.

وقد حصل الباحث على درجة الدكتوراه في موضوع (الاحتساب على ذوي الجاه والسلطان) بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف، وأوصت لجنة المناقشة بطبع الرسالة على نفقة جامعة القاهرة، وتبادلها مع الجامعات الأخرى.

وقبل المناقشة قال الباحث لوسائل الإعلام التي التفت حوله: إن الحسبة والشورى هما قوام نهضة الأمة، مطالبا إياها بوجوب الخروج من حالة الخنوع والاستسلام، وضرورة الانفتاح والشورى والتعاون بين أفرادها. وأضاف أن العالم الآن مضطرب وبلا أخلاق ولا قيم، وعلينا نحن أن نستعيدها ثانية، فالأمة الإسلامية أولى بأن تقود العالم للخير بصدق وليس بالكذب والدعاوى والاستعمار والخداع، نحن كمسلمين نريد الخير للبشرية بدون تفرقة، فالله عز وجل كرم بني آدم، وأمتنا أمة واحدة وبالوحدة تسترد وضعها بين الأمم.

وتنقسم الدراسة العلمية إلى ثلاثة أبواب، الأول يتناول الاحتساب عموما ويركز على مفهومه السياسي، ونقض ما تعلق به من مفاهيم شائعة عنه، تحاول إخراجه من الدور السياسي الجوهري الذي يلعبه، وتحويل دوره إلى دور قضائي وبوليسي، ويتناول الثاني الحسبة من حيث علاقتها بالدولة والحكم ويوضح بعض المفاهيم الأساسية، مثل التعريف بالمحتسب عليهم أو ذوي السلطان والجاه، والمقارنة بين الحسبة فى الإسلام والتشريع الوضعي، ومدى علاقة مبدأ الفصل بين السلطات بالحسبة على ذوي السلطان.

أما الباب الثالث فناقش فيه الباحث الأنظمة السياسية المعاصرة، والمقصود الاحتسابي فيها.

ثلاثة عقود

وتهدف الدراسة إلى إبراز الدور الرقابي الشعبي على السلطات المتمثل في نظام الحسبة، لاسيما السلطة التنفيذية ورئيس الدولة، وتطرح نظاما احتسابيا جماعيا ومؤسسيا لمقاومة جور وفساد السلطات التنفيذية ورئاسة الدولة، كما تهدف إلى إلقاء الضوء على الضوابط الشرعية للحسبة في الإسلام، وعلى شروط المحتسب والمحتسب فيه، وتبرز احترام الإسلام مبدأ الفصل بين السلطات.

ويسعى الباحث خلال الدراسة إلى الوصول إلى تصور صحيح ومقبول لنظام الحسبة في الإسلام في وقتنا الحاضر، يمكن أن يؤدي دوره في الاحتساب على ذوي الجاه والسلطان في ضوء دراسة المبادئ التي قررها الإسلام في المجالات: الدستوري والسياسي وأصول الفقه الإسلامي، والتي على أساسها يقوم نظام الحسبة، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمقاومة الظلم بجميع صوره، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وجور الحكام ومحاربة أنواع الفساد التي تقع من ذوي الجاه والشوكة في المجتمع. ويؤكد الباحث أن إدارة الأمة لواجبها في المشاركة في الحكم ومساءلة الحاكم، يولد عندها رأيا عاما قويا، وإذا تأصل عند المحكومين هذا الدور تولد عند الحاكم أن للمحكومين رأيا عامًا قويًا ومعارضة قوية، تجعله يعمل لذلك ألف حساب.

ويحاول الباحث في هذه الدراسة إبراز الدور السياسي الذي يمكن أن تلعبه الحسبة كنظام إسلامي، يحقق رقابة شعبية في تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، من منظور

• كاتب صحفي

مقارن بالمؤسسات الدستورية في الأنظمة الديموقراطية النيابية الحديثة والتشريعات الوضعية، في مجال لم يستوفه البحث المعاصر- في مجال السياسة الشرعية في الإسلام -حقه.

وتابع: من أجل تحقيق هذا الهدف فإن الدراسة تعنى بتحقيق عدد من الأهداف الفرعية التي يمكن من خلال تضافرها معا أن تسهم في الوصول إلى الأهداف الكبرى التي يطمح إليها الباحث، ومنها إبراز الدور الرقابي الشعبي على السلطات والمتمثل في نظام الحسبة، لاسيما السلطة التنفيذية ورئيس الدولة، وطرح نظام احتسابي جماعي ومؤسسي لمقاومة جور وفساد السلطات التنفيذية ورئاسة الدولة، يجنبنا العنف في ممارسة الحسبة غير المنضبطة في مرتبة تغيير المنكر باليد بشكل عشوائي، وأيضا إلقاء الضوء على الضوابط الشرعية للحسبة في الإسلام، وعلى شروط المحتسب والمحتسب فيه، وإبراز احترام الإسلام لمبدأ الفصل بين السلطات، وعدم التعامل مع الحسبة باعتبارها ولاية بوليسية، وإنما إدخالها في الفقه السياسي الإسلامي، كمبدأ يمارسه المواطنون كفرض كفاية، والمؤسسات الدستورية المعنية كفرض عين، وعلى رأسها المجالس التشريعية البرلمانية والأحزاب السياسية وسائر منظمات حقوق الإنسان والجمعيات الأهلية المعنية بالحفاظ على حقوق الإنسان الأساسية وحرياته العامة من اتحادات ونقابات.



محمد فريد عبد الخالق: الحسبة نظام إسلامي فذ ومتطور يحقق الرقابة الشعبية على الأنظمة السياسية والحكام

وظيفة سياسية

وزاد: إلى جانب الوظائف التقليدية للحسبة فإن لها وظيفة سياسية بالغة الأهمية والحيوية في المجتمع والدولة على السواء، بحيث يمكن أن نعتبرها جزءًا أساسيًا من المشروع الحضاري الإسلامي المتكامل الذي يستهدفه المسلمون عامة، وعلماء الأمة ومفكروها الإسلاميون خاصة، ويجدون في إحياء وظيفة الحسبة عامة، وعلى ذوي الجاه والسلطان خاصة، أداتنا الإسلامية للإصلاح السياسي بل والاقتصادي والاجتماعي كذلك، وهي في الوقت نفسه أداتنا للإصلاح الدستوري من منظور الديموقراطية الحقيقية.

إن الحسبة على ذوي السلطان تشكل كبرى الضمانات الشرعية للحريات العامة والحقوق الأساسية للإنسان، أو المبادئ التي تحمي الأفراد من طغيان الدولة واستبداد الحكام، وهو المطلب العاجل والملح الذي تتطلع إليه الشعوب، لاسيما الواقعة منها في دائرة الدول النامية، ودولنا العربية والإسلامية داخلة فيها.

وأردف: إن الضرورة تجعل المحظور جائزا، لذلك فإن حكومة الخلافة التي لا تتوافر فيها جميع الخصائص المميزة للحكومة الصحيحة تصبح رغم ذلك جائزة، أي شرعية ما دامت تمثل أخف الضررين، لأن احتمال قيام نظام مشوب بعيوب الحكومة الناقصة، أقل ضررًا وخطورة من غياب كامل لأي نظام للحكومة الإسلامية.

وأوضح الباحث أن مبدأ الفصل بين السلطات في الإسلام، ومبدأ الشرعية الإسلامية، بمعنى سيادة الشريعة، يكونان أكبر سند شرعي لوظيفة الحسبة على ذوي السلطان، لما يتضمنان من تقييد السلطة التنفيذية بمهمتها الدستورية، وهي التنفيذ لا التشريع، ومن غلق الباب أمام الحكام دون حق استصدار قوانين ظالمة.

وبيَّن أن المقاصد التي تخدم الأمة العربية والإسلامية من خلال هذا الموضوع، ترتبط ارتباطا وثيقًا بكيفية مشاركة الحاكم للمحكوم، وكيفية مشاركة المحكوم للحاكم، مما يجعل المسؤولية تقع على عاتق الاثنين، أما إذا ظلم الحاكم وجحد لقوله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى× أن رآه استغنى﴾ (العلق: ٦- ٧)، نجده في هذه الحال مستغنيا عن الشعب، وأن عنده من الأجهزة المعاونة ما يجعله يبطش ويظلم، ويترتب على ذلك عدم وجود دور ورأي عام قوي للمحكومين.

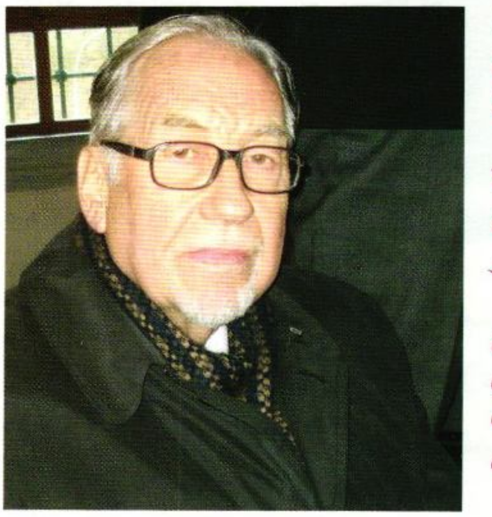
وأثناء المناقشة قال الدكتور محمد سليم العوا: إن الباحث يرى أن الصفة والمصلحة في الحسبة تتحقق بكل ولكل بني آدم في العالم، فهو يريد إنشاء نظام لمحاكمة الحكام والسلطان عبر نظام عالمي، فأي إنسان في أي مكان من حقه أن يرفع عنه الجور والظلم، ودعا لتجاوز مفهوم أهل الحل والعقد فهو «مفهوم تاريخي وليس ملزما لنا»، وأكد أن واجب الأمة هو إقامة الحكم الصالح وإيجاد الحاكم المقيد بحكم الدستور والقانون.

يذكر أن الباحث قد حصل على ليسانس الحقوق ثم دبلوم القانون العام ثم دبلوم الشريعة الإسلامية، وقد سجل رسالته للدكتوراه مجددا عام ١٩٩٤، وكان قد سجلها أولا عام ١٩٦٨، وكان مديرًا عامًا لدار الكتب والوثائق القومية بمصر، ثم وكيلا لوزارة الثقافة.

المفكر الألماني المسلم د. مراد هوفمان في حوار مع «الوعي الإسلامي»:

الإسلام هو النموذج الأمثل لعولمة حقيقية تحافظ على ذاتيات الشعوب

حوار: أحمد أبوزيد



المفكر الألماني د. مراد هوفمان، واحد من صفوة المفكرين الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام بعد دراسة وتأمل وتجارب عملية في واقع الحياة، وبعد معايشة للمسلمين وأخلاقهم، بالإضافة إلى رحلات طويلة من المقارنات بين الإسلام كمنهج للحياة وبين غيره من الأفكار والديانات والفلسفات.

وقد حصل هوفمان أخيرا على لقب شخصية العام الإسلامية لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم لعام ٢٠٠٩م، لنضاله من أجل قضايا الإسلام والمسلمين، وباعتباره من أشهر مفكري الغرب الذين اعتنقوا الإسلام، وقادوا حركة الإحياء والتجديد في الفكر الإسلامي.

ومنذ سنوات والمسلمون يتابعون مؤلفاته وكتاباته ونشاطاته الإسلامية، ويعلمون الكثير عنه، فقد اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م، أثناء عمله في السلك الدبلوماسي الذي امتد ٣٣ عامًا، ومازالت رحلته إلى الإسلام تثير جدلا في الأوساط الغربية بعد أن ترك منصبه كمستشار إعلامي لحلف الأطلنطي، وكسفير سابق لألمانيا في الرباط، وانشغل بنشر الإسلام وبتصحيح صورته لدى الغربيين، بل والمسلمين أنفسهم.

وهو يعيش الآن في إسطنبول ومتزوج من مسلمة تركية، بالإضافة إلى إقامته الرسمية في مدينة «آشافينبورج» بألمانيا.

وقد برزت أفكاره التجديدية في العديد من الكتب التي ألفها وعلى رأسها «الإسلام عام ٢٠٠٠»، «الإسلام كبديل»، «يوميات ألماني مسلم»، «الإسلام في الألفية الثالثة»، و«طريق فلسفي إلى الإسلام»، وهي كلها تتعرض للإسلام كدين وحضارة عالمية، وكبديل لكل النظم الوضعية التي أغرقت العالم في بحر من المشكلات.

«الوعي الإسلامي» أجرت هذا الحوار حول وضع الإسلام والمسلمين في ألمانيا والغرب، وآرائه ومواقفه من القضايا المعاصرة، والعلاقة بين الإسلام والغرب، وإمكانية التفاعل بينهما، ومستقبل الإسلام في أوروبا وأميركا.. واليكم نص الحوار:

■ **الحوار الألماني مع العالم الإسلامي أحد العناصر الرئيسية في السياسة الخارجية الألمانية تجاه الدول العربية والإسلامية، خاصة عقب أحداث ١١ سبتمبر، فهل الأوضاع الداخلية للمسلمين في ألمانيا تساهم في تحقيق هذا الفهم المشترك وتعميق الحوار والتوجه نحو التعاون المتبادل؟**

- يجب أن نؤكد أولا أنه ليست هناك ديانة تقدم هنا في ألمانيا وفي أوروبا كلها بشكل أكثر خطأ وقسوة مثل الإسلام، حتى إن الإنسان الأوروبي يكبر على مفاهيم وأحكام مسبقة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، ولعل السبب في ذلك أن العالم الإسلامي على الإجمال ليس له نموذج مقبول ليقدمه إلى العالم، فلا توجد منظمة رئيسية تمثل الإسلام فعلا وتتحدث عنه بصوت واحد في أوروبا، وإنما هناك مجالس تتحدث بلغات وتصورات مختلفة، والمساجد في ألمانيا تنتمي إلى أبناء أوطانها فقط، ولا تقدم نفسها على أنها تمثل الإسلام في حد ذاته، فهي تسمى بأسماء الأوطان الإسلامية، على سبيل المثال هناك ١١ مسجدا في منطقة لا تتعدى مساحتها كيلو متر مربع في هامبورج، وكل مسجد منها يحمل اسم البلد الذي جاء منه أتباعه، فيقال مسجد الأتراك، والأفغان، والعرب، والبوسنيين، والباكستانيين، والأفارقة...إلخ، وبالطبع فإنه ربما كانت مسألة اللغة هي السبب في هذا التشرذم، حيث إن الجاليات الإسلامية تتحدث لغاتها المختلفة وتفهم الإسلام بها، ولذلك فإنها تمارس عباداتها منفصلة عن غيرها، ولكن لو أن المسلمين هناك تحدثوا الألمانية وتوافقوا على مفاهيم واحدة للإسلام لأمكن توجيههم، ولوجدت جهة منظمة واحدة.

إن الشكوى الرئيسية التي تتردد على ألسنة المسؤولين والمفكرين الألمان هي صعوبة مخاطبة المسلمين هناك كقوة واحدة حتى يمكن بناء حوار مثمر معهم.

ومن ناحية أخرى هناك نظرة مختلفة للدين في المجتمع الألماني، وبوجه عام هناك نحو ٣٠ في المائة من الأوروبيين غير متدينين، ففي برلين مثلا، وعدد سكانها نحو ٥,٣ ملايين نسمة، يوجد ٤,٢ ملايين غير متدينين.. فتلك مجتمعات علمانية بالدرجة الأولى، وهذا يشكل عقبة أمام أي مظهر للتدين من جانب المسلمين، حيث ينظر إليه من منطلق الخوف والقلق لا من منطلق الاطمئنان والارتياح.

تصورات غربية

■ **وما دور المسلمين الذين يعيشون**

في ألمانيا والغرب في تغيير التصورات الغربية السلبية عن الإسلام؟

- يجب أن نعلم أن العقلية الأوروبية لا تزال محكومة بذكريات الحروب الصليبية، فالكنيسة الكاثوليكية لم تغير وجهة نظرها السلبية تجاه الإسلام بصورة كاملة، والإعلام الغربي يلعب دورا كبيرا في تشويه صورة الإسلام ومهاجمته، والغربيون ينساقون وراء هذا الإعلام، ويخافون على حضارتهم الغربية من حضارة الإسلام، ويتخوفون من الزيادة المطردة للمسلمين في الغرب.

ولا نستطيع أن نحمل الجاليات المسلمة في ألمانيا والغرب مسؤولية تصحيح هذه الصورة المشوهة التي تراكمت في أذهان الغربيين عن الإسلام عبر سنوات طويلة وأحداث كثيرة، ولكن الأمر يحتاج إلى إستراتيجية متكاملة يتعاون من خلالها قادة المسلمين في الغرب وعلماؤهم مع الهيئات والمؤسسات الإسلامية داخل العالم الإسلامي وخارجه، وذلك لمواجهة الإعلام الغربي، ونشر صورة الإسلام الصحيحة من خلال حملات إعلامية ضخمة، والاستعانة بشبكة الإنترنت لنشر الإسلام وتوضيح صورته الحقيقية للعالم كله وبمختلف اللغات، وإقامة حوار عن الإسلام في وسائل الإعلام الغربية وفي الندوات والمؤتمرات.

ولكن يجب أن نؤكد أن المسلمين إذا لم يسعَوا بجدية وعزم إلى تحقيق هذا الهدف، وإثبات ذاتيتهم الثقافية، فسوف ينتهي بهم الحال إلى أن يفرض عليهم الغرب نمط ثقافته، وهذا يتطلب القيام بـ «الهجوم المبكر» بدلاً من الدفاع، وأن يكون نمط حياة المسلمين نموذجًا يُحتذى، وأن يتمّ تجنب السلوكات التي تمثل مادة خامَة لتشويه الإسلام، واختراق هيمنة «الإعلام الصهيوني» على عقل المواطن الغربي في أوروبا وأميركا من خلال الإنترنت.

صعوبات تواجه الإسلام

■ وما الصعوبات التي تواجه الإسلام والمسلمين في ألمانيا والغرب بوجه عام؟

- هناك صعوبات عديدة تواجه الإسلام في ألمانيا وفي الغرب، أبرزها تشويه صورته من قبل الأجهزة الإعلامية والبحثية، وأسباب ذلك معقدة ومتنوعة، يرجع بعضها - كما ذكرنا - إلى الحروب الدموية بين المسيحيين والمسلمين، والتي عُرفت بالحروب الصليبية، والصراع السياسي والتجاري للسيطرة على البحر المتوسط، حتى أصبحت إدانة الإسلام جزءًا لا يتجزأ من العقلية الأوروبية، ومن هنا نرى أن هناك إجهاضاً لأي تعاطف مع الإسلام والمسلمين، والدليل على ذلك ما حدث مع عميدة الاستشراق الألمانية «د. أنا ماري شميل» وموقف وسائل الإعلام الألمانية منها حينما انتقدت كتاب سلمان رشدي «آيات شيطانية»، وأكدت أن الكتاب يحتوي على افتراءات وأكاذيب عن رسول الإسلام، وأعلنت أن الكتاب إهانة واضحة للإسلام والمسلمين، وللأسف فبسبب كلامها هذا تعرضت للاضطهاد، وبالطبع كانت أسباب هذا الاضطهاد سياسية وليست دينية.

وهناك صعوبات أخرى يواجهها الإسلام في الغرب، وهي أن الشعوب الغربية، التي نشأت على الإباحية والغرق في الشهوات والملذات، ترى في الإسلام كديانة، أنه يقيد حرية الفرد، فهو يحرم الخمر، ويفرض الحجاب، وهذه الأشياء لم تتعودها العقلية الغربية.

عملت أربع سنوات مديراً لحلف الأطلنطي ورأيت كيف يخططون لإبادة الإسلام وتشويهه

انتشار الإسلام

■ ولكن رغم هذه الصعوبات فإنه يلاحظ أن الإسلام ينتشر في الغرب كل يوم، فما رأيكم في ذلك؟

- هذه حقيقة ملموسة، فالإسلام ينتشر بقوة في الغرب، وبصورة مذهلة، أوجدت الرعب في نفوس الغربيين الحاقدين، بعد أن عرف أبناء الغرب الحقائق الصحيحة عن الإسلام، ونجاحه في إشباع احتياجاتهم الروحية التي افتقدوها في ظل الحياة المادية الغربية التي أغرقتهم في كل شيء، ولا يتوقع أحد اليوم أن يختفي الإسلام، ولكن أن ينتشر ويمتد، ولذلك يضع جنرالات «الناتو» في حساباتهم أن أكثر المواجهات العسكرية احتمالا في المستقبل لن تكون إلا مع الإسلام، لأنه العدو المتنامي المرتقب الذي ينتشر بقوة، لا يعلمون حتى الآن أسبابها.

ونحن كمسلمين ينبغي أن نكون متفائلين، حتى نحصل على مكاسب، ونستفيد من كل شيء حولنا لنشر الإسلام، وتصحيح صورته في الغرب، وعلى سبيل المثال يمكن أن نستغل شبكة الإنترنت لصالح الإسلام والمسلمين وليس العكس، فيمكن لنا أن نرسل الدعوة إلى الإسلام إلى شاشاتهم وبرامجهم بدلا من الصور الفاضحة التي يرسلونها إلينا، وإذا كان اللوم مُلقى اليوم على الإسلام بسبب الإرهاب وما يقوم به بعض المسلمين ويلصقه بالإسلام وهو منهم بريء، فإن الإرهاب كان فرصة لتعرف الكثيرين على الإسلام، وقراءات مؤلفات المسلمين، وترجمات القرآن، وبهذا أتت الريح بما لا تشتهي السفن كما يُقال.

المراكز الإسلامية

■ وما هو تقييمكم لدور المراكز الإسلامية في الغرب، وكيفية تغيير المناهج الدراسية لأبناء الغرب والتي شوهت صورة الإسلام في عقولهم؟

- المؤسسات الإسلامية في الغرب مطالبة بأن تكثف جهودها لتأهيل دعاتها العاملين في الغرب، بحيث يكونون على قدر كاف من العلم ومعرفة طبيعة جمهورهم المستهدف، لأنه من المهم أن يفهم الداعية لغة وظروف ونفسية مخاطبيه، وألا تعتمد تلك المؤسسات على الدعاة الذين تبعثهم أو ترشحهم الحكومات الإسلامية للعمل في الغرب، لأن الواقع أكد أن دعاة الحكومات عادة يكونون غير مدربين، وغير مؤهلين، كما أن المسلمين في الغرب يرفضونهم

بسبب تبعيتهم للحكومات، وهذا خطأ لابد من تداركه حيث يقلل من فرصة انتشار الإسلام بقوة في الغرب، وهناك كثير من المثقفين المسلمين في الغرب وأنا منهم يقومون حاليا برصد الأخطاء الواردة في الكتب التعليمية الغربية عن الإسلام في العلوم كافة، تمهيدًا للرد عليها في كتيبات تصدر تباعا، كما نحاول إقناع السلطات التعليمية في الغرب بتصحيح تلك الأخطاء، وعلى أية حال فإن بعض الأخطاء جاءت نتيجة عدم الفهم الكامل، والدراسة التامة لأصول الإسلام والقرآن الكريم، ونأمل في تغييرها وتصويبها.

أسلوب جديد للدعوة

■ ما تصوركم لأسلوب الدعوة الصحيح في الغرب؟

- نحن نحتاج لأسلوب دعوة جديد للإسلام في الغرب، وعلينا أن نعرف أولا طبيعة المجموعات المستهدفة، وقبل أن أوجه رسالتي يجب أن يكون المستقبل مقتنعًا بما أقول من آراء وتوجيهات، وفي الغرب هناك أناس لا يعترفون ولا يؤمنون بالله، ولا يعقل أن أقول لهم: قال الله كذا، وكذا، ولكن علي أن أوجه لهم رسالة علمية واضحة بحقائق كونية وبراهين مختلفة، ثم أقارن هذه الحقائق بما جاء في كتاب الله، كما أن الدعوة في الغرب لا تتطلب إسرافًا في الأمور بحيث يصبح الداعية منبوذًا بسبب كثرة ما على المتلقي، ولكن عليه أن يعرف شخصية ونفسية الموجه إليه الرسالة، حتى لا يتحول الأمر في النهاية إلى العكس، لأن الناس في أوروبا يحتاجون أولا إلى إقناع، ثم دعوة في المقام الثاني، فلو اقتنع الفرد بما يقوله الداعية فسيكون من السهل عرض الرسالة عليه بالأسلوب اللين السهل، ومع ذلك فلابد أن نعلم أن لديننا ربًا يحميه، فصورة المسلمين اليوم وما يفعله بعض المتشددين يصدم العقلية الغربية في الإسلام، ورغم ذلك فإن الله بيده كل شيء، فمن كان يصدق أن شخصًا مجرمًا مُضللًا للإنسانية مثل « مالكوم إكس» سيتحول للإسلام في أميركا، ويعود من مكة داعية للإسلام، ويقطع صلته بالإجرام والإرهاب، ويتسبب في دخول آلاف الأميركيين في الإسلام.

ولقد أمضيت ٤ سنوات من عمري مديرًا لحلف الأطلنطي ورأيت كيف يخططون لإبادة الإسلام وتشويه صورته، ولكني أقول إن الله سيظهر دينه، وسينتشر أكثر وأكثر، وسيكون الإسلام هو دين البشرية مستقبلا، أو كما قلت سابقا في كتبي ومؤلفاتي: «الإسلام هو الدين البديل والأقوى اليوم للبشرية الغربية التي تعاني وتعاني بقسوة، وتبحث عن بديل ولن تجده إلا في الإسلام، وأعتقد أن المستقبل مملوء بالتفاؤل والأمل الكبير لإسلامنا العظيم».

الإسلام والعولمة

■ ما رأيكم في العولمة وأثرها على الإسلام كفكر وحضارة؟

- العولمة شارع ذو اتجاهين، وأرى أنه لا تخوف منها على الإسلام، وستؤدي إلى إيجاد مناخ ملائم للنظام بين الأديان ويمكن للغرب من خلالها أن يستفيد من الخبرة الإسلامية في التفاهم مع الأقليات ومع أصحاب الأديان الأخرى، فالإسلام حقق نجاحا في هذا المجال لا يمكن أن يصل إليه أي دين آخر ، ويمكن على الجانب الآخر أن يستفيد العالم الإسلامي من نتائج الحضارة الغربية في حقوق الإنسان والمرأة، لأن هذه النتائج تتطابق تماما مع تعاليم الإسلام وبذلك سيكون هناك مجال لإدخال الإسلام بقيمه العظيمة الشامخة إلى العالم الغربي، والإسلام عندما جاء منذ ١٤ قرنا سبق الجميع في الدعوة إلى وحدة الإنسانية، حيث خاطب القرآن الكريم الناس قاطبة في الشرق والغرب بخطاب واحد، قال تعالى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣)، والتعددية الحضارية أداة للتنافس وهي مظهر من مظاهر الوحدة الإنسانية في سعيها المتواصل لإغناء الفكر الإنساني بطاقات الشعوب وقدراتها وتجاربها، لكي تتواصل مسيرة الإنسان في سعيه الدائم لإعمار هذا الكون وكشف أسرار هذه الأرض الغنية بقدراتها على العطاء.

والتواصل بين الشعوب ظاهرة تاريخية للدفاع عن قيم الفضيلة، قال تعالى ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ (الحج:



الحضارة الغربية على وشك الانهيار بعد أن هجر أهلها الكنائس ولم تشبعهم الحياة المادية التي برعوا فيها

٤١)، والحضارة الإسلامية حضارة إنسانية اشتملت على خصوصيات متميزة كفلت لها البقاء والاستمرار والصمود، وستظل النموذج الأسمى لعولمة حقيقية، تتيح لكل شعب فرصة التعبير عن ذاتيته، لغة وتاريخا وانتماء، ويشارك بطريقة إيجابية في إثراء هذا الفكر الذي يحارب جميع أنواع العنصريات الضيقة، ولا يقيم أي وزن للانتماءات الجغرافية والقومية، وفي الوقت نفسه فإنه لا يضيق بهذه الانتماءات ولا يلغيها ولا يتجاهل ما تشتمل عليه من إيجابيات، ويجعل من هذه الخصوصيات أداة للتنوع الثقافي.

أما عولمة اليوم فهي كما تبدو من ملامحها الظاهرة ليست سوى قناع جميل لإستراتيجية الغرب المعلنة في السيطرة على العالم، والتحكم في مسيرة الفكر الإنساني، بحيث يكون نسخة منسجمة مع النموذج الغربي ، في رؤيته وفكره وقيمه، وبذلك تنتفي أسباب التناقض والتنافر بين الرؤية الغربية والرؤية الحضارية للشعوب الأخرى، وعندئذ يكرس الغرب تفوقه الحضاري والمادي، ويحكم سيطرته على مصير هذه الأرض، وتخف حدة الصراع بين الشعوب والحضارات، وهذه القضية مناقضة لحتمية الصراع بين الحضارات للتجديد المستمر في تاريخ الإنسانية.

الهوية الإسلامية

■ **هناك إشكالية مهمة تتمثل في ضرورة الحفاظ على هويتنا الثقافية والدينية في ظل العولمة التي تحاول فرض النموذج الغربي على العالم كله، فما هو السبيل إلى ذلك؟**

- علينا نحن المسلمين أن نجاهد جهادا جبارا لنحمي حقنا في الاختلاف الثقافي في هذا العالم الذي يسعى لفرض النموذج الغربي عالميا، وهذا يتطلب إعادة تأسيس الفكر الإسلامي، وأن يعود المسلمون إلى الإيمان الفعلي، والفرصة متاحة أمام الإسلام اليوم ليصبح الديانة الأولى للقرن الجديد في العالم كله، لكن هذه الفرصة تظل قابلة للضياع إذا لم نضطلع نحن المسلمين بوضع الأساس القوي لعمل تعاوني مخلص بين علماء الإسلام، مهمته إحداث تغييرات رئيسية في المواقف والمداخل تبنى على أساس عقدي، وتجعل الإسلام أكثر حيوية وديناميكية، وتزيل الصدأ الذي علاه من خارجه، وبذلك يستعيد مكانته الأولى في العالم كله.

محنة الغرب

■ **وهل الغرب مهيأ اليوم لقبول الإسلام كحل حاسم للمشكلات التي غرق فيها، وهي الدعوة التي تنادي بها وينادي بها عدد غير قليل من المثقفين الغربيين الذين احتكوا بالإسلام وفهموا منهجه في التغيير، وقدرته على مواجهة مشكلات العصر التي استعصت على المناهج الغربية؟**

- الملاحظ اليوم أن الحضارة الغربية على وشك الانهيار بعد أن هجر أهلها الكنائس، ولم تشبعهم المادة، التي برعوا فيها روحيًا، والإسلام ينتشر بقوة في الغرب لدرجة أذهلت الغربيين أنفسهم، فالغرب يعيش محنة قاسية، بعد أن اتجه أهله نحو عبادة المادة، الأمر الذي قلل من تأثير الكنائس على حياة الناس، وانهيار الكنائس في الغرب لا يعني أن فكرة الإيمان بالله على وشك الاختفاء، بل نلاحظ اليوم أن كبار علماء الغرب في الفيزياء والعلوم الاجتماعية، والحاصلين على جوائز نوبل العالمية، يعترفون أنهم مؤمنون بالله، ويحتاجون لمعرفته، وهو أمر كان نادر الحدوث سابقًا، والشعوب الغربية أصبحت موقنة ومؤمنة اليوم أن الحضارة الغربية فشلت في إشباع احتياجاتهم الروحية وقد أدخلتهم في حروب طاحنة، أكلت منهم الكثير بشريا وماديا، وكل ذلك يؤكد أنه من الممكن أن يتحول المسيحيون إلى مسلمين، وأن تتحول الكنائس إلى مساجد بسهولة إذا نجح المسلمون في تقديم الصورة الصحيحة لإسلامهم.

■ **وما رؤيتكم لمستقبل الإسلام في ألمانيا والغرب كعقيدة وفكر وحضارة؟**

- دائما أقول إن الإسلام هو النور الحق والفكر الجديد، الذي ظهر في أوروبا الآن، وينادي به كثير من المفكرين في الغرب، ويطلقون عليه الطريق الثالث، فالغرب، وإن كان يتمتع بكثير من الأفكار، والعلم النافع، فإن فيه بعض السلوكات والأمراض الاجتماعية، والإسلام يقبل منهم فقط الجيد والصالح، وانطلاق فكرة الطريق الثالث هو بحق توصيف دقيق للإسلام، من حيث لا يدري هؤلاء الغربيون، فوسطية الإسلام تتضح من خلال تقبّل الإسلام للملكية الخاصة، وحرية التجارة، والكفاية الفردية، والحث على الإنتاج، والإسلام هو الحل الأمثل للمشاكل المستعصية التي يعاني منها الغرب.

الإسلام في الألفية الثالثة

■ **ماذا قدمتم من جديد في كتاب «الإسلام في الألفية الثالثة» وهو من أحدث الكتب التي قمتم بتأليفها؟**

- كتاب «الإسلام في الألفية الثالثة» هو دعوة للمجتمع الغربي إلى اعتناق الإسلام الذي يشمل الحلول الشافية لما يواجهه هذا المجتمع الآن من مشكلات اجتماعية وثقافية مستعصية، وقد سرت في هذا الكتاب على نفس النهج الذي اتبعته في كتاب «الإسلام هو البديل»، الذي نشر عام ١٩٩٢م، فهو لم يعرض بعض جوانب الإسلام عرضًا تقليديًا، ولم ينطلق من منطلق الدفاع عنه تجاه ما يتعرض له من صور عدائية، بل يطرحه باعتباره البديل الضروري والأفضل ممّا يعتنقه المجتمع الغربي من تصوّرات في مختلف الميادين.

وقد خطوت بهذا الكتاب خطوة أخرى في تقديم الإسلام كبديل، فهو يؤكّد عبر الحوار المنهجي المتوازن أن الإسلام فيه الحلول لما يواجهه المجتمع الغربي الآن من مشكلات اجتماعية وثقافية مستعصية عجزت الأنظمة الوضعية عن حلها.

العمل الأهلي التطوعي وبواكير النهضة الحديثة في الكويت

التحرير

العمل الخيري التطوعي في الكويت له جذور تاريخية عريقة، وواقع حي مشرق، ومستقبل مبشّر واعد بإذن الله تعالى.

قال الشاعر معروف الرصافي:

للمسلمين على نزورة وفرهم
كنز يفيض غنى من الأوقاف
كنز لو استشفوا به من دائهم
لتدبروا منه الدواء الشافي
ولو ابتغوا للنشء فيه ثقافة
لتثقفوا منه بخير ثقاف

ولعل «الجمعية الخيرية العربية» ليست حدثًا منفردًا معزولًا عن سياقه الحضاري، ومسيرة النهضة المبكرة للمجتمع الكويتي واتصالها بالنهضة الحديثة في العالمين العربي والإسلامي، بل تمثل المرحلة الأولى، والنموذج الأول الضروري الذي بلور الفكر والممارسة الاجتماعية، ومثّل تجسيدًا لمرحلة من مراحل الحراك الاجتماعي نحو النهوض والتطور، وتعبيرًا صادقًا عن التطلعات والعزيمة والحيوية التي جُبل عليها الكويتيون في الارتقاء بأنفسهم ومجتمعهم، وهي من بواكير النهضة الاجتماعية في العقد الثاني من القرن العشرين، حيث شهد هذا القرن بداية التطور في المجالات التعليمية والاجتماعية والثقافية، واعتبر كثيرون أنها أول مشروع أهلي شامل للنهضة في الكويت.

مؤسس الجمعية

أسس «الجمعية الخيرية العربية» السيد فرحان بن فهد الخالد الخضير، وُلِد رحمه الله في الكويت عام ١٨٨٠م، ودرس في الكتاتيب الأهلية، حيث تعلم القراءة والكتابة، وكان خطه جميلا، كما يظهر من رسائله، وكان كثير القراءة للمجلات التي اشتركت فيها أسرته، ومنها مجلة المنار المصرية لصاحبها محمد رشيد رضا، وقد سافر- رحمه الله- قبل تأسيس الجمعية أكثر من مرة، لعمله في التجارة، حيث أدى فريضة الحج عام (١٣٢٨هـ- ١٩١٠م)، كما زار المدينة المنورة والبصرة وغيرهما.

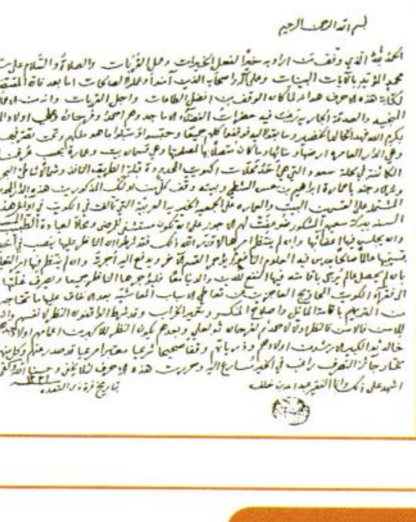
عُرف عنه- رحمه الله- سعيه للخير، وظهر ذلك من خلال موقفه من قضية صرف الريال الفرنسي الذي تضرر منه الغواصون، وله إلمام بالنواحي السياسية، وكان اتجاهه إسلاميًا وطنيًا، وقد كان فرحان قويًا بالله، متين الدين، محبًا للتعاون، داعية إلى الخير وإلى التنظيم الذي تمخض عنه تأسيس «الجمعية الخيرية» التي ساهم فيها الفضلاء من أهل الكويت، ومنهم أسرة الخالد، التي قال فيها السيد عبد العزيز الرشيد، كما أثبته الشيخ عبد الله النوري:

إن قيل من هم في الكويت
أولو المكارم والمحامد
الطيبون المحسنون
على المدارس والمساجد
الراحمون الثابتون
على المبادئ والمقاصد
لأجبتهم هذي الصفات
تجمعت في آل خالد

ملحق (٤): الوثائق.

(١) الوثيقة الأولى: حجة وقف الجمعية الخيرية العربية.

المصدر: أعلام الكويت: فرحان بن فهد الخالد، سيف مرزوق الشملان ـ ذات السلاسل، الطبعة الأولى ١٩٧٥، ص ٢٢، الكويت.



تاريخ وأسباب تأسيس الجمعية

المجتمع الكويتي في بداية القرن العشرين- وهو زمن ظهور الجمعية- كان مجتمعًا بسيطًا في احتياجاته وتنظيماته، والتنظيمات التي كانت موجودة فيه هي تنظيمات الحكم والقضاء والنشاط الاقتصادي، بالإضافة إلى بعض الأوقاف التي توفر موردًا للمساعدات الاجتماعية، كإطعام الفقراء، والصرف على المساجد، وأوجه الخير الأخرى، وقد بلغ عدد الأوقاف القائمة وقت تأسيس الجمعية ١٣٤ وقفًا، وكان تنظيمها بيد نظارها، وبإشراف قاضي الكويت.

وفي عام ١٩١٢م كانت المستويات الصحية والاقتصادية في الكويت جيدة جدًا، حيث انعدمت الأوبئة الصحية، وكان موسم الغوص جيدًا، والكمية وافرة وأسعار اللؤلؤ مرتفعة، أما الشأن التعليمي في الكويت فكان بسيطًا، قائمًا على «المُلا» أو «المدرِّس الفرد»، ولم توجد مؤسسات تعليمية بالمفهوم المتعارف عليه حتى تأسيس المدرسة المباركية عام ١٩١١م، وقد اقتصرت على النشاط التعليمي بحكم طبيعتها، وشهد هذا العام أيضا حملة منظمة للتبشير المسيحي في الكويت، الأمر الذي كان مبعثا لقلق العديد من المصلحين والشخصيات المثقفة التي تعرف الأهداف التي يسعى المبشرون لتحقيقها، وقد تفاوتت ردود الأفعال على هذا النشاط، فكان من الطبيعي أن تجري المراسلات بين هذه الشخصيات وبين الشيخ محمد رشيد رضا- رحمه الله- صاحب مجلة المنار، والمتابع لأعمال التبشير والكتابة عنها، والذي زار الكويت بتاريخ ١٩١٢/٥/٩م،

وأحدثت زيارته للكويت انقلابا بين أهلها وتأثروا بخطبه تأثرا عظيما، فتاب إلى الله كثير ممن كانوا يعتقدون في فضيلته السوء، وازداد عدد الراغبين في العلوم الراقية التي كانوا يحرّمونها.

وبعد موسم غوص عام ١٩١٢م الذي شغل أهل الكويت بدأت الأفكار الإصلاحية التي بثها الشيخ محمد رشيد رضا تنتشر بين عدد من المصلحين الذين قرروا ترجمتها في مؤسسة متعددة الأغراض (اجتماعية، ثقافية، صحية، تعليمية).

في بداية عام ١٩١٣م تكثَّفت المشاورات والاجتماعات لتتمخض عن إنشاء «الجمعية الخيرية العربية»، وافتتاحها في ١٩١٣/٢/١٨م، ساهم في ذلك التأثر بدعوات النهضة والتقدم التي بدأت تنتشر في العالم العربي والإسلامي من جهة، والتحدي والاستفزاز للهوية والوجود الذي جسده التبشير المسيحي في الكويت من جهة أخرى، بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية الجيدة التي عاشتها الكويت في الأعوام ١٩١٠، ١٩١١، ١٩١٢م.

مقر الجمعية ومواردها المالية

ذكرت المصادر أن المقر الرئيسي للجمعية هو عمارة عبدالعزيز القناعي سابقًا، وهي عبارة عن بيت في محلة سعود، ملحقًا بـ «المدرسة الأحمديَّة» المقابلة لها من جهة الجنوب، وهي مؤلفة من طابقين: الطابق الأعلى للطبيب والصيدلي، والطابق الأسفل للواعظ وطلابه، وللمكتبة.

أما الموارد المالية للجمعية فتعتمد على الاشتراكات والتبرعات المالية التي ترد من أعضائها المحسنين، فيما أوقف مؤسسها وإخوته أحد أملاكهم عليها.

أغراض الجمعية وإنجازاتها

أورد الشيخ عبد الله النوري أغراض الجمعية نقلًا عن النص المنشور الذي وزَّعته الجمعية، وجاء فيه: الغرض من جمعيتنا هو:

١- إرسال طلاب العلم إلى الجامعات الإسلامية في البلاد العربية الراقية، وبذل

الشيخ النوري أشار إلى أن الغرض من تأسيس الجمعية هو مقاومة التبشير

(٣) الوثيقة الثالثة: الدعوة لأحد اجتماعات الجمعية الخيرية.

موقعة من سكرتير الجمعية مشاري الكليب.

مؤرخة بتاريخ ٣ من ربيع الأول ١٣٣١ هـ الموافق ٩ من فبراير ١٩١٣م.

المصدر: أعلام الكويت: فرحان بن فهد الخالد، سيف مرزوق الشملان، ذات السلاسل، الطبعة الأولى ١٩٨٥، ص ٣٨، الكويت.



بسم الله ٣ ربيع أول سنة ١٣٣١هـ

جناب الأجلاء الكرام الإخوان محمد وعلي أبناء المكرم العم شملان المحترمين، بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نعرض مع مزيد الممنونية أن الأخ فرحان أوصانا نيابة عنه وعن جميع

ما يقتضي لهم من مصروفات مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية.

٢- جلب محدث فاضل يعظ الناس ويرشدهم.

٣- جلب طبيب وصيدلي مسلمين لمداواة الفقراء والمساكين، وإعطائهم العلاجات مجانًا.

٤- تجهيز موتى المسلمين الفقراء والغرباء.

كما أن هناك غرضاً آخر من وراء إنشاء الجمعية وهو المحافظة على عادات أهل الكويت الموافقة للدين، ومواجهة جميع العادات والتيارات المخالفة.

الأنشطة التي قامت بها الجمعية

ومن الأعمال التي قامت بها الجمعية على قصر عمرها (١٠ شهور تقريبًا)، وضعف إمكاناتها:

١- المستوصف، وهو من أجل الأعمال التي قامت بها الجمعية.

٢- المكتبة، التي جمعت الكثير من الكتب، وحفظتها في مقرها.

٣- استقدام الواعظ، وهو الشيخ الشنقيطي.

٤- تعليم الأميين، حيث افتتحت في مقرها صفا لهم.

٥- جلب الماء من البصرة بواسطة سفينة شراعية، وتوزيعه مجانا على الفقراء.

٦- تجهيز الموتى وتكفينهم.

٧- رعاية المسلمين الجدد.

مرحلة التصفية

وفي نهاية عام ١٩١٣م كانت الجمعية الخيرية تمر بمرحلة التصفية الفعلية، رغم حاجة المجتمع الكويتي إليها، وقد ظهر ذلك جليًا بعد ربع قرن من الزمان، وتم إغلاقها في يناير عام ١٩١٤م، وغادر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الكويت بعدها بقليل إلى الزبير.

ويمكن تلخيص أسباب إغلاق الجمعية في الآتي:

١- وفاة المؤسس قبل مرور عام على تأسيسها، مما أدى إلى اضطرابها (ذكره الشيخ النوري).

٢- عدم تهيئة أفكار الناس لتقبل وجود مثل هذه الجمعية، ووجود المعارضة لها.

٣- وجود فجوة ثقافية بين مؤسسي الجمعية من جهة ومعارضيها من جهة أخرى.

وبذلك طُويت صفحة مشرقة من صفحات العمل الأهلي في الكويت، وأصبحت فيه الجمعية الخيرية نموذجًا وأساسًا لما تلاها من الأنشطة والمؤسسات والممارسات التي جسدت تطلعات المجتمع الكويتي نحو التغيير وتحسين واقعه الاجتماعي والثقافي والصحي في سياق مشروع النهضة الحديثة للمجتمع الكويتي.

المصادر

١- الجمعية الخيرية العربية وبواكير النهضة الحديثة في الكويت، للسيد بدر ناصر المطيري.
٢- أعلام الكويت لفرحان بن فهد الخالد، وسيف مرزوق الشملان، ص٣٦.
٣- التعليم في الكويت للشيخ عبد الله آل نوري.

البرهان القرآني في كشف الإلحاد النفساني

د. محمد بنيعيش

يقول الله تعالى بخصوص النفس المطمئنة والأسباب المحققة لهذا الوصف: ﴿يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي﴾ (الفجر: ٢٧-٣٠)، ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨)، ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ (الأنعام: ١٢٥)، ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ (الزمر: ٢٢)، ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ (الشرح: ١).

إن هذه الآيات قد تصور لنا مظهرا من مظاهر النفس الإنسانية وهي على صفة المطمئنة، أي الآمنة والهادئة والخالية من مظاهر القلق والتوتر والعصاب، كما أن لها سلوكا معينا بالرضا عن الحق ورضا الحق عنها. فكيف إذن قد تيسر لها الحصول على هذه الحالة واكتسابها بعدما كانت لوامة وأمارة بالسوء؟

إن القرآن الكريم قد يفسر بعضه بعضا، ويصرح بأن الاطمئنان الذي أصبح صفة للنفس قد تحصلت عليه بوسيلة سيحصرها في قوله تعالى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨).

فما هي علاقة الذكر بالقلوب، وما هي خصوصية هذا الاطمئنان الذي قد يحققه الذاكر ويتميز به عما قد يدعيه البعض من تحصيله بوسائل مادية صرفة أو نفسية ذاتية عادية؟

إن الذكر كلفظة، له معان اصطلاحية لغوية وأخرى شرعية وعرفية، لكن المقصود هنا هو المفهوم الشرعي الذي قد يجمع بين المعنى العام للذكر وهو القرآن نفسه كما في قوله تعالى ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ (الزخرف: ٤٤)، (والقرآن ذي الذكر) (ص: ١)، وبين الذكر بالمعنى الخاص المرتكز على



جمل معينة وألفاظ مستخرجة من القرآن نفسه أو الأحاديث النبوية والتي قد تتضمن تسبيحا وتقديسا لله تعالى وأدعية وتضرعات على سبيل التكرار والملازمة، كما نجد في قول الله تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ (الأعلى: ١)، وقوله في حق سيدنا يونس ﴿فلولا أنه كان من المسبحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ (الصافات: ١٤٣-١٤٤)، والذي قد كان تسبيحه على صيغة ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (الأنبياء: ٨٧)، وكذلك قوله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ (التوبة: ٨٠).

وإذا كان الذكر قد يضم هذا المعنى العام والخاص فإنه سيكون مصدر الاطمئنان لدى الإنسان إن هو التزمه واستصبح أو استشرق بأنواره ومضامينه.

فبدون هذا الذكر لن يكون للقلوب اطمئنان، والسبب في ذلك -والله أعلم- أن النفس الإنسانية حينما تستيقظ من سباتها وتخرج من براثن وأوحال المادة الخسيسة والمنحصرة في الجوانب الشهوية والأطماع الدنيوية الفانية والهالكة في حينها عند الاستهلاك والتوظيف، قد تحاول التخلص من تلك الدوافع لكي تعود إلى وطنها الأصلي ومكانها الراقي في عالم التجريد والتفريد، وفي أثناء هذه المرحلة الانتقالية قد تتجاذبها غرائزها كمحاولة منها لإحباط تطلعاتها لتلك الآفاق الواسعة، فلا تجد حينئذ طريقا للتخلص من هذه العوائق إلا بالرجوع إلى مراجعة ذاتها وإلغاء انطوائيتها على نفسها، وذلك باللجوء إلى واهب وجودها الذي قد خلقها في أحسن تقويم.

فالاطمئنان قد يحصل بسبب الاكتفاء والثقة التي تكتسبها النفس عن طريق إشباعها بالغذاء الخاص بها، وذلك لوجود فقر ذاتي لديها إلى الله تعالى، لأن الروح من أمره الخاص، وتتجلى هذه الخصوصية في تحقيق العبودية الإرادية والواعية والتي من أجلها كرم الله تعالى الإنسان وفضله على كثير من خلقه.

لهذا فالذي يؤمن بالله وبذكره قد يحصل له اطمئنان في قلبه، لأنه قد توصل إلى كسب الثقة في الله تعالى والتوكل والاعتماد عليه في تحقيق سعادته.

فالإسلام حينما يقرر الاطمئنان النفسي فإنه قد لا يحصره في العمل الروحي فقط، بل سيجعل له ارتباطا نسبيا بالحياة المادية، وذلك لكيلا يتم إهمال هذا على ذاك أو العكس.

فالجوع والخوف والمرض

• أستاذ الشريعة في جامعة فاس

والظلم والحروب.. كلها عوامل مقلقة وسالبة لمظاهر الاطمئنان، لكنها قد تتضاءل قوتها في حالة وجود ذكر الله تعالى وملازمته والإيمان به.

أما إذا غاب المذكِّر والسند العقدي الروحي الموقظ للوعي والثبات وتوالت بعده الفتن والبلايا فإنه سيكون حينئذ أشد العذاب وأقصى درجة القلق لدى الإنسان، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (النحل: ١٢٢).

ولهذا فكفُّ الماديين هو كف غير متوازن مع الواقع الذي قد يتطلبه وجودهم وقانونه العام، لأنه كف عن الأعلى إلى الأدنى، بينما كف المؤمنين هو كف عن الأدنى إلى الأعلى مع استحضار الوعي الكلي بهذا الأدنى كمظهر ومستلزم ضروري لعبور قنطرة الحياة الدنيا وضروراتها المادية المرَشَّدة.

وهذا النوع من الكف عند غير المؤمنين قد سماه الله تعالى غفلة لأنه نفسي وتصوري قد يبقى في حدود الخيال والوهم، أما الحقيقة الجوهرية فهي ثابتة قد لا تتغير ولا تتبدل، يقول الله تعالى مخاطبا الإنسان الغافل كتنبيه وتوبيخ له ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق: ٢٢).

الإلحاد وسلبية التفاعل النفسي مع الخطاب القرآني

نمضي مع القرآن في هذا السياق بآياته المعجزة والتي كل منها قد تمثل بحرا فياضا من الحقائق النفسية التي تصور لنا شخصية الإنسان الحقيقية في حياته الشعورية واللاشعورية حيث يقرر بأن النفس الإنسانية وإن هي وقع لها كف وغفلة عن الإيمان بالله تعالى فإن الذكر قد يبقى دائما هو الموقظ لها مما تتخبط فيه لأن لها به ارتباطا وثيقا وجذريا.

الأوهام النفسية تحجب الإنسان عن الحق بل تزعزع لديه الاعتقاد القلبي والإيمان الغيبي

فنراه يورد حقيقة نفسية برهانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، يصور لنا فيها واقعها المستند على المشاهدة التجريبية، يقول الله تعالى ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ (الزمر: ٤٥)، ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا. وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ (الإسراء: ٤٥-٤٦).

فهاتان الآيتان قد تصوران لنا حالة ذلك الإنسان القلق المضطرب والذي يعاني من خوف أو نقص أو انحراف ما، وقد كان من الواجب أن يحدث له عكس ما وصفه به القرآن الكريم من الاشمئزاز أو النفور، لأن القاعدة الرئيسية كما رأينا هي أن ذكر الله تعالى يسبب الاطمئنان واليقين، فما بال هؤلاء الموصوفين هنا بهذه الحالة الشاذة قد يحدث لهم العكس مما هو متوقع؟

إن جذور هذا الانفعال قد تبدو عميقة جدا ولها خلفيات متولدة عن الصراع الداخلي الذي قد يعانيه الإنسان من جراء مخالفته لغريزته الحقيقية، والتي هي المستحقة لأن تسمى غريزة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، لأنها قد تمثل الانطباع الكلي في الذات الواعية للإنسان والتي قد لا تقبل التجزؤ أو الاندثار والمحو، إذ لا معنى لهذا الانفعال لولا وجود رابطة وثيقة بينه وبين سببه.

فالأوهام النفسية هي التي قد حجبت الإنسان عن الحق، ومن ثم ولدت لديه عداوة معلنة تجاهه ليس من باب زعزعة الاعتقاد القلبي والإيمان بالغيبي فقط ولكن من باب أن الأوهام قد تصل به إلى مستوى لا يصدق فيه حتى حواسه الخمس كما يقول الله تعالى ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (الحجر: ١٤-١٥)، ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (الأحقاف: ٢٦).

وهذا التفاعل بالنسبة إلى الكافر قد يبدو سلبيا، وكأنه مناقض للأثر الرئيسي الذي يحدثه الذكر في القلوب كما في آية الاطمئنان، والحقيقة التي يمكن استخلاصها من هذا الحال النفسي - وأقول النفسي وليس الروحي، لأنه لو كان روحيا لتمثل بالاستجابة الإيجابية موافقة للفطرة ولاتصال الروح بأمر الله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء: ٨٥)، ولهذا فحال المؤمنين الذاكرين حال روحي كيفما كان نوعه، أما حال المنافقين والملحدين فهو حال نفسي مرضي مختل.. قلت: ما يمكن استخلاصه من حال الكفار عند سماع ذكر الله تعالى هو أن سببه وجود مناقضة بين غاية الغذاء الفطري الأصلي والانحراف الغريزي الذي وقع فيه الكافر، ولهذا تحدث لديه صدمة كما يصدم العطشان بالشرق (أو المغص) عند شرب الماء البارد، رغم احتياجه الذاتي والضروري إلى شربه، وكما يصدم الجسد بالدواء أو نوع من الغذاء حينما يكون الجسم في حالة مرضية مستفحلة وغير مستعدة لتقبله واستساغته، ليس لأن الدواء غير ضروري أو صالح، بل لأن الجسم قد بلغ درجة من المرض والتحلل الذي فسد إثره مزاجه وعنصره وكذلك ذوقه كالذي يجد مرارة في العسل بسبب مرض الصفراء مثلا أو ما إلى ذلك كما يقول الشاعر:

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

فالانحراف الغريزي عند الكافر هو مناقضته للعهد والميثاق الذي أقر به في عالم الذر وشهد فيه لله بالربوبية والألوهية شهادة التواتر الحضوري مع الجمع الروحي حينما قال: (بلى شهدنا).

صنف المنافقين وسلبية الأقوال والأحوال

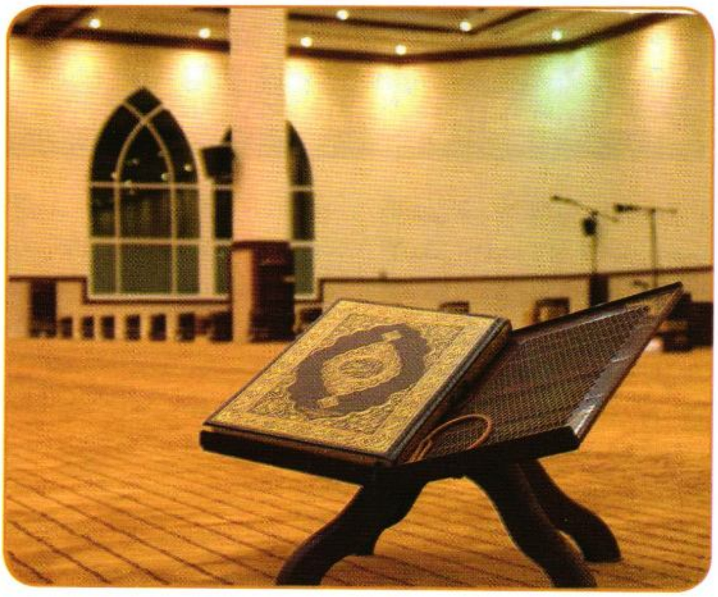
أما فيما يخص حال المنافقين الوارد في قول الله تعالى ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا. مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ (النساء: ١٤٢-١٤٣)، فقد تميز باختلال سلوكي أخلاقي وحركي واضح كعنوان على الواقع العقدي لديهم والمتمثل في عدم استقرار الإيمان ورسوخه في قلوب المنافقين، وهو ما أدى إلى غياب الانضباط والتماسك

السلوكي أو الحركي كمواقف والتزامات. ولهذا فمهما ادعى المنافقون أنهم ملتزمون ومتبعون لأحكام الشريعة الإسلامية إيمانا وتصديقا فإن حالهم هو الذي يكذبهم، وعلى رأس هذه الأحوال ظاهرة عدم الاكتراث بذكر الله تعالى، مما يعني التقليل منه كما وصفهم الله تعالى، وهذا التقليل من ذكر الله له نتائج سلبية، وهي غياب الباعث إلى الحركة والاطمئنان كحال مؤد إلى التكيف والانسجام مع أعمال العبادات الأخرى، مما أضفى على المنافقين وصف الكسل وتثبط العزائم. والكسول هو الذي لا يستنهضه باعث أو حاث على الحركة لعدم إيقانه بنتائجها وثمرتها، أو لشكه في جدواها ومصدر تشريعها. وبما أن الصلاة هي وسيلة صلة العبد بربه، فإن غياب الإيمان عند المنافقين بهذه الصلة وفائدتها وبعدها لكفرهم أو شكهم في مشرعها أدى بهم إلى هذه الظاهرة السلبية على مستوى الحركة والقول كدلالة على أحوالهم الباطنية التي تنبئ بغياب الإيمان عن القلوب ومباعدته لها، واقعا عقديا وممارسة عملية.

ورغم تظاهرهم بالإيمان والتقوى، فإن أحوالهم تبقى دائما ذات طابع تناقضي ملحوظ تتسم في أغلب مظاهرها بالجفاف والتصنع والتقحل الذوقي والأخلاقي، لوجود انقطاع نوراني كانت وظيفته الوصل بين القول ومصدره ألا وهو القلب جوهر الإنسان، مما يعني غياب عنصر المدد المفيد للقول وادعاءاته، وهذا مما يفسر لنا لماذا أن المنافقين لا يستطيعون أن يكثروا من ذكر الله تعالى والاستمرار فيه لحد أن يصلوا إلى درجة الذكر الموصوف كما في آية الأسوة أي (ذكر الله كثيرا).

ولقد وصفهم الله تعالى أدق وصف عند تحديد سبب هذا الانقطاع الروحي وبعده العقدي والسلوكي في سورة المنافقون حيث يقول تعالى ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون. ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون. وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾ (المنافقون: ١-٥).

فهروبهم من الاستجابة لرسول الله ﷺ واستغفاره لهم، والذي في حد ذاته ذكر، دليل على هروبهم وانحرافهم عن الائتساء به، وانحرافهم عن هذا الائتساء في صورته الظاهرية له خلفية عقدية وروحية من أبرز مظاهرها غياب الذكر أو قلته مما يعني انقطاع الوصلة بينهم وبين خالقهم مصدر الاستمداد الروحي والإيماني، والذي يلازمه بالتعدي انقطاع الوصلة بينهم وبين رسول الله ﷺ، المحطة العليا في الرصد والتأسي لتحقيق هذه الوصلة المشروطة كما بينا.



وقد يتساءل البعض كيف أن المنافقين رغم استقرارهم في الدرك الأسفل من النار كجزاء أخروي قد يذكرون الله قليلا في بعض الأحيان مع أنهم أسوأ حالا من الكفار وأشد ضلالا؟

والجواب على هذا كما ورد في الآيات السابقة: (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون). أي أنهم ناقضوا الحقيقة بعدما أشرفوا على مشاهدتها ببواطنهم إشرافا جزئيا سرعان ما تحول حالهم عنده إلى مرض أخلاقي وصفه الله تعالى بالمخادعة أي مناقضة الظاهر للباطن والأعمال للنيات، للتضليل والتزييف والمكايدة وما إلى ذلك من السلوكات ذات الأثر السلبي على سلوك الفرد والمجتمع. بل قد يؤدي إلى تدمير الوجود الإنساني تدميرا كليا إذا استفحل وجوده وعم التعامل به.

وكاستخلاص جملي حول هذه الوظيفة التي يحققها ذكر الله تعالى أقول: إن الذكر في كل الحالات يبقى دائما معيارا للقوة الإيمانية ووسيلة استدلالية على رسوخ إيمان الذاكرين المسلمين في ملاحظتهم لأنفسهم أو بعضهم البعض، كما أنه يوضح لهم كعلامات ظاهرية خبث وضلال المنافقين والكفار معا من خلال ملاحظة أحوالهم النفسية المرضية وأعراضها السلبية الطارئة عليهم، إما عند مزاولتهم للذكر الموصوف بالقلة والكسل كما هو حال المنافقين وإما عند سماعهم له واشمئزازهم أو نفورهم منه، وبهذا يتبين لنا من خلال هذا التفسير المتواضع لهذه الوظيفة التوحيدية للذكر أنه لا رسوخ لإيمان بدون ذكر، ولا إكثار لذكر دون إيمان مباشر، كما أنه لا سداد لفكر دون إيمان مباشر بذكر، ولهذا فمن زاد عليك في الذكر زاد عليك في سداد الفكر ومن زاد عليك في سداد الفكر زاد عليك في الإيمان المباشر، ومن زاد عليك في الإيمان المباشر كان أقرب منك إلى الائتساء برسول الله ﷺ. كما أن الإسلام قد أعطى التوضيح الصحيح للنفس الإنسانية والمنهج السليم للحفاظ على استقرارها واطمئنانها، وعلى هذا فالنفس المطمئنة تبقى هي أرقى النفوس الإنسانية وتمثل مظهر سعادتها الحقيقية والتي قد لا تتحقق إلا بشروط، وهي التي قد رأينا من خلال هذا العرض السريع والمختصر لبعض ظواهر النفس الرئيسية وسعة الآفاق الاستدلالية والمجال الذي يمكن أن تسعى وتطمح إليه سبرا وكشفا كما أوردها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

المهتدي د. جونثان براون في حوار خاص:

الإسلام دين الإيجابية والتفاؤل

التحرير

أكد المهتدي د. جونثان براون أن الإسلام أسهم في إيجاد حياة السكينة والطمأنينة للإنسانية، موضحا أن الخطاب الجديد والمنهجية الرائعة في عرض الإسلام من قبل أستاذة جامعية مسلمة أسهما في هدايته للإسلام.

وقال إن إسلامه أثر بشكل ايجابي في سلوكاته ومعاملاته مع أسرته ومجتمعه، لافتا إلى أن واقع الإسلام في الغرب يتغير بين الفينة والأخرى بسبب ممارسات أتباعه.



قصتي مع الإسلام

قال براون: بداية قصتي مع الإسلام تنطلق من الفطرة السليمة، فقد نشأت وسط أسرة أمريكية نصرانية متدينة، وكنت أذهب للكنيسة كل أسبوع يوم الأحد، وتعلمت الإنجيل كما يتعلمه باقي الأطفال، وعندما التحقت بالجامعة وتخصصت في التاريخ كانت هناك مادة تدرس الأديان فاخترت دراسة الإسلام، وبالفعل وجدت أن الطرح جديد والمضمون رائع، واستشعرت بأن هذه العقيدة هي التي تربيت عليها منذ الصغر، فأسلمت، وكان ذلك عام ١٩٩٧م.

وتابع: كان وقع ذلك على الأسرة عاديا باعتبار أنها أسرة مثقفة وعاقلة، وظنوا أن هذه فترة بسيطة وسأعود مرة أخرى لدين الآباء والأجداد، ولكني خيبت ظنهم وتمسكت بالإسلام عقيدة وعبادة وسلوكا ومنهجا، فدرست تاريخ الإسلام في الأدب الفرنسي، وتعلمت اللغة العربية وشعرت وقتذاك بالراحة النفسية والسكينة، ما أثر في أسرتي بعدما رأت الإيجابية والتفاؤل في حياتي.

وأضاف: ذهبت إلى القاهرة بعد تخرجي في الجامعة لدراسة اللغة العربية في برنامج علمي مكثف بالجامع الأزهر فوجدت بعض المفارقات مثل عدم إتقان الشيوخ اللغة العربية على الرغم من التأكيد على ضرورة اتقان الأجنبي لها، وقررت آنذاك التعمق في دراسة الفكر الإسلامي وسلوك الطريق الأكاديمي، حتى حصلت على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة شيكاغو في أميركا، بفضل الله، وكذلك لا يمكن إغفال جهود استاذة لبنانية متميزة وحاصلة على جائزة الملك فيصل، إذ شجعتني وحثتني على التفوق والإبداع.

وجعلت اختصاصي الدقيق في مدى تأثير المحدثين في الفكر الإسلامي، وتأثير ذلك في المجتمع الإسلامي، وكيفية قبول الثقافات والحضارات الأخرى.

واقع الإسلام في الغرب

وأوضح براون: واقع الإسلام في الغرب تغير خلال العقد الأخير، فهناك كثير من الأمور والمفاهيم تغيرت في الثقافة الغربية، ولكن كل شيء له جانب إيجابي وجانب سلبي، فقد يتوافر الانتعاش الاقتصادي، مثلا، لكن تتوقف صلة الرحم، أي يطغى جانب على آخر، لذا ينبغي على المجتمعات الغربية أن تجعل العالم يسير وفق ثقافاته ومفاهيمه لا وفق معاييرها هي.

المسلم الغربي والمسلم العربي

وبيّن براون أن الفرق بين المسلم الغربي والمسلم العربي متمثل في جوهر الالتزام بالدين، فالكثير من المسلمين العرب يهتمون بالظاهر ويهجرون الباطن، في الوقت الذي نجد المسلمين في الغرب يهتمون بالباطن والجوهر في ظل الانحلال الظاهر والمعلن في البيئة الغربية غير القابلة للإسلام.

يذكر أن د.جونثان براون مدرس للتاريخ الإسلامي بجامعة واشنطن (الفكر الإسلامي)، ودرس الحديث واللغة والأدب والشعر على يد كثير من المشايخ في مختلف الأقطار العربية.

التاريخ بين العبث والصيانة

يعدّ التاريخ من أهمّ روافد الإرث الذي يحتفل المسلمون والعرب بمشمولاته، ذلك أنه الحافظ للأحداث، والشاهد الحاضر في كلّ زمن، ومن الأهمية بمكان خطير حياطتُه وحراستُه من التغيير والتبديل، ذلك أنه إنْ أصابته لوْثة التزييف والإفساد أصيب قارئه بضبابيّة الفهم؛ لكونه يقرأ وجهين أو أكثر للتاريخ.

فكلّ محبّ لأيّ طرف ممن يكتب تاريخه يمجّده ويعظمه وينزّهه، ويقف سدًا منيعا في وجه التاريخ الثابت الذي يكذب ذلك المجد وتلك العظمة، وكلّ كارهٍ لطرف ما؛ يكتب عنه وكأنه إبليس اللّعين؛ فالحقائق مزوَّرة ومقلوبة ومشوّهة؛ إلى حدّ صعوبة التمييز بين الحقيقة التاريخيّة والكذْبة الزّائفة.

إنّ مقرّرات العقلاء من المؤرخين والعلماء لتؤكّد على أنّ الأمانة المثاليّة في كتابة التاريخ تجعله وسيلة ناجعة من وسائل التقدّم والرقيّ، ذلك أنّ صفحات الماضي يعتريها غلطُ المواقف وصوابها، ولاشكّ أنّ اجتناب الغلط وتكرارَ الصواب هما بوابة المجد والعلياء.

ثم إنّ تزوير التاريخ جريمة شنيعة؛ إذ هو أغلى ما تملكه الشّعوب، وتحريفه فاحشةٌ بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، ومما يزيد المتابع حزناً أنّ المزوِّرين تفننوا في كذبهم الفجّ الصّريح على التاريخ حتى غدَتْ صعبة شاقةً على غير المختصّ الماهر معرفةُ الغث من السمين.

كم هو مخجلٌ ومقيتٌ أن يقال: إنّ قسماً كبيراً من التاريخ لا يكتبه إلاّ المنتفعون بتزويره وقَلْبه، ومَن أمعن النّظر في "مقدمة ابن خلدون" وجَد توصيفاً دقيقاً لكتَبَة التاريخ وقارئيه، وممّا قال في مطلع مقدمته الرائعة: "... فالتحقيق قليلٌ، وطرفُ التنقيح في الغالب كليلٌ، والغلط والوهم نسيبٌ للأخبار وخليل، والتقليد عريقٌ في الآدميّين وسليل، والتطفل على الفنون عريضٌ طويلٌ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيمٌ وبيلٌ، والحقّ لا يقاوَم سلطانُه، والباطل يقذف بشهاب النّظر شيطانُه، والناقل إنما هو يُملي وينْقُل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تعقّل، والعلم يَجْلو لها صفحات القلوب ويصقل، هذا وقد دوّن الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطّروا، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة المعتبرة، واستفرغوا دواوين مَن قبلهم في صحفهم المتأخّرة؛ هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل،... والنّاقد البصير قسْطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم..." .

إعداد : التحرير

إشكالية عدم فهم التاريخ الإسلامي وتزوير حقائقه

كمال عبد المنعم

كثر التطاول على الإسلام وعلى رسوله ﷺ في العصر الحديث، وزادت الإساءات الموجهة إليه، وتنوعت أشكالها وصورها، حيث استخدمت فيها وسائل شتى، وطرق متعددة، فتارة تكون عن طريق الإعلام المنظم والموجه، خاصة بعد هذا الانفتاح بالبث الفضائي، فتخصص قنوات لتبث برامجها ليل نهار لتأصيل الكراهية للدين الإسلامي، وتارة تكون عن طريق ما يعرف بحرية الفكر التي لها مفهوم خاص عند الحاقدين على هذا الدين.. فتؤلف الكتب، وتنشر المقالات، وترسم اللوحات، وتنتج الأفلام، وكلها يصب في معين واحد هو النيل من ديننا الحنيف، وتارة ثالثة عن طريق زعامة الكنيسة، حيث يعلن بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر أن دين الإسلام متعطش إلى لون الدماء، وأن دعوته قامت على القتل والقهر وكبت الحريات، وكل هذا- ولاشك- افتراء وتدليس وتزوير للتاريخ الإسلامي العظيم الذي شهد له الأعداء قبل الأتباع، ولابد أن ندحض ذلك ونرده بالدليل والبرهان، فذلك أدنى حقوق الإسلام علينا.

من هنا نبدأ

حتى نعلم من أين بدأ الالتباس أو التلبيس- على الأرجح- نستعرض سويًا كيف كان التعامل المشترك بين الدين الإسلامي والمعاندين والمخالفين له في أول الأمر، فحينما نزل الوحي على النبي ﷺ بدأ بدعوة أهل بيته، وأولي القربى، وكان المنتسبون إلى الإسلام يعدون على أصابع اليدين، واستمر ذلك الأمر قرابة ثلاث سنوات يدخل فيها الناس في دين الله أرسالاً، حتى جهر المسلمون بدعوتهم، ومعها جهر المشركون بعدائهم لدين يسفه أحلامهم، ويحقر من شأن الأصنام التي يعبدونها، وبدأ العداء بالافتراءات على نبي الإسلام ووصفه بأنه ساحر، كاهن، مجنون.

كذلك وقع الافتراء على القرآن الكريم بوصفه أساطير الأولين، ولما لم يفلح الكلام تطور العداء ليصبح إيذاء وقتلاً، لدرجة أن النبي ﷺ ناله هذا الإيذاء، وكان النبي ﷺ يرى بنفسه أتباع دينه يعذبون فيكتفي بالشد من أزرهم قائلًا: «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، وزاد الأتباع ومعها زاد التنكيل بهم، حتى أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرتين، وفي المرة الثانية أعلن المشركون عن أول حالة لتزوير هذا التاريخ وإتهام الإسلام بما ليس فيه، حيث ذهب وفدهم إلى النجاشي ملك الحبشة قائلين له: إنهم- أي المسلمين- يقولون في مريم قولاً عظيمًا، فلما تأكد النجاشي من كذب وافتراء المشركين أعطى الأمان للمسلمين في العيش داخل مملكته لا يظلمهم أحد، ولا يؤذيهم أحد، وعاد المفترون يجرون أذيال الخيبة والفشل.

• كاتب صحافي

تعاون غريب

معلوم أن الشرك يتناقض مع الإيمان، وأن أتباع الدين وأهل الكتاب لا يلتقون مع من يعبد الأصنام، إلا أنه رغم كل ذلك، وبعد أن قويت شوكة المسلمين وهاجروا إلى المدينة، بدأ هذا التعاضد والتعاون بين أهل الكتاب من اليهود وبين المشركين على الكيد لكل من يدخل في دين الإسلام، بل الكيد لنبي الإسلام نفسه، وناقض أهل الكتاب أنفسهم، حيث كانوا يتوعدون المشركين باتباع نبي آخر الزمان ويقتلونهم معه قتل عاد وإرم، إلا أن كل ذلك ذهب أدراج الرياح نتيجة للغل والحقد والحسد والكراهية المكنونة في صدورهم تجاه الإسلام ونبيه، قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق..﴾ (البقرة:١٠٩) وحاول اليهود اغتيال النبيﷺ عدة مرات ولم تفلح محاولاتهم.

معاهدات حسن الجوار وإجلال أهل الديانات السماوية

لقد أوجب الإسلام على أتباعه أن يؤمنوا بجميع الرسل التي سبقت بعث النبي محمدﷺ، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله..﴾ (البقرة:٢٨٥)، وفي الحديث الصحيح المشهور ﴿الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾، وقد ترجم هذا الإيمان إلى إظهار حسن النوايا والمعاملة من قبل النبيﷺ حين هاجر إلى المدينة، وكان بالمدينة

المتعصبون من الغرب يدّعون أن الإسلام أجبر الناس على اعتناقه بإرهابهم بحد السيف

يومها بقاع من اليهود متفرقين في عدة أماكن، فرفع لهم النبي شعار حسن الجوار والتعايش السلمي، ولم يقتلهم بغير جريرة أو يجبرهم على الدخول في الإسلام، وعقد معهم صلحًا سمي بصحيفة المدينة التي كان من بنودها، أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين (١)، كذلك صالح الرسولﷺ نصارى نجران على شروط اشترطوها هم لأنفسهم، وكان من بنود هذا الصلح «ولنجران وحاشيتها- ما يتبعها من القرى- ذمة الله ورسوله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعتهم ورهبانيتهم وأساقفهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير (٢).

ونزلت الآيات تحث المؤمنين إلى يوم الدين على الجدال بالحسنى مع أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (العنكبوت: ٤٦)، ورغم كل ذلك فقد تسبب اليهود في إيذاء المسلمين، فكشفوا عورة امرأة مسلمة، وحاولوا قتل النبيﷺ في بني النضير، وخان بنوقريظة العهد بموافقتهم على دخول أحزاب المشركين من تجاههم ليحتلوا المدينة المنورة، فكان طردهم وإجلاؤهم عن المدينة، بل عن الجزيرة العربية كلها جزاءً وفاقًا لأعمالهم الدنيئة ونياتهم الخبيثة، والبادئ أظلم.

الفتوحات الإسلامية وفرية حد السيف

لقد ركز الغرب والمتعصبون من المستشرقين فيه على أن الإسلام أجبر الناس على اعتناقه عن طريق إرهابهم بحد السيف، وحملهم على الإيمان، ولكنها فرية يدحضها القرآن الكريم الدستور الأساسي للمسلمين الذي يقرر حقيقة إلى يوم الدين قائلة: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة: ٢٥٦) كذلك قوله ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ (الكافرون:٦)، وإنا لنسأل سؤالًا نريد إجابة عليه من هؤلاء المفترين، من أجبر على الإسلام في عهد النبيﷺ؟ لقد كان النبيﷺ يعرض الإسلام على الرجل فيقول له أتؤمن بي فيقول: لا، فيتركه، رغم أنه كان بالمدينة وكان للمسلمين شوكة ومنعة، والأعجب من ذلك أن النبيﷺ وافق على رد من جاءه مؤمنا من قريش وفاء لعهده مع المشركين في صلح الحديبية، وكذلك أكد النبيﷺ على احترام العهود مع غير المسلمين وعدم إيذائهم، فقد روى السيوطي في الجامع الصغير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» (٣)، وجاء في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أن رسول اللهﷺ قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا» (٤).

وسار الخلفاء الراشدون- رضي الله عنهم- على مثل هذا الدرب في فتوحاتهم، فقد أوصى أبوبكر الصديق- رضي الله عنه- أحد قادة الفتح الإسلامي لبلاد الشام قائلا: «إنك ستجد اقوامًا حبسوا أنفسهم لله- يعني الرهبان- فذرهم وما نذروا أنفسهم له، وإني أوصيك بعشر، لا تغدر ولا تمثل، ولا تقتل هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا، ولا تحرقوا نخلًا، ولا تخربوا عامرًا، ولا تغلوا، ولا تجبنوا عند اللقاء»، ويمضي الفاروق عمر بن الخطاب على



نفس الهدي الإسلامي، فقد عرف عنه - رغم شدته وقوته في الحق- الوفاء بالعهد خاصة مع المعاهدين والمسالمين من أهل الكتاب، فحينما تسلم مفاتيح بيت المقدس، وكان جالسا في صحن كنيسة القيامة، حان وقت الصلاة، فخرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده، ثم قال للبطريرك: «لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي» وقالوا: هنا صلى عمر، ثم كتب لهم كتابًا جاء فيه: « هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها، كما أوصى جيوش الفتح قائلًا لهم: «امضوا باسم الله على عون وتأييد من الله، وما النصر إلا من عند الله، والزموا الحق والصبر، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الغلبة، ولا تقتلوا شيخًا ولا امرأة ولا وليدًا، واحذروا قتلهم- أي الشيخ والمرأة والوليد- إذا التقى الجمعان وعند شن الغارات».

وقد أقر الإسلام حق الأمن لكل الناس حتى للمشركين، قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾(التوبة:٦) من أجل هذا الأمر فقد وضح لنا القرآن الكريم أن المسلم يستجيب لدعوة من يطلب منه الأمان حتى يسمع كلام الله الذي أنزل على رسول الله ﷺ، ويعطى الوقت الذي يسمح له بالنظر والتدبر فيما سمع

معظم الشعوب كانت ترحب بالإسلام أيام الفتوحات لتنجو من عسف الفرس والروم

من كلام الله حتى تقوم عليه الحجة، فإن استجاب وآمن كان من المؤمنين، وان استحب العمى على الهدى فلا سلطان لأحد عليه ولا سبيل لأحد عليه أن يناله بضر أو أذى، بل على المؤمنين أن يحرسوه حتى يصل إلى المكان الذي يأمن فيه بين أهله وعشيرته» (٦)، وقد روى البخاري في التاريخ أن النبي ﷺ قال: «من أمن رجلًا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرًا»، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي ﷺ قال: «لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بلغه أن بعض المجاهدين قال لمحارب من الفرس: لا تخف، ثم قتله، فكتب-رضي الله عنه- الى قائد الجيش أنه بلغني أن رجالًا منكم يطلبون العلج (٧) حتى اشتد في الجبل وامتنع، يقول له: لا تخف، فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده لا يبلغني أن أحدًا فعل ذلك إلا قطعت عنقه. فلا يسقط حق الأمن عن غير المسلم إلا إذا أراد إيقاع الضرر بالمسلمين كأن يكون جاسوسًا أو عينًا على المسلمين.

وفي عهد الخليفة الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه أتى برجل من المسلمين قتل رجلًا من أهل الذمة، فقامت عليه البينة، فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: إني قد عفوت، فقال، فلعلهم هددوك وفرقوك، قال: لا، ولكن قتله لا يرد عليَّ أخي، وعوضوا لي ورضيت، قال له: أنت أعلم من نان له ذمتنا فدمه كدمنا، وديته كديتنا، وفي رواية أنه قال: إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا، وقد صح عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه كتب إلى بعض أمرائه في مسلم قتل ذميا فأمره أن يدفعه إلى وليه، فإن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، فدفع إليه فضرب عنقه (٨).

أحوال قبل الفتح الإسلامي

إن المنصف في تسجيل التاريخ وسرده يذكر صراحة أن الفرس كانوا يستعبدون كل من يدخل تحت إمرتهم وولايتهم، فسام الرومان أهل مصر سوء العذاب وأذاقوا أهل الشام الويلات، وحدث الأسوأ في البلاد التي كانت تحت إمرة الفرس مثل العراق، لذلك سارع أهل مصر والشام وشمال إفريقيا وبلاد فارس بالدخول في الإسلام ، لأنهم رأوا منه عين يقين العدل والمساواة، فقد جاء على لسان «جوستاف لوبون» المفكر الفرنسي في كتابه «حضارة العرب»: وما كانت انتصارات العرب لتعمي أبصارهم لأول أمرهم، وتحملهم على الإفراط المألوف عن الفاتحين في العادة، ولا اشتدوا في إرهاق المغلوبين على أمرهم، ولا فرضوا عليهم بالقوة دينهم الجديد الذي كانوا يريدون بثه في أقطار العالم، ولو عملوا ذلك لأهاجوا عليهم جميع الشعوب التي لم تخضع لهم.. ثم يقول: إن الأوضاع والأديان لا تفرض على الناس بالقوة، ورأيناهم حين دخلوا الشام ومصر وإسبانيا يعاملون الشعوب بمنتهى الرفق تاركين لهم أنظمتهم وأوضاعهم ومعتقداتهم غير ضاربين عليهم في مقابلة السلام الذي ضمنوه سوى جزية ضئيلة كانت على الأغلب أقل من الضرائب التي كان عليهم أداؤها من قبل» (٩).

وكانت معظم الشعوب ترحب بالمسلمين الفاتحين وتنضم إليهم لتنجو من عسف الفرس والروم، فقد كتب المسيحيون في الشام إلى أبي عبيدة وهو في معسكر في «فحل» يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف



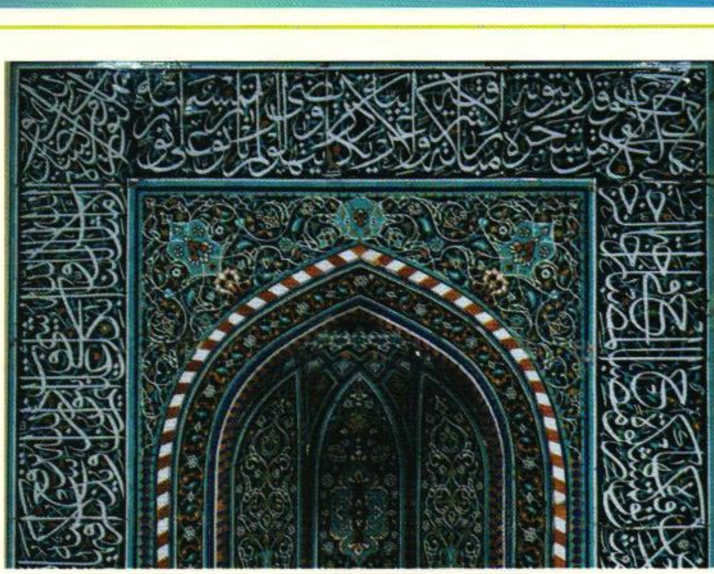
بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا.

كذلك رحب القبط في مصر بالفتح الإسلامي ولقوا من عمرو بن العاص أعظم التسامح لأنه أنقذهم من الاضطهاد الديني ومن عسف الروم وبتنكيلهم بمخالفيهم في المذاهب، ولم يحدث في عهده ولا عهد من بعده أن ضغط على أحدهم ليرتد عن دينه، بل إن بعضهم أسلم قبل أن يتم الفتح، ومازال التاريخ يقص علينا أن عمرًا كتب للقبط بعد فتحه حصن بابليون كتابًا يقضي بحماية كنيستهم ولعن أي مسلم يخرجهم منها.

ولقد ذاقت تلك الدول قبل الفتح الإسلامي الويلات والويلات، ويذكر التاريخ أن المصريين حينما اعتنقوا النصرانية عام ٢٠٢م نكلت بهم الدولة الرومانية الوثنية، وقتلوهم حتى ملأت دماؤهم شوارع الإسكندرية. وفي عام ٣٠٤ م نكل الإمبرطور «دقلديانوس» بالقبط، فنفى بعضهم من مصر، ورمى بعضهم للوحوش الضارية في حلقة الألعاب، وطوح في السجون بالآلاف، وهدم كنائسهم، وبلغ عدد من قتلوا في عصره مائة وأربعين ألفًا، وتوالت العصور على القبط في مصر وعانوا أشد المعاناة فحرموا من الوظائف، وفرضت عليهم الضرائب، وحظر عليهم الاجتماعات العامة، ولا تقبل شهاداتهم».

الغزوات والفتوحات لم تكن سفكا للدماء

هذا ما يدعيه الحاقدون، وأنا لنسألهم سؤالاً كم أعداد القتلى في الغزوات؟ وكم عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية؟ لقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية أن عدد من قتل في الحربين العالميتين أكثر من ستة ملايين وأربعمائة ألف نفس، أما أعداد من قتل في جميع الغزوات لا يتجاوز ألفًا وخمسمائة شخص، هذه الغزوات التي كان هدفها الأول نشر العدل وتأمين حرية الفرد وتحقيق المساواة بين الناس، ورفع الظلم عنهم بغض النظر عن معتقداتهم وملتهم، والتاريخ يذكر أن الفاتحين من المسلمين كانوا يتركون أهل البلاد من المسيحيين والوثنيين يزرعون أرضهم ويسكنون دورهم دونما إكراه لهم على الدخول في الإسلام، وعجبا لهؤلاء المزورين للتاريخ الذين يغضون الطرف عن محاكم التفتيش في أوروبا والحروب الصليبية على بلاد الشام، والاجتياح المغولي لبلاد فارس، وما يحدث من اليهود في وقتنا الحاضر الذين يستولون على الأرض ويستبيحون الأعراض ويدنسون المقدسات، ويعربدون وقتما شاؤا ولا يستطيع العالم أن يوقفهم أو حتى يحملهم مسؤولية جرائمهم.



إن الذي يستعرض التاريخ منذ عصر الخلفاء حتى وقتنا يجد أن اليهود أساس كل فتنة ورأسها، وابحثوا عمن قتل الفاروق عمر وقتل عثمان وعلي وخطط لذلك ودبر، ستجد اليهود هم أساس تلك الفتن، عاونهم - من مرض قلبه، وغلب عليه حب الهوى، ولم يسلم وجهه لربه، جاء رجل إلى علي بن أبي طالب حين تولى الخلافة، فقال له: يا أمير المؤمنين، حينما تولى أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب الخلافة لم يختلف عليهما أحد، أما حينما توليت انت الخلافة، اختلفوا عليك، قال: لأن الذي بايع أبا باكر وعمر أنا وأمثالي، أما الذين بايعوني أنت وأمثالك.

الإسلام قادم

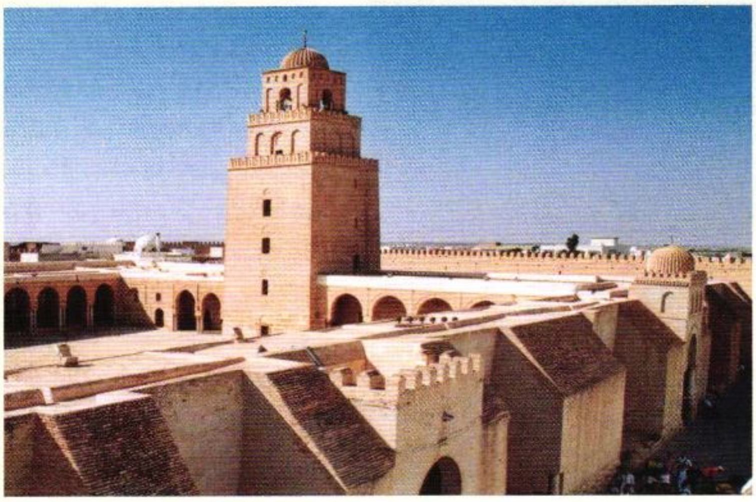
هذه حقيقة يعلمونها جيدا، لذلك تجدهم في فزع ورعب، والإحصاءات تؤكد أن أتباع الإسلام في زيادة مستمرة، خاصة في دول الغرب رغم ما يفترونه على الإسلام، ولكن علينا نحن المسلمون أن نضاعف الجهد لنزيل الغشاوة التي رانت على قلوب وأعين هؤلاء تجاه الإسلام بسبب ما يكتب وما ينشر وما يوجد ضد الإسلام من سهام، ولدينا الوسائل الرسمية والإعلامية التي تجعلنا نذود عن إسلامنا، ونرفع الظلم عن تاريخه الناصع البياض الذي ما سعى إلا لإسعاء البشرية وتحقيق العدل والمساواة والسلام والتعايش بين بني البشر، فليفعل كل منا ما استطاع فعله من أجل رفع الظلم عن الإسلام في إطار من الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن.

الهوامش

١- السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٥٠١ (بتصرف) - دار أشور للطباعة والنشر.
٢- الأموال للحافظ بن سلام ص١٨٢ - مكتبة الكليات الأزهرية ط١٤٠١هـ -١٩٨١م.
٣- الجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٥٤٧ - دار الفكر العربي.
٤- مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج١٦ ص٢٩٣
٥- عبقرية عمر للأستاذ عباس محمود العقاد ص١١٩ -١٢٠
٦- التفسير القرآني للقرآن - الشيخ عبدالكريم الخطيب ج١٠ص٧٠٥ (بتصرف).
٧- العلج بكسر العين وتسكين اللام هو الرجل غليظ الطبع من أهل الكفر، والجمع «علوج».
٨- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي- د. يوسف القرضاوي ص١٣، دار غريب للطباعة.
٩- أضواء على جوانب من الحضارة الإسلامية- الشيخ منصور الرفاعي عبيد ص٦٠ - ٦١ مطبعة العاصمة ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.
١٠- الأغاني للأصفهاني ج١٩ ص١٠٢، وانظر كتاب سماحة الإسلام للدكتور أحمد محمد الحوفي ص٦٣ ط١٩٩٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١- سماحة الإسلام، د.أحمد محمد الحوفي ص٧٦-٧٨ (بتصرف) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١٩٩٧- مكتبة الأسرة.

تاريخ ضائع.. قراءة لعصور ولت ورؤية لعصور جديدة

محمد عويس



يعد هذا الكتاب (تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه)، واحد من أهم نماذج التواصل بين الإسلام والغرب، إذ إن ترجمته ونشره في هذا الوقت يمثلان خطوة مهمة في ظل ما نعيشه من رغبة عالمية في سيادة روح التسامح والتفاهم بين مختلف الحضارات والأديان، خاصة وأن المؤلف مايكل هاميلتون مورجان، دبلوماسي أميركي سابق، ومؤسس ورئيس منظمة «أسس جديدة للسلام» New Foundation for Peace يتوجه بكتابه هذا إلى مخاطبة القارئ العادي بحقائق فعلية مثبتة تاريخيًا عن دور الفكر والفن والفلسفة العربية والإسلامية في نهضة الثقافة الغربية والعالمية.

كما أن سيطرة عدم الثقة وسوء الفهم فيما يتعلق بعلاقة الإسلام والغرب جعلت من الأهمية بمكان تذكر ما كانت عليه حضارة الإسلام ومكانتها التي أثارت اهتمام العالم وتطلعاته، يأتي الكتاب ليسد الفجوة بين الحضارتين الإسلامية والغربية ويكون أساسًا لكل من يسعى لفهم الأثر الذي أحدثه المسلمون الأوائل في مجتمعنا الحديث، ويكشف المؤلف كيف أن الإنجازات التي حققها المسلمون في العلوم والثقافة وضعت حجر الزاوية لعصري النهضة والتنوير في أوروبا، بل وللمجتمع الغربي الحديث، يعرض الكتاب سردًا زمنيًا للعصور الذهبية للحضارة الإسلامية بدءًا من مولد النبي محمد ﷺ في مكة عام ٥٧٠م مع بيان صدى ذلك في العصر الحاضر، وهو في ذلك يعرض لعلماء أمثال: ابن الهيثم، ابن سينا، الطوسي، الخوارزمي، عمر الخيام، وهي شخصيات رائدة أحدثت ثورة في علوم الرياضيات والفلك والطب في عصرها، ومهدت الطريق أمام نيوتن وكوبرنيكس وآخرين.

ويذكرنا مايكل مورجان بأن عصور القادة المسلمين الذين ألهموا العالم، وعلى رأسهم النبي محمد ﷺ مرورا بسليمان القانوني ومن جاء بعده قد تجلت فيها مظاهر تسامح الدين، كما ازدهر البحث العلمي والفكري وباتوا هم أنفسهم رعاة للفن والعمارة والأدب، فكانت ابداعاتهم لا تزال تفتننا بروعتها وحرفيتها.

ومن القضايا التي ضمنها مورجان صفحات كتابه الفتوحات الإسلامية وكيفية تعامل الغرب مع أحداثها، فيذكر أنه بعد مرور عامين فحسب على وفاة الرسول، صلوات الله عليه وسلامه، نجد الجيوش العربية تفتح مساحات شاسعة من الإمبراطورية البيزنطية شاملة سورية وفلسطين، ويلي أبوبكر الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، في خلافة المسلمين ويقود هذا الأخير الجيوش العربية إلى نطاقات أعمق داخل كل من الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، وفي معركة اليرموك في سورية في العام ٦٣٦ يدمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوات الإمبراطور البيزنطي هرقل، وفي عام ٦٤٢ يرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجيوش إلى مصر التي كانت تخضع للحكم البيزنطي ويبدأون في التقدم نحو شمال إفريقيا، وفي عام ٦٤٤ يتولى عثمان بن عفان الخلافة تبعًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وفي عهده اكتمل فتح بلاد الفرس في عام ٦٥١ .

ويختزل التاريخ الغربي انتصارات جيوش المسلمين هذه في هذا القرن الأول بالغ الأهمية للإسلام في مجموعة من التواريخ وأسماء للمعارك والغزوات، ويصورها التاريخ الغربي كلها على أنها مجرد وسيلة لفرض هذا الدين الجديد بشكل جبري، وعلى الرغم من أن أقل ما يوصف به تقدم الجيوش العربية في هذه السنوات الأولى بأنه حملة عسكرية واسعة النطاق، ومع كل الآثار المؤسفة والمصاحبة لهذه الحملة، والتي دائما ما تقع إبان الحروب فإن بعض الروايات التي تسرد وقائع هذه الفترة تنسى في ذات الوقت

باحث في التاريخ

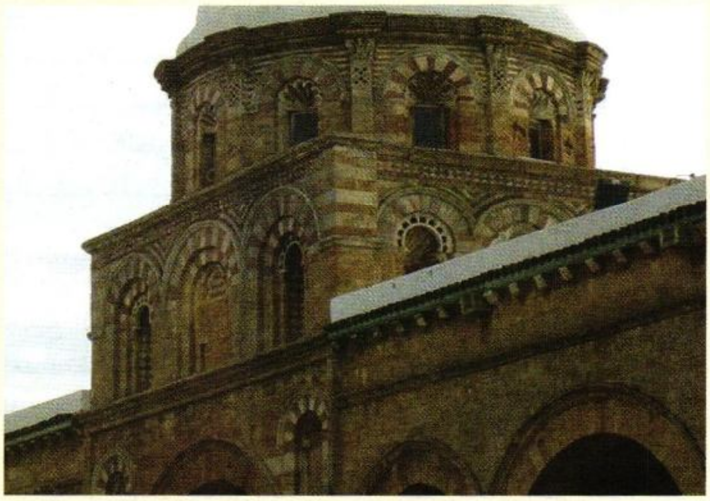
أن تؤرخ أيضا للأحداث المؤثرة التي وقعت أيضا في هذا السياق.

أولا: ينسى هذا النسيج التاريخي التقليدي أن أحد الخيوط المؤثرة، والتي أدت إلى انتشار الإسلام بشكل سريع، يرجع جزئيًا إلى الانتعاشة الاقتصادية، والتي لم تتحقق بفعل الغزوات أو إجبار الآخرين على تغيير ديانتهم واعتناق الإسلام، كما أدى النظام العربي الذي اعتمد على دفع رواتب الجنود نقدًا دورًا كبيرًا في خلق اقتصاد سوق نقدي حضري في الفترات الأولى من إنشاء الدولة الإسلامية، وهذا يعني أن كمية كبيرة من العملة يتم تداولها، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى التنمية الحضرية وإعادة إحياء الحياة التجارية في البلدان والمدن التي بدأت في الانهيار اقتصاديا بفعل الحروب البيزنطية الفارسية.

ثانيا: يفتقر هذا النسيج إلى ذكر حقيقة أن تحويل سكان الدول التي غزاها المسلمون إلى اعتناق الإسلام لم يتم بالإكراه والقهر، فقد ظل المسلمون أقلية في الكثير من المناطق التي وقعت تحت الحكم الإسلامي وفي بعض المناطق، مثل فارس على سبيل المثال، كانت نسبة المسلمين أقل من عشرة في المائة من السكان وذلك في القرن الأول من توسع الدولة الإسلامية.

إنما فرض الإسلام الجزية على أهل الكتاب نظير رعايتهم وتقديم الخدمات الاجتماعية لهم في ظل الدولة الإسلامية

إنجازات المسلمين في العلوم والثقافة وضعت حجر الزاوية لعصري النهضة والتنوير في أوروبا



الناشئة، فمسألة تغيير الديانة التي كانت تحدث في تلك الأيام الأولى من نشأة الحضارة الإسلامية كانت تتم بناء على رغبة الأشخاص أنفسهم، ولم يقم الحكام المسلمون محاكم للتحقق من نية من يدخل الإسلام، فربما لجأ البعض لذلك لخفض نسب الضرائب التي يدفعونها، ويحسنون من درجة ترقيهم داخل المجتمع ويسهلون على أنفسهم مسألة الاندماج في الحياة التجارية والحكومة، كما كان يسمح لهؤلاء ممن لم يعتنقوا الإسلام بالاحتفاظ بدور العبادة الخاصة بهم، كما يحظر ادعاء النبوة أو التعدي على النبيﷺ.

أيضا يشير المؤلف إلى قضية في غاية الأهمية ألا وهي أن معظم الأميركيين بما فيهم الأميركيون المسلمون وحتى عدد كبير من المسلمين حول العالم لا يعرفون سوى قشور التاريخ الإسلامي أي «أنهم كانوا من العظماء في يوم من الأيام وأنهم اخترعوا علم الحساب ثم سقطوا في مستنقعات التأخر»، كما أن معظم الغربيين قد تلقن أن جذور المجد الغربي تعود إلى أيام الرومان والإغريق، وأنه بعد سبات دام ألف عام بين مجاهل عصور الظلام، حدثت المعجزة واستيقظت أوروبا لتستعيد صلاتها بأصولها الرومانية والإغريقية، وكما تشير الرواية التقليدية، إن إعادة إكتشاف بلاد الإغريق الكلاسيكية وما صاحبه من دعم أخلاقي أساسه الاعتقاد اليهودي المسيحي، قد تمخض عنه عصر النهضة والتنوير والثورة العلمية والصناعية، أما الإسهامات الفكرية للعرب والفرس والهنود والصينيين والأفارقة وآخرين في العالم الإسلامي فقد اختزلت واقتصرت على الحواشي المتناثرة هنا وهناك.

كما أن السواد الأعظم منا لا يعرف تفاصيل التاريخ الإسلامي بسبب حواجز اللغة وانقضاء العديد من القرون، وكذا الإشارات المبهمة عن أسماء وأماكن وأحداث لا نعلم عنها شيئًا، ذلك بالإضافة إلى السرد المتعجرف لتاريخ أوروبا والذي يعزي لها الفصل في كل شيء في عصر النهضة وفي جميع أشكال التقدم الذي حدث بعد ذلك، ومن ناحية أخرى فإن المسلمين التقليديين المتزمتين يستأصلون شأفة نظراتهم من أصحاب النظريات غير التقليدية، كما أن عمليات إحراق الكتب وتدمير المكتبات عبر التاريخ قد ساهمت هي الأخرى في تعزيز جهلنا بالتاريخ الإسلامي.

وقد أمعنت مجموعات قليلة من الأكاديميين النظر في هذه القضايا بجدية من خلال وجهات نظر متباينة وخلصوا إلى نتائج مختلفة.

وأول هذه المجموعات والتي أخرجت التاريخ الفكري الاسلامي إلى حيز النور هي مجموعة «المستشرقين»، يرى هذا الفريق أن العالم الإسلامي يمر بمرحلة من الإبداع الفكري بالتحديد من عام ٨٠٠ حتى ١٢٠٠ ميلاديًا، وقد ساهم في إحداث هذه النهضة ترجمات المفكرين الإغريق، وما لبث أن انتقل حسم المعرفة هذا ذو الأصول الإغريقية إلى الأوروبيين بفضل المسلمين، وفيما بعد وبسبب هجمات المغول والاضطرابات الداخلية التي منعت من تطور الفكر الحر داخل المجتمعات الإسلامية تخلفت الدول الإسلامية عن

بقية دول العالم.

أما المجموعة **الثانية** في تيار المحافظين الجدد وترى هذه المجموعة التي ركزت على دراسة الشرق الأوسط المضطرب أنه وعلى الرغم من أن العرب يمثلون ١٧ في المائة فقط من إجمالي مسلمي العالم إلا أن الحضارة الإسلامية تضم في طياتها عناصر تناقض مع الحرية الفكرية والتقدم الاجتماعي والعلمي والديمقراطية الليبرالية، وقد طغت أفكار تيار المحافظين الجدد بشكل غير مسبوق على السياسة الخارجية والإعلام الأميركي خاصة في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر، ويعي الكثير من غير المسلمين حول العالم هذا التيار الفكري.

أما المجموعة **الثالثة** فهي معسكر العلوم المبتدئة والتي ينضم إليها في الوقت الحالي عدد من العلماء المعاصرين، وتذهب هذه المجموعة إلى أنه حتى القرن الخامس عشر كانت علوم وتكنولوجيا المسلمين تفوق مثيلاتها في أوروبا، وقد تسرب الكثير من مظاهر التقدم هذه إلى أوروبا إبان القرون الوسطى واضعة نواة النهضة الأوروبية القادمة، ولكن ما حدث بعد ذلك هو أن الاضطرابات الداخلية قد بلغت المدى داخل العالم الإسلامي وظهرت بعض المعوقات الخاصة بهذه الثقافة، علاوة على تزايد الأزمات الاقتصادية والمناخية، ولم يستطع المسلمون اللحاق بركب العلم الحديث مثل الصين والهند وهو ما قامت به أوروبا.

ويمكن إطلاق اسم «الليبراليين» على المعسكر **الرابع**، وترى هذه المجموعة أن مثل الدين الإسلامي وقيمه لم تكن عائقًا أو مقوضًا لتقدم العالم الإسلامي، ولكن هي التي ساهمت في إحداث تقدم في العلوم والتكنولوجيا والمجتمع المدني، وتتمثل تلك القيم والمثل في الرغبة في النهل من المعرفة ومساواة جميع البشر أمام الله، وفيما بعد انتقلت أشكال التقدم هذه إلى أوروبا ومنها إلى العالم بأسره، وهي لا تزال تحتل مكانة من الأهمية في القرن الحادي والعشرين، وربما يذهب هؤلاء المفكرون أيضا إلى أن الحضارة الأوروبية اليهودية المسيحية ينبغي أن تضاف إلى توصيفها كلمة إسلامية أيضا.

أما المجموعة **الخامسة** فيمكن تسميتها معسكر «أنصار الإسلام» على الرغم من أن أتباعها هم عدد قليل من السلك الأكاديمي، وتذهب هذه المجموعة إلى أن المسلمين اخترعوا تقريبًا كل المظاهر الحديثة للعلم والطب والتكنولوجيا والنظام الاجتماعي إلا أنهم قد سلبوا حقهم إذ إن كل هذا لم ينسب إليهم.

لقد كتب «تاريخ ضائع» عن وعي بكل هذه الرؤى متضمنا عناصر من كل منها، بيد أنه في ذات الوقت لم يتحيز لأي منها ولكنه يتفق معها جميعًا بشكل من الأشكال.

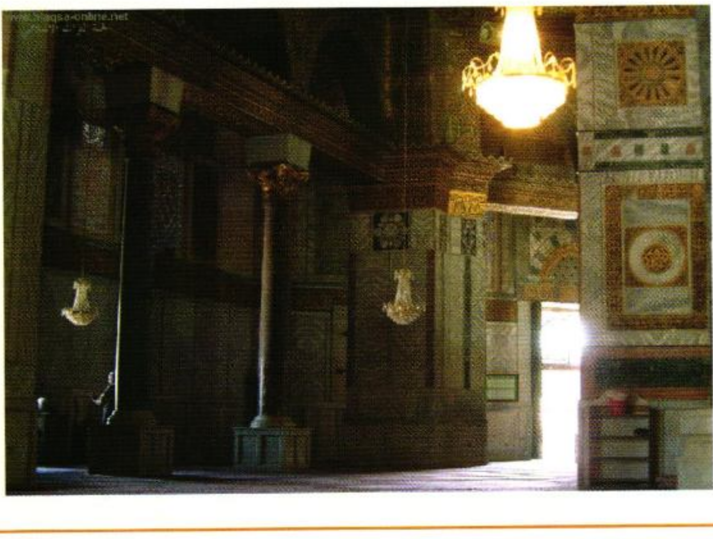
ولم يكتب «تاريخ ضائع» للتعبير عن موقف وسط هذه المناظرة الأكاديمية البحتة، إنما يقصد إلى توضيح الخطوط المبهمة في تاريخ المسلمين، والتي تلقاها معظمنا، والتمسك بالحقائق الراسخة مع إعادة أهم الشخصيات والأحداث إلى الحياة واستحضار الماضي المسلم المغمور والغامض والبعيد، وإظهار كيف أن الأحداث والأفكار التي مضى عليها ألف عام لها علاقة مباشرة بحياتنا اليوم.

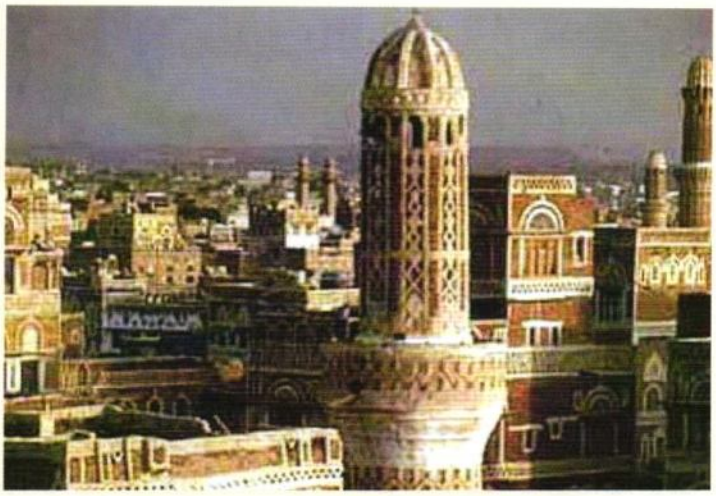
ويختتم المؤلف كتابه بطرح رؤية مغايرة للواقع الذي ألم بالعالم الإسلامي موضحًا أنه كان من الممكن للتاريخ أن يأخذ مسارًا مختلفًا في تلك اللحظات النادرة من التوازن بين الصين والهند والعالم الإسلامي وأوروبا في أواخر القرن ١٥ والقرن ١٦، أي من منافسي أوروبا من الممكن لهم اتخاذ نفس القرارات المصيرية التي قامت بها إسبانيا والبرتغال وإنجلترا لدعم رحلات الاستكشاف والغزو، كان من اليسير على الصينيين الإبحار إلى الباسيفيك وعلى الأتراك العثمانيين السيطرة على الأطلنطي.

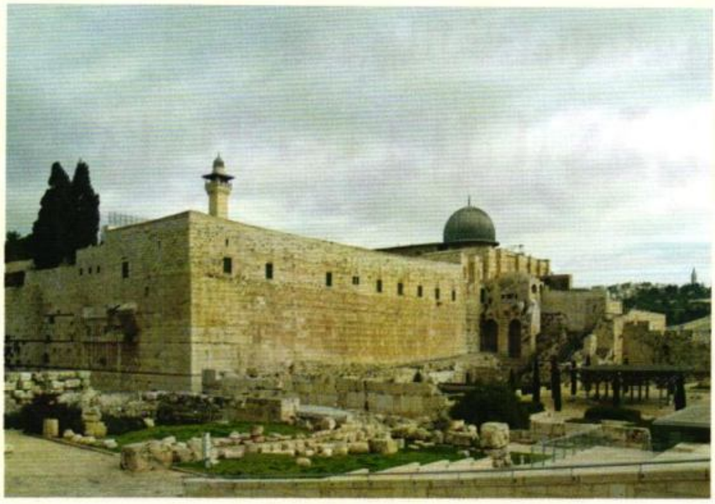
ماذا لو أن المنافسات الاستعمارية في الأميركتين وجنوب شرق آسيا كانت بين الأوروبيين والصينيين والأتراك وليست بين القوات الأوروبية؟ ماذا لو أقام الأتراك والصينيون مستعمرات سعيا لإصلاح اقتصادهم ومجتمعاتهم ومناخهم الفكري لتكييف الحاجات مع الإمبراطوريات الجديدة العابرة للمحيط؟ هل كان سيوجد عصر نهضة واستنارة أكثر انتشارًا؟

يعتقد الكاتب أن هذا كان ممكنًا حدوثه، كما يمكن للمسيحية أن تصبح أكثر انغلاقًا في معاداة المادية والتعصب، كما كان لبعض

بعض المفكرين يرى أن الحضارة الأوروبية اليهودية المسيحية ينبغي أن تضاف إلى توصيفها كلمة إسلامية أيضا







انحدر مستوى العلوم الإسلامية عندما تحولت مواردها إلى الدفاع العسكري

التغيرات في الخلافة الملكية أن تأتي بعملية التحقق إلى انجلترا، وكذا كان ممكنًا أن يصبح أوليفر كروموِيل الراعي الرئيسي للفلسفة السياسية الإنجليزية وليس جون لوك، في هذا الكون الموازي كان ممكنًا للعالم الإسلامي أن يقود مزايا عصر النهضة والاستنارة التي غرس بذورها علاوة على الاستمتاع بها، كان يمكن للمسلمين أن يقودوا عصر الاكتشاف والإمبريالية الذي تولاه الأوروبيون المسيحيون بدلًا منهم، يرى الكاتب أنه لم توجد أي حتمية لظهور الغرب.

يعتبر هبوط تلك الثقافات الابتكارية الأولى أمرًا مأساويًا من الناحية التاريخية والإنسانية، لماذا تخلفت عن الركب تلك المجتمعات التي قادت العالم لقرون في مجالات شتى ووضعت الأساس لبزوغ الأفكار والعلوم الأوروبية؟

سيظل المؤرخون والعلماء يناقشون هذا السؤال حتى نهاية الزمان، وبينما لا توجد إجابة واحدة عن هذا السؤال فإنه من الممكن إرجاع الأمر إلى عدد من العوامل التي ساهمت في هذا الجمود، فبعضها كان نتيجة للحظ السيئ، وبعضها الأخر بسبب التطور الثقافي.

تكمن جغرافية الإسلام في مهد الحضارات حيث ظهرت الثقافات الأولى في بلاد الرافدين ووادي النيل ووادي السند بثرائها الزراعي الأول، هذه الأقاليم نفسها تحولت إلى صحاري خلال ألف عام موفرة القليل من الفرص الاقتصادية.

إن الأثر الذي خلفته الأمواج المتتالية من الغزوات الآسيوية الوسطى بقيادة السلاجقة والمغول والعثمانيين على قلب الأراضي الإسلامية هو الدمار التدريجي لمراكز الابتكار الإسلامي، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا الوسطى والغربية بمنأى عن احباطات وتمزقات هذا الوقت مما سمح لهم باستكمال تطورهم في الآونة التي كان على الشرق الأوسط وإيران وتركيا القيام بعملية إعادة البناء.

في القرن الـ١٧ عندما بدأت الدول الأوروبية تستعمر الأميركتين تلقوا أنهارًا من ثروات ما وراء البحار، وهو الأمر الذي مكنهم أيضا من القيام بغزواتهم الاستعمارية في العالم الإسلامي.

وجهت الإمبريالية الأوروبية الضربة القاضية للعالم الإسلامي في الشرق الأوسط وإيران وأفريقيا والهند وجنوب شرق آسيا، أدى الاستعمار بالكثير من دول هذه العالم إلى كساد اقتصادي، والذي سيستغرق قرونًا حتى يتم التخلص منه.

بما أن كلًا من العلوم والتطوير يعتمدان على مساندة قيادة الدولة وتمويلها فقد انحدر مستوي العلوم الإسلامية، عندما توجب على دولها تحويل مواردها إلى الدفاع العسكري بعد القرن الـ١٦، من ثم أصبح بزوغ شمس أوروبا وغروب شمس العالم الإسلامي وجهين لعملة واحدة.

بحلول القرن الـ٢١ صارت بعض مراكز الابتكار الإسلامية القديمة جزءًا من العالم النامي بكل مشاكله الناشئة مثل الفقر والجمود الاقتصادي وعدم الإستقرار السياسي، فقد ضاع تاريخهم الثري وفيما يبدو صار مجرد أطلال.

وبعد هذه القراءة لتاريخنا الحضاري يشير مورجان إلى أن العالم بتغير مرة أخرى فلكل بقعة أزمة، ويوجد مركز ابتكار واعد في العالم الإسلامي، أصبحت مجتمعات المسلمين المهاجرين في أوروبا والأميركتين بمثابة نقاط التقاء، فإن تقابل الثقافات لا يؤدي فقط إلى التوتر، بل إلى نشر الأفكار الجديدة وهو الوصول إلى تفاهم مشترك.

ولت عصور المسلمين الذهبية الأولى ولكن على ما يبدو أن هناك عصورًا جديدة تخرج إلى النور على الرغم من أن العناوين اليومية تشير إلى عكس ذلك.

اهتم بها الخلفاء العباسيون أكثر من اهتمامهم بالبيعة

الآثار النبوية المباركة بالمسجد الحسيني بالقاهرة

مجدي إبراهيم

إن وجود الآثار النبوية المباركة في مسجد الحسين بالقاهرة يوحي بأفضليته ومكانته، وكفى أنه مشهد الحسين سبط الرسول ﷺ وابن فاطمة البتول رضوان الله عليها.

هذه الآثار هي ثلاث قطع كبيرة من النسيج من اللباس النبوي الشريف، وقطعة من القضيب، وهي التي عبر عنها الجبرتي بقطعة عصا، والمكحلة والميل (المرود) وقد ضم إليها بعض الشعر من الرأس ومن اللحية النبوية الشريفة، كما أضيف إلى الآثار النبوية المصحفان المنسوبان إلى علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، هذه الآثار الشريفة، سواء ما كان منها في مصر أو غيرها من بلاد العالم الإسلامي، كانت دائماً موضع اهتمام المسلمين ورعايتهم في مشارق الأرض ومغاربها، ومحل تكريمهم واعتزازهم، تتطلع إليها قلوبهم وتهفو إليها أرواحهم، ويستروحون من خلال نفحاتها الزكية نفحات صاحب الرسالة الخالدة والمثل الأعلى للإنسانية ﷺ.

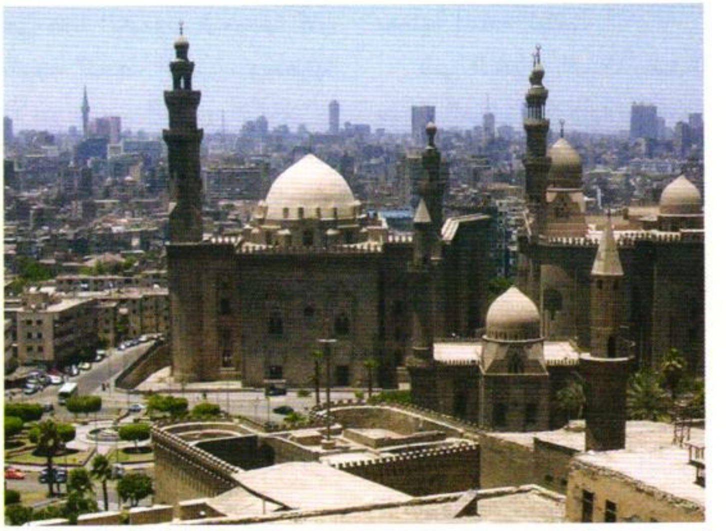
قصة الآثار النبوية المباركة

بدأت قصة الآثار النبوية المباركة بطبيعة الحال بأن آلت إلى آل بيته ﷺ ومن أعقبهم بطريق الميراث، أو إلى الصحابة رضوان الله عليهم عن طريق الإهداء، وبقيت كذلك حتى جاءت الدولة الأموية فاستطاع خلفاؤها أن يحصلوا على كثير منها، بطريق الشراء- في أغلب الأحيان- بقصد التبرك والتشريف، ولما زالت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ وآل الملك للعباسيين، كان من الطبيعي أن يحرصوا على أن تؤول إليهم كذلك الآثار النبوية المباركة، فهم أولاد عمه وأولى بها، ولقد بلغ حرص العباسيين واهتمامهم بها حدا اعتبروا معه بعضها، كالبردة والقضيب، شارة من شارات الخلافة، وكان الرسم أن يأخذ الخليفة القضيب بيده في الموكب، وكانت البردة تطرح على كتفه في المواكب، جالسًا أو راكبًا، بل بلغ من عناية العباسيين بهذين الأثرين الشريفين وحرصهم عليهما، أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بها اهتمامه بالبيعة، فإذا كان غائبًا بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة يبردونه، على حد قول ابن كثير.

ومن هذه الآثار المباركة، مجموعة لا تزال موجودة في مصر، وهي محفوظة في حجرة خاصة بالمسجد الحسيني بالقاهرة.

الصاحب تاج الدين ورباط الآثار

اجتمع رأي معظم المؤرخين على أن هذه الآثار كانت لدى بني إبراهيم بينبع، ويقال إنهم تلقوها بالميراث عن آبائهم وأجدادهم الأولين، في أجيال متعاقبة تمتد إلى زمن رسول الله ﷺ، وفي القرن السابع الهجري اشتراها منهم وزير مصري اسمه الصاحب تاج الدين بن حنا، ثم نقلها إلى مصر وبنى لها رباطًا (لنوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف) على النيل، عرف فيما بعد برباط



الآثار، وسماه ابن دقماق بالرباط الصاحبي التاجي نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين، ويعرف الآن باسم «أثر النبي»، ولما لهذه الآثار النبوية المباركة من اهتمام وتقدير لدى المصريين فقد جعلوا من بين وظائف الدولة المهمة وظيفة «شيخ الآثار النبوية».

وصف المقريزي الرباط بقوله: «هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق، وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار الرسول ﷺ، اشتراها الصاحب تاج الدين بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني إبراهيم أهل ينبع وحملها إلى هذا الرباط، وهي به إلى اليوم (أي عصر المقريزي في القرن الخامس عشر الميلادي، الثامن الهجري).

واختلف مع المقريزي المؤرخ ابن دقماق في أن الصاحب تاج الدين اشتراها بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم، وفي عدد الآثار، فقال: «إنها قطعة من العنزة (الحربة القصيرة) وقطعة من

كاتب صحفي

قصعة ومرود وملقط ومخصف»، أما ابن كثير فقال: «وبلغني أن بالديار المصرية مزارًا فيه أشياء من آثار النبي ﷺ اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين، فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك، والله أعلم».

كذلك ورد ذكر رباط الآثار النبوية في كتب الرحالة الذين زاروا مصر، فهذا ابن بطوطة يصف الرباط في القرن الثامن الهجري فيقول: بت ليلة خروجي إلى الصعيد برسم الحجاز الشريف، بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حنا بدير الطين، وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه، وهي قطعة من قصعة رسول الله ﷺ، والميل الذي كان يكتحل به، والدرفش- وهو الأشفى الذي كان يخصف به نعله- ومصحف أمير المؤمنين علي بن ابي طالب الذي بخط يده رضي الله عنه، ويقال إن الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار النبوية الكريمة بمائة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدم الآثار الشريفة، ولما تصدع بنيان الرباط، وخشي على الآثار الشريفة من اللصوص، نقلت في حوادث سنة ١٢٠٣هـ، فبنى السلطان الغوري قبة مواجهة لمدرسته للآثار الشريفة بخط الشرابشيين بسوق الجمالون وسوق الخشبية، وبقيت الآثار النبوية بقبة الغوري أكثر من ثلاثة قرون حتى كانت سنة ١٢٧٥هـ، وبعد ذلك نقلت إلى مسجد السيدة زينب رضي الله عنها وبقيت به قليلاً، ثم نقلت إلى ديوان عام الأوقاف، وفي سنة ١٣٠٥هـ نقلت لسراي عابدين، وأمر الخديوي توفيق أن تنقل إلى المسجد الحسيني، فأعد لها مكانا فخمًا، وهو دولاب جميل الصنع في الحائط الشرقي للمسجد

توارثها بنو إبراهيم بينبع واشتراها الصاحب تاج الدين بن حنا وبنى لها رباطا ثم نقلت إلى المسجد الحسيني

من الجهة القبلية، فلما كمل أمر بعمل مركب فخم لها يمشي فيه عظماء الحكومة وكبراء الأمة في يوم الخميس، الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٠٥هـ.

واستمرت الآثار الشريفة في الدولاب المذكور حتى تم إنشاء قاعة الآثار الحالية في شهر ربيع الأول سنة ١٣١١هـ، وهي قاعة فخمة فسيحة الأرجاء مفروشة بالبسط النفيسة، وبها ثريات ومصابيح وقد كسيت جوانبها بالرخام المجزع، وبها قبلة صغيرة لطيفة وسقف من أدق الأسقف صناعة، وشبابيك من الجبس المحشو بالزجاج الملون، وقد وضع دولاب الآثار الشريفة في الجهة القبلية من هذا المكان وهو فجوة كبيرة في الجدار مكللة بالأنوار، قوي ظهرها بقضبان من حديد، وقد كسيت حوائطه وأرضه وسقفه بالجوخ الأخضر، وبه لوح فخم من البلور لتوضع فوقه باقي الأمانات، والدولاب من الخشب الجوزي المطعم بالأبنوس والعاج، وقد كتب أعلاه بأحرف من العاج ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء:٢٥٨)، ولهذه القاعة بابان، واحد يؤدي إلى المسجد، وهو محلى بالصفائح الفضية المنقوشة، وآخر يؤدي إلى القبة الشريفة، وقد كتب بدائر القاعة الشريفة على الرخام البسملة وسورة «الشرح»، وتشتمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ومكحلة ومرود وقطعة من القضيب الشريف وشعرتين من اللحية الشريفة، وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفي، أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه نقل أخيرًا إلى المكتبة المركزية للمخطوطات بمسجد السيدة زينب، والآخر بخط سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه، حفظت الآثار جميعها في أربعة صناديق من الفضة، ملفوفة في قطع من الحرير الأطلس الأخضر الموشى بخيوط من الذهب والفضة.

قميص رسول الله ﷺ

من الألبسة التي تركها سيد الخلق ﷺ قميص صحاري من صنع مدينة زهار، وآخر سحولي، والقميص كما قيل هو الجلباب أو الملاءة، أما السحولي فهو الثوب من القطن أبيض اللون مصنوع في قرية سحول اليمنية، وقميص الرسول الكريم عبارة عن ثلاث قطع كبيرة، كلها بيضاء وخالية من الزخارف الملونة وكذا الزخارف النسجية، إذ إنها جميعًا منسوجة على أنوال يدوية بسيطة، هناك قطعتان من القطن قد تكون أجزاء من ثوب سحولي، وأما القطعة الثالثة، وهي كبيرة الحجم، فمن الكتان غير المبيض، ليس من المستبعد أن تكون جزءًا من الكساء الأبيض أو من الرداء المربع، ومن المرجح أن تكون من النسيج المصري المعروف بالقباطي الذي عرفه العرب قبل وبعد الإسلام، إذ كتبوا عليه معلقاتهم.

القضيب

ومن الآثار النبوية الشريفة المحفوظة بالمسجد الحسيني «القضيب»، وقد ورد ذكره في كثير من المراجع فيما خلف الرسول الكريم من الأدوات المنقولة، فقد جاء في «عيون الأثر»، الجزء الثاني، ص ٣١٨: «كان له من القسي خمس: الروحاء، والصفراء من نبع، والبيضاء من شوحط، أصابهما من بني قينقاع، والزوراء، والكتوم، لانخفاض صوتها إذا رمي عنها، ويقول القرماني: «وكان للرسول ﷺ مخصرة تسمى العرجون وقضيب يسمّى المشوق، أما القضيب الموجود بالمسجد الحسيني بالقاهرة، فقد تبين بعد فحصه، من قبل المعمل الكيميائي التابع لمصلحة الآثار المصرية، أنه من خشب الشوحط، وهو نوع من خشب الأرز الذي كان ينمو على جبال بلاد الشام في أوائل العصر الإسلامي، والقطعة الباقية من القضيب يبدو عليها القدم الشديد، والقضيب مغطى بطبقة من الراتنج لوقايته من التلف أو التآكل والتسوس، خاصة بعد أن ذهب الكثير منه، أما الغلاف المعدني الذي يغلف معظم القضيب فهو من الفضة الجيدة.

مكحلة الرسول ﷺ

ورد ذكرها فيما خلف الرسول ﷺ من أدوات الزينة، فعن يزيد بن هارون عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ كانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثًا في كل عين» (حلية الأولياء- غريب من حديث صفوان)، كذلك ورد ذكر المكحلة والمرود أو الميل في كثير من المراجع التاريخية انها من الآثار النبوية الموجودة بالقاهرة في مواضع متعددة، وقد ذكر معظم المؤرخين أن الإثمد الذي كان يكتحل به رسول الله ﷺ لم يكن للزينة كما قد يتبادر للذهن، بل هو من قبيل الدواء للمحافظة على سلامة العين، لذلك كان يستعمله عند النوم، واستعمال الإثمد كان يتطلب بطبيعة الحال مكحلة يوضع بها مسحوق الإثمد ومرود أو ميل (وهو المكحل أو المكحال) للاكتحال به، والمكحلة المحفوظة

مع الآثار النبوية المباركة تبين بعد تحليل معدنها بالمعمل الكيميائي أن الجزء المقعر الذي يشبه الملعقة من النحاس الأصفر، وإن كان لونها الآن يميل للسواد بفعل الزمن، أما باقي اليد فقد كسيت بغلاف من الفضة من المرجح أن تكون قد أضيفت فيما بعد، أما المرود أو الميل فإنه من الحديد وقد غلف جزء من نهايته الغليظة بغلاف من الفضة، وليس من المستبعد أن يكون قد أضيف مع غلاف المكحلة كذلك.

شعر رسول الله ﷺ

ومن بين الآثار النبوية الكريمة الشريفة بضع شعرات تنسب إلى النبي ﷺ، وكان لابد من الرجوع إلى المصادر التاريخية التي تناولت صفة شعر محمد ﷺ ولونه وسدله وفرقه وترجيله ودهانه وشيبه وخضابه وحلقه وتقصيره، فقد ورد في صحيح مسلم عن قتادة قال: «قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله ﷺ؟ قال كان شعرًا رجلًا ليس بالجعد ولا السبط بين أذنيه وعاتقه»، ومن حديث لعائشة رضي الله عنها: «كان له ﷺ شعر فوق الجمة ودون الوفرة» (سنن الترمذي)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، فسدل ناصيته ثم فرق بعد» (صحيح مسلم)، وورد عن عائشة قالت: «كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ...» (صحيح البخاري) وعنها، قالت: «أنه كان النبي ﷺ يحب التيمن في طهوره إذا تطهر وفي ترجله إذا ترجل وفي انتعاله إذا انتعل» (صحيح الترمذي).

لقد ثبت أن النبي ﷺ كان يفرق شعره بين الناس، الأمر الذي يفهم منه، كما قال النووي، أنه أجاز اقتناء شعره للتبرك، وعلى ذلك فليس من المستبعد أن نجد من شعره قراضات وشعرات طويلات أو قصيرات في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، فقد ذكر العلامة ابن حجر الهيثمي أن بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار، ويقول النابلسي بوجود شعرة في مقام التوحيد بدمشق، وهناك مجموعة كبيرة من شعرات الرسول ﷺ محفوظة بقصر طوب قابي سراي باسطنبول كانت عند أشراف مكة (٤٣ شعرة) أهدى منها سلاطين العثمانيين إلى بعض الولايات التابعة للدولة العثمانية أربعًا وعشرين شعرة وبقي تسع عشرة يرجح أنها باقية إلى اليوم.



إن مجموع الشعرات المحفوظة مع الآثار النبوية بالمسجد الحسيني خمس عشرة شعرة، ما بين بيضاء وكستنائي فاتح وداكن، ومن أطوال مختلفة ما بين قصير يبلغ ٣ سم إلى طويل يبلغ ١٠,٥ سم.

سيف رسول الله ﷺ

وقد أطنب كتاب السيرة في الحديث عن السيوف المنسوبة إلى رسول الله، ﷺ وذكروا لكل سيف اسما يخصه، منها البتار والمعصوب والمخذم والرسوب والحتف والقلعي وكان سيفه «ذو الفقار» أشهر سيوفه الذي غنمه يوم معركة بدر من العاص بن منبه السهمي بن الحجاج الذي مات كافرًا في المعركة، وله أيضا «الصمصامة»، وكان يملكه عمرو بن معديكرب في الجاهلية، وهو من السيوف التي ضرب بها المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمخبر والمضاء، فلما أسلم أهداه لعامل الرسول ﷺ خالد بن سعيد بن العاص الذي أعطاه للنبي ﷺ، وقد تبين بعد دراسة السيف المنسوب إلى النبي ﷺ من الناحية الأثرية والفنية أنه يتكون من نصل مستقيم ذي حدين يبلغ طوله ١٢٥سم وعرضه في أعرض أجزائه ٤سم، وعرضه في الوسط ٣ سم، وعند طرفه المدبب يبلغ طوله ٠,٧٥ وبفحصه كيميائيًا اتضح أنه مصنوع من الصلب الهندي الذي يتكون من الحديد المعروف باسم magmetite، ويرجح أن يكون من صناعة دمشق، ويمتاز فرند النصل باحتوائه علي تمميش، وتوجد تجويفات حادة في بعض أجزاء النصل نتيجة استعماله في المعارك، ومقبضه بسيط ويتكون من الخشب ومثبت في نهاية النصل بواسطة ثلاثة مسامير، وفي نهاية المقبض توجد الواقية، وهي على شكل صليبي يتجه بطرفيه إلى أسفل، والسيف محفوظ في غمد من الخشب المغلف بغلاف من الجلد الرقيق طبع على طرفه المدبب زخارف وكتابات بماء الذهب، وأسلوب الزخارف والكتابة يؤكد على أنه ليس الغمد القديم، بل إنه مستحدث ويرجع إلى القرن التاسع أو العاشر الهجري، أي انه صنع في العصر المملوكي، وبدراسة أسلوب خط الكتابة المحفورة على أحد جوانب النصل تأكد أنها مشتقة من الخط النبطي أصل الكتابة العربية، مكتوب: «محمد رسول الله ﷺ من سعد بن عبادة»، والأرجح أنه السيف المعروف بالعضب، كان قد أهداه إليه سعد بن عبادة الأنصاري.

مصحفا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان

أما المصحف المنسوب إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه والمحفوظ مع الآثار النبوية المباركة فهو يتكون من ٥٠٤ صفحة من الرق ومكتوب بمداد يميل إلى السواد، أما الخط فهو كوفي بسيط نقطت حروفه بنقط حمراء للشكل وأخرى سوداء للإعجام.

وأما المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فيتكون من ١٠٧٨صفحة ومكتوب بمداد بني داكن، وأسلوب الخط كوفي بسيط، وإن كان أكثر تطورًا من خط المصحف المنسوب إلى سيدنا علي ولكنه خال من النقط الحمراء والسوداء، أما جلده المصحف فإنها جددت في عصر السلطان الغوري، وهو آخر سلاطين الدولة المملوكية.

تراثنا في مصادره المخطوطة

أ.د. مصطفى رجب

من الميسور لكل قارئ معرفة الكتب التراثية المطبوعة باستعراض قوائم المنشورات التي تصدر عن دور النشر المختلفة، كذلك من قوائم المراجع التي ينتهي بها كل كتاب علمي جديد، وكذلك من المصادر التي اهتمت بجمع أسماء الكتب التراثية المطبوعة، ومن أشهرها كتاب فؤاد سزكين «معجم المطبوعات» الصادر عن دار الكتب المصرية من سنة ١٨٦٢ وحتى الآن، وغيرها.

أما التراث الذي ما يزال مخطوطًا فإن معرفته تتطلب الرجوع إلى فهارس المخطوطات التي تمثل مقتنيات بعض المكتبات العامة والخاصة، مثل مكتبة دار الكتب المصرية، ودار الكتب في دولة قطر، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، ومكتبة الملك عبدالعزيز في عدة مدن سعودية، ودار الوثائق في الإمارات العربية المتحدة، فضلا عن المكتبات الجامعية التي تحتفظ لنفسها بالعديد من المخطوطات الأصلية أو المصورة.

ومن أهم تلك القوائم التي يفيد منها المولعون بمعرفة تراثنا المخطوط:

١- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق، وهو يضم مجلدات عدة في تخصصات علمية مختلفة.

٢- فهرست المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة الاسكوريال بإسبانيا، قام بإعداده المستشرق درنبرج ونشر في باريس في ٣٠ جزءا.

٣- فهارس المخطوطات المصورة التي قام بتصويرها معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية، وقد قام بإعداد هذه الفهارس في مجلدات عدة خبير التراث العظيم فؤاد سيد رحمه الله.

٤- الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف، قام بإعداده محمد أسعد طلس ونشرته مديرية الأوقاف في بغداد سنة ١٩٥٣م.

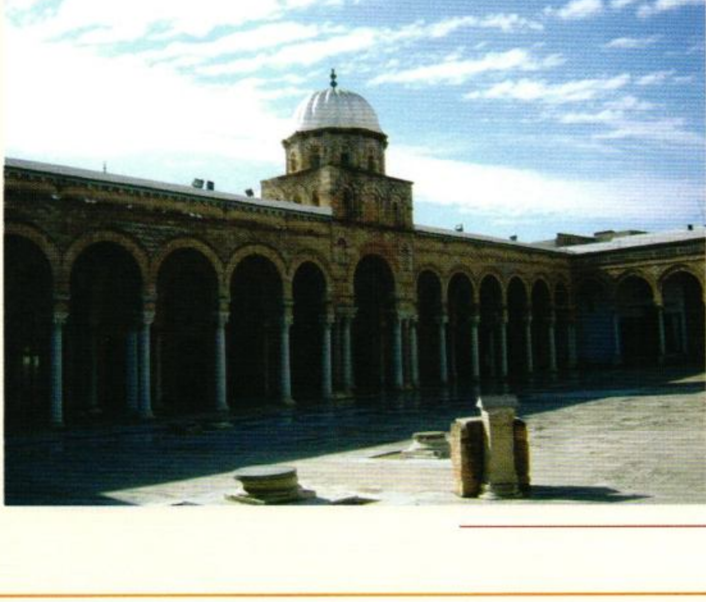
٥- قام د.صلاح الدين المنجد بإعداد مرجعين مهمين في هذا الميدان هما:

أ- فهرست المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس الأميركي، ونشره في بيروت، ومن المعروف أن مكتبة الكونجرس هي أكبر مكتبات العالم.

ب- الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري، وقد نشره معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٠م.

٦- قام ديلافيدا بإعداد فهرس المخطوطات العربية الإسلامية المحفوظة بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا في جزأين.

لا تزال جامعاتنا بحاجة إلى دعم لإنشاء مراكز لتحقيق التراث المخطوط



٧- بالإضافة إلى ماسبق تضم كل جامعة عربية- أو غالبية الجامعات العربية- قسماً للمخطوطات في مكتباتها الرئيسية، ومعظمها لديها قوائم بما تملكه من مخطوطات أصلية أو مصورة، ومن أبرز تلك الأقسام المهتمة بالمخطوطات في الجامعات العربية قسم المخطوطات التابع لعمادة المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية.

ومركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة الذي يصدر مجلة باسمه، صدر عددها الأول في سنة ١٣٩٨هـ.

إن مجرد قراءة تلك القوائم سياحة فكرية عقلية ممتعة، يرى القارئ خلالها حجم ما تركه السلف من كتب في شتى التخصصات، وعلى الرغم من الجهود الطيبة التي بذلت منذ أوائل القرن الحالي في مجال إعادة نشر التراث محققًا ومهذبًا، فإن الأكثرية من كتب التراث ما تزال مجهولة للقارئ العصري، وما تزال مئات الآلاف من مخطوطاتنا موزعة بين الهند وأميركا وتركيا وبريطانيا وهولندا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا، وما تزال جامعاتنا بحاجة إلى مزيد من الدعم المادي والمعنوي لكي ينشأ بكل منها مركز أو مراكز عدة لتحقيق التراث المخطوط.

* باحث أكاديمي

نظرية اعتذار الحضارات

د. أحمد عيساوي *

من خلال القراءة السريعة والمختزلة لأصحاب النظريات المطروحة على الساحة الفكرية، وهي نظرية تصادم الحضارات، ونظرية حوار الحضارات، ونظرية تعارف الحضارات، نتبين الاتجاهات الثلاثة التي افرزتها في الساحة الثقافية والسياسية العالمية، حيث يستحيل التواصل المتكافئ والتفاهم الصحيح، والتعايش السوي، والعيش الكريم للاخر الضعيف والمغاير في ظل هيمنة اصحاب نظرية صدام الحضارات، سواء ممن يتبنون نظرية حوار الحضارات أو تعارف الحضارات.

وعليه يمكن حصر الرؤية وضبطها في النسق المعرفي التالي:

١ -نسق الصراع والهيمنة والغطرسة الصليبي اليهودي.

٢ - نسق الحوار والتنازل.

٣ - نسق التعارف والتواصل الإيجابي.

وفي ظل حالة الانسداد الحاصلة بين أصحاب هذه النظريات، يمكننا وضع لمسات أولية على نسق منهجي جديد، يفضي بنا إلى وضع قراءة علمية لتلاقي الحضارات حول المشترك والراهن والهم والمصير والهدف الانساني العام.

ويتمثل نسقنا النظري في حمل أصحاب كل نظرية للاعتراف بجملة من المبادئ العامة، والاعتقاد بجملة من المسلمات البدهية المشتركة، الضرورية واللازمة لتجاوز التعثر الحاصل بين أصحاب هذه النظريات، وذلك بتقديم القراءة الموضوعية لتاريخ العلاقات بين شعوب وأمم وحضارات المعمورة في القرون الماضية، وتسجيل حيثيات التدافع الذي اكتنف تلك العلاقات الحضارية، دونما تحيز أو تنكر لوقائع ومجريات التدافع.

مبادئ النظرية

وتأمينا من الوقوع في زلل الآنية والانتصار للذاتية وتغليبها على الروح الموضوعية، نقترح الخطوات المنهجية العلمية التالية:

١ - تقديم قراءة تاريخية وصفية موضوعية لعمليات التدافع بين الحضارات القديمة السابقة للميلاد كحضارة الحثيين والكلدانيين والأشوريين والبابليين والفينيقيين.

٢ - تقديم أدبيات وقوانين التعامل بين تلك الشعوب والأمم والحضارات.

٣ - تقييم سنن التدافع وفق معايير تلك الشعوب والحضارات، لا وفق معاييرنا الراهنة.

٤ - تقديم حصيلة علمية تقريبية لعمليات التدافع الحضاري بين تلك الشعوب والحضارات.

٥ - ضبط معايير وقوانين العلاقات الدولية بين الحكومات والشعوب والحضارات، وضرورة الفصل العلمي والمنهجي بين تدافع الشعوب، والدول، والحضارات ضمانا لتحديد المسؤولية المباشرة لكل طرف على حدة.

٦ - تقديم قراءة علمية ومنهجية للعلاقات الدولية السائدة في القرون السبعة الميلادية الأولى، التي شهدت بروز الدين الإسلامي، وعلاقة الممالك والدول بأتباع هذا الدين ومواقفهم منه.



٧ - موقف هذا الدين وتعاليمه النظرية من العلاقة بالآخر، شعوبا ودولا وحضارات، ومدى ايجابيتها أو سلبيتها.

٨ - تقييم الوقائع والحوادث والسجالات التدافعية بينه وبين القوى المسيطرة على شعوب الارض، وموقفه النظري والعملي منها.

٩ - تقييم حالة العالم بعد اقتدار المارد الإسلامي على الاطاحة بجميع الدول، وضم سائر الحضارات وهضمها والاعتراف بها وصهرها في بوتقته المتميزة.

١٠ - تقييم مدى استفادة العالم وشعوبه وحضاراته من سلطان الدولة المسلمة، ومن عطاءات الحضارة العربية الإسلامية.

١١ - تقديم حالة الضرر المتأتية للعالم ولشعوبه ولحضاراته من هذه السيطرة الحضارية العربية الإسلامية.

١٢ - تحميل المسؤولية لكل من ارتكب فظائع وجرائم في حق المقدسات والعمران والبشر الآمنين، بعرض صور تلك الفظائع.

١٣- فتح المجال لتصفح أحداث التاريخ من قبل الدارسين الجادين والموضوعيين، بناء على آثار وحفريات ونقوش ووثائق

* أستاذ الاعلام والفكر في الجزائر

وعهود وكتابات تلك العصور.

١٤- الاستعانة بكتابات الدارسين المنصفين لحقائق التاريخ ولوقائع العلاقات الإنسانية.

١٥- ترك فرصة علمية ومنهجية ونفسية لأصحاب النظريات الثلاث لتقبل نتائج التقييم.

١٦ - ضرورة تقبل تلك النتائج، والالتزام بقبولها لتكون ارضية للتجسير بين سائر حضارات الارض، ولاسيما فيما له علاقة وطيدة بالراهن المصيري المشترك لسكان المعمورة، مع ضرورة احتفاظ كل جنس وعرق بخصوصياته لممارستها ضمن منظومته، والتفتح الإيجابي على الآخرين.

قراءة في منهجية المبادئ

إن عرض مثل هذه المبادئ على أصحاب النظريات الثلاث يعد خطوة علمية ومنهجية تفضي بهم إلى تقديم قراءة مشتركة لها، وستحظى في اعتقادي بالقبول المبدئي، لكونها مبادئ علمية مجردة من جهة ومنهجية عمل موضوعي يفضي الى وضع حد للأزمة الفكرية الحاصلة بين اصحاب هذه النظريات من جهة أخرى، شرط ان يستمر الجميع في الانخراط والحماس لمتابعة النتائج، وألا يتراجع أصحاب نظرية الصراع وينكصوا على أعقابهم في حالة الحصول على نتائج مخالفة لمعتقداتهم وتصوراتهم وآرائهم، ولما أثبتوه في مدوناتهم النظرية على انه هو الاصلح والانسب للفكر وللعمران البشري في العصر الحالي.

وبناء على القراءات العلمية والموضوعية والمنهجية التي يقوم بها اصحاب هذه النظريات المشتركة لوقائع الاحداث وتدافع الحضارات، وباجراء مقارنات وموازنات وتقييمات ومفاضلات عميقة للحقائق التي يتأسس عليها عمران تلك الامم والشعوب، ولتأسيساتها الحضارية ومستوياتها المدنية والمعنوية والعلمية التمكنية، تمكن معرفة الحضارة المنتجة والايجابية والمتفضلة على تطور وتقدم البشرية من الحضارات المستهلكة والمقتاتة من غيرها.

والكم الهائل من الكتابات التاريخية المنصفة التي درست حضارات الأمم القديمة السابقة لميلاد سيدنا المسيح عليه السلام تبين المستوى الحضاري الذي بلغته تلك الأمم والشعوب، كما تبين مستوى الحضارات الغازية والمتغلبة كالحضارة اليونانية يومها بقيادة الاسكندر المقدوني، فاتح ومدمر العالم القديم.

وقد تفضي نتائج القراءة بوضع مقارنات رقمية ومبدئية وقيمية معا لحالات التدافع بين أمم وشعوب حضارات العالم القديم، عبر بوابات الفتح الإسلامي للعالم ودوافعه في القرن الهجري الأول، السابع الميلادي، وعلاقته الوطيدة بنشر مبادئه من جهة، وحاجة الأمم والحضارات الماسة له ولمبادئه، الأمر الذي ادى لوقوع التصادم مع الكيانات الحاكمة التي كانت تتسم بظلم رعاياها الذين انقلبوا عليها، وصاروا اتباعا حقيقيين للدين الإسلامي، تمهيدا لانخراطهم النوعي والكثيف في

هل يعترف الغرب بأن المسلمين أصحاب حضارة كان لها الفضل في إنارة العالم؟

الحضارة الإسلامية التي بنوها بسواعدهم وعقولهم.

والحقيقة التي يجب ان نصارح بها أنفسنا ان العرب المسلمين خرجوا من الجزيرة العربية يحملون معهم دين الحضارة وضمير القابلية للتحضر، ولم يكن معهم من وسائل المدنية شيء مهم يستحق الذكر امام ما عند الفرس والروم وغيرهم، فوجدوا عند الشعوب والأمم المستضعفة من قبل الطغم الحاكمة كل أسباب المدنية، فزاوجوا وارتقوا بقابليتهم الحضارية مع المستوى المدني الرفيع لتلك الأمم، التي كانت بحاجة لتلك الجرعات المعنوية والأدبية من العدل والمساواة والصفح والاخاء والطمأنينة والأمن والتسامح والتدين الصحيح، فنبتت شجرة الحضارة العربية الاسلامية في سائر العالم القديم، ولم يكد يمضي قرن على الفتح الاسلامي للعالم القديم حتى صار الدين الإسلامي تقوم بحفظه ودراسته وتدوينه وتعليمه ونشره أمم وشعوب الارض المفتوحة، حيث كان يقابل كل عشرة علماء من الأعاجم عربي واحد، او لا يكاد يكون، وصارت اللغة العربية أداة طيعة بيد الفرس والروم والديلم والترك، وبزوا بها الشعراء العرب.

وسلم العرب لواء الحياة الثقافية والعلمية واللغوية والأدبية والتربوية والفنية، للعلماء الأعاجم، بل ان الخلفاء أنفسهم صاروا من تلاميذهم، ووضعوا مصير صحتهم وأجسادهم وعلاجهم بيد الأعاجم، فضلا عن وصولهم درجات الوزارة والرئاسة والحكم والحجابة والكتابة والوصاية، وذلك بفضل انفتاح المنظومة الحضارية الإسلامية على سائر شعوب وحضارات الأرض عبر الزواج والمصاهرة والتجاور في السكني والتأثير والتأثر وعلاقات العمران البشري.. على حد ما ذهب إليه الكثير من الدراسين المنصفين الذين يجرون الكثير من المقارنات على المستويين الأدبي والمادي لحضارات وثقافات الآخر.

وقد تفضل بوضع مثل هذه الخلاقات العلمية علماء ومؤرخون ودارسون محايدون، أمثال «غوستاف لوبون» في كتابه الشهير «حضارة العرب»، و«زيغريد هونكة» في كتابها الشهير «شمس الله تسطع على الغرب»، و«روجييه غارودي» وسلسلة كتبه الشهيرة عن «حقيقة إسرائيل والصهيونية» و«حفارو القبور» و «الإرهاب الغربي»، وغيرهم من المنصفين، ممن قدموا نماذج مقارنة بين الحضارتين العربية الإسلامية واليهودية الصليبية في العلاقات بين دولة العباسيين والغاليين بفرنسا، عهد هارون الرشيد وشارلكان، ووصفهم لحالة وصحة ونظافة رسله لهارون الرشيد، حيث كانت لعادة في الحضارة الغربية ترك الاغتسال لسنين أو لشهور عديدة، أو عن حالات الفزع والرعب التي ملأت بلاط شارلكان وهو يرى الساعة التي قدمها له هارون الرشيد هدية.

ولكن السؤال المركزي المتكرر،

هل يقبل الغرب بهذا أم يرفضه؟ وهل يرضى بأن يعترف بأننا أصحاب حضارة كان لها الفضل في إنارة العالم لقرون طويلة؟ أم سيصر على معصيته وغيه في التنكر لنا؟ وهل سيعترف بديننا الإسلامي الذي أثبتت حقائق العلم والكشوفات أنه صحيح وصائب ولا تناقض فيه؟ وهو من عند الله سبحانه وتعالى، لا من عند محمد ﷺ.

وهل سيعترف بجرائمه في الحروب الصليبية في الشرق (١٠٩٥ - ١٢٩١م) وفي الأندلس (١٠٨٨- ١٤٩٢م) وفي حرب الثلثمائة سنة (١٤٩٢ - ١٧٩٢م) على ساحل جنوبي البحر الأبيض المتوسط؟ وهل سيعترف بأكاذيبه وخداعه لحقائق التاريخ، عن اكتشاف العالم القديم، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح؟ وهل سيعترف بجرائمه تجاه عبيد افريقيا؟ وهل سيعترف بجرائمه الاستعمارية البشعة التي بدأت مع الكشوفات الاستعمارية وانتهت بعد تحقيق الاستقلال الشكلي في النصف الثاني من القرن العشرين؟ وهل سيعترف بجرائمه التي لم تنته الى اليوم في حق الانسانية؟ كظواهر الاحتباس الحراري، وتوسع ثقب الأوزون، ودفن النفايات النووية في البلاد الضعيفة، وتلويث البيئة والبحار، وتجارة الأسلحة، وتبييض الأموال، وبيع المخدرات، والتجارة بالرقيق الأبيض، وبالأعضاء البشرية، ونشر الاباحية، وتعميق ثقافة الفجور والفسق والإلحاد؟ وهل سيعترف بدعم الأنظمة الدكتاتورية بتسلطها الأرعن على الشعوب العربية والإسلامية؟ هل سيعترف بالمآسي التي سببها لدعم اليهود لاحتلال فلسطين وطرد شعبها العربي المسلم منها؟ هل سيعترف بنهب ثروات الشعوب الضعيفة؟



إننا في عرضنا لكل هذا لسنا في موضع اتهام للآخر، كما اننا لسنا في موضع دفاع مسبق أمام الآخر، ولكننا نمتلك بأيدينا الكثير من الحقائق التي تعزز موقفنا، وتؤيد نظرتنا العادلة، ولنفترض جدلا أننا استطعنا تجميع المئات والآلاف من الاعترافات والشهادات الصحيحة والصادقة عن فضل حضارة العرب والمسلمين وفضل دينهم على أمم وشعوب وحضارات الأرض، هل سيكون كافيا لردع صاحب الغي عن غيه، وإرجاع الفضل لأصحابه، ولو باعتراف الآخر به أدبيا ومعنويا وأخلاقيا وحضاريا. هذا ما لا أعتقده ألبتة بحكم معرفتي وخبرتي بالصلف المرضي الذي يحياه الغرب.

والخلاصة

وفي ظل حالة الانسداد الفكري الراهنة مع الغرب، وانعدام ثقافة الاعتراف بخطايا الذات التاريخية لدى النخب والطليعة الغربية، وغياب أدبيات الاحترام والاعتراف بحق الآخر في عرض وجهة نظره العادلة، نتساءل أخيرا من سيعترف بمن ومن سيصالح من؟ ومن يعتذر ممن؟ نحن أم أصحاب نظرية الصراع الدامي.

وهل المطلوب منا اليوم أن نتحمل أخطاء غيرنا النائمة في أحضان التاريخ، وحمل أوزارهم مع أوزارنا العديدة، إذ إن من مبادئنا نحن المسلمين مبدأ تحديد المسؤولية الشخصية لاستحقاق الثواب أو العقاب، فقد زخر القرآن الكريم بمبادئ ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: ك١٦٤)، و﴿تلك أمة قد خلت لها كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (البقرة: ١٤١) غير ان الغرب لما فشل في تحقيق نظرياته على أرضية الواقع بقوة الحديد والنار والمال والاقتصاد والثقافة والإعلام، لجأ لحيلة تحديد الخطيئة وتحميل الأوزار، انطلاقا من تخبطاته العقدية عن نظرية الفداء الإلهي الكاذب، التي يحتمي بها، ويبتز بها الآخر ابتزازا سخيفا، وذلك بهدف وضع العرب والمسلمين في موضع المسؤولية التاريخية عن كل ما وقع من مآس للانسانية، ما دام قد وجد أساطنة الفكر الغربي ملجأهم الكنسي الأسطوري ليختفوا وراء عباءة الرب الذي قدم ابنه فداء لما اقترفوه وما يقترفونه وما سيقترفونه من جرائم في حق الإنسانية عموما، والعرب والمسلمين خصوصا، آملين بهذا الطرح الأسطوري حرمان العرب والمسلمين من فسحة للراحة والطمأنينة والتنمية، التي ستوفر لهم مقومات الاقلاع الحضاري الشاملة، في توليفة أسطورية عجيبة يلجأون إليها في حال تجميع أدوات الغلبة والتمكن من رقاب الآخر، حيث يسمح لهم بركوب مطايا الأسطورة والغيب الكاذب، وحرمان الآخر من الغيب الصادق الذي لا مراء فيه.

ولكن أما آن لأصحاب هذه النظرية أن يضعوا حدا لأفكار الدماء الزاحفة على الأرض، وثقافة القتل والتهتيك العشوائية، وروح الاغتصاب والعنف الدموية... تلك هي المشكلة الأخلاقية التي يعانون منها، والتي نتحمل نحن العرب والمسلمين أوزارها الباهظة، وفي انتظار عودة وعيهم، وتحقق رشدهم، ماذا يجب علينا أن نفعله؟ سؤال موجه لكم، ولأولي الأمر، وللنخب الطليعية في الأمة، تحت أي نظرية ننطوي؟ وهل يقبل الآخر عرضنا بطرح نظرية الاعتذار؟ أم يرفضها كعادته؟

وفي انتظار كل هذا وذاك، وفي ظل الصمت والتراخي العربي والإسلامي الرسمي والشعبي نبرأ إلى الله من هؤلاء، ولنعول على سواعدنا المؤمنة لتفتيق أمل النجاة في القلوب والنفوس الطليعية المؤمنة، ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾(الحج:٤٠).

الشيخ د. عدنان النحوي:

الإعلام يعبر عن واقع المسلمين هوانًا وتمزقًا

حوار: بسام الطعان

أكد د. عدنان النحوي أن نهج مدرسة «لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن» ينقذ المسلم من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، ويحدد مسؤوليات المؤمن في هذه الحياة.

وأوضح أن الأمة اليوم تعاني من ضعف العلم وضعف الإيمان مبيناً أن الإسلام الحق ليس إسلام التنازلات. «الوعي الإسلامي» أجرت حوارًا مع فضيلته حول أمور تهم العرب والمسلمين، وإليكم نص الحوار:



■ بداية نود أن نسألكم عن سبب الهجوم على الإسلام والمسلمين من قبل الغرب، هل هو حقد أعمى؟ ومن السبب في ذلك، نحن أم هم؟

- إن سبب هجوم الغرب النصراني واليهودي على الإسلام والمسلمين، هو أن هذا الإسلام وقف سدا منيعا أمام أطماع تلك الدول، التي أصبحت علمانية، في ثروات الأرض ونهبها في جشع لا يقف عند حد. يمكنهم أن يساوموا الاشتراكية وأي مذاهب أخرى، يتنازل هؤلاء وهؤلاء حتى يصلوا إلى موقف وسط حسب اعتبارهم، أما الإسلام الحق، وليس إسلام التنازلات، فإنه لا يساوم على حق ولا يتنازل عن حق، وهذه الدول، ولو أن جذورها نصرانية أو يهودية لكنها أخذت من ذلك شكلا تتاجر به، وانقلبت لتعبد مصالحها من دون الله، فبعد أن درسوا علاقاتهم التاريخية مع الإسلام، وجدوا أن الحل لتأمين مصالحهم وأطماعهم وعدوانهم ونهب ثرواتنا هو إزاحة الإسلام من طريقهم، فرسموا خطة كاملة من أجل ذلك تشمل الغزو الفكري، وإفساد الخلق، والغزو العسكري، ونفذوا ذلك بمهارة حتى الآن، وجعلوا من دولة اليهود قاعدة رئيسية في العالم الإسلامي لتنفيذ مخططاتهم، وهم ماضون في مخططاتهم التي وجهت ضربة قاسية جدا بالقضاء على الخلافة الإسلامية.

السبب في ذلك هو أنهم -أولاً- المجرمون المعتدون، وثانيا نتحمل نحن المسلمين التبعية لأننا قصرنا وانحرفنا وتمزقنا.

■ ما مهمة المسلم في هذه الحياة وما دوره فيها؟ هل عليه أن يكتفي بالعبادة وإقامة الشعائر الدينية فقط أم عليه أيضا أن يدافع عن الإسلام بكل الوسائل؟

- مهمة المسلم في الحياة الدنيا أوجزها كتاب الله في أربعة مصطلحات: العبادة، الأمانة، العمارة، الخلافة، وهذه كلها تجتمع في تحقيق خطوة رئيسية ومهمة أساسية وهي تبليغ رسالة الله كما أُنزلتْ على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا. لا تقف مهمة المسلم عند الشعائر فحسب إنما تمتد من الشعائر إلى دراسة منهاج الله وتدبره، قرآنا وسنة ولغة عربية، صحبة منهجية صحبة عمر وحياة، ومن هذه الدراسة ينطلق لتبليغ دين الله، والجهاد في سبيل الله من أجل ذلك، وتنطلق سائر التكاليف قائمة على الدعوة والبلاغ والتعهد وإنقاذ البشرية من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة.

■ من المؤسف أن الحملات المغرضة مستمرة على الإسلام والمسلمين، وبكل الوسائل من أوكار الحقد المنتشرة في أوروبا وأميركا، وهي تحاول تشويه صورة الإسلام ونبينا الكريم وشريعته الغراء، كيف يواجه المسلمون تلك الحملات المسيئة؟

- أولا: بإتقان تدبر منهاج الله، ثم الدعوة والبلاغ، ثم توافر نهج حق ومنهج مدروس نابع من الكتاب والسنة ومدرسة النبوة الخاتمة، يلتقي عليه المؤمنون، وقد قدمت هذا النهج بكامل تفصيلاته.. ولكن مع بقاء المسلمين ممزقين والجهود متناثرة، فلا مجال لتحقيق رد حاسم تحمله هيبة الإسلام العظيم والأمة المسلمة الواحدة.

■ لماذا يتخذ بعض المسلمين موقف اللامبالاة من الهجمات المستعرة على مقدساتنا الإسلامية؟

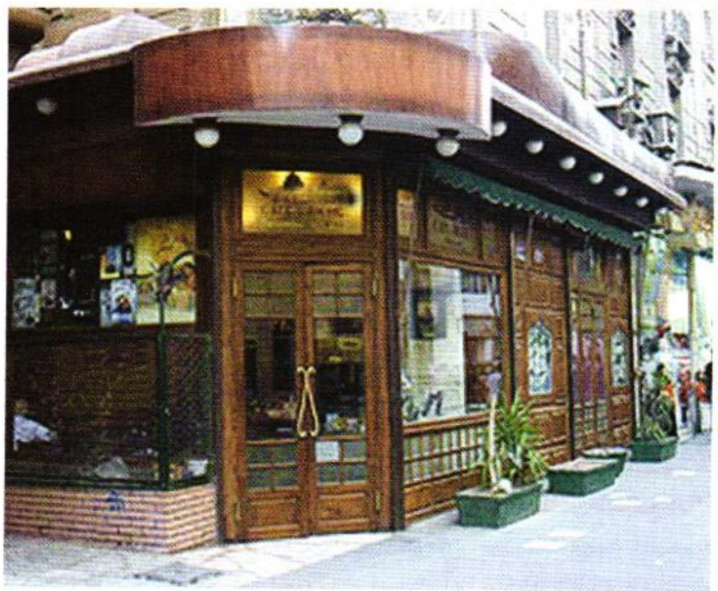
- إنهم لا يستطيعون أن يردوا الرد المناسب لأنهم ممزقون شيعا وأحزابا، تمزقا أضاع ريحهم وقوتهم، ولأن الكثيرين لا يلتزمون الإسلام حق الالتزام، مع ضعف العلم وضعف الإيمان، ومقاطعة البضائع مع مجدية، لأنها عمليا لا تُلتزم، والرد الحقيقي الخطة الشاملة والنهج الدقيق.

■ كل الدول الغربية تدافع عن بعضها البعض سواء كانت على حق أو على باطل، بينما الدول العربية والإسلامية لا تدافع حتى عن نفسها، ما السبب؟ هل هذه الدول ضعيفة جدا ولا تملك مقومات الدفاع؟

- نعم! هم أضعف مما تتصور، ولم تعد القوة كما أمر الله، والأسباب السابق ذكرها تجعلهم غير قادرين على الرد الحاسم. لابد من إزالة أسباب الوهن والضعف.

مقاهي زمان.. سياسة وأدب وثقافة.. واليوم تسلية غير بريئة

فاروق الدسوقي



«مقاهي زمان» كانت منتديات سياسية وثقافية وأدبية وعلمية، وأماكن للاجتماعات الجماهيرية، وقد ارتبطت بأسماء شخصيات شهيرة مثل جمال الدين الأفغاني، والإمام محمد عبده، وسعد زغلول، وعباس العقاد، ونجيب محفوظ، وحافظ إبراهيم، والشيخ عبدالعزيز البشري وغيرهم من الشخصيات التي شاركت في صناعة التاريخ وتغيير وجه الحياة في عصرها أما «مقاهي اليوم» فقد تضاعفت أعدادها عشرات المرات، إلا أن روادها أصبحوا من الشباب والفتيات الراغبين في «الفرفشة» وقتل الوقت وتدخين الشيشة غير البريئة.

فكيف فَقَد المقهى دوره التنويري التاريخي؟ وهل انسحب رواد الحركة الثقافية والأدبية والفنية تاركين المقاهي للغزاة الجدد من رواد الشيشة؟ وكيف السبيل لاستعادة «مقاهي زمان» وحماية الشباب من الآفات الاجتماعية والصحية والاقتصادية لمقاهي اليوم.

أدباء وعلماء اجتماع وأطباء وأساتذة جامعات رصدوا جوانب مهمة من هذه القضية، وأكدوا أن وجود البديل العصري المتمثل في الاتيليهات والنوادي الأدبية والثقافية واتحادات الكتّاب والنقابات المهنية وراء تقلص الدور الثقافي التنويري لمقاهي زمان.

وأشاروا إلى أن التزايد الكبير في أعداد «مقاهي اليوم» يرجع إلى الرغبة في الربح السريع والمضمون، وأن اقتصار دورها على التسلية وتدخين الشيشة يمثل ظاهرة اجتماعية سلبية وضارة لروادها الجدد من الشباب والفتيات، خاصة المراهقين.. وفي التحقيق التالي المزيد من الآراء:

في البداية يؤكد الروائي المصري الشهير محمد البساطي أن اختفاء الجماعات الأدبية أو الثقافية من المقاهي بصورتها القديمة في «مقاهي زمان» قد يبدو أمرا طبيعيا، إذا أدركنا أن الزمن تغير، وأن أمورا جدّت في مجتمع اليوم لم تكن موجودة قديما.

ويقول البساطي: فيما مضى لم يكن هناك مكان مخصص للمثقفين لا يدخله غيرهم، وتتاح لهم فيه فرصة تناول شؤون الثقافة والأدب والسياسة بحرية، وقد سعينا كثيرا في الستينيات لإيجاد مكان للمثقفين، فلم يكن متاحا إلا بعض المقاهي التي اكتسبت شهرتها فيما بعد من ارتباط بعض الأدباء والمثقفين والفنانين بها.

ويعود البساطي- الحاصل على جائزة العويس في الإبداع الروائي والقصصي- بالذاكرة للوراء قائلا: عندما حضرت من بلدتي «الجمالية» المُطلّة على بحيرة المَنزَلة بشَمال مَصر إلى القاهرة كنت أسأل عن نجيب محفوظ، وعرفت أنه يلتقي مع مجموعة من الأدباء في «كازينو صفية حلمي» ومنهم علي أحمد باكثير، وآخرون، وظللنا نلتقي هناك عدة أسابيع في جلسات متنوعة الموضوعات ما بين سياسية وأدبية وثقافية.

وأذكر أننا في الستينيات كنا ننتقل بين مقهيين على مدار اليوم الواحد، فقد كنا نخرج من جريدة «المساء» بوسط القاهرة- وكانت تضم وقتها عددا من الأدباء- إلى مقهى «الريحاني» بشارع عدلي بوسط القاهرة أيضا، في جلسة أدبية نستمع فيها إلى بعض أبيات من قصيدة جديدة، أو جزء من قصة أو رواية انتهى منها كاتب من المجموعة.

بيت أدباء الستينيات

ويمضي الأديب الكبير محمد البساطي قائلا: كنا نلتقي يوميا في «مقهى ريش» الذي كان بحق بيت جيل الستينيات من الأدباء والمثقفين، وكان نجيب محفوظ ينضم إلينا كل يوم جمعة فيما يمكن اعتباره ندوة أو منتدى أدبيا ثقافيا.

ولم يكن هذا المنتدى يطغى على طبيعة المقهى، فقد كنا نشغل جزءا منه، بينما يستمر روّاد المقهى من غير الأدباء والمثقفين في شغل وقت فراغهم بالصورة المعتادة.

وينتقل الروائي محمد البساطي إلى الحاضر مؤكدا أنه من أهم المستجدات التي ساعدت على اختفاء «مقاهي زمان» وجود أماكن خاصة ومتخصصة يلتقي فيها الأدباء والمثقفون، ومنها على سبيل المثال «الاتيليهات» والمجلس الأعلى للثقافة والنقابات واتحاد الكتاب، وغير ذلك من الأماكن التي تجمع الكتاب والأدباء والمثقفين، إضافة إلى انشغال كثيرين من المثقفين بقضاياهم ومشكلاتهم الحياتية التي اختلفت كثيرا عما كانت عليه الأوضاع في الماضي.

ويقول: لا أستبعد أن تعود الجماعات الأدبية للظهور

* صحافي في جريدة المصري اليوم

من جديد بالمقاهي والأندية، خاصة أجيال الشباب، نظرا لتزايد المشكلات العصرية التي تجذب اهتمامات جموع الأدباء والمثقفين، لكن هذا قد يستغرق بعض الوقت.

وأعتقد أن إقبال الأجيال الجديدة على ارتياد المقاهي في هذه الآونة للتسلية وشرب الشيشة وممارسة بعض الألعاب إنما هو- في أحد أوجهه- ممارسة طبيعية للحرية، وربما تحدث سلبيات، وهذا واقع، لكن هذا لن يستمر طويلا، فالزمن كفيل بتصحيح أخطاء الشباب التي يقعون فيها في مرحلة مبكرة من شبابهم، ثم سرعان ما يكتشفون الصواب فيعودون إليه.

ظاهرة خطيرة

وعلى العكس من رؤية البساطي المتفائلة تجاه ارتياد الشباب من الجنسين المقاهي للتسالي وتدخين الشيشة، تطلق أستاذة علم الاجتماع والعميدة السابقة لكلية الدراسات الإنسانية والاجتماعية بجامعة الأزهر الدكتورة سامية الجندي صيحات التحذير من تلك «الظاهرة الاجتماعية السيئة والخطيرة».

وقالت: إن تفشي المقاهي بهذه الأعداد الكبيرة، وتركها للمراهقين من الجنسين دون ضوابط أديا إلى إهمالهم مدارسهم وكلياتهم، ما خلق مشكلة اجتماعية تتجاوز نتائجها السلبية هؤلاء الشباب لتضر الأسرة والمجتمع، خاصة أن تلك المقاهي تبحث عن الربح السريع والمضمون، ولا يهمها شيء آخر.

وحذرت من أن الإقبال على تدخين الشيشة في هذه السن الصغيرة، بدافع حب التقليد قد يقود بعضهم إلى إدمان المخدرات، باعتبار التدخين هو البوابة التي يدخل منها الشاب أو الشابة إلى براثن السموم المخدرة.

الرغبة في الربح السريع والمضمون وراء تفشي مقاهي اليوم واجتذاب روادها من المراهقين

ودعت الجندي إلى تكثيف جهود مختلف المؤسسات المعنية بالشباب، لتقديم المزيد من الرعاية التي تضمن تنشئة سوية لهم، ومن ذلك استيعاب أعداد كبيرة منهم في أماكن تحت سمع وبصر وعناية الدولة، مثل الأندية الرياضية، ومراكز الشباب وغيرها.

وشددت على أهمية دور الأسرة في متابعة أبنائها وتوجيههم وتشجيعهم على تنمية مواهبهم الأدبية والرياضية والفنية، لامتصاص وقت الفراغ لدى الشباب، وعدم تركهم فريسة سهلة لعادات اجتماعية سيئة تجرهم إلى ممارسات معيبة تمثل خطرا حقيقيا على مستقبلهم.

ارتفاع نسبة «البطالة»

وأضافت الجندي أنه إذا كانت الأسرة يقع على عاتقها الدور المحوري في ضبط وتوجيه سلوك أبنائها، فإن دور المدرسة لا يقل أهمية عن دور الأسرة، فلابد من تدعيم جهود المؤسسات التعليمية في تيسير الأنشطة المختلفة للشباب، خاصة أن التعليم ليس الأمر الوحيد اللازم للنجاح في الحياة، وإنما هناك أمور عدة تتكامل ليُصبح «الذكاء الاجتماعي» هو العامل الأهم في النجاح.

وأشارت إلى أهمية الاستفادة بجهود وسائل الإعلام المختلفة، خاصة الدراما الإذاعية والتلفزيونية في الأخذ بأيدي الشباب بعيدا عن الظواهر الاجتماعية السلبية، أو التي تهدد بمخاطر آنية أو مستقبلية.

وحذرت من أن بعض الأعمال الدرامية لا يزال يقع في خطأ يُمكن تسميته «تجميل» بعض الظواهر الاجتماعية السلبية، بتقديم بعض الشخصيات المحورية في العمل الدرامي بصورة تجذب بعض الشباب والشابات لمحاكاتها على الرغم من السلبيات التي تلازمها طوال العمل.

وأكدت الجندي أهمية الدور الذي يُمكن أن تؤديه دور العبادة في بناء الأجيال الجديدة وتحصينها في مواجهة مخاطر مثل هذه الظواهر الاجتماعية السيئة.

وتوقفت أمام قضية مهمة بقولها: «لا يخفى على منصف أن ارتفاع نسبة البطالة بين الشباب يُشجع على تنامي مثل هذه الظواهر الاجتماعية التي تحتاج إلى مواجهة جادة من مختلف المؤسسات المعنية برعاية الشباب الذي يمثلون بحق حاضر الأمة ومستقبلها».

وشدَّد أستاذ الحاسبات بكلية الهندسة بجامعه الأزهر الدكتور محمد يونس الحملاوي على ضرورة بعث الولاء وتنمية الانتماء للوطن في نفوس الشباب من الجنسين، حتى نأخذ بأيديهم إلى مشروعات وأعمال تخدم ذلك الوطن وتسهم في رقيه وتقدمه ونهضته.

وقال: لا يجوز بأي حال من الأحوال ترك الشباب فريسة للظواهر الاجتماعية السلبية التي تتشكل وتنمو في غياب القيم الصحيحة، ومنها ظاهرة إقبال المراهقين من الجنسين على المقاهي لقتل الوقت بألعاب التسلية، وتدخين الشيشة التي تجلب الكثير من الأضرار الاجتماعية والاقتصادية والصحية والبيئية، ولا يخفى أن «مقاهي اليوم» اختلفت في صورتها وكثير من طبيعتها عن مقاهي الأمس التي كانت محل اهتمام كثيرين من الأدباء والمفكرين والمثقفين بل ورموز الحركة الوطنية.

وأضاف: إننا مطالبون اليوم بتكثيف الجهود من خلال مؤسسات: الأسرة والتعليم والإعلام والثقافة لإقناع الشباب بأن جهودهم وأوقاتهم تمثل في حقيقتها «ثروة قومية» لا ينبغي بأي حال أن يهدروها في التسلية على المقاهي، أو في ممارسات تضرهم.. ويجب أن يشعر الشباب بقيمة هويته، وأهمية انتمائه لوطنه، وأن إهدار وقته وصحته وقدراته في أمور لا يستفيد منها يمثل جريمة في حق نفسه ووطنه، وينبغي أن نأخذ بأيدي الشباب حتى يدرك أن مثل هذه الظواهر الاجتماعية السلبية تجعل قدراته الإبداعية ومشاركته في النهوض بوطنه تتسرب مع الوقت من بين يديه من دون أن يستفيد أو يُفيد الآخرين منها.

وأشار الحملاوي إلى أن شعور الشباب في هذه السن الصغيرة بأهمية دوره في بناء مجتمعه، وأن وطنه في حاجة لمشاركته يشجعه على الانخراط في أعمال بناءة ومفيدة.

وعاد الحملاوي للتشديد من جديد على حقيقة أن الأسرة والمدرسة تلعبان الدور الأعظم في تنمية الولاء والانتماء لدى الشباب، وتأكيد أنهم ثروة قومية لا يجوز بحال من الأحوال تضييعها في التسلية.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

النقد الإيجابي

يعاني الحراك المجتمعي غياب العديد من الثقافات القيمية التي تساهم في ترسيخ الحوار الهادف والطرح البناء ، ولعل النقد الإيجابي أساس هذه الثقافات.

فالرجل الصالح كما هو معلوم أساس أي نجاح على هذه البسيطة، ولكن أين هذا الرجل في ظل غياب الوعي لبعض الثقافات المهمة والضرورية في عصرنا الحالي، لاسيما ثقافة النقد الايجابي؟

فمن المسلَّمات أن النقد الايجابي يعتبر أمرا حيويا لتقويم الخلل والأخطاء أيًا كان موقعها، ويعتبر وسيلة فعالة ومؤثرة للتقويم وتصحيح المسار في كل ما يتصل بقضايا المجتمع.

ولكن النقد الإيجابي بات عملة نادرة في هذا العصر لغياب الآليات الصحيحة لاستخدامه، فقد يستغرق الإنسان عمرًا طويلًا لكي يجد شخصًا يقدم له نقدًا إيجابيًا، كما أن النقد الإيجابي ليس الثناء والمديح ولكنه بذل جهد لوصف العمل وذكر سلبياته وإيجابياته بوجه منضبط.

ولعل النقد المطلوب يكون من أجل المعالجة والتصحيح، وليس من أجل إشباع الأهواء النفسية ومسايرة الأمراض القلبية، خاصة أن هناك عقولا تفكر وتبدع، وأيادي تبني وتعمر، وبالتالي لا نريد معاول تهدم.

والمنطق يفرض أن النقد يكون حول فكرة موضوعية يمكن قياسها، دونما الدخول إلى النيات والمقاصد، ولإيجاد نقاط تواصل لابد أن يكون النقد حول نقطة جوهرية واضحة ويكون البناء عليها تأصيلًا وتفريعًا.

وفرق كبير بين أن تنتقد وأنت تحب وتطمح، وبين أن تنتقد وأنت تكره وتطمع، وفرق كبير بين أن تنتقد الآخرين، وبين أن تنتقد نفسك والآخرين، ذلك أنّ من يهوى نقد الآخرين والغير ولا يفكر في نقد الذات، فقد حكم على نفسه بالتخلف. والناقد الصادق يوجه نقده إلى صاحب العمل لتطويره من دون تدميره، ومن السهل جدًا انتقاد الآخرين واكتشاف الأخطاء وإبرازها، ولكن من الصعوبة بمكان إكمال البناء وإتمام النقص وسد الثغرات.

والناقد البنّاء لا يتعسف في عباراته ولا يغلظ في أقواله، بل ينتقي أعذب الألفاظ وأحسنها، فيكون على درجة من التواضع والاحترام للآخرين، واحتمال أن يكون الصواب مع الآخرين، فالحق لن يقبل إذا كان مصحوبًا بالتعالي والازدراء، فالكل يظن أنه يملك الحقيقة.

وهناك من ينتقد نفسه ليكتشف خطأه بنفسه، ويحاسب نفسه بنفسه، بكثرة المراجعة والتحري واكتشاف الخطأ، ومن ثم إشهار الرجوع عن هذا الخطأ والاعتذار عنه، وهناك نقد من الغير؛ بمعنى أن يكون النقد من جهة أخرى، سواء أكان سرًا أم علانية.

ويوضح بعض المفكرين أن الإنسان بطبيعته يحب المدح ويكره الذم، وذلك لأن الذم فيه نسبة الخطأ إليه، والخطأ مكروه فطرة، فكل إنسان بفطرته يكره أن يخطئ، ويحب أن يصيب دائمًا، ولكن الخطأ مكتوب على الإنسان لا محالة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" (رواه الترمذي)، فمادمت لا يمكن أن تنفك عن الخطأ، فإن المؤمن يفضّل أن يكاشف بالخطأ ويبيَّن له، وهذا أحب إليه من السكوت الذي تكون عاقبته (أو عقوبته) سوءًا عليه في الدنيا والآخرة.

هذا بالإضافة إلى أن كثيرا من الناس يخافون من النقد؛ لأنهم يعدّون النقد نوعًا من التنقص والبحث عن العيوب، وأنه لا يصدر إلا من حاسد أو حاقد، وهذا المفهوم يجب تغييره، ليفهم الناس أن الذي ينتقدك هو من يحبك؛ لأن صديقك من صدَقك لا من صدَّقك، فما أجمل أن يقول الإنسان: أنا أخطأت، وأسأل الله أن يغفر لي ويتوب عليّ! لكن أن يقع في الخطأ ثم يقول: هذا أمر لا أرى فيه شيئًا؛ لأن فلانًا في القرن السابع قال كذا، وفلانًا في القرن العاشر قال كذا، والعالم المعاصر قال كذا وكذا! ليبحث عن الخطأ ويحوله إلى صواب، فهذا مسلك غير مقبول.

لذا ينبغي الأخذ في الاعتبار بشرعية النقد الايجابي في منظومتنا المجتمعية لكشف الأخطاء وسرعة علاجها باعتباره الكشف الطبي المتواصل الذي يكتشف المرض بسرعة، وبالتالي يعالج الداء قبل أن يستفحل، ويصل إلى مرحلة الخطر أو فقدان الأمل في العلاج.. والله ولي التوفيق.

لغة وأدب

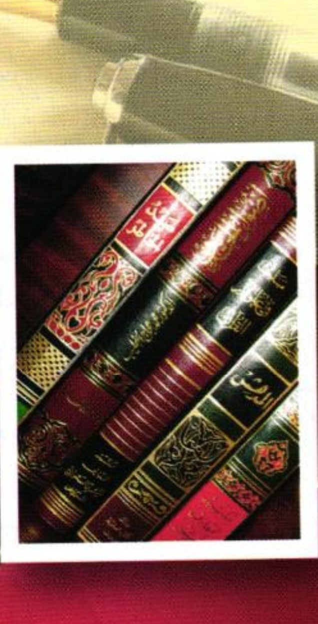
الحيادية في النقد

على الناقد المتخذ من الموضوعية منهاجًا أن يتجرد من كل ما من شأنه أن يؤثر في أحكامه سلبا أو إيجابا، كي لا يقع في انحياز لقريب، ولا في جور على خصم، فكلاهما منبوذ منهي عنه في كتاب الله سبحانه وتعالى، يقول عز من قائل ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين...﴾ (النساء: ١٣٥). وليس من إطراء على غير مستحق إلا حطًا من قدر فاعله، ولا من هجاء لمجيد إلا نقصا من مكانة قائله، فضلا عن كونه دربا من دروب قول الزور، وكتمان الشهادة.

وإعلاء منزلة عمل، أدبيا كان أوغير أدبي، على حساب التهوين من قيمة آخر هو في الحقيقة قدح فيه لا مدح، إذ ينطوي على إشارة إلى أن هذا العمل لا يملك من مقومات الإجادة ما يرفعه، فهو لا يسمو إلا بانتقاص غيره.

ولا يدفعن الإنسانَ إلى سلك هذا المسلك أن مضى فيه خصمه واتخذه لنفسه في أحكامه سبيلا، فما يشن من هجمات على الأدب العربي، من قبل أبناء الغرب تارة، وأبناء جلدتنا تارات أُخَر، لانتقاص قدره والتهوين من شأن رموزه غير مضار له في شيء، بل ربما يزيده بريقا، وهو كذلك لن يكون دافعًا لامتطاء صهوة ذلك الجواد المريض الذي يمتطيه الخصم في النقد، أو هكذا ينبغي أن يكون.

المحرر





الشاعر السعودي محمد الجلواح لـ «الوعي الاسلامي»:

أدبنا الإسلامي صاحب مرتكزات لصد رياح العولمة

حوار: أحمد أبوزيد



الأديب والشاعر السعودي محمد الجلواح، شاعر أحسائي متميز، عرف شعره بشكواه وأنينه ووطنيته، وهو واحد من الشعراء الذين علا نجمهم في سماء الأدب العربي المعاصر، لما يتميز به من قوة اللفظ وجزالته وخفة الظل والروح المرحة التي تضفي على قصائده رونقا، وقد عرف على الساحة الثقافية السعودية بصداقاته الواسعة، وامتهن الكتابة الصحافية لزمن طويل، وساهم في العمل الإعلامي المرئي، وتحدث في كثير من الأمسيات والندوات والمؤتمرات الثقافية والشعرية، وله حضور بارز في الوسط الأدبي والثقافي.

«الوعي الإسلامي» أجرت حوارا مع الجلواح حول قضايا الأدب الإسلامي وموقفه من مستجدات العصر.. واليكم نص الحوار:

■ الأدب الإسلامي والآخر من الموضوعات التي شغلت الأدباء والباحثين في عدد من المؤتمرات، فما مفهومكم للأدب الإسلامي وموقفه من الآخر؟

- هناك إشكالية في تعريف الأدب الإسلامي، فهل هو كل ما يصدر عن مسلم من أدب، أو أنه كل أدب يحض على الفضيلة حتى ولو كتبه غير مسلم؟ بمعنى آخر هل التوصيف يقع على الأدب أم على كاتب الأدب؟

وفي رأيي أن مصطلح «الأدب الإسلامي» ينصب فقط على ما يصدر عن المسلم من أدب، ويرضى عنه الله ورسوله، فلا يمكن وصف الأدب بأنه إسلامي إلا إذا كان صادرا من مسلم يسجد لله، أما ما يكتبه غير المسلم من باب الفضائل، فهو أدب صالح، وليس إسلاميا لأن اليد التي كتبته لم تسجد لله.

أما فيما يتعلق بموقف الأدب الإسلامي من الآخر، فلا يمكن للأدب أن يعيش منعزلا عن الآخر في ظل هذا التدفق الإعلامي والمعلوماتي الرهيب من خلال الفضائيات والأقمار الصناعية وشبكة الانترنت، ولكن لابد من مد جسور الحوار مع الآخر، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية تتبنى الحوار مع الآخر، وتقوم بالتواصل الفكري مع بعض من يشنون حملات تشكيكية ضد الإسلام، وتمدهم بالمطبوعات، وتفتح معهم باب الحوار والنقاش وتدعوهم لحضور اللقاءات، حتى يصل إليهم الفهم الصحيح للإسلام.

الأدب المطبوع مازال يحتفظ بمكانته وخصائصه أمام الأدب الإلكتروني

■ ما موقف الأدب الإسلامي من التقنيات الغربية الحديثة وما تفرزه من أفكار؟

- الأدب الإسلامي قادر على التعايش مع التقنيات الحديثة إذا تصدى لذلك أدباء مسلمون متخصصون في هذا الأمر وقادرون على التواصل مع ما تفرزه الأفكار الغربية والأجنبية من رؤى مختلفة، ولابد أن يلتفت



الكُتاب الإسلاميون إلى الأساليب التي ينتهجها الغرب في بث الأفكار التي من شأنها التشكيك والتهوين والتضعيف لشخصية العربي المسلم، واستغلالهم للتقنيات الإعلامية الحديثة في تحقيق هذا الهدف.

فهنا يأتي دور الأدب الإسلامي المتخصص في مواجهة هذه الحملات الثقافية والرد عليها، باستخدام التقنية نفسها التي يستخدمها الغربيون، وذلك من خلال تسليط الضوء على رموزنا الفكرية وإيصالها إلى الآخر من خلال الأدب، ولا مانع من أن يستخدم الأدباء المسلمون الأسلوب الغربي نفسه الذي يستخدمه الآخر وهو التشكيك في رموزنا، وذلك من خلال التشكيك في رموزهم الفكرية والتهوين من شأنها، فالمواجهة يجب أن تكون هجوما على الغرب وليس مجرد الدفاع، خاصة أن المواطن الغربي هش التفكير يتعلق بأي شيء، ومن السهل اختراق فكره، فهو خاوي الفكر والروح، غارق في الماديات، ومن السهل اختراقه والتأثير فيه.

■ ما موقف الأدب الإسلامي من العولمة وثقافتها الجديدة؟

- لا خوف من العولمة وثقافتها على الأدب الإسلامي، فلدينا مرتكزات قوية وكفيلة بصد رياح العولمة، ويجب أن نتعامل مع ثقافة العولمة بما يلائم هويتنا العربية والإسلامية، انطلاقا من قول الله تعالى ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ (الرعد: ١٧)، فنأخذ من العولمة ما ينفعنا ويناسب ذاتيتنا الإسلامية، نأخذ النسيم ونذر الهشيم.

يجب أن نتعامل مع ثقافة العولمة بما يلائم هويتنا العربية والإسلامية

الأدب الإلكتروني

■ الأدب الإلكتروني مصطلح جديد ظهر في هذا العصر ليعبر عن مئات المواقع الأدبية على شبكة الإنترنت التي تقدم أشكال الأدب المختلفة من شعر ونثر.. فهل سيؤثر هذا الشكل الجديد من الأدب على الأدب المطبوع؟

- لاشك أن الأدب الالكتروني يعتبر منافسا قويا للأدب المطبوع، فهو من الناحية الاقتصادية رخيص الثمن، ومن ناحية النشر سريع الانتشار ولا يكلف إلا اليسير، ولكن الأدب المطبوع لا يزال يحتفظ بمكانته وخصائصه، ولا يزال مقروءا، ويحقق متعة القراءة التي لا يحققها الالكتروني. فالكتاب المطبوع، ديوانا شعريا كان أو قصة، موجود مع القارئ في كل مكان، وفي أي حال، وهذا لا يوفره الكمبيوتر الذي يحتاج إلى وضع معين وهيئة معينة، ويحتاج أيضا إلى تكلفة شراء الكمبيوتر والدخول على شبكة الانترنت، وهو ما لا يتوافر للكثير من قراء الأدب.

كما أن النشر الأدبي الالكتروني له مساوئه، فلا توجد ضوابط ولا حقوق نشر مما يشجع السرقات الأدبية، أما النشر المطبوع فله قواعده وتتوافر فيه الحقوق المادية والأدبية وحقوق النشر.

انزواء الأدب

■ أين الشاعر والأديب المسلم اليوم؟

- لاشك أن هناك تعتيما متعمدا وغير متعمد على الأدب الإسلامي، فالشاعر والأديب المسلم اليوم يعاني من الانزواء، وهذا يعتمد على سلوكه الشخصي وعلاقاته الشخصية وحضوره على الساحة، ولاشك أن التلفاز يعتبر أداة مؤثرة في هذا الجانب، حيث يسلط الضوء على الأدب بصفة عامة.

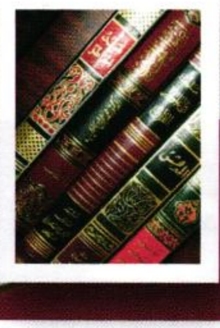
ورابطة الأدب الإسلامي العالمية- على سبيل المثال -تعاني من التعثر والمشكلات المادية، حيث تعتمد على الاشتراكات فقط، ولا تجد الدعم المناسب، وهذا يمنعها من القيام بالكثير من واجباتها الإعلامية التي تسعى دائما لتحقيقها، ويجب تنمية موارد الرابطة من خلال المؤسسات الإسلامية.

■ هل تحوّلك إلى الكتابة الأدبية باللغة الفصحى في ديوان «بَوْح» يعني أنك قد طلقت العامية بلا رجعة؟ وما السر في هذا التحول؟

- لقد اتخذت قرارا صارما حازما بالتوقف عن كتابة الشعر العامي بعد آخر قصيدة في منتصف التسعينيات الميلادية المنصرمة، لكن لا أنكر أن الشاعر الشعبي في داخلي يطرق وجداني وذاكرتي أحيانا، ولم ألتفت إلى طرقه بعد.. فالشعر الفصيح هو الشعر العربي الخالد الذي يقرأه الناس في كل مكان وزمان، وهذا هو الفرق والميزة التي يمتاز بها الشعر الفصيح عن أخيه العامي غير الشقيق، وأنا أريد أن أرسو إلى ميناء الشعر الفصيح، أما إذا التفتُّ إلى الشعر العامي (الشعبي) وربما فعلت ذلك قريبا- فلا أطمح أبدا أن يتجاوز ذلك حدود الأحساء، حتى لو قفز إلى ما بعدها.

■ ما القوالب والموضوعات التي تكتب فيها شعرك؟

- في الشعر كتبت الأناشيد الوطنية والدينية والموشحات وقصائد الأطفال والمقطوعات وقمت بتلحينها وتدريب الفتيان عليها، وكتبت أشعار بعض المسرحيات التاريخية والغنائية، وكتبت ملحمة شعبية ثنائية الأبيات عدد أبياتها ٢٢٦ بيتا تتناول حياتنا في «القارة» والقرى المجاورة قبيل البترول.. وقد توقفت عند عدد كبير من المحطات الشعرية، وتدور في بالي اللحظة قصيدة «إلى ابن المقرب في مهرجانه» حيث ألقيتها في جمع من الأدباء العرب ضمن احتفالية مؤسسة البابطين بالشاعر الأحسائي بالبحرين عام ٢٠٠٢م.



ثورة الشعر الإنساني من أجل تحرير القدس

د. حسين مجيب المصري

عندما وُضعت إسرائيل في عام ١٩٤٨ بطريقة غير شرعية، واستولت على الأراضي الفلسطينية والعربية الإسلامية سكت الضمير العالمي ولم يحر جوابًا، وخذلت واشنطن ولندن وباريس الأعراف الدولية والقرارات الشرعية وانحازت للباطل ممثلًا في دولة الصهاينة بدلًا من مساندة الحق العربي والدفاع عنه.

في حين تصاعدت العمليات الاستشهادية التي قام بها الفدائيون العرب ضد الوجود الإسرائيلي، وقامت الثورة العربية الإسلامية في جنبات فلسطين تنافح عن إسلامها وعروبتها وحضارتها وتراثها العظيم.. آزر ذلك التفاف الشعراء العرب بقرائحهم وقصائدهم في التنديد بهذه النكبة، ومن هنا ظهر ما سمي- فيما بعد- بـ «أدب المقاومة الفلسطينية» أو ما أُطلق عليه «أدب القدس الإسلامي».

إلا أن الجديد اليوم هو غزارة الإنتاج الذي يتناول القدس وفلسطين بالمعالجة الفنية والأيديولوجية والاجتماعية والتاريخية والدينية من منظور إسلامي، يقوم عماده على قوة وقع الكلمة الشاعرة ورحابة مفعولها وتأثيرها في النفس الإنسانية المجبولة على حب وعشق الكلمة ذات النفع الأصيل، والجرس الهادر المؤثر؛ صاحب القضية الإيمانية والحق السليب!

ومن هنا تفجرت قصائد القدس مُدوية على ألسنة الشعراء العرب وغير العرب من أبناء الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية من أحرار العالم أجمع، في سابقة لم يشهدها الأدب العالمي في أي وقت مضى، من عكوف الشعراء على اختلاف لغاتهم وثقافاتهم ومشاربهم العلمية والأدبية، في العزف على قيثارة واحدة لمدينة واحدة هي القدس، مدينة الأنبياء، ضد مزاعم وأباطيل إسرائيل ومحاولاتها المستميتة في الترويج لأكاذيب معروفة للجميع، تريد إثبات أن القدس مدينة يهودية.. وهو ما فشلت فيه ترسانة الزيف الإعلامي الصهيوني المهولة!

فلا يمر يوم إلا وتتعانق فيه القصيدة مع المدفع، والكلمة الشاعرة مع البندقية من أجل عودة فلسطين الحرة الأبية وعاصمتها القدس الشريف.

والعجيب أن الكثير من شعراء تركيا وإيران وباكستان قد أقسموا في إبداعاتهم المكتوبة على مواصلة الحرب ضد الوجود الإسرائيلي الصهيوني بقصائدهم الممهورة للقدس، معتبرين أن مسرى النبي محمد ﷺ كان ولا يزال موضع إلهام لدى الشعراء الذين ينهلون ويمتاحون كلماتهم الرشيقة وتعبيراتهم البليغة وعواطفهم النبيلة، وأدبهم الرفيع الذي يدغدغ المشاعر من المخزون الحضاري والديني للمدينة المقدسة (القدس) التي تمتلئ أركانها وجدرانها وبيوتاتها وشوارعها بكل ما هو عربي إسلامي.

أدب القدس العالمي

إن أدب القدس العالمي هو أحدث صيحة تبلور القضية الفلسطينية من منظور عالمي لكي يطلع عليه أصحاب العقليات الغربية الذين لا يؤمنون إلا بأفكارهم المادية وعالمهم الرأسمالي، ومن ثم يشعرون بالمآسي والفظائع التي ترتكبها إسرائيل، وهي في حماية مجلس الأمن والولايات المتحدة والشرعية الدولية الزائفة.

واليوم تتعرض القضية الفلسطينية لمحاولات الوأد والقتل من قبل أعدائها في الداخل والخارج، تلك الانتفاضة الباسلة التي اشتعل فيها الحجر مع البارود، والقصيدة مع العمليات الاستشهادية، وهكذا وجدت إسرائيل نفسها في مواجهة جبهات عديدة



هذا المقال خص ابنه شريف المجلة بنشره للمرة الأولى

لا قبل لها بها، وبالتالي تعاظمت القضية العادلة وقوي بنيانها برغم بعض الجراح والإصابات، وهو ما فشلت إسرائيل في القضاء عليه.

ونجح الشعر كذلك في ثورته العارمة وعنفوانه المزلزل في أن يسجل في صفحات من نور ملحمة القدس الكبرى في لوحة إنسانية لم يشهدها العالم من قبل.. نجح في تعرية تل أبيب، وإظهار دمويتها، وفظاعة جرائمها في القدس!

العبقرية الشعرية الإسلامية

وليس كل ما صدر عن الشعراء العرب إزاء ما حدث للشهيد الطفل محمد الدرة من سفك وبطش وتصفية جسدية على يد إسرائيل إلا نزرًا يسيرًا مقارنة بما أبدعه الشعراء في الأقاليم والدول الإسلامية الأخرى في أندونيسيا وماليزيا ونيجيريا وغانا والنيجر ومالي وإيران وتركيا وباكستان والهند ودول آسيا الوسطى وأدغال إفريقيا.. بل إن اللغات: العربية والتركية والفارسية والأردية والهوسا والسواحلية والألبانية، وغيرها من اللغات تسابقت من أجل الاحتفاء بزهرة المدائن الإسلامية، والدفاع عنها شعرًا. ولو جمعنا ما جادت به قرائح شعراء الشعوب الإسلامية ضمن الأدب الإسلامي العظيم لوجدنا مجلدات ومجلدات من العبقرية الشعرية الإسلامية التي تجسّدت فيها القدس كواقع مؤلم عبّرت عنه القصائد في مائية وعذوبة ومخيال فني جميل، وصياغة ذات جدائل من السحر والألم الصادق!

بل إن شاعرة مثل نبيلة إسحق الباكستانية استطاعت بمقدرة فائقة أن تربط بين مأساة القدس في فلسطين، ومأساة كشمير المسلمة في باكستان من منظور إسلامي وإنساني وعالمي يتساوى مع ما أبدعه شكسبير وطاغور وجوتة ولوركا في العذوبة والنظرة الشاملة الفلسطينية والبعد الأخلاقي والفن الأصيل.

نعزي العلم في نجم

وحيد الدهشان

في وداع الدكتور مصطفى محمود صاحب العلم والإيمان



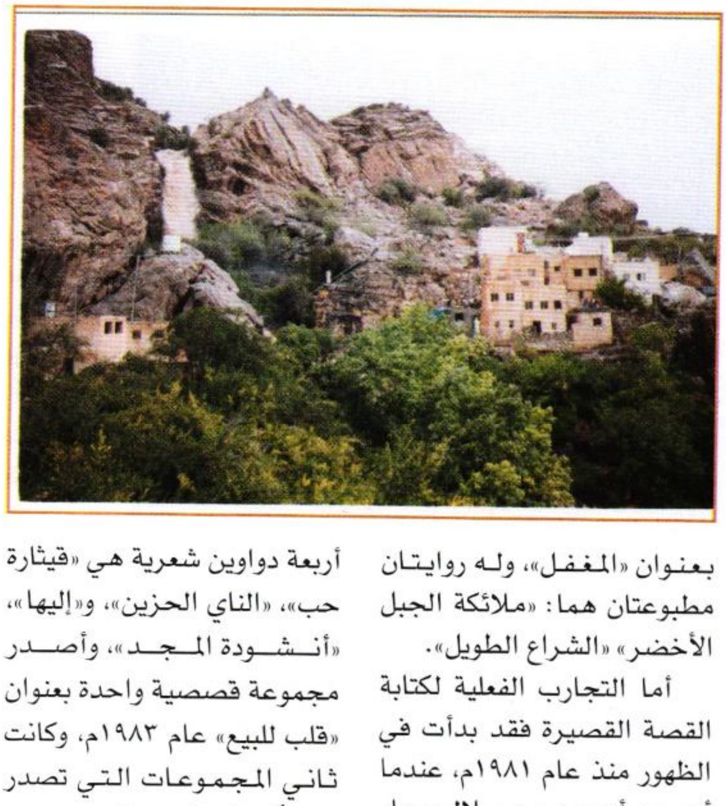
في هيبة الصمت ودعنا إلى الأخرى
من بسَّط العلم والإيمان والفكرا
من خاض في لجة للشك مغرقة
صوب اليقين ومن أوهامها استبرا
نال النجاة بإخلاص توشحه
وراح يوسع هامات الهوى بترا
غزته بالشر أفكار ملوثة
فصال حتى جنى في ساحها النصرا
وللغثاء مصير نحن نعرفه
وكم رأيناه في ريح الفنا يُذرى
ومبصر القلب لا ترديه فطنته
مهما ضلال الرؤى قد زين الشرا
وليس إلا لمعتوه به خبل
يقدم الترب كي يرضى به تبرا
ولم يكن مصطفى في الركب إمعة
وذاك ما في الورى أعلى له قدرا
فصار سيفا على الإلحاد مُمتَشَقا
ولم يهادن برغم السطوة الكفرا
وغاص في العلم والآداب مجتهدا
وقصده العمق حتى يحصد الدرا
وفي اجتهاداته أجران صائبة
وإن نبت لم تصب لن يعدم الأجرا
مازلت أذكر في التلفاز طلعته
حيث السكينة تكسو وجهه بشرا
آيات رب الورى في الخلق قربها
علمٌ بنا صوب أسرار الدنا أسرى
حيث المشاهد يجلوها لنا عبرا
فيهتف القلب سبحان الذي أجرى
نبعا يقود له الأرواح طائعة
فالله لا يرتضي إيماننا قسرا
مازلت أذكر أوقاتا تجمعنا
في روضه ننتشي إذ ننشق العطرا
وكان بالرفق يغزو قلب سامعه
وكم ببسمة ثغر أكمل السطرا
وكان ذا منطق في الهمس قوته
تجيء أقواله مثل الندى قطرا
كأنه وابل ترجوه مجدبةٌ
ليخرج الزرع والأثمار والزهرا
وكم تدوي المعاني وهي هامسة
وكم يطيش خواء يزدهي جهرا
يا من تلوم هنا إعلام أمتنا
كذا يودع أصحاب النهى مصرا
وسوف تبقى بسفح الكون أمتنا
ما أُهمل العلم والمغنى بها استشرى
يا رب هيئ لنا من أمرنا رشدا
واصرف عن الأمة المنكوبة القهرا
واربط على قلب من يرجون عزتها
فما يدبر جهرا ينفد الصبرا
وما لذلك دون الله كاشفة
فأتبع الله عسرا عمنا يسرا

* شاعر مصري

القصة القصيرة في عُمان.. دراسة موضوعية فنية

عبدالستار خليف •

بدأت الحركة القصصية في عمان، تنمو باطراد منذ الثمانينيات من القرن الماضي، من خلال النشر في الصحافة المحلية، ثم توجه كتاب القصة إلى نشر مجموعاتهم القصصية تباعًا منذ عام ١٩٨١م، ولقد طرقت القصة العمانية عبر السنوات الماضية كل أشكال الكتابة القصصية من المستوى السردي التقريري، إلى القصة الوجدانية، كما طرقت أبواب التجريب مواكبة بذلك القصة الحديثة في العالم العربي.



في بحث قيم أعده د. بشير بن شرف الموسوي عن القصة القصيرة في عُمان.. دراسة موضوعية فنية، رصد من خلال هذه الدراسة الخطوط العامة لمسيرة القصة القصيرة خلال العقدين الماضيين، حيث قام الباحث بدراسة مراحل التطور التي مرت بها حركة القصة القصيرة طيلة السنوات الماضية، وما أضافته للحركة الأدبية والثقافية في عُمان.

ولقد نشرت أولى المجموعات القصصية عام ١٩٨١م، وإن كانت قد سبقتها تجارب نشر في الصحف المحلية والخليجية منذ السبعينيات، حيث قام الأديب العماني الكبير الشاعر عبدالله الطائي (١٩٧٣م) بنشر قصصه قبل قيام النهضة العمانية بفترات طويلة، إلا إن هذه المحاولات لم تكن كافية لتشكيل ملامح فن قصص عماني، والشاعر له ديوانان مطبوعان هما «الفجر الزاحف» عام ١٩٦٩م، «وداعًا أيها الليل الطويل» عام ١٩٧٤م، وله أيضا مجموعة قصصية مخطوطة بعنوان «المغفل»، وله روايتان مطبوعتان هما: «ملائكة الجبل الأخضر» «الشراع الطويل».

أما التجارب الفعلية لكتابة القصة القصيرة فقد بدأت في الظهور منذ عام ١٩٨١م، عندما أصدر أحمد بن بلال بحار (١٩٥٤- ١٩٩٥م) مجموعته القصصية «سور المنايا»، ثم أصدر بعد ذلك مجموعتين هما «وأخرجت الأرض» عام ١٩٨٣م، و«لا يا غريب» عام ١٩٨٧م.

وكذلك محمود الخصيبي (١٩٢٧-١٩٩٨م) وهو كاتب وشاعر عماني مخضرم، أصدر أربعة دواوين شعرية هي «قيثارة حب»، «الناي الحزين»، و«إليها»، «أنشودة المجد»، وأصدر مجموعة قصصية واحدة بعنوان «قلب للبيع» عام ١٩٨٣م، وكانت ثاني المجموعات التي تصدر في عُمان، ثم توالى صدور المجموعات القصصية تباعًا، وبهذا تعد التجربة القصصية في عُمان حديثة العهد مقارنة بالدول العربية الأخرى التي سبقت هذه التجربة بمراحل.

ويشير الباحث د.شبر شرف الموسوي إلى أن القصة القصيرة في عُمان ليست- فقط- حديثة العهد في التجربة، ولكن كتابها أيضًا، ولذا فهي تجربة حديثة لم يصل أكثر كتابها إلى مرحلة النضوج والتميز، وإلى جانب حداثة السن، نجد حداثة التجربة بما تمثله من بحث دائم عن التميز، وخرق القواعد المتعارف عليها، ومعانقة المغامرة والأفق المفتوح للإبداع والتألق.

هذا الوضع المزدوج للحداثة في التجربة القصصية العمانية بقدر ما يكون لفائدتها، بهدف التطور والتبلور، يمكن أن يتحول ضدها إذا لم يرسم لنفسه المسار الذي يمكنه من التجدد بناء على ضوابط متجددة ومعقولة، وذلك ما يحاول الباحث تجسيده خلال معاينة التجربة القصصية العمانية في ضوء صلتها بالواقع والمتخيل.

وعلى الرغم من حداثة هذه التجربة وتفاوت مستويات كتابتها، فإنها أفرزت في السنوات القليلة الماضية الكثير من كتاب القصة- حسب رأي الباحث- كما أن الإصدارات القصصية في تصاعد مستمر، حيث بلغ مجموع الإصدارات القصصية أكثر من أربعين إصدارًا قصصيًا منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي (هذا العدد ينطبق حتى كتابة هذا البحث ولا يدخل في نطاق ما استجد من نتاجات قصصية

• باحث اجتماعي

فيما بعد) ومع وجود هذا العدد من الإصدارات السردية في عُمان ،إلا إنها لم تحظ إلى الآن بأية دراسات أكاديمية، تكشف آفاقها وأبعادها الفنية والرمزية والنفسية وأثر البيئة العُمانية في القصة القصيرة، وغيرها من العناصر الفنية والموضوعية، ولهذا فقد رأى الباحث أن يتناول حركة القصة القصيرة في عُمان بالدراسة والبحث.

ولقد شجع الباحث على المضي قدما في هذه الدراسة، أن حركة القصة القصيرة في عُمان لم تظفر بأية دراسات أكاديمية موثقة، لا في الجامعات المحلية ولا في الجامعات العربية الأخرى، عدا ما قدم من بحوث في بعض الندوات الثقافية التي أقيمت في عُمان وفي الدول العربية الأخرى.

وعلى الرغم من محاولة هذه البحوث والدراسات دراسة واقع القصة القصيرة في عُمان، فإن أكثرها تبنى جزئية معينة من واقع القصة القصيرة في عُمان، ولم تشمل هذه الدراسات كل محاور وعناصر القصة القصيرة المعاصرة الفنية والموضوعية، كما أنها لم تشمل كل المجموعات القصصية الصادرة منذ بداية حركة النشر في عُمان، حيث إن وقت الندوات وفترة البحث والدراسة وإمكانات الباحثين لا يمكن أن تتسع لتشمل كل تلك المجموعات.

وتنقسم الدراسة إلى مقدمة وبابين يحتويان على عدة فصول،

التجارب الفعلية لكتابة القصة القصيرة في عمان بدأت عام ١٩٨١م

ومن خلال المقدمة رصد الباحث الواقع الثقافي في عُمان منذ عام ١٩٧٠م والتطورات الثقافية التي طرأت خلال فترة الدراسة، ويتم تتبع العوامل الثقافية والبيئية التي أحاطت بظهور حركة القصة القصيرة، سواء تلك العوامل التي أخرت ظهور ذلك الفن أو تلك التي عجلت بظهوره.

■ الباب الأول: نشأة القصة القصيرة في عُمان وقضاياها

الفصل الأول يتحدث عن الأصول التاريخية والحديثة لكتابة القصة القصيرة في عُمان، وهي كالآتي: فن المقامات، الشعر القصصي، قصص الأدب الشعبي، الخاطرة القصصية، التأثر بكتابة القصة القصيرة في العالم العربي مع دراسة مجال التأثر بالقصة في العالم العربي آنذاك، ودور الهجرة إلى خارج عمان في نشأة هذا الفن القصصي وتطوره، ثم يعرض بعد ذلك لبدايات كتابة القصة القصيرة في عمان، وهي مرحلة الريادة في كتابة القصة القصيرة، ويرصد فيها أول الكتابات القصصية في عُمان، كما ألحق بهذا الفصل ثبت لكتاب القصة، وعرض للمجموعات القصصية الصادرة في عُمان منذ عام ١٩٨٠م حسب سنة الصدور.

يتناول في الفصل الثاني قضايا القصة القصيرة، حيث قام الباحث برصد القضايا التي تناولها كتّاب القصة العمانيون في قصصهم، وتتبعها منذ بداية تجربة كتابة القصة القصيرة في عمان، ومحاولة دراسة ملامح التطور الاجتماعي والإنساني الذي حصل للمجتمع العماني خلال انتقاله من مجتمع تقليدي إلى مجتمع مدني متطور، ومنفتح على كل أشكال الثقافات ومظاهر التطور والمدنية الحديثة، ودراسة أشكال التحول الاجتماعي التي مر بها المجتمع، من خلال تناول كتاب القصة القصيرة لمختلف قضايا المجتمع ونظرتهم لمختلف التطورات التي مر بها المجتمع سلبا أو إيجابًا، وتتقسم إلى قضايا عدة، اجتماعية، ووطنية، ورومانسية وإنسانية، وقومية.

في الفصل الثالث يعرض أثر البيئة العمانية في القصة القصيرة، وقد تتبع الباحث المؤثرات التي تدفع بالأشخاص للتحرك، وأداء الفعل القصصي خلال حركة البيئة العمانية سلبًا أو إيجابا، مع التركيز على المؤثرات البيئية التي تسهم في تشكيل الأحداث وتطورها من خلال حركة البيئة والناس، حيث لاحظ أن البيئة البحرية والقروية والزراعية، وبعض المفاهيم الشعبية لها تأثيرات واضحة في بناء حركة القصة، وفي تحريك أحداثها في العديد من القصص العمانية.

■ الباب الثاني: الدراسة الفنية اشتملت على أربعة فصول

الفصل الأول عن السرد والحدث والحبكة القصصية: وقد تم فيه عرض أساليب كتابة القصة في التجربة العمانية، وتفاوتها بين الأساليب التقريرية والحكائية، وبين تقنيات السرد القصصي الحديث، كما تناول في هذا الفصل عناصر السرد والحبكة في القصة، والتطورات الفنية التي مرت بها القصة القصيرة في عمان، وكيفية توظيف وسائل التقنية الحديثة في كتابة القصة، نحو الاسترجاع، والمناجاة الداخلية، وتطوير البناء الدرامي في القصة.

الفصل الثاني: عن مستويات بناء الشخصية في القصة القصيرة: وتم فيه عرض مستويات بناء الشخصية داخل القصة القصيرة، وكيفية بناء هذه الشخصية، وتفاوتها بين البناء الفني المتماسك، وبين البناء المهمش، ودراسة وظائف هذه الشخصيات، وعلاقاتها بالحدث القصصي، وكيفية تطورها داخل إطار القصة، ونوعية الشخصيات الموجودة في القصص، نحو الشخصية المتأزمة والشخصية المتسلطة، والمنتصرة، والمثقفة.

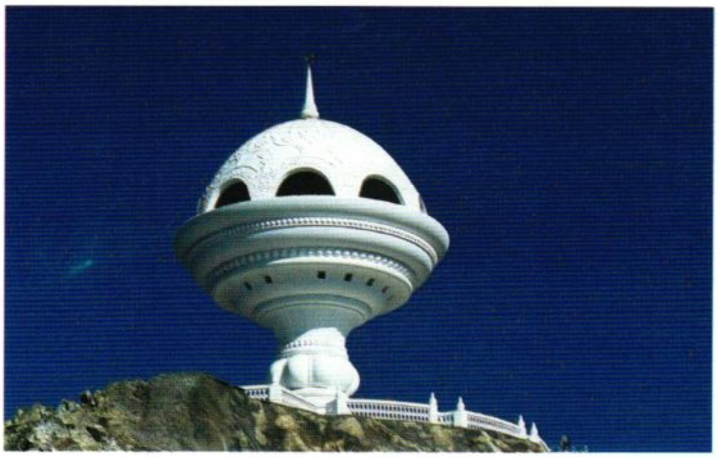
الفصل الثالث: عن المكان والزمان في القصة القصيرة، وتناول الباحث في هذا الفصل

رؤية المكان والزمان في القصة القصيرة: وعلاقتهما بالحدث القصصي والشخصيات، وقام بدراسة دور المكان والزمان في بناء المضامين القصصية وبناء الأحداث، كما قام بدراسة رؤية المكان ودلالاته التي تشير إلى المكان ليس فقط بوصفه مكانًا جغرافيًا، وانما لكونه حاملا لدلالات إنسانية ونفسية وتاريخية، وسوف نتطرق للمكان المتخيل أو النفسي، وكذلك سنحاول دراسة رؤية الزمان، وتنوعه بين زمان واقعي، وآخر نفسي أو متخيل.

الفصل الرابع: عن مستويات اللغة في القصة القصيرة: يتناول هذا الفصل مستويات اللغة القصصية وتطورها من المستوى التقريري، والأساليب الإنشائية، والحوار المباشر المطول إلى مستويات أخرى من اللغة الرومانسية، واللغة الشعرية المكثفة والمعبرة عن تطور الحدث.

■ الخاتمة

يلخص فيها الباحث المسار العام الذي سارت عليه الدراسة، وأبرز النتائج التي توصل إليها، وقد توصلت الدراسة إلى أن القصة في عمان لها جذور متصلة مع الكتابة النثرية من خلال المقامة والحكاية الشعبية، والقصيدة الشعرية، ومن خلال الأشكال النثرية الحديثة نحو الخاطرة والمقالة القصصية، وكذلك تأثر الكاتب العماني بكتاب القصة في العالم العربي،



القصة في عمان لها جذور متصلة مع الكتابة النثرية من خلال المقامة والحكايات الشعبية

كما توصلت الدراسة إلى أن حركة القصة القصيرة في عمان، وبالرغم من أنها قد بدأت بداية متأخرة فإنها استطاعت أن تقرب الفارق الزمني والفني بينها وبين كتابة القصة القصيرة في العالم العربي، واستطاعت أن تنطلق بالقصة إلى آفاق جديدة ومستويات متقدمة من الكتابة والتجريب، وأثبتت الدراسة أن القصة القصيرة في عُمان صورة واضحة لواقع وتطور المجتمع العماني، ولقد أسهم كتاب القصة بجهد وافر في نقل الصورة الواقعية للحياة وملامسة مشاكلها الاجتماعية والإنسانية بصورة جلية، حتى أصبحت القصة القصيرة انعكاسًا لهموم وقضايا المجتمع، وقد أظهرت الدراسة أيضا الأثر الذي احدثته القصة الوجدانية بكل توجهاتها الفكرية والإنسانية في ظهور النزعة الإصلاحية التي تدعو إلى إصلاح المجتمع وتنقيته من جميع مظاهر التأثر بالحضارة الغربية، وبروز النزعة الوجدانية التي تقارن دائمًا بين ما هو موجود، وما هو متخيل، والرغبة في العودة إلى الماضي، وفترات الطفولة، وأجواء القرية، والاستغراق في الطبيعة ومروجها الخضراء، والبحث عن الهوية الوطنية، وبروز اللغة الشعرية فيما بعد، وإضفاء الطابع الرومانسي والوجداني على الشخصيات وعلى طبيعة المكان والزمان، كما حاول كتاب القصة تطوير أساليبهم القصصية من المرحلة التقريرية، إلى القصة الحديثة وتقنياتها مثل المناجاة الداخلية والاسترجاع وتقنية الحلم، والتصوير السينمائي، وبالنسبة لأساليب السرد، فلقد ركز الكتاب على ضمير الغائب، وهو ما يختص بالراوي أو الناظم الخارجي، ثم ضمير المتكلم، ثم ضمير المخاطب، وأحيانا جمعوا بين الضمائر المتعددة، كما ركزوا على مختلف الشخصيات، فلم تكن شخصيات ورقية، بقدر ما كانت شخصياتهم مستقاة من روح وواقع المجتمع، وقد خرجت رؤية بعض الكتاب للمكان عن إطار الرؤية الجغرافية البحتة للمكان، وأعطى المكان بعدا رمزيا أو معنويا أو نفسيا آخر، وبالنسبة للزمان هناك موقفان متفاوتان لرصد الزمن، الأول يتمثل في موقف كتاب القصة الرواد، الذين ينظرون للزمن على أساس أنه زمن واقعي وثابت ويعتمدون على زمن معين، بينما يتبع كتاب القصة الحديثة موقف التشظي الزمني (التنوع أو المزاوجة في استخدام الزمن في القصة نفسها، والارتداد للوراء، والمناجاة الداخلية، وتيار الوعي والحلم) كما حاولوا أن تكون لغتهم مكثفة ومعبرة عن ماهية الحدث، كما وظفوا العديد من المفردات والمفاهيم الشعبية في قصصهم، وقد اثبتت الدراسة أن القصة القصيرة بكل توجهاتها الفنية والإنسانية منافس جديد لحركة الشعر العماني، وأن المستقبل يحمل الكثير من التميز والإبداع في حركة القصة في عُمان، وذلك من خلال الأصوات القصصية التي تمتلك الكثير من سمات الإبداع القصصي والفني، والتي تحاول أن تتشكل عبر محاولات فنية إبداعية، جادة، ومتميزة.

في مدح المصطفى ﷺ

سالم خالد الرميضي

باسم الذي أنشأ الأكوان من عدم
ألقي قلادة شعر خطها قلمي

رصعتها ببهي التبر خالطه
من البساتين ريح الشيح والعنم

نحت من معدن الأشعار جوهرة
ما صغتها بلجين الحبر بل بدمي

حتى بدت كشعاع الشمس ساطعة
أو مثل ضوء بريق لاح من إضم

أو مثل ليل بَهيم قد أنار به
بدر التمامِ فجلى سدفة الظلم

ولست أعني التي في طرفها حورٌ
أو من بأهدابها سهم الغرام رُمي

فلست أقصد ريمًا بالقصيد ولا
ليلى وليس سعاد أنطقت قلمي

بل إن قافيتي كالثلج ناصعة
ولَم تدنس بفحش القول واللمم

مضمونها لإله الكون نافلة
في مدح خير عباد اللّه كلهم

«لاهم هب لي بيانا أستعين به»
واطرح قبولا وتخليدا على كلمي

وفجر القول نهرا صافيا سلسا
يكْسُ الفيافيَ ويكسو دارس الرمم

بروض زهر جني مائس عبق
محضته لرسول العرب والعجم

في ذكر من ذكره فاق الخيال ومن
قد جاوز الأفق بالأخلاق والشيم

فالوجه أبلجُ مثل البدر طلعته
يحيطه حالك كالليل حين عمي

أشم عرنينه والنور غرته
وقوله عقد در جد منتظم

وهو الذي قد حوى الأمجاد قاطبة
وهو الذي قد روى الصحراء بالديم

بديمة العلم يروي كل ذي ظمأ
بل ليس يرواه غير الحاذق الفهم

محمد سيد الخلق الذي كملت
خلاله فهو نار في ذرا علم

محمد يستظل المجد رايته
وكيف لا؟ وهو هادي الناس والأمم!

محمد من سَنا الأنوار ألمعُها
يضيء حالك ليل الجهل والظلم

محمد من شذى الأزهار أعبَقها
إن جاءه الصحب أو إن جاء ذو الرحم

محمد من سيوف اللّه أصرمُها
محمد خير من يسعى على قدم

يا سيد الخلق يا حاوي الثناء ويا
مهد المحامد بل يا منبع الكرم

يا أشرف الناس في أصل ومُنتسب
يا أحسن الناس في حكم وفي حكم

يا أفصح الناس قولا يا معلمهم
يا أشجع الناس عند الحادث العمم

قد قلت فيكم مديحا ليس يغمركم
بل ربما لم يجاوز أخمص القدم

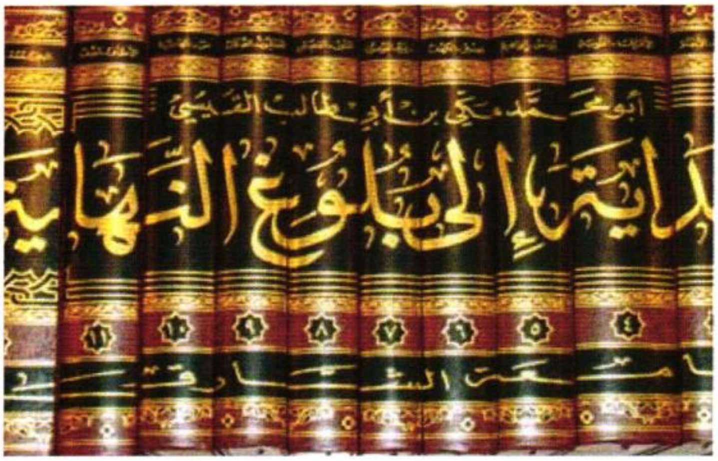
باللّه قولوا إذا ما تم آخره
وقيت شر عيون الناس والتهم

ثم الصلاة وتسليم يماثلها
على الرسول وآل البيت كلهم

القصيدة فائزة بالمركز الثاني في مسابقة الشيخة باسمة الصباح للإبداع الشبابي ٢٠٠٩.

الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن

التحرير



المؤلف: أبومحمد مكّي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)

المحقق: مجموعة رسائل جامعية بإشراف أ.د.الشاهد البوشيخي.

الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة.

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

عدد الأجزاء: ١٣ مجلدا.

ترجمة المؤلف: هو العلامة المقرئ أبومحمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم القرطبي، ولد بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وكان من أوعية العلم، مع الدين والسكينة والفهم، مشهورا بالصّلاح وإجابة الدعوة، حسنَ الفهم والخُلُق، جيّدَ الدِّين والعقل، غلبت عليه علوم القرآن فكان من الراسخين فيها، وله من التصانيف: «التبصرة في القراءات» وهو من أشهر تآليفه، و«المأثور عن مالك في أحكام القرآن»، و«مشكل المعاني والتفسير»، و«الموجز في القراءات»، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه»، و«الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه» و«كتاب الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الإعراب» و«كتاب الإبانة عن معاني القرآن» و«البيان في وجوه القراءات السبع»، وغيرها كثير. توفي بقرطبة سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وقد أناف على الثمانين- رحمة الله عليه.

يعد من أهم كتب التفسير لقيمته العلمية خاصة عند الأندلسيين

قيمة الكتاب: يُعدُّ تفسير الهداية من أجلّ الكتب وأهمها في علم التفسير لقيمته العلمية، وخاصّة عند الأندلسيين؛ فقد عدّه الإمام ابن حزم- رحمه الله- من أجلّ ما صنف، وجعله القاضي عياض- رحمه الله- من أشرف تصانيفه، ولا أَدَلّ على نفع تفسيره من قوله في مقدمته (١/٧٢- ٧٣): «جمعتُ فيه علوما كثيرة وفوائد عظيمة، من تفسير مأثور أو معنى مفسّر أو حكمٍ مبيّن، أو ناسخ أو منسوخ، أو شرح مشكل أو بيان غريب أو إظهار معنى خفيّ، مع غير ذلك من فنون علوم كتاب الله جل ذكره، من قراءة غريبة أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل أو تصريف خفيّ أو تعليل نادر... جعلته هداية إلى بلوغ النهاية في كشف علم ما بلغ إليّ من علم كتاب الله تعالى ذِكْرُه، مما وقفت على فهمه ووصل إليّ علمه من ألفاظ العلماء، ومذاكرات الفقهاء، ومجالس القرّاء، ورواية الثقات من أهل النقل والرواية، ومباحثات أهل النظر والدراية...».

منهج المؤلف في كتابه

يعتمد منهج المصنِّف في تفسيره على المأثور من القرآن والحديث وأقوال الصحابة، وهو الأساس المعتمد عند أئمة التفسير، ومع ذلك فإنه يجمع إلى المأثور التفسير بالرأي في ذكر الأحكام الفقهية والمسائل اللغوية والنحوية.

وطريقته في التفسير تقوم على بيان المكي والمدني بإيجاز، ثم تقسيم السورة إلى مقاطع، ثم تبيين معنى الآيات بما أثر من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

ومن منهجه حذف الأسانيد تخفيفا وتسهيلا للحفظ، وقد نجم عن هذا رواية بعض الأحاديث الضعيفة التي لا تقوم بها الحجة.

كما أنه لا ينسب الآراء في الروايات النحوية والمسائل اللغوية ووجوه القراءات إلى أصحابها، لكنه يلتزم بتوجيه المعاني وسرد كثير من التفاصيل، مع ذكر الأدلة والبراهين والحجج على ذلك.

مصادر المؤلف في كتابه

اعتمد المصنِّف في تفسيره على ما بلغه من مشهور تفاسير الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولم يعتمد على الشاذ المردود، وفي ذلك يقول رحمه الله «الهداية: ١/٧٢»: «هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره واختصاره، وتقصَّيت ذكر ما وصل إليّ من مشهور تأويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير، دون الشاذّ، على حسب مقدرتي وما تذكرته في وقت تأليفي له، وذكرت المأثور من ذلك عن النبي ﷺ ما وجدت إليه سبيلا من روايتي، أو

ما صح عندي من رواية غيري، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده».

وفي ضوء هذا النصّ يمكن تقسيم مصادره التي بنى عليها تفسيره إلى قسمين:

أولا: المصادر الأصلية الخاصّة: وهي من كتب التفسير بالمأثور، وأهمها «الاستغناء لشيخه الإدفوي»، وهو من أوسع كتب التفسير، و«جامع البيان للطبري» فهو ينقل منه نقلا مباشرًا بعد حذف الأسانيد، وهو وإن كان أفاد من الطبري كثيرًا فيما يتعلق بالروايات، إلا أنّ «الهداية» أكثر تفصيلاً منه في أبواب اللغة والنحو مما ينقله عن السابقين، و«تفسير الماوردي».

ثانيًا: المصادر الثانوية العامة: وهي كتب التفسير العامة، كتفسير ابن سلام (ت ٢٠٠هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) والزجاج (ت ٣١١هـ) والنحاس (ت ٣٣٨هـ)، وغيرهم.

كما اعتمد مكي «رحمه الله» على تفاسير أئمة اللغة والبيان، وقد صرّح بذلك في مقدمته فقال (١/٧٤- ٧٥): «وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس، وكتاب أبي إسحاق الزجاج، وتفسير ابن عباس وابن سلام، ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغرائب والمشكل، انتخبتُه من نحو ألف جزء أو أكثر، مؤلفة في علوم القرآن، مشهورة مروية».

كيفية تعامل مكّيّ بن أبي طالب «رحمه الله» مع أقوال السابقين

يستعمل مكي ألفاظًا وتعابير تدل على شخصيته في الجمع بين الأقوال والترجيح بين الآراء، والاختيار في موضع الخلاف، وفيما يلي نظرةٌ موجزة عن منهجه في الجمع والترجيح:

قد يجمع بين قولين مختلفين مستدلا لكل واحد منهما بتوجيه لغوي يجعل منه وجها محتملا في الآية.

قد يميل إلى بعض الأقوال اعتبارا بسياق الكلام.

قد يستدل على تصحيحه لرأي ما بآية من موضع آخر من كتاب الله عز وجل.

الاستناد والاهتمام بالأشْهر دون الشّاذّ.

كثيرا ما ترد عند مكي عبارات مثل: «أكثر المفسرين» و«أكثر الفقهاء» و«أكثر العلماء» و«أكثر الناس». ودلالاتها الترجيحيّة واضحة.

وهكذا يتبين أن مكي ابن أبي طالب «رحمه الله تعالى» لم يكن جامعًا فحسب، بل أضاف إلى مكتبة التفسير مصنّفًا جديراً بالاهتمام، وربما يكفي في الدلالة على ذلك ما قاله الإمام ابن حزم (نفح الطّيب: ٣/ ١٩٧): «وأما القرآن فمن أجلّ ما صُنف فيه تفسير الهداية».

ونزيد تأكيدا بالآتي:

- هذا التفسير حفظ فُهُوما كثيرة نشأت حَول كتاب الله عز وجل، ولاشك أنها نالت حظًا وافرًا من نُوره، وصارت لها قيمة تاريخية تفيد كثيراً في قراءتنا لكتاب الله عز وجل وإمتلاك القدرة على الاستنباط منه والاجتهاد في ظلاله.

- هذا التفسير يمثل نموذجا طيبا للاختصار الجيد للمؤلفات المطولة كما تبين ذلك من خلال الحديث عن المصادر.

-سيساعدنا في قراءة مجموعة من النصوص القديمة التي لم تُعْطَ حقّها من التحقيق الجيد.

- هذا التفسير حفظ علينا مجموعة من القراءات الشاذة التي لا تخفى قيمتها التاريخية والعلمية والأدبية.

- هذا التفسير يظهر فيه الحرص على الالتزام بالمنهج العلميّ، وهو وإن كان يميل في الآراء الفقهية إلى مذهب الإمام مالك، إلا أنك لا تلمس في ميله ذلك أيّ تعصب أو انتصار أعمى، بل إن طريقته في عرض آراء المذاهب الأخرى لتدل على سعة في الصدر وتقدير لأهل العلم، بل إن مكيّا رحمه الله قد يميل إلى رأي الجمهور إذا كان بخلاف رأي مالك.

أما عن المعركة الفكرية التي شنّها على أصحاب المذاهب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة، فلا نظنها تقدح في قيمة منهج مكي، وذلك أنه في ردوده كان يستند إلى أصول نقلية وعقلية، غير مكتف باستدلاله على صحة رأيه، بل يزيد على ذلك بنظره في أدلة المخالفين والاستدلال على بطلانها، كما أن الشدة التي صبغت ردوده لها ما يبررها، فقد اعتمد أصحاب الاعتزال في نصرة مذهبهم صنوفا من الإرهاب والتهديد، خلفت جراحا عميقة في شعور الأمة وقلوب علمائها، كما أن الأمر في العقيدة يختلف عنه في الفقه، ومكيّ كان ينافح عن أساس الإسلام، ولاشك أن العقيدة أساس بنيته.



مُساجلات الأقران

بين الإمامين البيهقيّ وأبي محمد الجوينيّ (رحمهما الله تعالى)

حول منهجِ قبولِ الأحاديث وردِّها وضرورةِ علم الحديث للفقيه

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربَما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كلّ ذلك بغيةَ تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجوْدَة القريحة، وصفاء النّفْس، وهي رسائلُ ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقفين للتأمُّل وطُول التدبُّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنّفوس من الخلل والتأثر السّلبيِّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم. جاء في لسان العرب: ١١/٣٢٥ «أصْل المُساجَلة: أن يَسْتَقيَ ساقيان فيُخْرجُ كلُّ واحد منهما في سَجْله مثْلَ ما يُخْرجُ الآخر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلبَ. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلانٌ يُساجلُ فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سجال».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفةُ، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتةٌ، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعَة، ويُخْملُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنَ صنْعَة العلْم، وسَعَةَ الاطّلاع، وجوْدَةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدَّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

د. الطاهر خذيري

ALmadani9@Gmail.com

البيهقيّ هو العلاّمة الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي الخراساني (٣٨٤- ٤٥٨هـ)، بُورك له في علمه، وصَنَّف التصانيف النافعة، وقلَّ مَن جَوّد تآليفَه مثله، كان على سيرة العلماء، قانعًا باليسير، متجمِّلًا في زهده وورعه، واحدَ زمانه في الحفظ، وفرْدَ أقرانه في الإتقان والضّبط. قال فيه إمام الحرمين رحمه الله: «ما من فقيه شافعيٍّ إلا وللشافعيّ عليه منّةٌ، إلا أبا بكر البيهقيَّ، فإنّ المنّة له على الشّافعيّ لتصانيفه في نصرة مذهبه»، وكما قيل: لو شاء البيهقيُّ أن يعمل لنفسه مذهبًا يجتهد فيه، لكان قادرًا على ذلك؛ لِسَعة علومه، ومعرفته بالاختلاف.

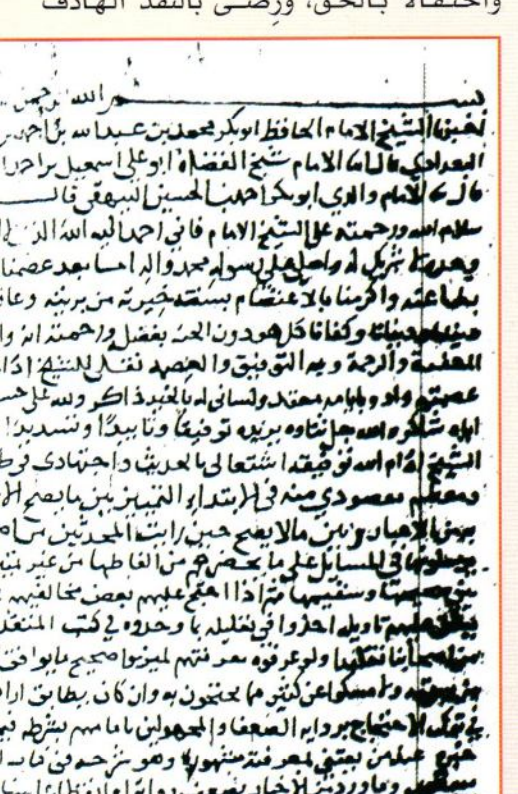
وأمّا أبومحمّد الجوينيّ، فهو شيخ الشافعيّة، عبدالله بن يوسف بالطائيّ؛ والدُ إمام الحرمين (ت ٤٣٨هـ)، كان فقيهًا مدقّقًا محقّقًا نحويًا مفسّرًا، وكان لفرْط الدّيانة مَهيبًا لا يجري بين يديه إلا الجدّ، والكلام إما في علم أو زهد وتحريض على التحصيل، وكان موصوفًا بالورع التامّ، ومِن ذلك أنّه ما كان يستند في داره المملوكة له إلى الجدار المشترك بينه وبين جيرانه، ولا يدقّ فيه وَتَدًا.

وكان أبومحمد الجويني صاحبَ وجْه في المذهب الشافعيّ، وكان يرى تكفير مَن تعمّد الكذب على النّبيّ ﷺ رُوي - كما في طبقات السبكيّ -أنّه رأى إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام، فأومأ لتقبيل رجليه، فمنعه ذلك تكريمًا له، قال: فقبّلت عَقِبيه، وأوّلْتُ ذلك البركةَ والرِّفعةَ تكون في عقبي. قال أبوعثمان الصّابوني: «لو كان الشيخ أبومحمد في بني إسرائيل، لنُقلتْ إلينا شمائله، وافتخروا به».

سبب الرّسالة

كان أبومحمد الجوينيّ- رحمه الله- قد شرع في تصنيف كتاب سمّاه «المحيط»، عَزَم فيه على التوقّف عندَ الحديث لا يعدوه، وألاّ يتقيّد بالمذهب، تجنّبًا للعصبيّة، فوقع إلى الحافظ البيهقيّ من تصنيفه أجزاء، فانتقد عليه مواضع منه، وبيّن له أنّ الآخذ بالحديث الواقفَ عنده هو الشّافعيّ رضي الله عنه، وأنّ رغبته عن الأحاديث التي أوردها هو في مصنَّفه إنّما هي لعللٍ فيها؛ يعْرِفُها مَن يُتْقن صناعة المحدِّثين.

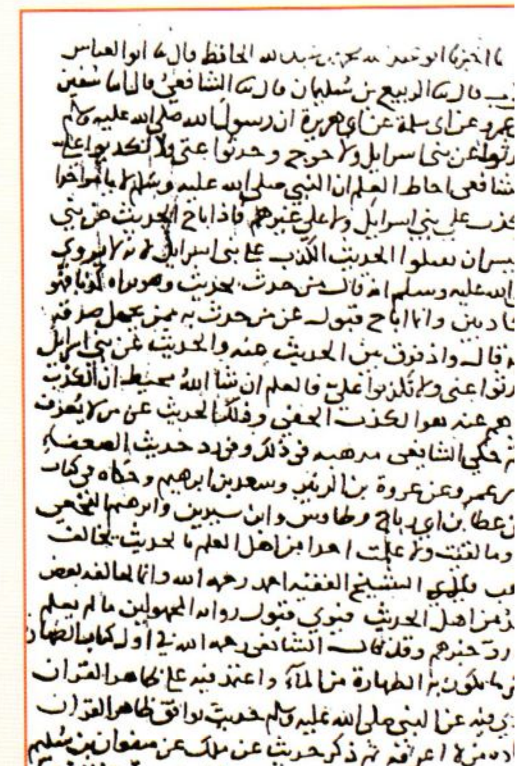
فلمّا وصلت الرّسالة إلى الشيخ أبي محمد قال: «هذه بركة العلم»، ودعا للبيهقيّ، وترك إتمام التّصنيف؛ احترامًا للتخصُّص، واحتفالًا بالحقّ، ورِضًى بالنّقْد الهادف



البَنّاء؛ فرضي الله عنهما، لم يكن قصْدُهما غيرَ الحق والنّصيحة للمسلمين.

أهم فوائد الرسالة

ولجَلالة هذه الرّسالة أرى سَوْقَ مقتطفات منها، لأنّها من أعظم الدّلائل على ما كان بين علماء الأمّة وعظمائها من تراحم بالعلم وتحابُب فيه، هداهُم إلى مقامات من المراتب العالية، لا يرقى مدارجَها إلا الكُمّل الخُلّصُ من العارفين العاملين، وإنك لتتَهدّى- أيها القارئ الكريم- وأنت تَتَفصّى من قراءتها إلى نمط عجيب من الرّجال، قلّما جاد الزّمن بمثلهمْ في أيامنا هذه وما قاربها، ولقد كانوا في القرون الأولى كثرةً متوافرين، والحمد لله الذي أبقى لنا شيئًا من سيرهم يدلّ على سميح شمائلهم، وإنّ هذه المساجلة الطّاهرة لتدلّنا على أنّ الفقيه بحاجة إلى أن تتوسّع مداركه في علم الحديث، حتى يتبيّن من مآخذ السنّة أصْلَحَها للاحتجاج، وأوْفَقَها بكلّيات الشّرع، فليس يجمُل بمن يقرّر



الرسالة من أعظم الدلائل على تراحم العلماء بالعلم وتحاببهم فيه

مسائل الحلال والحرام، أن يكون غافلا عن أدلتها وطرق تمييز صحيحها من باطلها.

مقتطفات من الرّسالة كما هي في مخطوطة نادرة تكرّم بها الأخ الشيخ فيصل يوسف العليّ- وفقه الله:

«قال الإمام الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقيّ: سلام الله ورحمته على الشيخ الإمام، وإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأصلي على رسوله ﷺ أمّا بعد: عصمنا الله بطاعته، وأكرمنا بالاعتصام بسنة خيرته من بريته، ﷺ وأعاننا على الاقتداء بالسّلف الصالحين من أمّته، وعافانا في ديننا ودنيانا، وكفانا كلّ هول دون الجنة بفضله ورحمته، إنه واسع المغفرة والرحمة، وبه التوفيق والعصمة.

فقلبي للشيخ أدام الله عصمته وأيّد أيامه- مُقْتَد، ولساني له بالخير ذاكرٌ، ولله تعالى على حسْن توفيقه إياه شاكرٌ، واللّهُ جلّ ثناؤه يزيده توفيقًا وتأييدًا وتسديدًا.

اشتغال الإمام البيهقيّ بعلم الحديث

وقد علِم الشيخُ- أدام الله توفيقه- اشتغالي بالحديث، واجتهادي في طلبه مُعْظَمُ مقصودي منه في الابتداء التمييزُ بين ما يصحّ الاحتجاج به من الأخبار وبين ما لا يصحّ، حين رأيت المحدّثين من أصحابنا يرسلونها في المسائل على ما يحضرهم من ألفاظها، من غير تمييزٍ منهم بين صحيحها وسقيمها، ثم إذا احتجَّ عليهم بعض مخالفيهم بحديثٍ شقَّ عليهم تأويلُه، أَخَذوا في تعليله بما وجدوه في كُتُب المتقدّمين من أصحابنا تقليدًا، ولو عرفوه معرفتَهم لَمَيّزوا صحيحَ ما يوافق أقوالهم من سقيمه، ولأمسكوا عن كثير ممّا يحتجّون به وإن كان يطابق آراءهم، ولاقتَدَوا في ترك الاحتجاج برواية الضّعفاء والمجهولين بإمامهم؛ فشرْطُه فيمَن يُقْبل خبرُه عند مَن يعتني بمعرفته مشهورٌ، وهو بشرحه في «كتاب الرّسالة» مسطورٌ، وما ورد من الأخبار بضعْف رواته، أو انقطاع إسناده كثيرٌ، والعلم به على مَن جاهد فيه سهْلٌ يسيرٌ.

● الدّليل على ضعف رواية المجهولين وأنها لا تصلح في مقام الاحتجاج

وقد أَحتَجُّ في ترْك الاحتجاج بالمجهولين بما أنبأنا... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج وحدثوا عني ولا تكذبوا عليّ».

قال الشافعيّ: أحاط العلم أنّ النبيﷺ لا يأمر أحدًا بحالٍ أن يكذب على بني إسرائيل، ولا على غيرهم؛ فإذْ أباح الحديثَ عن بني إسرائيل فليْسَ أن يقبلوا الحديث الكذبَ على بني إسرائيل؛ لأنه يُروى عنه، ﷺ أنه قال: «مَن حدّث بحديث وهو يراه كذبًا فهو أحد الكاذبين»، وإنما أباح قَبوله عمّن حدّث به ممّن يجهل صدْقه وكذبه.

قال: وإذْ فرّق بين الحديث عنه والحديث عن بني إسرائيل، فقال: «حدّثوا عني ولا تكذبوا عليّ»؛ فالعلم- إن شاء الله- يحيط أنّ الكذب الذي نهاهم عنه هو الكذب الخفيّ، وذلك الحديثُ عمّن لا يُعرف صدْقه.

ثم حكى الشافعيّ مذهبه في ذلك، وفي ردّ حديث الضعفاء... ثم قال: ولا لَقِيتُ ولا علِمْتُ أحدًا من أهل العلم بالحديث يخالف هذا المذهب.

قال الشيخ الفقيه أحمد: وإنما يخالفه بعض مَن لا يُعَدّ من أهل الحديث، فيرى قبولَ رواية المجهولين ما لم يعلمْ ما يُوجِبُ ردَّ خبَرهم.

وقد قال الشافعي رضي الله عنه في أول «كتاب الطهارة» حين ذكر ما تكون به الطهارة من الماء، واعْتَمَدَ فيه على ظاهر القرآن: وقد رُوي فيه عن النبي ﷺ حديثٌ يوافق ظاهر القرآن، في إسناده مَن لا أعرفه، ثم ذكر حديثَه عن مالك عن صفوان بن سليم...عن

النبي ﷺ في البحر.

وعسى لم يخطر ببال فقيه من فقهاء عصرنا ريْبٌ في صحّة هذا الحديث، وإمامه يقول في إسناده مَن لا أعرفه، وإنما قال ذلك لاختلاف وقع في اسم المغيرة ابن أبي بردة، ثم في وصْله بذكر أبي هريرة مع إيداع مالك بن أنس إياه كتابه «الموطأ»، ومشهورٌ فيما بين الحفاظ أنّه لم يُودِعْه رواية مَن يُرْغَب عنه، إلاّ روايةَ عبدالكريم أبي أميّة وعطاء الخراساني؛ فقد رغب عنهما غيرُه.

وتوقّف الشافعيّ في إيجاب الغسل من غسل الميت، وتوقّف في إثبات الوقت الثاني لصلاة المغرب، حين لم يثبُتْ عنده من عدالة رواتها ما يُوجب قبول خبرهم...

واحتجّ الشافعيّ- رحمه الله- في كتاب «أحكام القرآن» برواية عائشة في أنّ زوج بريرة كان عبدًا، وأنّ بعض مَن تكلّم معه قال له: هل تَرْوُون عن غير عائشة أنّه كان عبدًا؟ قال الشافعيّ: هي المُعْتقة، وهي أعلم به من غيرها! وقد رُوي من وجهين؛ قد أَثْبَتَّ أنتَ ما هو أضعف منهما، ونحن إنما نثبتُ ما هو أقوى منهما.

وقال في أثرين ذكرهما في «كتاب الحدود»: وهاتان الروايتان وإنْ لم يخالفانا غيرُ معروفتين، ونحن نرجو ألاّ نكون ممّن تدعوه الحجّة على مَن خالفه إلى قبول خبرِ مَن لا يثبتُ خبرُهُ بمعرفته عنده.

وله من هذا أشباه كثيرةٌ يكتفي بأقلَّ من هذا مَن سَلَك سبيلَ النَّصَفَة.

فهذا مذهبُه في قَبول الأخبار، وهو مذهب القُدماء من أهل الآثار.

• شكْرُ البيهقي صنيعَ الإمام أبي محمد الجويني في إقباله على التصنيف الموافق للحديث

قال البيهقيّ- رحمه الله: وكنتُ أسمع رغبةَ الشيخ- أدام الله أيامه- في سماع الحديث، والنظرَ في كُتُب أهله، فأسْكنُ إليه، وأشكر اللّهَ تعالى عليه، وأقول في نفسي، ثم فيما بين الناس: قد جاء الله- عزّ وجلّ- بمن يَرغب في الحديث، ويرغب فيه من بين الفقهاء، ويُميّز- فيما يرويه ويحتجّ به، الصّحيحَ من السّقيم من جملة العلماء، وأرجو من الله أن يُحْييَ به سنّة إمامنا المطّلبيّ في قبول الآثار، حيث أماتَها أكثر فقهاء الأمصار، بعد مَن مضى من الأئمة الكبار، الذين جمعوا بين نوعي عِلْمي الفقه والأخبار، ثم لم يرضَ بعضهم بالجهل به، حتى رأيته حمل العالِمَ به بالوقوع فيه، والإزراء به، والضّحك منه، وهو مع هذا يُعظّم صاحب مذهبه ويجلّه، ويزعم أنّه لا يفارق في منصوصاته قولَه، ثم يدع في كيفيّة قبول الحديث ورَدّ طريقته، ولا يسلُك فيها سيرته، لقلّة معرفته بما عرف، وكثرة غفلته عمّا عليه وقف؛ هلاّ نَظَر في كتبه، ثم اعتبر باحتياطه في انتقاده لرواة خبره، واعتماده فيمَن اشتبه عليه حاله على رواية غيره! فنرى سلوكَ مذهبه مع دلالة العقل والسمع واجبًا على كلّ من انتصب للفتيا؛ فإمّا أن يجتهد في تعلّمه، أو يسكتَ عن الوقوع فيمن يعلّمه، ولا يجتمع عليه وِزران؛ حيث فاته الأجران، والله المستعان وعليه التّكلان.

امام الحرمين: ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبابكر البيهقي لتصانيفه في نصرة مذهبه

• بعض المآخذ التي انتقدها البيهقي على أبي محمد الجوينيّ

ثم إنّ بعض أصحاب الشيخ- أدام الله عزّه- وقع إلى هذه الناحية، فعرض عليَّ أجزاء ثلاثة ممّا أملاه من كتابه المسمى بـ «المحيط»؛ فسُررتُ به، ورجَوْتُ أن يكون الأمر فيما يُوردُه من الأخبار على طريقة مَن مضى من الأئمة الكبار، لائقًا بما خُصّ به من علم الأصل والفرع، موافقًا لِمَا مُيّز به من فضل العلم والورع؛ فإذا أولُ حديثٍ وقع عليه بصري: الحديثُ المرفوع في النّهي عن الاغتسال بالماء المشمّس! فقلت في نفسي: يُورِدُه ثم يضعّفه، أو يصحّح القولَ فيه؛ فرأيته قد أملى: «والخبر فيه ماروى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة»، فقلت: هلاّ قال: رُوي عن عائشة، أو رُوي عن ابن وهب عن مالك، أو روي عن مالك...؛ ليكون الحديث مضافًا إلى ما يليق به مثلُ هذه الرواية، ولا يكونَ شاهدًا على مالك بن أنس بما أظنّه يبرأ إلى الله تعالى من روايته ظنًّا مقْرونا بعلْم.

ثم إني رأيته- أدام الله عصمتَه- أوَّلَ حديثَ التسمية، وضعّف ما رُوي عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن في تأويله بحديث... فيمن توضّأ وسمّى، وفيمن توضّأ ولم يُسَمّ. وهذا حديثٌ تفرّد به يحيى بن هاشم السِّمْسار عن الأعمش، ولا يشكّ أحدٌ في ضعفه.

وحديثُ التسمية قد رُوي من أوجه، ما وجْهٌ من وجوهها إلاّ وهو أمْثَلُ إسنادًا من أسانيد ما رُوي في مقابلته، ومع ذلك فأحمد بن حنبل- رحمه الله، يقول: لا أعلم فيه حديثًا ثابتًا!

فقلت في نفسي: قد شَركَ الشيخَ- حرس الله مهجته- القوم فيما أحْدثوا من المساهلة في رواية الأحاديث، وحسبْتُه سلك هذه الطريقة فيما حُكيَ لي عنه من مسحه وجهه بيديْه في قنوت صلاة الصبح، وأحسنَ الظنَّ برواية مَن روى مسْحَ الوجه باليدين بعد الدّعاء...

ورُوي ذلك من أوجه أُخَرَ كلُّها أضْعف من رواية مَن رواها عن ابن عباس، وكان أحمد بن حنبل ينكرها، وحُكي عنه أنه قال: في الصلاة لا، ولا بأس به في غير الصلاة.

قال الفقيه: وهذا لِمَا في استعماله في الصلاة من إدخالِ عملٍ عليها لم يثبت به أثرٌ، وقد يدعو في آخر تشهّده ثم لا يرفع يديه ولا يمسحهما بوجهه؛ إذ لم يرد بهما أثرٌ، فكذا في دعاء القنوت يرفع يديه لوُرُود الأثر به، ولا يمسح بهما وجهه، إذ لم يثبت فيه أثر. وبالله التوفيق.

وعندي أنّ مَن سلك مِن الفقهاء هذه الطريقةَ في المُساهلة أُنْكر عليه قولُه مع كثرة ما رُوي من الأحاديث في خلافه، وإذا كان هذا اختيارَه فسبيلُه، أدام الله توفيقه، يُمْلي في مثل هذه الأحاديث: رُوي عن فلان، ولا يقول: رَوَى فلانٌ؛ لِئلاّ يكون شاهدًا على فلان بروايته مِن غير ثَبَت، وهو إنْ فعل ذلك وجد نفسه متَّبعًا؛ فقد أخبرنا أبوعبدالله الحافظ قال: سمعت أبا الوليد الفقيه يقول: لمّا سمع أبوعثمان الحيريُّ من أبي جعفر بن حمدان كتابه المخرّج على كتاب مسلم، كان يُديم النظر فيه، فكان إذا جلس للذِّكْر يقول في بعض ما يَذْكر مِن الحديث: قال رسول الله ﷺ، ويقول في بعضه: رُوي عن رسول الله ﷺ قال: فنظرنا، فإذا به قد حفظ ما في الكتاب حتى ميّز بين صحيح الأخبار وسقيمها.

• الاحتياط في أحاديث الأحكام أولى منه في أحاديث المواعظ والفضائل والكل مطلوب

وأبوعثمان الحيريّ يحتاط في هذا النوع مِن الاحتياط فيما يُدِير من الأخبار في المواعظ، وفي فضائل الأعمال، فالذي يُديرُها في الفرْض والنّدْب، ويحتجّ بها في الحرام والحلال أولى بالاحتياط، وأحوجُ إليه، وبالله التوفيق.

• الاختلاف بين الحفّاظ في التصحيح والتضعيف ليس حجّة للعمل بالضعيف

قال الفقيه: وقد رأيتُ بعض مَن أوردتُ عليه شيئًا من هذه الطريقة فزِعَ في ردِّها إلى اختلاف الحفّاظ في تصحيح الأخبار وتضعيفها! ولو عرَف حقيقةَ اختلافهم لَعَلِم أنْ لا فرج له في الاحتجاج به، كما لا فرج لِمَن خالَفَنا في أصول الدّيانات في الاحتجاج علينا باختلافنا في المجتَهَدات.

واختلافُ الحفّاظ في ذلك لا يُوجِب ردّ الجميع، ولا قَبول الجميع، وكان من سبيله أنْ يعلَم أنّ الأحاديثَ المرويّةَ على ثلاثة أنواع: نوعٍ اتفق أهل العلم به على صحّته، ونوع اتفقوا على ضعفه، ونوع اختلفوا في ثبوتِه، فبعضهم يُضعّف بعضَ رواته بجَرْح ظَهَر له وخفِيَ على غيره، أو لم يظهر لهُ مِن عدالته ما يُوجب قبول خبره، وقد ظهر لغيره، أو عرف منه معْنًى يُوجب عنده ردّ خبره، وذلك المعنى لا يُوجبه عند غيره، أو عرف أحدُهما علّة حديث ظهر بها انقطاعُه أو انقطاعُ بعض ألفاظه، أو إدْراجُ لفْظ من ألفاظِ مَن رواه في متنه، أو دخولُ إسْناد حديثٍ في إسنادِ غيره، خَفِيتْ تلك العلّةُ على غيره.

فإذا علِم هذا، وعرف معنى ردِّ مَن رَدَّ منهم خبرًا، أو قبولِ مَن قَبِلَه منهم، هداهُ الوقوفُ عليه، والمعرفةُ به إلى اختيار أصحّ القولين- إن شاء الله.

قال الفقيه: وكنت- أدام الله عزّ الشيخ- أنْظُر في كتب بعض أصحابنا، وحكايات مَن حكى منهم عن الشافعي رضي الله عنه نصًّا، وأُبصِرُ اختلافَهم في بعضها، فيضيق قلبي بالاختلاف، مع كراهية الحكاية من غير ثَبَت، فحَمَلني ذلك على نقْل مبسوطِ ما اختصره المزنيّ- رحمه الله- على ترتيب «المختصر»، ثم نظرت في «كتاب التقريب» و«كتاب جمع الجوامع» و«عيون المسائل» وغيرها، فلم أر أحدًا منهم فيما حكاه أوثَقَ من صاحب التقريب- رحمنا الله وإياه، وهو في النّصف الأول من كتابه أكثرُ حكايةً لألفاظ الشافعيّ منه في النّصف الأخير، وقد غَفَل في النّصّفين جميعًا- مع اجتماع الكُتُب له أو أكثرها وذهاب بعضها في عصرنا- عن حكاية ألفاظ لابدّ لنا من معرفتها؛ لئلاّ نَجْترئَ على تَخطئة المزنيّ في بعض ما نُخطِّئه فيه، وهو عنه بريءٌ، ولنتخلّصَ بها عن كثيرٍ من تخريجات أصحابنا.

• تحقيق مذهب الشافعيّ في الاحتجاج بالمراسيل

.. ورأيتُ في هذا الفصل قوله في المراسيل إنها ترجيحاتٌ لا تقوم الحجّة بها، سوى مرسل سعيد بن المسيب، والشيخ- أدام الله عزّه- تبع في إطلاق هذا اللفظ صاحب «التلخيص»، ولو نظر في رسالتي القديمة والجديدة (كذا في المخطوط) للشافعيّ- رحمه الله، وأبصَرَ شرطه في قبول المراسيل، وتذكّر المسائل التي بناها على مراسيل غيره حين اقترن بها الشرط، ولم يجد فيها ما هو أقوى منها... لقال سوى مرسل سعيد بن المسيب ومَن كان على حاله من كبار التابعين.

والشيخ- أدام الله توفيقه- أهلٌ أن يجتهد ويتخيّر؛ إن جاز التخيُّر... وبالله التوفيق والعصمة.

والشيخ- أدام الله توفيقه- يحفظ ما رواه أبوالحسين القطان ببغداد... قال حدّثني مسلم بن البطين عن عمرو بن ميمون قال: «اختلفت إلى عبدالله بن مسعود- قال آدم سنة- فما سمعته يحدّث فيها عن رسول الله ﷺ إلا أنّه حدّث بحديث يومًا، فجرى على لسانه: قال رسول الله ﷺ، فعلاه كرب، حتى رأيت العرق يتحدّر عليه، ثم قال: إن شاء الله؛ إمّا فوق ذا، وإمّا قريبًا من ذا، وإمّا دون ذا».

... سمعت أبا سعيد محمد بن شاذان يقول: إنه يقول: سمعت عبدالرحمن بن مهديّ يقول: «احفظ، لا يجوز أن يكون الرّجل إمامًا حتى يعلم ما يصحّ ممّا لا يصحّ، وحتى لا يحتجّ بكل شيء، وحتى يعلم مخارج العلم»...

... أحمد بن يحيى قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل غير مرّة يقول: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنّها مناكير، وعامّتُها عن الضّعفاء»...

قال الفقيه- رحمه الله: وإنما رخّص في كَتْبها من رخّص فيها، ليَعْرف طريقَها فلا يحتجُّ بها، لا ليقلّدَها فيتّخذها دينًا، وفي الأحاديث الصّحاح غنيةٌ عن الغرائب لمن عرفها، وتأمّل فيها، واستنبط معانيها، وساعده حسْنُ التوفيق على الاقتصار عليها»...

رحمةُ الله على الإمامين ورضوانُه

النفايات الثقافية.. كيف نتعامل معها؟

د. فاتح عبدالحليم

بدايةً أعتذر من القارئ الكريم عن إلصاق صفة النفايات بالأعمال الهابطة والمشوهة والمدسوسة، لأن مثل هذا النتاج لا يرقى إلى محتواها، بل إنه يلوثها.. ثم إن للنفايات أصلًا معايير ومواصفات، ولهذا لا تقبله لأنه يبتعد عنها كثيرًا، وعلينا أن نوجد مصطلحًا يناسب هذا الكم الرهيب الذي تجتاح سمومه الكثير من مفاصل ثقافتنا.



لو حاولنا عزيزي القارئ أن نتتبع مصادر ومناهل ثقافتنا في مجالاتها المختلفة من فنون وآداب وعلوم وغيرها لوجدنا أن هناك مَنْ أساء إليها كثيرًا، وأن هناك أيضًا من يستمر في تخريبه وعبثه، إما لأنه فارغ أو أجوف ثقافيا، وبالتالي هو أصلًا لا يستطيع الصمود ولا يتمكن من البقاء في ظروف الثقافة النوعية الصحيحة والسليمة، أو أنه يعمل وفق برامج لئيمة تستهدف حضارتنا وثقافتنا وتسعى جاهدة للنيل من تراثنا.

ولعل ما أريد أن أشير إليه في هذا السياق هو وجود صحوة ثقافية لها جذور قديمة، لكن في الآونة الأخيرة تبلورت بجلاء بعدما تبين، وبما لا يدع مجالًا للشك، أن ثقافتنا مستهدفة، ولهذا انبرى للتصدي لتلك الهجمة الشرسة الكثير من مثقفينا الذين يحتاجون منا إلى كل دعم ومساعدة من أجل الاستمرار في عملهم ونشاطهم السامي والنبيل.

مصادر تلويث ثقافتنا

هناك مصادر وسبل كثيرة لجأ إليها العابثون وفي أذهانهم، بل في مخططاتهم نسف كل ما هو أصيل، إنهم يحاولون أن يغلفوا أطماعهم الشريرة ومكائدهم بألوان يظنون أننا لا نعرف أبعادها ومدلولها، أحيانًا يعملون على إغراء بعض أصحاب النفوس الضعيفة من خلال أساليب خسيسة ودنيئة، أذكر مثلًا العمل على تبني أعمالهم والترويج لها بقوة، لا يدخرون جهدًا في التحضير لندوات أو إعلان مسابقات وغيرها من طرائق لا ترمي إلا إلى استقطاب وإظهار كل ما هو دوني أو لا يمت للثقافة بصلة.

مثل هؤلاء بالتأكيد تقف وراءهم أنظمة فاسدة عفنة، وتقف أيضًا منظمات أو مؤسسات تعمل في الخفاء، وبعضها الآخر يعمل في العلن بمسميات مبطنة في جوهر عملها التخريب والتدمير أو نسف كل نتاج يعمل على فضح مكرهم ودسائسهم ويكشف حقيقتهم، ولا ننسى أنهم أيضًا يجمّعون أنفسهم في اتحادات يريدونها نقية خاصة بهم ولا يقبلون أي قادم جديد لا تنطبق عليه شروطهم والمواصفات التي يضعونها هم، بحيث تضمن أن مَنْ يتعاملون معه هو مجرد أداة مطواعة، أو سلم يرتقون من خلاله للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم الشريرة، أي إنه يسعى مكرسًا كل ثقافته العدوانية ليغدو نفاية، لكنه أبدًا لن يرتقي لمستواها.

يساعدهم في ذلك بعض القنوات الفضائية ووسائل الإعلام المعدة، بل المجندة، لخدمتهم بهدف تنفيذ مخططات على غاية كبيرة من الخطورة، ولعل مَنْ يحاول أن يتأكد من مثل هذه البرامج ستتشكل لديه قناعة تامة بأن ما يعترض ثقافتنا من تلوث هوله كبير فعلًا، فهو حقًا مخيف ومرعب.

ولعل ما أود التنويه إليه هو تسليط الضوء على مَنْ ينفذون تلك البرامج، فهناك محاولات مستمرة لتلميعهم والسعي الدائم لإظهار أعمالهم، من بين تلك الأساليب مثلًا يأتي ترويج أو فرض كتب من خلال إحضارها إلى عدد كبير من القطاعات والمؤسسات وإجبار الآخرين على اقتنائها، وطبعًا لا يتوانى أصحابها أيضًا في اللجوء إلى محاسبي تلك الجهات من أجل اقتطاع ثمنها من أجور ورواتب العاملين والموظفين.

مثل هذا الطريق اتبعه بعضهم، وتمكنوا من طباعة خزعبلاتهم عدة طبعات، في وقت نجد أن نسخ طبعة واحدة لمبدعٍ حقيقي ربما لا تنفد بيسرٍ وسهولة.

أهداف التلويث الثقافي

من المؤلم حقا أن تمتد أيدي العابثين إلى ثقافة جيلنا، إنهم يلاحقونه منذ نعومة أظفاره، فتجدهم يدسون سمومهم في الوجبات الثقافية للنشء الجديد، ويركزون على نشر العدوانية بينهم واستئصال جذور الألفة والمودة والإخاء والتسامح، فهم يريدون جيلًا اتكاليًا ثقافته مؤطرة لا تبتعد في أحسن أحوالها عن ثقافة الدش والموبايل والمواقع الإباحية.

الأكثر إيلامًا هو التخطيط

• أستاذ جامعي وكاتب وصحافي سوري



العابثون بالثقافة وفق برامج لئيمة تستهدف ثقافتنا سيفشلون بإذن الله

لبرامج تربوية لا تناسب الفئات العمرية للنشء الجديد، والسعي إلى تبديل أو تغيير تلك البرامج بطريقة تبعد الجيل القادم عن الحقيقة من جهة، ومن جهة أخرى تشكل عبئًا حقيقيا على قدراته وإمكاناته، تغيب في تلك الظروف الحالة الإبداعية، أو أنها تعمل على خنقها، فهؤلاء المشعوذون الفاسدون يريدون جيلًا محبطًا وفاشلًا لأنهم أصلًا يخشون الإبداع، فهو السبيل لكشف عيوبهم وفضح حالهم.

كيف نخلّص ثقافتنا ممّا حل بها؟

إن حصر بؤر التلوث الثقافي يعد في مقدمة ما يجب القيام به، مثل هذا الأمر هو الركيزة الأساس لتنفيذ هذه المهمة أو الواجب، إضافة إلى وضع قائمة بأسماء مَنْ يلوثون بيئتنا الثقافية ولا بأس بتسميتهم «مجرمون بحق الثقافة» خاصة أن هناك جهات كثيرة تبنت القيام بالدفاع عن ثقافتنا وتراثنا، ومثل هذا العمل يفترض أن يكون من صلب أنشطتها.

أمرٌ آخر في غاية كبيرة من الأهمية، إنه الرد على كل نتاج هابط، والأجمل لو قمنا بطباعة هذا الرد وإيصاله للمتلقي بشكل مجاني، نكون بذلك قد قطعنا على العابث الطريق أو قمنا بسده في وجهه، أرى أيضًا من الضروري تثمين دور أصحاب المهارات والإمكانات في صناعة المنتج الثقافي، فما أجمل أن يدخل ميدانه المبدعون! وأما ما يتعلق بالمفرزات السامة «لم أقل نتاجًا أو أعمالًا» فعلى جميع أصحاب القرار من الغيورين على ثقافتنا الاتفاق على آلية معينة لسحبها ومنع تداولها، كل ذلك بأقصى سرعة ممكنة.. والله من وراء القصد.

أسماء الفائزين والفائزات في مسابقة نزهة العقول رقم ١١ المنشورة في عدد المجلة رقم ٥٣٠ شوال ١٤٣٠هـ

بعد إجراء القرعة بين الإخوة والأخوات المشاركين في المسابقة والذين كانت إجاباتهم صحيحة فاز كل من:

١- أحمد حسن أحمد حسين/ أسوان/ هويئة دراو/ نجع الشيخ عامر - مصر.

٢- عبدالرحمن باكير/ الدمام/ مؤسسة مصطفى الأطرش/ ص.ب:٣٤٧٠/ الرمز البريدي ٣١٤٧١/ السعودية.

٣- مرزقة محمود محمد عزام/ أسيوط/ القوصية/ فوق مقر الذهب للمجوهرات/ مصر.

٤- عمار السقا/ السالمية/ جانب مدرسة العسعوسي/ الكويت.

٥- إيمان علي الحاج أحمد محمد مصلح/ تعز/ ص.ب: ٦٢٠٠/ اليمن.

٦- مولاي الصديق أفشر/ مراكش/ باب غمات/ ص.ب ٥٥٦٠/ المملكة المغربية.

٧- أحمد أنور أحمد عيسى/ ١٠٣ شارع السلام/ متفرع من شارع المطار بالمنيرة الغربية/ إمبابة/ الجيزة/ مصر.

٨- محمد إنعام الرحمن خان/ الهند.

Mohammad inamurrahmankhan
sayeedi islamie library
٢٧٢١٥٣-tilauli bazar
siddharth nagar
u.p-india

٩- كريمة محمد نور ناصر/ دمشق/ ص.ب:٣٥٥٧٤/ سورية.

١٠- رحاب علي دينار/ اشبيلية/ قطعة ١/ الكويت.

تنويه

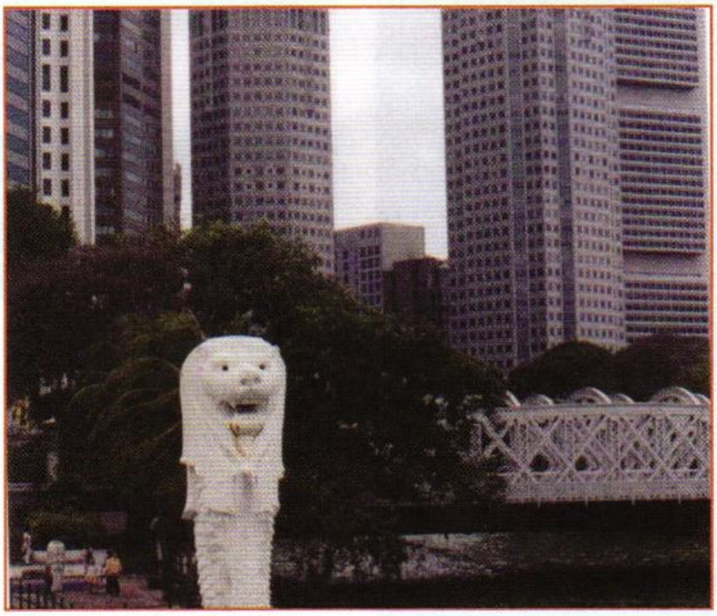
بإذن الله تعالى ستصل الجوائز إلى مستحقيها خارج دولة الكويت وفق عناوينهم المدونة في ورقة الإجابة، أما الفائزون من داخل دولة الكويت فيمكنهم تسلم الجوائز عن طريق صندوق الوزارة بعد شهر على الأقل من صدور النتائج، مع تمنياتنا للإخوة والأخوات الذين شاركوا ولم يحالفهم الحظ بالفوز في المسابقات المقبلة.. والله الموفق.

الحضارة المتبرجة

العلامة محمود محمد شاكر «رحمه الله»

أعطيت هذه الحضارة الأوروبية الحديثة أعظم روح من الفن كان في الأرض، من لدن آدم إلى يوم الناس هذا، وهذه الروح الفنية- على سموها في بعض نواحيها إلى غاية ما يتسامى إليه الخيال الفني- تتساقط وتتدنى وتنحدر من جوانبها إلى أدنأ ما يبتذل من الفن العامي المثير لأشأم الغرائز الحيوانية في الإنسان.

وبهذه الروح الفنية عالجت الحضارة الأوروبية مشكلة الحياة السريعة الدائبة المثقلة بأعباء العمل، فاتَّخذت لكل ملل راحة واستجمامًا، بلغت بهما غاية اللذة الفنية، تلك اللذة التي تجعل الأعصاب المجهدة إذا أوت إليها، كأنما تأوي إلى بيت ذي رونقٍ وزخرف وعطر وضوء يغمغم ألحانًا من الفن الموسيقي، فإذا بلغته استنامت بإجهادها على حشايا الخز والديباج، نعومة ولينًا ترسل في الأعصاب لذة، تمسح الجهد حتى يسكن ويخف، ثم يتبدد.



وكانت المرأة هي فنَّ الفن للإنسانية، وهي الشاطئ الوادع لبحر الحياة المتموج، وكانت الظل الرطيب في بيداء موقدة تحت أشعة الشمس المحرقة، وكانت هي السكن للقلب المسافر دائمًا في طلب أسباب العيش والحياة، فجاء فن المدنية الحديثة، فجعل الشاطئ بحرًا آخر، يموج موجًا فنيًا مغريًا، يجعل السباحة المجهدة فيه ضربا من الراحة، وتركت الظل الرطيب حرارة مستعرة تحرق، ولكنها تحرق بلذة، وفرشت السكن حتى مدته طريقًا بعيدًا متراميًا يسافر فيه القلب سفرًا بعيدًا في أحلام وفتنة، وجديد لا يتقادم.

وصارت المرأة هي المحور الذي تدور عليه الإنسانية في فلك الشهوات الضارية، التي تنزع منازعها في حياة الإنسان باقتدار وقسر، وسار العالم كله على ذلك حتى ما يحس ذو شعور أنه يعمل من أجل المرأة، مع أنه ما يعمل عامل إلا من أجلها، فهو في نشوة متصلة لا تنقطع في عمله، لأن الغرائز المنتشية هي التي تحكم وتصرف، وبذلك لم يبق له من الفكر ما يستطيع به في هذا الأمر أن يتبين حقيقة التيار المسكر الذي يتدافع به في حياته.

أصبحت الحضارة الأوروبية بعد ذلك فنًا جميلًا، يتوالى فيه زخرف الحسن مبعثرا ومنتظما، لأن الأعمال كلها قد احتملتها إرادة واحدة، هي إرادة جعل الحياة أجمل مما هي، لتكون أمتع للعين والقلب والنفس والغريزة، مع إسقاط مطالب الروح السامية المتحررة من استعباد الشهوات.

ومن عجيب تصريف القدر في الحياة: أن يُجعل أعظم شيء فيها هو أقل الأشياء حظا من الحياة، فالروح التي هي أعظم ما وجد في الحياة، ترجع في غمرة اللذات والشهوات وأمواج الغريزة الطاغية أقل ما وجد في الحياة، حتى ما يكون لها نصيب منها إلا ذلك الجو الأغبر القائم في عزلة موحشة، بعيدة عن تحقيق لذاتها الروحانية الحلوة، التي تبقى حلاوتها خالدة في الهرم بعد الشباب، وفي العجز بعد القدرة، وفي السكون بعد الحركة، وفي الموت بعد الحياة.

فاعتزال الروح في هذه المدنية الأوروبية قد جعل العالم يعيش ليحترق بأسرع ما يمكن أن يحترق، وهذا هو العلة في امتياز هذه المدنية بالسرعة والنشاط والتوقد، واحتمالها متاعب الجهد المضني في سبيل استغلال أقصى ما يستطيع الإنسان من الإنتاج في العمل، ثم امتيازها بنظام الطبقات الذي تجهد جهدها أن تستره بتلك الزينة الفنية العلمية الظاهرة، لئلا يكون معنى ذلك أن المدنية تريد أن ترتد بالناس إلى الحالة الطبيعية الوحشية اللئيمة، التي ينتجها اجتماع همجي مستبد لا يعقل، وإنما يكون فيه اللذة التي تسكر العقل، والظلم الذي يثير العقل، والأثره التي تطغي العقل.

وجاء اشتراك المرأة اشتراكا عمليا في الحياة الأوروبية العامة، ليقذف الروح بعيدا في عزلتها، ويدني غريزة تشتاق إلى غريزة تشوق، فكذلك بدأت الأنظمة الأدبية والاقتصادية والمدنية تخضع لسلطان الأشواق وحدها دون سلطان الروح والعقل، وسلطان الأشواق هو الذي يكون غرضه دائما أن يضيق ويتخصص، وينفرد بأسباب شوقه، وسلطان الروح والعقل هو الذي يتراحب

المصدر: مجلة الرسالة «السنة الثامنة، العدد: ٣٧٠، ١٩٤٠م» بتصرف يسير

ويشمل ويعم، ويوجد المساواة بين الناس، مهما لقي من العنت والقسوة في وضع النظام الذي يريد أن يجعل به الناس أحرارا في قيود من الإنسانية السامية المترفعة عن الذل، كما تترفع عن بغي السطوة، والتي تستنكر العبودية الخاضعة، كما تستنكر الحرية الفوضى، والتي تأبى تحكم طبقة في طبقة كما تأبى ثورة طبقة على طبقة.

ولكنَّ تبرج الحضارة الأوروبية في ذلك الخلق الجميل الفتان- ذي الحيلة والفتنة والسحر الذي يعيش في صورة الأنثى- قسر هذه المدنية على الخضوع لسطوة الشوق المتمرد، فقام النظام كله على هوى واحد إلى المرأة، فالعامل الذي يعمل يريد أن يستغل الحياة بين يديه، لا ليعيش ويعيش معه أهله وبنوه، وتلك الدولة الصغيرة التي تسمى البيت، بل هو يعمل ليجد أولا تلك اللذة الحاكمة الممتعة، التي يستمتع بها في ظل تلك الدولة العظيمة التي تسمى المرأة.

وإذا بدأت الطبقة العاملة من الشعب تجد حوافز أعمالها في شيء بعينه، كانت كل أعماله من الأدنى إلى الأعلى لا تجد في أعمالها إلا هذا الحافز الواحد، وإذا تشابهت الحوافز تشابهت الغايات، وما يفترق هذا عن ذاك إلا بأن لكل شيء أسلوبا، ومهما اختلفت الأساليب في هذا، فلن تختلف في الدلالة إلا بمقدار الأصل العملي الذي يوجب هذا الاختلاف.

والمكان الذي نُصَّت عليه عروس النفس الإنسانية في هذه المدنية الحديثة هو الحافز، وهو الغاية، ولذلك تجد هذه المدنية قد تبرجت لأبنائها تبرج الفن العبقري الحافل بأسباب التحكم

اعتزال الروح في المدنية الأوروبية جعل العالم يعيش ليحترق

المستمر في أعمال كل حي، ولما كانت هذه الحوافز على تعددها إنما هي في الحقيقة اختصاص فردي لكل واحد من الناس، لأن اللذة لا تقبل الشركة والتعدد، ولكل اختصاص عيب هو الأثرة، والإصرار على التفرد، ومعاندة الناس بعضهم بعضا في سبيل التفرد- وقع التضارب والتعادي والانتقاض في كل عمل، وصار ما يبنى لا يكاد يتم حتى يلقاه ما يهدمه، وبذلك كان نظام هذه الحضارة مع روعة ما يبنى يقابله نظام آخر في الهدم والتدمير، يخيف هذا بقدر ما يروع ذاك.

ولولا هذا التبرج الفاجر في هذه المدنية، ولولا هذه الشهوات التي انطلقت ترشف من مسكرات الفن المتبرج، ولولا هذه الغرائز الجامحة في طلب السيطرة لإدراك غاية اللذة، لما كان النظام الاقتصادي الحاضر في هذه المدنية هكذا، مهدمًا مستعبدًا مستأثرًا باغيًا، ولما تعاندت القوى الدولية هذا التعاند الذي أفضى بالعالم إلى الحرب الماضية، ثم إلى هذه الحرب المتلهبة من حولنا اليوم، وذلك في مدى خمسة وعشرين عامًا، لم يستجمع العالم خلالها قوَّته، ولم يتألف ما تفرق، إلا ليضيع قوته مرة اخرى ويتفرق.

إن الحضارة في هذه السنوات التي تبعت الحرب الماضية كانت ترفه عن المكدودين ترفيهها الحلو الغني المتبرج، لتعطي القوى العاملة نشاطاجديدًا من النشوة، أي: من الحالة التي يفقد فيها العقل والروح قدرتهما على التحكم في نظام الحياة، وأقدمت المرأة الأوروبية إقدامها الجريء، فجلبت زينتها من كل خيال ومن كل فن، ومن كل سحر، لتعين الحضارة على الحياة والبقاء في هذا الجو الذي اختارته وعملت له، وكان هذا الإقدام ضرورة طبيعية للمقدمات التي سبقت عصر الحرب الماضية، ثم للحرب نفسها، فان المرأة التي فقدت زوجها، والفتاة التي أضلت حبيبها، والبنت التي أضاعت قيمها من أب أو أخ أو عم...، وبقيت في موج الحياة حيرى متلددة، لم تجد بدًّا من الإقدام على الطريق المجهول بجرأة واندفاع وتهور، فلما أوضعت (أسرعت) في الطريق المجهول، وأسرعت خطاها، جرى العالم وراءها يطلبها، فلم تجد بدًّا من ان تأخذ منه أكثر ما تستطيع لتجتلب لزينتها أحسن ما تستطيع، وتطارد الصيد للصائد في كل وجه، حتى اصطدم العالم كله هذا الاصطدام الهائل الذي لا يدرى إلى أين ينتهي، ولا كيف ينتهي.

وستخرج المرأة من هذه الحرب أيضا كثيرة فاتنة، حائرة لا تجد أباها ولا زوجها، ولا أخاها ولا حبيبها، وستكون في عينيها تلك النظرة الحزينة الضارعة التي تقول لك: أنقذني! أنقذني! أنا وحدي، لا أجد من يعولني! وسينظر العالم الجديد إلى هذه المرأة بالرحمة والعطف والحنان، كما نظر للواتي كن بعد الحرب الماضية، وستعمل المرأة يومئذ لتكتسب الرجل في كل وجه، ثم لا تلبث أن توجد من بقايا العالم المتحطم سحرًا جديدًا لمدنية ساحرة، وبذلك يرتد العالم إلى النظام الاقتصادي الفاجر المبني على اللذة، وطلبها والبحث عنها، فتكون أنظمته كلها قائمة على الاستبداد والفجور في الاستبداد.

ويومئذ يبدأ تحقيق نبوة رسول الله ﷺ في أشراط الساعة، وما يكون في أعقاب الدهر، إذ «يُرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»، وحتى «ترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يَلُذنَ به»، وما يكون ذلك إلا يوم يتحقق الحياة المعنى الفني المحضُ الذي لا يعرف قاعدة اجتماعية يحرص على تحقيقها للاجتماع، والذي يرى الحرية انطلاقا من قيد الأخلاق التي تقسره على مصلحة الجماعة دون لذة الفرد، وتتبرج الحياة تبرجا هائلا يجعل العقل غريزة جديدة تشتهي، والروح خلقًا منبوذًاحائرًا يطوف على هذه الفتن كما يطوف الصعلوك على مائدة ملكية، ويومئذ يرفع العلم، لأنه سيستعبد في إيجاد اللذات، وتفارقه الروح النبيلة التي لا يكون العلم إلا بها علمًا، ولا يبقى في الأرض إلا الجهل الأحمق الذي لا يعرف إلا السيطرة بحماقة، والأثرة بكلَب، وتكون المرأة هي علم الحياة الجديدة الذي يمزق الرجولة القليلة في جذب الشهوات العنيفة، ويغرق الفضيلة في طوفان المتعة الجميلة التي تبعث في الأعصاب المجهدة نشوة مسكرة.

علم الفروق الفقهية.. حقيقته وموضوعه ومصنَّفاته

د. سيد حبيب المدني *

علمُ «الفُرُوق الفقْهيَّة» علمٌ جليل القدر، عظيم الشأن، عميم النفع، إذ به يكشف الستار عن أسرار الشَّريعَة ومحاسنها، وحكمها ومقاصدها ومآخذها، وبه يقع التمييز بين المتشابهات، وإليه يستند التفريق بين المتماثلات والجمعَ بين المختلفات، وعليه يعتمد العلماء في كثير من القضايا والواقعات.

وأهمية هذا النوع من علوم الفقه الإسلامي راجعة إلى مكانته بين العلوم الشرعية المتعلقة بالاجتهاد والاستنباط، حيث تُشكِّل الفُرُوق الفقْهيَّة -في الجملة- نصف الفقه الذي هو عبارة عن جمع وفرق. علاوة على أنها تنير للباحث طرق النظر والاستدلال والاستنباط والتأصيل، فتكون له ملكة كبيرة في درك أحكام النوازل المتجددة بمرور الأزمنة واختلاف الأمكنة.



كما أنه يمكن من خلال هذا العلم الدفاع عن الشريعة الإسلامية، والرد على شبه المعترضين-من المستشرقين وأذنابهم- في الأزمنة المتأخرة على بعض أحكام الشريعة الثابتة، وتفنيدها، وإبراز محاسن الشريعة في تلك الأحكام، ومدى صلاحيتها لكل زمان ومكان.

وفيما يلي دراسة موجزة للفروق الفقهية، وتشمل: تعريف الفروق الفقهية، والفرق بينها وبين القواعد الفقهية، وأهمية الفُرُوق الفقْهيَّة، ونشأتها، وموضوعها، والمؤلفات فيها.

تعريف الفروق الفقهية

أولًا: تعريف الفروق الفقهية باعتبارها مركبا توصيفيا.

أ- الفروق في اللغة، جمع الفَرْق، وهو الفصل، وهو ما يميّز به بين الشيئين. والفرق- أيضا- خلاف الجمع، ويأتي فعله: مخففًا، فيقال: فَرَقَهُ يَفْرُقُهُ فَرْقاً وفُرْقاناً. ومثقَّلا، فيقال: فَرَّقَه يُفَرِّقُه تَفْريقاً.

ولعلماء اللغة في حكاية معنى الفعلين-المخفف والمثقّل- ثلاثة آراء.

الأوَّل: أنهما بمعنى، ولا فرق بينهما، إلاّ أن التثقيل يراد به المبالغة، وهو الراجح.

الثَّاني: أن المخفّف للصلاح، يقال: فَرَقَ للصلاح، فَرْقاً. والمثقّل للإفساد، يقال: فَرَّقَ للإفساد تَفْريقاً.

الثَّالث: أن المخفف للمعاني والألفاظ، يقال: فَرَقْتُ بين الكلامين فَرْقاً فانْفَرَقَ. والمثقّل للأعيان والأجسام، يقال: فَرَّقْتُ بين الرَّجُلين، فَتَفَرَّقا (١).

ب- تعريف الفروق في الاصطلاح: «هو الفن الذي يذكر فيه الفرق بين النظائر المتحدة تصويرا ومعنى، المختلفة حكما وعلة» (٢).

ثانياً: تعريف الفروق الفقهية باعتباره علما على هذا الفنّ.

بالنظر في جملة من المؤلفات القديمة في الفروق الفقهية يظهر أنه لم يُنقل عن المتقدمين تعريف خاص محدّد بالفروق الفقهية، وإن كان بعضهم قد ذكر ما يشبه التعريف به.

ولذلك فقد اجتهد بعض المعاصرين في استنباط تعريف الفروق الفقهية من كلام المتقدمين حول الفروق-عموما- أو حول الفروق الفقهية، فعرّفوه بتعريفات عديدة، كلها متقاربة المعنى، وأختار منها ما يلي:

١-«هو العلم بوجوه الاختلاف بين مسألتين فقهيتين متشابهتين صورة، مختلفتين حكما» (٣).

٢-«هو علم يبحث في المسائل الفقهية المتشابهة صورة، المختلفة حكما، لعللٍ أوجبت ذلك الاختلاف» (٤).

٣-«هو العلم الذي يُبحث فيه عن وجوه الاختلاف بين المسائل الفقهية المتشابهة في الصورة، المختلفة في الحكم، لمعرفة صحتها أو فسادها، وصحة التفريق أو عدمه».

وكل هذه التعريفات متقاربة في المعنى-كما سبق- وليس بينها اختلاف جوهريٌّ في المعنى.

الفرق بين الفروق الفقهية، والقواعد الفقهية.

تقدم قريبا تعريف الفروق الفقهية لغة واصطلاحا.

وأما القواعد الفقهية: فالقواعد، جمع القاعدة، وهي في اللغة، الأساس، وقاعدة كل شيء أساسه، ومنه قواعد البيت، أي، أساسه (٥).

وفي الاصطلاح، عرفت بأنها: «قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها» (٦). وقيل: «حكم كلي ينطبق على

* باحث دراسات اسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

جزئياته، ليتعرف أحكامها منه» (٧). وأما القاعدة الفقهية، فقد عرِّفت بأنها: «حكم شرعي -أو فقهي- في قضية أغلبية يتعرف منها أحكام ما دخل تحتها» (٨). وقيل: «أصل فقهي كلي يتضمن أحكاما تشريعية عامة من أبواب متعددة في القضايا التي تدخل تحت موضوعه».

ومن خلال النظر في تعريف كل من الفروق الفقهية، والقواعد الفقهية، تظهر أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما على النحو التالي:

١-إن كلا من الفروق الفقهية والقواعد الفقهية يتعلق من حيث العموم بالفروع الفقهية. إلاّ أن الهدف من علم الفروق الفقهية معرفة أوجه التوافق بين هذه المسائل أو التفريق بينها بسبب الدليل أو العلة.

بخلاف القواعد الفقهية، فإنها تركّز على ضبط المسائل المتشابهة ووضعها تحت حكم واحد، فهي جامعة لشتات النظائر المتشابهة تحت معنى واحد (٩).

٢-إن مبنى الفرق الفقهي على الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس، وقد يكون مبنيا على معنى مستنبط يستند فيه إلى قاعدة فقهية (١٠)، وعلى هذا تكون القاعدة الفقهية من أدلة الفروق الفقهية أحيانا.

٣-إن القاعدة الفقهية الواحدة تساعد على معرفة حكم الشَّرع في مسائل فقهية كثيرة من أبواب الفقه المختلفة، بعناء يسير غالبا.

بخلاف الفرق الفقهي الواحد، فإنه يساعد على معرفة أوجه الاختلاف بين مسألتين فقهيتين متشابهتين غالبا، في باب واحد، أو من بابين مختلفين بينهما جامع، وقد يتطلب ذلك شيئا كبيرا من الجهد والعناء (١١).

الفروق الفقهية تشكل نصف الفقه لأنها تنير للباحث طرق الاستدلال والاستنباط والتأصيل

٤-إن القواعد الفقهية تتضمن أحكاما شرعية، بخلاف الفروق الفقهية، فإنها وإن تضمّنت مسائلها أحكاما شرعية، إلاّ أنها غير مقصودة لذاتها، وإنما تذكر للموازنة، ليتضح ما يذكر من أوجه الاختلاف بين تلك المسائل المتشابهة، أو ليسهل دراسة تلك الأوجه.

٥-إن ألفاظ القواعد الفقهية تتم صياغتها بعناية ودقّة، استنباطا من دلالات النصوص الشَّرعية العامة، ومبادئ أصول الفقه، وعلل الأحكام، مع مراعاة الإيجاز والاختصار، لأنها بمثابة دليل شرعي.

بخلاف الفروق الفقهية، فإنها لا تخضع لصياغة معينة، وإنما هو بيان وإيضاح لأوجه الاختلاف بين المسائل الفقهية المتشابهة صورة، المختلفة حكما، استنادا إلى علل الأحكام، ومقاصد التشريع، أو أسباب أخرى.

أهمية الفُرُوق الفقْهيَّة

تتجلى أهمية الفروقَ الفقهية من وجهين:

أحدهما: إشادة العلماء بهذا الفن وأقوالهم في ذلك.

الثاني: الفوائد المترتبة على دراسة هذا العلم ومعرفته.

أولاً: إشادة العلماء بهذا الفن وأقوالهم في ذلك.

قد بين كثير من العلماء أهمية علم الفروق الفقهية، وعظيم فائدته، ومدى حاجة الفقيه الماسة إلى معرفته، وخطورة الجهل به، وهذه بعض أقوالهم في ذلك -على سبيل المثال:

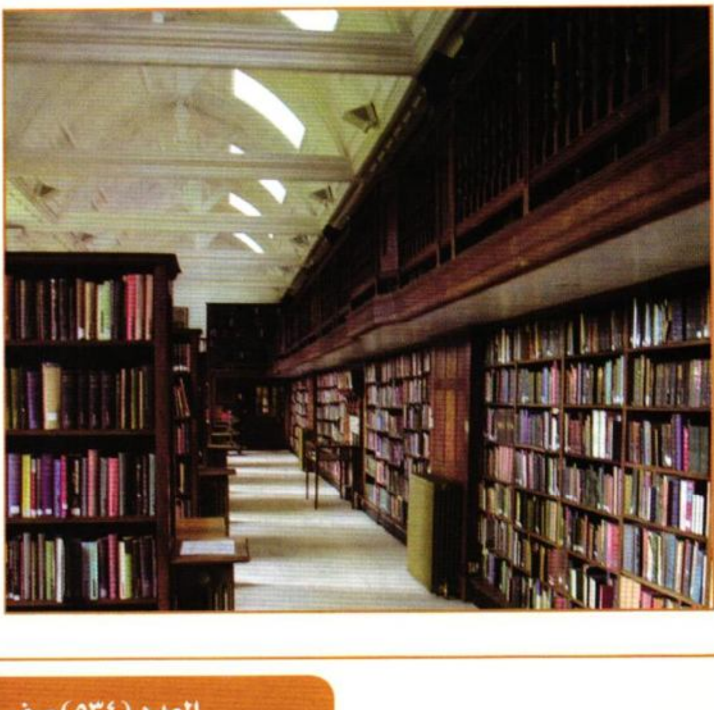
١-قال أبومحمد الجويني - رحمه الله (ت ٤٣٨هـ) في مقدمة فروقه، مبينا أهمية الفروق الفقهية: «فإن مسائل الشَّرع ربّما تتشابه صورها، وتختلف أحكامها لعلل أوجبت اختلاف الأحكام، ولاً يستغني أهل التحقيق عن الاطلاع على تلك العلل التي أوجبت افتراق ما افترق منها، واجتماع ما اجتمع منها، فجمعنا في هذا الكتاب..مسائل وفروقا بعضها أغمض من بعض» (١٢).

٢-وقال أبوعبدالله المازري (ت ٥٣٦هـ) مشيرا إلى حاجة الفقيه والمفتي إلى علم الفروق الفقهية: «الذي يفتي في هذا الزمان أقلّ مراتبه في نقل المذاهب أن يكون قد استبحر في الاطلاع على روايات المذهب، وتأويل الشيوخ لها وتوجيههم فيها: من اختلاف ظواهر، واختلاف مذاهب، وتشبيههم مسائل بمسائل قد يسبق إلى النفس تباعدها، وتفريقهم بين مسائل ومسائل قد يقع في النفس تقاربها وتشابهها» (١٣).

٣- وقال الطوفي-رحمه الله (ت٧١٦هـ): «إن الفرقَ من عمد الفقه وغيره من العلوم، وقواعدها الكلية، حتّى قال قوم: إنما الفقه معرفة الجمع والفرق» (١٤).

٤- وقال بدرالدين الزركشي-رحمه الله (ت٧٩٤هـ) في سياق بيانه لأنواع علم الفقه: «والثاني: معرفة الجمع والفرق، وعليه جلّ مناظرات السّلف، حتّى قال بعضهم: الفقه فرق وجمع..فكل فرق بين مسألتين مؤثر ما لم يغلب على الظّن أن الجامع أظهر» (١٥).

هذه بعض أقوال أهل العلم في بيان أهمية هذا العلم،



وعظيم منزلته، وحاجة الفقيه الماسة إلى معرفته، وبالله التوفيق.

ثانيا: الفوائد المترتبة على دراسة علم الفروق الفقهية ومعرفته.

إنَّ علم الفروق الفقهية يحوي فوائد جمة، ومنافع متعددة، تدل على أهمية هذا العلم، وتتمثل أهم تلك الفوائد في الأمور التالية:

١- بدراسة الفروق الفقهية تتحقّق إزالة الأوهام التي أثارها بعض من اتّهموا الفقه بالتناقض، بسبب إعطائه الأمور المتماثلة أحكاما مختلفة، وتسويته بين المختلفات، كقولهم: إن الشارع فرض الغسل من المني وهو طاهر، دون البول والمذي، وهو نجس! وأوجب غسل الثوب من بول الصبية، والنّضح من بول الصبي مع تساويهما! وهكذا...

فبمعرفة أسباب التفريق في الحكم بين الصور المتشابهة في الظاهر، يُدْرَكُ وَهْنُ مثل هذه الاعتراضات وسقوطها.

٢-إن التّعرّف على الفروق الفقهية يُبصِّر العالِمَ بحقائق الأحكام، وينير الطريق أمامه، لينقذه من التّعثّر في الاجتهاد، فهي شحذ للذهن، وتنبيه له، لئلاّ يقع في الوهم ويتسرّع فيما يفتيه ويصدره من الأحكام بناء على الشبه الظاهري.

٣-إن هذا العلم بكشفه عن الفروق بين المسائل يُحَقِّق وضوحا في علل الأحكام، وما يعارض هذه العلل ويدفعها، مما يهيئ للفقيه القياس الصحيح، ويحقق له غلبة الظّن في إلحاق الفروع بغيرها من الأصول، ويجعله مطمئنا إلى تخريجه.

٤- يمكن من خلال هذا العلم الدفاع عن الشريعة الإسلامية، والرد على شبه المعترضين -من المستشرقين وأذنابهم- في الأزمنة المتأخرة على بعض أحكام الشريعة الثابتة، وتفنيدها، وإبراز محاسن الشريعة في تلك الأحكام، ومدى صلاحيتها لكل زمان ومكان.

نشأة الفُروق الفقْهيَّة.

إنَّ الفقهَ الإسلاميَّ كغيره من العلوم، ظهرت الفروق فيه منذ نشأته، فقد وردت عن الشَّارع طائفة من الأحكام الشَّرعية المشتملة على الفروق الفقهية

ففي القرآن الكريم نصّ الله تعالى على التفرقة بين الربا والبيع الذّين جمع بينهما اليهود، فقالوا: ﴿إنَّما البيع مثل الربا﴾، والله يقول في ذلك: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ (البقرة: ٢٧٥).

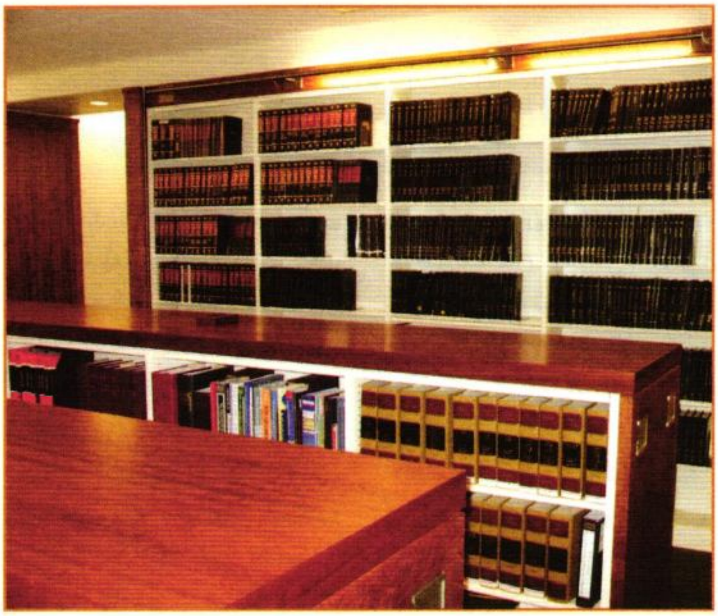
وكذلك الشأن في السنة المطهرة، فالنبي ﷺ هو أول من بيّن الجمع والفرق، قال الإمام ابن القيّم-رحمه الله-: «والنبي ﷺ أوّل من بيّن العلل الشَّرعية، والمآخذ، والجمع، والفرق، والأوصاف المعتبرة، والأوصاف الملغاة...» (١٦).

ولذلك فقد فرّق النبي ﷺ بين كثير من الأحكام التي ظاهرها التشابه، ولكنها مختلفة في الحقيقة، مثل تفريقه ﷺ بين بول الجارية وبول الغلام بقوله: «يُغسل من بول الجارية، ويرشّ من بول الغلام».

وتفريقه ﷺ بين مرابض الغنم، ومبارك الإبل في حكم الصلاة فيهما، بقوله: «صلّوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان الإبل»، وأمثال ذلك الشيء الكثير في كلام النبي ﷺ.

ثم إن الفروق الفقهية كانت متداولة على ألسنة الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأمصار والأقطار، سواء من منصوص كلامهم، أو مما خرّج لهم بأي وجه من وجوه التخريج.

ولم تفرد هذه الفروق الفقهية في مؤلفات مستقلة، بل تناثرت في ثنايا الكتب الفقهية كـ«المدونة» عن الإمام



مالك (ت١٧٩هـ)، و«الأم» للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)، و«الجامع الكبير» للإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٧هـ)، وغير ذلك من كتب العلماء الأجلاء.

ومع تزايد حركة الكتابة والتأليف المستقل في العلوم، قام بعض العلماء بجمع مسائل الفروق الفقهية في مؤلفات مستقلة بها، ومن خلال النظر في هذه المؤلفات يظهر أنَّ بداية القرن الرابع الهجري هي بداية التدوين في هذا المجال، فقد ألّفت في هذا القرن طائفة من المؤلفات، مثل: «الفروق» لابن سُريج الشافعي (ت٣٠٦هـ)، و«الفروق» للكرابيسي الحنفي (ت٣٢٢هـ) وغيرهما.

وبعد القرن الرابع تتابع التأليف في هذا الفن، حتى أصبح لكل مذهب مؤلفات مستقلة في الفروق الفقهية.

ويظهر من استقراء المؤلفات في هذا الفن، أنَّ القرن الخامس الهجري كان العصر الذهبي لهذا العلم، من حيث ظهور أبرز المؤلفات وأكثرها فيه من أي عصر آخر، ويليه في ذلك القرنان السَّابع والثّامن.

وبعد ذلك أخذ التأليف في الفروق الفقهية بالضمور، فلم يعلم في القرن العاشر مؤلف مستقل في الفروق الفقهية غير كتاب «عدة البروق» للونشريسي (٩١٤هـ)، إلاّ أن التأليف فيه لم يهمل كليا، حيث كانت الفروق الفقهية تذكر ضمن الكتب المؤلفة في القواعد، أو الأشباه والنظائر.

وفي العصر الحاضر، ظهر اتجاه إلى استخراج الفروق الفقهية الواردة تبعا في كتب الفقه، على النحو التالي:

-استخراج الفروق من كتب

عديدة، مثل: الرسائل الجامعية في الفروق الفقهية.

-استخراج الفروق من كتاب معين، مثل: «الفروق الفقهية كما يراها ابن قدامة المقدسي في المغني» د.عبدالله بن أحمد الغطيمل.

-استخراج الفروق عند أحد العلماء من خلال النظر في مؤلفاته، مثل: «الفروق الفقهية عند الإمام ابن قيم الجوزية -جمعا ودراسة» رسالة دكتوراه لكاتب هذه السطور.

موضوع علم الفروق الفقهية

هو الفروع أو المسائل الفقهية المتشابهة في الصورة والمختلفة في الحكم، من حيث بيان أسباب الافتراق أو الاجتماع فيما بينها، وما يتعلق بذلك من الأمور.

المؤلفات في الفُرُوق الفقهيّة

أوّلا: مؤلفات الفروق الفقهية في المذاهب الأربعة:

أ- مؤلفات الفروق الفقهية في المذهب الحنفي، منها:

١- «الفروق» لأبي الفضل محمد بن صالح الكرابيسي الحنفي (ت٣٢٢هـ).

٢- «الأجناس والفروق» لأبي العباس أحمد بن محمد الناطفي الحنفي (ت٤٤٦هـ).

٤-«الفروق» لأبي المظفر أسعد بن محمد بن الحسين النيسابوري الكرابيسي الحنفي (ت٥٧٠هـ).

٥- «تلقيح العقول في فروق المنقول» لأحمد بن عبيدالله المحبوبي الحنفي (ت٦٣٠هـ).

٦- «الفروق في فروع الحنفية» لأحمد بن عثمان التركماني الماردينى الحنفي (ت٧٤٤هـ).

دراسة الفروق الفقهية تحقق إزالة الأوهام التي أثارها بعض من اتهموا الفقه بالتناقض

ب- مؤلفات الفروق الفقهية في المذهب المالكي، منها:

١- «فروق مسائل مشتبهة في المذهب» لأبي القاسم عبدالرحمن بن علي الكناني، المعروف بابن الكاتب (ت ٤٠٨هـ).

٢- «الجموع والفروق» أو «الفروق في مسائل الفقه» للقاضي عبدالوهاب بن علي بن نصر البغدادي (ت٤٢٢هـ).

٣- «النكت والفروق لمسائل المدوّنة» لأبي محمد عبدالحق بن محمد بن هارون الصقلي المالكي (ت٤٦٦هـ).

٤- «الفروق» لأبي الفضل مسلم بن علي الدّمشقي (ت القرن الخامس الهجري).

٥- «الفروق للقرافي، واسمه، أنوار البروق في أنواء الفروق» لأبي العباس شهاب الدين أحمد القرافي (ت٦٨٤هـ).

٦- «عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق» لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المالكي (ت٩١٤هـ).

ج- مؤلفات الفروق الفقهية في المذهب الشافعي، منها:

١- «الفروق» لأبي العباس أحمد بن عمر بن سُريج الشافعي (ت٣٠٦هـ).

٢- «الفروق» لأبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني (ت٤٣٨هـ)، وهو يعد أوفى كتاب في الفروق الفقهية.

٣- «الوسائل في فروق المسائل» لأبي الخير سلامة بن إسماعيل بن جماعة المقدسي (ت٤٨٠هـ).

٤- «الفروق» ويسمّى «المعاياة في العقل» للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني (ت٤٨٢هـ).

٥- «الفروق» لعبدالواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني الشافعي (ت٥٠٢هـ).

٦- «مطالع الدقائق في تحرير الجوامع والفوارق» لأبي محمد عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي الشافعي (ت٧٧٢هـ).

٧- «الاستغناء في الفرق والاستثناء» لبدرالدين محمد بن أبي بكر بن سليمان البكري المصري (كان حيا سنة٨٠٦هـ).

د-مؤلفات الفروق الفقهية في المذهب الحنبلي، منها:

١- «الفروق في المسائل الفقهية» لإبراهيم بن عبدالواحد بن علي المقدسي (ت٦١٤هـ).

٢- «الفروق على مذهب الإمام أحمد بن حنبل» لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن الحسين السَّامري (ت٦١٦هـ).

٣- «الفروق» لمحمد بن عبدالقوي بن بدران المقدسي الحنبلي (ت٦٩٩هـ).

٤-«إيضاح الدلائل في الفرق بين المسائل» لعبدالرحيم بن عبدالله الزريراني (ت٧٤١هـ).

٥- «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ).

٦- «الفروق الفقهية كما يراها ابن قدامة المقدسي» د.عبدالله بن أحمد الغطيمل.

ثانيا: الرسائل العلمية الجامعية في الفروق الفقهية

قام عدد من الباحثين بالكتابة في الفروق الفقهية على سبيل الدراسة المقارنة بين المذاهب الأربعة في رسائل علمية بنوعيها (الماجستير، والدكتوراه) بلغ عددها (٢١) رسالة علمية، وأسماء هذه الرسائل موجودة بالتفصيل في كتابي «الفروق الفقهية عند الإمام ابن قيم الجوزية»، وهو رسالة علمية لمرحلة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وقد طبع في ثلاثة مجلدات من مكتبة الرشد بالرياض.

هوامش

(١) انظر: لسان العرب (١٠/٢٤٣-٢٤٩)، المصباح المنير ص (٢٤٣-٢٤٤).
(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ص(٧).
(٣) انظر: الفروق الفقهية والأصولية للباحسين ص(٢٥).
(٤) الفُرُوق الفقهِيَّة بين المسائل الفرعية في الجنايات، لمحمد صالح فرج ص(٢٥).
(٥) انظر: المصباح المنير ص (٢٦٣)، لسان العرب (١١/٢٣٩).
(٦) التعريفات للجرجاني ص (١٧١).
(٧) التلويح على التوضيح للتفتازاني (١/٢٠).
(٨) انظر: القواعد الفقهية للندوي ص (٤٣).
(٩) انظر: الفروق الفقهية بين المسائل الفرعية من كتاب الصيد...، لعبدالعزيز عمر هارون ص (٣٣-٣٤).
(١٠) انظر أيضا: مقدمة إيضاح الدلائل ص (٢٢).
(١١) انظر: الفروق الفقهية بين المسائل الفرعية في الحج والعمرة والزيارة، لشرف الدين ص (٣٤).
(١٢) الفروق له (١/١).
(١٣) مواهب الجليل، للحطاب (٦/٩٧) وانظر أيضا: مقدمة الفروق الفقهية للدمشقي ص (٣٣).
(١٤) عَلَمُ الجذل في عِلْمِ الجدل له ص (٧١).
(١٥) المنثور في القواعد له (١/٦٩).
(١٦) بدائع الفوائد (٣-٤/٣١١).

فتوى الوكالة المجيزة لفوائد الربا

محمد عبدالعزيز

يعتقد الكثير من علماء الأمة أن موضوع فوائد البنوك قد حسم منذ فترة طويلة، ولكن هناك بعض الفتاوى الفردية التي تحلل بين الحين والآخر هذه الفوائد، وكان لا ينظر إليها بعين الاعتبار لأنها فتاوى فردية، ولأنه كان ينقصها الدليل الشرعي، كما قال أبوالحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ، وقد فوجئنا بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة منذ خمس سنوات يصدر فتوى بحل هذه الفوائد البنكية بتخريج جديد، وهو أن العلاقة بين البنك والمودع يحكمها عقد الوكالة حيث قال: «إن الذين يقومون بتقديم أموالهم ومدخراتهم إلى البنك، يكون وكيلا عنهم في استثمارها في معاملاته المشروعة، مقابل ربح يصرف لهم، ويحدد مقدما».

وجاءت بعد ذلك دار الإفتاء المصرية بداية هذا العام لتؤكد هذا المعنى، حيث قالت: «إن التعامل مع البنوك والحصول على فوائد الأموال المودعة جائز، لأن البنك وكيل عن المودع في استثمار هذه الأموال».

وكان تخريج هذا التعامل على أنه عقد وكالة فرصة لبعض البنوك الإسلامية لكي تذكر في نموذج (طلب فتح الحساب) للمتعاملين معها أن العلاقة بين البنك والمودع علاقة وكالة.

وحيث إنني أعمل في مجال المصارف الإسلامية، فمن واجبي أن أوضح مفهوم «الوكالة» بصورة موجزة، وتحديدا سأتناول مسؤولية الوكيل أمام موكله في الفقه الإسلامي والقانون.

الوكالة لغة: التفويض، كما في قول الله سبحانه وتعالى مخبرا عن سيدنا هود عليه السلام ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ (هود:٥٦) أي اعتمدت و فوضت أمري إلى الله، وقوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ (الممتحنة:٤) أي فوضنا أمورنا إليك، ورجعنا إليك في كل شدة وحاجة.

والوكالة شرعا: تفويض شخص ماله فعله مما يقبل النيابة إلى غيره ليفعله في حياته، أو إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في تصرف جائز معلوم.

والوكالة قانونا: عقد بمقتضاه يلزم الوكيل بعمل قانوني لحساب الموكل (المادة ٦٩٩ من القانون المدني المصري).

فمن خلال هذه التعريفات يتضح أن الوكالة عقد يقوم على الاعتبار الشخصي، أو بمعنى آخر: جوهر الوكالة هو ثقة الموكل بوكيله، ويجب أن تكون الأعمال التي يؤديها الوكيل لحساب الموكل أعمالا قانونية وليست مادية.

وهذا يتفق مع ما ذكر في القانون المدني الكويتي، حيث ذكر في المادة ٦٩٨ منه أن الوكالة عقد يقيم به الموكل شخصا آخر مقام نفسه في مباشرة تصرفات قانونية.

مسؤولية الوكيل أمام موكله في الفقه الإسلامي

الثقة بالوكيل جوهر الوكالة وهو غير ضامن لما تلف في يده بلا تقصير منه

١-التزامه بالأمانة في أداء التصرفات الموكل فيها.

٢-التزامه بالعمل الأصلح للموكل.

٣-عدم مجاوزة الوكيل حدود الوكالة.

وقد ذهب جمهور فقهاء المسلمين الى أن الأمانة من الشروط الأساسية التي يجب توافرها في الوكيل، وقد أجمع الفقهاء على أن الوكيل أمين لا يضمن ما تلف في يده اذا كان بدون تعد منه أو تفريط فيه، لأن يده يد أمانة لا يد ضمان،



* باحث اقتصادي

بخلاف ما لو تعدى أو فرط فإنه يضمن.

ومرجع عدم ضمان الوكيل أنه قائم مقام الموكل في التصرف وهو أمين، فيعتبر التلف أو الهلاك كأنه حدث من الموكل.

كما يجب على الوكيل أن يعمل الأصلح والأكثر نفعا للموكل في أثناء قيامه بالتصرف فيما وكل فيه، وذلك حتى تتحقق الغاية من التوكيل.

ومخالفة الوكيل للموكل دون ضرورة تعد تجاوزا للوكالة، فالقاعدة العامة أن كل تصرف يحدث من الوكيل بغير إذن من الموكل، أو على غير مقتضى العقد المبرم بينهما يعتبر تعديا من الوكيل بالمعنى العام، ومجاوزة لحدود الوكالة.

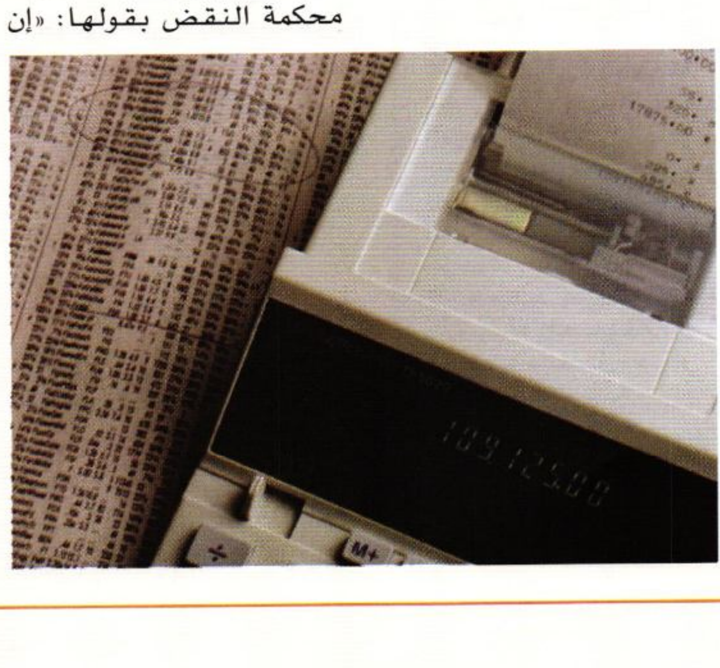
مسؤولية الوكيل أمام موكله في القانون

١-الالتزام بتنفيذ الوكالة.

٢- التزام الوكيل بتنفيذ الوكالة التزام ببذل العناية.

٣-التزام الوكيل بتقديم حساب عن الوكالة.

٤-عدم استعمال مال الموكل لصالحه الخاص.





تنص المادة ٧٠٣ من القانون المدني المصري على ما يلي:

١- الوكيل ملتزم بتنفيذ الوكالة دون أن يجاوز حدودها المرسومة.

٢- على الوكيل أن يخرج عن هذه الحدود متى كان من المستحيل عليه إخطار الموكل سلفا، وكانت الظروف يغلب معها الظن بأن الموكل سيوافق على هذا التصرف، وعلى الوكيل في هذه الحالة أن يبادر بإبلاغ الموكل بخروجه عن حدود الوكالة.

وإذا خرج الوكيل عن حدود التوكيل، فإنه يكون مسؤولا عن هذا الخروج، وهذا ما قررته محكمة النقض بقولها: «إن الوكيل ملزم بتنفيذ الوكالة في حدودها المرسومة، فليس له أن يجاوزها، فإذا جاوزها فإن العمل الذي يقوم به لا ينفذ في حق الموكل، إلا أن يقر الموكل هذا العمل، فإن أقره أصبح كأنه قد تم في حدود الوكالة من وقت إجراء العمل، لا من وقت الإقرار، مما مفاده أن الموكل هو الذي يملك التمسك بتجاوز الوكيل لحدود الوكالة».

وتناول القانون طبيعة التزام الوكيل بتنفيذ الوكالة التزاما ببذل عناية وليس التزاما بتحقيق غاية، فتنص المادة ٧٠٤ من القانون المدني المصري على الآتي:

١- إذا كانت الوكالة بلا أجر وجب على الوكيل أن يبذل في تنفيذها العناية التي يبذلها في أعماله الخاصة، دون أن يكلف في ذلك أزيد من عناية الرجل المعتاد.

٢- فإن كانت بأجر وجب على الوكيل أن يبذل دائما في تنفيذها عناية الرجل المعتاد.

ويتبين من هذا النص أن التزام الوكيل بتنفيذ الوكالة التزام ببذل عناية وليس التزاما بتحقيق غاية، سواء كان الوكيل مستأجرا أو متبرعا، ويتفرع على اعتبار التزام الوكيل التزاما ببذل عناية أنه لا يكون مسؤولا عن هلاك الأشياء الخاصة بالموكل، أو الأشياء التي عهد إليه ببيعها أو شرائها إذا قصر في حفظها.

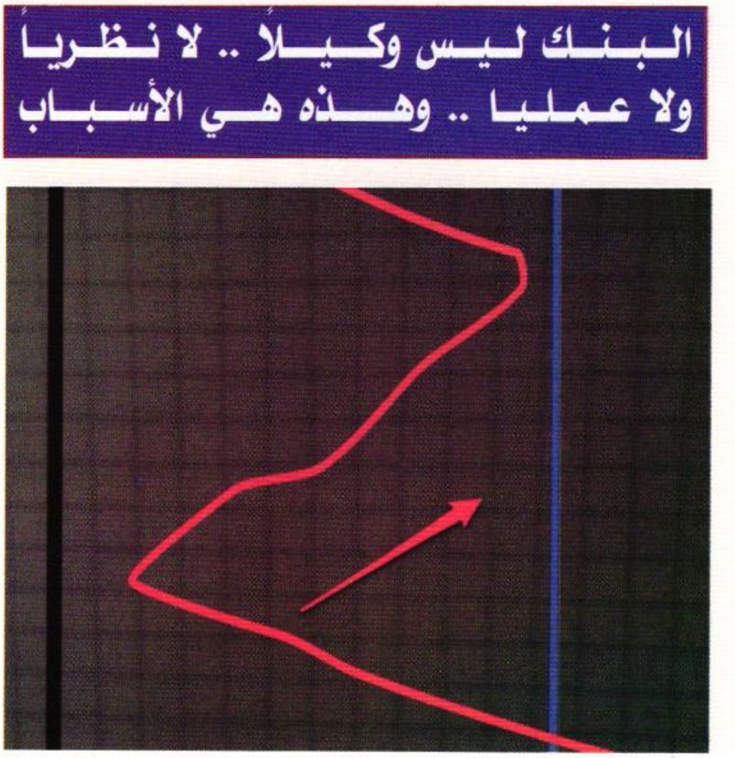
كذلك تنص المادة ٧٠٥ من القانون على مايلي: «على الوكيل أن يوافي الموكل بالمعلومات الضرورية عما وصل إليه في تنفيذ الوكالة، وأن يقدم له حسابا عنها» فيوجب المقنن الوضعي على الوكيل أن يوافي الموكل بالمعلومات الضرورية عما وصل اليه في تنفيذ الوكالة، كأن يخطره بما اشتراه من عقار أو منقول وبما باعه، ويخطره بالعمليات والصفقات التجارية التي قام بها، كما يخطره بالمبالغ التي قبضها لحسابه فور قبضها.

ويوجب المقنن الوضعي على الوكيل أن يقدم حسابا عن المهمة التي كلف بها بعد إنهائها، وقد يكون هذا الحساب دوريا إذا كان الوكيل موكلا في إدارة أعمال موكله بصفة مستمرة، فيقدم للموكل حسابا سنويا أو نصف سنوي، أو شهريا طبقا لعقد الوكالة، ويجب أن يكون هذا الحساب مفصلا يبين فيه ما أنفقه الوكيل وما قبضه، على أن يكون ذلك معززا بالمستندات المثبتة لذلك، حتى يتمكن الموكل من مراجعة تصرفات وكيله إذا شاء.

وترتيبا على ما تقدم، لا يجوز للوكيل أن يستعمل ما في يده من مال موكله في مصلحته الخاصة، فإن فعل ذلك بنية تملكه عُدَّ مبددا، ويحاسب مدنيا وجنائيا.

بعد أن ذكرنا مسؤولية

البنك ليس وكيلاً .. لا نظرياً ولا عمليا .. وهذه هي الأسباب



الوكيل أمام موكله في الفقه الإسلامي والقانون، نتساءل.. هل هذا يتطابق مع تكييف البنك باعتباره وكيلا عن المودعين؟

الوكيل غير ضامن بالإجماع في الشريعة والقانون- كما ذكرنا سابقا- إلا في حالات التعدي والتقصير، فهو أمين فيما وكل فيه، ويقبل قوله في التلف كغيره من الأمناء، بينما البنك ضامن بإجماع القانونيين لودائع العملاء، حيث يقوم البنك باستخدام الوديعة المصرفية على أن يرد مثلها، ويقضي القضاء بمسؤولية البنك برد الوديعة ولو هلكت بقوة قاهرة، فيلزمه برد مثلها.

فطبقا للقانون المدني تنص المادة ٢٧٦ على: إذا كانت الوديعة مبلغا من النقود أو أي شيء آخر يهلك بالاستعمال، وكان المودع عنده مأذونا له في استعماله اعتبر العقد قرضا، وتأخذ كثير من تشريعات البلاد العربية بهذا الرأي (أي أن البنك يتملك النقود المودعة لديه، ويلتزم برد مثلها من نفس النوع، ومن ذلك المادة ٤٠٢ من القانون السوري، والمادة ٢٢٣ من القانون الليبي، والمادة ٦٧٠ من القانون الفرنسي أيضا) أما بالنسبة للفوائد فتقضي المادة ٥٤٢ من القانون المدني المصري أن تدفع الفوائد المتفق عليها عند مواعيد استحقاقها.

فلو كان العقد وكالة كان يجب على البنك أن يأخذ أجرا على هذه الوكالة، ويجب أن ينص العقد بينه وبين المودع على أجر وكالته في عقد الوكالة (الإيداع) بمبلغ مقطوع أو نسبة من مبلغ الوديعة، ثم يمسك البنك حسابا مستقلا لاستثمار ودائعه بعقود شرعية وحدها أو مع حقوق المساهمين، ثم توزع حصة المودعين في الربح بعد خصم أجرة الوكالة من المودعين حسب مبلغ كل وديعة.

وفي الواقع العملي هذا لا يحدث، بل البنك هو الذي يقوم بدفع الفوائد للمودعين.

- الوكيل غير مسؤول إلا أمام موكله، بينما البنك يخضع لرقابة صارمة في معظم الدول، ويكون مسؤولا أمام المودعين والمساهمين، وأمام البنك المركزي أو أي جهات رقابية أخرى.

- يلتزم الوكيل في تعامله في أموال موكله- كما ذكرنا سابقا- أن يتعامل لحسابه ولصالحه، بمعنى إذا اشترى عقارا أو منقولا من مال موكله فإنه يشتريه لحسابه، ولا يستعمل الوكيل مال موكله نهائيا لصالحه الخاص، بينما البنك يخالف ذلك تماما، فإذا قام بشراء عقار أو منقول فإنه يشتريه لحساب نفسه وليس لحساب المودعين، وإذا باع البنك عقارا- كمبنى مثلا أو أرض- فإنه يبيعه لحساب نفسه وليس لحساب المودعين.

ومن هذا يتضح أن أموال متعامل البنك (المودع) تنتقل ملكيتها إلى البنك بمجرد قبض البنك لها، ويتصرف فيها باعتباره مالكا لها وليس وكيلا عن المودعين، وذلك عكس الوكيل بالمفهوم الشرعي والقانوني، فلا تنتقل إليه أموال الموكل.

- يلتزم الوكيل من الناحية القانونية أن يوافي موكله بكافة التفاصيل والمعلومات الضرورية عما وصل إليه في تنفيذ الوكالة، وبالصفقات التجارية التي أبرمها لصالحه، وكذلك يلتزم بتقديم كشف حساب تفصيلي يبين فيه ما أنفقه وما قبضه في تنفيذ الوكالة، بينما البنك لا يلتزم قبل مودعيه إلا برد المبلغ المودع ودفع الفائدة المتفق عليها سلفا، ويقدم هذا الكشف التفصيلي للمساهمين (ملاك البنك).

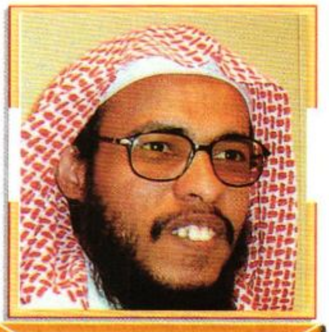
- الوكيل شرعا وقانونا لا يستعمل مال موكله لصالحه الخاص، فكل الصفقات والعمليات التجارية التي يجريها في مال موكله تكون له وحده بأرباحها وخسائرها، والوكيل لا يكون له إلا أجر الوكالة فقط، بينما في البنك الوضع مختلف، فهو يقوم بكافة العمليات المصرفية والاستثمارية ولا يقوم إلا بدفع الفائدة فقط للمودعين كما ذكر.

ومن هذا يتضح لنا تخريج علاقة البنك بالمودع على أنها علاقة وكالة جانبه الصواب، فالبنك غير وكيل لا من الناحية النظرية ولا العملية.

المراجع

١- الخطيب الشربيني «مغني المحتاج» الحلبي.
٢- الكاساني «بدائع الصنائع» المكتبة العلمية- بيروت.
٣- السنهوري «موسوعة القانون المدني» النهضة العربية-القاهرة.
٤- علي جمال الدين عوض «عمليات البنوك من الوجهة القانونية» النهضة العربية- القاهرة.
٥- محمد عبدالعزيز «الفائدة المصرفية بين الحرمة والحل» مركز الاقتصاد الإسلامي- القاهرة.
٦- وهبة الزحيلي «الفقه الإسلامي وأدلته» دار الفكر- دمشق.

أتدرون ما الاقتصاد؟!



د. زيد محمد الرماني

جاء في تراثنا في بيان معنى الاقتصاد، قول سفيان بن حسين - رحمه الله - لأصحابه وتلاميذه: أتدرون ما الاقتصاد؟!

هو الشيء الذي ليس فيه غلو ولا تقصير، أي ليس فيه إسراف ولا بخل.

وليس ذلك إلا تبيينا وتفسيرا للقوام الذي جاء في قوله سبحانه ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان: ٧٦)، فالاقتصاد هو المنزلة بين المنزلتين المتطرفتين، منزلة البخل والتقير، ومنزلة الاسراف والتبذير.

وقد بين لنا الرسول ﷺ قيمة هذا الاقتصاد ومكانته في الإسلام، حين جعله من أجزاء النبوة، وذلك بقوله عليه السلام: «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة» (الألباني: صحيح الجامع).

كذلك، فقد ورد أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله كان يقول: «إن من أحب الأمر إلى الله عز وجل القصد في الغنى، والعفو في المقدرة».

ولهذا، فقد كان الاقتصاد وعدم الإسراف من العلامات التي تميز المؤمن عن غيره، عن الحسن البصري رحمه الله قال: «إن من علامة المؤمن قوة في دين، وحزما في لين، وايمانا في يقين، وعلما في حلم، وكيسا في مال، وإعطاءً في حق، وقصدا في غنى، وتجملا في فاقة، وإحسانا في قدرة».

ولما كان التبذير يؤدي إلى الفقر، فقد لزم أن يؤدي الاقتصاد الى الغنى، لهذا فقد نفى رسول الهدى ﷺ الفقر عن المقتصد، فقال عليه السلام: «ما عال مقتصد» (الهيثمي).

ولما كان المأكل والمشرب ضروريين لحياة البشر فقد لزم عليهم الحفاظ عليهما وعدم الإهمال والتفريط فيهما، إذ لا قوام لهم إلا بهما. وقد دعانا الله سبحانه لهذا، فقال عز وجل ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ١٣). وقيد لنا سبحانه وتعالى هذا المأكل والمشرب بكونه حلالا خالصا بعيدا عن شبهة الحرام، فقال جل ذكره ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ (البقرة: ١٧٢)، وذلك بشرط عدم الإسراف أو التبذير، لأنه تعالى لا يحب المسرفين، ومن هنا فقد كان القصد طريقا إلى نيل محبة الله.

وقد أظهر رسول الهدى عليه السلام بشاعة من يسرف في مأكله وسمى ذلك شرا، بقوله عليه السلام: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (النوافح العطرة).

وقد أدرك كثير من العلماء المتخصصين في العلوم الطبية في عصرنا الحاضر هذه الحقيقة، وبدأوا بعلاج الكثير من الأمراض انطلاقا من مبدأ التقليل من الطعام.

ورد عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «أيها الناس، إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم، مورثة للسقم، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد عن الأشر، وأصح للبدن، وأقوى على عبادة الله عز وجل، فإنه لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه».

ومن هنا، فقد كانت البطنة مؤدية إلى الفقر، إذ هي في أولها إسراف في الأموال من أجل توفير الكثير من الطعام والشراب، وهي في آخرها إهدار للأموال لمعالجة ما لحق الإنسان المسرف من أمراض ومتاعب.

والأمر بالاقتصاد والاعتدال والتوسط يسري في كل مناحي الحياة، الملبس والمسكن والمركب والخادم ووسائل الاتصالات والمواصلات والترفيه.

بيد أن هناك قضية مهمة، هي أن الاقتصاد في الحاجات الأساسية، لا يعني أن يعيش المسلم بعيدا عن التمتع في هذه الحياة وفق الضوابط الشرعية والقيود الأخلاقية، ذلك لأن التمتع بهذه الدنيا ونعيمها لا يتنافى مع نظرة الاسلام الاقتصادية.



يقول الحسن البصري رحمه الله: «إن المؤمن أخذ عن الله تعالى أدبا حسنا، اذا وسع عليه وسع فإذا قتر عليه قتر».

وصدق الله القائل ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (القصص: ٧٧).

أكاديمي سعودي

كيف تحمي قلبك؟

د.مؤنس غانم

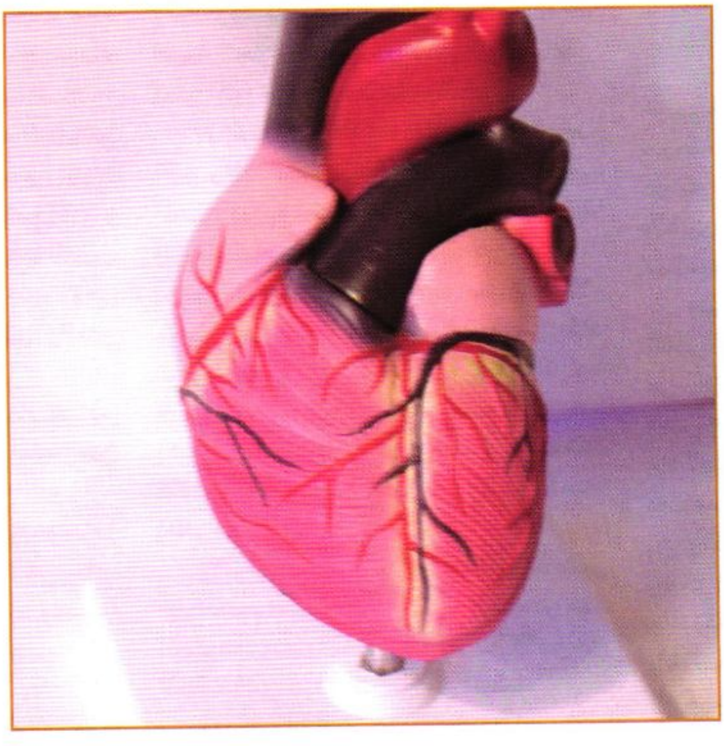
كلنا يعرف القول المأثور «المرء بأصغريه، قلبه ولسانه»، فالقلب إذن من أهم الأعضاء التي يقيَّم المرء بها، وكذلك فهو يقوم بضخ الدم إلى سائر أجزاء البدن، وعندما يتوقف عن الخفقان تنتهي حياة الإنسان.

وإذن فمسؤوليتنا كبيرة جدا في المحافظة على هذا العضو المهم، وواجبنا أن نعمل ما بوسعنا للابتعاد عن الأمور التي تنهكه وتقلل من جودة أدائه، وهناك أربعة منهكات رئيسية للقلب، إذا ابتعدنا عنها فإنه سوف ينعم بالصحة والسلامة، وهذه المنهكات هي: زيادة الكولسترول، قلة الحركة، زيادة الضغط الشرياني، والتدخين، وسوف نبحث في كل منها بإذن الله.

١- زيادة الكولسترول cholesterol

الكولسترول هو أحد العناصر التي لا يمكن للبدن الاستغناء عنها، لأنه يدخل في كثير من التفاعلات الكيميائية داخل الخلايا، ورغم أهميته القصوى إلا أنه عندما يزداد عن حده يشكل إنهاكا كبيرا للقلب والأوعية الدموية، يجب ألا يزداد الكولسترول فوق جرامين في الليتر في الدم (٢ج/ل) وإلا فإنه سوف يترسب على جدران الشرايين بالتدريج، وخاصة على الشرايين المغذية للقلب (الشرايين الإكليلية)، وتأخذ ترسباته شكل لويحات شحمية لا تلبث مع مرور الزمن أن تضيِّق سعة الشرايين، ويتبع ذلك قلة كمية الدم الواردة إلى الأعضاء مع ما يحمله من مواد غذائية وأوكسجين، وإذا لم يتم علاج زيادة الكولسترول فإن التضييق سوف يزداد بالتدريج ويمكن أن يسدَّ الشرايين بشكل كامل.

ولابد من الإشارة إلى أنه يوجد نوعان من الكولسترول في الدم أحدهما جيد وهو عالي الكثافة ويطلق عليه hdl، وهو الذي يدخل في التفاعلات الكيميائية داخل الخلايا، والآخر سيئ وهو منخفض الكثافة ويطلق عليه ldl، وهو الذي يسبب كل الأضرار التي ذكرناها لاسيما ترسبه على جدران الشرايين، مؤديا إلى حدوث ما يدعى بالتصلب العصيدي Athero scleros وذلك على مستوى كل الشرايين عموما، إلا أن آثاره تظهر أسرع على الشرايين الإكليلية التي تغذي خلايا عضلة القلب فيصاب المريض بخناق الصدر أو الجلطة أو الموت المفاجئ، وذلك حسب شدة الإصابة، ومن أكثر الشرايين تعرضا للإصابة بالتصلب العصيدي نذكر الشرايين السباتية carotide والشرايين الفقرية vertebral وهذه مسؤولة عن تروية الدماغ، وكذلك تصاب شرايين الكلية، وشرايين الساقين مما يعرضها إلى خطر حدوث التهاب الشريان arterit.



٢- قلة الحركة sedentarite

قلة الحركة شائعة جدا بحكم تطور الحياة، وهي تتجلى في النقص التدريجي للجهد العضلي، وهذا ما يحصل في حياتنا اليومية، حيث تطول جلساتنا أمام الكمبيوتر والتلفاز، ونحن قلما نمشي، بل نستعمل السيارات في تنقلنا ولو لمسافات قصيرة، ونستعمل المصاعد في العمارات. يؤثر كل ذلك على عضلة القلب فتقل من قدرتها على الانقباض، وبالتالي فهي تتلقى وترسل أقل فأقل من الدم، وينجم عن ذلك نقص كمية الأوكسجين في العضلات وفي سائر الأعضاء، ومن لطف الباري عز وجل أن القلب يمكن أن يسترجع عافيته وتتحسن قدرته على الانقباض إذا تداركنا الأمر وقمنا بالتمارين الرياضية بشكل منتظم، وعلينا صعود الدرج بدل المصعد ما أمكن، وعدم نسيان المشي ولو لنصف ساعة على الأقل يوميا.

٣- زيادة الضغط الشرياني Hypertension

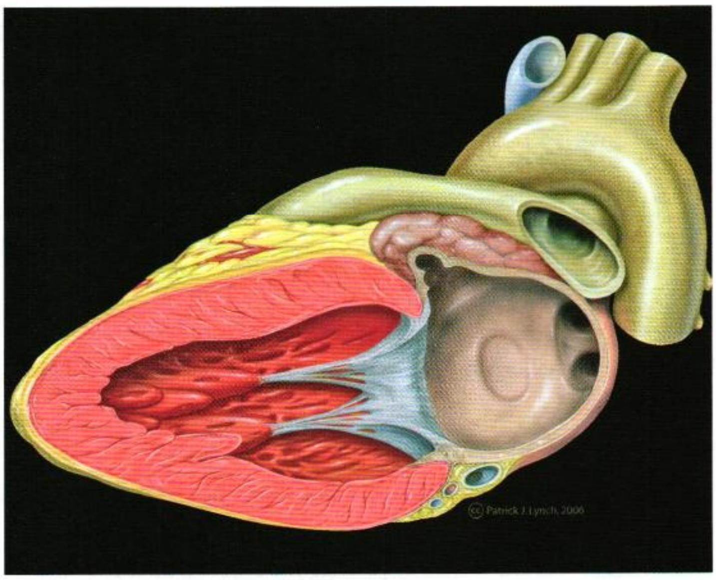
يختلف الضغط الشرياني تبعا لنظم القلب، فعندما ينقبض القلب ويدفع الدم في الشرايين يدعى ذلك بالضغط الانقباضي أو العالي systoliqve ، وعندما ينبسط القلب ويمتلئ بالدم القادم من الأوردة فإن الضغط يكون اقل ويدعى بالضغط الانبساطي diastoliqve أو المنخفض،

ولهذا السبب فاننا نعبر عن الضغط برقمين ٧/١٢، الرقم الأول هو للضغط الانقباضي أو العالي، والرقم الثاني هو للضغط الانبساطي أو المنخفض، ويعتبر الضغط مرتفعا عندما يتجاوز مقداره ٩/١٦، وأقل من ذلك تكون الزيادة معتدلة، ويجب أن نلجأ للمعالجة المبكرة قبل أن يتأثر القلب والشرايين، حيث تتأثر جدرانها، وهذا يساعد على تجمع الدهون عليها مما يؤدي إلى نتائج مشابهة لزيادة الكولسترول، وبالإضافة إلى ذلك فهي تعاكس القلب وتجعله خاضعا لمقاومة شديدة في الشرايين، وبالتالي زيادة الحمل والجهد مما يتعب القلب قبل الأوان، وقد يصاب بالقصور القلبي، وللأسف في أحيان كثيرة لا توجد علامات تنذرنا بوجود زيادة في الضغط الشرياني، وإنما نكتشفه قدرا عند قياس الضغط، لذلك يطلق على زيادة الضغط الشرياني «القاتل الصامت»، وهناك بعض العلامات التي تعطينا الإنذار بوجود زيادة في الضغط، وأهمها الصداع، طنين الأذنين، رؤية نقاط سوداء تسبح أمام العينين في كل الاتجاهات تدعى الذباب الطائر.

٤- التدخين

إن التدخين لأي نوع من التبغ، يشكل أحد عوامل الخطر على القلب والأوعية، وهو ينهك القلب كثيرا ويؤثر على الشرايين الإكليلية التي تغذي القلب- كما مر معنا- فيصاب بالجلطة القلبية أو بحدوث الموت المفاجئ، كما أن شرايين الجسم تتأثر بشكل عام بالتبغ، وعلى الأخص شرايين الساقين حيث تزيد حالات التهاب الشرايين بنسبة

لحماية القلب يجب المشي ولو نصف ساعة يوميا



عالية جدا لدى المدخنين، وكذلك تصاب الشرايين الدماغية مما يهدد بحدوث الشلل paralysie.

أما كيف يؤثر التدخين في كل هذه الأجهزة، فذلك لأن أوكسيد الكربون يأخذ مكان جزء الأوكسجين المنقول في الدم، ويحرض على تجمع الكولسترول في جدران الشرايين، كما أن النيكوتين وهو أحد العناصر المهمة في التبغ يسبب تسرع القلب وزيادة الضغط الشرياني ويخفض مستوى الكولسترول الجيد hdl عالي الكثافة ويزيد من تجمع الصفيحات الدموية plaqvettes مما يساعد على تشكيل الخثرات الدموية، ولابد من الاشارة إلى أن الأطفال يمكن أن يتعرضوا لأخطار التبغ أثناء تدخين أهلهم، وقد يكون ذلك قبل الولادة عندما تدخن أمهاتهم أو في سن الطفولة عندما يستنشقون دخان سجائر الآخرين من أهل وزوار، كما أن المراهقين يتأثرون بمن حولهم من المدخنين (عادة التقليد) ويتأثرون أيضا بالدعايات مما يضيف أعدادا جديدة إلى قائمة المدخنين، وفي دراسة احصائية تبين أنه في عمر ١٨ سنة هناك مراهقان من أصل ثلاثة يدخنون، وتتعرض المرأة المدخنة إلى أخطار اضافية أهمها نقص الإخصاب Fecondation وزيادة نسبة حدوث الإصابات الدماغية عند اللواتي يأخذن موانع الحمل عن طريق الفم.

أرقام يجب حفظها جيدا

على كل منا أن يعرف الأرقام اللازمة لحفظ الصحة، ويجب مراقبتها بانتظام، حتى نحافظ على الجهاز القلبي والوعائي ليقوم بوظائفه كاملة.

مستوى الكولسترول الطبيعي اقل من ٢ج/ ليتر، المحدود ٢- ٢,٥ ج/ل، العالي، فوق ٢,٥ ج/ل.

مستوى الضغط الشرياني، الطبيعي ٧/١٢، المحدود بين ٧/١٢ و٩/١٦، العالي فوق ٩/١٦

مقدار الوزن، الوزن = الطول - ١٠٠، مثال ذلك رجل طوله ١٧٥ سم فإن وزنه المثالي هو ٧٥ ك.ج.

مستوى استهلاك التبغ: صفر.

أربع قواعد لتغذية سليمة لا تجهد القلب

القاعدة الأولى: تناول ثلاث وجبات باليوم متعادلة تقريبا مع ضرورة بدء النهار بوجبة إفطار جيدة.

القاعدة الثانية: يجب تنويع الطعام وذلك باختيار واحد من كل من المجموعات الأربعة التالية: حليب (نصف أو كامل الدسم)، لبن رائب، جبن.

- لحوم، سمك، طيور
- فواكه وخضار نيئة أو مطبوخة
- خبز، بطاطا، خضراوات جافة (فول، عدس، حمص).

القاعدة الثالثة: الحد من استعمال السمن والدهون بشكل عام وينصح باستعمال السمن النباتي وتحاشي الإكثار من الأغذية السكرية.

القاعدة الرابعة: يجب شرب لتر أو لتر ونصف من الماء يوميا.

والخلاصة.. أردنا من خلال هذه العجالة استعراض أهم النقاط اللازمة للحفاظ على سلامة وصحة القلب وذلك بتحاشي الأمور المنهكة له وأهمها زيادة الكولسترول وزيادة الضغط الشرياني والتدخين وقلة الحركة، ولنطبق القاعدة الذهبية في حفظ الصحة «درهم وقاية خير من قنطار علاج». والله من وراء القصد.

حاور ولا تجادل

أثناء الحرب الأهلية الأميركية ألقى الرئيس ابراهام لنكولن (Abraham Lincoln) خطابًا أشار فيه بشيء من التعاطف للثوار في الجنوب، ولكن موقفه هذا أثار سيدة مسنة من المتعصبين للوحدة، فهاجمته لحديثه المتعاطف مع العدو، في الوقت الذي كان عليه أن يفكر في تدميرهم، فرد عليها لنكولن بهدوء قائلا: يا سيدتي! ألا تعتقدين أني أدمر أعدائي عندما أحولهم إلى أصدقاء؟

الحوار والجدال لفظان يتفقان في أمور، ويختلفان في أمور أخرى، وفي العموم، فإن أحد هذين اللفظين أكثر أدبًا ورُقيًا من الآخر، كما أنه أسرع وصولًا إلى قلوب الآخرين، فضلًا عن أنه ينم عن رغبة حقيقية في الوصول إلى الحق والانتصار له، وليس الانتصار للذات وإبراز العضلات وإفحام الطرف الآخر.

فما الحوار؟ وما الجدال؟ وهل هناك فرق بينهما أم أنهما وجهان لعملة واحدة؟ أما الحوار فهو حديث يجري بين شخصين أو أكثر، لتوصيل معلومة أو الإقناع بفكرة، وهو يغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة، وأما الجدال فهو حديث يجري بين شخصين أو أكثر، يسعى كل منهما لإفحام الطرف الثاني أو إقناعه بفكرة معينة، وتغلب عليه الخصومة والتربص والتعصب للرأي.

الحوار في القرآن

دعا القرآن الكريم إلى الحوار الذي من مستلزماته الاعتراف بالطرف الآخر وبحقه في الوجود، وبحقه في التعبير عن رأيه وبحقه في الاختلاف.

ويكفي أن تعلم أن مادة «ق و ل» تكررت في القرآن ١٧٢٢ مرة، فعلى سبيل المثال نجد «قال» تكررت ٥٢٩ مرة، و«يقولون» ٩٢ مرة، و«قل» ٣٣٢ مرة، و«قولوا» ١٣ مرة، و«قيل» ٤٩ مرة، و«القول» ٥٢ مرة، و«قولهم» ١٢ مرة.

ولم ترد كلمة الحوار ومشتقاتها في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع، موضعين في سورة الكهف، وموضع واحد في سورة المجادلة.

الموضع الأول في قوله تعالى (في قصة أصحاب الجنة) ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا﴾ (الكهف:٣٤).

والموضع الثاني في قوله تعالى (في قصة أصحاب الجنة أيضًا) ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلًا﴾ (الكهف: ٣٧)، أما الموضع الأخير فهو في قوله تعالى (في قصة خولة بنت ثعلبة مع زوجها) ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (المجادلة: ١).

وأما عموم الحوارات التي وردت في كتاب الله فهي كثيرة جدًا، وإليك على سبيل المثال لا الحصر بعضًا منها: يقول الله تعالى في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام، والعبد الصالح (الخضر) ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما عُلِّمتَ رشدًا. قال إنك لن تستطيع معي صبرًا. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا. قال ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا. قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكرًا﴾ (الكهف: ٦٦-٧٠).

الجدال في القرآن

أما الجدال بمشتقاته فقد ورد في تسعة وعشرين موضعًا من كتاب الله تعالى، منها على سبيل المثال ﴿وجادَلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ (غافر: ٥)



د. علي الحمادي

الفرق بين الحوار والجدال

أولًا - يغلب على الحوار الهدوء والرغبة في الوصول إلى الحق، في حين تغلب على الجدال الخصومة والرغبة في إفحام الخصم.

ثانيًا - كل جدال حوار، وليس كل حوار جِدالًا، فالحوار أوسع وأعم.

ثالثًا - لم يمدح الله تعالى الجدال، وإنما أمرنا به مقيدًا إياه بالحسنى. يقول تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ (العنكبوت: ٤٦) ويقول تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥)

رابعًا - قد يتحول الحوار إلى جدال مذموم، وذلك إذا رافقه تعصب في الرأي وخصومة وشدة ومنازعة.

خامسًا - قد ترد -أحيانًا- كلمة جدال في موطن الحوار: يقول تعالى ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (المجادلة: ١)، ويقول تعالى ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الرَّوع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط. إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ (هود: ٧٤-٧٥)

رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

أسرتي

لابد من إيجاد البديل لأطفالنا

اليوم، وبعد أن اقتحمت الفضائيات الإعلامية أبوابنا من كل جانب، حاملة معها «ما هب ودب» من المعلومات والبرامج بهدف التأثير على الصغار والكبار في آن واحد، وإن كان الصغار هم الهدف الأساسي، باعتبارهم الجانب الأضعف.

وفي ظل هذا الواقع تبدو الحاجة ماسة للتصدي لهذه الهجمة الثقافية من خلال التعاون الإيجابي البناء بين كل أطراف العملية التربوية، بدءًا من الأسرة ومرورًا بالمدرسة والجامعة والمؤسسات الإعلامية.

إن الأمة التي تفكر في تربية أبنائها منذ الصغر تربية صحيحة وتغرس في نفوسهم قيمها ومبادئها ستحصد بلاشك في المستقبل نتائج ايجابية، وتحجز لنفسها مكانًا في سلم الحضارة الإنسانية.

إن جلوس أطفالنا ساعات طويلة أمام شاشة التلفاز، وغيرها من وسائل الإعلام الحديثة، بينما ينشغل الأبوان خارج المنزل بالعمل تاركين أطفالهم نهبًا لتلك البرامج، يحتم على المؤسسات التربوية والإعلامية ايجاد البديل الإعلامي التربوي الناجح الذي يستطيع أن يسد هذه الثغرة بكل كفاءة واقتدار، خاصة أننا نملك تراثًا ثريا وكمًا هائلًا من القيم والمبادئ والأخلاق والمثل التي يمكن تحويلها إلى أفلام وبرامج وأنشطة تقدر على تحصين أبنائنا وإعطائهم المناعة التي تنأى بهم عن عالم الجريمة والانحراف، وتقودهم إلى بر السلامة والأمان، وتساعدهم على العمل والإنتاج والنجاح والتميز في كل ما يوكل إليهم من مهام.

المحرر

عولمة قضايا الطفل عبر المواثيق الدولية

سيدة محمود

مما لاشك فيه أن الظروف التاريخية التي شهدها العالم عقب حربين عالميتين في منتصف القرن العشرين كانت توجب نشأة هيئة دولية لتحقق السلم والأمن الدوليين، وتكفل التعاون بين شعوب المعمورة فجاءت هيئة الأمم المتحدة. إن الأمر الذي بات يثير القلق لدى الكثيرين أن هذه الهيئة صارت أداة طيعة في يد البعض من مبشري النظام العالمي الجديد(١)، وأعداء الإنجاب والسكان (٢)، والأنثويات (٣)، والذين اتفقت مصالحهم فركبوا جميعًا الجواد الرابح وهو استثمار قضايا المرأة، فأصدروا دينًا جديدًا ليكون مرجعية كونية قانونية، بدعوى أن تلك المرجعية القانونية تمثل مشتركًا إنسانيًا، بينما هي في حقيقة الأمر لا تعكس إلا تصورات ثقافية واحدة، وهي الثقافة الغربية التي وصل الغرب بسببها إلى حافة الهاوية، وبات مهددا بالفناء، حاله في ذلك حال كل الأمم التي شاعت فيها الفواحش، فكان مصيرها الدمار والفناء.



رغم ما يعانيه الغرب من ويلات، جراء هذه الإباحية، فإنه يأبى أن يغرق وحده، ويصر على أن يجر العالم وراءه، في محاولات مستميتة لعولمة تلك الإباحية وتقنينها، وذلك عبر مؤتمرات دولية بات الهدف منها واضحًا وهو نسج شبكة من القوانين الملزمة دوليا لعولمة وتقنين القيم والسلوكيات المجتمعية الغربية، خاصة فيما يتعلق بالأسرة، ففي مجال الطفل أصدرت الأمم المتحدة اتفاقية حقوق الطفل (Convention on the Rights of the Child CRC) عام ١٩٨٩م، وهي اتفاقية دولية ملزمة، وبعد ثلاثة عشر عاما صدرت وثيقة عالم جدير بالأطفال (A World Fit For Children) WFFC كوثيقة آليات وسياسات لتفعيل وتطبيق CRC.

وإذا كانت قضايا المرأة هي السهم الذي يُصوَّب لاختراق المجتمعات- ومن ثم أصدروا لها مجموعة من الاتفاقيات التي تزخر بكل ماهو شاذ عن الفطرة- فإن الطفل هو رأس هذا السهم، مع ملاحظة أن الأجندة النسوية المطروحة في اتفاقيات المرأة هي ذاتها المطروحة في اتفاقيات الطفل، وذلك لتغلغل الأنثويات (Feminists) في كل الأجهزة والوكالات الدولية التي أنشأتها الأمم المتحدة لمراقبة الدول في تطبيق تلك الاتفاقيات، ومنها على سبيل الخصوص لجنة مركز المرأة التي ركزت حديثا على الطفل، فجاءت جلستها الحادية والخمسون (مارس ٢٠٠٧) بعنوان: «القضاء على كافة أشكال العنف والتمييز ضد الطفلة الأنثى»، ويرجع التركيز على الطفل في الآونة الأخيرة إلى:

أولا، أنه السبيل لتكوين ما تنشده الحركات الأنثوية التي تهدف إلى إيجاد «المرأة الجديدة»، و«الرجل الجديد، وهذا لن يتم إلا بإرضاع الطفل تلك القيم مع لعبه وأكله وشربه فيشب منذ صغره على التساوي التام بين الذكر والأنثى، وإلغاء كل الفوارق بينهما، والإيمان بأن كل الأدوار يمكن أن يتقاسمها كل من الذكر والأنثى، أو حتى يتبادلانها.

ثانيًا، أن المقاومة في هذا الشأن ستكون ضعيفة، خاصة إذا ما تم تقنين القيم المستهدف تنشئته عليها تحت دعاوى إنسانية من قبيل الشفقة بالأطفال، والعمل على سعادتهم وحمايتهم، فمن الذي يستطيع أن يرفض ما يحقق الرفاهة للأطفال.

• مسؤولة قسم البحوث باللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل

واتفاقية حقوق الطفل، وغيرها من المواثيق الدولية، حافلة بالعديد من المفاهيم والمصطلحات النابعة من الثقافة الغربية التي لا يمكن فهمها فهما صحيحا إلا من خلال البيئة الأصلية التي أفرزتها، وهو ما يعرف بجغرافية المصطلح، ويشهد العالم هذه الأيام تسليط الضوء على هذه الاتفاقية بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين عاما عليها بشكل مبالغ فيه، الى حد ما يمكن تسميته بالظاهرة في حجم المواد الإعلامية المنشورة حول هذه المناسبة، فضلا عن الندوات والمؤتمرات التي عقدت من أجلها، وأحدثها المؤتمر الرفيع المستوى الذي نظمته مصر فى الفترة من ٢١- ٢٥ من نوفمبر بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة اليونيسيف وصندوق الأمم المتحدة للسكان، وعدة منظمات إقليمية ودولية.

وقد يقول قائل: تشرع الهيئة الدولية ما شاءت من اتفاقيات، فلن يكون لبنودها أي تأثير، وستظل حبرا على ورق، ولن يضيرنا شيء، غير أن دراسة البنية التشريعية في العقود الثلاثة الأخيرة تكشف عن خطأ هذا الادعاء، فقد تعرضت تلك البنية في كثير من الدول الإسلامية الى علمنة لا تخفى على كل ذي لب، وهي عملية تمت على مراحل متتالية تحت دعاوى متعددة، سُميت بالتحديث تارة، وبالاستجابة لمتغيرات العصر تارة أخرى، حتى وإن نتجت عنها قوانين تخالف قيمنا الحضارية، وهذا يشكل خطرا داهما على الأمة العربية والإسلامية بأسرها.

فالقوانين التي تؤدي إلى غلق أبواب «الحلال» برفع سن الزواج، وفتح أبواب «الحرام» على مصاريعها ستؤدي، لا محالة، إلى انتشار الفواحش وتزايد معدلاتها، خاصة إذا ما أفسحت تلك القوانين السبل أمام الاعتراف بصور الاقتران غير الشرعي الآخذة في الانتشار بين الشباب، وتمهيد الطرق لها بتيسير نَسَب الأطفال غير الشرعيين- ثمار تلك الصور الشاذة من الاقتران المحرم- باستخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة، بل وقبول دعاوى التطليق، استنادا لأي ورقة تثبت هذا الاقتران المشبوه.

إذا كانت قضايا المرأة هي السهم الذي يصَّوب لاختراق المجتمعات العربية فإن الطفل هو رأس هذا السهم

تلك القوانين ستؤدي بلا أدنى شك إلى إفساد الشباب، وصرفه عن الزواج ودفعه دفعا إلى الاكتفاء بالعلاقات المحرمة كبديل سهل ومتاح.

إننا لا نرفض رفاهة الطفل، وإنما نعترض على إصرار هيئة الأمم المتحدة على فرض «الرؤية الأوحد» لقضايا الطفل، وطرح «الحل الأوحد» للمشاكل التي يعانيها الأطفال في العالم، وعدم مراعاة الخصوصيات الحضارية المتنوعة لشعوب العالم وتجاهل التباينات الواسعة في الثقافات المختلفة، وأثرها في نوعية المشكلات، وبالتالي نوعية الحلول لها، لأن هذا الإصرار سيؤدي إلى رفض تلك الشعوب لما يملى عليها من قوانين شاذة وغريبة، وإذا ما أصرت الحكومات على فرض تلك القوانين، فستحدث فجوات واسعة بينها وبين الشعوب، وهو ما ينذر بالخطر الشديد.

وجل ما نخشاه أن ينتقل إلى المجتمعات العربية والإسلامية ما تعانيه المجتمعات الغربية من تهتك خطير في البنية الاجتماعية، وتشوه للفطرة السوية التي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق عليها، فيُكتفى بالعلاقات المحرمة، وتقل معدلات الزواج، وتُهدم الأسرة، وينتشر الأطفال غير الشرعيين، وما يستتبعه ذلك من انتشار الرذيلة وشيوع الجريمة.

وإذا كان لدى المجتمعات الغربية من عناصر القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ما يعينها على الصمود رغم تهلهل بنيانها الاجتماعي، فإن الدول العربية والإسلامية لا تملك من تلك العناصر إلا عنصرا واحدا فقط.. هو الأسرة، فإذا ما تهدّم هذا العنصر ضاعت وفنيت مجتمعاتنا عن بكرة أبيها.. فهل ننتبه إلى هذا قبل فوات الأوان ونفيء إلى ديننا الحنيف لننهل منه، ونستخرج ما به من كنوز حفظ الله تعالى بها مجتمعاتنا وأجيالنا من الضياع عبر العصور؟ نسأل الله لأمتنا السداد والرشاد.

الهوامش

١ - والتي تبدو في الخطاب السياسي الغربي ما أسموه بنهاية التاريخ، أي أن قيم الغرب وأفكاره ومناهجه أصبحت- في زعمهم- الحلقة الأخيرة من حلقات التاريخ البشري وأن الأنظمة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية غير الغربية، ما عليها إلا الامتثال لهذه المناهج الغربية، وفي ضوء هذا تولد «صراع الحضارات» أي صراع الغرب الديمقراطي ضد الإسلام الذي يمثل الخطر الأساسي على النظام العالمي.

انظر:

أ- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسن أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٩٣.

ب - صموئيل هينتنجتون، صراع الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة، ١٩٩٨.

٢ - التزايد السكاني الهائل لسكان العالم الثالث والذي من المتوقع أن يصبح ٨١٪ من سكان العالم عام ٢٠١٠ بعد أن كانت هذه النسبة ٧٥٪ من الستينيات من القرن العشرين، ولايخفى أن العالم الإسلامي يشكل مساحة كبيرة من العالم الثالث.

انظر المثنى أمين الكردستاني، تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، دا القلم، الكويت ٢٠٠٤.

٣-feminism هي «حركة فكرية سياسية اجتماعية، متعددة الأفكار والتيارات، تسعى للتغيير الاجتماعي والثقافي وتغيير بنى العلاقات بين الجنسين وصولا إلى المساواة المطلقة كهدف إستراتيجي وتختلف نظرياتها وأهدافها وتحليلاتها تبعا للمنطلقات المعرفية التي تتبناها» لمزيد من التفاصيل حول فكر هذه الحركة انظر:

د. المثنى أمين الكردستاني ،حركات تحرير المرأة من المساواة الى الجندر، دار القلم، القاهرة، ٢٠٠٤.

إكسسوارات الأسنان بين الطب والتجميل

فاطمة الدعي

اعتبرت العديد من الفتيات أن استخدام إكسسوارات الأسنان من الكريستال والذهب، بهدف تحسين شكل الابتسامة وتجميل الأسنان، أمر ملح ومصيري بالنسبة لهن، فنجد مجموعة منهن يستخدمن هذه الاكسسوارات من خلال اتباع الموضة التي شملت الأسنان باكسسوارات غريبة وجديدة تزيد من جمال الأسنان، وكثير من الفتيات أكدن أن التقنيات الحديثة خدمت الموضة حتى في المجالات الطبية.

وذكرت معظم الفتيات اللاتي يضعن هذا النوع من الكريستال أنهن وضعن قطعة من الكريستال في أسنانهن لتجميل الأسنان وإضافة نوع من الجمال للوجه والبشرة، وهي تبرز بأشكال وأنواع وألوان مختلفة، وأضفن أنهن يشعرن بالسعادة عندما يلفتن الأنظار بشكل وجمال أسنانهن.

يذكر أن تجميل الأسنان بالذهب والفضة عرف منذ القدم، فكانت السيدات يضعن الذهب ويتباهين به للفت الأنظار، كما أن الفتيات يلجأن إلى ثقب السن عن طريق لصقه بالغراء، ومنهن من يضعن الألوان الفاتحة مثل الزهري والفيروزي.

وتعتبر النساء الأكثر استخداما وطلبا لمثل هذه الإكسسوارات، رغبة منهن في تحسين المنظر الجمالي للابتسامة والأسنان، وتعد الماسة التي تلصق على سطوح الأسنان خصوصا الأسنان الأمامية العلوية، هي الأكثر طلبا من قبل جمهور السيدات، وهي وإن كانت جميلة المظهر لكنها غير صحية من وجهة النظر الطبية، حيث ستكون مكانا لتجمع اللويحة الجرثومية، إلى جانب تسببها في نخور في الأسنان يمكن للمريض أن يكون في غنى عنها.

خطر تجميل الأسنان بالألماس

حذر اختصاصيو الفم والأسنان من انتشار عمليات وضع الماسة على الأسنان بهدف التجميل، والتي تقوم بإجرائها بعض المراكز الخاصة، مطالبين بتوعية المريض عن السلبيات والمضاعفات التي تعقبها، وأضافوا أنه يلاحظ في الآونة الأخيرة قيام بعض الفتيات، وخصوصا من هن في سن المراهقة، بوضع الماسة على إحدى الأسنان، حيث إن ذلك يؤدي إلى مضاعفات تقود إلى موت أعصاب السن، ويؤدي إلى نقص في الحجرة اللبية ثم التهابات في الأنسجة حول جذر السن.

وأشاروا إلى أن الفتاة التي تريد وضع الماسة على السن لا تعلم أن الطبيب قد قام بإزالة طبقة المينا، وهذا يؤدي إلى انعزال طبقة العاج الغنية بالأنسجة والشعيرات الدموية التي تنقل الاحساس إلى السن، مشيرًا إلى أن أي تغير في درجات الحرارة يؤدي إلى موت السن مع تغير لونه ثم تكوين خراجات سنية، خاصة عند المرضى الذين يعانون من امراض السكري والأنيميا أو الأمراض المزمنة بصفة عامة، إذ ان المناعة المرضية لدى هؤلاء متدنية أو ضعيفة، وأضافوا أن الهدف من هذه العمليات تجاري بحت، حيث تُجرى في مراكز تابعة للقطاع الخاص، ويفتقد معظمها إلى اختصاصيين لتوعية المرضى عن السلبيات والمضاعفات التي تلي هذه العملية.



• عضو اللجنة الصحافية النسائية

كيف تملأ حياتك الزوجية بالسعادة؟!

خالد محسن الحارثي

ندرك جميعا حكمة الله تعالى التي جعلت من الزواج سراً البقاء والوجود والحياة، ولكن هذه العلاقة المقدسة لها سماتها الخاصة في وجود الانسان وحياته، والتي تخصها دون العلاقات الأخرى، فلابد أن نعطي هذه العلاقة مزيدا من الاهتمام حتى تملأ السعادة حياتنا.



فقد تجلت قدرة الخالق سبحانه وتعالى في الإبقاء على حياة النبات بأن جعل من رائحة الأزهار وجمالها ورحيقها ما يجلب إليها الحشرات لتقوم بمهمة الإبقاء على نوعها، أما نحن بني البشر فإن الزواج لدينا علاقة مقدسة تسمو على سائر العلاقات، لها جوانبها المختلفة التي تقوم عليها، وهي جوانب مترابطة متعاونة، تؤكد وتقوي دعائم الأسرة والمجتمع، إنها علاقة متشعبة متكاملة تجمع الجانب الوجداني والعاطفي والفكري في سبيل الإبقاء على هذا الكون الرحب العظيم في اطار عبادة الله القادر الحكيم.

لقد وضع الدين هذه العلاقة في مرتبة القداسة، فلابد للرجل أن يحاول دائما أن يؤكدها ويعمقها ويعتني بها حتى يكون دائما سكنا لزوجته، كما تكون هي سكنا له، يعيشان دائما في ظلال السكينة والأمان والود والرحمة، وراحة البال، مع التكيف والتفاهم والرضا، وبذلك تسير الحياة بهدوء وتستمر رحلة الحياة حتى النهاية.

ونقول لكل مقبلة على الزواج: إن علاقتك بزوجك تختلف تماما عن علاقتك بالآخرين في هذه الحياة، انها علاقة لها سماتها، فهي علاقة تسمو على كل العلاقات، وقد وضعها الدين في مرتبة القداسة، فلابد أن نؤكدها ونعمقها حتى تكون دائما سببا للخير والسعادة لكلا الزوجين، فالزوجان لابد أن يخدم كل منهما الآخر، وهنا احب أن أحذر كل زوجين يودان الحفاظ على سعادتهما بأن يحترم كل منهما الآخر، بينه وبين نفسه، ثم بينه وبين الآخر، وأخيرا بينه وبين الناس، فلا يجرح أحدهما الآخر، ولا يتلفظ له بالألفاظ النابية، ويحرص كل منهما على مشاعر الآخر.

اكسري الروتين في حياتك الزوجية فالتجديد يطردالملل والضيق، ولكي تجدي الحب باستمرار يمكن ان يقوم الزوج بقضاء سهرة بين فترة وأخرى بعيدا عن المنزل والأطفال حتي يتجدد الحب.

إن أسس بناء الزواج السعيد ثلاثة هي: السكينة، والمودة، والتراحم، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١).

فالسكينة هنا تعني سكن القلوب وسكن العاطفة، والمودة الاستقرار النفسي وحسن المعاملة، والمودة ايضا هي الشعور المتبادل بالحب الذي يجعل العلاقة قائمة على الرضا والمودة والسعادة.

أما الرحمة فهي نبع الرقة والأخلاق العظيمة في كلٍ من الزوجين.

وإذا كانت الأسرة دعامة الأمة، فإن الزواج عماد الأسرة وبه تنشأ وتتكون، وفي ظله تحبو وتتطور، ومن غذائه الروحي والمادي تنمو وتتهذب.

إن الزواج لابد أن يقوم على الحب والود والتعاطف والتفاهم والتراحم، فقد شرع الله الزواج ليحقق أهدافا اجتماعية ومعاني مثلى من الاستقرار النفسي، وتربية الأولاد والتعاون المشترك بين الزوجين، ولابد أن يفهم الزوج أو الزوجة أنه يعيش مع كائن حي له مشاعر ورغبات لابد أن يحترمها كل طرف منها.

• باحث سعودي

سرقة الوقت

إيمان القدوسي *

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوان

الوقت هو الحياة، وسرقته أسوأ أنواع السرقات، ما الذي يضيع أوقاتنا ويهدرها حتى نجد أنفسنا لا ننجز شيئا وتتراكم الأمور المطلوب إنجازها علينا ونشعر باضطراب معيشتنا؟

أشياء كثيرة لا أهمية لها ولا فائدة منها تمثل ثقوبا في نظامنا اليومي يستنزف وقتنا وطاقتنا، أولها وأهمها عدم وجود خطة للعمل، العشوائية في الأداء تؤدي للتخبط وعدم الإنجاز، على الأقل يجب أن توجد خطوط عامة نتحرك من خلالها وتشعرنا في نهاية اليوم بالرضا عن النفس.

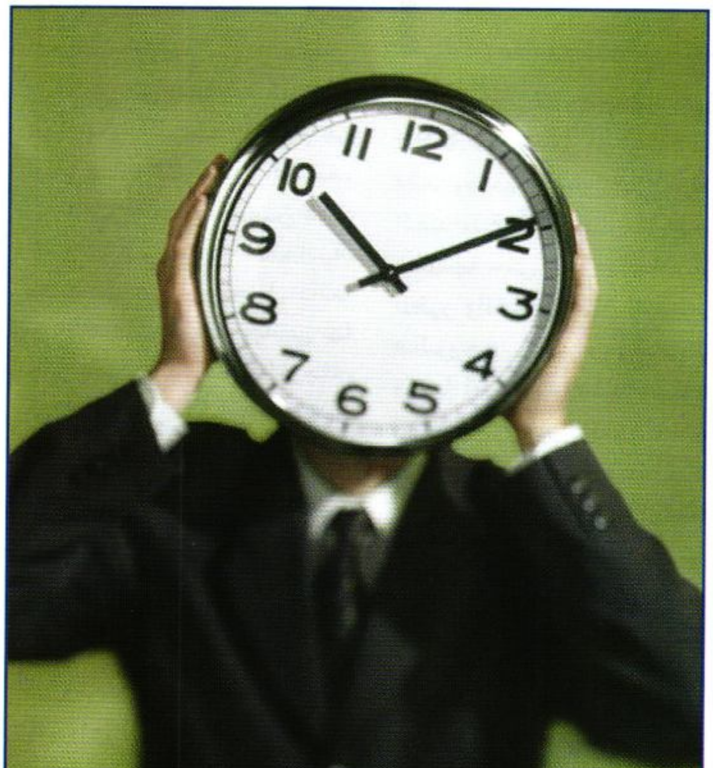
الشاشات المضيئة هي أهم الثقوب، التلفزيون والإنترنت، تسرق الوقت بمعنى الكلمة امام جاذبية ما تقدمه لا نشعر إلا بعد فوات الأوان، ولذلك يجب أن نتحاشاها مادمنا مشغولين ونكتفي فقط بوقت الفراغ.

ثرثرة الهاتف هي التالية في الأهمية، حين يقطع علينا رنين الهاتف ما نفعله، ونسترسل في الحكايات التي ربما تنسينا الغرض الأساسي من المكالمة، ولا توجد امرأة لم يفسد الهاتف طبخها الذي تركته على النار، ولا يوجد رجل لم يتأخر على موعد مهم بسبب اندماجه في مكالمة مفاجئة.

الرثاء للذات والاستسلام للمشاعر السلبية يدخلنا في دائرة السرحان والتأمل فيما حدث وما سوف يحدث، وفضلا عن إضاعة الوقت فإنها أيضا تستنزف الطاقة خاصة لو انشغلنا بالتحدث عن مشاكلنا ووصف حجم المعاناة التي نتعرض لها، كما أن التفكير بهذا الشكل السلبي يزيد من عمق المشاكل ولا يحلها.

النمطية في التفكير أيضا تهدر الوقت، فمع تسارع إيقاع الحياة وتزايد المسؤوليات فإن علينا ابتكار حلول غير تقليدية توفر لنا الوقت والجهد وتساعدنا على الأداء الأقل والأسرع، وفي كل يوم يوجد الجديد من الأدوات والطرق الحديثة الموفرة للوقت.

التربية الاعتمادية للأبناء هي من أهم أسباب ضياع الوقت والطاقة للطرفين، وخلال العام الدراسي يجب أن نتجه لغرس الروح الاستقلالية لدى الأبناء سواء في مذاكرتهم أو تنظيم مكتبهم أو ارتداء ملابسهم ونكتفي بالإشراف عليهم، هناك بعض الأمهات تعود أبناءها الاعتماد الكلي، فهي تذاكر وتحل الواجبات معهم وتحضر الملابس وتنظم الكتب وتقوم بتوصيلهم للمدرسة ولا ينقصها سوى دخول الامتحانات بدلا منهم، خاصة أنها تكون قد حفظت المناهج والمقررات الدراسية عن ظهر قلب.



الوقت يكفي لكثير من الإنجازات، ومازال اليوم ٢٤ ساعة، والشهر ثلاثين يوما، والسنة ١٢ شهرا، ولكننا محقنا بركة الوقت بالعادات السيئة وأسوأها السهر الطويل والنوم حتى الظهيرة، بالإضافة لما ذكرنا من قبل من عدم وجود خطة، والجلوس دون وعي أمام الشاشة الفضية، والانخراط في ثرثرة الهاتف والاستسلام لرثاء الذات والشكوى وتحميل أنفسنا ما لا نطيق لرغبتنا في أن نحيا بدلا من أولادنا، والمبالغة في البحث عن راحتهم وحمايتهم.

أفضل استثمار للوقت هو التقسيم المتوازن الذي لا نغفل فيه العبادات والجانب الروحي وصلة الأرحام والاهتمام بالهواية والترويح عن النفس، والحصول على قسط كاف من الراحة، والعمل المفيد، وسيكون ذلك ممكنا إذا تخلصنا من أسباب سرقة الوقت.

* كاتبة صحافية

كوني بفطرتك

بدور العوض

قال الله تعالى ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (آل عمران: ٣٦).
الله سبحانه تعالى خلق الذكر ومتعه بقوة خاصة جعلته مختلفًا عن الأنثى في التكليف، حيث قسم المهام بحسب فسيولوجية وقدرة كل منهما.
فلكل من الذكر والأنثى رسالة يجب تأديتها على أكمل وجه.



حافظي على فطرتك بالحجاب الذي أمرك به الله تعالى، ففيه ثباتك، وبه تكونين قدوة لمن هن خلفك وبجوارك.

حافظي على فطرتك بالقرآن، فهو كلام الرحمن، وفيه رسالة لك مليئة بالمعرفة والعرفان، فيه تفقهين مكانتك وكرامتك، وفيه الأسرار وهو البرهان.

حافظي على فطرتك بالصلاة، ففيها تجدين استقامة حالك إن اعوج، واستقامة ظهرك إن وهن، ستجدين فيها طمأنينة قلبك وصفاء يومك وتجديد إيمانك ويقينك.

حافظي على فطرتك بالدعاء، لأنه اتصال بينك وبين رب السماء، تناجينه وتشكين له الحال والمحال، تشكين إليه ضعفك وتحمدينه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى عليك.

حافظي على فطرتك بالرضا على ما قسم الله لك، فبه تكونين أغنى الناس، وتركك ما عند الناس هو عين الرضا، كوني كما أنت راضية فبرضاك أنت تتميزين عمن سواك بالحمد على القسمة والنصيب، فكم من غنية لا تملك عافية، وكم من غنية لاتملك سعادة، وكم وكم... ولا يتحقق ذلك إلا بالرضا.

حافظي على فطرتك بالقرار في بيتك، قال رب العزة ﴿وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ (الأحزاب: ٣٣)، إن قرارك في بيتك ما هو إلا طاعة وإذعان لأمر الله تعالى وتحقيق سنة رسوله الكريم ﷺ، لأن القرار في البيت صيانة لك من الذئاب والفتن، وبه تحفظ كرامتك وعفتك.

حافظي على فطرتك بالطهارة، وتشمل طهارة البدن بالنظافة، وطهارة النفس من الأحقاد والضغائن، وطهارة المال بالصدقة على الفقراء والمساكين وإخراج الزكاة لمستحقيها، فبهذا يتحقق مفهوم الطهارة.

حافظي على فطرتك بالصدق مع نفسك وربك، واعملي بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه «عليك بالصدق وإن قتلك»، فقيسي فلاحك بمدى صدقك مع نفسك وخالقك.

حافظي على فطرتك بخفض صوتك، فصوتك عورة وللرجل فتنة.

حافظي على فطرتك وكوني صديقة لوالديك وأختًا لجيرانك وأما لإخوتك، فلأمك عليك حق لا تهمليه، ولجارتك عليك حق فأديه ولإخوتك عليك حق فحافظي عليه، فاعتني بالصداقة والأخوة والأمومة في آن واحد تفوزي بفطرتك.

حافظي على فطرتك بالاكتحال بسطور القرآن والاعتبار من قصص الزمان وأخذ الدروس من الأقوام وإن اختلفت الأديان.

حافظي على فطرتك بالتنقيب عن خطى الصحابيات، وتعمقي في سير الخالدات، فهن قدوتك ومنهن خذي الدرس والحكمة.

عضو اللجنة الصحافية النسائية

أبناؤنا والإعاقة

لينة جلبط

إن قدوم طفل معاق إلى الأسرة يُحدث تغيرا في حياة الأبوين، خصوصا إذا كانت الإعاقة ظاهرة في الشهور الأولى، وهذا يعني انهيار حلم ظل يراود الأبوين شهورا عدة، وفي حالة وجود طفل معاق فإنهما يعرفان أن حياتهما ستتغير جذريا، خاصة أنهما وحدهما سيتحملان المسؤولية، وتتحمل الأم العبء النفسي الأكبر في تربية الطفل المعاق، بسبب شعور باطني بالتقصير والإحساس بالذنب الذي لا يفارقها، وهذا الشعور يتسبب في نشوء علاقة مضطربة بين الأم وطفلها، تنعكس بشكل سلبي على نمو الطفل المعاق، وتجاوبه مع العلاج، وقدرته على الاندماج في المجتمع، وعلى الرغم من كثرة ما تبذله الأم من جهد في رعاية طفلها المعاق، فإنه غير كاف ولا مجد، إذا لم تتخلص من ذلك الشعور النفسي.

فالإعاقة ليست مشكلة خاصة بالمعاقين وأسرهم، وإنما هي مشكلة يواجهها المجتمع كله، وجاء في دراسة للدكتور هشام الشريف عن «الاستراتيجية القومية للتصدي لمشاكل الإعاقة في مصر» أن المعاقين أو ذوي الاحتياجات الخاصة تتراوح نسبتهم في بعض المجتمعات العربية بين ٢٪ و ٣٪ من السكان، سواء كانت إعاقة خاصة بالحواس، مثل حاسة البصر أو حاسة السمع، أو إعاقات جسدية كالشلل، أو إعاقات عقلية كالتخلف العقلي والضعف العقلي.

وقد تشكل ولادة طفل معاق صدمة للوالدين، وهذا أمر طبيعي، إلا أن المشكلة تكون حين يتم الرفض والإنكار، فالإنسان ينكر ما هو غير مرغوب وغير متوقع ومؤلم، خاصة عندما يتعلق بالأبناء، ولكن على الوالدين تذكر حديث الرسول، ﷺ، «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (حسنه الألباني في صحيح الترمذي ٢/٢٨٦)، وأن يصبحا على يقين أن بعضا مما يصيب المؤمن هو ابتلاء من عند الله سبحانه، وأن هذا هو قضاء الله وقدره وابتلاؤه.

فمن المهم أن يصل الآباء إلى مرحلة التقبل والتكيف بسرعة، لأن التأخر في تأهيل الطفل يحرمه من الاستفادة من الرعاية الطبية والتأهيلية التي يجب أن يحصل عليها بالتعاون مع المؤسسات المتخصصة، والتواصل مع الأسر الأخرى التي لديها أطفال معاقون، وذلك لتبادل الخبرات وتنظيم الجهود، ثم يأتي دور إتاحة الفرصة للتعليم حتى يستطيع المعاق إثبات قدراته وقابليته العقلية والإدراكية، ويتم ذلك من خلال سلسلة من الخطوات تبدأ بالفحص الطبي، ثم التأهيل البدني للمعاق، ويكون ذلك تحت إشراف اخصائي تدريب بدني، ثم التأهيل الاجتماعي، ويتم ذلك من خلال تشخيص حالة المعاق تشخيصا تاما لمعرفة ظروفه الاجتماعية، وظروف إعاقته، ومرجعيته الأسرية، ويقوم بذلك الاختصاصي الاجتماعي، ثم يتم التأهيل النفسي الذي يتضمن دراسة قابلية المعاق العقلية والاستعدادات النفسية ومدى اندماجه وتكيفه في المجتمع، ثم يتم التأهيل التعليمي من خلال متخصصين في التربية والتعليم، والتربية الخاصة، ثم التأهيل المهني، حيث تتوافر مراكز ومؤسسات تأهيل المعاقين، حتى يتم تعليم المعاق مهنة تتناسب مع مؤهلاته البدنية وقابليته العقلية ومواهبه وقدراته، وتكون الغاية من هذا التأهيل هي دمجه في المجتمع، مثل تعليم الفتاة الخياطة والأشغال اليدوية والمهارات الحياتية، ويقوم بإنجاز هذه المهمة الاختصاصي المهني، لأنه بحكم وظيفته وخبرته يستطيع التعامل مع المعاقين، وفي النهاية لابد من تتبع المعاق في المؤسسة التي يعمل بها بعد تأهيله لمعرفة مدى توافقه واندماجه وتكيفه مع محيط عمله، ودرجة استفادته من عملية التأهيل.

فالأسرة هي المجتمع الصغير الذي عن طريقه تأتي الثقة بالنفس لكل معاق، وللأسرة دور كبير جدا في تقبل المريض لذاته على ما هو عليه، فقد يحتاج الوالدان إلى استشارة ذوي الاختصاص في كيفية معاملة الأبناء، وهذا ليس عيبا، وقد يحتاج الوالدان للعلاج النفسي على يد أطباء محترفين أو على يد أفراد الأسرة الذين يمكن أن يساعدوا الأطباء ويكملوا عملهم، وفي هذا يقول د.عبدالمطلب القريطي في كتابه «سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم»: «أما الخدمات التي تتعلق بالوالدين والأسرة كمشاركين في علاج الطفل وتعليمه، أو كميسرين لعمل الاختصاصيين فتشمل إعادة تعليم الوالدين وتطوير مهاراتهما في معاملة الطفل وتعليمه من خلال تعريفهما باحتياجاته وسبل إشباعها، وبكيفية توفير الخبرات والمواقف والأنشطة التي تستثير حواسه وتنشط استعداداته، وتمكنه من زيادة معدلات تعليمه في بيئة المنزل، وتستخدم في هذا الصدد برامج إرشادية وتعليمية تمكنهما من القيام بدورهما في تصميم الواجبات التعليمية والتدريبية للطفل ومتابعتها».

ويجب أن يراعي الأبوان عدم توجيه المعاق لاستدرار شفقة الناس ليحصل على امتيازات ومكاسب من حقه، لأن المعاق يرفض تلك المساعدة وذلك العطف، ويفضل أن يقوم هو بكل أعماله وأن يتنقل بمفرده، لأنه يتأثر نفسيا بتلك المساعدات والفزعات التي تصدر من بعض الناس عفويا، ولا يُفضل تقديم المساعدة إلا للمعاقين عقليا، ليدخلوا في المجتمع الكبير ويواجهوا الناس بكل ثقة.

وقد رفع القرآن الكريم الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض، تقديرا لهم، كما يخبر سبحانه أن هذه الفئات ستكون من ضمن عناصر المجتمع المكونة له، وجزءا منه، فقد ظهر من المعاقين كثيرون تفوقوا على الأشخاص العاديين في كثير من المجالات العلمية والسياسية والأدبية والفنية.

* باحثة اعلامية

فتاتي

فجر الكوس

همسة: الحوار فن، لذا تعلمي أدب الحوار كي تتقني هذا الفن.

همسة: أدبك مع من هو أكبر منك سنًا دليل على حسن أخلاقك.

همسة: ارتبطي بالله عز وجل بكثرة الدعاء.

همسة: تعرفي على ذاتك أكثر كي تحسني التعامل معها.

همسة: عطري لسانك بالكلام الجميل كي تكسبي من حولك.

همسة: اشغلي أوقاتك بمعالي الأمور وترفعي عن سفاسفها، وتذكري أن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها.

همسة: الحلم سيد الأخلاق، فعوّدي نفسك عليه.

همسة: تقديرك لوالديك واهتمامك بهما سر توفيقك في الحياة.

همسة: الحياة تجارب، والفطن من يستفيد من تجاربه ويجعلها سلمًا للنجاح.

همسة: سماحة وجهك وابتسامتك مع الآخرين من مفاتيح كسب القلوب.

همسة: الدنيا كماء البحر كلما ازددنا شربًا منه ازددنا عطشًا.

فتاتي

كيف أكون صديقة والدتي؟

أجمل مشهد أراه فتاة ترافق والدتها وتحسن صحبتها، اليوم في هذا الزمن أصبح البر شيئا نادرًا تحتاج إليه الأمهات، بل ويحتاجه المجتمع.

حديثي اليوم موجه إليك يا فتاتي.. إلى من تود أن تكون صديقة لوالدتها وترغب بأن تحسن صحبتها، إليك هذه النصائح التي أرجو من الله أن ينفعك بها:

١- اعلمي أن والدتك أحق الناس بحسن صحبتك، كما جاء في الحديث أن رجُلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك (رواه البخاري ومسلم)، وحسن الصحبة تعني المرافقة والملازمة.

٢- تعلمي مفاتيح الدخول لقلب والدتك، فكل والدة لديها مفتاح خاص للوصول لقلبها، فهناك والدة تحب أن ترافقها ابنتها في مناسباتها الاجتماعية وزياراتها للآخرين، وأخرى تحب من ابنتها أن تكون عونا لها في الأعمال المنزلية، ووالدة تحب أن تفاجئها ابنتها بالهدايا وهكذا.

٣- اسألي الله دائمًا باسمه المعين أن يعينك على حسن صحبتها، وأن يرزقك الصدق والإخلاص في هذا العمل.

٤- صادقي الفتيات البارات المصاحبات لأمهاتهن، وتعلمي منهن أصول الصحبة.

٥- ضعي والدتك في سلم أولوياتك، ولا تقدمي عليها أحدًا من البشر.

٦- أحبي أحباب والدتك، وصليهم ولاطفيهم بالحديث حبًا لها وتقديرًا لها، وكما يقال «حبيب حبيبي حبيبي».

٧- شاركي والدتك هواياتها وما تحبه.

٨- سابقي إخوتك في برها وطلب رضاها، فهذا التصرف له تأثير خاص في قلب الوالدة.

٩- لا تكثري الطلبات عليها، فالأم إن احسنتِ صحبتها ستلبي طلباتك من غير طلب.

١١- تفهمي مشاعرها وحاجاتها وما تمر به، فالأم دائمًا تحمل في قلبها الكثير من الهموم والمسؤوليات، وتريد من يقدرها ويشعر بمشاعرها.

وأخيرا تذكري أن البر وحسن الصحبة دين، وكما تدين تدان، فاليوم أنت بنت بارة، وغدًا سيرزقك الله بنتا بارَّة بإذنه سبحانه.

عضو اللجنة الصحافية النسائية

أبناؤنا والبيئة

البيئة هي المكان الذي عاش عليه آباؤنا وأجدادنا وسيعيش عليه أبناؤنا والأجيال القادمة، وهي أمانة بأيدينا علينا أن نحميها من أجل سلامتنا ومن أجل الأجيال القادمة، والله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون جميلا متوازنا ومسخرا للإنسان وبيئة مثالية ليعيش بنو البشر، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعها، والجبال أرساها متعا لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات: ٢٧-٣٣).



سليمان الرومي

بين الله سبحانه في هذه الآيات الكريمة عظيم خلقه وما فيه من آيات والآء تدل على عظمته -عز وجل-.

فمن آياته «الإنسان» هذا المخلوق من نطفة فليتفكر الانسان في نفسه وما في خلقه من عجائب، قال تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذرايات: ٢١)

ومن آياته هذه الأرض والجبال وما فيها من معادن كالذهب والفضة ونحوها، وكذلك النفط والكبريت والغاز وغيرها.

ومن آياته البحار العظيمة، والهواء الذي لا يرى بالعين ولكن نلمس شدته وقوته، وما في الجو من عجائب وما يظهر فيه من غيوم ورعد وبرق ومطر وثلج وبرد وشهب وصواعق.

ومن الأمور الإنسانية النبيلة أن يعمل الإنسان فكره في هذا الكون، وفي نفس الوقت يعمل على المحافظة على توازنه ونقائه لحماية المخلوقات التي تعيش عليه وتتأثر به.

فيجب علينا جميعًا أن نشد على يد كل من يعمل من أجل الإنسان ومن أجل حمايته من أخطار البيئة بشتى أنواعها، وأن نتعاون مع كل من يعمل لإعادة تأهيل ما يفسد بيئتنا والمحافظة على نظافة وجمال ربوع أرضنا.

خلق الكون

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بقدرته ويسر تكامله ليكون دارًا واسعة للإنسان، واستخلف الله الإنسان في عمارة الأرض والمحافظة عليها، وإثراء الحياة وتحسينها، ومساعدة الآخرين ومعاونتهم، قال تعالى ﴿قل إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت: ٩-١٢)، وقال تعالى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾(الأنبياء:٣٠) وهذه الآية يمكن أن تعني أن كل شيء مصدره الماء كمادة جوهرية، أو أن أصل كل شيء حي هو الماء، ويتفق هذان المعنيان تمامًا مع العلم، «فالماء» هو العنصر اللازم لأي حياة نباتية، قال تعالى ﴿وأنزل من السماء ماء ً فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى﴾ (طه:٥٣)

ويطلق الماء على السائل المغروز بواسطة الغدد الخاصة بالتناسل، وهو يحتوي على الحيوانات المنوية، قال تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾(النور: ٤٥)

ويمكن أن يراد بالماء هنا ماء المطر والأنهار والمحيطات.

ما هي البيئة؟

البيئة هي المنزل والمكان الذي ينزل فيه الإنسان أو الحيوان، كما أن البيئة تعبر عن الحالة فيقال هو من بيئة حسنة، أو هو من بيئة سيئة.

والبيئة أيضا هي الإطار الذي يمارس الإنسان فيه حياته مثل الهواء والماء والأرض، كما تشمل البيئة عناصر الثروة مثل «الزراعة والري والمصايد والغابات والمعادن والبترول.

والله خلق الإنسان واستخلفه في الأرض وألزمه بواجبات دينية وأخلاقية نحو البيئة يجب أن يراعيها، منها ما يخص الفرد من المحافظة على البيئة والنظافة وتعمير الأرض وحماية الموارد الطبيعية وإصلاح التربة وتنقية الهواء والماء، ومنها ما يخص الأمة مثل تدخل ولاة الأمر لتحقيق المصالح العامة ودرء المفاسد عن الأمة وحماية البيئة بأبعادها المختلفة من أجل الإنسان ومن أجل الأجيال القادمة.

التلوث البيئي ومخاطره

إن مشكلة التلوث البيئي مشكلة في أساسها «أخلاقية» ناتجة عن البغي في الأرض بغير علم والإفساد في خلق الله دون تعقل أو تدبر لعاقبة، ويكون ضحية ذلك الإنسان وخاصة «الأطفال»، وللتلوث أنواع عديدة منها:

١- تلوث الماء: يتلوث الماء بكل ما يفسد



سكرتير التحرير

خواصه الطبيعية، فيتدنس الماء ويصبح غير صالح للإنسان أو الحيوان وبالأخص الأطفال، لذلك ينصح بغلي الماء المستخدم في شرب أو أكل أو غسل الأطفال.

٢- تلوث الهواء: ويعتبر تلوث الهواء من أسوأ أنواع التلوث وكلما ازداد عدد السكان في المنطقة الملوثة ازداد خطر التلوث.

٣- التدخين: لتدخين الوالدين على الطفل وخاصة الأم أثر كبير على صحته حتى وهو جنين في بطنها، وإذا اقتدى الطفل بأحد أبويه وأصبح مدخنًا وخاصة قبل سن المراهقة فإنه سرعان ما يصاب بالأمراض الخطيرة من جلطات القلب والنزلات الشعبية المزمنة والإلتهابات (ولا ننسى أن التدخين أكبر وسيلة تؤدي بصاحبها إلى المخدرات).

٤- أضرار المبيدات: المبيدات والمواد الكيميائية الملوثة للبيئة تؤثر على المخ مما يؤثر على ذكاء واستيعاب الأطفال الذين يعيشون في مناطق تزداد فيها نسبة التلوث.

٥- التلوث الإشعاعي: الإشعاع النووي أو الشمسي أو الضوئي أو الكهربائي المغناطيسي كلها إذا تعرض لها الإنسان -بشكل غير مناسب- تكون نتائجها خطرة وخاصة بالنسبة للأمراض الوراثية.

٦- الضوضاء: أثبتت الدراسات أن الصوت الهادئ ينشط عمليات التفكير لدى الإنسان والعكس صحيح، فالضوضاء والضجيج لهما



مخاطر صحية على الإنسان، خاصة على صحة الأطفال ونموهم «الجسدي والفكري».

عظمة القدرة الإلهية

يتأمل المؤمن في خلق الكون فيجد عظمة القدرة الإلهية في كل ما خلق الله سبحانه وتعالى، ويجد ذلك في السماء العالية والجبال الراسية والأنهار والأرض والنبات والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم.

ويشاهد ببصره وبصيرته عظمة القدرة الإلهية) والتي يحيا في ظلها، فالله تعالى قدر في الأرض أرزاقها وأقواتها، وأمرنا أن نسير في مناكبها بالزراعة والصناعة والتجارة وطلب العلم والعمل معًا.

ومن آثار القدرة الإلهية كذلك:

١- الغلاف الغازي المحيط بالأرض الذي يحميها من ملايين الشهب التي تهبط عليها من الفضاء الخارجي، وهذا الغلاف الغازي يحفظ الأرض في درجة حرارة مناسبة .

٢- لو كان الأوكسجين بنسبة ٥٠ في المائة أو أكثر من الهواء بدلاً من ٢١ في المائة لكثرت الحرائق لدرجة أن أول شرارة من البرق تصيب شجرة لابد أن تلهب الغابة كلها.

٣- ولو كان الأوكسجين بنسبة ١٠ في المائة من الهواء لتعذر أن يكون التمدن الإنساني على ما هو عليه الآن.

٤- يستنشق الإنسان الأوكسجين ويأخذ النبات ثاني أكسيد الكربون، ولو وجد الإنسان وحده لمات ولو وجد النبات وحده لذبل وذوي، فالكون كله متكامل، قال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ (النمل: ٨٨).

حق الطفل في الحماية من التلوث

إن الطفل هو أولى الناس بالحماية من تلوثات البيئة بشتى صورها لأن الطفل هو أكثر من يتأثر بالبيئة ومخاطرها، فيحتاج منا إلى العناية به وحمايته من تلوث البيئة ومخاطرها، وحماية الطفل تبدأ منذ ولادته والمسؤول عن هذه الحماية هي الأم، فيجب أن تحمي طفلها بالرضاعة الطبيعية فهي تولد مشاعر الحب والأمان والاستقرار النفسي لدى الأطفال.

والرضاعة الطبيعية هي العملية التي يحصل فيها الطفل على الحليب من صدر أمه، ويعد لبن الأم مصدرًا لتغذية الطفل ولمقاومة الميكروبات لوجود العوامل التي تنشط في تناغم لتكوين نظام بيولوجي ملائم للطفل.

ولقد ابتعدت الأم في البيئة العربية عن إرضاع أطفالها فنشأ الأطفال على عدم الحب.

والرضاعة تولد لدى الأم مشاعر عاطفية لا تدركها إلا الأمهات اللاتي يرضعن أطفالهن، ولحليب الأم خصائص منها:

١- احتواؤه على أجسام مضادة ومقاومة لكثير من الكائنات البكتيرية والفيروسية.

٢- يمنع الحساسية الزائدة ضد أمراض الحساسية في العائلات المصابة بالحساسية.

٣- يحتوي على نسبة «البروتين» المناسبة التي يتم هضمها كاملة.

٤- حليب الأم نظيف دائما درجة حرارته مناسبة.

من آثار العدوان

كان من آثار العدوان العراقي الغادر في أغسطس ١٩٩٠م تخريب البيئة الكويتية بصفة خاصة، وبيئة بقية دول مجلس التعاون الخليجي بصفة عامة.

فبالأمس القريب انطلقت سحب الدخان الى عنان السماء جراء إحراق أكثر من «٧٣٠ بئر نفط» ليصل الدخان الى جبال الهمالايا شرقا والى مصر غربا مسببا تحميل الهواء النقي بكافة انواع الملوثات.

كما أن سكب النفط الخام في مياه الخليج دمر البيئة البحرية، فماتت الكائنات الحية النباتية والحيوانية، وتلوثت مياه الخليج بشتى المواد السامة الناتجة عن تحلل النفط.

كذلك كان اشعال آبار النفط في البرية سببًا في تكون بحيرات نفطية قضت على الحياة النباتية والحيوانية في الصحراء ودمرت بيئات الطيور المهاجرة.

ولم يكن زرع الألغام في العديد من الأماكن في الكويت أقل خطرًا فقد كان لذلك نتائج مدمرة ومخاطر كبيرة على الإنسان خصوصاً الأطفال وكذلك الأمر بالنسبة للحيوانات.

وفي الختام نحث الوالدين أن يعلموا أبناءهم المحافظة على البيئة وحب وطنهم الكويت.

آلاف المخطوطات الأصلية النادرة في مكتبة المخطوطات الإسلامية بالقاهرة

مجدي أحمد

منذ عام أو أكثر قليلًا، كنت أمر أمام مسجد السيدة زينب قادمًا من سور الكتب القريب جدًا من المسجد لفت انتباهي وجود لوحة في خلفية المسجد مكتوب عليها «المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية» أيقنت على الفور أن كنوزًا بداخلها لابد من القرب منها، ولم أضيع الفرصة آنذاك، بالداخل وجدت ترحابًا شديدًا وأدبًا جمًا من العاملين بقسم خدمات المعلومات، طلبت من أحدهم ويدعى «أمير» إرشادي لمعرفة أسلوب العمل والاطلاع على المخطوطات ، فاجتهد الرجل ومعه الأخ «محمد حلمي» والآنسة «شيماء» لتحقيق طلبي، وصدق حدسي حين وجدت عشرات العناوين لمخطوطات طالما سمعت أو قرأت عنها وطلبت منهم تصويرها على CD فاستجابوا لما طلبت، وقمت بتحقيق بعضها وألح عليَّ خاطر مدهش، أن أسجل تقديري وعشقي لهذه المكتبة من خلال هذا التحقيق.

خلوصي يحكي القصة

حياني بحرارة ومودة وكأنه يعرفني منذ عمر طويل، المشرف العام بالمكتبة: الكيميائي خلوصي محمود خلوصي، وأخذ يقص عليّ قصة إنشاء المكتبة فقال في الثامن من جمادى الأولى ١٤٢٥هـ الموافق ٢٦ يونيو ٢٠٠٤م افتتحت المكتبة بحضور رئيس مجلس الشعب د. فتحي سرور، ووزير الأوقاف د.محمود حمدي زقزوق، ومحافظ القاهرة الأسبق عبدالرحيم شحاتة، فقد تبنى د.زقزوق تحويل مشروع هذه المكتبة إلى واقع ملموس، بعد أن عرض على مؤتمر وزراءالأوقاف والشؤون الإسلامية مشروع خطة طموحة لجمع المخطوطات وكتب التراث في الدول الإسلامية، وتمت الموافقة على هذه الخطة بالإجماع.. ووقع الاختيار على مبنى بني على الطراز الإسلامي ملحق بمسجد السيدة زينب - رضي الله عنها - بالقاهرة ليكون مقرًا لتلك المكتبة، وتم تزويده بالأثاث والتجهيزات التي تمكنه من أداء رسالته وتحقيق وظيفته في حفظ المخطوطات وصيانتها والتعريف بها وتيسيرها لجمهور الباحثين، وألحق به مجموعة من المتخصصين في علوم المكتبات ممن تتوافر فيهم القدرة على التعامل مع التقنيات الحديثة التي تستخدم في تحويل النسخ الأصلية إلى نسخ رقمية يطل عليها الباحثون من خلال شاشات العرض بالحاسبات الآلية، وتجمع المكتبة مخطوطات كانت مشتتة بين المساجد، وكانت محفوظة في ظروف سيئة، ولا تحظى بأي نوع من أنواع الصيانة أو الترميم، والأهم من ذلك أنها لم تكن مفهرسة، ومن ثم لم يكن الباحثون يعرفون عنها شيئا، ولا يخفى أن تجميع المخطوطات في مكان واحد يتيح لها ميزات لم يكن بالإمكان تحقيقها في المساجد التي كانت توجد بها تلك المخطوطات، ومنها:

أولا: توفير متخصصين في أعمال الصيانة والترميم والتعقيم يدوياً وآليًا.

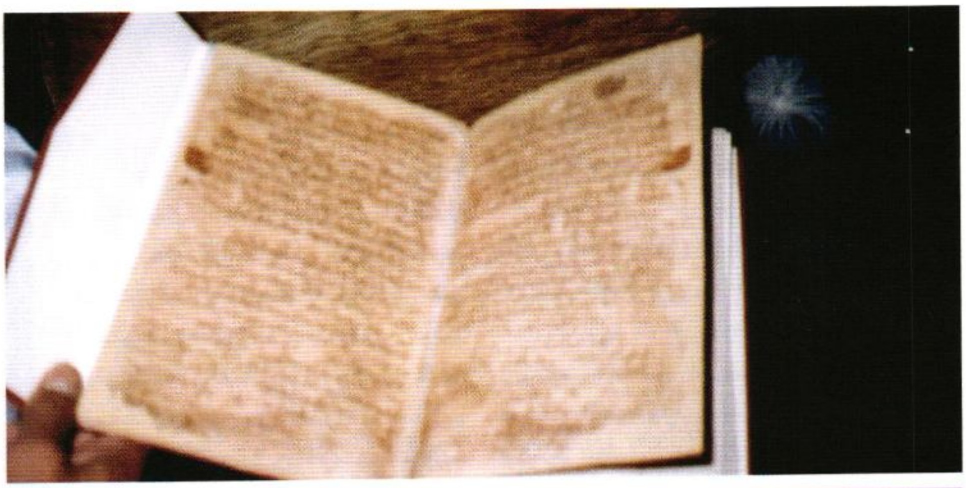
ثانيا: توفير متخصصين مدربين على فهرسة المخطوطات وتصنيفها وتحليل محتوياتها.

ثالثا: توفير أجهزة ومعدات التصوير، سواء كان تصويراً على ورق أو تحويلًا إلى شكل رقمي يحتفظ به الحاسب في القرص الصلب أو ينقل على أقراص مدمجة (CD)، وبإنشاء هذه المكتبة أصبح بالإمكان فهرسة تلك المخطوطات فهرسة علمية سليمة، ونقل نصوصها على وسائط أخرى يستخدمها الباحثون، كما أصبح بالإمكان توفير وسائل الصيانة والترميم للنسخ المتهالكة حتى لا تزداد حالتها سوءًا.

وتابع الأستاذ خلوصي حديثه قائلًا: وتم نقل المخطوطات من ٢٢ مكتبة من مكتبات مساجد القاهرة والاسكندرية وطنطا ودمياط ورشيد والفيوم، في مقدمتها مكتبة مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه ١٩١ مخطوطا، ومكتبة مسجد السيدة زينب رضي الله عنها ٨٠ مخطوطا، ومكتبة مسجد سيد أحمد الدرديري بالغورية ٤٤٨ مخطوطا، ومكتبة مسجد سيد المرسي أبوالعباس بالإسكندية ١٧٨٠ مخطوطا، ومن مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا ١٥٦٧ مخطوطا، وقد بلغ مجموع ما نقل حتى الآن أكثر من ٦٠٠٠ مخطوط.



• كاتب صحافي



المكتبة نتاج مشروع خطة طموحة لجمع المخطوطات وكتب التراث في الدول الإسلامية

أقسام المكتبة

قمت بجولة واسعة بمصاحبة أحد المشرفين بالمكتبة، ووجدتها تضم الأقسام التالية:

١- قسم التسجيل والإعداد الفني للمخطوطات، ومهمته تسجيل وصفية ما ينقل إلى المكتبة من مخطوطات، وفهرستها فهرسة موضوعية تحليلة.

٢- قسم الحاسب الآلي، يتولى تحويل استمارات الفهرسة إلى صورة محسبة يختزنها الحاسب، ثم تنقل على (CD).

٣- قسم التصوير الرقمي، ويقوم بتصوير المخطوطات وتحويلها إلى شكل مرقم يختزن في الحاسب، وينقل أيضا على أقراص مدمجة، كما يقوم بربط نصوص المخطوطات باستمارات الفهرسة التي أعدت لها.

٤- قسم الصيانة والتعقيم، ومهمته تعقيم المخطوطات التي ترد للمكتبة قبل أن تستقر في مكان الحفظ.

٥- قسم الترميم اليدوي، يقوم بتحديد ما يحتاج منها إلى ترميم يدوي أو آلي ووضع الأولوية لعملية الترميم التي تتم في المكتبة قبل أن تستقر في مكان الحفظ.

٦- قسم خدمات المعلومات، يقوم بإرشاد الباحثين للاطلاع على المراجع والمخطوطات من خلال الحاسب.

نوادر المخطوطات

ومرة أخرى عدت إلى الأستاذ خلوصي، لنعلم منه أن مجموعات المكتبة تضم كثيرًا من نوادر ونفائس المخطوطات، منها نسخ أصلية كتب بأيدي مؤلفيها، ومنها ما تمت قراءته على المؤلف، إلى جانب مخطوطات تم الانتهاء منها في حياة مؤلفيها، ومخطوطات تمت في زمن قريب جدًا من زمن المؤلف، وأخرى انتهى العمل منها منذ أكثر من ستمائة سنة أو ألف سنة، وهذه كثيرة، إلى جانب مجموعة من المصاحف التي أوقفها السلاطين والأمراء على المساجد، بالاضافة إلى المصاحف ذات الزخارف والحليات والألوان المبهجة...،ومن أمثلة هذه النوادر: «اختلاف عملاء الأمصار» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، وتوجد منه نسخة من المجلدين الأول والثالث قرئت على المؤلف سنة ٢٩٤ هـ، ومعنى هذا أنه تم نسخها قبل ذلك التاريخ، وتوجد نسخ أصلية كتبها مؤلفوها بأيديهم، مثل: «ترشيح التوشيح وترجيح التصحيح» وهو كتاب في الفقه الشافعي، ألفه تاج الدين السبكي وكتبه بخطه سنة ٧٧١ هـ، أيضا نجد «شرح ألفية العراقي» في أصول الحديث لعبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ، أتم المؤلف كتابته في رمضان سنة ٧٧١ هـ، وهناك الكثير من المخطوطات النادرة مثل: «الفوائد الضيائية في مشكلات الكافية» لابن الحاجب سنة ٨٩٨ هـ، امداد الفاتح» شرح نور الايضاح ونجاة الأرواح لابن عمار بن علي الشرنبلالي كتبه سنة ١٠٤٦هـ، «مرقي الوصول إلى معنى الأصولي والأصول» لابن الجوهري الصغير، كتبه سنة ١١٨٣ هـ، «نزهة المشتاق فيما يتعلق بأحوال العشاق» لمحمد بن إبراهيم الإبراشي، كتبه سنة ١٢٣١هـ، مجموع في العقائد نسخت سنة ٧١٥ هـ، «شرح اللفظ الوجيز فيما يقدم على مؤنة التجهيز»، كتبه الشريف النسابة سنة ٩٧٨ هـ «حياة الحيوان» للدميري نسخت سنة ٨٢٤هـ، «نزهة النظر في كشف حقيقة الإنشاء والخبر» علاء الدين البخاري، نسخت سنة ٨٢٣هـ، «الأشباه والنظائر» لابن نجيم المصري كتبت بالمسجد الأقصى بالقدس... وغيرها، هذا بخلاف مصحف عثمان بن عفان، ومصحف الإمام علي بن ابي طالب- رضي الله عنهما - ومجموعة من المصاحف التي أوقفها أزواج الأمراء والسلاطين على المساجد، ولا أخفي دهشتي حين وقفت أمام مصحف عثمان، إذ أحسست برعدة تنتابني ورهبة هائلة تجتاحني حين لمسته بيدي، وعدد صفحاته ١٠٧٨، ووزنه ٨٠ كيلو جراما!.

وفي الطابق الأرضي من المكتبة توجد مكتبة للكتب التراثية ومجموعة من ذخائر الأدب العربي والتاريخ الإسلامي وتفاسير القرآن الكريم والحديث والفقه، أيضا توجد نماذج من التراث الثقافي الإماراتي- السعودي، ويشمل مطبوعات تحوي النشاط الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة على مدى سنوات التسعينيات، وكذا المحاضرات الثقافية الدينية لكل من د.أحمد العلمي، مدير مركز الانتساب الموجه في رأس الخيمة، والشيخ منصور عيضة في ندوة «آفات اللسان» بجمعية نهوض المرأة الظبيانية،، و«الصوم في الأديان» وغيرها من المحاضرات التي تتجاوز المئات في مجال الصحة والأوضاع الاجتماعية، وتكشف وثائق المكتبة عن عقد اتفاقية بروتوكول تعاون بينها وبين مركز جمعة الماجد للتراث والثقافة بدبي وبين الهيئات المعنية بالتراث في مصر والعالم العربي، سواء أكانت حكومية أو غير حكومية، ومن المخطوطات النادرة بالمكتبة: كليلة ودمنة، وهو يعتبر من النوادر لأنه أول مخطوط به رسومات وصور تُعبر عما فيه، وضعه الفيلسوف الهندي بيدبا، يتناول حكايات على ألسنة البهائم والطيور لإصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، ومجموعة من الكتب في السحر محفوظة في قمقم مختوم وممنوع الاطلاع عليه.

مدينة «نيسابور»

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإن من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقترن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، واندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرّفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحد من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أنه قد اهتم علماء المسلمين بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمد جميل النورستاني
باحث دراسات اسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

مدينةُ نيسابور مدينةٌ عظيمةٌ ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، وكانت قبل تدمير التتار لها من المراكز العلميّة المهمة، لاسيما في علم الحديث، وصفَها الإمام الذهبيُّ بأنها «دار السنة والعوالي»(١)، وتخرّج منها أئمةٌ لا يُحصَون من الفقهاء والمحدثين والعلماء، وقد أفردَ الإمامُ الحاكمُ النيسابوريُّ (ت ٤٠٥هـ) لترجمة علمائها كتابَه العظيم "تاريخ نيسابور"، وقد ذكرَ في مقدمته للكتاب سببَ تأليفه له فقال: «أعلَم بأنّ خراسان وما وراء النهر لكلِّ بلدة تاريخٌ صنَّفَه عالمٌ منها، ووجدتُ نيسابور مع كثرة العلماء بها والحفّاظ لم يصنِّفوا فيه شيئًا، فدعاني ذلك إلى أن صنّفتُ تاريخَ النيسابوريين»(٢).

وهذا الكتاب من أجلِّ كتب التواريخ وأعودها فائدةً، قال السمعاني: «وقد جمعَ الحاكمُ تاريخَ علمائها في ثمانية مجلدات ضخمة»(٣)، وقال السبكي: «كانت نيسابور من أجلِّ البلاد وأعظمها، ولم يكن بعد بغداد مثلها، وقد عملَ لها الحافظُ أبوعبدالله الحاكم تاريخًا تخضعُ له جهابذةُ الحفاظ، وهو عندي سيدُ التواريخ»(٤).

واختصرَه عددٌ من الأئمة، منهم الحافظُ أبوبكر محمد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤هـ)، وسمّاه «مقتضب تاريخ نيسابور»(٥)، ومنهم الإمام الذهبي، كما ذكرَ في مقدمته لتاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء.

و«تاريخ نيسابور» للحاكم من أهمِّ كتب التاريخ والرجال التي لا تزال مفقودةً إلى الآن، ولم يوجد منه إلا ترجمة فارسية مختصرة، لمحمد بن حسين بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري (كان حيا في سنة ٧١٧هـ)، وقد جمعَ الباحث مازن البيروتي الطبقةَ السابعةَ من تاريخ نيسابور- وهم شيوخُ الحاكم- وطبعها في مجلد مستقل.

ومدينةُ نيسابور من أجلِّ المدن وأعظمها، قال عنها البشّاريُّ (ت نحو ٣٨٠هـ): «بلدٌ جليلٌ، ومصرٌ نبيل، لا أعرفُ له في الإسلام من عديل؛ لما قد إجتمعَ فيه من الخلال، واتفقت فيه من الخصال، مثل سعة الرزق، ووسع البقعة، وصحة الماء، وقوّة الهواء، وكثرة العلماء، بلدُ الأجلّة والراسخين من الأئمة...»(٦).

وقال عنها السمعاني (ت ٥٦٢هـ): «وهي أحسنُ مدينة وأجمعُها للخيرات بخراسان، والمنتسب إليها جماعةٌ لا يُحصَون»(٧).

وقال ابنُ حوقل (ت بعد ٥٨٠هـ): «وليس بخراسان مدينة أصحّ هواءً، وأفسح فضاءً، وأشدّ عمارةً، وأدوم تجارةً، وأكثر سابلةً، وأعظم قافلةً، من نيسابور»(٨).

وقال عنها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): «وهي مدينةٌ عظيمةٌ ذاتُ فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، لم أرَ فيما طوَّفتُ من البلاد مدينةً كانت مثلها»(٩).

وقال الحافظ عبدالقادر الرهاوي: «أمهاتُ مدائن خراسان أربع: نيسابور، ومرو، وبلخ، وهراة»(١٠).

وقيل أيضًا: «إنّ العلمَ شجرة، جذورُها في مكة والمدينة، ونُقلَ ورقُها إلى العراق، وثمرُها إلى خراسان».

وهي مدينةٌ قديمةٌ جدًا، بناها سابور الأول بن أردشير بابكان، وجدَّدَ بناءَها سابور الثاني الساساني في المئة الرابعة للميلاد، وإليه تنسبُ المدينة، حيث إن "نيسابور" معرَّب من الفارسية «نِيْشَاپُوْر»، وهو مشتقٌّ من «نيوشاه پُوْر»، ومعناه: (شيء، أو عمل، أو موضع سابور الطيب)(١١).

وكانت تُعرَف أيضًا- في صدر العهد الإسلامي- بـ«أبرشَهْر»، وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربَها فيها الخلفاءُ الأمويون والعباسيون، وفيها يقولُ أبوتمّام حبيب بن أوس الطائي:

أَيَا سَهَري بليلَة أَبْرَشَهْر
ذَمَمْتَ إليَّ نوْمًا في سواها



وسمَّاه المقدسيُّ وغيره باسم «إيرانْشَهْر»، أي: مدينة إيراه، وذكرَ البشَّاريُّ أن هذا الاسم (إيرانْشَهْر) كان لقصبة مدينة نيسابور(١٢).

فُتحت أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد ابن خالته الأمير عبدالله بن عامر بن كَرَيْز سنة ٢٩هـ، وقيل: ٣١هـ صلحا، وبنى بها جامعًا.

وقيل: فُتحت في أيام عمر بن الخطاب، على يد الأحنف بن قيس، وإنما انتقضت في أيام عثمان، فأرسلَ إليها عبدالله بن عامر ففتحَها ثانيةً.

وقد اتَّسعت نيسابور بعد نقل الطاهريَّة دارَ إمارة خراسان من مدينتَي «مرو» و«بلخ» إليها، يقول ابنُ حوقل: «وكانت دار الإمارة في قديم الأيام بمرو وبلخ إلى أيام الطاهريّة، فإنهم نقلوها إلى نيسابور، فَعَمَرَت وكَبِرَت وغَزُرَتْ، وعَظُمَت أموالُها عند توطُّنهم إيَّاها وقُطونهم بها، حتى انتابَها الكُتَّابُ والأدباءُ بمُقامهم بها، وطرأ إليها العلماءُ والفقهاءُ عند إيثارهم لها، وقد خرَّجَت نيسابور من العلماء كثْرةً، ونشأ بها على مَرِّ الأيام من الفقهاء من شَهِرَ اسمُه وسمقَ قدرُه وعلا ذكرُه»(١٣).

واستمرَّت نيسابور في ازْدهارها إلى سنة ٥٤٨هـ، وفيها سُوِّيَت بالأَرض، حيث أحرقَها «الغُزُّ» لمّا أسروا الملكَ «سَنجر»، قال الإمام الذهبي: «دار السنة والعوالي... ومازال يُرحلُ إليها، إلى أن دخلَها التتارُ، ثم مضَت كأن لم تكن»(١٤).

ثم استولى عليها أحدُ مماليك سنجر فنقلَ الناسَ إلى محلةٍ منها يُقال لها «شاذياخ»، وعمَّرَها وسَوَّرَها واستعادَت بذلك عمرانَها.

يقولُ ابنُ حوقل: «وسمعتُ في سنة ثمانين وخمسمائة أنّ العمارةَ قد اتّصلت إلى الموضع القديم»(١٥).

ثم بقيت على ذلك إلى سنة ٦١٨هـ، وفيها خرَّبها المغولُ وألحقوها بالأرض، ثم أعيد بناؤها، ومازالت إلى الآن.

وهي تقع الآن في إيران، على بعد ٥٠ ميلًا غربي مدينة «مشهد»، في أقصى الشمال الشرقيِّ من إيران، على الطريق الرئيسية التي تصل طهران بمشهد، وهي قاعدة القسم الإيراني من خراسان اليوم، وعددُ سكانها اليوم يناهز المائة ألف نسمة، وتُسمَّى الآن «نِيْشَاپُوْر».

ويُنسَب إلى مدينة «نيسابور» خلقٌ كثيرٌ من أئمة المسلمين في فنون شتى، على رأسهم الإمامُ أبوالحسين مُسلمُ بن الحَجَّاج بن مُسْلِم بن ورد بن كوشاذ، القشيري، النيسابوري، وهو أحدُ أركان علم الحديث، وأحدُ أئمته البارزين فيه، وممن رفع الله ذكرَه في العالمين.

وقد أثنى على الإمام مسلم كثيرٌ من الأئمة، من شيوخه وأقرانه ومَن بعدهم من تلاميذه وغيرهم، وقال له شيخُه إسحاق بن منصور الكوسَج: «لن نَعدَمَ الخيرَ ما أبقاكَ الله للمسلمين»(١٦).

بل قال أحمد بن سلمة بن الفضل: «رأيتُ أبا زرعة وأبا حاتم يُقدِّمان مسلمَ بنَ الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما»(١٧).

وهو- رحمه الله- ممن لُقِّبَ بأنه «إمام أهل الحديث»، كما أنه ممن حازوا على لقب «أمير المؤمنين في الحديث».

ومن أشهرِ شيوخه: الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، والإمام البخاري، وأبوبكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، وزهير بن حرب (ت ٢٣٤هـ)، ومحمد بن المثنى (ت ٢٥٢هـ)، وقتيبة بن سعيد البغلاني (ت ٢٤٠هـ)، ومحمد بن عبدالله بن نمير (ت ٢٣٤هـ)، وغيرُهم.

تتلمذَ على الإمام مسلم كثيرون، ولا غرابة في ذلك، فهو أحدُ أئمَّة هذا الشأن، من أشهرِهم الأئمة: أبوحاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ)، وابنُ أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، صاحبُ كتاب «الجرح والتعديل»، وابن خزيمة (ت ٣١١هـ)، والترمذي (ت ٢٧٢هـ)، وأبوعوانة الإسفراييني (ت ٣١٦هـ)، صاحبُ «المستخرج».

وقد ألّفَ الإمامُ مسلمٌ كتبًا عديدةً، طُبعَ بعضُها ولم يُعثر على بعضِها، وأجلُّ كتبه على الإطلاق كتابُه «الجامع الصحيح»، وهو أحدُ الكتب الستة المعروفة، وثاني الصحيحَين، وأصحُّ كتابٍ في الحديث بعد صحيح الإمام البخاري.

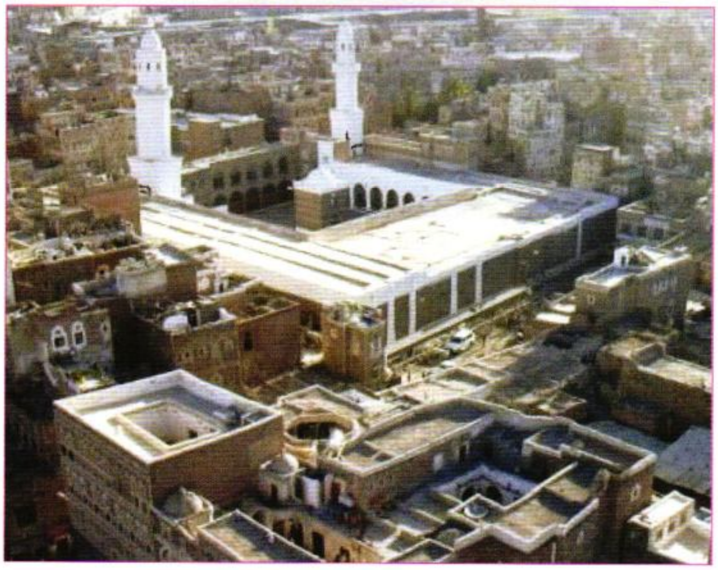
توفي الإمامُ مسلمٌ عشيَّةَ يوم الأحد، الخامس والعشرين من رجب، سنة ٢٦١هـ.

الهوامش

(١) الأمصار ذوات الآثار، للإمام الذهبي (ص ٢٠٥).
(٢) نقلًا عن كتاب: تاريخ المحدِّثين لمدن المشرق والشام، للشيخ مازن البيروتي (ص ٢٠١).
(٣) الأنساب (٥/ ٥٥٠).
(٤) طبقات الشافعية الكبرى (١/ ١٧٣).
(٥) المصدر السابق (١/ ٢٩٥).
(٦) أحسن التقاسيم، للبشّاري (ص ٣١٤).
(٧) الأنساب (٥/ ٥٥٠).
(٨) صورة الأرض، لابن حوقل (ص ٤٣٣).
(٩) معجم البلدان، له (٥/ ٣٨٢).
(١٠) وهذه المدن الأربعة تقع- الآن- في ثلاث دول، اثنتان منها- وهي: بلخ، وهراة- في أفغانستان، ونيسابور في إيران، ومرو في تركمانستان.
(١١) بلدان الخلافة الشرقية، لـ "كي لسترنج" (ص ٤٢٤).
(١٢) أحسن التقاسيم، للبشاري (ص ٣١٤).
(١٣) صورة الأرض (ص ٤٣٤).
(١٤) الأمصار ذوات الآثار (ص ٢٠٥).
(١٥) صورة الأرض (ص ٤٣١).
(١٧) تاريخ الإسلام (٦/ ٤٣٢).
(١٨) تاريخ بغداد (١٣ /١٠١).

مسجد صنعاء الجامع

تركي محمد النصر



قال ياقوت الحمَوي:

«صنعاءُ قصبة اليمن وأحسن بلادها»، وتعد من أقدم مدن التاريخ، وتزينها مساجدها القديمة، ومسجدها الجامع الذي بُني بوحي من الله، وأمر من النبي ﷺ هو أقدمها عمرانًا، وأتقنها بنيانًا، وأوسعها مساحةً، وأهمها شأنًا، وأعظمها قداسةً، وأكثرها ازدحامًا بالعُبّاد والزُهاد، وهو جامعة إسلامية عريقة.

قال أبو نواس في صنعاء ومسجدها:

بل نحن أرباب ناعط ولنا
صنعاءُ والمسك في محاربها

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، وجاء أهل اليمن رقيقة أفئدتهم، لينة طِباعهم، سخية قلوبهم، عظيمة خَشيتهم، فدخلوا في دين الله أفواجا، (أخرجه الطبراني ١/٤٨٣).

مكانتهُ وبناؤهُ

يحتل هذا المسجد مكانة مهيبة في قلوب اليمنيين لأنه على غرار مسجد النبي ﷺ في المدينة، وأهل صنعاء أشد اعتزازاً به من غيرهم.

لما أسلم أهل اليمن أرسل رسول الله ﷺ «وبر بن يُحنّس الخزاعي» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى صنعاء واليًا عليها، وأمره أن يبني لهم مسجدا.

قال وبر بن يُحنَّس: قال لي رسول الله ﷺ «إذا بنيت مسجد صنعاء فاجعله عن يمين جبل يُقال له ضين» (أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح).

وقال الرازي في تاريخ صنعاء: إن النبي ﷺ لما أرسل «وبر بن يُحنَّس» إلى صنعاء في العام السادس الهجري قال له: «مرهم ببناء مسجد لهم في بستان باذان، من الصخرة التي في أصل غمدان، واستقبل الجبل الذي يُقال له ضين».

هاتان الروايتان تفيدان أن النبي ﷺ حدد للصحابي الجليل المكان الذي يُبنى فيه المسجد، وتحديد اتجاه القبلة؛ مما يدل على الدقة في التوجيهات النبوية، في وقت ما كان الناس يعرفون فيه شيئًا عن جغرافية أرض محدودة، فضلًا عن مساحة تصل إلى ما يزيد عن ألف كيلو متر من المدينة إلى صنعاء.

واليوم.. وبعد استخدام البرامج الدقيقة في تحديد اتجاه القبلة، وُجد أن تحديد النبي ﷺ لجهة القبلة، يتجه بسهم من محراب مسجد صنعاء إلى عين الكعبة، وهذا هو الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وكان بناء هذا المسجد علامة من علامات تغيير النظام السياسي والديني في صنعاء، وقد حقق المسجد في بداية إنشائه وظيفته الأساسية، وهي جمع المسلمين، وتقوية اتحادهم وإسلامهم، وتنظيم شعائرهم، وتحقيق تعاونهم وارتباط بعضهم ببعض، وأصبح المسجد منبر الحكم والعلم، وفيه كان الوالي الذي يمثل السلطة المركزية يحقق السياسة الشاملة، والإدارة الداخلية من عدل وحسبة وأمن.

أما مساحة المسجد آنذاك فلم تكن واسعة، بل كان مربع الشكل، طول ضلعه اثنا عشر مترًا تقريبًا، وفي أساساته بعض أحجار يرجح أنها أُخذت من أنقاض قصر غمدان، ولما اتسعت رقعة الإسلام في اليمن، وكثر أهله، ضاق المسجد بأعداد المصلين ونشاطاتهم الاجتماعية والثقافية، كما أن عمارته البسيطة لم تكن كافية للتعبير عن عظمة دولة الإسلام، واتساع رقعتها، وكان الأمويون في الشام قد فطنوا لضرورة تعزيز هيبة الدولة، ووظائفها بإقامة المنشآت الدينية والمدنية، فشيدوا عدداً من المساجد الضخمة كقبة الصخرة ومسجد دمشق.

الجامع في العهد الأموي

إن عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك (٧٠٥: ٧١٥م) كان عهد إنشاء وتعمير، وقد امتد ذلك إلى صنعاء، حيث كتب إلى واليها أيوب بن يحيى الثقفي، وأمره أن يزيد في مسجد صنعاء، ويبنيه بناء جيدًا محكمًا. (ذكره الرازي في تاريخ صنعاء).

أعاد الثقفي إنشاء الجامع وحاكى في بنائه مسجد دمشق، مؤلفًا من حرم، وصحن، ومئذنة، ومحراب، ومنبر قام بإصلاحه لاحقًا الوزير مراد باشا سنة ٩٨٤هـ.

وهكذا أصبح المسجد موئلًا للمؤمنين، يتزاحمون إليه حتى إن أروقةً أضيفت للمسجد في صحنه، كانت جديرة أن تستوعب العدد المتزايد من المصلين، ولم تلبث هذه الأروقة أن أغلقت فتحاتها على الصحن، لتصبح حرمًا إضافيًا في الجانبين وفي

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

الجهة المقابلة للقبلة، ويُذكر أنه كان للمسجد باب في الجهة الغربية يُقال له باب «بني ثمامة»، نسبة للصحابي الذي قَدم على النبي ﷺ واتبعه، وأخذ عنه سورة «يس» قبل رحيله إلى اليمن.

وهكذا أصبح المسجد أضخم منشأة إسلامية في صنعاء، استوعبت الوظائف الدينية والإدارية أيضًا.

وكانت توسعاته المستمرة دليلًا على دوره في زيادة النشاط الاجتماعي، ورفع مستواه إلى الحدود الثقافية الإسلامية التي نمت داخل المسجد وانطلقت منه.

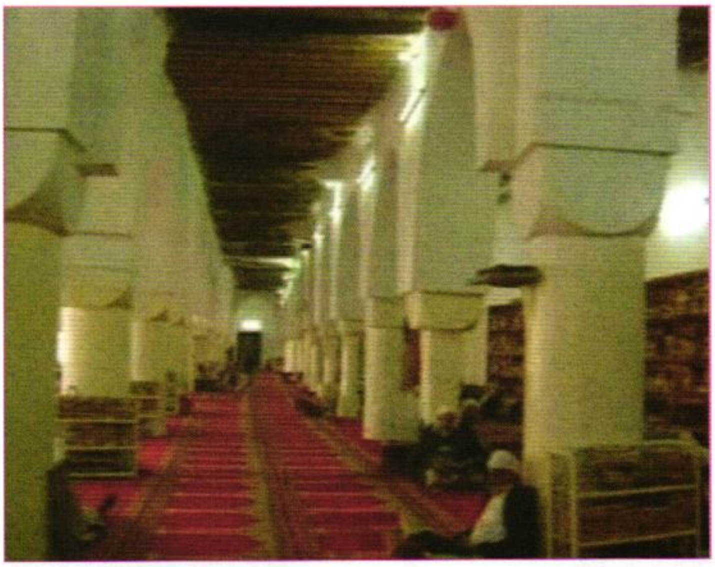
الجامع في العهد العباسي وما بعده

ولَّى العباسيون عمر بن عبدالحميد على صنعاء، فاعتنى بمسجدها ووضع له الأبواب، كما جُدِّد المسجد أيضًا على زمن علي بن الربيع المداني الحارثي، أحد ولاة العباسيين، أثبت ذلك لوحٌ حجري منقوش بكتابة تاريخية مثبت على جدار صحن الجامع، وفيه بعد الشهادتين: «أمر أمير المؤمنين عبدالله المهدي، أكرمه الله، بعمارة المساجد على يد الأمير علي بن الربيع أصلحه الله، في سنة ست وثلاثين ومائة».

وعُدِّل الجامع تعديلًا هامًا بين عامي ١٣٣-١٣٦هـ تمثل بزيادات في جوانبه، ومازالت ألواح تذكارية تخلد هذا العمل، مثبتة على جدرانه.

وفي سنة ٢٦٢هـ، أصاب صنعاء دمارٌ هائلٌ، إثر السيل الذي شطرها إلى نصفين، وقد تأثر المسجد تأثرًا كبيرًا بهذا السيل؛ فتهدمت أطرافه، فقام

تحديد النبي ﷺ لجهة قبلة مسجد صنعاء يتجه بسهم من محراب المسجد إلى عين الكعبة



الأمير محمد بن يعفر الحميري بترميمه وتحسينه سنة ٢٦٥هـ.

ولم تكد حالة المسجد تستقر قليلاً؛ حتى تعرض لتخريب القرامطة سنة ٢٩٩هـ، فأسقطوا جوانبه وحاولوا هدمه، وارتكبوا فيه المحرمات، كقتل الناس، وشرب الخمر بداخله، وبقي هذا حاله حتى خروجهم من صنعاء، حيث قام الأمير أسعد بن أبي يعفر بتحسينه، وتجميله، وزخرفته.

ومن محاسن الملكة السيدة «أروى بنت أحمد الصليحية» زيادة الجناح الشرقي، في سنة ٢٥٢هـ، كما هو عليه الآن، حكى ذلك العلامة يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد في تاريخه «أنباء الزمن»، وتركت هذه الزيادة كبير الأثر في نفوس الناس حتى بات المسجد يُعرف بـ «مسجد أروى».

ويذكر أنه كان لمسجد صنعاء مئذنتان قديمتان أعاد بنائهما الأمير الأيوبي الكردي «وردسار بن بيامي الشاكاني»، سنة ٦٠٣هـ، ويوجد في الجانب الغربي من الجامع قبلي المنارة الغربية.

وكان في المسجد بركة ماء تُبرَّد بثلج الشتاء المخزن، كما ذكره الرازي.

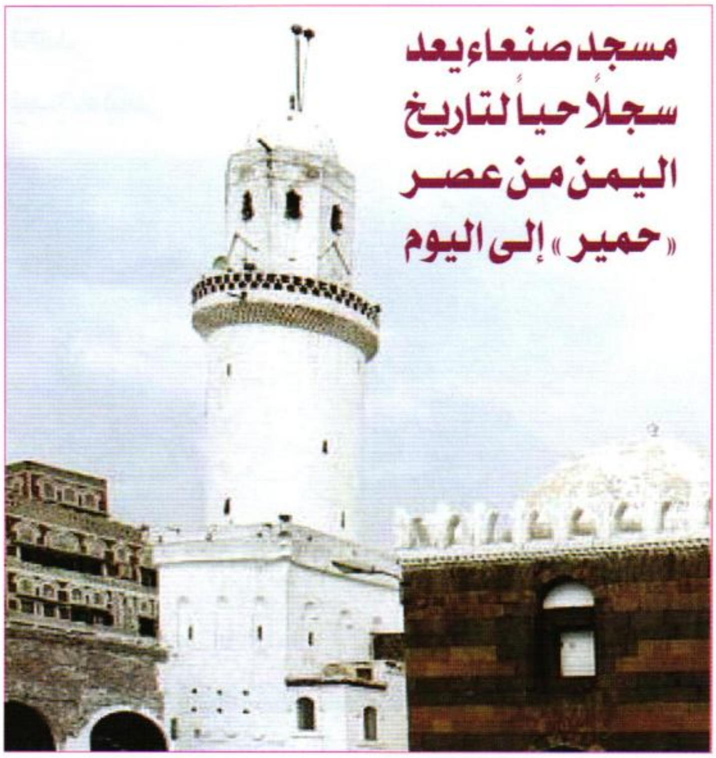
أما المسجد اليوم، فهو تحفة من تحف الفن الإسلامي النادرة، وآية في الإبداع والجمال، ويزيده جمالاً مآذنه المرتفعة بطرازها اليمني التقليدي المتأثر بالطراز العثماني، وصوحه الواسع، وقبته السنانية البديعة، وأبوابه الاثن عشر، وسواريه الكبيرة التي بلغت ١٨٣ سارية، وسقيفته الواسعة التي يُصعَد إليها أثناء ازدحام الناس في صلاة الجمعة.

التاريخ العلمي للجامع

لم يكن الجامع معبدًا يؤمه الناس لإقامة الصلاة فقط، بل كان معهدًا للتدريس أيضًا، ومازالت حلقات التدريس في الجامع قائمة حتى يومنا هذا، يُدرَّس فيها القرآن الكريم والحديث والفقه وأصوله، ويلجأ طلاب العلم فيه إلى مكتبته التي بناها أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن محمد بن يحيى لحفظ نفائس الكتب الموقوفة، لينهلوا مما فيها من نفائس العلم و ذخائر المعرفة، وقد ضم إليها ما عثر عليه من الكتب الموقوفة من أسلافه وغيرهم، فكانت مكتبة جامعة لكل الفنون، وقد أكدت المخطوطات المكتشفة في عام (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، في جدار الحرم القبلي على مدى أهمية الكتب التي كانت، ومازالت، تحويها المكتبة، وعلى مدى روعة الخط الذي كُتبت به، وقد بلغ عدد هذه المخطوطات عشرة آلاف مخطوطة، وهي تتألف من مصاحف شريفة تعود إلى القرن الأول الهجري، وحتى القرن التاسع، مكتوبة على الرق بالخط الكوفي الحجازي وبأحجام مختلفة، ومن المخطوطات ما هو مكتوب بالخط النسخي.

فمن المخطوطات ما كان موضوعها فقهيًا أو نحويًا أو بيانيًا، ومنها ما كان علميًا في الطب والفلك والتشريح، ولعل من أهم مخطوطاته تلك التي تم اكتشافها في سنة ٢٠٠٦م، والتي بلغ عددها ٤٥٠٠ مخطوطة و٨٠٠ قصاصة رِق ومخطوطات ورقية قديمة.

ولا تزال مكتبة الجامع العامرة، التي تم تقسيمها إلى خزانتين لحفظ الكتب، قائمة إلى يومنا هذا كأحد الكنوز الإسلامية التي تحتفظ بها اليمن، والتي تمثل جزءًا من التراث الإسلامي الأصيل، المنتشر في ربوع الدول الإسلامية.



مسجد صنعاء يعد سجلاً حياً لتاريخ اليمن من عصر «حمير» إلى اليوم

وقد وُجد هذا الشعر مكتوباً على جدران المكتبة من الداخل

هاهنا المجد كنوز الجدود
وابتسام المجد في ثغر الوجود
هاهنا المكتبة الغراء حوت
كل مكنون طريف وتليد
تلتقي الأسفار فيها مثلما
تلتقي الأضواء في الفجر الجديد

وظلَّ الجامع من أهم خمس جامعات علمية قامت في أقدم مساجد اليمن تشييداً، وهي بالإضافة إلى جامعة مسجد صنعاء:

١-جامعة مسجد الجند، الذي شيده الصحابي الجليل معاذ بن جبل، سنة ٨ هـ.

٢-جامعة مسجد الأشاعرة في زبيد، الذي شيده الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري سنة ٨ هـ.

٣- جامعة المسجد الكبير في «تريم» بمحافظة حضر موت، الذي شيده الصحابي الجليل زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، سنة١٠هـ.

٤- جامعة المسجد الكبير في «ذمار».

أئمة الجامع علماؤه

تبوأ الجامع مكانة رفيعة منذ صدر الإسلام، فتولى إمامته عدد من كبار العلماء والفقهاء منهم:

١- عبدالله بن محمد بن يوسف القطراني (ت ٣٢٨هـ).

٢- أبوبكر محمد بن المعان البعادي، (ت: ٣٤٨هـ).

٣- محمد بن أحمد النقوي (ت ٣٦٧ هـ)، الذي أمَّ المسجد قرابة (٢٠) عامًا.

٤- محمد بن عمر بن أبي مسلم السمسار، وكان من أجود الناس صوتًا،

كما تولى الأذان فيه صلحاء الرجال، منهم: إبراهيم بن خالد، الذي أذن في المسجد سبعين سنة، وبقي فيه حتى توفي رحمه الله.

وقد وفد إلى الجامع ودرَّس فيه وتخرَّج منه عدد كبير من أئمة وأعلام الصحابة ومن بعدهم من العالم الإسلامي، ومن أبرزهم:

١-الصحابي الجليل وبر بن يُحنَّس الخزاعي رضي الله عنه (كان حيا سنة ١٠ هـ).

٢- طاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠١هـ)، وابنه عبدالله.

٣- أبو عبدالله وهب بن منبه ابن كامل الصنعاني (ت ١١٤هـ)، وأخوه همام.

٤- أبومحمد عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ).

٥- الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وأخذ باليمن عن العلامة مطرف بن مازن، والقاضي هشام بن يوسف القاضي الذي توفي سنة (١٩٧هـ).

٦- الإمام عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ).

٧- الإمام يحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ).

٨- الإمام إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ).

٩- الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).

١٠- القاضي القاسم بن محمد بن عبدالله الجمحي القرشي الشافعي (ت ٤٣٧هـ).

١١- القاضي الفقيه عمر ابن علي بن سمرة (ت ٥٨٧ هـ).

١٢- الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠ هـ).

١٣- الإمام الحسن بن أحمد الجلال (ت ١٠٨٤ هـ).

١٤- العلامة محمد بن اسماعيل بن الصلاح، ابن الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ).

١٥- الإمام بدرالدين محمد ابن علي الشوكاني اليماني (ت١٢٥٠هـ)، الذي دَرَس ودَرَّس، وصُلِّي عليه، رحمه الله، في جامع صنعاء. وغيرهم خلق كثير من العلماء والفقهاء الذين وفدوا إلى هذا الجامع، الأمر الذي أكد أهميته العلمية.

يتبين لنا مما سبق ذكره الدور الريادي الرفيع الذي كان يحتله هذا الجامع في النهضة الدينية العلمية في اليمن، حيث جذب كبار العلماء والحفاظ إليه ليدْرُسوا ويدرِّسوا فيه شتى الفنون العلمية، فقد كان بحق مركزا للإشعاع الثقافي، كما يعد سجلا حيًا لتاريخ اليمن على مرِّ الزمن، ويضم في عمارته معالم وشواهد أثرية تبدأ من عصر «حمير»، وصولاً إلى عهد الجمهورية الذي شهد فيه حملة ترميم وتحسين، تُصنف على أنها الأهم في تاريخ الجامع الذي بات اليوم يأخذ شكلاً مستطيلاً، بمساحته البالغة (٥٨٧٢م٢)، وحُشِدَ لهذه الحملة تمويل ضخم، تُساهم الكويت بقدر منه عبر الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، كما كُلِّف للقيام بهذا الترميم فريق عمل من ذوي الخبرة والدقة العالية، من ثلاث دول هي اليمن وإيطاليا وفرنسا، بغية المحافظة على آثاره المعمارية القديمة ومحتوياته النفيسة التي بات المسجد يوصف بسببها، إضافة إلى مكانته الدينية الرفيعة، بأنه منجم للآثار والمخطوطات العلمية القديمة.

المصادر

١- طبقات فقهاء اليمن للجعدي.
٢- تاريخ مدينة صنعاء للرازي.
٣- مساجد صنعاء عامرَها ومُوَفيها للقاضي محمد بن أحمد الحجري.
٤- تاريخ المساجد الشهيرة في العالم.

الشيخ حمد بن محارب بن حمود بن هين المطيري

د. عبد الله حمد المحارب ◆



ولد في قرية الجهراء سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م، ثم انتقل به أبوه إلى حي المرقاب قريبا من مسجد هلال المطيري (الدماك) وألحقه والده محارب بمدرسة الفلاح في سكة ابن دعيج، فأخذ من الشيخ زكريا الأنصاري، وفي سنة ١٩٣٢ التي انتشرت فيها جائحة الجدري في الكويت، أصيب الشيخ حمد ففقد بصره، ثم بدأ في الرحلة لطلب العلم فذهب إلى الأحساء، ودرس على يدي الشيخ عبدالعزيز بن حمد آل مبارك، وكان ذلك سنة ١٣٥١هـ، ثم ذهب إلى قطر لتلقي العلم على يدي الشيخ محمد بن عبدالعزيز محمد المانع، وقضى في قطر سنتين ثم ذهب إلى دبي ثم إلى عجمان، ثم عاد إلى الكويت سنة ١٣٥٤هـ، ومنها انطلق إلى الرياض، ومكث فيها سنة يطلب العلم على يدي الشيخ محمد بن إبراهيم آل عبداللطيف، ثم عاد إلى الكويت وأنشأ مدرسة «ملا حمد» في المطبة، وكان معه عبدالوهاب بن علي العمران، واستمر فيها لمدة سنة كاملة، ثم انتقل إلى منزل السيد عبدالإله القناعي (الديوانية)، ودرس فيه، ثم ترك المدرسة التي أصبحت بعد ذلك «مدرسة هلال» وأنشأ مدرسة أخرى في فريج الطويرش والهاجري، وكان عدد طلاب الفصل في مدرسته خمسة وعشرين طالبًا.

وبعد مضي ثلاث سنوات تقريبًا ذهب إلى عجمان وهناك أكرمه أهلها، وقربه أميرها آنذاك الشيخ راشد بن حميد، رحمه الله تعالى، وجعله مؤدبًا لأبنائه ومنهم الشيخ حميد بن راشد الحاكم الحالي لإمارة عجمان، ثم أوكل إليه القضاء، وتزوج من إحدى العائلات المعروفة هناك، وتكشف أوراق أقضيته التي عثر عليها بعد وفاته أنها كانت تشمل كل نواحي حياة المجتمع في عجمان في ذلك الوقت، من معاملات تجارية، ومواريث، بالإضافة إلى العقود الشخصية.

واستمر الشيخ حمد في تدريس مواد الفقه والقرآن والنحو، وكان بارعًا في الفرائض والنحو، وكانت مدرسته تسمى «مدرسة الحصن»، وهو قصر الإمارة.

وكان الشيخ حمد شاعرًا، ولهذا فإن الذين عاصروه يقولون إنه كان يقول الشعر في مناسبات مختلفة، وقد قال عنه المرحوم الشاعر داود الجراح:

حمد المحارب قد أجاد بنظمه
حتى كأن القافيات عبيده
يختار منها ما يشاء ويصطفي
حر البيان يصوغه فيجيده

وكان الشيخ حمد على صلة وثيقة بآل الجراح: الشيخ محمد وإبراهيم وداود عليهم جميعًا رحمة الله تعالى.

وقد حفظت بعض قصائده التي قالها وهو في عجمان، منها قصيدته المشهورة التي رد فيها على الشيخ مبارك الشامسي قاضي دبي، عندما رفض الشيخ مبارك تنفيذ حكم قضى به الشيخ حمد بحجة أن القاضي أعمى، وهي قصيدة فيها محاجة، وذكر عددا من الأدلة الفقهية التي تجيز تولي الأعمى القضاء، ثم احتج الشيخ بتولي قضاء إمارة دبي قاضٍ أعمى وهو الشيخ «الجناحي»، يقول الشيخ في بعض أبياتها:

مبارك هل تصغي لمن لك يعذل
عن الثلب، والإعراض للحر أجمل
سمعت انتقادًا واهيًا منك شائعًا
فحسبك ما قد قلت إن كنت تعقل

وقد سارع الشيخ مبارك الشامسي إلى الاعتذار من الشيخ حمد بعد أن وصلت إليه هذه القصيدة.

وهناك قصائد أخرى قيمة ضاع معظمها، فقد أثرى الشيخ الحياة الأدبية والعلمية في عجمان.

ويقول الأستاذ حمد بوشهاب في مقالة له نشرها في ملحق «الفجر الثقافي» «وكرمته الإمارة بعدد من شهادات التقدير منحت له بعد وفاته كان آخرها شهادة التقدير التي منحت له بمناسبة افتتاح مبنى المحكمة الجديد في الإمارة بمناسبة كونه أحد قضاتها الأقدمين، والإمارة في سبيل إطلاق اسمه على واحدة من مدارسها».

وعاد الشيخ حمد محارب إلى الكويت في سنة ١٩٥٢، وصار إماما لمسجد هلال المطيري (الدماك) في المرقاب، وواصل توثيق صلاته بأصدقائه القدامى ورجالات الكويت وعلمائها، وكان من أبرز أصدقائه الوجيه حسن الجارالله، وكانت بينهما آصرة من الأخوة والمحبة وقد تجلت في مرثية الشيخ حمد لحسن الجارالله عند وفاته.

واستمر الشيخ في مسجد هلال إلى أن انتقل إلى مسجد عبدالرحمن بن عوف في خيطان بعد هدم المباني في الكويت القديمة، ثم انتقل إلى مسجد سليمان بن عمير في اليرموك، وظل فيها يستقبل طلاب العلم في منزله وفي المسجد، ثم أصيب بجلطة مفاجئة في المخ أعقبها شلل في بعض أطرافه مما اضطره للبقاء في المنزل، وفي يوم الجمعة الموافق ١٣ من محرم ١٤٠٤ هـ الموافق ٢١ من أكتوبر ١٩٨٣م فاضت روحه إلى بارئها في مستشفى مبارك الكبير، وكان المؤذن يقيم صلاة الجمعة، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

◆ استاذ في جامعة الكويت

إعداد: خالد خلاوي

هل تستطيع أن تسابق الشمس؟

نقل عن عامر بن قيس أحد التابعين العباد الزهاد: أن رجلا قال له وهو يمشي مسرعًا: قف أكلمك. فأشار عامر إلى قرص الشمس وقال له: أمسك الشمس. وهيهات أن يمسكها فيوقف الزمن! فالشمس تجري لمستقر لها في سرعة قدرها الخالق سبحانه لتدور عجلة الزمن ويتعاقب علينا الليل والنهار.

هناك من الناس من لا يلقون لذلك بالًا، ولا يهتمون لمرور الوقت في غير فائدة أو عمل نافع، بطيئون في الإيقاع والحركة، شعارهم أجّل عمل اليوم إلى الغد أو بعد الغد أو في أي وقت آخر، ومن الناس من يسابق الشمس لأنه أدرك قيمة كل لحظة في حياته، أولئك المميزون بسرعة الإيقاع واغتنام الدقائق والثواني.

وسرعة الإيقاع تعني المبادرة بالأعمال النافعة واستثمار كل الوقت في أداء سريع ومتقن، وهي من متطلبات النجاح في الحياة المعاصرة، فثمة صراع وتنافس، والسبق دائمًا لمن كان أسرع إيقاعًا، سباقًا إلى كل عمل نافع يتميز بالنشاط والحركة، وهو ما ينصح به خبراء إدارة الذات والتنمية البشرية، يقول روبرت بودش في كتابه «كيف تنجز أكثر في وقت أقل؟»: طور أداءك في العمل. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد. ابدأ في العمل فورًا وستنجز خلال عشر سنوات ما ينجزه الآخرون طوال حياتهم. قم بعملك الآن وستشعر بإحساس الإنجاز الرائع. كيفية استثمارك لوقتك تحدد نوعية حياتك التي تصنعها.

ويضيف: اتخذ القرارات بسرعة وحزم. يشترك الذين صنعوا النجاح في حياتهم في صفة اتخاذ القرار السريع والتمسك به. لا تضيع الوقت في التردد. قدر الموقف بأفضل ما يمكنك ثم اتخذ القرار. ليست كل القرارات تتخذ بسرعة، لكن العديد من القرارات اليومية تكون كذلك. كلما مارست ذلك كلما تحسنت وزادت كفاءتك.

وسرعة الإيقاع سمة من سمات الحضارة الغربية المعاصرة وسر من أسرار تفوقها العلمي والصناعي، فإذا نظرنا من الطائرة أو برج عال على أي مدينة غربية نرى كل شيء يسابق الزمن، والكل يسعى إلى اغتنام اللحظة في تلهف وسرعة مع الدقة في الأداء بشكل عجيب، وكل فرد في هذا المجتمع لا يدع لحظة تفوته دون أن يعيشها طولًا وعرضًا في معرفة أو مصلحة أو عمل ما، وكانت هذه صورة المجتمع المسلم الأول وسمة بارزة من سمات الحضارة الإسلامية منذ بداية الدولة الإسلامية، فقد اتسم بها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتسم بها المسلمون على مر العصور، وعلموا العالم سرعة الأداء مع الإتقان والجودة، وهو ما تعلموه من النبعين الصافيين القرآن والسنة دليلي هداية المسلمين في كل زمان ومكان، فيأمرنا الله سبحانه بسرعة المبادرة إلى الأعمال الصالحة طلبًا لمغفرته في قوله تعالى ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

ويصف المؤمنين بأنهم يسارعون إلى كل خير في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١).

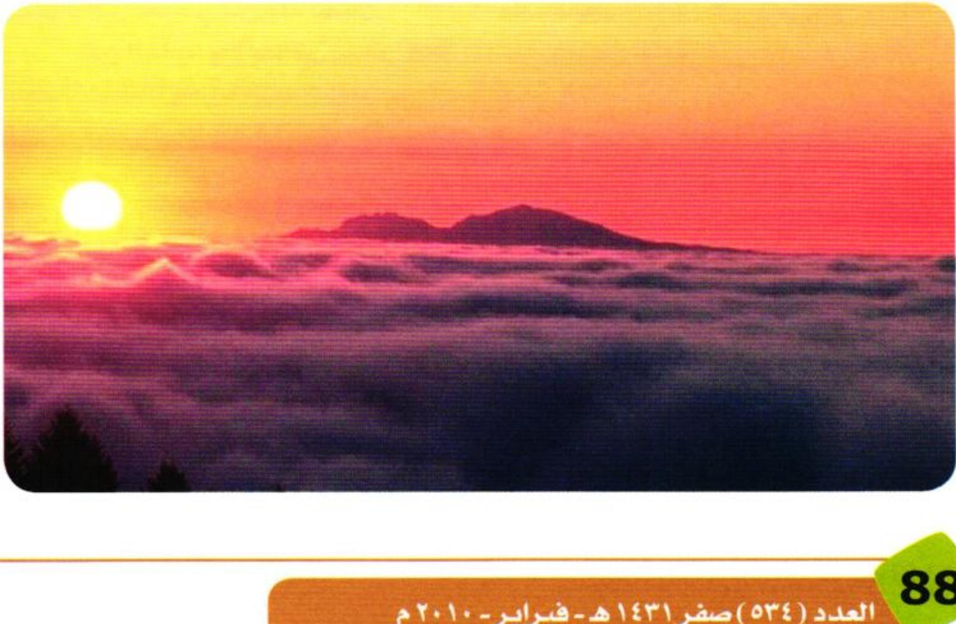
والتعجيل بالبر من فضائل الأعمال، واشتهر بين الناس قولهم «خير البر عاجله».

ويعلمنا رسول الله ﷺ سرعة الإيقاع في عمله وإنتاجه، بل في خطواته ومشيه، يصف ابن القيم مشيته في كتابه «زاد المعاد» فيقول: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤًا، وكان أسرع الناس مشية، وأحسنها وأسكنها.

قال أبوهريرة: «ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث» (الترمذي).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف مشية النبي ﷺ «... وكان إذا مشى تكفأ تكفيًا كأنما ينحط من صبب» (الترمذي).

وقال مرة: «إذا مشى تقلع»، والتقلع: الارتفاع عن الأرض بجملته، كحال المنحط من صبب، وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء، وأبعدها من مشية الهوج والمهانة والتماوت.



صور من حياة المتميزين

في ١٨ يومًا فقط

اثنان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حققا إنجازًا كبيرًا في ١٨ يومًا فقط، وهو وقت قياسي بحجم ما تم انجازه مما أذهل الكثيرين، وهو دليل على سرعة الإيقاع في الأداء مع الإتقان في العمل.

أولهما: الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي تعلم اللغة العبرية في وقت قياسي، روي أنه كان ١٨ يومًا، وروي أنه حقق هذا الإنجاز في نصف شهر فقط.

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: «أمَرني رسول الله ﷺ فتَعَلَّمْتُ له كتاب يهود (أي لغتهم)، وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي. فتعلمته، فلم يَمُرّ بي إلاّ نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إذا كَتب، وأقرأ له إذا كُتب إليه» (رواه الإمام أحمد وأبوداود والترمذي).

وثانيهما: سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه فقد قطع بجيشه مسافة تزيد عن ألف كيلومتر من العراق إلى بلاد الشام في ١٨ يومًا فقط للمشاركة في فتوح الشام.

وتروي المصادر التاريخية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قرر إرسال خالد بن الوليد إلى الشام لمواجهة الروم وأطلق مقولته الشهيرة «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد».

وامتثل خالد بن الوليد لأوامر الخليفة، وخرج من الحيرة بالعراق في (٨ صفر ١٣هـ - ١٤ إبريل ٦٣٤م) في تسعة آلاف جندي، فسار شمالاً ثم عرج حتى اجتاز صحراء السماوة، وقطع أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يومًا في صحراء مهلكة حتى نزل بجيشه أمام الباب الشرقي لدمشق، في سرعة أذهلت الروم الذين لم يتوقعوا أن يأتي المدد للمسلمين من جهة الشمال، وأكمل سيره حتى أتى أبا عبيدة بالجابية، ومضيا بجيشهما إلى مدينة «بصرى» وتجمعت الجيوش كلها تحت قيادة خالد بن الوليد، وحاصروا «بصرى» حصارًا شديدًا فاضطرت إلى طلب الصلح ودفع الجزية، فأجابها خالد إلى الصلح وفتحها الله على المسلمين في (٢٥ ربيع الأول ١٣هـ - ٣٠ مايو ٦٣٤م).

كلمة وعكسها

النشاط والكسل

النشاط

قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١).

وقال رسول الله ﷺ «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (البيهقي).

وقالوا:

- النشاط يوصل الإنسان إلى أعلى مراقي النجاح، مهما حال دونه من الموانع، ومن اتصف به سبق المتكلين على مواهبهم.
- الأمل الحقيقي مبني على النشاط.
- الرجل الفائق يحب البطء في أقواله والنشاط في أفعاله.

الكسل

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢).

ومن دعاء النبي ﷺ «... اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر...» (مسلم).

وقالوا:

- من لزم الرقاد فاته المراد، ومن دام كسله خاب أمله.
- الكسول هو الذي لا يمشي في الشمس حتى لا يجر ظله خلفه.
- الكسل هو الصدأ الذي يعلو أكثر المعادن بريقا.

وجاء في كتاب البخلاء للجاحظ: العجز فراش وَطِيءٌ، لا يستوطئه إلا الفَشِل الدثور.

والعجز هنا هو الكسل، والفراش الوطيء هو الفراش اللين السهل المنخفض الذي لا يؤذي جانب النائم عليه، فالكسل إذن كهذا الفراش الوطيء، لا ينام عليه إلا الفاشل كثير النوم.

مائة تريليون ميك

يقول العلماء: إن التنوع الهائل في عدد وأنواع الميكروبات التي تعيش في جسم الإنسان وعلى بشرته يذكرهم ببرج بابل الشهير أو بسفينة نوح التي استضافت كل الأنواع والفصائل، وأضافوا انهم توصلوا إلى ما يفيد بأن جسم الإنسان يستضيف مائة تريليون (التريليون يساوي ألف مليار أو مليون مليون) ميكروب يمكن تصنيفها ضمن ألف فصيلة مختلفة، ويوضح العلماء أن ما يقارب التريليون ميكروب تعيش في الجهاز الهضمي وحده للشخص الواحد، وهذه الأرقام تقارب مجموع عدد فصائل الحيوانات وأنواع النباتات الموجودة على سطح الأرض وفي أعماق البحار، أيضا- بحسب الاختصاصيين- الجديد في الأمر هو ما أعلنه عدد من العلماء الأميركيين قبل أيام بشأن «التوزع السكاني» للميكروبات على جسم الانسان، فقد تبين أن الميكروبات التي تعيش على راحة

إعداد: هالة محمد

خريطة كونية



تمكن علماء فلك في تشيلي واليابان للمرة الأولى من رؤية جزء من شبكة مجرات ترسم خريطة كونية لمجموعة تبعد نحو سبعة مليارات سنة ضوئية عن الأرض.

ويعتبر هذا الاكتشاف الذي يمكن رؤيته من خلال أكبر أجهزة التنظير في العالم الأول من نوعه لبنية مجرات بهذا الحجم وعلى هذه المسافة، ويعطي مزيدا من المعلومات عن الخريطة الكونية وكيفية تكونها، بحسب ما افاد به المرصد الأوروبي الجنوبي.

وورد في البيان ان «مجموعة المجرات تشكل خيوطا تمتد على ملايين السنوات الضوئية وتشكل خريطة الكون»، وأضاف ان «المجرات تتجمع حتى تشكل كتلا كبيرة تبدو كأنها عنكبوت على شباكها بانتظار المزيد لتبتلعه».

وأشار العلماء إلى أن الخيوط تبتعد مسافة ٦,٧ مليارات سنة ضوئية عن الأرض وتمتد على نحو ٦٠ مليون سنة ضوئية، ومن المرجح أن تكون هذه البنية ممتدة إلى ما بعد المنطقة التي رصدوها، لذا تعهدوا بالقيام بالمزيد من الأبحاث.

بعوضة لمكافحة الملاريا!

توصل باحثون أميركيون من معهد الأبحاث حول الملاريا في جامعة جونز هوبكنز في بالتيمور (مريلاند) الى أول بعوضة معدلة جينيا يمكن لجسمها القضاء على طفيلية المتصورة المنجلية التي تنمو في أجسام هذه الحشرات عادة وتسبب مرض الملاريا.

ونقلت وكالة فرنس برس (أ ف ب) عن مدير الأبحاث جورج ديموبولوس، قوله إن هذه البعوضة «تقاوم طفيلية المتصورة المنجلية بفضل جهازها المناعي».

يذكر أن ٣٠٠ مليون شخص يصابون سنويا بالملاريا التي تسببت بوفاة مليون شخص معظمهم من الأطفال في إفريقيا.

وتوصل العلماء إلى مجموعتين من البعوض المعدل جينيا: الأول يقضي على الطفيلية في أنسجة الأمعاء بفضل جهازه المناعي، أما الثاني فيقضي عليها في عضو لدى البعوضة توازي وظيفته وظيفة الكبد لدى الإنسان، ويحاول العلماء في جونز هوبكنز الآن التوصل إلى بعوضة تستطيع مقاومة طفيلية المتصورة والإجهاز عليها على المستويين، بيد أن الصعوبة تكمن في نشر هذه البعوضات في الطبيعة حيث إن أجناس الحشرات المختلفة لا تتزاوج فيما بينها.



ظهور الماء بعد تكوين النظام الشمسي

أسفرت نتائج الأبحاث العلمية التي أجراها فريق من العلماء الفرنسيين في معمل علوم الأرض التابع لجامعة «كلود برنار» بمدينة «ليون» الفرنسية عن أن الماء وصل إلى الأرض التي نعيش عليها بعد مئات الملايين من السنين من تكوين النظام الشمسي نتيجة النيزك المغطى بالثلوج الذي تم دفعه بواسطة تهييج الكواكب السيارة العملاقة، وأوضحت الابحاث ان هذه المياه ساهمت في تليين معطف الأرض، وهو ما نتج عنه تغير في بنية القشرة الأرضية للمعادن، وقد ظهرت الحياة على الأرض بسبب التغيرات بين المحيطات والقارات.

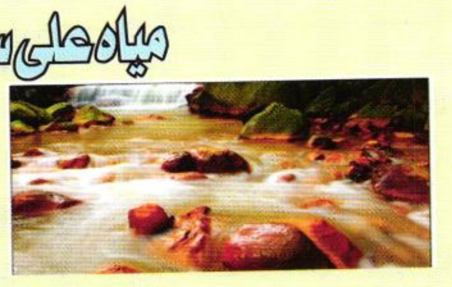
ـروب في جســم الإنســان؟

اليد مثلا لا يمكن أن تتواجد في أي مكان آخر من الجسم، وما يسكن منطقة الجبهة من الميكروبات يختلف عن سكان الأنف أو الكوع وهكذا.

وفي دراسة نشرتها المجلة العلمية Journal Science في عددها الاخير يقول العلماء ان ابحاثهم تركزت على ٢٧ منطقة داخل الجسم و١٨ منطقة على البشرة لأشخاص بالغين، وفي مناسبات مختلفة، ومن المعروف علميا أن الميكروبات وجدت على سطح الكرة الأرضية منذ ٣,٨ مليارات سنة، في حين أن العلماء يقدرون أن الإنسان الأول ظهر قبل مائتي ألف سنة فقط.

وتجدر الإشارة إلى أن الميكروبات هي مخلوقات عضوية تتكون من خلية واحدة، وهناك بعض العلماء يعتبرون الفيروسات من ضمنها، في حين يرفض آخرون الفكرة لأن الفيروسات لا تستطيع أن تتكاثر من تلقاء نفسها كما هو حال الميكروبات.

مياه على سطح القمر؟



أعلنت وكالة أبحاث الفضاء الأميركية (ناسا) العثور على كميات ضخمة من المياه المجمدة على القمر، مشيرة إلى الأهمية العظمى لهذا الاكتشاف الذي قد ينطوي على إمكانات هائلة.

وقال انطوني كولابريتي المسؤول العلمي عن مهمة «لكروس»: «لقد عثرنا على المياه، ليس القليل منها، لكن كميات ضخمة».

واعتبر مسؤول آخر في «ناسا» انه اكتشاف عظيم الأهمية.

وخلال المهمة التي جرت اخيرا ارسلت «ناسا» مركبة الاستكشاف لكروس لتصطدم بالقمر وتحدث حفرة قريبة من قطبه الجنوبي، وذلك للتمكن من دراسة المواد المعدنية التي خرجت من باطنه من قوة الاصطدام.

الأشعة السينية والبنسلين أعظم اختراعات التاريخ

اختيرت آلة «الأشعة السينية» أشعة اكس كأعظم اختراع علمي في التاريخ، وذلك حسب استفتاء شعبي أجراه متحف العلوم



في لندن، فمن أصل ٥٠ ألف شخص شاركوا في الاستفتاء لاختيار أفضل اختراع في تاريخ البشرية اعتبر عشرة آلاف منهم أشعة اكس الاختراع الذي ترك أعظم أثر على الماضي والحاضر والمستقبل، هذا وقد احتلت الاختراعات والاكتشافات الطبية المراكز الثلاثة الأولى إذ حل بعد أشعة إكس كل من من عقار البنسلين وشريط الـ DNA (الحمض النووي الريبي) وذلك في المركزين الثاني والثالث على التوالي.

من هنا وهناك

■ يعتبر زيت الزيتون أفضل أنواع الزيوت النباتية في توفير الحماية من الإصابة بتصلب الشرايين والذبحة الصدرية لدوره في خفض مستوى الكولسترول الضار، ورفع مستوى الكولسترول النافع، وينصح الباحثون بتناول ملعقة صغيرة يوميا من زيت الزيتون، سواء بمفرده أو ضمن الأكل.

■ قال علماء بريطانيون إن عاصفة متصاعدة من الأنقاض التي تطير في الفضاء تزيد بشكل مثير من حظر حدوث تصادمات فلكية.

■ أثبت فريق من العلماء أن شريحة الكترونية دقيقة من مادة السيليكون قادرة على تشخيص عدد من الأمراض، وأن التشخيص يتم بضخ قطرة صغيرة من الدم داخل الشريحة حيث تلتقط المؤشرات الدالة على المرض لتخضع للبحث.

■ وافقت الحكومة الروسية على طلب وزارة الدفاع استخدام المنظومة الفضائية في مطار «بايكونور» لإطلاق قمرين صناعيين سعوديين للاتصالات اللاسلكية «عربسات ٥ أ» و«عربسات ٥ ب».

■ حذرت الوكالة الدولية للطاقة من عواقب خطيرة ستنجم في حال عدم توصل حكومات الدول لاتفاق مشترك من شأنه أن يوقف انبعاث الغازات السامة خلال قمة كوبنهاغن، وقالت ان عدم تحقق الاجماع الدولي حول هذه القضية الخطيرة سيفرض انفاق ٥٠٠ مليار دولار إضافية في كل عام لمواجهة الآثار السلبية الناجمة عن التغيرات المناخية.

■ ظهرت جبال جليدية آتية من القطب الجنوبي على بعد ٤٠٠ كم عن سواحل نيوزيلندا في ظاهرة نادرة، لكنها حصلت مرة عام ٢٠٠٦م وأوضح عالم المحيطات «مايك وليامز» أن الجبال الجليدية قد تقترب من الشاطئ أكثر تبعا للتيارات والرياح.

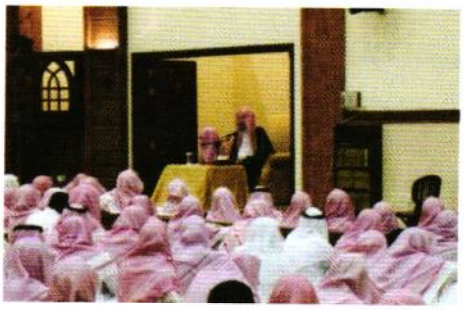
إلى من يبحث عن السعادة

لا سعادة لإنسان ولا نجاة له من الانحراف والانهيار السريع الذي تورطت فيه المدنية الجاهلية من حوله إلا أن يلجأ الى العقيدة الإسلامية السمحة يستهديها الطريق، فتجيبه بالجواب الصحيح على الأسئلة التليدة لكل إنسان متحير، ليكتشف أن أدعياء الفكر هم الذين أقاموا الحجاب بينه وبين فطرته ويومها فقط.. سيذوق طعم السعادة.

إن السعادة أن تعيش
لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل
قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الحير
ان في وعي رشيد
من أين جئت وأين أذهب؟
لم خُلقت وهل أعود؟
فتشيع في النفس اليقين
وتطرد الشك العنيد
وتعلم الفكر السوي
وتصنع الخلق الحميد
وترد للنهج المسدد كل
ذي عقل شرود
تعطي حياتك قيمة
رَبُّ الحياة بها يشيد
ليظل طرفك رانيا
في الأفق للهدف البعيد
فتعيش في الدنيا لأخرى
لا تزول ولا تبيد
وتمد أرضك بالسماء
وبالملائكة الشهود
هذه العقيدة للسعيد
هي الأساس هي العمود
من عاش يحملها ويهتف
باسمها فهو السعيد

■ **خلف عبدالقادر حسن**

الإصلاح والصلاح مهمة الجميع



الإصلاح كلمة يراد بها العمل، فهي ليست شعارا يردد في الصحف والكتب ولدى المفكرين والأدباء وانما يجب أن تكون جهودا حثيثة ومضنية وعملا دؤوبًا لسد الخلل والنقص والضعف والاعوجاج والانفلات والانحراف والتشتت.

تعاني مجتمعاتنا العربية والاسلامية مما ذكرنا وتتخبط وتزداد الأزمات صعوبة وتعقيدا والاوضاع الحالية تنذر بالخطر، ولا مفر من ذلك الا بالاستناد واللجوء الى النظام الذي يعيد ترتيب الاوراق وينظم الامور ويرجع الجميع الى جادة الطريق ويعمل على ترجمة وتطبيق الإصلاح بمفهومه الصحيح ومن ثم تنشأ وتقوم مجتمعات تدرك مصالحها وتعلم الضرر الذي يقع عليها وتقدر الأمور بحكمة، مستندة إلى دليل ومرشد يعتمد عليه في كل زمان ومكان.

ماجد الوهيبي

اليوجينيا وزوال الأقنعة.. حرب بين قيم الأرض وقيم السماء

إن كثيرا من المثقفين لم يسمعوا عن اليوجينيا وإن سمع بعضهم فيعتقد أنها قد انتهت مع هزيمة هتلر عام ١٩٤٥م، وكان أول من صاغ المصطلح هو السير فرانسيس جالتون عام ١٨٨٣م، وتهدف هذه الحركة العنصرية إلى تحسين السلالات الأكثر صلاحية، وإعطائها فرصة أفضل للتكاثر السريع مقارنة بالسلالات الأقل صلاحية.

ويعتقد أصحاب هذا المذهب أن جوهر التطور هو الانتخاب الطبيعي، وجوهر اليوجينيا هو أن نستبدل بالانتخاب الطبيعي انتخابا اصطناعيا واعيا، بهدف الإسراع من تطور الصفات المرغوبة والتخلص من الصفات غير المرغوبة. والمشكلة تكمن في أن تتحول هذه الثقافة إلى سياسة، بدلا من أن يتبناها أفراد صارت حركة عامة وثورة شاملة تتبناها الدول في سياساتها العامة.

وفي بداية القرن العشرين بدأت الحرب اليوجينية في أميركا، وألمانيا، وإنجلترا، والسويد، والدنمارك. ولقيام حرب، لابد من توفر عدو وسلاح وهدف، ومثال أعلى. أما العدو: فهم المتخلفون وراثيا والفقراء المعتوهون، مرضى الصرع وغيرهم، والسلاح: هو التعقيم القسري، والحد من زواج المتخلفين ومنع الحمل والإجهاض. والهدف: هو توفير الحياة الكريمة للرجل الأبيض الذكي. والمثل الأعلى: هو انتخاب السلالة الذكية النقية.

ما سبق يعد عنصرية تتجمل بقناع زائف، والحقيقة هي أن هذه حرب خفية على الثوابت والمقدسات بل ان شئت فقل هي حرب على السنن الالهية، فهي حركة خبيثة وعنصرية ومنافية للذوق الآدمي، وفاضحة للمستور في خبايا نفوس هؤلاء الأدعياء، إنه التعصب الاحمق والحقير للجنس واللون، وهي رغبة قوية في السيطرة على موارد الدول الفقيرة وحقد دفين عندهم تجاه العرب والمسلمين.

محمد أبوعيد

اليتيم في ديار المسلمين



اليتيم في كثير من ديار المسلمين متروك ومهمل في طيات النسيان، وللأسف الشديد، من القريب والبعيد يمن عليه أصحاب القلوب الرحيمة بالقليل من العون والزهيد من العطف بما لا يسد رمقه أو يكفيه او يجعله يحيا حياة كريمة ويعيش متوازنا متفاعلا في المجتمع، نراه بائسا محروما معدما يعاني من ألم اليتم وألم العوز بسبب الغفلة والقسوة والظلم، الامر الذي يحتم علينا جميعا تغيير هذا الواقع المرير بكافة الوسائل والتدابير التي وضعها الشرع القويم لتنظيم حياته وكفالته الكفالة الصحيحة وكفايته الكفاية التامة ورعايته الكاملة، ومنحه العطف والحنان إذ هو في أمس الحاجة إليهما وتوجيهه التوجيه السديد وذلك من منطلق ان هذا حق معلوم وفريضة واجبة، لا فضلا ولا منة وذلك وفق عمل جماعي ومؤسسي لا عمل فردي او عشوائي.

ويجب على الدولة ان تضع التصور الصحيح لاستيعاب كافة الايتام داخل نسيج المجتمع واحتضانهم وتنشئتهم التنشئة الصحيحة منفذة ماجاء به الإسلام من رعاية لليتيم والرحمة به، ولم لا؟ وكيف لا؟ ولقد اعتنى الاسلام عناية عظيمة باليتيم في كتاب الله العلي العظيم وفي سنة رسوله الكريم ﷺ والذي جعل كافل اليتيم مصاحبا وملازما له في الجنة كإصبعي السبابة والوسطى، وهذا الدور الكبير يقع على عاتق علماء الدين أولا والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية والتربوية ثانيا، تحقيقا للاحتضان الكامل واتباعا لمنهج السماء.

محمد علي الشريف

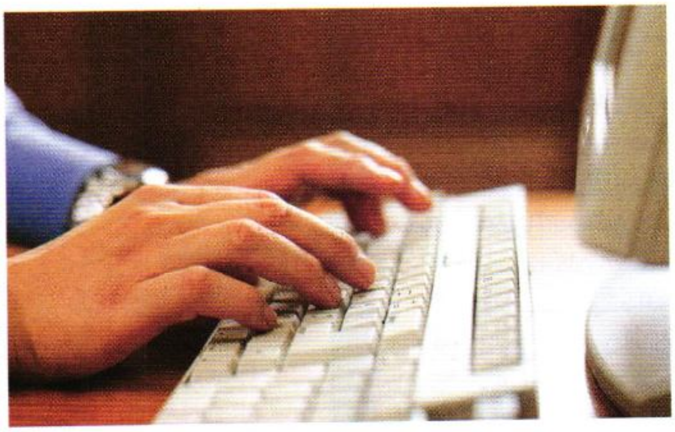
النبي يهتف بالعرب والمسلمين

تساءل الكثيرون من كتاب ومفكري الغرب عن السر العجيب الذي جعل العرب بعد اعتناق الاسلام دينا لهم ينتصرون في معاركهم الحربية والدينية الحضارية وتتفتح لهم العقول والقلوب وتدين لهم الارض.

ثم اهتدوا لهذه الاجابة الحاسمة على تساؤلاتهم: إن السر يكمن في الايمان الصادق بهذه الرسالة التي وضعت حدا فاصلا بين الايمان بالله الواحد وبين الكفر والشرك، بين الحرية والاستعباد.. بين العدل والظلم، لقد ارست هذه الرسالة قيما ومثلا عاليا يقيم المجتمع الصالح ويبني الانسان كما يريده الله حرا كريما عزيزا لا يحني جبهته لغير خالقه عز وجل.

محمد السيد عامر

وينطق الرويبضة



المتصفح - اليوم - لبعض مواقع الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) تأخذه المفاجأة والألم معا، مما يقع بصره عليه من كلام، لا خطام له ولا زمام، هراء ومراء، وظنون وأوهام، وافتراءات جسام، تجد مثل ذلك في بعض رسائل البريد الإلكتروني، والقنوات الفضائية، والصحف والمجلات، الجميع يتكلمون في الدين، وفي جليل أمور المسلمين، بكلام ما أنزل الله به من سلطان، كلام يتذكر معه الإنسان قول النبي محمد ﷺ «سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة» (صححه الألباني) كلام يصدق عليه قول النبي محمد ﷺ «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرا» (صححه الألباني) كلام يتذكر معه الإنسان قول القائل: «ما العجب ممن هلك كيف هلك، انما العجب ممن نجا كيف نجا» كلام تشمئز منه النفوس العفيفة، وتنبذه القلوب الطاهرة، وتقومه، وتتصدى له الأقلام الساهرة، أفلا يتقون، ويعلمون أنهم مسؤولون عما يقولون؟ أفلا يخافون الرحمن الذي أقسم بالقلم وما يسطرون، وقال ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق: ١٨)

وما من كاتب الا سيفني
ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بيدك غير خط
يسرك في القيامة أن تراه

ألا يصدقون مع الله، ومع أنفسهم، ومع الناس، هلا تعلموا قبل أن يتكلموا، حتى لا يندموا.

وهذا نداء لنا لنتمسك بسنة نبينا محمد ﷺ حتى ننجو من الاختلاف، كما قال ﷺ «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» (رواه أحمد) ولا يتأتي ذلك الا بطلب العلم الشرعي.

خالد بن إبراهيم الشرقاوي

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

تأجير مبنى لبنك ربوي

هل يجوز لجهة ما الموافقة على تأجير مبنى في أبنيتها لبنك ربوي، خصوصا أن هذه الأموال تدخل في الأرباح التي ستوزع على المساهمين؟ نرجو التكرم بالإفادة.

إذا كان البنك المسؤول عنه يتعامل بالربا فلا يجوز لهذه الجمعية الموافقة على تأجير المبنى الجديد له ولا يغير الحكم عرضه دعما ماليا للجمعية، وإن كان لا يتعامل بالربا أو المحرمات الأخرى فلا بأس بالموافقة على تأجير المبنى الجديد له وأخذ الأجرة منه على ذلك مع الدعم المذكور.

لبس الساعة المطلية بالذهب للتزين

هل يجوز بيع أقلام وساعات تحتوي في جزء منها أو بكلها على عيار ١٤، ١٨، ٢١ من الذهب وما شابهها من أشياء يستخدمها الرجال؟

يجوز لبس الساعة المطلية بالذهب إذا كان يسيرا بحيث لا يمكن استخلاصه منها، أما إذا كانت في الساعة أجزاء من الذهب الخالص فإنه لا يجوز للرجال لبسها مطلقا، ويجوز لبسها للنساء دون الرجال، وينطبق على البيع ما ينطبق على اللبس من أحكام.

موت راكب بلا قصد من السائق

تجاوزت الإشارة وهي خضراء، وأثناء تجاوزي للإشارة وهي خضراء صدمتني سيارة، وقد توفي ابن عمي الذي كان راكبا معي. والسؤال هو: أن أولاد ابن عمي وزوجاته الثلاث تنازلوا عن حق والدهم مني، فهل يلحقني شيء لأنني أريد أن أبرئ ذمتي؟

أنه إذا كان الأمر كما أفاد المستفتي من عدم مباشرته، أو تسببه في الحادث وأن الإشارة كانت مفتوحة له، وسرعته عادية، فإنه لا شيء عليه.

تأجير محل لتزيين النساء

يرجى التفضل بإعلامنا عن مدى جواز أو حل تأجير أحد الفروع المستثمرة في مجمع الدكاكين التابع لجمعيتنا التعاونية لإنشاء كوافير للسيدات لخدمة أهالي منطقتنا.

أنه لابد من مراعاة القواعد الآتية في الأماكن التي تقدم فيها خدمات تزيين النساء:

أ . أن يمنع حضور الرجال سواء كانوا من العاملين في هذه الأماكن أم من الرجال المرافقين للراغبات في التزين ولو كانوا أزواجا أو محارم.

ب . التحرز من استخدام المواد النجسة في التزيين.

ج . تجنب أي زينة تحدث تشبها بالرجال.

د . تجنب النظر أو اللمس لما هو عورة من المرأة على المرأة وهو ما بين السرة إلى الركبة.

هـ . ألا يستخدم في هذه الأماكن عاملات عرفن بترويج الفساد أو كشف أسرار المترددات للتزين، على أنه يجب ملاحظة المرأة التي تأتي للتزين إن كان معلوما أنها ستخرج بتلك الزينة متبرجة فإن قيام الصالون بتزيينها حرام لا يحل لأنها إعانة لها على معصية الله تعالى، ويجوز استخدام غير المسلمات في أعمال التجميل والتزيين، على ألا تطلع من المرأة على عورتها إلا على ما تحتاج إلى كشفه حال المهنة، وهو كشف الرأس والعنق والذراعين والساقين بشرط أن تكون مأمونة لا تصفها للرجال الأجانب، والأولى عدم استخدام غير المسلمات في مثل هذه الأعمال وغيرها، والاستغناء بالمسلمات عنهن.

وعليه فلا ترى اللجنة مانعا من تأجير أحد فروع الجمعية لهذا الأمر إذا كان منضبطا بالضوابط المذكورة.

دفع الخلو.

هل الخلو حلال أم حرام؟

إن أخذ الخلو من المستأجرين من دكاكينه جائز مهما بلغ الخلو، لأنه هو المالك ويعتبر الخلو جزءًا من الأجرة.

الزواج من مطلقته بعد الزوج الثاني



طلقت زوجتي ثلاث مرات، وقد تزوجت زوجتي برجل آخر وبقيت معه ثلاثة أشهر ويريد أن يطلقها، وأريد أنا أن أتزوج بها بعد انتهاء عدتها، فهل يجوز لي ذلك؟

إذا كان الأمر كما أفاد المستفتي أمام اللجنة من عدم وجود التواطؤ بينه وبين زوجها على أن يتزوجها ثم يطلقها فإنه يحل للأول أن يتزوجها إن طلقت من زوجها وانتهت عدتها، أما الآن فيحرم على المستفتي أن يشجعها على طلب الطلاق من زوجها، أو يصرح لها برغبته في عودتها إليه، أو يعرض لها بذلك، أو يعدها بشيء.

اشتراط الزوجة تطليق نفسها في عقد الزواج

أولاً: هل يصح أن تشترط الزوجة أن يكون لها الحق في تطليق نفسها متى شاءت؟

وهل في حالة حدوث الطلاق يكون لها الحق في مؤخر الصداق؟

ثانياً: هل يحق لها أن تشترط ألا يتزوج عليها وألا يخرجها من بيتها، وألا يفرق بينها وبين أولادها، أو بينها وبين أبويها؟

١- أجاز كثير من الفقهاء للزوجة أن تشترط في عقد الزواج أن يكون طلاقها بيدها (وهو ما اصطلح على تسميته بالعصمة)، ولها أن تشترط طلقة واحدة رجعية، أو بائنة بينونة صغرى أو كبرى، فإذا قبل الزوج بذلك في العقد كان لها حق طلاق نفسها نيابة عنه بحسب الشروط، وليس للزوج بعد ذلك أن يعزلها عن ذلك ما دام الزواج بينهما قائمًا، وللزوج في هذه الحال حق طلاقها أيضا ولا يحرم منه بهذا الشرط فإذا طلقت الزوجة نفسها بعد ذلك بحسب الشرط، فإن لها من الحقوق مثل ما إذا طلقها زوجها تماما، لأن طلاقها كان بالنيابة عنه، فكان كطلاقه هو.

٢- اشتراط الزوجة في الزواج ألا يتزوج عليها زوجها، أو ألا يخرجها من بيتها، أو ألا يفرق بينها وبين أولادها أو أبويها، فهذه الشروط كلها غير ملزمة للزوج، والعقد صحيح، والله أعلم.

من القواعد الفقهية

إذا أمر اللهُ نبيَّه بأمر أو نهاه عن شيء كانت لأمّته أسوة في ذلك، ما لم يقم دليلٌ على اختصاصه بذلك.

الأصلُ التأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومشاركة الأمّة له في الأحكام إلا ما دلّ الدليلُ على تخصيصه به.

إذا تعارض قولُ النبي صلى الله عليه وسلم وفعلُه، قُدِّم قولُه؛ لأنه أمْرٌ أو نَهْيٌ للأمّة، وحُمل فعلُه على الخُصوصيةِ لهُ. فخصائصُ النبي صلى الله عليه وسلم تنبني على هذا الأصل.

لابدّ للخصوصية من دليل يدلُّ على اختصاص الفعل بالنبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فسيدخل كثير من الأحكام في باب الخصوصية بالظنِّ والاحتمال.

الأصل في التشريع وخطاب الأمة هو القول، ولا يتطرَّقُ إليه من الاحتمالات ما يتطرَّق للفعل.

رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي

قرارات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

الحوار بين الأديان

يستعمل الكثيرون عبارة «التقريب بين الأديان»، والأولى استخدام كلمات أخرى مثل الحوار والاشتراك والتعاون، وبخصوص ذلك ينبه المجلس إلى أنه إذا كان المقصود به إذابة الفوارق بينها من أجل اللقاء في منطقة وسطى جمعًا بين التوحيد والتثليث والتنزيه والتشبيه مثلاً، فذلك مما يأباه الدين الخاتم الكامل، قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٤٩)، غير أن للحوار والاشتراك والتعاون بين رسالة الإسلام والرسالات السماوية الأخرى معاني مقبولة، لأمر الله تعالى بقوله ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، (النحل: ١٢٥)، ولقوله عز وجل ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤)، وتأسيًا بسنة رسول الله ﷺ في الحوار مع نصارى أهل نجران وغيرهم، وذلك اعتبارًا لأصول الإسلام، في وحدة الألوهية والنبوات والأصل الإنساني، وفي عموم الرسالة وواجب الدعوة إلى الله عز وجل عن طريق الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، بعيدًا عن كل ضروب الإكراه والإجبار والنيل من مشاعر المخالف في الملة، ذلك أنه ولئن تباينت رسالة الإسلام والرسالات السماوية الأخرى في أصول وفروع معروفة، فقد اشتركت معها في أخرى معتبرة.

ويؤكد هذه المعاني للتقارب مع أهل الملل الأخرى اشتداد عواصف الفلسفة المادية والإباحية والإلحاد والتفكيك لأواصر المجتمعات في ظل ثورة الاتصال التي جعلت من العالم قرية صغيرة توشك أن تشترك في المصير، بما يعزز مساعي الحوار والتعاون مع أهل الملل الأخرى ولاسيما مع أهل الكتاب إبرازًا للمشترك ودفاعًا عنه، بدل النكء المستمر لجراح الاختلاف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، ولقد شهد صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام أن عباد الله كلهم إخوة، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

ينابيع المعرفة

إعداد: محمد شفيق

حب الله للعبد

يقول ﷺ «إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض» (صحيح مسلم).

يقظة الموت

كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبدالعزيز- رحمهما الله- إن الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام، من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر إلى العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك.

احرص على أشياء أربعة

احرص على أشياء أربعة ربما تحدث أمامك ولا تعود: احرص على الكلمة قبل أن ينطقها لسانك، واحرص على الفرصة التي تلوح لك، واحرص على الصديق قبل أن تفقده، واحرص على العمر قبل أن يمضي بك.

التوهم

التوهم معناه أن يكون للإنسان جلسات يراجع فيها نفسه، ويعيش في أجواء الآخرة، وينعزل عن الحياة الدنيا، ليعيش التفاصيل التي سوف يشهدها عاجلا كان أم آجلا، يقول إبراهيم التيمي، الذي عاش في درب التوهم: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها: وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا، فأعمل صالحا، قلت: فأنت في الأمنية فاعملي!!

الفضيلة

سأل شاب أحد الحكماء: سيدي أريد أن أعرف الفضيلة في أقصر تعريف، فقال: الفضيلة يا بني هي وسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فالإنفاق الكثير هو التبذير، والتقليل جدا هو التقتير، والعدل هو الفضيلة.

الإيمان والنفاق

قال الإمام علي كرم الله وجهه: الإيمان يبدو كمظلة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان ازداد القلب بياضا، فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب، وإن النفاق يبدو كمظلة سوداء في القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد القلب سوادا، فإذا استكمل النفاق اسود القلب.

صحبة الناس

قال أبوحيّان التوحيدي:صحبت الناس أربعين عاما، فما رأيتهم غفروا لي ذنبا، ولا ستروا لي عيبا، ولا حفظوا لي سرا، ولا أقالوا لي عثرة، ولا رحموا لي عبرة، ولا قبلوا مني معذرة، ولا فكوني من أسر، ولا جبروا مني كسرا، ولا رأيت الشغل بهم إلا تضييعا للحياة، وتباعدا من الله تعالى، وتجرعا للغيظ مع الساعات، وتسليطا للهوى في الهنات بعد الهنات.

فضول النظر

قال عبدالله بن المبارك، رحمه الله: اترك فضول النظر توفق للخشوع، واترك فضول الكلام توفق للحكمة، واترك فضول الطعام توفق للعبادة، واترك التجسس على عيوب الناس توفق للإطلاع على عيوب نفسك، واترك الخوض في ذات الله توق الشك والنفاق.

نصيحة غالية

قال أحد العلماء لابنه: «يا بني إياك والجزع على ما فات، والطمع فيما لا يرجى، فما اشتد خطب إلا وأعقبه فرج، ولا انسد باب إلا وسوف ينفرج، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل مع العسر يسرًا، وجعل في الصبر خير الدارين، ومازال مع الصبر الظفر والأنس، ومع الجزع الكدر واليأس، فاختر لنفسك ما يدنيك من الله ويقربك، واطرح عنها ما يحزنك».

الرزق

قال مالك بن دينار رضي الله عنه: بينما كنت أتناول طعامي ذات ساعة، دخلت عليَّ قطة فخطفت قطعة لحم من طعامي، فتتبعتها إلى أين تذهب بها؟ وإذا بي أرى القطة تذهب بقطعة اللحم إلى جحر وألقت قطعة اللحم أمام ذلك الجحر، فقال مالك: فنظرت لأرى ما في داخل هذا الجحر، فرأيت ثعبانا أعمى فاقد البصر، فخرج وأكل قطعة اللحم!

الناس والبلاء

يقال إن معاوية رضي الله عنه سقطت ثنيتاه، فلف وجهه بعمامة ثم خرج إلى الناس فقال: لئن ابتليت، لقد ابتلي الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم، ولئن عوقبت، لقد عوقب الخاطئون قبلي، وما آمن أن أكون منهم، ولقد سقط عضوان مني، فرحم الله عبدا دعا بالعافية، فوالله لئن عتب علي بعض خاصتكم لقد كنت حدبا على عامتكم!

فضل لا حول ولا قوة إلا بالله

قال النبي ﷺ: «ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة، تقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم» (رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه).

هذا الحديث.. ماذا لو اهتدينا به؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى، إما بموت عاجل أو غنى عاجل» (رواه أبوداود).

كلمة أعجب من كل شعر!

دخل أبو العميثل على طاهر بن الحسين ممتدحا، وقبّل يده، فقال: ما أخشن شاربك يا أبا العميثل! قال: أيها الأمير إن شوك القنفذ لا يضر بُرْثن الأسد، فضحك وقال: إن هذه الكلمة أعجب إليّ من كل شعر، فأعطاه للشعر ألف درهم، ولكلمته هذه ثلاثة آلاف درهم!

الرضا بقضاء الله

نظر علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- إلى عدي بن حاتم فرآه كئيبا، فقال: ما لي أراك حزينا كئيبا؟ فقال: ما يمنعني وقد قتل ابناي وفقئت عيني. فقال يا عدي من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله!

سعيد بن جبير والحجاج

يروي لنا التاريخ العربي أن الحجاج بن يوسف لما أمر بقتل سعيد بن جبير قال له سعيد ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾، فقال الحجاج بغضب: شدوه إلى غير القبلة، عندئذ قال سعيد: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فقال الحجاج: كبوه على وجهه، فقال سعيد ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾. ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

أوصيك بأولادي خيرا

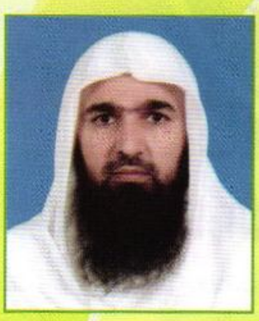
شهد أعرابي مأدبة عند الطاغية الحجاج بن يوسف، فلما قدمت الحلوى، ترك الحجاج الأعرابي حتى أكل منها لقمة، ثم قال: من أكل من هذه ضربت عنقه، فامتنع الحاضرون عن الأكل، وبقي الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة، وإلى الحلوى مرة أخرى، ثم قال: أيها الأمير، أوصيك بأولادي خيرا، واندفع يأكل!

المأمون وغلام صغير

دخل المأمون ذات مرة بيت الديوان، فرأى غلاما صغيرا على أذنه قلم، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الناشئ في دولتك، المتقلب في نعمتك، المؤمن لخدمتك، أنا الحسن بن رجاء، فعجب المأمون من حسن إجابته، وقال: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته.

ذو الشهادتين

هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري، شهد بدرا وما بعدها وسمي بذي الشهادتين، لأنه شهد للنبي ﷺ على يهودي في دين قضاه الرسول الكريم، وأنكر اليهودي ذلك، فقال له الرسول الكريم ﷺ: كيف تشهد ولم تحضره ولم تعلمه؟ فقال: يا رسول الله، نحن نصدقك على الوحي من السماء، فكيف لا نصدقك على أنك قضيته، فقبل الرسول شهادته وسماه «ذو الشهادتين» وجعل شهادته شهادة رجلين.



مسك الختام

د. محمد هشام طاهري

المقامة العكسية

انْصَرَمَ الْعَامُ، وَانْخَرَمَ الْعُمُر أَيّام؛ وَذَهَبَتْ لَيَالِينَا، وَاشْتَمَلَتْ أَعْمَالَنَا، وَكُنّا فيهَا لاهين، وَلَهَوْنَا فيهَا سَاهين.

رَكِبْنَا الشُّهُورَ إدًّا، وَجُزْنَا الْقَصْدَ جِدًّا، وَدَفَنَّا الرُّفَات، وَمَا اتَّعَظْنَا بِمَا فَات، وَانْغَمَسنَا في الْمَلَذّات، وَرَكِبْنَا الشَّهَوَات، وَنَسِينَا أَعْمَالَنَا الْبَوَارِح، وَهِيَ بَاقِيَةُ الصَّحِيفَة كَالْقَرَائِح، أَمَا آنَ التَّوْبَةُ مِمّا رَاح، وَالأَوْبَةُ قَبْلَ كَوْنِ الرَّوَاح، وَإِلَى وَمَتَى الْمَرَاح؟ وَأَمَامَنَا الْمُرَاح.

فَأَزْمِعْ بَتَاتا، وَأَجْمِعْ شَتَاتا، وَانْدَمَنْ حَالا، تُحسِّنُ مَالا، وَتَدعُ عُيُوبا، وَتَرْتَفِعُ مَقَاما، شَمِّر الْكَرَم، وَاهْجُر اللُّؤْم، وَمَعْمِع الْوَرَع، وَدَع الْهَلَع، وَأَجْزِل الْعَطَاء، وَأَسْبِل الدُّعَاء، وَلازِم الاسْتِغْفَارَ، وَقَاوِم نَفْسَكَ الأَمّارَة، وَالْزَمْ وَعْدَكَ وَف، وَعَهْدَكَ فِق.

مُحَرَّمَ الشَّهْر اسْتَقبل، وَالدَّهْرَ أَقْبل، وَمَوْلاكَ نَادَاك، وَالْعَامَ أَحْيَاك، وَالْقَامَ أَعْطَاك، فَمَتَى تَشْكُرُ؟ وَمَتَى تَنْزَجِرُ؟

اَللّهُمّ نِعْمَكَ فِينَا سَبَق، وَبِرُّكَ فِينَا أَعْنَق، وَعِتْقُكَ يُرْجَى، وَسِتْرُكَ يُرْخَى، سُبْحَانَكَ اللّهُمّ بِحَمْدِك، وَتَبَارَكَ اللّهُمّ اسْمُك، وَتَعَالَى اللّهُمّ جَدُّك.

وَإِنّ زِيَادَةَ مَعْنَاهُ في عَكْسه تَقُول:

تَقُولَ عَكْسُهُ في مَعْنَاه زِيَادَةً: وَإِنّ جَدّك اللّهُمّ تَعَالَى، وَاسْمُك اللّهُمّ تَبَارَك، وَبِحَمْدك اللّهُمّ سُبْحَانَكَ، يُرْخَى سِتْرُكَ، وَيُرْجَى عِتْقُكَ، وَأَعْنَقَ فِينَا بِرُّكَ، وَسَبَق فِينَا نِعَمُكَ اللّهُمّ.

تَنْزَجِرُ مَتَى؟ وَتَشْكُرُ مَتَى؟ فَأَعْطَاك الْقَامَ، وَأَحْيَاكَ الْعَامَ، وَنَادَاك مَوْلاك، وَأَقْبِلِ الدَّهْرَ، وَاسْتَقبل الشَّهْرَ.

مُحَرّمَ فَق، وَعَهْدَكَ وَف، وَعْدَكَ الْزَمْ، وَالأَمّارَة نَفْسَكَ قَاوِم، وَالاسْتِغْفَارَ لازِم، وَالدُّعَاءَ أَسْبِل، وَالْعَطَاء أَجْزِل، وَالْهَلَعَ دَع، وَالْوَرَعَ مَعْمِع، وَاللُّؤْمَ اهْجُرْ، وَالْكَرَمَ شَمِّرْ، مَقَاماً تَرْتَفِعُ، وَعُيُوباً تَدَعُ، وَمَالاً تُحسِّن، حَالاً انْدَمَنْ، وَشَتَاتاً أَجْمِعْ، وَبَتَاتًا أَزْمِعْ، فَالْمُرَاحُ أَمَامَنَا، وَالْمَرَاحُ مَتَى وَإِلَى؟ وَالرَّوَاحَ كَوْنِ قَبْلَ الأَوْبَة، وَرَاح مِمّا التَّوْبَة، آن أمَا الْقَرَائِح كَالصَّحِيفَةِ بَاقِيَةُ وَهِيَ الْبَوَارِح؟!

أَعْمَالَنَا نَسِينَا، وَالشَّهَوَات رَكِبْنَا، وَالْمَلَذّات انْغَمَسْنَا، وَفَات بِمَا اتَّعَظْنَا، وَمَا الرُّفَاتَ دَفَنّا؟ وَجِدّا الْقَصْد جُزْنَا، وَإِدّاً الشُّهُور رَكِبْنَا، سَاهِين فِيهَا لَهَوْنَا، وَلاهِينَ فِيهَا كُنّا، وَأَعْمَالُنَا اشْتَمَلَتْ، وَلَيَالِينَا ذَهَبَتْ، وَأَيّامُ الْعُمُرِ انْخَرَم، وَالْعَامُ انْصَرَم.

من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد



ضمن سلسلة مؤلفات علماء القرآن والقراءات يأتي كتاب « أوضح الدلالات في أسانيد القراءات » للدكتور ياسر المزروعي إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية في علم الإسناد، حيث يسهم في تحقيق وتمحيص كثير من الإجازات والأسانيد لتبيان الصالح من غيره لاسيما في ظل وجود كثير من التصحيف والوهم الذي ينبغي ألا يكون موجوداً.



www.Nafaess.com

موقع إدارة الإعلام الديني عبر شبكة الإنترنت

عدد زوار الموقع من فبراير 2004 الى الآن 1.894.455 زائر .
نسبة زوار الموقع من دولة الكويت 61.9 %.
نسبة زوار الموقع من الدول الأخرى 38.1 %.
زوار نفائس مقارنة بالمواقع البحثية الأخرى 79 %.
60 ألف متسابقاً منذ بداية الحملة الأخيرة أكتوبر 2008.

الناطق الرسمي لإدارة الإعلام الديني عبر شبكة الإنترنت ونقدم من خلاله :

فعاليات وأنشطة إدارة الإعلام الديني عامة وحملة نفائس خاصة.
المسابقات الأسبوعية والخاصة بالمسابقات الدينية والوطنية.
يمكنكم تحميل كل برامجنا عبر هذه النافذة.

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com
info@nafaess.com

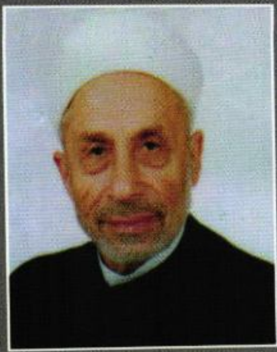
مجمع الوزارات - بلوك 16 - الدور الأول - تلفون : 8 / 22487327 - فاكس : 22487326

أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



الشيخ كريم راجح:
تعدد القراءات .. تيسير على الناس

المواطنة في كنف الإسلام

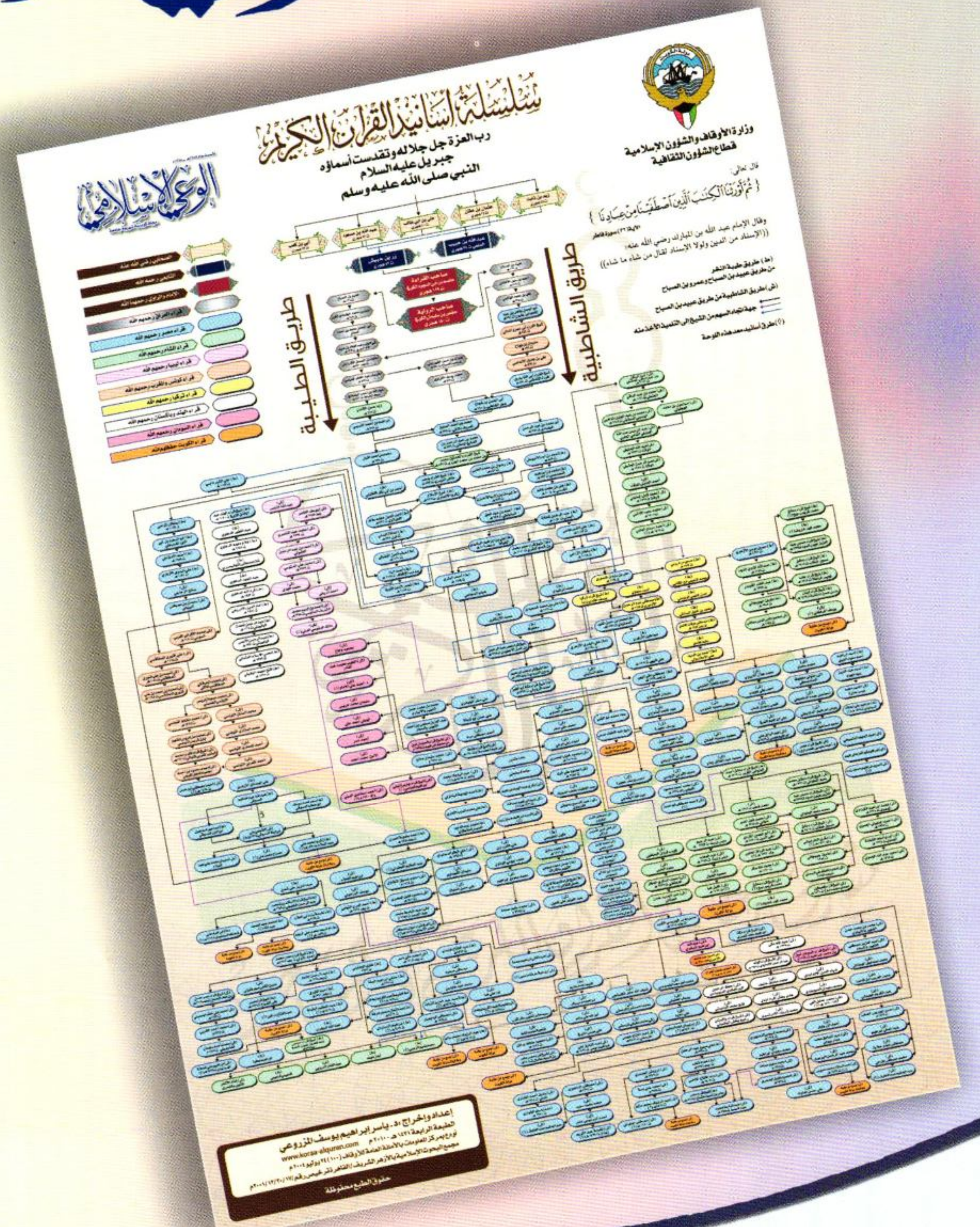


القرآن وصناعة إرادة الإنسان

طريق النجاح

أدب الانسحاب من مودة الأصحاب

من إصدارات الوعي الإسلامي



يسر إدارة المجلة أن تهدي جمهور القراء في العالم الإسلامي والمهتمين بدراسة القراءات وأسانيدها لوحة «أسانيد القرآن الكريم» من طريقي الشاطبية والطيبة إعداد الدكتور ياسر إبراهيم المزروعي مدير مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد بوزارة الأوقاف الكويتية.

طريق النجاح

من السجايا الجميلة التحلي بعلو الهمة، فهو الذي يجلب لك خيرًا غير مجذوذ، لترقى إلى درجات الكمال، فيجري في عروقك دم الشهامة، والجري في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور، فكبير الهمة ثابت الجأش، لا ترهبه المواقف، لأن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره دنيّها وسَفْسافها، فعلو الهمة باعث على التقدم، وداع إلى التخصيص، أنفة من خمول الضعة واستنكارًا لمهانة النقص، وقد روي عن عمر: لا تصغرن هممكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم، وقال بعض الحكماء: الهمة راية الجد، وقال بعض البلغاء: علو الهمم بذر النعم، ومن ترك التماس المعالي بسوء الرجاء، لم ينل جسيمًا، والعالي الهمة يرى التقصير في بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه، وقد أرت الناس عورته، والقصير الهمة لا يبالي بمنن الناس ولا يستقبح سؤالهم، ولا يأنف من زدُ، والعالي الهمة لا يحمل ذلك، ولكن تعب العالي الهمة راحة في المعنى، وراحة القصير الهمة تعب وشين، والدنيا دار سباق إلى أعلى المعالي، فينبغي لذي الهمة ألا يقصر في شوطه، فإن سبق فهو المقصود، وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يلم، فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فإن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور.

وإذا كانت النفوس كبارًا
تعبت في مرادها الأجسام

وقال الآخر:

ولكل جسم في النحول بلية
وبلاء جسمي من تفاوت همتي

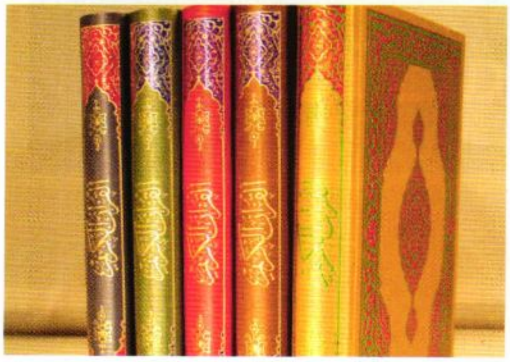
فينبغي للعاقل أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل، ومن علامات وأسباب النجاح، الاستعانة بالعقل لا بالعضلات، فالآلة تكفيك عن الحمل والنقل، والتنافس في ساحات العمل، فساحات العمل هي التي أخرجت الأبطال كالمعامل والمكتبات وساحات العلم وقاعاته، والمحاسبة الذاتية باستمرار، لأن الظن أنك بلغت الكمال من أول علامات التخلف، والاتصال بالمستجدات لمسايرة العصر، والصبر والنجاح ليس عادة سهلة، فليكن في قصة الماء مع الزيت عبرة، لمّا علا الزيت على الماء قال له: لم علوت عليّ وقد أَنْبتُّ شجرتك، فقال الزيت: صبرت على العصر والنقل وأنت تمشي في السهل، فإذا كنت ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزًا لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تَتَحَيَّفُه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوانًا بغير أجر، وجندا بلا ديوان، فعليك بالهمة، تأتك المنافع عفوًا، وتلق ما يعتمد منها صفوًا، واجتهد في تحصيلها ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيها بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر بعد وفاتك.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

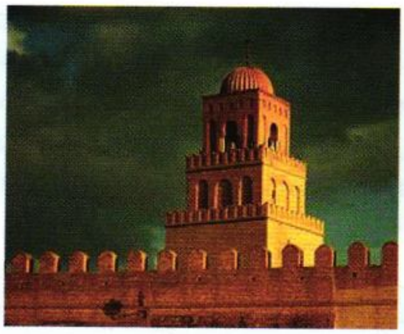
في هذا العدد



حوار مع الشيخ كريم راجح 8



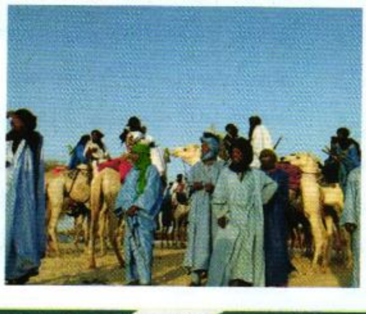
القرآن وصناعة الإرادة 36



مسجد عقبة بن نافع 54



يوم غابت القدوة 58



الطوارق.. لا هوية ولا وطن 76



شات الإنترنت الجاني الجديد 82

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٥

العام السابع والأربعون

ربيع الأول ١٤٣١ هـ

مارس ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

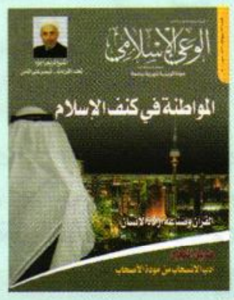
التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (٠٠٩٦٣ ١١) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



أوطاننا اليوم في أمس الحاجة للبعد عن المذهبية الطائفية والتوجه نحو فضاء حوار وطني جامع غير مفرق، والأمل معقود بأهل الحل والعقد في شد اللحمة ورأب الصدع.

داخل العدد

الآيات الباهرة في وجه الإنسان ٣٤

أثر البيئة في الشعر ٤٤

الرقابة في الإسلام رباعية الأبعاد ٦٠

إيوان كسرى في المدائن ٧٠

طفلك فوضوي.. إليك الحل ٨٤

عبادة التفكر ٩٨

كلمة العدد

مشروع الخدمة

يعد مشروع الخدمة في أحد الأقطار الإسلامية أنموذجا حقيقيا لأهل الهم والهمة، حيث يسعى إلى بناء صرح الروح لترتوي منه الإنسانية، ويمثل ولادة جديدة في فهم الدين لإقامة عالم السعادة، ويتخذ شعار «الحياة كلها لله» منهجا في مسيرته التي يقودها مصلح اجتماعي ومرب تربوي.

هذا المشروع يسير على خطى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في العمل الدؤوب لإنقاذ البشرية من ظلام الدنيا إلى نور الإسلام، ويمثل حقيقة استخلاف المسلم الحق في الأرض.

ولقد اعتنى هذا المشروع بصناعة المعرفة وتصديرها للأمصار من خلال الاهتمام الشديد بمنظومة التعليم باعتبارها مدخل بناء الأوطان، لاسيما أن هذا المشروع حصاد 50 عاما من الجد والإصرار والمثابرة، حتى بات مدرسة لبناء براعم الإيمان بناء حضاريا.

ويعتبر الإنسان في الخدمة أساس أي حضارة، ومن ثم فقد كانت مقوماته الإيمان الكامل، والعشق للمعرفة، وقراءة العلوم، والتفكير الحر، والعمل المشترك، والتفكير المنهجي، وفكرة التوحيد.

ما يمكن أن تضيفه هذه التجربة لمجتمعاتنا أنها حققت إنجازا حضاريا رائعا أسكت أعداء الدين في مجتمع كان قبل عقود قليلة مغلقا أمام كل ما يسمى إسلاميا.

أخيرا إن غاية هذا المشروع تتمحور حول مرضاة الله سبحانه وتعالى من خلال الخدمة والعيش من أجل الآخرين، لأن أكبر خدمة هي استثمار الإنسان.. فهل نستفيد من هذه التجربة في مجتمعاتنا التي تئن من التحلل الإجتماعي؟

«الوعي الإسلامي»

الاشتراكات

- **داخل الكويت :** للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية :** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم :** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات :** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

تحت عنوان «رؤى معاصرة للإصلاح ودورها في تعزيز السلام العالمي»

تجربة المجدد التركي فتح الله كولن في الأردن

كتب: رئيس التحرير

نظمت مجلة «حراء» التركية بالتعاون مع «المنتدى العالمي للوسطية» أخيرا ندوة دولية بعنوان «رؤى معاصرة للإصلاح ودورها في تعزيز السلام العالمي.. تجربة فتح الله كولن أنموذجا» في المركز الثقافي الملكي بالأردن، بحضور وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني د.عبد السلام العبادي ومشاركة نخبة من مفكري وعلماء الأمة من ١٧ دولة.

وعقد المشاركون في المؤتمر أربع جلسات عمل، ناقشت جوانب مهمة من تجربة فتح الله كولن الإصلاحية، حيث شهدت الجلسة التي ترأسها وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية د.عبدالسلام العبادي أوراق عمل حول «فتح الله كولن.. الشخصية والرؤية» للدكتور نوزاد صواش- تركيا، و«معرفة التاريخ وإحداث النهضة من منظور فتح الله كولن» للدكتور سليمان عشراتي- الجزائر، و«الرؤية التربوية عند فتح الله كولن» للدكتور سمير بودينار- المغرب، و«الوسطية في فكر فتح الله كولن» للدكتور الأحمدي أبوالنور وزير الأوقاف الأسبق في جمهورية مصر العربية.

وناقشت الجلسة الثانية من المؤتمر التي ترأسها المحامي فهد أبوالعثم أوراق عمل «أولويات الإصلاح بين مدرسة فتح الله كولن والتيارات الإسلامية المعاصرة» للدكتور موفق دعبول- سورية، و«المراحل السبع في تحويل المعرفة إلى سلوك عند فتح الله كولن» للدكتور محمد بن موسى بابا عمي- الجزائر، و«منهج فتح الله كولن في قراءة السيرة النبوية» للدكتور مأمون جرار- الأردن، أما الجلسة الختامية للمؤتمر فخصصت لمناقشة انطباعات الشخصيات الثقافية والفكرية والدينية عن تجربة فتح الله كولن.

وأكد المشاركون في الندوة على دور تركيا، خاصة في العالم الإسلامي، لافتين إلى أن العالم أصبح في أمسّ الحاجة إلى الإسلام، معتبرين أن الإسلام في مرحلة عصره الدعوي الذهبي، وأن تجربة الداعية فتح الله كولن الثرية ركزت على دور العقول والقلوب وبسط الخدمات الاجتماعية.

وأوضح رئيس الوفد التركي المشارك مصطفى أوزجان أن فساد الأنظمة الفلسفية في القرنين الأخيرين أدى إلى عدم المقدرة على تحقيق السعادة للبشرية التي هي بحاجة لمن يحقق لها السعادة المطلوبة.

ولفت إلى أن السيرة النبوية الشريفة حل أساسي لمشكلاتنا كافة، وهي التي سعدت بها الأرض، حيث احتوت على حلول لكل المشاكل التي تواجهها، واصفا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بأن الأرض هي مسجده والمدينة المنورة محرابه، حيث ألقى منها خطبا لكل الإنسانية.

ووصف أوزجان القبول الروسي للأفكار الإسلامية التي تنطلق من التعليم كأساس لتحقيق الرؤى الإسلامية الحقيقية للبشرية، بأنه يأتي انطلاقا من الفطرة والجوهر اللذين هما في أعماق البشرية التي تؤمن بالخير.



رئيس التحرير يصافح العبادي وبدا السفير التركي في الأردن

من جانبه، أشاد أمين عام المنتدى مروان الفاعوري بالتجربة التركية التي قادها فتح الله كولن لإقامة صرح للروح يكون بناء شامخا ترتوي منه الإنسانية، مؤكدا أن قوة الإيمان بمدلول الكلمة لدى كولن تعبير عن الصدق الأبهى مع الله والذات في استلهام المشاعر الإنسانية.

وقال: لقد قرأ واقع أمته وأمعن النظر فيه، فأيقن أنه لابد من ولادة جديدة لهذه الأمة، تستعيد بها نهضتها وتعود بها إلى سابق عزها، بعد أن ضحى المسلمون بدينهم (مصدر عزتهم) في سبيل دنياهم.

وأوضح الفاعوري أن الجديد لدى الداعية الإسلامية كولن أنه قرأ مليًا واقع العالم كله، واختط لنفسه منهجًا قدم فيه أولوية الإصلاح الاجتماعي والتربوي والاقتصادي على الصراع السياسي، فلم يستنزف جهده في الصراع السياسي كأولوية وهدف كما استنزف كثيرون في تجاربهم المريرة طاقاتهم وطاقات أمتهم، مما أدى إلى انفراط العقد السياسي للأمة وإضعافها عند مواجهة التحديات.

بدوره، أكد الداعية الإسلامي د.محمد راتب النابلسي أهمية الدعوة التركية التي سمّاها بالدعوة الصادقة لأنها استطاعت أن تقنع الطرف الآخر بالدين الإسلامي وفلسفته في الحياة، مبينا أن المسلمين نائمون في ضوء الشمس في حين أن أعداءهم يعملون في الظلام، كما أن الغرب كان حضارة رائعة لكنه تغير بعد ١١ أيلول (سبتمبر) ليصبح قوة غاشمة.

وأوضح أن الإسلام في عصره الدعوي الذهبي، مؤكدا أن العالم سيركع أمام أقدام المسلمين لا لقوة ولكن لحاجته إلى الإسلام، مشيرا إلى أن معنى الجهاد الذي يقفز إلى الذهن هو القتال، غير أن هناك جهادا دعويا وجهاد النفس، وإذا نجحنا في ذلك فإننا سننجح في الجهاد القتالي، لافتا إلى أن الغرب كان يجبرنا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريد، لكنه يجبرنا الآن على أن نفعل ما يريد وما نريد.

برعاية وزير الأوقاف وزير العدل المستشار الحماد

ملتقى الكويت الرابع للفنون الإسلامية

التحرير

تحت رعاية المستشار راشد الحماد نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية- أقام مركز الكويت للفنون الإسلامية في المسجد الكبير ملتقى الكويت الدولي الرابع للفنون الإسلامية خلال الفترة ٤-٢٠١٠/١/١٥ في المسجد الكبير.

ويقوم مركز الكويت للفنون الإسلامية بتنظيم هذا الملتقى الدولي، بالتعاون والتنسيق مع الجهات والمؤسسات الإدارية والعلمية والثقافية والمجتمعية الكويتية، تحت رعاية وإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال واجهتها الحضارية الكبرى، المتمثلة في المسجد الكبير الذي هو مثال حي وفاعل لمكانة المسجد في الإسلام ودوره الأساسي في حياة المسلمين بجوانبها كافة، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

ويشارك في هذا الملتقى الدوري عديد من الجهات والمؤسسات والشخصيات الفكرية والعلمية والثقافية والفنية الكويتية والعربية والإسلامية والدولية من المختصين بالفنون الإسلامية والمعنيين بها أو ذوي العلاقة بها.

وقال رئيس مركز الكويت للفنون الإسلامية فريد العلي: إن هذا الملتقى يأتي استمرارا للنهج الذي يتبعه المسجد الكبير في سبيل تعزيز الدور الثقافي والحضاري للمسجد وتوثيق صلة الجمهور الكريم بالمسجد، كما يسعى إلى نشر المزيد من الوعي بأهمية الفنون الإسلامية وقيمها ومضامينها والحرص على إدماجها في مناحي حياتنا اليومية كافة، خاصة بعد النجاح الذي حققته الدورة الماضية.

وأكد أن الدورة الجديدة جاءت بمضمون أساسي هو الفنون الإسلامية بإطار علمي فني من خلال ما يقوم عليه التنظيم العام لهذا الملتقى من معرض فني شامل لمختلف الأعمال واللوحات المنجزة في أغلب مجالات هذه الفنون.

وأوضح العلي أن هذه الدورة تركز على تطبيقات الفنون الإسلامية على الخزف الذي يعتبر أحد أهم المجالات التي أبدع فيها الفنان المسلم في الماضي والحاضر.

وتساهم في هذه الدورة مؤسسات مرموقة في ميدان الاهتمام بالفنون الإسلامية ودعمها، منها مكتبة الإسكندرية، ومركز قطر الثقافي (فنار)، ومتحف الفنون الإسلامية في ماليزيا، والذي يعد من أهم المراكز البحثية في مجال الفنون الإسلامية على المستوى العالمي، وهو يشارك للمرة الأولى في فعالية من هذا النوع في منطقة الخليج العربي، ومتحف السيد طارق رجب من الكويت، والذي يقدم مساهمة فعالة من خلال تقديم ما يقرب من سبعين قطعة خزفية أثرية من مختلف الحقب التاريخية للحضارة الإسلامية، وتعود مواطنها إلى حواضر العالم الإسلامي الكبرى التي اشتهرت بصناعة الخزف.

إلى جانب تخصيص أجنحة للنشء بإشراف فنانين محترفين من الكويت وخارجها، للتعرف على مبادئ فنون الخزف والرسم على الماء والخط العربي وممارستها وسط أجواء من المتعة.

كذلك خصص المعرض جناحا للطلبة الموهوبين الذين انتظموا في دروس الخط الأسبوعية في المركز وأبدوا تميزا جعلهم جديرين بالمشاركة في هذا المعرض.

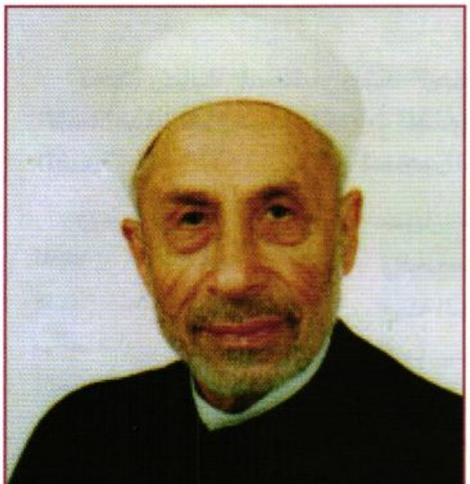
الملتقى يأتي استمراراً لنهج المسجد الكبير في تعزيز دوره الثقافي



شيخ قراء الشام العلامة محمد كريِّم راجح للوعي الإسلامي:

علم القراءات شيء وعلم التجويد شيء آخر

تمام أحمد



قراءة القرآن الكريم لازمة من لوازم كل مسلم، وفريضة محكمة عليه، لا يجد منها بدلاً ولا نرى له عنها غنى، وكيف لا، وهو في صلاته المفروضة والمسنونة وفي عباداته لله والتقرب إليه بما يرضيه ليس له سبيل الى ذلك أفضل من سبيل تلاوة القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق كان للوعي الإسلامي هذا اللقاء مع شيخ قراء الشام فضيلة الشيخ محمد كريم راجح، الذي زار الكويت في الآونة الأخيرة بدعوة من إدارة محافظة الجهراء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حيث ألقى مجموعة من المحاضرات في مساجدها، وكانت محاورها كالتالي: آداب طالب العلم من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر، وتربية الأولاد.. أنموذج سورة لقمان، أدب الحوار في القرآن، كيف نتدبر القرآن، أخلاق حملة القرآن، كما قرئ عليه تفسير «قبس من القرآن» للشيخ كريم من أوله إلى آخره، واليكم نص الحوار:

■ **كيف نشأ الاختلاف في القراءات؟**

- نشأ الاختلاف في القراءات منذ عصر النبي ﷺ وأول ما بلغنا من ذلك ما جرى لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صلى خلف أحد الصحابة وهو هشام بن حكيم فقرأ بقراءة على خلاف ما سمعها عمر من رسول الله ﷺ فقال عمر: كدت والله أساوره في صلاتي، فلما انتهى من الصلاة أخذت به الى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ان هذا الرجل قرأ بقراءة على خلاف ما أقرأتني، فقال النبي ﷺ للرجل: اقرأ فقرأ، فقال «هكذا نزلت»، ثم قال لي: اقرأ يا عمر، فقرأت فقال: هكذا نزلت، ثم قال النبي ﷺ «ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف فاقرأوا ما تيسر منه» (الألباني صحيح الجامع) فبقي الاختلاف في الصحابة يقرأون على ما تيسر منه الى أن جاء عصر عثمان رضي الله عنه فكتب المصاحف بما يتناسب مع حرف من الأحرف السبعة الى أن جاء عصر التدوين فدونت القراءات وكانت لا تخرج عما كتب عثمان.

■ **ما الشروط الواجب توافرها في القراءة الصحيحة؟**

- الشروط الواجب توفراها أهمها:

١- التلقي عن القراء المجيدين حتى يكون التجويد جيدًا فقراءة القرآن شيء وقراءة غيره شيء آخر.

٢- أن يقرأ متنًا في التجويد يستعين به على أحكام القراءة.

٣- ألا يقرأ إلا بالتجويد الذي تلقاه حتى يبقى لسانه مرنًا في أداء حروف كتاب الله، وأما كون القراءة مقبولة صحيحة فيشترط لها: موافقة الرسم ولو احتمالاً وموافقة وجه نحوي وصحة الإسناد.

■ **هل هناك فرق بين القراءة والرواية والطريقة؟**

- القراءة ما نسب الى القارئ، والرواية ما نسب إلى الراوي عن القارئ، والطريقة ما نسبت الى من قرأ على الراوي، فنقول مثلاً: قراءة نافع ورواية ورش وطريقة الأصبهاني، فنقول: قرأ الأصبهاني برواية ورش بقراءة نافع، أو نقول: قرأ نافع برواية ورش بطريقة الاصبهاني.

■ **هل علم القراءات وعلم التجويد علم واحد أم علمان مختلفان؟**

- علم القراءات شيء وعلم التجويد شيء آخر، فعلم القراءات أن نعلم كيف جاءت هذه القراءة، مثلًا، هناك قراءتان: ﴿ما نَنسَخ﴾ قراءة العامة، و﴿ما نُنسِخ﴾ قراءة ابن عامر، و﴿ما يخادعون﴾، و﴿ما يخدعون﴾، فبعض القراء قرأ هكذا وبعضهم قرأ هكذا وكلا القراء تين سبعيتان، فالقراءة تغيير في اشكال الكلمة وربما في حروفها كقراءة (نَنشُرُها ونُنشِزُها) والتجويد احكام النطق بالحرف مخرَجًا وصفة.

■ **ورد في أحاديث صحيحة مروية بطرق مختلفة أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (البخاري) سؤالنا إليكم فضيلة الشيخ ما المقصود بالحرف وما المغزى من تعداد الحروف إلى سبعة؟**

- المغزى من تعداد الحروف الى سبعة انه لو كان التعداد الى اكثر لعاد الموضوع الى ان يقرأ المرء ما يشاء ويذهب التقييد بعدد معين، اضافة الى ان السبعة كانت نهاية العدد عند العرب ويقولون بعدها وثمانية، ويسمي النحويون هذه الواو واو الثمانية.

واما الحرف فاختلف في معناه على نحو من اربعين قولاً، ومن هذه الاقوال ان هذا من المتشابه الذي لا يُعلم المقصود منه الا بالوحي، لذلك نقرأ على ما كتب عثمان فإن عثمان كتب القرآن على ما تحتمله هذه الأحرف السبعة او حرف منها، وعلى كل حال فالقراءات المتواترات منضبطة، فنقرأ بها ونصلي بها، والقراءات الشاذة ألفت فيها كتب وانتشرت في كتب التفسير أيضًا ولا تجوز الصلاة بها لأن القرآن انما يثبت بالتواتر وهذه لم تتواتر.



■ يقول المختصون في علم القراءات إن هناك أكثر من خمسين قراءة، منها قراءات كبرى وقراءات صغرى؟ ما مدى دقة هذا التوصيف؟

– صحيح ان هناك أكثر من خمسين قراءة، وليست كلها متواترة بل المتواتر منها عشر، وأما كبرى وصغرى فهذا وصف للقراءات المتواترة، فالقراءات اذا جمعت عن طريق الطيبة تسمى كبرى، واذا جمعت عن طريق الشاطبية والدرة تسمى صغرى، ويعود هذا الوصف الى انه في الطيبة وجوه اكثر من وجوه الشاطبية والدرة.

■ من يتقن علم القراءات يجب أن يكون لديه سند متصل بالقراء يصل الى رسول الله ﷺ.. والسؤال، كم عدد الذين يحملون هذا السند في عصرنا الحاضر من العلماء الثقات المشهورين؟

– أرجو أن يكونوا كُثراً، لان الله حافظ كتابه كما نزل، ولكن لا استطيع أن أسمي ولا أن أحصر، ولكن المفروض ألا يسمى قارئا إلا من تلقى بالسند.

■ تعدد القراءات من ورائه حكمة كبيرة، برأيكم ما الحكمة الرئيسة من ورائه؟

– الحكمة الرئيسة من تعدد القراءات التيسير على الناس كما جاء في الحديث «فاقرأوا ما تيسر منه».

■ علم القراءات مر بمراحل كثيرة بدءا من تلقين جبريل رسول الله ﷺ وحتى عصرنا الحاضر، حبذا لو أعطيتمونا نبذة مختصرة عن هذه المراحل؟

– عصر الصحابة، عصر من بعدهم من التابعين، عصر تدوين القراءات، عصر التقيد بما دوِّن، ولا تجوز القراءات الآن إلا بما تواتر.

■ هل من الأفضل أن يؤخذ علم القراءات عن طريق المعاهد والجامعات أم عن طريق الشيوخ وحلقات العلم؟

– المهم في ذلك الضبط والاتقان، والظاهر بل والدافع أن أخذه عن طريق الشيوخ وحلقات الدروس أنجح وأحكم، وعندي أن المرء مهما درس من العلوم عن طريق المعاهد والجامعات لابد من اجل ان يكون محققًا أن يعود الى المسجد فيقرأ على الشيوخ في نظام الحلقات.

■ هل هناك كتب مُفردة في كل قراءة قرآنية؟

– توجد كتب كثيرة أفردت كل قراءة بمؤلف، ومن آخر من كتب في ذلك شيخنا شيخ القراء الشيخ حسين خطاب.

■ ما المتون والمنظومات التي يجب أن يستظهرها القارئ قبل أن يبدأ في قراءة الإجازة والإسناد؟

– متن الشاطبية والدرة، إذا أراد ان يجمع العشر الصغرى، ومتن الطيبة، ان اراد ان يجمع العشر الكبرى، والجزرية لمن أراد رواية حفص عن عاصم.

■ ما الفرق بين الشاطبية والدرة المضيئة؟

– الفرق بين الشاطبية والدرة ان الشاطبية نظمها الامام الشاطبي، والدرة نظمها الامام ابن الجزري، ثم تلك تتكلم عن القراءات السبع، وهذه تتكلم عن القراءات الثلاث فوق السبع.

■ هل «عقيلة الأتراب» للشاطبي مما يلزم أن يحفظه طالب القراءات؟

– ينبغي لطالب القراءات أن يقرأ علم الرسم، ولكن يمكن ان يكون قارئًا ولا علم له بعلم الرسم.

■ ما الطريقة العملية المجربة التي تنصحون بها جامع علم القراءات؟

– الطريقة العملية هي أن يقرأ، ولكل قارئ أولًا سورة البقرة، ثم يجمع القراءات الثلاث، نافع وابن كثير وأبي عمرو، ثم يجمع لكل القراء مع التحقيق والتدقيق.

■ هل إفراد القراءات أفضل للطالب أم الجمع؟

– إفراد القراءات لكل قارئ قراءة يقرأ بها الطالب أمام الشيخ من أول المصحف الى آخره، وهذا ما كان عليه السلف، ثم بعد ذلك قامت طريقة الجمع لاختصار الوقت.

■ هل الاختلاف بين الروايات القرآنية اختلاف تنوع أم اختلاف تضاد؟

– الاختلاف بين الروايات القرآنية اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد والقراءات كلها متداخلة، وكلٌ منها يتلاقى مع الآخر.

الشيخ كريم راجح في سطور

– ولد في قرية «كفر حور» التي تبعد ٥٠ كم عن دمشق عام ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦م.
– التحق بـ «الكتاتيب» (أماكن تعليم القرآن) في سن مبكرة .
– التحق بمدرسة «وقاية الابناء» للجمعية الغراء التي أنشأها الداعية علي الدقر يرحمه الله.
– حفظ القرآن الكريم على يد شيخ قراء دمشق الشيخ حسين خطاب.
– تعلم العلم الشرعي في مدرسة الشيخ حسن حبنكة منذ عام ١٩٤٠م.
– حفظ الشاطبية وقرأها كاملة على الشيخ محمد سليم الحلواني يرحمه الله، كما حفظ الدرة واتقن القراءات العشر الصغرى والكبرى وتفقه بالفقه الشافعي ولما يتجاوز عمره ٣٠ سنة.
– عمل إماما وخطيبا ومدرسا في العديد من مساجد دمشق ومدارسها.
– بويع بمشيخة شيخ قراء دمشق بعد وفاة الشيخ حسين خطاب عام ١٤٠٨هـ.

من صور لقاءِ الشرق والغرب

المفكرون الغربيّون الذين أسلموا

السنوسي محمد السنوسي *

يجب أن نعترف- بكل أسف- أن الفكر الإسلامي المعاصر لم يُعْنَ برصد وتسجيل ظاهرة إسلام المفكرين الغربيين، وسبر أغوارها، وتتبعها في عمقها وانتشارها، ولم يوفها حقها من النقد والتحليل، فضلاً عن أن يضع في تصوراته وخططه كيفية الاستفادة من جهود هؤلاء المفكرين في فهم الواقع المعاصر بأبعاده وتشابكاته، وفي نقد الحضارة الغربية وتعريتها، وكشف مواطن الضعف فيها.. تلك الحضارة التي لم يجد فيها الباحثون عن الحقيقة المجرَّدة ما يروي ظمأهم الروحي، ويشبع حاجتهم الفطرية، ويهدي عقولهم الحائرة، بعد أن شقت بهم وتاهت في منحنيات الإلحاد، وظلمات الفكر المادي؛ لأنها حضارة تحلق بجناح واحد هو جناح المادة، وتتجاهل افتقاره وحاجته لجناح الروح، حتى غدت حضارة مؤهلة للانتحار، على حد قول المفكر الفرنسي رجاء جارودي.

ربما وُجدت بعض الدراسات التي تناولت المسيرة الفكرية لبعض هؤلاء المفكرين، مثل ما كتبه د.عبدالحليم محمود في «أوروبا والإسلام»، ود.محمد سعيد البوطي في «شخصيات استوقفتني»، والمستشار محمد عزت الطهطاوي في «في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين»، لكنها على أية حال دراسات متناثرة لم ترق إلى مستوى الجهد المأمول، وتدور في فلك شخصيات معدودة بحيث يمكن أن نقول إنها تعاملت مع الظاهرة من منظور جزئي لم يستوعب انتشارها الواسع ودلالاتها المتعددة.

وقد أضاع الفكر الإسلامي المعاصر- بهذا التجاهل أو التقصير في رصد الظاهرة- واحدة من أهم الوسائل التي كان من الممكن أن تسهم بفاعلية في بيان الوجه الحضاري للإسلام، وفي الكشف عن مقوماته ذات الديناميكية المتجددة، وفي تأكيد قدرة الإسلام- باعتباره منهج حياة، وسلوك مجتمع، وقانون دولة، وثقافة حوار وتعايش- على مخاطبة أرقى العقول البشرية، ومجاوزة حدود الزمان والمكان، باعتباره الدين الخاتم الذي شُرعَ للناس كافة، وأيضًا في بيان أن الإسلام ليس مجرد أطروحة من الأطروحات، أو بديلا من البدائل، بل هو البديل كما يقرر السفير الألماني مراد هوفمان.

إن أهمية شهادات المفكرين الغربيين- خاصة فيما يتصل بنقد الحضارة الغربية- تكمن في أنها شهادات وُلِدَتْ من رَحِم المعاناة، وليس من حوارات الترف الفكري والجدل البيزنطي، فأصحاب هذه الشهادات قد خبروا الحضارة الغربية، واكتووا بنارها، وأُصيبوا بشررها، وطالت رحلتهم في البحث عن الحقيقة حتى وجدوها في الإسلام، فجاءت شهاداتهم تلك بمنزلة شهادة عيان تدل بصدق ووعي على عمق الأزمة التي أحاطت بالحضارة الغربية، وعلى قتامة الطريق المسدود الذي أوصلت إليه الإنسانَ المعاصر.

ولئن كانت جَرَتْ على الألسنة مقولة الشاعر الإنجليزي «كبلنج» حتى صارت مثلًا، وهي أن الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا.. فإننا نستطيع أن نقول- بكل ثقة- إن هذا اللقاء ممكن وجائز، وغير مستحيل لا عقلًا ولا شرعًا ولا تاريخًا! بشرط أن تبتعد عنه السياسة بصخبها، ومؤامراتها، وصدامها، ووسائلها الخبيثة التي لا تفتأ تعمل على تشويه الآخر- خاصة الإسلام- وإلصاق التهم به ظلمًا وعدوانًا؛ لأن السياسة الماكرة جعلت الحضارة الغربية حضارة عدوانية تبحث دائمًا لا عن صديق مخلص، ولا عن شريك تتبادل معه المنافع، بل تبحث عن عدو توجِّه إليه سهامها المُشْرَعة باستمرار، وآلاتها التدميرية الإبادية، فهي حضارة ترى في وجود هذا العدو حلًا لتصدير أزماتها الداخلية المركَّبة، وسوقًا رائجة لتجارة الأسلحة!

بل يمكننا أن نقرر- دون تجاوز أو مبالغة- أن هذا اللقاء قد تمَّ فعلًا بإسلام المفكرين الغربيين، الباحثين عن الحق، والمتشوِّقين لإرواء ظمأ الروح، والراغبين في الخلاص من الدوران في الحلقة المفرغة بين الإنتاج والاستهلاك، دون الالتزام بقيم تستطيع أن تجعل للحياة معنى- كما يقول جارودي- أو أن تحفظ للإنسان إنسانيته وكرامته، فالتقى- بإسلامهم- العقلُ المتحرر من القيود والأوهام بالقلبِ النقي، والفطرةِ السليمة، والمنهجِ الرباني الذي يهدي للتي هي أقومَ.

فهؤلاء المفكرون يمثّلون صفحة نقية من صفحات اللقاء والحوار بين الشرق والغرب، بل هم أنصع الصفحات.

لقد سبق أن التقى الغرب بالشرق، ولمس آثار الحضارة الإسلامية عن قرب، وعاين أخلاق المسلمين، في صدقهم، ووفائهم، وحفظهم للعهود، وإكرامهم لمن يعيش بين أظهرهم- حتى وهو على غير دينهم- في قرطبة، وطليطلة، وجنوب فرنسا، وغيرها من محطات اللقاء والحوار، فما أُكرهوا على ترك دينهم، ولا ظُلموا في أموالهم وأعراضهم، ولا مُنعوا أيّ حق وَجَب لهم، ولا مُورست ضدهم حملات تهجير ومراقبة واضطهاد، كما يحدث الآن مع الأقليات المسلمة في أوروبا وأميركا، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وحتى لا يكون ثمة اتهام بالانحياز إلى حضارتنا من غير أن تقوم دلائل مؤكدة على انحيازنا لها وإيماننا بها.. فإننا نورد هنا شهادة أحد المستشرقين الذين تابعوا عن عمق مسيرة الحضارة الإسلامية، وهو «غوستاف لوبون» في كتابه الحجة «حضارة العرب» الذي يرصد فيه مظاهر التحول الجذري- المعنوي والمادي- الذي أحدثه المسلمون في بلد مثل الأندلس، كمثال واضح على تفرّد حضارتهم، وسموّ قيمهم، ورقي معاملتهم لغيرهم من أصحاب

* باحث وصحفي في مجلة «التبيان»

الديانات الأخرى، فيقول: «استطاع العرب أن يحولوا إسبانيا، ماديًّا وثقافيًّا، في بضعة قرون، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوروبية، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانيا على هذين الأمرين، بل أثروا في أخلاق الناس أيضًا؛ فهم الذين علموا الشعوب النصرانية، وإنْ شئت فقل حاولوا أن يعلموها، التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حلْمُ عرب إسبانيا نحو الأهلين المغلوبين مبلغًا كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية، كمؤتمر أشبيلية النصراني الذي عُقد في سنة ٧٨٢م، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عُقد في سنة ٨٥٢م، وتُعدُّ كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم.

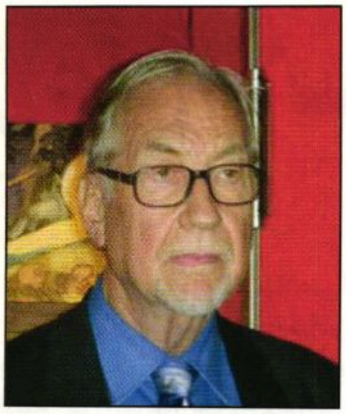
وأسلم كثير من النصارى، ولكنهم لم يُسْلموا طمعًا في كبير شيء، وهم الذين استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين، قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة، وكانت إسبانيا العربية بلد أوروبا الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها، فصار عددهم فيه كثيرًا جدًا».

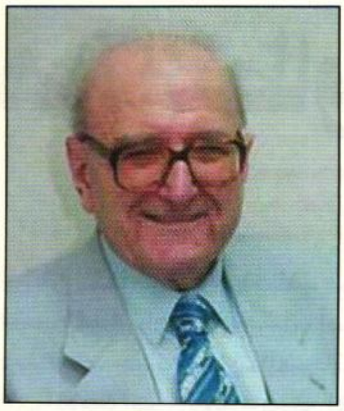
ومما هو جدير بالملاحظة والإكبار معًا، فيما يتصل بالمفكرين الغربيين الذين أسلموا، أن كثيرين منهم قد أكدوا ضرورة الحوار بين الشرق والغرب وأهميته، ولم ينساقوا وراء من يُروِّجون لحتمية الصدام بين الحضارات؛ لأنهم قد خلصوا من خلال تجربتهم ومعاناتهم، ومن خلال دراساتهم المستفيضة للتاريخ البشري، سلْمًا وحربًا، إلى أنه لا بديل عن الحوار والتعاون بين أبناء الحضارات المتعددة، وأنه لا يمكن أن يَحُول اختلافُ الألوان والألسنة والأعراق دون التعارف والتعاون، فتلك سنَّة من سنن الله الثابتة في خلقه ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

كما وجد هؤلاء المفكرون- بالإضافة إلى تجربتهم ومعاناتهم- في الإسلام وما يصوغه من تصورات ورؤى ذات صبغة إنسانية وعالمية المنقذَ والبديلَ عن المكائد والمؤامرات، التي تريد أن تخطف ركب الحضارة الإنسانية وتلقي به في أتون الصراع والمواجهة، تحت دعاوى ونظريات عنصرية، مثل «نهاية التاريخ» و«سيادة النموذج الغربي» و«حتمية الصدام»، وتحت أطماع لا حدود لها، ولا تبالي بأن تضحِّي بأكثر من نصف البشرية (الفقراء) في سبيل راحة السادة والأغنياء!

وقد قدموا في ذلك دراسات ورؤى جديرة بأن تكون محلَّ نظر وعناية، وأن يُستفاد منها ويُبنى عليها.

وفي هذا المجال تبرز جهود المفكر رجاء جارودي الذي أسس- من قبل أن يسلم- مع منظمة اليونسكو «المعهد الدولي لحوار الحضارات» في عام ١٩٧٦م. وقد ذكر أن من أهداف هذا المعهد «إبراز دور البلاد غير الغربية وبخاصة الإسلامية وإسهامها في الثقافة العالمية؛ حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب، أو «المونولوج» الذي يقوم على وَهْم وعقدة التفوق عند الإنسان الغَربي».





جارودي: كراهية الغرب للإسلام تمنعه من الاعتراف بالدور الثقافي للحضارة الإسلامية

ويرى جارودي أن ما يمنع الغرب من الاعتراف بالدور الثقافي الذي أسدته الحضارة الإسلامية إليه، وساهمت به في تطور حضارته على النحو المعاصر، هو ما تكنُّه أوروبا للإسلام من كراهية حتى اليوم؛ لأن الاستشراق- وهو نافذة الغرب المعرفية على الإسلام- لم يدرس الإسلام من أجل الوقوف على حقيقته، بل اهتم به من أجل الصراعات الأيديولوجية.. ولذا يؤكد جارودي أن الحوار بين الحضارات محكوم عليه أن يسلك طريقًا مسدودًا، إذا ظلَّت عقيدة أحد أطرافه غير مصقولة من صدأ قرون السيطرة والاضطهاد.

وإزاء محاولات تمييع الحقائق التي نراها في الحوارات التي تجري الآن بين بعض المسلمين والغربيين، والتي بسببها تراوح تلك الحوارات مكانها، ولا تُؤتي الثمرة المرجوّة منها، فإن جارودي يتخذ موقفًا أكثر صراحة وصدقًا مع الذات، ومع حقائق التاريخ التي لا تحابي أحدًا؛ فيؤكد أن الغرب مُطالب- أكثر من ذي قبل- أن يعيد النظر في موقفه المتصلب والمتغطرس من الإسلام والمسلمين، فيقول بكل وضوح: «يجب أن يدرك الغرب أنه مَدين للحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الإسلامية، وأن الحضارة الإسلامية أعطت الغرب أكثر وأخصب مما أعطاها المصدران الآخران: حضارة اليونان والرومان، وأن النظرة الغربية للإسلام تنطوي على مغالطات متوارثة، بعضها متعمَّد وبعضه مبطن، فالعرب لم يكونوا غزاة ظالمين، ولم ينقلوا «في عقيدتهم» من الأديان السابقة، ولم ينتشر دينهم بقوة السلاح؛ وقد آن الأوان لتبديد جميع هذه المغالطات، وإحلال الحقيقة محلَّها».

لقد ظلت العلاقة بين الشرق والغرب مشحونة بالكثير من العداوات والحروب، مما رسَّب تشوهات كثيرة مازالت متجذرة في الوعي الجمعي لدى كل منهما، وقد كان للغرب- بشهادة المنصفين من أبنائه المستشرقين- الإسهام الأكبر في تشويه تلك العلاقة، عبر حروبه الصليبية التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان، وعبر موجات الاحتلال والإغارة على البلاد الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وأيضًا عبر تجدد عدوانه في الواقع المعاصر كما نرى في العراق وفلسطين وغيرهما.. لكننا مع كل ذلك يجب ألا نظل أسرى للمتهورين ومصاصي الدماء والمتاجرين بحرية الشعوب، ويجب أن يتنادى العقلاء من كلا الطرفين بضرورة وقف نزيف الدماء، وبضرورة طيّ صفحة العداوات؛ لتبدأ مرة أخرى في تاريخ الإنسانية صفحةُ اللقاء والحوار والتعارف والتعايش.. وما ذلك على العقلاء بعسير!

ظاهرة التطاول على الإسلام

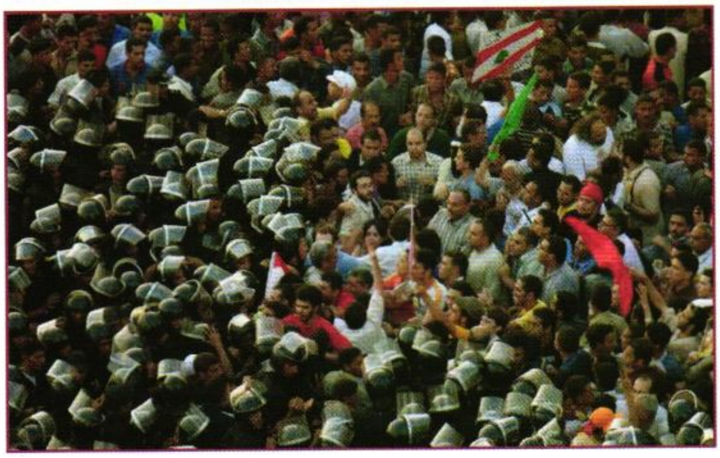
د. أمان قحيف

شهدت السنوات الأخيرة حالة من التنامي الملحوظ لظاهرة التطاول على ديننا الإسلامي الحنيف من قبل بعض الأفراد أو الدوائر أو المؤسسات الغربية، وغضب المسلمون في مختلف أصقاع الأرض لهذا السلوك الشائن، وعبروا عن سخطهم وغضبهم بأكثر من طريقة وبالكثير من الأساليب، حيث اهتزت الضمائر، وانفعلت الأنفس، وتألمت القلوب، وغضبت الحناجر، وتظاهرت الشعوب، وعقدت الندوات، وأقيمت المؤتمرات... ووجه بعض المخلصين من الدعاة خطابهم الدعوي إلى الدول الغربية مؤكدين إيمان الإسلام بالأخوة الإنسانية والتعددية الدينية آملين الوصول من وراء ذلك إلى إقناع الإنسان الغربي - ولو إلى درجة معينة- بخطأ من يهاجمون الإسلام وضيق أفقهم عن استيعاب مقاصد الأديان وأخلاقيات الشرائع، وتحرك بعض السياسيين في الكثير من المحافل الدولية لاستصدار القرارات التي تجرم التطاول على الأديان أو الاستهزاء بها، غير أن الجهود العربية والإسلامية قد فشلت في تحقيق ذلك حتى الآن.

ذلك هو رجع الصدى الذي صدر منا كتفاعل غاضب تجاه من أساءوا إلى ديننا وهاجموا ثقافتنا، واللافت أن التطاول على الإسلام لم يتوقف والهجوم عليه لم ينقطع، الأمر الذي يفرض علينا النظر إلى الموضوع بروية والبحث فيه بعقلانية مبرأة من الانفعال والتوتر بهدف الوقوف على أسباب الظاهرة ومعرفة بواعثها أملاً في الوصول إلى حلول ناجعة يكون من شأنها القضاء عليها أو - على أقل تقدير- التخفيف من حدتها بالمواجهة العلمية والمعالجة المنطقية الرصينة.

ويتبين لمن يرصد الحراك الفكري والمجتمعي في العالم المعاصر أن هناك العديد من العوامل والأسباب التي أدت إلى شيوع وانتشار ظاهرة التطاول والافتراء على الإسلام من قبل بعض الغربيين.

صحيح أن التاريخ القديم يمدنا بالكثير من المعلومات والأخبار التي تشير الى حدوث تطاولات مشابهة على الدين الحنيف من بعض خصومه على مدى تاريخه الطويل، غير أن اللافت للنظر أن الأمر شاع وانتشر في الآونة الأخيرة بصورة أصبحت تمثل ظاهرة لا يمكن تجاهلها أو تغاضيها بحال من الأحوال، وفي ذلك مدعاة لأن يتم تناول المسألة - كما ذكرنا- بشكل علمي تحليلي دقيق يتخلى عن العاطفة ويجتنب التناول الخطابي ما استطعنا إلى ذلك من سبيل، ويرى كاتب السطور أننا سنستطيع معالجة الظاهرة معالجة حسنة إذا أدركنا الأسباب الحقيقية التي أدت إليها وتسببت في ظهورها، تماما مثلما يتيسر للطبيب الحاذق وصف العلاج إذا تعرف إلى حقيقة المرض وأسبابه، والحق أنه يمكننا تناول العوامل والأساليب التي أدت إلى تكرار التطاول على هذا الدين الحنيف على النحو التالي:



أسباب داخلية

أولاً: جمود النظرة إلى النص الديني، حيث إن هناك من التيارات الفكرية في العالم الإسلامي من يرفض التجديد في النظرة إلى النص الديني المتمثل في الكتاب والسنة، ويذهب إلى التعامل مع الآراء الموروثة عن علماء الأمة من القدماء كما لو كانت تمثل المصدر الرئيسي للتشريع في الإسلام، فلا مجال عندهم لمراجعة آراء السابقين أو مناقشتها أو حتى النظر فيها بعقلانية، إذ لابد في تصور هؤلاء من متابعة القدماء والانقياد لهم، فالخير كل الخير في ذلك، بينما الشر كل الشر في الخروج عليهم أو مراجعة أفكارهم.

من هذا المنطلق تجد أصحاب هذا التوجه في خصومة - وربما قطيعة- شبه دائمة مع أهل الاجتهاد في العصر الحديث بحجة أن من يحاول الاجتهاد سيختلف حتماً في الرأي والرؤية مع ما هو معلوم من آراء القدماء بالضرورة، وهذا أمر في عرفهم لا يجوز! إن من شأن حالة الجمود الفكري هذه الإساءة إلى الروح السمحة لديننا الإسلامي الحنيف، فهي تتعامل مع نصوص مرجعيتنا بعقلية القرون السابقة، الأمر الذي يجعل أفكارهم وفتاواهم تأتي مفارقة للواقع ومتخلفة عن الوعي المستنير بروح الإسلام السمحة وأطروحاته الراقية، كحال هذا الذي يفتي بحرمة الدُمى التي تصنع كلعب للأطفال، أو ذاك الذي يذهب إلى تحريم أفلام الكارتون التي يتسلى بها تلاميذ المدارس في أوقات الراحة والإجازات، أو كمثل الذي يصر على تقسيم العالم إلى دار حرب ودار إسلام بغض الطرف عن القول بتقسيم العالم إلى دار إجابة ودار دعوة!.. ولنا أن نتساءل: كيف يكون رد فعل الآخر

غير المسلم عندما يستمع إلى مثل هذه الفتاوى والأقوال؟

ثانياً: الميل إلى التفسير الخرافي عند دراسة الوقائع والأحداث، فمازالت أعين الغرب الراصدة لسلوكنا وطرائق تفكيرنا تلحظ أن تناول بعضنا للظواهر والأحداث ينطلق من رؤية خرافية، حيث يسعى جماعة منا إلى تفسير بعض ما يحدث في العالم الطبيعي وفق تأويلات ساذجة لا تخلو من غرابة لارتباطها بتصورات قديمة لا تقوم إلا على أوهام ولا تنطلق إلا من أفكار متخلفة تجاوزها العالم من قديم الزمان، وليس أدل على ذلك من ذهاب بعض المسلمين إلى الدجالين بدلا من الأطباء عند انتشار الأوبئة أو تفشي الأمراض، أو لجوء البعض إلى المشعوذين عند مواجهة أزمة من الأزمات أو ضائقة من ملمات الحياة كفقد ثروة أو فشل في تحقيق النجاح في أي أمر من الأمور، ومن أسف أن هناك من يفعل ذلك وفي ذهنه أن الإسلام أباح مثل هذه التصرفات الخرقاء، الأمر الذي يتيح لخصوم هذا الدين التحدث عنه باعتباره ديناً لاعقلانياً ويتعارض مع العلم والفكر الحديث في الوقت الذي لم يكرم الإسلام شيئاً في الدنيا قدر تكريمه للعلم والعلماء قال تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١).

ثالثاً: الاندفاع والتوتر عند معالجة بعض الأمور، ثمة صفة يلصقها العقل الغربي بالعقلية العربية والإسلامية التي تتأثر في نظرهم بالأوهام أكثر من أي شيء آخر ، وهي أن الإنسان العربي يعالج مشكلاته باندفاع ولا يميل إلى التروي أو التفاهم أو الحوار، فهو بالتالي لا يفهم إلا لغة القوة، ويستغل هؤلاء بعض الحماقات التي ارتكبها بعض العرب في العصر الحديث للبرهنة على صدق رؤيتهم وصحة تصورهم فيما يتعلق بتغييب العقل العربي للحوار والتفاهم في حل القضايا ومعالجة العالق من المشكلات.. ويلصق المغرضون منهم هذه المسائل بالإسلام وبالقرآن - عن جهل أو عمد - وبالتالي يحدث التهجم أو التطاول عليه.

رابعاً: الانشغال بسفاسف الأمور مع الإعراض عن القضايا الجوهرية والحيوية، وأبرز مثال على ذلك انشغال بعض الدعاة بالحديث عن المظهر دون الجوهر، فبعضهم تستحوذ قضية الزي للرجل والمرأة على ذهنه وتفكيره في الوقت الذي ينشغل فيه العالم أجمع بدراسة مسألة الديمقراطية والتنمية والمواطنة وحقوق الإنسان، الأمر الذي يعطي للآخرين انطباعاً بأن الأمة غافلة عن مناقشة أهم قضاياها ومترددة في تناول كبريات مسائل العصر، ما يشي بأن عقلها يعيش خارج التاريخ ومنغمس في أمور منفصلة عن الواقع المعيش الذي يحياه الناس وتلك مصيبة كبرى، فأخطر ما يمكن أن تصاب به أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات هو تجاهل العقول المفكرة فيها.

أسباب خارجية

أولاً: سوء فهم الآخرين للإسلام، إن كثيرا من غير المسلمين لديهم فكرة ملتبسة وغامضة، بل خاطئة، عن ديننا بأحكامه وتشريعاته الراقية،

من أسباب الإفتراء على الإسلام ما يتعلق بمنهج المسلمين في التعاطي مع الموروث الديني

ويرجع سوء الفهم هذا إلى:

أ- الكم الكبير من المعلومات المغلوطة التي يلصقها الإعلام الغربي بالإسلام.

ب- مازالت المقررات الدراسية التي يدرسها التلاميذ في الغرب مليئة بالمعلومات الخاطئة عن الإسلام والمسلمين.

ثانيا: التعارض بين اللاهوت اليهودي أو المسيحي الغربي مع العقيدة الإسلامية «فعلى الرغم من أن أوروبا منذ العصور الوسطى قد رحبت بإنجاز المسلمين في العلوم والتقدم الحضاري لكنها بتأثير من التيار اللاهوتي المتطرف قد أغلقت العقول والأعين عن الاستفادة من تعاليم الإسلام والتعرف عليها على نحو موضوعي، وليس هذا فقط وإنما وقفت من الإسلام موقفا معاديا، وقد نشط اللاهوتيون الأوروبيون في ذلك الوقت المبكر ضد الإسلام، وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه ﷺ .

فانحياز المتشددين إلى تراثهم وثقافتهم وموروثهم جعلهم يتطاولون على الإسلام لعلمهم بأنه الدين الوحيد من بين المطروح على الساحة العالمية من أفكار وفلسفات ومعتقدات- الذي لديه رؤية متكاملة عن الكون والحياة بمختلف صعدها ومناشطها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

ثالثا: غياب التخطيط الاستراتيجي لنصرة الإسلام، غني عن البيان الإشارة إلى أن المؤسسات الدينية والمراكز الدعوية الإسلامية تؤدي دوراً كبيراً ومهماً في شرح الإسلام من أجل تقديمه في ثوب جميل وصورة طيبة إلى غير المسلمين في العالم أجمع ما استطاعت إلى ذلك من سبيل بحسب ما يتوفر لديها من امكانات وما تمتلكه من قدرات، وهذا أمر طيب وجدير بالثناء ما في ذلك من شك، لكن الملاحظ أن كل مركز من هذه المراكز يعتمد بالدرجة الأولى على امكاناته الخاصة وجهده الذاتي، الأمر الذي أدى في كثير من الأحيان إلى تقاعس بعض القائمين على هذه المراكز عن تأدية الدور المنوط بهم.

رابعاً: قد تثير الاحصاءات التي تؤكد سرعة انتشار الإسلام في الغرب حفيظة بعض المتشددين هناك، الأمر الذي يجعلهم يدعمون ويغذون الحملات الدعائية التي تهاجم الإسلام ظنا منهم أن ذلك سيساهم في الحد من انتشاره في أوروبا أو إيقاف تقدمه.

الخلاصة

إن تلافي الأسباب الداخلية والخارجية التي أدت إلى التطاول على الإسلام من شأنه أن يؤدي إلى وقف هذه الظاهرة السيئة أو على الأقل التخفيف منها إلى حد كبير، ولابد أن نعي جميعاً حقيقة أن الإسلام سيظل معرضا طوال الوقت للتطاول عليه من قبل بعض خصومه نظراً لعلمهم الراسخ بأن هذا الدين سيبقى يؤدي دوراً متنامياً في تطور الأحداث وصياغتها ما بقيت الحياة على ظهر هذه الأرض، الأمر الذي يلقي على كاهل المسلمين جميعاً بمسؤوليات جسام تجاه المحافظة على هذا الدين وتقديمه للعالم في صورة ناصعة وثوب قشيب.

محاولات غير أصيلة في تجديد أصول الفقه

في عدد محرم ١٤٣١هـ من مجلة «الوعي الإسلامي» نشرنا دراسة عن المحاولات التجديدية الأصيلة المعاصرة في أصول الفقه، وفي هذا العدد نتابع الحديث عن الموضوع؛ حيث نتناول بالتحليل والنقد بعض المحاولات المعاصرة غير الأصيلة التي زعمت أنها محاولات تجديدية في علم الأصول. ونقصد بغير الأصيلة هنا باختصار- من باب تحرير المصطلحات وتحديد المفاهيم - تلك المحاولات التي لا ترتكز على أساسيات هذا العلم كما استقرت أصوله وقواعده على مر القرون، ولا تسير في مظلته، ولا تتحدث تحت سلطانه.



وصفي عاشور أبو زيد *

وما أكثر هذه المحاولات، لاسيما من الذين ليست لهم دراية أو رواية بمسائل الأصول، إضافة إلى الذين لهم علم به، لكن محاولتهم مع ذلك لم تأت ضمن المحاولات الأصيلة. ونحن نقدم هذه المحاولات في اتجاهين:

الاتجاه الأول، اتجاه يريد أن يهدم الأصول، وينهي هذا العلم، وهو أقرب إلى التبديد منه إلى التجديد، ويمكن أن نسميه «اتجاه الرفض والتغيير»، فهو لا يرتكز في عملية التجديد على أساسيات العلم ذاته.

وهذا الاتجاه موجود عند د.حسن حنفي، ويكاد يوجد عند سعيد عشماوي، وحسين أحمد أمين، وغيرهم، وسنقتصر منهم على د.حسن حنفي.

د. حنفي ابتداءً واسع الثقافة كثير الاطلاع، له مشروعه الفكري، لاسيما في أصول الدين، لكن موقفه من التراث عموما موقف الثائر المنفلت، أكثر منه موقف المجدد المصلح الذي يسير بالعلم قدُما في ضوء كلياته، فعنده مثلا: في علم الكلام يتم التحول «من العقيدة إلى الثورة»، وفي علوم الحكمة «من النقل إلى الإبداع»، وفي علوم التصوف «من الفناء إلى البقاء»، وفي العلوم النقلية «من النقل إلى العقل»، وفي علوم القرآن «من الوحي إلى التاريخ»، وفي علوم الحديث «من نقد السند إلى نقد المتن»، وفي علوم التفسير «من التفسير الطولي إلى التفسير الموضوعي»، وفي علوم السيرة «من الشخص إلى المبدأ»، وفي علوم الفقه «من فقه العبادات إلى فقه المعاملات».

أما في علم أصول الفقه، فيريد أن ينتقل «من النص إلى الواقع»، لأن غاية علم الأصول عنده ووظيفته أنه عبارة عن التوجه نحو الواقع من أجل السيطرة عليه، عن طريق تنظيم الأفعال الإنسانية فيه، ووضع قواعد للسلوك البشري، بحيث نتحرر من النصوص ونصل إلى تحقيق المصلحة كيف كانت.

وقد تناول د.حنفي موضوع تجديد أصول الفقه في كتاب له بالفرنسية حصل به على الدكتوراه من السربون، ولم يترجم إلى الآن، وطبعته بالفرنسية أيضا وزارة الثقافة المصرية وعنوانه (les methoderd، exeglse)، طبع بالقاهرة في ١٩٦٥م، وقدمته في ٢٥٠ صفحة، والكتاب مع مراجعه وفهارسه ٥٦٤ صفحة غير المقدمة (١).

إلا أن له كتابا آخر بعنوان «بحوث في علوم: أصول الدين . أصول الفقه . العقل والنقل»، وهو إصدار رقم ٧ ضمن سلسلة موسوعة الحضارة الإسلامية، وهو عبارة عن ثلاثة مقالات جمعها في كتاب واحد، وقد طبعت بعد ذلك مضمنة في كتابه: «دراسات إسلامية»، نشرته مكتبة الأنجلو المصرية، ولا تغني قراءة المقال الخاص بأصول الفقه في هذا الكتاب بالطبع عن مطالعة المسألة وقراءتها في دراسته للدكتوراه، لأن صلب كلامه عنها في هذه الدراسة، لكن كلامه في هذا المقال لا يخلو من إشارات توضح مراده ورؤيته في التجديد(٢).

بدأ كلامه في هذا المقال بتعريف العلم، وموضوعه وفائدته واستمداده، وأول من صنف فيه، ثم كتب عرضا تاريخيا لمؤلفاته حتى انتهى عند ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) في كتابه: «القياس في الشرع الإسلامي»، وهو سرد يدل على إلمامه الجيد بتاريخ العلم، ثم قال: «ثم انتهى التأليف في علم أصول الفقه، وتحول إلى كتب جامعية أو أزهرية تكرر القدماء دون أية إضافة جديدة، حتى ظهور «مناهج التفسير: محاولة في علم أصول الفقه» باللغة الفرنسية، لمؤلف هذا المقال عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) معيدا بناء العلم كنظرية في الشعور: الشعور التاريخي، الشعور التأملي، الشعور العملي» (٣).

ويعني بالشعور التاريخي الأدلة الأربعة، والتأكد من صحة النصوص، يقول(٤): «ولما كان علم أصول الفقه منهجا يصف أفعال المكلفين ومقاصدهم، كما يصف الوحي ذاته باعتباره مقصدا، فرض التقسيم الكلامي نفسه ابتداء من الشعور، فأصبح لدينا أولا «الشعور التاريخي» ووظيفته ضمان صحة نصوص الوحي في التاريخ...».

ويبين المراد من الشعور التأملي ووظيفته، فيقول: «وظيفة الشعور التأملي فهم النصوص وتفسيرها، بعد أن تأكد الشعور التاريخي من صحتها وشرعيتها، وهو أهم جزء في علم الأصول؛ لأنه هو الجزء المنهجي الذي بواسطته يتم استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الأربعة، لأن الأدلة الأربعة لا مدخل للإنسان فيها» (٥).

ويوضح المنطقة التي يعمل فيها هذا الشعور فيقول بأن الشعور التأملي اتجه: «نحو المنظوم والمفهوم والمعقول، أي بتحليل الألفاظ والمعاني والعلل» (٦).

وتحت الشعور التاريخي يتحدث عن الأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ويقول عند قضية النسخ: «والحقيقة أن النسخ في القرآن يدل على وجود الوحي في الزمان وتغيره طبقا للأهلية والقدرة وتبعيته لمدى

* باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

الرضى الفردي والجماعي في التاريخ. الوحي ليس خارج الزمان، ثابتا لا يتغير، بل داخل الزمان يتطور بتطوره. ليس هدف الوحي هو مجرد الإعلان عنه كشعار بلا مضمون، أو تحقيق دون وعي بالزمان فيفشل، بل تطبيقه في الزمان ونجاحه في التاريخ طبقا لقدرات الفرد والجماعة» (٧).

ويرى أن الأصل الأول والثاني، أي الكتاب والسنة، وحي مكتوب من عند الله، والأصل الثالث والرابع أي الإجماع والقياس وحي غير مكتوب، ثم يقول: «الوحي إذن على درجات، وحي مباشر من الله، وهو الكتاب، ووحي تفصيلي من الرسول بتوجيه من الله، ووحي جماعي من الأمة، فالأمة خليفة الله، ووحي فردي من العقل مستندا إلى وحي الكتاب والسنة والجماعة. الأصلان الأول والثاني يدلان على الوحي المكتوب، والأصلان الثالث والرابع يدلان على الوحي الحي» (٨).

وعن الشعور التأملي الذي يعمل في مباحث الألفاظ والمعاني والعلل يقول عن المجمل والمبين: «والحقيقة أن المجمل والمبين يفسحان المجال للجهد البشري من أجل اختيار أحد المعنيين طبقا للظروف وتحقيقا للمصلحة، ويكشفان عن أهمية الواقع وضرورة الاختيار بين المعنيين طبقا لمصالح الأمة» (٩).

وواضح من الكلام أنه يريد أن يتزيا بزي الأصالة من خلال الحديث عن الأدلة الأربعة ومباحث الألفاظ والمعاني، والحديث عن أحكام الوضع والمقاصد الأربعة وغير ذلك.

لكنه يريد أن يتجه نحو الواقع بقوة، وهذا مطلوب، لكن يجب أن يكون في مظلة أساسيات العلم وتحت سلطانه، أما أن يكون التجديد في الأصول بعيدا عن العلم بحيث نحقق المصلحة أيا كانت، ونكيف النصوص لتحقيقها كما يقول، فهذا ما يرفضه الشرع والعقل.

ونلاحظ خلطا في الكلام عندما جعل للعقل وحيا وللأمة وحيا وللكتاب والسنة وحيا، وهذا كلام لا يليق بمكانة الوحي، حيث ينبغي أن تكون الألفاظ عند الحديث في مسائل العقيدة محررة وواضحة.

كما نرى جرأة وغمطا لمن أتى بعد ابن القيم من المجددين في الأصول، وعلى رأسهم الشوكاني، والنهضة الأصولية الحديثة، فالعلم عنده ظل يكرر ويقلد منتظرا محاولته «مناهج التفسير».!

ثم ما حاجتنا إلى جعلها نظرية في الشعور، وما علاقة قواعد الأصول. وهي عقلية بحتة، بالشعور والرمزية، وما الآثار العملية المترتبة على ذلك إلا إسقاط النظرية من أساسها؟ وقبل ذلك كله ما عيوب النظرية الأصولية الموروثة التي أدت في نظره إلى عجز العلم عن اتجاهه للواقع في ضوء قواعده وأسسه؟

ليست محاولات د.حنفي شرا كلها، بل إنها لا تخلو من خير، مثل دعوته في علوم التفسير «من التفسير الطولي إلى التفسير الموضوعي»، وفي علوم السيرة «من الشخص إلى المبدأ»، وفي علوم الفقه «من فقه العبادات إلى فقه المعاملات»، على الرغم من احتياج هذا الكلام إلى توضيح ونقاش ليس هذا موضعه.

لكن محاولته في الأصول ملبسة بالباطل والخلط الشديد الذي يصبح معه مفهوم التجديد غامضا غير واضح، ولقد قال الشيخ علي جمعة عن هذه المحاولة أو هذا الاتجاه عموما: «هو أشبه ما يكون باتجاه الباطنية في التاريخ الإسلامي، حيث يخرج النص عن كل معنى للمردود اللغوي وما عليه تعارف الناس. باعتبار اللغة وسيلة لنقل الأفكار. إلى شيء يشبه الرمز، بحيث نتحرر من النصوص، ونصل إلى تحقيق المصلحة كيف كانت... ومن التطبيقات العملية لمثل ذلك الرفض والالتزام به ما نراه عند الجمهوريين أتباع محمود طه السوداني، حيث قسموا تقسيمات جديدة لا يعرفها أصول الفقه في التفريق بين السنة والشريعة، وبنوا على ذلك ما تركوا به الصلوات وارتكبوا المنكرات» (١٠).

ما تأثير التكنولوجيا أو ارتياد القمر على استخراج الحكم من آية أو حديث أو قياس على نص أو إجماع؟

الاتجاه الثاني، اتجاه يثور على الأصول الموروثة، ويحوّر مفاهيم الأصول، ويطوعها لكي تتوافق مع الواقع، وتلبي حاجات معاصرة.

وأبرز مثال له محاولة د. حسن الترابي التي تحدث عنها في كتابيه: «تجديد أصول الفقه الإسلامي»، و«تجديد الفكر الديني»، وسوف نطيل في النقل عنه أحيانا؛ حتى تتضح رؤيته في التجديد، وتتركز دعوته حول المحاور الآتية:

المحور الأول: أن أصول الفقه الموجودة لم تعد وافية بالحاجات المعاصرة حق الوفاء، وبالتالي فنحن في حاجة إلى منهج أصولي جديد.

يقول د. الترابي: «لابد أن نقف وقفة مع علم الأصول تصله بواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تؤخذ تجريدا، حتى غدت مقولات نظرية عقيمة لا تكاد تلد فقها البتة بل تولّد جدلا لا يتناهى، والشأن في الفقه أن ينشأ في مجابهة التحديات العملية. ولابد لأصول الفقه كذلك أن تنشأ مع هذا الفقه الحي» (١١).

ويتحدث عن التطور المادي الهائل الذي طرح قضايا جديدة تتطلب إجابات لها، يقول: «أدركت الحركة الإسلامية أنها غير مؤهلة تمام التأهيل لأن تجيب عن هذه الأسئلة إجابات شافية، وقد بان لها أن الفقه الذي بين يديها مهما تفنن حَمَلَتُه بالاستنتاجات والاستخراجات ومهما دققوا في الأنابيش والمراجعات لن يكون كافيا لحاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها» (١٢).

ويقول أيضا: «ثم إن العلم البشري قد اتسع اتساعا كبيرا وكان الفقه القديم مؤسسا على علم محدود بطبائع الأشياء وحقائق الكون وقوانين الاجتماع مما كان متاحا للمسلمين في زمن نشأة الفقه وازدهاره، أما العلم النقلي الذي كان متاحا في تلك الفترة، فقد كان محدودًا أيضا مع عسر في وسائل الاطلاع والبحث والنشر بينما تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة، وأصبح لزاما علينا أن نقف في فقه الإسلام وقفة جديدة لنسخر العلم كله لعبادة الله ولعقد تركيب جديد يوحد ما بين علوم النقل التي نتلقاها كتابة ورواية- قرآنا محفوظا أو سنة يديمها الوحي. وبين علوم العقل التي تتجدد كل يوم وتتكامل بالتجربة والنظر...» (١٣).

وتحت عنوان «حاجتنا لمنهج أصولي» يقول: «جنوح الحياة الدينية عامة نحو الانحطاط وفتور الدوافع التي تولد الفقه والعمل في واقع المسلمين أديا إلى أن يؤول علم أصول الفقه، الذي شأنه أن يكون هاديا للتفكير. إلى معلومات لا تهدي إلى فقه ولا تولد فكرا، وإنما أصبح نظرا مجردا يتطور كما تطور الفقه كله مبالغة في

د. حنفي ود. الترابي يسيران في اتجاهين أحدهما يريد هدم الأصول والثاني يثور عليها

التشعيب والتعقيد بغير طائل»

وفي الصفحة نفسها يكمل د. الترابي حديثه قائلا: «وفي يومنا هذا أصبحت الحاجة إلى المنهج الأصولي الذي ينبغي أن تؤسس عليه النهضة الإسلامية حاجة ملحة، لكن تتعقد علينا المسألة بكون علم الأصول التقليدي الذي نلتمس فيه الهداية لم يعد مناسبا للوفاء بحاجتنا المعاصرة حق الوفاء».

المحور الثاني: يرى د. الترابي أن الأصول الفقهية التقليدية الموجودة بين أيدينا لم تهتم إلا بالتدين الفردي الذي يتصل بالعبادات والزواج والطلاق، ولذلك نجد هذه الأمور في مطولات الفقه مفصلة تفصيلا دقيقا بدرجة تجعل الاجتهاد فيها محدودا جدا إن لم يكن مستحيلا، على الرغم من حاجة هذا النوع من الفقه إلى صياغة جديدة تناسب العصر.

يقول: «ولئن كان فقهنا التقليدي قد عكف على هذه المسائل عكوفا شديدا، فإنما ذلك لأن الفقهاء ما كانوا يعالجون كثيرا قضايا الحياة العامة وإنما كانوا يجلسون مجالس العلم المعهودة، ولذلك كانت الحياة العامة تدور بعيدا عنهم ولا يأتيهم إلا المستفتون من أصحاب الشأن الخاص في الحياة، يأتونهم أفذاذا بقضايا فردية في أغلب الأمر» (١٤).

بينما لم ينشغل فقهنا بالحياة العامة وجوانبها المختلفة، كما يقول د. الترابي مثل أمور السياسة وكيف تدور الشورى في المجتمع، وكيف يتبلور الإجماع، وجوانب الحياة الاجتماعية وقضايا الاقتصاد العام وأمور العلاقات الخارجية، مع أن النصوص الشرعية في مجال الحياة العامة أقل عددا وأوسع مرونة وهي نصوص مقاصد أقرب منها إلى نصوص الأشكال.

ومن هنا وجدنا أمور الحياة العامة تسير بعيدا عن المظلة الإسلامية، لأن الفقه كان منحسرا عن هذا الواقع، فانحرفت الأمور العامة عن مقتضى الشريعة الإسلامية، ولذلك فنحن نحتاج في نشاطنا الفقهي لأن نركز تركيزا واسعا على تلك الجوانب، وعلى تطوير القواعد الأصولية التي تناسبها.

يقول: «إن فقهنا الأصولي القديم بعد نهضة حميدة. يقصد عصر الصحابة والتابعين والفقهاء الأئمة. آل إلى الجمود العقيم بأثر انحطاط واقع الحياة الدينية نفسها فلم يتطور ولم يولد فقها زاهرا...» (١٥).

المحور الثالث: ونهوضا من التردي الذي تعانيه جوانب الحياة العامة من جراء عجز الأصول الفقهية الموروثة، في نظر د. الترابي عن مسايرة التطور المادي الهائل، ينبغي اللجوء إلى نوع آخر من القياس وكيفية أخرى للإجماع.

ومن ثم يقرر الحل لذلك قائلا: «وفي هذا المجال العام يلزم الرجوع إلى النصوص بقواعد التفسير الأصولية، ولكن ذلك لا يشفي إلا قليلا لقلة النصوص. ويلزمنا أن نطور طرائق الفقه الاجتهادي التي يتسع فيها النظر بناء على النص المحدود» (١٦).

ثم يقول: «وإذا لجأنا هنا للقياس لتعدية النصوص وتوسيع مداها فما ينبغي أن يكون ذلك هو القياس بمعاييره التقليدية، فالقياس التقليدي أغلبه لا يستوعب حاجتنا بما غشيه من التضييق انفعالا بمعايير المنطق الصوري التي وردت على المسلمين مع الغزو الثقافي الأول الذي تأثر به المسلمون تأثرا لا يضارعه إلا تأثرنا اليوم بأنماط الفكر الحديث» (١٧).

فهذا القياس في أدبنا الأصولي، كما يرى د. الترابي، نمط متحفظ من القياس «يقتصر على قياس حادثة محدودة على سابقة محدودة معينة ثبت فيها حكم بنص شرعي فيضيفون الحكم إلى الحادثة المستجدة. ومثل هذا القياس المحدود ربما يصلح استكمالا للأصول التفسيرية في تبين أحكام النكاح والآداب والشعائر، لكن المجالات الواسعة من الدين لا يكاد يجدي فيها إلا القياس الفطري الحر من تلك الشرائط المعقدة التي وضعها له مناطقة الإغريق واقتبسها الفقهاء الذين عاشوا مرحلة ولع الفقه بالتعقيد الفني» (١٨).

وفي موضع آخر يقول: «بدأ القياس في عهد الصحابة والتابعين قياسا حرًّا، كلما رأوا شبيها بين حادث وقع في عهد الرسول ﷺ وحكم فيه، وحادث وقع من بعده، كانوا يعدون ذلك الحكم إلى هذه الحادثة، ولكن خشية من أن يضل الهوى بهذا القياس غير المنتظم، عطل الناس ذلك القياس الفطري واستعملوا المنطق الصوري التحليلي الدقيق حتى جمدوا القياس في معادلات دقيقة لا تكاد تولد فقها جديدا» (١٩).

ويوضح د. الترابي طبيعة البديل القياسي الذي سيحل محل القياس المتحفظ الضيق في نظره، فيقول تحت عنوان «القياس الواسع»: «ولربما يجدينا أيضا أن نتسع في القياس على الجزئيات لنعتبر الطائفة من النصوص ونستنبط من جملتها مقصدا معينا من مقاصد الدين أو مصلحة معينة من مصالحه ثم نتوخى ذلك المقصد حينما كان في الظروف والحادثات الجديدة» (٢٠).

ثم يقول: «وبذلك التصور لمصالح الدين نهتدي إلى تنظيم حياتنا بما يوافق الدين. بل يتاح لنا. ملتزمين بتلك المقاصد. أن نوسع صور التدين أضعافا مضاعفة» (٢١).

أما عن كيفية الإجماع التي يراها د. الترابي فقد تحدث عنها في كتابه تجديد الفكر الديني تحت عنوان «الكلمة للمسلمين والإجماع إجماعهم».

وخلاصة رأيه في ذلك: أن الإجماع أصلا لعموم المسلمين، ولظروف تاريخية معينة ورد عليه بعض الانحراف، وهذه الظروف هي أن أقواما شتى دخلت في الدين ما كانوا يفقهون منه شيئا، وأحاطت بهم ظروف معينة كانت تحول بين استشارة المسلمين لهم، فكيف يستشار المسلمون وهم مئات الألوف وكانوا ينتشرون في أرجاء الأرض ليس بينهم تواصل إلا عن طريق الجمال، ومع ذلك عندما كانت تتيسر للرسول ﷺ الشورى للمسلمين كان يستشيرهم.

لذلك اضطر العلماء أن يجعلوا الشورى بين العلماء وأن يجعلوا الإجماع إجماع العلماء، وليس لهم مستند في ذلك إلا الضرورة العملية التي كانت قائمة يومئذ، فالإجماع في الحقيقة هو إجماع المسلمين.

مناقشة هادئة

لا يختلف أحد مع د. الترابي في أن المجتمع يتطور بصورة مذهلة حتى إن المتابع لا يستطيع

ملاحقة ما يقذف به كلُّ صباح من مشكلات ومسائل تضع نفسها بين يدي الفقيه تتطلب حلا وتكييفا شرعيا لها، كما لا ينكر أحد أن الإسلام لابد أن يفي بهذه المتطلبات حق الوفاء، ولا يكون بمعزل عن الواقع حتى لا تنفلت الحياة بعيدا عنه، وتسير على غير هدى.

لكن الملاحظ أن د.الترابي في المحور الأول حمل حملة لا مسوغ لها على علم الأصول، واتهمه باتهامات لا مظاهر حقيقية لها، فلا يفتأ أن يصفه بالعجز والتقليدية، وأنه لم يعد مناسبا للوفاء بحاجتنا المعاصرة حق الوفاء، وأنه مهما تفنن علماؤه بالاستنتاجات والاستخراجات ومهما دققوا في الأنابيش والمراجعات لن يكون كافيا لحاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها...إلخ.

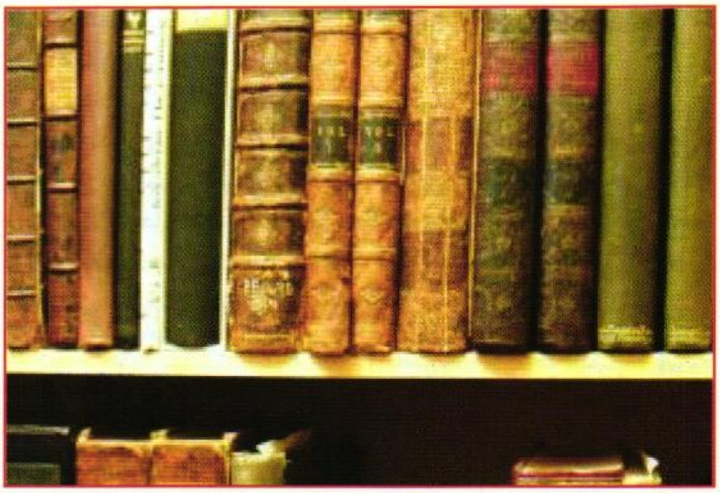
وهو كلام يتصف بالعموم من غير تمثيل، فلم يذكر لنا د.الترابي ما العيوب الموجودة في العلم حتى أضحى بهذا العقم؟ وما أسباب ذلك، وما أمثلته؟ولم يذكر المساحة التي ينبغي تغييرها من مسائل العلم، ولا بيّن المساحة التي ينبغي تركها وأثر هذا كله في الفقه والواقع.

لو كان يقصد أن بعض المسائل في كتب الأصول لا ينبني عليها فروع فقهية لكان صحيحا، لكنه عمم في حكمه ولم يوضح المراد، وقد قال الإمام الشاطبي: «كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عونا في ذلك، فوضعها في أصول الفقه عارية» (٢٢).

ثم ما علاقة التطور المادي السريع بقواعد نظرية بحتة وظيفتها: الوصول من خلالها إلى الحكم على الأشياء والتصرفات حكمًا شرعيًا، وما العلاقة المتبادلة بين قواعد أصول الفقه وبين الكشف والاختراع؟ هل يؤثر ذلك على صيغ الأمر والنهي، وما إذا كان النهي فيها وجوبيا أو تخييريا، وما إذا كان النهي فيها للتحريم أو غيره، وما تأثير التكنولوجيا الحديثة والكشف الفضائي وارتياد القمر على استخراج الحكم من آية أو حديث أو قياس على نص أو إجماع؟

إن أصول الفقه علم له استمداده من علوم ثلاثة: علم اللغة العربية بفروعه المختلفة، وعلم الكلام، وعلم الأحكام الشرعية؛ فمسائل اللغة نقلية، بمعنى أنها أنشئت واحترقت عند إنشائها، فلا دخل لنا في تعديلها أو إضافة جديد لدلالاتها، أو في وضع جديد لألفاظها بإزاء معانيها، وعلم الكلام لا علاقة لمباحثه بتطور الأحداث ولا أثر لتطور الأحداث فيه، وأما الأحكام الشرعية فإنها معروفة بالمرونة في إطار المقاصد الكلية، فإن التطور لن يضيف للأحكام حكما جديدا فوق الأحكام الخمسة أو السبعة، ولن يزيد في المقاصد الشرعية مقصدا رابعا على الضروريات والحاجيات والتحسينيات.

أما المحور الثاني الذي ذكر فيه انشغال الفقه بالتدين الفردي، فكتب الفقه فعلا فصلت أمور العبادات والتدين الفردي تفصيلا دقيقا؛ وذلك لأن أغلبها أمور توقيفية، لا يستطيع أحد أن يزيد فيها أو ينقص منها.



أما انشغال الفقه عن أمر الحياة العامة، فهذا، وإن كان يريد اهتماما أكثر وعناية أكبر من علماء المسلمين، إلا أن تاريخ التأليف الفقهي وتاريخ علماء الإسلام حافل بمؤلفات في هذا المجال، ولم يخل عصر من العصور من التأليف في أمور السياسة الشرعية وقضايا الاقتصاد العام ومسائل العلاقات الخارجية، ابتداء بأبي يوسف في «الخراج» ومحمد بن الحسن في «السير»، والسرخسي في «شرح السير الكبير»، وأبوعبيد في «الأموال»، ويحيى بن آدم في «الخراج»، وابن عقيل في «الفنون»، وأبي المعالي إمام الحرمين في «غياث الأمم»، والماوردي وأبي يعلى في «الأحكام السلطانية»، وابن تيمية في «السياسة الشرعية» و«الحسبة»، وابن القيم في «الطرق الحكمية» و«الإعلام»، وانتهاء بالنهضة الحديثة والمعاصرة حيث عبدالوهاب خلاف ومحمد أبوزهرة وعلي الخفيف وعبدالرحمن تاج ومحمد الصادق عرجون وضياء الدين الريس وحسن البنا وعبدالقادر عودة وسيد قطب ومصطفى السباعي ومحمد المبارك والمودودي، وغيرهم.

فلم يتوقف سيل التأليف في هذه المجالات المهمة، ولا أهمل العلماء يوما مثل هذه القضايا الحساسة، ولا وقف الإسلام عاجزا على مدى التاريخ أمام مسألة جديدة ولا حادثة طارئة، إنما كان عنده لكل مشكلة علاج، ولكل حادثة حديث.

أما المحور الثالث فقد انقسم إلى قسمين: القياس والإجماع.

فأما القياس الموروث فقد خلع عليه أيضا صفات لا مسوغ لها مثل: تقليدي، ومحدود، متأثر بالمنطق الصوري، والقياس غير المنتظم...إلخ.

ومع ذلك لم يذكر د.الترابي مثالا واحدا في التاريخ كان للقياس فيه دور، ووقف أمامه عاجزا، فهو أيضا كلام عام غير واضح يحتاج إلى تحقيق.

على أن القياس الذي ينازع فيه د.حسن الترابي هو قياس العلة، ويقول، كما نقلنا عنه من قبل: «بدأ القياس في عهد الصحابة والتابعين قياسا حرًا، كلما رأوا شبيها بين حادث وقع في عهد الرسول ﷺ وحكم فيه، وحادث وقع من بعده، كانوا يعدون ذلك الحكم إلى هذه الحادثة».

وهذا الذي ذكره يسمى قياس الشبه، وهذا النوع من القياس لم يعطله العلماء، بل هو حجة عند جمهور الأصوليين، لكن د.الترابي فاته أنه لا يصار إلى قياس الشبه مع إمكان قياس العلة بالإجماع (٢٣).

فنحن نلجأ إليه عند تعذر معرفة علة حكم الأصل، وإلا فقياس العلة أضبط وأسلم، ولا ينازع فيه أحد من أهل العلم.

ولو افترضنا جدلا أن القياس الموروث لم يعد صالحا لاستيعاب حاجاتنا المعاصرة، فعندنا أصول أخرى تستوعب المستجدات مثل المصالح المرسلة، والاستصحاب،

مع العلم أن القياس لا يفهمه . فضلا عن أن يستخدمه . عوام الناس، إنما يفقهه ويستخدمه أهل الأصول الراسخون في العلم، الذين يستطيعون أن يفعّلوا القياس الحر.

أما القياس الواسع الذي يدعو إليه الدكتور فهو أكثر اتصالاً بالقواعد الكلية والمقاصد العامة.

وقريب من رأي د.الترابي ذهب د.محمد الدسوقي، لكنه- مع دعوته للقياس الفطري الحر- نراه يقرر ما يترتب على ذلك، ويحذر من اجتراء غير العلماء على ذلك، فالدعوة إلى التوسع في مفاهيم بعض الأدلة قد ينجم عنها اضطراب في الآراء، بسبب عدم الضبط الدقيق لحدود هذا التوسع، ولأن من ليس أهلا للاجتهاد قد يتخذ منه ذريعة للقول في الدين دون دراسة وفقه، فيكون ضرره وخطره فادحا؛ لأنه يصير الخلاف في الاستنباط خارج دائرة ما يقبل منه ويعد رحمة بالأمة فضلا عن بلبلة الأفكار، وفتنة الضعفاء أو العامة، وشغل الناس بما لا يجديهم في الدين والدنيا.

وتكاد كل الضوابط والقيود التي تحول دون أن يكون ذلك التوسع في مفاهيم تلك الأدلة سبيلا لتباين الآراء تباينا يمزق وحدة الجماعة، ويفت في عضد الأمة، ويغري من ليسوا أهلا للاجتهاد بالجرأة على الفتيا لا تخرج عن دائرة تنظيم الشورى أو الاجتهاد الجماعي، ليقوم بمهمة المراجعة والمتابعة وصولا إلى الرأي الحاسم الذي يجمع عليه العلماء أو جمهورهم (٢٤).

وعن الإجماع الذي يقرر د.الترابي أن مفهومه قد حدث فيه انحراف بحيث كان الإجماع إجماع عموم المسلمين ثم صار إجماع العلماء فقط نتيجة لضرورة عملية ليس إلا، ويعلل إجماع العوام في الأمور الخاصة أو الاجتهادية بأن يسألوا العلماء وواجبٌ على العلماء إرشادهم وتعليمهم، فهذا كلام لم يقله أحد من أهل العلم، بل لم يقل به أحد من جميع الطوائف ممن تكلم في الأصول بحدوث هذا الانحراف في المفهوم.

وإذا كان العوام سيذهبون إلى العلماء يسألونهم عن أمر ما فمن باب أولى ترك الإجماع للعلماء وقصره عليهم، لاسيما في الأمور الاجتهادية التي تخفى على العوام.

وظاهر من كلام د.الترابي أن هناك تداخلا وخلطا بين الإجماع والشورى، وكما هو معروف أنهما مختلفان من عدة وجوه:

- الشورى ترجع في النهاية إلى رأي القيادة، في حين يرجع الإجماع إلى رأي كل واحد.
- الشورى مختلف في أنها ملزمة أم معلمة، بينما لا يختلف كثير في أن الإجماع حجة قاطعة ومعمول بها.
- الشورى مأمور بها في القرآن والسنة وهي من أصول النظام السياسي، لكنها ليست مصدرا يستقى منه الأحكام، بخلاف الإجماع.
- الشورى دور من أدوار الإجماع، وآلية من آلياته للوصول إلى رأي بين أهل الذكر.

والذي يقارن محاولة د.محمد الدسوقي حول تجديد مفهوم الإجماع وتطويره يدرك موقع محاولة د.الترابي من الأصالة.

حيث يقرر في البداية أن الإجماع أصل أصيل في الدين، وآيات القرآن وأحاديث النبي صريحة في مشروعية العمل بما وقع عليه الإجماع من المؤمنين.

ويذكر د.الدسوقي أنه يجب أن نُخرج من مفهوم الإجماع ما هو معلوم من الدين بالضرورة فلطالما أطلقنا عليه إجماعا في تراثنا الفقهي، وإذا كان الأمر يستند إلى آية أو حديث، لا ينسحب عليه المفهوم الأصولي للإجماع؛ لأن كل جيل تلقاه عمن سبقه دون نكير من أحد، وهذا هو الذي لا يجوز لأحد خلافه ويكفر منكره.

وكذلك أخرج د.الدسوقي من الإجماع ما عُرف في تراثنا بالإجماع السكوتي، ويرى أنه لا يصح أن يسمى إجماعا، فالسكوت ليس دائما آية الموافقة، وجوهر الإجماع يقوم على المحاورة والنقاش العلمي الذي تتبلور من خلاله الحقائق التي تقود المجتمعين إلى رأي فيما يبحثون.

ويقرر د.الدسوقي أن تعريف الإجماع في أدبنا الأصولي يحتاج إلى مراجعة وتطوير؛ حيث إن تعريفه بأنه اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي، يعتبر افتراضا لا تشهد له النصوص، ولم يفهمه الجيل الأول، حيث كانوا يتشاورون ويقضون بما يجمعون عليه، وما كان إجماعهم إجماعا لكل علماء الصحابة، وإنما كان إجماعا لمن حضر منهم، فما كان أبوبكر أو عمر أو عثمان أو علي يتوقف عن تنفيذ ما وصل إليه حضور علماء الصحابة إلى أن يستشير غيرهم ممن هم منبثون في مختلف أصقاع المسلمين، وبالتالي فإن تقييد صحة الإجماع باتفاق كل المجتهدين في عصر من العصور لا ينهض له دليل ولا تؤيده آثار، ولهذا لم يتحقق هذا الإجماع المفترض في تاريخ الأمة.

وإذا كان هذا الإجماع بما قيده به الأصوليون لم يتحقق في عصر الصحابة فعدم تحققه في عصور من بعدهم أصعب وأشق لاختلاف الديار وتباعد الأوطان، على أنه ليس من اليسير أن يتفق عدد كبير من المجتهدين في عصر واحد على مسألة واحدة، وعليه حتى يكون الإجماع عمليا ومفعّلا . ينبغي أن نعتمد إجماع الجمهور أو الأغلبية.

وهو كلام أدّعى أن يُخرج الإجماع من الكلام النظري إلى الكلام العملي والتفاعل مع الواقع (٢٥).

بينما جاء كلام د.الترابي في هذه المحاولة، كما يقول د.علي جمعة «عن» المسألة أكثر من كلامه «في» المسألة (٢٦)، ولعل له عملا آخر تناول فيه المسألة بطريقة أعمق من هذا، خاصة وقد قال في آخر كتابه «تجديد أصول الفقه الإسلامي»: «هذه إشارات عابرة ارتجلتها في سياق الحديث عن تجديد أصول الفقه ونظمه ومشكلات نهضته في الحاضر.

الهوامش

(١) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٢٧٧، د.علي جمعة، بحث منشور في العدد العاشر من حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية. ١٤١٢هـ.
(٢) تعذر عليّ الاطلاع على الرسالة باللغة الفرنسية، حتى ذهبت إلى الدكتور حسن حنفي، وعلمت أن الرسالة ستترجم بعد ستة أشهر من تاريخه.
(٣) ص ٥٣ من البحث.
(٤) نفس الصفحة.
(٥) ص: ٦٥
(٦) نفس الصفحة.
(٧) ص:٥٦
(٨) ص ٥٩
(٩) ص ٦٨
(١٠) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٢٧٧.
(١١) تجديد أصول الفقه الإسلامي: ٧، الدار السعودية. جدة. ط أولى. ١٤٠٤هـ.
(١٢) السابق: ٨-٩.
(١٣) السابق: ٩.
(١٤) السابق: ١٣.
(١٥) السابق ١٥.
(١٦) السابق ١٨-١٩.
(١٧) السابق: ٢٣.
(١٨) السابق: نفس الصفحة.
(١٩) السابق: ٢٤.
(٢٠) تجديد الفكر الديني:٥٠-٥١، طبع معهد البحوث والدراسات الاجتماعية. الخرطوم.
(٢١) تجديد أصول الفقه الإسلامي:٢٥.
(٢٢) السابق: ٢٦.
(٢٣) الموافقات: ٢٩/١.
(٢٤) راجع مثلا البحر المحيط: ٢٩٨/٧، طبع دار الكتبي.
(٢٥) راجع نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه: ١٥٧-١٥٨.
(٢٦) راجع نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه: ١٥٠-١٥٤.



ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونية.

ملاحظة : المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المواطنة في كنف الإسلام

إنَّ التحرير العلمي المحايد لمعنى المواطنة يُسْهم بفاعلية كبيرة في تحديد مسؤوليات الفرد والمجتمع والأمة، وتبيان حقوق كلٍّ منهم، ولا شك أنَّ المواطنة تعني الانتماء للوطن، وينسحب على ذلك جميع الالتزامات المتبادلة بين المواطن والوطن، ومهمٌّ جدًا أن يتقرر في لُبِّ كل مواطن حرٍّ شريف أنَّ من معاني الالتزام الدِّيني أن يكون الإنسان مُخلصًا ووفيًا لوطنه الذي آواه وأنشأه وربّاه، وكان مستقرّه وموضع سكناه، وعليه فلا خلاف حول مسألة الدفاع عن الوطن لو استدعى الأمر ذلك لصونه وحمايته؛ إذ التَّجابنُ عنه والتراخي في نصرته يؤدِّي إلى مآلات مفزعة، من أخطرها ضياعُ هيبة الوطن، وسقوطُ رايته، ومصادرةُ حقوقه وسيادته؛ ممّا يرجع بالويل والضَّعة لا على التراب فحسب، بل على مَن سكن على هذا التراب، وهم عموم المواطنين.

إذن فمن الأهمية بمكان أن يظهر جليًا ألا تعارض بين الإسلام كدين وشريعة وبين المواطنة إذا كانت تعني تكاتفًا وتعاونًا وسلامًا بين أبناء الوطن الواحد؛ فهم جميعا يأوون تحت مظلة واحدة تسمى المواطنة، ومعلوم أن الإسلام كَفَل قَدْرًا كافيا من الحرية في الاعتقاد والعبادة، وفي التنزيل العزيز: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة:٢٥٦) و﴿لكم دينكم ولي دين﴾ (الكافرون: ٦)، ولأجل هذا كان من ضروريات قيام الدِّين كوْنه على أرض ووطن، فالعَلاقة بينهما علاقة تلاق وانسجام وليست علاقة تناقض وانقسام، ولا أدلَّ على ذلك من اهتمام الإسلام بحقوق المواطنة؛ كما يظهر ذلك في الحثِّ على محاسن الأخلاق، والنهي عن مساوئها، ليس مع المسلمين فحسب بل مع غيرهم؛ ممن ينضوون تحت سقف وطن واحد؛ بل إن تلك المعالم الأخلاقية سرت حتى في ساحات الحروب مع الأعداء المقاتلين.

إنَّ قوة الوطن في اقتصاده وسياسته وجميع أموره، ما يجعل مواطنيه أكثر أهلية لدفع مسيرة بلدهم نحو الأمان والاستقرار، ولذلك فإنَّ الوطن تعظم قيمته في الفلسفة الإسلامية بمقدار ما يؤمِّن لمُنتسبيه من استقرار ماديّ ومعنويّ يحفظ لهم الكرامة الإنسانية ويصونها؛ فعلى الوطنيِّ الغيور أن يعمل على تحقيق هذا الاستقرار إن كان محبًا لوطنه صادقًا في حبِّه.

كما أنَّ حاجة أوطاننا اليوم ماسّة للبعْد عن المذهبية الطائفية والتوجّه نحو فضاء حوار وطني جامع غير مفرّق؛ والأمل معقود بأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في شدِّ اللحمة ورأب الصدْع إن وجد، وتلافي أسباب التباغض والتنافر؛ خدمة للوطن ودفعا لمسيرة التنمية الشاملة إلى التفوق والنجاح.

إعداد : التحرير

أنوار ساطعة في خطاب حضـ

لقد علمنا تاريخ الكويت أن أمنها وسيادتها ومكانتها وتقدمها يصنعه أبناؤها بجهدهم وعرقهم وتضحياتهم، صانوها فاحتضنتهم، وعمّروها فآوتهم، ودأبوا جيلاً بعد جيل على الالتزام بقيم أصيلة ترسخ المحبة والاحترام، وتوثق التلاحم والترابط والتكاتف بينهم من أجل أمهم الكويت ورفعة شأنها.

إن أمن الكويت واستقرارها غاية الغايات، ومركز القوة الحقيقية في الدفاع عنها يكمن في نفوسنا، نحن أهل الكويت، وواجبنا دائمًا أن نترجم شعار الولاء للوطن إلى سلوك ملموس، وأن نكون جميعًا على رؤية واحدة في تجسيد مفهوم عملي واضح للوحدة الوطنية، يحفظها ويصونها ويحرم المساس بها.

إنـي ومن منطلق المسؤولية الغالية الملقاة على عاتقي، أؤكد ما طالما أفضت فيه وأسهبت، من أننا في صلب عالم سريع الإيقاع بتبعاته وارتداداته علينا وعلى المنطقة بأسرها، وبأننا في مرحلة مصيرية تمتزج فيها الأصالة مع الحداثة في تحديد المشروع من المطالب والمطامح وبلوغ المستهدف من الغايات والمقاصد، وهو ما يحتم ويقضي بأن نكون على مستوى المسؤولية في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية على اختلافها.

إن أشرف الشرف هو صدق الانتماء لهذه الأرض الطاهرة، فهو ميزان تفاضلنا ورسالتنا السامية في ترسيخ وحدتنا الوطنية وإذكاء روحها وتأصيل مفهومها، فهي حق الوطن في أعناقنا وقدرنا المشترك الذي عاهدنا الله على الذود عنه وحمايته من شرور المصالح الشخصية والمكاسب السياسية ومهالك العصبية والقبلية والطائفية وحسراتها، وهو ما يدعو إلى المزيد من التآخي والإيثار والتفاني والحس الواعي في ترسيخ هذه الوحدة وإعلائها فوق كل اعتبار، لتبقى سر المجد والاقتدار لشعب مؤمن بلحمته وإرادته الجامعة في صنع حياة حرة كريمة على تراب وطن آمن حافل بأسباب التقدم والارتقاء، فجعلت من أبنائه أسرة واحدة في السراء والضراء، حاضنة مختلف المشارب، ملتقية على كلمة سواء وهدف لا يحيد عن تقديم المصلحة الوطنية على ما عداها، وستبقى هذه الوحدة بعون الله أقوى وأكبر بكثير من أن ينال منها أي تصرف شاذ هنا أو هناك، كما ستبقى الصخرة المنيعة الكفيلة بتفويت أي فرصة للعبث والتخريب على أي مستوى وفي أي مجال.



ـرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه

أشرف الشرف هو صدق الإنتماء لهذه الأرض الطاهرة فهو ميزان تفاضلنا ورسالتنا السامية

إن أقدار الأوطان ومقدراتها أغلى من أن تختلط بها وتخالطها مصالح ضيقة زائلة، فالأوطان لا تبنى ولا تصان إلا بسواعد أهلها وتكاتفهم وتعاضدهم، وقد أدى أهلنا الأمانة كاملة واستودعونا شرف الرسالة.

إننا نعيش في واحة وارفة الظلال، ينعم فيها أهلها بخير وفير ومناخ عامر بالأمن والطمأنينة مفعم بروح التآخي والتواصل، نتنفس فيها أجواء الحرية والديموقراطية، وهي نعم وفضائل تستوجب الحمد والشكر والثناء لله، وقد قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرًا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ (الأنفال:٥٣). صدق الله العظيم

إن علينا أن نعي وندرك مخاطر الفتنة البغيضة التي لا يجدي معها حل أو علاج، ولن يكون فيها رابح، فالخاسر فيها دائمًا هو الوطن، والذي يدفع الثمن هو الجميع.

ولعل خير شاهد على ذلك ما تعرضت له مجتمعات ودول من شرور وتداعيات الفتن، وما ترتب عليها من انشقاق وعداوات طالت أبناء البيت الواحد، أتت على مقدراتها وأكلت الأخضر واليابس فيها، نسأل الله تعالى أن يقينا شرها وخطرها.

إننا في سفينة واحدة لا بديل في إبحارها إلى مرسى الأمان، إلا أن تتصافى الأنفس وتتوحد القلوب وتتشابك الأيدي وتسود مشاعر الألفة والتعاون بروح الأسرة الواحدة.

إن ثقتي بأبناء وطني كبيرة، فأحلامنا وأمانينا وتطلعاتنا واحدة، وطريقنا إلى بلوغ المراد، ولاؤنا ووحدتنا وانتماؤنا واتقاء الله في وطننا.

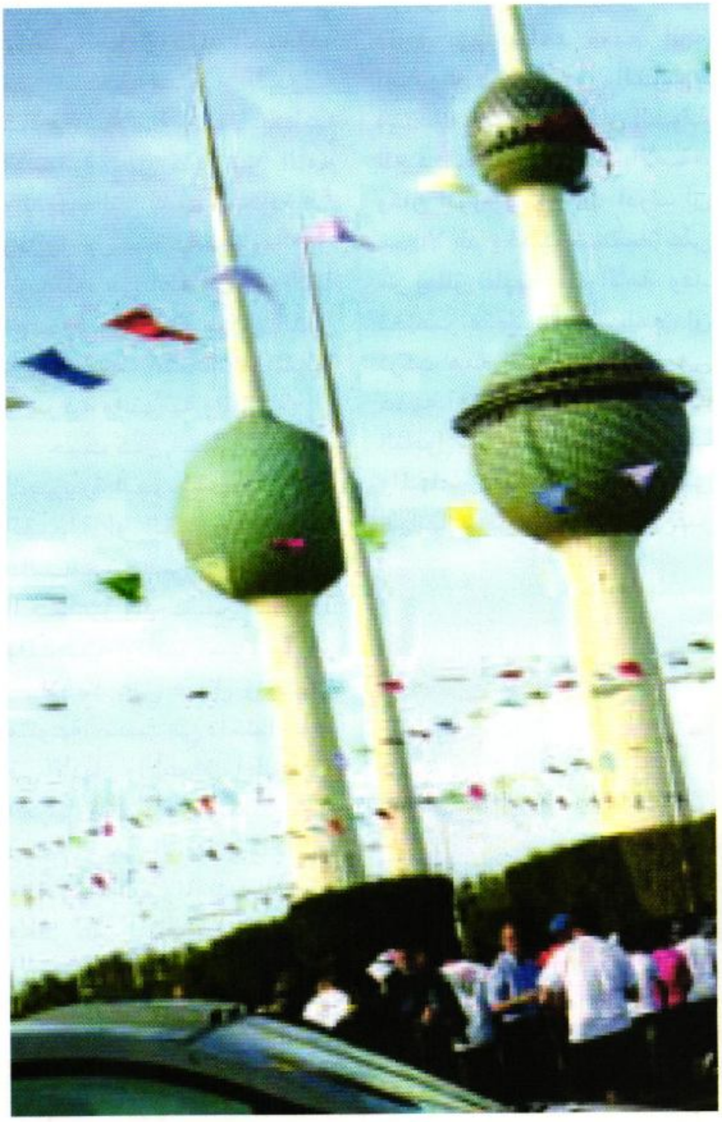
لقد أعطتنا الكويت الكثير، وما أغنانا عن ممارسات تلهينا عن الوفاء بما تستحقه من أبنائها الأوفياء المخلصين، وعلينا أن نزيح عن سبيلنا كل المعوقات، واضعين مصلحة الكويت وحدها في المقام الأول.

فلنسر على بركة الله صفًا واحدًا نعمل بجد وتفانٍ لنهيئ لنا ولمن بعدنا مستقبلاً زاهرًا نفاخر به ونعتز، سائلين المولى القدير أن يتغمد شهداءنا الأبرار برحمته ورضوانه ويسكنهم جنات النعيم ويجزيهم خير الجزاء.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدًا﴾.

وأصلح لنا أعمالنا، واجعل حاضرنا خيرًا من ماضينا، ومستقبلنا خيرًا من حاضرنا وأسبغ على هذا البلد أمنًا ونعيمًا مقيمًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





«الصحيفة» والدولة الحديثة

زبير سلطان

ورد نص تلك الصحيفة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام، التي نقلها عن ابن إسحق، والتي تعتبر من أهم الوثائق التشريعية الدستورية في التاريخ العربي الإسلامي، حيث شكلت اللبنة الأولى في التنظيم السياسي والإداري والاجتماعي للدولة الإسلامية، والأسس الموضوعية في تحديد العلاقة القانونية ما بين السلطة السياسية الجديدة وبين رعيتها في المدينة المنورة المتعددة الانتماءات الدينية والقبلية والعرقية، وتنظيم الحياة العامة وضبط المسؤوليات فيها، وما يترتب من حقوق وواجبات.

وقد اعترف كافة المؤرخين المسلمين والمستشرقين الغربيين بصحتها التاريخية، وأقر المؤرخون العرب أنها دونت في السنة الأولى من الهجرة، وبعد أشهر من وصول الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وتقريبًا دونت في عام ٦٢٣م.

ومن الملاحظات الأولى لأي باحث، ما أوردته الصحيفة من تسمية سكان الدولة كافة «بالأمة»، مما يعطيها الأسبقية على كثير من الأمم والدول، التي كانت موجودة في زمانها، بل سبقت معظم الدول الحديثة، في إطلاق اسم الأمة الواحدة على كافة سكان الدول على مختلف انتماءاتهم القبلية والعرقية والقومية والدينية.

حيث كان اسم الأمة في الجزيرة العربية يطلق على القبيلة أو القبائل المرتبطة بالنسب، وفي أوروبا على العنصر والجنس الواحد والمذهب، وتأتي أسبقيتها من إطلاقها على قبائل وأجناس متنوعة، ضمت في داخلها تنوعًا في الأديان والأعراق، أطلق على العربي وعلى غير العربي ممن أسلم، وعلى الأبيض والأسود والحر والرقيق والمسلم واليهودي وحتى على المنافق والمشرك.

فقد جاء في نص الصحيفة: «هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ، بين المؤمنين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»، وبذلك أعطت سكان الدولة الجديدة جميعا اسم «الأمة»، وكأن الرسول ﷺ قد أدرك أن سجالا قد يحدث مستقبلاً على من يطلق عليهم اسم الأمة، وقد تختصر فقط على المسلمين إن تركت هذه العبارة على ما هي عليه، فأراد أن يثبت دلالات التحول الجديد في حياة العرب والمسلمين، بأن الأمة تضم في طياتها سكان الدولة من غير المسلمين، فأورد نصًا يمنع أي لبس قد يقع مستقبلاً في معنى الأمة، التي أرادها، والتي تقوم على التنوع، فأكد بشكل جلي على التنوع في نص الصحيفة فقال: «يهود بني عوف أمة مع المؤمنين»، لهذا تعتبر الصحيفة نقلة حضارية تجاوزت الزمن الذي كانت تعيشه، فقد أسست دولة حديثة قائمة على التنوع على مختلف أشكاله.

وأحدثت للمرة الأولى في جزيرة العرب لائحة دستورية تحدد مفهوم الانتماء الإنساني الكلي، بدلا من الانتماء القبلي الضيق الذي كان سائدًا منذ مئات السنين، وأنشأت بذلك أمة يتساوى فيها كل أفرادها في الحقوق والواجبات، دون النظر إلى جنس الفرد ودينه وعرقه ولونه، أمة تقوم على إنسانية الإنسان، وتعطي حقوقًا متساوية للجميع، بدلًا من أن كانت تعطى فقط لمن يملك المال والنسب والجاه، هذا المفهوم للأمة الذي جاءت به الصحيفة مازالت الإنسانية إلى يومنا تبحث عنه وتراه حلما لها.

ويرى د.محمد عمارة أن النص الواضح في أمة الدولة «تقنين لخروج الإنسان لخروج الإنسان من إطار القبيلة إلى رحاب الدولة والأمة، فبعد أن كانت القبيلة هي «الأمة والدولة» غدت لبنة في كيان الدولة الجديدة والأمة الوليدة والرعية السياسية التي قامت بناءها الاجتماعي على أساس هذا الدستور»، لهذا كان التحول كبيرًا في الحياة الاجتماعية على الفرد والمجتمع، حين جعلت فروض الكفاية الاجتماعية على الأمة، في حين أن فروض العين على الفرد.



هذا النص التاريخي المتطور، يقدم للعالم الكيفية التي نظر بها الإسلام للأسس التي تؤسس عليها الدولة، فهو عمل منذ بدايات تشكيله للدولة، أن يوجد لها مرجعًا قانونيًا، يقوم على نظام دستوري واضح، ينظم العلاقات الاجتماعية

* باحث سوري

والسياسية بين مكونات الدولة، يعمل على توافر الحريات الفردية والجماعية ويكفل الحقوق والواجبات.

كما كفلت الصحيفة حرية العقيدة لكل مكون من مكونات الدولة، واعتبرت كافة أفرادها يتساوون بما لهم وما عليهم، فهم أمة واحدة لدولة يقودها الرسول ﷺ «تتعايش داخلها أمم مختلفة الدين والعقائد، وأفراد متعددو المذاهب، وإن كان المسلمون يؤلفون الغالبية في كل ذلك- ويجمع بين هولاء كلهم جملة الحقوق والواجبات التي تعاقدوا عليها بالرضا».

وبذلك شكلت الصحيفة الأسبقية من بين الوثائق الدستورية في العالم، التي ترسخ مبدأ المواطنة نظريًا وعملياً، حيث أقرت حقوقا وواجبات متساوية للمواطنين في الدولة، دون النظر إلى الانتماء الديني والقبلي لهم، وهم أمة واحدة في الحرب والسلام، ويتشاركون في دفع الفرائض المالية التي تفرض على الدولة من القوى الخارجية (كديات الأسرى) نتيجة الصراع معها.

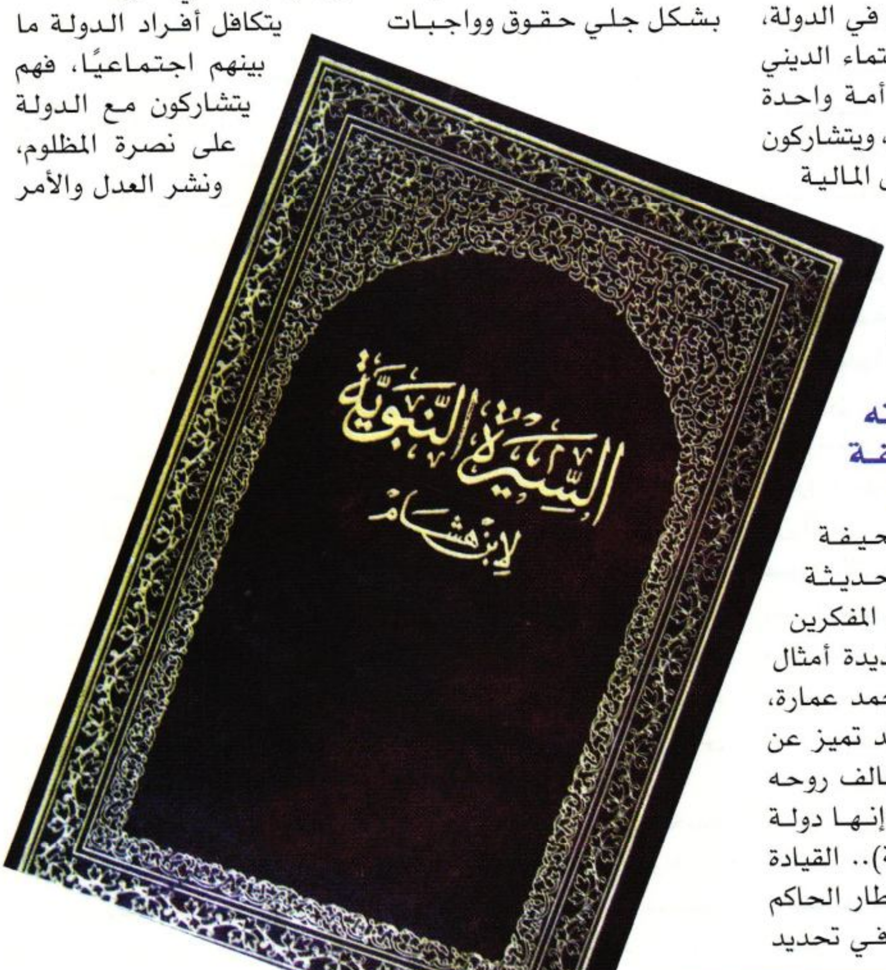
من أبرز ما قدمته هذه الصحيفة التاريخية

وضعت الصحيفة أسس الدولة الحديثة فأطلق عليها بعض المفكرين دستورا للدولة الجديدة أمثال المفكر الإسلامي محمد عمارة، وأن هذا الدستور قد تميز عن القرآن، وإن لم يخالف روحه ومبادئه، وقال: «إنها دولة إسلامية - قومية).. القيادة فيها للمسلمين، والإطار الحاكم (الجامع- المانع) في تحديد (الرعية) وتمييزها عن «الغير» قومي لا يستبعد غير المسلمين الذين ارتضوا الحياة داخل هذه الدولة الواحدة، التي يحكمها هذا الدستور».

وأرست الصحيفة المقدمات الأولى لقواعد الديموقراطية للدولة الحديثة، وفي طليعتها مبدأ المواطنة، التي تؤسس على المساواة بين رعايا الدولة من دون النظر إلى جنسهم ودينهم وعرقهم ووضعهم المادي، مساواة في الحقوق والواجبات والحماية القانونية فنصت: «وأنه من اتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم»، وهذه قمة الديموقراطية التي لا تزال شعوب الأرض تسعى للوصول إليها.

وأوضحت الصحيفة بشكل جلي حقوق وواجبات المواطنة لليهود، الذين هم من أمة الدولة، فأعطتهم كامل الحقوق والواجبات كما هي للمسلمين، وهم يتشاركون مع المسلمين وغيرهم في حماية الدولة وأمنها، والدفاع عنها، بل يتشاركون مع بقية مكونات الدولة في المشورة، أي أنهم جزء من مؤسسة الشورى في الدولة، يقدمون النصح والرأي في حاضر ومستقبل الدولة، فنصت الصحيفة: «وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».

- نصت على مبدأ التكافل الاجتماعي لكافة أفراد الدولة، بحيث يتم التكافل ما بين الدولة ورعيتها، في الوقت نفسه يتكافل أفراد الدولة ما بينهم اجتماعيًا، فهم يتشاركون مع الدولة على نصرة المظلوم، ونشر العدل والأمر بالمعروف في أوساطهم.



- ونصت الصحيفة على تكافل أفراد الأمة مع الدولة بالعمل على تحرير الأسير من أبناء الدولة إما بالقوة أو بدفع الدية عنه، وألا تتحمل أسرته وحدها دفع الدية فقط، بل هي مسؤولية جماعية موزعة ما بين الدولة ورعاياها، ودعت إلى ممارسة كل ما يتفرع عن التكافل الاجتماعي المادي والمعنوي.

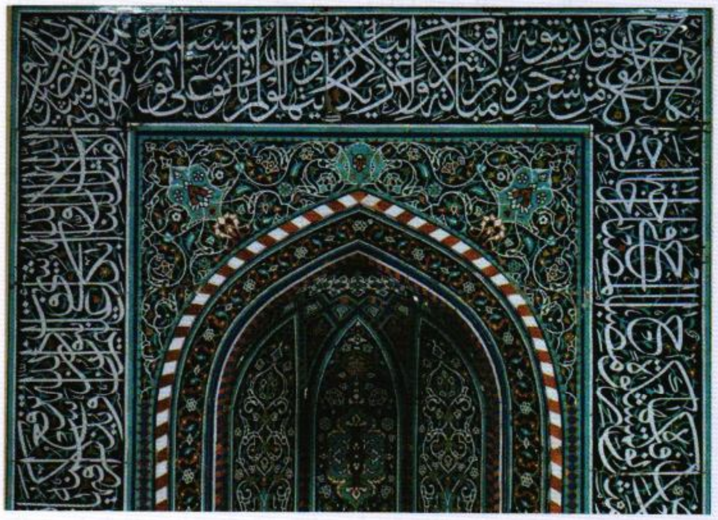
- وامتد التكافل الاجتماعي إلى معالجة معاناة أفراد المجتمع، فألقى على الدولة والمجتمع مسؤولية رفع المعاناة عن أفراد الأمة، ووضع الحلول المادية والنفسية التي تعافي أفراد المجتمع، حتى تعيد لهم النشاط والحيوية لبناء الدولة الحديثة، فنصت الصحيفة على أن تشمل الرعاية الاجتماعية أفراد الدولة، وخاصة الذين منعهم الدين المالي من المساهمة في بناء الدولة وحمايتها، بحيث لا يترك من ثقلت عليه الديون، وكثر عياله، وعجز عن إعالتهم، من دون مساندة ومساعدة مادية ومعنوية لأنه واجب أمة الدولة، فجاء النص: «وأن المؤمنين لا يتركون مفرحًا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل»، والمفرح هو المثقل بالديون وعجز عن السداد.

- ومن أهم ما قدمته الصحيفة الاعتراف بالحرية الدينية لأفراد الدولة، ورفض الإكراه الديني، والاعتراف بحرية الاعتقاد لأي فرد من أفراد الدولة حيث نصت: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، وهذه الوثيقة الدستورية ترد اليوم على كل أعداء الإسلام، الذين دأبوا منذ سنوات على وصف الإسلام بالانغلاق، ورفض

الآخر، وإلزام الرعية غير المسلمين بالدخول في الدين الإسلامي، فنص الصحيفة جاء ترجمة للقانون القرآني القائل ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ﴾ (البقرة:٢٥٦) ومن حقنا أن نقول إن الدولة التي نشأت في المدينة المنورة تقدمت على كل الدول المدنية الحديثة بمئات السنين، حين وضعت مبدأ ترسيخ حرية الاعتقاد في نصوصها الدستورية.

– كذلك وضعت الصحيفة أسسا دستورية جديدة غيرت بعض الأعراف القبلية التي سادت مئات السنين، كما ثبتت في الوقت نفسه المناسب من تلك القيم والمثل العليا، والتي تتوافق مع قيم ومثل الإسلام، من أجل تأسيس دولة مدنية حضارية، فألغت تحميل القبيلة مجتمعة المسؤولية الكاملة لتصرفات فردها، وجعلت الفرد وحده المسؤول عن أعماله المخالفة للقانون، وارتكاب الآثام، من دون أن تتحمل قبيلته هذا الوزر، فنصت الصحيفة: «إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته»، وألغت أيضا العرف القبلي الذي يقضي بتحمل مسؤولية الحليف القبلي عما يرتكب حليفه القبلي من آثام وجرائم، وجعلت الحليف فقط هو الذي يتحمل مسؤولية ما ارتكب، فنصت: «وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه».

– أكدت الصحيفة على وحدة أمة الدولة في مسألة الحرب والسلام، فكل أفراد الدولة متساوون في السلم والحرب، والدفاع عن الدولة مسؤولية جماعية تقع على كامل رعيتها، جاء في النص: «وأن سلم المؤمنين واحدة، لا



الصحيفة حددت المرجعية القانونية لمؤسسات الدولة وأمتها في القرآن الكريم ورسول الله

يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا»، وفي إشارة واضحة الى وحدة المجتمع في هذه المسألة قالت: «وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين».

– حددت الصحيفة العلاقة مع العدو، فمنعت أن تقام معه علاقات تجارية أو مالية خاصة كانت أو عامة، وشمل الحظر كل أفراد الدولة، حتى وإن كان الفرد في الدولة يشترك معهم في الانتماء الديني كالشرك، فذكر النص: «وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن».

– وقررت الصحيفة إعطاء عاصمة الدولة الجديدة المدينة المنورة مكانة لائقة بها، فأسبغت عليها الحرمة والقداسة كما لمكة المكرمة من الحرمة «وأن يثرب حرام جوفها لأهل الصحيفة».

– وبينت الصحيفة أسس التعامل مع أبناء دول الجوار، حين غادرت زمانها ومكانها في القرون الوسطى، لتصل إلى القرن العشرين وتحقق أحلام وأماني المفكرين ودعاة حقوق الإنسان، والباحثين في تطوير القانون الدولي، فأعطت أبناء الدولة المجاورة الحقوق نفسها والواجبات التي أعطتها لأبناء الدولة الإسلامية: «وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم».

– حددت الصحيفة المرجعية السياسية لرعايا الدولة فجعلتها للرسول ﷺ «لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ».

– وحددت الصحيفة المرجعية القانونية لمؤسسات الدولة وأمتها في القرآن الكريم ورسول الله محمد ﷺ (وانه ما كان بين أهل الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ».

– وأهم ما أعطت الصحيفة ضرورة وجود دستور للدولة، أو لائحة دستورية، وحتى يستقيم الأمر لأى دولة، لابد لها من أن تضع مجموعة من القواعد القانونية تنظم العلاقات بين أفراد رعيتها، وبينهم وبين السلطة التي تقودهم بتنوعاتها التنفيذية والتشريعية، وتقوم بتنظيم القواعد الحقوقية فيها، وهذا ما تفقده كثير من الدول.

والدولة الإسلامية تحتاج إلى دستور ينظم العلاقات داخلها وخارجها، ينبع من وحي القرآن الكريم والسنة وكامل مكونات الشريعة، تبين مهام ووظائف السلطة والحقوق والواجبات الدنيوية للرعية، فجاء فيها «إن القرآن بالنسبة لدستور الدولة هو الإطار، فيه «المبادئ» وبه «الروح» والمقاصد والضوابط والغايات، وليس هو نص الدستور وذات مواده وعين قوانينه، فوجود القرآن الكريم لا يغني في نظام الدولة عن الدستور، الذي يضبط القواعد، وينظم الحقوق، ويحكم العلاقات، ويصوغ جميع ذلك صياغة دستورية محكمة الدلالة بينة الحدود».

إن القراءة المعاصرة لبنود الصحيفة التي تعتبر أول دستور لدولة الإسلام، من قبل المفكرين والمشرعين والفقهاء والباحثين من أبناء الإسلام، ضرورة مهمة في هذه المرحلة من الزمن، الذي يتم فيه تشويه صورة الإسلام من قبل أعدائه، ومن المغالين في التطرف والغلو ممن ينتسبون إليه قراءة واعية متبصرة تبين الحقيقة الساطعة لهذا الدين الحنيف الذي أرسله الله عز وجل للبشرية، ليضعهم على طريق السعادة والخير والأمن الاجتماعي والسلام، وأفضل سبل التعايش بين الأمم.

المواطنة في الإسلام

أحمد عبدالجواد زايدة *



يتوهم القارئ- للوهلة الأولى- عند قراءته لعنوان هذا البحث «المواطنة في الإسلام» كيف يجمع بين هاتين الكلمتين (الإسلام والمواطنة)؟ وهل تربط بينهما علاقة؟ وهل هُما- باعتبارهما مصطلحين- متوازيان أم متفارقان أم مُنطبقان؟ وهل الإسلام يُنافي المواطنة أم العكس؟ أم أن المواطنة جزء من الإسلام وقاعدة أساسية من قواعده وفريضة شرعية وضرورة حياتية؟

الحقيقة أنه لا توجد أدنى درجات التعارض أو أقل درجات الاختلاف أو التمييز بين كلا المُصطلحين (الإسلام والمواطنة)، فالمواطنة إنما هي كلمة أو مصطلح مُشتق من «وطْن» و«مواطن» فمواطنة، وأساسها الفعل «وطَنَ»: أي استقر وعاش في بلد ما أو مكان ما، فكُل إنسان يعيش في مساحة مُحددة أو منطقة مُعينة تُسمى «وطنًا» ويُسمى هذا الإنسان «مواطنًا»، ويعيش مع غيره من بني الإنسان- ذكورًا وإناثًا- وتربطه بهم علاقة إنسانية ورابطة اجتماعية تُسمى «مواطنة»، فهذا المُصطلح خصلة إنسانية لابُد منها في الحياة، تربط علاقة الإنسان مع غيره من بني الإنسان أيًا ما كانت أعراقهم أو أجناسهم أو ألوانهم أو أديانهم.

إذن فالمواطنة تتكون من مُرتكزين أساسيين، أولهما: الإنسان (جنس الإنسان). ثانيهما: الأرض التي يعيش عليها هذا الجنس البشري، فهي إذن علاقة بين بني الإنسان الذين يعيشون على هذه الأرض.

والإسلام هو نظام رب العالمين الذي أرسله خالق الكون كله- بما فيه من حجر وبشر- لإصلاح البشرية وهدايتها، وليكون منهجًا لها في حياتها ولتحتكم إليه في جميع أمورها مما يوفر لها السكينة والسعادة والتقدم والازدهار والعدالة والاستقرار.

مكانة الإنسان (المواطن) في الإسلام

لقد عني الإسلام واهتم- أشد الاهتمام- بكرامة الإنسان وإنسانيته، وأكد على علو منزلته، فقد كرمه الله تعالى وفضله على سائر المخلوقات، قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠)، وأنعم الله على الإنسان بنعم عظيمة، قال تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (لقمان:٢٠)، وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم وأفضل هيئة وأجمل صورة، قال تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤)، وجعل الله تعالى الإنسان خليفة في أرضه يقوم فيها بالحق والعدل والتعمير، قال تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠).

وليس ذلك فقط، بل إن الله تعالى حينما خلق الإنسان فإنه نفخ فيه من روحه وأمر ملائكته الكرام أن يسجدوا له، تكريمًا وتعظيمًا وتشريفًا ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (ص: ٧١- ٧٢)، كما أن الإسلام راعى حُرمة الإنسان فحرم الاعتداء عليه أو المساس به- أيًا كان دينه أو لونه أو جنسه بدون وجه حق، قال تعالى ﴿أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتلَ الناس جميعا...﴾ (المائدة: ٣٢)، كذلك حرم الإسلام التعرض لأي إنسان بالسب أو الشتم أو الغيبة أو السخرية، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات: ١١)، وكما ذكرنا فإن الله تعالى قد كرم الإنسان، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو لغته، إنما كرمه- فقط- من حيث كونه إنسانًا.

ولقد خلق الله الناس بلغات مُختلفة وعرقيات متباينة وبطباع وثقافات وصفات مُتعددة، وجعلَ لذلك مقصدًا إنسانيًا عظيمًا راقيًا، إذ يقول جل جلاله مُخاطبًا الناس جميعًا ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم

* باحث شرعي مصري

يجب أن نتعاون ونعمل لتحقيق هذه المقاصد الإنسانية السامية

شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣).

والله تعالى هو خالق الكون والإنسان، قال تعالى ﴿وإلهكم إله واحد﴾ (البقرة: ١٦٣)، وجعل البشر كلهم متساوين، لا يحق لأي إنسان أن يتكبر على أخيه الإنسان، ويتجلى هذا في أبهى صوره في هذا الموقف العظيم، فقد رُوي أن أبا ذر وبلالا تغاضبا و تسابا وفي ثورة الغضب قال أبوذر لبلال: يا ابن السوداء، فشكاه بلال إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأبي ذر: «أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية» (رواه البخاري)، وقد قال النبي ﷺ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (رواه مسلم).

وباستقراء أحكام الشريعة وقواعدها نجد أن المساواة من أهم مقاصد الشريعة، ولعل ذلك يظهر واضحًا في فريضة وركن من أركان الإسلام وهو الحج، حينما يؤدي الجميع هذه الفريضة ويرتدون ثيابًا واحدةً (بيضاء)، جميعهم بجوار بعضهم يعبدون ربًا واحدًا، الوزير بجانب الخفير، والغني بجانب الفقير، والقوي بجانب الضعيف، والأبيض بجانب الأسود، والعربي بجانب العجمي، الجميع يرتدي ثيابًا بيضاء بسيطة متواضعة، تكاد لا تجد أي فرق بين الملابس التي يرتدونها جميعًا، وكذلك الحال في الصلاة والصوم وكل العبادات.

مكانة الوطن في الإسلام

أما الوطن أو البلدُ وأهميته في الإسلام، فإنها تظهر جليةً واضحةً، وكيف لا، وهي فطرة إنسانية، أن يتعلق الإنسان بوطنه وبلده الذي نشأ وتربى فيه، وكيف لا يهتم الإسلام بالوطن وهو



الوعاء الذي أُمر أي الإنسان أن ينشر فيه العدل والخير والنور، وأن يُحقق فيه الحُرية والمساواة.

إن أهمية الوطن تتجلى من خلال أمرين، حينما هاجر الرسول ﷺ من مكة للمدينة- مُضطرًا- بعد أن آذاه قومه وعذبوا أصحابه واضطهدوهم، وقف ﷺ على أطراف مكة وهو خارج منها، ونظر إليها باكيًا دامع العينين، وهو يودع وطنه الذي تربى بين أحضانه ويقول «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت» (سنن الترمذي)، فما أروع هذا الموقف الإنساني من رسول الله ﷺ حيال وطنه الذي هُجّر وأُبعد منه، وخرج ليؤسس قواعد وأركان هذا الدين.

الأمر الثاني: يتمثل في حرصه ﷺ وجهده في تأسيس الوطن وتدعيم أواصره بعد أن هاجر للمدينة، فإذا نظرنا إلى أول ما فعله الرسول ﷺ بعد أن وصل المدينة وبعد أن بنى المسجد، ستجد أنه عمل على تأسيس وتدعيم أركان الوطن في المدينة، وتقوية أواصر العلاقة بين فئاته وأطيافه، حتى يُكوّن ﷺ نسيجًا وطنيًا مُتماسكا مُوحّدًا، فتنتج عنه دولة قوية متماسكة، فكيف حدث ذلك؟

كيف أسس الرسول ﷺ أول دولة للمواطنة؟

إننا خلال التوضيح التالي للخطوتين اللتين فعلهما النبي ﷺ بعد أن وصل المدينة وبنى المسجد، نبين كيف أسس الرسول ﷺ أول دولة للمواطنة في شبه الجزيرة العربية، لكن قبل ذلك يجب أن نعلم جيدًا أن المدينة قبل الإسلام كان بها خليط من السُكان الأصليين وهُم العرب المشركون، بالإضافة إلى اليهود المهاجرين إليها من أطراف الجزيرة، وكان المشركون- السكان الأصليون- ينقسمون إلى قبيلتين، هُما الأوس والخزرج، وكان اليهود ثلاث قبائل: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، وقد كان بين الأوس والخزرج حُروب طاحنة ظلت بينهم مائة وعشرين سنة (انظر مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبدالوهاب، ص١٢٤)، وفي أثناء هذه الخصومة وهذه المعارك الضارية حالفت الأوس بني قريظة، وحالف الخزرج بني النضير، وكان آخر ما بينهم من المعارك «موقعة بُعاث»، وكان ذلك قبل الهجرة بسنوات، وكان يومًا شديدا مات فيه أكثر رؤسائهم.

كان هذا هو الحال قبل أن تدخل المدينة في الإسلام، فلمّا أن هاجر إليها الرسول ﷺ فعل أمرين:

١- آخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم أخوة قائمة على أسس إيمانية معنوية على الحق والمواساة، وأيضًا على أُسس ماديّة، فحكم بالتوارث فيما بينهم، فجعل أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم، وظلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر الكبرى.

٢- ﷺ لبناء وتأسيس أول عقد للمواطنة، وأول عهد وعقد للتعايش الداخلي داخل إطار الوطن والبلد الواحد القائم على المساواة والعدالة والحرية الدينية على أسمى درجات الإنسانية والرُقي الاجتماعي بدرجة لم تعرفها البشرية سابقا، فأنشأ ﷺ دستور المدينة، وكان دستورًا للدولة الإسلامية التي أسسها ووضع قواعدها الرسول ﷺ آنذاك، ونص فيه على أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

فنجد أن أحد نصوص وشروط هذه الوثيقة أو هذا الدستور هو أن «يهود بني عوف أُمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، «أُمة مع المؤمنين» فهذا المُصطلح هو حقيقة عقد المواطنة، إننا جميعًا- مسلمين ومسيحيين وجميع أطياف المُجتمع- أُمة وطنية واحدة مُتماسكة، لكُلٍ منا دينه وعقيدته، وكلٌ منا ينعم بممارسة عقائدة وشعائره الدينية.

بهاتين الخطوتين أسس

النبي ﷺ عقد مواطنة بين جميع أطياف شعب ومجتمع المدينة، وشيد أركان دولة المواطنة.

كيف تعامل الإسلام مع غير المسلمين؟

وإننا عندما ننظر إلى فعله ﷺ وتعامله مع اليهود والنصارى (أهل الذمة) تتجلى السماحة والرحمة، وكذلك عندما نقرأ أقوال النبي ﷺ تتجلى السماحة والعدل، وكذلك عندما نرى تطبيقات أصحاب النبي ﷺ والخلفاء الراشدين- رضوان الله عليهم- الذين أُمرنا أن نتبعهم وأن نشد عليها بالنواجذ، يتبين كيف أن الإسلام شرع لغير المسلمين حقوقهم على أساس العدل والمساواة كغيرهم من المسلمين، وقد أمر الرسول ﷺ بحمايتهم من أي ظلم داخلي.

يقول الفقيه الأصولي المالكي شهاب الدين القُرافي- رحمه الله- «إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقًا علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمايتنا) وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ ودين الإسلام» (الفروق، الجزء الثالث ص ١١).

فواجب على الدولة أو الحكومة حمايتهم من أي اعتداء داخلي أو مساس بهم بسوء كأي مواطنين آخرين، ولا يجوز التعرض لهم بما يؤذي كرامتهم أو يجرح شعورهم، ولا أن يتهمهم أحد بباطل.

كما أن على الدولة حمايتهم من أي اعتداء خارجي، فلو أتى عدو من الخارج وقصد غير المسلمين سواء مسيحيين أو غيرهم، يجب على المسلمين وعلى الدولة أن تستميت في الدفاع عنهم، وكيف لا وهُم جزء من أجزاء هذا الوطن ومكون من مكوناته، وفي الاعتداء عليهم اعتداء على الإنسانية- التي كرمها الله- وانتهاك لكرامة وسيادة الوطن ومساس بحرمة المواطن الحاصل على جنسية هذا الوطن، بل إن هذا الأمر أصبح بدهيًا ولا يحتاج إلى نقاش بعد أن انسجم النسيج الوطنيّ وقوي وانخرطت جميع فئات الوطن من مسلمين ومسيحيين وغيرهم في جميع مؤسسات الوطن، فأصبح المساس بأي منهم مساسًا واعتداءً على حُرمة هذا الوطن يجب صده.

وينقل الإمام القُرافي المالكي- رحمه الله- قول الإمام ابن حزم الظاهري في كتابه «مراتب الإجماع»: «إن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صونًا لمن هم في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة» (الفروق جـ ٣، ص ١٤- ١٥).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- تطبيق رائع لهذا الأصل ولهذه القاعدة، فحينما تغلب التتار على الشام، وذهب الشيخ ليكلم «قطلوشاه» في إطلاق الأسرى، سمح القائد التتري للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال «لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة»، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له.



وبهذا يكون شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضرب أروع الأمثلة في المواطنة الحقيقية المبنية على أساس المساواة والعدل، بدليل أنه لم يكتفِ فقط بإطلاق أسرى المسلمين دون غيرهم، ولم يقبل أن يُترك النصارى واليهود في الأسر، لأنهم مواطنون مثلهم مثل المسلمين، لهم حقوق المواطنة، ويجب الدفاع والذود عنهم بمقتضى عقد المواطنة.

ويجب علينا كذلك حماية أموالهم وممتلكاتهم الخاصة، بالإضافة إلى حقوقهم الطبيعية والإنسانية في ممارسة جميع أشكال وأنواع النشاط الاقتصادي مع الالتزام بضوابط الشرع في المُعاملات، وهي قليلة جدًا ومقيدة ومحصورة، ففي النشاط الاقتصادي مثلًا نجد القيود في الربا والغرر، وهي قيود ومبادئ تهدف إلى حفظ القيم الإنسانية والمحافظة على المُجتمع ودفع عجلة الاستثمار.

روى أبويوسف في الخراج ما جاء في عقد النبي ﷺ لأهل نجران «ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة مُحمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير» (الخراج ص: ٧٢).

وبلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم وممتلكاتهم أنه يحترم ما يعدونه- حسب دينهم- مالًا، وإن لم يكن مالًا في نظر المسلمين.

فالخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالًا متقومًا، ومن أتلف لمسلم خمرًا أو خنزيرًا لا غرامة عليه ولا تأديب، بل هو مثاب مأجور على ذلك، لأنه يُغير مُنكرًا في دينه، يجب عليه تغييره أو يُستحب حسب استطاعته، ولا يجوز للمسلم أن يمتلك هذين الشيئين لا لنفسه ولا ليبيعهما للغير.

أما الخمر والخنزير إذا ملكهما غير المسلم، فهما مالان عنده، بل من أنفس الأموال، كما قال فقهاء الحنفية، فمن أتلفهما على الذمي غرم قيمتهما «وقد اختلف الفقهاء في ذلك، وهذا هو مذهب الحنفية». (غير المسلمين في المُجتمع الإسلامي، ص ١٥، د.يوسف القرضاوي).

الإثبات بالاستقراء

إن سماحة الإسلام ورُقي مقاصده تظهر وتتجلى بوضوح كالشمس في وسط النهار من استقراء بعض القواعد الجزئية في الفقه الإسلامي، فعلي سبيل المثال في عقد الإجارة إذا استأجر مسلمٌ يهوديًا أو نصرانيًا لمدة شهر مثلًا لأداء عمل ما فلا يدخل في الإجارة وفي مدتها يوم السبت لليهودي ولا يوم الأحد للنصراني، ولو اشترط المُستأجر إدخال يوم السبت أو الأحد بطل العقد، فلا يجوز له ذلك، وذلك احترامًا

لحقهم في عدم الاشتغال والتفرغ في يوم أداء عباداتهم وشعائرهم الدينية.

وقد أوجب الإسلام لهم حق التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر منذ أكثر من ألف وثلثمائة عام، وهو ما تفعله بعض الدول الغربية الآن مع بعض من حاملي اللجوء السياسي وأصحاب الأمراض العاجزين عن العمل أو الذين يندرجون تحت بند البطالة.

ففي عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعِيل من بيت مال المسلمين هو وعياله».

وكان هذا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الصديق ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يُعد إجماعًا.

ورأى عمر بن الخطاب شيخًا يهوديًا يسأل الناس، فسأله عن ذلك، فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأته إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين، وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، وقال في ذلك «ما أنصفناه إن أخذنا منه الجزية شابًا، ثم نخذله عند الهرم» (أبويوسف في الخراج، نقلًا عن «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، د.يوسف القرضاوي).

وقد أمر عُمر بن الخطاب رضي الله عنه بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين، ويقول الله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ (التوبة: ٦٠)، وهذا من مساكين أهل الكتاب (الخراج لأبي يوسف ص: ٢٦).

المساواة من أهم مقاصد الشريعة ويظهر ذلك جليًا في الحج إذ يرتدي الجميع ثيابًا واحدة

لماذا المواطنة؟ وما أهميتها؟

إن المواطنة من الأهمية بمكان بحيث إنه يجب الانتباه لها باعتبارها قضية مهمة، والعمل على تقويتها وإنمائها بين طبقات وأفراد الشعب بمُختلف أطيافه وأديانه، وذلك لعدة أُمور:

أولًا: المواطنة مقصدٌ إنساني وطبيعةٌ بشريةٌ يسعى إليها بنو الإنسان جميعًا، لأن طبيعة الإنسان تدعوه إلى الاستقرار والأمن والهدوء والطمأنينة، والإسلام حريص كل الحرص على تأكيد هذه الأمور وتقويتها، إذ لا تنمية دون استقرار، ولا تقدم ولا إقامة للحق والعدل، ولا إصلاح في الأرض، ولا تعمير ولا بناء من غير الهدوء والاستقرار والأمن والطمأنينة، وهذا كُله لا يتحقق إلا بالمواطنة، فهي يمكن أن يُطلق عليها ما يُعرف باسم «المقاصد الوسيلية» فهي في ذاتها مقصد وهي كذلك وسيلة لتحقيق مقاصد أُخرى، والقاعدةُ الشرعية تقول «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ثانيًا: نظرة للمواطنة من خلال مقاصد الشريعة «وللمواطنة مقاصد»:

كما ذكرنا - سابقًا - فإن المواطنة في ذاتها مقصد من المقاصد التي تهدف وترمي إليها الشريعة وأحكامها، ودل على ذلك فعله وكذلك باستقراء القواعد الجزئية للشريعة وأحكامها، التي ذكرنا بعضًا منها في مُقدمة البحث، لكن أيضًا هُناك مقاصد تتحقق من وراء تحقق المواطنة وتوجد بوجودها، وهو ما يُسمى في نظرية المقاصد «المقاصد الوسيلية» أي أنها في ذاتها مقصد، وهي أيضًا في ذاتها وسيلة لتحقيق مقاصد أُخرى، وهذا موجود ومتوافر في المواطنة، وللمواطنة مقاصد كالآتي:

حفظُ النسيج الاجتماعي الوطني، فالاختلاف والتعدد والتنوع في الأفكار والمذاهب والآراء والأديان سنة إلهية ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مُختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وقال تعالى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣)، فلا يجوز ولا يُمكن القضاء أو إزالة هذا التعدد والتنوع لأنه سنة إلهية يُقصد بها التدافع والعمل، وكذلك لا يُمكن أن يُترك هذا الاختلاف ليعبر عن نفسه بوسائل قاسية غير سليمة تُدمر نسيج المُجتمع وتُهدد كيانه وتُعطل وتهدر طاقاته، بل إنه لابُد من إيجاد رابطة تربط بين جميع أطياف وأفكار المُجتمع لتتعايش من خلالها وفي إطارها، لها حقوق لا يجوز التنازل عنها، ويجب توفيرها للجميع، وعليها واجبات يجب عليها الإتيان بها.

وحفظ النسيج الاجتماعي وأمن المُجتمع وسلامته من أهم مقاصد الشريعة التي تسعى لتحقيقها، ويتأتى ذلك عن طريق حفظ حقوق الناس وعدم المساس بها أو التعرض للمواطنين أو الاعتداء عليهم، بالإضافة إلى إطلاق الحُريات وتوفيرها، والإسلام وشريعته حرصا على تأكيد هذين المعنيين، فشرعت الحدود والعقوبات والتعزيرات للحفاظ على أمن المُجتمع وسلامته من الاعتداءات والانتهاكات التي قد يتعرض لها الأفراد أو المؤسسات أو المُمتلكات سواء اعتداء على النفس أو على الأموال أو قطع الطريق على الناس فيما يُسمى في الشريعة بـ«حد الحرابة»، فشُرع حد السرقة لحفظ المُمتلكات، والقصاص في القتل لحفظ الروح البشرية والنفس الإنسانية، وشُرع حد الحرابة للقضاء على قُطاع الطرق ومروعي الآمنين، كُل هذه الأحكام تهدف إلى نشر الاستقرار والأمن والطُمأنينة في المُجتمع والقضاء على نار الفلتان والانفلات داخله.

وهذه الفوضى تنشأ كذلك عن غياب المواطنة التي ينعم المجتمع من خلالها بالتسامح، فإذا غابت هذه المواطنة وضاعت معالمها ودب الخلاف والفتنة، وأصبح للفتنة والخلاف أقدام تتحرك وتمشي وأيد تبطش وتقتل وتسرق وتسلب حقوق الناس، ولسان ينشر الكراهية والحقد والبغضاء والكذب بين الناس، فقد ضاع أمن المُجتمع وسلامته، وحدث ما لا يُحمد عُقباه.

ولذلك نجد القُرآن الكريم يدعو إلى الحوار السلمي الهادئ المبني على العقل والمنطق والحُسنى، فيما يُعرف بـ«أدب الحوار»، يقول تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت:٤٦)، ويُخاطب رسوله ﷺ قائلًا ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل: ١٢٥)، فأمره في جداله مع المُخالفين وحواره ونقاشه معهم، بالتزام سبيل المجادلة بالتي هي أحسن.

وخاطب الله تعالى المُعارضين قائلًا ﴿قُل هاتوا برهانكم إن كُنتم صادقين﴾ (الأنعام: ١٤٨)، ولا يكتفي القُرآن بذلك بل يُغري المُخالفين بالمناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم، فيتظاهر جدلًا بأنه لا يقطع بكونه على حق وأنهم على باطل، فيقول ﴿وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أو في ضلال مُبين﴾ (سبأ: ٢٤)، (انظر: الحرية في الإسلام، د.علي عبدالواحد وافي، ص ٦٢).

وللدكتور عبدالمجيد النجار- حفظه الله- تقسيم رائعٌ وشرحٌ بديعٌ في هذه النقطة في كتابه القيم «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي»، إذ أنه عندما تحدث عن مقاصد الشريعة في حفظ المُجتمع وضح ذلك من خلال مقاصد حفظ النسل، وعلاقته بحفظ المُجتمع، وكذلك مقصد حفظ الكيان الاجتماعي عن طريقين:

١- الطريقُ الأول: حفظ المؤسسة الاجتماعية (من خلال الحفظ بثقافة المؤسسية والحفظ بمؤسسة الأسرة والحفظ بمؤسسة الدولة)، ثُم فصل في حفظ مؤسسة الدولة عن طريقين:

١- أن المُجتمع هو مصدر السلطة.

٢- أن الشُورى آلية الدولة.

الطريقُ الثاني: حفظُ العلاقات الاجتماعية من خلال ثلاثة طرق:

١- الحفظ برابطة الأخوة.

٢- الحفظ بميزان العدل.

٣- الحفظ بعلاقة التكافل، وقد أصل ودلل- حفظه الله- لكُلٍ منهم بالنصوص الشرعية، فليُرجع إليه لمن شاء بالتفصيل.

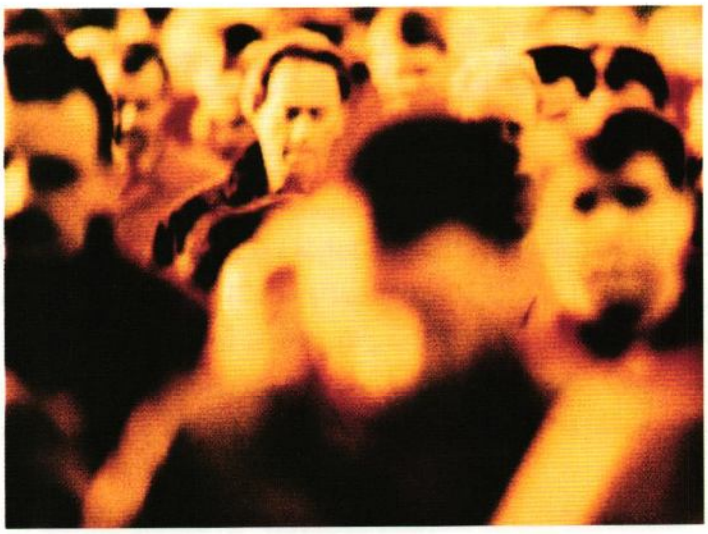
من كل ما سبق يتضح لنا أن حفظ الكيان الاجتماعي مقصد أساسي من مقاصد الشريعة، واجب الالتزام به والعمل على إيجاده وتوفيره، ولن يتحقق هذا المقصد إن غابت المواطنة أو حدث خللٌ فيها.

المقصدُ الثاني للمواطنة: التعاون لتحقيق المقاصد المُشتركة، إننا باعتبارنا مُسلمين لنا في الشريعة مقاصد نسعى لإيجادها، وهي مقاصد منها ما هو صريح، ومنها ما هو ناتج بالاستقراء من نصوص الشريعة وقواعدها الجُزئية وأحكامها، وهذه المقاصد في أغلبها إنسانية، بل على الأحرى كلها من حيث مقتضيات بعضها التي قد يتوهم البعض أنها غير إنسانية، ولو على الأقل بطريقة غير مباشرة، لكن من هذه المقاصد مقاصد تصلح للمسلمين ولغيرهم من غير المسلمين ليتعاونوا ويعملوا سويًا على إنجازها وتحقيقها، وهذه المقاصد يُمكن أن نوطنها أو نوظفها أو نؤطرها في إطارين:

بعضها يُطبق ويُدعى إليه عن طريق الجانب الدعوي ومؤسساته.

البعض الآخر يُطبق ويُسعى إليه عن طريق الجانب السياسي والمدني والاجتماعي والخدمي.

ونحنُ لا نُطالب إخواننا من غير المُسلمين بالجانب الأول، لأنه أمرٌ



مُنتف عقلًا وبديهة، إلا أننا يجب أن نتعاون لتحقيق الجانب الثاني.

خُذ مثلًا، فهُناك تقسيمُ لمقاصد الخلق كالآتي: عبادة الله، تزكية النفس، عمارة الأرض، صناعة الإنسان، السعي للتحلي بمكارم الأخلاق، الهداية للعالمين، الشهادة على العالمين.

فمن هذه المقاصد ما يخدم ويوضع في القسم الأول (عبادة الله، الهداية للعالمين، الشهادة على الناس، وتزكية النفس)، ومنها ما يوضع في الجانب أو الإطار الثاني وهو مثلًا (عمارة الأرض، وصناعة الإنسان بتنمية عقله وقدراته ومواهبه، والسعي لتحصيل مكارم الأخلاق فهو أمرٌ إنساني راق).

وإن كُنا نؤمن بأن المقاصد التي وضعناها في الجانب الأول تصب في إصلاح الإنسان وتكريمه ونهضته لكنه إيمانٌ نلتزم ونعتقد به نحن المسلمين ولا نُلزم به غيرنا.

وهُناك تفصيلاتٌ أُخرى، فمثلًا فصّل العلامة مُحمد رشيد رضا مقاصد القُرآن تفصيلًا طيبًا، فذكر المجالات الآتية: «إصلاح أركان الدين، وبيان ما جهل البشر من أمر النبوة، وبيان أن الإسلام دين الفطرة والعقل والعلم والحكمة والبرهان والحرية والاستقلال، والإصلاح الاجتماعي الإنساني السياسي، والتكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات، والعلاقات الدولية في الإسلام، والإصلاح المالي والاقتصادي، ودفع مفاسد الحرب، وإعطاء النساء حقوقهن، وتحرير الرقاب من الرق» (مُحمد رشيد رضا، الوحي المُحمدي ثبوت النبوة بالقُرآن، مؤسسة عزالدين، الطبعة الأولى، نقلًا عن كتاب «فقه المقاصد، إناطة الأحكام الشرعية بمقاصدها، د.جاسر عودة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي).

كذلك صنف د.يوسف القرضاوي- حفظه الله- سبعة مقاصد وهي «تصحيح العقائد في التصورات للألوهية والرسالة والجزاء، تقرير كرامة الإنسان وحقوقه، الدعوة إلى عبادة الله، تزكية النفس البشرية، تقويم الأخلاق، تكوين الأسرة الصالحة، إنصاف المرأة، بناء الأمة الشهيدة على البشرية، الدعوة إلى عالم إنساني مُتعاون» (كيف نتعامل معَ القُرآن، د.يوسف القرضاوي، دار الشروق).

ثُم جاء د.عبدالمجيد النجار- حفظه الله- وصنفها إلى «مقاصد لحفظ قيمة الحياة الإنسانية، ومقاصد لحفظ الذات الإنسانية، ومقاصد لحفظ المُجتمع وكيانه الاجتماعي، وأُخرى لحفظ المال والبيئة».

لذلك فإننا نؤمن إيمانًا جازمًا ونعتقد اعتقادًا قويًا أنه يجب علينا جميعًا- أطياف الوطن الواحد كافة- أن نتعاون ونعمل لتحقيق هذه المقاصد الإنسانية السامية، ولن يُمكننا ذلك إلا إذا كانت تربطنا رابطة قوية مُتماسكة ننعم من خلالها بالاستقرار والأمن والطمأنينة.

سيكولوجية المواطنة الصالحة

عبدالرحمن العيسوي

في الآونة الأخيرة برزت فكرة المواطنة، ويقصد بها المواطنة الصالحة والاهتمام بالشعور الوطني والانتماء للوطن في المحل الأول واحترام حقوق المواطن وتقدير دوره في الكفاح والنضال المشترك عبر التاريخ، ومن الأهمية بمكان معرفة المواطنة، وكيف نربي المواطن الصالح، وما سماته وخصائصه، ودوره في ظل تحديات الفتنة ودعوات الانقسام والتحزب والتشرذم وإثارة النعرات الطائفية بين أبناء الوطن الواحد، والذين يعيشون منذ مئات السنين على أرض واحدة يقتسمون مر الحياه وحلوها، ويدافعون عن أوطانهم، ويشعرون بالإخاء الوطني والوحدة الوطنية والشراكة الوطنية، ويشعرون بحب الوطن وتقديسه.

لقد برزت على السطح في المجتمعات العربية، فكرة المواطنة والاهتمام بها للتأكيد على المحافظة على النسيج الوطني بكل عناصره، وفئاته وطبقاته وطوائفه، والسعي لتحقيق حقوق المواطن أو حقوق الإنسان، وهي حقوق متعددة ومتنوعة تشمل كل جوانب حياته الصحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والأخلاقية والروحية والمهنية، ومنها حق حرية التعبير والإقامة والزواج والعقيدة والحرية في التنقل وما إلى ذلك.

والحقيقة أن موضوع تكوين أو إعداد أو بناء المواطن الصالح موضوع متعدد الجوانب، إذ يتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية والروحية أو الدينية والدستورية، ولذلك يمكن تناول هذا الموضوع من العديد من الجوانب أو الزوايا أو الرؤى، كالناحية الدستورية والقانونية أو غيرهما، ويتناول هذا البحث المتواضع المنظور التربوي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي والروحي، ويستهدف توضيح السبل

التنشئة الإجتماعية هي عملية صنع المواطن وإعداده وتكوينه



والطرق والمناهج التي تؤدي إلى تكوين المواطن الصالح مسلما كان أم مسيحيا، وكيف نبني المواطن الصالح، ذلك المواطن الذي يعطي للوطن حقه ويطالب المجتمع بحقوقه المشروعة.

وما صفات ذلك المواطن، وما الدور الذي ينبغي على المجتمع أن يؤديه لتكوين هذا المواطن، وما الحقوق التي يتعين على المجتمع أن يوفرها لجميع أبنائه بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والسياسية والطبقية أو السلالية، حقوق الإنسان بوصفه، في المحل الأول، مواطنا صالحا، وعلى ذلك فإن المواطنة الصالحة تتطلب من الفرد أن يكون مواطنا صالحا مؤمنا بربه ووطنه وعروبته، وأن يكون قادرا على العمل والإنتاج، وبالإضافة إلى خير المجتمع ونفعه، وأن يكون فاعلا وإيجابيا وليس سلبيا، وأن يكون محباً لوطنه، ولديه الاستعداد للتضحية والبذل والعطاء من أجله، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل حمايته والارتفاع بقدره وإعلاء شأنه بين الأمم، والذود عنه ودفع الأخطار والأضرار عنه، وفي الوقت نفسه يتعين على المجتمع في الوقت الراهن أن يلبي حاجات الفرد وطلباته في العيش الكريم، والرعاية الصحية الجيدة، ويوفر له التعليم الجيد، والعلاج الجيد، والعمل المناسب والأجر الحلال الكافي، وأن يوفر له سبل الحياة الكريمة من إقامة ومواصلات وزواج ونحو ذلك.

وتنطلق فكرة «المواطنة الصالحة» من فلسفة الاهتمام بالثروة البشرية والتي ثبت للعالم أجمع أنها أغلى الثروات جميعا وأكثرها قيمة وفائدة، ولقد علمنا التاريخ أن المجتمعات التي أحرزت تقدما وقوة ومنعة ونهضة وتنمية إنما اعتمدت في ذلك على ما تمتلك من الثروة البشرية، ممثلة فيما لديها من العلماء والباحثين والمفكرين في مجالات الذرة والتكنولوجيا وغيرها من التخصصات، ومن ذلك سعي الدول المتقدمة لاستنزاف الثروة البشرية للدول الفقيرة، وتشجيع هجرة العقول أو الأدمغة إليها لبناء نهضتها، وفي الآونة الأخيرة امتدت الهجرة إلى العضلات أيضا حيث يهاجر ملايين

• اختصاصي نفسي مصري

العمال المهرة وغير المهرة إلى البلدان المتقدمة، ومن المؤسف أن يموتوا غرقا في البحار والمحيطات قبل أن يصلوا إلى مراميهم.

وعلى ذلك فإن ما ينفق من المال العام على التعليم والبحث العلمي ونشر الثقافة إنما هو من قبيل الاستثمار الجيد، فعلى قدر ما يقدم المجتمع من المال العام على قدر ما يرتد إليه ذلك في شكل خبراء وعلماء وباحثين ومهندسين وأطباء وغيرهم ممن يسهمون في إقامة النهضة المنشودة وممن يقومون بمشاريع التنمية الشمولية والمستدامة التي أصبحت مطلبا ضروريا لشعوبنا العربية الناهضة والوفية والمخلصة والأبية، هذه الشعوب الطيبة الطاهرة المحبة للسلم والسلام تستهدف النمو والتنمية والتقدم والنهضة والازدهار في جو يسوده السلام العالمي والإخاء العالمي والتضامن العالمي والتعاون العربي والتلاقح الحضاري.

وفي المجال الصناعي والمهني اتضح، منذ عهد بعيد، أن العنصر البشري هو أهم عناصر الإنتاج، وعليه يتوقف نجاح المشروعات وإدارتها، وذلك مقارنة بباقي عناصر الإنتاج من رأس المال والمواد الخام والأسواق والمواصلات، ولاشك أن أهمية الإنسان العربي الأبي الوفي لربه ثم لوطنه والمؤمن لابد أن تجعلنا ندعو إلى ضرورة احترام حقوق الإنسان بأنواعها كافة، ولابد من تدعيم دور التربية والمنظمات التربوية على مختلف مستوياتها لكي تسهم في بناء المواطن الصالح القادر على دفع عجلة الإنتاج قدما إلى الأمام.



التنشئة الاجتماعية

وإذا كنا في معرض تربية الإنسان العربي وتكوينه وإعداده إعدادا سويا وصالحا على الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، فلابد من الاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية السوية، وهي تلك العملية التي تمد الإنسان وتزوده بقيم المجتمع ومثله ومعاييره وعاداته وتقاليده وأعرافه وثقافته ومبادئه الروحية والأخلاقية، بحيث يشب مواطنا متكيفا مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ويتعود على الطاعة والنظام واحترام الشرع والقانون، ويشعر بالانتماء القوي للوطن.

تدعيم الشعور بالانتماء

وعملية التنشئة الاجتماعية هي عملية صناعة المواطن وإعداده وتكوينه، وهي عملية ممتدة من المهد إلى اللحد، وهي التي تساعد الفرد على قبول قيم المجتمع وامتصاصها في كيانه أو استدخالها واكتسابها، بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من كيانه ومن شخصيته، ونظرا لأهمية عملية التنشئة الاجتماعية يقال في حقها: إنها العملية التي تحول الإنسان من كونه مجرد كائن حيوي بيولوجي عند ميلاده إلى كائن إنساني بشري، فهي التي تحيل الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن إنساني، وهي التي تكسب الإنسان إنسانيته وقيمه ومثله ومعاييره، والتنشئة السوية تحمي الإنسان من الإصابة بالأمراض والعلل والاضطرابات والأزمات والأعراض العقلية والنفسية ومن الشذوذ في السلوك.

أما عن الهيئات التي تسهم في هذه العملية فهي كثيرة ومتعددة، ومن أهمها وأكثرها تأثيرا في حياة الإنسان مؤسسة الأسرة ثم المدرسة والجامعة ودور العبادة ومؤسسات الثقافة الجماهيرية كالإذاعة والتلفاز والمتاحف والمعارض والسينما والمسرح والأندية والصحف والمجلات والكتاب والرواد ودعاة الإصلاح والقادة والزعماء والنقابات والاتحادات المهنية والعمالية والأحزاب السياسية، والكتب والمجلات والدوريات والندوات والمؤتمرات وحلقات الدرس والحوارات، ذلك لأن الإنسان، بحق، هو «ابن البيئة والوراثة معا» أي أنه محصلة التفاعل والأخذ والعطاء والتأثير المتبادل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية المكتسبة من جراء التفاعل والاحتكاك مع عناصر البيئة الاجتماعية أو الثقافية أو المادية أو الجغرافية أو الفيزيقية.

فالإنسان ابن البيئة والوراثة معا، ولذلك لابد من العناية بالوراثة وتشجيع سلامتها وتحسينها ولابد من تحسين البيئة وظروفها.

مناخ المواطنة

ولاشك أن المناخ الوحيد الصالح لتكوين المواطن الصالح وتنمية فكرة المواطنة أو فلسفة المواطنة وحب الوطن والانتماء له يجب أن يمثل في:

١- المساواة في الحقوق والواجبات واعتبار جميع المواطنين سواسية أمام القانون لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

٢- العدل، خصوصا العدل الاجتماعي، وبسط العدالة في مناحي الحياة كافة .

٣- تكافؤ الفرص في مجالات التوظف والتعليم بحيث لا يحرم أي مواطن من فرصته العادلة في التوظف أو التعليم بسبب عقيدته أو جنسه أو طبقته الاجتماعية أو سلالته، فلابد من إتاحة فرص متساوية أمام جميع الأفراد، وذلك في نقطة البداية، بحيث يصل الفرد إلى أعلى ما يمكن أن توصله إليه قدراته الطبيعية، وذلك لأن تكافؤ الفرص لا يعني أن

يصل جميع أفراد المجتمع إلى نهاية التعليم مثلا، ولكن يعني أن تتاح الفرص المتكافئة لكل مواطن للارتقاء في السلم التعليمي أو الوظيفي، وإنما فقط في حدود ما تمكنه من ذلك قدراته الخاصة واستعداداته وميوله واتجاهاته وسمات شخصيته وما لديه من الخبرات والمعارف والمعلومات.

٤- احترام ذكاء الإنسان وقدرته على الإسهام في حل مشاكل المجتمع.

٥- الأخذ برأي الأغلبية مع احترام الأقلية.

٦- حكم الشعب نفسه بنفسه لصالح نفسه، وذلك عن طريق الاختيار الحر النزيه لمن يمثلونه في المؤسسات النيابية أو البرلمانية وفي مجالس الشورى وما إليها.

٧- ضمان وكفالة حد أدنى من مستوى المعيشة أو الحياة الآدمية الكريمة.

ولاشك أن عملية صنع المواطن الصالح تحتاج إلى تضافر جميع العلوم من مختلف التخصصات كالطب والهندسة والاجتماع وعلم النفس والتربية والقانون وعلوم التربية وما إلى ذلك، ومن الأهمية بمكان تطوير النظام التعليمي بمختلف مستوياته من الحضانة حتى الجامعة.

تطوير التعليم وضمان الجودة والاعتماد

ويرتبط بالتطوير المطلوب في مجال التعليم وتحسين جودته أو تحقيق تطويره وضمان الجودة والاعتماد، يرتبط بذلك النهوض بالبحث العلمي، حتى تتمكن مؤسسات البحث العلمي ومراكزه من الإسهام في حل مشاكل المجتمع والإسهام في ملاحم التنمية التي تقوم على أساس العلم والمنهج العلمي.

النمو الرأسي والنمو الأفقي

وفي ضوء ضرورة الإسراع في حركات التنمية الشمولية (الاقتصادية والاجتماعية والبشرية) لابد من انتهاج منهج التطوير على المستوى الأفقي، وذلك بإضافة وحدات جديدة إلى وحدات الإنتاج القائمة حاليا.

فكرة فرق تسد

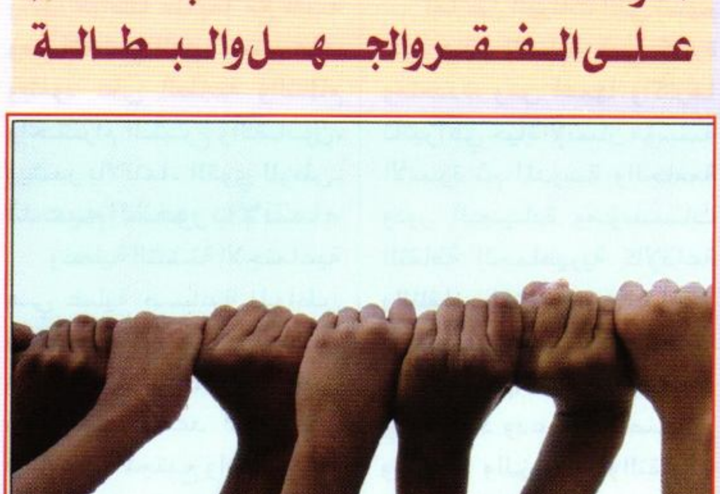
تعمد القوى الاستعمارية والصهيونية إلى إثارة الفرقة والانقسام بين أبناء الأمة العربية الواحدة، بل بين أبناء المجتمع الواحد بإثارة النعرات الطائفية أو العرقية أو السلالية أو المذهبية بقصد إثارة حالات الاحتراب الداخلي أو الحروب الأهلية والداخلية حتى تصفي القوى الوطنية بعضها بعضا ويتفرغ الاستعمار لاستغلالها وابتزازها واحتلالها وفرض سيطرته أو سطوته عليها والهيمنة على قواها بعد إضعافها، انطلاقا من المبدأ الاستعماري البغيض وهو «فرق تسد»، ولا شك أن الإخاء من القيم التي يحض عليها الإسلام الحنيف في الوصية بالجار والعطف عليه مهما كانت عقيدته الدينية، والإسلام يدعو إلى السلام والسلم والإخاء والمودة والمحبة والتسامح والتعايش وقبول الآخر، ومن ذلك احترام الإسلام الحنيف لجميع الأديان السماوية ودعوته إلى الإيمان بجميع الرسل والأنبياء من دون أي تعصب أو تحيز، وهناك الدعوة لقبول الآخر وحسن الجوار والدعوة للسلم والسلام تعبيرا صادقا عن الدعوة الإسلامية السامية والمتمثلة في القول الكريم «أحب لأخيك ما تحب لنفسك».

ويحترم الإسلام غير المسلمين إذا لم يكونوا محاربين ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (المائدة:٨٢).

وفي باب الوصية بالجار قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾ (النساء: ٣٦).

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (متفق عليه)، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ «يا أبا ذر: إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك» (رواه الإمام مسلم)، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «والله لا يؤمن، والله لايؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يارسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه» (متفق عليه)، وفي رواية للإمام مسلم «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» وقوله ﷺ «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه» (متفق عليه) ويقصد بالفرسن الظفر من الشاة والخف من البعير، وفي هذا الصدد قول رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» (متفق عليه)، وقوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره» (رواه مسلم).

المواطنة الصالحة تتطلب القضاء على الفقر والجهل والبطالة



الشيخ سليم المسوتي.. شيخ المتوكلين

أ. د. محمد حسان الطيان

منذ وعيت الدنيا كنت أطالع صورته في بيت جدي لأمي، بيت المسوتي، ذلك البيت الذي فيه ولدت، وفيه نشأت وترعرعت، وفيه لعبت وسلوت، وفيه مرابع طفولتي ومواطن هواي وملاعب أحبتي، حتى لقد ظنني كثير من الناس مسوتي النسب، أعني نسب الوالد والشهرة واللقب، وما أنا كذلك، وإن كنت مسوتي الهوى والرضاع والنزعة والمحبة.

قلت إنـي كـنـت أطـالـع صورته، صورة الشيخ سليم المسوتي (رحمه الله) بطلعته البهية، وهيبته السنية، وبسمته النورانية، ولحيته التي كنت أرى الطهر تحت كل منبت من منابت شعرها.. وقد كتب تحتها ذلك البيت الذي كان أول بيت حفظته في الشعر العربي

حَلَفَ الزمانُ لَيأتِيَنَّ بمثله
حنثَتْ يمينُكَ يا زمانُ فكفِّر

كنت أردد هذا البيت دون أن أدرك معناه، حتى إذا شببت عن الطوق واستبان لي معناه طفقت أسأل أيّ رجل كان هذا الجدُّ حتى عصي على الزمان أن يأتي له بنظير؟ وأيّ علم طوي عليه صدره؟ بل أيّ خلق اشتملت عليه نفسه؟ وأيّ نور نشر بين الناس؟ وأيّ ذكر ترك في أذهانهم؟

وكانت الإجابات تأتيني من هنا وهناك، فما إن يُسمع لقب المسوتي حتى يذكر الشيخ سليم رحمه الله، وما إن يذكر الشيخ سليم حتى تتوالى الحكايات عنه مشفوعة بالثناء الجميل، والذكر العطر، والمناقب التي ندر أن تجتمع لواحد بمفرده، ولاسيما توكله الذي قيل فيه: لو وزع على أهل بلد لكفاهم.

من ذلك أن طارقًا طرقه قبل موعد الإفطار في رمضان، يشكو كثرة العيال وقلة المال بل عدمه، فما كان من الشيخ رحمه الله إلا أن أعطاه «طنجرة» الطعام برمتها، لم يبق منها لأهل الدار شيئًا، على كثرتهم، إذ لم يكن البيت يخلو من أربع نساء ولكل امرأة أولادها، وكلهم من نسل الشيخ، فعَلا الصياح وكثر الاعتراض، والشيخ صامت يسبّح وهو واثق من عطاء الله مسلِّم أمره كله لله، وما إن ارتفع أذان المغرب حتى قرع الباب، وإذا وراءه خيرٌ كثير وطعام وفير أمر به الوالي (والي دمشق) لبيت الشيخ رحمه الله.

فما جازَهُ جودٌ ولا حلّ دونَهُ
ولكن يسيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ

ومن ذلك أن سائلاً سأله كساءً في المسجد، ولم يكن الشيخ، رحمه الله، يملك إلا ما يلبس، وقوام لباسه جبة تحتها «صاية»، والصاية ما يلبس تحت الجبة من دثار، وهي أشبه ما تكون بـ«الجلابية» أو «الدشداشة» إلا أنها مفتوحة يُرَدُّ طرف منها على الطرف الآخر، ويوضع في الوسط ما يشبه الحزام العريض ويتخذ عادة من قماش فاخر، فما كان من الشيخ إلا أن دخل غرفته في المسجد ليخرج حاملاً صايته ولوازمها ويقدمها للسائل، وقد ارتدى جبته على شعاره (أي ملابسه الداخلية التي تلي الجسد مباشرة)، وأكمل نهاره على هذه الحال، وعندما عاد إلى بيته بعد العشاء وافاه ولده بتسع صايات أهديت إليه، فما كان من الشيخ إلا أن طالبه بالعاشرة، وفغر الولد فاه متعجبا من معرفة أبيه خجلا من تصرفه! إذ أخفى عنه واحدة استئثارا بها وخوفا من أن يوزع والده الصايات العشر على أصحاب الحاجات فلا يقع له منها شيء، وسرعان ما اعتذر عن فعله وهو يبدي تعجبه من فطنة الشيخ ومكاشفته! فقص عليه الشيخ رحمه الله قصة السائل الذي سأله، مردفا: كنت على يقين أن الحسنة بعشر أمثالها.

ومن حديث توكله على الله وتسليمه الأمر كله له.. أنه مات له ولد في شرخ الشباب وميعة الصبا كان يرى فيه نفسه ويعده لخلافته، وقد أرسله إلى مصر ليدرس في الأزهر، ويعود بعلم غزير وخير كثير، إلا أن أجله كان أسبق من أمله، وتوفي بين يدي والده، فما زاد الشيخ على أن قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم منك وإليك، ووسده التراب في مقبرة الدحداح بدمشق الشام، ليلحق به بعد حين ويدفن إلى جواره، ومازال القبران متجاورين، وذلك يدل على رفعة الشيخ وعلو منزلته.

على أن الموقف الذي لم أر للشيخ فيه نظيرا هو ذاك الذي كان مع تلميذه الأثير لديه، الشيخ أبوالخير الميداني، شيخ الشام ورئيس رابطة العلماء فيها، فقد لزم الشيخ سليمًا وأخذ عنه وانتفع بعلمه وبحاله، وانقضت على صحبته سنوات، ختمها الشيخ بتوجيه تلميذه إلى شيخ آخر بعد أن نفِد ما عنده من علم، لما رآه فيه من النجابة والفطنة، وقد ائتمر التلميذ بأمر شيخه فلزم الشيخ عيسى الكردي، وتزوج ابنته، وانتفع به بعد أن انتفع بالشيخ سليم، فكان بعد ذلك من نوادر العلماء، رحمه الله.

لقد توكل الشيخ سليم على الله فأحسن التوكل، وكان شعاره في الحياة ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق: ٣) أي كافيه وكافله ومعطيه وحارسه، ومن كان الله كافيه فماذا ينقصه؟ ومن كان الله كافله فماذا يعتريه؟ ومم يخاف؟

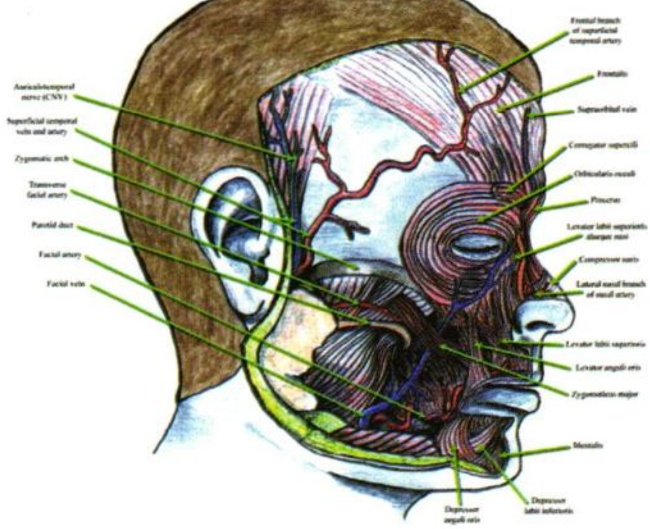
رحم الله الشيخ «سليم المسوتي» وجزاه عنا وعن الأمة خير ما جزى عالما عن أمته، ومربيا عن أولاده وتلامذته، ومتوكلا عن إيمانه وعقيدته، وجعل الخير والبركة والعلم في نسله وحفدته، وقدر لهذا الزمان أن يبر بيمينه فينجب الأخيار والأطهار والأبرار الذين يحيون حياة سلفهم، وينشرون الفضيلة والسماحة والتقى، ويثبتون أن الخير موصول في هذه الأمة إلى يوم القيامة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* أكاديمي في الجامعة العربية بالكويت

الآيات الباهرة في وجه الإنسان

أ.د. عبدالقادر الحبيطي ◆

إن أكثر الأمور قربا منا، قد تكون أحيانا أبعدها عن مركز اهتمامنا، وذلك بسبب الألفة الشديدة، ومن ذلك أن كلًا منا قد ألف النظر إلى وجهه في المرآة فلا يرى إلا أمورًا ظاهرية ولا ينطلق في رؤيته إلى أبعد من الظاهر، أي إلى التصاميم الإبداعية العظيمة التي قام عليها تكوين وجهه، ولعلنا إذا قرأنا قوله تعالى: ﴿... وصوركم فأحسن صوركم﴾ (التغابن: ٣)، (غافر: ٦٤) نتساءل، ما هو الإحسان في تصوير كل منا؟ فالآية تتحدث عن الإنسان بشكل عام ولا تختص بطائفة منهم دون أخرى، فهي تشمل الكبار والصغار وجميع أطياف الناس، فإذا علمنا أننا مطالبون بأن نبصر أوجه الإبداع في تصوير كل منا في قوله تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢١)، فلابد من التفكير والتتبع العلمي، فالعلم رؤية أو إبصار للحقيقة.



يتألف وجه الإنسان من خمس وخمسين عضلة مختلفة الأشكال والأحجام، يغذيها اثنا عشر عصبا منطلقة من مراكز في المخ، ولكل من هذه العضلات والأعصاب المتصلة بها وظيفته المحددة، وأهم هذه الأعصاب المثلث التوائم (Nerve Trigeminal) الذي تسري سيالاته العصبية في عضلات الوجه فتحركها، وله وظيفة حسية أيضا، ويساهم معه العصب الوجهي (Facial Nerve) الذي يتصل بعضلات الوجه المتعددة ويؤثر فيها عبر فروعه الكثيرة السارية في هذه العضلات، فيجعلها ترتخي أو تنقبض ضمن خطة منظمة بديعة.

وتتغير سيماء الوجه (ملامحه المختلفة) حسب شدة وجهة تقلص هذه العضلات، ويتعلق ذلك بمقدار التيارات الإلكترونية السارية عبر الأعصاب، ويتفرع العصب الواحد من هذه الأعصاب إلى فروع عديدة تغذي كل ألياف العضلات، فتصبح العضلات كلها واليافها مشمولة بشبكة عظيمة معقدة من الأعصاب وفروعها، وكلها متصلة بمراكز في الدماغ.

التلازم بين ملامح الوجه وأحوال النفس وانفعالاتها

في قسمات وجه الإنسان وملامحه وما يظهر عليه من سيماء دلالات واضحة تعبر بجلاء عما تنطوي عليه نفسه من ميول وانفعالات وأحوال واتجاهات، فكأن قسمات وجه الإنسان وما يظهر فيها من سيما وملامح لغة مرئية تعبر بوضوح عما يستكن في أعماق النفس الإنسانية، أو هي ترجمان للنفس ومرآة لها.

وقد توصل العلم الحديث للربط بين ما يحصل على الوجه من استجابات عضلية تحركها السيالات العصبية ومن ورائها التغيرات الهرمونية ايضا، وبين ما يحدث في اعماق النفس من مشاعر الفرح أو الحزن أو الخوف أو الدهشة أو الكآبة أو القلق أو الاطمئنان أو الاستفسار عن غموض إلى غير ذلك من الأحوال، فكل هذه المشاعر والانفعالات التي تجول في أعماق النفس تظهر على ملامح الوجه ولها سيما تميزها كأنها مرآة تعكس أحوال النفس ومنطوياتها.

فالفرح يظهر جليا على ملامح الوجه وقسماته، وكذلك الحزن لا يخطئه الناظر إلى وجه حزين، ولو لم يقل كلمة واحدة، وترسم علامات الخوف على وجه الخائف وتظهر الدهشة جلية على قسمات الوجه، والرضى والاطمئنان النفسي والهدوء تكاد ملامح الوجه تفصح عنها.

ويبدو أن هذه البرامج العجيبة والتصاميم الرائعة قد وضعها الله سبحانه بشكل مسبق في تكوين دماغ الإنسان وما ينطلق منه من أعصاب تحرك عضلات الوجه لتفصح بوضوح عما استكن في النفس الإنسانية من مشاعر وانفعالات.

فسبحان من ركب عضلات وجه الإنسان تركيبًا هندسياً عجيبًا معجزاً لتعبر عن الأحوال والمشاعر والانفعالات المختلفة التي تساور النفس، كأن ملامح الوجه لغة مرئية واضحة كما أسفلنا.

ولذا فإن التفكر في هذه الناحية العجيبة من تكوين وجه الإنسان يكشف عن ملامح الإعجاز العلمي، فترى هندسة وجه الإنسان من آيات الله الباهرة في خلق الإنسان.

ومن أبلغ ما يراه المرء في هذه الناحية العجيبة من خلق الإنسان وجوه الأطفال، فما في أنفسهم من صفاء وطهر وبراءة ينعكس على وجوههم وعيونهم بشكل يستهوي النفوس جماله،

◆ أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقا

سبحان من ركب عضلات الوجه تركيباً هندسيا معجزا كأن ملامح الوجه لغة مرئية



بحيث لا يملك الناظر إليهم إلا أن يلتفت إلى ربه جل شأنه يسبحه ويقدسه.

وهذه البراءة والطهر والصفاء هي المنحة الأولى التي منحها الله سبحانه للنفس الإنسانية، والمطلوب من الإنسان إذا اكتمل ذكاؤه واستلم أمانته، أن يزيدها زكاة وطهرًا وكمالًا بمسعاه وسيره ضمن سنن الكمال التي سنها الله تعالى، لا أن يدنسها في ما يدنسها ويزري بها، فهو المخلوق الوحيد الذي يملك حرية الاختيار، فيوجه نفسه الوجهة التي يختارها ويريدها، قال ربنا سبحانه ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها﴾ (الشمس: ٧-١٠).

مزيد من التتبع والتأمل

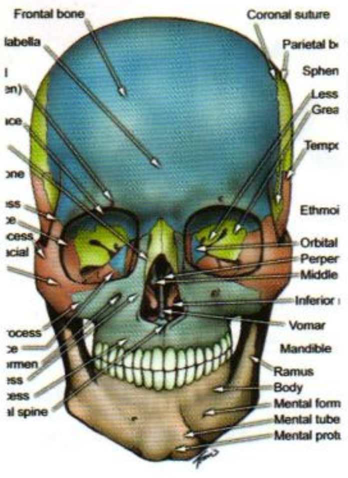
ولكي تتضح ملامح الإعجاز والإبداع في هذه الناحية العلمية الرائعة، دعنا نتفكر بامرئ قد غضب لتوه، فكيف اتخذت خمس وخمسون عضلة في وجهه درجات مختلفة من الانقباض والانبساط في نفس الوقت لتعبر بجلاء عما استكن في نفسه من مشاعر الغضب، إضافة لما يتوارد على وجهه من الدماء التي تجعله يحمر وينتفخ، ومن وراء ذلك مفرزات هرمونات الشدة مثل الأدرينالين والنورايبيفرين التي تسرع نبض القلب وتؤثر على الدورة الدموية بشكل يتناسب مع انفعال الغضب، ولهذه الأمور تفصيلات كثيرة نتجاوز عنها، فلنتأمل سوية في هذه الحادثة العجيبة، أن كل عضلة من العضلات الخمس والخمسين في وجه الشخص الغاضب تأتيها سيالة عصبية تحركها بالمقدار اللازم بالضبط سواء أكان ذلك انقباضًا أو انبساطًا، وبما يتناسب مع شدة هذه السيالات العصبية التي ما هي في حقيقتها إلا تيارات الكترونية موجهة بضبط تام ومقادير دقيقة لتتخذ تلك العضلات هيئة تفصح عن الغضب بوضوح تام، وتجري كل هذه الأحداث المعقدة المتعددة بسرعة متناهية وفي أجزاء من الثانية دون علم الإنسان الغاضب أو وعيه، وليس له ادنى تدخل أو إرادة أو فعل لإتمام هذا الأمر أو للسيطرة عليه.. إنها حقًا ليست إرادته ولا فعله بل هي إرادة خالقه العظيم ومدبر شؤونه الحكيم، ولا يملك هو من ذلك شيئًا.

ولنا أيضًا أن نناقش حالة الحزن والخوف والكآبة والفرح والدهشة وغير ذلك من الانفعالات والمشاعر بنفس الطريقة الآنفة الذكر، لنرى كم أن هذه الناحية في الإنسان تدل على عظمة في التصميم وإعجاز علمي كبير، فما هذه البرامج العجيبة التي توفق بين الأحوال النفسية المختلفة والمتغيرة وما يظهر على الوجه من تعابير تدل عليها وتصورها بدقة ووضوح، وكأن هذه الأحوال التي تطرأ على النفس الإنسانية بمختلف أشكالها قد وضع لها الخلاق العظيم برامج حاسوبية، وأودعها في دماغ كل إنسان، فإذا غضب جرى تفعيل البرنامج الحاسوبي الخاص بالغضب في الدماغ، فانطلقت التعليمات من ذلك البرنامج سارية في الأعصاب الموجهة إلى الوجه لتتخذ شكلًا غاضبًا، كما انطلقت تعليمات أخرى إلى القلب والدورة الدموية والهرمونات لتوافق مع انفعال الغضب الجديد.

وإذا هدأ انفعال الغضب تغيرت الأمور وجرى تفعيل برنامج آخر ليعطي ملامح جديدة للوجه، وتعليمات أخرى للقلب والهرمونات.

وإذا خاف امرؤ تفعل البرنامج الحاسوبي للخوف، فجاءت تعليمات البرنامج من الدماغ سارية في أعصاب الوجه لتعطيه ملامح تصور الخوف، كما توجهت تعليمات أخرى إلى الدورة الدموية والهرمونات للتوافق مع هذا الانفعال الجديد، فيصفر الوجه ويزداد نبض القلب، ويظهر انفعال جديد يترافق مع انفعال الخوف يجعل الإنسان يتخذ مواقف دفاع أو هجوم أو هرب طالبًا السلامة مما أثار الخوف، وهكذا، فإذا ناقشنا هذه البرامج الحاسوبية العجيبة، أفلا نتساءل بعد ذلك، من هو الذي صممها وأبدعها ووضع لها الاتصالات المختلفة لتحدث مثل هذه الآثار العجيبة؟! وكذلك.. من يتولى تشغيل وتفعيل هذه البرامج كل في وقته وبما يتناسب مع حالة الإنسان وانفعالاته؟!

حقًا إن عظمة تكوين الإنسان لَلتحدي لعقول أعظم العلماء، فلا يسعهم إلا أن يقفوا أمامها مبهورين خاشعين لعظمة مبدعها وخالقها العظيم جل شأنه الذي أبدع كل هذه البرامج المنظمة المقصودة، والتي تجعل وجه الإنسان مرآة تعكس جلال وعظمة مبدعه ومصوره.



مسك الختام

وخلاصة القول، إن وجه الإنسان آية عظيمة من آيات الله الباهرة، وقد خلقه ربنا عز وجل خلقًا معجزًا ليكون مرآة لنفس الإنسان تعكس أحوالها بجلاء وصدق، وتنطق بلغة مرئية عما استكن فيها من المنطويات دون وعي من الإنسان ولا إرادة، ولا يملك الإنسان من ذلك شيئا.

وكم لله عز وجل من آيات باهرة في خلق الإنسان والكون من حوله، وإن تفكر ساعة خير من عبادة ستين عامًا كما أثر عن رسول الله ﷺ.

فاللهم اجعل سريرتنا خيرًا من علانيتنا، واجعل علانيتنا خيرًا.

القُرآنُ وَصناعة إرَادَة الإنْسَان

د. عبدالكريم حامدي *

لقد استوقفني هذا الموضوع وأنا أطالع افتتاحية مجلة الوعي الإسلامي في أحد أعدادها الأخيرة، حيث أشار رئيس التحرير، إلى أهمية الإرادة في صنع مستقبل الإنسانية عامة والمسلمين خاصة، فعزمت على تحرير مقال في هذا الشأن يبرز مفهوم الإرادة، وما علق بها من مفاهيم خاطئة أدّت بالمسلمين إلى الجدال العقيم، والصّراع الفلسفي المقيت، والتّنابز بالألقاب المهين، الذي أعاق العقل عن التّفكير وأغلق باب الإبداع، وقيّد العزائم وثبّطها عن النّهوض، بتفسيرات خاطئة للإرادة الإنسانية ومُنافية لروح الشّريعة وتعاليم الدّين.

ولا يمكن أبدا أن نفهم أصول الدّين ومتعلّقاته الفكرية والعملية إلا في ضوء معاني القرآن المحكمة الواضحة، وتفاسير الصّحابة والتابعين، بعيدا عن التّيارات المذهبية التي فلسفت النّصوص بتأويلات غريبة أدّت بالعقول إلى التّيه في مسالك وهمية وخيالات مصطنعة، أربكت المجتمع المسلم في عصور الانحطاط، وأضلّته عن سواء السّبيل، فاستسلم للجهل والفقر والظلم والتعسّف والبطش؛ بدعوى أن لا إرادة ولا قوّة على التغيير.

النصوص المفسرة بتأويلات غريبة أدت بالعقول إلى التيه في مسالك وهمية وخيالات مصطنعة

معنى الإرادة: جاء معنى الإرادة في المعاجم اللغوية دالا على العزم والنية والتوجّه نحو الفعل والعمل، فهو انبعاث قلبي جادّ يشحن عزيمة الإنسَان على ترجمة أفكاره وخططه والانتقال بها من مجرّد النية والفكرة إلى الفعل والعمل والسّلوك.

أنواع الإرادة: بالرّجوع إلى القرآن الكريم واستقراء مفردات الإرادة في ضوء آياته، نجد أنّ القرآن، يتحدث عن نوعين من أنواع الإرادة، هما: الإرادة الإلهية، والإرادة الإنسانية.

الإرادة الإلهية: ونعني بها مشيئة الله تعالى في تصرُّفاته، وهي قسمان: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

فالإرادة الكونية هي المشيئة الشّاملة لجميع الموجودات، التي تحكم الخلق والكون، وتسير عالم الإنسان والحيوان والنّبات والجماد، وسائر العوالم ما خفي منها وما ظهر، ما عظم منها وما صغر، بما يحقق الغاية من الوجود والحكمة من الخلق.

وقد دلّت على هذه الإرادة نصوص قرآنية كثيرة، كقوله تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ (الأنعام: ١٢٥) وقوله ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ (هود: ٣٤) وقوله ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ (البقرة: ٢٥٣) وقوله ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله﴾ (الكهف: ٣٩).

وهذه الإرادة شاملة لا يخرج عنها أحد من الخلق أو الكائنات، فكلّ الحوادث الكونية العلوية والسّفلية داخلة تحت أمره ومراده ومشيئته سبحانه وتعالى، ويشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل جنّته وأهل ناره. وهذه الإرادة لا يتخلّف مرادها قط، ولا خيرة لأحد معها قط، وهي إرادته تعالى في الإيجاد والإعدام، والتوفيق والخذلان، والعطاء والمنع.

أما الإرادة الشّرعية فهي التي تتضمّن المحبة والرِّضى، وقد دلّت عليها نصوص كثيرة، كقوله ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقوله ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ (المائدة: ٦) وقوله ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم﴾ (النساء: ٢٦) وقوله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ (الأحزاب: ٣٣) فهذه النّصوص وأمثالها تشير إلى هذا النوع من الإرادة الإلهية، وأنه سبحانه لا يحب لعباده الذنوب والمعاصي، ولا الضلال والكفر، ولا العسر والضِّيق، ولا يأمر بها ولا يرضاها، وإن كان الله تعالى شاءها خلقا وإيجادا، بل يريد لعباده ويحب لهم الطهر، واليسر، والتوبة والهداية إلى أقوم السّنن وأحسن السّبل.

وهنا يجب التنبيه إلى أمر بمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعترض من لم يحط علما بها كما يقول ابن القيم -رحمه الله- وهو أنّ إرادة الله

* أستاذ الفقه المقارن في الجزائر

تعالى ومشيئته تتعلق بأمره الكوني والشرعي معا، فالله تعالى خلق الخير وهو يحبه، وخلق الشرَّ وهو يبغضه، وخلق الإيمان وهو يحبه ويرضاه لعباده، وخلق الكفر ولا يحبه ولايرضاه لعباده، كما خلق المؤمنين وأولياء الصالحين وهو يحبّهم ويتقرَّب منهم، وخلق الشياطين وأعوانهم وهو يبغضهم ويمقتهم، فمشيئته سبحانه شاملة لكلّ ذلك، غير أنَّ ما وُجد من الكفر والفسوق والعصيان تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ورضاه ولا أمره الديني، وما وُجد من الإيمان والطاعة تعلّقت به المشيئة والمحبة والرضا جميعا، قال تعالى ﴿ولا يرْضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ (الزمر: ٧)، وقال ﴿والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة: ٢٠٥)

الإرادة الإنسانية:

هذا النوع الثاني من الإرادة، يتعلَّق بمشيئة الإنسان في الفعل وعدم الفعل، في الحركة والسّكون، في الإقدام والإحجام، في البذل والعطاء وفي البخل والشحّ، في الجدّ والاجتهاد وفي الكسل والعجز والخمول، في الكفر والإيمان، في الطاعة والعصيان، في التفكير والاختراع والإبداع وفي التقليد والجمود، في الحرية والانعتاق وفي التبعية والانهزام.

حرِّية إرادة الإنسان:

الإنسان حرّ في إرادته وتصرّفاته، وقد ضلّت فرقة من المسلمين قديما لما ادَّعت أن الإنسان لا إرادة له، وأنه كالرِّيشة في مهب الريح في حين ذهب المحقّقون من السَّلف والخلف إلى أنَّ الإنسان حرٌّ مختار، لا جبر عليه ولا سلطان، يفعل ما يريد؛ للأدلة الآتية ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكَّاها وقد خاب من دسّاها﴾ (الشمس: ٧-١٠) أي أنَّ الله تعالى خلق النفس مسوَّاة ومعتدلة قابلة للتقوى والفجور، ومستعدَّة للخير والشّر، والله تعالى زوَّد الإنسان بالعقل الذي يميز بين الحقِّ والباطل في العقائد، وبين الخير والشرِّ في الأفعال، وأعطاه القدرة على الاختيار والتفضيل والترجيح والتمييز بين الضّار والنافع والصّالح والطالح. وقال سبحانه ﴿إنا هديناه السّبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ (الإنسان: ٣) أي هديناه وأرشدناه إلى طريقي الهدى والضلال، والحقّ والباطل، والخير والشر، وأعطيناه وسائل الإدراك والتمييز بين مختلف السّبل ليختار ما شاء له من ذلك دون إكراه ولا قسر ولا جبر. وقال ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت: ٤٦) ففي الآية إسناد العمل الصالح والعمل السيئ إلى الإنسان وحده دون سلطان آخر يأمره أو يجبره على الفعل أو عدمه، وفي الآية إشارة إلى أنَّ الله عادل لا يظلم الناس، فلو أجبرهم وعاقبهم على ذلك من غير حرية واختيار لكان ذلك ظلما لهم. ويقول ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (الشورى: ٣٠) فالنَّص



صريح الدلالة على أنَّ أخطاء الإنسان وما يقع فيه من شرور ومفاسد مختلفة هي من كسْب نفسه، ومن صناعة يده، ويؤكّد ذلك قوله ﴿ظهر الفسَاد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم: ٤١) فالمفاسد الواقعة في المجتمع من ظلم، وبطش، وقهر واستبداد، وجرائم مالية واقتصادية، وعدوان على القيم والأعراض والأنفس هي من صنع الإنسان وكسْبه .

إنَّ القول بأنَّ الإنسان مجبور على أفعاله وتصرّفاته وأنه مسْلوب الإرادة، يتنافى مع ما صرَّحت به النّصوص القرآنية، كما أنه لا يتَّفق مع قانون العقاب والجزاء، إذ من المعلوم أنَّ المرء لا يعاقب إلا على ما جنت يداه واقترفت جوارحه، ومن ثم اتفقت كلمة الفقهاء على أنّ المكرَه لا يؤاخذ على تصرفاته تحت الإكراه؛ لقوله ﷺ «رفع عن أمتي الخطأ والنِّسيان وما استُكرهوا عليه» فالمكرَه لما كان مسلوب الإرادة، خرج من دائرة التجريم والعقاب، وهذا القانون عام في التَّصرّفات والتكاليف الشرعية والمدنية. فكيف يستقيم القول أنّ الإنسان لا إرادة له على تصرّفاته في الدنيا، وأنه يعاقب عليها يوم القيامة؟

واسمع إلى كلمة الإمام الشعراوي، إذ يقول «الإسلام لا يريد قوالب تخضع، ولكنه يريد قلوبا تخشع، والقوة التي تفرض إنما تتحكّم في القالب فقط، ولكنها لا تتحكَّم في القلب أبدا، فمن الممكن أن نكره إنسانا على عمل يعمله، وأن نجبره على أن يقوم بذلك العمل بقالبه وحركته وعضلاته، ولكن ليس من الممكن أن نقنع قلبه أن يعتقد شيئا؛ لأن العقيدة هي الشيء الذي لا يمكن الإكراه عليه».

أي أن الإكراه قد يكون على أفعال الجوارح الخارجية، وهذا أمر ممكن وإن كان الإسلام لا يرغب فيه ولا يأمر به إلا إذا كان لمصلحة كإجبار المدين على سداد الدَّين، أما

الإكـراه على أفعـال القلوب فهذا غير ممكن أبدا.

إنَّ القول بحرّية الإرادة هو الذي يتّفق مع قانون الخلق والإيجاد، ومقاصد الحياة، القائمة على العبادة والخلافة، فالعبادة غاية الخلق في قوله ﴿وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦) ولا تتحقّق هذه الغاية على أكمل وجْه إلا إذا كان الإنسان حرّا في تصرّفاته القولية والفعلية، كما أنَّ الخلافة غاية أخرى ثابتة في قوله تعالى ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ (الأنعام: ١٦٥) ولا يمكن أن تقوم وتتحقّق أهدافها ومقاصدها إلا بحرّية العقل والتفكير، وحرّية العمل والإرادة.

علاقة العلم الإلهي بالإرادة الإنسانية: وقد ظنّ البعض من ضعَاف الإرادة أنّ أفعال الإنسان وتصرُّفاته محكومة النتائج والعواقب، لا قبَل له بتغييرها أو تبديلها، ولا طاقة له على مقارعتها وتجاوزها، مستدلين بظواهر بعض النّصوص، كقوله تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير﴾ (الحديد: ٢٢). فهم يفهمون من الآية أنّ كلّ شيء قد كتب وقدّر في اللوح المحفوظ، فما الفائدة حينئذ من العمل، وما جدوى التنافس والتسَابق ما دامت النتائج محسُومة مسبقا وأزلا؟!

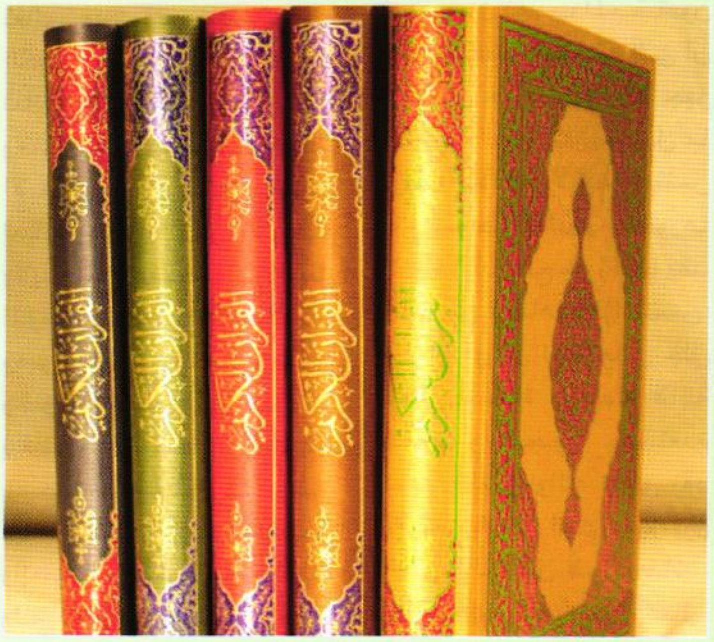
مقوّمات الإرَادة: إذا كانت الإرادة هي سرّ النّجاح ومصدر القوَّة والتفوُّق والسُّلطان، وأنَّ ضعفها هو مصدر الضعف والشقاء والهزيمة، فكيف تصنع تلك الإرادة، وما السَّبيل إلى تقويتها؟

أوّلا: الإيمان بالله: إنّ الإيمان بالله تعالى وتوحيده حقَّ التوحيد، هو أكبر رافد لصناعة الإرادة وتحريرها من الشّك والوهم والخوف الذي تصنعه الأفكار الخرافية، والحلول الجاهزة، والنتائج المسبقة، التي تقيّد الإنسان وتكبّل انطلاقته نحو العمل. والإيمان هو الذي يبعث الإرادة من سباتها، ويوقظها من غفلتها، ويحرّرها من قيودها، ويحرّكها نحو التفاعل بإيجابية ومعقولية مع معطيات الواقع. والإيمان هو الذي يبعث روح العمل في جسَد الأمة فتكون الانطلاقة والنَّهضة والنَّصر المادّي والمعنوي.

ولنا في القرآن الكريم نماذج من أولي العزم والإيمان الذين صنعوا بالإرادة ما عجزت عنه القوَّة المادية والعددية، قال تعالى ﴿إنَّ إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ (النحل: ١٢١) لقد كان إبراهيم- عليه السّلام- فردا، لكنه كان أمَّة من جهة القوَّة والإرادة، بفضل الإيمان والتوحيد والحنيفية التي مكّنته من التفوّق والانتصار.

ثانيا: العلم الدَّقيق: لا يشك أحد ولا يماري إلا جاهل أو جهول في كون العلم هو سرّ نجاح الأمم والشّعوب، وأنه مصدر نهضتها وعزّها، وهذا مشهود له على مرّ الزمن والتاريخ، فهو حقيقة مسلَّمة لا تحتاج إلى دليل أو برهان، ومن يطلب ذلك كمن يجادل في طلوع الشمس في رابعة النهار، فكيف تتقوَّى الإرادة بالعلم؟

ثالثا: العمل: إذا توفّرت الإرادة المبنية على الإيمان الصَّحيح والعلم الدّقيق، فإنها تحتاج إلى شيء آخر لتنتج آثارها وثمارها في النّفس والمجتمع؛ ذلك أنَّ النّهضة التي تستلزم النَّصر لا تتولّد من تلقاء نفسها، ولا تنشأ من ذوي العزائم الخائرة والنّفوس العليلة، ولا تأتي قدرا من غير جهد وعمل، ولا تُوهب إلينا كما توهب الصَّدقات، ولا تنال بالتسوّل والطَّلب، ولا يأخذها العاجزون الغارقون في الملذَّات والشَّهوات، ولا تُكتسب بالأموال والثروات



من غير جهد ولا كدّ، بل تُولد بالعمل والسَّعي الدؤوب، من ذوي الهمم والإرادات الجادّة الصَّادقة، التي تقتحم الصِّعاب والعقبات، كما قال تعالى ﴿فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة﴾ (البلد:١١).

والنصوص حافلة باتخاذ الأسباب في مختلف شؤون الحياة الدينية والدنيوية، يقول تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ (النور: ٥٥) إنَّ الاستخلاف في الأرض والتَّمكين له وذهاب ما تلاقيه الأمة اليوم من خوْف مرهونٌ بالإيمان الصحيح، والعبادة المستقيمة والعمل الصالح، وما ذلك على الله بعزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لغة وأدب

الإرث المهجور

قد لا تذكر بالتحديد عدد المرات التي وقعت عينك فيها على اسم الأديب الإنجليزي وليم شكسبير أو الأميركي إرنست همنجواي أو الروسي ليو تولستوي أو الفرنسي فكتور هوجو- وأنت تقرأ في النصوص الأدبية أو النقدية أو التاريخية.

وهذا ليس بالأمر المعيب، بل هو مما يفسح في أفق الأديب الثقافي، ويثري تجربته الإنسانية، غير أن المعيب حقا هو أن تغيب عنا نحن المشتغلين بالحقل الأدبي الإسلامي في العالم العربي معظم آداب الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية، إلى الحد الذي تفتقر فيه ذاكرة القارئ لأي اسم ينتمي لتلك اللغات الشقيقة.

فما أظن كثيرا منا قد وقف على أسماء أدباء دول إسلامية كبرى كإندنيسيا وماليزيا وبنجلاديش، ناهيك عن دول مثل نيجيريا والسنغال وبوركينا فاسو!

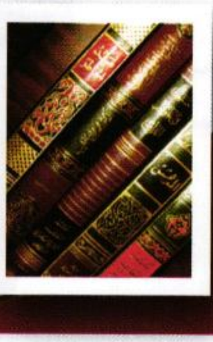
إنها لمفارقة حقا أن يكون الأبعدون روحا وثقافة ووجدانا أقرب إلينا من الأدنين!

لقد أحسن الأديبان العربيان الراحلان عبدالوهاب عزام وعمر بهاء الدين الأميري إلى العربية وقرائها حين أخرجا أدب شاعر الإسلام محمد إقبال من غياهب العجمة إلى أنوار العربية الشريفة، مما أوقفنا على أدب غاية في عمق الفكرة وجمال الصورة.

وإننا من هذا المنبر الأدبي في «الوعي الإسلامي» لندعو إلى مشروع أدبي موسوعي ينقل لرحاب العربية أعمال عمالقة الأدب الإسلامي من كل الألسن والفجاج.

المحرر





الألفاظ الغربية خطر يهدد اللغة العربية

فاروق الدسوقي

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة غير صحية بين بعض معدي ومقدمي البرامج في القنوات المحلية والفضائية، وهي الاستعانة بأفكار وألفاظ البرامج الأجنبية، واستخدام الألفاظ الأجنبية كعناوين لهذه البرامج.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعمد بعض مقدمي هذه البرامج أن يتفوهوا بتلك الألفاظ الغريبة عن لغة القرآن الكريم، واللغة الأولى في مجتمعاتنا العربية والإسلامية أثناء إدارتهم للحديث، أو قراءتهم لمفردات الموضوع، متجاهلين اللغة العربية التي يجب أن تكون أصل كل ما يقدم عبر هذه الفضائيات.



على الرغم من الصعوبات التي واجهتها اللغة العربية، حتى وصلت إلى العالمية واعترفت بها الأمم المتحدة كلغة دولية، فإن استخدام الألفاظ الغربية في الفضائيات العربية خطر يهددها، بل إنه يدخل عليها كلمات وألفاظا ليست بالعربية، مما قد يتسبب في ضياع تلك الثروة الكبيرة في معانيها وبلاغتها ومضامينها.

ويؤكد د.علي صبح- عميد كلية اللغة العربية الأسبق- أن استخدام الألفاظ الغربية في الفضائيات العربية ظاهرة من أخطر ألوان الغزو الفكري المعاصر، ويقول: إنه غزو ثقافي أعدته جهات معروفة بعدائها الشديد للإسلام ولغته العربية، للقضاء على لغة القرآن الكريم، لأنها لغة التراث العربي والإسلامي، كما أنها تمثل أهم ملامح الحضارة الإسلامية.

إن اللغة العربية ثرية، وتحمل قيمًا وأخلاقًا إسلامية تبني أعظم الحضارات، لذا.. فأعداء الإسلام يخشون منها علي حضارتهم الزائفة، فأخذوا يحاربونها بهذا الشكل لغزوها، لاسيما أن هناك بعض الفضائيات التي تم استغلالها- عن سوء قصد أو تعمد- لتنفيذ تلك المخططات التي تستهدف النيل من الإسلام عن طريق لغة القرآن الكريم، وتدميرها وهي أصل الحضارة الإسلامية.

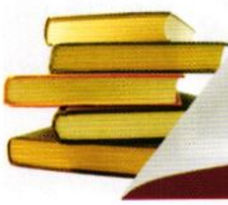
مغريات تتفتح لها القلوب

ويحذر د.علي صبح من أن بعض الفضائيات تأثرت بإعداد برامج غريبة المسميات، قلدوا فيها الغرب، حتى في الأضواء التي تستخدم في البرامج، والرقصات التي يفتتن بها الشباب، وكذلك الكثير من ألوان المغريات التي تتفتح لها قلوبهم، ومن خلال ذلك يختارون عناوين لهذه البرامج بلغات أجنبية وإن كانت مكتوبة بالعربية، وهي كارثة كبيرة، إضافة إلى أنه أثناء إدارتهم للحوار يعرضون البرنامج بلغة عربية هزيلة مبتذلة ساقطة، دون اللغة العامية المعروفة عند بعض شعوب المجتمعات العربية، والتي ينبغي علينا أن نحاربها أيضا.

بل إنهم يستخدمون مع بعض الكلمات العربية أخرى أجنبية منطوقة بلغة العرب، ومن هنا فواجب المسلمين أن يتصدوا لهذا الغزو المدمر، لأن الغرض منه تفريغ الحقل اللغوي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ووضع هذا الحقل المدمر ليتفاعل مع الناس، فإذا ما رجعوا إلى لغتهم الصحيحة يجدون أنفسهم لا يفهمون منها شيئًا، مما يعني أنهم لا يفهمون كتاب الله، ولا لغة تراثهم العربي والإسلامي، وعند ذلك يتأثرون بقيم الغرب، ومن ثم قد يصبح الواحد منهم من أعداء الإسلام، بل من أشد أعدائه، لأنه عدو يعيش بين المسلمين، وهذا مكمن الخطر.

ويعود د.صبح ليؤكد على أهمية التصدي لهذا الغزو المدمر، لأنه ليس حربًا ضد اللغة العربية فقط، إنما هو حرب ضد الإسلام وأمة المسلمين، فلابد من قيام حملة قوية لتوجيه القائمين على هذه البرامج، حتى يعرف أعداء الإسلام أننا متيقظون لهم ولما

صحافي في جريدة المصري اليوم



يفكرون ويسعون لتحقيقه، كما يجب علينا إتقان اللغة العربية، عند ذلك لا يجدون بيننا من ينبهر ببرامجهم وأضوائهم، أو بلغتهم الهزيلة.

ويرى د.عبدالفتاح البركاوي- أستاذ أصول اللغة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر- أن استخدام الألفاظ الأجنبية جريمة لا تغتفر في حق اللغة العربية وفي حق الدين الإسلامي، وتبرؤ لا مبرر له من اللسان الذي نشأ عليه الإنسان العربي وتربى عليه، وهي طريقة سيئة لم نعهدها من أبناء اللغات الأخرى الناطقة بغير العربية، ففي فرنسا- على سبيل المثال- توجد قوانين تجرم النطق أو استخدام عناوين بغير الفرنسية، أما في بعض الدول العربية فيعتبرونها وسيلة من وسائل الفخر والتمدن، لذلك فإن هناك ضرورة لوضع قوانين تحفظ للسان العربي بهاءه ورونقه، وتضع العقوبات المناسبة للخارجين عليه.

تهاون مرفوض

ويضيف د.البركاوي أن اللغة العربية جزء من العقيدة الإسلامية، كما أن رقي عقيدة الفرد والمجتمع العربي الإسلامي مرهون برقي اللغة العربية وسمو تعبيرها، بل إن اللغة جزء من شخصية الأمة وكيانها، إذا ما تهاون الناس فيه ضعفت شخصيتهم وذابت في شخصيات الآخرين، ومن

لا توجد لغة على مستوى العالم فرط فيها أصحابها كما فعلنا نحن العرب

العجيب أنه لا توجد لغة على مستوى العالم فرط فيها أصحابها كما فعلنا نحن العرب! فالدول الأوروبية تعتز بلغتها ولا تتحدث بغيرها، ولعل من أهم أسباب إيثار بعض العرب لغة غير لغتهم يرجع إلى أن بعض اللغات قد صارت عالمية، ولا حجة لهم الآن وقد أصبحت لغتنا العربية لغة عالمية يُتحدث بها في جميع المحافل الدولية وعبر الوسائل الإعلامية العالمية المختلفة، كما أن علماء اللغات يقولون إنه لا مانع من تعلم لغات أخرى بشرط أن تكون متعلمًا ومتمكنًا من لغتك الأصلية إلى درجة فقهها، ومن المؤسف أن كثيرًا من المسلمين يستخدمون أسماء غربية لأبنائهم ومحلاتهم جريا وراء ما يسمى بالحضارة الغربية وتقليدًا أعمى للآخرين، وهم بهذا يفقدون هويتهم، ويتجاوزون أمر دينهم.

وحتى نقضي على هذه الظاهرة لابد من وضع خطط للتعاون مع وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، وذلك لبث حملة إعلانية قوية تبصر الناس بخطورة ما يصنعون، وتؤكد لهم أن من الانتماء لدينهم ووطنهم أن يجعلوا الأسماء العربية هي الأصل في جميع تعاملاتهم.

سمات وخصائص

ويقول د.مبروك عطية أستاذ اللغويات بجامعة الأزهر- إن الأمة العربية والإسلامية لها سماتها الخاصة بها، ولكل شعب من الشعوب سماته الخاصة به أيضا، وقد تناقل الناس قولا عزيزا في مضمونه، حيث قيل «إن العرب حضارتهم في لسانهم»، والمراد باللسان هو اللغة العربية، وهي من أنفس ما ورثناه عن أسلافنا، وقد بلغ اعتزاز العرب بها قديما مبلغا عظيما، ونصبوا لها الأسواق، وقدروا المجيدين الذين برعوا في نظم الشعر ومأثور الخطب والأمثال والحكم، وحين أشرق فجر الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور كان شرفا للعربية وأهلها نزول الذكر الحكيم قرآنا عربيا غير ذي عوج، وقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية، فما ألفت الكتب والمقالات إلا خدمة لهذا الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذا كان لزامًا على العرب أن يعتزوا باللغة العربية، وأن يتمسكوا بأساليبها.

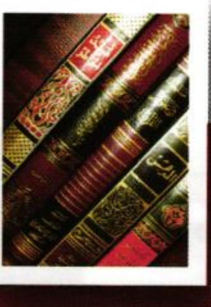
حضارة مشرقة

وتوقف د.عطية أمام تساؤل مهم بقوله: ماذا على الإعلام العربي لو أدار وجهه وتردد في الحفاظ على الذات؟ ولم يصبح ممثلا لطبيعة أمته، وتاريخ حضارة تفجر نورها في مشارق الأرض ومغاربها؟.

أما د.عبدالغفار هلال- عميد كلية اللغة العربية الأسبق- فيؤكد أن واجب كل عربي ومسلم أن يلتزم باللغة العربية في كلامه ومختلف تعاملاته اليومية، لأن اللغة العربية هي أساس الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية، ومن يلتزم بها فإنما يعبر عن انتمائه، فكل شعوب العالم تعتز بلغتها وتتمسك بها وتتعصب لها. فهناك في فرنسا الجمعية الوطنية الفرنسية التي تمنع أن يتكلم أحد أو يكتب بغير الفرنسية، أو أن يضيف ما هو ليس من اللغة الفرنسية عليها، ويعاقب القانون- الذي وضعته هذه الجمعية- كل من يزيد شيئًا ليس من اللغة الفرنسية، كذلك تركيا التي تدعي أن اللغة التركية هي أصل لغات العالم، بل واشتقت منها جميع اللغات، ورغم أن هذا الكلام ليس صحيحا، فإنه نتيجة لشدة تعصبها واعتزازها بلغتها.

إساءة وتشويه وإفساد

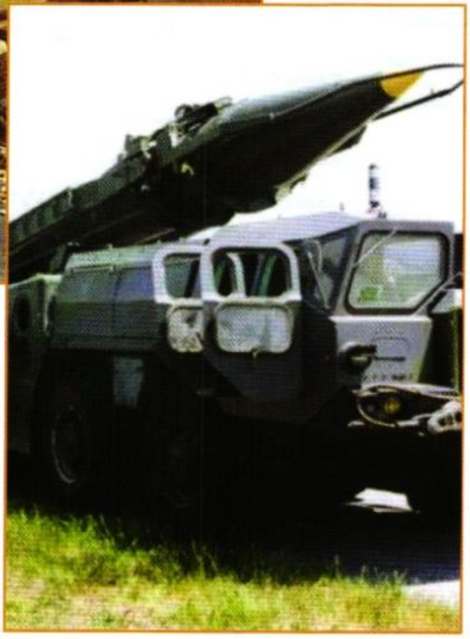
ويطالب د.هلال الأمة العربية والإسلامية بالالتزام باللغة العربية، وأن يحافظوا عليها من أي ألفاظ أجنبية دخيلة أو أي تغيير غير عربي، لأن دخول أي مفردة غير عربية عليها يتسبب في الإساءة إليها، بل إنه يشوهها ويفسدها.



صور من الدعوة إلى السلم في الأدب الإسلامي

عبداللطيف خروبة





الأدب الإسلامي يدعو إلى السلم والتصالح ونبذ الحروب والعنف، مهما كانت درجتهما وقوتهما ووسائلهما، وسواء كانت بين المسلمين أو بين غيرهم. فمنذ أن نزل الإسلام رفع الأدباء المسلمون راية السلم، ونادوا بأصواتهم المدوية المتحاربين إلى طرح السلاح، واللجوء إلى التحاور والتفاوض، وكيف لا يكونون كذلك، والقرآن الكريم قد دعا إلى السلم ونبذ الحرب والأعراف الجاهلية القائمة على العصبية القبلية التي طالما أدت إلى معارك طاحنة، والآيات التي تدعو إلى السلم والتصالح كثيرة، منها قوله تعالى ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ (الأنفال: ٦١).

وما الحرب في عرف الإسلام إلا للضرورة التي تفرض عليه، حتى يرد اعتداءات الآخرين عليه، أو حتى تتوقف الطائفة التي تبدأ الحرب على الأخرى، حين يتعلق الأمر بالمؤمنين، قال تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (الحجرات: ٩).

والأحاديث النبوية الشريفة التي وجه فيها النبي ﷺ أمة الإسلام إلى السلم والابتعاد عن الحرب كثيرة، كقوله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (رواه البخاري)، وقال ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» (رواه البخاري).

وإن أدب التحية عند المسلمين هو لفظ السلام وإن «السلام» اسم من أسماء الله الحسنى.

كما حذر الإسلام من الفتن التي طالما أدت إلى المعارك التي أتت على الأخضر واليابس، وأفرغ القلوب من القيم السلبية، وملأها بالقيم الإيجابية، فالشجاعة مثلا خلق وقيمة محمودة حين لا تتعدى إلى البطش، والفخر محمود ولكن حين يكون بالحق وليس بالباطل.

ومن صور الدعوة إلى السلم في الأدب الإسلامي مدح النبي ﷺ لاعتبار أن النبي ﷺ جاء داعية إلى السلام العالمي، والحرية والتعايش بين مختلف الأديان والأجناس، «كلكم لآدم وآدم من تراب».

قال حسان بن ثابت يوم أراد الرسول ﷺ أداء العمرة هو والصحابة -رضوان الله عليهم- طالبا من كفار قريش أن يفتحوا الطريق أمام الرسول ﷺ ليعتمر، ومعلنا أنه عليه الصلاة والسلام جاء مسالما غير محارب:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
يعين الله فيه من يشاء

إنها دعوة صريحة من الشاعر للسلم ونبذ الحرب، إلا إذا دعت الضرورة لذلك، فالمسلم ليس إنسان حرب، كما يتصوره الكثير من الناس، وكما تصوره الثقافات الأخرى. وفي السيرة النبوية عدد كبير من المواقف الدالة على ميل النبي ﷺ إلى السلم ورفض الحرب، وكثيرا ما كان كبار الصحابة يتنقلون من غير سلاح، يقول حسان بن ثابت مادحا عثمان بن عفان رضي الله عنه حين رآه أعزل من السلاح وهو مسافر على رأس الركب:

فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم
وصاحب الركب عثمان بن عفانا

وهذا الشاعر علي محمود طه يتحدث عن فاتح السنة الهجرية، ويعتبر هذا الحدث العظيم بداية لتحقق السلم في العالم منذ القديم:

غن بالهجرة عاما بعد عام
وادع للحق وبشر بالسلام

فالإسلام، في نظره بهذا الحدث (أي الهجرة)، سبّاق إلى السلم وليست الأمم الحديثة، ويبشر بالسلام الحقيقي الذي سيتحقق مستقبلا.

واجمعي أمرك لليوم الذي
يحمل البشرى لعشاق السلام

إن السلام الحقيقي هو ما جاء به النبي محمد ﷺ، فهو الذي أنقذ العالم من الضياع والرعب، وخلصه من التقاتل والصراع، يقول نجيب الكيلاني في مدح النبي ﷺ:

• شاعر مغربي



فأنت دليل الهدى والتقى
لعالمنا التائه الأسود
وأنت الإمام، وأنت السلام
لكوكبنا الضائع المرعد

ولم يفتر الأدباء عن الدعوة إلى السلم الحقيقي، وليس كما تدعيه أمم الغرب التي تحارب أمم الشرق الضعيف، ونالت من خيراتها، وحضارتها، وسلطت عليها كل أصناف الأسلحة الفتاكة.

يقول محمد العشماوي:

لغة الحضارة أصبحت في عصرنا
قصفا تموت على صداه لغات
لغة تصوغ القاذفات حروفها
وبعنفها تتحدث العربات

فأي حضارة وأي سلم يتحقق والشيوخ والعجزة والأطفال والعزل من أي سلاح صاروا أهدافا لسلاح جو الدول الغربية القوية؟!

أين الحضارة أيها الغرب الذي
جعل الحضارة جمرة ودخانا؟

وفي نفس الوقت يُعلِن للعالم أن المسلمين ليسوا من دعاة الحرب، ولكن الواقع العربي عامة والفلسطيني خاصة دفعهم إليها دفعا، فهم مكرهون في خوض غمارها:

ولسنا من دعاة الحرب لكن
رأينا القدس منا في اشتعال
تشب على الأرامل واليتامى
وتقتحم البيوت على العيال

إن السلام، حسب الواقع المعيش، يبدو بعيد المنال، فالعالم يملأه الكذب والخيانة، وروائح الحروب تفوح في كل مكان، وفي مختلف بقاع الأرض، يقول نجيب الكيلاني:

الحب قد هلك
الصدق قد هلك
فكيف تمرح الزهور؟
وكيف يولد السلام؟

فمظاهر الخوف والرعب التي يحياها الناس تقتل السلام، وتقضي على الوئام.

وقريتي تعاقر الألم
يرعشها العواد والظلام.. والبرودة
وهمهمات الذعر في قلب الظلام
الخوف يقتل السلام

وهذا الشاعر حفيظ الدوسري قد آلمه طول المعارك والحروب بين الشعوب، وأفزعه الاضطراب والفوضى اللذان يعيشهما إنسان هذا العصر، فيتساءل عن زمن رحيل ذلك وحلول السلام محله:

هل سيعيش العالم دوما
كالطوفان بلا شطآن؟
أو سيعيش العالم دوما
كالسرطان بلا بركان؟

إن الدعوة إلى السلم اليوم لا تعني التنازل عن الوطن والدين والحقوق لفائدة العدو الصهيوني أو غيره، ولا التخلي عن المقدسات الإسلامية والمسيحية على السواء، فالسلم الحقيقي هو الذي يحقق للكون كله، وللناس كافة السعادة التامة، والأمن الشامل، ولا يفرق بين المسلم والمسيحي واليهودي والمجوسي ومن لا ملة ولا دين له.

ولذلك ربط الأدباء السلم الكوني بتحقق السلم في فلسطين على وجه الخصوص، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، وبحماية الفلسطينيين من اعتداءات الصهاينة الوحشية المتكررة بقول الشاعر جلول دكداك:

يا أمة العجم
لا تحملوا نعشي
لا تقتلوا حلمي
في موسم السلم
ما جئت عندكم إلا لتحموني
من ذلك الوحش

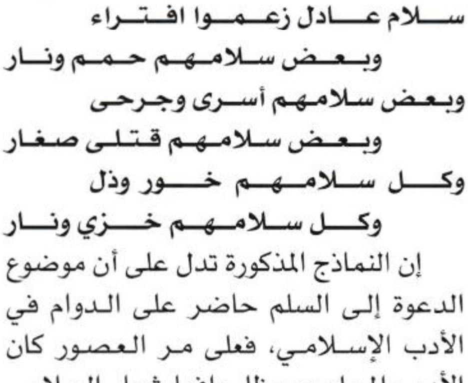
ويعلن دعوته إلى السلم الحقيقي القائم على العفو والحب الصادق، والحلم والتعايش بين الأمم والشعوب:

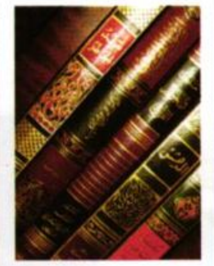
يا أمة العجم
لا تخطئوا فهمي
وأنا شرعت لكم بوابة السلم
بالعفو بالحلم
بالصدق بالحب
في أمة العرب

ويلفت الأديب المسلم نظر العالم إلى الذين يدعون أنهم يبذلون الجهد من أجل السلام، وهم في الحقيقة لا يزالون يذكون نار الفتنة بين الشعوب المستضعفة، ويشعلون ويؤججون لهيب الحروب في مختلف أنحاء العالم، يقول الشاعر عبدالرحيم لقويشي:

سلام عادل زعموا افتراء
وبعض سلامهم حمم ونار
وبعض سلامهم أسرى وجرحى
وبعض سلامهم قتلى صغار
وكل سلامهم خور وذل
وكل سلامهم خزي ونار

إن النماذج المذكورة تدل على أن موضوع الدعوة إلى السلم حاضر على الدوام في الأدب الإسلامي، فعلى مر العصور كان الأديب المسلم وسيظل رافعا شعار السلام.





أثر البيئة في الشعر

عبدالهادي صافي

هناك في الأدب عوامل كثيرة تؤثر فيه وتوجهه وتحدد مساره، من هذه العوامل مثلا ثقافة الأديب، وجملة المعارف التي يختزنها في فكره وعقله، والعصر الذي يعيش فيه ومؤثراته الكبيرة، والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي تحيط به، ولكن العامل الأكبر هو العامل الجغرافي والبيئي، أعني عامل المكان الذي نجد تأثيره الكبير في الشعر خاصة.

نقرأ الشعر الجاهلي فنجده قد اعتنى بوصف البيئة والصحراء والإبل والحيوان والأزهار البرية، ونجد الشعراء يقدمون لقصائدهم بمقدمات طللية يطيلون فيها الوقوف على أطلال الديار، ويبكون على الآثار الباقية الدارسة بعدما فارقوها وارتحلوا عنها، وعندما بدأت الحياة في العصر الأموي تتغير بعض الشيء وتتقدم نوعا ما، بدأنا نشعر بأثر هذا التطور في الأدب والحياة، حتى إن زوجة معاوية ميسون حنت الى حياة البادية وسئمت جو القصور فقالت في أبيات لها مشهورة منها:

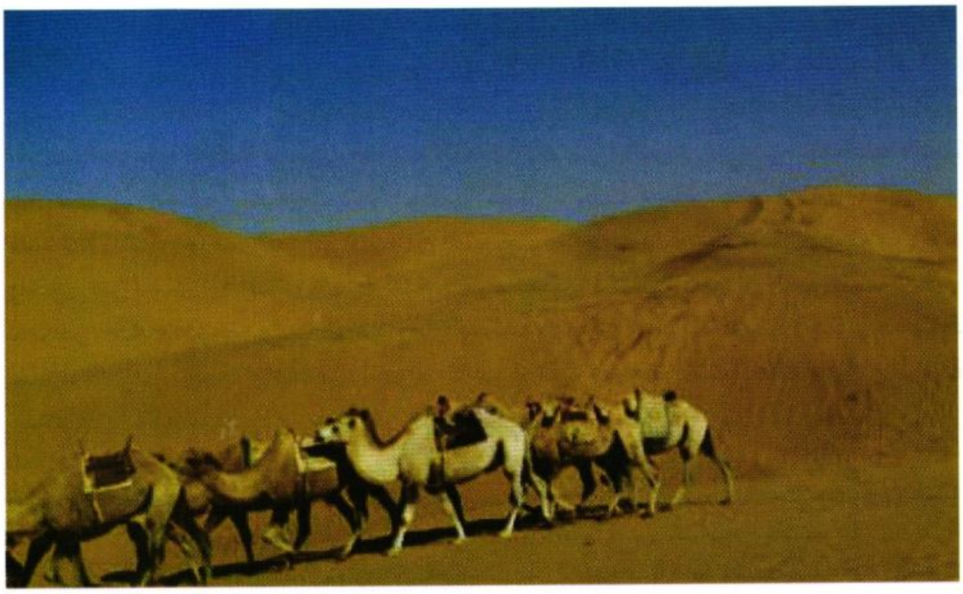
لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلي من لبس الشفوف

ولما جاء العصر العباسي، وآلت الخلافة لبني العباس، اتصف هذا العصر بالغنى والثراء وبالترف والنعيم، وببناء القصور والحدائق، وتبدلت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فآثر الناس حياة الدعة والهدوء وحياة البذخ والإسراف، فأثر ذلك كله في الأدب والشعر. وقد لاحظ النقاد القدامى أثر تطور البيئة في الشعر، فنجد في كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني شذرات نقدية حول هذه الفكرة، وهي شذرات نقدية بارعة، تحدث عن أثر الإقليم والبلد في تطور الشعر، واختلافه من بلد إلى بلد، ومن مناخ الى آخر، فابن الصحراء يصف المفازة والإبل، أما ابن الحاضرة والمدن فيصف القصور والبساتين والورد والأزهار، ولايذكر الإبل إنما يصف الخيل، وينعي على الشعراء ويتهكم بهم تهكما مرًا، عندما تشبهوا بشعراء الجاهلية فوصفوا في مقدمات قصائدهم الفلاة وهم لم يشاهدوها، والإبل وهم لا يركبونها، وانما يفعلون ذلك تشبها وتقليدًا، غير أنه يمتدح ويثني على الشعراء الذين يوائمون بين شعرهم وبيئتهم، وينسجمون مع أنفسهم في شعرهم، ويصفون ما يرونه من آثار البيئة من حولهم وتحضرها، لايصفون الخيام لأنهم باتوا يعيشون في بيوت، ولا يقفون على الأطلال لأنهم لا يرتحلون ولا يتنقلون، ولا نجد في قصائدهم ذكرا للديار وآثارها، ولا نجد وصفا للفيافي والرمال، وإننا نجد الشعراء في العصر العباسي يحسون هذا التطور والتغير الذي أصاب بيئتهم وأخذوا يتلاءمون معها ويعيشون أجواءها، ويعبرون عن أثرها في أشعارهم.

يقول ابن رشيق في سياق حديثه عن أثر البيئة في الشعر: «ومقاصد الناس تختلف: فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول، والتشوق بحنين الإبل ولمع البروق ومر النسيم، وذكر المياه



ناقد أدبي



للبيئة تأثير واضح في الشعر الجاهلي لكنه يختلف عن تأثيرها في العصر الأموي أو العباسي

التي يلتقون عليها والرياض التي يحلّون بها من خزامى وأقحوان وبها «وظيّان وضوة وعرار...، وأهل الحاضرة يأتون على ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء ووصف الورد والنسرين والنيلوفر وما شكل ذلك من النواوير البلدية والرياحين البستانية».

وفحوى كلامه أن البيئة هي التي تحدد للشاعر معانيه واتجاهه والأبواب التي يطرقها في شعره، لذلك قسم الشعر إلى طريقين: طريق أهل البادية وطريق أهل الحاضرة، وكل شاعر يصف واقعه ومحيطه، وإن وصف شاعر غير بيئته فمن باب التشبه والتقليد.

ويقول موضحا نظرية الإقليم أكثر «كانوا قديما أصحاب خيام، ينتقلون من موضع إلى آخر، فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم (أشعار الجاهلين) بذكر الديار فتلك ديارهم، وليست كأبنية الحاضرة، فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازا».

ويعيب على الشعراء المحدثين الذين يقلدون شعر الجاهلية ويصفهم بالكذب «وكانت دوابهم الإبل لكثرتها، وعدم غيرها، وبصبرها على المتاعب وقلة الماء والعلف، ولذلك أيضا خصوها بالذكر دون غيرها، ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب كما يفعل المحدثون».

وفي عصرنا الحديث ذهب الأدباء أبعد من ذلك، فقد أعطوا أثر البيئة في الشعر والأدب أبعادا كبيرة فقسموا الأدب حسب الأقاليم، فقالوا: الأدب المصري والشامي والعراقي، فخرجوا بنظرية في الأدب هي النظرية الإقليمية، وعلى رأس هؤلاء الأدباء أمين الخولي مؤلف كتاب «الأدب المصري» ويعتبر مؤسس هذه النظرية والمدافع الأول عنها، وهو يوضح في كتابه الفروق بين هذه الآداب، ويخص الأدب المصري بالحديث، فللأدب المصري خصائصه وسماته التي يتميز بها عن الأدب الشامي، وهكذا، وقد وجدنا بذور هذه النظرية عند ابن رشيق القيرواني.

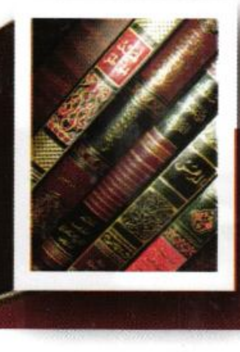
وجاء بعده نقاد وأدباء فوضعوا مناهج للدراسة الأدبية، ومن هذه المناهج الدراسة الإقليمية التي تقوم على تقسيم الأدب حسب البلد والاقليم.

ولكن هل صحيح أن أثر البيئة والاقليم قوي الى المستوى الذي يلغي الخصائص الكبرى التي تجمع الأدب العربي، ويقيم هذه الحدود المصطنعة بين الأدب الذي أنشأه أدباء مصريون وبين الأدب الذي أنشأه أدباء سوريون أو عراقيون؟! ألا يتلاقى الأدباء على سمات رئيسية بينهم؟ أليس هناك من حبل متين يشد هذه الآداب؟ ألا تصب هذه الجداول والأنهار أخيرا في محيط الأدب العربي فإذا له خصائص كبرى تصفه وتدل عليه؟!

وهل صحيح- من وجهة نظر نقدية- أن يكون للبيئة أثرها القوي في الشاعر والأديب، بحيث يكون مقلدا ومحاكيا للبيئة، هل يجب أن يحاكي الشاعر- كما يقول أرسطو- الطبيعة في شعره وأدبه؟! وهل حقا يجب على الشاعر أن يصف محيطه وواقعه وصفا واقعيا صادقا؟!

أين إذن ذاتية الشاعر وأين إبداعه؟! وأين ما يضيفه على ذلك الواقع وتلك البيئة؟! شوهد مرة رسام يرسم لوحة فنية لمنظر طبيعي أمامه، سأله أحد المارة: ولكنك يا سيدي، رسمت الطبيعة من حولك وزدت عليها بيتا ليس موجودا فيها، فرد عليه الرسام قائلا: ألا تتمنى أن يكون لك بيت تعيش فيه بين أحضان هذه الطبيعة الخلابة؟!

فالشاعر يضيف الى واقعه ولا ينقله إلينا نقلا حرفيا، إنه يجمل واقعه ويحسن عناصره، ويعكس عليه نفسيته ونظرته الى الكون والوجود، وبذلك يتغلب على البيئة ويعطيها امتدادا فنيا ليس فيها.



أرجوزة الإمام محمد البشير الإبراهيميّ

هذه أرجوزة بليغةٌ رائقةٌ نظمَها الشّيخ البشير الإبراهيميّ (رحمه الله) مخاطبًا بعض علماء نجد، وقد تضمنّت ثناءً عاطرًا على دوحة العلم «نَجْد»، وعلى أئمّة الدعوة وسائر عُلماء نجد، ثم ثنّى بالمعاصرين، وعلى رأسهم صديقُه وأخوه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وصاحب الفضيلة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ (رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آنذاك) رحمهم الله جميعًا. وفيها دلالاتٌ على أنّ الحقّ المتمثّل في تجديد دعوة التوحيد لا يختصّ ببلد، ولا يحصره إقليم، بل هو واسع الأفق زمانًا ومكانًا، كما أنّ هذه المنظومة تحكي سموّ أخلاق الشيخ البشير الإبراهيمي فخْر علماء المغرب العربيّ، وتُنادي بصفاء أجواء الأخوّة التي جمعَت ذلك العالِم القادم من الغرب مع أقرانِه من علماء الشرق، فياسَقاها الله عهودًا وأزمانًا.

يقول العلاّمة الإبراهيميّ (رحمه الله وأعلى في الدّارين مقامه):

إنّـا إذا مَـا لَـيْـلُ نَجْـد عَسْعَسَا
وَغَـرّبَـتْ هـذي الجَـوَارِي خُنّسَا
والـصُّـبْـحُ عَـنْ ضِـيَـائـه تَنَفّسَا
قُمْنا نُـؤَدّي الـوَاجِـبَ المُقَـدّسَا
وَنَـقْـطَـعُ الـيَـوْمَ نُـنَـاجِـي الطُّرُسَا
وَنَـنْـتَـحِـي بَـعْـدَ الـعِشَـاء مَجْلِسا
مُـوَطّـدًا عَـلَـى الـتُّـقَـى مُـؤَسّسَا
فـي شيخَة حَديثُهُمْ يَجْلُو الأَسَـى
وَعِـلْـمُـهُـمْ غَـيْـثٌ يُـغَـادِي الجُلَسَا
خَـلائـقٌ زُهْـرٌ تُـنِـيـرُ الـغَـلَسَا
وَهِـمَـمٌ غُـرٌّ تَـعَـافُ الـدّنَـسَا
وَذِمَمٌ طُـهْـرٌ تُجَافِـي النّجَسَا
يُـحْـيُـونَ فِـيـنَـا مَـالِـكًا وَأَنَـسَـا
وَالأَحْـمَـدَيْـنِ وَالإمَـامَ المُؤْتَسَا
قَـدْ لَـبِـسُـوا مِـنْ هَـدْيِ طَـهَ مَلْبَسَا
ضَـافٍ عَلَى العَقْلِ يَفُوقُ السُّنْدُسَا
فَسَمْتُهُمْ مِـنْ سَمْتِه قَـدْ قُبِسَا
وَعِـلْـمُـهُـمْ مِـنْ وَحْـيِـه تَبَجّسَا
بُـورِكْـتِ يَـا أَرْضٌ بِـهَـا الـدّيـنُ رَسَا
وَأمِـنَـتْ آثَـارُهُ أَنْ تَـدْرُسَـا
وَالـشّـرْكُ فـي كُـلّ الـبِـلاَدِ عَرّسَا
جَـذْلاَنَ يَـتْـلُـو كُـتْـبَـهُ مُـدَرّسَـا
مُـصَـاوِلاً مُـواثِـبًـا مُـفْـتَـرِسَـا
حَتّى إذَا مَا جَاءَ جَلْسًا جَلَسَا
مُـنْـكَـمِـشًـا مُـنْـخَـذِلاً مُـقْـعَـنْـسَـا
مُبَصْبِصًا قِيلَ لَـهُ اخْسأْ فَخَسَا
شَـيْـطَـانُـهُ بَـعْـدَ الـعُـرَام خَـنَـسَا
لَـمّـا رَأَى إبْلِيسَهُ قَـدْ أُبْلِسَا
وَنُـكّـسَـتْ رَايَـاتُـهُ فَانْتَكَسَا
وَقَـامَ فـي أَتْـبَـاعِـه مُـبْـتَـئِـسَـا
مُـخَـافِـتًـا مِـنْ صَـوْتِـه مُـحْـتَـرِسَـا
وَقَـالَ إنّ شَـيْـخَـكُـمْ قَـدْ يَـئِـسَـا
مِـنْ بَـلَـد فـيـهَـا الـهُـدَى قَـدْ رَأَسَـا
وَمَـعْـلَـمُ الـشّـرْك بِـهَـا قَـدْ طُـمِـسَـا
وَمَـعْـهَـدُ الـعِـلْـمِ بِـهَـا قَـدْ أُسّـسَـا
وَمَـنْـهَـلُ الـتّـوْحِـيـد فـيـهَـا انْـبَـجَـسَـا
إنِّـي رَأَيْـتُ «وَالحِجَـى لَـنْ يُـبْـخَـسَـا»
شُـهْـبًـا عَـلَـى آفَـاقِـه وَحَـرَسَـا
فَـطَـاوِلُـوا الخَـلْـفَ وَمُـدّوا المَـرَسَـا
وَجَـاذِبُـوهُـمْ إنْ أَلاَنُـوا المَـلْـمَـسَـا
لاَ تَـيْـأَسُـوا، وَإنْ يَـئِـسْـتُ، فَـعَـسَـى
أَنْ تَـبْـلُـغُـوا بِـالحِـيـلَـة المُـلْـتَـمَـسَـا
وَلَـبّـسُـوا إنّ أَبَـاكُـمْ لَـبّـسَـا
حَـتّـى يَـرَوْا ضَـوْءَ الـنّـهَـارِ حِـنْـدِسَـا
وَالـطّـامِـيَـات الـزّاخِـرَات يَـبَـسَـا
وَجَـنّـدُوا جُـنْـدًا يَـحُـوطُ المَـحْـرَسَـا
مَـنْ هَـمُّـهُ فـي الـيَـوْم أَكْـلٌ وكِـسَـا
وَهَـمُّـهُ بِـاللّـيْـل خَـمْـرٌ وَنِـسَـا
وَفِـيـهِـمُ حَـظٌّ لَـكُـمْ مَـا وُكِـسَـا
وَمَـنْ يَـجِـدْ تُـرْبًـا وَمَـاءً غَـرَسَـا
تَـجَـسّـسُـوا عَـنْـهُـمْ فَـمَـنْ تَـجَـسّـسَـا
تَـتَـبّـعَ الخَـطْـوَ وَأَحْـصَـى الـنّـفَـسَـا
تَـدَسّـسُـوا فـيـهِـمْ فَـمَـنْ تَـدَسّـسَـا
دَانَ لَـهُ الحَـظُّ الـقَـصِـيُّ مُـسْـلِـسَـا
وَأَوْضِـعُـوا خِـلاَلَـهُـمْ زَكًـى خَـسَـا
واخْـتَـلِـسُـوا فَـمَـنْ أَضَـاعَ الخُـلَـسَـا
تَـلْـقَـوْنَـهُ فـي الأُخْـرَيَـات مُـفْـلِـسَـا
أَفْـدِي بِـرُوحِـي الـتّـيّـهَـانَ الـشّـكِـسَـا
يَـغْـدُو بِـكُـلّ حَـمْـأَة مُـرْتَـكِـسَـا
وَمَـنْ يَـرَى المَـسْـجِـدَ فـيـهِـمْ مَـحْـبِـسَـا
وَمَـنْ يُـدِيـلُ بِـالأَذَان الجَـرَسَـا
وَمَـنْ يَـعُـبُّ الخَـمْـرَ حَـتّـى يَـخْـرَسَـا
وَمَـنْ يُـحِـبُّ الـزّمْـرَ صُـبْـحًـا وَمَـسَـا
وَمَـنْ يَـخُـبُّ فـي المَـعَـاصِـي مُـوعِـسَـا
وَمَـنْ يَـشِـبُّ طِـرْمِـذَانًـا شَـرِسَـا
وَمَـنْ يُـقِـيـمُ لِـلْـمَـخَـازِي عُـرُسَـا
يَـا عُـمَـرَ الحَـقّ وُقِـيـتَ الأَبْـؤُسَـا
وَلاَ لَـقِـيـتَ -مَـا بَـقِـيـتَ- الأَنْـحُـسَـا
لَـكَ الـرّضَـى إنّ الـشّـبَـابَ انْـتَـكَـسَـا
وَانْـتَـابَـهُ دَاءٌ يُـحَـاكِـي الـهَـوَسَـا
وَانْـعَـكَـسَـتْ أَفْـكَـارُهُ فَـانْـعَـكَـسَـا
وَفُـتّـحَـتْ لَـهُ الـكُـوَى فَـأَسْـلَـسَـا
فَـإنْ أَبَـتْ نَـجْـدٌ فَـلاَ تَـأْبَـى الحَـسَـا
فَـاقْـسُ عَـلَـى أَشْـرَارِهِـمْ كَـمَـا قَـسَـا
سَـمِـيُّـكَ الـفَـارُوقُ فَـالـدّيـنُ أُسَـى
نَـصْـرُ بْـنُ حَـجّـاجَ الـفَـتَـى وَمَـا أَسَـا
غَـرّبَـهُ إذْ هَـتَـفَـتْ بِـه الـنّـسَـا
لاَ تُـبَـالِ عَـاتِـبًـا تَـغَـطْـرَسَـا
أَوْ ذَا خَـبَـالٍ لِـلْـخَـنَـا تَـحَـمّـسَـا
أَوْ ذَا سُـعَـارٍ بِـالـزّنَـى تَـمَـرّسَـا
شَـيْـطَـانُـهُ بِـالمُـنْـدِيَـاتِ وَسْـوَسَـا
وَلاَ تُـشَـمّـتْ مِـنْـهُـمُ مَـنْ عَـطَـسَـا
وَلاَ تَـقِـفْ بِـقَـبْـرِه إنْ رُمِـسَـا
وَلاَ تَـثِـقْ بِـفَـاسِـقٍ تَـطَـيْـلَـسَـا
فَـإنّ فـي بُـرْدَيْـه ذِئْـبًـا أَطْـلَـسَـا
وَإنْ تَـرَاءَى مُـحْـفِـيًـا مُـقَـلْـنِـسَـا
فَـسَـلْ بِـه ذَا الـطُّـفْـيَـتَـيْـنِ الأَمْـلَـسَـا
تَـأَمْـرَكَ المَـلْـعُـونُ أَوْ تَـفَـرْنَـسَـا

يَا شَيْبَةَ الحَمْدِ رَئِيسَ الرُّؤَسَا
وَوَاحِدَ العَصْرِ الهُمَامَ الكَيِّسَا
وَمُفْتِيَ الدِّينِ الذِي إنْ نَبَسَا
حَسِبْتَ فِي بُرْدَتِهِ شيخَ نَسَا
رَاوِي الأَحَادِيثِ مُتُونًا سُلَّسَا
غُرًّا إذَا الرَّاوِي افْتَرَى أَوْ دَلَّسَا
وصَادِقَ الحَدْسِ إذا مَا حَدَسَا
ومُوقِنَ الظَّنِّ إذا تَفَرَّسَا
وصَادِعًا بِالحَقِّ حِينَ هَمَسَا
بِهِ المُرِيبُ خَائِفًا مُخْتَلِسَا
وفَارِسًا بِالمَعْنَيَيْنِ اقْتَبَسَا
غَرَائِبًا مِنْهَا إيَاسٌ أَيِسَا
بِكَ اغْتَدَى رَبْعُ العُلُومِ مُونِسَا
وَكَانَ قَبْلُ مُوحِشًا مُعَبِّسَا
ذَلَّلْتَهَا قَسْرًا وَكَانَتْ شُمُسَا
فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ الزُّلَالِ المُحْتَسَا
فَتَحْتَ بِالعلمِ عُيُونًا نُعَّسَا
وَكَانَ جَدُّ العِلْمِ جِدًّا تَعِسَا
وَسُقْتَ لِلْجَهْلِ الأَسَاةَ النُّطُسَا
وَكَانَ دَاءُ الجَهْلِ داءً نَجِسَا
رَمَى بِكَ الإلْحَادَ رام قَرْطَسَا
وَوَتَّرَتْ يَدُ الإلهِ الأَقْوُسَا
وَجَدُّكَ الأَعْلَى افْتَرَى وَأَسَّسَا
وَتَرَكَ التَّوحِيدَ مَرْعِيَّ الْوَسَا
حَتّى إذا الشِّرْكُ دَجَا وَاسْتَحْلَسَا
لُحْتَ فَكُنْتَ فِي الدَّيَاجِي القَبَسَا
وَلَمْ تَزَلْ تَفْرِي الفَرِيَّ سَائِسَا
حَتَّى غَدَا اللَّيْلُ نَهَارًا مُشْمِسًا
يَا دَاعِيًا مُنَاجِيًا مُغَلِّسَا
لَمْ تَعْدُ نَهْجَ القَوْمِ بِرًّا وَائْتِسَا
إذْ يُصْبِحُ الشَّهْمُ نَشِيطًا مُسَلَّسَا
ويُصْبِحُ الفَدْمُ كَسُولًا لَقِسَا
كَانَ الثَّرَى بَيْنَ الجُمُوعِ مُوبِسَا
فَجِئْتَهُ بِالغَيْثِ حَتَّى أَوْعَسَا
قُلْ لِلأُلَى قَادُوا الصُّفُوفَ سُوَّسَا
خَلُّوا الطَّرِيقَ لِفَتًى مَا سَوَّسَا
وَطَأْطِئُوا الهَامَ لَهُ والأَرْؤُسَا
إنَّ النَّفِيسَ لا يُجَارِي الأَنْفَسَ

مرحبًا بالشاعر النصراني

يحيى بشير حاج

إلى الشاعر العربي الشامي «جاك صبري شماس» الذي تفيض قصائده حبًا للعروبة وتمجيدًا للإسلام، وردًا على قصيدته المنشورة في «الوعي الإسلامي» العدد ٥٢٩ رمضان ١٤٣٠، وكان مطلعها:

رمضان إني شاعر نصراني
روحي العروبة، والنخيل كياني

مع التحية:

يا مَرْحَبًا بالشاعر النصراني
وبكلِّ حُرٍّ صادقِ الوجدانِ
ولَكَ التحيةُ ما استطالَتْ نخلةٌ
عربيةٌ بَجنى الجنان الدَّاني
ذَكَّرْتَنا بجميلِ صُنعِكَ «فارسًا»
للّه- ياخوريُّ- في الفُرسانِ (١)
كان انتماؤُكَ للعروبة وحدَها
لا للصَّليبيينَ والرومانِ
ظاهرْتَ قومَكَ، والسيوفُ تَنوشُهم
وردَدْتَ عنهم صولةَ العدْوَانِ
ورأى العَدُوُّ المُستبدُّ غَضَنفرًا
يَحمي الشآمَ بُحرقةٍ وتَفاني
و«الضّادُ» في الشهباءِ تشمَخُ عاليًا
ببيانِ صاحبِها على الأقرانِ (٢)
عَزَفَتْ على وَتَرِ العروبة نغمةً
قُدُسيةً ذهبَت بكل لسانِ
و«الشاعرُ القَرَويُّ» يهتِفُ صادقًا
للعُرْبِ والفُصحى وللقرآنِ(٣)
ياشاعرَ الفصحى ومُظْهرَ حُسْنِها
كاللؤلؤِ المكنونِ والمَرجانِ
أتُعيدُ سيرةَ أخطلٍ لما شَدَا
لبَني أميةَ أعذبَ الألحانِ
هذي قصائدُكَ الجميلةُ غرّةٌ
في جَبهةِ الشعرِ الفصيحِ الباني
عربيةٌ في سبكِها وقِوامِها
شرقيةُ القَسَماتِ والألوانِ
تاريخُنا رُغْمَ العِدا متوحِّدٌ
من «زَحْلةَ» حتى رُبى «تَطْوان»
ورجالُه فخرٌ لنا طولَ المَدى
مهما ادّعى الأفّاكُ ذو الأضغانِ
عُمرٌ، أبوبكرٍ، عَليٌّ يُفْتَدى
عثمانُ والأصحابُ والحَسَنانِ
نحنُ العروبةُ قد زهَتْ بمحمدٍ
وبدينِه، لم تَزْهُ بالأوثانِ
دينٌ لنا الإسلامُ، وهو حضارةٌ
لبَني العمومةِ مِنْ بَني غسَّانِ

١- رئيس وزراء سورية سابقًا فارس الخوري الذي قارع الاستعمار الفرنسي.
٢- صاحب مجلة الضاد «الحلبية» الأديب العربي المسيحي عبدالله يوركي حلاق.
٣- الشاعر رشيد سليم الخوري، المحب لقومه، المنصف لهم.

شرح عمدة الأحكام

التحرير

المؤلف: الشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي

ناقل الإملاءات: الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي

تقديم: العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

المحقق: أنس بن عبدالرحمن بن عبدالله العقيل

الطبعة: الأولى، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)

عدد الأجزاء: ٣ أجزاء

أولاً: اسمه ونسبه، هو الشيخ العلامة أبوعبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي، من بني تميم.

ثانيًا: مولده، وُلد في عنيزة في القصيم في الثاني عشر من محرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

ثالثًا: نشأته، نشأ الشيخ يتيمًا، فقد توفيت أمه وله أربع سنين، وتوفي والده وله سبع سنين، ولكنه نشأ نشأة صالحة، وقد أثار الإعجابَ فقد اشتهر منذ حداثته بفطنته، وذكائه، ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله، فحفظ القرآن عن ظهر قلب وعمره إحدى عشرة سنة، ثم اشتغل بالعلم على يد علماء بلده فاجتهد في طلب العلم وجَدّ فيه وسهر الليالي وواصل الأيام حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثا وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يَتَعلم ويُعلِّم.

رابعًا: نبذة من أخلاقه، كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعًا للصغير، والكبير، والغني، والفقير، وكان يقضي بعض وقته بالاجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم مجلسًا علميًا، حيث إنه يحرص على أن يحتوي على البحوث العلمية، والاجتماعية، ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث، وكان يتكلم مع كل فرد بما يناسبه، وكان ذا شفقة على الفقراء، والمساكين، والغرباء مادًا يد المساعدة لهم بحسب قدرته، ويستعطف لهم المحسنين ممن يُعْرف عنهم حب الخير في المناسبات.

وكان على جانب كبير من الأدب، والعفّة، والنّزاهة، والحزم في كل أعماله، وكان من أحسن الناس تعليمًا، وأبلغهم تفهيمًا.

خامسًا: مكانته العلميّة، كان - رحمه الله- ذا معرفة فائقة في الفقه وأصوله، وكان أول أمره متمسكًا بالمذهب الحنبليّ تبعًا لمشايخه، وحفظ بعض المتون من ذلك.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد، والتفسير، واللغة، وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما تَرَجّح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب، وله مكانة مرموقة في علم التفسير، إذ قرأ تفاسير عدة، وبرع فيه وألف تفسيرًا جليلًا، فسّره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير ولا غيره.

كان دائما، رحمه الله، يقرأ مع تلاميذه في القرآن الكريم ويفسره ارتجالًا، ويستطرد، ويبين من معاني القرآن، وفوائده ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى إنّ سامعه يودّ ألا يسكت، لفصاحته وجزالة لفظه، وتوسّعه في سياق الأدلة والقصص.

ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه؛ عرف مكانته العلمية، وكذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه.

سادسًا: مصنفاته، كان - رحمه الله تعالى- ذا عناية بالغة بالتأليف، حيث شارك في كثير من فنون العلم فألّف في التوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصول، والآداب، وغيرها، وأغلب مؤلفاته مطبوعة إلا اليسير منها، ومن **هذه المؤلفات:**

١ الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.



٢ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار.

٣ التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب.

٤ توضيح الكافية الشافية.

٥ التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة.

٦ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

٧ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.

٨ الخطب المنبرية على المناسبات.

٩ الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية.

١٠ رسالة في القواعد الفقهية.

١١ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة.

١٢ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد

والضوابط والأصول.

١٣ فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد.

١٤ الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

١٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن.

١٦- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة.

١٧- القول السديد في مقاصد التوحيد.

١٨- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

١٩- المناظرات الفقهية.

٢٠- منظومة في أحكام الفقه.

٢١- منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة.

سابعًا: وفاته، بعد عمر دام تسعًا وستين سنة قضاها في التعلم والتعليم والتأليف وخدمة الأمة الإسلامية وافاه الأجل المحتوم فتوفي سنة ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

أصل الكتاب: هذا الشرح عبارةٌ عن أمالٍ من الشيخ عبدالرحمن على طلابه؛ كان تلميذه الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي يقيّدها في كراريس، والظاهر أنّ السبب في ذلك - زيادةً على حرصه- كونُه معيدًا للدّرس عند الشيخ على الطلاّب، كما يفهم من كلام الشيخ البسّام في ترجمته، وقد يقصد غير ذلك.

فالشرح إذن تعليقاتٌ وإملاءاتٌ على عمدة الأحكام ألقاها الشيخ في أثناء شرحه



أنس العقيل

له على طلابه في جامع عنيزة سنة ١٣٤٩هـ، وقد بقيت هذه التقييدات مخطوطة من حينها، ثم يسّر الله تعالى لأبناء ناسخها - جزاهم الله خيرًا وغفر لوالدهم- أن يُظهروها؛ فحصل المحقّق على نسخة منها، وقام بخدمتها والعناية بها.

وهذا الإملاء كصنيع ابن دقيق العيد في شرح العمدة، حيث أملاها على تلميذه الوزير الصالح العماد الحلبي، ومثله كثير من كتب المتقدمين؛ كالتعليقة للقاضي حسين على مختصر المزني، وكتاب الأم للشافعي، ومثل ما طُبع من كتب الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعناية الشيخ



الشيخ ابن عقيل

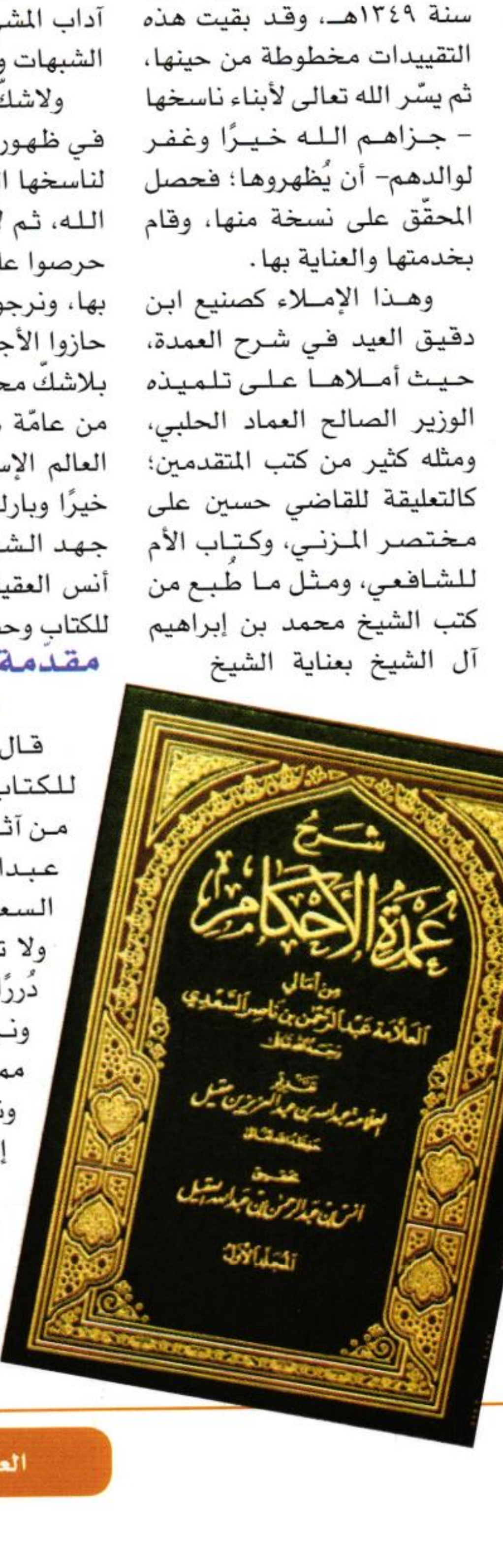
محمد بن قاسم؛ كحاشية آداب المشي إلى الصلاة وكشف الشبهات والواسطية.

ولاشكّ أنّ الفضل لله تعالى في ظهور هذه الإملاءات، ثم لناسخها الشيخ العوهلي يرحمه الله، ثم لأبنائه البررة الذين حرصوا على نشرها ونفع الناس بها، ونرجو أن يكونوا بذلك قد حازوا الأجر من الله تعالى، وهم بلاشكّ محلّ ثناء وإكبار وإجلال من عامّة طلاب العلم في بقاع العالم الإسلامي، فجزاهم الله خيرًا وبارك فيهم، كما لا ننسى جهد الشيخ المحقق الأستاذ أنس العقيل على تعبه وخدمته للكتاب وحسن إخراجه له.

مقدمة الشيخ عبدالله بن عقيل

قال الشيخ في تقديمه للكتاب: فهذا أثرٌ جديدٌ من آثار شيخنا العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-، ولا تزال الأيام تظهر لنا دُررًا ونفائس من آثاره، ونرجو أن يكون ذلك مما ادّخر له من أجر ونفع يتوالى ويتجدد إلى يوم القيامة.

هذا الشرح النفيس هو ما أملاه شيخنا شرحًا لكتاب عمدة الحديث، للحافظ



عبدالغني المقدسيّ - رحمه الله-، وكتبه عن إملائه تلميذه شيخُنا وزميلُنا الكبير الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي رحمه الله، ويظهر فيه - كسائر آثار شيخنا- نفَسه العلميّ، وجودة ذهنه، ودقّة استنباطه، وتحرّيه للدليل، وسعة أفقه، وحرصه على تبسيط المعلومات، وإفادة الطالب علميا وتربويا، وهكذا كانت دروسه - رحمه الله-، نجد فيها الفائدة الغزيرة بالأسلوب الواضح الخالي من التكلّف، مقرونة بالدليل والمِران على الترجيح، بأسلوب تربوي حكيم.

ولـمّا رأيت هذا الشرح وتأمّلته سُررت به، وحرَصت أن يطبع وينشر؛ ليعُم به النفع، إن شاء الله، ومن ثَمّ أشرت على الابن أنس بن عبدالرحمن أن يشتغل بخدمته ونشره.

منهج المحقق

أبان المحقّق عن طريقته في التحقيق، وهي باختصار:

ضبط النصّ.

إثبات أحاديث المتن.

الإحالة إلى أبرز مصادر شرح المتن.

تخريج الآيات والأحاديث.

توثيق النصوص التي ذكرها الشارح عن أهل العلم.

توثيق مذاهب العلماء.

التعليق المختصر على بعض المواضع.

توضيح بعض الألفاظ.

جمع اختيارات الشارح الفقهية.

جمع القواعد التي استدل بها الشارح.

ترجمة المصنف، والشارح المملي، والناسخ المستملي.

بين الإمام أبي زرعة الرّازي وسليمان الشّاذكوني

حول «حفظ الأحاديث واستحضارها»

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌ وأدبيٌ، وتاريخيٌ توثيقيٌ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمَـة الـديـن، وسادة اللغة والأدب، وأوعيـة الحديث والفقه، وأربـاب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كلّ ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجَوْدة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقة وصامتة للتعلم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقفين للتأمُّل وطول التدبُّر في كيفيَة معالجة ما يقع للنفوس من الخلل والتأثّر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُساجَلة: أن يَسْتقيَ ساقيان فيُخرجُ كلّ واحد منهما في سَجْله مثلَ ما يُخرجُ الآخر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلبَ. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخرة، فإذا قيل: فلان يُساجِل فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرِجُ من الشَّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخَرُ، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سجال».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشَدَّ الضّعَة، ويُخْملُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحَد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعةَ العلم، وسَعَة الاطّلاع، وجوْدةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

د. الطاهر خذيري
ALmadani9@Gmail.com

هو الإمام الحافظ عبيدالله بن عبدالكريم، محدّث الرّيّ، ولد بعد المائتين بقليل، وطلب علوم الشريعة، واختصّ بعلم الحديث وهو حَدَث، وارتحل إلى كثير من البلدان كالحجاز والشّام، ومصر والعراق، والجزيرة وخراسان، وكَتَب ما لا يُوصف كثْرة، وكان إمامًا ربّانيًا، حافظًا متقنًا مُكثرًا.

قال الحافظ أبوأحمد بن عدي (تاريخ بغداد: ٣٢٤/١٠- ٣٢٥): سمعت أبي يقول: كنت بالرّيّ وأنا غلام، فحلف رجل بطلاق امرأته أنّ أبا زرعة يحفظ مائة ألف حديث؛ فذهب قوم- أنا فيهم- إلى أبي زرعة، فسألناه، فقال: ما حَمَله على الحلف بالطلاق؟ قيل: قد جرى الآن منه ذلك، فقال أبوزرعة: ليُمسك امرأته، فإنّها لم تطلق عليه.

ولجلالته وتمام معرفته وعُلوّ قدْره، قال يونس بَن عبدالأعلى الصّدفيّ (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي: ٣٢٥/٥): حدّثني أبوزرعة، فقيل له: من هو؟ فقال: إنّ أبا زرعة أشهر في الدّنيا من الدّنيا!

لقد كانت لأبي زرعة- رحمه الله- حافظةٌ نقيّةٌ واعية، وهي التي جعلت الإمام إسحق بن راهويه يقول (الإرشاد: ٦٨١/٢): «كلّ حديث لا يعرفه أبوزرعة الرازي، فليس له أصْل!»، ومن سروره به كتب إليه بخطّه يقول (الجرح والتعديل: ٣٢٩/١): إني أزداد بك كلّ يوم سرورًا، فالحمد لله الذي جعلك ممّن يحفظ سنّته، وهذا أعظم ما يحتاج إليه اليوم طالب العلم، وأحمد بن إبراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتى يكاد يُفْرط، وإن لم يكن فيك بحمد الله إفراط، وأقْرَأني كتابك إليه بنحو ما أوصيتك من إظهار السّنة وترك المداهنة، فجزاك الله خيرا، فدمْ على ما أوصيتك فإنّ الباطل جولةٌ ثم يضمحل، وإنك ممّن أحبُّ صلاحه وزَيْنَه، وإنّي أسمع من إخواننا القادمين ما أنت عليه من العلم والحفظ فأُسرُّ بذلك».

وقد قال في وصف مكارمه العالمُ الحافظ أبوحاتم الرّازي (تاريخ بغداد: ٣٣٣/١٠): حدّثني أبوزرعة عبيدالله، وما خَلّف بعده مثله علمًا وفهمًا وصيانةً وحذقًا، وهذا ما لا يُرتابُ فيه، ولا أعلم من المَشرق والمغرب مَن كان يفهم هذا الشّأن مثله، ولقد كان من هذا الأمر بسبيل.

وفي (الجرح والتعديل: ٣٤١/١): أنّ رجلًا سأل الإمام أحمد بن حنبل، فقال: بالريّ شابٌّ يقال له أبوزرعة، فغضب أحمد، وقال: تقول شابّ! كالمنْكر عليه، ثم رفع يديه، وجعل يدعو الله عز وجلّ لأبى زرعة، ويقول: اللهم انصره على مَن بغى عليه، اللهمّ عافه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم اللهم... في دعاء كثير، قال الراوي: فلمّا قدمْتُ حكيْت ذلك لأبي زرعة، وحملتُ إليه دعاء أحمد بن حنبل له، وكنت كتبته عنه، فكتبه أبوزرعة، وقال لي أبوزرعة: ما وقعتُ في بليّة فذكرت دعاء أحمد إلاّ ظننتُ أن الله عز وجلّ يفرّج بدعائه عنّي.

وقد بقي الإمام على هذه الشّاكلة من الخيرية في العلم والعمل حتى ختم الله تعالى له بخير الخواتيم، وقصّة خاتمته تلك يرويها لنا وَرّاقُه المختصّ به أبوجعفر محمد بن عليّ، قال (سير أعلام النبلاء: ٧٧/١٣، وتاريخ بغداد: ٣٣٥/١٠): حَضَرْنا أبا زرعة بمَاشهْرَانَ، وهو في السّوْق (في آخر لحظات عمره)، وعنده أبوحاتم، وابن وارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين «لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله»، واستحْيَوا من أبي زرعة أن يلقّنوه- لأنّه كان شيخَهم في العلم والعمل- فقالوا: تعالوا نذكر الحديث.

فقال ابن وارة: حدّثنا أبوعاصم، حدثنا عبدالحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول: ابنُ أبي، ولم يجاوزه.

وقال أبوحاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبوعاصم، عن عبدالحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز.

والباقون سكتوا.

فقال أبوزرعة وهو في السَّوْق: حدثنا بندار، حدثنا أبوعاصم، حدثنا عبدالحميد، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرّة، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وتوفي (رحمه الله).

وهذه كرامةٌ صحيحة السّند رواها أبوعبدالله الحاكم وغيره، عن أبي بكر محمد بن عبدالله الوراق الرازي، عن أبي جعفر بهذا، كما نقل ذلك الذهبيّ في ترجمته، وقد توفي أبوزرعة في آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين.

وأما الشّاذكوني، فهو العالم الحافظ البارع أبوأيوب سليمان بن داود بن بشر المنقري البصريّ الشاذكوني، كما قال الذهبيّ في (سير أعلام النبلاء: ١٠/٦٧٩)، قال السمعاني في (الأنساب: ٣/٣٧٢): هذه النسبة إلى شاذَكوه، وظني أنها ناحيةٌ بجرجان، والله أعلم.

وهذا الشاذكونيّ من أوضح الأمثلة على أنّ أصحاب الشأن من الأئمة المحدّثين قد حفظوا سنّة النبيّ ﷺ وصانوها من عبث العابثين وكذب الكذابين، فهو على جلالته في الحفظ والجمع وطول الرّحلة والرّواية، وقد شَهد له بذلك جمعٌ من الحفاظ المتقنين، مع كلّ هذا حين جُرِّب عليه الكذب أسقطوه وتركوه، ونبذوا حديثه، ولم يبالوا بما كان شُهد له به من الحفظ وتمام الإتقان، غيرةً على حديث رسول الله ﷺ، وإثباتًا لتجرّدهم للحق وعدم مجاملتهم لأحد أيًّا كان مَحلّه.

قال إبراهيم بن أورمة-رحمه الله- (تاريخ بغداد: ٩/٤٢): «كان الطيالسيّ بأصبهان، فلمّا أراد الرّجوع بكى، فقالوا له: إنّ الرّجل إذا رجع إلى أهله فرح! قال: لا تدرون إلى مَن أرجع، أرجع إلى شياطين الإنس، ابن المديني، والشاذكوني، والفلّاس!». (وهذا وصف على المبالغة وليس على حقيقته، أي أنّهم الأئمّة الحفّاظ المتقنون).

وسُئل الحافظ صالح جزرة - رحمه الله- عن الشاذكوني، فقال: ما رأيت أحفظ منه، قيل: بم كان يُتّهم؟ قال: كان يكذب في الحديث. وسئل عنه أحمد بن حنبل- رحمه الله- فقال: «جالَسَ حماد بن زيد، ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل، فما نَفَعه الله بواحد منهم!». وقال ابن معين-رحمه الله-: «جرّبتُ على الشّاذكوني الكذب».

وهذا هو منهج أهل الحديث؛ حيث إنهم يتشدّدون جدًّا في الرّواية عن رسول الله ﷺ، ويرون ذلك التشدّد دينًا يتقرّبون به إلى الله تعالى، وقد اشتهر عنهم في ذلك مقالتُهم: «الإسناد من الدّين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء»، بخلاف غير أهل الحقّ من أهل البدع والأهواء الذين يرفعون رؤوسهم بمرويات الكذابين والدجّالين والمخرّفين، ثم لا يستحون ولا هم من ربهم يخافون! «وإنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (البخاري).

قال إسماعيل بن الفضل- رحمه الله-: (سير أعلام النبلاء: ١٠/٦٨٢، وتاريخ بغداد: ٩/٤٨): رأيت ابن الشّاذكوني في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال: كنت في طريق أصبهان، فأخذني المطر ومعي كتب، ولم أكن تحت سقف، فانكببت على كتبي حتى أصبحت، فغفر لي بذلك.

وقد رُوي عنه ما عساه يكون غَسَل عنه ما علق به من التهمة في الرواية، فقد قيل: إنّه لمّا احتُضر قال: «اللهم إنّي أعتذر إليك، غير أني ما قذفتُ محصنة، ولا دلّستُ حديثا». رحمه الله وعفا عنه.

سياق المساجلة

قال الحافظ أبوعلي صالح جزرة: قال لي أبو زرعة: مُرّ بنا إلى سليمان الشاذكونيّ نذاكرْه، قال: فذهبنا، فمازال يذاكره حتى عجز الشاذكونيّ عن حفْظه، فلمّا أعياه، ألقى عليه حديثًا من حديث الرّازيّين، فلم يعرفْه أبوزرعة، فقال سليمان: يا سبحان الله حديثُ بلدك هذا مخرجُه من عندكم! وأبوزرعة ساكت، والشّاذكوني يخَجّله ويُري مَن حضر أنه قد عجز، فلمّا خرجنا، رأيتُ أبا زرعة قد اغتمّ، ويقول: لا أدري من أين جاء بهذا، فقلت له: وضَعَه في الوقت كي تعجَز وتخجَل، قال: هكذا؟ قلت: نعم، فسُرّي عنه.

وقال سعيد بن عمرو الحافظ: سمعت أبا زرعة يقول: دخلت البصرة، فحضرت سليمان الشاذكونيّ يوم الجمعة، فروى حديثا، فرددت عليه،ثم قال: حدّثنا ابن أبي غَنيّة عن أبيه عن سعد بن إبراهيم، عن نافع بن جبير، عن أبيه، قال: «لا حِلف في الإسلام» فقلت: هذا وهْمٌ، وَهِم فيه إسحاق بن سليمان، وإنما هو سعد، عن أبيه، عن جبير.

قال: مَن يقول هذا؟ قلت: حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي غنيّة، فغضب، ثم قال لي: ما تقول فيمن جعل الأذان مكان الإقامة؟ قلت: يعيد.

قال: مَن قال هذا؟ قلت: الشعبي.

قال: مَن عن الشعبيّ؟ قلت: حدّثنا قَبيصة، عن سفيان، عن جابر، عن الشعبيّ.

قال: ومَن غير هذا؟ قلت: إبراهيم، وحدثنا أبونعيم، حدثنا منصور بن أبي الأسود، عن مغيرة، عنه.

قال: أخطأتَ.

قلت: حدثنا أبونعيم، حدّثنا جعفر الأحمر، حدثنا مغيرة.

قال: أخطأتَ.

قلت: حدّثنا أبونعيم، حدّثنا أبوكدينة، عن مغيرة.

قال: أصبتَ.

ثم قال أبوزرعة: اشْتَبَه عليّ، وكتبتُ هذه الأحاديث الثلاثة عن أبي نُعيم، فما طالعتُها منذ كتبتُها.

ثم قال: وأيّ شيء غير هذا؟ قلت: معاذ بن هشام، عن أشعث، عن الحسن.

قال: هذا سرقته منّي- وصدق-، كان ذاكرني به رجلٌ ببغداد، فحفظته عنه.

رحمة الله عليهما وغفر الله لهما.

مدينة «سِجِسْتان»

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.
مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.
وإنَّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.
وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.
ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثير من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.
ولاشك أنه قد اهتم علماء المسلمين بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسبُ إليها علماء كان لهم إسهامٌ بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).
وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حالُ «خراسان».
وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل النورستاني

«سجِسْتَان» اسمٌ لناحية كبيرةٍ وولايةٍ واسعة جنوبَ خراسان، وتقع بينَ إقليم مَكْران جنوبًا، وخراسان شمالًا، وقُوْهِسْتان وصَحراء كرمان الكبرى غربًا، بينما حدودُها الشرقية ليست دقيقة، إلا أنها تدخلُ في حدود بلاد السند عند القدماء(١).

هذا على وصف البلدانيين القدامَى، أما وصفُها الآن (٢): فهي تقع في الجنوب الغربيّ من أفغانستان، وتشمل الولايات: قَندَهار، وهلْمَنْد، ونِيْمْرُوْز، وتمتدُّ إلى داخل الحدود الإيرانية الشرقية.

وقصبةُ إقليم «سجستان» هي مدينةُ «زَرَنْج»، وتقعُ في الجنوب الغربيّ من أفغانستان، وهي الآن مركزُ ولاية «نيمروز» الأفغانية.

ومدينةُ «زَرَنْج» تُعرف بـ «مدينة سجستان»، ولم يكن البلدانيون العرب المتأخرون يَعرفونها إلّا بمدينة سجستان، ولذلك قد يذكر بعضُهم أنّ «سجستان» و«زرنج» مترادفتان، وليس الأمرُ كذلك، إلا أنه لما كانت «زرنج» قصبة ذلك الإقليم غلبَ عليها اسمُها، ويُقابلُها بالفارسية «شَهْرِسْتَان».

وباسم «مدينة سجستان» كانت تُسمّى «زرنج» حين خرّبَها تيمور سنة (٧٨٥هـ- ١٣٨٣م) (٣)، وقد أعيدَ بناؤها في الموقع نفسه، ومازالت معروفةً بهذا الاسم إلى الآن.

وقد فتحَ المسلمون إقليمَ «سجستان» في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام (٢٣هـ)، بقيادة عاصم بن عمرو التميمي، وعبدالله بن عمير.

وحدودُ «سجستان» ليست واحدة على مرّ العصور، بل ظلّت تختلف باختلاف العصور، فبينما كانت حدودُها (شرقًا وشمالًا) تشملُ جميعَ جنوب ووسط أفغانستان، بما فيها مدينة غَزْنَة، وبُسْت، وما بعدها جنوبًا، كمدينة قندهار وما بعدها غربًا .. بينما نجد ذلك في بعض العصور: نجد هذا الاسمَ في العصور المتأخرة تتحسرُ رقعتُه إلى حدود «سيستان» المعروفة الآنَ.

وقد اشتدّ الصراعُ بين أفغانستان وإيران حول سجستان «سيستان»، مما أتاحَ لبريطانيا التدخُّل، وقبلت الدولتان تحكيمَها في ترسيم حدود سجستان، فوضعت البعثةُ البريطانية عام ١٨٧٢م خطَّ الحدود، وأصبحَت سجستان مقسمة بين إيران وأفغانستان، بحيث يخصُّ إيران أربعون بالمائة منها، والباقي لأفغانستان، وتقعُ مدينةُ زَرَنْج- وهي عاصمةُ سجستان- في القسم الأفغاني.

وينتسبُ إلى سجستان خلقٌ كثيرٌ من العلماء المعروفين، على رأسهم الإمامُ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو بن عمران الأزدي، أبوداود السِّجِسْتاني.

وقد اشتُهرَ الإمامُ بكنيته أكثر من شهرته باسمه، فلا يكاد يُذكر إلا بالكنية.

والإمامُ أبوداود عربيٌّ أَزْديٌّ من قبيلة الأَزْد، وولد في بلده سجستان سنة اثنتين ومائتَين، وكان من المبَكّرين في الرحلات، ومن المكثرين منها، خرجَ في طلب العلم وعمرُه دون العشرين عامًا، ورحل إلى مراكز العلم في ذلك الوقت، منها: هراة، بغلان، الري، نيسابور، أصبهان، بغداد، البصرة، وقد استوطنها أخيرًا ومات فيها، الكوفة، مكة المكرمة، المدينة النبوية، دمشق، حمص، حلب، حرّان، الجزيرة، الرملة، طرَسوس، بيروت، مصر.

وبعد هذه الرحلات الكثيرة المتتابعة خارج سجستان وخراسان رجع إلى خراسان، ثم خرج إلى موطنه سجستان لتفقُّد ما يملكه من أسباب المعيشة هناك، ولم يزل يتردد على بغداد، حتى طلب منه «الموفق» الانتقالَ إلى البصرة فانتقلَ إليها، وتوفي هناك.

والمدنُ التي رحلَ إليها تشملُ دولًا عديدةً هي: أفغانستان، وإيران، والعراق، وسوريا، والأردن، وتركيا، وبلاد الحرمين، ومصر، تُضاف إليها: طاجكستان، وأوزبكسْتان، وتُركُمانسْتان، والتي تقعُ في إقليمَي «خراسان» و«ما وراء النهر».

وألّف الإمامُ أبوداود مؤلّفات كثيرةً في علم الحديث، وعلم الرجال، والفقه، والعقيدة، والتفسير، من أشهرها كتابُه «السنن».

ويَكفي للدّلالة على المكانة العالية التي تبوّأها أبوداود قصّتُه مع الأمير «الموَفّق»، حيث إنه لَمّا تسبّبَ الزّنجُ في خراب مدينة البصرة طلبَ الأميرُ «الموفّقُ» من أبي داود أن يَنتقلَ إلى البصرة لتعمُر به.

قالَ أبوبكر بن جابر- خادم أبي داود: كنتُ معه ببغداد، فصلّيْنا المغرِبَ، إذ قُرعَ البابُ ففتحتُه، فإذا خادمٌ يقول: هذا الأميرُ أبوأحمد الموفّق يَستأذنَ؟ فدخلتُ إلى أبي داود، فأخبرتُه بمكانه، فأذنَ له، فدخلَ وقعَد، ثم أقبلَ عليه أبوداود وقال: ما جاءَ بالأمير في مثل هذا الوقت؟! فقال: خلالٌ ثلاثٌ، فقال: وما هي؟ قال: تنتقلُ إلى البصرة فتتّخذُها وطنًا؛ ليَرحَلَ إليكَ طلَبَةُ العلم من أقطار الأرض، فتعمُرَ بك، فإنها قد خَرِبَت، وانقطعَ عنها الناسُ لما جرى عليها من محنة الزُّنج.

فقال: هذه واحدة، هات الثانية.

قال: وتَروي لأولادي كتابَ السنن.

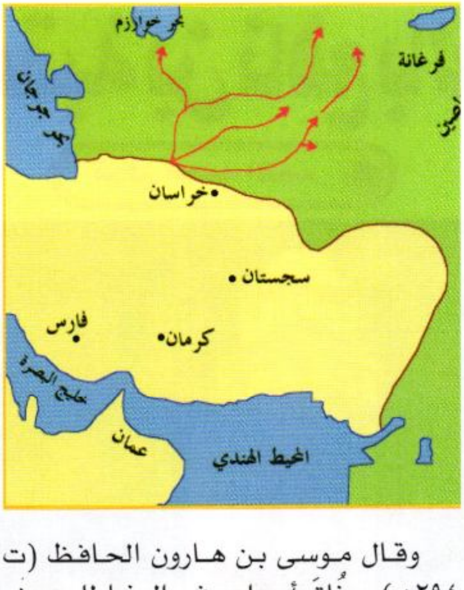
فقال: نعم، هات الثالثة.

قال: وتُفردُ لهم مجلسًا للرواية، فإنّ أولادَ الخلفاء لا يَقعدون مع العامّة.

فقال: أمّا هذه فلا سبيلَ إليها؛ لأنّ الناسَ شريفَهم ووَضيعَهم في العلم سواء.

قال ابنُ جابر: فكانوا بعد ذلك يحضرون ويَقعدون في كُمّ حِيريّ، ويُضرَبُ بينهم وبين الناس سِترٌ فيسمعونَ مع العامّة(٤).

وقد أثنى عليه كثيرٌ من الأئمة، ولَما صنّفَ أبوداود «السنن» قال الإمامان محمد بن إسحاق الصّاغاني (ت ٢٧٠هـ) وإبراهيم الحربي (ت ٢٨١هـ): «أُلين لأبي داود الحديثُ كما أُلين لداود عليه السلام الحديد»(٥).



وقال موسى بن هارون الحافظ (ت ٢٩٤هـ): «خُلقَ أبوداود في الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنة، ما رأيتُ أفضلَ منه»(٦).

وقال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، وتبعَه أبوسعد السمعانيّ (ت٥٦٢هـ): «أبوداود أحد أئمة الدنيا فقهًا، وعلمًا، وحفظًا، ونسكًا، وورعًا، وإتقانًا، ممّن جمَع وصنّف، وذبّ عن السُّنَن، وقمَعَ مَن خالفَها وانتحَلَ ضدّها»(٧).

وقال الحاكمُ النيسابوري (ت ٤٠٥هـ): «كان أبوداود إمامَ أهل الحديث في عصره بلا مُدافَعة»(٨).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٧هـ): «البخاري وأبوداود أفقهُ أهلِ الصحيح والسنن»(٩).

والثناءُ عليه من الأئمة المتقدّمين والمتأخرين كثيرٌ جدًا، وأكتفي بما سردتُه هنا، مختتمًا بما ذكرَه الحافظُ السّلَفيّ (٥٧٦هـ)- بعد ذكره لبعض ما قيل من ثناء العلماء على أبي داود- قال: «وفضائلُ أبي داود كثيرة، ورتبتُه بين أهل الرُّتَب كبيرة، وما أوردتُه ههنا من فضله وقول كبيرٍ بعد كبير، فقليلٌ من كثير...»(١٠).

ولم أقف- بعد طول بحث- على اسم المدينة أو القرية التي وُلدَ فيها الإمامُ أبوداود داخل إقليم سجستان، وكلُّ ما ذُكر أنه سجستاني، وأنه وُلدَ بسجستان.. هكذا دون تعيين مدينة أو قريةٍ داخل ذلك الإقليم الكبير.

والسببُ في ذلك- والله تعالى أعلم- أنّ قصبةَ الإقليم- وهي مدينةُ زرنج- كانت تُسمّى بمدينة سجستان، وهي المرادُ عند الإطلاق.

فالإمامُ أبوداود سجستاني، ومن مدينة زَرَنْج الأفغانية.

وجديرٌ بالذكر هنا أنّ سجستان هي الحدُّ الجنوبيُّ لـ«خراسان»، كما أنّ خراسان هي الحدُّ الجنوبيُّ لـ«ما وراء النهر»، والمنطقةُ الواقعةُ جنوبَ سجستان هي «مكران»، وتمتدُّ إلى بحر الخليج العربي.

توفي الإمامُ أبوداود يومَ الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمسٍ وسبعين ومائتَين.

ومن شدّة تحرّيه في اتباع السنة أنه لمّا مرضَ مَرَضَ الموت أوصى أن يُغَسّلَه حسنُ بنُ المثنى؛ لتقدّمه في ذلك. قال: فإن اتّفقَ، وإلّا فانظروا في كتاب سليمان بن حرب عن حماد بن زيد فاعملوا به.

وقد حصلَ ما وصّى به، حيث غسّله ابنُ المثنى بعد صلاة الجمعة، وصلّى عليه العباسُ بن عبدالواحد بن جعفر بن سليمان الهاشمي، ودفنوه بالقرب من قبر الإمام سفيان الثوري- رحمه الله.

رحمَ الله الإمامَ أبا داود، وأجزلَ له المثوبة، وتقبّل منه كلّ ما قدّمه للأمة الإسلامية، وأسكنَه فسيح جَنّاته، وجمعَنا به في الفردوس الأعلى.

الهوامش

(١) انظر: معجم البلدان، للحموي (٣/ ٢٣)، توضيح المشتبه، لابن ناصرالدين (٥/ ٥٨).
(٢) انظر التفصيل في: دائرة المعارف الإسلامية، ١١/ ٢٨٣- ٢٩٥)، بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٧٢- ٣٩١)، أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي، ص٤٩٠- ٤٩٣).
(٣) انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٧٣.
(٤) انظر: معالم السنن (١/ ٧).
(٥) تاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ١٩٦).
(٦) تاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ١٩٦)، تهذيب الكمال (١١/ ٣٦٥).
(٧) الثقات، لابن حبان (٨/ ٢٨٢)، الأنساب، للسمعاني (٣/ ٢٢٥).
(٨) انظر: تاريخ مدينة دمشق (٢٢/ ١٩٣).
(٩) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٢/ ٢٢٥).
(١٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٣٢١).

جامع عقبة بن نافع بالقيروان

تركي محمد النصر



نشأت مدينة القيروان- التي تبعد (١٥٥كم) عن العاصمة التونسية- في عهد الخليفة الأموي الأول الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، على يد والي إفريقيا الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه سنة (٥٦هـ)، الموافق (٦٧٥م)، الذي اختار لها موقعًا يبتعد عن شاطئ المتوسط بقدر ما يقترب من الصحراء، فكانت قيروانًا (١) لجيش الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، وخُطِّطت هذه المدينة حول نواة جامع من الطين والحجر، وفي أقل من قرن أصبحت بوابة المغرب الإسلامي، الذي سرعان ما شمل بلاد الأندلس، ومن بعدها جزيرة صقلية المجاورة، وقد رُسمت ملامح المدينة العمرانية بدقة وإتقان، وكرّست أعمال العلماء والأدباء ومهارة الحرفيين عهدًا ذهبيًا من الثقافة القيروانية التي لم ينطفئ بريقها إلى يومنا هذا في هذه المدينة التونسية العريقة التي كانت ومازالت سوقًا للمعرفة، يغترف من مناهلها الواردون على أحواضها، والمتعطشون لمعارفها، فذاعت شهرتها في الآفاق، وعم ذكرها أرجاء العالم الإسلامي، فلا غرابة بعد ذلك أن يقول فيها بانيها: «فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزًّا للإسلام والمسلمين».

قال أبوالحسن علي الحصري القيرواني (شاعر الزمان)، (ت ٤٨٨هـ):

ألا سقى الله أرض القيروان حبا
كأنه عبراتي المستهلات
فإنها لدة الجنّات تربتها
مسكية وحصاها جوهريات
إلاّ تكن في رباها روضة أنف
فإنّما أوجه الأحباب روضات

قال الشاعر أبوالقاسم الغزاري:

فهل للقيروان و ساكنيها
عديل حين يفتخر الفخور
بلاد حشوها علم وحلم
وإسلام ومعروف وخير

بعد أن بدأ القائد المجاهد والي بلاد إفريقيا عقبة بن نافع الفهري يخطط لبناء مدينة القيروان، جعل الجامع ودار الإمارة أساسًا ومركزًا للتخطيط، وبدأ ببناء أقدم مساجد إفريقيا الذي بات يعرف فيما بعد باسمه.

قال خليفة بن خياط: «وفي سنة خمسين اختط عقبة القيروان، وأقام بها ثلاث سنين»، وعندما عزم عقبة ومن معه على وضع محراب المسجد الجامع فكروا كثيرًا في متجه القبلة، وراقبوا طلوع الشمس وغروبها عدة أيام، وقال له أصحابه: إن أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمه، واجتهد عقبة، وكان موفقًا في اجتهاده، وأصبح محراب القيروان أسوة وقدوة لبقية مساجد المغرب الإسلامي.

بدأ بناء المسجد بسيطًا، صغير المساحة، تستند أسقفه على الأعمدة مباشرة، دون عقود تصل بين الأعمدة والسقف، وشكله الخارجي يوحي للناظر أنه حصن ضخم، إذ إن جدران المسجد سميكة ومرتفعة، وشُدت بدعامات واضحة، وحافظ الذين جددوا بناءه فيما بعد على هيئته العامة، وقبلته ومحرابه، وقد تمت زيادة مساحته كثيرًا، ولقي اهتمام الأمراء والخلفاء والعلماء، في جميع مراحل التاريخ الإسلامي، حتى أصبح معلمًا تاريخيًا بارزًا ومهمًا.

تجديد الجامع

بعد مضي أكثر من عشرين عامًا على بناء الجامع على يد القائد عقبة بن نافع، قام حسان بن النعمان الغساني بهدمه كله، ما عدا محرابه، وأعاد بناءه وقواه بعد أن زاد فيه ووسعه.

ثم قام الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك بتجديد الجامع عن طريق واليه على القيروان بشر بن صفوان عام (١٠٥هـ)، فزاد في بنائه ووسعه، وأمر بشراء الأرض المحاذية للمسجد من جهته الشمالية وضمها إليه، وأضاف لصحن المسجد مكانا للوضوء، وبنى مئذنة للمسجد في منتصف جداره الشمالي عند بئر تسمى بئر الجنان.

وبعدها بخمسين عامًا قام يزيد بن حاتم والي أبي جعفر المنصور على إفريقيا بإصلاح وترميم وزخرفة المسجد.

وفي عام (٢٢١ هـ)، قام الأمير زيادة الله بن الأغلب بهدم أجزاء من الجامع لتوسعته، ورفع سقفه، وبنى قبة مزخرفة بلوحات رخامية على اسطوانة المحراب.

أراد الأمير زيادة الله هدم المحراب وتجديده، إلا أن فقهاء القيروان عارضوه وقالوا له: «إن من تقدمك توقفوا عن

• إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

ذلك؛ لما كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه»، وقال له بعض المعماريين: «أنا أُدخله بين حائطين فيبقى دون أن يظهر في الجامع أثر لغيرك»، فأخذ بهذا الرأي وأمر ببناء محراب جديد بالرخام الأبيض المخرم الذي يطل منه الناظر على محراب عقبة الأساسي.

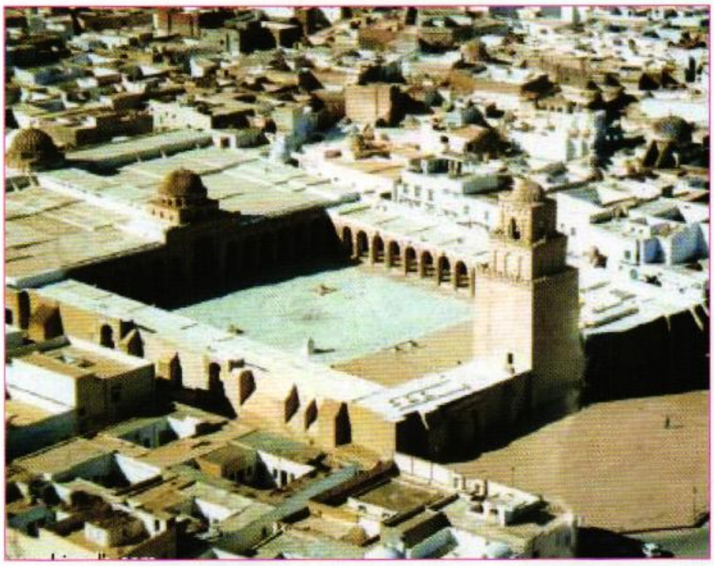
في عام (٢٤٨هـ) قام أحمد ابن محمد الأغلبي بتزيين المنبر وجدار المحراب بلوحات رخامية وقرميد خزفي، ثم قام فيما بعد بتوسعة الجامع، وبنى قبة باب البهو وأقام مجنبات تدور حول الصحن.

أما المقصورة الخشبية الموجودة بجانب المحراب إلى يومنا هذا، فهي من حسنات المعز بن باديس، حيث قام بتجديد المسجد في عام (٤٤١هـ).

وفي سنة (٤٤٩هـ) غَزَتْ القبائل الهلاليّة الهمجية القيروان، وعاثوا فيها فسادًا، وأجلوا أهلها عنها، فاندسّ عمرانها، وعمّت الفوضى سائر البلاد وطوّقها البدو من كل جانب، وحوّلوا الأراضي المحيطة بها إلى مراع لمواشيهم، وغُلب أهل القيروان على أمرهم، وأصبحوا يشكون الفقر والفاقة، وتحوّلت المدينة- على حدّ قول الشريف الإدريسي (ت٥٦٠هـ)- إلى «أطلال دارسة وآثار طامسة».

وبعد انتهاء هذه الهجمة الشرسة قام الحفصيون بتجديد الجامع مرة أخرى، ثم توالى كثير من الولاة الذين اعتنوا بالجامع وخدموه، مع محافظتهم على مقاييسه الأولى التي كان عليها أيام إبراهيم بن

جامع عقبة الكبير شاهد على دور القيروان في نشر الدين الإسلامي في المغرب العربي



أحمد الأغلبي.

تبلغ مساحة الجامع الإجمالية (٩٧٠٠) متر، بطول بلغ (١٢٦) مترًا وعرض (٧٧) مترًا، أما صحنه المكشوف فيبلغ طوله (٧٠) مترًا، وعرضه (٣٨) مترًا، ولهذا الصحن مجنبات، عرض كل منها نحو ستة أمتار وربع المتر، ويغطي بيتُ الصلاة نصفَ مساحة المسجد تقريبا.

أما مئذنة الجامع التي تقع في الجدار المواجه للقبلة فهي من أجمل المآذن التي بناها المسلمون في العالم، فهي تتكون من ثلاث طبقات مربعة الشكل، تتدرج بحجمها، وفوق الطبقات الثلاث قبة مفصصة، يصل ارتفاع المئذنة إلى (٣١،٥) مترًا، يُصعد إليها بدرج ضيق بداخلها.

كما يتميز المسجد بأبوابه التسعة الضخمة، وقبابه الست: (قبة المحراب، وقبة باب البهو، وقبتان تعلوان مدخل بيت الصلاة في الشرق والغرب، وقبة تعلو المجنبة الغربية للمسجد وقبة في أعلى المئذنة).

أما زخارف المحراب والمنبر فهي من أروع زخارف الجامع، حيث تعد من تحف الفن الإسلامي النادرة، وآية في الإبداع والجمال.

التاريخ العلمي للجامع

كانت مدينة القيروان تقوم بدورين مهمين في آن واحد، هما: الجهاد والدعوة، فبينما كانت الجيوش تخرج منها للغزو والتوسعات، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا بين البلاد يعلّمون العربية وينشرون الإسلام.

وكانت القيروان أولى المراكز العلمية في المغرب العربي، تليها قرطبة في الأندلس ثم فاس في المغرب الأقصى، وقد قصدها أبناء المغرب وغيرها من البلاد المجاورة، وكانت حلقات التدريس في جميع العلوم تُعقد في مسجد عقبة، الجامع الذي كان له دور كبير في نشر الدين وتعليمه، وكان مذهب أبي حنيفة رحمه الله أظهر المذاهب، حتى جاء الملك المعز بن باديس (ت ٤٥٤هـ) وحمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس، رحمه الله، وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال على ذلك.

وقد أسست المدارس التي تم إلحاقها بالجامع وبغيره، وكان يطلق عليها اسم «بيت الحكمة»، حيث تعقد فيها مجالس العلم، وكان يحضر هذه المجالس العلماء البارزون من فقهاء المالكية والحنفية وغيرهم، ومن هذا البيت (بيت الحكمة) تسربت علوم الحكمة والمعرفة إلى العالم كله.

وقد أمّ الجامع وزارَه ووفد إليه ودَرَسَ ودرّسَ في مدارسه وفي مدارس القيروان كوكبة عظيمة من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مر العصور، ومن أشهرهم:

١-الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن الخطاب، (ت ٧٣هـ)، توفي رضي الله عنه بمكة، وهو آخر من مات بها من الصحابة.

٢- الإمام التابعي إسماعيل ابن عبيدالله الأنصاري، (ت ١٠٧هـ)، وكان يُعرف بـ: «تاجر الله»، وقد انتفع أهل القيروان بعلمه كثيرًا.

٣- أبوعبدالله أسد بن الفرات بن سنان، (ت ٢١٣ هـ)، فاتح صقلية، الإمام المجاهد، والقاضي الفقيه المالكي، كاتب علم أبي حنيفة، وراوي الموطأ، والجامع لفقه الأحناف والمالكية وأعلم الناس بهما في المغرب.

٤- الفقيه القاضي سحنون



بن سعيد بن حبيب التنوخي، (ت ٢٤١هـ) «صاحب المدونة»، إليه انتهت رئاسة العلم في المغرب، وعنه انتشر علم مالك فيها، وحصل له من أصحاب مالك ما لم يحصل لأحد، ولما توفي رحمه الله تصدر للتدريس بعده في مجلسه بجامع القيروان عبدالعزيز بن يحيى المدني القيرواني.

٥- «مالك الصغير» ابن أبي زيد أبومحمد عبدالله القيرواني المالكي، (ت ٣٨٦هـ)، الإمام العلامة، القدوة، الفقيه، عالم أهل المغرب، «رائد المدرسة الفقهية المالكية».

٦- أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، له كتاب «العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه» الذي قال عنه ابن خلدون: «هو الكتاب الذي انفرد في صناعة الشعر وأعطاها حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله».

٧- الشاعر الأديب تميم بن المعز (ت ٥٠١هـ)، الذي أبقى على ديوان ضخم ينبض وجدانًا ومرارة.

٨- أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن علي الأنصاري، (ت ٦٩٩هـ).

٩- أبوإسحق إبراهيم بن عبدالسلام بن عبدالغالب المسراتي، (ت ٧٠٤هـ)، خطيب جامع القيروان، وعلى يده انقطع الخمر من القيروان، بعدما كان بيعها إشهارًا جهارًا.

١٠- القاضي قاسم بن محمد نعيسي، (ت ٨٠٤هـ)، المعروف بـ: «ابن نعيسة».

هذا ولا يتسع المقام لذكر جماهير العلماء والأدباء الذين وفدوا ودرّسوا في المسجد، حيث كوّنوا مع بقية علماء القيروان مدارس متنوعة العطاء ومتكاملة الجهود.

وهكذا أصبحت مدينة القيروان مركزًا للعلم في المغرب الإسلامي، حتى كانت مفخرة المغرب ومركز السلطان، وأحد الأركان، ومنها خرجت علوم المذهب المالكي، وقد شهد مسجدها الجامع أنواعًا من حلقات العلم في جميع فروعه، إذ حلّ به في أول عهده جماعة من علماء التابعين، ولكنه لم يقتصر على علوم الفقه واللغة العربية وآدابها، فقد اشتغل علماؤه وطلابه فيما بعد بعلوم الفلك والطب والنبات والهندسة والرياضيات، وعلى الأخص في عهد الصنهاجيين والأغالبة وما بعدهما.

وكانت الكتب الفقهية التي ألفها علماء القيروان ابتداء من كتاب المدونة لصاحبه الفقيه الكبير «سحنون» والذي أصبح مرجعا دينيا لرجال القيروان، إلى رسالة ابن أبي زيد ونوادره وزياداته إلى تهذيب «أبي سعيد البراذعي»، كانت هذه الكتب وأمثالها عمدة الدارسين والشرّاح والمعلقين، لا يعرفون غيرها إلى المائة السابعة من التاريخ الهجري، عندما ابتدأت كتب المشارقة تأتي إلى المغرب، مثل «مختصر ابن الحاجب» و«مختصر خليل» فيما بعد.

ويتواصل اليوم إشعاع الجامع القيرواني؛ ليبقى المنارة التي حملت وأشاعت حضارة ديننا الحنيف، وساهمت في تواصل هذه الحضارة خالدة شامخة شموخ الإسلام ورسالته النبيلة، وازدادت هذه المنارة بريقًا عندما احتفل العالم الإسلامي بتتويج القيروان عاصمة الثقافة الإسلامية لعام (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

المصادر

(١) قِيروانًا: أي مكانًا للسلاح ومحطا للجيش.

١- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي الفضل التنوخي، (ت ٨٣٩هـ).
٢- مختصر رياض النفوس في طبقات علماء مدينة القيروان (مخطوط)، تأليف الإمام أبي بكر عبدالله بن محمد المالكي.

الشيخ الوشلي في حوار خاص:

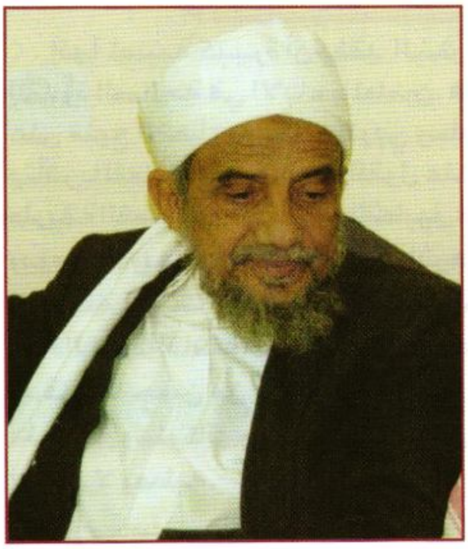
مجالس العلم تحافظ على التراث الإسلامي

التحرير

أكد الشيخ محمد الوشلي أن الأمة اليوم مطالبة بالتمسك بالسنة المطهرة واتباع الهدي النبوي والتمسك بالقواعد الراسخة في عمق الإسلام.

وأوضح أن المحدث ينبغي أن يكون معروفاً بالاستقامة والصدق والدراية بالرواية، لافتا الى أن سبب قلة المحدثين في عصرنا الحالي يرجع الى فتنة الدنيا وشهواتها، وتربص الأعداء.

وقال الوشلي: إنه يفضل الحفظ عن الفهم، لأنه أساس المحافظة على ثوابت الإسلام.. «الوعي الإسلامي» التقت الشيخ على هامش زيارته للكويت أخيراً، واليكم نص الحوار:



■ **ما سبب الزيارة؟**

- جئت إلى الكويت بدعوة من بعض طلبة العلم للقراءة عليَّ كتب البخاري ومسلم، والشمائل المحمدية للترمذي، والمنهاج للنووي، واللمع في أصول الفقه للشيرازي وغيرها من الكتب في مختلف الفنون.

■ **ماذا تعني مجالس السماع؟**

- هذه المجالس تعمل على الحفاظ على التراث الإسلامي الممتد على مدار ١٤ قرناً حتى باتت كل الأديان تعترف بالدين الإسلامي القائم على قواعد وقوانين ثابتة.

■ **بالنسبة لطالب العلم، أيهما أهم الحفظ أم الفهم؟**

- أرى أن الحفظ أهم لأنه أساس المحافظة على ثوابت الإسلام.

■ **لماذا لايوجد مثل هذه المجالس في التعليم الأكاديمي؟**

- لأن هذا الأمر متعلق بحاجات شخصية ورؤى ذاتية، حتى إني وقعت في مناظرة ذات مرة مع محافظ في اليمن حول مدى أهمية هذه المجالس للعلم والعلماء.

■ **من الملاحظ في العصر الحالي قلة المحدثين، فما رأيكم؟**

- صدقت، الواقع اليوم يؤكد قول النبي ﷺ بأننا غثاء كغثاء السيل، خاصة أن الفتنة في أوج نشاطها، وأعداء الله يكيدون ويتربصون بنا في الدنيا، والشهوات الحيوانية مرتع كثير من الشباب، والمثقفون والمسؤولون يعلمون ذلك علم اليقين.

■ **ما هي أخلاقيات وصفات المحدث؟ وهل من الضروري أن يكون المحدث فقيهًا؟**

- قد يكون المحدث فقيهًا أو غير فقيه، وقد يكون محدثًا وليس لديه من العلوم الكثير، فالمحدث العارف بالعلوم والفنون يكون أفضل، فأهم شيء في المحدث أن يكون معروفًا بالاستقامة والصدق والقدرة على الملاحظة والدراية بالرواية.

■ **يقال إن هناك نية لعمل مجالس لكتب الفقه، ما رأيكم في ذلك؟**

- هذا طبيعي، لأن الفقيه مرجعه مجالس الفقه المتعددة.

■ **ما مواصفات طالب العلم؟**

- الحرص والاجتهاد والقدرة على الارشاد.

■ **كلمة أخيرة توجهها إلى عموم المسلمين؟**

- إن أهم ما نوصيهم به أن يتمسكوا بالسنة المطهرة وبالأخص قول الرسول ﷺ في حجة الوداع «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا...»، كذلك ينبغي على المسؤولين اتباع هدي النبي ﷺ والتمسك بالقواعد الثابتة.

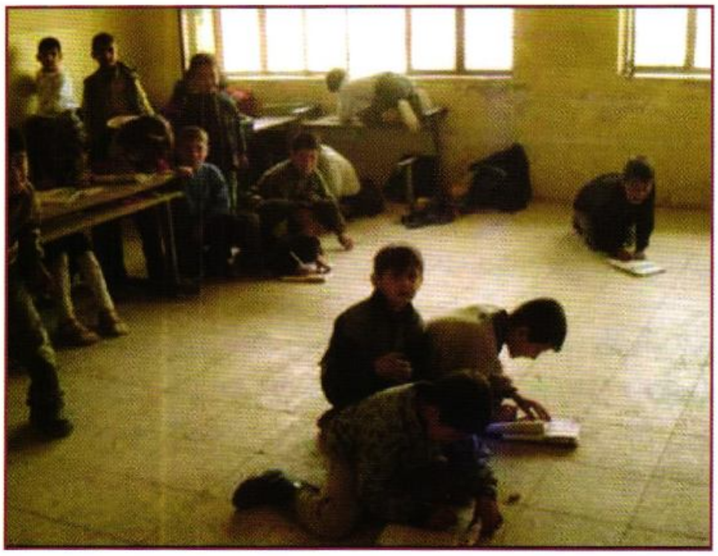
ترجمة الشيخ

- محمد بن قاسم بن اسماعيل الوشلي
- مواليد مدينة الزيدية في اليمن العام ١٣٦٠هـ
- قضى عمره في الدراسة على العلماء وطلب العلم ونشره ومرافقة والده.
- شيوخه: أحمد محمد عامر - عبد الرحمن الوشلي - عبدالله عبادي اللحجي - حسن المشاط - حسن الشاعر - حسين الزواك - محمد بن يحيى دوم - أحمد الشحري

يوم غابت القدوة

رشيد ناجي

إنها لمصيبة كبيرة أن يفقد النشءُ الجديد حقه من القدوة الصالحة في الآباء والمعلمين، فيحتاج إلى أن يتدربَ على منهج الفصل بين كلام المربي وسلوكه، فيتعودَ على ألا يتأثرَ بالفعل إذا جاء مخالفا للقول عند المربي، ويتدربَ على طريقة الفصل بين النظرية والتطبيق، بحيث يَقبل النظرية ويؤمنُ بها ويعمل بها، دون أنْ يجد أثرَها في المربين، وهذا في الحقيقة تكليف بما لا يطاق، فأنى للصغار أن يتمكنوا من هذه القدرة الفائقة في حسن الانتقاء عن المربين، فيأخذون- بدقة- ما حَسُن من أقوالهم وأفعالهم، ويتركون الشائنَ من أخلاقهم وسلوكاتهم، وقاعدتُنا في كل زمان ومكان أنّ فاقد الشيء لا يعطيه.



هل صدمتَ يوما في قدوتك؟ هل أحسست يوما أنك أخطأتَ في اختيار قدوتك؟ هل أنت اليوم بلا قدوة؟ هل افتقدتَ القدوة؟ هل كوّنتَ شخصيتَك بنفسك دونَ الاعتماد على قدوة؟ هل قلتَ لقدوة خذلتك يوما: عذرًا، الآن لا أستطيع أنْ أتخذك قدوتي ومَثَلي؟ ولمن تقول: اسمح لي أنْ أقتدي بك؟

تختلف كلمات رجال التربية وقادة الإصلاح ورموز التغيير في الوسائل التي تصلح الرعية وتَبثُّ الروح في القلوب الميتة، ولعلَّ «القدوةَ» هي الكلمة التي نريدها أنْ تكون نموذجًا فعليًا لا حرفيًا في هذه المرحلة التي تمر بها الأمة.

بحثتُ عن رموز يمكن الاقتداء بهم في تراثنا فوجدتهم كثرا، كانوا هم سُلَّم المجد لأمة الإسلام عَبْر دقائق الزمن، وكانوا بحقٍّ نجوم السماء في ظلمات الجهل، فأين الأشباه والنظائر؟

لنرحل إلى حياة العلماء ولنفتحْ تاريخَهم، فماذا سنقرأ؟ أخبرني ماذا سنجد؟ إننا سنجد أعلى صور العزة في أقوى أزمنة الذل، وسنرى أروع المواقف في وقت الهوان، فأين الأشباه والنظائر؟

ولندخلْ إلى حياة الأبطال الذين هدموا- بالهمم- كلَّ آثار الكسل، وحطموا- بقوة الإرادة- جبال الخوف والوهم، فأين الأشباه والنظائر؟

فياعجبا لهم، كانوا في حياتهم رموزا وقدوات، ووالله إنهم بعد مماتهم قدواتٌ ورموزٌ، فأين الأشباه والنظائر؟

كانت حياتهم عظة وعبرة لكل مقصر، والآن حياتهم لنا أجملُ عظة، فأين من سيقرأ لعله يرقى؟

القدواتُ.. أعمالُهم أعلى من كلماتهم، وهمتُهم حياةٌ لأمتهم، وتاريخُهم صانعٌ لحضارات قادمة، فأين المتشبه بهم؟

القدواتُ صامتون ولكنَّ أعمالَهم تنطق عبرَ أثير الزمن لتكتبَ بماء الذهب في ديوان التاريخ «نحن صناع الحياة»، القدواتُ سيرتهم تنبئ عن سريرتهم، وذكرُهم يحيى أقوامًا موتى.. فما أعجبهم!

لذا تشتد حاجة المسلمين اليوم إلى مُثُل عليا، يقتدون بها، ويقتفون أثرها، ويحذون حذوها، وذلك بسبب ضعف فهم الناس للدين، وقلة تطبيقهم له، وغلبة الأهواء، وإيثار المصالح العاجلة، مع قلة العلماء العاملين، والدعاة المصلحين.. ففي هذه المرحلة من الزمن- وقد بدأت آثارُ الصحوة الحقة تظهر في مجتمعنا المسلم- تتضاعف حاجة المسلمين في مختلف أوساطهم وطبقاتهم إلى قدوات وريادات تكونُ نماذج واقعية، وأمثلة حية يرى الناسُ فيهم معاني الدين الصحيح، علمًا وعملًا، وقولًا وفعلا فيُقبلون عليهم، ويَنجذبون إليهم.

إنَّ التأثيرَ بالأفعال والأحوال أبلغُ وأشدُّ من التأثير بالكلام وحده، وقد قيل «شاهد الحال أقوى من شاهد المقال».

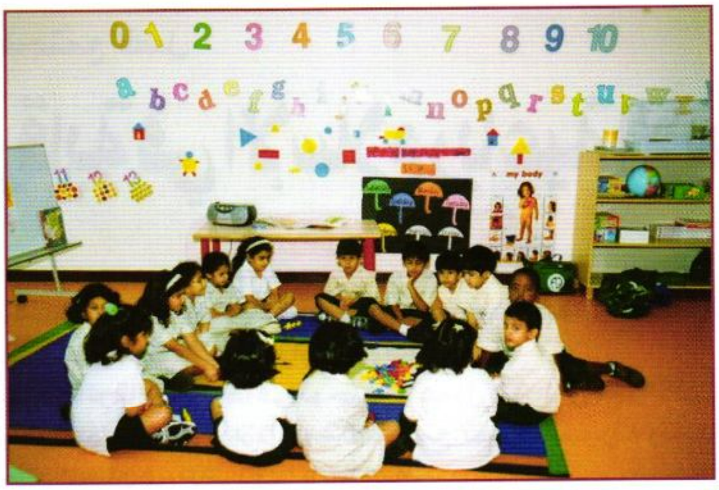
ويشهد لأهمية ذلك أنَّ الله- جلَ وعلا- جعل نبيه ﷺ أسوة لمن بعده فقال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ (الأحزاب: ٢١)، كما أمره أن يقتديَ بمن سبق من الأنبياء فقال سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام:٩٠)، وهذا خليلُ الله إبراهيمُ عليه السلام لما جعله الله إمامًا للناس يُقتدى به قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أخبره الله تعالى أنَّ فيهم عاصيًا وظالمًا لا يستحقُّ الإمامة فقال: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤) قال ابن جرير رحمه الله: هذا خبرٌ من الله- جل ثناؤه- عنْ أنَّ الظالم لا يكون إماما يَقتدي به أهلُ الخير، لأنَّ الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته دون أعدائه والكافرين به.

ورأسُ الأمر في القدوة والأسوة الحسنة أنْ ندعوَ

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

الناس بأفعالنا مع أقوالنا، يقول عبدالواحد بنُ زياد: «ما بلغ الحسنُ البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناسَ بشيء يكون أسبقَهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدَهم عنه»، ولما نبذ رَسولُ الله ﷺ خاتمَه وقال: «إني اتخذت خاتماً من ذهب» فنبذه وقال: «إني لن ألبسَه أبدا» فنبذ الناس خواتيمهم (البخاري)، فدلَّ ذلك على أنَّ الفعل أبلغ من القول. ونحن- كما أسلفت- في هذه الفترة العصيبة التي تمر على الأمة من الضعف والهزيمة نحتاجُ أنْ نحققَ في أنفسنا أنموذجَ التطبيق الصحيح لهذا الدين، لكي يحقق الله لنا النصر والتمكين، ونسد على المتربصين أعداء الدين منافذ تسلطهم وسطوتهم باسم الإصلاح وحفظ الحقوق، إذ إنَّ المسلم القدوة أشدُّ على أعداء الدين من كل عُدَّة، ولذلك لما تمنى الناس ذهبا ينفقونه في سبيل الله، كانت مقولة عمر بن الخطاب «ولكني أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعينَ بهم على إعلاء كلمة الله»، فعسى إنْ كنا على مستوى حُسن الأسوة والتأسي أنْ يمكن الله لنا في الأرض وأنْ يجعلَنا أئمة ويجعلَنا الوارثين.

وفكرة القدوة مبنية في الطبيعة الإنسانية على مبدأ المحاكاة والتقليد المتأصلة في الطبيعة الإنسانية، فالكلُّ يقلد ويحاكي، كبارا كانوا أم صغارا، فأما الكبارُ فإنهم يقلدون في ملابسهم، وأثاثهم، ومراكبهم، وأنواع طعامهم، ومناهج تفكيرهم، ومذاهبهم، وتصوراتهم ونحوها، وأما الصغارُ فإنهم يقلدون في حركاتهم، وألعابهم، وكلماتهم



حاجة المسلمين تشتد اليوم إلى مثل عليا يقتدون بها ويقتفون أثرها

ونحوها. وكل ذلك لا يخرج عن التقليد والمحاكاة، سواء كان من الكبار أو الصغار، إلا أننا- لاعتيادنا- نتعجب من تقليد الصغار ومحاكاتهم التي تخلو عادة من المنطق، ولا نتعجب من أنفسنا حين يحاكي بعضُنا بعضا في أنواع اختياراتنا المختلفة في سلوكنا وفكرنا وتوجهاتنا، والتي تخلو أحياناً- بل ربما في كثير من الأحيان- من المنطق العقلي، والنظر الشرعي الصحيح، وإلا فأيُّ نظر شرعي، أو منطق عقلي يبررُ تقليد المسلمين للكفار في مذهب فكري ضال، أو سلوك خُلقي شائن؟!

ولما كان تأثيرُ القدوة مؤكَّدًا في ميدان التربية جاء التحذيرُ الشديدُ من الله- تعالى- للمؤمنين أنْ يتجنبوا الازدواجية السلوكية وذلك في مخالفة الأعمال للأقوال، حيث يقول تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٢-٣) نعم كبُر مقتا أنْ يقول المربي ويدَّعي ما لا يفعل، لأنَّ هذا القول وهذا الادعاءَ الذي يُكذبه الواقع العملي له تأثيرٌ سلبي على النشء من المتلقين، فهم لا يستطيعون أنْ يوفقوا بين أقوال المربي الحسنة، وبين أعماله القبيحة، وقدراتهم العقلية وقلَّة خبرتهم لا تسمح لهم بقبول القول والتغاضي عن العمل لصغر سنهم، فهذا صعب في عالَم الطفولة، في حين كم هو سهل في عالم الكبار، فكلُّنا أو جلُّنا لا يتعجبُ من مسلك النفاق الذي استشرى في الحياة الإنسانية، فقد أصبح مقبولا في حياة الكبار أنْ يجمع الشخصُ في وقت واحد بين المتناقضات، فلا مانع من المناداة بالحق مع العمل بالباطل، ولا مانع من الأمر بالتقوى والمناداة بها مع التفريط في الواجبات، لقد أصبح مستساغا مقبولا عند جمهرة الناس أن أقوال الناس لا تطابقُ أعمالهم، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، فلا إنكارَ فيما بينهم، الكلُّ قد تلبَّس بهذا المسلك المشين، وكما قال الحكيم: «افتضحوا فاتفقوا».

وبعض الناس يحبُّ أنْ يكون قدوة يُقتدى به في الخير، لما يعلم من عظيم الأجر والثواب الذي يصله من تأثّر الناس بفعله وقوله، كما قال تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾(الأنبياء:٧٣)، قال الحسن البصري رحمه الله: «من استطاع منكم أن يكون إماما لأهله، إمامًا لحيه، إمامًا لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب»، ومن دعاء الصالحين:﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ قال البخاري رحمه الله: «أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويَقتدي بنا من بعدنا»، وبعضُ الناس يريد أن يكون رأسا في الدين ليشار إليه بالبنان، ويوجه الأنظارَ إليه، ولينالَ بذلك حظوظا دنيوية- والعياذ بالله، فهذه رياسة في الدين مذمومة، بخلاف الرياسة المحمودة التي لا تريد شيئا مما في أيدي الناس، وإنما تتمنى الازدياد من الأجر بقدر استفادة الناس منها، وكونُ الإنسان قدوة يتطلب منه أن يتخلق بأخلاق الأنبياء، وهذه تحتاج مجاهدة عظيمة، ومن صدق الله وفقه وأعانه، وبلَّغه مقصودَه.

وبعد، فنحن في هذا الوقت في أمسِّ الحاجة إلى قدوات في العبادة، والدعوة، والأخلاق، وفي أمسِّ الحاجة إلى البحث في أسباب قلة النماذج التي يقتدى بها.

وإذا كان التوجيه الرباني للرسول ﷺ أن يقتدي بهدى الأنبياء، فنحن نتأسى به ﷺ ونسير على خطاه، مع استحضار أن وجود القدوة في هذا الوقت عنوان على شموخ الإيمان، وعزة الإسلام، فيالها من قلوب مؤمنة تلك التي اختارت طريق الجنة، وصبرت وجاهدت.

من أجل مجتمع أفضل

الرقابة في الإسلام رباعية الأبعاد

د. رامز الطنبور

من المعلوم أن الرقابة عملية كشف ومتابعة ووضع للأمور في نصابها، وهي عملية مستمرة تستهدف التأكد من صوابية العمل ومدى مطابقته للغاية المرسومة له.

لقد أدركت مختلف المدنيات قيمة الرقابة ودورها في توجيه الأعمال وتحقيق نجاحاتها، ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام الحنيف بالرقابة كأداة ناظمة للمجتمع، تصوب مسيرته وتسد ثغراته واعتبرها ضمانة لحق العباد المصان في الشريعة الإسلامية.

وتتنوع مداخل الرقابة في الإسلام في صورة رباعية الأبعاد، تحقق إحاطة حيوية إنسانية متكاملة، وتتوزع على المدخل الذاتي للرقابة، والمدخل الاجتماعي، والمدخل الإداري، والمدخل القضائي، وتؤمّن مُجتمعة ضمانة كبرى لمجتمع متضامن متكامل.

الرقابة في الإدارة الإسلامية ذاتية واجتماعية وإدارية و قضائية

الرقابة الذاتية هي استعداد لمراقبة النفس، وهي تعتمد على دافع إيماني داخلي لا يمكن مراقبته خارجيًا، فالرقابة الذاتية فعل إيمان بالله، فالمؤمن يراقب الله تعالى في كل تصرفاته، وكلما زاد إيمانه زادت مراقبته لنفسه وقام على تقويمها وضبطها في المسار الذي يرضاه الله تعالى، وتلك مرتبة رفيعة وهي مرتبة الإحسان، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (صحيح البخاري).

والمسلم الملتزم يعمل على القيام بحق الله تعالى وبحق العباد، ويراقب عمله ويحاسب ذاته كي يصوب ويصحح المسيرة، وهو بذلك يكون قد أدى الأمانة ووفى بالعهد، وهذه من صفات المؤمنين، قال تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ (المؤمنون: ١-٨).

فالعمل مهما كانت طبيعته ومركزه هو أمانة في يدي العامل به، والمراقبة الذاتية تكون قبل العمل بحسن الاستعداد له، وأثناء العمل من خلال الاتقان في تأديته، وبعد العمل من خلال مراجعة الأخطاء، وفي هذا المضمار يقول الإمام العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم».

والرقابة الذاتية فعل مرتبط بإيمان الفرد بالله تعالى، لذلك فهو يعمل على أن تكون تصرفاته موافقة لما يريده الله ويرضاه، والفرد العامل في منظمة ما يجب أن يراعي حق صاحب المنظمة من خلال قيامه بكامل واجباته، وهذا ما يدعو إليه الإسلام، وقوة الرقابة الذاتية وفعاليتها تأتي من إيمان الفرد برقابة الله تعالى عليه، فهو يشعر في كل آونة وكل حركة وكل معاملة أنه في كنف الله تعالى يطلع عليه وعلى أعماله، لذلك يحاول أن تكون على أفضل صورة، قال تعالى ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ (آل عمران:٥)، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (غافر: ١٩) وعلى هذا الأساس ينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفي العمل، هل حركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو الله تعالى خاصة؟ فإن كان الله تعالى أمضاه وإلا تركه، وهذا هو الإخلاص.

وقد عرف المجتمع الإسلامي صورًا عديدة من الرقابة الذاتية أثرت بعمق في نفوس المسلمين، وليست قصة بائعة الحليب وحوارها مع ابنتها إلا صورة من تلك الصور، جاء عن أسلم قال «بينما أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يعس بالمدينة إذ عيي فاتكأ على جانب جدار، وفي جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامزجيه بالماء، قالت لها يا أمتاه، أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت لها: يا بنية، قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء، فإنه بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء».

الرقابة الاجتماعية، وهي وجه آخر من وجوه الرقابة، حيث إن تركيبة المجتمع الإسلامي تقوم على التضامن والتكافل والروح الجماعية، قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٧١).

وهذا النوع من الرقابة يطال جميع العاملين، والناس على مختلف مواقعهم مما يؤكد أن للرقابة الاجتماعية دورًا بارزًا، وغالبًا ما كانت تُحسّن من الأداء وتضبط السلوك، وتتجسد الرقابة الاجتماعية في مواقف مهمة من تاريخ المسلمين، فقد خطب أبوبكر الصديق رضي الله عنه يوم مبايعته للخلافة قائلًا: «فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة»، وليس بعيدًا عن ذلك ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه «من رأى فيّ اعوجاجًا فليقومه بحد السيف».

هذا الإصرار والطلب للرقابة

* باحث إداري واقتصادي

الاجتماعية متناسق مع عمق حقيقة الرقابة الذاتية، ومن صدق استشعار المسؤولية.

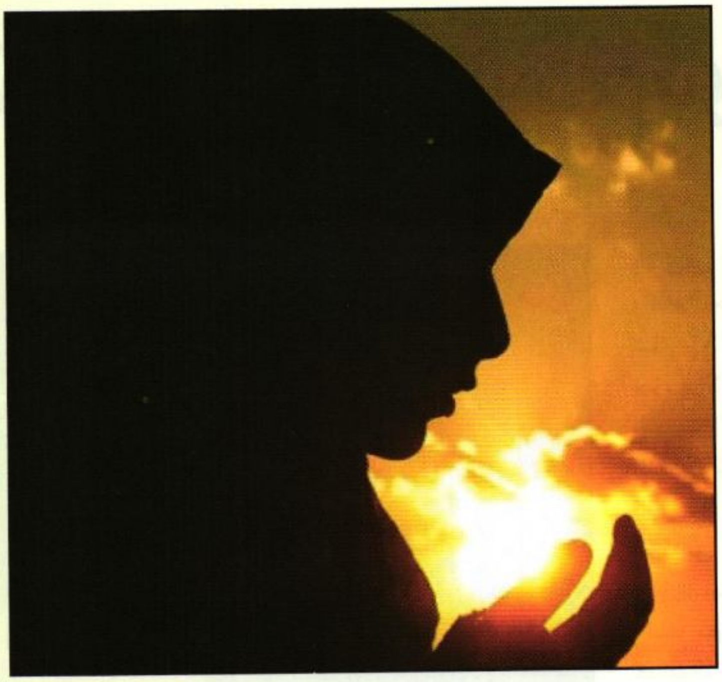
أما الرقابة الإدارية، فبالرغم من اهتمام الإسلام بالرقابة الذاتية والاجتماعية، إلا أنه لم يغفل عن الرقابة الإدارية التي تتجلى في مراقبة المسؤول لعماله والمدير لموظفيه.. مهما بلغ كبر وحجم الوظيفة رسمية كانت أم خاصة، وتعتمد الرقابة الإدارية على المتابعة والمساءلة والمحاسبة، ذلك أن انعدام عنصر المتابعة يجعل الأمور متروكة على غاربها، وفقدان عنصر المساءلة يجعل الموظف والعامل لا يأبهان بالعمل الموكل إليهما، أما إغفال عنصر المحاسبة فيؤدي إلى أنه لا فرق في أداء العمل ونتائجه جيدة كانت أو سيئة، فيصبح الاجتهاد والكسل سواء، وينعدم العبء بالنتائج والانتاج، فتنقلب الأمور، ويضيع حق الناس، وهذا ما يحاربه الإسلام وينأى عنه، ويؤكد بالمقابل على عكس ذلك، قال تعالى ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم: ٣٩-٤١) فللإنسان سعيه وعلمه وعطاؤه، وهذا السعي ليس متروكًا سدى بل هو ملحوظ ومتابع ومرئي، ونتيجة ذلك سيكون الجزاء (المساءلة والحساب) الجزاء الأوفى على قدر السعي، وتأكيدًا على المساءلة والمحاسبة وارتباطهما بالشخص الفاعل وليس بسواه، قال تعالى ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (الأنعام: ١٦٤).

وقد تم اعتماد أساليب عدة من الرقابة الإدارية أبرزها:

١- رصد العيون، فقد كان الخليفة يرصد العيون للتأكد من أن الولاة يقومون بمهامهم بالشكل المطلوب، وهذا الأمر جعل الولاة يشعرون دومًا بأنهم مراقبون، وفي كتاب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه إلى والي مصر الأشتر النخعي يرشده لمراقبة عماله قال: «ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء».

٢- اتخاذ عامل لمراقبة الولاة، حيث كان الخليفة ينتدب وكيلًا خاصًا ليتقصى حقيقة الشكاوى الواردة إليه عن ولاته في الأمصار من عامة الناس أو من العيون والرقباء، وقد أوكل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى محمد بن مسلم مهمة التحقيق في الشكاوى التي ترد إليه من الناس.

٣- الكشف عن الممتلكات: وهي رقابة على الغني والثروة غير المتلائمة مع المدخول، ويقضي هذا الإجراء بأن يقدم الوالي أو الموظف كشفًا عن ممتلكاته المنقولة وغير المنقولة، ثم يكون عرضة لمساءلة المسؤول أثناء الوظيفة أو بعدها عما طرأ على ممتلكاته، إذا كان ما طرأ عليها من زيادة يفوق التصور ويفوق المدخول، وهو ما يعرف بزماننا: «من أين لك هذا»؟



وقد عرفته الإدارة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا؟!

٤- الاحتكام إلى المظهر، وهو قريب من الكشف عن الممتلكات وفيه أنه إذا ما ظهر على عامل دلائل الغنى والمظاهر الفخمة فإنه يسأل عن ذلك.

٥- الاطلاع على ما يحمله عند العودة: فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر ولاته القادمين إلى المدينة المنورة - مركز الخلافة حينها- أن يدخلوها نهارًا، ليظهر عيانًا ما يحملونه من متاع.

٦- سؤال الرعية عن حال الموظفين (الولاة)، فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من وسائل رقابته على ولاته في الأمصار أنه كان إذا ما وفد عليه وفود من تلك الأمصار سألهم عن أحوالهم وحال ولاتهم وإداراتهم وحكمهم.

ولم تنحصر الرقابة في الإسلام في الأشكال الثلاثة التي تم عرضها، الذاتية والاجتماعية والإدارية، بل يضاف إليها **الرقابة القضائية** التي كان يهابها الكثير من الناس فشكلت بذلك عنصرًا رقابيًا إضافيًا، حتى إن رأس الدولة (الخليفة) خضع لرقابة وسلطة القضاء، فكيف بالموظفين الإداريين ورؤساء الدوائر والمنظمات، والقضاء هو المؤهل للنظر في الخصومات الخاصة التي تقع بين كبار رجالات الدولة فيما بينهم وبين المواطنين، حيث كان يمثل الخصمان أمام القاضي مهما كان مركز كل منهما، ويستمعان إلى ما يقوله، ويعملان بحكمه، من دون تردد، وهذا شكل آخر من أشكال الرقابة التي اعتمدتها الإدارة الإسلامية، ورغم أنها تأتي كنتيجة علم ما ولكنها تعتبر حافزًا مهمًا لأشكال الرقابة التي سبق ذكرها، حيث إن نزاهة القضاء واستقلاليته تُطمئن العامة والخاصة بأن الحق سيعود إلى نصابه وأن المنحرف عنه سينال جزاءه لاحقًا، وفي ذلك حافز للإحجام عن ارتكاب التقصير والإهمال.

وهكذا فإن الرقابة في الادارة الاسلامية رقابة متماسكة متكاملة توحي بالإحاطة التامة بمجريات الأمور في المنظمة، وتقوم بأساسها على عامل ديني مهم، وهي الإيمان المطلق برقابة الله تعالى بحيث يشكل الردع الإيماني الأساسي للرقابة الذاتية، وإذا تحقق امتثال سائر أعضاء المنظمة لهذا الشكل الرقابي كان خيرًا وايجابية كبرى، وإلا فيأتي دور الرقابة الاجتماعية التي يمثلها المجتمع، ومن حق المجتمع أن يتدخل، لأن أي خلل وهدر وفساد في الإدارة سينعكس سلبًا عليه، أما الرقابة الإدارية فهي التي تمسك بمعظم الإجراءات المفضية إلى حسن الأداء وتقويم المسلكية من داخل المنظمة ولها حق استعمال السلطة حين لا يمتثل المعنّي طوعًا ونظامًا لآداب وتعاليم الإدارة الإسلامية.

استقلال الأرض الحبيسة «كوسوفا»
اعتراف أم تجاهل؟



د. صلاح عبدالمتعال

كوسوفا ليست حبيسة كغزة فلسطين بفعل وغدر إسرائيل وأضرابها من صهاينة أميركا وأوروبا الذين يساندونها في باطل القول والفعل، ويحكمون الحصار والعدوان عليها إلى درجة التهديد بالموت والإفناء، ولكنها حبيسة من ناحيتين، الأولى بفعل موقعها بين أحضان الحدود الإقليمية السياسية لصربيا والجبل الأسود ومقدونيا وألبانيا، دون أيّ منافذ بحرية، والثانية أنها تماثلت مع غزة في الحصار العدواني المستمر عليها من صرب البلقان لرغبة شعبها الألباني المسلم في التحرر وإعلان دولته المستقلة عن نفوذ بلغراد التي ألغت حكمها الذاتي الذي كانت تمارسه إبان حكم يوغسلافيا الاتحادية قبل انفراط عقدها.

كوسوفا الدولة التي استقلت عن جمهورية الصرب في ١٧ فبراير ٢٠٠٨م، وعاصمتها «برشتينا»، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢,٥ مليون تمثل الأغلبية ٩٢٪ من الألبان، وأقلية من الصرب والمونتنيجري والبوسنيين والغجر والأتراك، ويعتبر الإسلام هو الدين الرسمي داخل الإقليم، حيث تبلغ نسبة المسلمين وسط الألبان حوالي ٩٩٪، كما أن هناك أقلية ألبانية صغيرة جدا تعتنق المذهب الكاثوليكي تتمركز في شمال كوسوفا.

وهي في الأصل جزء من ألبانيا وقت خضوعها للحكم العثماني طيلة خمسة قرون، ولكنها اجتُزأت إثر أفول نجم الخلافة الإسلامية وضمها إلى صربيا للحيلولة دون قيام دولة إسلامية في أوروبا، وبعد الحرب العالمية الثانية ضُمّ إقليم كوسوفا إلى يوغسلافيا الاتحادية في عهد الرئيس «تيتو» ومُنِح حكما ذاتيا سنة ١٩٧٤م حتى أواخر سبعينيات القرن العشرين، وبُعَيد تفكك اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ألغى مجرم الحرب الرئيس الصربي «سلوبودان ميلوسوفيتش» الحكم الذاتي، وأخضعها بحكم قمعي في غاية العنف والاضطهاد العرقي والديني، مما ترتب عليه حركة مقاومة قومية دينية أدت إلى إجراء استفتاء عام انتهى إلى التأييد والمطالبة بالانفصال عن صربيا وإقامة جمهورية مستقلة، وأعقبه في نفس عام ١٩٩٢م قيام عصيان مدني في إطار حزب الاتحاد الديموقراطي الألباني بقيادة الأديب الأستاذ الجامعي «إبراهيم روغوفا» الذي انتخب رئيسا لجمهورية كوسوفا التي لم تعترف بها صربيا، ولكن لم ينجح الرئيس المنتخب بمنهجه السياسي السلمي في كسب التأييد للاعتراف الدولي، وإثر ذلك تم تأسيس الجيش الشعبي لتحرير كوسوفا واشتبك في صراع دام مع الجيش الصربي الذي ارتكب مجازر وَحشية ضد المدنيين الألبان، بلغ ذروته سنة ١٩٩٨م مما دعا القوى المؤثرة في حلف الناتو وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية إلى التدخل في مارس ١٩٩٩م، فشنت طائرات الحلف غارات جوية على صربيا مما أرغم ميلوسيوفيتش على الانسحاب من كوسوفا، وفقدت بلجراد السيطرة الفعلية على إقليم وُضع تحت حماية الأمم المتحدة والحلف الأطلسي، وانتشر في ربوعه نحو ١٧ ألف عسكري، فكسبت قوات الحلف باسم تأييدها للدول المستضعفة سمعة سياسية لتدعيم الحريات، وفي الوقت نفسه أرست قواعد لها في منطقة البلقان ضد الحسابات الروسية المستحدثة لحائط الدرع الصاروخي.

إذا كان استقلال كوسوفا مطلبا مصيريا لأهلها قد تحقق، إذ اعترفت باستقلالها ٦٣ دولة على رأسها الولايات المتحدة وعدد من دول الاتحاد الأوروبي والسعودية والبحرين، ولكي تصبح عضوا في الأمم المتحدة يجب أن تحصل على اعتراف ٩٧ دولة، وهناك دول أوروبية كإسبانيا لم تعترف باستقلال كوسوفا على اعتبار أن إسبانيا ترفض استقلال إقليم الباسك عن أراضيها؛ لذلك فهي لا تؤيد انفصال إقليم آخر، لأنه «غير قانوني ومخالف لاتفاق وقف إطلاق النار»،

وعلى نفس النهج والمبررات رفضت روسيا استقلال كوسوفا، ومازالت صربيا تتمسك بسراب عودة كوسوفا إلى نفوذها باعتبارها جزءًا منها فلجأت إلى محكمة العدل الدولية طمعا في استصدار حكم يدعم موقفها رغم أنه قرار استشاري غير ملزم، ولكن على الأقل يفتح أبواب التفاوض لحل المشكلة سلميا، ولكن تؤكد كوسوفا بأنه ليس ثمة ما يمكن التفاوض فيه مع الصرب.

لقد أوضح «حسيني سكندر» وزير خارجية كوسوفا أن الجمهورية تتفوق على صربيا من حيث عدد الدول التي تدعم قرار الاستقلال، مبينا أن كلا من الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والنرويج والأردن وكرواتيا وبلغاريا والبحرين والدانمارك وفنلندا ستقوم بتقديم توضيحات شرعية تدعم قرار الاستقلال، وتوقع حسيني أن يكون قرار المحكمة هو المرحلة الأخيرة في خسارة صربيا لمعركتها في فرض هيمنتها على كوسوفا، مشيرا إلى أن قرار المحكمة المنتظر سيؤدي إلى تدفق الاعترافات الدولية باستقلال بلاده.

ومن ناحية أخرى إذا كانت كثير من دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة قد أيدت هذا الاستقلال، فإنه لم يكن لأجل خاطر عيون ألبان كوسوفا أو انتصارًا للإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو للديموقراطية كما تزعم الولايات المتحدة الأميركية، فأين هم من مؤازرة الدول المقهورة سياسيا؟! وأين هي الولايات المتحدة من نصرة الشعب الفلسطيني عندما تسيء استخدام الفيتو لرفض حقوقه على المستوى الدولي في مجلس الأمن؟ فثمة واقع أن تحرير كوسوفا على يد ضربات الناتو لصربيا هي في الوقت ذاته مطمع لأوروبا وأميركا بسبب الخيرات الكثيرة التي تنعم بها ويتوقع أن يقتسمها الجانبان بعد ضمها للاتحاد الأوروبي، فكوسوفا رغم أن مساحتها لا تتعدى حوالي ١١ ألف كم فإنها تعتبر من أخصب المناطق في البلقان وأغناها بالثروة المعدنية، حيث إنه على مستوى الاتحاد اليوغسلافي السابق كانت تنتج أكبر نسبة من الرصاص والزنك والفضة والنيكل والذهب ونسبة هائلة من احتياطي البسموس والفحم والمغنسيوم، وتوجد أيضا كميات كبيرة من البوكسيت الحديدي والجاليوم والنحاس والزئبق، وتشتهر بزراعة القمح والشعير والشوفان وزهرة الشمس والبنجر.

وبالنظر إلى تركز كل هذه الثروات الطبيعية فيها كانت دوما هدفا للطامعين على مر التاريخ، ويرجح أن يستمر هذا مستقبلا، وثمة أمر آخر لا يغيب عن الوعي أو البال وهو أن من أهم مكاسب التأييد الأميركي الأوروبي الحدّ من محاولات إقامة دولة إسلامية في أي بقعة من أوروبا، والتأكيد على علمانية الدولة الناشئة مثلما فعلت بالنسبة للبوسنة والهرسك، لقد فرض الجانب الذي تتزعمه الولايات المتحدة- بعد إجبار الجيش الصربي على الانسحاب- على جيش تحرير كوسوفا أن يحل نفسه، ويسلم أسلحته ويتحول إلى حزب سياسي للحيلولة دون سيطرته على السلطة أو تشكيل جيش مسلم مستقبلا، إضافة إلى ذلك وبدلاً من تمكين الكوسوفيين من إدارة شؤونهم بأنفسهم ولو تحت حماية دولية فُرض على كوسوفا إدارة أجنبية مدنية وعسكرية للحيلولة دون تشكيل حكومة ذات صبغة إسلامية.

هذا ما انتهى إليه المشهد السياسي في كوسوفا التي استقلت ويربض عليها، إلى حين كما يزعمون، قواعد ومعسكرات متناثرة على أراضي كوسوفا.

مفتي كوسوفا يستغرب تردد بعض الدول العربية والإسلامية في الاعتراف باستقلال بلاده

ولكن في مشهد واقعي اطّلعت عليه ضمن وفد مجلس أمناء اتحاد الجمعيات الأهلية في العالم الإسلامي Union Of NGO‹s In Islamic world UNIW وذلك في زيارة لمشيخة كوسوفا في برشتينا العاصمة في ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٩م أفاض فضيلة مفتي كوسوفا وعميد كلية الدراسات الإسلامية الشيخ «رجب بويا» حول الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية في مجتمع كوسوفا الذي يتمتع بأغلبية ٩٢٪ من الألبان المسلمين، وكيف أن مؤسسات العمل الاجتماعي هي الدعامات الأساسية التي يمكن أن تستنهض فيها الهمم لإعادة بناء كوسوفا المستقلة بعد مخلفات معركة التحرير التي ارتكب الصربيون فيها مجازر يشيب لها الولدان ضد مدنيين دمرت مساكنهم، وهدمت مئات المساجد أعيد بناء ٢٨٠ منها، وأنشئ ١٨ مسجداجديدا بفضل الجهود السعودية والإماراتية والكويتية والبحرينية والتركية، كذلك الدعم من ماليزيا وسلطنة بروناي، كما قام البنك الإسلامي بإنشاء ١٧ مدرسة حكومية، وجدير بالذكر أن إيطاليا قامت بترميم ٤ مساجد بإتقان فني ملحوظ، وهناك ١٢ مسجدا من القرن الخامس عشر الميلادي تنتظر الترميم.

ويذكر فضيلة المفتي أنه مقابل العمل الاجتماعي الإسلامي تدعم المؤسساتُ التبشيرية المسيحية ٨٢٠ مؤسسة تحت مظلة الأعمال الخيرية، ورغم ذلك لم يُنَصّر إلا ١٦٠ فقط من أهل الديار، ويشكو فضيلته أنه منذ عشر سنوات لم يدخل لميزانية المشيخة أي دعم مالي من أي جهة رسمية، ولكن تستمر المشيخة في أنشطتها بفضل التدعيم الأهلي من الشعب الكوسوفي مما يساند المشيخة لأداء رسالتها لنشر الإسلام ودعمه في أوروبا رغم الصعوبات والمشكلات الحياتية التي خلفها العدوان الصربي خلال معارك التحرير، وتشجيعها وتدعيمها للعمل الاجتماعي لحل مشكلة البطالة التي بلغت نسبتها نحو ٨٠٪ إثر الانتهاء من العدوان الوحشي الصربي.

لقد حاولت نخوة بعض القوى الشعبية في العالم العربي والإسلامي دعم هذه البلاد في محنتها معنويا وماديا وجهاديا مما ترتب عليه غلبة الهاجس الأمني للأنظمة السياسية للدول المترددة في الاعتراف والتأييد بكل أشكاله، حيث أصبحت هذه المناطق أشبه بالدوائر المحظور الاقتراب منها إيثارا للسلامة والبعد عن الشكوك الأمنية المغلوطة.

الصهيونية وتأثيرها في تكوين المصطلح السياسي الغربي

رجب عبدالوهاب

«استطاعت الصهيونية العالمية أن تتوغل في البيت الأبيض ووزارة الدفاع (البنتاجون)، كما سيطرت على أكثر مقاعد مجلس الشيوخ الأميركي (الكونجرس)، ووزارة الخارجية، واستطاعت أيضا توجيه السياسة الأميركية منذ انتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية». هذا خلاصة ما توصل إليه شتيفان ولت، وجون ميرسهايمر، أستاذا العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعتي هارفارد وشيكاغو في كتابيهما «تأثير اللوبي الإسرائيلي- الصهيوني على السياسة الأميركية» الصادر في عام ٢٠٠٧م، والمدقق في الأمر لا يرى تأثير الصهيونية يقف عند المذكور آنفا، وإنما يمتد على نطاق واسع، حيث يشمل أغلب المجتمع الغربي في الماضي والحاضر.

يؤكد ذلك أن نقف عند «المصطلح السياسي الغربي» لنرى مدى التأثيرات الصهيونية في تكوينه وإعطائه مدلولاته التي تخدم مصالحها وتدفع به في اتجاه يخدم أهداف هذا الكيان الذي بات شوكة في ظهر الإسلام والعروبة.

معاداة السامية

وهو من أهم المصطلحات السياسية التي أحرزت شيوعًا في العالم الغربي، ويعكس التحيزات العرقية والمركزية الغربية التي ترجمت نفسها إلى نظام تصنيفي (آري- سامي)، ويظهر فيه بوضوح أثر الصهيونية، يدلنا على ذلك أن المجال الدلالي له أصبح يشير إلى أي شيء، ابتداء من محاولة إبادة اليهود، وانتهاء بالوقوف ضد إسرائيل بسبب سياستها القمعية ضد العرب، مرورًا بإنكار الإبادة.

وقد عملت الصهيونية لنشر هذا المصطلح على نطاق واسع في العالم الغربي، ويكفي هنا أن نذكر أنه في شهر إبريل من عام ٢٠٠٥م انشغلت أكثر الدول الأوروبية بظاهرة تنامي «معاداة السامية» على جدران شوارعها وصفحات جرائدها ذات التوجه الليبرالي، ففي هذا الشهر عُقد ما لا يقل عن ثلاثة مؤتمرات وصدر تقريران، كلها تتعرض لظاهرة «معاداة السامية» وأتاحت هذه الفعاليات مجالا للمنظمات اليهودية في أوروبا ولساسة إسرائيل ومن والاهم من الأوروبيين لإعادة التذكير بمأساة المحرقة ودق طبول التحذير مما هو آت.

أحد هذه المؤتمرات عقد في برلين، وعقدته «منظمة الأمن والتعاون الأوروبي» التي تعد أكبر تجمع إقليمي يعنى بالشؤون الأمنية، وأصدر وثيقة صدرت تحت اسم «بيان برلين» وحذرت من أن «معاداة السامية قد بدأت تأخذ أشكالًا جديدة تشكل تهديدًا للديموقراطية وقيم الحضارة، وبالتالي لأمن دول الاتحاد».

ليس هذا فحسب، بل سعى البيان أيضًا إلى حشد كل المنظمات التابعة للأمم المتحدة مثل لجنة الأمم المتحدة لمكافحة التفرقة العنصرية واللجنة الأوروبية ضد العنصرية والتعصب، وكذا المركز الأوروبي لرصد اتجاهات العنصرية ومعاداة الأجانب وغيرها من المنظمات.



الغريب في الأمر أن هذه التقارير والفعاليات التي ركزت جل اهتمامها على المعاناة التي يتعرض لها يهود أوروبا، تلمح أحيانا وتصرح أحيانا أخرى بأن السبب الرئيس في هذه المعاناة هم أفراد من الجاليات الإسلامية المقيمة في أوروبا.

الليبرالية السياسية

ومن المصطلحات التي كان للصهيونية تأثير في شيوعها في العالم الغربي «الليبرالية السياسية»، وطبقًا لقواميس ومعاجم المصطلحات الغربية يشير هذا المصطلح إلى نظام سياسي يقوم على ثلاثة أسس هي العلمانية والديموقراطية والحرية الفردية.

وقد لعب الصهاينة الدور الأكبر في ترسيخ الفكرة الليبرالية في المجالات الغربية.. السياسة والاقتصاد والفكر، وقد لا يكونون هم من ابتدعها، فالأقرب أنها ابتدعت تلبية لحاجة نفسية، وثورة على كبت مطلق، لكنهم أحسنوا استغلال هذه الحاجة والثورة، بما يحقق أهدافهم على حين غفلة.. يقول كتيبهم المشهور بـ« البروتوكولات» «إن هتافنا بكلمات

باحث في القضايا السياسية

الحرية، والمساواة، والإخاء، مع جهود دعاتنا المسخرين اجتذب في كل أنحاء العالم جيوشا جرارة من البشر، حملت أعلامنا بكل فخر وحماسة، في حين أن هذه الكلمات الساحرة كانت سوسا ينخر في كيان المسيحيين (الجوييم).

هذا يؤكد أن الصهيونية انطلقت في ترسيخ الفكرة الليبرالية من فهم نفسيات الشعوب، من حيث سيطرة العاطفية والسطحية على شعورها، وضعف إدراكها لخفايا الأمور.

وقد اتخذ الصهاينة هذه الفكرة وسيلة لهدم كل الحكومات الأرستقراطية الملكية القائمة الثابتة، الحاكمة حكما مطلقا، واستبدال حكومات غير ثابتة ومتغيرة على الدوام، وذات سلطة محدودة بها، بدعوى تحقيق الليبرالية، التي يدركون يقينا أنها لن تكون خيرا من الملكيات والحكومات ذات السلطات المطلقة، لكن كان لابد من الترويج لها من أجل هذا الهدف، وهو إزالة الأنظمة التي تعوق خطط الصهيونية اليهودية الماسونية في الوصول إلى الحكم.

النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني

مصطلح «النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني» أحد المصطلحات المراوغة التي تهدف إلى إقرار حق الطرفين في الأرض، فالنزاع ينشأ غالبًا بين طرفين لكل منهما حق، والمصطلح بهذا المعنى يقلب الحقائق التاريخية، إذ يقر للصهاينة بحقهم في أرض فلسطين، ويجعل المسألة الفلسطينية تبدو وكأنها مجرد تنازع على ملكية أرض، لطرفي القضية حق فيها، والغاية الرئيسية لهذا المصطلح السياسي السائد في الصحافة الأميركية، هي دفع القراء والجمهور الأميركي لقبول كل ما يصدر عن إسرائيل والموافقة الآلية على ما قد يرفضه الجمهور نفسه فيما لو كان يتعلق بطرف آخر غير إسرائيل، وهو ما يفسر لدينا إعلان البيت الأبيض ترحيبه بالخطاب الأخير لرئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو في شهر يونيو الماضي، معلنًا أنه «خطوة كبيرة للأمام».

اللافت للنظر أن هذا المصطلح طُوِّر في الإعلام الأميركي الخاص بتغطية القضية الفلسطينية، حتى باتت السمة الرئيسية لهذا المصطلح أن يهيكل ويمنهج الطريقة التي تقرأ بها هذه القصص والتغطيات الإخبارية الخاطئة على نحو يجعل من الصعب على القارئ إدراك كنه هذه القصص ومدى صحتها من عدمه، بل تحجب تلك الطريقة عن الساسة الغربيين أنفسهم فرصة النظر الناقد إلى ما يكتبونه عن القضية الفلسطينية.

مصطلح « النزاع الاسرائيلي الفلسطيني » مصطلح مراوغ يهدف إلى إقرار حق الطرفين في الأرض

يؤكد ذلك أن أوصاف الساسة الفلسطينيين والحركات السياسية الممثلة لهم، في الإعلام الغربي غالبًا ما تعتمد أوصافا تتراوح بين «المتطرفين» و«المعتدلين» وعادة ما يبدو صوت الفئة الفلسطينية «المعتدلة» مقبولا، بينما ينظر نظرة سلبية إلى مواقف وآراء «المتطرفين»، وترى الجميع يستخدم هذه المصطلحات ويقرر مواقفه وآراءه بناء عليها، من دون أن يكلف نفسه مشقة تأمل ما تعنيه على وجه التحديد.

في مقابل ذلك يلاحظ صبغ الساسة الصهاينة بصبغة مختلفة عن تلك التي يصبغ بها الساسة والمتحاورون الفلسطينيون، فالساسة الإسرائيليون يقسمون في الإعلام الأميركي مثلا على أساس «صقور» و«حمائم»، وخلافًا لنظرائهم الفلسطينيين، فليست ثمة صفة سلبية تلحق بأي من هذين الوصفين للساسة الإسرائيليين المستعارين من عالم الطيور، وهنا يجب علينا أن نثير السؤال: لماذا لا يوصف أي سياسي فلسطيني في المصطلح السياسي الغربي بأنه ينتمي إلى فئة «الصقور»، كما لا يوصف أي سياسي إسرائيلي بأنه «متطرف»؟.

إن الإجابة عن هذا السؤال تتضح إذا بحثنا عن دور الصهاينة ودعاياتهم في التأثير على الخطاب السياسي الغربي، فمتابعة الدعاية الصهيونية وآثارها في الإعلام الغربي، تكشف أن اليهود تضخ مئات الملايين من الدولارات على ما يطلق عليه بالعبرية «هاسبارا» أو المعلومات الموجهة إلى العالم الخارجي، وتضاف إليها الخدمات الإعلامية والمتمثلة في الرحلات المجانية للصحافيين النافذين والولائم والهدايا، بالإضافة إلى إمطار أعضاء الكونجرس الأميركي بدعوات لزيارة الكيان الصهيوني، فضلًا عن غزارة المطبوعات والندوات والمؤتمرات وتدريب المذيعين وتلقينهم الإشارة دائمًا إلى المحرقة ومحنة اليهود وتشويه صورة الانتفاضة بالإرهاب، والهدف دائمًا هو إظهار الكيان بأنها ضحية بريئة للعنف والإرهاب، وأن العرب لا سبب لديهم للنزاع معها سوى الكراهية اللاعقلانية المستحكمة لليهود.

لقد نجحت الصهيونية في التأثير في الخطاب السياسي الغربي وتكوين مصطلحاته، فبات هؤلاء «الجوييم»- كما تصفهم «البروتوكولات»- مقتنعين بأن ما يفعله العرب بحق الإسرائيليين مدمر، متعصب، عنيف، يستهدف إبادتهم ورميهم في البحر، ومناهض للسامية، وإنها - أي إسرائيل - الحليف الصادق الوحيد، وهكذا تدفقت عليها المساعدات، ويكفي هنا أن نذكر أن حجم المساعدات التي تلقتها إسرائيل بين عامي (١٩٦٧- ١٩٨٥م) بلغ ٩٢ مليار دولار، بمعدل ٥ مليارات دولار سنويًا.

وهذا هو بالضبط ما يفسر تهنئة الصحافة الأميركية لنتنياهو على موافقته على قيام الدولة الفلسطينية المستقلة في خطابه الأخير في يونيو الماضي، فنرى عنوانًا عريضًا يقول: «رئيس الوزراء الإسرائيلي يدعم قيام دولة مستقلة للفلسطينيين»، كما كتبت صحيفتا «نيويورك تايمز» و«لوس أنجلوس تايمز» خبرًا يقول: «نتنياهو يتمسك بحل الدولتين»، ويصف الناطق الرسمي باسم الرئيس أوباما إعلان نتنياهو بأنه يمثل «خطوة كبيرة» باتجاه الحل السلمي للنزاع.

إنه تأثير الصهيونية الواضح على الخطاب السياسي الغربي وتكوين مصطلحاته، وهنا يبقى السؤال: أين العرب والمسلمون من كل هذا؟ إنه سؤال مازال على «طاولة» البحث ينتظر الإجابة.

الحملات الإعلامية ودورها في إحداث التغيير في المجتمع

د. عبدالله بدران

تعد وسائل الإعلام من أهم العوامل المؤثرة في حياة المجتمعات والأمم، وتكوين فكرها والتأثير في قيمها وسلوكها وأخلاقها، ذلك أن الإنسان بتكوينه الفطري يحمل استعدادات وإمكانات قابلة للتشكيل النفسي والاجتماعي بالمؤثرات المحيطة به.

وتؤدي وسائل الإعلام دورا مهما جدا يوصف بأنه سلاح ذو حدين، فهي في الجانب الأول تسهم في تسهيل مهمة الاتصال ونشر المعرفة والثقافة العامة بين شتى أفراد المجتمع، إضافة إلى قدرتها على إحداث نوع من الترفيه المرغوب والمحبب، وخلق رأي عام ذي اتجاهات وأنماط من السلوك لم تكن مألوفة لدى الجمهور، ويحدث أثرًا في التربية والتنشئة الاجتماعية، إلا أنها في جانب آخر سلاح خطر جداً إذا لم يحسن استعمالها لمصلحة المجتمع وتحقيق غاياته وأهدافه النبيلة، ولم تستغل الاستغلال الأمثل الهادف.

ولما كانت الحملات الإعلامية من أهم الوسائل الإعلامية المستخدمة في توجيه الرأي العام نحو قضية معينة والتأثير فيه بصورة سريعة وفاعلة، فإنه يمكن استخدام هذه الوسيلة في تعزيز القيم لدى شرائح المجتمع المختلفة.

وأثبتت دراسات عدة، وخبرات متراكمة، قدرة الحملات الإعلامية على إحداث التأثير المطلوب منها، وإمكانها تحقيق المهام المنوطة بها، ونجاحها في معظم الأهداف التي وضعت من أجلها، وجدواها في الإقناع والتغيير، لكن ذلك كله منوط بالقيام بتخطيط سليم لمثل هذه الحملات، واتباع الأسس الصحيحة والخطوات العلمية والعملية التي تساعد على نجاحها، وإلا فإن هذه الحملات ستواجه تحديات كبيرة وصعوبات بالغة ومشكلات جمة، يأتي في مقدمتها عدم اهتمام الجمهور برسائلها، وعدم التجاوب مع شعاراتها، أو عناده وتمسكه بالسلوك القديم وعدم الرغبة في التغيير.

التخطيط السليم للحملات الإعلامية

ولاشك أن هذا التخطيط السليم المتميز للحملات الإعلامية، والاعتماد على أسس علمية وعملية سليمة ومدروسة ومنتقاة وفق معايير دقيقة عند تصميمها ووضع أهدافها ومراحلها، يسهمان في بلوغ الغايات التي وضعها القائمون على هذه الحملات والمعنيون بكل خطواتها، ومن ذلك ضرورة إجراء دراسة دقيقة للوضع القائم حاليا وكيف كان في الماضي، وما هي التوقعات المستقبلية المبنية على البحوث والإحصاءات والدراسات، مع ضرورة مراعاة أن يخضع تخطيط الحملات لدراسة مستفيضة للخطوات التي يجب اتباعها للتعرف إلى المشكلة موضوع الدراسة، وأسبابها والمتسببين فيها، وأهداف الحملة، والوسائل التي يمكن من خلالها الوصول إلى جمهور هذه الحملة بأيسر الطرق وأسهلها، وبخاصة في الحملات الإقناعية التي تهدف إلى تغيير الاتجاهات والسلوكات، والتي توجه إلى قطاع كبير من الجماهير، وكيفية تصميم مضمون الرسائل الموجهة لجمهور الحملة وأشكالها، وتحديد الجداول الزمنية للحملة، وأساليب التقويم المتبعة، إضافة إلى ضرورة توافر إمكانات مادية كبيرة، ومشاركة جميع الأجهزة الحكومية المعنية ووسائل الإعلام والتعليم والمؤسسات الخاصة وغيرها.



وكلما كانت الحملة تحمل معاني إنسانية عامة، ومفاهيم أخلاقية حضارية، وتوجهات وطنية مجتمعية نبيلة، يكتب لهذه الحملة قدر كبير من النجاح، وتستطيع تحقيق معظم أهدافها إن لم يكن كلها، وتصل إلى أكبر شريحة ممكنة من الجمهور المستهدف.

وترتبط مدة استمرار أي حملة إعلامية ارتباطا وثيقا بالتخطيط السليم والدراسة الدقيقة لمراحلها ومفاهيمها ورسالتها وشعاراتها، ومادامت ترتبط بمفاهيم وطنية مجتمعية دائمة فإن مدة الحملة قد تستمر سنوات عدة، لكن مع مراعاة إجراء تعديل مستمر لشعاراتها، وتطوير مطرد لمحاورها الإعلانية والإعلامية، إضافة إلى وجود نفس إبداعي في كل مرحلة من مراحلها.

أهمية الإمكانات المالية

ويراعى في كل حملة توفير الإمكانات المالية اللازمة لانطلاقتها واستمرارها، ووجود تمويل كاف من جهات مختلفة تضمن عدم تعثرها أو توقفها فجأة، وبهذا الصدد تلجأ الجهة المعنية القائمة على الحملة والمشرفة على فعالياتها ومراحلها بمخاطبة جهات عدة في القطاعين الحكومي والخاص للحصول على تمويل كاف للحملة، إضافة إلى الاستعانة بالجمعيات المعنية بالعمل التطوعي للاستفادة من خبراتها ومن الكفاءات الموجودة

* صحافي في وكالة كونا الكويتية.

لديها، وهو أمر يسهم إسهاما كبيرا في نجاح الحملة وإعطائها زخما جماهيريا واسعا، وتعتبر أهداف أي حملة إعلامية من أهم مقومات الحملة وعناصرها، بل يمكن القول إنها المحور الرئيسي الذي تدور حوله الحملة، وكلما كانت هذه الأهداف واضحة جلية من جهة، ونبيلة سامية من جهة أخرى تحقق للحملة النجاح المنشود.

ويقصد بالأهداف الأمور المرجو تحقيقها من الحملة، والغايات المراد الوصول إليها، من هنا وجب وضع أهداف محددة وواضحة لأي حملة إعلامية لتكون قابلة للقياس في المستقبل.

ويراعى في كل حملة إعلامية اختيار شعار خاص يتميز بتناسقه وتناغمه مع أهداف الحملة وغاياتها، مع الحرص على أن يكون واضحا يسهل حفظه وتذكره وتكراره، ويبقى مدة زمنية طويلة في النفوس يترسخ من خلالها في الذاكرة.

وتسعى الحملات الإعلامية إلى الاستفادة من كل الوسائل المتاحة والممكنة لتحقيق الأهداف المنشودة منها، ولاسيما وسائل الاتصال التي تدرس كل منها دراسة متأنية ويستفاد من كل خصائصها، ولاسيما وسائل الاتصال الجماهيرية التي تتميز بقدرتها على توصيل الرسالة إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص في أكبر حيز جغرافي، وتشمل بصورة رئيسية وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة وبصورة خاصة الراديو والتلفزيون والصحف والمجلات إضافة إلى مواقع الإنترنت والمنتديات والرسائل الهاتفية القصيرة، ويشمل ذلك أيضا وسائل الإعلان الموجهة إلى الجمهور مثل المنشورات واللافتات والملصقات والبانرات. وسيأتي تفصيل لذلك في كل حملة.

ومن وسائل الاتصال المهمة أيضا وسائل الاتصال الشخصي التي تتسم بقدرة كبيرة على التأثير وإحداث التغيير المطلوب، لكنها تقدم لجمهور محدود جدا، بصورة تقارب اللقاء الشخصي الفردي بين شخص وآخر أو شخص رئيسي وعدد صغير من الجمهور المتلقي.. وهذه الوسائل يمكن استخدامها في عدد من أمكنة العمل، وبعض التجمعات الصغيرة، والجمعيات المتخصصة.

جمهور الحملات الإعلامية

وثمة نوعان رئيسيان تتوجه إليهما الحملات الإعلامية

١- جمهور أولي: هو الجمهور المقصود الذي يرغب القائمون على الحملة في الوصول إليه والتأثير فيه وتحقيق الأهداف المنشودة من خلاله، ويكون محددا لدى هؤلاء القائمين والمشرفين من جميع النواحي، وهذا يساعد على اختيار الوسائل المناسبة، والوقت المناسب للوصول إلى هذا الجمهور، ومعرفة الرسائل الإعلامية والإقناعية المناسبة، وأساليب وأشكال الصياغة والعرض والإنتاج للرسائل الإعلامية إضافة إلى اختيار وسائل الإعلان الملائمة.

٢- جمهور ثانوي: وهو الجمهور الذي يتوقع منه أن يساعد على نجاح الحملة بسبب اتصاله المباشر وغير المباشر بالجمهور الأولي، ويعتبر جمهورا غير تقليدي، وممن يحتمل وجود تأثير قوي لهم، ومن هؤلاء الشخصيات الاجتماعية الموثوق بها والتي تحظى بتقدير وإجلال واحترام لدى شرائح المجتمع (علماء وفنانون ورياضيون وإعلاميون وأكاديميون وعلميون وسياسيون ورجال أعمال) والجمعيات المتخصصة في مجالات معينة.

وللموت موعد مع العلاّمة عبدالعظيم الدّيب



تلقّى العلماء وطلبة العلم وعموم المسلمين نبأ موت الفقيه المحقق الشيخ د.عبدالعظيم الدّيب- رحمه الله- بنفس راضية بقضاء الله مطمئنة لقدره، والذي وافته المنيّة صباح يوم الأربعاء ٦ يناير ٢٠١٠م في مستشفى حمد بالعاصمة القطرية الدوحة بعد معاناة طويلة مع المرض.

لقد نذر الشيخ الديب حياته للعلم وتعليمه ونشره وخدمة تراث الأمة، وحقّق كتبا في الفقه وأصوله تعتبر علامات بارزة في فنّ التحقيق، كلها من تراث إمام الحرمين- رحمه الله، تخرَّجت الأجيال على يديه، وأحبَّه تلاميذه حبًّا جمًّا، طلابا وطالبات؛ لأنه كان يعتبر التعليم رسالة، ولا يعتبره مجرد وظيفة، كما عاش حياته بعيدا عن أضواء الإعلام، برغم إلحاح الإعلاميين عليه، ولقي ربه غير مَشوب بشائبات الدنيا، بل أخلص دينه لله، وأخلصه الله لدينه، نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا.

وقد أصيب الشيخ- رحمه الله- بوعكة صحية نتيجة جلطة في قدمه أدخل على إثرها المستشفى قبل يومين من وفاته، وأجريت له عملية جراحية، الثلاثاء، قبل أن تصعد روحه إلى بارئها صباح اليوم التالي.

ولد د. عبدالعظيم الديب- رحمه الله تعالى- في إحدى قرى مصر بمحافظة الغربية سنة ١٩٢٩م، حفظ القرآن الكريم بكُتّاب القرية، ثم التحق بالأزهر الشريف، وتخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ثم وجّه جل اهتمامه لدراسة التراث الإسلامي الذي يرى أنه هو الأساس الذي لا أساس سواه لبناء ثقافتنا، له العديد من المؤلفات والبحوث في مختلف جوانب الفكر الإسلامي، واختصّ أكثر بتراث إمام الحرمين الجويني، ومن هذه الكتب: «البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين» و«الغياثي، غياث الأمم في التياث الظُلَم» و«الدرة المضية» و«نهاية المطلب في دراية المذهب» وهو آخر ما حقق ومن أهم ما أخرج، و«إمام الحرمين أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني، حياته وعصره- آثاره وفكره»، و«فقه إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني، خصائصه- أثره- منزلته»، و«الدرة المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية»، و«الندوة الألفية لإمام الحرمين الجويني»، و«الغزالي وأصول الفقه»، و«المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي» من إصدارات كتاب الأمة.

أدبُ الانسحاب مِن مودّة الأصحاب

التحرير

لله ما أحسن التخالُل بين الأحباب إذا كان المقصود منه مرضاة الله تعالى! فإنّ الخلّة الصّادقة هي الباقيةُ النافعة يوم القيامَة قال تعالى ﴿الأخلاءُ يَوْمَئذٍ بَعْضُهُمْ لبَعْض عَدُوٌّ إلا المُتّقين﴾ (الزخرف:٦٧)، ولذلك حثّ النبيّ ﷺ على صدْق الحبّ والتآخي، وجعله من مُقرّرات حلاوة الإيمان؛ فعن أنس عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (رواه البخاري)، بل إنّ المتآخيَيْن على الحقيقة مترفّهُون بظلّ الله يوم لا ظل إلاّ ظله؛ ففي حديث السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم القيامة؛ ذكر منهم النبيّ ﷺ: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» (رواه البخاري).

وإذا ثبتَ هذا وتقرّر؛ فإنّ من زكّى الله تعالى دخيلة نفسه وميّزه بالفهم لا يُقرّب منه صاحبًا على سبيل المُخالَلة والمؤالفة إلاّ إذا تيقّن أخلاقَه، وتوافُقَ طباعه مع طباعه، وغير ذلك ممّا لا تتمّ أخوةٌ إلاّ به، كما لابدّ بعد التوافق في الخلال والطباع أن يحرص على ذي الفضل والعلم والدين؛ فإنّ العاقل- كما ذكر ابن المقفّع في أدبه الصغير- لا يخادنُ ولا يُصاحبُ- ما استطاعَ- إلاّ ذا فضل في العلم والدّين والأخلاق؛ فيأخذُ عنهُ، أو موافقًا لهُ على إصلاح ذلك فيؤيّدُ ما عندهُ، وإن لَم يكن لهُ عليه فضلٌ؛ فإنّ الخصال الصّالحة من البرّ لا تحيا ولا تنمَى إلاّ بالموافقين والمؤيّدين، قال: ولذلك زعم بعضُ الأوّلين أن صُحبةَ بليد نشأ مع العلماء أحبُّ إليهم من صحبة لبيبٍ نشأ مع الجهّال.

والحصيفُ النّبيهُ لا يجعل الناس كلّهم في كفّة ميزان واحد، ولكنه يُصنّفهم على حسب ما يليق بهم من الخيرية أو عكسها، أو العلميّة وضدّها، وهكذا؛ فمثلاً يلبسُ للعامّة لباسَ التحفّظ وبعض الانقباض، ويلبس للخاصّة من أهل العلم والأدب والشّرف لباسَ اللطف والانبساط.

وهنا معنى بوّب عليه العلماء في كتبهم، وهو الاقتصاد في الحبّ والبغض، وأصله ما رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا قال: «أحْبِبْ حبيبك هونًا ما؛ عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوما ما».

ومعناه -كما قال الحافظ ابن العربي المالكي- أنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن؛ فقد يعود الحبيب بغيضًا وعكسه؛ فإذا أمكنْتَه من نفسك حال الحبّ وعاد بغيضًا؛ كان لمعالم مضارّك أجْدرَ لِمَا اطّلع منك حال الحب بما أفضيت إليه من الأسرار؛ ولذلك قال عمر رضي الله عنه: «لا يكن حبّك كَلَفًا ولا بغضك تلفًا»، وفي هذا يقول الشاعر:

وأبغضْ إذا أبغضْتَ بُغضًا مقاربًا
فإنك لا تدري متى أنت راجعُ
وكن معْدِنا للخير واصفح عن الأذى
فإنك راءٍ ما عملتَ وسامعُ
وأحببْ إذا أحببتَ حبًا مقاربًا
فإنك لا تدري متى أنت نازعُ

وقال الحسن البصريّ رحمه الله: «أحبّوا هونًا وأبغضوا هونًا؛ فقد أفرط قوم في حبّ قوم فهلكوا، وأفرط قوم في بغض قوم فهلكوا».

سبحان الله! ما كان الغلوّ في شيء إلاّ أفسده، وقلب حلاوته مرارة.

إنّ الأخ المسلم يمكن أن يُحبّ أخاه بصدق، ويَفي له بحقوق الأخوة كاملة غير منقوصة، ولكنّ الأيام حبالى تلد كلّ عجيب، لذلك قد تنقلب مودّته الكاملة إلى فتور، ويَشوب صفو علاقته الأخوية مع أخيه شيءٌ من البرود أو كثير منه.

لا يُنكَر هذا ولا يستغرَب؛ فإنّ القلوب بيد الله تعالى، والمشاعر قد تتقلّب كما القدر إذا استجمعت غليانًا؛ لا عجب في هذا ولا منقصة.

لكنّ المنكور المستغرَب أن يَنْسلّ الصّاحب من مودّة صاحبه بعنْف وبلا تُؤدة، وكأنّه ما عرفه يومًا ولا صافاه، وكأنّه ما سَارّه يومًا ولا ناجاه، وكأنه ما قرّبه يومًا ولا أدناه!

وقد حدث هذا لإمام أهل الظاهر ومفْخرة الأندلس الفقيه أبي محمد ابن حزم الظاهريّ؛ حيث قال في «مداواة النفوس»: «وأنا أُعلمك أنّ بعض مَن خالَصني المودّة وأصفاني إياها غاية الصفاء؛ في حال الشدة والرخاء، والسعة والضيق، والغضب والرضا؛ تَغيّر عليّ أقبح تغيُّر بعد اثنيْ عشر عامًا متّصلة في غاية الصفاء، ولسبب لطيف جدًا ما قدّرْتُ قطّ أنه يؤثّر مثْلُه في أحد من الناس، وما صَلح لي بعدها، ولقد أهمّني ذلك سنين كثيرة همًّا شديدًا».

عجيبٌ أمر بعض الأصحاب، يُقْبل أحدهم على أخيه إقبالَ الرّياح الهُوج العاتية، ويُدْبر عنه إدبار الفَرَس المُولّية!

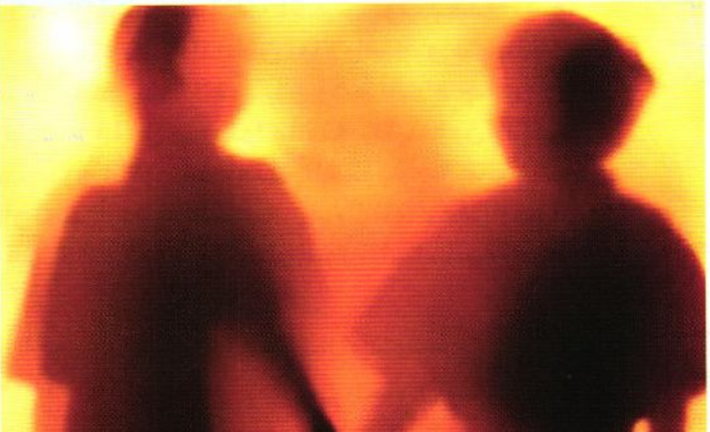
لا مرية في أنّ الفُجاءة في الانفصال الأخويّ قد تكون بسبب ذنْب أحدثاه، أو أحدثه أحدهما؛ فَفي مسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما توادّ اثنان ففرق بينهما إلاّ بذنب يُحدثُه أحدهما»، ومع ذلك فإنّ الذوقَ وحُسْن العهد وتمامَ المروءة وكمالَ الوفاء ألا يقطع الإنسان بمن يحبّ قطيعةَ العدوّ بعدوّه، فذلك فجورٌ في الصّحبة ومنقصة في الأخلاق، ولذلك يَتَنَاءى عنه الكَمَلَةُ من الناس؛ لأنهم يدركون أنّ خيرَ الأصحاب عندَ الله خيرُهُم لصاحبه، وخيرَ الجيران عندَ الله خيرُهم لجاره؛ كما صحّ

بذلك الخبر إلى رسول الله ﷺ، ومن مقتضيات هذه الخيرية في أقلّ حالاتها أن يحسن الواحد منّا «الانسحاب من مودة الأصحاب»؛ لأنّ ذلك دليلٌ على تأصّل زكاء نفسه، وذهابها في المجد مذهبا جميلًا، وهذا عمرو بن معدكرب يقول:

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن ردّيت بردا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

وقد ساق العرب، كما حكاه عنهم ابن المقفع، مثلًا عجيبًا في غدر الإخوان ببعضهم؛ قال: زعموا أنه كان بأرض كذا تاجرٌ، فأراد الخروج إلى بعض الوجوه لابتغاء الرزق؛ وكان عنده مائةُ مَنّ حديدًا؛ فأودعها رجلًا من إخوانه، وذهب في وجهه، ثم قدم بعد ذلك بمدة؛ فجاء والتمس الحديد، فقال له: إنّه قد أكلته الجرذان؛ فقال: قد سمعت أنه لا شيء أقطع من أنيابها للحديد! ففرح الرّجل بتصديقه على ما قال وادعى، ثم إنّ التاجر خرج، فلقي ابنًا للرجل؛ فأخذه وذهب به إلى منزله؛ ثم رجع إليه الرجل من الغد فقال له: هل عندك عِلْمٌ بابني؟ فقال له التاجر: إني لمّا خرجتُ من عندك بالأمس رأيت بازيًا قد اختطف صبيًّا، ولعله ابنك؛ فلطم الرّجل على رأسه وقال: يا قوم، هل سمعتم أو رأيتم أنّ البزاة تخطف الصبيان؟ فقال: نعم، وإنّ أرضًا تأكل جرذانها مائةَ مَنّ حديدًا ليس بعجب أن تختطفَ بُزَاتُها الفيلة! قال له الرجل: أنا أكلتُ حديدك وهذا ثمنه فارددْ عليّ ابني. وإنّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنّك إذا غدرتَ بصاحبك فلا شكّ أنك بمن سواه أغدر؛ وأنه إذا صاحَبَ أحدٌ صاحبًا وغَدَر بمن سواه؛ فقد عَلّم صاحبه أنه ليس عنده للمودة موضعٌ؛ فلا شيء أضيع من مودة تُمْنَح مَن لا وفاء له، وحِباء يصطنع عند مَن لا شكر له، وأدب يُحْمل إلى مَن لا يتأدّب به ولا يسمعه، وسرّ يُستودع مَن لا يحفظُه؛ فإنّ صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشرّ؛ كالريح إذا مرت بالطّيب حملت طيبًا، وإذا مرت بالنّتَن حملت نتنًا.

عجيبٌ أمر بعض الأصحاب يُقْبل أحدهم على أخيه إقبال الرّياح الهُوج العاتية ويُدْبر عنه إدبار الفرَس المُولّية!



على مَن ابتُلي بالصّاحب الذي لا يُحْسن الانسحاب من الأصحاب: أنْ يعلم أنّ بعض الناس مدخولون في أمورهم؛ فهم كما قال الأوّل: «قائلُهم باغٍ، وسامعُهم عَيّابٌ، وسائلُهم مُتعنّتٌ، ومجيبُهم متكلفٌ، وواعظُهمُ غيرُ محقّق لقوله بالفعل، وموعُوظُهم غيرُ سليم من الاستخفاف، يتناقضُونَ الأنباء، ويتراقبون الدّول، ويتعايبُونَ بالهمز، مُولعونَ في الرّخاء بالتحاسد، وفي الشدة بالتخاذُل» إلاّ مَن رحم الله.

وإنّ من الحكمة التي يلزم توخّيها مَن أراد الانسحاب ما حدّثنا به ابن الجوزيّ حين قال: «كان لنا أصدقاء وإخوان أعتدّ بهم، فرأيت منهم من الجفاء وترْك شروط الصداقة والأخوّة عجائب؛ فأخذت أعْتِب، ثم انتبهتُ لنفسي فقلت: وما ينفع العتاب، فإنهم إنْ صَلُحوا فللعتاب لا للصّفاء؛ فهممتُ بمقاطعتهم، ثم تفكّرتُ فرأيت الناس بين معارف وأصدقاء في الظاهر وإخوة مُبَاطَنين، فقلت: لا تصلح مقاطعتهم، إنما ينبغي أن تنْقُلهم من ديوان الأخوة، إلى ديوان الصّداقة الظّاهرة؛ فإن لم يصلحوا لها نقلتهم إلى جملة المعارف، وعاملتهم معاملة المعارف، ومن الغلط أن تعاتبهم».

أيها الصّاحب المنسحب: ليس ضروريًّا من الأحوال إذا رغبتَ عن أخيك أنْ تَرْميَه ولا تبالي به، بل ذلك لؤمٌ لا يليق بكرام النّاس، ومن المروءة أنْ تتدرّج به في التّرك حتى تأنسَ نفسُه لبُعْدك، وتستسيغَ فقْدَك؛ فإنّ طول المواصلة وكثرة المخالطة إذا أعْقَبهما قَطعٌ بَاتٌّ؛ أَضرّا وأدّيا إلى نقيض المقصود؛ فبَدَل الراحة ينشأ الهمّ، وربما وَغِرَت الصّدور فامتلأت بالحقد والشحناء.

وهذا ابن المقفّع العاقلُ يوصيك بقوله في «أدبه الكبير»: «اجعل غاية تشبّثك في مؤاخاةِ مَن تؤاخي، ومواصلةِ من تواصل؛ توطينَ نفسكَ على أنه لا سبيل لكَ إلى قطيعة أخيكَ، وإنْ ظهر لكَ منهُ ما تكرَهُ، فإنهُ ليس كالمملوك تعتقهُ متى شئتَ، أو كالمرأة التي تُطلّقها إذا شئتَ، ولكنهُ عِرْضكَ ومروءتُك؛ فإنما مروءةُ الرجل إخوانهُ وأخدانه، فإنْ عثر النّاسُ على أنّك قطعتَ رجلًا من إخوانك- وإن كنت مُعْذرًا- نزلَ ذلك عند أكبرهم بمنزلة الخيانة للإخاء، والمَلال فيه، وإن أنتَ معَ ذلك تصبّرتَ على مقاربته على غير الرّضا؛ عادَ ذلكَ إلى العيب والنّقيصة؛ فالاتّئادَ الاتئاد، والتثبّتَ التثبّت!

فإذا عرفت فالزم.

إيوان كسرى في المدائن

إسراء البدر

«المدائن» قضاء في جنوب العراق تبعد مسافة ٤٠كم جنوب بغداد، فيها إيوان كسرى، والمدائن تحمل عدة أسماء فهي «المدائن» بالآرامية، و«طيسفون» بالفارسية، و«سلوقيا» بالاغريقية. وقد بناها الفرثيون وهم أقوام جاءوا من جنوب إيران، واستولوا على العراق عام ١٤١ق.م، وبنوا مدينة «طيسفون» لتكون عاصمة لهم، كذلك اختارها الساسانيون لتكون عاصمتهم الشتوية، مع عاصمتهم الصيفية «سوسة» في إيران، بعد أن تمكن أردشير الساساني من القضاء على ارطبان آخر ملوك الفرثيين عام ٢٢٤م، ومنذ ذلك الوقت حكمت الدولة الساسانية العراق حتى الفتح الاسلامي.

يقع في هذه المدينة مقر الملك في فارس ويدعى «القصر الأبيض» وفي وسطه «إيوان كسرى» قاعة عرش كسرى، وعلى جدرانها رسمت معركة أنطاكية التي دارت بين الفرس والروم، وفي هذا الإيوان تحققت معجزة من معجزات النبي محمد ﷺ حيث انشق هذا الإيوان بالولادة الشريفة لخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام)، وقد تم بناء القصر الذي فيه الإيوان في عهد شابور الأول (٢٤١-٢٧٥م) ويعرف بالقصر الأبيض أو قصر كسرى ويحتوي على أشهر -طاق- في التاريخ وهو ما يعرف بطاق كسرى، وقد انفق شابور الكثير من الأموال على هذا القصر ليجعله قصرا فخما وكبيرا يدل على مقدار اهتمام هذه العائلة الساسانية بالرفاهية والبذخ على قصور الملوك، فلقد تحدث كتاب العرب القدامى عن فسيفساء هذا القصر، ونقوشه المطعمة بالذهب والأحجار الكريمة، وستائره الحريرية، وسجاده النفيس، وذكروا التماثيل التي كانت تزين واجهات القصر وردهاته، والكتابات التي كانت مسطرة على جدران الإيوان بالأحرف السريانية واللغتين الفهلوية والفارسية.

وقد وصف البحتري إيوان كسرى والصور واللوحات الموجودة فيه والتي تصور معارك الفرس والروم وانتصارات الفرس قائلا:

فإذا ما رأيت صورة أنطا
كية ارتعت بين روم وفُرس
والمنايا مواثلٌ وأنوشر
وانَ يزجي الجيوش تحت الدِرَفسِ
وعِراكُ الرجال بين يديه
في خفوتٍ منهم وإغماض جَرسِ
من مشيحٍ يهوى بعامل رمحٍ
ومُليحٍ من السّنان بترسِ

فهذا مقبل عليك برمحه وهذا متردد محاذر يحتمى بدرعه

تصف العينُ أنهم جِدُّ أحياء
لهم بينهم إشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابيَ حتى
تتقراهمُ يداي بلمس
ليس يُدرى أصنع إنسٍ لجنٍ
سكنوه أم صنع جنٍّ لإنس

فكأني أرى المراتب والقوم
إذا ما بلغت آخر حِسّي
وكأن الوقوف ضاحين حَسرى
من وقوف خلف الزحام وخُنسِ

لقد كشفت البعثات التنقيبية الأجنبية، ومنها الألمانية عام ١٩٣١، بالاشتراك مع متحف «متروبوليتان» في نيويورك الكثير من أسرار هذا القصر، حيث ظهر أن مساحة المدينة هي نحو ٣ كيلومترات مربعة. واستطاعت هذه البعثة الكشف عن أبنية مختلفة، وسور المدينة، وحددت معالم القصر، وقد ظهر أن القصر يتكون من الإيوان الكبير في الوسط، وهو قاعة العرش، وهذا محاط بحجرات صغيرة من الشمال والجنوب، وهي ملاصقة لجداري الإيوان، وأمامها ردهة طويلة تنتهي بردهة واسعة جدا تقع على محور الإيوان، والبناية كلها معقودة بالآجر والجص، ومطلية من الداخل بالجص والألوان الزاهية، أما واجهة البناء التي كانت نحو الشرق، فإنها كانت مزينة بنقوش جصيّة وتماثيل رخامية كبيرة.

يعتبر طاق كسرى من أعظم الطوق في العالم القديم، وأعلاها، وهو جزء من القصر الأبيض، وقد تهدمت جدرانه واندكت ولم يبق من معالمه إلا الطوق وبعض الأسس، وهناك أكوام من الردم والأنقاض منتشرة



كاتبة عراقية

على مسافة مئات الأمتار حول الطاق، وما تبقى من البناء يدل على عظمة القصر عندما كان شاخصا في عهده الغابر، حيث يبلغ ارتفاع الطاق عن سطح الأرض حوالي ٣٠ مترا، وعرضه ٢٥,٥ متر، وسمك جداره من الأسفل ٧ أمتار، ويطل الإيوان على الشرق وله ثلاثة أبواب، واحد من اليمين والآخر على اليسار وكلاهما قرب فتحة الإيوان، والثالث قرب الجدار الغربي، وإلى يسار الإيوان هناك حائط شاهق يعلو حتى قمة الطاق، يبلغ سمكه من الأسفل ٦ أمتار، وقد تم إسناد هذا الحائط بمسند من الآجر والاسمنت أخيرا لحمايته من الانهيار، أما بالنسبة للحائط الذي كان قائما إلى الجانب الأيمن من الإيوان فقد تهدم عام ١٨٨٧م بفعل فيضان دجلة، لكن بقي الطاق وإيوان كسرى شاهدا تاريخيا رغم مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على انشقاق هذا الإيوان بولادة النبي محمد ﷺ.

ارتجاس وانشقاق الإيوان

لعلنا هنا قدمنا وصفا دقيقا لقصر كسرى وارتفاع الإيوان والطاق لكي نبين كبر هذا القصر وفخامته التي كانت في ذلك العصر، وجبروت الإمبراطورية الفارسية التي غالت وبالغت في بناء هذا القصر لتأكيد عظمتها وقوتها وعدم قدرة أي قوة في ذلك العصر على سحقها، ووسط هذا الجبروت والطغيان يأتي التقدير الرباني والمعجزة الإلهية بولادة الحبيب محمد ﷺ فينشق هذا الإيوان والطاق دون أن يقع أو يتهدم ليبقى على مدى التاريخ ولآلاف السنوات معجزة شاخصة للعيان.

ففي الولادة الشريفة لخير الأنام محمد ﷺ حدث ارتجاس إيوان كسرى، وسقوط الشرفات، وخمود النيران، وغير ذلك من الدلالات.

قال الحافظ أبوبكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب «هواتف الجان»: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وحدث هذا الانشقاق في عهد الملك الفارسي يزدجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وستون سنة.

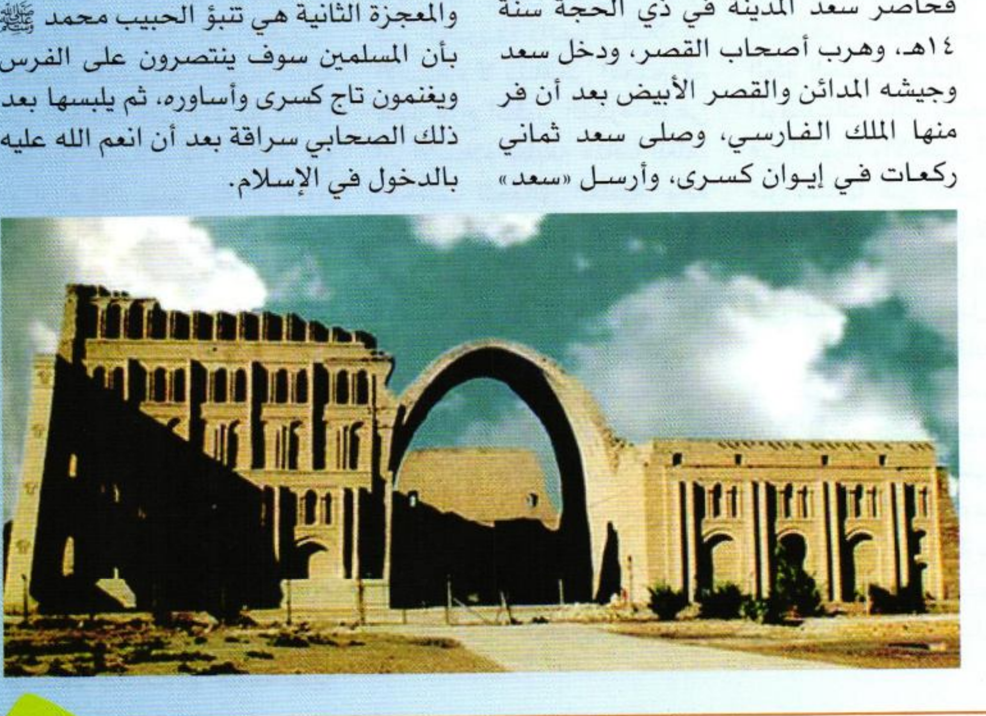
سعد بن أبي وقاص صلى ثماني ركعات في إيوان كسرى الكائن في المدائن

الفتح الإسلامي للعراق وتحقيق نبوءة النبي محمد ﷺ

لما عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بإمارة الجيش الإسلامي في فتح العراق بجيش قوامه ثلاثين ألف مقاتل لا غير مقابل مائة ألف من المقاتلين المدربين، المدججين بأخطر ما كانت تعرفه الأرض يومئذ من عتاد وسلاح.. تقودهم أذكى عقول الحرب يومئذ، وأدهى دهاته، ولكن الصدور العامرة بالإيمان والثقة بقدرة الله عز وجل كانت هي السلاح الأقوى بيد المسلمين فتحقق بكرم وفضل من الله عز وجل نصر المؤمنين بموقعة القادسية، عندها رأى أن الطريق إلى «المدائن» عاصمة الفرس أصبحت ممهدة أمام المسلمين، فأسرعوا بعبور نهر «دجلة» واقتحموا المدائن، وبمجرد رؤيتهم لإيوان كسرى تذكروا وعد رسول الله ﷺ لهم بفتح إيوان كسرى، فحاصر سعد المدينة في ذي الحجة سنة ١٤هـ، وهرب أصحاب القصر، ودخل سعد وجيشه المدائن والقصر الأبيض بعد أن فر منها الملك الفارسي، وصلى سعد ثماني ركعات في إيوان كسرى، وأرسل «سعد» إلى «عمر» يبشره بالنصر، ويسوق إليه ما غنمه المسلمون من غنائم وأسلاب ومنها أساور كسرى وتاجه، وعندما وصلت تلك الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى الصحابي سراقة بن مالك المدلجي الذي تبع النبي محمدا ﷺ وصاحبه أبا بكر في الهجرة النبوية الشريفة ليحظى بجائزة قريش، فلما ساخت يدا فرسه في الرمل قال سراقة: إني أراكما قد دعوتما علي، فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، وفي رواية أن النبي ﷺ قال لسراقة «كأني بك قد لبست سواري كسرى» فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه فقال له: ارفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي.

فنرى من خلال تلك القصة كيف تنبأ النبي ﷺ لسراقة أنه سوف يلبس سواري كسرى وتاجه و ذلك بعد حوالي خمس وعشرين سنة في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن أنبأ النبي ﷺ؟

إن إيوان وطاق كسرى في العراق بقي إلى يومنا الحالي شاهدا تاريخيا على حدوث معجزتين عظميتين، انعم الله بهما على نبينا محمد ﷺ، الأولى تمثلت في الانشقاق لهذا الإيوان بالولادة الشريفة، والمعجزة الثانية هي تنبؤ الحبيب محمد ﷺ بأن المسلمين سوف ينتصرون على الفرس ويغنمون تاج كسرى وأساوره، ثم يلبسها بعد ذلك الصحابي سراقة بعد أن انعم الله عليه بالدخول في الإسلام.





التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم الحديث

يعد هذا العنوان واحدا من أشهر العناوين في العصر الحديث إثارة للجدل ومفتتحا للحوارات، حيث تلقاه المسلمون بحفاوة كبيرة عندما صدر في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، وظن كثير من الناس انتساب مؤلفه للإسلام، وتُرجم الكتاب لكثير من لغات العالم، ومنها اللغة العربية. وإننا إذ نخصص مقال هذا العدد لهذا الكتاب، رغم كونه مترجما إلى العربية، فإننا نهدف لأبعد من مجرد تقديم الكتاب وتقديم رؤية نقدية له، حيث نهدف إلى بيان أمرين ضروريين في وقت يدأب فيه بعض الإعلاميين من غير المسلمين على ادعاء تناقض الكتب المقدسة (ومنها القرآن) مع العلم.

الأمر الأول، هو توضيح أن العودة إلى الحوار مع الآخرين- خاصة المنصفين منهم- غاية في الأهمية حتى ولو لم يقبلوا بعقيدة الإسلام، لأن الحوار مع أمثال هؤلاء يفيد منه المسلمون أيما إفادة، وذلك بتقوية حجتهم ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام: ١٤٩) في الدفاع عن دينهم وفتح آفاق جديدة لهم عند جمهور يصعب الوصول إليه إلا عن طريق هؤلاء المتصلين بالآخر صلة حقيقية وغير مصطنعة، ولكون إنصاف هؤلاء ذاته مفتاحا لسماع آرائهم. الأمر الثاني، هو إيضاح أن رد فعل الغربيين حول مثل هذه الكتابات، التي غالبا ما تصب في مصلحة الإسلام والمسلمين، إما أن يكون عنيفا لا يستقيم مع الفكر الحر ولا مع الموضوعية العلمية.. وبالتالي يجذب جمهورا كبيرا لفهم الإسلام من خلال هذا النقد المتطرف، وإما أن يكون متوازنا فيفتح لهم طريقا إلى الإسلام.

لقد كانت محاولات إثبات أن النصوص الدينية لا تتعارض مع العلم مهمة شاقة لكثير من المتدينين في العصر الحديث، فكان كل صاحب دين يحاول أن يوفق بين نصوص دينه و معطيات العلم، فهذا هو ارنست رينان الفرنسي يكتب في القرن التاسع عشر مقالا في جريدة «لوديبا» الفرنسية يؤكد فيه أن الإسلام ضد العلم وعلى العكس المسيحية التي تتوافق مع العلم، فرد عليه جمال الدين الأفغاني في الجريدة ذاتها قائلا: إن الإسلام لا يناقض العلم، ثم عاود فرح أنطون الفكرة وادعى أن الإسلام بطبعه مناف للعلم، ومخالف للحقائق العلمية، وأنه يقف حجر عثرة أمام المسلمين لفهم العلم ومتطلباته، فرد عليه الإمام محمد عبده بعدد من المقالات في مجلة «الجامعة» نشرت فيما بعد في كتاب تحت عنوان «الإسلام والمسيحية بين العلم والمدنية»، ومازال الحوار مفتوحا في هذا الجانب بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم من أصحاب الديانات.

لكن هذا الجدل أخذ منحى جديدا بكتاب موريس بوكاي «التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم الحديث» (La Bible، le Coran et la science : Les écritures saintes examinées à la lumière desconnaissances modernes) وذلك كون المؤلف اعتمد منهجا علميا موضوعيا منطلقا من حقائق علمية بعينها، ومسقطا إياها على نصوص من الكتب الثلاثة، ما أكسب كتابه مصداقية لم تكن لمن قبله، علاوة على ذلك فإن مؤلف الكتاب طبيب فرنسي ينتمي إلى عائلة مرموقة ومهتم بعلم الآثار، خاصة المصرية منها، ما زاد من مصداقية الكتاب وسرعة قبوله عند القراء.

غير أن الكتاب أثار على الجانب الآخر حمى الرد والنقد، لاسيما أن المؤلف خلص إلى أن النص القرآني أقرب النصوص الثلاثة إلى معطيات العلم الحديث، فقال: «رغم أن الموضوعات ذات السمة العلمية في التوراة والإنجيل أقل بكثير من مثيلتها في القرآن إلا أن ما جاء به القرآن لا يتناقض مع العلم، في حين أن ما جاء في التوراة والإنجيل في ذات الشأن مليء بالمغالطات التي لا تستقيم مع العلم الحديث». ومن تلك الموضوعات: نصوص التوراة ذاتها التي لا تدل على أنها من مؤلف واحد أو من عصر واحد، وكذلك المعارف التاريخية التي حوتها، من مثل خلق العالم، وتطور تاريخ الإنسان، ورواية الطوفان أو ما يسمى بالتطور الثاني للإنسان.



د. محمود مسعود

كما أن الأناجيل المنسوبة للمسيح ذاتها لم تكتب إلا في بدايات القرن الثاني الميلادي، إضافة إلى أنها لا تعدو أن تكون صورة لأدب غير مترابط ومفتقد للتتابع التاريخي، كما يبدو أن ما في الإنجيل من تناقض غير قابل للتذليل، وأهم أخطاء الأناجيل وتناقضاتها، مسألة صعود المسيح، ومسألة عيد الفصح وعشاء المسيح، وكذلك صعود عيسى عليه السلام.

ومما يضاف إلى أهمية الكتاب تأكيد بوكاي على أن الغرب يحال بينه وبين الإسلام بأحكام مسبقة يتلقونها منذ مراحل الدراسة الأولى، من مثل أن الإسلام دين أسسه محمد، وأنه دين الخوف بخلاف المسيحية التي هي دين الحب، حتى إنه هو نفسه لم يكن لديه أي اعتقاد في أن الإسلام دين كالمسيحية واليهودية. غير أن أول ما لفت نظره بوصفه طبيبا هي آراء ابن رشد وغيره في الطب والمعارف الإنسانية، وثمة حدث

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

باحث فرنسي اثبت أن النص القرآني هو الأقرب إلى معطيات العلم الحديث

آخر أثار فيه الفضول للتعرف على الإسلام ألا وهو لقاؤه الملك فيصل ضمن فعاليات مؤتمر علمي بالمملكة العربية السعودية مما جعله يدرس القرآن دراسة موضوعية قادته إلى إدراك عظمة رسالة الإسلام. وفي هذا يقول: «لم أكن أظن أن نصا مكتوبا منذ ثلاثة عشر قرنا يحوي عددا من البحوث اليقينية المتعلقة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة جميعها مع المعارف العلمية الحديثة».

ولنعد إلى السؤال عن دين موريس بوكاي، هل هو مسلم أم لا؟ وهنا نذكر ما سمعناه من د.محمد سليم العوا في إحدى محاضراته، أنه عندما سأل موريس بوكاي عن إسلامه أخرج من جيبه ورقة مكتوب فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج:١٧)، فها هو الرجل لم يشأ أن يبوح بمكنون عقيدته مرجئا أمره إلى الله، غير أنه بكتابه هذا يبقى قيمة مضافة إلى الإسلام في العصر الحديث، ما يؤكد أن الحوار سيصب لا محالة في مصلحة الإسلام، وأن المسلمين سيفيدون من هذا التلاقي الفكري، فلا ينبغي أن يشغلنا القائل عن المقول، ولا حامل رسالة عن الرسالة نفسها، إن ما ينبغي أن يشغلنا هنا هو إيصال رسالة الإسلام على الوجه الصحيح، منا أتت أو من غيرنا كما فعل موريس بوكاي.

ألا ترى أنه لو أسلم عشرات الغربيين ولم يدركوا قيمة تلك الرسالة العظيمة ودورها في العصر الحديث الذي نعيش فيه لما أضافوا بإسلامهم شيئا، في حين أنه لو أدرك واحد من العلماء الغربيين تلك العظمة وبينها للناس ستكون أعظم وسيلة لكي يفهم كثير من الناس متطلبات تلك الرسالة في العصر الحديث، وهذا هو لب القصيد من ديمومة الرسالة، ألا وهو استمرار عطائها لبني الإنسان في الأرض، أما الإيمان والكفر فموكول أمره ومرده إلى الله جل في علاه، يقول تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(القصص:٥٦).

ومن هنا دعونا نعيد اكتشاف الكتاب من خلال طبعته الفرنسية الثانية بغية أن نصل لشيء جديد من رؤية هذا المؤلف العبقرية، والتي ضمنها دون أن يصرح بها «أن القرآن يحوي التوراة والإنجيل الحقيقيين، وأن ما بقي، صحيحا، من هذين المصدرين إلى اليوم موجود بلاشك في القرآن». وهو يعتمد لإظهار ذلك على أمرين، وهما حقائق التاريخ الراسخة، وتجليات العلم الحديث الواضحة، حيث يبدأ من مسلمات بدهية ومقبولة لدى كل المؤمنين بالرسالات السماوية وهي:

١- أن رسائل الله للبشرية (يعني الوحي الإلهي إلى الأنبياء) منها ما هو موقوت بزمن ومنها ما هو دائم.

٢- أن رسائل الله قبلت وفهمت من خلال عقل البشر الذي هو ذاته معجزة إلهية.

٣- وعقل البشر هذا هو أيضا محدود بحدود زمانية ومكانية وقراءته للمستقبل تزيد مع تجاربه وخبراته بالماضي.

ومن خلال تلك المقدمات اكتشف أن التوراة التي بين يد اليهود صحيحة في إجمالها، لكن بعض كتابها فهموا المؤقت على أنه دائم، مما جعلهم يوقفون عجلة المستقبل وبالتالي يرفضون ما يستجد من وحي مؤقت أو دائم، ولهذا رفضوا نبوة عيسى عليه السلام وكذلك نبوة محمد ﷺ ولما كان هذا الرفض يوجب تغييرا في الإطار المرجعي للتوراة أضافوا لها تفسيرات ونصوصا لا تستقيم معها، ومن هنا بدت متناقضة عوراء رغم صحة مصدرها الإلهي.

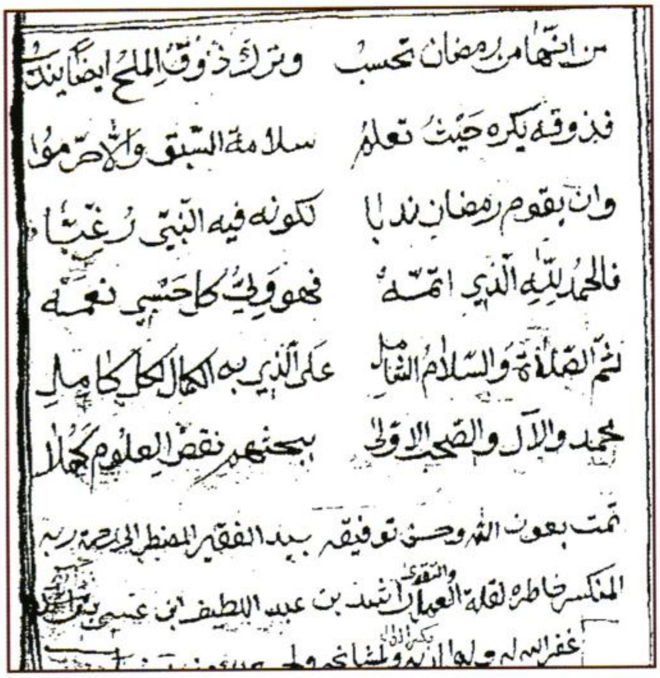
وفعل كتاب الإنجيل نفس الشيء مع وحي الله في صورة الإنجيل، حين جعلوا ما هو دائم مساويا لما هو مؤقت، وزاد الأمر خطورة عند المسيحيين أنهم وقعوا أسرى تفسير اليهود المتعسف للتوراة من جانب، ومن جانب ثان لم يكونوا على صلة حقيقية بمصدر الإنجيل، والذي نقل إليهم شفاهة من جيل إلى جيل، وفي عهود الاضطهاد والجور مما أظهر الإنجيل كأنه فقط بشارة للخلاص من الظلم ولم يظهر كرسالة سماوية للإنسان والكون، بل ظهر الانكفاء على الروح والبعد عن مجابهة الوجود والعمل فيه، مما جعل النصارى تابعين للأمم والحضارات وليسوا فاعلين فيها إلا بإلغاء فهمهم الملتوي هذا لرسالة الإنجيل.

أما المسلمون فكانوا أكثر حظا من اليهود ومن النصارى حيث كان الدائم في رسالتهم نفسها أعلى من المؤقت في ذات الرسالة، ثم إنهم استفادوا من تجارب أصحاب الرسالات قبلهم فلم يضيفوا في الدائم من رسالتهم شيئا، ثم زاد من فرص فهمهم لهذه المسألة أن الدائم وهو القرآن كتب فور نزوله وحيا ولم يُفقد منه شيء أو يتوارى خلف تفسيرات تكون بديلة عنه، أما المؤقت عند المسلمين فقد كان معظمه في السنة النبوية وهي مصدر الخلاف عند المسلمين، وتفسيراتهم لها كتفسيرات اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل. أضف إلى هذا أن الوعي التراكمي الذي استفاده المسلمون من التاريخ ومن معطيات العلم في عصرهم جعلهم يقدمون تفسيراتهم منفصلة عن النص وعن السنة النبوية ذاتها، ولهذا وجدنا أن معظم أخطاء المسلمين العلمية لا تنسب للوحي، وإنما تنسب للعلماء والمفسرين الذين أضافوا تفسيرات تتناقض مع العلم وتتعارض مع استمرار الرسالة، وحينما يكتشف المسلمون هذا الخطأ يصرحون به في الأغلب الأعم، فلو لم يكن تفسيرهم هذا منفصلا عن ذات النص الموحى به لالتبس الأمر وأصبح ينسب الخطأ للوحي ذاته، ولما أمكنهم تجنب أن ينسب للوحي تعارض مع العلم، ويضرب مثلا على ذلك تفسيرهم الخاطئ لكلمة يوم في حديث الله تعالى عن خلق السموات والأرض في ستة أيام، حيث يفسرون كلمة يوم بمعنى ليل ونهار في حين أن تفسيره الأقرب إلى الصواب في هذه الآيات وغيرها ويمكن فهمه في العصر الحديث هو دورة أو طور من أطوار الخلق والإيجاد، وهذا هو الفارق الجوهري بين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى، فلهذا أفلتت رسالة الإسلام من التناقض وعجت رسالة اليهود والنصارى بالتناقضات ومعارضة العلم الحديث.



الشيخ عثمان بن سند

(١٧٦٦-١٨٢٦م)



من انتهام برمضان تحسب وتركه ذوق الملح ايضا ينسب

فذوقه بكره حيث نعلم سلامة السبق والاحترام

وان يقوم رمضان ندبا لكونه فيه النبي رغبا

فالحمد لله الذي اتمه فهو ولي كاحسبي نعمه

ثم الصلاة والسلام الشامل على الذي به الكمال كل كامل

محمد والآل والصحب الاولى بحبهم نقص العلوم كملا

تمت بعون الله وحسن توفيقه بيد الفقير المنطرح بحضرة ربه

المنكسر خاطره لقلة العمل والتقوى احمد بن عبد اللطيف بن عيسى بن

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

عدنان الرومي

هو العالم الجليل الشيخ عثمان بن سند بن محمد بن أحمد بن راشد بن حمد بن ناصر بن راشد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن مدلج بن حمد بن رباع، والبورباع من عنزة القبيلة المشهورة، وكان جدهم الأول قد سكن في قرية التويم في سدير، ثم نزح إلى بلدة حريملة التي أسسها جدهم راشد بن رباع، وقد سافر أجداده وعشيرته لطلب الرزق إلى نجد والعراق والكويت والشام، وكانت لهم إقامة في «هيت» على ضفة نهر الفرات، ولهم فيها موانئ وأملاك.وقد انتقل أهل الشيخ إلى منطقة الخليج العامرة بالتجارة وسكنوا جزيرة فيلكا، وترددوا على البصرة، ومنها الى العراق سعيا وراء التجارة، وقد استوطن بعضهم البصرة، وما يؤكده والد الشيخ عبدالله السند، ان مولد الشيخ عثمان السند كان في فيلكا.

ولد الشيخ عثمان في جزيرة فيلكا في قرية الدشت الواقعة على الشاطئ الغربي اقرب الى الجنوب منها الى الشمال عام ١١٨٠هـ- ١٧٦٦م، ونشأ وشب في البصرة، وتلقى على مشايخها علومه الأولى.

تكوينه العلمي والشرعي

نشأ نشأة فاضلة، كما ينشأ أبناء الجزيرة العربية، في بيئة علمية، شابا نشيط الشباب، حاد الذكاء مشبوبه، قوي الحافظة، خصب القريحة، وله طبيعة كالينبوع تتدفق بالخصب، ونفس طلعة كلفة بالعلم كلفا، تدعوان إلى الدهشة والإعجاب، فأقبل على كتاب الله فاستظهره حفظًا وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وقواعد الإعراب ثم شرع في طلب العلم بهمة عالية ونشاط ومثابرة، ويقرر صاحب كتاب «روضة الناظر» أنه تعلم علومه الأولى في نجد، والذي يترجح عندنا أنه تلقى تلك العلوم في جزيرة فيلكا والبصرة.

شيوخه

١- الشيخ محمد اسعد الحيدري، مفتي الحنفية والشافعية.

٢- الشيخ محمد الحياني، قاضي بغداد في وقته.

٣- الشيخ علي بن الملا محمد بن عبدالله السويدي البغدادي، أبوالمعالي من أبرز علماء بغداد في عصره توفي ١٢٣٣هـ، وله تصانيف عدة، وقرأ عليه الشيخ عثمان أغلب العلوم.

٤- الشيخ العلامة زين العابدين جمل الليل المدني أبوعبدالرحمن السيد علوي بن السيد باحسن، قرأ عليه أوائل الكتب الستة.

٥- الشيخ عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي أبومحمد الملقب بـ«سيبويه الثاني» (١١٦١-١٢١٣هـ)، من كبار علماء الإحساء.

٦- الشيخ موسى بن سميكة العالم البغدادي الحنبلي الزاهد والمتوفى ١٢٣٣هـ، قرأ عليه رواية حفص وشعبة.

٧- الشيخ صبغة الله بن مصطفى الكردي، قرأ عليه بعضا من كتاب الشفا للقاضي عياض.

٨- الشيخ خالد النقشبندي.

مذهبه

كان الشيخ مالكي المذهب وله منظومة في فقة المذهب.

تلاميذه

من أبرز تلاميذه الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني، المدرس بالحرم الشريف، وهو الذي اختصر كتاب ابن سند «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» وعلق عليه.

* باحث في التراث الكويتي

مؤلفاته

١- شرح النخبة في أصول الحديث.

٢- أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد، ويعني به النقشبندي صاحب الطريقة، وهو كتاب له قيمة وفيه فوائد نفيسة أدبية وتاريخية لا توجد في غيره، ومن يطلع عليه يتبين له سعة اطلاع الشيخ، ونضوج عقله، وجزالة نظمه.

٣- منظم الجوهر في مدائح حمير.

٤- فكاهة السامر وقرة الناظر، وهي وسائل أدبية.

٥- نسمات السحر وروضة الفكر.

٦- نظم قواعد الإعراب وله فيها غزل بديع.

٧- مغني اللبيب في النحو، منظومة في خمسة آلاف بيت.

٨- نظم جوهرة التوحيد المسماة بهادي السعيد.

٩- نظم التحفة في الحساب وشرحها.

١٠- الصارم القرضاب في نحر من سب الأصحاب، منظومة في ألفي بيت، وهي رد على الشاعر الشيعي دعبل الخزاعي، المتوفى عام ١٢٤٦هـ- ١٨٦٠م، وقد ألفها الشيخ سنة ١٢١٨هـ.

١١- الكافي في العروض والقوافي (منظومة).

١٢- عوامل الجرجاني وشرحها (منظومة).

١٣- الشافية في علم التصريف.

١٤- ورقات الإمام الجويني في أصول الفقه (منظومة مع شرحها).

١٥- منظومة في مدح خير البرية ﷺ.

١٦- منظومة في مدح إمام السنة أحمد بن حنبل.

١٧- منظومة في فقه السادة المالكية، واسمها «الدرة الثمينة والواضحة المبينة في مذهب عالم المدينة».

١٨- الغشيان عن مقالة الإنسان في النحو تحتوي على ٢٤٧ صفحة.

١٩- رسالة في كسر همزة إن وفتحها، منظومة في ٤٢ بيتا.

٢٠- تعليقات على شرح الكافية للرضي الاسترباذي.

٢١- منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة.

٢٢- كشف الزبد عن سلسال المدد (بحث عن العدد تذكيره وتأنيثه).

٢٣- نظم الأزهرية للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري.

٢٤- منظومة في البلاغة.

٢٥- الجوهر الفريد في العروض.

٢٦- السلسل الصافي (منظومة في علم القوافي).

٢٧- الفائض في علم الفرائض.

٢٩- مطالع السعود في تاريخ داود.

٣٠- سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد.

كذلك يوجد مؤلفات مخطوطة أصلية في خزانة وزارة الأوقاف الكويتية وهي:

١- جيد العروض.

٢- بهجة البصر نظم نخبة الفكر.

٣- قصيدة في مدح داود باشا والي بغداد.

٤- زهرة المجتاز وفرقد الساري إلى المجاز.

٥- الفقرات المذهبة وزينة المسائل الملقبة.

٦- الواضحة المبنية حسن معاني الدرة الثمينة.

٧- قواعد سنية.

٨- الشذرات الفاخرة نظم الورقات الناضرة.

٩- رسالة عثمان بن سند إلى أولاد الشيخ خلف مع أولاد أخيه.

١٠- قصيدة في اهداء نظم متن الورقات.

١١- هداية الجيران في كشف عوامل الجرجاني.

١٢- نظم العوامل.

التدريس

نزل ابن سند البصرة سنة ١٢٢٠هـ الموافق ١٨٠٥م، ودرس بجامع الكواري سنين، وبالمدرسة المحمودية، ثم جمع بين المحمودية والخليلية عام ١٢٢٧هـ الموافق ١٨١٢م، ودرس بالمدرسة الرحمانية في البصرة، فذاع صيته في البصرة وفي غيرها من حواضر العالم الإسلامي.

شعره ونماذج منه

كان الشيخ من المكثرين من نظم الشعر والمطيلين فيه، حيث تبلغ القصيدة من نظمه مائتي بيت، ولو جمع شعره الذي أورد بعضه في تواريخه «مطالع السعود»، و«سبائك العسجد»، و«أصفى الموارد»، لجاء ديوانا ضخما يضعه في طليعة شعراء عصره، وشعره في الغالب من هذا النوع الجزل الضخم الذي يملأ الفم ويقرع الأذن، ولكنه حبيب إلى النفوس التي ألفت شدة الأسر وتذوقت جمال الفصاحة عند فصحاء البادية في عصور عز العربية.

ومن نماذج شعره أبيات ضمنها كتابه «نيل السعود» قوله في ذم الدهر:

شكوت فما اشكاني الدهر إنني
لفي حيرة من ريبه وصروفه
كأني قرن للزمان محارب
إذا رمت سلما سل حمر سيوفه
سقى كل ذي جهل بكأس حياته
وذا العلم أرواه بكأس حتوفه
فلأنك بدر كامل في ضيائه
إذا تم بدر حان وقت كسوفه

وفاته

وقع الاختلاف في وفاته، وفي تعيين مكانها، وزمانها، فقيل في البصرة، وقيل في بغداد، ودفن قرب المرقد المعروف- خطأ- باسم زبيدة زوج الرشيد، أما زمان وفاته فقيل سنة ١٢٤٠هـ و١٢٤٢هـ، و١٢٤٦هـ و١٢٤٧هـ و١٢٤٨هـ و١٢٥٠هـ على ست روايات فمن الترجيح بغير مرجع ما جزم به بعضهم في تعيين سنة ١٢٤٢ لوفاته ليستقيم له بتصحيح هذه الدعوى دعوى نقصان الكتاب «مطالع السعود»، وهي أبعد ما تكون عن الصواب ما لم يقم على توكيدها الدليل.

الطوارق..لا هوية ولا وطن

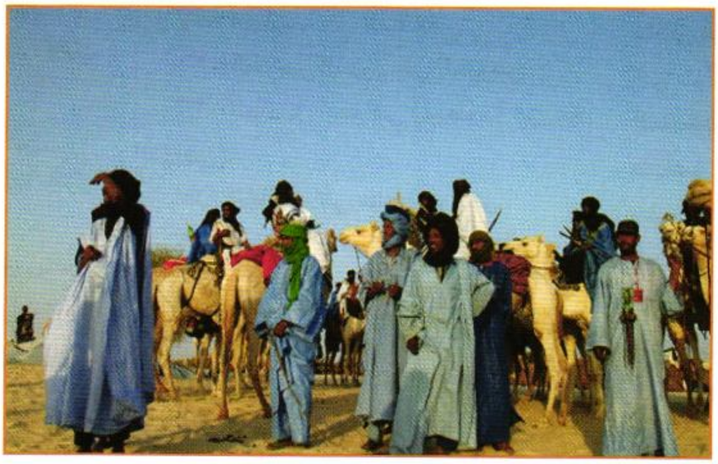
عادل صديق

الطوارق TOUAREGS أو الزرق الملثمون، كانت عادتهم ارتداء ثياب صبغت بالنيلة الزرقاء «الزهرة»، ولا يمنع هذا التقليد البعض من «التغيير» وهم شعوب الصحراء الكبرى كما يرى البعض الذين يحاولون عزلهم عن أصولهم العربية، فيقول هؤلاء عنهم: إن تاريخهم يعود إلى أجدادهم «البربر» الذين كانوا يعيشون على امتداد الساحل الشمالي لإفريقيا منذ خمسة آلاف سنة، وانتشروا في الصحراء الكبرى وهيمنوا على طرق التجارة في الشمال الإفريقي.

عرف الطوارق أنهم سادة الصحراء بلا منازع.. وأنهم الزرق الملثمون، لقد كانوا يواجهون منذ القدم صعوبات جمة من التأقلم مع الآخرين تضاف لصعوبات الحياة القاسية في قلب الصحراء، عاش البعض في المدن بعد أن غزت المدنية كل شيء، وبعد أن طرق الغرباء بلادهم.

عرفوا في الكتابات القديمة بالليبو، أو الليبيين، حيث حكموا مصر في عهد شيشوق الأول، وقد شهدت مصر على أيديهم نهضة لم تر مثلها، كما تروي بعض المصادر، ففي عهد الفراعنة: رمسيس الثاني، والثالث استولى أجداد الطوارق على الدلتا وأسسوا الدولة المالكة الثانية والعشرين، وأشهر ملوكها شيشوق الأول، كما أسسوا أيضًا المملكة النبطية التي كانت تمتد من جنوب مصر إلى أراضي الحبشة.

وكان شيشوق هذا - فيما أورد جيمس برستد- قويا وشجاعا نهض بمصر وعزم على استرجاع عزها القديم وتاريخها المجيد، وكان له ذلك، لذلك يعتقد «غوتيه» أن الطارقي هو الذي أثر في المصري أولا، ونجد من يعارض هذا الرأي من الباحثين.



البدو الرحل

ويرتحل الطوارق فوق إبلهم رفقة طويلة، فهم معا، قائد وسفين فوق أمواج الرمال وسط واحدة من أشد قفار العالم وحشة، وهي الصحراء الكبرى في شمال إفريقيا. وهم خبراء في الإبل التي تعد عماد حياتهم، أما من يعيشون منهم في الحافة الجنوبية للصحراء، فهم فرسان لا يشق لهم غبار، وقد استطاع الطوارق السيطرة على القوافل القديمة، فيما بين حافة الصحراء الشرقية وبحيرة تشاد، وأصبحوا مرهوبي الجانب، تخشاهم كل شعوب الصحراء.

لا يدري الكثيرون عن تاريخهم شيئا، وإن كانوا ارتبطوا بالاحتفالات التراثية كنماذج بشرية توشك أن تتلاشى مع زحف المدنية، على غرار بقايا الشعوب التي كانت ثم بادت، والآثار التي توجد في كل مكان، فهم الآن فقدوا كثيرا من عاداتهم وخصائصهم، وهم قيد زحف المعطيات التي تغزو كل شيء من ثوابت الحياة، وهناك محاولات من الحكومات لتوطينهم على غرار شعوب الإسكيمو والهنود الحمر وسكان استراليا، وشعوب جنوب إفريقيا، فتركوا مواطنهم الأصلية وسكنوا في أطراف وقيعان المدن.

العروبة هل هي رافد واحد؟

الاسم «الطوارق» يعود إلى كلمة «تارقة» التي تعود إلى منطقة فزان في ليبيا، وهناك اعتقاد خاطئ في العالم العربي، وبخاصة تلك الدول التي تقع في الشمال الإفريقي منه، أن الطوارق ينسبون للقائد العربي المسلم الشهير طارق بن زياد لكونه من أصول بربرية.. ولكن التسمية يرجح أنها تأتي من «تماشق» أو «تمازغ» وتعني بلغة البربر «الرجال الأحرار» وإن كان الاسم ظهر بعد وجودهم في المكان، وربما كان للأصل اللغوي دورٌ في إطلاق الاسم عليهم فهم سريعو التنقل، وربما ينزلون منزلا في بعض من الليل، ويغيرون على أعدائهم بطريقة خاطفة تدعم اللثام الذي يبث الرعب في قلوب أعدائهم بليل، هكذا يروي تراثهم الذي وصل، لقد حط بعض أجداد هؤلاء الرحل مع الهجرات العربية أثناء الفتوح الإسلامية، ويذكر أنهم يعودون إلى الجزيرة العربية ومنطقة اليمن بالتحديد حيث قبائل «حِمْيَر» حيث يظهر هذا في ملامح سحنتهم العربية، ولكن اختلطوا مع شعوب المنطقة فأخذوا من ألوانهم مثل: قبائل الهوسا، والماندينج، والفولاني وكلها من القبائل الإفريقية المسلمة المتاخمة للصحراء الكبرى الإفريقية، ولكن ربما كانت الأصول العربية رافدا واحدا من روافد متعددة تصب في معين «الطوارق».

أقسام الطوارق

يقسم المختصون الطوارق إلى بدو الصحراء وتتركز غالبيتهم في منطقة «فزان» ومدينة غدامس بليبيا وجنوب الجزائر

• باحث في التاريخ

وتونس، والقسم الآخر يتمثل في طوارق الساحل المتركزين في مدينة يلمدن بمنطقة طاوة بدولة النيجر ومدينة تمبكتو عند منعطف نهر النيجر بدولة مالي، وتمتد أفخاذهم إلى موريتانيا ولكن بصورة قليلة.

وهناك من الطوارق أصحاب اللسان الأمازيغي وينتمون إلى قبيلة صنهاجة القديمة، وتحديدا فروعها: مسوفة وغدالة ولمتونة، وهي ذات القبائل التي ينتمي إليها المرابطون مؤسسو الدولة التي تحمل ذات الاسم، وهي واحدة من أكبر الإمبراطوريات المغربية عبر التاريخ. وإضافة إلى الطوارق البربر، فإن اسم الطوارق، تنضوي تحته قبائل عربية، أقامت سلطانا في الصحراء، تتكون في الأساس من قبائل هاجرت صوب الصحراء في العهد المغربي الذي امتد سلطانه إلى ثنية نهر النيجر في تمبكتو. كما ذكرنا. وهذه القبائل اندمجت مع الطوارق إلى درجة أن بعضها تحول عن اللغة العربية إلى لسان الطوارق من طول الجوار، وبقيت آثار لتدل على متانة العلاقة بين الإسلام وهذه الشعوب، وبقي البعض محافظا على اللغة العربية بجانب اللغات المحلية.

لقد سيطروا على الشمال الإفريقي وجنوب الصحراء، ويتبعون مذهب الإمام مالك بن أنس، وفي فترة الفتوحات الإسلامية ساروا ومعهم الدعوة الإسلامية التي انتشرت، حيث وقف علماؤهم إلى جانب الدين الحق فنشروا تعاليمه السامية في أغوار الصحراء حتى مشارف خط الاستواء، ثم لجأوا إلى الصحراء لأنهم يلتمسون فيها الحماية، وسرعة إرهاق الدخلاء عند أي بادرة عداء، خاصة حين نشط الاستعمار واكتشف أنهم مقاتلون شديدو المراس.

هناك اعتقاد خاطئ بأن الطوارق ينتسبون للقائد المسلم طارق بن زياد لكونه من أصول بربريه

الاحتلال الفرنسي

لقد وقف الطوارق شوكة في حلق الاحتلال الفرنسي إبان احتلال الشمال الإفريقي حيث اضطر المستعمر إلى بناء حصون قوية وحاميات، وقد كان جنوده يقاتلون من وراء جدر يتحصنون فيها.

لقد كان لهم دور تاريخي قاموا به خير قيام، ولكن بدأ هذا الدور بالتلاشي رويدا رويدا، بل وصل إلى التهميش من قبل أرباب السياسة، فساهم هذا العداء لهم مع عدم انصياعهم للمتجبرين في تشتتهم في أكثر من دولة إفريقية منذ القدم، واحتضنت النيجر الكثافة الأكبر من شعب الطوارق، وبحلول القرن الرابع عشر أصبح الطوارق أقوى المجموعات البشرية تجارة ونفوذا في تلك المنطقة، وكانوا يقومون بنقل البضائع النفيسة عبر الصحراء مثل الذهب والعاج والأبنوس والتوابل إضافة إلى التمور والملح، وتنامت في تلك الفترة قوتهم وأنشأوا دولتهم في المنطقة الوسطى من النيجر، وأطلقوا عليها اسم سلطنة العير وكانت لهم عاصمة في مدينة أغادير، وسيطروا على التجارة حتى عام ١٩٠٠م ولكن سيطر الفرنسيون على مناطق غرب إفريقيا فانتهت دولتهم.

عادات لا تفارق الطوارق

بقيت بعض العادات القديمة من زي له تاريخ، وهجر للمدن، ولا يرون بديلا عن الصحراء، والطوارق لهم خصوصية ارتداء الرجل للثام الطارقي كأثر لطبيعة البادية والحرب التي كانت مرتبطة بهم منذ حقب تاريخية قديمة، لهم حياة قائمة على الترحال، والصحراء الكبرى الإفريقية ميدانهم حيث تشكل طبيعتهم. ورغم أن الطوارق يعيشون الآن من تجارة التمر، والحبوب، ويسكن الكثير منهم المدن فإنهم لا يزالون يحتفظون بأسلحتهم القديمة مثل رماحهم الطويلة وسيوفهم ذات الحدين، ودروعهم الجلدية الكبيرة كتراث لا يستغنى عنه، ولهم عادات لا يفارقونها، مما يعد أخلاقيات نادرة الآن، فتستطيع أن تعتمد عليهم في الوفاء بديونهم وعهودهم، كما أنك تستطيع أن تثق بكلمة الطوارق، وهناك مثل عندهم يقول «إن جهنم نفسها تمقت عدم الشرف» والآن يحملون أسلحة نارية بل بنادق متعددة الطلقات.

لغات الطوارق

لا يتحدث الطوارق لغة موحدة، وإن كانت اللغة البربرية التي تأثرت باللهجة القرشية هي السائدة، ولكن نلحظ التأثر باللغات الإفريقية التي يتحدث بها سكان الشعوب التي سكن الطوارق أرضها وعايشوا شعبها، وصارت بينها وبين الطوارق علاقة مصاهرة. ليس اللقب طارقي هو الذي يميز صاحبه عن غيره من المواطنين، فالطارقي له سمات عربية تحكي قصة أصوله، فلا تخدع لون البشرة التي غيرتها المصاهرة، لقد استوطن الكثيرون حوض النيجر، وتوارث قليلا عادات الصحراء التي كانوا يبقون عليها.

منظمات مشبوهة

كثير من المنظمات العاملة في الصحراء الكبرى وجدوا ضالتهم في شعب الصحراء كمرشدين، أو عمال وسائقين في المحميات الطبيعية، والمناجم، ولكن بدأت المنظمات التبشيرية تحيك لهم الخطط لإبعادهم عن دينهم وتقاليدهم في سبيل تنصيرهم، وإن كان ذلك أخذ بعدا آخر في بلدان الحزام الطارقي بإلحاق بعضهم في الوظائف، وأبنائهم في المدارس، ورويدا يتم تذويبهم في سلك العمل مع الإرساليات الأجنبية ليحدث السقوط كما حدث في تشاد، والنيجر، والجزائر ومالي، والجنوب الليبي.

كان هدف الحملات التنصيرية الغربية يتجاوز هذا الحد إلى العمل من أجل تنصير الشريط الصحراوي الفاصل بين شمال إفريقيا العربي المسلم وغرب إفريقيا الأسود المسلم، والممتد من شرق جمهورية النيجر إلى حدود مالي مع موريتانيا، لقد تعاملت الكثير من المنظمات التي اتخذت من الصبغة الدولية غطاء لإخراج أبناء الكثير من أبناء القبائل التي تعيش على الرعي من الإسلام بوازع الاحتياج للدعم الإغاثي، والطبي، لقد تعاملوا معهم بكثير من الانتهازية، فالكثير من المؤسسات الإغاثية الغربية تعمل في التنصير مع مدها يد العون للجوعى.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

أولوية الانشغال

يعيش المجتمع الإنساني اليوم حالة من التيه والضياع نتيجة ممارسات الإنسان، واحتكار الدول الكبرى لخيرات الأمم الضعيفة، والانحراف عن الطبيعة والفطرة البشرية.

ولعل ذلك يؤكد فشل الجهود التربوية والمدارس والفلسفات التعليمية الغربية الحديثة في إنقاذ الإنسانية من الظلم والظلام والدمار والاضمحلال.

هذا الأمر يستدعي دائمًا البحث عن الحلول الجذرية لواقعنا المتردي، ونحن نعلم أن الإسلام قد شرع منهجًا ربانيًا متكاملًا يلائم فطرة الإنسان لبناء الشخصية الإنسانية بناء متزنًا.

فلا سعادة ولا استقرار ولا طمأنينة إلا بتربية النفس والمجتمع على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده، تربيته على أن يحكم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته، خاصة أن الفطرة الإنسانية خلقت سوية مستقيمة ولو بقيت على ذلك ما أشركت ولا أفسدت، والعوج فيها طارئ لا أصيل.

فمن العجيب أن نجد علماء ومفكرين ومثقفين وقادة رأي باعوا وطنهم ودينهم ومبادئهم نظير مال أو جاه أو سلطة وكل هذا سينقضي عاجلًا أو آجلًا.

لذا ينبغي الأخذ في الاعتبار أن علاج النفس البشرية قد يكون أصعب من علاج الحجر الصلد أو الحديد ذي البأس الشديد.

إن التربية الإسلامية رسخت أطرًا للأخلاق الإنسانية تمثلت في منظومة متكاملة قابلة للتطبيق في أي زمان ومكان، فتكوين الأخلاق يهزم نوازع الضعف ووساوس الهوى ويبني الشخصيات المتزنة ويشكل الهوية الفطرية.

ويمكن القول: إن البيئة الصالحة تساهم بشكل كبير في تطبيق المفهوم الإسلامي التربوي لأن تكوين البراعم الصالحة المؤدية لحقوق الله وحقوق البشر يقتضي هيمنة ورقابة على نظام الدولة بأكمله.

ولعل التجربة التركية في الإصلاح الاجتماعي في النصف الأخير من القرن الماضي تحمل معاني عميقة ورؤى دقيقة توضح أن المسلمين عندما انشغلوا بتزكية أنفسهم وتنميتها بما يرضي الله، والعمل على مضاعفة رصيدهم من التقوى والأدب، والعمل بما يجعلهم أسياد البرية في هذا الكون، كانت لهم العقبى وأقبلت الدنيا عليهم وباتوا على وشك السيادة الكاملة.. فهل من مدكر؟!

إن أساس سعادة البشرية اليوم يكمن في الإسلام، فمتى حكم وساد وجدت قواعد التقدم والرقي لاسيما أن التاريخ ليس سجل معارك بقدر ما هو عقائد وأخلاق استطاعت تطويع الحياة للقيم الإنسانية.

وقد حكي عن بعض السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه التجربة أثبتها الإسلام على مدار تاريخه.

هكذا ينبغي أن نربي براعمنا وناشئينا على العواطف الربانية والحقائق الإسلامية باعتدال واتزان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (العنكبوت: ٦٩).

والله ولي التوفيق.



مزيدًا من الرقابة المدروسة

سؤال يتردد كثيرًا على ألسنة التربويين والإعلاميين والمفكرين وغيرهم ومفاده: على من تقع مسؤولية بناء الأجيال من البنين والبنات في عصر العولمة وعصر تدفق المعلومات؟

هل هي مسؤولية التربويين أم مسؤولية الاعلاميين أم مسؤولية منظمات المجتمع المدني أم مسؤولية الأسرة؟

إن الجواب على هذا التساؤل سهل للغاية، فالمسؤولية مشتركة بين جميع هذه الأطراف، وإن كانت مهمة الأسرة مهمة مباشرة وأساسية في هذا الأمر، فعلى عاتق الأبوين تقع مسؤولية رقابية خطيرة للغاية، وأي خلل في هذه المسؤولية ينتج عنه نتائج عكسية.

إن الرقابة المدروسة والمتوازنة التي لا تقف عائقًا أمام حرية العقل هي أساس البناء المتماسك وهي أساس التغيير والتجديد، والإسلام دعا إلى إعمال العقل في كل ما يحيط بالإنسان، فالآية ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ وردت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم بنفس الصيغة (الرعد: ٣، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣) إضافة إلى أن كلمة الفهم ومشتقاتها وردت ٨٥٠ مرة في القرآن الكريم وهذا يؤكد أن جوهر دين الإسلام هو العقل، والعلم هو سبيل أجيالنا للإبداع والمساهمة الايجابية في التنمية المحيطة، فهل يدرك الأبوان هذه المسؤولية العظيمة؟

المحرر

انتبه.. لست وحدك تربي ولدك

يخطئ من يظن أن الوالدين هما الجهة الوحيدة المسؤولة عن تربية الأبناء، فهناك جهات عديدة تشارك في ذلك ولا يقل دورها عن دور الوالدين بل ربما يزيد، فنذكر من هذه الجهات:

أولا: المدرسة

فالمدرسة هي البيئة الأخرى التي يمكث فيها الطفل معظم اليوم، حيث تكون فترة إقامته في المدرسة أطول من إقامته في البيت.

والمدرسة بها أطفال آخرون وفدوا من بيئات مختلفة وورثوا عادات وتقاليد مختلفة ولديهم أفكار مختلفة، فالاحتكاك هنا له دور مهم جدًا، حيث يتعلم الطفل من هؤلاء سلوكاتهم، والسلوك مرآة الفكر ويمكث معهم فترة ليست بالقصيرة على مدار اليوم وعلى مدار السنين الطوال في العملية التعليمية.

فالمعلم قدوة للأطفال يقتبسون منه جميع الخصال حسنها وسيئها لأنهم يرونه مثلا لهم، فالمعلم له دور بارز في تربية الطفل فهو يسمع له ويستجيب حتى ولو كانت تعليماته مخالفة لتعليمات الوالدين، فالمعلم تعليماته غالبًا هي التي تنفذ، والتلاميذ غالبًا ما يقلدون معلميهم في حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم، فالمعلم له تأثير مباشر على التلاميذ وعلى تربيتهم.

وكذلك المناهج الدراسية التي لها نصيب الأسد في التربية، فهل هي مناهج إسلامية تنهج المنهج الاسلامي في اتباع شرع الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ والسلف الصالح؟ أم هي مناهج وطنية قومية حزبية لها نزعة عنصرية؟ فالمناهج أيضا لها دور بارز في تربية الأطفال.. المدرسة ككل لها دور بارز لا يستهان به في التربية.

ثانيًا: الراديو والتلفاز

الراديو والتلفاز لهما دور خطير جدًا في تربية الأطفال، فبالرغم من أنهما ينبغي أن يكونا مصدر إشعاع ومعرفة وثقافة في تربية النشء إلا أن العدو اتخذهما سلاحًا من أسلحته الفتاكة غير المباشرة للقضاء على القاعدة العريضة من الأمة الإسلامية ممثلة في أطفالها وشبابها، فإن الأعداء يعقدون الجلسات بالليل والنهار والسر والجهار للقضاء على شباب الإسلام.

فلقد كتب اليهود في البروتوكولات أنه لكي تقام دولة اليهود العالمية لابد من إفساد الناشئة، ولذلك كان حرصهم التركيز على كل الطوائف وعلى الأطفال بصفة خاصة، واستطاعوا أن يدسوا السم في صورة مسلسلات خرافية خيالية كافرة تهدف إلى زرع عقيدة فاسدة للأطفال والشباب معًا مثل غراندايزر، أندايزر، الرجل الحديدي، العملاق الأخضر، ومنها ما هو بين الحيوانات مثل سلاحف النينجا، والبوكيمون، أو بين غزاة الفضاء وسكان الأرض أو الكواكب الأخرى وفيها العري وعدم ستر العورات وتعليم الأولاد الحب وأن الخلوة بالأجانب ليست محرمة وأن الفواحش عملية سهلة وميسورة ولا عقاب على من يرتكبها، بل يكون في نظرهم بطلاً إذا خطف سيدة من آخرين، ويزيد المشكلة سوءا أن الإقبال على هذه البرامج شديد، لأن السم فيها معروض بطريقة جذابة للصغار والكبار.

كيف تربي ولدًا صالحًا؟

إن هذه البرامج لها دور بارز في تربية الأطفال التربية الخاطئة والتي تهدم العقيدة الراسخة ولا تبني إلا جيلًا منهزمًا.. والله المستعان.

والتلفاز أصبح الآن ليس قاصرًا على برامجنا العربية، بل ازداد الأمر سوءًا حيث دخلت القنوات الأوروبية الفاجرة وأصبحت بثًا مباشرًا، ويا لها من حرب مدمرة للعقيدة والمبادئ والقيم والأخلاق، فهذه القنوات تبث السم الزعاف ليل نهار بلا هوادة وهي حرب معلنة وليست خفية، فباتت من أخطر الحروب على شباب الإسلام وعلى النشء المسلم بخاصة، فينبغي للمسلم أن يحمي أولاده وأولاد المسلمين من هذه المخاطر



سليمان الرومي

المدمرة وعلى الإعلام العربي أن يستيقظ لهذه الحرب ويستغلها الاستغلال الأمثل لصالح الأمة الإسلامية ويبث ما ينشر الإسلام ويحمي المسلمين.

ثالثا: الانترنت

لقد أصبحت العفة والشرف في هذه الوسيلة كلمات لا وجود لها في قاموس المعلومات البشرية، ففي هذه الوسيلة برامج ومواقع خاصة لعرض الجنس عرضًا مثيرًا للشباب والفتيات ممن يقعون في شباك الرذيلة مما يؤدي إلى دمار الشباب، وهذه أهم أهداف الحرب المعلنة على الإسلام وشباب المسلمين من قبل اليهود.

وكان من آثار هذه الوسيلة ان اصبحت الدول الأوروبية والعربية الاسلامية تعاني من مآس مريرة، منها على سبيل المثال: أنه أصبح لدى اسبانيا وحدها ١٨,٠٠٠ مراهقة تحمل سفاحًا كل عام أعمارهن دون التسعة عشر عامًا ومنهن ٧٠٠٠ يلجأن إلى الاجهاض وما يقرب من ٨٠٠ بنت منهن تتراوح أعمارهن ما بين أحد عشر عامًا وخمسة عشر عامًا، وكذلك في فرنسا ومعظم الدول الأوروبية، ولم تقتصر هذه الآثار على الدول الغربية بل تعدتها إلى بلداننا الإسلامية الحبيبة فنجد منها ما تفشت فيه الرذيلة، ومنها ما انتشرت فيه ظاهرة الزواج العرفي الذي هو في حقيقته زنى مقنَّع ومخالف لشريعتنا السمحاء، فعليك أخي المربي حماية أولادك من هذا الخطر المدمر.

رابعًا: الهاتف

حيث يستغله بعض السفلة العاطلين من

* سكرتير التحرير

الذئاب البشرية من الشباب والفتيات الذين غابت عنهم المتابعة وغابت عنهم عين الأب والمربي ومات ضميرهم واتبعوا الشهوات وطرق القنوات المدمرة استغلالاً سيئًا، وهؤلاء ليس لهم هم إلا استخراج واستدراج العفيفات الشريفات من خدورهن إلى سبل الرذيلة وبعدها تدمر العفة والشرف وتهوي الأسر وتتصدع، ذلك كله يبدأ من كلمة في هاتف من شاب إلى فتاة بريئة لا تعرف الخبث ولا تعرف الكذب والخداع، وتحت ستار واهم اسمه الحب يستخرجها من بيتها، ومن شرفها وعفتها تحت ستار التهديد إن أبت بعد أن سجل لها المكالمة، وبعد خروجها وعودتها بدون شرفها وعرضها وعفتها يلفظها، لقد نال مطلبه وبعدها لا يعرفها وبذلك انتهت قصتها وحياتها، كل ذلك بسبب كلمة واحدة في هاتف كان المفترض أن يكون متابعًا من الأب أو الأم أو الأسرة ولا تترك للأبناء الحبل على الغارب ثم بعدها تندم حين لا ينفع الندم.

قصة واقعية

قالت: كانت البداية مكالمة هاتفية عفوية تطورت إلى قصة حب وهمية، أوهمني أنه يحبني وسيتقدم لخطبتي.. وطلب رؤيتي.. رفضت.

هددني بالهجر، بقطع العلاقة.. ضعفت.. أرسلت له صورتي مع رسالة وردية معطرة، توالت الرسائل.. طلب مني أن أخرج معه، رفضت بشدة، هددني بالصور... بالرسائل المعطرة.. بصوتي في الهاتف، وقد كان يسجله، خرجت معه على أن أعود في أسرع وقت ممكن، لقد عدت ولكن عدت وأنا أحمل العار، قلت له الزواج.. الفضيحة.

قال لي بكل احتقار وسخرية: إني لا أتزوج بفاجرة!

فكن أخي المربي أشد حرصًا على أولادك وخوفًا عليهم من هذا الوباء الموجود في غرفهم.. الهاتف.

خامسًا: المجلات وقصص الأطفال

فالقصص والمجلات لها دور مهم وبارز في بناء فكر وعقائد الأطفال، ولذلك اهتم بها القرآن الكريم وذكر العديد من القصص القرآنية، منها قصة بقرة بني إسرائيل وقصة فتية أهل الكهف وقصة أصحاب الجنة في سورة الكهف وقصة الصراع بين الخير والشر بين قابيل وهابيل وقصص الأمم السابقة وما حدث لها نتيجة عصيانها أوامر ربها سبحانه وتعالى، وجميع قصص الأنبياء والمرسلين، وبالاضافة للقصص القرآني فهناك القصص النبوي الصحيح الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ ليعلم أصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين، فالمجلة والقصة تشاركان معًا في تربية الأطفال.

نعم.. هذه المجلات والقصص لها دور في تربية الأطفال، فالقصة لها نصيب كبير من حب الأطفال فهم يحرصون عليها ويحبونها ففيها التسلية والتشويق والمرح والفكاهة والشجاعة والأمانة.

واستغلالاً لحب الأطفال للقصص والمجلات التي تحتوي عليها، امتلأت الساحة بالعديد من الصور والوسائل التي تستهوي الأطفال وتفسد عقولهم وتلوث فطرتهم، وهذه المجلات للأسف عربية وتصدر من بلاد عربية، ولكن تصدر عن الالحاد والإباحية والنصرانية، وهذه المجلات أنواع منها الاجنبية المترجمة بالعربية ومنشورة في البلاد بالعربية ومنها مجلات من إنتاج عربي وتحتوي على أهداف قومية وثقافات وطنية حزبية بعيدة عن القيم الدينية والإسلامية وتركز على الأهداف الفكرية والجمالية والفنية والفوازير والمراسلات إلا ما رحم ربك من مجلات عربية إسلامية وهي قليل.

سادسًا: الأصدقاء

الصديق له دور عظيم في تربية صديقه وتعليمه مبادئ ومفاهيم لا يستطيع غرسها فيه الوالدان.

فنحن نرى المنهج الإسلامي يهتم بالصديق في مصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ (الكهف:٢٨) وقال تعالى: ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدًا﴾ (الكهف:٦٦)، وقال تعالى﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا. لقد أضلني عن الذكر..﴾ (الفرقان: ٢٨-٢٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (الترمذي وأبوداود)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي» (الترمذي وأبوداود)، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما ان تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة» (مسلم).

فمن الواضح من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أن الصديق له تأثير كبير على صديقه، فهو مرآته يأخذ منه الصفات والعادات والأفكار التي تكاد تؤثر على تربية الأسرة وتبدلها تبديلًا.

وكما يقول في المثل العامي «الصاحب ساحب».

قال الشاعر:

فكل قرين بالمقارن يقتدي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

وقال آخر:

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم

فيا أخي المربي: اختر لولدك الصديق الصالح كما تختار له أفضل الأطعمة وارقى الملابس وأحسنها.

سابعًا: الخادمات

فالخادمات لهن أثر في تربية الأولاد، فالخادمة تمكث مع الطفل قدرًا طويلًا من الوقت وفي أي مرحلة.. إنها من أخطر مراحل حياة الطفل، فهي مرحلة البناء الفكري والعقدي والعاطفي.

فالخادمة لها تأثير خطير على الطفل حيث إنها تتناول الطفل عند البكاء وتهيئ له وقت الراحة وتهيئ له اللعب وتلبي حاجاته كلها، ولا يراعى أتصلح للتربية أم لا تصلح؟ وبذلك يكون تأثيرها على الطفل مباشرا فهي الملجأ (في نظره) الوحيد له في غياب والديه أو في حضورهم، إذن أصبح لها مكانة كبيرة في حياة الطفل، ومن هنا تبدأ تبث فكرها وعقيدتها وعاداتها وميراثها الاجتماعي وتغرسه في عقيدة الطفل وفي سلوكه، ومنهن كافرات يعبدن النار والبقر وغير ذلك، وإن كن مسلمات فلهن عادات وتقاليد تقارب الشرك بل هي شرك.

والله تعالى أعلم.

ظاهرة خطيرة تتفشى في المجتمع الإسلامي وتهدد آلاف الأسر بالانهيار

«شات الإنترنت» الجاني الإلكتروني الجديد

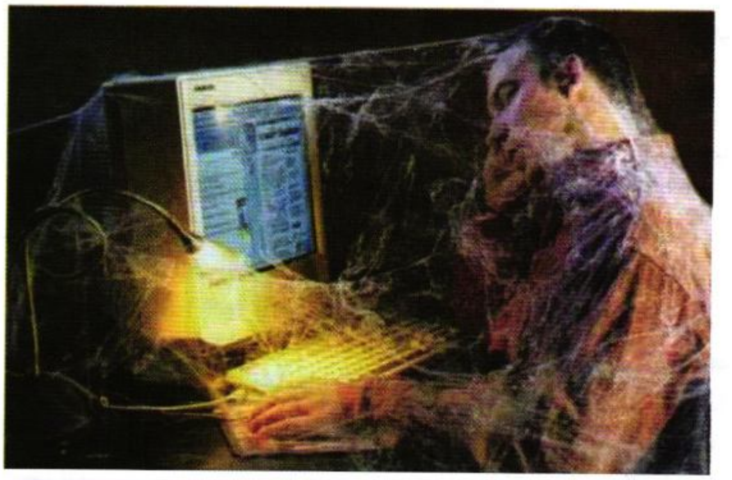
أحمد أبوزيد

مع انتشار شبكة الإنترنت ووصولها إلى معظم البيوت عن طريق أجهزة الكمبيوتر الشخصية ومقاهي الإنترنت، بدأت تطفو على السطح ظاهرة جديدة وخطيرة على الأسرة المسلمة، وهي العلاقات الإلكترونية بين الرجال والنساء والشباب والفتيات، من خلال وسيلة لعينة هي «شات الإنترنت»، وبدأ آلاف الأزواج والزوجات يصرخون من الأثر الخطير لهذا الوافد الجديد على الأسرة والمجتمع، والذي ينتشر في البيوت انتشار النار في الهشيم، وبدأ يسهل الخيانة بين الأزواج والزوجات، خاصة أن مواقع الشات لها وقع السحر على بعض الناس.

فقد بدأ الإنترنت يلعب دورا خطيرا في العلاقات الاجتماعية بين البشر في دول العالم، وسهّل الانفتاح بين الجنسيات المختلفة، التي يتعارف أكثر أفرادها عبر غرف الدردشة المشهورة في العديد من مواقع الشبكة الدولية، وعبر البريد الإلكتروني، والمكالمات الصوتية، وقد نتج عن هذا الانفتاح بروز هذه الظاهرة الجديدة.

قام أطباء أميركيون بتقييم الأوضاع النفسية والعقلية لـ (١٤) من المستخدمين طويلًا لـ «الإنترنت» وكان معدل أعمارهم (٣٥) عامًا، وتم إجراء مقابلات معهم للتعرف على المشكلات التي واجهوها بالفعل، مثل العلاقات الاجتماعية الفاشلة، وفقدان الوظيفة، والطرد من المدرسة، وتبين أن أحدهم وعمره (٢١) عامًا كان يستخدم الإنترنت لأكثر من (١٠٠) ساعة في الأسبوع، ويهمل أسرته وأصدقاءه، ولا يتوقف إلا عند النوم فقط، وآخر عمره أيضًا (٢١) عامًا، كان قد اختفى لمدة أسبوع، وتم العثور عليه في مختبرات الحاسوب بالجامعة بعد أن أمضى (٧) أيام متواصلة على الإنترنت.

والمثال الصارخ في هذا الصدد هو المهندس الإلكتروني الأميركي هنري هيغنيز الذي اعتاد الإبحار عبر الإنترنت وجذبته المواقع الإباحية، وتدريجًا وجد نفسه مشدودًا إلى فتنة الأجساد، وبلغ به الحد إلى إنفاق أكثر من عشر ساعات يوميا في التنقل بين هذه المواقع المنتشرة بكثرة، وكان من نتيجة إدمانه تدهور أدائه المهني، وإصرار زوجته على الطلاق، وأعلن الأطباء أن هيغنيز مدمن، ودخل مصحة نفسية أنشئت عام ١٩٩٩م لعلاج هذا النوع من الإدمان.



زوجة كان «الشات» سببا في طلاقها وهدم بيتها تشكو همها إلى الله تعالى من هذا اللعين

سيدة الغربة

وأمامنا الكثير من القصص العربية الواقعية لمن وقعوا فريسة لهذا الجاني الإلكتروني الجديد من الأزواج والزوجات، أولها قصة سيدة متزوجة وتعيش في الغربة، وقد روت مأساتها بنفسها على أحد المواقع الإلكترونية، تقول: سأروي قصتي علها تكون عبرة لمن اعتبر، وأنا لا أطلب حلا أو نصيحة، فالحل من عند الله سبحانه وتعالى، هو وحده القادر على أن يزيح الغمة ويفرج الكربة.. فأنا سيدة متزوجة منذ ٢٢ عاما، ولي عدة أطفال من مختلف الأعمار، أعيش في الغربة من فترة بعيدة، مثقفة وأعمل بشكل جيد، وأدرس الماجستير الآن، وحياتي الزوجية لم تكن موفقة، وكان هناك كم من المشكلات، ولكنني تعاملت معها دوما، وتنازلت كثيرا لأبقي دفة المركب تسير بالمنزل والأولاد.

وفي يوم من الأيام كانت حالة الضيق قد وصلت إلى أوجها، وإذ بابني يقول لي إن أهلي في غرفة «الشات» يريدون الحديث معي، فجلست لأرى ما هذا الذي يقضي به الأولاد الساعات، فوجدتها طريقة مجانية للكلام مع الأهل وتبادل الأشواق، وانجذبت إليها، وإذا بشخص يكلمني من نفس بلدي فكلمته في حديث عام، وصرت كل يوم ألتقي بأهلي وبه أيضًا، وارتحت نفسيًا عندما بدأت أتكلم عن مشاكلي التي لا يعلمها إلا الله، خوفا من كلام الناس، وهذا شخص غريب عني، والحق، كان بارعا في

• كاتب صحافي

إدارة الحديث والتدرج به، وأنا كنت قمة في السذاجة، وخلال خمسة عشر يوما وجدت نفسي أطلب الطلاق، وفعلا طلقني زوجي الطلقة الثالثة، وكنت أسعد إنسانة، فقد تخلصت من الكابوس المسيطر على حياتي، وعشت- كما ظننت- قصة حب جميلة سافرت فيها إلى بلدي، وتعرفت على الشخص الذي أحببته وأحبني عبر «الشات» الإلكتروني.. ولكن المشكلة بدأت مع ظهور الحقائق، فهو يصغرني بعشرة أعوام، غير متزوج، ولن يتزوج يوما ما مثلي (أمّ أطفال مطلقة، وأكبر منه).

وأصبح الندم سياطا تجلدني في كل لحظة أقف فيها بين يدي الله، وفي كل لحظة أنظر إلى أطفالي الأمانة التي أضعتها في لحظة.. فخسائري اليوم.. مطلقة من زوج أخذ تعب العمر كله ومقدم الصداق ومؤخره.. ولم أحصل فقط إلا على حقيبة ملابس بعد ٢٢ عاما.. هذا الذي حصلت عليه من كل هذه السنين!!

والنتيجة فضيحة بين الأهل والأولاد بعد أن أبلغ زوجي الجميع أنني أحب شخصا من «الشات»، شخص تنصل مني وفر هاربا، فكل ما كان يريد اللعب والحب المجاني، سمعة أضعتها بعد تعب كل هذه السنين، وأطفال في رقبتي يرفض والدهم الإنفاق عليهم، ولم يوفر لهم حتى منزلا يؤويهم، وأنا في بلد الغربة أبحث عن عمل إضافي لأستطيع ستر نفسي وأولادي بالحد الأدنى.

كل ما أريد، أن أقول: إنني أشكو همي وبثي إلى الله تعالى من هذا الشات اللعين، ولا أدري إن كان هو الملوم أم نفسي الأمارة بالسوء؟ أم أشباه الرجال الذين أضاعوا الأمانات الواحدة تلو الأخرى؟ أم انقيادنا الأعمى لكل درن الغرب؟

آلاف الأزواج والزوجات يصرخون من الأثر الخطير لهذا الوافد الجديد

أما بالنسبة للشخص الذي أحببته فأحب أن أطمئن كل فتاة في عالمنا العربي أنه قد وجد حواء أخرى يلعب بها وبنفس الطريقة ونفس الكلام الذي بدأه معي، وأعلم هذا من بريده الذي لا يعلم أنني أعلم كلمته السرية، فهنيئا لي بهذه الخسارة وبهذه النهاية، ولكن عسى أن يكون فرج الله قريبا.

زوج حائر

وأمامنا قصة أخرى واقعية يرويها زوج حائر من البحرين، ونشرتها «شبكة الإسلام» على الإنترنت تحت عنوان «الخيانة الإلكترونية محاولة للفهم والتحليل» يقول: لقد علمت أن زوجتي تستخدم مواقع «الشات» الإلكتروني في ممارسة ما يسمى بالحب الإلكتروني.. تتحدث كتابة مع أغراب باسم مستعار، وتتجاذب معهم أطراف الحديث، وتتبادل عبارات الغزل، وعبارات تصف العلاقة بين رجل وامرأة. وقد واجهتها واعترفت، وطلبت السماح، ووعدت بأنها لن تلمس الكمبيوتر مرة أخرى.

وعلى أي حال فقد غيرت كلمة السر فلن تستطيع استعماله ثانية، وبدا لي أنها ندمت جدا.. يبدو أن الفراغ كان عاملا مشجعا، حيث إنها لا تعمل وليس لدينا أولاد بعد، ولكن لم أكن أتصور حدوث هذا منها أبدا. وبعد أن اعترفت توسلت وتذللت كثيرا أن أسامحها وامتنعت عن الطعام خمسة أيام حتى أغمي عليها، فقد كنت عازما على الطلاق.

ثم يقول: هي تصلي معظم الأوقات وترتدي الحجاب، ولكني لا أستطيع نسيان ما حدث، وبالكاد أقاوم رغبتي في تطليقها منذ حدث ذلك من ثلاثة أشهر، ولكني لم أعد أثق في تصرفاتها أبدا، وكلانا يعيش في عذاب مستمر بعد هذه الحادثة.

لو كانت الخيانة حقيقية لما ترددت لحظة في تطليقها، ولكن هذه خيانة خيالية في معظمها، ولكنها أيضا حقيقية، وتؤدي في أحايين كثيرة إلى الخيانة الحقيقية، ويكفي أنها أبدت استعدادها للخيانة الحقيقية.

فقد كانت تخاطب صديقاتها فقط على غرف «الشات» في أول الأمر، ثم أصبحت تتجاذب الحديث مع أي رجل، فيكفي أن تدخل إلى هذه الغرف باسم فتاة، وألف من يعرض الحديث.

حتى إنها كانت تتكلم مع اثنين أو ثلاثة في آن واحد، إن تكلم في الجنس لا بأس، كلام عادي لا بأس، يحاول التعارف لا بأس، يطلب البريد الإلكتروني لا بأس، هي جاهزة ببريد إلكتروني مستعار، حتى إنها أحيانا تتقمص شخصية رجل يبغي علاقة مع رجل آخر ليفعل به عمل قوم لوط من خلال الإنترنت والشات أيضا.

ومازال هذا الزوج حائرا ولا يدري ماذا يفعل، هل يطلق زوجته هذه أم يسامحها؟ ولكن مضمون رسالته يشير إلى أنه قد فقد الثقة بها من جراء ما فعلت عبر الشات اللعين.

وبعد.. فإننا أمام ظاهرة خطيرة، بدأت تتفشى في المجتمع الإسلامي، وتهدد آلاف الأسر بالانهيار، نتيجة لهذه العلاقات غير السوية، التي استحدثها الإنترنت، ووقع فريستها آلاف وربما ملايين الشباب من الجنسين، وكذلك الأزواج والزوجات، وهي قضية قيم وأخلاق وتربية في المقام الأول، فالإسلام دين العفة والطهارة ومكارم الأخلاق، وهو يرفض الغش والتدليس في العلاقات الاجتماعية، كما يرفض العلاقات غير السوية بين الرجل والمرأة، ولا يرضاها إلا في إطار الزواج الصحيح.

أما أن يصبح الإنترنت والشات وغرف الدردشة وسيلة لتسهيل الفجور والانحراف ونشر الرذيلة وإشاعة الفواحش في المجتمع الإسلامي وبين الذين آمنوا، فهذا أمر جد خطير، ويجب أن يكون لعلماء الأمة والمخلصين من خبراء الإنترنت والمربين والمفكرين وقفة ضد أخطار هذا الوافد الجديد، نسعى من خلالها إلى ترشيد استخدام الإنترنت، وتأصيل الضوابط الأخلاقية التي تحكم التعامل مع الشبكة، سواء من خلال غرف الدردشة أو غيرها، ونشر الوعي الديني بين الشباب من الجنسين حتى لا يقعوا فريسة سهلة للعلاقات الإلكترونية غير السوية.

طفلك فوضوي.. إليك الحل

منى الشريف

تذكر نصيحة مضيفي الطيران قبل الإقلاع، والتي ينبهونك فيها إلى ضرورة وضع قناع أوكسجين في حالة حدوث أي طارئ.. قبل أن تساعد طفلك على وضعه، من الأهم أن يكون التعامل مع عواطفنا محط أنظارنا أولًا، فكل ما عليك فعله هو الانتباه قبل كل شيء إلى نفسك، يقول د. وولف: قد لا يكون غضبك في حد ذاته هو المشكلة، وتكون المشكلة الأهم هي كيفية تعاملك مع غضبك هذا.. أن تقسم بألا تغضب أبدًا قد يكون شيئًا مستحيلًا، وسيجعلك تشعر باستياء كبير، إضافة إلى أن الأطفال يشعرون بانزعاجك حتى وإن حاولت أن تخفي هذا الأمر عنهم، كل ما عليك أن تفعله هو أن تحد من غضبك.

فإذا ما ترعرعت وسط عائلة صاخبة، كل من فيها يصرخ، فقد يصبح ضبط الطريقة التي قد تعبر فيها عن مشاعرك أمرًا شديد الصعوبة.. عليك أن تغير الطريقة التي تعبر بها عن غضبك من سلوكيات طفلك الفوضوي، فبإمكانك أن تعبر عن غضبك دون أن تقول له أية كلمة تجرحه.. هدئ أعصابك، فذلك سيساعدك - دون أدنى شك- على التعامل بطريقة جيدة مع الموقف، بالإضافة إلى أنه سيمنح طفلك فرصة لفهم ما تقوله.. تذكر: إذا ما صرخت في وجه طفلك، فقد يقوض الصراخ من عملية تعليم الطفل نفسه، فكل ما سيركز عليه هو غضبك وطريقة تعبيرك عنه، وسينسى الخطأ الذي ارتكبه.

نؤكد على كلا الوالدين أن يتفقا على نفس النظام والقوانين، فلا يجوز أن تتسامح الأم في موضوع معين ثم يأتي الأب ويناقضها كليًا في الموضوع نفسه!! إن الأبوين اللذين يشكلان جبهة موحدة فيما يخص الانضباط هما اللذان يحققان أفضل النتائج التربوية.. تبادل أنت وزوجتك الأفكار والمشاعر حول كيفية التصدي للسلوك السيئ.. إن النظام الأمثل هو أن ندع أيا من الطرفين سواء الأب أو الأم، المتواجد مع الطفل عند إساءة السلوك، لمعالجة الأمر كما يتراءى له، فعهد «انتظر حتى يعود والدك» يجب أن يكون قد انقضى منذ زمن بعيد؛ لأن مثل هذه العبارات تصور الأب على أنه «الرجل الشرير»، بالإضافة إلى أن هذا التهديد يخلق نوعًا من القلق غير المبرر لدى الطفل الذي كان يمكن من الأفضل أن ترد عليه الأم بشكل فوري قائلة: قلت لك ألا تضرب أخاك ولكنك ضربته ثانية، تعال واجلس معي واتركه يلعب لوحده في سلام.

لا تخضع قوانين وروتين الأسرة للحالة المزاجية للوالدين، فلا يجوز أن يتم التغاضي عن التزام الأبناء بالنظام حينما يكونان (أحدهما أو كلاهما) في حالة مزاجية طيبة، أو يتشددان في تنفيذ الأوامر مع أبنائهما إذا كانا في حالة سيئة! إن الشعار الدائم الذي يجب أن يتبعه أولياء الأمور هو «الاستمرارية والثبات»، فالأطفال يفكرون دائمًا بصورة منطقية، وهو ما يجعلهم يعتقدون بأنه إذا لم يكن



اختصاصية تربوية

الأب والأم يطبقان قوانينهما بصورة مستمرة فهذا يعني بأنهما لم يكونا جادين فيما قالاه.

تعاملا معه بصداقة، واحترما مشاعره ولا تستفزاه، بل تعاملا معه بهدوء وتسامح إلى حد كبير - طبعًا في حدود المعقول- وساويا بينه وبين إخوانه في النظرة والحنان وطريقة التعامل؛ فقد يكون كل ما يقوم به بدافع الغيرة من إخوته، والاهتمام بهم أكثر منه؛ لأنهم أكثر هدوءًا وذكاء ونظافة... إلخ، وتوقفا عن مقارنته بأحد.

لابد من تكرار متابعتنا للطفل، فهو يحتاج إلى التنبيه والتكرار عليه مرات عديدة لكي يفهم ويدرك ويتعود، فهذا الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يدرك مبدأ التكرار مع الأطفال، فيقول في معرض توجيهه لسلوك الآباء نحو أبنائهم: «عودوهم الخير فإن الخير عادة».

اربط العمل بالمتعة ليصبح وقعه على النفس أفضل، وهذا ينطبق على الترتيب والنظام، فإذا ما شعر الطفل بأهميته وبأنه عمل ممتع، فإنه يتبناه أيضًا، فاحرص دائمًا على أن يراك الطفل وأنت مستمتع بترتيب أوراقك في غرفتك، لكن اعلم أن ما قد يبدو لك غير منظم، قد يعتبره الطفل منظمًا ومرتبًا، فلا تنتقده دائمًا حتى لا تفقده ثقته بنفسه، بل شجعه وعلمه، وأشعره بالفخر بما يقوم به، فهو كلما تقدم في العمر تمكن من هذه المهارة.

حاول أن تجعل ابنك يحس ويتحمل مسؤولية الخطأ الذي قام به، بعد أن تتحدث إليه وتخبره عن سبب غضبك، واشرح له السبب الذي جعلك تطلب إليه شيئًا معينًا، والعواقب الحقيقية التي قد تنجم عن أي فعل يقوم به، بدلًا من أن تخبره عن الطريقة التي ستعاقبه بها.. أفهمه - مثلًا- بأنك لن تتمكن من إزالة آثار القلم. وكلما قل عمر طفلك قلت معه الكلمات التي يتعين عليك استخدامها لتوضح له الأمر.. انزل لمستوى طفلك وانظر إلى عينيه، ويجب أن

ينبغي ألاّ تخضع قوانين الأسرة للحالة المزاجية للوالدين

يستمع إلى الخطأ الذي قام به، وما كان يتعين عليه فعله لإصلاح خطئه، كأن تقول: ما كان عليك أن تكتب على الحائط، كان بإمكانك أن تأخذ ورقة إذا أردت الكتابة، أو ما كان يجب أن تأكلي قطعة الحلوى، فسيحين موعد العشاء بعد قليل، وانسي الأمر بعد ذلك.

وجه الطفل بعد قيامه بالسلوك الفوضوي مباشرة إلى ممارسة السلوك الصحيح المناسب، فإذا كان هذا السلوك متمثلا في التحدث دون استئذان، فالسلوك الذي ينبغي على الطفل تعلمه هو التحدث بطريقة مناسبة.. وهكذا.

استخدام طريقة الباب مفتوح أو مغلق، يمكن استخدام هذه الطريقة مع طفل واحد أو أكثر يشتركون في غرفة نوم واحدة، حيث يتم تفحص الغرفة في وقت متفق عليه مع الأطفال، فإذا كان وضعها مرضيا، أبقيت الباب مفتوحا، أما إذا لم يكن مرضيا، قمت بإغلاق الباب، والباب المغلق يعني أن الغرفة بحاجة لترتيب وعدم السماح للطفل بالخروج للعب إلا إذا كان الباب مفتوحا، إنها طريقة عملية يمكن استخدامها مع الأطفال.. إذا كان الباب مغلقا فعلى الأطفال تنظيف الغرفة قبل خروجهم للعب أو مشاهدة التلفزيون أو ما إلى ذلك.. وهذا النوع من الترتيب يؤدي إلى تجنب النقد اللفظي من قبل الأبوين والجدال الدفاعي من قبل الطفل.

عوِّديه - أيتها الأم الفاضلة- على النظام مرّة تلو الأخرى، وساعديه في تعليق ثيابه التي ألقاها في زوايا الغرفة.. قولي له: سأعلق لك ثيابك هذه المرّة، وساعدني في ذلك. وفي المرّات اللاحقة تستطيعين أن تشجِّعي طفلك على الترتيب مستفيدة من التجربة السابقة: هيا يا بطل.. أنت تستطيع أن ترتِّب غرفتك كما فعلت المرّة الماضية بنجاح.

ترتيب خزانة الطفل يعتبر من الأمور التي إن تمت، فسوف توفر عليك عزيزتي الأم وعلى الطفل الكثير من الوقت، ومن أجل هذا قومي بترتيب دوري للخزانة بمصاحبة الطفل.. اسأليه أثناء الترتيب عن طريقة الترتيب التي يرغب في أن تكون عليها خزانته.. ابدئي بنظرة فاحصة للخزانة، فإذا كانت مفتوحة فأخرجي منها الأشياء التي تحجب رؤيتك لقاع الخزانة.. تخلصي من الأشياء أو الملابس أو الألعاب غير المستعملة بالتبرع بها للجهات الخيرية، شجعي ابنك على فعل هذا؛ لتعلميه حب العطاء إلى جانب الترتيب، ثم تأتي المرحلة التي تقرران فيها معًا ما هي الأشياء التي يجب أن تعلق، وهل تعلق على الأرفف أم توضع في السلة داخل الخزانة؟

استخدم العلب والألوان.. هناك علاقة بين الألوان والترتيب، فالعلب والسلال الملونة، تُسهّل عمليتي التصنيف والترتيب للأم والطفل، بل تعطي روحًا طفولية للغرفة، لذا يمكن الاستعانة بالسلال الملونة الجاهزة، هذا بالإضافة إلى إمكانية تلوينها في المنزل، وذلك عن طريق رشها بالصبغ، ولكن تأكدي من خلوها من مادة الرصاص السامة.

أحيانًا يمكن ترك الطفل ليكتشف بنفسه مساوئ عدم تطبيق النظام؛ ليفهم من ذلك أهمية تطبيقه، فمثلًا إذا كنت تعانين من أن أطفالك لا يعيدون الأشياء إلى مكانها؛ فدعيهم ليبحثوا عنها بأنفسهم، وأعلميهم أن هذا الوقت الذي يضيع في البحث سيقتطع من وقت لعبهم وليس من وقت دراستهم.

اكتساب مهارة التنظيم في كل الأعمال، فالنظام لا يعني فقط غرفة مرتبة، وخزانة نظيفة، ولكنه يعني أيضًا: التفكير بنظام، والاستفادة من الوقت بنظام، وكل هذا يكتسبه الطفل بالممارسة، والصبر من قبل الوالدين، فالطفل منذ ولادته في حاجة إلى أن نعلمه النظام، فهناك نظام غذائي يُتبع لإطعامه، وهناك نظام لنومه، ونظام لأداء واجبه.

أسمى نماذج الوفاء الزوجي والأسري

د. ناصر سنة

كثيرًا ما نجد أزواجًا يجاملون ويحابون زوجتهم الثانية بذم وقدح الأولى، وخاصة إذا كانت تلكم الأولى في عداد الموتى، أو نجدهم لا يقدمون على الزواج مرة أخرى- بعد طلاق أو ترمل- منعًا لتكرار تلك التجربة التي يرونها غير موفقة.

وعلى الجانب الآخر لا تكاد تمر شهور معدودات على وفاة الزوج أو الطلاق منه حتى نشاهد ما حرص على اقتنائه من متعلقات شخصية، وأغراض منزلية، وكتب علمية وثقافية... إلخ، وهي تُحمل- لا لتهدى أو يُتبرع بها- بل لتباع بأبخس الأثمان، وإلى حيث لا رجعة، دونما إبقاء لشيء يحمل عبق الذكرى، وبرد الذكريات، أو حتى ذِكر محاسنه، وشكر عشرته، أو السكوت عن معايبه كلما ذُكر هذا الذي كان ملء السمع والبصر، ربان سفينة البيت، الذي حرص على إسعاد من فيه.. فأين هذا أو ذاك من أسمى آيات الوفاء الزوجي وأروع نماذج «شكر العشير» التي يضربها لنا نبينا محمد ﷺ وفاءً لأمنا خديجة، كما تصورها لنا أمنا أم سلمة رضي الله عنهما، فبعد وفاة أمنا خديجة رضي الله عنها، أول سيدة تزوجها نبينا محمد ﷺ، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي يومئذ بنت أربعين سنة (سن الأشد والحكمة)؟ عاشت معه إلى أن توفاها الله في الخامسة والستين من العمر، ومن بين فترات زواجه كانت تلك أطولها، وهي وإن كانت أسن منه ﷺ، إلا أنها كانت أقرب الزوجات إليه، فلم يتزوج غيرها طوال حياتها، وكانت أم ولده الذكور والإناث إلا إبراهيم.

لقد كان وفاء نبينا ﷺ لأمنا خديجة رضي الله عنها وفاءً بلا حدود، وأكرم به من وفاء! يحن إليها كثيرا، ويذكرها طويلا، ويسترجع فضائلها دومًا، ويكرم صويحباتها كرمًا، فكان إذا ذبح أو طبخ أهدى إليهن، إكرامًا لخديجة، وهي في قبرها! وإذا ذكرَها ذاكرُها في حضرة رسول الله ﷺ إذا به ﷺ يرق لها، ويذكرها، ويستغفر لها، ويذكر فضائلها حتى تأتيه عادية أو صارفة تقطع الحديث عن فضل خديجة! وأحيانا يحصل العكس، فإذا غارت أمنا عائشة ونالت من أمنا خديجة كما تنال المرأة من ضرتها فقالت: «عجوزٌ! قد أبدلك الله خيرا منها»، فيزيد رسول الله ﷺ في ذكرها ويكثر من الحديث عن فضلها أكثر وأكثر، بل ويعلنها على الملأ بعد وفاتها وفاء لها وردا لاعتبارها: «إني قد رزقت حبها» (صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٨).

كما أنه عقب يوم بدر، جاءت كل عشيرة تفتدي أسراها من المسلمين، وكان أبوالْعَاصِ بْن الرَّبِيعِ، زوج زينب بنت الرسول ﷺ، بيِن الأَسرى، وَكان الإسلام قد فرق بينه وبينها، وأرادت زينب الوفية بنت الوفية أن تنقذ زوجها من الأسر، علها تَرد له يدًا من أياديه البيضاء، يوم لم يسمع وشاية قريش، في بدايات نشر الدعوة والرسالة، بتطليقها وأبقى عليها، أو يشرح الله صدره للإسلام، وبينما الناسُ يتوافدون، كلٌ يدفع الفداء لقاء قبض أسيره، إذ بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لأمها خديجة، كانت أدخلتها بها على أبي العاص، وجيء بالمال والقلادة إلى رسول الله ﷺ لإطلاق الزوج الأسير، فلما وقعت عينا رسول الله ﷺ على قلادة خديجة، رَقّ لَهَا رِقّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ- يستسمح أصحابه: «إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدّوا عَلَيْهَا مَالَهَا، فَافْعَلُوا، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ. ففعلوا».

إن الجزاء من جنس العمل، فـ «للطاهرة خديجة» رضي الله عنها كان ذلك الفضل، وتلك المكانة عند رسول الله ﷺ، فهي التي عاشت معه حلو الحياة ومرها، و«أكثر الناس بلاءً الأنبياء» فكانت حصنه الداخلي، وركنه الشديد، وبمنزلة وزيره الصادق الأمين، والرفيق الأنيس والنصير.. نافحت ودافعت وتحدت وآزرت وساندت وشاركت وتفانت وواست الرسول في دعوته بكل ما لديها، وفي ظروف قلما يوجد فيها نصير أو مؤازر أو معين، فلم يكن ﷺ يسمع شيئًا من استهزاء وسباب وتكذيب إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، فسرعان ما ينسى الألم والحزن، إذ تمسح بيدها الحانية على قلبه، وتحملت، رضي الله عنها، تطليق بنتيها (رقية وأم كلثوم) مع بدايات نشر الدعوة،



• باحث أكاديمي

وكانت رضي الله عنها امرأة حاذقة في إدخال السرور على زوجها والتخفيف عنه، «لقد آمنت حين كفر الناس، وصدقت حين كّذب الناس، وآوت حين طرد الناس، وواست بالنفس والمال حين نفر الناس».

لـم يكـن ﷺ ينسـاهـا طـول حيـاتـه وبعد وفاتها، إذ كان يكثر ذكرها ويتصدق لها، وتروي أيضا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد» (صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٣٨٩).

لقد كانت أم المؤمنين السيدة خديجة رضـوان الله عليها النـموذج السـامي للقيم الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية تجاه زوجها ﷺ، فنعم المؤمنة الحامدة الشاكرة كانت، ونعم الصابرة المجاهدة المحتسبة كانت، ونعم الوفية الصادقة المخلصة كانت، فليت نساء المسلمين يقّفون أثرها، ويحذون حذوها، ويخطون خطاها، إن مثل تلكم الزوجة الصالحة التي تدفع زوجها إلى مدارج الإيمان، وتطبيق رسالة الله تعالى، فتخفف عنه أعباء الحياة، وتُشاركه آلامـه وأحـزانـه... لا تـقـدَّر بثمن: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو، ج٢، ص١٠٩٠)، و«خير النساء التي إذا نظرت إليـهـا سـرتـك، وإذا أمـرتـهـا أطـاعـتـك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» (رواه أبوهريرة رضـي الله عنه، مسند الطيالسي، ج١، ص٣٠٦)، وتلكم كـانـت مـن أهـم صفات السيدة خديجة رضي الله عنها.

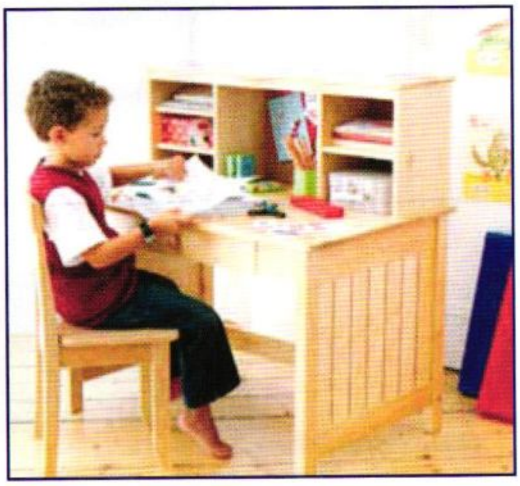
ما أروع هذه الزيجات، وتلكم الأسر! وكأن الله خلقها لتأتم بها الدنيا كلها، ويأتم بها كل زوجـة وزوج وأسـرة تريد إصـلاحـا وفـلاحًـا.. زيجـات ربانية كما أرادهـا الله، وكما طبقها رسوله ﷺ، فليعش رجالنا ونساؤنا وبناتنا في ظلال تلك السير.. الأنموذج للوفاء السامي، ولخيـر النساء وأكملهـن.. اللهم بلّغ رسولك منا السلام، ولأمنا خديجة، وأم سلمة، وجميع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن منا السلام، والحمد لله رب العالمين.

طفلك.. كيف يستذكر دروسه؟

أشرف سعد

في هذه الفترة من كل عام ينتاب كل أم القلق المصحوب بالتوتر على مستقبل طفلها، فهي تبحث دائمًا عن أفضل السبل التي توفر لطفلها جوًا هادئًا يساعده على الاستذكار أملا في تحقيق أفضل النتائج، لذلك ينصحنا أخصائيو التربية وعلم النفس باتباع الآتي:

أولًا:



يـجـب عـلـى الأم أن تهتم بـالـبـيـئـة الـتـي يـسـتـذكـر فيها الطفل دروسه باعتبارها عاملًا مهمـا، فبعض الطـلاب يجيد التركيز في جو يتميز بالعزلة والهدوء التام، وبعضهم بمقدوره المذاكرة في جو يشوبه صوت خفيف، لذلك عليها أن تعرف مـا يناسب طفلها، وتـوفـر في الغرفة التهوية الجيدة والإنارة الممتازة التي تجنب عيني الطفل الإجهاد.

ثانيًا:

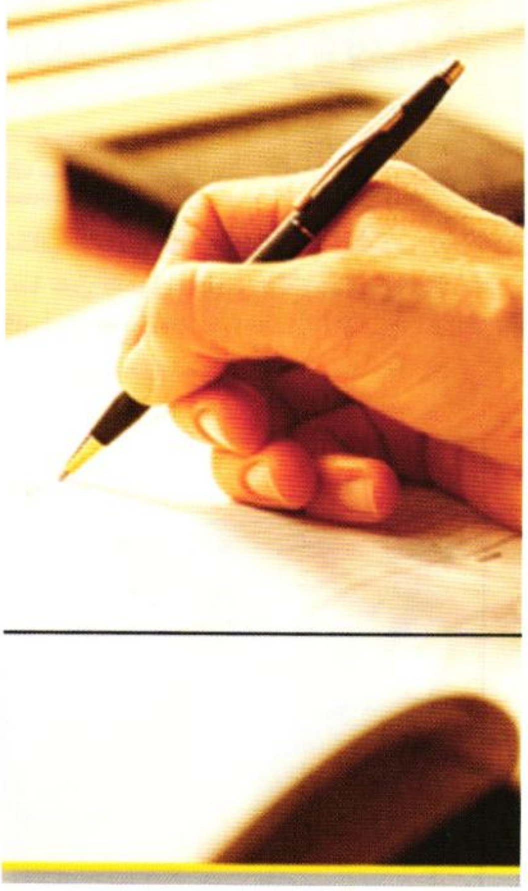
لا يعرف بعض الطلاب أنسب الأوقات للمذاكرة، لذلك على الأم أن تساعد طفلها في وضع خطة للمذاكرة تناسبه وتناسب قدراته، وتؤكد الأبحاث النفسية على أهمية اختيار الفترة الصباحية للاستذكار حيث يكون الذهن خلال فترة الصباح متيقظًا ونشطًا للغاية، على العكس من ذلك نجد أن الفترة المسائية تعكس قدر الطاقة المبذولة طوال النهار بالإضافة إلى تأثير تناول الوجبات الثقيلة على المعدة والذهن أثناء النهار، مما يقلل من الرغبة في المذاكرة خلال تلك الفترة.

ثالثًا: عدم إرهاق النفس

يوصي علماء التربية وعلم النفس بعدم المبالغة في زيادة عدد ساعات الاستذكار، لأن كثيرًا من الطلاب يظنون أن المبالغة في الاستذكار ليل نهار هي طريق النجاح، والأمر على النقيض، فعلى الطالب ألا يجهد نفسه جهدًا، ولا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل، وقد لوحظ أن المذاكرة المستمرة لا تناسب إلا عددًا قليلًا من الناس، لذلك يجب توفير استراحات قصيرة وسط أوقات المذاكرة، وينبغي أن يتمتع المرء بقدر من المرونة الكافية في تحديد أوقات المذاكرة.

وقد أشار مدير أبحاث الطفولة بالمركز القومي للتعليم والإحصاء بواشنطن «جيري وست» إلى أن الحالة التعليمية للأمهات تلعب دورًا كبيرًا في مدى تقدم الطفل في دراسته، فكلما زادت القدرات التعليمية للأم انعكس ذلك ايجابيا على الطفل أثناء دراسته.

لذلك على كل أم أن تبحث عن أفضل السبل التي تنمي بها قدرات طفلها التعليمية، وتوصيهم بالاجتهاد والجد في العمل حتى يحققوا أفضل النتائج.



نزعة التدين ومدى أصالتها في الفطرة البشرية

إلى أي حد تعد ظاهرة التدين ظاهرة عريقة في القدم؟ هل سبقت الحضارات المادية أم تأخرت عنها في الوجود أم اقترنت بها؟ إن علماء مقارنة الأديان قد أجمعوا على أن العقيدة الدينية قديمة قدم الإنسان، وأن تاريخ وجودها مساوق لتاريخ وجود الإنسان نفسه، بحيث يكون من الصعوبة التي تبلغ حد الاستحالة أن نفرق بين تاريخ الإنسان وتاريخ التدين أو الاعتقاد.

وإن الناظر في تاريخ الإنسان على ظهر هذا الكوكب لا يكاد يجد فترة من الفترات عاش فيها الإنسان عاطلاً من حلية الدين أو العقيدة أيا كان الشكل الذي ظهر عليه ذلك الدين، ومن ثم فلقد أصبح التراث الديني لدى الشعوب القديمة سمة وعلامة اعتمد عليها علماء الحضارات كدليل صادق لا يكذب في الحكم على هذه الشعوب من حيث الرقي أو الانحطاط والتخلف، ومن حيث التقارب والتماثل أو الاختلاف والتباعد بين شعب وآخر من هذه الشعوب في الثقافة والحضارة والفكر وسبل المعيشة والظروف الحياتية جملة.

ولم يكن ذلك إلا لأن هؤلاء العلماء قد وصلوا بعد بحث وتمحيص في تاريخ الإنسان إلى أن التدين وجد منذ وجد الإنسان نفسه.

عبدالعزيز وصفي

أهمية الذكرى واستيحاء الماضي

قد يطرأ على الإنسان في مراحل حياته تغيرات، قد لا يشعر بها ولكنها موجودة بالفعل، وهذه التغيرات قد تكون للأحسن أو للأسوأ، فتغير من ملامح حياته ومن تكويناته النفسية، ومن حسن فطانة العقل ورجاحته أن يكون دائم المراجعة لنفسه، ليقف على مداخلها ومخارجها، ويعرف دهاليزها ودروبها، وبذلك يكون قد أمسك بناصيتها فلا تفوت عليه شاردة ولا واردة.

قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ (الأعراف:٢٠١)، قال الطبري في تأويل هذه الآية: «يقول تعالى ذكره، إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ يقول: إذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب، أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده، وأبصروا الحق فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان.

وأما قوله ﴿فإذا هم مبصرون﴾ فإنه يعني: فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان، كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿فإذا هم مبصرون﴾ يقول: إذا هم منتهون عن المعصية، آخذون بأمر الله عاصون للشيطان» (الطبري:٩/١٥٩، ١٥٧).

والأيام التي تمر على النفس وهي في حالة جيدة يجب أن تراجع وتدرس بعناية حتى إذا أصابها الملل أوشعرت بشيء من الانتكاس عادت فقومت اعوجاجها، وهذا هو جمال الذكرى واستيحاء الماضي، فهو سراج منير في غياهب ودياجير الظلام.

محمد أحمد فتحي

أُمتي

أريد أن يكون سلامي مع عدوي سلام الشجعان، لا سلام الجبناء، سلام الأعزة لا سلام الأذلة، عدوي يحتل الأرض وينتهك العرض ويدنس المقدسات ويقتل الأطفال والشيوخ، عدوي يحرق ويسحق وينسف ويقصف وأنا واقف اشجب واستنكر وأدين وألهو وأعبث وأرقص وأقدم التنازلات الواحد تلو الآخر، عدوي يقف لي بالمرصاد، متفرجا، ضاحكا، حاقدا، ساخرا، مخططا ومنفذا البروتوكولات، أُريد أن أحرر، أريد أن أطهر، أريد أن أعمر، أريد أن أرفع هامتي، أريد أن تكون أمتي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر النور والعدل والرحمة والحرية في العالمين، أريد أن تكون قائدة ورائدة، وصدق الله العظيم حيث قال ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾

محمد علي الشريف

المسيحية في الإسلام

حقًا هو كتاب رائع، أقصد كتاب «المسيحية في الإسلام» لمؤلفه الاستاذ منير غبور، والذي دعاني إلى التعليق على هذا الكتاب ليس لأنه يؤسس للمواطنة ولكنني أردت في هذا التعليق أن أشيد بسعة علم المؤلف وخوضه في مجالات عديدة، وتحقيقًا لغاية المؤلف في دعم العلاقة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين يشير إلى نبوءة الرهبان المسيحيين بنبوة محمد ﷺ حيث بشره الراهب بحيرى بالنبوة بعد أن رأي على ظهره خاتم النبوة، وأشار إلى أن هذا الشاب سوف يكون له شأن عظيم ثم بعد ذلك بسنوات جلس الرسول ﷺ تحت شجرة حال عودته من رحلة التجارة بالشام فقال له الراهب بعد أن تطلع إلى الرسول ﷺ: هذه الشجرة لا يجلس تحتها إلا نبي، ويريد المؤلف بذلك أن يقول: إن كهنة المسيحية هم الذين بشروا بنبوة محمد ﷺ ولما بلغ النبي ﷺ من السن أربعين سنة نزل عليه الوحي يبشره جبريل بخطاب السماء إليه داعيًا إلى الإسلام في قومه ولما كان قومه منكرين لهذه الدعوة هاجر بعضهم إلى الحبشة حيث تدين بالمسيحية وأحسن النجاشي إلى المسلمين القادمين الفارين لياذا بالأمن لدى أصحاب الدين المسيحي في الحبشة.

كما أن الرسول ﷺ تسرى بقبطية أنجبت له ولدًا وهو إبراهيم الذي توفي بعد ذلك، كما أن النبي محمدا ﷺ يتحدّر من سلالة إسماعيل الذي ولد لأم مصرية قبطية وهو ما يؤكد التوافق التام بين الأمة المصرية وسائر المسلمين والمسيحيين لوجود رابطة أصيلة من الدماء المشتركة والأصول الثابتة بين عنصري الأمة المصرية.

كما أن المسيح -عليه السلام- في القرآن الكريم له مكانه سامية حرص النص القرآني على تناولها في أكثر من موضع وفي عديد من المناسبات.

محمد السيد عامر

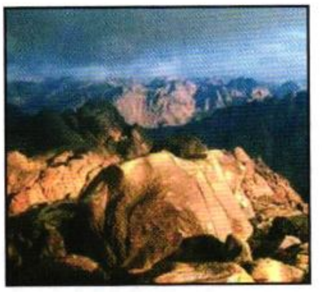
التوازن على كوكب الأرض في رسالة ماجستير

حازت الطالبة فاطمة بايزيد على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بتقدير جيد جدًا على رسالتها المعنونة «التوازن على كوكب الأرض» (الهواء، المادة، الذرة، الماء، ظاهرة تعاقب الليل النهار) بإشراف د.إبراهيم أدهم.

تتضمن الرسالة اثباتات علمية، جاءت تؤكد للجميع أن كل شيء في الطبيعة جاء في مكانه الصحيح تمامًا، وأن الله هو الذي أعطى كل شيء في عالم الوجود وجوده الكوني اللائق به، من حيث كمه وكيفه وزمانه ومكانه، أعطاه ذلك كله حسب ما يليق به، بمقتضى علمه الأزلي، من أجل تحقيق التوازن على الأرض.

كلية الإمام الأوزاعي

القرآن الكريم معجزة المعجزات



إن القرآن الكريم هو آخر كتاب سماوي نزل على منقذ الإنسانية وباعثها من سباتها العميق النبي محمد ﷺ، انه دستور المسلمين، فيه رحمة وشفاء وهداية، وقد حفظه الباري جلت قدرته، من كل تحريف وتزوير على مر الدهور وكر العصور، يقول الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

وقد بهر القرآن فصحاء العرب وخطباءهم وأدباءهم وشعراءهم وراحوا يغترفون من ينابيعه الأصيلة الصادقة التي لا تنضب، ولم يستطيعوا أن يأتوا ولو بسورة واحدة يقول الله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤)، ويقول الله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعًا﴾(الرعد:٣١)، ويقول أيضًا:﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

ويقول الله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ (لقمان: ٢٧).

إن إعجاز القرآن لم يخص الإنسان فحسب، بل تعدى ذلك إلى عالم الجن، فقد كانوا يستمعون إلى الذكر ويتعجبون لما فيه من الروعة والإعجاز والهداية والرشد، قال الله تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبًا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ (الجن: ١-٢).

إن قمة الإعجاز والروعة الذي يتضمنه القرآن الكريم هو شيء طبيعي ليس فيه تكلف ولا مبالغة لأنه كلام الله وهو يقتضي أن يكون في هذا المستوى الجليل المقدس وهذا الإعجاز المنقطع النظير، أما البشر فرغم ما يعرفونه من علوم وآداب وما ألفوه من كتب ومجلدات وما كتبوه من مخطوطات يبقى علمهم محدودًا، ومعرفتهم قليلة، إن فضل كتاب الله على سائر الكتب كفضل الشمس على سائر النجوم، ولو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

سومع عبدالسلام



إعداد: خالد خلاوي

كيف تضع رسالتك في الحياة؟

من أنا؟ وماذا أريد؟ وما رسالتي في الحياة؟ وأسئلة أخرى كثيرة تحتاج للإجابة عنها إلى وقفة متأنية مع النفس لتحدد موقفك الحالي في الحياة ورسالتك فيها، وما ينبغي أن تكون عليه، لتكون مؤثرًا فيها، ولا تكون زائدًا عليها على حد قول الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي يرحمه الله «إذا لم تزد شيئًا في الحياة فأنت زائد على الحياة».

إن حياتنا من صنع أفكارنا.. وأفكارك تساعدك على صياغة رسالتك في الحياة ووضع الأهداف التي تساعدك على العمل لهذه الرسالة، وما تعرفه عن نفسك وما رزقها الله من مواهب وإمكانيات وما يمكن أن تقدمه للمجتمع ولوطنك من أعمال هي التي تصنع رسالتك في الحياة وتوجهها وتبث في نفسك الهمة العالية لتحقيقها، فأصحاب الأعمال العظيمة لا ينامون ولا يهدأ لهم بال حتى تتحقق أهدافهم ويرون منجزاتهم، فالرسول ﷺ عرف رسالته وحددها وكان يعرفها بقوله «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (صححه الألباني

وقيل للقائد أبي مسلم الخراساني: مالك لا تنام ؟ قال: همة عارمة، وعزيمة ماضية، ونفس لا تقبل الضيم.

وصاحب الرسالة لا يضيع وقته هدرا، فكل يوم يمر عليه محسوب له لأنه يقترب من هدفه، بينما الآخر الذي ليس له هدف ولا غاية كل يوم يمر عليه محسوب عليه.

والآن: كيف تحدد رسالتك في الحياة؟ هناك طرق كثيرة منها طريقة تحديد الأهداف وصولا إلى الغاية، وذلك بأن



تجلس إلى نفسك وتحضر أوراقا وقلما وتكتب أهدافك في الحياة وتقسمها إلى أهداف إيمانية وأهداف اجتماعية وأهداف مالية وأهداف عملية وأهداف تعليمية، وتسجل ما تستطيع تحقيقه لنفع نفسك وأسرتك ومجتمعك سواء من خلال تخصصك المهني أو العلمي أو من خلال موهبة رزقك الله إياها، ولا تنس أن تضع خطة زمنية لتحقيق هذه الأهداف، والتي ستؤدي حتما إلى تحقيق الغاية العامة أو الرسالة والرؤية الواضحة لما أنت عليه الآن، وما يجب أن تكون عليه في المستقبل بمشيئة الله تعالى.

وهناك طريقة أخرى ينصح بها خبراء البرمجة اللغوية العصبية وهي طريقة الصعود، وقد شرحها د. صلاح الراشد في كتابه «كيف تخطط لحياتك» وتبدأ هذه الطريقة بأن تختار هدفا بسيطا تود تحقيقه خلال هذا الشهر أو السنة أو الأسبوع، وسوف نسمي هذا الهدف البسيط (حصيلة)، والآن، لا تجب بعقلك، فقط استشعر، تخيل أنك حصلت على هذه الحصيلة فعلاً ولتكن سيارة، فما الذي يحققه لك من أهداف أكثر أهمية من هذه الحصيلة؟

(اكتب ذلك) مثل أوفر الوقت الكثير (هدف ١)، وتخيل أنك فعلا بدأت توفر الوقت الكثير بالدرجة التي تريدها، فما الذي يحققه لك ذلك حتى أكثر أهمية؟ اكتب ذلك وليكن: أنتج أكثر، فما الذي يحققه لك حتى أكثر أهمية؟ ولتكن الإجابة: أشعر بالرضى٠٠وصلنا إلى (غاية)٠

إذن فالتمرين يبدأ بحصيلة ثم يعلو ليكون هدفا ثم يكبر ليكون غايات ثم يكبر ليصل إلى القمة وهي الحالة الجوهرية٠كيف تعرف أنك وصلت إلى الحالة الجوهرية؟ إذا وصلت إلى مرحلة لا ترى أو لا تشعر بأن هناك مرحلة بعدها، وعادة تكون هذه مرحلة ارتياح عام، وهدوء عجيب وانسجامية قصوى بين الروح والعقل والجسد.

فالسعادة.. النجاح.. هذه غايات وليست حالة جوهرية، ولكن الحالة الجوهرية مثل: حب الرسول ﷺ، الحب المطلق، رضا الله، أحس أني جزء من الكون.

ويجب أن تقوم بالتمرين بشكل وجداني وليس ذهنيا.

الآن قم باختيار هدف لكل جانب من جوانب الحياة المختلفة، الجانب الروحي،



والجسدي والعلمي والاجتماعي والمالي... الخ، وقم بعمل التمرين لكل واحد منها.

وقد يكون للحصيلة الواحدة أكثر من هدف وأكثر من غاية.

ضع الآن كل جانب من هذه الجوانب في عمود وابدأ من أسفل واصعد عند كل مرحلة تصل إليها حتى تصل للحالة الجوهرية، ثم انظر في منطقة الأهداف والغايات، فقط ضع دائرة أو علامة حول المتكرر منها، أي كلمة ذكرت أكثر من مرة فهي متكررة، دون هذه المتكررات ثم اكتب من هذه الأهداف والغايات المتكررة رسالتك.

الآن أنت لديك رسالة، لكن انظر إليها وأضف بعض التعديلات عليها مثل: ضمن نفسك في الرسالة، لا تنس الآخرين، تفحص الغايات الأخرى مثل مساعدة الآخرين وتنوير حياة الناس وابدأ بأصحاب الحقوق عليك كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن لنفسك عليك حقا، ولزوجك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه» (رواه البخاري)، والمنطلق لكل ذلك الغاية الكبرى وهي إرضاء الله عز وجل.

إذن محتوى الرسالة هو:

١- ربك.

٢-نفسك.

٣- الآخرون.

٤- غايات أخرى.

وابدأ على الفور تنفيذ رسالتك، واسع لتحقيق حلمك، ولا تنس أن تجدد النية مع كل عمل «فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى».

صور من حياة المتميزين

الإمام البخاري ورسالته في الحياة

حدد الإمام البخاري رسالته في الحياة بناء على ما وهبه الله من ذاكرة حديدية وظفها في عمل جليل وهو جمع الصحيح من حديث رسول الله ﷺ في كتاب واحد، وظل يعمل لتحقيق رسالته تلك ستة عشر عاما بجد ودأب حتى تحقق الحلم بتمام كتاب «الجامع الصحيح» المعروف بـ«صحيح البخاري» والذي عده العلماء أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

يقول الإمام البخاري في قصة تأليفه «الجامع الصحيح»: «كنت عند إسحق بن راهويه فقال بعض أصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب».

وقع الأمر في قلبه وأصبحت له عزيمة قوية في نفسه وهمة عالية جعلته يعمل ستة عشر عاما ينتقل بين البلدان في جمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية، وعمل دؤوب، وصبر على البحث، وكان لا يدون الحديث إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين، ويروي أحد تلامذته أنه بات عنده ذات ليلة فأحصى عليه أنه يقوم بالليل يوقد السراج يستذكر أشياء يعلق عليها في تدوين الأحاديث عدة مرات وبلغت في ليلة ثماني عشرة مرة، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: كان أبوعبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها، وهكذا صاحب الرسالة يعيش بها ولها ويجافي النوم من أجلها حتى يتحقق حلمه في الدنيا وينال الأجر بمشيئة الله تعالى في الآخرة.

كلمات في التميز

- ليكن هدفك بلوغ القمر، حتى إن فشلت في الوصول إليه ستحط بين النجوم.

- الأعمال العظيمة تتحقق ليس بالقوة إنما بالإصرار.

- الأبطال لا يصنعون بفعل النوادي، الأبطال يصنعون نتيجة شيء عميق في داخلهم، الرغبة، الحلم، والرؤية.

- ركّز اهتمامك على عمل واحد، وانغمس فيه واحترق به واعشقه لتكن مبدعا.

- يلوم الناس ظروفهم على ما هم فيه من حال.. ولكني لا أؤمن بالظروف، فالناجحون في هذه الدنيا أناس بحثوا عن الظروف التي يريدونها، فإذا لم يجدوها وضعوها بأنفسهم.

- مَنْ كانت عنده همة متوقدة، ونفس متوثبة، ونشاط موار، وصبر دائم، فهو الفريد.

إعداد: هالة محمد

انفجار كوكب قد يبيد الأرض

يقول علماء أميركيون ان الحياة على وجه الأرض قد تباد قريبًا بانفجار نجم يبعد عن كوكبنا بأكثر من ٣ آلاف سنة ضوئية.

وذكر علماء فلك من جامعة فيلانوفا بفلادلفيا، أن النجم «تي بكسديس» مهيأ للتدمير الذاتي في انفجار بالغ الضخامة يدعى «سوبرنوفا» ستبلغ قوته ٢٠ مليار مليار ميجاطن من مادة «تي ان تي» شديدة الانفجار، بحسب تقرير لشبكة «سي إن إن».

وعلى الرغم من المسافة التي تفصل الأرض عن النجم، وتقدر بنحو ٣٢٦٠ سنة ضوئية، وهي مدة قصيرة نسبيًّا مقارنة بالمصطلحات الكونية، فإن الطاقة العنيفة التي سيولدها الانفجار النووي الحراري thermonuclear قد تزيل تمامًا طبقة الأوزون، على ما أوردت «التلجراف» البريطانية عن العلماء.

وأوضح العلماء أنه وبحسب المعلومات الواردة من مسبار الأشعة فوق البنفسجية الدولي «فإن تي بكسديس» مكون في الأصل من نجمين يدعى أحدهما «القزم الأبيض» وهو يمتص الغازات وينمو باطراد ثم ينفجر تلقائياً عند بلوغ كتلته القصوى المحتملة لنجم وفي هذه الحالة يحدث انفجار عظيم. ويقول العلماء إن الانفجار المقبل تأخر عن موعده ما يقرب من ٢٠ عامًا وربما سيصبح النجم «سوبر نوفا» قريبًا، إلا أن قريبًا تعني أنه مازال هناك الكثير من الوقت.

طاقة منشطة جديدة

حصل الباحث المصري الأصل أحمد سلام بمدينة «مونتسر» الالمانية على براءة اختراع دولية لتصنيع مواد يمكن ان تمنح الانسان المزيد من القوة والطاقة، وتقوم فكرة د.سلام على اثنين من الأحماض الأمينية وهما «حامض أرجنين» و«حامض اسبارجين» اللذين يمثلان جزءًا مهمًا لعدد لا حصر له من المواد المكملة للأغذية التي يفضلها الكثير من الرياضيين.

التلوث يغير جنس الأسماك

ذكرت مجموعة من علماء البيئة في اميركا في تقرير لها حول نوعية الماء في نهر «بوتوماك» بواشنطن التي تتسبب في تغيير جنس السمك فيه وقد تؤثر على عملية «الأيض» لدى البشر.

وأضاف التقرير أن المياه باتت تحتوي على مواد كيميائية قادرة على إحداث تغييرات في نظام الغدد الصماء لدى الفقاريات كالسمك والبشر، واظهرت الدراسات على الجهاز التناسلي لدى الاسماك في النهر ان ٨٠ في المائة يملك الجهازين التناسليين الذكري والانثوي في آن.

وأشارت المجموعة الى ان كل مياه الشرب تقريبا التي تصل الى سكان العاصمة الفيدرالية مصدرها هذا النهر، حيث تنصب مواد ملوثة تحدث تغييرات في الجسم، وقد وجدت آثار من هذه المواد في بول الاطفال الذين يعيشون في المنطقة، وتوجد هذه المواد الملوثة في مبيدات وادوية بيطرية ومستحضرات تجميل.

الفضاء الخارجي مصدر معادن الأرض!

توصل علماء جيولوجيون كنديون وأميركيون الى أن أصل بعض الثروات المعدنية الكامنة في باطن الأرض يعود الى مصادر من خارج كوكب الأرض.

جاء ذلك في دراسة أجراها فريق بحثي مشترك من جامعة «تورنتو» الكندية وجامعة «ميريلاند» الأميركية.

وقال أستاذ الجيولوجيا بجامعة تورنتو، جيمس بريِنان، أحد المشاركين في الدراسة: إن درجات الحرارة الهائلة التي تشكل بها قلب الأرض منذ أكثر من أربعة مليارات عام انتزعت أي معادن نفيسة من مكانها في القشرة الصخرية للأرض، ورسبتها في قلب الكرة الأرضية.

وأضاف أن السؤال المترتب على ذلك هو لماذا توجد هناك تركيزات صالحة للاكتشاف والتعدين لمعادن نفيسة كالبلاتين والروديوم في الجزء الصخري من الأرض حاليا؟

وهذا السؤال هو ما حاولت الدراسة الاجابة عنه، وأشارت نتائجها الى ان هذه التركيزات المعدنية لا يمكن ان تكون قد استقرت في مكانها هناك في القشرة الصخرية الأرضية بسبب اي عملية داخلية من العمليات الجيولوجية المعروفة، وبدلا من ذلك، لابد أن تكون قد جاءت على الأرجح بعد ذلك من خلال أمطار حطام فضائي من خارج الأرض مثل المذنبات والنيازك.



الضغط النفسي يغير الجينات

نشرت مجلة «علم الاعصاب في الطبيعة» دراسة على الفئران، وتبين ان صغار الفئران التي تعرضت الى ضغط نفسي أنتجت هرمونًا غير جيناتها وأثر في سلوكها حين كبرت، وقال العالم الالماني «كريستوفر مور» من معهد «ماكس بلانك» لعلم النفس في ميونخ إن دراسته دخلت في التفاصيل الجزئية وأظهرت كيف تبرمج الضغوط النفسية التي تعانيها الفئران في صغرها سلوكها على المدى البعيد.

نيزك يتجه للاصطدام بالأرض



قال مدير وكالة الفضاء الدولية الروسية «أناتولي برمينوف» إن خطط المجلس العلمي التقني في روسيا دعت لإجراء اجتماع مغلق لمناقشة تجنب الارض الاصطدام الكارثي المحتمل بنيزك عملاق بعد ٢٦ سنة، واشار الى ان هذا الكوكب الذي يصل قطره الى ٣٥٠ مترا اذا اصطدم بالأرض اثناء مروره بالقرب منها عام ٢٠٣٦م سيخلق صحراء جديدة بحجم فرنسا إذ من المحتمل ان يقترب الكوكب مسافة ٣٠ ألف متر من الأرض عام ٢٠٢٩م أي اقرب من المحطات الفضائية الارضية على أن يصطدم بالأرض بعد سبع سنوات.

اللعاب يكشف أمراض المستقبل!

يأمل العلماء في أن يؤدي فحص سريع للعاب إلى تشخيص الأمراض في المستقبل بسهولة حسب وكالة يونايتد برس انترناشيونال (يو بي اي).

ويحتوي اللعاب على عدة بروتينات تلعب دورًا مهمًا في عملية الهضم ومكافحة الأمراض، بالاضافة الى القيام بوظائف مهمة للجسم، وقد يؤدي فحصها لاكتشاف الكثير من الأمراض عند الشيخوخة.

ويحاول الباحثون التوصل الى طريقة تساعدهم على استخدام هذه البروتينات لاجراء اختبارات سريعة بهدف معرفة الحالة الصحية للمرضى، ولذا فهم بحاجة الى معلومات مفصلة حول العوامل التي تؤثر في هذه البروتينات عند التقدم في العمر، لذلك حللوا عينة من لعاب نساء يتمتعن بصحة جيدة بعد تقسيمهن الى مجموعتين تتراوح أعمار افراد الأولى ما بين ٢٠ و٣٠ سنة، والثانية ما بين ٥٥ و٦٥ سنة، وتوصلوا من خلال الاختبارات الى وجود ٢٩٣ بروتينًا مختلفا عند هاتين المجموعتين وأن معظم البروتينات لعبت دورًا مهمًا في تقوية جهاز المناعة ضد الالتهابات، وأنه كان لدى النساء العجائز كمية بروتينات أكثر من تلك التي لنظيراتهن الأصغر عمرًا بحوالي مرتين.



من هنا وهناك

■ جزم فريق علمي ياباني بأن الشخص القادر على التمدد ولمس أصابع قدميه يتمتع جسديا بصحة أوفر من غير القادرين على ذلك خاصة بالنسبة لشرايين القلب التي ثبت ان ليونتها وقدرتها على التمدد مرتبطة بمرونة الجسم ككل.

■ اقترح طاقم علمي بريطاني ان يعالج خطر الاحتباس الحراري من خلال زرع مساحات واسعة جدًا بالنباتات التي تعكس اوراقها اشعة الشمس التي تغمر كرتنا الأرضية.

■ أثبتت واحدة من اهم الدراسات العلمية ان الامطار التي تسقط فوق اوروبا تحتوي على كميات كبيرة من العناصر السامة والمذابة في الماء بحيث يتعذر على الأهالي استخدامها لأغراض الشرب.

■ نصح اطباء بضرورة غسل الملابس الجديدة قبل استخدامها خاصة اذا كانت الملابس مخصصة للأطفال وذلك بسبب الكم الكبير من البكتيريا او الملوثات الكيميائية التي قد تكون ملتصقة بها.

■ أكدت دراسة حديثة ان اعادة تشجير الغابات في العالم من شأنه اعفاء كوكب الارض من المعاناة تحت وطأة ٧٠ جيجا طن من انبعاثات ثاني اكسيد الكربون حتى عام ٢٠٣٠م.

■ في دراسة جديدة أعدها علماء من قسم علم النفس في جامعة «سينسيناتي» البريطانية شملت ١٢ شخصًا بين الـ ٧٥ و٨٠ من العمر يعانون من بداية فقدان الذاكرة اظهرت ان من شرب نوعية جيدة من عصير العنب الأحمر طوال ١٢ اسبوعًا تحسن عند القيام بسلسلة من الاختبارات العقلية، ورجح العلماء ان المواد المضادة للتأكسد الموجودة في قشرة وعصير العنب هي التي تفيد الذاكرة.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فرض غرامة على المتأخر في سداد الدَّيْن

السؤال: إذا تم بيع بضاعة ما (سيارة، قطع غيار، إطارات) إلى أحد عملائنا وقد التزم هذا العميل بالسداد في تاريخ معين، ترتب عليه التزامنا تجاه الآخرين، فإذا تأخر هذا العميل عن السداد في الموعد المتفق عليه.. فهل يجوز لنا فرض غرامة تأخير بنسبة مئوية عن مدة التأخير؛ علمًا بأن غرضنا أن يلتزم العملاء بالمواعيد التي يتفقون معنا عليها في معاملاتهم مستقبلا.

الإجابة: لا يجوز فرض غرامة تأخير على العميل الذي لم يلتزم السداد في التاريخ المعين في العقد ولو بموافقته، لأن هذا من قبيل الربا الذي حرّمه القرآن الكريم.

وهناك بدائل مشروعة تشجع على التزام العملاء بسداد ما عليهم من ديون في مواعيدها، منها: إصدار الدولة قانونًا بفرض غرامة (عقوبة مالية) على المماطلين مع قدرتهم على السداد، وتؤول هذه الغرامات إلى الدولة للصرف في وجوه الخير والمرافق العامة، ولا يأخذها الدائن، أما المَدينون المُعسرون فلا يُفرَض عليهم أي غرامة؛ لقوله تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ (البقرة: ٢٨).

ومنها: أن يحُط الدائن جزءًا من الدين عن المدينين الذين يسدّدون ديونهم قبل مواعيدها أو في مواعيدها دون تأخير، وذلك من غير أن ينصّ على ذلك عقدُ المداينة أو في أي التزام لاحق؛ فإن نص على الحط في العقد أو وجد التزام لاحق لم يجز الحط؛ مثل أن يقول الدائن أو يعلن أنّ كلّ مَن سدّد في الموعد أو قبله يُحَط جزء من الدّين قلّ أو كثر؛ فإن قال ذلك للعملاء أو أعلنه لهم كان صورة من صور الربا المحرم. والله أعلم.

وقف أموال الزكاة

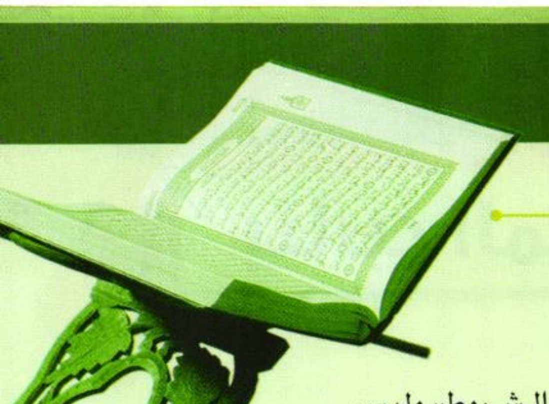
السؤال: لجنة خيرية ستقدم على مشروع تجاري، وهو إنشاء مدرسة خاصة أهلية؛ على أن يكون إيراد هذا المشروع وقفا لأعمال الخير وأعمال اللجنة، من توزيع المساعدات على المستحقين والفقراء داخل الكويت، فما حكم ذلك؟

الإجابة: لا يجوز وقف أموال أو أعيان الزكاة بل يجب صرفها وصرف ريعها، إن كان لها ريع، في المصارف الشرعية لها، ولكن إذا فاضت أموال الزكاة عن الحاجة الآنية فيجوز أن ينشأ بأموال الزكاة مشروع استثماري سواء أكان مدرسة أم غيرها، على أن تبقى أعيان المشروع من قبيل الأموال الزكوية القابلة للصرف عند تصفية المشروع، ولا يستفيد من ريع المشروع الزكوي إلا مستحقو الزكاة، وكذلك الأصل إذا جرت تصفيته، ولا مانع من قبول أولاد الأغنياء في المدرسة المنشأة من أموال الزكاة، وذلك بأجر لا يقل عن أجر المثل في المدارس الخاصة المماثلة لمستوى هذه المدرسة، ولا يجوز أن يعتبر المشروع الاستثماري المنشأ من أموال الزكاة وقفًا؛ لأن الوقف حبس للعين إلى الأبد والزكاة لا تحبس بل سبيلها الصرف عند قيام حاجة الفقراء والمساكين، ولا يجوز حرمانهم منها لأجل إنشاء المشاريع الاستثمارية. هذا، ولا مانع من إنشاء مدرسة أو غيرها من المشاريع الاستثمارية لتكون وقفا إذا كان تقديم الأموال من غير الزكاة لهذا المشروع.

الإقراض من مال الصدقة

السؤال: هل يجوز لهيئة خيرية تقديم قرض حسن للجنة خيرية لإقامة وقف خيري يعود ريعه لأعمال البر التي تشرف عليها اللجنة؛ شريطة أن يسدد المبلغ بصورة كاملة على أقساط إلى الجهة المقرضة؟

الإجابة: لا يجوز للهيئة أن تقرض جهة أخرى من مال الزكاة، ويجوز لها أن تقرض من أموال الصدقات والخيرات التي لم يعين أصحابها جهة صرفها، فإن كانت الصدقات معينة وجب صرفها في الجهة المعينة لأن الهيئة تعتبر وكيلة عن المتصدق. وترى اللجنة: أنّ اشتراط الهيئة رد المبلغ مقسطا اشتراط جائز.



حدود حرية الرأي في الإسلام

ما حكم الشريعة في الآتي:

١- الإضراب بنوعيه عن العمل وعن الطعام بشكل سلمي؟

٢- المظاهرات والمسيرات السلمية؟

٣- الاعتصام السلمي؟

الإجابة: لكل مسلم أن يعلن عن رأيه في أي أمر من أمور الحياة بكل الوسائل السلمية المشروعة المتاحة له، بشرط ألا يكون هذا الرأي مخالفًا لأحكام الشريعة الإسلامية، وألا ينتج عنه ضرر يلحق بصاحب الرأي أو غيره، هو أكبر من المنفعة التي يتوخاها منه، أما دعوة الآخرين إلى ذلك فلا يجوز إلا في حدود ما يسمح به ولي الأمر وتجيزه الأنظمة المرعية. والله أعلم.

اشتراط المرأة تطليق نفسها في عقد الزواج

السؤال: تقدم لخطبة ابنتي شاب أصغر منها، لذلك أرجو من فضيلتكم إفادتي، هل يصح أن يتضمن عقد القران الشروط الآتية مع العلم بأن الشاب المذكور يقبل بها:

أولا: هل يصح أن تشترط أن يكون لها الحق في تطليق نفسها متى تشاء؟ وهل في حالة حدوث الطلاق يكون لها الحق في مؤخر الصداق؟

ثانيًا: ألا يتزوج عليها وألا يخرجها من بيتها وألا يفرق بينها وبين أولادها أو بينها وبين أبويها؟

الإجابة

١- أجاز كثير من الفقهاء للزوجة أن تشترط في عقد الزواج أن يكون طلاقها بيدها (وهو ما اصطلح على تسميته بالعصمة)، ولها أن تشترط طلقة واحدة رجعية، أو بائنة بينونة صغرى، أو كبرى، فإذا قبل الزوج بذلك في العقد، كان لها حق طلاق نفسها نيابة عنه بحسب الشروط، وليس للزوج بعد ذلك أن يعزلها عن ذلك ما دام الزواج بينهما قائمًا، وللزوج في هذه الحال حق طلاقها أيضا ولا يُحرم منه بهذا الشرط، فإذا طلقت الزوجة نفسها بعد ذلك بحسب الشرط، فإن لها من الحقوق مثل ما إذا طلقها زوجها تماما؛ لأن طلاقها كان بالنيابة عنه، فكان كطلاقه هو.

٢- اشتراط الزوجة في الزواج ألا يتزوج عليها زوجها، أو ألا يخرجها من بيتها، أو ألا يفرق بينها وبين أولادها أو أبويها، فهذه الشروط كلها غير ملزمة للزوج، والعقد صحيح.

من القواعد الفقهية

١- الحكمُ على الشيءِ فرعٌ عن تصوُّرِه.

٢- ما كان ثوابه أكثر كان طلبه آكد.

٣- طلب الأفضل أكمل من طلب المفضول.

٤- ما كان عقابه أعظم كان النهي عنه أوكد.

٥- المستحبُّ مقدِّمةٌ للواجب.

٦- ترك سُنة من السنن المؤكّدة مكروه.

٧- المكروه مقدِّمةٌ للحرام.

من كتاب: «القواعد والضوابط الأصولية والفقهية» للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي

من قرارات المجمع الفقهي الإسلامي

حكم تزوج الكافر للمسلمة وتزوج المسلم للكافرة

أولًا: إن تزوج الكافر للمسلمة حرام لا يجوز، باتفاق أهل العلم، ولاشك في ذلك لما تقتضيه نصوص الشريعة؛ قال تعالى: ﴿وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ (البقرة: ٢٢١)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ (الممتحنة: ١٠). والتكرير في قوله تعالى: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ بالتأكيد والمبالغة بالحرمة، وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك، وقوله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾، أمر أن يُعطى الزوج الكافر ما أنفق على زوجته إذا أسلمت، فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية، فإذا كانت المرأة المشركة تحت الزوج الكافر تحرم عليه بإسلامها ولا تحل له بعد ذلك.. فكيف يقال بإباحة ابتداء عقد نكاح الكافر على المسلمة؟ بل أباح الله نكاح المرأة المشركة بعدما تسلم- وهي تحت رجل كافر- لعدم إباحتها له بإسلامها، فحينئذ يجوز للمسلم تزوجها بعد انقضاء عدتها، كما نص عليه قوله تعالى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (الممتحنة: ١٠)

ثانيًا: وكذلك المسلم لا يحل له نكاح مشركة لقوله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة:٢٢١)، ولقوله تعالى: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: من الآية١٠). وقد طلق عمر رضي الله عنه، امرأتين له كانتا مشركتين لما نزلت هذه الآية. وحكى ابن قدامة الحنبلي: أنه لا خلاف في تحريم نساء الكفار غير أهل الكتاب على المسلم. أما النساء المحصنات من أهل الكتاب، فيجوز للمسلم أن ينكحهن، لم يَختلف العلماء في ذلك، والأولى للمسلم عدم تزوجه من الكتابية مع وجود الحرة المسلمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يكره تزوجهن مع وجود الحرائر المسلمات. لقول عمر رضي الله عنه، للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب: طلِّقوهن. فطلَّقوهن إلا حذيفة امتنع عن طلاقها، ثم طلقها بعد، لأن المسلم متى تزوج كتابية، ربما مال إليها قلبه ففتنته، وربما كان بينهما ولد فيميل إليها.

ينابيع المعرفة

منطق عجيب

ذهب بَصَرُ "عمرو بن هداب" فدخل عليه "إبراهيم بن مجاشع" فقام بين يديه فقال: "يا أبا أُسيد، لا تجزع على ذهاب عينيك، وإن كانتا كريمتين عليك، فإنك لو رأيت ثوابهما يوم القيامة، تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك، ورجليك، ودق ظهرك، وأدمى ظِلّفَك !!"

الابتسامة

جيء بأعرابي إلى أحد الولاة لمحاكمته على جريمة اتُّهِمَ بارتكابها، فلما دخل على الوالي في مجلسه، أخرج كتابًا ضمّنه قصته، وقدّمه له وهو يقول: هاؤم اقرأوا كتابيه، فقال له الوالي: إنما يُقال هذا يوم القيامة، فقال: هذا والله شر من يوم القيامة.. ففي يوم القيامة يُؤتى بحسناتي وسيئاتي، أما أنتم فقد جِئتم بسيئاتي، وتركتم حسناتي!.

قالت العربُ في بعض أمثالها

«أندمُ من الكُسَعيّ» وهو رجل من «كُسَعْ» كان اتخذ قوسًا وخَمسة أسهم، وكَمَن في طريق قطيع؛ فرمى حمارًا منه، فنفذ فيه السهم وصدم الجبل، فرأى نارًا فظن أنه أخطأ، فرمى ثانيًا، وثالثًا وهو يظن خطأه، فكسر قوسه، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه، وأنشد:

ندمت ندامة لو أن نفسي
تطاوعني إذا لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني
لعمرُ أبيك حين كسرت قوسي

حِلمُ أصحاب النبي ﷺ

«شتم رجل أبا ذر رضي الله عنه ... فقال له: «يا هذا لا تستغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعًا.. فإنّا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكبر من أن نطيع الله فيه». (الحلم لابن أبي الدنيا)

العلم والمال

قال علي في وصيته لكميل بن زياد: "العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق، والمال تُنْقِصه النفقة، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، ومحبة العلم دينٌ يُدان بها، العلم يُكْسِب العالِمَ الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وصَنِيْعَةُ المالِ تزول بزوالها" (القول العلي للسَفَّاريني ص٦٦).

أين الذين يؤثرون على أنفسهم؟

ألحّ سائل على أعرابي أن يعطيه حاجة لوجه الله، فقال الأعرابي: والله ليس عندي ما أعطيه لغيري، فالذي عندي أنا أولى الناس به وأحق!

فذهب السائل وهو يقول: أين الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟

فقال الأعرابي: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافًا.

لذّة أعظم من لذّة

لذّة العاقل بتمييزه، ولذّة العالم بعلمه، ولذّة الحكيم بحكمته، ولذّة المجتهد لله عز وجل باجتهاده، أعظم من لذّة الآكل بأكله، والشارب بشربه، والواطيء بوطئه، والكاسبَ بكسَبِه، واللاعب بلَعِبه، والآمر بأمره، وبرهان ذلك: أن الحكيم العاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللّذاتَ التي سمينا، كما يجدها المنهمك فيها، ويحسونها كما يحسها المقبل عليها، وقد تركوها وأعرضوا عنها، وآثروا طلب الفضائل عليها، وإنما يحكم في الشيئين من عرفهما لا من عرف أحدهما ولم يعرف الآخر» (مداواة النفوس لابن حزم الأندلسي).

العاقل لا يرى لنفسه ثمنًا إلا الجنّة

لا تبذل نفسك إلا فيما هو أغلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل في دعاء إلى الحق، وفي حماية الحريم، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى، وفي نصر مظلوم، وباذل نفسه في عرض دنيا، كبائع الياقوت بالحصى، فلا مروءة لمن لا دين له» (ابن حزم).

أصل كلمة «خُرَافَة»

يُروى أن أعرابيًا من بني عذرة اسمه «خُرافة» غاب أيامًا عن قبيلته، ثم عاد يحكي لقومه أن الجنّ والعفاريتَ قد اختطفته، وكذبه قومه، ورفضوا أن يصدقوه، وسخروا منه، وقالوا: هل سمعتم «حديث خرافة» وكانت هذه القصة هي السبب في إطلاق كلمة «خرافة» على أي شيء لا يمكن للعقل تصديقه، فعندما يأتي شخص يكذب علينا ويقول كلامًا لا يصدقه العقل نقول: «خُرافة».

أم الندامة

إيّاك والعَجَلة فإنّ العرب كانت تكنيها «أم الندامة»، لأنّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويحب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة. (موسوعة أقوال الحكماء).

أفضل النساء وأفضل الرجال

اجتمعت مجموعة من النساء ووقع بينهن خلاف في صفات أفضل النساء وأفضل الرجال، فاحتكمْنَ إلى عجوز معهنّ في الحيّ، فقالت لهنّ اسمَعْنَ قَوْلي: «خير النساء المُبْقِيَةُ على بَعْلها، الصابرةُ على الضَّراء مخافة أن تَرْجِع إلى أهلها؛ فهي تُؤْثر حَظّ زوجها على حَظّ نفسها، فتلك الكريمة الكاملة، وخير الرجال الجواد البطل، القليل الفشل، إذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل، كثير النَفَل» (قصص العرب).

الحُطيئة وعمر

لما حبس عمرُ الحطيئةَ وأراد إطلاقه، اشترط عليه أن لا يهجو أحدًا من المسلمين، فقال الحطيئة: من أين أعيش؟ ففكر عمر واشترى أعراض المسلمين بـ ٣٠٠٠ درهم، فقال الحطيئة:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع
شتمًا يضر ولا مديحًا ينفع
ومنعتني عرض البخيل فلم يخف
شتمي وأصبح آمنًا لا يجزع

صُن النفس عمّا يشينها

قال الشافعي رحمه الله تعالى:

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالمًا والقول فيك جميل
ولا تولين الناس إلا تجملًا
نبا بك دهرٌ أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير في ود امرئ متلون
إذا الريح مالت، مال حيث تميل
وما أكثر الإخوان حين تعدّهم
ولكنهم في النائبات قليل

أحمق الدواب

زعموا أن الضبع أحمق الدواب، وأنها تشد يديها ورجليها، يقال: إنها ليست هاهنا فتسكت وترضى.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لا أكون مثال الضبع تسمع اللدم (الضرب) فتخرج حتى تُصاد».

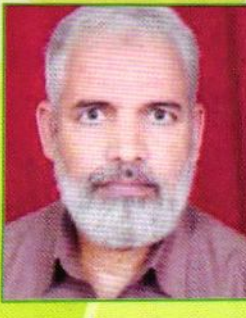
وتقول العرب: «إنه لأحمق من حمامة»، وذلك أنها تبيض على الأعواد فربما وقع البيض فانكسر (عقلاء المجانين لأبي القاسم ابن حبيب).

وصية خليفة

أوصى أبوبكر عمرَ رضي الله عنهما عند موته، فقال: «إنّ الحقّ ثقيلٌ، وهو مع ثقله مريء، وإن الباطلَ خفيفٌ، وهو مع خفته وبيء، وإنّ لله عز وجل حقًا بالنهار لا يقبله بالليل، وحقًا بالليل لا يقبله بالنهار، وإنك لو عدلت على الناس كلهم وجُرت على واحد منهم، لمال جورك بعدلك؛ فإن حفظت وصيتي لم يكن شيء أحبّ إليك من الموت، وهو مدركك؛ وإن ضيعت وصيتي لم يكن شيء أبغضَ إليك من الموت، ولن تعجزه» (الوعظ المطلوب من قوت القلوب).

فِراسة إبراهيم عليه السلام

عن سعيد بن جبير قال: قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «لما شب إسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يُغَيِّر عتبة بابه، فلما فأخبرته، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك» (البخاري).



مسك الختام

د. حسن يوسف الشريف

عبادة التفكر

دعا الإسلام إلى التفكر لمعرفة الحقائق واكتشاف الصواب، ونهانا عن التقليد والجهل والتعصب، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (الحج:٧١)، يقول الرازي في تفسير هذه الآية: بين الله سبحانه وتعالى أن عبادتهم لغيره تعالى ليست مأخوذة عن دليل سمعي (الوحي) وهو المراد من قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، ولا عن دليل عقلي وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ .. وإذا لم يكن كذلك فهي عن تقليد أو جهل أو شبهة (ص١١، ص٣٢٤)، وفي كتابه مفتاح دار السعادة (ص ٢٠٠) يقول ابن القيم: ثبت عن بعض السلف أنه قال: تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقيل لإبراهيم: إنك تديم الفكرة، فقال: الفكرة مخ العقل، وكان سفيان كثيرا ما يتمثل:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦)، قال: أمنعهم التفكير فيها، وقال بشر: لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه، وقال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة، وقال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب.

وليس من فوائد التفكر فقط تحصيل علم لم يكن موجودا، بل للفكر فوائد كثيرة، يعد بعضها ابن القيم فيقول: فالفكر هو الذي ينقل الإنسان من موت الغفلة إلى حياة اليقظة، ومن المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم، ومن مرض الشهوة والإخلاد في هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور، ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة السمع والبصر والفهم عن الله والعقل عنه، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين، المصدر السابق (ص٢٠٠).

وهنا ننبه إلى الاحتياط من «البدهيات الخادعة» التي تخدع الفكر بظاهر الأشياء، فالعاقل لا يعطي ظواهر الأشياء قدرا أكبر من حقيقتها.

وإذا كان من نتائج «التفكر» تحصيل علم جديد فإنه لابد من إمساك هذا العلم وحفظه حتى لا يتفلت، وهو ما يسمى «العقل» ومنه في اللغة عقل البعير والدابة، كما يقول ابن القيم «عقل الشيء أخص من علمه ومعرفته لأن صاحبه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب كما يعقل الدابة التي يخاف شرودها» المصدر السابق (ص ١٣٦).

والهدف من إمساك وعقل العلم الذي حصلنا عليه من التفكر هو استرجاعه عند الحاجة إليه، وهذا هو معنى «التذكر»، فالتفكر الصحيح هو الذي يؤدي إلى «التعقل»، ثم إلى «التذكر»، قال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: ١١ - ١٣)، والتذكر يساهم في رسوخ صفة التقوى في المؤمن، قال تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (الزمر: ٢٧)، قال الرازي: المقصود من ضرب المثل هو حصول التذكر والعلم.

وفي الآية التي تليها قال تعالى: ﴿قرآنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر: ٢٨) قال الرازي، قال تعالى في الآية الأولى: ﴿لعلهم يتذكرون﴾، وفي الثانية ﴿لعلهم يتقون﴾، والسبب في ذلك أن التذكر مقدم على التقوى، لأنه إذا تذكره عرفه ووقف على فحواه وأحاط بمعناه حصل له الإتقاء والاحتراز. تفسير الرازي (ص ١٣).

وكل من التفكر والتذكر له فائدة غير فائدة الآخر، فالتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا، والتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخه ويثبته حتى لا يمحى فيذهب أثره، فالتفكير يحصل علما جديدا والتذكر يحفظه ويثبته.

وعلمنا أن التفكر يعطينا علما، وكل علم يحدث للقلب يؤثر فيه، وينتج عن ذلك إرادة تحرك صاحبها نحو عمل الفعل أو تركه، ويصف ابن القيم هذه الخطوات بطريقة دقيقة فيقول: الخير والسعادة في خزانة، مفتاحها التفكر، فإنه لابد من تفكر، وعلم يكون نتيجته الفكر، وحال يحدث للقلب من ذلك العلم: فإن كل مَن علم شيئًا من المحبوب أو المكروه لابد أن يبقى لقلبه حالة وينصبغ بصبغة من علمه، وتلك الحال تُوجب له إرادة، وتلك الإرادة تُوجب وقوع العمل، فهاهنا خمسة أمور: الفكر وثمرته العلم، وثمرتهما الحالة التي تحدث للقلب، وثمرة ذلك الإرادة، وثمرتها العمل. فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها.

من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الثقافة الإسلامية



يعتبر هذا الكتاب تلخيصاً لكتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب» لأبي طالب المكي، اختصره القاسمي - رحمه الله - وهذبه واقتبس منه أهم مواعظه وفرائده، وبه أضاف إلى مكتبة الواعظ والمرشد مادة قيمة أخرى تعينه على أداء رسالته على الوجه الأكمل المطلوب

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

رحمة للعالمين



نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات

الفكرة والإعداد والإشراف العام
صلاح أبا الخيل

برنامج تلفزيوني باللغتين (العربية و الإنجليزية)

يتم بثه حاليًا عبر العديد من القنوات الفضائية العربية
وقريباً عبر أكثر من ٥٠٠ محطة فضائية أمريكية

إلى كل من تعثر في خطاه .. إلى كل من أشقته الحياة .. إلى كل من يلتمس النجاة ..
تهدي إدارة الإعلام الديني برنامجها التلفزيوني
" نفائس رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم "
ويتضمن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باستخدام أحدث التقنيات الإعلامية، داعيةً المولى بأن يكون بصمة في قاموس الأخلاق والقيم، وثروة تتوارثها الأجيال على مر الزمن.

إنتاج إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
www.nafaess.com
info@nafaess.com
DVD

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

فتاوى فقهية في القضايا الفنية



الوسائل لها أحكام المقاصد

إنّ الوسائل تتفاضل فيما بينها تفاضلا عظيما، وهذا التفاضل يُبنى على أمور معينة، يدركها المتخصّصون ذَوُو المَلَكات العلميّة الراسخة، والشّرائعُ كلّها متّفقةٌ على أصول المقاصد والوسائل، ولذلك فإنّ النظر الاجتهاديّ المبنيّ على دعائمَ استنباطيّة صحيحة يُبيّن مدى تناسق الوسائل مع مقاصدها، وفي هذا العصر وُجد ما ينافسَ في هذا الميدان من الوسائل المدنيّة الحديثة المختلفة الصّور والألوان، ومن ذلك وسائل الإعلام التي تعدّدت وتنوّعت في أيامنا هذه، وبانتشارها الهائل لم يعد المنزل والمدرسة البوابتين الوحيدتين في صنع وإعداد الأجيال، بل أضحت كلّ هذه الألوان الإعلامية من مصادر الثقافة.

ولا شكّ أنّ البيت والمدرسة والمحاضن التربوية التقليدية لا تستطيع بمفردها أن تنهض بعبء تربية الأجيال ما لم تجدْ عوْنا يشدّ أزرها؛ في مواجهة كل هذه الوسائل الضخمة العابثة الساخرة التي تقضي على جميع ما أبرمتْه التربية المنزلية الراشدة، وتشكّك فيما قرّرته، وتدعو إلى ما حذّرتْ منه وحرّمته، وتقيم للناس مُثُلا، وتبتدع لهم طرائق وعادات ممّا تقترحه أو تختلقه، على نقيض ما يريد البيت والمدرسة أن يزرعاه ويؤسساه في أخلاق النّشء.

إنها وسائل في أغلبها تصرف المتابعَ لها عند الجدّ من القول إلى الهزل، وعن النافع المثمر إلى التافه الغثّ؛ فتخلق أمزجةً فاسدةً لا تجد لذّة ولا متاعا إلاّ في الساقط من القول واللهو من الحديث.

إنّ الدول تنفق الأموال وتستهلك الجهود في إنشاء المؤسسات، وفي إعداد القائمين عليها وفي إحْكام نُظمها وبرامجها ووسائلها، ثم تغفل عن هذه الوسائل الخطيرة التي تشاركها في هذا الميدان، فتترك سُبُلها ومنافذها مفتوحةً لشهوات المأجورين والمخدوعين، تحت مسمى «حرية الرأي» و«حرية النشر»، وهو في حقيقة الأمر وسيلة لإفساد البشرية وهدم كلّ الأديان.

ويمكن لوسائل الإعلام أن تُروِّح وتُسلّي عن مشاهديها ومتابعيها وتُذهب عنهم ما ألَمّ بهم من الملل، وتعرض ما هو مفيدٌ ونافعٌ، لا سيْلا من الشتائم النابية والمهاترات الفظّة الهابطة، التي لا ترْعى حرمة، ولا تعفّ عن لفظ.

فالإعلام صورته الكاملة وسيلةٌ من وسائل السموّ، وأداة عظيمة من أدوات الإصلاح والرقيّ ودفع عجلة التنمية، ولكنه أصبح في الحياة المعاصرة فنّا له روّاده على اختلاف وسائل نشره، فصار بهذا يشغل جانبا كبيرا في حياة الناس، وتترتب عليه آثارٌ معارضة لآداب الشريعة وناموس الترقّي، كما يترتب عليه انحلال ربقة الآداب، وأضحى عالما من الملهيات المهلكات، التي توقظ نائم الأهواء، وتحرّكُ ساكن الشهوات، كما ينطق به الواقع المرير، لتحرير الفُحْش والغناء، والفسوق والعصيان، وتهديم البيوت، فهو يمثل مخاطر على العقائد والأخلاق والفضائل والآداب.

ومن أشأم هذه المخاطر، وأشدّها نفوذا تمييعُ الأمة وإغراقها في شهواتها، وانحلال أخلاقها، وإشاعةُ الفاحشة ونشْرُها، ولأجل ذلك عَدَلَ الإعلام الهابط عن حفظ الأعراض وحراستها إلى زلزلتها عن مكانتها، وفتح أبواب الأطماع في اقتحامها، وكلّ هذا تحت شعار «الإعلام الحرّ»، وكثيرٌ من الناس تغيب عنهم مقاصد البدايات، كما تغيب عنهم معرفة مصادرها.

والإعلام اليوم من الوسائل التي يستخدمها الناس لأغراض شتّى، وقد أخذ أشكالا ومرّ بأطوار كثيرة جدّا، وسار على طرُق وأنظمة مرتّبة لم تكن معروفة من قبل، ومن الأمور المعلومة من الدّين بالضرورة أنّ الغاية لا تبرّر الوسيلة.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٦

العام السابع والأربعون

ربيع الآخر ١٤٣١ هـ

ابريل ٢٠١٠ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

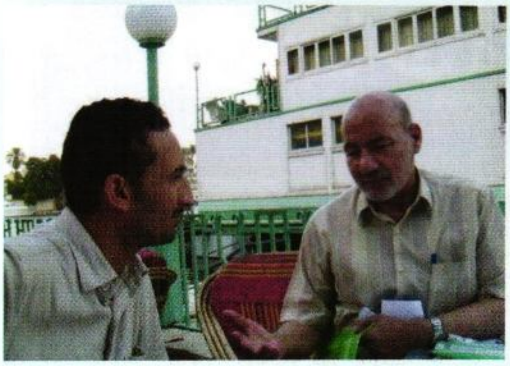
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com





صناديق الإستثمار الاسلامية 29

حوار مع د. حسن الشافعي 32





وارثو الأرض 34

دور الفكر القومي في إعاقة النهضة 36

الإسلام والتربية البيئية 62





هل يجدي الحوار مع المنافقين أو المتزمتين؟ 70

التوزيع

موضوع الغلاف



عندما تكون السينما وسيلة إيجابية من وسائل التغيير والتجديد المعرفي المساند لعملية التنمية المجتمعية تصبح الحاجة إليها ضرورة.

داخل العدد

محاسن كتابة مصحف إمام ومبرراته ٢٤

اللغة العربية أصل اللغات وأقدمها ٤٤

فريد الأنصاري ورياح بعثة التجديد ٥٦

جامع الكتبية في مراكش ٦٤

الضريبة العقارية.. رؤية فقهية ٧٢

كلمة العدد

مزيدًا من التواصل

الإخوة والأخوات كُتّاب وقراء المجلة الكرام:

على الرغم من أننا حاولنا في هذا العدد (ربيع الآخر) الذي نضعه بين أيديكم التركيز على قضية وسائل الاعلام المرئية وانعكاساتها المختلفة على الساحة الاسلامية ومدى تأثيراتها في حياتنا المعاصرة إلا أننا تعرضنا من خلاله أيضا لمواضيع شتى تناولت مختلف صنوف العلم والمعرفة والتراث والأدب واللغة وفي مقدّمها:

صناديق الاستثمار الإسلامية، محاسن كتابة «المصحف الإمام» ومبرراته، دور الفكر القومي العربي في إعاقة النهضة، وارثو الأرض، مساجلات الأقران، أحكام الضريبة العقارية، علي أحمد باكثير فاق اقرانة شاعرًا وكاتبًا.... وغيرها من المواضيع.

إن المجلة هي مجلة كل عربي مسلم غيور على دينه وأمته وقضاياها العادلة، وإن تطويرها وتجديد خطابها مسؤولية مشتركة فيما بيننا، لذا فإن الأمل يحدونا أن تترسخ وتتأصل جسور التواصل الفكري والمعرفي بيننا لنصل إلى قواسم مشتركة لكل قضية تطرحها المجلة للبحث والنقاش على أسس موضوعية، بعيداً عن التشنج والتعصب الفكري الأعمى الذي لا طائل من ورائه إلا تعميق الاختلافات وإعاقة طريق النهضة المنشودة.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

• للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الإعلام المرئي.. هل هو ضرورة؟

لا يزال الإعلام الإسلامي المرئي (السينما والمسرح عمومًا) يواجه كمًا هائلًا من التحديات والمعوقات، بعضها مشروع وبعضها فيه اختلاف فكري وشرعي يجب تأصيله واتخاذ قرار بشأنه في عصر أصبح للإعلام المرئي دور مهم في حياة الأمم والشعوب بسبب قدرته على إحداث التغيير والتجديد الذي يعجز عنه الإعلام المكتوب والمسموع.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما موقف المجتمعات الإسلامية من هذا الإعلام؟ وهل نحن في حاجة إليه لوقف ذلك السيل الثقافي الجارف الوافد إلينا عنوة من خلال الأفلام والمسلسلات؟ أم أنه كما يقول آخرون، نوع من الترف الذي لا طائل من ورائه سوى الفساد والإفساد؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف نواجه حملات التشكيك الموجهة لديننا ونبينا وأمتنا في وسائل الإعلام المرئية الأجنبية؟

هذه التساؤلات حاولنا الإجابة عنها ولو جزئيًا من خلال هذا الملف الذي ضمناه مجموعة من الرؤى والآراء والمواضيع والفتاوى الشرعية المتعلقة بهذه القضية، وتركنا الباب مفتوحًا للإخوة القراء والأخوات القارئات لإثرائه وتأصيله وفق مبادئ ديننا وثوابته التي أجمع عليها كبار العلماء والمجامع الفقهية. والله الهادي إلى سواء السبيل.

إعداد: التحرير

مسلسل يوسف الصديـ

د. رفيق حسن الحليمي

أثارت مشاهدتي بعض حلقات مسلسل يوسف الصديق عليه السلام جملة من القضايا.. بعضها ديني، وبعضها الآخر فني، وقليل منها تاريخي.

أولاً: الجانب الديني، ويتركز في مدى حرمة تصوير الأنبياء في الأعمال الفنية الدرامية.

ما أعرفه يقينًا أن الأزهر الشريف أصدر في أواخر الخمسينيات فتوى بتحريم ظهور الأنبياء وأمهات المؤمنين والصحابة أيضا، وخاصة الخلفاء الراشدين، في مختلف الأعمال الدرامية والتصاوير المختلفة، تحت أية ذريعة من الذرائع بما في ذلك ذريعة التربية الدينية للناشئة من أبنائنا، وقد التزمت صناعة السينما في مصر هذه الفتوى منذ صدورها وقبل صدورها، حيث لم تظهر شخصية أحد من الأنبياء في أي عمل درامي مصري، كما لم تظهر شخصية أي صحابي من الخلفاء الراشدين.

نعم، ظهرت شخصيات لكبار الصحابة من أمثال: خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح، وعندما حاولت بعض الأعمال تصوير شخصية الرسول الكريم ﷺ «في قصة ظهور الإسلام - د. طه حسين» اكتفت بإظهار ضوء (نور) يرمز الى شخصيته الكريمة، وهذا ما حدث في فيلم الرسالة، ويمثل هذا الالتزام مدرسة فقهية صادرة عن الأزهر الشريف الذي كان له الدور البارز في بلورة هذه الفتوى التي تعكس قيمة دينية وأخلاقية في احترام الأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين.

منذ أيام أشارت بعض الصحف إلى أن الأزهر سيحسم قضية «التجسيد» في مؤتمره السنوي (٢٧ فبراير ٢٠١٠م)، إذ إن هناك من يدعو الى اظهار شخصية النبي محمد ﷺ في الأعمال الدرامية، وفي تقديري وأملي أن الأزهر لن يتراجع عن فتواه وموقفه السابقين من قضية التجسيد.



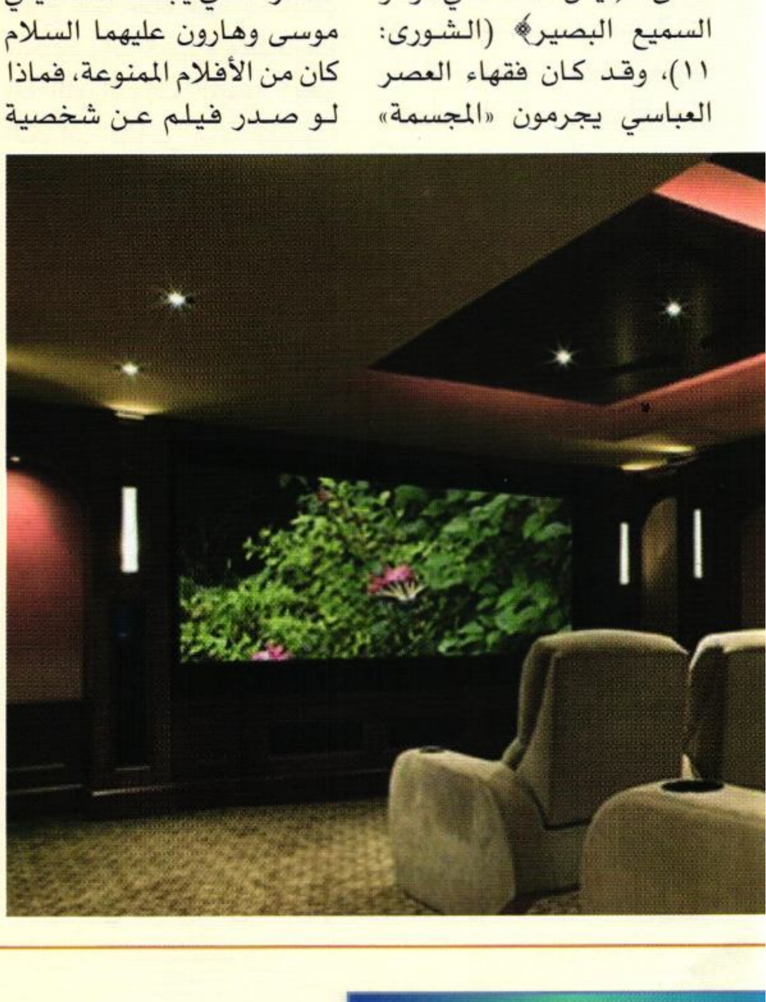
كاتب وأكاديمي فلسطيني

ـــق عليه السلام والخروج عن النص

إذا أقدم الغرب على إخراج فيلم عن النبي محمد فعلى الدول الإسلامية منع عرض هذا العمل مهما كانت الذرائع

أما الغرب المسيحي فلا يتورع عن إظهار الأنبياء (فيلم الوصايا العشر الذي يمثل شخصيتي موسى وهارون عليهما السلام، وفيلم السيد المسيح)، والغرب بما فيه اليهود يذهبون الى أكثر وأبعد من ذلك فهم يجسدون الخالق فيجعلون له جسدًا!! ﴿... تعالى الله عما يصفون﴾ (النمل: ٦٣) أما نحن معشر المسلمين فنلتزم بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى: ١١)، وقد كان فقهاء العصر العباسي يجرمون «المجسمة» الذين يقولون بالتجسيم بعقوبة تصل حد القتل.

وهناك نية لدى الغرب (هوليود) بإخراج فيلم عن النبي المصطفى ﷺ، وفي حالة إقدام الغرب على هذه الخطوة فمن واجب الدول الإسلامية منع عرض هذا العمل مهما كانت الذرائع، وهذا أضعف الإيمان، مع يقيني أن كل ممنوع متبوع، ولعلنا نذكر أن فيلم «الوصايا العشر» الذي يجسد شخصيتي موسى وهارون عليهما السلام كان من الأفلام الممنوعة، فماذا لو صدر فيلم عن شخصية المصطفى ﷺ؟! مما لاشك فيه أن أقلام الغرب لا تخلو من الشطط والحقد إذا ما أرادوا كتابة سيرة النبي محمد ﷺ لتكون مادة (سيناريو) لعمل درامي، وفي الغرب قلة نادرة من المنصفين، ولكن توجد كثرة كاثرة من المسرفين، وإذا كان الغرب بحاجة ماسة إلى معرفة الإسلام الحق، والتعرف إلى شخصية نبي الإسلام- وهذه مسؤولية كبرى تقع على عاتقنا أولًا- فهناك وسائل مختلفة ومتنوعة يمكن تقديمها، بحيث تكون أبعد ما تكون عن الأعمال الدرامية.



ثانيًا: مسلسل يوسف الصديق، أنتج التلفزيون الإيراني مسلسلًا يروي قصة يوسف الصديق عليه السلام، وبذلك يكون التلفزيون الإيراني قد حذا حذو المدرسة الغربية في إباحة تصوير الأنبياء، وهذا يعني أن إنتاج هذا العمل الدرامي جاء بموافقة فقهية مرجعية لا ترى غضاضة في تجسيد الأنبياء سينمائيا، واليوم كانت شخصية يوسف عليه السلام، وغدًا لا ندري من تكون شخصية النبي الذي سيظهره هذا التلفزيون أو ذاك!! ولا ننسى أن الغرب المسيحي يسابق الزمن في إنتاج فيلم عن شخصية المصطفى ﷺ، ويتساءل المرء: من هو الممثل صاحب الشخصية «الكارزمية» الذي يستطيع أن يقوم بهذا الدور العظيم، ما أعرفه أن الذي مثل فيلم الزعيم المصري الراحل مصطفى كامل اشترط عليه ألا يكون قد ظهر في أي عمل درامي سابق، وألا يقوم بأي عمل درامي لاحق بعد قيامه بذلك الدور، وقد التزم بقية حياته بذلك العهد حتى وفاته منذ سنوات، وإذا كان هذا الشرط قد طبق على رجل مثَّل شخصية زعيم وطني، فما بالنا وما قولنا بعد ذلك فيمن سيمثل شخصية النبي محمد بن عبدالله ﷺ، وهل تطبق استوديوهات السينما في الغرب أو الشرق ذلك الشرط؟ وما أبشع وما أسوأ أن نشاهد ممثلًا، لا قدر الله، يقدم لنا شخصية النبي محمد ﷺ، وتكون له أدوار درامية سابقة ولاحقة فيها من الفسق والفجور ما يجعلنا نتقزز وننفر ولا نشعر بالرضا حتى ولو كنا نعلم أنه مجرد تمثيل في تمثيل!! ولا أخفي على القارئ أنني كلما تذكرت خالد بن الوليد قفزت الى مخيلتي صورة الممثل حسين صدقي الذي قام بتمثيل شخصية خالد.. فأين الثرى من الثريا؟!

ثالثًا: بين قراءة النص ومشاهدته، من المؤكد أن الإنسان عندما يشاهد عملًا فنيا- وخاصة اذا كان للعظماء- تنطبع صورهم في ذاكرته ولا تفارقه ويصبح الانسان أسيرًا- في فهمه لهذه الشخصية أو تلك- للعمل الفني حيث يتقيد بقيوده، ويخضع لمزاج المخرج



وهوى الممثل وحركاته وسكناته، وميول المنتج الذي تحركه المادة، ويقتنع بما يقدم إليه من حوار وأفكار، وبما يرى من ملابس وعادات وتقاليد بعضها ملائم وصحيح وبعضها غير صحيح.

أما إذا قرأ الواحد منا المادة الأساسية للعمل الفني بعيدًا عن المسرح أو شاشات التلفزة فإنه من خلال ثقافته وإدراكه ووعيه يقيم مسرحا كبيرا، يضفي عليه وعلى أشخاص الرواية ما يمكن إضفاؤه من الألوان ولغة الحوار، وأنواع الملابس، والقيم المختلفة والتفسيرات المتنوعة التي تتولد تلقائيا عندما يقرأ، وهذا ما يسمى بالمسرحيات المقروءة، أي التي تكتب على شكل مسرحية، غير أنها لا تنقل بالضرورة إلى خشبة المسرح، وبمعنى آخر: في القراءة حرية مطلقة لإطلاق العنان للخيال البشري، ولهذا الصنيع فوائد جمة تنعش الذهن وتنمي العقل، وفي المشاهدة قيود محددة للمخيلة تعطل العقل وتحجر الفكر.

ولعلي أجد- مع هذه الفكرة- حكمة جديدة تضاف إلى سلسلة من الحكم الناصعة عند بداية نزول القرآن بكلمة «اقرأ»، ولم تكن البداية بكلمة: (أبصر أو شاهد أو انظر) مع أن هذه المفردات تجلت فيها وبها جملة من الآيات البينات، فجعل القرآن للبصر والبصيرة موقعًا في حياة البشر، وكذلك الشهيد والشاهد والنظر في الملكوت.

رابعًا: الخروج عن النص، عادة ما يكون الخروج إما بمخالفة الأصول والحقائق التاريخية، وهي نادرة الوقوع، وإما بالزيادة عما ورد في النص الأصلي، وهذا كثيرًا ما يقع، وإما بالحذف أو التحوير وهو الغالب لمقتضيات العمل الدرامي، أما النص الذي نعنيه فهو سورة يوسف كما جاءت في القرآن الكريم وهو المرجع الذي نعتد به ولا مرجع سواه يتقدم عليه، للحقيقة فإن هذا المسلسل لم يخالف النص القرآني كما ورد في قصة يوسف وبالذات فيما يتصل بالخطوط الرئيسة، ولكنه خرج عما جاء فيها بزيادات وتحويرات كثيرة مصدرها إما التوراة وإما التلمود (وهو الكتاب الثاني عند اليهود، ويعد تفسيرًا وشرحا للتوراة)، نذكر على سبيل المثال:

■ إعادة الشباب والبصر الى امرأة العزيز التي فقدت بصرها وطعنت في السن، وهذه الحكاية لم ترد في القرآن، كما لم ترد في التوراة!

■ زواج يوسف من امرأة العزيز، وأن الله تعالى أوحى إليه بذلك، ولم يرد هذا في القرآن ولا في التوراة «السامرية» ولا في التوراة «العبرية» أيضًا ولكنه ورد في التفاسير القرآنية، ولعل مصدر ذلك بعض اليهود الذين أسلموا واختلطوا بالمسلمين، ومصدرهم في ذلك التلمود.

■ في المسلسل حديث مطول بين يعقوب والوحي وبين يوسف وأخيه، فيه جنوح فلسفي عن نية إبراهيم ذبح ولده اسماعيل، وذلك للخلاص من ولده الذي امتلأ قلبه بحبه فلم يعد يتسع لحب الله، فإذا ضحى بولده اصبح قلبه متسعًا لحب الله، وكذلك الحال بالنسبة إلى يعقوب الذي امتلأ قلبه بحب يوسف وأخيه، فإذا تخلى عن هذا الحب بدأ قلبه يتسع لحب الله أيضًا، هذا ما كان يدور بين يوسف وأخيه، وبين يعقوب والوحي، ولا أدري مصدر هذا الجنوح الفلسفي، ومدى موافقته لمذاهب المتصوفة فيما يعتقدونه بالعشق الإلهي، وقد أقحم المخرج هذا الحوار للتشويق، مع أن المسألة لا تعدو أن تكون اختبارًا لابراهيم وولده اسماعيل، ومدى امتثالهما لأمر الله، وكذلك ليعقوب وبنيه، ولهذا الحوار جانب آخر من الأهمية الدينية إذ يجعل اسماعيل هو الذبيح، كما يفهم من سياق النص القرآني ويخالف النص العبري، وهو بهذا يصحح خطأ تاريخيا ودينيا اعتقده كثيرون وتجادلوا فيه كثيرا ومازالوا، وقد تأثر الطبري المفسر بما في التوراة فظن أن الذبيح هو إسحق.

■ في القرآن أن الإخوة ومعهم بنيامين هم الذين دخلوا على يوسف ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾ (سورة يوسف: ٦٩)، وفي المسلسل هو الذي دخل عليهم.

■ توجد أجزاء من حلقات المسلسل فيها زيادات كثيرة جاءت خدمة للعمل الدرامي، اقتضتها صناعة السينما

* باحث سوري

وهي من ضروب الخيال.

خامسًا: الاسرائيليات، وهي مجمل التعاليم والأخبار الاسرائيلية والنصرانية، ولكثرة ما جاء من الاسرائيليات اندرجت كلها تحت هذا المسمى من باب التغليب، وقد تسللت بنسب متفاوتة الى جميع التفاسير القرآنية، وبذل كثير من الباحثين جهدهم منذ القدم لدراسة الاسرائيليات والتنبيه إليها وتنقية التفاسير منها، غير أن هذا المسلسل فتح الباب مجددًا لدخول الاسرائيليات، وقد أشرنا الى بعضها، ونكتفي بذكر أخطر ما جاء منها فيه، وهو يعد من الأخطاء التاريخية، وهو كلمة «عبري» التي جرت على ألسنة المتحاورين أكثر من مرة، ولاشك أن مصدرها التوراة، فقد وردت في سفر التكوين مرات عدة مثل: العبد العبراني، وغلام عبراني في وصف يوسف، وأرض العبرانيين، ولا يأكلون طعامًا مع العبرانيين، كما وردت في وصف إبراهيم عليه السلام، وهذا من الخطأ التاريخي الذي لابد من التنبيه إليه وهو أن الباحثين اليهود يرغبون في إطلاق هذا الاسم (عبري) على رموزهم من الأنبياء بدءًا من إبراهيم وانتهاء بهم، لتكوين سلسلة من الأنساب لا تنقطع، ومشكلة الباحثين من غير اليهود أنهم يأخذون عن الباحثين اليهود وقلما تجد من يعارضهم الرأي.

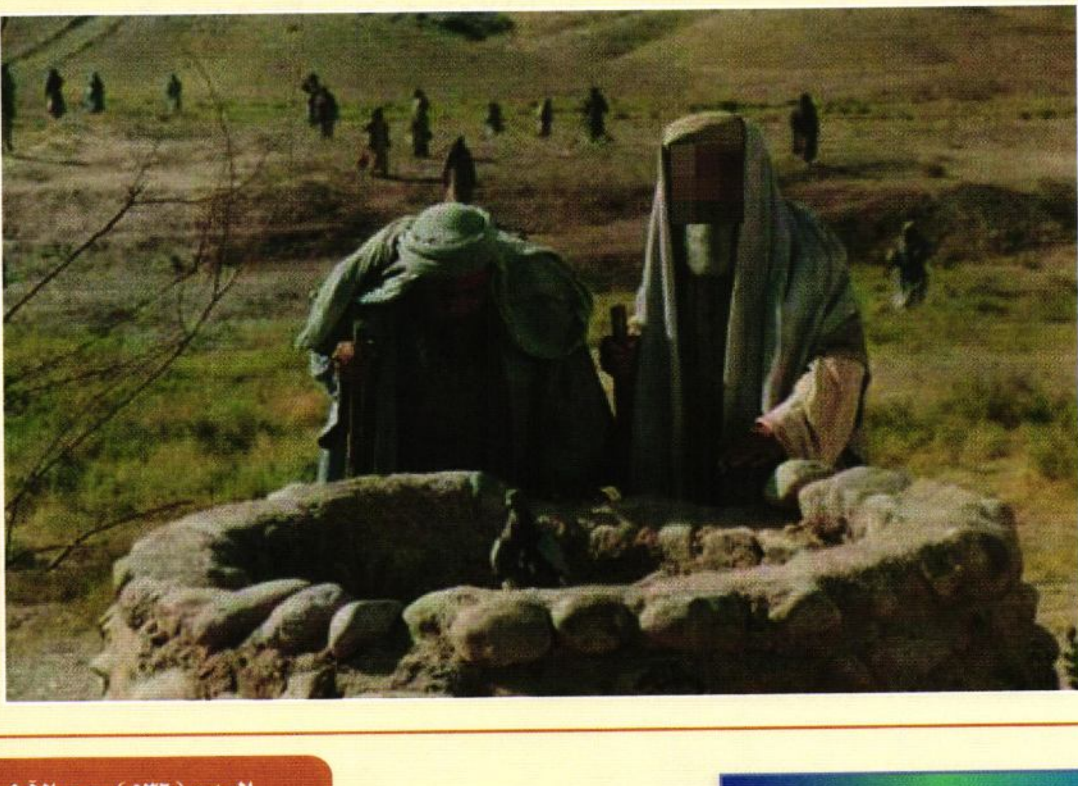
من الباحثين من ذهب الى أن من أسماء أجداد إبراهيم «عبري» ومنهم من زعم أن اسمه «عبري»، وقد سمي به لأنه عبر النهر (كذا قالوا)!

وللحقيقة فإن كلمة «عبري» دخلت التاريخ لأول مرة عند خروج موسى من مصر ودخوله مع بني اسرائيل أرض سيناء وتاهوا فيها أربعين سنة، أي بعد عصر إبراهيم ويعقوب ويوسف بزمن بعيد، وكانت تطلق على بدو سيناء، وقد اكتسب بنو اسرائيل هذا الاسم عندما اختلطوا ببدو سيناء العبرانيين أصلًا، وكان يطلق عليهم «عبيرو» لتمييزهم عن «العرب» أو «خابيرو»، إذ يعتقد أنهم أصل العبرانيين وهم القبائل الرحل التي جابت أطراف المشرق الأوسط، وعند دخول بني إسرائيل أرض كنعان مع من لحق بهم من بدو سيناء واستقر قسم منهم في الشمال سموا إسرائيليين وعبرانيين لا لأنهم عبروا نهر الأردن في طريقهم إلى أرض كنعان، كما يتوهم كثيرون، بل لأنهم اختلطوا ببدو سيناء «العبيرو»، ومن استقر منهم في الجنوب سموا «يهودًا»، وحال كلمة «عبري» مثل حال كلمة «يهودي» لم تعرف تاريخيا إلا بعد قيام مملكة يهوذا في الجنوب، أي بعد عصر موسى وهارون أيضًا، وقد رد القرآن على اليهود زعمهم أن إبراهيم كان يهوديا بقوله تعالى ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيا﴾ (آل عمران: ٦٧).

من الضروري تحريم تجسيد الانبياء في مختلف الأعمال الدرامية

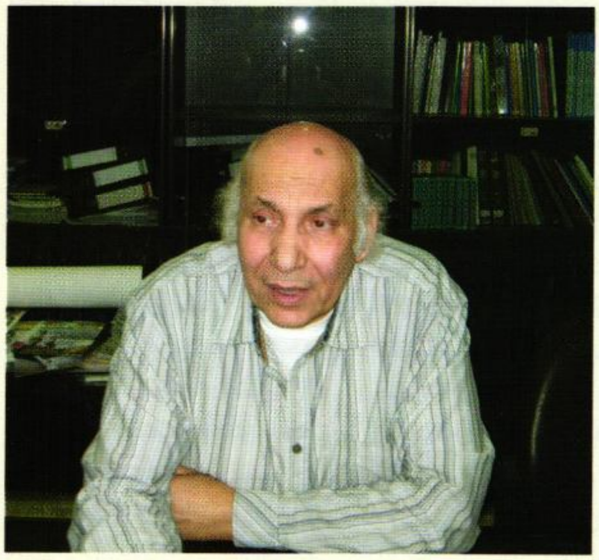
هذا الخطأ التاريخي وغيره كيف يمكن تصحيحه؟ هل يعاد تصوير المسلسل من أجل هذا؟ وفي ذلك تكلفة باهظة، فضلًا عن الاستحالة، ثم هناك شرائح كبيرة في المجتمعات العربية والإسلامية ربما تابعت هذا المسلسل، فهل يمكن محو ما علق في الذاكرة من أضاليل وخيالات وأساطير.

من هنا أشدد على ضرورة تحريم «تجسيد» الأنبياء في مختلف الأعمال الدرامية، ومن جانب آخر نأمل تجريد الكثير من التفاسير من الإسرائيليات، لما فيها من زيادات ليست من الدين في شيء، ولعل هذا المسلسل شاهد على ذلك، فعلى الرغم من اعتماده قصة يوسف أساسًا موضوعيا للعلم الدرامي- كما جاءت في سورة يوسف - فإننا نجده التجأ الى التوراة والتلمود وأسرف في النقل عنهما ليملأ حلقات المسلسل ويطيلها كما ملأ بعض المفسرين تفاسيرهم وطولوها.



الناقد السينمائي فاروق عبدالعزيز في حوار خاص:

فيلمان وثائقيان.. جديد الساحة الدعوية



حوار: سليمان الرومي وتمام أحمد

أنتج الناقد السينمائي فاروق عبدالعزيز عملًا إعلاميًا دعويًا ضخمًا بأحدث تقنية يتمثل في فيلمين وثائقيين باللغتين العربية والإنجليزية، الأول «موريس والفرعون»، والثاني «من الكون الصغير إلى الكون الكبير»، وذلك بتمويل من وقف أهلي كويتي.

«الوعي الإسلامي» التقت الناقد للتعرف على طبيعة الفيلمين وأهدافهما ومدى آثارهما .. وإليكم نص الحوار:

● أنتجتم أخيرًا فيلمين وثائقيين «موريس والفرعون» و«من الكون الصغير إلى الكون الكبير».. حدثنا عنهما.

- فيلم «موريس والفرعون» يتناول العلاقة بين العلم والدين .. تلاق أم تعارض مع استعراض حياة طبيب الأمعاء الشهير وعضو الجمعية الفرنسية للمصريات د.موريس بوكاي منذ عام ١٩٣٥م، حيث كان في الخامسة عشرة من عمره طالبًا في مدرسة مسيحية، وفي تلك الفترة أعلن الأب بيرونيه وكان أحد علماء الحفريات عن اكتشاف رسوم بشرية في كهف بجنوب اسبانيا أرجع تاريخها إلى ١٥٠٠٠عام، هذا في الوقت الذي ينص فيه كتاب الدين في المدرسة على أن تاريخ ظهور الإنسان الأول على الأرض يرجع إلى ٤٠٠٠ عام قبل ميلاد المسيح.

وهنا تأكد بوكاي أن هناك خطأ، لأن العلم يقول شيئًا والدين يقول شيئًا آخر ليقضي بعد ذلك فترة طويلة من حياته يبحث أوجه الاتفاق والتعارض بين الدين والعلم التجريبي والتاريخي مركزا بحوثه على الأديان الرئيسية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام.

● ما الغاية التي يريد الفيلم إيصالها للجمهور؟

- الفيلم يسعى إلى تلمس لحظات فاصلة في حياة موريس بوكاي، لاسيما أنه في صيف عام ١٩٧٦م نشر كتابًا سرعان ما تحول إلى ظاهرة بعنوان «الإنجيل والقرآن والعلم» ضمنه عرضًا لنتائج بحوثه في مجالات علمية وتاريخية متعددة في علاقتها بالأديان الثلاثة.. وفي عام ٢٠٠٨ م صدرت منه ٢٧طبعة في ١٢ لغة، كما حصل على جائزة «الكتاب الذهبي» الفرنسية، وقدرت مبيعاته بنحو ١٥ مليون نسخة.

ويمكن القول إن الفيلم استهدف تقديم تقرير محايد بقدر الإمكان عن جهود موريس بوكاي العلمية من خلال انتاج استغرق نحو ١٨ شهرًا تضمن اجراء بحوث وتسجيل لقاءات مع شخصيات عرفت بوكاي وزاملته في مواقع تصوير وعمليات ما بعد الإنتاج شملت مصر والكويت وفرنسا والولايات المتحدة وتونس.

● ما أبرز الحقائق التي توصل إليها الفيلم؟

- أبرز هذه الحقائق العلمية ما حققته بحوث موريس بوكاي وفريقه المصري- الفرنسي حول أكثر الفراعنة شهرة وتأثيرًا، في الوقت الذي كانت فيه معظم التقديرات التاريخية السابقة تؤكد أن رمسيس الثاني هو فرعون موسى.. غير أن بوكاي تمكن أخيرًا من وضع إجابة مغايرة وهو برناب تاح ابن رمسيس الثاني.

غاية الفيلم الأولى تتركز حول توصيل هذه الرسالة للعالم

● ماذا عن الفيلم الثاني؟

- فيلم «من الكون الصغير إلى الكون الكبير» عمل وثائقي يتناول ملامح نتائج بحوث بوكاي باعتباره أول عالم غربي يناقش المعطيات الفسيولوجية والجنينية في القرآن، الأمر الذي اعتبر حدثًا غير مسبوق في أوروبا كلها.

«الإنجيل والقرآن والعلم» ظاهرة موريس بوكاي في العالم

الفيلم يتناول العلاقة بين العلم والدين.. تلاق أم تعارض؟

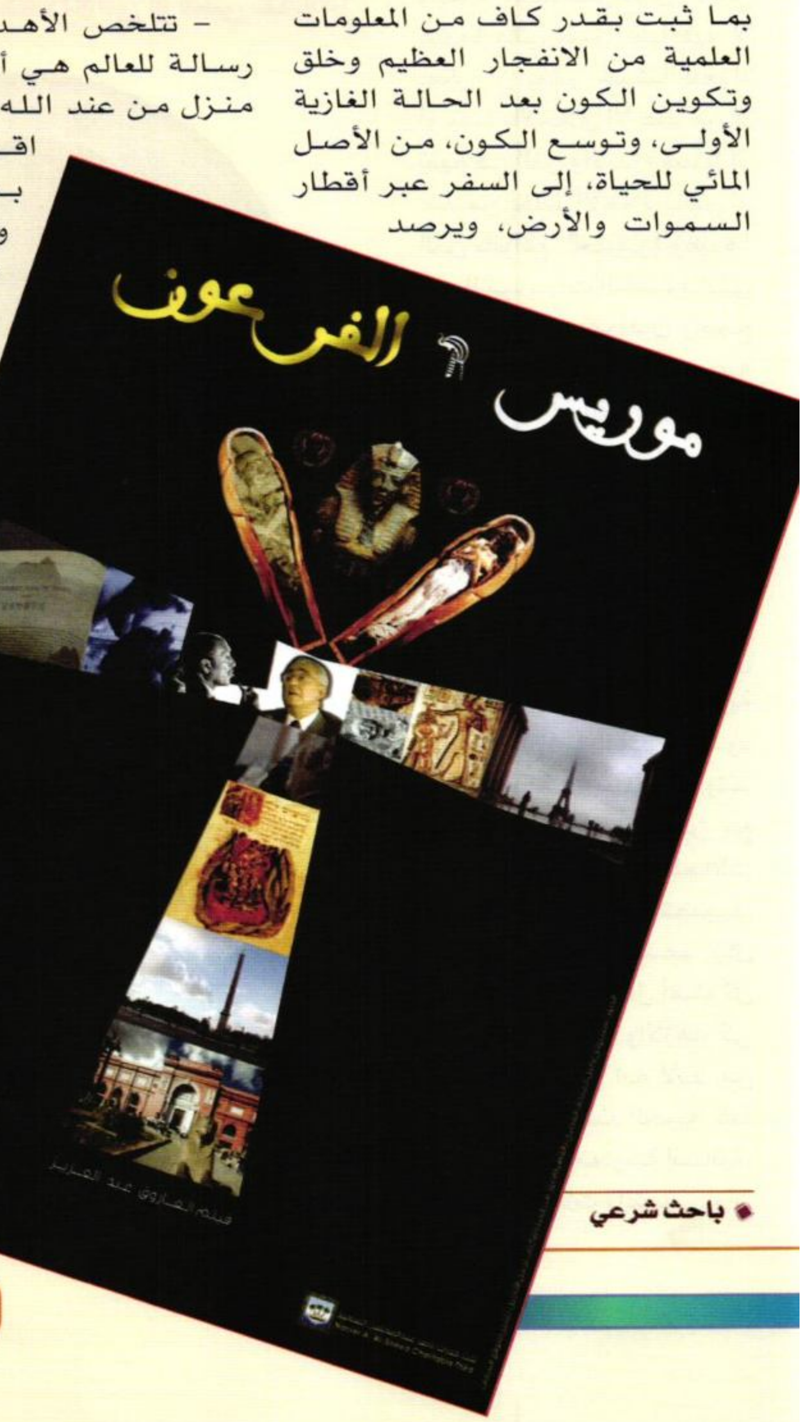


لقطة من الحوار

وينتقل الفيلم من الكون الصغير (علم الأجنة) الى الكون الكبير في أكثر من موضع، موافقا الآيات القرآنية بما ثبت بقدر كاف من المعلومات العلمية من الانفجار العظيم وخلق وتكوين الكون بعد الحالة الغازية الأولى، وتوسع الكون، من الأصل المائي للحياة، إلى السفر عبر أقطار السموات والأرض، ويرصد الفيلم ملامح من نتائج بحوث بوكاي في ضوء لقاءات جديدة مع زملائه.

• ما أهداف الفيلم؟

- تتلخص الأهداف في توصيل رسالة للعالم هي أن القرآن كتاب منزل من عند الله، بالاضافة إلى اقناع المسلمين بضرورة التدبر والتفكر وإعلاء قيمة العلم.



• كم مدة الفيلمين؟ وما اللغة المستخدمة؟

- كل فيلم مدته ٥٠ دقيقة، واستخدمنا اللغة العربية والانجليزية.

• كم التكلفة تقريبًا؟ ومن أين التمويل؟

- التكلفة حوالي ٥٠ ألف دينار كويتي بتمويل وقف أهلي متمثل في ثلث خيرات ناصر عبدالمحسن السعيد.

• أين سيعرض الفيلمان؟

- سيعرضان في المركز العلمي في الكويت، وبعض الجهات المعنية بالغربيين، إلى جانب بثهما عبر شبكة الجزيرة الوثائقية وبعض الفضائيات.

• برأيك ما أبرز الصعوبات التي تواجه السينما الإسلامية؟

- أبرزها ضعف الدعم المادي، وعدم التركيز على المسلسلات القيمية، والتكلفة الضخمة.

• ما مشاريعكم المستقبلية؟

- أحضر حاليًا عملا سينمائيا ضخما «محمد نبي زماننا»، حيث يتناول محاور علاقة الرسول الكريم ﷺ من أقواله وأفعاله بمفردات العصر الحديث مثل البيئة والمرأة والديموقراطية والتعامل مع الآخر والأقليات والسلام.

• باحث شرعي

العري في السينما والتلفزيون.. ضرورة فنية أم اختيار فكري؟

إبراهيم آيت حو

تأتي هذه الدراسة المتواضعة في إطار ما أصبح معروفا على الشاشات العربية (سينما وتلفزيون) من مد واكتساح للقطات والمشاهد الفاضحة، وهو موضوع أثار كثيرا من النقاشات في الآونة الأخيرة، حيث توزعت الآراء بين من يرى في ذلك خدشا للحياء واستخفافا بالقيم والأخلاق الفاضلة وتشجيعا على الرذيلة، بل وتشويها للفن الحق الصادق وحرفًا له عن مساره ووظيفته الحقة، ومن يرى في ذلك حرية إبداع وتوجها مشروعا قد يمليه الصدق الفني أو الضرورة الفنية التي يفرضها السياق العام للعمل الفني!

وسنعمل في هذه المحاولة المتواضعة على طرح بعض المغالطات الخطيرة، كالقول إن العري قد يكون «بطريقة فنية» يحتمها السياق العام للعمل الفني... الى آخر المعزوفة التي تكرر دوما لدى كثيرين، وهي في العمق باطل يراد به حق.

وسأعمل بحول الله تعالى على تفنيد الأساس الفني والجمالي لهذا التصور المسموم أملا في أن تتاح الفرصة لاحقا لتعميق وتفصيل القول حول هذا الموضوع الخطير.

فمن المواضيع التي تثار في المجال الفني السينمائي ما يسمى الضرورة الفنية، والمقصود بها حسب ما يفهم من مجمل النقاشات المثارة ذلك السياق الفني والفكري العام الذي يوجب ويحتم توظيف وورود بعض المكونات الفنية والجمالية التي قد تتناسب، أو لا تتناسب، وطبيعة المسار والتوجه العام والطبيعي للعمل الفني، غير أنها مخالفة تغتفر وتتجاوز، بل إنها قد تكون محبذة بل واجبة أحيانا، لأن السياق يفرض ورودها بذلك الشكل، ولأن جمالية وعمق العمل الفني لا يكتملان الا بها، وبهذا الصدد نشير الى أن المجال الشعري كان مصدر ظهور وانطلاق هذه الظاهرة الفنية عبر ما يسمى بالضرورة الشعرية التي يقصد بها عمد الشاعر الى إيراد وتوظيف بعض الكلمات على غير حالتها وشكلها الطبيعي لكي تتلاءم مع الوزن الشعري مثلا، أي استجابة للضرورة الشعرية (احترام وزن البحر الشعري) ثم انتقلت الظاهرة الى مختلف المجالات الفنية.

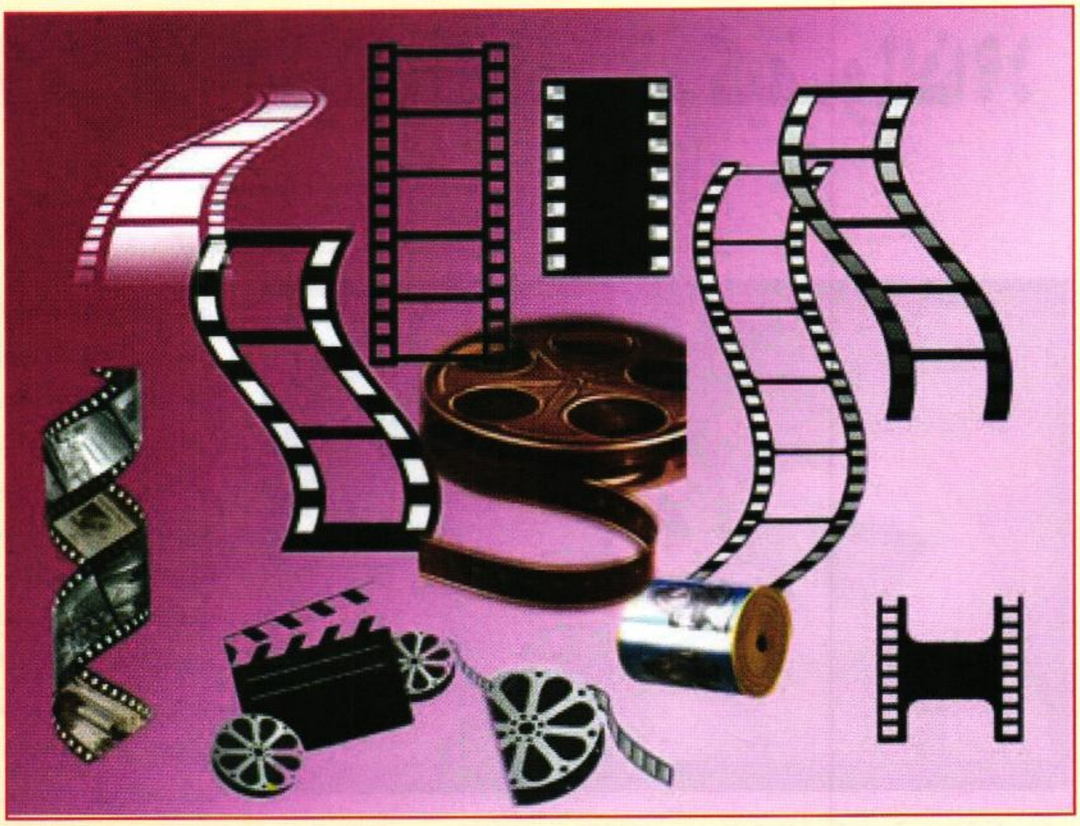
العري مرفوض مهما كانت درجته ونسبته في أي عمل سينمائي أو تلفزيوني أو فني عموما



وليس مرامنا في هذا المقام تفصيل تمظهرات هذه القضية في كثير من الميادين الفنية، بل همنا الإشارة الى قضية حساسة وهي عمل البعض على شرعنة العري فكريا وجماليا عبر التأكيد أن العري قد تمليه الضرورة الفنية وأن حذف بعض اللقطات أو عدم ايرادها قد يشوه العمل الفني أو ينقص من قيمته الجمالية وعمقه الإبداعي، وأن العري عندما يأتي مبررا فنيا فهو لا يمكن أن يعتبر خدشا للحياء أو مسا بالأخلاق إلا عند من لا يفهم في الفن والابداع شيئًا! أو عند من يخلط الأخلاق بالفن أو الفن بالواقع الحقيقي! وغيرها من التبريرات الكثيرة التي غالبا ما تورد كبراهين وحجج فنية ممنطقة على مشروعية العري في السينما والتلفزيون والفن عموما.

ونحن نؤكد رفضنا للعري مهما كانت درجته ونسبته في أي عمل سينمائي أو تلفزيوني أو فني عموما، وهو تصور لا يتم ولا ينطلق كما يتوهم البعض من أي توجه تضييقي على حرية الابداع إلزاما للمبدع بحدود حمراء تحكم وتلجم الابداع وتئد شرارته وانطلاقته، فنحن مع حرية الابداع في كل المجالات وضد كل اشكال التضييق والتحجير عليها، وندعو بكل قوة الى فتح المجال أمام كل الكفاءات والقدرات والأزهار كي تتفتح وتينع، غير انه لابد من الإشارة الى أن هذه الحرية، كما الحرية في أي ممارسة إنسانية، لا تعني الانفلات والتسيب، وأن

* كاتب سوري



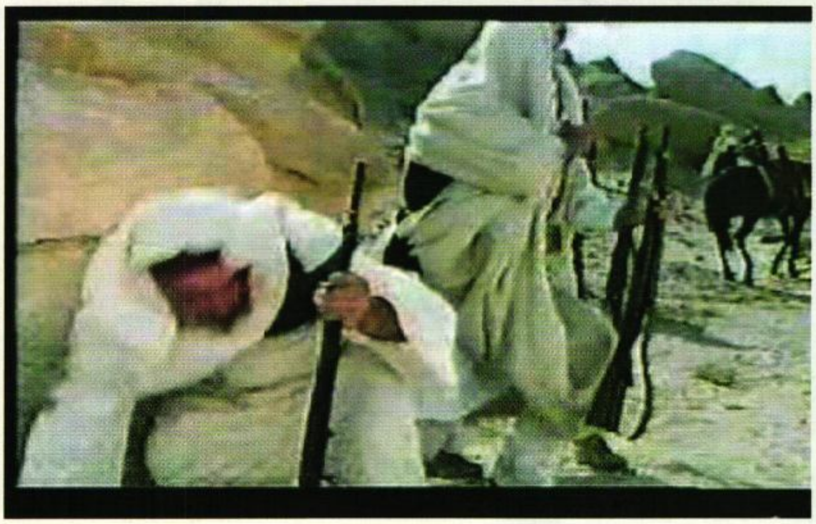
حرية الابداع والخلق لا تعني ولا يجب أن تعني تهميش و«إعدام» القيم والفضيلة والتي هي على أي حال جوهر وروح حضارتنا وقيمنا الإسلامية، وليست أبدا مجرد مواضعات اجتماعية يمكن تغييرها أو قبرها بداعي التطور أو الحداثة كما يتوهم البعض! إن الأخلاق والقيم الفاضلة كما يعلم الجميع في كثير من جوانبها استجابة لأوامر ربانية وهي تعتبر كذلك من مقاييس السمو والتميز الإنساني التي قد تصير الحياة بدونها عبثا وبهيمية ولا إنسانية، هذا مع إقرارنا طبعا بالتشوه في الفهم الذي قد يلحق بعض الممارسات الاجتماعية فيحولها تارة الى قيود متخلفة بدلا من أن تكون ضوابط ترشيدية نحو السمو والتقدم، كما نقر بتسرب بعض العادات والأعراف البالية التي لا تمت للدين أو الأخلاق الفاضلة بصلة فتلبس لبوس الدين زورا وبهتانا، وبعد هذا التوضيح نود الرجوع الى مبرر الضرورة الفنية لنتساءل عن هذه المبررات أو الضرورات الجمالية التي تفرض مثلا ايراد لقطة عري أو مشهد جنسي؟ هل المعنى لن يظهر ويتضح بدونها؟ فأين دور ووظيفة كل الأشكال والوسائل الرمزية والايحائية التي عرفها تاريخ الفن؟ خاصة أن الكل يؤكد أن الفن طريقة تعبير بالاشارة والرمز والايحاء؟ هل يراد بهذه اللفظات- وهذا ما يقال غالبا- اعطاء العمل السينمائي او التلفزيوني قوة وعمقا تعبيريين؟ فما المقصود بذلك؟ أليس هو في عمقه إثارة للمتلقي ومخاطبة لغرائزه، وبالتالي البحث عن الانتشار والإثراء ولو على جثة القيم والفضيلة؟ وهو على أي حال توجه ظهر في أصله كإفراز للمآل الذي سارت اليه المجتمعات الرأسمالية في مرحلة من مراحلها التاريخية، حيث أصبح ينظر للمرأة كجسد ليس إلا، أي كشيء وسلعة يجب توظيفها بكل الطرق- كما وظفت أشياء أخرى- للربح المادي ومضاعفة الايرادات، بينما يفترض من الفن الحق والصادق أن ينظر دوما للانسان في حالته السوية والمتوازنة والتوجه الى مختلف جوانب شخصيته، وحتى عند النظر الى بعض الجوانب او السلوكات الشاذة وإثارتها فلأجل تقويمها وترشيدها وليس إقرارها او طرحها على انها الحالة السوية! ونسارع هنا الى القول ان طبيعة المنطلقات الفكرية والفنية المتبناة هي التي تحدد طبيعة مسار ورؤية أي تناول أو تحليل، وبالتالي تحدد الأجوبة على اسئلة مثل: ما مفهوم الفن (السينما والتلفزيون في حالتنا)؟ وما وظيفته؟ وما دوره وعلاقته بالمجتمع؟ وما موقع الجمهور (المتلقي) من أي عمل فني؟ وهل يجب على المبدع «لحظة إبداعه» أن ينسلخ من كل ارتباطاته الحضارية والثقافية والاجتماعية- هل هذا ممكن حقا خدمة لحرية الابداع وتحقيقا لأقصى درجاته، أم إن الابداع الفني رسالة ومسؤولية ثقيلة حقا؟

وأخيرا نؤكد وفق كل ما سبق أن العري لا يمكن أن يكون أبدا ضرورة فنية أو فكرية، بل هو اختيار فكري وجمالي لدى من يتبنونه، وهنا نود تأكيد أن كثرة غرق وتشبع المشهد الفني عموما عالميا ومحليا بمشاهد العري والجنس (سينما وتلفزيون ومسرح وتشكيل... الخ) اضافة الى التشبع التغريبي والاستيلابي لكثير من «مبدعينا ومثقفينا» بالقيم الابداعية الغربية صالحها وطالحها تجعل كثيرين يرون- أو على الأصح يتوهمون- صعوبة، بل استحالة وجود سينما أو فن من دون عري وعرض لجسد المرأة! بل إن تجريد الفن وفق هذا الرأي من الجسد المكشوف هو اغتيال صريح للفن! إذن فالمسألة في عمقها حضارية وتربوية، تتداخل فيها عوامل ومؤثرات عديدة.

وختاما فالأمل معقود على كل الطاقات الغيورة الصادقة للعمل على تأسيس لبنات فن يستمد ويستفيد من كل انجازات الحضارة الإنسانية، لكن مع الانطلاق دوما وعدم التفريط أبدا في ثوابت وروح هويتنا وحضارتنا الإسلامية.

الحضور الإسلامي في السينما المعاصرة.. كيف ولماذا؟!

سيد عبدالحليم الشوربجي



تعد السينما من الأدوات الفاعلة والمؤثرة، بل والموجهة لوجدان وأفكار واتجاهات قطاعات كبيرة من الجماهير المسلمة، وتلعب مع غيرها من المستجدات الإعلامية الحديثة دورًا رئيسا في تشكيل عقلية ووجدان الجماهير، وإذا كان الأمر كذلك فما هو الموقف الإسلامي منها؟ وهل من الممكن تطويع السينما لخدمة قضايا الأمة الإسلامية؟ وهل يمكن أن تعمل السينما على نشر أفكار إسلامية برؤية سوية بعيدة عن الانحلال الملازم لها، والتشدد الذي يخاف البعض من ولوجه إليها؟ حقيقة إن النظرة الأولية لموقف الإسلام من السينما يعطي انطباعًا وميلًا إلى الرفض المطلق نظرًا لواقع السينما وما تبثه، من خلال أعمالها، من أفكار وممارسات بعيدة إلى حد كبير عن التصور الإسلامي، يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي: «أما السينما ففي اعتقادي أنها آخر فن يمكن أن يدخل في نطاق الفن الإسلامي، لا لأن السينما في ذاتها محرمة، ولكن لأنها بصورتها الحالية الهابطة العارية المنحلة بعيدة جدا عن الجو الإسلامي لكنها، ككل فن آخر - تستطيع أن تكون إسلامية حين تتبع مفاهيم الفن الإسلامي» (١).

والملاحظ أن نظرة الإسلاميين للمستجدات الحديثة بصفة عامة نظرة متباينة ومتفاوتة، فالسينما والتلفزيون مثلا عند ظهورهما وقف الإسلاميون منهما موقفا معاديًا ومحاربًا لما يبث من خلالهما، ولم تطرح فكرة المشاركة إلا مع ظهور الفضائيات، واستطاعت الفكرة الإسلامية أن تخترق عقول الجماهير من خلالها، وحينما ظهر الكمبيوتر ومن بعده انتشرت شبكة المعلومات (الانترنت) استطاع الإسلاميون أن يستفيدوا استفادة كبيرة منهما واستطاعوا الولوج من خلالهما إلى قطاعات كثيرة من الجماهير المسلمة، حتى أصبح الالتزام الإسلامي ظاهرة جماهيرية يشارك فيها كل فئات المجتمع وطبقاته بعد أن كانت، إلى حد ما، ظاهرة نخبوية.

صناعة سينما اسلامية من الألف إلى الياء أمر في غاية الصعوبة .. في وقتنا المعاصر

كما أن هناك بعض الاشكاليات والعوائق التي من الممكن أن تعترض طريق السينما التي تعالج أفكارًا إسلامية، فالحقيقة أن موضوع السينما موضوع معقد من الناحية العملية والواقعية إذا أردنا أن نخرج من طور النظريات إلى طور الواقع والتطبيق، فهناك عوائق كثيرة في طريق السينما الإسلامية، لعل أبرزها المجتمع الملتزم نفسه، فإن كلمة سينما تستدعي في الذهن كل ما هو حرام وبعيد عن تعاليم الإسلام، وبالتالي فإن المجتمع الملتزم سيكون أول الناقدين إن لم يكن الرافضين لها، خاصة أن المجتمع الملتزم تتجاذبه أفكار كثيرة، تصل بعضها إلى الرفض التام لمثل هذه الأفكار، بل يكاد ينظر فريق من الإسلاميين لمجرد طرح مثل هذا الموضوع على أنه نوع من الخبل، لذلك لا ينبغي أن يكون الجمهور الملتزم هو المستهدف بالدرجة الأولى من صناعة هذه السينما، وإنما ينبغي أن يكون التركيز على الجمهور العادي الذي يعتاد دخول السينما، فتراعى اهتماماته وقضاياه ولكن من خلال رؤية إسلامية تناسب ميوله واهتماماته.

ولعل هناك عائقًا أكبر وأهم من سابقه وهو المرأة، ومعلوم أن المرأة تشكل دورًا رئيسًا في صناعة السينما، فالسينما المعاصرة تقوم على المرأة كمرتكز رئيس في العمل السينمائي، فالعمل السينمائي يحتاج إلى المرأة بكل أطوارها الحياتية، يحتاج إليها في العمل وفي البيت وفي الشارع وفي الملهى وفي المطبخ وفي المسبح وفي غرفة النوم وفي كل مكان،

كاتب مصري

ومن الصعب أن يكون هناك عمل إسلامي تظهر فيه المرأة الملتزمة في بعض هذه الكيفيات، حتى وإن أسندت هذه الأدوار إلى نساء غير ملتزمات فإن الجمهور ربما لا يستسيغ عملًا إسلاميًا تظهر فيه المرأة بثياب مبتذلة أو مشهد غير لائق، خاصة أن النظرة الإسلامية لعمل المرأة في مجال الفن بصفة عامة فيها محاذير كثيرة.

ونرى أن صناعة سينما إسلامية من الألف إلى الياء- كما يقولون- تأليفًا وتمثيلًا وإنتاجًا، بمعنى أن تكون أجواء العمل السينمائي إسلامية مائة بالمائة، أمر في غاية الصعوبة في واقعنا المعاصر، وفي الوقت نفسه فإن ترك الساحة خالية من الأفكار الإسلامية أمر لم يعد مقبولًا، خاصة أن الفكرة الإسلامية أصبحت تنافس في كل قطاعات الحياة، فالحل في نظرنا أن ينشط المبدعون الإسلاميون، خاصة الكتاب والمؤلفين، في طرح موضوعات تحمل أفكار الإسلام وتصوراته الصحيحة عن الكون والحياة، ويكون الهدف من وراء ذلك هو تفعيل وطرح أفكار الإسلام ونشر قيمه ومبادئه في أوساط الشباب، خاصة أنهم يمثلون قطاعا كبيرًا من جمهور السينما، وفي أوساط الجماهير بصفة عامة، وحينما تطرح موضوعات تعالج أفكار إسلامية أو تحمل مضامين الخير والفضيلة بصورة واقعية تناسب الواقع، فإنها ستجد من يتبناها من المخرجين والممثلين والمنتجين ويخرجون بها إلى النور.

أفلام وألعاب العنف وأثرها في الأبناء

كمال عبدالمنعم خليل

للطفل هوايات ورغبات يحاول إشباعها، بغض النظر عن التفريق بين ما هو نافع وما هو ضار، لذلك لابد من توجيه الطفل نحو ما فيه فائدة له، وما هو بعيد عن كل خطر قد يلحق به، والملاحظ عند الأطفال بدءًا من سن السادسة أنهم يهوون رؤية لون معين من الأفلام، سواء كانت كارتونية أو غير ذلك، وهي أفلام الإثارة والعنف والصراع، وهي نوعية أصبحت في متناول كل طفل من دون بذل أي عناء، فإذا لم يجدها الطفل مذاعة على شاشات التلفاز وجدها في أفلام الفيديو، وإذا لم يتيسر هذا ولا ذاك فإن «النت» يسَّر هذه الأفلام وعمل على نشرها بسرعة وبكثافة بين أجهزة الحاسوب، والأطفال بطبعهم يحبون التطلع دائمًا إلى كل جديد، ويحدثون بعضهم بما يرونه ويتوفر لديهم، ويطلبون من والديهم جلب ما يحبون من أفلام وألعاب جلها يحتوي على العنف والضرب والحرب، وتزداد رغبة الابن ويلح في طلبها، وتحت هذا الإلحاح يلبي الأب رغبة ابنه حتى يسكته ويتخلص من إزعاجه وهو - لا شك- خطأ فادح يقع فيه الأب، لأنه المسؤول الأول عن تنشئة أبنائه، فلينظر كيف ينشئهم؟ وعلى أي سلوك يربيهم؟

كذلك فإن الأطفال يهوون أفلام الخيال والأساطير الوهمية مما يؤصل في نفوسهم أفكارًا واعتقادات خطأ، تنمو معهم، وتستقر في عقولهم رغم كبر سنهم، فضلا عن الأفكار والألفاظ التي تخالف العقيدة الإسلامية والتي تمتلئ بها معظم هذه الأفلام.

إن مثل هذه الأفلام لها مردود سيئ على الأطفال في كثير من الجوانب، منها التقليد الأعمى الذي يهواه الطفل، فما يراه أمامه يحاول أن ينفذه عمليًا وذلك بالاعتداء على زملائه، والتعدي على حاجاتهم، وأخذها عنوة، وإذا لم يجد الطفل رادعًا أو ناهيًا له عن هذا الفعل، اعتقد صحته ونشأ عليه ومارسه على أفراد المجتمع عند كبره، ولا نأمن ارتكابه



الجرائم بعد ذلك، فمن شب على شيء شاب عليه، وكم من الآباء يشكون عصبية أبنائهم واعتدائهم على بعضهم؟ لدرجة أن بعضهم اتخذ هذه العصبية وهذا العدوان سلوكا يتعامل به مع أقرانه، ويتسبب هذا الطفل في مشكلات جمة لوالديه، ولا يفكر الأب لماذا هذا السلوك العدواني ليبحث له عن حل؟ وربما فكر وتوصل إلى السبب لكنه لا يستطيع علاجه، ذلك لأن الطفل وصل إلى مرحلة إدمان هذا السلوك وتشبع به.

إننا نوجه في هذه الكلمة نداءين: أحدهما للوالدين بضرورة مراقبة ما يراه الابناء ويشاهدونه على شاشتي التلفاز والحاسوب، ليقفا على حقيقة سلوك الأبناء، ومن ثم يمكن تقويم سلوكهم متى اعوج، وتهذيبه متى زاغ.

أما النداء الثاني فهو لشركات الإنتاج الفني الإسلامي- وهي كثيرة- بضرورة توفير الأفلام الهادفة، والألعاب المسلية التي تنمي ذكاء الطفل، وتكسبه معارف جديدة ومفيدة، وعدم الاكتفاء باستيراد المواد الإعلامية التي تخص أطفال الغرب، لأننا لا نأمن جانبها، فمعظمها يربي الطفل على العنف والاعتداء على الآخر، وقل أن تجد فيها شيئًا نافعًا، فلنحذر، ولنراقب أبناءنا قبل أن يفلت الزمام، وعندها ولات حين تقويم أو توجيه.

المسرح الأميركي يسخر من السيد المسيح ويقدمه وحوارييه كأشخاص عصرية ماجنة وخليعة

منصور أبو العينين

تجتاح الصحافة الغربية، الأميركية والبريطانية، هذه الأيام حمى السخرية من النصرانية ومن سيدنا عيسى عليه السلام بدعوى الانفتاح وحرية الكلمة، فتارة يقدمون المسيح على خشبة المسرح، في أحدث مسرحياتهم الساخرة، كشخصية خليعة ماجنة، وتارة أخرى يكتبون مقدمة لطبعة شعبية من الإنجيل تدعو إلى قراءته باعتباره نوعا من الأدب وليس باعتباره كلام الله، وكرد فعل لهذه التصرفات تخرج مظاهرات متفرقة تطالب بعدم السخرية من المسيح، كما يرفض أحد موزعي الإنجيل القيام بعمله في توزيع هذه الطبعات، كذلك يرفع أحد المحامين دعوى أمام المحاكم ضد نشر تلك الطبعات من الإنجيل.

عيسى المسيح.. بطل سينمائي!

لم يندهش العاملون في مسرح مانهاتن، أهم مسارح برودواي الأميركية، عندما شاهدوا بعض المتظاهرين الذين احتشدوا أمام المسرح، يستعدون لاقتحامه بسبب افتتاح مسرحية «عيد الجسد» من تأليف الكاتب المسرحي «تيرنس ماكنللي». فقد كانت هذه المظاهرة شيئا متوقعًا، وقد تقدم هذه المظاهرة عدد من الكهنة الفرنسيكان وهم يقومون بتوزيع المنشورات التي تطالب بإجهاض تقديم هذا العمل المسرحي، لأنه يسخر من السيد المسيح ويسيء الى الدين المسيحي، ولم يجد المسؤولون عن المسرح مفرا من استئجار شركة أمن خاصة لتوفير الأمن اللازم للمسرح، إضافة إلى قوات أمن نيويورك، وعلى الرغم من ذلك لم يكن هناك بد من إلغاء العرض أو تأجيله خوفًا على حياتهم بعد ان وصلتهم رسائل تهديد بالقتل مجهولة المصدر.

يتلخص موضوع المسرحية، كما نشرته مجلة «نيوزويك الأميركية» في تقديم السيد المسيح، باعتباره بطلها، ومعه حواريوه كشباب عصري يتصفون بالخلاعة والمجون والتفسخ الأخلاقي.

ويدافع المؤلف عن مسرحيته، المثيرة للفتنة، قائلًا: إنها تقدم قصة قديمة في ثوب جديد، وذلك كما جاء على لسان أحد شخصياتها في بداية المسرحية وبعد رفع الستار مباشرة قائلًا: «إننا لسنا حواة أو سحرة، إننا نقدم لكم الواقع بعينه»، بعد ذلك يدنو يهوذا الاسخريوطي، الذي قيل إنه خان المسيح، منه ليخاطبه في الحمام أثناء حفل راقص، وتتوالى فصول المسرحية على نحو مثير للفتنة، ومع أن المسرحية لا تتضمن الخوض في المسائل الجنسية بشكل صريح فإنها، كما تقول المجلة الأميركية، تتعرض لهذه الموضوعات بشكل ضمني، كما أنها لا تعرض السخرية والهجاء اللاذع بشكل رخيص وممجوج.

ويصر المؤلف على أن مسرحيته جادة وتحترم قصة المسيح وتقدمها بأسلوب عصري حديث يقترب تمامًا من القصة الأصلية، فهي تقرر، على لسان أحد الحواريين أن المسيح قد شفى سائق شاحنة (!!!) من الجذام، وأحيا الموتى، وتنبأ- أثناء عشائه الأخير- بخيانته، ويعلق أحد الحواريين على نبوءة المسيح أثناء حفل العشاء الأخير قائلًا: «إنه ثمل مخمور أيها الشباب.. إن ذلك هو حديث الخمر وليس حديثه هو».



باحث مصري

مثقفون ورجال دين نصارى يتساءلون: هل الإنجيل كتاب مقدس؟!

أما وليام دونوهيو، رئيس الجمعية الأميركية للحقوق الدينية والمدنية وأشد المعارضين للمسرحية سلميا، فإنه يستنكر العنف رغم أنه يهاجم المسرحية التي يقول إنه لم يقرأها أو يشاهدها، ويصفها بأنها لادينية ومثيرة للبغضاء والكراهية، ويعلن أن جمعيته تخطط مع جماعات أخرى للقيام بمظاهرات ليلة افتتاحها، أما جريج لوكاس، المؤلف المسرحي فإنه يدافع عنها بقوله: «إنها عمل شجاع.. وإن الشجاعة تقتضي أن يهدأ هؤلاء الغاضبون ويشاهدوا المسرحية».

وتختتم «النيوزويك» تعليقها بالقول: «لو كان الهدف من المسرحية حقا تقديم تعاليم المسيح حية للمشاهد المعاصر



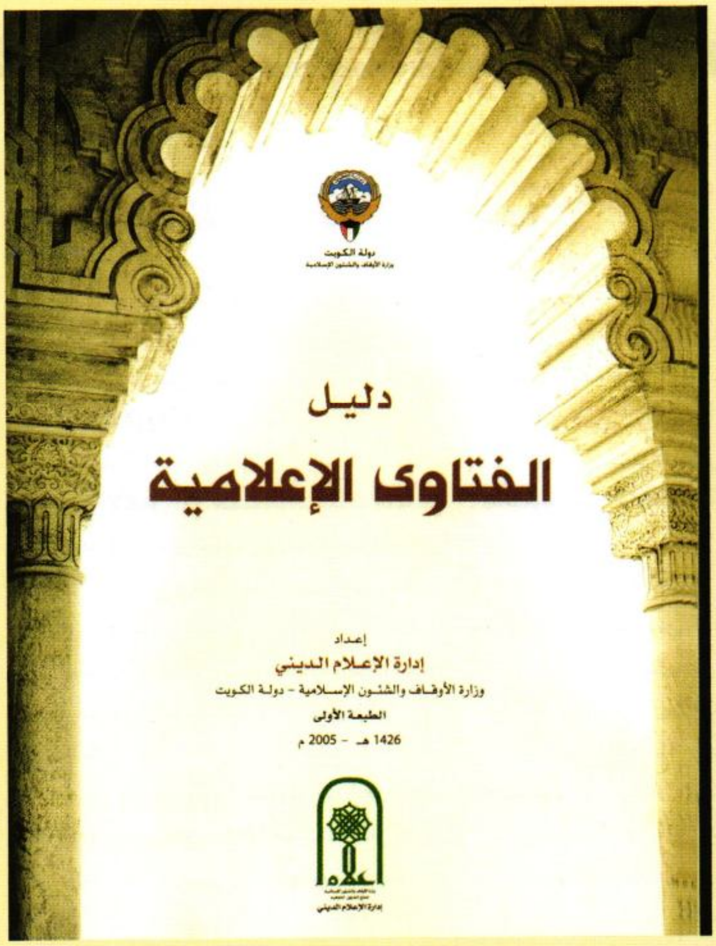
لبادر المسيحيون الأصوليون بدعمها وتأييدها بدلا من محاولة إجهاضها».

هل الإنجيل كتاب مقدس؟

لم تكن مسرحية «عيد الجسد» هي العمل الفني الوحيد الذي يسخر من السيد المسيح بشكل أثار الفتنة، لاسيما بين الأصوليين المسيحيين، بل كانت هناك فتنة من نوع آخر، كانت هذه المرة حول مدى قدسية الإنجيل، وعما اذا كان ينبغي على قرائه أن يقرأوه باعتباره عملا أدبيا وليس باعتباره كلام الله.

مجلة «الإيكونوميست» البريطانية، المعروفة بمصداقيتها وتحفظها، نشرت في عددها الأخير مقالًا بعنوان «إلى أي مدى يمكن اعتبار الإنجيل كتابًا مقدسًا؟» قالت فيه:

«لقد ظلت تفسيرات وتأويلات الإنجيل منذ قرون محل نزاع وصراع وعنف صريح غير متحفظ، أما ما حدث أخيرًا بشأنه فقد كان شيئا استثنائيًا وغير عادي، فقد قامت شركة نشر انجليزية تدعى «إدنبرة» بنشر طبعة من الإنجيل للجيب، شعبية ورخيصة الثمن بقيمة جنيه استرليني واحد للنسخة الواحدة، أما سبب المشكلة فهو اشتراك اثنتي عشرة شخصية بارزة، تضمنت عالمًا وأسقفا (رجل دين كبير) وعشرة كتاب مشهورين آخرين في كتابة مقدمة لهذه الطبعة، كانت نتيجتها تقديم المسؤول عن التوزيع استقالته بعد أن رفض توزيعها



أسقف بريطاني يطالب النصارى بقراءة الإنجيل باعتباره شعرًا وليس كتابًا من عند الله

وقيام محام كبير برفع دعوى قضائية علىً دار النشر لإيقاف توزيع هذه الطبعة الأخيرة التي أثارت الفتنة، وتتلخص فحوى هذه المقدمة في أنها تطالب قراء الإنجيل بقراءته على أنه عمل أدبي للمتعة، وليس- ببساطة- على انه كتاب من عند الله، ويدافع كتاب المقدمة عن رأيهم بالقول: إن موقف النخبة المثقفة من الإنجيل ورأيهم فيه قد تغير كثيرًا خلال السنوات المائة والخمسين الأخيرة، يقول اسقف إدنبرة الذي شارك في كتابة المقدمة: إن هناك خطرًا في محاولة تفسير النصوص الدينية، فنظرا لعجز الكلمات عن تقديم مدلولاتها فإنه من الحماقة تصور أن ارادة الله يمكن أن تتمثل في الإنجيل، وهكذا فهو يرى أنه على قراء الإنجيل أن يقرأوه على أنه شعر وليس عقيدة، لأنه لا يمكن أن يهديك إلى الله، لكنه يمكن أن يشبع الرغبة الجامحة في الإنسان في معرفة ما وراء نطاق الخبرة البشرية.

فتاوى المجامع الفقهية المعتبرة وأقوال العلماء في حكم تمثيل الأنبياء والصحابة

فتاوى قطاع الإفتاء بالكويت (٢/ ١٢٧) في حكم التمثيليات والمسرحيات

ورد إلى لجنة الفتوى سؤال بخصوص «التمثيليات الإسلامية والمسرحيات» (الرأي الشرعي فيها، وفي عناصرها، ودور المرأة فيها).

أجابت اللجنة بما يلي:

(أ) الأصل أن التمثيليات والمسرحيات مباح إنتاجها والعمل فيها من تمثيل وإخراج وعرض وغير ذلك إذا روعي فيها الأمور المعتبرة شرعًا، وذلك لأن التمثيل من أحسن الوسائل التثقيفية، وأن تأثيره في النفوس أقوى من كثير من الوسائل التقليدية.

(ب) لابد في التمثيليات التاريخية الإسلامية من أن تكون صادقة تاريخيًا، بأن تتقيد في إيراد الوقائع والظروف المحيطة بها بتمثيل ما كان واقعًا، قدر الإمكان، وذلك بأن تكون موافقة للروايات الصحيحة الواردة في المصادر الإسلامية الموثوقة، وخاصة في التمثيليات التي تتعرض لحياة النبي ﷺ وأصحابه وأبطال الإسلام.

(ج) لا يجوز تمثيل النبي ﷺ وخلفائه الأربعة الراشدين وأمهات المؤمنين، ويستعاض عن ذلك بأن تحكي بعض الشخصيات الأخرى أقوالهم.

(د) لا مانع من ظهور المرأة في التمثيل بشرط أن تكون محتشمة غير مبتذلة في ملابسها وحركاتها وسائر المواقف التمثيلية، على ألا يقتضي التمثيل الخلوة غير المشروعة في أي مرحلة من مراحله.

(هـ) لا مانع أن تكون التمثيليات دائرة حول قصص متخيلة غير حقيقية.

(و) يراعى في أهداف المسرحيات والتمثيليات أن تكون مقررة لمحاسن الأخلاق والآداب ومنفرة عن مساوئها ومرغبة في أن تكون الحياة ملتزمة بالإسلام، بعيدة عن الإثارة الجنسية والإسفاف الخلقي.

(ز) ترى اللجنة أنه يحسن من الوزارة الدعم المادي بالمكافآت التشجيعية للمسرحيات التي تحقق مستوى رفيعًا من الالتزام بالمنهج الإسلامي والدعوة الإسلامية، وتنتج تأثيرًا ثقافيًا واجتماعيًا ممتازًا، وأن تسعى الوزارة للاتصال بمنتجين مختارين لتدفعهم نحو إنتاج مسرحيات تحقق الأهداف الإسلامية.. والله أعلم.

حكم تمثيل الأئمة والعلماء (فتوى رقم/ ٢٢٢ع/ ٢٠٠١)

السؤال: نود أن نعرض عليكم مشروع «قصص الأطفال»، وذلك لمعرفة الحكم الشرعي فيها، حيث إننا نقوم بإنتاج قصص للأطفال (للأئمة والعلماء) مثل الإمامين البخاري ومسلم، وأئمة الفقه الأربعة، وأبي حامد الغزالي وابن تيمية وغيرهم من العلماء، وتكون القصة لتاريخ حياتهم، والمواقف التي مرت عليهم، ولهذا فإننا نحتاج الى رسوم صور تجسد هؤلاء العلماء والأئمة، وذلك تيسيرًا لتعلم الأطفال القراءة، والتعلق بعلماء الأمة، ونود معرفة الحكم الشرعي في هذه الصور، وأخيرًا فإن القصص تهدف إلى مخاطبة الأطفال من سن (٣-٨) سنوات.

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

إن تصوير ورسم الأئمة والعلماء في الكتب والمواد التعليمية جائز شرعًا، على أن يلاحظ سلامة المضمون من الناحية الدينية، وأن تكون الصورة مقاربة لحال صاحبها قدر الإمكان، وأن يتجنب تصوير أو رسم الأنبياء والملائكة والخلفاء الراشدين الأربعة وزوجات النبي ﷺ وبناته رضي الله عنهن.

قرار لجنة الفتوى بالأزهر في حكم تمثيل الأنبياء

صدرت فتوى مستفيضة من اللجنة المختصة بالفتوى في «مجلة الأزهر» في عددها الصادر في رجب عام ١٣٧٤هـ، وهذا نص المقصود منه:

التمثيل في المسرح

تشخيص الأفراد الذين تتألف منهم القصة أو الرواية التي يراد عرضها على النظارة تشخيصا يحكيها طبق أصلها الواقع أو المتخيل، أو هو بعبارة موجزة: ترجمة حية للقصة وأصحابها، وقد تلتقط صورة للممثلين في المسرح على شريط خاص يسمونه (الفيلم) ليعرض على النظارة في شاشة السينما.

هل يمكن تمثيل الأنبياء؟ لندع القصص المكذوبة على أنبياء الله جانبا، ولنفترض أن التمثيل لا يتناول إلا القصص الحق الذي قدمنا شذرات منه عاجلة، ثم نتساءل:

١- كيف يمثل آدم أبو البشر وزوجه وهما يأكلان من الشجرة؟ وما هي هذه الشجرة؟ أهي شجرة الحنطة؟ أم هي شجرة التين؟ أم هي النخلة؟

وعلى أي حال نمثلهما وقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟ وهل نمثل الله تعالى وقد ناداهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؟! أو نترك تمثيله تعالى وهو ركن في الرواية ركين؟! سبحانك سبحانك، نعوذ بك من سخطك ونقمتك ومن

هذا الكفر المبين؟!

٢- وكيف يمثل موسى وهو يناجي ربه؟ وكيف يمثل وقد وكز المصري فقتله؟ بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة، ورماه فرعون بأنه مهين، ولا يكاد يبين؟ وكيف تمثل العقدة التي طلب من الله أن يحلها من لسانه؟ وما مبلغ كفر النظارة والممثلين إذا أفلتت- ولابد أن تفلت- منهم فلتة مضحكة أو هازئة حينما يتمثلون الرسولين وقد أخذ أحدهما برأس الآخر وجره إليه؟ وما مبلغ التبديل والتغيير لخلق الله الفطري ليطابق هذا الخلق الصناعي وقد عملت فيه أدوات الأصباغ والعلاج عملها؟

٣- وكيف يمثل يوسف الصديق وقد همت به امرأة العزيز وهم بها لولا أن رأى برهان ربه؟ وما تفسير الهم في لغة الفن؟

٤- وكيف يمثل أنبياء الله وأقوامهم يرمونهم بالسحر تارة، وبالكهانة والجنون تارة أخرى؟ بل كيف يمثلون حينما كانوا يرعون الغنم؟ «وما من نبي إلا رعاها». بل كيف يمثلون وقد آذاهم المشركون ولم يستح بعضهم أن يرمي القذر والنجس على خاتم النبيين وهو في الصلاة والكفار يتضاحكون؟ سيقول السفهاء من النظارة- وما أكثرهم- مقالة المستهزئين الكافرين من قبل: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾؟ وسيغضب فريق لأنبياء الله ورسله فيقاتلون السفهاء، وينتقمون منهم، وتقوم المعارك الدينية لا محالة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

لسنا بحاجة بعد هذا إلى بيان أن من قصص الأنبياء ما لا يستطاع تشخيصه، وأن ما يستطاع تشخيصه من قصصهم فهو تنقيص لهم، وازدراء بهم، وحط من مقامهم، وانتهاك لحرماتهم وحرمات الله الذي اختارهم لرسالته واصطفاهم لدعوته.. لاريب في ذلك كله ولا جدال.

وهذا كله في القصص الحق الذي قصه الله علينا ورسوله، وأما القصص الباطل- وما أكثره- فهو زور على زور، وكفر على كفر، وهو البلاء والطامة.. وما نظن أن أحدا يستطيع أن يجادل في هذه الحقائق الناصعة.. وأكبر علمنا أن أول من يخضع لها ويؤمن بها هم أهل الفن أنفسهم، فإنهم أرهف حسا، وأشد إدراكا لمقتضيات التمثيل وملابساته.

على أنا لو افترضنا محالا، أو سلمنا جدلا بأن تمثيل الأنبياء لا نقيصة فيه ولا مهانة، فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم، وتعريضهم للسخرية والمهانة، فالنتيجة التي لا مناص منها ولا مفر: أن تشخيص الأنبياء تنقيص لهم، أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة .

وسد الذرائع ركن من أركان الدين والسياسة، فقد أجمع العلماء أخذا من كتاب الله وبيان رسوله ﷺ، على أن من أعمال الناس وأقوالهم ما حرمه الله تعالى؛ لأنه يشتمل على المفسدة من غير وساطة؛ كالغصب والقذف والقتل بغير حق، وأن من الأعمال والأقوال ما حرمه الله سبحانه؛ لأنه ذريعة إلى المفسدة، ووسيلة إليها، وإن لم يكن هو في نفسه مشتملا على المفسدة، ومن ذلك مناولة السكين لمن يسفك بها دما معصوما، فالمناولة في نفسها عارية عن المفسدة، ولكنها وسيلة إليها، ومن ذلك سب معبودات المشركين وهم يسمعون، فهو في نفسه جائز، ولكنه منع لجره إلى مفسدة، وهي إطلاق ألسنة المشركين بسب الله تعالى؛ ولهذا نهانا الله سبحانه عن هذا السب فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض، هو نفسه جائز، فقد فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصبية، وقد تخاصم مسلم ويهودي في العهد النبوي، ولطم المسلم وجه اليهودي؛ لأنه أقسم بالذي اصطفى موسى على العالمين، وأقسم المسلم بالذي اصطفى محمدا على العالمين، فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين صلى الله


الجامع الأزهر

وسلم عليهم أجمعين غضب حتى عرف الغضب في وجهه، وقال: «لا تخيروني على موسى»، ثم أثنى عليه بما هو أهله، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله تعالى؛ سدا لذريعة الفتن، وحرصا على وقارهم صلوات الله وسلامه عليهم، وإذا كانت الدول تشدد في سد الذرائع وترى ذلك ركنا من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية، فإنه في العقائد أخلق، وفي مقام النبوة أوجب وأحق.

إن حقا محتوما علينا أن نجل الأنبياء، وأن نجل آل الأنبياء وأصحاب الأنبياء عن التمثيل والتشخيص، واحتراما وإجلالا للأنبياء أنفسهم؛ لأن حرمتهم مستمدة من حرمة الأنبياء، كما أن حرمة الأنبياء مستمدة من حرمة الله عز وجل، وهذا بعض حقهم على الإنسانية جزاء ما صنعوا لها من جميل، وأدوا إليها من إحسان.

وجملة القول: إن أنبياء الله تعالى ورسله معصومون بعصمة الله لهم من النقائص الخلقية والخلقية، وأن تمثيلهم تنقيص لهم، أو ذريعة إلى التنقيص لا محالة، وكلاهما مفسدة أو مؤد إلى المفسدة التي من شعبها إثارة العصبيات والفتن التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

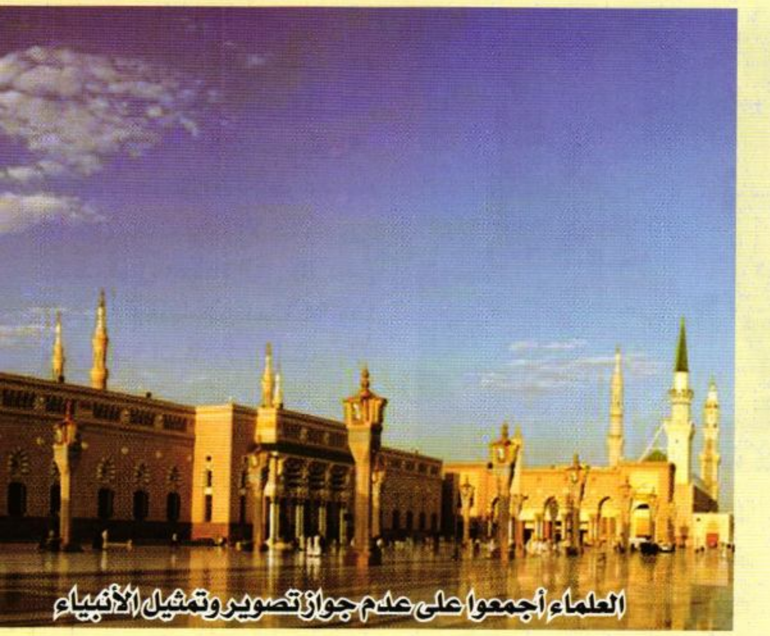
وإن في الأدب والتاريخ وتصوير الفضائل ومكارم الأخلاق لميدانا فسيحا للفن والتمثيل، فليتجه إليها الفن ما شاء له الاتجاه، وليبتكر ما شاء له الابتكار، وليدع أنبياء الله ورسله محفوفين- كما حفهم الله تعالى- بالجلال والوقار، وليعمل على أن يكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر، فطوبى لمن كان كذلك، والويل ثم الويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه وغيرته لأنبيائه.

قرار رابطة العالم الإسلامي

(مجلة البحوث الإسلامية: ١/ ٢٢٨)

صدر قرارها بخصوص تمثيل رسول الله ﷺ في فيلم، واستعرَض حكم تمثيل أصحاب رسول الله ﷺ بما نصّه:

«وكما يحرم ذلك كله في حق الرسول ﷺ يحرم تمثيل الصحابة الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين باتفاق أهل العلم؛ لشرفهم بالصحبة العظيمة، واختصاصهم بها دون من عداهم من الناس، ولكرامتهم عند الله تعالى وثنائه عليهم؛ فهم أحقّاء إجماعا بالتكريم والتعظيم والتوقير؛ ولذلك أجمع أهل العلم على حرمة تصويرهم في الأفلام أو على المسارح؛ لما فيه من المنافاة الصارخة لكل ذلك».



العلماء أجمعوا على عدم جواز تصوير وتمثيل الأنبياء

قرار هيئة كبار العلماء بالسعودية

حول حكم تمثيل النبيّ ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم، (أبحاث هيئة كبار العلماء: ٣/ ٢٩٣)

اطلعت الهيئة على خطاب المقام السامي رقم (٤٤/ ٩٣/ ١) وتاريخ ١/ ١/ ١٣٩٣هـ، الموجه إلى رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، والذي جاء فيه ما نصه:

نبعث إليكم مع هذا الرسالة الواردة إلينا من طلال ابن الشيخ محمود البسني المكي مدير عام شركة لونا فيلم من بيروت بشأن اعتزام الشركة عمل فيلم سينمائي يصور حياة بلال (مؤذن رسول الله ﷺ) ونرغب إليكم بعد الاطلاع عليها عرض الموضوع على كبار العلماء لإبداء رأيهم فيه وإخبارنا بالنتيجة.

وقررت الهيئة بالإجماع ما يلي:

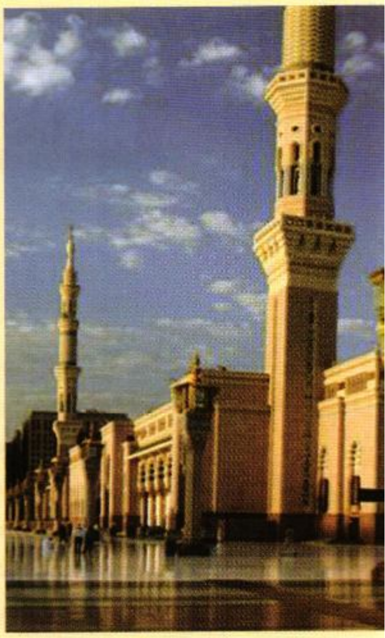
١- أن الله سبحانه وتعالى أثنى على الصحابة، وبين منزلتهم العالية، ومكانتهم الرفيعة، وفي إخراج حياة أي واحد منهم على شكل مسرحية أو فيلم سينمائي منافاة لهذا الثناء الذي أثنى الله تعالى عليهم به، وتنزيل لهم من المكانة العالية التي جعلها الله لهم وأكرمهم بها.

٢- أن تمثيل أي واحد منهم سيكون موضعا للسخرية والاستهزاء به، ويتولاه أناس غالبا ليس للصلاح والتقوى مكان في حياتهم العامة، والأخلاق الإسلامية، مع ما يقصده أرباب المسارح من جعل ذلك وسيلة إلى الكسب المادي، وأنه مهما حصل من التحفظ فيشتمل على الكذب والغيبة، كما يضع تمثيل الصحابة رضي الله عنهم في أنفس الناس وضعا مزريا، فتتزعزع الثقة بأصحاب الرسول ﷺ، وتخفّ الهيبة التي في نفوس المسلمين من المشاهدين، وينفتح باب التشكيك على المسلمين في دينهم، والجدل والمناقشة في أصحاب محمد ﷺ، ويتضمن ضرورة أن يقف أحد الممثلين موقف أبي جهل وأمثاله، ويجري على لسانه سب بلال وسبّ الرسول ﷺ وما جاء به من الإسلام، ولاشك أن هذا منكر، وكما يتخذ هدفا لبلبلة أفكار المسلمين نحو عقيدتهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ.

٣- ما يقال من وجود مصلحة، وهي إظهار مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، مع التحري للحقيقة، وضبط السيرة، وعدم الإخلال بشيء من ذلك بوجه من الوجوه؛ رغبة في العبرة والاتعاظ، فهذا مجرد فرض وتقدير، فإن من عرف حال الممثلين وما يهدفون إليه عرف أن هذا النوع من التمثيل يأباه واقع الممثلين، ورواد التمثيل، وما هو شأنهم في حياتهم وأعمالهم.

٤- من القواعد المقررة في الشريعة أن ما كان مفسدة محضة أو راجحة فإنه محرم، وتمثيل الصحابة على تقدير وجود مصلحة فيه، فمفسدته راجحة؛ فرعاية للمصلحة وسدا للذريعة وحفاظا على كرامة أصحاب محمد ﷺ يجب منع ذلك.

وقد لفت نظر الهيئة ما قاله (طلال) من أن محمدا ﷺ وخلفاءه الراشدين



هم أرفع من أن يظهروا صورة أو صوتا في هذا الفيلم؛ لفت نظرهم إلى أن جرأة أرباب المسارح على تصوير بلال وأمثاله من الصحابة إنما كان لضعف مكانتهم، ونزول درجتهم في الأفضلية عن الخلفاء الأربعة، فليس لهم من الحصانة والوجاهة ما يمنع من تمثيلهم وتعريضهم للسخرية والاستهزاء في نظرهم، فهذا غير صحيح؛ لأن لكل صحابي فضلا يخصه وهم مشتركون جميعا في فضل الصحبة وإن كانوا متفاوتين في منازلهم عند الله جل وعلا، وهذا القدر المشترك بينهم وهو فضل الصحبة يمنع من الاستهانة بهم.

قرار المنظمات الإسلامية العالمية

وذلك في دورتها المنعقدة في مكة المكرمة في ذي الحجة سنة ١٣٩٠هـ، ونصه:

قرّر المؤتمر استنكاره الشديد لمحاولة إخراج فيلم سينمائي يمثل فيه النبي ﷺ بأية صورة من الصور أو كيفية من الكيفيات، كما يستنكر تمثيل الصحابة رضي الله عنهم، ويناشد المؤتمر كل الحكومات الإسلامية أن تقضي على هذه المحاولة في مهدها.

فتوى الشيخ عبدالحليم محمود (فتاويه: ١٠٩١/١)

إن التمثيل في ذاته وسيلة ثقافية، سواء كان على المسارح أو الشاشة أو التلفزيون، فإن كثيرًا من روائع التاريخ وأحداث السياسة، ومواقف الأبطال في ساحات الجهاد والدفاع عن الأوطان ينبغي أن يتجدَّد ذِكْرُها، ويُنادَى بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة، وذلك إذا كان تمثيلها تمثيلًا واقعيًا صحيحًا. غير أن التمثيليات قد تتجاوز الأهداف الجِدِّيَّة وتُتَّخَذ وسيلةً لِما هو ممنوع.

ولَمَّا كان الرسول ﷺ مقامُه أعلى مقام وحرَكاته وسكَناته وحديثه تشريع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، فإن منزلته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فوق منزلة الناس، وذلك يُؤْخَذ من قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دعاءَ الرسولِ بينَكُمْ كدُعاءِ بَعْضِكُمْ بعضًا﴾ وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الذينَ آمنُوا لا ترفَعُوا أصواتَكُمْ فوقَ صوتِ النَّبيِّ ولا تَجْهَرُوا له بالقولِ كجهرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحبَطَ أعمالُكُمْ وأنتُم لا تشعُرونَ﴾.

ولا تُوجَد شخصية تُماثِل شخصية الرسول ﷺ ولا يجوز تمثيله بأي حال من الأحوال، وهذا للاعتبارات الآتية:

١. لأن مقامَه أعلى وأجلُّ من أن يُتَّخَذ وسيلةً للتمثيل وغيره.

٢. كل ما يصدُر عن الرسول ﷺ تشريع؛ لأنه لا ينْطق عن الهوى.

٣. هو القدوة الحسنة في كل الأعمال.

٤. التمثيل قد ينحرف بالمُمَثِّل إلى ما لا يُناسب مقام الرسول، صلوات الله وسلامه عليه. لكل هذا ينبغي أن يُسَدَّ هذا الباب نهائيًا ولا يَصِحُّ التفكير فيه؛ لأنه فتنة وفساد كبير

فتوى الشيخ رشيد رضا

(فتاوى رشيد رضا: ٢٣٤٨/٦).

السؤال: هل يجوز تمثيل حياة بعض الصحابة على شكل رواية أدبية خلقية تظهر محاسن ذلك الصحابي الممثل؛ لأجل الاتعاظ بسيرته ومبادئه العالية مع التحفظ والتحري لضبط سيرته دون إخلال بها من أي وجهة كانت، أم لا؟

الجواب: لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل الصحابة أو أعمالهم الشريفة بالصفة المذكورة في السؤال.

وأما تمثيل قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد عللوه بأنه درس وعظ مؤثر، يعنون أن كل ما كان كذلك فهو جائز، وهذه الكلية المطوية ممنوعة، وتلك المقدمة الصريحة غير متعينة، فإن هذه القصص قد توضع وضعا منفرا، فلا تكون وعظا مؤثرا، وإن من الوعظ المؤثر في النفوس ما يكون كله أو بعضه باطلا، وكذبا وبدعا، أو مشتملا على مفسدة أو ذريعة إليها، ويشترط في جواز الوعظ أن يكون حقا لا مفسدة فيه، ولا ذريعة إلى مفسدة.

وبناء على هذا الأصل.. العُرْف الإسلامي العام يَعُدّ تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزريا بقدرهم.

في التراث العربي

ثقافة التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة

د. خالد فهمي

تمثل دراسة ثقافة التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة نقطة ضوء تعكس الملمح الإنساني الذي ما يزال باقيا في بنية كثير من العلوم المعاصرة، وهو ما ظهرت تجلياته في غير ما تخصص، ولاسيما المجال القانوني الذي شهد صدور عدد من قوانين حماية ذوي الاحتياجات الخاصة وتعليمهم، وتقديم التسهيلات، وإعادة التأهيل، ومساعدتهم فيما يتعلق بالتقنية.

واستعمال مصطلح «ذوي الاحتياجات الخاصة» مرادفا بديلا للمعاقين أو الإعاقة نشأ بسبب مما يسمى في دراسات التطور اللغوي باللامساس أو الخطر، وهو المكافئ الترجمي لكلمة Taboo، وهو أن «بعض الألفاظ تصاب بما يشبه الحظر على استعمالها في المجتمع؛ لأن الناس يتشاءمون من ذكرها، معنى ذلك أن إرادة تحديد لفظ جديد دليل على معنى الإعاقة من غير أصواتها كان محكوما بإرادة تجنب الإيذاء النفسي الذي قد يتولد من هذا المصطلح الذي صار قديما بسبب الذي قدمناه في تفسير غيابه، وظهور مرادفه.

إن تأمُّل مصطلح الاحتياجات الخاصة، الذي هو مرادف لمصطلح الإعاقة المهجور، يظهر أنه ناتج منطقي لما يسمى في الجهاز الاصطلاحي لهذا العلم باسم العجز Disability.

مدونات تأصيلية لازمة

تمثل المدونات التأصيلية لحقل من الحقول المعرفية واحدة من اللوازم الأساسية لأية معالجة علمية تتوخى أن تتوصل إلى نتائج مفيدة في هذا المجال.

ولعل أهم أنواع للمدونات التأصيلية اللازمة لتنمية الوعي بثقافة التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة في التراث العربي تتمثل في المحاور التالية:

أ- مدونة الآيات القرآنية الكريمة الخاصة بذوي الاحتياجات، وهذا المطلب لازم لقضية التفسير الموضوعي الذي يلزم النهوض به لاستجلاء نظر الكتاب الكريم في قضية الإعاقة والتعامل معها.

وتقترح الورقة ابتداء صناعة معجم موضوعي لحقول الإعاقة والاحتياجات الخاصة في الكتاب الكريم.

ب- مدونة الأحاديث النبوية الشريفة، وتتجلى الغاية من جمع هذه المدونة ببيان الهدي النبوي الكريم في التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وتقترح الورقة صناعة مدونة حديثية تجمع كل ما روي عن النبي ﷺ في هذا الباب مرتبة موضوعيا، ومفهرسة هجائيًا، مع بيان درجة كل حديث ومظنة الإفادة منه.

ج- مدونة أدب الإعاقة، وتهدف هذه المدونة إلى دراسة الآداب التي أبدعها ذوو الاحتياجات الخاصة في التراث العربي من جانب، والآداب التي تعاطت مع حالاتهم، ذلك أن التلاقي بين الأدب وعلم النفس من جهة والتلاقي بين الأدب وعلم الاجتماع من جهة أخرى قادر على أن يكشف عن مدى ما تحقق من تواصل مجتمعي مع ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمعات العربية على امتداد التاريخ لفحص ما رسخ في الوعي الجمعي من إيجابيات تحتاج إلى مواصلة دعمها، ومن سلبيات تحتاج إلى نفس طويل للتخفيف من آثارها سعيا نحو التخلص منها.

وثمة محاولات- وإن تكن نادرة- توجهت نحو هذا المجال من مثل دراسة د.عبده بدوي عن الشعراء السود، وهو ما يحتاج إلى مواصلة السير في هذا الطريق لدراسة أدب العميان مثلا، وما وصل إلينا من أمثال وحكم تتعاطى مع هذه الطوائف.

المدخل اللساني

إن قراءة المنجز العربي في مجال اللسانيات، ولاسيما في مستوى الأداء الكلامي وفي مستوى التصنيف المعجمي، يستوقفه أمر العناية الظاهرة التي أولاها اللسانيون العرب القدامى لما يتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة في غير ما مستوى لغوي، وربما كان كافيا في هذا المدخل التأسيسي التوقف أمام المحورين التاليين:

أ- لغة لا تأنف من الملاحظة والتسمية

عرف التصنيف المعجمي عند العرب فرعا مهما سمي في أدبياته باسم «الرسائل اللغوية الصغيرة» أو باسم «المعاجم أحادية الموضوع»، ومن فروعه المهمة ما سمي بمعاجم خلق الإنسان، وهي معجمات موضوعية اشتغلت بجمع الألفاظ اللغوية العربية التي تسمي وتصف أعضاء الجسم الإنساني مرتبة ترتيبا موضوعيا يرعى بنية الجسم الإنساني من رأسه إلى أخمصه، أو مرتبة هجائيا على المألوف من ترتيب أحرف الهجاء العربية.

ومن أهم ما وصل إلينا منها:

- خلق الإنسان، للأصمعي ٢١٣هـ.
- خلق الإنسان، لمحمد بن حبيب ٢٤٥هـ.
- خلق الإنسان، لثابت بن أبي ثابت ٢٧٠هـ.
- خلق الإنسان، للزجاج ٣١١هـ.
- خلق الإنسان، للخطيب الإسكافي ٤٢٠هـ.
- خلق الإنسان في اللغة، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن.
- غاية الإحسان في خلق

• أستاذ اللغة في جامعة الزقازيق

الإنسان، للسيوطي ٩١١هـ.

وفي هذه المعجمات وغيرها مما اعتنى بتسمية الإعاقات حصيلة لفظية كثيرة تعكس وعي المعجمية العربية وتقدمها في هذا الباب المهم ولاسيما في الجانب الذي يتعلق بمنهجية الترتيب الموضوعي حيث التفت عدد من أصحاب هذه المعاجم إلى قيمة رصد ألفاظ الإعاقات تحت عنوان تكرر كثيرا فيها باسم باب في الصفات، ومراجعة ما أورده السيوطي مثلا في كتابه في باب صفات العين توقفنا على ما رصده اللسان العربي بأنواع الإعاقات وأنماطها المؤسسة على ملاحظات وتجربة.

ب- آفاق لغوية متعاطفة

ولم تقف حدود العناية اللسانية عند العرب عند حدود العمل المعجمي ولكنها تجاوزتها إلى حقول ومستويات أخرى أظهرت قدرا من التعاطف في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة استهدافا لتحقيق تواصل جيد مع بقية أفراد المجتمع. ولعل أظهر تجليات هذا التعاطف ظاهر في دراسات الأداء اللغوي فيما يحكى لنا في أدبيات البيان من جهود جادة مخلصة تعالج عيوب النطق ومشكلات الكلام من لدن الجاحظ في البيان والتبيين، وهو الأمر الذي رصدت الكتب القديمة آثارا اجتماعية ولغوية من جرائه على ما نقله «يوهان فك» في كتابه «العربية» ص١٢٢.

على أن ثمة نصا مهما جدًا يعكس وعيا مبكرا لدى العرب بضرورة التواصل الإيجابي مع بعض أنواع الإعاقات، وهو نص رسالة الكندي الفيلسوف في اللثغة، وقد عرض فيه لتشخيص الإعاقة النطقية مقررًا (ص ٥٢٣): «إن تعسر اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي يكون من عرضين لازمين، إما من تشنج، وإما لاسترخاء، فأما التشنج فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ غير تامة، وأما الاسترخاء فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ زائدة خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام» .

وهذا الوعي المبكر على المستوى العلمي في مجال إعاقات الكلام له نظائر أخرى متنوعة في المجالات الأخرى الأمر الذي يمثل سبقا مهما في مجال تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، مما يحتاج إلى استثمار معاصر لم يرق إلى الدرجة المقنعة.

المدخل الحضاري

إن ما حققه العرب من مستوى حضاري متقدم في تاريخ ممتد طويل يحظى بإجماع مؤرخي الحضارات على اختلاف انتماءاتهم يدعونا إلى فحص هذا الأثر في المنجز الذي خلفوه في مجال الرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة.

وربما كان صالحا من وجوه كثيرة رصد هذا الملمح الحضاري من عناية الحضارة العربية التراثية بذوي الاحتياجات الخاصة أن نقف عند محورين أساسيين يبرزان متألقين في هذا الميدان وهما:

أ- التأريخ عندما يرعى الإنسان، في هذا المحور يلمس دارسو الحضارة العربية ملمحًا مهما جدًا يمكن إيجازه في عبارة أرجو ألا تحمل على الشعرية والمجازية التي تبعدها عن مربع الحق إلى مربعات أخرى من المبالغة، وهي: «عَرَجَةُ تطأ الجنة».

لا تخلو أحكام الشريعة من رعاية لذوي الاحتياجات الخاصة في ابواب الفقه المختلفة

وربما كان تفسير هذه العبارة ظاهرا في الحضارة العربية التي لم تر الإبداع أو التقدم أو الارتقاء حكرا على البشر العاديين غير المعاقين، لقد استطاع الوعي الحضاري العربي أن يرى نفسه مدينا لذوي الاحتياجات الخاصة في بناء صرح هذه الحضارة.

وليس أدل على ذلك من حفاوة عدد من المصنفات المعنية بالشأن الحضاري بكثير من الرموز التي أسهمت في تشييد الصرح الحضاري العربي، حيث رصدت أسماء لكثير من الأشراف، لم يؤخر رتبتهم في الشرف ملابستهم لبعض الإعاقات المختلفة، أي أن الإعاقة لم تكن مانعا في التصور الحضاري العربي التراثي من حيازة الشرف والعلو الطبقي.

ب- أدبيات راعية، ولم تقف حدود الرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة وتقدير مراتب الشرف التي حازها نفر كثير منهم عند المصنفات الحضارية التي مر ذكر أمثلة لها، ولكن ظهرت مصنفات مستقلة للعناية بذوي الاحتياجات الخاصة.

وهو الأمر الذي يؤكد هذا الوعي العربي بإنسانية ذوي الاحتياجات الخاصة من جانب، ويعكس الآفاق الرحبة التي تنتظر استثمار هذا التراث العربي لدعم الجهاد المعاصر في هذا الميدان.

وفيما يلي نماذج لعدد من الأدبيات العربية التراثية المؤكدة لهذا المنحى:

١- البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ، وهو ينطلق من زاوية تقدر أن التفوق الإنساني ليس ممنوعا منه ذوو الاحتياجات الخاصة، وهو الأمر الذي يظهر في افتتاحه كتابه بقوله ص ٧ «والعرج الأشراف كثير، والعمي الأشراف أكثر» ثم يقول: «إن جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرج ما لا يبلغه عامة الأصحاء، ومع العمى يدركون ما لا يدركه أكثر البصراء».

٢- الهميان في نكت العميان، للصفدي ٧٦٤هـ، والذي يفحص هذا الكتاب يلمس تعاطفا نبيلا من الصفدي نحو أصحاب العمى حيث يرجح نبوة الأعمى وإماميته وتوليه القضاء، وهو الذي استقر لديه بعد استجماع الأدلة وتأويلها، يقول (ص٤٤): «إن عمى شعيب وغيره من الأنبياء صحيح، قيل: ومقام النبوة أشرف من مقام القضاء» ومن ثم لا يمنع منه.

إن أقل وصف لفعل التراث العربي في ميادينه المختلفة أنه كان متعاطفا ومتوازنا ومقدرا للمنجز الإنساني وللقدرة الإنسانية بغض النظر عما يمكن أن يلابس بعض الأفراد من إعاقات، فباسم هذا التراث وباسم هذه المرجعية تقدم ذوو الاحتياجات الخاصة فأبدعوا، وقادوا وألفوا، وتألقوا في المجالات المختلفة، وهو الأمر الذي يمثل دعما منقطع النظير أو ينبغي أن يمثله لحركة دعم ذوي الاحتياجات الخاصة المعاصرة والتمكين لها.

محاسن كتابة المصحف الإمام ومبرراته

د. أحمد شرشال

بداية وقبل أن أشرع في تعريف المصحف الإمام الذي سيكون البحث بصدده أود التنويه إلى أن ما نحن بصدده لا يقصد به «المصحف الإمام» المتعارف عليه تاريخيا بأنه المصحف الذي خص الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه به نفسه، ومن ثم فإن هذا البحث ليس تاريخيا يتعلق بتلك القضية، وانما سيكون مدار بحثنا هنا هو القيام بكتابة مصحف يكون إماما لجميع المصاحف التي تتضمن مخالفات من أنواع شتى فنجرد هذا المصحف الإمام من كل الوجوه الضعيفة، والمخالفات، ونجمع فيه كل ما صح وما تناثر في المصاحف الحالية، فيكون من هذا الوجه إمامًا لجميع المصاحف.



ولن يكون عملنا هذا – بحال من الأحوال- خروجًا عما صح رسمه وضبطه في مصحف الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه وما تواتر عن أئمة هذا الفن.

مبررات كتابة المصحف الإمام ومحاسنه

١- تصحيح بعض المخالفات للرسم العثماني.

٢- تصحيح مخالفات في الشكل والضبط.

٣- تصحيح مخالفات في وضع علامات الوصل والوقف.

٤- تصحيح أوضاع بعض الحروف وطرق تصوير هجائها واستبعاد الدخيل منها.

٥- تصحيح الألوان المستعملة في المصاحف، واستبعاد الدخيل منها.

٦- الإشارة بعلامة إلى رؤوس الآي على جميع مذاهب علماء العد لتتقارب مواضع الوقف.

منهجي لكتابة المصحف الإمام يقوم على الأسس الآتية:

الأول، وضوح الحروف، فجمال الخط وروعته في وضوحه، لا في زخرفته.

الثاني، المطابقة التامة بين المكتوب والمقروء في مواضعهما ما أمكن.

الثالث، تجريد المصحف الإمام من جميع المخالفات والأوجه الضعيفة.

ولست مبتدعا، ولا مغيرا، ولا مخالفا في هذا المصحف الإمام، وإنما هو إحياء لما كاد يندثر ويندرس، وإصلاح وتصحيح لما خالف فيه الناس، وجمع لما صح وتناثر في المصاحف وكُتُب الرسم والضبط، والتزامٌ كامل بإذن الله بما نص عليه علماء القراءات والرسم والضبط، ولا أزيد على ذلك.

فالخطأ يجب أن يصحح، وإن طال زمانه، والصواب يجب أن يقبل مهما كان مصدره، وفيما يلي تفصيل لمنهج المصحف الإمام، والله وحده الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أولا: منهج كتابة المصحف الإمام

كتابة المصاحف ونسخها من أصولها، وإعرابها بالنقط والشكل المطابق للتلاوة ليسا ميدانا لكل من هب ودب، وليسا مهمة كل أحد من الناس، وإنما هما صناعة القراء والمقرئين، وقبل هذا فإنهما سنة نبوية، ورثها الخلف عن السلف.

وكتابة المصاحف وإعرابها بالنقط والشكل يتصل سندهما الكتابي بالمصاحف الأمهات التي أرسلها سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار الإسلامية، كما أن التلاوة الصحيحة متصلة السند المتواتر بالمشافهة والتلقي .. هذا في اللفظ، وذاك في الخط، فيجب أن يتطابقا، ولا ينقطعا.

وما لبث وصول تلك المصاحف الأمهات إلى الأمصار الإسلامية حتى بدأ الناس ينسخون مصاحفهم على وفقها، ثم يعرضون مصاحفهم عليها، فلم ينقطع سندها، بل وصفوا هجاءها وصفا دقيقا، وألفوا الكتب في بيان مرسومها وأوصاف حروفها.

واقتداء منا بسنة سيدنا عثمان رضي الله عنه نقوم بكتابة مصحف يكون اماما لجميع المصاحف لا يعرف الحدود والأمصار، ولا يعرف المذاهب ولا المشارقة ولا المغاربة، فهو لا يعرف إلا الانتماء للمصاحف الأمهات كما نقلها علماء القراءات ووصفوها، فجمال الخط وروعته في وضوحه ومطابقة الخط للتلاوة لأداء أوجهها المنزلة.

فإذا تعارضت مذاهب الخطاطين مع التلاوة، كما هو الحال، حيث رجحوا قواعد خطهم على أحكام التلاوة فأهملوها فإني لا ألتفت إلى مذاهبهم في سبيل تحقيق ألفاظ التلاوة، فالواجب أن يكون الخط مطابقا للتلاوة، ومفصحا عنها، ومعبرا عنها من كل الوجوه بقدر الإمكان.

كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى في مكة المكرمة

إذ هذه المصاحف المتعددة المختلفة تنذر بضياع قواعد الرسم العثماني وبضياع الحروف العربية، فهذا الاختلاف والتعدد دون التزام بما كان عليه سلف هذه الأمة شبيه بما حدث في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه حين أمر باستنساخ مصاحف أمهات، وبإتلاف ما عداها، فنحن نكاد أن نقع فيما أنكره الخليفة الراشد أو أشد منه.

وهذه المخالفات والوجوه الضعيفة ليست وليدة الساعة، وإنما هي قديمة، وتوسع فيها المتأخرون، واستمرت وانتشرت حتى صار المنكر لها متهما لشيوعها بين الناس.

فهذا أبوعمرو الداني يقول: «كما يفعل ذلك قوم من جهلة النقاط، وأغبياء المعلمين» ثم قال: «وهذه المذاهب الفاسدة لا تصح عند التحقيق»، «وإذا فسدت هذه المذاهب الثلاثة بالوجوه التي بيناها صح المذهب الأول».

وهذه المذاهب التي جعلها الداني فاسدة موجودة، في المصاحف التي بين أيدينا والعمل بها جار ومستمر.

وقال أبو داود: «كما يفعله كثير من الجهلة ممن ينتحل كتابة المصحف من أهل عصرنا بغير علم ولا تعلم من عالم معروف مشهور بالرواية وعلم الكتابة»، (أصول الضبط ص ١١٢).

أما الشيخ حسين بن علي الرجراجي (ت ٨٩٩) فقد ضاق ذرعا بالمصاحف الموجودة في عصره، فأسقط الاحتجاج بها في باب الرسم لمخالفتها لقواعده فقال: «إذ لا حجة بالمصاحف الموجودة بين أيدينا اليوم، وإنما الحجة بالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة رضي الله عنهم، وهي التي اطلع عليها أبوعمرو الداني وأبو داود وغيرهما من الشيوخ المقتدى بهم في هذا الشأن»، (تنبيه العطشان ورقة ٤٦).

وقال الشيخ علي النوري الصفاقسي في رده على من أثبت الألف في الكلمة التي فيها قراءات: «فظهر بهذا فساد ما جرى به العمل في أرض المغرب من إثباته الألف، فذلك باطل لا أصل له»، ثم قال: «كذلك جرى عمل أهل المشرق بل لهم في الرسم فساد وتخليط لا يرضى به ذو دين» (غيث النفع ٢١٣).

ولقد وقع مثل هذا الذي أنكره هؤلاء الأئمة وغيره في المصاحف وأشد منه، وأكثر مخالفة لما عليه علماء الرسم والضبط.

ومن هذا المنطلق عقدت العزم على تصحيح هذه المخالفات التي نص عليها العلماء، وتخليته من جميع الوجوه الضعيفة التي نبهوا عليها، ولا أزيد على ذلك أبدًا.

ثانيا: المحافظة على صور الحروف العربية

المصحف الإمام الذي ننوي القيام به يساهم مساهمة فعالة في نشر تعلم حروف اللغة العربية للشعوب الإسلامية والعربية، ولغير الناطقين بها لوضوح حروفه وكلماته، بل إنه سيكون اللبنة الأولى لتعليم الحروف العربية، ولا يحتاج إلى غيره من الكتب التي يتعلم فيها الأطفال حروف الهجاء كالقاعدة البغدادية وغيرها، وذلك لما يجدون فيه من حروف واضحة غير متداخلة، ولا متضايقة، ولما يجدون فيه من الضبط والشكل المطابق للقراءة.

المصحف الإمام الذي ننوي القيام به يساهم مساهمة فعالة في نشر تعلم حروف اللغة العربية للشعوب الإسلامية

ومن منهجية المصحف الإمام أن نترك فسحة بين كل حرف وآخر ليتسنى لنا دون مضايقة إلحاق المحذوف، والحركات والهمزات والمدات وغير ذلك مما يحتاج إليه من النقط والشكل والإعراب.

ويجب أن تكون هذه الحروف غير مطموسة، ولا مدغمة في بعضها ولا متداخلة ولا مستحدثة لتكون علامات الإعراب فوق الحرف تماما أو تحته، ولا تكون بعيدة عنه، لأن من شأن العلامة أن تكون فوق المعلَم أو تحته.

وهذا من أهم أهداف المصحف الإمام للمحافظة على الحروف العربية، وتكاد صور بعض الحروف تندرس لما أصاب الخط العربي من تطور وزخرفة، فيكون مشروع كتابة المصحف الإمام بعون الله مستودعا للحروف العربية من الضياع والتلف لارتباطها بالقرآن الكريم، فالمصحف الإمام هو المستودع الحافظ لأشكال الحروف العربية، وصورها الجميلة المعبّرة.

وسنستبعد من المصحف الإمام الأشكال المحدثة لبعض الحروف الهجائية الدخيلة، ونصحح بعضها، ونتمم النقص الحاصل لبعضها الآخر، فهو يحقق غرضين في آن واحد، تعليم حروف اللغة العربية بسهولة ويسر، وقراءة القرآن.

وقد رأيت صعوبة في قراءة القرآن عند المبتدئين والأطفال والكبار في جنوب شرق آسيا، ولعل السبب في عدم وضوح بعض الحروف هو محاولة الخطاط أن تكون نهاية الصفحة هي نهاية للآية، فتتداخل الحروف وتتزاحم ويضايق بعضها بعضا.

فتولد من ذلك خطأ آخر، وهو أن علامات الإعراب والنقط والشكل وإضافة ما نقص من هجائه لا تكون في موضعها تماما على الحرف أو تحته نتيجة المضايقة، وإدماج الحروف بعضها في بعض.

ونحن في مشروع كتابة المصحف الإمام نتجنب كل هذا ونعالجه بعون الله وتوفيقه، وكان الواجب أن تتوافر العناية الكاملة المطلقة لكتاب الله عز وجل من جميع الوجوه في رسمه وحروفه وإعرابه وأوقافه وتجزئته، لأنه محل اقتداء واهتداء في شكله وموضوعه، فالناس يقتدون به في كل شيء، واقتداؤهم به والعمل بما جاء فيه مطلوب، لا يرتاب فيه أحد.

ثالثًا: ترتيب الحروف وشكلها على حسب ترتيبها في التلاوة

منهجنا في كتابة المصحف الإمام أن نرتب الحروف وشكلها على حسب ترتيبها في التلاوة، لا العكس كما هو حاصل في بعض المواضع في بعض المصاحف، فيجب أن يكون الخط تابعًا للتلاوة، ومعبّرًا عنها، لأن اللفظ أسبق في الوجود، إذ إن الشيء يراد ثم يقال ثم يكتب،

فيكون الخط مطابقًا من جميع الوجوه للتلاوة والقراءة، ولذلك جعل كتاب المصاحف علامة لكل صوت في كتابة المصاحف وإعرابها حتى ولو كان ناقصًا وخفيًا كالاختلاس والاشمام والروم، ولذلك كتب الباكستانيون التنوين نونًا صغيرة معرقة، اذا كان بعده ألف ساكن «أحدن الله» مبالغة منهم في تحقيق النطق الصحيح للتلاوة، فخالفوا الاجماع، وهو حق في النطق.

ونحن في كتابة المصحف الإمام سنلتزم بالترتيب، فلا يصح أن نكتب الهمزة قبل اللام ألفا في نحو: «ءلايات» ونحو «ءلاكلون» ونحو: الملأ، ونحو «لأملأن» كما جرى به العمل في الصاحف التي برواية ورش وقالون عن نافع، فهذا فيه تقديم وتقدير للخط ولو كان مخالفًا للتلاوة، وفيه ترجيح للمرجوح دون التفات الى ضبط التلاوة، وما نقوم به هو الموافق للأصل واللفظ والترتيب، فلا نراعي المذاهب ولا نلتزم بها، وإنما نراعي ما تتحقق به التلاوة في المصحف الامام.

وبناء على هذه القاعدة، يجب وضع علامة المد على الطرف الثاني بعد اللام هكذا: «كلآ إنها»، ونحو ءلآء الله في المصحف الإمام، وتقع الهمزة في الخط على حسب موقعها في النطق هكذا: (لأملأن) ونحوه.

وقد أنكر الشيخان أبوعمرو الداني وأبوداود على من قدم علامة المد على حرف المد، فيجب ترتيب الحروف وعلامات الإعراب والنقط والشكل على حسب ترتيبها في التلاوة والأداء.

المنهجية العلمية التي تقتضيها كتابة المصحف الإمام تعميم النقط والشكل على كل حروف الكلمة

رابعًا: تعميم نقط الإعجام على كل الحروف التي تنقط

منهجنا في كتابة المصحف الامام أن نعمم نقط الاعجام على كل الحروف التي تنقط، ونجعل ذلك بالسواد للحروف، لانه يتعلق بذات الحرف، وهو من ماهيته، وليست له صورة، وهو رأي لبعض العلماء.

إن حرف الياء إذا وقع في الطرف في بعض المصاحف لا ينقطونه، والحروف المجموعة في قولهم: ينفق «اذا» وقعت في الطرف في المصاحف التي برواية ورش وقالون لا ينقطونها.

وحجتهم أن حرف الياء إذا وقع في الطرف، لا يلتبس بغيره، فلا يحتاج الى نقط يميزه، ويجاب عن هذا: بأن حرف القاف اذا وقع في الطرف، لا يلتبس بغيره، فلماذا ينقطونه؟! وحرف النون اذا وقع طرفًا لا يلتبس بغيره، فلماذا ينقطونه؟! بل الياء إذا جاء بعدها همزة لا ينقطونها نحو: «شيء» وهي واقعة في الوسط.

والأغرب من هذا ان حرف الياء التي لا حس لها ولا وجود في اللفظ ولا يقرعها اللسان ينقطونها نحو: «بأييكم المفتون»، والياء المدية نحو: فيها، والياء التي لها وجود لفظي وخطي ويقرعها اللسان لا تنقط إذا كانت في الطرف نحو: «إلي» ونحو: «علي» فتشتبه بـ «إلى» و«على» عند بعض المبتدئين.

ومن العجيب أيضًا أنهم ينقطون حرف الياء في كلمة «يحيى»، اسمًا كان أو فعلًا، نحو «يا يحيى» ونحو «ولا يحيى»، ولا ينقطونها في نحو: (لدي) ونحو: (إلي)، ومع أن الياء في كلمة «يحيى» وقعت في الطرف أيضًا.

ومنهجنا في كتابة المصحف الإمام نتوخي فيه تعميم النقط على كل الحروف التي تنقط، اتباعًا لناصر الحروف نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، وقياسًا على تعميم الضبط على كل حروف الكلمة، وهو مذهب إمام الصنعة أبي عمرو الداني، لأن نقط الإعجام يبين ذات الحرف، وهو من حقيقته وماهيته، لذلك اخترنا أن تكون مثل الحروف بالسواد، فنقطة الحرف تبين ذاته وتحدده، والحركة تبين ما يعرض للحرف.

إن نقط الإعجام يفرق به أيضًا بين معنيين مختلفين نحو قوله: «إلى الله» وقوله: «إلي المصير» ونحو: «أنعمت علي وعلى والدي» فالفرق بين «على» و«علي» واضح بنقط الياء، وبغير النقط ربما يحصل بينهما اشتباه ولبس، لذا وجب علينا في المصحف الامام تعميم نقط الاعجام كنقط الاعراب لأمن اللبس.

خامسًا: تعميم الضبط على كل حروف الكلمة

المنهجية العلمية التي تقتضيها كتابة المصحف الإمام تعميم النقط والشكل على كل حروف الكلمة، فسبيل كل حرف أن يوفى حقه من النقط والشكل، حسب التلاوة.

ومن ثم يلزمنا في كتابة المصحف الإمام أن نضبط اللام في الكلمات الآتية: «التي» مفردًا وجمعًا ومثلها: «الىء» ونحو: «والليل» ونحو: «لله» وغيرها.

فنضع الشدة على اللام، والفتحة فوقها، ونلحق الألف الحمراء بعد اللام الدالة على الجمع مطابقة للتلاوة وتحقيقًا للفظ، فيستقيم اللفظ والوزن ويرتفع اللبس بين صيغة المفرد، وصيغة الجمع، هذا منهجنا في المصحف الإمام.

أما ما جرى به العمل في المصحف برواية ورش وقالون من تعرية اللام من الشدة والفتحة وعدم إلحاق الألف الحمراء بعد اللام في صيغة الجمع لا أساس له من الصحة، وهو وهم، وتلتبس صيغة المفرد بصيغة الجمع، ويقع الجاهل الذي ما وضع الضبط إلا من أجله في الخطأ.

والعجيب الغريب أن علامة الشدة إذا اقتضاها أمر عارض يجعلونها على اللام، وإذا اقتضتها الأصالة، لايجعلونها عليها نحو قوله: «عليم لله»، فيشددون اللام الأولى لعارض الإدغام ولا يشددون اللام الثانية، والشد فيها أصلي، وهذا من المفارقات الغريبة، يجب تنزيه المصحف الإمام من هذا كله.

يجب تعميم النقط والشكل على كل حروف الكلمة مطابقة للتلاوة وتحقيقًا للألفاظ.

ولقد اتفق على ذلك شيوخ الرسم، والخلاف الذي ذكروه بين أبي عمرو الداني وأبي داود وهم، وقد ظهر لي من استقراء كلام أبي عمرو في كتابيه «المحكم» و«المقنع» أن تعميم الشكل

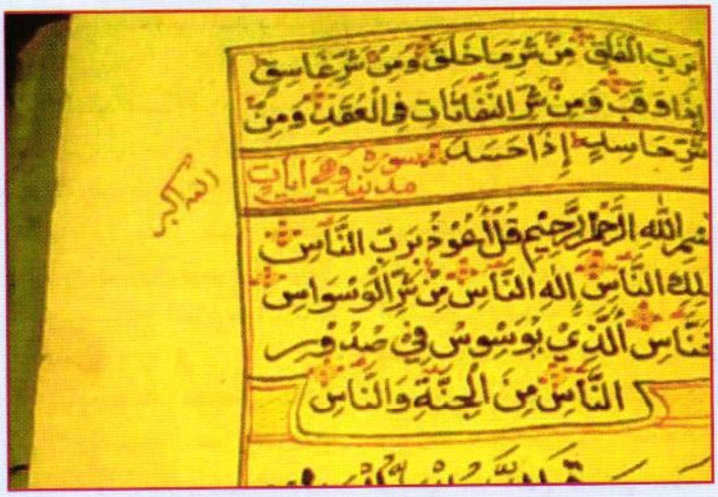
والضبط على كل حروف الكلمة هو مذهب الداني، وقد صرح في كتابه «المحكم» باستيفاء ضبط الحرف بكل ما يستحقه، وأنكر على من يخص بعض الحروف بالضبط دون بعض، وحينئذ فلا خلاف بين الشيخين في ضبط الذي والتي وبابهما حتى لا يقع اللبس بين المفرد والجمع كما هو الحاصل في المصاحف.

سادسًا: تركيب التنوين وتتابعه

مما يجب أن يتنزه عنه المصحف الإمام طريقة تركيب التنوين بهذه الكيفية قبل حروف الحلق، فإن هذه العلامة الثانية المردودة إلى الخلف لم ترد في تاريخ المصاحف قديمًا ولا حديثًا، ولم يتكلم عليها علماء القراءات، فإنها من الدخيل على شكل المصاحف.

والذي نص عليه علماء الرسم والضبط في التركيب أن تكون إحداهما فوق الأخرى هكذا: « ٌ » نحو: ﴿عليمٌ حكيم﴾، وفي التتابع هكذا: « ـ ـ » قبل غير حروف الحلق نحو ﴿غفورًا رحيمًا﴾.

وأكثر مخالفة من هذا أنهم جعلوا التنوين المنصوب في التتابع هكذا: « ً » قبل غير حروف الحلق نحو: ﴿لأيةً لكم﴾ ونحو: ﴿متعاً لَّكم﴾، وهذا مخالف لأصول التلاوة، ويجب أن ننزه المصحف الإمام من جميع هذه الوجوه المخالفة، ونجعله موافقًا لما نص عليه علماء الرسم والضبط هكذا: ﴿لأيـةَ لَكم﴾ ونحو: ﴿متاعًا لَّكم﴾ ونحو: ﴿غفوراً رحيمًا﴾، لأن التنوين هنا يدغم في اللام والراء لموجب القرب في اللفظ، والخط يتبعه في القرب أيضًا، يجب أن يكون مثلما هو في المصحف برواية ورش وقالون



عندما تلاقيه حروف الإخفاء وحروف الإدغام، اما عند حروف الحلق فتكون إحدى العلامتين فوق الأخرى كما هو مبسوط في مواضعه في كتاب القراءات والرسم والضبط.

وما جرى به العمل لم يقل به أحد، ولم يتكلم عليه علماء الرسم والضبط، ولا أدري كيف ارتضاه الناس لمصاحفهم، ومصادره مجهولة، وهو لا يؤدي الغرض من التلاوة.

سابعًا: منهجية المصحف الإمام في الحذف والإثبات

منهجنا في كتابة المصحف الإمام الالتزام الكامل بما نص عليه علماء القراءات والرسم والضبط في باب الحذف والإثبات، وكثير من المصاحف لم تلتزم بقاعدة الحذف والإثبات، فأثبتوا الألف في كلمات نص علماء القراءات على أن الألف محذوفة منها، لأنها تضمنت قراءات وهذا النوع من الحذف مشهور عندهم باسم حذف الإشارة، فكل كلمة تقرأ بالحذف والإثبات ترسم في جميع المصاحف بحذف الألف رعاية لهذا الوجه من القراءة.

فالكلمات ذات الوجوه المتعددة ترسم بوجه يحتمل بقية الوجوه الأخرى وهذه قاعدة أساسية استقرئت من المصاحف التي نسخت من المصاحف التي أرسلها سيدنا عثمان إلى الأمصار الإسلامية، وكل من أثبت الألف في هذا النوع يعد مخالفًا للمصاحف الأمهات.

ومن ثم نحن في كتابة المصحف الإمام لا نتردد في كتابة قوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ (التوبة: ١٩) بحذف الألف التي بعد القاف، وبحذف الألف التي بعد الميم رعاية لمن قرأ: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾، بحذف الألف فيهما «سقية الحاج وعمرة».

وقد نص على حذف الألف فيهما الإمام ابن الجزري فقال: «وقد رأيتهما في المصاحف القديمة محذوفتي الألف كقيامة وجمالة، ثم رأيتهما كذلك في مصحف المدينة الشريفة، ولم أعلم أحدًا نص على إثبات الألف فيهما ولا في إحداهما، وهذه الرواية تدل على حذفهما منهما إذ هي محتملة للرسم» (١).

ولا نتردد في كتابة قوله تعالى: ﴿فخراج ربك خير﴾ (المؤمنون: ٧٢) بحذف الألف التي بعد الراء رعاية للقراءة الأخرى بحذف الألف، وهكذا نفعل في كل كلمة تقرأ بالحذف والإثبات.

وقد رآها علم الدين السخاوي في المصحف الشامي العتيق بحذف الألف وزاد ابن وثيق الأندلسي على ذلك، فقال: «بحذف الألف في مصحف الشاميين الذي بعث به عثمان الى الشام»، وقراءة أهل الشام تؤيده.

قال الشيخ علي النوري الصفاقسي في رده على من أثبت الألف في الكلمة التي فيها قراءات: «فظهر بهذا فساد ما جرى به العمل... من إثباته، فذلك باطل لا أصل له» (٢).

وهذا الذي انكره الشيخ وقع مثله، ونحن في المصحف الإمام نلتزم بما نص عليه علماء القراءات حذفًا واثباتًا، وهو الموافق للمصاحف الأمهات.

ولمجرد سكوت أبي داود عن حذُف الألف الواقع بعد اللام في بعض الكلمات اليسيرة استثناها الخراز في مورده من الحذف، وتابعه على ذلك بعض شراحه فأثبتوا الألف فيها، وجرى بها العمل في بعض المصاحف.

وقد نص الداني على حذف الألف في بعضها في فصل «ما أجمع عليه كتاب المصاحف» بل إن صاحب نثر المرجان نص على الحذف في جميعها، فقال: حيثما وقع وكيفما وقع، ونص ابن الوثيق الأندلسي على الحذف في جميع مواضعه.

وإن أبا عبدالله الصنهاجي ذكر أن حذف الألف بعد اللام المفردة مثل حذف الألف الواقعة بين اللامين، ونسب ذلك كله إلى مصحف عثمان رضي الله عنه.

ونحن ملتزمون في كتابة

المصحف الإمام بما نص عليه هؤلاء العلماء وخاصة ما عزوه لمصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه، فيكون ذلك آكد لنا في اتباعه والعمل به، وبخاصة أننا ننشد المصحف الإمام.

ثامنًا: التلوين الدخيل على مرسوم الصحابة رضي الله عنهم في المصاحف.

طلعت علينا في هذه الأيام مصاحف منوعة، وبدأت تنتشر بين الناس، تحمل ألوانًا عديدة، منها ما هو متقارب جدًا، ومنها ما هو متشابه جدا، وكل لون يدلّ على حكم معين من أحكام التجويد، وكل حكم من أحكام التلاوة له لونه الخاص، بل إن اللون الواحد بتدرجاته ودرجاته المتقاربة جدا إلى الحد الذي يعسر التمييز بينها، تدل على أحكام عدة.

وقد جعل الخطاطون اللون الأحمر الغامق علامة للمد اللازم، وجعلوا اللون الأحمر القاني علامة للمد المتصل والمنفصل وعلامة للصلة الكبرى، وجعلوا اللون البرتقالي علامة للمد الجائز والعارض للسكون واللين، وجعلوا اللون الأحمر الكمّوني لمواضع المد الطبيعي.

وهذا من الغرائب فيحتاج الناس لمعرفة هذا اللون إلى معرفة لون «الكمون»، إن هذا لهو الفساد.

ورسموا الحروف التي فيها غنة باللون الأخضر، ورسموا الحرف الذي لا يلفظ باللون الرمادي الخافت حتى يكاد يختفي، وجعلوا اللون الأزرق الغامق لتفخيم الراء، وجعلوا لمواضع القلقلة اللون الأزرق ورسموا حروف المدّ باللون البرتقالي.

ولقد أسرف هؤلاء في التلوين، وأدخلوا فيه الآيات المتعلقة بموضوع واحد حسب زعمهم، ولا يزال هذا الدخيل مستمرًا بدون رقيب مما ينذر معه بضياع قواعد الرسم العثماني.

وطبع هذا المصحف بثلاثة ألوان رئيسية: أحمر بتدرجاته المختلفة وأخضر وأزرق فصارت ثمانية ألوان، من العسير جدًا التفريق بين هذه الألوان المتقاربة والمتشابهة.

وأقرّ هذا المصحف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وجاء في تقريره: «إن فكرة التلوين فكرة مبتكرة، وجيدة، ولا تتنافى مع الرسم والضبط كما تساعد القارئ على فهم أحكام التجويد وتطبيقه» أ هـ.

ولنا على هذا الإقرار ملحظان، الأول: أن التلوين غير صحيح، وهو محدث، وهذا الإقرار من الأزهر غير صحيح وفي غير محله، ويتنافى تمامًا مع الرسم والضبط ويشوش على القارئ فلا فائدة منه.

فهذا التلوين دخيل على رسم الصحابة في المصاحف ، وهو خارج عما اصطلح عليه كتاب المصاحف قديما وغير جائز عند علماء القراءات، وهذا النوع من التلوين غير معمول به، وهو بداية المسخ لمرسوم الصحابة رضي الله عنهم، وهو بداية التغيير للرسم العثماني وقواعده.

إن طريقة التلوين التي جرى عليها العلماء قديمًا، واستعملوها في إعراب مصاحفهم ليست بهذه الطريقة الدخيلة، إذ هي لا تمس جوهر الحروف، وإنما هي فيما يعرض للحروف من حركات وسكنات وشد ومد وهمز، وما يلحق من الحروف مما نقص من هجائه فقط.

إن فكرة تلوين الحروف بهذه الطريقة المشوشة- بفتح الواو وكسرها- تتنافى تماما مع الرسم العثماني وقواعده والضبط، وفيها خلط واختلاط بين رسم الصحابة وضبط التابعين، ودخيلة على مرسوم الصحابة رضي الله عنهم، فكأني بهؤلاء لا يفرقون بين الرسم العثماني، والضبط، فأدخلوا هذا في هذا.

ولذا يجب تجريد المصاحف من هذا الدخيل، فإن الألوان لا تكون إلا في الضبط والشكل وإلحاق ما نقص من هجائه فقط، وهو من وضع التابعين.

أما ذات الحروف فلا تكون، ولا تكون إلا بالسواد، لأنه من عمل الصحابة، فلا يجوز أن يلون، ليبقى عمل الصحابة متميزًا عن عمل التابعين، لذلك اختلف العلماء في الضبط والشكل إذا كان بالسواد ولم يختلفوا أبدا في الرسم أنه بالسواد.

بل إن بعضهم منع أن يكتب الشكل والضبط بالسواد، وشدّد في الإنكار على ذلك أبوعمرو الداني لأنه يؤدي إلى اختلاط رسم الصحابة بضبط التابعين فقال: «فأما نقط المصاحف بالسواد من الحبر وغيره فلا أستجيزه، بل أنهى عنه، وأنكره اقتداء بمن ابتدأ النقط من السلف، واتباعه له في استعماله لذلك صبغا يخالف لون المداد، إذ كان لا يحدث في المرسوم تغييرًا ولا تخليطًا، والسواد يحدث ذلك فيه» (١).

ثم بين أبو عمرو الداني الألوان المستعملة في مصاحف أهل المدينة قديما وحديثًا فقال: «والذي يستعمله نقاط أهل المدينة في قديم الدهر وحديثه في نقط مصاحفهم الحُمرة والصُفرة لا غير، فأما الحمرة فللحركات والسكون والتشديد والتخفيف، وأما الصفرة فللهمزات خاصة» (٢).

ثانيًا: إن هذه الألوان لا تساعد القارئ على فهم قواعد التجويد وتطبيق أحكام التلاوة، بل إنها تشوش عليه، فحكم واحد وهو المد جعلوا له أربعة ألوان متقاربة جدًا يعسر التمييز بينها لتشابهها إذ يجمعها اللون الأحمر بتدرجاته ودرجاته المختلفة في الحمرة، ودرجات الحمرة تدل على نوع من أنواع المدود، ويستحيل على المعلم فضلا عن المتعلم أن يميز بين هذه الدرجات المتقاربة والمتشابهة مع اللون الأصلي.

فيستحيل على الطالب أن يحفظ هذه الألوان، ويحفظ ما ترشد إليه وتدل عليه كما يقولون، فتكون عبئًا ثقيلًا آخر عليه، وعليه أن يبذل مجهودًا كبيرًا للتمييز بين هذه الألوان المتقاربة ليربطه بما دل عليه، واصطلح له، فلا فائدة ترجى من هذا التلوين.

فما فائدة تلوين حروف المد باللون الرمادي الخافت، إذ يكاد يبين وينطق بها كل الناس نطقًا صحيحًا عن طريق السماع والتقليد، الصغير والكبير والجاهل والأمي، سواء كانت في القرآن أو في الحديث أو كلام الناس، كلهم يمدون المد الطبيعي.

هذا من العبث والفساد، روّج له الخطاطون وسكت عنه العارفون، فهذا عمل مكروه يجب تجريد المصاحف منه.

صناديق الاستثمار الإسلامية.. خطوات نحو التقدم في السوق



عبدالحافظ الصاوي*

شهدت صناعة المال الإسلامية تطورًا ملحوظًا على مدار العقود الأربعة الماضية، فلم يعد الدور المطلوب منها أن تجد موضع قدم، أو تتحدى تجربة البقاء في السوق، وقد ساعدتها على ذلك تلك الرغبة الكبيرة من المدخرين الراغبين في التعامل وفق الشريعة الإسلامية، والبعد عن شبهة الربا. وتطورت الفكرة الإسلامية من مجرد تكوين بعض البنوك الإسلامية هنا وهناك إلى ابتكار عديد من الأدوات المالية الإسلامية، وأضافت التجربة وجود أسواق المال الإسلامية عبر دولتي ماليزيا والبحرين، ثم اتساع نشاط التأمين التكافلي، ولم تعد صناعة المال الإسلامية قاصرة على الدول العربية والإسلامية، بل اقتحمت الدول الأوروبية وأقبل عليها غير المسلمين، ولعل الأزمة المالية العالمية- التي تجتاح العالم منذ سبتمبر ٢٠٠٨، ولم تتوقف آثارها السلبية بعد - بينت هذا الإقبال من قبل غير المسلمين على التعاملات المالية وفق قواعد الشريعة الإسلامية، فتنادت الأصوات الغربية بالنظر في قواعد الشريعة الإسلامية الخاصة بالجوانب الاقتصادية، من أجل الخروج من دوامة الاقتصاد الورقي غير الحقيقي الذي أهدرت فيه الثروات ووضع الاقتصاد العالمي في مأزق حقيقي.



وتعد صناديق الاستثمار الإسلامية واحدة من الأدوات التي تتعامل فيها صناعة المال الإسلامية، وتخضع للضوابط الشرعية العامة الحاكمة لكل التعاملات المندرجة تحت مسمى الاقتصاد الإسلامي ذاتها، ولا يكاد يخلو منها بلد توجد به سوق مال، حيث تحرص البنوك الإسلامية على تأسيس هذه الصناديق، من أجل توظيف أفضل وأكبر لما لديها من مدخرات، وكذلك تلبية لرغبة شريحة من العملاء يرون في سوق المال فرصة استثمارية لا يجب تفويتها، ولكن في إطار يراعي طبيعة مدخراتهم، ويراعي كذلك قواعد الشريعة الإسلامية في المعاملات المالية.

وفي هذه السطور نستطلع واقع تجربة صناديق الاستثمار الإسلامية في مصر، حيث كانت مصر المنبت الأول لبذرة البنوك الإسلامية، منذ منتصف السبعينيات من القرن الفائت، حيث أسس بنك فيصل الإسلامي، ومن قبل ذلك بنحو عقد من الزمن، حيث تجربة بنوك الادخار، لرائد العمل المصرفي الإسلامي د. أحمد النجار (رحمه الله).

آلية عمل صناديق الاستثمار

يبيِّن أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر د. فياض عبدالمنعم أنه في حالة وجود أسواق المال فإنها تشتمل على عدد من الأدوات، ومن أهمها الأسهم، وأدوات أخرى مثل السندات وأذون الخزانة، غير أن الأسهم تعد السلعة أو الأداة المالية الوحيدة التي تتعامل فيها صناديق الاستثمار الإسلامية، نظرًا لارتباط الأدوات الأخرى بسعر الفائدة المحرم شرعًا، وفي الأسهم لا يأتي تعامل الصناديق الإسلامية على إطلاقه، ولكنه مقيد بضوابط عمل الشركات صاحبة هذه الأسهم من حيث شرعية عملها وبعدها عن الممارسات المنهي عنها شرعًا، وحرصها على التمويل الإسلامي في مشروعاتها، سواء كان ذلك عبر التمويل الذاتي أو المصرفي، ويضيف فياض أنه في بعض الأسواق يكون أمام صناديق الاستثمار الإسلامية أدوات أخرى غير الأسهم المباحة شرعًا مثل الصكوك الإسلامية التي شهدت رواجًا كبيرًا خلال الفترات الماضية، وخاصة بعد إقبال بعض الحكومات على الاعتماد عليها، سواء في تمويل مشروعات عامة، أو في سداد عجز الموازنة، ولم يقف التعامل بهذه

* باحث متخصص في الاقتصاد الإسلامي

الاقتصاد الحقيقي هو محل وعمل الاقتصاد الإسلامي وصناعة المال الإسلامية لوجود قواعد الغرم بالغرم

الصكوك على الدول العربية والإسلامية، ولكنه امتد إلى بلدان أوروبية، حيث مولت بها بعض المقاطعات الألمانية والإنجليزية مشروعاتها العامة.

ويدخل صندوق الاستثمار الإسلامي لسوق المال، عبر رأس ماله المملوك لمجموعة من المساهمين، في شكل صكوك يصدرها الصندوق بقيم صغيرة تناسب صغار المدخرين. ويقوم الصندوق بشراء وبيع الأسهم والأدوات المالية الإسلامية الأخرى، مثل الصكوك الإسلامية، محققًا ربحًا أو خسارة، عملًا بقاعدة الغنم بالغرم، ويعتبر الصندوق في هذه الحالة بيت خبرة للمدخرين، ويكون بمنزلة حائط صد لتقليل خسائر المدخرين في حالة وقوع خسائر، كما يُمكن المدخرين من الدخول إلى السوق والخروج منها بطريقة أفضل من التعامل المباشر مع سوق الأوراق المالية، ويضيف فياض أن الصناديق لها دور مهم آخر لمصلحة السوق يتمثل في أداء وظيفة صانع السوق، حيث يحافظ على توازنه وعدم انهياره بمعدلات كبيرة.

واقع التجربة في مصر

من بين ٥٢ صندوق استثمار في مصر توجد نحو ٦ صناديق إسلامية، بما يمثل ١٢٪، وحسب بيانات عام ٢٠٠٨ يبلغ حجم استثمارات جميع صناديق الاستثمار في مصر نحو ٤٢,١ مليار جنيه. تمثل صناديق الدخل الثابت (أذون الخزانة والسندات العامة) منها ٣٦,٧ مليار جنيه بما يبلغ ٨٧٪، في حين يبلغ حجم الصناديق المتوازنة (أسهم وسندات) ١,٣ مليار جنيه، بما يمثل ٣٪ فقط. أما صناديق الأسهم فقط فيبلغ حجم استثماراتها ٣,٣ مليارات جنيه، بما يمثل نسبة ٨٪. في حين أن الصناديق الإسلامية تبلغ استثماراتها ١,١٤ مليار جنيه. وفي الوقت الذي شهد فيه السوق المصرية ميلاد أول صندوق استثمار في فبراير ١٩٩٥ تأخر أول صندوق استثمار إسلامي عن هذا التاريخ نحو ٩ سنوات فأنشأ بنك فيصل الإسلامي أول صندوق إسلامي في دبسمبر ٢٠٠٤.

وتعمل الصناديق الإسلامية في الأسهم المتداولة في البورصة المصرية، ولكل صندوق منها لجنة شرعية تقوم على أمر اختيار الأسهم التي تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وبالطبع تحتوي هذه الصناديق على أسهم فقط، ولا تملك أي أدوات أخرى، خصوصًا أدوات العائد الثابت، حيث لا تتوافر في مصر أداة الصكوك الإسلامية، مما يحرم هذه الصناديق من الاستثمار في هذه الأداة. ويصل رأس مال كل صناديق الاستثمار الإسلامية نحو ٥٠ مليون جنيه، إذ يمتلك كل من بنكي فيصل الإسلامي المصري والتمويل السعودي صندوقًا مستقلًا لكل منهما، كما يشارك كل منهما بنكا آخر في صندوق استثماري، بينما يملك أيضًا بنك مصر صندوق استثمار اسلاميًا منفردًا، ويشترك في رأس مال الصندوق الإسلامي السادس كل من البنك الوطني للتنمية وبنك الشركة المصرفية الدولية.

البنوك التقليدية تمتلك صناديق استثمار إسلامية

ويبين مدير إدارة الاستثمار ببنك مصر إيران الأستاذ ناجي هندي أن جميع هذه الصناديق مؤسسة من قبل بنوك، وتعمل من خلال البنوك الإسلامية، على الرغم من وجود مشاركات من قبل البنوك التقليدية مع البنوك الإسلامية في رأس مال هذه الصناديق، ومنها على سبيل المثال صندوق «بشاير» الذي



يشترك فيه كل من البنك الأهلي مع التمويل السعودي، أو صندوق «أمان» الذي يشترك فيه كل من بنك فيصل والبنك التجاري الدولي، ومن وجهة نظر هندي فإن إقبال البنوك التقليدية على العمل في صناديق الاستثمار الإسلامية يعكس حجم الطلب والإقبال على الأدوات المالية الإسلامية، التي لم يتوافر منها في مصر سوى صناديق الاستثمار الإسلامية، بخلاف الأوعية الادخارية داخل البنوك الإسلامية.

ويضيف هندي أن الدراسات التي تمت بمعرفة بنوك أجنبية عن القطاع المصرفي المصري أثبتت أن هناك فرصا كبيرة داخل هذا القطاع بسبب وفرة المدخرات التي وصلت إلى نحو ٧٠٠ مليار جنيه، وتبحث هذه المدخرات عن من يجتذبها ويعمل على توظيفها بشكل جيد. وبطبيعة الحال فإن هذه المدخرات تبحث عن وسائل استثمارها بمعرفة المؤسسات المالية التي جمعتها. ويظهر جليًا دور صناديق الاستثمار الإسلامية في هذه القضية، من خلال استخدام أدوات استثمارية جاذبة، تستطيع معها جذب مدخرات الأفراد الذين يبحثون عن وسائل استثمار تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية.

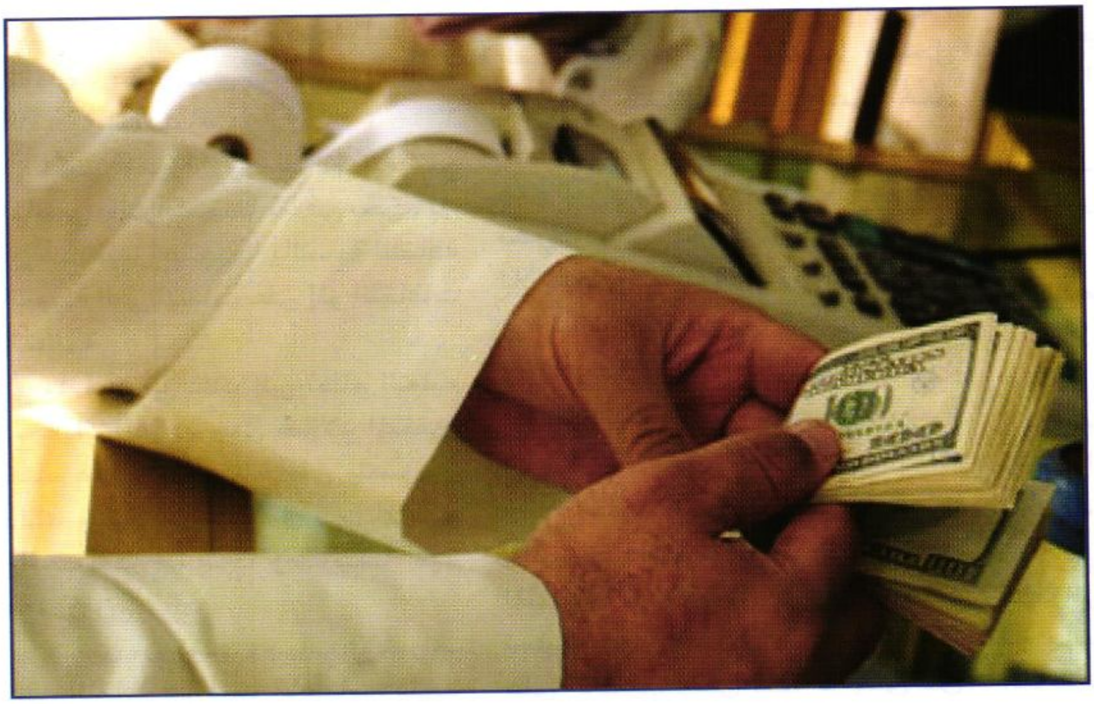
المستقبل مشروط بوجود مديرين أكفاء

وعن أداء صناديق الاستثمار الإسلامية في السوق المصرية يرى هندي أن كل الأفكار المالية الحالية المطروحة فيها من قبل صناديق الاستثمار الإسلامية لم تتعد حدود الاستثمار في الأسهم المتداولة في البورصة، على الرغم من وجود فرص لتكوين صناديق استثمار للمرابحة، أو النشاط العقاري، أو وجود صناديق تعمل في مجال الاستثمار المباشر وفق أحكام الشريعة الإسلامية، كما أن مستقبل الصناديق الإسلامية بمصر أمامه مساحات واسعة من العملاء الراغبين في التعامل معها، ولكن نجاح هذه الصناديق يتوقف على وجود مديرين أكفاء لهذه الصناديق، لهم خبرة بالسوق المصرية وثقافة المستثمر المصري، وفي الوقت نفسه لديهم الخبرة اللازمة في المعاملات المالية الإسلامية.

مستقبل صناديق الإستثمار الإسلامية في المنطقة العربية كبير وخاصة بعد الأزمة المالية العالمية

وترى مستشارة بنك التمويل المصري السعودي بسنت فهمي أن مستقبل صناديق الاستثمار الإسلامية في مصر وفي المنطقة العربية كبير، وخاصة بعد الأزمة المالية العالمية، حيث تبين للعالم أن الاقتصاد الحقيقي هو الملاذ الآمن، وهو محل عمل الاقتصاد الإسلامي، وصناعة المال الإسلامية، لوجود قواعد الغنم بالغرم، وعدم بيع الإنسان ما لا يملك، أو بيع الديون، وكلها أمور كانت تقوم عليها أسواق المال التي ابتعدت عن الممارسات الإسلامية.

وفي مصر ترى فهمي أن دخول البنوك الخليجية في السوق المصرية أخيرًا- وهي مصارف تعمل وفق ضوابط الشريعة الإسلامية- سوف يساعد على نمو هذه الصناديق، وبشكل عام فإن المصارف الإسلامية، أو الفروع الإسلامية في البنوك التقليدية تتمتع بفائض سيولة عال، وهو من أهم عوامل الأمان المالي في أي بنك. ولذلك سنجد توسعًا في مصر في عمل هذه الصناديق، وترجع فهمي قلة عدد صناديق الاستثمار الإسلامية في مصر إلى تأخر نشأة سوق المال في مصر، حيث بدأت في عام ١٩٩٠، مقارنة بإنشاء البنوك الإسلامية التي بدأت في السبعينيات من القرن الفائت، كما تعد السوق المصرية سوقا ناشئة، والشركات الموجودة بها ليست كثيرة، كما أن الظروف التي مر بها الاقتصاد المصري خلال الفترة الماضية لم تساعد على وجود سوق مال قوية.



عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الفلسفة الإسلامية بدار علوم القاهرة د. حسن الشافعي:

مشكلة المثقفين العرب تكمن في القطيعة بين التراث والمعاصرة

حوار: علاء فاروق

يعاني المجتمع العربي الثقافي من مشكلات عدة تتلخص في سطحية الكثير من هؤلاء المثقفين واعتمادهم المباشر على الوسائل السريعة و«الملخصة» مثل الانترنت والقراءة «الجرائدية» للقضايا الثقافية المثارة- وهذا ليس انتقاصا من هذه الوسائل- ولكن هذا الاعتماد الوحيد على هذه الوسائل عمل على خلق جيل من أنصاف المثقفين، وتلاشت أو كادت صورة المثقف غزير العلم عميق الفكر صاحب وجهة النظر المقنعة مصطحبا معه الأدلة الدامغة في مناقشته للقضايا، ما جعل «الوعي الإسلامي» ترصد هذا الضعف وتحاول أن تتعرف على أسبابه وطرق علاجه كي تعود أمة رائدة في الثقافة وغزارة العلم وذلك خلال اللقاء برئيس الجامعة الاسلامية بباكستان سابقا وعضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الفلسفة الإسلامية بدار علوم القاهرة د. حسن الشافعي.. وإليكم نص الحوار:

■ **المزاوجة بين التراث والمعاصرة.. هل حدثت قطيعة بين الصنفين؟**

– تلك مشكلة قائمة فيما يتعلق بالمشهد الثقافي الراهن في الواقع العربي والإسلامي، ومرد ذلك أن بعض المثقفين يزكون القطيعة بين التراث والمعاصرة، بل إن هناك بعض المثقفين يتخذ من هذا منهجًا زاعمًا أن القطيعة هي إحدى متطلبات الساحة الثقافية المعاصرة.

لكني أؤمن أن وجوب القطيعة مع الماضي والتراث خطأ ثقافي بحت، بل إن هذا ليس صحيحًا بالنسبة للثقافة الغربية التي نهضت على إثر الثقافات القديمة.

وأنا أرجع ذلك إلى نظام التعليم الخاطئ الذي جعل هؤلاء المثقفين أبناء هذا النظام الخاطئ يتصورون ذلك ويتخذون الفصل بين الماضي والحاضر منهجًا وطريقًا، فهم معذورون.

و أرى أن تعدد وجهات الإشراف على الثقافة هو أحد الأسباب، فتجد وزيرًا للتعليم وآخر للتعليم العالي وثالثا للثقافة ورابعًا للإعلام.

وسائل الإعلام لا تغني عن القراءة والإطلاع لتكوين الشخص المثقف

ومن وجهة نظري فإن كل هذه الوزارات طريقها واحد، فالحل أن تكون هناك مركزية عند هذه الوزارات، وليس بالضروري توحيد هذه الوزارات، بل وجود جهاز مشترك يشرف على الجانب الثقافي المكمل للأجهزة التعليمية التي تنهض بها وزارة التربية والتعليم.

■ **وهل هناك تأثير للأجهزة الإعلامية على الثقافة العربية الآن؟**

– حقيقة الحال أن أغلب المثقفين يتلقون ثقافاتهم من الأجهزة الإعلامية المسموعة أو المرئية، وأرى أن هناك تسليمًا بأن الإعلام أصبح مفروضًا على الجميع، ولكن هذا لا يغني عن القراءة والاطلاع والأبحاث بجانب هذه الأجهزة الإعلامية لأنها لا تكفي بمفردها لتكوين شخص مثقف.

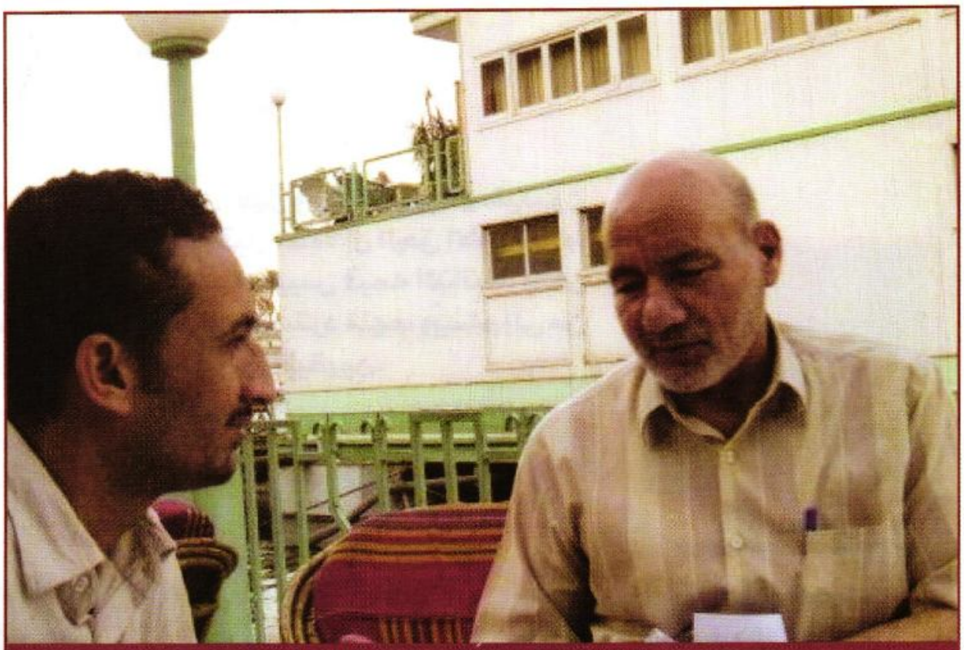
وهذا أيضًا يبين الدور المهم والكبير المنوط بأجهزة الإعلام لما لها من تأثير واضح على عقول المثقفين من تقديم الوجبة الثقافية الدسمة لهؤلاء المستمعين لها، وأرى أن الكثير من الكتاب الآن قلما تجدهم يمسكون بالكتاب وخاصة القراء العرب.

■ **هناك من يرى أن جماعة التراث هم أسباب تأخر المثقفين والكتاب العرب، وآخرون يرون أن أجهزة الإعلام هي المسؤولة عن ذلك.. فما ردكم؟**

– أرى أن فريقًا كبيرًا من جماعة التراث عليهم بعض المسؤولية من حيث إنهم أسهموا في هذه القطيعة بعدم خدمة التراث نفسه ومن الوسائل التي تقربهم من المثقف المعاصر، بل إن الكثير من مثقفي التراث لم يقدموه بالشكل الذي يجعله مقبولًا لدى المعاصرين الجدد، ولكن في الوقت نفسه فإن التيار الإعلامي هو الأقرب للحداثة، بل إنه مغموس فيها وله النصيب الأكبر في هذه القطيعة، والقول الفصل إن كلا الفريقين مسؤول عن القطيعة.

■ **ما الطريقة التي يقدم بها دارسوا التراث مادة التراث بلغة لا تصيب بالملل أو عدم الفهم لها؟**

– في الحقيقة، إن هؤلاء الأصوليين كالغزالي والآمدي وغيرهم برغم أنهم لم يأتوا في عصر عنفوان الثقافة العربية، وجاءوا في عصر المتأخرين،



د. الشافعي متحدثًا إلى «الوعي الإسلامي»

لكنهم كانوا أقدر على مواجهة الأزمة الثقافية في عصرهم مما يدل على أن اللغة ليست هي المشكلة فحسب، بل يشاركها مناهج البحث الجديدة.

ولو أن أهل التراث تعلموا ذلك بإخلاص البحث الجديد لتقديم بضاعتهم القديمة ولكن في كائن جديد سائغ شرابه لعمت الفائدة.

■ وماذا عن قضية الضبط اللغوي للمطبوعات.

- مجمع اللغة العربية المصري يحرص كل الحرص على هذا الضبط للأبحاث التي يصدرها، وكذلك المطبوعات المختلفة، ولكن الناشر التجاري لا يخضع لهذا الضبط لأنه غير مستعد لبذل الجهد والتكلفة التي يسببها الضبط اللغوي.

لذا يجب أن تكون هناك هيئة علمية تمثل المجامع اللغوية تقوم بالإشراف على الترجمة والمنهج العلمي وتحاول أيضًا أن تقدم الضبط الدقيق لكلمات الأبحاث المقدمة، مما يعمل على مساعدة الناشر «التجاري» على تقبل الأمر، ولكن يتم تكليف الناشر بهذه المهمة بمفرده ويعد أمرًا صعبًا.

■ توفيق العمل بين المجامع اللغوية في كل مكان.. كيف يتم ذلك حتى لا تتكرر الأعمال؟

- الوسيلة موجودة، وخاصة عند اجتماع رؤساء المجامع بصورة دورية وطرح الموضوعات التي تصدرها المجامع المختلفة، وخاصة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهناك اتحاد المجامع ولكنها لجنة تحتاج لدعم وميزانية لكي تقوم بواجبها المنوط بها، وأنا أقول إن هذا الأمر - توحيد المجامع وخاصة في الألفاظ والكلمات - مهم جدًا، وخاصة في أسماء المدن، فقد تجد من ينطق اسم بلد منها فلسطين باسمها العبري مما يعني التحريف لها.

أطالب باحترام اللغة واحترام ما تصدره المجامع من قبل وسائل الإعلام وغيرها من المؤلفات، بل يجب أن تسن القوانين التي تلزم هؤلاء بذلك.

■ نظام «الشللية» في قضية النشر يفقد بعض المصنفات القيمة مكانتها.. ما رأيكم في ذلك؟

- أجهزة النشر سواء كانت حكومية أو حرة ينقصها الكثير، وقد يوجد أحيانًا نشر لمن لا يستحق وإغفال لمن يستحق أن يخرج للناس، بل إن بعض الجهات تعمل على وضع العقبات أمام المؤلفين والعلماء مما يعمل على عزوف هؤلاء العلماء عن تقديم مصنفاتهم لهذه الهيئات خوفًا من رد فعل هذه المؤسسات.

وأظن أن العلاج أن يكون النشر داخل الهيئات المعروفة والرسمية مثل الهيئة العامة للكتاب وكذلك المجلات الثقافية والمعارض وغيرها.

وهناك حاجة أن يكون داخل هذه المؤسسات لجان من العلماء تقوم بتقييم الأعمال واختيار المصنفات التي تستحق النشر.

■ كلمة أخيرة للمثقفين والكتاب العرب؟

- يجب أن يركز هؤلاء العلماء والمثقفون على ما ينفع الناس ويقدمونه لهم بصورة مقبولة وليست صعبة مستحيلة، كما أتمنى أن يشاركونا العمل لكي نرتقي بأمتنا ونعود بها إلى دور الريادة.

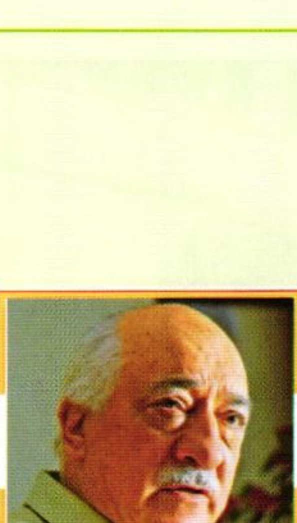
في سطور

- حسن محمود عبداللطيف الشافعي.
- بني سويف مركز ببا قرية بني ماضي.
- ١٩٣٠م.
- عضو بإدارة الجمعية التربوية الإسلامية بالقاهرة.
- عضو الجمعية الفلسفية الإسلامية بالقاهرة.

-٢٤ كتابًا وبحثًا أكاديميًا أهمها كتاب: الآدمي، الفلسفة منهجًا وتطبيقًا، في فكرنا الحديث والمعاصر.

وارثو الأرض

الدنيا تدور وتدور، وكلما دارت تنسحب إلى فَلَكها الأصل، فهل وارثو الأرض الحقيقيون جاهزون لاسترداد ميراثهم الذي أضاعوه، فخطفه غيرُهم قبل مدة؟ إن الحق الأول شيء، والحق المستلم بالتمثيل شيء آخر، فالحق إن لم يُمَثَّل حسب مقاييس قيَمه الذاتية، يمكن أن يُسترد في كل وقت، وإن مَنح ابتداءً لأمة معينة وَجَمْع معين فيُستَرد منهم، ويُسَلِّم إلى من يكونون الأسبق والأفضل نسبيًا في الخير، إلى أن ينشأ المُمثلون الحقيقيون.



فتح الله كولن



يقول الله تعالى في الفرقان البديع البيان: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) ولا ينبغي أن يتردد امرؤ في توقع مجيء هذا اليوم، وهو وعد الله المؤكد، ولن تنحصر هذه الوراثة بالأرض وحدها، ذلك بأن مَن يرث الأرض ويحكمها، يحكم عمق الفضاء والسماء أيضًا، إذن هي حاكمة في الكون كذلك، ولما كانت هذه الحاكمية بالنيابة والخلافة، فحيازة خصال التمثيل التي يريدها صاحبُ السموات والأرض الحق لازمة وضرورية، بل يصح القول إن تلك الرؤيا وذلك الرجاء، يتحققان بقدر إدراك هذه الخصال ومعايشتها.

ولئن حرّم مالكُ الملك الحقُّ الإرثَ عمن ادعى وراثة الأرض الحقيقية في مرحلة تاريخية كثيفة بالضباب والدخان، لأنهم لم يبذلوا الجهد اللائق بالوراثة السماوية كما ينبغي، فإن الخلاص من هذا الحرمان يبدأ من اللجوء إليه تعالى مجددًا.

لقد وعد الله بإرث الأرض للصالحين من عباده، وهم ممثلو الروحية المحمدية والأخلاق القرآنية، المنشغلون بالاتحاد والاجتماع، المدركون لأحوال عصرهم، المسلحون بالعلم والفن، المقيمون لميزان الدنيا، والعقبى الحاصلة وعد لعقبان الروح وللمعنى الذي يدورون به في مدار نجوم السماء النبوية، وسادتنا الصحابة الكرام، إنه سنة الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣) سنّة ثابتة وشريعة فطرية لن تتغير.

لن يغفر التاريخ لنا حين ضحينا بالدين في سبيل إعمار دنيانا

فيلزم لوراثة الأرض السعي الجاد في الصالحات ابتداءً، بمعنى معايشة الدين كما هو في القرآن والسنة، وجعل الإسلام إحياءً للحياة، ثم احتواء علوم العصر وفنونه، ولنتذكر دائمًا أن المجتمعات التي لا تلتفت إلى الشريعة الفطرية المتجلية من القدرة والإرادة، وإلى مجموعة القوانين الإلهية الظاهرة من صفة الكلام في الكائنات، وأن الأمم والشعوب التي تتعرض إلى التبدل داخليا في حياتها المعنوية، مصيرها إلى الخذلان غدًا، مهما كانت ظاهرةً اليوم، ذا هو التاريخ- وما أشبهه بمقبرة للأمم المنقرضة- يصرخ عاليا بصوت الحقيقة: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، التآكل الروحي والمعنوي في عالم الداخل الذاتي للمجتمع يوصل إلى انقطاع الأنعم الإلهية عنه، هذه الآية الكريمة تذكّرنا بقاعدة مهمة في الظهور والخذلان، أو العز والذل، وتحدد هذا الفراغ الهائل في مسلمي العصر الحاضر.

ولعلنا نوجز هذا الفراغ بالتآكل الذي أصاب المسلمين جميعًا في بنائهم الداخلي من حيث الحياة القلبية والروحية، وتخلفهم بمراحل طويلة عن العصر في بنائهم الداخلي، وسواءٌ علينا في الحاصل إن كانت العلة في هذا التآكل أو التخلف من الموانع الخارجية المتتالية منذ قرن أو قرنين، أو هي جهلنا وضعفنا وعجزنا، لكن الثابت هو أن أمة الإسلام تنزف الدم في القرون الأخيرة، وتبدو غير مبالية بمصادر قوتها التي بها انتصبت على قدميها وجعلتها في عزها وارثة الأرض حقًا وصدقًا.

أرجوكم التفكر مليًا، هل نجرؤ على القول إن الذين ادّعوا تمثيل الإسلام في مرحلة تعيسة من حياة شعبنا هم أصحاب حياة قلبية وروحية عميقة الغور

* مفكر تركي

بمقاييس الأوائل؟ وهل نشهد أن مسلمي تلك المرحلة كانوا في توتر وانشداد وحماس من أجل ديمومة نمط الحياة للصحابة الكرام، بله الرغب إلى حياة كحياة الصحابة؟ كم وجهًا بهيًا نلقى في تلك المرحلة، يختار أن يموت عزيزًا على أن يعيش ذليلًا كما في القول الذي سار مثلًا: «إما الدولة في الأمجاد أو الغربان على الأجساد» (١)، وكم روحًا منورًا لم يستسلم أبدًا لأعدائنا ولم يحد مطلقًا عن استقامة دربه؟

وإن ضعف الإدارة ورجالها، خاصة في تلك المرحلة، يورث حرقة في الفؤاد وغصة في الحلق، فقد عجزنا عن إنقاذ أنفسنا من العيش تحت الوصاية، والقرآن يحرم علينا الحياة تحت وطأة الوصاية. أننكر أننا نتذلل على أعتاب الظالمين الذين يسحقوننا بتحكمهم؟ وهل نزعم أننا استطعنا أن نستجيب- كما يليق بوارثي الأرض- لنداء القرآن بالاستعداد الكامل والتأهب الحذر ضد الأعداء الألداء لديننا ووطننا وفكرنا؟ وتذكروا قَسَم الرب الجليل في القرآن الكريم بالخيل ووسائل القتال في سورة العاديات، وأمره الجليل أن ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾ (الأنفال:٦٠).

الصحيح هو أننا ارتكبنا خطأً من أعظم ما لا يغفره التاريخ، ضحينا بالدين في سبيل الدنيا، طمعًا في عمارة دنيانا، وتبنينا فهما يرجح الدنيا على الدين، فوجدنا أنفسنا مذاك أسرى في شباك الممتَنعات، وضاع الدين وفرّت الدنيا، وعاش هذا العالم المجيد- التعيس، مرحلة التفريغ، رفضٌ لميراث مبارك من ألف عام، وتلبيس على الشعب بمبدأ مصطنع، وتركيب الدولة العظيمة وتصميم بنائها على قاعدة هشة ومتهاوية، وتعريض التاريخ والقوم والأرومة والثقافة الموروثة إلى الازدراء والتزييف، وإلقاء النفس في أحضان أعداء «الألف سنة»، ثم دس أشد الأفكار إلحادًا بأفحش الألفاظ طرا في جسم الوطن، بل شهدنا انهمار الجوائز والمكافآت على من يزخرف هذه الأفكار بالشعر والنثر، بل السعي لإحياء الشيوعية في العواطف والأفكار والأخلاق في عالم المسحوقين والضعفاء والمظلومين.

وكما يتدرع أحيانا نفرٌ من المصابين بداء الإلحاد، العاجزين والشاكّين حتى في أنفسهم، بدرع أيديولوجية سياسية ورجال ومفاهيم ممنوعة من المس - وهم يلجأون اليوم خاصة إلى أقبح هذه الأساليب وأخزاها- لمهاجمة الدين وإلصاق التهم بالمقدسات، فإني أذكر زمانا كان أمثال هؤلاء التعساء يقيئون حقدهم وكرههم وغيظهم، ويناضلون نضال المستميت لكبح صوت الدين والمسلم، أيام رواج الشيوعية والاشتراكية، متكئين على نظم لا أنساب لها، وما أجمل أبيات شاعر النشيد الوطني وأمل الاستقلال الذي صار نشيده أسطورة تروي انبعاث الشعب من جديد، في تصويره- بالضد- هذه المرحلة المظلمة، إذ يُرتقب فيه المسلم والإسلام ويقتفى أثره، ليقتل وتُطفأ شعلته وتُفسد طبائعه:

قد انسلخ الحياء وانحسر
فالعار ملء البوادي والقفار
كم وجه قبيح لم نعرفه
اختفى خلف رقيق الستار
فلا وفاء والعهد عدم
والأمانة لفظ بلا مدلول
والكذب رائج والخيانة ملتزمة
في كل حال والحق في المجهول
العقل مرتعب جزع يا رب كم
رهيب هذا الانقلاب
ضاع الدين والإيمان، فالدين
خراب والإيمان تراب. (٢)

أبيات مفعمة بحسرة وانكسار تقصم ظهر الشاعر، لكن هذا التسلط القهري والكفري والمزاجي طوال هذه السنين، عجز عن الاستحواذ تمامًا على إرادة هذا الشعب الأصيل، ولم يطفئ أبدًا شعلة أفكاره، ذات البُعد الأزلي والأبدي، إن هذه الأفكار صارت حسب الظروف جمرة تحت الرماد، أو شرارة تقدح وتندلع



نارًا بحركة طفيفة، أو مصدرًا للنور كافيًا لإضاءة الدنيا، لكنها بعوامل التدبير والتمكين الجاذبة نحو المركز انكمشت في جوف نواة، وتقلصت فاستطاعت أن تجتاز أعظم محن العصر لتصل إلى الجيل القادر على أداء العمل، في انتظار أن تغمر الأرض كلها بالنور.

من الممكن أن نقيِّم سنين التيه الطويلة بمقياس عذابٍ متجرع وجهدٍ مبذول، فلنسعَ مرة أخرى إلى إثبات أننا وارثو الأرض الحقيقيون بفهم الإسلام، مصدرنا الكافي لانبعاثنا المادي والمعنوي، كما هو في أصله، ثم بالانخراط في جموع عباد الله الصالحين السالمين المتينين عاطفة وفكرًا وحسًّا وشعورًا وإرادة، الثابتين القائمين على إعلاء كلمة الله، المنظّمين في حياتهم العلمية، الموثوقين في سلوكيات العمل، المستقرين في شخصياتهم، القادرين على دحر نوازعهم النفسانية، الموفقين إلى ارتفاق القلب والعقل.

فعلينا أن نواصل المسير في هذا التوجه المفقود والخط المضيّع، بتوفيق الله تعالى ومشيئته.

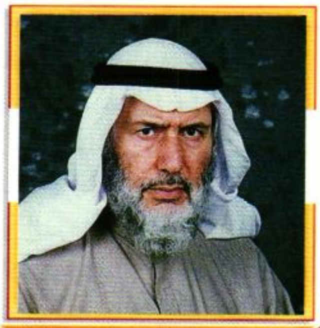
الهوامش

«١» مثل تركي يضرب لافتداء الرجل بنفسه من أجل غاية عزيزة، وغيره يستفيد، وربما للإصرار على بلوغ المنى بالمنايا، فإما الموت أو الأرب (المترجم).

«٢» من ديوان «الصفحات» للشاعر محمد عاكف، ص ٤٢٠، وهذه ترجمة من التركية (المترجم).

عن دور الفكر القومي العربي في إعاقة النهضة

طرح شكيب أرسلان في مطلع القرن العشرين سؤالًا: لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟ وهو سؤال جوهري أجاب عنه في رسالة كتبها، وأجاب غيره عن السؤال نفسه، وبغض النظر عن قيمة الأجوبة فيجب أن يتغير السؤال في تقديري بعد مرور ما يقرب من قرن على سؤال شكيب أرسلان ليصبح: لماذا لم ننهض؟



د. غازي التوبة

مـن الجـلـيّ الـواضـح أن النهضة لم تتحقق، مع أنها شغلت أحلام عدة أجيال من أبناء أمتنا، واستنزفت طاقات وجهود معظم قيادات الأمة، واستهلكت أوقاتًا ودماءً، ويتضح عدم تحقق النهضة فـي عـدة مظاهر منها: الفشل في تحقيق الوحدة، والفشل في إقامة مجتمع صناعي، والفشل فـي تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي، والفشل في التحرر من التبعية والاستعمار، والفشل في تحقيق نهضة علمية، والفشل في مواجهة العدو الصهيوني في عدة حروب، والفشل في إلغاء أمية القراءة والكتابة التي بلغت أربعين في المائة إلخ... والسؤال الآن ثانية: لماذا لم ننهض؟ ولماذا فشلنا في تحقيق كل مظاهر النهضة؟

للإجابة عن السؤال السابق يجب أن يتجه البحث والتقصي والتدقيق إلى الفكر القومي العربي، لأنه هو الفكر الذي قاد المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، وهو الذي أصبح فكر القيادات النافذة والفاعلة في عدد من الأقطار العربية، وهو الذي قاد السياسة الإعلامية في المنطقة، وهو الذي رسم البرامج التربوية، وهو الذي خطط للبناء الاقتصادي، وهو الذي بنى المناهج العسكرية القتالية إلخ... ويتأكد كل ذلك إذا علمنا أن هذا الفكر العربي هو الذي حكم منطقة بلاد الشام والعراق بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك بعد أن أعلن الشريف حسين الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦، والتي تبنت الفكر القومي العربي في مواجهة الخلافة العثمانية والقومية التركية، وقد صاغ الملك فيصل دولة العراق صياغة قومية عربية، وقد ساعده في ذلك ساطع الحصري رائد القومية العربية وأبرز منظريها على الإطلاق في هذه الصياغة والبناء، فقد بنى ساطع الحصري المناهج التربوية والسياسية والإعلامية إلخ... ونظّر لترسيخ مفهوم القومية العربية في مواجهة الايديولوجية الدينية التي كانت سائدة من قبل، ولم يتوقف نفوذ الفكر القومي العربي عند العراق وبلاد الشام، لكن نطاقه اتسع بعد الحرب العالمية الثانية، فانتشر في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وحل محل القومية الفرعونية التي حكمت مصر بعد الحرب العالمية الأولى من خلال حزب الوفد وسعد زغلول، ثم استطاع جمال عبدالناصر أن يوسع نطاق الفكر القومي العربي، فأصبح هو الفكر النافذ في اليمن وفي عدن وفي السودان وفي الجزائر وفي ليبيا إلخ... إن هذا الاتساع في نطاق سيطرة الفكر القومي العربي جعله أكثر قدرة على تحقيق النهضة، لكنه فشل مع ذلك، فلماذا كان هذا الفشل؟ يجب أن يتجه التدقيق والتمحيص والتبيين إلى مضمون الفكر القومي العربي، وبنيته، ومحتواه، وعناصره الداخلية، ولكن قبل القيام بذلك أود أن أبرز ملاحظتين هما:

الأولى: أن الأهداف التي وضعتها الأمة من أجل تحقيق النهضة من مثل: الوحدة، وبناء المجتمع الصناعي، وتحقيق التحرر والاستقلال والتخلص من التبعية، وبناء جيوش قوية، وتحقيق نهضة علمية إلخ... كلها **أهداف واقعية وسليمة وممكنة التحقيق**، وليس كما يدّعي بعض المغرضين والمنهزمين أمام الغرب بأنها أهداف خيالية، وأنها أوهام، وأننا كنا نركض وراء سراب واضغاث أحلام، لذلك علينا أن نتخلى عنها ونعود إلى القطرية، وإلى الاستسلام إلى الغرب واسرائيل إلخ... لا أرى ذلك ولا أرى القصور في الأهداف التي رسمتها الأمة، لكن القصور في مضمون الفكر القومي العربي الذي حاول تحقيق هذه الأهداف، وهو ما سنبينه بعد قليل.

الثانية: يقرن أصحاب التيار القومي العروبة بالقومية العربية ويقولون إنهما صنوان، وهم عروبيون وقوميون عرب في الوقت نفسه، وأنهم في تبنيهم القومية العربية يحمون العروبة من أعدائها كالقوميين الأتراك، والحقيقة ان القومية العربية غير العروبة، فالقومية العربية ايديولوجيا حديثة منقولة عن الغرب، والعروبة إرث ثقافي ينبني علي أمرين هما: الجنس العربي، واللغة العربية، وهذه العروبة بهذا التحديد كانت لصيقة بالإسلام، ووضعها متين وقوي، ولا خطر عليها، وكل ما حصل في التاريخ كان بعض التشويش من قبل الشعوبية، لكن أمكن حصره والتغلب عليه.

والآن لننتقل إلى التدقيق في بنية الفكر القومي العربي وفي المحتوى الايديولوجي للقومية العربية، لأنها هي التي تتحمل المسؤولية الكبرى- في تقديري- عن فشل النهضة فماذا نجد؟

أولا: نجد أن الفكر القومي العربي انطلق من أجل تحديد العوامل التي بنت الأمة من المقايسة والمشابهة بين أمتنا والأمة الألمانية، وأسقط الوضع الألماني على وضع أمتنا، ولم ينطلق من التحليل العضوي الداخلي لأحوال هذه الأمة

باحث أكاديمي

للتوصل إلى العوامل التي بنتها، فساطع الحصري رائد الفكر القومي العربي والذي يعتبر المنظر الرئيسي لهذا الفكر، والأغزر انتاجًا، حدد العوامل التي بنت الأمة العربية التي تقطن- الآن- من المغرب إلى الخليج بعاملين، هما: اللغة والتاريخ، وهو عندما فعل ذلك انطلق من المشابهة بين الأمة الألمانية والأمة العربية، وقاس وضع الأمة العربية المجزأ على وضع الأمة الألمانية في القرن التاسع عشر، ووجد تشابها بين عراقة اللغة الألمانية واللغة العربية ورسوخهما في شعبيهما، كما نظر إلى عمق التاريخ في الشعبين، فتوصل إلى أن الأمة العربية مثل الأمة الألمانية تقوم على عنصري اللغة والتاريخ، وأن المشكلة الكبرى التي تواجه الأمة العربية هي التجزئة كما أنها هي المشكلة الكبرى التي واجهت ألمانيا في القرن التاسع عشر وتغلبت عليها بالتوصل إلى الوحدة من خلال مراحل تدريجية، فساطع الحصري انطلق من المقايسة والمشابهة بين الأمتين الألمانية والعربية، ولم ينطلق من دراسة واقع الأمة العربية من أجل تحديد العوامل التي بنتها، فلم يحلل الواقع بما يشتمل عليه من أخلاق ومواجد وعواطف واشواق وأذواق وتطلعات وبناء نفسي وعقلي إلخ... فلو حلّل هذا الواقع لتوصل إلى العوامل الموضوعية التي بنت الأمة، لكنه لم يفعل شيئًا من ذلك.

ثانيًا: لا يستطيع الفكر القومي العربي أن يفسر لنا من خلال عاملي اللغة والتاريخ الوحدة الثقافية في الأمة ولا وحدة العادات والتقاليد، ولا وحدة المشاعر، ولا وحدة الآمال، ولا وحدة الآلام، ولا وحدة الأخلاق، ولا وحدة الخيال، ولا وحدة البناء النفسي، ولا وحدة البناء العقلي إلخ... ولم يقم ساطع الحصري ولا غيره من المفكرين القوميين بذلك أصلًا، ولا يمكن أن نفسر الوحدة في كل الأمور التي ذكرناها سابقًا إلا من خلال الدين الإسلامي بكل معطياته، ومن خلال المفردات التي قررها وتعاهدتها الأمة على مدار ما يزيد عن ألف سنة من مثل الإيمان بالإله الواحد الأحد ووجود الآخرة، والإيمان بعالم الغيب من ملائكة وشياطين، والحث على تزكية النفوس، والتوجيه إلى أكل الحلال، والابتعاد عن تناول الحرام، والأمر بالتطهر والعفاف، والابتعاد عن النجاسة والفجور، والتطلع إلى الآخرة، وفي الوقت نفسه التطلع إلى الدنيا والتمتع بالطيبات، ووجود السنة المشرفة التي تأمر بمكارم الأخلاق، وتقرر التميز بالعبادات والشعائر عن الآخرين، والإعلاء من شأن العقل والحث على التفكير، والأمر بالنظر إلى سنن التاريخ، والتوجيه إلى التعامل مع الحواس وعالم الشهادة وبأنه صنو عالم الغيب إلخ... إن تلك المفردات التي ذكرناها- وهناك عشرات لم نذكرها- هي التي يمكن أن تفسر لنا الوحدة الثقافية عند هذه الأمة، وغيرها من عوامل الوحدة، والتي لا يمكن ان تفسر إلا من خلال مفردات الدين الإسلامي وأفكاره وحقائقه وتوجيهاته وأوامره ونواهيه إلخ...

الأهداف التي وضعتها الأمة من أجل تحقيق النهضة أهداف سليمة وممكنة التحقيق

ثالثًا: اعتبر ساطع الحصري وغيره من المفكرين القوميين العرب أن عاملي اللغة والتاريخ هما العاملان الرئيسيان في تكوين الأمة العربية، فقد اعتبر ساطع الحصري «أن اللغة تكوّن روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكوّن ذاكرة الأمة وشعورها»، ولكن السؤال الذي يرد: ما دور الدين الإسلامي في جعل هذين العنصرين بهذا التأثير في الأمة العربية؟

من الواضح أن القرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية، فقد كانت هناك عدة لهجات عربية في الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الكريم، وكان يمكن أن تتطور كل لهجة لتكون لغة مستقلة، وبالتالي كان يمكن أن تنشأ لغات عدة في الجزيرة العربية نتيجة وجود اللهجات المختلفة للقبائل، لكن القرآن الكريم عندما كتب بلسان قريش، جعل الديمومة والهيمنة لهذه اللهجة على غيرها من اللهجات مما أنشأ لغة عربية واحدة وقَضى على إمكانية نشوء لغات عربية عدة، وقد أكد عثمان رضي الله عنه هذا المعنى عندما قال للرجال الذين نسخوا عدة نسخ من المصحف الذي كان عند حفصة بنت عمر زوج الرسول ﷺ وأرسلها إلى مختلف الأمصار، عندما قال لهم «إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم» (صحيح البخاري).

ثم إن الرعاية التي رعاها المسلمون للعربية لغة القرآن الكريم كانت انطلاقًا من ظروف دينية، فعندما وضع أبوالأسود الدؤلي قواعد النحو، وأتم ذلك سيبويه في مصنفة «الكتاب»، وعندما نقط حروف العربية وشكلها كل من أبي الأسود الدؤلي ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثي، وعندما وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي أصول معاجم اللغة، وعندما جمع العلماء مفردات العربية ومعانيها في معاجم لغوية، إنما قاموا بكل هاتيك الأعمال من أجل خدمة القرآن الكريم من أن يدخله التحريف واللحن، ومن



لا يستطيع الفكر القومي العربي أن يفسر لنا وحدة الأمة إلا من خلال الإسلام بكل متطلباته

أجل خدمة آيات القرآن الكريم لتفهم على الوجه الصحيح، ومما يؤكد الدافع الديني وراء تلك الخدمات الجلى التي قدمها أولئك الرجال النوابغ أن قسمًا كبيرًا منهم ليسوا عربًا وليس لسانهم العربية، إنما اهتموا بالعربية وأفرغوا جهودهم للمحافظة عليها وضبط ألفاظها انطلاقًا من دينهم وإسلامهم.

أما بالنسبة لوحدة التاريخ فقد ارتبط تاريخ الأمة العربية بتاريخ الإسلام بشكل كامل، فقد كانت وقائع نشأة الأمة مرتبطة بالصراع مع مشركي مكة والمدينة حول حقائق الإسلام، ثم ارتبط تاريخ الأمة في عهد الرسول ﷺ بحروب مع مشركي الجزيرة العربية من أجل نشر الإسلام في الجزيرة العربية، ثم ارتبط بالفتوحات الكبيرة في عهد الخلفاء الراشدين من أجل نشر الإسلام في الدول المجاورة فكانت معارك اليرموك والقادسية ونهاوند وفتح مصر إلخ... ثم ارتبط تاريخ الأمة في عهد الدولة الأموية بالصراع مع الدولة الرومانية من أجل نشر الإسلام وتوسيع رقعة خلافته، ثم ارتبط تاريخ الأمة في عهد الدولة العباسية في جانب كبير منه بمواجهة الحملات الصليبية التي استهدفت اقتلاع الإسلام وإعادة السيطرة المسيحية على بلاد الشام بشكل عام وعلى القدس بشكل خاص، لكن هذه الحملات فشلت بعد قتال استمر قرنين من الزمان اشتركت فيه كل دول وشعوب أوروبا، وقد ارتبط تاريخ الأمة في عهد الدولة المملوكية بالدفاع عن الإسلام في مواجهة الغزوة المغولية التي هدمت الجانب الشرقي من الخلافة الإسلامية.

ذلك جانب من الارتباط السياسي بين الدول التي قامت على مدار التاريخ الماضي وبين الإسلام، أما بقية جوانب التاريخ كالناحية العلمية والفنية والاجتماعية والاقتصادية إلخ... فهي مرتبطة بالإسلام أشد الارتباط، ولو اخذنا مثالا -العلوم-، لوجدنا أن العلوم الإسلامية المرتبطة بالقرآن والسنة كاللغة العربية وعلوم القرآن وعلوم الحديث كلها قامت لحفظ نصوص القرآن والحديث، ولفهم معناها، أما العلوم الأخرى كالفلك والجبر والرياضيات فنجد أن جانبًا كبيرًا منها مرتبط بالإسلام، فنجد أن علم الفلك وتقدمه قام من أجل تحديد قبلة المسجد، وتحديد أوقات الصلوات، ونجد أن علوم الجبر والرياضيات قامت من أجل المساعدة في حل مشكلات الميراث وتوزيع الإرث، وجباية الخراج، وتحديد أنصبة الزكاة ومقاديرها في مختلف المجالات الزراعية والتجارية إلخ... أما انبثاق التجريب الذي هو أصل العلوم جميعًا، والذي أخذته أوروبا من حضارتنا، فقد جاء نتيجة توجيه الإسلام إلى احترام الحواس واستخدامها في الحكم على الأشياء، وإلى الحث على التفكير، واحترام العقل فيما يتعلق بعالم الشهادة، أما انبثاق علم العمران الذي أصبح علم الاجتماع في أوروبا فقد جاء نتيجة حث الإسلام المسلمين على السير في الأرض ورؤية مصير الأمم الغابرة إلخ... أما الأمور الفنية كالتجويد والتفنن في الخط العربي فيعود في جانب كبير منه إلى موقف الإسلام من التصوير والتمثيل وتركيزه على الجانب العملي في حياة الفرد، أما الأمور الاجتماعية كوجود الأسرة، والترابط الاجتماعي الشديد، والحرص على الطهارة والعفاف إلخ... فقد جاء نتيجة تقديس مؤسسة الزواج في الدين الإسلامي، وتحريمه الزنا، والأمر بغض البصر، ونتيجة الحرص على ستر العورات إلخ... أما الأمور الاقتصادية في الأمة فهي مرتبطة بشكل أكيد بأحكام الزكاة والخراج وتحريم الربا والتطفيف والاحتكار وبأحكام الحث على العمل، وامتداح الكسب والتعفف عن السؤال، والحض على إعمار الأرض إلخ...

الخلاصة: إن الدين الإسلامي هو الذي صاغ هذين العاملين ولا يمكن أن نفسر دورهما في إنشاء وحدة الأمة إلا من خلال الدين الإسلامي، وهو ما تجاهله ساطع الحصري حينًا، وأنكره حيناً آخر.

رابعًا: عندما استبعد الفكر القومي العربي الدين الإسلامي من عناصر بناء هذه الأمة كان فكراً فقيرًا معنويًا، وقد أشار إلى هذا المعنى د.محمد عابد الجابري في إحدى كتاباته، وقد سهل هذا الفقر المعنوي استجلاب الفكر القومي العربي لمضامين اخرى مثل الاشتراكية العلمية في بعض الأحيان، كما سهل غياب الفكر القومي العربي بصورة كاملة في أحيان أخرى، وأبرز مثال على ذلك حركة القوميين العرب التي بدأت متطرفة ومتشددة في توجهها القومي العربي، ثم أصبحت ماركسية بعد ذلك بشكل كامل حتى كدنا أن ننسى أنها ذات توجه قومي عربي في أصل نشأتها.

خامسًا: إن هذا الفقر المعنوي هو الذي جعل الفكر القومي في معظم مراحله نخبويًا، فالبعثيون الذي قادوا الانقلاب في العراق عام ١٩٦٨ كانو بضع عشرات، وكذلك القوميون العرب بعد أكثر من عقدين، وقس على ذلك بقية التجارب القومية، وربما كان الاستثناء الوحيد هو التجربة الناصرية في مصر، والسبب في ذلك أن الشعارات الوطنية مثل: الوحدة، والتحرير، ومقاومة الاستعمار، وبناء التصنيع إلخ... كانت هي الغالبة على طرح جمال عبدالناصر، وكان المضمون الفكري باهتًا محدود البروز، ويؤكد ذلك أن السادات استطاع أن يعود إلى مصر الفرعونية دون أن يجد أي رصيد فكري يقاومه، ويحول بينه وبين النجاح في ذلك، ويدل على أن الجماهير التي تبعت عبد الناصر لم تتبع مضمونا فكريا إنما تبعت شعارات طرحها، مما جعل السادات قادرًا على أن ينتقل إلى نقيض ما طرحه عبدالناصر، إلى القومية المصرية وإلى الرأسمالية، انقلابًا على القومية العربية والاشتراكية.

رأينا- فيما سبق - دور الفكر القومي العربي في إعاقة النهضة واسباب ذلك، ومن الواضح أنه يجب على أصحاب هذا الفكر وممثليه أن يعيدوا النظر في بنيته، والعوامل التي قام عليها إذا كانوا يرغبون في أن يكون لهذا الفكر دور في بناء الأمة ونهضتها في المراحل المقبلة.

لغة وأدب

الجذور الأدبية

من المتعارف عليه بين المهتمين بالمعاجم اللغوية ان المعجم العربي من أكبر معاجم اللغات الحية الرئيسية ان لم يكن أكبرها على الاطلاق، وذلك لأسباب موضوعية وذاتية تميزه عما سواه ليس المجال مجال بسطها هنا.

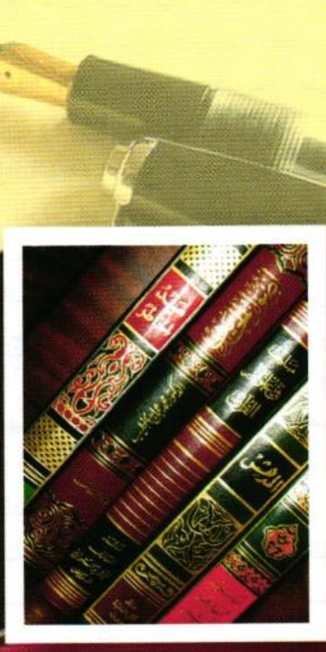
وإنما ما نجزم به هنا هو ان هذه الضخامة والغزارة والدقة والتنوع والتراكم الدلالي التي وسمت معجم العربية مكنت لغته من مطاوعة أدبائها في تصوير أدق ما تجيش به نفوسهم وإبراز أخفى ما يعتمل في صدورهم، فلكأنك وأنت تقرأ قصيدة ملتاع أو نصيحة واعظ أو خطبة حكيم أو مثل خبير -برغم تباعد الأيام- تهش في وجه قائلها أو تحييه بصوت مرتفع، وقد نسيت أن ما بين يديك هو أثر وليس عينا.

وإن هذا التراث الأدبي الزاخر ليس من القلة بحيث يعيينا تلمسه، بل هو من الكثرة التي تملأ المكتبات الورقية والضوئية (الالكترونية).

فما بالنا لا نحييه في مقرراتنا الدراسية بالقدر الكافي، ولا ننشره في وسائل اعلامنا المتنوعة لنصل حاضرنا بماضينا، ولا نتدارسه ونفخر به تدارس الأمم الأخرى لما اندثر أو كاد من تراثها الأدبي؟.

إن المجد الذي نبكيه ونحن إليه يشتاق هو أيضاً لملاقاتنا وإسنادنا ولكن بروحه هو ووجهه هو ولغته وآدابه.

المحرر





علي أحمد باكثير.. فاق أقرانه شاعراً وكاتباً

عبدالعزيز العسكر*

قامة عالية في أدبنا العربي وتاريخنا الإسلامي، لمع نجمه على مدى ستين عامًا وفي أنحاء من العالم الإسلامي، أبرزها: حضرموت ومصر واندونيسيا.

فلقي ترحيبا حينا من الزمن وعودي زمنًا آخر وعاش آمالًا وآلامًا، وعبر عن كل ذلك بتراث أدبي نفيس شعرًا ونثرًا، ذلك هو: علي أحمد باكثير، وهذه السطور المتواضعة تشير الى مواقف من حياته رحمه الله وروائع من تراثه المنشور.

ولد أديب العربية والرحالة الكبير علي أحمد باكثير في مدينة «سورابايا» بإندونيسيا سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م من أبوين حضرميين عربيين، ولما بلغ التاسعة من عمره أرسله والده إلى موطنه الأصلي في «حضرموت» ليتقن اللغة العربية وعلوم الدين، وظهر نبوغه في وقت مبكر، ونظم الشعر وهو في سن الثالثة عشرة، وأصدر سنة ١٣٥ هـ مجلة باسم «التهذيب» في حضرموت.

وتزوج في حضرموت مرتين ولكل زواج قصة مثيرة، فالأولى أحبها وتزوجها بعد فترة حب نزيه طريف طال به ومل من طول انتظار كان اثناءه يسافر الى إندونيسيا ويرجع ليسلي نفسه، ولكنه حقق مراده وتزوج عام ١٣٤٦هـ في مدينة «المكلا» وفي ذلك يقول:

حبيبة قلبي ما أرى العيش سائغًا
بدون ارتحالي نحوكم ووصولي
متى نلتقي يا هند في بلدة الهنا
ونبرد في ظل هناك ظليل
على عفة ما أن تزن بريبة
وفي مأمن من راقب وعذول
يشرف حبينا زواج مقدس
على خير دين.. دين خير رسول

ويشاء الله أن تمرض زوجته بعد إنجابها بنتًا واحدة ماتت غرقًا في بركة ماء، وتموت تلك الزوجة بعد زمن قصير من الزواج، وتزوج امرأة حضرمية لم يحبها فطلقها بعد فترة قصيرة من الزواج، وفي سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٤م سافر إلى مصر والتحق بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية وتخرج فيه سنة ١٣٥٩هـ- ١٩٣٩م.

عمل مدرسًا للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية لمدة أربعة عشر عامًا.

وفي عام ١٣٧١هـ - ١٩٥١م حصل على الجنسية المصرية، وسافر الى فرنسا والاتحاد السوفييتي، والصومال والحبشة، ورحل الى الحجاز سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٣٢م فتنقل بين جدة ومكة والطائف، ونشأت له صداقات مع بعض أدبائها .

وفي عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م سافر الى العراق وشارك في مؤتمر الأدباء العرب في بغداد، ثم الى تركيا للتعرف على مدينة القسطنطينية، ثم سافر الى لندن، ثم زار عدن وحضرموت، موطنه الأصلي، وألقى أحاديث في التلفزيون وبعض المحاضرات ثم عاد الى القاهرة، ولكنه لقي مضايقات عنيفة ممن كان يخالفه في الفكر والتصورات ففكر في العودة إلى حضرموت، وقال قولته المشهورة «لأن اكون راعي غنم في حضرموت خير لي من هذا الصمت المميت»، على أن هذه المقولة تغيرت بعد أن وجد خصومه في مصر هم في حضرموت كذلك فقال: «لقد ذبحوني في كل العالم العربي حين ذبحوني هنا»، وعرض عليه وقتها تدريس الأدب العربي في جامعة «كمبردج» في بريطانيا، ولكن ذلك لم يتم اذ أصيب بأزمة قلبية كانت تعاوده في آخر أيامه إلى أن توفي في القاهرة في رمضان ١٣٨٩هـ الموافق ١٠/١١/١٩٦٩م، ودفن في مقبرة عائلة زوجته المصرية.. رحمه الله وغفر له.

ولقد ترك علي أحمد باكثير ثروة أدبية قيمة، ونبغ في النثر كما نبغ في الشعر، ومن كتبه ومؤلفاته:

أ- الروايات، ومنها: وإسلاماه- والثائر الأحمر- وليلة النهر- وسيرة شجاع.

ب- المسرحيات، ومنها: همام، والدكتور حازم، والدنيا فوضى، ومسمار جحا، والزعيم الأوحد، ومن مسرحياته ما استمد أحداثه من أحداث القضية الفلسطينية ومنها: شعب الله المختار، وإله اسرائيل، وشيلوك الجديد، والدودة والثعبان، ومن التاريخ: مسرحية عمر المختار، والفرعون الموعود، وأبو دلامة، ودار ابن لقمان، وزادت رواياته ومسرحياته المطبوعة على ثمان وثلاثين، ولايزال بعضها مخطوطًا.

ج- الشعر: طبع له دواوين شعر منها: أزهار الربى في شعر الصبا، وباكورة الشعر، والحجازيات، والعدنيات.

والناظر في شعر باكثير يحار في اختيار النماذج الرائعة لكثرتها وتنوعها وندرتها، على أن أجود شعره وأجمله، وهو ما يستشهد به على أصالة الشاعر وعلو همته، نماذج نذكر طرفًا منها.

لقد كان باكثير يرى أن البلاد العربية والإسلامية بلد واحد، والأديب الحق من

* عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

يعيش آلام أمته وآمالها، ويذود عنها كلها ويسعى لرقيها وعزتها، وفي ذلك يقول:

وددت لو أني في فلسطين ثائر
لأهلي تنعاني الظبا لا القصائد
أو أنني في إسكندرونة شاهر
حسامي عليه من دم الوحش حاسد
وفي برقة أو في الجزائر قاصم
ظهور الأعادي والباترات رواعد
ثمانون مليون يباهون كلهم
بخير لغات الأرض والذكر شاهد

وفي مقطوعة أخرى يخاطب باكثير أفراد أمته وبلاده بخطاب الغيور المشفق مستنكرًا الخمول الذي يغلف حياتها، والكسل الذي يشل قواها فيقول:

يـأيـهـا الـشـعـب الـكـريـــ
ـــم أمـا لموتك من نشور
مضت الدهور عليك في
ندم على أثر الدهور
هبت شعوب وارتقت
أمم وأنت على الحصير
متثاقل متثائب
كسلان أوهنه الفتور
فيك الجمود لقد تغلـــ
ــغل للقلوب من الصدور
ومن القلوب إلى العقو
ل فلم يدع لك من شعور
أنت الأسير مكبلاً
بقيوده ويح الأسير
أسر العدو أخف من
أسر الجمود لدى البصير
هذا على الأجسام والثـــ
ـــاني على الأرواح نير

وحيما زار باكثير الحجاز ووطئت قدمه جزيرة العرب وأبصرت عينه مكة فرأى ما ينعم به الحجاج والعمار من أمن وطمأنينة، وما تعيشه الحجاز ونجد وغيرهما من سعادة في ظل حكم أسد الجزيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وأعجب بالملك عبدالعزيز وأحبه من أعماق قلبه، أحبه لا لأنه زعيم يطمع الناس في القرب منه لمصلحة شخصية، كلا، فما ذلك من شيم باكثير ولكنه أحب عبدالعزيز لأنه إمام صدع بكلمة التوحيد وبنى بلاده على نور من ربه، فكانت بلاده منبع النور وموضع القدوة وحصن العقيدة ودوحة الإسلام والسلام، وكان من غرر نظم باكثير في إعجابه بعبدالعزيز وثنائه عليه هذه الأبيات التي يسخر في مطلعها ممن جعل الدين طقوسًا شركية وأعمالاً وثنية ما أنزل الله بها من سلطان.. يقول باكثير:

هدم «السعودي» القباب فضج فيه الدين يجأر
وهل الديانة غير أبنية على الموتى تعمر؟!
فالاحتلال أخف من هدم القباب لمن تفكر
أسفًا عليها! لا على حرية الحرمين تقبر!
«عبدالعزيز» بسيفه سيعزز الحرم المطهر
سيصونه من معتد ويحوطه من كل منكر
وسيطرد الأعداء منه بعسكر من خلف عسكر
من ذا يغالبه وطوع يمينه الأسد الغضنفر؟!

وفي قصيدة أخرى يخاطب بها الملك عبدالعزيز، وفيها يذكر فضل موحد الجزيرة في إعادة الناس الى صفاء العقيدة واستقامة السلوك وسلامة المنهج، يقول باكثير:

«عبدالعزيز» مجدد الـ
آمال في الزمن الأخير
ومطهر الحرمين من
بدع تناستها العصور
هي علة الإسلام أنـــ
ذرنا بها الهادي البشير
وإذا تبدلت أمة
تخذت علالتها القبور
تلهو بها عما تطلـــ
ـــه نسيات الأمور

وحق لمن كان ذلك هدفه وتلك آماله أن ينجح ويظفر بالنصر المؤزر، والتأييد من المسلمين عامة، وأن يسعد برضا الله تعالى ثم بحب شعبه له يقول باكثير:

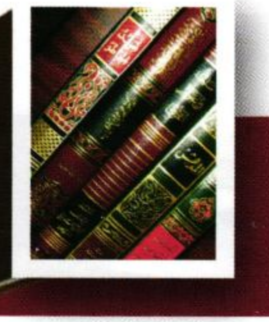
«عبدالعزيز» تهن بالنـــ
ـعمى وبالملك الخطير
فلأنت ذخر في الخطو
ب وأنت في الظلمات نور
أنقذت مهد الدين من
خطر تهدده مبير
فحفظت مجد العرب منه
وكان منه على شفير
اضرب بسيفك من بغوا
وأذق لحومهم النسور
رأس الفساد قطعته
فلتقطع الذنب الأخير

ويفصح علي أحمد باكثير عن عميق حبه لعبدالعزيز وإخلاصه فيه فيقول:

واقبل فديت تحية
من شاعر حر الضمير
هجر الصبابة والتغزل فـــ
ـــي سوى الوطن الكبير
وطن العروبة من ربى
نجد إلى اليمن الغرير

وفي نداء الى إخوانه من المسلمين في إفريقيا بعد صلح تحقق في جيبوتي، ونظم في التهنئة به قصيدة في ستة وخمسين بيتًا.. في ذلك النداء تتجلى غيرة باكثير على العقيدة ودعوته لتنقيتها وينبه على خطر البدع والخرافات فيقول:

توبوا إلى هدي النبي وصحبه
تجدوه سهلًا واضحًا مطروقًا
وعقيدة السلف النقية إنها
أقوى وأقوم حجة وطريقا
واقضوا على البدع المضلة إنها
بدع هوت بالمسلمين سحيقًا
هي ضيعت أوطانهم هي مزقت
سلطانهم وكيانهم تمزيقا
والدين دين الله دين محمد
لا يعرف التابوت والصندوق
أنا لا أبالي إذ نصحت بني أبي
أدعيت ضدا أم دعيت صديقا



إذ قد علمت بأنهم من بعدها
سيصدقون مقالتي تصديقا

ويبلغ علي أحمد باكثير قمة السمو وعلو الهمة وبعد النظر في نظره لجهاد المسلمين في فلسطين ضد اليهود المحتلين، وذلك عندما يتحدث على لسان شهيد في سبيل الله يخاطب من يبكون لفقده:

فيم احتشادكم هذا لتأبيني
أنتم أحق بتأبين الورى دوني
فما الشهادة إلا ميتة كرمت
عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إني نزلت بدار الخلد في رغد
بين الخمائل فيها والرياحين
في جنة ما بها خوف ولا حزن
لولا رثاء لحال العرب يشجيني
قامت عليها وحوش البغي قاطبة
ومن ثعلبان ومن دب وتسنين
فما انتظاركم والحق حقكم
يعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكامًا في مجامعهم
بل استردوه قسرًا في الميادين
والمسلمون جميعًا من ورائكم
بإندونيسيا وباكستان والصين
لا تندبوني فإني لم أمت ضرعًا
فإن علمتم علي الذل فابكوني
وإن تريدوا لوجه الحق تكرمتي
فابغوا الشهادة للدنيا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم
وليث أيوب يرعاكم بحطين

ولفلسطين مكانة خاصة في نفس شاعرنا وفي شعره، فهو لا ينساها وإن لم يكن غرض شعره وصف الجهاد، فهو يخاطب الزعيم الاندونيسي ويشرح له مأساة الفلسطينين فيقول:

وفلسطين هل أطيق مقالاً
عن فلسطين أم أحير جوابا؟
كلماتي تموت بين لساني
ولهاتي تعثرًا واضطرابًا!
إن فيها هولًا وحر دم ينسا
ب فوق الأرض الحرام انسيابا
نزفته قحطان من قلبها الدا
مي فخطت به كتابًا عجابًا!
وفلسطين آه ويح فلسطين
تعاني على العذاب عذابًا
إن فيها أراملاً ويتامى
لا طعامًا يرونه أو شرابًا
حصد الموت كاسبيهم شيوخًا
وكهولًا وفتية وشبابًا
تركوهم لرحمة الله والإسـ
ـلام، واستقبلوا الردى الصخابا

هذا بعض ما قاله باكثير في شعره الإسلامي الأصيل، وقارئ شعره يجد ما يجد دارس حياته، فقد جمع إلى أصالة الخلق وسموه جودة الشعر وصدقه، والذي نحسبه أن الرجل لا يتحدث إلا عن طبع وسجية ولا يصف إلا سلوكًا يتحلى به وشيمًا طبع عليها.

وفي ذلك يقول لمن ينقد منهجه في الغزل وموقفه منه:

رب غاو يلومني في نشيدي
وهو لا ينتهي عن الفحشاء
ليس مني الفسوق تأباه في جسـ
ـمي دماء الجدود والآباء
ينهل الحسن من غرامي ولكن
هو صديان يلتظي من إبائي
كل حبي طهر وقدس وتسبيـ
ـح لربي وصيغة من دعاء

وفي قصيدة نظمها بإندونيسيا، يقول من قصيدة بعنوان «إلى بنات عباد المسيح» وهو يتحدث عن الحب بمنظوره هو لا بمنظور المتمردين والآداب:

أبنات عباد المسيح ترفقن
بمتيم في حبكن مغالي
متمسك بالدين لولا دينه
لم يكترث في حبكن بغالي
نصبو لمرآكن ثم يصده
قول الإله فينثني في الحال

رحم الله علي أحمد باكثير وغفر له، وعسى أن يكون في هذه السطور إضاءة تحفز الهمم لقراءة أوسع لما خلفه باكثير من شعر ونثر لأن تراثه في ذلك يعد بحق من نفائس الأدب الحديث عند العرب، ولقد كانت معرفتي بهذا الأديب قبل أكثر من ثلاثة عقود من الزمن حيث كان من أول ما قرأت من قصص وروايات وأنا على كرسي الدراسة الثانوية «وا إسلاماه» لباكثير، وأعدت قراءاتها مرارًا لأنها تحكي مأساة طفلين كريمين سقط ملك آبائهم وبيعوا بيع الرقيق ولم أتمالك نفسي ساعة قراءتها أن ذرفت عيناي دموع الألم على ما صارت إليه حالهما.

ومن ذلك الحين وشغفي بتراث هذا الأديب وإعجابي به لا يفارقني، ولذا كنت أتابع ما يكتب عنه وما يخرج من دواوين، ومن آخرها ما يقوم به أخي د.محمد أبوبكر حميد من جمع لشعر باكثير ونشره وتحقيق ذلك، وفقه الله وأعانه ورحم شاعرنا رحمة واسعة.

مراجع

١- أحاديث علي أحمد باكثير، من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة، جمع وتقديم: د.محمد أبوبكر حميد - ط١ عام ١٤١٨هـ.
٢- الأعلام للزركلي ج٤.
٣- ديوان سحر عدن وفخر اليمن، تحقيق وتقديم د.محمد أبوبكر حميد، ط١ عام ١٤٢٩هـ.
٤- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث تأليف: أحمد الجدع وحسني جرار ط٢، ١٤٠٥هـ.
٥- علي أحمد باكثير، حياته شعره الوطني والإسلامي، تأليف د.أحمد عبدالله السومحي.

الفاء الفصيحة

عبدالهادي صافي

في النحو العربي حروف وأدوات ذات معان ودلالات مفيدة، وكل حرف من هذه الحروف والأدوات يؤدي معنى أو معاني كثيرة، وتسمى هذه الحروف حروف المعاني، وقد امتلأت كتب النحو بشرح هذه المعاني، ونذكر في هذا المجال كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام المصري (٧٠٨ - ٧٦١هـ) (١)، فقد قسمه قسمين كبيرين: قسمًا أفرده للحروف والأدوات التي تشبه مفاتيح البيان في لغتنا، ومضى يوضح وظائفها وطرق استخدامها، أما القسم الثاني فتحدث فيه عن أحكام الجملة وأقسامها المتنوعة. (٢)

وقد التمس ابن هشام شواهد كثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي المحتج به، وهذه الحروف مثل حروف الجر والعطف والنداء والاستفهام والناسخة، ونعجب من كثرة هذه المعاني التي تفيدها، حتى قيل عن «حتى» إنها حتتت عقول العلماء لما فيها من المعاني والتفريعات الكثيرة.

أريد هنا أن أقدم لمحة موجزة عن «الفاء» التي تفيد معنى العطف والترتيب والتعقيب والسببية، وتقع رابطة لجواب الشرط، وهناك فاء يسميها بعض النحاة «الفاء الفصيحة» وهي التي أقف عندها، وسميت هذه الفاء «الفصيحة» لأنها تفصح عن شرط مقدر غير ظاهر، وسياق الكلام يكشف وجوده، وحيثما جاءت الفاء بعد كلام يوحي بالشرط ويومئ إليه تكون هذه هي «الفاء الفصيحة».

وقد تعقبت في القرآن الكريم آيات وقعت الفاء فيها فصيحة أحددها على النحو التالي:

١- في قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران: ١٣٧)، والمعنى إن تشككتم بما حلّ بمن كان قبلكم فانظروا في الآثار الباقية التي تدل على عاقبتهم، والشرط أداته مقدران وليس ظاهرين.

٢- في سورة النساء جاء قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا. فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾ (النساء:٤٠-٤١)، والمراد بالآيتين، والله أعلم، إن تنكروا يوم الحساب وعدالة الله سبحانه فكيف تصنعون إن جئنا يوم القيامة من كل أمة بشهيد يشهد على أعمالكم، فالفاء في ﴿فكيف﴾ هي هنا الفصيحة.

٣- ونحو ذلك في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا. فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقا﴾ (النساء:٦١-٦٢)، ومعنى الآيتين، إن يعرض المنافقون عن الدعوة إلى حكم الله والرسول، فكيف يكون حالهم إذا أصابتهم المصائب بسبب ذنوبهم، أيبقون معرضين عنك؟! والشرط المقدر هو، إن يعرضوا ويصدوا فكيف يصنعون إذا حّلت عليهم المصائب والويلات بسبب إعراضم وصدودهم عن حكم الله ورسوله.

٤- في سورة آل عمران ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ (آل عمران: ١٦٨)، جاء حول الآية في كتاب «إعراب القرآن وبيانه» للأستاذ محيي الدين الدرويش، رحمه الله، ما يلي: الجملة مستأنفة وقل فعل أمر والفاء هي الفصيحة، أي إذا صحت دعواكم فادرأوا عن انفسكم أي ادفعوا عن أنفسكم (٣).

وفي الشعر العربي شواهد كثيرة على الفاء الفصيحة التي تأتي بعد شرط مقدر تكون هي الرابطة، قال الشاعر:

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة

فكيف إذا خب المطي بنا عشرا

يريد الشاعر ان يقول: إني أشعر بالشوق والحنين إلى الأهل والاصحاب ولم يمض على سفري وفراقي الوطن سوى ليلة واحدة فماذا أصنع وكيف تكون شدة الشوق إذا طال هذا السفر وامتد هذا الفراق؟ فأرى أن الفاء في «كيف» التي جاءت في الشطر الثاني جاءت فصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر.

إن لغتنا العربية حافلة بهذه الكنوز اللغوية والنحوية، وبهذه الخصائص التي تنفرد بها عن سائر لغات العالم، وبطون كتب التراث تحتوي على جواهر هذه اللغة، وتنتظر من يستخرجها، ويعيد صياغتها بأسلوب عصري حديث وبمنهجية علمية جديدة.

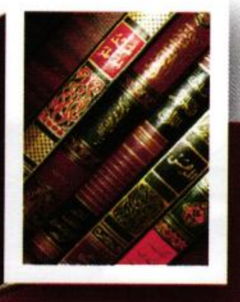
ماجستير في اللغة العربية وآدابها

مراجع

١- هو جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام المصري، ولد بالقاهرة، وبها توفي، وقد طارت شهرته بالعربية منذ حياته، فأقبل عليه الطلاب من كل فج يستفيدون من علمه ومباحثه النحوية، شوقي ضيف، المدارس النحوية ص ٣٤٦.

٢- شوقي ضيف، المدارس النحوية ص ٣٤٧.

٣- محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، المجلد الثاني ص ١٠٥.



اللغة العربية أصل اللغات وأقدمها

سيد الشوربجي

تحتل اللغة العربية مكانة بارزة بين لغات البشر، فقد اختصها الله تعالى من بين جميع اللغات بنزول القرآن بها، وجعلها وعاء لتعاليم دينه وأحكام شرعه، وجعلها اللغة الرسمية لدينه الخاتم الذي جاء لنفع البشرية في كل عصر ومصر.

وقد شغلت أولية اللغة أذهان كثير من علماء اللغة، فأي اللغات كان أولا؟، وما هي اللغة التي تكلم بها آدم أبو البشر وعلمه الله تعالى بها الأسماء؟

عقد الأستاذ العقاد في كتابه (أشتات مجتمعات في اللغة والأدب) بحثين خلص منهما إلى أن اللغة العربية أقدم اللغات، بل هي أصل اللغات جميعا مستدلا بعدة أمور منها:



بحث للشيخ (محمد أحمد مظهر) بمجلة الأديان التي تصدر بالانجليزية في الباكستان نشره تباعا تحت عنوان «العربية أم جميع اللغات» وسرد فيه مئات من الكلمات الأجنبية يحسبها من مشتقات العربية على صورة من الصور اللفظية، أو المعنوية، وقد وفق كل التوفيق في بعض هذه الكلمات، ولكنه أوغل جدا في التخريجات المتتابعة للوصول بالكلمة إلى جذرها العربي فيما يراه.

فهو يقول مثلا: إن كلمة الذرة (atom) (أتوم) معناها لا يتجزأ أو لا ينقطع، فهو على هذا مأخوذة من كلمة (قطم) العربية بمعنى قطع، لأن الهمزة الأولى زائدة بمعنى النفي في اليونانية، و(توم) هي (قطع) بعينها، إذا لاحظنا أن الأوروبيين يضعون التاء موضع الطاء.

ويقول إن كلمة (bit) في الانجليزية بمعنى قطع، وهي من مادة (بت) العربية.

ويقول إن كلمة (arrive) (أرايف) في الانجليزية بمعنى وصل الى المرفأ، فهي مأخوذة من (أرفأ) العربية بهذا المعنى.

ويقول إن كلمة (aspire) (أسبير) في الفرنسية بمعنى تنفس مأخوذة من الزفير باللغة العربية.

ويقول إن كلمة (captive) (كبتيف) بمعنى الأسر والحبس مأخوذة من مادة الكف العربية.

وعلى هذا النحو أجرى البحث المقابلة بين مئات من المفردات تتشابه بالحروف لإثبات جذورها العربية.

ومن الأدلة التي ساقها الأستاذ العقاد ليدلل على قدم اللغة العربية على كل اللغات اشتقاق أسماء الحيوان فيها، فإن اللغة التي ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها، تسبق اللغات التي تتلقى هذه الأسماء جامدة، أو منقولة بغير معنى يؤديه لفظها الدال عليها في أحاديث المتخاطبين بها، فأسماء الأسد، والكلب، والنسر، والصقر، والغراب، والفرس، والحمار، والبغل، والجمل، والخروف ....) وعشرات غيرها من أسماء الحيوان، هي كلمات ذات معنى يفهمه المتكلمون بها، ويطلقونه أحيانًا إطلاق الصفات عند المشابهة بين هذه الحيوانات، وبين غيرها في إحدى صفاتها، مثال ذلك:

- يقال أسد الكلب للصيد أغراه به، وأسد عليه اجترأ، وأسد بين القوم أفسد بينهم، ومعنى هذا على كل احتمال، أن العرب عرفوا هذا الحيوان، وهم يتكلمون بلغتهم هذه، ويستخدمونها للوصف أو للاشتقاق والمجاز.

- وكذلك معنى الكلب من العض، أو القبض، وسائر معاني التكالب وألفاظه.

- والنسر من الجرح والنقض والتمزيق لفظ أصيل في اللغة على الحقيقة أو على

* باحث مصري

المجاز.

- والصقر من الحدة في الحرارة أو في الطعم أو في اللمس أصل صالح لإطلاقه على الطائر المسمى باسم الصقر أو الموصوف بهذه الصفة.

- والغراب من الغرابة حيث يعيش هذا الطائر ويتشاءم الناس بنعيقه في الأماكن التي هجرها سكانها وتخلفت بها البقايا التي يحوم عليها.

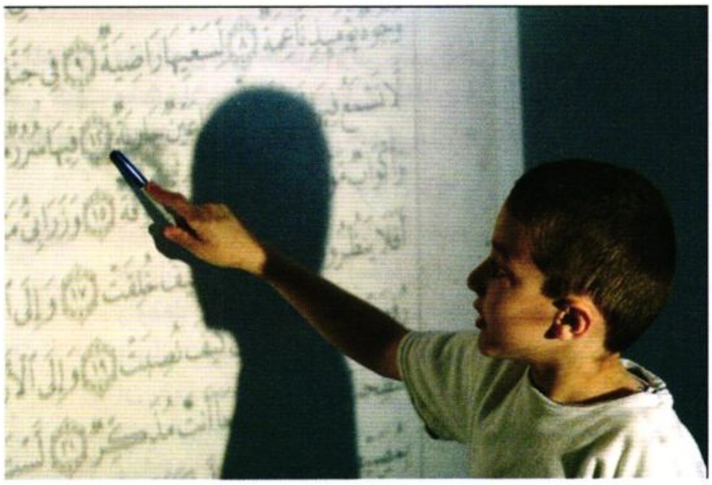
- والفرس من حدة النظر والاستعانة به على الافتراس، ويقابل هذا في اللغة الانجليزية اسماء كلها منقولة من غيرها او مقصورة في مسمياتها التي لا يعرض لها التصريف في لهجات الخطاب.

فالأسد (lion) من (ليو) leo اللاتينية، والحصان (horse) من (روس) ross الجرمانية، والحمار (آس) ass من (اسنس) اللاتينية التي يرجح أنها محرفة عن كلمة (أتان) السامية، وأكثر هذه الكلمات جامدة في أصولها التي نقلت عنها.

ثم يقول الأستاذ العقاد بعد هذا: «فلا حرج إذن من الحكم بسبق اللغة العربية لجميع اللغات.. ولا خلاف في دلالة أسماء الحيوان بألفاظها المشتقة على قدم اللغة العربية عند المقابلة بينها وبين اللغات الأوروبية من أقدم عهودها التاريخية». (١)

ونذكر في هذا المقام بعضا من مقال للدكتور مصطفى محمود منشور بجريدة الأهرام المصرية تحت عنوان: «اللغة التي تكلم بها آدم»، ويعلق في المقال على كتاب عنوانه: «اللغة العربية أصل اللغات» وهو كتاب باللغة الانجليزية مؤلفته د. تحية عبدالعزيز اسماعيل استاذة متخصصة في علم اللغويات.

اللغة العربية تستمد مكانتها من أن الله تعالى جعلها لغة القرآن الكريم واللغة الرسمية لدينه الخاتم



فيقول: ألفت نظر القارئ أولا أن يمر بعينيه على الجداول الملحقة، ويلاحظ الألفاظ المشتركة بين اللغة العربية والإنجليزية، وبين العربية واللاتينية، وبين العربية والهيروغليفية، وبين العربية والألمانية، وبين العربية والانجلوساكسونية، وبين العربية والفرنسية، وبين العربية والأوروبية القديمة... الخ، ليشهد هذا الشارع العربي المشترك الذي تتقاطع فيه كل شوارع اللغات المختلفة، ويتساءل الكاتب: لماذا خرجت المؤلفة بهذه النتيجة القاطعة: أن اللغة العربية كانت الأصل والمنبع، وأن جميع اللغات الأخرى كانت روافد منها؟!

تقول المؤلفة في كتابها: إن السبب الأول هو سعة اللغة العربية وغناها، وضيق اللغات الأخرى ومقرها النسبي، فاللغة اللاتينية بها سبعمائة جذر لغوي فقط والسكسونية ألف جذر، بينما العربية بها ستة عشر ألف جذر لغوي.

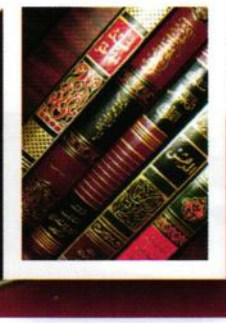
يضاف الى هذه السعة سعة أخرى في التفعيل والاشتقاق والتركيب، ففي الانجليزية مثلا لفظ Tall بمعنى طويل، والتشابه بين الكلمتين في النطق واضح، ولكن نجد أن اللفظة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب بلا عدد (طال - يطول - طائل - طائلة - طويل - طويلة - ذو الطول - مستطيل ... الخ) بينما اللفظ الانجليزي Tall لا يخرج منه شيء، ونفس الملاحظة في لفظة أخرى مثل: (Good) جيد بالعربية، وكلاهما متشابه في النطق، ولكنا نجد ان كلمة جيد يخرج منها (الجود والجودة والاجادة ويجيد ويجود وجواد وجياد.... الخ)، ولا نجد لفظ Good يخرج منه شيء، ثم نجد في اللغة العربية اللفظة الواحدة تعطي اكثر من معنى بمجرد تكوين الوزن، فمثلا: (قاتل وقتيل) و(فيض وفيضان) و(رحيم ورحمن) و(رضى ورضوان) و(عنف وعنفوان)، نجد اختلافات في المعنى أحيانا تصل الى العكس كما في قاتل وقتيل، وهذا التلوين في الايقاع الوزني غير معروف في اللغات الأخرى، واذا احتاج الأمر لا يجد الانجليزي بدا من استخدام كلمتين مثل: (very) - (Good) للتعبير عن الجيد والأجود. (٢).

من خلال هذه النصوص يتبين مكانة اللغة العربية وأوليتها وتفردها بين اللغات الأخرى.

هوامش

١- عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص ١٤ وما بعدها، دار المعارف، مصر.

٢- جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٦/١٢/١٩٨٩م.



أحكي لكم

د. إيمان الجوهري

اسمي فهمي عبدالستار.. على المعاش، يقولون إني حكيم ولي خبرة في الناس والحياة، عائلتي كبيرة جدًا لكني كنت منشغلا عنهم بعملي، والآن قررت أن أزورهم.. أصبحت أحتاج إليهم بعدما أصبحت الدنيا فارغة من حولي..

وهأنذا أدق جرس أول باب..

فتحت منال الباب وصاحت بدهشة وفرح:

- عمي فهمي! أهلا وسهلا.

- كيف حالك يابنة أخي؟!

- بخير.. تفضل.

دخلت أتلفت حولي ثم قلت:

- أين عصام؟

- على وشك أن يأتي من عمله.

نظرت في ساعتي فلاحقتني قائلة:

لم يعد يأتي مبكرًا بعدما التحق بعمله الجديد.

لاحظت الوجوم على وجه منال ولم أعهدها كذلك، كانت دائما بشوشة مبتسمة الوجه، وخشيت أن تكون زيارتي هي السبب فقلت في اضطراب:

- يبدو أني حضرت في وقت غير مناسب؟

فردت مسرعة:

- لا يا عمي أنت تشرف في أي وقت.

- ولكني ألاحظ علامات الضيق على وجهك وأخشى أن تكون زيارتي هي السبب؟

- لا والله يا عمي، إنما هي مشكلة بيني وبين عصام.

- خيرا يا ابنتي

- رجعت قبل يومين من عملي متعبة جدًا بعد يوم طويل وشاق، فأعددت الطعام لزوجي وأولادي، وبعد الغذاء تمنيت أن أنام ولو ساعة واحدة، ولكن قبل أن يغمض لي جفن.. دخل علي زوجي ليوقظني ويطلب مني أن نذهب إلى والدته لمرضها.. كنت أتمنى أن يذهب هو للاطمئنان عليها أولا.. ثم أذهب أنا فيما بعد.. ولكني أردت أن أرضيه.. فأخذت فنجانا من القهوة لكي أستطيع أن أفتح عيني وأوقظ عقلي النائم.. وذهبت معه.. وعندما وصلنا.. وجدنا أخاه هناك، وهمس طالبا منه أن يقوم معه إلى الحجرة المجاورة، وطلب مني أن أظل مع والدته فأومأت له برأسي موافقة، جلست أقرأ في جريدة كانت على الكرسي المجاور، ونصف ساعة ثم أخرى ولم اسمع لزوجي صوتا، فقلت في نفسي أتصل به،.. فإذا محموله مغلق.. فانتظرت تحسبا أن يكون بين الأخوين حديث مهم.. خمس ساعات انتظار.. حتى فاض بي.. طرقت الباب فلم يجبني أحد.. اشتد بي الغضب، فانصرفت إلى بيتي، ومن شدة الغيظ والتعب لم أستطع النوم، وعندما شعرت به يفتح الباب وضعت الوسادة على رأسي ولم أجبه عندما ناداني.. كنت أشعر أني لا أطيق أن أسمع صوته وخشيت أن انفعل بكلام لا ينبغي أن أقوله.

نظرت إليها ثم أسندت ذقني على يدي أفكر فيما قالت ثم سألتها:

-وبم تفسرين ما حدث؟

- لا إجابة عندي سوى تعمده لإهمالي.

- هل سألته وطلبت منه تفسيرا لما فعل؟

- لا، لم أفعل.

- ولماذا؟

سكتت منال ولم تجد ما ترد به، فاستكملت كلامي:

- يا منال كلما افتقدنا روح الحوار بيننا افتقدنا الكثير من المشاعر، ويدخل قلوبنا الجفاء والجمود، فلماذا لا نتعاتب حتى يعرف كل منا عذر الآخر؟

دق جرس الباب فقلت:

دعيني أفتح لعصام، أريد أن أفاجئه.

فتحت الباب ودخل عصام فاغرا فاه وهتف:

عم فهمي! أخيرًا ظهرت.

وعانقني بشدة وشوق.. قلت له:

كيف حالك يا بني؟

بخير.. الحمد لله.

قالت منال في حزم وجدية:

سأذهب لإعداد الطعام.

جلست مع عصام نتحدث في مواضيع شتى، وحاولت أن أخرج ما في جعبته، فقلت:

هيه.. كيف حال منال معك؟

في الحقيقة.. يا عمي إنها نعم الزوجة.. ولكن..

ولكن ماذا؟

حدث موقف منذ يومين لا أجد له تفسيرا.

خيرا؟

منذ يومين مرضت أمي.. فطلبت من منال أن نذهب لنطمئن عليها.. كنت أشعر بأنها متعبة وقدرت لها جهدها وشعرت بالرضا لمرافقتها لي.. بعد أن اطمأننت على أمي ورأيتها راحت في النوم أردت أن أنفرد بأخي لانشغالنا عن بعضنا منذ فترة طويلة.. فدخلت معه الحجرة وتحدثنا معا في أمور متنوعة، ولأني كنت مرهقا رحت في النوم دون أن أدري، وعندما استيقظت وجدت أخي يغط في نومه ولم أدر عدد الساعات التي نمتها.. أردت أن أعرف الساعة فبحثت عن المحمول فإذا هو مغلق، ويبدو أن شحن البطارية قد نفد، بحثت عن منال فلم أجدها ولم

أجد تفسيرا لانصرافها وحدها دون علمي، فغضبت وكانت ثورتي كالبركان.. وأحمد الله أنها كانت نائمة عندما ناديت عليها.

هل سألتها عن سبب انصرافها؟

-لا.

-قل لي يا عصام: ألم تفكر في احتمالات تبرر لك ما حدث؟

-لا، لم أفعل.. لم أجد مبررا.

-كم عدد الساعات التي نمتها؟

-حوالي خمس ساعات.

-ألا تعتقد ان خمس ساعات كثيرة؟

ربما.. لا.. فعلا كثير ولكن يجب عليها أن تطرق الباب وتدخل.. تتحدث معي.. تراني ماذا أفعل.. شيء من هذا القبيل..

ألم يخطر في بالك أنها بالفعل طرقت الباب ولأنك نائم لم تجب عليها؟

-ربما!

-إذن هناك احتمال للأعذار؟

سكت عصام بينما تابعت:

-اسألها يا بني واسمع منها، فالعتاب يزيل ما ترسبه المواقف في أعماقنا فتعود المشاعر للصفاء والنقاء.

أومأ عصام برأسه.. دخلت منال.. وقعت عيناها علي ثم على زوجها وقالت:

- الطعام جاهز يا عصام.. تفضل يا عمي.

قلت لها:

- لقد سبقتكما.. تفضلا أنتما.

نظرت إلي منال ثم إلى عصام، وكأنني أقول لهما هيا فلتبدآ.. فقالا في نفس واحد:

- أريد..

ضحكنا جميعا.. فقلت لهما:

- يجب أن أنصرف.

قالت منال:

- لم تجلس معنا إلا القليل.

- أعدكم بزيارة أخرى إن شاء الله.

انصرفت.. وأغلقت الباب ورائي تاركًا بابًا آخر مفتوحًا بين زوجين يصفيان قلبيهما بمصفاة التسامح والغفران.

يابن الشهيد

د. عبدالمنعم حسن

تبكي أباك بدمعك الهتان
وأبوك حيَّ في حمى الرحمن

فرحُ بما آتاه ربك من رضا
مستبشر بمنازل الغفران

لقي الشهادة باسمًا لما رأى
روح الشهيد تزف للرضوان

والمسك من دمه يفوح أريجه
عبقا يعطر كالشذى الريحان

ومضى ليحيا عند ربك ناهلاً
رزقًا وفيرًا في ظلال جنان

فلِمَ البكاء على أبيك، وإنه
في خير منزلة، وخير مكان؟

يابن الشهيد أراك تجترع الأسى
وتغوص في بحر بلا شطآن

وأرى الدموع بمقلتيك تفجرت
منها عليك سحائب الأحزان

يدك الصغيرة فوق عينك حاولت
مسح الدموع، فزلزلت وجداني

تبكي الذي كان الحياة جميعها
وتخاف تحياها بغير معاني

تبكي الذي كان الحنان ونبعه
وتخاف أن تحيا بغير حنان

تبكي الذي كان الأمان، وقد مضى
وتخاف أن تحيا بغير أمان

تبكي الذي كان العطاء جميعه
وتخاف أن تحيا على الحرمان

لا يا بنيَ.. أبوك خلف ثروة
لك ضخمة تبقى على الأزمان

ترك البطولة والشجاعة والفدى
أغلى من الأموال والعقيان

لك أن تقول بملء فيك مفاخرًا
هذا الشهيد أبي.. فما أغناني!

يابن الشهيد، وكم بدمعك من أسى
قد مسني فتضاعفت أشجاني

كفَّ الدموع، وسر على درب الذي
بالروح جاد بهمة وتفانِ

وُضِعَت على كتفيك شارات الفدى
وعلى جبينك أعظم التيجان

الحياة العلمية المعاصرة في دولة الكويت

كتاب «ثَبَت الكويت»

التحرير

هو الثبَت الجامع لمجالس قراءة وسماع كتب الحديث في الكويت في الفترة (١٤٢٦-١٤٣٠هـ).

فنّ الأَثْبات

جرتْ عادة أهل الحديث على بذلهم الجهد في جمع أقصى ما يمكن جمعه من الإجازات والقراءات والسماعات من خلال رحلات مكثفة وموسّعة عبر مراكز العلم المنتشرة في الأقطار الإسلامية، ثم يعكفون في نهاية المطاف على تأليف أسماء شيوخهم، وتفاصيل إجازاتهم وأسانيدهم التي تحصّلوا عليها، وذلك نظرًا لأهمية ما تنطوي عليه من وثائق تاريخية قيّمة يجب الاحتفاظ بها، وأهل العلم المتقدِّمون كانوا يطلقون لفظة «المشيخة» و«المعجم» و«البرنامج» و«الثَّبَت» و«الفهرسة»، وفيما يلي عرضٌ لمعاني هذه الألفاظ والمصطلحات.

أولاً: الثبَت (بفتح الموحَّدة) ما يُثبت فيه المحدِّث مسموعاته، مع أسماء المشاركين له فيه؛ لأنه كالحجّة عند الشخص لسماعه وسماع غيره.

وعلى هذا فالثَّبَت كالفهرسة التي يجمع فيها المحدِّث مرويّاته وأشياخه؛ كأنه أُخذ من الحجّة؛ لأنّ أسانيده وشيوخه حجّة له.

ثانياً: المشيخة (بفتح الميم وكسْرها وسكون الشين وفتح التّحتيّة وضمّها، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإسكان الياء) جمْع شَيْخ (بالفتح) وهو لغةً: مَن استبانت فيه السِّنّ وظهر عليه الشيب، ويطلق الشيخ مجازًا على المعلم والأستاذ لكبره وعظمته، ثمّ أُطلقت «المشيخة» على الكراريس التي يَجمع فيها العالِم شيوخَه.



ثالثاً: الفهرس هو الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخَه وأسانيده وما يتعلّق بذلك، أو هو كتابٌ تُذكر فيه الأعمال، وقد يكتب فيه أسماء الأشياء، وهي لغة المشارقة.

رابعاً: البرنامج (بفتح الموحّدة والميم، وقيل بكسر الميم، وقيل بكسرهما) الورقة الجامعة للحساب، أو هو: زِمامٌ يُرسَم فيه متاع التّجار وسَلَفُهُم، وأصلهُ فارسيّ، وأهل الأندلس يستعملونه كثيرًا بمعنى الفهرسة.

شرف السَّماع والإسناد

إنّ الله تعالى أكرم هذه الأمة وشرّفها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم- قديمها وحديثها- إسناد موصولٌ، إنّما هي صحفٌ في أيديهم، وقد خَلَطوا بكتبهم أخبارَهم؛ فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل و ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي اتخذوها عن غير الثقات.

قال ابن حزم رحمه الله: نقْل الثقة عن الثقة حتى يبلغَ به النبيّ ﷺ شيءٌ خُصّ به المسلمون دون جميع الملل والنحل، وهذه الأمة الشّريفة- زادها الله شرفا بنبيّها- إنما تنقل الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشدّ البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأطول فالأطول مجالسةً لمن فوقه، فمن كان أقصر مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر، حتى يهذّبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه، ويعدُّوه عدًّا.

وكفى الرّاوي المنتظم في سلسلة الأسانيد شرفًا وفضلا وجلالةً ونبلًا أنْ يكون اسمه منتظماً مع اسم المصطفى في طِرْس واحد، على رغم أنف الحاسد المعاند، وبقاء سلسلة الإسناد من شرف هذه الأمة المحمدية، واتصالها بنبيها خصوصية لها بين البرية.

وقد ثبت عند أهل هذا الفنّ أنه لا يتصدّى لإقراء كتب السنة والحديث قراءةَ دراية أو تبرّك ورواية إلاّ مَن أخذ أسانيد تلك الكتب عن أهلها، ممّن أتقن درايتها وروايتها، ورحل إلى البلدان فظفر بعوالي المرويّات، وباحَثَ الأقران؛ فأحاط بمدارك الدِّرايات، وجلس في مجالس الإملاءات على الرُّكَب، وتردّد إلى المشايخ بالخضوع والأدب.

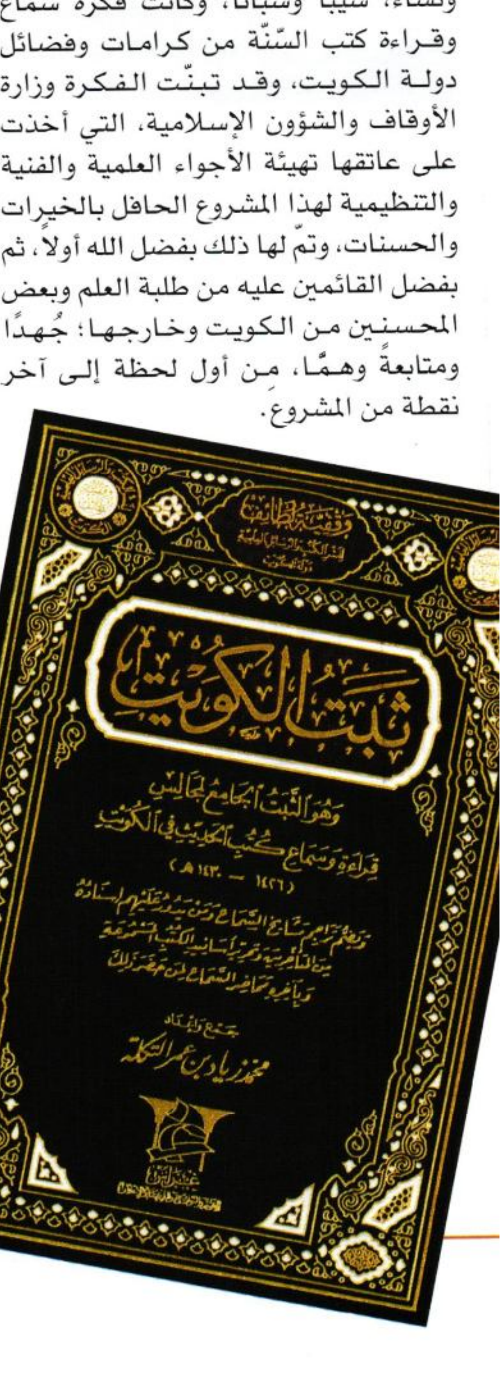
ولأجل جلالة الحديث الشريف في نفوس العلماء، عُقدتْ مجالس الإملاء؛ فقيل إن مجلس يزيد بن هارون كان يحضره سبعون ألفًا، وهكذا تنافس من وفّقه الله من الأمراء والأعيان لرعاية مثل هذه المجالس، وأنشأ لها دور الحديث وأوقف عليها الأوقاف، واستقدم لأجلها المسنِدين وأكرمهم، خدمة للسنة ونشرا لها.

ثَبَت الكويت

لقد منّ الله تعالى على دولة الكويت منّةً عظيمة حيث شرّفها وأهلها لتحْمِل مِشعل

الكويت بهذا الثبت العملاق دخلت التاريخ العلمي الحديثي من بابه الواسع

رواية حديث النبيّ ﷺ؛ فقرئتْ بها الكتبُ السبعة، ومسند الإمام أحمد، وعشراتٌ من السّنن والمسانيد والأجزاء والكتب الفقهية وغيرها؛ قراءةَ روايةٍ ودرايةٍ، وكان ذلك في ظرف زمنيّ لم يتّجاوز الثّلاث سنوات تقريبًا، وانتفع بتلك السماعات والأسانيد خلقٌ من داخل الكويت وخارجها، رجالاً ونساء، شيبًا وشبانًا، وكانت فكرة سماع وقراءة كتب السّنّة من كرامات وفضائل دولة الكويت، وقد تبنّت الفكرة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، التي أخذت على عاتقها تهيئة الأجواء العلمية والفنية والتنظيمية لهذا المشروع الحافل بالخيرات والحسنات، وتمّ لها ذلك بفضل الله أولاً، ثم بفضل القائمين عليه من طلبة العلم وبعض المحسنين من الكويت وخارجها؛ جُهدًا ومتابعةً وهمًّا، من أول لحظة إلى آخر نقطة من المشروع.



ومن أعظم المنافع المُحصّلة من تلك المجالس روايةُ كتب الحديث بأسانيد متصلة إلى رسول الله ﷺ، عن طريق كبار مسندي عصرنا، من الهند وباكستان والسودان واليمن والشام وغيرها، وقد كان يرحل في الحديث الواحد مسافات لا يعلم قدرها إلا الله تعالى، وبهذا الإنجاز اختُصرت على طلبة الحديث وعاشقي الأسانيد رحلاتٌ ورحلاتٌ.

ولمّا كثُرت إجازات هذه السماعات، وتوالت أسانيد هذه اللقاءات؛ نشأتْ فكرة هذه الثَّبَت العظيم الذي يضمّ بين دفّتيه مقروءات ومسموعات دولة الكويت وأسماء مُسْنديها الأجلّاء وأسانيدهم، ومحاضر سماع كلّ مجلس منها، والتي كانت تسمى عند المتقدّمين بـ «الطِّباق»، وأسماء الحاضرين فيها بالتفصيل، وتقييد كلّ ما يهم المتتبّع لأحوال الرّواة والسّامعين.

والكويت بهذا الثّبت العملاق دخلت التاريخ العلميّ لأهل الحديث من بابه الواسع، وهي بهذا سبقتْ دول الخليج كافة، ودول العالم العربي والإسلاميّ كلّه في العصر الحاضر.

المجالس الحديثيّة الكويتيّة في عيون أهل العلم

- «فزتم وربّ الكعبة يا أهل الكويت في إحياء سنّة سماع أحاديث رسول الله ﷺ».

الشيخ المسنِد عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي.

- «هذه المجالس تُسامي كليةً كاملةً، وفّقكم الله تعالى وسدّد خطاكم».

د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ووزير الأوقاف في المملكة العربية السعودية سابقًا.

- «لتصيرنّ الكويت كعبة الطّلاب، ومَهوى الأحباب، ومنبعَ العلم لسنوات طويلة، فقد دخلت التاريخ من أوسع الأبواب، وسجّلت اسمها أنّها إحدى حواضر العلم في هذا العصر». د. صفوان داوودي،

فَلَقَدْ بَدَتْ أَرْضُ الكُويتِ مَسَرةً
لِلنَّاظِرِينَ وَعُـرْوَةً لا تُفْصَمُ
لِلهِ مَجْلِسُكُمْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ
وَسَكِينَةٌ فِي جَانِبَيْهِ تُخَيِّمُ

من شعر عمر النشوقاتي الدمشقي في ختم جامع الترمذي.

ويمِّمْ إلى أرض الكويت فإنّها
بلادٌ بها من كلِّ شَهْمٍ وفاضِلِ
تجدْ مجلساً للعِلْم قدْ صَارَ مَنْهَلاً
يَؤُمُّ لَهُ النُّزَّاعُ بين القَبَائِلِ
وأَكْرِمْ بأَوْقَافِ الكُوَيْتِ فإنّها
أَعَادَتْ رُسُومَ السَّالِفِينَ الأَوَائِلِ
أَعِذهُمْ إلهَ العَرْشِ من كَيْدِ حَاسِدٍ
وَصُنْهُمْ إِلَهِي مِنْ جَمِيعِ القَلاقِلِ

من شعر بدر بن طامي العتيبي.

محتويات الثَّبَت

١- مقدمة عن سماع مجالس الحديث.
٢- تراجم الشيوخ المسندين.
٣- تراجم مَن عليهم مدار الأسانيد.
٤- تحرير أسانيد الكتب المقروءة.
٥- صُوَر جميع محاضر السّماع المذكورة في الكتاب (ومحضر السماع أوالطّباق: أوراقٌ إداريّةٌ موثّقةٌ، يُقيّد فيها وقائع المجالس، ويُثْبَت فيها أسماء مَن حضر جميع السماع بلا فوت، ومَن فاته شيء يسيرٌ منه، ومن فاته الكثير، وتسجيل بداية ونهاية ومكان السّماع، وعلى مَن قُرئ، ونصّ الإجازة ورجال الإسناد، وذلك بدقة فائقة).
٦- صُوَر توثيقيّة للمشايخ ولكثير من الحضور.

فهارس الثَّبَت

احتوى الثَّبَت فهارس متنوعة، وهي:
١- فهرس الأعلام المترجم لهم.
٢- فهرس الكتب المقروءة في المجالس.
٣- فهرس الموضوعات.

الشيوخ المُسْمِعون المترجَم لهم

١- الشيخ عبدالقيوم الرحماني البستوي.
٢- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل.
٣- الشيخ محمد إسرائيل بن محمد إبراهيم السلفي الندوي.
٤- الشيخ عبدالوكيل بن عبدالحق



الهاشمي.
٥- الشيخ ثناء الله بن عيسى خان المدني.
٦- الشيخ مساعد البشير الحسيني.
٧- الشيخ محمد بن علي المنصور.
٨- الشيخ محمد قاسم الوشلي.
٩- الشيخ غلام الله بن رحمة الله البشاوري.
١٠- الشيخ إسماعيل بن محمد بدران الدوماني.
١١- الشيخ أنيس الرحمن الأعظمي.
١٢- الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب الأهدل.
١٣- الشيخ عبدالسلام بن أبي أسلم المدني.
١٤- الشيخ عبدالرحمن بن محمد شفيع الليثي.
١٥- الشيخ عبدالرشيد بن عبدالسلام البستوي.
١٦- الشيخ كريِّم بن سعيد راجح.
١٧- الشيخ إرشاد الحق الأثري.

الشيوخ المترجَم لهم ممّن دارت عليهم أسانيد المتأخرين

١- الشيخ عبدالجبار الشكراوي.
٢- الشيخ عبدالحق بن عبدالواحد الهاشمي.
٣- الشيخ عبدالحكيم الجيروي.
٤- الشيخ عبدالله بن روشن دين الرُّوبري.
٥- الشيخ أحمد الله بن أمير الله القرشي البرتابكرهي الدهلوي.
٦- الشيخ علي بن ناصر أبووادي.
٧- الشيخ عبدالوهاب الملتاني.
٨- الشيخ محمد حسين البتالوي.
٩- الشيخ عبدالمنان الوزيرآبادي.
١٠- الشيخ عبدالجبار بن عبدالله الغزنوي.
١١- الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني.
١٢- الشيخ نذير حسين الدهلوي.
١٣- الشيخ محمد بن ناصر الحازمي الحسني.
١٤- الشيخ الشاه محمد إسحاق الدهلوي.
١٥- الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي.
١٦- الشيخ عبدالقادر بن ولي الله الدهلوي.
١٧- الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي.
١٨- الشيخ تاج الدين محمد بن عبدالمحسن القلعي.
١٩- الشيخ أبوطاهر محمد عبدالسميع الكوراني.
٢٠- الشيخ عبدالله بن سالم البصري.
٢١- الشيخ أحمد بن محمد النخلي.
٢٢- الشيخ حسن بن علي العجيمي.
٢٣- الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني.
٢٤- الشيخ عيسى الثعالبي المغربي.
٢٥- الشيخ محمد بن العلاء البابلي.
٢٦- الشيخ سالم بن محمد السنهوري.
٢٧- الشيخ النجم محمد بن أحمد الغيطي.

كرم الله أمتنا وشرفها بين الأمم بعلم الإسناد

الجهة النّاشرة للثَّبَت

هيّأ الله سبحانه بفضله ومِنّته لهذه الفكرة الوطنيّة العلميّة السامية أهلَ الخير الحريصين على نشر العلم وإذاعة فضائل هذا البلد الحبيب، واختصّتْ بفضل طباعة هذا الثَّبَت طباعةً فاخرةً «وقفيّةُ لطائفُ لنشر الكتب والرّسائل العلميّة» لصاحبها أ. د.وليد بن عبدالله المنيّس، ويقع الثَّبَت مطبوعًا في ١٠٥٦ صفحة، مجلّد كبير فاخر.

ووقفيّةُ «لطائفُ» وقفيةٌ خيريةٌ تُعنى بنشر الكتب والرّسائل العلمية.

والثَّبَت من جمع وإعداد الباحث محمد زياد بن عمر التكلة جزاه الله خيراً

على ضفاف الاستقامة

علاء الدين حسن

إنَّ الثبات على الطاعة من أخلاق المؤمنين، قال تعالى ﴿إنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة الَّتي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون. نزلًا من غفور رحيم﴾ (فصّلت: ٣٠ - ٣١).

قالوا ربُّنا الله، أي وحَّدوا الله ولم يشركوا به شيئًا، وأخلصوا العبادة له، وعلموا أن له الخلق والأمر، فأقرّوا بأنَّ الله هو الخالق وحده، وما سواه مخلوق، وهو الرازق وحده، وما سواه مرزوق، وهو المالك وحده، وما سواه مملوك. وهذا هو أصل الدين وأساسه، ولأجل هذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب، فلا خضوع إلا لله، ولا انقياد إلا لله، ولا تسليم إلا لله، ولا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا من الله، ولا تفويض إلا إلى الله، ولا توكل إلا على الله، ولا استعانة إلا بالله .. هو الواحد المتفرد بأسماء الجلال وصفات الكمال، لا ندَّ له، ولا ضدَّ له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا زوج له، ولا مثيل له، ولا نظير له، ولا شبيه له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، فلابدَّ من الولاء لله، ولابدَّ من الاستقامة على منهج الله.

العاقبة الطيّبة

والعاقبة الطيبة للراسخين في الإيمان، المثابرين على العمل بطاعة الرحمن، فمن آمن بالله واستقام على طاعته، تنزلت عليه الملائكة عند المهمات الدنيوية بما يشرح صدره ويدفع عنه الهمَّ والحزن، وقالت له: لا تخف من الموت وما بعده، ولا تحزن على ما خلَّفتَ من أهل وولد، وأبشر بالجنة التي وعدك الله إيّاها، إكرامًا من الله كما يكرم صاحب المنزل ضيفه، قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (أولئك أصحاب الجنَّة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون﴾ (الأحقاف: ١٣ - ١٤)

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم» (١) .

أصل الاستقامة

وأصل الاستقامة استقامة القلب «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٢) .

وأهم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح «اللسان»، وفي الحديث عن أحمد وغيره من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولن يستقيمَ قلبه حتى يستقيم لسانه» (٣).

وقال ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه » (٤).

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ :«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (٥) .

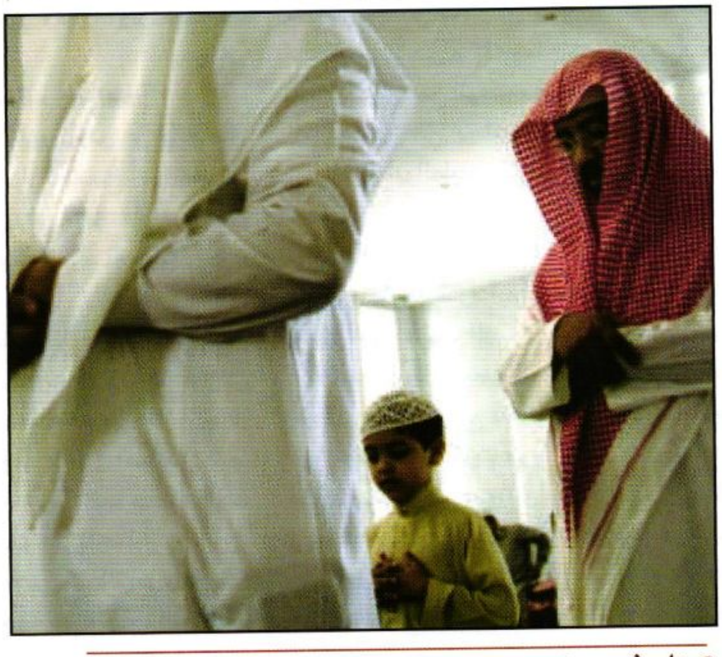
اكتمال المحاسن

الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر، لأنها خروج عن المعهودات، ومفارقة للعادات، ولأنها قيام بين يدي الله بصدق، فالاستقامة هي الخصلة التي بها كملت المحاسن.

الاستقامة: درجة قصوى في كمال المعارف والأحوال، وصفاء للقلب في الأقوال والأفعال، وتنزيه للعقائد من سفاسف الأهواء والضلال .

الاستقامة: أن تتبع الصراط المستقيم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» (٦) ، ثم تلا قول الله ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون» (الأنعام : ١٥٣).

ومما يؤكد على أهمية الاستقامة، أن الله تعالى أمر بها نبيه المصطفى ﷺ، قال الله تعالى ﴿فاستقم كما أُمرت﴾(هود: ١١٢).



• باحث مصري

الهوامش

١- رواه مسلم في كتاب الإيمان- باب : جامع أوصاف الإسلام- رقم ٣٨، والترمذي في الزهد، باب : ما جاء في حفظ اللسان- رقم ٢٤١٢.
٢- البخاري: ٢٢/١، ومسلم : ٥٠/٥.
٣- رواه أحمد في مسنده- حديث رقم ٢١٣٨٩.
٤- رواه البخاري في صحيحه- حديث رقم ٦١١٣.
٥- ص البخاري- ك الأدب- ح رقم ٦٠١٨.
٦- رواه أحمد في مسنده برقم ٤٢٢٥.

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدِّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجَوْدة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلّم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عمومِ المثقّفين للتأمُّل وطول التدبُّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنّفوس من الخلل والتأثّر السّلبيِّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أَصْل المُسَاجلة: أن يَسْتَقيَ ساقيان فيُخرِجُ كلُّ واحد منهما في سَجْله مثْلَ ما يُخْرج الآخر، فأيُّهما نَكل فقد غُلبَ. فضربَتْه العربُ مثلاً للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلان يُساجِلُ فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرِجُ من الشَّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أي: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجال».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفةُ، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضّعَة، ويُخْملُهُمْ أقبحَ الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعة العلْم، وسَعَة الاطّلاع، وجوْدةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدّحُ به السّامعون، وينْهَلُ منه المتلهّفون.

د. الطاهر خذيري
ALmadani9@Gmail.com

بين القاضي أبي الطيب الطبريّ الشافعيّ وأبي الحسن الطّالقاني الحنفيّ

في مسألة: «تقديم الكفارة على الحنث»

القاضي أبوالطيّب الطبريّ الشافعيّ هو كما في «الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٧٠» طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عبدالله بن عمر، قال الخطيب البغداديّ: «كان شيخنا أبوالطيّب ورعًا، عاقلًا، عارفًا بالأصول والفروع، محقّقًا، حَسَن الخلق، صحيح المذهب، اختلفتُ إليه، وعلّقتُ عنه الفقه سنين»، وقال القاضي أبوبكر بن بكران الشامي: قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا وقد عُمّر: لقد مُتّعْت بجوارحك أيها الشيخ! فقال: ولم لا، وما عصيتُ الله بواحدة منها قطّ؟ أو كما قال:

وُلِد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وتوفي سنة خمسين وأربعمائة عن مائة وسنتين، ولم يختلّ عقلُه، ولا تغيّر فهمُه، يفتي مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، وهو أحد الأعلام، وكان له قميصٌ وعمامةٌ بينه وبين أخيه، إذا خرج ذاك من البيت قعد هذا، وإذا خرج هذا قعد ذاك، ودخلوا عليه يومًا فوجدوه عُريانًا مؤتزرًا بمئزر، فاعتذر من العري وقال: نحن كما قال الشاعر:

قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم
لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل

وعليه قرأ الشيخ أبوإسحق الشيرازي، وقال في حقّه: «لم أر فيمَن رأيت أكمل اجتهادًا وأشدّ تحقيقًا وأجود نظرًا منه».

ومن طرائفه كما في «سير أعلام النبلاء:١٧/ ٦٦٩» أنه دفع خفًّا له إلى من يصلحه، فمَطَله، وبقي كلّما جاء، نَقَعه في الماء، وقال: الآن أصلحه؛ فلما طال ذلك عليه، قال: إنما دفعته إليك لتصلحه لا لتعلمه السباحة!

وأمّا أبوالحسن الطّالقانيّ الحنفيّ فلم أجد له ترجمة في الوقت الحاضر، ولعلّي أستدرك ذلك فيما يُسْتقبل.

سياق أجزاء من المساجلة كما في «طبقات الشافعية الكبرى لابن السّبكي:٥/ ٢٤»:

سئل القاضي أبوالحسن عن تقديم الكفارة على الحنث فأجاب بأن ذلك لا يجزئ، وهو مذهبُهم [أي مذهب الحنفيّة)، فسئل الدّليل؛ فاستدلّ بأنه أدّى الكفارة قبل وجوبها، وقبل وجود سبب وجوبها، فوجب ألاّ تجزئه، كما لو أخرج كفّارة الجماع بعد الصوم وقبل الجماع، وأخرج كفارة الطّيب واللّباس بعد الإحرام، وقبل ارتكاب أسبابها.

فكلّمه القاضي أبوالطيب ناصرًا جواز ذلك، كما هو مذهب الشافعي، وقال: لا أسلّم أنه لم يوجد سبب وجود الكفارة، فإنّ اليمين عندي سبب، فاليمينيّة مثبتةٌ في الحالين على هذا الأصل.

ثم إنّه يبطل بما إذا أخرج كفارة القتل بعد الجرح وقبل الموت، فإنّه أخرجها قبل وجوبها وقبل وجود سبب وجوبها ثم يجزئه.

أجاب القاضي أبوالحسن بأنّ اليمين يمنع الحنث، وما منع من السبب الذي تجب به الكفارة، لم يَجُزْ أن يكون سببًا لوجوبها، كالصوم والإحرام لما منعا السّبب الذي تجب عنده الكفارة من الوطء وغيره لم يجز أن يقال: إنّهما سببان في إيجابها، كذلك هاهنا مثله.

فقال أبوالطيب: لا أسلّم أنّ اليمين يمنع الحنث.

فقال أبوالحسن: الدليل عليه قوله عز وجلّ: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ (المائدة: ٨٩)، وهذا أمر بحفظ اليمين وترك الحنث، وعلى أنّ اليمين إنّما وضعت للمنع؛ لأن الإنسان إنما يقصد باليمين منْعَ نفسه من المحلوف عليه، فهو بمنزلة ما ذكرت من الصوم والإحرام في منع الجماع وغيره، ويدلّ على ذلك أنّ الكفارة وضعت لتغطية المآثم وتكفير الذنوب، واسمها يدل على ذلك، ولذلك قال النبي ﷺ: «الحدود كفارات لأهلها»، وإنما سمّاها كفارة لأنها تكفّر الذّنوب وتغطّيها، ومعلومٌ أنه لا يأثم في نفس

الأمر- أي في اليمين- فيحتاج إلى تغطية؛ لأنّ النبي ﷺ وأصحابه كانوا يحلفون، وروي أن النبي ﷺ قال: «والله لأغزونّ قريشا» وأعادها ثلاثا، ثم قال: «إن شاء الله تعالى» (سنن أبي داود)، ونحن نعلم أنه لا يجوز في صفته ﷺ وصفة أصحابه أن يقصدوا إلى ما يتعلق الإثم به إلى الكفارة، فثبت أنه لا إثم عليه في اليمين، وإذا لم يكن في اليمين إثمٌ، وَجَب أن يكون ما يتعلّق به من الكفارة موضوعة لتكفير الإثم المتعلق بالحنث، وهذا يدلّ على أنه ممنوع من الحنث غير أنّ من جملة الأيمان ما نقْضُها أولى من الوفاء بها، وذلك إذا حلف لا يصلّي فقد ابتُلي ببلاءين: بين أن يفي بيمينه فيأثم بترك الصلاة، وبين أن ينقض يمينه فيحنث فيأثم بالمخالفة، وللمخالفة بدل يرجع إليه، وليس لترك الصّلاة بدلٌ يرجع إليه.

وعلى هذا يدلّ قوله ﷺ: «مَن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفّر عن يمينه» (السنن الكبرى للبيهقي) فشرط في الحنث أن يكون فعْله خيرًا من تركه.

وأمّا النقض، فلا يلزمني؛ لأني قلت: لم يوجد سببُها، وهناك قد وُجد سببها، وذلك أنّ الجرح سبب في إتلاف النفس، وهذا سبب الإثم، والكفارة وجبت لتكفير الذنب، وتغطية الإثم والجرح سبب الإثم، فإذا وجد جاز إخراج الكفارة.

فقال القاضي أبوالطيب: أمّا اليمين فلا يجوز أن تكون مانعةً من المحلوف عليه، فلا يجوز أن تكون مُغيِّرة لحكمه، بل إذا كان الشيء مباحًا فهو بعد اليمين باقٍ على حكمه، وإن كان محظورًا فهو بعد اليمين باقٍ على حظره.

يُبيِّن صحة هذا أنه لو حَلف أنه لا يشرب الماء، لم يحرم عليه شرب الماء، ولم يتغيّر عن صفته في الإباحة، وكذلك لو حلف ليقتلنّ مسلمًا، لم يحلّ له قتله، ولم يتغير القتل عن صفة التحريم، وهذا لا أجد فيه خلافًا بين المسلمين، وعلى هذا يدل قول الله عز وجل ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك...﴾ (التحريم:١) ثم قال ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم...﴾ (التحريم: ٢)، فعاتبه الله على كلّ تحريم.

ويدل عليه أيضًا قوله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»، وهذا يدلّ على ما ذكرناه مِن أنّ اليمين لا تغيّر الشيء عن صفته في الإباحة والتحريم، ويبيّنُ صحّة هذا أن النبي ﷺ لمّا نزل قوله تعالى ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ كفّر عن يمينه، وروي أنه آلى من نسائه شهرًا ولم يحنث، فدل على أنّ الإباحة كانت باقية على صفتها.

وأمّا قوله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ فإنما أراد به الأمر بتقليل اليمين حفظا، كما قال الشاعر:

قليلُ الألايا حافظٌ ليمينه
وإنْ بَدَرَتْ منه الأليّة برّت

ومعلومٌ أنه لم يرد حفظ اليمين من الحنث والمخالفة، لأن ذلك قد ذكره في المصراع الثاني فثبت أنه أراد بذلك التقليل.

وأمّا قوله: إنّ اليمين موضوعة للمنع فلا يجوز أن تكون سببًا لما يتعلق به الكفارة، فباطلٌ بما لو قال لامرأته: إن دخلت الدار أو كلّمت زيدًا فأنت طالق؛ فإنه قصد المنع بهذه اليمين من الدخول، ثم هي سببٌ فيما يتعلّق بها من الطلاق.

وهذا دليلٌ واضحٌ على أنّ اليمين هي السّبب؛ لأنها لو لم تكن سببًا في إيقاع الطلاق لما تعلّق الضمان عليهم، فلمّا أوجب الضّمان على شهود اليمين عُلم أنّ اليمين كانت سببًا في إتلاف البضع، وإيقاع الطلاق، فانتقض ما ذكرتَ من الدليل.

وأمّا النقض فلازمٌ، وذلك أنّ الجرح لا يجوز أن يكون سببًا لإيجاب الكفارة، وإنما السبب في إيجابها فواتُ الروح، والذي يبين صحّة هذا هو أنّه لو جرحه ألف جراحة فاندملت؛ لم تجب عليه الكفارة، فثبت أنّ الكفارة تتعلّق بالقتل، وأنّ الجرح ليس بسبب ولا جزء من السبب، ثم جوّزنا إخراج الكفارة فدلّ على ما قلناه.

فأجاب القاضي أبوالحسن: أمّا قول القاضي الإمام- أدام الله تأييده: إنّ اليمين لا يُغيّر الشيء عن صفته في الإباحة، بل يبقى الشيء بعد اليمين على ما كان عليه قبل اليمين؛ فهو كما قال، واليمين لا تُثبت تحريمًا فيما لا يَحْرُم، ولكنها لا توجب منعًا، والشيء تارةً يكون المنعُ منه لتحريم عيْنه، كما نقول في الخمر والخنزير: إنه يمتنع بيعُهما لتحريم أعيانهما، وتارةً يمتنع منه لمعنى في غيره، كما يمنع من أكل مال الغير بحق ماله؛ لأنّ الشيء في نفسه غير محرّم، فكذلك هاهنا.

فداخله القاضي أبوالطيب وقال: يجب أن نقول إنه يأثم بشرب الماء كما يأثم بتناول مال الغير بغير إذنه. فقال: هكذا أقول: إنّه يأثم بشربه كما يأثم بتناول الغير.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يأيها النبي لم تحرم...﴾ فهو الحجّة عليه؛ لأنّ الله تعالى أخبر أنه حرمها على نفسه، وهذا يدلّ على إثبات التحريم، وما ذكرناه من تأويل الآية وحمْلها على تقليل اليمين وتركها فهو خلاف الظاهر، وذلك أنّ الآية تقتضي حفْظ يمين موجودة، وإذا حملناها على ما ذكر من تركَ اليمين كان ذلك حفظًا لمعنى غير موجود، فلا يكون ذلك حملا للفظ على غير ظاهره وحقيقته، ومراعاة الظاهر والحقيقة أولى.

وأمّا الشّعر فلا حجّة فيه؛ لأنّ الحفظ هناك أراد به الحفظ من الحنث والمخالفة.

وقوله: إنّ الحفظ من المخالفة والحنث قد عُلم من آخر البيت، لا يصح؛ لأنه إذا حمله على تقليل اليمين حُمل أيضًا على ما عُلم من أول البيت؛ لأنه قال: قليلُ الألايا؛ فقد تساوينا في الاحتجاج بالبيت، واشتركنا في الاستشهاد به على ما يدّعيه كلّ واحد منّا من المراد به.

وقوله: إنّ هذا يبطل بمسألة اليمين في الطلاق، فلا يلزم، وذلك أنّ السبب هناك هو اليمين؛ لأنّ الطلاق به يقع، ألا ترى أنّه يُفْصح في اليمين بإيقاع الطلاق، فيقول: إن دخلت الدار فأنت طالق، وإنما دخل الشرط لتأخير الإيقاع لا لتغييره، ولذلك قالوا الشرط يؤخّر ولا يغيّر، فحين كان الطلاق واقعًا باليمين كانت هي السّبب فكان الضمان على شهودها، لأن الإيقاع حصل بشهادتهم، وأمّا في مسألتنا فاليمين ليس في لفظها ما يوجب الكفارة فلم يجز أن تكون سببا في إيجابها.

وما ذكرته من أنّ الكفارة تجب مع عدم المأثم وهو في قتل الخطأ، ويجب في اليمين على الناسي والمكره، وعندنا لا إثم على واحد منهما؛ فلا يصح، وذلك أنّ في هذه المواضع ما وجبتْ إلاّ لضرب من التفريط، وذلك أنّ الخاطئ هو الذي يرمي إلى غرض فيصيب رجلا فيقتله أو يرمي رجلا مشركًا، ثم يتبين أنه كان مسلمًا فتجب عليه الكفارة؛ لأنه قد اجترأ عليه بظنّه في هذه المواضع، وترك التحرّز في الرمي، وإذا أصاب مسلمًا فقتله عَلمْنا أنه فرط وترك الاستظهار في الرمي؛ فكان إيجاب الكفارة لما حصل من جهته من التفريط.

رحمةُ الله عليهما ورضوانُه

مدينة «تِرمِذ»

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالما طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرّفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهامٌ بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حالُ «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

مدينةُ «تِرْمِذْ» من أكبر مُدُن إقليم «ما وراء النَّهر»، وهي بكسر التاء والميم، وهذا هو المعروف المستفيض قديمًا وحديثًا، قال الإمام الذهبي «قال شيخنا أبوالفتح القشيري الحافظ: ترمذ، بالكسر، وهو المستفيضُ على الألسنة حتى يكون كالمتواتر» (١).

ونقل السمعانيُّ فيها ثلاثة أوجه، قال «والناسُ مختلفون في كيفيَّة هذه النسبة -أي: الترمذي- بعضُهم يقولون بفتح التاء... وبعضُهم يقولون بضَمِّها، وبعضُهم يقولون بكسرها، والمتداولُ على لسان أهل تلك البلدة- وكنتُ أقمتُ بها اثني عشر يوما- بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه قديمًا فيه كسْرُ التاء والميم جميعًا، والذي يقوله المتأنقون وأهلُ المعرفة بضمِّ التاء والميم، وكلٌّ واحدٍ يقول معنًى لما يدَّعيه» (٢).

والسمعانيُّ يؤكِّدُ اشتهارَها بكسر التاء والميم، إلا أنّ أهل البلدة أنفسَهم ينطقونها بفتح التاء، كما أكَّدَه في كلامه السابق.

و«ترمذ» من المدن الكبرى المطلَّة على نهر جيحون، وهي أجلُّ مدنِ ناحية «الصغانيان»، تقع شمال مضيق نهر جيحون (آمو) وهو آت من بلخ، بالقرب من ملتقى نهر «زامل» به.

قال البشّاري المقدسي (ت نحو٣٩٠هـ) «وترمذ هي أجَلُّ مدينة على جيحون، نظيفة طيبة، أحدُ العرصات، مفروشةٌ أسواقُها بالآجرِّ، والماءُ يسطعُ جانبَيها، ويقلعُ المراكبَ إليها من كل جانب، وعليها حصنٌ، ولها قُهندُز (٣)، والجامعُ في الحصن، والقهندزُ خارجٌ منه له باب، وللمدينة ثلاثةُ أبواب، ولها ربضٌ- وهو سور المدينة- وسُرادِقات، وهي أول المدائن من أعلى النهر...» (٤).

وقال ابنُ حوقل (ت ٥٨٠هـ) «وهي عامرةٌ آهِلةٌ، فُرْضَةٌ (٥) لتلك النواحي على جيحون، وأقربُ الجبال إليها على نحو مرحلة، وشربُهم من ماءِ جيحون، ونهر يجري من الصغانيان، يجري إلى جيحون منْ تحتها...» (٦).

وقال الحموي (ت ٦٢٦هـ) «وترمذ مدينةٌ مشهورةٌ من أمهات المدن، راكبةٌ على نهر جَيحون من جانبه الشرقيّ، متَّصلةُ العمل بالصَّغانيَان، ولها قُهُندُز وربَضٌ يُحيطُ بها سور، وأسواقُها مفروشةٌ بالآجُر، ولهم شِرْبٌ يجري من الصغانيان؛ لأنَّ جيحون يستقلُّ عن شرب قُراهم...» (٧).

وكانت ترمذُ فُرْضَةَ التجارات المحمولة من الشمال إلى خراسان.

وفي سنة ٦١٧هـ دمَّر المغولُ مدينةَ ترمذ، ولم تُعمَّر بعد، ثم أعيدَ بناؤها بالقرب من الأولى، قال ابنُ بطوطة- وقد زارها في القرن الثامن، سنة ٧٣٣هـ- وهو يذكر ما ارتكَبه المغول «ثم فعل مثل ذلك في ترمذ، فخربت، ولم تعمر بعد، لكن بنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمذ».

ولم يبقَ من «ترمذ» القديمة سوى الأطلال، أما المدينة الجديدةُ فقد استعادت مجدَها بسرعة، قال ابنُ بطوطة «ثم وصلنا إلى مدينة ترمذ... وهي مدينةٌ كبيرةٌ حسنةُ العمارة والأسواق، تَخترقُها الأنهار، وبها البساتينُ الكثيرةُ والعنبُ، والسَّفرجلُ بها مُتناهي الطيب، واللحومُ بها كثيرةٌ، وكذلك الألبان، وأهلُها يَغسلون رؤوسَهم في الحمام باللَّبن عوضًا عن الطَّفْل» (٨).

وتقعُ «ترمذ» على خط ٣٧ شمالًا تقريبًا، وخط طول ٦٧ شرق غرينتش، ودخلت في الإسلام سنة ٧٠هـ، وكانت البوذيةُ هي السائدةُ فيها قبل الفتح الإسلامي، وكان بها اثنا عشر معبدًا ونحو ألف راهب (٩)، وكان ملكُ ترمذ يُلَقَّب بـ«ترمذ شاه» (١٠).

وكان قد فتحها موسى بن عبدالله بن خازم سنة ٧٠هـ (٦٨٩م)، واستقلَّ بها موسى بنُ عبدالله عن حكم الدولة الأموية، ولكن ما لبث عثمانُ بنُ مسعود أن أخضعَها لسيادة الدولة الأموية، وذلك سنة ٨٥هـ عندما

أرسلَه المفضّلُ بنُ المهلّب بن أبي صفرة لاستعادتها من موسى بن عبدالله (١١).

وتقعُ ترمذ الآن في الجنوب الغربيِّ من جمهوريَّة «أوْزْبَكِسْتان»، على الضفَّة الشرقيَّة من نهر جيحون- وهذا النهرَ يُعرف الآن بـ«آمُوْ» (١٢)- مقابلَ النهر الآتي من مدينة «بلخ» الواقعة في شمال أفغانستان، ويربطُ بين البلدين جسرٌ جرى تجديدُه في هذه الأيام، والمدينةُ المقابلةُ لترمذ في أفغانستان هي مدينةُ «حيرتان».

وأشهرُ أعلام مدينة ترمذ هو الإمامُ الحافظُ محمدُ بنُ عيسى بن سَوْرَة التِّرمذي، ولد في حدود سنة عشر ومائتَين من الهجرة، وكان ضريرًا، أصيبَ بذلك في كِبَره- على الراجح- قال ابنُ كثير- رحمه الله- «والذي يظهَرُ من حال الترمذيِّ أنه إنما طرأ عليه العَمَى بعد أن رحَلَ وسمِعَ وكتبَ وذاكَرَ وناظَرَ وصنَّف» (١٣).

بكّرَ- رحمه الله- في طلب العلم، وأخذَ العلمَ من مشايخ بلده، ثم بدأ الرحلةَ إلى المراكز البعيدة عنه، فرحلَ إلى بخارى، ومرو، والري، والبصرة، والكوفة، والحجاز، وغيرها، والتقى بعدد كبير من المشايخ وروى عنهم، وأكثرُ مَن روى عنه في جامعه خمسةٌ، وهم- مرتَّبين حسب أكثرية الرواية عنهم- قتيبة بن سعيد البغلاني (ت ٢٤٠هـ)، ومحمد بن بشار الملَقَّب بـ«بُنْدار» (ت ٢٥٢هـ)، ومحمود بن غيلان العدوي (ت ٢٤٩هـ)، وهنّاد بن السري (ت ٢٤٣هـ)، وأحمد بن منيع (ت ٢٤٤هـ)، وهؤلاء أبرز شيوخه في رواية الحديث.

أمَّا شيوخُه في نقد الحديث وعلله، والذين لازمَهم وشهدَ لهم بالإمامَة، فهم ثلاثة، على رأسهم الإمام البخاريُّ- رحمه الله- ويليه الإمامان: أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، وأبوزرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي، قال الترمذيُّ «وما كان فيه- أي: جامعه- من ذكر العلَل في الأحاديث والرجال والتاريخ؛ فهو ما استَخْرَجتُه من



خريطة توضح موقع مدينة ترمذ اليوم

كتب التاريخ، وأكثرُ ذلك ما ناظرتُ به محمدَ بنَ إسماعيل، ومنه ما ناظرتُ به عبدالله بنَ عبدالرحمن وأبا زرعة، وأكثرُ ذلك عن محمد، وأقلُّ شيء فيه عن عبدالله وأبي زرعة، ولم أرَ أحدًا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلَل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبيرَ أحد أعلمَ من محمد بن إسماعيل» (١٤).

ويُعدُّ الإمام الترمذيُّ تلميذَ الإمام البخاريِّ وإن شاركَه في بعض شيوخه؛ مثل قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر، وابن بشار، وغيرهم (١٥)، وقد تأثر بالبخاريِّ في الحديث روايةً ودرايةً، وتأثُّره به من الناحية الفقهية واضحٌ في تراجم أبواب جامعه، التي صاغَها بناءً على استنباطاته أو علَى ترجيحاته الفقهيَّة، تمامًا كصنيع البخاريِّ في صحيحه، وإن كان شيخُه البخاري أغوصَ منه وأعمق استنباطًا، والذي اشتُهرَ به.

وقد ألَّفَ الترمذيُّ كتبًا كثيرةً في الحديث، أشهرُها جامعُه المعروفُ بجامع الترمذي، الذي هو أحدُ الكتب الستة، ويتميَّزُ باهتمامه بالجانب الفقهيِّ وذكر أقوال أئمة أهل الحديث الفقهاء حول المسائل التي يبوِّب لها ويوردُ الأحاديثَ تحتها.

قال ابنُ الأثير في بيان مزايا هذا الكتاب «كتابُ الترمذيِّ أحسنُ الكتب وأكثرُها فائدةً وأحسنُها ترتيبًا، وأقلُّها تكرارًا، وفيه ما ليس في غيره، من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال، وتبيين أنواع الحديث، من الصحيح والحسن والغريب... وفيه جرحٌ وتعديلٌ، وفي آخره كتابُ العلل، وقد جمعَ فيه فوائدَ حسنة» (١٦).

أثنى على الإمام الترمذيِّ أئمةٌ كثيرون، من ذلك (١٧) ما قاله أبوسعيد الإدريسي «محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ الضرير أحدُ الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث، صنَّفَ كتابَ الجامع، والتواريخ، والعلل، تصنيفَ رجل عالم متقن، كان يُضربُ به المثلُ في الحفظ».

وقال الحافظُ عمرُ بنُ علّك «ماتَ محمدُ بنُ إسماعيل البخاريُّ ولم يُخَلِّف بخراسان مثلَ أبي عيسى في العلم والورع، بكى حتى عمي».

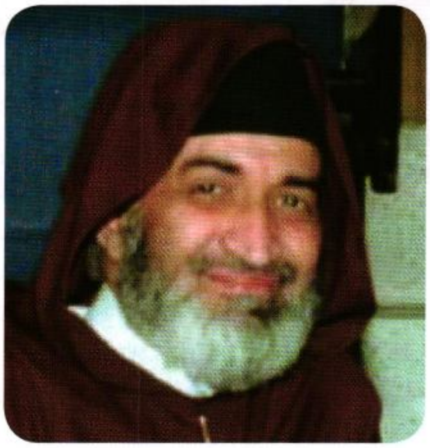
توفي الإمامُ الترمذيُّ ليلة الاثنين في الثالث عشر من رجب، سنة تسع وسبعين، بقرية «بُوغ»، وهي من قرى «ترمذ» على ستة فراسخ منها.

الهوامش

١- «سير أعلام النبلاء» (٣١/ ٢٧٣ -٢٧٤)
٢- «الأنساب» للسمعاني (٤٥٩/١).
٣- «القهندُز» لفظةٌ فارسيةٌ تعني القلعة العتيقة، وأصبحت علَمًا على قلاع المدن.
٤- «أحسن التقاسيم» للمقدسي (ص/٢٩١).
٥- الفُرْضةُ من النهر: ثُلمةٌ يُستقى منها، ومن البحر: محَط السُّفُن.
٦- «صورة الأرض» لابن حوقل (ص/٤٧٦).
٧- «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٤٤٠-٤٤١)
٨- قال الزبيدي في «تاج العروس»: «الطُّفْلُ بالفتح: الطِّينُ الأصْفَرُ المعروفُ بمصْرَ وتُصْبَغُ بها الثِّيابُ».
٩- انظر: «دائرة المعارف الإسلامية»، مادة «ترمذ».
١٠ - انظر: «المسالك والممالك» لابن خرّداذبه (ص/٣٩).
١١- انظر: «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» للدكتور محمد علي البار (٥٢٥/٢-٥٢٦).
١٢- هذا النهرُ هو الفاصلُ بين أفغانستان وجمهوريات ثلاث من الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وهي من الشرق إلى الغرب: طاجكستان، أوزبكستان، تركمانستان.
١٣- البداية والنهاية (٧٧/١١).
١٤- كتاب العلل للترمذي الملحق بآخر جامعه (٢٢٩/٦)- ط: د.بشار عواد
١٥- انظر: الأنساب للسمعاني (٤٥٩/١-٤٦٠).
١٦-جامع الأصول (١٩٣/١).
١٧- انظر: طبقات الحفاظ (٥٤/١)، التقييد لابن نقطة (٩٤/١)، تهذيب التهذيب (٣٨٩/٩).

المجدد الراحل فريد الأنصاري

أحمد عبدالجواد زايدة



كانت عناوين مقالاته المنشورة بمجلة حراء كفيلةً بلفت الانتباه وإثارة الشوق إلى قراءة ما يكتب- بل متابعته- وانتظاره بتلهف.

فالرجل أسلوبه أدبي بليغ، وأنفاس كتابته أنفاس قرآنية عميقة في الوجدان.. مؤثرة في الجنان، تأخذ بلباب القلب، ولها وقع عظيم في نفس القارئ.

لو أردت أن أصف العالمَ الجليلَ والداعيةَ القُرآني الأستاذَ الدكتور فريد الأنصاري- رحمه الله- لَقُلت إنه «أصولي التفكير، رباني الروح، مقاصدي الرؤية، قرآني النظرة، بلاغي الأسلوب، جمالي التذوق، موسوعي البحث».

أنت بحق أمام أنموذج فريد من أهل «العالمية» المتحلين بصفاتها وخصالها، كما كتب هوَ -رحمه اللهَ- عن «صفات العالمِية .. من الكتاب إلى الربانية».

تتمركز رؤية الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري- رحِمه الله- في أن واقع أزمة الأُمة اليوم لم يعد نتاج فساد سياسي، وكذلك العمل من أجل حل هذه الأزمة لم يعد الأولوية للعمل السياسي والتدافع الحزبي.

تشخيص للأزمة

الدكتور الأنصاري - رحمه الله- يرى أن طبيعة التدافع الحضاري بين الأمة وخصومها قد دخلت مرحلة أخرى من تاريخها، مرحلة ذات اختلاف كمي ونوعي، حيث صار الرهان الغربي اليوم قائما على تدمير الفطرة الإنسانية في الأمة، بما يجعلها قابلة للابتلاع العولمي الجديد! في دينها وأخلاقها وقيمها الحضارية، وفي سياستها واقتصادها وعمرانها وسائر أنماط عيشها على الإجمال، إلا أن الخطر الجديد مع ذلك من الناحية الحضارية أشد، لأنه يستهدف الوجود الشخصاني للأمة، ويحاول اجتثاثه من أصله! بوسائل أكثر تدميرا وأشد تغييرا، ربما كان الأسلوب العسكري أقل قوة وأهون تأثيرا منها، وكذلك يرى أن مدار المعركة، والتحدي قائمان اليوم على تحرير الإنسان المُسلم- فردًا وأُمة- من أغلال الاسترقاق العولمي، عقيدةً وثقافةً واجتماعًا واقتصادًا.

لقد فقد المُسلم اليوم كثيرًا من خصائصه الفطرية- بما فيها أنه عبد خالص لله- وكاد يصير جزءًا من منظومة الآخر الحضارية، لكن على شكل ذرة تافهة تدور على الهامش خادمًا غير مخدوم، ومستهلكا غير منتج! ومفعولًا به غير فاعل... (الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام).

منهج الحل (الدواء)

ويرى أن الحل إنما هو في استعادة الفطرية بما هي منهاج في العمل الدعوي، قائم أساسًا على أصول الفطرة، كما هي معروضة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبما هي محاولة لاستعادة دور الوحي التربوي والاجتماعي في النفس وفي المجتمع، الوحي الذي قام منهاجه الشمولي على هدف أساس، ألا وهو تخريج نموذَج «عبدالله» الذي هو مناط كل شيء في الدين والدعوة على ما يقتضيه «مقام العبدية» الخالصة لله، من توحيد لرب العالمين في الاعتقاد والثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وفي سائر مجالات العمران البشري.

ورؤيته- رحمه الله- قائمة على ثلاث مراحل، يتمثل فيها منهجه الذي يراه للخروج من هذا الكهف المظلم وتحطيم هذه الصخرة العاتية التي تسد فتحته.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة «عمران السلطان»، فهو البناء الكفيل بإخراج الإنسان القرآني، المشار إليه في قوله جل وعلا: ﴿إنما يعمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ (التوبة: ١٨).

وليس المقصود بالسلطان عنصره البشري، ومرجعه الإنساني، كلا! فذلك هو المعنى الأول وقد سبق، وإنما المقصود به طبيعته العمرانية، وعمقه النظامي، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج:٤١)، وليس هذا إلا نتيجة للأول ومَن عَكَسهما فقد قلب المنهج.

والذي يجمع الأول والثاني، ليتم كمال العمران، هو «عمران الاستخلاف» الذي يشمل كل النشاط البشري، ويستوعب كل أبعاده الكونية، وهو المعبر عنه في القُرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿هو أنشأكم

* باحث شرعي

مـن الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريبٌ مُجيبٌ﴾ (هود:٦١)، وقـولـه عـزوجـل: ﴿وإذ قـال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ (البقرة:٣٠)، وقوله سبحانه: ﴿يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (ص:٢٦)، فقوله تعالى: ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ (ص:٢٦) هـو جـزء مـن كل خلافته، وليس هو إياها. (بلاغ الـرسـالـة القُـرآنـيـة مـن أجل إبصار لآيات الطريق).

الفطرية بعثة التجديد المقبلة

وفي إطار البحث عن الدواء لما حل بنا من داء أخرج- رحمه الله- كتابه قبل وفاته بعامين، بعد أن أخـرج مـشـروعـه «من القُرآن إلى العمران»، مُستلهمًا فيه روح التجربة «النورسية» بتركيا، مُقدمًا شبه مشروع تـطـبـيـقـي، إذ إنـه يـرى أنَّ المنهجية التي انطلقت من خلالها الحركة الإسلامية عقب سقوط الخلافة كانت لها ظروفها وسياقاتها الإقليمية والدولية، وكانت ظروف نشأتها مختلفة تمامًا، وكانت أهدافها ومقاصدها مرتبطة بشكل أو بآخر ببيئتها وظروف زمانها، حيث إنـه فـي الـوقـت الـذي كتب فيه الإمام البنا رسائله فـي عـام ١٩٢٨ كـان الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي فـي تـركـيـا عـاصـمـة الخـلافـة الإسلامية هو الآخر بدأ في كتابة رسائل النور، وكل منهما لـه منهجيته التي أثر الـواقـع وظروفه وملابساته في تشكيل إفرازاتها ونتائجها.

وهــو يــرى أن الحــركــة الإســلامــيــة تحـتـاج إلـى بعثة جديدة وتغيير في منهجيتها الـتـي تنتهجها، لأن المعركة الحضارية أصبحت مختلفة تمامًا بكل أبعادها، ولـم تعد سياسية على الإطـلاق، فهو كما يرى أن الحرب الحضارية اليوم عالمية بكل ما للكلمة من معنى، وقطار التاريخ ينطلق بقوة نحو المستقبل، والعولمة فـي نـهـايـة المطاف حصان، والحصان لمن يركبه، وإننا على يقين من أن الدعوة الإسلامية اليوم إذا دخلت هـذه المعركة بشروطها الإيمانية، وبتميزها الحضاري، وهويتها الإسلامية الـصـافـيـة، فـإنـهـا بـإذن الله تنتج عولمتها الإيمانية عمرانًا حضاريًا جديدًا، وأمنًا وسلامًا لـلـعـالمـين، كـل الـعـالمـين، وإن الفرس التي تقاتل اليوم في صف العدو يمكن أن تقاتل هي نفسها غدًا في صف الإيمان، وإنما القضية هي الفارس من هـو؟ ومـا طبيعة الـروح التي تسكنه؟... والـنـاظـر فـي قوى الـعـمـران الـبـشـري المتحكمة في نسيجه الاجتماعي العام يجد أنـهـا تـرجـع إلـى أربـعـة أسـس هـي التعليم والإعـلام والاقـتـصـاد والـسـيـاسـة، غير أنها ليست جميعها على تساوٍ فيما بينها، بل تتميز الأسسُ الثلاثة الأوَلُ (التعليم والإعلام والاقتصاد) بكونها عملًا بنيويًا تحتيًا على المستوى القاعدي، بينما يتميز الأساس السياسي بكونه عملًا فوقيًا، وبينه وبين الثلاثة المذكورة علاقة جدلية قوية جدًا، أخذًا وعطاءً، ومن هنا كانت الأولوية الدعوية في المنهاج الفطري- باعتباره دعـوة إسلامية تحتكم إلى سنة التدرج- إنما هي للعمل البنيوي التحتي، لكن طبعًا دون إغفال العمل الفوقي في علاقته الجدلية بالآخر.

ولـذلـك وجـب أن تـكـون الأُسـس الـثـلاثـة الأول هي المـيـاديـن الـرئـيـسـة للعمل الدعوي في علاقته بالإنسان المتفاعل، إذ من سيطر عليها صنع السياسة، ومن سيطرت عليه صنعته السياسة! فتدخل الدعوة معركة التعليم بما أنه وظيفة نبوية رئيسة، وذلك مـن خـلال الاشـتـغـال بإنسان التعليم أساسًا، من التلميذ إلى المدرس، إلى أولياء التلاميذ وجـمـعـيـاتـهـم، إلـى المؤسـسـة التعليمية برمتها، المكلفة بهذا القطاع الحيوي الخطير، جهويًا ومركزيًا، تدخل ذلك كله داعيةً ومـدافـعـةً ومُـنـافـسـةً، وتشتغل فيه وبه، ممارسةً ومنتجةً، لكن على المستوى القاعدي دائما، وفي ذلك ما فيه من المكاسب الكبرى للإسلام ما لا يدانيه شيء آخر على الإطلاق.

كما تدخل الدعوة معركة الإعلام بما أنه ميدان للبلاغ الـدعـوي ﴿هـذا بـلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب﴾ (إبـراهـيـم:٥٢)، والإعـلام هو ربيب التعليم، إذ هو عمل في الإنسان أيضا، وصناعة لعقله ووجدانه، إصلاحًا أو إفسادًا! وهنا تكمن أهميته وخطورته على المستوى الدعوي، ولذلك فهو مجال وجب أن تدخله الـدعـوة عـلـى الــوزان الأول أيضا، أعني داعيةً ومدافعةً ومنافسةً، وتشتغل فيه وبه، ممارسةً ومُنتجةً.

ثـم تـدخل الـدعـوة معركة الاقـتـصـاد أيـضًـا، داعـيـةً ومدافعةً ومنافسةً، وتشتغل فيه وبه، ممارسة ومنتجة، وتخوض معركته تربيةً للمستهلك أولًا، ثم دعوةً وتكوينًا للمستثمر والمنتج ثانيًا، لإشاعة قيم الإسلام الاستهلاكية والإنتاجية على السواء، في اتجاه أفق السيطرة الدعوية الجزئية أو الكلية على الإنتاج الرئيسي، وعلى السوق، لكن دائمًا على مستوى العمل التربوي الـقـاعـدي، المشتغل بـصـنـاعـة رجـل الاقـتـصـاد المؤمـن، ورجـل المـال المؤمن، ورجل الأعمال المؤمن، أكثر من الاشتغال بسياسة الاقتصاد العامة، فإنما هذا يكون بذاك لا العكس، والرهان اليوم على إصلاح «إنسان المال»، الآخذ والمعطي سـواء استهلاكًا، أو إنتاجًا.

وقـد زاره بعض الـكـرام بمشفاه فـي رحـلـة عـلاجـه الأخـيـره بـتـركـيـا فـكـان ما يـردده لهم دائمًا أثناء الزيارة «أبشروا.. أبشروا.. فالخير آت.. الخير آت.. آت» ألا فليرحمك الله أيها الأنصاري الفريد. وأسأل الله أن يبلغك منازل الصديقين وأن يحشرك مـع زمـرة المتقين ممن كان القرآن منهاج حياتهم.

المسلم اليوم فقد كثيراً من خصائصه الفطرية بما فيها أنه عبد خالص لله



عبدالجليل الطبطبائي

(١٧٧٦ - ١٨٥٣م)

عدنان الرومي

ينتمي نسبه إلى الدوحة النبوية الهاشمية، فهو السيد عبدالجليل بن السيد ياسين البصري بن السيد إبراهيم بن السيد طه بن السيد خليل بن السيد محمد صفي الدين، يتصل نسبه إلى السيد إبراهيم الملقب طباطبا بن السيد اسماعيل الملقب بالديباج بن السيد إبراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد تغنى أحد الشعراء بهذا النسب وافتخر به في شعره.

إنــي لمــن معـشـر غــر غـطـارفـة
مـن كل ثقف جـواد بـالكمال ملى
إذا ازدرانــي جـهـول لا أرى عجبًا
إذ غربـة الـدار تـذوي زهـرة الرجل

وقوله:

كأني لم أرث يومًا فصاحة أحمد
وليس الذكا لي من لؤي بن غالب

مولده ونشأته

ولـد الشيـخ الطبطبائي فـي البصـرة سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م)، وعلى هذا أجمعت المصادر التي بين أيدينا، سوى كاتب مقدمة ديوانه الذي طبع على نفقة حاكم قطر، حيث اعتبره قطريا (مولود في قرية الزبارة) في قطر، كما اعتبر الشيخ شاعرًا من شعراء بادية قطر التي عاش فيها ردحا من الزمن، وتزوج فيها زوجة أحبها وأحبته- على حد تعبيره- ثم نـزح من الـزبـارة بعد الاعتداء عليها عن طريق البحر.

وهـذ خطأ واضـح، فالشيـخ نشأ في البصرة فترة ريعان الشباب، وتربى على يدي والده إبان طفولته المبكرة، وكان والده عالما جليلًا ومحدثًا وأحد فقهاء عصره.

في عام ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م ارتحل بأهله منها إلى البحرين مع من ارتحل من أعيانها بعد ما أمست معالمها خرابًا وأطلالا.

انتقاله إلى الكويت

وفـي عـام ١٢٥٨ هـ -١٨٤٢م انتقل من البحرين إلى الكويت حينما دب الشقاق بين أمـراء البحرين، فسكن الكويت واستقر بها سنة، وفـي الكويت وجد مأمنه، وكشف عن ذلك برسالة بعث بها إلـى أحمد السديري أمير الإحساء، وقد جاء فيها قوله «فاني - أحمد الله- بخير، وقد ألقيت عصا الترحال، وذلـك بعدما أوقـع الله بـين أمـراء البحرين وصـاروا في صفين، اخترت النقلة، ثم أني أتخذت الكويت دار إقامة، وقد قابلني واليها بأتم وقار وعاملني بالكرامة وحسن الجوار».

مصادر علمه الشرعي

أخذ مبادئ العلوم الشرعية الأولى على يدي والده، وكان عالمًا جليلًا ومتحدثًا فاضلًا، وأحد فقهاء عصره، كما كان شاعـرًا، وله ديوان شعر، وقد رأيت ديوان السيد ياسين وفيه من المباحث العلمية والأدبيات ما يدل على فضله، رحمه الله تعالى»، ولعل والده أثر في نهجه الأدبي، وصقل مواهبه الأدبية بما أطلعه عليه منذ ريعان شبابه من كنوز الأدب العربي في عصور ازدهاره.

وفـي هـذه الفترة نـرى أن الشيخ أخذ حظه من العلم الشرعي عن طريق «التعليم المنزلي»، وهذا النمط من التعليم كان منتشرًا في ذلك الزمان عند طبقة الأغنياء والعلماء والوجهاء، ويتلخص هذا النمط من التعليم في أن يحضر الوالد لولده معلما يحفظه كتاب الله ومبادئ القراءة والكتابة، بالإضافة إلى مبادئ العلوم الشرعية، وعلوم اللغة التي يحتاج إليها الطالب في طفولته ونشأته، وقد مر الشيخ - كما مر والده- بهذا النمط من التعليم الـذي تمليه عليه منزلة والـده التجارية ووضع الأسرة الاجتماعي.

شيوخه

يـذكـر الـشـيـخ عـبـدالـلـه الـنـوري أن الطبطبائي تلقي الفقه ومبادئ النحو على كثير من علماء المسلمين في البصرة، ولم يحدد أو يذكر واحدًا من هؤلاء العلماء، كما أن المصادر التي بين أيدينا لم تذكر أحدًا من العلماء سوى ابن فيروز، وابـن فيروز- الذي أخذ عنه العلم إجازة - هو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن فيروز (ت ١٢١٦هـ - ١٨٠١م) ويعتبر هذا الشيخ من كبار علماء عصره.

إنتاجه الشعري

عاش شاعرنا في أواخر عصور التخلف والانحطاط بالنسبة للغة العربية، حيث تقيد أدباء هذا العصر بالمبنى وإن أضاعوا المعنى، وبالغوا في الإطراء والمديح بكلام إذ قارنته بالواقع وجدته غير صحيح، وبقي الأدب العربي يرسف في أغلال من الجمود والتخلف لا حياة فيه ولا إشعاع، لذلك جاء شعر الطبطبائي موسومًا بهدا الختم، منسوجا على هذا المنوال، ولقد أثرت ثقافته الدينية الواسعة في انتاجه الشعري، حيث جعلته ينحو في أشعاره ناحية تعليمية، إذ نظم كثيرًا من القصائد فـي أمـور الدين، وتفسير القرآن ونصيحة أبنائه.

خصائص شعره

١- كثـرت فـي شـعـره قـصـائـد النصح

* باحث في التراث الكويتي



والإرشاد، وآداب السلوك، وتسجيل المعارف العامة، وهي لا تقل ضعفًا وتقليدًا عن قصائده في المديح، وهي قصائد يحكمها الوعظ والإرشاد وتعريف الناس بأمور دينهم، ولعله كان مضطرًا إلى الإكثار من هذا النوع من الشعر، بسبب طبيعة العصرالذي كان يعيش فيه، وحاجة من كان يعيش بينهم الى مثل هذه المنظومات التعليمية، وفي هدي القصائد التي وردت في ديوانه يمكننا أن نضع انتاجه من الشعر التعليمي في قسمين، الأول أشعار دينية، والثاني أشعار الآداب العامة.

٢- كثرة التشطيرات التي وردت في ديوانه، وكان مولعًا بتشطير أبيات ومقطوعات من الشعر القديم، وتبدت في شعره ثقافة شعرية ولغوية تعود إلى شعر العصر الجاهلي والأموي والعباسي، إذ لا تكاد تقف عند شاعر معين، فتنوعت أسماء الذين ورد ذكرهم في ديوانه، وقد شطر لأبي نواس، وجرير، والإمام الشافعي، وأمية بن ابي الصلت، والشريف الرضي، ويزيد بن معاوية، والمتنبي.

٣- يلاحظ في شعره محاولته التشبه بالمتنبي روحًا وشعرًا، ومجاراته في خطى حياته وشاعريته، فنشر الحكمة في معظم القصائد، فعلى الرغم من الركاكة الظاهرة في أشعاره فإننا نلمس روح تأثره بالمتنبي، وشدة حرصه على تتبع خطاه، فإذا ما ذكر المتنبي المجد والمعالي وتغزل بهما في شعره وشدد عليهما نرى عبدالجليل يحاول مجاراته كما في قوله:

وليس يبلغ المجد غير فتى
يرى اكتساب المعالي خير متجر
إن الكريم يرى حمل المشقة في
نيل العلى من لذيذ العيش فاصطبر
فالصبر عون الفتى فيما تجشمه
إن السيادة نهج ظاهر الوعر

طبع ديوانه

أول طبعة لهذا الديوان كانت سنة ١٣١٥هـ في بومبي على نفقة حفيده السيد مساعد بن السيد أحمد بن السيد عبدالجليل، وطبع ثانية في مصر، وكانت الطبعتان كثيرتي الأخطاء، خاليتين من علامات الترقيم، مما يصعب معه على القارئ فصل جملة عن أخرى، ثم طبع على نفقة الشيخ عيسى بن سليمان الخليفة سنة ١٣٨٤هـ، كما طبع على نفقة الشيخ علي بن ثاني سنة ١٩٦٤م..

شخصيته وأخلاقه

لقد أثرت نشأته في أسرة كريمة يحافظ أبناؤها على الأخلاق الإسلامية وثقافته الدينية الواسعة، في سلوكه وأخلاقه، ونراه بدافع من هذه الأخلاق ينأى بنفسه عن الدخول في المشكلات والخصومات السياسية التي كانت كثيرة الحدوث.

وبوحي من هذه الأخلاق نراه تاجرًا نزيهًا متين الدين في تجارته يتحرى الحلال في بيعه وشرائه ويستنكر مدنسات البيع والشراء كالربا ومثله، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، فإنه يشمئز حتى من الربح الفاحش في البيع والشراء، وقد حدثنا ثقة عن صديق له يقول: إنه بشر مرة وهو يتوضأ للصلاة بأن بضاعته قد كسبت مائة في مائة فاستعبر باكيًا، فقيل له: لماذا تبكي؟ إن هذا مما يسر ويفرح، فقال: إني أعرف ذلك، إلا أنه ينذر من جهة أخرى برد الفعل، فإن البيع إذا بلغ هذا المبلغ وصار على هذا النمط لا يفرح بأرباحه، وقد يأتي على ما جمعه المرء بطريقة معقولة مقبولة، وصدق حدسه فقد ذهبت ثروته بعد ذلك، غير أنها عوضت بحب الناس وإجلالهم له، لعلمه وتقاه وجوده وسمو نفسه، فعاش بقية عمره من وارد نخله بالبصرة.

ومن أخلاقه الكريمة رفضه إصلاح قصيدة أحد الشعراء على الميزان العربي الشعري حينما طلب منه القائد السعودي سليمان بن سيف بن طوق، لأن في هذه القصيدة هجاء المسلمين من أصحابه وغيرهم، خوفا من مشاركة قائلها في سوء صنيعه.

ومن مميزات شخصيته أنه كان محبوبًا لدى الناس، فكل من عرف الشيخ أحبه، وقد اتصل بآل خليفة، فكانت له عندهم المنزلة الرفيعة.

أثره في الكويت

وفي عام ١٢٥٨هـ -١٨٤٢م طاب له المقام في الكويت بعد أن بلغ نحو السبعين من عمره، ووصل إلى مرحلة الشيخوخة والهرم، وجفت ينابيع العطاء عنده، وأحس بالحاجة إلى الاستقرار والراحة، فما وجد غير الكويت.

وقد كان للشاعر تأثير في الكويت من الناحية الشرعية، فقد أثر في شيخ الكويت الشيخ محمد بن فارس الذي أخذ يتردد عليه ويستفيد من علمه وأدبه، وكتب من إملائه قصائد وفوائد.

وفاته

ذكر كاتب مقدمة ديوانه المطبوع على نفقة أحد أمراء البحرين أن الشيخ وافاه الأجل في الكويت سنة ١٢٧١هـ - ١٨٥٢م، بينما ذكر الأستاذ محمد ملا حسين في مجلة البعثة أن وفاته كانت سنة ١٢٧٠هـ. وتبعه على هذا التاريخ محقق ديوانه الذي طبع على نفقة أحد أمراء قطر.

إن كان قالها فقد صدق

عبدالجواد حمام

كلمة سجلها التاريخ شهادة مضيئة، وقلدها الزمن وسامًا مشرفا في صدر رجل الأمة بعد نبيها، وسامًا يتلألأ شعاعه ظاهرًا، ليتصل ببريق الظاهر بصفاء قلب، وعزيمة إيمان، ورسوخ يقين دونه رسوخ الجبال، وتصديق مطلق لا تدانيه حقائق الدنيا بأسرها، ولا يقاربه إيمان بشر سوى الأنبياء.

كلمة قالها الصديق شهادة تصديق ويقين لا يخامره فيها شك، ولا يعرض له فيها وهم ولا تردد، قالها بإيمانه فإذا به يخط لنا منهجًا إيمانيًا عقديًا علميًا في حقيقة الاتباع للنبي ﷺ. نعم، فهذه الجملة- على وجازتها- تلخص لنا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم أمام ما ينقل عن النبي ﷺ.

سارع أهل مكة يبتدرون أبا بكر رضي الله عنه - وكان خارج مكة- يحملون إليه خبر الإسراء والمعراج، ويظنون أن لديهم ما يهز إيمانه، ويزعزع ثقته المطلقة بأعز بشر في نفسه، ففي هذا الخبر من الغرابة والعجب ما فيه، إذ كيف يطير رجل في ليلة أو بعض ليلة إلى بيت المقدس، ثم يعرج منها إلى السماء السابعة في رحلة عجيبة مثيرة، ثم يعود إلى بيته وفراشه ولما يسفر الصبح عن وجهه!

هكذا نظر مشركو مكة بضيق عقولهم، وقصور أبصارهم، وانطماس بصيرتهم، فأمَّلوا أن يثير هذا الخبر في نفس أبي بكر ما أثاره في نفوسهم، فيتوقف أو يتوجس، أو- على الأقل- أن يراجع حساباته، وينظر أين يسير؟ لكنه ما كان كذلك، وأنى لهذه الأوهام أن تصيبه أو تخدش شيئًا من يقينه، وهو صديق الأمة وصديق نبيها؟ بل ما كادت شفاههم وألسنتهم تنبس بآخر حرف مما قالوه ويستقر ذلك الحرف في أذن أبي بكر حتى انطلق لسانه، وكأن الأمر عنده أوضح من أن يتأمل فيه، وأجلى من أن يتمعن به، وكأن كلامهم- لسخافته وخبثه- لم يمر على فكره، بل ما إن اتصل بسمعه حتى ترك لسانه بعفوية وبدهية معلنا تلك الحقيقة الخالدة «إن كان قالها فقد صدق».

إن هذا المنهج الذي أعلنه الصديق رضي الله عنه ينبغي أن يكون دستورًا لكل مؤمن صادق مع ربه، وسبيلًا لكل مسلم أذعن لنبيه ﷺ بالطاعة والتسليم.

هـذا الدستور من بندين مترابطين، أولهما مقدمة للثاني، وثانيهما نتيجة لازمة عن الأول.

بنده الأول: صحة النقل وثبوته (إن كان قالها)

والبند الثاني: وجوب الانقياد والتسليم والإيمان الكامل بكل ما صح عن النبي ﷺ من دون شك أو مراء (فقد صدق).

أما البند الأول من هـذا المنهـج، فهو تحري صدق الناقل وأمانته، والتثبت من صحة الرواية عن النبي ﷺ، فأبوبكر رضي الله عنه - برجاحة عقله ونفاذ بصيرته- لم يسارع إلى تصديق المشركين بما أخبروه، ولم يسلم لهم بما نقلوه، فهم مظنة شك ومحل اتهام، لكنه في الوقت نفسه لم ينف الأمر أو يرده، بل علقه بالثبوت، وربطه بصحة النقل عن المصدر.

وهكذا ينبغي أن يكون موقف كل مسلم ومسلمة تجاه ما يطرق أسماعهم من أخبار وروايات وأحاديث عن النبي ﷺ، بأن يتبينوا ويتثبتوا ويتحروا صحة هذا النقل وثبوته قبل قبوله أو نقله أو الاعتماد عليه.

فكم تنتشر بين المسلمين من أحاديث ضعيفة وموضوعة، وكم يحفظ الناس من قصص وأخبار عن النبي ﷺ وعن صحابته الكرام رضوان الله عليهم ليس لها أصل يثبت، بل هي محض افتراء واختلاق من وضع الرواة أو غيرهم، والأدهى من ذلك والأمر أن تجري هذه الروايات المنحولة والأحاديث الواهية أو المكذوبة على ألسنة بعض الوعاظ والدعاة على المنابر والشاشات، بحسن نية وطيب قصد، لكن من دون أدنى تثبت أو بحث أو تدقيق في صحة ما ينقلونه، حتى صارت بعض تلك الروايات والقصص مسلَّمات عند الناس لا يمترون في صحتها مع أنها ليست من الثبوت في شيء.

وإن السياق القرآني ليرشد إلى ضرورة اتباع منهج التثبت، ويحذر من التسليم والتصديق بكل ما ينقل أو يروى، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ (الحجرات: ٦).

وكذلك حذر رسول الله ﷺ أيما تحذير من التهاون في قبول الأحاديث أو التساهل في نقل كل ما يطرق السمع من أخبار وروايات، فيقول: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» (متفق عليه) وفي رواية عند الترمذي: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

وسبيل التثبت من الأخبار صحة وضعفًا قبولًا وردًا ممكن لكل باحث عن الحق، ومنقب عن الصواب، فقد خدم علماؤنا ومحدثونا هـذا الجانب أعظم خدمة، ووضعوا لنا أسسًا وقواعد وضوابط نستبين بها الثابت من الزيف، والحق من الباطل، وليس ثمة أمة من الأمم نقّحت تراثها، ونقدت مخزونها الثقافي والفكري، وشرحت النقول والآراء العلمية بمبضع العلم إلا هذه الأمة، ويكفيها ذلك فخرًا، وهذا ما شهد به كل منصف من أهل الشرق والغرب.

هذا الشق الأول من المنهج «الصِّديقي»، وأما الشق الثاني أو البند الثاني من هذا الدستور فهو موقف التسليم والانقياد لكل ما ثبت عن النبي ﷺ.

وهل يكون للمسلم غير ذلك؟

وهل يتصور من مسلم نطق بالشهادتين

• كاتب سوري

صدقًا من قلبه أن تخالجه شكوك أو ريبة في صدق رسول الله ﷺ وصدق ما يخبر به؟

إنه بذلك ليضع إيمانه على المحك، ولا أظن مسلمًا يجرؤ على القول بذلك.

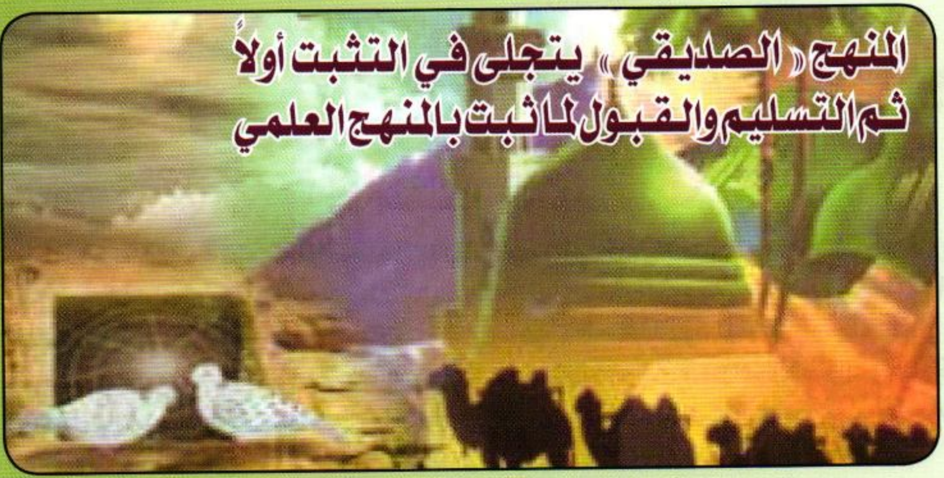
ولكن المشكلة تظهر عند كثير من المشككين حين يدعون أنهم لا يعارضون النبي ﷺ بذاته، ولا يرفضون أحاديثه لذاتها، وإنما يرفضون ما لا يتفق مع عقولهم وعاداتهم وتقاليدهم وأهوائهم- المعاصرة- من الأحاديث والأخبار ولو كان أصح الصحيح، ولو صححها المحدثون والنقاد، وتناقلوها كابرًا عن كابر حقائق ثابتة عن النبي ﷺ بحجة أنها تنافي العقل أو الذوق أو المنطق، ولا يملك هؤلاء من حجة لرد ما لم يتفق مع عقولهم وأهوائهم إلا أن يقولوا: إن هذا من «نقد المتن»، الذي لم يعرفه العلماء السابقون، ولم يتنبه إليه إلا فطاحل هذا العصر، ونوابغه الأفذاذ!

أقول: إن مثل هذا القول لينم عن جهل مركب في عقل صاحبه، فإن أبسط بدهيات المنطق والعلم أن من أراد التكلم في موضوع عليه أن يلم بقواعده الأساسية وضوابطه الرئيسية.

ومن يدعي هذه الدعوى غافل عن أساسيات هذا الشأن، إنه غافل عن الشق الأول من المنهج الصديقي وهو أنه لا تقبل رواية إلا بعد ثبوتها والوثوق بصحتها، وأن تصحيح الأحاديث الذي كان من قبل المحدثين ليس أمرًا ساذجًا أو مزاجيًا أو سطحيًا كما يصور هؤلاء أو يتخيلون، إنه منهج رصين دقيق، يغوص في أعماق الروايات والأسانيد، ويحلل الخبر سندًا ومتنًا ليكشف أي خلل بل أي احتمال للخلل فيهما.

وإلا فما معنى العلة في الحديث؟ وما معنى الشذوذ في الحديث؟ وما معنى الحديث المنكر؟

وإننا لنجد اليوم الدعوات الكثيرة في الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، وفي المحاضرات والندوات والمؤتمرات، دعوات كثيرة إلى إعادة دراسة ميراث السنة النبوية من خلال نقد المتن، وعرضه على العقل والمنطق، وأن يعاد النظر في كل جهود المحدثين والحفاظ الذين أفنوا أعمارهم في سبيل ضبط الأسانيد، وإتقان المتون.



وأقول: إن هذه دعوات مغلوطة من الأساس، ولا مكان لها في النظر العلمي المنهجي، إذ ما الذي يقصد بنقد المتن؟

أهو نقد كلام رسول الله ﷺ- من حيث هو- لننظر أأصاب أم أخطأ؟ وهل كلامه بحد ذاته يوافق المنطق والعقل أم لا؟

حاشا لله أن يقول هذا مسلم.

إذن فما هو نقد المتن؟

سيتبادر الجواب من أولئك، إنه إعادة دراسة للأحاديث التي صحت لكن في متنها اشكالات لا توافق عقلنا وتفكيرنا.

وهنا يأتي السؤال، إذن فهي دعوة إلى دراسة هذه الأحاديث لكشف علل متونها.

ولكن هل هذا نقد للمتن أم للسند؟ وهل هذا شيء جديد لم يعرفه المحدثون؟

إن المسلم عندما يجد مشكلة في لفظ حديث أو متنه فإنه لا يمكن أن يظن أن مصدر ذلك رسول الله ﷺ، بل سيفتش – ولاشك- عن موطن الخلل والخطأ الذي كان من أحد الرواة في متن الحديث، وبالتالي فهو يتجه للبحث في سند الحديث ورواته ليجد سبب الإشكال الذي رآه.

وهذا يعود بنا إلى منهج المحدثين ذاته الذي لخصوه لنا في تعريفهم للحديث الصحيح: «ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة».

ويبحث المحدثون في الشذوذ والعلة كل مشاكل الأسانيد والمتون، ويردون من الأحاديث ما يرون في متنه خطأ أو وهمًا وقع من أحد الرواة، فكل أخطاء المتون وإشكالاتها تندرج في الشذوذ والعلة، وتعود بالنهاية لتكون خطأ من أحد الرواة في لفظ الحديث، ومن ثم فهو نقد للسند ورجاله، وبيان أخطائهم، لا لمتن الحديث ذاته.

إذن فالبحث عن أخطاء الرواة التي تقع في المتون إن كان هذا هو «نقد المتن» فقد قام به العلماء، واشتغل به المحدثون قديمًا، ومحصوه أيما تمحيص، وأشبعوه دراسة، وألفوا في ذلك موسوعات علمية ضخمة، تسمى بـ«مشكل الحديث»، و«متشابه الحديث»، وكتب «العلل»، وساقوا آلاف الروايات والأسانيد والألفاظ، وبينوا تلف التالف منها، وقوة القوي منها، وأخطاء الرواة في الأسانيد والمتون، لكن كل ذلك دون أن يسمى هذا بـ «نقد المتن»، بل هو نقد الحديث جملة، سندًا ومتنًا.

وليس تقسيمهم لعلل الحديث إلى «علل المتن» و«علل الإسناد» إلا من باب القسمة الاصطلاحية، أو الإشارة إلى مكان وقوع الخطأ، أما على الحقيقة فكل أخطاء الحديث سواء في متنه أو في إسناده راجعة إلى رواة الحديث ورجاله، أي إلى سند الحديث.

فليس وراء دعوة نقد المتن على الحقيقة من جديد، ولا تحمل في طياتها إلا الادعاء من غير دليل ولا رصيد حقيقي.

ولنعد أخيرًا إلى المنهج الصديقي ليكون تلخيصًا وإيجازا لكل ما تقدم، ذلك المنهج الذي تجلى في:

التثبت أولا، ثم التسليم والقبول لما ثبت بالمنهج العلمي ثانيًا.

وليس وراء ذلك إلا شبهة من مغرض، أو مراء من مجادل.

الإسلام والتربية البيئية

د. بركات محمد مراد

التربية عملية تنمية الاتجاهات والمفاهيم والمهارات والقدرات عند الأفراد في اتجاه معين، لتحقيق أهداف محددة، ومن تلك الأهداف التي تعمل التربية على تحقيقها، مهارات القراءة والكتابة، تنمية المعلومات والتفكير والاتجاهات العلمية، وتفهم ما يوجد حول الإنسان من ظواهر وعلاقات طبيعية، وغير ذلك، إلى جانب تنمية قدرات الأفراد ومهاراتهم لإيجاد الحلول لمختلف المشكلات التي يواجهونها، فالتربية تسعى إلى التعرف على حاجات ومشكلات الفرد والمجتمعات وإيجاد الحلول الواقعية لها بمختلف الوسائل.

فالتربية البيئية تتعلق بمعرفة الإنسان وتنمية معلوماته ومهاراته فيما يرتبط بالظواهر البيئية المختلفة والعلاقات المشتركة، والتفاعل بين عناصر البيئة ومقوماتها، بما في ذلك الإنسان نفسه، وكذلك تنمية قدرات الفرد على معالجة الأضرار التي لحقت بالبيئة، إضافة إلى الحفاظ على البيئة وحمايتها، فالتربية البيئية تتناول الجوانب التربوية التي تتعلق ببقاء الإنسان واستمرار رفاهيته ووجوده على هذا الكوكب.

انتقد علماء البيئة الافتراض الأساسي الذي يقوم عليه الفكر السياسي الغربي بشأن «مركزية البشرية» أو التمركز حول الإنسان، بمعنى أن البشر هم مركز الوجود، وهو ما دمر وشوّه العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية، وبدلا من المحافظة على كوكب الأرض واحترامه واحترام الفصائل المختلفة التي تعيش على سطحه سعى الإنسان- كما وصفه جون لوك - ليصبح «سيدا للطبيعة ومالكها»، وساعدت الفردية الليبرالية على انطلاق مشروع التراكم الرأسمالي التحديثي بمقاييسه الاقتصادية النقدية بعيدا عن التكلفة الإنسانية والطبيعية، معطيا الإنسان الضوء الأخضر للسيطرة على الطبيعة.

وقد تعرضت البيئة في السنوات الأخيرة لإفساد كبير من قبل الإنسان.. غابات كاملة دمرت، وأجناس من الطير والحيوان أبيدت عن بكرة أبيها، وأنهار ماتت ولم تعد مياهها صالحة للشرب، وأرض كانت تخرج رزقها رغدا فاجتثت وأصبحت لا تنبت إلا نكدا، وهواء ما عاد عليلا، بل مصدرا لكثير من العلل والأمراض، وهذا الذي حدث في البيئة نجم عن جهل الإنسان المعاصر بأبعاد استخلافه في الأرض، وتجاهله لما يعنيه التسخير الذي تشير إليه الآية الكريمة، فالتسخير لا يعني التدمير، وتفضيل الإنسان على ما خلقه الله من أحياء لا يكون مبررا لطغيان الإنسان وسعيه في الأرض بالفساد وإهلاك الحرث والنسل.

ومن بين المقاصد الكلية الضرورية التي دل الشرع الإسلامي على حفظها واعتبارها، «مقصد المحافظة على الكون» بمفهومه الواسع الذي يشتمل على كل ما سخره الله لخلقه من بحار، وأرض، وجبال، ومعادن، وطبيعة. فما يحصل اليوم في حياة الناس من جراء التفاعل غير الصحيح مع الكون، وما تعانيه البشرية من تلوثات ومجاعات، وتهديد بنفاد بعض المسخرات الإلهية، إنما يعبر عن جهل الناس لمقاصد الشارع الحكيم، كما وضحتها الديانات السماوية عامة والدين الإسلامي على وجه الخصوص، والتي دلت على حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، كما دلت على حفظ الكون، فهذه الأخيرة تؤدي غرضين في موضوع الاستخلاف، التسخير المادي وما يشتمل عليه من خيرات هي قوام العمران البشري، والبناء الحضاري في جانبه المدني والمعاشي.

ولو أخذنا معالم نظرية البيئة لوجدنا الفقه الإسلامي القديم والحديث قد تعرض لمكوناتها، ولكن في المواضع التي ترتبط بها في مجال العقيدة أو العبادة أو التشريع القانوني بأقسامه، أي في مكانها من خريطة العقل المسلم في تكييفه لها، فالرؤية الكلية تدخل في المكونات الإبستمولوجية للنظرية البيئية، وتدخل في المقابل في العقيدة الإسلامية التي ترى الإنسان سيدا في الكون- لا سيدا للكون، ومستخلفا من الله على الكون بكائناته ومخلوقاته، فلا هي مركزية بشرية يستنزف فيها الإنسان الطبيعة، ولا هي مركزية للطبيعة تساوي بين الإنسان والمادة، والإنسان والحيوان، وتتجاهل خالق الكون ورسالة البشر وأمانتهم ومسؤوليتهم.

والاستدامة تدخل في نظرية المقاصد في العدل كمقصد حفظ المال، ومراتب هذا الحفظ من حفظ بقاء، لحفظ أداء، لحفظ نماء. والقيم الأخلاقية لا تقتصر على المسؤولية تجاه الأجيال بل المسؤولية أمام الله.

ويحكم الإنسان في كل موقف ميزان الضرر والنفع، في الحال والمآل، والأمة توفر لسياسات البيئة التمويل عبر الأوقاف، وتضمن الالتزام بالقواعد والنظم بالقانون، والأهم من ذلك عبر إدماجها في السلوكات والآداب اليومية العبادية والفردية والجماعية.

إن الشعور بالسلام بين المسلم وبين الحياة والأحياء مسألة ذات قيمة شعورية، ذات أثر في حياة الإنسان الواقعية، فهو يستطيع مع هذا الشعور أن يمضي في طريقه مطمئنا، وكلما كشف سنة من سنن الحياة جعلها طريقة للخير، لأن كشفها لم يجئ نتيجة معركة إنما جاء نتيجة صداقة.

العلاقة بين الإنسان المسلم والبيئة

تتميز هذه العلاقة بخصائص وأبعاد أهمها أنها علاقة توازن وألفة وانسجام لصالح الحياة

اكاديمي مصري

والأحياء، بمن فيهم البشر الذين هم قمة الأحياء، وليست أبدا علاقة حرب وقلق وتنافر وعداء وصراع، كما يزعم بعض الماديين الطبيعيين Naturalists الذين يقولون إن العالَم الطبيعي أوجد نفسه دون علة خارجية عنه، ويتعاملون مع بعض الظواهر الكونية على أنها كوارث طبيعية خالية من كل خير، ويعدون كل كشف لقانون من قوانين الكون، وكل تسخير لطاقة من طاقاته، وكل اختراع لتقنية متقدمة جديدة، انتصارا على الطبيعة، أو قهرا لها وهيمنة عليها.

وقد بدأ كثير من علماء الطبيعة الآن يفيقون من هذا الوهم ويدركون ضرورة عودة الوفاق مع الطبيعة، وأهمية انسجام الإنسان مع الكون خاصة بعد كشف كثير من آليات الطبيعة وظواهرها والإدراك لذلك التوازن الدقيق بين قوانينها، وعلى ذلك، كما يقول «هايكل»، فإن الإيكولوجيا (علم تناسق الطبيعة) تستهدف تسليط الأضواء على علاقات متبادلة لم تكن تخطر على بال.

ومن الواضح أن افتقاد البشرية لهذا البعد الإيماني والشعور النفسي القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة (الكون)، كما يعرضها المنهج الإسلامي المتفرد، هو الذي يدلنا على طبيعة الحرب التي شنها الإنسان على نفسه في غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية، فهي حرب ضد الحياة على كوكب الأرض، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذي يسعى جاهدا الآن ليكسبها ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

المحافظة على الكون تدخل في العقيدة الاسلامية التي ترى الإنسان سيداً في الكون لا سيداً له



مبادئ التربية البيئية

- رفع الإدراك والوعي البيئي لدى الأفراد والمجتمعات، وأن يكتسبوا المعرفة والمهارات للمشاركة في تحمل مسؤولياتهم تجاه حماية البيئة بصورة أكثر فعالية.

- من الضروري أن تعمل التربية البيئية على ترسيخ مفهوم العلاقات المتبادلة بين الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية والتنموية، ومع عناصر ومقومات البيئة، هذا إلى جانب الترابط والتكامل بين البيئة والتنمية.

- توفير المعلومات الضرورية وإكساب المهارات اللازمة لتفسير هذه العلاقات المتبادلة بين البيئة والتنمية، وكذلك النظم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من النظم.

- العمل على إيجاد الترابط بين الإجراءات والأساليب التربوية وبين واقع الحياة التي يعيشها الإنسان، والتي تشمل ضمن واقعها المشكلات والقضايا البيئية في المجتمع.

- لابد من اعتبار ان التربية البيئية عملية مستمرة وذلك لتجديد المعلومات والمهارات التي تتطلبها حماية البيئة وعملية التنمية.

- يجب أن تشمل التربية البيئية (أو التثقيف البيئي) جميع الفئات الاجتماعية والعمرية في المجتمع بما في ذلك الجماعات المتخصصة المختلفة، ولزيادة فعالية التربية البيئية يكون من الضروري إدراجها ضمن التشريعات والسياسات والخطط التنموية للدولة.

- ضرورة إدخال المفاهيم البيئية في نسيج المواد الدراسية التخصصية، وكذلك إدخال الاعتبارات البيئية في النسيج التربوي والثقافي في مراحل تدرجه في سلك التعليم العام، وكذلك العمل على تعميق الوعي البيئي عند التلاميذ بحيث يترسخ في تفكيرهم ويتحول إلى عناصر سلوكية تحافظ على البيئة وتراعي العلاقات الوثيقة بين حياة الإنسان وصحة البيئة.

القيمة الجمالية

وهناك بُعد جديد يغيب عن كثير من الباحثين والمهتمين بشؤون البيئة، ولكنه لا يغيب عن الرؤية الإسلامية، ذلك هو البعد الجمالي الذي ينبغي أن نضمنه للتربية البيئية للطفل والشاب المسلم، فعند استقصاء حكمة الخالق في إبداع الكون وتكوينه يجب أن يستشعر الإنسان حقيقة البعد الجمالي في العلاقة بين الإنسان والبيئة، وهو ما يقابل القصد الإلهي في إبداع الكون الجميل الصفات العجيب التلوين والتكوين، يقول الله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ (فاطر: ٢٧- ٢٨).

وهذه الدعوة القرآنية إلى تأمل الجمال الكوني، هي دعوة إلى الارتفاع بعلاقات الإنسان بالكون والبيئة إلى مستويات عليا من السلوك والرؤية الإنسانية النبيلة في مستويات الإصلاح والإعمار، لا تقتصر فقط على الإصلاح المادي، بل تتعداه إلى الجمال المعنوي البادي في الكون، والذي يسعى الإنسان إلى تأمله والمساعدة على الاحتفاظ به وصيانته، وهي دعوة في حقيقتها إلى التفوق في مجال العلوم الكونية المعنية بدراسة ظواهر الكون والحياة للإفادة منها في تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود.

جامع الكُتبية في مراكش

بشرى شاكر

جامع الكتبية في مراكش أروع جامع بناه ملوك الموحدين في المغرب، وهو لجدة أسلوبه، وما فيه من إبداع ودقة، يعادل أكبر الجوامع الأندلسية وأعظمها.

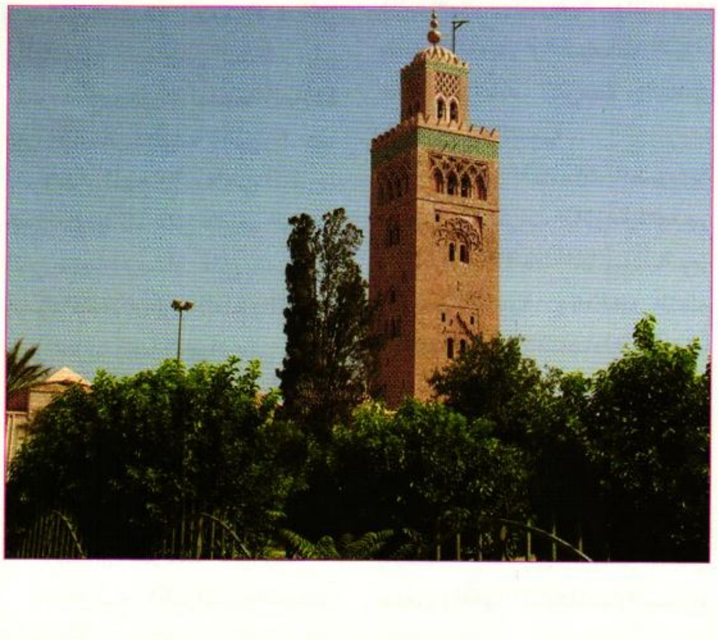
مسجد الكتبية أو جامع الكتبية هو منارة إسلامية شهيرة توجد بمدينة مراكش، أمر بتشييدها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي بعد سقوط الدولة المرابطية (مشيدة مدينة مراكش في الأصل على يد الخليفة يوسف بن تاشفين) وانتقال الحكم للدولة الموحدية، وقد بني المسجد الأول على أنقاض قصر الحجر الذي هو قصر الخليفة المرابطي على بن يوسف سنة ١١٤٧ميلادية وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن بنايات ومعمار هذا القصر الموحدي، كما أمر بهدم الجامع الذي كان أسفل المدينة والذي بناه علي بن يوسف، أما المسجد الثاني فقد تم بناؤه سنة ١١٥٨ميلادية والبنايتان متشابهتان من حيث الحجم إلا أن قاعة الصلاة بالمسجد الثاني مستطيلة الشكل وتضم سبعة عشر رواقا متوجهة نحو القبلة بشكل عمودي تأخذ شكل حرف (T) اللاتيني وتحملها أعمدة وهو نفس تصميم جامع القرويين بفاس وجامع تينمل الذي يقع بقرية تينمل جنوب مدينة مراكش في جبال الأطلس الكبير والتي كانت تعد معقل الحركة الموحدية آنذاك، حيث استقر بها أبوعبدالله محمد بن تومرت (مؤسس الدولة الموحدية)، كما أن هذا النوع من البناء كان معروفا أيضا في بلاد الرافدين، في القرن التاسع الميلادي وكمثال على ذلك مسجد سامراء الذي بالعراق ويبدو أن هذا النوع من التشييد جاء تأثرا بالحضارة الفاطمية حيث عرف الفاطميون بالبلاطات العمودية لحائط القبلة والمضخمة بالقباب في نهاية القرن العاشر الميلادي، وقد صمم رواق القبلة بقببه الخمس لجامع الكتبية بشكل يجعله يلتقي بالرواق المحوري وهذا من خصائص إبداع العمارة الموحدية.

بناه ملوك الموحدين في المغرب ويعادل في إبداعه أكبر الجوامع الأندلسية وأعظمها

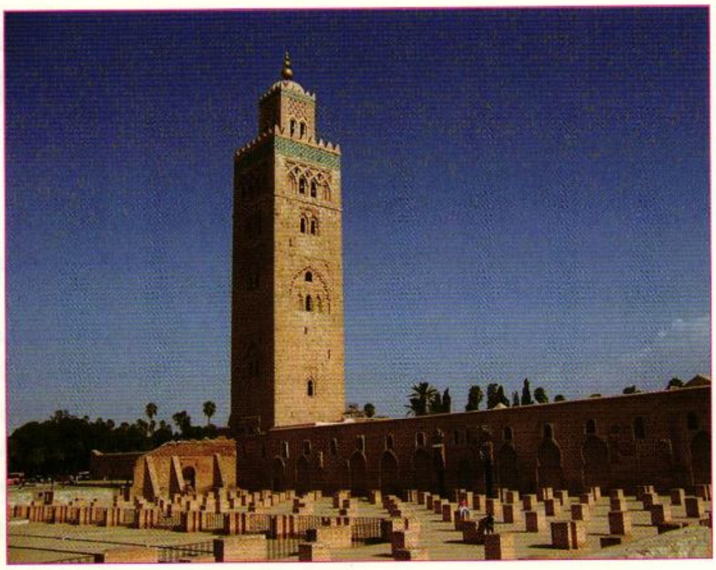
أما صومعة مسجد الكتبية فقد بدأ تشييدها في عهد عبدالمؤمن بن علي، على غرار صومعتي الرباط بالمغرب (مسجد حسان) واشبيلية بالأندلس (مسجد الخيرالدا) و لم يتم إنهاء بنائها إلا في عهد حفيده يعقوب المنصور.

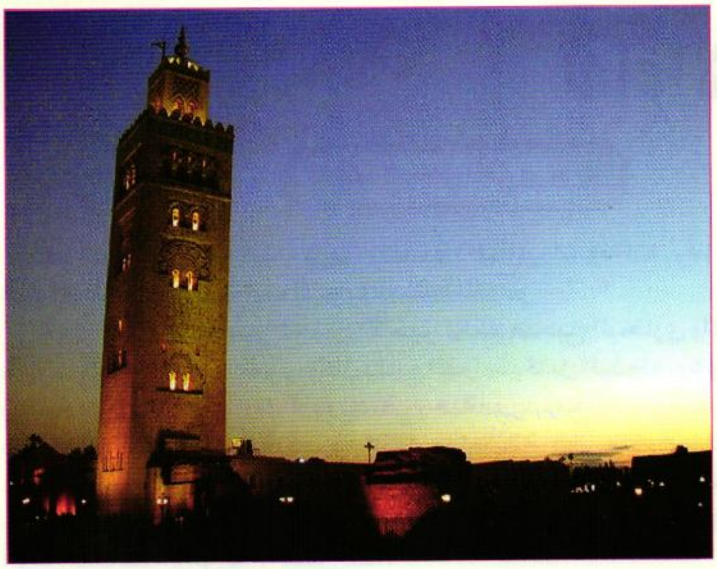
ويعد جامع الكتبية من المعالم الإسلامية المهمة في المغرب ومفخرة لمدينة مراكش الحمراء، فهو يمتد على مساحة ٥٣٠٠ متر مربع وكما سبق وذكرنا يتوفر على ١٧ جناحا وقد زينت قببه بالنقوش زخرفت أجزاء مئذنته العليا بإفريز خزفي طلي بلون الفيروز ، كما يعتبر منبر الكتبية رائعة من روائع





• كاتبة مغربية





فن النجارة الإسلامية فهو مزود بنظام آلي للحركة وقد تم صنعه في قرطبة في بداية القرن الثاني عشر بأمر من السلطان علي بن يوسف بن اتشفين وقد نقل المنبر إلى الكتبية سنة ١١٥٠ميلادية.

ولم يكن للجامع دور ديني فحسب، بل كان مكانا تعلن فيه قرارات السلاطين السياسية وكان مكانا للشورى قبل إعلان أي حدث مهم من قبل سلطان أو أمير.

وقد جاءت تسمية الجامع، بجامع الكتبية نسبة لكلمة «الكتبة» أي الخطاطين والذين عملوا بجوار الجامع، ويقال نسبة لسوق بيع الكتب (الكتبيين) التي كانت على مقربة من المسجد.

وجامع الكتبية قريب جدا من الساحة الشهيرة بمدينة مراكش والتي هي «ساحة الفناء» أو كما تعرف لدى المغاربة باسم «جامع الفناء» ويمكن لزائرها أن يرى الجامع من وسط الساحة كما يمكن رؤية المئذنة الكبيرة

كان ولا يزال يؤدي دوراً دعوياً حيث يأتيه الناس للصلاة والإستماع إلى أئمته المتميزين

على بعد ٨٠ كيلومترا من مدينة مراكش.

وقد سميت ساحة «جامع الفناء»، بهذا الاسم لقربها الكبير من جامع الكتبية ويسميه المغاربة باسم «جامع» لكونه المسجد الذي يجتمع فيه الناس لتأدية صلاة الجمعة على نطاق أوسع وكذلك تراويح رمضان، حيث يحج إليه ما يزيد من عشرين ألف مصل حتى تكاد تغيب عن الأنظار ساحة «جامع الفناء» وذلك بخلاف المساجد الصغيرة الموجودة في كل حي أو بين الوحدات السكنية التي يحرص المصلون، الذين يؤدون بها الصلوات الخمس عادة، على التوجه نحو «الكتبية» لتأدية صلاة الجمعة وتراويح رمضان الكريم، أما تسمية الساحة بالفناء فقد اختلف فيها المؤرخون، فهناك من قال أن اسم الفناء يدل على مكان كانت تقطع فيه رؤوس الخارجين عن القانون، وهناك من قال إنها ترخيم لكلمة «فنار» أي مصباح، ولكن الرأي الأرجح يبعد فكرة العنف الذي كان يمارس على هاته الساحة وأيضا يلغي كونها ترخيما لكلمة فنار، حيث إن النطق السليم لاسم الساحة ليس بفتح الفاء والنون وإنما بكسر الفاء ويكون بمعنى الساحة أو الفضاء المكاني الشاسع، وكما يقول ابن منظور في لسان العرب «الأفنية هي الساحات على أبواب الدور» وقد سميت الساحة بهذا الاسم لتميزها عن باقي الساحات الأخرى المنتشرة بالمدينة، والتي تحمل أيضا أسماء عربية مثل القاعة والرحبة، وذلك لسعة مساحتها، وقد صنفت هاته الساحة كتراث عالمي إنساني من قبل «منظمة اليونسكو»، وشكلت على مر العصور ملتقى للأدباء والشعراء والمؤرخين، وهي تعد تراثا شفويا وفلكلوريا مغربيا وفيها رويت ومازالت أشعار الشيخ الصوفي «أبوزيد سيدي عبدالرحمن المجذوب» ورحلات «ابن بطوطة» وهي مازالت تحافظ على مهنة الراوي أو «الحكواتي» الذي كان الناس يلتفون حوله ليسمعوا الأمثلة العربية ويستقوا الحكم التاريخية، وللساحة أيضا نشاط تجاري مهم، حيث تعج بمطاعم مختلفة شيدت عليها تستقطب السياح من الأجانب والمحليين، وتنتشر على جنباتها محلات لبيع المنتجات المحلية والتراثية.

وبالعودة لجامع الكتبية أو مسجد الكتبية فهو كان ومازال يؤدي دورا دعويا إلى يومنا هذا، حيث يأتيه الناس من كل أقطاب البلاد للصلاة فيه والاستماع لقراءة أئمته المتميزين.

لقاء الأكابر

د. عبدالوهاب الطريري

كم شعرتُ بعظمة هذا الإرث، ونفاسة ذاك الميراث ونقائه، وأنا أرى تداولَ الأجيال هذه الحفاوة والرعايةَ لهذا الميراث العظيم المقدّس.

كان ذلك وأنا أحضر المجلس الأخير لختم صحيح البخاري والأحاديث تُقرأ على شيخنا العالم المبارك المعمَّر، وكان يتابع القراءة بكامل اليقظة، وهو الذي يبلغ السابعة والتسعين من عمره المبارك، أو يزيد، في رحلة مديدة مع العلم والتعليم. وكان هذا المجلس من مجالس العلم المباركة، ورسوم التعليم العتيقة؛ ففي مثل هذا المجلس كان الجلوس عند الإمام مالك، والإمام أحمد، والدار قطني، والبيهقي، وابن الصلاح، والعراقي، وابن حجر وغيرهم، في نمط فريد من التوثيق العلمي، ظلت أمة محمد ﷺ وفية له في حقب الزمن المتتابعة، وإلى يوم الناس هذا.

ولقد ازدحمت في نفسي معانٍ كثيرة من تلك الأمسية الماتعة المباركة، أولها بركة العلم والتعليم؛ فإن شيخنا وهو يخوض عشر المائة من عمره لا يزال يجد متعة نفسه في نشر العلم والتعليم، والجلوس للطلبة ومحبي رواية حديث رسول الله ﷺ، ولذلك فإنه يعيش تجدُّدًا في أيام عمره، وسعة في ساعات حياته؛ فهو في هذا العمر يعقد في كل يوم سبعة مجالس علمية، يُقرأ فيها عشرات الكتب، فأين هذا النمط من الحياة المباركة والحيوية العلمية ممن تفترسهم الكآبة بمجرد أن يتقاعدوا من وظائفهم؟!

ثانيها أنني نظرت في هذا المجلس إلى لطيف صنع الله يوم قال شيخنا قد أجزت الحاضرين بروايتي لصحيح البخاري عن شيخنا علي أبووادي عن شيخه نذير حسين- رحمهم الله- بإسناده المعروف، فإن الشيخ في تلك الليلة كان يجيز الحاضرين بالإجازة التي تلقّاها قبل أربع وسبعين سنة، فقد أجازه شيخه المعمّر الشيخ علي بن ناصر أبووادي عام ١٣٥٧ في عنيزة، وكان قد أخذ الإجازة من شيخه الشيخ نذير حسين في عام ١٢٩٩ هجرية في الهند، فهل كان يدور في ذهن الشيخ نذير حسين وهو يجيز في بلدة نائية في الهند شابا نجديا أن إجازته ستُروى عن تلميذه عنه بعد أكثر من (١٣٠) سنة في عمق نجد، وأن تلميذ تلميذه سيجيز بإجازته، ويذكر اسمه، ويترحم عليه، بعد أكثر من مائة وثلاثين سنة؟! ما أعظم المسافة الزمانية والمكانية بين الإجازتين! إن ربي لطيف لما يشاء، إنه هو العليم الحكيم.

ثالثها أنه كان مما لاحظه الجميع حفاوة الشيخ بطلابه؛ فقد فتح لهم بيته وقلبه واحتفى بهم، ولما انتهى المجلس دعاهم إلى وليمة كبيرة كريمة، وكان ينادي: لا أسمح لأحد بالتخلّف، الكل يحضر، لا يتخلّف أحد، فعجبت أن مسارات الكرم في نفس الشيخ متوازية؛ فهو كريم بوقته، وكريم بعلمه، وكريم بماله.

رابعها أنه مما رأيته فأكبرته حفاوة أبناء الشيخ بتلاميذ أبيهم؛ فلقد كانوا قيامًا على رأس الشيخ يبالغون في إكرام تلاميذه والحفاوة بهم، فقُرّة عين للشيخ صلاح بنيه، وحُسْن خلقهم مع محبّيه. إنّ أبناءه يُشكرون على هذا الموقف شكرًا مضاعفًا؛ فقد كانوا نعم العون للشيخ على مشروعه العلمي، وعطائه الوافر الكريم، ويزيد إكباري لهم أني رأيت بعض العلماء الذين أصبح أبناؤهم حجابًا بينهم وبين الناس، وعائقًا من عوائق التواصل بينهم وبين محبي علمهم.

خامساً أنه من لطائف الرواية أن رواية شيخنا عن شيخه علي أبووادي عن شيخه نذير حسين وقعت كل واحدة في قرن؛ فرواية شيخنا في عام ١٤٣١هـ في القرن الخامس عشر، ورواية شيخه في القرن الرابع عشر ١٣٥٧هـ، ورواية الشيخ نذير حسين في القرن الثالث عشر ١٢٩٩هـ، وكذلك من اللطائف أن بين سماع الشيخ وروايته نحو ثلاثة أرباع قرن، وهذا نادر في القرون المتأخرة.

وبعد، فقد كانت القراءة على شيخنا العلاّمة الفقيه المسند عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل؛ حيث تمّت قراءة صحيح البخاري في ستة وثمانين مجلسًا بقراءة حفيده الشيخ أنس بن عبدالرحمن العقيل، والشيخ زياد بن عمر التكلة، وحضر مجلس الختم ليلة الجمعة ١٤٣١/١/٨هـ الشيخ د. محمد بن لطفي الصباغ، والشيخ د. عبدالله بن حمود التويجري، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن إبراهيم القاسم، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السعد، وجمع غفير من طلبة العلم، وسمع أيضًا عدد من النساء، وذلك في دارة شيخنا العامرة بمدينة الرياض.

نسأل الله أن يبارك لشيخنا في عمره، وينسأ في أجله، ويقرّ عينه بصلاح ذرّيته، ويجزيه عن العلم وأهله خير ما جزى عباده الصالحين، والحمد لله رب العالمين.



أكاديمي سعودي

حقيقة الإنسان وعلاقته بالقرآن الكريم

د. طلال محمود النعيمي

ما هذا الإنسان، وما مهمته في الحياة؟ سؤال يتردد دائما، كانت الإجابة عليه في عصور الظلمات بعيدة عن الإيمان والتقوى «همي في الدنيا أن أحيا فحسب» وما وسوس به الشيطان إلى آدم من قبل ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلي﴾ (طه:١٢٠) وسعى الإنسان في الحياة إلى الخلود والتملك. والإنسان بين حب البقاء والاستيلاء قد انسلخ من آيات الله وانكب على وجهه نهما مسعورًا، واتبع هواه، يريد أن يقضم رزق الدنيا بأسنانه وينهشها نهشا ويزيل كل من يقف في سبيله، وسخر كل ما في استطاعته واستخدم الأكوان والخلائق لإشباع غرائزه التي أفسدها الشيطان ونفخ فيها نفخة الجشع وطلب المزيد، فإذا وجد قنطارًا من الذهب التمس القناطير واتخذ من ذهب الدنيا وفضتها سلما يصعد به على هامات الناس، واتخذ من حاجة الناس سبيلًا لاستعبادهم، ومن قوته وسيلة لإذلالهم، ومن تفكيره أداة للكيد لهم، كل هذا ليكون خيرًا من أخيه وليردد في داخله «أنا خير منه»، أي أن الإنسان أصبح كالبناء الفارغ سكن فيه الشيطان، فالأعمال الصادرة ليست من عمل البناء، وإنما من عمل ساكنه.

هذا حال الإنسان في بعده عن الإيمان، فإذا آمن، خرج من داخله الشيطان وشع الخير في جوانب البناء البشري، واستيقظ العقل على الحقيقة الخالدة أن به نفخة من الله تعالى قدسية عادلة طاهرة، إنسانية عاقلة، تعيش في مجموعة من الأخلاق تحميها من أفاعيل الانقلابات الفكرية والتطورات النفسية، وتشاركها أدبي يسمح للبشرية أن تدخل في ضروب التطورات الاجتماعية آمنة من الانحلال والتلاشي، محتفظة بالحيوية والوجود، بل وتفرض من وجودها وتفيض بوجودها.

عرف البناء الآدمي، لما دخله الإيمان، أنه ليس بناء أجوفا يلتمس من يسكنه فتعشش فيه الشياطين، وإنما هو خليفة الله في الأرض ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة:٣٠). للبناء والتعمير، تحيط به الآيات فليكشف عن مستورها وليعمل بخيرها، والناس جميعًا من حوله اخوان له، يحفظ دماءهم وأعراضهم ويتعاون معهم، وليأخذ من الدنيا ما يقوم به الشطر المادي في تكوينه.

معركة الخير والشر

يعيش الإنسان في جو يتصارع فيه الخير والشر، والنفس البشرية هي جند المعركة، والدين هو قائد الخير، والشيطان هو قائد الشر، وكل من القائدين يريد أن يصنع من البشر جنودًا له فيهيئ لهذا الغرض بأساليبه الخاصة، والنفس البشرية كذلك صالحة لهذه المعركة، فهي ملهمة بالخير والشر ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس:٨) وهذا الإلهام يجعلها تتجاوب مع الخير وتتجند في كتيبته، كما يجعلها تتجاوب مع الشر وتتجند كذلك في كتيبته.

والمعركة قائمة، وأسبابها واضحة، ولم تكن لأن الشيطان لا يؤمن بالله تعالى، فهو يعلم أن الله سبحانه واحد لا شريك له وأنه تبارك وتعالى هو خالقه ﴿خلقتني من نار ...﴾ (ص:٧٦) ويعلم أن مصيره إليه عز وجل، ولكنه يرى في نفسه أنه خير من الإنسان، وأن هذا الإنسان لا يستحق التكريم الذي أكرمه الله به، فقبل هذه المعركة في سبيل غيرته وكراهيته (لعنه الله)، وأعلن الحرب انتقاما من الإنسان وقاد جحافل الشر، وانتقم من الإنسان بالإنسان، فصنع من البشر جنودًا يعملون له ويأتمرون بأمره لينجح في المعركة، حيث لا يرى (لأن طبيعته تغاير طبيعة الإنسان) قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾ (الأنعام:١١٢) وقال تعالى في آية أخرى ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾(الأنعام: ١٢١)، وسلك سبيله إلى القلوب «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم... (البخاري) ليبعدهم عن الله.

هذا عن الشيطان، أما الدين، فليس له مصلحة في هذه المعركة إلا إنقاذ هذا الإنسان الذي يحارب نفسه، وقد اتخذ من عدوه صديقًا ينشرح له ويرتاح إليه فيحفظ له الدين ما أكرمه الله به، إذن فالمعركة قائمة، ولا يمكن لإنسان أن يقف متفرجًا، فإما أن يكون في كتيبة الخير، وإما أن يكون في كتيبة الشر، أي إن من الناس من يخلص للخير ومنهم من يخلص للشر.

ومنهم مذبذب تجتاحه موجة من هذه وموجة من تلك، ينتصر للخير تارة وينهزم أمام الشر تارة أخرى، فلينظر كل منا إلى دخيلة نفسه وليتعرف إلى مكانه من المعركة.

والجديد في الأمر هو أن يكشف كل منا عن حقيقته لنفسه، فصارح قلبك بهذه الحقيقة، وتحسس مواطن الصواب ومواضع الخطأ، ومواطن الكمال ومواطن النقص، ثم أصلح واستكمل واستقم على طاعة الله سبحانه ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (القصص:٧٧).

• أكاديمي عراقي

د. محمد الصالح لـ «الوعى الاسلامى»:

تجديد الدين بالتمسك بأحكامه لا بالتغيير والمسخ

صابر رمضان

أكد أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة بالرياض وعضو المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية د.محمد بن أحمد بن صالح الصالح أن المتأمل يجد الأمة الإسلامية تئن وتتوجع لما أحاط بها من كل جانب، وأن تجديد الدين يكون بتقوية التمسك بأحكامه وليس بالتغيير والمسخ، وأن الدين الإسلامي مازال بحاجة إلى رجال أقوياء يسددون خطى الأمة ويوجهون مسيرتها إلى الإسلام، كما أوضح خصائص وميادين عمل المجدد. وأضاف أن التجديد والاجتهاد مترابطان، وأشار إلى أن المنهج الحضاري الإسلامي يدعو للتكامل بين الحضارات على أساس من القيم الإنسانية الربانية، وعلى أساس من الترشيد والتصحيح الحضاري المشترك. وأكد د.الصالح أن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان وتساير الدهر وتستقر في صفحة الخلود، وأن الإسلام دعا إلى التسامح ويدعو للتعارف وتبادل المصالح والمنافع وفق المنهج الرباني، «الوعي الاسلامي» التقت بفضيلته على هامش حضوره أحد المؤتمرات الإسلامية الكبرى في القاهرة.. واليكم نص الحوار:

■ **تداعت الأمم وتكالب العلمانيون على الأمة الإسلامية من أجل تذويب هويتها أو مسخها، فما تقييمكم لواقع الأمة في الوقت الراهن؟**

إن المتأمل يجد الأمة الإسلامية تئن وتتوجع لما أحاط بها من كل جانب، فعداء الغرب للمسلمين مستمر، كما ظهر في تسلط العلمانيين وحركات التغريب والغزو الفكري والثقافي، حتى أصبحت الأمة الإسلامية لا حول لها ولا طول ولا شأن، فالمجتمع الإسلامي أصيب بالضعف والتفكك الاجتماعي، وذاق جراء ذلك مرارة التأخر والضعف الفكري، ما أصيبت به أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إلا كان هناك انحطاط في التفكير واهتمام بالخرافات والأساطير.

■ **نود إلقاء الضوء على مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي؟**

- التجديد في الحقيقة لغة ومعنى هو العودة إلى أصل الشيء وبدايته وظهوره للمرة الأولى وإصلاح ما أصابه من خلل ليعود قويًا كما كان منذ بدأ، وليس التجديد هو التغيير والمسخ، وعليه فإن تجديد الدين يكون بتقوية التمسك بأحكامه إذا حصل نوع من الوهن في التمسك بها، وعلى هذا نقيم قوله ﷺ «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (أبو داود)، والتجديد الذي أشار إليه الحديث يكون عند آخر كل قرن من هجرة النبي ﷺ على الأظهر، فالمراد بالتجديد- والله أعلم- ما يعيد القوة والحياة، وتجديد الدين لا يكون إلا بالدين وللدين، لا بالدنيا ولا للدنيا، ولا يكون إلا من داخل الدين وبمفاهيم الدين لا من خارج الدين أو بمفاهيم مستوردة وأفكار دخيلة، ولذلك كان الدين الإسلامي ولا يزال بحاجة إلى رجال أقوياء يسددون خطى الأمة ويوجهون مسيرتها إلى الإسلام سواء كان عملهم في ذلك محيطًا شاملا أم كان مقتصرا على بعض النواحي، وهؤلاء هم الذين يدعون بالمجددين، والتجديد في حقيقته ما هو إلا تنقية الإسلام من الشوائب، ومن كل جزئية من أجزاء الجاهلية ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان، وهو أيضا إعادته إلى ما كان عليه في عهد الصدر الأول، وذلك بجعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة، وإعادة ما ينقص من عرى أحكام الدين، وجلاء ديباجته من جديد، وإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما.

الإسلام دين الدعوة إلى التسامح والتعارف وفق المنهج الرباني

■ **ما أهم خصائص وميادين عمل المجدد؟**

من الخصائص التي تحقق للمجدد التفوق وتعينه على تحقيق رسالته أن يكون متمتعا بصفاء الذهن والبصيرة النافذة والفكر الثاقب المستنير، والقدرة النادرة على تبيين سبيل القصد ومراعاة الاعتدال بين الإفراط والتفريط، والقدرة على التفكير المجرد من تأثير الأوضاع الراهنة والعصبيات القديمة الراسخة على طول الزمن، والشجاعة والجرأة على إظهار الحق والكفاءة الفذة للاجتهاد، قائما بالحجة ناصرا للسنة، مجلا للعلم معزا لأهله، قامعا للبدعة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق ودقائق النظريات من نصوص الفرقان، والعلم بإشاراته ودلالاته واقتضاءاته من قلب حاضر وفؤاد يقظان، ثم كونه مع ذلك كله مطمئنا قلبه بشرائع الإسلام، قادرا على بيان الحق وفصله عن ركام المعضلات التي أتى بها الزمان، أما ميادين عمل المجدد فهي:

أولا: العمل على غرس العقيدة الصحيحة الصافية في النفوس، وتصحيح ما أخطأ الناس فيه منها واستكمال ما نقص لديهم، ومن ثم إيجاد العقلية الإسلامية الخالصة.

ثانيا: تشخيص أمراض المجتمع الذي يعيش فيه المجدد تشخيصا دقيقا صحيحا، ومن ثم يكون قادرا على وصف الدواء الذي يحسم به الداء وفق منهج الإسلام.

ثالثا: بذل الجهد للإصلاح العملي لإبطال التقاليد الجاهلية وتزكية الأخلاق وإشباع النفوس حبا لاتباع الشريعة.

رابعا: بذل قصارى جهده في ضمان سلامة روح الشريعة الإسلامية وتحقيق مقاصدها وتمكينها من الإمامة العالية في الرقي والحضارة.

خامسا: العمل على إزالة ما ظهر من البدع والمحدثات في المجتمع وإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما.

■ تتباين رؤى مفكري العالم الإسلامي تجاه «العولمة» بين مؤيد لها ومروج لأفكارها ورافض لها ومحذر من مخاطرها، كيف يمكن مواجهة مخاطر العولمة؟

إن مخاطر العولمة شاملة ولا تتوقف عند مجال بعينه، فإذا كان للعولمة آثارها السلبية على النواحي التجارية والاقتصادية للكثير من الدول، خاصة دول العالم الثالث، ومن بينها دول العالم الإسلامي، فإن لها أيضا آثارها غير الإيجابية على مسائل أخرى كحقوق الإنسان وتطبيق القانون بطريقة غير موضوعية، فالعولمة ليست ذات مغزى اقتصادي فقط، وإنما لها أيضا آثارها البيئية والاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية والتقنية، وليس هناك سوى سبيل واحد لمواجهة مخاطر العولمة يتمثل في التكتل الإسلامي على الأقل في الناحية الاقتصادية وتضافر الجهود لرفض كل ما تفرزه العولمة من قيم ومبادئ لا تتناسب مع ثقافتنا وتراثنا الحضاري وعاداتنا الاجتماعية.

■ بعض المرجفين والمشككين يرون أن الإسلام غير قادر على تحقيق مبدأ المساواة الاجتماعية والحرية للإنسانية بصفة عامة، فما قولكم؟

إن العامل الجوهري والأكثر ديناميكية في مجال الأخلاق الاجتماعية التي منحها الإسلام للإنسانية هو المساواة، كما أن كل أعضاء المجتمع المسلم، بغض النظر عن العرف أو اللون أو المركز الاجتماعي والاقتصادي، أعضاء مشاركون في المجتمع، والعرب المسلمون يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقا لنظمهم السياسية، ومبدأ المساواة راسخ في طبائع أهل الشرق المسلمين رسوخا تاما، والإسلام قدم للعالم المساواة الاجتماعية التي لم تعرف من قبل في أي حضارة قديمة.. الإسلام فقط هو أول من قدم هذا المعنى للمجتمع الإنساني، وناصر الحرية والمساواة التي كانت في الحقيقة قد نسيت على أرض الحضارات التي تغلب عليها، ومع أن كثيرا من الديانات والمذاهب الأخلاقية دعت إلى المساواة بين البشر، فإن الإسلام وحده، فيما يبدو حتى الآن، هو الذي نجح في غرس هذا التصور في تفكير سلوك المؤمنين به، الواعين بحقيقته.

■ ما أهم واجبات الأمة في هذه المرحلة للتعريف بقيم ومفاهيم المنهج الحضاري الإسلامي؟

النهج العلمي والموضوعي للتعريف بقيم ومفاهيم المنهج الحضاري الإسلامي يتطلب عدة أمور منها، تقديم دراسات عميقة وموضوعية حول مفاهيم وقيم ومبادئ الإسلام العالية، وتقديم دراسات حول المناهج التاريخية والمعاصرة التي تؤكد جدية المنهج الإسلامي وصلاحيته في الدعوة إلى تعايش بشري عالمي، مع اختلاف الأديان والأعراف والأجناس، وكذلك التعرف على التيارات الكبرى في العالم وموقفها من الإسلام سواء تلك المنصفة أو المتطرفة لإجراء حوارات بناءة للتعريف بمبادئ الإسلام وقيمه، وتكوين الدعاة من المناطق التي تسكنها الأقليات الإسلامية ليقوموا بتبليغ قومهم، ودعوتهم للإسلام والتركيز على قيمه العالمية، وعرض التصورات الإسلامية الأصيلة عن قضايا الحياة،، كحقوق الإنسان والعلاقات الدولية وحقوق المرأة والنظام الاقتصادي، ولإزالة الشبهات التي تلصق بالإسلام في الأذهان عبر الكتب ووسائل الإعلام، والعمل على تشجيع الدراسات الإسلامية في الجامعات العالمية.

السنة جاءت مكملة للكتاب.. والمنهج الحضاري يدعو للتكامل بين الحضارات

إن المنهج الحضاري الإسلامي يدعو إلى التكامل بين الحضارات على أساس من القيم الإنسانية الربانية وعلى أساس من الترشيد والتصحيح الحضاري المشترك، وفى المقابل فإن المنهج الإسلامي يرفض ويمقت الدعوة للتصادم والصراع الحضاري، ويعتبر ذلك من الفساد في الأرض، كما يؤكد المنهج الحضاري الإسلامي أن قضية العدل والإحسان إلى الناس هي مهمته في الأساس، فهي أم الفضائل ومبعث الأمن والرخاء والاستقرار والسلام وذلك مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى...﴾ (النحل:٩٠)

■ أخيرا.. بين الاجتهاد والتجديد كمفهوم صلة، هل يقبل الإسلام التجديد كما يقبل الاجتهاد؟

التجديد والاجتهاد مترابطان، والإسلام بما أنه خاتم الأديان وهو دين صالح لكل زمان ومكان فيه ثوابت وكليات ونصوص قطعية، لكن فيه مساحة كبيرة متروكة للاجتهاد ولمواجهة مستجدات العصور، وفي الحديث الصحيح: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (المقاصد الحسنة للسخاري)، لكن التجديد يكون داخل فقه القرآن والسنة وفق شروط الاجتهاد التي يجب أن تكون محكومة بالكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، أما الاجتهاد في نفس المصادر فهو إلغاء وتبديد ولا علاقة له بالاجتهاد والتجديد، وهو هدم، وفي هذه الحالة تصبح المصلحة الوقتية الظاهرة والعقل الذي يغلب عليه الهوى والغريزة يصبحان هما المرجعية وتنتفي بالتالي مرجعيته للكتاب والسنة، وكم أخطأ العقل في حق الإنسانية وهو يظن أنه يحسن صنعًا.

هل يجدي الحوار مع المنافقين أو المتزمتين؟

أ.د.محيي الدين عبدالحليم *

إذا كان الحوار مطلبًا إنسانيًا وضرورة شرعية كأساس للتفاهم والإقناع مع من يختلفون معنا في الرأي أو يناصبوننا العداء، أو يتعصبون لأفكارهم ضدنا، فقد التزم الرسول ﷺ بمنهج متميز في حواره مع مختلف الطوائف وأصحاب الاتجاهات المختلفة والمؤمنين بعقائد ومذاهب أخرى، ولم يجبر أحدًا على اعتناق الإسلام، بل ترك للجميع حرية الاختيار انطلاقًا من المرجعية العقدية التي أكد عليها القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...﴾ (الكهف: ٢٩) مؤكدًا أن دوره ينحصر فقط في البلاغ والدعوة مصداقًا لقوله تعالى ﴿... فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ (آل عمران: ٢٠).

يأتي ذلك انطلاقًا من أن الله يهدي من يشاء، حيث إن سنة الله تكمن في تنوع الأفكار والرؤى، فلا مجال للعداوة والكراهية حتى مع المشركين، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة: ٦)، فالإسلام لا يعادي غير المسلم لأنه مخالف له في عقيدته أو مذهبه، بل إنه يأمر بمودة هؤلاء، إلا إذا ناصبوا المسلمين العداء، وقد دل تاريخ المسلمين على أن تشريعهم يسمح لغير المسلم أن يقاضي أرفع إنسان من المسلمين وينتصف منه، وقد نشأ المسلمون نشأتهم الأولى والدين أقوى حاكم على شعورهم، ولما انتشر العلم ونبغ فيهم المؤلفون والباحثون لم تصب هذه النزعة فيهم أحدًا، بل زادتهم رونقًا، وهذه الإيجابيات تسمح بلغة مشتركة وتشكل ركيزة أساسية للالتقاء بين الدعوة الإسلامية وأبناء الجنس البشري كله حتى وإن كانوا ملاحدة أو مشركين، ومن أبرز معالم احترام الإنسان في دعوة الإسلام ما حث عليه القرآن من أسلوب معاملة غير المسلمين، فقال عن أهل الكتاب ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وقد أعطى الرسول ﷺ مثلا أعلى لمعاملة أهل الكتاب، فكان يحضر ولائمهم، ويشيع جنائزهم، ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم وكان يقترض منهم نقودًا، ويرهنهم أمتعة لا عجزًا ولا ضعفا، ولكن لكي يعطي المثل الأعلى للمسلمين للسير على منهاجه والتحاور مع أهل الملل الأخرى في صفاء ووئام، وقد فتح الإسلام باب الحوار على مصراعيه، وهو باب واسع يجرف كل عقبة تقف أمامه، وحارب الجمود على المألوف والتقليد الأعمى الذي لا يمكن أصحابه من رؤية الحقيقة، ذلك أن الدعوة الإسلامية تتسع لتخاطب الجميع في كل زمان ومكان انطلاقا من صلاحية هذه الرسالة لكل زمان وكل مكان، لا سيما أن ديننا لم يمنعنا من الحوار مع الآخر، وتبادل المعارف والثقافات والانفتاح على العالم بثقافاته وأفكاره المتنوعة مع الحفاظ على ثقافاتنا الذاتية وهويتنا الفكرية، والتاريخ البشري كان عنوانًا صادقًا لتزاوج الأفكار والحضارات، وهو ما اسهم في ازدهار الحضارة الإنسانية في عصور النهضة الإسلامية.

ولم يذكر التاريخ أن محمدًا بن عبدالله ﷺ كان يدعو على قومه بالهلاك، أو يرفع ضدهم سلاحًا، ولكنه كان يجادلهم بالتي هي أحسن ويضع الحجج العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق النقاش والحوار والجدل المفيد، فالفكر لا يواجه إلا بالفكر والحجة الباطلة لا يدحضها إلا حجة منطقية، والكلمة الخبيثة لا يبطلها إلا الكلمة الطيبة، وفي ضوء ذلك فإن الدعوة الإسلامية ترحب بالحوار، وتؤكد على أهميته لأنه يفتح المجال واسعا لتصحيح المعلومات وعرض الحقائق لهؤلاء الذين أساءوا فهم الدعوة الإسلامية وناصبوها العداء، وأكدت على الرفق بالإنسان أيا كان مذهبه أو فكره أوعقيدته.

وبهذا نرى أن الله عز وجل قد بين لنا الطريق الصحيح للتخاطب مع الغير، وهو طريق الحكمة، والتدرج، والصبر على المخالفين، ومن حق كل إنسان أن يقدم حججه وبراهينه، وأن يقول رأيه بصراحة، ويبدي وجهة نظره دون خوف، فليس في الإسلام قيد على الحرية، ولا كبت للرأي، ولا إجبار على السكوت، بل لكل إنسان أن يتحدث بما شاء سواء كان رأيه صوابًا أو خطأ، ومن ثم فإنه لابد من إتاحة الفرصة لكل أصحاب المذاهب والأديان والأفكار الأخرى أن يقولوا ما يتراءى لهم، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يشعر الجميع من خلاله أنهم في أمان ولا خوف عليهم، ولا افتئات على حقوقهم، ولم يواجه أنبياء الله المعارضين لدعوتهم بالإجراءات الأمنية والأساليب القمعية، ولم يرفع قادة التنوير السلاح ضد من خالفوهم في العقيدة أو الرأي، ولكنهم استخدموا معهم أسلوب المحاورة والمجادلة بالكلمة الطيبة والأسلوب الرقيق.

وهكذا نرى أن الإسلام جاء بمنهج رباني يدعو إلى حرية العقيدة، وإلى الود والتسامح والسلام، لأن دعوته دعوة بلاغ وإعلام، ومهمة نبيه تقوم على الإقناع وليس على الإكراه، وتعتمد على الكلمة الطيبة، فالإسلام ليس بحاجة إلى هؤلاء الذين يدخلونه دون رضا واقتناع، ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ (يونس: ١٠٨).

إلا أن الحوار لا يكون مجديًا

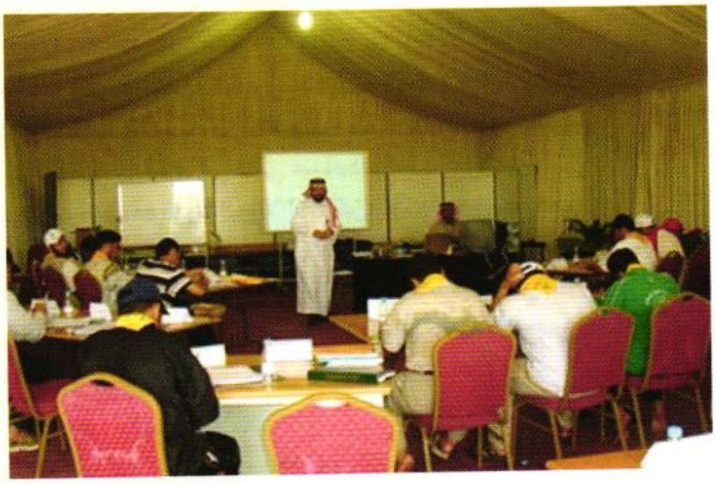
* أستاذ الصحافة في جامعة الأزهر

مع بعض الشرائح البشرية، لأن ثمة عقليات غير قابلة للتفاهم، وغير مستعدة للنقاش، هؤلاء الذين قال الحق فيهم ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ (البقرة: ٦ -٧) ولو كان الحوار مفيدا مع الجميع لما لجأ الرسول ﷺ لقتال كفار مكة، ولما قام أبوبكر الصديق لقتال المرتدين، ولما أوفد عمر بن الخطاب جيشًا لمحاربة الفرس والروم، ولما حارب صلاح الدين الصليبيين في حطين.

ولو كان الحوار مجديًا مع كل الناس لاستجاب أبولهب لدعوة ابن أخيه، ولاستجاب هرقل والمقوقس وكسرى لمنطق العقل، فقد اضطر الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده لمواجهة هؤلاء الظالمين للرد على اعتداءاتهم المتكررة على دعوة الإسلام وتهديدهم الدائم لهذه الدعوة الوليدة.

ومن الذين لا يجدي معهم حوار، هؤلاء الذين لا يبالون بالعقائد والأخلاق ولا يؤمنون بالله الخالق البارئ المصور، ويحملون الأحقاد والكراهية، وتمتلئ قلوبهم بالسواد على الأنبياء والمؤمنين، وهؤلاء قد أصيبوا بأمراض مستعصية يصعب الشفاء منها، ويفعلون ما كان يفعله النمرود الذي ظن أنه قادر بجبروته وسلطانه على كل شيء، وقد قام المتعصبون من أصحاب الرؤى المريضة والأقلام المسمومة الذين لا يؤمنون بالأديان السماوية بما فعله أسلافهم، فلم يعترفوا بعالم الغيب ولم يوقروا أحدًا من أنبياء الله، ولم يعترفوا بالمقدسات أمثال فلدرز في هولندا وسلمان رشدي الذي أصدر كتابه المشؤوم «آيات شيطانية».

خطورة العصاة والجاهلين أقل أثراً من خطورة المنافقين الذين لبسوا ثوب الدين لتحقيق أغراضهم



وقد كان هؤلاء يرفضون دعوة الرسل ويعارضونهم، ومنهم من لا يزالون يحتلون مراكز القيادة والريادة في دولهم، هؤلاء الذين قال عنهم القرآن: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرًا مثلنا...﴾ (هود: ٢٧) كما قال عز وجل: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ (ص: ٦).

ولعل الحوار يكون أكثر فائدة مع العصاة والجاهلين، فالعصاة هم فئة من الجماهير المسلمة ولكنها ضعيفة الإيمان، وانزلاقهم إلى المعاصي سهل، وإن كانوا قد نطقوا بالشهادتين إلا أنهم يرتكبون المخالفات، فمنهم كثير المعاصي، ومنهم المقل لها، وبين هذا وذاك درجات، ومن هؤلاء من يغفل عن أداء العبادات، وينشر الفساد، ويسب أمه وأباه، ومنهم التي تخون زوجها مع رجل آخر، وهذا الذي يقيم علاقة آثمة مع زوجة صديقه، وقد كشفت لنا الوقائع والأحداث في الآونة الأخيرة عن وجود خلل في الأخلاق مما أدى إلى ارتفاع معدلات الطلاق، وأسهم في افراز جيل مهترئ لا يعرف عن القيم شيئًا مما يؤكد العجز والاختلاف في التنشئة الأسرية والبرامج الاعلامية والدعوة المسجدية لأن كثيرًا من الدعاة قد فقدوا مصداقيتهم بعد أن كان الناس ينظرون إليهم باعتبارهم نماذج حية لما يدعون إليه، ويتأثرون بسلوكاتهم التي كانت نماذج للاستقامة والصلاح والتقوى.

إلا أن أخطر الفئات وأشدها عصيانا هم المنافقون الذين يظهرون غير ما يبطنون، وقد واجه الرسول ﷺ هذه الفئة في المدينة، وأنزل الله فيهم آيات بينات، فقال عز وجل في سورة البقرة ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (البقرة: ١٤) وقد حكم الله عليهم بقوله في سور النساء: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾، وحدد الرسول ﷺ أوصافهم وسماتهم المميزة في حديثه القائل «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان (رواه الشيخان) وزيد في بعض الروايات «إذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»، وهؤلاء أيضا لن ينصلح حالهم إلا إذا أعلنوا التوبة ورجعوا إلى الله واستقاموا.

وفي الحقيقة إن جوهر النفاق واحد وإن اختلفت أنماطه وأشكاله ودرجاته، إلا أن خطورة المنافقين تكون أشد، إذ لبسوا ثوب الدين والعقيدة، فهم حينئذ يسخّرون الدين لتحقيق أغراضهم، ويفسرون الآيات القرآنية حسب أهوائهم، ويلوون عنق الحقيقة، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وإذا كانت الآيات التي تتحدث عن المنافقين في القرآن الكريم كثيرة فإن الله عز وجل قد خصهم بسورة كاملة سميت باسمهم، تضم إحدى عشرة آية، وتكمن صعوبة الحوار مع المنافقين في أن مدخلهم يخالف مخرجهم، وسرهم يخالف علانيتهم، وأقوالهم تخالف أفعالهم، فهم يمتطون كل موكب يضمن لهم السيادة والريادة والقيادة، ويجيدون فن الخداع لأنهم يظهرون غير ما يبطنون، وقد وصفهم نبي الأمة ﷺ بأنهم شر الناس لصعوبة فهم كوامن نفوسهم وذلك في قوله ﷺ «تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (صحيح البخاري)، وقد راجت أقنعة التنكر وأساليب التمويه والتضليل في العصور الحديثة، مما أسهم في هدم العديد من القيم والمبادئ التي قامت عليها حضارة الأمة.

الضريبة العقارية.. رؤية فقهية

د. مسعود صبري

بداية نقول: إن المال الذي يتوجب على المسلم دفعه ويأثم بتركه هو مال الزكاة، وهذا معلوم لكل مسلم مما ورد في الكتاب والسنة من وجوب إخراج الزكاة بوصفها ركنا من أركان الإسلام، وفريضة افترضها الله تعالى على عباده، وإجماع الأمة على وجوبها، ولكن هذا الوجوب له شروط يجب توافرها، وإلا لم تكن الزكاة واجبة، فمن ذلك: بلوغ النصاب، ومرور عام هجري كامل، وأن يكون المال فائضا عن الاحتياجات الأساسية، والملك التام، مع كون المزكي مسلما حرا، وهذا يعني أن الزكاة تجب في مال المسلم الذي فاض عن ماله نصاب يعتبر به في حكم الغني، وأن يمر عليه عام هجري كامل، فيخرج ربع العشر (٢،٥٪).

أجاز جمهور الفقهاء المعاصرين- وخالفهم البعض- أن تفرض الدولة على القادرين من الشعب ضرائب لسد احتياجاتها من المنافع والمصالح التي تعود على الشعب ذاته؛ ورأوا أن ذلك من المصالح المرسلة.

ولكن فرض تلك الضرائب يكون في حالة عجز الدولة عن توفير الخدمات العامة ومصالح المسلمين كبناء المدارس والمستشفيات والطرق، ففي هذه الحالة يجب على المسلم أن يؤدي ما فرض عليه إلا إذا كان فيه إجحاف به، لأن دفع الضرائب ساعتها يكون من باب التعاون على البر والتقوى.

جاء في قرارات مجمع البحوث الإسلامية: «وأن لأولياء الأمور أن يفرضوا من الضرائب على الأموال الخاصة ما يفي بتحقيق المصالح العامة».

وقال القرطبي: اتّفق العلماء على أنّه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزّكاة فإنّه يجب صرف المال إليها.

شروط فرض الضرائب

ولكن هذا الجواز ليس مطلقا، فقد وضع الفقهاء شروطا لجواز فرض الدولة ضرائب على الشعب.. هي:

الأول: أن تكون هناك حاجة حقيقية بالدولة إلى المال، ولا يوجد مورد آخر لتحقيق الأهداف وإقامة المصالح دون إرهاق الناس بالتكاليف.

الثاني: أن توزع أعباء الضرائب بالعدل بحيث لا يرهق فريق من الرعية لحساب فريق آخر، ولا تحابى طائفة وتكلف أخرى.

الثالث: أن تصرف الضريبة في المصالح العامة للأمة.

الرابع: موافقة أهل الشورى والرأي في الأمة، لأن الأصل في أموال الأفراد الحرمة، والأصل أيضا براءة الذمة من الأعباء والتكاليف.

وقبل أن تصدر الدولة ضرائب ابتداء، أو ضرائب جديدة يجب مراعاة عدة أمور أخرى.. أهمها:

١- أنه يجب التأكد من أن موارد الدولة لا تكفي لاحتياجاتها، وأنه يجب النظر إلى الاحتياجات والموارد ثم النظر إلى العجز الحاصل المراد سداده.

٢- أن فرض الضرائب بعدها لا يكون على الفقراء، وإنما يكون على الأغنياء وحدهم، ومن تلك الضرائب التي تضر بالفقراء ما يعرف بالضرائب غير المباشرة كالضريبة العامة على المبيعات، التي تفرض على معظم السلع الاستهلاكية من المنبع لضمان تحصيلها، وعادة لا يشعر بها المستهلك لأنها جزء من السعر.

٣- أن الضريبة يجب أن تكون على المال المستثمر، وليس على ما يمتلكه الإنسان من سكنه الذي يعيش فيه، مهما كانت قيمته عالية.

٤- أنه لا يجوز أن تفرض وظيفة مالية بصفة مستمرة ودائمة لأن ذلك يخالف علة فرضها وهو وجود الحاجة العامة، فإن ارتفعت بالموارد العادية أو انتهاء نفس الحاجة، فينبغي إنهاء هذه الوظائف .. ولا يجوز فرض أي وظائف مالية إلا بحق، وإلا عد من يفعل ذلك من أصحاب المكوس الجائرة.

٥- أن التوسع في فرض الدولة ضرائب متنوعة على الرعية محظور شرعا في أساسه؛ لأنه تسلط على أموال الناس واعتداء على الممتلكات الخاصة، فهناك ضريبة على الأجور والرواتب، وضريبة على الأسواق، وضريبة شركات الأموال، وضريبة القيم المنقولة، وبدلات ومكافآت أعضاء مجلس الإدارة، وضريبة المبيعات، وضريبة الدمغة، وضريبة الملاهي، ورسم تنمية الموارد، وغيرها، فمثل هذا التوسع يجب ألا يكون هو الأصل؛ لأن الضريبة إنما أبيحت على خلاف الأصل سدا لحاجات ضرورية.

أقوال أهل العلم

وقد نص عدد غير قليل من أهل العلم قديما وحديثا على حرمة فرض ضرائب على العقارات خاصة، ومن ذلك:

قال الشيخ محمد صديق خان

«ومن الأنواع التي يأكلون بها (أي الحكام) أموال الرعايا أكلا ظاهرا ويتجرون فيها اتجارا بيّنا أنهم يجعلون ضرائب على الباعة في الأسواق يجبرونهم على تسليمها شاءوا أم أبوا، ثم يأذنون لهم بالزيادة في الأسعار فيبيعون بما شاءوا ويصنعون بالناس ما أرادوا وليس عليهم إلا الوفاء بالضرائب، فإذا استغاث مستغيث بالناس من زيادة الأسعار أو أراد منكر أن ينكر على الباعة ما يفعلونه، قالوا: هذه الزيادات للدولة، فيلقمون المنكر والمستغيث حجرا، وكم أعدد لك من هذه إلا حبولات الشيطانية التي هي السحت بلا شك ولا شبهة، نسأل الله أن يصلح الجميع انتهى. ومن هذا القبيل أنواع المكوس على أهل الدور والتجارات والضرائب المتنوعة التي لا تكاد تنحصر على الرعايا في الأشياء المختلفة.

وقال الدسوقي المالكي

قوله «ما أخذ منه ظلما» أي والحال أنه جرت به العادة كما إذا جرت العادة أن من اشترى عقارا يدفع دينارا مكسا للحاكم (أي ضريبة)، أو لشيخ الحارة.

قال الإمام السرخسي من أئمة الحنفية «رحمه الله»

• باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

العاشر من ينصبه الإمام على الطريق ليأخذ الصدقات من التجار وتأمن التجار بمقامه من اللصوص، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يستعمل أنس بن مالك رضي الله عنه على هذا العمل، فقال له: أتستعملني على المكس من عملك؟ فقال: ألا ترضى أن أقلدك ما قلدنيه رسول الله ﷺ؟! والذي روي من ذم العشار محمول على من يأخذ مال الناس ظلما كما هو في زماننا دون من يأخذ ما هو حق وهو الصدقة. إذا عرفنا هذا فنقول: العاشر يأخذ مما يمر به المسلم عليه الزكاة إذا استجمعت شرائط الوجوب.

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية

وقد أجمع العلماء على أن أرض العرب كلها عشرية، لا يؤخذ منها خراج، لأنها بمنزلة الفيء، فلا يثبت في أرضهم خراج، كما لا تثبت الجزية في رقابهم، ومعنى العشرية أنها لا يؤخذ منها غير الزكاة المرتبطة بالأعشار.

وقال الكمال بن الهمام الحنفي

لأن عمر رضي الله عنه جعل المساكين عفوا، هكذا هو مأثور في القصص وكتب الآثار من غير سند في كتاب الأموال لأبي عبيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الخراج على الأرضين التي تغل والتي تصلح للغلة من العامرة وعطل من ذلك المساكن والدور التي هي منازلهم وتوارثه عنه من غير سند وحكى عليه إجماع الصحابة.

هل هذا يعني الحرمة المطلقة لفرض ضرائب عقارية من الدولة على الشعب؟

للدولة أن تفرض ضرائب على العقارات، ولكنها العقارات الاستثمارية بكل أنواعها، وليس على السكن الخاص الذي يعيش فيه الإنسان هو وأسرته، ولا يتكسب من ورائه، يتساوى في هذا أصحاب الثراء وغيرهم من محدودي الدخل، وهذا يعني أنه يحظر- فقها- أن تفرض الدولة ضرائب على السكن الخاص للأشخاص، وذلك لعدة أمور

الأول: أنه مما لا يعرف فيه خلاف بين الفقهاء أن الأموال التي يستعملها الإنسان للحاجة أو للزينة ليس فيها زكاة، وهو أول الوظائف المالية المفروضة على الإنسان،



التوسع في فرض الدولة ضرائب متنوعة على الرعية محظور شرعاً في أساسه

فالبيوت والسيارات وحلي المرأة للزينة مهما كانت قيمته- على الراجح- وغير ذلك ليس فيها زكاة واجبة، فمن باب أولى أنه لا يكون فيها وظائف مالية أخرى كالضرائب.

الثاني: أن الضرائب إنما تجوز بعد جمع الزكاة وغيرها من الضرائب الجائز جمعها بالشروط الشرعية، وهذا ما يخالفه الواقع، فليس هناك جمع لأموال الزكوات، ولا الدولة تجمع كل الضرائب المستحقة، بل أضحى التهرب منها أمرا مشتهرا بين كثير من الطوائف وعلى رأسهم كبار المستثمرين، ومعنى هذا أن على الدولة أن تُفعل جمع المستحقات المالية ممن تجب عليه أولا قبل أن تفرض ضرائب جديدة ستكون مثل غيرها، مع مخالفتها للاجتهاد الفقهي، وذلك لاعتبار أن الضرائب حكم استثنائي لحاجة الدولة، ولا يجوز أن يكون حكما دائما لما فيه من التسلط على أموال الناس بغير حق، وهو ساعتها من المكوس الجائرة التي حرمها الإسلام، وجاء في ذلك ما روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة صاحب مكس»، قال البغوي: يريد بصاحب المكس الذي يأخذ من التجار إذا مروا عليه مكسا باسم العشر أي الزكاة.

الثالث: أن الأصل احترام الملكية الخاصة للأشخاص، واحترام ممتلكاتهم وعدم الاعتداء عليها إلا في حدود ضيقة، وأن كثرة الضرائب مع عدم ترشيد الإنفاق والاستهلاك يجعل فرض الضريبة العقارية من الظلم غير المقبول.

الرابع: أن مقصود الضرائب هو سد الاحتياجات وتحقيق المصالح وسد العجز في ميزانية الدولة مما يجعلها عاجزة عن أداء واجباتها تجاه الشعب من تقديم الخدمات العامة، التعليمية والصحية وغيرها، وليس المقصود منها جمع وظائف مالية من الشعب.

مقترحات

وعلى ما سبق، فالذي يبدو أن فرض ضريبة عقارية على السكن الخاص لا يوافق الشريعة بل يخالف أصولها، كما أنه يخالف مقصدا من أهم مقاصد الشريعة من الحفاظ على المال وحرمة الاعتداء عليه، خاصة في ظل وجود عديد من أنواع الضرائب الأخرى.

والواجب على ولاة الأمور عدة أمور قبل التفكير في فرض ضريبة جديدة.. من أهمها

١- وضع خطط صادقة لترشيد الإنفاق العام.

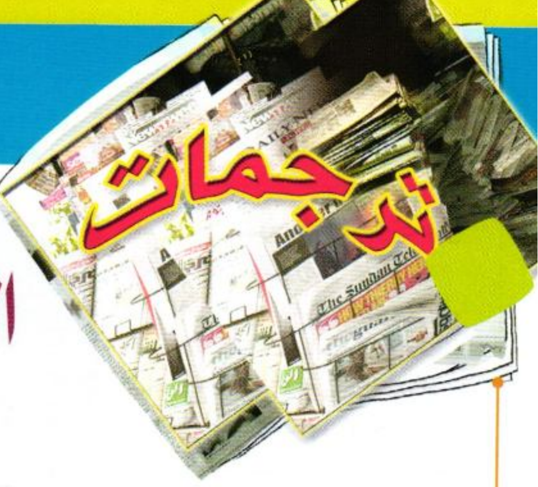
٢- معالجة الخلل في تحصيل الضرائب المباحة وخاصة لدى رجال الأعمال بمستوياتهم، وأن تكون هناك نزاهة ومساواة في جمع الضرائب، حتى لا تكون الضرائب في النهاية على محدودي الدخل، ويتفلت منها كبار المستثمرين بالمعارف أو الرشاوى أو الحيل القانونية.

٣- تفعيل دور السلطة التشريعية كسلطة رقابية على إدارة وتنفيذ الموازنة.

٤- تفعيل آليات الزكاة والوقف في سد الإنفاق المتعلق بالجوانب الاجتماعية، مثل حاجات الفقراء الرئيسية من الطعام والصحة والتعليم والخدمات العامة.

٥- تشجيع رجال الأعمال في إنشاء خدمات كبرى يعود نفعها على المجتمع ويخفف على الدولة ما تعانيه من عجز في الميزانية.

٦- أن تكون هناك خطة تقوم على الرؤية الدينية لتشجيع الناس على إخراج أموال الزكاة، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني في إدارة لجان الزكاة بإشراف من الدولة.



الحروب الصليبية.. الأيديولوجية والأسطورة

د. محمود مسعود*

تعد فكرة الحرب الصليبية من أكثر الأفكار التي أثارت جدلا واسعا في الغرب والشرق على حد سواء، منذ الدعوة لها على يد البابا أوربان الثاني (في مدينة كليرمونت الفرنسية عام ١٠٩٥م) وحتى اللحظة الراهنة.

ففي حين يرى بعض رجال الفكر والسياسة خاصة من الغربيين أنها غرست العظمة والفروسية في الغرب، بل أنتجت الحضارة والتقدم، ومن ثم ولدت الرغبة في السيطرة وفرض الهيمنة على الآخر (الشرق الإسلامي) وخيراته، وعلى الجانب الآخر نجد أن معظم الشرقيين وبعض المنصفين من الغربيين وجدوا فيها الانحراف الديني في أبشع صوره وأشكاله، ومن ثم فقد أسست الأساطير والخيالات حول تلك الحروب التي لقبت بالحروب المقدسة، والدينية، والصليبية وغير ذلك من الأسماء التي وسمت بها تلك الحملات، والتي من وجهة نظرنا أقل ما توصف به أنها حروب استعمارية وغير دينية، بل غير إنسانية.

ولهذا نقدم في مقالنا هنا لكتاب عن التاريخ الفكري لتلك الحروب الصليبية، ومؤلف هذا الكتاب هو الفرنسي بول روسيه Paul Rousset وهو أحد المؤرخين الفرنسيين المهتمين بتاريخ الحروب الصليبية، بل من المدافعين عن قيمة تلك الحروب في الماضي وأثرها المهم في التاريخ الأوروبي الحديث، حيث يرى أنه من خلالها نشأت عبقرية أوروبا بنت الثورة وبنت الحضارة. وكتابه يمكن ترجمة عنوانه ب «القصة الأيديولوجية للحروب الصليبية» «Histoire d'uneidéologie Croisade» تلك الحملات التي استمرت منذ عام ١٠٩٥م وحتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، ومؤلف الكتاب لا يؤرخ لتلك الحروب بقدر ما يبحث في النظرية الفكرية التي أُسست عليها، والأساطير والأحلام التي نسجت حولها، والتي انطلقت منها الروح الأوروبية المتدفقة في الإنتاج والتضحية من أجل أن تصنع مجدا تليدا لأوروبا عبر تلك الحروب وقبلها وبعدها، حيث إنهم يرون أن روح الحروب الصليبية هي التي صنعت وحدة أوروبا، ووجهت مستقبلها نحو السيطرة على الآخر وامتلاك ثرواته وفهم منطلقاته وتوجهاته الحياتية والفكرية والدينية، بل هذا هو نفسه ما أعان الأوروبيين على أن يظلوا في مقدمة الأمم والشعوب طيلة القرون التي تلتها، ونحن نقصد من تقديم هذا الكتاب غرضين أساسيين:

الأول: كشف جوهر العلاقة بين الأوروبيين وتاريخهم، وبالتالي معرفة إطارهم المرجعي المؤسس على أحلام ماضوية وأسطورية، ومن ثم كيفية استلهامهم لأفكارهم التاريخية، ومن جانب ثان لنبين كيف أن العلاقة بين الغرب؛ ممثلا في الصليبيين، وبين الشرق؛ ممثلا في المسلمين، ظلت قرونا عدة علاقة صراع حضاري وسياسي يتمحور حول من يملك ومن يسيطر على الآخر، ففي حين كان الصليبيون (الرومان) يريدون السيطرة على الشرق وخيراته ويثأرون ممن أخرجهم من الفردوس المفقود، أي المسلمين، كانوا يبثون في أتباعهم أنهم ما جاءوا إلا ليحرروا المسيحيين المظلومين والبؤساء من ظلم المسلمين! كما أن المسلمين استفادوا من تلك الهجمات، ولو لفترات محدودة، بتوحيد صفوفهم وإعادة روح الانتصار من جديد كما زادتهم تمسكا بدينهم وعقيدتهم.

أما الكتاب فهو يدور في أحد عشر فصلا ومقدمة، يبين من خلالها المؤلف كيف أسست فكرة الحروب الصليبية الكاثوليكية أيديولوجيا، وكيف تطورت مفاهيم تلك الحروب حتى غدت أساطير يستلهم منها الشعراء والفنانون والموسيقيون فنونهم، بل أخذت تغذي أحلامهم ومشاعرهم منذ نشأتها التاريخية وحتى العصر الحديث، مرورا بالحروب الدينية ثم الحروب الاستعمارية، فبدءا من الفصول الأولى للكتاب التي يتحدث فيها المؤلف عن الأيديولوجية طويلة الأمد لهذه الحروب، وموضوعاتها التي اتخذت منحى صوفيا وسياسيا، وأن تلك الحروب كانت نموذجا معرفيا مبتكرا ومتكررا، وصولا إلى الفصول الأخيرة حيث يدعو المؤلف فيها إلى إعادة تفسير وقراءة أهداف ونتائج تلك الحروب من جديد، ومرورا برؤية المؤلف لها في ضوء الحقيقة والخيال والأساطير التي نُسجت حولها، من خلال التصوير الأدبي والفني، ثم من خلال إبرازها كنموذج حقيقي للفكر الغربي من جانب، أو كنموذج خيالي كاريكاتوري وأسطوري من جانب آخر. لاسيما أن كلمة صليبيين ذاتها كلمة غنية بدلالتها، فرغم اختفاء المؤسسة الصليبية من عهود طويلة فإن هذا المصطلح ظل جزءا من اللغة المعاصرة، بل مستخدما في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، بل حتى المعلنون يستخدمونه في إعلاناتهم، فللكلمة استخداماتها المتدفقة دون مبرر أحيانا، وربما بعيدا عن معناها التاريخي أحيانا أخرى حتى غدت كلمة دارجة.

وأخذ المؤلف على عاتقه إيضاح التكوين المعرفي والثقافي لهذه الأيديولوجية التي قامت عليها الحروب الصليبية، بدءا من مرحلة الدعوة والإعداد التي كانت دينية بحتة، ثم ما نتج عن ذلك من فكرة حماية الحجاج، وانتزاع الأرض المقدسة من بين يد المسلمين، ثم بين المؤلف كيف كانت رؤية المسيحيين لتلك الحروب وكيف تطور هذا المفهوم من الحرب العادلة إلى الحرب المقدسة، ساردا تاريخ ميلاد المؤسسة الصليبية التي تبنت تلك الأيديولوجية، منذ الحملة الأولى وأحداثها والتي يصفها بأنها الحملة الوحيدة التي ينطبق عليها مسمى الحروب الصليبية، ففيها خرج العباد الزهاد، وكانت

* أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

أغراضها دينية بحتة، أما غيرها من الحملات فكانت- في رأيه- سياسية واقتصادية، وليس لها من طابعها الديني إلا الاسم.

وتساءل المؤلف عن الأهمية العقلية لتلك الحروب، وما أنتجته فكرة التوسع السياسي والتحولات السياسية والدينية لتلك الحملات الصليبية من خير أو شر، ثم وضح كيفية انهيار الحلم الذي كان يراود الصليبيين في القضاء على المسلمين، ولم ينس المؤلف أن يدافع عن الحروب الصليبية ونتائجها لكونها موردا أساسيا لروح البطولة والفروسية الغربية، تلك الروح التي أمدت الغرب بنجاحات عديدة في مجالات مختلفة، وكذلك ما أنتجته تلك الفروسية من أخلاق عند الصليبيين! وما أثمرته من نظام عسكري مستقر في الغرب، وما أظهرته من صور عديدة للبطولات والتضحيات استمرت زمنا طويلا، كما لم ينس أن يذكر بيأس الصليبيين وخيبة أملهم بعد خسائرهم المتلاحقة على يد صلاح الدين والمسلمين، مما حدا بوجود حركات مسيحية ترى عدم جدوى تلك الحروب في الانتصار على المسلمين، مثل فرنسوا دي أزيس مؤسس الإخوة الأصاغر (الفرنسيسكان)، ريموند لول أبو الاستشراق الغربي الذين دعوا إلى تغيير الوسيلة في الصراع مع المسلمين، وهذا ما أدى إلى تحول مفاهيم الصراع الصليبي الغربي مع المسلمين، فأخذت الحملات الصليبية تنحرف شيئا فشيئا عن أغراضها الأساسية، ثم كانت هناك محاولات أخيرة من الصليبيين لكيلا تنحرف تلك الحروب كليا عن مسارها، لكن ما ظهر فيها من فساد وإفساد، خاصة ما جاء من دعوات كاذبة باسم الحروب الصليبية، أدى في النهاية لانهيار الحلم الصليبي.

ثم شرح المؤلف مقومات الأيديولوجية المؤسس عليها الفكر الصليبي، إذ تقوم على فكرة الحرب في الديانات ومدى قبولها أخلاقيا، مبينا الخلاف القائم حول شرعيتها بصفة خاصة عند المسيحيين الكاثوليك، كذلك أخذ يرسم صورة لتحولات الصراع الفكري الناتج عن آثار تلك الحروب من النقاش والحوار حول المشاعر والعواطف التي كان مبعثها فكرة العاطفة الدينية نحو بيت المقدس واستعادة الأرض المقدسة من المسلمين، ثم ما كان من خيبة أمل الصليبيين بظهور الحروب الدينية فيما بينهم في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي، مما أدى إلى موت العاطفة الدينية وتحولها، ثم ظهور النزعات والصراعات الداخلية والتي أخذت من مشروعية الحروب باسم الدين ذريعة للحرب باسم المذهب الديني والعقيدة، حيث برر كل من الكاثوليك والبروتستانت مشروعية الحرب للدفاع عن عقيدته في مقابل الآخر، فأخذ الغربيون يبحثون عن حل وعن رؤية للسلام الداخلي فيما بينهم، كما جاء عند فرنسوا دو لانو، ثم أخذوا يحلمون بعودة روح الحروب الصليبية وما خلفته من الأفكار الثورية المستمرة، بدءا من فكرة الحروب الطاهرة والنقية، ثم فكرة الحروب الثورية والتحررية.

باحث فرنسي أثبت أن النص القرآني هو الأقرب إلى معطيات العلم الحديث

ونحاول أن نقف مع بعض أفكار الكتاب الرئيسة وقفة نقدية، حيث إن محاولة المؤلف نجحت إلى حد بعيد في تقديم صورة كلية للفكر الذي أسست عليه روح الحروب الصليبية، وإن كانت من وجهة نظر غربية خالصة، ثم إن المؤلف لم يقف معها موقفا نقديا رصينا بقدر ما أخذ يتباكى ويتحسر على القيم الروحية والفكرية لتلك الحروب، وهذا التباكي حمل كثيرا من الدعوات الصريحة لإعادة فهم روح تلك الحروب وإعادة بعث وبث تلك الروح من جديد في الأجيال الجديدة عند الأوروبيين، صحيح أنه لم يدع للحرب لكنه دعا لأن تؤسس أوروبا وحدتها على أساس من هذه الروح الصليبية التي عزى إليها السر في النهضة الأوروبية.

وهنا يجب التنبيه إلى أن الغربيين لا يرون في تلك الحروب ما نراه نحن المسلمين من مساوئ ومخازي، فرغم أن تلك الحروب تخالف جوهر الفكر المسيحي الذي يرفض قتال الآخر، بل يرفض التدافع بمبدئه الشهير «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، وغيرها من الأسس التي تبعد بالمسيحيين عن الصراع السياسي والاجتماعي، ومع كل ذلك خرج الصليبيون يقودهم النساك والزهاد والرهبان يحملون الصليب ومعهم أدوات القتل وسفك الدماء، بل صار هذا الصليب- الذي رضيه المسيح حسب زعمهم ليعاني هو وليخلص الناس من المعاناة بتحمله لها وحده- وسيلة لتعذيب الناس، بل لدوام معاناتهم في الشرق الإسلامي لعدة قرون.

أما فيما يخص سبب الحروب الصليبية فقد ركز المؤلف على سببين: الأول ديني، وهو تحرير الأرض المقدسة من المسلمين، وحماية الممالك المسيحية في الشرق الأوسط، حيث ينقل عن بعض المؤرخين قوله عن تلك الحروب: «كل شيء فيها بدأ صوفيا ثم انتهى سياسيا» أي أن السبب الوحيد لها هو العامل الديني الذي تحول إلى سياسي في نهايتها، والثاني اقتصادي: وهو حماية التجار المسيحيين وكذلك الاستفادة من خيرات الشرق، خاصة أن الوضع الاقتصادي في أوروبا كان مزريا وفي حالة حرجة. لكن في الواقع فالمؤلف قد غفل عن الصراع الحقيقي الذي كان بين الشرق والغرب منذ قرون سابقة عن تلك الحملات، فمنذ أن احتل الرومان الغربيون الشرق وسيطروا على خيراته وهم يحلمون بالعودة لهذا الفردوس المفقود، فلما كان المسلمون هم من أخرجهم منها بتلاحمهم مع الشرقيين الذين عانوا الظلم من الحكام الرومان، حاول الغربيون أن يعودوا لذلك الفردوس وليثأروا ممن أخرجوهم منها، وما كان من ادعائهم من أسباب أخرى فما هو إلا مزاعم لتحريك الجماهير نحو هذا الهدف المستور.

وعلى الرغم من أن المؤلف تحدث عن تطور المؤسسة الصليبية التي دعت واحتضنت تلك الحملات، خاصة في الفصل التاسع من الكتاب عندما تحدث عن ظهور الحركة الإصلاحية البروتستانتية في الغرب ما بين القرن السادس عشر والسابع عشر، والتي غيرت كثيرا من مفاهيم الحروب الصليبية، فإن المؤلف لم ير في تلك الحروب من العوار غير أنها تحولت لعواطف أدبية في صورة شعر الحماسة وشعر الملاحم، مع أن أدبيات تلك الحروب عملت على زيادة روح الحقد والكراهية بين الغرب والشرق، بل كرست فكرة الانتقام من الآخر بأي وسيلة وبأي ثمن، وهذا في الحقيقة ما نراه أكبر حاجز بين تقارب الحضارات وبين التواصل الإنساني المثمر.

مسلمو ترينيداد وتوباجو.. والمجهول

عبده مصطفى دسوقي

أصبح العالم كله يتحدث عن الحريات الفردية داخل البلاد، وأصبحت كل طائفة تسعى للعيش بحريتها في الدول التي تعيش فيها، خاصة إذا كانت تستند لدولة قوية تستطيع أن تحميها، وأصبحت المؤسسات الدولية تطالب بحق الأقليات في بلدانها ونيل حريتهم في العبادة أو بناء المؤسسات الخاصة بهم، وأصبحنا نرى الدنيا تقوم ولا تقعد إذا حدث مكروه لمسيحي أو هندوسي أو سيخي أو يهودي، إلا المسلم الذي أصبح لا يطبق عليه شيء من هذه الشعارات، وكأنه هو المطالب فقط بتقديم التنازل من أجل أن يعيش فحسب، لا أن يعيش حرا كريما.

إن كان هذا واقعيا فإن ذلك يحدث من جراء أشياء فعلها المسلمون أنفسهم حتى وصل الحال بهم لما نرى، فقد تخلوا عن شريعة ربهم والتعامل بها حتى في المعاملات، وانهمكت كل دولة في شؤونها الخاصة، مما ضيع حقوق الأقليات الموجودة في دول أخرى، أضف إلى ذلك الهوان الذي وصلنا إليه، كما اخبر بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان فقال: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الآكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة بنا نحن يومئذ؟ قال: بل انتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل...» (صححه الألباني من تخريج مشكاة المصابيح).



أين ترينيداد؟

تقع ترينيداد وتوباجو أمام الساحل الشمالي الشرقي لجمهورية فنزويلا حيث تبعد عن ساحل فنزويلا بحوالي أحد عشر كيلو مترا، وتبعد جزيرة توباغو عن جزيرة ترينيداد بحوالي ٣٢ كيلو مترًا نحو الشمال.

وأرض ترينيداد سهلية في جملتها غير أنها ترتفع في بعض المناطق، ومناخها استوائي، والأمطار غزيرة وقد انعكس هذا على الغطاء النباتي، فالغابات الاستوائية الكثيفة تغطي مساحات واسعة على أرض الجزيرتين مما أضفى عليهما صفة جمالية.

وتتكون هذه الجمهورية Trinidad and Tobago من جزيرتين استوائيتين صغيرتين هما ترينيداد الواقعة في أقصى جنوب جزر «الكاريبي»، وتوباجو الواقعة شمال شرقي ترينيداد، عاصمتها بورت أوف سباين.

ويحدها من الشرق مياه المحيط الأطلنطي ومن الغرب فنزويلا ومن الجنوب جويانا وسورينام وجيانا، ولقد اكتشف كولومبوس هذه الجزر في ١٤٩٨م واحتلتها إسبانيا في عام ١٥٣٣م، ثم آلت إلى بريطانيا في عام ١٨٠٢م، هاجر إليها هنود وصينيون عام ١٨٣٤م، ونالت استقلالها في ٣١ أغسطس من عام ١٩٦٢م، ثم أصبحت عام ١٩٦٧م أول عضو في منظمة الولايات الأميركية، ثم أصبحت جمهورية عام ١٩٧٦م وعين إيليس كلارك أول رئيس عليها.

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٥،١٢٨ كم٢، ويبلغ عدد سكانها ما يزيد تقريبا عن مليون ونصف المليون، و أهم مدنها: بوت أوف سباين، سان فرناندو، أريما، وتعد مدينة سان فيرناندو هي اكبر مدنها.

كما أن عملتها: دولار ترينيداد وتوباغو، ومتوسط دخل الفرد فيها٤ آلاف دولار، وتتحدث الجمهورية اللغة الإنجليزية، أما عن الديانات الموجودة فيها وأعدادها فهي: ٥٤٪ مسيحيون، ٣٤٪ هندوس، ١٢٪ مسلمون.

أما عن اقتصادها فقد استطاعت ترينيداد وتوباجو أن تكسب سمعة ممتازة لجذب الاستثمارات التجارية الدولية، كما أسهم الغاز الطبيعي في إنعاش اقتصاد البلاد، كما تطورت السياحة بالرغم من أنها لم تصل إلى مستويات السياحة في بقية جزر الكاريبي، كما تقوم على إنتاج النفط.

مسلمو الجزيرة

نمت ظاهرة الأقليات الإسلامية في العصر الحديث مع تصاعد الهجرة من البلاد الإسلامية إلى مختلف أقطار الأرض خلال العقد الأول من القرن العشرين، بينما برزت هذه الظاهرةُ على نطاق واسع مع نشوء الدول الحديثة في العديد من المناطق التي كانت تقع تحت حكم المسلمين، إلى أن قررت القوى الاستعمارية الأوروبية إعادة رسم الخريطة السياسية والجغرافية لهذه المناطق، بحيث يتضاءل نفوذ المسلمين ويتقلّص حضورهم ليصبحوا أقليات في المجتمعات التي كانوا يحكمونها إلى عهود قريبة.

ويعود معظم المسلمين فيها إلى الأفارقة الذين استقدموا كعبيد للعمل في الزراعة

• باحث في التاريخ

والمناجم، وإلى الآسيويين الذين استقدمتهم بريطانيا من شبه القارة الهندية للعمل في الجزيرة أيضا بعد انتهاء عصر الرقيق.

وقد ذكر موقع مفكرة الإسلام تحت عنوان «ترينيداد وتوباجو ونظرة للمسلمين هناك»: عرفت الإسلام من وقت مبكر قبل اكتشافها في عام ١٥٣٣ ميلادية حيث قام مسلمون من غرب القارة الإفريقية برحلات مبكّرة عبر بحر الظلمات - المحيط الأطلنطي - لاكتشاف العالم الجديد، وقد عثر الأسبان هناك على العديد من الآثار الإسلامية المتمثلة في المساجد التي عُثر بداخلها على مكتبات تضم المصاحف الشريفة وبعض كتب الفقه الإسلامي- على المذهب المالكي- المنتشر في غرب القارة الإفريقية، إلا أن الوجود الإسلامي هناك قد تلاشى وتلاشت معه هذه الآثار الإسلامية.

وحسب المعلومات الموثقة التي أوردها الباحث محمد حسن في دراسته «المسلمون في ترينيداد وتوباجو» التي أصدرها في ١٩٧٨م يُظهر أنه عندما احتلت إسبانيا ترينيداد وقامت بنقل عدد لا بأس به من الأفارقة وبالتحديد من السنغال وذلك للعمل بالجزيرة كانت غالبيتهم من المسلمين الذين دعموا الوجود الإسلامي، وكان ذلك في النصف الثاني للقرن الثامن عشر١٧٧٧م، واختلطوا بسكان البلاد وقامت بينهم علاقات تزاوج ومصاهرة مما أدى إلى اعتناق عدد كبير منهم للدين الإسلامي الحنيف حتى وصلوا في مطلع القرن التاسع عشر إلى عشرين ألف مسلم، وحسب الروايات المحلية فقد كان أولئك المسلمون يقرأون ويكتبون العربية.

يمثل المسلمون ١٢ في المئة من سكان ترينيداد جاء معظمهم من أفريقيا للعمل في الزراعة والمناجم

وقد تمكّن المسلمون الروّاد من إنشاء بعض المساجد الصغيرة، وقد بُنيت هذه المساجد وفقًا للعمارة الإسلامية البسيطة عن طريق استخدام التكنولوجيا المحلية المتوافرة في ترينيداد.

ولكن الموجة الكبرى من المسلمين جاءت إلى الجزيرتين عندما احتلت بريطانيا جزيرة ترينيداد، ثم تم إلغاء العبودية في ١٨٣٤م، حيث اعتمدت السلطات والشركات البريطانية على مستعمراتها في شبه القارة الهندية لاستقدام العمال للعمل في المزارع والمناجم، بداية من سنة ١٨٤٤حتى سنة١٩١٢م، وفي الواقع أتى الكثير من أبناء شبه القارة الهندية، سواء من المسلمين أو الهندوس، حتى إنهم يشكلون الآن حوالي ثلث السكان في ترينيداد وتوباجو.

تحديات وجهود

تعتبر الإشكالية التي تواجه المسلمين كأقليات في دول أغلبيتها تدين بغير الإسلام أو في الكثير من البلاد الإسلامية خاصة الفقيرة بسبب الوضع الاقتصادي السيئ، هي الحملات التبشيرية التي ترسلها البلاد الكبرى لتحويل المسلمين الموجودين في هذه البلاد عن إسلامهم بكل أنواع الإمكانات والمغريات المادية أو بالتهديد بالقتل والإفناء.

فمثلا نجح الكنديون في إرسال بعثات تبشيرية لترينيداد بغية تنصير المسلمين والهندوس، ونجحوا نوعا ما في مهماتهم، بسبب الجهل بتعاليم الدين وجراء الفقر الذي يعيش فيه المسلمون، وبالرغم من ذلك ظل الكثير منهم يحافظون على إسلامهم.

ومع ذلك كله وبسبب استقرار الوضع السياسي في البلاد، وكفالة الدستور للحريات لكل الطوائف بممارسة الشعائر الدينية، سواء كانت يهودية أو مسيحية أو إسلامية، استطاع المسلمون تقلد مواقع مهمة في مؤسسات الدولة، فمنهم من تولى حقيبة وزارية، ومنهم من وصل إلى البرلمان، ومنهم من تقلد مهمة ناطق رسمي باسم الجمعية التشريعية (المجلس الاستشاري)، وفي عام ١٩٩٣م أجريت انتخابات فاز فيها القاضي نور حسن علي، وكان أول رئيس مسلم للبلاد.

والمسلمون هناك يعملون في مجالات عديدة ومتنوعة كالطب والقانون والتدريس والخدمة المدنية، وعلى المستوى الاجتماعي يعيشون مع باقي سكان الجزيرة في وئام برغم اختلاف أديانهم وأعراقهم وجنسياتهم وألوانهم، وهناك حرية عبادة تامة يكفلها القانون والدستور، ولهذا يوجد لدى المسلمين في ترينيداد أكثر من ١٥٠ مسجدا ومصلى، ورغم أنهم بدأوا متأخرين في العمل الدعوي والتعليمي والتربوي فإنهم لحقوا بباقي طبقات المجتمع في جميع مجالات التعليم.

وينتشر أغلب المسلمين في جزيرة ترينيداد في المدن الرئيسية مثل «بورت أوف سبين» العاصمة، و«سان فرناندو» و«سان جوان» و«سان جوزيف» و«سانت كلاين» «وكانوبيا»، وأغلبهم يقطنون في جنوب ترينيداد.

ومع ذلك يواجه المسلمون فتنة القاديانية التي تدعي الإسلام وتحاول تشويهه أمام سكان الجزيرة، بل تعمل على عرقلة الجمعيات الإسلامية هناك التي تعمل على نشر الإسلام كجمعية أهل السنة والجماعة والتي تأسست سنة ١٩٣٥م.

وفي عام ١٩٦٠م زار العالم الباكستاني د.فضل الرحمن الأنصار وشحذ همم المسلمين هناك بالعمل للدعوة، حتى إن الكثير من رجال المال والأعمال قاموا بتأسيس جمعية «التبشير الإسلامي» والتي قامت بمجهود طيب في البلاد حتى إنها عقدت برنامجا إذاعيا أسبوعيا لنصف ساعة بعنوان «صوت الإسلام» يشرح الإسلام بصورة طيبة، كما سعت الجمعية إلى نشر الكتاب الإسلامي، وقامت بتوزيع المصحف المترجم إلى الإنجليزية على الدوائر الرسمية والمسؤولين والمدارس، وتعتبر جمعية التبشير الإسلامي من أنشط الجمعيات في البحر الكاريبي، وهناك جمعيات أخرى نشطة.

ولقد قام بعض رؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية بإنشاء المجلس الأعلى للتنسيق الإسلامي، مهمته توحيد جهود الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في البلاد، بالإضافة إلى وضع استراتيجيات جديدة ومعاصرة للدعوة الإسلامية والانفتاح على العالم الخارجي.

وللمرأة المسلمة في الجزيرة دور قوي في الدعوة إلى الإسلام، حيث سلوكها ومظهرها الطيب وحسن معاملتها مع الغير أدت لانتشار الإسلام وسط شرائح النساء.

ورحل الشيخ محمد نايل.. العالم الفذ

عبده مصطفى دسوقي

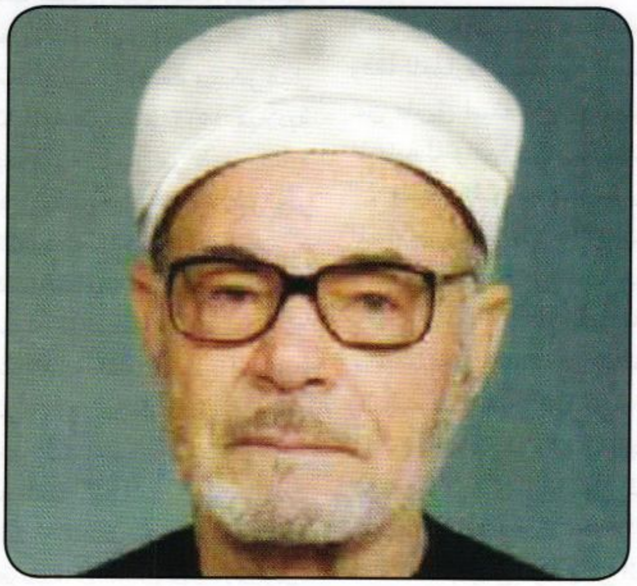
وسط هذا الجو المليء بالفتن والهجوم على الإسلام وأهله رحل عنا عالم جليل قضى حياته عاملا ومجاهدا ومدافعا عن هذا الدين وحرماته ومقدساته.

ففي إحدى محافظات الصعيد نشأ هذا الرجل وتربى على معاني الرجولة الحقة والغيرة على الإسلام، في قرية دشلوط التابعة لمركز ديروط بمحافظة أسيوط كان مولد د. محمد نايل أحمد في ٢ يناير ١٩٠٩، تلقَّى تعليمه في كتاب القرية؛ حيث بدأ حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة والحساب، وأتم حفظ القرآن الكريم في الثانية عشرة، ثم التحق بالمعهد الديني بأسيوط عام ١٩٢٥م، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٣١م، وكان ترتيبه الأول على جميع المعاهد الدينية بالقطر المصري.

التحق بكلية اللغة العربية- جامعة الأزهر بالقاهرة في عام ١٩٣١م، وتفوق فيها حتى حصل على الشهادة العالمية عام ١٩٣٥م، بالرغم من كونه قد فُصل منها وهو في السنة النهائية بسبب حركة الطلاب ضد شيخ الأزهر الأحمدي الظواهري، ثم أعيد قيده مرةً أخرى عام ١٩٣٥م بعد نجاح الحركة، وأُعيد الشيخ المراغي شيخًا للأزهر للمرة الثانية.

وفي عام ١٩٤٣م حصل على الشهادة العالمية (الدكتوراه) في البلاغة والأدب بدرجة ممتاز، وعيِّن مدرسًا بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في العام نفسه، وحصل على درجة الأستاذية عام ١٩٦١م، وفي عام ١٩٦٧م عين عميدا للكلية لمدة عامين، ثم أعير إلى السعودية وليبيا ليكون عميدا لكليات اللغة هناك، وبعد تقاعده عيِّن أستاذًا متفرغًا بقسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بالقاهرة من عام ١٩٨٢م.

اختير رئيسًا لنادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر من عام ١٩٦٤- ١٩٧٠م، وفي عام ١٩٨٢م عيِّن عضوًا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، كما اختير ممثلًا لجامعة الأزهر في الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عام ١٩٦٩م.



وفي عام ١٩٧١م اختير عضوًا للجنة وضع وصياغة الدستور (الحالي)، وكانت له مواقف واعتراضات حينها، منها الاعتراض على اعتبار الاتحاد الاشتراكي سلطة رابعة، وكذلك الاعتراض على أن يكون رئيس الجمهورية رئيسًا لمجلس القضاء الأعلى، شارك فى المحافل الدولية، وكانت له جهود علمية كبيرة فقد ألَّف:

١- كتاب «عصر عبدالقاهر الجرجاني وعصر السكاكي»، ويعدُّ موسوعةً في فن البلاغة والنقد الأدبي منذ نشأته إلى القرن السادس الهجري.

٢- كتاب «اتجاهات وآراء في النقد الأدبي الحديث».

٣- كتاب «نظرية العلاقات بين عبدالقاهر والنقد الغربي الحديث».

٤- كتاب «بين الأدب والنقد».

ووقت غزو العراق للكويت كتب الشيخ محمد نايل في جريدة الأخبار المصرية في ١٤/ ١٠ / ١٩٩٠م يقول: «أبدأ هذا الحديث بهذا السؤال: ما الذي جرَّأ هذا الصدام على أن يتحدى هذا العالم كله، ويرفض في غرور أن يستجيب لإرادته؟! إن الجواب على هذا السؤال لجواب مر شديد المرارة، يؤذي حلوق الناس جميعا ولكنه- على مرارته- هو الحقيقة الواقعة التي لا ينكرها منصف يذعن للحقائق.. إن الذي جرأ هذا الصدام وجرأ الكثيرين قبله على تحدي العالم هو العالم نفسه! إن هذا العالم بجميع دوله ومؤسساته مصاب بأمراض كثيرة وخطيرة.. مصابة دوله بالأطماع والأحقاد والعصبيات والهوى المطاع!

ولو كان هذا العالم صحيحا معافى، وكانت مؤسساته سليمة البنيان قوية الأركان، ما اجترأت دولة ولا حاكم مهما كان وزنه أن يخرج على إجماع العالم ويتحدى قراراته، لكن القوى الكبرى في عالمنا لم ترض للمؤسسات التي ابتدعتها أن تكون صحيحة البنية، نافذة الكلمة».

وفي يوم الثلاثاء ٢ فبراير ٢٠١٠م الموافق ١٨ من صفر ١٤٣١هـ توفي الشيخ بعد قرن من العطاء من أجل دينه وأمته.

أسرتي

المرأة المسلمة وتصحيح الصورة

مع تشابك أمور الحياة العصرية وازدياد الفجوة اتساعًا بين دول العالم المتقدم ودول العالم الإسلامي الذي تنتمي معظم دوله الى العالم المتخلف ترتفع الأصوات عاليًا لإعطاء المرأة حقها.. وكأن هذه القضية هي السبب في تخلف العالم الإسلامي، لأن المرأة هي نصف المجتمع ومادام هذا النصف معطلًا فإن التخلف، حسب زعمهم، سيبقى متجذرًا في عالمنا الاسلامي، لذا لابد من قلب النظام الاجتماعي والأسري السائد في العالم الإسلامي.

دعوة حق أريد بها باطل لتفكيك الأسرة المسلمة، لذا لابد من تصحيح هذه الصورة المغلوطة التي تربط بين المرأة والتخلف لدى الغربيين، وهذا لن يتحقق الا بمساعدة الغربيين على التخلص من الموروث التاريخي الضخم المشوه في الوعي الجمعي الغربي عن المرأة المسلمة، وذلك بعرض مكانة المرأة المسلمة في الإسلام بما يتناسب مع الحقيقة والواقع.

المحرر



عوامل صلاح الأبناء

لكي ننشئ جيلًا صالحًا من أولادنا، هناك بعض العوامل التي تسهم في ذلك أهمها:

١- صلاح الآباء واستقامتهم على شرع الله تبارك وتعالى، فصلاح الآباء ينفع الأبناء، فالأبناء فرع ولا يستقيم الظل والعود أعوج، فإذا أردنا جيلًا صالحًا يؤمن بربه تبارك وتعالى ولا يستعين به الأعداء فلابد من صلاح الآباء أولًا فهم مصدر التعليم الأول في البيت للأطفال.

ونحن نرى عجبًا في بعض البيوت، نرى الأب يدخن ويحذر ابنه من التدخين، ونرى الأم تترك الصلاة وتقول لأولادها أدوا الصلاة ونرى العمة تدمن الاغاني والعم مدمن الغيبة ونرى ازدواجية في شخصية الأفراد في بعض الأسر فالفرد شيء وحاله شيء آخر، الا من رحم الله، يقولون ما لا يفعلون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الله عز وجل وضع لنا ميثاقًا ربانيا لإصلاح أولادنا، قال تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولًا سديدًا﴾(النساء:٩)

فشرط صلاح الأبناء صلاح الآباء وتقواهم لله تبارك وتعالى، ومضمون التقوى كما أخبرنا الإمام علي رضي الله عنه: «العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل».

فإنك إن كنت صالحا حقا وكان ولدك مسيئا لا يرجى صلاحه أخذه الله رحمة بك قبل أن يسيء إليك، والدليل على ذلك قصة الغلام والخضر قال تعالى: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفراً﴾(الكهف: ٨)

فالله عز وجل أمر الخضر بقتل الولد الفاسد لئلا يفسد والديه المؤمنين، أما إذا كنت مؤمنًا حقًا فلا تخف على أولادك من بعدك فسيحفظ الله لك ذريتك من بعدك والدليل على ذلك قصة الخضر والجدار قال تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ (الكهف:٨٢)

فالله عز وجل حفظ الأولاد بصلاة آبائهما، فإن تقوى الله عز وجل تنفع صاحبها ومن بعده ذريته فاتق الله يرب لك أولادك فلا يستطيع أحد أن يصلح أحدًا إلا بإرادة الله تبارك وتعالى.

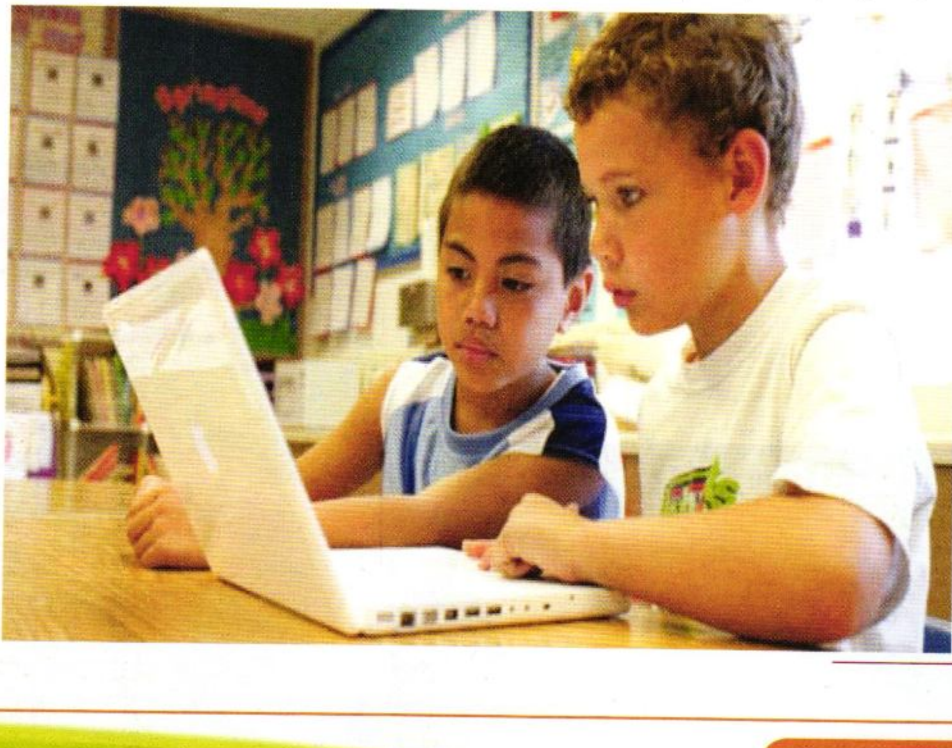
٢- التدرج في التربية وعدم التسرع، إذ يجب ذلك عند تعليم الأولاد فيأخذ الأب من الأمور ما سهل فهمه للولد وسهل تطبيقه ولا يتسرع في تعليمه ولا يتعجل النتائج، فإذا فعل ذلك كانت النتيجة أكيدة بإذن الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾ (آل عمران:١٢٠)

وإذا أحسنت تربية أولادك كانوا معينين لك على طاعة الله عز وجل، ورد أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز عندما تولى أبوه الخلافة دخل على أبيه فوجده نائمًا فقال له يا أبت، قم أتنام وتترك الرعية؟ قال يابني: شغلت بموت عمك بالأمس ولم أنم اتركني أنام ساعة، فقال عبدالملك: إن الذي يحمل أمانة أمة محمد ﷺ لا ينبغي له أن ينام، فقام عمر لينظر شؤون الرعية ثم قال عبدالملك يا أبت ما لي أراك لا تنجز الأمور دفعة واحدة وتأخذ على يد الظالمين؟ والله لا أبالي أن تغلي القدور بي وبك في سبيل الله.

فقال عمر: يا بني إني رأيت الله ذم الخمر ثلاث مرات ثم حرمها في الرابعة، وإني لأخشى أن أحمل الناس على الحق جملة فيتركوه جملة.. نعم إن صلحت تعهد الله ولدك بالعناية واعلم أن الله عز وجل إذا



سليمان الرومي



سكرتير التحرير

تعهد أحدًا بالعناية فلا يفسد أبدا حتى ولو اجتمعت قوى الأرض على إفساده.

قال تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (محمد:٧)

وقال ﷺ لابن عباس: «يا غلام... احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» (رواه الترمذي)

ولك في قصة غلام أصحاب الأخدود عبرة، فقد اجتمعت قوى الأرض على أن يجعلوا الغلام ساحرًا فعجزوا واجتمع الملك ووزراؤه وحاشيته وساحره لهذا الغرض لكن الله عز وجل أراد لهذا الغلام أن يكون داعية فكان ما أراد الله عز وجل.

٣- **الحرص على إصلاح الأم**، فالأم أساس المجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع، فهي المدرسة الأولى للأولاد قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعبا طيب الأعراق

إن لم تكن الأم صالحة فسد الأولاد جميعًا، ولذلك قيل: وراء كل عظيم امرأة.. نعم هي أمه التي ربته ورعته، فمن أراد إصلاح أولاده فليصلح زوجته أولاً.

أخي المسلم علم زوجتك الخير والصلاح تعلم أولادك، فالأم هي التي تربي الأبطال والقادة فلو نظرنا في أمهات الصحابة لوجدناهن أمهات عرفن ربهن وعرفن ما عليهن من واجبات، فأم أنس بن مالك رضي الله عنه الرميساء وأم معاوية هند بنت عتبة وأم الزبير صفية عمة النبي ﷺ وأم عبدالله بن الزبير أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، كلهن نساء صالحات عرفن الله عز وجل وأقمن شرعه والتزمن بأوامره فخرّجن رجالا قال فيهم رب العزة تبارك وتعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ (الأحزاب:٢٣)

٤- **اتخاذ مثل أعلى والطموح إليه**، إن للمثل الأعلى دورا مهما في حياة أولادنا، فهو خير وسيلة للنجاح في الحياة فإذا وضع المرء مثلا أعلى أمامه يطمح إليه وينشده ويضعه دائمًا نصب عينيه يسعى دائمًا للوصول إليه تحقق له الفلاح والنجاح في حياته، والمثل الأعلى قد يكون عالمًا عظيمًا أو تاجرًا ناجحًا أو صانعًا ماهرًا أو سياسيًا فذا، كل هؤلاء يجوز أن يكونوا مثلا أعلى، ولكن خير مثل وخير قدوة يمكن أن يتخذها الفرد هو رسول الله ﷺ فهو خير مخلوق على الأرض وأفضل من تغلب على المصاعب وقهر العقبات، لذا اختاره الله تبارك وتعالى ليكون المثل الأعلى والقدوة للمسلمين جميعا قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)

وكثير من الناس يعيشون في تخبط وإحساس بالضياع بسبب خطئهم في اتخاذ مثلهم الأعلى فمنهم من اتخذ مثله الأعلى فنانامن الفنانين وآخر اتخذ لاعب كرة وثالث اتخذ إنسانًا كافرًا لا يؤمن بالله، فكل هؤلاء لا يستفيد منهم المرء كقدوة أو كمثل أعلى، يقول الأستاذ احمد أمين «والبعض جعل المال مثله الأعلى في الحياة وعمل على تحقيقه بكل السبل المشروعة وغير المشروعة، حتى ولو من طريق التحايل والمكر واستغلال الآخرين لمصلحته وابتزاز الضعفاء لشخصه، فتلك وسيلة من الوسائل الحقيرة، والنجاح المؤسس على هذا نجاح حقير رخيص، إنما النجاح الحق أن يجمع إلى الإخلاص في عمله نبله في خلقه وصدقه وأمانته في نفسه» أ.هـ.

فإذا صلح المثل الأعلى وعمل المرء بتخطيط سليم لتحقيق ما وصل إليه قدوته نجح المرء في حياته، ولكن إذا تكاسل ورضي بالدون لم يصل في حياته إلا إلى الدون فلابد من علو الهمة في طلب المعالي ولله در القائل:

فما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

الأمومة والعطاء

علي إبراهيم كشك

الأمومة أسمى رسالة على الأرض، فالأمومة ليست مجرد الحمل والإنجاب، وإنما هي معاناة ورعاية وحنان وتضحية.

الأمومة هي إحساس فطري مبكر، يصاحب الطفلة الصغيرة منذ سنوات عمرها الأولى، ويتمثل في علاقتها بعروستها التي تعاملها على انها ابنتها، ويكبر معها هذا الإحساس، ويلازمها حتى تصبح أمًا، فالأم دائمًا سعيدة بعطائها، فرحة ببذلها ومنحها، لأنها لا تنتظر أي مردود مادي.. بل إنها تبذل وتعطي، وتكتفي بمشاعر سعادتها النابعة من العطاء كمردود لا تدانيه كنوز الأرض.

الامومة تفرغ شحنة عاطفية لديها، وتأخذ في المقابل حبًا من جانب الأبناء، فالأم في أمومتها، تنطق دومًا بالشهد، وتنساب من عينيها نظرات الحنان، والاحتواء، وتنشر حولها الدفء، وتنتشر ابتسامتها كاللآلئ لتبعث في الأبناء ذكريات مرت من الرعاية، وسهر الليالي، والمعاناة، والتحمل ليصبح الأبناء في أفضل حال تتمناه لهم في المستقبل.. فكل السعادة عندها هو أن يكونوا بخير، وتعتبر ذلك هدية من السماء.

وإذا سألت أي شخص ناجح، عن القدوة في حياته، فإنه سيجيب «انها الأم»، لانها هي المربية، وهي المعلمة، وهي العطوفة، وهي الصديقة والحبيبة، فإذا تعرض لأزمة أو لمحنة فإنه يهرع سريعًا الى الاحتماء بأحضان أمه، وحتى لو كان من هؤلاء الذين لا يذرفون الدمع بسهولة فإنه عادة ما يبكي بحرقة، على صدرها أو عند فراق الأم للحياة، وكأنه بهذا يعلن لنفسه ويعترف أمام الآخرين أن نبع العطاء قد نضب، وأن القلق قد ساد بعد الشعور بالأمان.

● ولنعترف جميعًا، أننا حتى عندما نكون في سن النضج ويحدث أن تهاجمنا الأحداث القاسية، وتعصف بنا الظروف الصعبة فإن كلًا منا يبحث عن الملجأ الهادئ والحصن الدافئ، فلا نفكر إلا في الأم، فنهرع إليها وإلى أمومتها، وكأن وجودها كفيل بمسح الأوجاع، ونسيان الآلام، وننال منها بركة دعائها لنخرج من المحنة سالمين.

.. وأخيرًا، إن حب الأمومة لا ينطفئ إلا بانطفاء القلب.

بُنيتي الغالية.. أنت لؤلؤة ثمينة فاعرفي قدرك!

أ.د. ناصر سنة

يطوف هواة صيد اللؤلؤ بالشواطئ باحثين عن محاره، فإذا عثروا على صَدفة قد يفتحونها عنوة بغية استخراج ما بها من لؤلؤة صغيرة ومن ثَمّ يبيعونها، أما محترفو الصيد فيدركون أن اللآلئ تكبر وتزداد قيمتها كلما تركت لتنمو على فطرتها التي وضعها الله تعالى ناموسًا في كونه، فإذا عثروا على محارة فتية لا يحطمونها، رغمًا عنها، ولا يتعجلون نضج اللؤلؤة قبل أوانها، بل يتركونها كي تتابع نموها، جاعلين الزمن يأخذ دوره، وله دور غير منكور؛ لذا فهم صبورون لتجود الصدفة وحدها بما في داخلها من جوهرة نفيسة ليس لها مثيل، فيفوز بها صياد محترف- مدركًا أنه قد يسبقه آخر إليها- وفق قدر الله تعالى.

بنيتي، قدر الله هو النافذ.. هل رأيت أنه عندما نضجت الصدفة منحت لؤلؤتها في الوقت الذي حدده الله ولمن اختاره- تعالى- ليرزقه بها؟ فحققت بذلك ذاتها الفريدة، وأدت رسالتها القيمة الغالية، مشاركة مع من عرف ويعرف قيمتها، فهو لا يطمع باللآلئ الصغيرة غير المكتملة، لأنه ينشد ما هو أثمن وأغلى وأندر.

بنيتي الغالية، واصلي مسيرتك نحو النضج والوعي والدراية لتحمّل مسؤولياتك، واصبري على ذلك، اهتمي بنفسك الآن، ابذلي جهدك كي تتخلّصي من الشوائب التي تقلل قيمتك، احصلي على ما تحتاجينه من غذاء مادي وروحي، كي تتقدمي وتكبري باعتدال، لا تكثري من شيء دون سبب وجيه، كي تجدي الراحة لقلبك.. خذي وقتك، فجواهر الحياة وثمارها لا تأتي عجلى.

يا بُنيتي، الفتاة- بصفة عامة- أسرع نموا من الفتى من النواحي الجسدية والنفسية والعاطفية بحيث نستطيع أن نضع فتاة السابعة عشرة- من حيث النضج الجسدي- في مستوى شاب تجاوز العشرين، فينبغي ألا يتأخر إعدادها وتميزها وتربيتها، فيجيء الشبابَ النضجُ وهي لمّا تُعد بعد لمهمتها، وإعدادها لتلك المهام- في البيت والمدرسة والجامعة والمجتمع والإعلام- ليس بالأمر السهل أو الهيّن، فالجهد التربوي المبذول فيه قد يكون أكبر مما يُبذل مع الفتى (والذي لا يتسع المقام للحديث عنه، ويحتاج لمقام آخر)، وكذلك ثمرة الجهد أكبر وأضخم، زوجة وأم مسلمة واعية فاهمة وأنموذج لاستقامة الفطرة الإنسانية.

يا بُنيتي، لقد كانت أمك خديجة، رضوان الله عليها، غُرّة ناصعة في جبين التاريخ عامة، والعلاقات الأسرية خاصة، فهي شريفة قريش، ومن أعرق بيوتها نسبًا، وحسبًا، وشرفًا، وكانت ذات مال، وتجارة رابحة، ونجابة بادية، نشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة.. عقلًا وحزمًا وفطنةً وحصافة وعفة وطهارة، فلُقّبت في الجاهلية بـ «الطاهرة»، وكانت مضرب المثل في طهارتها وحكمتها وحصافتها، كما لقب نبيِّك ﷺ، في ذات البيئة، بـ «الصادق الأمين»، ولقد اختارتها العناية الربّانيّة لتكون زوجةً بارَّةً مخلصة لنبيك، فتزاوج الصدق والأمانة ثم النبوة والرسالة بالطهر والعفة والفطنة والعقل والحزم، فكان مزيج من القيم غير مسبوق، لم ولن يكون، فاغترفي- بنيتي- واشربي من ذلك المَعين الذي لا ينضب، وتسربلي بسرابيل تلك القيم، وتأسي بتلك الأسوة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١).

يا بُنيتي، لقد عاشت أمك خديجة، رضي الله عنها، مع رسول الله ﷺ حلو الحياة ومرها، إذ أن أكثر الناس بلاءً الأنبياء، فكانت حصنه الداخلي، وركنه الشديد، وبمنزلة وزيره الصادق الأمين، والرفيق الأنيس والنصير، نافحت ودافعت وتحدت وآزرت وساندت وشاركت وتفانت وواست الرسول ﷺ في دعوته بكل ما لديها، وفي ظروف قلما يوجد فيها نصير أو مؤازر أو معين، فلم يكن ﷺ يسمع شيئًا من استهزاء وسباب وتكذيب إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، فسرعان ما ينسى الألم والحزن، إذ تمسح بيدها الحانية على قلبه، وكانت- رضي الله عنها- امرأة حاذقة في إدخال السرور على زوجها والتخفيف عنه، لقد آمنت حين كفر الناس، وصدقت حين كذّب الناس، وآوت حين طرد الناس، وواست بالنفس والمال حين نفر الناس(١).

يا بُنيتي إن كيان الأسرة (من الأسر والشد والربط) رباط مقدس والتحام وتوافق وانسجام بين شخصيتين، وتجربة حياة غنية وثرية وسعيدة، إدراك معانيها فهم، وإدراك مراميها فقه، ومن الفهم معرفة أن العواطف تفتر، ولكن من الفقه معرفة أن أساليب إحيائها عديدة ومتنوعة، ومن الفهم معرفة أن المعوقات والمشكلات الحياتية متعددة، ولكنها لا تستعصي على الحل بالتعاون والتكاتف والتعاطف، ومن الفهم معرفة أن المواقف



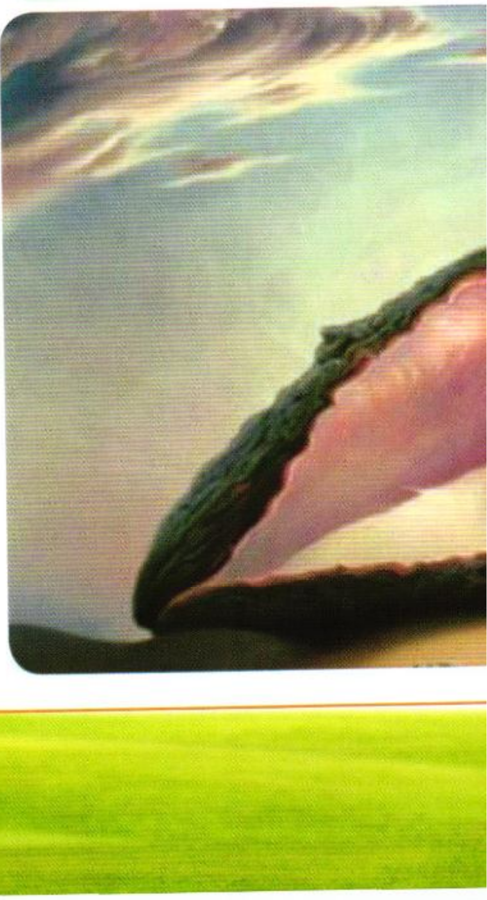
* اكاديمي تربوي

ووجهات النظر تتباين، ولكن رأب الصدع فيها وحسن النوايا هيّن ووارد، فالجانب الممتلئ من الكأس لاشك أكبر من الفارغ، والسنوات الحلوة كثيرة تفوق تلك المرة، وبجهد ميسور يتم ارتقاء أسباب البناء، وإذا ما كانت هنالك من معاول هدم فلن تنال من الحصون الأسرية المنيعة العصية على الانهيار بإذن الله تعالى.

بُنيتي، هل تريدين أن يبيعك صياد مبتدئ لا يعرف قيمتك.. فينتهي الأمر بك وأنت تستحقين من وما هو أفضل، تستحقين- كدُرة- أن تلمعي في تاج ملك عظيم، فكوني قوية شجاعة، حكيمة، واقعية، لا تَخافي أو تحزني.. فعندما تثقين بالله تعالى، ثم بنفسك وبقدرتك على تجاوز كل الصعوبات، ولا تبحثي عن صياد مثالي.. انظري إلى فارسك بموضوعية.. ما دامت تحققت أولويات اختيارك وعلى رأسها الدين والخلق القويم.. اقبليه كما هو، الحب الحقيقي بين الأزواج حب واقعي، وهناك دائمًا من يعرف قيمته، كما يعرف قيمة اللؤلؤ الحقيقي الناضج المكتمل النمو، يبحث عنه.. لا ليبيعه أو يهمله، بل لاقتنائه والمحافظة عليه، ورعايته أبد الدهر، ولك في وفاء نبيك محمد ﷺ لأمنا خديجة رضي الله عنها، القدوة والمثل والأنموذج.

الهوامش

١- البداية والنهاية ج٣، ص٢٣، و سيرة ابن هشام، ج٢، ص٧٧، وأسد الغابة، ج١، ص١٣٣٩



تعليم بلا دموع

إيمان القدوسي

هل يمكن أن يتحقق هذا الحلم؟

أيمكن أن يحصل الطفل على مستوى جيد من التعليم والتربية بلا معاناة؟ وهل يمكن أن يتخلى الآباء والمدرسون عن تلك الذريعة (ستشعر بالامتنان لي يوما على هذه التعاسة)، وهل يمكن إلغاء ذلك المثل الشعبي «يا بخت من بكاني وبكى الناس علي؟» ألا يمكن أن نربي ونعلم في أجواء من السعادة والتقبل؟ وكيف يمكننا ذلك؟

هذه الأسئلة التي تطرحها نل نودينجز الأستاذة بجامعة ستانفورد الأميركية في كتابها «السعادة والتربية» والذي ترجمته د.فاطمة نصر واختارت له عنوان «تعليم بلا دموع».

الطلبة السعداء يتعلمون أفضل من التعساء، كما أن السعداء لا يتصفون بالخبث والعنف والقسوة، ولذلك يجعل التربوي الياباني تسسابوره ماجيكوشي من السعادة هدف التربية الأول، ولكي نصل للنتيجة المرجوة فإن خيارنا الأوحد هو «التربية الذكية الحساسة».

في رأي الكاتبة أن المدارس تتجه اليوم لتعليم الاطفال ما يساعدهم على النجاح الاقتصادي مستقبلًا، أي الحصول على شهادة تمكنهم من العمل براتب جيد، ويتم ذلك بطريقة لاتخلو من القسوة وعدم الاهتمام، فتستخدم أساليب الضرب والتوبيخ والسخرية والقهر والإلزام بل أحيانًا يفتعل المدرس التجهم والقسوة ليخيف الأطفال ويتمكن من السيطرة عليهم في الفصول، والنتيجة هي تخريج شباب يحمل شهادة فقط ولم تنم باقي جوانب شخصيته، فمثلًا الحياة المنزلية الخاصة لا تعطيها المدارس أي اهتمام حتى مدارس البنات التي كانت سابقًا تعلم التدبير المنزلي والخياطة ورعاية الطفل لم تعد تفعل ذلك الآن بحجة أنها مواد غير مهمة، ولعل الفشل الزواجي وارتفاع نسب الطلاق على مستوى العالم يعود إلى هذا النقص والتقصير، فهناك تجاهل لإعداد الفتاة والشاب لدورهم المستقبلي كأزواج وآباء وأمهات، فالبيت والمدرسة لم يعد أي منهما يهتم، تقول الكتابة «يهتم البيت والمدرسة بتعليم الفتاة دروس الجبر والكيمياء وقد لا تستخدمها قط طيلة حياتها بعد انتهاء الدراسة ولكن لا أحد يهتم بتعليمها مهارات الزواج وهي في مسيس الحاجة إليها».

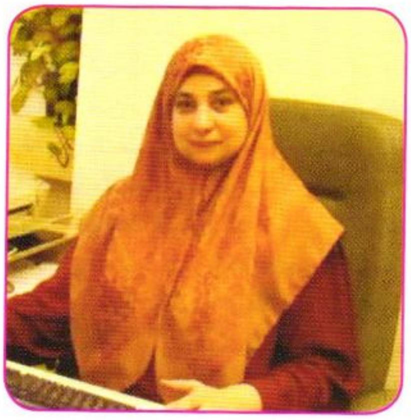
كما أن هناك أمورًا تتعلق بالروح والشخصية وهي مهمة لتحقيق السعادة والتوازن ولا تعطى اهتمامًا، والمقصود بالروح الاهتمام بتنمية الوازع الديني ومعرفة حدود الحلال والحرام، ولعل ذلك لو تم بأسلوب تربوي محبب لتخلصنا من كارثة تعاطي المخدرات أو خففنا منها على الأقل، أما بناء الشخصية فهو أمر جوهري لتحقيق السعادة والنجاح للإنسان، لكن المقررات النظامية لا تتضمنها. الشخصية التي تتسم بالثبات الانفعالي والقدرة على العطاء ومساعدة الغير وتتحلى بالوضوح وتحديد الأهداف والايجابية هي الشخصية المنشودة ويمكن غرس تلك الفضائل من خلال التربية والتعليم.

تقول الكاتبة: «تغيرت الحياة جذريا في نهاية القرن العشرين، بإمكاننا أن نأسف على حقيقة أن معظم النساء اليوم لا يتفرغن لبيوتهن طوال الوقت، ولا يكرسن كل جهودهن لرعاية الأطفال وارشادهم، وبالتالي لابد أن تقوم المدرسة بالعمل الذي كان منوطا بالعائلات من قبل، تماثل أفضل المدارس أفضل البيوت، حيث تقدم علاقات رعاية وود مستمرة وتراعي حاجات الأطفال وتحميهم من الأذى وتعزز البهجة في التعليم الحق، وترشد النمو الأخلاقي والروحاني، بما في ذلك الضمير اليقظ، وتسهم في تذوق الفن والانجازات الثقافية وتساعد الطفل على تنمية تقديره لذاته، والسعادة هي وسيلة وغاية في الوقت ذاته، سيغتنم الأطفال السعداء الفرص التعليمية ببهجة وسيسهمون في سعادة الآخرين، ويسهم الأشخاص السعداء الذين يبقون على ضمير يقظ في عالم أكثر نجاحًا وسعادة».

المستشارة نهى الزيني في حوار خاص:

محاولات تهميش المرأة في الحياة العامة غير موضوعية

حوار: رباب ربيع



تعد المستشارة د.نهى الزيني أحد رموز حركة استقلال القضاء في مصر، وهي معروفة بتوجهاتها الإسلامية وبدفاعها عن حقوق المرأة المسلمة داخل الأطر الشرعية، لها العديد من المداخلات السياسية التي أثارت جدلًا واسعًا في أوساط النخبة المصرية، درست القانون في جامعة القاهرة ثم في جامعة باريس وحصلت على درجة الدكتوراه في القضاء الدستوري وعلى شهادات من مؤسسات دولية في مجال حقوق الإنسان، تكتب بشكل منتظم في أبرز الصحف والمجلات المصرية، كما نُشر لها إصدارات ضمن مشروع لإعادة قراءة التاريخ السياسي للدولة الإسلامية، ولها وجود ملحوظ في المشهد الثقافي ومشاركة فعالة في العمل العام.. «الوعي الإسلامي» التقت بالدكتورة نهى وإليكم نص الحوار:

■ **بداية هل يمكن أن تسلطي الضوء على دور المرأة السياسي في عهد النبوة؟**

- هذا سؤال مهم لأن من يحاولون تهميش دور المرأة في الحياة العامة ويضعون دورها السياسي في مقابلة غير موضوعية مع دورها كزوجة وأم يتناسون أن أول وأهم الأعمال السياسية في الإسلام قامت بها نساء، فالدعم المادي والمعنوي الذي قامت به السيدة خديجة للدعوة الإسلامية في بدايتها، والتمسك بالرفض والمواجهة حتى الموت الذي قامت به السيدة سمية أول شهيدة في الإسلام، قدما مثالين مبكرين على الدور السياسي الحيوي للمرأة، بل إن الدولة الإسلامية الأولى في المدينة التي تأسست من الناحية السياسية على بيعة العقبة التي أبرمها رسول الله ﷺ في موسم الحج من السنة الثالثة عشرة للنبوة والتي تعد بمصطلحات العصر معاهدة سياسية مكتملة الأركان، إنما قام بها الوفد اليثربي الذي ضم امرأتين هما نُسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو، وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أوكل إلى نساء النبي أرقى وأهم عمل سياسي ودعوي وهو تبليغ آيات الله وسنة رسوله ﷺ، وهما الركيزتان الأساسيتان لأي عمل إسلامي بقوله تعالى: ﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ (الأحزاب: ٣٤)، فإن هذا يصبح دليلا دامغًا على أهمية وضرورة دور المرأة في الحياة العامة مثلها مثل الرجل تمامًا، بل إن الطريف أن علماء الجرح والتعديل وجدوا أن نسبة الكذب في نقل الحديث إذا كانت الراوية امرأة تكاد تكون معدومة إذا ما قورنت بنسبة من كذب على رسول الله ﷺ من الرجال.

تقييم دور المرأة في الحياة السياسية لا يجوز أن يتم بعيدًا عن الإطار الشامل لتقييم الوضع السياسي ككل



■ **هل هناك تعارض بين الدور السياسي للمرأة ودورها في بيتها؟**

- لا يمكن التعميم في هذا المجال، فكما أن هناك كثيرا من الرجال لا يمكنهم التوفيق بين عملهم المهني الضروري لكسب معيشتهم وإعالة أسرهم وبين العمل العام، فهناك نساء أيضًا لا يمكنهن التوفيق بين العمل داخل البيت كزوجات وأمهات- الذي هو مهمتهن الأساسية- وبين العمل خارج البيت سواء أكان مهنيا أو سياسيا، فالناس قدرات ولا يتساوون في الإمكانات وفي القدرة على العطاء والابتكار وتنظيم الوقت واحتمال الجهد، لذلك فالتعميم يصبح خاطئا

ويؤدي إلى تحجيم قدرات النساء اللواتي يكون في إمكانهن الجمع بين أكثر من دور، وكما قد يكون نجاح الرجل في مهنته مؤشرًا وحافزًا له على النجاح في الحياة العامة وفي العطاء السياسي فكذلك المرأة قد يؤدي اشتراكها في الشأن العام إلى زيادة وعيها ومضاعفة قدرتها على العطاء مما ينعكس بلا شك بشكل إيجابي على تربيتها لأبنائها، لذلك يجب أن ننظر إلى كل حالة على حدة وأن تكون مشاركة المرأة في العمل السياسي نابعة من رغبتها ومن قدرتها ومن ثقة المجتمع بها ككيان إنساني قبل أن تكون امرأة، فإذا توافرت لها هذه المقومات فإن حرمانها من المشاركة العامة يغدو نوعًا من الظلم لها وللمجتمع ومخالفة لسنة رسول الله ﷺ ولعمل السلف الصالح الذين أتاحوا للمرأة كل مجالات العمل العام، إذا ما كانت قادرة على العطاء فيها، ووقفوا في موقف وسطي بين إخراج المرأة من بيتها لمجرد الخروج تقليدًا للغرب ولمجرد الاستعراض والادعاء دون أن يكون هناك عطاء حقيقي



يحاولون تهميش دور المرأة في الحياة العامة ويتناسون أن أول وأهم الأعمال السياسية في الإسلام قامت بها نساء

تقدمه وبين تحجيم قدراتها وسجنها داخل إطار ضيق لا يستوعب إمكاناتها الحقيقية ويحرم المجتمع من كفاءتها وعطائها بلا مبرر.

■ وهل ترين أن هناك ضرورة في أن تلعب المرأة دورًا سياسيا؟

- النساء شقائق الرجال كما قال رسول الله ﷺ، والمرأة مفروض عليها أن تقوم بدورها في الحياة السياسية كالرجل تمامًا من منطلق أن الجميع مخاطب بقول الله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وهذا هو لب العمل السياسي المفروض على الجنسين دون تمييز، ولكن إن كان سؤالك يقصد الواقع العملي، فإن تقييم دور المرأة في الحياة السياسية لا يجوز أن يتم بعيدًا عن الإطار الشامل لتقييم الوضع السياسي ككل، وانطلاقًا من هذا نستطيع القول ان دور المرأة يتراجع مع تراجع الحريات وحقوق الإنسان، ويصبح التركيز إعلاميا على هذا الدور مجرد غطاء على تراجع الدور النسوي كنتيجة لتراجع دور المجتمع ككل، بل إن ممارستها للعمل السياسي في ظل الأنظمة الفاسدة والمستبدة تصبح أشبه بالأصباغ التي يختفي خلفها الوجه القبيح لنظام فاقد للشرعية على غرار الأحزاب المزيفة التي يصنعها النظام لتجميل صورته دون أن يكون لها رصيد شعبي حقيقي، لذلك يجب أن نتفق على أن تكون المساحة الممنوحة للمواطن رجلا أو امرأة مساحة حقيقية، وأن يكون الدور المتاح لكليهما دورًا حقيقيا لا مفتعلًا، لكي يتبين لنا بوضوح أهمية بل وضرورة الدور الذي يمكن أن تؤديه المرأة على الساحة السياسية في ظل مناخ صحي.

■ هل عدم ثقة المجتمع بقدرات المرأة على القيام بدور سياسي خاصة في العالم العربي يمثل عائقًا حقيقيا أمامها؟

- دون شك.. لأن الثقة التي يوليها المجتمع للمرأة تحفزها على العطاء وتوفر عليها الجهد الذي تبذله في محاولة إقناع الآخرين بجدارتها وبأهليتها كإنسانة للقيام بدورها، وفي رأيي أن الاحباطات التي يعاني منها الإنسان العربي وشعوره بالعجز والهزيمة يؤدي به إلى نوع من الإزاحة النفسية على الطرف الأضعف، وهو هنا المرأة، فنرى الرجل العربي ينفس ما يشعر به من عجز ومهانة أمام حكوماته المتسلطة وأعداء دينه ووطنه المنسحق أمامهم في المرأة، فيمارس عليها من القهر مايشعر به، لذلك لا تلوح أمامي على الأفق بوادر طيبة فيما يتعلق بعودة المرأة المسلمة لممارسة الأدوار العظيمة التي كانت تمارسها في صدر الإسلام دون حاجة لضجيج أو لحركات تحرير نسوية مخترقة من الغرب، فالمجتمع المنتصر المحقق الانتصار داخليًا وخارجيًا كان يفتح أمام المرأة كافة الأبواب للقيادة والجهاد والعمل وبلوغ أسمى المراتب، وهذا لن يتحقق مرة أخرى إلا في ظروف مشابهة، فالسدود الحديدية الموضوعة أمام انطلاقة المرأة هي نفسها الموضوعة أمام انطلاقة الرجل، وهو ما يجعلني أنظر دائمًا لقضية المرأة داخل إطار شامل وليس كموضوع منفصل، سواء في تقييمي للوضع الحالي أو في رؤيتي المستقبلية، وبالتالي فأنا أرى أن أي تقدم يتحقق على مستوى المجتمعات العربية سوف يترتب عليه بشكل تلقائي تقدم مماثل في وضعية المرأة.

العمل داخل المنزل.. «تجارة» تجذب المرأة

رانيا حسام

يعد العمل داخل المنزل البديل الناجح والعملي للمرأة المسلمة التي تجد حرجا في الخروج من المنزل وتتحرج من الاختلاط بالرجال، كما أنه كذلك أيضا لكل أم ترغب في رعاية أبنائها ولا ترغب بالاعتماد على الخادمة في رعاية أبنائها، فهو يحقق لها زيادة الدخل التي ترغب في تحقيقها، وفي الوقت ذاته يمكنها من القيام بالأدوار المختلفة المناطة بها، هذا إلى جانب مناسبته للعادات والتقاليد التي لا تزال في بعض المناطق ترفض صورة المرأة الموظفة أو العاملة.

وقد فرض العمل داخل المنزل نفسه على سوق العمل خلال السنوات الأخيرة، حيث أثبتت الإحصاءات أخيرا أنه يمثل ١٢بالمائة من سوق العمل في الولايات المتحدة الأميركية، ومن المتوقع أن يرتفع إلى الثلثين خلال السنوات المقبلة، الأمر الذي دفع منظمة العمل الدولية لإصدار اتفاقية تنظيم العمل داخل المنزل، خلال العقد الأخير من القرن الماضي، وساعد على ذلك انتشار الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة، الأمر الذي جعل التواصل وتبادل الأفكار والتسويق للمنتجات أكثر سهولة في السنوات الأخيرة.

تجارة منزلية

وتشكل المرأة النسبة الأكبر في العمالة التي تعمل داخل المنزل، ويؤكد خبراء الاقتصاد أن المرأة العاملة تنفق ٤٠بالمائة من دخلها على المظهر والمواصلات، في حين توفر المرأة التي تعمل في المنزل ٧٠بالمائة من دخلها، وقد ساهمت هذه المميزات في انتشار فكرة العمل في المنزل بين النساء الكويتيات، خاصة في مجال التجارة المنزلية، حيث شاع في السنوات الأخيرة إنشاء معارض داخل المنازل، تديرها سيدات في بيوتهن للترويج لبضائع يجلبنها من مختلف أنحاء العالم، بالإضافة لبيع المنتجات عن طريق التوصيل للمنازل في مختلف أرجاء الكويت، والترويج لتلك المنتجات عن طريق صحف الإعلانات أو عن طريق شبكة الإنترنت، وتشعر المرأة الكويتية بالراحة للتعامل مع هؤلاء التاجرات المنزليات؛ لأنها تحصل على بضائع مميزة غير متوافرة في الأسواق، كما أنها لا تضطر للذهاب للسوق بل هو الذي يأتي إليها، ناهيك عن تعاملها مع سيدة كويتية، فلا تكون مضطرة للتعامل مع عمال كما يحدث في المحلات على حد قول أم بدر.

> **الوظائف المنزلية.. البديل الناجح للمرأة التي ترغب في الجمع بين زيادة الدخل والبقاء في المنزل**

ولعل انتشار المعارض المؤقتة التي تقام في مختلف أرجاء الكويت أكبر دليل على انتشار العمل المنزلي بين الكويتيات، حيث زاد عدد المشاركات فيها لأكثر من الضعف خلال العامين الأخيرين.

تقول أم نواف صاحبة أحد المشاغل في منطقة الجهراء إنها فكرت في عمل هذا المشغل بعد أن قامت بتصميم بعض فساتين السهرة لقريباتها ولاقت استحسانا كبيرا، فبدأت على نطاق ضيق بالتصميم للمقربات منها ثم اتسع الأمر وأصبح لديها عميلاتها من مختلف أرجاء الكويت، وتفكر حاليا في البدء في تصميم فساتين الزفاف، وتؤكد أنها لن تفكر أبدا في اقتحام سوق العمل، فهي حريصة على البقاء بجانب أبنائها ورعايتهم بنفسها، لذا فلو فكرت في توسيع مشروعها فسيظل في نفس المكان، أما التواصل مع العملاء فيتم من خلال المعارض المؤقتة التي تشترك فيها.. وهذا نفس ما أكدته أم خالد التي تخصصت في عمل الحلويات في المنزل منذ ٣ سنوات، وقد اعتبرت أن عملها في المنزل يشعرها براحة نفسية كبيرة، إلى جانب أنه يمكنها من متابعة أبنائها وعدم تركهم بمفردهم، بالإضافة للمساهمة في زيادة دخل الأسرة، ورغم أنها تفكر في توسيع مجال عملها بإنتاج الفطائر فإنها ستظل حريصة أن يظل داخل المنزل.

واعتبرت أم أنور التي تخصصت في عمل الولائم الكبيرة أن عملها في المنزل قد زاد من اقترابها من أبنائها، حيث تحرص على البقاء في المنزل معظم الوقت لمتابعة تجهيز الطلبات.

بداية صعبة

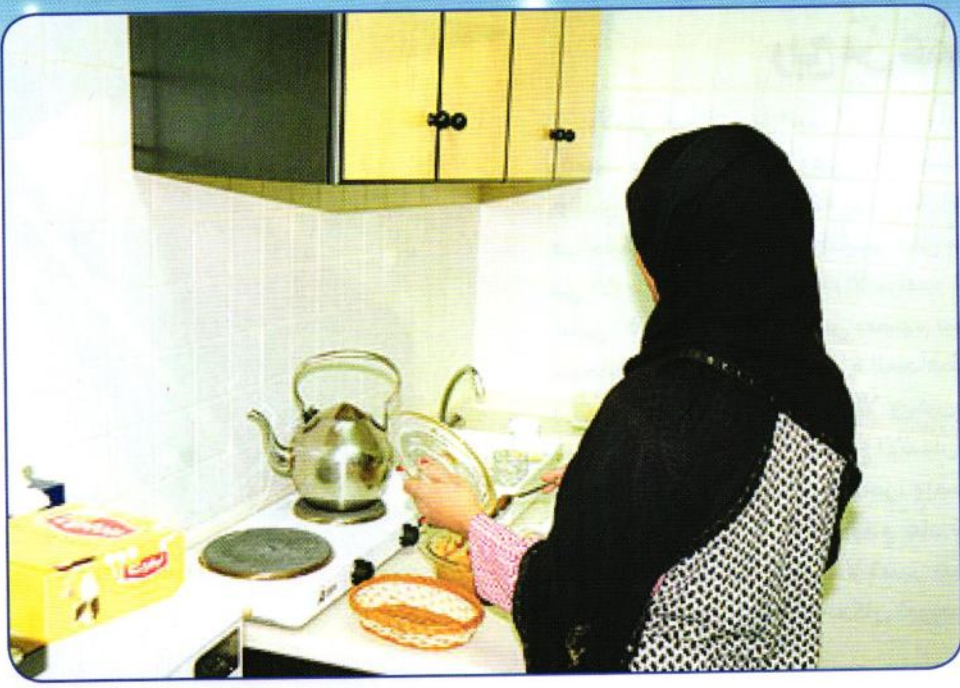
وعلى الرغم من تلك المميزات التي يقدمها العمل داخل المنزل بالنسبة للمرأة من حيث عدم تعرضها لضغوط العمل ومواجهة زحمة السير

والاختناقات المرورية، والراحة البدنية والنفسية بعيدا عن ضغوط العمل وأوامر المديرين، فإن التجربة ليست سهلة على الإطلاق بالنسبة لمن اعتادت على الخروج للعمل، حيث يحتاج الأمر منها لفترة من الزمن للتأقلم على الوضع الجديد، خاصة أنها تجد أن ذهنها يتشتت لأتفه الأسباب، مثل رنين الهاتف أو قرع الباب أو صراخ الجيران أو حتى رائحة الطعام في مطابخهم عند الغداء.

تقول إحدى الصحفيات التي بدأت العمل في المنزل: ليس الأمر بالسهولة التي كنت أتخيلها، فقد اكتشفت أن وطأة العمل في المنزل ثقيلة، حيث إن كل الأسباب صالحة لإضاعة الوقت، فإذا دخلت إلى المطبخ لشرب كوب من الماء طال الأمر لتنظيف بعض الصحون، وإذا دارت عيني في الغرفة قد يدفعني الأمر لترتيب محتوياتها، كما أن بقائي بمفردي في المنزل يشعرني بالعزلة، فلا تبادل للأفكار مع الزملاء ولا تفاعل ولا تنسيق لأولوياتك، كما أن المؤسسات والأفراد لا يتقبلون فكرة عمل الصحفي منفردا بعيدا عن نطاق مؤسسة ما.

ذات الصعوبة واجهتها ليلى التي تعمل في مجال التصوير وترتيبات الأعراس حيث رأت أن العمل حول منزلها إلى فوضى رغم حرصها على عزل أدوات العمل في غرفة مستقلة، بالإضافة لاستخفاف العملاء بها لكونها غير تابعة لمؤسسة ما فيعمدون لتقليل السعر كثيرا وتضطر كثيرا للقبول على أمل أن عملها الجيد قد يروج لها ويكسبها المزيد من العملاء.

وتضع هناء التي تصدت للعمل من المنزل منذ عدة سنوات بعض المعايير الضرورية لنجاح العمل داخل المنزل أهمها تخصيص مكان منعزل ومريح للعمل، وتحديد ساعات محددة له لا ترد خلالها على المكالمات المنزلية العادية، مؤكدة أن أكثر ما يشق على من تعمل داخل المنزل اعتبار أفراد الأسرة أنها متفرغة ولهذا يحق لهم الحضور في أي وقت دون موعد مسبق.



العجيل: العمل المنزلي لدينا وجاهة، فلا نزال في موضة خروج المرأة للعمل

وحول هذه التجربة أكدت الأخصائية الاجتماعية بمركز الاستماع التابع للأمانة العامة للأوقاف هدى العجيل أن هذه التجربة بدأت في الولايات المتحدة الأميركية في ثمانينيات القرن الماضي بين ربات البيوت اللاتي لديهن التزامات عائلية لمساعدتهن على الوفاء بتلك الالتزامات وتوفير دخل للأسرة في الوقت ذاته.

وجاهة لا حاجة

أما في الكويت فتقول العجيل إنه لم يبدأ في الانتشار إلا أخيرا، وينحصر في مشروعات تقيمها بعض النساء المتقاعدات في منازلهن لتنمية الهواية وشغل وقت الفراغ، مؤكدة أن المجتمع لا يزال يعيش موجة خروج المرأة للعمل ولم يدرك بعد أهمية بقاء المرأة في بيتها، فالفتيات ما إن ينهين دراستهن حتى يتسابقن للخروج للعمل ويتمسكن به حتى لو وصل الأمر فيما بعد للطلاق وهدم الأسرة من أجل التمسك بالعمل، أما العمل في المنزل بين النساء لدينا فيدخل تحت بند الرفاهية والتقليد وليس الحاجة الفعلية.

وأكدت العجيل أن الأمر في شكله الحالي ليس خطأ، خاصة أن المرأة تبحث عما يشغل فراغها في شيء مفيد، ولكن على شرط ألا يشغلها عن بيتها، وزوجها وأن توفر لهذا العمل مكانا منفصلا، فلا يتحول بيتها إلى سوق، وأن تسبقه دراسة جيدة، ولا يتم بعشوائية.

ربح من عمَّر وخسر من دمَّر

الأصل في الحياة العمران، والخراب طارئ عليها، لأن اليد العليا هي التي عمرت وأتقنت وأحكمت البناء، وهي التي زينت وجملت وجعلت الكون وما فيه بهجة للناظرين ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة: ٢٧) ولما كان الإنسان هو خليفة الله في الأرض والمؤتمن على ما فيها والموصى بعدم الإفساد فيها ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف: ٥٦) والمأمور بعمارتها والمحافظة عليها قال، الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ (البقرة: ٢٠١) فجعل الله سبحانه إصلاح الأرض ضرورة للمحافظة عليها وصيانتها حتى لا يشيع الفساد فيها.

ولا يمكن لحرب أن تقع إلا ويكون من آثارها ومخلفاتها الخراب والخسائر التي تصيب الحجر والبشر، ويسارع الإنسان عادة لإعادة ما تهدم وليشيد ما أصابه الخراب من دور وقصور ومصانع ومتاجر، ويصرف في سبيل ذلك الجهد والأموال، وتتضافر القوى وتتساند، وإذا الذي تهدم عاد كأحسن ما يكون روعة وحسن منظر، وخسارة الحجر التي سببتها الحرب لا تعتبر شيئا مذكورا إذا قيست بالخسارة التي أصيب بها البشر والتي من الصعوبة بمكان تعويضها.

يحيى عبدالغني

الحملة ضد الحجاب

الحملات الشرسة ضد حجاب المرأة هدفها بالدرجة الأولى نشر العلمانية وزحزحة الإيمان بالله عن عقول وقلوب شبابنا الذين سيحملون راية الإسلام في المستقبل، وهي بلاشك دوافع حقد قديمة لدى الغرب واليهود ومن يقف معهم وخلفهم.

ويرى العلمانيون في انتشار ظاهرة الحجاب بين الفتيات المسلمات بالدول العربية والغربية هزيمة لهم وإفشالاً لمخططهم القائم على استهداف المرأة المسلمة باعتبارها طريقهم الأوحد للتغلغل في قلب الأسرة التي هي عماد الإسلام. والشيء الغريب حقا هو امتداد ظاهرة الهجوم الشرس على الحجاب لتشمل قيادات في مواقع مختلفة تغلغلت العلمانية في نفوسهم وعقولهم.

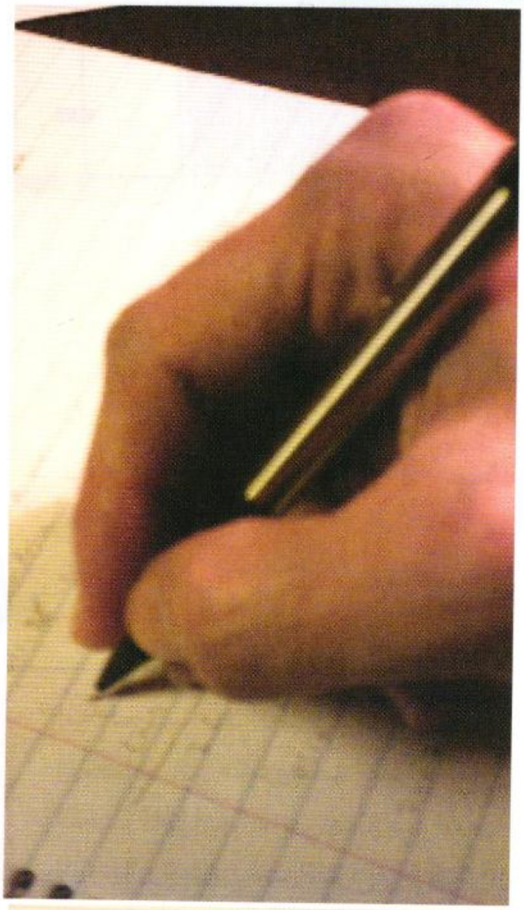
وقبل أن يرمينا بعض من يطلقون على أنفسهم دعاة الحرية بالتخلف والرجعية لدفاعنا عن الحجاب، عليهم أن يقرأوا هذه التصريحات لعدد من كبار المسؤولين في العالم ليعرفوا مدى شراسة الحرب ضد حجاب المرأة المسلمة.

- إن الغطاء من الرأس للقدمين الذي يمنع الهواء هو أكثر أداة للتعذيب، انه مدنس لنشاط المرأة الجنسي، انه يحول أي امرأة إلى شيء مدنس يدعو للاشمئزاز، إنه كساء يظهر شناعة الإثارة الجنسية «بولي توييني- كاتبة بريطانية».
- لا أظن أن هناك أكثر تعبيرًا عن اضطهاد المرأة من غطاء الوجه «لورا بوش».
- الحجاب اعتداء على المرأة يصعب على الفرنسيين تقبله «جاك شيراك».

هذا هو الغرب الذي يتغنى بالحريات والتعدد العرقي والثقافي.. غير متسامح في شأن الحجاب ملبس العفة والطهارة للمرأة.

ويكفي أن ننقل ما أعلنه وزير الشؤون الدينية بإحدى البلدان العربية «الحجاب ظاهرة دخيلة على بلادنا وإننا إذا قبلنا به اليوم فقد نقبل غدًا بأن تحرم المرأة من حقها بالعمل والتصويت وأن تمنع من الدراسة، وأن تكون أداة للتناسل والقيام بأعمال منزلية».

محمد السيد عامر



نحن في مرحلة العمل

الإخلاص من سمة الرجال الذين يؤثرون جانب العمل على جانب الكلام، ويدركون أن المرحلة الحالية هي مرحلة العمل واستفراغ الجهد وبذل أقصى ما في الوسع من باب الإعذار أمام رب العالمين، لأن حال الأمة الآن سيسأل عنه الجميع، فلا تقل إنك فرد واحد لا حيلة لك، فأنت أمة في فهمك ووفائك وعملك وثقتك في نصر الله، أنت أمة في بيتك ترعى أبناءك وتنشئ رجالاً وتؤثر فيمن حولك بالعمل لا بالكلام، فالناس أصبحوا لا يسمعون ولا يصدقون ولا يستجيبون لدعاة المنابر فحسب لأن دعوتهم لها حد ووقت وهو زمن الخطبة، ألا فلنع الدين جيدا من سيرة سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ وأصحابه الصادقين المخلصين، فلنا فيهم نعم الأسوة.

محمد أبوعيد

من يمثل الآخر؟

نحن والهوية أم الهوية ونحن؟ هل الهوية تمثلنا أم نحن نمثلها؟ من يقدم الآخر؟ وهل نحن متفقون معها؟ أجبرني على كتابة هذا المقال سيدة أجنبية بعد إنهاء زيارتها للمسجد الكبير في دولة الكويت كتبت في بياناتها، الديانة مسلمة والجنسية كويتية، فاندهشت وتعجبت فبادرتها بالسؤال: هل أنت كويتية مسلمة؟ فأجابت: هل تريدين بيانات الهوية أم ما أحس به؟ فانتقلت الحيرة منها إليَّ.. فأجبتها: كما تشائين، فقالت: إذا أردت بياناتي الموجودة في الهوية فأنا أميركية مسيحية، وإذا أردت الشعور الذي يخالجني منذ خمسة عشر عاماً فهو كويتية مسلمة! فأنا أعشق هذا البلد أكثر من الكويتيين، وأطبق الإسلام أكثر من المسلمين، فتعجبت وسألتها: ولماذا لا تسلمين وتعيشين في الكويت؟ فقالت: هناك عوائق كثيرة تحول دون اتخاذ هذا القرار ومشكلات مترتبة عليه، فمنذ خمسة عشرة عامًا وأنا أعيش بهويتين، ما هو مكتوب بالهوية، وما هو موجود في قلبي، فخطر ببالي الكثير من المسلمين العرب المهاجرين إلى بلدان أخرى الذين يغتربون سنين عديدة يقتلهم الحنين إلى أوطانهم ويعيشون هناك جيلاً وراء جيل، حاملين هويات البلدان التي يعيشون فيها ويحملون هوياتهم العربية والإسلامية داخل قلوبهم، لا تصدأ ولا تذبل على مر الأزمان واختلاف البلدان، فهل الهوية تمثلنا.. أم نحن نمثلها ومن يقدم الآخر؟! والأهم من كل هذا أن يبقى نبض الإسلام حيا قويا داخل قلوبنا فهو نور يأبى أن ينطفئ.

سارة مبارك الدوسري

دعوة غربية لتطبيق الشريعة الإسلامية

أثبتت التجربة الإنسانية صلاح الإسلام لكل زمان ومكان، بعد أن فشلت تجربتها الاشتراكية في النظرية الاقتصادية الشيوعية التي انهارت بنهاية القرن العشرين بعد أن حملت البشرية ثمنا باهظا، وسقطت بالكامل حين أصبح فشلها ثابتا ظاهرا للعيان بعد أن أصيبت الإنسانية بعدة انتكاسات بالرأسمالية آخرها عام ٢٠٠٨ والتي هددت العالم بالخراب، وعلى اثرها دعت كبريات الصحف الاقتصادية الأوروبية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في المجالات الاقتصادية كحل أمثل للتخلص من براثن الرأسمالية المتوحشة، فقد كتب بوفيس فنست رئيس تحرير مجلة «challenges» الاقتصادية الفرنسية: إننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا، لأنه لو حاول القائمون عليها احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا من الكوارث ما حل لأن النقود لا تلد نقودا.

وتحت عنوان «هل تأهلت سوق المال الأميركية المعروفة بـ«wallstreet» لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟» كتب رئيس تحرير صحيفة المال الفرنسية افتتاحية عدد ٢٠٠٨/٩/٢٥ مطالبًا بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق المال جراء التلاعب بقواعد التعامل، والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة، ومبينا اقتناعه التام بفشل الرأسمالية فشلًا ذريعًا، وداعيًا إلى البحث عن خيارات بديلة لإنقاذ الأوضاع المالية المتردية، وقدم عددًا من المقترحات كان في مقدمتها تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

في الحث على طلب العلم

قال مصعب بن الزبير رضي الله عنه «تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالاً، وإن لم يكن لك مال كان لك مالاً»، ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى: تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسًا ولا يسقم نفسًا. فأخرج له طعامًا وصدقة، فقال المتعلم: حاجتي إلى كلامكم أشد من حاجتي إلى طعامكم، إني طالب هدي لا سائل ندى، فأذن له العالم وأفاده من كل ما سأل، فخرج جذلاً فرحًا وهو يقول له: علم أوضح لبسا خير من مال أغنى نفسًا.



وقد قال ابن المعتز في منثور الحكم: العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم، وقيل لبرزجمهر: العلم أفضل أم المال؟ فقال: بل العلم، قيل: فما بالنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء، فقال: لمعرفة العلماء بمنفعة المال وجهل الأغنياء بفضل العلم. وأنشد بعضهم قائلًا:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحي بالعلم ميت
فليس له حتى النشور نشور

• عبدالله الأمين

إعداد: خالد خلاوي

استيقظ باكرًا تحصد الذهب



جاء في قصة نجاح بيل غيتس صاحب شركة «مايكروسوفت» الشهيرة أن من أهم أسباب نجاحه، أنه كان يبدأ يومه باكرًا فيستيقظ الساعة الرابعة صباحًا ويعمل لساعات طويلة، عملًا بقاعدة غربية تقول: «إن في الصباح الباكر ذهبا»، وحصد بيل غيتس الذهب وتصدر قائمة فوربس التي تضم أثرياء العالم لعدة سنوات، فالاستيقاظ مبكرًا دليل النشاط والعمل الدؤوب والهمة العالية لتحقيق الهدف المنشود، وكثير من الأعمال العظيمة بكر أصحابها في إنجازها في الساعات الأولى من اليوم.

وإذا كانت القاعدة الغربية في الاستيقاظ الباكر تركز على النجاح في الدنيا بتحصيل المال والثروة فحسب، فإن القاعدة الإسلامية في البكور تُعنى بخيري الدنيا والآخرة، فالمسلم حين يستيقظ باكرا فإنه يطلب الذهب وما هو أغلى من الذهب، يطلب رضا الله سبحانه بالاستيقاظ لصلاة الفجر، ويلتمس البركة في العمل والرزق في وقت تقدير الأرزاق، روي عن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ «اللهم بارك لأمتي في بكورها» قال راوي الحديث: «وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم في أول النهار».

وقال راوي الحديث: «وكان صخر رجلًا تاجرًا فكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى وكثر ماله». (رواه ابن ماجه في السنن).

وقد كان رسول الله ﷺ يجلس في المسجد بعد صلاة الصبح مع الصحابة يتذاكر معهم القرآن، روي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء» (صححه الألباني).

والرسول ﷺ رغبنا في لزوم المساجد والجلوس فيها لذكر الله تعالى طلبًا للثواب العظيم فقال: «من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة» (رواه الترمذي).

وكان أبوبكر رضي الله عنه ممن يحسنون استثمار هذا الوقت في الأعمال الصالحة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبوبكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (رواه مسلم).

والذين ينامون في هذا الوقت الثمين ويستغرقون في نومهم إلى انتشار الشمس يحرمون أنفسهم بركة هذا الوقت.

قال بعض السلف: عجبت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق؟

وروي عن ابْن عَبّاس رضيَ اللّهُ عنهُمَا أنه رأى ابْنًا لهُ نائمًا نَوْمَةَ الصُّبْحَة فقال لَهُ: قُمْ، أَتَنامُ في السّاعَة الّتي تُقَسّمُ فيهَا الأَرْزَاقُ؟ وكان عروة بن الزبير ينهى بنيه عن النوم في الصباح، وقال علي رضي الله عنه: من الجهل النوم في أول النهار.

واعتبر الإمام ابن القيم رحمه الله كثرة النوم بخاصة في هذا الوقت مفسدة؛ فإنه يميت القلب ويثقل البدن ويضيع الوقت ويورث كثرة الغفلة والكسل.

يقول د.عائض القرني في كتابه «مفاتيح النجاح»: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وبادر الفرصة، واحذر البغتة، وإياك والتأجيل والتردد، وإذا عزمت فتوكل على الله.

ويضيف: بارك الله للأمة في بكورها، فإذا أردت عملًا فعليك بالصباح فإنه أسعد الأوقات.

والاستيقاظ مبكرًا قد يكون صعبًا على البعض، خاصة على من تعود السهر والاستيقاظ متأخرا، وتغيير هذه العادة يتطلب مجاهدة النفس بالإصرار على البكور وتمرين النفس وبرمجتها حتى يصبح عادة وأمرًا سهلًا.

ينقل خبير البرمجة اللغوية العصبية د.إبراهيم الفقي في كتابه «قوة التحكم في الذات» قول جيمس ألان: «أنت اليوم حيث أوصلتك أفكارك، وستكون غدا حيث تأخذك أفكارك، لا أحد مر بتجربة أو باتخاذ قرار إلا ويجد نفسه أمام خيارين.. أو بالأحرى صوتين من الداخل، وكأن أحدا يتكلم إلينا.. الأول يقول: نعم والثاني يقول: لا» ويعلق الفقي شارحًا هذه العبارة: هل حدث أن قررت الاستيقاظ إلى صلاة الفجر فأحد الأصوات يقول لك: سم الله..استعن بالله وقم للوضوء، وصلاة الفجر عظيمة، وفي هذا الوقت مفتاح الرزق والتوفيق... ولا تتكاسل.. بينما الصوت الثاني يقول

لك: نم.. مازال أمامك متسع من الوقت.. الدفء والراحة.. ستصليها بعد نهوضك.. غدًا.. إن الله غفور رحيم.. ترى أيهما كان النصر حليفه؟ ربما تكون مررت بتجربة سلبية سببت لك إحساسا سيئا، ومن وقت إلى آخر تسمع صوتا يذكرك بتلك التجربة ويعيد عليك نفس الإحساس السيئ.. لقد مرت التجربة وانتهت.

والآن وقد اعتدت على البكور استثمر هذا الوقت الثمين في كل عمل مفيد وننصح بالأعمال التالية:

- قراءة القرآن وحفظه ومدارسة تفسيره ومعانيه.
- أذكار الصباح والاستغفار.
- المذاكرة والاستيعاب لطلاب العلم.
- إنجاز الأعمال المهمة، خاصة التي تحتاج إلى تركيز وصفاء ذهن.
- الاجتماع مع أفراد الأسرة ومناقشة الاستعداد لأعمال اليوم.
- عمل برنامج للقراءة الحرة أو في تخصصك العلمي أو المهني.

صور من حياة المتميزين

الشافعي رحمه الله

المطالع لكتب التراجم والسير يلاحظ أن أغلب دروس الأئمة والعلماء كانت بعد صلاة الفجر التماسًا لبركة هذا الوقت، والمبادرة إلى تحصيل العلم في أول اليوم.

قيل للشعبي بم حصلت هذا العلم؟ فقال: ببكور الغراب وسعي كسعي العقاب.

وكان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رحمه الله.

وجاء في تاريخ بغداد عن أبي معاذ عن مسعر بن كدام قال: أتيت أبا حنيفة في مسجده، فرأيته يصلي الغداة (الفجر)، ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء.

وينقل الإمام ابن القيم في كتابه الوابل الصيب عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان يجلس بعد الصلاة (صلاة الصبح) يذكر الله وكان يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، يعني بذلك ما يحصل للعابد من لذة المناجاة التي لا نسبة بينها وبين لذات الدنيا بأسرها، وكان يقول رحمه الله كما ينقل عنه تلميذه ابن القيم: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. وقد كان إذا صلى الفجر جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار.

وجاء في سير أعلام النبلاء عن الوليد بن مسلم قال: رأيت الأوزاعي يقبع في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض فأفضوا في ذكر الله والتفقه في دينه.

كلمات في التميز

- «إنّ حياتنا من صنع أفكارنا» وعليه إذا نحن ساورتنا أفكار سعيدة كنّا سعداء، وإذا تملّكتنا أفكار شقيّة غدونا أشقياء، وإذا خامرتنا أفكار مزعجة تحوّلنا خائفين جبناء، وإذا تغلّبت علينا هواجس السّقم، والمرض، فالأغلب أن نبيت مرضى سقماء» **الشيخ محمد الغزالي.**
- «إنّ أفكارنا هي التي تصنعنا واتّجاهنا الذّهني هو العامل الأوّل في تقرير مصيرنا» **ديل كارنيغي.**
- «إن أعظم اكتشاف لجيلي، هو أن الإنسان يمكن أن يغير حياته، إذا ما استطاع أن يغير اتجاهاته العقلية» **وليام جيمس.**
- «من لم يكن له في بدايته احتراق لم يكن له في نهايته إشراق، ومن جدّ في شبابه ساد في شيخوخته» **د.عائض القرني.**
- «يلوم الناس ظروفهم على ما هم فيه من حال.. ولكني لا أومن بالظروف فالناجحون في هذه الدنيا أناس بحثوا عن الظروف التي يريدونها، فإذا لم يجدوها وضعوها بأنفسهم» **برنارد شو.**

إعداد: هالة محمد

أنت تفكر والكمبيوتر يكتب!

قد يتمكن مستخدمو الكمبيوتر من كتابة الحروف والأرقام بفضل قوة التفكير في موجاتهم الدماغية، فقد ذكرت دراسة جديدة أجراها باحثون في جامعة «فلوريدا» انه يمكن لمستخدمي الكمبيوتر ان يظهروا الأحرف على الشاشة من خلال التركيز على الحرف المحدد من بين مجموعة من الأحرف.

وقدُمت هذه الدراسة أمام الاجتماع السنوي للجمعية الأميركية لمرضى الصرع، وخضع لها مريضان يعانيان من الصرع، وقد وضعت أقطاب كهربائية (الكترود) في جمجمتيها وعلى سطح الدماغ من خلال عملية جراحية وراقبت هذه الاقطاب الكهربائية النشاط الكهربائي الذي تنتجه الخلايا العصبية وطلب من المريضين النظر الى شاشة كمبيوتر احتوت على شبكة قياس ٦×٦ مؤلفة من رقم وحرف واحد في كل مربع، كلما أضاء مربع معين يحتوي على حرف محدد وركز عليه المريض سجل الكمبيوتر رد فعل الدماغ على الحرف المضيء ثم طلب من المريضين التركيز على احرف محددة وسجل برنامج الكمبيوتر المعلومات ثم تم ضبط الكمبيوتر ليتناسب مع الموجات الدماغية لدى المريض وحين ركز المريض على حرف ما ظهر هذا الحرف على الشاشة، وقد تساهم هذه التقنية الجديدة العاملة على الموجات الدماغية في مساعدة الاشخاص المصابين بأمراض تمنعهم من الحركة، على استخدام الكمبيوتر.

مياه المتوسط تدفقت من المحيط الأطلسي

تقول دراسة علمية جديدة، إن البحر المتوسط تكون بفعل فيضان جارف من مياه المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق قبل ملايين السنين واوضحت الدراسة التي قام بها باحثون من معهد العلوم التابع لجامعة برشلونة (اسبانيا) أن ما يعرف اليوم بالبحر الأبيض المتوسط كان بحيرة مغلقة وما لبثت كل مياهه تقريبًا ان تبخرت فأصبح مجرد حفرة هائلة وأن عملية التبخر استغرقت عدة آلاف من السنين، وأضافت الدراسة أن العلماء متفقون على أن حوض البحر الأبيض المتوسط قد امتلأ مجددًا بالمياه بعد أن تسببت حركة القشرة الارضية بانخفاض سطح المنطقة المحاذية لمضيق جبل طارق لكن ليس بقدر كاف ما سمح لمياه المحيط الأطلسي بالاندفاع شرقًا. وأكدت الدراسة التي اعتمدت على تحليل المعلومات الزلزالية التي تم الحصول عليها من خلال عمليات حفر في أعماق صخور المضيق، أن اندفاع مياه المحيط كان بعرض ٢٠٠ كم وأن اندفاع المياه كان بطيئًا في البداية حيث استغرق ذلك عدة آلاف من السنين.

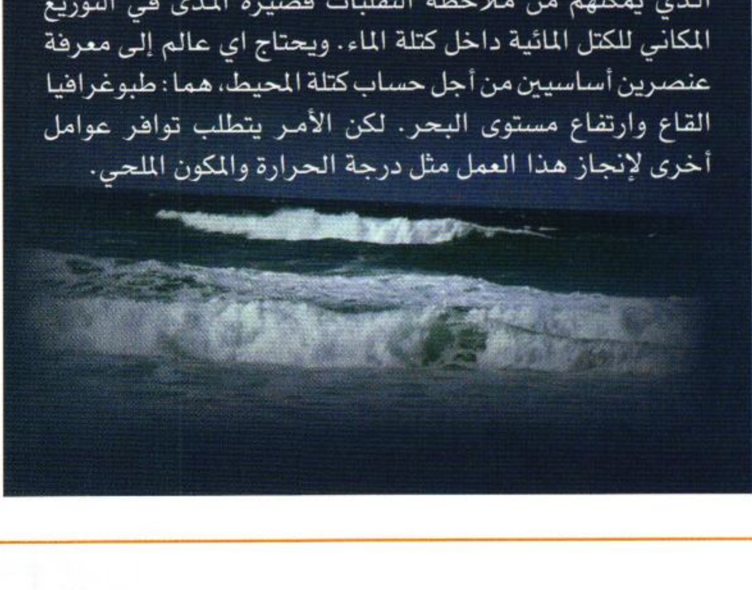
النباتات لتنقية الهواء!

تشير آخر الأبحاث الى اهمية الاستعانة بعدد من النباتات المنزلية داخل المنزل لتنقية الهواء وازالة الكائنات الدقيقة الضارة بصحة الانسان، فالنباتات تحتوي على مركبات طبيعية لديها القدرة على تنقية الهواء الموجود في الغرفة المغلقة، وتعمل على تحييد الكائنات الدقيقة العالقة بالهواء والتي تضر بصحة الإنسان، وقد أجريت بعض الابحاث الأولية في هذا الصدد على عدد من النباتات حيث تم وضعها في احواض زجاجية مغلقة تشابه البيئة الموجودة في الغرف المغلقة مع اضافة بعض الكائنات الدقيقة الضارة بصحة الانسان وثاني اكسيد الكربون، فأثبتت أن هذه النباتات لها فاعلية تخليص الهواء في هذه الأحواض الزجاجية من الهواء الفاسد وبعض الكائنات الدقيقة التي تشكل خطورة على صحة الإنسان.

وزن البحر!

في اطار جهود اكتشاف كيفية تأثير كتلة المحيط على الألواح التكتونية (حركة الطبقات الصخرية لباطن الأرض) قام فريق من العلماء الألمان بالشروع في واحدة من أكثر ادوات القياس صعوبة المتوافرة في الطبيعة وبالأخص لتحديد وزن البحر، وذكر تقرير ألماني أنه وخلافًا للمتغيرات الحسابية لمستويات البحر البسيطة نسبيًا، فان اكتشاف كتلة الماء أمر اكثر تعقيدًا، كما يساهم عدد كبير من العوامل في التغييرات في ذلك العدد ونظرا لأن مستويات المحيطات ليست جامدة كما في النماذج المثالية، لذا فان الرقم يتغير بشكل ملحوظ على مدى اطر زمنية قصيرة.

ويقول العلماء في مركز الأبحاث الألماني للعلوم الجيولوجية (جي اف زد) في جمعية هيلمهولتز ومعهد الفريد فيغنر للعلوم القطبية والبحرية، العاملون معا مع زملاء من جامعة بون، إنهم حلوا اللغز بالوصول الى وسائل حساب دقيقة بالقدر الكافي الذي يمكنهم من ملاحظة التقلبات قصيرة المدى في التوزيع المكاني للكتل المائية داخل كتلة الماء. ويحتاج اي عالم إلى معرفة عنصرين أساسيين من أجل حساب كتلة المحيط، هما: طبوغرافيا القاع وارتفاع مستوى البحر. لكن الأمر يتطلب توافر عوامل أخرى لإنجاز هذا العمل مثل درجة الحرارة والمكون الملحي.



توقع العثور على حياة خارج الأرض

قال عالم فضاء بريطاني رائد، ان احتمال العثور على كائنات حية على كواكب أخرى بات اليوم أكبر من أي وقت مضى.

ونقلت الأنباء عن لورد ريس، رئيس الجمعية الملكية وعلم الفضاء الملكي، قوله، ان هذا الاكتشاف سيصبح حدثًا يغير الانسانية، واشار الى أن هذا الاكتشاف سيغير نظرتنا لانفسنا وللكون.

وجاءت تعليقات ريس في اطار مؤتمر دولي تستضيفه لندن لمناقشة احتمال العثور على حياة خارج الأرض.

ويمسح العلماء الفضاء من أجل العثور على بث من كائنات فضائية منذ أكثر من ٥٠ سنة، ولم يجدوا شيئًا حتى الآن، غير أن ريس أكد أن احتمال العثور عليها اليوم بات أفضل من أي وقت مضى.

وأشار الى أن التكنولوجيا قد تطورت بشكل كبير، وللمرة الأولى بات لدينا أمل واقعي في العثور على كواكب ليست أكبر من الأرض تدور حول نجوم أخرى.

وقال إنه بات من الممكن اكتشاف ما إذا كانت هذه الكواكب تتمتع بمحيطات وقارات واكتشاف نوع الغلاف الجوي الذي تتمتع به.

وقال: «أظن أن ثمة حياة وذكاء هناك باشكال لا نستطيع تخيلها»، وتوقع أن تتمتع هذه الكائنات بذكاء أكبر من الذكاء البشري، وبعيدة عنه بعد البشر عن الشمبانزي.

خريطة ذكر النحل الجينية للإبادة الطبيعية

تمكن علماء اميركيون من فك رموز الخارطة الجينية لثلاثة أنواع من ذكور النحل التي تقتل الطفيليات، مكتشفين خصائص تتيح تطوير مبيدات حشرية طبيعية، على ما جاء في دراستهم.

ويعتبر هذا النوع، الذي لا يتخطى حجم عدد كبير منه الميليمترات القليلة، مفيدا جدا لأنه يقضي على الحشرات المضرة.

وهذه الحشرات التي تضم ٦٠٠ الف نوع تضع بيضها في النبتة التي تستضيفها وتقضي عليها.

وقال جون ورن عالم الأحياء في جامعة روشستر (نيويورك، شرق الولايات المتحدة) الذي شارك في الدراسة التي نشرت في عدد ١٥ يناير من مجلة «ساينس»: «لولاها ولولا غيرها من الحشرات القانصة الطبيعية الأخرى لكانت هذه الحشرات اجتاحتنا».

واوضح ورن أن ذكور النحل هي «مثل القنابل الذكية لانها تبحث وتختار الحشرات التي تقتلها».

وتابع الباحث: ان كنا نستطيع الاستفادة من هذه الإمكانية لصنع مبيد حشري طبيعي فسيكون ذلك افضل بكثير من المبيدات الكيميائية التي تقضي من دون تمييز على اجسام حية وتسممها بما في ذلك جسم الإنسان.

وتعود الخرائط الجينية الثلاثة التي تم تفكيك رموزها الى انواع من عائلة «ناسونيا» التي تعتبر مختبرا لدراسة الحشرات الطفيلية التي تنمو في جسم كائن آخر أو عليه.

واشار العلماء الى أنه من أجل تطوير مبيدات حشرية جديدة يجب التعرف الى الجينات التي تحدد أي حشرات تهاجمها ذكور النحل وأي سم تستخدم.

ويمكن الاستفادة من هذه السموم لتطوير ادوية جديدة لأنها تؤثر على فيزيولوجيا الخلية.

من هنا وهناك

■ نجح باحث ايراني في ابتكار أسلوب جديد لفصل خلايا المنشأ عن النخاع، حيث نتج عن ذلك إطالة عمر وقوة هذه الخلايا الى ثلاثة أضعاف.

■ أصبحت السمكة التي صنفها الكثيرون بأنها اكثر الاسماك قبحًا في العالم وتعرف باسم blobfish في وضع خطر، نظرًا لكونها باتت مهددة بالانقراض.

■ أعلنت البعثة الأثرية النمساوية في القاهرة ومعهد المصريات التابع لجامعة فيينا عن اكتشافهما بقايا طابعة ختم من الطين المحروق محفور عليها بالكتابة المسمارية في المنطقة الأثرية بتل الضبعة في محافظة الشرقية.

■ وضع علماء بريطانيون خريطة جينية كاملة لنوعين معروفين من مرض السرطان (الجلد والرئة) ما يمكن ان يشكل منعطفًا في علاج هذين المرضين.

■ تتوافر حاليًا في بريطانيا أصابع الكترونية تساعد الاشخاص الذين فقدوا إصبعًا واحدة أو عدة أصابع على اعادة استخدامها ما يساهم في تحسين ظروف حياتهم.

■ ابتكر علماء فرنسيون طريقة سريعة لصنع جلد بشري من الخلايا الجذعية، وهذا الاكتشاف سينقذ حياة العديد من ضحايا الحروق، وقد حقق العلماء هذا الانجاز عن طريق صنع رقعة من الجلد البشري على ظهر الفئران باستخدام الخلايا الجذعية من الخلايا التي لديها القدرة على التطور الى أي خلايا بشرية.

■ حذر تقرير بريطاني من أن ازدياد مستوى سطح البحر بمقدار نصف متر بحلول عام ٢٠٥٠م يمكن ان يعرض اصولاً وموجودات بقيمة تتجاوز ٢٨ تريليون دولار في اكبر مدن العالم الساحلية للخطر

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

استخدام الآيات القرآنية في الإعلانات التجارية

١٣٩٠ هل يجوز استخدام الآيات القرآنية في الإعلانات التجارية؟

لا بأس شرعًا بالاستشهاد بآيات القرآن الكريم على سبيل الاقتباس لتعزيز معنى صحيح أو لاتخاذ شعار لإعلان الالتزام بما تضمنته الآية الكريمة، شرط أن يكون موطن الاقتباس خاليًا من أي أمر محرم أو فكرة باطلة أو مقام ينافي احترام القرآن الكريم وتنزيهه، ويحسن أن تجرد الآية المقتبسة من أي عبارة تدل على إرادة قرآنية من مثل عبارات «قال الله تعالى» أو «صدق الله العظيم» أو «قرآن كريم»، وذلك ليكون إيرادها على سبيل القول لا على سبيل التلاوة القرآنية، لأن القرآن يشترط لتلاوته الطهارة من الحدث الأكبر ويشترط للمسه الطهارة مطلقا.

وكذلك الحكم بالنسبة للصور التي تمثل مقدسات وشعائر إسلامية كالكعبة والمصحف والمسجد والبسملة ولفظ الجلالة واسم الرسول عليه الصلاة والسلام.

تسمية المسيحيين بالنصارى

١٣٩٧ ذكر القرآن الكريم لفظ النصارى فقط على أتباع سيدنا المسيح عليه السلام، لكن الناس في زمننا هذا تعارفوا على استخدام لفظ المسيحيين، ويكره المسيحيون لفظ النصارى، فما الصواب في ذلك؟

لا مانع شرعا من أن يطلق على المنتسبين إلى الديانة المسيحية كلمة «المسيحيين» أو «النصارى»، وقد جرى علماء الإسلام على إطلاق اللفظين من غير نكير، وتسميتهم بالمسيحيين لا تقتضي أنهم متبعون حقًا للمسيح عليه السلام، لأن النسبة تصح بأدنى مناسبة، كما أن تسميتهم بالنصارى لا تقتضي أنهم أنصار المسيح على الوجه الكامل.

الأولوية في إعادة المسجد

١٤١٥ إذا تهدم مسجد أو كان آيلا للسقوط وأريد هدمه ويوجد له وقف عليه، كما يوجد متبرع مستعد لدفع نفقة البناء، وكذلك يمكن أخذ المبلغ من ميزانية الدولة، فأي الأطراف الثلاثة أحق بالبناء؟ وإذا كان الموجود من أموال وقف المسجد لا يكفي للبناء، فهل يؤخذ من أموال أوقاف مساجد أخرى أو يقدم المتبرع؟ مع العلم أن الأخذ من الميزانية العامة قد يسبب تأخير إعادة البناء.

إن الأمور الثلاثة المذكورة في السؤال كلها جائزة وترجيح بعضها على بعض يرجع إلى المسؤول عن هذا الموضوع ليلاحظ المصالح المختلفة ويقدم الجهة التي يكون في الأخذ منها المصلحة الأعلى، ويبدو للجنة في هذه الحالة المذكورة أن الأخذ من المتبرع أفضل لأنه أسرع وأضمن، ولو أخذ من ميزانية الدولة والوقف فلا بأس.

الإقراض من مال الصدقة

هل يجوز لهيئة خيرية تقديم قرض حسن للجنة خيرية لإقامة وقف خيري يعود ريعه لأعمال البر التي تشرف عليها اللجنة، شرط أن تسدد المبلغ أولا، وبصورة كاملة على أقساط إلى الجهة المقرضة؟

لا يجوز للهيئة أن تقرض جهة أخرى من مال الزكاة، ويجوز لها أن تقرض من أموال الصدقات والخيرات التي لم يعين أصحابها جهة صرفها، فإن كانت الصدقات معينة وجب صرفها في الجهة المعينة، لأن الهيئة تعتبر وكيلة عن المتصدق، وترى



اللجنة أن اشتراط الهيئة رد المبلغ مقسطا اشتراط جائز.

دفع الزكاة للأخوات الفقيرات

١٤٥١ ما حكم دفع الزكاة لبعض الأخوات الشقيقات لضيق سعة اليد لديهن؟

يجوز دفع الزكاة للأخوات المستحقات لها بوصف الفقر إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون المزكي ملزمًا بالإنفاق عليهن بحكم قضائي وقد حكم به عليه فعلًا.

حفظ أجرة العامل واستثمارها

١٤٧٣ اتفقت مع مقاول على بناء حوض، وبناؤه يكلف ١٠٠٠ دينار، وبعد أن أنهى المقاول بناء الحوض سافر ولم يرجع إلى الآن، حيث مضى على سفره سنتان، فكيف نتصرف بهذا المبلغ؟

يستحسن البحث عن مكان مستحق المبلغ بالطرق المتيسرة، فإن لم يعثر عليه يجب عليه أن يبين في أوراقه ما يصلح إثباتًا رسميًا وبوثيقة بالشهود أن في ذمته لفلان المبلغ المذكور نظير ذلك العمل، وإن أحب أن يستثمر المبلغ بطرق مأمونة مشروعة ويجعل ريعه لصالح مستحقه فذلك مستحب، على أنه إذا نقص المبلغ بالاستثمار فيكون النقص على المدين لا على المستحق، فإذا يئس من رجوع صاحب الحق بعد مضي مدة كافية حسب العرف فله أن يتصدق به، ثم إذا ظهر صاحبه يخبره بما فعل فإن أجاز الصدقة فالأجر له، وإلا دفع له حقه وكان الثواب للمدين.

البيع بالأقساط

١٥١٤ ما حكم البيع بالأقساط مع الزيادة في الثمن؟

يجوز البيع بالأجل بثمن أعلى من البيع الحال على أن تعتبر الزيادة مندمجة في الثمن، وعلى أنه في حال تأخير الدفع عن الأجل المحدد لا يزاد في الثمن بسبب التأخير، ولا يحط منه عند التعجيل في السداد إذا كان الاتفاق مسبقًا.

المساواة بين الأبناء

أرغب شراء قطعة أرض من والدي بقيمة أقل من قيمتها في السوق، علمًا بأن قيمتها السوقية حوالي ٥٠٠٠٠ دينار، وقد وافق والدي على بيعها لي بمبلغ ٢٥٠٠٠ . ٣٠٠٠٠ دينار، علمًا بأن باقي إخوتي وافقوا على ذلك، وأنا أكبرهم سنا، إلا الأخ الأصغر فقد اعترض على ذلك لأسباب خاصة.

لذا أود معرفة الحكم الشرعي في هذا الأمر، وهل يجوز لي الشراء بالرغم من اعتراض أخي؟

يجب على الأب أن يسوي بين أولاده في العطية، وفي الصورة المسؤول عنها يكون الأب قد حابى هذا الابن لغير سبب يقتضي ذلك، والمحاباة في معنى العطية، فكأنه أعطاه عشرين ألفا دون سائر إخوانه، فيأثم الأب بذلك ما لم يرجع إلى التسوية بين أولاده، بأن يسترد من ابنه هذا عشرين ألفًا، أو يجعل العطية بين أولاده متساوية.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)

بشأن حكم بيع التورق

بعد تداول أعضاء المجمع والمناقشة والرجوع إلى الأدلة والقواعد الشرعية وكلام العلماء في هذه المسألة قرر المجلس ما يلي:

أولاً: أن بيع التورق هو شراء سلعة في حوزة البائع وملكه بثمن مؤجل ثم يبيعها المشتري بنقد لغير البائع للحصول على النقد (الورق).

ثانيًا: أن بيع التورق هذا جائز شرعًا، وبه قال جمهور العلماء، لأن الأصل في البيوع الإباحة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولم يظهر في هذا البيع ربًا لا قصدًا ولا صورةً، ولأن الحاجة داعية إلى ذلك لقضاء دين، أو زواج أو غيرهما.

ثالثًا: جواز هذا البيع مشروط بألا يبيع المشتري السلعة بثمن أقل مما اشتراها به على بائعها الأول، لا مباشرة ولا بالواسطة، فإن فعل فقد وقعا في بيع العينة، المحرّم شرعًا، لاشتماله على حيلة الربا فصار عقدًا محرمًا.

رابعًا: إن المجلس- وهو يقرر ذلك- يوصي المسلمين بالعمل بما شرعه الله سبحانه لعباده من القرض الحسن من طيب أموالهم، طيبة به نفوسهم، ابتغاء مرضاة الله، لا يتبعه منّ ولا أذى، وهو من أجلّ أنواع الإنفاق في سبيل الله تعالى، لما فيه من التعاون والتعاطف والتراحم بين المسلمين، وتفريج كرباتهم، وسد حاجاتهم، وإنقاذهم من الإثقال بالديون، والوقوع في المعاملات المحرمة، وإن النصوص الشرعية في ثواب الإقراض الحسن، والحث عليه كثيرة لا تخفى، كما يتعين على المستقرض التحلي بالوفاء، وحسن القضاء وعدم المماطلة.

ينابيع المعرفة



إعداد: تركي محمد النصر

الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

غاظني وسرّني

قال ابن حزم: غاظني أَهل الجهل مرتين من عمري: إحداهما بكلامهم فيما لا يحسنونه أيام جهلي، والثانية بسكوتهم عن الكلام بحضرتي، فهم أبدًا ساكتون عمَّا ينفعهم، ناطقون فيما يضرهم.

وسرني أَهل العلم مرتين من عمري: إحداهما بتعليمي أَيام جهلي، والثانية بمذاكرتي أيام علمي». (مداواة النفوس)

نِعَمُ الأَصْدقاء

دخلَ جماعةٌ على الحسنِ وهو نائمٌ، فجعلَ بعضُهم يأكل مِنْ فاكهةٍ في البيتِ، فقالَ الحسنُ: رحمكَ الله، هذا والله فِعْلُ الإخْوان.

ويُرْوَى أَنَّ فتحًا الموصلي جاءَ إلى صديقٍ له يُقالُ لهُ عيسى التَّمار، فلم يجده في المنزل، فقال للخادمة: أخرجي لي كيسَ أخي، فأخرجته، فأخذَ منه درهمين، وجاءَ عيسى إلى منزله فأخبرتهُ الجاريةُ بذلك فقال: إنْ كُنتِ صادقة فأنتِ حرَّة، فنظر فإذا هي قد صدقت، فعُتِقَتْ.

(الوعظ المطلوب للقاسمي)

الحلم منْ أَشْرف الأَخْلاق

الحلم من أشرف الأخلاق، وأَحقها بذوي العقول الناضجة، فلا توجد نتيجة حسنة، ولا غاية حميدة، ولا نهاية سعيدة، إلا كان الحلم سبيلها، والموصل إليها لأنه يقتلع الشَّرّ من جذوره، ويطفئ النَّار في أول بدوها، ويقضي على كل فتنة في مهدها، ويرغم الشيطان أن يكون من المدحورين المذمومين.

(الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

أخبار الثقلاء

الثقلاء اسم يُطلق على فئةٍ من الناس تضيق بهم المجالس، وتتكدر منهم الخواطر، فلا ترتاح لهم الأنفس، ولا تنشرح لهم الصدور، وكانَ للعلماء قديمًا أقوالٌ في مجالسة ثقيل الطَّبع والقلب، قال الإمامُ أحمد بن حنبل: الثقلاء أهلُ البدع، وقيل: الحمقى، وقيل الثَّقيل: هو ثخين الطبع، المخالف في المشرب، البارد في تصرفاته، قال تعالى ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ المنافقون: ٤) وقال: ﴿لا يكادون يفقهون حديثا﴾ (النساء: ٧٨).

وقال الشافعي عنهم: إن الثقيل لَيَجْلِس إليَّ فأظنُّ أَنَّ الأَرض تميلُ في الجهة التي هو فيها، وهذا من شدة برودة طبعه وقباحة تصرفاته ودناءة أفعاله.

أربعٌ يشرف بهنَّ الإنسان يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ يشرفُ بهنَّ الإنسانُ يومَ القيامَة: أنْ تصلَ مَنْ قطعَكَ، وتعطي مَنْ حرمكَ، وتعفو عمَّنْ ظلمكَ، وتحلِمَ عمَّن جَهِلَ عليكَ» (الطبراني).

بكاءُ المرأة

قال الشعبي: كنت جالسًا عند شريح القاضي إذ دخَلَتْ عليه امرأةٌ تشتَكِي زوجَهَا وهو غائب، وتبكي بكاء شديدًا، فقلت: أصْلَحك الله، ما أراها إلا مظلومة!

قال شُرَيْح: وما عِلْمُك؟ قلت: لِبُكَائِهَا.

قال شُرَيْح: لا تفعَل، فَإنَّ إخْوةَ يوسف جاءوا أباهُم عِشاءً يبْكُون، وهُمْ لهُ ظَالِمُون.

إن لي عندك يداً

أتى رجلٌ عبيدالله بن العباس وهو بفناء داره فقال: يابن العباس إن لي عندك يدًا وقد احتجتُ إليها؛ فصَعَّد فيه بصره وصوَّبه، فلم يعرفه، ثم قال له: ما يدُك عندنا؟ قال: رأيتُك واقفًا بزمزم وغلامُك يَمْتَحُ لك من مائها، والشمسُ قد صَهَرَتك، فظلّلتُك بطَرَف كسائي حتى شربتَ! قال ابن العباس لقيِّمه: ما عندك؟ قال: مئتا دينار وعشرة آلاف درهم، فقال: ادْفَعها إليه، وما أراها تَفي بحقِّ يَدِه عندنا!.

قال له الرجل: والله لو لم يكن لإسماعيلَ ولدٌ غيرُك لكان فيه ما كفاه، فكيف وقد وَلَد سَيِّدَ الأولين والآخرين محمدًا ﷺ ثم شفَع بك وبأبيك.(المستطرف: ١/٣٤٩).

إنْ حَلَتْ أَوْحَلَتْ

قال رجل ضرير للسَّفَّاريني في جامع دمشق: يا سيدي، هذه الدنيا ولذاتُها وهميَّة وخياليَّة، ولا لذَّةَ فيها، وإنَّما هي دفْعُ آلام ومضرَّات.. فهي إنْ حَلَتْ أَوْحَلَتْ، أو جَلَتْ أَوْجَلَتْ، أو كَسَتْ أَوْكَسَتْ، حلوُها مرٌّ، ونفعُها ضُرٌّ، وصِدْقُهَا كَذِب، وراحَتُها تَعَب، فهي تُنادي على أهلِها بذلكَ وتقول، ولكن أَيْنَ أَرْبَابُ العقول. (القول العلي للسَّفَّاريني)

الكتاب

قال الجاحظ: الكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حُشيَ ظرفا، وإناء شُحن مزاجًا، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء.. لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من الأرض، وأكتم للسِّر مِنْ صاحب السِّر، وأحفظ للوديعة مِنْ أَربابِ الوَديعة.

(موسوعة أقوال الحكماء)

أمثال

لا ناقة لنا فيها ولا جمل

نزلت يومًا امرأة تسمى «البسوس» بناقتها إلى جوار جسَّاس بن مرة وكان من سادة قومه، وبعد عدة أيام من إقامة «البسوس» دخلت ناقتها في إبل كليب بن وائل، سيد قومه، فرماها بسهم فقتلها.

فلما عَلِمَ جسَّاس بما صنع كليب، ثارَ لقتل ناقة «البسوس» التي نَزَلت في حماه، فتربص لكليب وقتله، فثارت الحرب بين قوم كليب وقوم جسَّاس، وكان من قوم جسَّاس رجل شجاع عاقل يسمى «الحارث بن عُبَاد» رفض مساعدة قومه في الحرب، حيث لم يعجبه أن يُقْتل كليب وهو سيد قومه في ناقة، وقال لن أشارك في حرب «لا ناقة لي فيها ولا جمل»، فصار المثل يُضرب في براءة الإنسان من تهمة لا شأن له بها.. أو دعي إلى عمل لا يجني من ورائه نفعا.

النَّاس ثلاثة

قال هشام بن عبيدالله الرازي: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: الناس ثلاثة: مجنون، ونصف مجنون، وعاقل، فأمَّا المجنون فأنت منه في راحة، وأمَّا نصف المجنون فأنت منه في تعب، وأمَّا العاقل فقد كُفيت مؤنته.

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد ابن حبيب)

ابتسامة

لا تجادل مجنونًا

بعث الرشيد وزيره ثمامة إلى دار المجانين ليتفقد أحوالهم، فرأى شابا حسن الوجه يبدو وكأنه صحيح العقل، فأحب أن يكلمه، فقاطعه المجنون بقوله: أريد أن أسألك سؤالًا، فقال الوزير: هات سؤالك، فقال الشاب: متى يجد النائم لذة النوم؟ فقال الوزير: حين يستيقظ، فقال الشاب: كيف يجد اللذة وقد زال سببها؟!

فقال الوزير: بل يجد اللذَّة قبل النوم، فاعترضه الشاب بقوله: وكيف يجد اللذة بشيء لم يذق طعمه بعد؟ فقال الوزير: بل يجدها حال النوم، فرد عليه الشاب بقوله: إن النائم لا شعور له، فكيف تكون لذة بلا شعور؟! فبهت الوزير ولم يجد جوابًا وانصرف وهو يقسم ألا يجادل مجنونا أبدًا.

حِرْفَةُ العَارف

قال بعض الحكماء: حرفة العارف ستة أَشياء: إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر في آيات الله اعتبر، وإذا همَّ بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر. (تنبيه الغافلين للسمرقندي)

بِئْسَ الصَّديق

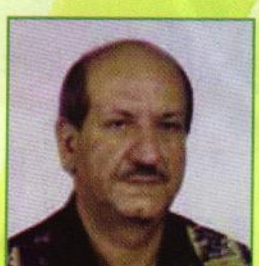
قال يحيى بن معاذ: بئس صديق تحتاج إلى أن تقول له: اذكرني في دعائك، وأن تعيش معه بالمداراة أو تحتاج أن تعتذر إليه.

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي)

أَجَارهُ منَ المَوت

مَرَّ الأَعْشَى ببلاد بني عامر، فخافهم على ما معه من متاع، فاستجار علقمة بن عُلاثَة (ت: ٢٠هـ)، فقال: أَجَرْتك، قال: من الجنِّ والإنس؟ قال: نعم!، قال: ومن الموت؟ قال: لا! فأتى عامر بن الطفيل فاستجاره، قال: قد أجرتك، قال: من الجنِّ والإنس؟ قال: نعم! قال: ومن الموت؟ قال: نعم ! قال: وكيف تجيرني من الموت؟ قال: إن متَّ وأنت في جواري بعثت إلى أهلك الدِّيةَ، فقال: الآن علمت أنك أجرتني من الموت، ثم مدح عامرًا وهجا علقمةَ؛ فقال علقمة: «لو علمت الذي أراد لكُنتُ أعطيتُه إياه» (قصص العرب ١/١٢٨).

مسك الختام



أحمد بشار بركات

الأجمل دائمًا!

حب الاكتشاف والتعرف إلى الجديد من طبع الإنسان، ولهذا تعتبر فترة الاكتشاف والتعرف هذه أجمل فترات الحياة، أما أتعسها فهي فترات الملل.

ولعله لهذا السبب تبدو لي المدينة التي أراها أول مرة أجمل المدن، لكني وبعد بضعة أيام، لا ألبث أن أبحث عن سبب أقنع به نفسي لمغادرتها، وربما بلا نية في عودة ثانية!

إن دنيانا كذلك، لكن فترة اكتشافها قد تمتد بنا إلى أربعين سنة، وهذا يرجع إلى أن الإنسان يحتاج إلى كثير من الوقت ليستكمل اكتشافه لنفسه والدنيا التي حوله، وهذه تسمى عند العلماء «فترة التطور الغريزي».

ولو راقبنا قمر السماء لوجدناه بعد اتساقه في ليلة البدر، يأخذ في النقص التدريجي، حتى يدخل مرحلة المحاق.

ولعل أبلغ مثال على ما قدمت من أن أروع وأجمل مراحل الحياة هي مراحل الاكتشاف الطفل الصغير.. أنظر إليه فأرى الدنيا كلعبة بين يديه، فهو مرح وفرح ومشوق للحياة، فطعمها الحلو في فمه، وجمالها باد في عينيه، وهو مسرور بها وبأهلها وبمقتنياتها!

وبمناسبة الحديث عما يبهر الطفل في الحياة، أحب أن أشير إلى تصدر الألوان للقائمة المحببة جدا إليه، فهي عالمه الخيالي الجميل، الذي ينقله إلى آفاق من الروعة والإدهاش.

إذن يتكامل التطور الغريزي عند الإنسان بعد الأربعين كالقمر في ليلة منتصف الشهر حينما يغدو بدرًا.

وتبقى الدنيا كمدينة جميلة، وروعتها في زمن اكتشافها، وانطفاؤها بعد استكمال معرفتها.

أما أطوار العمر المصاحبة للإنسان، والتي قسمها العلماء الى أطوار خمسة، فإن لها الروعة نفسها، والانطفاء ذاته!

وتستمر الحياة في المضي، وتبقى تضيق بمن يضيق بها، وتفتح ذراعيها لمن يفتح لها ذراعيه، وهي في تجدد متواصل، تحب وتعطي بسخاء من تبرعمت أغصانه واخضوضرت أوراقه، وتفتحت أزهاره!

إنها لتسعد به ويسعد بها!

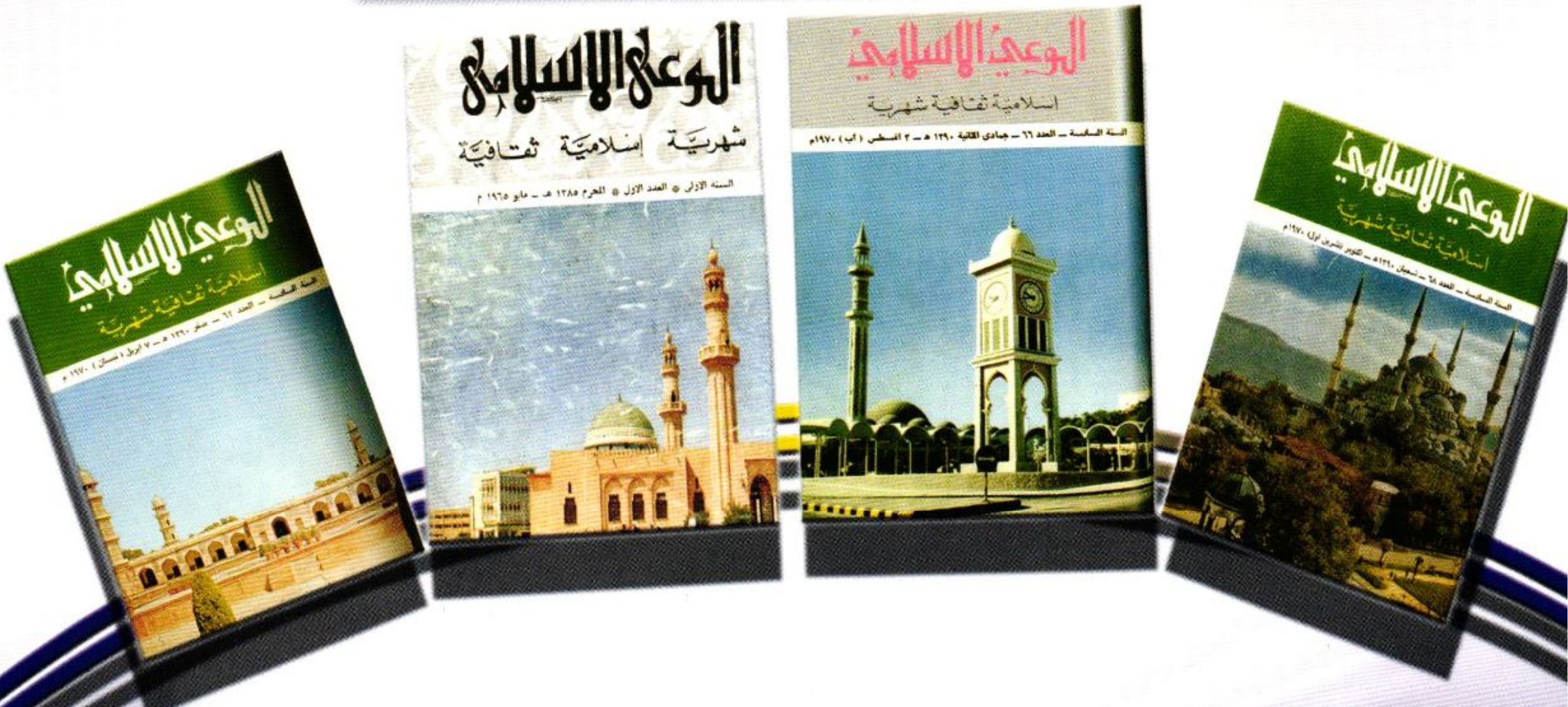
والحطام دائمًا تذروه الرياح!

أما الأزهار فإنها باقية، تحمل الفرح والأمل والبشرى بالأجمل والأبهى!

ومن الجمال البشري الذي أبدعه الخالق جل وعلا، العيون التي هي من نعم الله الكبرى على الإنسان.. وحتى عندما تكون هذه العيون صامتة فإن صمتها له دلالات.

أرشيف الوعي الإسلامي

نداء
إلى كل محبي وقراء المجلة



يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية من مجلة «الوعي الإسلامي» من العدد (١-١٠٠) التكرم بالتواصل مع إدارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت

هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

د. طه الدسوقي

لامقارنة بين الوسطية والتعصب المذهبي



الموهوبون.. مكانة وريادة

ترشيد الاستهلاك بين الأصالة والمعاصرة!

الافتتاحية

الإبداع

الإبداع والابتكار والاختراع.. كلها مترادفات في دلالاتها اللغوية تدور حول معنى واحد يتضمن الجدّة والبداعة، وإبداع الشيء: اختراعه لا على مثال، وإنشاؤه على غير مثال سابق، وجعله غاية في صفاته، وهو الجديد من الأشياء، والنهاية في كل شيء.

لقد خلق الله الكون آية في الجمال والكمال والإبداع، وخلق الله الإنسان فأودع فيه بعضا من خزائن أسراره، وقد حرر القرآن العقل الإنساني من الأوهام، وبدّد الضلالات التي كانت تحول دون رؤية الحقائق الكونية واللطائف الربانية في خلقه.

ولما كان التقليد جمودا وحجابا يحول دون إعمال العقل والتفكير والإبداع؛ فإن القرآن نهى عنه، ونسف ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم، واقتلع أصوله الراسخة في المدارك، وحثّ على التفكير في الكون والحياة وفي الإنسان، لأن هذا التفكير هو مصدر المعرفة والإبداع.

ولقد كان موقف القرآن الكريم في الحث على التفكير والإبداع بأساليبه برهانا واضحا على مكانة العقل والعلم؛ إذ العقل آلة التفكير والعلم ثمرته، وبهما يقف الإنسان المبدع علي الحقائق، وتزول عنه غشاوة الجهل، ويتحرر من رقّ الأوهام والخرافات، ولأجل هذا كان الإسلام دين الفكر ودين العقل ودين العلم، وقدم منهجا وافيا حول الفكر والعلم والمعرفة والإبداع، فقد كانت دعوته قائمة على النظر والتعرف إلى قدرة الله وعظمته في الخلق والآفاق.

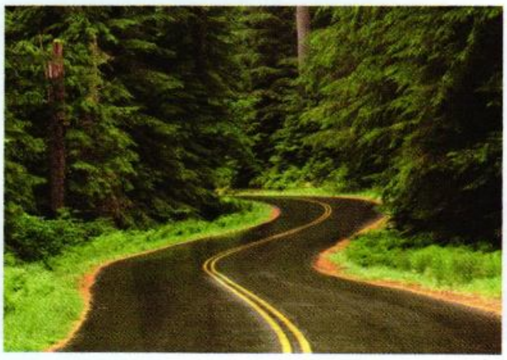
ودعا الناس كافة إلى التأمل واستعمال الحواس وإعمال العقل والفكر، وإلى الاهتمام الكبير بالحساب والهندسة والفلك والتجارة، والانتقال إلى التجربة وتقديم البرهان، ومن هنا نجد الألفاظ المتصلة بالعلم والمعرفة قد وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم: (رأي، عرف، فكر، الألباب، علم، ذكر، فقه، عقل، الحكم، الحِجاج، الجدل...) وهكذا فإن القرآن، بأنواره المَشعة، وبفُيوضاته وبآياته الباهرة الدالة على حكمة الله تعالى في خلقه، والداعية إلى التفكير والتدبر والتفقه والبحث عن المعرفة وطلب العلم، كان ولا يزال وسيبقى، ما دامت الحياة، مصدرًا للمعرفة ومحورًا للنشاط الفكري ودعوةً دائمة إلى الاجتهاد لمواكبة تطور الحياة وارتقاء العلم وازدهار الإنسانية.

وإن من الواجب على المسلم أن يدرس الحضارة الجديدة بما لها وما عليها، ويستفيد من تجاربها في دعم مقرراته، فلا معنى أبدا لأن نتجاهل الجهود الإنسانية التي بذلت في إبداع هذه الحضارة، والاطلاع على ما لدى الآخرين من علم وإبداع وكل مفيد، وينبغي ألا نرفض حكمة جاءت من عدو، ولا نزهد حصاد الذكاء البشري مهما كان موطنه، لنستقبل الجديد من عوامل الإبداع؛ شرطَ ألا ينسينا أصولنا وثوابتنا.

كما أن لدينا مواريث نفيسة في تاريخنا الثقافي لا يجوز أبدا إنكارها، بيد أن هذه النفائس اختفت في ركام عهود الانحلال والانحراف، مما يجعل التبعة علينا ثقيلة في التنقيب عنها، والإبداع من خلالها.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد





أيها السائح 6

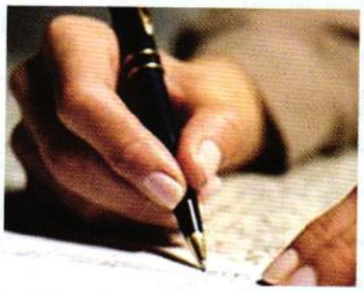
ترشيد الاستهلاك بين الأصالة والمعاصرة 8



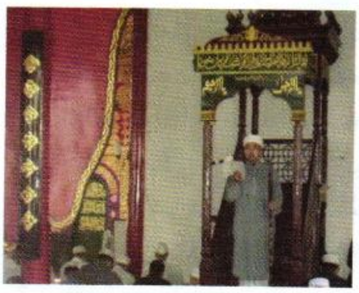


التلقيح الاصطناعي 12

المسجد الأقصى في عصر سلاطين المماليك 36



لماذا اختفت الرواية الإسلامية؟ 52



الدعاة المبشرون 84

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٧

العام السابع والأربعون

جمادى الأولى ١٤٣١ هـ

ابريل - مايو ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

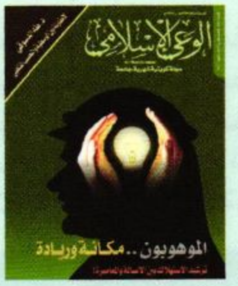
التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



يشهد عالمنا المعاصر نقلة نوعية وسريعة في دنيا الابتكار والاختراع وتسعى الدول النامية حثيثًا لاستخدام التكنولوجيا المعاصرة ورعاية الموهوبين لديها على النحو الذي يسهم في الوصول إلى مرحلة الريادة والإبداع.

داخل العدد

الحقيقة الغائبة ١٨

كيف ننمي الابتكار والموهبة؟ ٢٢

القلم العربي وأثره في فضيلة الخط ٢٤

قراءة في المصطلحات الغربية المترجمة ٣٦

سقوط نظرية دارون وتهافت دعاتها ٤٨

قواعد اللغة لا تغير الحكم الشرعي ٥٨

كلمة العدد

مزيدًا من رعاية الموهوبين

الإخوة والأخوات قراء المجلة:

الإبداع والابتكار والتميز في العمل والإنتاج سمة من سمات هذا العصر، وتسعى دول العالم جميعًا كل حسب قدراته وإمكاناته وظروفه إلى الأخذ بكل الوسائل الممكنة لدعم خطط التنمية وتطويرها في جميع الميادين، ولاشك أن شريحة الموهوبين المبدعين تلعب دورًا مهمًا في التطوير والتنمية، لذا فإن دول العالم المتقدم أولت هذه الفئة رعاية خاصة في التعليم والتدريب والتطوير الدائم والمستمر وصولًا إلى مرحلة الإبداع والابتكار والتميز.

لقد حاولنا من خلال هذا العدد الذي نضعه بين أيديكم طرح قضية الموهبة والموهوبين على بساط البحث في عالمنا العربي والإسلامي ودراسة التحديات التي تواجهها والوسائل التي يجب الأخذ بها وحاولنا تقديم نماذج من إبداع أسلافنا في العصور الغابرة لتكون دافعًا لنا نحو عصر إبداع جديد يعيد لنا الريادة في الحضارة الإنسانية المعاصر.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلسا ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريال ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

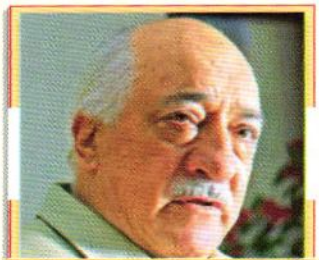
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

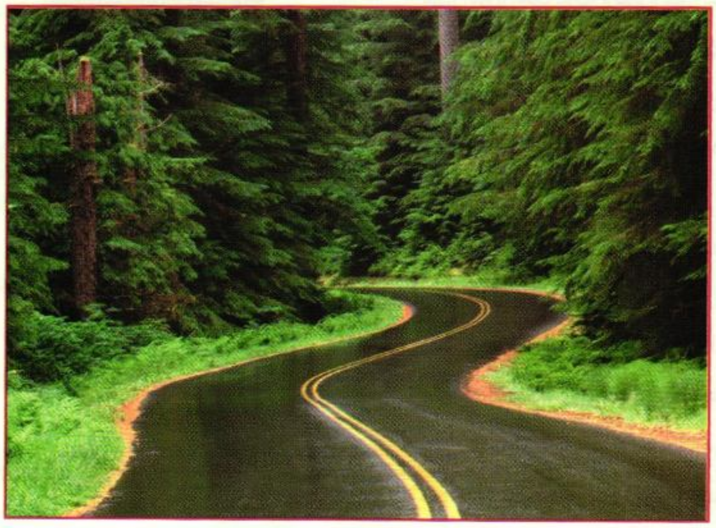
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

أيها السائح

الإنسان سائح، والكون معرض للمشاهد الملونة، ومكتبة زاخرة مطروحة لنظره وتأمله وسياحته. وهذا السائح أرسل إلى هذا العالم لكي يقرأ هذه الكتب ويزيد من معرفته. هذه السياحة الممتعة لا تتيسر للإنسان إلا مرة واحدة. وهذه السياحة الوحيدة تكفي بالنسبة لصاحب العقل الرشيد والقلب اليقظان لإنشاء جنات كجنات عدن وكجنات إرم ذات العماد، أما بالنسبة للذين يعيشون مغمضي العيون فلا تكون سوى لحظة عابرة تأتي ثم تمضي بسرعة.



فتح الله كولن



الذين يتأملون قوانين الطبيعة وقوانين الحياة بعمق ويعرفون قيمتها يرون في ألوان الزهور وفي حركة الأغصان وفي هدير الرعود وفي تغريد الطيور جمالاً لا يمكن وصفه، ويرون في كل صوت تقديسًا وتسبيحًا لصاحب القدرة اللانهائية. ويرون في الضوء والحرارة والجاذبية والعلاقات الكيميائية وفي القوانين التي تحكم الأحياء وتسوقهم آثار تجليات إلهية.

كلما انسلخ الروح من هذا العالم المادي المليء بالضوضاء وانغمر في أعماق «عالم الوحدانية» شاهد التجليات الإلهية المشرقة بشكل أوضح، فيكاد يغيب عن وعيه.

هؤلاء الذين سموا إلى الوصال الإلهي مثل هذا السمو وتركوا أنفسهم بين أمواج المد والجزر للوجد الإلهي واستغرقوا فيه، يرون في المناظر الصامتة للسهول الوحيدة الممتدة على مد البصر، وفي الحياة الزاخرة في أعماق المحيطات، وفي الوقفة الوقورة للجبال الشاهقة التي تناطح السحاب، وفي ظلام المساء الذي يداعب السفوح الخضراء، وفي الروائح العطرة المسكرة للزهور الساحرة المنتشرة في الحدائق، وفي منظر قطرات الندى وهي تبتسم فوق الزهور الصغيرة وتهتز مع النسيم فتسحر الألباب وتشرح القلوب... يرون في هذه المناظر تجليات وانعكاسات من جماله هو. ماذا يضرنا إن لم نحط به علمًا؟! كل صوت إشارة ورسالة منه. يقول الأديب والحكيم الألماني «جوته»:

«إننا نحدس وجود الله في قلوبنا وفي الطبيعة، فما أهمية إن عجزنا عن معرفة ماهيته؟ أجل! فماذا نعرف حول الماهية الإلهية؟ حدسنا حول الله عاجز ومحدود ولا يغني شيئًا. وحتى لو ذكرناه بمئات من أسمائه وصفاته فإننا سنبقى دون الحقيقة بكثير. فالوجود المطلق للألوهية لا يتجلى في الإنسان فقط، بل في كل صغيرة وكبيرة وفي كل حادثة، دقيقها وخطيرها وفي الظواهر المتصفة بالقوة والغنى للطبيعة. فهل من الممكن أن تكون الأوصاف البشرية كافية للإحاطة بمثل هذا الذات الأكمل؟» هذا ما يقوله «جوته»، وهكذا يحول الأنظار نحو الذات الإلهية المعلومة والمجهولة معًا، والمتجلية بآثارها في العالم وفي الكون.

كلما انسلخ الروح من هذا العالم المادي شاهد التجليات الإلهية المشرقة بشكل أوضح

نحن خرجنا إلى سياحة دائمة لا تنتهي نحو ذلك الذات الأقدس الذي ستر ذاته عن العيون وتجلى بآثاره.. هدفنا أن نكون دائمًا في الطريق الموصل إليه، وندخل من الأبواب المتفتحة عليه.. نحن في رحلة أبدية نحوه.. فمادام هذا العالم موجودًا فرحالنا مشدودة دومًا إليه، وقلوبنا تتغنى بحبه.. كيف لا ولم نأت إلى هذا العالم إلا لكي نعرفه؟! ولا نعرف وظيفة أعظم وأجل من هذه الوظيفة.. نحن جميعًا ظل من ظلال وجوده.. أما هو فمصدر ومنبع ومرجع كل شيء.

هو الذي فجر المياه من الأرض، وأسال العيون والينابيع بكرمه.. هو الذي ألبس الشمس تاجًا من الضوء والحرارة، وزين الأرض بآلاف من الورود والزهور وألبسها آلافًا من الحلل.. السماوات والأرض والبحار الواسعة منه.. السحب والغيوم تنظر إليه بعين البحار، والبحار تسبح له بلسان الغيوم. هو الذي ملأ بطن الأرض بآلاف من التحولات والعمليات، وصبغ المرجان باللون القاني.. الشموس عبيد على بابه، والعوالم واقفة أمامه مثل أسرى كبلت أقدامهم وأرجلهم بالسلاسل.

يا خالقي العظيم! كل ما في العالم من ملك وسلطنة تحني هاماتها في ظل رايتك.. وكل السلاطين عبيد عندك.. كل شيء يهرع نحوك ليلتمس منك الوجود، أما أنت فموجود بذاتك

مفكر تركي

دون حاجة لأحد.. الموجودات الوقتية تدخل عالم الوجود وتأخذ أشكالها ثم تنطفئ وترحل، أما أنت فبريء من كل هذا ومستغن عن كل شيء. أنت واحد أحد، لا شبيه لك ولا مثيل ولا تحتاج إلى أحد. الوجود بأجمعه يطلب المدد من وجودك الأحد الصمد. أحديتك واحة وجنة للظامئين في الصحاري، وماء كوثر لهم. الأرض باقية بقدرتك، والسماء منتظمة بقدرتك وإرادتك. ولولا أن الكون كله مستند إليك لتناثرت النجوم تناثر حبات المسبحة في أرجاء الكون.

سعدنا جميعًا بك.. وجدنا طعم السعادة بمعرفتك.. كل سعادة لا تشير إليك فنحن برآء منها، ونلعن مثل تلك السعادة.. أجل سننسى كل شيء لا يتحدث عنك ونقطع علاقتنا معه.

اللهم يا ذا الرحمة التي لا تُحد! نحن عبيد عند بابك! لم نسجد لأحد غيرك، ولم نكن عبيدًا لأحد سواك، وسنظل هكذا في الدنيا وفي الآخرة. لم نشتك لأحد غيرك، فإن فعلنا ذلك دون قصد فاقبل توبتنا من ذلك، واقبل رجوعنا إلى بابك وساحتك، واملأ أقداح هؤلاء الملازمين لبابك لترتسم البسمة على هذه الشفاه التي نسيت شفاهها البسمة منذ عصور.

يا أمل المحزونين والمكروبين ويا مصدر سعادتهم! يا صاحب الغرباء! يا شفاء القانطين واليائسين! افتح ستارًا لعبيدك الحيارى، وأطفئ ظمأهم وكن دواءً لدائهم! كم كنا نود لو نستطيع شرح لوحات الجمال التي وهبتها للعالم، وانعكاسات ألوان الجمال هذه في قلوبنا للآخرين. ولكن إن قصرنا في هذا.. وإن عجزت كلماتنا وبلاغتنا عن هذا فاغفر لنا واصفح عنا وتب علينا يا تواب.

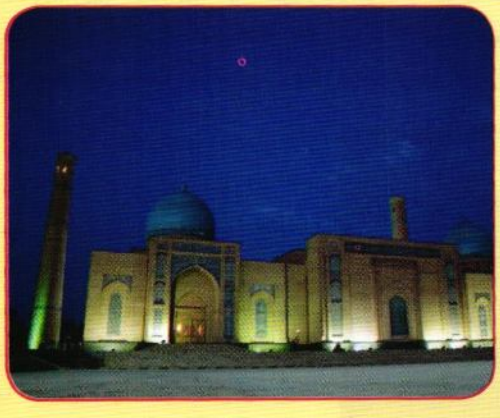
انتشار الإسلام بتسامح العرب في أوزبكستان

د. علي عفيفي غازي

في ندوة المؤرخ سعد زغلول عبدالحميد التي نظمتها كلية الآداب بجامعة الإسكندرية أكد أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر وعميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية السابق الأستاذ الدكتور جمال محمود حجر أن الإسلام انتشر في أوزبكستان بتسامح العرب والمسلمين، حيث كانت العلاقات العربية مع إقليم آسيا الوسطى في البداية علاقات تجارية، الأمر الذي يسر للعرب نشر الدعوة الإسلامية بين أقوام ذلك الإقليم في القرنين السابع والثامن الميلاديين، فأصبحت مدن مثل سمرقند وبخارى مراكز تجارية وثقافية متميزة، ظلت على تميزها وروعتها حتى القرن السادس عشر.

ولا تزال قبور الصحابة رضوان الله عليهم، وقبور آل البيت الكرام، القائمة في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر وسمرقند خير شاهد ودليل على خطى المسلمين الأولى إلى آسيا الوسطى منذ عهد خليفة رسول الله «عثمان بن عفان»، في سبيل نشر الإسلام واللغة العربية والقرآن الكريم، وتعاليم التسامح والثقافة العربية والإسلامية، وكلها روافد ساهمت بشكل غير مسبوق في إعادة صياغة حياة وثقافة المنطقة التي ساهمت في نشر الإسلام إلى أن وصل إلى الصين، وفيها أرسى قتيبة بن مسلم الباهلي الحكم العربي إلى أن توفي ودفن ببلدة فرغانة.

وبدأت بلاد ما وراء النهر بعد ذلك تعتمد على نفسها في تنمية ثقافتها ونشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية، فبرز جيل حمل الراية الوافدة، وأتاح للبذرة التي غرسها العرب أن تضرب بجذورها في الأرض، فأنجبت عددًا



من الفقهاء والعلماء والأئمة الأعلام الذين لا يجهلهم المسلمون، وكان ذلك باكورة نتاج التفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية، وثقافة بلاد ما وراء النهر، يأتي على رأس هؤلاء الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في القرن الثاني الهجري، صاحب الجامع الصحيح، المشهور بين المسلمين بصحيح البخاري، حيث جمع فيه كل صحيح من الأحاديث النبوية الشريفة، وهكذا آتى التفاعل أكله حين خدم أهل هذه البلاد الإسلام والثقافة العربية خدمة جليلة.

والتراث العربي الذي تركه الأوائل في هذه المنطقة بقيت آثاره إلى اليوم، رغم المتغيرات السياسية عبر ما يزيد على ألف ومائتي سنة، تأتي على رأس ذلك العقيدة الإسلامية واللغة العربية، ومصحف عثمان، أول مصحف في الإسلام، الذي ظلت تتناقله السلطات إلى أن استقر في طشقند، ويبقى موسم الحج السنوي مظهرًا للتواصل الذي لن ينقطع بين أهل هذه المنطقة والعرب، رغم الضغوط الإقليمية، وكانت هذه بذور العلاقات العربية الأوزبكية التي نمت وتطورت منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

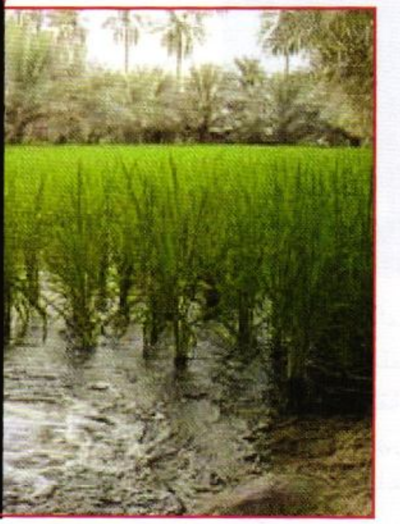
* دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

ترشيد الاستهلاك بين الأصالة والمعاصرة!

د. محمد الحاجي

بعد أن هزت الأزمة المالية العالمية دول العالم، غنيها وفقيرها، وغيرت المفاهيم الاقتصادية التي سادت قرونا عدة، وهوت بأسعار الأسهم والسندات في الأسواق المالية، وأطاحت بمؤسسات مصرفية عريقة، أخذت دول العالم وأفراده يتنادون إلى ترشيد الاستهلاك، ويجعلونه ثقافة أساسية من ثقافات الحياة عندهم، وضرورة لا غنى عنها إذا أرادوا أن يتخلصوا من أعباء الديون، وكوارث القروض والرهونات.





عرف الإسلام أهمية ترشيد الاستهلاك منذ بدء هذه الرسالة السمحة، فدعا أبناءه إلى اتخاذ الترشيد منهاجا لحياتهم، وجعله أحد أهم السلوكات الحياتية والقيم الاقتصادية التي لا غنى عنها للمسلم إذا أراد أن يستن بالهدي القرآني والمنهج النبوي.

وفي الاقتصاد الوضعي يهدف الاستهلاك إلى تحقيق المنفعة للفرد، دون النظر إلى كونها مشروعة أو غير مشروعة، وبالتالي فللفرد الحرية التامة في توزيع دخله بين السلع حسبما يروق له دون قيود أو حدود أو دون تدخل من أحد، وبغض النظر عن كون هذا الاستهلاك ترفيًا أو غير ترفي، مبدِّدًا للموارد أو غير ذلك.

وبالتالي، لا يقف الاستهلاك عند حد معين، بل يتعدى ذلك للوصول الى أكبر قدر ممكن من لذات الدنيا، وهذا يؤدي الى فرط الإنتاج الكمالي، ويصبح الفرد لاهثًا وراء النزوات والشهوات، وتكون النتيجة أن يصبح المجتمع «مجتمعًا استهلاكيًا»! أما الاقتصاد الإسلامي فإنه يحمل طابع الوسطية، ولذلك سنّت الشريعة الإسلامية حربًا عنيفة ضدّ الذين يضيقون على أنفسهم، ويبتعدون عن نعم الله، ويحرّمون المباحات، بدعوى الزهد والتبتل والبعد عن مفاتن الدنيا وزخارفها، علمًا أن الله تعالى قال: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا﴾ (النساء: ١٦٠)

وهكذا اعتبرت الشريعة الاستهلاك المنضبط بضوابط الشريعة تقرّبًا إلى الله سبحانه، حيث اعتبرته نوعًا من أنواع العبادة، واستجابة لنداء الحق تبارك وتعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ (البقرة: ١٧٢)

فالاستهلاك المنضبط هو في الواقع استجابة لأوامر الله، مع الشكر الخالص لله سبحانه، دليل ذلك ما ورد في مسند أحمد، قول الرسول صلوات الله عليه: «ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

المهم في المسألة ألا يصبح الاستهلاك أمرًا ترفيًا، ولا يؤثر على سلوكات المجتمع وأخلاقياته، كأن يصبح للتفاخر والتباهي، ومما يؤسف له أن هناك توجهًا واضحًا لتوجيه حركة الاستهلاك، وذلك من خلال إيقاظ حاجات جديدة لدى الناس تتناسب مع المعروض للبيع! بل هناك ما هو أسوأ، حيث يتم تصنيع سلع تتلف بسرعة مما يضطر المستهلك لشراء البديل عنها.

وهناك دراسات معمقة تعتمد على علم النفس وغيره، تهدف الى تقصي الرغائب لدى الانسان، «استراتيجية الرغبة»، وتعتمد على توظيف كل ما له علاقة بالبيع والشراء، وهذا الدور يقوم به الإعلان، خاصة عبر وسائل الإعلام، أما الأموال

أكاديمي سوري

التي تصرف في هذا المجال فحدّث ولا حرج، وسيتحمل المستهلك تلك الكلفة البالغة الارتفاع، لأن نفقات الإعلان تضاف بجملتها إلى ثمن السلع.

والأنكى من ذلك أن كلفة الإعلانات تحرم المجتمع أموالاً ضخمة كان الأجدر أن توظف في معالجة مشكلاته وفي تنميته وتطويره، فبعد دراسات وإحصاءات تبين أن ميزانية الاعلان التجاري في فرنسا تعادل نصف مردود ضريبة الدخل، ولو أن تلك الأموال أنفقت على المجالات الخدمية لكانت المحصلة إقامة الآلاف من المدارس ودور الحضانة والمشافي والمساكن ونحو ذلك.

وفي الواقع فإن كل المخلوقات التي أوجدها الله في هذا الكون ما وجدت إلا من أجل التنعم باستهلاكها مع الانتفاع بها، وهذا ما يحث عليه الجانب الاقتصادي في الإسلام، حيث يعلن عن هدف الاستهلاك بأنه «التنعم بمناهج الحياة، والترفيه عن النفس في الإطار السويّ المستقيم، وضمن الاعتدال والتوازن»، وعلى حد تعبير العالم المصري البهي الخولي، فإن منطق ثقافة الروح يقضي أن هذا الكون وخيراته ظاهرة وباطنة ما أودعت فيه إلا لمقاصد جليلة أرادها الخالق العظيم، ومنها أن يقوم الإنسان بعمارة هذا الكون بالصورة المثلى، ومن ذلك استهلاكه لهذه الخيرات.

مصداق ذلك قوله سبحانه في معرض الحديث عن ضوابط الاستهلاك: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١).

الترف والنعيم يقتلان في النفوس الدفاع عن العرض والأرض

هذا إضافة إلى أن يكون هناك توازنٌ بين المنفعة الفردية وبين منفعة المجتمع، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم﴾ (المعارج: ٢٥)

والأهم من ذلك أن تكون لتقييد الاستهلاك وضبطه آثار عظمية على تربية الفرد والجماعة، مثال ذلك التربية الاجتماعية التي تتمحور حول ألا يستأثر الأغنياء بكل شيء، بينما يُحرم الفقراء من كل شيء، لأن ذلك يؤدي الى الحقد والحسد والضغينة، ورحم الله الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز، لما علم أن أحد أولاده قد اشترى خاتمًا بألف دينار، كتب اليه مستنكرًا: «بلغني أنك اشتريت خاتمًا فصُّهُ بألف درهم، فإذا جاءك كتابي هذا فبعه، وأطعم بثمنه ألف جائع، واشتر خاتمًا فصُّهُ من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه»!.

أما إذا اختفت السلع من الأسواق، واحتكرها بعض الآثمين، وارتفعت الأسعار، فالحلّ يكمن في التعفّف عن الشراء وترك البضاعة في الأسواق، كما قال أحد الحكماء حين قيل له: لقد غلا الشيء الفلاني، فقال: أرخصوه بالترك.

وكذلك التربية الخُلقية، بحيث يبتعد المؤمن عن التنعم والترف والحرام. ويعيش المسلم التكافل الاجتماعي مع أفراد مجتمعه، وقد ذكر الحاكم في مستدركه أن عمر بن الخطاب رأى في يد جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أجمعين درهمًا، فسأله: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لأهلي لحمًا قرموا إليه، أي: اشتدت شهوتهم له – فقال عمر: أكلما اشتهيتم اشتريتم؟! ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لابن عمه وجاره؟! أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ (الأحقاف:٢٠).

أما التربية الاقتصادية، فتكون بالتدريب على التقليل من الاستهلاك، وبالتالي تدريب الأفراد والأمة على الاستهلاك العقلاني، عسى أن تتوافر الأموال الضخمة، مصداق ذلك ما ورد في مسند أحمد أن النبي ﷺ قال: «من فقه الرجل قصده في معيشته».

ولا ينبغي أن نغفل دور التربية العسكرية والسياسية، لأن الترف والنعيم يقتلان في النفوس الدفاع عن العرض والأرض، وعند ذلك تصبح البلاد لقمةً سائغة بفم الأعداء.

وكذلك دور التربية الصحية والجسدية، وذلك من خلال التقليل من الطعام، لأن الإسراف فيه يؤدي الى التخمة التي يرافقها كثير من الأمراض، ورحم الله القائل: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء».

أهم مستويات الاستهلاك

هنالك ثلاثة مستويات للاستهلاك، مستوى حد الكفاف، أي الحاجات الأساسية أو الضرورية للإنسان، وهي الطعام والشراب والكسوة والمسكن، وبالتالي فهي تتعلق بالكليات الخمس، حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وبالتالي، فهذا الحد يعتبر المستوى المتدني من الحياة المعيشية لأفراد المجتمع، وهذا الأمر على حد تعبير د. يوسف القرضاوي «لا يقره الإسلام، بل يحبذه، لأن الإسلام يحرص على إقامة مستوى معيشي محترم لأفراده، وليس الهدف هو سد الأفواه وكفى، وذلك لأن الإسلام ينظر للإنسان على أنه خليفة الله في هذه الأرض، ولذا فقد كان من الواجب إكرام هذا الخليفة، ولا تقر الشريعة بهذا المستوى، لأنها تعتبره حالة طارئة على المجتمع المسلم، مصداق ذلك قول عمر رضي الله عنه: «إني حريصٌ على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضها لبعض، فإن عجزنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي من الكفاف».

أما المستوى الثاني فهو المستوى الذي تُشبع فيه جميع الحاجات الأساسية المشروعة للإنسان، مصداق ذلك قوله تعالى ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى. فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ (طه: ١١٦-١١٩)، وهكذا يخاطب الخالق سبحانه نبينا آدم عليه السلام أنني قد أعددت لك الجنة، وجعلت لك فيها كل ما تحتاج إليه، وأبحتُ لك كل ما فيها من نعيم إلا هذه الشجرة، فعليك ألا

تقربها، ولذلك لن تجوع فيها، لأن فيها كل الثمرات، ويلاحظ من الآيات أنه سبحانه تكفل لهما بما يلبي بعض الغرائز الظاهرة كاللباس والطعام، كما تكفل لهما بإشباع بعض الغرائز الباطنة كالعطش.

ولهذا تختلف حاجات الكفاية من إنسان لآخر، ومن زمان لآخر، ومن مكان لآخر، لكن أهم تلك الحاجات هي الزواج، وتوفير كتب العلم وما يتعلق بذلك، وتوفير سبل العلاج، ووسائل الانتقال والركوب، وتوفير حرفة نافعة أو عمل مناسب، إضافة إلى وسائل الإنتاج اللازمة.

وأما مستوى الرفاهية فيعني مستوى التوسع والراحة والدعة والتنعم في وسائل العيش، لكن ضمن ضوابط الشريعة الإسلامية، حيث لا يستغرق الإنسان في الرفاهية إلى درجة العبادة، بل عليه أن يصل إلى أكبر قدرٍ ممكن من المنفعة دون الاعتداء على الآخرين، وعليه ألا يجعل ذلك غاية تستعبده إلى حدّ اللهاث وراء آخر الصرعات والموضات، إنما الحل يكمن في الوسطية، بحيث لا إفراط ولا تفريط، فلا ابتعاد عن الدنيا إلى حد إهمال كل شيء، ولا انغماس في ملذاتها ومتعها إلى حدِّ الاستغراق، مصداق ذلك ما ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ لم يرضَ».

عقلنة الاستهلاك

من روائع الشريعة الإسلامية أنها تقوم على الواقعية، بعيدًا عن المثاليات والتحليقات في الهواء الطلق، ولذلك وضعت بعض النقاط المضيئة في سياق ضبط الاستهلاك وعقلنته، منها التفكير المنطقي السببي والبُعد عن الخرافة، كما حكى القرآن عن الذين ينعقون بما لا يعرفون، ويجادلون دون حجج، حيث قال عز وجل: ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرًا﴾ (الفرقان: ٧)، فجاء الجواب بعد عدة آيات: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا﴾ (الفرقان: ٢٠).

ومنها معرفة مدى حرية الأفراد في ممارسة عملية الاستهلاك، فبينما يذهب النظام الاقتصادي الرأسمالي إلى مطلق الحرية للفرد، بحيث ينفق ما يشاء ويستهلك ما يشاء، دون أن يتدخل أحد في ذلك، يذهب النظام الاقتصادي الإسلامي إلى ضبط الاستهلاك بضوابط الشريعة، مثل عدم استهلاك المواد المحرّمة، كالخمر والخنزير ونحوه، لأن كل فرد مسؤولٌ عن تصرفاته الاستهلاكية، قال الله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم: ٣٩-٤١).

ومنها التركيز على الترشيد والاعتدال، بمعنى أن على الفرد ألا يتخلى عن أيِّ شيء من دخله إلا إذا اعتقد أن الإنفاق في صالحه، أما الاعتدال والوسطية- وهما من خصائص الشريعة- فيعنيان: معرفة الإمكانات المادية المتاحة، وإنفاقها على المتطلبات الأساسية الضرورية.

ومن هذه النقاط أيضا ممارسة العقلانية في عملية الاستهلاك، حيث ذهب النظام الاقتصادي الغربي إلى أن الفرد يقوم بإنفاق دخله فيما يعود عليه بالنفع الشخصي، وأما النظام الإسلامي فيرى وجوب التكيّف مع الوضع العام للفرد والمجتمع، مع اللجوء إلى اختيار الوسائل التي تحقق للإنسان أن يشبع حاجاته، ولابدّ من مراعاة بعض الأفكار الأساسية والرئيسية، كالابتعاد عن استهلاك الكماليات، ومعرفة أحوال السلع والأسواق والأسعار ونحو ذلك، بالإضافة إلى تحريم استهلاك السلع الخبيثة، لأن الأصل في الاستهلاك هو الطيبات الحلال، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف: ١٥٧).

هذا إلى جانب تحريم الإسراف والترف، بحيث لا يجوز بذل المال إلا فيما ينبغي، ولا يجوز تجاوز الحدّ في الإنفاق، ولا يجوز الإنفاق في وجوه المعصية، وإلا تكون الحال كما قال الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا وكنا نحن الوارثين﴾ (القصص: ٥٨).

وقد حضّ الإسلام على الإنفاق وأباح الاستهلاك، وإلا آل الحال إلى الركود الاقتصادي والبطالة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض...﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ولهذا حرم الله سبحانه اكتناز الأموال، لأن في الاكتناز مضارًا اقتصادية كبيرة، لكن الإسلام لم يترك للفرد حرية أن يستهلك كل ما هب ودب! ولم يدعه ينفق ما يشاء، إنما رسم له حدودًا وأمره ألا يتعداها، فالاستهلاك هو الوسط بين التقتير والإسراف، قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا﴾ (الاسراء: ٢٩).

وثمة مسلمات في موضوع ترشيد الاستهلاك أهمها:

١- تفاوت الثروة أمر طبيعي، وهو حكمة من حكم الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله...﴾ (النساء: ٣٢).

٢- العمل والسعي يحققان الأهداف، كما قال الله تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (الرعد: ١٤)، وورد في صحيح مسلم قول المصطفى ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وان أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له».

٣- الأهداف التي تتجاوز الإمكانات، وقد ورد في سنن ابن

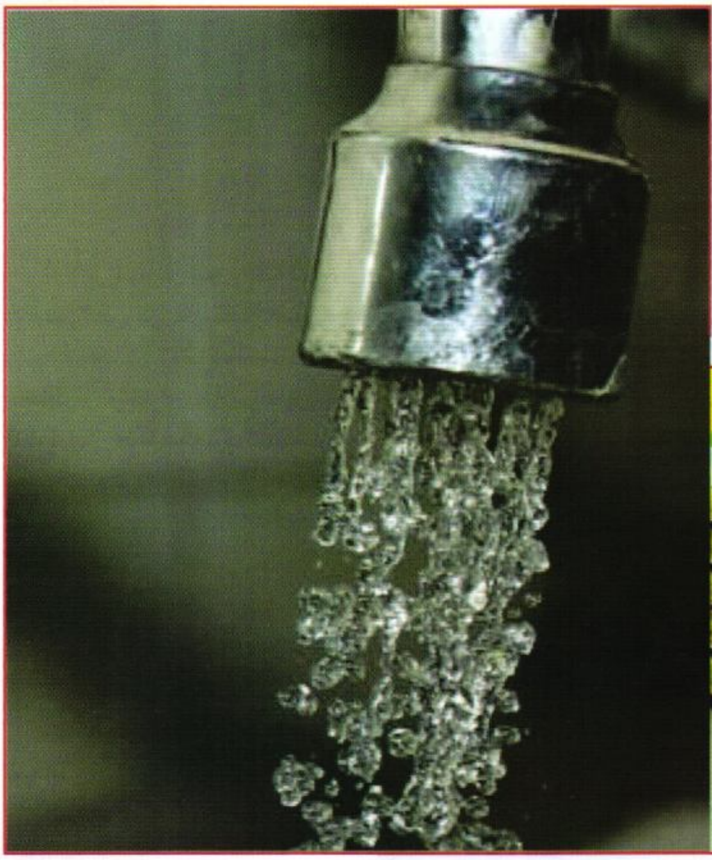
ماجة قول عليّ رضي الله عنه: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ وبيده عود، فنكث في الأرض ثم رفع رأسه وقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنةَ ومقعده من النـار»، فقيل: يا رسـول الله، أفلا نتكل؟ قال: «لا.. اعملوا ولا تتكلوا فكلّ ميسّر لما خُلق له، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدّق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى﴾ (الليل: ٥- ١٠).

٤- للدولة دور كبير في مسألة ترشيد الاستهلاك، ويتجلّى ذلك في عدة مواطن، منها الحجر، وهو المنع من التصرّف في المال، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾ (النساء: ٥)

وقد يكون الحجر للصغر، وتارة يكون للجنون، وتارة للفلس، وتارة لسوء التصرف، وبالتالي فإذا لم يحافظ الفرد على المال، وبذره هناك وهناك، انتقلت ملكيته إلى الجماعة.

- إن التوسط في الإنفاق وترشيد الاستهلاك يؤديان إلى نشوء فائض من الأموال لدى الفرد ولدى الدولة، بحيث تحدث الزيادة في الإنتاج على الاستهلاك، وهنا يأتي دور الدولة لتتدخل في تشجيع الادخار الفردي والجماعي، ومن ثم توجيه هذا الفائض نحو الاستثمار لخلق سلع جديدة يستفيد منها المجتمع ويسدّ ثغرات كانت لديه، وإذا بقي المال الفائض دون استثمار سمي اكتنازًا- الادخار الاحتياطي- لكن الدولة الإسلامية تشجع الادخار الذي يؤدي إلى خلق مزيد من الاستثمارات.

التوسط في الإنفاق وترشيد الاستهلاك يؤديان إلى نشوء فائض من الأموال لدى الفرد ولدى الدولة





وأهم الضوابط التي تحمي المستهلك، وتبعده عن الوقوع في المحظورات:

أ- الحرب العنيفة على الربا، وهي أيّ فائدة تُدفع عن المال المقترض بنسبة تزيد على النسبة التي يحددها الشرع أو القانون، أي إنها تمثّل الربح غير المشروع الذي يكسبه الدائن من المال الذي يقرضه للغير.

وقد شنت الشريعة الإسلامية حربًا عنيفة على الربا والمرابين، لأنها تؤدي إلى غلاء الأسعار، وتعرقل الإنتاج، وتُحدث تفككا اجتماعيا في المجتمع.

ب- التحذير الشديد من الاحتكار، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو الشركات العملاقة، وفي مسند أحمد قول النبي ﷺ: «من احتكر على المسلمين طعامًا، ضربه الله بالإفلاس والجذام»، ذلك لأنه يؤدي إلى الكسب غير المشروع، حيث تتقضّ فئة قليلة على أقوات الناس، مما يحدث ضائقات وأزمات بين الناس.

ج - التحذير من بعض أنواع البيوع المحرمة، كالغبن والتغرير والتدليس وبيع الثمار قبل بدو صلاحها، وبيع الكلب والخنزير والميتة والخمر، ونحو ذلك، والحل الوحيد يكمن في تكاتف القوى وتضامنها لحماية المستهلك، وذلك من خلال مقاطعة جمهور المستهلكين لمن اشتهر بذلك.

د - التسعير، ويعني إلزام الناس بألا يبيعوا سلعهم إلا بالسعر الذي أقرته الدولة حماية للمستهلك، لأن التسعير يقضي على الاحتكار، ويقف في وجه التجار الجشعين، ويضبط عملية المضاربة والمنافسة في الأسعار، وما إلى ذلك.

ه - النهي عن الربح غير المشروع، كالاستغلال والاحتكار والمغالاة في الربح، لذلك فعلى الدولة أن تتدخل لوضع حد للأرباح الفاحشة، وذلك حماية للمستهلك وحفاظًا عليه.

وفي القرآن الكريم نماذج لترشيد الاستهلاك، مثال ذلك ما قامت به الدولة في عهد نبي الله يوسف عليه السلام بإرشاد الأمة إلى ضغط الاستهلاك في سنوات الازدهار والرخاء، وذلك من أجل مواجهة السنوات العجاف، من خلال إعطاء كل من يأتي ليكتال لأهله تعيينًا محددًا، وهو حمل بعير واحد لكل رجل.

التلقيح الاصطناعي (طفل الأنابيب)

د. أبو عمر سيد حبيب بن أحمد

أولاً: المراد به: التلقيح الاصطناعي كل طريقة أو صورة يتم بموجبها تلقيح البويضة بحيوان منوي، بغير طريق الاتصال الطبيعي الجنسي بين الرجل والمرأة (أي بغير الجماع).

ثانيا: أقسامه، وصور كل قسم

ينقسم التلقيح الاصطناعي إلى قسمين:

أحدهما: التلقيح الاصطناعي الداخلي.

الثاني: التلقيح الاصطناعي الخارجي.

■ أما التلقيح الاصطناعي الداخلي أو الإخصاب الداخلي أو التلقيح الإخصابي الذاتي: فهو ما أخذ فيه ماء الرجل وحقن في محله المناسب داخل مهبل المرأة زوجة أو غيرها، بقصد الحصول على الولد.

● صور التلقيح الاصطناعي الداخلي

١-تلقيح الزوجة بمني زوجها.

٢-تلقيح الزوجة بمني غير زوجها.

٣-تلقيح الزوجة بمني مشترك بين الزوج وغيره.

٤-تلقيح الزوجة بمني الزوج بعد الموت، أو بعد الطلاق.

● وأما التلقيح الاصطناعي الخارجي (طفل الأنبوب) أو (الإخصاب المعملي)

فهو ما أخذ فيه الماءان من رجل وامرأة، زوجين أو غيرهما، وجعلا في أنبوب أو طبق اختبار، ثم تزرعان في مكانهما المناسب من رحم المرأة.

صوره: له صور كثيرة سيأتي ذكرها عند الحكم الشرعي له.

ثالثا: المحاذير الناتجة عن التلقيح الاصطناعي الداخلي

لقد أدى انتشار استخدام التلقيح الاصطناعي الداخلي إلى مجموعة من المشاكل الأخلاقية والاجتماعية والدينية، كما أن لمن يدفع الثمن.

٣-إدخال ماء الزوج في زوجته بعد انفصام عقد الزوجية وموت الزوج.

٤- أخذ المني من متبرع مجهول والذي قد يكون مصابًا بأحد الأمراض التناسلية أو أحد الأمراض الوراثية، مما يؤدي إلى نقلها إلى الأطفال.

٥-تحول النساء إلى أبقار حيث تلقح مئات النسوة بماء مانح واحد، كالأبقار يلقحن بماء



هناك مشاكل أخرى في طريقها إلى الظهور، ومن هذه المشاكل والمحاذير ما يأتي:

١-يساعد الشاذات جنسيا (المساحقات) على الاستمرار في شذوذهن، وبالتالي عدم الزواج، ويلبي رغبتهن في الإنجاب.

٢- انتشار نكاح الاستبضاع الحديث، وهو أن يؤخذ مني العباقرة والأذكياء والأقوياء ويباع

ثور واحد.

٦-الفوضى في الأنساب.

٧-إنشاء تجارة بنوك المني.

٨-احتمال وقوع تلقيح المحارم من خلال بنوك المني.

٩- إنشاء شركات تجارية لبيع الأرحام المستعارة.

رابعا: المحاذير الناتجة عن التلقيح الاصطناعي الخارجي

١- حدوث حالات من مرض الإيدز، وانتقال فيروس التهاب الكبد بواسطة المني المستخدم (خاصة من متبرعين).

٢- اختلاط الأنساب: وذلك ما يحدث في الغرب بصورة خاصة، حيث لا يهتم إلا القليل بموضوع الأنساب، وهناك المتبرع بمنيه والمتبرعة بالبويضة، والمتبرعون باللقيحة الجاهزة، والمتبرعة برحمها.. وقد يحدث ذلك ولو بصورة احتمالية في البلاد الإسلامية، بسبب الخطأ الذي قد يحدث بسبب الترقيم أو حفظ المني أو حفظ اللقيحة.

كما أن هناك احتمالًا بوجود مراكز تجارية تبحث عن الربح، وتستخدم المني الجاهز المليء بالحيوانات المنوية، بدلًا من مني الزوج.

٣- استخدام الأجنة الفائضة في مجال الأبحاث. وهو أمر ترفضه المجامع الفقهية.

٤- تجميد الأجنة وما ينشأ عنه من مشاكل، ومنها استعمال الأجنة المجمدة بعد وفاة الأبوين أو أحدهما.

٥- بنوك المني وما ينشأ عنها من مشاكل وبيع مني العباقرة.

٦- وجود مراكز تجارية لهذه المشاريع.. وهو أمر فظيع جدا، حيث تتم المتاجرة بالأبضاع والأرحام بطرق حديثة جدا.

٧- رفض تسليم الجنين بعد الولادة.

خامسا: الأسباب الداعية لعمليات التلقيح الاصطناعي

● باحث وأكاديمي أفغاني



التلقيح الاصطناعي بنوعيه يكون حرامًا إذا لم يكن المني مني الزوج أو لم تكن البويضة بويضة الزوجة



أ- الأسباب الداعية لعملية التلقيح الاصطناعي الداخلي

تستخدم هذه الطريقة مع الإنسان لعلاج عدم الخصوبة والعقم في الحالات التالية:

١-ضآلة عدد الحيوانات المنوية (النطف) لدى الزوج.

٢- إذا كانت حموضة المهبل تقتل الحيوانات المنوية بصورة غير اعتيادية.

٤- إذا كانت إفرازات عنق الرحم تعيق ولوج الحيوانات المنوية.

٤- إذا أصيب الزوج بالعنة (عدم القدرة على الإيلاج) أو بالإنزال السريع.

ب-الأسباب الداعية لعملية التلقيح الخارجي (طفل الأنابيب)

يلجأ إلى مشاريع أطفال الأنابيب لمعالجة العقم، وذلك بعد استنفاد جميع الوسائل الأخرى لمعالجته، ومن أهم هذه الأسباب.

١- أمراض الأنابيب: كقفل أو إصابة الأنابيب في الجهتين، وفشل محاولة إصلاحها جراحيا.

٢-حدوث انتباذ في بطانة الرحم، والوطء في المحيض من أكثر عوامل الانتباذ.

٣-حدوث تضاد مناعي في جهاز الرجل التناسلي.

٤- حدوث تضاد مناعي في جهاز المرأة التناسلي.

٥-عيوب شديدة في مني الزوج (قلة المني، قلة الحركة، كثرة الحيوانات المنوية الميتة).

٦-أسباب مجهولة لدى الرجل أو لدى المرأة تسبب قلة الخصوبة.

والأسباب من (٢-٦) لا ينبغي أن يلجأ فيها إلى التلقيح الاصطناعي الخارجي إلاّ بعد فشل جميع الوسائل الأخرى لمعالجة قلة الخصوبة وندرتها.

سادسا: الحكم الشرعي لصور التلقيح الاصطناعي- بنوعيه- مع الأدلة والترجيح.

بين العلماء والباحثون المعاصرون أن التلقيح الاصطناعي يكون حلالاً إذا تم بمني الزوج بماء زوجته أثناء قيام رابطة الزواج بينهما، من غير تدخل رحم امرأة أجنبية عنها، واتخذت الاحتياطات اللازمة حتى لا يختلط مني ذلك الزوج بمني غيره، أو أجري التلقيح به فور أخذه من الزوج لزوجته.

وبالمقابل فإن التلقيح الاصطناعي -بنوعيه- يكون حرامًا إذا لم يكن المني مني الزوج أو لم تكن البويضة بويضة الزوجة أوكان المني أو البويضة لمن انتهت معه رابطة الزوجية بموت أو طلاق أصبح بائنا، وكذلك فيما إذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة المفيدة لليقين بأن كلًا من المني والبويضة للزوجين حال قيام رابطة الزوجية بينهما.

وفيما يلي تفصيل الأقوال في بعض صوره:

أولا: الحكم الشرعي لبعض صور التلقيح الداخلي

الصورة الأولى: تلقيح الزوجة بمني زوجها، وهذه حالة يلجأ إليها عندما لا يكون الزوج قادرًا على إيصال مائه إلى نهاية المهبل في المباشرة الطبيعية لسبب ما.

اختلف العلماء في هذه المسألة على خمسة أقوال:

القول الأول: الجواز- بشروط وضوابط معينة- وهو قول أكثر العلماء المعاصرين، واستدلوا على ذلك بما يلي:

أ-قياس هذه الصورة على التلقيح الطبيعي- الاتصال الجنسي- بجامع كون كل منهما يبتغي به تحصيل النسل بطريق شرعي، وهو الزواج.

ب- أن من مقاصد الشريعة إبقاء النسل وحفظه، وهذا لا يتحقق إلا بالزواج الذي يتم فيه الاتصال الطبيعي بين الرجل والمرأة، وحيث تعذر ذلك، فإنه يلجأ إلى استعمال هذه الطريقة لتحقيق هذا المقصد العظيم.

ج-أن علاج العقم بهذه الطريقة يندرج تحت عموم جواز التداوي والمعالجة الطبية.

أما ارتكاب كشف العورة فإنه مقيد بالضرورة، و«الضرورات تبيح المحظورات».

القول الثاني: عدم جواز إجراء هذه الصورة من التلقيح الداخلي، وإليه ذهب بعض المعاصرين، ومنهم الشيخ أحمد الحجي.

أدلة هذا القول:

أ-إن الله تعالى شرع الاتصال الجنسي بين الزوجين لغاية أساسية، وهي تأمين السكن النفسي الناتج عن المتعة الحسية والعاطفية، وثانية تابعة لها وهي إنجاب الأطفال ضمانا لاستمرار النسل، والتلقيح بهذه الصورة يحقق الثانية دون الأولى. ومعلوم أن الثانية لا تتحقق إلا بشرط تحقيق الأولى مصداقا لقوله تعالى: ﴿وجعل

من مقاصد الشريعة إبقاء النسل والحفاظ عليه

منها زوجها ليسكن إليها﴾ وقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧) فمادام التلقيح بهذه الصورة لا يحقق الإشباع النفسي فإنه يكون محرما، طبقا للقاعدة الفقهية: «الأصل في الفروج التحريم حتى يقام الدليل على الحل».

أجيب عن هذا الاستدلال:

١- لا يُسلَّم أن الزواج مقصده الأول إشباع الرغبة الجنسية النفسية، بل إن مقصده الأول والأساسي هو حفظ النسب وبقاؤه. ثم أيضا ربما يحصل السكن والمودة دون حصول الاتصال الجنسي، والتلقيح الاصطناعي يعد من عوامل تحقيق السكن والمودة وذلك باستقبال مولود طالما تطلعا لإنجابه.

٢- أما القاعدة الفقهية فإن معناها أن المستقر أن الفروج محرم الاستمتاع بها حتى يرد دليل الإباحة، ولكن هذا في حال كون الماء من غير الزوج، أما أن يكون الماء منه فهي حل له، ويجوز له إدخال منيه إلى فرجها بهذه الصورة.

ب- أن التلقيح الاصطناعي ينافي كرامة الإنسان، وفيه امتهان لها، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (الإسراء:٧٠). لذلك حرم الله تعالى الزنا لما فيه من الامتهان لكرامة المولود، وكذلك الحال لمن يولد بطريقة التلقيح الاصطناعي.

أجيب عنه:

١- أنه لا يُسلَّم أن في هذه الصورة امتهانا لكرامة المولود، إذ لا دليل على هذا الامتهان.

٢- كذلك لا يسلم أن ابن الزنا ممتهن، بل هو مكرم لأنه نفس بشرية لا ذنب لها بالصورة التي وجد بها، إلا أنَّه لا يثبت نسبه للزاني، فقياسه على الزنا قياس مع الفارق.

القول الثالث: التوقف. وهو قول الشيخ ابن باز (رحمه الله).

القول الرابع: أنَّه من مواطن الضرورات فلا يفتى فيه بفتوى عامة، بل يفتى لكل حالة بحسبها. وهو قول الشيخ بكر أبوزيد (رحمه الله).

القول الخامس: الجواز في الداخلي، وعدم الجواز في الخارجي.

الراجح: الذي يترجح- والعلم عند الله تعالى- هو القول الأول، وهو جواز هذه الصورة من التلقيح الداخلي- بضوابط وشروط معينة- وذلك للأسباب التالية:

١-لقوة أدلتهم، وذلك من خلال القياس الصحيح، والبناء على مقصد حفظ النسل في الشريعة الإسلامية.

٢-إن الحكم بجواز هذه الصورة مبني على مشروعية التداوي في الشريعة الإسلامية، والعقم داخل فيها ضمن شروط خاصة، سيأتي بيانها.

٣- إن الشريعة الإسلامية قائمة على اليسر ودفع المشقة والحرج فـ «المشقة تجلب التيسير» وإباحة هذه الصورة فيه دفع للحرج والمشقة عن الزوجين في إنجاب طفل يسعدان به.

هذا وإن القول بجواز هذه الصورة مقيد بالشروط التالية:

١- أن يتم بين زوجين في حال قيام عقد الزوجية، أما إذا انتهى عقد الزوجية بموت أو طلاق فلا يحلّ ذلك.

٢- أن يقوم بهذا التلقيح امرأة طبيبة مسلمة ثقة، فإن لم يتيسر ذلك فطبيبة غير مسلمة ثقة فإن لم يتيسر فطبيب مسلم ثقة، فإن لم يتيسر فطبيب غير مسلم ثقة.

٣- اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لعدم اختلاط النطف، وعدم الاحتفاظ بالمني في الثلاجات، بل إجراء التلقيح فور أخذه من الزوج، وإعطاؤه للزوجة.

٤- أن تتم عملية التلقيح في وجود الزوج.

٥- وجود ضرورة أو حاجة المرأة إلى هذه العملية لأجل الحمل.

٦- عدم وجود الضرر من هذه العملية على الزوجة. وما لم تتوافر هذه الشروط جميعا فلا يسمح بإجراء هذه العلمية.

الصورة الثانية: التلقيح بمني غير زوجها. وهذه الحالة يلجأ إليها عندما يكون الزوج عقيمًا لخلو مائه من الحيوانات أو لضعفها.

الصورة الثالثة: التلقيح بمني مشترك بين الزوج وغيره.

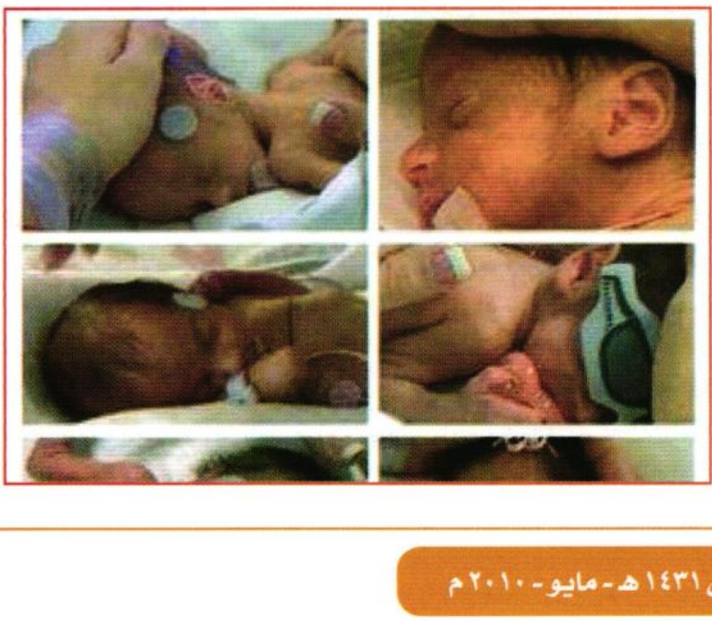
حكم هاتين الصورتين هو التحريم، وذلك للأدلة التالية:

١-قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (البقرة:٢٢٣)، وقوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ (الأحزاب:٥).

وجه الدلالة: أن الأب هو المولود له، أي الزوج الذي يخلق المولود من مائه، فهو صاحب النسب الذي ينسب الولد له، والتلقيح الاصطناعي بهاتين الصورتين فيه خلط للأنساب، فقد نسب المولود هنا للزوج رغم أنَّه لم يخلق من مائه.

٢-أن هاتين الصورتين هما في معنى الزنا، وذلك أن جوهرهما واحد، وحقيقتهما واحدة، وهي وضع ماء رجل أجنبي قصدا في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية.

٣-أن هاتين الصورتين تشبهان ما كان يعرف في



الجاهلية «بنكاح الاستبضاع» وهو محرم في الإسلام.

الصورة الرابعة: استخدام ماء الزوج في تلقيح زوجته بعد انفصام الرابطة الزوجية بينهما بالموت أو الطلاق، وحكمه: التحريم.

ثانيا: الحكم الشرعي لبعض صور التلقيح الاصطناعي الخارجي

١-تلقيح بين نطفة الزوج وبويضة الزوجة في وعاء مختبري، ثم تعاد إلى رحم الزوجة، ويلجأ إليه في حالة عقم الزوجة بسبب انسداد القناة التي تصل بين مبيضها ورحمها.

حكمه: حكم الصورة الأولى من التلقيح الاصطناعي الداخلي، والراجح الجواز بشروط كما تقدم.

تنبيه: هذه الصورة فقط من التلقيح الخارجي فيها خلاف بين العلماء المعاصرين، وبقية الصور كلها محرمة، ومنها ما يأتي:

٢- تلقيح نطفة الزوج وبويضة امرأة متبرعة، ويلجأ إليها عندما يكون مبيض الزوجة مستأصلا أو معطلا، ورحمها سليم، فتزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

حكمه: وهذه الحالة محرمة، لأن اللقيحة متكونة من مصدرين غير زوجين.

٣- تلقيح بين نطفة رجل وامرأة متبرعين ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة أخرى متزوجة، ويلجأ إليها حينما تكون المرأة المتزوجة التي زرعت اللقيحة فيها عقيمًا بسبب تعطل مبيضها، لكن رحمها سليم، وزوجها أيضًا عقيم.

حكمه: هذه محرمة أيضًا إذ لا مجال لأن يترتب فيها نسب.

٤- امرأة متطوعة بحمل لقيحة تكونت في وعاء الاختبار من نطفة زوج وبويضة امرأة، ويلجأ إلى هذا الأسلوب حين تكون الزوجة غير قادرة على الحمل لسبب في رحمها، ولكن مبيضها سليم منتج، أو تكون غير راغبة في الحمل ترفهًا، فتتطوع امرأة أخرى بالحمل عنها.

حكمه: وهو محرم شرعًا لأن المتطوعة بالحمل أجنبية.

٥- هو الأسلوب السابق نفسه، ولكن إذا كانت المتطوعة بالحمل هي زوجة ثانية للزوج صاحب النطفة.

حكمه: التحريم.

وقد منع المجمع الفقهي كل صور «الرحم الظئر» بل منع كل وسيلة من وسائل الإنجاب يدخل فيها طرف ثالث بين الزوجين، وذلك بالتبرع بالمني، أو البيضة، أو الجنين الجاهز (اللقيحة الجاهزة) أو الرحم، نص قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي رقم (٣/٤) بشأن «أطفال الأنابيب»:

«إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من ٨-١٣ صفر ١٤٠٧هـ/ ١١ إلى ١٦ أكتوبر ١٩٨٦م، بعد استعراضه لموضوع التلقيح الصناعي- أطفال الأنابيب- وذلك بالاطلاع على البحوث المقدمة والاستماع لشرح الخبراء والأطباء. وبعد التداول، تبين للمجلس:

أن طرق التلقيح الصناعي المعروفة في هذه الأيام هي سبع:

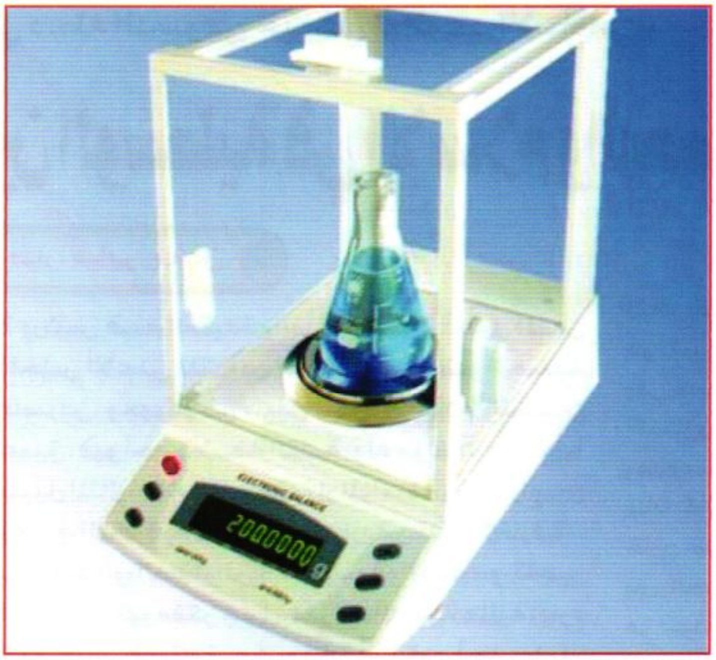
الأولى: أن يجري تلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج، وبويضة مأخوذة من امرأة ليست زوجته، ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته.

الثانية: أن يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج، وبويضة الزوجة، ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم الزوجة.

الثالثة: أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين، ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة متطوعة بحملها.

الرابعة: أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي رجل أجنبي وبويضة امرأة أجنبية، وتزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

الخامسة: أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين، ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة الأخرى.



السادسة: أن تؤخذ نطفة من زوج وبويضة من زوجته، ويتم التلقيح خارجيا، ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

السابعة: أن تؤخذ بذرة الزوج وتحقن في الموضع المناسب من مهبل زوجته أو رحمها تلقيحًا داخليًا.

وقرر: أن الطرق الخمس الأولى كلها محرمة شرعًا، وممنوعة منعًا باتًا لذاتها، أو لما يترتب عليها من اختلاط الأنساب، وضياع الأمومة، وغير ذلك من المحاذير الشرعية.

أما الطريقان السادس والسابع فقد رأى مجلس المجمع أنَّه لا حرج من اللجوء إليهما عند الحاجة، مع التأكيد على ضرورة أخذ كل الاحتياطات اللازمة، والله أعلم»

هذا ما تيسر بيانه في هذه المسألة من فقه النوازل، والله أعلم بالصواب، وصلى الله تعالى على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١- انظر: فقه النوازل لبكر بن عبد الله أبي زيد (٢٦٢/١، ٢٦٣) الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء للدكتور محمد خالد منصور (ص٨٢).

٣- انظر: أخلاقيات التلقيح الاصطناعي للدكتور البار (ص٤٩-٥٢).

٤-الطبيب أدبه وفقهه للسباعي والبار (٣٣٩-٣٤١).

٥-انظر: أخلاقيات التلقيح الاصطناعي ص(٤٤-٤٥).

٦-انظر: مجلة الإحياء المغربية (ع٩ ص١٢٩-١٣١).

٧- مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ع٣ ص٤٥١-٤٦٨).

٨- الحلال والحرام للشيخ يوسف القرضاوي ص (٢٠٩).

٩- حكم نقل الأعضاء للدكتور عقيل العقيلي ص (٤٤-٥٣).

١٠- مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ص (٥٨-٥٩).

١١- الاقتصاد الإسلامي للسالوس (٧٩٥/٢-٨١٠).

المفكر الإسلامي د.طه الدسوقي حبيشي لـ«الوعي الإسلامي»:

لا مقارنة بين الوسطية في الإسلام والتعصب المذهبي

حوار: صابر رمضان

د.طه الدسوقي حبيشي أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وعضو الجمعية الفلسفية المصرية، من المثقفين المعاصرين، وجهوده في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين مشهودة، تنم عن ذهن ثاقب وفكر عميق، فهو أحد فلاسفة الكلمة، وله مؤلفات عدة كلها تتميز بالدقة والإتقان، ومنها على سبيل المثال: «الإسلام واستمرار المؤامرة»، و«الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى»، و«الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة»، و«التيارات والمذاهب المعاصرة.. تحليل وردود»، و«الصفا والمروة.. التوسعة والحكم»، و«تأجير الأرحام بين اتجاهات العلم وحتمية الدين».. فهو مفكر جليل، منزلته العلمية عالية، بارع في الأداء، صاحب أسلوب فياض وعلم غزير، فاستحق عن جدارة أن يكون أحد علماء الإسلام، ومن ثم حاورناه في قضايا عدة ليكون هذا الحوار:

■ في ظل الأحداث الجسام التي تمر بها الأمة الإسلامية الآن.. ما تقييمكم لواقع الأمة في الوقت الراهن؟ وكيف السبيل لتحقيق نهضتها؟

. يعيش العالم الإسلامي حالة مأساوية نتيجة مجموعة من الأسباب أدت إلى هذه الحالة، فالعالم الإسلامي لا يشبه غيره من العوالم التي تشاركه في سكن المعمورة، ذلك أن العوالم المختلفة قد حددت أهدافها سلفًا واتخذت الطرق المناسبة لتحقيق هذه الأهداف، أما المسلمون فقد تشرذمت بهم الأهداف وتقطعت بهم السبل، وأصبح كل واحد يعمل لحساب هدف يحدده لنفسه في أحسن الأحوال، أما الدول والجماعات فلا أرى لواحدة منها هدفًا تسعى إليه، وكانت النتيجة أن عاش المجتمع الإسلامي متشرذمًا وسط مجتمعات تسعى إلى التكتل، هذا ما أرصده بشكل إجمالي في واقع العالم الإسلامي، أما المخرج من هذا الواقع النكد فيتمثل في قول الله تعالى ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له...﴾ (الرعد: ١١)، وفي إطار هذا النص الكريم فإن المجتمعات يحكمها قانون الاجتماع، كما يحكم المادة قانون الطبيعة، وكما تحكم الأحياء قوانين الأحياء، ولابد للمسلمين أن يتخذوا للاجتماع الصحيح أسبابه التي تؤدي إليه، ومن أوائل هذه الأسباب تحديد الأهداف والعمل من أجلها، فلابد أن يكون للأمة هدف عام، ولابد أن تكون مؤسسات الدول جميعها بصيرة بهذا الهدف، ولابد أن تكون مخلصة لخدمته.

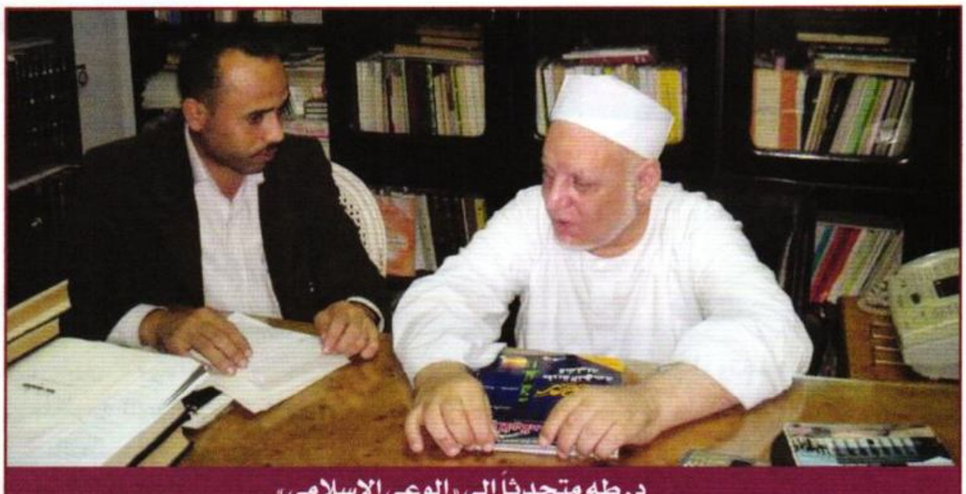
الأمة تعاني انفصامًا بين طوائفها في مختلف التخصصات

■ للإسلام «خصوصية حضارية» امتاز بها عن غيره من الأديان.. هل يمكن أن ندعو إلى إقامة حوار بين الحضارات الآن؟

- يصعب أن نفهم أن يكون هناك حوار بين الحضارات، خصوصًا إذا كان هذا الحوار مقصودًا به الحوار بين الأديان، فإذا كان الحوار معناه أن المتحاورين لن يلتقيا إلا إذا تنازل بعضهم عن بعض مواقفه ومبادئه ليقترب من وجهة النظر الأخرى أو يتنازل كل واحد منهما عن بعض ما عنده ليلتقيا الاثنان في منتصف الطريق، ففي جميع الحالات الحوار الدينى غير ممكن، فالمسلم إن أراد أن يحاور غيره فلن يستجيب له الغير إلا في حالة واحدة، هي أن يتنازل المسلم عن بعض قضاياه ومبادئه ليلتقي الجميع عند وجهة النظر المخالفة، وهذا ليس من كلامي، وإنما هو تقرير قرآني، حيث قال تعالى من أول وهلة وفي عصر المبعث ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...﴾ (البقرة: ١٢٠)، وهذه مسألة بالقطع قد حسم النقاش حولها، فإذا كانت المسألة تعني حوار الحضارات خارج منطقة أصول الدين، فإن قاعدة الترقي بين الحضارات بمفهوم علم الاجتماع، إنما هي مبدأ التراكم، فكل حضارة تالية تضيف للحضارة الأخرى بعض ما ينفع الإنسانية ويقدر له البقاء، وكل حضارة تليدة أو قديمة تطهر نفسها من الشوائب أثناء حركتها في التاريخ تمامًا.. هذه قضية لا يختلف عليها عقلان يبتغيان الحق وينشدان السلام.

■ هناك موجة خوف من الإسلام القادم ومن «الأصولية» تقودها دول الغرب.. تُرى لماذا هذا الخوف الآن من الإسلام؟

. الدين الإسلامي دين نظام على أساس من العدالة، بجميع أبعادها التي تقوم على ضبط المسيرة الاجتماعية ومنع الإنسان من أن يكون هدفًا لأخيه الإنسان، ومن هنا فقط كان الإسلام محققًا للفردوس الموعود على الأرض وفي الآخرة، وهذا لا يرضي كثيرين من الذين يريدون أن يأكلوا عظام الناس حتى النخاع، وأن يشربوا دماء الآخرين حتى الثمالة، وما كان للإسلام، باعتباره نظامًا، أن يترك هؤلاء الذين اعتبرناهم مصاصين للدماء، يعربدون في الدنيا كما يريدون، ولابد من الضرب على أيديهم وبقوة شديدة حتى يرى كل واحد منهم أن الإسلام يرعبه إذا تعدى حدود الخط الأحمر في مجال احترام حرية الإنسان وكرامته، وكان التعبير الإسلامي ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: ٦٠)، ويجمع الله هدف المسلم خلف نبيه في سورة الفتح ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩)، ومن هنا فقط اعتبر مصاصو الدماء الإسلام إرهابًا،


د. طه متحدثًا إلى «الوعي الإسلامي»

وأطلقوا عليه أسماء، وعلى أصحابه صفات، ربما كانت هذه الأسماء وتلك الصفات لا تعني شيئًا سوى ظلال الكرامة لمعتنقي هذا الدين، ولكن هذه الأسماء قد ارتبطت في الغرب بظلال النذالة والاعتداء، وبظلال القنص ومحاربة الحريات، فنقلوها بظلالها في غفلة من المسلمين إلى المجتمع المسلم من نحو الأصولية والإرهاب وغيرهما.

■ الجهاد بالمعنى الديني أو الإسلامي بات فيه لغط شديد، والتبس الأمر بين الدعوة بالحسنى والتطرف والإرهاب، ما رؤيتكم لهذا؟ وكيف نوضح الصورة للغرب؟

. في الفقه الإسلامي ألفاظ هي بمنزلة المصطلحات، لها مدلولاتها التي يعرفها علماء الدين والقائمون عليه، ومن هذه الألفاظ «الجهاد»، ونحن نرى الإسلام يستعمل كلمة الجهاد في كثير من آياته، وهي كلمة لغوية معروفة في لغة العرب، والجهاد هو حمل النفس على بذل الطاقة والجهد فيما رسمه الإسلام من مجالات تحتاج إلى بذل الطاقة والجهد، فالإنسان المسلم مطلوب منه أن يجاهد لسد حاجة المجتمع في مجالات العلوم المختلفة، كالطب والهندسة وعلوم الاقتصاد وعلوم الدين... إلى آخره، ومن بين الجهاد ما يطالب الإسلام به الجماعة المسلمة من الحفاظ على حدودها السياسية وعلى مقدساتها الدينية وعلى ثرواتها وعلى شخصيتها المتميزة، فإن اعتدى عليها أحد في جانب من هذه الجوانب وجب على الأمة أن تهُبَّ أفرادًا وجماعات لإثبات وجودها بين الناس، فإن لم تفعل ضرب الله عليها بالذلة وأحاطها بالمسكنة ووضعها في آخر القائمة الوجودية إن بقي لها في آخر القائمة محل، وهذا المفهوم الأخير من مفاهيم الجهاد خصه الله بمصطلح القتال، والقتال في الأمة الإسلامية ليس هدفًا في ذاته، وإنما هو وسيلة إلى هدف بخلافه في الأمم السالفة أو المعاصرة، حيث أصبح عند هؤلاء وهؤلاء هدفًا بذاته فيما يعرف عندهم بالتطهير العرقي أو الاجتثاث النوعي، وهم يعملون إلى هدف ملخصه أن الدنيا كلها قد أصبحت على فساد إلا من ينتمي إلى معتقداتهم، وعلى الدنيا كلها أن تسلم قيادها إليهم في معركة زعموا أن الله قد وعدهم بها، وبأن يسلم لهم الأرض، وهو مفهوم القيامة كما يقولون، إن الجهاد في الإسلام له هذا المفهوم الواسع الذي بعضه القتال، وليس القتال هدفًا في ذاته.

أحيانًا يصيب الإنسان خلل في عقيدته وينحرف عن الصراط المستقيم فيصيبه الله بصدمة كونية حتى يفيء إلى أمر الله، فما تفسيركم لهذا؟

. الإنسان يصاب بالفتور والانحراف، وقد يكون هذا الفتور والانحراف في العقيدة، فيكون صاحبها كافرًا أو مشركًا، وقد يكون الفتور في الشريعة وأداء بعض ما يجب عليه أداؤه من تكليفات الشرع له، ويسمى صاحب هذا الفتور عاصيًا، وفي الحالتين فإن الله عز وجل لا يفاجئه بالعقوبة، وإنما يصدمه صدمات لعله يفيق ويلتفت إلى الحق، والصدمات تدور حول نقطتين، الخوف والجوع أو بعبارة أخرى «الأمن والاقتصاد»، والله عز وجل إن أراد أن يصدم المقصر حتى يستقيم ينتقص من هذين الأمرين بالنسبة للفرد أوالجماعة، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (البقرة: ١٥٥)، فإذا عاد الإنسان إلى ربه تاب ربه عليه وقبله إنسانًا مستقيمًا، وإذا لم يعد تحولت هذه الصدمات إلى تدمير.

■ «تجديد الخطاب الديني» قضية شائكة شغلت الساحة الدينية اليوم.. ما رأي فضيلتكم فيها؟

. إن كان المقصود بتجديد الخطاب الديني هو التجديد في المنهج والأدوات في كل عصر فلا بأس، أما إن كان المقصود بتجديد الخطاب الديني طرح بعض الأمور الجوهرية من الدين كرصيد الأمة من التفسير، ورصيدها من الفقه وأصوله، ورصيدها من السنة المنضبطة على منهج قويم، ورصيدها من القرآن الكريم في سوره المدنية، ورصيد الأمة من هذا القرآن الذي يحتفظ بكلام الله وألفاظه المقدسة، إن كان القصد طرح هذه الأمور فأرجو من رجال الأمة الغيورين أن يقفوا في وجه هذا التيار، لأن فيه محاولة أولًا لصرف الأمة عن دينها وثانيًا لتفريغ النصوص الدينية من محتواها، حتى تبقى نوعًا من الشقشقة الفارغة التي لا تحوي معنى ولا يُرجى منها تأثير.

■ التعصب المذهبي يتنافى مع وسطية الإسلام.. كيف ترون ذلك؟

. لا مقارنة بين الوسطية في الإسلام والتعصب المذهبي، فالوسطية تعني أن الإسلام لا يميل إلى التفريط، كما لا يميل إلى الإفراط، أما التعصب المذهبي، فهذا أمر آخر يعني فيما يعني أن الإنسان يلتزم بمذهب واحد في أداء الشريعة وممارسة العبادة لله، والتعصب المذهبي يعني فيما يعني أن الإنسان يأبى على الآخرين أن يخالفوا مذهبه، أما أن يكون الإنسان ملتزمًا بمذهب يعبد الله على أساس من آراء أصحابه، فهذا يكون أمرًا حسنًا عند إنسان ليست لديه القدرة على الاطلاع والموازنة، وإن كان الإنسان عالمًا وقادرًا على الاستيعاب والموازنة وتحقيق الأدلة فإن أصحاب المذاهب أنفسهم لا يقرون له أن يكون مقلدًا لهم، أما هذا الذي يريد أن يحمل الناس على مذهبه هو، ويحكم عليهم بأحكام لا يجوز أن يحكم عليهم بها، فإن هذا النوع من البشر يجب أن نأخذ على يديه، لأنه يخالف الاتجاه العام في الإسلام، خاصة في هذه المسائل التي تكون من الفروع ويكون الدليل فيها مقصودًا إليه، ألا يكون محددًا باتجاه معين؟

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

الحقيقة الغائبة

لقد حبا الله سبحانه وتعالى أمة خير الخلق سيدنا محمد ﷺ بالموارد البشرية والمقدرات المادية والموقع الجغرافي المميز والمنهج الرصين الذي لا يأتيه الباطل، والقدوة السلوكية، وبالرغم من ذلك نجد أننا نتراجع عن مصاف الريادة والاستاذية في العالم.. فأين المشكلة؟

لاشك أن معيار القوة اليوم يقاس بالامكانات العسكرية والقدرات العلمية البحتة والوسائل التقنية الحديثة، وهذا بالنسبة لأمة الإسلام مختف أو شبه منعدم لظروف تتعلق بالمسلمين أنفسهم وليس بالإسلام.

إن الواقع يبيِّن أن الأمة مريضة بالأمراض الدنيوية من شهوات المناصب والمظاهر والشعارات، وشبهات الإلحاد والكفر والزندقة والنفاق، ولكن الحقيقة اليقينية للعلاج موجودة بين أيدينا ونحن عنها غافلون.

فنحن أمة قوية بعقيدتها وأخلاقها وعباداتها وأعمالها وإتقانها ومنهجها، وهذا ما نحن في حاجة ماسة له بالوقت الراهن لاستعادة مكانة الأمة الرائدة ورسالتها الانسانية.

إذن ينقصنا تطبيق الإسلام، فكيف تقوم للإسلام قامة وهو لم يقم في نفوس أتباعه؟!

ينبغي على كل مسلم غيور يسعى بكل جدية الى خدمة دينه ووطنه ونفسه أن يكون خلقه حسنا، وسلوكه ربانيا، وقلبه خاشعا، ونفسه راضية مطمئنة، كذلك يجب فهم حقيقة النجاح في الدنيا والأخرة، حيث تتمثل في تحقيق الأثر الطيب والتغيير الايجابي في منظومة الحياة.

فالصحوة التي ظهرت أواخر السبعينيات من القرن الماضي لابد أن تظل مستديمة، بالاضافة الى اهمية توسيع دائرة انتشارها من المحيط الإسلامي الى المحيط الانساني، لأن أساس رسالة الإسلام انسانية بحتة.

ومسلم اليوم مطالب بالموازنة بين الروح والمادة، والجمع بين الأخلاق والقوة، والتسلح بالعلم والعمل، خاصة أن الإسلام لم يتقدم أو يتأخر وإنما الأدوات والوسائل هي التي تتقدم وتحول صانعها الى خادمها.

وإذا تحرر الإنسان واستعاد كرامته وخرج من عبادة العباد الى عبادة رب العباد، وصارت القيم الانسانية هي الاساس الذي تقوم عليه المجتمعات لعادت حضارة الإسلام مرة أخرى وحررت البشرية من غول المادية.

وكما قال المؤرخ د.عبدالعظيم الديب - يرحمه الله - التاريخ هو ذاكرة الأمة، والذاكرة للأمة كالذاكرة للفرد تمامًا، بها تعي الأمة ماضيها، وتفسر حاضرها، وتستشرف مستقبلها.

لهذا نجد ان استنطاق التاريخ يوضح ان الحضارة الاسلامية لن ينطفئ نورها ابدًا، فقد تضعف، وقد تمرض، ولكنها قابلة في كل زمان ومكان أن تستعيد بريقها ورونقها إذا أخذت بالأسباب المتاحة.

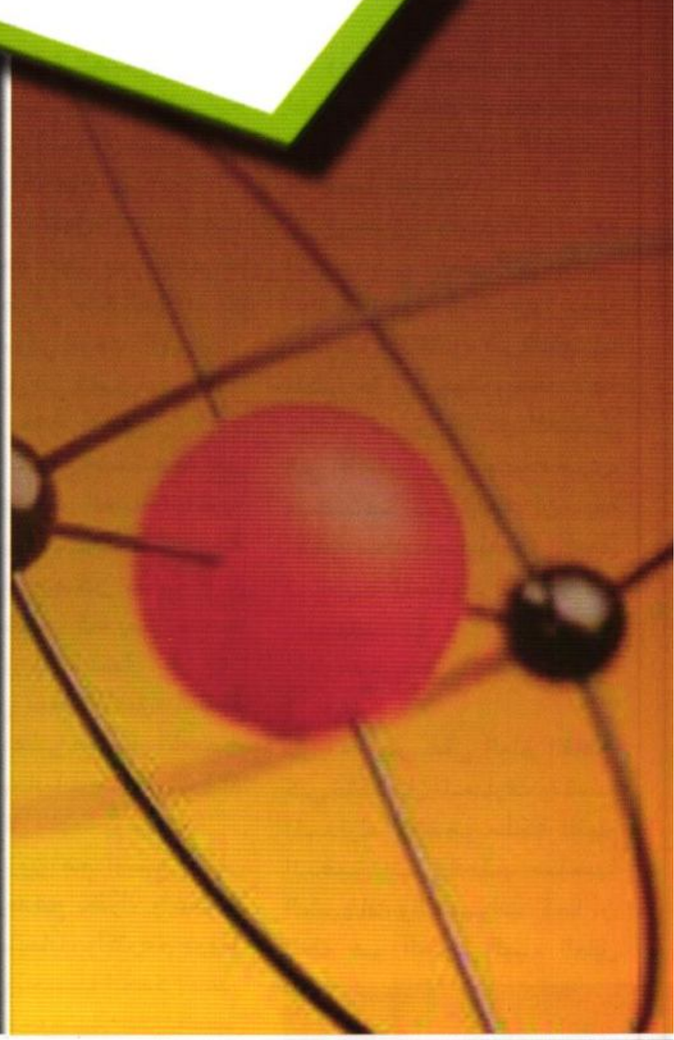
ولعل بشارة الرسول ﷺ بأنه «لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتي يأتي امر الله، وهم ظاهرون على الناس» (رواه الشيخان) متحققة لا محالة، وها هي على الطريق تسير شيئًا فشيئًا لاستعادة الخلافة من جديد على منهج النبوة، لذا يجب ان نصلح أنفسنا وندعو غيرنا ونتحمل في سبيل الله كل ما يصيبنا، لأن البشارات لا تتحقق الا بالعمل بالرغم من أنها تطمئن النفس بقدر الله مصداقًا لقوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

أخيرًا: العامل الرئيسي في تقدم الإسلام والمسلمين هو الالتزام بالإسلام ذاته، وأن التفريط في ذلك أدى الى تأخرنا، وليعلم المسلم أن الطريق مليء بالأشواك، ولكن بالايمان والوعي والصبر والاصرار والثبات، سيحقق غايته.



ونختم بقول أحد الصالحين «من أراد أن يعمل لدينه واجه المصاعب، ولكنه سيحيا كبيرًا ويموت كبيرًا» فليكن شعارنا «الحياة أو الموت في سبيل الله».. والله ولي التوفيق.

الموهوبون.. مكانةٌ وريادة



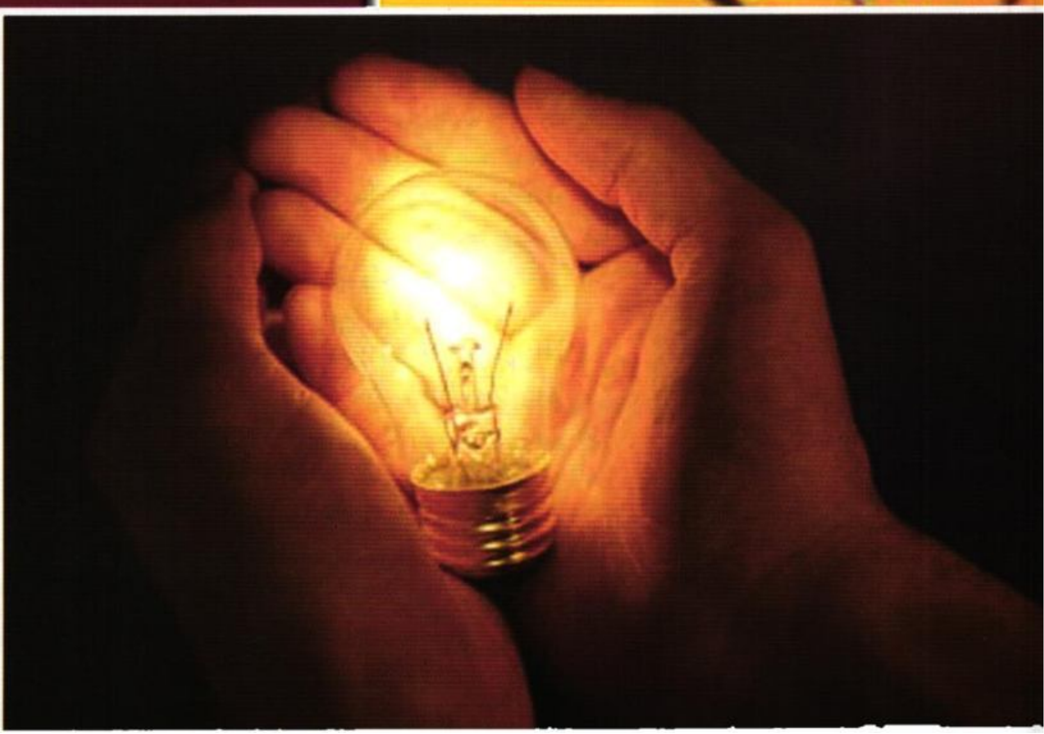
من نعم الله تعالى على الإنسان أنْ فضّله على غيره بالبيان والعقل والعلم واعتدال الخلق. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، ونعمة العقل من أجل هذه النعم، فبه يفرق الإنسان بين الأشياء، ويعرف خواصها ومنافعها ومضارها، وذلك في الأمور الدينية والدنيوية، ويتساوى في هذه النعمة بنو الإنسان، ولكن هناك صفوة اختصها الله بملكة التفوق والتميز في مجال أو أكثر من مجالات الحياة، وإذا وُجدت هذه الصفوة من المتفوقين، وكملت العناية والرعاية بهم، برز منهم المبدعون والمبتكرون والموهوبون.

وملكة التميز هذه تبدأ مع بداية الحياة كاستعداد كامل أو إمكانية محتملة تنمو وتنضج مع نمو الفرد في مراحل حياته الأولى، إلى أن تصل إلى مراتب عالية من الابتكار والإبداع، ولقد جاء في بعض الدراسات أنّ «الطفل الموهوب يعدّ ثروة وطنية، وكنزًا لأمته وعاملًا من عوامل نهضة مجتمعه في مجالات الحياة العلمية والمهنية والفنية، ومن ثمّ فإنّ استغلال قدراته استغلالًا تربويًا يعد ضرورة حتمية»، «فالموهوبون والمتميزون في أغلب المجتمعات هم الذين تقوم على كواهلهم نهضتها، فهم عقولها المدبرة، وقلوبها الواعية، وواضعو الأهداف وراسمو خطط تحقيق تلك الأهداف».

والمجتمعات المتقدمة اليوم تسعى بكل قدراتها في الكشف عن المتفوقين والموهوبين والمبدعين ورعايتهم، حيث أدركت أنّ قدراتها إنّما تعلو بموهوبيها ومبدعيها، وأنّها تتقدم على غيرها بعقول علمائها ومفكريها ومخترعيها، وهذه مُسلّمة بَدَهيّة لا تحتاج إلى تأكيد، فالثروة البشرية أفضل نفعًا وأعم فائدة، وأكثر عائدًا من جميع الثروات المادية الأخرى إذا ما ارتقى إعدادها، وأحسن استغلالها.

من أجل ذلك كله كان لزامًا على الأمة الحفاظ على هذه الثروة العظيمة وعدم تبديدها بالإهمال وانعدام الرعاية؛ إذ إنّ هؤلاء الموهوبين هم الذين يملكون مفتاح التغيير إلى الأفضل والأرقى في سبيل نهضة الأمة الدينية والدنيوية.

وكما جاء على لسان بعض المهتمين بالموهبة والإبداع أنّ «الاهتمام بالمتفوقين والموهوبين لا يقتصر على توفير البرامج التربوية والتعليمية التي تهتم بتنمية قدراتهم العقلية والذهنية، ولا يقتصرعلى سن القوانين والأنظمة التي تنظم حياتهم وتسهل التعامل معهم، بل إنه يتعدى ذلك إلى رعايتهم نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا، ووضع البرامج الإرشادية والتوجيهية التي تضمن لهم نموًا نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا متكاملًا يحقق الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها».



إعداد : التحرير

سعة الأفق.. طريقك للنجاح

د.خالد سعد النجار

في امتحان الفيزياء في جامعة كوبنهاجن بالدانمرك جاء أحد أسئلة الامتحان كالتالي :كيف تحدد ارتفاع ناطحة سحاب باستخدام الباروميتر (جهاز قياس الضغط الجوي)؟ الإجابة الصحيحة: بقياس الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وعلى سطح ناطحة السحاب.

إحدى الإجابات استفزت أستاذ الفيزياء، وجعلته يقرر رسوب صاحب الإجابة دون قراءة باقي إجاباته عن الأسئلة الأخرى.

الإجابة المستفزة هي: أربط الباروميتر بحبل طويل، وأدلي الخيط من أعلى ناطحة السحاب حتى يمس الباروميتر الأرض، ثم أقيس طول الخيط!! غضب أستاذ المادة لأن الطالب قاس له ارتفاع الناطحة بأسلوب بدائي ليس له علاقة بالباروميتر أو بالفيزياء من أساسه.

تظلم الطالب مؤكدًا أن إجابته صحيحة١٠٠٪، وحسب قوانين الجامعة عين خبير للبت في القضية، أفاد تقرير الحكم بأن إجابة الطالب صحيحة، لكنها لا تدل على معرفته بمادة الفيزياء، وتقرر إعطاء الطالب فرصة أخرى لإثبات معرفته العلمية، ثم طرح عليه الحكم نفس السؤال شفهيًا.. فكر الطالب قليلا وقال: لدي إجابات كثيرة لقياس ارتفاع الناطحة ولا أدري أيها أختار. فقال الحكم: هات كل ما عندك. فأجاب الطالب: يمكن إلقاء الباروميتر من أعلى ناطحة السحاب على الأرض، ويقاس الزمن الذي يستغرقه الباروميتر حتى يصل إلى الأرض، وبالتالي يمكن حساب ارتفاع الناطحة باستخدام قانون الجاذبية الأرضية.

إذا كانت الشمس مشرقة، يمكن قياس طول ظل الباروميتر وطول ظل ناطحة السحاب، فنعرف ارتفاع الناطحة من قانون التناسب بين الطولين وبين الظلين.

إذا أردنا حلا سريعًا يريح عقولنا، فإن أفضل طريقة لقياس ارتفاع الناطحة باستخدام الباروميتر، هي أن نقول لحارس الناطحة: سنعطيك هذا الباروميتر الجديد هدية إذا قلت لنا كم يبلغ ارتفاع هذه الناطحة؟

أما إذا أردنا تعقيد الأمور فسنحسب ارتفاع الناطحة بواسطة الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وأعلى ناطحة السحاب باستخدام الباروميتر.

كان الحكم ينتظر الإجابة الرابعة التي تدل على فهم الطالب لمادة الفيزياء، بينما الطالب يعتقد أن الإجابة الرابعة هي أسوأ الإجابات لأنها أصعبها وأكثرها تعقيدًا.

بقي أن نقول: إن اسم هذا الطالب هو «نيلز بور» وهو لم ينجح فقط في مادة الفيزياء، بل إنه الدانمركي الوحيد الذي حاز جائزة نوبل في الفيزياء.

سعة الأفق

هو تعبير مستخدم في مختلف عناصر الحياة النظرية والعملية باعتباره حاجة وضرورة، ويمكن سحبه على الأمور العظيمة كما يمكن سحبه على الأمور المتواضعة.

وتعني سعة الأفق: القدرة الهائلة على تحليل الأمور، وفرز الإيجابيات من السلبيات، وتحديد كل منهما بوضوح.

المتميزون هم أوسع الناس أفقًا، وأبعدهم نظرًا، وأعمقهم فكرًا واستيعابًا، وأكثرهم مرونة وانفتاحًا وتحسسًا للمُمكن وغير المُمكن، وأحرصهم على السبق في اتخاذ القرارات المناسبة وتحديد مسارات التنفيذ الملائمة، وأرحبهم بالخلاف صدرًا، وأكثرهم للمعاذير التماسًا.. وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه والأخذ به.

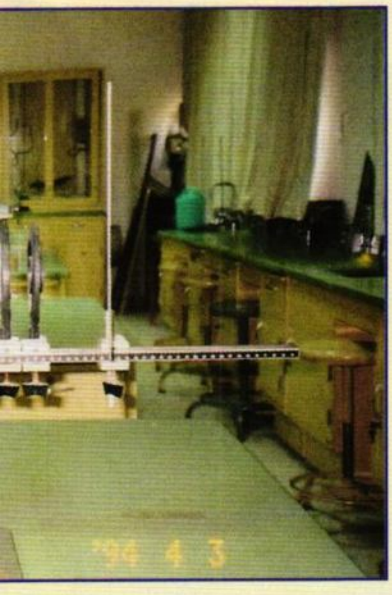
ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق لديهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

وبعبارة أخرى فإن «سعة الأفق» هي النظر إلى الأمور بدائرة واسعة، تُؤخذ فيها جميع العوامل المُؤثرة في القضايا المطروحة من جهة، ويُؤخذ فيها عامل الزمن وآفاق المستقبل في الاعتبار من جهة أخرى، ويُضاف إلى ذلك أن سعة الأفق تتطلب مرونة في العمل تستجيب للمتغيرات وتجدد المعطيات.

ومما يمهد الطريق لسعة الأفق:

الحرص على العلم النافع، كي تتكامل المعارف وتتسع المدارك، فتنمو ملكة الفهم الدقيق التي تجنب صاحبها الشبهات والشهوات، كما أن العلم هو الطريق لبناء العقل



• باحث أكاديمي

وجودة الفكر، وكما قيل: العلم هو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين.. به يعرف الله ويُعبد، وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة.

الاهتمام بسعة الثقافة وثرائها، حيث يهيئ التنوع الثقافي السبل لصناعة عقول متحررة من قوالب التكرار ومساوئ الاستنساخ، محلقة في رحابة التجديد، والتواصل الإيجابي بين المرء ومن حوله.

كثرة محاورة ومجالسة أهل العلم والرأي؛ فبالحوار العلمي الجاد تتسع مدارك الإنسان، ويقف على أشياء قد لا تخطر بباله على الإطلاق، وقديمًا قال عمر بن عبدالعزيز: «إني وجدتُ لقاء الرجال تلقيحًا لألبابهم». وقال الزهري: «العلم خزائن ومفاتيحها السؤال». وقال أيوب السختياني: «إنّك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره». ولهذا كان السلف يحثون طالب العلم على الرحلة والسفر لملاقاة العلماء واكتساب مختلف أنواع العلوم والمعارف، وفي هذا

سعة الأفق» هي النظر إلى الأمور بدائرة واسعة، تُؤخذ فيها جميع العوامل المؤثرة في القضايا المطروحة

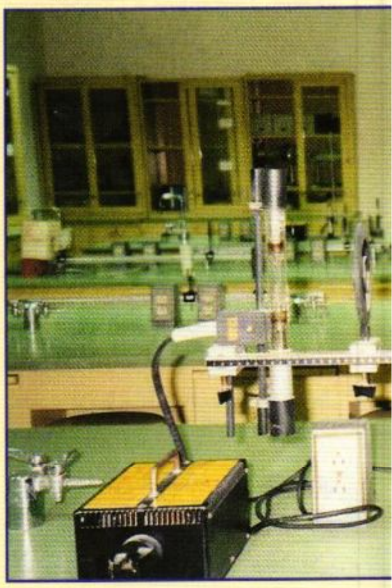
يقول ابن خلدون: «على كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها».

الوعي الجيد بمُراقبة ما يجري من حولنا والسعي إلى فهمه واستيعابه، وإدخاله إلى دائرة الخبرة الشخصية، وتوظيف هذا الفهم وتلك الخبرة في التصرفات واتخاذ القرارات.. إن هذا الوعي يُعطي للمرء مُنطلقًا لأداء العمل على أفضل وجه مُمكن، وتحقيق النجاح المنشود بإذن الله تعالى.

الجدية في تناول الأمور والبعد عن لغة الاستهتار، مع الالتزام بالمبادئ الأخلاقية، ورفض مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، ففي الالتزام بهذه الصفات راحة للضمير، تجعل الإنسان أكثر قدرة على التفكير والاستيعاب بموضوعية حقيقية بعيدة عن الانحراف، وفيه أيضًا سمعة طيبة وثقة يكتسبها الإنسان بين أقرانه، وقبل كل ذلك وبعده، تحوز هذه الصفات على رضا رب العالمين جل جلاله، ومن ثم يأتي توفيقه وعونه ومدده للعبد في كل أحواله وتقلباته.

التحرر من التقليد الأعمى بكل صوره وأشكاله؛ فهو يستفيد من أشياخه وأقرانه وأصحابه وغيرهم، ثم ينطلق بفكره الحرّ يتلمّس مختلف السبل بعقلية ناضجة مستقلة؛ وليس كل الناس يقوى على ذلك؛ فأصحاب الفكر الحر هم المعادن الكريمة النادرة، وهم القادرون على توجيه الأمة، وهم غير عامة الناس، وبين هؤلاء وأولئك فئام من الناس أخذوا من كل فريق بطرف.

تجنب الغرور، فنظرة المغرور إلى نفسه غير متوازنة، ففي الوقت الذي ينظر إلى نفسه بإكبار ومغالاة، تراه ينظر إلى غيره باستصغار وإجحاف، فلا نظرته إلى نفسه صحيحة ولا نظرته إلى غيره سليمة، الغرور تضخم للذات، حيث يرى الشخص نفسه أنه هو الأعلم، وهو دومًا على صواب، والبقية مجرد جهلة لا يفقهون من أمور حياتهم شيئًا.. الغرور بداية النهاية كما قرر ذلك كافة المفكرين والعقلاء، لأنه يغلق منافذ الفكر، ويحجب المرء عن الاستفادة من تجارب الآخرين، وتسفيه خبراتهم وآرائهم، وكما قال فرانك ليهي: «الغرور هو المخدر الذي يسكن آلام الغباء».



الصفر اختراع إسلامي

الصفر شيء كبير، فمنذ اكتشفه واخترعه عالمنا المسلم: محمد بن موسى الخوارزمي، حدث تحول كبير في الحساب، بل في الحياة كلها، فما قيمة الحساب كله، والعلوم، والحضارة، وعلوم الفضاء، دون صفر ومن دون هذا الحساب العشري الذي يتعلق به، والذي تتعلمه أنت اليوم في المدارس.

وحين عرف أهل أوروبا الصفر دهشوا به، وعجبوا، ونقلوه الى بلادهم عن طريق الجزائر، ولكنهم نقلوا «الصفر الغباري» أي المستدير (٠)، وكان عالمنا الخوازمي قد جعل أرقامًا بشكلين: (٠، ١، ٢، ٣...) و(...٣، ٢، ١، ٠) فالسلسلة الثانية تسمى الأرقام الغبارية، وكانت شائعة في المغرب العربي، ومنها انتقلت الى أوروبا، فلما عرف الغربيون الصفر وضعوا بلغتهم اللاتينية نشيدًا على لسانه، يقول فيه كلامًا جميلًا يدل على قيمته، وقد ترجمنا لك هذا الكلام الذي يقوله الصفر، الى العربية الأم، فاسمعوا ما يقوله الصفر:

انتبه لي يا رفيق
إنني الصفر الطليق
ليس بي نطق ولكن
أنا في العلم عميق
مستدير متكامل
لصلاح المتعامل
عن يمين أنا هائل
ويسار أنا خامل

كيف ننمي الابتكار والموهبة لدى أطفالنا؟

وفيق صفوت مختار

حظى الابتكار في السنوات الأخيرة باهتمام كبير من علماء التربية وعلم النفس، فالابتكار في أرفع مستوياته ربما يكون من أهم الصفات الإنسانية المؤثرة في تغيير التاريخ وإعادة تشكيل العالم، حيث إن أي مجتمع لا يمكنه أن يتغير بسهولة تغيرًا جذريًا بناء على التخطيط فحسب، بل إن أعضاء المجتمع مدينون للابتكار الذي ترجع إليه الديناميكية الداخلية لمجتمعاتهم. ولقد نبع الاهتمام الجديد بمجال الابتكار من أهمية هذا الموضوع في عقود انفجرت فيها المعلومات انفجارًا عظيمًا، وانتشرت فيها وسائل التقانة انتشارًا منقطع النظير، وأضحى انتاج الشيء الجديد المبتكر هو الضمان الأساسي للترجيح والمفاضلة.

لقد زادت أهمية الابتكار بسبب المنافسة الشديدة بين الشعوب والمجتمعات في مجال العلم والتكنولوجيا من حيث إن الإبتكار يضمن تقدم هذه الشعوب والمجتمعات وبقاءها نشطة قوية صلبة.

ماهية الابتكار

بعيدًا عن النظريات الأكاديمية التي راحت تفسر الابتكار، وتحدد ماهيته، يمكننا تقديم تعريف للابتكار في أوسع معانيه كالتالي: هو تحطيم القوالب الموجودة، أو الخروج عن المألوف، أو كسر قيود الفكر المفروضة على الفرد، أو ارتياد طريق آخر غير الطريق الذي يسلكه الآخرون، أو الانفتاح على خبرات الآخرين، أو المباشرة بأول خطوة نحو المجهول، أو وضع فكر جديد، أو طرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة، أو إيجاد شيء جديد يؤدي إلى إيجاد أشياء أخرى، أو التوصل إلى إيجاد علاقات جديدة بين الأفكار المطروحة، أو طرح فكرة جديدة، أو إيجاد وسيلة أو طريقة غير معروفة سابقًا، أو ارتياد مكان جديد، أو كشف شيء لم يسبق إليه أحد، أو اختراع آلة أو جهاز جديد يفيد الإنسان.

• كاتب مصري

الذكاء أحد العوامل والخصائص التي يتميز بها الشخص المبتكر

وقد حدد عالم النفس «ويليامز» جوانب عدة يتكون منها الابتكار وهي:

الطاقة، وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار أو الأسئلة.

المرونة: وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير ومتنوع من الأفكار، والتحول من نوع معين من الفكر إلى نوع آخر.

الأصالة، وهي القدرة على التفكير بطريقة جديدة أو التعبير الفريد، والقدرة على إنتاج الأفكار الماهرة أكثر من الأفكار الشائعة أو الواضحة.

مراحل عملية الابتكار

يعد «والاس» wallasمن أوائل العلماء الذين وصفوا عملية الابتكار بأنها عبارة عن مراحل متباينة، تتولد أثناءها الفكرة الجديدة، وهي كالتالي:

الإعداد preparation: وتتضمن البحث الدقيق للمشكلة بالقراءة والتجربة.

الكمون Incubation: وتتضمن هضمًا أو تمثيلًا عقليًا، شعوريًا ولا شعوريًا، وامتصاصًا لكل المعلومات المكتسبة الملائمة.

الإشراف luvmination: وتتضمن انبثاق «شرارة الإبداع»، أي اللحظة التي تولد فيها الفكرة الجديدة.

التحقيق verification: وتتضمن الاختبار التجريبي للفكرة المبتكرة.

وبينما يمكن تمييز المراحل الأربع، إلا أن «والاس» لاحظ أنها لا تحدث إلا إذا أثارت الفرد مشكلة ما، وما يترتب على ذلك من محاولات لإيجاد الحل.

صفات المبتكر

المبتكر شخص مرتفع الذكاء، له من الصفات الانفعالية والاجتماعية ما يساعده على عدم الرضوخ لما موجود فعلًا في مجاله، ويساعده على الوصول إلى ما هو جديد.

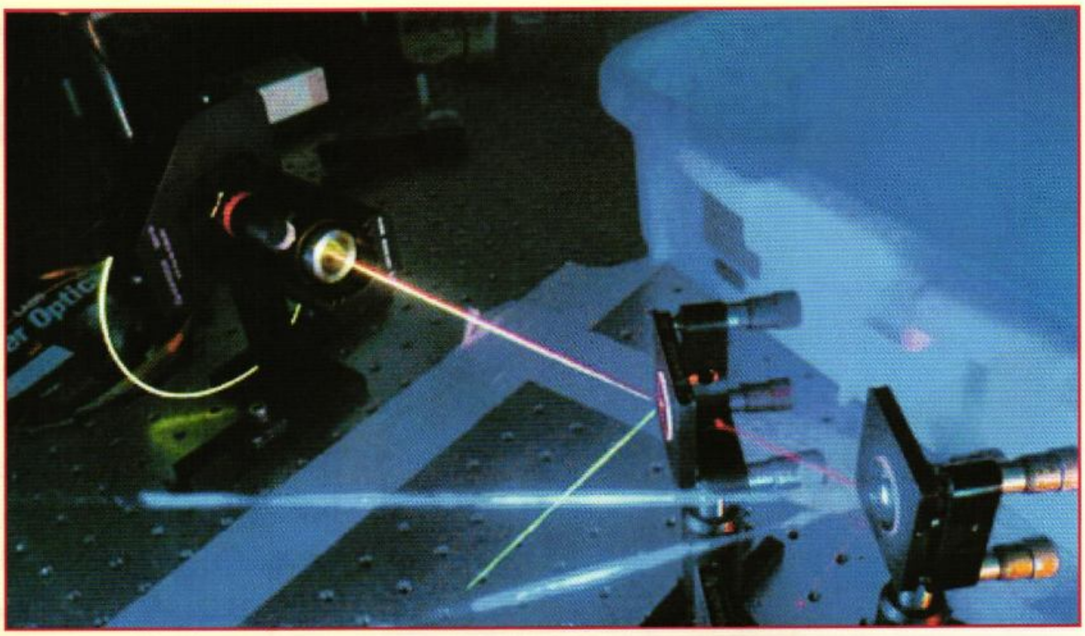
ويتميز المبتكر عن غيره بأنه يكون ملاحظًا جيدًا، ومدققًا في الأمر أكثر من غيره، ومتأملًا ومتفحصًا دقيقًا، فما يراه هذا المبتكر لايراه غيره، وينتبه لما لا ينتبه له أحد، وما لا يثير غيره يثيره هو، وتكون عيون قلبه مفتوحة، ويتبصر بها ما لا يتبصره الآخرون، ويظهر حساسية أكثر من غيره، فالمبتكر هو الملاحظ الجيد لما يتلقاه من البيئة من مثيرات، وهو المدقق والمتفحص فيما يلاحظه من مثيرات، والمستجيب لما يتفحص ويدقق من مثيرات مهما كانت قيمتها الظاهرية تبدو لغيره بسيطة وتافهة.

ومن صفاتهم الشخصية التي أظهرتها مختلف الدراسات الاكتفاء الذاتي، تأكيد الذات، المثابرة، العمل الشاق، الاعتماد على النفس. ويضيف «كاتل» إلى هذه الصفات أنهم: مثبطون، متحفظون، بارزون، أو مكبوتون، جديون، صموتون.

تنمية الابتكار لدى الطفل

● الذكاء أحد العوامل والخصائص التي يتميز بها الشخص المبتكر، إذ أن كل مبتكر هو بالضرورة ذكي، وليس كل ذكي مبتكرًا، حيث إن التفكير المبتكر تفكير منطلق متعدد الأبعاد، أما الفرد الذكي فإن تفكيره ذو عامل أحادي يقف خلف معظم أساليب النشاط العقلي.

وبما أن التقدم الحضاري والتقني الذي نعيشه اليوم ما هو إلا نتاج لهؤلاء الأفراد المبتكرين،



لذا ينبغي الاهتمام بأبناء الجيل الصاعد من حيث التربية، وطرق التدريس، وأساليب التقويم، والبيئة الاجتماعية، ليساهموا في بناء الحضارة الإنسانية.

● توفير المثيرات الكثيرة في البيئة التي يعيش بكنفها الطفل، فقلة المثيرات تؤدي إلى حرمان الطفل من كثير من الخبرات التي قد تكون سببًا في إثارة الابتكار لديه، أما الزيادة في المثيرات فإنها رهينة بإثارة الابتكار لديه.

● تزيين غرفة الطفل بالصور والمناظر الطبيعية وخاصة من تلك الأنواع التي يمكن تغييرها باستمرار لتعريضة لمثيرات اخرى مختلفة.

● تنويع المثيرات التي يتعرض لها الطفل في البيئة التي يعيش فيها، فالتنويع يشمل الكتب والمجلات والصحف والأفلام والشرائح والاسطوانات والمسجلات.

● التوجه نحو استخدام التكنولوجيا الحديثة وخاصة جهاز الحاسب وشبكة المعلومات (الانترنت) لما فيهما من مثيرات غنية، ومتنوعة تنوعًا هائلًا، تشمل جميع ما يمكن أن يرغب الإنسان أن يطلع عليه.

● تدريب الصغار منذ نعومة أظفارهم على تلخيص الأفكار باستخدام ألفاظهم الخاصة، كأن تعطي لهم فقرات من كتابات معينة ويطلب منهم تلخيصها بشكل معين بطريقة فردية أو جماعية، وتوازن الملخصات بعضها ببعض، ويكافأ الجيد منها.

● تعويد التلاميذ منذ السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية على التأمل والتفحص والتركيز الدقيق والتفكير العميق في موضوع معين لفترة قد تستغرق دقائق.

● تعويد الأطفال الصغار على تسجيل الملاحظات في دفتر خاص، عن كل ما يجدونه في الحياة اليومية أو كل ما يقرؤونه، ويكون الاحتفاظ بهذه الدفاتر ضروريًا طوال الحياة، كما أن إلقاء النظر في محتويات هذه الدفاتر بين فترة وأخرى يكون مفيدًا من زاوية الابتكار، من حيث إنها تشكل مثيرات، وتساعد على إيجاد علاقات جديدة بين المثيرات المختلفة.

● تعويد الأطفال على إنهاء واجباتهم البيتية قبل فترة مناسبة من الموعد المطلوب، ليصرف الوقت المتبقي للتفكير من أجل التطوير، وبعبارة أخرى تحتاج الأفكار إلى أن تمر من مرحلة ما يسمى بالاختمار، وفي اختمار الأفكار إبداع وابتكار.

● دعوة الطفل إلى أن يكون ملاحظًا ومراقبًا جيدًا لكل ما يحيط به، مع توجيه اسئلة إليه لكشف دقة انتباهه بعد زيارة متحف أو مسجد أو معرض.. إلخ.

● لعب الأطفال بالدمى أو العرائس أو الأطفال التي تحتاج إلى بناء وهدم، فك وتركيب، يثير لديهم الخيال ويكشف ابتكاراتهم.

● عدم ترك اسئلة الأطفال من دون إجابات مهما كانت ساذجة أو تافهة، والإجابة عنها بالشكل الذي يفهمونه، وإثارة اسئلة مستمرة وتوجيهها للأطفال، وخصوصا تلك الأسئلة التي تكون من النوع المفتوح لكي يتوجهوا إلى البحث والاستقصاء والدراسة المنظمة.

■ مصاحبة الأطفال في زيارة الأسواق والمعارض والمحال التجارية، وتفحص المعروضات المختلفة وما فيها من أشياء جديدة، ودراسة مزاياها وعيوبها وخصائصها.

■ توجيه الأطفال إلى الاحتكاك المباشر بالطبيعة وما فيها من سهول وهضاب وبحار وأنهار، وتوجيه انتباههم كذلك نحو السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم.

توجيه انتباه الأطفال نحو الحيوانات والطيور والنباتات وأهميتها الطبيعية في حياة الإنسان، كذلك توجيه انتباههم نحو المظاهر الطبيعية من رعد وبرق وسحب وأمطار ورياح .. إلخ.

المراجع

١- أنور طاهر رضا: كيف يُثار الابتكار لدى الصغار والكبار، مجلة الفيصل السعودية، دار الفيصل الثقافية، العدد:٢٩٣.

٢- جواهر قنديلي: هل أنت مبتكر، مجلة المعرفة، السعودية، وزارة المعارف، العدد:٦٧.

٣-حلمي المليجي:سيكولوجية الابتكار،ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م.

٤- عبدالسلام عبدالغفار: التفوق العلمي والابتكار، القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت.

٥- محمود عبدالحليم منسي: الدافعية والابتكار لدى الأطفال، جدة- مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٩٨٧م.

٦- Engle t.l snellgrovel. Psychodogy: Its Principles and Application New york Harcourt Prace .Jovenovich١٩٧٧

قلم الحبر «القلم النباع» اختراع عربي إسلامي

القلم العربي وأثره في فضيلة الخط

صلاح عبدالستار الشهاوي ◆



القلم صغير الرسم، نحيل الجسم، خفيف الحمل، جميل العلم، كبير العزم، طويل الجهد، قوي الواقع، سيف إذا سُلّ، غيث إذا همل، به تكتب المناجاة، وتمحى المعاناة، به يرسم الخيال، ويوضح الجمال، به يفرج عن المكروب، ويواصل المحبوب، يحتاجه الناس، وهو دائما رافع الرأس، فإذا نكس برأسه أينعت له رؤوس، فكتبه هو المحسوس، وهو يوجد في كل مكان، لأنه لا يستغني عنه إنسان، وهو الموثق، وهو المشوق، وهو المعوق، يبقى تأثيره إلى أجيال كثيرة.

والقلم ما يكتب به، قلم العود يقلمه قلما: قطع منه شيئا. ويقال: قَلَم القلم ونحوه: براه، وقَلَم الظفر: قص ما زاد منه، ومنه القلم لأنه يقطع شيء من طرفه ليسوى، فهو على وزن فَعَل بمعنى مفعول، مثل سلب وقدر، كما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم. والقلم أيضا يطلق على السهم أو القدح يجال بين القوم في القمار أو القُرعة، وجمعه أقلام وهو جمع قلة، وكثيرًا ما يستعمل في الكثرة. وفي المعجم الوجيز: القلم ما يكتب به، وقلم الحبر: قلم مداده مخزون لا يسيل على سنه إلا وقت الكتابة، وقلم الرصاص: قلم سنه من الجرافيت لا مداد له، ويقال جف القلم: قضي الأمر وأبرم. وعند الخطاطين: نوع من الخط يقال مثلا يكتب بخط النسخ، وفي اصطلاح الدواوين: قسم من أقسام الديوان، والجمع أقلام. والقلامة ما قطع من طرف الظفر أو الحافر أو العود، وقلامة الظفر: مَثَلٌ في القلة والحقارة، يقال: لم يُغنِ عني قلامة ظفر، والمقلمة: وعاء الأقلام.

ولقد تعددت مسميات القلم- الذي هو أداة الكتابة- فمنها المذبر أو المزير الذي يزير به، أي يكتب به، وقيل: اليراع، والمرقم، ولكن أكثر هذه التسميات شيوعًا القلم، وقد تعددت الآراء كذلك حول اشتقاق هذه التسمية، فقيل القلم؛ لأنه قُلم أي قُطِعَ وسُوي كما يقلم الظفر، وكل عمود يقطع ويجز رأسه ويقلم بعلامة فهو قلم، وكذلك قيل للسهام أقلام، قال الله تعالى ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفلُ مريم﴾ (آل عمران: ٤٤) وكانت سهامًا مكتوبة عليها أسماؤهم. وذكر القلقشندي أنها سميت أقلاما لاستقامتها كالقداح، وقيل: هو مأخوذ من القُلام وهو شجر رخو، فلما ضارعه القلم سمي قلما.

وتكشف أقوال الحكماء والبارزين في التاريخ الإنساني كله عن منزلة القلم وأهميته، ويكفي أن نشير إلى أن أثره فضيلة الخط الذي هو لسان اليد، ورسول الضمير، ودليل الإرادة الناطق عن الخواطر، وسفير العقول، ووحي الفكر وسلاح المعرفة، ومحادثة الأخلاء على التنائي، وأنس الإخوان عند الفرقة، ومستودع الأسرار، وديوان الأمور، وترجمان القلوب، والمعبر عن النفوس، والمخبر عن الخواطر، ومورث الآخر مكارم الأول، والناقل إليه مآثر الماضي، والمخلد له حكمته وعلمه، والمسامر للعين بسر القلب، والمخاطب عن الناصت، والمجادل عن الساكت، والمفصح عن الأبكم، والمتكلم عن الأخرس.

يقول الجاحظ: ليس في الأرض أمة بها طرق (قوة) أو لها مسكةُ عقل، ولا جيل لهم قبضُ وبسط إلا ولهم خط، فأما أصحاب الملك والمملكة والسلطان والجباية والديانة والعبادة فهناك الكتاب المتقن، والحساب المحكم، وما يصل بين الكتاب والحساب هو القلم.

ويقول أيضا: إن اللسان لا يجري مجرى القلم ولا يشق غباره أو يتكلف بعد غايته، فأثره ضائع وحضوره مؤقت ومداه موصول بمدى الصوت الذي سرعان ما ينقطع، أما القلم فهو علامة الحضور المتصل، والزمان الممتد للكتابة.

قالوا في القلم

قال ابن المعتز: القلم يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة، يسكت واقفا، وينطق سائرا.

وقال ابن المقفع: القلم بريد القلب، يخبر بالخير وينظر بلا بصر.

وعن القلم يقول عبدالحميد الكاتب: القلم شجرة ثمرتها

◆ باحث وكاتب صحفي

الألـفـاظ، والـفـكـر بـحـر لـؤلـؤه الحكمة.

وقال العتابي: الأقلام مطايا الأذهان.

وقال سهل بن هـارون: القلم أنف الضمير إذا رعف (تحرك)، أعلن أسراره وأبان آثاره.

وقـال ابـن أبـي دؤاد: القلم سفـيـر العـقـل ورسـولـه الأنـبـل ولـسـانـه الأطـــول وتـرجـمـانـه الأفضل.

وقـال أيـضًـا: الـقـلـم سفير العقل ورسـول الفكر وترجمان الذهن.

وقال أحمد بن صلاح: القلم لسان البصر، يناجيه بما استتر عـن الأسـمـاع إذا نـسـج حلله وأودعها حكمه.

وقال أيضا: عبرات الأقلام في خدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صحون خدودها.

وقـال عـمـرو بـن مـسـعـدة: الأقلام مطايا الفطن.

وقـال أحـمـد بـن عـبـدالـلـه: القلم راقد في الأفئدة مستيقظ في الأفواه.

وقـال ابـن ميثم: من جـلال شأن القلم أنه لم يُكتب لله تعالى كتاب قط إلا به.

وقيل: عقول الرجال تحت أقلامها.

نـال الـقـلـم اهـتـمـام جميع الأمم منذ أن عـرفت الكتابة، واختلفت أشكاله والمـواد التي يصنع منها باختلاف المواد التي يكتب عليـهـا، فكـانـت الأقـلام تتخذ عند السومريين القدماء من أهل العراق من الحديد أو الخشب ليضغط بها على الطين لرسم الخطوط المسمارية، ومنها مـا كـان يكتب مـن الـرأسـين، وفـي مصر كتب الفراعنة على الأحجار بأقلام الحديد، ونقشوا أدق الصور، وكتبوا على البردي بقلم البوص أو الفرجون.

واسـتـخـدم الـعـرب في الجاهلية القلم فـي التموين، وعندما كانت تُلجئهم الحاجة إلى أن يسجلوا بعض شؤونهم، في وقت لا يكون معهم قلمهم المبري المقطوط ودُوَيُهم الملأى بـالمـداد، كـانـوا يستخدمون- غالبًا- مواد طباشيرية أو فحمية تترك أثرها على ما يكتب عليه، بل إنهم استخدموا أدوات حادة كالسكين لنقش الكتابة على المواد الصلبة.

ورد ذكر قلم الحبر في إحدى المخطوطات العربية التي تعود لزمن الدولة الفاطمية

القلم في العصر الجاهلي

تشير النصوص إلى أن القلم في الجاهلية كان مصنوعًا من القصب، يقط ويقلم أو يبرى ثم يغمس في مداد الدواة ويكتب به، قال عبدالله بن حنش: رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء.

وإذا كان العرب قد اهتموا بتجويد الخط وإتقانه في ذلك العصر، فإن النتيجة المنطقية لذلك، هـي أن يعتنوا بصناعة الـقـلـم، أداتـهـم لـذلـك، والأمـر الذي لا يقبل جدلًا حوله هو أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يعرفون الكتابة، غير أن صعوبة وسائلهم جعلتهم لا يستخدمونها في الأغـراض الأدبـيـة الشعرية والنثرية، ومـن ثـم استخدموها فقط فـي الأغـراض السياسية والـتـجـاريـة، وتـشـيـر كـثـيـر من الـدراسـات إلـى أن الـعـربـي في الـعـصـر الجـاهـلـي كـان يـعـرف الكتابة وأنه كثيرا ما استخدمها خاصة في الأغـراض السياسية والتجارية.

نـسـتـدل عـلـى ذلـك بـكـثـرة ألـفـاظ اللغة الـدالـة على القلم والـورق في شعرهم، مثل اليراع والأنـبـوبـة والـقـرطـاس والطرس والرق والصحيفة، ومن الألفاظ الدالة على الكتب الصك، الزبور، الرقيم، السفر، الوصيرة الخ... كما أن الشعر الجاهلي لم يحفظ عـن طـريـق الـروايـة والـسـمـاع فقط، وإنما كانت الوسيلة الأولى لحفظه القلم والكتابة، ويستدل عـلـى ذلـك بـكـثـرة ورود كلمتي الكتابة والقلم في ألفاظ الشعر الجاهلي، أو في بعض تشبيهاته وصـوره، كما شـاع عن شعرائهم تشبيه الأطـلال ورسـوم الـديـار بـالـكـتـابـة والـنـقـوش، فـالمـرقـش الأكبر يقول مشبها بقايا أطلال منزل الحبيبة ببقايا آثار سطور خطها قلم:

الدار قفر والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

ويـقـول الأخـنـس بـن شهاب التغلبي:

لابنة حطّان بن عوف منازل
كما رقش العنوان في الرق كاتب

والـرّقّ: الجلد الرقيق يكتب عليه.

ويستهل لبيد معلقته بأبيات يصور فيها أيضا بقايا أطلال الحـبـيـبـة تـصـويـرا أقـرب إلـى تصوير المرقش فيقول:

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولُها فرجامُها
فمدافع الريان عري رسمها
خلقًا كما ضمن الوحيّ سلامها

الـوحـي: الكتابة، والسّـلام: الـحـجـارة الـبـيـض الـتـي كـانـوا يكتبون عليها، وكـانـوا يكتبون أيضًا في الأدم، أو الأديم الذي مر في بيت المرقش، وهو الجلد المدبوغ يكتب عليه، كما كانوا يكتبون في عسيب النخل.

ويـسـتـمـر لـبـيـد فـي معلقته فيقول:

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبر تجد متونها أقلامها

الـزبـر: جـمـع زبـــور وهـــو الكتاب.

ويقول سلامة بن جندل، وهو فارس جاهلي معروف:

لمن طلل مثل الكتاب المنمق
خلا عهده بين الصُلَيب فمُطرقِ

الصليب ومطرق: اسمان لمكانين.

وقد ردد الشعراء مثل هذه الـصـورة كـثـيـرًا فـي أشـعـارهـم، ومـا مـن ريـب فـي أنّ ذلك يؤكد أن الكتابة معروفة فـي العصر الـجـاهـلـي، كـذلـك كـانـوا يكتبون عهودهم السياسية، وكانوا يسمون تلك العهود المكتوبة «مهارق» وقد جاء ذكر هذه المهارق في معلقة الحارث بن حلزة، مشيرًا بها إلى ما كتب من عهود بين بكر وتغلب إذ يقول:

واذكروا حلف ذي المجاز وما
قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل
ينقض ما في المهارق الأهواء؟

كما نجد هذه الـصـورة لدى شـعـراء آخـريـن، وكـان بـعـض الـشـعـراء الـجـاهـلـيـين يـكـتـبـون أشـعـارهـم، بـل كـتـب بـعـضـهـم- كلقيط بن معمر الإيادي- رسائل شعرية إلى قومه، وكان بعضهم يـعـرف لـغـات أجـنـبـيـه كـعـدي بـن يـزيـد الـذي كـان يـعـمـل فـي بـلاط ملك الحيـرة، وليس أدل على معرفة الجاهليين الكتابة والقراءة من أن معلقاتهم الطوال كانت تـذاع وتشتهر بـين الناس

بسبب تعليقها مكتوبة على جدار الكعبة المشرفة.

القلم ومكانته في العصر الإسلامي

حين جاء الإسلام كانت أول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم هي ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق: ١) وفعل القراءة فعل ماكر إنه العملة ذات الوجهين، إذ لا يمكن القيام بالقراءة إلا من خلال فك رموز الشفرة المرسومة كتابة أو رسما أو لونا، ولهذا كانت متواليات الآيات تزيد من الإفصاح والتوضيح ﴿اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ٢-٤)، ففعل القراءة (التعلم) رهين بالقلم، وما القلم إلا وسيلة، وما الوسيلة إلا ضرورة للكتابة.

ولمكانة القلم في الإسلام أقسم الله عز وجل به في كتابه الكريم قال تعالي ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم.

وقد ذكر القلم في القرآن الكريم أيضا في موضعين آخرين ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ (لقمان: ٢٧) ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ (آل عمران: ٤٤) يقول المفسرون في تفسير هذه الآية: يصح أن يراد بها أقلام الكتاب من الأحبار التي كانوا يكتبون بها التوراة، وقد آثروها تبركا بها، فجعلوا عليها علامات واقترعوا بها على من يكفل مريم، ويصح أن يكون المراد بالأقلام هنا سهاما أعدوها وجعلوا عليها علامات، وألقوها يستهمون بها على من يكفل مريم.

وعن مكانة القلم في الإسلام نطالع ما ذكره أبوبكر الصولي في أدب الكتاب: أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١-٤)، فجعل تبارك اسمه أول ما أنزل في القرآن ذكر التفضل على عباده بخلقه، وأتبع ذلك بذكر الإنعام عليهم بما علمهم من الكتاب الذي به قد أتم أمر دينهم ودنياهم واستقامة معايشهم وحفظها، ولولا أن من لا يحسن الكتابة يجد ممن يحسنها معونة وإبانة عنه لما استقام له أمر ولا تم له عزم، ولحل محل الصور الممثلة والبهائم المهملة.



ولهذا قال المؤرخون: إن الانتقال من النزعة الشفاهية إلى النزعة الكتابية على مستوى الإبداع والفكر قد حدث مع نزول القرآن الكريم، وإن القرآن الكريم نفسه هو النموذج الكتابي الأول الذي يفارق النماذج الشفاهية بإعجازه، ويكتمل المعنى إذا عرفنا أن أول ما أنزل من القرآن الكريم كان أمرا بممارسة فعل القراءة الذي هو الوجه الآخر لفعل الكتابة، ومما جاء في أول ما نزل من القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ٥) بواسطة القلم الذي به جمع القرآن، وحفظت الألسن والآثار، ووكدت العهود، وأثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت السكوك، وأمن الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات، وتم الميثاق بين المخلوق وخالقه في الإسلام الذي أكد كتابه الأكبر حضوره الكتابي؛ لذا فإن القلم أشرف أدوات الكتابة وأعلاها رتبة، وغيره من آلات الكتابة كالأعوان.

وأدرك المسلمون أهمية القلم، وعنوا بصناعته، وكان لنزول القرآن باللغة العربية، وانتشار الإسلام وتأسيس دولته، ثم ما صاحب ذلك من مراحل تحوّل حضارية كالتعريب والترجمة ومعرفة العرب بصناعة الورق، وظهور مواهب الخطاطين المسلمين الذين أجادوا فنون الخط وعملوا على إتقانه، أثر كبير في تطور صناعة القلم.

وصُنِعَ القلم قديما من لب الجريد الأخضر، لكن استخدام القصب- نوع من البوص- في صناعتها كان سائدًا، لما له من مزايا، فالأقلام المصنوعة من القصب تظهر قواعد الخط، وهي سهلة الاستعمال، وطوع يد الكاتب يقطعها كما يشاء، بحسب حجم الكتابة ونوع الخط، بالإضافة إلى أن متانته تسمح بكتابة رفيعة جدًا.

وهناك أدوات ارتبطت بالقلم لا يصح إلاّ بها، سواء التي تستعمل في صناعته، كالمبراة أو السكين والمقط وغيرها، أو أدوات الكتابة كالدواة، أو المقلمة التي يحفظ بها أو يوضع فيها والتي كانت غالبًا متصلة بالدواة ونادرًا ما انفصلت عنها.

وبراية القلم كانت من العمليات الأساسية في صناعته، إذ القلم لا يسمى قلما حتى يبرى، وإلا فهو قصبة، وكانت السكين هي الأداة المستعملة في بري القلم ونحته وشقه، ثم قطه ليعاد بريه، من حين لآخر.

وكانت الأقلام المصنوعة من القصب تحتاج إلى أدوات أخرى حتى يمكن الكتابة بها، فهي في حاجة إلى الدواة التي تمدها بالمداد، وكذلك كانت تستخدم أدوات أخرى لتنظيف القلم والمحافظة عليه كالرقيعة، وهي خرقة يمسح فيها الكاتب قلمه، وكذلك الرغميد أو الغلاف أو القمجار وهو ما يدخل فيه القلم للمحافظة عليه، وتعتبر المقلمة من أشهر أدوات الحفاظ على الأقلام، وقد تكون من الدواة نفسها، أو تكون منفصلة عنها، وقد لا تعد من آلات الكتابة لكونها من جملة الدواة غالبًا.

وقد سعى المسلمون إلى تطوير القلم بحيث يكون أداة متكاملة لا حاجة له إلى الدواة التي تمده بالمداد، والتي تلازمه ملازمة دائمة، ويصعب حملها

والتنقل بها في كل وقت، وقد حدث هذا التطوير في بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) على يد المعز لدين الله الفاطمي أحد الخلفاء الفاطميين البارزين، وكان ذلك بتخيل الصورة التي يكون عليها قلم ممتلئ بالحبر في جوفه، ولا يحتاج إلى دواة معه، ووصف هذا التخيل للصانع ومتابعة التنفيذ.

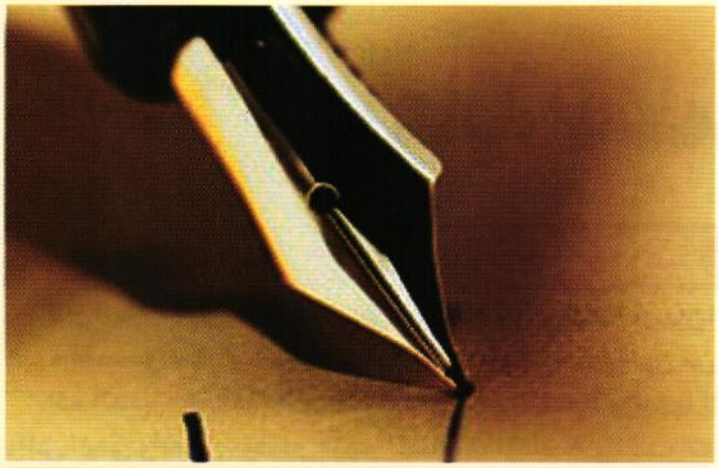
قلم الحبر اختراع عربي إسلامي

قد يعتقد الكثيرون أن قلم الحبر الذي نعرفه اليوم هو من اختراع الأميركي «لويس أديسون وترمان» في القرن الثامن عشر، إلا أن المتتبع لتراثنا العربي يجد أن ذكر القلم الحبر قد ورد في إحدى مخطوطات العربية التي ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية، وهذه المخطوطة هي كتاب «المجالس والمسامرات» للقاضي أبي حنيفة النعمان، حيث يذكر فيها أن المعز لدين الله الفاطمي هو أول من أوعز لاختراع أقلام الحبر التي تحوي مخزنا للحبر، فقد جاء في هذا الكتاب: «إن المعز لدين الله الفاطمي ذكر القلم فوصف فضله، ثم قال في حضرة القاضي النعمان بن محمد: نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة، ويكون مداده من داخله، فمتى شاء كتب به ما شاء، ومتى شاء تركه، فارتفع المداد، وكان القلم منه ناشفا، ويجعله الكاتب في كمه فلا يرشح شيء من مداده، فيكون آلة عجيبة، لم نعلم أنا سبقنا إليها، ثم يكون دليلا على حكمة بالغة. فقلت ويكون هذا يا مولانا؟ قال: يكون إن شاء الله، فما مر بعد ذلك إلا أيام حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة بقلم من ذهب، فأودعه المداد على مقدار الحاجة، وكتب به فكتب، وزاد شيئًا من المداد، فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه، وجاء به وكتب به أحسن كتاب، ثم رفعه عن الكتاب، فأمسك المداد، وهو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كل ناحية، فلا يبدو منه شيء من المداد، فإذا أخذه الكاتب وكتب به أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد، فرأيت صنعة عجيبة، لم أكن أظن أني أرى مثلها».

وهذا ما تعترف به المؤرخة ألبرتين قور (Albertin Gaur) في كتيبها «مواد الكتابة في المشرق حيث تقول: إن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أمر بأن يصنع له قلم يحمل حبره وينساب الحبر إلى ريشته ذاتيًا عند الكتابة بحيث لا تتسخ ملابسه عند حمله، فصُنع له قلم بهذه المواصفات من الذهب الخالص.

وبذا يكون الخليفة المُعز هو المخترع الأول لقلم الحبر السائل.

والمعز هو معد بن اسماعيل بن القائم بن المهدي عبيدالله الفاطمي العبيدي، أبو تميم، صاحب مصر وإفريقيا، فتح بلاد المغرب وفتح مصر واختط مدينة القاهرة، ولد عام ٣١٩هـ- ٩٣١م، ومات عام ٣٦٥هـ- ٩٧٥م، قدم إلى القاهرة ٣٦٢هـ، وهو رابع الخلفاء الفاطميين، وبدت الدولة الفاطمية في أوج قوتها في عهده، ومن بعده جاء من يطور فكرة المعز، ويكون الحبر جافًا ليكون بالصورة التي عليها هذه النوعية من الأقلام الآن، وأول هؤلاء هو العالم العربي الإسلامي أبو القاسم عباس بن فرناس بن فرداس القرطبي، مخترع وفيلسوف وشاعر أندلسي من قرطبة عاش في القرن التاسع للميلاد كانت له اهتمامات بالرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء، اشتهر أكثر ما اشتهر بمحاولة الطيران، اذ يعده العرب والمسلمون أول طيار في التاريخ، توفي في حدود عام ٨٨٨م.



عباس بن فرناس اخترع آلة اسطوانية تستخدم للكتابة والخط وتغذى بالحبر

عاصر الأمراء الثلاثة: الحكم بن هشام وعبدالرحمن بن الحكم ومحمد بن عبدالرحمن ١٨٠-٢٧٤هـ، ٧٩٦-٨٨٧م حيث مارس نشاطه العلمي والفكري، وقام بتجاربه فى جو من الحرية والتشجيع لم يوجد فى عصر آخر، وهذا المناخ هو الذى أفرز علماء الأندلس المسلمين وأفذاذها الذين استطاعوا تحقيق أروع الكشوفات في ميادين العلوم التجريبية ومهدوا الطريق للأجيال اللاحقة من علماء العصر الحديث.

ومن مخترعات عباس بن فرناس ما شابه القلم الحبر وهو آلة اسطوانية الشكل تستخدم للكتابة والخط وتغذى بالحبر فكان واضحا وأفاد النساخ والكتاب حيث سهل مهمتهم في الكتابة والنسخ ووفر عليهم مؤونة حمل الأقلام والمحابر أينما ذهبوا، وهذه الآلة هي بمثابة قلم الحبر المعروف فى الوقت الحالي، وبذلك يكون عباس بن فرناس قد سبق مخترعي الأقلام الحديثة بمئات السنين، وأوجد هذه الآلة التي تشكل أهمية كبرى في نشر العلم والمعرفة والثقافة على نطاق واسع، كما أنه ابتكر كثيرا من الأدوات التي أعانته في تنفيذ أفكاره وابتكاراته، ويقال: إنه ابتكر أشياء طريفة عجيبة وكثيرة ولكن تفاصيلها فقدت آثارها، فيشير أبوبكر الزبيدى «إلى أنه كان من أهل الذكاء والتقحم على المعاني الدقيقة والصناعة اللطيفة» ويقول عنه ابن حيان: «أبدع إبداعات لطيفة واختراعات عجيبة».

رعاية المسلمين للموهوبين

أحمد حسن الخميسي

كان العرب قبل الإسلام قبائل متفرقة، ليس لهم شأن بين الأمم، وعندما أشرق نور الإسلام فيهم أصبحوا أمة ذات حضارة. فما الذي جعلهم يتحولون من رعاة الغنم إلى قادة الأمم؟!

إنه الدين الخالد الذي أيقظ فطرتهم النائمة ووجهها إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإلى الحق والعدل، وفجر فيهم الطاقات الكامنة والقدرات الهائلة التي تكمن في داخلهم، وذلك بحضهم على العلم والفهم والفقه. «... خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» (البخاري) ورغبهم هذا الدين في طلب العلم والاستفادة من النعم التي أسبغها عليهم كنعمة العقل والقلب وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة.

تربى الجيل الأول من الصحابة على أعين رسول الله ﷺ، وعندما انطلقوا يدعون للإسلام ويربون الكبار والصغار على مبادئه وتعاليمه الربانية، اعتنوا بالاستعدادات والميول والطباع التي تشكل أساسًا لما نسميه اليوم بالموهبة .. فكيف تم ذلك؟ ومن الواهب الحقيقي؟

ذلك ما سنعرفه- إن شاء الله- في الصفحات التالية:

الله هو الوهاب

من أسماء الله تعالى «الوهاب» كما في قوله تعالى ﴿وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ (آل عمران: ٨).

والوهاب: جزيل العطاء والنوال، كثير المن والإفضال، عظيم اللطف والإقبال، يعطي من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن العبد بحال.

والوهاب: صيغة مبالغة في الوهب من الهبة، وهي التمليك بغير عوض (١).

قال الله تعالى ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ (ص: ٩) إن الموهبة هي عطاء من الواهب، والواهب هو الله تعالى.

والأطفال هم هبة الله كما في قوله تعالى ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب كلًا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾ (الأنعام: ٨٤).

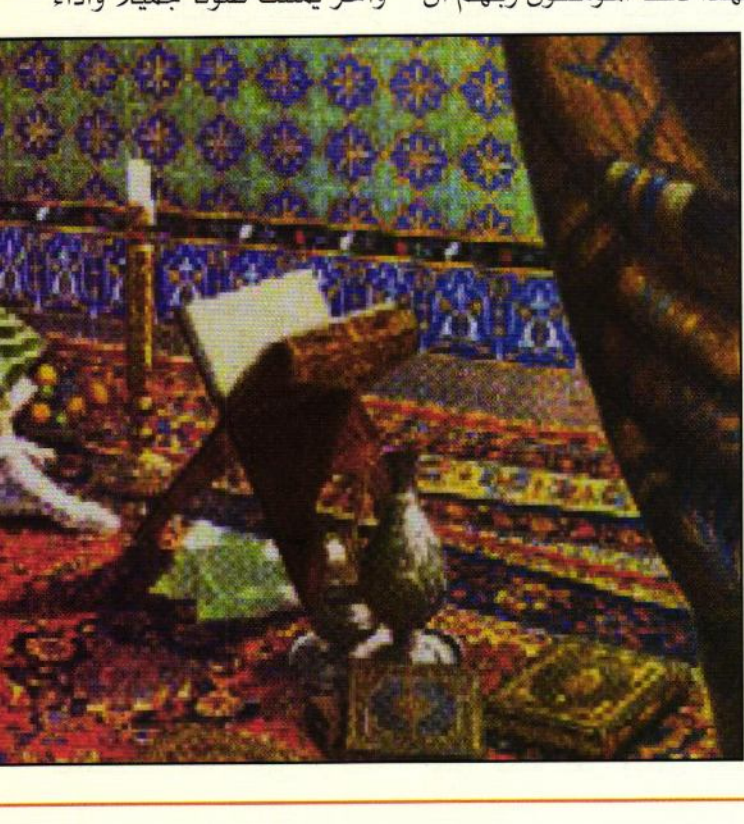
فقد رزق الله سيدنا إبراهيم عليه السلام أولادًا بعد ان كانت امرأته عاقرًا، فجاءه إسحق ويعقوب وهداهما الله، وهدى نوحًا وباقي الأنبياء.

والهداية موهبة اعطاها الله للانبياء، تفجرت من قلوبهم ليرشدوا بها البشرية الى عبادة الله وحده.

وإذا لم يكن الرسول موهوبًا متميزًا فمن إذن؟!

هذه الهبات وهذه المواهب تستوجب الحمد والشكر للمنعم سبحانه وتعالى، لذلك وجدنا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يلهج بحمد الله تعالى الذي وهبه أولادًا بالرغم من كبر سنه ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾ (إبراهيم: ٣٩) فالموهبة نعمة كبيرة يمن الله بها على عباده، وهي مطلوبة ومحبوبة في الذرية، لأنها تسعد الأب والأم إن وجدت في الأبناء، لهذا دعا المؤمنون ربهم أن يرزقهم أطفالًا موهوبين يجلبون لهم السعادة فقالوا ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ (الفرقان: ٧٤) وأي سعادة تفوق فرحة الآباء والأمهات عندما يرزقون بولد موهوب ذي صلاح وتقوى.

إن الأطفال يحملون في داخلهم مواهب أودعها الباري، تختلف من طفل لآخر، فهذا يتمتع بقوة الحركة والعضلات، ويميل بطبعه الى الرياضة، فسيصبح رياضيا مشهورًا، وذاك يتقن رسم الاشكال الجديدة والطريفة بألوان جذابة ودلالات مدهشة، فسيكون رسامًا لامعًا، وآخر يمتلك صوتًا جميلًا واداء



* كاتب سوري

مثقفون ورجال دين نصارى يتساءلون: هل الإنجيل كتاب مقدس؟!

ممتازًا، فسيغدو في يوم من الايام منشدًا متألقًا، وهناك من يمتلك ذكاء حادًا في مادة من المواد او في عدة مواد دراسية، فسيتفوق على أقرانه، وطفل يحب الفك والتركيب واختراع الاشياء، فسيصبح ان عاجلًا او آجلًا مخترعًا معروفًا.

ومع ايماننا بأن الموهبة هي عطاء من الخالق الواهب، الا ان هذه الموهبة ستنمو بالتدريب والرعاية والعناية والعقل، بحيث يغدو الموهوب نابغة يترك اثره الطيب في حياته وبعد مماته.

ومن اهم العوامل التي تفجر المواهب وتغذيها الايمان والرغبة.

فالإيمان يصنع العجائب -كما يقولون- فإذا ما اقترن بالموهبة حقق الكثير.



فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو ابن الصحراء، عندما خالط الايمان شغاف قلبه، أوقد جذوة عبقريته العسكرية وشحذها وجعل صاحبها بطلًا لايبارى وشجاعًا لايجارى، حتى عرف بسيف الله المسلول، واستطاع ان يتفوق على خبرة الروم والفرس العسكرية، ويحقق للمسلمين نصرًا مؤزرًا- بإذن الله.

مفهوم الموهبة عند المسلمين

تتبعت الموضوعات التي تتحدث عن تربية الموهوبين عند المسلمين في بعض كتب التربية الاسلامية، فكانت العناوين على الشكل التالي:

١- توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم في كتاب «تاريخ التربية الإسلامية» للدكتور أحمد شلبي.

٢- رعاية الطلاب الموهوبين في كتاب «التربية الاسلامية- دراسة مقارنة» محمد أحمد جاد صبح.

٣- توجيه الطفل وفق ميوله العلمية في كتاب «منهج التربية النبوية للطفل»، محمد نور سويد.

٤- معاملة الأطفال ومراعاة مقدرتهم في كتاب «التربية الاسلامية وفلاسفتها» ومن يتدبر العناوين ومضمون ما كتب تحتها يجد أن المسلمين لم يعرفوا مصطلح «الموهبة» بل استخدموا كلمات مثل: الاستعداد، المقدرة، الطبع، الميل وغيرها.

وعندما وضع بعض المؤلفين السابقين في العنوان «الموهبة» ولم تذكر في المتن، فهذا يدل على أن مصطلح الموهبة المعاصر يقابله عند المسلمين المقدرة والاستعداد والطبع والميل.

تنمية المواهب ورعايتها عند المسلمين

من الحكمة أن يوجه الصغير والكبير إلى ما يناسب طبعه وميوله واستعداده ومقدرته، فإن كان لديه ذكاء حاد أو تفرد في علم من العلوم أو فن من الفنون، فما على المربي الحكيم إلا أن ينمي فيه ما لاحظه من قدرات واستعدادات، لينفع نفسه وأمته ويرضي ربه.

ولقد فجر الإسلام طاقات الأمة العربية، ونشط نوابغها منذ صغرهم ليقدموا أحسن ما عندهم من افكار وعلوم ومخترعات.

وكان المربي الأول لهذه المواهب هو رسول الله ﷺ الذي أوتي الحكمة، فكان يوسد لكل صحابي المهمة التي تناسب استعداده ومقدرته وتطلعه.

فعندما احتاج رسول الله ﷺ الى من يتعلم اللغة السريانية، قدم له الصحابة زيد بن ثابت رضي الله عنه.

فقد روى أبو يعلى وابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة، فقالوا يا رسول الله! هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك قال: «يا زيد، تعلم كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه».

وعند أبي داود عن زيد قال لي رسول الله ﷺ: «أتحسن السريانية؟! فإنها تأتيني كتب. قلت: لا. قال: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يومًا» (٢).

لقد اختاره الصحابة وقدموه للنبي ﷺ، ورشحوه له لعلمهم بقدراته وميوله اللغوية واستطاعته تنفيذ رغبة رسول الله ﷺ في تعلم السريانية، وتعلمه اللغة بسرعة دليل على نبوغه في هذا الجانب.

وسار التابعون والعلماء من بعد ذلك على هذا المنوال في توجيه صاحب الموهبة الى استثمار موهبته، فالامام مالك، عندما جاءه الشافعي وهو صبي يافع، ورأى من حفظه ما رأى، اذ انه كان حافظًا للقرآن ولموطأ الامام مالك، فقال له قولته المشهورة «يا محمد اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ان الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بالمعصية» (٣).

ومن هذا الكلام نجد ان الموهبة تصقل بطاعة الله تعالى، وتضمر بالمعصية، ولم يكتف الامام مالك بهذا التوجيه فقط، بل انه عندما علم ان الشافعي كان يتيمًا، وسع له في حلقات علمه، فنهل منها العلم، ولم يقف الفقر في سبيل تقدمه.

ولم يكن الامام مالك هو الوحيد الذي تولى تلميذه اليتيم الفقير بالرعاية والعناية، ووجهه الى ما يناسبه، ففي تاريخنا الذهبي الكثير من هذه النماذج، اذ كانت عناية المدرسين بتلاميذهم الفقراء تصل بهم الى حد الانفاق من مالهم الخاص عليهم.

حكى الامام ابويوسف قال: كنت اطلب الحديث والفقه

وأنا مقل رث الحال، فجاءني أبي يومًا، وانا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني لا تمد رجلك مع ابي حنيفة، فان ابا حنيفة خبزه مشوي، وانت تحتاج الى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة ابي، فتفقدني ابوحنيفة رضي الله عنه، وسأل عني فعدت الى مجلسه، فلما كان اول يوم اتيته بعد تأخري عنه، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال: استمتع بها، فنظرت فاذا فيها مائة درهم، وقال لي: الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة اخرى، ثم كان يتعهدني حتى استغنيت وتمولت (٤).

ولم يكن المدرسون - وحدهم- هم الذين ينفقون على الطلاب الفقراء، بل يتبرع الأغنياء بأموالهم للانفاق على الطلاب والمدارس.

وعندما انشئت المدارس في العالم الاسلامي، كان الامراء يتولون الانفاق عليها، لكي لا يحرم الفقراء من العلم، ومن هذه المدارس ومن حلقات المساجد نبغ الكثيرون من طلاب العلم، وملأوا مشارق الأرض ومغاربها علمًا ومعرفة.

ولم يقتصر دور العلماء على الانفاق والتوجيه، بل كانوا يختارون للطالب ما يناسبه، فهم ادرى به، لما مر بهم من التجارب والخبرة.

يقول الزرنوجي: ينبغي للطالب ألا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفوض امره الى الاستاذ، فإن الأستاذ قد حصل له من التجارب في ذلك ما يفيد، فهو اعرف بما ينبغي لكل واحد وما يليق بطبيعته.

وذكر الاصفهاني: ان على المدرس ان يتصفح طلابه، وألا يدعو الى حلقته إلا من كان قادرًاعلى استيعاب ما يجري فيها، فليست كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه (٥).

ومن النماذج الواضحة على اختيار المعلم لما يناسب تلميذه أن محمدًا بن اسماعيل البخاري بدأ يتعلم الفقه على محمد بن الحسن، فقال له محمد بن الحسن: «اذهب فتعلم علم الحديث» لما رأى ان ذلك العلم أليق بطبعه، فطلب البخاري علم الحديث، فصار فيه مقدمًا (٦).

واذا كانت اختبارات الذكاء وكشف الموهوبين، قد أصبح لها دراسات وتجارب متقدمة في هذا العصر، فان اجدادنا قد عرفوا ذلك، ولكن بطريقتهم الخاصة، وبما يمكنهم من معرفة النوابغ.

لقد وضح تفاوت الذكاء لدى المربين المسلمين، وعبر عنه الامام الغزالي بقوله: «واذا غلبت القوة البدنية على النفس يحتاج المتعلم الى زيادة التعلم وطول المدة، واذا غلب نور العقل على أوصاف الحس يستغني الطالب بقليل التفكير عن كثرة العلم»، وعلى هذا فان من واجب المدرس الا يشرك الذكي مع الغبي في التلقي، فهو تقصير في الذكي وارهاق للغبي (٧).

ان طريقة اكتشاف الذكاء عند المسلمين تعتمد على التجربة فهم يعلمون الطفل ثم يحكمون عليه بمقدار النتيجة التي يستطيع ان يحصل عليها، كما كانوا يختبرون ذاكرة التلميذ ليروا ما اذا كان يميل الى الحفظ او التعمق والتفكير، فاذا كانت الاولى، فليدرس علم الحديث مثلًا، وان كانت الثانية، فليدرس الفلسفة والمناظرة وعلوم المنطق والكلام او الفقه واستخراج الأحكام.

وإذا وجه التلميذ أو التحق بحلقة دون توجيه، ورأى المدرس في هذه الحالة أو تلك ان التلميذ ينبغي له ان يفارق هذه الحلقة الى سواها، فإن المدرس ما كان يتردد في ابلاغ التلميذ هذه النتيجة، وينصحه بأن يغير الموضوع الذي شغل نفسه به، ويدرس موضوعًا آخر.

قال ابن جماعة: «واذا علم ان تلميذًا لا يفلح في فن اشار عليه بتركه والانتقال الى غيره مما يرجى فيه فلاحه.

اكتساب الشهرة والطرق الميسرة!!

عبدالعزيز العسكر

هل تريد أن تعرف أقرب الطرق إلى الشهرة، خاصة في ميدان الثقافة والصحافة؟

حسنًا.. سأنبئك ببعض ما عرفت منها.

ردد في مقالاتك وإبداعاتك ألفاظًا من اللغة الانجليزية ولو كانت BOOK وBOX وCOM.

أكثر من الاستشهاد فيما تكتب بأقوال ديكارت وشكسبير وغاندي وألفرد، مؤكدًا تأثرك بهم وإعجابك بما أنتجوه من فكر وفلسفة.

إياك، إذا رغبت في الشهرة، أن تستشهد بأقوال ابن تيمية وزهير بن أبي سلمى وابن خلدون لأن هؤلاء جيل قديم!!

لا تنس أن تشير إلى أنك درست في جامعة ميتشجن أو السوربون أو أمثالهما ولو أسبوعًا واحدًا!!

وهناك طرق عملية أخرى أبرزها أن تهاجم عرفًا عامًا، أو قيمة من القيم، أو مبدأ متفقًا عليه، فإن فعلت فإن الشهرة تنتظرك عاجلًا.

وانظر، رعاك الله، كيف يمكن أن يشتهر رجل يركب حمارًا في شارع تملأه السيارات، أو رجل ينصب خيمة ليسكن فيها بين مساكن حديثة أو رجل يمشي حافيًا في شدة الحر، كيف يمكن لكل واحد من الثلاثة أن يشتهر سريعًا ويحفظ الناس اسمه، ولكني أسألك:

هل تبني تلك الشهرة مجدًا؟!

هل تعني الشهرة ثقة المجتمع فيك؟!

هل تدل تلك الشهرة على عقل صاحبها وذكائه؟!

من الذين سيحبونه ويصفقون له؟! وهل ستنفعه تلك الشهرة حينما يوضع في قبره؟ ليس عندي جواب على هذه الأسئلة الأربعة، بل سأترك الجواب لك مع تمنياتي لك بالتوفيق والسداد.

* كاتب وباحث سعودي

روي ان يونس بن حبيب كان يختلف الى الخليل بن احمد، يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يومًا من اي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

ففطن يونس لما عناه الخليل، فترك العروض، واخذ يتعلم النحو وقواعد اللغة حتى أصبح في ذلك امامًا وعالمًا شهيرًا» (٨).

نتائج رعاية الموهوبين عند المسلمين

إن التزام المسلمين بتوجيهات الله ورسوله ﷺ نحو تعلم العلم والعمل به، وحرص المدرسين على نصح تلاميذهم وتوجيههم نحو ما يناسبهم والتفاني في تعليمهم والانفاق على الفقراء منهم، وفتح الأمراء المدارس النظامية والإنفاق عليها بسخاء أتاح للموهوبين ولغير الموهوبين تعلم علوم الدين والدنيا والنبوغ فيها، وبرز منهم كثيرون مثل أئمة الفقه وعلماء التفسير والمحدثين واللغويين والأدباء والأطباء والكيميائيين وعلماء الفلك وغيرهم من العلماء الأفاضل الذين قدموا للناس علومًا نافعة تصلح حالهم في الدنيا وتسعدهم في الآخرة، وتكون أساسًا لبناء حضارة عريقة.

الإحالات

١- أسماء الله الحسنى، الشيخ حسنين محمد مخلوف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية /١٩٧٥/ ص٣٧.
٢- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، دمشق دار بن كثير ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٣٦٩.
٣- الإمام الشافعي، الشيخ أبوزهرة. القاهرة.
٤- تاريخ التربية الإسلامية، د. أحمد شلبي القاهرة مكتبة النهضة ١٩٦٦م، ص٢٩٣.
٥- المرجع نفسه ص٢٩٩.
٦- التربية الإسلامية دراسة مقارنة، محمد جاد صبح، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٧ ص٢٣٧.
٧- تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص٣٠٠.
٨- المرجع نفسه ص٣٠٠.

شكوى.. إنهم لا يقرأون!

وأخشى ألا يقرأوا هذا المقال كذلك! فقد شجعت بعضهم على القراءة ومنهم عدد من طلابي في المرحلتين المتوسطة والثانوية، ووعدتهم بحوافز عديدة إن قرأوا ولم أجد أي استجابة.

وأهديت لبعضهم كتبًا ليقرأها فما وجدت أي استجابة.

وأرسلت رسائل جوال تذكر بمقال جيد أو قصة رائعة أو كتاب نفيس فكانت الاستجابة ضعيفة غير مشجعة.

وكان مصير بعض الكتب التي أهديتها- ومنها كتب قصص وأخطاء لغوية وتاريخ - كان مصيرها رفوف المكتبات أو أدراج الطاولات أو تحت أسرة النوم!

وقالوا: حل الانترنت محل الكتاب، وزاحمت التقنية الكتاب القديم فعرفنا ما سمي الكتاب الالكتروني الذي سجل على شريط أو «فلاش»، ولكن هل يقرأ ما وجد على تلك الوسائل؟ كلا فالعلة قائمة والمانع هو هناك وهنا!!

اذا سألت أحدهم: هل اشتريت كتاب تفسير القرآن العظيم، أو البداية والنهاية أو زاد المعاد؟ قال: موجود عندي في الجهاز، وإن سألته هل قرأه؟ قال: لا!!

وقلت لبعضهم: لقد كتب د. فلان مقالاً ممتازًا في جريدة «...» قال: رأيته: فإذا قلت ما مضمونه وما أفكاره؟ قال: لم أقرأه لأنه طويل! ولو كان بضعة أسطر.. وبعضهم اكثر شجاعة وجرأة وحبًا للحوار، ومن ذلك أنه يمتدح عندك قصة أو مقالاً فتفرح لذلك ويعجبك، ثم تحزن إذا قلت له وما سر جماله عندك وإعجابك به؟ لأنه يقول:

عنوانه جميل والكاتب من خير الكتاب، ولكني لم أتمكن من قراءته!!

هذه ظاهرة توجد لدى الكبار والصغار والنساء والرجال والشيب والشباب الا ما قلّ، ولا يغرنك ما ترى من حركة بيع الكتب ورواجها فتلك ظاهرة أخرى، فإن القصور والفلل الجديدة لابد ان تكون فيها مكتبة هي من تمام (ديكورات) المنزل الحديث ولوازمه من أجل أن يقال: في البيت مكتبة!

أستثني من ذلك عددًا من الرجال والنساء يقرأون ولكن، والسر فيما بعد لكن أن قراءتهم مقصورة على كتاب وكاتبات محددين، لشهرة معينة وهي قراءة ضعيفة هازلة، كما أستثني طلاب الدراسات العليا الذين تجبرهم أنظمة الدراسة على البحث والتأليف والتحقيق، فيعيشون مع الكتاب، لاحبا له ولا قناعة به، ولكن قرأ القارئ لأمر كان يقصده، كما قال الشاعر. فلما انقضى أمره لا قرأ ولا كتب!!

الى من نرفع الشكوى؟ ومن ينصف الكتاب في زمن الملل وضعف النفوس، والاشتغال بالشهوات المادية؟!

من ينصف الكتاب في زمن الزهد في العلم وجعله مطية للشهوات والمظاهر؟!

من ينصف الكتاب ويرد له مكانته في زمن الدعايات والاغترار بها؟!

من ينصف الكتاب في زمن حب السماع والمشاهدة للسيل العرم من البرامج الاعلامية التي تعرضها شاشات القنوات الفضائية وغيرها؟!

هل نقتدي بأوائلنا وسلفنا الصالح في حب الكتاب والقراءة والنقد والإصلاح؟ أم هل نغار من غيرنا من شعوب الأرض في الشرق والغرب الذين لا يزالون يقرأون بشغف ونهم وعزم وجد.. رغم امتلاكهم أحدث وأجود وأغلى مما نملك من التقنية ولوازمها؟ هل نقلدهم- والقراءة أمر جدي مفيد يبني العقول والأذهان- في القراءة كما نقلدهم في الرقص والتمثيل والغناء وسخافات الملابس والمظاهر الأخرى؟!

وقبل الختام أقول: إن أمة كان أول آية تنزل عليها من كتاب ربها ﴿اقرأ﴾ جديرة بالعناية بالقراءة والاهتمام بها من الكبار والصغار والنساء والرجال لا تقليدًا لغيرنا ولكن امتثالاً لأمر الله تعالى، وبناء لعقولنا وأفئدتنا، وتسلية لنا من المصائب والحوادث، ومتعة وراحة للذهن من مشاغل الحياة وأوقات الجد فيها، وتربية للجيل وشغلًا لأوقاته بما يفيد، ونشرًا للعلم والفقه من أجل أن يعبد أحدنا ربه على بصيرة وفقه لا على جهل وتقليد.

صناعة الشباب

عادل صديق

عنوان الكتاب لافت، ومثير للتساؤل، وراءه ألف سؤال، والكثير من الفضول، ويذكرنا الاسم أيضا بـ«صناعة الفقيه»، وبـ«صناعة النجوم» في المجال الإعلامي وغيرها من المصطلحات، ولكن عبقرية الاختيار في «صناعة الشباب» أنه لم يُسبق أحد إلى العنوان، وإن كنت أستشعر الاقتباس من كتاب الله من القول الحكيم ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، والعنوان لأول وهلة يعطي إيحاء بالتنمية البشرية، وكيفية التفوق في تسخير قوى الشباب التي وهبها الله لهم في وقت يحتاج الناس لإمكاناتهم وجهودهم.

«صناعة الشباب» للمؤلف د.محمد سعيد حوّى، ابن العالم الجليل سعيد حوى- رحمه الله- والذي وضع يده على جرح الأمّة في كتابه الذي بين أيدينا «صناعة الشباب»، والكتاب من ستة فصول في ٢٠٦ صفحات، صدر عن دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة.

تحديات التذويب

فالأمة فُجعت في أعزّ ما تملك، لتصير أمة بلا مستقبل كما يراد لها- إن لم يتداركها الله برحمته- ويسارع الدعاة إلى الله والعلماء للقيام بواجبهم، ليس هؤلاء فقط، بل واجب المخلصين كافة في هذه الأمة لرأب الصدع، وردّ كيد الخائنين عنها، فقد فجعت في شبابها على أثر التذويب المنهج لشبابها، يدير رحاه الإعلام الموجّه أو الموالي للعولمة، وتسويد ثقافة الأقوى.

ويقف د.محمد سعيد حوّى على الثغر داعيًا إلى الحفاظ على ذخر الأمة فيقول في مقدمة «صناعة الشباب» فيقول: «لطالما نتحدث أن الشباب أمل المستقبل، وقادته، ووعد الخير والبناء، فإذا سلم لنا شبابنا سلمت لنا الأمة، وتأملنا بمستقبل واعد وغد مشرق، تلك مسلمات لا نطيل فيها، طالما كررناها، لكن السؤال المهم: ماذا نعرف عن هؤلاء الشباب من حيث خصائصهم وحقوقهم، ومسالكهم؟ ماذا عن أهدافهم وتطلعاتهم؟ وكم نحن متفاعلون مع هذه الأهداف والتطلعات؟».

كيف تحدث القرآن عن الشباب

في الفصل الأول من الكتاب يتحدث المؤلف عن القرآن وخطابه عن الشباب، ولا تأتي نصوص القرآن بصيغ الأمر والنهي، بل بأسلوب التصوير البياني المعجز لما كان عليه شباب مؤمنون صادقون، وماذا فعلوا في التأثير في الأمم، وموطن العبرة أننا لابد أن نرى السلوك البشري، وكيف نتجنب السلبيات بالتربية القويمة، فلابد أن يكون الشباب متيقظا لهذا الأمر.

وفي الفصل الثاني من الكتاب يدعو المؤلف إلى تفهّم الشباب، ويحدد الكيفية التي يجب أن نتعامل معهم بها، وأن مشكلتهم ليست بطالة وفقرا.

فالرسول ﷺ كان يعامل الشباب معاملة خاصة منذ نعومة أظافرهم، والمثل الأمثل في تعامله مع الشباب كان في «أنس بن مالك» الذي أحب الرسول ﷺ قبل أن يراه، لم تجد أمه هدية للنبي ﷺ إلا ابنها ليخدمه! أرسله الرسول ﷺ لحاجة فغاب لانشغاله باللعب فقال: «يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟» قلت: نعم إنّي ذاهب الآن يا رسول الله، ويقول أنس: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته، لم صنعته؟ ولا لشيء تركته، لم تركته؟» (الترمذي).

كان الأمان هو المسيطر على العلاقة بين الرسول ﷺ والصبي «أنس»! وكانت الثقة هي التي منعته من الكذب، كان يعلمه صفاء السريرة بكلمات يبدؤها بالنداء المحبب: «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل» (سنن الترمذي)، كان يناديه صغيرًا بـ«يابني»، يا«أنيس»، وكان حريصًا على التوجيه، ويتجاوز عن الهفوات، ويذكر ويعظ، ويحبب إليه الاتباع والطاعة.

مع الشباب في همومهم ومشكلاتهم

يذكر المؤلف أن مشكلات الشباب متعددة وليست قاصرة على الأمور المادية، ولديهم مشكلات حقيقية تدمي القلوب، وأخطرها التفكك الأسري، وعجز الشباب أن يجدوا جسور تفاهم مع أقرب الناس إليهم، أو من يصغي إليهم ويشاركهم همومهم واهتمامهم، فهناك جدران وحواجز حتى مع الوالدين، فما بالك بمجتمع المدرسة؟!، آخرون يخشون الانحراف وصحبة السوء، وآخرون ضحايا للمخدرات، وصنف ضحايا للتفكك الأسري، وآخرون يشكون رداءة الحياة لعدم الحصول على فرصة حصل عليها البعض بالمحسوبية.

ويؤكد المؤلف على أن هناك أمرين بالغي الأهمية، التفاعل من قبل المربين، والأهل منهم، وأهمية تفاعل المربين مع هموم الشباب، والأمر الآخر أن يشعر الشباب بأنهم ليسوا وحدهم، وأن هناك أيادي حانية وكلمات صادقة فـ«المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم...» (البخاري)، مشيرا إلى أن أولى مراحل الإصلاح أن يستشعروا جزاء الصابرين، وأنّ البلاء يحتاج إلى القرب من الله، فإذا استطاع المربي ذلك قطع شوطا كبيرا للإصلاح، وضرب أمثلة بسير الصالحين

• باحث في التاريخ

وأصحاب الدعوات، ثم أشار إلى أنه لابد من السيطرة على وقت المراهق في أنشطة متنوعة مثل الجوانب الخيرية، والرياضية، وتنمية الهوايات، وضرب أمثلة بالسلف، وما قدموه للشباب، إضافة إلى تقديمهم في المهام الصعبة ليتعودوا القيام بأعمال الرجال، فلابد من تنظيم الوقت وحسن إدارته، فالفراغ مفسدة، والواجبات لو وضع لها خطة استثمار لاستغرقت أكثر من الأوقات.

ولفت الكاتب النظر إلى مشكلة البطالة وعلاجها، ومشكلة العزوف عن الزواج، وكيف لم يرض الإسلام بها، بل أوجب التعفف «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...» (البخاري) وأن التقاليد البالية من ارتفاع المهور، والتكاليف الباهظة، والتعسير على الشباب قضايا خطيرة مؤداها إلى الانحراف.

مؤكدا أن علاج المشكلات في استيعاب هؤلاء علميا وماديا، وأن يسهم الوجهاء في ذلك بجانب الحكومات.

أخطار تهدد الشباب والمجتمع

في الفصل الرابع يذكر المؤلف أن الشباب يتعرض لأخطار كثيرة، وهذا يعود لطبيعة التجريب والمغامرة والفضول الشديد، وأيضا الصحبة التي يقال عنها «الصاحب ساحب»، ومن هذه المخاطر: التدخين، والمخدرات، والمسكرات، والفضائيات.

الإعلام الموالي للعولمة يعمل على التذويب المنهجي للشباب المسلم

التصحيح والتقويم والعلاج

يؤكد المؤلف في الفصل الخامس على مبادئ التصحيح والتقويم والعلاج، بدءا من بناء العلاقة بين الأسرة الواحدة والمراهق الشاب، فلابد أن يقوم الأبوان بواجب شرعي أخلاقي مفتقد تجاه الأبناء الذين عانوا من إهمال الأبوين، منذ الصغر، ويؤكد المؤلف أن عاقبة الإهمال بالغة الخطورة لأن محاولة الإصلاح عقب الاعوجاج من الممكن أن تؤدي إلى كسر الابن وترك الأمر يؤدي لزيادة الانحراف مستشهدا بقول الشاعر:

إن الغصونَ إذا عدّلتها اعتدَلت

ولا يلينُ ولو ليّنْته الخشبُ

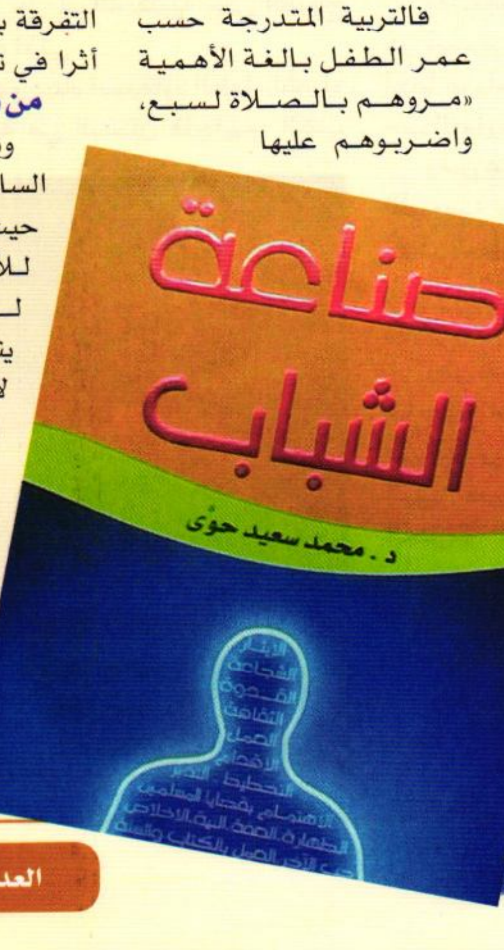
فالتربية المتدرجة حسب عمر الطفل بالغة الأهمية «مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (صححه الألباني)، ولا يخفى ما في ذلك من التربية السلوكية، وحفظ العورات، وغض البصر، وإعلاء شأن آصرة الأخوّة وغيرها.

والتربية تكون رهنا بقاعدتين: الأولى استشعار الآباء بالمسؤولية، الثانية بدء الرعاية المبكرة للصغار ليشهدوا النمو المتدرج، ويؤمّنوا مقتضيات الصحة فيه، ويسهل تقويم الاعوجاج أثناء ذلك من خلال التربية بالقدوة الحسنة المقتبسة من أخلاق النبوة، بخلاف التربية الغربية التي تفتقد إلى الجوانب الروحية، وجانب مراقبة الله، وتنمية جوانب الرحمة والعطف لدى الأبناء بالممارسة الجميلة، وبناء العلاقة بين الأبناء وعدم التفرقة بينهم حيث يترك ذلك أثرا في تقويم سلوكهم.

من قضايا الشباب

ويختم المؤلف الفصل السادس من الكتاب الغني حيث يحدد قضايا ملحّة للأسف لا تجد مكانا لدى شبابنا، بينما ينشغلون بأمور كثيرة لا تشكّل أهمية لا في المستقبل الدنيوي ولا الأخروي، حيث لا يستطيع الكثيرون تعريف الإسلام، بينما يعلمون تفاصيل المباريات، والأفلام والمسلسلات، والألعاب المتوفرة في السوق، وصار الشباب «ظاهرة كلامية» بلا جدوى لما يقول، وإن كانوا في حظيرة المتدينين! نجد الوعي تشوبه أخلاط عديدة نتيجة محاولة المعادين للإسلام أنْ يصرفوا الشاب عن هويته، ويحتاج الشباب إلى تنقية شاملة وإعادة الأولويات إلى نصابها، ويؤكد على ضرورة تبنّي كتب «تُدرس ولا تُقرأ» للعلامة الراحل الشيخ «سعيد حوّى» منها كتب: الله جلّ جلاله، الرسول ﷺ، والإسلام، وكل مؤلفاته- رحمه الله- هادفة، ويذكر المؤلف أن التصور الإسلامي بنيت مقوماته على دعائم هي: ربّ يُعبد، ورسول مبلّغ، ومنهج جاء به الرسول، وإنسان قائم على المنهج، ويذكر أنّ مصادر التلقي المفترضة لدى الشباب هي الشرع الحكيم، وكثير من الذين يخوضون في الدين اليوم ليسوا أهلا لهذه المهمة في ظل إبعاد العلماء الربانيين عن الوجود، فالشباب اليوم لا نجد بينه وبين الدين تفاعلا مثلما كان الأمر في عهد الرعيل الأول، ولابد من إرساء المناعة العقائدية والفكرية والثقافية حيال ما يتعرض له الإسلام من تشويه في تاريخه، وشخصياته، وتشريعاته، وتمثّل ذلك في المزيّفين الذين تربوا بين أكناف الاستشراق أو الباحثين المعادين للإسلام.

وبالتالي لا يستطيع معظم الشباب أن يتحدثوا عن الإسلام أو أي جانب من التشريع أو العقيدة، فضلا عن أنهم لا يستطيعون أن يوصلوا ذلك بصورة فردية.



إعداد: خالد خلاوي

حب العمل طريق التميز

في واحدة من محاضراته في إحدى الجامعات سأل أحد الطلاب خبير الإدارة والقيادة توم بيترز: ما أهم المقاييس التي من شأنها تحقيق النجاح في العمل؟ فتوجه توم إلى السبورة وكتب كلمة «الشغف» بمعنى أنك يجب أن تحب ما تقوم بعمله.

وسُئل أحد رجال الأعمال: ما سر نجاحك؟ فأجاب: الحب.

فالحب أهم دافع للنجاح والتميز في كل مجالات الحياة، وإذا كان بوسعك أن تحب فإن بوسعك أن تفعل أي شيء، فما أجمل أن نحب ما نقوم به لأننا ساعتها سنبدع ونبتكر ونتفوق في عملنا.

وربما غاب عن ذهن الكثير منا أن معظم الناس يقضون الجزء الأكبر من حياتهم في العمل، فإذا لم نكن نحب عملنا سيكون الجزء الأكبر من حياتنا مملًا، لهذا يجب أن نحب ما نعمل، لأن العمل يعطي للمرء قيمة في المجتمع ويكسبه حب الله ورسوله واحترام الناس. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف» (الألباني) أي: الذي له عمل يشغله ومهنة يؤديها.

ولكي تبرز وتتميز في عملك يجب بداية أن تحبه، وقد قيل إن الخطوة الأولى في نجاح العمل هو الرغبة فيه، وأما الخطوة الثانية فهي حبه.

وحب العمل ينسي صاحبه الساعات التي يقضيها فيه، بل ويتحمل المشقة وسهر الليالي الطوال في سبيل ما يحب.

يقول خبراء التنمية البشرية: إذا استطاع إنسان ما أن يزاول عملاً يحبه فإن احتمال تعبه من القيام به لا يتعدى واحدًا من عشرة، حتى لو عمل عشرين ساعة في اليوم، لأن العمل المحبوب هو أعظم سعادة في الحياة.

وكان علماء الإسلام الأفذاذ من أكثر الناس حبًا لعملهم وكان من شيمهم التفاني في طلب العلم والبحث وتأليف الكتب، فهاهو الإمام الطبري كان أكثر علماء عصره همة في طلب العلم وتحصيله وفي تأليف أمهات الكتب حتى روي أنه كان يكتب أربعين صفحة في كل يوم، وكان بعض العلماء ينهمك في البحث عن حل لمسألة علمية حتى الصباح ويقول: هذه لذتي.

وأحدهم دعاه أصدقاؤه العلماء لقضاء يوم الجمعة في البستان فأجابهم: الكتب بساتين العلماء، ففي الوقت الذي قضاه الأصدقاء في البستان قام هو بتأليف كتاب تُرجم إلى ثلاث لغات حتى الآن.

وفي العصر الحديث نماذج كثيرة من المتميزين من علماء ومخترعين أحبوا عملهم وتميزوا ونجحوا وأنجزوا للعالم أعمالاً عظيمة، فهذا إديسون مخترع المصباح الكهربائي أنساه حب عمله والتفكير المستمر فيه اسمه، ففي أحد الأيام ذهب ليدفع الضرائب فعندما جاء دوره سأله جابي الضرائب عن اسمه ولكنه لم يستطع تذكر اسمه (لأنه كان يفكر بعمق بأحد اختراعاته) وظل يحاول تذكر اسمه لكنه عجز كليا عن ذلك، فلولا وجود رجل يعرفه وذكره باسمه لعاد إديسون إلى بيته ليسال عن اسمه.

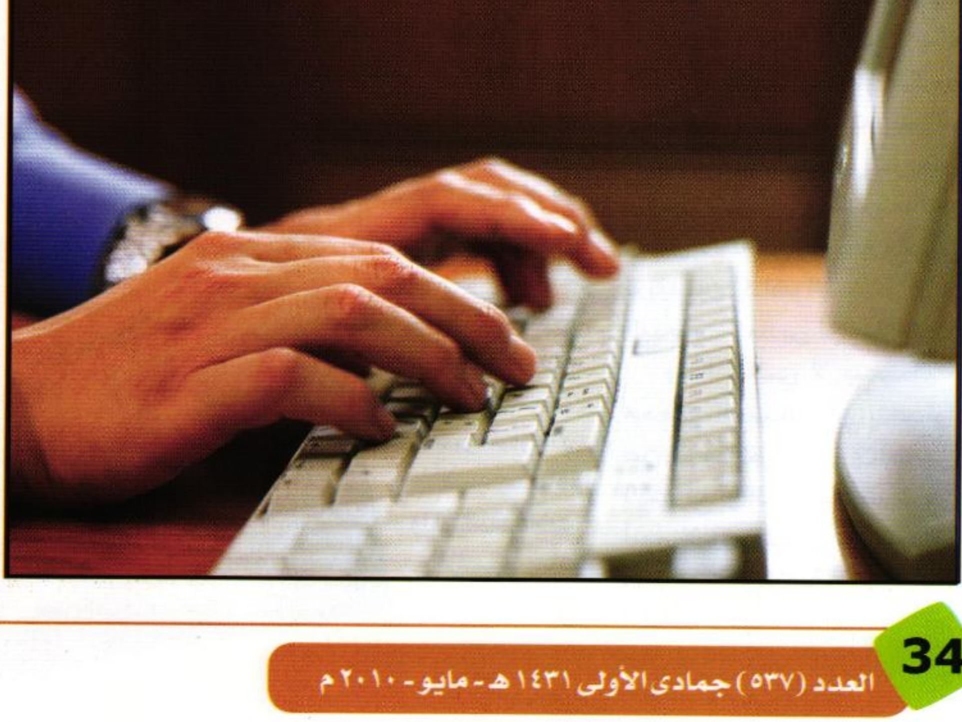
وكان يقول: أنا لم أفعل أي شيء صدفة ولم أخترع أيا من اختراعاتي بالصدفة بل بالعمل الشاق، ويقول أيضًا: إن إنجاز شيء ما يكفل لنا الرضا الوحيد الفعلي في الحياة.

ولا عجب أن نرى حب العمل ليس سرًا من أسرار نجاح الأفراد وحسب، بل هو أيضا من أسرار تقدم الأمم ونهضتها، ومن حب العمل ينتج الإتقان والجودة والتميز.

ومن هنا ففي الصين وبعض الدول الأوروبية والآسيوية يضعون جرس لإنهاء وقت العمل، وذلك بسبب انهماك العمال في العمل وينسون أن فترة العمل انتهت ولا يكفون عن الإنتاج.

وفي تقرير صادر عن الحكومة اليابانية جاء فيه، أن ١٠٪ من الذكور الذين يموتون في اليابان بسبب كثرة العمل، والإجازة في اليابان في السنة أسبوع واحد، واقترحت الحكومة اليابانية تخفيض ساعات العمل من ٤٤ ساعة في الأسبوع إلى ٤٢ ساعة فخرجت المظاهرات من الناس يرفضون تخفيض ساعات العمل.

ولكن كيف يمكن لمن قرر أن يحب عمله أن ينجح في ذلك؟ وللإجابة على



هذا السؤال أنقل لكم نصائح خبير التنمية الإدارية فواز الأحمدي والذي يقول: هذا الأمر ممكن ولكن يحتاج في البداية إلى التوقف عن التذمر والاقتناع أن ذلك لن يجدي نفعًا، ثم يبدأ المرء بالعمل بإيجابية مع العناصر الثلاثة الباعثة على الشعور بالسعادة وهي التفكير والسلوك والمشاعر، فكل منها يؤثر في الآخر ويحقق الرضا الذي يبحث عنه كل من ينشد السعادة سواء كان ذلك في العمل أو في أي أمر آخر، وهذه العناصر تعمل بطريقة متتابعة، فعندما تفكر بطريقة إيجابية تجاه العمل الذي تقوم به سيغير ذلك من سلوكك ويجعل أداءك للعمل أكثر إيجابية فتبدأ في إحراز شيء من النجاح الذي يضفي عليك نوعا من الرضا فتبدأ مشاعرك بالتحسن فتشعر بنوع من السعادة التي تدفعك هي الأخرى إلى مزيد من التفكير الإيجابي وهكذا دواليك.. كلما أقدمت على خطوة إيجابية في عنصر من العناصر قادتك إلى خطوات إيجابية أخرى في العناصر الأخرى.

صور من حياة المتميزين

أحب عمله فأبدع

يروي رجل الأعمال الياباني كازو أنموري في كتابه A PASSION FOR SUCCESS الذي لاقى انتشارا واسعا بعد نشره قصة المعاناة التي كان يكابدها في أول تجاربه العملية، فيقول: إنه بعد تخرجه من الجامعة ترك القرية التي نشأ وترعرع فيها وذهب للمدينة للعمل كمهندس في إحدى الشركات التي لم تكن تقدم له الكثير مما كان يطمح فيه، فالأجر كان ضعيفا ولا مكافآت سنوية تصرف، فلم يكن الوضع مريحا له بشكل عام، حيث كان يسكن في غرفة صغيرة طولها عشرة أقدام وعرضها عشرة أقدام تتوسطها سجادة من الحصير وبها سرير نومه وموقد صغير للطبخ، فهي مكان للنوم والجلوس وهي أيضا المطبخ الذي يعد فيه الطعام، تصور هذا الوضع وكيف يمكن أن يكون عليه حال ومشاعر من يعيش هذه التجربة، فيذكر أنه في يوم من الأيام بعد أن استبد به الإحباط والضيق من الحالة التي يعيشها قرر أن يترك العمل ويبحث له عن عمل آخر، وعندما ذكر ذلك لأخيه الأكبر لم يوافقه على هذا القرار وذكّره أن عائلته بحاجة إلى مساندته وإعانته من الأجر الذي كان يتحصل عليه من هذه الوظيفة، فتراجع عن هذا القرار واستمر في وظيفته، وبعد تفكير عميق في هذا الوضع توصل إلى أن عليه أن يحب عمله وأن يعمل على تحقيق النجاح من خلاله، فبدأ في عمل البحوث والدراسات التطويرية في مجال عمله، وقد كانت الشركة تفتقد لهذا النوع من العمل، فأصبح يحرز شيئا من النجاح الذي لاقى استحسان وتشجيع رؤسائه وحصل من جراء ذلك على المكافآت والترقيات فصار أكثر سعادة بعمله فتحقق له الإبداع والتفوق الذي لم يكن ليحرزه لولا أنه قرر أن يحب عمله، وهاهو الآن رجل أعمال ناجح يملك ويرأس مجالس إدارة عدد من الشركات التي تمكن لاحقا من إنشائها وتكوينها.

كلمات في التميز

■ لكي تنجح.. عليك أن تقع في غرام عملك، إن لم تحب عملك فلا تنتظر النجاح، والنجاح هو أن تحصل على ما تريده، والسعادة هي أن ترغب في ما حصلت عليه.

ديل كارنيجي.

■ ما لم تكن مستعدا لأن تتفوق في عملك فوق المستوى العادي، فأنت لا تستحق أن تشغل أي مكان في القمة.

جيه سي بني.

■ النجاح الحقيقي هو أن تعثر على حياتك المهنية في العمل الذي تحبه.

ديفيد ماكولو

■ عندما يجتمع حب العمل والمهارة معا، يمكنك أن تتوقع تحفة رائعة.

جون روسكين

■ نقطة الانطلاق لكل الإنجازات هي الرغبة، تذكر هذا دائما وباستمرار، الرغبات الضعيفة تجلب نتائج ضعيفة، تماما كما أن قدرا صغيرا من النيران لا يصنع قدرا كبيرا من الحرارة.

نابليون هيل

قراءة في المصطلحات الغربية المترجمة وآثارها

د. غازي التوبة

لقد أدى الاحتكاك بالحضارة الغربية والتعامل معها منذ قرنين إلى نقل كثير من المصطلحات السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية إلى تراثنا الفكري، وهو أمر طبيعي، لكن هذا النقل أحدث بلبلة واضطرابا في فضائنا الثقافي والعملي في كثير من الأحيان، والسبب في ذلك هو نقل هذه المصطلحات إلى مناخنا الفكري بدلالاتها المختلفة دون مراجعة خصوصيتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية... الخ، ويمكن أن نمثل على ذلك بعدة مصطلحات، منها مصطلح الطبقة البرجوازية التي تحدث عنها كارل ماركس في كتاب رأس المال، وهي طبقة جاءت بعد المرحلة الإقطاعية، وارتبطت بنشوئها الصناعات الحديثة كالآلة البخارية والآلات الكهربائية ومناجم الفحم... الخ، وجاء ثراؤها من استغلال الطبقة العاملة، ومن سرقتها فائض قيمة العمل الذي تختزنه من أجور العمال، والحقيقة أن تعريف كارل ماركس لهذه الطبقة جاء مرتبطا بالتاريخ الأوروبي بكل ما يحمله من تطورات.



وقد نُقل هذا المصطلح إلى فضائنا الاقتصادي، وأُنزل تماما على واقعنا مع وجود كل المتباينات المسبقة، فليس هناك تطابق بين المرحلة الإقطاعية في أوروبا وفي منطقتنا، وهذه الطبقة البرجوازية في منطقتنا غير مرتبطة بتراكم رأس مالي حقيقي، بل كانت تقوم بدور الوسيط بين الاقتصاد الرأسمالي الأوروبي وبين السوق المحلي، والأهم من ذلك أن نتائج ذلك النقل الحرفي لمصطلح الطبقة البرجوازية كان كارثيا في مرحلة التطبيق الاشتراكي في الستينيات من القرن الماضي في كل من مصر وسورية والعراق والجزائر واليمن... الخ، إذ استتبع هذا المصطلح ممارسة العنف الثوري نحو هذه الطبقة التي لا وجود حقيقيا لها، واستتبع تدميرها من أجل تحقيق مجتمع الكفاية والعدل، واستتبع العزل السياسي لها من أجل حماية المجتمع من شرورها... الخ، إن كل تلك الإجراءات أعاقت النمو الاقتصادي لمنطقتنا، ودمرت الطبقة الوسطى، ومرد ذلك كله لاستخدام المصطلحات الماركسية دون النظر إلى مدى خصوصية التطور الاقتصادي للمنطقة، مع أن كارل ماركس عندما درس الاقتصاد الآسيوي أفرز له حيزا خاصا، واعترف بخصوصية تطوره وتميزه عن الاقتصاد الأوروبي، وأفرز مصطلحا خاصا له سماه «النموذج الآسيوي».

ومن هذه المصطلحات المنقولة أيضا مصطلح «الانحطاط والنهضة»، فقد عرف الغرب في قرونه الوسطى انحطاطًا نتيجة سيطرة الكنيسة على الأمور العلمية، ونتيجة اصطدام رجال الدين مع رجال العلم حول حقائق علمية مثل دوران الأرض وثباتها، وحول مركز الكون أهو الأرض أم الشمس؟... الخ، ثم جاءت مرحلة النهضة التي اعتمدت على العقل، وأطلقته من أسره، واستتبع ذلك اكتشافات واختراعات في مختلف المجالات العلمية والجغرافية والاقتصادية والصحية والعسكرية... الخ، ثم نُقل هذان المصطلحان إلى ثقافتنا الفكرية، وقد استتبع ذلك ضرورة تحقيب تاريخنا الحضاري بصورة مطابقة لما عند الغرب، وضرورة وجود مرحلة انحطاط حضاري ومرحلة تنوير عقلي، ثم مرحلة نهضة، وقد اعتبر الناقلون لهذه المصطلحات أن العصر المملوكي والعثماني هما فترة الانحطاط، وأن فترة التحديث التي بدأها محمد علي باشا في مصر هي بداية النهضة.

وعند التدقيق في هذا نجد أن مواصفات عصر الانحطاط عند الغرب لا تتطابق مع مواصفات العصر الذي أطلقوا عليه الانحطاط عندنا من حيث الانغلاق وموات العقل، وقد فند ذلك د. جورج صليبا في كتاب «الفكر العلمي العربي.. نشأته وتطوره» الذي درس فيه علم الفلك في الفترة المسماه بـ «عصر الانحطاط»، فلم يجد انحطاطا، بل وجد إبداعا وإضافات واكتشافات وفاعلية فكرية تدل على حيوية العقل العربي ونشاطه في تلك المرحلة، وندد بتسمية ذلك العصر «عصر الانحطاط» واعتبرها خاطئة، واعتبرها مسمى دون محتوى، وأشار إلى أن «كوبرنيكوس» نقل نظريته في مركزية الشمس للكون عن بعض العلماء الذين سبقوه في العالم العربي بفترة بسيطة، ودعا إلى إعادة النظر في تسمية «عصر الانحطاط»، وفي التحقيب الشائع لتاريخنا

• كاتب فلسطيني

من أنه يبدأ بعصر النشأة، ثم عصر الازدهار والقوة، ثم عصر الانحطاط لأنه مناف لحقائق تطورنا الحضاري.

أما فيما يتعلق بعصر النهضة فقد اعتبر الباحثون عصر محمد علي باشا في مصر بداية لهذه النهضة، وذلك لأن محمد علي باشا أدخل كثيرًا من التحديثات العصرية في مصر التي بدأت أثناء فترة حكمه عام ١٨٠٥، فأنشأ جيشا حديثا على الطراز الأوروبي، وأنشأ معامل لتصنيع بعض الآلات العسكرية، وجلب بعض المدربين الأوروبيين، وعدّل في نظام الري المرتبط بنهر النيل، كما أنشأ بعض السدود من أجل توسيع رقعة الأرض المروية، كما جلب زراعة القطن، وأسس مطبعة بولاق الشهيرة عام ١٨٢١م والتي لعبت دورًا أساسيا في نشر الكتب بالعربية والتركية والفارسية، بالإضافة إلى الكتب المترجمة عن الفرنسية والإنجليزية... الخ.

لاشك أن هذه الإصلاحات أحدثت تغييرا في النواحي الاقتصادية والزراعية والاجتماعية والسياسية... الخ، لكنها لم تحدث نهضة، لأن النهضة تبدأ أولا من رؤية فكرية نحو الواقع الغربي والثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، تقبل بعض حقائقه وترفض بعضها الآخر، وتصوغه بالتالي حسب تفصيلات منهجية لتصبح الأمة أكثر عافية وأكثر انطلاقا، وهو ما لم يفعله محمد علي باشا في أية صورة من الصور، وقد نقل كثيرا من التحديثات الغربية لكنه لم يفعل ذلك بناءً على رؤية منهجية للواقع، لكنه فعل ذلك تلبية لطموحات فردية يريد بها أن يرسخ ملكه، ويريد أن يوسع رقعة سيطرته، ويتأكد ذلك عندما ننظر إلى اليابان التي أحدثت نهضة وفعل مايجي (أي الإمبراطور المصلح ١٨٦٨-١٩١٢) ما لم يفعله محمد علي باشا، وهو أنه رسم رؤية فكرية لنهضته، وقد بدأ حكمه بإعلان مبادئ الإصلاح الخمسة في ٤ آذار (مارس) ١٨٦٨م وتناولت التأكيد على أولوية المصلحة العامة، وعلى المساواة بين اليابانيين، وعلى ضرورة توحد السلطتين العسكرية والمدنية، وعلى البعثات لاكتساب الثقافة والتعليم العصريين في أي مكان في العالم واستخدامهما في بناء ركائز الإمبراطورية اليابانية.

ومن الجدير بالذكر أن الإمبراطور مايجي اتخذ قرارات عدة لتحقيق تلك المبادئ، أبرزها إلغاء بعض الأنظمة القديمة التي كانت تعيق تحقيق الوحدة والمساواة بين أبناء الشعب الياباني، منها: نظام الساموراي، ونظام الطبقات المنبوذة، وقد أقر في المقابل عددا من القوانين والقرارات التي تدفع اليابان باتجاه التحديث والمحافظة على خصوصية اليابان وتقاليده العتيدة، كذلك اتخذ الإمبراطور خطوات عملية في إنشاء الجيش وتدريبه، والإصلاح الزراعي، وفي إصلاح التعليم، وإرسال البعثات التعليمية إلى كل دول أوروبا وأميركا وجلب الخبراء لمختلف الوزارات ... الخ. ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن الإمبراطور مايجي جمع في حاشيته نخبة متميزة من كبار قادة الرأي في اليابان، قرابة ٤٠٠ شخصية من ذوي الاتجاهات المتنوعة والمبادئ المتنورة، وطرحت شعارين يعبران عن المرحلة القائمة خير تعبير، الأول «جيش قوي ليابان غنية»، الثاني « تقنية غربية وروح يابانية».

عرف الغرب في قرونه الوسطى انحطاطًا نتيجة سيطرة الكنيسة على الأمور العلمية

ومن المصطلحات التي برزت مؤخرا مصطلح «المواطنة»، وراج هذا المصطلح بعد انتهاء الحرب الباردة بين القطبين كمصطلح يمكن أن يستوعب جانبا من الاضطراب الاجتماعي الذي تعانيه المنطقة، ومع أن مصطلح المواطنة في الغرب جاء أولا نتيجة وجود الوطن، ولو أخذنا الوطن الفرنسي مثلا، فقد جاء هذا المصطلح مرتبطا بالأمة الفرنسية التي تشكلت بعد مسيرة تاريخية خاصة لعبت فيها العوامل الجغرافية دورًا كبيرًا في تكوينها، وفي صياغة مصطلح «الوطن»، ويرتبط اسم الوطن الفرنسي أيضا بحقوق الإنسان، وبالمجتمع المدني، فالمؤكد أن الذي تكون أولا هو «الوطن الفرنسي» كحقيقة موضوعية، وقيمة واقعية، وحوى كل تلك المضامين من التجانس الثقافي والاجتماعي والوجداني والاقتصادي... الخ، وحوي مضامين حقوق الإنسان والمجتمع المدني والأمة الفرنسية والقومية الفرنسية... الخ، ثم جاء مصطلح «المواطنة الفرنسية» التي تعني الارتباط بتلك القيمة، والتي أفرزت التساوي بين كل أفراد الوطن الفرنسي في الحقوق والواجبات.

ولكن الذي حدث أننا عندما أنزلنا مصطلح «المواطنة» على واقعنا، نسينا أنه لم يتشكل «الوطن» كحقيقة واقعية وكقيمة موضوعية، وإنما تشكل «الوطن» كمسمى سياسي ونتيجة ظروف سياسية معينة، وخير مثال على ذلك العراق الذي تشكل بعد الحرب العالمية الأولى بقرار سياسي من الحلفاء، فضم الموصل بعد أن كانت الموصل أقرب إلى تركيا، وسلخ منه دير الزور وألحقها بسورية مع أنها أقرب إلى البيئة العراقية، لذلك برز العراق كيانًا سياسيًا ولم يتكون «الوطن العراقي» كحقيقة موضوعية، لذلك نخطئ عندما نطلب الثمرة قبل أن نزرع البذرة، فعلينا أن ندعم في أوطاننا عناصر الوحدة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية... الخ، لنكوّن «وطنًا واحدًا»، ثم ندقق في وجود «المواطنة»، فذلك أجدى قبل أن نتحدث عن «المواطنة» ونحن نمزق ما هو موحد، ونفرق ما هو مؤتلف.

شهدنا- في السطور السابقة- مدى الاضطراب الذي أحدثته ثلاثة مصطلحات غربية في مناخنا الثقافي وواقعنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ...الخ، والسبب في ذلك إنزالها على واقعنا دون تمحيص وتدقيق في أصل حمولتها الفكرية ومحتواها الثقافي، ودلالاتها المختلفة وكيفية تبلورها، لذلك فالقيادات الفكرية مدعوة إلى مراعاة كل هذه الحقائق عند التعامل مع المصطلحات الغربية المترجمة، حتى تتجنب أمتنا مزيدا من الفوضى واللاجدوى.

المصطلحات الصهيونية ثقوب في بنائنا الفكري

السنوسي محمد السنوسي

يظل العقل المسلم مُطالَباً باستمرار بأن يعمل على تحصين بنائه الفكري، ومنهجه الربّاني المتفرّد، وأن يكون يقظًا من أن يتسرب إلى وعيه ما يناقض أصوله، أو يبدّل ثوابته، أو يصرفه- ولو قليلاً- عن مهمته ومسؤوليته.

ومن المعلوم- لدى دارسي تاريخ الحضارات وطرق تفاعلها وتلاقحها- أن الأفكار لا تتسرب من حضارة إلى أخرى دفعة واحدة؛ إنما تبدأ في الانتقال تدريجيًا فكرة بعد فكرة لتأخذ مكانًا ثابتًا في الحضارة المنقولة إليها، حتى تشكّل- حينئذ- ثقوبًا في البناء الفكري لتلك الحضارة يصعب الفكاك منها أو تنقيتها.



والأداة التي تسلكها الأفكار والمفاهيم للنفاذ والانتقال تتمثل بالدرجة الأولى في المصطلحات، ومن هنا تأتي أهمية النظر والتدقيق في استعمال المصطلحات الوافدة قبل إدخالها في البناء الفكري والخصائص الذاتية لحضارتنا؛ لأن المصطلحات- في أي لغة- ليست وعاءً لغويًا فحسب، إنما هي مضمون يدل على الذات والهوية الحضارية التي تنبع منها.

● والمتأمل في مسيرة صراعنا مع الصهيونية- مثلاً- ومن ورائها الغرب الاستعماري الذي زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي لتفتيته والسيطرة عليه يجد أنهم قد شنُّوا بجانب عدوانهم العسكري على أرض المسلمين ومقدساتهم، حرباً أخرى موازية- لا تقل ضراوة- على المنهج الإسلامي بأفكاره وقيمه وثوابته، واستخدموا في ذلك عشرات بل مئات المصطلحات لتشويه الحقائق، وتزييف التاريخ، وإحداث ثقوب وخروقات في بنائنا الفكري، بحيث أصبحنا نعيش في زمن تغيير الخرائط «الإدراكية» والمصطلحات والمفاهيم، كما هو الحال في تغيير الخرائط «الجغرافية»! فهم حين يتحدثون عن «الشرق الأوسط» يهدفون إلى تغيير هوية البلاد العربية والإسلامية، وإدخال الكيان الصهيوني في علاقات ثقافية واقتصادية مع الشعوب العربية، وحين يتحدثون عن «القدس الشرقية والقدس الغربية» فإنهم يقصدون انتزاع حق المسلمين الثابت في استعادة كامل مقدساتهم، كما أنهم يطلقون وصف «الإرهاب والعنف» على جماعات المقاومة، ويعملون على الخلط بين حق الشعوب في الدفاع عن نفسها وبين أعمال العنف والقتل غير المبررة شرعًا وقانونًا. ويتحدثون أيضًا عن «المدنيين» الإسرائيليين في محاولة منهم للإيحاء بأن الكيان الصهيوني مثل باقي دول العالم، به مدنيون وعسكريون، بينما يتعامون عن حقيقة ثابتة وهي أن الكيان الصهيوني جيش له دولة، وليس دولة لها جيش!

والأدهى من ذلك أن نجد من بين العرب مَن يتحدث عن عذابات اليهود على مرّ التاريخ، وأن الوقت قد حان لإنهاء كل هذه المعاناة! في حين يتجاهل تمامًا الحديث عن الاضطهاد الواقع على الفلسطينيين؛ مع أن سبب معاناة الفلسطينيين هم اليهود، في الوقت الذي لم يكن فيه الفلسطينيون سببًا لمعاناة اليهود!

بل وجدنا من يحاول إبراز اغتصاب اليهود لفلسطين والصراع بينهما؛ وكأنه أمر يخص الفلسطينيين والإسرائيليين وحدهما، وليس صراعًا يشمل الأمة الإسلامية كلها؛ دفاعًا عن مقدساتها وأراضيها الإسلامية.

إن الإسلام كما عُني بتصحيح العقائد

● أستاذ علم النفس في جامعة الإسكندرية

الاسرائيليون يتجاهلون حقيقة ثابتة هي أن الكيان الصهيوني جيش له دولة وليس العكس

والتصورات، ونَقل الناس من عبادة الأوثان إلى التوحيد الخالص، والإيمان النقي، والفطرة السليمة، فإنه عُني- أيضًا- بضبط الألفاظ التي هي وعاء لتلك التصورات؛ ليكون الوعاء والمضمون متناسقين غير متناقضين، لذا نبّه القرآن الكريم إلى ضرورة التفرقة بين لفظ وآخر حين يختلف معناهما، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤)، فقد أمر الأعراب باستعمال لفظ «الإسلام» بدلاً من «الإيمان»، وأخبرهم أنهم قد دخلوا في الإسلام ولكن لم تتحقق قلوبهم بعد بالإيمان.

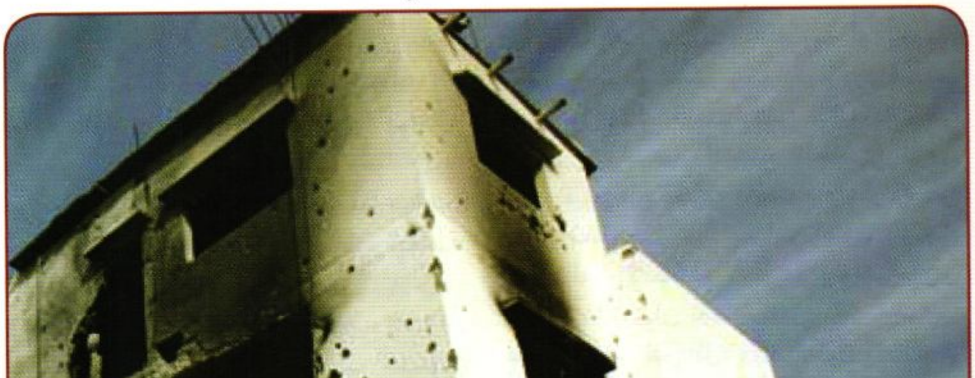
وحذر القرآن أيضًا من استعمال الألفاظ التي يستعملها غير المسلمين، خاصة إذا اختلفت دلالاتها، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤).

قال القرطبي في تفسيره: «حقيقة راعنا في اللغة: أرْعنا ولنَرْعك؛ لأن المفاعلة بين اثنين؛ فتكون من رعاك الله، أي: احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن تكون من أرعنا سمعك، أي: فرّغ سمعنا لكلامك، قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا على جهة الطلب والرغبة- من المراعاة- أي: التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًا، أي: اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبّه سرًا، فالآن نسبه جهرًا؛ فكانوا يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟! فنزلت الآية، ونُهوا عنها؛ لئلا يقتدي بها اليهود في اللفظ ويقصدون المعنى الفاسد».

إن المصطلحات ليست منبتة الصلة عن الحضارة التي تنشأ في أحضانها؛ فالحضارة- أي حضارة- بما تنتجه من قيم ومفاهيم ومصطلحات تشبه- كما يذهب نفر من الباحثين- الكيانَ العضويّ الواحد، بحيث لا نستطيع أن نفصل عضوًا عن بقية الأعضاء، بل يكون كل عضو بحاجة إلى بقية الأعضاء حتى يؤدي هو ذاته عمله على أتم وجه!

ومن ثم نستطيع أن نقرر أن نقل الألفاظ من بيئة حضارية إلى بيئة حضارية أخرى، من دون الأخذ في الاعتبار الأجواء والملابسات التي تولّدت فيها تلك الألفاظ يؤدي بالضرورة إلى حالة من التلبيس والتدليس الفكري.

ولسنا بتأكيدنا على ضرورة استخدام المصطلحات التي عرفت بها حضارتنا وتميزت بها ندعو إلى الانكفاء على الذات، أو الانغلاق عن التواصل مع الآخرين، أو نرفض الاستفادة من الخبرات والمنجزات الحضارية التي هي إرث مشترك للإنسانية كافة، إنما نقصد التأكيد على ذاتنا الحضارية وتعميقها، ورفض الذوبان أو «الدمج» في الحضارات الأخرى، كما نشدد بذلك على ضرورة التحاور مع الآخرين من مواقعنا وقيمنا الثابتة وبنائنا الفكري المتفرِّد.



الحياة الروحية في الإسلام

د. عبد الفتاح العيسوي

لاشك أن الدين الإسلامي الحنيف قد اشتمل على مبادئ روحية لا يوجد لها نظير في أي دين من الأديان، ومعروف أن الإنسان يتكون من عنصرين: عنصر مادي ينمو ويتحرك، وآخر بريء من المادة، وله مظاهر خاصة كالتفكير والتخيل أو التصور والاستدلال أو الإستنتاج والإدراك الحسي أو العقلي والعلم والإرادة والحب والبغض والخلق الكريم أو الذميم، ولكل من هذين العنصرين ميول ورغبات يسعى صاحبها إلى تحصيلها فالجسم شهواته وملذاته من طعام وشراب وجنس وغير ذلك، وللروح مدارج في الترقي يمكن أن تنال منها حظوظاً متفاوتة حسب سعيها ومجاهدتها، ففي اتصال الروح بالبدن ألوان من البلاء، وذلك حين يكون الفرد عبداً لشهواته ونزواته وملذاته فلا يرغب في الحياة إلا ألوان الطعام والشراب وسائر أنواع الشهوات والملذات ويخضع لمطالب المادة، لذلك جاء القرآن الكريم بتشريع روحي قوامه الإيمان بالله والتحقق بمعرفته معرفة يقينية لا يأتيها الشك، تسمو بالفرد، وتجعله فرداً صالحاً في المجتمع الإنساني، وتنقذه من الأزمات النفسية التي تجتاحه نتيجة عدم معرفته سر هذا الكون، ثم دعا القرآن الإنسان أن يجاهد نفسه ويكبح جماحها ويروضها على فعل الخير.

مما لا يدع مجالا للشك أن إنسان العصر يحتاج الى ثقافة روحية وذلك لاعتقاده أنه بتقدمه المادي المطرد قد يبلغ مرتبة الكمال، إلا أن التقدم التكنولوجي الذي وصلنا إليه في عصرنا الحالي لم يؤت ثمرته المرجوة من إسعاد البشرية، بل على العكس جلب التعاسة والخراب الناجمين عن الحروب المتلاحقة، فمازال القوي يفترس الضعيف، ومازال الاستعمار ينشب مخالبه في صدر الشعوب الضعيفة، ومازالت الاجناس تبغض بعضها البعض، كل هذا دليل على إفلاس الحضارة المادية وافتقارها وخلوها من القيم الدينية والروحية الأصيلة، وقد ذهب «اندروكو نواي ايفي» أستاذ الفسيولوجيا بكلية الطب بجامعة شيكاغو الى ان النواحي الروحانية والأخلاقية من حياة الإنسان لها أهمية كبيرة في سلامته ورفاهيته وشعوره بالسعادة، هذه الأهمية تفوق إدراكه ومعرفته وسيطرته على الطبيعة.

فإحاطتنا بالعلوم الطبيعية تزيد من فهمنا للعالم الذي نعيش فيه، وتزيد من مناهجنا في تحسين الانتاج وتوزيع الضروريات وسبل الاستمتاع بالحياة، وتقلل من الآلام، وتيسر كل سبل الحياة، ومع ذلك فان المشكلة العظمى في عصرنا الحالي تعد مشكلة أخلاقية ودينية، فهي تدور حول كيفية استخدام الطاقة الذرية أو النووية لتحقيق صالح البشر وسعادتهم ورفاهيتهم، من أجل ذلك قامت بعض الجمعيات في سويسرا (جمعية التسلح الخلقي) ترمي الى تغيير اتجاهات المجتمع وأفراده عن طريق تسليح كل فرد بمبادئ أهمها الاتجاه إلى الله والانصياع لأوامره ونواهيه، وأن يحاسب الإنسان نفسه كلما أذنب مصمما على اجتناب الرذائل، وأن يتعاون كل أفراد المجتمع على تحقيق هذه المبادئ كي تسود المجتمع كله، هذا وكان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في الإتيان بالأسس الروحية التي تكفل الاستقرار والطمأنينة والسكينة والسلام والإخاء لكل سكان الأرض، تلك الأسس التي لاتزال مجهولة لكثير من الشعوب ومفكري الإنسانية الذين يبحثون عن أفضل الوسائل لنشر السلام والمحبة والمودة في ربوع العالم.

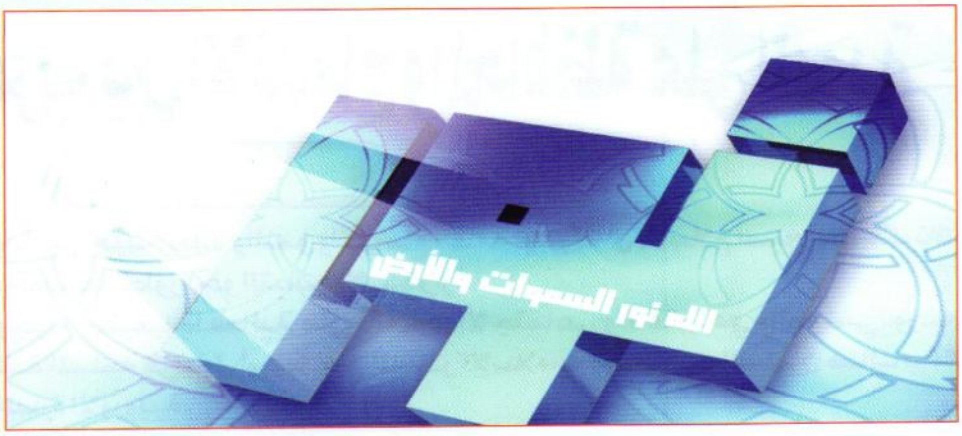
المنهج الروحي في الإسلام

يمتاز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان بالتوسط والاعتدال بين مطالب الروح ومطالب البدن فهو لا يأمر المسلم أن يحرم نفسه من المتع والملذات المادية طالما يتناولها عن طريق مشروع وفي حدودها المعتدلة، ولا يخفى على أحد أن أكثر الآيات القرآنية

الدين الإسلامي يمتاز عن غيره من الأديان بالتوسط والإعتدال بين مطالب الروح ومطالب البدن

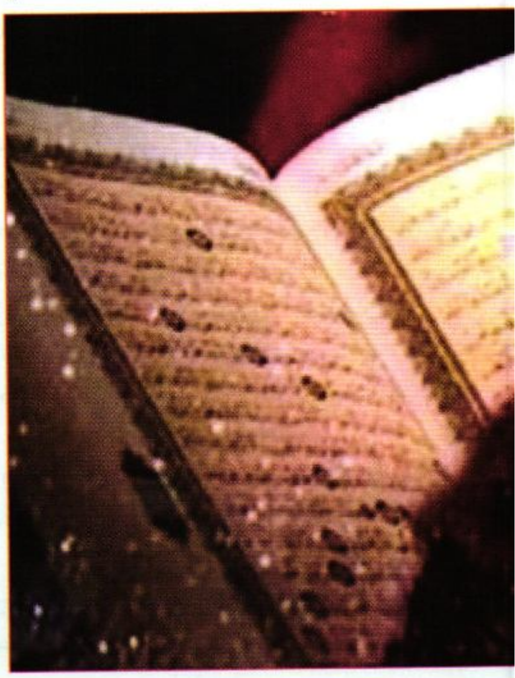


باحث وكاتب صحفي



التقدم التكنولوجي لم يؤت ثمرته المرجوة من إسعاد البشرية بل جلب لها التعاسة والخراب

تحض على طلب المنزلتين الروحية والمادية معاً منها قوله تعالى:﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (القصص-٧٧)، بل لم يقف إسلامنا العظيم عند هذا الحد فأباح التجمل بأنواع الزينة، والتمتع بالمشتهيات المشروعة بشرط الاعتدال قال تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف:٣١-٣٢)، فضلا عن إرشاد المؤمنين إلى ما ينبغي أن يكون عليه دعاؤهم الذي يجمع بين مطالب الدنيا والآخرة ﴿ربنا آتنا في



الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (البقرة-٢٠١)، والحق أن ماذهب اليه الإسلام من الجمع بين مطالب الروح والمادة هو ما تقبله الفطرة الإنسانية السوية، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق للإنسان شهواته وقواه الطبيعية عبثاً أو لإخمادها بالرياضة النفسية، ولكنه خلق الإنسان على هذه الصورة من تنوع الغرائز ليتمكن من السيطرة عليها وتوجيهها إلى المثل العليا.

فالحالة الوسطى بين الروحانية المتطرفة والمادية المغالية أمر تستدعيه حياة المجتمع، والإسلام لم يقم الوسطية بين الروح والبدن ذهاباً منه إلى أنهما متساويان في الدرجة، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الإسلام مبنياً على قواعد العلم، ونواميس الطبيعة، وقد قرر العلم أن العقل السليم في الجسم السليم، وان السمو الروحي لا يحصل من حرمان البدن وعدم إشباع حاجاته ولكن إشباعها بالطرق المشروعة وفي دائرة الاعتدال، ومع ذلك يؤكد القرآن الكريم أن الحياة الأخرى خير من الحياة الدنيا، وأن الكمال الروحي هو الهدف أو الغاية التي ينبغي أن يتجه إليها كل مسلم.

فعلى من ينشدون السعادة النفسية أن يحذروا البخل، ولكن دون تهور في الرذيلة المعاكسة وهي التبذير، قال الله تعالى في وصف المؤمنين الكاملين: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان-٦٧).

القرآن يخفف من شرور المال

لقد بلغ الصراع على المال أشده في هذا العصر، فقد صرف البعض عن ربهم وعن الأخذ بالقيم الروحية والاخلاقية، ولذلك، توجهت تعاليم القرآن للتخفيف من شرور المال وبيان أضراره وحذرت من الانقياد الكلي له كي لا يفتنهم عن دينهم ويلهيهم عن ذكر الله تعالى وجاء في وصف المؤمنين ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ (النور-٣٧)، كذلك نهى الإنسان عن الفرح بالمال لأنه يؤدي أيضا الى الخيلاء والعجب فيؤذي الفقراء والمحرومين ولذلك كان هذا النوع من الفرح مكروهاً ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ (القصص-٧٦)، هذا وقد حث الله المؤمنين على الاستعاضة عن ذلك بشكر الله على نعمه، فينبغي على الإنسان أن يكون له هدف أسمى من ذلك وهو الفرح بفضل الله ورحمته كما يتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (يونس-٥٨).

المراجع

١- القرآن الكريم
٢- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار المعارف، القاهرة.
٣- أحمد أمين، الأخلاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
٤- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، لجنة النشر للجامعين، القاهرة.
٥- محمد جلال شرف، دارسات في التصوف الإسلامي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية ١٩٨٣م.
٦- عفيف عبدالفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
٧- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم - بيروت- لبنان.

المسلمون في الغرب بين الاندماج والمحافظة على الهوية

أحمد أبوزيد

الناظر إلى واقع المسلمين اليوم في أوروبا، من حيث العدد والنمو والأوضاع العامة، يدرك أن الإسلام أصبح أحد مكونات المجتمع الغربي، وأن واقع المسلمين هناك ووجودهم يتطور نحو الثبات والاستقرار.

فالأقليات المسلمة في أوروبا يشكلون وجودا حقيقيا ذا فعالية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ورغم عدم وجود إحصاء رسمي يبين حجم الأقلية المسلمة في دول أوروبا، فإن المصادر الإسلامية تقدر عدد المسلمين هناك بـ ٥٥ مليونا من أصل ٥٠٧ ملايين هم عدد سكان القارة الأوروبية.

وتختلف أوضاع الأقليات الإسلامية في أوروبا من دولة إلى أخرى حسب الوضع القانوني السائد في تلك الدولة، وتبعًا للشعور العام السائد داخل المؤسسات الحكومية الأوروبية تجاه الإسلام، فبعض الدول تنظر إليه نظرة توجس وريبة، مما ينعكس على التسهيلات الممنوحة لتلك الأقلية، وخاصة فيما يتعلق باستخراج تصريحات بناء المساجد وإقامة المراكز الإسلامية، في حين يتضاءل هذا الشعور في دول أخرى.

وتعتبر مشكلة التردد بين العزلة والاندماج أهم ما يؤرق الأقليات المسلمة في الغرب، كما تشكل الهوية الإسلامية والخوف عليها من الذوبان في ثقافة الآخر التحدي الأول لها، خاصة لدى الأبناء من الجيلين الثاني والثالث الذين حصلوا على جنسية البلدان المقيمين فيها، وأصبحت لهم حقوق مواطنة كاملة.

وتحاول تلك الأقليات الحفاظ على هويتها الإسلامية، لكن ضعف الإمكانات والموارد وندرة الدعاة المتخصصين يقفان عائقا دون تحقيق ما تصبو إليه، مما ينعكس سلبًا على أوضاعها الاجتماعية والثقافية، ويزيد من حدة هذه المشكلة عدم وجود لوبي عربي وإسلامي قوي يدافع عن حقوق تلك الأقليات أمام الحكومات الأوروبية.

الهوية الإسلامية والخوف عليها من الذوبان في ثقافة الآخر التحدي الأول لمسلمي أوروبا

اندماج المسلمين

وإشكالية اندماج المسلمين داخل المجتمعات الغربية غير المسلمة كانت محور مناقشات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في دوراته التي عقدت في الفترة الأخيرة، وحضرها عدد كبير من العلماء والباحثين من مختلف الدول والجاليات الإسلامية.

ولعل طرح هذه القضية المهمة يأتي من المخاوف التي تدور في أذهان كثير من مسلمي الغرب حول المفاهيم المختلفة للاندماج، وكيفية الحفاظ على الهوية والذاتية الإسلامية في ظل الاندماج الكامل في المجتمع الغربي، فمن المعروف أن سياسات الاندماج المتبعة في الدول الأوروبية تتراوح بين اتجاهين، أولهما اتجاه متطرف يغلب جانب الانصهار في المجتمع، ولو أدّى ذلك إلى التخلي عن الخصوصيات الدينية والثقافية للفئات المندمجة، والثاني اتجاه معتدل يرى ضرورة الموازنة بين مقتضيات الاندماج، ومقتضيات الحفاظ على الخصوصيات الثقافية والدينية للجاليات الإسلامية.

ولا شك أن الاتجاه الثاني هو المطلوب بالنسبة للمسلمين في الغرب، وهو الاندماج الإيجابي، الذي يجب أن تحدد مقتضياته بوضوح، وهذا هو ما أكده مجلس الإفتاء الأوروبي، وسعى الى مناقشة مقتضياته وأسسه، حيث خلصت المناقشات الى أن اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية مسؤولية مشتركة بين المسلمين أفرادًا ومؤسسات من جانب، وبقية المجتمع الأوروبي من جانب آخر، وأن مواطنة المسلمين في المجتمع الأوروبي واندماجَهم فيه أمر مشروع من حيث المبدأ، تسعه مقاصد الاسلام، إذ إن هذه المواطنة تمثل جسرًا بين العالم الأوروبي والعالم الإسلامي، مما يعود على العلاقة بين الطرفين بالخير، ولا يتعارض اندماج المسلمين مع مبدأ الولاء والبراء، فهذا إذا ما أعيد إلى معناه الأصلي الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فإنه لا يتعارض مع مواطنة المسلمين وتفاعلهم مع المجتمع الأوروبي.

وحول الأهداف المستقبلية للاندماج والمواطنة استعرض المجلس مجموعة من البحوث، انتهت الى أن الاندماج المعني هو الاندماج الإيجابي، وأن المشاركة الحضارية، التي تعني الانخراط في التنمية الحضارية أخذًا وإعطاءً من شأنها حين تصبح ثقافة للمسلمين أن تيسر الاندماج الإيجابي والمواطنة الصالحة، وأن اندماج المسلمين ينبغي أن يكون اندماجًا فاعلًا، يقدمون لمجتمعهم الخير المادي والمعنوي.

اندماج أم ذوبان؟

وتخوفت مجموعة من البحوث الأخرى حول قواعد وضوابط الاندماج من أن الاندماج محفوف بالمزالق، وأنه مُعرض إلى أن ينتهي بالذوبان، كما حدث في تجارب سابقة للمسلمين، لذلك ينبغي أن تُحدّد للاندماج ضوابط

• كاتب صحفي

وقواعد تسير به في مساره الوسط المُنتج، وتعصمه من الانعزال أو الذوبان، وقد عرضت البحوث في هذا المحور عددًا من الضوابط والقواعد لضبط الاندماج ومنها:

١ - تحديد معنى الاندماج المطلوب، وتحديد محتواه، بحيث يتميز عما يُراد منه من قبل بعض الجهات، حيث تعني به الذوبان. وقد دعا في هذا الصدد بعض المشاركين إلى أن يسعى المجلس إلى التحاور مع المؤسسات الأوروبية للاتفاق على مفهوم مشترك للاندماج.

٢ - أن يكون مُقيّدًا بالمحافظة على خصوصية المسلم المتمثلة في العقيدة والشعائر والأخلاق والأحكام الشرعية، خصوصًا ما كان منها قطعيًا، وأن تكون المرونة فيه في سياق ما هو قابل للاجتهاد من أحكام الدين.

٣ - أن يتم من خلال احترام القوانين التي تُنظم المجتمعات الأوروبية، وهذه القوانين فيها سعة للاندماج الإيجابي ولكنها غير مستثمرة من قبل المسلمين.

٤ - أن يكون مبنيًا على أساس من البحث العلمي للواقع الأوروبي.

٥ - أن يقوم على استثمار الفرص والإمكانات الكثيرة المُتاحة في المجتمع الأوروبي.

٦ - أن يكون قائمًا على أساس من الحوار المستمر مع مُكونات المُجتمع الأوروبي الثقافية والسياسية والاجتماعية.

سبل الاندماج وآلياته

وناقشت مجموعة من الأبحاث الأخرى سُبُل الاندماج وآلياته، لتخلص إلى أهمية القيام بوظيفة الدعوة في تحقيق الاندماج الإيجابي، ومراعاة مقتضيات الواقع الأوروبي، وتلافي الأخطاء الكثيرة الحاصلة اليوم في هذا الشأن، ووجوب تأكيد الاهتمام بالتعريف بالإسلام وأسسه وقيمه لدى أهل الغرب، كضرورة لقبولهم اندماج المسلمين بصفة إيجابية، وتزكية الفرد والجماعة المسلمة؛ وذلك للارتقاء به وبها إلى مستوى المثالية والقدوة في المجتمع الأوروبي.

ومن سُبُل الاندماج الإيجابي الاعتناء بالدور المهم لمؤسسة الأسرة، إذ هي المحضن الذي يتربى فيه الفرد على هويته الإسلامية، وعلى العلاقة بمجتمعه الذي يعيش فيه بالتفاعل المثمر. كذلك هي المحضن الأول لتمكين صفة المواطنة الصحيحة المقتضية احترام المُجتمع والسعي في تحقيق مصلحته، مع بذل الجهد في تأهيل الأسرة المسلمة لتقوم بدورها الفاعل في القيام بدور الاندماج الإيجابي.



وتأتي بعد ذلك سائر المحاضن المؤثرة في تكوين شخصية المسلم، كالمدرسة الإسلامية، والمركز والمسجد والنادي، جميعها في سياق التأهيل لاندماج إيجابي في المجتمع الأوروبي.

وأكدت البحوث أهمية دور المنظمات الإسلامية في أوروبا في الاندماج الإيجابي، وذلك بدءًا بالتوعية بالمفهوم الصحيح للاندماج، والتمكين لثقافة «المؤسسة» في المسلم الأوروبي، إذ إن هذا المجتمع الذي يعيش فيه مجتمع مؤسسي، ولا يمكن الاندماج فيه إلا من خلال هذه الثقافة التي تمكّن المسلم من التعامل مع المجتمع تعامل المشاركة المنتجة التي هي باب مهم من أبواب المجتمع. ولا يخفى ما للمؤسسات من دور مهم في الانفتاح على المجتمع الأوروبي فيعرّف من خلالها بالإسلام وقيمه، وتكون جسرًا بينه وبين المسلمين في أوروبا، وهذا سبب لتحقيق الاندماج الفاعل.

أسس الاندماج الايجابي

ويرى مجلس الإفتاء أن من واجبات المواطنة التعايش واحترام الآخر، والتزام القيم الأخلاقية كالعدالة والتعاون على الخير، والنصح من خلال القوانين السائدة لإصلاح ما يضر البلاد أو العباد.

ومن أهم مقتضيات الاندماج التي تُطلب من المسلمين، والتي لا حرج فيها عليهم، بل إن الإسلام يحث عليها ما يلي:

١ - ضرورة معرفة لغة المجتمع الأوروبي وأعرافه ونظمه، والالتزام تبعًا لذلك بالقوانين العامة، في ضوء قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ (المائدة:١)

٢ - المشاركة في شؤون المجتمع والحرص على خدمة الصالح العام، عملا بالتوجيه القرآني: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ (الحج:٧٧)

٣ - العمل على الخروج من وضع البطالة؛ ليكون المسلم فاعلا منتجًا يكفي نفسه وينفع غيره، عملًا بالهدي النبوي الشريف: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة».

ومن أهم مقتضيات الاندماج التي يجب أن يحققها المجتمع:

١ - العمل على إقامة العدل وتحقيق المساواة بين جميع المواطنين في سائر الحقوق والواجبات، وبالخصوص حماية حرية التعبير والممارسة الدينية، وكفالة الحقوق الاجتماعية وعلى رأسها حق العمل وضمان تكافؤ الفرص.

٢ - مقاومة مظاهر العنصرية والحدّ من العوامل

المغذية لمعاداة الإسلام، وخصوصًا في مجال الإعلام.

٣ - تشجيع مبادرات التعارف الديني والثقافي بين المسلمين وغيرهم، بما يحقق التفاعل بين أبناء المجتمع الواحد.

ولتحقيق الاندماج الإيجابي المتوازن دعا المجلس المسلمين في الغرب إلى العمل على حفظ شخصيتهم الإسلامية، دون انغلاق وانعزال أو تحلل وذوبان في المجتمع، وإلى إقامة المؤسسات الدعوية والتربوية والاجتماعية اللازمة لذلك، كما دعا المجتمعات الأوروبية، وخصوصًا الهيئات المعنية بقضية الاندماج، إلى الانفتاح على المسلمين، والتواصل مع المؤسسات الإسلامية، كالمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، لدراسة مقتضيات الاندماج وتيسير السبل المحققة له، بما يفيد المجتمع ويدعم استقراره وازدهاره، وبما يمكّن المسلمين من الحفاظ على هويتهم الإسلامية الأوروبية.

التمييز ضد المسلمين

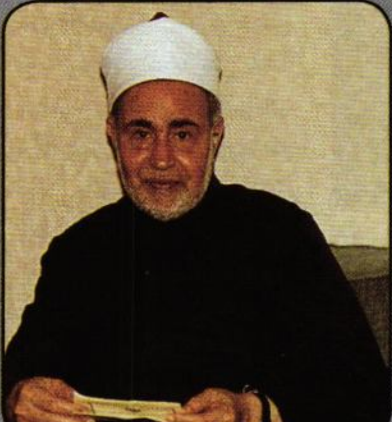
وفيما يتعلق بأصحاب القرار ومؤسسات المجتمع المدني، طالب المجلس بالسعي للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المسلمين، والتي يلمسونها في بعض المعاملات والدوائر الأوروبية، وفتح قنوات الاتصال مع الأقليات المسلمة على جميع المستويات، وإقامة برامج ودورات لتعريف المسلمين بالقوانين السائدة والحقوق والواجبات، وفتح باب العمل والدراسة أمام المسلمين ومعاملتهم كغيرهم من الأقليات من دون تحيز، وتنبيه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة إلى تبني الموضوعية في تناولها لقضايا الإسلام والمسلمين.

كما أوصى المسلمين المقيمين في أوروبا بمراعاة الحقوق كلها، وأن يعطوا الصورة الطيبة والقدوة الحسنة من خلال أقوالهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وأن يلتزموا بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه فقهاء الإسلام، من وجوب الوفاء بمقتضيات المواطنة أو عقد الإقامة، والالتزام بالقانون والنظام العام في البلاد التي يعيشون فيها، وأن يجتنبوا العنف بكل صوره ومظاهره، وأن يكون أسلوبهم الرفق والرحمة والحكمة في التعامل مع الناس جميعًا كما يأمرهم الإسلام، وأن ينكروا على كل من حاد عن هذا الطريق الإسلامي السوي.

ووجه المجلس نداءه للمسلمين عامة والمقيمين في أوروبا خاصة، بالاعتصام بحبل الله تعالى، والأخوّة والسماحة والوسطية والتعاون على البر والتقوى، والتزام الحوار الهادئ والأساليب السليمة في معالجة قضايا الخلاف، بعيدًا عن مناهج التشدد ومسالك التطرف التي تشوه صورة الإسلام، وتسيء أبلغ الإساءة إلى المسلمين عامة، وإلى الأقليات المسلمة خاصة، فيتلقفها خصوم الإسلام والجاهلون به للتشنيع عليه والتخويف منه ومن أهله واستعداء الأمم عليهم.

الأزهر يفقد شيخه

فقد الأزهر الشريف والأمة الإسلامية (يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق العاشر من مارس ٢٠١٠م) فضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر عن عمر ناهز اثنين وثمانين عاما، على أثر أزمة قلبية تعرض لها خلال وجوده بالعاصمة السعودية الرياض، وقد تم نقل الفقيد على الفور إلى مستشفى قريب حيث فاضت روحه إلى بارئها.



وقد نقل جثمان شيخ الأزهر على متن طائرة خاصة إلى المدينة المنورة، حيث ووري الثرى في مقبرة البقيع.

وكان يرحمه الله قد عين مفتيا لجمهورية مصر العربية في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٨٦م، وعين شيخا للأزهر خلفا للشيخ جاد الحق علي جاد الحق بعد وفاته عام ١٩٩٦م، ترك الفقيد الراحل عددًا من المؤلفات من أهمها:

«التفسير الوسيط للقرآن الكريم» في خمسة عشر مجلدا، وفي أكثر من سبعة آلاف صفحة، وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات، وكتبه فضيلته في بضعة عشر عاما، وكتاب «بنو إسرائيل في القرآن والسنة» ويقع في مجلدين، وتزيد صفحاته على ألف صفحة، وقد طبع أيضا عدة طبعات، وكتاب «الدعاء»، وقد طبع أكثر من عشر طبعات ، و«كتاب السرايا الحربية في العهد النبوي» ومن مؤلفاته كتاب «القصة في القرآن الكريم»، وله كثير من البحوث والمقالات التي شارك بها في المؤتمرات العلمية المتعددة، وفي المجلات العلمية المتخصصة، بالإضافة إلى كثير من الخطب والمحاضرات المرئية والمسموعة والمقروءة.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

من العلماء العاملين والدعاة المجددين العلامة الزاهد المقرئ

الشيخ عبدالغفار الدروبي - يرحمه الله

١٣٣٨- ١٤٣٠هـ - ١٩٢٠- ٢٠٠٩م

غيب الموت يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم ١٤٣٠هـ العلامة الزاهد المقرئ الشيخ عبدالغفار بن عبدالفتاح بن عبدالسلام بن يوسف بن عبدالغني الدروبي، الحمصي مولدًا ونشأة، والمكي سكنًا وإقامة.

كان يرحمه الله صاحب حياة حافلة بالعطاء، لطيف المعشر حسن المعاملة صاحب وقار، جمع بين مكارم الأخلاق، عالما يتفجر العلم من جوانبه، حافظا للقرآن الكريم، مجازا بقراءاته العشر، عارفا بالتفسير وأصول الدين، وبالحديث ومعانيه وفقهه، وبالنحو وفروعه، وبالفقه وأصوله.

ولد الشيخ- يرحمه الله - في حمص (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م) لأسرة كريمة عريقة في العلم والنسب، فوالده الشيخ عبدالفتاح بن عبدالسلام الدروبي المتوفى (١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م) العالم المقرئ والفقيه الداعية.

اعتنى به والده عناية فائقة، فدفع به إلى الكتاب ليتعلم أصول القراءة والكتابة على شيخ الكتّاب، ثم ألحقه بالمدرسة الشرعية الوقفية حين بلغ من العمر عشر سنوات، وهي المدرسة الشرعية الأولى التي أسست في حمص سنة (١٣٤٧هـ - ١٩٢٧م) على يد نخبة من كبار علماء البلد، ودرس الشيخ- يرحمه الله- العلوم الشرعية على اساتذتها من العلماء الأكابر، ومنهم:

الشيخ محمد زاهي الأتاسي، مدير المدرسة (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م)، والشيخ أنيس كلاليب، والشيخ محمد علي عيون السود، والد الشيخ عبدالعزيز، يرحمهما الله.



حفظ القرآن الكريم على يد والده، وقرأ بالقراءات العشر على يد الشيخ عبدالعزيز عيون السود المتوفى (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م)، وحصل على الإجازة بذلك، كما تلقى دروسًا خاصة بالفقه الحنفي على العلامة الشيخ عبدالقادر الخوجة المتوفى (١٣٧٢هـ-١٩٥٣م).

وقد أمضى الشيخ- يرحمه الله- في المدرسة الوقفية أربع سنوات رغم أن الدراسة كانت فيها خمس سنوات، ثم أصبحت ست سنوات، ولم يكمل الدراسة فيها بناء على طلب والده لظروف اضطرارية، ولكنه بقي متابعًا طلب العلم في حلقات العلماء، ثم توجه للعمل المعيشي فاشتغل في صنعة النسيج «النول» لسنوات عدة.

وفي نهاية ١٩٣٨م ترك الشيخ العمل بالنسيج، وتفرغ للتعلم والتعليم، فوضع العمامة البيضاء بتوجيه من والده ومشايخه، وكان لبس العمامة بالنسبة لطالب العلم الشرعي بمنزلة إجازة وإذن من المشايخ لذلك الطالب ليمارس مهمة الإمامة والخطابة والدعوة إلى الله تعالى.

وقد استلم الشيخ الإمامة والخطابة في عدد من المساجد في محافظة حمص وقُراها إلى أن استقر به المطاف في النهاية في مسجد «جورة الشياح» وذلك في سنة ١٩٦٠م.



لقد كان الشيخ - يرحمه الله- بحق، مدرسة عملية في الدعوة إلى الله تعالى، فقد كان يعيش مع طلابه همومهم، وآمالهم، وآلامهم، يتفقد أحوالهم ويقدم لهم ما يستطيع من عون ومشورة وتوجيه.. فهو أب للجميع يعطيهم من علمه وخبرته وعاطفته وحنانه.

وفي عام ١٩٨٠م ارتحل شيخنا من بلاده قاصدًا المملكة العربية السعودية حيث ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالحرم المكي الشريف.

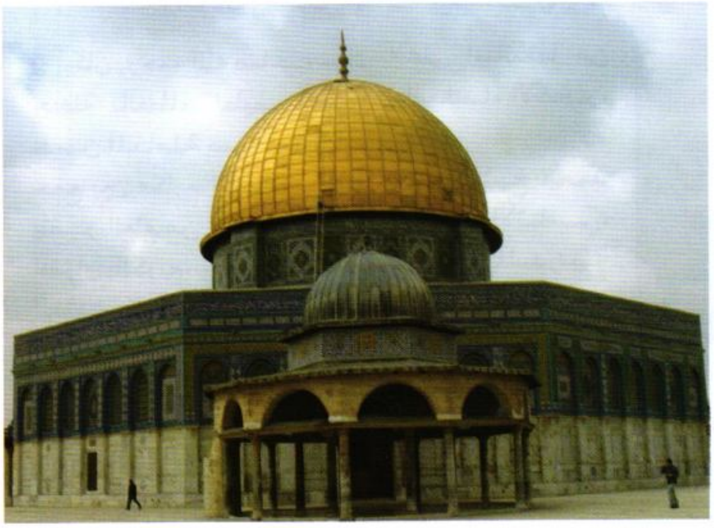
عمل شيخنا حتى عام ١٤١٨هـ استاذًا للقرآن الكريم وعلومه في جامعة أم القرى في مكة المكرمة اضافة الىأنه كان يخطب الجمعة في مسجد الثانية بجدة وبعد تقاعده من الجامعة استقر به الحال في جدة، التي أمضى فيها آخر سنوات عمره، وفي يوم وفاته صلى الصبح إمامًا بالمسجد وقنت بالمصلين ودعا لأهل غزة أن يفرج كربهم.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه الجنة مع البررة الأطهار.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المسجد الأقصى والعناية بالمنشآت الدينية في عصر سلاطين المماليك

عبدالرحيم النباهين

لقد حرص المسلمون الأوائل على رعاية المقدسات الإسلامية وحمايتها، ومن هذه المقدسات «المسجد الأقصى» قبلة المسلمين الأولى الذي مازال يئن تحت الاحتلال منذ ما يقارب نصف قرن من الزمان، وممن حرص على رعاية المقدسات الإسلامية المماليك الذين ظهروا على مسرح الحياة في أعقاب سقوط الدولة الأيوبية، حاملين راية الجهاد لمواصلة المسيرة التي بدأها الأيوبيون في حربهم للصليبيين على أيدي قادة أقوياء أمثال بيبرس وقلاوون والناصر محمد، غير أنه قد ظلت تلازمهم عقدة كبيرة من ناحية أصلهم غير الحر، فضلا عن اغتصابهم الحكم من أصحابه الشرعيين وهم الأيوبيون، ولمحو هذه الصورة من الأذهان سلك سلاطين المماليك طرقا ثلاثا تركت كلها آثارًا مباشرة في أوضاع بيت المقدس.



ما يعنينا في مقامنا هذا هو الطريق الثالث الذي سلكه سلاطين المماليك والذي تمثَّل في العناية بالمنشآت الدينية في الأماكن المقدسة، فإن إحياء الخلافة العباسية في مصر على يد المماليك، وتفويض الخليفة لسلطان المماليك بحكم البلاد والعباد، ألقى مسؤوليات كبرى على كاهل سلاطين دولة المماليك، مما فرض عليهم أن يضاعفوا من رعايتهم لمقدسات المسلمين.

١- الظاهر بيبرس والمسجد الأقصى

الملك الظاهر صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، له في القدس حسنات منها بعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس، وكانت قد وهت، زار بيت المقدس سنة ٦٦١هـ، وجدّد كل ما كان قد تهدَّم من أبنية الحرم الشريف، كما أنشأ خانًا يجمع أكبر عدد ممكن من التجّار، وأوقف عليه أعيانًا كثيرة يُصرف ريعها السنوي في تحضير خبز للمسافرين وتصليح نعالهم، كما يُقدِّم مصروفًا للمحتاجين منهم، كما عيّن خمسة آلاف درهم سنويًا لتُصرف على شؤون الحرم الشريف، والزيارة الأخيرة التي قام بها الملك الظاهر بيبرس للقدس، تمت في عام ٦٦٨هـ، وجدَّد خلالها الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة المشرفة، كما أمر في السنة نفسها بوضع «الدرابزين» حول الصخرة المشرفة وعمل فيها منبرًا وسقّفه بالذهب، وعمَّر «الخان» الكائن بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى الشمال، المعروف بخان الظاهر، وكان بناؤه في سنة ٦٦٢هـ.

في عهده تم إنشاء دار الحديث بجوار «التربة الجالقية» على طريق باب السلسلة، وكذلك تم إنشاء المدرسة الأباصيرية تجاه «الرباط» المنصوري بجوار باب الناظر.

٢- المنصور قلاوون والمسجد الأقصى

السلطان الملك المنصور أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، عمَّر سقف المسجد الأقصى من جهته القبلية مما يلي الغرب عند جامع الأنبياء، وله الرباط المنصوري المعروف بباب الناظر، وهو رباط في غاية الحسن وبناؤه محكم.

٣- العادل كتبغا المنصوري والمسجد الأقصى

من ملوك المماليك البحرية في مصر والشام، في أيامه جدد فصوص الصخرة الشريفة، وجدد عمارة السور الشرقي المُطِل على مقبرة باب الرحمة في سنة خمس وتسعين وستمائة.

٤- المنصور لاجين والمسجد الأقصى

باحث فلسطيني

من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام، جدد عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الأقصى الشريف.

٥- الناصر محمد بن قلاوون والمسجد الأقصى

من كبار الدولة القلاوونية، وولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، عمَّر في أيامه السور القبلي الذي عند محراب داود عليه السلام، ورخَّم صدر المسجد الأقصى، وفتح الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله وكان فتحهما في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، وجدد تذهيب القبتين: قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وعمَّر القناطر على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة التي إحداهما مقابل باب حطة، والأخرى مقابل باب الدويدارية، وعمَّر باب القطانين بالبناء المحكم، وعمَّر «قناة السبيل» الواقعة عند بركة السلطان، بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب.

٦- الأشرف شعبان بن حسين والمسجد الأقصى

من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، من أعماله في المسجد الأقصى أنه عمَّر المغارة التي عند باب الأسباط، كما جدَّد الأبواب الخشبية المركبة على بوابات الجامع الأقصى، كما جُددت في عهده القناطر التي على الدرجة الغربية في صحن الصخرة المقابل لباب الناظر، كذلك جُددت في عهده المغارة التي عند باب الأسباط، وهي بين باب الأسباط وباب حطة في الناحية الشمالية الشرقية من الحرم، كذلك أنشأ بعض الأروقة في الحرم من جهة الشمال.

٧- السلطان الظاهر برقوق العثماني والمسجد الأقصى

أول من ملك مصر من الشراكسة، عُمِّرت في عهده دكة المؤذنين، تلك الدكة التي يراها الداخل أمامه إذا ما دخل المسجد الأقصى من الباب القبلي، تجاه المحراب، وكذلك أنشئت في عهده المدرسة الغزية على مقربة من باب الأسباط، وكذلك تم تعمير «البركة» التي بظاهر القدس من جهة الغرب وهي بركة السلطان، كما تم تجديد «القيسارية» الموقوفة على الحرم الشريف بالقدس.

٨- الملك الأشرف برسباي والمسجد الأقصى

من مماليك الأمير دقماق المحمدي، وأهداه إلى الظاهر برقوق، فأعتقه واستخدمه في الجيش، دام ملكه ست عشرة سنة، قام بإنشاءات عديدة في القدس نذكر منها، سبيل شعلان، ويقع هذا السبيل أسفل الدرج الشمالي من الحد الغربي لصحن الصخرة المشرفة، وهو آخر الأسبلة التي بناها الأيوبيون في القدس، وفي عهده عُمِّرت الأوقاف بالقدس الشريف، واشتريت جهات عدة للوقف من القرى والمسقفات برسم المسجد الأقصى والصخرة الشريفة، وتم إصلاح قبة الصخرة، كذلك تم في عهده إنشاء المدرسة الباسطية الكائنة شمالي الحرم بالقرب من «الباب العتم» ، والمدرسة القادرية شمالي الحرم بين باب حطة ومئذنة إسرائيل، والمدرسة الحسنية بباب الناظر فوق رباط علاء الدين البصيري، والمدرسة العثمانية في الزقاق المؤدي إلى باب المطهرة على بعد أمتار من الباب المذكور إلى الغرب.

٩- الملك الأشرف قايتباي والمسجد الأقصى

من ملوك الجراكسة، كان من المماليك، وضع في سنة ٨٧٢هـ الأبواب النحاسية التي في مدخل الصخرة من الغرب، وقام بحركة تعمير في المسجد الأقصى، والدليل على ذلك الكتابة الموجودة على واجهة المسجد، ففي عهده جُدد عمل الرصاص على ظاهر الجامع الأقصى وفك الرصاص القديم، ومن أعماله أيضًا تعمير المدرسة الأشرفية المنسوبة إليه وذلك سنة ٨٨٧هـ، وهي بالقرب من باب السلسلة، وفي الوقت نفسه أنشأ سبيل قايتباي، وهو أشهر سبل القدس وأجملها، ويقع في الساحة الكائنة بين باب السلسلة وباب القطانين، وعلى بُعد خمسين مترا من جدار الحرم الغربي بين درج صحن الصخرة الغربي الأوسط والمدرسة العثمانية، وهو يقوم على مصطبة مكشوفة، وفيها محراب في الزاوية الشمالية الغربية من «المسطبة».



سلاطين المماليك تركوا آثاراً مباشرة في أوضاع بيت المقدس تمثلت في العناية بالمنشآت الدينية المقدسة

سقوط نظرية داروين وتهافت دعاتها

د. رفيق حسن الحليمي

منذ آلاف القرون البعيدة الموغلة في القدم والتي تطاولت على الزمن، راح الإنسان يفكر- بعد الانتقال من الترحال إلى الاستقرار- في أمور كثيرة، منها ما يتعلق بوجوده وبمن أوجده على هذا الكوكب، ومصيره بعد فنائه، والغاية من ذلك كله، ويعتقد أن الإنسان قديما فكر في كل شيء حوله إلا في أمر واحد لم يفكر فيه يتصل بنشأته الأولى، أو في كيفية خلقه وتكوينه أول مرة! وقد حار الإنسان في التوصل إلى «الحقيقة الغائبة» التي تفسر ذلك الوجود تفسيرًا علميًا منطقيًا، والغايات التي تكمن وراء تلك الحقيقة.

بعد تفكير طويل توصل بعض بني البشر إلى أمور معينة، فيما توصل غيرهم إلى أمور أخرى وأخرى قد تتناقض معها وقد تتماثل في بعض مظاهرها مع ما توصل اليه غيرهم، وهي أمور في مجملها زادت من حيرة الإنسان ومن ضلاله وشططه، ولكنها كانت تريحه قليلا فيركن إليها حينًا من الدهر، وربما أوشك بعض بني البشر ضمن ذلك التفكير البدائي إلى التوصل إلى نزر يسير من «أشباه» تلك الحقيقة، فهناك من الأمم الغابرة من عبدوا الشمس أو القمر أو النجوم أو النار، وهناك من اتخذوا من الأصنام آلهة لهم، وهناك من تعددت عندهم الآلهة، ولم يعرف بنو البشر «التوحيد» إلا بمجيء الرسل، فوحدانية الخالق هي التي قادت إلى معرفة أسرار هذا الكون ومنها خلق الإنسان.

البداية الحقيقية للمعرفة

ظل الإنسان على حاله من الضلال والبعد عن الهداية الحق حتى بعث الله النبيين والرسل- رضوان الله عليهم أجمعين- على فترة من الزمن لهداية بني البشر، فأعطوا إشارات واضحة ودلائل قوية لتلك الحقيقة التي تدعو إلى وحدانية الخالق الذي خلق الإنسان من تراب، ليكون خليفته في هذا الكون وليعبده حق عبادته، ففي التوراة أن آدم أبو البشرية وهو الإنسان الأول خلقه الله من تراب، وأسكنه الجنة، وخلق حواء من ضلعه (١)، وفي التوراة وتحديدًا في سفر التكوين تتردد كلمة «خلق» مرات عدة (١)، ولا يعدم المرء أن يجد شيئا من هذا في الإنجيل، وللكنيسة الكاثوليكية نظرية دقيقة في خلق آدم مستمدة من العهد القديم (التوراة)، ومن العهد الجديد (الإنجيل) لا يتسع المقام لسردها، ويمكن الرجوع إليها في مظانها (٢).

خلق الإنسان حقيقة ربانية

هذه الحقيقة تجلت أكثر ما تجلت في الكثير من التفصيل والتبيان في القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، سواء أكان ذلك على مستوى التوحيد ومعرفة الخالق ومعرفة صفاته، أم على مستوى الأحكام والعبادات والثواب والعقاب والجنة والنار، أم على مستوى خلق الإنسان من تراب، وهو ما يتصل بموضوعنا الراهن، ففي القرآن مجموعة من الآيات البينات تنص على أن الله تعالى خلق الإنسان من تراب ليكون خليفته في الأرض ومنها:

قال تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي...﴾ (الحجر: ٢٨-٢٩)

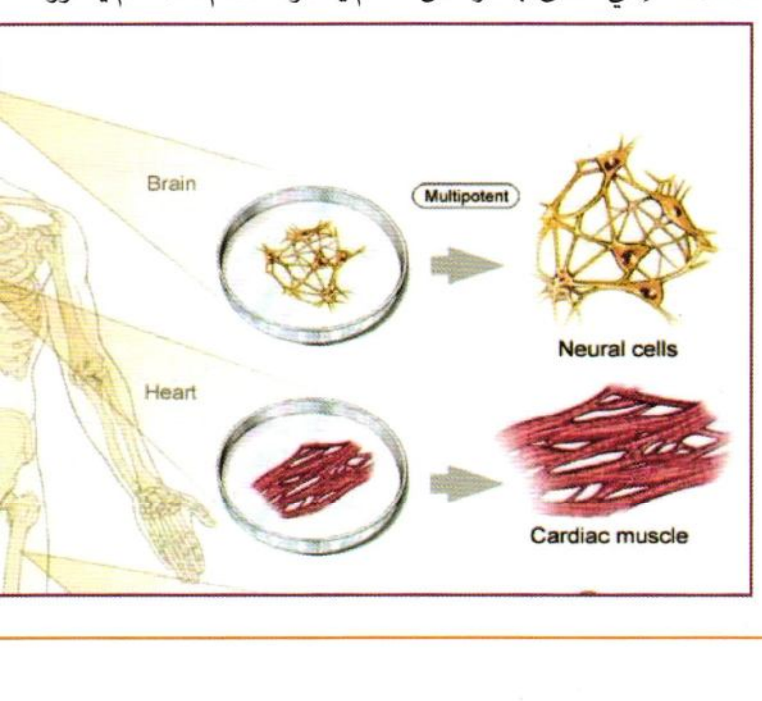
وقال تعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ...﴾ (آل عمران:٥٩).

وقال تعالى ﴿يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ...﴾ (الحج: ٥).

وقال تعالى ﴿... الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...﴾ (النساء:١).

وقال تعالى ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ (النجم: ٤٥).

وقال تعالى ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث...﴾ (الزمر: ٦)، أي يخلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم يكسو العظام لحمًا ثم يصور



باحث وكاتب اكاديمي فلسطيني

علماء أمريكيون معاصرون أثبتوا خطأ نظرية دارون الإلحادية

وينفخ فيه الروح، فذلك معنى: ﴿خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ في البطن والرحم والمشيمة (٣).

مما يلحظ في هذه الآيات وفي غيرها مما يتصل بها تلازم كلمة «خلق» في سياق الوجود الأول أو الخلق الأول لآدم أبي البشرية وذريته من بعده، وبمعنى آخر تشيع كلمة «خلق» في هذه الآيات وفي غيرها من آيات لها صلة بوجود الإنسان أكثر من غيرها التي تدل على معناها، مثل «برأ» و«فطر» و«أنشأ» و«جعل».

أما كلمة «خلق» فبمعنى أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق: التقدير، وفي كلام العرب: ابتدع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه (٣).

وكلمة «برأ» هي أيضا بمعنى: خلق الخلق على غير مثال، ولهذه الكلمة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلما تستخدم في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النسمة وخلق السموات والأرض (٤).

وكلمة «فطر» بمعنى خلق أيضًا، وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم إليَّ أعرابيان في بئر، قال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأت حفرها (٥)، وهذا ينطبق على «أنشأ» و«جعل»، غير أن الإعجاز البياني- كما يبدو واضحا- استأثر بكلمة «خلق» في سياق وجود آدم وذريته من بعده بأنهم خلقوا خلقًا، لما تحمله دلالة هذه الكلمة من عملية الخلق والتخلق والأطوار التي تمر بها من مضغة مخلقة وغير مخلقة، وليبطل كل دعوى- على مدى قادم الأيام- تخالف هذه الحقيقة الربانية.

ثقافة خلق الإنسان

منذ وجدت الرسالات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) شاع بين أصحابها ثقافة واحدة تجمع على أن الإنسان الأول «آدم» قد خلقه الله خلقا، وقد أصبح لهذه الحقيقة الدينية من الثبات والرسوخ في الفكر الإنساني، وفي وجدان «المؤمنين» والموحدين من أصحاب الديانات السماوية ما جعلها ترقى إلى مستوى البديهيات والمسلمات والمبادئ الراسخة، مع ملاحظة أن القرآن الكريم كان أكثر توضيحا وتفصيلا لخلق الإنسان، سواء أكان ذلك في خلق آدم أم في خلق ذريته من بعده منذ الحمل والمراحل المختلفة التي يمر بها الجنين حتى الولادة والتدرج في النمو حتى الشيخوخة ثم الوفاة ﴿ثم أماته فأقبره﴾ (عبس: ٢٠)، بحيث يمكن القول: إن هذه الحقيقة الدينية قد شاعت عند أصحابها شيوعًا لا يرقى إليه أدنى شك أو ارتياب حتى جاء «دارون» بنظريته الفاسدة، وفي بعض الأوساط البشرية التي جنحت إلى الإلحاد والكفر معا.

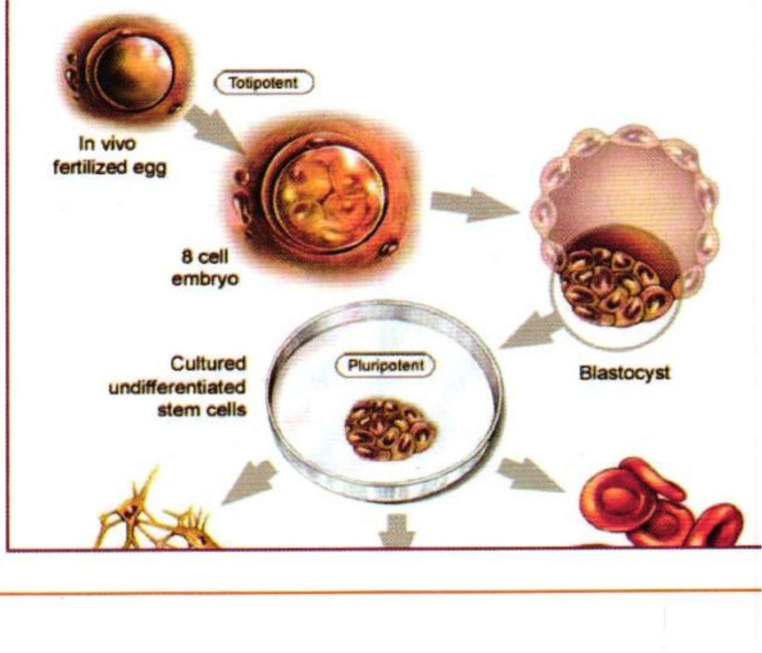
نظرية الداروينية أو «الانتخاب الطبيعي»

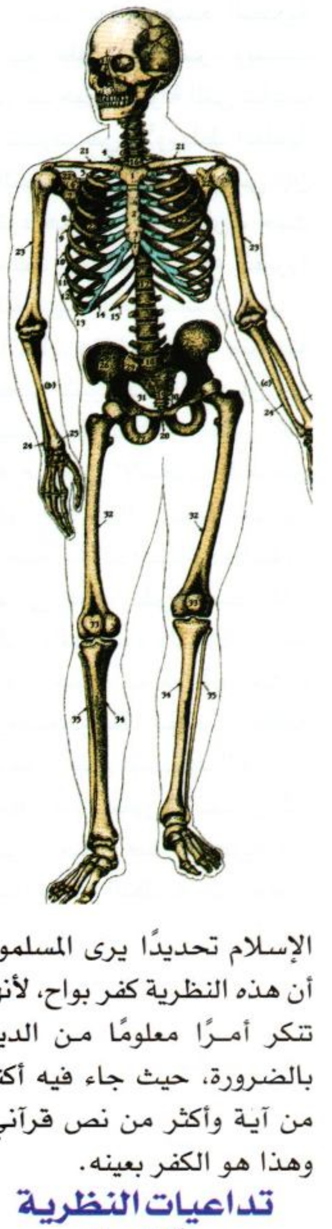
تنسب هذه النظرية إلى تشارلس روبرت دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) (٦)، وهي رأي في التطور يرى أن الأشكال الحية جميعها من أصل واحد مشترك، وأن الكائنات تنزع نحو التضاعف العددي، وأن هناك كفاحًا من أجل البقاء بين أفراد النوع الواحد، وقد ارتكز دارون في نظريته على وجود تحول في أنواع الحيوانات والنبات يكاد يكون لا نهائيا، وتسمى أحيانا نظرية «الانتخاب الطبيعي» (٧).

يكاد يعتنق هذه النظرية جميع علماء العصر، وينسب إلى صاحبها المقولة التي شاعت وانتشرت في الأوساط العلمية كالنار في الهشيم وهي «أن القرد هو أصل الإنسان»، حيث لاحظ أن بعض أنواع القردة (الغوريلا والشمبنزي) ليس لها ذيل، وتقف نصف منتصبة ومخها شبيه بمخ الإنسان من حيث التركيب (٨)، معنى ذلك أنه في ظل الانتخاب الطبيعي تطور قرد ما إلى إنسان! ثم بدأ الإنسان يتوالد ويتكاثر، والسؤال الهزلي الذي يطرح نفسه، لماذا تطور ذلك القرد ولم تتطور معه قرود أخرى، ثم من أين جاءته زوجته، ولماذا توقفت عملية التطور في أوساط القرود، ولماذا لم يتطور الإنسان إلى شيء آخر؟! فيا للسخرية من دعاة هذه النظرية في مجال خلق الإنسان ونشأته الأولى وفي إنكار وجود الخالق!!

نقد النظرية

لقيت هذه النظرية من علماء القرن الماضي بعض النقد، لعدم تفرقتها بين التغيّر المكتسب الذي لا يورث، والصفات الجينية التي تورث، لذلك أدخلت عليها تحويرات اقتضتها المعرفة الحديثة بعلم الوراثة، كما لقيت انتقادًا شديدًا من قبل رجال الدين الذين يؤمنون بوجود خالق لهذا الكون، وأنه خلق الإنسان من تراب، كما جاء في الكتب السماوية التي يرى أصحابها في تلك النظرية إلحادًا وخروجًا عن الدين وإنكارًا لوجود الخالق، وفي





الإسلام تحديدًا يرى المسلمون أن هذه النظرية كفر بواح، لأنها تنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، حيث جاء فيه أكثر من آية وأكثر من نص قرآني، وهذا هو الكفر بعينه.

تداعيات النظرية وآثارها

لاشك أن هذه النظرية تركت آثارًا سلبية في الثقافة العامة وفي بعض العلوم ذات الصلة بعلم الوراثة، ولدى بعض الباحثين والعلماء وبخاصة في علم الآثار (الانثربولوجيا)، ومن السخرية أنهم عندما أرادوا أن يتصوروا حياة الإنسان في العصور الغابرة، وبخاصة في العصر الحجري الذي يعد أطول العصور في تاريخ البشرية، اعتقدوا أن الإنسان الأول كان يمشي على أربع (يديه ورجليه)، وعندما تطور الإنسان- وفقًا لنظرية دارون- وأصبحت يداه أقصر من رجليه استطاع أن ينتصب في مشيته فأصبح يمشي على رجلين! ولعل الأخطر من ذلك كله أنها دفعت بعض الباحثين في الغرب إلى إعلاء بعض الأعراق على غيرها استنادًا إلى مبدأ «الانتخاب الطبيعي» الذي خرج من رحم تلك النظرية، ويرى أن البقاء للأصلح وليس للرجل المريض أو المتخلف ذهنيًا وجسديًا أو المتحدر من أعراق «دونية»، وصار الرجل الغربي، وفقًا لهذا الفرز العرقي المقيت، يتباهى على غيره من الشعوب بأنه تحدر من الجنس الآري، أرقى الأجناس على حد مزاعم نظرية الانتخاب الطبيعي، وهذا الفرز- مع أمور أخرى- ما دفعه إلى استرقاق الشعوب واستعباد العباد والفصل العنصري، وإقامة المعازل العنصرية بين البيض والسود، واستباحة مقدراتهم وأقواتهم على مدى عقود من الزمن، وأكثر من ذلك اتخاذهم ميدانًا وحقولًا للتجارب الطبية وغير الطبية.

شبلي شميل (١٨٥٠ - ١٩١٧م) (٩)

يأتي الحديث عنه في هذا السياق لأنه يعد من أكبر دعاة الداروينية في الشرق العربي، وهو طبيب لبناني وعالم طبيعي، انتقل من لبنان إلى مصر، سافر إلى أوروبا حيث درس مذهب التطور دراسة مستفيضة، وكان يعد إسحق نيوتن ودارون إمامين عظيمين من أئمة المادية التي عرض لآرائها في كتابه «فلسفة النشوء والارتقاء»، كتب مقالات عدة في مجلة «المقتطف» (١٠).

وكان كثيرًا ما ينتقد المباحث الدينية لأنها- على حد زعمه- تثير الجدل وتفضي إلى التعصب (١١)، وقد ذكر بعض الباحثين أنه كان يستشير علماء الدين بالأزهر الشريف في آرائه الإلحادية وزعمه أن القرد أصل الإنسان، وهو بذلك يطعن في الحقيقة الدينية الخالدة، وقد وجد شبلي شميل في ظل إدارة كروم (١٢) لمصر إبان الاحتلال البريطاني ما شجعه كثيرًا على الترويج لتلك النظرية، وليس من قبيل المصادفة أن يتزامن الترويج لتلك النظرية مع حقبة المد الاستعماري البريطاني، ولا ننسى أن هذه النظرية ولدت في ظل حكم الملكة فكتوريا، حيث بلغت فيه بريطانيا أوج رخائها وتوسعها الاستعماري.

سقوط النظرية

جاء سقوط تلك النظرية من الغرب وفي أوائل شهر سبتمبر من هذا العام، فقد عكف نخبة من الباحثين وعلماء الآثار، في جامعتين في أميركا على مدى خمسة عشر عامًا، على دراسة نظرية دارون حول أصل الإنسان، وقدموا أدلة علمية جديدة أثبتت خطأ تلك النظرية.

حيث توصل علماء الإنثربولوجيا إلى أن أقدم كائن ذي خصائص بشرية عاش قبل أكثر من أربعة ملايين سنة، وذلك من خلال عثورهم على هيكل عظمي لكائن بشري منتصب القامة لا يمشي على أربع، وله قامة عادية كقامتنا، وقد عد بعض العلماء تلك الأدلة الجديدة بمثابة نقض لتلك النظرية من الوجهة العلمية والبحثية، كما تعد من الوجه الديني انقلابًا دينيًا وحضاريًا وثقافيًا على نظرية إلحادية جاءت خارج الأديان السماوية، وخارج الوحدانية الإلهية، وهنا يأتي قول الحق تبارك وتعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت: ٥٣).

المراجع:

١- سفر التكوين، الإصحاح الأول عدد ٢٦، تجدر الإشارة إلى أن النص العبري يستخدم كلمة (برا) بمعنى خلق، وهي كلمة سامية مشتركة بين العبرية القديمة والعربية، وتقابلها في العربية كلمة (برأ) بمعنى خلق.

٢- الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٠.

٣- لسان العرب (خلق).

٤- اللسان (برأ)،، النسمة بالتحريك: الإنسان، نسم ونسمات، المملوك ذكر أم أنثى) القاموس المحيط: نسم.

٥- ابن الأعرابي، البئر ص ٥٥-٥٦ تحقيق: رمضان عبدالتواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠.

٦- عالم طبيعي انجليزي، انصرف عن دراسة الطب إلى العلوم، وقاده البحث إلى تكوين رأي عن التطور الذي عرف بالداروينية، من أعماله: أصل الأنواع، أصل الإنسان والانتخابات بالنسبة إلى الجنس، (الموسوعة ص ٢٢٣ -٧٧٤).

٧- الموسوعة ص ٧٧٤.

٨- الموسوعة ص ١٣٧.

٩- الموسوعة ص ١٠٧٣.

١٠- «المقتطف» مجلة شهرية أدبية علمية، أنشأها في بيروت يعقوب صروف وفرس نمر سنة ١٨٧٦م، ثم نقلاها إلى القاهرة (الموسوعة ص ٧٣٠).

١١- يعد كرومر (١٨٤٠ - ١٩١٧م) الحاكم الفعلي لمصر، لم يكن يتم تعيين رئيس للوزراء إلا بموافقته، وهو الذي وافق على الأحكام الصارمة في قضية دنشواي سنة ١٩٦٠م، الموسوعة ص ١٤٥٦م. يضاف إلى ذلك أنه هو الذي أوقف حركة التعريب الحديثة في مصر التي بدأت منذ محمد علي والي مصر.

١١- الموسوعة ص ١٣٠٥.

لغة وأدب

لفظ ومعنى

تباينت آراء النقاد والمشتغلين بالأدب قديما وحديثا إبان حديثهم عن قضيتي اللفظ والمعنى تباينا شاسعا، فمنهم من رأى أن المعنى هو لُب القصيد، وهو المبتغى والمراد، فإن حصل ووصل فلا ضير أن يكون اللفظ جزلا أو ركيكا، ولا أن تكون العبارة متوائمة أو متنافرة، بل ألا يكون هنالك رفع لفاعل ولا لمبتدأ، ولا نصب لمفعول ولا حال، المهم أن يصل المعنى، بغض الطرف عن الدرب الذي سُلك.

ولا يخفى ما في هذا النهج الذي تلوكه بعض الألسنة اليوم من شطط، فأما إيصال المعنى، فقد يقع بغير الكلم، كأن تنطقه لوحة رسام، أو إيماءة مومئ، أو حتى صمتة صامت، ومع ما لهذا كله من دور قد يكون ساميًا، فإنه مغاير كل المغايرة لما يحويه الكلم، أو ينبغي أن يحويه، من رسالات ربما لا يقدر على إيصالها إلا هو، مما لا يتسع المجال لبسطه هنا.

ثم إن مما يثمره التحرر من قوانين الكلم إشاعة الفوضى، وضياع الحدث والمُحْدِث والمُحْدَث، وكفى بذلك خسرانا.

وعلى النقيض من ذلك فريق احتفى باللفظ على حساب المعنى، وألبسه تاج الإمارة، فمن دبج الألفاظ ونمق العبارات، ولو أغرق في التكلف والصنعة نال قصب السبق، وإن لم تجد في حديثه معنى بديعا جميلا.

والحق أنه لا هذا ولا ذاك.. فاللفظ والمعنى كالروح والجسد، والثوب ولابسه، وفطنة المرء أن يسمو بروحه ويطهرها، ويغذي جسده وينميه، وأن يحسن حياكة ثوبه على قدر جسده، وليزخرفه بعد ذلك بما شاء.

المحرر



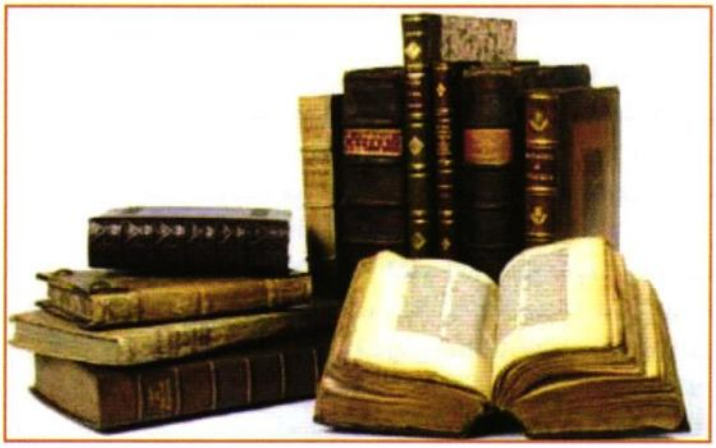


لماذا اختفت الرواية الإسلامية؟

محمد عبدالشافي القوصي

أكد الأدباء والنقاد أن الأدب العربي الحديث بمختلف أجناسه- والرواية على وجه الخصوص- يعكس صورة حية للتبعية المطلقة للفكر الغربي، والابتعاد عن الشخصية العربية بثوابتها وقيمها وأصالتها، وأوضحوا أن الغزو الفكري الذي حملته هذه المذاهب الوافدة- بمنزلة- محاولة لإلغاء الذات العربية واقتلاعها من جذورها كلية، كذلك فإن من أشد آثار التغريب والتقليد الفج للآداب الأجنبية أن تجد الأدب العربي الحديث يعيش بلا هوية، وبلا تماسك، وبلا خصوصية، كما تحول قسم كبير من أدبنا على يد المتغربين والعلمانيين إلى دعوات فاجرة وهجوم شرس على العقيدة الإسلامية وتراثها بشكل لم يسبق له مثيل.. كل هذا وذاك ساهم في إلغاء الأدب الإسلامي، وتهميش دعاته، واختفاء الرواية الإسلامية، وعدم الاكتراث بكتابها!

من جانبه يرى الناقد الدكتور حلمي القاعود أنه بالرغم من ذلك فإن جيل الصحوة الإسلامية استطاع أن يستعيد هوية الأمة، وكتّاب الرواية الإسلامية يملكون وعيًا حادًا بالواقع والتاريخ ويستشرفون المستقبل ويواجهون تحديات الهيمنة العلمانية واليسارية والطائفية التي تترصد التوجه الإسلامي وتحاربه بضراوة، وخاصة في مجالات الفكر والأدب، وكان في طليعة هؤلاء الرجال محمد فريد أبوحديد، وعلي أحمد باكثير، ونجيب الكيلاني، ومحمد حسن عبدالله، وعمادالدين خليل وغيرهم ممن حولوا الأدب الإسلامي إلى واقع عملي يعبر عن نفسه في تطبيقات ميدانية وأدبية جعلت من الرواية الإسلامية أمرًا واقعًا يتحدى المعارضين له، ويرغمهم على الاعتراف بوجوده وكيانه.



إلى متى سيظل أصحاب المواهب الحقيقية بعيدين عن الإنصاف؟

وفي الوقت ذاته يشير الدكتور القاعود إلى أن الواقع الأدبي المعاصر امتلأ بالكثير من التناقضات التي أدت إلى اختلال المقاييس والمعايير، نتيجة لتراكمات عديدة، جعلت أصحاب المواهب الحقيقية بعيدين عن مجال التقدير والإنصاف، وفي الوقت ذاته أتاحت الفرصة لعديمي الموهبة وطلاب الشهرة أن يحتلوا الواجهة الأدبية، ويلقوا من الحفاوة والدعاية الكثير مما لا يستحقونه، وكان من ضحايا هذا الواقع الأدبي جيل الأصالة الذي ارتبط بالأمة وهمومها وآمالها.

كُتّاب الرواية

أمّا عن أسباب غياب الرواية الإسلامية في الحقبة الأخيرة، فمرد ذلك إلى موجات التغريب التي اجتاحت حياتنا الأدبية والثقافية- كما يقول الدكتور صابر عبدالدايم- كذلك كان تمزق الأمة الإسلامية، ووقوع الوطن العربي في قبضة الاستعمار الغربي، وطغيان الفكر الاستشراقي المعادي للعروبة والإسلام، بمنزلة تمهيد للغزو الفكري، كما أن هذه الموجات العاتية من المد الفكري التغريبي- للأسف- وجدت عقولاً انهزامية تستجيب لكل أصدائها، ووقعت هذه العقول فريسة هذه الاستجابات العمياء للثقافات الوافدة، وقد بلغت المأساة ذروتها حين وجدنا من يروج للتغريب، ويركب موجاته المخادعة التي تغرق في غياهبها كل من يحتمي بها أو يظن النجاة في السباحة مع تيارها.

وكثير من كُتّاب الرواية العلمانيين في مصر والمغرب وتونس وسورية ولبنان قد صنعوا من فكرهم بوقًا يردد في غير وعي مبادئ الثقافات

الوافدة، ويروج لها ويحاكيها في كتاباته، وأحيانًا كثيرة يقوم بعض هؤلاء الواهمين بسرقة الأفكار التغريبية وتقديمها في صورة مشوهة ممسوخة، وقد تأثرت الحياة الثقافية والفكرية والإبداعية بهذه الموجات الطاغية، ففسد المناخ الأدبي في كثير من بلدان العالم العربي، وشوّهت الحياة الفكرية وغابت رؤاها.

وإن كانت هذه الموجة الإلحادية بدأت في الانحسار، خاصة بعد سقوط الشيوعية، وظهور الصحوة الإسلامية التي قرعت الأبواب بشدة، غير أننا مازلنا في حاجة إلى تكاتف جهود المخلصين لدينهم ووطنهم من أبناء الأمة.

ويرى الدكتور صابر عبدالدايم أن الرواية والقصة تنافسان الآن الشعر منافسة ضارية، ولكنهما لم يصبحا بديلًا عنه، فمازال الشعر على الساحة له حضوره الفعال، وأثره الغائر في النفوس. ويشير إلى أن هناك عوامل كثيرة وراء تفوق فن القصة وفن الرواية في جذب القارئ، وفي القدرة على التأثير، وعلى الالتحام بواقع الزمان والمكان، أو بإيقاعات الحياة المعاصرة، ذلك أن القصة والرواية يمكن تحويلهما إلى مسلسلات درامية تلفازية، تصل إلى ملايين المشاهدين وتؤثر فيهم، أمّا الشعر

الإسلام دعا إلى أسلمة الأدب والفن منذ فجر الدعوة

نحن في حاجة إلى الرواية الإسلامية كي تبرز شخصيتنا الحقيقية

فمازال أسير الكلمة المكتوبة! وأن الرواية لا يميل كثير من كتابها إلى الأساليب الملغزة، ولا إلى الغموض الموغل في الغرابة والبعد عن واقع الناس.

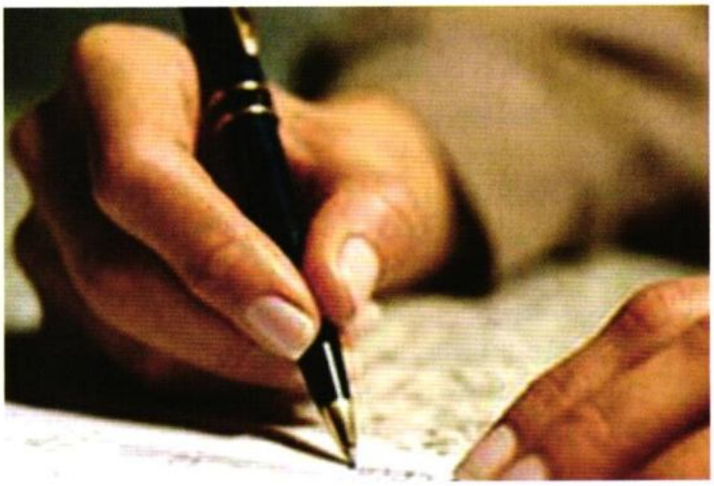
ضرورة الرواية الإسلامية

ويؤكد الأديب الإسلامي الدكتور محمد كمال إمام أننا في حاجة إلى الرواية الإسلامية لتبرز شخصيتنا وسط هذا الطوفان من المذاهب الأدبية الوافدة التي تسرح وتمرح في وسطنا وتسهم في تلويث وعينا، والتي يتبناها أبناء المسلمين يبشرون بها ويسعون لتكريسها، أو على الأقل يمنحونها مشروعية الوجود ولا يجدون غضاضة في معاشرتها وطرد الغربة عنها!

ويقول: «إذا كنا قد رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وتحملنا في سبيل ذلك مكائد العالم المتكبر فلا أقل من أن نسعى لتأصيل وتكريس الأدب الإسلامي ليسهم في الذود عن مقدراتنا ومقدساتنا الفكرية، وليس فيما نسعى إليه بدعة ولا تجزئة، فأسلمة الأدب مشروع إسلامي، ومجيء المصطلح لم يكن بدعًا من القول، فالإسلام منذ البدء مارس أسلمة الأدب والفن».

إشكالية المسرح الإسلامي

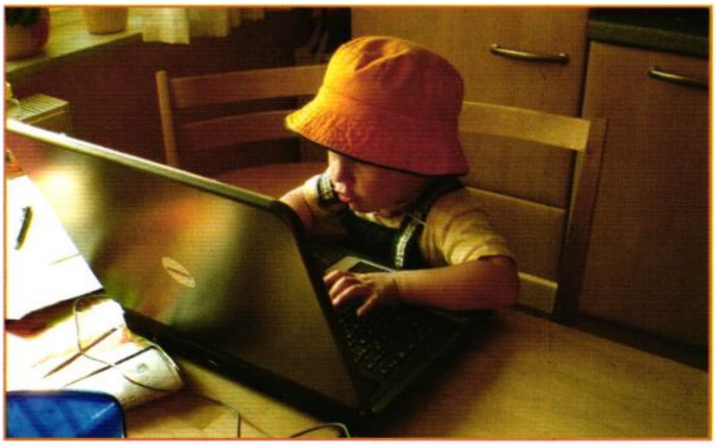
وحول الدعوة إلى إنشاء المسرح الإسلامي الذي دعا إليه أمثال باكثير ونجيب الكيلاني لخدمة قضايانا الاجتماعية يقول كاظم الظواهري: «مازلت في شك كبير من إمكانية توظيف المسرح للقيام بمهمة تتفق وتعاليم الإسلام في الوقت الحاضر على الأقل، وذلك لأسباب كثيرة، على رأسها سبب يتعلق بالواقع البغيض للمسرح في الساحة العربية، وسبب ثان يتعلق بالماضي المرتبط بالوثنية لهذا الفن في مهاده، وسبب آخر يتعلق بخاصية التشخيص التي كانت سببًا في رفض أفلاطون لهذا الفن، وعلى الرغم من كل هذه الأسباب، فإننا نضع أيدينا في أيدي مريدي توظيف فن المسرح لهذه المهمة الجليلة، ونستجيب لدعوتهم بالنظر في المشكلات التي تعوق توظيف المسرح كأدب إسلامي، آملين أن نتمكن من حل بعض هذه المشكلات، ووضع بعض القواعد النقدية لتكون لبنة في بناء صرح نقدي عندما يحين الوقت المناسب الذي تصبح فيه البيئة مهيأة لاستقبال فن مسرحي جاد، ويقتنع المتلقي بأنه يمكن أن يجلس عدة ساعات في قاعة تقدم له وجبة تمتع العقل والروح دون إسفاف أو لهو فارغ!.



شعرُ الأطفالِ وأثرهُ القِيَمي

علاء الدين حسن

الأطفال قطوف الأمل، وقرّة عين الإنسان، وزهور الأمَّة، وبراعم الغد المشرق.. الأطفال تذكار مقدس، إنهم هدية السماء، وللطفولة عالمها الخاص، وللشعر سحره الجميل.. عالمان وسيمان تربط بينهما وشائج كثيرة، تبدأ بالإيقاع، وتمتد بالخيال، وتنتهي بسموِّ الإحساس ورقته، إذ يغدو للأشياء والمحسوسات حضور أجمل وأرقى، ومسميات تفيض ألقًا، وتستنطق بلغاتٍ جديدة.



ولقد اعتاد الإنسان أن يرسم لنفسه منذ الصغر صورًا وألوانًا من الأماني والآمال؛ فالحلم والخيال يظلان متوهجين في قلب كل إنسان، ولعلَّ مقولة: «في أعماق كل واحد منا طفل» تنطبق على الشعراء قبل سواهم؛ لأن ثمة أكثر من نقطة التقاء بين الشاعر والطفل.. كلاهما يجمع بين الواقع والحلم.. كلاهما يريد إخضاع الحياة للرغبات، ويسعى إلى تغيير كثير من الأشياء.. وهما معًا يشتركان في نقاء القلب وبراءة السريرة وتقديم قيم الحق والخير والجمال.. ويشتركان أيضًا في نوعية الرؤية، فالطفل يتخيل الكرسي حصانًا، ويتخيل العصا قطارًا يجري به على الأرض.. وكذلك الشاعر يكشف لنا عن سحر الأشياء.. يجعل للفجر أنامل من ورد ينْزاح منها الضوء، ويجعل للعين لغة تبوح بالنخيل والشرفات في مملكة تجتاز فواصل الزمن وحدود الكائنات.. في واحة مترعة بقطر العذوبة ونسمة الأزهار.

والشعر- كما هو معروف- رافد مهم من روافد ثقافة الطفل، وهو في الوقت ذاته مصدر رقي وارتقاء، ويُعَدُّ من أقوى المؤثرات في تربية الذوق الفني، والحس الجمالي؛ لما يجتمع له من رونق الإيقاع، ورشاقة التعبير، وجاذبية الصورة، وهو بذلك يؤدي وظيفة مهمة ذات أبعاد عقدية وجمالية وشعورية ووجدانية وفكرية؛ ولهذا يستأنس الأطفال كثيرًا بسماع الشعر وحفظه، إذا كان مناسبًا لهم من جهة ألفاظه وأفكاره وأوزانه وصوره الفنية.

والشعر الموجَّه إلى الأطفال ينبغي أن يتضمن الإيقاع والتخييل، وأن يمتاز بالبساطة والرنين.. وأن يكون وسيلة مجدية في خلاص الأطفال من بعض المشكلات الاجتماعية، وأن يبعث على النشاط والتجديد وتقوية الذات وبناء ثروة لغوية وجمالية متميزة، وترسيخ القيم الإنسانية النبيلة كاحترام أفكار الآخرين وتقدير مشاعر الغير، وتقبّل الآراء، على أن تصاغ الفكرة بالكلمة الرشيدة الرشيقة الواعدة الملأى بالود والإيثار، الملامسة لأغصان شجيرات وجدان الصغار.

وجدير بالأديب أن يصور الطبيعة بأزهى الألوان؛ لتتلألأ أمام نواظر الصغار؛ فاللون يجذب الطفل.. والزهرة شذية بعطر الألوان.. والبحر متوسم بنقاء اللون.. اللون إذًا نغم مدهش في عالم الكتابة للطفل.

غايات ومقاصد

ومن الغايات المرجوة من كتابة الشعر للأطفال تغذية الإيمان، وترقية معنى العلم، وتنمية الخيال والعاطفة، والتأكيد على مبادئ التعاون والصدق والوفاء، ونبذ الشر والباطل والحقد والكذب والحسد، ومن الأهداف أيضًا التدريب على أدب الحوار الهادف البناء، على أن نحرص على جمالية الشكل العام بعيدًا عن قوقعة التكلف والنظم الارتجالي وقلق الوزن وركاكة الأسلوب، وبذلك يمكن للطفل أن يحلق في فضاء رحب يبعث على قيم البراءة والنقاء.

الصورة الشعرية

يحتضن الخيالُ الخصبُ الصورةَ المقروءة والمتخيّلة التي تجسدها البنية التعبيرية للشاعر، عبر رمزية تحقّقها التشبيهات والاستعارات، في صور مجازية، تعمل المخيّلة على عمارتها، ثم تُقدّمها للطفل في منظور تربوي، تنتج عنه فوائد متعدّدة يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١ - الصورة التي يتلقّاها الطفل من التخييل المقروء لا يشترط فيها أن تُطابق الصورةَ التي رسمتها مخيّلة الشاعر، تبعًا لمقدرة المخيّلة، وهي تدفع الطفل للتعامل معها، وقد يدرك الطفلُ ذو المخيّلة النشطة الصورةَ الأصلية التي ابتدعها الكاتب، ويبني لنفسه صورةً أخرى جديدة.

٢ - يعمل التخييل المقروء على تحريض خيال الطفل وتنشيطه مهما كانت مقدرته.

٣ - قد لا يتصوّر خيالُ

باحث مصري



الطفل الصورةَ المطابقة للصورة التي يتضمّنها التخييل الأدبي.. وثمة دلالات كثيرة تنمّ عن حرص الطفل على امتلاك تصوُّره الذاتي للتحليق، وبناء تصوّر ذاتي بعيد عن الصور التي يطرحها التخييلُ الأدبي، وليس المهم بعد ذلك المدى الذي يبلغه التحليق؛ لأنَّ حرية الخيال هي التي تبني شخصية مستقلةً، قادرةً على الإبداع.

٤ - إيجاد علاقة بين تصوّر الكاتب، وتصوّر الطفلِ المتلقّي؛ لأن الأديب يمتلك مخيّلةً تفعل فعلها في أثناء الإبداع، فيرسم الصور بالكلمات في سياق مقنع مؤثّر، ثم يأتي دور الطفل الذي يقرأ ويتأثّر ويبني انطلاقًا من تصوّره الذاتي، وهذا يؤكد جدوى العلاقة بين الأديب والطفل؛ حيث تحلّق مخيّلة الصغير بحرية، وهذا ما تتطلّبه التربية والأدب معًا.

٥ - أدب الأطفال مزيجٌ من الفن والتربية، وتربيةُ خيال الطفل على حرية التحليق لابدّ أن يوظّف توظيفًا يقتضي ربط الطفل بواقعه مهما حلق فوق هذا الواقع، وابتعد عنه؛ ليبقى اجتماعيًا مع فرديته.

ونظرًا للتطوّر الذي قطعته الحداثة الشعرية، فإنَّ الصورة تنوّعت بتنوّع تجارب الشعراء الثقافية، واختلفت باختلاف أمزجتهم الاجتماعية؛ لذلك وُجدت صورٌ تميلُ إلى الرمز والإيحاء، كما تميل إلى الصراحة والمباشرة، أو تُعرض عن التصريح.

وربما تحرّرت الصور من عقال الأبعاد المكانية والزمانية، وتخلّت عن المنطق- في بعض منها- لتغدوَ صورةً حلميةً، يتعذّر على الطفل التقاطها، أو معْرفةُ طبيعتها.

وفي التفاتة فنية بارعة اتّجه عدد من الشعراء إلى التصوير باللون، فأخذوا، ينهلون من سحره، ويرسلون من جمالياته طاقات تعبيرية، يعجز عنها التعبير التقريري المباشر، ولم تعد الألوان مجرّد رموز للحالة النفسية التي تشكلّها الصورة الفنية في النصّ الشعري، بل صارت ركيزة مهمةً من ركائز التعبير الفني والجمالي في الشعر، تطرح في النص بتوظيف فنيّ رفيع، يؤكّد تنامي الوعي الجمالي، وتُطوّر الذائقة الشعرية.

صعوبات متعددة

١ - اعتقاد بعض الشعراء أن الكتابة الشعرية للأطفال عمل أيسر وأسهل من الكتابة الشعرية للكبار.. مع أن العكس هو الصحيح.

٢ - بعض الشعراء الذين يكتبون للأطفال لا يمتلكون الثقافة المطلوبة في مجال علم نفس الطفل.

٣ - عدم التمكّن الفني من الأدوات الرئيسة الخاصة بشعر الأطفال.

٤ - عدم التوفيق في اختيار الأسلوب الجميل والموسيقى والإيقاع واللغة والخيال والألوان.

مراجع

١- أدب الأطفال في ضوء الإسلام- د.نجيب الكيلاني- بيروت ١٩٨٧م.

٢- أدب الأطفال- د.علي حديدي- القاهرة ١٩٩٠م.

٣- ثقافة الطفل- د.سمر الفيصل- اتحاد الكتّاب بدمشق ١٩٨٧م.

٤- شعر الأطفال- محمد قرانيا- دمشق ١٩٩٦م.

٥- أدب الأطفال الإسلامي- د.عدنان نحوي- الرياض ١٤٢٦ هـ.

٦- صحف ومجلات عربية منوّعة.

العربية.. لغة الأدب الرفيع والبلاغة السامية

حسين سباهي

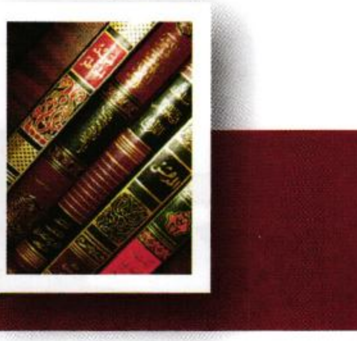
ما أحوجنا نحن العرب إلى أن نرقى في تعلمنا وتعليمنا لهذه اللغة إلى مستوى الغاية القومية والشعور بالمسؤولية تجاه امتنا، فهي اليوم كما كانت بالأمس الرابطة الروحية والقومية مهما تناءت الاقطار واختلفت البيئات، فيها تتجسد آمالنا في الأمة المنشودة، وهي مرآة حياتنا الفكرية والشعورية التي تعكس صورة جميلة واضحة، وعلينا اليوم أن نعيد الصورة مشرقة زاهية كما كانت بالامس، ونسلح مواطنينا باللغة القومية ونهيئ لهم فرص التفاهم والتقارب مع أبناء أمتهم في مشرق الوطن العربي ومغربه لتصبح هذه اللغة في نصاعتها وبيانها سمة لهم كما كانت لأجدادهم.

واللغة العربية بما لها من المعطيات والخصائص استطاعت أن تحافظ على استمرارها ونموها، يشهد لها بذلك ماضيها المجيد، وحياتها المديدة عبر عصور طويلة، حيث كانت لغة الادب الرفيع والبلاغة السامية أيام الجاهلية، فما إن جاء الاسلام حتى فتحت ذراعيها تستقبل إعجاز القرآن وبيانه، وتستوعب العلوم الجديدة كالفلسفة والطب والقوانين، و استطاعت على مر العصور أن تحفظ تراثنا العربي، وتتفاعل مع تراث الحضارات التي احتكت بها وتنقله عبر العصور ليصبح ملاكًا للأجيال في شتى بقاع العالم، ومازال الكتاب العربي مرجعًا يعتد به في كثير من جامعات العالم،و تزداد الرغبة في ترجمة الكتب العربية القديمة، وتتوالى اعترافات المستشرقين والدارسين لهذه الآثار بفضل العرب على أوروبا ودفعها الى التطور والنهوض.

وإذا كانت حياة اللغة تقاس بمدى تفاعلها مع حضارة العصر الذي تعيش فيه، فيحق لنا ان نفخر بهذه اللغة الحيّة النامية المتطورة التي أسهمت، ومازالت تسهم الى يومنا هذا في الحضارة الانسانية التي تطالعنا كل يوم باختراعات جديدة، ولغتنا اليوم بما لها من الخصائص اللغوية التي تميزت بها من بين جميع لغات العالم، كخصب المفردات، وكثرة المرادفات، ودقة التعبير، تفتح صدرها من جديد في حيوية وقدرة أجبرت العالم على الاعتراف بها، لغة حية متطورة قادرة على التفاعل الحضاري، مؤهلة لان تكون احدى اللغات الرسمية في كثير من المحافل الدولية، كاليونسكو والأمم المتحدة.

وأخيرًا أريد أن أقول إن اللغات تشيخ وتهرم وتتغير وتضعف، وربما اندثرت وماتت وطواها النسيان، أما لغتكم ففي ربيع دائم، وشباب متجدد، لأن الله حفظها بالقرآن الكريم المنزل بها ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

باحث سوري



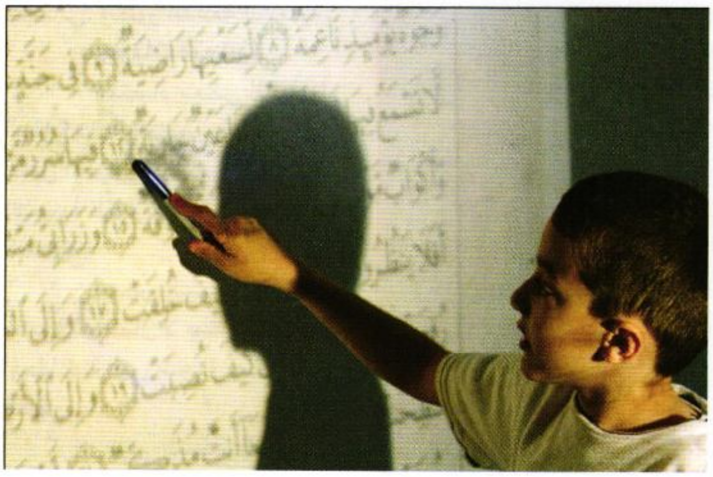
لغة وأدب

في مؤتمر جمعية لسان العرب لرعاية اللغة:

أزمة تهميش اللغة العربية ووسائل النهوض بها

بدر محمد

تحت عنوان «توصيات مؤتمرات القمة في النهوض باللغة العربية» عقدت جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية بالقاهرة مؤتمرها السنوي السادس عشر على مدى يومين، وذلك في الأسبوع الثاني من نوفمبر الماضي تحت رعاية جامعة الدول العربية، وشارك فيه باحثون وخبراء من سورية والسعودية وجزر القمر بالإضافة إلى مصر، وناقش المشاركون ١٥ بحثا في قضايا مهمة أكدت على ضرورة التفعيل الجيد لقوانين اللغة العربية، مع التوصيات التي أقرتها الجهات الرسمية والأهلية، كما ناقشوا قضية تهميش اللغة العربية ومكائد المتربصين بها وضرورة نشرها بالجامعات العالمية، ودور الأزهر الشريف في نشرها في الدول غير الناطقة بها، وقضايا أخرى.



وقد استهل المؤتمر رئيس جمعية لسان العرب د.سامي نجيب بكلمة أعرب فيها عن أسفه الشديد وتشاؤمه مما آل إليه حال اللغة العربية، وشدد على أن المؤامرات التي تحاك ضدها ليست وليدة اللحظة أو عقد أو عقدين من الزمن، بل دبر لها منذ أكثر من قرنين، وبعض أهلها بسطوا أيديهم لكل من يعبث باللغة، وتدهور التعليم من تعليم عربي أصيل، يثبت الهوية والانتماء، إلى تعليم أجنبي يعمل بشدة لتهميش اللغة العربية، وفقدنا الكتاتيب التي كانت تصلح وتصحح اللحن في القراءة، وتنمي لغة الطفل في إطار نظرية السمع أولا وحتى بدون فهمه للقرآن في هذه السن.

ووصف نجيب من يقف أمام العربية ولا يساعد في النهوض بها فكريا وثقافيا بالخائن للهوية العربية، والمذوب لشخصية اللغة العربية، وللأسف فإن البعض يسير وراءه بوعي وبغير وعي، دون تقوى الله في لغة كريمة رائدة أصيلة راقية، تعصف بها رياح التغريب والعولمة.

ولكنه حذر من اليأس والإحباط الذي ألمّ بالكثير منا، من كثرة المؤتمرات في المحافل دون جدوى ملموسة، كقابض بيده على الماء فخانته فروق أصابعه، ودلل بتوصية مؤتمر الدوحة بضرورة النهوض باللغة العربية علميا وعمليا، وقد صدرت قرارات سياسية بهذه الشأن في ثلاثة مؤتمرات قمة ولم تُفعّل حتى اليوم، والأمين العام عمرو موسى دعا بنفسه في مؤتمر لجمعية لسان العرب بدعمها في جميع المجالات ولم يحدث شيء للآن، كما خاطبت الجمعية منظمة «الإيسيسكو» بالمغرب منذ عام تقريبا، لكي تعمل الجمعية تحت لوائها وما زالت تنتظر الرد.

وطالب رئيس جمعية لسان العرب باستقلالية مجمع اللغة العربية المصري عن وزارة التعليم العالي كما هو الحال في جميع الدول العربية، وأن يقوم المجمع بوظيفة تصحيح ومراجعة مناهج التعليم في مصر، وليس فقط إعداد المعاجم، كما طالب بتفعيل قرار ١١٢ لرئيس الجمهورية الذي كلف فيه الوزارة بالعمل على النهوض باللغة العربية في المناحي كافة، وهو قرار يضخ الدم في الجسد المحتضر.

مؤتمرات بلا فاعلية

وانتقد كثرة المؤتمرات مع ضعف التفعيل وعدم الامتثال لقوله تعالى ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: ٣)، فالتعليم العالي يعاني التلوث اللغوي وتعريب العلوم فيه يساوي صفرا، فهم يتحججون بقولهم إن العربية لغة جامدة ولا تساير متطلبات سوق العمل، وكأن دولا كتركيا والسودان وسورية يتم التعليم فيها باللغة الأم، رجس من عمل الشيطان، في حين أن كل دول أوروبا وآسيا جامعاتها لديها أقسام لتدريس اللغة العربية، ولغتها الأم غير العربية.

وقال رئيس الجمعية: في قلبي غصة.. فبعد أن أمضت الجمعية ١٨ عاما، لا تزال مكتوفة الأيدي لا نشاط لها إلا هذا المؤتمر السنوي ومسابقات حفظ القرآن الكريم والاحتفال بيوم اللغة الأم، فنحن أمام محنة كارثية تعيشها اللغة العربية صنعناها بأنفسنا وبأيدينا، حتى صارت لغتنا منبوذة حتى من أبنائها، والعربية هي من الدين ولكن ألغاها الإعلام والمجتمع المدني.

ثم تحدث د.حسني السيد نائب

◆ كاتب صحفي

رئيس الجمعية وأستاذ المناهج وطرق التدريس، فأكد أن اللغة العربية لم تنهض النهضة المرجوة، رغم الجهود الفردية لبعض أبنائها في مقابل مساع لهدمها من آخرين، فلم تجد العربية الاهتمام من مؤسسات الدولة في مصر بالرغم من القانون الذي أصدره رئيس الجمهورية ويلزم الجميع بالحفاظ عليها في جميع مؤسسات الدولة والمجتمع.

وأعرب عن أسفه لكون الجمعية تواجه معوقات من الخارج وصعوبات من الداخل، ولكنه أكد أنها ستجاهد مع جمعيات أخرى مهمة مثل جمعية تعريب العلوم، وجمعية حماة اللغة العربية، وبعض الجهود الفردية من كليات دار العلوم وبعض كليات الآداب من أجل الدفاع عنها.

وأبدى نائب رئيس الجمعية دهشته لقيام وزير التعليم المصري السابق يسري الجمل بإعطاء تصريح لـ٢٥٠٠ مدرسة تمنح الدبلومات الأميركية، وقبل أيام صرحت السفيرة الأميركية بالقاهرة بأنها ستنشئ مدارس أميركية مجانية بالقاهرة والإسكندرية، وهذا أمر خطير يهدد الانتماء والولاء، فالهجمات شرسة من الاستعمار الجديد، من أميركا وانجلترا والصين وكندا وغيرها، تلك التي تنشئ المدارس والجامعات الخاصة المتزايدة.

رباط أهل مصر

وألقى كلمة المكرمين د.محمد سليم العوا المفكر المعروف وأمين عام الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فأكد أن الواجب نحو لغتنا يعظم ويثقل على أعناقنا، والعمل لها يقوم به محب يسعى سعيا دائما لحمايتها، والإحاطة بها إحاطة بأوسع الألسنة.

اللغة العربية من الدين لكن ألغاها الإعلام والمجتمع المدني

وأشاد بدور جمعية لسان العرب في حماية اللغة والدفاع عنها وهي جمعية متطوعة، وقال: أفزعني أن رأيت رئيس الجمعية يتشح بالسواد من هوان اللغة على أهلها، فالعاملون للغة لا يستحضرون الحزن والاكتئاب، بل هم في رباط.. والمرابط يقظ سعيد عامل على حماية ثغره أن يؤتى من بين يديه أو من خلفه، وليس رباطنا فقط على الثغر الشرقي لنرد العدو الصهيوني أو نحمي فلسطين ونرد غزوات العادين، بل رباط أيضا على ثغر اللغة لكيلا تصاب أو تحتضر، فلا نواجه هجمة شرسة ونحن حزانى ثكالى، بل نحن قادرون على أداء الواجب قال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد: ٣٨).

ويتحفظ العوا على الرؤية التي تقول بأن من لا يخدم اللغة العربية فهو خائن للهوية والقومية، لأن هناك أسبابا أخرى لعدم خدمة العربية منها: عدم العلم والوعي بالقضية، أو العجز عن أداء الواجب، أو عدم وعي بالكسب الكبير المتحقق من حمايتها ورعايتها، والدليل أن كثيرا ممن كانوا يحاربونها في الجامعات صاروا يقفون في صف العربية ويدافعون عنها، بثمرة غرس جمعية لسان العرب المبارك، ولكن القضية تحتاج جهدا إعلاميا كبيرا، ولن يكفي دور وزير التعليم فهو مشغول بالإدارة ويصعب عليه التفرغ لها، فمسألة اللغة تحتاج جهدا فكريا كبيرا من المفكرين والمتخصصين أنفسهم.

ودعا الرئيس الشرفي للمؤتمر عبدالمحسن القحطاني أستاذ اللغة العربية بجامعة الرياض ورئيس نادي جدة الأدبي، إلى توحيد مجامع اللغة العربية على مستوى العالم العربي تحت مظلة واحدة، حتى لا نتمزق أوصالا وتتناثر جهودنا، فإن لم نتوحد سياسيا فلنتوحد حماية للغتنا، فبدونها لن يتفاهم العرب البتة.

ولخص المستشار السعودي أحمد باديب رئيس المؤتمر أزمة اللغة العربية في عدم تطبيق قول رسول الله ﷺ «تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله» (الألباني إسناده حسن وله شاهد)، فنحن العرب تركنا مسلك ومرتقى الأنبياء والصالحين، واعتبر أن الشباب هم حملة رسالة النهضة باللغة العربية وبالأمة، نهضة تبدأ بالعمل تحت مظلة قوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ (المجادلة: ١١)، فبالعمل نرقى وليس بالعويل وبدفاع القاعد مكانه.

ودعا باديب لتوحيد المناهج في الدول العربية، فمناهج اللغة العربية فيها متخلفة وتعطي انطباعا سيئا عنا، ولنقض على خلافاتنا البينية لنتصدى للدفاع عن ديننا ولغتنا وقرآننا.

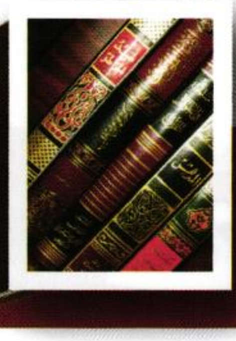
صندوق لدعم اللغة

وأوصى د.أحمد مصطفى الأستاذ بجامعة المنصورة في ورقته بتأسيس صندوق عربي لدعم أقسام وكليات ومدارس العربية خارج الوطن، وإقامة مكتب بوزارة التعليم لتلبية الاحتياجات بهذا الشأن.

وكشف د.رشاد سالم الأستاذ بجامعة الشارقة في بحث عنوانه «العربية ومكائد المستشرقين» أن المستشرق الألماني «ولهلم سبيتا» وكان مديرا لدار الكتب المصرية أواخر القرن التاسع عشر، خدع المسلمين بلهجة المحب ولكنه أراد أن تصبح العربية لغة طقوس وصلاة بعيدا عن مسرح الحياة، ومن ثم يحصر القرآن والإسلام في زاوية المسجد لا غير، وهو الهدف الذي سعى إليه المستعمر ومهد له التبشير والاستشراق ومشاريع التغريب، وبعبارة أخرى أراد للغة القرآن أن تكون كاللاتينية واليونانية والسريانية، لا تتردد إلا على ألسنة الكهنة والقساوسة في المناسبات الدينية، ولا يفهم الناس منها شيئا.

وشدد على أن دعاة العامية واللغات المحلية أو الأعجمية متهمون بالتآمر على ديننا وعروبتنا وتاريخنا وحضارتنا، ووجب علينا مكافحة دسائسهم لنقطع سبل التشويه الذي ينصب على قلوب وفكر الناشئة.

وأوصى د.سيد يوسف من جزر القمر بالمزيد من الجهد لدعم نشر العربية من قبل المنظمات الإسلامية بكل السبل، لأن هؤلاء الذين يتعلمون العربية يرجعون لبلدانهم ويرفعون فيها شعار هذه اللغة ومكانتها.



قواعد اللغة وتغير الحكم الشرعي

إسلام عبدالتواب

يوجه كثير من العلماء والمشايخ تلاميذهم وجماهير مستمعيهم إلى خطأ بعض الألفاظ من الناحية الشرعية، فيقولون لهم مثلا: لا تقولوا: المرحوم فلان، لأن هذا جزم بحدوث الرحمة له من الله تعالى، وهذا ادعاء على الله بغير علم، ولكن قولوا: فلان رحمه الله؛ فهذا دعاء له، وكذلك يقولون لهم: إذا ذكر الرسول ﷺ، فصلوا عليه بصيغة: ﷺ لأنها دعاء له بالصلاة عليه، ولا تقولوا: عليه الصلاة والسلام، فهي مجرد تقرير لصلاة الله تعالى عليه، وليست دعاء منك له ﷺ.

والمشكلة التي وقع فيها هؤلاء العلماء الأفاضل والمشايخ الفضلاء هي أنهم لم يرجعوا لقواعد اللغة حتى يتبينوا هل ما قالوه صحيح أم لا؟ فإن العالم الشرعي ينبغي أن يتحلى بفقه اللغة، وهذه القضية الشرعية من حيث جواز قول ما أو عدم جوازه، وصحة الصلاة على النبي ﷺ، بهذه الصيغة، أو عدمها، ينبغي الرجوع فيها لقواعد اللغة العربية.

يقول علماء اللغة: إن الجمل في اللغة العربية إما خبرية أو إنشائية، والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب في ذاته، بصرف النظر عن قائله، والإنشاء عكسه، وهو ما لا يحتمل الصدق ولا الكذب، ومثال الأول أي خبر، كقولك: طلعت الشمس، أو حانت الصلاة، فقولك هذا يحتمل الصدق والكذب في ذاته، مهما كانت مكانتك وصدقك، أما الإنشاء، فيشمل الاستفهام والدعاء والأمر والنهي، حيث لا يحتمل أي منها الصدق ولا الكذب، فلا نقول لمن يسألنا: هل حانت الصلاة؟ إنه كاذب، أو لمن يدعو الله تعالى: اللهم أدخلني الجنة؛ كذلك.

ولكن ورد في اللغة والقرآن الكريم جمل ينبغي الوقوف أمامها، كقول الله تعالى عن المسجد الحرام ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ (آل عمران: ٩٧)، فهو خبر عن أمن من يدخلون المسجد الحرام، ونحن نعلم ونؤمن بصدق الله تعالى، ولكن كيف نفسّر ما فعله القرامطة من غزو للمسجد الحرام، وقتل للحجاج، ونهب للحجر الأسود، وما فعله جهيمان العتيبي وأتباعه بالمسجد الحرام من قتل للحجيج في العصر الحديث؟ وهل يمثل هذا طعنا في صحة الآية؟

لا، بالطبع، والإجابة: إن هذه الآية تمثل صنفا ثالثا من الجمل، وهو الجملة خبرية اللفظ إنشائية المعنى، فهي في ظاهرها خبر عن أمن المسجد الحرام، ولكن معناها إنشاء، وهو الأمر للمسلمين بتأمين من يدخل البيت الحرام.



وكذلك قول الله تعالى ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ (النور: ٢٦)، حيث قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء(١).

فهي في ظاهرها خبر عن تزوج الطيبات من الطيبين، والخبيثات من الخبيثين، وأن ذلك قاعدة إلهية، ولكننا نرى في الواقع غير ذلك، حيث تقع الطيبة في إنسان خبيث دون أن تعلم، أو العكس، فالآية في حقيقتها إنشاء نوعه أمر للمؤمنين أن يزوجوا الطيبة للطيب والخبيثة للخبيث حتى يستقيم مسار الحياة.

وكذلك وقع ذلك الاستخدام في الحديث الشريف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها» (صحيح البخاري).

فقوله ﷺ «لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته...» كل هذا من

كاتب مصري

قبيل الإخبار، ولكنه في حقيقته نهي عن هذه الأمور، ويدل على ذلك ما ورد عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس؛ فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة...» (صحيح البخاري).

فلفظ «فلا يحل لامرئ» يبين أن المقصود بالحديث الأول النهي.

وهذا ما كان يفهمه الصحابة رضوان الله عليهم من مثل هذه الألفاظ، ففي الموطأ: وحدثني عن مالك عن إسحق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب، وسلم عليه رجل، فرد عليه السلام، ثم سأل عمر الرجل: كيف أنت؟ فقال: أحمد إليك الله. فقال عمر: ذلك الذي أردت منك.

ومن هنا لو جئنا لقولهم: إن الصلاة على النبي ﷺ بقول «عليه الصلاة والسلام» غير صحيح لأنه مجرد تقرير، وليس دعاء، فنرد أولا: إن لفظ الصلاة الذي يرونه صحيحا، وهو ﷺ عبارة عن جملة فعلية فعلها ماض؛ وهذا أيضا- على رأيهم- تقرير بحدوث الصلاة من الله تعالى عليه، وليس صلاة، فيلزم من هذا عدم صلاحية هذه العبارة أيضا للصلاة على الرسول ﷺ.

وثانيا: إن العبارتين في الحقيقة صحيحتان في الصلاة على النبي لأنهما من قبيل الجمل خبرية اللفظ إنشائية المعنى؛ فظاهرهما خبر، ولكنهما دعاء من المسلم لله بالصلاة على النبي ﷺ.

ومثل هذا يقال في قول: رحمه الله؛ فهي جملة فعلية فعلها ماض، وظاهر معناها الجزم بوقوع الرحمة للميت، ولكنها وكلمة المرحوم التي هي اسم مفعول مشتق من فعل مبني للمجهول، هو: رُحِمَ، أي رُحِمَ من الله تعالى خبريتا اللفظ إنشائيتا المعنى، حيث هما دعاء للميت بالرحمة لا أكثر، وليس بهما جزم بوقوع الرحمة للميت.

ندى الروح

بوخضرة عبدالكريم

سألت القوافي ما الهوى؟ ما مواسِمهْ؟
وهل بين أعطافي خَوافٍ تقاسِمُهْ؟
إذا راح في الدهر الهزار فهأنا
أسائلهُ.. إن السؤال يساومه
على الورد والريحان عن زهرةٍ على
وناةٍ، على دمعٍ على من ينادمه
يعاتبني الطيف الذي قد بدا رؤًى
يقاومني طورًا وطورًا أقاومه
تبلّل بالأشواق نبضي ومبْسمي
كما للحُباب الحب تشقى مآثمه
أنست به فجرًا شربت رحيقهُ
بنور الرسولِ العِطر تحلو نسائمه
أرى العمر يمضي.. والسراب إلى متى
يدوم ويبقى الشوق.. تبقى مكادمه؟
سلاسِل مَيْلي في الفؤاد كأنها
شِعاب غمام هَدّه من يقاتمه
كتمت وللكتمان بَوْحٌ مُغرِّدٌ
يعانقه نَثْوًا.. فإذ هو كاتمه
ألِلشِّعر من دون النبيِّ حلاوةٌ
وللبسمةِ المُلقاةِ صَدْرٌ تباغمه؟
برغم العدا أنشدت قولي مُرتّلاً
من القصد مبنى والمعاني دعائمه

ألا يا سهام الود ثوري تعززي
بقَوْلٍ من الوجدان ثارت عزائمه
شهابُ الرّواح الظفرَ كانت ونابَهُ
وها.. رَغَباً ناجَتْ سَناءً مناسمه
ندى الروح غيثٌ للتهجد نشوةٌ
بطول الليالي الليلُ تشدو مباسمه
بكوب الهدى من حوضهِ أنجمٌ هَوَتْ
ولاحَتْ مَجَرّاتٌ وأفْقٌ يناغمه
سلامٌ لِذاكَ السَّمْق روحي لهُ وفي
بيان قصيدي نَبْضُ قلْبٍ مسالمه
أنا والهوى والكأسُ والرّاحُ كلنا
على دربهِ نحيا وتحيا معالمه
على الآهِ كنت الأمْس أنشِد ليلتي
وليلي من الرُّجْعانِ صارتْ مراسمه
به الأرضُ تعلو للسماء وتنحني
ويسجدُ بدْرٌ و الرّذاذ يُلاثمه
فيا بسمة دَامَتْ وما كنت عارفا
ولولا مآقي الدمع جَفتْ ألازمه
وتشربُ من نُسْغِ الحبيبِ قصيدتي
ويحلو الهوى لمّا تحينُ مَواسِمُهْ

مُساجلات الأقران

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌ وأدبيٌ، وتاريخيٌ توثيقيٌ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجوْدة القريحة، وصفاء النّفْس، وهي رسائلُ ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلّم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقفين للتأمُّل وطول التدبُّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنُّفوس من الخلل والتأثّر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُسَاجَلة: أن يَسْتَقيَ ساقيان فيُخْرجُ كلُّ واحد منهما في سَجْله مثْلَ ما يُخْرجُ الآخر، فأيُّهما نَكل فقد غَلبَ. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخرة، فإذا قيل: فلانٌ يُساجِل فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحرْبُ سجال».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضّعَة، ويُخْملُهُمْ أقْبحَ الخمول، حتى لا يكونوا لأحد مَمّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعة العلْم، وسَعَة الاطّلاع، وجوْدةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

التحرير

بين ابن أبي زيد القيرواني وابن مجاهد البصري
حول التناصح في العلم

د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي ●

هذه نصوصٌ نادرةٌ لعَلَم مُبَارَك من أعلام المالكيّة المتقدّمين، ألا وهو أبومحمّد عبدالله بن أبي زيد القيروانيّ، صاحب «الرّسالة» المشهورة، وهي مراسلتان، كتبَ الأولى جوابًا لرسالة بعثَ بها إليه إمامُ المالكيّة في العراق ومُقدّمُهُمْ؛ أبوعبدالله محمّد بن مجاهد البصريّ، والثّانية لأحد طلاّب العلم كان قد اقتعدَ العزمَ على الحجّ والرّحلة في طلب العلم؛ يُوصيه فيها بأخلص ما يَتَهَدّلُ من دَوْحَة الأبوّة الدّينيّة من توجيه وحنانٍ ونُصح، وأكْرِمْ بالعلماء الرّبّانيّين نَصَحَةً يومَ لا يَعْدَمُ الحُوَارُ من أمّه الظّأْرَ!

وهاتان الرّسالتان- مضافًا إليهما رسالةُ ابن مجاهد- من النّصوص التّراثيّة النّفيسة من حيثُ قيمتها التّاريخيّة والأدبيّة والفقهيّة، كما تعطي صورةً مُقَارِبَةً عن ثقافة ذلك العصر، ومنهج الدّراسات الفقهيّة فيه، وعن العلاقات التي كانت بين علماء الأمصار آنئذ.

دعاني إلى إخراجها الرّغبةُ في مُنَاسَمَة الأنفاس الصّادقة لأئمّة أسلافنا الكبار؛ كي نقفَ على أدب العلم وجلال أخلاقه، ونَسْتَافَ من عبير سيرة أهله نَسَائمَ الهَدْي وكمالات السّلوك.

ولعلّ نفاسةَ هذه الرّسائل وأهمّيّتَهَا هي التي أوحت لناسخ كتاب «الذّبّ عن مذهب مالك لابن أبي زيد» أن يُلْحقَهَا بآخر الجزء الثّاني- وقبل الثّالث- منه، وهو أيضًا ما بعثَ القاضيَ عياضًا على أن ينقل مُقْتَطَفَات من رسالة ابن مجاهد وجواب ابن أبي زيد في ترجمة ابن مجاهد من ترتيب المدارك(١).

ويبدو أنّ تلاميذ الإمام ابن أبي زيد- رحمه الله- كان يَتَعَمّقُهُمْ من جلالة الشّيخ وسلطانه الرّوحيّ عليهم ما ظهرَ أثره في تسجيلهم ما يصدرُ عنه من القول، وإن لم يكن ذلك ممّا يُسَجّلُ ويُلْحَقُ بالتّصانيف في مجرى العادة، إذ رغم أنّ هذه الرّسائلَ لا تعدو أن تكون لَحَقًا في ذيل كتاب «الذّبّ» المذكور؛ إلاّ أنّك تجد في ذيل رسالة الجواب الأولى «خطبة نكاح» لابن أبي زيد؛ قد يكون أحدُ تلاميذه دوّنها حين إلقائها، وبعد نصّ الخطبة سجّلَ النّاسخُ جملةً ممّا أورده الشّيخُ في مجالس الإقراء، أو خصّ به بعض تلاميذه من حكايات لا يخفى أثرها التّربويّ.

أمّا الرّسالة الثّانية، فقد كتبها لطالب علم لم يُسْعفْ طولُ البحث في معرفة اسمه، ويبْعدُ في النّظر أن يكون أحدَ التّلميذين اللّذَيْن ذكرهما في الرّسالة الأولى، وذكرَ أنّهما متوجّهان من مكّة إلى العراق لِلُقْيَا الشّيخين أبي بكر الأبهريّ وابن مجاهد.

وقد نُسِخَتْ هذه الرّسائلُ- مع كتاب الذّبّ- في حياة المؤلّف الذي لم يَنْسَ النّاسخُ أن يدعوَ له في طُرّة الرّسائل، وفي أواخر كلّ جزء من «كتاب الذّبّ عن مذهب مالك» بـ: «أيّده الله» و«وأطال الله بقاءه»، بل في حياة الشّيخ الأبهريّ الذي توفّاه الله بعد أربعة أعوام من نَسْخ كتابَ الذّبّ وهذه الرّسائل.

رسالة الشّيخ محمّد بن أحمد بن مجاهد الطّائيّ البصريّ إلى ابن أبي زيد القيرواني:

للشّيخ الفاضل أبي محمّد عبدالله بن أبي زيد الفقيه المالكيّ القيروانيّ- أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده وسعادته وكفايته ونعمته وحراسته وتوفيقه- من محمّد بن أحمد بن مجاهد الطّائيّ البصريّ(٢)، يوصل القيروان حضرة الشّيخ الفاضل الفقيه ابنَ أبي زيد- أدام الله عزّه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد.

أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الفاضل، وأدامَ عزّهُ وتأييدَهُ وسعادتَهُ وكفايتَهُ وحراستَهُ ومعونتَهُ وتوفيقَهُ وتسديدَهُ، وجمع لنا وله خيرَ الدّنيا

● أكاديمي جزائري

والآخرة- برحمته- عن سلامة وعافية أحمدُ الله عليها؛ وأسألُه أن يُجزِلَ حظَّهُ منها، وصلّى الله على سيّدنا محمّد النّبيّ وآله وسلّم تسليمًا.

وما يتّصل بنا من أخبار الشّيخ الفاضل، وما وَهَبَهُ الله من الفضائل، وخصّهُ به من شرف المنازل، قد أبهَجَنا، وزاد في مُنّتنا، وقَوِيَتْ به أنفسنا، فكثرت رغبتنا إلى الله تعالى في الدّعاء له، ومسألتنا حسنُ الدّفاع عنه، لما هو عليه- أيّده الله- من الإقبال على العلم والاهتمام به والتّوفير على أهله، حتى قد شرحَ من فنون العلم ما كان مُشكلًا، وفتحَ من عيونه ما كان مُطبَقًا، وأنهَجَ من سبيله ما كان وَعرًا، وجمعَ من شواذّه ما كان متفرّقًا، فأحسنَ الله جزاءه، وأطال بقاءه.

ولقد وقع إلينا من تصنيفه- أيّده الله- قطعة من المختصر، وجدناه- أيّده الله- قد أحسن في نظمه، وألطَفَ في جمع معانيه، وكشفَ عمّا كانت النّفوسُ تَتُوقُ إليه، وكفى مُؤونَةَ الرّحلة وطلب المصنّفات بالكلام السّهل والمعاني البيّنة التي تدلُّ على حُسنِ العنايةِ، وكثرة المعرفة، والحرص على منافع الرّاغبين في العلم والمتعلّقين به، فأحسَنَ الله- أيّها الشّيخ- جزاءك، وأجزلَ ثوابك، وأمتعَ بدوام سلامتك.

ثمّ بَلَغَنا أنّه- أيّده الله- قد صنّفَ كتابًا كبيرًا؛ جمع فيه مذهبَ الشّيخ الإمام مالك- رضوان الله عليه ورحمته، واختلافَ الرّوايات واختلافَ أصحابه- رضي الله عنهم، فَدَلّنَا ما شَهِدْنَا من هذه القطعة من المختصر على عِظَم(٣) قدر هذا المبسوط، واشتماله على المحاسن، وجمعه لكلّ متفرّق من المذهب، وشرح كلّ غَلق فيه، فَتَاقَت النّفوسُ إليه، وانصرفتَ الهِمَمُ نحوه، فلولا طولُ المسافة، والعوارضُ التي تقطع كثيرًا من أهل العلم عمّا يُؤْثِرُونَهُ من المبالغة فيه، والقصد إلى الشّيخ المتفرّد في هذا- أيّده الله- لمَا بَعُدَ طريقٌ يُوصِل إليه- أيّده الله، ولَخَفّ كلُّ ثقيل يؤدّي إلى فوائده، ويُنَالُ به العلمُ الذي لا يوجدُ إلّا عنده!

وما يتّصل بنا من فضل الشّيخ- أيّده الله- ورغبته في الثّواب، قد نشّطني إلى تعريفه- أيّده الله- ما بنا من الحاجة إلى هذين الكتابين، وبتَطَلّعي وبتَطَلّعِ مَنْ قِبَلِي من الطّالبين لهما. والشّيخ الفاضل- أطال الله بقاءه- يتفضّلُ في ذلك بما هو أهله، ويَمُنُّ بذلك عليّ؛ فإنّي إليه وجماعةً من قِبَلِي من إخوانه والرّاغبين في مذهب الشّيخ الإمام- رضوان الله عليه- متطلّعين، ﷺفإنْ رَأَى الشّيخ- أيّده الله- أن يتفضّلَ بإنفاذهما بعد عَرْضهمَا بحضرته، وإجازتهما لي ولغيري من أصحابنا ممّن آثَرَ ذلك وأحبّهﷺ، ويتفضّلَ بمكاتبتي بأخباره وأحواله، وما يَعْرِضُ قِبَلَنَا من مهمّاته وحوائجه، وما يَعْرِضُ لأصحابه- حفظهم الله- بالعراق، وليسيدي بذلك- أيّده الله، وعلى مَن بحضرته من إخوانه وأهل العلم السّلام.

وأنا أسأل الشّيخ- أيّده الله- أن يشْرِكَني في دعائه، فما أُغفِلُ ذلك له: أجابَنَا اللهُ وإيّاه، وفتح لنا وله برحمته إنّه قريب مجيب، وهو حسبُنا ونِعْمَ الوكيل، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليما.

وكُتبَتْ هذا الكتاب في السّبت، لتسع خَلَوْنَ من ذي القعدة، سنة ثمان وستّين وثلاثَ مائة، وجعلتُهُ على نسختين استظهارًا في البلاغ، وأرجو أن يَبْلُغَا- إن شاء الله، والحمد لله أوّلًا وآخرًا.

جواب الشيخ أبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيروانيّ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أدام الله للشّيخ الجليل البقاءَ في نِعَم دَارّة، وعينٍ قارّة، وأحوال سارّة؛ مَكْلُوًّا بحرَاسته، محفوظًا برعايته، مُيَسّرًا إلى مَحَابّه وطاعته وعِصْمَته من الزّيغ والفتنة، ووفّرَ حظّهُ مِنَ الصّفح والرّحمة، وأيّده بالتّوفيق في البيان عن دينه وإظهار حجّته ونشر حكمته، وحصّنه- فيما يقول ويعمل- بعصمته، وجعله الله من المتّقين، ومَسَّكه بصالح سلفه المتقدّمين.

كتبتُ أحمدُ اللّهَ إليك على ما بنَا من ظاهر نعمة الله وباطنها في الدّين والدّنيا، وَهَبَنَا اللهُ وإيّاك من شكره ما يرضاهُ علينا شُكرًا، ويكون لنا عنده ذُخْرًا، ولا حولَ لنا ولا قوّةَ في ذلك وفي غيره إلّا به، وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّ الرّحمة وعلى آله وسلّم.

وَرَدَني كتابُ الشّيخ- أَجَلّ اللهُ قَدْرَهُ ورفعَ في الدّارَيْن خطره- بما أبهَجَني من سلامته- أدامها الله له ووَاصَلَهَا عنده، وبما عَظُمَتْ به يَدُ الشّيخ عندي من ابتدائه بالمكاتبة وما بَسَطَ من المواصلة، وما دَلّ عن جميل القَصْد والطّويّة؛ والنّيّة الخالصة المرضيّة؛ نَفَعَهُ الله بذلك ونَفَعَ به، وجَزَاهُ أفضلَ جزاء المتواصلين له يومَ تَقَاطُعِ المتحابّينَ لغيره، والقلوبُ- أيّد اللهُ الشّيخ- أجنادٌ مُتَوَاصِلَة، وجوارحُ مُتَعَارِفَة، وعلى هذا الدّين مُؤتلفة- وإنْ نَأَت الدّيار، وهو يجمع من الأُلْفَة ويُوجِبُ من الحُرْمَة، ما لا يُوجِبُهُ قريبُ النّسَب أو وشائجُ الرّحم، وَصَلَكَ اللهُ ببرّه، وحماكَ من مساخطه.

وعندنا من أخبار الشّيخ الطّيّبة ما تَعُمُّ مسرّته؛ من بصيرته في هذا المذهب، وذَبّه عنه، ومُحَامَاته عليه- حماهُ الله عن كلّ مكروه أوّلًا وأخيرًا برحمته.

وذَكَرَ الشّيخُ- أطَابَ الله أخباره- ما وقع إليه من المختصر الذي عَمِلْنَاهُ، وسهّلنا فيه السّبيلَ، وقرّبْنَا فيه المعنى بمبلغ الطّاقة، ونرجو أن يُسَلّمَنَا اللهُ وإيّاكَ في كلّ قولٍ وعمل.

وذكَرَ الشّيخُ- صَانَهُ الله- ما أعْجَبَهُ من ذلك واسْتَحْسَنَ منه، ومن بَيَانه وتقرير المعنى فيه، فقد أنِسْتُ إلى قول الشّيخ- أيّده الله، ونرجو أن يجعله اللهُ خالصًا لوجهه، وأن يَرْفَعَنَا من حَالِ التّكلّف إلى حال النّصيحة له ولرسوله ولعباده، وهي الدّينُ الذي هو السّببُ المبلّغ إلى رحمته.

ورَغِبَ الشّيخُ- رعاه الله- في إيصَال هذا الكتاب إليه كاملًا، لينتفعَ به الصّادرُ والواردُ، وليُبَثّ في البلاد، وينفعه الله به وينفعنا، فجزى الله الشّيخَ عنّا وعن جميع المسلمين جزاء المتناصحين له وفيه.

وكنتُ على أن أُجيدَ نَسْخَ نُسخة، وأجتهدَ في مقابلتها، وأبعثَها، فلم يتّسع لي الوقتُ إلى ما أردتُ من ذلك، وذكرتُ أنّ شابّين- ممّن يقربُ منّا- توجّها إلى الشّيخ من مكّة للُقْيَاهُ ولُقْيَا أبي بكر- الشّيخ- الأبهريّ(٤)- رعاه الله- فذكرتُ أنّهما حَمَلَا معهما هذا المختصرَ مصحّحًا مقابَلًا؛ مع كلّ واحد منهما نسخة، وهما شابّان ممّن عُنِيَ وفَهِمَ؛ وهما محمّد بن خلدون، وإسماعيل بن إسحق- يُعرفُ بابن عَزْرَة(٥)- فإن انتسخَ من نسخة أحدهما فهو صحيح، ومع ذلك فأنا على ما أردتُ(٦) من تجويد نسخة وأبْعَثُهَا إلى الشّيخ- أيّده الله.

وأمّا الكتابُ الكبيرُ المبسوطُ الذي ذكره الشّيخ- حفظه الله، الذي جمعنا فيه اختلافَ أقاويل الشّيخ الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس- رحمة الله عليه، واختلافَ أصحابه- رحمهم الله- والذين من بعدهم من المالكيّين إلى عصرنا هذا، قد جمعناه من الدّواوين الكبار التي فيها ما ابتغينا من ذلك، فيه مجتمع ومفترق، وجمعناه بالاجتهاد لتعظم الرّغبةُ وتكثرَ

الفائدة.

فهذا الكتابُ- أيّد الله الشّيخ- إنّا فيه نَدْأَبُ! وقد تَخلّصَ من الكتب التي نُسخ فيها المُلْحَقُ والمستدرك، وبقي أن يُنْقَلَ من هذه النّسخة مُهَذّبًا لا إلحاقَ فيه ولا تقديمَ ولا تأخير، وقد تَهَذّبَ من هذه الصّفة نحوُ الثّلاثين جزءًا؛ ولم يُقابَلْ بعدُ، لشُغلي بتمام تخلّصها من النّسخة العويصة، وكتبتُ هذا الكتابَ وما قُوبل منها إلاّ كتابَ الطّهارة والجُزءَ الأوّلَ من الصّلاة، وقد بعثتُ بهما إلى الشّيخ مُقَابَلَيْن؛ ليرى أوّلَ الكتاب وكيف يندرج.

وأنا- إن شاء الله وبه أستعين- إذا كَمَلَ الكتابُ على ما ينبغي، عملتُ على أن يَصلَ إليه منه نسخةٌ- إن شاء الله، والكتابُ المبسوطُ- أيّد الله الشّيخ- أقلُّهُ- إذا تمّ- نحوُ الخمسين جُزءًا إلى خمس وخمسين، المختصرُ من نحو ثلاثمائة، مع ما ضُمّ إليه من الأطراف والفوائد من سائر ما يُسْتَنْدَرُ من الكتب، ولقّبناه: «كتابَ النّوادر والزّيادات على ما في المدوّنة من غيرها من الأمّهات».

وأرجو أن يعين الله على مبلغ الأمل منه، وينفعَ به المسلمين، ويُعينَنَا على ذلك بالتّأييد في الإصابة لما يرضاه من عباده من الاجتهاد وحُسن النّيّة برحمته.

والسّلام على الشّيخ ورحمة الله وبركاته، وعلى من بحضرة الشّيخ من إخوانه وأوليائه، وعلى خاصّة وعامّة الطّالبين عنده- باركَ الله فيهم، ونمّاهم، وكثّرهم، ومن كلّ مَنْ قِبَلَنَا منْ إخواننا ومن بحضرتنا وخاصّتنا ومن يَلُوذُ بنَا، على الشّيخ السّلامُ ورحمة الله وبركاته- من جميعهم- وَصلّى الله على محمّد- نبيّه- وعلى آله وسلّم. وعلى الشّيخ أبي بَكر مَحمّد بن عبدالله بن صالح الأبهريّ.

وما ذَكَرَ الشّيخُ- أيّده الله- من إجازة الكتابين، فَهُمَا له إجازةٌ، ولكلّ من رغبَ في حمله عنّا، فذلك لهم إذا وصلَ إليهم مصحّحًا- إن شاء الله.

وما ذَكَرَ الشّيخُ من الدّعاء، فهذا واجبٌ له، وكذلك نرغبُ إليه فيما رَغِبَ فيه- أجابَ الله لنا وله صالحَ الدّعاء.

وكتبتُ هذا الكتابَ في غُرّة شعبان من سنة تسع وستّين وثلاث مائة.

نصّ رسالة ابن أبي زيد الثّانية التي أرسلها إلى أحد طلاّب العلم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

حفظكَ اللّهُ في ظَعْنكَ ومُقَامك، حفظًا تَصْلُحُ به أحوالُك، وتُزَكّى به أعمالُك، وبَلّغَكَ من الخير صالحَ آمَالك.

عَلمتُ ما تَؤُمُّهُ في مخرجك، من حجّ بيت الله- تبارك اسمه- وزيارة قبر نبيّه- عليه السّلام- والفائدة من علم الدّيانة، من الكُتب من الحديث والفقه ما ترجَو أن يعود عليك نفعُهُ أوّلًا وأخيرًا.

قيّضَ الله لكَ النُّجْحَ والسّعادةَ والرّشادَ والتّوفيقَ فيما تَؤُمُّهُ وتُؤَمّلُهُ وتقوله وتعمله؛ فاستعنْ بتقوى الله ومراقبته؛ فإنّها حصْنٌ منيعٌ من مَكاره الدّارَيْن، وعَوْنٌ مُبلّغٌ إلى كلّ صالحة من خير الدّنيا والآخرة، ورُضْ نفسَكَ على حسن الخُلُق والتّخلّق بمكارم الأخلاق؛ فإنّ ذلك يُحَبّبُكَ إلى الرّفيق والصّاحب، ويرفعك عمّا يَسْفُلُ بالنّاس ويضعُ من أقدارهم.

وعليكَ بالأخذ بالحزم فيما أنتَ بسَبيله من سَفَرك، ولا تتّكلْ فيه على الهُوَيْنَى والصّاحب المُتخلّف، واحْتَرسْ من النّاس بسوء الظّنّ، في رفق وستر ورفع للأذى، ولا تَغْفُلْ عن التّعاهُد لتلاوة القرآن، فإنّه التّذكرةُ الكبرى، والحصْنُ المنيعُ لمن اتّبعه في الآخرة والأولى.

وليكنْ لَجَؤُكَ(٧) إلى الله فيما ترغبُ فيه، ومُعَوّلُكَ عليه، راغبًا، وسائلًا، وراجيًا، وخائفًا، واستعنْ به، والجأْ إليه على ما كان فيك.

وإذا أحسستَ من أحد تقوىً وصحّةً، فاشْدُدْ به يديك، وجاملْ منْ لا تَرْضَى حَالَهُ مجاملةً لا تُشاركُهُ بها في جُرْم، وتجتنب أهل الشّرّ والباطل- ما استطعتَ- في رفق، ولا تُمَار سفيهًا، ولا تُرَاجعْهُ، ولا تُهَازلْهُ!

وعليك بالرّفق ولين الجانب، فربّما كان ذلك أنْفَذَ وأبلغَ من العُنْف في بعض الأمور وبعض المواطن، والغريبُ أَوْلَى النّاس بذلك!

وارغبْ في كلّ بلد تَردُهُ في خُلْطَة خياره وأهل الدّيانة منه، واقْنَعْ بهم وإنْ قَلّوا، وقد تُؤَدّيكَ ضرورةٌ إلى أن تحتاجَ إلى ذي باطل وظلم، فَدَارهُ! واستعن بالله في حاجتك إليه.

ومهما رَغبْتَ في علم تَقْتَبسُهُ وتطلبُهُ وتَرْويه وتستفيدُه، فَمنْ أَوْثَقَ من تَجدُهُ، وأقربهمْ إلى التّمسّك بالسُّنّة، وحُسْنِ الحال.

وإذا قضى الله عنك فريضتَكَ، ورُمْتَ طلبَ العلم، فإنْ عُوفيتَ من دخول العراق فهو أسلمُ لك! وإن دخلتَهُ فاحذرْ- ثم احذرْ- خُلْطَةَ أهل الجدل والكلام، وإن وجدتَ من صالحي رُوَاة الحديث وأهل الفقه فخالطهم دون غيرهم.

وإن كتبتَ الحديثَ؛ فعليكَ بصَحيحه على ما يَدُلُّكَ أهلُه. وكتابُ البخاريّ لكَ فيه كفَاية، وإن كتبتَ أو اشتريتَ مُصنّفًا في الحديث واختلاف السّلف فَمُصَنّفَ ابن أبي شيبةَ، إن كان يوجدُ روايةً، وبعده مُصنّفُ عبدالرّزّاق- إن لم يكن ذلك- وإن استغنيتَ عنه بالاقتصار على مذهب أهل المدينة اكتفيتَ بما لا تجدُ منه عوضًا.

وإن كان لكَ رغبةٌ في الرّدّ على المخالفين من أهل العراق والشّافعيّ، فكتابَ ابن الجَهْم(٨)- إن وجدته-، وإلاّ اكتفيتَ بكتاب الأبهريّ(٩)- إن كسبته- وكتابَ الأحكام لإسماعيل القاضي(١٠)، وإلاّ اكتفيتَ باختصارها لبكر بن العلاء(١١)، والكتابَ الحاوي لأبي الفرج(١٢)- إن كسبته- ففيه فوائد! وإن استغنيتَ عنه لقلّة لَهَجكَ بالحجّة فأنت عنه غنيٌّ بمختصر ابن عبدالحكَم(١٣)، أو كتاب الأبهريّ، وأحسنُ ما كسبتَ في الفقه للمالكيّين كتابُ ابن الموّاز(١٤).

وإن دخلتَ العراقَ فاكتُبْ في مسائل الخلاف ما تجدُ لأهل الوقت من الحجّة والاستدلالات.

وإن رغبتَ في شيء من التّفاسير، فتفسيرٌ لإسماعيل القاضي(١٥)- إن كان يوجد.

وأمّا تفسيرُ محمّد بن جرير(١٦) فبلغني أنّه حسنٌ؛ ولا أدري محلّ الرّجل عند أهل بلده في التّمسّك، وبعضُ النّاس يتّهمه وأنا لا أُحَقّقُ عليه(١٧)، ولإسماعيلَ كتابُ الشّواهد(١٨)، فلو وُجدَ لكان حسنًا.

والمنهومُ في الكُتُب لا يَشْبَعُ! وأسألُ اللهَ أن يحملكَ على أجملِ الطّرق وأسْلَمهَا عاقبةً وعاجلةً، وأقلُّ منْ هذا فيه مَقْنَعٌ لمن وَفّقه الله!

واستعنْ بالله واسْتَخرْهُ، والْجأْ في كُلّ أمر إليه، وارغبْ إليه في السّلامة من مساخطه؛ والعمل بمَحَابّه، والشُّغل بأرضَى الأعمال عنده. واللهُ وَليُّكَ وَناصرُكَ وكافيكَ وراعيكَ، بفضله ودفاعه ورفقه وكفايته.

ولنا عليكَ أن تذكُرَنَا في صالح المشاهد، وعند تلكَ المواطن الحميدة، عندَ النّيّات الخالصة، وأسألُ اللهَ لكَ القبول والتّوفيق برحمته، وصلّى الله على محمّد نبيّه وسلّم تسليمًا.

الهوامش

١- ينظر: ترتيب المدارك: (٦/١٩٧-١٩٨).

٢- هو أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن محمّد بن يعقوب بن مجاهد الطّائيّ، بصريّ سكن بغداد، صاحبَ أبا الحسن الأشعريّ وأخذ عنه وعن أبي زيد المروزيّ، وعنه أخذ أبوبكر الباقلاني وأبوبكر بن عزرة وأبوالقاسم المكّي، من تآليفه: كتاب تهدية المستبصر ومعونة المستنصر، وكتاب في أصول الفقه على مذهب مالك، توفي سنة (٣٧٠هـ)، ترتيب المدارك لعياض: (٦/١٩٦- ١٩٩)، وسير أعلام النّبلاء للذّهبي: (١٦- ٣٠٥)، والدّيباج المُذْهَب: (١/ ٢٥٨).

٣-: شُكلت في الأصل هكذا «عُظم»، ويبدو أنّ ذلك من تصرّف النّاسخ؛ إذ لا يصحّ في هذا الموضع أن تكون «عظم» بضمّ العين وإسكان الظّاء؛ لأنّها في معنى (معظم الشّيء وأكثره)، بل الصّحيح أن تكون بكسر العين وفتح الظّاء؛ لإفادتها معنى كبر الشّيء وفخامته حسًّا أو معنى، وهو المناسب لسياقة العبارة.

٤- هو أبوبكر محمّد بن عبدالله بن محمّد الأبهري، أشهر فقهاء المالكيّة ببغداد في عصره، من تآليفه: كتاب الرّدّ على المزني، وكتاب الأصول، وكتاب إجماع أهل المدينة، وشرح مختصري ابن عبدالحكم، وعنه روى ابن أبي زيد مختصر ابن عبدالحكم إجازة كتب بها إليه، توفي سنة (٣٧٥هـ) . النّوادر والزّيادات لابن أبي زيد: (١/ ١٤)، وتاريخ بغداد للخطيب: (٥/ ٤٦٢، ٤٦٣)، والانتقاء لابن عبدالبرّ: (ص/٥٣).

٥- ذكرهما القاضي عياض في ترتيب المدارك: (٦/ ١٩٨) في ترجمة ابن مجاهد عند كلامه عن هذه المراسلة، إلاّ أنّ في أحد نسخ «التّرتيب» محمّد بن خالد، بدل: محمّد بن خلدون.

٦- ضَبْطُهَا بالضّم للفاعل المتكلّم أولى؛ لأنّه جرى على أن يخاطب ابنَ مجاهد بضمير الغيبة وما يقتضي التعظيم والتّوقير.

٧- رُسِمَتْ في الأصل هكذا: «لجاك»؛ بناءً على مذهب من يُبقي الهمزة المتطرّفة تقديرًا على الألف مطلقًا؛ مصيرًا إلى أنّ اللّفظ إذا انفرد وأُريدَ الوقوف عليه، تُبدل الهمزة ألفًا، وأصحّ منه مذهب من يعتبر حركة الهمزة نفسها لتوسّطها العارض، والغريب أنّ هذا هو مذهب المتقدّمين الذين نسخ هذا الكتاب في عهدهم. ينظر: «المطالع النّصريّة» للشّيخ نصر الهوريني: (ص١١١-١١٢)، وأدب الكاتب لابن قتيبة: (ص ٢١٠).

٨- ظاهر كلامه أنّه يشير إلى كتاب «الحجّة لمذهب مالك»، ولابن الجهم كتاب آخر هو: «كتاب مسائل الخلاف» احتجّ فيه كثيرًا لمذهب مالك وردّ على مخالفيه، وهو منهجه في تآليفه كما ذكر الخطيب في تاريخه.

وابن الجهم هو: أبوبكر محمّد بن أحمد بن محمّد بن الجهم، يعرف بابن الورّاق المروزي؛ من فقهاء المالكيّة الكبار ومحدّثيهم ببغداد، ومن تآليفه: بيان السّنّة، والرّدّ على محمّد بن الحسن، وغيرهما، توفي سنة (٣٢٩هـ) وقيل (٣٣٣هـ)، ترتيب المدارك لعياض: (٥/ ١٩-٢٠)، وتاريخ بغداد للخطيب: (١/ ٢٨٧هـ).

٩- لعلّه يقصد «كتابَ الرّدّ على المزنيّ».

١٠- وهو «كتاب أحكام القرآن».

والقاضي هو: إسماعيل بن إسحق بن إسماعيل بن حمّاد الجهضمي الأزدي؛ ولد سنة (٢٠٠هـ) بالبصرة، وبها كانت نشأته، ثم استوطن بغداد، وتفقّه به أكثر فقهاء المالكية ببغداد في عصره، من تآليفه: الرّدّ على الشّافعيّ في مسألة الخمس، وكتاب المبسوط في الفقه، وكتاب الأموال والمغازي، توفي سنة (٢٨٢هـ). ترتيب المدارك: (٤/ ٢٧٨-٢٩٣)، والدّيباج المُذْهَب: (١/ ٩٣-٩٥).

١١- واسمه: «كتاب الأحكام المختصر من كتاب إسماعيل بن إسحق».

وابن العلاء هو: أبوالفضل بكر بن العلاء بن محمّد بن زياد بن الوليد القشيري، أصله من البصرة، وانتقل إلى مصر فأدرك فيها رياسة عظيمة، وهو من كبار فقهاء المالكيّة رواية للحديث، من تآليفه: كتاب الرّدّ على المزني، ومآخذ الأصول، توفي بمصر سنة (٣٤٤هـ)، ترتيب المدارك: (٥/ ٢٧٠-٢٧٢) والدّيباج المُذْهَب: (١/ ١٠٠-١٠١).

١٢- هو أبوالفرج عمر بن محمّد بن عمرو اللّيثيّ البغداديّ، نشأ ببغداد، وأصله من البصرة؛ وكان فصيحًا لغويًا فقيهًا متقدّمًا، وهو من أصحاب إسماعيل القاضي، من تآليفه: اللّمع في أصول الفقه، وكتاب الحاوي المذكور، توفي سنة (٣٣٠هـ) وقيل (٣٣١هـ)، ترتيب المدارك: (٥/ ٢٢-٢٣)، والدّيباج المُذْهَب: (١/ ٢١٦).

١٣- وهو كتاب «المختصر الصّغير».

وابن عبدالحكم هو: أبومحمّد عبدالله بن عبدالحكم بن أَعْيَنَ المصريّ؛ كان من المتحقّقين بمذهب مالك، وإليه أفضت الرّياسة بمصر، روى عن الإمام مالك، كما روى عن كبار أصحابه- كابن القاسم وابن وهب وأشهب- ما سمعوه منه، وصنّف كتابًا اختصر فيه تلك الأسمعة بألفاظ مقرّبة، ثم اختصر من ذلك كتابه المختصر الصّغير، وعليهما كان المعوّل في المدارسة عند مالكيّة بغداد، وكان صديقًا للشّافعيّ، وعليه نزل بمصر، توفي سنة (٢١٤هـ)، ترتيب المدارك: (٢/ ٥٢٣-٥٢٨)، والانتقاء لابن عبدالبرّ: (ص٥٢-٥٣).

١٤- المشهور «بكتاب الموّازية»، وهو أجلّ كتاب ألّفه قدماء المالكيّة، وأصحّه مسائل، وأبسطه كلامًا وأوعبه.

وابن الموّاز هو: أبوعبدالله محمّد بن إبراهيم بن زياد بن الموّاز الإسكندراني، ولد سنة (١٨٠هـ)، من تآليفه: كتاب الوقوف، توفي سنة (٢٦٩هـ) وقيل (٢٨١هـ)، ترتيب المدارك: (٤/ ١٦٧-١٧٠)، والدّيباج المُذْهَب: (١/ ٢٣٢-٢٣٤).

١٥- واسمه «كتاب معاني القرآن وإعرابه» أخذه من كتاب المعاني للقاسم بن سلاّم؛ وزاد فيه زيادات؛ وهو كتابٌ أقرب إلى صناعة أهل اللّغة منه إلى صناعة المفسّرين.

هذا؛ وفي النّفس أنّه يقصد: «كتاب أحكام القرآن» الذي سبق ذكره، ويكون المقصود بكتاب الأحكام الوارد في كلام ابن أبي زيد هو «كتاب المبسوط في الفقه»، ويتأيّد هذا التّقدير بعبارة القاضي عياض التي تفيد أنّ كتاب «معاني القرآن وإعرابه» صغير؛ فقد ذكر أنّه خمسة وعشرون جزءًا- والجزء ههنا بمصطلح الأقدمين- أي لا يتجاوز المجلّدين في أكثر تقدير، أمّا «كتاب أحكام القرآن» فقد قال عنه ابن النّديم: «كبيرا». وانظر: ترتيب المدارك: (٤/ ٢٩٢)، والفهرست لابن النّديم: (ص٢٥٢).

١٦- وهو المسمّى «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» مطبوع.

١٧- انظر في ذلك: سير أعلام النّبلاء للذّهبي (١٤/ ٢٧٣).

١٨- : اسمه «شواهد الموطّأ» ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك: (٤/ ٢٩٢) أنّه في عشرة مجلّدات.

مدينة «نَسَا»

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرّفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحد من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د. محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

مدينة «نَسَا» من مدن خراسان، وتقعُ بآخر خراسان- من جهتها الشماليّة الغربية- بسفح الجبل، على الثغر، مما يلي خُوارزم (١)، بينها وبين «سَرَخس» يومان، وبينها وبين «مرو» خمسة أيام، وبينها وبين «أبيورد» يوم، وبينها وبين «نيسابور» ستة أو سبعة أيام (٢).

قال المقدسي البشاري (ت نحو ٣٨٠هـ): «نسا بلدٌ رحبٌ، نزيه طيب، غزيرُ المياه، كثير الخيرات، مشتبك الأشجار، حسن الثمار، جامعٌ ظريف، وخبزٌ نظيف، وسوقٌ رصيف، له خصائص وظرائف، المذهب واحد، والرخص دائم، مع فقه وأدب وأصل وحسب وبأس ومنعة، قَلَّ دارٌ إلا وبها بستانٌ وماءٌ جار، وقرى كبار...» (٣).

قال ابنُ حوقل (ت بعد ٣٨٠هـ): «ونَسا مدينةٌ خصبةٌ، كثيرةُ المياه والبساتين، وهي في الكبر نحو «سرخس»، ومياهُهم جاريةٌ في دورهم وسككهم، وهي نزهةٌ، ولها رساتيق واسعةٌ خصبة، وهي في أضعاف جبال» (٤)، أي: تقعُ المدينةُ ضمن سلسلة جبال، وهي جبال «كوبت داغ».

وهي مدينةٌ طيبةٌ، كثيرة الأنهار، يُقال: إنّ بها اثني عشر ألف عين ماء تخرجُ من أصل الجبل، إلا أنها وبئة، ويكثر بها العرقُ المديني (٥)، حتى إنه في الصيف قلَّ مَن ينجو منه (٦).

وقد بناها فيروز بن يزدجرد، أحد الأكاسرة، وكان يُقال لها «شَهْرفيروز»، وذكر القزوينيُّ أنّ بها رباطًا عظيمًا بناه رئيسُها عمادُالدين حمزة النسوي، وأنه ليس في شيء من البلاد مثله في عظم العمارة وكثرة الخير(٧).

هذا على وصف البُلدانيين القُدامى، فمن الواضح أنّ المدينة كانت من أكبر المدن، وهي في الكبر مثل مدينة «سرخس»، إلا أنّ الأمر اختلف بعد ذلك، فقد أشارَ القزوينيُّ (ت٦٨٢هـ) إلى أنّ هذه المدينة كانت ضمن المدن التي خرّبها التتار، حيث قال بعد وصف المدينة: «وكان الأمرُ على ذلك إلى ورود التتر، والآن سألتُ بعضَ فقهاء خراسان عنها فذكرَ أنه بقي منها بقيّة» (٨).

أمّا الآن: فلا وجودَ لمدينة «نَسَا»، وتقع أطلالُها إلى الغربِ من «عشقَ آباد» عاصمة «تركمانستان»، على بُعدِ خمسة أميالٍ منها(٩).

وهذه المنطقةُ التي تقعُ فيها مُدُنُ: «نسا» و«عشق آباد» واقعةٌ في الوادي العريض الذي يقع بين جبال «كوبت داغ» وصحراء «قراقوم»، ويُسَمّى هذا الوادي- الآن- بـ«دَرّة كَز» (١٠).

والنصفُ الشماليُّ من سلسلة جبالِ «كوبت داغ» تُشَكِّلُ الحدودَ الطبيعيّةَ بين إيرانَ وتركمانستان.

وتقع مدينةُ «نسا» - حسب ما سبق من الوصف- على سفوح هذا الجبل من جهةِ الشرق، في النصفِ الشماليّ منه، في جنوب تُرْكُمانِسْتَانْ.

وذَكر «كي لسترنج» أنه «لعل مدينة نسا تطابق محمد آباد الحديثة، أكبر مدن «دَره كز» (١١).

والنِّسبةُ إلى هذه المدينة: «النَّسائيُّ»، و«النَّسَوِيُّ»، والأصحُّ والأشهَرُ هو الأول، بل حكى السمعانيُّ عن الأديب أبي المظفّر محمد بن أحمد الأبِيْوَرْدي أنه هو الصحيح (١٢).

أمّا سببُ تسمية هذه البلدة بهذا الاسم، فقد قال السمعاني: «وسمعتُ أنّ هذه البلدة إنما سُمّيَت بهذا الاسم في ابتداء الإسلام؛ لأنّ المسلمين لَمّا أرادوا فتحَها كان رجالُها غُيّبًا عنها، فحارَبَت النّساءُ الغزاةَ، فلما عرفت العربُ ذلك كفُّوا عن الحرب؛ لأنّ النساءَ لا يُحارَبْن، وقالوا: وضعنا هذه القريةَ في النّساء، يعني التأخير، حتى يعودَ وقتُ عَود رجالهن»، ثم قال: «إنما سُمّيَت «نَسَا» لأن النساءَ كانت تُحاربُ دون الرّجال، والله أعلم» (١٣).

هذا وقد خرجَ من هذه المدينة أعلامٌ كثيرون في الحديث والفقه وغيره، وأشهرُهم على الإطلاق هو الإمامُ أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سفيان بن بَحر بن دِينار النّسائيّ.

وُلِدَ- رحمه الله- في مدينة «نَسَا» عام

خمسَ عشرة ومائتَين، ونشأ في بلده «نَسَا» نشأةً علميةً، وطلبَ العلمَ في صِغَرِه، وتلقَّى أصولَ العلوم على مشايخ بلده، ولما شبَّ عن الطَّوْقِ وبلغَ مبلغَ الشباب، بدأ الرحلةَ في طلب الحديث ولَمّا يتجاوز الخامسةَ عشرة من عمره، وهذا يدلُّ على نضوجه وبلوغه مبلغَ مَن تأهَّلَ للرحلات إلى خارجِ بلده، كما يدلُّ على أنه كان قد حصَّلَ قبل ذلك ما يُعدُّ ضروريًا لطلّاب العلم قبل البدء بالرحلة، كحفظ القرآن الكريم، ودراسة أوّليات علوم الآلة، وغيرها.

أثنى على الإمام النسائيّ كثيرون، ومن أقوالهم فيه: قال تلميذُه الحافظ أبوعلي النّيسابوريّ (ت٣٤٩هـ): «أخبرنا الإمام في الحديث بلا مدافعة أبوعبدالرحمن النّسائيّ». وقال: «وكان من أئمة المسلمين».

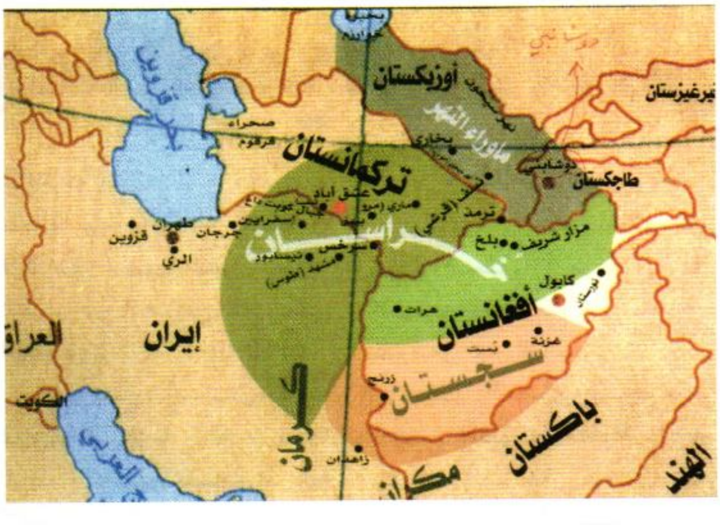
وقال الإمامُ الدارقطني (ت٣٨٥هـ): «أبوعبدالرحمن مقدَّمٌ على كلِّ مَن يُذكَر بهذا العلم من أهل عصرِه».

وقال الحافظُ ابنُ نقطة (ت٦٢٩هـ): «صاحبُ كتاب «السنن»، حدّثَ عن خلق كثير، وطافَ البلاد: العراقَ، والحجازَ، والشامَ، ومصرَ، وكان إمامًا من أئمة المسلمين».

وقال الإمامُ الذهبيُّ: «ولم يكن أحد في رأس الثلثمائة أحفظَ من النّسائيّ، هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن أبي عيسى، وهو جارٍ في مضمار البخاري، وأبي زرعة».

وقال سبطُ ابن العجمي (ت٨٤١هـ): «صاحبُ «السنن»، وأحدُ الأئمة المبرزين، والحفّاظ الأعلام، طوّفَ وسمعَ بخراسان، والعراق، والحجاز، ومصر، والشام، والجزيرة، من خلق كثير، مشهورُ الترجمة، وأثنى العلماءُ عليه كثيرًا، ووثّقوه، وهو فوق الثقة».

ألّفَ الإمامُ النسائيُّ كثيرًا من الكتب في مختلف فنون الحديث، وأشهرُ هذه الكتب وأعظمُها كتابُه «السنن الكبرى»، و«السنن الصغرى»، وأشهرُها «الصغرى»، وهو أحدُ الكتب الستة المشهورة، وقد أطبقَ الأئمة والعلماء على الثناء على هذا الكتاب، ومن ذلك ما قاله السخاوي أنه: «من التصانيف الجليلة المشتملة على التّصاريف النبيلة، المدرج



في كتب الإسلام ونخب الدواوين العظام، الكتاب الحسن الواضح الجلي، الملقّب بالسنن للنسائي؛ فإنه بفُنونه زاحمَ إمامَ الصّنعة أبا عبدالله البخاريّ في تدقيق الاستنباط...».

وقال أيضًا: «ولَعَمري فكتابُه بديعٌ لِمَن تدبّرَه، وتفهّمَ موضوعَه وكرّرَه، وكَم جواهرَ اشتملَ عليها، وأزاهِرَ انتعشَت الأرواحُ بالدخولِ إليها».

كان الإمامُ النسائيُّ مع ما كان عليه من السعة في المال معروفًا بزهده وورَعه، وانقباضه عن الدنيا، والإقبال على الله تعالى، فكان يَصومُ صوم داود- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- فيصومُ يومًا ويُفطرُ يومًا.

وقد رحلَ الإمامُ النسائيُّ إلى كثير من البلاد الإسلامية في طلب الحديث، وهو من أشهر الرحالين فيه، وبعد تطواف عريض استوطنَ مصر بدل مدينته «نسا»، ولكنه خرجَ من مصر قبل موته بثلاثة أشهر ونصف.

وقد اختلفوا في سبب خروجِه من مصر، كما اختلفوا في جهة وروده، فذكرَ بعضُهم أنه خرج من مصر لأنه لما بلغَ ما بلغَ من العلم والمكانة حسدَه الناسُ، فخرجَ منها إلى الرملة، وكانت المحنةُ فيها، ثم نقل إلى مكة وتوفي فيها.

بينما ذكرَ آخرون أنه خرجَ حاجًا، ولم يذكر الحسد، وذكر أنّ المحنةَ كانت بدمشق، وأنه أخرجَ منها إلى مكة، وتوفي بها.

أمّا الراجحُ في سبب خروجه، فلا يُستَبعَدُ اجتماعُ الأمرين- الحسدُ وإرادةُ الحج- فلا يُستَبعَد أن يُحسَدَ الإمامُ النسائيُّ على ما بلغَ إليه من المنزلة العالية في العلم، وأن يكون الإمامُ قد خرجَ منها متضايقًا، والله تعالى أعلم.

أما جهةُ وروده، فأكثرُ المصادر على أنّ المحنةَ كانت في الرملة، وليس في دمشق، وذكرَ الإمامُ الذهبيُّ وغيرُه أنّ المحنةَ كانت بدمشق- في جامعها- ثم أخرج من المسجد، وحُملَ إلى الرملة، وهذا هو الذي تسكن إليه النفس، والله تعالى أعلم.

وقد توفي الإمامُ النسائيُّ سنة ثلاث وثلاثمائة، وذلك بسبب المحنة التي تعرض لها، وتوفي في الرملة.

والإمامُ النسائيُّ آخرُ الأئمة الستة وفاة، بل هم في مرتبةِ شيوخه، كما ذكرَه السخاويُّ، وكان من المعَمّرين، حيث عاشَ ثمان وثمانين سنة، رحمه الله تعالى، وأسكنَه فسيحَ جناتِه.

الهوامش

(١) «توضيح المشتبه» لابن ناصرالدين (١٧/٥، ٧٠/٩)، «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» للحافظ ابن حجر (١٤٣٧/٤).

(٢) «معجم البلدان» (٣٨٥/٤).

(٣) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للبشاري (ص٣٢٠). ذكرَ البشاريُّ بعد كلامه السابق بعض مساوئ هذه المدينة، حيث قال: «إلا أنّ بها كلّ عيّار، قد أخربها (كذا) العصبية، وحوى ضياعها الخوارزمية، قد زادوا في القرآن، ورجّعوا في الأذان، وخالفوا الإسلام». وهذا الذي ذكره المقدسي لا يعدو أن يكون سببه شيء من العصبية التي رماهم بها، وقد ذكر البشاريُّ نفسُه أنّ أكثر الخراسانيين على مذهب الإمام أبي حنيفة، سوى بعض المدن، وذكر منها «نسا» (انظر: أحسن التقاسيم ص ٣٢٣)، وهو نفسه حنفي المذهب، فقد يكون ما ذكرَه عن أهل نسا راجعًا إلى ما قد يكون بين أهل المذاهب، والله أعلم.

(٤) (صورة الأرض) لابن حوقل (ص ٤٤٥).

(٥) ذكرَ د.محمد علي البار أنه نوعٌ من الديدان كان يكثر في المدينة، ولذا نُسب إليها، ويُعرف علميا باسم «دراكانكولا ميدنيس»، كما يُعرف أيضًا بدودة غينيا، وهو يكثر في المناطق التي تعتمدُ في شربها على مياه الآبار.

(٦) انظر: «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص ٤٦٥)، «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» للحافظ ابن حجر (١٤٣٧/٤).

(٧) «آثار البلاد وأخبار العباد» (ص ٤٦٥).

(٨) «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص/٤٦٦).

(٩) انظر: «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» للدكتور محمد علي البار. (٥٩٣/٢)، «خراسان» لمحمود شاكر (ص ٤٧).

(١٠) «بلدان الخلافة الشرقية» (ص ٤٣٥).

(١١) «بلدان الخلافة الشرقية» (ص ٤٣٦)، هامش (٢٠).

(١٢) «الأنساب» (٤٨٣/٥).

(١٣) «الأنساب» للسمعاني (٤٨٣/٥).

مسجد قرطبة الجامع في الأندلس (إسبانيا)



تركي محمد نصر *

قرطبة «جوهرة العالم» مدينة أندلسية تقع في غرب إسبانيا، وتمتد على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير، كانت مركزًا للحضارة الإسلامية في أوروبا قرابة خمسة قرون، وتاريخها شاهد على ما بلغه عز الإسلام في الأندلس.

ويعد مسجدها الجامع قمة من قمم الفن المعماري العالمي، وأروع الآثار الإسلامية الباقية على الإطلاق.

دخل الإسلام قرطبة عام ٩١هـ، عن طريق جيوش المسلمين التي فتحت الأندلس، وكان فتح قرطبة ميسورًا؛ حيث أرسل طارق بن زياد القائد مغيث الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس، فأقبلوا نحو المدينة ليلًا، ونجحوا في دخول أسوار المدينة وفتح أبوابها لجيوش المسلمين، ففتحت قرطبة، وكان السمح بن مالك الخولاني هو الذي عمرها ورفعها إلى مصافّ الحواضر الكبرى، وأصبحت هذه المدينة حاضرة الأندلس الإسلامية.

بلغت قرطبة أوج عظمتها وتألقها، بعد أن أعلنها القائد عبدالرحمن بن معاوية (ت ١٧٢هـ) الملقب بـ«الداخل» عاصمة له، ومركزًا للعلم والثقافة والفنون والآداب في أوروبا كلها، حتى أطلق عليها الأوروبيون «جوهرة العالم»، ومسجدها الجامع هو قلب الجوهرة.

بناؤه ومساحته

اهتم الأمويون بتعمير الأندلس عمومًا، وقرطبة- عاصمة ملكهم التي بلغ عدد سكانها مليون نسمة- خصوصًا، فأقاموا مبانيها على الطراز العمراني العربي الأندلسي الدمشقي.

ويرجع تأسيس جامع قرطبة إلى سنة ٩٢هـ، عندما شاطر المسلمون نصارى قرطبة كنيستهم العظمى، فبنوا في شطرهم مسجدًا، وبقي الشطر الآخر للروم، وحينما ازدحمت المدينة بالمسلمين وجيوشهم في عهد «الداخل» قام بشراء شطر الكنيسة العائد للروم، مقابل أن يُعيد بناء ما تمّ هدمه من كنائسهم وقت الفتح، وبدأ بناء الجامع على الشطر الرومي، على شكله الحالي سنة ١٧٠هـ، و كان يُسمى قديمًا بـ «جامع الحضرة»، أي «جامع الخليفة».

ويعد التابعي الجليل حنش بن عبدالله بن عمرو الصنعاني (ت ١٠٠هـ)، فاتح جزيرة بني شريك وباني المسجد الأبيض في سرقسطة، أول من حدد قبلة المسجد وهندس مخططه مع غيره من كبار التابعين.

بدأ «الداخل» بتميم بناء الجامع، وأنفق عليه أموالًا طائلة بلغت ٨٠ ألف دينار، غير ما دفعه للنصارى مقابل كنيستهم.

واستغرق بناء الجامع أكثر من قرنين ونصف من الزمان حتى وصل إلى أوج كماله، وانتهت مرحلة بنائه السادسة سنة ٣٧٧هـ في أيام «المنصور».

ظل الجامع على شكله الأول حتى وفاة الداخل سنة ١٧٢هـ، حيث كانت مساحته آنذاك ٤٨٧٥ مترًا مربعًا، ويتألف من بيت للصلاة بمساحة ٦٥×٧٥ مترًا، مقسم إلى ١١ رواقًا، بواسطة ١٠ صفوف من الأقواس، يضم كل منها ١٢ قوسا، ترتكز على أعمدة رخامية، وتمتد عموديا على الجدار الخلفي، وفوقها ١١ سقفًا جمالونيا متوازيا، بينها أقنية عميقة مبطنة بالرصاص، وينفتح الحرم على الصحن بواسطة ١١ قوسا حدويًا، فيما تبلغ مساحة الصحن ٧٤×٦٠.

أمر الداخل بزراعة صحن الجامع بالأشجار المثمرة، وقد أوصل الماء إليها عبر قناة مدها من سفح جبل العروس قرب قرطبة، كما أنشأ عددًا من



* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

المقاصير، منها مقصورة دار الصدقة غربي الجامع، وقد جعلها مركزًا لتوزيع الصدقات، ومقصورة أخرى أمام الباب الغربي، كان الفقراء يتخذونها مسكنًا لهم.

وعندما خلفه ولده هشام، الذي كان من المبرزين في علم الحديث والفقه، قام بأعمال الزيادة في الجامع واهتم ببنائه ورفع منارته حيث بلغ ارتفاعها ٤٠ ذراعًا، وهو أول من بنى سقائف لصلاة النساء.

تابع الخليفة عبدالرحمن الأوسط أعمال البناء، فزاد فيه زيادتين في عام ٢٣٤هـ، حيث بلغت مساحته آنذاك ١٣٠×٧٥، وأبدع في صناعة محراب الجامع حتى صار آية في الدقة والروعة، وأجمع المؤرخون على أنه أجمل محاريب الدنيا.

وبعد وفاته- رحمه الله- أكمل ابنه محمد توسعة الجامع وزخرفته.

وفي سنة ٣٤٠هـ، أمر المستنصر بالله بهدم منارته القديمة، وبناء منارة جديدة بديعة الصنع بدلًا منها، وهي المنارة الأعظم في قرطبة، كما أمر ببناء منبر بديع ونفيس استغرق الصناع في تجهيزه سبع سنين، وأمر- رحمه الله- بعمل الظلة على صحن الجامع وقاية للناس من حر الشمس، كما أقام رصيفًا على امتداد الجامع، ليكون متنزهًا لأهالي قرطبة، تم تجديده سنة ٣٥٥هـ.

يقول المؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ): «إن المستنصر زين الجامع بالفسيفساء المجتلبة من ملك القسطنطينية مع الصناع المحكمين لذلك، محاكيًا بفعله ما فعله الوليد بن عبدالملك بمسجد دمشق».

وقد بلغت الزيادات المستنصرية ثلث المساحة الإجمالية للجامع، واستمرت قرابة أربع سنين، (من عام ٣٥١هـ- ٣٥٥هـ).

وختم المنصور بن أبي عامر سنة ٣٧٧هـ أعمال الزيادة، حيث أولاه عناية خاصة، حتى بات الجامع يُعرَف باسمه، حيث زاد في الجامع على طوله حتى بلغت مساحته بعد هذه التوسعة ٢٢٥٠٠ متر مربع.

التاريخ العلمي للجامع

كانت قرطبة أول المراكز العلمية في الغرب، وقد قصدها طلاب العلم من بلاد شتى، واحتل مسجدها الجامع مكانة علمية مرموقة منذ بداية نشأته حتى صار جامعة لكل العلوم، فقام الأمير الداخل بدعوة العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء إليه.

وتابع أمراء الأندلس انطلاقة الجامع الثقافية التي بدأها سلفهم، حتى وصل إلى أوج تألقه الحضاري والثقافي في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (ت ٣٢٧هـ)، حيث نافست قرطبةُ به آنذاك بغداد عاصمة العباسيين، حتى قال شاعرهم:

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها
ولا تعظّم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قطر مثل قرطبة
وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

ووصلت نسبة التعليم فيها إلى ١٠٠٪، في حين كانت أوروبا ما تزال في أعماق بحر من التأخر والجهل والانحطاط.

مئذنة الجامع لا تزال شامخة وكأنها تقول «سيرجع إليّ المسلمون يومًا ما»

خلف الناصر ابنه الحكم المستنصر (ت ٣٦٦هـ)، وامتاز عصره بازدهار العلوم والآداب بصورة كبيرة، فقد كان أكثر خلفاء بني أمية حبًا للكتب، حيث بلغ شغف اقتناء الكتب أشده في هذا العصر، وكان- رحمه الله- يبعث رجالًا بأموال طائلة لاستجلاب نفائس الكتب إلى الأندلس، وأنشأ المكتبة الأموية في قرطبة، والتي وصلت محتوياتها إلى أربعمائة ألف مجلد، وحَوَت أنفسَ المخطوطات.

وقد شهد التعليم في عهد الحكم نهضة عظيمة، فانتشرت بين أفراد الشعب معرفة القراءة والكتابة، بينما كان لا يعرفها إلا أرفع الناس في أوروبا.

وقد بَنَى الحكم مدارس لتعليم الفقراء مجانًا، وأسس «جامعة قرطبة» أشهر جامعات العالم، وكان مركزها هو المسجد الجامع، وتُدرّس في حلقاتها جميع الفنون، وتم تحديد مرتبات للشيوخ ليتفرغوا للتدريس والتأليف، حتى وصل الأمر بنفر من الأساتذة إلى ما يشبه منصب الأستاذية اليوم في مجالات علوم القرآن والحديث والنحو، كما خُصصت مكافآت للطلاب.

يقول العالم الإسباني الكبير فندث بيدال: «وصلت الخلافة الأندلسية في ذلك العصر إلى أوج روعتها وبسطت سيادتها السلمية على سائر إسبانيا وكفلت بذلك السكينة العامة، الأمر الذي حمل ملوك أوروبا على إرسال البعوث العلمية إليها لينهلوا من علومها ومعارفها»، وهذا جزء من رسالة أرسلها ملك انجلترا جورج الثاني، إلى الأمير هشام الثالث يقول فيها: «... نفيدكم بأننا سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم، لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ...».

و قد خرّجَ لنا «جامع قرطبة» كوكبة من العلماء في جميع المجالات (العلوم الإسلامية، الطب بفروعه، الصيدلة، الهندسة بفروعها، الفلك، الرياضيات، والعلوم العسكرية)، ومن هؤلاء العلماء:

١- يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤هـ)، صاحب الرواية، حيث سمع الموطأ من مالك في أواخر حياته- رحمه الله- وقد كتب الله لروايته القبول، قال فيه الحميدي (ت: ٤٨٨) «إليه انتهت الرياسة بالفقه بالأندلس، وبه انتشر مذهبُ مالك هناك».

٢- أبوالقاسم عباس بن فرناس، المخترع الأندلسي الشاعر، (ت ٢٧٣هـ)، وهو كيميائي، وفيزيائي، وفلكي، وطبيب، وهو أول من اخترع دبابة عسكرية في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وعُرِف بـ«أول طيار في التاريخ».

٣- بقي بن مخلد بن يزيد (ت ٢٧٦هـ)، عالم الحديث والرواية في الأندلس، وعميد فقهاء الأندلس في عصره، صاحب كتاب «تفسير القرآن»، قال فيه ابن حزم «إن تفسيره للقرآن لم يُؤلّف في الإسلام مثله».

٤- المؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت ٣٤٤هـ)،

من أعلام المؤرخين الذين وضعوا أسس الرواية في الأندلس، له كتاب «الاستيعاب في أنساب أهل الأندلس».

٥- الطبيب الجرّاح خلف بن عباس أبوالقاسم الزهراوي (ت ٤٠٠هـ)، قال عنه ابن أبي أصيبعة الزهراوي «كان طبيبًا خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وتكلم في كتابه هذا عن «جراحة الأوعية الدموية، والأنف والأذن والحنجرة، واللثة والأسنان، والأورام، والمسالك البولية والختان، والبطن والأمعاء، وتحدث عن طريقة إخراج السهام من الجسم، وغيرها»، ويذكر أن أول إجازة في الطب البشري صدرت من جامع قرطبة.

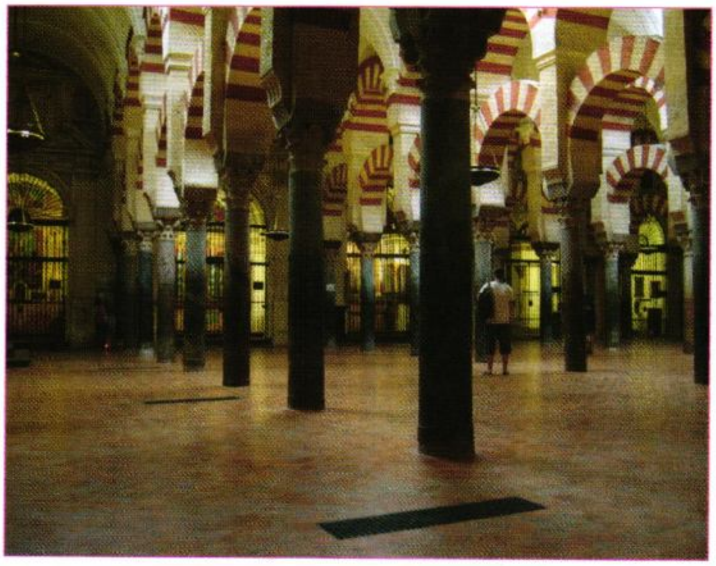
٦- الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، المعروف بـ «ابن حزم الظاهري»، (ت ٤٥٠هـ)، الحافظ الفقيه، صاحب «المحلى» الذي قال فيه العز بن عبدالسلام «ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلى» لابن حزم...».

٧- أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ) شيخ الإسلام، صاحب كتاب «الاستذكار»، قال فيه ابن حزم «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه؟».

٨- «الشريف الإدريسي محمد بن محمد ابن عبدالرحمن بن إدريس (ت ٥٥٩هـ)، أحد كبار الجغرافيين في التاريخ، كما أنه كتب في التاريخ والأدب والشعر والنبات، ودرس الفلسفة والطب والنجوم.

٩- الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بالحفيد، من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها، (ت ٥٩٥هـ)، قال ابن فرحون «وهو الذي لم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلمًا وفضلاً»، وله تآليف جليلة تنيف على الستين تأليفًا، منها كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

١٠- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبوعبدالله الأنصاري، الخزرجي الأندلسي المالكي (ت ٦٧١هـ) صاحب كتاب «الجامع لأحكام القرآن»، قال فيه الحافظ الذهبي «إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على سعة اطلاعه ووُفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه...».



هذا ولا يتسع المقام لذكر العلماء والأدباء والفلاسفة والمفكرين الذين درسوا وتخرجوا من المسجد، حيث كوّنوا مع بقية علماء الأندلس جامعة ضخمة شاملة لكل الفنون، والجدير بالذكر أن هذه الجامعة التي اتخذت من جامع قرطبة مقرًا لها هي النموذج الذي أقام الغربيون على أساسه جامعاتهم كجامعة «أكسفورد»، و«كابرج»، و«بادو»، و«باريس».

وظلت قرطبة تنعم بهذا التفوق على سائر مدن إسبانيا زمنًا إلى أن سقطت الخلافة الأموية عام ٤٠٤هـ- ١٠١٣م، حين ثار جند البربر على الخلافة ودمروا قصور الخلفاء فيها وهدموا آثار المدينة وسلبوا محاسنها، ومنذ ذلك الحين انطفأت شعلة تفوقها وانتقلت مكانتها السامية إلى إشبيلية.

ورغم ذلك استطاعت قرطبة أن تحتفظ ببعض تفوقها الثقافي، حتى سقطت بيد فرناندوا الثالث، سنة ٦٣٣هـ وحوّل مسجدها الجامع الذي ما يزال باقيًا يحتفظ بكل أروقته ومحاريبه الإسلامية إلى اليوم إلى كاتدرائية تتبع الكنيسة الكاثوليكية، وهجر قرطبة كثير من المسلمين، وطويت صفحتهم الحضارية العظيمة التي امتدت أكثر من خمسة قرون في هذه المدينة، وأكبر شاهد عليها ما خلفه المسلمون في تلك البلاد من بصمات تاريخية وأمجاد حضارية، مما يدل على أنهم كانوا ملوكًا للبشرية، حتى قال قائلهم:

كنا ملوكًا على الدنيا وكان لنا
ملك عظيم وكنا سادة الأمم
كسرى وقيصر والخاقان دان لنا
وأمرنا كان بين السيف والقلم

وقال آخر في رثائها:

وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شان

وتقف مئذنة الجامع، ويبدو الشموخ عليها واضحًا رغم وضع الأجراس فوقها، وكأنها تقول: «هأنذا مازلت مسلمة، وسيرجع إليّ المسلمون في يوم ما، ليملأوا سمائي نورًا وتكبيرًا».

وأخيرًا فإن قرطبة كانت صاحبة اليد العليا والسبق الثقافي الإسلامي دائمًا، لذلك فإن سقوطها كان بداية النهاية للملحمة الإسلامية الكبرى في الأندلس.

المصادر

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، (ت ٧٩٩هـ).

٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة الدمشقي، (ت ٦٨٨هـ).

٣- دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبدالله عنان، (ت ١٩٨٦م).

٤- لماذا غربت شمس الإسلام عن الأندلس، للدكتور أحمد الزعبي.

أسرتي

لا.. للثقافة الاستهلاكية

تجتاح رياح العولمة مجتمعات وشعوب العالم أجمع وفي مقدمتها المجتمعات النامية، وتحمل هذه الرياح معها انماطًا حياتية وقيمًا ومبادئ وسلوكات منافية لقيمنا واخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية، ولعل من ابرز هذه الانماط الحياتية الحديثة شيوع ثقافة الاستهلاك اللاواعي واللامدروس من خلال تدفق السلع والبضائع والمنتجات الأخرى من معامل المشروع العولمي، وإقبال الأسر المسلمة على اقتنائها وشرائها بنهم وجشع لا مثيل له.

إن الاسرة المسلمة مطالبة بالنأي عن هذه السلوكات السيئة المحطمة التي تخدم مشاريع العولمة المشبوهة الهادفة الى تحطيم قيمنا الإسلامية القائمة على الاعتدال والوسطية في الأكل والشرب والملبس، ولاشك ان تربية الابناء على هذه القيم منذ الصغر بناء على ثوابتنا من الكتاب والسنة، هي سبيلنا للوصول الى مجتمع مسلم متحرر من سلبيات العولمة الحديثة.

المحرر



كيف نتجنب «الطلاق الصامت» بأنواعه المختلفة؟

أ.د. ناصر أحمد سنة

على مستوى الذات و«الآخر» وتنوعاتهما، أسريًا واجتماعيًا وعالميًا، كثيرة هي المشكلات التي من أسبابها الرئيسة غياب حُسن الاستماع وأسس الحوار والتواصل الفعال، ومن شأن استعادة هذا الأمر الهام التحول الإيجابي، والتغيير البناء نحو مزيد من التماسك والاستقرار الأسرى والاجتماعي والوطني، وكذلك التحاور والتعايش بين الحضارات.



الإنسان مخلوق ناطق في حاجة ماسة لمن يتواصل معه.. تخاطبًا واستماعًا وتحاورًا.. ليتم التعبير عن أفكاره واتجاهاته وهمومه وانفعالاته وأزماته ومشكلاته، واللغة هي ترجمان ذلك، فتراه يذهب مذاهب شتى ليجد من يسمعه، وقد يذهب كثيرون للأطباء دونما شكوى أو علة محددة، ولكن ليجدوا من يستمع إليهم، ويتحاور معهم، فيتقاضى الأطباء أتعابهم فقط على تلك المهمة الكبيرة! إن الاستماع الأفضل والتحاور الفعال بداية للتغيير البناء وأحد ضروريات النجاح في الحياة. لقد ارشد لذلك قرآننا الكريم، وهدي رسولنا صلى الله عليه وسلم قبل أن يهتدي إلى ذلك الباحثون في علوم الاجتماع والاتصال الحديث.

مشكلات فردية

إخفاقات الأفراد في سياق حياتهم العملية تحلها المراجعات الدقيقة والحوار السليم مع الذات (سماع الذات، نقد الأنا، الحوار والتأمل الذاتي)، وذلك سعياً لتصحيح مواطن الخلل والإخفاق، سوء تقدير المواقف، ومن ثم تحديد وتعزيز مواطن الصحة والمعافاة ليستمر طريق النجاح نحو تكوين الإنسان الصالح المصلح(١).

علينا التحلي بحس الاستماع والتحاور لحل ما يثار حول «أزمة الهوية» لدى الأفراد، والضباب الذي يغطي انتماءاتهم، وازدياد شعورهم بالغربة في أوطانهم، وتنامي معدل إحباطاتهم، وتراجعهم أمام هجوم مظاهر «العولمة» الطاغية ذات الأثر السلبي عليهم، واختلاط الأمور والمعايير لدى الشباب، فعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «جئت تسأل عن البر»؟، قلت: نعم، فقال: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»(٢)، فسماع حديث القلوب والنفوس النقية معيار داخلي للتعرف على البر والإثم، ومن ثم يأتى الهم بالأعمال «إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل به»(٣). وتبقى القاعدة: من لم يجد الاستماع لذاته، فأنى له الاستماع «للآخر» والتحاور معه.

مشكلات أسرية

«الصمت المنزلي/ الخرس العائلي/ الصمم الأسري» وباء تعانى منه الكثير من الأسر، وله أسبابه من الانشغال الدائم بالعمل والتجارة والأسفار والدراسة واختلاف التوجهات الفكرية والثقافية، ومشاغل وأعباء البيوت، وله أيضا مظاهره من كثرة شكاوى الأولاد: لا نجد في البيت من يسمعنا (ويزيد من عزلتهم طغيان استعمال «الكومبيوتر»)،

كاتب وأكاديمي مصري

علينا التحلي بحس الاستماع والتحاور لحل ما يثار حول «أزمة الهوية» لدى الأفراد

وتشكو الزوجات: أزواجنا لا يستمعون إلينا، ونشعر بالضيق الشديد عندما نتحدث دون إنصات منهم، فهم يسمعون فقط ما يودون سماعه، والأزواج بدورهم يُقللون من شأن أحاديث زوجاتهن فليس لديهن ما يقلنه سوى المزيد من النفقة وسرد مشاكل البيت، وتأتى نتائجه الوخيمة حيث يهرب كل فرد ليبحث عمن يسمعه خارج حصن الأسرة، ويكثر تدخل القرناء والرفاق، والأمهات والحموات، والأصدقاء والزملاء مما يحول دون حل المشكلات الأسرية التي تتراكم وتتفاقم يوما بعد يوم ويتعرض استقرار الأسرة لخطر وبيل، فرغم قلة الإحصاءات الرسمية عن معدلات الطلاق في العالم العربي إلا أن هناك ما يشير لمعدلاته في قطر حيث يبلغ ٣٨٪، والكويت ٣٥٪، بينما في الإمارات يبلغ ٤٦٪ من إجمالي حالات الزواج (٤)، فلندع «الصمت المنزلي» عبر توفير الوقت الكافي (استثمار استراتيجي سيعود بنفع أوفر من جمع المال) ليسمع بعضنا بعضا ولنتحاور لحل المشكلات، وتبديد الهموم، وتنفيذ التطلعات، والقيام برحلات والمشاركة في أحلام كل أفراد الأسرة بلا استثناء، وهناك نعمة كبيرة تسهم وتسد ثغرة في هذا المجال عندما تتوافر الأسر الممتدة من أجداد وجدات وإخوة وأخوات وأعمام وعمات يحملون جزءا من عبء مهمة التواصل والاستماع الأسري.

مشكلات اجتماعية

كثرة اللغو :

كثرة اللغو معضلة حلها الإعراض عن سماعه، قال تعالى ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾(القصص:٥٥). وحينما يقتحم سمع المرء ما لا يرضى من القول أو المهاترات، فما هو الحل؟ قال تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾(المزمل: ١٠)، فقوة الاحتمال تجعل الجاني يراجع موقفه، أو يكون الهجر الجميل والمقاطعة دون حقد أو ضغينة أو تشاحن.

الغيبة:

اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها، فيجب على من سمع إنسانا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه، إن لم يخف ضررا ظاهرا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته (شأن كل منكر)، فإن قدر على الإنكار بلسانه أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك، فإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: اسكت وهو يشتهى بقلبه أن يستمر، فقال أبوحامد الغزالي: ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم ولابد من كراهيته بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار أو أنكر ولم يقبل منه حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة وعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه أو بقلبه فقط أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن سماعها، ومتى استطاع المفارقة وجب عليه أن يفارق لقوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (الأنعام:٦٨)(٥).

التشاحن والتباغض والوشاية والإشاعة:

عند سماع نبأ ما علينا التدقيق والتبين من شخصية الناقل فضلا عن صحة الخبر، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾(الحجرات: ٦). ومن ثم التحاور لتبديد ما يتعلق بهذه الأمور.

وينبغي أن ينزه السمع عن كل ما من شأنه السخرية من آيات الله تعالى، والسمو به عن أن ينصت إلى شيء من تلك المجالس: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾(النساء: ١٤٠). ويبقى حُسن الاستماع والانتباه لما هو طيب والاقتداء به دلالة على هداية الله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾(الزمر:١٧- ١٨).

كما علينا أن نصغي جيدا ويتم التحاور بفاعلية حول المشكلات الاجتماعية من قبيل انقلاب نسق القيم الاجتماعية كقيم التكافل والتراحم والتعاون وقيمة العمل واحترام الحريات والمرأة، وشيوع البطالة والفساد والعنف والخمر والمخدرات، ومشاكل عمالة الأطفال وذوي الحاجات الخاصة، والتعليم والإعلام غير المنضبط المضر بقيم المجتمع.

الهوامش

١- بتصرف من د. عبدالستار الهيتى، الحوار.. الذات والآخر، كتاب الأمة العدد:٩٩، المحرم ١٤٢٥هـ ، ص ٩٩، قطر.
٢- حديث حسن رواه أحمد والدارمي في مسنديهما.
٣- الألباني-صحيح الجامع.
٤- منار الإسلام، العدد: ٣٧٢، ذوالحجة ١٤٢٦ه ، ص:٨٨-٩٠، الإمارات.
٥-الأذكار للنووي، ص ٣٠٢، وانظر حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص ١٢٨.

الملكة الجديدة

إيمان القدوسي

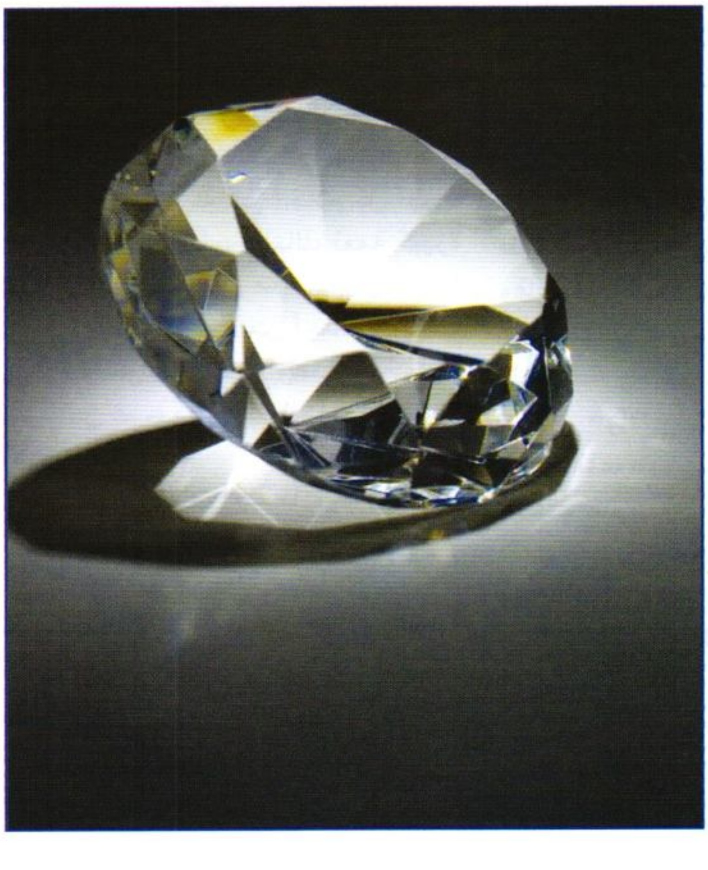
مهما كانت الملكة السابقة منصفة فإن ظلالا من حيرة وغيرة وقلق تشوب فرحتها بتتويج الملكة الجديدة، حفل التتويج هو حفل زفاف الابن قرة العين وثمرة كفاح العمر وآخر صبرها، تجلس العروس بجواره تتيه بجمالها وشبابها وتصبح هي السيدة الأولى في حياته، عندما يحدث صراع على المكانة بينهما تشتعل حرب تقليدية تتكرر على مدار الأجيال (حرب الحماة وزوجة ابنها)، والكل يخسر في تلك الحرب وخاصة الابن الممزق بين ولائه ووفائه لأمه وحبه لعروسه الجميلة.

صراع بين ماضيه بتاريخه الحافل بتضحيات أمه ومستقبله الواعد بالسعادة والهناء مع زوجته وحبيبته، حزم الرجل وعدله وحنانه عناصر توازن هامة في المعادلة، وكذلك عقلانية الأم وتحلّيها بروح الإنصاف وامتلائها بمعاني الأمومة الحقة، التي من بينها الفرح بسعادة ابنها وإفاضة مشاعر الأمومة على زوجته التي صارت في منزلة ابنتها أيضا، وهكذا تصبح هي الرابحة ليس فقط لأنها لم تخسر ابنا بل لأنها اكتسبت ابنة.

تظل المهمة الأصعب ملقاة على عاتق الزوجة الصغيرة أو المكلة الجديدة، ففي إمكانها تحقيق انتصار حاسم وتجنب صراعات قد تطول، وتحقيق مكاسب لا تخطر لها على بال، وذلك بسلوكات بسيطة تفعلها وهي تعلم وتقدر دوافع حماتها كأم تخشى فقدان مكانتها، فتؤكد لها، بسلوكها العملي، أن مكانتها محفوظة، ويجب أن تتجنب الدخول في صراع معها، بل تعاملها كأنها أمها، فتتقبل بصدر رحب توجيهاتها وانتقاداتها ولا تأخذها بحساسية بل تنفذ منها ما تراه صائبًا، وتسعى بإخلاص لعقد أواصر الصداقة والمحبة مع حماتها، وتحرص على حسن معاملتها في غياب زوجها أكثر من حضوره، ولتتذكر انها تتقي الله فيها وتبتغي منه وحده حسن الجزاء.

المطلوب منها وجه بشوش وصدر رحب واعتراف بحق الأم في ابنها وتقدير لمكانة السيدة الكبيرة التي قدمت صحتها وشبابها بساطًا يسير الابن عليه ليصبح رجلًا يملأ العين، وتأخذه المكلة الجديدة بغير جهد منها، إنها سنة الحياة وما فعلته الحماة فعلته من قبلها أم زوجها وستفعله غدًا عروس ابنها، ولكن هناك معاني رائعة تزين النفوس وتضيء القلوب لأن مصدرها اليقين في الله -عز وجل- والرغبة في مرضاته، هذه المعاني هي الرحمة والتراحم بين جيل قادم وآخر يستعد للرحيل.

عندما تنجح مهمتها وتكتسب ثقة حماتها سترى وجها آخر، سترتضي الملكة السابقة بلقب «الملكة الأم»، وستبارك تتويج «الملكة الجديدة» لأنها أحبتها واطمأنت لها ولأنها تحتاج شبابها لاستكمال المسيرة، ستدعم خطواتها وتمدها بخلاصة تجاربها وتدعو لها وتحب أولادها، ولن تكون مفاجأة كبيرة إذا حدث خلاف بين الزوجين وأخذت الحماة صف زوجة الابن الصالحة، ففي النهاية هما امرأتان تجمع بينهما أواصر مشتركة، وكل منهما تحب الخير لنفس الرجل، ليس بشكل تنافسي ولكن تكاملي.



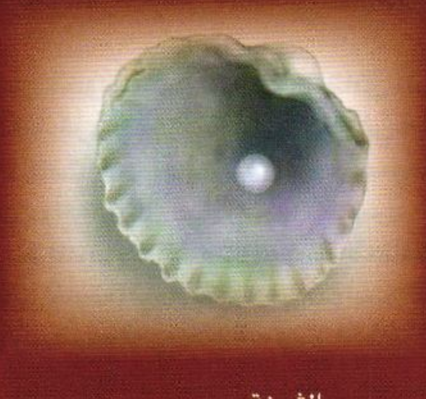
على امتداد رحلة العمر وحتى بعد رحيل الحماة عن الحياة، ستحصد زوجة الابن الصالحة نتاج ما قدمته من خير، سيظل زوجها ذاكرا جميلها وحسن عشرتها لأمه، وستجمع ذكرياتهما المشتركة مع الأم بينهما، وتدعم حياتهما بروابط جديدة، ثم إنها ستجد أثر ذلك في ذريتها، فما أسرع مرور الأيام وحين يأتي أوان ملكة جديدة ستجني ما قدمته يداها.

النصيحة الذهبية تقول: عامليها كأمك ستعاملك كابنتها.. وستكسبين قلب زوجك واحترامه، ويكسب أطفالك جدة حنونًا وتكسب أسرتك يدين مرفوعتين بالدعاء الصالح لكم آناء الليل وأطراف النهار.

• كاتبة صحافية

المرأة لؤلؤة غالية

د. زيد محمد الرماني



قال الله تعالى ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (آل عمران: ٣٦).
الله سبحانه تعالى خلق الذكر ومتعه بقوة خاصة جعلته مختلفًا عن الأنثى في التكليف، حيث قسم المهام بحسب فسيولوجية وقدرة كل منهما. فلكل من الذكر والأنثى رسالة يجب تأديتها على أكمل وجه.

يقول الاستاذ محمد عبدالعزيز الصدر في كتاب «فن الزواج»: إن الزواج في جملته كالفرقد يضل فيه السائر إذا لم يحمل بين يديه «بوصلة» ترشده إلى مواقع الجهات، وإذ ذاك يهتدي الهدي كله، فيصل إلى مرفأ السلامة.

وهانحن نسمع أصوات الأسى تنبعث من أفواه بعض المتزوجين تتردد في الآفاق، يحسبها الناس أحزانًا يتلو بعضها بعضًا، فيتوجس العزاب خوفًا من الزواج، لأن لهم آذانا تسمع تلك الصرخات المؤلمة وتسمع من أفواههم أيضا الغض من كرامة الزواج والحط من شأنه، وتسمع أن السعيد ذلك الذي لم يقدر له الزواج يومًا ما.

وليست هذه الصرخات وليدة بيئة دون أخرى ولكنها في كل البيئات يسمعها الناس لأن الذي يبعثها هو الشقاء، وأما الذين ينعمون بالزواج فلا يحدثون العالم بشيء عن نعيمهم هذا، بل يقطعون مرحلتهم ساكنين ساكتين، تحفهم السعادة من كل جانب وترى هذه السعادة تتخطى قلوبهم إلى أعمالهم، إذ يهدأ فكرهم وتطمئن نفوسهم وليس أحسن من بيئة يهدأ فيها الفكر وتطمئن لها النفس لترى السعادة الزوجية حقلًا تنمو فيه العزيمة ويذكو فيه الفؤاد.

إن المرأة كانت لؤلؤة غالية، تضرب إليها أكباد الإبل، ويسعى إليها الرجل سعيه المتواصل فتحفى قدماه، ويكفيه منها ابتسامة حلوة، أو نظرة عذبة، فهي إذن الدرة الثمينة.

وكان إذ ذاك الحب في مهده حبًا غير مشوبة حياته برياء، وإنما حب يخفف ويلات الحياة، على أن ويلاتها إذ ذاك لم تكن بالكثيرة، فما بالك بها اليوم وهي كثيرة جدًا، أما كان يجدر بالحب أن يعيش فيأخذ بيد الإنسان من جب الشقاء العميق القاتم الذي أصابه اليوم؟

هل تخشى المرأة النجاح؟

سمير إبراهيم كشك

قيم المجتمع تؤكد أهمية نجاح المرأة في دائرة الحياة الخاصة، ولكن ماذا عن النجاح في العمل أو الحياة العامة؟

لقد كثر الاهتمام بالعوائق الخارجية التي تعوق المرأة، لكن الاهتمام الموجه لعالمها النفسي الداخلي قليل، إن المرأة في حالات عديدة تخشى النجاح المهني لأن النجاح في العمل يتضمن معنى الصراع.

والمرأة تلقت قيمًا طوال تربيتها تفيد بأن الصراع ضد الأنوثة، ومن ثم فهي تخشى ذلك، فالقيم التي أكسبها المجتمع للمرأة ولدت داخلها صيغة «أن تخضع للقهر»، إنها تتنازل عن النجاح في سبيل أن يرعاها الرجل أو الزوج، وينفق على البيت، فهي تركع وتقول انها ضعيفة خوفًا من التبعات المترتبة على القوة والنجاح.

إن ركوع المرأة الظاهري يتضمن معنى استبعاد الرجل، لكنه مع التقدم الحضاري ومع تعقد الحياة يبرز احتياج موضوعي لتحمل الأعباء الاقتصادية وتقاسمها بين الطرفين، ومن ثم يبدأ الاثنان في التنازل عن هذه المعاهدة، فالرجل تدريجيا يستشعر أنه في حاجة لامرأة قوية. والمرأة من ناحية أخرى تشعر أنها لا تريد أن تركع وأنها مثلها مثل الرجل.

هكذا يستشعر تدريجيا كل طرف بمصلحته في عدم الاستمرار في أداء تلك الأدوار، على الجانب الآخر فإن نجاح المرأة او تفوقها يوجد مشاكل عند الطرفين معًا.

فكما شاع من أن تفوق الزوجة على الزوج يثير المشاكل فقط لدى الأخير، فإنه يثير مشاكل ايضًا لدى الزوجة نفسها، فهي تستشعر قلقا لتفوقها عليه، ويرتبط ذلك بصورة الرجل كما رسمها المجتمع.

فالذي يحدث للمرأة في هذا الشأن هو نوع من الاستيطان لأيديولوجية المجتمع.

مشاركة المرأة في العمل العام

وصفي عاشور أبوزيد

إن أخواتنا في الله هن شقائق الرجال وموضع كرامتهم، وينزلن منا منزلا حسنا، نرى أنه لا يمكن أن نحلق في عالم اليوم إلا بهن في قلب الدعوة وصدرها، كما كانت خديجة أسبق القوم جميعًا إلى الإسلام، وفاطمة أسلمت قبل أخيها عمر، وأم الفضل قبل زوجها العباس.

لذلك نريد الأخت المسلمة منطلقة إلى الإيمان والعمل، ليس تبعا للرجل، بل بحبٍّ لله تعالى مُخَلَّصًا من شوائب التقليد، فلتعلم الأخت المسلمة أنها إنسانة، صاحبة رسالة وخلافة، وليس لكونها زوجة لفلان أو بنتًا لعلان.

وقد قدم د.صلاح سلطان وصية لأخواته في الله، وهي تتوافق مع ما جاء في هذه الدراسة: «مشاركة المرأة في العمل العام»، المتميزة بجوانب كثيرة، منها ما يلي:

١ - المنهجية السديدة في صفاء الاستقاء من نصوص القرآن والسنة، دون إفراط ولا تفريط.

٢ - أنها استوعبت معظم ما كتبه الأثبات من علماء الأمة في قضية المرأة، كالنحل الذكي الذي يَلتقط أنقى رحيقٍ من كل زهرة يانعة.

٣ -أن فيها براعة في التقسيم المنهجي، والتخطيط العلمي الرصين، وترابطا وثيقًا بين الفصول والمباحث والنقاط التي مثَّلتْ محطات عقلية مريحة للقارئ.

٤ - الاستيعاب والجمع بين تحرير المصطلحات وأحكام المشاركة، ونماذج حية من الماضي العريق والحاضر القريب، والشبهات المثارة، والأجوبة المختصرة الشافية عليها، والتحديات التي تواجهها، ووسائل التغلب عليها، ومجالات عمل المرأة، والأدوار التي يجب أن تدعم المرأة، وتُفعِّل دورها في مسيرتها الدعوية والإصلاحية.

٥ -أنها مزجت بين العمق الشرعي والحس الدعوي، في ثوب جديد وفريد، على كثرة ما كتب في موضوعه.

من أجل هذا كانت هذه الدراسة التي حاولنا فيها إلقاء الضوء على قضية المرأة في كثير من أبعادها، واجتهدت أن أستوعب ما قاله علماؤنا فيها، ولا أدعي أنها «متأنية» كما أراد الشيخ الغزالي، بل هي جهد المقل، ورشْحُ نفس بشرية تخطئ أكثر مما تصيب، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، كما قال النبي ﷺ.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة.

بَيَّنَت الدراسةُ في الفصل الأول المعاني المختلفة لمفردات الدراسة من مشاركة، وعمل عام، وماذا تعني مشاركة المرأة في هذا العمل العام، ووضعنا حلا لإشكال كبير بين الرجل والمرأة من خلال فك هذا الصراع بينهما والالتباس عبر وضع صيغة «المقام والمهام» التي وضحت أن الرجل والمرأة متساويان تماما في المقام، لكنهما مختلفان في المهام لا لشيء إلا لحكم طبيعة التكوين والنوع، وهو اختلاف تنوع وتكامل، لا اختلاف تضاد وتناطح.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن الموقف الشرعي من مشاركة المرأة من خلال النصوص الشرعية من القرآن والسنة الصحيحة، وكان اعتمادُها القرآنَ الكريم، وصحيحي البخاري ومسلم (١) وبينت ضوابط هذه المشاركة، وخطورة غيابها، واستثناءاتها، ومقاصد المشاركة وثمارها على المرأة والأسرة والمجتمع.

وفي الفصل الثالث كان الحديث عن نماذج لهذه المشاركة عبر العصور المختلفة، قبل عصر الرسول ﷺ، وفي عصره، وبعد عصره، حتى عصرنا الحاضر، وخاصة في فلسطين، وركز هذا الفصل على نماذج للمشاركة في عصر الرسالة لما يمثله من تشريع وتقنين، وكان دليلي ورائدي إلى النصوص التي أوردتها في عصر الرسالة وما قبله موسوعة: «تحرير المرأة في عصر الرسالة» لصاحبها الأستاذ محمد عبد الحليم أبوشقة- رحمه الله وجزاه عن الأمة خيرا- الذي أفدت منه إفادة كبيرة، بل نقلت عنه كثيرا من العناوين في أمثلة المشاركة، وهو كتاب لا يسع أحدًا يتحدث في شأن المرأة وقضاياها إلا أن يرجع إليه ويعتمد عليه.

أما الفصل الرابع فكان الحديث فيه عن أهم الشبهات التي تطعن في أهلية المرأة، وصلاحيتها للعمل والمشاركة، بلغت خمس عشرة شبهة، ويشير إلى كثير من الآثار الواردة الموضوعة والمنكرة



• باحث في المركز العالمي للوسطية

والضعيفة، والتي كان من شأنها ترسيخ ثقافة احتقار المرأة وإهانتها، ويوضح بعض الفهوم المغلوطة لنصوص صحيحة، وكان الرد في هذا كله معتمدا الدليل القاطع والبرهان الساطع، وعمل الرسول ﷺ، والصحابة من بعده، والسلف الصالح لهذه الأمة.

كما بينت هذه الدراسة في فصلها الخامس أهم التحديات التي تواجه المرأة، ورسمت معالم وكيفية مواجهة هذه التحديات والتعامل معها؛ من الاستلاب الغربي، وموروث العادات والأعراف الاجتماعية المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول، وتطوير الذات والوعي بالحقوق والمسؤوليات، والموازنة بين المهام والواجبات المختلفة، إلى عدم الانقطاع في العمل أو الاكتفاء بالعمل العام الموسمي.

وأما الفصل السادس فكان عن أهم المجالات التي يبيح لها الشرع- بل يوجب أحيانا- أن تشارك فيها وفق الضوابط الشرعية والآداب المرعية، مع ذكر الطرق

لا نتوقع أن تنتهي الكتابات عن المرأة أو تقل في الفترة القادمة لأن من شأن القضايا الحيوية أن تكثر فيها الكتابات



والوسائل والمهام التي يمكن أن تقوم بها المرأة في كل مجال، ولم يفت الدراسة أن تشير إلى أعمال يحرُم على المرأة إتيانُها لا لشيء إلا نزولا على حفظ طبيعتها، واستبقاءً لفطرتها وأنوثتها.

واختتمت الدراسة بفصلها السابع ببيان أهم الأدوار التي يمكن أن تدعم المرأة في مسيرتها الحضارية وتفعِّل مشاركتها في المجتمع؛ من خطاب شرعي متوازن، وإعلام، ودور بارز للحركة الإسلامية، والمحاضن التربوية الأساسية في الأسرة والتعليم، والمناهج التربوية، والمجتمع، وأخيرا دور الزوج الذي يعتبر من أهم الأدوار.

ثم آثرتُ أن أكتب خلاصة مجملة ومختصرة جدًا لأهم الأفكار التي جاءت في هذه الدراسة من خلال فصولها ومباحثها؛ لما في ذلك من فائدة للقارئ المعاصر، وكانت الخاتمة عن آفاق عمل المرأة مستقبلا، ومشاركاتها في النواحي المختلفة.

ذلك، وقد راعيت في البحث أن يجمع بين التنظير والتطبيق، وبين التأصيل الشرعي والوسائل العملية التي يمكن أن تسلكها المرأة بعد أن تتفقه في دينها وتدرك مكانتها وقيمة رسالتها، وتملك القدرة على رد الشبهات التي تثار من حين لآخر حول المرأة، حتى لا يكون الكتاب مغرقا في التنظير بلا رؤية عملية واقعية، أو منفلتا في العملية والتطبيق بعيدا عن ضوابط الشرع.

وقد ظهر التأصيل والتنظير في فصول التعريفات والمشروعية والشبهات، كما ظهر التطبيق والعملية في فصل التحديات، وفصل المجالات.

ولم يتحيز البحث في منهجه إلى مدرسة معينة أو تيار محدد، إنما آثر أن يتبع النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وينظر في أقوال العلماء والفقهاء على اختلاف مشاربهم، ويورد منها ما يتوافق مع منطوق ومفهوم الآيات والأحاديث، ويرفض منها ما خالف النقل أو العقل، ورائدنا في هذا كله هو الدليل والبرهان، وعمل السلف الصالح، رضي الله عنهم.

وقلما رجعت إلى تراثنا الشرعي القديم؛ وذلك لأمر واضح هو أن قضايا المرأة لم تكن بارزة في عصور فقهائنا وعلمائنا القدامى- رحمة الله عليهم- إنما اتسع الحديث حولها، وبرز الخلاف بشأنها في العصور المتأخرة بما لم يكن له مثيل من قبل.

ولا نتوقع أن تنتهي الكتابات عن المرأة أو تقل في الفترة القادمة، لأن من شأن القضايا الحيوية أن تكثر فيها الكتابات، ويتعالى فيها صوت الجدل والخلاف، ولا بأس من هذا كله، فهي ظاهرة صحية ومبشرة، كما أنها مؤشرة إلى خير كبير ينتظر المرأة المسلمة متى فقهت رسالتها، ووقفت على أهمية مشاركتها في ضوء ضوابط الشرع الحنيف، وفي ضوء مراعاة متطلبات الواقع وضروراته.

وإنني سائل كل من يطالع هذا العمل أن يسددني ويرشدني، ويهدي إلي عيوبي، فيسدي إلي النصيحة، فكل بني آدم خطاء، و«الدين النصيحة» كما قال المعصوم ﷺ.

ونحن إذ نقدم هذا العمل المتواضع لأخواتنا المسلمات، وللمرأة عموما، ولدعوتنا وأمتنا، لنرجو من الله تعالى أن يكون خطوة داعمة للمرأة في مسيرتها، تتجاوز به الأعراف الراكدة، وتتفرس به التقاليد الوافدة، فتقف على أرض الإسلام الصافي، إسلام القرآن والسنة والسلف الصالح، ضارعًا إلى الله أن يبصرنا بعيوبنا، ويعفو عن تقصيرنا، ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش

١ -خرجتُ مرةً واحدة في هذه الدراسة عن الصحيحين إلى سنن الترمذي في حديث: «المرأة عورة» في فصل الشبهات، وهو حديث حسن صحيح غريب، وكان معظم نقلي في النصوص من صحيح البخاري.

كاميرا الجوال

تحقيق- صلاح محمد أبوزيد

بات من الشائع في المناسبات الاجتماعية الخاصة أن تدور كاميرات الجوالات بأيدي الشباب في خفة ورشاقة لتلتقط صورًا للأهل والمعارف والأصدقاء على سبيل الذكرى أو المزاح، وفي كثير من الأحيان تنتقل بعض هذه الصور إلى الكمبيوتر لتلعب التكنولوجيا- بأيدي ذوي الخبرة والمهارة - دورها من جديد بالتعديل والحذف والإضافة وخاصة في صور الفتيات، فتتحول صورة بريئة للغاية إلى صورة خليعة تظهر فيها الفتاة في وضع مخز أو غير أخلاقي، ثم يتداول الشباب هذه الصور فيما بينهم عبر شبكة الإنترنت، وقد تقوم فتاة عابثة بتصوير زميلات لها وهن متحررات من بعض ملابسهن على سبيل المزاح ثم تسيء استخدام هذه الصور التي قد تقع في أيدي العابثين أو معدومي الضمير لتصبح تلك الصور وسيلة من وسائل الابتزاز أو التشهير بالفتيات وأسرهن ما يتسبب في الكثير من الأزمات، هذا بالاضافة إلى أن كثيرًا من هذه الجوالات تحوي بذاكرتها أفلامًا وصورًا خليعة يتداولها الشباب فيما بينهم، فما الذي يدفع بعض الشباب إلى هذا الاستخدام السيئ لوسائل التكنولوجيا المتطورة؟ وما الهدف أصلًا من اقتنائها؟ وكيف يتجنب المجتمع أضرارها وشرورها؟

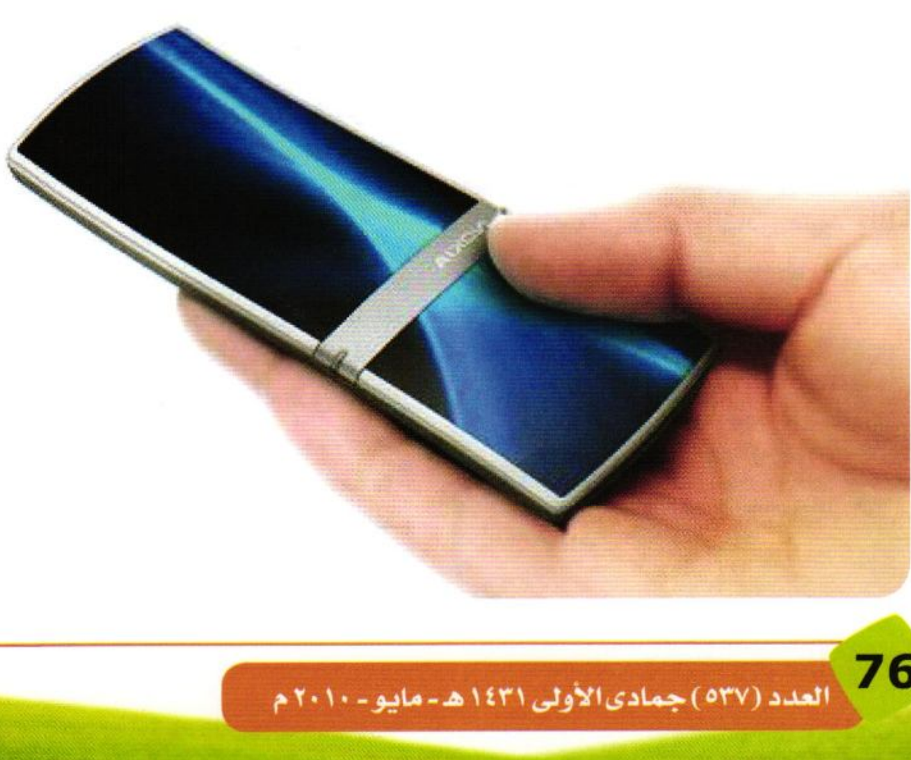
مارد مخيف

عن هذه الوسيلة التكنولوجية يحدثنا المهندس محمد صبري خبير الاتصالات بإحدى الشركات الكبرى فيقول: تعد الجوالات المزودة بكاميرا من أحدث وسائل الاتصال المتطورة وتحوي مجموعة ضخمة من الخصائص المتقدمة للغاية، فهناك مثلًا خاصية «البلوتوث» التي تظهر أقرب رقم جوال منك أثناء تشغيلها وعادة يستخدم الشباب هذه الخاصية لمضايقة الفتيات بعد التقاط أرقام جوالاتهن سواء بإمطارهن بوابل من رسائل الحب والغرام أو بإرسال صور غير لائقة، كما أصبح من السهل أن يتداول الشباب خلالها الصور ومقاطع الفيديو، وللأسف يستخدم كثير من الشباب الجوالات المزودة بالكاميرا في الإساءة إلى الآخرين والتشهير بهم، فمن الممكن التقاط صورة عادية جدًّا لفتاة ليس فيها ما يسيء، ثم تنتقل الصورة إلى الكمبيوتر ليقوم أحدهم بالتلاعب بتفاصيلها أو يتم تركيب وجه الفتاة على إحدى الصور العارية الخليعة لتصبح وسيلة للتشهير وتشويه السمعة أو الابتزاز الجنسي، وهذا يحدث كثيرًا في التجمعات الشبابية أو المناسبات الاجتماعية.

ويضيف المهندس محمد صبري: الإنسان الآن أصبح تحت رحمة التكنولوجيا، فالكل معرض- إذا لم يكن حذرًا ويقظًا- لأن تكون حياته الخاصة وبياناته وأسراره الشخصية متاحة للجميع عبر شبكة المعلومات الدولية.

أخلاق العولمة

وفي رصده لهذه الظاهرة يقول د .أحمد عبدالرزاق استاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس: إن المجتمع يعيش بالفعل أزمة أخلاق نتيجة تعرضه لموجات كثيفة من الغزو الثقافي الذي يستهدف زعزعة القيم والأخلاقيات الراسخة داخل المجتمع العربي الإسلامي، فأصبح لدينا فئات من الشباب والفتيات لا يراعون تقاليد وعادات المجتمع الذي يعيشون فيه سواء فيما يرتدون من أزياء أو ما يمارسون من سلوكات، ولا يحترمون خصوصيات وحرمات الآخرين، وهم يعبرون بسلوكياتهم هذه عن أزمة ما يسمى بجيل العولمة الذي اختلطت لديه القيم والمعايير وتراخت سيطرة الأسرة عليه.. وإذا كانت الفتيات هن في غالبية الأحيان ضحايا هذه الوسيلة التكنولوجية فإنهن من الناحية الأخرى يساهمن بشكل كبير في صناعة الفضائح سواء بالتساهل أو السماح للآخرين أو الأخريات بالتقاط صورهن.



هل فقد الإنسان المعاصر خصوصيته وأصبح يعيش في بيت من زجاج؟

تقليد أعمى

قام بعض طلبة قسم الاجتماع بعمل دراسة ميدانية للتعرف على أهداف الشباب من اقتناء أجهزة التكنولوجيا المتطورة كالجوالات المزودة بكاميرا، وعن مدى استفادتهم منها، وللأسف كانت نتائج الدراسة تشير إلى أن التقليد هو العامل المشترك بين الشباب، فهذا يشتري أحدث أنواع الجوالات لأن صديقًا له يقتنيها، وهذه تقلد زميلتها أو صديقتها دون هدف واضح سوى الغيرة والتنافس، وهكذا تسري عدوى التقليد كالنار في الهشيم، ومن الطريف أن اجابات الشباب كانت تحاول أن تضفي على الأمر نوعًا من الجدية فذكر بعضهم أن على الشباب أن يواكب أحدث وسائل التكنولوجيا حتى لا يكون متخلفًا عن العصر الذي يعيش فيه!

«for fun»

أما د. يسري عبدالمحسن أستاذ علم النفس المعروف فيقول تعليقًا على هذه الظاهرة: في البداية أعتذر عن استخدام المصطلح الإنجليزي «for fun» الذي يعني «من أجل المتعة» للتعبير عن هذه الظاهرة.. فكثيرًا ما أسمع الشباب يرددون هذا المصطلح بعد أن يمارسوا بعض السلوكات أو الأعمال المؤذية التي تضر بسمعة الآخرين أو تسيء إليهم، وهذا المصطلح يحمل في طياته تعبيرًا عن فقدان للهدف وسلب للهوية لصالح القيم الاستهلاكية الوافدة من الغرب، وتحت هذا الشعار تعرضت بعض الأسر وكثير من الفتيات لأضرار نفسية عديدة على أيدي هؤلاء الشباب العابثين الذين يسيئون استخدام هذه الوسيلة التكنولوجية.

ويضيف د.عبدالمحسن: وبعد هذا التطور الرهيب في وسائل الاتصال الحديثة والذي نلمسه جميعًا أصبح العالم وكأنه يعيش في بيت من زجاج، وأصبح كل واحد منا يشعر أنه مراقب من الآخرين وأنه قد يصبح عرضة للابتزاز في أي لحظة، وهذه الوسائل الحديثة رغم انها سهلت الاتصال بين البشر فإنها على وجه آخر نجحت في أن تسلب الإنسان المعاصر جزءًا كبيرًا من حريته الشخصية وتركته في العراء فريسة سهلة وعرضة لكثير من الأمراض النفسية.

إشاعة الفاحشة

وعن موقف الإسلام من هذه القضية التكنولوجية المعقدة يقول د.عبده نصار الأستاذ بجامعة الأزهر: بداية، لا يحرّم الإسلام أية وسيلة تكنولوجية حديثة بل العكس هو الصحيح، والمكتشفات الحديثة نعمة أنعم الله بها على الإنسان وعليه أن يؤدي شكرها بتوجيهها للمصلحة والمنفعة وليس الاعتداء على حرمات الناس وحريتهم، وما يمارسه البعض بهذه الوسيلة التكنولوجية من تشويه لسمعة الآخرين أو محاولة ابتزازهم سواء عن طريق التقاط الصور لهم دون علمهم أو موافقتهم أو التلاعب في تفاصيلها فهو أمر يحرمه الإسلام لأن فيه نوعًا من الافتراء والتجسس وانتهاكًا للحرمات ونشرا للفساد وإشاعة للفاحشة، يقول ربنا عز وجل في كتابه الكريم: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ (النور: ١٩).

كما ينهى الإسلام عن التجسس على الآخرين فيقول ربنا عز وجل ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا...﴾ (الحجرات: ١٢).

والإسلام يأمر بستر العورات وعدم تتبع الناس لفضحهم وهتك أسرارهم وفي الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه يقول ﷺ «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته» (رواه ابن ماجه).

وإذا كنت أقول للشباب: هل ترضى أن توضع أختك أو زوجتك في موقف الشبهة أو الفضيحة؟

فإنني أقول أيضًا لكل فتاة: لا تضعي نفسك في موقف الشبهات ولا تسمحي لأحد- حتى لو كانت زميلة أو صديقة- بالتقاط صور لك في أي مناسبة.



احذروا الخطأ أمام الأبناء

كمال عبد المنعم خليل

ما يعلق بذاكرة الطفل من الصعب أن يمحى بعد ذلك، فذاكرته أشبه بالحجر الذي ينقش عليه ما يراه أو يتعلمه، لذلك فإن التعامل مع الطفل له طرقه وأساليبه ووسائله، والطفل يتلقى تربيته الأولية من والديه أو من المشرفات عليه في دور الحضانة، وبعد ذلك من مدرسيه في المدرسة، إلا أن أكبر وقت يقضيه الطفل بين أهله في بيته، يجالس أباه وأمه، يسمع منهما، ويرى ويلاحظ ما يبدر منهما من تصرفات في جميع المواقف، وذهنه أشبه بالشريط الذي يسجل المواقف صوتًا وصورة، ويتخذه دليلا له في كل تصرفاته حاضرًا ومستقبلا، لذلك ينبغي على الوالدين أن يكونا على حذر من أي خطأ أمام أبنائهما الصغار.

أول ما ينبغي أن يتنبه إليه الوالدان زلات اللسان التي يلتقطها الطفل ويكررها ويرددها بعد ذلك، والأعجب من ذلك أن ترى أبا يعاقب ابنه لأنه تلفظ لفظًا هو دأب عليه، واللسان هو مجمع الفضائل والقبائح من الأقوال، فإذا سمع الابن لفظًا فاحشًا ردده وكرره أمام إخوته أو أمام أصدقائه، كيف لا وقد صدر من أحد والديه؟ فحذار من كل لفظ قبيح، فالله تعالى يقول: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق: ١٨)، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم».

وقد تندهش حينما تعلم أن الوالدين وربما الأقارب هم السبب في أن يتعود لسان الطفل على الكلام القبيح، فتجدهم يشجعون الطفل على سب فلان أو البصق على وجه فلان من باب مداعبته والمزاح معه، فينشأ الطفل على ذلك ويتعود عليه، وهذا خطأ لا ينبغي أن يكون من الوالدين أو الأقارب، بل يجب ان يعُلم الأبناء الكلام الطيب حينما تبدأ ألسنتهم في الكلام كتدريبهم على النطق بكلمات: «الله أكبر»، «الحمد لله»، «سبحان الله»، «لا إله إلا الله»، «السلام عليكم»، «شكرا»، وغير ذلك من الألفاظ الطيبة، لا أن نعودهم على الشتم والسب والبصق، كذلك فإن الكذب من الآفات السيئة التي يقع فيها الوالدان أمام الأبناء، فتجد الأب يكذب أمام أعين أبنائه في حديثه مع صديق له في الهاتف، أو ينكر نفسه ويأمر أبناءه بالكذب، او يدعي شيئًا، والحقيقة خلاف ذلك، فكل ذلك له مردوده السيئ على الابناء، فيلتقطونه ويرسخ في ذاكرتهم، والأمر كذلك بالنسبة للغيبة والنميمة والتجسس، وكلها من المحرمات التي لا ينبغي أن تصدر من أحد، فضلًا عن أن تصدر عن الوالدين وليس من المعقول أو المقبول شرعًا أو عقلًا أن يسمع الأب نداء الصلاة ولا يتحرك له ساكن، بل لابد من المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها في جماعة في المسجد، ويلفت الأب انتباه أبنائه لذلك بالقول والفعل معا، كأن يقوم ليتوضأ ويعلمهم بذلك، ويتهيأ للصلاة ويصلي النافلة في بيته، كل ذلك أمام اعين اهل بيته جميعًا، حتى ينمي فيهم الحرص على الصلاة في جماعة، فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه» (رواه الأزدي وذكره الامام الغزالي في الإحياء مرويًا عن سويد بن غفلة رضي الله عنه)، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك اشتغالاً بعظمة الله، وحرصًا على الصلاة في جماعة، وعلى الأب أن يذكرهم بأحاديث النبي ﷺ التي تحث على الصلاة في أول وقتها وفي جماعة، منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي



كاتب وباحث مصري

الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، وروى البخاري عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ (الفرد) بسبع وعشرين درجة»، ولا يصلي في بيته ويترك صلاة الجماعة في المسجد متذرعًا بحجج واهية، فقد أخرج أحمد وأبوداود وابن ماجه والحاكم وغيرهم من حديث ابن أم مكتوم أنه قال: يارسول الله، إني رجل ضرير البصر، شاسع الدار، ولي قائل لا يلائمني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «هل تسمع النداء»؟ قال: نعم، قال: «لا أجد لك رخصة»، فحذار أن يتهاون أحد الوالدين في أمر الصلاة، لأن الأبناء يقتدون بهما، وينشأون على ما يتعودون عليه، قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

والأب يعود أبناءه على ارتياد المساجد وحضور الصلوات، فقد روى أبوداود بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده- رضي الله عنهم- قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»، كذلك الأمر في سائر العبادات التي فرضها الله على عباده، فلا يفطر الوالدان في رمضان بغير عذر، أو يسيء أحدهما أو كلاهما الى سائل أو محتاج أو جار، فكل ذلك يلمسه الأبناء ويفعلون مثله.

وأود أن أشير الى خطأ، ما أكثره انتشارًا في نطاق الأسر، وهو قطع الأرحام والخصام بينهم على أتفه الاسباب، وبالتالي فالأمر يصدر الى الابناء بعدم الذهاب الى بيت فلان او فلانة، وألا يكلموا ابناء فلان وابناء فلانة الذين هم من أولي الأرحام، وهو جرم عظيم يمتد أثره جيلًا بعد جيل، فالواجب على الوالدين أن يغرسا في الأبناء صلة الأرحام، لا أن يقطعاها ويحثا أبناءهما على ذلك، وقد سمى الله تعالى قطع الأرحام فسادًا في الأرض، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد: ٢٢-٢٣).

وقد يتحجج الوالدان بأن فلانًا هو السبب، ولا ذنب لنا، فنحن الذين نسأل، ونحن الذين نجامل، ونحن الذين نزور، وهم لا يردون لنا أي شيء، فنقول لهم: ليس ذلك عذرًا للقطيعة، فأنت تصل وتسأل وتزور من أجل الله فقط، لأن الله تعالى أمرك بذلك، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المل (الرماد الحار)، ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك»، فينبغي تعويد الأبناء صلة الارحام بدلاً من قطعها، وهذا يأتي بالممارسة الفعلية لهذه الفضيلة أمام الأبناء، بل ينبغي اصطحابهم لزيارة أقاربهم.

أول ما ينبغي أن يتنبه إليه الوالدان زلات اللسان التي يلتقطها الطفل ويكررها ويرددها بعد ذلك

إن الابناء امانة في اعناقنا، وسوف يسألنا الله تعالى عنها يوم القيامة، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فلينتبه الوالدان الى اخطائهما التي تصدر منهما أمام الابناء، وليعملا على تجنبها رغبة في أن ينشأ الابناء أسوياء، لايميلون ولايزيغون، ولايحيدون عن كل خلق قويم.



الخطاب الإسلامي الحضاري.. بناء الإنسان أولاً

أشهبار عبدالجواد

العلم أداة إصلاح وخير في العالم الإسلامي اليوم صيحات تتجاوب أصداؤها من المحيط إلى المحيط، تنادي بالعودة إلى الإسلام، الإسلام خالصا من الشوائب، سالما من الزوائد، بعيدا عن الغلو والتقصير، تنادي هذه الصيحات بالإسلام وحده بلا شركة، والإسلام كله بلا تجزئة، عقيدة روحها التوحيد، وعبادة روحها الإخلاص، وأخلاق روحها الخير، وحضارة روحها التوازن (1).

لقد أصبح شعار هذا العصر «المادية فوق كل شيء»، وطغى هذا الشعار وتضاءلت أمامه قوة الناس المعنوية، وتلاشت به الروابط الأدبية، وأشاحت الفضيلة بمزاياها عن النفس، فإذا الإنسان في غمار من الزهو والغرور يهزأ من العفة والاستقامة، ولا ينظر إلى الحياة إلا من خلال المتع والمسرات.

إن رجوعنا إلى عناصر الخلق، وإلى الفضائل الاجتماعية التي نبتت في أصول الأديان يضع حدًا للمتاعب التي تواجه الإنسان، وتجعل من العلم أداة إصلاح وخير، فالعلم قد وضع في أيدينا قوة إذا لم نحطها بسياج من الخلق والفضائل انقلبت إلى قوة هدامة مخربة، لا يستطيع الإنسان أن يرد عن الحياة آثامها وشرورها ومفاسدها إذا سار فيها على العلم وحده منصرفا عن معاني الخير (٢).

يقوم منهج المعرفة في الإسلام على أصول أصيلة، فلا مجال في الوجود للمصادفة العمياء، والأخذ في الاعتبار فطرة الإنسان وطاقاته واستعداداته، وقوته وضعفه، إن الوجود ليس متروكا لقوانين آلية صماء، وان وراء السنن إرادة الله المطلقة، إن قانون الطبيعة وقانون الدين يلتقيان ويتكاملان (٣).

التصور الإسلامي للوجود الإنساني

إن الإسلام حين يقيم بناءه الاعتقادي في الضمير والواقع على أساس العبودية الكاملة لله وحده، ويجعل هذه العبودية الكاملة لله وحده، في صورتها هذه، هي المدلول العملي لشهادة ألا إله إلا الله.. وأن التلقي في كيفية هذه العبودية عن رسول الله ﷺ، وحده هو المدلول العملي كذلك لشهادة أن محمدا رسول الله.. إن الإسلام حين يقيم بناءه كله على هذا الأساس، بحيث تمثل شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله منهج الحياة في الإسلام، وتصور ملامح هذا المنهج، وتقرر خصائصه، إن الإسلام حين يقيم بناءه على هذا النحو الفريد الذي يفرقه عن جميع الأنظمة الأخرى التي عرفتها البشرية، إنما يرجع إلى أصل أشمل في تقريره عن الوجود كله، لا عن الوجود الإنساني وحده، وإلى منهج للوجود كله لا منهج للحياة الإنسانية وحدها (٤).

والشريعة التي سنها الله لتنظيم حياة البشر هي شريعة كونية، بمعنى أنها متصلة بناموس الكون العام، ومتناسقة معه، ومن ثم فإن الالتزام بها ناشئ من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الإنسان، وحركة الكون الذي يعيش فيه، بل من ضرورة تحقيق التناسق بين القوانين التي تحكم فطرة البشر المضمرة والقوانين التي تحكم حياتهم الظاهرة، وضرورة الالتئام بين الشخصية المضمرة والشخصية الظاهرة للإنسان (٥).

إذن فإن الهدف الظاهر من قيام شريعة الله في الأرض ليس مجرد العمل للآخرة، فالدنيا والآخرة معا مرحلتان متكاملتان، وشريعة الله هي التي تنسق بين المرحلتين في حياة هذا الإنسان، تنسق الحياة كلها مع الناموس الإلهي العام.

هذا هو أساس التصور الإسلامي للوجود كله، وللوجود الإنساني في ظل ذلك الوجود العام، وهو تصور يختلف في طبيعته اختلافا جوهريا عن كل تصور آخر عرفته البشرية، ومن ثم تقوم عليه التزامات لا تقوم على أي تصور آخر في جميع الأنظمة والنظريات (٦).

بناء الإنسان

يؤكد فريد الأنصاري- رحمه الله- أن العمران البشري، المقصود به هندسة المذهبية الحضارية الكامنة في الإنسان.

العمران إذن هو بناء الإنسان، بما هو ثقافة، وبما هو حضارة وتاريخ، وبما هو فكر ووجدان، وبما هو نفس ونسيج اجتماعي.

وكما يكون فكر الإنسان وتصوره للحياة، تكون عمارته المادية، فالمادة في هذا تبع للفكر، وكما كانت بعثة محمد بن عبدالله ﷺ تقوم على نظام أولويات، فكذلك كل بعثة تجديدية يجب أن تقوم على ذلك النظام من الأولويات، بلا حرفية ولا ظاهرية، وإنما بمنهجية مقاصدية، حفاظا على سر الإرث النبوي، وطلبا للصواب في المنهج، ورغبة في تحقق النتائج بإذن الله.

ودور الجيل الجديد اليوم هو تجديد ذلك العمران، بدءا بتجديد الإنسان ككيان، حتى تجديد السلطان كمفهوم.

الإنسان هو أهم عناصر العمران، وأول مرتكزاته، فهو الذي يعطي للبناء معناه العمراني.. الإنسان إذن، هو أساس العمران، ولذلك كان محل خطاب الرحمن بالقرآن.

و«العمران القرآني» له قضايا رئيسية في بناء النفس والمجتمع، إليها تستند هندسته، وعليها يقوم بناؤه، فهي التي كانت تمثل اللبنات الكبرى في بناء البعثة المحمدية وعمارتها، عليها كانت تدور أولوياتها وهي: التوحيد بما هو إخلاص، والعبادة بما هي شعائر، والمجتمع بما هو علاقات ومؤسسات، ثم علم الدين بما هو إطار للتجديد والاستمرار، وغاية ذلك كله

◆ كاتب وباحث

مهمة المسلم في الحياة الدنيا أوجزها كتاب الله في أربعة مصطلحات: العبادة الأمانة العمارة الخلافة

هو إقامة العمران الوجداني والمادي، لعبادة الله الواحد القهار (٧).

يعتبر الأستاذ راشد الغنوشي، أن نظرية الاستخلاف، وهي الركن الأساسي في الفلسفة السياسية الإسلامية، تتضمن الاعتراف بوحدانية الله، وأنه سبحانه رب كل شيء ومليكه والحاكم بغير معقب ولا شريك، وأن قانونه يعلو كل قانون، وأن الإنسان كائن مكرم بالعقل والحرية والمسؤولية والرسالة، قد اكتسب بمقتضى ذلك التكريم حقوقا لا سلطان لأحد عليها، ويحمل تكاليف لا انفكاك له منها، وهي في جملتها تشكل عهدا أو عقدا أن يعبد الله لا يشرك به أحدا وفق شريعته، وأنه إن فعل ذلك استحق من ربه بركات الرضوان والفوز في الدنيا والآخرة، إن شريعة الله وشورى الناس، هما المبدآن الرئيسيان اللذان تتأسس عليهما الدولة الإسلامية، وهما ثمرتان لازمتان لنظرية الاستخلاف، الركن الأساسي في العقيدة السياسية الإسلامية (٨).

يطرح المفكر الإسلامي فهمي هويدي حقيقة يجب ألا تغيب عنا، وهي أن النموذج الذي نقدمه في ممارساتنا وحياتنا العملية سيظل وحده الذي يمكن أن يقنع الآخرين برقي مشروعنا، وإيجابيات تعاليمنا، وسمو شريعتنا، ويجب أن ندرك أننا مهما قلنا في مديح الإسلام وتبيان تفوق تعاليمه وإنجازات حضارته، فإن الذين يتلقون ما نقوله سيضربون صفحا عن كل ذلك، ثم ينظرون إلى أحوالنا ويصدرون في ضوئها حكمهم النهائي، فإذا وجدوا في أحوالنا ما يؤكد كلامنا قبلوه، وإذا وجدوا تفاوتا بين الاثنين أو تناقضا، صدقوا أحوالنا وكذبوا كلامنا (٩).

إن المتتبع لتاريخ الأمة الإسلامية والمتأمل فيما تعرضت له من هزات عنيفة على مدى التاريخ، سواء بسبب عوامل خارجية: من حروب طاحنة، ومؤامرات ماحقة، وكيد بليغ الغاية في النكاية، وعوامل داخلية: من تمزق وحروب، واختلاف وجهل وغير ذلك، إن المتتبع لذلك يرى أنها الأمة الوحيدة التي ظلت عصية أمام العواصف، فكلما أصابتها كبوة، ونزلت بها عثرة، قامت معافاة، سليمة، تستجمع قواها، وتلملم جراحها، وتستأنف السير في طريقها إلى الله عزوجل، فلم تخضع لذوبان، ولم تدخل في قاموس قانون الحضارات التي تمر عليها سُنة «سادت ثم بادت»، كما هو شأن كل حضارة تمر بمرحلة الشباب ثم الشيخوخة ثم الانقراض، فعلى الرغم مما أصابها من محاولة مسخ شخصيتها، وتعرضها للاحتلال الذي حاول أن يسلب منها كل مقومات حضارتها، وأن يذيبها في الانحلال الخلقي، وأن يصرفها عن مقومات وجودها، وعزتها، فإنها دائما تنهض وتستعيد عافيتها.

إن تضافر الجهود في خدمة الإسلام يعبر تعبيرا صادقا عن وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها، وحسن تعاملها وتعاونها على البر والتقوى، وشعورها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها.

إن نداءات المشفقين اليوم من هذه الأمة تتداعى لإعادة النظر في أحوال الأمة والقيام من الكبوة التي وقعت فيها، والالتفات إلى ما أكرمها الله به من مقومات وكفاءات في مجالات شتى، يمكنها أن تفعل الكثير في خدمة الإسلام وإعادة الصف، وجمع الكلمة، وشد آصرة الأخوة الإيمانية، وحل المشكلات (١٠).

يؤكد الشيخ د.عدنان النحوي، أن مهمة المسلم في الحياة الدنيا أوجزها كتاب الله في أربعة مصطلحات: العبادة، الأمانة، العمارة، الخلافة، وهذه كلها تجتمع في تحقيق خطوة رئيسية ومهمة أساسية وهي تبليغ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ، إلى الناس كافة وتعهدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا.

لا تقف مهمة المسلم عند الشعائر فحسب إنما تمتد من الشعائر إلى دراسة منهاج الله وتدبره، قرآنا وسنة ولغة عربية، صحبة منهجية، صحبة عمر وحياة، ومن هذه الدراسة ينطلق لتبليغ دين الله، والجهاد في سبيل الله من أجل ذلك، وتنطلق سائر التكاليف قائمة على الدعوة والبلاغ والتعهد وإنقاذ البشرية من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة (١١).

وكما قال د. يوسف القرضاوي: المسلم مطالب لدينه ودنياه دائما (١٢). ان المسلم مطالب بأن يعمل لدنياه منتجا معطاء، حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ولا يتوانى في عمارة الأرض لحظة واحدة، فقد علم الرسول ﷺ أمته، إن قامت الساعة وفي اليد فسيلة، فإذا كان في مستطاع المسلم ألا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها. والفكرة هنا هي تكريم العمل، وأن يكون المسلم دائما معطاء إلى اللحظة الأخيرة، إذ ما فائدة الغرس والساعة قائمة، ولن يعيش كي يجني ما غرست يداه؟ لكن حب العمل، والعمل من أجل تكريس صورة المسلم المعطاء الذي تتوفر فيه شروط الفضيلة والعدل ونكران الذات والتضحية تملي عليه هذا الفعل.

إن الخطاب الإسلامي الحضاري محوره هو «الإنسان»، والتأكيد على الصلة الوثيقة بين العلم والنهضة والرقي بالإنسان مركز الاهتمام.

الهوامش

١- د. يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، الطبعة الأولى ١٩٨٨، المكتب الإسلامي، بيروت، ص: ١٧١.
٢- أنور الجندي، سقوط العلمانية، الطبعة الأولى ١٩٧٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص: ١٩٠.
٣- نفسه، ص: ١٩١، بتصرف.
٤- سيد قطب، معالم في الطريق، طبعة ٢٠٠٠، دار الشروق، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص: ١٠٨.
٥- نفسه، ص: ١١١.
٦- نفسه، ص: ١١٤، بتصرف.
٧- فريد الأنصاري، الفطرية: بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، منشورات رسالة القرآن رقم ٣، طبعة ٢٠٠٧، مكناس، ص: ٢٠٩-٢١٠، بتصرف.
٨- راشد الغنوشي، المبادئ الأساسية للديموقراطية وأصول الحكم الإسلامي، الطبعة الأولى الدار البيضاء ١٩٩٤، منشورات الفرقان، سلسلة الحوار رقم ١٨، ص: ٣٥-٣٦، بتصرف.
٩- فهمي هويدي، نحو حوار بناء بين الحضارات، مبادئ الخطاب الإسلامي المعاصر في التعامل مع الحضارة الغربية، مجلة الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية جامعة، العدد ٥٣١، نوفمبر ٢٠٠٩، ص: ٢١، بتصرف.
١٠- عبدالوهاب بن لطف الديلمي، من يستنهض كوامن الخير في الأمة الإسلامية؟ مجلة البيان، العدد ٢٦٩، يناير ٢٠١٠، ص: ١٦ و١٩، بتصرف.
١١- انظر حوارًا أجرته مجلة الوعي الإسلامي مع د.عدنان النحوي، العدد ٥٣٤، فبراير ٢٠١٠، ص: ٣٥.
١٢- د.يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، مرجع سابق، ص: ١٥.

التفكير فريضة إسلامية

د. أيمن محمد الجندي

«التفكير فريضة إسلامية» كتاب أنصف الإسلام من ظلم أتباعه وأعدائه على حد سواء! كتبه العقاد جوابا لسؤال: هل يتفق الفكر والدين؟ وهل يستطيع الإنسان العصري أن يقيم عقيدته الإسلامية على أساس من التفكير؟ هذا ما يحاول العقاد إجابته من خلال هذا الكتاب البديع.



يقول العقاد إنه من مزايا القرآن مزية واضحة يقل الخلاف فيها بين المسلمين وغير المسلمين لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوت الأرقام ، ولا تحتاج لمناقشات ومجادلات، هذه المزية هي التنويه بالعقل ، والتعويل عليه في أمر العقيدة والتكليف.

في الكتب السماوية السابقة (في نسختها الحالية) توجد إشارات صريحة أو مضمرة إلى دور العقل لكنها تأتي عرضا غير مقصودة لذاتها، وربما لمح القارئ أحيانا شيئا من الزراية بالعقل أو التحذير منه لأنه مزلة العقائد وباب الإنكار. أما القرآن الكريم فلا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه على أهمية الرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة أو مقتضبة في سياق الآيات بل مقصودة لذاتها مؤكدة باللفظ الجازم والدلالة اللافتة، تحث المؤمن على تحكيم عقله وتلوم المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه.. ولا تأتي الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه، بل تشمل كل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، لذلك تكررت في القرآن عبارات مثل «أفلا تعقلون؟، لعلكم تتفكرون، أفلا تبصرون، لعلهم يتذكرون» تعقيبا على الآيات بشكل لافت للنظر.

والآيات التي تبجل العقل لا تعد ولا تحصى إذ هي القرآن كله تقريبا ..منها على سبيل المثال لا الحصر:

﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾(المؤمنون: ٨٠)، ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾(العنكبوت: ٤٣) ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾(الملك:١٠) ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾(البقرة:٢٤٢) ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (البقرة:٢٦٩) ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾(المائدة:١٠٠) ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ (يوسف:١١١) ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خير كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (البقرة:٢٦٩) ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾(البقرة:٢١٩) ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ (آل عمران:١٩١) ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ (الروم:٨) ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾ (الأعراف:١٨٥) ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ (ص:٢٩) ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(الزمر:٩) ﴿خلق الإنسان. علمه البيان﴾(الرحمن:٣-٤) ﴿الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق:٤-٥) ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ (الكهف:٦٦).

بهذه الآيات التي تحض على العقل والتمييز تقررت فريضة التفكير في الإسلام، وتبين منها أن العقل الذي يخاطبه القرآن هو العقل الذي يدرك الحقائق ويميز بين الأمور، العقل الذي يقابله الضلال لا العقل الذي يقابله الجنون الذي يذهب التكليف .

ولا يوجد أي تناقض بين العقل والإيمان بالغيبيات، فالفارق عظيم بين ما هو (ضد العقل) وبين ما هو (فوق العقل)، فما هو ضد العقل يلغيه ويعطله، وما هو فوق العقل يطلق له المدى ثم

• باحث مصري

يقف حيث ينبغي له الوقوف، وحتى حينما يقف فإنها تكون وقفة تفكر وتدبر.

الإسلام دعوة حارة إلى العلم في معناه الكبير الأشمل من الشعائر والصوم والصلاة، العلم بالمعارف الكونية وحقائق الوجود التي بها يقترب الإنسان من خالقه، لذلك يلفت القرآن الأنظار إلى العلوم الكونية ويربطها بمملكة الروح: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾(الأعراف:١٨٥) ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾(الغاشية:١٧-٢٠) ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾(البقرة:١٦٤)

كل ما حولنا معجزة، ولكنها المعجزة التي يعمل العقل لفهمها لا تلك التي تبطل عمل العقول، فالإسلام يضع المعجزة في موضعها فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخالق، لكنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيره، ولذلك كان جواب الرسول لمن طالبه بالمعجزات هو: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾(الإسراء: ٩٣).

القرآن الكريم لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم والتنبيه على أهمية الرجوع إليه



والتنويه بالعقل لم يأت مصادفة بل هو نتيجة منتظرة من دين لا يعرف الكهانة ولا يتوسط فيه أحد بين المخلوق والخالق، دين يعتمد على المسؤولية الفردية للإنسان ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾(الطور: ٢١)، دين لا يحاسب الإنسان على خطيئة ليست من عمله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(الإسراء: ١٥)، فليس في الإسلام إنسان ينجو أو يهلك بالميلاد، وإنما يوكل النجاة والهلاك لسعي الإنسان وعمله ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى﴾(النجم:٣٩-٤٠).

وعلى هذا يتناسق جوهر الإسلام ووصاياه، وتأتي منه الوصايا المتكررة بالعقل والتمييز، وحين يكون العمل بالعقل أمرا من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله لأي سبب خوفا أو إقتداء أو خضوعا.

بذلك يجيب العقاد على السؤال المطروح في بداية المقال: هل يتفق الفكر والدين؟ وهل يستطيع الإنسان العصري أن يقيم عقيدته الإسلامية على أساس من التفكير؟ وتكون إجابته: نعم يتفق الفكر والدين، نعم يدين المفكر بالإسلام وله سند من فكر وسند من إيمان، لأنه الدين الذي يجعلنا نعتقد بإله هو رب العالمين، ليس كمثله شيء وهو بكل شيء محيط، لا يحابي ذرية عن ذرية، ولا يختص بالنجاة فريقا دون فريق، ولا يميز أحدا بغير العمل والتقوى.

لأنه الدين الذي يجعلنا نؤمن بنبي مهمته الهداية، يعلم ما علمه الله ولا يعلم الغيب إلا بإذن الله، يخاطب العقول ولا يقسرها على التصديق بالخوارق والأعاجيب، ولا يملك لأحد نفعا ولا ضرا إلا ما يكسبه لنفسه من خير أو شر، نصدق الأنبياء حين نصدق نبينا ونصلي عليهم حين نصلي عليه، هم رسل الهداية، يبشرون وينذرون فلا يهلك أحد من خلائق الله بغير نذير ولا تفوته النجاة لأنه سبق في الزمان أو تأخر فيه بغير حيلة له في السبق أو التأخر، نصدق بالدين لأن عقيدته في الإنسان أنه مخلوق مسئول عن عمله، إن عمل صالحا فلنفسه وإن أساء فعليها، يؤاخذه الله بذنبه ولا يؤاخذه بذنب لم يقترفه وينجيه بتوبته ولا ينجيه بكفارة لم ينهض بثوابها، آسرة من ذكر وأنثى، أكرمهم عند الله أتقاهم، وأتقاهم لله أنفعهم لعباده، يتكاثرون بالأنساب فإذا نصب لهم الحساب فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

نصدق بالدين لأنه عهد بين الله وخالقه، أينما كان فثم وجه الله، محرابه حيث أقام الصلاة، لا حاجة به لكاهن ولا وسيط، فإذا احتاج الإنسان إلى دين- وهو لاريب محتاج- فأي عقيدة أجمل وأرفع وأولى بالاتباع من هذه العقيدة وهذا الدين؟.

لهذا كله يحق لنا أن نقول: إن التفكير يوجب الإسلام، وإن الإسلام يوجب التفكير.

الدعاة المبشرون

عمر سالم المطوع

عندما تكون في زيارة للطبيب لأعراض مرضية تشكو منها، وعند الفحص السريري يبدأ الطبيب يتلمس بعض الأعراض لمرض خطير جدًا.. حينها يطلب منك عينة من الدم للتأكد من خلوك من هذا المرض الفتاك، وبينما أنت تنتظر النتيجة إذ بالطبيب يتصل بك بعد أربعة أيام ويخبرك بضرورة عمل فحص من نوع آخر للتأكد بشكل أدق فلا تزال النتيجة الأولية غير واضحة، والتحليل الجديد يستغرق أسبوعين إضافيين، حيث إن التحليل يرسل إلى مختبر خارج البلد، وبينما أنت تنتظر تنتابك أفكار مزعجة، فالأهل قلقون، والحالة النفسية بين مد وجزر، فتأتي أوقات تحس فيها بالتفاؤل، وأوقات بالتشاؤم الذي يجعل صدرك ضيقًا، وكأني أراك تكثر من الدعاء والاستغفار والرقية الشرعية، وهكذا إلى أن انقضت المدة.. وبعد وصول النتائج يتصل بك الموظف الذي يعمل بعيادة الطبيب ويخبرك بضرورة حضورك إلى العيادة، وذلك بناء على طلب الطبيب، وبينما أنت تستعد وتصلي ركعتين قبل الذهاب الى العيادة تدعو الله فيهما بالفرج القريب.. الآن وصلت إلى العيادة، وهأنت تدخل على الطبيب، وإذ به يقوم من كرسيه ويصافحك ويقول: «ألف ألف مبروك نتيجة التحاليل طلعت سليمة، فالحمد لله ما تحتاج إليه علاج بسيط من المضاد الحيوي»، وبينما أنت تسمع الخبر، إذ بوجهك ينبسط وتظهر عليك علامات الفرح، وتقول للطبيب لقد بشرتني عسى الله أن يبشرك بالجنة.. هل نظرت معي أخي القارئ إلى هذا الشعور الجميل الذي يظهر أثره على النفس البشرية عندما تسمع مثل تلك البشارات، رأيتك عرفت أثرها وجمالها افيا ليتنا نتحلى بها في تعاملاتنا ونكون مبشرين لا منفرين، فقد قال النبي ﷺ عندما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن «يسرا ولاتعسرا، وبشرا ولاتنفرا، وتطاوعا ولاتختلفا» (رواه البخاري).

وما أجمل ما قاله الشاعر:

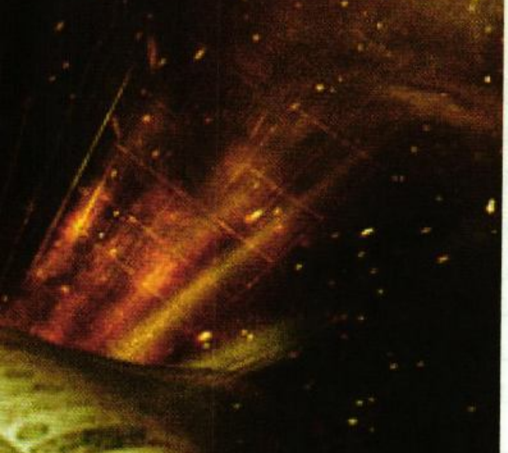
إذا قلت كنت للقول فاعلا
وكان حيائي كافلي وضميـــني
تبشرُ عني بالوفاء بشاشتي
وينطق نور الصدق فوق جبيني

البشارة والربانيون

البشارة خلق كريم يتحلى به الدعاة الربانيون، فيقومون ويبشرون الناس بعظمة وجمال شريعتنا الإسلامية الغراء، فالبشارة من من صفة الأنبياء والمرسلين، فقد قال الله تعالى:﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين...﴾ (البقرة: ٢١٣) وقوله تعالى:﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأنعام: ٤٨)، فانظر ودقق فهمك، كيف أن الله عز وجل قدم البشارة على الإنذار، فما علينا إلا أن نُقدم أسلوب البشارة والترغيب في الدعوة إلى الله عز وجل، فالأصل في الحق أنه يبشر أصحاب النفوس الصحيحة ويحثها على فعل الخيرات، لأن تلك النفوس الصحيحة ما إن تسمع نداء الإيمان إلا وتتغير، فتصبح من أهل الإيمان، ويظهر البشر والانبساط على الوجوه بعد تذوق حلاوة الإيمان، والبِشارة يندرج تحتها معنى الجمال والحُسن، فقد قال ابن فارس في تعريف البشارة لغة: «هو ظهور الشيء مع حسن وجمال، ويقول الرازي: «والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به كقوله تعالى:﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ (الأنشقاق: ٢٤). أما أصحاب النفوس السقيمة التى تبعت هواها وسبل الشيطان، فهو إنذار لهم من عاقبة الشرك بالله والغواية والانغماس في المعاصي والآثام.

مصادر البشارة

وسوف تجد أيها القارئ أن القرآن الكريم مليء بالآيات التي فيها بشارة للمؤمنين، ولن أحصيها في هذه المقالة، ولكن فكر معي في هذه الآية، يقول الله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين﴾(النحل: ٨٩)، فالله الله في قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه، فوالله ستجد فيه كل البشارة والسعادة، وفي أحاديثه ﷺ



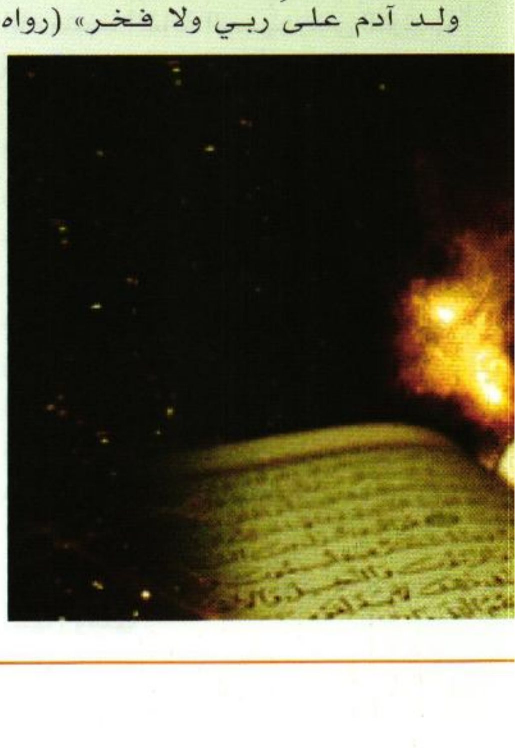
• كاتب وباحث كويتي

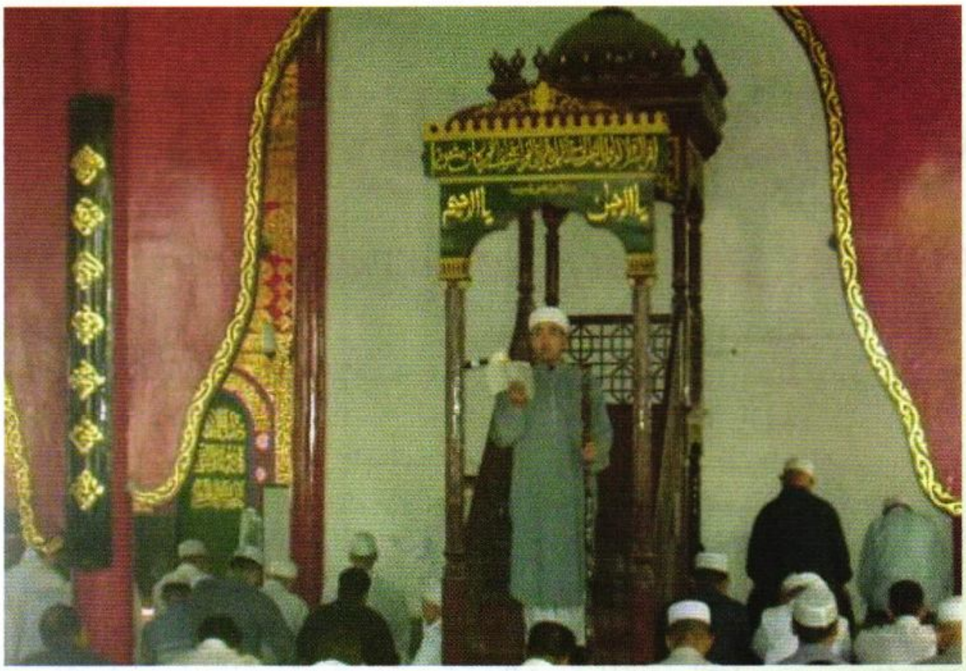
إن على الدعاة الى الله ان يشيعوا جو البشارة فيما بينهم، وأن يستخدموه في وسائلهم الدعوية

ما يثلج الصدر ويشحذ الهمة، فهو نبراس الهداية والبشارة ﷺ، فما إن تمتزج روحك بفهم أحاديثه ﷺ إلا وتشمر عن ساعد الجد وتجتهد في الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ مستبشرا بأثرها في حياتك الدنيا ورصيدها الوفير في الآخرة، وسوف تجد في أحاديثه ﷺ ما يحث على الزيادة في شكر النعم والصبر والاحتساب في البلاء، لذا أضع بين يديك طائفة من أقواله ﷺ آملاً منك تدبرها وقراءتها بتمعن.

قال النبي ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسنا والدين والرفعة والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب» (رواه الإمام أحمد).

قال النبي ﷺ: «أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذٍ بين يدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» (رواه





الترمذي).

قال النبي ﷺ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» (رواه أبوداود وصححه الألباني).

البشارة في الدعوة إلى الله

إن على الدعاة الى الله ان يشيعوا جو البشارة فيما بينهم، وأن يستخدموه في وسائلهم الدعوية، لما لذلك من أثر في بث روح التفاؤل في مجتمع الدعاة وتقريب المدعوين الى الالتزام بتعاليم الدين القويم، فللبشارة أثر كبير في رفع الروح المعنوية للدعاة، بل تساهم بشكل رئيسي في مضاعفة الجهد والإنجاز، فهاهو النبي ﷺ في شدة الظروف التي أحاطت بالمسلمين في غزوة الخندق يبشرهم ويقول: «والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنًا، وأن يدفع الله عز وجل مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله» (سنن البيهقى الكبرى).

والطريق إلى تحقيق البشارة بين الدعاة إلى الله يكمن في ثقتنا بنصر الله وتمكينه للمؤمنين، وأن نشيع الأجواء الإيجابية التي تساعد على العمل الدؤوب والإنجاز، وأن نكون على حذر من إشاعة الأجواء والأخبار السلبية، فعادة مثل تلك الأجواء والأخبار تؤثر في نفسيات الدعاة وكيان المؤسسات الدعوية، فهاهو الرسول ﷺ لما أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم، ليعرفوا موقف يهود بني قريظة في غزوة الخندق، قال: «انطلقوا حتى تنظروا أحقا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقّا، فالحنوا لي لحنًا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس» (السيرة النبوية لابن هشام)، ولقد رأينا كثيرا من الآثار السلبية لمثل تلك الأجواء التي جعلتنا نتكاسل في سلوك الدعوة إلى الله، نعم قد تصيبنا بعض الأحداث السلبية والمحزنة، ولكن علينا أن ننظر إليها بروح إيجابية، فكثير من الأحداث عندما ننظر إليها بروح سلبية لا نجد لها حلا، ولكن عندما ننظر إليها نظرة إيجابية نجد لها كثيرا من الحلول والتصورات التي تجعلنا نحل المشكلة ونتقدم للأمام.

كتاب «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام»

للإمام تاج الدين الفاكهاني المالكيّ (٦٥٤ - ٧٣١هـ)

اسم الكتاب: «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام».

المؤلف: الإمام تاج الدّين الفاكهاني المالكيّ.

الجهة الطابعة: إصدار مجلة «الوعي الإسلامي»، قطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، في خمسة مجلدات.

والكتاب من طباعة دار النوادر الكويتية.

ترجمة الإمام الفاكهاني

هو الإمام الفقيه الفاضل أبوحفص عمر بن علي بن سالم بن عبدالله اللخمي الإسكندراني المالكي، مَهَر في العربية، وكان إمامًا متفنّنًا في الحديث والفقه والأصول، وكان على حظّ وافر من الدين المتين، والصلاح، واتباع السلف الصالح، زار دمشق سنة ٧٣١هـ، واجتمع به ابن كثير (صاحب البداية والنهاية)، وقال: سمعنا عليه ومعه، وحج ورجع إلى الاسكندرية، وصُلّي عليه بدمشق لمّا وصل خبر وفاته، له كتب منها «الإشارة» في النحو، «المنهج المبين في شرح الأربعين النووية»، و«التحرير والتحبير» في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، في فقه المالكية، و«رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» في الحديث، وهو كتابنا هذا، و«الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير»، و«الغاية القصوى في الكلام على آيات التقوى»، توفي سنة (٧٣١هـ)، ذكر ابن فرحون في الديباج في ترجمة الفاكهاني أنه لمّا حضرته الوفاة: قال صهره الفقيه ميمون: تشهّدت بين يديه؛ ففتح الشيخ عينيه وأنشد:

وغَدًا يذكّرني عهودا بالحمى
ومتى نسيتُ العهد حتى أُذَكَّرا؟

أهمية الكتاب

يعتبر شرح الفاكهاني من أهم الشروح على كتاب العمدة، حيث إنه الشرح المالكيّ الأول من بين المطبوع منها، ولأنّ مؤلفه مالكي، وأكثر مَن شَرَحه إمّا حنابلة أو شافعية، كما أنه عُني في شرحه بمسائل ونكات عربية، وجمع من تقييدات أكابرِ شراح الحديث؛ كالخطابي والمازري وابن العربي والقاضي عياض والنووي وابن دقيق العيد، وغيرهم رحمهم الله جميعًا.

كما أنه حفظ لنا كثيرا من النصوص الفقهية وغيرها من كتب فقدت، أو لا تزال مخطوطة لم تر نورً الطباعة بعد، مثل: «رجال العمدة» للصعبي، و«شرح الأحكام» لابن بزيزة، و«البيان والتقريب في شرح التهذيب» لابن عطاءالله المالكي.

منهج الفاكهاني في شرحه

بيّن المؤلف في مقدمة كتابه ما قصد إليه من هذا التأليف، فذكر جملة أمور منها:

الاهتمام بشرح الغريب، فيذكر المفردة وجمعها وتصريفها ولغاتها، ويحشد لها أحيانا شواهد الشعر والنثر، معتمدا على كتاب الصحاح للجوهري وغيره.

التنبيه على نكت الإعراب، وهو من أجلِّ مزايا الكتاب، والتي تقدّم الكاتب بها على غيره من الشرّاح، وليس ذلك بغريب عليه، فهو الموصوف باللغوي المتفنن النحوي، وبأنه الإمام في العربية.

البيان للأحكام، يذكر الشارح الأحكام الفقهية، ويقدّم في بعض الأحيان بين يدي الكتاب أو الباب مقدمات ومسائل فقهية تتصل بموضوع الحديث المراد شرحه، وعند دراسة الحديث فقهيا يقدم مذهب مالك، فيذكر الروايات عنه والمسائل، وترجيحات متأخري المذهب، ثم يتبعه بذكر المذاهب الأخرى، خصوصا الشافعية، ولا يذكر الحنفية والحنابلة إلا قليلا.

الاستدلال بالأحاديث، في أثناء الشرح يذكر بعض الاستدلالات والاستنباطات الفقهية، وبعض الفوائد المستقاة من الحديث، وقد كان رحمه الله متتبعا ألفاظ الحديث على الترتيب، كما التزم ذلك ونوّه به غير مرة.

الإيضاح للمشكلات، كدفع وهم التعارض بين الأحاديث، أو حل إشكال وقع في ألفاظ الحديث، أو مسألة فقهية اكتنفها الغموض والاستغراب.

التعريف بالرواة حسب الإمكان، فقد عرّف ببعضهم وأهمل بعضهم، وطريقته في ترجمتهم أن يذكر اسم العلم بلقبه وكنيته وقبيلته، وضبط ما اشتبه من الأسماء، ثم يذكر شيئا من مناقبه، وما اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديثه.

كما أوضح الكتب التي يكثر النقل عنها، ومنها:

يعتبر شرح الفاكهاني من اهم شروح كتاب العمدة

إكمال المعلم للقاضي عياض، ورمز له بالرمز «ع»، وشرح مسلم للنووي، ورمز له بالرمز «ح»، وشرح العمدة لابن دقيق العيد، ورمز له بالرمز «ق».

وقد اشترط الفاكهاني، رحمه الله، على نفسه أن يعيّن من عدا أصحاب هذه الكتب ممن ينقل عنهم.

من موارد المؤلف في الكتاب:

في اللغة وغريب الحديث:

١- الصحاح للجوهري
٢-تهذيب اللغة للأزهري
٣-معجم مقاييس اللغة لابن فارس
٤-مشارق الأنوار للقاضي عياض
٥-غريب الحديث للخطابي
٦- غريب الحديث لأبي عبيد



في الفقه وأصوله:

١-المدونة
٢-العتبية
٣- جامع الأمهات لابن الحاجب
٤- التفريع لابن الجلاب
٥-عقد الجواهر الثمينة لابن شاس
٦-التلقين للقاضي عبدالوهاب
٧-شرح التلقين للمازري
٨- المقدمات الممهدات، والبيان والتحصيل؛ كلاهما لابن رشد الجد
٩-الرسالة لابن أبي زيد القيرواني
١٠-شرح الرسالة للقاضي عبدالوهاب
١١-المحصول للرازي
١٢-الإحكام للآمدي

في التفسير:

١- الكشاف للزمخشري
٢- مفاتيح الغيب للرازي
٣-أحكام القرآن لابن العربي
٤- المحرر الوجيز لابن عطية

في الحديث:

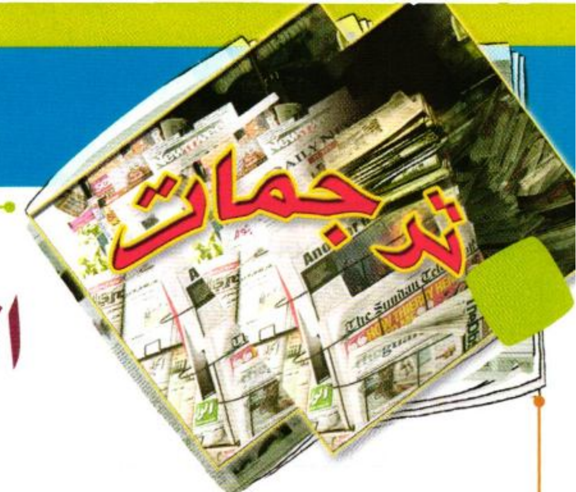
١- الكتب الستة
٢-الموطأ للإمام مالك
٣-المسند للإمام أحمد

في شروح الحديث:

١- التمهيد، والاستذكار؛ كلاهما لابن عبدالبر
٢- المنتقى للباجي
٣-القبس، وعارضة الأحوذي؛ كلاهما لابن العربي
٤-المُعْلِم للمازري
٥-إكمال المعلم للقاضي عياض
٦- معالم السنن للخطابي

في التراجم والتاريخ:

١-الاستيعاب لابن عبدالبر
٢-أسد الغابة لابن الأثير
٣-تهذيب الأسماء واللغات للنووي



الخلاصة في الرد على المسلمين

د. محمود مسعود

إذا أردنا أن نتصفح الفكر الغربي في مقابل الفكر الإسلامي، لابد أن نضع في اهتمامنا منذ أول وهلة المقابلة بين علم اللاهوت الغربي وعلم الكلام الإسلامي، فكل من هذين العلمين نشأ للرد على المخالفين في العقائد والأفكار، سواء أكان هؤلاء المخالفون من جنس ودين واحد، أو من الأمم والديانات الأخرى التي تقابل صاحب هذا الدين أو ذاك.

ولو أردنا أن نبدأ من البيئة الإسلامية لكان هناك عشرات ممن لا تخطئهم عين، قاموا بهذا الدور منذ واصل بن عطاء وعمر بن عبيد إلى الإمام محمد عبده مرورا بالغزالي والرازي وابن حزم وابن تيمية... وغيرهم كثير من فرسان هذا المجال، ولو عرجنا على الغرب المسيحي- وهذا دورنا مع قراء مجلة الوعي المبجلين- لما كان لنا اختيار غير أن نبدأ بالقديس توما الإكويني الذي يُعد أهم من كتب في الرد على المسلمين، وفي ذات الوقت يُعد - هو نفسه- أهم من استفاد من الفكر الإسلامي في إقامة حجج لدينه وتقوية الإيمان في مذهبه عند أتباعه، بل يُعد هو أبرز من مد الغرب بظلال الفكر الإسلامي عبر نقده له، ولو أن الإكويني ظل يمدح عقيدته دون أن يمس عقائد الآخرين ما خصصنا له هذا المقال، لكنه أفرط في وصف المسلمين بالمادية والبعد عن الروحانية وفهم معانيها، لهذا آثرنا أن نبين وجهة نظره والرد عليها، لاسيما وأن النبرة التي يرددها منتقدو الإسلام اليوم من غير المسلمين هي ذات النبرة التي كان يرددها هذا القديس.

فقد ولد القديس توما الإكويني عام ١٢٢٥م في قصر روكاسيا بالقرب من أكوينو بجنوب إيطاليا، وكان أبوه حاكم تلك المدينة، وأرسله أبوه منذورا للخدمة في أحد الأديرة من غير أن ينتظم في سلك الرهبنة، ثم التحق بكلية الفنون بجامعة نابولي، فلما توفي أبوه قرر أن يدخل الرهبنة الدومينيكانية وهو في ريعان الشباب، وقد اعترض عليه بعض أقاربه لمنعه من الرهبنة وتم حبسه لعدة شهور، لكنه استعاد حريته ورحل إلى باريس ليتعلم من ألبيرت الكبير مؤسس الدومينيكان، والذي كان يعمل أستاذا في جامعة باريس، ثم رحل مع معلمه هذا إلى كولونيا لينشئا معهدا دومينيكانيا، ثم عاد إلى باريس وحصل على الليسانس، وصار أستاذا للاهوت بها وهو في الحادية والثلاثين من عمره، ثم عاد إلى إيطاليا مسقط رأسه ليصبح معلما في معاهد البلاط البابوي ما بين عام ١٢٥٩م وعام ١٢٦٨م، ودخل الإكويني معارك ضد الرشديين (أتباع الفيلسوف المسلم ابن رشد) في باريس وغيرها، ونتيجة هذه المعارك أعفي من التدريس عام ١٢٧٢م. وذلك لأن التيار الرشدي حينئذ كاد يهز أركان العقيدة الكاثوليكية في سلطة البابوات، فالمؤمن يجب أن يتوجه إلى الله دون واسطة من أحد، وأن عقل الإنسان أعظم نعمة يجب الاستفادة منها. وتوفي في عام ١٢٧٤م.

أما كتابه الذي نحن بصدد تقديمه فهو «الخلاصة في الرد على الأجانب» (Somme centre les gentils) وهو يقصد بالأجانب المخالفين له في الدين خاصة المسلمين، وكلمة gentil كان يستخدمها قبله اليهود لتمييز غير اليهود، فقد حاول الإكويني في الفصل الأول والثاني أن يبين أهمية الحكمة، وأنها رأس كل أمر، لكنه رأى أن الحكماء القدماء مختلفين فيما بينهم في هذه الحكمة التي مصدرها العقل الإنساني، ثم أصبح من الصعب الوصول إلى مصادرهم الأصلية، خاصة أن بعض هؤلاء الحكماء كان يعيش مع عباد الأصنام، فلربما كانوا على دينهم أو كانوا متأثرين بعبادة الأوثان.

ولما كان بيان خطأ كل طائفة على حدة صعب المنال وربما مستحيل، كما أن بعض الملحدين من الوثنيين والمحمديين (يقصد المسلمين) ليسوا متفقين معنا على سلطة النصوص المقدسة، والتي بفضلها يمكن إقناعهم بعقيدتنا، كما كان من الصعب إقناع اليهود الذين ظلوا مؤمنين بالتوراة، ولم يؤمنوا ببشارة المسيح- الإنجيل- والتي جاءت مكملة لتوراتهم، ورأى الإكويني أن كل هؤلاء لا يصح الحوار معهم أو إقناعهم مستندا إلى نصوص الإنجيل، فلابد إذن من اللجوء إلى العقل الذي يتفق الجميع في كثير من أدواته، ومع أننا جميعا متفقون على قدرات العقل إلا أن هذا العقل غير قادر على أن يدرك الله كما يقول الإكويني، ثم حاول إقناع أتباعه بمسايرته في خطواته العقلية ليثبت أن دينه وعقيدته صحيحان من جهة العقل، وأن دين مخالفه وعقيدته مجافيان للعقل! لكنه كعالم لاهوت لا يغفل أن يطمئن أتباعه بأن نصوص الكتاب المقدس وحدها هي سبيل الإيمان، وأنه في مجاراته لغيره من غير النصارى إنما القصد منه إما إفحامهم أو دعوتهم للدخول في ملكوت الله (يقصد قبول فكرة الخلاص المسيحية)، تلك الفكرة التي يبني المسيحيون عقائدهم عليها، وهي أن المسيح هو المخلص من الذنوب والمطهر من المعاصي، فيكفي المسيحي أن يؤمن بالمسيح ليصبح طاهرا من كل أنواع الكفر والزيغ.

ثم يستلهم القديس توما الإكويني منهج أرسطو الذي استلهمه من الفلاسفة المسلمين خاصة ابن سينا وابن رشد ليؤكد صحة عقائده وبطلان عقائد غيره، ففي الفصل الثالث يبين كيف يمكن اكتشاف حقيقة الإله، فالحقيقة الأولى أن مقام

• أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

الإلهية يتجاوز كل القدرات العقلية للإنسان، ويبين ذلك من خلال شرحه لفكرة الثالوث المقدس، حيث يقول إن العقل الإنساني لا يستطيع أن يدرك كيف يكون الإله واحدا وفي ذات الوقت ثلاثة، في حين يمكن للعقل أن يصل بسهولة لإثبات وجود الله وأنه واحد لا شريك له، حتى إن الفلاسفة ــ بدون سند من وحي ــ استطاعوا أن يبرهنوا على ذلك، فيبدو من هنا أن جزءا من الحقائق يمكن أن نلمسه بعقولنا وجزءا آخر لا يمكن للعقل أن يصل إليه، ومن هذا الجزء مسألة التثليث.

ثم حاول في الفصل الرابع إثبات أن العقل يمكنه البرهنة على شيء ولا يمكنه البرهنة على شيء آخر، فلو تركنا العقل حرا وجدنا ثلاثة اتجاهات.

الأول: أن قليلا من الناس يشغلهم أصلا البحث عن معرفة الله، وذلك لكونهم يعاقون بواسطة الجهل والشهوة والكسل عن البحث عن الله.

الثاني: أن الذين بذلوا جهدا كبيرا لمعرفة الله عن طريق العقل لم يستطيعوا معرفته معرفة يقينية، ثم إن الخطر في الذين يقتربون من الحكمة ولا يصلون إليها، فيدلسوا على الناس كما جاء في كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو، ثم إنه لو كانت معرفة الله لا تأتي إلا عن طريق العقل لظل الناس يتخبطون في ظلمات الجهل، لأن معرفة الله بهذه الوسيلة لن تجذب عددا كبيرا من الناس، حيث لا يستطيع جمهور الناس أن يمكثوا زمنا طويلا في التأمل العقلي.

الثالث: أن عقل الإنسان بطبعه يقع في الأخطاء بسبب الصور التي اعتاد عليها وألفها، كما أن غالبية الناس يجهلون

يستلهم القديس توما الإكويني منهج أرسطو الذي استلهمه من الفلاسفة المسلمين

قوانين البرهان العقلي، حيث إن كثيرا من الأمور التي نبرهن عليها يثبت خطؤها فيما بعد، ولذلك فالأفضل أن يتلقى الإنسان العقيدة من خلال الوحي.

ثم يقترح القديس توما في الفصل الخامس أن يأخذ الإنسان الحقائق التي لا يمكن للعقل أن يصل إليها كمسلمات وأساس للإيمان، وذلك لأن الديانات المادية يمكنها أن تبرهن عن حقائقها، أما الدين المسيحي وهو دين روحاني يصعب البرهنة على حقائقه بواسطة العقل، حيث إننا لا نعرف الله إلا في اللحظة التي نعتقد فيها أنه يتجاوز كل مقدرة إنسانية لإدراكه وهو ما يسميه بعض الصوفية الإحساس بالعجز عن معرفته.

ويستمر في الفصل السادس في إثبات صحة العقائد المسيحية في أن الله يوحي للإنسان بالمعرفة عن طريق الأنبياء المؤيدين بالمعجزات، أو أن يتجسد بذاته في الصورة البشرية ويصنع المعجزات حتى يسهل القبول به عند البشر «وهذا ما لم يفهمه المحمديون (المسلمون) حيث إن محمدا جذب الناس وغرر بهم بواسطة اللذة الجسدية التي وعدهم بها في الدنيا بالدعوة للحرب، وفي الآخرة بالجنة» ثم أخذ توما يحقر من نظرة المسلمين هذه للدنيا وللآخرة، بل ادعى أن تلك الطريقة هي التي ساعدتهم للوصول إلى جمهور كبير من الناس إذ إن الناس لا يستطيعون أن يتخلصوا من شهواتهم بسهولة.

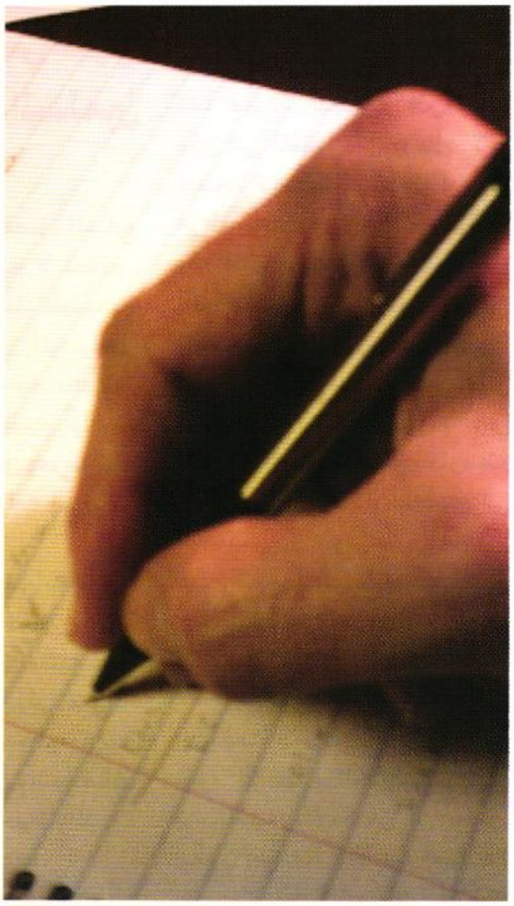
ثم بين في الفصل السابع أن العقيدة المسيحية لا تخالف العقل وأن الله- منذ تجسده- يحيا في الإنسان المسيحي وأنه جعل المعرفة به مفطورة في الذات الإنسانية، ولهذا فالإنسان إذا أراد أن يعرف الله فما عليه إلا أن يتوجه إلى ذاته ليكتشف الله فيها.

ثم أخذ الإكويني بدءا من الفصل التاسع حتى نهاية الكتاب في البرهنة العقلية على إثبات وجود الله وبيان صفاته السلبية وهي (القدم والوحدانية ونفي الجسمية) والصفات الذاتية من مثل: الحياة والقدرة والإرادة والعلم وغيرها.

ويبقى لنا هنا موقف من فكر القديس توما الإكويني ورده على المسلمين، حيث إنه **أولا**: انحاز -ولا نلومه على هذا الانحياز- لعقائد دينه الروحاني، ونسب إلى دينه موافقته للعقل، مع أن المتبصر في رد الإكويني على المسلمين يلحظ بسهولة أنه شمر عن ساعده واعترض على إثبات عقائده بالعقل، حيث يقول: إن الجانب الروحي يصعب البرهنة عليه بالعقل، فكيف يصعب البرهنة عليه بالعقل ثم لا تكون هناك معارضة بين معتقده وبين العقل؟!

ثانيا: إن الإكويني يرى أن عقيدة التثليث يصعب البرهنة عليها بالعقل، ومر على هذه المسألة بخفة قلم وبدون تفصيل رغم أنه ذكر صفات الله التي يجب أن يؤمن بها المسيحي وبرهن عليها تفصيلا، ومع ذلك لم يحاول أن يبرهن على مسألة التجسيد تلك، لأنها كما يقول تتجاوز قدرات العقل الإنساني، فما فائدة التجسيد إذن؟! ألم يكن من المعقول أن يرسل الإله معجزاته عبر رسول أو نبي من أنبيائه دون أن يتجسد هو ويخالف بنفسه قدرات العقل التي خلقها، بل هذا هو ما تحقق بالفعل -كما يؤمن المسيحيون- مع الأنبياء السابقين على عيسى وهو عينه ما يقول به نبي الإسلام الكريم r، فلم معارضته والرد عليه؟ فكان يجب على الإكويني أن يرد على الله في فعله السابق على التجسيد! هذا -بالطبع- لو سرنا مع العقل والبرهان العقلي.

ثالثا: كيف ينكر الإكويني حاجيات الجسد، والإنسان لا يقوم إلا بهذه الحاجيات، فهل يستطيع الإنسان أن يعيش بدون جسد؟ وإلا ما الفائدة من الإنسان؟ فهناك الملائكة النورانيون الذين يعيشون بلا جسد مادي، ولو أنه رفض مبالغات الناس في تثمين الجسد وتزويده بكل رغبة حسنة أو سيئة، حلال أم حرام لما كان لنا لوم عليه، أما إلغاء متطلبات الجسد فهو أمر مستحيل على طبيعة الإنسان، وإلا لماذا كان يأكل الإكويني نفسه؟ ولماذا كان ينام؟ ثم العجيب أن أتباع القديس توما من النصارى ليسوا كلهم رهبانا مثله، يكتفون من الحياة بقطعة من خبز وقضمة من فاكهة، وإلا لماذا يتزوج أتباع المسيح وينجبون؟ أليس من الأجدر أن يعيشوا جميعا رهبانا؟ ولكن القديس توما يعلم أنهم لو فعلوا ذلك لفنوا من الأرض خلال جيل أو نحوه، فإذا كان هذا هو حال أتباع المسيح الروحاني من حاجيات الجسد، فلم الإنكار على غيرهم؟!



هل قوميتنا عربية .. أم إسلامية؟

لقد راهن الكثير من مفكري وزعماء العالم العربي على العروبة كأساس لوحدة وقومية تجمع العرب، والعرب فقط، منسلخين عن المحيط الإسلامي الكبير، ولقد برهنت الأحداث التي مرت بها المنطقة العربية على فشل اتخاذ العروبة كأساس قومي بعيدًا عن الإسلام، وأمامنا في ذلك مثال الوحدة العربية بين مصر وسورية، وما آلت إليه هذه الوحدة من فشل، كذلك الهزيمة الشنيعة التي أصابت العرب في يونيو عام ١٩٦٧م والتي سموها نكسة، فهي نكسة فكر وايدولوجيا. أقول لمن يرى أن العروبة هي أساس القومية والوحدة بين العرب:

هل كان للعرب قبل الإسلام حضارة أو ثقافة أو دين؟ هل فتح العرب فارس والروم بمعلقة ابن كلثوم؟ إن الحضارة العربية هي الحضارة الإسلامية ولا يصح أبدًا ان تقدم العربية على الإسلامية، فالإسلام يجمع المسلمين من العرب وغيرهم.

ولقد علم الاستعمار الغربي هذا، فزرع في الدويلات والدول العربية بذور الفرقة والنعرات القومية والعصيان القبلي حتى لا تجتمع أمة الإسلام أبدا، فنرى اليوم كثيرًا من الشباب المسلمين يستقبلون اخبار اخوانهم المستضعفين في الأرض بدم بارد بل مثلج، وكأنها مباراة كرة قدم تتخذها كل دولة معولاً لهدم الأخرى.

أحمد عبدالمنعم

قالوا عن الإسلام

• يقول أناتول فرانس: إن أفظع سنة في تاريخ فرنسا هي سنة (٧٣٢م) وهي السنة التي حدثت فيها معركة «بواتيه» والتي انهزمت فيها الحضارة العربية أمام البربرية الإفرنجية ويااليت يد شارل مارتل قطعت ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبدالرحمن الغافقي، إن انتصاره أخر المدنية قرونا عدة.

• يقول أرنست رينان: لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد ان تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم الكتاب العلوي وتقدسه.

• يقول الأميركي مايكل هارت: لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقيت حروفه كاملة دون تحوير سوى القرآن الكريم الذي نقله محمد.

• يقول العالم الفلكي جيمس جنز: سمعت العالم المسلم عناية الله المشرقي يتلو الآية الكريمة ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فصرخت قائلًا: مدهش وغريب! إنه الأمر الذي كشف عنه بعد دراسة استمرت خمسين سنة! من الذي أنبأ محمدا به؟ وهل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك فأنا أشهد أن القرآن كتاب موحى به من عند الله.

• يقول العلامة بارتلمي هيلر: لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة: ٦٧)، صرف النبي ﷺ حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته!

• يقول د.إيرنبرج أستاذ في جامعة أوسلو: لاشك في أن القرآن من الله ولاشك في ثبوت رسالة محمد.

• يقول البروفيسور يوشيودي كوزان مدير مرصد طوكيو: لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع.. الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله.

• يقول ليو تولستوى: أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد ﷺ الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه وليكون هو أيضًا آخر الأنبياء.

• يقول فارس الخوري: إن محمدا أعظم عظماء العالم، والدين الذي جاء به أكمل الأديان.

محمد السيد عامر

مقترحات

اقترح عليكم أن يكون هناك مجال للسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم مثل «مأدبة القرآن» التي نشرت في السنوات الماضية، ويكون عنوانها «واحة السنة» بحيث تبدأ بالحديث النبوي الشريف «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

معاني المفردات

خيركم: أفضلكم.

تعلم القرآن: درس القرآن وعلومه مثل التجويد.

علمه: شرحه لغيره.

ما يؤخذ من الحديث:

١ - الحث على حفظ القرآن الكريم وتدبره.

٢ - الحث على السعي وراء العلم وتعليمه للناس.

محمود خالد حلمي

الاعتماد المستندي

في أعقاب الحرب العالمية الأولى ومع ازدياد حركة التجارة العالمية بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية، زاد الطلب على وسيلة مضمونة لتأمين حركة التجارة، وضمان حقوق المشتري والبائع اللذين يقيم كل منهما في بلد يبعد عن البلد الآخر آلاف الأميال، وعلى سبيل المثال: سافر تاجر مصري إلى الهند للتعاقد على شراء توابل وبهارات، وعندما تقابل مع تاجر هندي، تم الاتفاق بينهما على السعر والكمية والنوع، وتم تحرير عقد بالشروط كافة ولكن إلى هنا لم يتم دفع أي مبالغ إلى التاجر الهندي، وكذلك لم يتسلم التاجر المصري أي بضاعة، من هنا جاءت فكرة «الاعتماد المستندي» التي تقضي بأنه بعد رجوع التاجر المصري إلى بلده، يذهب إلى البنك الذي يتعامل معه، ويطلب وضع ثمن البضاعة التي اتُّفقَ على شرائها تحت تصرف التاجر الهندي، بشرط وصول البضاعة، أو شحنها من الهند، تحت رعاية البنك، وذلك بالتأكد من شحن البضاعة والتأمين عليها ضد مخاطر النقل البحري أو الجوي.

وفي الوقت نفسه يقوم بنك التاجر المصري بالاتفاق مع بنك التاجر الهندي ليكون مسؤولاً معه في إتمام الصفقة والتأكد من شحن البضاعة من الهند إلى مصر، ولا يتم دفع المبلغ المتفق عليه للتاجر الهندي إلا بعد وصول الشحنة إلى مصر بلد المستورد، وتكون مطابقة لشروط خطاب الاعتماد المستندي.

فالاعتماد المستندي هو: تعهد كتابي صادر من بنك إلى التاجر المصدر بناء على طلب المستورد، يتعهد فيه البنك بدفع قيمة البضاعة متى قدمت إليه مستندات شحن معينة مطابقة تمامًا لخطاب الاعتماد السابق تبليغه إلى المصدر، من خلال صلاحية بنود الاعتماد، أي تبادل المستندات والأموال والتأكد من شحن البضاعة ووصولها عن طريق بنكي المستورد والمصدر، وبذلك تكون المعاملات بين البنوك آمنة وسريعة وواضحة، وليس عن طريق الأفراد مباشرة، وقد سميت بهذا الاسم لأن المستندات الخاصة بعمليات التبادل تكون معتمدة من البنوك القائمة لذلك.

أهمية الاعتماد المستندي

تعتبر الاعتمادات المستندية من أهم العمليات المصرفية، فهي الأداة التي تنظم التجارة الدولية، وتسهم كثيرًا في سهولة وسرعة وضمان إتمام المعاملات التجارية بين الدول على اختلاف نظمها.

وبما أن البنوك تقوم بتمويل التجارة الدولية، فقد حقق ذلك النظام كثيرًا من المزايا منها: تقليل المخاطر في التجارة الدولية إلى الحد الأدنى، حيث إن التعهد الصادر من بنك المستورد يبعث على الاطمئنان، ويشجع المصدر (البائع) على إتمام الصفقة، ولذلك فالاعتماد المستندي وسيلة ضمان لطرفي الصفقة.

كذلك يستطيع المستورد أن يستغل رأس ماله بدلاً من تجميده لحين وصول البضاعة كما يستطيع المصدر الحصول على قيمة البضاعة من بنك المشتري فور شحنها، وغالبًا ما يقدم البنك تسهيلات بنكية للمشتري.

إبراهيم علي إبراهيم

الشمس مصدر الحياة

الشمس آية من آيات الله تعالى، ورد ذكرها في القرآن الكريم حوالي ٣٤ مرة منفردة ومجتمعة، وهي من مخلوقاته التي أقسم بها عندما قال ﴿والشمس وضحاها﴾ (الشمس: ١)، أي الضوء الساطع الذي أنار الكون وبدد الظلام، ومن حرارة اشعتها الضوئية وجدت الحياة على سطح الأرض ونمت وتعاظمت لأن الله سبحانه وتعالى جعلها ضياء لنا وقدر لها أن تمنح الدفء والخير ومحبة الحياة، فهي وسيلة لحساب حركة الزمن، ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا﴾ (الأنعام: ٩٦)، أي علامة حساب لأن طلوعها وغروبها وما يظهر من تحولاتها واختلاف مظاهرها كل ذلك مقدر بحساب.

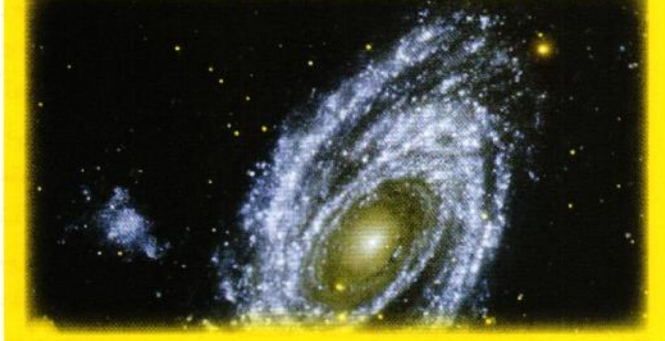
إن هذه الكتلة الغازية تتألف من طبقات متباينة تدور الواحدة منها حول نفسها بسرعة خاصة بها، وهذا ما أكده علماء الفلك من جامعة كاليفورنيا برئاسة د.إدوارد رودس، وهذا الدوران يعرف بحركة الشمس الداخلية والتي يتأثر بها سطح الأرض.

ولو اختلت سرعة إحدى الطبقات في دورانها حول نفسها اختلالا ضئيلًا لا يزيد على ١٪ لكان في ذلك ما يكفي لتغيير مناخ الأرض من جليدي ثلجي إلى مناخ حراري ملتهب. كما أن حجم الشمس ودرجة الحرارة وبعدها عن الأرض كلها أشياء شاءت قدرة الله ان تكون محسوبة بدقة متناهية، فهي أقرب نجم إلينا حيث تبعد عن سطح الأرض ١٥٠ مليون كم، وهي أكبر من الأرض مليون و٣٠٠ ألف مرة، فلو كانت أقرب إلينا من ذلك لاحترقت الأرض بما عليها، وان بعدت الشمس قليلا لتجمدت الأرض وانعدمت الحياة عليها، فهي تجري كما قدر الله لها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (يس: ٣٨).

محمد حسين هيجل

إعداد: هالة محمد

توافرت معلومات جديدة حول ماضي مجرتنا (درب التبانة) بفضل عمليات رصد النواة المضيئة المركزية فيها، وهي منطقة كان يصعب الوصول إليها فيما مضى بسبب غيوم الغبار الكثيفة المحيطة بها، وقالت دراسة علمية أجرتها جامعة بولونيا في ايطاليا: إن تاريخ درب التبانة محصور في اقدم أجزائها، اي في العناقيد النجمية وأنظمة النجوم الأخرى التي كانت شاهدة على تطور مجرتنا.



الغبار يؤثر في المناخ

تنقل الرياح أطنانا من الغبار من الصحراء الى مناطق العالم كله مجتازة آلاف الكيلومترات، مما يؤثر على المناخ ويمكن ان يحد من ارتفاع حرارة الأرض بما أن الغبار يحتجز اشعة الشمس.

وأوضحت عالمة المناخ ناتالي ماهوالد من جامعة كورنل (نيويورك) في مؤتمر سنوي للجمعية الأميركية لتطور العلوم ان «جزيئات الرمال الصحراوية قد تسافر آلاف الأميال في الجو، وخلال هذه الرحلة تتفاعل كيميائيا مع الغيوم والإشعاعات، فتحدث تغييرا على المناخ».

وأضافت «لقد أدخلنا الغبار الى نماذج مناخية مختلفة من اجل قياس تأثيرها، وتبين ان تغير الجزيئيات مهم جدا لفهم تطور المناخ وفهم ما حصل في الحقبات السابقة او توقع ماذا سيحصل في المستقبل».

من جانب آخر، اطلق خبراء من الامم المتحدة نداء من أجل أخذ الدور الأساسي الذي تلعبه المحيطات في مكافحة الأضرار في الاعتبار أكثر لكونها خزانات كربون كبيرة، لذلك تم إطلاق «مبادرة الكربون الأزرق» بهدف تلبية الحاجة لإجراء دراسات معمقة حول المحيطات.

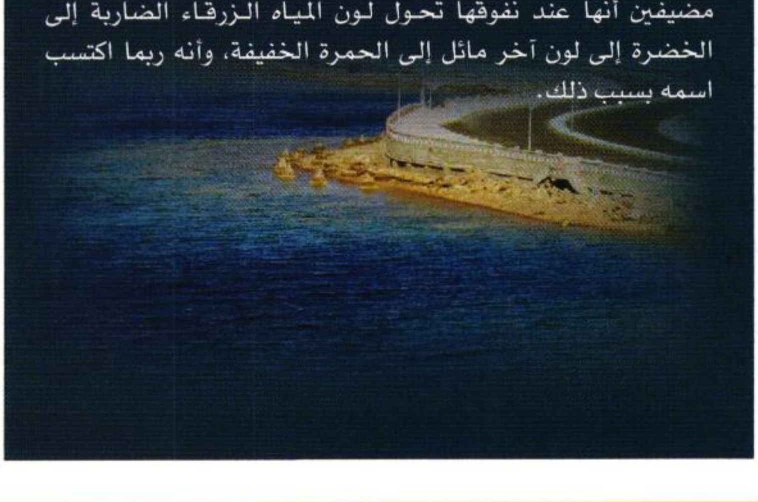
البحر الأحمر أكثر البحار دفئًا وملوحة

يصف القباطنة البحر الأحمر بأنه بحر تهب فيه العواصف العاتية، ويضم شعبًا مرجانية ومنطقة غنية بالأسماك الملونة والأحياء البحرية النادرة في العالم، والجزر المغمورة التي تجعل الملاحة فيه أمرًا محفوفًا بالمخاطر.

وذكر موقع «لايف ساينس» أن البحر الأحمر بالنسبة إلى الناس العاديين هو واحد من بين أكثر البحار دفئًا وملوحة وربما الأكثر احمرارًا في العالم.

ولكن .. هل هذا الحيز المائي الكبير الذي يمتد من خليج السويس وخليج العقبة شمالا إلى المحيط الهادئ جنوبًا أحمر اللون فعلا؟ أو أنه يميل إلى اللون الوردي الضارب إلى الحمرة كما يعتقد البعض؟

ويخالف هذه النظرية خبراء بحريون يقولون: إن البحر يمتلئ أحيانا بالطحالب البكتيرية الزرقاء « تريكودسميوم إيريثريوم»، مضيفين أنها عند نفوقها تحول لون المياه الزرقاء الضاربة إلى الخضرة إلى لون آخر مائل إلى الحمرة الخفيفة، وأنه ربما اكتسب اسمه بسبب ذلك.



الكوليسترول زيت للسيارات!

أنتجت شركة أميركية في ولاية كونكتيكت زيتًا لمحركات السيارات من دهون البقر.

وذكرت صحيفة «سنتينال» التي تصدر في أورلاندو (فلوريدا) أمس الأول أن مدينة أوفيدو بولاية فلوريدا انضمت الآن إلى لائحة المدن الأمريكية التي تستخدم هذه المادة الجديدة التي تنتجها شركة «غرين إيرث تكنولوجيز أوف ستامفورد» بولاية كولورادو الأميركية.

وقال جيف لوخ الذي أسس الشركة في عام ٢٠٠٧: إن زيت المحركات الجديد جي أويل لا رائحة له وثمنه يماثل ثمن زيوت المحركات العادية.

وأضاف: إن معهد النفط الأميركي صدق على استخدام «جي أويل» لخدمة السيارات، وفي صناعة الصابون وبعض منتجات التجميل، وإزالة بعض البقع ومكافحة الحشرات في الولايات المتحدة لكونه صديقاً للبيئة، ولا يسبب التلوث.

وتستخدم مقاطعة تشينيتادي في نيويورك هذا الزيت في سياراتها، فيما قالت شركة «لي مانز» الأميركية لصناعة زيوت السيارات إنها سوف تستخدم الزيت الجديد في إطار تشجيعها للتكنولوجيا الصديقة للبيئة.

التغير المناخي يزيد من قوة العواصف الاستوائية

أظهرت دراسة نشرتها مجلة «نيتشر» العلمية، ان العواصف الاستوائية قد تصبح اقل عددا لكن اكثر قوة بتأثير من التغير المناخي، وتركز هذه الدراسة على احد التأثيرات الأكثر خطورة المتعلقة بالاحترار المناخي، وهو جانب غير مفهوم جدا للتبدل المناخي، وهذه العواصف الاستوائية تهب عادة فوق البحار الحارة، ما يطرح السؤال لمعرفة ما إذا كان الاحترار المناخي سيؤدي الى زيادة وتيرتها وقوتها.

واستعان فريق من الباحثين بقيادة توم نوتسون وخبراء من المنظمة العالمية للأرصاد الجوية بابحاث أجراها علماء آخرون خلال السنوات الأربع الأخيرة، واعتمدوا في هذا الاطار السيناريو «ايه ١ بي»، وهو محاكاة وسطية عبر الكمبيوتر للأنماط المناخية، والذي ينص على ارتفاع متوسط حرارة الأرض ٢,٨ درجة بحلول نهاية القرن الحالي. ورأوا ان من المرجح ان تتراجع الوتيرة العامة للأعاصير أو تبقى على حالها، لكنهم حذروا في المقابل من ان هذه العواصف قد تترافق مع رياح أعتى بنسبة ٢ الى ١١ في المائة، ومع ازدياد في المتساقطات التي قد تشهد ارتفاعا يصل الى ٢٠ في المائة في شعاع مائة كيلومتر حول مركز الإعصار.

اضافة الى ذلك، يرى الباحثون ان من المرجح ان تشهد بعض مناطق الأعاصير عددا متزايدا من العواصف القوية.

وتطالب الدراسة بمجهود لسد الثغرات حول المعلومات المتوافرة بشأن تفاوت العواصف في الماضي، وتبعات الاحترار المناخي على تصرف الأعاصير في بعض المناطق المحددة.

الحبوب المنومة للأطفال ضارة بأدمغتهم

قال باحث طبي أميركي: إن إعطاء الأطفال مهدئات النوم يمكن ان يعوق قدراتهم على التعلم والتفكير والنوم، وأضاف د.مارتن فرانك ان هذه المهدئات والمنومات تمنع الأطفال من الراحة الجيدة خلال نومهم، وأظهر بحث د. مارتن، الذي أجراه على القطط، أن قدرة أدمغة القطط التي تحرم من النوم على التأقلم أقل من تلك التي تنام نومًا طبيعيًا.

ويقول هذا الباحث إنه في حال طبق هذا على نمو دماغ الإنسان، فإن إعطاء المهدئات المصممة أصلا لاستهلاك البالغين يمكن ان يعوق نمو أدمغة الأطفال. ويعتقد هذا الباحث أن ما لا يقل عن ربع الأطفال في بريطانيا يعانون اضطرابات في النوم، أو انهم يتعاطون نوعًا من أنواع الأدوية.

تطور لغة الطفل يعتمد على ثلاثة عوامل

قام الباحثون، في دراسة أجروها، بتحليل معلومات تم تجميعها عن ١٢٠طفلا في ١١ مركزا للعناية اليومية بأطفال انتظموا بالحضور من قبل بلوغهم عمر السنة، وتم تقييمهم عند سن سنتين وعند سن ثلاث سنوات، وتوصل الباحثون في النهاية إلى أن مدى تطور لغة الطفل يعتمد على توافر ثلاثة عوامل لها دور أساسي، الأول: هو تنوع الكلمات التي يستخدمها الأب والأم في حديثهما، والثاني: مستوى تعليم الأم، والثالث: نوعية الرعاية التي يتلقاها الطفل في مدرسة العناية اليومية. وعليه فقد أكدوا على أهمية اهتمام الوالدين بطريقة ونوعية الكلمات التي يستخدمونها أثناء الحديث بينهما ومع أطفالهما، كما يجب الاهتمام عند اختيار مركز الرعاية اليومي للطفل بأن يتضمن برنامجا تعليميا وكادرا مؤهلا.

من هنا وهناك

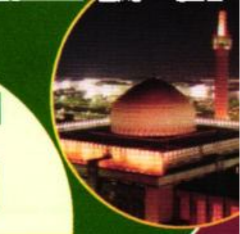
■ تشهد الأميركتان سلسلة من الكوارث الطبيعية من عواصف ثلجية في الولايات المتحدة الى موجة حر في البرازيل وفيضانات مدمرة في المكسيك وجفاف في الأكوادور سببها ظاهرة «ايل نينيو» على حد قول الخبراء.

■ صدر اخيرا كتاب «كيف يمكن للانسان التأثير في تغيير المناخ في المستقبل؟ من تأليف الكاتب دافيد أرشيه. ويعرض الكتاب الأبحاث التي تتناول مدى قدرة الإنسان في التأثير على التغيرات المناخية في الكرة الأرضية خلال المائة عام القادمة، ويركز على نظريات عدد من علماء الجغرافيا والباحثين في مجال البحار والمحيطات من مختلف أنحاء العالم، عارضا أبحاثهم.

■ ذكرت دراسة جديدة أن الإفراط في تناول مأكولات مضادة للأكسدة قد يكون مضرًا بالجسم، ويعطي النتيجة العكسية لها.

■ اكدت مجموعة من الخبراء أجرت اختبارات سريرية على مجموعة من المتطوعين ان القيلولة ليست مفيدة فقط لإراحة الجسم وازالة التعب بل وأيضًا لتعزيز قدرة الدماغ على الاحتفاظ بالمعلومات الجديدة التي يكتسبها الانسان، وبالمقابل يبطئ تقليل ساعات النوم من حركة العقل.

■ خطا الأطباء خطوة نحو الأمام في اتجاه اختراع بنكرياس صناعي للأطفال المصابين بالسكري، بعد أن تكللت تجارب باحثين بريطانيين من جامعة كامبريدج بالنجاح اثر استعمالهم لجهاز آلي يسمح بتوزيع الأنسولين وضبط جرعته في الوقت المناسب لدى عشرين طفلا ومراهقًا يعانون السكري من النوع «١».



لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبد الرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

دعوة لقيام الليل جماعات كل ليلة جمعة

«٢٠١٥» دعت جماعة إلى صلاة القيام في بعض المساجد، فأقيمت الصلاة بعد صلاة العشاء من مساء الجمعة، فهل هذه الصلاة مشروعة؟ وهل هي من قبيل البدعة والإحداث في الدين؟ وهل هناك محظور شرعي من الدعوة لهذه الصلاة وإعلانها؟ وجزاكم الله خيرًا

صلاة القيام بالصورة المسؤول عنها غير مشروعة، والمشروع في هذه الحالة هو القنوت في النوازل والدعاء.

وقف الزكاة

يرجى الإفادة بالرأي الشرعي حول صحة وقف أموال الزكاة.

لا يجوز أن يتبرع شخص بزكاة ماله لوقف خيري، بحيث تكون أموال الزكاة جزءا من الوقف المتبرع له، ويكون حكمها حكمه للأسباب الآتية:

- الأصل في مال الزكاة أن يصرف فور إخراجه إلى الأصناف الثمانية مع قيام الحاجة الماسة.

هذه الأموال ستكون جزءا من أموال الوقف لا يجوز التصرف فيه بالبيع والهبة، وبالتالي لا يمكن تسييل أموال الزكاة.

الدوام في مجال ربوي

خلال شهرين توقفت عن العمل بشركة مالية ربوية في (عمليات الودائع) مع حضوري يوميا إلى مقر العمل، من دون عمل، مع العلم بأن مدير الإدارة له علم بذلك، إلى حين ترتيب أمر انتقالي أو استقالتي، فما حكم راتبي خلال هذين الشهرين؟

لا بأس براتب الشهرين المذكورين، لأن المستفتية بحضورها إلى مقر عملها وتفرغها له تستحق الراتب ما دامت لم تكلف بإنجاز عمل آخر مشروع.

تعنت الأب في زواج ابنته

أنا فتاة مسلمة أخاف الله في نفسي وديني، وأبر والدي، كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، ولقد أجبرني والداي، سامحهما الله، على الزواج مرتين لا لشيء إلا لكونهما يحبان المال حبًا جمًا، وقد طلقت مرتين، من الأول لأنه يتناول ما حرم الله، والثاني لأنه عاجز عن واجباته الزوجية، ولقد تقدم لخطبتي أخيرًا شاب مسلم، وقد أبدى والداي رفضهما المطلق حتى لمقابلته أو التعرف عليه؛ لذا أرفع الأمر للجنتكم الموقرة، راجية أن توافقوا على إعطائي فتوى شرعية تبيح لي الزواج من المذكور من دون طلب من المحكمة لإحضار والدي باعتبار القاضي هو ولي أمري.

نصحت اللجنة المستفتية باللجوء إلى أقاربها لإقناع والدها بالموافقة على الخاطب المتقدم لخطبتها، فإن لم يوافق فيمكنها اللجوء إلى المحكمة الشرعية للاختصاص.

عدة الوفاة

ما عدة المرآة بعد وفاة زوجها



مدة العدة أربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ الوفاة بالشهور القمرية، لا من تاريخ العلم بالوفاة أو الدفن، ما لم تكن حاملا، وعدة الحامل تنتهي بوضع الحمل، وعليها الإحداد في العدة وهو أنه لا يجوز لها أن تبيت في غير بيت الزوجية إلا لضرورة، ولا أن تخرج من بيتها إلا لقضاء مصلحة ملحّة تعود بعدها إلى البيت مثل (مراجعة الطبيب وإنجاز معاملة ما تحتاج إليه في المحاكم وما أشبه ذلك)، كما لا يجوز أن تخطب أو تتزوج أثناء العدة.

ويحرم التطيب ولبس الذهب والحرير والملابس ذات الألوان اللافتة للنظر، ويجوز للمعتدة أن تستمع إلى الإذاعة، خاصة إذاعة القرآن الكريم والبرامج الدينية، وأن تشاهد التلفاز فيما ينفعها في دينها ودنياها، ولا مانع من استعمال الهاتف، وأن تفتح الباب، ولا مانع أن يدخل عليها غير المحارم بشرط ألا تكون هناك خلوة، وأن تكون لابسة ملابسها الشرعية.

انحناء لاعب الكراتيه لمدربه

هل يجوز شرعًا أن ينحني لاعب الكراتيه بهيئة الركوع إلى المدرب؟

إذا كان الانحناء للتعظيم فهو محرم، وأما إن كان مجرد تقليد من دون قصد التعظيم للمنحنى له فإنه مكروه، وعليه فإنه يكره انحناء لاعب الكراتيه للمدرب.

تحويل العملات بدون تقابض

(٥٦٣١) هل يجوز تحويل الأموال إلى بلدي عن طريق الهاتف ثم فيما بعد يتم التقابض، أي ليس باليوم نفسه؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان تحويل العملة بالتلفون الى بلد آخر لا يتم فيه القبض فورًا، فإنه لا يجوز شرعًا سواء اتحد الجنس أو اختلف، لأنه يكون ربًا، لقوله ﷺ «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، مثلا بمثل، يدًا بيد والفضل ربا، فإذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد» (رواه الشيخان)، أما إذا تم فيه القبض فورًا فإنه يجوز شرعا. والله أعلم.

الجمع بين وظيفتين براتبين

(٥٦٦٢) مسؤول لديه صلاحيات واسعة، وتحت يديه سلطة اتخاذ القرار، يقوم بتوظيف من ليس بكفء في الأماكن الشاغرة بدائرته، دون النظر لكفاءة الآخرين وسلمهم الوظيفي، وربما عين موظفًا له وظيفة في دائرة أخرى يتقاضى عليها راتبًا فيكون قد جمع بين وظيفتين براتبين، فما الحكم في ذلك؟ أفيدونا مأجورين.

يجب على من ولي من أمر المسلمين شيئًا أن يولي الأكفأ والأصلح للقيام بمهام وظيفة من الوظائف التي يعيِن فيها، لقوله ﷺ «من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» (أخرجه الحاكم في المستدرك).

الزواج من امرأة بعد أن زنى بها

(٥٧٠١) رجل كانت له علاقة غير شرعية مع فتاة وحملت منه، ثم عقد عليها وتزوجها، وهي على وشك الولادة، فكيف نسبة هذا الولد لأبيه وأمه شرعًا؟ وما مدى صحة هذا الزواج الذي حصل بعد تلك العلاقة المحرمة؟

إذا استوفى العقد شروطه الشرعية فهو صحيح، ولا يؤثر في صحته أن الزوج قد زنى بهذه الزوجة قبل العقد، وأما نسبة الولد إلى هذا الزوج، فإن ولد بعد العقد بستة أشهر فأكثر فهو ابنه بالفراش، وإذا ولد قبل ستة أشهر من تاريخ العقد الصحيح فلا ينسب إليه، إلا إذا ادعاه وقال: هو ابني، ولم يصرح بأنه من الزنا. فإن ادعاه وقال: هو ابني ولم يصرح بأنه من الزنا، نسب إليه بالاقرار ولم ينسب إليه بدونه، والله أعلم.

الغش والتزوير في الأوراق الرسمية

(٥٨١٣) بعض أصحاب الصيدليات الخاصة يطلبون من الأطباء توقيع وختم وصفات طبية من غير اسم المريض ليتصرف بها الصيدلي كيفما شاء وذلك مقابل مبلغ أو التقسيم بالنسبة، علمًا بأن وزارة الصحة تمنع مثل هذه الأعمال.

هذا العمل غير مشروع، ولا يجوز لأي منهم مباشرته شرعًا - الطبيب والصيدلي والمريض - لما يحتوي عليه من تزوير في أوراق رسمية، وخيانة للأمانة، وإخلال بواجبات الوظيفة التي حملها إياه ولي الأمر. والله أعلم.

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

أوّل مَنْ أحدث المصافحة

ينتسب الأشعريون إلى الأَشْعَر بن أَدَد بن زيد، فهم قحطانيون يمنيون، وقد تفرقوا بطونًا، فكان منهم بعد الإسلام في البصرة والكوفة بنو أبي موسى الأشعري، وفي قُم بنو علي بن عيسى، ولهم فيها رياسة، وفي إشبيلية بنو «بَلج بن يحيى». قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «يقدم عليكم غدًا قومٌ هم أرقُّ قلوبًا للإسلام» فقدم الأشعريون وفيهم أبوموسى الأشعري، فلما دَنَوا من المدينة أخذوا يرتجزون ويقولون: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه فلما تقدّموا صافحوا مَنْ لقوا، فكانوا أوّل مَنْ أحدث المصافحة.

(الوسائل إلى معرفة الأوائل)

إنّ العلم يُؤتَى ولا يأتي

قال هارون الرشيد للإمام مالك بن أنس مرّةً: يا أبا عبدالله، أريد أن أسمع منك «الموطّأ»، فوعده منْ غدِه؛ فجلس هارون ينتظره، وجلس مالكُ في بيته ينتظره؛ فلمّا أبطأ عليه أرسل إليه هارون فدعاه؛ فقال له: يا أبا عبدالله مازلت أنتظرك منذ اليوم؛ فقال مالك: «وأنا أيضًا يا أمير المؤمنين لم أزل أنتظرك منذ اليوم؛ إنّ العلم يُؤتَى ولا يأتي، وإنّ ابن عمّك ﷺ هو الذي جاء بالعلم، فإنْ رفعتموه ارتفع، وإنْ وضعتموه اتّضع».

(كشف المغطى في فضل الموطأ لابن عساكر)

مقدور القضا

قال الشّافعي رحمه الله تعالى:

إنّ الطّبيبَ بِطِبِّـه ودَوائـه
لا يستطيعُ دفعَ مقدورِ القَضَا

ما للطّبيبِ يموت بالدّاء الذي
قد كانَ يُبرئُ مثلَهُ فيمَا مضى

هَلَك المُداوي والمُداوى والذي
جَلَبَ الدّواء وباعهُ ومَنْ اشترى

(ديوان الشّافعي)

أفضل النّوم

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «إيّاكم ونومَةَ الغَدَاة؛ فإنّها مَبْخَرَةٌ (تزيد في البخار)، مَجْفَرَةٌ (قاطعة النّكاح)، مَجْعَرَةٌ (ميبسة للطبيعة)».

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «يُكْرَهُ للرّجُلِ أن يَنَامَ بَعْدَ العصرِ، يُخَافُ على عقْلِه».

قال الشاعر:

ألا إنّ نَوْمَاتِ الضُّحَى تورثُ الفتى
خَبَالًا ونَوْمَات العُصُور جُنُون

ألا إنّ بيْنَ الظُّهر والعَصْر نَوْمَـةً
تُحَاكي لأَصحابَ العُقُول فُنُون

(شرح منظومة الآداب للحجاوي)

عيوب المجالس

«لو لم يكن في مجالس الناس إلا عيبان لكَفَيَا، أحدهما: الاسترسال عند الأُنس بالأسرار المهلكة القاتلة، التي لولا المجالسة لم يبح بها البائح، والثاني: مواقعة الغلبة المهلكة في الآخرة، فلا سبيل إلى السلامة منْ هاتين البليتين إلا بالانفراد عن المجالسة جملة».

(مداواة النفوس)

هكذا كانوا

هذه رسالة من ملك إنجلترا إلى خليفة المسلمين بالأندلس هشام الثالث: «من جورج الثاني ملك إنجلترا والغال (فرنسا) والسويد والنرويج، إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العَظَمة «هشام الثالث» الجليل المقام، وبعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرُّقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة؛ فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان، ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة «دوبانت» على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز تتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتي سيتوافرن على تعليمهن، ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص، الإمضاء خادمكم جورج الثاني ملك انجلترا.

(الاستذكار لابن عبد البر)

لولاهم لدُرِسَ منار الإسلام

لولا أهل الحديث لدخل الدخيل في هذا الدين، ووجد الملاحدة والدجالون وذوو الأغراض الفاسدة والقلوب المريضة ألف سبيل وسبيل للتلبيس على الناس، وترويج الأباطيل في الأصول والفروع بما يضعونه من الأحاديث المنسوبة لرسول الله ﷺ التي تؤيد هواهم وآراءهم المزيفة؛ لأجل هذا قال الحاكم النيسابوري: «لولا الإسناد، وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم عليه لدُرِسَ منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد كانت بترا».

(معرف علوم الحديث للنيسابوري)

الأمر لله

جاءت امرأة إلى «بزرجمهر الحكيم» فقالت له: أيها الحكيم، ما بال الأمر يلتام للعاجز ويلثام (يقوى ويهيج) على الحازم؟! فقال: «ليَعلم العاجز أن عجزه لن يضرّه، وليَعلم الحازم أن حزمه لن ينفعه، وأن الأمر في ذلك إلى غيرهما».

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب)

أتاكم غريبُ الدّار مظلومُ

استعمل عتبةُ بن أبي سفيان رجلًا من آله على الطّائف، فظلمَ رجلًا من أزْدِ شَنوءةَ (قبيلة عربية)، فأتى الأزْديُّ عتبةَ، فمثلَ بين يديه، فقال:

أمَرتَ مَنْ كانَ مَظْلومًا لأتيكُمْ
فقدْ أتاكُم غريبُ الدار مَظْلومُ!

ثم ذكر ظُلامَتَه وهي غَنَم فقال له عتبة: إنّي أراكَ أعرابيًا جافًا، والله ما أحْسبُكَ تدري كمْ تُصَلّي في كل يوم وليلة. فقال: أرأيتَ إن أنبأتُكَ أتجعلُ لي عليكَ مَسْألةً؟ قال: نعم، قال الأعرابي:

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ
ثم ثلاثٌ بعدهُنّ أربعُ
ثمّ صلاةُ الفَجْرِ لا تُضَيّعُ

فقال: صدقت فاسأل، فقال: كمْ فَقَارُ ظَهْرِك؟ فقال: لا أدري، فقال: أفَتَحْكُمُ بين النّاس، وأنتَ تجهلُ هذا منْ نَفْسِك! قال: ردُّوا عليه غُنَيْمَتَه.

(الكامل للمبرد)

يُقال: «وافقَ شَنٌّ طَبَقَة»

كان «شنّ» رجلًا من دُهاةِ العربِ وعقلائهم، قال يومًا: والله لأطوفَنّ حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها.

فالتقى برجل في طريقه، فسأل الرجل عن عدة أمور غريبة، حتى قال له الرجل: ما رأيت أجهل منك. وعندما وصلا إلى بيت الرجل ضيّفه وأكرمه وقصّ قصته لابنته، فقالت: يا أبت، ما هذا بجاهل! أما قوله كذا.. فكذا، فخرج الرجل إلى «شَنّ»؛ فحادثه وقال له: أتحب أن أفسّر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم، ففسّره، فقال «شَنّ»: ما هذا من كلامك، فأخبرني من صاحبه؟ فقال: ابنةٌ لي. فتزوجها «شَنّ» وحملها إلى أهله، فلما رأوْها قالوا: «وافق شن طبقة».

(مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني)

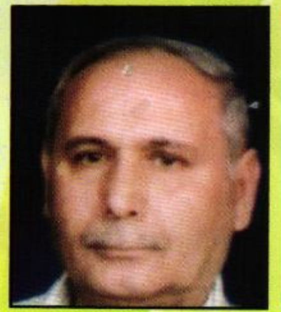
أمر عجيب وأصل ظريف

قال ابن الجوزي رحمه الله: «تأملت أمرًا عجيبًا، وأصلًا ظريفًا، وهو انهيال الابتلاء على المؤمن، وعرض صورة اللذات عليه مع قدرته على نيلها، وخصوصًا ما كان في غير كلفة من تحصيله كمحبوب موافق في خلوة حصينة، فقلت: سبحان الله، هاهنا يبين أثر الإيمان لا في صلاة ركعتين، و الله ما صعد يوسف عليه السلام ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام، فبالله عليكم يا إخواني، تأملوا حاله لو كان وافق هواه، من كان يكون؟»

(صيد الخاطر)

حصان طروادة

كانت مدينة «طروادة» تحت إمرَة الأمير «بارس» الذي كان سببًا في الحرب بخطفه «هيلين» ملكة «إسبرطة»، فقام الإغريق بحصار المدينة لسنوات، لإنقاذ الملكة، وابتدع الإغريق حيلة جديدة: حصانًا خشبيا ضخمًا أجوف، بناه «إبيوس» ومُلِئَ بالمحاربين الإغريق، أمّا بقيّة الجيش فظهر كأنه رحل، بينما في الواقع كان يختبئ في مكان قريب من المدينة، وقَبِلَ الطرواديون الحصان على أنه عرض سلام، وقام جاسوس إغريقي اسمه «سينون» بإقناع الطرواديين بأن الحصان هدية، بالرغم من تحذيرات البعض، وأمَر الملك بإدخاله إلى المدينة في احتفال كبير.



مسك الختام

عبدالهادي الصافي

متى نعود؟!

سؤال أطرحه باستمرار كلما قرأت خبرًا مؤلمًا عن تردي أوضاع هذه الأمة.

متى نعود إلى ديننا الحنيف، وأصالتنا القويمة، نستمد منها قيمنا ومبادئنا؟ متى نعود إلى عصر القوة والازدهار، ونراجع الأسس التي بنت لنا ذلك الماضي التليد المشرق المجيد؟ فنحزم أمرنا عليها، حتى نعود إلى جذورنا وتراثنا نستمد منهما كل مقومات التقدم والنجاح، وحتى نعيش عصر الحداثة بعقلية عربية إسلامية متفتحة، وبهوية عربية إسلامية تقف أمام تيارات التغريب، وتواجه عولمة العصر بكل جبروتها، متى يكون لنا كياننا المستقل وشخصيتنا الفذة؟ فلا نذوب في الثقافات الأخرى، ولا نرتمي في أحضان الغرب، ولكن نأخذ منه ما يسد الثغرات الموجودة عندنا، ونعطيه أرفع المبادئ الإنسانية والقيم.

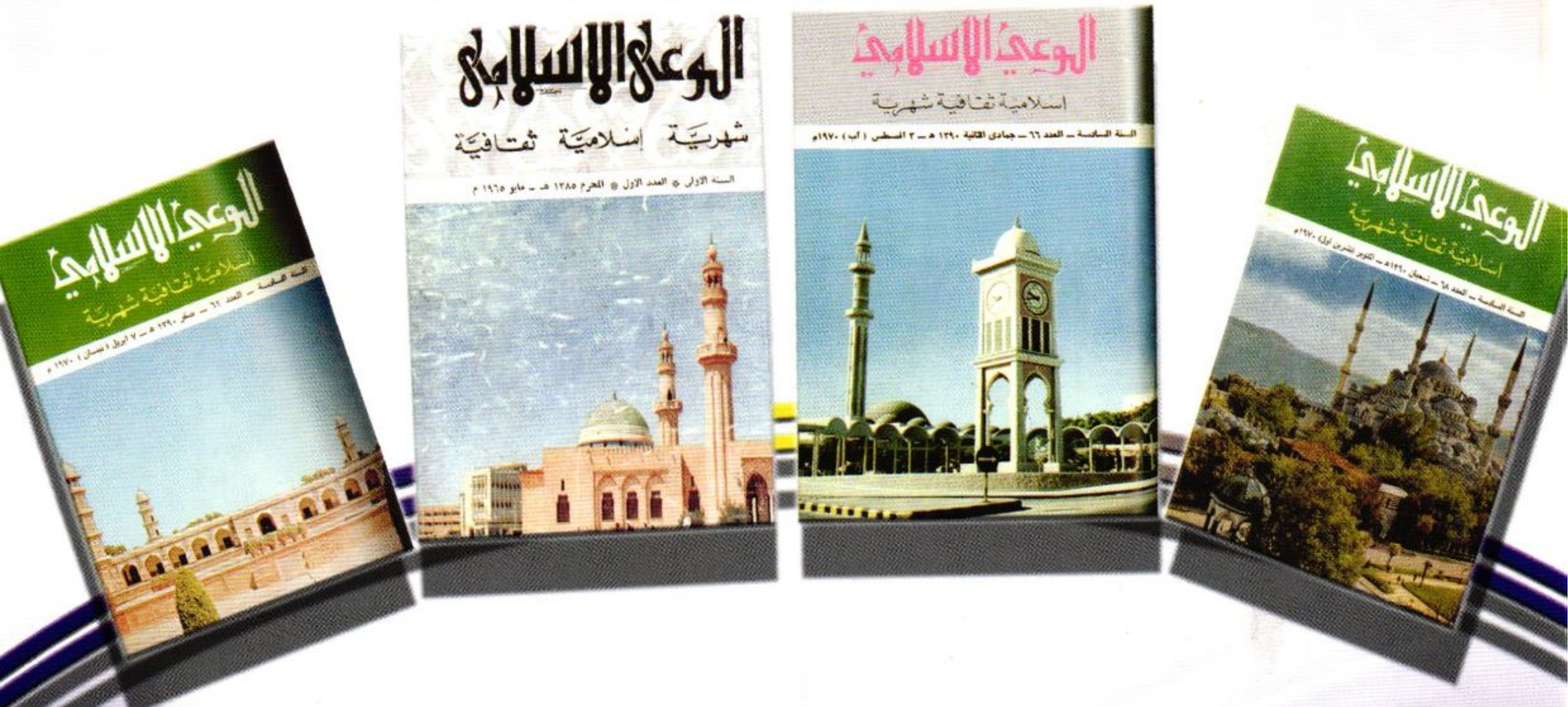
لقد نجح الغرب في إحداث هذا الشرخ الكبير في شخصيتنا، فإذا نحن لا ننتمي لأي قوة، لا ننتمي إلى الغرب لأن هناك ما يشدنا إلى ديننا وماضينا، ولا ننتمي إلى ثقافتنا الإسلامية المتميزة، لأننا استهترنا بها ولم نقم لها وزنًا، فقد غدونا أمام هذا التحدي شخصية مهزوزة، لم نعلن ولاءنا للغرب ولا ولاءنا للشرق، فمَن نحن إذن أمام هذا التيار العاتي في عصر التيارات الثقافية المتلاطمة؟! لقد أتقنًّا قطيعة الماضي وتراثنا الحضاري، لقد أحكمنا الانفصال عن كل ما يحفظ وجودنا.

إن عدم انتمائنا إلى تاريخنا وديننا يعني أن الحياة تعصف بنا، فالمسألة لم تعد مسألة تخلف وضياع عن الركب الحضاري، لكنها أصبحت تتعلق بمصيرنا، ولابد أن نحمي أنفسنا وكياننا باتقائنا بهذا الدين الحق واعتصامنا بالحجة البيضاء، لنحمي أنفسنا أمام وجه طغيان الحداثة وتبعاتها.

إن الأزمات المتلاحقة التي تمر بأمتنا الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية جعلت الإنسان العربي يعيش حالة من الكآبة والإحباط قد يؤديان به إلى الانعزال عن العالم، والانطواء، والتفكير بحياته الخاصة، والنكوص إلى عالمه الداخلي، يجتر ذكرياته الأليمة، وهذا العجز الذي يعيشه، إن لم يكن متسلحًا بالإيمان، فإنه يؤدي به إلى الشك والعبث، لأنه لا يستطيع فعل شيء أمام هذا الخراب الهائل الذي يحدث لواقع أمتنا، وحتى لا يأخذنا اليأس والحزن والأسى إلى حيث العدمية والانهيار النفسي، يجب أن نعود إلى إيماننا نتزود منه بما يعيننا على المضي، وإلى ديننا نستمد منه القوة والحياة.

أرشيف الوعي الإسلامي

نداء
إلى كل محبي وقراء المجلة



يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية من مجلة «الوعي الإسلامي» من العدد (١-١٠٠) التكرم بالتواصل مع إدارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت

هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

أحمد المعصراوي
شيخ عموم المقارئ المصرية: لا أدعو إلى تعلّم المقامات لقراءة القرآن

مجلة «حراء» التركية العربية في ضيافة الكويت



من يتحدث باسم الإسلام؟

الافتتاحية

التنمية في الإسلام

كما هو شأن الإسلام دائمًا، كان السّباقُ في جميع الميادين ميزتَه من بين الأديان والأفكار كلّها، ومن ذلك سبقه المتفرِّد في معالجة قضايا التنمية وإشكالاتها المتعدّدة، وإذا لم تكن فكرة التنمية موجودةً في مصدري الوحي كمصطلح وقانون، فإن روحها وحقيقتها متقرّرةٌ فيهما بألفاظ متنوعة ومتعدّدة، ومنها مثلًا مصطلحات «التعمير» و«العمارة» و«الحياة الطيبة» و«التثمير».

ومَن تأمّل علم السياسة الشرعيّة والاقتصاد الإسلاميّ عَرَف بجمْعِه بين النصوص ونَظَره الفاحص فيها أنّ «مصطلح التنمية» يقترب كثيرًا مَن مصطلح «العمران» الذي هو العمل بشرع الله تعالى لتحقيق الكفاية والكفاءة على جميع المستويات للوصول إلى أكمل النِّعم المباحة من الطيّبات، وذلك هو المعنى الصحيح لقول الله جلّ شأنه: ﴿هو الذي أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود:٦١)، فممّا جاء في تفسير ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: «أي استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنِّعم الظاهرة والباطنة، ومكّنكم في الأرض، تبنون وتغرسون وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلّون مصالحها، فكما أنّه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته».

إنّ المنظور الشرعيّ للتنمية منظور شاملٌ يتناول مظاهر الحياة جميعًا، ماديَّها ورُوحيَّها؛ إضافةً إلى محوريّة اهتمامه ببناء الفرد والمجتمع والدّولة كأساس للعمليّة التنمويّة، وإنما تَعلّق هذا الاهتمام البالغ بالإنسان في التنمية لكوْنه العاقلَ الوحيد في هذه المعمورة القادرَ على إحداث التّغيير، ومتابعة التطوير الإنمائيّ النافع، وذلك لاختصاصه بتشريف إلهيٍّ خالص لمباشرة هذه العملية البنّاءة الرّائدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البَقرة:٣٠).

وفي هذا السبيل الأرشد نبذ الإسلام معاول الكسل والاتكالية والفُرْجة الفارغة التي تلد التخلّف والفقر الماديّ والفكريّ اللّذَيْن هما رُكْنَا الإعاقة المُهْلكة لأيّ عمليّة تنمويّة مرغوبة، فرديّة كانت أو عامّة.

إنّ الإسلام أوجب على الناس جميعا عمليّة التّنمية، وجعلها مستمرّة إلى يوم القيامة، ومصداق ذلك من التوجيه النبويّ قوله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل»، وجعل الله تعالى لمن يعمل على تشييد التنمية وتنصيبها في أرض الواقع حوافزَ عاجلة وأخرى آجلة، قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا﴾ (الكهف: ٣٠)، وقد أخرج مالكٌ- رحمه الله- في الموطّأ من حديث هشام بن عروة عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ»، وهذا الهدي النبويّ الكريم فيه إشارةٌ إلى أنّ على الإنسان أنْ يعمل ويصنع ويبادر، ولا ينتظر المفاجآت الكونيّة والكرامات الإلهية، بل ولا النموَّ الطبيعيّ للأشياء، فإنّ الله تعالى أرشد إلى أنّ النفس البشرية هي مبدأ التغيير وأسُّهُ: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد:١١).

وحتى يجْمُل البناء التنمويّ في الدنيا العامرة جعله الإسلام مرتبطًا بالقيم العالية والأخلاق الحميدة والمُثُل السّامية من مساواة وعدل وعدم إسراف وصيانة عن التبذّل والفحش الماديّ والمعنويّ، والاستقراء الواسع لكليات الشّرع وقواعده العامّة دلّ على أنّ الدّين له علاقةٌ وثيقةٌ بظاهرة العَمارة والتنمية، بحيث كلّما زاد التّديّن زاد الاهتمام بظاهرة الإنماء، ولذلك تقرّر بين أرباب علم المقاصد أنّه حيثما وُجدت المصلحة المعتبرة فثَمّ شرع الله الحكيم.

التحرير

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٨

العام السابع والأربعون

جمادى الآخرة ١٤٣١ هـ

مايو - يونيو ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

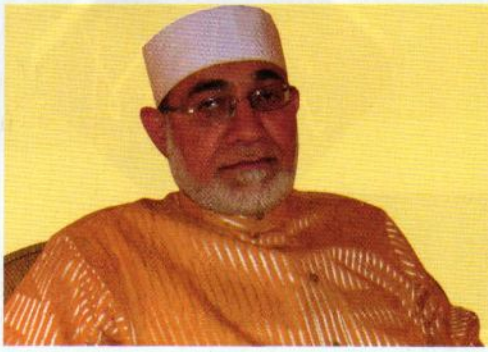
التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع





إنسان الفكر والحركية 8

حوار مع الشيخ المعصراوي 12



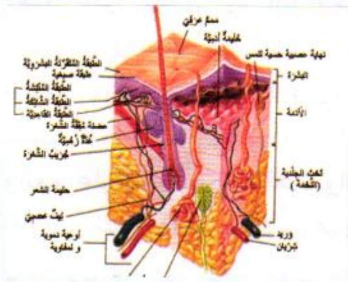


العالم الإسلامي ومعضلة التنمية 18

الأزمة المالية الاقتصادية 32



الجامع العمري الكبير في لبنان 48



الكشف المبكر عن سرطان الجلد 86

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس: ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

موضوع الغلاف



إقامة الملتقيات والندوات والحلقات النقاشية نهج تعمل المجلة على تأصيله وترسيخه وصولاً الى فكر وسطي يلبي متطلبات الواقع والمستقبل.. ومن هنا جاء انعقاد الملتقى الكويتي - التركي حول مجلة «حراء» التركية.

داخل العدد

الملتقى الإعلامي الكويتي - التركي مناخ ثقافي لإحياء الوحدة الإسلامية	٦
الإعلام الثقافي العربي وتنمية العمل الخيري	٢٦
قراءة القرآن بالمقامات	٣٦
علم مختلف الحديث	٤٠
دعوا المراهق يفكر	٦٠
الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل	٨٨

كلمة العدد

بركان أيسلندا وعملية التنمية

قراءنا الأعزاء:

بركان أيسلندا الذي هز أوروبا بشكل خاص والعالم قاطبة بشكل عام ترك آثارًا سلبية على عملية التنمية في كثير من المجالات، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد قال الاتحاد الدولي للنقل الجوي (أياتا): إن التعطل الناجم عن انبعاث التيار البركاني يكلف شركات الطيران اكثر من 200 مليون دولار يوميًا، وإذا ما أضفنا إلى هذه الخسائر المالية الكبيرة الخسائر الناتجة عن تعطل ملايين المسافرين عن أعمالهم، والتعويضات المالية التي سيطالبون بها أدركنا حجم الكارثة البيئية وأثرها في عملية التنمية.

لقد حاولنا من خلال هذا العدد استعراض العملية التنموية والتحديات التي تواجهها، خاصة في عالمنا العربي والإسلامي، والمنهج القرآني في معالجتها، حيث جاء التوجيه التنموي في القرآن ملائمًا لطبيعة الإنسان وتطلعاته المستقبلية، كما قدمنا كذلك قراءة دينية للكوارث البيئية التي ألمت بالأمم السابقة كعقاب إلهي نتيجة الطغيان والفساد والبعد عن منهج الله كما وضح ذلك القرآن الكريم.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلس ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريالا ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

نظمته مجلة «الوعي الإسلامي» حول مجلة «حراء» التركية

الملتقى الإعلامي الكويتي - التركي مناخ ثقافي لإحياء الوحدة الإسلامية

التحرير

أكد وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للشؤون الثقافية إبراهيم أحمد الصالح حرص قطاع الثقافة بالوزارة على أهمية الشراكة الثقافية مع جميع الفعاليات الثقافية الأخرى، سواء من داخل الكويت أو خارجها، وسواء كان ذلك مع الهيئات الرسمية أو الجمعيات الأهلية المشهود لها بالعمل الجاد البناء.



الوكيل الصالح يكرم القنصل التركي

وقال الصالح خلال الملتقى الكويتي- التركي الذي نظمته مجلة «الوعي الإسلامي» واستضافت من خلاله القائمين على مجلة حراء العربية- التركية، إن الإعلام بوسائله وتقنياته المتعددة يمثل ثقافة مستقلة بحد ذاته، مشيرا إلى أنه إنتاج ثقافي يتطور مع تطور المعرفة من أجل الوصول إلى كيفية أرقى وأجمل في التواصل والتعاون، لافتا إلى ضرورة مواكبة هذا التطور من خلال إقامة مثل هذه الملتقيات النافعة ثقافيا وإعلاميا، «وكان اختيارنا لمجلة حراء العربية التركية، لما لها من سمعة طيبة في كثير من البلدان العربية، وتواصلا منا مع الإرث الثقافي التركي، لذلك أخذنا على عاتقنا مسؤولية نشر الثقافة العربية والإسلامية الدعوية النافعة من خلال مجلتنا الوعي الإسلامي، وبالتعاون مع الواجهات والمنابر الإعلامية كافة، بما يحقق لنا الوصول إلى صناعة مناخ ثقافي إسلامي معتدل، وتحقيقا لشعارنا نحو الثقافة المتميزة».

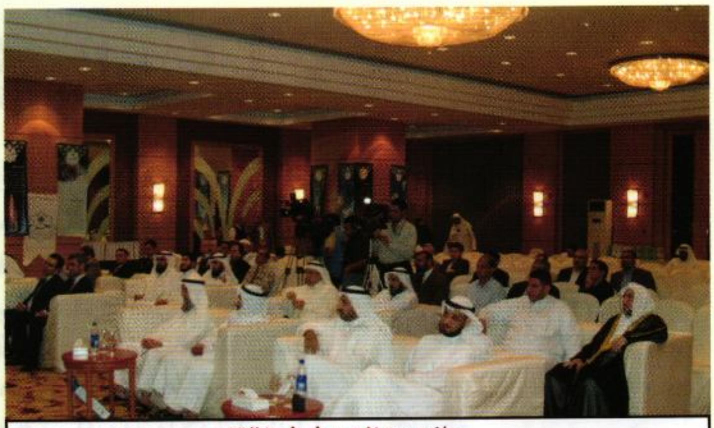
وأوضح أن هذا اللقاء الثقافي المبارك دليل على مدى اهتمامنا بدفع عجلة التنمية الثقافية إلى الأمام، وتحقيق الريادة في ذلك، وأن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في مجلة الوعي الإسلامي تهدف في اللقاء مع مجلة حراء التركية العربية إلى خدمة وإثراء الجانب الثقافي، وتبادل الخبرات العلمية والفنية بين المجلتين الرائدتين، وذلك من خلال تنمية ثقافة علمية ملتزمة.

وبين أن هذا اللقاء يهدف إلى بناء مقومات شخصية المثقف الواعي، فكريا وثقافيا، انطلاقا من مضمار المعلومة الشرعية والثقافية، التي تقدمها لنا مجلتنا الوعي الإسلامي وحراء، فهي ثقافة راشدة تتسلح بالعلم والإيمان والقيم والمبادئ، وتبرز ثقل الدور الريادي المأمول للمثقف عموما، والمثقف الكويتي والتركي على وجه الخصوص، مؤكدا أن من أبرز أهداف هذا الملتقى محاولة التبادل الثقافي والإعلامي بين مجلة الوعي الإسلامي ومجلة حراء العربية التركية، والمجلات الأخرى والصحافة المعنية، هذا التبادل الذي من شأنه أن يرجع بالمنفعة العلمية على المجلتين، بما يتضمن استقطاب المفكرين والكتاب للتعاون مع مجلة حراء.

بدوره قال رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» فيصل العلي: من خلال الزيارة الثقافية التي قمنا بها لمقر مجلة حراء في تركيا، تبين لنا ما تحظى به هذه المجلة من حضور ثقافي وإعلامي متميز، إضافة إلى تأثيرها الواسع في توجيه المثقفين وإصلاح المجتمع، فهي عربية اللغة وإن كانت تركية التأسيس، يشعر قارئها أن القائمين عليها أحبوا العربية وعشقوها، ولذلك فهم يحرصون على أن تكون مواد المجلة راقية اللغة، رصينة السبك والمبنى، قيمة الموضوع والمعنى.

وقال العلي إن مجلة حراء أنموذج حي على أن العربية كلسان وثقافة ليست حكرا على العرب، بل إن غيرهم ممن لهم تاريخ عريق في خدمة الإسلام والمسلمين كالأتراك مثلا قد يكونون مثلهم أو أشد منهم حبا للعربية وفنونها، وفي هذا دلالة واضحة على أن الإسلام كرسالة أعمق وأوسع من أن يختصر في شعب أو لغة، وإنما هو دين جاء لحياة الناس جميعا.

وأشار إلى اهتمام مجلة حراء بموضوعات فكرية حساسة غاية في الجدة وعمق الطرح، ومما أعانها على ذلك كوكبة العلماء المتمرسين في الكتابة بأسلوب عال مكين، إذ تمكنت بفضل علاقاتها وسياساتها



جانب من الضيوف في الملتقى



رئيس التحرير مع الوفد التركي

التحريرية من إقناعهم بأن يصطفوا للكتابة عبر صفحاتها، وهم في الحقيقة مبدعون بأتم ما تعنيه الكلمة من معنى، وقد أخذت حراء على نفسها شرطا أن يكونوا طيفا متعدد المشارب والألـوان، ومـن بلـدان عربية وإسلامية متنوعة، ومن مدارس دعوية وفقهية مختلفة، على أن القناعات في نهاية الأمر تلتقي على خدمة الأمـة وبعثها من جديد.

وأضاف أن «المتابع لما تعنى به مجلة حراء يرى من سلطانها على القلوب ما يجعله يحيا في ملكوت روحـانـي منسجم مع التوجيهات القرآنية والنبوية التي يذكرها ويركز عليها المفكر العملاق فتح الله كولن وغيره من كتاب المجلة وعلمائها، وهي لهذا تنتشر بسرعة واسعة في أوساط ثقافية متكاثرة، بسبب ما تشعر بـه كثير مـن هـذه التجمعات الثقافية بفراغ روحي وتربوي، يلح عليها بالتوجه الأكيد نحو القراءات التربوية النافعة التي تحيي من موات القلوب ما كادت النفوس تيأس من حياته».

ولفت إلى أن أهم ما يميز هـذه المجلة الصاعدة الواعدة أنها انتهجت وسطية معتدلة في الطرح والكتابة، ما جعل لها مصداقية شعبية ورسمية أهلتها لأن تمـارس دورهـا الثقافي بحرية ونشاط منقطع النظير، ومن تتبع حركتها عرف صدق ما نقول، فزيارات القائمين عليها في المشرق والمغرب ودول الشام، وزيارتهم الميمونة لبلدهم الثاني الكويت، دليل على هذا النشاط وتلك الحيوية التي جعلت منها زائرا مرغوبا فيه في كثير من الأقطار العربية والإسلامية.

وخلص إلـى «أننـا لنتطلع إلـى شراكة ثقافية بـين مجلة الوعي الإسلامي العريقة وبين مجلة حراء الواعدة، بما يكفل استفادة الطرفين من بعضهما، كل حسب خبرته وطاقته، بما يـرجع علـى البلـدين الكويت وتـركيا بمصلحتيهما الوطنية والأدبية، وبما يحقق للأمة النفع العام».

من جهته أكد ممثل الوفد التـركي مصطفى أوزجـان أن انطلاقة مجلة حراء التي بدأت قبل ٥ سنوات جـاءت لتواكب مرحلة تاريخية مهمة، لاسيما في ظل التقارب السياسي بين تركيا والعـالم العربي، مشيرا إلـى أن إصـدار هـذه المنشورة يعد رافدا لهذا الانفتاح المتبادل، ومؤكدا أن ما مر به العالم في القرنين الماضيين من انحدار في المستوى الروحي والأخلاقي وطغيان الجانب المادي وسيطرته على الأيديولوجيات البشرية ساهـم، إضافة إلـى الرهبانية التـي أشاعتها المسيحية في القـرون الـوسطـى، فـي تـردي الأحوال الإنسانية للمجتمعات، ولافتا إلى الفرصة التي يعيشها العالم الإسلامي لإفادة البشرية في الاقتصاد والعلوم والثقافة والاجتماع.

وأشـار إلـى أن مختلف الأيديولوجيات أفلست كونها متناقضة مع طبيعة الانسان، كما انها لا تستطيع ان تلبي مطالبه، ولأنها ليست عالمية، وهي مثالية غير قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، بينما انتشر الدين الاسلامي وتسيد الدنيا لانه يحترم الانسان كونه انسانا، بل ويسعـى لـلإنسان أيـا كان بقيم رفيعة، مؤكدا انه يحتوي على جميع انواع العلاج الا اننا مطالبون باستخراجها.

أمـا رئيس تحرير مجلة «حراء» الدكتور نوزاد صواش فبين أن الدين الإسلامي انطلق وتجـدد مـن غـار حـراء، ولـذا جاءت تسمية المجلة بهذا الاسم، وهو تعبير رمزي يزيد انتماءنا الإسلامي الذي ربطنا بالعالم العربي بمشرقه ومغربه، مشيرا إلى أن الأمة الإسلامية وجدت وبعثت تقرأ، مشيرا إلى أن مجلة حراء جاءت لتثري هذا النهج وتقرأ الإنسان عقلا وروحا.

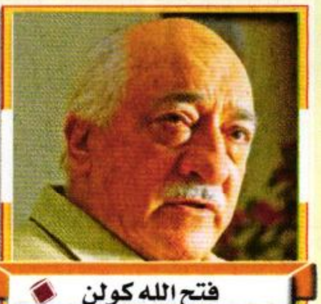
من جانب آخر قال الدكتور وائـل الحساوي في كلمة عن المشاركين إن زيارة الوفد التركي تمثل رابطا قويا وفتحا للآمال لوجود علاقات بين أبناء العالم الاسلامي، والذين يجتمعون على كتاب واحد هو القرآن الكريم.

وأكد أن التواصل الإعلامي بين تركيا والعـالم العربي هو ما نحتاج إليه في هذا العصر، خصوصا أننـا نـرى انتشار الإعلام الغربي بفضل حيازته للتقنيات العالية، الأمـر الذي يجعلنا مطالبـين بمضاعفة الجهود للوصول إلى التكامل الإعلامي والربط بين المنشورات ذات التوجهات الإسلامية.

وتحـدث الـدكتـور محمد حسان الطيان قائلا إن «مجلة حراء تمثل بكتابها مبعث أمل لإحيـاء الـوحـدة الاسلاميـة، خصوصا أنها فتحت المجال أمام كبار الكتاب العرب والمسلمين».

إنسان الفكر والحركية

سعيد النورسيّ أنموذجًا



فتح الله كولن

انسان الفكر والحركية هو رجل الانطلاقة والحملة، الحركي المخطط الذي يقوم ويقعد على خفقان شد العالم بالنظام مجددًا، ويمثل حركة اقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل الى السقوط منذ عصور، ويُفسر قيمنا التاريخية كرة أخرى، ويستخدم بمهارة مكوك الارادة والمنطق في الفكر والحركة، وينقش على قماش روحنا ومعنانا زخارف مستظرفة وجديرة تناسبنا، فهو في خط الحياة الممتد على مدى فصولها من الحس الى الفكر، ثم الى الحياة العملية، يتنفس النظام دومًا، وينشغل بحس البناء والانشاء أبدًا. انه وليّ الحق اللدني الذي يُعدّ «قادة أركان» الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، بدلًا عن استخدام القوة المادية لفتح البلاد ودحر الجيوش، وينفخ بلا كلل نَفَس البناء والاعمار فيمن حوله، ويرشد أعوانه الى سبل عمران الخرائب. وليٌّ للحق جياش بالشوق والشكر، استطاع أن يحول فقره الى الغنى، وعجزه الى القدرة عينها، انه لا يقهر أبدًا مادام يستخدم مصادر قوته هذه كما ينبغي وبحس الاخلاص والوفاء لصاحبها، وحتى حين الظن بأنه قد هُزم، فستجده على رأس فوج آخر للنصر والظفر.

قد تجد انسان الفكر والحركية ابنًا بارًا للوطن، أو انسانًا حركيا ذا بُعد فكري، أو رجلًا متفانيا في العلم، أو فنانًا مبدعًا داهية، أو رجل دولة، أو رجلًا يجمع كل هؤلاء فيه، وفي العصر الأخير ظهر كثير من رجال الفكر والحركية يمثلون قسمًا من هذه الصفات، فمنهم من سبق فكره عمله الحركي، ومنهم من تبارى فكره مع عمله الحركي، ومنهم رجال حركة فكرهم مكنون ومخزون منهم، بديع الزمان سعيد النورسي.. عَلَمٌ ينبغي التفكير فيه باعتناء وتعريفه للانسانية بأبحاث مستفيضة، فهو رجل العصر الأول الذي أبرز ايمان العالم الاسلامي ومعنوياته وعمقه الوجداني الفسيح، وبصورة صافية ومؤثرة، ولا نحسب أن مقتربات الملاحظات العاطفية لفهم شخصيته وأفكاره مقتربات سليمة لمعرفته ومعرفة تراثه وآثاره، فالعواطف لا تتآلف مع جدية المسائل العالية الزخم التي أظهرها وأبانها بشجاعة عظيمة في كل زمان وآن، فقد عاش حياته كلها انسان محاكمة منطقية وعقلية، في ظل الكتاب والسنة، وبموازين التجربة والمنطق، في حال العشق والحماس العميق.

لقد دبجت الأقلام كتبًا، وأطلقت الألسن خطابات كثيرة عن حقيقة الفكر العاليّ لبديع الزمان النورسي، وسعته الانسانية، ووفائه، واخلاصه لأخلائه، واستعفافه، وتواضعه، واستغنائه. والحقيقة أن كل خصلة من هذه الخصال التي يتصف بها ويتطرق اليها في رسائله مرارًا وتكرارًا، تستحق بذاتها كتابًا مستقلًا، ويشهد على أحواله هذه عدد كبير من أصدق الشهود الذين سعدوا بالعيش قريبًا منه، ومازالوا أحياء بين ظهرانينا كأنهم كتب شاخصة متجولة.

يبدو بديع الزمان انسانًا بسيطًا وعاديا من الناس في مظهره الخارجي لأول وهلة، لكنه يختزن شخصية راسخة قلّما تتوافر في غيره أو في كل زمن من جهة حياته الفكرية وعمله الحركي، فقد كانت تصرفات عادية بالنسبة اليه أن يحتضن الانسانية جمعاء في المسائل الحيوية للانسانية، ويمتلئ بغضًا وتقززا ونفورًا على الكفر والظلم والضلالة، ويحارب الاستبداد أنّى كان، الى درجة الاستخفاف بالحياة لهذه الغاية بوفائه ومروءته وترحيبه مستبشرًا بالموت، عاش انسان حس رحيب، ملتزمًا في رسالته ودعوته بفَلَك الكتاب والسنة لا يغادره، متلونا بألوان المحاكمة العقلية والمنطق، لقد اتصف في كل وقت بصفتين ظاهرتين، الأولى: صفةً كونه رجل وجدان رحيب، ومثال عشق وحماس أصيل، وانسان شهامة ومروءة عظيمة. والثانية: صفة كونه مفكرًا متوازنا غاية التوازن، يتقدم على معاصريه أشواطًا في الرأي والبصيرة، وصاحب عقل سليم ينتج خططًا وبرامج شاملة. فالاقتراب الى بديع الزمان ودعوته من هذه الجهة، مقترب مهم لفهم ما يعنيه لنا في عصرنا الذي نحن فيه باعتباره امتدادًا لسلسلة عظماء الاسلام.

ومهما تغاضى بعضهم أو تناسى، فقد لقي بديع الزمان قبولًا بأنه مفكر وكاتب بزّ أقرانه المعاصرين له، وصار رائدًا وترجمانا لجمهور الناس، لكنه لم يصب بالعُجْب قطعًا، ولم يمل الى الظهور والرياء، ولم يقرب منه الكِبْر، فمن بياناته الذهبية قوله: «الشهرة عين الرياء وعسل مسموم يميت القلب». لقد دخل التاريخ واحدًا من المعالم في العالم الاسلامي، والعالم كله في الوقت الحاضر، الذين يرتقون الدرجات العليا في سلم الكُتّاب المشهورين والمقروءة كتبهم بشغف في كل وسط وزمان، والذين لم يذبل غصن جدتهم.

ان مصنفات بديع الزمان

* مفكر تركي

كلها ثمرة جهد جاد ودؤوب من أجل توضيح مسائلَ ومشكلات معروضة على الرأي والنظر في العصر الذي صنفت فيه- اذا أطللنا عليها من هذه الجهة- فمن بين سطورها ينبعث صوت الأناضول، ثم العالم الاسلامي، حينًا نشيجًا ونحيبًا، وحينا أملًا وشوقًا وطربا، ولئن كان النورسي قد ولد في قرية قصية من أصقاع شرقي البلاد، فانه أحس في نفسه بمشاعر ابن الأناضول أبدًا، وتنفس مشاعرنا وأحاسيسنا كسيد من أبناء استانبول، واحتضن الوطن جمعًا وكلًا في كل وقت وزمان، بشفقة رحيبة وخلوص شاخص وطري.

لقد أرشد بديع الزمان انساننا المترنح برجّة تصيبه بعد رجّة، الى السبل الموفية الى نبع «الخضر»، ونفخ في جموع البشر هواء «الانبعاث بعد الموت» أينما رحل وحطّ، في زمان شؤم أوقع الفكر المادي فيه حياتنا الفكرية في تشتت الهرج والمرج، وجن فيه جنون الشيوعية، وسقط العالم في أسوأ أيام الضياع والظلمات والمحن، وذلك بمصنفاته التي تفوح منها نفحات الايمان والأمل، لقد استشعر وشخص الداء الأعظم قبلنا وقبل الناس جميعًا، ألا وهو الفوضى الناشئة من الكفر والالحاد، فتصدى لها، لقد نفث في انساننا طوال حياته ضرورة التغلب على وباء العصر هذا، وكافح في سبيل ذلك كفاحًا فوق طاقة البشر.. كان بديع الزمان في أوعى حالات الادراك لواجباته الملقاة على عاتقه، عندما جابهه عالم ينشج في حمى ثقيلة الوطأة، فلما حمل حملًا أثقل من جبل «قاف» أحنى ظهره في غاية حال من التواضع والمحوية، وفي استحياء، ولكن في غاية الثقة بالقدرة المطلقة للحق تعالى وغناه اللانهائي.

فان بديع الزمان- وبأدائه كالطبيب الحاذق- ذكّرنا جميعًا بالزنزانات التي في دواخلنا وأنواع المحكوميات في أرواحنا، وجرائمنا الذاتية وتقييد ذواتنا بأنفسنا، ونفخ في قلوبنا المشتاقة الى العلويات أنفاسًا متوالية بتحريك جوانبنا الانسانية الخامدة من عالمنا الروحي وحياتنا الوجدانية، ونشر أمام الأنظار علاقاتنا الوطيدة المغزى بالأخرويات، وصب فوق رؤوسنا جميع واردات التكايا والزوايا والمدارس.. في أيام نحس سود سيق البشر فيها الى الالحاد بالاستغلال السيئ للفنون والفلسفة، وتعرضوا الى «غسيل الدماغ» بالشيوعية، وأُبعد المتصدون لهذه السلبيات في البلاد نفيًا وتغريبًا، وأشيع في أرجاء البلاد أشد الخيارات المخجلة، والباعث للحيرة أن كل ذلك جرى باسم التحضر و«العصرنة»، حتى غدت «العبثية (Nihilism)» «سحر العصر الساري كالنار في الهشيم.

نعم، قد صار النورسي طبيبًا حكيمًا، مفكرًا، وباحثا عن الحلول، وفاحصًا ومشخصًا، ثم واصفًا دواء هذه الأمراض، لزمن الفتن والهرج، كان الشعب فيه يعيش حمى الضعف الفكري والهموم الاجتماعية، ويُسَلّط عليه مئات الحوادث المرعبة في أنحاء الوطن كافة، ويئن تحت ركام القيم الاسلامية والمليّة التي تهدمت فوق رأسه، فهو رجل عاش منذ البداية مشدودًا دائمًا، مفكرًا، مقدمًا الحلول البديلة للدولة والمجتمع، ساعيًا في تلقين هذا الشعب المجيد، لكن الفقير حظًا، وهذه الدولة الشامخة، لكن الآفلة طالعًا، دروس ماضيه الرحيب والغني، اذ يرى حيرة الأجيال المسكينة المضطربة قلقًا تحت المصائب والنكبات المهولة التي أعدتها السنون السود الطويلة وجهزتها لها، فتتخبط في وديان العجز والضلالة والشك، وكلما أرادت الخلاص دفنت نفسها في أوحال أزمات أعمق.. يرى حيرتها، ويستشعرها، ويصغي الى صوت ما يراه وما يستشعره.

النورسي يرى مصدر المفاسد كلها في الجهل والفقر والتفرقة

ساح بديع الزمان في أرجاء كثيرة من البلاد منذ عهد الدولة العلية العثمانية، بمدنها الكبيرة أو قراها القاصية، وبنواحيها التي تعج بالبشر أو مناطقها القليلة أنفسًا، فرأى حيثما حل سريان الجهل في الناس وتضورهم في الفقر وحد الضرورة، ونهشهم وافناءهم لبعضهم بعضًا بأنواع التفرق، فخاف وذعر، فأراد أن يشحن تلك الجموع التعيسة بروح العلم، باعتباره مفكرًا واعيًا بأحوال العصر، والتفت الى معضلة الفقر والحاجة والاقتصاد.

وبحث عن حلول التفرق وصار داعية يتنفس وحدتنا في كل زمان وبلا توان.. ولم يترك شعبنا وحيدًا لحظة واحدة في تلك الأيام العصيبة الكأداء، كان ينادي بأعلى صوته حيثما حل: «سوف تؤول أمراضنا الى أسقام مزمنة، وجراحنا الى عطب لا يبرأ، ان لم نبادر منذ الآن الى معالجة عللنا، وضماد جراحنا على أيدي حكماء حاذقين، فلا بد من تشخيص عللنا العلمية والاجتماعية والادارية، وحل عقد مشكلاتنا المادية والمعنوية كلها، حتى لا نقع في مضايقات تسحبنا كل يوم الى المهاوي الشنيعة التي تمضغ وجودنا وتهز كياننا من الأساس».

فالنورسي يرى مصدر المفاسد كلها- بالأمس كما اليوم- في الجهل والفقر والتفرق.. الجهل هو أول الأسباب لمآسينا الاجتماعية ومقدمة الدواعي الى بؤسنا السائد، فلا شبهة في أن أعظم مصائبنا- أمس واليوم- هو الجهل بالله وتناسينا للنبي ﷺ وترك روابطنا بالدين والتعامي عن محركات تأريخنا المادية والمعنوية، ولقد جعل بديع الزمان حياته وقفًا على محاربة هذه الجراثيم القاتلة، فلا جدوى- عنده- في انتظار خلاص الشعب ما لم تُنوِّر جموع الناس بالعلم والعرفان، وما لم يتعود المجتمع على التفكير المنظم، وما لم توصد الأبواب بوجه تيارات الأفكار الخاطئة والمنحرفة، أليس الجهل هو الذي فك روابط الكائنات بالقرآن، وروابط القرآن بالكائنات؟ وبفك روابطهما جعل أحدهما يتيمًا في زنزانات خيال النفوس

المتعصبة، الجاهلة لأسرار الوجود والمنحبسة في الأشياء والحوادث، وجعل ثانيهما عبثًا وفوضى في أيدي الجاهلين جهلًا مكعبا، الباحثين عن كل شيء في المادة، والعمين تماما عن المعنويات، ثم أليس الجهل هو الذي أبكى هذه الأرض المباركة نحيبًا في قبضة الفقر والبؤس وجعلها متسولا يستجدي خدام الأبواب القدامى، وهذه سهولها المنبتة وسهوبها الفياضة وأنهارها الكوثرية؟

ثم ألسنا بسبب الجهل والفقر نعيش بؤساء ومشردين؟ وفي شَدِّه الديون الرهيب، محنية ظهورنا وطاوين على بطوننا، وتلك معادننا التي لا تقدر بثمن نائمة في سكينة تحت التراب، ومصادر ثرواتنا التي لا تعد ولا تحصى، تصب في خزائن غيرنا؟

هذا البلاء يعذب شعبنا منذ سنين طويلة.. فالعامل والفلاح يكد بلا كلل وينسحق رهقًا، ثم لا يجني ثمار كده وكدحه، وان جنى شيئًا فلا يجد فيه بركة، ولا يسعد به، ويتوارى شيئًا فشيئًا قهرًا وشقاء.

وبسبب الجهل والتفرق المنبعث من الجهل، يعيش العالم الذي يرتبط بنا حيثما كان، حياة من القهر والأسر والتحكم والذل وأنواع البلاء والأمراض، ويغرق في بحار الدم، وتنتهك فيه الأعراض ويداس على الشرف، ويعجز عن كبح جماح الفرقة واعطاب عجلة الفواجع والفضائح في تقلبه ذات اليمين وذات الشمال في هذا العالم المترنح في شِباك فقدان الموازنات والمعايير، بل لا نجد وسيلة لخلاص العالم الاسلامي من التدحرج يوما بعد يوم الى مهاوٍ مهولة وبئيسة، ولا نتحفز بروحِ الوحدة، ولا نصفي حسابنا مع العصر.

ابّان تجرعنا الآلام في فخ الأوجاع القاهرة المتسلطة على شعبنا، تداعى قومٌ خَلَبَ أبصارهم بريق رقي الغرب الصوري والمادي، فتكدرت بصائرهم ودارت رؤوسهم، فجردوا جموع البشر من السجايا «المليّة» وحرموهم من حس التاريخ وسلبوهم الأخلاق والفضيلة، لهثًا وراء تقليد أعمى وشعارات خداعة، بتصرفات لا جذور لها ولا روح فيها البتة، بدلًا عن امداد أدمغتهم بالعلوم التجريبية، وقلوبهم بالحقائق الدينية، بلوغًا الى الغنى المادي والمعنوي، وعندي أن سيرهم في الطريق الأول الذي انحرفوا اليه باسم انقاذ الشعب، أوقع الضرر الأعظم وفتح في روح المجتمع جرحًا لا يندمل.

لقد واجه بديع الزمان المعالجات في كلا الحالين وتصدى للتعقيدات الاجتماعية التي خلفتها أخطاء هذه المعالجات، وشق بمبضعه أورام قرن من الزمان، وشَرّح وشخص الفواجع الناجمة من احتقان قيحها، فأعاد ابن الوطن البار هذا، وكرر بلا فتور قولًا وكلامًا ثابتًا، وحمل على أدوائنا بلا كلل حملة دائمة لا تضعف، ووصف لها أدوية ناجعة، من أجل انقاذ الوطن وخلاص انساننا من السقوط والضياع، فلم يتوان عن ذلك طوال حياته من بدايتها الى وقت لقاء مولاه الجليل في «أورفة»، بصدق واخلاص قلبي، وبصوت جهوري وقول متين.



ان غرس أفكار جديدة في عقل المجتمع عمل شاق وعسير بقدر انتزاع العادات والتقاليد الموروثة من الماضي بنفعها وضرها والمفاهيم والمتلقيات الراسخة، وفي جموع البشر ميل دائم في الماضي والحاضر الى الوقوع في مؤثرات أمثال هذه التركات- سواء النافعة منها أو الضارة- فتصطبغ الحياة الفردية والاجتماعية بصبغة هذه المؤثرات، وتشمئز مما لا ينسجم مع المعتاد ولا يداعب الحس العام، فينفرون مما يخدش حسهم ويبتعدون عنه، وقد يخطئ هذا الحس أو الشعور أو القبول أحيانًا، فان كانت مثل هذه الأفكار والقناعات غير الصحيحة قد وجدت رضا وقبولًا عند الجمهور والجموع البشرية، وتمثلها المجتمع بطول المعايشة، ومدت جذورها وتنامت أغصانًا وفروعًا في منابت الحياة واستقوت، فاللازم لتقدم الشعب نحو المستقبل أن تُهدم هذه القناعات الخاطئة، وأن تُزال هذه الانحرافات الاجتماعية، وأن تُنظّف القناعات المتعفنة بتمرير الأفكار العامة ووجدان البشر من مرشحات التخلية والتحلية، من الحَسَن الى الأحسن، بمعنى التصفية من كل فاسد والتزود من كل صالح.

وهكذا كان بديع الزمان النورسي منذ أيام الشباب في مشاعره وأفكاره، فعَدّ اخفاء أدنى حقيقة في هذا الباب غدرًا بحق وطنه وانسانه، وفتح ذراعيه بطولهما حاجزا أمام الأفكار والقرارات الخاطئة المودية بالشعب الى مهاوي النكبات، ونادى بأعلى صوته صارخًا: قفوا.. هذا الطريق مقطوع! كانت فطرته متحيزة انحيازًا كاملًا ضد كل خطأ أو كل ما يناقض القيم الدينية، وكان صاحب أفق مديد وذا همة من أهل العزائم.. فغضُّ الطرف عن فناء أمة عظيمة واضمحلالها، واللامبالاة بذلك، يناقض ويضاد طبائع هذا الانسان الطاوي صدره على قلب أسد، فأرشد الأمة الى محاسبة نفسها بعد تسليط الضوء على أدق وأخفى

نقاط قصورنا ومعايبنا وأسباب مصائبنا ونكباتنا، فذكرها من غير ملل بأسباب انقراضها ووصف لها سبل الخلاص، وأبان جهارًا أشد الحقائق ايلامًا من غير تلكؤ.. وحَمَل بخَيْله على القناعات الخاطئةَ والأفكار المتعفنة والكفر والالحاد، وكافح بلا هوادة، وطوال حياته، مقاومًا عوائق انتشار أنوار الحقيقة جميعًا.

لقد انبرى النورسي في أحلك العصور، اذ أحجم الناس عن ذكر الحقائق الدينية توجسًا وخيفة، فشحن جموع البشر باليقظة لما أرادوا لهم الغفلة، وأعلن الحرب على الجهل والفقر والتفرق، وزعزع أركان أنواع الأوهام التي جثمت على صدر المجتمع، ومارس كفاحا على طول البلاد وعرضها وليس في خط الدفاع فقط ضد الالحاد وانكار الألوهية، وكذلك خنق الباطل والخرافات في اشكالاتها المنغلقة، وأبدى دومًا جرأة مدنية سلبت الألباب اعجابًا في اشهار همومنا المزمنة وسبل معالجتها، لقد اُشْتُهر أن «آخر الدواء الكي»، فكأنه في مجالدته للرياء وحب الظهور والكبر المستفحل منذ قرن أو قرنين وسَمَهَا وكواها بالساقور، فخاطب بقول ثرّ وندي وَجَد صدى في روح كلّ انسان، يستوي في ذلك رجل السراي ورئيس عشيرة في شرق تركيا، والمشيخة الاسلامية وأركان العسكرية، فلما خاطبهم شدّ اليه أنظار الناس من كل صنف، ومع أن جبِلّته تنفر من ذلك أشد النفور، فان طبائع شؤونه وأموره استدعت ذلك الالتفات.

ان غرس أفكار جديدة في عقل المجتمع عمل شاق وعسير بقدر انتزاع العادات والتقاليد الموروثة من الماضي

نبّه النورسي كل فئة الى ضرورة كسر الأغلال الآسرة لأفكارنا وأرواحنا، قبل سل السيوف من الأغماد، ان أردنا دوام الجهاد، وأرشد الأجيال الفتية الى السبل الموفية الى الفكر الاسلامي في بشرى «الانبعاث بعد الموت»، فكان يخشى ويرتعش فزعًا من انقسام جغرافية الوطن وتمزقها وانكماشها، لكنه كان أشد فزعًا من أمور تؤدي الى تلك السلبيات مثل ضيق التفكير وبؤس الأرواح وتقليد الغرب والشكلية.

لم يملّ النورسي من الاصرار على القراءة والتفكير والعمل، ولم يكلّ من السعي لأجل انقاذ أفراد الشعب من الفردية المتبادلة وبناء مجتمع مثالي وشعب عامر، فكان يلح على «المعارف» و«التربية والتعليم»، فيحث بالضرورة على نشر المعارف والتربية والتعليم في كل مكان وبكل وسيلة، فينبغي عنده انخراط المساجد والمدارس والمعسكرات والدروب والمتنزهات، بل حتى السجون، في نفير التعليم العام، فبالمعارف وحدها تتحقق الوحدة العقلية والمنطقية، والذين لا يتوحدون عقلًا بعقل، ولا ينصهرون على ذلك، يعجزون لا محالة عن السير معًا في طريق معين زمنًا طويلًا، ولا يحفظون تساندهم وتعاضدهم، فينبغي أن يتوحد الوجدان أولًا حتى تتوحد القلوب والأيدي، ووسيلة وحدة كهذه هو ضبط الحياة بضوابط الدين وتفسير الأمور المتعلقة بالزمان حسب مدارك العصر مع التقيد بالكتاب والسنة والاجتهادات الصافية للسلف الصالح.

نعم، لا بد من أن يتعرف انساننا بهذا العصر، وبواردات العصر ومعانيه وتفسيراته، وأن ينجح في ذلك ويتواءم معها، فان مقتلنا في انحسارنا داخل قشورنا واستغراقنا في الانزواء، والدنيا تسير سابلة الزمام، فلابد أن يمسك الذين يريدون أن يحيوا حاضرهم بحبل الانسجام والوئام والتعاون ما بين شلالات الحياة، وبين ارادتهم الذاتية وسعيهم وجهدهم، وبخلاف ذلك لا مفر من الاضمحلال في حال مقاومة التيار العام في الكائنات.

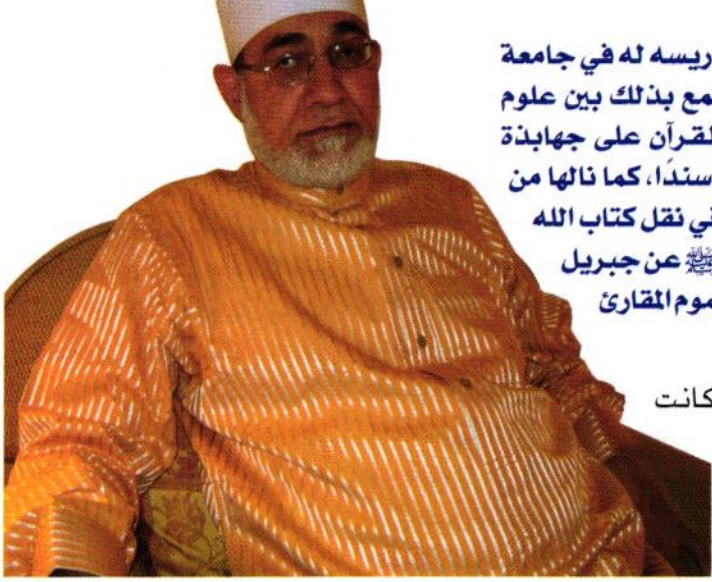
ولو تفهم عدة مئات من المثقفين بديع الزمان وأعانوه، عندما كان يسعى حثيثًا ويلهث ركضًا في كل ناحية من أرجاء البلاد، عارضًا رسالته، فربما كنا اليوم أغني من كل دولة، وأسبق شوطًا في الحضارة بين الأمم، وربما بلغنا قوة كانت تؤهلنا لاجتياز العراقيل التي وضعت في طريقنا لاحقًا، فكنا انخرطنا في طريق النور- الذي يبدو كأننا انخرطنا فيه الآن- منذ بداية القرن العشرين، ولم يكن الكثير من مشاكلنا الحالية تواجهنا اليوم.. مع كل هذا، مازلنا متفائلين وأنا أجزم بأن الذين يزعمون أن منابع المعاني لشعبنا قد نضبت تمامًا هم في غفلة وذهول. نعم، قد سقطنا مثلما سقطت شعوب أخرى.. هذه حقيقة ظاهرة لا يمكن أن تخفى، لكن قدرتنا على رفع هامتنا واستعادة وعينا أيضًا حقيقة لا شك فيها، ونرى في الحاضر بوارق لمعان يقظة تحل محل الركون القديم الى الراحة، فثم حرارة للحيوية الندية والانبعاث الطازج تسري في أرواحنا الغارقة في أحضان الراحة والخمول، ولابد أن يعقب هذه التطورات ربيع زاهر الأيام، لكننا في انتظار رجال يسيحون فيفرشون الوديان بالسجادات كالخضْر، ويفتحون الأشرعة في السهوب بلا وجل كالياس، وبديع الزمان علامة مهمة في هذا الطريق.

يقال «ان العبقري لا يَختار»، والمعنى أن الداهية لا يقول أعملُ هذا ولا أعملُ ذاك، أو يحكم بأن هذا العمل مفيد وذاك ضار؛ لأنه صاحب فطرة خارقة يجمع في روحه قوى تتحمل فوق أكتافها أمورًا كثيرة بموهبة الهية وبسائق وشائق لدني، فيحتضن بها حاجات محيطه الظاهرية والباطنية والروحية والاجتماعية بأعمق أغوارها وأوسع حدودها، ومن يمحص النورسي ومصنفاته سيجده جامعًا لعناصر الدهاء، فيرى أنه صان رفعة درجته فوق الدرجات دائمًا وتكلم بدهاء في كل زمن، ابتداء من أيام شبابه في كتبه التي تُعدّ من أول أنفاس دهائه، بثها فيمن حوله، الى مصنفاته التي انكشفت وتكاملت في عمر النضوج عبر حياة معذبة مرت بالمحاكم والسجون والمنافي.

الشيخ المعصراوي لـ«الوعي الإسلامي»:

لا أؤمن بتعمد قراءة القرآن وفق المقامات

حوار: عامر أحمد عامر



برغم حصوله على درجة الدكتوراه في علم الحديث النبوي، وتدريسه له في جامعة الأزهر، فإنه تولى عن جدارة مشيخة عموم المقارئ المصرية، ليجمع بذلك بين علوم مصدري الشريعة الإسلامية الرئيسيين، ولا غرو فقد قرأ الرجل القرآن على جهابذة القراء في ستينيات القرن الماضي، ونال الإجازة من أعلى قراء الأرض سندًا، كما نالها من نفر قد ذاع صيتهم في العالم الإسلامي كله، وعُرفوا بالشدة والحزم في نقل كتاب الله كما تلقوه عن أسلافهم، ليسجل اسمه في سلسلة تنتهي إلى رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل وعلا.. «الوعي الإسلامي» التقت شيخ عموم المقارئ المصرية د. أحمد عيسى المعصراوي ليكون هذا الحوار:

● شيخ عموم المقارئ المصرية وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر.. مسيرة علمية حافلة ونموذج يحتذى في طلب العلم.. هلا حدثتنا عن هذا؟

- أتممت حفظ القرآن الكريم وأنا لم أتجاوز السنوات العشر تحت رعاية جدي لأمي الشيخ علي محمد السحيمي في قريتي دنديط بمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وكان والدي، رحمه الله، انتقل إلى القاهرة للعمل، وبعد أن جودت القرآن على يد الشيخ محمد إسماعيل عبده، وقرأت القرآن بالقراءات عليه، سافرت إلى والدي في القاهرة والتحقت بمعهد الخازندار.

أنهيت دراستي بالمعهد، وكنت من أوائل دفعتي بفضل الله عز وجل، ثم التحقت بكلية الدراسات، وكنت ثاني الدفعة، وعينت مدرسا في المعاهد الأزهرية، ثم التحقت بالدراسات العليا في كلية الشريعة، ثم تعاقدت مع كلية المعلمين بالرياض وعدت بعد أربع سنوات إلى القاهرة لإكمال الدراسات العليا، لكني غيرت مسار الدراسة من الفقه المقارن إلى أصول الدين (التفسير والحديث)، وبعد أن سجلت الماجستير في قسم التفسير حول القراءات الشاذة في تفسير الشوكاني شاء الله أن أسحب الخطة يوم انعقاد المجلس، لأقدم خطة في الحديث، وكان ذلك بسبب رؤيا رأيتها، أظنها كانت خيرا، حيث أكرمني الله بالجمع بين علوم القرآن وعلوم السنة، وعينت عضوا في لجنة مراجعة المصاحف، أثناء مرحلة الدراسات العليا، وانتقلت للعمل بجامعة الأزهر بعد حصولي على درجة الدكتوراه عام ١٩٩٢.

● لعل انتشار معاهد القراءات الآن مؤشر إلى انتشار هذا العلم والاهتمام به.

- برغم كثرة هذه المعاهد، فإنها في حال يرثى لها، ويمكننا القول إن العصر الذهبي للقراءات في المعاهد الأزهرية قد انتهى، أما تعليم القراءات عند أهل الضبط والإتقان، كتعليم خاص، فقد شاع وانتشر بفضل الله عز وجل في الآونة الأخيرة، وأقبل طلبة العلم الحقيقيون عليه، لينالوا الإجازات من شيوخهم، ويدخلوا في سلسلة السند المتصلة بالنبي ﷺ، أما معاهد القراءات فقد كانت تحوي في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات قراءا مشهودا لهم، وعلى أعلى درجة من الضبط والإتقان، وأما خريجو هذه المعاهد الآن فلا يحفظون القرآن، فضلا عن معرفة القراءات، وكان الشيخ طنطاوي شيخ الأزهر السابق، رحمه الله، يفكر في تقليل هذه المعاهد، لأنها انتشرت إلى أن صارت غثاء كغثاء السيل، ولا تجد من يدرس فيها من أهل الضبط والإتقان، وحتى إن وجدتهم، فإنهم لا يحصلون على أدنى حد مادي لإقامة حياة كريمة، بل لا تكفي رواتبهم لوسائل المواصلات، ما يلجئهم إلى الجلوس في بيوتهم والإقراء فيها ومنح الإجازات، فنحن لا نحتاج في مصر إلى كل هذه المعاهد، بل نحتاج إلى ستة معاهد فقط توزع على أنحاء الجمهورية.

سرقة النفس أثناء القراءة حرام.. وهذا هو الدليل

● ما السبيل إلى إعادة الضبط والإتقان إلى متعلمي القرآن والقراءات؟

نحن نحتاج إلى إعادة ما كنا عليه سابقا، لأن بعض القائمين على امتحانات القرآن، للأسف، لا يحفظون القرآن! والقضية في كل الأحوال قضية ضمير وأمانة، فقد سمعت أخيرا عن بيع الإجازات دون قراءة

ولا حفظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• على من قرأت من مشايخ السند؟ ومن أجازك منهم؟

- قرأت على معظم المشايخ الذين كانوا في معهد الخازندار في الستينيات، ومعي إجازة من الشيخ محمد إسماعيل عبده، والشيخ محمد عبدالحميد عبدالله، والشيخ بكري الطرابيشي، والشيخ عبدالحكيم عبداللطيف.

• من أعلى القراء سندًا الآن؟

- الشيخ بكري الطرابيشي أعلى القراء سندا في القراءات السبع، والشيخ محمد عبدالحميد عبدالله، وهو يساوي الشيخ الزيات في السند، وهناك أيضا الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف.

• ربما لا يعلم كثيرون شيئا عن مشيخة عموم المقارئ، فما سبب ذلك؟ وماذا عن هذه المشيخة؟

- أغلب من تولى مشيخة المقارئ المصرية كان مشغولا عنها، فالشيخ الحصري عُيِّن وهو من مشاهير القراء، والشيخ عامر عثمان كان كبير السن، وكذلك الشيخ رزق خليل حبة، وبفضل الله زادت المقارئ في مصر الآن، فبعد أن كانت لا تتجاوز مائتي مقرأة، بلغت ١٢٠٠ مقرأة، تضم ١٥٠٠٠ عضو، ووزير الأوقاف ألزم الأئمة بحضور هذه المقارئ، حتى يستفيدوا منها، وبعض هؤلاء الأئمة يتقدمون إلى المسابقات التي تقام وينضمون إلى عضوية هذه المقارئ، ومشيخة المقارئ قائمة على رعاية شؤون هذه المقارئ التي تعقد يوميا على مستوى محافظات مصر، (جلسة في كل أسبوع بعد صلاة العصر)، حيث يقرأ العضو على شيخ المقرأة الذي يعلم ويوجه ويصوب، يذكر بعض الشروح والتفسيرات، ولاشك أن هذا يثري ويفيد الحاضرين.

• يدعو بعض الباحثين اليوم إلى كتابة مصحف إمام يعود إلى الصورة الأولى التي كتب بها مصحف سيدنا عثمان، بعد أن تغيرت، من وجهة نظرهم، طريقة رسم بعض الحروف دون الكلمات.. فما رأيكم في ذلك؟

- ليس المقصود بالرسم العثماني الكتابة وفق ما يرى سيدنا عثمان رضي الله عنه، إنما النسبة هنا نسبة أمر، فهو الذي أمر، أما الرسم القرآني فهو رسم توقيفي، فقد كان ﷺ يوجه الكاتب إلى صورة الكلمة وهو لا يقرأ ولا يكتب، وهذا من ضمن الإعجاز، والمهم أن رسم الكلمة وقوامها لا يتغيران، كأن تمد الألف المقصورة، وتقصر الممدودة، أو تفتح التاء المربوطة أو العكس، أو يحذف مثبوت أو يثبت محذوف، أما التغيير في طريقة كتابة الحرف فلا غبار عليه، فالميم هي الميم والقاف هي القاف... وهكذا، وهو لا يعد خروجا على الرسم، فشكل الكلمة، أي الضمة والفتحة والكسرة والسكون والشدة والتنوين، وكذلك النقط لم يكونا موجودين.

• هنالك أيضا أصوات تنادي باعتماد الرسم العثماني في الكتابة العادية.. فماذا عن هذا الرأي؟

- الرسم العثماني خصوصية من خصوصيات المصحف، ولما كان تطور طريقة الكتابة عبر العصور أمرا طبيعيا، وأدرك العلماء ذلك، أجمعوا على أنه لا تجوز كتابة المصحف إلا بالرسم العثماني، حفاظا عليه، ولولا ذلك لصار الرسم العثماني ألعوبة لهذه التطورات، أما إن وافقت هذه التطورات أصل هذا الرسم، فلا شيء فيها، والخط القديم يصعب التعامل به الآن قراءة وكتابة، ولابد من الاستجابة للتطور الطبيعي للخط.

• بعض القراء يلجأون إلى إطالة أنفاسهم بالتنفس أثناء القراءة، فيما يعرف بـ «سرقة النفس»، فما الحكم في هذا؟

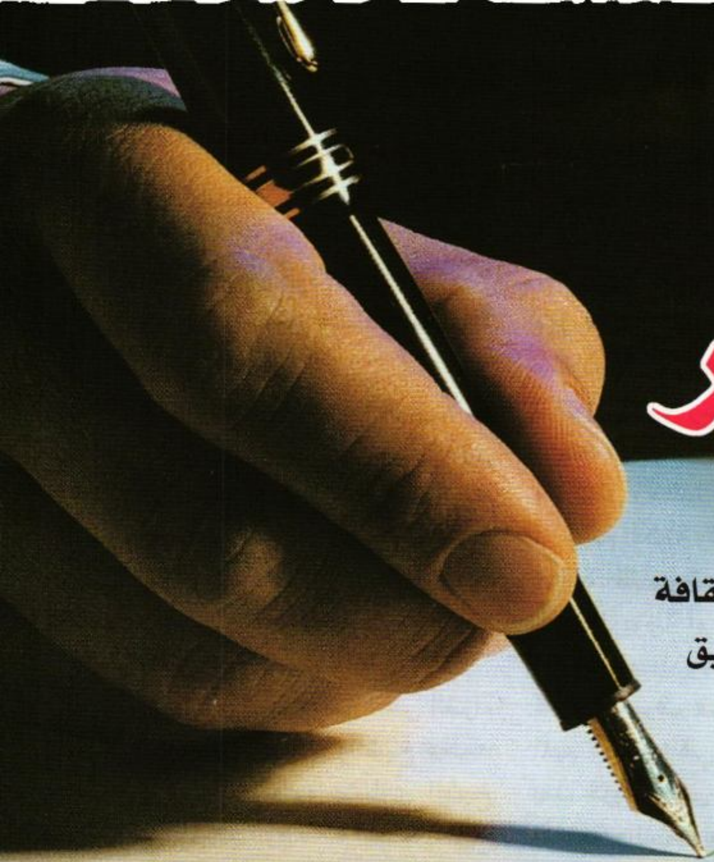
- أغلب القراء الآن، حتى من المشاهير للأسف، يأخذون النفس، وهؤلاء متجرئون على كتاب الله، وإذا نصحتهم قالوا ما دليلك، والدليل أن المرجعية في القراءة إلى رسول الله ﷺ، فلم يرو أنه ﷺ كان يأخذ نفَسه، فنحن تلقينا القراءة عنه ﷺ هكذا، وهو قد أمر باتباع قراءة جبريل عليه السلام ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ (القيامة: ٨١)، وبعضهم يكبر بين السور، ولا يعلم هذا التكبير لمن، فليس هناك تكبير إلا من طريق ابن كثير، بداية من سورة الضحى، وهم يكبرون لكل القراء، وإن كان ابن الجزري ذكر في الطيبة أن التكبير في كل السور، لكن هذا رأي لم يقم عليه دليل، مع تقديرنا الكبير لابن الجزري وعلمه، فأخذ النفس في القراءة حرام، لأنه تغيير للطريقة المتواترة للقراءة.

• شيخ عموم المقارئ المصرية حينما يريد أن يستمع إلى القرآن.. فإلى من يستمع من القراء، قديما وحديثا؟

- أحب أن أستمع إلى المشايخ القدامى مثل الشيخ المنشاوي والشيخ عبدالباسط والشيخ الحصري والشيخ عبدالفتاح الشعشاعي (الأب) والشيخ محمد رفعت، وأحيانا أستمع إلى الشيخ مصطفى إسماعيل، وهو مدرسة، لكني أميل أكثر إلى سماع القرآن بصورة شرعية، ولا أستمع إلى أحد من القراء الجدد، وهذا لا يعني أنهم غير مجيدين، لكن ما دام الأصل موجودا فلماذا أبحث عن الفرع.

• أثار موضوع قراءة القرآن وفق المقامات الموسيقية جدلًا على الساحة في الفترة الأخيرة.. فماذا ترون في هذا؟

- لا أومن بقراءة القرآن على الألحان، ولا أدعو إلى تعلم المقامات المعروفة اليوم، والرسول ﷺ حينما أثنى على قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقال لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود، كان هذا كناية عن السليقة والطبيعة العربية، لأن أبا موسى رضي الله عنه كان يقرأ بها، ولم يكن يعلم عن هذه المقامات شيئا، ونحن مأمورون بقراءة القرآن ومعايشته في القراءة، وتجميل أصواتنا به إن وهبنا الله ذلك، على ألا يخرجنا هذا عن أدب القرآن وأحكامه وجلاله...إلخ، أما لجنة اختيار القراء بالإذاعة التي أشرف بعضويتي فيها، فصحيح أن بها ثلاثة أعضاء موسيقيين، لكن لم يحدث يوما أن قيل للقارئ المختبر اقرأ على مقام كذا، أو سُئل عن المقام الذي يقرأ به، المهم ألا يكون في قراءته نشاز.



ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (**الوعي الإسلامي**) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونيه.

ملاحظة : المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

عملية التنمية الإنسانية تحديات وطموحات

الأزمة المالية العالمية التي عصفت بالعالم منذ أكثر من سنة ومازالت تعصف به من كل جانب تركت بصماتها السلبية والخطيرة، ومزقت النسيج الاجتماعي لمعظم أمم وشعوب العالم، ووسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء وأصابت عملية التنمية والانتاج بسهام قاتلة سيظل العالم يعاني منها لسنوات عديدة.

ان الانسان العاقل الممعن في كنه هذه الأزمة يصل بسرعة الى حقيقة مفادها أن سبب هذه الازمة هو الخلل الحاصل في العلاقة بين طاقة الانسان وجهده وبين الثروة التي اودعها الله سبحانه وتعالى في ارضه، الأمر الذي نتج عنه جشع الطبقات المستغلة وشحها، وما لم يتم إصلاح هذا الخلل بإعادة التوازن السليم لعملية الانتاج والتنمية القائمة على أسس وثوابت النظام الاقتصادي الاسلامي فإن العالم سيظل يعاني أزمات متكررة.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قرائنا تسليط الاضواء على أسس العملية التنموية من خلال تحديد وتأصيل مفهوم العمل والانتاج بمعناه التكاملي الشامل، وبما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد في إطار تحقيق العدالة الاجتماعية التي تحفظ للإنسان كرامته.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

إعداد : التحرير





التخطيط وعلم المستقبليات كأساس للتنمية

إبراهيم نويري

هل صحيح حقا وصدقًا ما يقال عنا نحن العرب والمسلمين من كوننا تعودنا على أن نزاول أعمالنا دون تخطيط أو دراسة مسبقة واعية محكمة؟ وأن كل ما نأتيه من أعمال إنما نأتيه بطريقة تلقائية فوضوية موغلة في البدائية والعشوائية؟ وإذا كان ذلك صحيحا والتهمة ثابتة، فهل الحل العتيد والأسلوب الرشيد يكمن في ضرورة أن نتعلم وننسج على منوال غيرنا من أصحاب المناهج والتجارب الرائدة أو الناجحة في الحياة، عملا بالأثر القائل «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها».. أم أنه تجب المحافظة على الأسلوب الذي تعودنا عليه، وترسخ في أنماط وأساليب التعامل عندنا وتوارثته الأجيال عن بعضها؟



الجواب الفذ على هذا التساؤل الخطير أنه يجب على أية أمة لها رسالة في الحياة، وتتطلع إلى الإسهام بشرف وفخر في مسار الإنسانية ومنجزاتها التاريخية والحضارية، وقبل ذلك يهمها وجودها الحقيقي الفاعل.. المرتبط ارتباطا وثيقا بأهداف رسالتها وتطلعات أجيالها.. أقول يتوجب على أية أمة هذه صفتها، وتلك تطلعاتها أن تترك الفوضى والتلقائية في كلّ شؤونها ومناشطها لأنهما لا يسوقان ولا يفضيان إلى نتائج إيجابية فيما تأتيه من أعمال أو فيما تبذله من جهود، بل لابد من التخطيط لكل عمل أو مشروع تتصدى لإنجازه أو تتمنى تجسيده، حتى ترتقي إلى مستوى القيام بالمهام العظمى والأعمال الكبيرة والمنازل الجليلة، كما أن التخطيط لما نقوم به من أعمال يجعلنا- إلى جانب الإدراك السليم لحاضرنا- أكثر فهما وتحكما في مستقبلنا. إذ من شأن التخطيط ومن مهامه الرئيسة أن يبيّن لنا أين كنا، وأين نحن الآن، وإلى أيّ المواقع نريد أن نصل وكيف ولماذا.

التخطيط والتنمية

التخطيط في أبسط تعريفاته يعني عملية تحديد احتياجات العمل أو الواقع الفردي أو الجماعي، بوضع أفضل الطرق والأساليب بغية الاستجابة لتلك الاحتياجات، أو هو عملية تحديد الأهداف بدقة وواقعية في ضوء الإمكانات المتاحة، مع ضبط الوسائل التي من شأنها أن تفضي إلى تجسيد تلك الأهداف المرسومة سلفا.

إن المفهوم العام للتخطيط مرتبط بوضع آليات ومناهج مضبوطة للمشروع أو العمل المزمع إنجازه، لا فرق في ذلك بين الأعمال الفردية التي لا تغيب عن واقع كلّ واحد منا، وبين الأعمال الكبرى الحاضرة في مناشط الأمم والدول، ومما لا شك فيه أنه كلما كانت الآليات والمناهج أكثر دقة وعلمية توافرت للعمل ظروف النجاح والإثمار المرجو، والعكس كذلك صحيح، ومن هنا ينبغي أن يكون التشديد مركزا والإلحاح صارخا على ضرورة التخطيط بدقة وعناية لكل عمل نقوم به أو نشرف على تحقيقه ومتابعته، لاسيما إذا كانت نتائج هذا العمل ذات ارتباط حيوي بمصير الأمة ومستقبلها وتطلعاتها وآمالها. لقد صدق كل الصدق الحكيم الذي نصح صديقه بقوله «إذا أنت فشلتَ في التخطيط تكون قد خططت للفشل».

يقول المفكر السعودي الدكتور محمود سفر في كتابه الرائع «ثقب في جدار التخلف»: «لقد أصبح التخطيط ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمعات النامية، لأنه وسيلة هذه المجتمعات للتعرّف على مواقع أقدامها من منجزات الحضارة المعاصرة، وبالتالي وضع الاستراتيجيات والبرامج والخطط كي تلحق تلك المجتمعات بركب الحضارة والتقدم في مختلف جوانب حياتها»، كما يؤكد المختصون في هذا المجال أن التنمية لا تنبع من فراغ، لأنها ليست ذات طبيعة سحرية أو

◆ باحث جزائري

هلامية، وإنما لا بد من توافر الشروط والإمكانات الضرورية لحصولها أو لبدء الخطوة الأولى من مسارها اللاحب الطويل، لكن ليس هناك من شك في أن التخطيط يأتي في مقدمة تلك الشروط، بمعنى أن تكون له أولوية في الوعي، ليس فقط من حيث الاهتمام به كوسيلة في تحقيق التنمية، بل من حيث ترتيب الإمكانات المتاحة وتفعيلها واستثمارها أيضا على الوجه المطلوب، وكذا باعتبار كونه آلية مستمرة وأداة معيارية ثابتة، فهو لا يواكب مراحل الإنجاز وحسب، بل إننا نظل بحاجة ماسة إليه دوما حتى بعد إنجاز العمل.. أليست التنمية ذاتها تقوم على ربط الأعمال وتكامل المنجزات بعضها ببعض ومحاولة القيام بعملية تقييم وتقويم مستبصرة تربط بين المقدمات والنتائج، سعيا خلف التأكد من النجاح الذي تمّ التخطيط له مسبقا؟!

علاقة التخطيط بالمستقبل

لقد بات من البداهة القول إن التغيير الاجتماعي والتطور العام في واقع حراك أي بلد في العالم، أو داخل نسيج أي أمة من الأمم يحتاج إلى تفكير متوازن وإحاطة بمتطلبات كلّ مرحلة من أجل التحكم العلمي والمنهجي في عملية التغيير والتطور الطبيعي الذي تفرضه صيرورة الحياة نفسها، وهذا الشأن له ارتباط وثيق بوزن القدرة على إمكانية توجيه هذه العملية الوجهة التي من شأنها أن تؤدي إلى تحقيق أهداف وغايات ورغائب المجتمع والدولة والأمة.. إذ إن حسن التحكم في عملية التغيير الاجتماعي والتطور العام في الحياة هو الأمر ذاته الذي أطلقنا عليه مصطلح «التخطيط».

وبما أن عملية التغيير هذه أكثر التحاما بطموحات المستقبل، فلا بد أن تكون العلاقة بين التخطيط والمستقبل علاقة وثيقة وطردية وليست مجرد علاقة تأثير وتأثر بين طرفي معادلة من أهم وأخطر معادلات الحركة الاجتماعية، إذ من البداهة التذكير بكون الدراسات المستقبلية تُعنى بتتبع مسار مختلف الإنعكاسات والتفاعلات والتوقعات في المستقبل في ضوء استخلاص واستنتاج ما يمكن أن يتقرر، وذلك باستخدام «التخطيط «كأداة أو وسيلة للوصول إلى إدراك مدى حقيقة وواقعية تلك الانعكاسات والتفاعلات، مع ضرورة إخضاعه- أي التخطيط- للمراقبة والتعديل خلال خطواته النظرية المرحلية للوصول إلى الغرض المسطر أو المعلن، علما أنه لا يوجد أي إشكال شرعي أو فقهي في هذه المسألة، بل إن التكليف نفسه قائم على أساس العمل للمستقبل وإعمار هذا المستقبل بجليل الأعمال، يقول الله تعالى «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» (الحشر: ١٨)، فهذه الآية الكريمة تحث على التخطيط والإعداد لمستقبل المؤمن في دار الخلود، وكأن القرآن يؤكد على أن إدراك الفلاح في تلك الدار لن يتحقق إلا بالنجاح في هذه الدار، وليس هناك من نجاح دون تخطيط ومتابعة ومراجعة ونقد وتعديل وإصرار على النجاح.

يجب تعميق الدراسات لجعل الغرض من التنمية ليس مقصوراً على العلم والتكنولوجيا والتقنية المتقدمة

إن ضرورة الدراسات المستقبلية تنبع أساسا من الحاجة إلى تحسّب لأي مفاجآت قد يحملها المستقبل من خلال تجربة الماضي والحاضر والإمكانات المتاحة والعمليات أو العناصر التي تتسبب في تغير المجتمع أو تؤثر في الواقع، وبنظرة أكثر نفاذا واستبصارا يصبح مجال الاختيار لصور المستقبل المتعددة أرحب وتكلفته أقل، فيضحي مثلا باستطاعة الدول النامية من خلال نتائج الدراسات المستقبلية أن تختار نوعا من التقنية (التكنولوجيا) تتواءم مع متطلباتها دون أن تكون لها آثار سلبية على منظومة القيم وشبكة العلاقات الاجتماعية وتلوث البيئة...إلخ، ففي واقع الدول النامية فرصة واسعة لإيجاد تنمية متوازنة في مجال حاجات الريف والحضر على حد سواء، إلى غير ذلك من الوسائل التي يمكن عن طريقها تلافي الآثار السلبية للتقدم والنمو في شتى مجالات أنشطة الحياة.

ونحن عند التأمل ندرك أن المطلوب من الدراسات المستقبلية لا يتجاوز ثلاثة أدوار رئيسة هي:

أولا: تحديد نقطة البدء والنهاية، وذلك يتم عبر الإجابة عن هذين السؤالين: من أين نبدأ؟ وإلى أين سننتهي؟ شرط أن تكون كل الطموحات مستبطنة بين هاتين النقطتين.

ثانيا: تحديد مسارات واضحة يمكن الاختيار منها تمهيدا لوضع خطط مرحلية للوصول إلى الهدف، وهذا أمر متوقف على العلم والخبرة المتوافرة.

ثالثا: تعميق الدراسات لجعل الغرض من التنمية ليس مقصورا فقط على العلم والتكنولوجيا والتقانة المتقدمة، بل أن يكون غرضا شاملا، متمثلا في منهج علمي رصين يعيد صياغة تفكيرنا وحكمنا على الأشياء، ويرسم حاضرنا من خلال التشوّف لمستقبل أفضل، أكثر إغراء وحيوية وجذبا لبذل الوسع وتحقيق الإعمار الذي هو أحد أهم مقاصد الاستخلاف في الأرض وفق معطيات عقيدة الإنسان المسلم، وليس هنالك من ريب في أن أمر علاقة التخطيط بعلم المستقبل لكي ينتهي بنا إلى المأمول من النتائج، ويجب أن تتوافر أيضا الجوانب الأخرى الضرورية من هذه المعادلة، التي قوامها المشروعات والأعمال القابلة

للتجسيد في الواقع الماثل، ذلك أن هذه العلاقة لا تقبل التجريد ولا تتأسس على العموميات الفضفاضة، أو المعطيات الرجراجة، بل على الموازنة العلمية الدقيقة بين الإمكان والطموح أو القدرات والتشوّفات.

آمالنا المستقبلية

لا يمكن لأي كائن بشري عاقل ألا تكون له آمال وطموحات يودّ تحقيقها وتجسيدها في الواقع الماثل، سواء في الحاضر أو في المستقبل القريب أو البعيد، فهذه إحدى السنن الثابتة المركوزة في نحيزة الحياة والأحياء، وهذه الآمال تسكن ضمائر الأفراد كما تسكن ضمائر الجماعات والدول والأمم، ونحن كأمة إسلامية، كقوة بشرية تمثل ربع سكان المعمورة، لنا رسالة حضارية قائمة على عقيدة مشرقة خالدة أدت دورا أساسيا في مسار الإنسانية.. لنا طموحات وآمال وغايات كبرى نصبو إلى تحقيقها، كغيرنا من الأمم، وهي طموحات كثيرة متنوعة، كالوحدة والتنمية والنهوض الحضاري وابتعاث المجد الأثيل، واجتثاث التخلف، واحتلال المكانة المشرفة بين الأمم... الخ، يقول الشيخ الغزالي رحمه الله في مقدمة كتابه «الطريق من هنا»، وهو يعرض لواقع أمتنا ومشكلاتها من منطلق الرغبة أو الطموح في تجاوز وتخطي هذا الواقع غير اللائق بهذه الأمة التي يُفترض فيها أنها تمثل موقع «الشهود الحضاري» على غيرها من الأمم، وتمثل أنموذج «القدوة» التي ينبغي أن يحتذيها الآخرون وينسجوا على منوالها: «تخلف العالم الإسلامي قضية معروفة وإن كانت مخجلة، وهذا التخلف أطمعَ الأقوياء فيه، بل لقد طمع فيه حتى من لا يحسن الدفاع عن نفسه، ولست ألوم أحدا استهان بنا أو ساء ظنه بديننا، ما دمنا نحن المسؤولين الأوائل عن هذا البلاء.. إن القطيع السائب لابد أن تفترسه الذئاب...»

إنه ليس أمامنا من طريق لتحقيق آمالنا وطموحاتنا المستقبلية إلا بنهج هذا السبيل.. سبيل العلم والتخطيط وعبقرية الاستفادة من تجارب الغير، وفق مناهج دقيقة حاسمة مستبصرة، كما أن عنصر حسن التصرف في الإمكانات المتاحة وجدية استثمارها وتوظيفها في خدمة الأهداف والآمال الكبرى يمكن أن يكون عنصرا فاعلا في وضع الأقدام على عتبة التغيير الحقيقي والاستنهاض المرتقب المأمول.

ويظل التساؤل مطروحا بتوتر وإلحاح شديدين: هل سننجح كأمة وأيضا كأفراد وجماعات وهيئات ومؤسسات في الوعي بهذه الحقيقة، فنجعل من التخطيط علما وسبيلا للتنمية والتغيير والاستنهاض، فنقوي من انتمائنا لطموحاتنا وأهدافنا، خدمة لوجودنا ورسالتنا ومستقبلنا؟ نأمل ذلك ونعمل له ومن أجله في الوقت نفسه.. والله ولي كل توفيق.

العالم الإسلامي ومعضلة التنمية.. المشكلة والحل

الخضري عبدالمنعم

يعيش العالم الإسلامي أزمة سياسية واقتصادية خطيرة، وتتمثل مظاهر هذه الأزمة في الصراعات التي تمزقه، والتخبط الواضح على مستوى اتخاذ القرارات وتحديد الاختيارات، في وقت هو أحوج ما يكون فيه إلى الوحدة والتكتل لمواجهة التحديات، وإسماع صوته على الساحة الدولية والدفاع عن مصالحه، وقد أسهمت عوامل عدة داخلية وخارجية في تكريس هذه الأزمة، غير أننا سنقتصر في هذا الموضع على معالجة معضلة التنمية، وذلك أن غالبية البلدان الإسلامية بلدان متخلفة وتابعة، وللدلالة على ذلك فهذه مؤشرات رقمية للعالم الإسلامي توضح مدى التخلف والتبعية: (١)

١	المساحة الإجمالية	٣٢ مليون كم٢
٢	نسبة الأراضي الزراعية	١١,٣ ٪
٣	مساحة الأراضي المروية	٦٥٨ ألف كم٢
٤	سكان العالم الإسلامي	١,٣٦١,١٤٤,٨٨٣
٥	متوسط نسبة النمو السكاني	٢,٢ ٪
٦	الناتج المحلي الإجمالي	٣٤٨٣ مليار دولار
٧	حصة الفرد الواحد من الناتج المحلي الإجمالي	٣٩٣٤ دولار
٨	حصة قطاع الزراعة من الناتج المحلي الإجمالي	٢٤ ٪
٩	حصة قطاع الصناعة من الناتج المحلي الإجمالي	٣٠ ٪
١٠	حصة قطاع الخدمات من الناتج المحلي الاجمالي	٤٦٪
١١	نسبة السكان تحت مستوى خط الفقر	٣٧٪
١٢	معدل التضخم	١٤٪
١٣	حجم القوى العاملة	٢٩٥ مليون نسمة
١٤	نسبة البطالة	١٩,٢ ٪
١٥	حجم الواردات	٤٣١ مليار دولار
١٦	حجم الصادرات	٣٥٨ مليار دولار

لقد أفصحت أزمة التنمية التي تعاني منها بلدان العالم الإسلامي عن ذلك الفشل الذريع الذي منيت به الفلسفات السياسية والاقتصادية التي تبنتها معظم الأنظمة التي خلفت الحكم الاستعماري، ويتمثل هذا الفشل في عجزها عن تحقيق التغيير الاجتماعي بعد حصولها على الاستقلال السياسي الرسمي.

ومن هنا فإن تخلف البلدان الإسلامية هو في أحد جوانبه تجسيد لإخفاق النظم

* باحث اقتصادي

فيها في حل مشكلات التنمية والتحديث.

فقد كان بإمكان هذه الأنظمة عقب استقلالها السياسي أن تحدث تحولات جذرية في مجتمعاتها طوال تلك الفترة، وذلك بأن تعمل على تصفية مراكز السيطرة الأجنبية، وتطوير قاعدة اقتصادية مستقلة، غير أن هذه الأنظمة تحولت في أغلبية البلاد الإسلامية إلى طور التبعية المباشرة للعالم الرأسمالي والاشتراكي. والتبعية هنا ليست فقط تبعية اقتصادية ولكنها ثقافية أيضا، فقد صاحب عملية التنمية وفق النمط الغربي في هذه البلاد عملية اجتثات تدريجية لقيم وثقافة البلد المحلية، لتحل محلها قيم وثقافة غربية.

وترتبط بأزمة التنمية في البلاد الإسلامية مشكلة نظرية التنمية، ونشير فيما يلي إلى بعض المفاهيم الخاطئة فيما يتعلق بالاختيار التنموي.

١- التنمية زيادة الإنتاج

هناك العديد من الأبحاث والدراسات في هذا المجال تقوم على افتراضات تمثل انحيازا للتجربة الغربية التي تقرن التنمية بزيادة الإنتاج، وهذا خطأ، لأن اعتبار التنمية «هي زيادة الإنتاج» يتضمن في الوقت نفسه اعتبار الاستهلاك محور السلوك الإنساني، ومن هنا فإن مفهوم التنمية يجب أن يدرس في إطاره التاريخي وهو إطار لا يناسب وضع البلاد الإسلامية الحالي لخصوصيتها.

٢- التنمية استخدام التقنية المتقدمة

يربط بعض الكتاب بين التنمية واستيراد التقنية المتقدمة على أساس أن هذا يمثل مسايرة لركب التقدم العلمي والتقني في العالم، وهذا خطأ، لأن استيراد التقنية المتطورة دون تطويعها وفقا لخصائص وظروف البلاد الإسلامية يقلل من فائدتها، بل إن هذه السياسة توجد حالة من الاعتماد على التقنية والتبعية الجديدة. وينتج عن ذلك التبديد الشديد للموارد، وتخريب البيئة، والتكلفة الاجتماعية الباهظة، وشقاء الإنسان.

وحول معالجة معضلة التنمية في العالم الإسلامي:

يمكن القول بداية إن الاستعباد والاستغلال كانا يمثلان الأسباب الجوهرية أو التربة الخصبة التي نبتت منها الأسباب التفصيلية المسؤولة عن مشكلة التخلف، وان استمرارها- من الداخل والخارج- أدى إلى فشل التنمية في العالم الإسلامي والسبب هو التبعية لمناهج التنمية الوضعية، التي ركزت فقط على معالجة بعض الأسباب من خلال توجيهات وآليات «مادية» بحتة ، ومن ثم استمرت المشكلة وزادت حدتها خلال الزمن، فكانت ومازالت في واقع الأمر «تنمية» للتخلف. وتفرخ عن هذا الوضع- نتيجة طبيعية له وتفصيلا لمجمله- العديد من المشكلات التي تطحن الإنسان وتهدر كرامته، وتبدد قدراته وجهوده الإبداعية، فيعجز لذلك عن القيام بمسؤولية إعمار الأرض، أي إحداث التنمية.

إذن لحل معضلة التنمية في العالم الإسلامي لابد من تطهير الحياة الاقتصادية من كافة أشكال الظلم ومن ثم تهيئة المناخ المناسب لكي يتعامل الناس تعاملا إنمائيا فاعلا مع الأشياء، «فبديهيا نجد أن الإنسان هو المحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي، وهو المسؤول عن مستوى الأداء، والإنسان المظلوم، أي المقهور والمستغل، لا يقدر على شيء» (٢).

ومن ثم، إذا لم يرفع هذا الظلم، فلا يمكن لأي شيء ذي قيمة أن يتحقق، ولا يمكن لأية قوة دافعة، أو استراتيجية أن تعمل بكفاءة مناسبة، سواء أكانت هذه القوة هي اليد الخفية للحافز المادي، أو اليد المرئية الباطشة للدولة، وسواء أكانت الاستراتيجية هي الدفعة القوية من الاستثمار أو الجهد الأدنى الحساس المطلوب الرأسمالي، أو غيرها.

الإسلام ودور الإنسان في التنمية

اعتبر الإسلام الإنسان قيمة حقيقية، وقوة للتغيير والحركة في الحياة بما أودع فيه من القدرة العقلية والجسدية وقابلية التكيف المستمرة، ودليل ذلك أنه جعله مكلفا مسؤولا يستطيع من خلال تلك القدرات أن يحقق خلافة الله على هذه الأرض التي خلقت له، وهيئت تهيئة متناسقة، ووضع فيها كل ما يساعده على أداء الأمانة الكبرى في العيش والحركة والتغيير.

قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة: ٣٠)، وقال: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ (البقرة: ٢٩)، وقال: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (لقمان: ٢٠) (٣).

استخلاف الإنسان والتنمية

يتأسس فرض إعمار الأرض - أي قيام تنمية شاملة ومتوازنة من قبل الإنسان العادي- على حقيقة إيمانية مؤداها: أن المال- أي الموارد- مال الله، ونحن مستخلفون فيه: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ (طه: ٦)، ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ (الأعراف: ١٢٩)، وتبعية الاستخلاف تعني تسخير هذا المال لخدمة الخلق المستخلفين وتمكينهم منه تمكين استعمال أو ملكية انتفاع: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (البقرة: ٢٩)، ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الجاثية: ١٣)، ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ (الأعراف: ١٠).

كما تعني تبعية الاستخلاف في الوقت نفسه: العمل كدحا وكدا وباستمرار من قبل الخلق

على تنمية أو تثمير المال خلال الزمن حتى قيام الساعة. والعمل المطلوب هو العمل الصالح الذي تزكو به النفس، وتقوم به الأخلاق، وتتسع به دائرة البر، ويحفظ به الدين والبدن والعقل والمال والنسل، أي العمل الذي يحقق صلاح البال بإصلاح الدين والدنيا.

ومن ثم، فالعمل المقصود هو العمل الذي يعمر الأرض، وينتج الطيبات، ويحقق الحياة الكريمة للإنسان: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور: ٥٥)، ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم: ٣٩-٤١).

وفي الحديث: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له» (متفق عليه)، «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها، فليغرسها، وله بذلك أجر» (رواه أحمد).

وتعني تبعية الاستخلاف أيضا أن يحترم الخلق عقد الاستخلاف ويتقيدوا بشروطه التي وضعها المالك الحقيقي- سبحانه وتعالى - تنظيما لشؤون المال من حيث توظيفه، وتنميته والتصرف فيه.

ومن هذه الشروط أن يؤدي الخلق حقوق المال لمالكه الأصلي وللمجتمع في صورة



الصدقات المفروضة، وعلى رأسها الزكاة، والصدقات التطوعية، والكفارات، وغيرها من النفقات تحقيقا لعدالة التصرف في المال، وإقامة للتكافل الاجتماعي، وضمانا لأكفأ استخدام ممكن للمال خلال الزمن ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ (النور: ٣٣)، ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ (الحديد: ٧)، ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ (التوبة: ١٠٣).

وفي الحديث: «إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» (متفق عليه)، «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول» (متفق عليه).

الإسلام وقضايا الإنسان

هذا هو جوهر نظرة الإسلام التي لا تتغير لقضايا الإنسان الاجتماعية والاقتصادية التي تتغير، إنها نظرة لتجديد الإنسان في كل زاوية من زوايا حياته في ظل الرؤية الشاملة لآيات تطوره الكوني وهي ليست عبودية واستسلاما، ولا قدرية واستخذاء، ولا سكونا وتقليدا، ولكنها حرية وانطلاق والتزام وانعتاق وحركة وتغيير، وهي نظرة رسمت طريق الحقوق الإنسانية في ذاته، مستهدفا بالحقوق بقدر ما كان ذلك الحق يستهدف قبل الإسلام القبيلة والعائلة والعرق والطائفة (٤).

ومن هذا المنطق الراشد في النظرة إلى الإنسان المسؤول، اختتمت النبوة في الإسلام، وهو أوضح دليل على رشد الإنسان، وتقويمه الحسن، والاعتراف بدوره الكامل في اكتشاف وتسخير قوانين الحياة والمادة، وإحداث التنمية الحضارية المطلوبة، مستهديًا بالتشريع الاجتماعي والأخلاقي الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ والآيات التالية ترشدنا إلى هذا المعنى:

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ (القيامة: ١٤)، ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ (الانفطار: ٧)، ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).

وبعد، فكما أن الإنسان في هذا العصر لابد له أن يتحرك إيجابيا للقيام بذلك الدور، فإن حشد القوى المادية والمعنوية في سبيل بنائه الذاتي والاجتماعي والحضاري يصبح من الضرورات المنطقية الملحة، ومن المؤكد أن الإنسان هو العنصر الفعال لمعالجة معضلة التنمية في العالم الإسلامي، لأنه عماد التنمية، وأي عملية تنمية لكي تتحقق على أرض الواقع لابد أن تبدأ من الأصل أو من القاعدة - أي من الإنسان - وتنتهي في كل مرحلة من مراحلها المستمرة والمتصاعدة بالإنسان للإنسان وأي من أجل الإنسان - ومن ثم هو - بحق- الوسيلة الرئيسية لعملية التنمية: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ (هود: ٦١).

هوامش

١- المسلمون بعد أحداث سبتمبر بين القصور الذاتي وحرب الإرهاب، إعداد: مركز المعلومات والدراسات والبحوث، موقع البيان، حالة العالم الإسلامي أرقام ومؤشرات، إعداد: أسماء ملكاوي.

٢- حول المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية. د. عبدالحميد الغزالي.

٣- الإنسان في القرآن، عباس العقاد، ص ٢٢.

٤- حقائق القرآن وأباطيل خصومه، عباس العقاد، ص ٢٦.

الكوارث البيئية
استقراء وتحليل

د. أحمد عيساوي



«فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» (الأنعام: ٤٣-٤٥)

مداخل مفهومية

قضية الكوارث البيئية التي أصابت ولا تزال تصيب العديد من المناطق في العالم، وتؤثر تأثيرات متفاوتة الخطورة على المنجزات المدنية والعمرانية، وتترك آثار التدمير والهلاك في التجمعات البشرية، هي من أهم القضايا التي شغلت ومازالت تشغل العقل البشري منذ وعاها وتعرّض لتأثيراتها منذ القدم، وقدّم في سبيل الخلاص منها أو تجنبها أو الحيلولة دون وقوعها أو الاحتماء من مخاطرها العديد من القراءات والتحليلات الغيبية والأسطورية والظاهرية والباطنية والعلمية والمعرفية النظرية والتطبيقية، محاولة منه لتفسيرها والتنبؤ بها واستشعار خطرها قبل وقوعها، لتجنيب التجمعات البشرية ويلاتها ودمارها الجزئي أو الشامل.

وكل نظرة من هذه التحليلات تختلف بنتائجها عن النظرة الأخرى، حتى يميل العقل البشري في نهاية المرحلة البحثية إلى الاستئناس بالتفسير الأقوى والأقدر والأقرب للفهم والعقل والمنطق، فيما تبقى الرؤية الدينية الإسلامية محجوبة عن تبوؤ مكانتها الحقيقية والصحيحة بين عالم المتطلعين والشغوفين بالحقيقة، أو مقصورة على فئة ضئيلة من المستنيرين، تدور في فلكهم ولا تعدوهم لمن هم بحاجة ماسة إليها، إذ لعلها تكون لهم معبرا حقيقيا للإيمان والقفز السريع لعالم الفضيلة الخلقية والحقيقة العلمية والراحة النفسية والروحية.

ولعلنا بهذه القراءة الاستقرائية الوصفية التحليلية السريعة نضع بصمات واضحة على غوامض هذه القضية، ونعرضها حسب سياقها القرآني، دون أن نتغافل عن أن عرضنا لها وفق السياق القرآني يدخل ضمن نسق الرؤية الإيمانية للفرد المسلم المؤمن بما أنزل الله على رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وبما أخبرنا به في القرآن الكريم عن طريق سيدنا رسول الله ﷺ بسببية إهلاكه وتعذيبه وأخذه للقرى وللتجمعات البشرية الظالمة.

الكوارث في القرآن الكريم

يمكننا رصد سيل كبير من القصص والحوادث والكوارث البيئية والتدميرية الشاملة من خلال استقراء آي الذكر الحكيم، كما يمكننا رصد العديد من الملمات والزلازل والأحداث والسيول والفيضانات والانهيارات والتفجيرات البركانية الهائلة التي مست التجمعات البشرية، والتي ترجع- حسب العرض القرآني- إلى الإعراض عن اتباع ذكر الله والاستهزاء بذاته سبحانه وتعالى وبرسالاته لأنبيائه، النكوص عن الوفاء بعهد أبينا آدم عليه السلام الذي قطعه أمام ربه بعد أن تاب عليه، والإفساد والطغيان والظلم والاستكبار والعلو بغير الحق في الأرض، وليس لها في القرآن أي تفسير غير هذا، ولعل الدراسة الاستقرائية التحليلية لآي الذكر الحكيم التي سنرتادها هي ما يكشف لنا خفايا العرض القرآني لهذه الظاهرة ولتفسيراتها الدينية، حيث نؤمن ونعتقد نحن المسلمين أن مقدار الإعراض عن منهج الله موجب مقدارا عادلا وموازيا ومكافئا منه سبحانه وتعالى لحجم ذلك الإعراض البشري، علّهم يتأدبون، أو يرتدعون، أو يتوبون.

وقد تناولناها من خلال بعدين متناظرين، حيث يكون الإفساد والظلم وسائر

• أستاذ الإعلام في الجزائر

المفاسد والمناكر الأخرى معابر لاستحقاق غضب الله وعقابه، كما يكون بأس وعذاب وبطش الله سبحانه وتعالى جزاء مقابلا لسوء أفعالهم، هو ركن رئيس ومهم لتفسير طبيعية الكوارث البيئية في النظرة الدينية الإسلامية.

وقد كثرت مواضع الإهلاك والتدمير والأخذ بالعذاب الشديد والخسف والرجم والسحق في القرآن الكريم، وجاءت السيول من الحوادث المرعبة مرتبطة تارة بالمدينة، وتارة بالقرية والقرى، وتارة ثالثة بأسماء الجبابرة والمعاندين، وتارة رابعة بأسماء الأقوام المهلكة كعاد وثمود، وتارة خامسة بأسماء أنبيائهم كشعيب وصالح وهود ونوح... وتارة أخرى في معرض مواساة رسول الله ﷺ عن إعراض قومه عن دعوة ربهم.

كما ورد في النص القرآني سبب الإهلاك الذي لا يخرج في عمومه عن الإعراض عن اتباع منهج الله سبحانه وتعالى، فضلا عن ممارسة الحياة بالطريقة البهيمية وما بعد البهيمية، كأفعال قوم نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام.

نماذج من العقاب الإلهي في القرآن الكريم كما تبينه الجداول التالية:

١ – جدول رقم ١ «الخسف»:

جدول رقم (١) يبين لنا الآيات التي تناولت الخسف ومشتقاته كأحد موجبات العقاب الإلهي.

الآيــــــة	رقمها	السورة	نزولها
١ – ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾	٨١	القصص	مكية
٢ – ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾	٨٢	القصص	مكية
٣ – ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين. فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾	٣٩، ٤٠	العنكبوت	مكية
٤ – ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾	٩	سبأ	مكية
٥ – ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾	٤٥	النحل	مكية
٦ – ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا﴾	٦٨	الإسراء	مكية
٧ – ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾	١٦، ١٧	الملك	مكية

والمتمعن في هذا الجدول يتبين ما يلي:

١ – أن الله استعمل مصطلح الخسف كأداة من أدوات التدمير والإهلاك.

٢ – أن مصطلح الخسف ارتبط في القرآن الكريم بقارون الطاغية، وبالحديث عن القرون والأمم والقرى التي تبين أنها أُهلكت بالخسف.

٣ – أن مصطلح الخسف ارتبط بالجبابرة الثلاثة فرعون وهامان وقارون.

٤ – أن مصطلح الخسف جاء مرتبطا بالاستكبار في الأرض.

٥ – أن مصطلح الخسف جاء في معرض الندم.

٦ – أن مصطلح الخسف جاء مقترنا بالدعوة للتوسم والرؤية والنظر.

٧ – أن مصطلح الخسف ارتبط بالأرض والتربة.

٨ – أن مصطلح الخسف ارتبط بحالة الموران والزلزلة التي تصير إليها الأرض.

٢ - جدول رقم ٢ «البأس»:

جدول رقم (٢) يبين لنا الآيات التي تناولت البأس ومشتقاته كأحد موجبات العقاب الإلهي.

الآيـــــــة	رقمها	السورة	نزولها
١ - ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾	٤٣	الأنعام	مدنية
٢ - ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين﴾	١٤٧	الأنعام	مدنية
٣ - ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا...﴾	١٤٨	الأنعام	مدنية
٤ - ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾	٤	الأعراف	مكية
٥ - ﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلاّ أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾	٥	الأعراف	مكية
٦ - ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون﴾	٩٧	الأعراف	مكية
٧ - ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾	٩٨	الأعراف	مكية
٨ - ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾	١١٠	يوسف	مكية
٩ - وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون.	١١،١٢	الأنبياء	مكية
١٠- ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾	١٦٥	الأعراف	مكية

والمتمعن في هذا الجدول يتبين ما يلي:

١ - أن الله استعمل البأس كأداة من أدوات التدمير والعقاب.

٢ - أن قسوة القلوب مدعاة لجلب غضب الله سبحانه وتعالى واستحقاق عقابه وبأسه.

٣ - أن النسيان لتعاليم الله مدعاة لاستحقاق عقابه وحلول غضبه وبأسه.

٤ - أن ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كآلية من آليات الاستمرارية الفردية والاجتماعية والكيانية للأمة موجب لعموم وانتشار الفساد والرذيلة وبالتالي وقوع غضب الله.

٥ - أن المعرضين عن منهج الله ومكذبي الرسل حازوا مصطلح «المجرمين» في التعبير القرآني، فالمجرم هنا هو المعرض عن منهج الله.

٦ - أن البأس والعذاب يُردان عن الطيبين الصالحين الذين يفوزون بالنجاة في الدنيا والرضوان في الآخرة.

٧ - أن عملية الفصل والإنجاء والحماية للفئة المؤمنة ساعة الهرج والمرج، وحين وقوع الغضب تتكفل بها قوى خفية من عند الله سبحانه وتعالى، تُعرف في سياقاتنا الإيمانية بجنود الله وملائكته.

٨ - أن عذاب الله سبحانه وتعالى يقع بالمعاندين في أوقات شتى من الزمن، وقد بين لنا أن العذاب يحيق بهم تارة وهم نائمون، وتارة ضحى وهم لاهون لاعبون.

٩ - أن مصطلح البأس نزل مرتبطا بالكذب والكفر والشرك والظلم والإجرام.

١٠- أن مصطلح البأس ورد في السور المكية والمدنية على سواء، ما يرجح أهمية هذه القوة التدميرية الإلهية التي ستنزل بالأقوام متى ما وفروا أسباب هلاكهم.

وهناك آيات كثيرة تناولت جانب التدمير والإهلاك ومشتقاته وبعضها تناول الإهلاك بالصدمة والصاعقة والزلزلة والعذاب وغير ذلك.

والخلاصة أن هلاك الأمم، وتدمير الممالك، وتقويض العمران، وأخذ الظالمين، نتيجة منطقية وطبيعية لما قدموه في حياتهم الدنيا، فيعجل الله العذاب لهم في القريب العاجل، ويدخر لهم النصيب الأوفر في الغد الآجل. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يُعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاّ مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا. ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلاّ سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم» (أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، حديث رقم ٤٠٠٩).

فهل نعتبر؟ وهل نتعظ؟ وهل نعي هول الموقف؟ أم على قلوب أقفالها وعلى عقول أغلالها؟ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

هوامش

(١) المرجع: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة خسف، ومحمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للكتاب، لمعرفة سبب النزول.

أثر الصناديق الوقفية الكويتية في دفع عجلة التنمية

التحرير

لقد جاء التوجيه التنموي في القرآن ملائمًا لطبيعة الإنسان، وطموحات إرادته، وتطلعاته الفكرية كي تتفجر طاقاته الإبداعية، وتنمو تخصصاته العلمية، ويصبح عنصرًا مؤثرًا في الكون، ويضبط مساره الحضاري، ويرتفع مستوى استيعابه الأدبي والفني بما تحتاجه النهضة ويتطلبه الواقع الإنساني، ويوجبه التحرك نحو الأمام وبناء عالم الغد، والاستفادة من كنوز الأرض في صناعة الحياة.

لقد أسفرت الأبحاث والدراسات، وخلصت نتائج الحوار والمناقشات التي دارت حول واقع الوقف في الكويت وسبل النهوض به إلى نتائج عدة، لعل من أهمها التأكيد على ضرورة استحداث صيغة عصرية للعمل الوقفي يتم من خلالها الجمع بين الدعوة لإحياء سنة الوقف، وتطوير مجالات صرف ريعه، وتفعيل دوره داخل المجتمع.

والصيغة الجديدة التي رجحتها الأبحاث والدراسات، واختارتها الأمانة العامة للأوقاف هي صيغة الصناديق الوقفية، التي تتلخص فكرتها في إيجاد قالب تنظيمي، يتمتع باستقلالية نسبية، يختص بالدعوة للوقف، والقيام بالأنشطة التنموية للوقف في المجالات التي يرد تحديدها في قرار إنشاء كل صندوق، وذلك من خلال خطة متكاملة تراعي احتياجات المجتمع وأولوياته، وتأخذ في الاعتبار ما تقوم به الجهات الرسمية والشعبية من مشروعات أخرى.

أهداف الصناديق الوقفية

تستهدف الصناديق الوقفية المشاركة في الجهود التي تخدم إحياء سنة الوقف عن طريق طرح مشاريع تنموية في صيغ إسلامية، للوفاء باحتياجات المجتمع، وطلب الإيقاف عليها، بالإضافة إلى حسن إنفاق ريع الأموال الموقوفة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية التي يفرزها الواقع من خلال خطة تراعي الأولويات وتحقق الترابط بين المشروعات الوقفية، وبينها وبين المشروعات الأخرى التي تقوم بها الأجهزة الحكومية وجمعيات النفع النعام.

مجالات عمل الصناديق

تمتد مجالات العمل التي تغطيها الصناديق إلى معظم متطلبات التنمية وتفي باحتياجات شعبية على مساحة عريضة تتسع لتشمل قضايا متعددة من بينها: تنمية البيئة، رعاية المعاقين والفئات الخاصة، خدمة القرآن الكريم وعلومه، المساهمة في دعم التطوير العلمي، قضايا الثقافة والفكر، التنمية الصحية، رعاية المساجد، والتعريف بالإسلام.

وغير ذلك من مجالات العمل التنموي ومشروعات الخيرات العامة التي يكشف عنها الرصد المستمر لاحتياجات المجتمع.

النتائج المتوقعة لنشأة الصناديق

أ- إحياء سنة الوقف بتجديد الدعوة لها من خلال مشروعات ذات أبعاد اجتماعية ودينية في إطار شرعي يكون أقرب إلى نفوس الناس وأكثر تلبية لرغباتهم.

ب - تجديد دورية الوقف التنموي في إطار تنظيمي يحقق التكامل بين مشروعات الوقف ويراعي الأولويات وينسق بينها.

ج - ترشيد العمل الخيري من خلال طرح نموذج جديد يحتذى به.

د- تلبية احتياجات المجتمع والمواطنين في المجالات غير المدعومة بالشكل المناسب من قبل الدولة أو المؤسسات الشعبية.

هـ - إيجاد توازن بين العمل الخيري الخارجي والعمل الخيري الداخلي.

و - تحقيق المشاركة الشعبية في الدعوة للوقف، وإدارة مشروعاته.

ز-منح العمل الوقفي مرونة وانطلاقا من خلال مجموعة قواعد تحقق الانضباط، وفي ذات الوقت تضمن تدفق العمل وانسيابه.

وفيما يلي صورة موجزة عن صناديق الوقف التي تم إنشاؤها:

١- الصندوق الوقفي لرعاية الأسرة

الأسرة نواة المجتمع، وخليته الأولى، وعلى قدر قوتها وتماسكها تكون قوة الدولة وصلابتها، وقد أحدثت التغيرات الكبيرة التي مرت بالمجتمع تأثيرات متفاوتة في البنيان الأسري، بعضها يتسم بالسلبية، وقد نتج عن تلك العوامل ظواهر متعددة تحتاج إلى جهاز متطور يصرف اهتمامه إلى رعاية الأسرة وتوفير أوجه الرعاية المناسبة لها لمعالجة الظواهر المشار إليها والعمل على زيادة قوة الأسرة من خلال المناخ الذي يساعد على تمسكها وتلاحمها فضلا عن حمايتها من الوقوع في المشكلات الأسرية، لذلك أنشأت الأمانة العامة للأوقاف الصندوق الوقفي لرعاية الأسرة وخصصت له أموالًا موقوفة قيمتها مليونا دينار، وعهدت إليه باتخاذ كل ما يلزم لدعم الأسرة ورعاية الأبناء والاهتمام بالمشكلات والظواهر الاجتماعية والتبصير بوسائل معالجتها.

٢- الصندوق الوقفي للتعبئة المعنوية

يواجه المجتمع الكويتي، شأنه في ذلك شأن المجتمعات الإنسانية كافة، أزمات ومشكلات عامة، تتطلب مواجهتها توفير مناخ نفسي ومعنوي قادر على خلق ارادة جماعية صلبة بإيمان قوي وكلمة موحدة وصفوف مترابصة وجهود متكاملة، ولن يتأتى هذا المناخ إلا بالتصدي

الجاد للدسائس والاشاعات التي تستهدف تفتيت الوحدة الوطنية وتحطيم معنويات المجتمع والنيل من قدراته.

وقد انشأت الأمانة العامة للأوقاف الصندوق الوقفي للتعبئة المعنوية وخصصت له أموالاً قيمتها مليون دينار ليتخذ كافة الوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف السابقة.

٣- الصندوق الوقفي للثقافة والفكر

لقد ظلت قضايا الثقافة والفكر لفترة طويلة أسرة لفترة زمنية حتى أصبحت منفصلة عن البيئة الإسلامية ومنقطعة الصلة بالفكر الإسلامي.

وقد آن الأوان لأن يتغير ذلك الإطار ويستعاض عنه بإطار آخر ذي طابع إسلامي لاسيما وأن وسائل الاتصال قد ألغت الحواجز والحدود الثقافية وفتحت نوافذ واسعة للثقافات الأخرى.

ولرعاية الثقافة بفروعها المختلفة واهتماماته المتنوعة، أنشأت الأمانة العامة الصندوق الوقفي للثقافة والفكر ليتولى نشر الثقافة الجادة والواعية وتنمية الفكر المبدع بوسائل متعددة من بينها:

١- دعم الإنتاج والفكر الجاد والعمل على نشره.

٢- تشجيع المواهب الفكرية والثقافية والعمل على توجيهها للأعمال الجادة.

٣- إشاعة الاهتمام بالثقافة الراقية وتشجيع الانفتاح على الثقافات الجادة.

٤- الإسهام في إقامة المعارض والمؤتمرات والندوات الثقافية والفكرية وإقامة المكتبات وتزويدها بالمؤلفات المتميزة.

٥- غرس الاهتمام بالثقافة الجادة في نفوس النشء وتنمية ثقافة الطفل.

٦- الإسهام في تطوير أدوات الثقافة المحلية.

وقد خصصت الأمانة العامة للأوقاف لهذا الصندوق أعياناً وقفية قيمتها مليون دينار.

٤- الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة

اتسع مجال اهتمامات الوقف في الإسلام ليشمل معظم احتياجات البلاد والعباد، ومن بين تلك المجالات الاهتمام بالمرافق العامة والمحافظة على البيئة واتخاذ كل ما يلزم لمنع المخاطر عنها.

وسيرًا على هذا النهج القويم أنشأت الأمانة العامة للأوقاف الصندوق الوقفي للمحافظة على البيئة وقد خصصت له أعياناً موقوفة قيمتها مليون دينار.

وتدور اهتمامات الصندوق حول قضايا المحافظة على البيئة وحمايتها من التلوث والإسهام في توفير الحلول المناسبة للمشكلات التي تنجم عن التلوث، وغير ذلك من الأمور التي تساعد على حماية البيئة الكويتية ودفع ما قد يلحقها من أضرار.

٥- الصندوق الوقفي للتنمية العلمية



تؤكد الدراسات التي تناوت التاريخ الإسلامي في عصر ازدهاره وتقدمه أن الوقف قد رعى التقدم العلمي واعطاه مساحة كبيرة من الحرية والاستقلال، فالعلماء الأفذاذ في التاريخ الإسلامي تلقوا علومهم وانشغلوا بأبحاثهم اعتمادًا على ريع الأموال الموقوفة المخصصة لهذا الغرض، ومن بين هؤلاء العلماء محمد الخوارزمي وعمر الخيام وجابر بن حيان وابن سينا والرازي وابن الهيثم وأبو الريحان البيروني، فلم يكن يتسنى لهؤلاء العلماء الأفذاذ أن يتفرغوا للبحث العلمي إلا نتيجة لماخصص لهم من أموال أنفقت عليهم من الوقف أو ما أوقف من الأموال على المراصد الفلكية وعلى المكتبات التي استخدموها.

وقد اقتدت الأمانة العامة للأوقاف بهذه الحقبة الخصبة من تاريخ الحضارة الإسلامية فأنشأت الصندوق الوقفي للتنمية العلمية وخصصت له أعيانا موقوفة قيمتها خمسة ملايين دينار لدعم ورعاية المبدعين في المجالات العلمية، والإسهام في توفير متطلبات البحث العلمي، وتنظيم الخدمات والمؤتمرات العلمية.

٦- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية

اهتم الوقف- منذ قديم الزمن- برعاية صحة المسلم وتنشئته على القوة البدنية والعقلية، لذلك انشترت الأوقاف على المستشفيات وكل ما يؤدي إلى تحسن الصحة العامة للمسلمين.

وقد اقتدت الأمانة العامة للأوقاف بهذا الجزء المشرق من تاريخ الأمة الإسلامية فوجهت جزءًا من الأنشطة الوقفية للاهتمام بشؤون الصحة العامة للمواطنين ودعم جهود المحافظة عليها من خلال الصندوق الوقفي للتنمية الصحية والذي رصدت له أموالاً موقوفة قيمتها خمسة ملايين دينار، وسيعمل الصندوق على دعم جهود الارتقاء بالصحة العامة للمواطنين وتحسين مستوى الخدمات الصحية بالإسهام في الأنشطة التي تؤدي إلى ما سبق ومن بينها:

١- نشر الوعي الصحي بين المواطنين.

٢- دعم الجهات القائمة على توفير الخدمات الصحية والارتقاء بمستواها.

٣- دعم الجهود التي تساعد في المحافظة على الصحة العامة ووسائل الوقاية وأساليب العلاج.

٤- المساعدة على الاستعانة بالخبرات الطبية الأجنبية المتميزة.

٥- المساهمة في الأنشطة التي تستهدف تدريب الكوادر الوطنية العامة في المجال الصحي.

الإعلام العربي وتنمية ذوي الاحتياجات الخاصة

د. محمد مراح

نسجل ابتداء أن القنوات الفضائية العربية المقصودة والمؤهلة لحمل الرسائل الإعلامية للعمل الخيري هي: القنوات التابعة للقطاع العمومي الحكومي، والتابعة للقطاع الخاص، مع استبعاد قنوات المجون والخلاعة والغناء الهابط والتسلية الفارغة، وقنوات الشعوذة، والقنوات التجارية ذات الهدف الربحي التجاري البحت المنبتة الصلة بأية قيمة إنسانية غير مادية.

قد يكون من المناسب ربط موضوعنا بالمسؤولية الأخلاقية الاجتماعية الملقاة على عاتق الإعلام العربي والتلفزيوني الفضائي منه تحديدا تجاه المجتمع؛ لما له من التزامات أخلاقية تقتضيها المهنة والمواثيق الإعلامية من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإعلام العربي الذي يعمل في هذه البيئة ملزم حضاريا ومهنيا بأن يتمثل القيم التي يدين بها الجمهور المستهدف والمخاطب برسائله الإعلامية كافة، ولا نرى نوعا من الإعلام والقنوات الفضائية يحق له أن يتنصل أو يشذ عن هذا الإلزام، وأن ما نراه يبث من برامج وحصص وأعمال إعلامية وفنية تصادم هذا الأمر إنما هو شذوذ وخروج عن الميثاق الذي بمقتضاه تبث قناة تلفزيونية عربية برامجها، حتى وإن لم تنص القوانين والمواثيق والتراخيص بالبث صراحة على ذلك، فنحن نرى أن الثوابت الأخلاقية والقيم الحاكمة في المجتمع العربي لها من القوة والسلطان ما يفوق كل القوانين والمواثيق؛ لأنها من المفترض أن تُستمد من تلك القيم والمبادئ والأخلاقيات. وعليه



فإن من حق الجمهور العربي بقطاعاته العريضة التي تتأذى من البرامج الهابطة أن تقاضي تلك القنوات المنحرفة استنادا إلى ما ذكرنا من مركزية وقوة تلك القيم والمواريث.

ومن المسؤوليات الأخلاقية المنوطة بالإعلام الفضائي العربي إحياء الفضائل الأخلاقية الأصيلة في المجتمع العربي المسلم في أغلبه كالولاء للأسرة وطاعة الوالدين والطابع الإنساني، وأهمية التربية، وقيم الإتقان والاجتهاد(١)، والعمل الخيري لمصلحة الأشخاص ذوي الإعاقة مشمول في العمل الإنساني الذي هو من أوكد الواجبات الإنسانية والدينية.

دور القنوات الفضائية في تنمية العمل الخيري لذوي الاحتياجات الخاصة يمكن للباحث أن يستند فيما يرسمه من آفاق وإستراتيجية للعمل الخيري الذي تقوم به القنوات الفضائية تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة إلى مؤيدات دافعة لهذا الدور أهمها: العامل الديني (الشرعي الإسلامي): وفي الوقت الذي يعتقد فيه الناس أن هذه الفئة الاجتماعية هي التي في حاجة للفئات الاجتماعية السوية، تأتي مبادئ الإسلام الخلقية السامية لتجعل المجتمع برمته هو الذي في أشد الحاجة للفئة الضعيفة فيه أثناء أصعب الفترات والظروف التي يمكن أن يمر بها، بل هو مدين لها حتى في استمرار وجوده؛ فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال»: رأى سعد أن له فضلا على من دونه، فقال النبي ﷺ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» (رواه البخاري)

فالضعفاء بهذا هم سبب استمرار الوجود المادي للمجتمع وسر قوته ومنعته وعزته في التصور الإسلامي، وبالتالي تصبح رعاية ومعاملة هذه الفئة كسائر الضعفاء قاعدة ذهبية وغاية اجتماعية يجند المجتمع برمته لتحقيقها، فترتفع معنويات ذوي الاحتياجات الخاصة، ويشعرون بمكانتهم المميزة في مجتمعهم(٢). ومن التطبيقات الفريدة في تاريخ الإنسانية لهذا المبدأ الذي وعاه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم عن نبي البشرية والرحمة ﷺ، ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني لما يصلحني ويخرج عني الأذى. قال طلحة

أكاديمي جزائري

ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع) (رواه أبونعيم في الحلية)

إذا وعى الإعلاميون والجهات المالكة لتلك القنوات الفضائية هذا الموقف الإسلامي السامق لم يسعهم إلا أن يطوعوها في كل ما يخدم هذه الفئة مصدر قوة المجتمع الإسلامي.

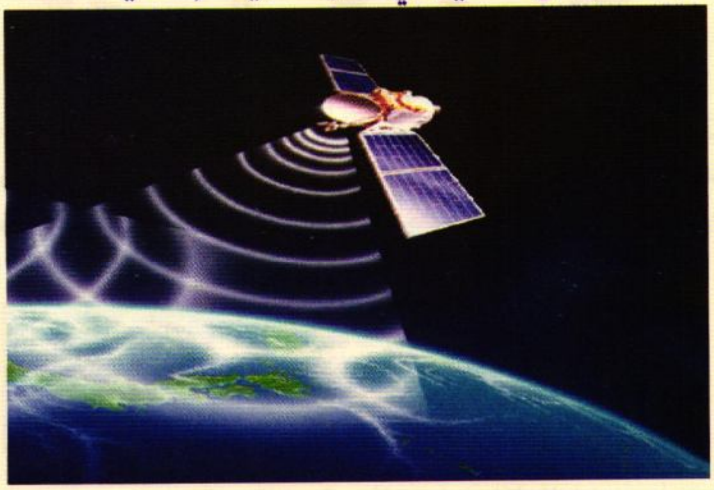
وقد أثبتت الدراسات الميدانية أن هناك اتجاها إيجابيا مجتمعيا نحو تقبل المعاقين، باعتبارهم عنصرا لا يجب فصله عن قطاعات المجتمع(٣)

مما يسهل مهمة الإعلام الفضائي في تفعيل وتنمية العمل الخيري عموما؛ حيث تسهم وسائل الإعلام في حشد المؤسسات الخيرية العاملة في مجال خدمة المعاقين(٤).

وإنه ليتحتم علينا الانخراط في التوجه العالمي لخدمة قضايا الإعاقة، ودمج المعاقين في مسار التنمية الإنسانية الشاملة، باعتبارهم جزءا أساسيا من المجتمع كامل الحقوق والمساواة مع غيرهم كذلك ينبغي أن يكون دور القنوات الفضائية في تنمية العمل الخيري لذوي الاحتياجات الخاصة وفق إستراتيجية إعلامية واضحة ومحددة، تدعو إلى توفير رعاية كاملة من مؤسسات المجتمع كافة، في ظل ما يمكن توفيره من قدرات في إطار التنوع الإعلامي الذي تشهده منطقتنا العربية(٥).

وحول المؤسسات الإعلامية (التلفزيون والقنوات

يتحتم علينا الانخراط في التوجه العالمي لخدمة قضايا الإعاقة ودمج المعاقين في مسار التنمية الإنسانية الشاملة



الفضائية) يشخص د.الطريقي في موسوعته وضع الإعلام العربي تجاه موضوعة الإعاقة والمعاقين، وما ينبغي من إصلاح وفق إستراتيجية واضحة فيقول: «في ظل ثورة الإعلام والاتصال وانتشار الفضائيات والشبكة العنكبوتية، تغدو الإستراتيجية الإعلامية هاجسا لا يمكن التغاضي عنه، بل يجب الاعتماد عليه. وللحقيقة فإن إعلامنا العربي المقروء والمسموع والمرئي إعلام فقير وشحيح من هذه الإستراتيجية تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة، وحتى ما يشكله ظهور بعض البرامج الإعلامية بهذه المساحة التي تطفو على السطح لا تكاد تخلو في كافة وسائلنا الإعلامية من العيب أو النقص في الجانب العددي أو الإعدادي والفني، وهو ما ينعكس سلبا على الجمهور المتلقي ويجعله دائم النفور منها باستثناء من يعيش الحالة أو يتعايش معها، وهي برامج إعلامية تخطئ جمهورها المستهدف، فغالبا ما تستهدف ذوي الاحتياجات الخاصة أنفسهم، مع أن الحاجة الإعلامية الملحة والضرورية هي في إيجاد إعلام يستهدف جمهور العامة للتوعية والتحقيق بقضايا الإعاقة تحت شعار «الوقاية أولا» ثم التأهيل بكافة مسمياته الطبية والاجتماعية والنفسية»(٦).

فالإستراتيجية الإعلامية لخدمة موضوعة الإعاقة إعلاميا إذن هي الإطار الضروري والمناسب لتأدية المهمة، وتفعيل تنمية العمل الإعلامي الخيري، فيجب وضع احتياجات المعاقين الإعلامية في أولوية السياسات والخطط والبرامج التي تتبناها وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية بحيث يخصص لهم مساحات وبرامج تلبي احتياجاتهم وتشبع تطلعاتهم (٧).

فإن الإعلام الخيري الفضائي يمكنه أن يلعب أدوارا مهمة في مجال التأهيل والدمج وتصحيح الاتجاهات السلبية تجاه المعاقين، وبإمكانه أن يستعين في أداء رسالته السامية هذه بقادة الرأي، خصوصا العلماء والقادة والمربين؛ لتأثيرهم النوعي والعميق في الجمهور العربي المسلم، فالجماهير «تضعهم في منزلة أسمى من منزلة غيرهم، فالناس تلتف حول هؤلاء القادة الذين يستطيعون توحيد صفوفها وإرشادهم باعتبارهم رمزا واضحا لما يؤمنون به، وانطلاقا من أن فكر هؤلاء القادة يحوي كل ما تحفل به هذه الجماهير من معان وقيم تقوي روحها المعنوية وتدفعها إلى الانطلاق لدفع عجلة الحياة في مختلف الميادين «(٨).

هوامش

١- ماجي الحلواني، الإعلام وقضايا المجتمع، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦، القاهرة، مصر، ص١٧.

٢- محمد مراح، «رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة في السنة النبوية»، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثاني للفكر الإسلامي للجامعة الوطنية بماليزيا، أكتوبر، ٢٠٠٩.

٣- محمد رضا أحمد، «الاتجاهات الحديثة في الإعلام الموجه لذوي الاحتياجات الخاصة»، في محمد معوض إبراهيم وآخرون الاتجاهات الحديثة في إعلام الطفل وذوي الاحتياجات الخاصة ص٢٨٤.

٤- عبدالعزيز بن علي المقوشي «دور الإعلام في خدمة قضايا الإعاقة» بحث مقدم للملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة ٦-٨ مارس ٢٠٠٧.

× انظر: اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، الأمم المتحدة،: الديباجة خصوصا البنود: ج ز م س ص ت ذ.ذ

٥- محمد رضا أحمد، «الاتجاهات الحديثة في الإعلام الموجه لذوي الاحتياجات الخاصة»، ص٣٣٤.

٦- الطريقي، محمد الطريقي. موسوعة البروفيسور الطريقي، للتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان؛ ط١الرياض، السعودية: العالم للطباعة والنشر والتوزيع، ص٣٢٠،.٣٢١

٧- د.حمود بن أحمد الخميس د.عبد الحافظ بن عواجي صلوي، « احتياجات المعاقين الإعلامية ومدى إشباع وسائل الإعلام لها»، بحث مقدم للملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة ٦-٨ مارس ٢٠٠٧.

٨- محيي الدين عبدالحليم، الرأي العام في الإسلام، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م ص٢٤٥.

الإنسان والتنمية في ضوء المنهج القرآني

د. محمود حسن محمد

جاء التوجيه التنموي في القرآن ملائمًا لطبيعة الإنسان، وطموحات إرادته، وتطلعاته الفكرية كي تتفجر طاقاته الإبداعية، وتنمو تخصصاته العلمية، ويصبح عنصرًا مؤثرًا في الكون، ويضبط مساره الحضاري، ويرتفع مستوى استيعابه الأدبي والفني بما تحتاجه النهضة ويتطلبه الواقع الإنساني، ويوجبه التحرك نحو الأمام وبناء عالم الغد، والاستفادة من كنوز الأرض في صناعة الحياة.

لا يمكن اعتبار التنمية أنها استخدام التكنولوجيا المتقدمة، لأن من يقول بذلك ينسى أن التكنولوجيا إنتاج اجتماعي، فالثورة التكنولوجية في البلدان الغربية وفق هذا الأساس الخطأ، هي تعبير عن تقدم طبيعي يتضمن نوعًا من التناسق بين التقدم المادي، والأنماط الفكرية، والثقافية، والسياسية السائدة في المجتمعات.

ويمكن النظر للتنمية على انها عملية الارتقاء الحضاري المعبر عن ارادة الإنسان وتطلعاته انطلاقًا من مسؤولية الإنسان عن عمارة الأرض حسب طاقاته الفكرية وقدرته المادية.

فهي من جانب الشخصية الإسلامية لا تعرف التبعية أو الانهزامية النفسية التابعة لغيرها، ولا تتعامل برد الفعل والتداعي الفكري أو التراكمي والتعقيبات على هوامش الآخرين بل هي ذات فكر مبدع مستقل وعقل متحرر من قيود الزمان، والمكان، ومنطلق من ظرفيتها.

الإسلام والتنمية

ولسائل أن يسأل: ما الحكمة من كون مناهج التنمية في القرآن الكريم ومفاهيمها الأساسية وصيغها وأسباب انعدامها وكل المحاور المرتبطة بها، غير مبينة في سورة واحدة، أو تحت عنوان واحد، بل هي مبثوثة في كامل القرآن الكريم، بصيغ مختلفة، وصور متباينة؟

لاشك أن القرآن الكريم كتاب «حياة»، وليس من طبيعة الحياة التجزؤ ولا الانحياز، فالحديث عن التنمية حديث عن جوانب «الحياة» كلها التربوية منها والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية، ومجرد حشر التنمية تحت عنوان واحد أو سورة واحدة خروج عن المنهج الأمثل في التعامل مع هذا الموضوع الخطير، وبالتالي، فإن شمولية التنمية وتكاملها هما أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن الكريم، فمنهج معالجتهما ينبغي أن يكون بالتبع منهجًا شموليًا متكاملا، ولا يفهم من هذا- بالطبع- أن يغرق الموضوع في عموميات لا نهاية لها، ولا أن ينظر إليه على أنه مرادف لكل المواضيع، يأخذ منها ويرجع إليها، حتى وإن كانت بعيدة، ذلك أن مثل هذا التعميم كفيل بتضييع المنهج والمبنى وإفساد المقصد والمعنى.

القرآن الكريم كتاب «حياة» وليس من طبيعة الحياة التجزؤ ولا الانحياز

ومن أبرز ملامح المنهج القرآني في التنمية اعتبار العقل الواعي أساس الانطلاق التنموي، فهو يعطي العقل الإنساني قيمة كبرى ليصل بالإنسان للتفكير السليم، والانفتاح العلمي الذي يكشف آيات الله وأسرار الطبيعة، ويعين الإنسان كي يبني منظومة التنمية بطريقة تحميه من الفساد، قال الله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ (البقرة: ٢٤٢).

في إطار العلاقة بين الإسلام والتنمية فإن الإسلام يحقق الكثير من المزايا لعملية التنمية، فهو يوفر الإطار المرجعي لعلاقة الإنسان بالجماعة والقانون والأخلاق، وتنمية وتدعيم وحدات الانتماء الفرعية بما يقدمه ذلك من قدرة على التسيير الذاتي لها واحتضان الانسان منها، اضافة إلى انه كذلك يقدم إنسانًا سويًا منتجًا ومستهلكًا للتنمية وما يوفره ذلك من مناخ موات يتحقق في إطار عملية التنمية على أساس مكين.

والقرآن في عرضه لمختلف مجالات التنمية وأنواعها دقيق كل الدقة، واضح غاية الوضوح، لا لبس فيه ولا إيهام، فمن ذلك مثلا قوله تعالى، في الحديث عن التنمية الزراعية: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون. وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون. ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ (يس: ٣٣-٣٥) فالآيات أبرزت حدود عمل الله تعالى، ولم تلغ عمل الإنسان وجهده وعلمه، شأن بعض الفهوم الخطأ لسنن الكون، ذلك أن نتاج الإنسان من أسباب الازدهار المنشود، وأن عمله من مقدمات التنمية الحقة، فقوله تعالى: ﴿وما عملته أيديهم﴾، أي ليأكلوا مما عملت أيديهم وهو الغروس والحروث التي تعبوا فيها.

ثم إن الشكر كذلك سبب من الأسباب ومقدمة من المقدمات وبالتالي، فإن الشطر الأول- أي العلم والعمل- مفهوم وواضح

• باحث أكاديمي

لدى كل الشعوب والمجتمعات، حتى وإن كانت كافرة أو ملحدة، أما الشطر الثاني فيحمل اضافة بارزة وبديعة ألا وهي: «شكر النعمة»، وهنا يتضح الفرق الجوهري بين المنهج القرآني والمناهج الفكرية الأخرى، قال تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (إبراهيم: ٧)، وقال: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون. وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ (يس: ٧١-٧٣)، وما غاص باحث في آية من آيات التنمية في القرآن الكريم إلا وبهرته هذه الدقة وذلكم الوضوح، فهذه سمة ثانية من سمات منهج القرآن في معالجته لموضوع التنمية.

مسؤولية وإعمار

إن الارتقاء الصناعي ضرورة لدعم المبادئ والاكتمال الحضاري لباب المجتمعات السليمة، والمسلمون الذين يعتبرون الدين شارة فردية أو مسلكًا هم أفراد مرضى، والذين لا يفرضون أنفسهم على بيئتهم، ويملكون زمام توجيهها، وتسخيرها لعقائدهم هم جماعات من الهمل لا وزن لهم في الحياة، وليس الأمر ادعاء أو مزاعم جزئية، أو هتافًا عاليا.. إنه عقل ذكي يكشف، وخلق صلب يسود، وسلوك عام يذلل الصعب، ويقرب البعيد، ويحسن عبادة ربه في المنجم، والمرصد، وفي طبقات الجو، وطبقات الأرض، وفي أغوار النفس، وأطوار المجتمع، وأعباء الدولة.. ومن لا ثقافة له تعين على ذلك فهو عبء على الدين، وليس صاحب دين.

والتنمية من مدخلها الاقتصادي مرحلة متطورة تأتي بعد مرحلة النمو الاقتصادي، الذي يعني ارتفاع النسبة المئوية للإنتاج العام مقاسًا بالأسعار الثابتة، أي الارتفاع الحقيقي للدخل القومي. إذن يمكن للبلد الذي يعتمد اقتصاده على انتاج وتصدير النفط والغاز والفحم والقهوة أو الحديد، أن يحقق نموًا اقتصاديًا عن طريق رفع إنتاج هذه المواد (طبعًا شريطة ألا تنخفض أسعار هذه المواد في الأسواق العالمية)، لكن هذا النمو السريع، وغير الثابت لا يؤدي بالضرورة إلى التنمية الاقتصادية، التي تعرف من خلال ثلاثة مصطلحات: الخطة، والدخل القومي الحقيقي، والأجل الطويل.

فالتنمية الاقتصادية ينبغي ألا تفهم على أنها تغيّر كمالي سطحي مرحلي عابر يقتصر على عنصر معين من عناصر التنمية، إنما هي خطة معقدة ومتشابكة تستهدف تغييرًا جوهريًا في البنيان الاقتصادي، يمتد ليمس كافة العلاقات الاقتصادية، ويسفر عن رفع معدل الانتاجية بقدر كفاءة استخدام الموارد القومية والعالمية والمستوى التكنولوجي المتاح.



عناصر التنمية في القرآن الكريم

يصعب حصر جميع عناصر التنمية الواردة في القرآن الكريم، لكن عملية مسحية أولية تبرز لنا عددًا منها، ولعلها هي الأهم، وهي على التوالي: رأس المال، والثروات الطبيعية والآلية (أو التكنولوجيا كما تعرف اليوم) والإنسان والشكر والوقت والغيب والإدارة والتخطيط والعلم والعمل وتوجيه الطاقة.

لاشك أننا لو حاولنا تصنيف هذه العناصر تصنيفًا منهجيًا فسنجد أنها تنقسم إلى محاور ثلاثة هي:

الموارد: وتتمثل في رأس المال، والثروات الطبيعية، والوقت.

الغيب: ويتمثل في مشيئة الله تعالى وقدرته، وفي شكر نعمه.

الإنسان: ويندرج ضمنه كل من الإدارة والتخطيط والعلم والعمل وتوجيه الطاقة.

نركز هنا على محورية الإنسان في التنمية، بناء على المنهج القرآني، فالأقوات التي قدرها الله عز وجل في الأرض موجودة، لكنه سبحانه ربطها بفقه تنموي للحصول الصحيح عليها كي يعمل الإنسان - الذي هو محور التنمية- في طاقة الأرض وعناصرها.

عناصر التنمية في قصة ذي القرنين

في قصة ذي القرنين التي جاءت مفصلة في أواخر سورة الكهف، نجد عناصر التنمية الأساسية واردة بصيغ مختلفة، وهي من أفضل النماذج التي تلج بنا إلى هذا الموضوع، فمن ذلك أن ذا القرنين لما بلغ ﴿بين السدين﴾ (الكهف: ٩٣) أي بين الجبلين، وجد قوما ﴿لا يكادون يفقهون قولًا﴾ (الكهف: ٩٣)، وهو الذي مكن الله تعالى له، وآتاه من كل شيء سببًا.

وهنا نلاحظ التقابل بين قوم ينتمون إلى مجتمع غير نام، ورجل عظيم جاء من محيط نام، فالقوم متصفون بصفات الضعف والوهن، والتخلف والجهل، ولم يقدروا على رد يأجوج ومأجوج الذين تسلطوا عليهم وأفسدوا أرضهم.. أما ذو القرنين فقد بلغ ذروة التنمية، فمكن الله تعالى له في الأرض، وآتاه من كل شيء سببا، أي «سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع... وسائر ما من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة.

﴿ثم أتبع سببًا﴾ (الكهف:

٨٩) أي سخر ما وهب له من النعم في خدمة غايته وهدفه، ولم يضيع ذلك هباء، ومن المؤكد في علم الإدارة أن توجيه الطاقة وضبط الغاية وتحديد الأهداف هي أهم مراحل التخطيط، والتخطيط الاستراتيجي، من أجل تنمية مستدامة وشاملة.

واللافت للنظر أن هؤلاء كانوا يملكون المال، والدليل على ذلك قولهم ﴿فهل نجعل لك خرجًا﴾ (الكهف: ٩٤)، وكانوا يملكون اليد العاملة، لذلك أمرهم ذو القرنين بقوله ﴿فأعينوني بقوة﴾ (الكهف: ٩٥)، ثم قال لهم أوان بناء السد ﴿آتوني زبر الحديد﴾ (الكهف: ٩٦)، غير انهم يفتقرون إلى أهم أسباب التنمية على الإطلاق، يفتقرون إلى تمكين الله تعالى وإلى العلم والتكنولوجيا والتخطيط وإلى وضوح الغاية والأهداف.

وقراءة أولية لواقع المسلمين اليوم، وتخلفهم عن سلم الحضارة، وواقع الغرب وتمكنه، تجعلنا نفهم هذه الآيات فهما عميقًا، وتجلي لنا المنهج القرآني في بناء تنمية شاملة، أساسها الإنسان الكفء والفعال، حتى وإن كان غير مالك للمادة والوسائل.

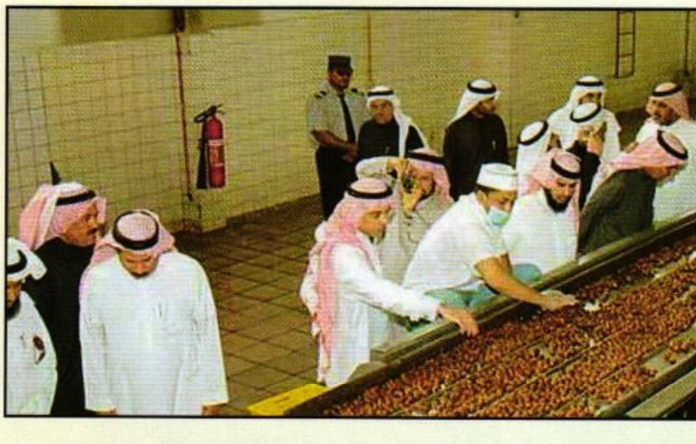
التنمية في الإسلام ربانية المنهج وسطية الانطلاق، تلائم فطرة الإنسان وتطلعاته حيث لا يوجد تغليب للمصلحة الذاتية أو المادة السلطوية وإنما ينطلق الإنسان من خلال هويته الحضارية ليبني ويرتقي بما لا يهدر هويته وقيمته الإنسانية المؤثرة.

وهذا ما نقرأه في المقارنة التي عقدها ذو القرنين بين رأس المال المعبر عنه بالخرج وبين التمكين، فقال: ﴿ما مكني فيه ربي خير﴾ (الكهف: ٩٥)، فرغم اختيار بعض المفسرين أن هذا التمكين يقصد به المال واليسار فإن الصواب- والله أعلم- في توجيه معنى التمكين هو تقديمه للروح الإيمانية، والقدرة العلمية، وكذا التمكين التكنولوجي.

إذن فالإنسان بكل أبعاده هو محور التنمية في هذه الآيات.

وواقعيًا إن الاقتراب من المنهج القرآني، والتعامل الحضاري مع أهدافه التنموية يؤديان إلى الحفاظ على ثوابتنا التنموية، وخصوصيتنا الحضارية وتنمية شخصيتنا الحضارية، فالقرآن والهداية متكاملان بما يؤدي إلى صالح الفرد والمجتمع، أما العنصر البشري في التصور الإسلامي فهو ركيزة لكل تقدم علمي وتكنولوجي.

ولذلك فإن بناء الإنسان المسلم وتكوينه وإعداده لخوض معركة الحياة، وبكل جدارة وكفاءة واقتدار، وبشجاعة القلب وجسارة العقل، ذلك هو الهدف الرئيسي الذي يجب أن يضعه مخططو التنمية الثقافية



في العالم الإسلامي، في مقدمة الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها.

وبناء الإنسان لا يتم بالتربية والتعليم فحسب، ولا يقوم بالثقافة والفكر فقط، ولا ينهض بالفن والأدب دون غير، ولكن بناء الإنسان يقوم أساسًا على هذه العناصر مجتمعة، وعلى عناصر اخرى، منها التوجيه الاجتماعي الرشيد، والتزكية النفسية الصحيحة، وإتاحة فرصة الحياة الكريمة التي تكفل للمرء التنشئة السوية في ظل مناخ نظيف يتيح التمتع بالحقوق التي كفلها الله لبني البشر كافة.

عناصر التنمية في قصة سليمان عليه السلام

لقد بلغ سليمان عليه السلام من التطور الحضاري والتنمية في جميع المجالات، مبلغا لم يرتق إليه أحد قبله، وما ذلك إلا للعلم الذي آتاه الله تعالى، وامتن به عليه، حتى بز أباه، قال تعالى: ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ (الأنبياء: ٧٩)، وقال: ﴿وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾ (النمل: ١٦).

ولقد برز سليمان عليه السلام في مجالات العلم والمعرفة، مثل السرعة، وفهم لغة الطير، والقتال والحرب، وفنون الإدارة، والحوار والجدل، والسياسة، والعفو والصفح، والعدل والحكم أي في كل ما من شأنه أن يصنع حضارة مثالية شاملة متكاملة الجوانب، تفوق واقع الدول المتطورة اليوم بأشواط، ذلك انها تملك التقنية والآلية، وتفتقر إلى العدل والروح والشكر، والأخلاق، وتعدم القيم الحضارية غير المادية.

فالغرب يبني أسس تنميته على العلم وحده، ويعتقد أن من يملك العلم يملك القرار، هذا هو المستقبل، ومن تنقصه المعرفة تنقصة القدرة على اتخاذ القرار. أما من حيث افتقاد الغرب للأسس القيمية فيقول المفكر مهاتير محمد: «وحسب تقييمنا، فإن أية دولة لا تصبح دولة متقدمة إذا كانت غنية، ولديها التكنولوجيا، ولكن تنقصها القيم الأخلاقية، وهناك مجتمعات غربية كثيرة على سبيل المثال متفسخة أخلاقيا».

فحضارة الغرب تتلمس المزيد من التقدم التكنولوجي الذي أعقب ثورتيها الصناعيتين الأولى والثانية، وتعاني في المقابل تدهور اجتماعيًا وحضاريًا، وقيميًا، فالرقي التقني يقابله انهيار إنساني، ولم تستطع هذه الحضارة حتى الآن حل هذا الذي يبدو وكأنه لغز حضاري.

وليس كل ما يأتينا من الغرب يعتبر تطورًا وتقدمًا فهو يحمل الايجابيات والسلبيات ويتطلب الحضور الواعي في

ليس كل ما يأتينا من الغرب يعتبر تطورًا وتقدمًا فهو يحمل الإيجابيات والسلبيات

التعامل مع منجزاته.

لكن المؤسف من جهة أخرى، أن الدول الإسلامية تفتقر إلى جميع القيم الحضارية التي تعلي من شأن الإنسان، وهذه الأمم تناقض دينها وتسير في غير هديه، فلا هي تمتلك التكنولوجيا والعلم، ولا هي تتحكم في الأبعاد الإيمانية والأخلاقية، لن يغنيها نقل مناهج الغرب في التنمية حرفيا، وإنما عليها أن تفرق بين الروح والشكل.

ولعل السؤال المحير بحق هو: ما الذي دفع بسليمان عليه السلام إلى أن يسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده؟ أليس هذا من قبيل حرمان الناس من عطاء الله؟! والحق أن قول سليمان عليه السلام ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ (ص: ٣٥)، يتجاوز حدوده البشرية، ويأتي ضمن المقاييس العليا، يأتي من العزيز الوهاب، ولعل الحكمة من ذلك ان الله تعالى جعل أعلى قمة في التمكن والرقي والملك، هي قمة شاكرة للنعم، غير كافرة بالله تعالى، ولا متنكرة لنعمائه وآلائه، حتى لا يقول أحد بعد ذلك: ما دمت أنا الأفضل والأقوى والأغنى...فإني لا أرى مبررا لأن أشكر أحدا أو أعترف بإله، أما وإن سليمان قد بلغ ما بلغ، وهو من الشاكرين، فإن الحجة قد قامت على جميع الناس، دون استثناء.

من هنا نستنتج أن السبب الأقوى من أسباب التنمية الحقة هو «الشكر»، ولقد قال تعالى عن آل داود: ﴿اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ: ١٣)، كما كان أبسط موقف في الحياة يدفعه إلى الشكر، وهذا ما حدث في قصة النملة:﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. فتبسم ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ (النمل: ١٨-١٩).

منطلقات حضارية

إن استغلال ثروات العالم الإسلامي وتفعيل قدراته المادية والروحية يسهم حضاريًا في التالي:

١- فمن الإسهام الحضاري للأمة الإسلامية في عالم الغد مشاركتها في صنع التقدم المادي الذي يتجه إليه العالم المعاصر، إذ إن حالة التخلف المادي الذي تعيشه الأمة الإسلامية مدعاة لاستنهاض الطاقات والإمكانات من أجل تلك المشاركة تحقيقًا لمتطلبات التنمية الشاملة التي يحتاجها المسلمون، وقياما بالدور المنوط بهذه الأمة باعتبارها أمة ذات رسالة تحمل في جانب منها الروحانية للإنسان بينما تحمل في الجانب الآخر حاجته المادية، وتحقيقًا كذلك لواقعية الحضارة الإسلامية في تعاملها مع المراحل الزمنية التي تمر بها التنمية الإسلامية تنبع من دين عادل يهتم بكل صغيرة وكبيرة من شؤون الإنسان والحضارة، لا تهتم بإعلاء الغرائز، أو الاستبداد أو إهدار حقوق الضعفاء. وإن محاولة اقناع شعوب العالم برغبة الإسلام في تحقيق الإنسان لن تتحقق إلا إذا عدنا خير أمة تعمل بما تعلم من علم نافع، فحياة المسلم لا تعرف غير عمل الصالحات وإنجاز المهمات، وهبوط الحرارة التنموية لدى شعوبنا الإسلامية لا يجوز التقليل من أخطاره، فقد يحول مجتمعاتنا إلى كتل جليدية متصلبة لا تحرك ساكنًا ولاتغير واقعًا ولا تبني مستقبلا!

٢- إن تقصير المسلمين في الانتفاع بعلوم الأرض سيهبط بتوازنهم الحضاري ليصيبهم بالإخفاق والتقصير في تقديم رسالتهم للإنسان وتوصيلها للعالم من حولهم، فالأمة الإسلامية لكي تكون على مستوى دينها، وكي تنجح في المحافظة عليه، وكي تستطيع إفهامه الآخرين لابد أن تكون راسخة القدمين في شؤون الحياة كلها، بل يجب أن تكون سباقة في شتى الميادين، مسموعة الكلمة في آفاق العلم برا وبحرا وجوا، ومن حق الأمم الكبرى، وهي تحتقر الأمية العلمية الصناعية أن تنظر إلى دعاوى المسلمين وأفكارهم، وقيمهم بريبة، أو بسخرية ما دام المسلمون نماذج رديئة للتخلف الإنساني.

ثمة مفارقة محيرة وهي:

● كون «الإنسان القرآني» إنسانًا حقق جميع متطلبات الحضارة، حتى وان ضعف أحيانًا في الجانب المادي، إلا أنه لا يتأثر، بل يؤسس على الجانب الأهم.

● أن «الإنسان المسلم» اليوم رغم كون القرآن يتلى بين ظهرانيه، إلا أنه متخلف من جميع الجوانب، ولم يستفد من كتابه في بناء حضارة عالمية مشهودة.

● أن «الإنسان الغربي» اليوم حقق انتصارات متوالية في الجانب المادي، وبنى مدنية عالمية غير انه يفتقر إلى الأخلاق والقيم والشكر.

من هنا يجب أن تفكر البشرية اليوم في تنمية شاملة، وحضارة متكاملة، لا تشبه النمط الغربي كلية، بل يجب أن تبنى على النموذج القرآني الذي يستفيد مما أنتجه الغرب من رقي، وتضيف إليه الروح والعمق.

هوامش

١- الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، ترجمة محمد عدس، مؤسسة بافاريا، ١٩٩٧م ألمانيا.
٢- الإسلام والتنمية الاقتصادية، محمد علي الحسني، مقال في مجلة النبأ، عدد ٥٨.
٣- في ظلال القرآن، سيد قطب.
٤- التعليم العلمي والتكنولوجيا في إسرائيل، صفا محمود عبدالعال، الدار المصرية، اللبنانية، ٢٠٠٢م ، القاهرة.
٥- صوت آسيا، مهاتير محمد، نشر دار الساقي، ١٩٩٨م لبنان.
٦- د. محمد بن موسى، الإنسان محور التنمية في المنهج القرآني، دراسة منشورة بمجلة حراء العدد الرابع (يوليو- سبتمبر) ٢٠٠٦م.
٧- الشكيري عبدالحق، العالم الإسلامي ومعضلة التنمية، ص ٢٠ مجلة الأمة القطرية، شوال ١٤٠٦ هـ.
٨- د.محمد زين الهادي، علم نفس الدعوة، ص ١٥١، ط ١، ١٤١٥، ١٩٩٥م - الدار المصرية اللبنانية.
٩- طارق البشري: الإسلام والتنمية ص ٨٤.
١٠- محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، «ص ٨٢».
١١-د.سعيد عبدالله حارب المهيري، الإسهام الحضاري للأمة الإسلامية، ص١٠.

الأزمة المالية العالمية بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام

أ.د. عبدالحميد البعلي

شريعتنا الإسلامية تملك رؤية واضحة لإصلاح مشكلات المجتمع، وطرحًا تنمويًا لبناء الإنسان الصالح، ومشروعًا متكاملا ينتشل المجتمعات من دوامة الفقر والجوع والجهل والمرض والصراع. كل ذلك بعيدًا عن الكراهية أو الترويج لها تحت أي عنوان ورفض الآخر، بل التعارف والتعاون معه.

هذه الأزمة:

الأزمة المالية العالمية أطاحت بالهيمنة الاقتصادية الأميركية وستصبح أمريكا دولة كبرى وليست دولة مهيمنة اقتصاديًا، وأطاحت بالاستقرار المالي والاقتصادي في البلدان الرأسمالية الكبرى واضطرتها إلى إعداد برامج عملاقة لمواجهة الأزمة من خلال تدخل الدولة وتأميمها الكلي والجزئي لعدد من المؤسسات المتعثرة، وأكدت أن النظام النقدي الدولي الراهن قد فقد مبررات استمراره وأن تغييره أصبح أمرًا ضروريًا، وأكدت أنه لو كان هناك نظام عالمي قوي مواز للنظام الرأسمالي لقضى عليه في هذه الأزمة الطاحنة، وأكدت العيوب الجوهرية للنظام الرأسمالي المتمثلة في عدم تحقيق التوازن والحد الأدنى من العدالة في توزيع الدخل من خلال:

–نظام الأجور ودعم الخدمات الصحية والتعليمية والخدمات العامة والدعم السلعي والتحويلات الاجتماعية.

– ومن خلال نظام عادل للضرائب متعدد الشرائح بصورة متناسبة مع المقدرة التكليفية للممولين.

تلك العدالة التي توفر:

– الطلب الفعّال الضروري للنمو الاقتصادي.

– وتنشيط مضاعف الاستثمار بالغ الأهمية لتحقيق النمو الاقتصادي المتواصل.

وأكدت الأزمة ضرورة وضع الدور الاقتصادي للدولة تحت رقابة صارمة، رسمية وشعبية لمنع الفساد وتأكيد دورها الفعال في حفز النمو والتشغيل وضمان عدالة التوزيع للدخل من خلال قنواته وأدواته المشروعة، وأكدت ضرورة وضع إطار قانوني للأخذ بالاقتصاد العيني الحقيقي الزراعي والصناعي والخدمي على حساب الاقتصاد الرمزي من خلال:

– تقييد ومنع المضاربات غير المشروعة على العقارات والأراضي والسلع المختلفة.

– مكافحة الاحتكار.

– حماية المنافسة الشريفة من أجل صالح الاقتصاد والمجتمع.

وقد أصابت الأزمة النظام الرأسمالي الحر المتحلل من الضوابط في مقتل وفرضت الحاجة إلى التنادي إلى الإصلاح والبدائل الشرعية الإسلامية. وبذلك فالأزمة أعطت الفرصة لتقديم سبل العلاج ووسائل الإصلاح لتطوير النظام الاقتصادي الاجتماعي لئلا تتكرر تلك الأزمات التي تصاحبها:

– دورات كئيبة من الركود العميق والكساد الإنتاجي والتجاري.

– مستويات عالية من البطالة والتراجع في مستويات المعيشة.

– وكان النموذج الرأسمالي الحر هو النموذج المثالي لإضعاف الدول النامية وتقسيمها ونموذجًا ملائمًا لنشر الفساد وتسهيل حركة الاقتصاد الأسود. ولم تعد تجدي سبل الإنقاذ لهذا النظام المتداعي من خلال:

– تضامن الدول الرأسمالية والمنظمات المالية الحكومية الدولية والدول الرأسمالية والدول النفطية الغنية.

– استخدام أموال الفقراء والطبقة الوسطى من دافعي الضرائب وأصحاب الحقوق في الموارد الطبيعية والإيرادات العامة من أجل إنقاذ هذا النظام الرأسمالي.

هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام

(١) كشفت انتشار ظاهرة الربح بلا عمل وظهور النشاطات الطفيلية ودورها المدمر في الأزمة مثل:

– المضاربة على العملات والأسهم والمعادن النفيسة وغير النفيسة والسلع الغذائية.

– أعمال اليانصيب وبرامج المسابقات والاتصالات التليفونية لكسب المال بهذا الطريق وبكميات ضخمة.

– ظاهرة الأسواق الآجلة في المواد الأولية مثل النفط والغاز والمعادن والسلع الزراعية، والتي تشمل كل ما هو قابل للاتجار به بما في ذلك القروض لتشكل بعد ذلك «سوق المشتقات» التي وصل حجمها عند انفجار الأزمة أكثر من ٦٠٠ تريليون دولار أي أكثر من عشرة

خبير في اللجنة الاستشارية العليا في الكويت



الأزمة المالية اصابت النظام الرأسمالي الحر المتحلل من الضوابط في مقتل

أضعاف حجم الناتج العالمي مقيسا بالدولار وفقًا لتعادل القوى الشرائية بين الدولار والعملات الأخرى، وكل ذلك على حساب ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي من أن أسباب استحقاق الربح ثلاثة: العمل، المال، الضمان.

(٢) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام، كشفت حجم الاتجار الباطل بالنقود لا فيها:

وذلك ابتداءً منذ أغسطس ١٩٧١ حين تم التخلي عن قاعدة الذهب لكنها التزمت بزيادة الإصدار النقدي بنسب محدودة مرتبطة بالنمو الاقتصادي الأميركي، ثم توسعت في الإصدار ثم بدأت تستخدم وضعية الدولار كعملة احتياط دولية تسوي بها مختلف الدول الجانب الأكبر من معاملاتها في التوسع في الإصدار النقدي بلا غطاء، وتحولت أسواق العملات بعد فك الارتباط بين الدولار والذهب وبعد تعويم العملات الأوربية وكل العملات الحرة إلى أسواق للمضاربة على العملات وليس للحصول على هذه العملات: بغرض تسوية التعاملات الاقتصادية والالتزامات المالية بين الدول.

وللعلم فإن قيمة التعاملات في أسواق العملات خلال ما يقل عن شهر توازي قيمة الناتج العالمي خلال عام في الوقت الراهن، مما يدل على ضخامة حجم هذه الأسواق وسخونة الأموال التي تتحرك فيها، وبذلك أساءت أميركا استخدام عملتها وحققت ثراءً غير مسبوق وغير مستحق على حساب العالم من خلال الإفراط في الإصدار النقدي بلا سند من إنتاج أو غطاء ذهبي:

- حيث إن ناتجها المحلي الإجمالي الحقيقي وفقًا لتعادل القوى الشرائية لم يعد يزيد عن ٢٠٪ من الناتج العالمي بعد أن كان ٤٥٪ منه بعد الحرب العالمية الثانية.

- حيث إن صادراتها السلعية كانت تشكل ثلث الصادرات العالمية بعد الحرب، بلغت ٨،٣٪ فقط من إجمالي الصادرات العالمية عام ٢٠٠٧.

لذلك لم يعد من المنطقي أن يسيطر الدولار على ٦٢،٥٪ من سلة الاحتياطات الدولية من العملات الحرة وأن يكون هو عملة الاحتياط الدولية، كل ذلك على حساب ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي من أن النقود رؤوس أموال يتّجر بها لا فيها.

(٣) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام: كشفت سوء استغلال أميركا وضعية الدولار كعملة احتياط دولية، فلقد ظلت أميركا تحترم التزاماتها كدولة تصدر عملة الاحتياط الدولية وتضمن تحويل أي كمية من الدولارات إلى ذهب وفقًا لعمل تحويل ثابت هو ٣٥ دولارا للأوقية في البداية، لكنها مع بدء اختلال موازينها الخارجية تخلت عن قاعدة الذهب في أغسطس ١٩٧١ لكنها التزمت بزيادة إصدارها النقدي بنسب محدودة مرتبطة بالنمو في الاقتصاد الأميركي، ثم توسعت في الإصدار النقدي، ثم بدأت تستخدم وضعية الدولار (كعملة احتياط دولية تُسَوي بها مختلف الدول الجانب الأكبر من معاملاتها) في التوسع في الإصدار النقدي بلا غطاء لتحقيق الثراء على حساب العالم لتشتري سلع وخدمات العالم في النهاية مقابل أوراق نقدية هي في التحليل الأخير مجرد أوراق أصدرتها ولم تنتج ما يغطيها من إنتاج بقصد الإثراء على حساب العالم وعلى هذا نما المعروض من النقود وأشباه النقود في أميركا بصورة كبيرة وغير متناسبة مع معدل نمو الاقتصاد، فقد بلغ معدل نمو النقود وأشباه النقود في أميركا نحو ٩،١٪ و ٩،٧٪ في عام ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦. في حين لم يتجاوز نمو الناتج المحلي الإجمالي الأميركي نحو ٢،٩٪ و ٢،٨٪ في العامين المذكورين.

وهكذا يظهر أن كل ذلك على حساب ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي في قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ (البقرة: ١٨٨).

وتبني منظومة الفصل بين عناصر الإنتاج من رأس المال والعمل والأرض والمنظم وهو ما يتصادم مباشرة مع أصل من أصول الاقتصاد الإسلامي في قول الله تعالى: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم﴾ (الحشر: ٧).

و(لا) في الآية كما يقول علماء اللغة: إذا دخلت على المضارع أفادت النهي، وعلماء الأصول يقولون: إن النهي يفيد المنع والحظر، وإن المنع على سبيل الجزم والإلزام يفيد التحريم. ومن هنا فإنه لابد أن تعمل (لا) في الآية الكريمة عملها، من النهي بكل صورة والنفي أيضًا، ولابد أن تعمل أصول الاقتصاد الإسلامي عملها الحقيقي والواقعي والعملي من:

- توسيع قاعدة الملكية وتضييق دائرة الفقر والفقراء الذين يصنعهم الأغنياء كما يقول الإمام علي رضي الله عنه.

- توفير وإتاحة فرص العمل والتشغيل، من خلال أدوات تمويل سليمة وتشغيل المشروعات النافعة والصغيرة والمتوسطة للمخلوقين ومن ثم تقليل نطاق البطالة، يقول تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾(الحشر:٧).

إن الاقتصاد الإسلامي اتباع منهج، يقول تعالى: ﴿... فمن تَبع هُداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة: ٣٨). ويقول تعالى:﴿... فمن اتّبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (طه: ١٢٣). ويقول تعالى:﴿... ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا...﴾ (طه: ١٢٤).

(٤) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام: كشفت ضعف الرقابة الرسمية والشعبية على الأداء الحكومي والعام حيث أتاحت الرأسمالية البيروقراطية الفرصة للرواتب الخيالية للمديرين التنفيذيين للشركات الأميركية الكبرى الرابحة والخاسرة على السواء، فمثلًا

- حصل المديرون التنفيذيون في أكبر خمس شركات/ مؤسسات مالية مدرجة



في بورصة وول ستريت الأميركية وهي: ليمان برزر - ميريل لنش - مورجان ستانلي -جولدن ساكي - بيرسترنز على دخول شاملة: (أجور، حوافز، بدلات، عمولات، مكافآت) بلغت نحو (٣٩) مليار دولار في عام ٢٠٠٧ ،بينما كان المساهمون في تلك المؤسسات يعانون خسائر متراكمة بلغت ٧٤ مليار دولار في الفترة من ٢٠٠٢- ٢٠٠٧، حيث تعرضت البورصة الأميركية لانهيارات كبيرة في العام المالي ٢٠٠١- ٢٠٠٢ بعد سقوط شركة إنرون ورلدكوم تحت وطأة فساد المديرين التنفيذيين لتلك الشركات كما أثبتت التقارير.

وقد بلغت المكافأة المصروفة للرئيس التنفيذي لمجلس إدارة بنك ليمان براذرز (ريتشارد فولد) الذي فجر انهياره في سبتمبر ٢٠٠٨ الأزمة المالية الأميركية نحو (٢٢) مليار دولار في سنة ٢٠٠٨ في وقت كان البنك يتهاوى وتتبخر فيه حقوق المساهمين، وبلغ مجموع ما حصل عليه المذكور خلال السنوات الثماني قبل الانهيار نحو ٤٨٤ مليار دولار كما أثبتت التقارير، وكذلك الحال في إيه أي جي أكبر شركة تأمين أميركية وعالمية حتى بعد سقوط الشركة وشراء الدولة لنحو ٧٩,٩٪ من أسهمها يصرف المديرون التنفيذيون مكافآت لأنفسهم بلغت ١٦٥مليون دولار

وطالب وزير المالية غايتز بِرَد هذه الأموال (المكافآت ٢٠٠٨) كما أثبتت التقارير.

وغير ذلك من المغامرات، مما تسبب في عجز وصل إلى ٤٥٥ مليار دولار في العام المالي الأميركي المنتهي في سبتمبر ٢٠٠٨ ووصول العجز المالي الأميركي نحو ٧٠٠مليار دولار في العام المالي المنتهي في سبتمبر ٢٠٠٩.

كل ذلك على خلاف ما هو مقرر في الفقه الاقتصادي الإسلامي من أنواع الرقابة الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾. التوبة: ١٠٥).

(٥) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام: كشفت عجز الدولة عن تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية في ظل النظام الرأسمالي الحر غير الملتزم بالضوابط والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية مما ترتب عليه زيادة الفوارق بين الطبقات وتقييد نمو الطلب الفعّال نتيجة:

-سوء توزيع الدخل وتدهوره بشكل كبير محاباة للطبقة العليا أساسًا حيث قامت الإدارة الحكومية بتخفيض الضرائب على الشريحة العليا من ٤٠٪ على كل من يزيد دخله على ٢٩٧ ألف دولار في نهاية عهد كلينتون إلى ٣٥٪ على كل من يزيد



دخله على ٣٢٥ ألف دولار.

ومن المؤكد (كما يقول تقرير الأهرام الاقتصادي لسنة ٢٠٠٩) أن غياب العدالة في توزيع الدخل وتأثيرها السلبي على الطلب الفعال يعد عاملاً أساسيًا في تفجير أزمات الركود الاقتصادي.

كل ذلك على حساب معطيات الفقه الاقتصادي في الإسلام من:

-دور الدولة لتحقيق العدالة في منظومة الاقتصاد وتوزيع الدخل من خلال: نظام الأجور والتشغيل والضرائب والتحويلات والدعم السلعي ودعم الخدمات العامة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦)

-وعدم تدخل الدولة لضبط حركة الأسواق ومراقبة التوازن بين القطاعات المالية الاقتصادية، فلقد حدث تضخم هائل في القطاع المالي في أميركا والعالم عمومًا حيث أصبح لا يقارن بالاقتصاد الحقيقي الصناعي والزراعي والخدمي المتقلص، ففي نهاية عام ٢٠٠٧ كانت القيمة السوقية للأسهم المدرجة في البورصات العالمية نحو ٦٠،٩ تريليون دولار وبلغ حجم سوق المشتقات ٦٠٠ تريليون دولار وحجم السندات السيادية نحو ٤٥ تريليون دولار وفق إحصائيات بنك التسويات الدولية، في حين أن الناتج العالمي المحسوب بالدولار وفقًا لأسعار الصرف السائدة لم يتجاوز ٥٢،٦ تريليون دولار عام ٢٠٠٧، أي ما يوازي تدفقات الأموال في مختلف أسواق العالم في ١٣،٢ يوم فقط.

- كما بلغت قيمة القروض المحلية الممنوحة من الجهاز المصرفي الأميركي نحو ٢٤٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي الأميركي في عام ٢٠٠٧ مقارنة بنحو ١٣٢،٢٪ في منطقة اليورو، بما يعني أن هناك حالة من الإفراط غير العقلاني في منح الائتمان في أميركا بصورة تنطوي على أخطار كبيرة كانت عاملاً رئيسيًا في إنتاج الأزمة المالية الأميركية.

- وهكذا يظهر قصور دور الدولة في تحقيق العدالة بين القطاعات المالية والاقتصادية المختلفة وفي تطبيق أنواع الملكية السبعة في الفقه الاقتصادي (الخاصة- العامة-المختلطة-ملكية الدولة- الوقف- التمليك في الشركات).

(٦) هذه الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام:

كشفت عن تركيز الثروة في فئة قليلة ومحاباتها:

- فلقد قامت سياسات إنعاش النمو

الأزمة بمعايير الفقه الاقتصادي في الإسلام كشفت عجز الدولة عن تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية في ظل النظام الرأسمالي

الاقتصادي الأميركي من خلال تخفيض سعر الفائدة لتشجيع الاستهلاك بغرض تشجيع الاستثمار ومن ثم فهو نوع من خدمة المقترضين من الطبقة المتميزة من رجال الأعمال الذين يشكلون المقترض الرئيسي من الجهاز المصرفي في أميركا وفي غيرها من بلدان العالم والذين يحصلون على القروض بفوائد منخفضة ما دامت الفوائد على الودائع متدنية.

- ويزداد القهر للطبقة الوسطى في حالة وجود فوائد مرتفعة على قروض المقترضين الصغار بنسب أعلى من الفوائد التي يدفعها رجال الأعمال عن القروض التي يحصلون عليها وهو ما حدث في أميركا حيث كانت الفوائد على القروض العقارية التي يحصل عليها صغار المقترضين أعلى بكثير من فوائد القروض الكبيرة المقدمة لرجال الأعمال والشركات.

كذلك فإن ارتفاع معدل التضخم عن سعر الفائدة يعني أن الفوائد الحقيقية على الودائع سلبية، وعند انفجار الأزمة في سبتمبر ٢٠٠٨ كان سعر الفائدة في أميركا ٢،١٤٪ بينما كان معدل التضخم نحو ٥،٤٪ وفقًا للبيانات المنشورة في مجلة الإيكونومست البريطانية.

وكل ذلك على حساب ما هو مقرر في فقه الاقتصاد الإسلامي من قوله تعالى: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ (الحشر:٧). وهكذا أصبحت الأوضاع الاقتصادية العالمية وما آل إليه النظام الرأسمالي العالمي.

قراءة القرآن بالمقامات والأوزان ليست من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

د. أحمد بن أحمد شرشال

لما اطلعت على منهج موضوعات قواعد التجويد والترتيل، والتغني بالقرآن الكريم ومقرراته في الجامعات وتحسين الصوت به رأيته خاليا من كيفيات وأوصاف ونعوت جليلة لقراءة النبي ﷺ وتلاوته وترتيله وترسله، فقد كان يتغنى بالقرآن، ويرجع صوته به أحيانا، وكان يحب الصوت الحسن بالقرآن، ويعجبه ويشده للاستماع إليه، ويثني على صاحبه ويرغب في التغني بالقرآن ويحث على تحسين الصوت في تلاوته.

ومن أوصاف قراءته ﷺ ونعوت تلاوته أمور تعد في هذا الباب من أصول علم قواعد التجويد، والتغني بالقرآن وتحبير الصوت به، وقد تضمنت نعوتا مهمة ما كان ينبغي أن تغيب عن بال المشتغلين بمقررات تجويد القرآن الكريم، والتغني بتلاوته.

فيجب على الطلاب والدارسين لكتاب الله معرفتها والعلم بها، ولا ينبغي إغفالها أو الجهل بها أو استبعادها من مقررات الترتيل والتغني بالقرآن.

ونظرا لغياب هذه الأوصاف والنعوت لقراءة النبي ﷺ من كتب التجويد والمقررات الدراسية، استحدث الناس أصواتا وألحانا وأوزانا ومقامات وأدخلوها على تلاوة القرآن وترتيله تحت شعار تحسين الصوت، وروجوا لها بالأحاديث الواردة في الحث والترغيب على تحسين الصوت بقراءة القرآن، وبمزامير داود عليه السلام، وقالوا: إن داود كان يقرأ الزبور بسبعين «مقاما» فحذفوا كلمة: «لحنا» الصحيحة وكتبوا بدلها: «مقاما»، هكذا رأيته في مقرراتهم.

لقد كان تشبيه النبي ﷺ حسن تلاوة أبي موسى الأشعري وجمال صوته بمزمار داود خاصا بالصوت فقط ولاشك أن الزبور تليق به هذه الألحان، لأنه كان خاليا من الأحكام كما ذكره المفسرون، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد وتسبيح ومواعظ.

إن أوصاف ونعوت قراءة النبي ﷺ تشكل لطلاب حفظ القرآن ومقرراته نبراسا يضيء لهم قواعد الترتيل والتغني بتلاوته، ويضفي عليها نعوتا جليلة وتكون عاصما لهم من كل دخيل على التلاوة وليبلغوا بها درجة الماهر بالقرآن من السفرة الكرام البررة ويستغنوا بها عن المقامات والأوزان الدخيلة على الترتيل.

وكل ما استحدث من الألحان والتطريب والمقامات يجب أن يعرض على هذه الأصول، وهذه القواعد، وهذه النعوت والأوصاف لقراءة النبي ﷺ وما لم يكن كذلك يجب تنزيه قراءة القرآن عنه.

إن التغني والترنم بالقرآن الكريم وتجويد لفظه، وتحسين الصوت في تلاوته من شأنه أن يبعث على الإنصات، ويشد للاستماع، وهو أوقع في النفوس وأنفذ إلى القلب، وأبلغ في التأثير، وأعون على الفهم والتدبر، وهو مطلوب لا حد له.

وإن التغني بالقرآن وجمال الصوت في قراءته يحصلان بتطبيق قواعد التلاوة ومراتب الترتيل، فهي زينة القراءة وحلية التلاوة لا بالمقامات والأوزان الدخيلة.

فكل من يطبق قواعد التجويد وأحكام التلاوة يحصل في تلاوته جمال الترنم والتحبير، إذا كان له طبع يتقبل ذلك. وقد نبه العلماء على هذه الحقيقة.

قال ابن الجزري: «وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجودًا مصححًا كما أنزل، تلتذ الأسماع بتلاوته وتخشع القلوب عند قراءته حتى يكاد أن



أستاذ علوم القرآن والقراءات بجامعة أم القرى

الصحابة رضي الله عنهم نقلوا لمن بعدهم وصفًا دقيقًا لتلاوة النبي ﷺ وكانوا يقلدونه ويحاكون قراءته

يسلب العقول ويأخذ بالألباب سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن الصوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء قيمًا باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمع على الاستماع إليه أمم من الخواص والعوام يشترك في ذلك من يعرف اللسان العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان (١).

لقد أرسل الله رسوله جبريل عليه السلام لتعليم النبي محمد ﷺ كيفية التلاوة والقراءة، فأمره الله أن ينصت ويستمع لقراءة جبريل، فإذا انتهى جبريل أمره الله أن يتابع القراءة بالكيفية التي قرأ بها جبريل المعلم، ونهاه عن العجلة في التلاوة، ووعده ببيان معانيه، وبعدم نسيانه: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه﴾ (القيامة: ١٦-١٩)، وقال ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ (طه: ١٤)، وقال: ﴿فلا تنسى﴾ (الأعلى: ٦).

ثم بعد ذلك لم يكله إلى نفسه وحفظه فأرسل إليه جبريل مرارًا وتكرارًا يعارضه بالقرآن ويدارسه في كل رمضان تأكيدًا للحفظ وبيانًا للناسخ والمنسوخ، وفي العام الذي قبض فيه ﷺ عرضه عليه مرتين.

وفي البداية وجد رسول الله ﷺ مشقة في تعليم أمته القرآن على حرف واحد، فتوجه إلى الله بالدعاء يسأله التخفيف، وراجع جبريل أكثر من مرة يسأله الزيادة من الحروف تخفيفًا على أمته، فقال ﷺ «أقرأني جبريل على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (متفق عليه).

وبعد إلحاحه ﷺ في الدعاء ومراجعة جبريل طلب المزيد فأجاب الله دعاءه وأوصل هذه الحروف إلى سبعة كلها كاف شاف، ووسع على أمته في قراءة القرآن على وجوه متعددة، ولم يكن منها هذه المقامات والأوزان المستحدثة.

ثم اتخذ النبي ﷺ حزبًا من القرآن يقرأه ويكره أن يؤخره، فسمع الصحابة ترتيله وترسله، وكانوا يحاكون قراءته ووصفوها ونعتوها بأوصاف ونعوت جليلة.

إن الصحابة رضي الله عنهم نقلوا لمن بعدهم وصفًا دقيقًا لتلاوة النبي ﷺ وكانوا يقلدونه ويحاكون قراءته، روى الإمام أحمد عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال لي ابن عباس: «أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه»، وقال لي سعيد بن جبير: «وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه».

فهذا ابن عباس يقلد الرسول ويحاكيه في قراءته وسعيد بن جبير يقلد ابن عباس ويحاكيه فيما قلد فيه الرسول ﷺ وهذا عبدالله بن المغفل يصف قراءة النبي ﷺ في الترجيع ويحاكيها بالفعل، ويسمعها منه معاوية بن قرة ولولا خوفه من اجتماع الناس عليه لحكى قراءة عبدالله بالفعل.

وهذا عمر بن الخطاب يصف قراءة النبي ﷺ ويقول: كان النبي ﷺ إذا قرأ، قرأ حرفًا حرفًا بترتيل ويحدر حدرًا. وسمع ابن عباس قراءة النبي ﷺ في حجرته وقال: «لو شاء حافظ أن يحفظها لفعل».

وقد حفظت أم هاشم بنت الحارث سورة «ق» من سماعها قراءة النبي ﷺ لشدة وضوح حروفه، وإذا عبدالله بن مسعود يقول: أخذت من في رسول الله ﷺ أكثر من سبعين سورة، وكان ﷺ يمدحه ويثني عليه ويحيل على قراءته ويقول: «من سره أن يقرأ القرآن غضًا طريًا فليقرأ بقراءة ابن أم عبد»، (حسنة الترمذي وصححه أحمد شاكر).

وكان النبي ﷺ يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وكان يمد حروف المد مدا ويقطع قراءته آية آية وحرفًا حرفًا، وما سمع أحسن من صوته ﷺ، وكان يحث ويرغب في تحسين الصوت بقراءة القرآن، ويعجبه الصوت الحسن ويشده للاستماع إليه ويثني على صاحبه ويحمد الله على ذلك.

وكان ﷺ في ترتيله وترسله يتأمل ويتدبر ويفكر في تلاوته، فكان لا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ به ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه، وكثيرًا ما كان يتوقف ويدعو، وقد قال في بعض المواضع التي قرأها: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» (حسنة الألباني).

وكان من نتيجة تدبره وتأمله وتفكره في ترتيله وترسله سيل الدموع، وهي طريقة الأنبياء والرسل قبله إذا سمعوا آيات الله تتلى خروا سجدًا وبكيًا، وقد اقتدى به أصحابه بعد ذلك وكان عمر يقول: هذا السجود أين البكي؟

أين هذا من أصحاب المقامات والأوزان الدخيلة؟! فقراءة القرآن بالمقامات والأوزان ليست من قراءة النبي ﷺ في شيء، فكل من قرأ على خلاف قراءة النبي ﷺ وما نقله أئمة القراءات وهو يستطيع تلك القراءة يعد مخالفًا، لأن صفة التلاوة متواترة كتواتر القرآن، فكيفية القراءة توقيفية، «اقرأوا كما علمتم» (صححه ابن تيمية).

واختلف العلماء في معنى: «يتغنى بالقرآن» الواردة في الحديث الصحيح، فتأوله بعضهم على معنى الغنى المقصور الذي هو ضد الفقر، والاستغناء به عن غيره، وهذا المعنى الأخير صحيح ولكنه غير مراد من الحديث، وذهب البعض الآخر إلى أن معنى: «يتغنى» من الغناء الممدود، وفسروه بتحسين الصوت في التلاوة، وهو



الراجح كما هو مبسوط في موضعه.

وهؤلاء وأولئك متفقون على حرمة قراءة القرآن بالمقامات والألحان والتطريب والنغم إذا كانت تؤدي الى خلل في قواعد الترتيل ومتفقون على استحباب تحسين الصوت وتزيينه في تلاوة القرآن، وما بين هذا وذاك كرهه العلماء وتشددوا في النكير على من يفعله.

وخلاصة أقوالهم أن تحسين الصوت وتزيينه مطلوب بقدر الاستطاعة، وأما تعليم هذه الأوزان المخترعة، والمقامات الأعجمية وتنزيل ترتيل القرآن عليها بخفض الصوت ورفعه ليوافق النغم الموزون فهذا هو المكروه الذي أنكره العلماء وتشددوا فيه، وبالغوا في ذلك.

أما إذا كان تحسين الصوت بالتلاوة سجية وسليقة وطبعاً فهذا محمود ومطلوب بدون تعليم ولا تمرين، وإن حاول أن يزيد تلاوته تحسيناً وتحبيرًا فله ذلك.

ولبث الناس في الصدر الأول يقرأون بالترتيل بأنواعه وكيفياته الثلاث تحقيقًا وتوسطًا وحدرًا، وكل هذه المراتب بالترتيل المأمور به، إلى أن حدث وطرأ على الترتيل ما يعرف بالألحان والمقامات الدخيلة في العصر الأموي برفع الصوت وخفضه موافقة لأنغام وأوزان ومقامات أعجمية دخيلة على التلاوة والترتيل.

ولشدة كراهية العلماء لقراءة القرآن بهذه الألحان والمقامات أولوا «يتغنى بالقرآن» الثابتة في الحديث بمعنى الاستغناء بالقرآن عن غيره، وهو مطلوب أيضًا، وكل من تأول معنى «يتغنى» كره قراءة القرآن بالألحان والتطريب.

ولشدة كراهية العلماء لهذه الألحان الملهية والمقامات المطربة ذهبوا الى القول: إن حديث «زينوا القرآن بأصواتكم» هو من باب القلب هكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث أي زينوا أصواتكم بالقرآن والقلب غير صحيح والمراد زينوا قراءتكم.

ولشدة كراهية العلماء لهذه المقامات والألحان المنكرة نهى بعضهم أن يحدث الناس بهذا الحديث خوفًا من أن يتخذوه رخصة من رسول الله ﷺ في هذه الألحان المنكرة.

وشدة كراهية العلماء لهذه الألحان المنكرة والمقامات المخترعة جعلتهم يؤولون ترجيع النبي ﷺ في قراءته لسورة الفتح، وهو على ناقته بأنه كان اضطرارًا بسبب هز الناقة له ورده العلماء.

إن ما أحدثه المتكلفون في تلاوة القرآن بالألحان والمقامات جعل العلماء يحملون الأحاديث الواردة في الحث على تحسين الصوت على معنى تحزين القراءة وترقيقها.

ولشدة كراهية العلماء لهذه الألحان والتطريب المغير للترتيل الذي أمر الله به رد الإمام القرطبي الأحاديث الواردة في فضل تحسين الصوت بالتلاوة لما سمعه في تلاوة قراء عصره بهذه الألحان المخلة والأوزان المحدثة، فحكم على قراءتهم بالحرمة، ودعا عليهم، وشبه تلحين قراءتهم بلحون أهل الفسق وأهل الكتابين.

ولشدة كراهية العلماء لهذه القراءة ذات الألحان سماها بعض السلف غناء، ونهى عن سماعها.

ولشدة كراهية العلماء لهذه الألحان والمقامات الدخيلة كاد الامام أبوزهرة رحمه الله أن يرد جميع الأخبار الواردة عن النبي ﷺ في تحسين الصوت والتغني به، لو كانت تدل من قريب أو بعيد على ما يفعله قراء بلده من المنكرات في قراءة القرآن بالألحان والتطريب، لأنهم اتخذوا هذه الأخبار سندًا لهم لترويج تلاوة القرآن بالألحان الأعجمية وتصديرها الى العالم حسبما يقول رحمه الله.

ويقول القرطبي: «ما يعلم على القطع والبتات من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كل المشايخ جيلاً فجيلًا الى العصر الكريم الى رسول الله ﷺ وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المد والإدغام، والإظهار وغير ذلك من كيفية القراءة» (١).

وأصل هذه المقامات والأوزان المحدثة من الغناء الفارسي، فهي دخيلة على الترتيل المأمور به في تلاوة القرآن ولا صلة لها بعلم القراءات ولا بقواعد التجويد.

وما ورد عن النبي ﷺ من التغني بالقرآن فإنه ليس من هذه الألحان المحدثة المنكرة بشيء، وانما المراد به تحسين الصوت وتحقيق اللفظ، وحفظ الحروف ومراعاة الوقوف، مع استشعار الخوف، والتأمل والتفكر على ما رواه أئمة القراءة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

معرفة الكيفية

«لا تعطني كل يوم سمكة، ولكن علمني كيف أصطاد السمك»، ينطبق هذا المثل على واقع المجتمعات المتحضرة التي أوجدت مكانة لنفسها على الصعيد الدولي، ونجحت في الحصول على مصادر جديدة للتنمية والرقي غير الموارد التقليدية كالنفط او غيرها.

فريادة هذه المجتمعات لم تأت من فراغ، وإنما من الجدية والمثابرة والإبداع والاجتهاد في الابتكار والاختراع، حتى صار غيرنا يسوسون العالم بأدمغتهم وأفكارهم بغض النظر عن نفعها أو ضرها.

ولعل أهم نتاج إبداعاتهم هو معرفة الكيفية في إنتاج أي شيء، حيث اتخذوا من «المعرفة للجميع» شعارا، وعرفوا أن قيمتهم مرهونة بإنتاجهم، وتيقنوا أن حياتهم متوقفة على ذكائهم المعلوماتي.

لذا فإن معرفة الكيفية باتت المحور الأساسي اليوم في المنظومة الحياتية للمجتمعات المتقدمة، وصارت أهميتها تفوق أهمية رأس المال أو المواد أو العمالة، لاسيما أن أرقام الأمم المتحدة تشير إلى أن اقتصادات المعرفة تستأثر الآن بـ٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وتنمو بمعدل ١٠٪ سنويا.

المتأمل في التجارب القائمة يجد أن الواقع المضيء والمستقبل المشرق يتمحور حول الاختراع والابتكار أو بالأحرى يعتمد على «اقتصاد المعرفة»، فثورة المعلومات تشكل أساس الإنتاج بحيث زاد الاعتماد بصورة واضحة على المعلومات والمعارف حتى صار أكثر من ٧٠٪ من العمال في الاقتصادات المتقدمة هم عمال معلومات، فالعديد من عمال المصانع صاروا يستخدمون رؤوسهم أكثر من أيديهم.

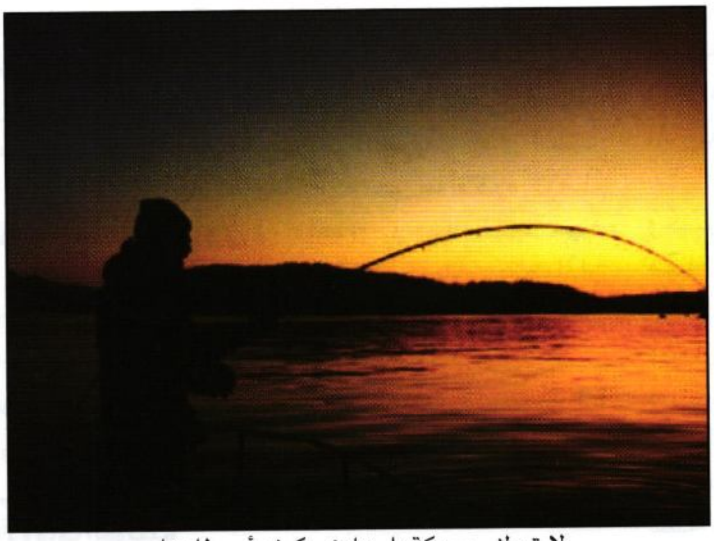
إن مجتمعاتنا أحوج ما تكون في الوقت الراهن إلى عمال معلومات وأدمغة معارف لا عقول حافظة وجوارح مستهلكة، فمعرفة الكيفية في إنتاج أي شيء في هذه الحياة هو سلاحنا اليوم لمواجهة تحديات العولمة التي لا تعترف بالتاريخ، ولا تحترم الخصوصية، ولا تقدر الثقافات.

والمعرفة المطلوبة هي كيفية تطبيق المعلومات والمفاهيم على عمليات الإنتاج في اقتصاد المعرفة، فالعامل الذي يتعلم مرة واحدة مهارة على أساس المعرفة يكون قد تعلم في الوقت ذاته شيئا آخر مهمًا، وهو أنه تعلّم كيف يتعلّم، والطالب بالجامعة ليس ذلك الطالب الذي يكدّس المعلومات، وإنما الطالب الذي يكتسب مفاتيح العمل في عصرنا ليعمل بطريقة أكثر ذكاء.

في الحقيقة تستحق ثقافة «كيف» من مؤسساتنا ومعاهدنا أن تنشرها وتدرسها وتنميها في مجتمعاتنا الفقيرة علميا، والمتقدمة ماديا وبشريا، وبالتالي فإن مسؤولية الجميع تتركز في اخراج جيل فريد من نوعه قادر على استعادة مكانة أمتنا الاسلامية مرة اخرى من خلال قيادة البشرية بثقافة «كيف» التي أصلها الإسلام في الجيل القرآني الاول مصداقا لقوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)

إن مفهوم المعرفة ليس بجديد على الإسلام لما يمثله العلم من محور رئيس في أدبياته الأساسية، ولكن المشكلة الرئيسة تكمن في تخلي أبناء هذا الدين عن المعرفة والعلم، وعدم استغلال عقولهم في إيجاد الكيفية المناسبة لعالم السعادة الحقيقي.

فإذا خرج المسلمون من سباتهم العميق، واستغلوا أدمغتهم في بسط الخيرية في أرجاء الحياة، فستعيش البشرية حياة سوية بعيدة عن الحروب والصراعات والإفساد، لأن الإسلام ببساطة يمثل حقيقة معرفة خالق الأكوان.. والله ولي التوفيق.



لا تعطني سمكة بل علمني كيف أصطادها

علمُ مختلفِ الحديث

نورالدين مسعي

مما لا يخفى أنّ علمَ الحديث الشّريف من أجلّ العلوم وأعظمها؛ إذ هو قاعدةُ معارف الشّريعة جميعها، وعليه تبنى أصولُ الدّيانة وفروعُها، وإليه تستندُ في صدورها وورودها؛ ولولاهُ لقالَ مَنْ شاءَ ما شاءَ، ولخبطَ النّاسُ خبْطَ عَشْواءَ، وهو أنواعٌ كثيرةٌ، وأصنافٌ عديدةٌ؛ منها ما يتعلّقُ بقبول الحديث وردّه، ومنها ما يتعلّقُ بفقهه وفهمِه، ومنها ما يتعلّقُ بغير ذلك من لطائفه ودقائقه.

وإنّ منْ أهمّ فنونه ما اجْتمَع فيه الأثرُ والنّظرُ، واصْطَحبَ فيه العقلُ والنّقل، وكان مشتركًا بينه وبين غيره من العلوم؛ لعُموم نفعه، وعظيم الحاجَة إليه عندَ المحدّثَ وغيره؛ كعلمَ مُختلَفَ الحَديث، وكيفيّة الجمع والتّوفيق بين ما ظاهرُه الاختلافُ والتّعارضُ من نصوصه، ومعرفة راجحه من مَرْجُوحه؛ فإنّه علمٌ يُبحثُ في الفقه وأصولِه، كما يُبحثُ في الحديث وعلومه؛ فالأصوليّون يتناولُونَه تقعيدًا وتقريرًا ضمنَ باب التّعارض والتّرجيح بين الأدلّة الشّرعيّة، والفقهاءُ يلجأونَ إليه عملًا وتطبيقًا عند مُعالجة المسائل الخلافيّة، والمحدّثون جمعُوا بين الطّريقتين؛ إذ أصّلُوا قواعدَه وقرّرُوها في كتبِ أصول الحديث ومصطلحه، وطبّقُوا تلك القواعدَ وعملُوا بها في كُتب الشّروح الحديثيّة وغيرها؛ بل أفردُوا له كتبًا خاصّةً؛ تُعرفُ بكتب «اختلاف الحديث»، أو «مُختلَف الحديث».

أوّلًا: تعريفُ مختلَف الحديث

١- تعريفُ المختلف لغة

المختلفُ في اللّغة مأخوذٌ من الاختلاف؛ مصدرُ الفعل «اخْتلَفَ»، ومثلُه التّخالفُ، والاختلافُ ضدُّ الاتّفاق يقالُ: تخالَفَ القومُ واخْتلَفُوا: إذا ذهبَ كلُّ واحد منهم إلى خلاف ما ذهبَ إليه الآخرُ، وتخالَفَ الأمْران واخْتلَفا: لم يَتّفقا، وكلُّ ما لم يَتساوَ؛ فقد تَخالف واخْتلَفَ(١).

ومنه قولُه تعالى: ﴿إنّكُمْ لَفي قَوْلٍ مُخْتَلف﴾ (الذاريات: ٨)؛ أي في قولٍ مُتناقضٍ في محمّد ﷺ؛ فبعضُكم يقولُ: إنّه شاعرٌ، وبعضُكم يقولُ: إنّه ساحرٌ، وبعضُكم يقول: إنّه مجنونٌ(٢).

وقد اختلفَ المحدّثون في ضبط كلمة «مختلف»؛ فمنهم- وهم الأكثر- على أنّه بضمّ الميم وكسر اللّام؛ فهو اسمُ فاعلٍ من اختلفَ، والإضافةُ بمعنى «منْ»؛ أي: المختلفُ من الحديث، ومنهم من ضبطه بضمّ الميم، وفتح اللّام؛ على أنّه مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الاختلاف، والإضافةُ على هذا بمعني (في) أي: الاختلافُ في الحديث(٣).

٢- تعريفُ المختلف اصطلاحًا

تباينتْ عباراتُ المحدّثين في تحديد التّعريف الاصطلاحيّ لمختلف الحديث، غيرَ أنّ التّعريفَ الّذي استقرّ عليه اصطلاحُهم هو ما ذكره الإمامُ النّوويُّ (٦٧٦هـ)- رحمه الله، حيثُ قال: «هو أن يأتيَ حديثان متضادّان في المعنى ظاهرًا فيُوَفّقُ بينهُما، أو يرجّحُ أحدُهما»(٤).

ومن خلال هذا التّعريف يتبيّن لنا أن الحديثَ لا يكونَ داخلًا في هذا النّوع من أنواع علوم الحديث إلّا إذا توافرتْ فيه ثلاثةُ شروط:

الأوّل: أن يكون الحديثُ معارِضًا في دلالته ظاهرًا لحديث آخَرَ.

الثّاني: أن يمكنَ الجمعُ أو التّرجيحُ بينَ هذين الحديثين.

الثّالثُ: أن يكونَ الحديثان المتعارضانِ من قسم الثّابتِ المقبولِ لا الضّعيف المردود؛ قالَ الحافظُ ابنُ حجر (٨٥٢هـ)- رحمه الله-: «وإنْ عُورض- يعني الحديثَ المقبولَ- فلا يَخلو إمّا أنْ يكونَ مُعارضُهُ مقبولًا مثلَه، أو يكونَ مَردودًا؛ فالثّاني لا أثرَ لهُ؛ لأنّ القويّ لا تُؤثّرُ فيه مُخالفةُ الضّعيف»(٥).

ويجدرُ التّنبيهُ إلى أنّ الأئمّةَ الّذين صنّفُوا في هذا الفنّ لم يتقيّدوا بهذا الشّرط، بل أوردُوا في كتبهم ما اختلفَ من الحديث ظاهرًا؛ وإنْ لمْ يكنْ معارضُه ثابتًا.

٣- الفرقُ بين مختلفِ الحديثِ ومُشكلِ الحديث

المُشكلُ لُغَةً: المُختلطُ والمُلتبسُ، يقالُ: أشْكلَ عليّ الأمرُ إذا اخْتلَطَ، وأشْكلَ الأمرُ: الْتبَسَ(٦).

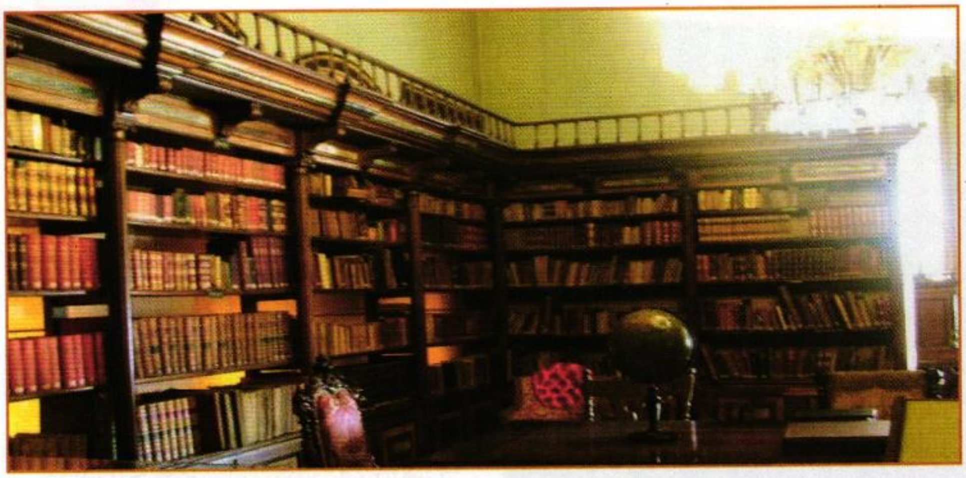
والمُشكلُ في اصْطلاح المحدّثينَ أشارَ إلى تعريفه الإمامُ أبوجعفر الطحاويُّ (٣٢١هـ) بقوله: «وإنّي نَظَرْتُ في الآثارِ الْمَرْوِيّة عنه ﷺ بالأسانيد الْمَقْبُولة التي نَقَلَهَا ذَوُو التّثَبُّتِ فيها وَالأمَانَة عليها وَحُسْنِ الأدَاء لها فَوَجَدْت فيها أشْيَاءَ ممّا يَسْقُطُ مَعْرِفَتُهَا وَالْعِلْمُ بها عند أكْثَر الناس؛ فَمَالَ قَلْبِي إلى تَأَمُّلِهَا وَتِبْيَانِ ما قَدَرْت عليه من مُشْكلها، وَمِنْ اسْتِخْرَاج الأحْكَام التي فيها، وَمِنْ نَفْي الإحَالات عنها»(٧).

ومن خلال هذا الكلام، وما جرى عليه عملُ الإمامِ الطّحاويّ وغيره

* باحث بإدارة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

علم مختلف الحديث نال اهتمام العلماء وعنايتهم قديماً وحديثاً

اعتنى المعاصرون بعلم مختلف الحديث وظهر ذلك جليًا في الأطروحات العلميّة للماجستير والدّكتوراه



ممّن صنّفَ في مشكل الحديث حاولَ غيرُ واحد من المعاصرينَ تعريفَه على صناعة الحدود، ومن أحسن ما وقفتُ عليه في ذلك قولُ من قال في تعريفه: «أحاديثُ مرويةٌ عن رسول الله ﷺ بأسانيدَ مقبولةٍ يوهم ظاهرُها معانيَ مستحيلة، أو معارضةً لقواعدَ شرعيّةٍ ثابتة»(٨).

ويمكنُ أن نقولَ في تعريفه: هو الحديثُ المقبولُ الذي يوهمُ ظاهرُهُ معانيَ مستحيلة، أو يُعارضُ أصلًا من الأصولِ الشّرعيّة.

وبهذا يتبيّنُ الفرقُ بين مختلف الحديث ومشكله، وهو أنّ الأولَ أخصُّ من الثّاني، وأنّ الثّانيَ أعمُّ من الأوّل؛ فكلُّ مختلف مشكلٌ، وليس كلُّ مشكلٍ مختلفًا؛ لأنَّ الإشكالَ- وهو الالتباسُ- يقعُ في مختلف الحديث بسببِ معارضة حديث لحديث آخرَ ظاهرًا؛ بينما يقعُ في الالتباسُ في مشكل الحديث بسببِ غموض معنى الحديث في نفسه أو استبعادِه عقلًا من غير معارضةٍ، أو بسببِ معارضة الحديث لآية من القرآنِ الكريم، أو لظاهرِ السُّنّة، أو للإجماعِ، أو للقياس(٩).

■ ثانياً: أقسامُ مختلف الحديث

قسم المحدّثون مختلف الحديث إلى قسمين(١٠):

الأوّل: أن يكونَ الحديثانِ المتعارضانِ ممّا يمكنُ الجمعُ بينهما؛ فيتعيّنُ ويجبُ العمل بقاعدةِ الجمعِ، ولا يُصارُ إلى غيرها؛ ذلك لأنّ الجمعَ فيه إعمالٌ للحديثين معًا، وإعمالُ الحديثينِ أولى من إهمالِ أحدهما.

قال الإمام الشّافعيُّ (٢٠٤هـ)- رحمه الله: «وكلّما احتَمل حديثان أن يستعمَلا معًا استُعملا معًا، ولمْ يُعطّل واحدٌ منهما الآخرَ»(١١).

وأمثلةُ هذا القسم كثيرةٌ، ومن أشهرها حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ» (١٢)، مع حديث عبدالرّحمن بن عوف أنّ رسول الله ﷺ قال: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»(١٣)، فالحديثُ الأوّلُ فيه نفيٌ صريحٌ للعَدْوى، والحديثُ الثّاني فيه إثباتٌ لها؛ بدليلِ نهيِه ﷺ عن إيراد المريض على الصحيح.

وقد سلك العلماءُ للتّوفيقِ بين هذين الحديثين مسالكَ مختلفةً(١٤)، منها ما ذكره الحافظُ أبوعمرو ابن الصّلاح (٦٤٣هـ)- رحمه الله، حيث قال: «وجهُ الجمع بينهما أنّ هذه الأمراضَ لا تُعدي بطبعها، ولكنّ اللهَ تبارك وتعالى جعل مخالطةَ المريض بها للصّحيح سببًا لإعدائه مرضَهُ، ثمّ قد يتخلّفُ ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب، ففي الحديثِ الأول: نفى ﷺ ما كان يعتقدُه الجاهليُّ منْ أنّ ذلك يُعدي بطبعه، ولهذا قال: «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟»، وفي الثاني أعلمَ بأنّ اللهَ سبحانه جعلَ ذلك سببًا لذلك، وحذّرَ من الضّررِ الذي يغلبُ وجودُه عند وجودِه؛ بفعلِ اللهِ سبحانه وتعالى»(١٥).

الثّاني: أن يتعارضَ الحديثانِ بحيثُ لا يمكنُ الجمعُ بينهما.

وهذا القسمُ على ضربين:

أحدُهما: أن يُعرفَ المتأخّرُ منهما، ويظهرَ كونُ أحدهما ناسخًا للآخر؛ فيعملُ بالناسخ، ويتركُ المنسوخُ.

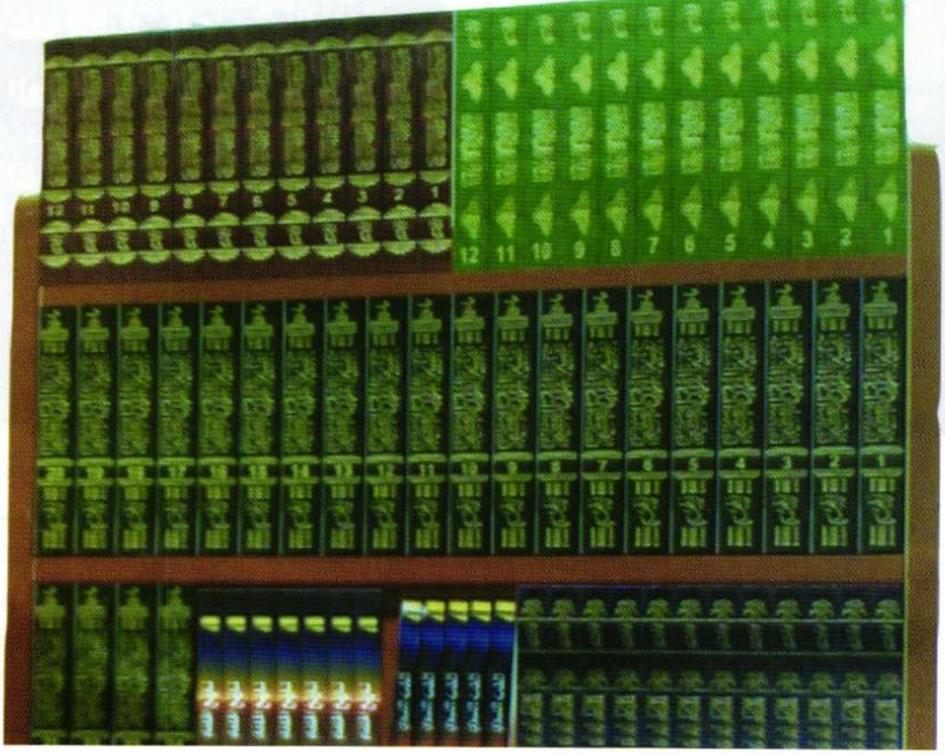
والثّاني: ألّا يُعرفَ المتأخّرُ، ولا يقومَ دليلٌ على النّسخ؛ فيصارُ- حينئذ- إلى التّرجيح بينهما، ويُعملُ بالأرجحِ والأثبت منهما.

وإلى هذه الأقسام أشارَ الحافظُ العراقيُّ (٨٠٦هـ)- رحمه اللهُ- في (ألفيّته)(١٦) بقوله:

وَالمَتْنُ إِنْ نَافَاهُ مَتْنٌ آخَرُ
وَأَمْكَنَ الجَمْعُ فَلَا تَنَافُرُ
كَمَتْنِ لَا يُورِدُ مَعْ لَا عَدْوَى
فَالنَّفْيُ لِلطَّبْعِ، وَفِرَّ عَدْوَا
أَوْ لَا فَإِنْ نَسْخٌ بَدَا فَاعْمَلْ بِهِ
أَوْ لَا فَرَجِّحْ وَاعْمَلَنْ بِالأَشْبَهِ

هذا، ووجوهُ التّرجيح كثيرةٌ، ذكر منها الإمامُ الحازميُّ (٥٨٤هـ) في «الاعتبار» خمسينَ وجهًا(١٧)، وأوصلها الحافظ العراقيُّ إلى مائة وعشرة أوجه(١٨)، ولخّصها الحافظُ السّيوطيُّ (٩١١هـ)، وجعلها سبعةَ أقسام: الترجيحُ بحال الرّاوي، والتّرجيحُ بالتّحمّل، والتّرجيحُ بكيفيّة الرّواية، والتّرجيحُ بوقت الورود، والتّرجيحُ بلفظ الخبر، والتّرجيحُ بالحُكم، والتّرجيحُ بأمر خارجيّ(١٩).

وإنْ لمْ يجدِ المجتهدُ مرجّحًا: توقّفَ



عن العملِ بأحدِ الحديثينِ حتّى يظهرَ لهُ وجهُ التّرجيحِ.

قال الحافظُ ابنُ حجر: «فصارَ ما ظاهرُه التعارضُ واقعًا على هذا الترتيب: (١) الجمعُ إنْ أمكنَ، (٢) فاعتبارُ النّاسخ والمنسوخ، (٣) فالتّرجيحُ إنْ تعيّنَ، (٤) ثمّ التّوقّفُ عنِ العمل بأحد الحديثين»(٢٠).

وزادَ الحافظُ ابنُ كثير (٧٧٤هـ)- رحمه الله- على التّوقّفِ أمرًا آخرَ، فقال: «أو يَهجُمُ فيُفتي بواحد منهما، أو يُفتي بهذا في وقت، وبهذا في وقت؛ كما يفعلُ أحمدُ في الرواياتِ عنِ الصّحابة»(٢١).

■ ثالثًا: أهميةُ علم مختلف الحديثِ والفوائدُ المترتّبةُ على معرفته

١- أهميّةُ علم مختلَف الحديث

علمُ مختلفَ الحديثِ يعتبرُ من أجلّ أنواع فنون الحديث وأهمّها، وقد تتابعَتْ كلماتُ العُلماء والأئمّة في بيانِ مكانته، وعلوّ منزلته، وشدّةِ الحاجةِ إليه؛ فمِن غررِ أقوالهم:

أ- قولُ الحافظ ابنِ الصّلاح: «وإنّما يكملُ للقيام به الأئمّةُ الجامعونَ بين صناعتَي الحديث والفقه، الغوّاصونَ على المعاني الدّقيقة»(٢٢).

ب- قولُ الإمام النّوويّ: «هذا الفنُّ من أهمّ الأنواع، ويضطرُّ إلى معرفته جميعُ العلماء منَ الطّوائف»(٢٣).

ج- قولُ الإمام السّخاويّ (٩٠٢هـ): «وهو من أهمّ الأنواع؛ يضطرُّ إليه جميعُ الطّوائف من العلماء، وإنّما يكملُ للقيام به من كانَ إمامًا جامعًا لصناعتَي الحديث والفقه، غائصًا على المعاني الدّقيقة»(٢٤).

د- قولُ الإمام السّيوطيّ في ألفيّته(٢٥):

فَهْوَ مُهمٌّ وجميعُ الفرَق
في الدّينِ تَضْطَرُّ لَهُ فَحَقِّقِ
وَإنَّمَا يَصْلُحُ فيه مَنْ كَمُلْ
فقهًا، وَأَصْلًا، وحديثًا، واعْتَمَلْ

هذا العلمَ خادمٌ لجُملةٍ من علومِ الإسلامِ المهمّةِ كالعقيدةِ والفقهِ والحديثِ ولهذا لا يستغني عنه العلماءُ على اختلافِ تخصّصاتِهم

٢- الفوائدُ المترتّبةُ على معرفته

ممّا سبق يتبيّن لنا أنّ علمَ مختلف الحديث يشتملُ على فوائدَ عديدةٍ نذكرُ منَ أهمّها:

أ- أنّ هذا العلمَ خادمٌ لجُملة من علوم الإسلام المهمّة كالعقيدة والفقه والحديث، ولهذا لا يستغني عنه العلماءُ على اختلاف تخصّصاتهم.

ب- أنّ هذا الفنَّ يُتوصّلُ به إلى فهم السنّة النبويّة فهمًا سليمًا، واستنباطَ الأحكام منها استنباطًا صحيحًا، ولولاه لالتبستَ السنّةُ على النّاظرِ فيها، ولم يهتد إلى وجه الصّواب في تفسيرِ ما ظاهرُهُ الاختلافُ من نصوصها.

ج- أنّه يُسهمُ إسهامًا كبيرًا في الرّدّ على الطّاعنينَ في السنّةِ الغرّاءِ من أعداءِ الإسلام، الزّاعمينَ وقوعَ الاضطرابِ والتّناقضِ في حديثِ سيّدِ الأنام ﷺ.

د- أنّه يكشفُ اللّبسَ الّذي قد يقعُ للمسلم في أبواب العقيدة أو الفقه بسببِ توهّم الاختلاف بينَ الأحاديث.

هـ- أنّه يُساعدُ الباحثَ على التّرجيح بين الأقوالِ والمذاهبِ في المسائل الخلافيّة.

■ رابعًا: أشهرُ المصنّفاتِ في مختلف الحديث:

اعتنى العلماءُ قديمًا وحديثًا بالتّصنيف في علم مختلف الحديث، ويمكنُ تقسيمُ مُصنّفاتهم في ذلك إلى قسمين: مصنّفات العلماء السّابقين، والرّسائلِ العلميّةِ الجامعيّةِ للمعاصرينَ.

مصنّفاتُ العلماءِ السّابقينَ:

١- «اختلافُ الحديث»: لمحمّد بنِ إدريسَ الشّافعيّ (٢٠٤هـ). قال الحافظُ العراقيّ: وأوّلُ مَنْ تكلّمَ فيه الإمامُ الشافعيُّ في كتابهِ «اختلافُ الحديثِ» (٢٦).

٢- «تأويلُ مختلف الحديث»: لعبدِ الله بن مسلم بنِ قُتيبةَ الدِّينَوَريّ (٢٧٦هـ)، ولم يقتصرْ فيه على مختلف الحديث، بل ذكرَ فيه مشكلَ الحديث أيضاً(٢٦). قال الإمامُ النّوويّ: «ثمّ صنّفَ فيه ابنُ قتيبةَ فأتى بأشياءَ حسنة وأشياءَ غيرِ حسنة؛ لكونِ غيرها أقوى وأولى، وتركَ مُعظمَ المختلف»(٢٨).

٣- كتابُ عثمانَ بنِ سعيد الدّارميّ (٢٨٠هـ). قال الحاكمُ النيسابوريّ (٤٠٥هـ): «وقد صنّف عثمانُ بن سعيد الدراميُّ فيه كتابًا كبيرًا»(٢٩).

٤- كتابُ زكريا بن يحيى السّاجيّ (٣٠٧هـ)(٣٠).

٥- «تهذيبُ الآثار»: لمحمّدِ بنِ جريرٍ الطبريّ (٣١٠هـ)(٣١).

٦- «شرحُ معاني الآثار» لأحمد بن محمّد بن سلامة الطّحاويّ (٣٢١هـ).

٧- «شرحُ مُشكلِ الآثار» للطّحاويّ كذلك. قال الحافظُ السّخاويُّ: «وهُو من أجلِّ كتبِه، ولكنّه قابلٌ للاختصارِ غيرَ مستغنٍ عنِ التّرتيبِ والتّهذيب»(٣٢). وهو شاملٌ لمختلف الحديث ومشكله.

٨- «الآثارُ الّتي ظاهرُها التّعارُض، ونفيُ التّناقض عنها»: لعليّ بن أحمد بنِ حزم الأندلسيّ (٤٥٦هـ). قال الحافظُ الذّهبيُّ (٧٤٨هـ): «يكونُ عشرةَ آلافِ ورقة، لكنْ لم يتمّه!» (٣٣).

٩- «المغيثُ في مختلف الحديث»: للشيخ محمود بن طاهر(٣٤). قال الصِّدّيقُ حسن خان: «وكتابُ «المغيث في مختلف الحديث» حَسَنٌ بَسَنٌ، نموذجًا في هذا الباب» (٣٥).

ب- الرّسائلُ العلميّةُ الجامعيّةُ

اعتنى المعاصرون بعلم مختلف الحديث، وظهر ذلك جليًّا في الأطروحاتِ العلميّةِ للماجستير والدّكتوراه، ويمكنُ تقسيمُ الرّسائلِ المقدّمة في ذلك إلى قسمين:

الأوّل: أطروحاتٌ علميّةٌ في مختلف الحديث عمومًا؛ دونَ التّقيُّد بشخصيّة معيّنة؛ كأطروحة الدُّكتور أسامة بن عبدالله الخيّاط: «مختلف الحديث بين المحدّثين والأصوليين الفقهاء».

الثّاني: أطروحاتٌ علميّةٌ في مختلف الحديث عند إمام من الأئمّة؛ الّذين كانتْ لهم في تصانيفهم عنايةٌ بمختلف الحديث، ولكن لم يُفردُوهُ بالتّصنيف؛ كالشّافعيّ، وأحمدَ (٢٤١هـ)، وأبي بكر الأثرم (٢٦١هـ)، وابنِ خزيمةَ (٣١١هـ)، والطّحاويّ، وابن حبّانَ (٣٥٤هـ)، وابنِ حزم، وابنِ عبدالبر(٤٦٣هـ)، والنّوويّ، وابنِ القيّمِ (٧٥١هـ)، وابنِ حجرٍ، وغيرهم.

ولا يزالُ البابُ مفتوحًا أمامَ الباحثينَ للإضافةِ في هذا القسمِ من الأطروحاتِ العلميّة؛ بدراسةِ مختلفِ الحديثِ عند غيرِ واحدٍ من الأئمّةِ الذي لم يتمّ دراسةُ جهودهم في هذا العلم، وبالله التّوفيقُ.

المراجع

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (خلف) (٩١/٩)، «المصباح المنير» للفيّوميّ (خلف) (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: «فتح القدير» للشّوكانيّ (١١٨/٥) .

(٣) انظر: «شرح نخبة الفكر» للملا علي القاري (ص٣٦٣)، «الوسيط في علوم ومصطلح الحديث» (ص٤٤١) لأبي شهبة.

(٤) «تقريب النّواويّ» مع شرحه «تدريب الرّاوي» للسيوطيّ (١٩٦/٢). فائدة: يقابلُ مختلفَ الحديث عند المحدّثين: المُحْكَمُ، وهو الحديثُ المقبولُ الّذي سلِم منَ المعارضة. انظر «نزهة النّظر» (ص ١٦)، «منهج ذوي النّظر» (ص٢١٠).

(٥) «نزهة النّظر شرح نخبة الفكر» (ص ٢١٦)، وانظر «معرفة علوم الحديث» للحاكم النيسابوريّ (ص ١٨٦).

(٦) انظر: «لسان العرب» (شكل) (٣٥٧/١١)، «القاموس المحيط» للفيروزاباديّ (شكل) (١٣١٧) .

(٧) « شرح مشكل الآثار» (٦/١).

(٨) « مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء» لأسامة خيّاط (ص ٣٢).

(٩) انظر: «أبوجعفر الطحاوي وأثره في الحديث» لعبدالمجيد محمود (ص ٢٧٤)، «الوسيط في علوم ومصطلح الحديث» (ص ٤٤٢-٤٤٣)، «مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء» (ص ٣٣-٣٩).

(١٠) انظر: «معرفة أنواع علوم الحديث» (المقدّمة) لابن الصّلاح، مع « التقييد والإيضاح» للعراقي (ص ٢٤٤)، «نزهة النّظر» (ص ١٦-١٨)، «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للسّخاويّ (٤٧١/٣-٤٧٥)، «تدريب الرّاوي» (١٩٧/٢-١٩٨).

(١١) «اختلاف الحديث» (ص/ ٤٨٧)

(١٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(١٣) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١).

(١٤) انظرها بالتّفصيلِ في: «فتح الباري» لابن حجر (١٥٩/١٠-١٦٢).

(١٥) «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص ٢٤٤)، وهذا الجمع الذي ذهب إليه الحافظُ ابنُ الصّلاح رجّحه ابنُ العربي في «عارضة الأحوذي» (٣١١/٨-٣١٢)، والنّوويُّ في «شرح مسلم» (٢١٣/١٤-٢١٤)، وابنُ القيم في «تهذيب السّنن» (٣٧٥/٥)، والعلامة أحمد شاكر في «الباعث الحثيث» (٤٨٤/٢) ؛ مؤيّدا ذلك بما توصّل إليه الطبُّ الحديثُ، والله أعلم.

(١٦) (٤٧٠/٣-٤٧٥) مع شرحها: «فتح المغيث».

(١٧) انظر: «الاعتبار في بيان النّاسخ والمنسوخ من الآثار» (ص ٩-٢٢).

(١٨) انظر: «التقييد والإيضاح» (٢٤٥-٢٥٠).

(١٩) انظر: «تدريب الرّاوي» (١٩٨/٢-٢٠٢).

(٢٠) «نزهة النظر» (ص ١٧-١٨)، وانظر: «فتح المغيث» (٤٧٥/٣).

(٢١) «اختصار علوم الحديث» مع شرحه «الباعث الحثيث» (٤٨٢/٢).

(٢٢) «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص ٢٤٤).

(٢٣) «تدريب الرّاوي» (١٩٦/٢).

(٢٤) «فتح المغيث» (٤٧٠/٣).

(٢٥) (ص ٢٠٨) مع شرحها: «منهج ذوي النّظر في شرح منظومة علم الأثر» للتّرمِسيّ.

(٢٦) «شرح التبصرة والتذكَرة» (ص ٣٣٦).

(٢٧) انظر: «تأويل مختلف الحديث» (ص ٨٧).

(٢٨) «تدريب الرّاوي» (١٩٦/٢).

(٢٩) «معرفة علوم الحديث» (ص ١٩٥).

(٣٠) ذكره الكتّاني في «الرسالة المستطرفة» (ص ١٥٨).

(٣١) انظر: «فتح المغيث» (٤٧٠/٣)، «الرسالة المستطرفة» (ص/١٥٨).

(٣٢) «فتح المغيث» (٤٧٠/٣).

(٣٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩٤/١٨). وانظر: «فتح المغيث» (٤٧١/٣).

(٣٤) ذكرهُ إسماعيل باشا في: «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» (٥٢٠/٤)، وقال: «تاريخ كتابة النسخة سنة أربعين ومائتين وألف».

(٣٥) «الحطة في ذكر الصّحاح الستّة» (ص ١٢٤).

مُساجلات الأقران

بين الإمامين أبي الحسن الأشعريّ وأبي عليّ الجبّائيّ المعتزليّ في مسألة تعليل الأحكام الشرعيّة والأمر والنهيّ

د. الطاهر الأزهر خذيري

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرِض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كلّ ذلك بِغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجودة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلّم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقّفين للتأمُّل وطول التدبُّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنّفوس من الخلل والتأثّر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُساجَلة: أن يَستَقيَ ساقيان فيُخْرجُ كُلُّ واحد منهما في سَجْله مثل ما يُخْرج الآخر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب. فضربتْه العربُ مثلًا للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلان يُساجِل فلانًا، فمعناه: أنه يُخْرج من الشَّرَف مثلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجال».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفةُ، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتةٌ، فمنها ما يرفع أهْلَه ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضّعَة، ويُخمِلُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد مِمّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئَن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العلْم، وسَعَةَ الاطّلاع، وجوْدَةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

التحرير

أبوالحسن الأشعري: هو الإمام عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ؛ أبي موسى عبدالله بن قيس بن حضار، الأشعريّ اليماني البصري.

وُلد سنة ستين ومائتين، وكان عجبًا في الذكاء وقوة الفهم، برع في بداية عمره في معرفة الاعتزال، ثم أنعم الله عليه فكرهَه وتبرّأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يردّ على المعتزلة ويهتك عُوارهم، ولقد كانت المعتزلة ترفع رؤوسها حتى نشأ الأشعريّ فحَجَرهم في أقماع السمسم؛ كما قيل.

ومن عمقه ودقة كلامه؛ قال ابن الباقلّانيّ: أفضل أحوالي أنْ أفهم كلام الأشعري، وقال الذهبي في السير: «ولأبي الحسن ذكاءٌ مفرط، وتبحّرٌ في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيفُ جمّةٌ؛ تقضي له بسَعة العلم»، ثم قال: «رأيت للأشعريّ كلمةً أعجبتني، وهي ثابتة رواها البيهقيّ، سمعت أبا حازم العبدويّ، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لمّا قرُب حضور أجل أبي الحسن الأشعريّ في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشْهَد عليّ أني لا أكفّر أحدًا من أهل القبلة؛ لأن الكلّ يشيرون إلى معبود واحد، وإنّما هذا كلّه اختلاف العبارات».

وأمّا الجُبّائي فهو شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، أبو عليّ، محمد بن عبدالوهاب البصري؛ مات بالبصرة سنة ثلاث وثلثمائة، كان على بدعته متوسّعًا في العلم، سَيّال الذّهن، غفر الله له ورحمه وعفا عنه.

نصّ المناظرة

جاء في وفيات الأعيان (٢٦٧/٤) وغيره أنّ أبا الحسن الأشعريّ سأل أستاذه أبا علي الجبائيّ عن ثلاثة إخوة.. أحدهم كان مؤمنًا برًّا تقيًّا، والثاني كان كافرًا فاسقًا شقيًّا، والثالث كان صغيرًا، فماتوا فكيف حالهم؟

فقال الجبّائي: أمّا الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة.

فقال الأشعريّ: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟

فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنتُ أعلم أنك لو بقيتَ لعصيْتَ وصرتَ مستحقًّا للعذاب الأليم، فراعيْتُ مصلحتَك.

فقال الأشعري: فلو قال الكافر: يا إله العالمين، كما علمتَ حاله فقد علمتَ حالي، فلِمَ راعيْتَ مصلحته دوني؟

فقال الجبائي للأشعري: إنك لمجنون! فقال: لا؛ بل وقف حمار الشيخ في العقبة؛ وكان فيه دعابة ومزح كثير، يرحمه الله، فانقطع الجبائيّ.

قال ابن العماد: «وفي هذه المناظرة دلالةٌ على أنّ الله تعالى خصّ من شاء برحمته، واختصّ آخر بعذابه».

قال محقّق كتاب سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٤) بعد سياقه المناظرة في الأصل: «أوْرَد هذه المناظرةَ السبكيّ في طبقاته (٣٥٦/٣) وقال: هذه مناظرةٌ شهيرةٌ، وقد

حكاها شيخُنا الذّهبيّ، وهي دامغةٌ لأصل مَن يقلّده؛ لأنّ الذي يقلّده يقول: إنّ الله لا يفعل شيئًا إلاّ بحكمة باعثة له على فعْله، ومصلحة واقعة، وهو من المعتزلة في هذه المسألة، فلو يدري شيخُنا هذا لأضْرَب عن ذكر هذه المناظرة صفحًا. قلت (المحقق): في كلام السبكيّ هذا مؤاخذاتٌ، فقوله «وهي دامغة لأصل مَن يقلّده» يعني به شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا محْضُ افتراء على الذّهبيّ؛ فإنّه وإن كان شديدَ الإعجاب به، كثيرَ التنويه بعلمه وفضله، قويّ الاعتداد بمنهجه القائم على الأخْذ بكتاب الله تعالى، وسنة رسولهَ الثابتة، والاعتصام بهما، وفهْمهما على النحو الذي فهمه السلَف؛ لم يكن معه على وفاقٍ تامّ، فأحيانًا يأخذ برأيه ويوافقه، وتارة يخطّئهُ ويردُّ عليه ويقسو في الرّدّ؛ شأنَ العالم المتبصّر المستقلّ الذي يرى أنّ كلّ أحد من أهل العلم يؤخذ من قوله ويُترك، فكان ماذا؟ وقوله: «وهو من المعتزلة في هذه المسألة»، فريةٌ بلا مرية، فإنّه -يرحمه الله- متابعٌ في هذه المسألة جمهورَ أهل السنة، والنّصوصُ الكثيرة الوفيرة تشهد لما انتهى إليه: فهل يكون مجانبًا للصواب، ومعدودًا من المعتزلة في هذه المسألة مَن يقول: إنّ لله تعالى حكمة تتعلّق به يحبّها ويرضاها، ويفعل لأجْلها، فهو سبحانه يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها، وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه، وقد لا يعلمون ذلك، والأمور العامّة التي يفعلها تكون لحكمة عامّة، ورحمة عامة؛ كإرساله محمّدًا ﷺ؛ فإنّه كما قالَ تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾، وما يُشاهَد في الوجود من الضرر، فلابد فيه من حكمة؛ كما قال تعالى: ﴿صنعَ الله الذي أتقن كل شيء﴾، وكما قال: ﴿الذي أحسن كل شيء خَلقه﴾، والضّرر الذي تحصل به حكمةٌ مطلوبةٌ لا يكون شرًّا مطلقًا، وإن كان شرًّا بالنسبة إلى مَن تضرّر به، وكلّما ازداد العبد علْمًا وإيمانًا، ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يُبْهر عقله، وتَبَيّن له تصديقُ ما أخبر الله به في كتابه؛ حيث قال: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾، وقوله: «فلو يدري شيخنا هذا لأضْرب عن ذكر هذه المناظرة صفحًا» اتّهامٌ للذهبيّ شيْخه بسُوء الفهم، وله من ذلك غيرُ ما عبارة، والشيخ الذهبي ليس بحاجة إلى التدليل على جودة ذكائه، ووُفُور حفظه وفهمه للنصوص على الوجه الصحيح، وقدرته الفائقة على صوْغها بأسلوبه الواضح العَريّ عن الغموض والالتواء، فإنّ في كتابه هذا وغيره من مؤلفاته الكثيرَ من ذلك، ولكنّ السبكيّ -وهو لا يرى الحقّ إلاّ فيما انتهى إليه الأشاعرة- يتجاهل كلّ ما ذَكَرْتُ، ويَنْعَت شيخه بسوء الفهم، وأنّه يدوّن ما لا يدري، وأنّه لا خبرة له بمدلولات الألفاظ؛ بدافع الحقد والتعصّب، وبالرجوع إلى ما كُتب في مقدّمة هذا الكتاب (مقدّمة تحقيق كتاب سير أعلام النبلاء)، وإلى ما كتبه السّخاويّ في الإعلان بالتوبيخ ص٧٦،٧٧، يتبيّن للقارئ الكريم أنّ ما يقوله السبكيّ في حقّ شيخه الذهبيّ مرفوضٌ؛ لأنه صادرٌ عن هوى وتعصّب» انتهى كلام المحقق.

وقفةٌ مع موضوع المساجلة

يحسن- لفهم ما واجه به الإمام الأشعريّ شيخه الجبّائي المعتزليّ- أن نُعرّف الصلاح والأصلح، ثم نسوق، اختصارًا، خلافَ أهل السنة لغيرهم في تقرير المعتقَد الصحيح في هذه المسألة.

ورأي المعتزلة في الصلاح والأصلح ملخّصٌ في قول شيخهم النّظّام: «إن الله لا يقدر على أن يفعل بعباده خلافَ ما فيه صلاحهم، ولا يقدر أن ينقصَ من نعيم أهل الجنة ذرّة؛ لأنّ نعيمهم صلاحٌ لهم، ونقصان ما فيه صلاحهم ظلمٌ!!».

ويقول الشهرستاني- وهو يبيّن رأي المعتزلة في الصلاح والأصلح-: «وقالت المعتزلة: الحكيم لا يفعل فعلًا إلا لحكمة وغرض، والفعل من غير غرض سفه وعبث، والحكيم من يفعل لأحد أمرين: إما أن ينتفع أو ينتفع غيره، ولمّا تقدس الرب تعالى عن الانتفاع تعيّن أنه إنما يفعل لينفع غيره، فلا يخلو فعل من أفعاله من صلاح، ثم الأصلح هل تجب رعايته، قال بعضهم: تجب كرعاية الصلاح، وقال بعضهم: لا تجب؛ إذا الأصلح لا نهاية له، فلا أصلح إلا وفوقه ما هو أصلح منه...».

وأمّا الأصلح: فقد اختلفوا فيه، وجمهورهم يرون وجوبه على الله تعالى؛ لأنّ الأصلح- فيما يعتقدون- هو الغاية، وقد فعله الله بعباده، ولا شيء يُتوهم وراء الغاية.

وأمّا الذي يقرّره أهل السّنّة: فهو أنّ الله تعالى أمَر العباد بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وأنه تعالى يفعل بالعباد ما فيه صلاحهم؛ لا على سبيل الوجوب عليه، وذلك لأن الوجوب منفيّ عن الله تعالى؛ إذ المفهوم منه ما ينال تاركَه ضررٌ عاجلًا أو آجلًا، أو ما يكون نقيضه محالًا، وهذه كلّها لوازم يتنزّه الله عنها.

يقول ابن تيمية في معرض ردّه على من يقول بالوجوب على الله (اقتضاء الصراط١/٤٠٩): «وأمّا الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحريم بالقياس على خلقه؛ فهذا قول القدرية، وهو قول مبتدَعٌ مخالف لصحيح المنقول، وصريح المعقول. وأهل السنة متّفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربُّه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنّ العباد لا يوجبون عليه شيئًا؛ ولهذا من قال من أهل السنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئًا؛ كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، وهو الخالق لهم، وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم بالإيمان والعمل الصالح، ومن توهّم من القدرية والمعتزلة، ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر، فهو جاهل في ذلك، وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلةُ إليه إلا بما مَنّ به من فضله وإحسانه، والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه ليس من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه، فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك».

والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

قـزويـن

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإن من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالما طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقترن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرّفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثير من الباحثين، وأنا واحد من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

قَزْوِين: مدينة مشهورة حسنة، من أقدم المدن في إقليم الجبال، كانت معقلًا لأساورة الفرس والديلم، وصفها الإصطخريّ (ت ٣٤٦هـ) بأنّ عليها حصن، وداخلها مدينةٌ صغيرةٌ عليها حصنٌ، والمسجد الجامعُ في المدينة الداخلة، وماؤها من السماء والآبار، وليس بها نهرٌ إلا قناةٌ صغيرةٌ للشرب لا يفضلُ لزروعهم، وهي ثغر الديلم، وتكون نحو ميلٍ في ميل(١).

وقال المقدسي (ت نحو ٣٨٠هـ): مدينة كبيرةٌ كثيرةُ الكروم وعلى الربض حصنٌ...وهي ثغرُ الكورة، ومن معادن الفقه والحكمة (٢).

ولم يختلف وصفُ الإدريسي(ت ٥٦٠هـ)، وابن حوقل النصيبيّ (ت بعد ٥٨٠هـ)، وكذلك ياقوت الحَمَويّ (ت ٦٢٦هـ) لها(٣)، مما يدلُّ على أنها لم تتطور في تلك الفترة التي تقارب القرنين والنصف من الزمان.

ثم وصفَها القزوينيُّ (زكريا بن محمود ت ٦٨٢هـ) وهو من أهلها، وأفاضَ في وصفها، من ذلك أنه قال: «قزوين مدينة كبيرةٌ مشهورةٌ عامرة في فضاء من الأرض، طيّبةُ التربة، واسعةُ الرقعة، كثيرةُ البساتين والأشجار، نزهة النواحي والأقطار، بُنيَت على وضع حسن لم يُبنَ شيءٌ من المدن مثلها.

وهي مدينتان: إحداهما في وسط الأخرى، والمدينةُ الصغرى تسمّى شهرستان، لها سورٌ وأبواب، والمدينةُ الكبيرةُ محيطةٌ بها، ولها أيضًا سورٌ وأبواب، والكرومُ والبساتينُ محيطةٌ بالمدينة العظمى من جميع الجوانب، والمزارعُ محيطةٌ بالبساتين، ولها واديان؛ أحدُهما وادي درج، والأخرى وادي اترك»، ثم رسمَ صورةَ المدينة(٥).

وقال: «وبين قزوين وبين الديلم جبلٌ كان ملوكُ الفرس يجعلون عليه رابطةً إذا لم يكن بينهم هدنة، وذلك الجبل هو الحاجزُ بين القزاونة والإسماعيليّة، أحدُ جانبَيه لهؤلاء والجانبُ الآخرُ لهؤلاء»(٦).

وقد كانت منذ أقدم الأزمنة موضعا جليلًا؛ تحرس الدروبَ المخترقةَ من إقليمَ طبرستان، وتؤدي إلى شطآن بحر قزوين، وكانت البقاعُ الجبليّةُ في الشمالِ الغربيّ تؤلّفُ منذ القدَم قسمًا من بلاد الديلم، وكانت وقتًا ما مستقلةً استقلالًا داخليًا، فلم تخضع لحكم العباسيين.

وكانت قزوين في ذلك العصر أهمّ ثغرٍ للمسلمين في تلك الناحية.

وقد ذكرَها الذهبيُّ في كتابه «الأمصار ذوات الآثار»(٧) وقال: «ذُكِرَت في المائة الثالثة، وخرجَ منها محمدُ بنُ سعيد بن سابق...» ثم ذكرَ بعضَ أشهر علمائها.

وأوّلُ من استحدثَها سابور ذو الأكتاف، وبقيت معقلا لأساورة الفرس والدّيلم، إلى أن جاءت الفتوحات الإسلامية؛ ففتحت في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وكان الصحابيُّ الجليلُ البراء بن عازب ﷺ أوّلَ والٍ عليها، وذلك سنة أربع وعشرين من الهجرة (٢٤هـ).

ومنذ ذلك الحين دخلها الإسلام واستوطنها الفاتحون العرب، وتسرّب إليها اللّسان العربي، وما كاد يطل القرن الثالث الهجري حتّى اكتسبت قزوين شهرة كبيرة في علم الحديث، وبرز فيها عدد كبير من المحدّثين، فصارت بذلك- كما قال ابنُ خلّكان- «من أشهر مدن عراق العجم، وخرج منها جماعة من العلماء المعتبرين»(٨).

وقد بلغ من مكانة قزوين واتّساع الحركة العلمية فيها أن خصّها بعض أبنائها بالتأريخ لها، والترجمة لأعيانها وعلمائها، منهم: الخليل بن عبدالله، أبويعلى القزويني (ت ٤٤٦هـ)، حيث ألّفَ كتابَه «تاريخ قزوين»، وكتابُه لا يُعرف له أثر، وأشهر الكتب المؤلّفة عن قزوين هو كتابُ الحافظ عبدالكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٢هـ) الذي أسماه: «التدوين في أخبار قزوين»، ألّفَه لمحدّثي قزوين، ولمن سكنَها وحدّثَ بها، وهو مطبوع.

وظلّت قزوين على ازدهارها وعمرانها إلى مطلع المائة السابعة، حيثُ نالها ما نالَ الحواضرَ الإسلاميةَ الأخرى من الخراب

والدمار على أيدي المغول، فخرّبوها، وبعد ذلك بمائة سنة كتبَ عنها المستوفي (وهو حمدالله المستوفي القزويني) في تاريخه(٩) الذي ألفه في عام ٧٣٠هـ، وأفاضَ في الحديث عنها، اقتبسَ بعضَه مما يتناقلُه الناس فيها، وكلامُه يدلُّ على أنّ المدينةَ كانت قد استعادَت ازدهارَها في عهده.

وقد رُويَت أحاديثُ مرفوعةٌ في فضائلِ قزوين ولا يصحُّ شيءٌ منها، ذكرَ بعضَها القزوينيُّ في «آثار البلاد»(١٠)، كما ذكرَ أمورًا خرافيةً أخرى تخصُّ هذه المدينة.

وتقعُ قزوين- الآن- على نحو تسعين ميلا (١٥٤،٨٤٠ كم تقريبا) شمال غربي مدينة طِهْران، على الطريق المؤدّية من طهران إلى تبريز، على السفوح الغربيّةَ الجنوبية من جبال «البرز» بإيران، ويبلغ عددُ سكانها حوالي ٢٠٠ ألف نسمة.

وقد خرجَ من مدينةِ قزوين علماءُ أجلاء كثيرون، قال الحموي: «ويُنسب إلى قزوين خلقٌ لا يُحصون...» ثم ذكرَ بعضَهم.

وأشهرُ المنتسبين إلى هذه المدينة هو الإمامُ الحافظُ محمّد بن يزيد الرّبَعي مَوْلَاهم، أبوعبدالله ابن ماجَه القَزْويني (ت ٢٧٣هـ).

وُلد الإمام ابنُ ماجَه سنةَ تسع ومائتين للهجرة، في مدينة قزوين؛ وبدأ في طَلَب العلمَ، ورحلَ إلى الأقاليم المختلفة، والمراكز العلميّة القريبة والبعيدة؛ لكَتْب الحديث وجمعه، والأخذ عن علماء الحديث وأئمّته، وكانت بداية رحلته بعد الثلاثين ومائتين، وهو في الثانية والعشرين من عمره، وكان رحمه الله من الأئمّة الرّحالين الذين توسّعوا في الرّحلة وأكثروا منها؛ حتّى قال عنه الإمام المزّيّ: «ذو التّصانيف النّافعة، والرّحلة الواسعة»(١٢).

ومن المدن التي ذكروا أنه رحل إليها: خراسان، والرّي، والبصرة، والكوفة، وبغداد، والشام، ومكة، والمدينة، ومصر، وغيرها من الأمصار(١٣).

ثم بعد رحلة شاقّة استغرقت أكثر من خمسة عشر عامًا عاد ابنُ ماجه إلى قزوين، واستقرّ بها، منصرفًا إلى التّأليف والتّصنيف، وروايةِ الحديث بعد أن طارتْ شهرتُه في الآفاقِ، وقصده الطّلابُ من كلِّ مكانٍ.



وشيوخه رحمه الله خلقٌ كثيرون، قال الحافظ المزّي: «سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام وغيرها من البلاد جماعةً يطول ذكرهم»(١٤). وقال الحافظ ابن كثير: «وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل»(١٥).

وقد حاول بعض المعاصرين استقصاء شيوخه؛ فقال: «وقد استقصيت في كتابي «الإمام ابن ماجه وعلم الحديث»- وهو باللغة الأردية- أسماء شيوخ ابن ماجه الذين روى عنهم في سننه وتفسيره، ورتبتهم على بلادهم؛ فبلغ عددهم (٣١٠)»(١٦).

وبعد أن عاد الإمام ابن ماجه رحمه الله من رحلته الطويلة، واستقرّ في بلده قزوين، وقد طبقت شهرته الآفاق، وصار- كما قال الحافظ الذهبي- «حافظ قزوين»(١٧) أقبل عليه طلاّب العلم من كلّ مكان؛ فكان من أشهر من تتلمذ عليه، وتخرّج في فنّ الحديث على يديه جماعةٌ من الكبار القدماء، منهم علي بن إبراهيم بن سلمة أبوالحسن القزويني القطّان (٣٤٥هـ)، وأبوالحسن علي بن سعيد بن عبدالله العسكري الحافظ (٣١٣هـ)، وأحمد بن إبراهيم القزويني جد الحافظ أبي يعلى الخليلي (٣٢٧هـ)، وغيرهم.

وقد ألّف الإمامُ ابنُ ماجه كتبًا عديدةً أشهرُها سننُه الذي يُعدُّ سادس الكتب الستة المعروفة.

وقد أثنى على الإمام ابن ماجه عددٌ من الأئمة، ومن أقوالهم في الثناء عليه(١٨):

قال الإمام أبويعلى الخليليّ: «ثقةٌ كبيرٌ، متّفقٌ عليه، محتجٌ به، له معرفةٌ بالحديث وحفظٌ».

وقال الحافظ عبدالكريم الرّافعيّ: «وهو إمامٌ من أئمّة المسلمين، كبيرٌ، متقنٌ، مقبولٌ بالاتّفاق».

وقال العلامة ابنُ خلّكان: «الحافظ المشهور، مصنّفُ كتاب «السُّنن» في الحديث، كان إمامًا في الحديث، عارفًا بعلومِه، وجميعِ ما يتعلق به».

وقال الإمام الذهبي: «كان ابنُ ماجه حافظًا، ناقدًا، صادقًا، واسعَ العلم».

وقال الحافظ ابن كثير: «صاحبُ كتاب السُّنن المشهورة، وهي دالّةٌ على عمله وعلمه، وتبحُّره واطّلاعه، واتّباعه للسُّنّة في الأصولَ والفروعَ».

وقال الحافظ ابنُ ناصر الدّين الدّمشقيّ: «أحدُ الأئمّة الأعلام، وصاحبُ «السُّنن» أحد كتب الإسلام... وهوَ حافظٌ نبيلٌ، ثقةٌ كبيرٌ، صنّف السننَ، والتّاريخ، والتّفسير».

وتوفي الإمامُ ابن ماجه سنة (٢٧٣هـ) ومن الغرائب هنا أنّ القزوينيّ صاحب كتاب «آثار البلاد» ذكرَ كثيرًا عن أعلام هذه المدينة، وفيهم مَن فيهم من أهل البدع، ولم يذكر فيهم ابنَ ماجه.

الهوامش

(١) «مسالك الممالك» للإصطخري (ص ٢١١).
(٢) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي (ص ٣٩١-٣٩٢).
(٣) انظر: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي (٦٧٨/٢)، «صورة الأرض» لابن حوقل (ص ٣٨٠)، «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣٤٢/٤).
(٤) «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي (٦٧٨/٢).
(٥) «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص ٤٣٤).
(٦) المصدر السابق (ص ٤٣٥).
(٧) (ص ٢٠٠-٢٠١).
(٨) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٧٩/٤).
(٩) «تاريخ كزيدة تاريخ المنتخب» (ص ٢٣١)، نقلًا عن «بلدان الخلافة الشرقية» (ص ٢٥٤-٢٥٥).
(١٠) (ص ٤٣٥).
(١٢) «تهذيب الكمال» (٤٠/٢٧).
(١٣) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٧٩/٤)، «تهذيب التهذيب» (٧٣٧/٤).
(١٤) «تهذيب الكمال» (٤٠/٢٧).
(١٥) «البداية والنهاية» (٥٢/١١).
(١٦) «الإمام ابن ماجه وكتابه السنن» لمحمد عبدالرشيد النعمانيّ (ص ١٧٩).
(١٧) «المعين في طبقات المحدثين» (١٠٣/١). وانظر: «تذكرة الحفاظ» (٦٣٦/٢).
(١٨) انظر: «المدخل إلى سنن الإمام ابن ماجه» للشيخ نورالدين مسعي (ص ٣٦-٣٧).

الجامع العمري الكبير في بيروت



تركي محمد النصر

الجامع شاهد على تاريخ وحضارة بيروت والعروبة والإسلام، وهو أقدم الأبنية الأثرية التي لا تزال قائمة على حالها في بيروت حتى اليوم، ومن أجمل ما أبدعه المسلمون في لبنان.

الجامع العمري الكبير رمز إسلامي أصيل، استقر في أذهان البيروتيين منذ مئات السنين، كما أنه شاهد على انطلاقة مئات العلماء والفقهاء الذين كانوا مركزًا لنشر العلم والمعرفة.

بيروت من أقدم وأعرق مدن العالم، وهي جوهرة لبنان وعاصمتها، ومرابط أهل الشام، تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، تتمتع هذه المدينة الجميلة بجودة الطقس واعتدال المناخ وروعة المنظر، وتذكر بعض المصادر أن اسم بيروت مشتق من «بيريت» أي الآبار، وذلك لكثرة وجود الآبار والينابيع فيها.

وقد كانت بيروت حتى نهاية القرن الأول الهجري لا تزال تتمثل بأخلاق الصحابة والتابعين الذين نزلوها ورابطوا فيها.

دخلت جيوش الفتح الإسلامي إلى بلاد الشام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت٢٣هـ)، وأوكل القائدُ أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه (ت١٧هـ) إلى يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت١٨هـ) فتح بيروت والمدن الساحلية، وتم فتح المدينة عام (١٤هـ -٦٣٥م)، ويُعتبر جامعها العمري الكبير- الذي يتوسط المدينة القديمة- من أبرز آثار الفتح الإسلامي فيها، وهو أقدم جوامع المدينة العريقة.

الجامع في حياة البيروتيين

كان الجامع العمري في بيروت الجامع الرئيسي للمدينة، والذي تقام فيه الصلوات والاحتفالات، كالاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، والمناسبات الاجتماعية كعقود الزواج، والأنشطة التربوية كالدورات الصيفية والشتوية للشباب، كما يقوم الجامع بإدارة بنك دم يحتوي على أكثر من ألف متبرع جاهزين للتبرع في أي وقت ولأي شخص.

وصفه

يتكون الجامع من ثلاثة أجزاء رئيسية: حرم المسجد، المدرسة العمرية، الباحة الخارجية. مسقط المبنى عبارة عن مستطيل طوله حوالي ٣٣ مترًا وعرضه متران تقريبًا.

المدخل الرئيسي للجامع عبارة عن صالة مربعة مغطاة بقبو متقاطع، محمول على أربعة عقود مدببة، محمولة بالتالي على دعائم حجرية محلاّة بأنصاف أعمدة، ويتصل المصلى الرئيسي بالصحن الخارجي في الجهة الشمالية عبر باب خشبي عال وعريض، تعلوه قنطرة كبيرة مزينة بالنقوش والأحجار البيضاء والصفراء، أما الباب الرئيسي فمميّز تزينه أحجار جرانيت، نُقِشَ عليها كلمة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، تتقدمه ثلاث قناطر، ترتفع على أعمدة كبيرة هي بمثابة رواق مسقوف، وإلى جانبه محراب صغير، مزين بإطار من الرخام الأسود وأشكال هندسية مختلفة، كتب عليها أسماء الصحابة- رضي الله عنهم-

أما المئذنة القديمة فمربعة المسقط، وبداخلها سلم دائري، وقد بنيت من الحجر الرملي، ولها فتحات ضيقة مستطيلة على الجدار الجنوبي، وقد أضيفت مئذنة ثانية مشابهة للمئذنة القديمة لكنها أعلى وأكبر.

يوجد تحت المسجد قاعة قديمة تُعَد أقدم قاعة في بيروت، مبنية بالحجر الرملي، ومؤلفة من أقواس معقودة وأعمدة من الجرانيت، كانت تُستعمل لتخزين ماء الوضوء، حُوِّلت فيما بعد إلى مصلى، ومكتبة، وقاعة للمحاضرات، ومتحف إسلامي.

تاريخ الجامع

باشر المسلمون بناء مسجدهم الجامع بعد فتحهم لسواحل الشام (لبنان) بعد سنة ١٤هـ، حيث بنوه على أنقاض «المعبد القديم» الذي بناه الامبراطور الروماني فيليب الحوراني في القرن الثالث قبل الميلاد، ليكون معبدًا للشمس.

كان بناء الجامع متواضعًا في بدايته، وظل على هذه الحال حتى سنة ٢٢هـ، حيث قام الأسطول البيزنطي بغارة انتقامية ضد المسلمين، استرد فيها بيروت والمدن الساحلية، ووقع الجامع تحت سيطرتهم فحولوه إلى معبد لهم، وظل كذلك حتى قام والي الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، سنة ٢٤هـ باسترداد بيروت بهجوم بري كاسح، وتم تحويلها إلى مركز للأسطول البحري الإسلامي، وتم استرداد مسجدها وتهيئته للعبادة.

قال الشيخ محي الدين الخياط : «وهو. أي الجامع العمري الكبير. أقدم جوامع البلدة، ومن الذائع على الألسنة، والمعروف عند المؤرخين أنه من آثار الفتح الإسلامي، وأوائل أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ».

ومنذ الفتح الإسلامي أخذ المسلمون يرابطون ويتكاثرون في بيروت حتى صار أكثر سكانها من المسلمين، وبقيت بيروت ومسجدها الجامع في ظل الدولة الإسلامية حتى

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

احتلها الصليبيون سنة ٥٠٣هـ، حيث قاموا بقصفها بالمنجنيق لمدة شهرين في ظل مقاومة باسلة من أهلها الذين استشهد منهم أكثر من ٢٠ ألفًا، يقول ابن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ) في تاريخه: «ولم ير الإفرنج فيما تقدم وتأخر أشد من حرب هذا اليوم»، يقصد به دخول الصليبيين إلى بيروت، وعندما دخل الصليبيون إلى بيروت دمروا مساجدها إلا المسجد العمري، حيث حولوه إلى كنيسة لهم، ثم تعرض المسجد للهدم بسبب زلزال بيروت سنة٥٥١هـ، واستمرت بيروت مدة ٧٧ سنة في ظل الاحتلال الصليبي، تهدر كرامتها حتى أعاد السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩هـ) الكرامة للمسلمين سنة ٥٨٣هـ، ودخل بيروت صلحًا، وأعاد مسجدها الجامع إلى سابق عهده.

وفي سنة ٥٩٣هـ، وبعد وفاة القائد صلاح الدين، عاد الصليبيون إلى بيروت ودخلوها دون قتال، وحوّلوا مسجدها إلى كاتدرائية مرة أخرى، في حين بقي للمسلمين في بيروت مسجدان هما مسجد الإمام الأوزاعي، ومسجد شمس الدين، ولما كان عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون تم تحرير بيروت نهائيًا من الاحتلال الصليبي على يد الأمير علم الدين سنجر سنة ٦٩٠هـ، وعاد مسجدها الجامع وللأبد ليصبح منارة لنشر الدين والعلم في بيروت إلى يومنا هذا.

بناؤه

لقد بقي المسجد على حاله المعماري الأول حتى عهد حاكم بيروت زين الدين الباعوني الذي جدده سنة ٧٦٤هـ، وأدخل عليه فن البناء والهندسة الإسلامي، أما المئذنة القديمة فأنشأها المفضال موسى بن الزيني في عهد الأمير الناصر محمد بن الحنش سنة ٩٠٥هـ، كما تشير النقوش الموجودة فوق مدخلها. أما بناء المئذنة الجديدة، التي تتوافق مع المئذنة القديمة من حيث الفن المعماري، إنما استدعتها الظروف الدينية والاجتماعية الجديدة في المدينة.

وفي عهد حاكم بيروت أحمد باشا الجزار والي عكا، ألحقت بالجامع بعض الزيادات من الجهة الشمالية المؤدية إلى الصحن الخارجي، وبني في الصحن حوض ماء للوضوء، وفوق الحوض قبة، تحتها نقشية كتبت فيها أبيات من الشعر، تشير إلى تاريخ البناء، وعلى العمودين اللذين عند المدخل الغربي للجامع كتابة مملوكية، وفُتحت بعض الأبواب.. باب يطل على سوق العطارين، وباب يطل على سوق الحدادين، و باب يطل على شارع الفشخة.

التعديل والترميم الأخير الذي انتهى عام ٢٠٠٤ تم على نفقة المحسنة الكويتية سعاد حمد الحميضي

وأنشأ السلطان عبدالحميد الغازي القفص الحديدي داخل الجامع المنسوب لمقام النبي يحيى- عليه السلام-، كما تم إنشاء المنبر القديم سنة ١٣٠٥هـ.

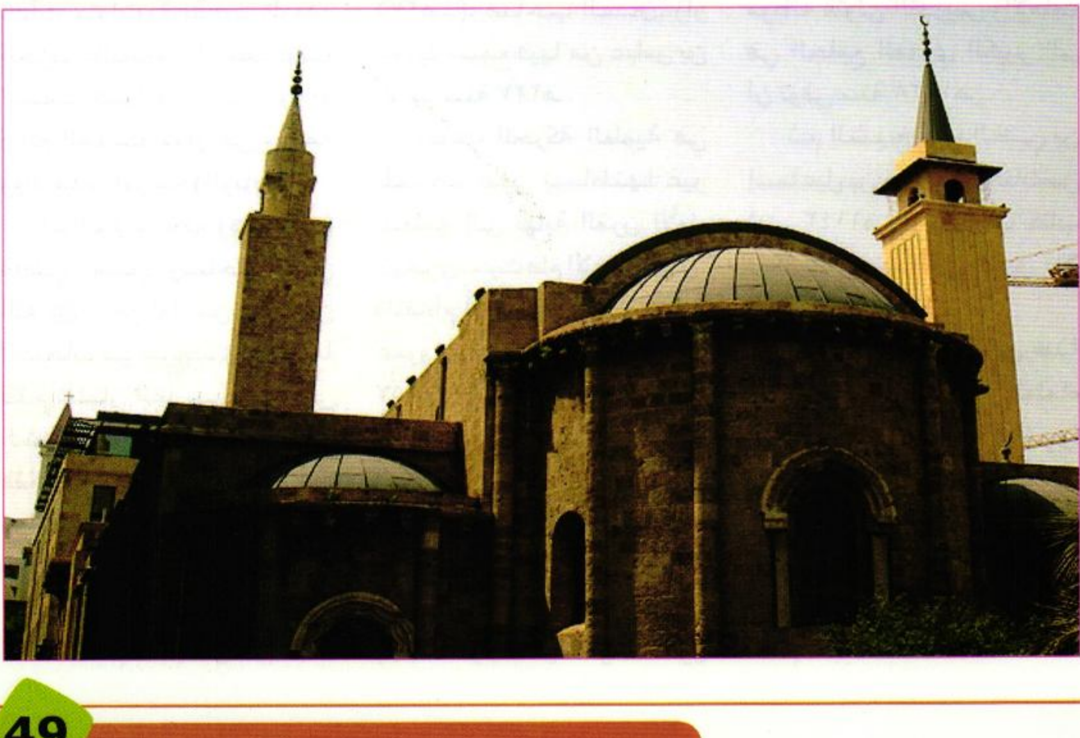
أما المنبر الرخامي الحالي للجامع فقد بُني على نفقة أحد المحسنين سنة ١٩٥٦م، وقد بني المدخل الرئيسي الحالي للجامع في منتصف القرن الماضي بالجهة الغربية منه على الطراز العربي، وجددت سقوفيته والنقوش الأندلسية فيه، وتم ترميمه ترميمًا عامًّا من قِبَل المديرية العامة للأوقاف الإسلامية في بيروت بمساهمة أهل الخير، والمديرية العامة للآثار اللبنانية في الأعوام ١٩٥٢ و١٩٥٤ و١٩٦٠م.

وفي أثناء الحرب الأهلية في بيروت، تعرض الجامع للتخريب، وأصيب بأضرار كبيرة، وتعطلت فيه الصلاة في تلك الأثناء، وبعد أن انتهت الحرب إلى غير رجعة، تم تجديد المسجد وترميمه.

الإضافات والترميمات الأخيرة

مرَّ الجامع العمري بعدَّة مراحل من التعديلات كما سبق- وكان آخرها التعديل والترميم اللذين تما على نفقة المحسنة الكويتية السيدة سعاد حمد الحميضي لذكرى والدها الحاج حمد صالح الحميضي رحمه الله، وتم افتتاح المسجد في سنة ٢٠٠٤م، حيث استُحدِث فيه مصلى للنساء، وتم نقل محراب العشرة المبشرين بالجنّة من الحائط الجنوبي (حائط القبلة في مصلى النساء).

وقد أوقف على المسجد



العديد من الأوقاف الإسلامية منذ نشأته، ثم ازدادت تباعًا مرورًا بالعهود الأموية، والعباسية، والفاطمية، والزنكية، والأيوبية، والمملوكية، والعثمانية، إلى يومنا هذا.

أسماؤه

تعاقبت على الجامع أسماء اشتهر بها عند الناس في أزمنة مختلفة وهي:

- جامع التوبة، في عهد إنشائه الأول.
- جامع فتوح الإسلام، في العهد المملوكي.
- جامع النبي يحيى- عليه السلام- في العهد العثماني.
- الجامع العمري الكبير، اسمه الآن.

بدأت بواكير الحركة العلمية في بيروت منذ نزل الصحابة والتابعون (المرابطون) فيها، وكانوا يحملون في صدورهم القرآن وعلوم الدين، وعلى الرغم من أن هذه الحركة بدأت متواضعة بسبب ظروف الحرب والهجرة والرباط، فإنها أسهمت كثيرًا في نشر الرواية وعلم الحديث، وكان في مقدمة رواد هذه المدرسة (الرِّباطيَّة):

أبوالدرداء رضي الله عنه (ت: ٣١هـ) قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، وهو أول من رابط من الصحابة في بيروت، روي أنه لما قَدِمَ سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى الشام سأل عن أبي الدرداء، فقالوا: هو مرابط، فقال: أين مرابطكم؟ قالوا: بَيْروت. فتوجَّه قِبَلَه، فقال سلمان- لما وصل إلى بيروت-: يا أهل بيروت، ألا أحدِّثكم حديثًا يُذهب الله به عنكم عَرَضَ الرِّباط؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة كصيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا أُجير من فتنة القبر، وجرى له صالح عمله إلى يوم القيامة» (سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي).

- سلمان الفارسي (ت:٣٦هـ) أبوعبدالله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام، صَحِبَ النبيَّ ﷺ، وخَدَمَهُ وحَدَّثَ عَنْهُ.
- القاسم بن مخيمرة، أبوعروة الهمداني الكوفي (ت: ١٠٠هـ)، قال الأوزاعي: «كان القاسم بن مخيمرة يَقْدم إلينا ها هنا متطوعًا...».
- سعيد بن أبي سعيد البيروتي الساحلي، (ت: ١٢٣هـ).
- حسان بن عطية المحاربي (ت: ١٣٠هـ)، أحد الأئمة الشاميين، ومن شيوخ الإمام الأوزاعي الذي قال فيه: «ما رأيت أحدًا أكثر عملًا في الخير منه»، ووثَّقه الإمام أحمد بن حنبل.
- أبوداود السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ)، صاحب السنن، زار بيروت وسمع فيها من عباس بن الوليد سنة ٢٢٧هـ.

وبقيت الحركة العلمية في المسجد على بساطتها غير المنظمة إلى نهاية القرن الأول الهجري، حيث قام الإمام المبجَّل، والمقدام المفضَّل عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد (الأَوْزَاعِيّ ت: ١٥٧هـ) يرحمه الله، بتحويلها إلى مدرسة لها حلقاتها الدراسيَّة المنتظمة، حيث يعتبر أول من أسس حلقة دراسية في مسجد بيروت الجامع، وأخذت المدينة تستقطب المشتغلين بالفقه والحديث والأصول والسير وغيرها، ومن ثم انتشر المذهب الفقهي للإمام الأوزاعي في بلاد الشام قاطبة، قال الحافظ ابن كثير: «وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحوًا من مائتين وعشرين سنة...».

وأخذت الحركة العلمية على مر العصور تزدهر في بيروت وفي مسجدها الذي صار جامعة لشتى العلوم، وقد وفد إلى المسجد طائفة من كبار العلماء من أهل بيروت وغيرهم، والذين درسوا ودرَّسوا وتخرجوا منه، وأمُّوا فيه، ومنهم: الشيخ العلامة محمد بن درويش بن محمد الحوت (ت: ١٢٧٧هـ) صاحب كتاب «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب»، والسيد الشريف الشيخ محمد بن الشيخ محمد بن الشيخ درويش الحوت البيروتي، الذي درس على والده وغيره من علماء دمشق فأخذ على شيخ مشايخها العلامة الشيخ سليم العطار رحمه الله، وعاد إلى موطنه فتولى التدريس والإمامة في الجامع العمري الكبير إلى أن توفي سنة ١٣٢٨هـ.

ثم الشيخ عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي (ت: ١١٤٣هـ)، صاحب كتاب «تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية».

هذا ولا ينحصر في هذا المقام العدد الهائل من العلماء الأجلاء الذين وفدوا ودرسوا وتولوا الإمامة في المسجد منذ إنشائه حتى يومنا هذا، حيث تولى الإمامة في الآونة الأخيرة كوكبة من العلماء الأجلاء، وطلبة العلم النبلاء.

أما الوضع الثقافي للمسجد في أيامنا هذه فلا تزال تزخر بحركة علميَّة نشطة يقودها القائمون على المسجد بكل كفاءة ونشاط وتنظيم، ومن هذه الأنشطة الثقافيَّة: تعليم القرآن الكريم وعلومه، العقيدة الإسلامية وأسسها، الفقه الإسلامي العام، التزكية وتطهير القلوب، بناء الشخصية المسلمة، الدعوة إلى الله تعالى بالطرق والأساليب الحسنة، وغيرها من الأنشطة النافعة، وقد أسس القائمون عليه موقعًا إلكترونيا على الشبكة العنكبوتية يعتني بالناحية الإعلامية للمسجد.

مكتبة الجامع

في أوائل القرن العشرين كان في الجامع مكتبة عامرة باسم «المكتبة العمرية»، ساهم في إنشائها وجمع كتبها لطلاب العلم أحد أئمة الجامع العلامة الشيخ عبدالرحمن بن محمد درويش الحوت البيروتي، لكنه تم نقل أغلبها مؤخرًا إلى أزهر لبنان.

الجامع العمري الكبير في وسط بيروت، الواقع في بقعة هي القلب من تلك المدينة الجميلة، كان ولا يزال بقدمه وهندسته المعمارية الفريدة جاذبًا للمؤمنين والساعين للهداية، إلى أن صار الجامع من أكثر المساجد حيوية ونشاطًا في الشرق الأوسط.

المصادر

١- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
٢- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للعلامة عبدالرزاق البيطار، تحقيق الحفيد محمد بهجت البيطار.
٣- جواهر وياقوت في تاريخ بيروت، لداود خليل كنعان.

أسرتي

تماسك المجتمع من تماسك الأسرة

الأسرة المتماسكة هي الأسرة التي تنأى بنفسها عن كل مواطن الغيبة والنميمة والقيل والقال وكثرة السؤال والخوض في الأعراض وتتبع العورات سواء كان ذلك سرًا أو علانية فكلاهما في السوء سواء.

إن النقد والتناصح أمر في غاية الأهمية بل هو أمر ممدوح ومندوب دعا إليه الإسلام لما فيه من فائدة شرط ألا يكون فيه تجريح أو عيبة أو نميمة فهذه الصفات من علامات الجبن والضعف .. إن علىأفراد الأسرة أن ينأوا بأنفسهم عن مثل هذه العادات الذميمة والعيوب الدنيئة وأن يتحلوا بالنبل والمروءة والصدق والأمانة في القول والفصل مع صون الألسن وتلمس الاعذار للآخرين والدفاع عنهم وحفظ ساحتهم في غيابهم وحضورهم حتى لا ينطبق علينا قول الشاعر:

أنت في معشر إذا ما غبت عنهم
بدلوا كلَّ ما يزينك شينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً
أنت من أكرم البرايا علينا

عافانا الله جميعًا من هذه العادات السيئة حتى نصل إلى مجتمع سليم آمن متماسك كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

المحرر

«هوس التجميل» يقود المجتمعات العربية نحو التبعية!

تحقيق: محمد عبدالعظيم

ملايين الدولارات تنفقها المجتمعات العربية على المساحيق وأدوات الزينة وعلى أبواب عيادات التجميل، في الوقت الذي يتساقط فيه المئات بسبب الجوع وعدم القدرة على شراء الدواء! ترى.. لماذا كل هذا اللهاث المحموم نحو «الموضة» و«البرستيج» الزائف؟ وكيف أصبحت أدوات التجميل من الضرورات التي لا غنى عنها للأسرة العربية؟ وما سر التنافس الشديد بين الرجال والنساء لاقتناء أدوات الزينة ووسائل التجميل؟ وما الآثار النفسية والاجتماعية التي تخلفها عمليات التجميل على أصحابها؟ وهل هناك بدائل طبيعية للتجميل، خاصة بعد سلسلة الانتكاسات التي أصيب بها العلاج الكيماوي؟ وما رأي الأطباء والعشابين في هذه القضية؟ كل هذه التساؤلات وغيرها يجيب عنها هذا التحقيق.. فإلى التفاصيل.

بداية تؤكد إحدى الدراسات التي أجريت أخيرا أن حجم الإنفاق السنوي لنساء العرب على أدوات الزينة و«الماكياج» يصل إلى أكثر من ٣٢ مليار جنيه سنويًا، أكثر من نصفها يهدر في أسواق الخليج، والباقي يتوزع على أسواق الدول العربية- التي يعاني أكثرها الفقر والمجاعات الطاحنة- إلا أن ذلك لم يوقف نزيف الأموال المهدرة على عتبات بيوت التجميل والزينة.

وتقول الدراسة ذاتها إنه بالرغم من أن المجتمع الخليجي تحكمه العادات والتقاليد المحافظة التي تحظر على المرأة الظهور متبرجة بكامل زينتها، فإن ذلك لم يمنع من أن تصبح نساء الخليج أكثر نساء العالم إنفاقًا على مستحضرات التجميل، ولذلك فإن مبيعات أدوات الزينة في هذه الدول تستقطب اهتمامًا واسعًا من الشركات العالمية المنتجة لأدوات «الماكياج»، بل يعتبر أحد أكبر الأسواق في العالم من حيث حجم الإنفاق الذي يقدر بنحو ١,٧ بليون دولار أميركي سنويًا، وتؤكد التقارير أن سوق مستحضرات التجميل والعناية بالجمال في المنطقة حقق زيادة كبيرة تصل إلى ٣٠٠ ٪ خلال الأعوام الثلاثة الماضية، والإشكالية التي تطرح نفسها في هذا السياق تتعلق بجدوى إغداق هذه المليارات على سلع- ليست فقط استفزازية- بل إنها بحسب جميع الدراسات العلمية مدمرة ومشوهة للجمال الطبيعي الذي أبدعه الخالق- سبحانه وتعالى- وإذا علمنا أن معظم الرجال يفضلون الجمال الطبيعي غير المزيّف فستوفر المرأة على نفسها وزوجها إهدار هذه المبالغ الطائلة.

من جهة أخرى كشفت إحصائيات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء بالقاهرة أن ٣٨,٨٪ من دخل الأسرة المصرية يوجه للإنفاق على أدوات الزينة ومستحضرات التجميل، في حين تشير دراسة أجريت حديثًا على عدد من الدول العربية أن كمية ما يتلف من الأصباغ والمساحيق ويوضع في صناديق القمامة كبيرة إلى الحد الذي قد تبلغ نسبته في بعض الحالات ٥٤٪ من حجم القمامة، كما أجريت دراسة ميدانية عن مدى استهلاك أدوات التجميل في مدينة واحدة في إحدى الدول العربية، حيث أثبتت أن «الإسراف» اليومي نحو مليون دولار و«الإسراف» السنوي ٣٦٥ مليون دولار.. نعم، إنها أرقام خيالية ، بل أغرب من الخيال ذاته.

هذا، وتؤكد دراسة صدرت أخيرا أن الصناع والمنتجين من أصحاب شركات الأدوية ومستحضرات التجميل يقبلون على المجالات التي ترتبط بالحيوية والجمال بالذات.. فقد تبين أن الرجال والنساء معًا يهتمون بشراء الأشياء ذات الطابع الشخصي، ومن أبرزها مستحضرات التجميل، ووسائل الاهتمام بالرشاقة وما يضفي الحيوية، وأوضحت الدراسة أن نحو ٩٣٪ من المستهلكين يقبلون على شراء المنتجات الخاصة بالأنظمة الغذائية أو ما يعرف بـ «الريجيم» وتقدر المبالغ التي تدفع مقابل الحصول على هذه المنتجات بنحو مليار ونصف المليار جنيه سنويا!

أمّا سوق مستحضرات التجميل- كما تشير الدراسة- فهو في حالة رواج مطرد، وقد تضاعف الإقبال على هذه المستحضرات أكثر من ثماني مرات ما بين عامي ١٩٧٠و ١٩٨٥.

النموذج الغربي!

د.هشام أبادير صاحب شركة

٦ مليار دولار ينفقها العرب سنويا على أدوات الزينة ومراكز التجميل!



لمستحضرات التجميل وأدوات الزينة بالقاهرة قال: بالفعل لقد شهدت السنوات الأخيرة إقبالاً واسعًا على أدوات التجميل، ربما بسبب الرواج الإعلامي الذي صاحبها، عن طريق تقديم النموذج الغربي الرشيق، والتمثل بعارضات الأزياء الشهيرات، باعتبارهن مقياسًا للجمال، فازداد اهتمام النساء عندنا بالذات على اقتناء مستحضرات التجميل باختلاف ألوانها وأذواقها وأسعارها وأنواعها.

مستحضرات التجميل تحرق الجلد!

أما د.محمد عبدالمنعم عبدالعال أستاذ ورئيس قسم الأمراض الجلدية بطب الأزهر فقال عن جدوى مستحضرات التجميل وتأثيرها: لابد أن نعلم أن الجلد له وظائف عديدة فهو يحمي كل أعضاء الجسم الداخلية، وينظم درجة حرارة الجسم، ويساعد على تكوين فيتامين «د»، كما أن للجلد وظائف أخرى غاية في الأهمية فهو يعتبر مرآة تنعكس عليها الأحوال النفسية للمريض مثل الفرح والحزن وغيرها.

من هنا يتبين لنا أن جميع الأصباغ ومستحضرات التجميل ضارة لجسم الإنسان، لما تتركه من آثار سلبية على الجلد، أقلها أنها تسد المسام الموجودة على الجلد، وتحرق البشرة بسبب المواد الكيماوية السامة بها، مما يؤدي إلى جفاف الجلد الخارجي للإنسان.

الموضة وإغراءات التجميل تهددان المجتمع بكوارث اجتماعية واقتصادية ضخمة!



الرشاقة.. والضريبة الباهظة!

من جانبه حذر البروفيسور حسان خليل من أقراص التخسيس التي يقبل عليها الرجال والنساء بشراهة في السنوات الأخيرة، بحثًا عن الرشاقة.. فإنها تصيب بالهستيريا وفقدان الشهية، كما أنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى الاكتئاب والوفاة، كما أن من أكثر آثارها السلبية شيوعًا جفاف الفم والنعاس والدوار والتوتر والهلاوس البصرية والوهن، كما أنه ثبت علميا أن تلك الأقراص قد تؤدي إلى الإدمان والخلل بوظائف الدم.

وأضاف: إن أقراص التخسيس كثيرًا ما تأتي بأثر عكسي على أصحابها.. فقد وجد الباحثون أن نسبة ٣٠٪ ممن يتعاطون أقراص التخسيس والنحافة زادت أوزانهم أكثر مما كانوا عليه قبل التعاطي! وينصح البروفيسور حسان الباحثين عن الرشاقة والجمال بعدم استخدام أقراص التخسيس وما شابه ذلك مما هو متاح في معارض وشركات مستحضرات التجميل والصيدليات لأنها تسبب أمراضًا عدة مثل الضغط العالي والسكر، وبعضها يتلف الخلايا العصبية بالمخ.

مع الباحثين عن الشهرة!

وعن طرائف جراحات التجميل يقول د.خالد عبدالله استشاري جراحة التجميل: أمارس هذه المهنة منذ نحو عشرين عامًا تقريبًا، فكانت حالات جراحة التجميل لا تجري إلا لضحايا الحوادث والحروق، أمّا ما حدث في السنوات الأخيرة على وجه الخصوص، فمعظم المترددين على عيادة التجميل هم من الفنانين والإعلاميين ورجال الأعمال وسيدات المجتمع و«هوانم» الأحياء الراقية- أي من الباحثين عن الرشاقة والشهرة والضجيج الإعلامي- حيث لا تؤثر عليهم التكلفة المادية التي ينفقونها في عمليات شد الوجه والحواجب أو إزالة الدهون أو تغيير لون البشرة وما شابه ذلك.

احذروا.. الدعاية الخادعة

وفي لقائنا مع المهندس عمر الدجوي مدير مركز ابن سينا للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية أكد أن القاعدة الذهبية تقول: «الصحة قبل الجمال» وأوضح أن كثيرًا من مواد التجميل والزينة بتفاعلها مع الجلد قد تصيبه بأذى فتظهر متاعب وأضرار وآلام، والمنطق هنا يقتضي الحرص على تلافي كل ذلك باستعمال المواد التي لا تضر، وعدم الإسراف في هذه الناحية المهمة، وأن يكون التجميل والتزيين وفق أصول علمية طبية وصحية لا طبقًا للموضة ولا جريًا وراء دعايات خادعة أو مبالغ فيها.

ويضيف المهندس عمر الدجوي قائلًا: إن كثيرًا من مواد الزينة والتجميل الكيماوية كانت سببًا في انتشار الأمراض الجلدية مثل الاكزيما واكزيما الملامسة على وجه التحديد، وكان من الممكن لهؤلاء السيدات أن يبحثن عن بدائل للمواد الكيماوية عن طريق النباتات الطبية مثل زيت الخروع، وزبدة الكاكاو، وزيت اللوز، وحمض الخليك، وبذور الحلبة.. وكل هذه النباتات والأعشاب الطبية موجودة لدى العطارين والعشابين في بلادنا العربية.

الصعود إلى الأعلى اجتماعيا

وحول أسباب هذه الظاهرة الاجتماعية وانتشارها سألنا د.عزة كريّم- الخبيرة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة حيث أرجعت كثرة تردد النساء والرجال في السنوات الأخيرة في العالم العربي على مراكز التجميل حتى لو كانوا بلا عيوب أو تشوهات إلى الظروف الاقتصادية التي أدت إلى ظهور شريحة جديدة أو مشروع طبقة تحاول أن تفرض نفسها وتثبت وجودها، وقد أصبح الانتقال من طبقة إلى أخرى في نظر كثيرين أمرًا سهلًا بسبب الثراء الفاحش المفاجئ، والمشكلة أن هذه الفئة الجديدة ليست بينها تجانس، وهي واقعة تحت تأثير المال

باعتباره صانع المعجزات بالنسبة لها، وكذلك فهي محكومة بالرغبة في التحديث استنادًا إلى المال، وتضيف د.عزة كريم: إن إصرار نساء الطبقة الجديدة على إجراء بعض جراحات التجميل وهن في غنى عنها يدخل في إطار الحراك الاجتماعي من طبقة إلى أخرى، بالمعنى الثقافي للطبقة، واستخدام صبغات وألوان الشعر والتردد على النوادي والفنادق هو إحدى بوابات العبور للطبقة العليا بالنسبة لهؤلاء، كما أن كثيرين من الشباب يتصورون أن تقليد نجوم السينما والرياضة تأكيد للانتماء الطبقي ووسيلة للشهرة والوصول إلى السلم الاجتماعي الأعلى!

تقاليد مخالفة للشرع!

وحول الرؤية الإسلامية في هذا الصدد، حذر فضيلة د.نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية الأسبق من خطورة هذه التقاليد والبدع الاجتماعية المنكرة التي تمثل خروجًا صارخًا على تقاليد المجتمع العربي والإسلامي.

ودعا فضيلته إلى ضرورة تجنب التقليد المخالف للشرع الحنيف، فقال: إذا نظرنا إلى سلوكيات المستهلكين في هذه الأيام، فسنجد كثيرًا منهم ينفقون كثيرا من الأموال في تقليد الغرب والشرق في سائر عاداتهم وتقاليدهم وبدعهم التي لا يقرها الإسلام من قريب أو من بعيد، بل ينهى عنها، ومن أمثلة ذلك نفقات أعياد الميلاد والسهرات والحفلات التي يقيمها الناس اتباعا للموضة و«البرستيج»! مما يضع الأمة كلها تحت وطأة الديون والأزمات الاقتصادية التي تجرها نحو كارثة الاستدانة والتبعية للآخر.

إلى من بدأت طريق الالتزام

فجر الكوس

كانت فتاة متبرجة عاصية مذنبة.. تعيش حياة التجرد من الدين.. كانت تظن انها تعيش من أجل أن تستمتع وتفرح، لا من أجل طاعة الله عز وجل!! ثم شعرت بحرارة الذنوب وتفاهة حياتها فأيقنت أنه وجب عليها أن تسلك طريق الالتزام فهو ضالتها، وإني لأهنئ هذه الأخت وأهديها هذه الوصايا لعلها تكون زادًا في طريقها.

١- وجب عليك تنقية قلبك من كل ما يضعفه ويشوبه، فكما قال أبوهريرة «القلب ملك والأعضاء جنود فإن طاب الملك طابت جنوده وإن خبث الملك خبثت جنوده» فإن كان القلب قويًا بالالتزام ونظيفًا من دناسة الذنوب والمعاصي، سرى ذلك الحال إلى جميع الأعضاء، ولا شيء يقوي القلب ويغرس الإيمان فيه مثل قراءة القرآن والمداومة على الأذكار وكثرة الاستغفار.

٢- إن الصحبة الصالحة لها أثر كبير في مستوى التزامك، فإن لم تجديها فابحثي عنها وإن رزقت بها فالزميها، فهي زادك ومعيتك في الدنيا والآخرة، وكما قال الشاعر:

أنت في الناس تقاس
بالذي اخترت خليلا
فاصحب الأخيار تعل
وتنل ذكرًا جميلًا

٣- انزعي من حياتك الحالية جميع آثار حياتك السابقة، فعلى سبيل المثال، إن كانت غرفتك مليئة بالصور فانزعيها، وإن كانت لديك صحبة فاسدة فابعدي عنها، وإن كانت لديك أشرطة غناء فأتلفيها وإن كانت لك عادات لا تليق بك كملتزمة فأقلعي عنها، ولا تجعلي دخان ماضيك يفسد حاضرك.

٤- عليك بالعلم الشرعي النافع الذي ستجدينه في المجالس الإيمانية والمحاضرات الدينية وعبر الأشرطة والكتب، واحرصي أشد الحرص على مجالس العلم، ففيهاتحفك الملائكة ويذكرك الله عز وجل، وهي ابتعاد عن مجالس اللغو وحفظ للوقت بما ينفعك.

٥- الخلوة مع النفس لمحاسبتها على ما مضى وللتخطيط فيما سيأتي، فأنت الآن بحاجة إلى الجلوس مع نفسك لكي تحددي سياستك الحالية، والخلوة هي وقود الصالحين، وكما قال ابن القيم: «غرس الخلوة يثمر الأنس».

٦- إن همتك العالية واندفاعك إلى الالتزام لا يعنيان استحقارك للآخرين أو التقليل من شأنهم، لاسيما عوام الناس، فبذلك التصرف تكونين قد ارتكبت ٣ مخالفات هي:

١- العجب بالنفس، فأنت تظنين أنك أكثر الناس التزامًا.

٢- احتقار الآخرين، وهذا ليس من شيم المؤمنين.

٣- تنفير الآخرين من الدين بدلًا من دعوتهم.

٧- في طريقك هذا قد تصادفين من يحاول مضايقتك وصدك عن طاعة الله، وقد يكون أقرب الناس إليك هم من يعادونك فاصبري واثبتي وعامليهم بالتي هي أحسن ولا تدخلي في مشادات معهم بل أحسني صحبتهم.

٨- يجب عليك أن تلتزمي بالحجاب الشرعي الكامل فسمتك ولباسك الآن أصبح مختلفًا تمامًا عن سمتك السابق، فإن كنت ملتزمة حق الالتزام فشكلك الخارجي سيدل على ذلك.

أسأل الله العظم أن يعينك في دنياك ويسهل خطاك إلى جنته، ووصيتي لك بالثبات على هذا الطريق لأنك حتما ستجدين السعادة المنشودة، فاتقي الله وسيري في طريقك وابتعدي عن كل ما يصرفك عنه.

عضو اللجنة الصحافية النسائية

دور القدوة في تربية النشء

التربية الإسلامية منظومة شاملة متكاملة، لأنها تربية ربانية، وما من شك في أن اتساع مفهوم التربية وشمولها يقتضي أن تتعدد أساليبها وتتنوع وسائلها لبلوغ أهدافها السامية ومقاصدها النبيلة.

ومن هنا ندرك أن التربية بالقدوة عملية شاملة، فهي تشمل الاقتداء بالأبوين، وبالأخ الأكبر في الأسرة، وبالمعلم في المدرسة، وبرفاق الدرب، وبالمجتمع بجميع افراده ومؤسساته.

الاقتداء بالوالدين والإخوة

يحتاج الناشئ إلى القدوة الحسنة في اسرته كي يتشرب المبادئ الإسلامية منذ نعومة اظفاره، ولذا ينبغي أن تكون الأسرة المسلمة مقيمة للشعائر الإسلامية، بعيدة عن كل ما هو دخيل على ديننا، لتصون فطرة أبنائها التي فطرهم الله عليها، ذلك أن الابن مهما كان استعداده للخير عظيما، ومهما كانت فطرته نقية سليمة، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الحسنة إلا إذا وجد القدوة الطيبة في والديه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم قرأ أبوهريرة رضي الله عنه قوله تعالى ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (صحيح البخاري، الجزء الثاني، ص ٩٧).

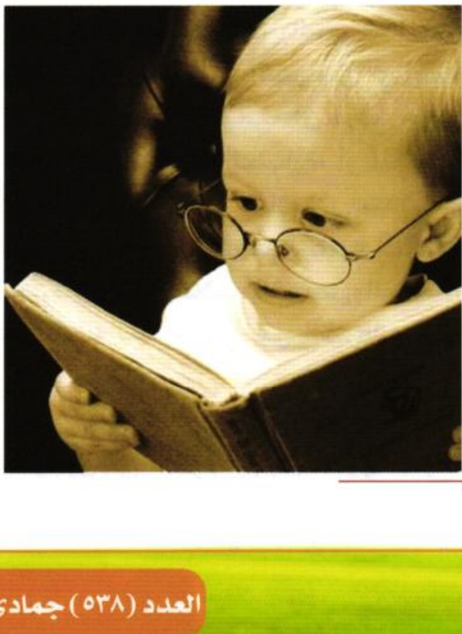
فهذا الحديث يبين مدى تأثير الآباء على أبنائهم إذ إنهم يقتدون بهم في سلوكهم سواء أكان حسنا أو قبيحا، فإذا عوّد الوالدان أبناءهم منذ حداثة سنهم على الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة شب هؤلاء الأبناء ونشأوا عليها، أما إذا أهملا تربيتهم أو عوداهم على المسلك السيئ حتى سار جزءا من حياتهم فإنه يصعب حينئذ تعديل سلوكهم أو تغييره.

ولكي ينشأ الفتى نشأة صالحة ويكتسب أنماطا سلوكية حسنة، يجب أن يكون الأبوان حريصين على ممارسة شعائر الإسلام وقيمه ومبادئه، إذ لابد أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهما في الفترة التي ينحصر عالم الابن فيهما.

القدوة في المدرسة

المدرسة هي المؤسسة التربوية التي يقع على عاتقها مسؤولية تربية النشء أكثر من أي جهة أخرى في المجتمع بحكم أنها المتخصصة في هذا الأمر والمؤهلة له، لذا يجب أن تتكامل في هذه المؤسسة الصورة الحقيقية للتربية، فإلى جانب وظيفتها الأساسية وهي تعليم الأبناء يجب على المدرسة أن تقوّم النفوس وتهذب السلوك وتصنع الفرد المسلم؛ ليكون فردا صالحا ينفع أمته ودينه.

والمعلم في المدرسة هو المثل الأعلى والقدوة الحسنة في نظر الناشئ يحاكي سلوكه ويقتدي به خلقيا من حيث يشعر أو لا يشعر، بل وتنطبع في نفس الناشئ واحساسه صورة المعلم القولية والفعلية، ومن السهل على المعلم أن يلقن المتعلمين مقررا دراسيا، ولكن من الصعب أن يستجيب هؤلاء المتعلمون لما يتضمن هذا المقرر من مبادئ وقيم حين يرون أن من يشرف على تربيتهم ويقوم على توجيههم غير ملتزم بها.





سليمان الرومي

الاقتداء بالأصدقاء

يخرج الناشئ أو المراهق إلى الشارع ليلعب مع اقرانه، وهذا واقع لا يمكن تجاهله، فمن تمام اكتمال شخصية الطفل أن يعيش سنه ويلعب مع من في مثل عمره، ولا يتحقق ذلك إلا إذا خرج من البيت واحتك بأترابه، وروح عن نفسه باللعب وما إلى ذلك، وهنا يترك هؤلاء الرفاق أثرا واضحا في نفس الطفل ويؤثر على سلوكه.

وقد بين الرسول الكريم نتائج الصداقة والمخالطة في صورة حية ملموسة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ حيث قال «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة» (صحيح البخاري، الجزء السادس، ص ٢٣١).

القدوة في المجتمع

إذا عرف الجميع أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم سلوك الناشئين، وهي الأساس في غرس الآداب الإسلامية الحميدة والفضائل الاجتماعية النبيلة، فيجب على المجتمع بما يشمله من أفراد ومؤسسات، أن يعطي الصورة الحسنة، التي تطبع الناشئين بطابع الإسلام وتحميهم من الفتنة وتقيهم سبل الضلال والغواية، فبغير القدوة لا ينفع في النشء تأديب ولا تؤثر فيهم موعظة.

سكرتير التحرير

كيف نحمي أطفالنا من الحوادث؟

أ.د. ناصر أحمد سنة

في عصر أحد الأيام القريبة، إذ بجلبة وضوضاء وصرخات مدوية وهرولة نحو الشارع.. نهضت مسرعًا على إثر ذلك، ونظرت من شرفتي بالطابق الثالث، فإذ بطفل لأقربائي وجيراني، عمره عامان، قد سقط من الطابق الثاني فوق سيارتي، لكن من فضل الله تعالى أن هذا الطفل لم يصب بأذى، فلم يسقط فوق الزجاج الخلفي للسيارة بل فوق سقفها الذي انبعج كثيرا بسبب هذا السقوط المروع.

إن ما حدث لـ «سيف» قد يحدث لأطفال كثيرين غيره، فما الأسباب التي تقف خلف الحوادث والمخاطر التي يتعرض لها أطفالنا؟ وكيف نحميهم منها؟

لقد آلمنا ما حدث لـ «سيف» كما يؤلمنا أيضا المشاهد المتكررة لآباء وأمهات، فزعين مُهرولين، حاملين أحد أطفالهم وقد عبث بخزينة الدواء فابتلع عقارا ضارًا، فراح يتقيأ وهو في حالة تسمم حرجة، أو طفلا في حالة أشد حرجًا جراء انسداد حلقه أو أنفه أو أمعائه بقطعة طعام كبيرة أو بجسم غريبٍ كان يلهو به، أو طفلا تنزف يده إثْر لعبهُ بسكين حادة فأحدث جرحا قطعيا يحتاج لرتق، أو وقع فوقه إبريق الشاي المغلي وهو يلهو في المطبخ، أو آخر قد أعادوه من المدرسة بكسرٍ في أسنانه أو شج في رأسه، أو بجرح خطِير في قرنية عينيه، فكيف يمكن حمأية أطفالنا من مثل هذه المخاطر اليومية ووقايتهم منها؟

رعايتنا وعنايتنا لأطفالنا، خصوصا في مرحلة المهد، وطفل ما قبل المدرسة، وصولا لطفل المدرسة، تعتمد بالأساس على وسائل الوقاية، فالوقاية خير من العلاج، بل درهم وقاية خير من قنطار علاج، والأخذ بجوانب الحذر والحيطة، لكن دون إفراط أو مغالاة يجعلها قيدًا أو سجنًا على حرية ونمو أطفالنا الحركي والمعرفي والسلوكي، أو تفريط أو تقصير يجعل تكرار مثل هذه الحوادث وغيرها أمرا شائعًا يوميًا.. لكن له كلفته الكبيرة والخطيرة من صحة ومستقبل أبنائنا، كذلك كلفة التلاوم والتصدع الأسري والاجتماعي جراء كيل الاتهامات بالإهمال وعدم الرعاية الكافية سواء في المنزل أو في المدرسة، فمن الأمور الوقائية التي ينبغي مراعاتها في هذا الشأن:

- عدم إرضاع أو إطعام الأم طفلها الصغير، وهي نائمة تماما، خوفا من أن يختنق، كونه في وضع غير مناسب لعملية الإرضاع، أو قد تسببُ له ضررا بتقلبها في المضجع إلى جواره، لذا يفضل وضعه في سرير منفصل وإرضاعه هناك، ومراعاة حمله والتنقل به بالطرق الصحية السليمة الآمنة، وإذا ما بدأ بتناول وجبات غذائية إضافية، خاصة مهروس البطاطس والجزر... الخ، فيراعى أن تكون في حجم يناسب قدرته على البلع، وجيدة الطهي، ويتناولها في وضع صحي سليم.

- طفلك عندما يبدأ بالحبو ثم المشي واللعب هو معرض أكثر من أي وقت للحوادث المنزلية، فيجب أن نرفع جميع الأشياء الخطرة والضارة، أو المعرضة للكسر، والتي تهدد سلامته، بعيدا عن متناوله، ونضع ما لا يضره كلعبه المناسبة لعمره، وبعض المجلات والقصص والقديمة، ولا نتركه يلهو ويلعب في الشرفات دون رقابة جادة.

- أطفالنا من الثانية فما فوقها قد يخرجون إلى الشارع عبر باب المنزل المفتوح، إن لم يكن هناك فناء أو حديقة للدار، مما يعرضهم للأخطار والحوادث، فينبغي غلق الباب الخارجي عند عدم استعماله، مع تصميم جيد للأبواب الداخلية في غرف المنزل خشية أن تقفل على أيدي الأطفال، أو تنغلق دونهم فيحبسون داخلها، وعدم الإكثار من الأثاث المنزلي المعوق لحركة ولعب الأطفال، كذلك تغطية الأرضيات الملساء الصلدة منعا من الانزلاق عليها إثر الجري واللعب مما يسبب كدمات، مع سلامة أسطح المنازل ونوافذها كي يمكن السماح للطفل بالمشاهدة دون خوفٍ من سقوطه.

- لدى صغارنا رغبة كبيرة في التقليد والمحاكاة للتعرف والاستطلاع والاستكشاف، وهذا أمر مهم ومفيد جدا لنموهم المعرفي والحركي والسلوكي، لكن شريطة مراقبتهم كي لا يؤذوا أنفسهم أو يؤذوا غيرهم بفضولهم، فالطفلة الصغيرة التي تقلد أمها في إرضاع أخيها الوليد أو تغيير ملابسه قد تتسبب في إلحاق الضرر به، فيختنق، لذا يمكن محاكاة الأطفال لأنشطة الأم المنزلية من إعداد الطعام وحياكة وكي الملابس ورعاية الوليد وغيرها من الأنشطة عبر ألعاب ودمى مخصصة مُعدة لذلك أو تصنيعها منزليًا لتدربهم على ذلك في سلامة وأمان، ثم إشراكهم كأعضاء نافعين بالمنزل، فطفل السنتين بمقدوره المساعدة في جمع لعبه بعد فراغه منها ووضعها في مكانها السليم، وطفل الثلاث سنوات يمكنه الاشتراك في تحضير المائدة.

- كذلك تقليد الأبناء الصغار لأبيهم واستعمالهم غير السليم للأدوات التي يستخدمها في بعض الأنشطة المنزلية من نجارة وحدادة وفلاحة وصيانة السيارة... الخ، فينبغي مراعاة تدريبهم على ما يناسبهم ويستطيعون القيام به، فطفل

السبع سنوات يمكن أن يُسند إليه بعض الأعمال الكبيرة النافعة، وإبعادهم عما يعجزون عنه لصغر سنهم، دون إبعادهم كليا عن تلك الأنشطة اللازمة لنموهم.

- من المفضل عمل باب سهل الاستخدام للمطبخ، لا يمنع من تواصل الأم من أطفالها الصغار، ويحول دون دخولهم إليها، وينبغي إبعاد أباريق الشاي وأواني الطهي والقلي المعدة للاستخدام عن متناولهم، والحذر من عبثهم بآلات القطع الحادة كالمقصات والسكاكين والشفرات ومفارم اللحوم... الخ، وحفظها بعيدا عنهم، كي لا تحدث الجروح بأنواعها (المغلقة والمفتوحة ومنها على وجه الخصوص الجروح القطعية التي تُحدث نزيفا شديدا)، كما يفضل التأكد من غلق صنبور الغاز كي لا يعبث الأطفال بمفاتيح الموقد فيتسرب الغاز.

- الحرص أثناء تواجد الصغار في الحمام، ومتابعتهم حتى ينتهوا من اغتسالهم بسلام، مع تغطية أرضيته وقاع حوض الاستحمام بأغطية خاصة خشنة، مما يمنع انزلاقهم وحدوث رضوض وكسور.

- وضع حواجز واقية للمدافئ والمراوح والأفران والغسالات وغيرها، والتأكد الدوري من الوصلات والأسلاك الكهربائية (معزولة ومغطاة)، وتدريب الأطفال- في جد وحزم- على عدم لمس المدفأة أو الموقد، أو اللعب بالكبريت.

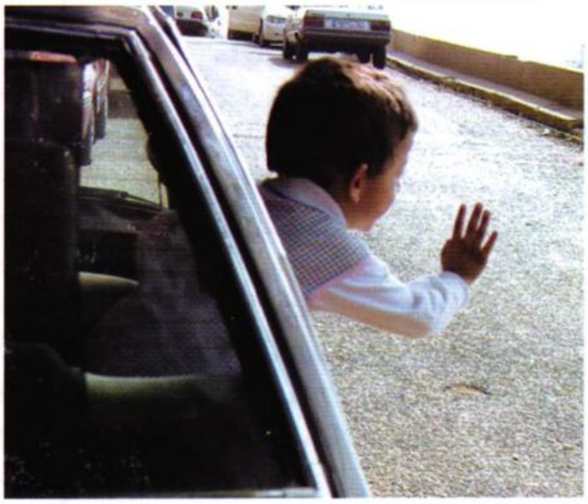
- وضع السموم المنزلية والعقاقير الدوائية بعيدا عن متناول الأطفال في خزانة مرتفعة ومحكمة الغلق، ومفتاحها في موضع معروف وأمين، ويفضل التخلص الدوري من العقاقير المنتهية الصلاحية، وحسن التصرف في الأدوية الصالحة والفائضة عن الحاجة بالتبرع بها، كذلك حفظ المواد الكيميائية والمنظفات الصناعية بعيدا عن الأغذية ومخزن الطعام.

- في الأعياد والمناسبات ينبغي متابعة الأطفال ورعايتهم، وتحذيرهم من الألعاب النارية، واللعب التي تستخدم مواد تضر بهم كطلقات المسدسات الصلبة، والأجسام الحادة المدببة كالسهام والإبر والمسامير وشظايا الخشب والأشواك وغيرها، كذلك الحذر من فضول الأطفال بإدخال رؤوسهم في أكياس بلاستيكية، أو شد حبال حول أجسامهم، أو دخول أجسام غريبة في الفم أو في الأنف فيختنقون.

- متابعة الأطفال، وعدم الاعتماد الكامل على المربيات، وخاصة عند اجتماع العديد منهم في منزل العائلة الكبيرة في الزيارات والمناسبات المتعددة كي لا يصيب أحدهم الآخر أثناء لهوهم ولعبهم.

- ويبقى على الآباء التدرب والدراية بأسس الإسعافات الأولية، وتوفير خزانة بها ما يلزم من مواد طبية منزلية، وكيفية التعامل السليم مع مختلف الحوادث، خاصة الكسور والحروق والجروح ومشاكل الجهاز الهضمي، ثم تعليم صغارهم المبادئ الأساسية للوقاية والحذر لتوقي الحوادث والإصابات.

على الآباء التدرب والدراية بأسس الإسعافات الأولية وتوفير خزانة بها ما يلزم من مواد طبية منزلية



الوقاية من الحوادث في المدرسة

- توفير وحسن اختيار البيئة المدرسية التي لا تعيق نشاطات الأولاد اليومية، ولكن في ظروف وقائية تقلل للحد الأدنى من الحوادث المدرسية.

- من الأفضل مرافقة الطفل في أولى مرات ذهابه لرياض الأطفال أو المدرسة للتأكد من معرفته للطريق الأكثر سلامة وموضعه في الصف وكيفية الوصول إليه، كما عليه أن يحمل بطاقة تعريف باسمه وعنوانه ورقم تليفون بيته أو ذويه لاستعمالها عند الضرورة.

- حض التلاميذ وإلزامهم بسلوكات وممارسات تحميهم خلال ذهابهم ومكوثهم وعودتهم من مدارسهم أو من رحلاتهم المدرسية إلى منازلهم سالمين آمنين.

- تدريب وتعويد التلاميذ على عبور الشارع من الموضع المخصص للعبور، وانتظار السيارة قبل وصولها بوقت كاف بلا هرولة أو جري للحاق بها منعا للحوادث.

- سلامة وصيانة سيارات المدرسة التي تقلهم وحسن اختيار السائقين الأكفاء المؤهلين واتباعهم قواعد السير والمرور والسلامة عند توقفهم المتكرر، وعدم انشغالهم بشيء غير متابعة صعود وهبوط الصغار واتخاذهم مقاعدهم.

- إشراف المعلمات على السيارة التي تقلهم إلى المدرسة بتنظيم صعودهم- فرادى- وهبوطهم دون تزاحم أو تكدس داخل السيارة، وعدم إخراج رؤوسهم أو أيديهم من النوافذ، وتهوية السيارة جيدا، كي لا يحدث إنهاك حراري لأي من الأطفال.

- الحقائب المدرسية الضخمة والمُرهقة لظهور أبنائنا يجب العناية بها وصفها وتكديسها، خلال الصعود والمكوث بالسيارة أو خلال استعمالها في المدرسة، بما لا يسبب أضرارا من ثقلها أو من أطرافها الصلبة البارزة.

- ينبغي الإشراف على عدم تدافع الأطفال وجعلهم في صفوف متراصة عند

صعود الدرج (السلالم) أو دخول الفصل، أو على صنابير المياه، كذلك إشراف المعلمين والمعلمات على الأطفال والتجول بينهم أثناء راحتهم في فناء المدرسة.

- تدريب الأطفال على حسن استعمال أدواتهم المدرسية كالمقص والفرجار والشفرات والأقلام الرصاص وعدم اللعب بها أو التلويح بها ضد زملائهم في الصف، كي لا تتأذى وجوههم أو أعينهم.

- الوقاية والعناية واستخدام وسائل الحماية والسلامة الذاتية للمعلمين والتلاميذ عند إجراء التجارب العملية في المختبر أو في الصف، والحرص عند استعمال الأحماض والكيماويات وغيرها.

- وعدم استخدام الأدوات الكهربائية العامة بالمدرسة إلا تحت إشراف المعلمين والمختصين، تزويد المدارس بأجهزة إطفاء للحرائق وتدريبهم على طرق الوقاية منها وكيفية التعامل معها، إن حدثت لا قدر الله تعالى، والتنبيه على عدم جلب علب الكبريت معهم، واللعب بها في المدرسة.

- وإذا كانت المدارس لديها ملاعب وتنفذ برامج ومسابقات تربية رياضية- وذلك أمر جوهري ومهم- أو تقوم برحلات لنواد رياضية، فينبغي اختيار الرياضات المناسبة لعمر ورغبات الأطفال، ومراقبة المشرفين الرياضيين عليهم أثناء ممارستها (كرة قدم، سلة، طائرة، تنس طاولة، لياقة بدنية، سباحة... الخ)، منعا للتنافس غير المحمود، أو العدواني أو الضرر الذي قد يلحق بهم، خاصة عند ممارسة السباحة.

- إحاطة الأماكن المرتفعة بالمدرسة بحواجز مانعة، ووضع حواجز التفافية تمنع خروج الأطفال مباشرة إلى نهر الشارع عند الانصراف من المدرسة.

- صقل مهارات المعلمين والمعلمات من خلال دورات تدريبية منتظمة على أسس الإسعافات الأولية، وحسن التصرف الواعي عند حدوث مشكلة أو حادث ما للأطفال. وقى الله أطفالنا من كل سوء.

تفقهي

سناء الحربي

طهارة العطور

ما حكم استعمال العطور التي تحتوي على مادة الكحول المسكرة؟

وهل تجوز الصلاة وهذه المادة على أجسامنا وملابسنا علمًا بأن كل مسكر نجس؟

■ **أجابت اللجنة**

إن العطور المختلطة بالكحول ليست نجسة، وتصح الصلاة معها.

صلاة الجنازة للنساء

هل يجوز للمرأة أن تصلي خلف الجنازة في المقبرة أو في المسجد؟

■ **أجابت اللجنة**

الأصل في ذلك الجواز ما لم يترتب على ذلك مفسدة. والله أعلم.

من حاضت أو طهرت في وقت الصلاة

ما الحكم الشرعي في امرأة أخرت صلاة الظهر لعذر شرعي كالسفر مثلًا ثم حاضت في وقت العصر، وأخرى طهرت في وقت العصر، والمهم في المسألتين

الأولى: هل تقضي صلاة الظهر أم تسقط عنها مع ذكر السبب؟

الثانية: هل تصلي الظهر أم لا مع ذكر السبب؟

■ **أجابت اللجنة بما يلي**

إن التي أخرت الظهر وجاءها الحيض وقت العصر عليها أن تقضي صلاة الظهر التي فاتتها بعد أن تطهر من الحيض، لأنها تركت صلاة الظهر بعد أن وجبت عليها، وأما التي انقطع حيضها في وقت العصر وقد بقي وقت يتسع للغسل والتحريمة (تكبيرة الشروع في الصلاة) فعليها أن تصلي صلاة العصر، وان فاتتها فعليها أن تقضيها، وأما ان لم يتسع الوقت للغسل والتحريمة فإنها تسقط عنها صلاة العصر. والله أعلم.

إنفاق المرأة على والديها

هل تكلف البنت شرعًا بإعالة والدتها الأرملة او المطلقة اذا كانت والدتها لا تستطيع الكسب؟ ومن هو العائل الشرعي للوالدين وكيف يتحقق؟

■ **اجابت اللجنة بما يلي**

إن البنت تكلف شرعًا بإعالة والدتها الأرملة أو المطلقة اذا كانت والدتها ليست ذات مال ولا تستطيع الكسب، وذلك اذا كانت البنت ذات مال او تستطيع التكسب بغير مانع شرعي.

أما العائل الشرعي للوالدين فهو الولد ذكراً كان أو انثى اذا كان الوالدان عاجزين عن التكسب، وكان الولد غنيًا ذا مال أو قادرًا على التكسب، فإن عجز انتقل واجب الإنفاق إلى أقرب وارث للوالدين، على ان يراعى عند تقدير النفقة حال اليسار بالنسبة لمن تجب عليهم النفقة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثقب الأنف للزينة

هل يجوز ثقب الأنف للزينة؟

■ **أجابت اللجنة**

يجوز ثقب الأنف للزينة قياسًا على ثقب الأذن. والله أعلم.

المصدر: مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية

المرأة والشباب في مؤتمر التنمية العربية التاسع

مي محمود

أجمع خبراء عرب خلال مشاركتهم في فعاليات المؤتمر الدولي التاسع للمعهد العربي للتخطيط حول المرأة والشباب في التنمية العربية، على أهمية بحث سبل تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والقانونية للمرأة، وكذلك بحث اتجاهات ظاهرة البطالة بصفة خاصة.

وأنهى أكثر من ٢٠٠ مسؤول وخبير عربي ودولي جلسات المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام بالقاهرة في الفترة من ٢٢ إلى ٢٤ مارس ٢٠١٠، موصين بجملة نقاط تنتظر التفعيل من جانب الهيئات التنفيذية.

ومن أبرز التوصيات دعوة الدول العربية إلى تنفيذ ثورة ثقافية تعيد الاعتبار للمرأة كإنسان له الحقوق كاملة وعليه الواجبات كافة كالرجال سواء بسواء في كل ما يتعلق بالحياة من ممارسات سياسية واقتصادية وعلاقات اجتماعية.

وكذلك وضع خطط وطنية للحيلولة دون إخضاع المرأة العربية الحرة إلى مقاييس النموذج الغربي واقتدائها بنسائه، والقفز فوق القيم والأخلاق، فلا ينبغي النظر إلى المرأة كمخلوق دوني، فتحرم من حقها في المعرفة والعمل والمساهمة في بناء المجتمع، بالقدر نفسه الذي لا ينبغي فيه استخدام حرية المرأة مدخلا للانحلال الأخلاقي والقيمي والاجتماعي.

وطالبت التوصيات بوضع آليات تسهل الانتقال بين المسارات، والتوجيه والإرشاد لمساعدة الشباب على اختيار المسار المناسب لقدراتهم وميولهم، وتطوير مسار التعليم الفني والمهني في الوطن العربي وتعزيزه، وتوسيع آفاق التعليم العالي له، والتوظيف الفعال لتقنية المعلومات والاتصال في تطوير منظومة التعليم والعمل على إرساء صناعة عربية لتقنيات التعليم في خدمة الدول العربية.

كذلك جاء في

مستقبل المرأة والشباب يقلق خبراء التخطيط والتنمية العرب

التوصيات ضرورة إيجاد تعاون عربي فعال يستهدف تحسين الأداء الاقتصادي والمناخ الاستثماري، والتركيز على تطوير منظومة تنمية الموارد البشرية، وعلى نوعية القوى العاملة، وإطلاق الطاقات الابتكارية والإنتاجية الكامنة لدى المرأة والشباب، وذلك من أجل تجميع رأس المال البشري وتحويله من عبء ضاغط ومستنزف للموارد إلى طاقة وميزة تنافسية عالية تجعل الاقتصادات تحقق معدلات نمو تحاكي البلدان الأكثر تقدما، حيث إن القوى البشرية هي الثروة الحقيقية التي يتمتع بها الوطن العربي في حالة تزويدها بالمعرفة والمهارات المرنة التي من شأنها أن تدعم عمليات توطين الوظائف في العديد من البلدان العربية.

وطالب خبراء التخطيط والتنمية العرب القوى الفاعلة في العالم بالمعاونة الحقيقية لوضع حد لمأساة المرأة والشباب الفلسطيني وإيجاد تسوية عادلة للصراع العربي الإسرائيلي الذي يؤثر في استقرار المنطقة وتحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي وتحقيق التقدم.

فالقضاء على الفقر لن يتحقق بغير التنمية الشاملة، والتنمية الشاملة لن تتحقق بغير توفير الأمن، والأمن لن يتحقق بغير القضاء على الممارسات العنصرية الإسرائيلية وإنهاء الاحتلال، والقضاء على هذه الآفات الخطيرة لن يتحقق بغير إعمال سيادة القانون، وهذا لن يتحقق بغير تنظيم دولي عادل.

ولم تغفل التوصيات خريجي الجامعات والاهتمام بهم بوصفهم يشكلون طاقة بشرية هائلة قلما يتمكنون من إشباع حاجاتهم الأساسية وغالبا ما يتعرضون إلى الصد والإحباط، وصعوبات جمة في تخطي بعض العراقيل المادية وبعض الحواجز المهنية أثناء سعيهم لتحقيق ذواتهم، مما ينشأ عنه العديد من المشكلات التي تؤدي بهم إلى نوع من عدم التوافق المجتمعي، وبالتالي إعاقة تقدمهم وضعف قدرتهم على العطاء.

ومن توصيات خبراء التنمية والتخطيط العرب الموجهة إلى الهيئات التنفيذية العربية حل مشكلات الشباب التي تجعلهم في حيرة من أمرهم، والتي تؤدي إلى المزيد من مشاعر القلق العام والإحباط والتوتر وعدم الاستقرار والخوف من المجهول.



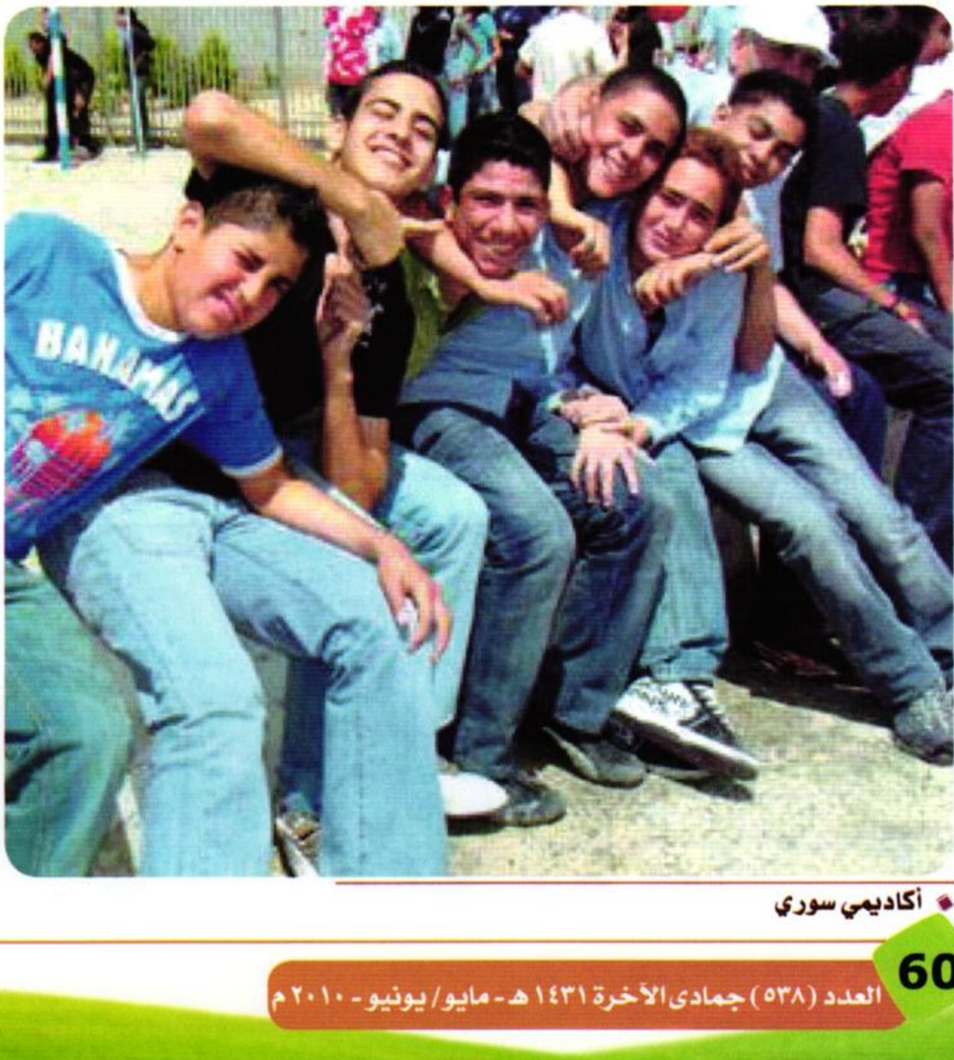
■ من فعاليات المؤتمر

دعوا المراهق يفكر!

د.فيصل سلمان حسن

تجمع الدراسات النفسية والاجتماعية المعاصرة على أن المراهقة (Adolescence) تعد أخطر مرحلة عمرية تواجه الإنسان خلال ارتقائه السلم الحياتي كله، ذلك أنها الأكثر حساسية وتأثيرًا في الشخصية الإنسانية من حيث توجهها ووظيفتها والدور الاجتماعي المنتظر منها، إذ تشهد مجموعة من التغيرات البيولوجية والفسيولوجية التي تحدد اتجاهات السلوك المستقبلي للشخصية الإنسانية، وتنقلها من إطار بساطة حياة الطفولة وعشوائيتها، إلى تعقيد الحياة الناضجة البالغة وتنظيمها على نمط سلوكي محدد، وهذا معناه أن التغيرات الجوهرية تكسب المراهق مجموعة كبرى من الصفات الجديدة التي تمكن المراهق من تشكيل إدراكه الموضوعي لذاته الاجتماعية وإحساسه أن له طابعًا خاصًا يحدد قيمته وتميزه عن غيره من بني جنسه.

ولعل أهم هذه التغيرات وأخطرها في حياة المراهق التغيرات العقلية والفكرية، ومستواها الخاص المحدد للإطار الذاتي العقلي والفكري المميز الذي يحكم شخصية المراهق ويطبعها بطابعه الذاتي، ويميزه بالتالي عن غيره عبر مسيرته الحياتية كلها، لذلك يرى أغلب علماء النفس أن الفرد يمر في مرحلة المراهقة بأخصب مراحل النمو العقلي وتزايد الذكاء الذي يصل إلى ذروته، حيث إن جميع القوى المرتبطة بالنضوج العقلي (Maturity) تأخذ بالاتساع كالذاكرة والمخيلة والقدرة على التساؤل والوعي والإدراك، والقدرة على الإبداع والابتكار، وهذا ما يجعل المراهق في هذه المرحلة يتسم بفكر متجدد يتطرق فيه إلى مختلف المواضيع، بطريقة البحث والتقصي والاستكشاف والتيسير، وهنا لابد من أن ندع المراهق يفكر بتأمل وعمق.. لذلك دعوا المراهق يفكر!



أكاديمي سوري

إن المراهق في هذه المرحلة يكون أحوج شيء إلى المساعدة في تشكيل هويته العقلية والفكرية الخاصة حيال الذات والعالم والأشياء، ولا تجدي المساعدة هنا بالتلقين (Dictation) وتقديم الإجابات الجاهزة عن استفساراته القلقة تجاه الظواهر والأشياء، لأن القوى العقلية والفكرية تسعى للنضوج الآمن والتحقق المستقر في ذات المراهق القلقة المتوترة المتسائلة، وهذا لا يكون عبر الأساليب التقليدية التي يمثلها التلقين، إنما يكون بتوفير الأجواء الآمنة والمستقرة لنشوء تفكير موضوعي عقلي مجرد لدى المراهق، قوامه تقديم الأسئلة بصورة منطقية والبحث الحثيث عن الأجوبة باستخدام المقولات والأساليب العقلية للوصول إلى تشكيل الرأي الخاص والموقف الذاتي حيال القضايا والأشياء لاكتساب الخبرات والتجارب ببعديها العلمي والواقعي، ولابد هنا من تقبل أسئلة المراهق وقضاياه المطروحة للبحث مهما بلغت درجة غرابتها، لأن من شأن

ذلك كله أن يسهم في تكوين هويته العقلية والفكرية النامية الآمنة والمستقرة مستقبلا، فما يميز النمو العقلي والفكري في مرحلة المراهقة هو نمو القدرات والمواهب جنبًا إلى جنب نمو الانفعالات، حتى يصل المراهق إلى مرحلة الرشد الحقيقي التي تتوضح فيها المواقف والآراء، وتتزن الميول، وتنضبط الانفعالات فإذا ما جاء المراهق يومًا يطرح أسئلة غريبة بشكل قلق حيال قضايا تعتبر من المسلم بها في اعتقادنا وجب علينا أن نتقبل بصدر رحب هذا النمط من الأسئلة مبتعدين تمامًا عن التوتر والقلق والميل إلى التلقين في تقديم الإجابة، علينا أن نبادر الى القول: معك حق فيما تسأل، وسؤالك ينم عن شخصية معتبرة، ولكن عليك أن تفكر بنفسك، وتبحث بنشاط لتجد الإجابة الشافية، وهذه مجموعة من الوسائل والمراجع المساعدة التي يمكن أن تنفعك.. هيا اذهب وفكر وابحث بنفسك، وإذا ما اعترضتك عقبة ما فنحن مستعدون للمساعدة.

التحول النوعي في نظرة المراهق وإرهاصات تشكل الذات الواعية المفكرة

والحقيقة أن نظرة المراهق إلى الحياة وقضاياها المجردة تبدأ بالتغير الجذري تمامًا عما كان مألوفًا في مرحلة الطفولة، فلم تعد الحياة لديه لعبًا ولهوًا وإشباعًا عضويًا للحاجات يتمثل في المأكل والمشرب كما كان الحال عنده كطفل، وإنما تصبح الحياة لديه ذات معنى مجرد راق وهدف سام، ينطوي على تصور فكري يلبي غاية وجوده الحياتي والاجتماعي من جانب، ويؤدي من جانب ثان الرسالة الإنسانية القائمة على جملةٍ كبيرة من القيم الأخلاقية والوجدانية السامية التي يأخذ المراهق بتشكيلها وهو يتأمل الذات والعالم المحيط والثقافة السائدة، تأملا قائمًا على طرح مجموعة كبرى من علامات الاستفهام والتعجب، لذلك يبدأ المراهق بالتفكير الحقيقي في غايات الوجود وأسباب

نظرة المراهق إلى الحياة وقضاياها المجردة تبدأ بالتغير الجذري تمامًا عما كان مألوفا في مرحلة الطفولة

الظواهر ووظائف الأشياء المحيطة، والعلل الكامنة وراء اختلاف الخلائق والأحياء من حيث الوظائف والأدوار الحياتية والاجتماعية، وهذا بالضبط ما يدفعه إلى البدء بوضع هدف مستقبلي جليل، في تصوره يختصر غاية وجوده كإنسان له وظيفته الحياتية والاجتماعية، ويؤدي الرسالة الإنسانية المتخيلة في وعيه الآخذ بالتشكل والصيرورة، كما يبدأ مرحلة التساؤل الهادف والواعي والبحث والتقصي وعدم التسليم الأعمى لتلك التفسيرات المطروحة والنفور من حال التلقين، هنا نستطيع أن نميز بشكل جلي واضح المراهق عن الطفل الذي يميل عادة إلى التعامل الظاهري مع الأشياء بشكل معزول عن أسبابها وعللها، والتسليم الأعمى للتفسيرات الغيبية الغامضة حيال قضايا الوجود والحياة.

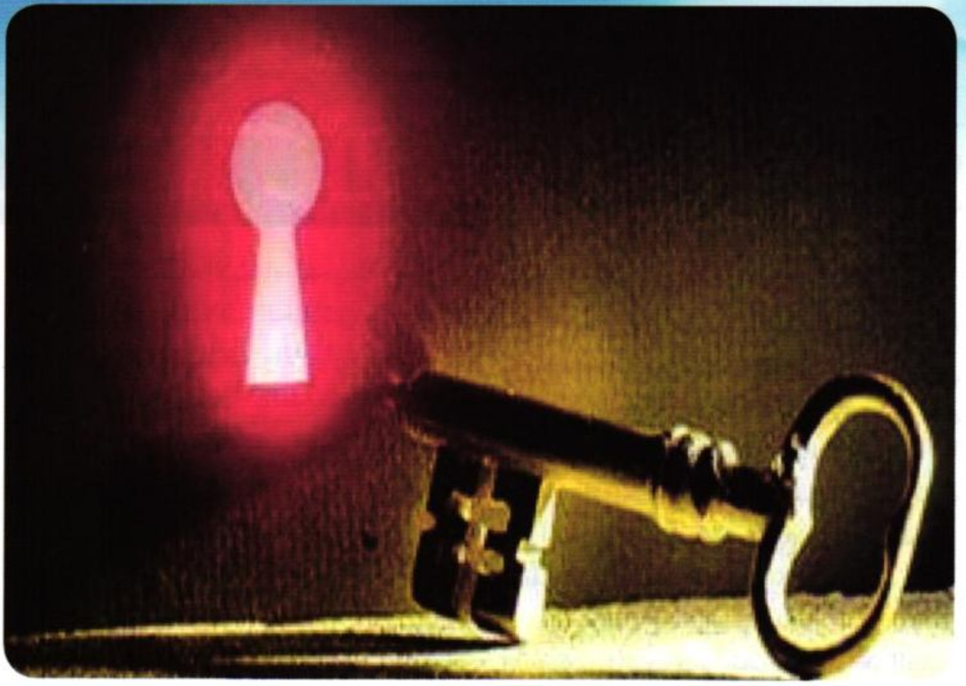
سمات التفكير العقلي والمعرفي لدى المراهق

صحيح أن تفكير المراهق بداية يتميز بالسطحية والانفعال، باعتباره مبنيًا على مشاهدات بسيطة وخيالات ترد على وعيه الفكري الآخذ بالتشكل، لا على خبرات عملية وواقعية قائمة على التفسير المنطقي والتفكير المجرد، بالإضافة إلى خضوعه لتأثير العواطف والانفعالات التي غالبًا ما تكون المسيطر الأول على قرارات المراهق وأحكامه، لكن الصحيح أيضًا أن هذا النمط من التفكير لا يستمر طويلا لدى المراهق الذي يجد مساعدة من الظروف المحيطة والأهل، إذ سرعان ما يأخذ المراهق بالتحرر التدريجي من السطحية والانفعالية في التفكير بالتزامن مع اكتساب الخبرات العملية التجريبية وتطور مستوى النمو العقلي والنضوج الفكري في ضوء تنمية القوى العقلية والقدرات الفكرية، محاكمة وتجريدا واستنباطا واستنتاجا واستقراءا وتفسير ومقارنة.. وغيرها، لذلك تتسم مواقف المراهق وقراراته بالميل نحو مزيد من العقلانية والاتزان والعمق، مما يسهم في جلب مزيد من الأمن والاستقرار لتفكير المراهق، ويؤهله لحياة منتجة فاعلة ومؤثرة في محيطه الحياتي والاجتماعي ويحكم على رسالته الإنسانية بالتميز والإبداع، وهذا ما يفسر إلحاحنا الشديد بالدعوة إلى ترك المراهق يجرب ويفكر، مع محاولة توفير الظروف المناسبة للتفكير والتجريب.

والواقع أن ميل المراهق إلى التأمل والتفكير والتجريب ينمي في ذاته القدرة على الفهم الزمني بأبعاده المختلفة (الماضي، الحاضر، المستقبل، الميتافيزيقي) ويدعوه إلى بناء آرائه ومواقفه على أسس أكثر منطقية وحرية، وألا يستسلم لأنماط الحياة التقليدية والسلوكات العشوائية، وما دام الحال كذلك فلابد أن ينزع إلى التمرد على التقليد النمطي الأعمى، والشك بالمسلمات والتساؤل عن المنوع، وإخضاع ذلك كله لرؤية عقلية فكرية ذاتية تستند على تجربته هو، وتفكيره هو، لتشكيل الهوية الفكرية المستقرة الخاصة.

ضرورة التعاطي الواعي مع التمرد الفكري للمراهق

وإنه لَمِن الخطأ بمكان مواجهة هذا النمط من التَمرد الفكري الثوري على التقليد النمطي الأعمى والشك بالمسلمات والتساؤل في الممنوع، بالاستهتار أو العنف أو الكبت، لأن من شأن ذلك أن يلحق الضرر الفادح بالنمو العقلي والفكري ونشوء الشخصية العقلية النامية، حيث يرى علماء نفس الطفولة والمراهقة أن الشباب الذين يتصفون بضعف الشخصية وضمور الدور الأجتماعي والرتابة في التحصيل المعرفي، والنظرة المتشائمة للحياة ينتمون إلى تلك الفئة التي منعت في مرحلة المراهقة من البحث والتساؤل وكبتت اسئلتها أو تعرضت



للاستهتار والاستهزاء، بينما ينتمي المبدعون إجمالا إلى الفئة التي لقيت ترحيبًا من قبل أولياء الأمور والمربين في فترة المراهقة.

كما أثبتت دراسة قامت بها الـ «Gssw» (المدرسة المتخصصة للدراسات الاجتماعية بالولايات المتحدة) على حوالي ٤٠٠ طفل ومراهق، بداية من سن رياض الأطفال حتى سن ٢٤، وعلى لقاءات مختلفة من أعمار مختلفة (٥، ٩، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٤)، أن المراهقين في الأسرة المتماسكة ذات الروابط القوية التي يحظى أفرادها بالترابط، واتخاذ القرارات المصيرية في مجالس عائلية محببة يشارك فيها الجميع، ويهتم جميع أفرادها بشؤون بعضهم البعض، كما تحظى أسئلة المراهقين القلقة وسلوكاتهم الثائرة المتوترة المتسائلة بالترحيب والتقبل العلمي الموضوعي العقلي هم الأقل ضغوطًا، والأكثر إيجابية في النظرة للحياة وشؤونها ومشكلاتها، ويتصفون بالنمو العقلي والفكري الهادئ والمنتج، ومستوى تحصيلهم المعرفي والعلمي مرتفع، في حين كان رفاقهم الآخرون أكثر عرضة للاكتئاب والضغوطات النفسية، واتسم تطورهم الفكري بالقلق والاضطراب وعدم الفاعلية المنتجة، وكانت نظرتهم إلى الحياة تتميز بالتشاؤم وعدم المبالاة، وبالطبع كان مستوى التحصيل المعرفي والعلمي متدنيًا.

لذلك كله، اتفق خبراء الاجتماع وعلماء النفس والتربية على أهمية إشراك المراهق في المناقشات العلمية المنظمة التي تتناول علاج مشكلاته، وتعويده على طرح مشكلاته وأسئلته الثائرة الجريئة ومناقشتها مع الكبار (أولياء الأمور في الأسرة، المربين في المدرسة، ودور التأهيل الاجتماعي في المجتمع) في ثقة وصراحة، ودعوته إلى المحاولة الحرة والنشطة في تقديم التفسيرات العلمية والمنطقية القائمة على الواقعية والوعي، وكذلك احاطته علمًا بالأمور الجنسية عن طريق التدريس العلمي الموضوعي، والمناقشة الصريحة المسؤولة حتى لا يقع فريسة للجهل والضياع أو الإغراء، ذلك كسبيل وحيد للحفاظ علي النسق المعرفي والعلمي السليم المنتج الذي تمر به شخصية المراهق الواعية المفكرة، وضمان وصول المراهق إلى بناء الذات المعرفية الواعية حيال الذات والقضايا والمجتمع والثقافة بناء علميا نافعًا يتصف بالإنتاج والعلمية والاستقرار.

إن هذا السبيل الوحيد من الأداء الناضج العقلاني المعرفي في التعاطي مع المراهقة، من منظور الدعوة إلى مقولات التفكير والاستيعاب والتقبل والمناقشة الصريحة وتقديم التفسيرات العلمية والمنطقية وإشراك المراهق في الحوارات الهادفة للحفاظ على النسق المعرفي العلمي المنتج لديه، يعد السبيل الأكثر فعالية وجدوى في التعاطي مع مشكلات المراهقة وتنمية ملكات التفكير والإبداع مهما اختلفت ظروف المراهقة بين المجتمعات، فمما لاشك أن المراهقة، كما يقول د.عبدالرحمن العيسوي: «تختلف من فرد إلىآخر، ومن بيئة جغرافية إلى أخرى، ومن سلالة إلى اخرى، كذلك تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في وسطها المراهق، فهي في المجتمع البدائي تختلف عنها في المجتمع المتحضر، وكذلك تختلف في مجتمع المدينة عنها في المجتمع الريفي، كما تختلف من المجتمع المتزمت، الذي يفرض كثيرًا من القيود والأغلال على نشاط المراهق، عنها في المجتمع الحر الذي يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة»، ولكن آليات بناء النسق المعرفي والعقلي لدى المراهق بصورة فعالة منتجة تعطيه الذات الواعية المفكرة مستقبلًا تكاد تكون واحدة في التعاطي مع المراهقين إجمالًا مع الأخذ بعين الاعتبار هذه الاختلافات.

معوقات

والحقيقة أن بناء النسق المعرفي والعقلي للمراهق، وتشكيل ذاته الواعية المفكرة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية يمر بمجموعة كبرى من المعوقات التي تحول دون نمو القدرات العقلية والمعرفية وملكات الإبداع بصورة ناضجة فعالة، ويمكننا أن نجمل أهم هذه المعوقات وأخطرها فيما يلي:

١- معظم المربين وأولياء الأمور فهموا المراهقة على أساس من التصورات والمفاهيم الخاطئة، وقصر المراهقة كلها على مجموعة من التغيرات الجنسية والنفسية فقط، دون إدراك واع للكنوز العقلية والفكرية التي تنطوي عليها المراهقة وتبدأ بالتفجر مع جملة التساؤلات الغريبة والقضايا الجريئة التي يطرحها المراهق، وبالتالي عدم

استغلالها، بل الميل إلى كبتها في نفس المراهق ومحاربتها.

٢- أغلب المربين وأولياء الأمور لا يؤمنون بالقدرات العقلية والملكات الإبداعية التي يكتنزها أبناؤهم المراهقون، وضعف ثقتهم بقدرة أبنائهم المراهقين على التمييز بين الصواب والخطأ من الأقوال والأفكار والأحداث والتجارب، وبالتالي الخوف عليهم من الأنماط الفكرية الجديدة والتجارب العقلية، باعتبارهم قليلي الخبرة ضعيفي التفكير.

٣- ميل الكثرة الكثيرة من المربين وأولياء الأمور إلى تربية أبنائهم المراهقين على النمط الفكري التقليدي الذي تلقوا التربية عليه من آبائهم وأجدادهم، على مبدأ تقليدي مشهور «أربي ولدي كما رباني أبي، وأعلم طلابي كما علمني استاذي من قبل»، وفق ما تقتضيه النظرة الروتينية البسيطة للعادات والتقاليد الموثة، وذلك دون احتفال بالتطور المعرفي الهائل والتراكم الفكري المدهش الذي حققه العالم الحديث حوله، مما يجعل المربين وأولياد الأمور في غربة سلبية عن التيارات والاتجاهات الفكرية السائدة، كما يكبح نمو النسق المعرفي والعقلاني المبدع لدى المراهق ويسير به نحو النمطية المملة والاتباعية الفكرية بمعناها السلبي غير النافع.

حلول واقتراحات

والواقع أن المتأمل في هذه المعوقات سيدرك الآثار الكارثية الخطيرة التي تتركها على نمو التفكير العقلاني والمعرفي المنتج والبناء عند المراهق في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، لذلك لابد أن يأخذها المربون وأولياء الأمور بعين الاعتبار والحذر في معالجة مشكلات نمو التفكير لدى أبنائهم المراهقين، فيعملون بشكل جاد علمي حثيث على معالجته، ذلك بالإضافة لهذه الاقتراحات التي أجمعت عليها المؤسسات البحثية الغربية، والدراسات الأكاديمية التي تصدت بالدراسة والتحليل لمشكلات نمو التفكير العقلاني والمعرفي السليم المنتج، ويمكن اجمالها بما يلي:

يجب اشراك المراهق في المناقشات العلمية المنظمة التي تتناول علاج مشكلاته

١- ضرورة الإصغاء الهادئ والواعي لكل الأسئلة والقضايا التي يطرحها المراهق، مهما بلغت درجة غرابتها وجرأتها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المراهق سيصل بطريقة أو أخرى إلى هذه القضايا الجريئة في عصر التراكم المعرفي Knowledge Accumulation الهائل، والانفتاح الإعلامي والفضائي غير المسبوق، فخير لنا أن نفكر مع المراهق في جملة القضايا والأسئلة القلقة التي تشغله لنصل معًا إلى إجابات علمية منطقية، وحلول عقلية تجلب له الأمن النفسي والاستقرار الفكري، من أن نتركه في مهب الريح، يزداد اضطرابًا وضياعًا وفسادًا وينتهي به المطاف إلى مناهج تفكيرية سلبية لا تحمل النفع لنفسه ومستقبله أولاً، ولمجتمعه ووطنه ثانيًا.

٢- وجوب الخروج من الأنماط التربوية التقليدية في التعاطي مع نمو النمط الفكري والعقلي الذاتي لدى المراهق، فقد أجمعت الاتجاهات الحديثة في دراسة طب النفس على أن مساعدة المراهق في إيجاد التوازن بين الاعتماد على النفس في التفكير والبحث والتحليل حيال القضايا والأفكار، والاعتماد على تجارب الآخرين وخبراتهم الحية، والخروج في التعاطي معه من زي النصح والتوجيه بالأمر الواجب التنفيذ (صراع الأجيال Generation Confict)، إلى زي الصداقة والتواصي وتبادل الخواطر، وبناء جسر من الصداقة لنقل الخبرات بلغة الصديق والأخ لا بلغة ولي الأمر (حوار الأجيال Generation Dialogue)، هو السبيل الأمثل لتكوين علاقة حميمة نفسية وجدانية فكرية بين الآباء وأبنائهم في سن المراهقة.

٣- مسايرة التراكم الفكري الهائل في التفكير المعاصر من خلال الإلمام الواعي والمدروس بكل التيارات الفكرية والثقافية المستجدة والوسائط الإعلامية الحديثة التي تفرزها، والإفادة منها في تحريك قوى التفكير الحي المبدع لدى المراهق وحسن التعاطي الواعي والحكيم معها بما يمكننا من الاقتراب من عالم المراهق وتفكيره وظروفه المختلفة، مع ضرورة التعرف على هذه التيارات الفكرية والوسائط المختلفة الجيد منها والسيء، نعمد إلى تعزيز الجيد والإفادة منه، والحذر من السيىء الفاسد واجتنابه.

ولابد هنا من الحرص على عدم حجب المراهق عن التواصل البناء معها بصورة قمعية إلغائية ترهيبية، لأن ذلك يعطي نتيجة معاكسة لتلك التي نتوخاها (كل ممنوع مرغوب) ويولد في ذاته الشعورية واللاشعورية جوانب من الخوف والرهبة السلبية، لذلك يؤكد الباحثون النفسيون في هذا المضمار على ضرورة دعوة المراهق للتعامل الواعي معها مع حفز ملكات التأمل والتفكير والتحليل والاستنتاج.. قائلين لا مشكلة في تعاملك مع ما تحب من الوسائط الإعلامية الحديثة والتيارات الفكرية التي تفرزها، ولكن فكر بوعي وتأمل تامّين فيما تفعل واعرض ذلك كله على ملكاتك الفكرية، حلله جيدًا واذكر السلبيات والإيجابيات ودعنا نساعدك في الوصول إلى الموقف المريح لنفسك، هيا فكر ونحن هنا نراقب عن كثب ومستعدون للتدخل في الوقت المناسب.

مراجع

١- علم نفس الطفولة والمراهقة، د.جميل صليبا، كلية التربية في جامعة دمشق، ٢٠٠٥.

٢- المراهقة.. خصائص المرحلة ومشكلاتها، موقع المسلم على شبكة الإنترنت.

٣- المراهقون، د.عبدالعزيز محمد النغيمشي، جامعة الملك سعود.

٤- تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات، د.فتحي جراون، دار الكتاب الجامعي.

اللحظات الأخيرة لوالدي الحبيب

صفاء محمد الأشقر

كم أخرت كتابة هذا المقال أملًا في أن يخفف وقع المصاب علي فيسهل تسطيره، إلا أنني كلما نقشت حرفا انفطر القلب كأنه فجيعة الخبر أول مرة! أقول إنني أعيش اللحظات كأنها تمر بي من جديد.. فلم أخرج منها بعد! وعذري أن فقيدي ليس أي فقيد، حقي أن آخذ وقتي.. فكم أب عالم تفقد الفتاة!



بعد عيد الفطر جلست في أنس كعادتي مع أبي، فطلبت منه الوالدة أن يقص علي رؤياه التي رآها من أيام، وقد عُرف عني التأويل، فقصها مستبشرًا بتفاصيلها، واستشعرت خلال سرده إياها - وكانت طويلة على غير العادة - كم هو مرتاح لما فيها ومتطلع لنهايتها، أتم - رحمه الله - سردها فسحبت الكرسي الذي أجلس عليه إلى الوراء لكي لا تقع عيني في عينه وانسحبت مع كرسيَّ خافضة رأسي، إلا أن من بجانبي لمح فيض الدموع الذي أساله وقوع تأويلها في نفسي! وعجز قلب صغرى حبيباته عن كتم الدمع كما كتمت اللفظ!

والفقدُ موجع..!

كلما دخلتُ عليه بعدها وجدته يراجع حفظه، فيعطي المصحف من عنده ويقول له سمِّع لي السورة الفلانية.

بعدها دخل المستشفى، وعلى كثرة المرات التي دخلها، كانت هذه مختلفة، كنت أقول لمن حولي ادعوا له بالرحمة، حيث غلب على ظني توديعه إيانا قريبا.. لكن لم أتوقع هذا القرب! وفي ذات يوم ذهبت إلى المستشفى الذي يعالج فيه ولما فتح المصعد بابه على طابقه إذا بصوته يملأ الطابق يتأوه من الألم! دخلت غرفته وإذا كل من حوله من المرضى في غرفة العناية المركزة في غيبوبة أو كالنائمين، لم أتحمل أن أراه يتألم فقلت للطبيب: لماذا لا تعطونه دواء يهدئه مثلهم ليخفف ما به من الألم؟ فقال: كلهم نفس الدواء، لكن والدك «مصحصح زيادة»!

كلما دخلت عليه وجدتُ ممرضًا أو طبيبًا يمسك مصحفا مستفسرا عن سورة، أو يسمِّع له حفظه! قبل وفاته بيومين كنت عنده وقت صلاة العصر، فسألني عن السورة التي قبل الكوثر: ما هي وكانت الماعون، وذلك ليقرأ في صلاة العصر من حفظه، وأظنه أتم مراجعة حفظه في المستشفى قبل وفاته.

أحاديثنا المعتادة رائعة وأنيسة، وخاصة وعامة، وكل جميل قاله الناس! حتى إنني فكرت في نشر ذكرياتي معه ليتعرف الناس على كيفية عيش العالم في بيته، فكثيرون يتجملون للخارج وفي بيوتهم ينزعون الأقنعة! ومازلت أضع رؤوس الأقلام لهذا حسبما يتيسر في كيفية نشرها، أما أحاديثنا في المستشفى فلم تخرج عن ذلك الجمال والتفسير والفقه والعلم والأدب والتاريخ والشعر! ويضاف لها وصية أوصانيها وحان وقت إيصالها لأهلها! فكان يردد في لقائنا قبل الأخير أن يا شباب الإسلام اكتبو عن الإسلام، وما رأيته في هذا إلا كخطيب واقف على المنبر رافعًا سبابته مكررًا بحزم «عرفوا العالم عن الإسلام.. اكتبو عن دينكم.. يا شباب الإسلام.. عرفوا العالم على الدين الحق»، فما كان من حماستي التي اعتادها إلا أن تفاعلت معه لما لم أر جمهورا لخطبته.

فالكل، كما قلت لكم، نائمون، فقلت: «أعدك أن أكتب.. صدقني سنكتب» فابتسم.. فهذا ما يوصيكم به أبي يا شباب الإسلام، ألا هل بلغت؟ وهأنذا أنفذ الوصية أو شرعت.. والله المعين.

خرجت حين دخل في الصلاة للاستراحة في الممر متأملة في إحدى اللوحات التوعوية، وإذا بنفسي تراودني أن أدخل فأقرأ عليه «يس» يا لهذه النفس! اهدئي! هذا أبي! ماذا تقولين! ما أقسى وساوسك! هذا

◆ كاتبة أردنية

كنت أردد اللهم أجرني في مصيبتي وأجزني خيراً منها ..وتساءلت: ما الذي يمكن أن يكون خيراً منها؟ إنه أبي

الحبيب.. «لا تفاولي يا بنت»، ثم هل حديث «اقرأوها على موتاكم» صحيح؟ وهل القصد فيه قبل الموت أم بعده؟ سأسأله حين ينهي الصلاة، اسكتي! حتى لو كان الحديث صحيحًا وكان القصد فيه من هو في الاحتضار.. فكيف تستطيعين؟! هذا والدك الحبيب! أتجرئين؟! ومن قال لك إنه يحتضر؟ إنه مريض فقط وسترينه الأسبوع المقبل على سريره في منزله! ولكنه حقه علي إن كان الحديث كذلك وكان فيه تخفيف عنه ورحمة له! حتى ولو! لا أستطيع.. لا أستطيع!

هربت من وساوسي إلى سكينته، حيث يرقد مصليًا، وتطفلت على آخر صلاته، ثم آنسني بحديث التاريخ الذي لم أطق سماع قصصه أبدًا سوى منه! وكانت الجمعة الأخيرة.

زرته يوم السبت وودعته، جاء يوم الأحد وارتديت ملابسي للخروج لزيارته، انتظرت بعض من سيأتي للمنزل لأخرج بعد مجيئهم.. سبقهم هاتف من أخت كبيرة لي: «صفاء.. مات أبي.. قولي اللهم أجرني في مصيبتي وأجزني خيرًا منها».. واشتعلت في اللوعة!

ماذا تقولين؟ بهذه السرعة؟! نعم كنت مهيأة.. لكن أحتاج إلى وقت أكثر لتقبل الأمر، صحيح أن الرؤيا هزتني، ودخوله المستشفى أيضًا، ومرضه هذه السنوات الطويلة، لكنني أحتاج إلى وقت طويل لأتقبل الأمر، فأنا مختلفة، أنا الصغيرة، أنا الغالية، ألم يكن يقول عني: أنت الغالية؟ فكيف يذهب ويتركني؟ أحتاج إلى وقت أكثر معه! لم يمض في المستشفى سوى ثلاثة أيام، لو أنها أسبوعا أو أسبوعين كإقاماته المعتادة لتزودنا قليلًا من زياراته، أحتاج إلى وقت أكثر، كل هذا احتدم في ذهني وأنا أردد خلفها «اللهم أجرني في مصيبتي وأجزني خيرًا منها»

وتساءلت: ما الذي يمكن أن يكون «خيرا منها»؟ إنه «أبي»!!

ظللت أبكي.. أبكي حالي بعده، وشوقي إليه الذي بدأ من هذه اللحظة! أبكي على كل يوم قادم سأعيشه بعده، ولن أجده سندا لي، أبكي على فتنة ستعصف بي فيما سيبقى من عمر، ولن أجده ليرشدني، أبكي ألم الفراق ولوعة الفقد.. ظللت أبكي.. وتوجهت إلى المستشفى! لم أفقد عقلي.. لا.. ولكنني كنت عازمة على زيارته في هذا الوقت ولن أعود عن عزمي! صعدت إلى غرفته- أو ما كانت غرفة له، وأنا أعلم أنه في الثلاجات الآن! أريد أن أراه حيث تركته بالأمس، كيف لي أن أسلم عليه بالأمس في مكان حيًّا على أمل أن أعود له في المكان نفسه يحادثني وأحادثه، ثم أجده في طابق الأموات لا يرد لي سلاما! ولعلهم قد أخطأوا!

لعل موظفي المستشفى قد اختلطت عليهم الأسماء وأرقام الهواتف فبلغوا أهلي وهم يعنون مريضًا آخر! أريد أن أصدق! صعدت إلى الطابق الخامس، حيث العناية المركزة.. دخلت الغرفة وتوجهت نحو سريره.. فلما رأيت غيره عليه خنقت شهقتي بيميني وانسحبت! ارتميت على الحائط مقابل الغرفة وتقبلت الحقيقة.. الآن صدقت.. لقد مات.

يدان دافئتان تحتضنان يدي المحيطتين بوجهي، وصوت بدفئهما يقول «عظم الله أجركم»، إنها ابنة السيدة المريضة في الغرفة نفسها والتي اعتدنا أن نتجاذب معها أطراف الحديث والسؤال عن أحوال أمها في زياراتنا لوالدي، وكانت تُمرض والدتها ساعة وفاته، سألتها: هل كان أحد منّا موجودًا وقت وفاته؟ - فعادة أنا التي آتي صباحًا وقد حبسني حابس صباح اليوم- قالت «لا.. ولكن أبشرك.. طوال الصباح كان يهلل ويكبّر!» فارتسمت على وجهي ابتسامة عريضة رغم شلالات الدموع المتلألئة.. فأردفت.. و«قرأ سورة الفاتحة أربع مرات».. ثم صححت: «لا لا.. ثلاث مرات، ثم دخل في غيبوبة صغيرة توقف فيها نبضه وقبضت روحه».

يا إلهي! ما أروع هذه الخاتمة! فليهنأ بها مفسر القرآن.. اللهم ارزقني بمثلها.. اللهم ارزقني بمثلها.. فلأبشر أهلي ليفرحوا وليطمئنوا! ولكن أريد أن أراه، نعم أريد ذلك، رغم أني الضعيفة القلب التي لا تجرؤ على ما يجرؤ عليه كثيرون من الأطفال، ومن يعرفني يعرف هذا عني.. أريد أن أرى جثة! وجثة من؟ جثة أبي.

نزلت إلى طابق الثلاجات، في الطريق إلى حيث هو، كان الموت حيا.. أو هكذا استشعرته.. برد ووحدة ووقع أقدام وغربة، أو لعله برد الروح ووحدتها بعده، سحب الموظف رف ثلاجته فأخرجه لي ملفوفًا بالبياض.. أخرجه حتى أسفل صدره تقريبًا، تأملت وجهه، وكأن بقايا روحي تنزع مني على شكل قطرات لامعة تنحدر من مقلتي لتهرب معه إلى حيث تحلق روحه تلك اللحظة!

أردت أن أرتمي عليه لاحتضنه وأحادثه وأقبله وأودعه، فأعاقني قصر المسافة التي سُحب لها ووجود بعض من هم غير محارم لي، فهمست رغم المسافة «حبيبي..حبيبي» لعل أحدا لم يسمعها.. لكن روحي استحدت أن تبوح!

توجهت إلى بيت والدي ففتحت لي أخواتي الدامعات الباب، فقلت لهن «جئتكن مبشرة!» صدمن حين علمن أنني ذهبت لزيارته، لكن حين أخبرتهن بخاتمته صاحبت البسمات الدمعات فلم تنفصل هذه التوائم لساعات!

٢٠٠٩/١١/١٥ كان يومًا مختلفًا في حياتي، نقطة انقلاب كيوم ميلادي تمامًا! مازلت أذكر تفاصيله تماما، أذكر كيف اتصلتُ بمكتب مشروع العشر الأخير في المملكة العربية السعودية لأرى كيف يمكنني الحصول على أعداد كبيرة من العشر الأخير لتوزع في العزاء، ولمن لا يعرف، فالعشر الأخير هو تفسير الأجزاء الثلاثة الأخيرة مأخوذا من «زبدة التفسير»، كم كان

الأمر صعبا علي حين اضطررت لإخبارهم أن والـدي قد توفي لأشـرح سبب طلبي المستعجل! تخيل أنك تبلغ أحدًا بوفاة والدك اليوم! استعصى توفير الكمية المطلوبة خلال ذلك الوقت القصير، لكنهم بشروني بأنه تمت طباعة ١٧ مليون نسخة منه! وكلها على سبيل الوقف لله تعالى! كم أبهجنا هذا ومنحنا شيئا من الطمأنينة في يوم وفاته وهو مازال في الثلاجة، حيث تأخر الدفن لليوم التالي، وقتها تمنيت فقط أن يمن علي ربي بمثل عمله وأن يستعملني في الطاعة كما استعمله! في تلك اللحظة تذكرت رؤياه قبل موته - يرحمه الله- ولن أذكر شيئا منها- الآن على الأقل- لكن فيها مبشرًا بعمل لن ينقطع له بعد موته وخاصة من تفسير القرآن.

صباح الاثنين دخل والدي بيته، هذه المرة دخله محمولا.. ملفوفًا بلون النقاء، دخله.. وللمرة الأولى.. دخله ولم يسلم! صلّت عليه النساء وودعته محارمه منهن، لم يمنحني الوقت سوى دقيقة لأراه.. لكن لا بأس.. فقد أبهجتني رؤياه في المستشفى يوم أمس، كما قيل لأسماء بنت أبي بكر في ولدها «ما هذه إلا جثث.. والأرواح عند الله»، أخذه الرجال للدفن، وفتح بيت العزاء.. في بيت الحبيب.

لا أعلم فيم يعزوننا؟ أيعزوننا فيمن قضى عمره في الطاعة؟ فيمن لم يكن يغضب إلا حين تنتهك محارم الله؟ فيمن ربانا على الخير والبر؟ أم فيمن خلف كل تلك المكتبة التي تحمل درا وتكون له أجرا لا ينقطع إلى يوم القيامة؟ فيمن ختمت له بالفاتحة؟

لقد علمت.. جاءوا يعزوننا في أنفسنا من بعده! ففينا من ألم الفراق والفقد ما الله به عليم! من قال إن اليتم له عمر؟! من قال إن الأرملة لو جاوزت ما جاوزت فسيسهل الفراق عليها؟ لعلها قضت في بيت أهلها ربع ما قضت مع زوجها! يا للفراق! ما أقسى لقاءه!

ومازلت أتأمل في «خيرا منها».

لعل الزوج لو كان صخرا أبدلنا الله زوجا لينا خيرًا منه، والابن العاق ابنا بارا خيرا منه، فكيف يبدلني ربي خيرًا من أبي؟! خطر لي ما فتح الله به على لسان بعض محارمي بعد ذلك، فـ «خيرا منها» في مصيبتي هذه لعله أن أجمع معه لقاء خير من لقاء الدنيا لا فراق بعده! فـ «اللهم أجرني في مصيبتي وأجرني خيرا منها! .. وكانت «الفاتحة»!

بقيت أتساءل: الأصولي الفقيه الذي فسر القرآن كله لم يختم له بـ «لا إله إلا الله» ولا بأي آية من القرآن.. بالفاتحة! الفاتحة التي يحفظها أطفالنا ذوو العامين والثلاثة، التي نقرأها في كل يوم ١٧ مرة على أقل تقدير، ومعظمها دون تركيز، الفاتحة التي نعتبرها الأسهل لفظا ومعنى، لماذا الفاتحة؟

حاولنا في اليومين التاليين أن نرتب لضيوف العزاء درسًا قصيرًا في تفسير الفاتحة، فتعذر هذا.

واشتاقت روحي التأمل في تفسيرها من جديد، بت أكثر تعطشًا.. وأرضًا خصبة، أظمأني موت أبي لأعرف المزيد، وتخصيصه إياها لأروى منها! فهي آخر ما نطق!

بعد آخر يوم عزاء افتتحت آخر هداياه لي، كانت نسخة من تفسيره الجديد الأحدث طباعة، الطبعة الأولى من «القبس المني.. مختصر تفسير ابن كثير»، ثلاثة مجلدات متوسطة الحجم، كان كلما طبع له كتاب جديد أهدى كلا منا نسخة، ونسختي هذه مازالت في غلافها، حيث المجلدات الثلاثة مخبوءة في النايلون الشفاف لم أمسها منذ شهر! أزلت الغلاف وأخذت الجزء الأول، وفورا على سورة الفاتحة.. أردت أن أعرف كيف فهم هو تفسيرها .. تفاجأون لو عرفتم أنني اضطررت لقراءته على يومين! وكل جلسة امتدت لساعات! بين كل سطر وسطر دموع النور تتساقط، لا دموع الفراق، مرحلة أخرى جديدة علي!

قرأت ما سطره بروح جديدة.. هذه المرة بطعم الآخرة، وكأن ما انتقاه من تفسير ابن كثير في هذا المختصر كان يقوله لي شخصيًّا ويعلمه لي بذاتي، ما أجمل رسائل الأموات! العلماء ورثة الأنبياء، فهم يأبون أن يرحلوا إلى بارئهم إلا وقد خلفوا وراءهم ما يعيننا على اللحاق بهم إلى عالم النور! فاللهم اجمعنا بهم جميعا.

وبت أتفكر في الموت.. ورسالته للأحياء! أليس الله رحيما بنا؟ فكيف يفقدنا أعز الناس ونحن نحمل أرق القلوب؟ لماذا لم يتوفنا نحن أولا؟ وبما أن في ذلك ألما لهم أيضًا.. فلماذا لا يقبض البشر إليه جميعا في الوقت نفسه.. فيأتون إلى الأرض معا ويموتون معا؟ لمَ يعرض أرواح الناس لأقسى الآلام- ألم الفقد- وهو الرحيم الحليم؟!

لكن لو آمنا بكمال رحمته سبحانه لأدركنا أن من رحمته بنا أنه يعيننا على أن نحقق الغاية التي خلقنا من أجلها «ليعبدون»، ولو كان ذلك بمنبهات تهز منا الوجدان، والموت أحدها، فما إن نرى قبض قريب أو حبيب حتى نرى نهاية أنفسنا جلية أمامنا.. قريبة ..حقيقة لا وهما، فموت الحبيب لا كموت الغريب، إنه يجعلنا داخل القصة لا قارئين لها، مما يعيننا على حياة أكثر طاعة نحقق فيها عيشًا ملتزمًا بحدود الشريعة، كمن يروي رواية وفي ذهنه الخاتمة فتضبط، لا كمن يأتي بأي سطر من أي حدب وصوب فيتشوه فنه ولا ينتظم نظمه.

فنرى الشيوخ لا كالشباب، فكم عزيز قد فقدوا! وفي كل فقد أدركوا قول الحياة: «ما أنا إلا زوال!»، ففَطنوا إلامَ يجمعون وأين خير ما يكنزون! فكان الله رحيمًا بنا حتى في قبضه روح من نحب!

ويبقى ألم الفراق! لكن.. لو تحقق معنى الخلود في أذهاننا، وأدركنا أن هذه الحياة الدنيا- مهما طال بقاؤنا فيها- ما هي إلا كالحلم يستيقظ منه بعضنا قبل بعض، لما أبأسنا فراق قصير قبل لقاء الخلود، عساه أن يكون في جنات النعيم، تخيلت أمًّا تهدهد صغيرها ليسترخي في حضنها فيغفوان معًا، ثم ينامان بضع ساعات، ويسبقها فيستيقظ قبلها بنصف ساعة.. هل كان هذا ييئسها، حتى لو شعرت باستيقاظه وتقلبت على قيامه من سريرها! أم أنها كانت ستستفيد- ما استطاعت- من نصف الساعة المتبقي في نومها لتفيد جسمها فينفعها في نهارها،

حتى إذا ما استيقظت بعده سعدت وإياه على مائدة الإفطار فيبتهجان بنهارٍ منعش مشرق معًا؟!

نصف الساعة هذا للأم التي سبقها وليدها استيقاظًا هو نصف العام لنا لنجمع ما يمكننا أن نجمع من خير العمل فنبتهج هناك نحن وإياهم- حين استيقاظنا في آخرتنا .. عسى أن يكون لقاؤنا في عليين.. اللهم آمين، وهذا ما بات يهون علي بُعد المسافة عن أبي.. كما روي عن الحسن البصري قوله: «إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة».

بقيت أهوّن على نفسي تأخري من بعد الحبيب، وأضرب لها الأمثال حتى صبرني ربي، فتذكرت حديث الرسول ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، تخيلت أننا رافقناه في إحدى سفراته ونزلنا «ترانزيت» في أحد المطارات، فسبقنا في طائرة للبلد الغاية، وتأخرنا بعده ساعة من نهار، ونحن على يقين أننا سنلحق به، وأن مضيفيه سيحسنون ضيافته في فندق ٧ نجوم، ما الداعي لكل هذا الألم؟! فقط أن نحسن التصرف في هذه الساعة كما أحسن هو، لنلحق به ولا يضيع علينا حجز الفندق أو تنقص لنا نجمة من نجماته!

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وشكر نعمتك وحسن عبادتك وقلبًا صالحًا ولسانًا ذاكرًا، اللهم نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

انتزعت قطعة من مهجتي بفراق والدي، كأنما اخترقت قلبي رصاصة أحدثت ثقبًا سميكًا أعلم أنه لن يندمل على وجه هذه الأرض أبدًا، لكن عزائي أن يومًا أؤمن أنه سيأتي.. أعلّق فيه أملا بلقاء بلا فراق، وبجلسة أنس لن يقطعها رنين هاتف أو تدخل متطفل أو حتى زيارة هادم للذات بغير سابق موعد! فاللهم اجمعني بوالدي واكتبنا عندك في عليين، واغفر للمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات اللهم آمين.. وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

• كاتبة مصرية

اختاري الوقت المناسب لفطام طفلك

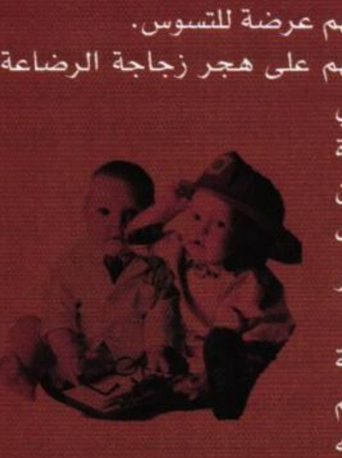
أميرة سالم أبوجبة

• قبل أن تقدم الأم على فطام طفلها عن الرضاعة، ينبغي لها أن تختار وقتا مناسبًا خاليًا من أجواء التوتر والقلق، فالأطفال الذين اعتادوا الرضاعة الاصطناعية يتعلقون بزجاجة الحليب كثيرًا، لذلك يعاني أغلبيتهم الحزن الشديد عندما يحين موعد فطامهم عنها واستبدالها بالكوب.

• ويوصي معظم الأطباء بضرورة استبدال زجاجة الحليب بالكوب ما بين سن ١٢ : ١٨ شهرًا، وينبهون إلى أن تجاوز الطفل لهذه المرحلة من العمر برفقة زجاجة الرضاعة يزيد من تعلقه بها، ويجعل من الصعب انفصاله عنها.

ووفقا لما ذكرته البحوث، فإن ٢٠ ٪ من الأطفال يظلون متعلقين بزجاجة الرضاعة حتى سن العامين، و٩ ٪ منهم حتى سن ٣ سنوات، ولعل أكثر ما يؤذي في هذا الخصوص، أن الأطفال المتعلقين بالزجاجة لا يذهبون إلى النوم من دونها ومنهم من يستيقظ ليلًا يطلبها، ما يجعل أسنانهم عرضة للتسوس.

إذن ماذا يفعل الآباء لكي يساعدوا اطفالهم على هجر زجاجة الرضاعة؟ فمثلا لا يجوز أبدًا أن تبدأ هذه الخطوة في أعقاب قدوم مولود جديد، أو لدى انتقال الأسرة للسكن في منزل جديد، أو أثناء السفر، لأن الطفل الصغير لا يحتمل تغيرات عدة في وقت واحد، فهذا يشعره بعدم الأمان ويفقده الشعور بالاطمئنان.



• كما لا يجوز أن يتم التوقف عن الزجاجة بشكل مفاجئ ومرة واحدة فمن المفترض أن يتم الأمر بصورة تدريجية في خط متواز مع تعليمه شرب الحليب أو العصير بالكوب، ومن الأفضل أن يتم ذلك ما بين سن ٦ : ٩ شهور، ومن أجل تشجيعه على استخدام الكوب، ينبغي أن يشاهد الأطفال الآخرين يستخدمونه مثل إخوته أو أطفال يقاربونه في العمر، ومراعاة لمشاعره، لا ينبغي أن نصطحبه إلى مكان يمكن أن يشاهد فيه أطفالاً يشربون الحليب بالزجاجة، لأن رؤيته لذلك ستثير الأسى في نفسه، ومن الأفضل أن يبتعد خلال مرحلة الانتقال إلى الكوب عن كل ما من شأنه أن يذكره بالزجاجة.

• ويحذر الخبراء من إخفاء جميع الزجاجات مرة واحدة، أو إلقائها في صندوق النفايات من دون علمه، لأن التصرف على هذا النحو قد يدفعه إلى الاكتئاب.

والحل المثالي أن تنتظر الأم إلى حين اعتياد الطفل الكوب قليلاً، ثم تطلب منه أن يجمع زجاجاته لكي يتم التخلص منها وتجعله يفعل ذلك بنفسه، وعندما يسأل عنها بعد ذلك تذكره بأنه تخلص منها بنفسه لأنها لم تعد تليق به، إن معرفته لذلك تبعث في نفسه الشعور بأنه قادر على إدارة شؤون نفسه بنفسه، وهذا كفيل ببث روح العزم والتصميم لديه لمقاومة مشاعر الحنين إلى الزجاجة.

أ. د. أنور حسين صديقي رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد:

سيبقى وجود العنصر العربي بالجامعة داعما لتميزها في خدمة العلوم الإسلامية والعربية بجنوب شرق آسيا

حوار: عبدالرحمن هاشم

تظل الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد في الذاكرة والعقل الجمعي الإسلامي الأشد سطوعا، ليس بسبب تأثرها بمناهج وروح الأزهر الشريف فحسب، بل أيضا بسبب تأثيرها في محيطها الجغرافي الآسيوي، وخاصة تنسيق مسلمي الصين وآسيا الوسطى، وتبقى في النهاية صرحا تربويا يضج بالحركة والنشاط.

ولأهمية الجامعة وما تشهده من طفرة غير مسبوقة في التطور والتنوع والشمول ولأهمية رسالتها، التقينا رئيسها د.أنور حسين صديقي والوفد المرافق له أثناء نزولهم ضيوفا على القاهرة ومشاركتهم في فعاليات المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عن «مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر» الذي عقد في الفترة من ٢٢-٢٤ فبراير ٢٠١٠م.



بدأ أ. د. أنور حسين صديقي رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد حديثه عن الجامعة فقال: هي جامعة إسلامية باكستانية أسست على رأس القرن الهجري الخامس عشر ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م بموجب مرسوم رئاسي، وهي أول جامعة باكستانية يفد إليها الطلاب من خارج باكستان من الدول الإسلامية وغير الإسلامية ويتم التدريس فيها باللغتين العربية والإنجليزية.

وتعد أكبر جامعة أسهمت في تعليم المجتمع الباكستاني بدعم من عدد من حكومات الدول الإسلامية من بينها مصر، المملكة العربية السعودية، الكويت، ماليزيا، جزر المالديف، تركيا، وغيرها من دول منظمة المؤتمر الإسلامي.

ومثلت نشأتها في بداية القرن الهجري الجديد رمزا لتطلعات وآمال الأمة الإسلامية لنهضة إسلامية كبرى، فمن أهدافها: خدمة الدعوة إلى الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، توضيح العقيدة الإسلامية الصحيحة، تعميق الثقافة الإسلامية لدى الشباب، توضيح رسالة الشباب في بناء المجتمع، وتوفير فرص تعليمية راقية لأبناء الأمة الإسلامية، وتمتاز بالوسطية في المنهج، والدقة في التخصص، والجمع بين الأصالة والمعاصرة في المحتوى والمادة العلمية، وتخريج العلماء والممارسين القادرين على تلبية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية واحتياجات العصر الحديث.

وقد أنجزت الجامعة خلال ثلث قرن من مسيرتها الشيء الكثير ما دفع البعض إلى اعتبارها من أهم الجامعات في جنوب شرق آسيا من ناحية التأثير، فقد حمل أبناؤها رسالتها التعليمية إلى إندونيسيا والصين وغرب إفريقيا، وصار منهم برلمانيون ودعاة كبار في بلادهم ومراسلون لكبرى الصحف والمجلات والقنوات التليفزيونية والإذاعية في آسيا.

والآن تخدم الجامعة بكلياتها المختلفة أكثر من ٢٠ ألف طالب من الجنسيات المختلفة يوجد منهم ٧ آلاف طالبة، والطلاب الوافدون ينتمون إلى ٤٢ دولة إسلامية وغير إسلامية، لكن معظمهم من الصين ومن إفريقيا، والآن ازدادت نسبة الطلاب الأفغان بسبب الحرب، وكان يفد إلينا الطلاب من آسيا الوسطى إلا أن الحرب في أفغانستان حالت مؤقتا دون انتظامهم.

وتعتبر مساحة الجامعة الإسلامية هي الأكبر بين الجامعات الباكستانية حيث أقيمت مبانيها على مساحة ٥٠٠ فدان تقريبا، وميزانيتها السنوية تقدر بـ ١٥ مليون روبية باكستانية، وتضم هيئة تدريسها ٤٠ أستاذا ومدرسا من جنسيات مختلفة، منهم عدد كبير من المصريين من جامعة الأزهر وكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

وعن دور الأزهر في دعم الجامعة منذ نشأتها وحتى الآن يجيب د.صديقي: للحكومة المصرية وللأزهر جامعا وجامعة، ولجامعة القاهرة وخاصة دار العلوم دور مهم وفعال في دعم الجامعة الإسلامية ماديا وفنيا، والدولة الباكستانية أقرت بالفضل لأهله فجعلت أول رئيس للجامعة مصريا هو د.حامد حسان، وخلفه د.حسن

الشافعي، ود.أحمد العسال، واستقر الأمر في الجامعة بعد ذلك أن يكون نائب الرئيس مصريا فجاء د.محمد عبدالله الشرقاوي رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة حاليا، وخلفه د.محمد خليفة حسن نائبا لرئيس الجامعة للشؤون الإدارية.

ومن هنا تظهر وسطية الجامعة، تلك الوسطية التي انتقلت إليها من مصر عبر الأساتذة المصريين الذين وضعوا مناهجها والذين تبوأوا أعلى المناصب الإدارية بها.

ويضيف: لقد بث الأزهر من روحه وعبقه على الجامعة الإسلامية العالمية، فتجد المناهج ونظام الدراسة تماما مثل نظام الأزهر، لا اختلاط بين الطلاب والطالبات، سواء في قاعات الدرس أو السكن الطلابي.

كما أن خريجي الجامعة يجدون العمل بسهولة في الإدارات الحكومية وغير الحكومية ولا توجد لديهم مشكلة بطالة.

ويرى العالم الباكستاني د.أنور حسين صديقي أن الجامعة رغم عمرها القصير فإنها أصبحت الجامعة الثالثة بين الجامعات الباكستانية بعد جامعة القائد الأعظم محمد علي جناح، وجامعة محمد إقبال المفتوحة، ويتوقع لها بعد ١٠ سنوات أن تصل للدرجة الأولى بين الجامعات نظرا لعالميتها وتنوع تخصصاتها وإقبال الطلاب عليها.

ويؤكد أن الحكومة الباكستانية تثق وتعتمد كثيرا على أساتذة الجامعة، خاصة في القضايا الدينية والشرعية، كما تختار دائما رئيس الجامعة لعضوية المجلس الإسلامي الباكستاني.

وعن تأثير الجامعة في المجتمع الباكستاني والمجتمعات المسلمة خارج باكستان يقول: عُيِّن عدد كبير من خريجي الجامعة في المحاكم الباكستانية خاصة المحكمة الشرعية والمحكمة العليا، وأذكر أن قاضي القضاة في باكستان قال لي في أحد اللقاءات «أنا خريج كلية الحقوق جامعة لاهور- أقدم جامعة في آسيا- والآن معظم أساتذة قسم القانون في جامعة لاهور من خريجي الجامعة الإسلامية».

الطلاب وأساتذة الجامعة يمثلون سدا منيعا للتحديات الشيوعية والتغريبية الإباحية الوافدة

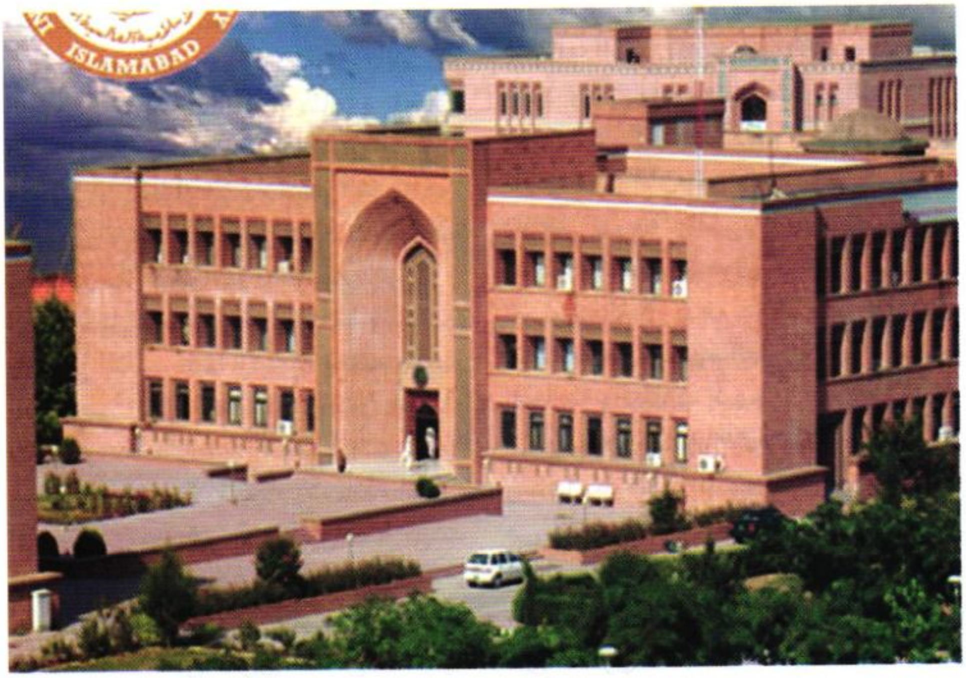
كما أن طلابنا منتشرون خارج البلاد في دول آسيا الوسطى، والكثير منهم وصلوا لمناصب وزراء في الحكومة الأفغانية.

كذلك فإن جميع موظفي البنك المركزي الأفغاني حاليا هم من خريجي الجامعة الإسلامية، وأيضا تستقبل الجامعة كل عام ٢٠٠ طالب من الصين، وهؤلاء يعودون إلى بلادهم ويفتحون المدارس الإسلامية والعربية، ويعينون في المدارس والجامعات الصينية الرسمية، حيث يوجد حاليا انفتاح ثقافي في الصين، وهو وإن كان موجها نحو الثقافة الغربية إلا أن المسلمين بلا شك قد استفادوا من هذه الانفراجة بالعمل في مؤسسات التعليم المختلفة، وقبل ذلك لم يكن يسمح لهم.

وفي مجال نشر الدعوة نجد أن معظم القنوات الفضائية الباكستانية خاصة برامجها الدينية يؤمها أساتذة الجامعة العلماء في التخصصات الدينية، وعندنا د.أحمد جان العالم والداعية الشهير في باكستان من أساتذة الجامعة والحاصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر بالقاهرة.

أضف إلى ذلك أن الطلاب وأساتذة الجامعة يمثلون سدا منيعا للتحديات الشيوعية والتغريبية الإباحية الوافدة بما يقدمونه من فكر إسلامي رشيد.

ولما سألته عن حقيقة الاتهامات التي توجه للجامعة من أن مناهجها تساعد على تخريج أجيال من الإرهابيين، كما تعد حاضنة للإرهاب، علت نبرته وهو يرد قائلا: هذه اتهامات بلا أساس وكل هدفها تشويه الصورة، مستثمرة انطلاق الحرب على الإرهاب لإلصاق التهم بمؤسسات الإسلام الثقافية والتعليمية لحرب الإسلام ذاته عقيدة وشريعة وسلوكا وأخلاقا، مؤكدا أن الحكومة الصينية- المتحالفة مع أميركا في حرب الإرهاب- توفد أبناءها للدراسة في كليات الجامعة المختلفة وبأعداد كبيرة، فكيف لها أن تفعل إلا إذا وثقت في مناهج الجامعة والقائمين عليها، وأنها بعيدة كل البعد عن التطرف والإرهاب؟





وامـتـدادا لنفـي هـذا الاتـهـام أقـول: تستقبل مدينة إسلام آباد الوفود الأجنبية تلو الوفود، ومن المعالم الباكستانية التي تحـرص هـذه الـوفـود على زيارتها مباني الجامعة وطلابها وهم في قاعات الدرس، وكـان آخـر هـذه الـوفـود الوفد البريطاني وعـلـى رأسـه تـونـي بـلـير رئـيـس الـوزراء السابق.

ويضيف: حتى الطلاب القادمون من مـنـاطـق الـتـوتـر عـلـى الحـدود مـثـل وادي سـوات وتـربـوا فـي الجامعة لا توجد أية صلة بينهم وبين الأحداث هناك.

وعـن أبـرز العقبات والتحديات التي تواجه الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد يرى د.صديقي أنها تتمثل في دعاية الـغـرب والمتغربين داخـل بـاكـسـتـان بـأن الجامعة تربي أجيالا إرهابية، وهذا محض خيال وليس له حقيقة.

كما أن الحملة المثارة ضد الإسلام في الغرب الآن لن تضر الإسلام ولن تستمر طويلا، خاصة أن هناك حملات مضادة بدأ يقودها المسلمون من مواطني الدول الـغـربـيـة لـلـتـعـريـف بـالإسـلام الـصـحـيـح، وهناك كثير من الغربيين بدأ يتجه لمعرفة الإسلام ودراسته، كما أن الجهل بالإسلام الصحيح كان وراء انتشار ظاهرة الخوف من الإسـلام ووصـفـه بـ «الـعـدو البديل»، مضيفا أن انتشار الإسلام في الغرب بقوة لم يؤرق إلا فئة معينة من أصحاب المصالح وبعض رجال السياسة المتعصبين.

وكشفا للنقد الموجه للجامعة والخاص بازدواج التعليم فيها وتوجيه معظم الدعم الخارجي إلـى إقامة المباني دون اهتمام بـرواتـب الأسـاتـذة، إضـافـة إلـى بـروز حساسية غير مبررة تجاه الأساتذة العرب أوضـح د.صـديـقـي أن بـالجـامـعـة كليات لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وأخرى للعلوم الحديثة، والنوع الثاني يدعم نفسه بنفسه عن طريق مصاريف عالية يدفعها الطالب (قرابة ٨٠٠ دولار يدفعها الطالب فـي الفصل الـدراسـي الـواحـد)، وأما الكليات التي تـدرس العلوم العربية والإسلامية فتقترب من المجانية؛ ولهذا يبدو الاهتمام بها أقل، أضف إلى ذلك أن الموجود حاليا من الأساتذة العرب حوالي ١٥٪ ممن كان قبل ٥ سنوات؛ بسبب عدم استطاعة الجامعة توفير رواتبهم، وقد كان هؤلاء يمثلون روح العمل الجامعي في الكليات العربية والشرعية.

أما من ناحية إدارة الجامعة فلا يوجد لـديـهـا أي حـسـاسـيـة- ولا يـنـبـغـي- تـجـاه الأساتذة العرب سواء الذين أداروهـا من قبل أو الـذيـن يـديـرونـهـا الآن، والتواصل والـود والتشاور مستمر بفضل الله، ولكن المشكلة كما قلت في دعم الأساتذة العرب الموجودين الآن في كليات أصـول الدين واللغة العربية والشريعة للاستمرار في العطاء بالجامعة (حوالي عشرين أستاذا)؛ حيث إن الغلاء يدفع هؤلاء دفعا إلى ترك الجامعة مع خبرتهم الطويلة فيها واحتياج الجامعة والطلاب إليهم.

وأسجل هنا أن الإدارة كطرف مسؤول رسميا عن تلقي الدعم الخارجي لا تمانع في التواصل مع أي مؤسسة أو فـرد من العالم العربي يدعم الجامعة، خاصة أن المنح المخصصة للطلاب الفقراء قد توقفت هي الأخرى!

وعـن مـشـاركـتـه فـي مـؤتـمـر المجلس الأعـلـى لـلـشـؤون الإسـلامـيـة الـ ٢٢ قـال: «أعددت ورقة بحثية في هذا المؤتمر عن «الـتـحـديـات الـعـصـريـة لتطبيق الشريعة الإسلامية»، حيث نجد الكثير من البلدان الإسـلامـيـة الـتـي استقلت عـن الاحـتـلال الأجنبي لا تـزال متعلقة بالروح الغربية، والنظام الغربي يسري في أوصالها حتى بعد زوال الاحتلال، وهذه أهم عقبة أمام تطبيق الشريعة الإسلامية، وتوجد كذلك عقبات اقتصادية، لكن لا توجد عقبات اجتماعية لأن النظام الإسـلامـي يوافق الروح والفطرة الإنسانية».

وإجابة عن سؤال: أين قضية فلسطين في مناهج الجامعة؟ أوضح د.صديقي أن مجلات الجامعة الرئيسية تصدر بثلاث لـغـات، أرديـة وعـربـيـة وإنجـلـيـزيـة، فضلا عن المجلات الفرعية التي تصدر باللغة المحلية، جميع ذلـك يـتـنـاول مستجدات الأوضـاع في فلسطين المحتلة، مؤكدا أن الدولة الباكستانية تقاطع إسرائيل على المستوى الرسمي والأكـاديـمـي والشعبي، وتدعم الشعب الفلسطيني ماديا ومعنويا، ففي كل جمعة عقب أي حـادث لإخواننا فـي فلسطين تـخـرج المظاهـرات، وتكتب المقالات، وتلقى الخطب؛ تنديدا بما يحدث وتضامنا مع الأحباء الفلسطينيين.

لغة وأدب

شاعر الإسلام..الجائزة المرتقبة

للعرب سنن في الاحتفال والاحتفاء بأرباب الكلمة البليغة جعل من مبدعيها يصلون في أذهان العرب القدماء إلى منزلة المحكمين في مكانة القوم: قبائل وجماعات وأفرادا، رفعا ووضعا.

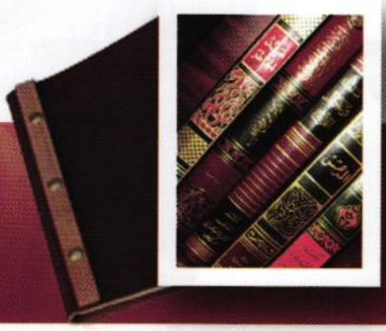
وقد كانت تعقد المجالس وتنصب الخيام للاستماع للشعراء بغرض المفاضلة بينهم من قبل أهل الدربة والدراية بالشعر.

ثم لما جاء الإسلام أعلى من مكانة الكلمة الطيبة وجعلها في الذروة من جهاده، وزهد عن بعض الأغراض التي كانت الجاهلية تعلي من مقامها، وليس أدل على مكانة الشعر الحسن في الإسلام من وهب البردة النبوية لقاء قصيدة، وقد أكرم الخلفاء والحكام على مدار تاريخنا الشعراء بما لم يكرموا به كثيرا من أرباب الحرف والصناعات، حتى وصلنا إلى العصر الحديث، حيث انتقل التكريم في معظمه إلى مؤسسات وأشخاص مهتمين بهذا الشأن، وقد بذلت كثير من الأموال لتشجيع أغراض متعددة من الشعر، منها ما يحمد و منها ما يذم.

وبقي أن نسمع عن مسابقة «شاعر الإسلام» المسابقة التي يؤمل أن تعلي من قيم الإسلام وتحيي من روح التضامن الإسلامي وتحارب القيم التي توهي عرى الأخوة الإسلامية وتنشئ أدبا إسلاميا حريا بأمة الإسلام ومثلها العليا.

المحرر

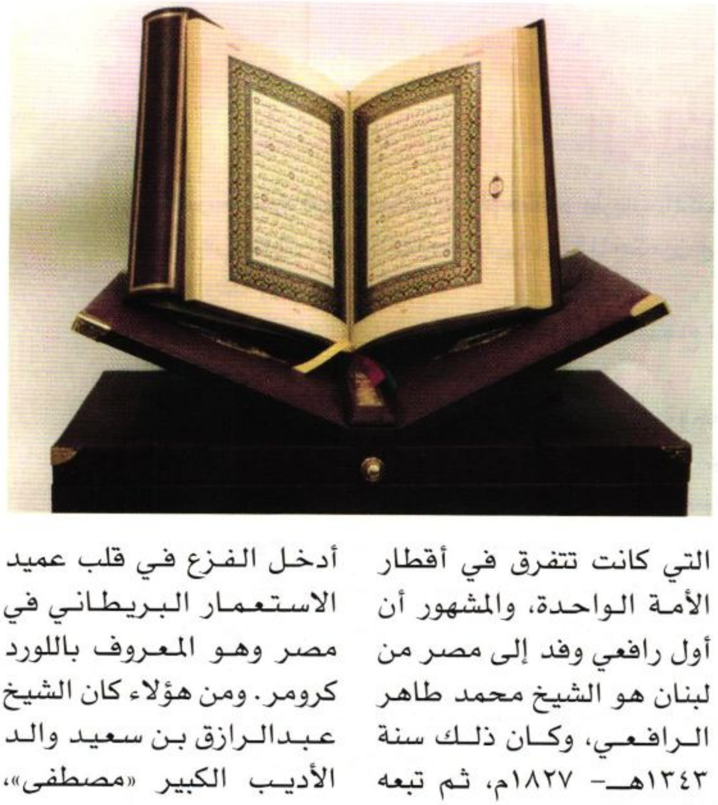




مصطفى صادق الرافعي وإعجاز القرآن الكريم

محمد عويس

«يُعد كتاب «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» واحدًا من أروع الكتب التي قدمها مصطفى صادق الرافعي للعربية، وكذلك أنفس ما كتب عن إعجاز القرآن الكريم في العقود الأولى من القرن الهجري الماضي».. بهذه الكلمات استهل د.مصطفى الشكعة كتابه «الرافعي وإعجاز القرآن الكريم» موضحا أن الرافعي حين وضع منهجه انصرف عن المنهج التقليدي الذي وضعه المستشرقون لدراسة الأدب العربي، ووضع منهجًا، ابتكره، موصول الأسباب بتاريخ اللغة ونشأتها وتفرعها وما يتصل بذلك، ثم تاريخ الرواية ومشاهير الرواة وما تفرع من ذلك في ميدان الشعر واللغة في تفصيل دقيق ومنهج موسع ودراسة شاملة.



هذا ولم يقف الإعجاب بكتاب «إعجاز القرآن» عند المسلمين وحدهم، بل إن كثيرًا من غير المسلمين قد سطروا ذلك في كتبهم ومقالاتهم، وفي مصر يطلع د.يعقوب صروف مُنشئ مجلة «المقتطف» على كتاب إعجاز القرآن فيقول: «يجب على كل مسلم عنده نسخة من القرآن أن تكون عنده نسخة من هذا الكتاب». ومن الأدباء غير المسلمين الذين أشادوا بكتاب إعجاز القرآن نصيف اليازجي في مقدمة كتابه «نجعة الرائد» والشاعر الكبير خليل مطران الذي كان يلقب بشاعر القطرين.

ومصطفى صادق الرافعي ابن الشيخ عبدالرازق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي، أحد أبناء الأسرة الرافعية الكريمة التي تقاسمت الإقامة بين طرابلس الشام ومصر، شأنها في ذلك شأن كثير من الأسر العربية التي كانت تتفرق في أقطار الأمة الواحدة، والمشهور أن أول رافعي وفد إلى مصر من لبنان هو الشيخ محمد طاهر الرافعي، وكان ذلك سنة ١٣٤٣هـ- ١٨٢٧م، ثم تبعه بعد ذلك آخرون من أسرته، وكانوا جميعًا معروفين بالأدب والدين، وتنشئة صغارهم على الثقافة وحب التعلم، ومن ثم كان عدد غير قليل من «الرافعيين» المصريين يتولون أمر القضاء الشرعي، مما أدخل الفزع في قلب عميد الاستعمار البريطاني في مصر وهو المعروف باللورد كرومر. ومن هؤلاء كان الشيخ عبدالرازق بن سعيد والد الأديب الكبير «مصطفى»، ومنهم عمه الشيخ عبداللطيف الرافعي الذي ولي الإفتاء في الإسكندرية، وهو والد علم السياسة والصحافة أمين الرافعي، والمؤرخ القانوني الوطني عبدالرحمن الرافعي، وبالمثل كان عدد من الرافعيين الطرابلسيين يتولون الإفتاء والقضاء في طرابلس، منهم رأس الأسرة الشيخ عبدالقادر الرافعي والشيخ عبدالغني الرافعي، وولده الشاعر المبدع عبدالرحمن بن عبدالغني الرافعي، ومنهم عبدالحميد الرافعي الشاعر الذي كان يلقب بـ «بلبل سورية»، وكان قد وفد إلى مصر والتحق بالأزهر ثم أكمل تعليمه في كلية الحقوق بالاستانة، وله عدة دواوين من الشعر.

ولد الرافعي سنة ١٨٨٠م في قرية من ريف مصر هي بلدة «بهتيم» بمحافظة القليوبية، وأخذ يتنقل مع أبيه من بلد إلى آخر حتى انتهى المقام بالأسرة في مدينة طنطا وفيها أخذ يطلب العلم، ويتنفس المعرفة، ويغترف من ينابيعها ما استطاع إلى ذلك من سبيل، ولما عجزت موارده المالية عن أن تمده بما ييسر له الالتحاق بالجامعة المصرية التحق بوظيفة كتابية بمحكمة طنطا، وجعل قسمًا من وقته لعمله، وبقيته للقراءة في

• كاتب صحفي

تراث العربية والكتابة في كبريات المجلات الأدبية، وتأليف الكتب التي بذل فيها من الجهد ما جعلها خليقة بالاحترام، جديرة بتقدير العلماء.

ولأن الرافعي من مواليد العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر مثله في ذلك مثل بقية الرواد النابهين من مفكري القرن العشرين وشعرائه وكتابه، فقد انتظم في عقدهم، وتقدم صفوفهم بإنتاجه الوفير في فروع الآداب والعلوم الإسلامية، وهذه الكوكبة من علماء العربية وأدبائها الذين ولدوا في أواخر القرن التاسع عشر وعاشوا نصف القرن العشرين، تمثل ظاهرة لم تتكرر كثيرًا في مسيرة الفكر العربي، وكانت هذه الشخصيات تمثل تيارات مختلفة، واتجاهات متباينة متصادمة، ومذاهب متباعدة متضادة، ولم يكن ذلك غريبًا، لأنه في تلك الفترة الزمنية لم تطرق الثقافة الوافدة الأبواب في لين ويسر، وإنما جاءت مقتحمة ومتحفزة مهاجمة، وكان الموقف أكثر شدة لدى أصحاب الثقافة المحلية، فكانت المحافل الثقافية في العالم العربي عامة، وفي مصر خاصة، حافلة بالصدام والحرب، وإن كانت بغير دماء.

معايشة الرافعي للقرآن حفظًا وتفسيرًا وفقهًا شكل معالم في حياته يجعلنا نُطلق عليها المعالم القرآنية

وكانت الدعوة إلى الفرعونية وافرة النشاط، والتحريف والإلحاد يسفر عن وجهه في جرأة وعدم استحياء، وكان التشكيك في عروبة مصر يجد من يتخذه عقيدة ومذهبًا، وكانت الدعوة إلى العامية والتحامل على الفصحى صادرة عن أسماء كبيرة، بل وجدت الدعوة إلى هجر الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية من يدعو إليها داخل عرين اللغة نفسها وهو مجمع اللغة العربية، وفي مواجهة هذه التيارات الغربية الجريئة المقتحمة الأبواب بلا استحياء، كان على أصحاب الدار أن يواجهوا هذه الهجمات الشرسة مسلحين بأصالة عقيدتهم، وسيادة لغتهم، وبسالة موقفهم، بحيث انتهت المعركة الطويلة بانتصار الأصالة، وظفر الأصلاء، وبقيت مصر وجيرانها على عقيدتهم سليمة صحيحة وعلى قوميتهم عربية خالصة، وعلى لغتهم فصيحة صافية مثمرة شامخة.

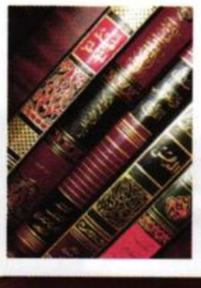
وكانت أشد المعارك التي خاضها الرافعي ضراوة هي تلك التي وقعت بينه وبين طه حسين، وهي ما يطلق عليها معركة كتاب «في الشعر الجاهلي» بسبب التعريض بالقرآن الكريم وبجوانب من تاريخ الأدب، وكان هو الذي فجر هذه المعركة باعتبار أنها تمس القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مسًّا مباشرًا، وكان الرافعي فارس الحلبة وقائد الكتيبة، فكتب وحده بضعة وعشرين مقالًا؛ الأمر الذي دفع القضاء إلى التدخل وانتهى الأمر بمصادرة الكتاب واعتذار طه حسين لرئيس الجامعة.

ومن معارك الرافعي التي لا يصح إغفالها، معركته ضد أنصار العامية الذين كان على رأسهم أحمد لطفي السيد، الذي كان يلقب بـ «أستاذ الجيل»، فقد كان يدعو إلى استعمال اللهجة العامية المصرية تحت شعار أسماه «تمصير اللغة»، مما اضطره إلى أن يتحول عن فكرة استعمال العامية إلى فكرة أخرى يظن أنها أقرب إلى القبول، فدعا إلى ما أسماه «المصالحة بين العامية والفصحى»، ولكن الرافعي ظل يلاحقه بمقالاته التي حملته على الرجوع عن فكرته، ثم أصبح بعد ذلك أحد سدنة اللغة الفصيحة حين صار رئيسًا لمجمع اللغة العربية بمصر.

وحول منهج الرافعي يذكر الشكعة أن أهم أسسه الحفاظ على اللغة العربية والحرص على نقاء أسلوبها وبهاء بلاغتها، بحيث صار يلقب بـ «صاحب الجملة القرآنية» لأصالة بنية جملته، واستقامة ألفاظها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى براعة اختيار موضوعات مقاله، أيضا يُعد الرافعي أبا المقالة الإسلامية ورائدها، والمدافع عن القرآن وأركان الإسلام عقيدة وشريعة، ويعتبر العدوان على اللغة العربية عدوانًا على الإسلام، ويعد الدفاع عنها دفاعًا عن الإسلام، لأنها لغة القرآن، كتاب الله ووحي السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومعايشة الرافعي للقرآن الكريم حفظًا وتجويدًا وتفسيرًا وفقهًا شكل معالم في حياته يجعلنا نُطلق عليها المعالم القرآنية، وهذه يمكن استبيانها من كتابه «إعجاز القرآن» على النحو التالي:

المَعلَم الأول، ما سجله في طول كتابه «إعجاز القرآن» وما عرضه من براهين علمية وعملية وتاريخية ومنطقية عن عجز العرب- أمة البلاغة والفصاحة والمحاجة- عن أن



يأتوا بسورة من مثله، وهو موضوع موصول الأسباب بالزمان منذ أن نزل الوحي به على خاتم الأنبياء سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ إلى زماننا هذا الذي نعيشه بالعقل والإقناع والإيمان.

وأما المعلم الثاني، فهو ظاهرة ما أطلق عليه خصوم الإسلام «التكرار»، يستوي في ذلك خصوم الإسلام القدامى الذين اهتدى بعضهم، وخصوم الإسلام المعاصرون وخاصة أولئك الذين يطلق عليهم صفة المستشرقين.

وأما المعلم الثالث، فهو الرد على فرية «الصرفة» في الإعجاز القرآني، ولقد فصل الرافعي القول في هذا الموضوع تفصيلًا وفي أكثر من موضع وفي عدد غير قليل من صفحات كتابه.

إن أول من ابتكر مصطلح «الصرفة» هو إبراهيم النظام أحد أكثر المعتزلة شهرة وذكاء، والمصطلح في واقع أمره يحمل فكرًا خبيثًا، إن لم يكن كفرًا مقنّعًا، وإن مقتضى معنى «الصرفة» هو أن الله صرف العرب عن أن يقولوا كلامًا في مستوى بلاغة القرآن، وأنه لولا أن الله صرفهم عن ذلك لكانوا قد جاءوا بما هو مماثل له فصاحة وبلاغة وبيانًا.

ويتمثل المعلم الرابع في أن من يسمع القرآن مرتلًا بصوت جميل، سواء أكان هذا المستمع عربيًا أو أعجميًا، لا يفهم العربية، سرعان ما يخفق قلبه خفقة الإيمان التي تقوده في آخر أمره إلى الإيمان به كتابًا مُنزلًا من عند الله لا يلبث أن يؤمن، ويدلف في رفق إلى ساحة الإسلام المهيبة، مرتديًا ثوب الإيمان بالله ربًا واحدًا وبمحمد ﷺ رسولًا ومعلمًا وقائدًا.

ويتمثل المعلم الخامس في ريادة الرافعي للتفسير العلمي للقرآن الكريم، لقد خصص الرافعي في كتابه فصلًا نفيسًا جعل عنوانه «القرآن والعلوم» خصصه للعلوم العربية وأضاف إليها بعض العلوم الكونية الموصولة الأسباب بالقرآن الكريم وبعض العبادات والمواقيت، ثم أفرد فصلًا تاليًا بعنوان «سرائر القرآن»، ثم فصلًا ثالثًا خصه بتفسير عدد من آيات خلق الإنسان.

وأما المعلم السادس من معالم كتاب «إعجاز القرآن» للرافعي، ولعله أهمها وأعمقها، هو ما قد اصطلح علماء القرآن على تسميته باسم «المناسبة» التي يجمل الرافعي تعريفها بقوله: من أعجب ما اتفق في هذا القرآن من وجوه إعجازه أن معانيه تجري في مناسبة الوضع وإحكام النظم مجرى ألفاظه، وذلك بربط كل كلمة بأختها، وكل آية بنظيرتها، وكل سورة بما تليها.

شواهد نحوية في الرسالة للشافعي

هاني إسماعيل

لا يخفى على أحد شهرة الشافعي في الفقه، التي ذاعت وملأت الآفاق، «فكان أفقه الناس في كتاب الله وفي سنة رسول الله»، على حد تعبير الإمام أحمد بن حنبل (١) رضي الله عنهما، فهو صاحب مذهب فقهي من المذاهب الأربعة المجمع عليها في الفقه الإسلامي.

ومما زاده شهرة على شهرته، ذبُّه عن حياض الحديث الشريف، وزوده عن حجيته وحجية الإجماع في الفقه وأصوله، حتى سماه أهل مكة «ناصر الحديث»، وأكد ابن حنبل هذا حين قال: «لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث»(٢).

بالإضافة إلى أن للشافعي السبق في تدوين علم أصول الفقه، «فهو المبتكر لهذا العلم بلا نزاع، وأول من صنف فيه بالإجماع» (٣)، فكتابه «الرسالة» هو أول مصنف يتناول علم أصول الفقه كعلم مستقل بذاته.

وفي هذه «الرسالة» تتجلى صورة الشافعي اللغوي الحجة الثبت، مما يجعلنا نسترجع أقوال بعض علماء العربية فيه، فالأصمعي (ت: ٢١٦هـ) ذلك العالم اللغوي يصحح أشعار الشنفري على الشافعي (٤)، فضلا عن أشعار هذيل، إذ يقول: «صححت أشعار الهذليين على فتى من قريش، يقال له محمد بن إدريس»(٥).

أما عبدالملك بن هشام اللغوي (ت: ٢١٣هـ) فيقول: «الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة» (٦)، ويؤكد هذا أبوعثمان المازني (ت: ٢٤٩هـ)، شيخ النحاة في زمانه، يقول: «الشافعي حجة عندنا في النحو»(٧)، لذا يتعجب ثعلب (ت: ٢١٩هـ) من هؤلاء الذين ينقلون الشواهد اللغوية التي يرويها الشافعي دون النظر إلى لغة الشافعي نفسه، فيقول: «العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعي، وهو من بيت اللغة، والشافعي يجب أن يؤخذ منه اللغة، لا أن يؤخذ عليه اللغة (٨)، يعني يجب أن

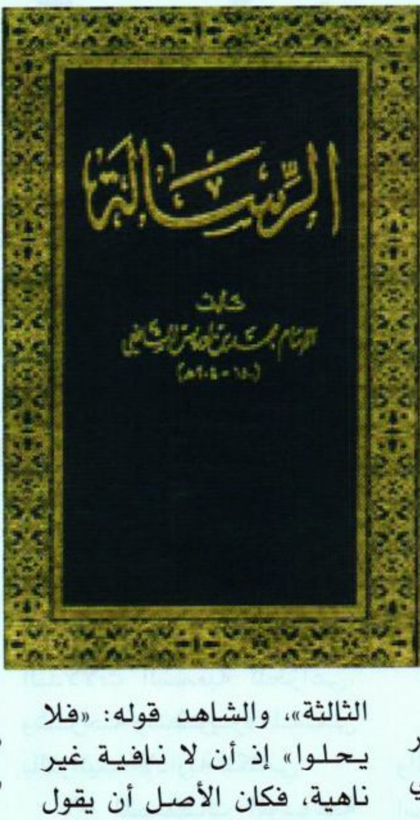
باحث لغوي

يحتجوا بألفاظه نفسها لا بما نقله فقط من أشعار العرب وكلامهم.

ولو نظرنا في كتاب «الرسالة» للشافعي لرأينا صحة ما يقول به ثعلب والآخرون من علماء اللغة والنحو، فالكتاب مليء بالشواهد اللغوية من كلام الشافعي نفسه، ومن فضل الله تعالى علينا أن وصلت إلينا نسخة من كتاب الرسالة بخط الربيع، راوية الشافعي وجامع كتبه، كتبت في حياة الشافعي- عليه رحمة الله- وقد قام بتحقيقها العلامة أحمد محمد شاكر (٩)، ومن أمانته العلمية- التي تميز بها- حافظ على النص كما هو مدون دون تدخل منه، وأضاف إلى هوامشه الشروح والتعليقات المفيدة التي استفدنا منها كثيرًا في كتابة هذه السطور.

وإليكم بعض النماذج من هذه الشواهد النحوية التي وردت في كتاب الرسالة:

١- حذف النون من الأفعال الخمسة دون ناصب أو جازم للتخفيف قال الشافعي ص٥٦٢: «وقال نفر من أصحاب النبي ﷺ: الأقراء الحيض، فلا يحلوا المطلقة حتى تغتسل من الحيضة



الثالثة»، والشاهد قوله: «فلا يحلوا» إذ أن لا نافية غير ناهية، فكان الأصل أن يقول فلا يحلون بثبوت النون ولكنه حذفها للتخفيف.

ويقول أيضًا ص٥٧٩: «ولقد وجدنا أهل العمل يأخذون بقول واحدهم مرة ويتركونه أخرى ويتفرقوا في بعض ما أخذوا به منهم»، والشاهد قوله: «ويتفرقوا» فهو محذوف النون بغير جازم أو ناصب، وبالرغم من أن الأفعال قبله مثبوتة النون إلا أنه حذف النون للتخفيف.

٢- نصب اسم كان عندما يكون خبرها جارا ومجرورًا أو ظرفًا، ففي ص١١٧: «ورواه عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ انه قال: خمس صلوات كتبهن الله على خلقه، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافًا بحقهن: كان له عند الله عهدًا أن يدخله الجنة»، والشاهد في قوله: «عهدًا» بالنصب مع أنها اسم كان مؤخر وجوبًا، والرفع فيها الأصل، ولكن الشافعي ينصب اسم كان عندما يكون خبرها جارًا ومجرورًا أو ظرفًا.

ومن ذلك كلمة «سُنناً»، في قوله ص ١٥٨: «وقد كانت لرسول الله في هذا سُنناً ليست نصا في القرآن»، وفي قوله ص١٧٤: «ثم كانت لرسول الله في بيوع سوى هذا سُنناً».

٣- إهمال عمل «لم» الجازمة ورفع الفعل بعدها، ومن شواهده قوله ص ٢٧٥: «وقد قال بعض التابعين: لقيت أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ فاجتمعوا في المعنى واختلفوا عليّ في اللفظ، فقلت لبعضهم ذلك، فقال: لا بأس ما لم يحيل المعنى».

الشاهد قوله: «لم يحيل» إذ أنه لو جزم لقال لم يحل بحذف الياء لالتقاء الساكنين: ساكن المد، وسكون اللام للجزم، فلما لم يجزم لم يحذف الياء، ومنها قوله ص٣١١: «وخطبها على أسامة بن زيد بعد خطبتهما: فاستدللنا على أنها لم ترضى، ولو رضيت واحدًا منهما أمرها أن تتزوج من رضيت».

والشاهد قوله «لم ترضى» اذ أنه لم يحذف حرف العلة لأنه أهمل عمل لم، وفي ذلك سند لمن قال: إن إهمال عمل «لم» لغة من لغات العرب، وليس للضرورة الشعرية.

هذا قليل من جم كثير، تفيض به كتابات الشافعي وعلى الأخص رسالته، فلغة الشافعي لغة عربي قح، لم تصبه هجنة أو لكنة، والتي تكشف لنا عن الشافعي اللغوي، علاوة على الشافعي الفقيه.

هوامش

١- ابن حجر العسقلاني: توالي التأسيس، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦، ص٨٤.

٢- السابق: ٨٥.

٣- عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق د.محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص٤٥.

٤- ابن حجر العسقلاني مصدر سابق: ص٩٩.

٥- تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د.محمود محمد الطناحي، د.عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ص ١٦١.

٦- ابن أبي حاتم الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ص ١٠١.

٧- تاج الدين السبكي: مصدر سابق، ص ١٦١.

٨- مقدمة الرسالة لأحمد محمد شاكر: ص١٤، وانظر: كتاب الرد على الانتقاد على الشافعي في اللغة للبيهقي، تحقيق عبدالكريم بكار، دار البخاري، بريدة، ص ٣٠.

٩- طبعة دار التراث، الطبعة الثانية ١٩٧٩.



لغة وأدب

المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية

د. خالد فهمي

أنتجت الحضارة الإسلامية نظرية عسكرية متفردة الجوانب منذ اليوم الذي فرض الله سبحانه فيه الجهاد والقتال، وكان نزول قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (الحج: ٣٩) مفتتحًا واضحًا بعد زمان طويل من الدعوة التي ترفع شعار «كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة»، وهي حقبة امتدت لتغطي مساحة البعثة المكية كاملة، وامتدت ظلالها مدة سنتين بعد الهجرة النبوية المشرفة تقريبا، يقول القرطبي في الجامع (١٢/٦٨) «لما هاجر نزلت ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...﴾ وهي أول آية نزلت في القتال»(١) افتتح بها عهد الإعداد له.

منذ هذا التاريخ البعيد تشكلت أبعاد النظرية العسكرية الإسلامية بنطاقاتها المختلفة من أصول حاكمة وأخلاق مقيدة، ومعرفة منظمة، وواكب هذا التطور والتشكل جهاز اصطلاحي كاشف عن هذه الحدود والأبعاد، وهو الأمر الذي يظهر أن تاريخ ظهور مصطلحات العسكرية الإسلامية يبدأ من الإذن بالقتال، وإن كان ثمة ألفاظ عسكرية موروثة من الحقبة الجاهلية، ولكن وهبها من روحه الإسلامية، وصبغها بصبغته ومبادئه.

مصادر مصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية

أولا: المصادر التاريخية

العناية بمصطلحات العسكرية العربية، جمعًا وشرحًا وتصنيفًا، لا يمكنها أن تتغافل عن مصنفات التاريخ العربي بحال من الأحوال، ويمكن تمييز عدد من أنواع المصنفات التاريخية المعتبرة وأهميتها في هذا السياق كما يلي:

القرآن الكريم يزخر بالعديد من الالفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة والتخطيط

١- المصنفات التاريخية المعنية في المقام الأول بالتأريخ لأيام العرب وحروبهم معًا قديمًا وحديثًا، ولاسيما مصنفات التاريخ العام، كتاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير.

٢- مصنفات السيرة النبوية بوجه عام من لدن ابن هشام وإلى الصالحي الشامي صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مع عدم إهمال المؤلفات المعاصرة في هذا الميدان.

٣- مصنفات الغزوات تعيينًا، من مثل المغازي للواقدي، والغزوات لابن حبيش، والاكتفا في مغازي الرسول والثلاثة الخلفا للكلاعي.

٤- مصنفات الفتوح الإسلامية، من مثل فتوح البلدان للبلاذري، والفتوح لابن أعثم الكوفي وغيرهما.

٥- مصنفات الحكومة الإسلامية أو إدارة الدولة عند المسلمين، من مثل تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، وشرحه وتطويره المسمى بالتراتيب الإدارية للكتاني.

٦- المصنفات الموسوعية العربية، كنهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي.

٧- مصنفات التراجم الشخصية المعنية بالشخصيات العسكرية تعيينا، على ما نرى في سيرة صلاح الدين لابن شداد، والاعتبار لأسامة ابن منقذ.

ثانيا: المصادر الشرعية

القرآن الكريم مليء بعدد ضخم من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة، والتخطيط، ومواجهة العدو، والجغرافية العسكرية، مما هو ظاهر في عمل المرحوم محمود شيت خطاب، مما سنقف عليه بعد قليل.

ولا تقل مصنفات السنة الشريفة أهمية في هذا الميدان، ذلك أن عددًا من أبواب كتب السنة تشتمل على ألفاظ عسكرية كثيرة، ولاسيما في أبواب الجهاد والفتن.

ثالثا: المصنفات الفنية

١- مصنفات القنص والصيد، وهي مفيدة جدا في استخراج عدد من المصطلحات العسكرية العربية المتعلقة بالتدريب والخطط على وجه التعيين، بالإضافة إلى ألفاظ الأدوات وألفاظ الطرق التي كانت مستعملة في الصيد والقنص... إلى غير ذلك.

٢- مصنفات الأسلحة عند العرب، وهي مفيدة جدًا في استخراج المصطلحات العسكرية الخاصة بالأسلحة والذخيرة، ومفيدة في بيان ما كان مستعارا من غير العرب، ومن أشهر هذا النوع من المصنفات العسكرية الخاصة بصناعة الأسلحة عند المسلمين كتاب «الأنيق في المنجنيق، لابن

أستاذ اللغة في جامعة المنوفية - مصر



أرنبغا الزردكاش» .

٣-مصنفات المناصب الحربية، وهي مهمة في الكشف عن جوانب الفكر العسكري الإسلامي وما قدمه من أفكار حول الخطط العسكرية والآلات، ومن الكتب المهمة في هذا المجال كتاب الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين الرماح المعروف بالأحدب .

رابعا: المعاجم اللغوية العربية

ضرورة العناية الفائقة بفرع من المعاجم العربية الخاصة بالموضوعات العسكرية، مما يسمى في تاريخ المعجمية العربية بالرسائل اللغوية الصغيرة، أو المعاجم الموضوعية ذات الموضوع الواحد، مثل كتاب السلاح لأبي عبيد، وأسماء السيف لابن خالويه، والرسائل الخاصة بالنبل والسهام والرماح.

خامسا: مؤلفات رواد النهضة الإسلامية المعاصرة

كان من المجالات التي لمسها هؤلاء الرواد ضرورة التنبيه إلى خطر إزاحة عدد من المصطلحات المتعلقة بالهوية الإسلامية، ومنها عدد من المصطلحات العسكرية المنبثقة من الحضارة العربية والإسلامية؛ فظهر التحذير من إماتة ألفاظ من مثل: الجهاد لمصلحة الدفاع، والمجاهد لمصلحة الجندي أو العسكر، والمرشد لمصلحة ألفاظ أجنبية أو معربة للفظ مكافئ دال على رتبة عسكرية بعينها.

ومن المهم جدا عدم إهمال أمثال كتابات محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا والعقاد ومالك بن نبي وعلال الفاسي، والبشير الإبراهيمي، والكواكبي وغيرهم حول شروط النهضة والتغيير والإصلاح.

وظائف المصطلحات العسكرية

١- الوظيفة الدينية

والإيمانية؛ بمعنى أن النظر إلى حقل المصطلح العسكري في لغة العرب يصور ما صبغه الإسلام لهذا الجهاز الاصطلاحي؛ ذلك أن عددا من الألفاظ العسكرية أصابها قدر ضخم من التطور أو التغير على مستوى الدلالة والمعنى، بحيث يمكن قياس فارق ما بين دلالات المصطلح العسكري الإسلامي ودلالات المصطلح العسكري العربي قبل الإسلام؛ وقراءة ألفاظ من مثل: المُثلة قائد إلى تصور منظومة الأخلاق التي أحاطت بعدد كبير من ألفاظ هذا الميدان المعرفي.

٢- الوظيفة الحضارية والمعرفية

يؤدي معجم المصطلحات العسكرية دورًا حضاريًا بما يعكسه من علامات تصب في هذا الباب المهم؛ ذلك أن الألفاظ العسكرية في العربية تعكس ما طوره المجاهد المسلم في مجالات العمل العسكري المختلفة بدءًا من الإعداد والتعبئة، وانتهاء بالنصر أو بتوقف القتال.

٣- الوظيفة اللغوية

وهي من الوظائف الهامة جدا في السياق المعاصر، لاسيما في مواجهة عدد من الأصوات المنتمية معرفيا لحقول العلم التطبيقية والتجريبية والتقنية، والتي لا ترى في الأفق قدرة للعربية على استيعاب المنجز المعرفي الغربي في هذه الميادين والتفاعل معها والتعبير عنها؛ ذلك أن تأمل ما وضعه اللسان العربي من تسميات ومصطلحات لعدد ضخم جدا لتصورات ومفاهيم منضوية تحت العلوم العسكرية، وما استطاعت أن تستوعبه هذه المفاهيم وتعربه مما نقل من تسميات ومصطلحات عسكرية من الأمم الأخرى لهو أمر يدعو إلى الإعجاب بهذه اللغة.

٤- الوظيفة المعجمية التاريخية

ثمة تأريخ لعدد كبير من الابتكارات في الميدان العسكري، في معاناة العرب المسلمين في جهادهم الطويل دفعا أو طلبا، وهو ما واكبه استحداث ألفاظ دالة معبرة عن هذه المبتكرات، مما يسهم في خدمة المعجمية التاريخية العربية في الحقل المتخصص.

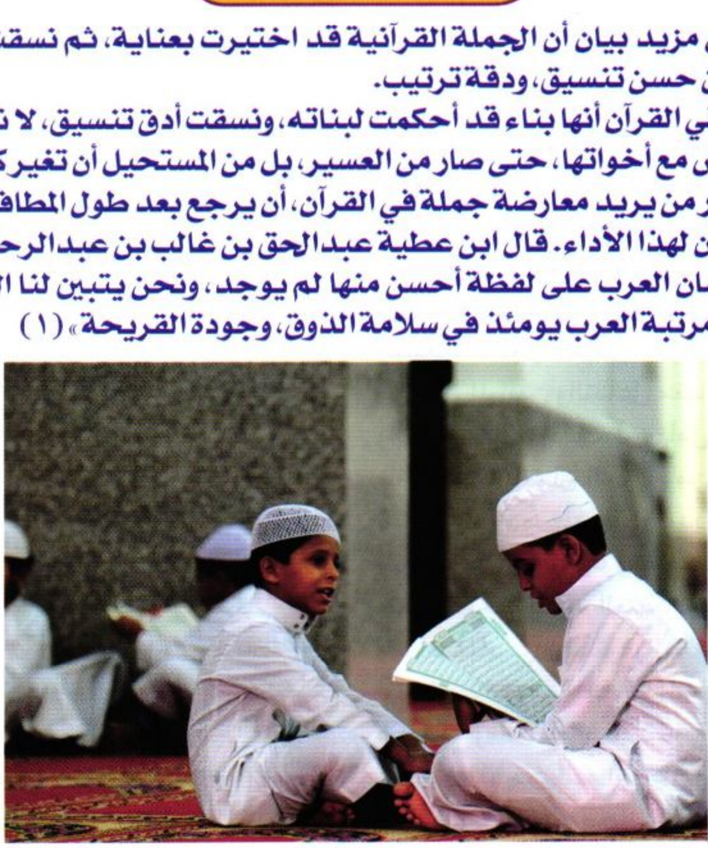
في المعجمية المعاصرة..

مع الإقرار بالآثار السلبية لتغييب عدد كبير جدا من المصطلحات العسكرية العربية- لأسباب كثيرة- عن الاستعمال العسكري المعاصر، لعل أهمها روح التبعية التي خلفها الاحتلال الغربي في البلدان العربية المختلفة، فإن ثمة بعضا من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المختصة المعاصرة، نقف عند تجربتين تعكسان وعيا بقيمة هذا التراث الممتد لألفاظ العسكرية العربية الإسلامية، وهما :

١- «معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، لمحمود شيت خطاب، يرحمه الله، والذي صدر عام (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) في مجلدين، الأول يبدأ بالهمزة وينتهي بالطاء، والثاني يبدأ بالعين وينتهي بالياء، فيما يقرب من مائة وألف صفحة.

٢- «معجم السفن الإسلامية»، لدرويش النخيلي، الذي صدر بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٤م.

وقد اعتنى فيه ببيان أنواع السفن الحربية، وهو ما يدخل في الميدان الذي نعرض لأشكال العناية به في اللسان العربي، وقد رتبها جميعًا على حروف المعجم، وفق الترتيب الهجائي الشائع طلبًا للتيسير، وقد كان صانع هذا المعجم حريصًا على بيان السفن الحربية، بالنص تعيينا لمستوى استعمالها.



خصائص الجملة القرآنية

د.سامي عطا

من الأمور التي لا تحتاج إلى مزيد بيان أن الجملة القرآنية قد اختيرت بعناية، ثم نسقت في سلك واحد، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق، ودقة ترتيب.

وخير ما توصف به الجملة في القرآن أنها بناء قد أحكمت لبناته، ونسقت أدق تنسيق، لا تحسُّ فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها، أو لا تتعايش مع أخواتها، حتى صار من العسير، بل من المستحيل أن تغير كلمة بكلمة، أو تستغني فيها عن لفظ، أو أن تزيد فيها شيئا، وصار من يريد معارضة جملة في القرآن، أن يرجع بعد طول المطاف إليها، كأنما لم يخلق الله لأداء تلك المعاني، غير ما اختاره القرآن لهذا الأداء. قال ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (٥٤١هـ): «وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة» (١)

يقول مصطفى صادق الرافعي: «وإنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن، ونظم كلماته في الوجوه المختلفة، التي يتصرف فيها، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه، حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك، وأجمع لما في نفسك، وأبين لهذه الحقيقة، غير كلمة الإعجاز...» إلى أن يقول: «فترى اللفظ قارًّا في موضعه، لأنه الأليق في النظم، ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية، مما يتقدمه أو يترادف عليه...» (٢)

والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى ظاهرًا، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الجملة ضرورة لا محيد عنها، وإلا اختل وانهار.

خذ مثلا قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة:١٢٧) تجد إسماعيل معطوفًا على إبراهيم، فهو كأبيه يرفع القواعد من البيت، ولكن تأخره في الذكر يوحي بأن دوره في رفع القواعد دور ثانوي، أما الدور الأساس فقد قام به إبراهيم، قال في «الكشاف»: «قيل: كان إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة» (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (البقرة:٤٥) «تجد المستعان عليه في الآية غير مذكور، لا تخففا من ذكره، ولكن ليوحي هذا الحذف إلى النفس أن كل ما يقوم أمام المرء من مشقة، وما يعترضه من صعوبات، يستعان على التغلب عليه بالصبر والصلاة»(٤)

دراسة تطبيقية لاستخدام القرآن للجملة بنوعيها

تتألف الجملة من ركنين رئيسين هما المسند والمسند إليه، وهذان الركنان هما عمدة الكلام.

ويظهر تأليف الجملة. تبعا للمسند . بصورتين: فعل مع اسم، أو اسم مع اسم، وبالتعبير الاصطلاحي: فعل وفاعل أو نائبه، أو مبتدأ وخبر، نحو: أقبل سعيد، وسعيد مقبل، وكل التعبيرات الأخرى إنما هي صور أخرى لهذين الأصلين.

والصورة الأساسية للجمل التي مسندها فعل، أن يتقدم الفعل على المسند إليه، ولا يتقدم المسند إليه على الفعل إلا لغرض يقتضيه المقام.

والصورة الأساسية للجمل التي مسندها اسم، أن يتقدم

* باحث أردني



المسند إليه على المسند، أو بتعبير آخر أن يتقدم المبتدأ على الخبر، ولا يتقدم الخبر إلا لسبب يقتضيه المقام أو طبيعة الكلام.

والفارق بين هاتين الصورتين: أن الجملة التي مسندها فعل إنما تدل على الحدوث، تقدم الفعل أو تأخر، وقد تفيد الاستمرار بالقرائن، وهذا يكون في الفعل المضارع فقط، كما في قوله تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض...﴾ (فاطر: ٣)، فالرزق من الله متجدد ومستمر، لا ينقطع ولا يزول.

أما الجملة التي مسندها اسم فإنها تدل على الثبوت، وربما تفيد الدوام بالقرائن.(٥) وإذا كان وضع الجملة الاسمية على إفادة الثبوت، ووضع الجملة الفعلية على إفادة التجدد، فإن الجملة الاسمية تدل على معنى أوفى مما تدل عليه الجملة الفعلية، ولهذا ذهب البلغاء إلى أن الجملة الاسمية تفيد تأكيد المعنى، وقدتؤثر من أجل هذا في بعض المقامات على الجملة الفعلية(٦).

وقد يعدل القرآن أحيانًا عن الفعل إلى الاسم، فقد يكون الأصل أن يعبر عن الحدث بالفعل، ومع ذلك يؤتى بالاسم للدلالة على الثبوت. قال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠)، فهو لم يجعله بعد، ولكن ذكره بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أن الأمر حاصل لا محالة، فكأنه تم واستقر وثبت.

من جميل استعمال القرآن للفعل والاسم أنه يستعملهما استعمالاً مناسبًا مع وقوع الحدث في الحياة، فإذا كان مما يتكرر حدوثه ويتجدد استعماله، استعمله بالصورة الفعلية، وإن لم يكن كذلك استعمله بالصورة الاسمية.

فمن ذلك مثلاً: «استعمال القرآن للفعل «ينفق»، فإنه يستعمله بالصيغة الفعلية، لأن الإنفاق أمر يتكرر ويحدث باستمرار، قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة: ٢٧٤)، فاستعمل الفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث، لأن الإنفاق أمر يتجدد. ولم ترد بالصورة الاسمية إلا في آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار...﴾ (آل عمران: ٧١)، وهو في سياق أوصاف المؤمنين الدالة على الثبات»(٧).

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبًا﴾ (الكهف: ٨١).

فتعبيره بالأسماء في قوله: ﴿أيقاظا، هم رقود﴾، ﴿كلبهم باسط﴾، قد دل على دوام هذه الأفعال، وثبوت تلك الهيئات، واستمرارهم عليها، فالكلب باسط ذراعيه، ثابت ومستمر على تلك الهيئة، وهم مستمرون في رقودهم أيقاظا، أي: دائمي اليقظة منتبهين، لا تغمض أعينهم البتة. إن إيثار التعبير بتلك الأسماء قد كشف عن هيئة أهل الكهف، وأفصح عن ثباتهم على الهيئات المذكورة، ولماكان التقليب يتجدد، ويقع حينا بعد حين، لئلا تأكل الأرض من أجسادهم، فقد عبر عنه بالفعل المضارع ﴿نقلبهم﴾، الدال على التجدد والحدوث.

وانظر في قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (التوبة: ٣٤). لقد عبر عن المنافقين بالاسم ﴿الكاذبين﴾الدال على الثبوت والدوام، لينبئ أن هذه عادتهم، فالكذب خلق ثابت فيهم، وصفة مستمرة دائمة لا تبارحهم، وأما المؤمنون: فقد عبر عنهم بالفعل الماضي ﴿صدقوا﴾، ليدل على أنهم حققوا الصدق وتحلوا به فلم يعدلوا عنه، وتأمل الفعلين ﴿يتبين لك﴾، ﴿وتعلم﴾، وما يدلان عليه من جلاء الصدق ووضوحه، وخفاء الكذب وكتمانه، فصدق المؤمنين يتبين للنبي ﷺ، وأما كذب المنافقين فيحتاج إلى علم حتى ينكشف ويظهر.

ومما أوردناه يتجلى لنا ما وراء التعبير بالاسمية والفعلية في النظم الكريم من أغراض ومعان يقصدإلى تحقيقها، ويتضح كذلك أن إفادة هذه الأغراض والدلالة على تلك المعاني، مرجعهما إلى دلالة الاسمية على الثبوت والدوام، ودلالة الفعلية على وقوع الفعل، أو على الحدوث والتجدد. كما ندرك أن الجملة القرآنية قد تكونت من كلمات قد اختيرت بعناية، ثم نسقت في سلك واحد، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق ودقة وترتيب. وهذا دليل من دلائل إعجازه، ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ (النساء: ٢٨).

مراجع

١. د.نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مع نقد وتعليق، ص٩٥.

٢ . انظر: مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢٨١، ٢٨٢.

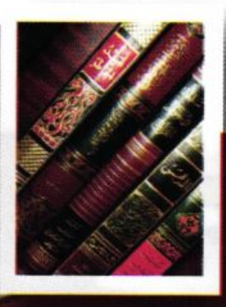
٣ . محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف. ج١/ ص١٦٣.

٤ . د. منير سلطان: بلاغة الكلمة، دار المعارف، القاهرة، ص١٠٨.

٥ . انظر: د.فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، عمان، ص٢٩.

٦ . للاستزادة انظر: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (٧٤٩هـ): الطراز. ج٢/ ص ٥٢.

٧ . د. فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، جامعة بغداد، ١٩٨٩م. ص ٣٠.



الأستاذ العذري.. معلم لا نظير له

د. محمد حسان الطيان

لا أعرف في دنيا التعليم معلمًا يشبه الأستاذ أحمد المعتصم العذري المدني، إنه نسيج وحده، وفريد عصره في اسمه ولقبه، وشكله وظرفه، ونمط تعليمه وشدة أسره، بل في ترتيبه وتنظيمه.. وفي زرعه القيم والمثل والثقة في نفوس تلامذته.

فتح لنا بوابة اللغة وأذقنا منها أفانين البلاغة والبيان نتفيأ ظلالها ونرتع في رياضها

وإذا أنا تحدثت عن العذري.. فعم أتحدث؟ وبم أبدأ؟ أعن قوة حضوره وشدة أسره لكل من يحضر مجلسه أو يجلس في صفه؟ أم عن عشقه للعربية والتفنن في نقل هذا العشق إلى قلوب تلامذته؟ أم عن استقامته ونزوعه إلى الكمال؟! أم عن قدرته على تلقيب كل طالب في الصف بلقب يتنزّل منه منزلة الثوب اللائق بالجسد؟! فمن عظيم الصف.. إلى بطل الإعراب.. إلى الزاهد الناسك.. إلى من شهدت منظمة اليونسكو بعلمه وفضله.. إلى شكري أفندي.. إلى صاحب المشكلات والفتن.. إلى المجرم التائب... إلى غير ذلك من ألقاب لا ينقضي منها العجب لدقة انطباقها على أصحابها، وشدة تأثيرها في نفوسهم.

أم أتحدث عن فكاهته، وسرعة بديهته، وحسن تأتيه وجمال إلقائه، وبراعة استهلاله، وبديع تصويره، ولطيف تمثيله، ووضوح شرحه، وتنوع أدواته وطرائقه في التعليم؟!

أم أتحدث عن ارتقائه بتلامذته، وزرعه أعظم القيم في نفوسهم، وتزكيتهم وتربيتهم على المثل والمكارم والمحامد، وتجنيبهم كل ما لا يليق بهم من المفاسد والمساوئ، والنزوع بهم نحو حمل الأمانة وتحمل المسؤولية وبناء الشخصية.

أم أترك ذلك كله وأستذكر الأبيات والأقوال والحكم والأمثال التي روّانا إياها فنُقشت في أذهاننا نقشًا، بل حفرت في قلوبنا وعقولنا حفرًا، وكانت تطرق أسماعنا أول مرة فصادفت قلوبًا فارغة فتمكنت واستحكمت.. وأصبحت أنشودة نتغنى بها، وأهزوجة نرددها، ومازالت لنا زادًا ومعينًا نمتح منها وننفق كيف نشاء، وهي تربو وتزيد ببركة أستاذنا العذري رحمه الله وأعلى مقامه.

فمن ذلك قول المتنبي:

وَإِذا كانَتِ النُفوسُ كِبارًا
تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ

وقوله:

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بِعَقلِهِ
وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ

وقول الآخر:

لا تحسبِ المجدَ تَمْرًا أنت آكله
لن تبلغَ المجد حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبرا

وقول الشابّي:

ومن يتهيّب صُعودَ الجبالِ
يَعِشْ أبَدَ الدّهرِ بَيْنَ الحُفَرْ

وقول بشار بن برد:

إِذا كُنتَ في كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِبًا
صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه

وقول البارودي:

وَأَقْتَلُ دَاءٍ رُؤْيَةُ العَيْنِ ظَالِمًا
يُسِيءُ وَيُتْلَى في المَحَافِلِ حَمْدُهُ

وقول شوقي:

وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَمَنّي
وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا
وَما اِستَعصى عَلى قَومٍ مَنالٌ
إِذا الإِقدامُ كانَ لَهُم رِكابا

ومن ذلك الحكمة العظيمة:

«السعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه»

وقول رسول الله ﷺ:

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (الأمالي المطلقة).

أرأيت أعظم من هذه الأقوال وأشرف من هذي المعاني تُربّى بها النفوس، وتُزكّى بها العقول، وتُرقى بها الرجال، وتبنى بها الأمم؟!

لقد حفظناها وفهمناها في طراءة الصبا ويفاعة النشأة من فم أستاذنا العذري، زقّنا بها كما تُزقُّ العصافير بأجمل وقع وأحلى تدبير، وكان كل واحد منها موضوع تعبير كلفنا بكتابته بعد أن أنار لنا الطريق حوله، وشرح لنا كل ما يتعلق به.

والأهم من ذلك كله، والأولى من ذلك كله، أنه عرف مفتاح العربية فملّكنا إياه، وعرف بوابة اللغة ففتحها لنا على مصراعيها، وأذاقنا منها أفانين البلاغة والبيان، نتفيّأ ظلالها، ونعيش في رحابها، ونرتع في رياضها.

كل ذلك كان عندما خصص حصة أسبوعية من حصص مادة اللغة العربية الست للقرآن الكريم، يقرأه الطلبة جميعهم، مسلمهم

• أستاذ اللغة في الجامعة المفتوحة - الكويت

ومسيحيهم، قويهم وضعيفهم، لم يثنه عن ذلك تدخل إدارة أو سلاطة زميل جاهل، أو شكوى إلى مديرية أو وزارة.. بل مضى في طريقه بعزيمة حذّاء ماضية، يقرئنا القرآن، ويصحح لنا تلاوته، ويقوم ألسنتنا بقراءته، ويجعل الحوافز لحفظ بعض سوره وآياته، ويتفنن في تحبيبنا بكل ما يتعلق به.

أذكر أن أستاذ اللغة الفرنسية اعترض على أستاذنا العذري لحمله جميع الطلبة على قراءة القرآن في حصة اللغة العربية، فنظر إليه أستاذنا شزْرًا وقال: لو أدركت ما في ذلك من فائدة ونفع للطلبة جميعهم لغسلت فمك سبع مرات إحداهن بالتراب، ووقفت في طابور من زمرتك لتحظى بتقبيل اليد التي مكّنتكم من قراءة القرآن!

لقد كان أستاذ العربية العذري، وأستاذ الفرنسية الدُّمّر على طرفي نقيض، فبينا يرتقي الأول بنا إلى يفاع المكارم والأخلاق والشيم، ينحدر الآخر بنا إلى حضيض الشتائم والمصائب والنقم، وبينما يزرع فينا الأول كل الثقة والاعتزاز والإباء والشمم، يدمر الآخر فينا كل جميل ومبدع وخلّاق، لقد كنا معهما على حد قول شيخ المعرة:

مِنَ الناسِ مَن لَفظُهُ لُؤلُؤٌ
يُبادِرُهُ اللقطُ إذ يُلفَظُ
وَبَعضُهُمُ قَولُهُ كَالحَصى
يُقالُ فَيُلغى وَلا يُحفَظُ

ونعم فقد حفظنا كل قول قاله العذري، واطرحنا دَبْر آذاننا كل قارصة تفوّه بها الآخر.

وإن أنسَ لا أنسَى يوم توّجني الأستاذ العذري عظيمًا للصف إثر نيلي أحسن درجة في امتحان اللغة العربية، كان ذلك في حفل بهيّ سلمني فيه مقاليد العظمة، وهي ثلاثة أمور: أولاها مصافحة تُؤذِن بحصانتي من كل عقوبة، وثانيها إهداء كتاب من تأليفه سماه «في الإنشاء العربي» أفدت منه أنا وأولادي وتلاميذي من بعدي، وثالثها تسليمي دفتر الحوافز والعقوبات أسجل فيه كل ما يمنح للمحسنين أو يحذف للمسيئين والمقصرين من درجات في حصص اللغة العربية.

وهكذا كانت حصص العربية تمضي، تتخطّفها أفانين الأستاذ العذري، في نشاط لا يعرف الكلال، وجدّ لا يعرف الملل، وتنوّع في الأداء يحيط بكل معارفِ اللغة من نحو وإملاء وإنشاء ونصوص وقرآن، فبينا ترى الأستاذ يشرح درسًا أو يقرأ نصًا إذا به يطرح سؤالًا يثاب من يجيب عليه بزيادة درجة أو أكثر، أو يطلب إعراب كلمة يتنافس الطلبة في تقدير إعرابها، وإذا ما فرغ من تقرير درس دعا إلى مسابقة أو مبارزة يخرج فيها طالب أو طالبان أو أكثر ليكتبوا جملة لا تخلو من نكتة نحوية أو إملائية على نحو يذكي القريحة ويقدح زناد الفكر ويحرك نوازع الإبداع.

أرأيت أعظم من هذه الأقوال وأشرف من هذي المعاني تربّى بها النفوس وتُزكّى بها العقول وتُرقى بها الرجال وتبنى بها الأمم؟!

أذكر أنه أملى علينا مرة قطعة تجمع صنوف الهمزات في الكتابة العربية، ما بقي واحد منا إلا حفظها وتمثّل بها وتندّر بألفاظها، حتى إني أمليتها أمس على ولدي الأصغر عبادة بعد أربعين عامًا من حفظي لها، وكم كان سروري عظيمًا حين لم يخطئ في كتابة أي حرف منها، وهاكها فاحفظها وتدرب على همزاتها:

«قال الكأكائي لقوم تكأكؤوا عليه لمَ تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا عني» .

لقد كان الطلبة يتعلمون من هذه الطرائق والأفانين أضعاف ما يتعلمونه في دروسهم المقررة وكتبهم المؤلفة.

لهُ في أفانين الكلام تَصَرُّفٌ وفي الشِّعرِ إحسانٌ وفي النَّثر إجمَالُ على أن انتفاعنا بأستاذنا العذري لا يكمن في تنوع طرائقه وتفنن عطائه فحسب، بل يكمن، في ظني، بالمحبة التي غرست في قلوبنا له، إنه الحب الذي يصنع المعجزات، ومن لانت كلمته وجبت محبته، ومن ذهبت كلفته وجبت ألفته.

وقد ملك أستاذنا العذري قلوبنا والله بكلمته اللينة وابتسامته المشرقة وأريحيته الكريمة وبيانه البليغ وقلبه العامر بالإيمان والخلق النبيل! وبقدر ما أحببناه أفدنا من علمه وفضله ونبله وخلقه.

رحم الله تعالى أستاذنا العذري رحمة واسعة، وأسبغ عليه شآبيب مغفرته ورضوانه، وجزاه عنا وعن تلامذته وأمته خير ما جزى معلمًا عن طلابه، ووالدًا عن ولده، ومربيًا عن تلامذته، ومصلحًا عن أمته.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

من يتحدث باسم الإسلام؟

بدر محمد بدر

الكتاب: من يتحدث باسم الإسلام؟
المؤلفان: جون إسبوزيتو وداليا مجاهد
المترجم: د.عزت شعلان
الناشر: دار الشروق بالقاهرة
عدد الصفحات: ٢٤٠
الطبعة: الأولى ٢٠٠٩

يطرح هذا الكتاب فكرة أساسية، يحاول من خلال فصوله الخمسة التأكيد على صحتها وأهميتها، وهي أنه يجب الاستماع إلى «الأغلبية الصامتة» من المسلمين في العالم، وليس فقط متابعة القيادات السياسية والدينية والتركيز عليها وهي التي قد تكون متطرفة في آرائها أو مواقفها بحسب الرؤية الغربية، وذلك من خلال أكبر وأطول استطلاع رأي عالمي قام به معهد «جالوب» الأميركي لأبحاث ودراسات الرأي العام، في ٣٥ بلدًا إسلاميًا في الفترة بين عامي ٢٠٠١- ٢٠٠٧.

الاستطلاع الذي تمت صياغته بشكل علمي ومنهجي كان يهدف إلى التعرف على الآراء الحقيقية للمسلمين، أي كيف يفكر أكثر من مليار ونصف المليار مسلم في العالم؟ وهم «الأغلبية الصامتة بالإكراه» حسب تعبير الكتاب.

والمؤلفان هما: ون إسبوزيتو الباحث والمفكر الأميركي المتخصص في الشأن الإسلامي، وصاحب الدراسات المنصفة- إلى حد ما- للمسلمين، والباحثة داليا مجاهد، المصرية المولد والنشأة، والمدير التنفيذي لمعهد «جالوب» في الشأن الإسلامي وكبيرة المحللين للبيانات، والتي اختارها الرئيس الأميركي باراك أوباما أخيرًا ضمن فريق مستشاريه عن العالم الإسلامي.

وفي تقديمه للكتاب يشير الأستاذ فهمي هويدي- الكاتب الإسلامي المعروف- إلى أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لم تنشئ تلك الصورة المشوهة عن المسلمين، وإنما ضاعفت فقط من حجم التشوه الكامن في إدراك الأغلبية الساحقة من الغربيين إزاء الإسلام والمسلمين، وهذا الكتاب يساعد في إنصاف المسلمين وفضح الصورة المشوهة التي رسمت لهم في الإدراك الغربي، هذه الصورة التي عمقت من الفجوة بين المسلمين والغربيين، وفتحت الباب للترويج لدوام التوتر والصراع والصدام بين الجانبين.

لماذا العداء مع الغرب؟

لقد جمع المؤلفان كميات هائلة من البيانات التي يرون أنها تمثل آراء المسلمين في العالم، بحثًا عن إجابات عن: ما هو أصل العداء للأميركيين في العالم الإسلامي؟ ومن هم المتطرفون؟ وهل يريد المسلمون الديموقراطية، وإذا صح ذلك فكيف تبدو؟ وما الذي تريده النساء المسلمات؟ وأهم ما كشفت عنه هذه البيانات، كما يقول مؤلفا الكتاب، أن الصراع بين المجتمعات الإسلامية والغربية ليس حتميًا، وأنه صراع سياسي أكثر منه صراع مبادئ، وما لم يستمع صناع القرار إلى الناس مباشرة، فسوف يظل المتطرفون من الجانبين يزيدون نفوذهم.

ويتناول الكتاب في الفصل الأول، من خلال استطلاع الرأي، الدور الذي يلعبه الدين في حياة المسلمين، ويخلص إلى أن الدين جزء مهم من الحياة اليومية للمسلم، وأنه جانب أساسي في الحياة لا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونه، وعند السؤال عن أشد ما يدعو إلى الإعجاب بالعالم الإسلامي، كانت الاستجابة الأولى عند نسبة مئوية مهمة من السكان، في بلاد شديدة التنوع مثل: تركيا والسعودية وإندونيسيا هي الالتزام الصادق بالإسلام عند الناس.

ويعتبر الكثيرون الدين مؤشرًا أوليًا على الهوية، ومصدرًا للمعنى والإرشاد والعزاء والمجتمع، وعاملًا أساسيًا في تقدمهم، وترغب الأغلبية من الرجال والنساء جميعًا، في كثير من البلاد التي تغلب عليها نسبة المسلمين، أن ترى الشريعة الإسلامية مصدرًا للتشريع.

وتحت عنوان «ديموقراطية أم ثيوقراطية» يتحدث الفصل الثاني عن رؤية المسلمين للديموقراطية الغربية، ويبدأ بالإجابة عن سؤال: لماذا تغيب الديموقراطية عن كثير من بلاد العالم الإسلامي؟ والسبب- كما يرى- في التاريخ والسياسة أكثر من الدين.

لا.. للنموذج الغربي

وعلى الرغم من أن أولئك المشاركين في الاستفتاء يعترفون ويعجبون بجوانب عديدة في الديموقراطية الغربية، فإنهم لا يحبذون تبني النماذج الديموقراطية الغربية بالجملة، وإنما يفضلون نموذجا ديموقراطيا خاصا بهم، ينطلق من الشريعة الإسلامية ولا يعتمد على القيم الغربية، ويقدمون نموذجًا جديدًا للحكومة يكون ديموقراطيا ويحتضن القيم الدينية، وهذا يساعد في تفسير السبب في رغبة الأغلبية في أكثر البلاد الإسلامية في تطبيق الشريعة بوصفها مصدرًا للتشريع.

ولكن ما الذي يستطيع الغرب أن يفعله- من وجهة نظر المشاركين في الاستفتاء- لتحسين العلاقات مع العالم الإسلامي؟ ترى الأغلبية: إبداء المزيد من الاحترام والاهتمام (لا تنقصوا من مكانة البلاد العربية والإسلامية، أظهروا مزيدًا من فهم الإسلام كدين، ولا تحطوا من قدر ما يدعو

* كاتب صحفي

إليه الإسلام).

ويناقش الفصل الثالث الظروف التي تصنع الراديكالي (المتطرف) في آرائه السياسية أو الاجتماعية أو الدينية، ويرى المؤلفان أن فهم المتطرفين وطبيعة التطرف يستدعي إدراكًا عالميًا، يمتد وراء الآراء المتعارضة للخبراء حول توصيف المتطرف، فالمتطرف لم يعد هو الأقل تعليمًا والأكثر فقرًا، ولم يعد كذلك هو الذي يعاني من البطالة، ومن دواعي الدهشة- حسب نتائج الاستطلاع- أن الراديكاليين السياسيين أكثر تفاؤلًا على العموم بمستقبلهم الشخصي من المعتدلين، ولكن هل تتعلق التقوى الشخصية بالآراء المتطرفة؟ الإجابة، لا. فلم يذكر مشارك واحد من إندونيسيا، على سبيل المثال، من الذين يؤيدون ويبررون هجمات الحادي عشر من سبتمبر، القرآن من أجل التبرير، وكانت استجابة هؤلاء علمانية دنيوية إلى حد كبير.. وبالتالي فالخلاف الحقيقي بين أولئك الذين يؤيدون الأعمال الإرهابية وبين الآخرين هو حول السياسة لا الدين.

إن المتطرفين سياسيًا أشد إيمانًا بأن السيطرة السياسية والحربية والثقافية الغربية هي تهديد كبير، وعندما سئلوا- في الاستطلاع- عن تحديد أعظم مخاوفهم من مستقبل بلادهم فكثيرًا ما ذكروا تدخل الدول الأخرى في شؤونهم الداخلية وأمنهم القومي والاستعمار والاحتلال وسيطرة الولايات المتحدة الأميركية، ويرون أن المجتمعات الغربية لا تبدي أي اهتمام بتعايش أفضل مع العالم العربي والإسلامي.

ماذا تريد النساء؟

ويناقش الفصل الرابع: ماذا تريد النساء؟ حيث يشير الباحثان إلى أن الصحافة الغربية تصور النساء المسلمات بأنهن ساكتات.. خاضعات.. هابطات إلى النطاق المنزلي، بينما يحتكر الرجال الأدوار الناشطة، وفي استطلاع لصورة المسلمات في الصحافة الأميركية، كانت نسبة ٧٣٪ تصور النساء في ظروف سلبية لكن نتائج معهد «جالوب» أظهرت عكس ذلك تمامًا، فأغلب النساء في كل بلد شارك في الاستفتاء يقلن إنهن يحصلن على نفس الحقوق القانونية مثل الرجال، وأنهن يصوتن في الانتخابات من دون تأثير العائلة، وأنهن يشغلن أعلى المستويات الوظيفية في المجتمع، وبينما تعجب النساء المسلمات بالكثير عن الغرب، فإن الغالبية لا تتطلع إلى زيادة المشابهة مع نظيراتهن في الغرب، وإذا كن يفضلن المساواة بين الجنسين، فالأرجح أنهن يرونها حسب شروطهن، وفي نطاق ثقافتهن الخاصة.

وتؤكد نتائج الاستطلاع أن الرجال الداعمين للحقوق النسائية أكثر تدينًا من أولئك الذين يناصرون الرأي المعارض، والواقع أن أولئك المعارضين للتفسيرات الإسلامية التي تدعو إلى زيادة المساواة بين النساء والرجال، إنما يفعلون ذلك باسم «الحفاظ على الثقافة»، ضد ما يتصور من الهجمة الضارية للتأثير الغربي، الذي يدعو إلى الفساد الأخلاقي.

إن الخلط بين الانفلات والتحرير إنما يقوي هؤلاء الناقدين، ويضعف الراغبين في إحداث تغيير إيجابي للنساء من الداخل.



حقائق وخرافات

أما الفصل الخامس والأخير فيأتي تحت عنوان «صدام أم تعايش»، وهو في تقديري أهم فصول الكتاب، حيث يدعو إلى إحلال الحقائق الدامغة عن العالم الإسلامي محل الخرافات السائدة في أذهان الغرب، وأولها أن «المسلمون هم المتهمون بالإرهاب» فإلقاء اللوم على الإسلام إجابة سهلة، وهي أيسر وأدعى إلى قلة الخلاف، من الفحص الجيد لجوهر الشؤون السياسية والمظالم التي تتردد أصداؤها في الكثير جدًا من بلدان العالم الإسلامي، ومنها خرافة: أن مستقبل أوروبا هو «أوروبا المستعربة» أي أن أوروبا في خطر من الأسلمة والتحول إلى حصن جديد للمسلمين، وهذا يفترض أن الإسلام معاد للقيم الغربية، وأن ازدياد السكان المسلمين في أوروبا سيؤدي في النهاية إلى أغلبية سكانية مسلمة تهدد طبيعة المجتمع الأوروبي، ومنها خرافة: «إنهم يكرهوننا من أجل حريتنا» لأن العكس تمامًا هو الواقع، والاعتقاد الشائع بأن المسلمين ليسوا منفتحين لأفكار الآخرين، ربما نشأ من فكرة أن معاداة السياسة الأميركية تساوي كراهية القيم والثقافة الغربية، ومنها كذلك خرافة: «نحن نشهد صدام الحضارات» لأن الشكوى الرئيسية عبر المجتمعات الإسلامية هي أن الغرب يحط من قدر الإسلام والمسلمين، ويساوي بين الإسلام والإرهاب، والصور الكاريكاتورية لم تكن هجاءً للإرهابيين، لكنها اختارت بدلًا منهم هجاء النبي المبجل (محمد صلى الله عليه وسلم)، الذي يعتبره المسلمون النموذج المثالي للحياة والقيم الإسلامية، وهو ما اعتبر هجومًا مباشرًا على الإسلام، وحطًا من قدر العقيدة.

وفي النهاية نؤكد أن الكتاب موجه في الأساس إلى المجتمع الغربي عمومًا، بهدف توضيح حقيقة الصورة الشائهة التي تكونت لدى الغرب على مدى زمني طويل عن الإسلام والمسلمين.

إعداد: خالد خلاوي

التخيل الإبداعي

كثير من الأعمال العظيمة كانت خيالًا في عقل أصحابها قبل أن تصبح واقعًا ملموسًا في حياة الناس، فإعمال العقل بقصد التفكير والتخيل الإبداعي كان المورد الأول لكثير من الإنجازات التي أفادت البشرية، وما فكرة الطيران إلا تخيل من عباس بن فرناس حوَّله إلى فكرة ثم حاول تطبيقها في أشهر محاولة للطيران عرفتها البشرية.

ويعتبر خبراء التنمية البشرية أن التخيل أقوى من المعرفة؛ ذلك لأن المعرفة تستمد قوامها من الماضي، أما التخيل فيجمع بين المعرفة المتراكمة من الماضي والطموح الذي يجتاز الحدود الزمنية إلى المستقبل، فبذلك تصبح قدرة الإنسان على تخيل شكل النجاح دافعا قويا لإدراك هذا النجاح.

وقد اهتم علماء المسلمين بالتخيل وأطلقوا على الخيال لفظ الخواطر، وأطلقوا على عملية التخيل إعمال الخاطر، وللإمام ابن القيم في ذلك كلام نفيس في كتابه الفوائد يقول رحمه الله: خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حَب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لابد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حبًا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملًا وحصًى وتبنًا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبيّن له حقيقة طحينه.

ويقول أيضًا: القلب لا يخلو قط من الفكر إما في واجب آخرته ومصالحها، وإما في مصالح دنياه ومعاشه، وإما في الوساوس والأماني الباطلة والمقدرات المفروضة.

وجماع إصلاح ذلك أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها، وفي باب الإرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته وطرح إرادة ما يضرك إرادته.

والتخيل الإيجابي طريق للإبداع في شتى مجالات الحياة من علوم وفنون وآداب، وهو أيضًا طريق لتعزيز الثقة بالنفس ودفعها نحو النجاح.

يقول جون كيهو في كتابه قوة العقل في القرن الحادي والعشرين: «يتمثل التخيل في أن ترحل بمخيلتك إلى عالم ترى فيه نفسك في وضع لم تكن فيه من قبل، وأن تتصور نفسك تقوم بالأشياء التي ترغبها، أو تحقق النتائج المنشودة التي ترغبها بنجاح.

ويضرب كيهو مثالًا على قوة التخيل في تعزيز الثقة بالنفس فيقول: إنك ترغب في أن تكون أكثر ثقة بالنفس فلتلجأ إلى التخيل، وتتصور نفسك متمتعًا بالثقة، كما ترى نفسك تقوم بأشياء، وتتحدث إلى أشخاص، وكل ذلك وأنت تتمتع بقدر كبير من الثقة، وتتخيل نفسك في مواقف ومواضع تراها في واقعك عسيرة عليك، ولكنك ترى نفسك في عالم خيالك تقوم بها بسهولة وثقة، وتؤدي فيها أداء حسنًا، وقد تتخيل كذلك أصدقاءك ومحيط أسرتك وهم يلقون إليك عبارات التقدير والتهنئة على ما تتمتع به من ثقة أنت حديث العهد بها، كما تشعر بالرضا تجاه ما تتمتع به من ثقة وما تستمتع به من الأحداث التي تقع لك نتيجة لتلك الثقة، كما تتخيل كل شيء يحدث أو قد يحدث لك وتحياه بذهنك وكأنه واقع تمر به الآن.

وهناك شرطان من أجل التخيل الناجح، هما:

- تخيل هدفك دائما وكأنه واقع يحدث لك الآن، واجعل الأمر واقعًا في ذهنك، واجعله محددًا بأدق تفاصيله، وانخرط في الدور وعشه في ذهنك.
- تخيل هدفك على الأقل مرة في اليوم.. تخيله بوتيرة يومية، فالتكرار قوة.

وإليك طريقة الانطلاق في تخيل ناجح:

- قرر ما ترغب القيام به.. اجتياز الامتحان، الحصول على ترقية، الالتقاء بصديق جديد، ادخار قدر من المال، أن تكون على قدر أكبر من الثقة، أن تفوز في إحدى الألعاب الرياضية، أن تقوم بتأليف أو كتابة عمل إبداعي جديد... الخ.
- عليك أن تقضي بعض الدقائق في حالة استرخاء، حتى يمكنك أن تشعر بالراحة التامة جسديًا وعقليًا.
- اقض من خمس إلى عشر دقائق يوميًا في تخيل الواقع الذي تنشد تحقيقه.

وقبل هذا كله يفضل أن تجدد نيتك لله.. أن يكون ما تريد التفكير فيه وتخيله عملًا نافعًا للمجتمع وأن تتوضأ وتصلي ركعتين وتسأل الله التوفيق.

- وينصح كيهو بضرورة التدرب على نوعين من الخيال وهما التخيل الحر المتدفق والتخيل الدقيق.

في حالة التخيل الحر المتدفق: عليك أن تسمح للأفكار والصور بأن ترد إلى ذهنك، وأن تذهب عنك دون أن تتخيرها متعمدًا ما دامت تعبر عن نتائج إيجابية

لما لديك من أهداف.

وأما في حالة التخيل الدقيق: لابد لك فيه أن تشكل بذهنك الصور الدقيقة والمحددة وكذلك المشاهد التي ترغبها، وتتبع الصورة التي رسمتها بشكل مسبق وتمررها بذهنك أكثر من مرة.

لابد أن تتدرب على هذين النوعين من التخيل، وأن تتذكر أن مفتاح الحل هو الممارسة، ذلك أن معظم الأشخاص يجدون صعوبة في المراحل الأولى للتخيل، ولن تقوم أذهانهم برسم وتخيل المشاهد التي يرغبونها، لكن لا تقلق إن حدث ذلك فليس من الضروري أن تكون الصورة كاملة ومتقنة، فإنك إن التزمت ببرنامج للتخيل له وتيرة منتظمة، فسوف تدهش حين يبدأ عقلك بشكل تدريجي في توليد الأفكار وتصوير المشاهد التي تتخيرها له، فنتائج تخيلاتك تتحقق حين تنطبع الصورة بذهنك مرارًا وتكرارًا لعدد من الأيام أو الأسابيع أو الأشهر إلى أن يتحقق هدفك.

صور من حياة المتميزين

الإمام ابن عقيل الحنبلي

كان الإمام ابن عقيل الحنبلي (٤٣١هـ- ٥١٣هـ- ١٠٤٠-١١١٩م) متميزًا في عطائه العلمي، دائم التفكير والتخيل، مهتمًا بما يرد على خاطره من مسائل نافعة، يقول عن نفسه وعن همته العالية في طلب العلم والتعليم: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجدُ من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشدّ مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة.

ويقول أيضًا: أنا أقصرُ بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سفّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وان اجلّ تحصيل عند العقلاء هو الوقت فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص، فالتكاليف كثيرة.

ويقول أيضًا: وعصمني الله تعالى في عنفوان شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وأهله، فما خالطتُ لعَّابًا قط، ولا عاشرتُ إلا أمثالي من طلبة العلم، قال: والغالب على أحداث طائفة أصحاب أحمد العفة، وعلى مشايخهم الزهادة والنظافة.

وقال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: أبوالوفاء عليّ بن عقيل بن محمد بن عقيل البغداديُّ الظَّفريّ شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف ومؤلف كتاب «الفنون» الذي يزيد على أربعمائة مجلدّ، كان إمامًا مبرّزًا كثير العلوم خارق الذكاء مكبًّا على الاشتغال والتصنيف.

وقال ابن الجوزي في ترجمته: أفتى ابن عقيل، ودرَسَ وناظر الفحول، واستفتي في الديوان في زمن القائم، في زمرة الكبار، وجمع علم الفروع والأصول وصنَّف فيها الكتب الكبار، وكان دائم التشاغل بالعلم.

كلمات في التميز

الخيال هو بداية الإبداع، إنك تتخيل ما ترغب فيه، وترغب فيما تتخيله، وأخيرا تصنع ما ترغب فيه.

جورج برنارد شو

- أولا يراودك الفكر، وبعد ذلك تنظيم هذا الفكر إلى أفكار وخطط، وبعد ذلك تحويل هذه الأفكار والخطط إلى واقع، وكما تلاحظ فإن البداية تنبع من خيالك.

نابليون هيل

- الشخص الناجح هو في الأساس شخص يستطيع أن يتخيل ويحول خياله إلى واقع، إنه يستطيع تخيل شيء ما، وعندما يتخيله يفكر كيف بالضبط يجعله يحدث.

روبرت آل شورتز

- خيالنا هو الحد الوحيد لما يمكن أن نأمل في تحقيقه في المستقبل.

تشارلز كترنج

- العقل يستطيع الإجابة عن الأسئلة، ولكن يجب على الخيال توجيهها أولا.

رالف جيرارد

- نفس القدر من الخيال يمكن أن يحقق النجاح أو الفشل وفقا لتوجيهك له.

ليونارد أور

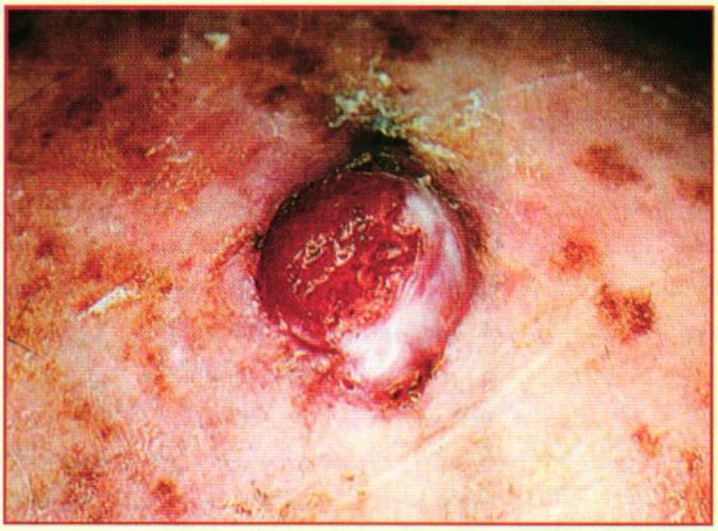
الكشف المبكِّر عن سرطان الجلد

يشير عدد من الدراسات الطبية الحديثة إلى أن سرطان الجلد ينتشر هذه الأيام بمعدل يفوق أي نوع آخر من أنواع السرطان؛ ولا يتبارى مع معدل انتشار سرطان الجلد إلا انتشار سرطان الرئتين عند النساء، والذي كان مقصورًا إلى عهد قريب على الرجال البالغين؛ من جهة أخرى، تشير الدراسات نفسها إلى أن الكشف المبكر عن سرطان الجلد يمكن من استئصاله قبل انتشاره إلى أماكن أخرى من الجسم، مما يهيئ الفرصة لعلاج جذري.



د.عبدالرحمن النمر *

إن من غير المعروف سبب الإصابة بسرطان الجلد، مثله في ذلك مثل معظم أنواع السرطانات؛ إلا أن هناك بعض العوامل التي يعتقد أنها قد تلعب دورًا في ذلك، تشمل التعرض المستمر لأشعة الشمس، وبالتحديد للأشعة فوق البنفسجية (وهي إحدى مكونات أشعة الشمس) والتعرض للإشعاع الصادر عن العناصر المشعة وللأبخرة الكيميائية.



بقع الجلد المصطبغة ليست كلها خبيثة ولكن يجب استئصال علامات الوحم كنوع من الوقاية

هناك أنواع عدة من سرطان الجلد، أهمها وأخطرها النوع المعروف باسم «الورم القتامي الخبيث» «malignant melanoma» وكلمة القتامي، وهي الكلمة الغامضة في الاسم، مشتقة من اسم الصبغ الموجود في الجلد، والذي يعطي البَشَرة لونها عند كل إنسان، هذا الصبغ يسمى «القَتَامين» melanin pigment.

من النادر أن ينشأ الورم القتامي الخبيث قبل سن البلوغ، وفي خمسين في المائة من الحالات ينشأ الورم في علامات «الوحم» التي توجد على جلد بعض الناس منذ الولادة، في مناطق متفرقة من الجسم.. بينما ينشأ في خمسين في المائة من الحالات في جلد سليم تمامًا!

عادة يبدأ ظهور الورم على هيئة بقعة داكنة على الجلد، في أي مكان على سطح الجسم، وتكون البقعة صغيرة الحجم غير منتظمة الشكل، إلا أنها تنمو بسرعة، فتكبر ويزداد حجمها، وترتفع عن سطح الجلد مكونة ورمًا صغيرًا، وتسبب البقعة منذ ظهورها التهابًا في الجلد المحيط بها ورغبة في حك (دعك) موضعها، وعادة يكون سطح البقعة (أو الورم عند تكونه) هشًا ضعيفًا، بحيث يسيل الدم بسهولة بمجرد تمرير الأصابع على موضع الورم.

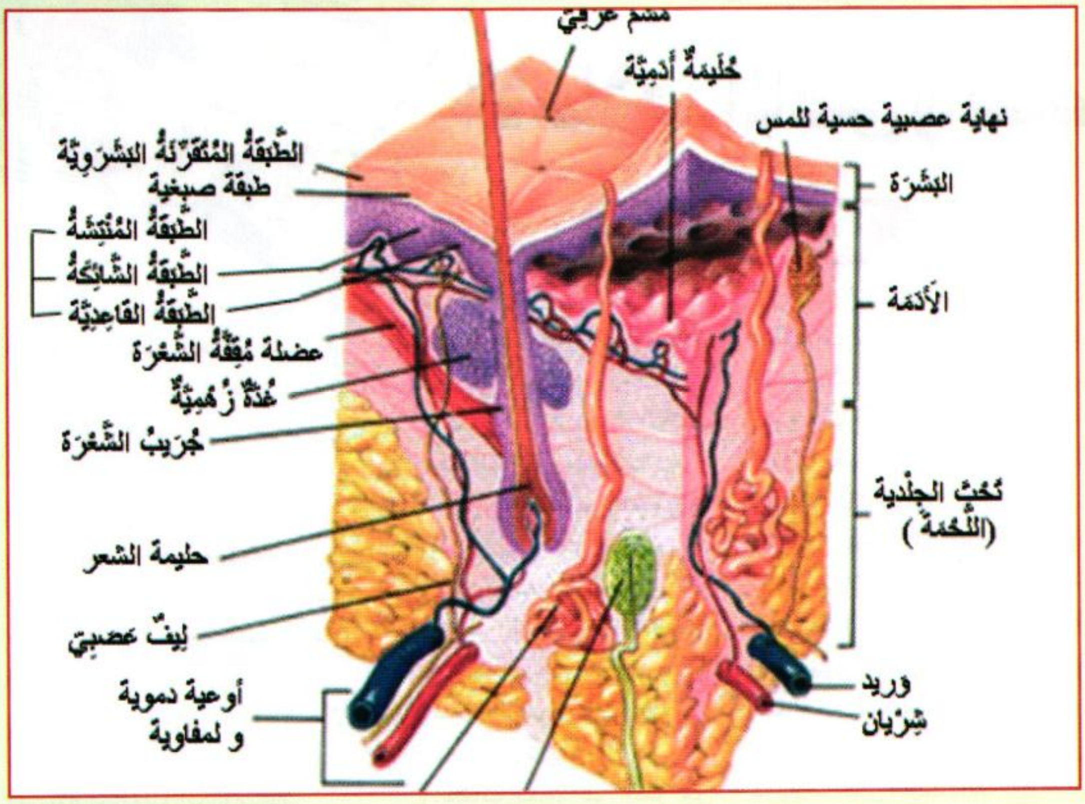
أما في الوقت الذي ينمو فيه الورم القتامي الخبيث على سطح الجلد، فإنه ينتشر إلى أجهزة وأعضاء أخرى في الجسم، وهي عملية انتشار معروفة عن معظم أنواع السرطانات التي تصيب الإنسان، تسمى «الانبثاث» «metastasis» (أي انتشار خلايا السرطان من موضع العلة الأصلي إلى أماكن أخرى في الجسم، إما بواسطة تيار الدم أو بالانتشار مباشرة إلى التراكيب التشريحية المجاورة).

التشخيص المبكر

بالنسبة لضحايا السرطان، يقاس الشفاء من الداء العضال بما يسمى «معدل الحياة لخمس سنوات».

وتعليل ذلك أن معظم ضحايا السرطان يفارقون الحياة في غضون خمس سنوات من وقت تشخيص المرض، وسبب ذلك أن معظم أنواع السرطان تكون قد انتشرت في جسم الضحية وقت

* طبيب مصري



ظهور الأعراض التي تنبه إلى وجود سرطان في الجسم، (من هنا تأتي أهمية الكشف المبكر عن السرطان، سواء في الجلد أو في أي موضع آخر من الجسم).

في دراسات حديثة صادرة عن «سكوتلندا» (في بريطانيا) وعن كندا، هناك إشارة واضحة إلى أن معدل الحياة لخمس سنوات عند المصاب بالورم القتامي الخبيث يتجاوز تسعين في المائة (بالدقة ٩١,٧٢٪) إذا جرى الكشف عن الورم في الجلد قبل أن يزيد سمكه (ثخانته) عن ملّيمتر واحد، وينخفض معدل الحياة لخمس سنوات بصورة حادة، ليصل إلى أربعين في المائة إذا وصل عمق الورم في الجلد إلى ثلاثة ونصف مليمتر!

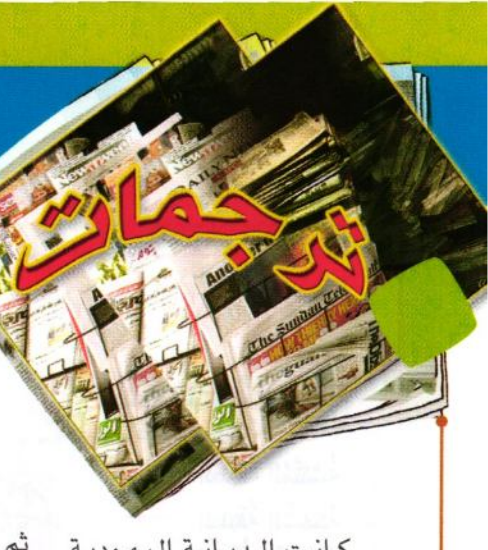
هذه الزيادة في سمك (ثخانة أو عمق) الورم القتامي الخبيث بمقدار مليمترات قليلة (المليمتر جزء من عشرة من السنتيمتر، أو جزء من ألف من المتر) يمكن أن تحدث في أسابيع قليلة! ومع ذلك.. وعلى الرغم من أن الزيادة تبدو تافهة القياس، فإنها تؤدي إلى فارق ملحوظ في نسبة الشفاء! والسبب- كما أسلفنا- أن الورم القتامي الخبيث ينتشر إلى باقي الجسم في الوقت الذي ينمو فيه على سطح الجلد.

والمليمترات التي نتكلم عنها في هذا السياق لا تؤدي فحسب إلى تغير ملحوظ في نسبة الشفاء، بل إنها تؤدي أيضًا إلى تغير طريقة العلاج كذلك! فعند الكشف المبكر عن الورم القتامي الخبيث يمكن استئصال الجزء المصاب بالورم من الجلد- وهو جد صغير في هذه الحالة- ثم متابعة المريض بفحص شامل مرة واحدة كل عام للاطمئنان إلى عدم وجود بقايا للسرطان في الجسم، أما عند انتشار الورم فالقضية جد مختلفة.. إذ يلزم في هذه الحالة استئصال مساحة أكبر من الجلد، ثم علاج المريض بالعقاقير المضادة للسرطان لشهور عدة، وفي أحسن الأحوال لن يزيد معدل الحياة لخمس سنوات عن ثمانية وثلاثين في المائة حسب نتائج دراسة «سكوتلندا».

إن الهدف من استعراض الدراسات الحديثة عن سرطان الجلد في هذه السطور، هو التنبيه إلى خطورة البقع المصطبغة (التي يختلف لونها عن لون البشرة) على سطح الجلد، فظهور هذه البقع في أي مكان على الجلد، في أي وقت من العمر، يجب أن يكون دافعًا إلى مراجعة طبية متخصصة وعاجلة، والتأخر في المراجعة الطبية له ثمنه الفادح حسبما ظهر من الدراسات المشار إليها.

أما علامات الوحم «birthmarks»، فلا يجب أن تثير الذعر، ولكن يجب ملاحظتها باستمرار لمتابعة أي تغير في اللون أو زيادة في الحجم، فهذه هي النذر الأولى لوجود تحور سرطاني في الخلايا، وحيثما أمكن، فمن الأفضل استئصال علامات الوحم كنوع من الوقاية، وهي في هذه الحالة وقاية مرغوبة وحميدة.

ومن قبيل بعث الطمأنينة بعد الذعر الذي يمكن أن يثيره الكلام السابق، فإننا نذكر أن بقع الجلد المصطبغة ليست كلها خبيثة، لكن يجب أن يفصل في ذلك طبيب متخصص في أمراض الجلد.



الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل

د. محمود مسعود

كانت الديانة اليهودية محور اهتمام العالم القديم قبل الإسلام، لكن بمجرد ظهور الدين الإسلامي صار المسلمون هم ركيزة واهتمام التاريخ الحضاري والفكري الإنساني إلى اليوم، والغربيون يدركون ذلك تماما، ومن هؤلاء الألماني هانز كنج الذي كتب كتابه «الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل» وطبعه عام ٢٠٠٧ بعد أحداث الرسوم الدنماركية المسيئة لرسولنا الكريم ﷺ.

والمؤلف عالم من علماء الاجتماع والفلسفة وهو أحد علماء اللاهوت الألمان المرموقين، وفي أوائل الستينيات من القرن الماضي كان له دور فاعل في إقناع الكنيسة الكاثوليكية في تبني موقف أكثر إيجابية تجاه اليهود والحرية الدينية، حيث كان يعمل مستشارا لمجلس الفاتيكان الثاني، وقد حاضر عن الإسلام والمسيحية في جامعة توبنجن، وخلص في محاضراته تلك إلى أنه يستحيل وجود سلام عالمي دون أن يكون هناك سلام ديني، كما أنه ليس هناك سلام بين الأديان دون أن يكون هناك حوار فيما بينها، بل إنه لا يمكن أن يكون هناك حوار بين الأديان دون أن يكون هناك فهم موسع لأصول الديانات، وهذا ما حدا بالمؤلف إلى أن يعد برنامجا علميا لدراسة أديان التوحيد الثلاثة بدأه بكتابه عن اليهودية ثم عن المسيحية وختم موسوعته بهذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه عن الإسلام.

وتكمن أهمية هذا الكتاب والهدف الرئيس منه كما يقول المؤلف في إعادة الدعوة للجمهور، متدينين أو غير متدينين، سياسيين أو غير سياسيين، من الغرب ومن المسلمين للانشغال بالحوار، والتي من خلالها يمكن أن يحدث تقارب وتكامل بين الحضارات والأديان والأمم.

والكتاب يدور في أكثر من ستمائة صفحة وخمسة فصول وواحد وثمانين مبحثا وما يزيد عن أربعمائة فكرة وعنوان، وتدور فصوله الخمسة حول مسألة صورة الإسلام في الغرب وكيف أنها دائرة بين الصورة العدائية والصورة المثالية مرورا بالصورة الحقيقية، ثم مشكلات البداية التاريخية للإسلام وارتباطه بتاريخ الدين منذ خمسة آلاف سنة مرورا بتاريخ إبراهيم واليهود والنصارى في جزيرة العرب وصولا إلى الدين الجديد في الجزيرة العربية، ثم تحدث عن القرآن كملمح رئيس ومميز للإسلام عن غيره من الأديان السماوية، حيث أصبحت كلمة الله- التي كانت تعني عند النصارى ذات المسيح- كتابا يتلى، وهذا الكتاب نزل من السماء ورسالته الرئيسة هي كلمة التوحيد التي تظهر في شعائر الإسلام الأساسية، كما أن رسول الإسلام أصبحت حياته نموذجا حيا في ممارسة و إقامة الأحكام العملية للإسلام، ثم ظهور الخلافات الدينية والتشريعية فيما بعد وفاته، وبدأت المعارضة السياسية.

ثم توسعت الدولة الإسلامية وظهرت الإمبراطورية الإسلامية كدين عالمي من خلال الدولة العباسية، والتي اتضحت فيها المدارس الفقهية والعقدية، ثم تشعبت الدولة الإسلامية إلى دويلات حتى منيت بالهزائم أمام الصليبين، وتحولت الصوفية من الفردية إلى الزوايا، ومن الزوايا إلى الحركات الشعبية، كما ظهر التفكير العقلي الحر في الفلسفة المشائية ثم انحصر وقفل باب الاجتهاد، خاصة بعد نكبة المسلمين وهزيمتهم من المغول، ثم ظهور مرحلة العثمانيين ومواجهة الحداثة الأوروبية ، ومن هنا بدأ عصر الإصلاح والتجديد وظهرت المنافسة بين النظام العلماني والنظام الإسلامي الأصولي، ولاحت في الأفق مأساة الفلسطينيين وذلك بوجود دولة يهودية على أرض فلسطينية، فكان التجديد الإسلامي هو السمة الغالبة على المسلمين بعد تلك المأساة، فبدأ التفكير الجدي في مستقبل النظام التشريعي والفقهي الإسلامي واتضحت التحديات التي تواجه النظام الإسلامي التقليدي وكيف يواجه مشكلات الحداثة والمرأة و المستقبل السياسي للدول الإسلامية وكذلك مستقبل النظام الاقتصادي الإسلامي، بل مستقبل الإسلام كمشروع حياة.

وسنقف هنا مع أهم فصل كتبه المؤلف تحت عنوان «التجديد».

والمؤلف يعارض في كتابه هذا نظرية صامويل هنتجتون صاحب صراع الحضارات ومستشار وزارة الدفاع الأميركية، فحينما أرادت المؤسسة العسكرية الأميركية أن تبرر استمرارها في سباق التسلح حاولت أن تجد أيديولوجيا تدعم ذلك التوجه، وذلك باستبدال صورة العدو المسلم بصورة العدو الشيوعي. ويعترف المؤلف أن علاقة الغرب بالمسلمين تمر الآن بمرحلة صعبة للغاية، فالعالم اليوم في حاجة إلى إعادة العلاقات الدولية التي أصابها كثير من العوار بعد تلك المعايير المزدوجة التي تعامل بها الغرب مع المسلمين سواء في العراق أو أفغانستان أو في فلسطين، لهذا فهو يرى أن حوار الأديان بات أمرا ملحا، خاصة بين الغرب المسيحي والإسلام.

وفي المحصلة فقد أصبحنا أمام خيارين

الأول: التنافس بين الأديان وما ينتج عنه من صدام حضارات وحرب بين الدول.

الثاني: حوار بين

● أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

الحضارات وسلام بين الأديان كخيار استراتيجي.

والمؤلف يرى أن الخيار الثاني يعد بديلا حقيقيا وليس مجرد وهم كما يظن بعض المتشائمين.

كما أعرب المؤلف عن قناعته بأن الولايات المتحدة ستجد مخرجا من حالة هستيريا الحرب التي تعيشها وستعيد اكتشاف نفسها بوصفها من أوائل الدول الديموقراطية، وقد صدقت نبوءته هذه بعد عامين من طباعة هذا الكتاب، إذ أسقط الأميركيون تيار المحافظين الجدد (الجمهوريين)، وانتخبوا أوباما (الديموقراطي) رئيسا لهم.

والمؤلف لا يغفل عن أن هناك متطرفين يجب ردعهم وردهم حسب زعمه، غير أن هذه المعركة ما كان لها أن تدار في ساحات القتال ولكن في أروقة السياسة، وذلك بتشجيع عمليات الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي من خلال التعاطف مع الإسلاميين الإصلاحيين، ودعم الحركات المعتدلة، ليصبح المسلمون شركاء للغرب في الحاضر والمستقبل، وعلى المسيحيين في الغرب ألا يغفلوا كذلك عن أن هناك ما يزيد على مليار ومائتي مليون شخص يعتنقون الإسلام، فالإسلام يغطي معظم أرجاء المعمورة.

ثم أخذ المؤلف يتساءل: لماذا يعد الإسلام أكبر ديانة بعد المسيحية وهو في نظر أتباعه الديانة الأقدم والأكمل؟ ولماذا كان قادرا أن يوحد شعوبا من حضارات مختلفة؟ وأين تكمن قوة وجاذبية الإسلام؟ وما مصادره وقيمه ورموزه؟ وما هي رسالته وجوهره ومبادئه الأساسية؟ وما هي أسس حياة المسلم السياسية والثقافية والأدبية؟ وما هي نقاط ضعفه وقصوره؟

تنبأ ماركس وفوياريباخ ونيتشه وفرويد بنهاية عصر الدين وإحلال العلم بديلا عنه في كل شيء حتى في مسائل الغيب، ولكن ما كادت هذه النبوءة أن تزدهر، حتى فشلت- كما يقول المؤلف- على أيدي المسلمين، فعلى الرغم من أن الحداثة الغربية شملت معظم جوانب حياتهم، فقد بقي الدين يلعب دورا حيويًا وفاعلا في الحياة العامة، ويعود الفضل في ذلك إلى حركة الإحياء التي قام بها الإصلاحيون المسلمون من خلال تجديد الدين والتمسك بالحداثة والتطور العلمي في الوقت ذاته، والإسلام الآن يمر بتجربة إصلاح حقيقي في كل الأصقاع، في آسيا وإفريقيا .. في باكستان وماليزيا واندونيسيا وتركيا وغيرها، وهذه الظاهرة أدهشت الغرب وأزعجته في الوقت نفسه، حيث كان الغرب راضيا عن حالة الركود الثقافي والسياسي والديني للبلاد الإسلامية بعد عصر الاستعمار.

وتمثلت عناصر الإحياء كما يراها المؤلف في فشل السلطة السياسية حليفة الغرب، وظهور أزمة الهوية بين القومية (عربية فارسية تركية...) والإسلام، وفقدان الثقة في المشاريع التنويرية التي تبناها الغرب في العالم الإسلامي، ومن خلال ذلك ظهرت أصوات تنادي بالعودة للدين الإسلامي كمشروع حياة مقابل المشروع الغربي برمته، لاسيما أن هذا النداء طالما نودي به من قبل المجددين المحافظين ، كما أن هناك المعتدلين من المفكرين المسلمين مثل الأفغاني ومحمد عبده لكنهم لم يسيروا وفق منهج الغرب، بل ساروا من خلال الإسلام كمشروع حياة وظهر من خلال أفكارهم إصلاحيون أكثر تشددا في هذا الاتجاه.

الغرب سيواجه- حتما- الإسلام الإصلاحي سواء في داخل الدول الإسلامية أو من خلال تعزيز وجوده في البلاد الإفريقية والآسيوية

وظلت النزعة الروحية عند المسلمين قوية ومستمرة في التجديد والعطاء أكثر بكثير مما تصور الخبراء الغربيون، الذين ظنوا أنه على المسلمين أن يتخلوا عن الدين كمشروع حياة في عصر الحداثة والتكنولوجيا، فعاد الغرب يتعلم من المجددين المسلمين كيف يمكن أن يحتفظ الدين بدوره في عصر التقدم العلمي والتقني، فأخذوا يحللون هذه الظاهرة من كل جوانبها، خاصة أنهم اكتشفوا من خلال المسلمين أنهم لم يدركوا البعد الديني وأثره في الطبيعة البشرية التي يصعب عليها أن تعيش بدون قيم وأخلاق الدين.

ثم إن الغربيين غفلوا عن أن للإسلام خصائص تجعله قابلا للتجديد دائما، ومن هذه الخصائص فكرة التدافع بين الإسلام وغيره، وعدم فصل الدين عن الدولة، وربط القيم والأخلاق بالمجتمع، ولم يكن هذا الترابط مجرد تراث، بل يمكن أن يستمر في المستقبل رغم ظهور التقدم العلمي وبالتالي فهناك تصالح دائم بين الإسلام والعلم.

ثم إن الغرب سيواجه- حتما- الإسلام الإصلاحي سواء في داخل الدول الإسلامية أو من خلال تعزيز وجوده في البلاد الإفريقية والآسيوية وكذلك مع الأقليات المسلمة في الغرب ذاته، مما جعل بعض الغربيين الذين أسلموا كمراد هوفمان وجارودي يقولون إن الإسلام هو القوة الثالثة في العصر الحديث، فالمجددون المسلمون يدمجون بين الهوية والحداثة، والدين الإسلامي يسلك طريقه الخاص في الاقتصاد والثقافة والعلم من منطلق أن الإسلام يملك القدرة على التطور في جميع مناحي الحياة وبذلك يصبح مشروعا حياتيا وطريقا ثالثا مخالفا للاشتراكية الغربية وللرأسمالية، وهو في ذلك يستند لعصوره الأولى التي تمكن المسلمون فيها من تقديم مشروع إنساني متكامل، تسامى فيه عن النعرات القومية والشعوبية، وصهر الشعوب والمجتمعات التي فتحها في بوتقة واحدة وكون مشروعه الخاص وبطريقته المميزة، وهذا الإسلام قادر اليوم أن يعود من جديد، ليقدم خدمات جليلة للإنسانية.

ثم ينهي المؤلف هذا الفصل بهذا النداء من أحد المصريين المقيمين في ألمانيا: حان الوقت للغرب للقيام بحوار جاد وحقيقي مع هؤلاء الإسلاميين الإصلاحيين لكون هذا هو الطريق الوحيد لتأسيس ديموقراطية في العالم الإسلامي.

قبة الصخرة

كثيرًا ما نرى صورة قبة الصخرة في الصحف والمجلات وعلى شاشات التلفزيون، فماذا تعرف عن قبة الصخرة؟ توجد قبة الصخرة في الحرم الشريف ببيت المقدس بجوار المسجد الأقصى، وقد أقيم هذا البناء على صخرة تعد من العجائب، فهي صخرة غير منتظمة الشكل يبلغ أكبر أطوالها (١٨) مترًا من الشمال إلى الجنوب، وعرضها (١٣) مترًا من الشرق إلى الغرب، وأقصى ارتفاع عن أرض البناء متر ونصف المتر، وصدر حجر الصخرة ملبس بالرخام الملون بارتفاع ذراعين، وبآخر حجر الصخرة من الجانب الشمالي الغربي توجد قطعة حجر صغيرة محمولة على ستة أعمدة صغار، قيل إنه أثر قدم النبي ﷺ، وفي مواجهة حجر القدم توجد مرآة من السبعة معادن يسمونها «درقة حمزة» محمولة على ثلاثة أعمدة صغيرة.

وقد روي أن النبي ﷺ قد وضع قدمه عليها عندما عرج به إلى السموات العلا ليلة الإسراء والمعراج، وأن جميع الأنبياء والرسل قد سجدوا لله تبارك وتعالى عندها.

ومن العجيب وجود مغارة تحت هذه الصخرة المقدسة، يقع مدخلها في مواجهة محراب أمام الصخرة، وينزل إلى المغارة بأربع وعشرين درجة، ويبلغ طول المغارة من الشرق إلى الغرب عشرة أذرع، وعرضها سبعة ونصف من القبلة إلى الشمال، وبباطن المغارة محرابان عن اليمين واليسار، وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر، وبالركن الشمالي من المغارة صفة يسمونها مقام إبراهيم وجميع أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام.

وقد جاءت هذه الأوصاف في كتاب «مسالك الأبصار في الممالك والأمصار» لابن فضل الله العمري، وكتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي، لكن من الذي شيد هذا البناء الفخم حول هذه الصخرة المباركة؟

يقول المقدسي: قام بتشييد هذا البناء الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان حيث استشار المسلمين في بنائها، ورصد لها خراج مصر لسبع سنين.

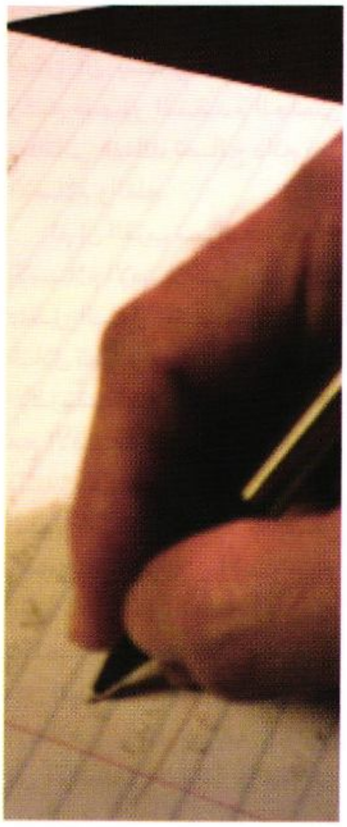
وعهد بادارة العمل إلى اثنين من رجاله المخلصين هما رجاء بن حيوة بن جود الكندي أحد علماء صدر الإسلام، ويزيد بن سلام من مواليه، وهو من القدس.

وقد شرع البناؤون في البناء سنة ٦٦ هـ = ٦٨٥م وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ = ٦٩١م ومما ذكره اليعقوبي في كتابه «تاريخ اليعقوبي» أنه قد بقي من المبالغ المخصصة للبناء مائة ألف دينار، فقرر عبدالملك بن مروان أن تكون مكافأة لعماله المخلصين رجاء ويزيد، إلا أنهما رفضاها قائلين: نحن أولى أن نزيدها من حلي نسائنا، فضلًا عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك، فأمر عبدالملك بأن تسبك ذهبا وتفرغ على القبة والأبواب.

أما البناء المحيط بالصخرة فيتكون من مثمنين متوازيين يبلغ طول ضلع المثمن الداخلي (١٤,٤٠مترًا)، أما المثمن الخارجي فيبلغ طول ضلعه (٢٠,٦مترًا)، وفي وسط المثمنين توجد دائرة تحيط بالصخرة المقدسة يبلغ قطرها (٢٠,٤٤ مترًا)، وتعلوها قبة مستديرة يبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض (١٠٥) قدمًا، ومنها أخذ البناء المحيط بالصخرة المقدسة اسمه، ويحصر المثمنان بينهما وبين الدائرة الوسطى رواقين يسمحان بالطواف فيهما حول الصخرة، وقد نقش اسم عبدالملك بن مروان في شريط من الكتابة الكوفية بأعلى المثمن الداخلي التي يبلغ طولها ٢٤٠ مترًا بالفص المذهب على أرضية زرقاء داكنة من الفسيفساء الزجاجية، وقوام الكتابة آيات قرآنية.

وبعد، فهذه نبذة عن هذا المكان المبارك، الموجود بجوار المسجد الأقصى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (الإسراء: ١)، فمن الواجب علينا أن نضع مقدساتنا نصب أعيننا، وألا تغيب عن أذهاننا، خصوصًا في هذه الآونة الأخيرة، حيث يتربص الصهاينة بهذه الأماكن المقدسة لهدمها، والقضاء عليها، نسأل الله أن ينصرنا على أعدائنا، وأن يحفظ لنا المسجد الأقصى، وقبة الصخرة وأن يحرر أرض فلسطين الغالية، وكل شبر من أرض الإسلام.

د. يحيى سنبل



دعاء

«اللهم إني أسألك كما هديتني للإسلام ألا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم، اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري».

وعن عبدالله بن يزيد عن أبيه قال:

«سمع رسول الله ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله ﷺ «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب».

غريب عبدالله مهنا

ثقافة الفساد

منذ عشرين عامًا تقريبًا كان نصيب الفرد المصري من القراءة نصف كتاب في العام، بينما تقول آخر الاحصاءات أن الإنسان العربي لا يقرأ أكثر من ثلاثة أو أربعة صفحات في الشهر الواحد، وقيل إن نصيب الفرد العربي انخفض إلى أقل من صفحة واحدة في الشهر! بينما نصيب الألماني ٨٩ كتابًا في السنة الواحدة، والشعب السويسري هو الشعب القارئ، والغريب أن مبيعات الكتاب في الولايات المتحدة الأميركية بلغت أربعة وعشرين مليار دولار في عام ٢٠٠٠، أما الخطير هو أن سعر كيلو الشحن للكتب من مصر إلى الخارج هو ٣٦٥ قرشا بينما سعر كيلو التصدير للخضار إلى الخارج ١٢٥ قرشًا، علمًا بأن هذا غذاء الجسد وذاك غذاء للروح، أما الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع فهو أنني شاهدت امرأة مصرية تطلب حجز كتاب من إحدى المكتبات المصرية قيمته ١٢٥جنيهًا مصريًا ظننته مرجعا مهما أو مخطوطا قديما من المخطوطات العلمية النادرة، خاصة انه توجد بالمكتبات عشرات الكتب الموجودة على الأرفف منذ سنوات لا تزال قيمتها تتراوح من سبعة جنيهات، حتى عشرين جنيهًا، تتحدث عن التاريخ والفقه والدين والفلسفة، وأمهات الكتب لمشاهير الكتاب والأدباء والعلماء لا يقترب منها أحد، تعجبت وسألت المرأة المصرية قائلًا: هذا الكتاب باهظ الثمن.. هل هو من التراث القديم أو مرجع تاريخي مهم فقالت: إنه كتاب «فن الطهي» للشيف سعيد!

هنا تأكد لي سر انتشار ثقافة الفساد العربي ولماذا لا يقرأ الإنسان العربي أكثر من ستة دقائق في العام مع أن المعايير الدولية نصت على ضرورة وجود مكتبة عامة لكل ستة آلاف نسمة، لم انزعج عندما علمت أن العالم العربي يصرف ٥٪ من الدخل القومي على التعليم، بينما تصرف إسرائيل ٧٪ على البحث العلمي فقط، البحث العلمي وليس التعليم! ولذلك حصلت على المركز الرابع عالميًا في البحث العلمي! بينما ننفق نحن العرب على قوات الأمن والجيوش العربية ٥٠٪ من الدخل القومي! ولذلك انتشر الجهل وثقافة الفساد العربي بعد خنق الديموقراطية في الأمة العربية، فتلوها بنشر الجهل وإنفاق المليارات على قوات الأمن لحماية الأنظمة والمؤسسات الحاكمة وخنق الحريات عند شعوبهم والسماح بنشر الأغاني الهابطة والأفلام الفاسدة، لقد انزعجت عندما سمعت اغنية عن الحمار وحب الحمار، وليس الوطن وحب الوطن والعلم، ومطرب آخر يروج للحشيش في أغنية أخرى لنشر ثقافة الفساد!

علي سليم

الإتقان.. غاية ووسيلة

شيء جميل في حد ذاته أن يتقن الإنسان ما يعمله، أن يتقن الصانع صنعته، أن يتقن الطبيب أو المهندس أو الصحافي مهنته، وأن يصل فيها إلى حد الإجادة والتفوق، أن يتقن الطالب تحصيل مواد الدراسة، أن يتقن العابد صلاته وأن يؤديها بخشوع.

والشخص الذي يتقن ما يؤديه يستمتع بما يؤديه ولا يجد فيه مشقة بل يقبل عليه برغبة.

أشياء كثيرة في حياتنا حين يؤديها الإنسان على وجهها يستمتع بها ويجد نفسه فيها.

إن إتقان العمل وسيلة وغاية في آن واحد فالطبيب الذي يتقن مهنته وينبغ فيها يكتسب ثقة الآخرين المترددين عليه ويذيع صيته ويقبل عليه المرضى من كل حدب وصوب من داخل البلاد وربما من خارجها أيضًا. لماذا؟

لأنه أتقن مهنته وتفوق فيها وأبدع، والإتقان كغاية يحقق للشخص إثبات الذات والرضا عن النفس والاستمتاع بما يؤديه، فهو إذن غاية في حد ذاته كما أنه وسيلة لتحقيق ما يريده الإنسان لنفسه في الدنيا والآخرة.

ولذلك قال الرسول ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» (صححه الألباني).

والإتقان لا يأتي من فراغ، ولكنه يأتي من رغبة أكيدة في التفوق والتمكن والإبداع، مصحوبة بجهد حثيث وعمل متواصل وهو لا يقتصر على مايحققه الشخص في الدنيا سواء من حيث الرضا عن النفس أو الاستمتاع بما يؤديه أو بما يترتب عليه من تحقيق النفع للفرد ذاته وللمجتمع من خلال التميز في المهنة أو الحرفة أو الصنعة وإنما له نفع أكبر وأدوم إن كان التميز والتنافس بين الناس في العبادة والتقرب إلى الله عز وجل، وقد لفتنا ربنا إلى هذه الوجهة في قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم. على الآرائك ينظرون. تعرف في وجوههم نضرة النعيم. يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين: ٢٢-٢٦).

فالتقرب إلى الله بصالح الأعمال وبالنوافل يحقق لصاحبه ما لا يحقق إلا للسعداء من البشر ويكفي أن الله يحبه.

«... ومازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...» (البخاري) فالإتقان يحقق لصاحبه خيري الدنيا والآخرة طالما كان العمل والنية فيما يرضى الله تعالى وبما يحقق للإنسان في الوقت نفسه مستوى كريمًا من العيش.

محمد السيد عامر

إعداد: هالة محمد

أشجار على كوكب المريخ!

أرسل مسبار وكالة الفضاء الأميركية «ناسا» صورا لما يبدو انها أشجار على سطح كوكب المريخ.

وأظهرت الصور صفوفًا من الأشجار الصنوبرية الغامقة النابتة بين الكثبان والتلال الموجودة على سطح الكوكب، وكثبانا رملية مغطاة بطبقة رقيقة من ثاني أكسيد الكربون المجمد، أو جليد جاف، تبعد أقل من ٣٨٦ كلم من القطب الشمالي للكوكب والأشجار. ويقال إنها في الواقع آثار حطام سببته انهيارات أرضية كما يحدث عند ذوبان الجليد على سطح المريخ في الربيع.



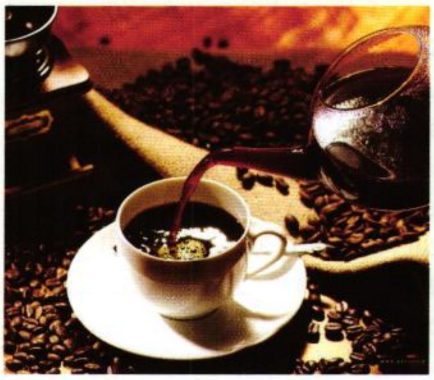
تزايد حمضية مياه البحار والمحيطات



أكدت دراسة علمية أن تزايد نسبة حمضية البحار والمحيطات يهدد عددًا من الأحياء المائية بشكل أكبر مما كان يعتقد العلماء حتى الآن، وحسب الدراسة الدولية التي أشرف عليها معهد لايبندتس لعلوم البحار فإن أحياء مائية مثل نجم البحر وقنفذ البحر وشوكيات الجلد أصبحت هي الأخرى تعاني من النتائج السلبية لهذا الارتفاع في نسبة الحمضية.

وأشار الباحثون إلى أن التجارب الأولى التي أجروها في هذا الاتجاه أثبتت تزايد صعوبة تأقلم بعض الأحياء البحرية مع محيطها البحري المعروف ويؤدي هذا الارتفاع في نسبة الحمضية إلى نتائج وخيمة بالنسبة لهذه الأحياء وعلى رأسها شوكيات الجلد التي أصبحت تعاني من صعوبة بناء هياكل قوية من الكالسيوم.

سيارة تعمل بالقهوة!



افادت تقارير اخبارية بأن السعادة غمرت قلوب الناس في مدينة مانشستر البريطانية ابتهاجًا باختراع سيارة جديدة تعمل بالقهوة، واطلق عليها اسم «كارباتشينو» بعد أن أكملت رحلة لمسافة ٢٥٠ ميلا، وهذه السيارة التي تعمل بمسحوق القهوة المستعملة استخدمت ما يعدل أكثر من ١١ الف وحدة من قهوة الاسبرسو لإكمال الرحلة التي استغرقت نحو ١٧ ساعة وامتدت من لندن إلى مانشستر في شمالي انجلترا تم التوقف خلالها كل ٦٠ ميلًا للتزود بوقود القهوة.

قطن ينقل الكهرباء!

نجح علماء أميركيون في تطوير نوع من القطن القادر على نقل الكهرباء تمامًا كما تفعل الأسلاك الكهربائية، ولكنه مع ذلك يبقى خفيفًا ومرنًا بما يكفي لاستخدامه في الملابس. وقال الباحثون في جامعة كورنيل الأميركية إن هذه التكنولوجيا قد تسمح للمرء في يوم ما بارتداء قميص يمكنه أن يكون مصدرًا للتبريد في يوم حار جدا، وأن يحلل نسبة التعرق ويراقب نظام القلب، واضافوا أن الوسادة قد تتمكن من مراقبة موجات الدماغ، فيما يمكن أن يكون الفستان مصدرًا لشحن جهاز الأيبود أو «إم بي ٤» مؤكدين أن هذا ليس خيالًا علميًا وإنما قطن عام ٢٠١٠. واستخدمت تكنولوجيا النانو التي تم تطويرها في جامعة ورنيل بالاشتراك مع جامعات في بولونيا وكاهلياري بإيطاليا لابتكار تقنية تغلف ألياف القطن بجزيئات صغيرة تنقل الكهرباء.

وتمكنت الأبحاث من قبل من نقل الكهرباء عبر القطن لكنه كان يصبح صلبًا وثقيلًا، إلا أن التقنيات الحديثة تسمح باستخدام القطن في مجالات اخرى كالحياكة والخياطة.



اكتشاف كوكب غازي

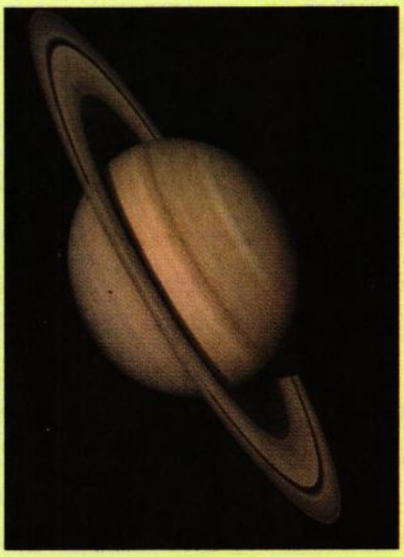
تحول أحد الكواكب الغازية خارج المجموعة الشمسية على غرار المشتري ذي الحرارة المعتدلة نسبيًا إلى موضوع الدراسة المفضل في الأبحاث الجارية حول الكواكب خارج نظامنا الشمسي بسبب القدرة على مشاهدته بشكل واضح.

في هذا الشأن قال هانس ديغ (معهد كانارياس للفيزياء الفلكية في تينيريفي - اسبانيا) الواضع الأساسي لهذه الأبحاث التي شارك فيها فريق عمل مؤلف من ستين عالم فلك أن «كوروت- ٩ بي هو أول كوكب خارج المجموعة الشمسية الذي يشبه كواكب من النظام الشمسي».

وكان القمر الصناعي الفرنسي «كوروت» اكتشف هذا الكوكب في عام ٢٠٠٨ على بعد ١٥٠٠ سنة ضوئية (السنة الضوئية = ٩٥٠٠ مليار كيلو متر) عن الأرض، وتستغرق دورة هذا الكوكب وهو بضخامة المريخ لكن اخف وزنًا منه، حول نجمة شبيهة بالشمس ٩٥ يومًا، على ما بينت الدراسة المنشورة في المجلة العلمية «نيتشر».

ويعتبر كوكب «كوروت- ٩ بي» أبعد عن نجمه من العديد من الكواكب الغازية العملاقة الأخرى خارج المجموعة الشمسية المعروفة باسم المشتريات الحارة، مما يفسر اعتدال حرارة سطحه المتراوحة بين ٢٠ و١٦٠ درجة مئوية.

وقد اكتشف أكثر من ٤٠٠ كوكب تدور حول نجوم أخرى شبيهة بالشمس منذ عام ١٩٩٥، بينها ٧٠ كوكبا من طريق الترانزيت أي حين يصادف مرور الكوكب خارج المجموعة الشمسية أمام نجمه، مما يؤدي إلى انخفاض في نسبة الضوء التي تتلقاها المناظير الفضائية أو الأرضية.



ويبقى «كوروت- ٩ بي» خلال مساره المداري عشر مرات ابعد عن نجمه من كواكب اخرى خارج المجموعة الشمسية اكتشفت بهذه الطريقة لذا يدوم مروره أمام نجمه كما نشاهده من الأرض وقتا أطول، في المجمل ثماني ساعات، ورأى علماء الفلك أن هذا الأمر يمنحهم وقتا كي يحللوا الغلاف الجوي للكواكب حين يعبره ضوء النجمة، آملين في رصد المياه والميثان أو ثاني أكسيد الكربون.

الكحول وسرطان الثدي

تشير نتائج دراسة جديدة إلى أن المرأة لا يمكنها أن تغير من تاريخ عائلتها في الإصابة بسرطان الثدي لكن قد يمكنها تقليص فرص إصابتها بالمرض عن طريق تناول المزيد من الخضراوات والحبوب الكاملة.

وأكدت العديد من الدراسات التي شملت ٤٠٠ ألف شخص، أن هناك احتمالات أقل بنسبة ١١٪ للإصابة بسرطان الثدي بين النساء في الفئات الأعلي اتباعًا لنظام غذائي، وأضافت الدراسات التي نشرت في الدورية الأميركية للتغذية الطبية، أن هؤلاء اللائي يستهلكن المشروبات الكحولية يواجهن زيادة أكبر بواقع ٢١٪ في احتمالات الإصابة بسرطان الثدي.

من هنا وهناك

● تشهد الكرة الأرضية قرابة نصف مليون زلزال وهزة أرضية كل عام لكن البشر لا يشعرون سوى بمائة ألف من هذه الهزات، في حين أن مائة زلزال فقط تنتج أضرارًا والباقي تمر بسلام.

وفي حين يحسم بعض العلماء أن الكرة الأرضية أصبحت أكثر نشاطًا من ناحية الزلازل، يرى آخرون أن مثل هذا الرأي يحتاج إلى برهان علمي.

● قد لا يبقى من ثلوج كيليمانجارو الاسطورية سوى ذكرى مما يشكل دليلًا اضافيًا على الاحترار المناخي في العالم، على ما أظهرت قياسات حديثة كشف عنها.

ويعتبر علماء الكتل الجليدية الأميركية الذين أجروا هذه القياسات، أن تسارُع وتيرة ذوبان الكتل الجليدية الجبلية في العالم يشكل دليلًا دامغاً على ارتفاع معدلات الحرارة على سطح الأرض.

● أكدت دراسة بريطانية خطأ التصور الحالي بشأن نشأة الغلاف الجوي للأرض وخطأ الاعتقاد بأن غازات الأرض، نشأت عن براكين كانت قذفت بكميات هائلة من الغازات إلى سطح الأرض وتقدم هذه الدراسة نظرية جديدة مفادها أن المحطات والغلاف الجوي للأرض تكونت بسبب سقوط أجسام ومواد شبيهة بالمذنبات وغنية بالغازات والمياه.

ويبحث علماء وكالة الطاقة الفضائية الأميركية «ناسا» عن نجم الموت الذي يدور حول الشمس ويقذف كوكب الأرض بمذنبات قاتلة.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

بناء نوافذ البيوت على هيئة صليب

لاحظت في الآونة الأخيرة أن كثيرًا من البيوت قد وضعت نوافذ على هيئة الصليب وبشكل واضح، وأكثر هؤلاء وضعوها عن حسن نية.. فما حكم ذلك؟

لا يجوز للمسلم أن يبقي في بيته ما اتخذ صليبًا، بل تجب عليه إزالته، أما ما كان على هيئة الصليب ولم يقصد اتخاذه صليبًا فالأولى تغيير هيئته تنزهًا عن مشابهة الصليب، لحديث عائشة- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ «لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه»، أي قطع موضع التصليب فيه، (رواه البخاري).

كتابة القرآن بغير العربية

هل تجوز كتابة القرآن الكريم بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي أم لا؟

لا يجوز كتابة القرآن الكريم كلّه أو بعض آيات منه بغير اللغة العربية، حتى ولو كان بقصد تيسير قراءته لغير العرب أو للمسلمين الجدد، لما يترتب على ذلك من تحريف للقرآن الكريم وتبديل لبعض حروفه، ولكن تجوز كتابة معاني القرآن الكريم بغير اللغة العربية؛ ليستعان بها على فهم القرآن الكريم.

دفع الضرائب من الفوائد الربوية

يرجى من سيادتكم إفادتنا بشرعية التالي: يوجد لدينا عقارات في بعض الدول الأوروبية ندفع عنها ضرائب سنوية لهذه الدول.. فهل يجوز سداد هذه الضرائب من أموال ربوية ناتجة عن فوائد بنكية؟

لا يجوز إيداع الأموال في البنوك مقابل فائدة ربوية، وبالتالي لا يجوز تسديد الضرائب من هذه الأموال، لأنها خبيثة لا يجوز الانتفاع بها بحال من الأحوال، وإنما تصرف للمصالح العامة، عدا المساجد والمصاحف ولا تحتسب من الزكاة، ولا يقضى بها دين.

شراء أدوات وآلات للجنة خيرية من الفوائد الربوية

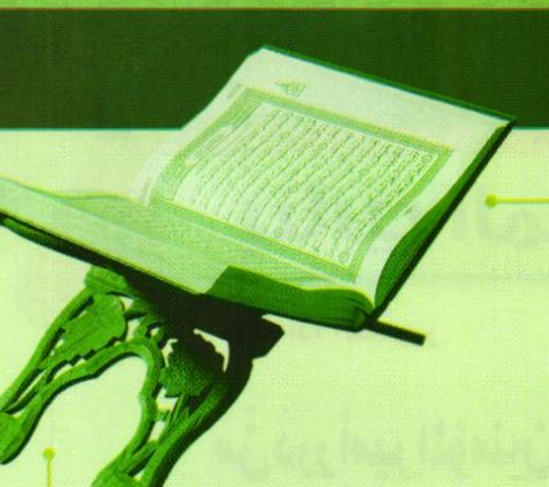
تبرع شخص للجنتنا بمبلغ ٢٠٠٠ د.ك، وهي عبارة عن فوائد بنكية، فهل يجوز للجنة التصرف بالمبلغ لشراء مستلزماتها من ثلاجة ومكيف وماكينة تصوير؟ علمًا بأن اللجنة بحاجة ماسة إلى الأموال نظرًا للأعداد الكبيرة من الأسر التي ترعاها بالرغم من حداثة إنشائها.

بما أن هذه الأموال سبيلها الصرف في وجوه الخيرات فلا مانع من شراء الأدوات التي تسهل عمل اللجنة، مع التنبيه إلى أنها ليست زكاة، ولا تجزئ عن الزكاة الواجبة في أصل المال.

التداعي لصلاة النافلة عند النوازل

ترغب لجنة التكافل بمنطقتنا في دعوة الناس إلى صيام يوم لله تعالى، وقيام الليل، وذلك في أحد مساجد المنطقة.

فنرجو الإفادة عن مشروعية هذا العمل وجزاكم الله خيرًا.



لا يشرع التداعي لصلاة نافلة جماعة كقيام الليل جماعة في المسجد، أما إذا كانت الدعوة لبرنامج منوع كتلاوة وذكر ودراسة علم، ثم أعقبه أو تخلله أداء صلاة فردية أو جماعية من غير دعوة إليها، كأن صلى أحدهم متنفلًا واقتدى به الآخرون كلهم أو بعضهم من غير حث على هذه الصلاة النافلة فإنه جائز.

وأما التواصي بصوم النافلة والتداعي لإفطار جماعي أو الحث على التصدق ونحو ذلك فإنه جائز ومشروع ومثاب عليه إن شاء الله.

رهن المنزل مقابل دين ربوي

توفي والدي وترك بيتًا من ضمن التركة، واختلف الورثة على البيت، وعرض هذا على المحكمة لحل هذا النزاع، وكان الحكم يقتضي بيع هذا المنزل وبما أني مع والدتي وأخواتي ونحن بعض الورثة بحاجة لهذا المنزل، حيث إننا نسكن في منزل بالإيجار، ولا نملك قيمة باقي أسهم الورثة، أردنا أن نرهن منزلًا في إحدى الدول العربية لنستفيد من مبلغ الرهن لكن كل البنوك في تلك الدولة ربوية، وشروط الرهن ربوية، فهل يجوز لنا الرهن لاضطرارنا لذلك؟

أجابت اللجنة بما يلي

أخذ الفوائد الربوية أو دفعها حرام شرعًا، لقول الله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربو﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء» (رواه مسلم وغيره)، وعليه فلا يجوز للمستفتي أن يرهن عقاره لدى أي مصرف ربوي مقابل دين ربوي في مثل حال المستفتي، لما تقدم من ثبوت حرمته بالكتاب والسنة، وعلى المستفتي أن يؤمن المبلغ الذي يحتاج إليه من طريق مشروع آخر لبيع البيت المنوي رهنه أو غير ذلك.

والله أعلم.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن الاعتداءات على المسجد الأقصى

إن مجمع الفقه الإسلامي الدولي يرصد بإدانة وشجب كل ما يتعرض له الشعب الفلسطيني الأبي، وهو يخوض الصراع المرير مع العدو الصهيوني الغاشم المتغطرس الذي لا يأبه باحترام أدنى حقوق الإنسان؛ وخاصة ما جرى في العدوان الأخير على قطاع غزة، وما تم فيه من تشريد وتجويع وفقدان أمن، وحصار وقتل، لا يفرق بين شيخ وطفل وامرأة ومعاق، مع قطع الإمدادات والمؤن الأساسية التي تلبي أدنى الاحتياجات الإنسانية من غذاء ودواء. والمجمع أمام هذه الجرائم البشعة ليدعو دول العالم الإسلامي خاصة، والعالم أجمع أن يقوموا بواجبهم الشرعي الأخوي والإنساني في رفع ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من معاناة وإمداده بالأساسيات التي يحتاجها.

كما أن مجمع الفقه الإسلامي الدولي يتوجه إلى كل فصائل الشعب الفلسطيني ومكونات مجتمعه المدني بدعوتهم إلى وحدة الصف وجمع الكلمة على أمر سواء لدرء الأخطار وصيانة الحقوق وإنهاء الاحتلال، بكل السبل الممكنة، كما يناشد المجتمع الدولي إلى ضرورة العمل بحزم وقوة لردع الاحتلال عن ممارساته الغاشمة ووقف الإرهاب الذي يقوم به.

كما يعبر المجمع عن قلقه البالغ وحذره الشديد جراء ما تتعرض له مدينة «القدس الشريف» من عمليات تهويد لمحو هويتها العربية والإسلامية، ومحاولات تهديم المسجد الأقصى المبارك، ومضايقة سكان القدس الأصليين من مسلمين ومسيحيين، ويؤكد على أن مدينة القدس والمسجد الأقصى هما من المقدسات لدى المسلمين في أرجاء العالم، ولأن المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين، ومسرى الرسول ﷺ ومعراجه إلى السموات العلا. وأن المسجد الأقصى المبارك هو للمسلمين وحدهم، ولا علاقة لليهود به، وإنه يجب الحذر من مخاطر المساس بحرمة هذا المسجد، وتحمل سلطات الاحتلال والدول الداعمة لها مسؤولية أي اعتداء على الأقصى ومدينة القدس الشريف، ولا يجوز أن يخضعا للمفاوضات ولا للتنازلات ولا يملك أحد الإقدام على ذلك.. فهما أسمى وأرفع من ذلك كله.

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

مِنْ دُرَرِ أمير المؤمنين

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ كثرَ ضحكه قَلَّتْ هيبته، ومَنْ مَزَح استُخفَ به، ومن أكثر من شيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كثرَ كلامه كثرَ سقطه، ومَنْ كثُرَ سقطه قَل حياؤه، ومَنْ قل حياؤه قل ورعه، ومَنْ قَل ورعه قَل خيره، ومَنْ كثر أكله لم يجد لذكر الله لذّة، ومَنْ كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومَنْ كثر كلامه في النَّاس سقط حقه عند الله، وخرج مِنَ الدنيا على غير الاستقامة». (الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

فضل الإسناد

الإسناد خصيصة هذه الأمة التي شرَّفها الله تعالى، وسنَّةٌ بالغةٌ من سنن العلم وآداب المتعلمين.

وفائدة حفظ الإسناد بقاء شريعة محمد ﷺ صافية صحيحة لا تشوبها عوامل الغلط والتصحيف، ولا تعتدي عليها عوادي الزيف والتحريف، فإنَّا لم نشاهد النبي ﷺ ولم تصل إلينا سننه إلا بالوسائط، فلو لم يكن الإسناد أصلاً في نقل الخبر والتوثيق منه لم تبق الشريعة، وقال ابن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

النَّفس العزيزة

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

إذا سَبَّني نَذْلٌ تَزايدتُ رِفْعَـةً
وما العَيبُ إلا أَنْ أَكونَ مُسـابِبهُ

ولو لم تكن نفسي عَلَيَّ عزيزة
لمكَّنْتُها مِنْ كُـلِّ نَـذْلٍ تُحَاربُه

ولو أَنَّني أَسعى لنفعي وجَدتَني
كثيـرَ التَّـواني للَّذي أنا طالِبُه

ولكنَّني أَسـعى لأَنفعَ صاحبِي
وعارٌ على الشَّبعانِ إنْ جاعَ صاحبُه

(ديوان الإمام الشَّافعي)

ابتسامة

لقي خالد بن صفوان الفرزدقَ فقال: لا مرحبا بهذا الوجه الذي لو رآه صاحبات يوسف لما أكبرنه ولا قطَّعن أيديهنّ، فقال الفرزدق: ولا مرحبا بوجهك هذا الذي لو رأته صاحبة موسى لم تقل لأبيها: يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين. (الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت:٣٢٢هـ)

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

الفضائل والرَّذائل

قال ابن حزم رحمه الله: «ليسَ بينَ الفضائلِ والرَّذائل، ولا بينَ الطَّاعات والمعَاصي إلاَ نفار النَّفس وأُنسها فقط، فالسعيد مَنْ أَنست نفسه بالفضائل والطَّاعات، ونفرت من الرذائل والمعاصي، والشقيّ مَنْ أَنست نفسه بالرذائل والمعاصي، ونفرت من الفضائل والطَّاعات، وليس هاهنا إلا صنع الله تعالى وحفظه...». (مداواة النُّفوس لابن حزم)

مَنْ أشْعَرُ النَّاس

قال عبدالملك بن مروان لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: «ابن العشرين» يعني طرفة، قال: فما رأيك في ابنَي أبي سُلمى. يعني زهيرًا وابنه كعباً، قال: كان شعرهما نيِّرًا. قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيثُ نَعْلَين، وأُقسِمُ بالله لو أدركتُه لرفعتُ ذَلاذلَه، قال: فما تقول في ذي الرّمة؟ فمدحه، قال: فما تقول في الأخطل؟ فمدحه، قال: فما أبقيت لنفسك شيئًا، قال: بلى والله يا أمير المؤمنين، وإنِّي لمدينةُ الشعر التي منها يخرجُ وإليها يعود، نَسَبْتُ فأَطْرَبْتُ، وهَجوتُ فأَرْدَيْتُ، ومدحتُ فأَسْنَيْتُ، وأَرْمَلْتُ فأَغْزرتُ، ورجزْتُ فأبحرت، فأنا قلتُ ضُرُوبَ الشِّعرِ كلّها، وكلُّ واحدٍ قال نوعاً منها. قال: صدقتَ!. (قصص العرب ٢/٢٦٨)

عداء الأقارب صعب

عداوة الأقارب صعبة، وربما دامت كحرب بكر وتغلب ابني وائل، وعبس وذبيان ابني بغيض، والأوس والخزرج ابني قيلة، والسبب في هذا أن كل واحد من الأقارب يكره أن يفوقه قريبه، فيقع التحاسد.

فينبغي لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم، ويرفعهم جهده، ويرفق بهم، لعله يسلم.

قال رجل لرسول الله ﷺ: لي أقارب أصلهم فيقطعوني؟

فقال: «فكأنما تسفهم المل، ولن يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك». (صيد الخاطر لابن الجوزي)

هَوِّنْ عليك

قال رجل للإمام الحسن بن يسار البصري: يا أبا سعيد، إنَّ قوماً يحضرون مجلسك، ليسَ بغيتهم الفائدة، ولا الأخذ عنك، وإنَّما هَمّهم تَتَبُّع سقط كلامك وتَعَنُّتك في السؤال؛ ليعيبوك بذلك، فتَبَسَّم الحسنُ ثُمَّ قال: هَوِّن عليك يابنَ أخي، فإنِّي حَدَّثتُ نفسي بسكنى الجنان فطمعت، وحدَّثت نفسي بمعانقة الحور الحسان فطمعت، وما حدَّثتُ نفسي قطّ بالسَّلامة مِنَ النَّاس، لأنِّي قد عَلمت أنَّ خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لَم يسلم منهم، فكيف أُحدِّث نفسي بالسلامة منهم.

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

من دُرر الإمام مالك

قال الإمام مالك رحمه الله: «اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلَّم الإنسان بكل ما سمع». وقال لابن وهب: «العلم ينقص ولا يزيد، ولم يزل العلم ينقص بعد الأنبياء والكتب».

أول انتصار للعرب على العجم

«يوم ذي قار» من أعظم أيام العرب وأبلغها في كسر شوكة الفرس، وهو يوم لبَنِي شيبان، وكان كسرى أبرويز ملك الفرس قد غزاهم بجيشه فظفروا به.

قال أبوعبيدة: «يوم ذي قار هو يوم الحِنْو، ويوم قُرَاقِر، ويوم الجِبَايات، ويوم ذات العَجْرَم، ويوم بطحاء ذي قار، وكلهن حول ذي قار»، وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط.

قال النبي ﷺ عندما سمع بانتصار العرب: «اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا». (مجمع الزوائد)، (الأوائل لأبي الهلال العسكري . معجم الأوائل)

من الجَفَاء

قال سفيان الثوري رحمه الله: «مِنَ الجَفاء أَنْ يَنْزِلَ العالمُ في مَحلَّةِ قوم ولم يَذهبوا إليه ليَتَعلَّموا منه شيئاً مِنَ العلم» ، فإذا كان عدمُ حضورهم عند العالم جفاءً: فكيف بِمَنْ ظاهَرَهُ بالعداوة، وأصَرَّ على بغضِهِ وعدم محبَّتِه؟!

(القول العلي للسَّفَّاريني)

دهاء

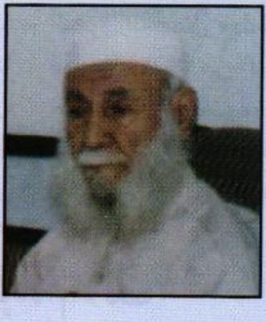
بعث ملك الروم إلى معاوية رضي الله عنه بقارورة، فقال: ابعث إلي فيها من كل شيء، فبعث معاوية إلى ابن عباس، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لتُملأ له ماءً. فلما وُرِدَ بها على ملك الروم، قال: لله أبوه! ما أدهاهُ!، فقيل لابن عباس رضي الله عنهما: كيف اخترت ذلك؟ فقال: لقول الله عز وجل: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء: ٣٠). (الكامل في اللغة والأدب للمبرد).(صيد الخاطر)

فضائل أشبه بالرذائل

«ليس شيء من الفضائل أَشبه بالرذائل من الاستكثار مِن الإخوان والأَصدقاء، فإنَّ ذلك فضيلة تامة متركبة، لأنَّهم لا يُكْسَبون إلا بالحلم والجود والصبر والوفاء.. إذا أحصيت عيوب الاستكثار منهم، وصعوبة الحال في إرضائهم، والغرر في مشاركتهم، وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض لهم، فإن غدرت بهم أو أسلمتهم، لؤُمتَ وذُممت، وإنْ وَفَّيت أضررتَ بنفسك، وربما هلكت، وهذا لا يرضى الفاضل بسواه إذا تشبث في الصداقة، وإذا تفكَّرت في الهم بما يعرض لهم وفيهم من موت أو فراق أو غدر من يغدر منهم، كاد السرور بهم لا يفي بالحزن المُمِض مِن أجلهم».

الإسلام يشق طريقه

مسك الختام



محمد القاضي

إن الاستجابة الكبيرة التي قوبل بها الدين الإسلامي في الرحاب دليل على ما لهذا الدين من محاسن كثيرة وفضائل جمة وآثار جليلة، ولعل من أروع مظاهر الإسلام أنه وضع الأسس والمبادئ العامة التي تمجد المثل العليا والآداب الرفيعة، وتنظم المعاملات بين أفراد الجماعة الإسلامية، وتبني عالماً حراً يقوم على الآراء الناضجة، والحرية الفكرية، والاهتمام بالعلم، وقد حققت الحضارة الإسلامية قصدها من نشر المعرفة بجعلها واجبة، ومحاربة الأمية والعمل على رفع المستويات التعليمية.

رسالة خالدة احتفظت للإنسان بمكانه في الوجود كإنسان وبحظوظه فيه، وأباحت له ما شاء من الحظوظ وما آتاه الله من ملك استخلفه فيه على أساس الإحسان وعدم الفساد، وسوَّى بينه وبين أخيه الإنسان، فلا طبقية ولا عرقية ولا أجناس.

ومهما تعددت أسباب اعتناق المسيحيين أو غيرهم للإسلام في أوروبا وغيرها، فالقاسم المشترك بينهم هو ما في الإسلام من سماحة ويسر وعدالة، وشفاء للنفوس مما لا يكلف المعتنق القليل أو الكثير، فباب الدخول فيه مفتوح على مصراعيه لكل من تاقت نفسه إليه.

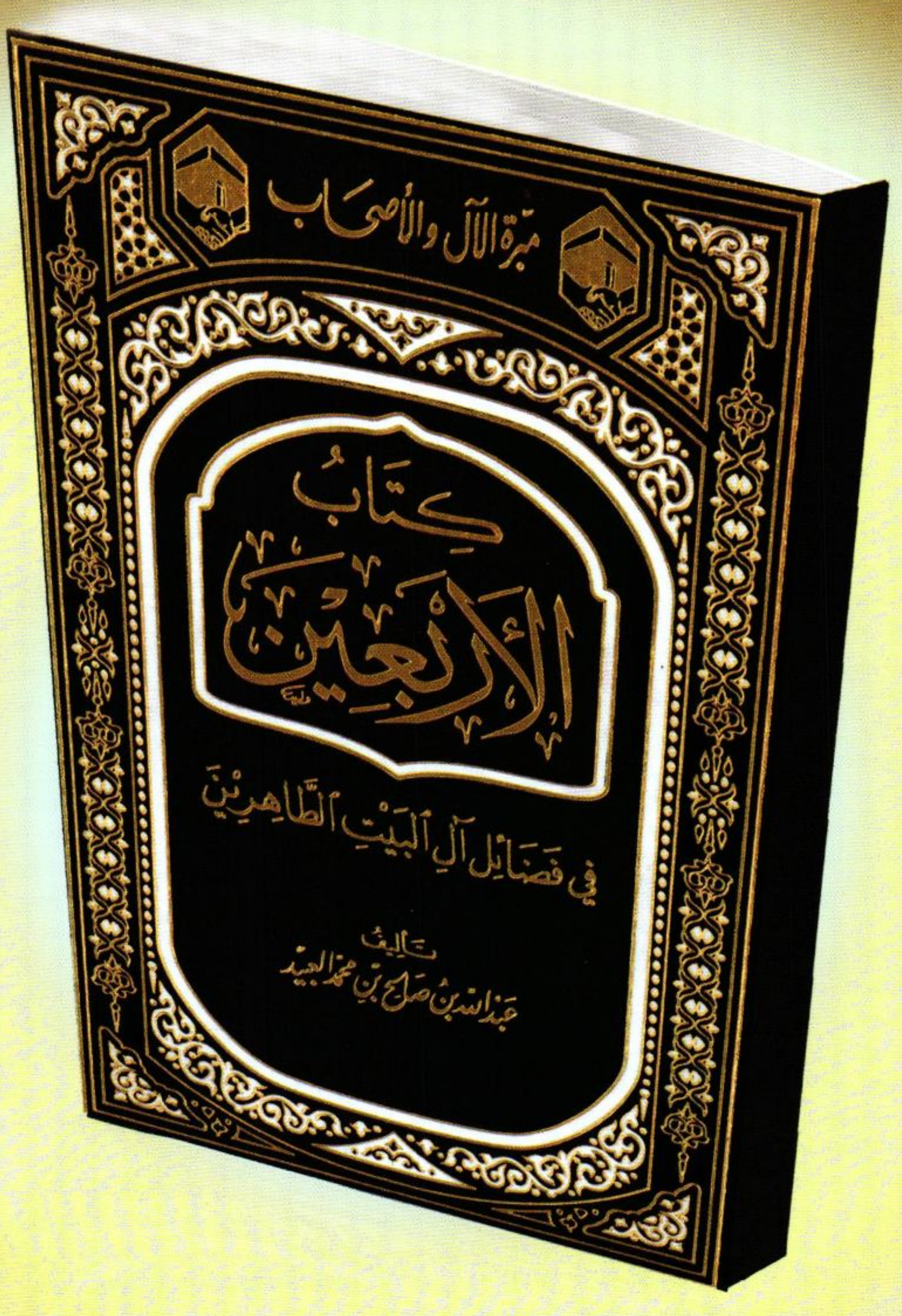
لقد وحد الاسلام بين صفوف المسلمين وأحدث بينهم الالتئام الاجتماعي الذي قل أن عرفت مثله البشرية من قبل.

يقول المحامي الإيطالي روزاريو باسكويني الذي كان يرأس تحرير صحيفة إيطالية متواضعة تعرف باسم «رسالة الإسلام» وقد اختار لنفسه اسما إسلاميا: «إن الاتجاه إلى اعتناق الاسلام بين صفوف المسيحيين في إيطاليا آخذ في التوسع يوما بعد يوم، ومثلما يحدث في فرنسا وإنجلترا، فإن عددا متناميا من المسيحيين يلوذون اليوم بالعقيدة الإسلامية طلبا للخلاص الروحي من عبودية الحياة المادية، ومنهم المهندسون والفنانون والمثقفون والطلاب وحتى احدى الراهبات، والبعض أقدموا على هذه الخطوة بعد الزواج من شخص مسلم، بينما اختارها البعض الآخر لأسباب فكرية او دينية صرفة. ولكن أيًا كان الدافع الأصلي فكلهم تقريبا يؤكدون أن القرار النهائي رافقه دائما شعور بالضيق من حياة المجتمع الاستهلاكي الموغل في ماديته ومن فرط الاجهاد، وتوق جارف إلى الآفاق الروحية المفقودة في معظم شرائح المجتمعات الغربية».

وهكذا نرى أن الإسلام يأخذ طريقه في أوروبا وفي غيرها بالطرق السلمية الهادئة وبالحوار والتفاهم، وكأنه نهر ينساب بشكل طبيعي مهما وقفت أمام مياهه السدود والعراقيل، وبعيدا عن أي تزمت أو حركة من الحركات المتشددة أو المتسلطة التي يشهدها عالمنا اليوم.. وصدق الله تعالى في قوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل: ١٢٥).



كتاب «الأربعين في فضائل آل البيت الطاهرين»



كتاب «الأربعين في فضائل آل البيت الطاهرين» للشيخ عبدالله بن صالح العبيد، حوى أحاديث مُسنَدَة إلى رسول الله ﷺ في فضل آل البيت الطاهرين، رضي الله عنهم أجمعين، وهو من مفاخر مشروع القراءة والسّماع الذي عقدته مبرة الآل والأصحاب بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ترسيخًا للمحبة العظيمة التي يُكنُّها المسلمون لرسول الله ﷺ ولآله الطيبين المباركين.

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

رحمة للعالمين



نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات

الفكرة والإعداد والإشراف العام
صلاح أبا الخيل

برنامج تلفزيوني باللغتين (العربية / الإنجليزية)

إلى كل من تعثر في خطاه .. إلى كل من أشقته الحياة .. إلى كل من يلتمس النجاة ..
تهدي إدارة الإعلام الديني برنامجها التلفزيوني

" نفائس رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم"

ويتضمن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم باستخدام أحدث التقنيات الإعلامية، داعيةً المولى بأن يكون بصمة في قاموس الأخلاق والقيم، وثروة تتوارثها الأجيال على مر الزمن.

إنتاج إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
www.nafaess.com
info@nafaess.com

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



د. عبدالسلام العبادي:
الدين هو الذي يهذب السياسة

الرقية بين الحِلِّ والحرمة



تجليات الإسراء والمعراج

أمريكا بعيون عربية

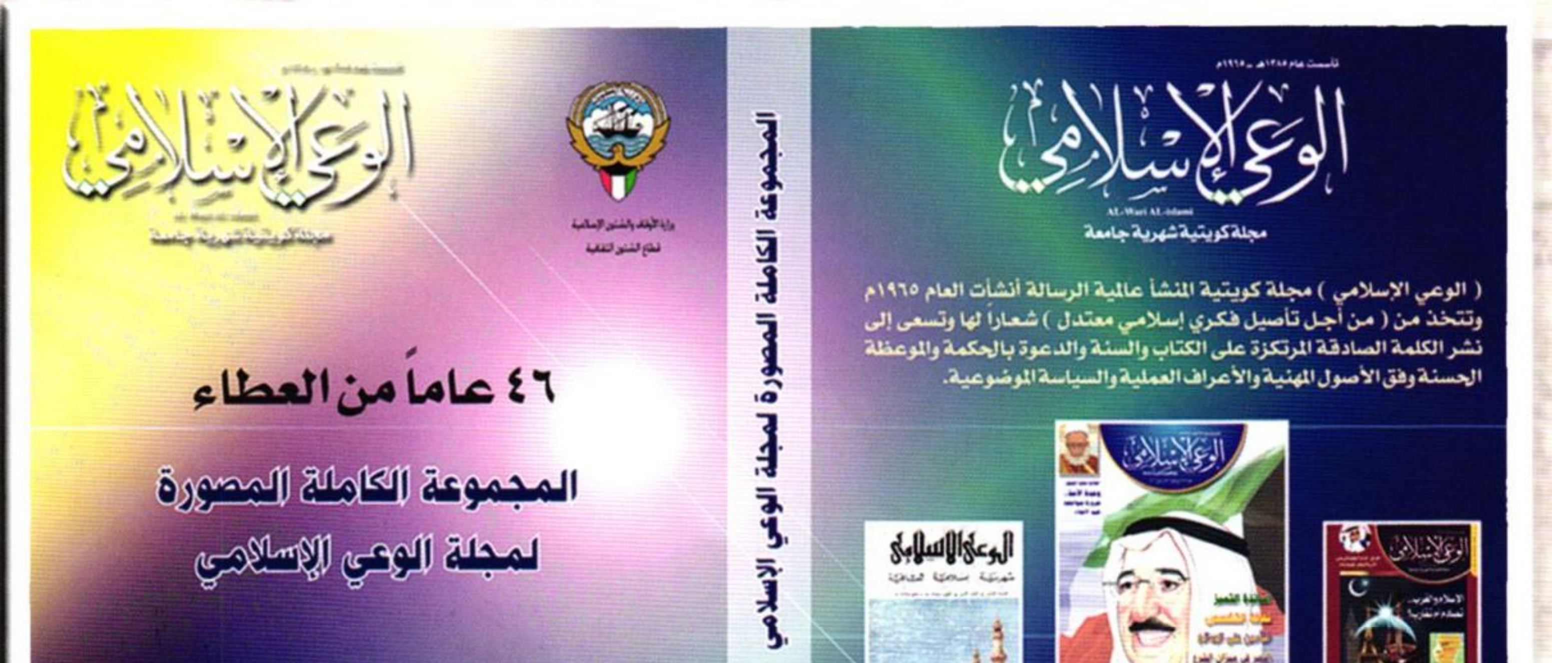
القاهرة تحتضن معرض إصدارات وزارة الأوقاف

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

الوعي الإسلامي

على C.D

قراءنا الأعزاء نزف إليكم بشرى صدور C.D بصيغة pdf لتوثيق مسيرة المجلة التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة خلال ٤٦ عاماً



تم الإصدار الجديد للمجموعة المصورة الكاملة التي تحتوي على أعداد العام الهجري ١٤٣٠ والجزء الخامس من الكشاف العام على قرص C.D

الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩ info@alwaei.com - www.alwaei.com

الكون المنظور

يتوهم الذين لا يعرفون من الأشياء إلا ظواهرها ولا يدركون من الوجود إلا المحسوس أنه لا رب ولا خالق ولا مبدع لما في الكون من المعنويات والطقوس، وقد أنكروا قدرة الله وبقاءه، وأنه تعالى الخالق البارئ، وقال قائلهم ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وتؤله الطبيعة، وتنسب إليها النظم البديعة، ويُزعم أن الوجود خالق نفسه، ومكون أجزائه الوضيعة والرفيعة، فلم تأت الصدف بهذه المخلوقات في الأرض والسموات، ولكن الأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج تدل على وجود الخالق الصانع الحكيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

فَفيَ الكوْن دلالات واضحة، وبراهين بينة، لأهل العقول الصحيحة على الخالق سبحانه.

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

وقد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى، وأثنى على المتفكرين فقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، فكتابنا العَظيم يجعل النظَر في الكون دليل الإيمان، ومع سعة النظر وعمقه وصدقه تكون معرفة خالق الأكوان، فالمؤمنون بالله يستمدون معرفتهم من قراءة الكتاب المسطور والكون المنظور ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

والذي غاب من خلقه عن مشاهدتنا ووعينا أكبر مما رأيناه وأحسسناه وعلمناه ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾.

إن هذَا الكونَ الفسيحَ هو المَسرحَ الأول للتدبر والتفكير، وينبوع الإيمان، والمجال الأول للفكر، وانفتاح المرء على الكون وفهمه لما فيه واستمكانه منه هو التوجيه القرآني لمعرفة العقائد التي يقوم الدين عليها.

وهكذا ترى مشاهد الكون هي الدافع إلى الإيمان، الباعث على التوحيد، القائد إلى التوبة، الناقل من الهلاك إلى النجاة، إذ ماذا حدث بعد أن فقد الإيمان مصادره الكونية وتوجيهاته القرآنية؟ تحول إلى فكر غامض وغيبيات مبهمة واستدلالات فلسفية نظرية ميتة.

بين الآفاق والنفس تمتد خيوط العلم لتبحث في علة الكون عبر العقل والنظر، لتجول قائلة سبوح قدوس، ما أعظمك! إنك على كل شيء قدير، اللهم سلمنا من تلك الأهوال، وآمنا من الفزع والزلزال.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٩

العام السابع والأربعون

رجب ١٤٣١ هـ

يونيو - يوليو ٢٠١٠ م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com





الصحافة المسؤولة ووسائل النهوض ٨

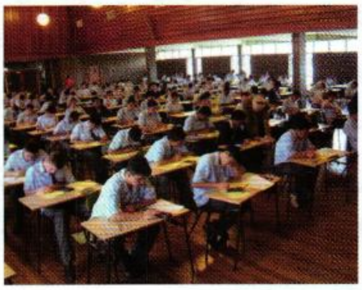
حوار مع د. عبد السلام العبادي ١٦





الشعر والإصلاح الاجتماعي ٥٢

أمريكا بعيون عربية ٦٠





أمهاتنا وجرس الامتحانات ٦٨

مسجد دونغسي في بكين ٨٠

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف



تأصيل العقيدة في النفوس لا يتم إلا بتحرير العقول من الأفكار الشاذة والأباطيل الزائفة التي تتصادم والفطرة التي فطر الله الناس عليها .

داخل العدد

جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم	٧
التوكل.. التسليم .. التفويض.. الثقة	١٠
الرقية بين الحِلِّ والحرمة	١٩
تجليات الإسراء والمعراج	٣٩
العلامة اللغوي محمود الملاح	٥٦
تعليم الطفل الكلمات الطيبة	٧٥
صداع الشقيقة	٨٦

كلمة العدد

قراءنا الكرام

عرفت الرقية الشرعية منذ عصور الإسلام الأولى، ومع انتشارها في العصور المتأخرة اختلط الحابل بالنابل وعَمَّ الجهل ودخل على خط الرقية الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة أناس مشعوذون جهلة حاولوا من ورائها جني مكاسب مادية، مستخدمين أحيانًا الجن والشياطين وأحيانًا اخرى طلاسم وهمهمات ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد حاولنا من خلال ملف العدد الذي نضعه بين أيديكم تبيان أسس الرقية الشرعية الصحيحة كما وردت في القرآن والسنة، وكشف زيف الدجالين والمشعوذين، وذلك من خلال عدة موضوعات تجدونها في ثنايا هذا العدد، لتأصيل العقيدة الصحيحة في النفوس .

كما حاولنا أيضًا تسليط الضوء على بعض القضايا المعاصرة التي تهم الفرد المسلم ومنها جراحة التجميل، والاجتهاد المقاصدي والتأسيس للبناء المعرفي، والكيد للغة العربية الفصحى على مدى قرن ونصف من الزمان، إضافة الى عدد من القضايا الأسرية والاجتماعية والفكرية وغيرها.

مرة أخرى نأمل منكم الاستمرار في مدِّ جسور التعاون والتواصل فيما بيننا خدمة لديننا وأمتنا وقضايانا العادلة.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

•الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريالا •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

نظمتها وزارة الأوقاف برعاية سمو أمير البلاد

جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم تجمع بين الأصالة والمعاصرة

التحرير

يحفل العالم الإسلامي بالعديد من الجوائز الدولية لحفظ القرآن مثل جائزة دبي الدولية ومسابقة إيران الدولية والمسابقة العالمية في ماليزيا ومسابقة المغرب، وتتويجًا لجهود دولة الكويت في مجالات حفظ القرآن الكريم وتجويده وتنشيطًا للمنافسة بين أبناء الأمة الاسلامية ودفعهم للتزود من هذا الزاد الروحي والنبع الديني الكريم،أقامت وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية تحت رعاية سمو أمير البلاد خلال الفترة ما بين ١٠ و٢١ مارس الماضي المسابقة الدولية الكبرى لحفظ القرآن الكريم وقراءاته للمرة الأولى.

وفي حفل الافتتاح الذي حضرته كوكبة من مسؤولي الدولة وكبار العلماء وأشهر أهل القراءات وجمع غفير من حفظة القرآن الكريم ومحبيه أكد نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد أن التاريخ سيخلد بيد الوفاء رعاية أمير البلاد لجائزة الكويت الدولية للقرآن الكريم، تصديقا لقول النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالًا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل» (البخاري).

وقال الحماد: إن جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءته وتجويد تلاوته هي بذرة مباركة غرستها يد الأمير الكريمة، وقد غدت كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقه، مبينا أنه حصاد سنة كاملة عملت فيه عقول مدبرة وأيد عاملة، فما برح أعضاء اللجنة العليا واللجنة التنفيذية يسهرون الليالي في عمل متواصل مؤملين أن يطلع الصبح فتشرق فيه شمس هذه الجائزة.

وأوضح أنها جائزة اصطفي لتحكيمها كبار العلماء، واستضيف لتقويمها أشهر أهل القراءات، وجلس بين أيديهم سفراء الدول الشقيقة، ومهرة البلاد الصديقة، الذين وفدوا على هذه الجائزة من أربعين دولة ما بين خليجية وعربية وإسلامية، من قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا لافتا إلى أن مجموع جوائزها بلغ ١٢٠ ألف دينار كويتي.

وأشار إلى أن خصائص الجائزة تدعو للمفاخرة، إذ إنها أول جائزة دولية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فكما أن الحفاظ البررة يتنافسون تنافسا شريفا على جائزة حفظ القرآن الكريم وقراءته وتجويد تلاوته، فكذلك المهندسون يتنافسون على جائزة أفضل مشروع تقني يخدم هذا القرآن الكريم وييسر حفظ آياته، مع ما صاحب ذلك من ورش ومحاضرات قرآنية، حضرها الشرائح المجتمعية والفئات العمرية.

من جانبه قال شيخ المقارئ المصرية ورئيس لجنة التحكيم د.أحمد المعصراوي: إنه ليوم مبارك تتنزل فيه ملائكة الرحمن على هذا الجمع الكريم الذي التقى من مشارق الأرض ومغاربها حول كتاب الله تعالى حفظًا وتلاوة وأداء وقراءات، فقد وفق الله تعالى سمو أمير البلاد ليرفع كتاب الله تعالى إلى أفق العزة الربانية، ويحيي السنة المباركة التي أكرمنا بها رب البرية، وهدانا إليها رسول البشرية، ألا وهي جائزة الكويت الدولية للقرآن الكريم، ألا وإن هذه الجائزة انفردت عن غيرها من المسابقات القرآنية الأخرى بفرع القراءات السبع.

ووجه رسالة للفائزين بالقول: أما أنتم أيها المتسابقون الذين ربط الله على قلوبكم فكنتم جندا للقرآن وحملة للوائه، فإننا ندعو الله تعالى أن يحفظكم ذخرا للأمة ويزيدكم توفيقًا ويكثر من أمثالكم.

وقد أعلن رئيس لجنة التحكيم المركزية د.وليد العلي أسماء الفائزين في الجائزة وكانت على الشكل التالي:

أولا: فرع الحفظ

فارس محمد، عمار البشير، علي مختار، محمود مصطفى، أحمد العربي.

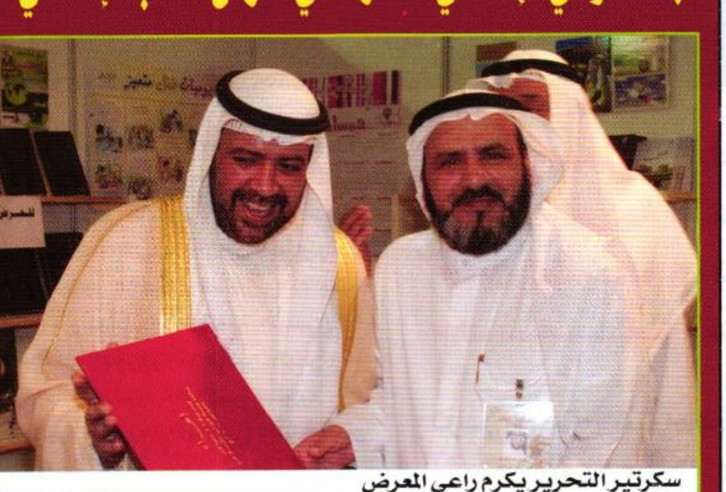
ثانيا: القراءات السبع

أحمد العاصي، إسماعيل جميل، أنس الكندري.

ثالثا: التلاوة والترتيل

علي تيل، عباس بشير، محمود أحمد، علي عسكر، محمد حسن.

مجلة «الوعي الإسلامي» تشارك في معرض الكتاب الإسلامي



سكرتير التحرير يكرم راعي المعرض

برعاية سفير الكويت بالقاهرة د.رشيد الحمد والوكيل المساعد للشؤون الثقافية وبحضور مفتي مصر

وزارة الأوقاف تقيم معرضًا لإصداراتها في القاهرة

التحرير



وفد الوزارة في جولة بالمعرض

انطلاقًا من دور وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في نشر الفكر الإسلامي الهادف وإبراز وجه الحضارة الإنسانية في المحافل الدولية أقامت الوزارة معرضا لإصداراتها في القاهرة أخيرًا برعاية سفير الكويت في جمهورية مصر العربية د.رشيد الحمد والوكيل المساعد للشؤون الثقافية إبراهيم الصالح وبمشاركة مفتي الديار المصرية ونخبة من المفكرين والعلماء.

ويأتي هذا المعرض للتواصل مع المفكرين والمثقفين وأصحاب الرأي ممن لهم باع طويل في خدمة الكتابات الهادفة لاسيما الثقافية والدينية، والحرص على استكتابهم في مجلة «الوعي الإسلامي» وسلسلة «روافد» الثقافية.

وشهد المعرض عرضًا لإصدارات الوزارة المتميزة منها مجلة «الوعي الإسلامي» والموسوعة الفقهية، والمواد الإعلامية التوعوية، وسلسلة «روافد» الثقافية، وحملة «نفائس» الفيلمية.

وقد أشاد الوكيل المساعد للشؤون الثقافية إبراهيم الصالح بالتعاون الثقافي والفكري بين البلدين، مبينًا حرص الوزارة على تفعيل هذا التعاون مع مصر بما تحتويه من كفاءات تسهم في إثراء إصدارات الوزارة المختلفة.

وقال الصالح: إن المعرض ساهم في إبراز صورة الكويت الثقافية والفكرية وحرصها على توضيح وتعليم قيم الإسلام السمحة وبناء عقلية النشء وفق الأسس الإسلامية السليمة، مشيرًا إلى حرص الوزارة على الالتقاء المباشر بأصحاب الفكر والعلم.

قال سكرتير تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» سليمان خالد الرومي: إن المجلة حظيت بحضور مكثف في جناحها في معرض الكتاب الإسلامي الذي نظمته جمعية الإصلاح الاجتماعي أخيرا في أرض المعارض تحت رعاية نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية ووزير الدولة لشؤون التنمية ووزير الدولة لشؤون الإسكان الشيخ أحمد الفهد.

وأوضح الرومي أن ذلك الإقبال الملحوظ على الجناح جاء نتيجة لما حواه من إصدارات المجلة المتنوعة، والتي تسد ثغرة في المكتبة الإسلامية والعربية، إذ تنوعت هذه الإصدارات لتشمل الفكر والثقافة والفقه الإسلامي والأدب العربي والخط وغيرها من العلوم والفنون، كما تضم المجموعة الكاملة المصورة التي تعرض مسيرة المجلة منذ إنشائها وصدور العدد الأول في محرم ١٣٨٥هـ مايو ١٩٦٥م، على أربع أسطوانات مدمجة تحوي كل أعداد المجلة، بالإضافة إلى الكشاف العام بأسماء الموضوعات والكتاب، وتوجت هذه الإصدارات أخيرا بكتاب «مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي»، وهي مقالات حصرية نشرت في المجلة ما بين ١٣٨٥-١٤٠٠هـ للشيخ محمد الغزالي المتوفى عام ١٤١٧هـ، وهو الإصدار الذي ترقبه القراء والمثقفون وتلقوه بتلهف منقطع النظير.

ودعا الرومي الباحثين والدارسين في كل المجالات إلى إرسال نتاجهم ليسلك طريقه إلى النشر عبر صفحات المجلة شرط أن يستوفي شروط وضوابط النشر المعمول بها في المجلة والمعروفة لدى القراء.

في الحلقة النقاشية «الصحافة المسؤولة.. ووسائل النهوض- مجلة حراء أنموذجًا»

المحاضرون يؤكدون: الصحافة رافد خير في خدمة الأمة

التحرير

في إطار تعزيز العلاقات الكويتية التركية أقامت مجلة «الوعي الإسلامي» حلقة نقاشية بعنوان «الصحافة المسؤولة.. ووسائل النهوض- مجلة حراء أنموذجا» يوم الأربعاء ٢١-٤-٢٠١٠ في فندق هوليداي إن برعاية الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف الأستاذ إبراهيم الصالح وبحضور نخبة من الإعلاميين والاختصاصيين.

وتناولت الحلقة أربعة محاور جوهرية تمثلت في دور وسائل الإعلام في النهضة، ووسائل الإعلام والتنمية بالقيم، والمسؤولية الاجتماعية لرجل الإعلام، وسبل التعاون بين الصحافة المسؤولة.



رئيس التحرير ود. القحص والوفد التركي

وقد أدار الحلقة أستاذ الإعلام في جامعة الكويت د.خالد القحص الذي أكد على أهمية الحلقة باعتبارها رافد خير في طريق الصحافة المسؤولة، موضحا أن الصحافة المسؤولة هي الصحافة الملتزمة التي لها هدف أو رسالة، وهي الصحافة ذات المضمون الذي يخدم الأمة بجميع شرائحها وأطيافها، مبينا أن مثل هذه الحلقات النقاشية باتت ضرورية لأنها على الأقل تعطينا شيئا نتلمس به طريقنا ونحن نتكلم اليوم عن الصحافة.

وأكد رئيس الوفد التركي مصطفى أوزجان الحاجة الماسة لمثل هذه اللقاءات بهدف «التواصل- المعرفة- تبادل الخبرات» لافتا إلى أنه -منذ الستينات في تركيا- وفتح الله كولن سعيا جاهدين مع من سار معهما في هذا الدرب لتشكيل جيل جديد في المجتمع التركي من الرجال والنساء متمسكين بالجذور «الكتاب والسنة» وعندهم الطاقة لكي يواجهوا متطلبات العصر، ومن ثم كان التركيز على التربية والتعليم، وكانت السنوات الماضية التي عشناها منذ نهاية القرن التاسع عشر مريرة، فبدلا من أن نعود إلى هويتنا لجأنا إلى مخارج أخرى حسبناها صحيحة، فالتصقنا بالفكر المادي الذي أضاع الروح لدى الإنسان، والمفرح أنه قد انبثقت في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي أنفاس لبعث الروح والنهضة في العالم الإسلامي.

بدوره قال رئيس تحرير مجلة حراء د. نوزاد صواش إن المجلة فرع مثمر في شجرة وارفة الظلال أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وهي مجلة متواضعة تعبر عن التحية التركية، وتبحث عن الأخوة- المودة- الفكر الأصيل العميق الذي نحتاج إليه في هذا الزمان.

وتابع: قبل ٣٠ سنة عندما صدرت مجلة «رشحة» كان شعارها «قطرة قطرة تكوِّن بحرا» كان توزيعها في البداية ٦٠٠٠ نسخة والآن وصل إلى ٨٠٠ ألف نسخة، وأصبحت تتسابق مع الصحف اليومية في نسبة التوزيع فهي بإخلاصها وتجردها أنجبت مجموعة ٨ مجلات شاملة أكاديمية- إسلامية- أطفال- مجلات باللغة الإنجليزية- وحراء آخر العنقود.

وأوضح نوزاد أن حراء لها نكهتها، ولكن الأهم أنها جسر للتواصل واستكشاف العالم العربي من بلد إلى آخر مشيرا إلى أننا امة واحدة تبني القصور- المساجد- المكتبات- الجامعات-المؤسسات العلمية- الإنسان، ولكن دخلت المسافات بيننا، فكيف يمكن أن نكتشف هذا الخير الذي تبعثر بعد انفراط هذا العقد؟ أين نجده؟ كيف نتواصل معه؟ كيف نؤسس شبكة الخير بين عقلاء الأمة؟

وبين نوزاد أن انطلاقة المجلة جاء في شهر رمضان الكريم من عام ٢٠٠٥ كواحدة من سلسلة مجلات تصدرها مجموعة «قاينق» للنشر الثقافي في اسطنبول للإسهام في البناء الحضاري العالمي وإنشاء إنسان متوازن ومجتمع سليم متمنيا أن

العالمية: علاقة الصحافة الملتزمة ببعضها علاقة تكامل لا تنافس

بدران: التمويل والمهنية.. أبرز مشاكل الصحافة الهادفة

المجتمع: الصحافة المسؤولة موضوعة في زاوية التضيق وعدم ممارسة الحرية

الولايتي: ضرورة التواصل الايجابي ونحن نتكلم عن الصحافة التي تخدم الأمة



جانب من الحلقة النقاشية

تصدر شهرية أو أسبوعية وأن تصل إلى مرحلة تستطيع أن تفرخ لنا مجلات أخرى تسهم مع شقيقاتها وأخواتها في العالم العربي.

من جانبه قال رئيس تحرير مجلة «العالمية» يوسف عبدالرحمن أنه بعدما شبع مجتمعنا بثقافة نور ومهند نتمنى أن تكون علاقتنا بالوعي الإسلامي «علاقة تكامل وليست تنافس»، جسور من المودة والتواصل مع هذه المجلة العريقة التي تعلمنا منها، وأتمنى أن تكون التوصيات عملية وليست إنشائية، أتمنى أن نخرج بثلاث توصيات عملية أفضل من ٣٠ توصية إنشائية.

وأوصى بضرورة تكوين وقف للإعلام الإسلامي لدعمه من خلال الممارسة، كذلك أتمنى أن تكون هناك دعوة تتبناها كل المجلات- رجال المال- الأثرياء- أصحاب القرار- الصحف الإسلامية لتكوين أرضية تنطلق منها الصحافة الإسلامية، أتمنى تشكيل رابطة لهذا الإعلام الإسلامي، فهناك نقص غير عادي في قضية الدورات التدريبية لأن كل يوم فيه جديد، بالإضافة إلى أهمية تطوير الخطاب الإسلامي، من جهة أخرى لفت مدير تحرير مجلة «المجتمع» شعبان عبدالرحمن الانتباه إلى أن هناك رابطة للصحافة الإسلامية تم تأسيسها منذ ٥ سنوات، وأضاف: أتشرف أنني كنت أحد مؤسسيها وهي تضم ٢٧ صحيفة ومجلة إسلامية في العالم العربي من المشرق إلى المغرب، وقد عقدت ٤ مؤتمرات حتى الآن والمؤتمر القادم في بيروت -إن شاء الله- وأدعو من لم يشترك فيها إلى الاشتراك والتواصل معها، وبالفعل صنعت نقلة نوعية في إطار التعاون المهني والفكري وتبادل الخبرات، وأعتقد أن اشتراك مجلات حراء والوعي والعالمية والمجلات الأخرى سيكون إضافة جيدة في سبيل التعاون وتوسيع النشاط.

وتابع: الصحافة المسؤولة مسؤوليتها كبيرة خاصة وأن هناك غيرها كثير، وأعتقد أن هناك سباقا كبيرا بين الإعلام المسؤول وبين هذه الموجات المتكاثرة والمتزايدة من الصحافة غير المسؤولة التي تسهم في تشويه الحقائق وتزييف الوعي، ومع تكاثر وسائل الإعلام وثورة الانترنت والصور المتعددة لوسائل الإعلام تظل الصحافة لها تأثيرها ومفعولها، فهم يشبهون الصحافة بأنها مثل قطرات الماء التي تسقط تباعا على صخرة قوية قطرة قطرة حتى تخرقها في النهاية، نحن في مؤسساتنا الصحافية وفي العمل الصحافي المسؤول نواجه تحديات كثيرة، كما أن أجواء الحرية الموجودة في الكويت أفرزت صحافة حرة مسؤولة تمارس عملها بكل قوة وحرية وتسهم في بناء النهضة وتشكيل الوعي الإسلامي على امتداد العالم، لكن إذا نظرنا إلى خريطة العالم العربي الممتد نجد أن ألوان الحرية الضعيفة التي تغلب على معظم بلداننا تحد من إيجاد صحافة مسؤولة وتعوق انطلاق الصحافة الموجودة وتضعفها وتضيق عليها في مقابل إفراد مساحات كبيرة للصحافة الأخرى التي تخدم أغراضا وأهدافا ونظريات غير مسؤولة.

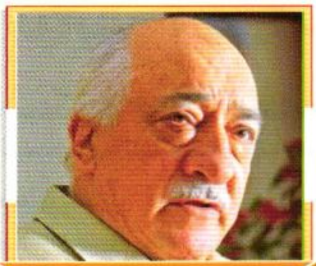
وأضاف: من ينظر الآن يجد أن الصحافة المسؤولة أو الإسلامية موضوعة في زاوية التضييق.. زاوية ضعف التمويل.. زاوية من عدم ممارسة الحرية، ويبقى على الصحافة بصفة عامة مسؤولية كبيرة ومتزايدة ومهمة.

بدوره قال الباحث الإعلامي في وزارة الأوقاف د.حسين الجرادي: إن نظرية المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام استهدفت وضع ضوابط أخلاقية للصحافة والتوفيق بين حرية الصحافة والمسؤولية الاجتماعية في المجتمعات، فالالتزام تجاه المجتمع يكون من خلال وضع مستويات مهنية للصدق والموضوعية والتوازن وتجنب أي شيء يؤدي إلى الجريمة أو العنف أو الفوضى كما ينبغي أن يكون تعددية تعكس تنوع الآراء والأفكار في المجتمع.

وأوضح الجرادي أن المسؤولية الاجتماعية تجاه الفرد والأسرة والمجتمع والأمة تنصب على الإصلاح والتغيير والبناء الشمولي للأفراد وتوجيه الشعوب في معركة المبادئ والأفكار.

بدورها أكدت نائبة رئيس تحرير مجلة البلاغ سعاد الولايتي ضرورة التواصل الإيجابي بين الوسائل الاعلامية لا سيما أن رسالتها واحدة موضحة أهمية العناية بالطرح الموضوعي في مناقشة قضايا مجتمعاتنا.

التوكل.. التسليم.. التفويض.. الثقة



فتح الله كولن

التوكل هو مبدأ الأحوال التي تخص عالم الأمر أو السير الروحاني، بالاعتماد على الله والثقة به، ثم المضي قلبًا في دائرة التبرّي من كل قوة وحول بشري، وفي النتيجة إحالة كل شيء إلى القدير المطلق وبلوغ الاعتماد التام على الله وجدانًا في النهاية.. والذي يلي التوكل ويأتي بعده بخطوتين هو «التسليم».. وبعده بجولة هو «التفويض».. ومنتهاه «الثقة».

التوكل، يعني اعتماد القلب على الله والثقة به كليًا وشعوره بالنفور والامتعاض عن ملاحظة أي قوة ومصدر كان، ولا توكل إن لم يكن اعتمادًا وثقة بهذا المقياس، إذ لا يوصل إلى التوكل الحقيقي طالما أبواب القلب مفتوحة للأغيار.

التوكل، رعاية الأسباب دون خلل ضمن دائرة الأسباب، ومن ثم انتظار تصرف القدرة المطلقة علينا، إذ بعده بخطوتين هي مرتبة «التسليم» التي وصفها كثير من أولياء الحق «كالميت بيد الغسّال»، وبعدها بأقدام يأتي مقام «التفويض» الذي هو إحالة كل شيء إلى الله تعالى وانتظار كل شيء منه، فالتوكل مبدأ والتسليم نتيجته والتفويض ثمرته. وعليه فالتفويض أوسع منهما وهو ملائم للمنتهين، لأن فيه ما هو أبعد من تبرّي الإنسان من حوله وقوته والذي هو مرتبة التسليم والبلوغ إلى أفق «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بالله» والشعور بما فيه من «كنز مخفي» كل آن، وامتلاك خزائن الجنة الخاصة وغناه بها.

وبمعنى آخر: إن سالك الحق يشعر بعجزه وفقره بتذكير ما في وجدانه من نقطة الاستناد ونقطة الاستمداد، وبعد إحساسه بهما يقول «لا أستغني عنك خذ بيدي يا إلهي.. خذ بيدي» ويتوجه إلى منبع القوة والإرادة والمشيئة.

فالتوكل هو اتخاذ الفرد ربه وكيلًا لأجل مصالحه، دنيوية كانت أو أخروية. أما التفويض فهو اسم للاعتراف بالأصالة التي وراء هذه الوكالة بشعور وجداني.

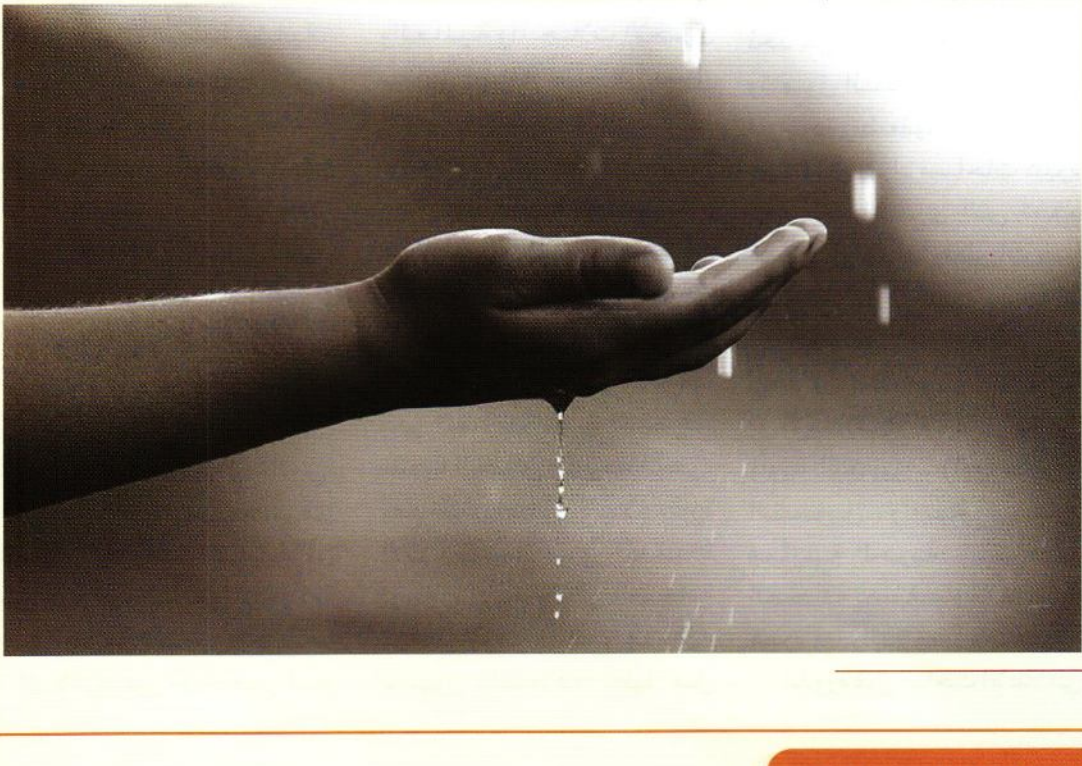
وبتعبير آخر: التوكل أن يعتمد الإنسان على الله وما عنده، ويوصد أبواب القلب دون سواه، ويمكن أن نعني بهذا طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية.

يقول المرحوم «شهاب» معبرًا عن هذا المعنى:

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ في الأَمْرِ كُلِّه
فَمَا خَابَ حَقًا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلاَ
وَكُنْ وَاثِقًا بالله وَاصْبِرْ لِحُكْمِه
تَفُزْ بِمَا تَرْجُوهُ مِنْهُ تَفَضُّلاَ

وأعتقد أن سيدنا عمر رضي الله عنه أراد هذا المعنى في رسالته التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، جاء فيها: «أما بعد، فإن الخير كلّه في الرضا، فإن استطعتَ أن ترضى، وإلاّ فاصبر»(١).

ومن زاوية أخرى فالتوكل اسم للاعتماد على الله، وهو حال الناس عامة، والتسليم هو حال المتنبهين إلى الحياة القلبية والروحية، أما التفويض فهو عنوان عدم التعلق بالأسباب والتدبير، وهو حال أو مقام يخص أخص الخواص، فسالك الحق الذي يسيح في سماء التفويض، حتى لو كان منشغلًا ظاهرًا بالتدبير والأسباب، فهذا الاشتغال من ضروريات وجوده في دائرة الأسباب، ومن لوازم مأموريته تجاه الحق



* مفكر تركي

تعالى، إذ بخلاف ذلك لو اتخذ الأسباب مرتكزًا ومستندًا حقيقة، فإنه يتردى من مرتبة باز سماوي إلى دابّة حشرية تزحف على الأرض.

تذكر كتب المناقب الحادثة الآتية المتعلقة بهذه الملاحظة: أن أحد أولياء الحق لدى انفعاله الشديد في أثناء اتخاذه التدبير ضمن دائرة الأسباب، سمع هاتفا يهتف به:

لا تُدَبِّرْ لكَ أمْرًا

إنّ في التّدْبيرِ هَلْكَى

فَوِّضِ الأمْرَ إليْنَا

نَحْنُ أوْلَى لكَ مِنْكَا

فإن «ترك التدبير» الذي يعني التجرد من جَلَبة الأسباب وعدم فسح المجال للوسائط في القلب، عمقٌ عظيم، لا يطوله عامة الناس ولا يقدر عليه إلاّ الروّاد الأفذاذ الذين يستمسكون بعلاقتهم مع الحق سبحانه وهم بين الخلق.

إن عدم إعطاء التأثير الحقيقي للأسباب مع التوسل بها هو «توكلٌ» لعامة الناس، و«تسليمٌ» لمن انتبه إلى ما وراء حجب الأشياء، و«تفويضٌ وثقةٌ» لأهل السكينة والأمان كلٌ حسب درجته. وما ألطف ما يقوله الرسول الحبيب ﷺ عندما يربط الإرادة والجهد والعمل والتفويض والتوكل معًا: «لَوْ أنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٢).

وكل فرد يأخذ حظًّا من فهم هذا الكلام النبوي حسب درجته..

١- العوام يفهمون منه: الاعتماد على الله بمعناه العام. كما تشير إليه الآية الكريمة ﴿وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢) ويذكره مولانا الرومي مقتبسًا من الحديث الشريف:

كَرْ تَوكُل رَهْبَرْسْت

اين سَبَب هَمْ سُنّت پَيْغَمْبَرسْت

كُفت پَيْغَمْبَرْ بآواز بُلَنْدْ

بَا تَوكُّل زَانُوي اُشْتُر بِبَند(٣)

أي: مهما كان التوكل مرشدًا ودليلًا، فرعاية الأسباب سنة نبوية. فقد نادى الرسول ﷺ «اعقلها وتوكّل»(٤).

٢- أما الذين يمضون حياتهم في سفوح القلب والروح ويتبرّأون من حولهم وقوتهم مستسلمين إلى حول الله وقوته، فيفهمون منه: حال الميت بيد الغسّال، وتذكّرنا به الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣).

٣- أما الذين يجولون في ذرى الفناء في الله والبقاء بالله، فهؤلاء يفهمونه «تفويضًا» كسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قال: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ(٥)، أي علمُه بحالي يُغني عن سؤالي. أو يفهمونه «ثقة» كما هو الحال لدى مفخرة الإنسانية ﷺ الذي قال ﴿لاَ تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) في ثقة تامة واطمئنان بالغ حينما سقطت ظلال الأعداء على فم الغار وارتجت جنبات «ثور» بتهديداتهم الرهيبة التي أرعبت الجميع، والقرآن الكريم يبين هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

التوكل هو اتخاذ الفرد ربّه وكيلاً لمصالحه الدنيوية والأخروية

التفويض أسمى المراتب، والثقة أعلى المقامات، فمن بلغ هذه المرتبة وفّى هذا المقام حقه، لا يذوب بعقله ومنطقه وعقيدته، بل أيضا بجميع مشاعره الظاهرة والباطنة في أوامر الحق تعالى وإشعاراته، حتى يصبح مرآة مجلوة لله تعالى.

ولهذه المرتبة التي تفوق المراتب، أماراتها الخاصة بها، نذكر منها:

١- السكون والطمأنينة برؤية التدبير ضمن التقدير.

٢- العلم بأن إرادته ظلٌّ للإرادة الحقيقية والتوجه إلى الأصل.

٣- استواء القهر واللطف لديه وإبداء الرضا بجميع كيانه بالقضاء.

و«صاحب المنهاج» يرسم خطوط التفويض كالآتي:

وكَلتُ إلى المحبوب أمري كلّه

فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وكلام جميل آخر من «واصف اندروني»:

لابد أن سيظهر حكم القدر، ففوّض الأمر إلى الحق ولا تتألم ولا تتكدر

ومن أجمل ما قيل في التفويض هو ما قاله إبراهيم حقي في قصيدته «تفويض نامه»- رسالة التفويض- التي مطلعها:

الحق تعالى يجعل الشرور خيرات

لا تظنن يفعل غير ذلك

فالعارف يشاهده

لنرَ مولاي ما يفعل

ما يفعله هو الأجمل

كن متوكلا على الحق

وفوّض الأمر إليه تُرِح نفسك

كن صابرا راضيًا

لنرَ مولاي ما يفعل

ما يفعله هو الأجمل(٦).

ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

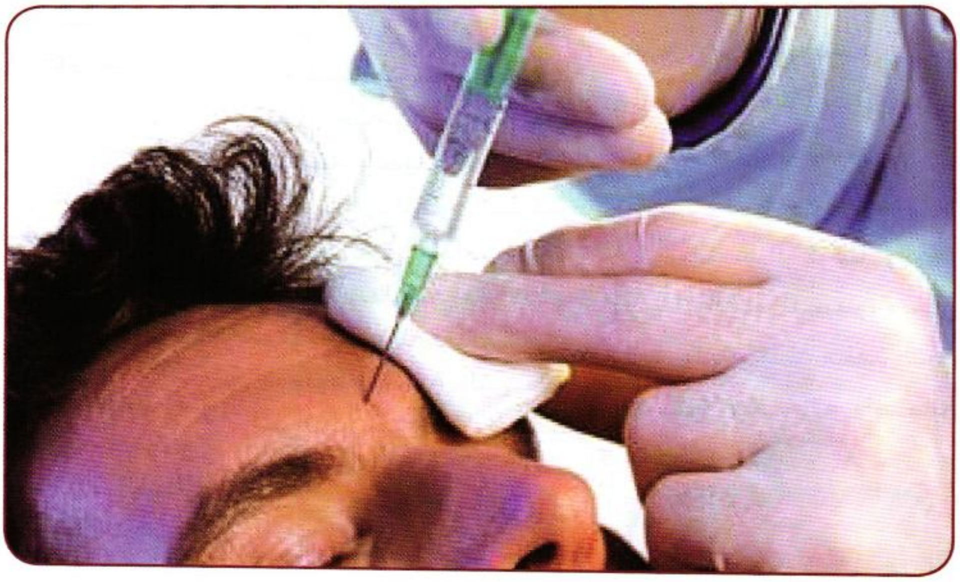
الهوامش

(١) مدارج السالكين لابن القيم، ٢/١٧٠.
(٢) الترمذي، الزهد ٣٣، ابن ماجه، الزهد ١٤، المسند للإمام أحمد، ١/٣٠،٥٢، كتاب الزهد لابن المبارك، ١٩٧ (والنص منه).
(٣) مثنوي معنوي لمولانا جلال الدين (فارسي)، ١/٥٠، باب: ٩١٢.
(٤) «جاء رجل على ناقة له، فقال: يا رسول الله هل أدعها وأتوكل؟ فقال: اعقلها وتوكل». (الترمذي، صفة القيامة ٦٠، الصحيح لابن حبان، ٢/٥١٠).
(٥) انظر: البخاري، تفسير القرآن آل عمران، شعب الإيمان للبيهقي ٢/٣٠، حلية الأولياء لأبي نعيم ١/١٩.
(٦) «معرفت نامه» لإبراهيم حقي (تركية)، ١/١٤٩.

جراحة التجميل

د.سيد حبيب

انتشرت في الأونة الأخيرة جراحة التجميل على نظام واسع واختلط الأمر على كثير من الناس وهل هي جائزة شرعاً أم مرمة؟ وما الفرق بين الجراحة التجميلية من أجل التداوي والجراحة االتجملية من أجل زيادة الجمال ؟ كل هذه الأمور مطروحة على بساط هذا البحث من خلال هذا الموضوع.



عناصر البحث

١-المراد بجراحة التجميل.

٢-أقسامها من حيث الحاجية والتحسينية.

٣-الحكم الشرعي لكل نوع وأقوال العلماء فيه مع الأدلة والمناقشة والترجيح.

٤-نقل فتاوى العلماء المعاصرين في ذلك.

أولًا: المراد بها

هي «جراحة تجري لتحسين منظر جزء من أجزاء الجسم الظاهرة أو وظيفته، إذا ما طرأ عليه نقص أو تلف أو تشويه» (١).

ثانيًا: أقسامها:

تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول: الجراحة الحاجية أو الضرورية، وهي جراحة تجميل بهدف التداوي والمعالجة الطبية: ويمكن تقسيم الداعي لفعلها إلى سببين:

السبب الأول: السبب الضروري، وهو جملة من الأسباب والموجبات التي يقصد بها إزالة عيب في خلقة، أو تشوه، أو تلف، أو نقص، لتوفر الضرورة التي تحفظ بها النفس من الهلكة.

السبب الثاني: السبب الحاجي: وهو جملة من الأسباب والموجبات التي يقصد بها إزالة العيوب والتشوهات، وذلك لتوفر الحاجة التي تلحق بالمكلف ضررًا حسيًا أو معنويًا، ولا تصل إلى حد الضرورة الشرعية.

والأطباء يصفون هذه العمليات بكونها ضرورية، ولا يفرقون بين الضرورة والحاجة التي لا تبلغ مقام الضرورة، ذلك أنهم ينظرون إليها بدافع الحاجة إلى فعلها.

وتنقسم العيوب (الحاجية أو الضرورية) إلى قسمين:

أحدهما عيوب خِلقية: وهي عيوب ناشئة في الجسم من سبب فيه، لا من سبب خارج عنه، ويشمل ذلك ضربين من العيوب، وهما:

الضرب الأول: العيوب التي ولد بها الإنسان، ومنها:

١- الشق في الشفة العليا (الشفة المفلوجة).

٢- التصاق أصابع اليدين والرجلين.

٣- انسداد فتحة الشرج.

٤- شذوذ الحويضة الخلقي، ومن أهمها ازدواج حويضة الكلية.

٥- شذوذ الحالب الخلقي (الازدواج الحالبي، ارتكاز الحالب الهاجر، الحالب خلف الوريد الأجوف، الحالب العرطل الخلقي، القيلة الحالبية).

الضرب الثاني: العيوب الناشئة من الآفات المرضية التي تصيب الجسم، ومنها:

١- انحسار اللثة بسبب الالتهابات المختلفة.

٢- أورام الحويضة والحالب السليمة.

٣- عيوب صيوان الأذن بسبب ما يصيبه من الأمراض، كالجذام والسرطان.

٤- دوالي الساقين الناشئة عن الوقوف طويلًا أو الحمل.

باحث شرعي في الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف الكويتية

الثاني: عيوب مكتسبة (طارئة).

وهي العيوب الناشئة بسبب من خارج الجسم، كما في العيوب والتشوهات الناشئة من الحوادث والحروق. ومن أمثلتها:

١- كسور الوجه الشديدة التي تقع بسبب حوادث السير.

٢- تشوه الجلد بسبب الحروق.

٣- تشوه الجلد بسبب الآلات القاطعة.

٤- التصاق أصابع الكف بسبب الحروق.

٥- زوال شعر الرأس بحادث، أو مرض(٢).

القسم الثاني: جراحة التجميل الاختيارية) التحسينية:

وهي جراحة التجميل بقصد الزينة، وهي ما تسمى بجراحة «تحسين المظهر، وتجديد الشباب!».

والمراد بتحسين المظهر: تحقيق الشكل الأفضل، والصورة الأجمل، دون وجود دوافع ضرورية أو حاجية تستوجب التدخل الجراحي.

وأما تجديد الشباب فهو إزالة آثار الهرم والشيخوخة، فيبدو الهَرِمُ شابًا فتيا!.

وتنقسم هذه العمليات إلى قسمين:

الأول: عمليات الشكل، ومن أشهر صورها:

١- تجميل الأنف بتصغيره، وتغيير شكله من حيث العرض والارتفاع.

٢- تجميل الذقن، وذلك بتصغير عظمها إن كان كبيرًا، أو تكبيره بوضع ذقن صناعية تلحم بعضلات، وأنسجة الحنك.

٣- تجميل الثديين بتصغيرهما إذا كانا كبيرين، أو العكس.

٤- تجميل الأذن بردها إلى الوراء إن كانت متقدمة.

٥- تجميل البطن بشد جلدتها وإزالة القسم الزائد بسحبه من تحت الجلد جراحيا.

التجميل الزائد من أجل زيادة الحسن محرم ولا يجوز شرعاً

الثاني: عمليات التشبيب (تجديد الشباب)، وتجرى لكبار السن، ومن أمثلتها:

١- شد تجاعيد الوجه واليدين والرجلين الناتجة عن فقدان مرونة الجلد، وقلة حيوية بعض خلاياه، فتبدو ثنيات خفيفة على سطح البشرة.

٢- تجميل الأرداف، وذلك بإزالة المواد الشحمية في المنطقة الخلفية العليا، أو المنطقة الجانبية من الأرداف ثم تشد جلدتها، ويهذب حجمها بحسب الصورة المطلوبة.

٣- تجميل الساعد، وذلك بإزالة القسم الأدنى من الجلد والشحم.

٤- تجميل الحواجب، وذلك بسحب المادة الموجبة لانتفاخها، نظرًا لكبر السن وتقدم العمر(٣).

ثالثًا: الحكم الشرعي لكل نوع وأقوال العلماء فيه مع الأدلة والمناقشة والترجيح

حكم النوع الأول: جراحة التجميل الحاجية أو الضرورية:

هذا النوع من الجراحة الطبية وإن كان مسمّاه يدل على تعلقه بالتحسين والتجميل إلا أنه يقصد به التداوي والمعالجة الطبية، وتوافرت فيه الدوافع الموجبة للترخيص بفعله، ومن ثم فإنه يشرع التوسيع على المصابين بهذه العيوب بالإذن لهم في إزالتها بالجراحة اللازمة. وذلك للأدلة التالية:

١- عموم الأحاديث التي تدل على مشروعية التداوي والمعالجة الطبية من سائر الأمراض، وما ذكر من الأمراض في جراحة التجميل بقصد التداوي داخل في هذا الجواز، سواء أكان السبب الداعي له ضروريا أم حاجيا، ومن هذه الأحاديث:

أ- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داء، إلاّ أنزل له شفاء»(٤).

ب- حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تداووا؛ فإن الله عز وجلّ لم يضع داء إلا وضع له دواءً، غير داء واحد؛ الهرم»(٥).

ج-قال جابر رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ كوى سعد بن معاذ في أكحله مرتين»(٦).

٢- يجوز فعل الجراحة الطبية إذا وجد سبب مبيح لفعلها، وجراحة التجميل بقصد التداوي داخلة فيها بجامع وجود الحاجة في كل.

٣- قياسً جراحة التجميل بقصد التداوي على جواز قطع العضو إذا وقعت فيه الآكلة، وقد نص الفقهاء على جوازه، بجامع وجود الحاجة في كلّ.

٤- أن هذه العيوب تتضمن ضررًا حسيا ومعنويا، وهو موجب للترخيص بفعل الجراحة، لأن «الضرر يزال» ولأنها حاجة، والحاجة تنزل منزلة الضرورة للقاعدة الفقهية القائلة إن: «الحاجة تنزل منزلة الضرورة، عامة كانت أو خاصة».

٥- ولأن في ترك التداوي في مثل هذه الحالات مشقة وعنتًا، والشريعة الإسلامية قائمة على اليسر، ودفع المشقة عن المكلف، وذلك للقاعدة الفقهية التي تنص على أن: «المشقة تجلب التيسير».

٦- ولأنه لا يعتبر التدخل الجراحي في مثل هذه الحالات تغييرًا للخلقة الإلهية التي دلت النصوص الشرعية على تحريم المساس بها، وذلك لما يأتي:

أ- أن هذا النوع من الجراحة وجدت فيه الحاجة الداعية للتغير، فأوجبت استثناءه من النصوص الموجبة للتحريم.

ب- أن هذا النوع من الجراحة لا يقصد به تغيير الخلقة عمدًا، إنما يقصد به التداوي، والتجميل جاء تبعًا.

وبناء عليه: فإنه لا حرج على الطبيب الجراح، ولا على المريض في فعل عمليات التجميل الحاجية بهدف التداوي والمعالجة.

ويعتبر جواز إزالة العيوب الخلقية

في هذا النوع مبنيًا على وجود الحاجة الداعية إلى فعله.

وأما العيوب الحادثة بسبب الحروق والحوادث ونحوها، فإنه تجوز إزالتها بدون ذلك الشرط، اعتبارًا للأصل الموجب لجواز مداواة نفس الحرق والجرح.. والله أعلم (٧).

ثانيًا :حكم عمليات التجميل الاختيارية (التحسينية):

هذا النوع من الجراحة محرم شرعًا؛ لأنه لا يشتمل على أسباب علاجية ضرورية أو حاجية، بل إن الغاية منه هو التجميل المحض، والعبث بالخلقة الإلهية، والتدليس، واتباع الشهوات والأهواء، والاستسلام لحبائل الشيطان، وذلك للأدلة التالية:

١- قوله تعالى-حكاية عن إبليس لعنه الله ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾ (النساء: ١١٩).

وجه الدلالة: أن الآية دالة على أن تغيير خلق الله من تزيين الشيطان وغوايته لأوليائه، وجراحة التجميل التحسينية تشتمل على تغيير خلق الله والعبث فيها حسب الأهواء والرغبات، فهي داخلة في المذموم شرعًا، وتعتبر من جنس المحرمات التي يسول الشيطان فعلها للعصاة من بني آدم.

٢- حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لعن الله الواشمات(٨)، والمستوشمات، والمتنمصات(٩)، والمتفلجات(١٠) للحسن المغيرات خلق الله تعالى...» (متفق عليه)(١١).

وجه الدلالة: أن الحديث دل على لعن من فعل هذه الأشياء، وعلل ذلك بتغيير الخلقة، وحقيقته جمع بين طلب الحسن، وتغيير خلق الله، وهذان المعنيان موجودان في جراحة التجميل التحسينية؛ لأنها تغيير لخلق الله تعالى بقصد الزيادة في الحسن والجمال دون وجود موجب طبي يبيح فعلها، فهي إذن داخلة في عموم اللعن، فكانت محرمة.

قال الطبري- رحمه الله-: «لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة، أو نقص، لالتماس الحسن لا للزوج ولا لغيره، كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما توهم البلج أو عكسه، ومن تكون لها سن زائدة فتقلعها، أو طويلة فتقطع منها، أو لحية أو شارب أو عنفقة فتزيلها بالنتف، ومن يكون شعرها قصيرا أو حقيرا فتطوله، أو تغززه بشعر غيرها، فكل ذلك داخل في النهي، وهو من تغيير خلق الله تعالى.. ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية، كمن يكون لها سن زائدة، أو طويلة تعيقها في الأكل، أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك»(١٢).

٣- قياس جراحة التجميل التحسينية على الوشم، والوشر (وهو تحديد الأسنان)، والنمص المنهي عنها، بجامع تغيير الخلقة طلبًا للحسن والجمال في كلٍّ.

٤- أن هذا النوع من الجراحة فيه تزوير للحقيقة، وغش وتدليس، فكان محرمًا.

٥- أنه يترتب على فعل هذا النوع من الجراحة ارتكاب بعض المحظورات، ومنها:

أ- استخدام المخدر في هذه العمليات، سواء كان عاما أو موضعيا، ومعلوم أن التخدير محرم إلا لضرورة، أو حاجة معتبرة شرعًا، وهذا النوع من الجراحة لا يصل إلى حد الضرورة، أو الحاجة المبيحة لتعاطي المخدر، فضلًا عن كون الهدف المقصود منها محرمًا شرعًا؛ فيكون التخدير حينئذ محرمًا.

ب- أن فعل هذا النوع من الجراحة يؤدي إلى كشف العورة، ولمسها، ومباشرتها لغير ضرورة، ويؤدي إلى معالجة الرجال للنساء، والعكس دون ضرورة طبية، وكل ذلك فاسد شرعًا.

٦- أن هذا النوع من الجراحة لا يخلو من أضرار ومضاعفات جانبية سلبية، فقد ورد في الموسوعة الطبية الحديثة(١٣) ما نصه: «...فعمليات التجميل الاختيارية غير محققة النتائج، ومن الخير ترك الإغراق في إجرائها، أو المبالغة في التنبؤ بنتائجها».



وبناء على ما تقدم من الأدلة النقلية والعقلية، ونظرًا لما يتضمنه هذا النوع من الجراحة من التغيير لخلق الله، والعبث بالنفس الإنسانية، والتساهل في صيانتها، والتعدي على كرامتها، دون وجود ضرورة أو حاجة طبية معتبرة، فإنه يحرم فعله والإقدام عليه من قبل الطبيب الجراح والشخص الطالب، وتعتبر الدوافع التي يعتذر بها من يفعله من كون الشخص يتألم نفسيا بسبب عدم تلبية رغبته بفعل هذا النوع من الجراحة غير كافية في الترخيص له بفعله.

والحق أن علاج هذه الأوهام والوساوس إنما هو بغرس الإيمان في القلوب، وزرع الرضا عن الله تعالى فيما قسمه من جمال المظهر والصورة، والمظاهر ليست هي الوسيلة لبلوغ الأهداف والغايات النبيلة، وإنما يدرك ذلك بتوفيق الله تعالى، ثم بالتزام شرعه والتخلق بالآداب ومكارم الأخلاق (١٤).

رابعا: فتاوى بعض العلماء المعاصرين

فتاوى العلماء المعاصرين متفقة على جواز النوع الأول من جراحة التجميل (الحاجية أو الضرورية) وتحريم النوع الثاني (جراحة التحسين)، وهذه بعض النقولات عنهم:

١- فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله: التجميل نوعان:

تجميل لإزالة العيب الناتج عن حادث أو غيره.. وهذا لا بأس به ولا حرج فيه، لأن النبي ﷺ «أذن لرجل قطعت أنفه في الحرب أن يتخذ أنفًا من ذهب».

والنوع الثاني: هو التجميل الزائد، وهو ليس من أجل إزالة العيب بل لزيادة الحسن.. وهو محرم ولا يجوز؛ لأن الرسول ﷺ «لعن النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»، لما في ذلك من إحداث التجميل الكمالي الذي ليس لإزالة العيب»(١٥).

٢- فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: التجميل المستعمل في الطب ينقسم إلى قسمين: أحدهما: تجميل بإزالة العيب الحاصل على الإنسان من حادث أو غيره، فهذا لا بأس به، ولا حرج فيه، لأن النبي ﷺ «أذن لرجل قطع أنفه في الحرب أن يتخذ أنفًا من ذهب»(١٦).

٣- لجنة الفتوى الكويتية: يجوز إجراء جراحة تجميل لتحسين أداء عضو من الأعضاء لوظيفته التي خلق لها إذا قصر من أداء وظيفته المعتادة (١٧).

٤-الشيخ جادالحق علي جادالحق: يجوز إجراء عملية جراحية لإبراز ما استتر من أعضاء الذكورة أو الأنوثة، بل إنه يصير واجبًا باعتباره علاجًا متى نصح بذلك الطبيب الثقة، ولا يجوز مثل هذا لمجرد الرغبة في تغيير نوع الإنسان من امرأة إلى رجل أو من رجل إلى امرأة (١٨).

٥-فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في رجل برز له ثديان، وسأل عن حكم عملية جراحية لإزالته. الجواب: يجوز لك إجراء عملية التجميل لإزالة هذا البروز إذا غلب على الظن نجاح العملية، ولم ينشأ ضرر يزيد على فائدتها أو يساويه(١٩).

هذا ما تيسر جمعه في هذه المسألة، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا وقدوتنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) انظر: الموسوعة الطبية الحديثة لمجموعة من الأطباء (٤٥٤/٣)، أحكام الجراحة الطبية للشيخ الشنقيطي ص ١٧٣.

(٢) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص (١٧٤-١٧٥)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٨٦)؛ الموسوعة الطبية الحديثة ص(٤٥٤).

(٣) انظر: أحكام الجراحة الطبية للشنقيطي ص(١٨١-١٨٣)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٩٧-١٩٨)، الموسوعة الطبية الحديثة ص(٤٥٤-٤٥٥)، أحكام جراحة التجميل للدكتور محمد عثمان شبير ص (٦٣-٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٧-١٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٨/٤) وزاد: «علمه من علمه، وجهله من جهله»، والترمذي في سننه (ح/٢٠٨٣) بنحوه، وقال: «حسن صحيح».

(٦) أخرجه ابن ماجة في سننه (ح/٣٤٩٤) وأخرجه مسلم بمعناه (ح/٢٢٠٨).

(٧) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص(١٧٥-١٧٧)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٨٧-١٨٩).

(٨) الوشم: هو أن يُغرزَ الجلدُ بإبرة، ثم يحشي بكحل أو نيل، فيزرقّ أو يخضر، وقد وَشَمَتْ تَشِمُ وَشما فهي واشمة، والمستوشمة التي يُفْعَل بها ذلك. النهاية لابن الأثير (٤١٦/٥).

(٩) المتنمصة: هي التي تطلب النماص، والنامصة التي تفعله، والنماص: إزالة شعر الوجه بالمنقاش، ويسمى المنقاش منماصا كذلك، ويقال: إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما. انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر(٣٧٧/١٠).

(١٠) المتفلجة: هي التي تطلب الفلج أو تصنعه، والفلج: انفراج ما بين الثنيتين، والتفلج: أن يفرج بين المتلاصقين بالمبرد ونحوه، وهو مختص عادة بالثنايا والرباعيات، ويستحسن من المرأة، فربما صنعته المرأة التي تكون أسنانها متلاصقة لتصير متفلجة، وقد تفعله الكبيرة توهم أنها صغيرة، لأن الصغيرة غالبا تكون مفلجة جديدة السن، ويذهب ذلك في الكبر.. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر(٣٧٢/١٠).

(١١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣٧٧/١٠).

(١٢) صحيح البخاري (ح/٥٩٣١)، صحيح مسلم(١٠٥/١٤).

(١٣) (٤٥٥/٣).

(١٤) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص(١٨٣-١٨٧)؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص(١٩٨-٢٠٢)؛ شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٠٢/١٤-١٠٧)؛ فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣٤٨/١٠ وما بعدها).

(١٥) فتاوى المرأة المسلمة، من فتاوى الشيخ ابن عثيمين، ترتيب: أشرف عبدالمقصود (٤٧٨/١-٤٧٩).

(١٦) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح بن فوزان (٣٣٨/٥).

(١٧) مجموعة الفتاوى الشرعية بالكويت (٣٢٥/٢).

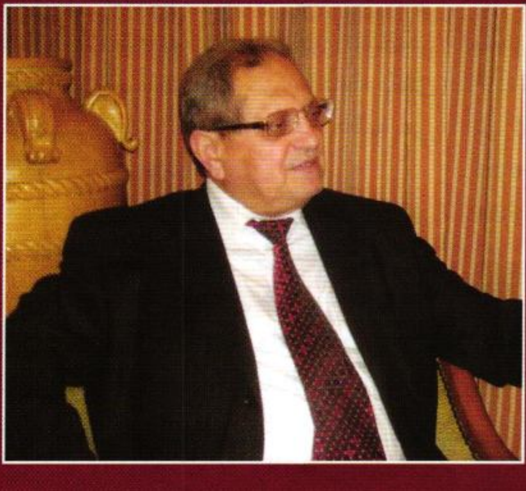
(١٨) فتاوى الأزهر(٣٧٨/٤).

(١٩) فتاوى إسلامية من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ص(٤١٣).

وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني د.عبدالسلام العبادي لـ «الوعي الإسلامي»:

الدين هو الذي يهذب السياسة

حوار: صابر رمضان



أكد وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأردني د.عبدالسلام العبادي أن الأمة الاسلامية بخير، لكنها تحتاج إلى جهود كثيرة مخلصة من أبنائها في مجالات عدة، خاصة في موضوع بناء الذات على مستوى بناء القوة والبناء الاقتصادي، ومتابعة الأجيال من الجانب التربوي والثقافي، وطالب بتحقيق اكتفاء ذاتي وتنمية شاملة، وأوضح العبادي أن التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي تجارة محدودة للغاية الى الآن ولاتتجاوز ٨ في المائة من إجمالي التجارة بهذه الدول مما يسبب ضعفا لاقتصاد الأمة، وأكد العبادي أنه لا عراك بين الدين والسياسة، شريطة ألا يكون الدين مطية لتحقيق مآرب سياسية، فالسياسة تكون في خطر دون الدين، فإذا كان السياسي بلا دين فلن ننتظر منه إلا سياسة ميكافيللية غير أخلاقية، وعن دور الأوقاف الأردنية في القدس أشار العبادي إلى أن دورها هو الدور الرئيسي في قضية المقدسات، وإدارة الوقف هناك ادارة أردنية كاملة تتبع وزارة الأوقاف الأردنية، وأشاد وزير الأوقاف الأردني بجهود دولة الكويت حكومة وشعبا في دعم مشروعات كثيرة في القدس الشريف، مثل دار الأيتام الاسلامية وغيرها من المشروعات، وثمن د.العبادي الدور الكويتي في دعم النشاطات الاسلامية سواء داخل الأردن أو فلسطين أو أي مكان آخر في العالم الإسلامي، «الوعي الاسلامي» التقت به.. واليكم نص الحوار:

• بداية.. ماذا عن رؤيتكم لواقع الأمة الإسلامية؟

- يا سيدي.. الأمة الإسلامية إن شاء الله بخير، نعم تحتاج إلى جهود كثيرة مخلصة في مجالات عديدة، خاصة في موضوع بناء الذات على مستوى بناء القوة والبناء الاقتصادي، ومتابعة الأجيال من حيث البناء التربوي والثقافي، لكن بحمد الله هناك جهود كبيرة على مستويات عديدة تحتاج إلى تفعيل وتعميق، وإن شاء الله يكون في ذلك خير كبير بعون الله تعالى.

• إذن.. ما أهم الآليات التي تراها لنهضة الأمة الإسلامية من عثراتها؟

- الأمة الإسلامية لابد أن يكون أي عمل لتحقيق نهضتها يغطي كل آفاق حياتها، لابد أولًا من البناء التربوي الثقافي الدقيق للأجيال، لابد من البناء الاقتصادي الشامل للمجتمعات، بمعنى أن نحقق اكتفاءً ذاتيًا ونحقق تنمية شاملة، وهذا يثير قضايا في غاية الأهمية في مجال التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية وما يسمى بالأسواق المشتركة وما يسمى بخطط التعاون الثنائي أو الجماعي في المجالات الاقتصادية، أيضًا على مستوى التكامل بكل ظروف الحياة بين أبناء الأمة الإسلامية، فمن الواضح على سبيل المثال أن التجارة البينية بين دول العالم الإسلامي تجارة محدودة للغاية، لا تتجاوز ٨٪ من تجارة هذه الدول، وفي تخطيط منظمة المؤتمر الإسلامي رفع هذه النسبة إلى ٢٠٪ ويعتبر هذا إنجازًا كبيرًا إذا استطاعوا تحقيقه، وغريب أن يكون هناك تفعيل لهذا الأمر بنسب أعلى من ذلك لكن حتى الوصول إلى نسبة ٢٠٪ فإنها تتعثر، فهناك آفاق واسعة لتحقيق نهضة بين الدول.

• كنت أمينا عاما لمجمع الفقه الإسلامي.. فماذا عن تقييمكم للمجامع الفقهية الإسلامية وما خطة هيكلة المجمع وتطويره إبان توليكم الأمانة العامة له؟

- لها دور كبير لكنها تحتاج إلى مزيد من التفعيل والتخطيط وإلى متابعة من أجل أن تحقق هذه المجامع ما أنيط بها من مسؤوليات، ومنذ أن توليت الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي قمت بوضع مشروع لتطويره لتحقيق المعنى الذي ورد في قرارات مؤتمر مكة الاستثنائي عام ٢٠٠٥، وقد نص على أن مجمع الفقه الإسلامي يجب أن يكون مرجعية فقهية للأمة وينص على أن من واجبه أن يقوم بعملية التعريف بالإسلام على أساس الوسطية والاعتدال، وأن يقوم أيضا بالتنسيق بين جهات الفتوى، وأن يقوم بمواجهة الفكر المتطرف، وأن يقوم بمهام عديدة نص عليها النظام الأساسي

الذي تم وضعه في عام ٢٠٠٦ ووافق عليه مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في «باكو» بأذربيجان، والخطة تقوم على ملاحظة كل القضايا والأهداف والوسائل التي نص عليها النظام الأساسي والتي وردت أيضًا في مؤتمرات القمة ومؤتمرات وزراء الخارجية، بحيث يصبح هذا المجمع مؤسسة مرجعية فقهية للأمة، ومؤسسة اجتهاد جماعي متقدمة تنظر في كل القضايا الحادثة التي تقع على مستوى الحياة المعاصرة، وأيضًا يتصدى لموضوع التنسيق بين جهات الفتوى، مثل كل ما يتعلق بالاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية، خاصة في ظل الأزمة المالية العالمية التي تنشب مخالبها في العالم كله، وقد اقترح لتحقيق هذا التنسيق ومحاربة فوضى الفتاوى أن يوضع على موقع الإنترنت إجابة كاملة لكل القضايا التي يسأل عنها المسلم بما يجعل مجموعا شاملا وعاما للفتاوى يكون الوصول إليه ميسرًا لكل من يرغب من خلال شبكة الإنترنت، وأيضًا تطبع هذه الفتاوى وتوزع على نطاق واسع، بالإضافة إلى إعداد المادة العلمية لمواجهة التطرف، والحوار الداخلي بين المذاهب الإسلامية بهدف ترسيخ وحدة الأمة والابتعاد عن أي مظاهر تؤدي للصراع بين أفرادها، بالإضافة إلى حوار الحضارة ومواجهة ما يسمى بـ «الإسلاموفوبيا» والطعون التي توجه لهذا الدين والرد عليها بأسلوب علمي وموضوعي، بالإضافة إلى التعريف بالصورة المشرفة لهذا الدين وكشف الممارسات الخاطئة التي ترتكب باسمه إلى غير ذلك من مشروعات وقضايا.

• ما مدى علاقتكم بمنظمة «الإيسيسكو» سواء على مستوى المجمع أو الوزارة؟

- علاقتنا متميزة مع منظمة الإيسيسكو سواء على مستوى مجمع الفقه الدولي الذي كنت أمينًا له، والآن على مستوى وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، وحقيقة أن «الإيسيسكو» مهتمة بالشأن الثقافي بكل أبعاده، مهتمة بالقدس، مهتمة أيضًا بموضوع الحوار «حوار المذاهب والحضارات» وبالتالي نقاط الالتقاء واسعة مع الإيسيسكو، وهناك تعاون مشترك، وكانت هناك اتفاقية موقعة بين مجمع الفقه الدولي وبين الإيسيسكو لكثير من مجالات العمل المشترك، وكان أمين عام مجمع الفقه الإسلامي رئيس المجلس الاستشاري العالي أو العالمي للحوار بين المذاهب الإسلامية، وبالتالي العلاقة مع الإيسيسكو عملية في غاية الأهمية وهي منظمة نشطة وفاعلة وتحظى برئاسة وإدارة د.عبدالعزيز التويجري وهو من الشخصيات العلمية المتميزة في هذا المجال.

التنمية تقتضي توطين التكنولوجيا والمعرفة في بلاد المسلمين

• الأردن يقع على عاتقه أن يحمل القدس وحده.. فهل هناك تعاون بين وزارة الأوقاف الأردنية ووزارات الأوقاف الإسلامية في إطار عملية عدم هدم المسجد الأقصى؟

- أولًا.. قضية القدس هي قضية إسلامية عالمية، والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الأعظم عليه صلوات الله ومعراجه إلى السموات العلا، ولذلك هي همٌّ وشأن إسلامي عام، ومن هنا الأردن يرحب بكل دعم وبكل مؤازرة وبكل مساعدة في هذه القضية، وقد دعم هناك لجنة دولية للقدس تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي يرأسها صاحب الجلالة ملك المغرب محمد السادس ولها نشاطات وفعاليات، وهناك بيت مال القدس له نشاطات في القدس ونحن في وزارة الأوقاف الأردنية ننسق مع هذه الجهات ومع أية جهة تريد أن تخدم القدس والأقصى لذاتهما وليست لأغراض دعائية أو سياسية، إنما بقصد دعم صمود الأهل هناك ودعم المحافظة على المسجد وعلى وجهها العربي الإسلامي للمدينة.

• وماذا عن دور وزارة الأوقاف الأردنية في حماية المقدسات الإسلامية في القدس؟

- دور وزارة الأوقاف الأردنية في القدس هو الدور الرئيسي في قضية المقدسات، وإدارة الوقف هناك إدارة أردنية كاملة تتبع وزارة الأوقاف الأردنية، فهناك ما يقرب من ستمائة موظف من مختلف التخصصات بدءًا من حراس المسجد الأقصى وأئمته وأئمة المساجد في القدس الشريف والوعاظ في التربية والتعليم التابعة للأوقاف وما يتعلق برعاية الأيتام في المدارس إلى العناية بالآثار والمخطوطات الإسلامية، كل هذه أمور تقوم بها إدارة الأوقاف الإسلامية في القدس التابعة مباشرة لوزارة الأوقاف الأردنية، وهذا- كما نعلم- موقوت بما يتعلق بوضع القدس النهائي، فإذا أعيدت القدس إلى أحضان السلطة لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية، عند ذلك كل هذه الأمور ستسوى بين السلطة والمملكة الأردنية الهاشمية، لكن في هذه المرحلة وضع القدس مؤجل إلى محددات الوضع النهائي وفق الاتفاقيات الموقعة من قبل السلطة ومنظمة التحرير الفلسطينية، فاستقر الوضع على أن الدور الأردني مستمر في القدس للمحافظة على الهوية العربية الإسلامية للمدينة ولحماية المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

• هل هناك تعاون بين وزارة الأوقاف الأردنية والأوقاف بدولة الكويت من أجل الحفاظ على المقدسات الإسلامية في مختلف البلاد العربية والإسلامية؟

- هناك عدد من المشاريع في القدس الشريف التي تقوم بها الأوقاف الإسلامية الأردنية نشطة وفيها خير كثير ويدعمها الإخوة في الكويت، على سبيل المثال في دار الأيتام الإسلامية الصناعية هناك كثير من الأيتام يكفلون من المؤسسات الكويتية،

وهذا أمر يحمد لهم، وهم باستمرار لا يقصرون في دعم النشاطات الإسلامية سواء داخل الأردن أو في فلسطين أو في أي مكان آخر في العالم الإسلامي.

• هل المنظمات والمؤسسات الإسلامية الآن تقوم بدورها المنشود في خدمة قضايا الدعوة الإسلامية؟

- يا سيدي.. هي تعمل كثيرًا من الإنجازات لكن الجهد الذي يبذل مازال يحتاج إلى تفعيل وتخطيط وبرمجة وانفتاح بلغة يفهمها المجتمع المعاصر، وبالتالي لابد من استخدام وسائل العصر في الاتصال مثل الشبكة العنكبوتية والفضائيات وبلغة تخاطب العقل المعاصر، ولابد أن ننتبه وأن نفرق بين المسلمين والدعوة للمجتمع الإنساني، ولكل مقام مقال، وخاطبوا الناس على قدر عقولهم، وكل هذه قضايا تتطلب منا أن نضع برامج وخططًا لعملية مخاطبة المجتمع المعاصر، وهذا يقتضي منا أن نتقن لغاتهم، وهو ما دعانا إليه ديننا، وأن نعرف المجتمعات المعاصرة فكيف نريد أن تخاطب هذه المجتمعات دون أن نعرف حقيقتها، وأيضًا أن نكون واعين لأحكام الشريعة، وأن هذه الشريعة جاءت لخير الإنسانية، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

• ما رأيك في المنظمات الإسلامية التي تعنى بالتراث على وجه التحديد؟

- هي تقوم بجهود كبيرة لكن لابد من دعمها ولابد من إثراء مسيرتها، فمن الواضح أن آفاق العناية بالتراث الإسلامي آفاق واسعة، أولًا لابد من إحياء هذا التراث، فعيب أن كثيرًا من مخطوطاتنا مازالت مخطوطة وكثيرا من آثارنا مهدد في كثير من بلاد الدنيا، لابد في الواقع أن نسعى- خاصة في القدس الشريف- إلى تعاون عربي إسلامي دولي لدعم كل جهة تريد أن تؤدي دورًا في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي.



رئيس التحرير يصافح الوزير العبادي في إحدى الندوات

مشاريع عديدة بالقدس تدعمها الأوقاف الكويتية...وتعاون أردني كويتي مشترك

• د.العبادي هناك من يدعو إلى عزل الدين عن السياسة منعا- كما يعتقدون- للصراع والعراك بينهما.. فماذا تقول؟

- نحن ضد استخدام الدين لأغراض سياسية، بمعنى أن يكون مطية لتحقيق مآرب سياسية، لكن الدين لا يمكن فصله عن السياسة، وسياسة بدون دين في خطر أن تصبح غير أخلاقية، فالدين هو الذي يهذب من السياسة ويوجهها التوجيه السليم، خاصة أن شريعتنا تعنى بالجانب السياسي في الحياة الإنسانية، كما تعنى بالجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي، ولذلك نحن لسنا مع فصل الدين عن السياسة، نحن ضد استغلال الدين لأغراض سياسية، وفرق بين الأمرين، لأنه إذا كان السياسي دون دين فماذا تنتظر منه غير سياسة ميكافيللية غير أخلاقية، والغاية تبرر الوسيلة، والواسطة، وعند ذلك ستنهار المجتمعات الإنسانية، ولن يضبطها إن كان في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي إلا قواعد الدين الضابطة للسلوك الإنساني والتي تحرص على القيم والأخلاق في العلاقات الإنسانية.

• هناك عقول إسلامية وعلمية فذة مهاجرة احتضنها الغرب ولم تحسن الأمة الإسلامية الاستفادة منها كيف يمكن الاستفادة من علمائنا لنهضة الأمة الإسلامية؟

- التحدي الأكبر لتحقيق التنمية في العالم الإسلامي هو توطين التكنولوجيا والمعرفة في بلاد المسلمين، وهذا يقتضي جهودًا كبيرة، أولًا يقتضي ان ندرس العلوم بلغاتها، باللغات الإسلامية وليس فقط أسلمة العلوم إنما تدريسها بلغاتها، فأنا أقول إن العلوم مسلمة بطبيعتها مادامت تتحدث عن القوانين التي صنعها الله عز وجل، فهي مستسلمة لله، المهم أن نوظفها التوظيف السليم لخيرنا وخير الإنسانية، وهذا يجعل للعلوم في بلادنا ميزة أنها موظفة للخير وللمصلحة الإنسانية، وبالتالي من الأمور المهمة الملحة توطين التكنولوجيا حتى لا نظل تبعًا ولا نظل مستجدين للمعرفة العلمية، يجب أن توطن المعرفة العلمية، وبالتالي تستفيد من الطاقات الموجودة في العالم كل بلاد العرب والمسلمين والتي تخدم في المجتمعات الغربية، نستفيد منها في توطين التكنولوجيا وفي توطين المعرفة المعاصرة في بلادنا، وبالتالي نقود البحث بلغتنا، وهذا ما فعلناه عبر التاريخ، هضمنا إنجازات الحضارات السابقة ونقلناها إلى العربية ثم أبدعنا في فهمها وفي تحصيلها وفي إثرائها والزيادة عليها.

الرقية بين الحلِّ والحرمة

مما لا ريب أنَ التداوي بالقرآن الكريم، وبما صحّ عن رسول الله ﷺ من الرُّقى النَّبوية هو العلاج النافع المبارك، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصّلت:٤٤)، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء:٨٢)، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧).

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، غير أنه ليس كلُّ أحد يُوفّق للاستشفاء بالقرآن، إلا إذا أحسن المريض التداوي به بصدق وإيمان، وقبول تام وإذعان، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن الدلالةُ على علاجه، لمن رزقه الله فهمًا لكتابه وبصيرة فيه، وأمراض القلوب نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت:٥١)، وأما أمراض الأبدان، فقد أرشد القرآن العظيم إلى أصول طبّها وقواعده.

ولو أحسن العبد التداوي بالقرآن لرأى لذلك تأثيرًا عجيبًا في الشفاء العاجل الأكيد، يقول ابن القيم: (زاد المعاد:٤/١٧٨، والجواب الكافي، ص:٢١): «لقد مرّ بي وقتٌ في مكة سَقُمْتُ فيه، ولا أجد طبيبا ولا دواء؛ فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأها عليها مرارا، ثم أشربها، فوجدت بذلك البُرْء التامّ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع؛ فأنتفع به غاية الانتفاع، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما فكان كثير منهم يبرأ سريعا».

إعداد : التحرير



الرقية.. ضوابط وحدود

التحرير

لاشك أن الرقية جائزة؛ فقد ثبت أن جبريل عليه السلام رقى رسول الله ﷺ وثبت كذلك أن رسول الله ﷺ رقى بعض أصحابه رضي الله عنهم.

قال الخازن في تفسيره: «وأما الرّقى والتّعاويذ فقد اتفق الإجماع على جواز ذلك إذا كان بآيات من القرآن، أو إذا كانت وردت في الحديث، ويدل على صحته الأحاديث الواردة في ذلك، منها حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن جبريل رقى النبي ﷺ، ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين. أفأسترقي لهم؟ قال: نعم فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» (أخرجه التّرمذي وقال: حديث صحيح).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يتعوذ ويقول: أعوذ بالله من الجان، وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما» (أخرجه التّرمذي وقال: حديث حسن غريب).

فهذه الأحاديث تدل على جواز الرّقية، وإنما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر أو شرك، أو ما لا يعرف معناه مما ليس بعربي، لجواز أن يكون فيه كفر والله أعلم» (تفسير الخازن ج ٦ / ص ٣٣٣).

كما ورد أن النبي ﷺ كان عندما يريد النوم يجمع يديه وينفث فيهما، ويقرأ آية الكرسي والمعوذتين والكافرون والإخلاص ثلاث مرات، ثم يمسح بهما ما أقبل من جسده، يبدأ بوجهه وعنقه وصدره وبطنه ورجليه، فلما مرض كانت عائشة- رضي الله عنها- تقرأ بها وتنفث وتمسح بيده الشريفة رجاء بركتها.

وورد أن بعض الصحابة رقى لديغًا بالفاتحة فبرئ، فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أنها رقية»، وكان أيضًا يتعوذ ويقول: «أعوذ بالله من الجان، ومن عين الإنسان ثم استعمل المعوذتين»، وكان يرقي بقوله: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

ونهى عن الرقية الشركية وعلَّم بدلها: «اللهم رب الناس أذهب الباس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا»، ومن ذلك أن يقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر كل ما خلق، ومن شر شيطان وهامة ومن شر عين لامة، ومن شر مخلوقات الله كلها عامة»، وقال: «إذا اشتكى أحدكم فليضع يده على موضع الألم وليقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، ونحو ذلك. (الفتاوى الذهبية، ص: ٢٩).

واختلف الفقهاء في الحكم التكليفي للرُّقى، فذهب الجمهور إلى جواز الرَّقي من كل داء يصيب الإنسان.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: «لا بأس أن يُرْقىَ الرَّجُل بكتاب الله وما يُعرف من ذكر الله» (الأم).

وسُئل مالك عن الرقي بالأسماء الأعجمية فقال: «وما يدريك أنها كفر؟».

ومقتضى ذلك أن ما جُهل معناه لا يجوز الرقية به مخافة أن يكون فيه كفر أو سحر أو غير ذلك.

وقال قوم من العلماء: لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة، لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: «لا رقية إلا من عين أو حمى».

وذهب غيرهم إلى كراهة الرقي إلا بالمعوذات. وفرّق قوم من العلماء بين الرقي قبل وقوع البلاء وبعد وقوعه، فقالوا: المنهي عنه من الرقي هو ما يكون قبل وقوع البلاء، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه.

والذي عليه جمهور أهل العلم أن الرُّقى تجوز بشروط ثلاثة:

أولها: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ثانيها: أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته.

فالرقية منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، ومنها ما هو مباح، ومنها ما هو مستحب، وقد يكون منها ما هو واجب، وهو: ما يعلم أنه يحصل بها بقاء النفس لا بغيرها، كما قد يحدث لبعض المسحورين أو بعض من ابتلي بصرع العفاريت أو بالعين، أو حتى ببعض الأمراض التي تصيب الأبدان كلدغات الحيات وغيرها، والتي



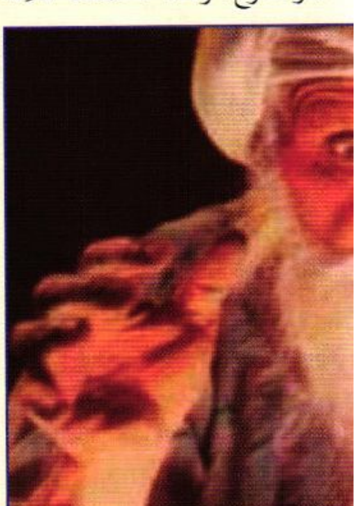
إن لم يتعالج الناس منها هلكوا، لقوله ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه، فلينفعه» (رواه أحمد).

قال المناوي: «قال في «الفردوس: فلينفعه، يعني بالرقية: أي على جهة الندب المؤكدة وقد تجب في بعض الصور» (فيض القدير).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن رقية الناس بدفع الجنّ وإخراجها من جسومهم: «فإذا عرف الأصل في هذا الباب فنقول: يجوز بل يستحب وقد يجب أن يُذبّ عن المظلوم وأن يُنصر، فإن نصر المظلوم مأمور به بحسب الإمكان..»، وذكر الأحاديث المتعلقة بنصر المظلوم. وقال: «وهذا من أعظم الجهاد».(مجموع الفتاوى)

حكم الاسترقاء

أما الاسترقاء: وهو طلب الرقية، فقد اختلفوا أيضا في حكمه، وقبل أن نسرد أدلة كل فريق، يحسن أن نأتي على الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وقد تضمنت ثلاثة



ثبت أن جبريل عليه السلام رقي الرسول ﷺ وأن الرسول رقى بعض أصحابه رضى الله عنهم

أنواع، وهي:

١- الأمر: لحديث عائشة- رضي الله عنها- أنّ رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين؛ وفي لفظ: أمرني أن أسترقي من العين؛ وقوله: «استرقوا لها فإنّ بها النظرة»، وقوله: «فهلاّ استرقيتم له من العين».

٢- الإباحة: لحديث أبي خزامة عن أبيه قال: «سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أرأيت رقىً نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: «هي من قدر الله» (رواه أحمد).

٣- النهي: لحديث النبيّ ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يسْتَـرْقُون، ولا يتطيّرون، ولا يكْتَوُون، وعلى ربهم يتوكلون» (البخاري)، وفي لفظ لمسلم زيادة مختلف فيها: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون» (مسلم).

ذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن «لا يرقون» مقحمة في الحديث، وهي غلط أو وهم من بعض الرواة، وحكم الشيخ الألباني رحمه الله بشذوذها في مختصره لمسلم، وأجاب ابن حجر وغيره بأن هذه الزيادة من ثقة، و زيادة الثقة مقبولة.

فأما الذين ذهبوا إلى كراهة الاسترقاء وهم جماعة من أهل الأثر والفقه كسعيد بن جبير، وابن تيمية وغيرهم رأوا بأن الاسترقاء:

١- يقدح في كمال التوكل على الله تعالى، لما فيه من الاحتياج إلى الغير فيما الفائدة فيه مظنونة غير راجحة، أي ان البرء بالاسترقاء والاكتواء أمر موهوم، خلافا لسائر أنواع الطب.

٢- وسؤال المخلوق وإنزال الحوائج به دون الخالق، وقد ورد ذمّ المسألة إلاّ فيما تسوغ فيه كطلب العلم وغيره

و أما من ذهب إلى أن الاسترقاء الوارد في الحديث لا كراهة فيه، فلاعتبار أن علة النهي هي نفس العلة المتعلقة بالرقى غير المشروعة، أي من جهة خلو الرقية من كل محذور شرعي، ومن جهة اعتقاد الطالب فيها أن الشفاء ليس بذاتها استقلالا.

وأكثر العلماء يسوون في حكم الرقية والاسترقاء بالشروط المذكورة سابقا.

والأجمع في هذا الموضوع أن يقال بأن الاسترقاء يحرم إذا كان يُعتقد بأن الشفاء من غير الله، أو يتم التعلق بالأسباب دون مسببها.

أو أنه يكره إذا وقع في قلب المسترقي، قبل إقدامه على الاسترقاء، شيء من الاتكال على السبب فخشي أن يكل نفسه إلى الرقية أو إلى شخص الراقي.

أما إذا انتفت هذه الموانع، وأيقن الطالب للرقية أن تعاطيه للأسباب لا يؤثر في قضاء الله وقدره، فحينئذ يشرع له الاسترقاء من غير كراهة، بل إن لها مزايا حسنة منها:

١- أن الراقي يربط المسترقي بالله العظيم، فيأمره بالمحافظة على الطاعات والبعد عن المحرمات، والاقتراب من رب الأرض والسموات.

٢- ينتشر مبدأ التكافل بين المسلمين، وذلك عندما لا يقبل الراقي على العلاج أجرًا من غني ولا فقير.

٣- القضاء على الخرافات والشعوذة، وذلك عندما يلتزم الراقي بما صح عن النبي ﷺ.

إلا أننا نجد اليوم بعض الشباب الذين لم تستو سوقهم في الاستقامة، ولم ينضج علمهم في الفقه، قد امتهنوا الرقية، وأخذوا يعالجون بالقرآن، متشبهين بالإمام أحمد وابن تيمية، رحمهما الله، وهم لم يتموا حفظ القرآن بعد، فضلًا عن غيره من أمور دينهم، وغاية أمر أحدهم أنه حفظ الرقية، أو قرأ كتابًا في هذا الفن، ثم بدأ يعالج، فإذا بهم يقعون في المحظور وهم لا يدرون، لجهلهم، فانتشرت البدع في علاجهم، وكثرت الخرافات.

ومما يُؤسَفُ له أن الرقية اليوم صارت حرفة بعض القراءة يُستعان بها للوصول إلى الغنى السريع، والربح الوفير، حتى أصبحت ثروة هؤلاء من عقارات وسيارات وأملاك هائلة.

وتحوَّلت الرقية في كثير من ديار المسلمين إلى «صناعة» تُسلبُ من خلالها أموال الناس بالباطل، وأصبحت أقربَ إلى

السحر والشعوذة، في ظلِّ غياب ضوابطها وإهمال شروطها.

إنَّ ما يحدث في مجتمعاتنا من خرافات وخزعبلات يرتكبها بعض الجهلة باسم العلاج بالقرآن هو أشد ما يكون بعدًا عن الرقية الشرعية.

وفي دراسة متأخرة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في إحدى الدول العربية أثبت أنَّ نسبة ٧٤ ٪ من سكان الريف، و١٥ ٪ من سكان المدن يؤمنون رغم اختلاف فئاتهم العمرية والثقافية والاجتماعية، بأن ما يُعرف عندهم بـ «السحر الأسود» قادر على أن يفعل أي شيء في أي وقت، وأن ٦٣٪ من الرجال والنساء يخشون السحر واستحضار الأرواح، و٢٨ ٪ منهم من المثقفين!، و ١١٪ من مشاهير الرياضة والفن والسياسة.

وخلال ٦ أشهر فقط وقعت أكثر من ٦٠٠ جريمة هتك عرض، وقتل، ونصب واحتيال، جميعها متصلة بالدجل والشعوذة وفك السحر، وكلهم يدعون أنهم يعالجون بالقرآن، وتنفق في هذا المجال المليارات سنويا.

فمِن هؤلاء الرقاة مَنْ قرأ على وعاء كبير من الماء وباعه لعدد كبير من المرضى القادمين إليه بأسعار عالية جدًا.

ومنهم من طبع أوراقًا وصمم أختامًا كتب عليها بعضًا من الآيات ليريح نفسه من عناء الكتابة باليد.

ومنهم من اقتنى في «متجره القرآني» آلة تصوير لتريحه من عناء تكرار الوصفة العلاجية، في حين يبيع هذه الوصفة «المصَوَّرة» بمبالغ كبيرة.

الرقية منها ما هو محرم وما هو مكروه وما هو مباح وما هو مستحب وقد يكون منها ما هو واجب

ومنهم من فتح لنفسه مكتبًا وأثثه بالمكاتب ذات النقوش القديمة، وفي ركن منه صيدلية للأعشاب عُولجت بطريقة معينة، ووضعت في قوارير، وكُتبَ عليها: «أعشاب للصرع»، وأخرى «أعشاب لمعالجة البرود الجنسي»، وأخرى «لمرض المفاصل»، وغيرها، كما لوحظ في صدر مكتبه لوحة مزخرفة على خشب معَتَّق كُتبَ عليها: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (الإسراء: ٨٢).

ومنهم من نصب نفسه طبيبًا استشاريًا، وطبع عددًا من الكروت، منها مخصص للمواعيد وأخرى للانتظار، ومن ثم يجب على المريض المرور على المشخص الأول، وبعدها يحيله إلى القارئ الأكبر «الطبيب الاستشاري».

ومن الإنصاف ألا نبخس الحقوق، فهناك عدد من القراء الذين تميزوا بالتقى والورع والخوف من الله سبحانه وتعالى، ومراعاة الأصول الشرعية، والأصول الفقهية للرقية الشرعية.

وحول انتشار هذه الظاهرة، يقول العلامة د. عبدالله بن بيّه: «مما لاشك فيه أن القرآن شفاء لما في الصدور، فهو يعالج النفوس كما تعالج به الأبدان كما جاء في الحديث الصحيح.

ومن الملاحظ أن هذه الظاهرة (العلاج بالقرآن) لم تنتشر في صدر الإسلام ولم يكن هناك رقاة معروفون، والمطلوب ليس نفي العلاج بالقرآن، ولكن نفي مهنية العلاج، دون مؤهلات ودون ترخيص شرعي.

والصحيح أن يقرأ الإنسان لنفسه، أو يقرأ له أحد أقربائه، ولكن أن يجعلها القارئ مهنة ويصبح صاحب دعاية وأحوال فهذا مرفوض، والمطلوب من العامة العلم والمعرفة حتى لا يختلط الطيب بالخبيث».



وقد عرَّفَ رئيس دار الرقية الشرعية بجدة الشيخ عبدالعزيز الحمدان الشعوذة بأنها لون من ألوان الدجل والسحر يدعي فيها المشعوذ علمه بالغيبيات، وقدرته على صنع الأعاجيب، بما في ذلك من بطلان وكفر لأنه شرك بالله.

وقال: إنَّ الحالات الاجتماعية من زواج وطلاق وخلافات زوجية هي في مجملها الحالات التي يتعامل معها المشعوذون ببراعة، مستغلين ما يقع فيه الإنسان من ضيق وأزمات نفسية ليزيدوا من ضغطهم وسيطرتهم.

وعلى الراقي ألا يجعل همه الأكبر وقصده الأعظم الكسب المادي من الرقية، فيستغل ضعف الناس وحاجتهم إلى الرقية فيرهق كواهلهم بطلب المال الكثير على الرقية، فإنه إن فعل ذلك فربما تمادى به الأمر إلى أن يخرج الرقية عن حقيقتها ومغزاها، فتفقد بذلك شرعيتها وأصلها، وتنقلب إلى مهنة تكسب دنيوية كغيرها من المهن، فقد يزول من قلب الراقي الإخلاص فيها لله وحب النفع والإحسان للخلق، ويحل محل ذلك حب نفع النفس وجلب المال لها بواسطة هذه الرقية.

الرقية الشرعية.. حكمها وكيفيتها

محمد الهنداوي

الرقية لغة اسم من الرقي، يقال رقى الراقي المريض يرقيه.
قال ابن الأثير: الرقية العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات لأنه يعاذ بها، ومنه قوله تعالى: ﴿وقيل من راق﴾ (القيامة: ٢٧) أي من يرقيه، تنبيها على أنه لا راقي يرقيه فيحميه، ورقيته رقية أي عوذته بالله، والاسم الرقيا، والمرة رقية، والجمع رقى.

بعض الفقهاء عرّف الرقية بأنها ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء.

وقد تعددت صور الرقى عند الناس، ومنها ما أباحه الشرع ومنها ما حرمه (كالتميمة والودعة والتولة والتفل والنفخ والنشرة والرتيمة) وغير ذلك من المسميات.

الحكم التكليفي للرقية

يختلف الحكم باختلاف ما تتخذ منه الرقى والتعاويذ وتنقسم الى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما لا يعقل معناه، ومنه ماكان يرقى به في الجاهلية، فذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يجب اجتنابه بلا خلاف، لما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على امرأته، وفي عنقها شيء تتعوذ به، فجبذه، فقطعه، ثم قال: لقد أصبح آل عبدالله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»، قالوا: يا أبا عبدالرحمن، هذه الرقى والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن.

ولاشك أن هذا الوعيد محمول على ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من تعليق خرزة أو غير ذلك من التمائم ويعتقدون أنها ترد عنهم الآفات، فذهب الجمهور الى أن الرقي من كل داء يصيب الانسان لابد أن تتحقق فيه شروط ثلاثة:

١- أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

٢- أن يكون باللغة العربية أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته لما روى عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كن نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك».

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: «ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه».

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقى فقال: «لا بأس إن رقى بكتاب الله أو بما يعرف من ذكر الله».

وسئل مالك عن الرقي بالأسماء العجمية فقال: وما يدريك أنها كفر؟

ومقتضى ذلك أن ما جهل معناه لا يجوز الرقية به مخافة أن يكون فيه كفر أو سحر أو غير ذلك.

واختلف العلماء في حكم النفث وغيره فمنعه قوم وأجازه آخرون.

قال النووي: قد أجمعوا على جوازه، واستدل المجيزون بما روته السيدة عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، كان ينفث في الرقية، أخرج البخاري ومسلم: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلت انفث عليه وأمسحه بيد نفسه، لأنها أعظم بركة من يدي».

حكم النشرة

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة الى أنها جائزة، وهو قول سعيد بن المسيب وعائشة رضي الله عنها حيث كانت تقرأ بالمعوذتين في إناء، ثم تأمر ان يصب على المريض.

- وذهب ابن عبدالسلام من المالكية الى أنها حرام. وهو قول الحسن، ومجاهد، وابراهيم النخعي وقال: أخاف أن يصيبه بلاء، لما روي عن النبي ﷺ: «إن النشرة من عمل الشيطان». أخرجه أبو داود وحسنه ابن حجر في الفتح.

- القسم الثاني: ما كان تعويذا بكلام الله تعالى أو بأسمائها، فذهب جمهور العلماء إلى أن الاسترقاء بذلك جائز، وقال السيوطي: وهذا الجواز مقيد بالشروط الثلاثة التي ذكرت سابقا.

واحتج المجوزون بأحاديث منها:

- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس أذهب الباس، وأشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما.

- ومنها ما أخرجه مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم، فقالوا: يا رسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: «ما أرى بها بأسا، فمن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل».

- وقال الشعبي وسعيد

• باحث دراسات إسلامية

بن جبير وقتادة: تكره الرقى، والواجب على المؤمن أن يترك ذلك اعتصاما بالله وتوكلا عليه، واحتجوا بما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس ان النبي ذكر أوصاف الذين يدخلون الجنة بغير حساب فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون».

- القسم الثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك مقرب أو معظم من المخلوقات كالعرش، قال الشوكاني بكراهته، وهذا ما عليه علماء الأمة، وقال القرطبي، تركه أولى، إلا أن يتضمن تعظيم المرقي به، فينبغي أن يجتنب، كالحلف بغير الله.

كيفيتها

إذا عدنا الى كتب السنة وجدنا ان الرقية لها كثير من الصيغ المأخوذة من كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله ﷺ، وما أقره عليه الصلاة والسلام من الرقى التي كانت منتشرة بين أصحابه، ويرافقها كثير من الهيئات المأثورة مثل: «النفث والمسح باليد على مكان الألم، واستعمال الريق والتراب»، وإليك بعضًا من الأحاديث التي تبين لنا ذلك:

من رسائل الرقية النفث والمسح باليد على مكان الألم واستعمال الريق والتراب

الرقية بفاتحة الكتاب

- أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من اصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبينما هم كذلك اذ لدغ سيد اولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلًا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي فسألوه فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية؟ خذوها واضربوا لي بسهم».

الرقية بالمعوذات

- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها.

قال معمر: سألت الزهري: كيف ينفث؟ قال: ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

- أخرج الترمذي وحسنه والنسائي من حديث أبي سعيد: «كان رسول الله يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها». وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل يدل على الأولوية، ولاسيما ثبوت التعوذ بغيرهما.

التعوذ بكلمات الله التامات

- روى البخاري في أحاديث الأنبياء، عن ابن عباس أن النبي ﷺ «كان يعوذ الحسن والحسين بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة».

- الترمذي من حديث خولة بنت حكيم مرفوعا: «من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يتحول».

رقي العين

- أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «العين حق».

- أخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت: أمرني رسول الله أو أمر أن يسترقى من العين.

- أخرج البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير عن زينب ابنة أبي سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة».

- أخرج الترمذي وصححه والنسائي من طريق عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس أنها قالت: يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: نعم.

- وأخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: رخص رسول الله ﷺ لآل حزم في الرقية، وقال لأسماء: «مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة (نحيفة)؟ أتصيبهم الحاجة؟» قالت: لا ولكن العين تسرع إليهم، قال: «ارقيهم» فعرضت عليه فقال: «ارقيهم».

- أخرج مسلم عن ابن عباس- رضي الله عنهما- مرفوعًا: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

قال النووي: في الحديث إثبات القدر وصحة أمر العين وأنها قوية الضرر.

- أخرج الإمام أحمد والنسائي وصحح ابن حبان من طريق الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أن أباه حدثه أن النبي ﷺ خرج وساروا معه نحو ماء، حتى إذا كانوا بشعب الخراز من الجحفة، اغتسل سهل بن حنيف، وكان أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط - أي صرع- سهل، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «هل تتهمون به أحدًا؟» قالوا عامر بن ربيعة، فدعا عامرًا فتغيظ عليه فقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هل إذا رأيت ما يعجبك بركت». ثم قال: «اغتسل له»، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح. وفي رواية ابن ماجة: وأمره أن يصب عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

رقية الحية والعقرب

- أخرج البخاري ومسلم عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألت عائشة عن الرقية من الحمة، فقالت: رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة، وذو الحمة كل ذات سم.

رقية النبي ﷺ

- أخرج البخاري وتفرد به قال: حدثنا مسدد حدثنا عبدالوارث عن عبدالعزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ قال: بلى، قال: «اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما».

- وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا.

الرقية بين الشريعة والشعوذة

محمد عبدالرؤوف عثمان

تعرضت العقول البشرية عبر حقب طويلة لعمليات وأد واغتيالات خطيرة، وكانت خناجر الوهم والخرافة، وألغام الدجل والشعوذة- ولا تزال- تفعل الأفاعيل في إفساد العقول، لذا فإن التحرر من أغلال الوهم والخرافة، إنما يمثل السياج المحكم والدرع الواقية للعقل البشري من الخيالات، وحفظ فكره من الخرافات.

من هنا كانت أنبل معارك العقيدة تحرير العقول الانسانية من كل ما يصادم الفطرة، ويصادر الفكر، ويغتال المبادئ والقيم، فجاء الإسلام بعقيدة التوحيد الخالص لله، وأشرقت أنوارها في جميع أصقاع المعمورة، فحررت القلوب من رق العبودية لغير الله، وسمت بالعقول عن بؤر الوثنية ومستنقعات الخرافة، ولكن مع تطاول الأمد وحصول التخلف المشين لدى فئات كثيرة في الأمة، ووقوع انواع من التزييف للحقائق مع غلبة الجهل الذريع عند كثير من الناس، صحب ذلك تلاعب بالألفاظ وتغيير للمصطلحات تحت ستار مسميات معسولة، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فنتج عن ذلك كله تمرير بعض الصور الشركية وتسويق بعض الطقوس البدعية (١).

ولعل التحريف الذي طرأ على مصطلح الرقية الشرعية حتى غدا ضربًا من الشعوذة والدجل من أوضح النماذج على هذا التزييف الذي أصاب الأمة، وثمة بون شاسع بين الشعوذة والرقية الشرعية.

فالشعوذة خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين، وفي كلام بعضهم هو تصوير الباطل في صورة الحق (٢).

أما الرقية فهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات (٣)، وقد كانت الرقى معروفة عند العرب في الجاهلية لكنها كانت كثيرا ما تشتمل على شركيات مثل الاستعاذة بالجن والشياطين، وسؤال غير الله، وما لا يفهم معناه من الكلام. ومن هنا حذر النبي ﷺ من هذا النوع من الرقى واعتبرها شركا(٤) كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» (٥).

كما أنه شرع الرقى إذا كانت بكلام الله أو بذكره سبحانه، وذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، والتوسل الى الله في منع الضر ورفع الأذى وشفاء المرضى ونحو ذلك، فالرقية سنة ثابتة عن النبي ﷺ لكنها تحولت في كثير من ديار المسلمين الى باب يدلف منه المشعوذون، وغابت ضوابطها حتى أصبحت الى السحر والشعوذة أقرب، والفرق عظيم بين الرقية الشرعية وما يحدث في مجتمعاتنا من خرافات وخزعبلات ترتكب باسم العلاج بالقرآن وهو منهم براء.

فقد صارت حرفة القراءة على المرضى من الوظائف التي يسعى اليها كثير من الناس طمعًا في الغنى السريع، والربح الوافر، وما أيسرها من مهنة، ولعل المتتبع لهذه الأمور يرى العجب العجاب.

فهذا اوقف خزان ماء فاذا اجتمع لديه عدد من الزبائن صعد على السطح ونفث فيه مدة من الزمن ثم طلب من المراجعين والمرضى أن يملأ كل اناءه وكلما كبر الإناء، زادت الكلفة!

وهذا صمم اختامًا منوعة، فلكل سورة ختمها، ومن ثم باع كل ورقة مختومة بسعر باهظ.

وبحجة الرقية الشرعية اطلع بعضهم على عورات النساء واستعان بعضهم بالجن والشياطين ورقى بطلاسم وهمهمات غير مفهومة.. فيا له من تناقض عجيب!

ومن الإنصاف ألا نبخس الحقوق، فثمة عدد من القراء راعى الضوابط والأصول الفقهية في الرقى، والتي حددها الحافظ ابن حجر رحمه الله بثلاثة شروط فقال (٦): أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن تكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته.

٢- أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره ويرخص لغير العربي بالترجمة الى لسانه.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله.

وهكذا نرى أن الله ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء، إلا أنه سبحانه لم يجعل شفاء أمة محمد ﷺ فيما حرم عليها.

والتداوي بالرقى المشروعة وبألوان الطب الحديث مشروع، ولا ينافي التوكل على الله، ولكن لابد من النظر في أهلية المداوي دينا وعقيدة واستقامة وصدقا وأمانة، ولا يلزم أن يكون الراقي معروفا أو مشهورًا أو ممن اتخذ هذا الأمر حرفة يستدر من خلالها أموال الناس ويبتز جيوبهم، وعلى أهل العلم والدعوة التركيز على الجانب العقدي في الأمة وتعزيز التوحيد الصافي في النفوس الذي يناوئ الخرافة، ويناقض الشعوذة، ويحارب الدجل.

• باحث مصري

هوامش

١- انظر: خطر السحر والشعوذة، د.عبدالرحمن السديس.
٢- تاج العروس ٤٢٦/٩.
٣- لسان العرب ٣٣٢/١٤.
٤- موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى، د.القرضاوي ص١٥١.
٥- أخرجه أحمد (٣٨١/١، رقم ٣٦١٥)، وأبوداود (٩/٤، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجة (١١٦٦/٢)، والحاكم (٤٦٣/٤، رقم ٨٢٩٠)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣١).
٦- فتح الباري ١٩٥/١٠.

جهل الرقاة

رشيد الحسن

كثيرا ما يثار الجدل الواسع والعريض عن قضية الرقاة بين مؤيد ومعارض، فمن الناس من يجحف في حقهم ويقصي الرقاة وفائدة وجودهم جملة وتفصيلا، ومن الناس من غالى فيهم حتى أصبح لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم فيهم حتى لو صدر من بعضهم «الطوام» التي لا يمكن أن تغتفر فهناك رقية الصابون والعطر لجلب الحبيب، والسكر والحنة لتليين قلب المسؤول، والملح لجمع شمل العائلة، وماء البحر لابعاد العين وازالة السحر، وكلها وسائل يلجأ اليها الرقاة المزيفون الذين يستعملون كل الحيل للوصول الى قلوب الضعفاء الذين يلجأون إليهم حينما تسود الدنيا في وجوههم وتضيق الأرض بهم، بل قد أصبح الكثير من الناس يدعون أنهم رقاة ولكن..!

فمن هم هؤلاء الرقاة الجهلة؟ وما هي صفاتهم؟ وما هي بعض ضلالاتهم؟

بداية لابد من القول أن للرقية أقساما وهي:

أ- توقيفية:

وهي التي أتت بألفاظ معينة وأعداد معينة ومعلومات وأوقات وهيئات محددة، ولا يجوز تبديلها أو تعديلها بحال من الأحوال، لأنها من الشرع الحكيم.

ب- اجتهادية بالضوابط:

وهذه لابد من عرضها على العلماء الأجلاء حتى يعطوا الموافقة والجواز، أو الحرمة والابتعاد والتوقف، ليقطعوا دابر المشتبهات ومداخل الشيطان.

كذلك فان للرقاة أيضا انواعا، فهناك الرقاة الشرعيون الذين اتبعوا طريقة النبي ﷺ وصحبه الكرام والسلف الصالح في رقيتهم بكتاب الله والأدعية المأثورة وغيرها من الادعية الخالية من الشرك واستخدموا كل ما ورد به الدليل بأنه من اسباب الشفاء كالاستشفاء بالعسل والحبة السوداء والحجامة وغيرها مما هو مباح.

- وهناك بالمقابل الرقاة المبتدعة الجهلة وهم الذين تجاوزوا حدود الاجتهاد في الرقية حتى ابتدعوا طرقا للعلاج فيها مشابهة لما يفعله السحرة وذلك مثل:

- أن الواحد منهم يكتب آيات من القرآن على قطعة من القماش ثم يحرقها ويقربها من أنف المصاب لاستحضار الجني أو حرقه. وهذا حرام قطعا بلا أدنى ريب.

- ومن ضلالاتهم ترك التسمية على الماء المقروء حتى يسمح الجني للمريض أن يشرب منه، ولا يؤذى الجني بالقرآن المقروء على الماء.

- ومنها سؤال المريض عن اسمه او اسم امه، مع أن معرفة الاسم أو جهله لا تغير في العلاج شيئا، ومنها أن يطلب من المريض أثرا من ملابسه كالثوب أو القميص الداخلي، ومنها أن يطلب من المريض حيوانا بصفات معينة ليذبحه للجن، وربما يلطخ بدمه المريض ومنها كتابة أو قراءة الطلاسم التي لا تفهم وليس لها معنى، ومنها إعطاء المريض ورقة فيها مربعات بداخلها حروف وأرقام، ومنها أن يأمر المريض بأن يعتزل الناس مدة ما في غرفة مظلمة وتسمى (الحجبة).

- ومنها الضرب المبرح للمريض، واستخدام أدوات في ذلك كالعصي، والكي بالكهرباء وخطر ذلك كبير، اضافة الى عدم جوازه. وفي هذا الاطار سجلت محاضر الشرطة في بعض البلدان الاسلامية العديد من حوادث الوفاة بعد «جلسات الرقية»، والتي تحولت فيما بعد الى قضايا عالجتها المحاكم (أذكر على سبيل المثال لا الحصر قضية امرأة تبلغ من العمر ٢٠ سنة ضربها راقيان بلوح خشبي حتى تسببا لها بعجز كلوي ذات يوم في سنة ٢٠٠٨، وضحية أخرى تفجرت رئتها دما بعد أن سقيت كميات من الماء وزيت الزيتون، ووفاة زوج وزوجة بعد شربهما ١٤٠ لترا من الماء).

والحقيقة أن هؤلاء يجب الأخذ على أيديهم وألا يترك لهم المجال للعبث ببني آدم.

● ومن صفات الرقاة الجهلة: فساد العقيدة: ومن فسدت عقيدته فلن يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولقي الله وهو عليه غاضب، فلا يجوز الذهاب مطلقا الى من اتخذ مسلكا وطريقا غير طريق رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين ومن سار على نهجهم من السلف الصالح رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، خاصة بعض أصحاب الطرق البدعية، فقد وصلت بدعهم الى حد يفوق الوصف والتصور في مسائل الرقية والعلاج والاستشفاء.

ومن صفاتهم عدم إخلاص العمل: فلابد أن تكون الغاية والهدف من الاشتغال في هذا الأمر هو التقرب الى الله سبحانه وتعالى، ثم تفريج كربة المكروبين، والوقوف معهم وتوجيههم الوجهة الشرعية في مواجهة هذه الأمراض على اختلاف انواعها ومراتبها، لا كما يشاهد اليوم من ابتزاز فاضح لأموال المسلمين، واتخاذ طرق شيطانية في سبيل تحصيل ذلك، ومنها بيع ماء زمزم بقيمة عالية جدا، حتى وصل الأمر بالبعض لنظرة يشوبها

• باحث شرعي

الكره والحقد على أمثال هؤلاء الذين لم يراعوا في مسلم إلا ولا ذمة.

فالله الله في أنفسكم قبل أن تقفوا بين يدي الله سبحانه وتعالى فتحاسبوا يوم الحساب لا يوم العمل. مع تأكيد أمر في غاية الأهمية أن الساحة ما خلت من وجود المحتسبين أصحاب العقيدة الصحيحة الذين وهبوا أنفسهم وأوقاتهم وأموالهم في خدمة الإسلام والمسلمين، مدافعين عن الحق نصرة لإخوانهم، ومساعدتهم في رفع الظلم وتفريج الكربة.

● ومن صفاتهم قراءة الآيات قراءة بصورة غير صحيحة: ثم هناك أمر قد يغيب عن أذهان بعض المعالجين، فإن أكثر الذين يحضرون الى الرقاة هم من عامة الناس، فبقراءة الراقي القراءة الصحيحة فإن هناك من سيتعلم منه، وهناك من سيصحح قراءته، ومنهم من سيتعلم التجويد عن طريق التطبيق العملي لأحكامه في أثناء استماعه للتلاوة، ولا يجوز أن يؤخذ عن الراقي الخطأ أو يتعلم منه ما يخالف المشروع.

● ومن صفاتهم ضعف العلم الشرعي لديهم: إذ من تمام علم الراقي (بعد العلم بأصول الدين عموما والفروع الأساسية الذي يجعله يستطيع أن يميز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ وبين السنة والبدعة وبين الفاضل والمفضول و...) العلم بأحكام الدين الضرورية من عبادات ونحوها، وأن يكون له إلمام لا بأس به بعلم الرقية الشرعية خاصة.

وليكن الراقي على يقين من أن العلم سيحفظه بإذن الله من الشبهات، وأن الإخلاص سيحفظه من الشهوات.

ومن صفاتهم ضعف المحافظة على الفرائض والنوافل: من حيث أداء الصلوات مع الجماعة والمحافظة عليها في وقتها، ونحو ذلك من أمور العبادات الأخرى.

كما يندر عندهم الورع والتقوى: وهي من أهم الصفات التي لابد من الاهتمام بها وتوافرها في المعالج لكي يستطيع تقديم صورة بيضاء ناصعة عن هذا الدين وأهله.

ومن صفاتهم الكبر والخيلاء والعبوسة: وهذا والله هو الخسران المبين، فلابد للمعالج من تقوى الله سبحانه وتعالى وإعادة الأمر كله له، فلولا حفظ الله سبحانه وتعالى له لتلقفته الشياطين منذ أمد بعيد.

● ومن صفاتهم سوء المظهر والسمت الإسلامي: فمن الأمور التي لابد أن يهتم بها المرضى مظهر المعالج العام من حيث التزامه بالسنة في شكله ومظهره، مع الالتزام بالتطبيق العملي قدر المستطاع لأصول الكتاب والسنة، واقتفاء آثار الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة وأئمتها.

● ومن صفاتهم محبة الخلوة بالمرأة الأجنبية: ومس جسدها، أو يدها، أو جبهتها، أو رقبتها، بحجة الضغط على الجني، والتضييق عليه، وتسويغ بعضهم لذلك - بتأويل باطل - بأنه مثل الطبيب المعالج.

مع أنه يجب على الراقي أن يكون حذرا في تعامله مع النساء وألا يقرأ عليهن إلا بوجود محرم، وأن تكون المرأة بحجابها الشرعي ولا تبدي أي شيء من زينتها.

● وإليك أخي القارئ في النهاية صورتين متباينتين لراقيين أحدهما ناصح والآخر جاهل:

أما الجاهل: فإن أهل الرقية الشرعية الناصحين يقررون أن القيء بعد الرقية - وحده- ليس دليلا كافيا على أن المصاب مسحور، بل يمكن أن يكون سبب ذلك عضويا. والمضحك أن أهل مريض (مصاب من مدة طويلة) أخبروني مرة بأن راقيا رقى أخاهم بالقرآن (وكان ذلك بعد الانتهاء من طعام الغداء مباشرة حيث أكل المريض فوق ما يحتاجه) وفي أثناء الرقية قال الراقي للمريض: «أليست لك رغبة في القيء؟» قال: «لا»، فضغط الراقي على بطنه ضغطا قويا من الأسفل متجها نحو الأعلى فتقيأ المريض، فقال الراقي لأهل المريض: «أخوكم مسحور، وهذا الذي تقيأه الآن هو ما سحر به من زمن»، فابتسموا ولم يقولوا له شيئا. والحقيقة أنه ما تقيأ إلا تحت الضغط، وما تقيأ الا ما أكله في غدائه قبل قليل.

- إن رقاة من هذا النوع وممارسات مثل هذه تسيء الى الرقية والرقاة أكثر مما تحسن، وهي سبب من أسباب نفور بعض الناس من الرقية ومن الرقاة.

● أما الصورة الثانية فهي صورة ايجابية لراق ناصح، يحدثنا عن نفسه فيقول: جاءتني امرأة في يوم من الايام وطلبت مني رقية، فسألتها: «من أجل ماذا؟» قالت: «لأجل (الحظ)!» فقلت لها مازحا ومستنكرا: «إذا وجدت من يرقي الناس حتى يصبح حظهم طيبا مباركا فأنا أريد عندئذ أن أرقي نفسي قبلك أنت».

ثم أضاف قائلا للمرأة: إن الرقية الشرعية لا تشرع من أجل التخلص مما يسمى بـ «الحظ السيئ»، وإن قضاء الله لا يسمى حظا سيئا، ولا يقابل إلا بالإيمان بالقضاء والقدر وكذا بالرضا والصبر مع احتساب الأجر عند الله تعالى، ثم بالسعي نحو الأفضل في الحياة، ولا يصلح أبدا أن يعالج بالرقية الشرعية، ولو قال بعض الناس الجاهلين خلاف هذا.

وأخيرا وصيتي للرقاة: اتقوا الله ولا تجعلوا الله أهون الناظرين، ولا تستهينوا بآيات الله فإنه يمهل ولا يهمل ولا يغركم ستر الله فقد تهتك الأستار، ولا تأمنوا مكر الله، واتقوا الله في أمانات المسلمين، وتذكروا أن بيوتكم عورة، وكما تدين تدان فتوبوا الى الله وعودوا إليه من قبل ألا ينفع الندم قال تعالى: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾ (الزمر: ٥٦).

هدي النبي ﷺ في علاج السحر

- من كتاب زاد المعاد لابن القيم -

قد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «سُحر رسول الله ﷺ حتى إن كان ليخيل إليه أنه يأتي نساءه، ولم يأتهن، وذلك أشد ما يكون من السحر» (١). قال القاضي عياض: والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ، كأنواع الأمراض مما لا ينكر، ولا يقدح في نبوته، وأما كونه يُخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوُّه عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث لسببها، ولا فُضل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يُخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان.

والمقصود: ذكر هديه في علاج هذا المرض، وقد روي عنه فيه نوعان: أحدهما- وهو أبلغهما-: استخراجه وإبطاله، كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فدل عليه، فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومشاطة، وجُف طلعة ذكر (٢)، فلما استخرجه، ذهب ما به، حتى كأنما أنشط من عقال (٣)، فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ.

والنوع الثاني: الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر، فإن للسحر تأثيرًا في الطبيعة، وهيجان أخلاطها، وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو، نفع جدًا. وقد ذكر أبوعبيد في كتاب «غريب الحديث» له بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بِقَرْن حين طب (٤). قال أبوعبيد: معنى طب: أي سحر. وقد أشكل هذا على من قل علمه، وقال: ما للحجامة والسحر، وما الرابطة بين هذا الداء وهذا الدواء، ولو وجد هذا القائل أبقراط، أو ابن سينا، أو غيرهما قد نص على هذا العلاج، لتلقاه بالقبول والتسليم، وقال: قد نص عليه من لا يُشك في معرفته وفضله. فاعلم أن مادة السحر التي أصيب به ﷺ انتهت إلى رأسه إلى إحدى قُواه التي فيه بحيث يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، وهذا تصرف من الساحر في الطبيعة والمادة الدموية بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه، فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية. والسحر: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها، وهو أشد ما يكون من السحر، ولا سيما في الموضع الذي انتهى السحر إليه، واستعمال الحجامة على ذلك المكان الذي تضررت أفعاله بالسحر من أنفع المعالجة إذا استعملت على القانون الذي ينبغي. قال أبقراط: الأشياء التي ينبغي أن تُستفرغ يجب أن تُستفرغ من المواضع التي هي إليها أميل بالأشياء التي تصلح لاستفراغها. وقالت طائفة من الناس: إن رسول الله ﷺ لما أصيب بهذا الداء، وكان يُخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، ظن أن ذلك عن مادة دموية أو غيرها مالت إلى جهة الدماغ، وغلبت على البطن المقدم منه، فأزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية له، وكان استعمال الحجامة إذ ذاك من أبلغ الأدوية، وأنفع المعالجة، فاحتجم، وكان ذلك قبل أن يوحى إليه أن ذلك من السحر، فلما جاءه الوحي من الله تعالى، وأخبره أنه قد سُحر، عدل إلى العلاج الحقيقي وهو استخراج السحر وإبطاله، فسأل الله سبحانه، فدله على مكانه، فاستخرجه، فقام كأنما أُنشط من عقال، وكان غاية هذا السحر فيه إنما هو في جسده، وظاهر جوارحه، لا على عقله وقلبه، ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه من إتيان النساء، بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له، ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض، والله أعلم.

العلاج بالأذكار والآيات

من أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات، والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشد، كانت أبلغ في النُشرة (٥)، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر، قهره، وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله مغمورًا بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعدما يصيبه. وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، ولهذا فإن غالب ما يؤثر في النساء، والصبيان، والجهال، وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين، والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية، وبالجملة: فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات، قالوا: والمسحور هو الذي يُعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقًا بشيء كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله أعلم.

هوامش

(١) أخرجه البخاري ١٠/١٩٩ في الطب: باب هل يستخرج السحر، ومسلم (٢١٨٩) في السلام: باب السحر.
(٢) هو من تمام حديث عائشة المتقدم، والمشط معروف، والمشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه، والجف: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى، لذا قيده الحديث بقوله «طلعة ذكر».
(٣) انظر «الفتح» ١٠/٢٠٠.
(٤) لا يصح.
(٥) النشرة- بالضم-: ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن، سميت نشرة، لأنه ينشر بها عنه ما ضاره من الداء، أي يكشف ويزال.
نقلا من كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية- رحمه الله-.

الرقية الزائفة.. مدخل أصحاب الأهواء

التحرير

أصبحت الرقية تحتل مكانة عند العديد من الناس خاصة في الفترة الأخيرة، وهي وإن كانت ثابتة عن النبي ﷺ، وفيها من الفوائد العظيمة ما لا يمكن لأحد إنكارها، إلا أنها أصبحت بوابة يدخل منها أصحاب الأهواء، حتى أصبح كثير من الناس لا يستطيع أن يميز الرقية المنضبطة بضوابط الشرع، بل يظن بعضهم أن كل من تصدر للعلاج القرآني أنه أهل له، وأن كل ما يفعله جائز، ولذا فإن من اللازم التنبيه إلى بعض المخالفات والملاحظات حتى يتميز الراقي الواقف عند الحدود الشرعية من غيره.

أولى هذه الملاحظات هي قيام بعض المعالجين بالتفرغ للرقية، بل جعلها مصدر رزقه وعمله وكسبه، وهذا أمر لم يفعله أحد من السلف لا من الصحابة ولا من التابعين، وحديث الرقية على قطيع من الغنم الذي يحتج به بعضهم ليس فيه دليل على تصرفهم هذا، لأن هذا الصحابي لم يجعل الرقية مصدر رزقه بحيث يتفرغ لها وإنما جاءت عرضا.

تقسيم الرقية

يقوم بعض المعالجين، خاصة أولئك الذين جعلوها مهنة للتكسب، بتقسيم الرقية إلى رقية خاصة ينفرد بها المريض ولا يشاركه فيها أحد، ورقية عامة يشترك فيها عدد من المرضى قد يصلون إلى العشرات، وجعلوا لكل رقية سعرا محددا، وهذا من التلاعب بالمرضى ومحاولة استنزاف أموالهم، وإلا فإن الأصل أن يقرأ الراقي على المريض بمفرده كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ وأصحابه.

الجزم ببعض الغيبيات

من الملاحظات التي نراها منتشرة بين بعض المعالجين هي الكلام في بعض الأمور الغيبية والجزم بها، فتراه مثلا يجزم بأن هذا المريض مصاب بالعين مثلا أو بالسحر أو نحو ذلك، بناء على بعض الأسئلة التي يوجهها إليه، وبعضهم يذكر ذلك جزافا ليرى أنه مطلع وعنده علم ودارية. وكل ما يذكره هؤلاء لا دليل يقيني عليه وإنما هو نوع من التخمين، والأولى بالراقي أن يقرأ على المريض دون أن يحدد شيئا، فإن ظهرت له بعض القرائن فيقول قد يكون ذلك عينا، وليس هذا جزما أو نحو ذلك وينسب العلم لله وحده، وأسوأ من ذلك أن يذكر بعضهم صفات الجنس المتلبس به كما يزعم، فإذا قرأ على مريض ولم تظهر عليه علامات المس قال له إن هذا الجني أبكم، ومثل هذه الترهات التي تدل على جهل قائلها وقلة عقل مصدقها، فمن أين علم أن هذا الجني أبكم أو متكلم.

سؤال الجن وكثرة الكلام معهم

ومن الملاحظات، سؤال الجن المتلبس في حالة تكلمه وكثرة الخوض معه في أمور كثيرة، فتجد بعضهم يسأله عن سبب هذا السحر أو المرض أو نحو ذلك، فيبدأ هذا الجني في الكذب والتلاعب بهم ويوقع الفتن والشحناء والبغضاء بين الناس، بل ربما أدى ذلك إلى طلاق البعض.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الجن كذابون، كما في قصة أبي هريرة رضي الله عنه عندما قال له «صدقك وهو كذوب»، أي أنه صدقك هذه المرة وهو في الأصل كذوب.

الاستعانة بالجن

وهذا قد يكون منتشرا عند بعض الراقين على أشكال متعددة، فبعضهم قد يطلب من الجني المتلبس بأحد المرضى أن يساعده في الحالات الأخرى ليعالجها، وبعضهم قد يكون على علاقة أصلا بالجن ويطلب منهم المساعدة، إما في تحديد المرض أو في العلاج أو غير ذلك. وهذا كله منهي عنه كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

عدم تعليق القلوب بالله

إن الواجب على الراقي أن ينبه المرضى الذين يقرأ عليهم إلى أن الشافي هو الله تعالى، وأنه لا يملك من هذا الأمر شيئا لأن كثيرا من المرضى يتعلقون بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالله جل وعلا، فإذا غفل الراقي عن تنبيههم لمثل هذا الأمر زاد عندهم هذا التعلق مما يوقعهم في المحرم.

المبالغة في الضرب والأذى

يبالغ بعض المعالجين بضرب المريض ضربا مبرحا ظنا منه أن هذا يقع على الجن فقط، وقد يكون المريض ليس به شيء أصلا، فيقع الضرب كله عليه، مما يؤدي إلى إيذاء بدنه ونفسه، والواجب أن يتوكل على الله ويكثر من القراءة ولا يستخدم الضرب، وإن اضطر إليه فليكن خفيفا ويلحق بذلك أيضا الخنق والضغط على الأوداج.

مطالبة المريض بقراءة ما قد يعجز عنه

يقوم بعض الراقين بتحديد برنامج للقراءة يقوم به المريض، وهو لا يستطيعه لكونه مبالغا فيه مما يؤدي بالمريض إلى ترك القراءة واستحواذ اليأس عليه، والناظر في الشريعة الإسلامية يجدها تأمر باليسر والسهولة، والواجب على الراقي أن يحرص على أن تكون القراءة بخشوع وتدبر وصادرة من القلب مع استحضار النية.

الخلوة بالنساء بدون محرم

من الملاحظات أيضا خلوة بعض المعالجين بالنساء أثناء العلاج، وقد قال النبي ﷺ «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم فإن الشيطان ثالثهما» ومما يلحق بذلك وضع المعالج يده على المرأة أثناء القراءة عليها، بل يطلب منها تحديد مكان المرض ليضع يده عليه أثناء القراءة مدعيا أن ذلك يعين على إيذاء الجن ونحو ذلك، وهذا كله مخالف للنصوص الشرعية.

هذه بعض المخالفات الشرعية التي يقع فيها بعض المعالجين والتي يجب تجنبها والحذر منها وليعلم أنه كلما كانت الرقية موافقة للشريعة الإسلامية كلما كانت أنفع.

الاستعاذة

د. علي عفيفي غازي *

ذكر العلماء أنه يسن للمسلم قبل بدء قراءة القرآن الكريم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بأن يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» استجابة لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (النحل: ٩٨). ومعناها ألتجئ وأحتمي من الشيطان الرجيم إلى الله سبحانه وتعالى ليحميني ويحفظني منه.

الإستعاذة من الشيطان الرجيم قبل قراءة القرآن هي لإبعاده قبل أن يبعدنا هو عن منهج الله

والشيطان في لغة العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب، وهو مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد عن طباع البشر، والرجيم بمعنى مفعول أي مرجوم ومطرود من رحمة الله سبحانه وتعالى، وقيل رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالشكوك والوساوس.

وهذه الآية الكريمة تدعونا للاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قبل القراءة، ذلك لأن كل مخلوق إذا اتجه إلى خالقه، واستعاذ به يكون هو الأقوى برغم ضعفه.

وإبليس اللعين (وقد كان اسمه عزازيل وتعني بالعربية الحارث) دائمًا يأتي للإنسان من الباب الذي يجد فيه المنهج ضعيفًا، فإذا وجد إنسانا متشددا في ناحية يأتي له من ناحية أخرى، ويوسوس له فيها، فإذا كان الإنسان متشددا في الصلاة يأتي من ناحية المال ويوهمه أنه سوف يصبح غنيا إذا أكل حقوق الناس، ولم يخرج زكاة ماله، ولكن ذلك غير صحيح، لما رواه لنا الرسول ﷺ «ما نقص مال من صدقة» (رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة).

فالصدقة هي التي تكثر المال وتنميه، وتضع فيه البركة، والمال هو مال الله، يموت الإنسان ويتركه، لأنه فقط مستخلف عليه.

ولذلك كانت الاستعاذة هنا لكي نبعد الشيطان الرجيم عن أنفسنا قبل أن يبعدنا هو عن منهج الله، وعن آياته، خاصة إذا كان هو يرانا، ونحن لا نراه، ولا نعرف أين هو، قال تعالى ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ (الأعراف: ٢٧).

لذلك وجب علينا أن نستعيذ بقوة تستطيع أن تقهر الشيطان، وتدمره، وهي قوة الله سبحانه وتعالى، لأنه هو وحده القادر على أن يحمينا ويصفي قلوبنا من همزات الشياطين، لذلك قال تعالى ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (المؤمنون: ٩٧- ٩٨).

فإذا استعنا بالله، فهو قادر على أن يصفي قلوبنا وأنفسنا من هذه الهمزات ليحسن استقبالنا للقرآن الكريم.

والشيطان قد قضى الله سبحانه وتعالى في أمره، مطرودًا من رحمته، وجعله رجيمًا مبعدًا، وهو يعرف أن مصيره النار، ويعتقد أن آدم هو السبب، عندما رفض إبليس السجود لآدم كما يروي لنا القرآن الكريم ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (البقرة: ٣٤). إذن صدر الأمر للملائكة من الله سبحانه وتعالى بالسجود، وهنا حدث الخلاف: كيف يسجد الملائكة لغير الله؟

وهذا موضوع استغله المستشرقون، والمتأسلمون، في محاولة للتشكيك في كلام الله عز وجل، وفي نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلق أجمعين، محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن هؤلاء المستشرقين لم يدركوا المعنى الحقيقي، فإن الله سبحانه وتعالى ميز آدم على الملائكة بعلم الأسماء ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (البقرة: ٣٣).

ثم جاء الطلب من الملائكة ليسجدوا لآدم، والسجود هنا طاعة لأمر الله، وليس عبادة لآدم، وفي هذه الحالة لا يعتبر خروجا عن المنهج، لأن الأساس هو طاعة الله سبحانه وتعالى، وتكريمًا من الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام.

ولكن هؤلاء المستشرقين مازالوا يشككون ويجادلون ويتساءلون، إن الأمر صدر من الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة، ولم يصدر لإبليس فكيف يحاسبه الله سبحانه وتعالى على أمر لم يصدر إليه؟

ولكن إبليس وإن كان من

* دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر



الجن إلا أن الأمر شمله في السجود، لأنه كان مع الملائكة، ولذلك يخبرنا الله سبحانه وتعالى قائلًا ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (الكهف:٥٠)، ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ (الحجر:٣٠).

وعندما رفض إبليس السجود، كان السؤال ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾ (ص: ٧٥). ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ (الأعراف: ١٢).

لماذا لم تسجد يا إبليس إذ أمرتك أستكبرت أم كنت من المتعالين على أوامر الله سبحانه وتعالى، ولكن جاء هنا التكبر على أوامر الله، في رد إبليس اللعين الرجيم، حينما قال له ﴿أأسجد لمن خلقت طينًا﴾ (الإسراء: ٦١). ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (الأعراف: ١٢).

وقد كان إبليس كما جاء في الأثر يسمى طاوس الملائكة، وكان يزهو بخيلاء بينهم، وهذا الكبر هو الذي جعله يقع في المعصية، ولأن إبليس خلق مختارًا، فقد كان مزهوًا باختياره لطاعة الله سبحانه وتعالى، إلا أنه تكبر، ولم يجاهد نفسه على الطاعة، ومضى مغرورًا في غروره، الذي قاده إلى المعصية، وامتنع عن إجابة أمر الله سبحانه وتعالى حينما أمره بالسجود لآدم، وهنا صدر الأمر الإلهي بطرده من رحمته وجعله رجيمًا.

وعندما عرف إبليس أنه طرد من رحمة الله سبحانه وتعالى، وأصبح محكومًا عليه بالعذاب الأبدي، طلب من الله سبحانه وتعالى أن يمهله إلى يوم القيامة، وألا يقبض روحه إلا ساعة النفخ في الصور، كما يروي القرآن الكريم ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ (ص: ٧٩).

ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أن إبليس خاطب الله سبحانه وتعالى بقوله ربي، ولم يقل إلهي، لأنه خاطب الله سبحانه وتعالى رب المؤمن والكافر، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى له عطاء ربوبية لأنه رب الجميع، وعطاء ألوهية لمن آمن به وحده لا شريك له، وهو عطاء يعطيه للمؤمن وحده في الآخرة عندما تنتهي دنيا الأسباب.

ونجد أن إبليس الرجيم عندما عصى لم يبادر بالتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والعودة إلى الحق، ولم يطلب السماح، ومن هنا أنذره الله سبحانه وتعالى إلى يوم القيامة ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ (الأعراف: ١٣).

وفي هذه الآية الكريمة نجد هبوطًا لإبليس يستدعي القول بأنه كان في مكانٍ عالٍ، ولكن ليس بالضرورة ذلك، فربما يكون هبوطًا في المنزلة، والمكانة، والقيمة، ولهذا ليس بالضرورة كما يروي بعض المفسرين أن إبليس كان يقطن الجنة، أو يقطن منزلة عالية في السماء ثم أهبطه الله سبحانه وتعالى منها، فربما يكون هبوطًا ونزولًا معنويًا، بحيث أصبح لا يساوي شيئًا، وأصبح من الصاغرين.

وعندما طرد إبليس من رحمة الله وخرج صاغرًا ذليلًا من المقام الذي كان فيه، توجه إلى الحق سبحانه وتعالى كما يروي القرآن الكريم ﴿قال فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ (الأعراف: ١٤).

وهكذا عاد إبليس إلى المذلة، وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبقيه حيًّا إلى يوم القيامة، وفي هذا أشد المذلة، لأنه لو كان قادرًا على إبقاء نفسه حيًّا، لما طلب ذلك من الله سبحانه وتعالى، ليبقيه حيًّا إلى يوم القيامة.

ولكن لماذا استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء إبليس؟ وقد كان قادرًا على أن يهلكه في التو واللحظة، وقال له ﴿قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (الحجر: ٣٧- ٣٨)، ﴿قال إنك من المنظرين﴾ (الأعراف: ١٥).

لقد استجاب الله سبحانه وتعالى لإبليس، وهو المطرود من رحمته لأن حكمة الله في خلق الدنيا لا تكتمل إلا بذلك، لأن الدنيا دار اختبار، ولذلك كان لابد للعبد أن يمر باختبار في الحياة الدنيا، وأن يمتحن قبل أن يجازى.

اقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أم حسبتم أن

تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (آل عمران: ١٤٣)، وقال تعالى: ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ (آل عمران: ١٥٤).

ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق عباده مقهورين على الطاعة لخلقهم، ولكنه أرادهم مختارين ليأتوه عن رغبة وحب مع مقدرتهم على المعصية، ولذلك نجد الشيطان لا يأتي من طريق المعصية، بل إنه يأتي في طريق الحق، طريق الخير، قال تعالى: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ (الأعراف: ١٦).

أي لأقعدن لهم طريقك ومنهجك المستقيم، الذي ارتضيت لهم، ولذلك نجد أن الشيطان يدخل للإنسان من باب أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج لعبادة الإنسان، فطاعتك لله سبحانه وتعالى لا تزيد في ملكه شيئًا، ومعصيتك لا تنقص من ملكه شيئًا، ولذلك كان قسمه بعزة الله سبحانه وتعالى أنه سيقوم بغواية البشر جميعًا ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ (ص: ٨٢).

وذلك بأن يتبعهم في الطريق المستقيم، طريق الخير، أما الطرق غير المستقيمة، فلا حاجة للشيطان أن يقعد عليها، فلا يجلس على أبواب أماكن شرب الخمور، وذلك لأن المرتادين لهذه الأماكن لا يحتاجون للغواية، فهم جنود الشيطان ليسوا بحاجة إلى الوسوسة والغواية.



ولكن إبليس مع ذلك ليست سلطته شاملة الجميع؛ فقد استثنى من ذلك عباد الله المخلصين، قال تعالى ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ (ص: ٨٣). ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (الحجر: ٤٢).

إن الشيطان يجلس على أبواب المساجد وأماكن العبادة، ولذلك يحاول أن يغوي الناس ليتركوا الصلاة، فإذا رفع المؤذن الأذان؛ يحاول إغواء العبد بأي شيء من أمور الدنيا حتى لا يذهب إلى الصلاة.

وأذكر قصة عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وقد كان مشهورًا بالفتوى في أمور الدين، فقد جاءه رجل ذات يوم، وقال يا إمام ضاعت مني نقودي، فقد دفنتها في مكان من الأرض، ونزل السيل فأخفى عني مكان النقود، وأزال الحجر الذي وضعته علامة على المكان، ولا أدري ماذا أفعل؟ فقال الإمام أبوحنيفة: وبم أفتيك في هذا الأمر؟ ولكن الرجل ألح، فقال له الإمام: اذهب الليلة بعد صلاة العشاء وقف أمام ربك متهجدًا إلى أن يطلع الفجر، وقل لي ما سوف يحدث.

وعندما جاءت صلاة الفجر جاءه الرجل متهللًا، وقال لقد وجدت مالي، فسأله الإمام أبوحنيفة كيف؟ فقال الرجل: ما كدت أقف للصلاة حتى تذكرت مكان النقود، ومتى نزل السيل، وكيف سار، وهكذا قست المسافة، وقدرتها، فعرفت موقع النقود.

فضحك الإمام أبوحنيفة رضي الله عنه، وقال: لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تتم ليلتك مع ربك!

وهكذا نجد أن الشيطان عندما عرف أن هذا الرجل سيقوم ليلته مع ربه متهجدًا، أسرع ليرشده إلى مكان افتقاد النقود حتى يمنعه من الاستمرار في الصلاة، والاستمرار في ذكر الله، وهذا يفسر وقوفه على الطريق المستقيم، طريق الخير والبر، ليغري الإنسان بأي شيء من أمور الدنيا.

ولكن الشيطان حينما تعرض بعد ذلك للأماكن التي يمكن أن يأتي منها للإنسان، امتنع عن ذكر مكانين، وهما الأعلى والأسفل، قال تعالى ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأعراف: ١٧).

ونجد أنه لم يذكر الأعلى لأنه مكان صعود الدعاء، ومكان صعود الأعمال الصالحة لله سبحانه وتعالى، كما أنه لم يذكر الأسفل لأنه مكان السجود والخضوع لله سبحانه وتعالى، وكلاهما مكانان لا يستطيع الشيطان أن يأتي منهما للإنسان لأنهما مكانان مباركان تحفهما الملائكة، ولا تقربهما الشياطين.

ولكن، لنا هنا وقفة، هل اطلع إبليس على الغيب وعلم أن أكثر الناس لا يشكرون؟ وسنجد الإجابة في كتاب الله القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيخبرنا في آية أخرى ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾ (سبأ: ٢٠).

إذن لقد كان ما قاله إبليس من مجال الظن فقط، فلم يكن يعلم غيبًا، ولا يدري ما سيحدث في المستقبل، ولكن الحكم الإلهي قد صدر بأن إبليس طرد من رحمة الله، ومن الجنة، وأصبح مذمومًا ملعونًا، ولكن ليس هو فقط، بل هو وكل من

اتبعه من الإنس والجن، مصيرهم جميعًا الخلود في النار، حتى ولو عصى الخلق جميعًا ستسعهم النار. قال تعالى: ﴿قال فاخرج منها مذمومًا مدحورًا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ (الأعراف: ١٨).

إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في القرآن الكريم، أن هناك نزغًا للشيطان، وهمزًا، ووسوسة، ومًا، وبكل هذه الطرق الخبيثة يتدخل الشيطان إلى النفس البشرية ليحولها عن الطريق المستقيم إلى طريق جهنم وبئس المصير، فمثلا إذا وجد إبليس الإنسان متشددًا في ناحية الصلاة، جاء له من ناحية المال.

لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى حذرنا من الطرق التي يستخدمها الشيطان دائمًا للإيقاع بخلقه في المعصية، فقال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾(المائدة:٩٠).

ولهذا فإن من سلك أي طريق من هذه الطرق فإنه يرتكب عملًا من الأعمال التي زينها الشيطان للإنسان، فيصرفه عن عبادة الله ويوقعه في الحرام.

إننا نجد أن الشيطان يتبع ثلاث مراحل: النزغ، المس، اللمس، والنزغ من الشيطان هو أن يدخل إلى خاطرك مهيجًا نفسك ليثير فيها الغضب، ليجعلنا الغضب نتصرف تصرفات حمقاء لا

الشيطان يتبع ثلاث مراحل للإغواء هي النزغ والمسّ واللمس

تتفق مع العقل والدين.

عن عدي بن ثابت عن سليمان بن صرد، قال: «كنت جالسًا مع النبي ﷺ، ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ومن هنا كان التحذير عند أول مرحلة، وهي مرحلة النزغ بالاستعاذة لتسد مداخل الشيطان إلى النفس البشرية لأن الإنسان إذا استعاذ بالله في تلك المرحلة يدخل في إطار الإبصار الصحيح للحقيقة، ويتجه إلى التصرف الصحيح، لأن الاستعاذة بالله وحده من نزغ الشيطان لأنه هو وحده القادر على قهره، وقهر نزغه.

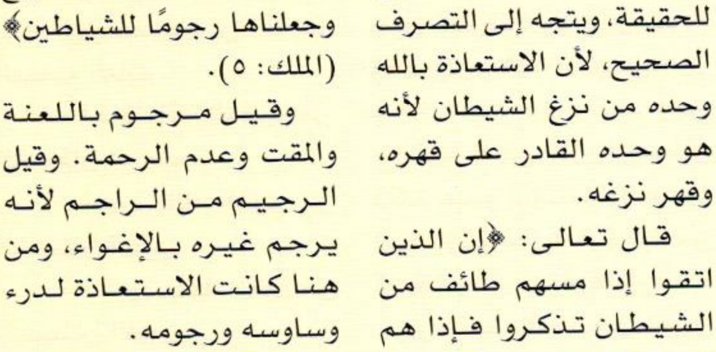
قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

معنى الاستعاذة

الاستعاذة معناها استدعاء عصمة الله من الشيطان، وهي الالتجاء والحماية من الشيطان الرجيم إلى الله سبحانه وتعالى.

والشيطان من أصل شطن أي بعد عن الخير، ولذلك سمي شيطانًا لبعده عن الخير والصلاح. والرجيم تعني المرجوم لأنه يرجم بالنجوم عند استراق السمع، قال تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين﴾ (الملك: ٥).

وقيل مرجوم باللعنة والمقت وعدم الرحمة. وقيل الرجيم من الراجم لأنه يرجم غيره بالإغواء، ومن هنا كانت الاستعاذة لدرء وساوسه ورجومه.



بعض المشعوذين يستخدمون عسل النحل في الرقية

حكم الاستعاذة عند كل قراءة

أجمع الفقهاء على مشروعية الاستعاذة لقراءة القرآن، لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (النحل: ٩٨).

وقال أكثر العلماء: إن الاستعاذة تشرع لإرادة القراءة، وهو ما أجمع عليه العلماء الأربعة وغيرهم، وذلك تمسكًا بما دعت إليه الآية الكريمة.

أما البعض فقد قال: إن الاستعاذة بعد القراءة، وذلك عند ابن سيرين وأبي هريرة لما روي عنه أنه تعوذ بعد قراءة الفاتحة في الصلاة، وقيل لأنه نسيها قبلها، وقيل لأجل ما يقرأ بعدها.

ولكن الأصل في الاستعاذة قبل القراءة، وذلك لأسباب عدة:

١- أن القرآن شفاء لما في الصدور، ويذهب ما يلقيه الشيطان من وساوس، ولذلك شرع التعوذ لدفع الداء ليخلو القلب منه لتصادف القراءة مكانًا نفيًا فتؤثر فيه.

٢- أن القرآن مادة الهدى والخير في القلب، والشيطان نار يحرق الخير والهدى، لذلك شرعت الاستعاذة أولا لئلا يفسد ما يحصل من القرآن.

٣- أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن، والشيطان عدو للملك، لذلك أمر القارئ بالاستعاذة ليبعد عدوه حتى تحفه الملائكة. وهذا يتفق مع

الحديث المروي عن أسيد بن حضير أنه عندما كان يقرأ القرآن فرأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح، فقال النبي ﷺ «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى عنهم» (رواه البخاري).

٤- أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله وبرجله، حتى يشغله عن تدبر القرآن وفهمه، فلا يكمل به الانتفاع لذلك كانت مشروعية الاستعاذة بالله منه.

٥-أن الشيطان يكون أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير ويدخل فيه ليفسده عليه، ولذلك شرعت الاستعاذة منعا لنزغ الشيطان.

حكم الاستعاذة في الصلاة

ذهب غالبية العلماء لوجوب الاستعاذة في الصلاة استجابة للآية الكريمة، ولكن ذهب الإمام الشافعي إلى القول بالتعوذ في كل ركعة، أما الإمام أبوحنيفة فقال إذا تعوذ في الركعة الأولى فإنه تعوذ للصلاة كلها.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى صلاة الليل كبر ثم يقول «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»، ثم يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه» (رواه أحمد والبخاري والترمذي).

أشكال الاستعاذة

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

٣- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم.

٤- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم.

٥- اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

٦- أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

٧- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزات الشياطين وأعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم.

٨- أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

٩- أعوذ بالله القوي من الشيطان القوي.

١٠- أعوذ بالله المعين من الشيطان اللعين.

مواطن الاستعاذة

المسلم لا يملك دفعًا لشر الشيطان وردًا لوسوسته ومكائده دون الاستعاذة بالله من هذا العدو الذي لا يرجى الصلح معه إلى يوم القيامة، وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره أن التوجيه بطلب الاستعاذة ورد في عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون. وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ (المؤمنون: ٩٧-٩٨). وقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين. وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

> **المسلم لا يملك دفعاً لشر الشيطان ورداً لوسوسته ومكائده دون الاستعاذة بالله تعالى**

والمعنى المتضح من هذه الآيات يكشف عن مدى عداوة الشيطان لبني آدم، إذ في الوقت الذي يأمر فيه الله الإنسان بالعفو والصفح عن عدوه الإنسي، يرشده لضرورة الاستعاذة بالله من عدوه الشيطاني، ذلك أنه لا يقبل إحسانا، ولا يلين بمودة وغفران، لأنه لا يبغي غير هلاك ابن آدم، وذلك يتفق مع قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾(فاطر: ٦).

والاستعاذة تكون بقول المسلم «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وهو اللفظ الذي عليه الجمهور من العلماء في التعوذ، وكما أوضحنا يعني الاستجارة بالله من أن يضرني الشيطان في ديني ودنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، لأن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله.

وهناك أوقات ومواضع لترديد صيغة الاستعاذة وهي:

أولا: عند قراءة القرآن، لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (النحل: أية ٩٨).

ثانيا: عند الغضب للواقعة التي سبق أن ذكرناها والتي قال فيها رسول الله ﷺ وهو يرى الرجلين يتشاجران وأحدهما تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ثالثا: عند الوسوسة في الإيمان، لقوله ﷺ «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».

رابعا: عند رؤية ما يكره في الحلم، قال رسول الله ﷺ «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وليتحول من جنبه الذي كان عليه».

خامسًا: عند دخول المسجد، فقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم».

سادسًا: عند دخول الخلاء، فقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»، والخبث والخبائث هم ذكران وإناث الشياطين.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

أنحمل هم الإنسانية؟!

لماذا تتوه خطى الأمة يمينا ويسارا وعندها خريطة الصراط المستقيم؟ ولماذا تتخبط في تطبيق الأحكام والقواعد التي تنبع من المنهج الذي أهداه الله لأمتنا الإسلامية؟ أنحمل هم الإنسانية في حياتنا أم نحمل غثاء؟ وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ تساؤلات عديدة تجول بخاطر الكثير من أبناء هذا الدين الغيورين.

الواقع المرصود بعين موضوعية يبين أن البشرية كلها تسير نحو الهاوية والانحطاط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وذلك لتراجع أبناء الإسلام عن تأدية دورهم الحقيقي في الأرض، ذلك الدور المتمثل في الاستخلاف وقيادة العالم إلى حياة السعادة الدنيوية والنجاة الأخروية.

والمتأمل في أحوال الأمة يجد أن مشكلتها الرئيسية هي الفرد، لأن صلاح المجتمع من صلاح الفرد، لذا نعيش حالة من الجمود الفكري والعلمي والدعوي والحركي بصورة ملحوظة تجاه قضايا المسلمين والإنسانية.

كذلك نعاني من التدين الأعرج القائم على عبث التطبيق، حيث يعتقد كثير من الناس أن العبادات الظاهرة فقط هي الدين ، في الوقت الذي أضحت فيه المعاملات والأخلاقيات والآداب في خبر كان، وكأننا مجتمعات مريضة بالتزييف والخداع.

فلا يكفي أن يكون أفراد المجتمع ملتزمين بالمناسك الدينية، لأن الأهم الوعي بالمقاصد التي تحولها إلى سلوك اجتماعي في معاملاتهم، لذا نرى تزايد أعداد المصلين والصائمين والمعتمرين والحجاج مع غياب الأثر الدائم لذلك على قيمنا ومبادئنا وأخلاقياتنا وتعاملاتنا..

فالذنب المجتمعي أخطر من الذنب التعبدي، فنحن لا نتحرز للمعاملات في مقابل قيامنا للعبادات رغم أن الأمر يصل إلى حد ذنوب العبادات، لأن ذنوب المعاملات لا تغفر إلا برد المظالم وإرجاع الحقوق.

لذا فإن قضية الهم تعد أمرا تعبديا يؤجر عليها الإنسان كما يؤجر على الفرح لنصر الدين وتمكينه. روى البخاري عن أنس، ومسلم عن جابر، قال رسول الله ﷺ «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم العذر».

والهم الإيجابي هو بمثابة الزاد للعمل لإنقاذ البشرية من براثن المادية المتوحشة، لا الهم المثبط المُقعد عن العمل، ولكن ما شروط الهم المطلوب حمله؟

ينبغي أن يتصف كل مهموم بشعور فياض يملك عليه لبه ومشاعره، حزنهً وفرحه، غضبه وسروره، والإحساس بالتحدي مع النفس في ضرورة تبليغ هذا الدين لكل بقعة على هذه الأرض بمختلف الوسائل الممكنة سواء كانت تقليدية أو حديثة، والتفكير المستمر في سبل نهضة الأمة الإسلامية لكي تؤدي دور الشهادة على العالمين.

إن من يحمل هم الإسلام يجب أن يتأمل في قضية الإسلام الكبرى وهي الإصلاح الشامل، والتغيير الأخلاقي للإنسان، وإقامة الصرح الروحي الرباني، وبناء العلاقات المرتبطة بمصلحة الإسلام.

إن العالم اليوم في أمس الحاجة للإسلام الصافي..الإسلام الفطري.. الإسلام الحقيقي الذي شوهه أبناؤه في الآفاق المختلفة. فلو أثرت صلاة التراويح في أكثر من مليوني مسلم في ليلة السابع والعشرين من رمضان بالمسجد الحرام من كل عام لتغيرت حياة البشرية وصرنا نسوس العالم للصلاح والفلاح.

ويمكن القول أن قضية التفكر والتدبر في الإسلام وقضاياه ومشاكله ليل نهار بصورة المهموم الذي وهب حياته كلها للدين هي الترجمة العملية لخدمتنا للبشرية بالصورة التي طلبها الله من المسلمين، وعليه فإنه يمكن اعتبار الأجيال اليوم واقفة أمام مفترق طرق إما النجاح في إنقاذ البشرية أو الفشل في إنقاذ النفس.

ولكي نخدم الإسلام بالصورة الصحيحة لابد من العزم والصدق في الإخلاص، ومعرفة الطريق المستقيم، والاستفادة من جميع الظروف المتاحة والإمكانات المتوافرة، وتقديم حظ الإسلام على الحظوظ النفسية والمادية، وسلك سبل العلماء والدعاة والمصلحين، والبعد عن الكسل والضعف والخور، ووهبه جزءًا من همومنا، وإعطائه بعضا من أوقاتنا وأفكارنا وأموالنا، ليصبح شغلنا الشاغل وديدننا المتواصل.

أخيرا: إن الإنسانية في حاجة ضرورية لكل مسلم رباني غيور على دينه وعقيدته.. متقن لعمله.. لأن المسلم أساس بناء الإنسان الوجداني والعقلي في هذا الكون.

والله ولي التوفيق

الوصايا المهمّة المأثورة عن حكيم الأمّة



د.وليد محمد العلي

اعلموا رحمني الله وإيّاكم أنّ ممّا يُرقّق الطباع؛ فيعظ القلوبَ ويُشنّف الأسماع، ويدعو أصحابها إلى الاتّباع ما جاء في وصايا السّلف، التي هي من أجلّ المواعظ التُحف.

وحسبنا من وصايا السّلف التي تعلي الهمّة، وصايا ومواعظ حكيم هذه الأمّة، الذي هو أوّلُ قضاة الشّام، وصدرُ قرّائها الأعلام، وخيرٌ له من هذه الفضائل العظام، حُسنُ صحابته لخير الأنام، عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام، إنّه عامرُ الأنصاريُ الملقّب بعُويمر أحدُ رجالات الخزرج الفضلاء، المعروف والمشتهر بكنيته أبي الدّرداء رضي الله عنه.

فدونكم هذه الوصايا والمواعظ والحِكم الزّاخرة، التي تُصلح لمن اتّعظ بها شؤون الدّين والدّنيا والآخرة.

مـن رامَ مـن المؤمـنين الإمامـة فـي الـدّين، فعليه بإزار الصّبر ورداء اليقين، وثـمـرة الـصّـبـر الـرّضـا بـالأحـكـام، وثـمـرة اليقـين الإخـلاص مع الاستسلام، وقـد قـال أبـوالـدّرداء رضي الله عنه ذروة الإيمان الصّبر للحكم، والرّضا بالقدر، والإخلاص للتّوكّل، والاستسلام للربّ عز وجل.

ومن حُرم في عمله ثمرةَ اليقين وهو الإخلاصُ للربّ: فلا انتفاع بما يدّعيه الجسد من خُشوع القلب، كما قال أبـوالـدّرداء رضي الله عنه استعيذوا بـالله مـن خُـشـوع القـلـب، قـيـل: ومـا خُـشـوع القـلـب؟ فقـال أبـوالـدّرداء رضي الله عنه أن يُرى الجسدُ خاشعا، والقلب ليس بخاشع.

ومن حُرمَ الاتّباعَ في العمل كان هـواهُ قائدَه إلى الزّلل، لذا قال أبوالدّرداء رضي الله عنه إذا أصبح الرّجلُ اجتمعَ هـواهُ وعملُه، فإن كان عمله تابعاً لهواه، فيومه يومُ سوء، وإن كان هـواه تبعا لعمله فيومه يومٌ صالحٌ.

فما ابتلي عبدٌ بمتابعة هواه إلا أبغضه ربُّه ومولاه، فـقـد قـال ابـن أبـي لـيـلى، رحـمـه الـلـه تـعـالـى: كتب أبوالـدّرداء رضي الله عنه إلى مسلمة بن مخلد الأنصاريّ رحمه الـلـه تـعـالـى فـقـال: سـلامٌ عليك، أمّا بعد: فإنّ العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغّضه إلى عباده.

فـإن العـبـاد ليس بينهم وبـين الـلـه تـعـالـى صلةٌ ولا نسبٌ، إلا ما قدّموه لأنفسهم مـن عـمـلٍ صـالـح ولـنـعـم السّـبـب، كما قـال جُبير بن نُفير رحمه الله تعالى: «لمّا فُتحت قبرس مُرّ بالسّبي على أبي الدّرداء رضي الله عنه فبكى، فـقـلـت لـه تـبـكي فـي مثل هـذا الـيـوم الـذي أعـزّ الله فيه الإسـلام وأهـلـه؟ فقال أبوالدّرداء رضي الله عنه يا جُبير بينا هذه الأُمّة قاهرة ظاهرة إذ عصوا الله، فلقُوا ما ترى، ما أهون العبادَ على الله إذا هم عصوه.

وإنّ خير وصيّة للسّابقين والـلاحـقـين، هـي الـوصـيّـة بالخشية من ربّ العالمين، ولا سبيل إلـى الخشية إلا بالفقه في الدّين، فليحرص المُسلم على أن يكون من المُتعلّمين، فإنّ المُتعلّم شريكٌ في أُجور العلماء الرّبّانيّين، لذا قال أبوالدّرداء رضي الله عنه ما لـي أرى علماءكم يذهبون، وجُهّالكم لا يتعلّمون، تعلّموا فإنّ العالم والمُتعلّم شريكان في الأجر.

فليجتهد من أكرم الله تعالى بالعلم بالشّرع، على الـعـمـل بمـا أحـاط بـه فهو من أشراط النّفع، فقد قال أبـوالـدّرداء رضي الله عنه لـن تـكون عالماً حتّى تكون مُتعلّماً، ولا تكون مُتعلّماً حتّى تكون بما علمتَ عاملًا، إنّ أخوف ما أخـاف إذا وقفتُ للحساب أن يُقال لي: ما عَمِلتَ فيما عَلِمْتَ؟.

فـتـركُ المُتـعـلّم للعمل بـأحـكـام الـشّـريـعـة، أسـوأ حـالاً مـمّـن طـوّقته رُسـومُ الجهل الوضيعة، كما قال أبوالـدّرداء رضي الله عنه ويلٌ للذي لا يعلم مرّة، وويلٌ للذي يعلم ولا يعمل سبع مرّات.

وذلك أنّ العالم بالفرائض الآمـرة والـزّاجـرة، سترقبُه عينُ السُّؤال الباصرة، لذا قال أبـوالـدّرداء رضي الله عنه أخوف ما أخـاف أن يُـقـال لـي يوم القيامة: أعلمتَ أم جهلتَ؟ فإن قلتُ: علمتُ، لا تبقى آيـةٌ آمـرةٌ أو زاجـرةٌ إلا أُخذت بفريضتها، الآمرة: هل ائتمرت؟ والزّاجرة: هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفسٍ لا تشبع، ودعاء لا يُسمع.

لذا كانت مسؤولية العلماء العاملين عظيمة، ومسؤولية الأُمّة تجاههم جسيمة، فلا يُحبُّ العلماء العاملين إلا أصحاب القُلوب السّليمة، ولا يُبغضهم وينتقصهم إلا

أستاذ العقيدة في جامعة الكويت وإمام وخطيب المسجد الكبير في دولة الكويت

أصحاب القُلوب السّقيمة، فقد قال أبوالدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ اطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبُّوا أهله، فإن لم تُحبُّوهم فلا تُبغضوهم.

فالعاملُ بعلمه مع نومه وإفطاره: رُبّما سبق الجاهل العابد مع اغتراره، كما قال أبوالدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ يا حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ومثقال ذرّة من برّ مع تقوى ودين، أعظمُ وأفضلُ وأرجحُ من أمثال الجبال من عبادة المُغترّين.

فهل سأل المُؤمن نفسه ما الذي يُحبّبه في طول البقاء؟ ثُمّ ليُطابق ما زوّره في نفسه مع ما ذكره أبوالدّرداء، فقد قالرَضِيَ اللهُ عَنْهُ لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسُّجود في اللّيل، ومُجالسةُ أقوام ينتقون جيّد الكلام كما يُنتقى أطايب الثّمر.

فذكررَضِيَ اللهُ عَنْهُ من جُملة ما يُحبّبه في البقاء مُجالسة الطّيّبين من الأخلاء الأتقياء الأنقياء، الذين لا يُشركونك في إثم الغيبة ولا النّميمة، ولا يُفلسونك ممّا اكتسبته من الأجور العظيمة، بخلاف مَنْ إذا ولّيت مجلسه ولك إدبارٌ وإعراضٌ، انتهك حُرمتك وقرض عرضك بكُلّ مقراض، لذا قال أبوالدّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أدركت النّاس ورقًا لا شوك فيه، فأصبحوا شوكًا لا ورقة فيه، إن نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم لا يتركوك. قيل: فكيف نصنع؟ فقال أبوالدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ تُقرضهم من عرضك ليوم فقرك.

وهؤلاء لا حيلة لمن ابتلي بهم إلا بمُداراتهم إذا لقيهم في المجالس والدّروب، ويجعل بُغضَ أفعالهم وكراهية أقوالهم واستنكاف أحوالهم في القُلوب، كما قال أبوالدّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنّا لنُكشّر في وُجوه أقوام، وإنّ قلوبنا لتلعنهم.

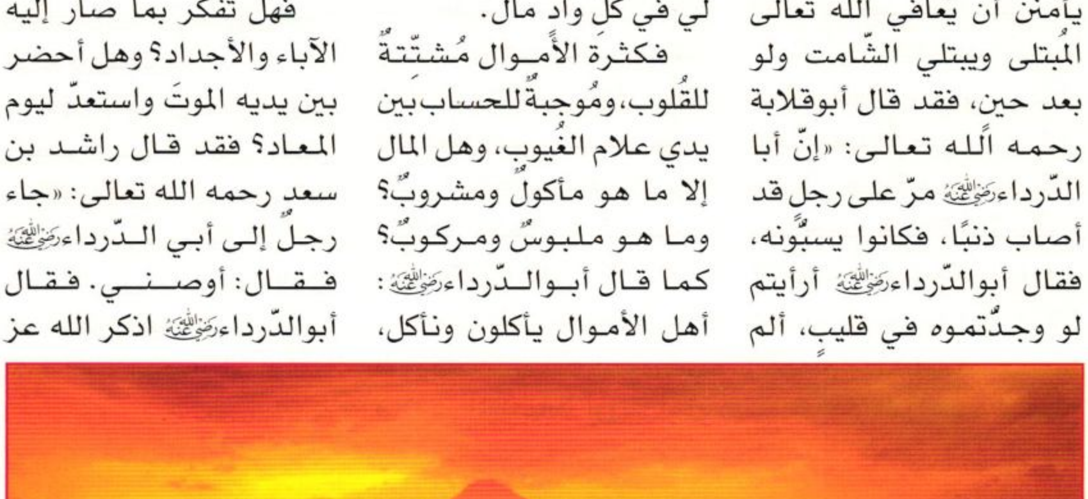
فليحمد العبد ربّه تبارك وتعالى على المُعافاة ولا يُظهر الشّماتة لأحد من المُسلمين، فإنّ فعل ذلكً فلا يأمننّ أن يُعافي الله تعالى المُبتلى ويبتلي الشّامت ولو بعد حين، فقد قال أبوقلابة رحمه الله تعالى: «إنّ أبا الدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرّ على رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبُّونه، فقال أبوالدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ أرأيتم لو وجدتُموه في قليبٍ، ألم تكونوا مُستخرجيه؟ قالوا: بلى. فقال فلا تسبُّوا أخاكم، واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم. قالوا: أفلا تُبغضه؟ فقال أبوالدّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنّما أُبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.

وإنّ المُعتبرين بوصايا السّالفين يُدركون أنّ النّفس مجبولةٌ على حُبّ المال، وأنّ السّعيد من شغله مالُه في صالح المآل، وأنّ الشّقيّ من شغله مالُه عن صالح الأعمال، فقد قال أبوالدّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعوذ بالله من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟ فقال أن يُجعل لي في كلّ واد مالٌ.

فكثرةُ الأموال مُشتّتةٌ للقُلوب، ومُوجبةٌ للحساب بين يدي علام الغُيوب، وهل المال إلا ما هو مأكولٌ ومشروبٌ؟ وما هو ملبوسٌ ومركوبٌ؟ كما قال أبوالدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، ولهم فضول أموال ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، وحسابهم عليها، ونحن منها بُرآء.

فهل ينفع الرّجلَ كثرةُ ماله إن كان جمّاعًا هلوعًا؟ فإذا سُئلَ نفقةً كان شحيحًا منوعًا، لذا قال أبوالدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويلٌ لكلّ جمّاع، فاغر فاه كأنّه مجنونٌ، يرى ما عند النّاس، ولا يرى ما عند الله عز وجل، لو يستطيع لوصل اللّيل بالنّهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

فهل تفكّر بما صار إليه الآباء والأجداد؟ وهل أحضر بين يديه الموتَ واستعدّ ليوم المعاد؟ فقد قال راشد بن سعد رحمه الله تعالى: «جاء رجلٌ إلى أبي الدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: أوصني. فقال أبوالدّرداءرَضِيَ اللهُ عَنْهُ اذكر الله عز



وجل في السّراء يذكرك في الضّراء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشْرَفَتْ نفسُك على شيءٍ من الدُّنيا فانظر إلى ما يصير.

ومن أعظم ما يُعين المرء على هول ما سيلقاه، أن يعبد الله سبحانه وتعالى صدقًا كأنّه يراه، كما قال أبوالدّرداء رضي الله عنه وأرضاه: «اعبد الله كأنّك تراه، وعُد نفسك في الموتى، وإيّاك ودعوة المظلوم، واعلم أنّ قليلاً يُغنيك خيرٌ من كثير يُلهيك، وأنّ البرّ لا يبلى، وأنّ الإثم لا يُنسى».

فهل تذكّر أنّ انخرامَ يومه وانصرامَ شَهْره معْوَلٌ لنَقْضَ حياته وفأسٌ لَهَدْم عُمْره، لذَا قال أَبوالدّرداء رضي الله عنه ابنَ آدم طأ الأرض بقدمك، فإنّها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم، إنّما أنت أيّامٌ، فكُلّما ذهب يومٌ ذهب بعضك، ابن آدم، إنّك لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أُمّك.

فهل اعتبر بمن تفلّتت من أجسادهم الأرواح، وأكثر على جنائزهم من الغُدُوّ والرّواح، فقد قال شُرحبيل رحمه الله تعالى: «إنّ أبا الدّرداء رضي الله عنه كان إذا رأى جنازةً قال اغدُوا فإنّا رائحون، ورُوحوا فإنّا غادون، موعظةٌ بليغةٌ، وغفلةٌ سريعةٌ، كفى بالموت واعظاً، يذهب الأوّل فالأوّل، ويبقى الآخر لا حلم له».

فمن أودع قلبه تذكّر الموت والمآل، لم يغتر ويفرح بكثرة الأعمال، ولم يبق في قلبه شُعبةٌ لحسد أحد على حُسن الحال، كما قالَ أبوالدّرداء رضي الله عنه من أكثر ذكر الموت قلّ فرحُه، وقلّ حسدُه.

> **من خيرِ ما يُوصي به سلف الأُمّة الأعلام كثرة الجلوس في البيت لما فيه من حفظ السّمع والبصر واللِّسان عن الحرام**

وإنّ من خير ما يُوصي به سلف الأمّة الأعلام كثرة الجلوس في البيت لما فيه من حفظ السّمع والبصر واللّسان عن الحرام، لذا قالَ أبوالدّرداء رضي الله عنه: نعم صومعة المرء المُسلم بيتُه، يكفّ لسانه وفرجه وبصره، وإيّاكم ومجالس الأسواق، فإنّها تُلهي وتُلغي.

ومن آثر الجلوس في البيت على الجلوس في ملاهي المُنتديات أَوْرَثَ أهل بيته تعلّم أحكام الصّلوات وآداب الدّعوات، فقد قالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: «كان لأبي الدّرداء رضي الله عنه ستُّون وثلثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصّلاة، فقلت له في ذلك: فقال إنّه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلا وكّل الله به ملكيْن يقولان ولك بمثل. أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟».

ومن أكثر من الجلوس في بيته مع أهله وعياله فإنّه يُسهم في تهذيب نفوسهم بلسان حاله ومقاله، كما قال عون بن عبدالله رحمه الله تعالى: «سألت أمّ الدّرداء رضي الله عنها ما كان أفضل عمل أبي الدّرداء رضي الله عنه؟ فقالت: التّفكّر والاعتبار.

فإنّ العالم العامل يتأثّر به أهل بيته في حياته، كما يسري هذا التّأثّر عليهم في ساعة وفاته، لذا قالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: إنّ أبا الدّرداء رضي الله عنه لما احْتُضِرَ جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثُمّ يقول ﴿ونُقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة﴾ (الأنعام: ١١٠).

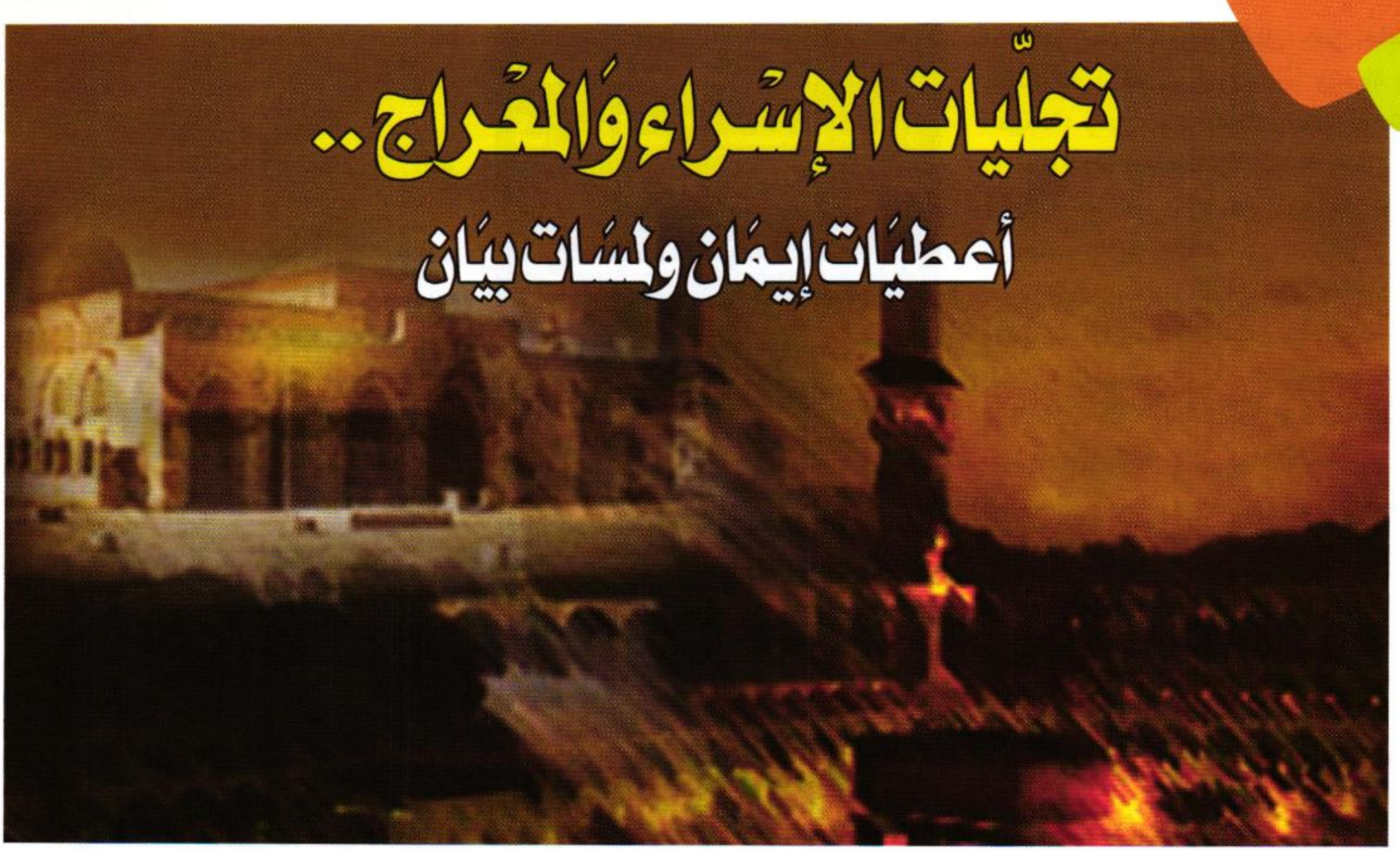
فنعمّا الرّاعي لرعيّته النّاصح الأمين، فإنّ الرّعية تنتفع بنُصحه وأمانته ولو بعد حين، فقد قالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها لأبي الدّرداء رضي الله عنه: إن احتجتُ بعدك: أآكل الصّدقة؟ فقال أبوالدّرداء رضي الله عنه: لا، اعملي وكلي. فقالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: فإن ضعفتُ عن العمل؟ فقال أبوالدّرداء رضي الله عنه: التقطي السُّنبل، ولا تأكلي الصّدقة.

فطوبى لمن كان في بيته مع أهله وعياله بهذه المثابة، فإنّ النّفس تُغتبطُ بالمُجاورة له وحُسنِ الصّحابة، لذا قالت أمُّ الدّرداء رضي الله عنها: «اللّهُمّ إنّ أبا الدّرداء خطبني فتزوّجني في الدُّنيا، اللّهُمّ فأنا أخطبه إليك، فأسألك أن تُزوّجنيه في الجنّة، فقال أبوالدّرداء رضي الله عنه: فإن أردتِ ذلك، وكنتُ أنا الأوّل: فلا تزوّجي بعدي.

قال لقمان بن عامر رحمه الله تعالى: فماتَ أبوالدّرداء رضي الله عنه وكان لأمّ الدّرداء رضي الله عنها جمالٌ وحُسْنٌ، فخطبها معاوية رضي الله عنهما، فقالت أمّ الدّرداء رضي الله عنها: لا، والله ما أتزوّج زوجا في الدُّنيا، حَتّى أتزوّج أبا الدّرداء إن شاء الله تعالى في الجنّة.

فما أحوجنا إلى وصايا السّلف السّابقين، التي تُهذّب أخلاقنا وتُثبّت في قلوبنا الدّين،

فهذه الوصايا المأثورة عن الصّحابيّ الحكيم، والمُشتملة على الخير العميم هي مصداق قول الرّسول الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم: «خير أُمّتي القرن الذين يلوني، ثُمّ الذين يلونهم، ثُمّ الذين يلونهم» (أخرجه مُسلمٌ في صحيحه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه).



تجلّيات الإسْراء وَالمعْراج..
أعطيَات إيمَان ولمسَات بيَان

عَلاء الدّين حسَن

لاشكّ أنّ لكلّ ذكرى أثرًا في قلوب الذّاكرين؛ حيث تمضي الأعوام وتمرُ الأيّام، والذكريات الخالدة تؤتي أكلها- بإذن ربّها- بالتذكار والدّرس الملهِم، مهما تقادم الزمان.

ونحن اليوم على ضفاف معجزة الإسراء والمعراج؛ هذه المعجزة التي تحققت في السنة العاشرة للبعثة قبل الهجرة بعام واحد تقريبًا(١)- وهي رحلة أرضية سماوية خُصّ بها نبيُنا محمّد صلى الله عليه وسلم: ﴿سُبحان الّذي أسرَى بعبْده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنَا حولَه لنريَه مِن آياتنا إنّه هوَ السّميع البَصير﴾ (الإسراء: ١).

في تلك المناسبة، توالت مشاهد لا سابق لها، وأنبأ -عليه الصلاة والسلام- عن سير القافلة.. الجملُ الأورق يأتيكم، ومغيب الشمس موعدكم، وبيت المقدس هذه أوصافه.

ومع هذه المعجزة نوقن يقينًا تامًّا أنّ النبي ﷺ كان في رحلة عمل بالدّرجة الأولى، ولم تكن ترفيهًا محضًا، فقد أرْسل اللهُ تعالى للخليقة منذ بدايتها، أرسل الرسلَ والأنبياء؛ ليَهدُوا الخلقَ إلى صراط الله الحق، وما أجابهم على مدار الزمان إلاّ قليل، كما كان الحال مع النبي الصابر نوح- عليه السلام- الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠)، وذلك بعد رحلة دعويّة استمرّتْ لألف سنة إلاّ خمسين عاما.

ونبينا محمّد ﷺ صَعد إلى سماء لا تُطاولها سماء، وهناك ﴿رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النّجم: ١٨).

وما أروع ما قيل في حقّه ﷺ:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيّكَ الْأَنْبِيَاءُ
يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ

لقد أسفرت معجزة الإسراء والمعراج عن أجلّ الدروس في تاريخ الدعوة الإسلامية، وتجلّت آثارها العظيمة في إعداد خير أمّة أُخرجت للناس، وانتشار الرسالة المحمدية في آفاق الحياة.. هذه الرسالة التي كتب الله لها الخلود، وهي المنهج الذي ينبغي للبشرية أن تنهجه، ففي ظلّه يكون خلاصها من الضياع والظلمات، وعلى هديه تجد سبيل العزة والكرامة.

معجزة الإسراء والمعراج تمّت، بعد أن ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف يعرض عليهم الإسلام، وبعدما صبر على أذى قريش ما يقرب من عشر سنين، فقابلته الطائف بسفهائها يرمونه بالحجارة:

كان يلقى الحجارة عنه زيد
ألا إنّ روحي لنعل زيد فداءُ

وشكى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربّه ضعف قوّته، وقلّة حيلته، وهوانَه

• باحث سوري

على الناس؛ ليعلّمنا بأنّ الشكوى إلى الله عبادة.

لقد كان دعاءً معبّرًا عن غاية الرضى.. ومهما بلغ عظم المحنة، فإنّ المؤمن الصادق لا يبالي بكل ما يصيبه من إيذاء ﴿لا يغرّنك تقلّب الّذين كفروا في البلاد. متاع قليل ثمّ مأواهم جهنّم وبئس المهاد﴾ (آل عمران: ١٩٦-١٩٧).

وإذا كانت الأرض قد ضاقت بتكريم رسول الله، فإنّ العناية الإلهية كلها وقفت معه، وكأنها كانت تخاطبه: يا محمّد إن كان يؤلمك أن يشتمك في الأرض أعداء؛ أفلا يرضيك أن ترحّب بك ملائكة السماء؟ يا محمّد إن كان يحزنك أن يتناولك بالحجارة سفهاء؛ أفلا يسرّك أن تصلّيَ إمامًا بالأنبياء؟

ومرّت على رسول الله ﷺ لحظات كان فيها بين النوم واليقظة، وإذ بالأمين جبريل يهبط عليه حاملًا إليه دعوة ربه عز وجل، وركب ﷺ البراق بصحبة جبريل عليه السلام، وأُسري به إلى المسجد الأقصى، وهناك مُثّلت له أرواح الأنبياء، فصلّى بهم ركعتين، قبل أن يعرج به إلى السموات العلى.

روح وجسد

ثم عُرج به ﷺ «بالروح والجسد» إلى السماء الأولى فلقي آدم عليه السلام، وفي السماء الثانية لقي عيسى ويحيى عليهما السلام، وفي السماء الثالثة لقي يوسف عليه السلام، وفي السماء الرابعة لقي إدريس عليه السلام، وفي السماء الخامسة لقي هارون عليه السلام، وفي السماء السادسة لقي موسى عليه السلام، وفي السماء السابعة لقي إبراهيم عليه السلام (٢).

ثم وصل -صلى الله عليه وسلم- إلى سدرة المنتهى، وفي تلك اللحظات الخالدة فُرضت الصلاة لتكون صلة بين العبد وربّه (٣).

بعد الطائف.. يا محمد إن كان يؤلمك أن يشتمك أعداء الأرض أفلا يرضيك أن ترحب بك ملائكة السماء

قال الله تعالى: ﴿وَأقيموا الصّلاة وَلا تَكونوا منَ المشركين﴾ (الرّوم: ٣١). وفي آية أخرى: ﴿وَأقيموا الصّلاة وَآتوا الزّكاة وَاركعوا معَ الرّاكعين﴾ (البقرة: ٤٣). وقال عز وجل: ﴿فَويل للمصلّين. الّذين هم عَن صَلاتهم سَاهون﴾ (الماعون: ٤ - ٥).

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئت منه ذمّة الله» (٥)، وعن يزيد الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(٦).

إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وربنا عز وجل يقول: ﴿يومَ يكشَف عنْ سَاق وَيُدعون إلى السّجود فَلا يَستطيعون. خاشعة أبصارُهم ترهقُهم ذلّةٌ وَقدْ كانوا يُدعَون إلى السّجود وَهمْ سَالمون﴾ (القلم: ٤٢ - ٤٣).

ووجه الدلالة في الآية الكريمة هو أن الله تعالى عندما يكشف عن ساق، يخر المسلمون الصادقون سجّدًا لله رب العالمين دليلًا ساطعًا على إيمانهم، ويأتي الكفار والمنافقون ليسجدوا مع المسلمين فيحال بينهم وبين السجود، ومنهم من ضيّع الصلاة في الدنيا، قال تعالى: ﴿مَا سَلككم في سَقر. قَالوا لم نكُ مِن المصلّين﴾ (المدثّر: ٤٢ - ٤٣).

وروى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة؛ ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيّ بن خلف»(٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما يحاسَب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت فقد صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»(٨)، فإذا تمثّل نور الإخلاص في القلب، ارتقت الروح في معارج الإيمان.

والصلاة جلال وجمال، قال تعالى: ﴿قد أفلحَ المؤمنون. الّذين هم في صَلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون: ١ - ٢). وفي آية أخرى: ﴿وإنّها لكبيرةٌ إلّا على الخاشعين﴾ (البقرة: ٤٥).

والخاشعون هم الطائعون المتنعون عن المحرمات، الذين يعلمون أن الأمر لله وحده.. والخشوع هو سكينة القلب، وعندما دخل أحد الصالحين المسجد، ووجد رجلًا يصلي ويعبث بثيابه، قال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

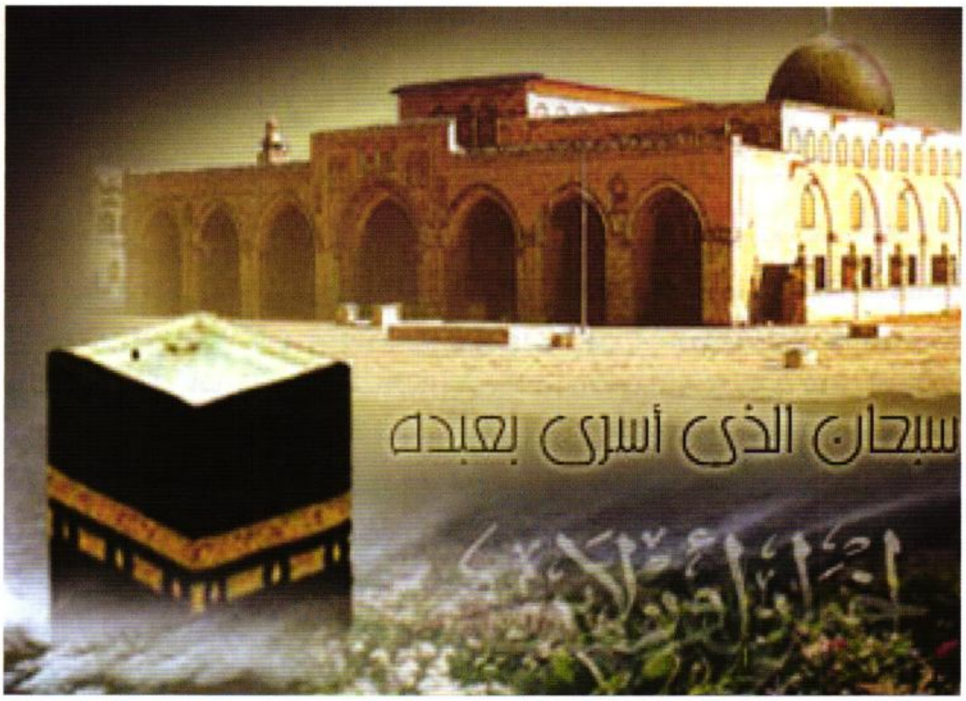
من صور الإصلاح

ولقد جسّدت ليلة الإسراء والمعراج صورًا عديدة لإصلاح الإنسان.. فالمغتاب يأكل لحم أخيه ميتًا، والذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا، والذين يأتون ما حرم الله يأكلون اللحم المنتن ويتركون الطيب.

وموقف الناس يكادُ يكون معروفًا من قصّة الإسراء والمعراج؛ وكما يقول البعض: الحال ناطقة، ونطقُ الحال أبلغُ من نطق المقال، وأحوال الناس تسير كلّها في دربَين لا ثالثَ لهما، إمّا درْب السعداء فباتّباع الشّرْع والسّيْر على محجّته الغرّاء، وإمّا درب الأشقياء فكلّه فروع متعرّجة بمقدار سُبُل الغواية المرصودة على طريق النار، وبئس القرار.

وفي الاقتران الزمني بين إسرائه- عليه الصلاة والسلام- إلى بيت المقدس ومعراجه إلى السموات السبع؛ دلالة

الحديث عن بيت المقدس هو حديث عن تاريخ العبادة وحديث عن الكرامة التي ترمز إليها معالم المسجد الأقصى



واضحة على ما لبيوت الله من مكانة وقدسية، فالمساجد ينابيع الهدى، وأحب البقاع إلى الله، فيها يتم التعارف وتتصافح القلوب، وهي مدارس علم وأخلاق.

والمسجد الأقصى معْلَم من معالم الإسلام، ومشعر من مشاعر الإيمان، وقد ذهب عدد من مفسري القرآن الكريم إلى أن المقصود بقوله تعالى: ﴿والتِّين والزّيتون﴾ بيت المقدس؛ حيث ينبت التين والزيتون.

استقراء الحضارة

والحديث عن بيت المقدس حديث عن التاريخ بمعانيه العديدة وأعماقه البعيدة، هو حديث عن تاريخ العبادة والاستقامة على نهج الخالق جلا وعلا، وحديث عن المعجزات الإلهية التي جّلاها الله تعالى في هذه البقعة المباركة؛ وحديث عن الكرامة والعزة والقيم التي ترمز إليها معالم المسجد الأقصى؛ وحديث عن استقراء الحضارة الإسلامية بكل إبداعاتها وتضحياتها، من أجل هذا انطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بيت المقدس في غمرة استقبال حافل، آلَ بالمسلمين بعد ذلك إلى أن رفعوا جدران المسجد الأقصى، وشيّدوا صرحه الشامخ في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، وراحت دعوة التوحيد تنطلق معلنة أنه ينبغي ألا ترتفع في بيت المقدس سوى راية التوحيد.

ولما وقع الأقصى في أيدي الصليبيين، هبّ صلاح الدين يجمع الجموع، وينطلق بجيش لا إله إلا الله إلى حطين ؛ حيث دارت معركة طاحنة انتهت بهزيمة الكفار هزيمة نكراء، وامتلأت رحاب الأقصى بالمسلمين.

وها هو الأقصى يحدّثنا اليوم:

أنا المسجد الأقصى ومسرى محمّد
أنا القبلة الأولى، منارةُ إيمانِ
إذا مسّني ضرٌّ ففي الله نصرتي
يبدّد أعدائي، ولو بعد زمانِ
إذا طال بي عهد الظلام ففي غدٍ
ستشهد دنيا الناس ثورةَ بركاني
ويعلو لواء الحقّ والفجر ينجلي
وتشرق بالزحف المظفّر أوطاني

ومن ذكرى الإسراء والمعراج، يجب ألاّ ننسى أنّ القدس وديعةُ سيّدنا رسول الله ﷺ لكلّ المسلمين، فرسولُ الله ﷺ قد صلّى إمامًا بالأنبياء في المسجد الأقصى، وهذا معناه أنّ مقام النبي ﷺ لا يَعدلُه مقام، وكذلك يجب أن تكون أمّتُه، وفيه إشارة أيضًا إلى أنّ هذا المسجد المبارك قد تمّ ضمُّه إلى أخويه المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ ليتبوّأ مكانَه اللاّئق به ضِمنَ مقدّسات المسلمين.

وقد أعلم الله تعالى نبيه محمّدًا ﷺ بأنّ هذه الأرض المقدسة سيحتلها الأعداء، ولهذا حرض-عليه الصلاة والسلام-أمّته على الدفاع عن الحق، وأخبر بالمعركة المرتقبة بين المسلمين واليهود المعتدين ؛ حيث سينطق الحجر دالًا على الأعداء، وكذلك الشجر وسيكون النصر في النهاية للمسلمين بإذن الله، قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزَنوا وأنتم الأعلَون إنْ كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران:١٣٩).

الهوامش

١- صحيح مسلم ١٨٤/١، فتح الباري ٤٩٢/٣، البداية والنهاية ١٠٧/٣، سيرة ابن هشام ٣٩٦/١.
٢- أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٠٧) من حديث مالك بن صعصعة.
٣- انظر: كيف فُرضت الصلاة ليلة المعراج وكيف أصبحت خمسًا بعد خمسين- البخاري كتاب ٨- باب ١، مسلم ك ١- حديث رقم ٢٥٩.
٤- رواه مسلم في الإيمان- حديث ٢٥٦.
٥- مسند أحمد- حديث معاذ بن جبل- ح رقم ٢٢٧٢٦.
٦- مسند أحمد- ج٣ - ص ٣٧٠، مسلم ك١ -ح ١٣٤، الترمذي- ك ٣٨- ب ٩.
٧- مسند أحمد- ج٢- ص ١٦٩.
٨- رواه الترمذي- ك٢- الباب ١٨٨، والنّسائي ك٥- الباب ٩، وابن ماجة ك٥- الباب ٢٠٢.

أسطورة قبر يوسف .. أوهام وأكاذيب واستغفال واستغلال

د. عصام سيسالم

لقد أعدت الحركة الصهيونية العنصرية مخططها الاستعماري الاستيطاني للعدوان على وطننا واغتصاب أرضنا وتدنيس مقدساتنا وإزالة وجودنا والتطاول على آثارنا، وتزييف التاريخ، بادعاءات باطلة لا سند لها، ولا دليل عليها سوى أساطير توراتية تعشش في عقول متخلفة، تحاول جاهدة أن تثبت دون جدوى وجود أثر واحد لها في فلسطين، وعلى الرغم من كل ما بذلته بعثات الاكتشاف والتنقيب الأوروبية والصهيونية المريبة منذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى اليوم من جهود، فإن كل ما توصلت إليه ادعاءات لا تستند إلى أي دليل أو نص تاريخي موثق، وقد أثبت بطلان ما يدعونه عدد كبير من الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار المصنفين، ومن بينهم الباحثة الأميركية كينون والجيل الجديد من المؤرخين اليهود في الحقبة الحالية (ما بعد الصهيونية).

من الأكاذيب التي شاعت ولم تجد من يتصدى لها أسطورة قبر يوسف، ولكون جميع الأنبياء والمرسلين من المسلمين كما أكد القرآن الكريم، فنحن أحق بهم وبتكريمهم والمحافظة على أي أثر ينسب لهم سواء كان ذلك صحيحًا، أو مجرد إدعاء لا أساس له، لأنهم يمثلون أصدق تمثيل تراثنا وعقيدتنا وما نعتز به من قيم ومثل عليا.

ومن بين الآثار الفلسطينية التي حافظ عليها أسلافنا وأضفوا عليها هالة من القداسة والتكريم، على الرغم من عدم وجود سند تاريخي لها، الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل المجاهدة الصابرة، وهو من مساجدنا التي لها مكانة كبرى في وطننا، والذي يضم عددًا من القبور ومن بينها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته سارة وقبر يعقوب وابنه يوسف الصديق عليه السلام وغيرهم.

أما بالنسبة لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام فقد كان حنيفًا مسلمًا، وكذلك أعقابه من بعده، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون، ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين﴾.

وظل الأحناف في جزيرة العرب التي ارتبط إبراهيم الخليل بعشائرها وقبائلها حتى عهد حفيده من ابنه إسماعيل الرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وسلامه كما يؤكد القرآن الكريم أن يوسف الصديق عاش في مصر ووصل إلى مكانة رفيعة فيها ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ (يوسف: ٢١).

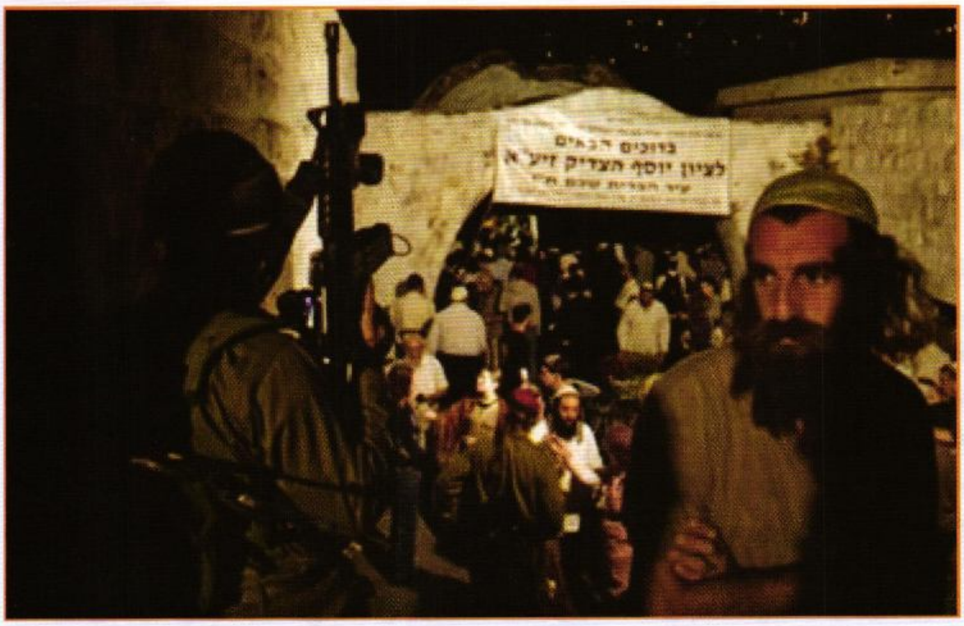
وأنه دفن في مصر كما يؤكد الحديث الذي رواه أحمد في مسنده، «ما من نبي يموت، إلا ويدفن حيث يقبض».

وتروي التوراة المحرفة التي كتبها عزرا ونحيما في القرن الخامس قبل الميلاد، بأن الذي اشتراه هو فوطيار وأن يوسف تزوج أسنات ابنة فوطى فارع كاهن معبد آمون، وكان من بين بناته طاي، وأنه عاش مائة وعشر سنوات، وحنط ووضع في تابوت من رخام، ودفن في قاع النيل،



أستاذ في جامعة الأزهر سابقاً

الحركة الصهيونية تدعي أن قبر الشيخ المسلم يوسف دويكات هو قبر يوسف الصديق



ونضيف إلى هذه المزاعم التي لا تستند إلى أي سند تاريخي أو منطق عقلي أن موسى عليه السلام استخرج تابوته من أعمال النيل وحمله معه، وأن يوشع بن نون دفنه في مغارة المكفيلة حبري (الخليل)، بجانب قبر إبراهيم ويعقوب وهو ادعاء باطل مثل الادعاءات الصهيونية كما يقول المؤرخ سوسة في كتابه الرائع «العرب واليهود» في النص التالي: «إن الشريعة التي نزلت على موسى عليه السلام والتي حرفتها الأحبار هي صهيونية اليوم بعينها لكونها تهدف كما تهدف الحركة الصهيونية الحالية إلى استغلال عاطفة الدين وفق نصوص صيغت في السبي البابلي من أجل خلق دوافع تحث الأسرى إلى العودة ثانية إلى الأرض التي اغتصبوها، وعاثوا فيها تخريبًا لاغتصابها من جديد بالاستناد إلى ادعاءات باطلة وأساطير وتطاول وعدوان لخلق تاريخ وهمي لهم من العدم».

ومن بين الادعاءات الباطلة قبر يوسف على مشارف مدينة نابلس المجاهدة، فالبرغم من الزعم بوجود قبر ليوسف في الحرم الإبراهيمي كما ذكرنا ووجود عدد من القبور لأولياء من المسلمين ممن يدعون بيوسف في عدة قرى مدن فلسطينية، فقد وجدت الحركة الصهيونية في التماثل في التسمية فرصة مواتية للادعاء بأن قبر الشيخ المسلم يوسف دويكات هو قبر يوسف الصديق، لاتخاذ الموقع الاستراتيجي على مشارف نابلس ثكنة عسكرية للتهديد والعدوان ومدرسة دينية للتضليل والتزييف وعلى الرغم من كونه أثرًا إسلاميًا مسجلًا لدى دائرة الأوقاف الإسلامية وأن المدفون في هذا القبر هو أحد الصلحاء المسلمين، ويؤكد عدد كبير من الباحثين والمؤرخين ومن بينهم العالم المصري أحمد عثمان في كتابه «غريب في وادي الملوك» ص ٨٧، بطلان الادعاءات الصهيونية، وأن يوسف كان وزيرًا لأمنحوتب الثالث فرعون مصر (١٣٦٧-١٤٠٥ ق.م) وصهرًا له فقد تزوج طاي ابنة يوسف من زوجته أسنات ابنة فوطي فارع كاهن آمون ولهذا كان من بين ألقاب يوسف «إيت نترن نب طاوي» أي عم سيد الأرضين وشاع الجزء الأول من اسمه ووجد بالهيروغليفية في مقبرته مع عدة صور منها (يويا، ويويو، ويويايا) على سبيل التحبب وتوجد مومياء يويا في المتحف المصري، ومازالت حتى اليوم تحتفظ بطابعها الآرامي وتختلف عن بقية المومياءات في ملامحها.

ويؤكد هذه الرؤية جاستون ماسبيرو مدير المتحف المصري في نهاية القرن التاسع عشر كما روى المؤرخ المصري مانبيتون الذي كتب تاريخ الأسرات المصرية القديمة لبطلميوس الأول أن أحد وزراء أمنحوتب الثالث يدعى «سف»، ولهذا يذكر المؤرخ عبدالمنعم عبدالحليم أن المومياء المودعة حاليا في المتحف المصري هي ليوسف الصديق، وان اختلفنا في التفاصيل، وهكذا يتضح لنا مدى بطلان الادعاءات الصهيونية، والى أي حد وصلوا في التزوير وتروج الأكاذيب والأساطير لإنشاء كيان عدواني لن يكتب له البقاء، وسيكون لشعبنا الفلسطيني الأبي وطنه الحر وعاصمته القدس زهرة الدمائن وعاصمة العواصم، ومهما ادلهم الليل سيشرق الفجر من جديد.

المراجع

١- الشرق الأدنى القديم: د.عبدالعزيز صالح.
٢- تراث فلسطين في كتابات عبدالله مخلص: د.كامل جميل العسلي.
٣- الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين د.توفيق كنعان.
٤- قراءة سياسية للتوراة: شفيق مقار.
٥- الحقيقة والمجاز: عبدالغني النابلسي.
٦- تاريخ نابلس والبقاء: إحسان النمر.
٧- مجلة أخبار الأدب المصرية: العدد المؤرخ في ١٩ أكتوبر ١٩٩٧م، والعدد المؤرخ في ٩ نوفمبر ١٩٩٧م.
٨- قراءات في التوراة: محمد وحيد خياطة.

الاجتهاد المقاصدي والتأسيس للبناء المعرفي «الشاطبي أنموذجاً»

الحسن حما

شهد العالم الإسلامي جمودا في الفكر وانحطاطا حضاريا شملت بوادره مختلف جوانب العقل المسلم، مما أثر سلبا على منظومة الفكر الإسلامي فأخذت الدراسات الحديثة تتجه إلى بحث سبل قيام إصلاحات جذرية لبلورة ثورة معرفية للخروج من الأزمة، لذلك اعتبرت أطروحة المقاصد نظرية بديلة للخروج من الأزمة التي يتخبط فيها الفكر الإسلامي بشكل عام والاجتهاد الأصولي بشكل خاص، وبما أن الأزمة لا يمكن حصرها في زاوية من الزوايا العلمية، والمعرفية كأن نقول مثلا: أنها أزمة الحديث، أو أزمة الأصول أو الفقه أو الأخلاق.. فهي تمثل وحدة تتداخل فيها عدة جوانب وعوامل يصعب عزلها عن بعضها البعض، ومع استحضار العوائق الإبستمولوجية ومن بينها الترسانة التراثية التي تولدت عبر قرون من الإنتاج المعرفي للعقل الإسلامي، بمناهج مختلفة متعددة لذلك فإن عمل الشاطبي يعده بعض الدارسين والباحثين محاولة جادة نحو صياغة العقل الإسلامي، بما يمكنه من امتلاك قدر من الوعي التاريخي الذي يؤهله لدخول العصر بمعطيات تراثية وبآفاق اجتهادية واسعة محيطة بمنطلقات العصر الحديث، لذلك وجب الوقوف عند هذا الطرح لفهمه واستيعابه مع التمعن فيه وقراءة هذه الأنماط الفكرية قراءة معرفية ومن داخل النسق المولد لها، حتى نستطيع الوقوف عند التأثير لكل عامل من العوامل، وما مدى نجاح الطرح المقاصدي لأبي إسحق الشاطبي في بلورة منهجية تستطيع أن تنقد الاجتهاد الأصولي وتعكس تطبيقاته في المجتمع الإسلامي المعاصر، لهذا تسعى هذه الورقة إلى الوقوف عند نظرية أستاذ الاجتهاد المقاصدي، في بعدها المعرفي، الاجتهادي بتداخل مع النسق الفكري المولد لها من خلال ثلاثة مباحث:

أثبتت دراسات فلسفة العلوم والدراسات الابستمولوجية الحديثة أن العلم والمعارف نتاج لتفاعل العامل البشري والعامل المادي، بمعنى آخر، تفاعل المفكر مع محيطه العام وموضوعه، فهناك عوامل ومؤثرات متداخلة ومتعددة في عملية إنتاج وبناء المعرفة بل وتكاملها وصياغتها.

من هذا المنطلق تكون قراءتنا للشاطبي في الموافقات حتى نبين أن الموضوع والمحيط الاجتماعي للمفكر لعبا دورا أساسيا في إنتاج نظرية المقاصد، ولهذا سنركز في هذا المبحث على التأثير الذي أحدثه الاختلاف الأصولي على الاجتهاد المقاصدي.

يتضح لدارسي الكتب الأصولية الحيز المعرفي الذي أخذته قضية الاختلاف بشكل أدى بهذه الدراسات إلى الابتعاد عن تناول حكمة الشريعة وتعليلاتها، وهذا ما أفضى بالطاهر بن عاشور إلى تناول كتابه بمنهج يمكن من

الشاطبي وعى جدالاً واضطراباً في نظام الأدلة الشرعية فعمد إلى جعل قضية القطع واليقين من القضايا المحورية في مشروعه الفكري

تجاوز قضية الاختلاف لإبراز البعد المقاصدي منتقدا في الوقت نفسه قضية الاختلاف، عند الأصوليين، فقال في مقدمة كتابه «على أن معظم مسائل أصول الفقه لا ترجع إلى خدمة حكمة الشريعة ومقاصدها، ولكنها تدور حول محور استنباط الأحكام من ألفاظ الشارع بواسطة قواعد تمكن العارف بها من انتزاع الفروع منها أو من انتزاع أوصاف... يمكن أن نجعل تلك الأوصاف باعثا على التشريع، فتقاس فروع كثيرة على مورد لفظ منها باعتقاد اشتمال تلك الفروع كلها على الوصف الذي اعتقدوا أنه مراد من لفظ الشارع، وهو الوصف المسمى بالعلة»(١) وهذا ما أشار إليه الشاطبي نفسه في موضع غير واحد من الموافقات ويوضحه بشكل جلي في المقدمة الرابعة من الجزء الأول فقال: «كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عونا في ذلك فوضعها في أصول الفقه عارية، والذي يوضح ذلك أن هذا العلم لم يختص بإضافته إلى الفقه إلا لكونه مفيدا له، ومحققا للاجتهاد فيه... فليس كل ما يفتقر إليه الفقه يعد من أصوله وإنما اللازم أن كل أصل يضاف إلى الفقه لا ينبني عليه فقه فليس بأصل له».(٢)

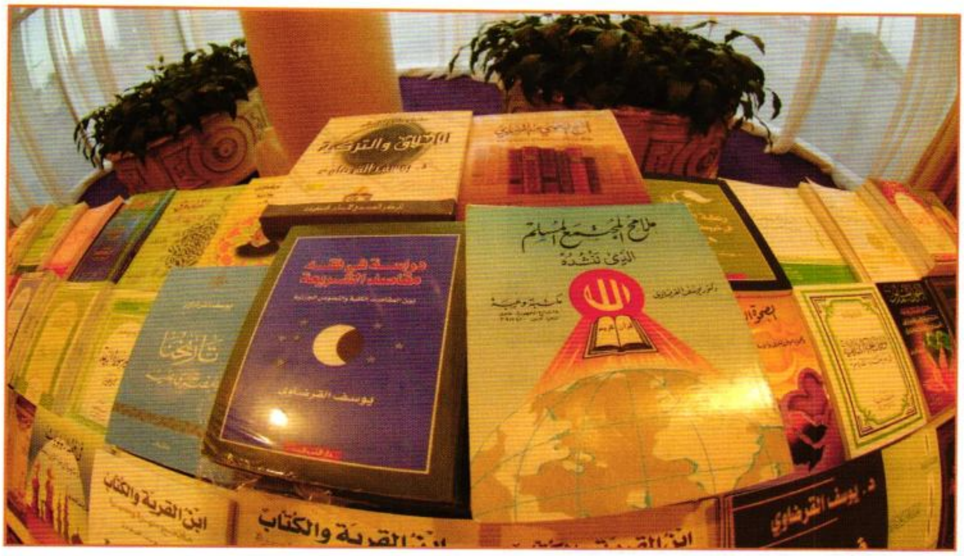
هذا الجدال أو الاضطراب في نظام الأدلة الشرعية والذي وعاه الشاطبي تمام الوعي جعله يتفطن إلى هذا المشكل المنهجي، فعمد إلى عملية التناسب فجعل قضية القطع واليقين

• باحث في جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال في المغرب

من القضايا المحورية في مشروعه الفكري، وهو ما أكده في المقدمة الأولى «إن أصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية والدليل على ذلك أنها راجعة إلى كليات الشريعة وما كان كذلك فهو قطعي».(٣)

وبهذا يكون قد فند أطروحة الاختلاف التي تشعبت بها القضايا الأصولية وهذا واضح في المؤلفات الأصولية حيث نجد بعض الأدوات الوظيفية كاللغة، اعتبرت كأحد أهم المباحث الأصولية في حين هي وسيلة فقط، يقول ابن عاشور مشيرا إلى هذا: «...إن معظم مسائله مختلف فيها بين النظار مستمر بينهم الخلاف في الفروع تبعا للاختلاف في تلك الأصول... قد استمر بينهم الخلاف في الفروع لأن قواعد الأصول انتزعوها من صفات تلك الفروع، إلى أن قال: وتلك كلها في تصاريف مباحثها بمعزل عن بيان حكمة الشريعة ومقاصدها العامة والخاصة في أحكامها فهم قصروا مباحثهم على الألفاظ الشرعية وعلى المعاني التي انبنت عليها الألفاظ وهي علل الأحكام القياسية»(٤). هذا الاجتهاد المقاصدي وضع له الشاطبي محددات منهجية ومعرفية منسجمة ساعدته في بلورة نظريته المقاصدية، وهو ما عبر عنه في المقدمة الرابعة «كل مسألة مرسومة في أصول الفقه لا ينبني عليها فروع فقهية أو آداب شرعية أو لا تكون عونا في ذلك فوضعها في أصول الفقه عارية»(٦)

وهذا النقد المنهجي المستوعب للاضطراب الأصولي الذي استوعبه أبوإسحق الشاطبي بشكل متكامل هو ما ذهب بالباحث عبدالمجيد الصغير إلى حد القول بأن بعض مباحث المقاصد تشكل مشروع الإنقاذ المعرفي، فيقول في بيان قضية اليقين «لقد فتح الشاطبي في علم الأصول الطريق المضمون اليقين الموصل



مباشرة إلى إدراك مقاصد الشرع وحكمته وذلك بفعل تغيير منهجي عميق أبان الشاطبي خلاله وعيا منذ البداية بضرورة مراجعة علم أصول الفقه، ونقد أدبياته المتأخرة خاصة، مبينا حدود الاستفادة منها وضرورة تطويرها لأجل إنقاذ علم الأصول ذاته مادام علماء الأصول قد ظلوا في غفلة عن القيمة الإجرائية»(٨)

المفاهيم المؤسسة لنظرية الاجتهاد المقاصدي

لقد عمل الشاطبي على تأسيس نسقي مهم في بلورة نظريته في مجال أصول الفقه التي تحتوي على العديد من هذه المفاهيم المؤطرة لفكره، وما يتولد عنها من معارف جديدة، من هنا فإن المدخل الرئيسي للنفاذ إلى أعماق النظرية هو الوقوف عند بعض هذه الآليات (المفاهيم) التي تظل من الناحية المنهجية أمرا مطلوبا لمعرفة أبعاد النظرية أولا، ثم كذلك قد يؤدي بنا هذا إلى معرفة المصطلحات المصاحبة لعملية تأسيس النظرية نفسها، لذلك سأقف عند مفهومين رئيسيين سعيا لإبراز هذا.

الأول: مفهوم الاستقراء. والثاني: مفهوم المصلحة.

المطلب الأول: مفهوم الاستقراء.

يشكل الاستقراء عند الشاطبي مفهوما مركزيا ومحوريا لنظريته، إذ المطلع على الموافقات يجده حاضرا وبقوة في ثنايا كتابه، وإن كان الشاطبي لم يعمد إلى دراسته من الناحية المصطلحية، وإنما هو يبني عليه نظريته، يقول د.الريسوني مبرزا هذا الانصراف عن دراسة المفهوم «وما زلت منذ قرأت هذه الخاتمة (يقصد خاتمة كتاب المقاصد) أتعجب لعدم ذكره فيها للاستقراء ضمن الطرق الموصلة إلى معرفة مقاصد الشريعة، وزاد من عجبي أن كلام الشاطبي حيث ما كان مليء بذكر الاستقراء استشهادا به أو إحالة عليه، أو تنويها بقيمته وأهميته، وقد أحصيت من ذلك حوالي مائة مرة في أجزاء الموافقات الأربعة، فكيف لم يجعله جهة مستقلة واضحة فيما يعربه قصد الشارع»(٩) هذا النص يؤكد المكانة التي يحتلها الاستقراء عند أبي إسحق فهو من البداية عمد إلى التأسيس على ما يعرف بمعقولية أدلة الاستنباط الشرعية المبنية على القطع لا الظن، وبذلك يكون إعمال منهج – تراكم الأدلة– الموصل إلى الاستقراء، يقول أبوإسحق في ذلك «ولما بدا من مكنون السر ما بدا ووفق الله الكريم لما شاء منه وهدى لم أزل أقيد من أوابده وأضم شواهده تفاصيل وجملا وأسوق من شواهده في مصادر الحكم

وموارده، مبينا أصولها النقلية بأطراف من القضايا العقلية حسبما أعطته الاستطاعة والمنة، في بيان مقاصد الكتاب والسنة»(١٠)، والشاطبي في منهجه هذا يربط بين منهج الاستقراء انطلاقا من مفهوم القطع وهو مفهوم فرعي متولد عن منهج الاستقراء، ومصطلح القطع، وهذا المصطلح يراد به عند الشاطبي القطع المضمون أو القطع المضموني وهو عبارة عن اليقين الحاصل في مضامين القضايا الداخلة في الاستدلال، حتى ولو وقع التوسل فيه بآليات انتقالية غير مضبوطة تمام الضبط...فالقطع الذي يعنيه هو اليقين بالقضايا الكلية التي تستفاد بطريق الاستقراء من أدلة الشريعة، ويتصف بالاطراد والثبات والحاكمية»(١١). هذا الاستدلال والبناء المنهجي، نجد ما يفسره عند الشاطبي في كتابه، يقول: «وإنما الأدلة المعتبرة هنا المستقرأة من جملة أدلة ظنية تضافرت على معنى واحد حتى أفادت فيه القطع، فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق ولأجله أفاد التواتر القطع وهذا نوع منه، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يقيد العلم فهو الدليل المطلوب وهو شبيه بالتواتر المعنوي»(١٢) ومنهج القطع ينبغي أن يفهم في إطاره المضموني بارتباط مع النسق الفكري للاجتهاد المقاصدي بمعنى أخذه بالدلالة المضمونية لا الصورية، كما ذهب إلى ذلك الباحث بدران بن الحسن، ومعنى هذا أن يتم تناول الاستقراء بما يمكن من الكشف عن المقاصد ودليل ذلك استقراء الشريعة والنظر في أدلتها الكلية الجزئية وما انطوت عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي الذي لا يثبته دليل خاص، بل أدلة منظاف بعضها إلى بعض، مختلفة الأغراض بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجمعت عليه تلك الأدلة»(١٣)

لقد اعتُبر الشاطبي أب التداخل بين علم الأخلاق وعلم الأصول

إن هذا النظام يبين مدى متانة الأساس النظري والمنهجي للاجتهاد المقاصدي عند الشاطبي، إذ الانطلاق من الجزئيات لنصل إلى الكلي يعني في نظره أنه بانخرام الجزئيات يؤدي إلى انهيار الكلي بل في الوقت نفسه إن الكلي له سلطة أقوى من تلك الجزئيات.

ويقصد بالجزئيات «الظن» أما الكليات فهي عنده الضروريات والحاجيات والتحسينيات».(١٤)

المطلب الثاني: مفهوم المصلحة.

يأخذ مفهوم المصلحة في نظرية المقاصد بعدا مركزيا إلى جانب مفهوم الاستقراء. وهذا يتجلى في البعد النظري الذي تبلور حين ناقش الشاطبي البعد الدلالي لخطاب الوحي فقال: «وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل أو الآجل معا. غير أن هذا التحديد النظري لم يمنع الشاطبي من الكشف عن بنيوية تشكل المصلحة في نظريته بما يبرر التفاعل الاجتماعي وحركته، إذ تفهم من خلال الفضاء العام بما يسمح بصياغة «الوعي الاجتماعي» مما يمكن من قيام محاولة الإصلاح فيه، من أجل هذا فإن الشاطبي يقسم المصلحة إلى قسمين «المصالح المبتوتة في هذه الدار ينظر فيها من جهتين: من جهة مواقع الوجود ومن جهة تعلق الخطاب الشرعي بها، فأما النظر الأول: فإن المصالح الدنيوية من حيث هي موجودة هنا. لا يتخلص كونها مصالح محضة»(١٥)

ولمركزية هذا المفهوم يقول عبدالمجيد الصغير: «إن محاولة الشاطبي تستهدف إعادة النظر وتعميق الرؤيا على نفس المفهوم -مفهوم المصالح بكامله. في حين تأتي سائر المفاهيم الأخرى مجتمعة بدلالات منهجية ترمي إلى تأسيس رؤية جديدة حول المفهوم المركزي»(١٦)

لهذا يتبين أن شيخ المقاصد سعى إلى تأسيس إصلاح اجتماعي عبر التفعيل لمفهوم المصلحة، ليقوم بإعادة استيعاب خطاب الوحي، بعدما عرف خللا منهجيا في تفاعيل العقل الإسلامي معه بفعل المؤثرات الذاتية والموضوعية، ولهذا سنجد ابن عاشور الذي جاء بعد الشاطبي استفاد كثيرا من هذا التحديد النظري ليحدد المصلحة بمنطلقات تحتوي على ما يؤكد أنه استوعب طرح الشاطبي لاجتهاده المقاصدي.

لذلك فهو يقسم المصلحة إلى مصلحة عامة، وهي ما فيه صلاح عموم الأمة والجمهور ولا التفات منه إلى أحوال الأفراد إلا من حيث أنهم أجزاء من مجموع الأمة... ومصلحة خاصة وهي ما فيه نفع الآحاد باعتبار صدور الأفعال من آحادهم ليحصل بإصلاحهم صلاح المجتمع المركب منهم»(١٧)

النقلة المعرفية لنظرية المقاصد

اتجه بعض الباحثين المعاصرين في مجال الأصول الفكري المقاصدي، إلى محاولة دراسة المقاصد بأسس معرفية سعيا لاكتشاف القيمة الإضافية لهذا المبحث الأصولي، ولقد أفرد العديد منهم الشاطبي بالدراسة باعتباره حلقة مهمة في تاريخ المقاصد فهو المؤسس له. بشهادة رجال هذا العلم، يقول الطاهر بن عاشور «والرجل الفذ الذي أفرد هذا الفن بالتدوين هو أبوإسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (المالكي)»(١٨) ولذلك فإن إفراد الشاطبي بالدراسة شيء يظل مستحقرا لقيمته المعرفية في مجال الاجتهاد المقاصدي، ونخصص

هذا المبحث للوقوف عند أبعاد النقلة المعرفية وإلى أي حد هناك قيمة لهذا المبحث، وهذا من خلال مساهمة الشاطبي لتأسيس التداخل المعرفي في مجال الأصول بالنظر إلى الاستدلال، التي اعتمد عليها طه عبدالرحمن «فإن صحت مقولة بعض الباحثين من اعتبار علم الأصول مجرد مزيج من أبواب نظرية ومنهجية وأخرى عملية ومضمونيه مستمدة من علوم مستقلة بنفسها فتجمع بين علم المناهج «الميثولوجيا» الذي ينظر في الأدلة الشرعية، كما يدرس قواعد الاستنباط وباب فقه العلم «الابستيمولوجيا»... وباب اللغويات...»(١٩)

وعلى هذا يحقق الشاطبي تأسيسا نسقيا ومعرفيا لم ينتبه إليه الأصوليون فحقق بذلك التكامل، فيجمع بين الجانب القيمي المؤسس بدلالات نسقية، يقول طه عبدالرحمن في تحليله لهذا التداخل: «وحاصل الكلام في الأوصاف الأخلاقية للمقاصد الشرعية أن المقصود الشرعي معنوي وفطري وأن القصد إرادي وتجردي وأن المقصد حكمي ومصلحي، علما بأن المصلحة هي المحل المعنوي لتحقيق الصلاح وعلى هذا يكون علم المقاصد هو الصورة التي اتخذها علم الأخلاق للاندماج في علم الأصول»(٢٠)

وهذا التحليل يسنده أن أغلب الاتجاهات التي تناولت المقاصد تعتبره جزءا من أصول الفقه في حين يرى فيه البعض أنه نظام جديد يحمل في نظامه الداخلي نسقا يمكنه من إحداث نقلة معرفية» ولا أدل على هذا التوسع الكبير الذي شهده هذا العلم بقدوم الشاطبي إذ بمجيئه سيتم وضع قطيعة منهجية بين مرحلتين مهمتين في التأليف في المقاصد، فإذا كانت قبل الشاطبي مبثوثة في ثنايا علم الأصول، فإنه بمجيئه يتم تدشين مرحلة أخرى في هذا المبحث بل إن د. أحمد الريسوني يعتبر بأن المقاصد يظل حاضرا في ثنايا كتاب الموافقات على كل مباحث وأجزاء الموافقات وهذه خطوة جديدة تماما على علم أصول الفقه ومؤلفاته، فقد كانت المقاصد نقطة معينة تذكر ويشار إليها بمناسبة كذا أو كذا، من المباحث الأصولية، فأصبحت عند الشاطبي روحا يسري في معظم أجزاء هذا العلم»(٢١)

وعلى كل فإن الشاطبي بحق أحدث بنظريته نقلة معرفية مهمة، وهو ما اضطر أستاذ المنطق طه عبدالرحمن ليختم كلامه من تصوره في هذا الموضوع قائلا: «وما الشاطبي عندنا إلا أب التداخل بين علم الأخلاق وعلم الأصول، فنحا بذلك طريقا في بناء العلم الإسلامي على أسس التنسيق المتكامل الذي لا نعلم له نظيرا في السابق ولا في اللاحق»(٢٢)

خاتمة

بهذا العرض البسيط والموجز، الذي اتضحت معه بعض الدلالات التي ساعدت في تشكل نظرية الاجتهاد المقاصدي مع تحديد بنيتها وقيمتها المعرفية، مما يبين أن القيمة المعرفية دفعت به إلى التشكل عبر عوامل داخلية وأخرى خارجية، وهو ما يفسر تفاعل المفكر مع محيطه الاجتماعي والفكري بترشيد من الوحي، ولهذا فإن عمل الشاطبي وجد مكانته وموقعه المعرفيين ضمن المعارف الإسلامية على اعتبار التفاعل الإيجابي الذي عاشه كمفكر يتفاعل مع محيطه الاجتماعي والعلمي، لكن يبقى السؤال المعرفي المفتوح هو إلى أي حد يمكن أن تحدث فعلا مباحث الاجتهاد المقاصدي وخاصة نظرية الشاطبي نقلة معرفية تستطيع أن تساهم في الإقلاع الاجتهادي للفكر الإسلامي؟ بما يسمح لهذه الأفكار بالاستمرارية والتوالد عبر قراءات جديدة تعكس روح العصر وتندرج في المسار التكاملي للمعارف والعلوم الإسلامية، في إطار النسق القرآني الذي يؤطر هذه العملية، حتى نستطيع بناء فكر عقلاني من خلال خطاب الوحي وبامتدادات إنسانية لتحقيق الشهود الحضاري والشهادة على الناس.

الهوامش

١- الطاهر بن عشور، مرجع سابق ص٤
٢- الموافقات الجزء الأول، مرجع سابق ص٢٩
٣- الموافقات الجزء الأول مرجع سابق ص١٩
٤- الطاهر بن عاشور، مرجع سابق ص٣-٤ بتصرف
٥- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص٩٤ بتصرف
٦- الموافقات الجزء الأول مرجع سابق ص٢٩
٧- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص٩٤
٨- «الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام قراءة في نشأة علم الأصول و مقاصد الشريعة» تأليف عبد المجيد الصغير دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ص٤٧٠
٩- أحمد الريسوني مرجع سابق ص٢٨٣
١٠- الموافقات الجزء الثاني مرجع سابق ص١٦
١١- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص ١١٥-١١٦
١٢- الموافقات الجزء الثاني مرجع سابق ص٢٤
١٣- الدكتور أحمد الريسوني مرجع سابق ي ص٢٨٦
١٤- الموافقات في أصول الشريعة طبعة ٢٠٠٣ المجلد الأول. ص٢٠ (طبعة أخرى غير التي اعتمدت عليها سابقا)
١٥- الموفقات الجزء الثالث مرجع سابق ص٢٠
١٦- عبد المجيد الصغير مرجع سابق ص ٤٧٠ وما بعدها.
١٧- ابن عاشور مرجع سابق ص٦٣
١٨- ابن عاشور مرجع سابق ص٧
١٩- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص٩٣
٢٠- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص ٩٥
٢١- الريسوني مرجع سابق ص ٣١٦
٢٢- طه عبدالرحمن مرجع سابق ص ٩٤.

بين أبي إسحق الشيرازي وأبي عبدالله الدامغاني حول الذّمي إذا أسلم.. هل تسقط عنه الجزية لِما مضى؟

د. الطاهر الأزهر خذيري

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كل ذلك بِغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجوْدة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائلُ ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقفين للتأمُّل وطول التدبُّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنفوس من الخلل والتأثّر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل الـمُسَاجَلة: أن يَسْتَقِيَ ساقيان فيُخْرجُ كُلّ واحد منهما في سَجْله مثْلَ ما يُخْرجُ الآخر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلبَ. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخرة، فإذا قيل: فلان يُساجلُ فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجالٌ».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْلَه ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعَة، ويُخْملُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العلْم، وسَعَةَ الاطّلاع، وجوْدةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدَّحُ به السّامعون، وينْهَلُ منه المتلهّفون.

التحرير

أبوإسحق الشيرازي هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيخ أبوإسحق الشيرازي الفيروزآبادي، شيخ الشافعية في زمانه، تفقه بشيراز على أبي عبدالله البيضاوي وغيره، ولازم القاضي أبا الطيّب وصحبه وبرع في الفقه، وصار أنْظَر أهل زمانه، وكان يضرب به المثل في الفصاحة، روى عنه أبوبكر الخطيب وأبوالوليد الباجي والحميدي وجماعة، وحُكي عنه أنه قال: كنت نائماً ببغداد فرأيت النبي ﷺ ومعه أبوبكر وعمر فقلت: يا رسول الله بلغني عنك أحاديث كثيرة عن ناقلي الأخبار فأريد أن أسمع منك خبراً أتشرف به في الدنيا وأجعله ذخيرة للآخرة، فقال: يا شيخ وسماني يا شيخ وخاطبني به- وكان يفرح بهذا- ثم قال: «قل عني: من أراد السلامة فليطلبها في سلامة غيره»، صنّف من الكتب: «المهذب» و«التنبيه» و«اللمع في أصول الفقه» و«شرح اللمع» و«المعونة في الجدل» و«الملخص في أصول الفقه» وغيرها، وكان في غاية من الدين والورع والتمسّك بالدين، ومات سنة ست وسبعين وأربع مائة ببغداد.

وأمّا الدامغانيّ فهو مفتي العراق، قاضي القضاة، أبوعبدالله، محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبدالوهاب بن حسويه الدامغانيّ الحنفي، تفقه بخراسان، وقدم بغداد شابا، فأخذ عن القدوري، ولده سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة، وحصّل المذهب على فقر شديد؛ له صدقات في السر، وكان منصفا في العلم، وكان يورد في درسه من المداعبات والنوادر نظير ما يورد الشيخ أبوإسحق الشيرازي، فإذا اجتمعا، صار اجتماعهما نزهة، وفي أولاده أئمة وقضاة، ومات سنة ثمان وسبعين وأربع مئة.

ذكر ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٧/٤» أنّ القاضي محمد بن محمد الماهاني قال: إمامان ما اتَّفَق لهما الحج؛ الشيخ أبوإسحق الشيرازي، وقاضي القضاة أبوعبدالله الدامغاني؛ أما الشيخ أبوإسحق فما كان له استطاعة الزاد والراحلة، ولكن لو أراد الحج لحملوه على الأحداق إلى مكة، والدامغاني لو أراد أن يحج على السندس والإستبرق لأمكنه ذلك.

سياق المناظرة

سُئل الشيخ أبوإسحق الشيرازي الشافعي عن الذّميّ إذا أسلم هل تسقط عنه الجزية لما مضى فمنع من ذلك، وهو مذهب الشافعي.

فسُئل الدليل، فاستدل على ذلك بأنه أحَد الخراجين، فإذا وجب في حال الكفر لم يسقط بالإسلام، أصله خراج الأرض.

فقال أبوعبدالله محمد بن علي بن محمد الدامغاني: لا يمتنع أن يكون نوعان من الخراج، ثم يشترط في أحدهما ما لا يُشترط في الآخر، كما أنّ زكاة الفطر وزكاة المال نوعان من الزكاة، ثم يشترط في أحدهما النصاب، ولا يشترط في الآخر.

والسؤال الثاني: لا يمنع أن يكون حقّان متعلّقان بالكفر، ثم أحدهما

يسقط بالإسلام، والآخر لا يسقط، ألا ترى أنّ الاسترقاق والقتل حقّان متعلّقان بالكفر، ثم أحدهما يسقط بالإسلام وهو القتل، والآخر لا يسقط بالإسلام وهو الاسترقاق.

والسؤال الثالث: المعنى في الأصل أنّ الخراج يجب بسبب التمكّن من الانتفاع بالأرض، ويجوز أن يجب بمثل هذا السبب حقٌّ عليه في حال الإسلام وهو العشر، فلهذا جاز أن يبقى ما وجب عليه منه حال الكفر، وليس ذلك هاهنا؛ لأنه ليس يجب بمثل نسبته حق في حال الإسلام؛ فلهذا سقط ما وجب في حال الكفر.

فقال أبوإسحق الشيرازيّ على الفصل الأول: وهو اعتبار نصاب في زكاة المال دون زكاة الفطر ثلاثة أشياء:

أحدها أنّ ما ذكرت حجّةٌ لنا؛ لأن زكاة الفطر وزكاة المال لمّا كان سبب إيجابهما الإسلام، والكفرُ ينافيهما؛ كان تأثير الكفر في إسقاطهما مؤثّرا واحدا حتى إنه إذا وجبت عليه زكاة الفطر وارتد عندهم سقط عنه ذلك، كما إذا وجبت عليه زكاة المال ثم ارتدّ سقطت عنه الزكاة؛ فكان تأثير الباقي في إسقاطهما على وجه واحد؛ فكذلك هاهنا؛ لمّا كان سبب الخَرَاجين هو الكفر، والإسلام ينافيهما؛ فيجب أن يكون تأثير الإسلام في إسقاطهما واحدا، وقد ثبت أنّ أحدهما لا يسقط بالإسلام؛ فكذلك الآخر.

جواب ثان: أنّ الزّكاتين افترقتا؛ لأن زكاة الفطر فارقت سائر الزكوات في تعلّقها بالذمة، ففارقها في اعتبار النصاب، وليس كذلك الخراجان فإنّهما سواء في اعتبار الكفر في وجوبهما، ومنافاة الإسلام لهما؛ فلو سقط أحدهما بالإسلام سقط الآخر.

جواب ثالث: وهو أن زكاة الفطر لا تزداد بزيادة المال؛ فلهذا لم يُعتبَر فيها النصاب، وليس كذلك سائر الزكوات؛ فإنها تختلف باختلاف المال وتزداد بزيادته؛ فلهذا اعتُبر فيها النصاب، وأما حال الخراجين فإنهما على ما ذكرت سواء؛ فوجب أن يتساويا في الإسلام.

وأمّا الفصل الثاني وهو القتل والاسترقاق: فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما أنّ القتل والاسترقاق جنسان مختلفان، ومع اختلاف الأجناس يجوز أن تختلف الأحكام؛ فأمّا في مسألتنا فالخراجان من جنس واحد يَجبان بسبب الكفر؛ فلا يجوز أن يختلف حكمهما.

والثاني: الاسترقاق إذا حصل في حال الكفر كان ما بعد الإسلام استدامةً للرق وبقاءً عليه، وليس كذلك القتل؛ فإنه ابتداءً عقوبةٌ فجاز أن يختلفا، وأما في مسألتنا فحال الخراجين واحدٌ من استيفاء ما تقدم وجوبه، فإذا لم يسقط أحدهما لم يسقط الآخر.

وأما الفصل الثالث وهو المعاوضة: فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: إن قال: لا أسلّم أن بمثل سبب الخراج يجب على المسلم حقٌّ؛ فإنّ الخراج إنما وجب بسبب التمكن من الانتفاع مع الكفر، والعُشْر إنما لزم للأرض بحق الله وهو الإسلام.

والثاني: أنه إن كان هناك حق يجب بمثل سبب الخراج فيحسن أن يجري عليه الذي في حال الإسلام، فلهذا جاز أن يبقى ما تقدم وجوبه في حال الكفر، فكذلك في مسألتنا يجب بمثل سبب الجزية حقٌّ حتى يجري عليه في حال الإسلام وهو زكاة الفطر؛ فإن الزكاة وزكاة الفطر تجب عن الرَّقَبة؛ فيجب أنّ الجزية تجب عن الرقبة وأن يبقى ما وجب من ذلك في حال الكفر؛ فلا فرق بينهما.

فقال أبوعبدالله الدامغاني على فصل الزكاة على الجواب الأول وهو قال فيه إن ذلك حجة فإنهما يستويان في اعتبار الإسلام في حال واحد من الزكاتين فقال لا يمتنع أن يكون الكفر يعتبر في كل واحد من الخراجين ثم يختلف حكمهما بعد ذلك في الاستيفاء، كما أن زكاة الفطر وزكاة المال يستويان في أن المال معتبر في حال واحدة فيهما ثم يختلفان في كيفية الاعتبار، فالمعتبر في زكاة الفطر أن معه ما يؤدي فاضلا عن كفايته عندكم والمعتبر في سائر الزكوات أن يكون مالكا لنصاب، فكذلك هاهنا يجوز أن يستوي الخراجان في اعتبار الكفر في كل واحد منهما ثم يختلف حكمهما عند الاستيفاء فيعتبر البقاء على الكفر في أحدهما دون الآخر.

وجواب ثان أن الزكاتين إنما أثر الكفر فيهما على وجه واحد لأنهما يجبان على سبيل العبادة فلا يجوز استيفاؤهما بعد الكفر، لأن الكافر لا تثبت في حقه العبادات، وليس كذلك في مسألتنا فإن الجزية تجب على سبيل الصغار، لأن الله تعالى قال: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ وبعد الإسلام لم يوجد الصغار فلا يصح استيفاؤهما، وكذلك الخراج في الأرض لا يجب على سبيل الصغار، ولهذا يجوز أن يوجد باسمه من المسلمين وهو الذي ضربه عمر رضي الله عنه على الأرض السواد.

وتكلم على الجواب الثاني عن هذا الفصل وهو أن زكاة الفطر تتعلق بالذمة، فقال لا يمتنع أن يكون أحدهما في الذمة والآخر في المال ثم يستويان في النصاب، كما أن أرش الجناية يتعلق بعين الجاني وزكاة الفطر تتعلق بالذمة ثم لا يعتبر النصاب في واحد منهما، وأيضا فقد اختلف قول الشافعي في أن الزكاة تتعلق بالعين أو الذمة، فدل على أنه ليس العلة فيه ما ذكرت.

وتكلم على الجواب الثالث في هذا الفصل وهو أن زكاة الفطر لا تزداد بزيادة المال، فقال لما جاز ألا تزداد بزيادة المال، ثم لا يعتبر فيه النصاب، ثم هذا يبطل بما زاد على نصاب

الدنانير والدراهم عندك فإنه يزداد بزيادة المال ثم لا يعتبر فيها النصاب.

وتكلم على الفصل الثاني وهو الاسترقاق والقتل حيث قال إنهما جنسان يختلفان وهاهنا جنس واحد، فقال إنهما وإن كانا جنسين إلا أنهما يجبان بسبب الكفر، وكان يجب أن يكون تأثير الإسلام فيهما واحدا كما قلنا في الخراجين، والثاني أن الخراجين وإن كانا جنسا واحدا فإنه يجب أن يستوفيا في حال الإسلام كالخراج الذي وضعه عمر رضي الله عنه مع الخراج، فهما خراجان ثم يجوز ابتداء أحدهما بعد الإسلام فلا يجوز ابتداء الآخر فكذلك هاهنا.

وأجاب عن الجواب الثاني في هذا الفصل وهو أن الاسترقاق استدامة والقتل ابتداء فعل، فقال القتل والجزية سواء، لأن القتل قد تقدم وجوبه ولكن بقي بعد الإسلام الاستيفاء كما وجبت الجزية وتقدم وجوبها وبقي الاستيفاء وإن كان القتل لا يجوز بعد الإسلام لأنه ابتداء مع ما تقدم وجوبه في حال الكفر فهما سواء.

وتكلم على المعاوضة على الجواب الأول أن العشر لا يجب بالسبب الذي يجب به الخراج، فقال الخراج يجب بإمكان الانتفاع بالأرض، ولذلك لا يجب فيما لا منفعة فيه من الأرض كالمستغدر وما يبطل منه الانتفاع به، كما يجب العشر بإمكان الانتفاع فهما يجبان بسبب واحد فإذا جاز ابتداء أحدهما بعد الإسلام جاز البقاء على الآخر بعد الإسلام.

وتكلم على الفصل الثاني وهو زكاة الفطر فقال الجزية لا تجب بالمعنى الذي تجب به زكاة الفطر لأن زكاة الفطر تجب على سبيل العبادة والجزية تجب على وجه الصغار فسببهما مختلف.

فتكلم الشيخ أبوإسحق على الجواب الأول بأن ذلك حجة لي فقال أما قولك إنه يجوز أن يشترك الحقان في اعتبار الإسلام ثم يختلفان في الكيفية والتفصيل كما استوى زكاة الفطر وزكاة المال في اعتبار المال واختلفا في كيفية الاعتبار فهذا صحيح في اعتبار المال، فأما في اعتبار الدين فلا يجوز أن يختلف جاز الابتداء والاستيفاء، ألا ترى أن زكاة الفطر خالفت سائر الزكوات في التفصيل في اعتبار المال ثم الكفر لما كان مباينا لهما والإسلام معتبر فيهما لم يختلف اعتبار ذلك فيهما لا في الابتداء ولا في الاستيفاء، بل إذا زال الإسلام الذي هو شرط في وجوبهما أثر الكفر في إسقاط كل واحد منهما ومنع من استيفائهما، فكذلك هاهنا لما كان الإسلام منافيا للخراجين والكفر شرط في وجوبهما وجب أن يكون حالهما واحدا في اعتبار الكفر في الابتداء والاستيفاء كما قلنا في زكاة الفطر وزكاة المال.

وأما الكلام الثاني الذي ذكرت على هذا بأن زكاة الفطر وزكاة المال يجبان على سبيل العبادة فنافاهما الكفر وأن الجزية على سبيل الصغار فغير صحيح؛ لأنه كما تجب الجزية على سبيل الصغار فخراج الأرض كذلك فإذا نافى الإسلام أحدهما ومنع من الاستيفاء لأنه ليس بحال صغار وجب أن ينافي الآخر أيضا ووجوبه على سبيل الصغار.

والثاني أنا لا نعلم أن الجزية تجب على سبيل الصغار بل هي معاوضة، ولهذا المعنى تعتبر فيها المدة كما تعتبر في المعاوضات ولو كان ذلك صغارا لم تعتبر فيها المدة كما تعتبر في الاسترقاق والقتل، ويدل عليه أنها تجب في مقابلة معوض لهم وهو الحقن والمساكنة في دار الإسلام وما سلم لهم معوضه دل على أنه يجب على سبيل العوض.

وأما قوله تعالى: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾، فقد قيل في التفسير إن المراد به أنهم ملتزمون لأحكام الإسلام.

والثالث أن الصغار إنما يعتبر في الوجوب، فأما في الاستيفاء فلا يعتبر، ألا ترى أنه لو ضمن عنه مسلم جاز أن يستوفي عنه، وإن لم يجب على المسلم في ذلك صغار فدل على بطلان ما قالوه، وأيضا فإن الصغار قد يعتبر في إيجاب الشيء ولا يعتبر في استيفائه، كما أن الحدود تجب على سبيل التنكيل بالمعاصي، ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾، فذكر النكال عقب ذكر الحد، كما ذكر الصغار عقيب ذكر النكال، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» فكذلك هاهنا.

وأما الكلام عن الجواب الثاني من هذا الفصل وهو أن زكاة الفطر تتعلق بالعين فصحيح، وما ذكرت من التفصيل فلا يلزم لأني لم أقل إن كل حق يتعلق بالعين يعتبر فيه النصاب، وإنما قلت إن الزكاة إذا تعلقت بالعين اقتضت النصاب وزكاة الفطر تخالف سائر الزكوات في تعلقها بالعين فخالفتها في اعتبار النصاب، فلا يلزم عليه سائر الحقوق.

وأما قولك إن النصاب معتبر في سائر الزكوات من غير اختلاف وفي تعلق الزكاة بالعين قولان فغير صحيح، لأن القول به فاسد، وبهذا يستدل على فساده لأنه لو كان تعلق بالذمة لما اعتبر فيه النصاب.

وأما الجواب الثالث عن هذا الفصل أن زكاة الفطر لا تزداد بزيادة المال وسائر الزكوات تزداد بزيادة المال فهو صحيح، وما ذكرت من أنه لو كان ذلك صحيحا لما اعتبر فيه وجود صاع فاضلا عن الكفاية فباطل، لأنه يعتبر فيها النصاب ولا يزداد بزيادة المال. والله أعلم.

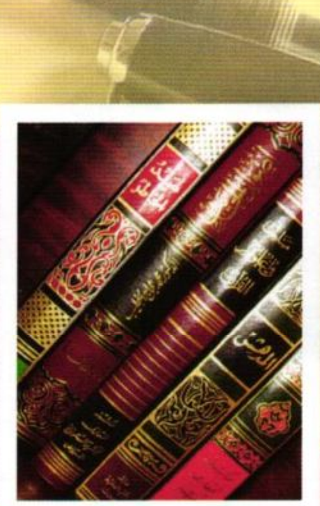
لغة وأدب

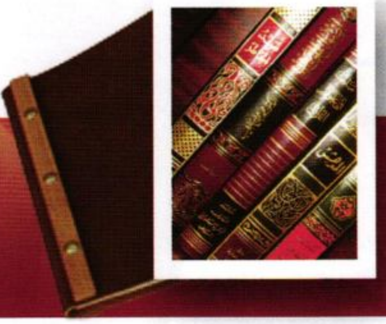
نحن والعمل الدرامي الأدبي

من أعجب العجب أن ترى كل أمة من أمم الأرض تتباهى بتاريخها وماضيها، وتسعى لتخليده بكل ما أوتيت من سبل التوثيق، ثم تتولى مؤسساتها المختلفة عرضه على أجيالها المتوالية لتحافظ على صلة الوصل بين ماضيها وحاضرها، وهذا حق مشروع للجميع، لكن السؤال الحارق هو أين نحن -المسلمين- من هذه القاعدة؟

إن المرء ليطمح أن تتولى مؤسسات إسلامية أدبية وإعلامية وتربوية وتاريخية إنجاز عمل درامي أدبي يوجز تاريخ الإسلام ويعرضه بصورة منصفة مجملة تتعرض لإنجازات المسلمين في المجالات العلمية والأدبية والطبية والإنسانية...إلخ، ويكون مستوعبًا وجود المسلمين التاريخي من لحظة انبثاق الرسالة حتى يوم الناس هذا، متعرضا قدر الإمكان لوجود المسلمين المكاني المتوزع على أصقاع الأرض؛ بحيث يخرج منه القارئ أو المشاهد بصورة كلية عن الإسلام والمسلمين عبر التاريخ، مما يبعث في نفسه الشعور بالانتماء لخير أمة أخرجت للناس، والفخر بهذا الإرث العظيم.

المحرر





الشعر والإصلاح الاجتماعي

شعبان ناجي

كان الوطن العربي في فترة ما بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي يعاني من مشكلات اجتماعية عديدة فضلاً عن المشكلات السياسية وعلى رأسها الاستعمار الذي كان قد استنزف قوى البلاد وخيراتها، وفي المجال الاجتماعي الذي نحن بصدد الحديث عنه كانت توجد مشكلات فيما يتعلق بالمرأة العربية ووضعها، والشباب وما هم فيه من انغماس في اللهو والزينة والتشبه بالنساء.

كان اجتياز مثل هذه المشكلات الاجتماعية الشائكة، يعد اختبارًا صعبًا للإرادة الوطنية والأصالة العربية وذلك في ظل ما طرأ على البلاد من تداعيات الاستعمار، وتوابعه، ومن ثم كان الدافع قويًا للسير في درب الإصلاح من أجل العثور على الحلول لكي يخرج المجتمع إلى الحضارة والرقي والكرامة الإنسانية، وكان حماس الشعراء والمصلحين قويًا لحل تلك المشكلات حلًا يتوافق مع أصول حضارتنا الإسلامية والعربية على الرغم من ميل بعض هؤلاء المصلحين للمناخ الغربي في أوروبا ولكن لأن الحضارة الإسلامية تتميز باتساع الآفاق ورحابة الفكر فقد هيأت لأصحابها فرص الانتفاع بكل ما يحمد من حضارة الإنسان على اختلاف الزمان والمكان والجنس والعقيدة.

ويهمنا فيما يلي من حديث حول الشعر في ميدان الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي أن نؤكد على أن الشعر العربي الحديث كان له دور إيجابي وفعال في ميدان الإصلاح وكان له صوت مسموع، وقد ظهر ذلك من خلال تصدي الشعراء لمشكلات المجتمع وقضاياه من مظاهر الفساد والانحلال الخلقي والآفات الاجتماعية التي شاعت بين كثير من طوائف الشعب (١)، وفي هذا يقول الرافعي في إحدى قصائده عن الشباب وما صار إليه من تدلل وتميع بدعوى الحضارة والمدنية:

أرى فئة كالغانيات تدللا
تميل مع الأهواء كل مميل
تخال الفتى منهم على ظلمة النهى
لألوان ثوبيه سماء أصيل

وفي نفس القضية كان قد تحدث الشاعر محمد حمدي النشار (٢) وقد يئس من الوصول إلى حل لفساد الشباب وقد راح ينفس عن نفسه فقال:

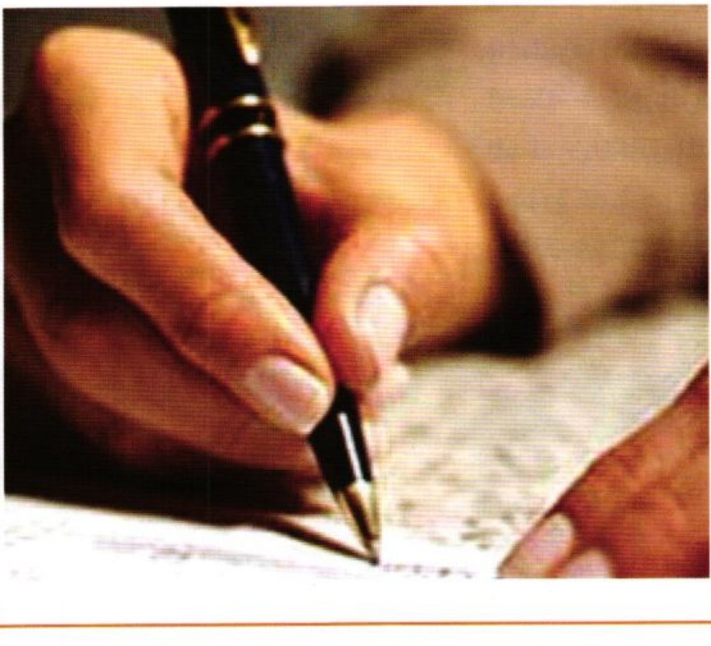
فسد الزمانُ وأهله
يارب نسألك السلامة
هذا تمدين معشر
جعلوا الفجور له علامة
من كل مياس القوام
له على الخدين شامة

ومن بين ما شاع في هذا العصر من مفاسد وآفات، آفة التواكل والتراخي والكسل، وتحكم الأنانية وتقديم المصالح الشخصية على مصالح المجتمع، وقد تصدى الشعراء لمثل هذه الآفات، منهم حافظ إبراهيم الذي راح ينعى على الشعب تخاذله وتواكله وقعوده عن الكفاح ومواصلة بناء الحضارة التي يريد المستعمر هدمها:

أرى شعبًا بمدرجة العوادي
تمخمخ عظمه داء عقام
سرى داء التواكل فيه حتى
تخطفَّ رزقه ذاك الرخام
هلاك الفرد منشؤه توان
وموت الشعب منشؤه انقسام

وأما في سبيل الحث على التمسك بالدين الحنيف والاعتصام بحبله المتين والالتزام بأوامره وصون كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول الشاعر أحمد محرم في إحدى قصائده:

هو الدين إن يذهب فلا عز بعده
وإن جد ساعينا على إثر من سعى (٣)



* ناقد أدبي

وهكذا كانت قضية الفساد الخلقي محورًا مهماً من محاور الدعوة إلى الإصلاح احتشدلها الشعر بكل طاقاته ففضح المستور وشخص الداء وحدد له الدواء على أمل كبير في الشفاء.

وثمة قضايا أخرى بجانب تلك القضايا كان على رأسها قضية الاقتصاد المأزوم في ظل الاستعمار، والذي كان له الأثر السيئ على الشعوب العربية حيث انخفاض مستوى المعيشة لدى السواد الأعظم من الناس، هذا الانخفاض الذي ارتفع مؤشره مع قيام الحرب العالمية الأولى فضاقت أبواب الرزق، وتوقفت حركة الصادرات والواردات، وتوقفت المشروعات ووجد الألوف من العمال والموظفين أنفسهم وقد فقدوا مورد رزقهم وأصبحوا عرضة للموت جوعًا (٤)، وإزاء تلك الظروف الخانقة ارتفعت أصوات الشعراء في ذلك الوقت بالدعوة إلى حل مشكلات الفقر الذي هد الناس وجعل كرامهم أذلة فنجد حافظ إبراهيم يقول:

أيها المصلحون رفقًا بقوم
قيد العجزُ شيخهم والغلاما
وأغيثوا من الغلاء نفوسًا
قد تمنت مع الغلاء الحماما

وفي ذم البخل والإشادة بالبر والإحسان إلى المحتاج يقول أحمد شوقي (٥):

ولم أر مثل جمع المال داءً
ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته، وزنها
كما تزن الطعام أو الشرابا

ولعل فيما تقدم من نصوص ما يدل على أن الشعر العربي الحديث ولاسيما المحافظ منه كان مواكبًا لمشكلات الأمة العربية ناهضًا برسالة الإصلاح الاجتماعي، وأن الشعراء والمصلحين قد ارتفعوا بما لا يقبل الشك إلى مستوى الالتزام الأدبي تجاه عروبتهم وتجاه دينهم الحنيف، وأنهم لم يهيموا في أودية الخيال والبهرجة بينما شعوبهم تتلوى جوعًا من ناحية، وتحترق من نيران الفساد والاستعمار من ناحية أخرى، وإنما قد انغمسوا في تيار أمتهم موقنين كل اليقين بأن من واجب الشاعر وإنسانيته أن يكون في قومه نغمًا شاديًا تستريح إليه النفوس وتستجيب له عواطف القوم، وتتلاقى عنده آلامهم وآمالهم وأن من أمانة الكلمة أن تكون لصالح المجتمع طيبة مثل الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

مراجع

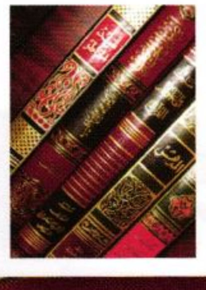
١- دراسات في الأدب واللغة، ص١٠٤ مجموعة من الأساتذة بجامعة طنطا - مصر ١٩٩٨م.
٢- ديوان النشار، ج٣، ص٣٤.
٣- ديوان أحمد محرم، ج١ ص١١٢.
٤- محمد سيد كيلاني، فترة مظلمة في تاريخ مصر، ص ١٨١ -١٨٢.
٥- الشوقيات، ط١، ص٦٩.

اللفافة

محمود مفلح

تجني عليكَ وأنت فيها مولع
وتقول إنك عاشقٌ مستمتع
في كل يوم أنت تبصر راحلًا
من سمِّها، ورحيلهم لا يقنع
تلك اللفافة عقربٌ لداغةٌ
والقرب منها يا صديقي مفزع
يا ليت أنك حين تنفث سمَّها
تدري بأنك كأسه تتجرع!
يا ليت أنك حين تدفع مهرها
تدري بأن رحيق عمرك تدفع
كم من فتى تركتْه أصفرَ ناحلا
بالأمس كان كوردةٍ يتضوَّع
شلَّت قواه وراح يلهث خلفها
ويذوب مشتاقًا وفيها المصرع
فتكتْ بهِ ولها يسلِّم أمره
عجبًا أتمعن في أذاه ويخضع!
كم من فتاةٍ حين تبصر وجهها
تأسى لها وتقول جلَّ المبدع
قد كان في تلك الخدود نضارةٌ
قد كان ضوء الشمس فيها يلمع
فسطتْ عليها آفةٌ قتَّالة
وإذا بأجملِ ما أثاركَ بلقع
وإذا سمعتَ سعالها ترثي لها
فكأنما أحشاؤها تتقطَّع
كل الطلاء وإن غلَتْ أثمانه
لا يُرجعُ الألق الذي لا يَرجع
لا تخدعنكَ من اللفافة «نكهةٌ»
هي كذبةٌ كبرى وقولٌ أقرعُ
إن الإرادة أن تكون مقررًا
لطلاقها ولك الوسام الأرفع

أديب وشاعر



الكيد للفصحى على مدى قرن ونصف من الزمان

د. محمد أحمد عبدالهادي

تنبَّه المستعمر الصَّليبي بعد طرده من ديار الإسلام- بل وبعد نقل المعركة إلى عقر داره في أوروبا- إلى أهمية الدين الإسلامي، وأثره في بقاء المسلمين أقوياء، فبدأوا في غزو فكري يحاول هدم أسس الإسلام في نفوس المسلمين، وشنوا حملات مختلفة في جميع الميادين، فشككوا في المسلمات الدينيّة، ونبشوا آثار الأمم الكافرة التي أزال الله بالإسلام دولهم وحضاراتهم، وشوهوا تاريخ الإسلام وسيَر قدواته، وكانت الهجمة مركزة على لغة الإسلام، ولغة رسول الإسلام ﷺ لقطع حبال الاتصال بين حاضر المسلمين وماضيهم، ولجعل القرآن الكريم غريبًا على آذانهم، وكذلك سنة رسوله ﷺ وتراث المسلمين المتنوع، فجردوا اللغة العربية من رداء القدسية، وحاولوا فصل اللغة العربية عن الإسلام.

يقول طه حسين: «إن اللغة العربية ليست ملكًا لرجال الدين يُؤمنون وحدهم عليها، ويقومون وحدهم دونها، ولكنها ملكٌ للذين يتكلمونها جميعًا، وكل فرد من هؤلاء الناس حرٌّ في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك...» (١). ونحن بدورنا نقول ردًا على قول طه حسين وغيره من المستغربين: «إذا فقدت اللغة العربية هذا الرداء المقدس، وفقدت أهميتها الدينيّة سارت إلى ما سارت إليه اللغات البائدة».

وعلى أية حال فقد اتخذ الهجوم على اللغة العربية لتدميرها عدة محاور هي

المحور الأول: الدعوة إلى العامية

روج الغرب والمستغربون لهذه الدعوة لينعزل كل جزء من العرب في محيطهم بلغتهم العامية، وتاريخهم الوثني القديم، وليصبحوا أممًا شتى، وكان أولَ من دعا إلى استعمال العامية وتدوين قواعد لها رفاعةُ رافع الطّهطاوي (المفتون بالغرب) الذي قال في كتاب أصدره عام ١٨٦٨م تحت عنوان «أنوارُ توفيق الجليل من أخبار توثيق بني إسماعيل»: «إنَّ اللغة المتداوَلة المُسمَّاة باللغة الدارجة التي يقع بها التفاهمُ في المعاملات السائرة لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ، وتصنف بها كتب المنافع العمومية، والمصالح البلدية...».

وفي عام ١٨٨٨م خرج علينا مندسٌّ من المستشرقين عاش في مصر مديرًا لدار الكتب المصرية اسمه ولهلم سبيتا بكتاب أسماه «قواعد اللغة العامية في مصر» وذكر أنه قد جازف بذلك العمل لحبه لمصر وللمصريين.

وكان لـ «ولكوكس» في الفصحى رأي صفيق؛ فقد قال في محاضرة له: إن ما يعيق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى، وما أوقفني هذا الموقف إلا حُبي لخدمة الإنسانية، ورغبتي في انتشار المعارف. وأعلن في آخر المحاضرة عن مسابقة للخطابة بالعامية، ومن تكون خطبته جيدة ناجحةً فله أربع جنيهات، كان ذلك عام ١٨٩٣م، وكان يصدرُ مجلة اسمها «الأزهر»، وكان يدعو إلى العامية من خلالها.

أما القاضي ولمور فقد كتب عام ١٩٠١م كتاب «العربية المحلية في مصر»، قال فيه: ومن الحكمة أن ندع جانبًا كل حكم خاطئ وُجِّه إلى العامية، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد(٢). وفي عام ١٩١٠م وضع كتابًا آخر سمَّاه «لغة القاهرة»، وجاء مضمونه كسابقه.

وقد تبنى عدد من العرب المغرضين هذه الدعوة أمثال سلامة موسى الذي يقول في كتابه «البلاغة العصرية»: إنها تبعثر وطنيتنا- يقصد بذلك الفصحى- وتجعلها شائعةً في القوميَّة العربية.

وكذلك لويس عوض الذي كتب ديوانه «بلوتو لاند» عام ١٩٤٧م الذي دعا فيه إلى كسر رقبة البلاغة العربية، وإلى الكتابة بالعامية.

لم يكن هذا الوباء لمصر وحدها، فهذا إسكندر معلوف (٣) اللبناني قد أنفق وقته في ضبط أحوال العامية، وتقييد شواردها لاستخدامها في كتابة العلوم؛ لأنَّه وجد أسباب التخلف في التَّمسك بالفصحى.

ومارون غصن الذي أصدر كتابًا قال فيه: إنَّ كل لغة سائرةٌ إلى الفناء؛ لأن الشعب كلهَ متعلقٌ كل التعلق بلغة آبائه وأجداده، وما هذه اللغة إلا العامية.

وينعق الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي فيقول: فتَّشتُ طويلًا عن انحطاط المسلمين فلم أجد غير سببين أولهما: الحجاب الذي عدَّدتُ في مقالي الأول مضاره، والثاني: كون المسلمين- ولاسيما العرب منهم- يكتبون بلغةٍ غير التي يحكونها.

وكان للمغرب العربي نصيب من هذا الدعوة؛ فقد أصبحت اللغة العربية لغة ثانية بعد الفرنسية لغة المستعمر، وجاء في تقرير أعدته لجنة العمل المغربية الفرنسية: إنَّ أول واجب في هذه السبيل هو التقليل منَّ أهمية اللغة العربية، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية واللغات العامية في

• أستاذ اللغة في جامعة قطر



شمال إفريقيا.

وقد وضع علماء الاستعمار من المستشرقين كتبًا في قواعد اللهجات الأمازيغية لتزاحم العربية، يقول شحادة الخوري: شعر المستعمر باستحالة اقتلاع اللغة العربية من أرض الجزائر، وغرس اللغة الفرنسية مكانها، فلجأوا إلى وسيلة مُساعدة أخرى وهي الإيحاء لأكبر عددٍ من أبناء الجزائر بأن اللغة العربيّة ليست لغة أصليَّة في الجزائر، وإنما اللغة الأصلية لسكان الجزائر هي اللغة البَرْبريَّة لغة الأمازيغ، وقد تطوع الفرنسيون لوضع أبجدية لها كيما يمكن كتابتها.

المحور الثاني: الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية

هذه الدعوة مرتبطةٌ بالدعوة السابقة؛ حيث أخذ الهجوم على الفصحى (٤) بالتدرج وتوحيد الجهود، وقد بدأ بذلك سلدان ولمور في كتابه(٥) «العربية المحلية المصرية»، وهدَّد بأن العرب إن لم يفعلوا ذلك فإن لغة الحديث والكتابة ستنقرض، وستحل محلها لغة أجنبية.

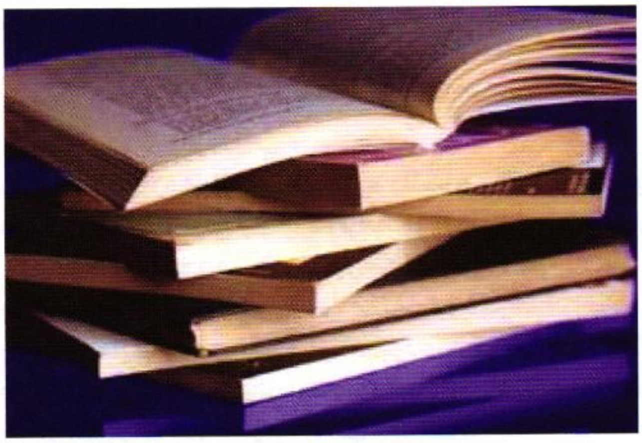
ويخرج علينا عضو في مجمع اللغة العربية هو عبدالعزيز فهمي، الذي دعا عام ١٩١٣م لكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وأصدر كتابًا يوضح فيه طريقته.

وأما أنيس فريحة الخوري فلا يرضى بأن تكون العامية اللغة المعتمدة بل يدعو إلى كتابتها بالحروف اللاتينية لتكون لغة رسمية للعرب، لأن الحرف العربي لا يصلح لتدوين اللهجة العامية، ويقبلُ اقتراح عبدالعزيز فهمي؛ لأنَّه يَضْبط لفظة اللغة مرةً واحدة لجميع الناس، ويطبق أدونيس تلميذ فريحة المدلل ما يريد أستاذه فيصدر في عام ١٩٦١م ديوانًا اسماه «يارا» كتب بالحروف اللاتينية.

المحور الثالث: الدعوة لإصلاح اللغة العربية

فمن أجل الإصلاح «المزعوم» وصم المغرضون العربية بالجمود والتعقيد والصعوبة، فمنهم من دعا إلى إلغاء الإعراب مثل قاسم أمين عام ١٩١٢(٦)، حيث دعا إلى تسكين أواخر الكلمات عوضًا عن الإعراب، يقول سلامة موسى: والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثًا، إذ يرجع إلى ما قبل ثلاثين عامًا حين نعى قاسم أمين على اللغة العربية صعوبتها، وقال كلمته المشهورة: إن الأوروبي يقرأ لكي يفهم، ونحن نفهم لكي نقرأ.

فانظر إلى ترابط الهدم، إذ يتحدث عن إفساد المرأة ثم يدعو إلى إفساد العربية.



ولمثل دعوته في ترك الإعراب دعا عبدالعزيز فهمي وتبعهما كثيرون بدعوى التخلص من العبء الثقيل وهو الإعراب.

ومنهم من دعا إلى إصلاح قواعد الكتابة مثل أحمد لطفي السيد(٧) الذي يقول: إن سبب تراجع الأمة العربية تمسكها بالتشديد والتنوين، ثم دعا إلى قواعدَ جديدةٍ ابتكرها مزهوًا بذلك.

أما أنيس فريحة فقد أصدر عام ١٩٦٦م كتابًا أسماه «في اللغة العربية وبعض مشكلاتها» يوصم العربية بالعجز عن اللحاق بالعلوم والفنون، وجعل هجاءها من مشاكلها، ودعا إلى تيسير ذلك، وأخذ يحيي اقتراحات بائدةً لإصلاح ذلك، كما تأففَ من مشكلات القواعد النحوية، واشتكى من الصرف، ودعا في ثناياه إلى العامية!

المحور الرابع: إفساد الذوق السليم

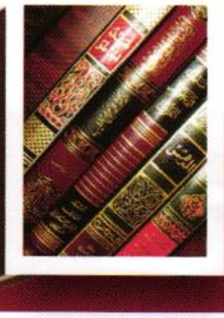
لما عجز المغرضون عن فرض العامية، وكَلَّت أقلامُهم في الدعوة إلى الحروف اللاتينية، وماتت تجاربهم في مهدها، ولم يستطيعوا جرَّ العرب لتحطيم العربية بدعوى الإصلاح، عند ذلك لجأوا إلى إفساد الذوق السليم لكي يعدمَ العربي ذوقه الذي اعتاد عليه في الاستمتاع بما كتب به كتابه الكريم، وسنة نبيه ﷺ، وتراثه الأصيل، وحاضرهُ الزاخر.

لقد دعوا إلى تحطيم الشعر، يقول لويس عوض: «حطِّموا الشعر؛ لقد مات الشعر العربي عام ١٩٣٣م، مات بموت أحمد شوقي»، فصار الشعرُ طلاسم وأحاجي لا يفهمها حتى كاتبها، لكي يعدم الشاب النماذج التي يحاكيها.

كما شُجعت الآداب الشعبية لإفساد الذوق، وحرف الناس عن أدبهم الفصيح، ولكي تسيطر العامية على الناس، وبهذا الصدد يقول د .محمد محمد حسين- رحمه الله- عن هذا الأدب: «هو امتداد للدعوة إلى استبدال اللهجات المحليَّة العاميَّة مكان اللغة الفصحى»، وأجزم أولًا أنَّ تدوينها والاهتمامَ بها ليتعلَّقَ بها الناس، ويفسدَ ذوقهم ويعتادوها، ويعدموا بذلك النموذج الأصيل.

مراجع

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، علم التربية، ٢٩٠، بيروت ١٩٩٧-١٩٨٠.
(٢) الاتجاهات الوطنية، لمحمد محمد حسين ج٢، ٣٦٠.
(٣) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٣.
(٤) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٠.
(٥) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٣.
(٦) المرجع السابق، ج٢، ٣٧٢.
(٧) المرجع السابق، ج٢، ٣٦٩.



لغة وأدب

العلامة اللغوي محمود الملّاح (يرحمه الله)

طلال محمود النعيمي

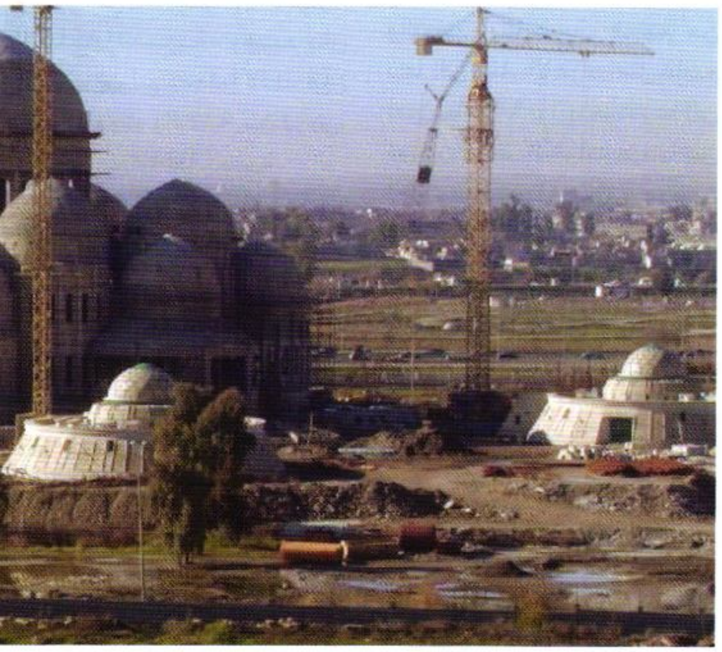
تمر الذكرى الحادية والأربعون على وفاة العلامة اللغوي النحرير والشاعر الكبير محمود الملاح رحمه الله، دون أن يذكره أحد من أبناء العراق بصورة عامة، أو أبناء بلدته بصورة خاصة حسب علمنا ومعرفتنا، وقد حاولت التعريف به- وهو أشهر من نار على علم- للأجيال الصاعدة والناهضة بما قدمه للشعر واللغة والأدب والتاريخ من مؤلفات وغيرها من بحوث ومحاضرات ومقالات وتعليقات، ومن حقه علينا وعلى جيله أن نذكره ويذكروه بكل إجلال واحترام، وألا ننسى فضله وعلمه وجهاده الذي استمر ما يقارب نصف قرن، وربما اكثر ما يقارع فيها المنحرفين من الملل والنحل المغرضة والمنحرفة كما سنوضحه إن شاء الله.

ولد الاستاذ العلامة محمود الملاح، رحمه الله، بمدينة الموصل عام ١٨٩١م ونشأ وترعرع فيها، تعلم القرآن بنفسه من غير معلم أو شيخ كما ذكر ذلك لأحد أصدقائه وهو الاستاذ محمد سعيد عبدالوهاب، وأخذ يقرأ كل كتاب يقع بيده، استفاد من استاذه ومعلمه الوحيد الشيخ عبدالله النعمة الذي منحه الشهادة العالمية والاجازة العلمية ليصبح عالم دين أو شيخًا معممًا.

وفي الحرب العالمية الأولى، استدعي للخدمة العسكرية، فالتحق جنديًا كاتبًا في حلب، وهناك التقى بعلمائها وأدبائها، وأخذ عنهم واستفاد من علمهم وبقي فيها الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى فرجع الى بلدته الموصل وظل بها فترة، بعدها سافر الى سورية حوالي سنة ١٩١٩م في مهمة وطنية، فعهدت اليه الحكومة السورية ببعض الوظائف العلمية لقلة وندرة من يحسن العربية في دوائر الدولة، ولما عرف عنه من تفان واخلاص في عمله، وقد بقي في عمله في خدمة الحكومة العربية الى ان احتل الفرنسيون سورية، فرجع الى بلدته الموصل وبقي فيها فترة قصيرة وسافر الى بغداد سنة ١٩٢٠ وسكنها، وعين فيها مدرسًا في الثانوية ودار المعلمين. وجرت عليه معاكسات ومضايقات! فاستقال منها واكتفى بالتدريس بالمدارس الاهلية، واختير للتدريس في المدرسة العسكرية فترة من الزمن، ثم ألغيت وظيفته، وبعد الغاء وظيفته، اختار العزلة والعكوف على المطالعة والتتبع وقرض الشعر والكتابة في الصحف. وانتخب نائبًا عن لواء (محافظة) الموصل قبل الحرب العالمية الثانية، وبقي في بغداد الى ان وافاه الاجل المحتوم ليلة الاربعاء ١٩٦٩/٣/١٩.

ساهم الملاح في شبابه مع طلائع الشباب الوطني في الموصل في نشر وبث الوعي الإسلامي والقومي عن طريق الشعر والخطب الحماسية وتشجيع النشء الجديد والصاعد على التمسك بأخلاق وآداب العرب والمسلمين لإعادة الامجاد والمفاخر العربية والإسلامية، ودعا الى الحرية والاستقلال.

كان-رحمه الله- واسع الاطلاع غزير العلم بالادب والنقد الادبي والشعر والتاريخ واللغة والاديان وباقي العلوم الاخرى، وبعبارة اخرى كان موسوعيًا ودائرة معارف حية ومتنقلة!! فأخذ على عاتقه التصدي للشعوبيين والمنحرفين

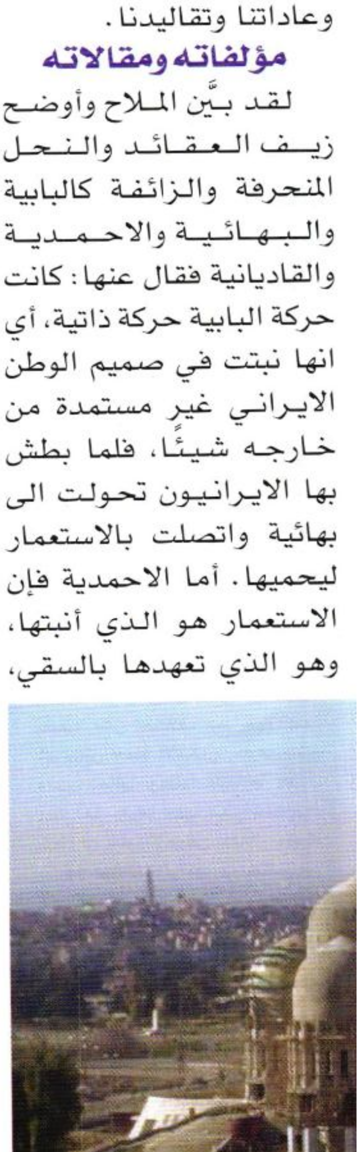


* باحث عراقي

والمفترين والدساسين الذين سوّلت- وتسول- لهم أنفسهم الافتراء أو الدس أو الكذب على ديننا الإسلامي وتاريخنا وعروبتنا واخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا.

مؤلفاته ومقالاته

لقد بيّن الملاح وأوضح زيف العقائد والنحل المنحرفة والزائفة كالبابية والبهائية والاحمدية والقاديانية فقال عنها: كانت حركة البابية حركة ذاتية، أي انها نبتت في صميم الوطن الايراني غير مستمدة من خارجه شيئًا، فلما بطش بها الايرانيون تحولت الى بهائية واتصلت بالاستعمار ليحميها. أما الاحمدية فإن الاستعمار هو الذي أنبتها، وهو الذي تعهدها بالسقي،



وهو الان يحميها، وهما من حيث المبدأ والغاية ملة واحدة! (١).

وتكلم عن القرمطية فقال: ان الحركة واساتذتها من العبيديين (آل القداح) حركة طائفية أشربَت معنى الشيوعية، وهي شعبة من الاباحية التي تلقوها عن المزدكية الفارسية لاجتذاب الشبان الى نحلتهم! وكانت شيوعية مزدك في النساء والاموال (٢).

وتكلم عن ثورة الزنج - بل فتنة الزنج - فقال: أما ثورة الزنج فكان زعيمها رجل من الطالبيين اسمه علي بن محمد، وكان من حيل هذا الطالبي، أن أشاع بين العبيد من الزنج أن كل من التحق به فهو حر! وبذلك كثر جيشه، كما يعمد الثوار الى كسر السجون ليكثروا بالمسجونين، ولم يكن هو عبدًا يطلب التحرير لنفسه أو لغيره، بل لنقل اولئك العبيد السود من عبودية مادية الى عبودية روحية!

وكانت نتيجة ثورته خراب معظم العراق، خاصة البصرة فقد نالها أعظم قسط من التدمير وسبي النساء وهتك الاعراض!

ولم تظهر له رسالة تدل على أنه طالب اصلاح، فثورته اعتقادية لا اقتصادية، ومن الغريب ادعاء بعض المؤلفين المحدثين في كتاب مملوء بالتدليس والتلبيس ان صاحب الزنج بمنزلة ابراهام لنكولن (محرر العبيد)!

وكانت ثورة القرامطة من هذا الطراز، أي كانت لغاية مذهبية لا تحريرية، كما زعموا، وجرت على ايديهم فضائح أكثر شناعة مما ارتكبه الزنج، لأن الزنج انحصر شرهم في العراق، والقرامطة جاوز شرهم الشام الى مصر، ومن فروعهم الحاكم بأمره الذي ادعى الالوهية! وأوضح مثال مجسم نقدمه لذوي الشبه اغاخان الذي يوزن كل سنة بالماس والعقيان (٣).

وتكلم عن اخوان الصفا وعن رسائلهم فقال: كل رسالة من الرسائل الخمسين تقوم مقام فرقة أو رتل، تحت كل حرف صل (نوع من أخبث الحيات)، وتحت كل كلمة افعى، وتحت كل عبارة ثعبان، وتحت كل سطر تنين. فلا يحسن الدخول فيها الا لمن كسا قدميه خفين حديديين، وكفيه قفازين فولاذيين، وهو مع ذلك مدرع باليقين، متوكل على ذي القوة المتين. وهي رسائل رجعية، ورجعيتها لا تنفي أن تكون هدامة للقومية الإسلامية والعربية، ولها منافذ الى الهاوية ونوافذ للريح العاتية ... انهم اخوان الشياطين (٤).

كما تكلم عن كثير من تلك العقائد والنحل المنحرفة والزائفة كالشيخية والسبئية والبابكية والخرمية والخوارج... الخ.

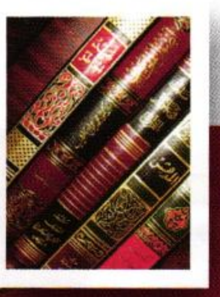
ودعا الى التمسك بالدين الإسلامي الحنيف، والى وحدة العرب والمسلمين، والى نبذ التعصب والاختلاف والرجوع الى الحق، فكثر خصومه، فحاربهم بلا هوادة وعلى عدة جبهات دون كلل أو ملل.

وكان يراقب ويرصد ما صدر من مجلات وكتب ويراجعها، وبعد التصفح يرد على من يفتري ويبث الاكاذيب حول نبينا عليه الصلاة والسلام أو الدين الإسلامي أو التاريخ الإسلامي... الخ.

والويل للمفتري أو الكذاب أو لمن تسول له نفسه أن يدسَّ أنفه فيما لا يراه الفقيد (الملاح) صحيحًا.

ولهذا وغيره فقد دبج المئات من المقالات.. تصدى بها للفحول والفطاحل من العلماء والادباء والباحثين، وكان يخرج من تلك المعارك الصحافية منتصرًا، بل كانت تلك المعارك تزيده قوة وعزمًا ومضاء، فهو المحقق والمدقق لما ينشر، ليعقب بعد ذلك على كل منحرف من الكتاب والمؤلفين والادباء وغيرهم.

وكان كالسيف الصارم على الشعوبية والشعوبيين وعلى



اعداء الإسلام بما يدسونه ويفترونه على الإسلام ونبيه ورجالاته.

واصدر مجلة «التجدد» في بغداد عام ١٩٢٨م.

أما رسائله وكتبه المخطوطة فمنها:

١- المهدي والمهدوية.

٢- المجوسية المبرقعة.

٣- ديوان شعر يبلغ اكثر من جزأين وربما ثلاثة.

وكان له مجلس او ندوة اسبوعية يعقدها في بيته، يحضرها محبوه وعارفو فضله من العلماء والادباء والمؤرخين وغيرهم.. ينهلون بما يفتح الله عليه من اللغة والادب والتاريخ والتعليقات والمناقشات على الكتب الجديدة والقديمة والمجلات، فيستفيدون من تلك التعليقات والمناقشات. يقول الشيخ يونس ابراهيم السامرائي البغدادي: وكان له مجلس عامر في داره في البتاوين ببغداد يحضره عدد غفير من محبيه وعارفي قدره وفضله، وكنت أحضر هذا المجلس في كل اسبوع، وكنت اسمع منه التعليقات القيمة على الكتب وما فيها من تشويه ودس على كتب الإسلام وتاريخ الامة العربية، وكان ممن يحضر مجلسه: المرحوم طه الفياض صاحب جريدة «السجل»، والاستاذ محمد صالح العبيدي، والاستاذ جعفر مال الله، والاستاذ علي البصيري، والاستاذ حميد المحل، والسيد سعيد عباس الراشدي وغيرهم. (٦).

نماذج من شعره

ساهم الملاح في بث الوعي الإسلامي والعروبي عن طريق القصائد الشعرية الحماسية التي تبعث على الفخر بالدين الإسلامي والعروبة و تحفز النشء الجديد على اقتفاء اثر الاجداد في الوحدة والتحرر والعيش في ظل الحرية والاستقلال، فجاءت جل أعماله الأدبية والفكرية لتمزج بين شدة الولاء للعقيدة الإسلامية وحب العروبة، ففي قصيدة له يتغنى بالبطولات الإسلامية زمن الفتوحات الإسلامية التي شملت مشارق الارض ومغاربها يقول:

نفسي الفداء لقوم
في الارض كانوا نجوما
إذا بكيت عليهم
دوماً فلست ملوما
بالسيف والعدل سادوا
عُربًا وفرسا وروما

ثم يعود الملاح داعيا قومه للنهوض وترك التكاسل والسعي في بناء الاوطان والمجتمع فيقول:

يا بني الاوطان جدوا
واخلعوا هذا الكسل
ليس مثل السعي شيء
يبتغى منه الامل
قمر العلياء لولا
السعي فيها ما كمل (٧)

وبعد انتخابه نائبًا عن مدينة الموصل، سهل له هذا المنصب السفر الى القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني الذي عقد لمعالجة قضية فلسطين.. يقول الملاح:

وكنت القيت قصيدة في حفلة اقيمت في فندق «كارلتون» بمناسبة المؤتمر البرلماني الذي اجتمع في القاهرة لمعالجة قضية فلسطين سنة ١٩٣٩م رمزت فيها الى ان ظهور المعجزات السماوية كان له عصر مضى وانقضى.. ولعصرنا معجزات من نوع اخر تبدأ من الأرض.

وقال:

غدت فلسطين مرآة لأندلس
لما تطاير في انحائها الشرر
ألا ضمائر عن ذا الغي زاجرة
لو كان فيهن للغاوين مزدجر
يا خطة من صميم الخسف جائرة
قد سيمها عرب ما سيمها نوَر
وما عجبت لقوم ضل سعيهم
كما عجبت لمن إياهم نصروا

والملاح لا ينسى المناسبات الدينية وخاصة الهجرة النبوية والمولد الشريف

وفي قصيدة «السيد الاعظم»:

طموح لا يدانيه طموح
وروح عم منه الكون روح
نبي كله حزم وعزم
وسيرته الهداية والوضوح
تبسم يوم مولده زمان
فزايل مبسم الزمن الكلوح
أنار جوانب الحق المغشى
فبات برأس شاهقة يلوح
طبيب فوق راحته دواء
به تشفى من الجهل القروح
اتى والجهل يفعم كل واد
وفي الاكوان فاشية جروح
أتانا مكملاً ما جاء موسى
به من قبل دهر والمسيح

هوامش

١- محمود الملاح: البابية والبهائية بغداد ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م هامش ص١٠.

٢- محمود الملاح: نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون، مطبعة اسعد - بغداد ١٩٥٦ هامش ص٤٠.

٣- محمود الملاح: الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد، مطبعة الهلال - بغداد ١٣٧٠، ص٢٣-٢٤.

٤- العلامة محمود الملاح: حقيقة إخوان الصفاء، مطبعة دار المعرفة - بغداد ١٩٥٤، ص٤٩.

٥- قال عن مقدمة ابن خلدون «ليس في العالم الانساني عالم أو أديب اطلع على ما احتوته مقدمة ابن خلدون إلا عرف قيمتها، ولكن هل لقيت ما تستحقه من العلماء والادباء غير كلمة اطراء واعجاب؟!

اني اشبه مقدمة ابن خلدون بالعروس البائسة، تدق حولها الطبول وهي تشكو البؤس، واقل بؤس لقيته، سوء طبعها على اختلاف مطابعها. نعم، ان بعض حملة الافكار، حلوها بتتبع بعض ابحاثها، وعلقوا عليها ما علقوا، ولكن هل وفوها حقها الذي تستحقه؟ كلا، ان حقها لا يوفى باعمال عابرة، بل هو موقوف على تصميم خاص من ذوي الاختصاص بان تقسم مواضيعها الى أجزاء، ثم يناط كل جزء بمختص، ثم تجمع الاجزاء، وتوجد، فيكون العالم العربي قد حصل على دائرة خالدة تنقل الى سائر الالسن، وفي هذا مفخرة قومية لاتنكر» راجع كتابه: نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون. مطبعة اسعد - بغداد ١٣٧٦ -١٩٥٦، ص٣.

٦- الشيخ يونس ابراهيم السامرائي: مجالس بغداد، مطبعة الانتصار - بغداد. المطبعة الاولى ١٤٠٥-١٩٨٥، ص٥٤-٥٥.

٧- د. ذنون الطائي: رواد النهضة الفكرية في الموصل، مكتب دار الفن ١٤٢٢-٢٠٠١، ص١٤١.

قصة

الأبواق الكاذبة (١)

محمد مسعد ياقوت



ترى في تقاسيم وجهه الأبيض، صفحات مطوية على أمجاد منسية.. شواطئُ تركيا الطويلة، وغدرانها المُترَعة، وأنهارها الرقراقة، وقيعانها ورياضها المُونقة؛ كلها كلها؛ تبرقُ في لمعة عينيه الحازمتين.

خطواته الواثقة، وهو يتقدم نحو منصة المؤتمر، تضاهي عراقة مسجد أيا صوفيا، رشاقته الفائقة، تحلفُ أنه ابن عشرين سنة وليس ابن خمس وخمسين!

بطمأنينة وهدوء جلس هذا الرجل الطيب.. لا يبالي أن أجلسوه إلى جوار عدوه، ذلك الحاخام الكَهْل، الذي تَقَوَّسَ ظَهْرُهُ تقوسًا مُنكَرًا؛ كأنما طعن في عموده الفقري بسَهْم الموت النافذ؛ الذي أحنى جبينه المتقطب، تفوح من بين تجاعيده تعاليمُ رجال الدين، ونصوصُ التلمود، وتوصياتُ حكماء صهيون.

نظر إلى الحاخام نظرةً عابرةً، فتولدت منها نظرات أخرى، يبدو أنها تولدت من معانٍ غريبة، وصور بشعة، وجراحٍ غائرةٍ، وتاريخٍ أسودَ و... و...!

وردًا على نظرة الرجل الطيب نظر إليه الحاخامُ بعينيه الغائرتين نظرةً ملوثة بأحقاد قديمة، ثم هز له صلعته التي بَرَقت وومضت، هزة سخرية، وقد انعكس منها ضوء القاعة.. إضاءةً ذكَّرتْ الرجل الطيب بضوء قنابل الفسفور الأبيض المحرمة دوليًا!

قال الحاخام الصهيوني مخاطبًا الجمهور:

وطنُنا فوق كل الأوطان، من النيل إلى الفرات، من بيروت إلى خيبر، لقد ظُلمنا كثيرًا عبر التاريخ، لقد شُردنا كثيرًا بين البقاع والأصقاع، في التِّيه، واللعن، والتشريد، والهجران، من مذابح نبوخذنصر إلى محارق هتلر، ومن حقنا أن نذبح العرب فداءً لوطننا، من حقنا أن نقتل الأطفال، أن نأسر النساء، أن نحرق الشيوخ، أن نحطم المعابد، وليس علينا في العرب سبيل! لقد سامونا الخسف، لقد أرَّقوا علينا المضجع، لقد قتلونا، لقد ذبحونا، لقد ظلمونا، لقد أراقوا دُموعَنا السخينة، ودمروا عرائس بناتنا البريئة.. أيها العالم المتحضر! أيها الناس أجمعون! تضامنوا معنا، ادعمونا، انصرونا، قلوبكم مع قلوبنا، يدكم في يدنا؛ حتى نطهر العالم من الظلم! ولتنعمي يا أرض بالأمن والأمان، والحب الإحسان، والسلام والإيمان، والوئام و... و... و...!

ينظر الرجل الطيب إلى الحاخام، والحاخام يتكلم، تخرج منه هذه الكلمات؛ فتفرقع في قاعة المؤتمر فرقعةً أشبه بفرقعة الجعلان إذا سافد الخنفساء، أو فرقعة حَب الكُحْل عندما يُطرح على النار، وتَعْلو فرقعاتها وتعلو وتعلو مع هذه السجعات التي هي أفحش من سجع الكهان.. كهان، كهان، آن، آن، آن!

لكنها كانت كالمطارق الحديدية على رأس الرجل الطيب، كانت تهزه هز المس الكهربائي إذا تمكن من إنسان، وتَحوَلَ رياشُ المقعد اللين من تحته إلى أشواك لاهبة لاذعة.

ضاقت به نفسه، وضاقت به القاعة الرحيبة..

وقف وكأنما لسعه عقرب في مقعدته؛ يقول. وقد ملأته غضبة. موجهًا كلامه لمدير الجلسة، طالبًا منه حق الرد على هذا الشيخ:

دقيقة واحدة!

تردد مدير الجلسة، فبدت عليه علامات التضامن والتأييد لكلام الحاخام، وأخذ ينطق بكلام مرتجل يؤكّد به كلام الحاخام؛ كما يعوي الفصيل في آثار الإبل.

فعاود الرجل الطيب طلبه:

دقيقة واحدة! دقيقة واحدة!

اصفر وجه مدير الجلسة؛ فبدت مخايل صهيونيته من وراء صفرة وجهه، وسكت قليلاً، ولم يأذن بعدُ للرجل الطيب بالكلام .

فكسر الرجل الطيبُ سكوتَ مدير الجلسة، وأكثر عليه، وشدد في سؤْله:

دقيقة واحدة ! دقيقة واحدة ! دقيقة واحدة !

رضخ مدير الجلسة؛ فأذن للرجل الطيب بالكلام..

طاب مقعده إذن، فجلس، وتَوَرَّكَ (٢) وتناول المذياع، وفورًا.. أطفئت الأنوار، وقطعت الكهرباء؛ لتظلَّ الحقيقة غائبة عن مسامع الأغبياء، وليبقى الصوتُ الأعلى صوتُ سجعات الكهان!

فالأبواق الكاذبة لا تصدع بالصدق!

الهوامش

١- من وحي موقف «رجب طيب أردوغان» عندما انسحب من مؤتمر دافوس، يوم ٢٩ يناير ٢٠٠٩؛ تضامنًا مع غزة، واحتجاجًا على عدم إعطائه الوقت الكافي للرد على الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز، بعد أن دافع الرئيس الإسرائيلي عن حق إسرائيل في الحرب على غزة.

٢- وضَعَ رِجلاً على رجل

◆ عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمشرف العام على موقع نبي الرحمة.

أمريكا بعيون عربية

بهيج بهجت سكيك

كثيرة هي الكتب التي تناولت دور الولايات المتحدة الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية، ومحاولتها السيطرة على العالم بعد انحسار موجة الاستعمار التقليدي القائم على الغزو العسكري وامتصاص ثروات هذه المستعمرات، وقد تزعمت هذه الموجة بريطانيا وفرنسا ثم أسبانيا وألمانيا وإيطاليا والبرتغال وهولندا وبلجيكا، فبريطانيا التي عرفت بـ «الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس» تعبيرًا عن مستعمراتها الكثيرة المنتشرة في شرق المعمورة وغربها. بدأت تنسحب من مستعمراتها وصارت تلقب «بالأسد العجوز» وتحل محلها الولايات المتحدة الأميركية التي نصبت نفسها شرطيًا للحفاظ على الديموقراطية والسلام في العالم، والحقيقة أن تجربة أميركا في العراق عام ٢٠٠٣م لا تختلف كثيرًا عما حدث في الفلبين عام ١٧٩٨م، وما بينهما من سلسلة حروب يشكل جزءًا لا يتجزأ من عقيدة الرأسمالية الأميركية، وبات هذا الحلم الأميركي- بعد انكشاف وجه أميركا القبيح- كابوسًا كونيًا نحتاج أن نصحو منه بأسرع وقت ممكن.

من هذه الكتب التي عالجت هذه المشكلة:

- أميركا المستبدة: الولايات المتحدة الأميركية وسياسة السيطرة على العالم (العولمة)، للكاتب ميشيل بينيون موردن - Michel Bugnon - Mordant، ترجمه إلى العربية د.حامد فرزات، وصدر عن دار نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠١م.

- أميركا والإبادات الجماعية - حق التضحية بالآخر The Right to Sacrifice the Others، للكاتب منير العكش، ترجمته إلى العربية ونشرته دار رياض الريس - بيروت عام ٢٠٠٢م. ويتناول موضوع إبادة ١٨,٥ مليون هندي أحمر Natives على يد المستعمرين الإنجليز، وهي الفكرة التي سيطرت على الأميركيين (استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة) والمعنى الإسرائيلي لأميركا.

- أميركا - الكتاب الأسود، وهو يستعرض فظائع أميركا ابتداءً من هيروشيما ونجازاكي وتكوين جيش أميركا الامبريالي، واستعراضًا لفرق الموت الأميركية في نيكاراغوا والهندوراس وغواتيمالا وتشيلي وانتهاء بأفغانستان والعراق...، غير الاندماج العضوي بإسرائيل، تأليف بيتر سكاون، نشرته الدار العربية للعلوم ٢٠٠٣م، بيروت.

- كتاب: لماذا يكره العالم أميركا؟ Why do people hate America للكاتبين ضياء سردار- ميريل وين ديفيز، نقله إلى العربية معين الإمام، ونشرته مكتبة العبيكان- بالرياض ٢٠٠٥م. وكتب على غلافه «ترجم إلى أكثر من ٢٢ لغة، ومن أكثر الكتب العالمية مبيعًا».

- الحلم الأميركي كابوس العالم، للكاتبين السابقين سردار، وديفيز، هذا الكتاب استكمال لأحداث الكتاب السابق ومعالجة لمشكلة أميركا مع نفسها ومع العالم.

- كتاب: معرفة الآخر- صياغة أنثروبولوجيا إسلامية، للكاتبة نفسها ميريل وين ديفيز، والطريف والمؤكد أن كتاب ومؤلفي هذه الكتب من الجنسية الأميركية.

أمّا كتاب أميركا بعيون عربية، فقد صدر أولًا باللغة الإنجليزية بعنوان Oil Crusades: AMERICA THROUGH ARAB EYES، نشرته دار بلوتو Pluto للنشر بلندن، وترجم إلى العربية عام ٢٠٠٧م، ومؤلف هذا الكتاب د.عبدالحي يحى زلّوم، عربي درس الهندسة والإدارة في الولايات المتحدة، وعمل فيها و في أوروبا، وأسهم في تأسيس العديد من شركات النفط العربية في الخليج والعراق وإفريقيا، وصار مستشارًا عربيًا بارزًا لشؤون البترول لمدة خمسين عامًا، صدرت له كتب عدة بالعربية منها نذر العوطة، وامبراطورية الشر الجديدة: الإرهاب الدولي ضد الإسلام، وحروب البترول الصليبية، وترجمت إلى الإنجليزية والألمانية.

يقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير، نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- الصنايع، وهو يخلو من الصور تمامًا، ويضم مقدمة وثمانية فصول.

يرى المؤلف أن النفط منذ إنتاجه بالطرق الحديثة عام ١٨٥٩م أصبح عماد الامبراطوريات وذراعها لتسيير آلاتها العسكرية والصناعية والهيمنة على الغير، ويضرب مثلًا بأن: الطاقة المستخرجة من برميل نفط واحد تساوي ما يعادل طاقة عمل رجل واحد لمدة ٢٥ سنة، وأن النفط يتم استخدامه كأساس للسماد الكيماوي والمبيدات الحشرية والماكينات الزراعية ورقائق الكمبيوتر وإنتاج النحاس وغير ذلك كثير...،

* كاتب وباحث

لذلك فإن الكاتب الأميركي ويليام بلوم William Blum في كتابه: الدول المارقة، ذكر أن أهداف الامبراطورية الأميركية في حروبها النفطية العلنية والسريعة منذ سبعينيات القرن الماضي ثلاثة هي:

١- خدمة المال وشركاته، وفتح الأسواق في جميع أنحاء العالم لتخدم شركات أميركية باسم «العولمة».

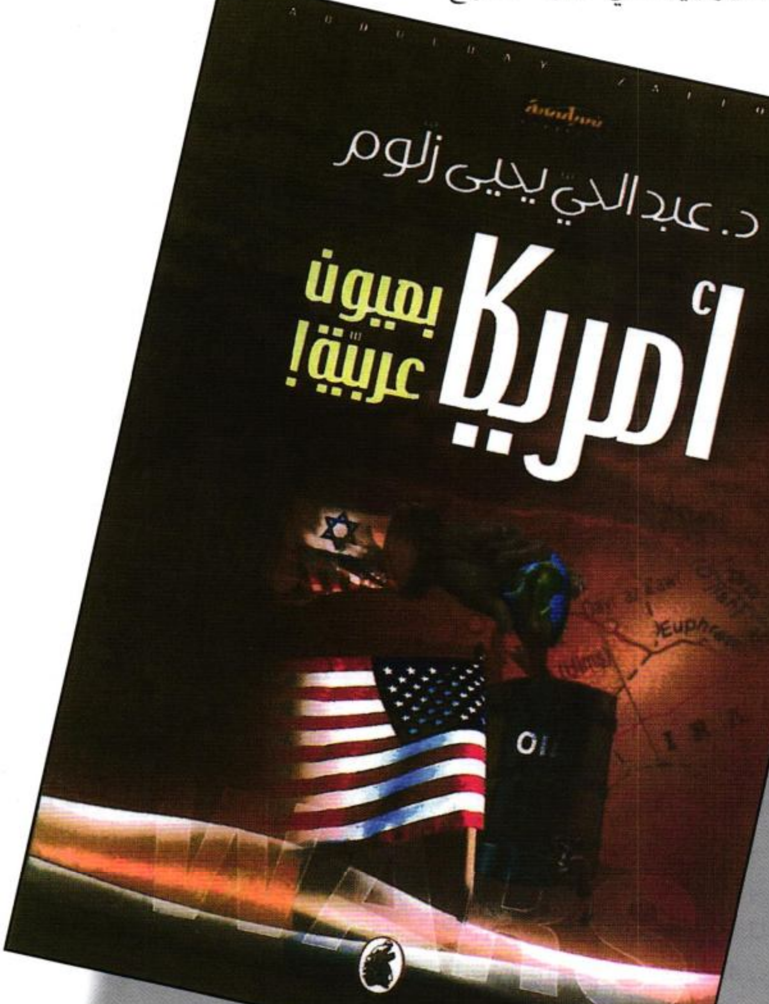
٢- عدم السماح بقيام أي مجتمع يمكن أن يمثل منافسًا للنظام الرأسمالي الأميركي.

السيطرة والهيمنة الكاملة على دول العالم جميعها لتحقيق الهدفين السابقين.

٣- ولتبرير هذه الهيمنة والسيطرة لم يجد حرجًا صامويل هانتغتون Samuel Huntington من كتابة آراء الساسة الغربيين والأميركيين في كتابه صراع الحضارات، منهم المستشار الألماني، ورئيس وزراء فرنسا، وسكرتير عام حلف الناتو Nato سنة ١٩٩٥م، بأن «الأصولية الإسلامية توازي الخطر الذي كانت تمثله الشيوعية للغرب».

بداية النهاية

هو عنوان الفصل الأول، ويرى المؤلف أن تراجع القدرة الإنتاجية لكثير من مناطق إنتاج النفط في العالم في كولومبيا وبحر الشمال وألاسكا وحقول روسيا، وبالمقابل تعاظم إنتاج واحتياطي دول الشرق الأوسط، خاصة الدول العربية، يقابله اقتصاد أميركي نهم تزداد شهيته لنفط الشرق الأوسط. إن المؤلف، وهو مستشار أردني عمل في شؤون النفط، قدم عرضًا شيقًا لإنتاج النفط منذ استخراج أول برميل وحتى يومنا هذا في الصناعة والاقتصاد.



التدافع على نفط العراق

إن الحروب الأميركية السابقة ابتداءً من الحرب الأميركية الأسبانية ١٧٩٨م، وانتهاءً بالحرب الأميركية على العراق ٢٠٠٣م، تشكل جزءًا لا يتجزأ من عقيدة الرأسمالية الأميركية، وذلك تطبيقًا لمبدأ مونرو، أو عقيدة مونرو التي أعلنها الرئيس الأميركي جيمس مونرو ١٨٢٣م، والتي تسعى للسيطرة على العالم. فقد أقدمت الولايات المتحدة على ١٠٣ حالات من التدخل الأميركي في شؤون دول أخرى خلال الفترة من ١٧٩٨- ١٨٩٥م.

وحتى يبرر الرئيس جورج بوش الابن حربه على العراق واحتلال منابع النفط فيها.. فقد أعلن عن وجود علاقة بين العراق وهجمات ١١ سبتمبر الشهيرة على أميركا، وهو أسلوب اتبعته أميركا قبل ذلك في إلحاق وتلفيق التهم للدول قبل غزوها واحتلالها، ولتبرير وحشية الغزو! بل إن كثيرين من الرؤساء الأميركيين استغلوا الدين وسيلة لتحقيق أهدافهم، بل وصل الأمر بالرئيس وليام ماكنليWilliam Mckinley انه تلقى رسالة من السماء تطلب منه احتلال أراضي دول أخرى، وكذلك إعلان جورج بوش أنها حرب مقدسة في أفغانستان والعراق.

لو عدنا إلى الوراء قليلًا لوجدنا أن اتفاقية سايكس- بيكو السرية ثم الشهيرة فيما بعد.. قامت فيها بريطانيا وفرنسا بتقسيم الامبراطورية العثمانية (الرجل المريض) بعد هزيمة العثمانيين إلى دول صغيرة وأشباه دول، وانضمت لهما روسيا وإيطاليا لاحقًا، ثم جاءت اتفاقية سان ريمو لتكمل رسم المنطقة واقتسامها، وتوجتها بريطانيا بإعلان وعد بلفور؛ لتعطي بريطانيا (من لا يملك) فلسطين إلى اليهود (من لا يستحق).

كانت أميركا تراقب هذه الأوضاع وتبدي قلقها الشديد من تصرف بريطانيا وفرنسا، فبدأت التحرك لنيل

أمريكا لا ترى العرب سوى حقل نفط ومناطق نفوذ وتخلف وإرهاب ودول مارقة

حصتها من الكعكة النفطية الواعدة.

ركائز السياسة الأميركية تجاه العالم العربي والإسلامي

الدين، النفط، الجغرافيا، والنفوذ السياسي... هذا عنوان الفصل الثالث، ويؤكد المؤلف على هذه الحقيقة من خلال العوامل الأربعة، God، Geography، Geology، Geopolitics، ويقصد بالجيوبوليتك: الجغرافيا السياسية التي تبيح التدخل وفرض النفوذ بأي وسيلة على أي دولة، كما أن الجيولوجيا تعني البحث عن منابع النفط واحتلالها وربطها بعجلة الاقتصاد الأميركي، ويرى المؤلف أن أول عهد لأميركا بالشرق الأوسط، أو الشرق كما عرف وقتها، كان من خلال الإرساليات التبشيرية التي دخلت المنطقة لأول مرة عام ١٨٢٠م ومعها مؤسسة Care الأهلية التي تقدم مساعدات عينية وتموينية للمحتاجين، وقتها لم يحالف المبشرين الحظ لتحقيق إنجاز فيما يتعلق بإقناع المسلمين بالتحول للمسيحية، فكان معظم الذين اعتنقوا المذاهب المسيحية الجديدة من المسيحيين أنفسهم، ومن أتباع المذاهب الأخرى الموازنة.

تعاظم هذا الدور بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وأصبحت العلاقة بيولوجية حميمة بين الدولتين.

دفاعًا عن إسرائيل

عنوان الفصل السادس، وفيه أورد المؤلف حقائق عدة، منها:

إن الأحداث العالمية الكبيرة مثل قيام دولة إسرائيل لا تأتي مصادفة، منها لجوء بنيامين ديزرائيلي Benjamin Desraeli رئيس وزراء بريطانيا عام ١٨٧٥ لاقتراض مبلغ ٤ ملايين جنيه إسترليني من عائلة روتشيلد اليهودية الثرية لشراء نصف أسهم قناة السويس من الخديوي إسماعيل، وبذلك أصبحت بريطانيا في قبضة اليهود الفولاذية! وبدأت الهجرة إلى فلسطين.

ثم جاء عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة باسل Basel السويسرية عام ١٨٩٧م الذي جاهر بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وأعقبه إعلان وعد بلفور ١٩١٧م، ودور المهاجر الروسي فلاديمير جابوتنسكي Jabotinsky الذي وصل إلى فلسطين مع دخول الجيش البريطاني إليها، وصار أستاذًا ومثلًا أعلى لمناحيم بيجن وإسحق شامير الإرهابيين المطلوبين عند الإدارة البريطانية لفلسطين.

حتى الفيلد مارشال مونتجمري Montgomery وكان حينها جنرالًا General لجأت إليه الحكومة البريطانية لإخماد ثورة الفلسطينيين ١٩٣٦- ١٩٣٩م، وكانت أوامره للجيش البريطاني في التعامل مع ثوار فلسطين: اقتلوهم، وبعد قيام دولة إسرائيل تراجع النفوذ البريطاني ليفسح المجال أمام دور متعاظم ليس في إسرائيل وحدها بل في المنطقة كلها.

إن العلاقة بين اليمين الإنجيلي المتشدد واللوبي المناصر لإسرائيل في الولايات المتحدة بدأت منذ قيام دولة إسرائيل، فهي أبعد بكثير من ١١ سبتمبر، فإنه حسب مفاهيمهم الدينية: إن قيام إسرائيل تحقيق لنبوءة الإنجيل، بل إن القاسم المشترك بين الأصوليين المسيحيين واليهود هو مؤامرة جبل الهيكل، قال هذا مايكل ليدن Michael Ledeen في صحيفة نيو ريببلك New Republic بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٨٤م.

صارت إسرائيل تحظى بحصة الأسد من المساعدات الأميركية الخارجية، فقد بلغ نصيبها من المساعدات الاقتصادية والعسكرية عام ٢٠٠٥م أكثر من ٣,٣ مليار دولار يضاف إليها ٩ مليارات دولار على شكل ضمانات ائتمانية.. طبقًا لما جاء في تقارير لجنة العلاقات العامة الأميركية الإسرائيلية AIPAC (إيباك) التي تعد أكبر جماعة ضغط (لوبي) يهودية في الولايات المتحدة، وبفضل هذا الدعم الأميركي لإسرائيل، والذي جعلها متقدمة صناعيًا وتكنولوجيًا، وصل متوسط دخل الفرد السنوي فيها إلى ١٨ ألف دولار، وهي بذلك من الدول العشر الأوائل في متوسط دخل الفرد، بينما يبلغ متوسط دخل الفرد السنوي في بنجلادش مثلًا ١٢٠ دولاراً سنويًا.

قال إسرائيل ميدا Yisrael Meida الذي يعمل في مؤسسة جبل الهيكل نائبًا للرئيس: من يسيطر على جبل الهيكل يسيطر على القدس، ومن يسيطر على القدس يسيطر على أرض إسرائيل.

وعندما حاول جورج بوش الأب التدخل لكبح سياسة التوسع الإسرائيلي من خلال فرض قيود على ضمانات ائتمانية بقيمة ١٠ مليارات دولار، تحرك اللوبي اليهودي لضمان هزيمته أمام كلينتون عام ١٩٩٢م، ونجحوا في ذلك.

الذهب الأسود بدل الذهب الأصفر

في الفصل الخامس من الكتاب سجل الكاتب قصة الذهب الأسود في أميركا، حيث إن الإنتاج النفطي الأميركي عام ١٩٧٠م لم يعد يكفي حاجتها، وصارت أكبر مستورد له في السوق العالمي، وفي نفس الوقت كان حجم الدولارات المتداولة في الأسواق العالمية ٣٠٠ مليار دولار، بينما حجم احتياط البلاد من الذهب، الغطاء النقدي، لا يزيد على ١٤ مليار دولار، وهذا يمثل خللًا كبيرًا في الميزان التجاري، الفرق كبير بين حجم

الـدولارات المتداولة وحجم ما تمتلكه أميركا من احتياطات الذهب، مما اضطر معه الرئيس نيكسون إلى استبدال معيار الذهب بمعيار الدولار وفرض العملة الأميركية على العالم كأمر واقع، فاعتبره البعض أكبر ابتزاز اقتصادي عرفه العالم، بل وصفه هيلمون شميدت، وزير الدفاع الألماني آنذاك، بأن النظام المالي الجديد هو نظام اللانظام، وجرت أحداث عدة بعد ذلك مثل: فضيحة ووترجيت للرئيس نيكسون، ثم حرب عام ١٩٧٣م بين إسرائيل ومصر وسوريا، وانهيار الاقتصاد المكسيكي الذي يحتاج إلى ٥٠ مليار دولار لاستعادة النظام الاقتصادي، ففقد البيزو المكسيكي أكثر من نصف قيمته خلال شهر! وبلغ معدل التضخم أكثر من ٤٠٪ لذا وضعت الولايات المتحدة خطة للاستيلاء على النفط العربي، واشتملت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما بين ١٩٧٤: ١٩٩٠م، وفيها يتم إقامة بنية تحتية عسكرية في الدول النفطية! ولقد تحقق ذلك، بل شهدت منطقة الخليج العربي في الثمانينيات تعاظمًا في الوجود البحري الأميركي بحجة الحرب العراقية الإيرانية.

المرحلة الثانية: ما بين ١٩٩٠: ٢٠٠٣م، وهي الفترة التي شهدت غزو الكويت من العراق، وحرب الخليج الثانية (التحرير) وغزو أفغانستان كان عام ٢٠٠١م وجاءت الفرصة سانحة أمام انهيار الاتحاد السوفيتي لتصبح أميركا القوة الوحيدة في العالم.

المرحلة الثالثة: من عام ٢٠٠٣م إلى الآن، وفيها تم احتلال العراق والسيطرة على منابع النفط فيه، في الوقت الذي وصل فيه الاقتصاد الأميركي إلى مرحلة الانصهار النووي.. كما وصفه ستيف جوبسSteve Jobs، رئيس شركة Apple للكمبيوتر، وفي المرحلة الثالثة بدأت حرب بوش الابن على الإرهاب، واحتلال أفغانستان لتأمين السيطرة على احتياجات بحر قزوين وآسيا الوسطى، وهي أكبر منطقة احتياطات نفطية غير مستغلة خارج الشرق الأوسط، ولذلك مزجت الولايات المتحدة بين النفط والأمن القومي.

النفط والله

لعل الكاتب في الفصل السابع حين ربط بين النفط والله- تعالى- أراد أن يثبت أن أميركا ومؤسساتها لا تعرف الله في سبيل الحصول على النفط! فقد تملكت فكرة السيطرة على العالم معظم مسؤولي الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وازدياد ظاهرة ونفوذ المحافظين الجدد، والتي تعاظمت حين تبناها جورج بوش الابن فيما عرف بـ «مشروع القرن الأميركي»، وخلال الـ ٦٠ عامًا هذه تبنى هذه الفكرة مجموعة من أقطاب المحافظين الجدد منهم البروفيسور Carroll ووليام غريدر William Greeder ووالتر ليبمان Watter Lippmen صاحب كتاب قرون الحروب... وغيرهم كثير.

كل ذلك يقابله شعب مهمش كما يرى المؤرخ وليام بولك: بأن شعب الولايات المتحدة لا يظهر الكثير من الالتزام بممارسة الدفاع عن حقه.

ولتحقيق هذا الهدف، السيطرة على العالم، سعت الولايات المتحدة إلى إجراءات عدة منها:

(١) سيطرة المال الأميركي على الشركات العالمية من خلال مجلس العلاقات الخارجية.

(٢) سيطرة الولايات المتحدة على منظمة الأمم المتحدة، وقد تم لها ذلك من خلال حق النقض(الفيتو).

(٣) السيطرة على الإعلام الدولي، مثل شبكات C.B.S، وC.N.N، و H.B.O، وشركة والت ديزنيWalt Disny، وشبكةFox T.V، ونيو هاوس New House وغيرها.

ويفرد الكاتب صفحات عدة تناول فيها مستقبل الشراكة الإسرائيلية الأميركية ودور المؤسسات والمنظمات البروتستانتية الأصولية المؤيدة لإسرائيل بأعضائها الذين يصل عددهم إلى أكثر من ٥ ملايين مناصر، يضاف إليهم حوالي ٨٥ مليون أميركي ممن يؤمنون ولو بصورة غامضة بالرؤية الخاصة بمعركة «هرمجدون» Armagaddon الفاصلة بين الإسلام واليهودية على أرض فلسطين، هذه الأقلية التي تتحكم في قرارات البيت الأبيض منذ وصول جورج بوش الابن، ويرى أن معظم الأميركيين العاديين جاهلون إلى حد كبير بحقيقة مدى اعتماد السياسة الخارجية والأمنية لبلادهم على دولة أجنبية (إسرائيل) لها أجندتها الخاصة، وأسيرة أوهام توْراتية تسيطر عليها.

الخلاصة

هذا الكتاب «أميركا بعيون عربية» جدير بالقراءة والاقتناء لأسباب، منها:

١- أن كاتبه خبير ومستشار نفطي، عرض لمشكلة الطاقة عامة والنفط خاصة منذ اكتشافه وحتى اليوم، ودوره كمصدر للدخل والطاقة ومادة استراتيجية بطريقة مهنية جادة.

٢- أن الكاتب، وهو أردني- فلسطيني، مسكون بهموم وطنه فلسطين، فقدم تحليلًا رائعًا للعلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة من قبل نشأتهما وحتى اليوم، ودور الأصولية البروتستانتية الأميركية وجماعات الضغط اليهودي (اللوبي AIPAC) في دعم إسرائيل.

٣- أميركا هذه ومنظماتها وأحلامها لا ترى العرب سوى حقل نفط، ومناطق نفوذ.. وتخلف.. وإرهاب.. ودول مارقة.

٤- أليس من الأفضل لو أن هذا الكتاب، أميركا بعيون عربية، حمل اسم: العرب بعيون أميركا..!!

إنها هجمة صليبية بمخالب الكترونية يا مسلمون.

خراسان (١-٢)

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.
مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.
وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.
وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.
ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحد من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.
ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).
وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حالُ «خراسان».
وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

«خُـرَاسَـان» من أشهر أقاليم المشْرق الإسلامي، بل أشهرُها، ومَعقل كثير من المراكز الإسلامية، وموطنُ الكثير من الأئمة والأعلام، قال الإمام النووي: «خراسان: الإقليمُ العظيمُ المعروف، موطن الكثير- أو الأكثر- من علماء المسلمين- رضي الله تعالى عنهم»(١).

ومعنى «خراسان» في الفارسية القديمة: مطلع الشمس، أو البلاد الشرقية، وقيل: معنى خُرْ: كل، وآسان: معناه سهل، أي كل بلا تعب، وقيل في سبب تسميتها غير ذلك.

توسَّع القدامى في إطلاق اسم «خراسان» على أغلب الأقاليم الشرقية، وكان هذا الاسمُ يُطلقُ عند البلدانيين القدامى على جميع الأقاليم الإسلامية شرق المفازة الكبرى(٢) حتى حدِّ جبال الهند(٣)، فخراسان في مدلولها الواسع كانت تضمُّ كلَّ بلاد «ماوراء النهر» التي في الشمال الشرقي، وكذلك سجستان في الجنوب(٤)، وكانت حدودُها الخارجيةُ: صحراءُ الصين، والبامير، من ناحية آسيا الوسطى، وجبالُ «الهندوكوش» من ناحية الهند(٥).

إلا أنّ حدودَها هذه صارت بعد ذلك أكثر حصْرًا وأدقّ تعيينًا، فرقعةُ «خراسان» عند المتقدمين أوسع مما هي عليه عند المتأخرين، بل إن التفاوتَ في تحديد رقعتها يُلاحظ حتى عند المتأخرين، ومن الواضح أنّ المتأخرين أكثر دقةً في تحديد رقعتها عن المتقدمين، كما أنّ بعضَ المتقدمين كان يُدخلُ في حدودها جميعَ الأقاليم التي كانت تدخلُ تحت ولاية والي خراسان، كما سيأتي في كلام الحمويِّ تعقيبًا على كلام البلاذري.

وممن نتلمَّس منه بدايات التحديد لخراسان هو ابنُ خُرّدازْبه (ت نحو ٢٨٠هـ)، حيث ذكرَ أنّ خراسان كانت مقسمةً إلى أربعة أرباع، كلُّ رُبع منها يتولّاه «مرزبان»، وهي: ربعُ «مرو الشاهجان» وأعمالها، وربعُ «بلخ» و«طخارسْتان»، وربعُ «هراة» و«بوشَنج» و«بادغيس» و«سجستان»، وربعُ «ماوراء النهر»(٦).

وقد أدخلَ في خراسان إقليمَي «سجستان» و«ماوراء النهر»، وبنحوه قال البلاذريُّ- على ما نقلَ عنه الحمويُّ- وقد عقَّبَ عليه الحمويُّ بقوله: «وإنما ذكرَ البلاذريُّ هذا لأن جميعَ ما ذكره من البلاد كان مضمومًا إلى والي خراسان، وكان اسمُ «خراسان» يجمعُها، فأما «ماوراء النهر» في بلاد الهياطلة ولايةٌ برأسها، وكذلك «سجستان» ولايةٌ برأسها، ذاتُ نخيل، لا عمل بينها وبين خراسان»(٧).

ويُعَقَّب على ابن خردازبه وغيره بمثل ما عقَّبَ به الحمويُّ على البلاذري، حيث إنهما أدخلا في خراسان ما كان يتبعُها من الناحية السياسية، لا من الناحية الجغرافية.

أرباعُ خراسان وعواصمها

وهذا الإقليم ينقسم إلى أربعة أرباع، يُنسَب كلُّ ربع منه إلى إحدى المدن الكبرى، التي كانت في أوقات مختلفة عواصمَ الإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة، وهذه المدن هي: بلخ، ومرو، ونيسابور، وهراة.

ومما يُلاحظ في عواصم خراسان أنها لم تستقرَّ على قصبة (حاضرة) معيَّنة على مر التاريخ، بل انتقلت باختلاف الولاة والسلاطين على النحو التالي(٨):

قاعدة خراسان في زمن الأكاسرة، وفي زمن بني الصفار، كانت مدينة بلخ، وتقع في شمال أفغانستان، بالقرب من مدينة «مزار شريف»، وفيها نارُ المجوس

التي سدَّتها البرامكة، وكانت «بلخ» عاصمة ملوك العجم قبل ملوك الطوائف، ثم نزلوا بابل، ثم نزل أزدشير بن بابك فارس، فصارت دار ملكهم.

وفي أيام السلجوقيين وصدرِ الإسلام كانت قاعدةُ خراسانَ هي مدينةُ «مرو»، وهي «مرو الشاهجان»، وتقعُ الآن في جمهورية «تركمانستان»، إلى الشرقِ من العاصمة «عشق آباد»، وتسمَّى الآن «ماري».

وقاعدةُ خراسان في أيام الطاهريين كانت مدينةُ «نيسابور»، وتقع في الشمال الشرقيِّ من إيران، وتُسمَّى الآن «نيشابور».

تحديد دقيق لإقليم «خراسان» قديمًا:

ولعلَّ أدقَّ تحديد لخراسان عند البلدانيين القدامى هو ما جاء على لسان الحمويِّ حيث قال:

«خُرَاسَانُ: بلادٌ واسعةٌ، أولُ حدودها مما يلي العراق «أزاذوار» قصبةُ «جوَين» و«بَيهق»، وآخر حدودها مما يلي الهند طَخارسْتان وغزنة وسجستان وكرمان، وليسَ ذلك منها، إنما هو أطرافُ حدودها، وتشتملُ على أمهات من البلاد، منها: نيسابور، وهراة، ومروٌ- وهي كانت قصبتُها- وبلخ، وطالقان، ونَسا، وأبيورد، وسرخس، وما يتخلَّل ذلك من المدُن التي دون نهر جيحون.

ومنَ الناس من يُدخلُ أعمالَ خوارزم فيها، وَيعُدُّ «ماوراء النَهر» منها، وليس الأمر كذلك»(٩).

فتح خراسان(١٠)

بعد معركة «نهاوند» عام ٢١هـ (٦٤٣م)، والتي كانت معركةً حاسمةً انتصرَ فيها المسلمون على الفرس انتصارًا مؤزَّرًا، حيث أطلقَ المسلمون عليها اسم «فتح الفتوح»، بعد تلك المعركة عقدَ أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب سبعةَ ألويَة لسبعة من القادة، عهدَ إليهم فتحَ أرضَ فارسَ كلها، وكان ممن سارَ إلى



خراسان الأحنفُ بنُ قيس التميمي، وقد سارَ على رأس جيشه حتى دخلَ خراسان من طريق مدينة «طبَس»(١١)، فافتتح «هراة» و«مرو»، ثم سارَ نحو «مرو الروذ» ليلاحقَ يزدجرد، حيث فرَّ إليها، ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف، وسارَ المددُ نحو«بلخ» حيث انتقل يزدجرد إليها، واستطاعَ أهلُ الكوفة دخولَ «بلخ»، وفرَّ يزدجرد إلى بلاد «ماوراء النهر»، ولحقَ الأحنفُ بأهل الكوفة في بلخ وقد نصرَهم الله على عدوِّهم، وأصبحَ الأحنفُ سيِّدَ خراسان؛ إذ تتابعَ أهلها على الصلح، وكان الأحنفُ وهو في طريقه إلى «مرو» قد بعثَ مطرف بن عبدالله إلى نيسابور، والحارث بن حسانٍ إلى سرخس، وبذلك تمَّ فتحُ خراسان كلِّها.

توفي أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه والمسلمون على حالهم في خراسان، إلا أنّ أهلَ خراسان لم يلبثوا أن نقضوا العهدَ بعد وفاته، واجتمعَ المسلمون في «مرو الروذ»، وعليها عبدُالرحمن بن سمرة، فكتبَ إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأرسلَ عثمانُ رضي الله عنه إلى عامله عبدالله بن عامر أن يستعيدَ فتحَ خراسان، فتحرَّك سنة ٣١هـ إلى خراسان، ومعه الأحنفُ بنُ قيس، واستطاعَ أن يُعيد فتح خراسان في فترةٍ وجيزة، واستعادَ المسلمون مواقعَهم في خراسان كلِّها، وأعادوا عمَّالَهم على ما كانوا عليه في السابق.

مآثر إقليم «خراسان»

وهذا الإقليم كان أحد أركان العلم والعلماء في القرون الذهبية للإسلام، حتى قال بعضُهم: «الدنيا خراسانُ»، قالِ الحمْيَري (ت٩٠٠هـ): «وهو عمل كبيرٌ وإقليمٌ جليلٌ معتبر، وفي شعر الحكيم الذي ذكرَ أقطارَ الأرض وحكَمًا لها قوله: «والدنيا خراسانُ»»(١٢).

وقال المقدسي (المعروف بالبشَّاري) (ت نحو ٣٨٠هـ) عنِ خراسان: «اعلم أن لهذا الإقليم فضائلَ تُنسَبُ إلى هذا الجانب، ويَشرَكُه في أكثرها جانبُ هيطل(١٣)، إلا أنَّ هذا لَّما كان أقدمَ في الاختطاط، والفتح في الإسلام، وأقربَ إلى أقاليم العرب، خُصَّ بالذكر، وعُرِف عند النسبة.

يُحكى عن ابن قتيبة أنه قال: خراسان أهلُ الدعوة، وأنصارُ الدولة، لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبةً، وأشدَّهم إليه مسارعةً، منَّا منَ الله عليهم، أسلموا طوعًا، ودخلوا فيه أفواجًا، وصالحوا عن بلادهم صلحًا، فخفَّ خَراجُهم، وقلَّت نوائبُهم، ولم يجب عليهم سبيٌ، ولم يُسفَك فيما بينهم دمٌ، مع قدرتهم على القتال، وكثرةِ العدد، وشدَّةِ البأس»(١٤).

وقال الحمويُّ وهو يذكرُ بعضَ مآثر «خراسان»، منتقدًا بعضَ ما يتناقلُه بعضُ الناس من التنَقُّص من بعض البلدان بالجملة.. قال:

«ومن أين لغيرهم أمثالُ البرامكَة، والقحاطبة، والطاهرية، والسامانية، وعليٍّ بن هشام، وغيرهم، ممن لا نظيرَ لهم في جميع الأمم... فأمَّا العلم فهم فرسانُه وساداتُه وأعيانُه...» (١٥).

ثم ذكرَ بعضَ الأعلام الذين خرجوا من خراسان، سواء في الحديث، أو في الفقه، أو في الأدب، أو غير ذلك من فنون العلم.

وقال القزوينيُّ (ت٦٨٢هـ):

«خراسان: بلادٌ مشهورة، شرقيّها «ماوراء النهر»، وغربيها قُهِستان، قصبتُها: مرو، وهراة، وبلخ، ونيسابور.

وهي من أحسن أرض الله وأعمرها، وأكثرها خيرًا، وأهلُها أحسنُ الناس صورةً، وأكملُهم عقلا، وأقوَمُهم طبعًا، وأكثرُهم رغبةً في الدين والعلم»(١٦).

وقد خرجَ من خراسان من العلماء في كلِّ فنٍّ عددٌ يصعبُ حصرُهم، ومما يدلُّ على كثرتهم أنّ كثيرًا من مدن خراسان قد خُصَّت بتواريخ خاصَّة بها، ذُكر فيها أعلامُ تلك المدن، مثل مدن: بلخ، بيهق، مرو، نيسابور، هراة.

قال السمعاني: «والعلماءُ في كلِّ فنٍّ منها بحيث لا يدخلُ تحت الحصر، وقد صنف(١٧) التواريخ في ذلك»(١٨).

انحسارُ العلم من خراسان

أطلقَ الإمامُ الذهبي على «خراسان» أنها «دار الآثار»(١٩)، إلا أنه ذكرها ضمن الأقاليم والبلدان التي بدأ ينحسرُ منها علمُ الآثار بعد أن كان منتشرًا فيها، فإذا كان الأمرُ كذلك في عهد الذهبي- وهو القرن الثامن- فما تلاه من القرون شهدت انحسارًا أكبر لعلوم السنة من خراسان، وواقعُها الحالي يُعد أسوأ من حيث ندرة وجود مراكز العلم فيها.

تحديدُ خراسان اليوم

«خراسان» تقع اليومَ ضمنَ ثلاث دول، وهي: أفغانستان، وتركمانستان، وإيران.

يَحُدُّها من الجنوب الشرقيِّ:

سلسلةُ جبال «هندوكوش» الواقعةُ في أفغانستان، والتي تمتدُّ من الشرق إلى الغرب، آخذةً إلى الجنوب، فتفصل الشمالَ الأفغانيَّ من جنوبه، وجميعُ الولايات (المناطق) الواقعةُ شمالَ هذه الجبالِ في أفغانستان، من «بدخشان» شرقًا إلى «هراة» غربًا داخلةٌ في خراسان، وهي عبارةٌ عن السفوح الشماليّة والغربيّة لجبال «هندوكوش» العالية.

ويَحدُّها من الجنوب الغربيِّ:

مناطقُ «قوهستان» في إيران، وهي الإقليمُ الجَبَليُّ بين هراة ونيسابور، ومناطق «قومس»، وهي كورةٌ كبيرةٌ واسعةٌ بين الريِّ «طهران» ونيسابور في سفوح جبال طبرستان «البرز» الجنوبيّة.

وهذا الجزءُ كلُّه في إيران، ويشملُ منطقتين:

الأولى: إقليم طبرستان، ويسمّى اليومَ «مازَنْدَران»، ويشملُ المنطقةَ المحصورةَ بين جبال «البُرز» وسواحل بحر «الخزر»، وأشهرُ مُدُنها- الآن: ساري، وبَنْدَرْ شاه، وجرجان.

الثانية: منطقة نيسابور، وتسمّى الآن «نيشابور»، وقد ضُمَّ إليها إقليمُ «قوهستان»، وهي المعروفةُ اليومَ باسم «خراسان».

ومن أهمِّ مدُنه- الآن- مَشْهَدْ، طوس، نيسابور، سرخس.

والإقليمُ الذي يُعرف الآن باسم «خراسان» في إيران يضمُّ أقلَّ من نصف خراسان القديمة.

ويَحُدُّها من الشرق:

نَهرُ «جيحون»، والذي يُعرَفُ الآن بنهر «آمو»، وهذا النهرُ يُسايرُ أرضَ خراسان من الشرق، من بدايتها إلى نهايتها، فالمنطقةُ التي تُعرَفُ قديمًا بـ «ما وراء النهر» ليست داخلةً في خراسان.

ويَحُدُّها من الشمال:

صحراءُ «قراقوم» الواقعةُ في تركمانستان.

ومن الغرب: بحرُ الخزر، المعروف- الآن- بـ «بحر قَزوين».

والخلاصةُ: أن خراسان تشملُ الآن:

١- جميعَ الولايات (المناطق) الواقعةَ على السفوح الشماليّة والغربيّة لجبال «هندوكوش» في أفغانستان، وتزيدُ مساحةُ «خراسان الأفغانية» على ثلث مساحة أفغانستان، ومن مدنها: بلخ، مزار شريف، هراة، بغلان، قندز، طالقان، جوزجان.

٢- وإقليمَي: «مازندران» و«خراسان» الواقعتَين في الشمال الشرقيِّ من إيران.

٣- وجميعَ المناطقِ الواقعةَ جنوبَ صحراء «قراقوم» في تركمانستان، وتشملُ القسمَ الأكبرَ من خراسان من حيث المساحة.

وتزيدُ مساحةُ خراسان كلِّها إجمالا على ثلاثة أرباع المليون من الكيلومترات المربعة(٢٠).

وللمقال بقية.

الهوامش

(١) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٣/٤٠٥).

(٢) هي هضبة إيران، وتمتد جنوبي جبال البُرز إلى جبال مكران، وهي مجدبة الإقليم، ويقدر طولها بنحو ٨٠٠ ميل، ولكنّ عرضها يختلف باختلاف بقاعها، وقد عرفها العربُ باسم (مفازة)، والقسمُ الجنوبيُّ منها يُعرف اليوم باسم (صحراء لوط)، والقسم الشماليُّ باسم (الصحراء الملحية الكبرى).

(٣) وقال السمعانيُّ في «الأنساب» (٢/٢٣٧): «وهي بلادٌ كبيرة، فأهل العراق يظنون أنّ من (الريِّ) إلى مطلع الشمس خراسان، وبعضهم يقولون: إذا جاوزتَ حدّ سواد العراق- وهو جبل حلوان- فهو أول حدِّ خراسان إلى مطلع الشمس».

(٤) استثنى «كي لسترنج» سجستان منها، والذي يظهر لي خلافه، وفي كلام ابن خردازبه الآتي تأييدٌ لما ذهبت إليه.

(٥) انظر التفصيل في: بلدان الخلافة الشرقية، (ص٤٢٣) وما بعدها.

(٦) المسالك والممالك: لابن خردازبه (ص١٨).

(٧) معجم البلدان، للحموي (٢/ ٢١٩).

(٨) انظر: الجغرافيا، لابن سعيد المغربي (١/ ٥٣).

(٩) معجم البلدان، (٢/٢١٨).

(١٠) انظر التفصيل في: دول الإسلام، للذهبي (١/٢٠) وما بعدها، خراسان، لمحمود شاكر (ص١٤- ٢٨).

(١١) أول مدينة بعد المفازة الكبرى إلى الشرق، تقع على الطريق المؤدي إلى خراسان، وكانت تسمَّى «باب خراسان»، ولا تزال بهذا الاسم، وتقعُ إلى الغربِ من مدينة «بيرجند» في الشمال الشرقيِّ من إيران.

(١٢) الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري (١/٢١٥).

(١٣) هو الإقليم المعروف بـ«بماوراء النهر»، وأكثرُه يقع في «أوزبكستان».

(١٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص٢٩٢).

(١٥) معجم البلدان (٢/ ٢٢٠- ٢٢١).

(١٦) آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني (ص٣٦١).

(١٧) كذا في المطبوع، ولعلها: «صنفت».

(١٨) الأنساب، للسمعاني (٢/ ٣٣٧).

(١٩) الأمصار ذوات الآثار، للذهبي (ص٢٣٢).

(٢٠) انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠١- ٤٠٥)، خراسان، لمحمود شاكر.

أسرتي

كلكم مسؤول..

مع قدوم فصل الصيف يكثر السفر والتجوال وتتسع أوقات الفراغ لدى الابناء وتشد بعض الأسر- ممن وسع الله عليهم في الرزق- الرحال قاصدين الراحة والاستجمام مع اولأدهم وبناتهم نحو المناطق السياحية داخل أوطانهم وخارجها مما يتيح لهم قضاء أوقات طويلة معهم يمكن الاستفادة منها في التوجيه والنصح والإرشاد، وإذا كانت المدرسة تتحمل جزءًا من العملية التربوية خلال العام الدراسي فإن عطلة الصيف تلقي بالمسؤولية التربوية كاملة على عاتق الوالدين، الأمر الذي يتطلب منهم مراعاة أمور عديدة لعل من أبرزها:

- تشجيع الأبناء والبنات على القراءة والمطالعة، وحبذا لو قدمت لهم مجموعات قصصية هادفة.
- مصاحبة الأولاد الى المساجد لأداء الصلاة جماعة.
- الإكثار من زيارة الأقارب والأرحام.
- ربط الأولاد والبنات بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ وسير الصحابة والتابعين والصالحين، وتقديم الحوافز لهم لحفظ سور من القرآن الكريم.
- توجيه الأبناء لتوثيق صلاتهم بالصحبة الصالحة والابتعاد عن رفاق السوء.
- التحذير الدائم من الاقتراب من أماكن اللهو غير المشروع، وتشجيعهم على ممارسة اللهو الهادف البريء.

إنها مسؤولية عظيمة تستوجب الحيطة والحذر وقد بينها لنا رسول الله ﷺ بقوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه مسلم.

المحرر

أمهاتنا وأجراس الامتحانات

لينة أحمد جلبط

الأمهات أحيانًا هن اللاتي يخلقن القلق والخوف في نفوس أبنائهن؛ بسبب بعض التهديدات التي تنبئ بصعوبة الامتحانات وقربها، فتتأهب بعض الأسر، عند اقتراب موعد الامتحانات، وتحول البيت إلى حالة من الطوارئ، حيث يغلق جهاز التلفاز وتمنع الزيارات وتنخفض الأصوات، ويمنع الأطفال الصغار من الاقتراب من أخيهم الذي يدرس... وما إلى ذلك من سلوكيات تشيع الرهبة في نفس الطالب، لذلك كانت أهمية خفض مستوى القلق والتوتر عند الوالدين كبيرة؛ لأنها تنعكس على راحة الطالب النفسية والانفعالية، فالتوتر والقلق وفرض حالات الطوارئ يصيب الطفل بحالة من الرعب تجعله يفقد القدرة على التركيز، والمبالغة في القلق تفقد الامتحانات قيمتها وأهميتها.

ويعرف قلق الامتحان بأنه حالة نفسية انفعالية تؤثر على اتزان الطالب النفسي وقدرته على استدعاء المادة الدراسية أثناء الامتحان، يصاحبها أعراض نفسية وجسدية كالتوتر والانفعال والتحفز، وينتج ذلك عن الخوف من الرسوب أو الفشل، والرغبة في المنافسة والتوقعات العالية المثالية التي يضعها الطالب لنفسه أو يضعها الوالدان له، أو ضعف الثقة بالنفس، ويعتبر هذا القلق، الذي يعتري الطالب أثناء وقبل الامتحان، أمرًا مألوفًا بل ضروريًا لتحفيزه على الدراسة طالما أنه يتراوح ضمن مستواه الطبيعي، ولا يؤثر بشكل سلبي على أدائه للمهام العقلية المطلوبة. فالقلق سلوك عرضي طبيعي ما دام في درجاته المقبولة، بل ويعد دافعًا إيجابيًا لتحقيق الحافزية نحو الإنجاز المثمر، وذلك انطلاقًا من القانون السيكلوجي المسمى قانون «بركس – دادسون» والذي ينص على أنه كلما زاد القلق الطبيعي زاد مستوى التركيز والأداء، وهو ضروري لكل طالب، فوجود قدر معين منه يمكن أن يحفز الطالب على المذاكرة والجد والاجتهاد .

لذا كان لابد للأم أن تعلم أن مذاكرة أولادها عبادة لإرضاء الله، وليس من أجل الجامعة أو الشهادة، وأن ما قدره الله سوف يكون، وأن المؤمن يمر في حياته الدنيا بظروف معينة، من هذه الظروف ما هي لصالحه، ومن هذه الظروف ما يبدو لأول وهلة أنها لغير صالحه، والحقيقة أن الله يبني إيمان عبده لبنةً لبنة، من خلال الظروف، والمحن والشدائد، والعطاء والمنع، والطمأنينة والخوف، هذه الظروف التي تحيط بالإنسان، والتي تنعكس على نفسه تارةً خوفًا وتارةً قلقًا، وتارةً طمأنينةً وتارةً انقباضًا، هذه الظروف إنما هي مسخرةٌ لبناء إيمانه الصحيح، ومن الممكن أن تصلي الأم صلاة الحاجة، وتقرأ بعض آيات القرآن الكريم، وتكثر من الدعاء لأولادها بالنجاح والتوفيق، فإذا حل الهدوء النفسي عليها فسوف ينعكس على الطالب ويبدأ مذاكرته.. فيجب أن نستشعر معية الله سبحانه وتعالى دائمًا وأبدًا.

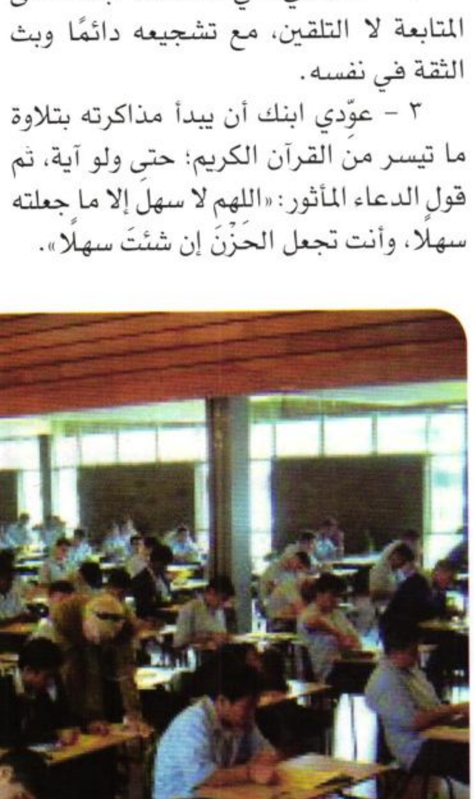
ويقول أستاذ المناهج وطرق التدريس د.سمير يونس: إن الدرجات ليست بالأهمية التي تولينها، فالشيء الأكثر أهمية هو أن تبثي في ولدك الرغبة والقدرة على العمل الجاد والمثابرة، والارتباط بأي مهمة إلى أن يتم إكمالها؛ لأنه لو أكتسب هذا المفهوم الأخلاقي للعمل فسينفعه في حياته المدرسية والمستقبلية. فقد توصلت كل الدراسات في الخمسة عشر عامًا الأخيرة إلى أن الاستغراق ومشاركة الوالدين لابنهما لهما التأثير الأكبر في نجاحه الدراسي، ويسبقان في الأهمية المدرسين أو مستوى المدرسة، فعليك إن كنت ترغبين في تحسن مستواه الدراسي أن تمنحيه ووالده وقتًا كافيًا كل يوم للعناية بواجباته.

وعلى أية حال، فللنهوض بمستوى ابنك وعلاج مشكلته ننصحك بما يلي:

١ – احرصي دائمًا على إيجاد دافع لدى ابنك للاستذكار والانتباه، والدوافع نوعان: داخلية، وهي الأقوى، كأن نغرس فيه حب العلم عبادة لله وطاعة له، ودوافع خاصة كالحوافز والإثابة والترغيب...، وأنت أدرى بما يحبه ابنك، ومن المفيد أن تذكري له أشخاصًا ناجحين ممن يحبهم.

٢ – اعتمدي في مساعدة ابنك على المتابعة لا التلقين، مع تشجيعه دائمًا وبث الثقة في نفسه.

٣ – عوّدي ابنك أن يبدأ مذاكرته بتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم؛ حتى ولو آية، ثم قول الدعاء المأثور: «اللهم لا سهلَ إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحَزْنَ إن شئتَ سهلًا».



• باحثة اجتماعية

٤ - عـوّدي ابـنـك أن يهيئ نفسه للاستذكار؛ وذلك باختيار الوقت المناسب؛ بحيث لا يكون متعبًا ولا متضايقًا ولا حزينًا ولا مهمومًا؛ لذا فليتعود أن يحاول حل مشكلاته قبل الاستذكار؛ كأن يبادر بمصالحة من تشاحن معه، أو يلجأ إلى من هو أكبر منه من الموثوق بهم من أفراد الأسرة أو الأقارب، أو حتى يكتب همومه في ورقة بينه وبين نفسه إذا لم يجد من يبوح له بمشكلته؛ ففي كتابته هذه تنفيس وترويح عن النفس، وربما استراح نفسيًا بمجرد بث همومه لهذه الصديقة (الورقة)، ويمكن له أن يمزّقها بعد تحقيق الهدف وهو الراحة النفسية والتهيؤ للمذاكرة.

٥ - تهيئة مكان الاستذكار؛ وذلك بالتغلب على الضوضاء، واتباع أسس الإضاءة الصحيحة، فتكون الإضاءة على يساره، ولا تكون ضعيفة فتبعث على النوم أو تضعف العين أو توتر الأعصاب أو تسبب النفور أو تضعف التركيز، ومن تهيئة المكان أيضًا: ترتيب الكتب، وألا يكون أمام المتعلم على مكتبه إلا الكتب التي ينوي مذاكرتها، مع تجهيز أدوات المذاكرة قبل الجلوس.

٦ - الاهتمام بالصحة والتغذية، وضرورة الكشف الصحي الدوري على ابنك؛ فلذلك أثره الكبير في التركيز.

٧ - عوّدي ابنك ألا يذاكر وهو جائع أو متخم بالطعام، وألا ينام كذلك وهو جائع أو متخم.



٨ - احرصي على أن يجلس ابنك جلسة انتباه لا جلسة استرخاء عند المذاكرة (يجلس عموديًا مع الميل قليلًا للأمام، لا الانكفاء، وذلك على كرسي لا هو باللين الناعم فيسبب النوم، ولا بالخشن القاسي فلا يصبر في جلسته)، مع تجنب المذاكرة جالسًا على السرير أو مستلقيًا.

٩ - درّبي ابنك على أن يبدأ مذاكرته بالاطلاع على العناوين أو العناصر والأفكار الرئيسية وتحديدها أولا، ثم الدخول في تفاصيل الدرس بعد ذلك.

١٠ - إذا تعثر ابنك في استيعاب جزء معين فوجهيه إلى أن يكتب ما يذكره من هذا الجزء في ورقة، ثم ينظر في الكتاب مرة ثانية، ويعيد محاولة الكتابة مرة ثانية، إلى أن يتم الاستيعاب.

١١ - ألا يذاكر مادتين متشابهتين على التوالي، فإن ذلك قد يسبب النسيان والتداخل.

١٢ - اهتمي بعملية الاسترجاع بين الحين والآخر، ويمكنك ذلك بتوجيهه ومتابعته ومشاركته، كما يمكنك أن توجهيه بين الحين والآخر إلى الاعتماد على النماذج المحلولة، من باب «اختبر نفسك»، أي بعد حل التدريبات أو الأسئلة كاملة، ينظر في حل النماذج ويصحح لنفسه بنفسه، ثم تابعي ذلك بعد أن يصحح لنفسه، وشجّعيه على هذا التقويم الذاتي حتى يصبح عنده عادة مستمرة من عادات العلم، مع مراعاة علاج نقاط الضعف.

١٣ - أرشدي ابنك إلى ضرورة فهم الشيء المراد حفظه أولًا؛ لأن الفهم يحقق حفظًا سريعًا ويسيرًا.

١٤ - يمكنك تقوية الحفظ والاستيعاب لديه عن طريق تشجيعه على استثمار أوقات فراغه في المبادرة بالمراجعة الصامتة، أو شرح ما فهمه لك ولأخوته وزملائه.

١٥ - عوّدي ابنك أن يعطي نفسه فترة راحة (١٠ - ١٥ دقيقة) بين فراغه من مذاكرة مادة والبدء في مادة أخرى، وحتى في أثناء مراجعة المادة من المفيد جدًا أن يعطى راحة خمس دقائق كل نصف ساعة أو كل ساعة حسب طاقته، يتحرك فيها أو يروح عن نفسه بأية وسيلة يحبها؛ ففي ذلك إفادة للتلاميذ العاديين، وفيه إفادة أكبر لضعيفي التركيز.

ولتحقيق هذه الخطوات ستحتاجين إلى ما قدمه استشاري الطب النفسي د.سمير عبدالمنعم من بعض النصائح للتقليل من تشتت الطفل ودفعه للتركيز أثناء التحصيل أو أثناء أي مهمة تحتاج للجلوس، وهذا ما يجب تنفيذه في البيت والمدرسة بالتنسيق مع المعلمة، فيجب تنبيه جميع حواس الطفل لأداء مهمة ما، وتخفيف ما يشتت كل حواسه وذلك باتباع الآتي:

أولا: حاسة البصر، يجب أن يتم التواصل مع الطفل في عينيه مباشرة ولا يسمح بتشتيتهما هنا وهناك، ويجب أن يكون مكتبه خاليًا من المشتتات البصرية كالأشياء الملونة أو الألعاب، مع تقليل الأدوات المكتبية المستخدمة قدر المستطاع والتي تحدث أصواتًا، أو التي بها مفاتيح يمكن أن يصرف الوقت في الضغط عليها، ومن الأفضل أن يكون مكتبه مواجهًا للحائط، والمقصود هنا هو التحكم في نشاط الطفل ولكن دون قسوة.. فقط بإزالة المشتتات.

ثانيًا: حاسة السمع، يجب خلو المكان من أي مشتتات سمعية وتكون القراءة أثناء المذاكرة بصوت مرتفع مع تغيير نغمات الصوت بشكل يجذب الانتباه.

ثالثًا: حاسة اللمس، من الأفضل أن يتم التواصل مع الطفل باللمس وذلك عن طريق التمليس على الشعر أو اليدين كل فترة.

وأهم نصيحة هنا هي أن تكون هناك فترات راحة أثناء المذاكرة تقضى في مجهود حركي وليس في مشاهدة التليفزيون، أو في شيء يتطلب الراحة أو الاسترخاء، كالجري في المكان أو أي لعبة يحبها وتتطلب مجهودًا حركيًا؛ وذلك لتفريغ الطاقة المكبوتة خلال فترة الاستذكار، مع زيادة الاتزان والحلم والصبر وعدم استعجال النتائج .

وفي النهاية فإنه على الوالدين أن يتذكرا قول النبي ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (صحيح البخاري).

طفل مطيع بلا عقاب

آمال عبدالرحمن محمد

تعتبر الأم المصدر الأساسي في مد المجتمع بالأبناء الصالحين، فالأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق، فهي التي تعطي طفلها أول درس في الأخلاق عن طريق القدوة التي هي أكثر عمقا من الألفاظ الجوفاء، كما تعطي الطفل الدفء والحنان، فالأم الصالحة هي التي تنجب الأبناء الأصحاء، انشغال المرأة وخروجها للعمل في هذا العصر أحدث فجوة بين الأم وطفلها اذ لم يتسع لديها الوقت الكافي لتمنحه القدر اللازم من الحنان ومن ثم انعكس ذلك على سلوك الطفل فترجمه الى عصيان وربما تطور الى مقاومة السلطة الأبوية، وعلى ذلك ينبغي على الأم أن تدرك هذا الأمر الخطير ونحاول إيجاد الوقاية عن طريق إشعار الطفل بالحب والحنان والعطف ليشعر الطفل بأنه مقبول ومرغوب فيه، وخاصة أن وضع القواعد السلوكية للأطفال من مهام الأم وأصعبها في الوقت نفسه، لأن الطفل سيقاوم كثيراً لكي يؤكد استقلاله وهنا يجب على الأم أن تتحلى بالصبر والمثابرة وان تكرر حديثها وتعاليمها مرة بعد مرة وفي النهاية سيدفعه حبه لوالدته ورغبته في نيل رضاها الى تقبل هذه القواعد.

ولكن كيف يمكن للأم أن تقنع صغيرها بأهمية الأوامر وتقبلها؟

يجيب خبراء الصحة النفسية بمجموعة من الخطوات يمكن للأم أن تتبعها مع طفلها لكي يصل الى مرحلة التقبل والاقتناع.. فنقول

١- ادفعي طفلك للسلوك الايجابي من خلال جمل قصيرة وايجابية وبها طلب محدد فبدلا من عبارات مثل: كن جيدًا أو أحسن سلوكك أو لا ترمي الكتب، قولي: الكتب مكانها في المكتبة وهكذا.

٢- إن إلقاء الأوامر طول اليوم يساعد على توليد المقاومة عند الطفل ولكن عندما تعطى الطفل سببًا منطقيًا لتعاونه فمن المحتمل أن يتعاون أكثر فبدلا من أن تقولي للطفل اجمع العابك قولي له يجب ان تعيد ألعابك مكانها وإلا ستضيع أو تنكسر واذا رفض الطفل فقولي هيا نجمعها معاً وبذلك تتحول المهمة الى لعبة.

٣- علقي على سلوكه لا على شخصيته اي اكدي لصغيرك ان فعله او سلوكه غير مقبول ولكن لا يعني هذا انك لا تقبلينه هو شخصيًا فقولي له مثلا هذا فعل غير مقبول ولا تقولي ماذا حدث لك ولا تصفيه بالغباء او الكسل لأن مثل هذه التوصيفات تؤثر على احترامه لذاته وتؤدي الى فقدان الثقة بنفسه.

٤- اعترفي لنفسك برغبات طفلك، فمن الطبيعي ان يتمنى ان يمتلك كل لعبة في محل اللعب لأنه طفل لكن بدلا من معاقبته على تمسكه باللعب ووصفه بالطمع قولي له أنت تتمنى أن تحصل على كل اللعب ولكن اختر لعبة الآن وأخرى للمرة القادمة، أو اتفقي معه قبل الخروج من المنزل على أنه سوف يختار ويكتفي بلعبة واحدة فقط فمثل هذه الاتفاق يجنبك الكثير من المعارك وتجعلين طفلك يشعر بأنك تحترمين رغبته وتشعرين به وتحاولين إسعاده.

٥- استمعي وافهمي.. فعادة ما يكون لدى الاطفال سبب للشجار فأنصتي لطفلك فربما عنده سبب منطقي لعدم طاعة أوامرك أو ربما يعاني شيئًا يؤلمه أو يضايقه.

٦- حاولي الوصول الى دوافعه الداخلية إذا أبدى أي سلوك يتميز بسوء الأدب لتعرفي الأسباب الحقيقية وراء تصرفاته المرفوضة، هذا مع الأخذ في الاعتبار ان لكل طفل قدرات خاصة وميولا تختلف عن الآخرين، فاحرصي على أن توجهي حديثك الى مشاعره بقولك له مثلًا لقد رفضت ان اتركك تلعب على الكمبيوتر فأغضبك هذا وليس بامكانك ان تفعل ما فعلت ولكن يمكن ان تقول انا آسف أو أنا غضبان وبهذا تفرقين بين الفعل والشعور وتوجهين سلوكه بطريقة ايجابية.

٧- تجنبي التهديد والرشوة لأنك إذا كنت تستخدمين التهديد باستمرار للحصول على طاعة صغيرك فإنه سيتعلم أن يتجاهل رغباتك حتى تبدئي التهديد، والتهديدات التي تكون في ثورة الغضب عادة ما تكون غير ايجابية، ومع الوقت سوف يتعلم الطفل ألا ينصت لك أو يعيرك أي اهتمام حتى إن هددتيه بالعقاب كما أن رشوته تعلمه أيضاً ألا ينتبه لك لأنك عندما تقولين له سوف اعطيك لعبة جديدة إذا نظفت غرفتك فإنه سوف يطيعك من أجل الحصول على اللعبة وليس لكي يساعدك أو يقوم بما عليه من واجبات ومع الوقت سوف يتعلم أن لكل شيء ثمنًا وبدونه لن يقدم شيئًا من عنده.

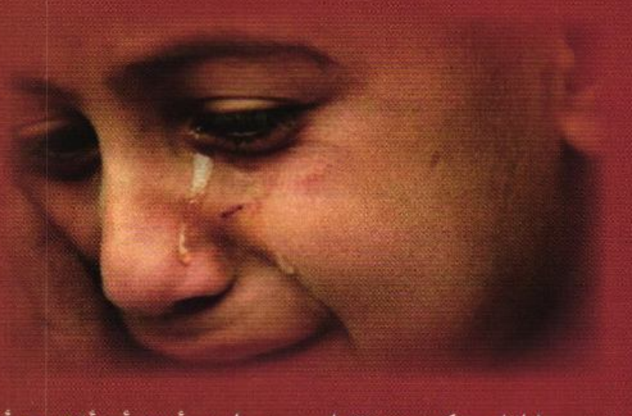
٨- عندما يطيعك طفلك قبليه واحتضنيه أو امتدحي سلوكه بكلمات مثل ممتاز، عمل رائع، ليرغب في تكرار مثل هذه السلوكيات الحميدة التي استحق عليها ثناءك.

إن وضع القواعد صعب بالنسبة لأي أم ولكن إذا وضعت قواعد واضحة ومتناسقة وعاملت طفلها باحترام وصبر فسوف تجدينه كلما كبر أكثر تعاونا وأشد برًا، فأسلوب المدح والثناء يدعم السلوك المقبول وهو أفضل من العقاب لأن العقاب يولد العنف، وينبغي التحلي بالصبر ونحن نتعامل مع أطفالنا، فصناعة الأجيال وبناؤها أهم وأصعب من بناء المصانع، فمهمة بناء الأجيال مهمة سامية اذا أخلصت فيها فستنالين تقدير المجتمع والأجر من الله عز وجل. وفقك الله.

استشارية تربوية

لا تسخروا من مشاعر أولادكم!

أميرة سليمان أبوجبة



تـزداد خبـرة الإنـسـان، وتزيد معلوماته ما دام يتعامل مع الناس، ويقابل مختلف الشخصيات.

طوال فترة نمونا، لا نكف عن اكتساب الخبـرات، أي إنه لا يوجد وقت معين أو سن معينة، تستطيع أن تقول فيها: «لقد تعلمت كل شيء في الحياة، واستطعت اكتساب كل الخبرات، ولا أريد المزيد»!

ومرحلة المراهقة من أكثر المراحل تطورًا وتأثيرًا في حياة الإنسان، بعد مرحلة الطفولة، فهناك مبادئ يزداد فهمها وثباتها، ومعلومات أصبحت واضحة بصورة أفضل، كما يجد المراهق أنه بدأ يتعامل بأسلوب مختلف وأكثر نضجًا مع من حوله، وأكثر من يلاحظ هذا الاختلاف هم الوالدان والأقارب، والجيران.

وبالتالي يغير «الكبار» أسلوب معاملتهم، إذ صبحوا يعتمدون على أبنائهم، وبناتهم بصورة أكبر، كما يصبح أسلوب الحوار أكثر نضجًا وصراحة، ولكن تزداد التنبيهات والمحظورات في هذه المرحلة أيضًا، وهي ليست نابعة من فراغ، أو لرغبة الكبار في فرض سيطرتهم، لكن لأن الأمور بالنسبة للمراهق لم تتضح بعد، وهناك رغبة ملحة لاكتشاف كل ما هو جديد وغريب ولافت للأنظار، ويحتاج المراهق لأن يعرف ويفهم: «لماذا» و«كيف» وتزداد تساؤلاته بداخله.

إن خوف الوالدين على أبنائهما في اجتياز هذه المرحلة بسلام، لا يكفي وحده دون إبداء الأسباب، أما أسلوب التخويف فلم يعد مجديًا، إذ لم يعد المراهق طفلاً.

ويصيح المراهقون «نحتاج لمن يتكلم معنا... ويسمعنا»!!

صيحة بداخل كل مراهق.. إنه يفتقد الحوار، ويفتقد من يتحدث معه، يقول الابن: «إن الكبار يتعاملون معنا وكأننا أطفال، وكأننا لا نسمع إلا آراءهم فقط، فهم يريدون منا أن نتصرف كما يتصرفون هم».

ويقول الوالد: «يظن ابني أنه أصبح ناضجًا، وأنه يعرف كل شيء، وينفد صبره سريعًا بمجرد البدء في توجيه نصيحة له، أو لفت نظره، فكيف إذا سيفهم، ويتعلم؟»!

تقول إحدى الأمهات: «إنني لا أتخيل أن ابنتي تأتي إلي في يوم لتقول لي: «أحب زميلي، وأريد أن أتزوجه أو أن تكون قد تزوجته عرفيا بالفعل ونحن لا نعرف».

إن إنكار الوالدين لمشاعر أبنائهما وبناتهما في سن المراهقة، لا يلغيها، لذلك فبدلاً من الخوف والانتظار، يجب تهيئة ذهن المراهق لكل ما يمكن أن يسمعه أو يعرض عليه من زملائه بالمدرسة أو بالكلية، أو من أي إنسان يمكن أن يتصل به.

وأسلوب التخويف لا يصل إلى عقل المراهق، ولكن يجب شرح حقيقة هذه المشاعر والعواطف والعلاقات بطريقة صحيحة وصريحة، وفتح مجال الحوار والأسئلة بدون حرج بين الابن ووالده أو والدته، وإنارة الطريق أمامه حتى يمكن أن يميز الصواب والخطأ، وبين الحقيقة والخداع، وحتى لا يقدم المراهق على تصرف خاطئ يسيء إليه أو إلى أسرته من ورائهم، أو خوفًا منهم.

ويجب على المراهق أن يفهم ويتأكد - تمامًا- أن مشاعره أو عواطفه التي تتجه سريعًا إلى الجنس الآخر لا تدفعه إلى أن يتخذ في هذه السن قراره باستمرار العلاقة أو بالزواج لأنه يحب (أو هكذا يعتقد).

لذلك كان من المهم أن يفرق المراهق بين القصص والأفلام، والحياة والواقع، فإذا استطاع أن يفهم ويفرق جيدًا، فإنه يسهل عليه بعد ذلك تلقي المعلومات التي تهمه، وتحفظ نفسه وسمعته وكرامته بعيدًا عن مشكلات الحب في هذه السن.

دعوة من الشباب إلى الوالدين

لا تسخر من مشاعري عندما أتحدث معك، لا تسخف من اسئلتي، واشرح لي كل ما يهمني بلا حرج، فأنا لن أطمئن للكلام إلا مع أبي وأمي- اشرح لي كيف أتصرف عندما أسمع أول كلمة من الجنس الآخر تصرح لي: «أحبك» وأنا مازلت في هذه السن، شجعني على ممارسة هواياتي ورياضتي، حتى في فترة الدراسة، لا تجعلني أخاف أو أكذب عليك عندما أحكي لك كل شيء أراه، أو أسمعه من الزملاء أو من أي مصدر آخر.

لا تظن أنني مازلت صغيرًا فجيلنا مختلف، ولكننا يجب أن نتعلم منكم لأننا نحبكم ونحترمكم.

- لا داعي للخوف، فبداخلي مبادئي، وطاعة الله منذ صغري، وهي تحميني.

• باحثة اجتماعية

د. حنان زين مدير مركز السعادة للاستشارات والتنمية الأسرية لـ «الوعي الإسلامي»:

الأمم المتحدة تشن حرب مؤتمرات للقضاء على المرأة

حوار: منير أديب

المرأة نصف المجتمع، بل المجتمع كله، فإذا صلحت صلح هذا المجتمع، فهي مدرسة إن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق كما قال الشاعر العربي، وهي صاحبة الغرس ومعلمة الأسرة الأولى ومربية النشء، لذلك التف الغرب حولها لضرب المجتمعات العربية والإسلامية من خلالها، وأطلق في سبيل ذلك حرب مؤتمرات رسخت مقرراتها وتوصياتها لإباحة الإجهاض، فضلا عن العلاقات غير المشروعة وركزت أجندتها للقضاء على مفهوم الأسرة.

في المقابل عقد أول مؤتمر إسلامي علمي بالبحرين يناقش قضايا المرأة من منظور إسلامي ويطرح اتفاقيات ومؤتمرات المرأة الدولية وأثرها في العالم.

حول هذه القضايا وغيرها وإمكانية تفعيل توصيات مؤتمرات المرأة من وجهة نظر إسلامية واستنساخ مثل هذه الأفكار أجرينا حوارا مع الدكتورة حنان زين مدير مركز السعادة للاستشارات والتنمية الأسرية.. فإلى نص الحوار:

■ في البداية كيف ترون مثل هذه المؤتمرات وأهميتها في الوقت الحالي؟

- هذه المؤتمرات مهمة وضرورية، فنحن نعاني معاناة شديدة وقاسية من قلة المؤتمرات التي توضح وجهة النظر الإسلامية، في الوقت الذي تنتشر فيه المنظمات الحقوقية الغربية صاحبة الأجندات الفاسدة والتي تهدف لطرح أفكارها عنوة على حساب قيمنا وديننا، ومؤتمرات الأمم المتحدة وغيرها شاهدة وشاخصة أمام العين، والغريب في مقررات هذه المؤتمرات أنها تعمد للقضاء على المرأة، فالحرب ليست ضد المرأة، وإنما ضد المجتمع ممثلا في المرأة.

■ وما أهميتها من وجهة نظرك؟

- أما بالنسبة للأهمية، فهذه المؤتمرات تجلي الصورة أولا أمام المسلمين الذين وقعوا أسرى لوجهة نظر واحدة طرحها الغرب بهدف القضاء على المجتمع، ليصبحوا بعيدين تماما عن مجرد تخيل حجم المؤامرات التي تحاك لهم ليل نهار وأبعاد هذه المؤامرات، وأستطيع أن أقول إن هذه المؤتمرات مهمة بشكل كبير، لأنها تطرح وجهة النظر الإسلامية وتدافع عن قيمنا وثوابتنا التي ابتعد عنها المسلمون.

> **مؤتمرات المرأة الإسلامية حائط صد وصمام أمان للمجتمعات العربية والإسلامية**

■ ما الإشارات التي يمكن أن نفهمها من عقد هذا المؤتمر بالبحرين؟

- هناك ملاحظة رئيسية لابد أن نلتفت إليها، وهي قلة المؤتمرات التي ترسم وجهة النظر الإسلامية وتطرحها أو حتى التي ترد على المؤتمرات التي تتبنى وجهة نظر الغرب أو حتى تناقش قضايا المرأة بصورة واقعية، بعيدا عن التطرف.

وأهمية مؤتمر المرأة في البحرين أنه مؤتمر متخصص وعالمي، مع أن حجم الدعاية له كان ضعيفا للغاية.

- هل تعولون على هذه المؤتمرات؟ وما الثمار التي يمكن أن يحصدها العالم من ورائها؟

- نتمنى أن تخرج هذه المؤتمرات بعدة توصيات يكون هدفها التطبيق، وأن تتحقق فعليا على أرض الواقع، وأن تساهم بشكل إيجابي في التوعية، كما نتمنى أن تصاحب عقد هذه المؤتمرات حملات إعلامية تروج للأفكار الإيجابية التي تناقش داخل ردهاتها، وأن تكون هناك إستراتيجية بعيدة الأمد لتطبيق التوصيات والاستعداد للمؤتمر الثاني.

■ كيف يمكن تطبيق التوصيات الناتجة عن هذا المؤتمر بشكل عملي؟

- أي مؤتمر لابد أن يكون له خطابان أحدهما موجه لمؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي والإسلامي، والآخر موجه للجهات الحكومية، ويجب أن تكون هناك خطة عمل لا تقتصر على مجرد عقد المؤتمر والإعداد له، ولكن تمتد لما بعد المؤتمر، كما أنها تعمل أثناء انعقاده، وهناك معايب كثيرة تقع فيها مثل هذه المؤتمرات، وهي أن أصحابها يبذلون الغالي والنفيس من الوقت والجهد والمال فيقولون ما يقولون ثم ينتهي كل شيء بعد ذلك دون تفعيل التوصيات العملية والتعامل معها.



في إحدى محاضراتها

ولذلك لابد من وجود خطة شاملة وطويلة الأمد لتطبيق توصيات المؤتمر، فأهمية المؤتمر تختبئ في الاستفادة من التوصيات بعد ذلك، فإذا غابت هذه الفكرة عن المنعقدين أصبح المؤتمر مكلمة أو محبرة وقعت على الأوراق لتخرج توصيات لا مكان لها في التطبيق.

■ وكيف يمكن إلزام الجهات الحكومية بتوصيات هذه المؤتمرات؟

- الإلزام يأتي بمخاطبة هذه الجهات والمطالبة بتصحيح أوضاع المرأة والتحذير من مخاطر هذه الأوضاع والتعامل مع الواقع الحالي ونشر التوصيات على مدى أوسع وأهم.

وأريد أن أقول في هذا الشأن إن كثيرا من المؤتمرات أو حتى الدراسات والبحوث لا تراعي بعد الجهات الحكومية وأهمية هذه الجهات في تغيير واقع المرأة، فالناشطون في واد والجهات الحكومية التي من المفترض أن تتولى فكرة التغيير في واد آخر.

■ هل هذا يعني أنها تبقى مجرد مطالبات تقبلها الجهات الحكومية أو ترفضها؟

- هذا حقيقي، ولذلك يجب أن يكون هناك رعاة للمؤتمرات يكون جل همهم الترويج لهذه التوصيات وبحث آليات تطبيقها، ولذلك أقول إن المشكلة ليست في عقد المؤتمرات أو تنسيق الجهود لعقد هذه المؤتمرات، ولكن المشكلة في الاستفادة بهذه المؤتمرات التي تحولت إلى حبر على ورق، ولابد من آلية لتنفيذ مقررات هذه المؤتمرات وتنفيذ ما ورد بها من توصيات.

■ ما أهمية هذه المؤتمرات، خاصة أن المؤتمر يعد الأول من نوعه؟

- أهمية هذا المؤتمر تبدو في أنه الصوت الإسلامي الذي يخرج وسط أصوات أخرى نشاز تعلو حناجر البعض بها باسم حقوق المرأة والطفل تارة، والدفاع عن المرأة والطفل تارة أخرى، فلاشك أن الأفكار المنبثقة عنه سوف تعبر عن رؤية الإسلام الحقيقية للمرأة، ومن خلالها سوف يكون هناك رد عملي على الأجندات التي يطرحها الغرب من أجل القضاء على المرأة، فضلا عن أنه سوف يمثل الركيزة الأساسية لمؤتمرات أخرى تلتقط الخيط وتسير في الاتجاه نفسه.

■ ما الأجندات التي تطرحها المؤتمرات الغربية التي أشرتم إليها؟

- أجندة هذه المؤتمرات واضحة، والهدف منها واضح من خلال مقرراتها التي خرجت علينا، وخلاصة ما تسعى إليه هذه المؤتمرات هو القضاء على المرأة نهائيا أو قل القضاء على المجتمع ممثلا في المرأة، بعدما تراجعت هذه المجتمعات كثيرا وسقطت فيها المرأة في وحل الرذيلة بابتعادها عن الفطرة، موقنة أن سقوط المجتمعات يكون من خلال المرأة، فرفع الجميع سهامهم وصوبوها ناحية المرأة في المجتمعات الإسلامية، ولذلك من المهم الوقوف أمام هذه المؤتمرات وإنشاء حائط صد لهذه الأجندات الغربية من خلال مؤتمراتنا التي تؤصل للفكرة وتدافع عنها بشكل منطقي وشرعي وعلمي.

تعليم الطفل الكلمات الطيبة

أحمد حسن الخميسي

الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، لأنها تقوم بالدور الأساسي في تربية الأطفال، فإن صلحت صلح أفرادها، وإن فسدت انحرف أفرادها.

وهي الوسط الأول الذي ينشأ فيه الأبناء، ومن خلالها يتشربون القيم الاجتماعية التي تؤهلهم ليكونوا أفرادًا صالحين.

وتنصب جهود الأسرة في تربية أبنائها على تنمية ملكاتهم وحواسهم والاعتناء بصحتهم، وسنقتصر في دراستنا هذه على تربية اللسان الذي يعبر عما في الفؤاد، وسنتناول الوسائل والأساليب التي تتبعها الأسرة لتعليم الطفل الكلمات الطيبة الجميلة بحيث يؤديها بشكل مناسب وحكيم.

إن شخصية الطفل تتحدد بما يسمعه من كلمات، وما يراه وما يشاهده من مناظر، وما يحسه وما يلامسه من أشياء، وما يلاقيه من أفعال وتصرفات تصدر من الآخرين تجاهه، فبقدر ما يكون الذي نقدمه للطفل جميلًا ومناسبًا، تكون النتائج محمودة تزكو بها نفسه، وينبل بها طبعه، وترق بها مشاعره، لأن نفس الطفل صفحة بيضاء ننقش فيها ما نريد، أو هي أرض خصبة صالحة للغرس.

تلعب الأسرة دورًا مهما في تهذيب ألفاظ الطفل، وجعلها تليق بإنسانيته، ويأتي بعد ذلك دور المدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام، كما أن المسجد يغذي فؤاد الطفل بكلمات الله تعالى وكلمات رسوله الكريم ﷺ من خلال خطب الجمعة ودروس العلم والتعليم، فيزداد إيمانه ويطيب كلامه، وهذا كله يكمل ما قامت به المؤسسات التربوية الأخرى، فيشب الطفل وهو يردد كلمات وعبارات عطرة يغرد بها هنا وهناك، فتغرس المحبة بينه وبين أبناء مجتمعه .. فما هي الطرق والوسائل لتحقيق ذلك؟

إن صياغة معجم الكلمات للطفل يأتي من طرق عديدة منها:

١- طريق التعليم.

٢- طريق القدوة.

٣- طريق العادات.

أما التعليم الذي تقوم به الأسرة، فله أهمية كبيرة وبالغة وله تأثيره منذ الأيام الأولى لولادة الطفل، وقد أشار إلى ذلك كوندن «Condon» عام ١٩٧٩م، فقد قرر: «أن الطفل يتفاعل مع الصوت الكلامي بعد عشرين دقيقة من الولادة، وأن ذلك يلعب دورًا مهمًا في سياق تطور الطفل وتشربه سمات الوسط الثقافي الذي يكبر فيه» (١).

ولقد أدرك الرسول ﷺ ذلك من قبل أن يتوصل الدارسون إليه، فجعل من سنته الأذان في أذن المولود اليمنى وإقامة الصلاة في اليسرى، وقد ورد عن ابن عباس أن النبي ﷺ «أذَّن في أذن الحسن بن علي يوم ولد، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى» (شعب الإيمان- البيهقي).

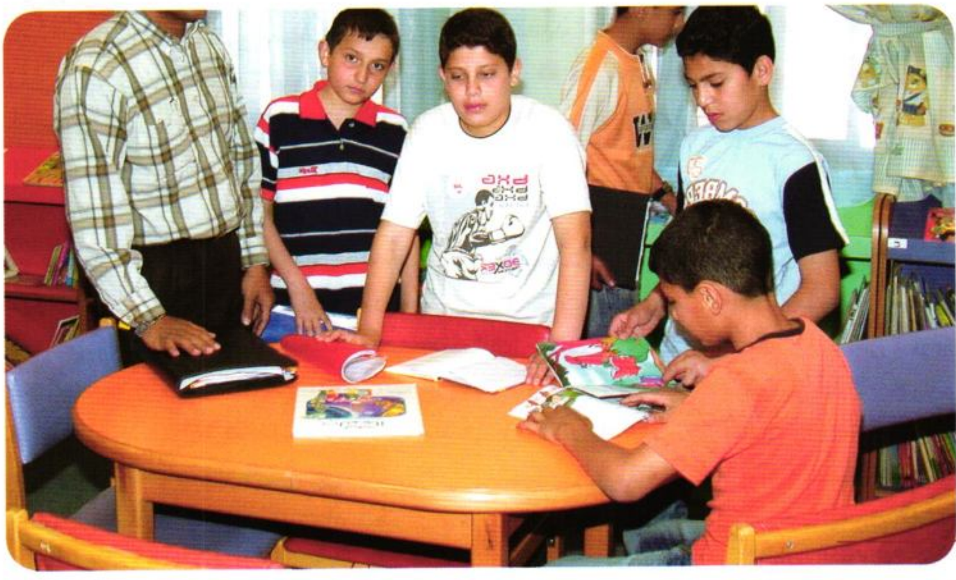
وسر أداء التأذين كما قال ابن القيم الجوزية «أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته» (٢).

وأشارت دراسة ريكس (Ricks) عام ١٩٧٩م للاتصال الصوتي عند الطفل في مرحلة ما قبل الكلام إلى «أن الطفل في الشهر السادس يفهم بعض خصائص الكبار، خاصة عندما تتكرر الجملة بنبرة معينة» (٣).

هذا يعني أن الأسرة تستطيع من خلال إسماع الطفل كلمات عذبة وحلوة أن يتعود على نطقها وترديدها عندما يبدأ الكلام، وعلى الأسرة أن تغتنم فرصة لفظه الكلمات الأولى، فتدربه على ألفاظ بسيطة ومحببة إلى جانب كلمات «ماما، بابا،...».

وهكذا تزداد حصيلة المفردات الحسنة والمحبوبة التي يعبر بها عن حاجاته ومشاعره، ويخاطب الآخرين من حوله.

ومن واجبات الأسرة أن تبعده عن الكلمات البذيئة والمستهجنة والدخيلة، ومن



• باحث تربوي

العجب أن بعض أفراد الأسرة يطربون ويضحكون لكلمات السباب والسخرية والشتم التي يتفوه بها الطفل، وربما يشجعونه على ذلك بحجة أنه صغير وأنه لا يفهم، وأن كل ما يخرج من فمه حلو وجميل!

ولكنهم لا يدرون أن «من شب على شيء شاب عليه»، فحذار ثم حذار!! إن تعليم الكلمات الطيبة يحتاج إلى متابعة وملاحظة وتكرار وتشجيع، فعند تعلم الطفل كلمة طيبة أو كلمات، يطلب منه تكرارها في مواطن مختلفة حتى تتأصل في نطقه، وتصبح عادة لديه «فالتكرار يبدو وسيلة مهمة لتحقيق الشروط الضرورية لتعليم الطفل» (٤).

ويتابع الطفل ويلاحظ في لعبه وعلاقته مع إخوانه وأقرانه، وتعزز مواقفه الكلامية، ويشجع على ذلك بتقديم الهدايا والثناء عليه، ويشرح له بشكل مبسط ما للكلام الطيب من أثر في تحسين علاقة الناس بعضهم ببعض، وما له في حياة الناس من فوائد، وما للكلم الطيب من ثواب عند الله.

ويلقن الصغير قول رسول الله ﷺ «والكلمة الطيبة صدقة» (صحيح البخاري) وهذا يشكل حافزا للطفل لكي ينتقي كلماته ويجعلها نظيفة حسنة خالية من الشوائب.

وللأسرة في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد حرص ﷺ أن يعلم الصغار والكبار بالكلمات من خلال وصيته لابن عباس الذي قال: «كنت خلف النبي ﷺ يومًا قال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (رواه الترمذي) .

هذا عن تعليم الكلمات بشكل مباشر، أما عن طريق القدوة، فإن الطفل يعجب بوالديه وإخوته، خاصة إذا كان في العائلة

ترديد الآذان وإقامة الصلاة في أذني المولود ليكون أول ما يسمعه كلمات تتضمن كبرياء الله وعظمته

شخص له مكانته وحضوره في الأسرة أو المجتمع، فكلما كان القدوة نظيف الحديث والكلام، مشرق العبارات، يخاطب كل فرد بما يناسبه، فإن الطفل يأخذ عنه.

وهذا ما نراه ونسمعه هنا وهناك، فكثيرًا ما يردد الطفل الكلمات التي «تعجبه من القدوة، إذ إن التقليد يعد وسيلة تعليمية تربوية، بالإضافة إلى كونه وسيلة اتصال» (٥)، وخاصة إذا كان هذا التقليد لشخص محبب ومقرب، بالإضافة إلى ذلك فإن للعادات السائدة في الأسرة من أساليب الحوار والأحاديث بين أفرادها أثرًا واضحًا على تشكيل معجم الكلمات الطيبة في حياة الذي يرتبط نطقه بسمعه، قال ابن خلدون في مقدمته: «إن السمع أبو الملكات اللسانية» (٦).

فإن سمع الطفل في نشأته أحاديث وحوارات مهذبة وجدية كان حديثه وحواره مهذبًا، وإلا مال إلى الهزل والثرثرة.

فالأسرة التي تحرص على تربية صغارها وأبنائها تربية صالحة تضبط أقوالها وخاصة عند شدة الغضب أو شدة الفرح، لأنه في الحالتين قد يفقد المرء رشده فينطلق بما لا يحمد، فيتأثر بذلك الأولاد، وما نسمعه لأطفالنا ينبت في بستان كلامهم.

وفي تعليمنا للأولاد الكلم الطيب، علينا أن نلاحظ الأمور الآتية:

١- أن يكون للأسرة منهج في تعليم أبنائها الكلمات الحسنة والملائمة لكل المناسبات، فللتحية كلمات، وللاستقبال كلمات، وللتهنئة كلمات، ولاحترام الآخرين كلمات، وهكذا.

ويجب أن تلتزم الأسرة في ذلك بما أرشدها إليه الإسلام في هذه المواقف حتى يشعر الطفل بهويته الإسلامية عند ترديد تلك العبارات والصيغ الكلامية المستفادة من سيرة النبي ﷺ وهديه.

٢- أن تردد الأسرة الكلمات الجميلة ذات الإيقاع الموسيقي على مسامع الطفل منذ نشأته الأولى، لأن ذلك يؤثر فيه ايجابيًا «فالطفل يسمع قبل النطق كلامًا كثيرًا وتراقيص وأشعارًا يذكرها والداه وأهله على مسامعه، فيحاول أن يقلد فيصيب مرة ويتعثر أخرى إلى أن يتقن التلفظ بها» (٧)، فهي تؤثر في نفسه ومشاعره، ولو لم يستطع تقليدها أو فهمها، «إذ غالبًا ما يتوقف الطفل الحديث الولادة عن البكاء عندما يسمع صوت الأم» (٨).

٣- أن تتحين الأسرة الوقت المناسب لتعليمه وتربيته، فللوقت المناسب والظرف المناسب أهمية في نجاح ذلك.

٤- أن تشجع الأسرة الطفل على تحسين كلماته وتزكيتها ماديًا ومعنويًا، وتبعده عن الألفاظ السوقية بشكل مباشر وغير مباشر.

إن غرس الكلمات الطيبة وترسيخها ليس بالأمر السهل، فهو يحتاج من الأسرة إلى جدية ومتابعة وصبر وأناة وروية، حتى لا يفلت منها زمام الأمر، فتصاغ كلمات أطفالها بشكل عشوائي، فالجدية والحكمة والمتابعة سبل لابد منها في التربية لتكون ناجحة.

الهوامش

١- د.قنطار فايز «الأمومة» سلسلة عالم المعرفة - الكويت، ع ١٦٦، ص ١٣١.
٢- ابن قيم الجوزية، «تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عبدالقادر الأرناؤط، مكتبة دار البيان - دمشق، ١٩٧١، انظر ص٣١.
٣- د. قنطار فايز «الأمومة» مرجع سابق ص١٧٢.
٤- المرجع السابق ص ١٤٣.
٥- د. قنطار فايز «الأمومة» مرجع سابق، ص ١٤٣.
٦- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، «المقدمة»، الطبعة الثالثة- دار التراث العربي، بيروت ص ٥٤٦.
٧- د.جبر يحيى عبدالرؤوف، دراسة بعنوان: «اللغة الأذن» نشرت في مجلة «رسالة الخليج العربي» التربوية، ع ٥٢.
٨- د. قنطار فايز «الأمومة» مرجع سابق، ص ١٦٩.

إذا كنت ضيفا فلا تكن ثقيلا

منى السعيد الشريف

«الضيافة» خلق عربي أصيل زاده الإسلام أصالة ورسوخا، وأحاطه الشرع الحنيف بالعديد من الآداب والفضائل وأجزل للمضيف الثواب في الدنيا والآخرة إذا التزم بها، وفي المقابل ألزم الضيف بالعديد من التوجيهات والآداب، كي لا يقع صاحب البيت في الحرج، الأمر الذي يحقق الغاية النبيلة من علاقة التزاور في تأليف القلوب ولم الشمل وإشاعة جو من المودة والصفاء بين المؤمنين.



ونذكر هنا بعض هذه الآداب والتوجيهات

● التجمّل للزيارة: المحافظة على الأناقة من الأمور المهمّة التي دعا إليها الإسلام، والتجمّل صفة يحبها الله سبحانه وتعالى، فعَن عَبدالله بن مَسعُود رضي الله عنه عَن النّبي ﷺ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ من كان في قَلبه مثقالُ ذَرّة من كبر، قال رَجُلٌ: إنّ الرّجُلَ يُحَبُّ أَن يَكُونَ ثَوبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلَهُ حَسنَةً، قَالَ: إنّ الله جَميلٌ يُحبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقّ وَغَمْطُ النّاسِ» (مسلم).

وهذا التجمّل في الملبس وتحسين المنظر عند الزيارة يشعر الآخر باهتمامك به واحترامك له، كما أنّ النفس الإنسانيّة تحب الجمال وتتآلف معه، وهذا التجمل من الآداب المحمودة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، ولقد جاء رجل إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف فقال أبوالعالية: إنما هذا ثياب الرهبان، إنّ المسلمين كانوا إذا تزاوروا تجمّلوا. (الأدب المفرد، البخاري).

● لا ينبغي أن يجلس في مقابل باب الحجرة المخصصة للنساء وسترهم، فقد يفتح باب أو ينكشف ستر فيطلع عما لا يجوز له النظر إليه.

● لا يجلس الضيف في مكان صاحب المنزل إلا إذا دعاه إلى الجلوس فيه، فقد قال ﷺ «لاَ يَؤُمّنّ الرّجُلُ الرّجُلَ في سُلْطَانه (أي منزله ومكان سلطانه) وَلاَ يَقْعُدْ في بَيْته على تَكْرِمَته إلاّ بإذْنه» (مسلم)، والتَكَرمة الموضع الخاص لجلوس صاحب البيت من فراش أو سرير أو مكتب ونحو ذلك.

● لا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام، فإنه دليل على الشره.

● ألا يكلف الضيف صاحب الدار ما لا يطيق، قال ابن الحاج: «ينبغي ألا يتخير المدعو على الداعي»، فبعض الناس يشرط ويقول: اصنع لنا كذا واصنع لنا كذا.. فإذا علم أنه لا يحب ذلك فلا يفعل لأنه ليس من الأدب، إنما يأكل ما حضر، وينبغي إن خير المدعو ألا يشترط.

● ولا ينبغي للضيف ألا يحلف على صاحب الدار (المضيف) خاصة في ألا يعد طعام أو لا يذبح له... أو نحوه، ولو حلف عليه ألا يذبح فاكتشف أنه ذبح قبل أن يحلف، ففي كتاب «أنوار البروق في أنواع الفروق» في قاعدة تعذر المحلوف عليه قال: إذا حلف ضيف على صاحب الدار ألا يذبح فتبين أنه قد ذبح فلا حنث؛ لأن رفع الواقع محال، فإذن لا تجب كفارة في هذه الحالة، ولا يكون حانثًا.

● وينبغي على الضيف المبادرة إلى الأكل إذا دعي، فإن السنة إذا قدم الطعام أن يبادر بالأكل؛ لأنه كرامة لصاحب

● باحثة في شئون الأسرة

المنزل، فقبول الكرامة والأكل منها فيه تطييب لخاطر صاحب البيت، والرفض فيه شيء من الإهانة والإزعاج.

قال الرازي: يستفاد من قصة ضيف سيدنا إبراهيم عليه السلام أن من أدب الضيف أنه إذا أكل حفظ حق المؤاكلة، يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا، ثم وجوب إظهار العذر عند الإمساك يدل عليه قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ ثم تحسين العبارة في العذر، وذلك لأن من يكون محتميًا وأحضر لديه الطعام فهناك أمران، أحدهما: أن الطعام لا يصلح له لكونه مضرًا به. الثاني: كونه ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام .. فينبغي ألا يقول الضيف هذا طعام غليظ لا يصلح لي بل الحسن أن يأتي بالعبارة الأخرى ويقول: لي مانع من أكل الطعام، وفي بيتي لا آكل شيئًا أيضًا، يدل عليه قوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ﴾ حيث أفهموه أنهم ليسوا ممن يأكلون، ولم يقولوا: لا يصلح لنا الطعام والشراب (التفسير الكبير للرازي ٢٨/١٨٤-١٨٥بتصرف).

● ألا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر السن أو زيادة الفضل، إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به، فحينئذ ينبغي ألا يطيل عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له.

● ألا يفعل ما يستقذره غيره، فلا ينفض يده جهة الطعام، بل يمسح يده بمنديل ونحوه إن احتاج إلى ذلك، ولا يقدم إلى القصعة-إن كان الجميع يأكلون منها مباشرة- رأسه عند وضع اللقمة في فيه، فربما سقط شيء فاستقذر منه الحاضرون.

● إذا خرج شيء من فمه صرف وجهه عن الطعام، وأخذه بيساره بمنديل ونحوه.

● إذا كان في الطعام شيء يغمس غمسا، فلا ينبغي للضيف أن يقطع اللقمة بسنه ثم يغمسها في الطعام.

● لا ينبغي أن يتكلم وهو يمضغ الأكل حتى يفهم الحاضرون ما أراد، وتجنبا لأن يتطاير شيء منه فيقع في الطعام فيقذره.

● ألا يحوج صاحب البيت إلى الحض الدائب له على الطعام، قال بعض الأدباء: «أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل، وحمل عن أخيه مؤونة القول».

● ألا يعطي من الطعام شيئًا إلا بإذن صاحب المنزل، قال ابن مفلح- رحمه الله- في الآداب الشرعية: وقالت الحنفية يحرم رفع المائدة إلا بإذن صاحبها لأنه مأذون بالأكل لا بالرفع، ولو ناول الضيف لقمة من طعامه ضيفا آخر؟ روي عن محمد أنه لا يحل للآخذ أن يأكل بل يضع ثم يأكل من المائدة لأنه مأذون بالأكل لا بالإعطاء، وقال عامة مشايخهم يحل له للعادة، وكذا لو ناول بعض الخدم الذي هو قائم على رأس المائدة جاز، ولا يجوز أن يعطي سائلا ولا إنسانا دخل هناك لحاجة لأنه لا إذن له فيه عادة، وكذلك لو ناول شيئا من الخبز واللحم كلب صاحب البيت أو غيره لا يسعه، ولو ناوله الطعام والخبز المحترق وسعه لأنه مأذون فيه عادة. (الآداب الشرعية، ابن مفلح، ٣/١٨٢).

● لا يجوز حمل شيء من طعام الضيافة معه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ...﴾ (الأحزاب: ٥٣) وفي هذه الآية دليل على أن طعام الوليمة وطعام الضيافة ملك للمضيف وليس ملكا للمدعوين ولا للأضياف لأنهم إنما أذن لهم في الأكل منه خاصة ولم يملكوه فلذلك لا يجوز لأحد رفع شيء من ذلك الطعام معه. (التحرير والتنوير ٢٢/٨٥).

إذا نزلت ضيفاً على صديق أو قريب فارفق بمضيفك ولا تكن ثقيلاً

● دعاء الضيف لمن استضافه بعد الفراغ من الطعام، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة» (صحيح أبي داود، الألباني/ ٣٨٥٤) وخص بعض أهل العلم هذا الدعاء عند الفطر فقط، والأكثرون على إطلاقه في الفطر وغيره.

وروى عبدالله بن بسر أن أباه صنع للنبي ﷺ طعامًا فدعاه فأجابه، فلما فرغ من طعامه قال: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم» (صحيح أبي داود، الألباني/٣٧٢٩)

● لا يجوز للضيف إحراج المضيف، لقولهﷺ : «الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه، قالوا يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: يقيم عنده ولا شيء له يقريه به». (مسلم/٤٦١١) يعني: ثلاثة أيام وبعدها ينصرف، وكان ابن عمر لا يأكل طعامًا يقدم له بعد ثلاث، وإنما ينصرف إلا إذا رغب صاحب البيت في جلوسه فعند ذلك يجلس.

● إذا نزلت ضيفا على صديق أو قريب، فكن لطيف المعاملة، خفيف الظل، وراع ظروفه، وأوقات عمله، وأوجز ما استطعت من وقت ضيافتك عنده، فإن لكل إنسان ارتباطات وواجبات ومسؤوليات ظاهرة وغير ظاهرة، فارفق بمضيفك ولا تكن ثقيلا، وقديما قالوا «الثقل هو البلاء».

ومن الأمور التي يستحسن أن نوردها هنا ألا يكثر الإنسان من الزيارة والترداد فيكون إثقاله من كثرة مجيئه، وفي مأثور الحكمة «زر غبا تزدد حبا».

ولا يفوتني التنبيه هنا إلى أن وجود الهاتف سهل عملية اختيار الوقت المناسب للزيارة، فينبغي الاستفسار قبل المجيء إن أمكن.(آداب الضيافة/ أحمد الويسي).

رحمة النبي ﷺ بالأطفال الصغار

عبدالسلام حسن

يقول رب العزة جل جلاله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨)، وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

وقال ربنا الرحمن الرحيم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).



نبينا محمد ﷺ هو قدوتنا في التعامل مع الأطفال الصغار واليتامى، كان يعاملهم معاملة رقيقة لطيفة لا نظير لها، معاملة فيها كل الرحمة، وحتى يرحمنا الله ربنا ينبغي أن نحول هذه الرحمة في بيوتنا وفي مدارسنا وفي شوارعنا إلى واقع عملي ومنهج حياة.

كان ﷺ إذا خرج من المسجد فقابله الصبيان وقف يسلّم عليهم، ويمسح على خدي أحدهم واحدًا واحدًا، ورد في صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، يقول جابر صليت مع النبي ﷺ الصلاة الأولى فخرج إلى أهله فقابله الصبيان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا ثم مسح النبي ﷺ على خدي، يقول جابر: «فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار» (رواه مسلم).

وكان ﷺ إذا رأى طفلًا يظهر له البشر والسرور إيناسًا له، وكان إذا مرَّ بصبية سلّم عليهم ومسح برؤوسهم، حدّث جابر بن سمرة أن النبي ﷺ رأى صبية يتسابقون فجرى معهم تطييبًا لهم.

وكان يلقى الصبي وهو يركب ناقته فيدعوه إلى ركوب الناقة ليدخل السرور على قلبه.

وكان يوطئ ظهره للحسن أو الحسين، رضي الله عنهما، ليركباه، وكان يقبّل الأطفال ويضمّهم إليه.

دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ يومًا وهو يقبّل الحسن ويقبّل الحسين، فقال الأقرع: والله إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت أحدًا منهم، فغضب النبي ﷺ وقال: «أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة، من لا يَرحم لا يُرحم» أي: إذا كنت لا ترحم أولادك فإن الله لا يرحمك (رواه البخاري ومسلم).

ومات لإحدى بنات النبي ﷺ طفل صغير فلما رُفع إليه فاضت عيناه، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

رحمة وتربية وتعليم

من المعلوم أن التربية والتعليم في الصغر لهما الأثر الكبير، «العلم في الصغر كالنقش على الحجر»، فنبينا محمد ﷺ كان يربّي الأطفال الصغار على الآداب الفاضلة حتى ينشأوا عليها، ويعلّمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ففي صحيح مسلم ورد أن عمر بن أبي سلمة كان غلامًا في حجر النبي ﷺ فكانت يده تطيش في الصحفة، إذا ما أكل مع رسول الله ﷺ يمدّ يده هنا وهنالك فقال النبي ﷺ: «يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك» (رواه البخاري).

وفي الصحيحين أن الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ يومًا تمرًا من تمر الصدقة، فلمّا وضعها في فيه (فمه)

باحث سوري

أخذها النبي ﷺ فقال: «كخ كخ، ألا تعلم يا حسن أننا لا نأكل الصدقة؟» (رواه البخاري ومسلم).

وفي سنن أبي دواد أن النبي ﷺ قال: «علّموا أبناءكم الصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرّقوا بينهم في المضاجع» (رواه أحمد وأبوداود).

فينبغي أن نتعلم من نبينا ﷺ هذا الدرس، فنفتح لأطفالنا صدورنا وقلوبنا ويجب ألا نتخلى عنهم، وألا يتخلى الأب عن أولاده، وألا تتخلى الأم وألا تنشغل عن أولادها حتى لا يتربّى الأولاد في الشوارع ومع أصحاب السوء، فنصل إلى نتيجة لا تُحمد عقباها.

رحمة النبي ﷺ باليتامى

ما أجمل أن نجد مجتمعنا يرحم فيه اليتامى ويكفلون، والرجل لا يخاف الموت أبداً، ولا يفكر كثير من الآباء في الأبناء لأن المجتمع سيرحم وسيكفل أبناءهم من بعدهم، لقد رحم النبي ﷺ اليتامى رحمة بالغة، ألم يقل: «اتقوا الله في الضعيفين: المرأة واليتيم»؟!.

ما أحوج المجتمع إلى أن يتعلم هذا الدرس العملي من القدوة والمثل الأعلى محمد بن عبدالله ﷺ، وكفى اليتامى شرفًا وفخرًا أن نبينا محمدًا ﷺ نشأ يتيمًا، فالحمد لله أن جعل يُتم نبيه تشريفًا لكل يتيم، قال تعالى: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾ (الضحى: ٦) وبعد ذلك قال سبحانه في السورة نفسها: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ (الضحى:٩)، فامتثل النبي ﷺ لأمر ربه جل جلاله، فلم يقهر يتيمًا قط، بل قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى» (رواه البخاري ومسلم).

جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه فكان مما وصفه له النبي ﷺ: أن يمسح بيده رأس اليتيم ليلين قلبه.

المجتمع المسلم بحاجة إلى أن يتعلم الدرس العملي من القدوة والمثل الأعلى محمد بن عبدالله ﷺ

ولنتدبر هذا الحديث الذي رواه أبويعلى الموصلي، يقول ﷺ: «أنا أول من يفتح باب الجنة فأرى امرأة تبادرني- أي تسابقني، تريد أن تدخل معي الباب، فأقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدتُ على أيتام لي»، مات زوجها فأبت الزواج مع حاجتها إليه وابتعدت عن مواطن الشبهة والريبة وتعهدت بتربية أولادها التربية الصحيحة، فهذه المرأة مكانتها أنها تسابق النبي ﷺ لتدخل معه الجنة، فلنتصور هذه الكرامة لهذه المرأة بسبب أنها قعدت على أيتام لها.

وإذا كانت هذه رحمة النبي ﷺ بالأولاد واليتامى.. فماذا عن رحمته بالصغار عامة؟

يقول ابن سويد: «رأيت أبا ذّر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلّفتموهم فأعينوهم».

هذه رحمة النبي ﷺ بالصغار عامة إذا كانوا مستخدمين في مكان ما.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن أطيل فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي- يعني أخفف وأقصر- كراهية أن أشقّ على أمّه».

وورد أن النبي ﷺ مرَّ بصحابي يضرب غلامًا له فقال: «اعلم أبا ذر أن الله أقدر عليك منك عليه»، وكأنه بهذا ينهاه عن ضربه، فأين هذا مما نجده عند كثير من الآباء والأمهات والمعلمين وأولياء أمور الأطفال من مظاهر القسوة والشدة والعنف مع أطفالهم الصغار وتلاميذهم؟! إذا أخطأ الواحد من هؤلاء الأطفال لا يستعملون معه غير لغة الضرب والعنف وهذا خطأ كبير، ولاشك أن هناك عقوبات أخرى كثيرة تربوية صحيحة يغفل عنها الكثيرون ولا يستخدمونها، كأن تمنعه من لعبة يحبها لفترة مؤقتة محددة وغيرها من العقوبات، فالرفق الرفق والرحمة بهؤلاء الأطفال الأبرياء الضعفاء، وإياكم والقسوة والشدة، فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه، كما قال ﷺ، ولنحذر الحذر الشديد من هذا النفي الخطير من النبي ﷺ حيث نفى عن المرء انتماءه إلى الإسلام إن لم يرحم الصغير فقال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»، (رواه أحمد في المسند والترمذي والحاكم في المستدرك).

فاللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، وأعنّا على أن نرحم الأطفال واليتامى رحمة ترضى بها عنّا، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا، سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



مسجد «دونغسي» في بكين



تركي محمد النصر*

هو من أقدم المساجد في بكين حيث (أسس سنة ١٤٤٧م) وأصبح مركزًا إسلاميًا ثقافيًا وتعليميًا للصين كلها.

نبذة تاريخية

تُعتبر الصين من أوائل البلدان التي دخل إليها الإسلام، حيث بدأت تظهر ملامحهُ فيها سنة (٦٥١م)، ومنذ ذلك الحين أصبح عقيدة شريحة كبيرة من السكان الأصليين في البلاد، كالأقليات القومية، مثل هوى، الويغور، القازان، القرغيز، التتار، الأوزبك، الطاجيك، دونغشيانغ، سالار، باوآن... وغيرها.

ويبلغ عدد هذه القوميات المسلمة حوالي (١٤) مليونًا حسب الإحصائية الرسمية للعام (١٩٨٢م)، ومعظمهم يتوزعون في نينغشيا، وشينجيانغ، وقانسو، وتشينغهاي، بينما البقية الباقية منهم ينتشرون في مدن وقرى سائر المقاطعات والبلديات والمناطق الذاتية الحكم بما فيها جزيرة تايوان، وهونغ كونغ، وماكو.

لقد عمل المسلمون في الصين بدأب على بناء الكثير من المساجد الكبيرة والصغيرة حتى بات عدد المساجد فيها مستهجنًا لدى الكثير، حيث تفيدنا الإحصائيات غير الكاملة أن عدد المساجد في الصين يبلغ الآن أكثر من (٢٣) ألف مسجد، تنتشر في (٣٠) مقاطعة، وبلدية، ومنطقة حكم ذاتي، تتنوع بين مساجد ذات طابع معماري قديم كمسجد «هوايشنغ» بمدينة «قوانغشو» الذي يعتبر أقدم مسجد في الصين، يعود بناؤه إلى سنة (٧٤٢م)، وبين مساجد حديثة رائعة الهندسة كمسجد «عيد كاه» بمدينة «كاشغر»، وهذه المساجد ليست مجرد مراكز دينية للجموع الغفيرة من المسلمين، بل هي من فرائد الآثار التاريخية في الصين، ومن أشهرها مسجد «دونغسي» الذي يقع في شارع دونغسي، في حي دونغتشينغ، ببكين.

قال ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ): «...وبلاد الصين آمَن البلاد، وأحسنها حالاً للمسافر، فإنَّ الإنسان يسافر منفردًا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة ولا يخاف عليها، وإقليم الصين متسعٌ، كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضَّة، لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض... وأهل الصين أعظم الأمم إحكامًا للصناعات، وأشدهم إتقانًا فيها، وذلك مشهور في حالهم، قد وصفه النَّاس في تصانيفهم فأطنبوا فيه...» (رحلة ابن بطوطة ٢/٢٢٤).

تاريخه

أسس مسجد «دونغسي» في عام (١٤٤٧م)، في عهد أسرة «مينغ الملكيّة»، ويرجع تاريخه إلى ما قبل أكثر من ٥٦٠ سنة، وقد أثبت نصب حجري أن المسجد بُني على نفقة القائد العسكري المسلم «تشن يو»، الذي تعود أصوله إلى بلاد المغرب العربي.

تولَّى «تشن يو» منصب نائب قائد قوات الجناح اليساري، ووالي منطقة «هوقوانغ»، وقد كان هذا الجنرال شديد التَّحمس للإسلام، فأخذ على عاتقه بناء المساجد مدى حياته، وتحمَّل تكاليف بناء مسجد «دونغسي» كاملًا، وأثَّرت أفعاله الحميدة هذه في ذريَّته، التي ذاع صيتها بأعمال الخير وبناء المساجد في ربوع البلاد.

بناؤه

بفضل سمو مكانة الجنرال «تشن يو» وكثرة



مسجد «دونغسي»

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

أمواله، كان بناء مسجد «دونغسي» فخمًا فوق العادة، ولا يتمثل هذا في فخامة مبانيه، وروعة هندسته فحسب، بل يتمثل أيضًا في امتيازه في عهد أسرة «مينغ» بالحماية الاستثنائية والقانونية.

يتكون المسجد من فناء أمامي، وفناء متوسط، وفناء خلفي، وتبلغ مساحته هكتارا واحدا، ومن البنايات الرئيسية فيه: مصلى، وقاعات جنوبية وشمالية لتلاوة القرآن الكريم، ومكتبة، وميضأة.

يقع المُصلّى على الجانب الغربي في الفناء الأمامي، مساحته (٥٠٠ متر مربع) ويتسع لأعداد كبيرة من المصلين، ويبلغ ارتفاعه (١٥ مترًا)، والجزء الأمامي منه عبارة عن هيكل خشبي ذي تصميم قديم وبسيط، وعلى شكل قصر تقليدي صيني، داخله (٢٠) عمودًا ملونا كبيرًا، قطر الواحد منها (٤٨سم)، ومرسوم عليها زهور اللوتس الذهبية، وعلى العوارض الأفقية الوسطى بعض الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي على خلفية ذهبية اللون.

وإلى الغرب من الفناء الأمامي قاعة مرور مؤدية إلى الدار الخلفية الكبيرة المساحة، وهي مظللة بأشجار، ومزدانة بأزهار زاهية الألوان، وهناك جناحان جنوبي وشمالي، وهما على أحسن ما يكون من الانسجام.

ليس المسجد مجرد مركز لأداء العبادة فقط بل هو مركز لتعليم الحديث لمسلمي الصين

تعرض المسجد لبعض التخريب والدمار، إثر بعض الزلازل والأحداث السياسية التي مرت بها البلاد، فقامت الحكومة الصينية بعدة اعتمادات مالية لعمليات واسعة النطاق لترميم المسجد العريق، كان من أبرزها الترميم الواسع في عام (١٩٧٤م).

وفي عام (١٤٨٦م) بُنيت مئذنة مربعة من طابقين وذات قمَّة مدببة، ثم انهارت إثر زلزال قوي ضرب البلاد في آخر سنة من فترة حكم الإمبراطور «قوانغ شيوي» من أسرة «تشينغ».

ولا يزال إبريق نحاسي كان موجودًا على المئذنة محفوظا في المسجد إلى اليوم، كما يوجد في الفناء نصبان من عهد أسرة «مينغ».

في الجانب الجنوبي للمصلى لوحة عليها (١٠٠) مقطع صيني لتمجيد فضائل رسول الله محمد ﷺ، وضعت هذه اللوحة عام (١٥٧٩م) في عهد أسرة «مينغ» على الوجه الخلفي للوحة كلمات عربية بينها (٤) مقاطع صينية. وقد تم ضمّ المسجد إلى قائمة الوحدات الأثرية المحميِّة الرئيسية بمدينة بكين عام ١٩٨٤م.

أسماؤه

عُرفَ المسجد- منذ نشأته- بِعدة أسماء منها:

١- مسجد «فامينغ»، أُطلق عليه هذا الاسم في بداية بنائه نسبة لأسرة «مينغ» الحاكمة آنذاك.

٢- مسجد «دونغسي» لوقوعه على مقربة من (دونغسي بايلو)، وهي الأقواس الشرقية الأربعة.

٣-المسجد «الحكومي»، أو «الإمبراطوري»، حيث إنه كان المسجد الرسمي في وقته.

التاريخ الثقافي للمسجد

ليس مسجد «دونغسي» مجرد مركز لأداء العبادة فقط، بل هو مركز للتعليم الحديث لمسلمي الصين، حيث أسست المدرسة الإسلامية الثانوية سنة (١٩٢٦م).

وانتقلت إليه أيضًا مدرسة «تشنغدا» للمعلمين التي أسسها «عبدالرحيم ما سونغ تينغ» في جينان عاصمة مقاطعة شاندونيغ في سنة (١٩٢٩م)، وكان لانتقالها كبير الأثر في زيادة النشاط والحيوية في المسجد.

وقد مرَّ المسجد بعد ذلك بفترة من الفتور العلمي إثر بعض الخلافات السياسية والعسكرية، ولم يستعد



المسجد من الداخل

حيويته إلا بعد افتتاح معهد الدراسات الإسلامية فيه على يد الشيخ «عبدالرحيم ما سونغ تينغ».

كما أسست فيه مجلة «نضرة الهلال» الإسلامية، ودار النشر التابعة لمدرسة «تشنغدا»، وبدأ المسجد بعدها بنشر دوريات ثقافية وأكاديمية إسلامية مثل مجلة «يويه هوا» و«جماهير هوي»، وأصبح فيما بعد مركزًا إسلاميًا ثقافيًا وتعليميًا للصين كلها.

مكتبته

تم تأسيس مكتبة المسجد بدعم من الملك المصري فؤاد الأول، وشخصيات من مختلف القطاعات الصينية، وتحتفظ هذه المكتبة بمؤلفات وآثار إسلامية قديمة بينها مخطوطة للقرآن الكريم، عُرِفَت بمخطوطة «ساري» نسبة لناسخها محمد بن أحمد ساري، وقد أنجز نسخها قبل أكثر من سبعمائة سنة عام ٧١٨هـ، في مدينة ساري بتركيا، وقد استخدم الناسخ قلم الريشة الصيني الخاص في كتابة الكلمات ذات الحجم الصغير، واستخدم خط النسخ كخط أساسي في هذه النسخة التي تعتبر من روائع نسخ القرآن الكريم في العالم.

لقد اجتاز مسجد دونغسي عددًا من الامتحانات في التاريخ، واحدًا تلو الآخر خلال سنوات مضت، وعلى الرغم من إغلاق أبوابه خلال فترات متقطعة مضت، إلا أن تأثيراته الكبيرة على الصعيد العالمي أدت إلى فتحه من جديد، وفي الوقت الحالي يستقبل مسجد «دونغسي» كل يوم أبناء المسلمين من مدينة بكين ومن جميع أنحاء البلاد، وهو بذلك يقوم بذات الدور الذي تقوم به بقية مساجد الصين العريقة ومنها:

١- مسجد «هوايشنغ» في قوانغتشو، قيل إنه بُني في عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م) وهو يحمل اسم مسجد «المنارة» أيضا، ويعتبر أقدم مسجد في الصين.

٢- مسجد «تشينغجينغ» في تشيوانتشو تم بناؤه بين عامي (١٠٠٩ و١٠١٠م).

٣- مسجد «العنقاء» في هانغتشو تم بناؤه في عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م).

٤- مسجد «نيوجيه» ببكين بني في عام (٩٩٦م).

٥- مسجد «هوايديان» في شنتشيو بمقاطعة خنان، بني في عام (١٢٧٣م).

وقد قامت هذه المساجد بدور كبير في التعليم الديني والنهضة العلمية في الصين، تمثل هذا فيما بات يُعرف بالمدارس المسجديّة التي امتازت بمرونتها في التعليم، وخرَّجت الآلاف من الرجال الذين لا غنى للصين عنهم في نهضتها الدينية، وكان من ضمنهم علماء لهم أياد بيضاء في التعليم الإسلامي في الصين وقد جرت العادة على تسميتهم «علماء الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية» منهم:

١. الشيخ وانغ داي يو.
٢. الشيخ تشانغ جيون شي.
٣. الشيخ ليو تشي.
٤. الشيخ ووتسون تشينغ.

كان هؤلاء العلماء يبذلون أقصى جهودهم لخدمة الإسلام في الظروف الشاقة، حتى ألفوا العديد من الكتب الإسلامية باللغتين الصينية والعربية.

وفي العام ١٩٠٨م بدأ العمل على تجديد المدارس القديمة، وتأسيس أخرى، فقام الشيخ «وانغ هاو ران» بتأسيس المدارس الدينية النظامية التي ما لبث أن عمَّت أنحاء البلاد، وكان من أشهرها:

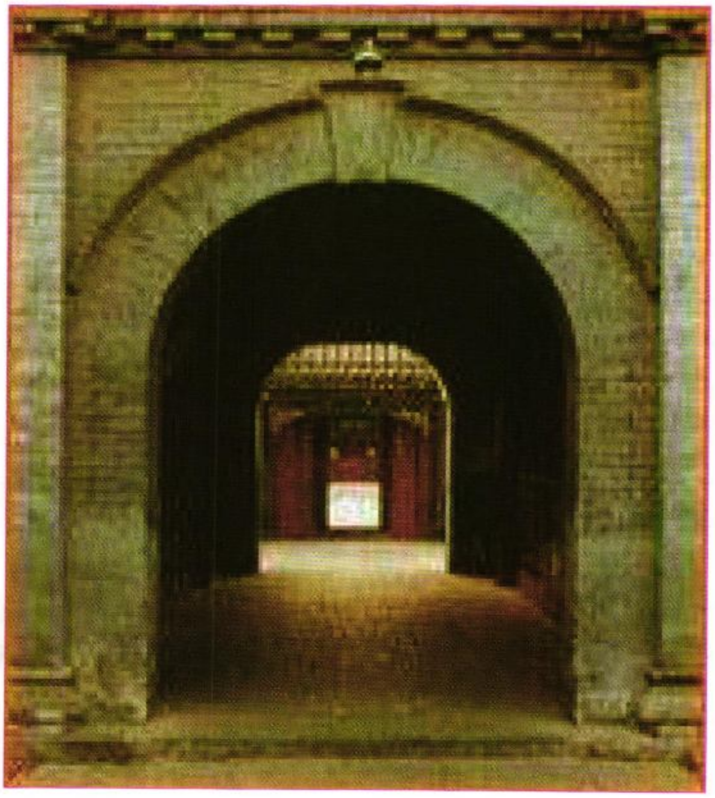
١- مدرسة تيانجين الإسلامية، تأسست عام ١٩١٠م.

٢- مدرسة الهلال للبنات في بكين تأسست عام ١٩٣٥م.

٣- المعهد الإسلامي الديني تأسس عام ١٩٨٢م.

كما تم تجديد مدرسة «تشنغدا» للمعلمين، ومقرها في مسجد «دونغسي».

يتبين لنا مما سبق أن التعليم الإسلامي في الصين بات اليوم يقوم بدور ريادي في نشر العقيدة الإسلامية في البلاد، لتكون مساجد الصين ومدارسها المسجدية بحق منارات إسلامية مضيئة.



المصادر
١. رحلة ابن بطوطة.
٢. مساجد الصين.

علي أحمد طلب.. لمحات من حياته

د. علي حافظ

قُبيل عصر الأربعاء العاشر من ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق للرابع والعشرين من فبراير ٢٠١٠م وافت المنية علمًا من أعلام الإسلام، وشيخًا جليلًا من شيوخ الأزهر الشريف.. ذلكم الداعية الكبير، واللغوي القدير فضيلة د.علي أحمد أحمد طلب الأستاذ غير المتفرغ بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط، وعضو اللجنة العلمية لترقية الأساتذة، والأستاذ بجامعتي أم القرى والإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية سابقًا.

وقد شرفني الله عز وجل بمصاهرة الشيخ- رحمه الله- منذ أكثر من ثمانية أعوام، فهيأت لي هذه المصاهرة فرصة القرب من الشيخ والاطلاع على كثير من مناقبه وسجاياه التي يجمل ذكرها بعد وفاته، ويحسن نشرها بين الناس طلبًا للاقتداء به في صالح عمله ــ رحمة الله عليه.

ولد الشيخ ــ رحمه الله ــ في ٢١ صفر ١٣٥٥هـ الموافق ١٣ مايو ١٩٣٦م في قرية شطورة، مركز طهطا، محافظة سوهاج بصعيد مصر، ونشأ في أسرة كريمة مكافحة، عرفت بعراقة النسب، وطيب المحتد، وهي أسرة شريفة من عوائل الشرفاء بصعيد مصر، وجهته إلى كتاب القرية صغيرًا ليحفظ القرآن، ويجوده، ويبديَ في ذلك نبوغًا ملحوظًا، وعرف عن الشيخ في صغره الجد والاجتهاد في الطلب والتحصيل، كما عرف عنه أيضًا النشاط في العبادة والتميز في السلوك.

وقد حكى الشيخ عن نفسه في مجلس من مجالسه العلمية التي شرفت بحضورها أنه كان متعلقًا بالمسجد منذ صغره- ربما كان عمره سبع سنوات- وأنه رأى ضيفًا غريبًا عن البلدة يصلي معهم صلاة المغرب فانتظره الشيخ بعد الصلاة، وقال له: تعال معي يا عمي لنتناول طعام العشاء في بيتنا، وبعد أن أكل الضيف وانصرف، قبّلته أمه ووضعت يدها على كتفه، وقالت له: فيك خير كبير يا عليّ، ودعت له، يقول الشيخ معقبًا على هذه القصة: إن أمي شجعتني على فعل الخير، وألقت فيّ بذورَه بفعلها هذا معي، ولن أنس هذه القصة، ودلالاتها التربوية ما حييت.

وقد عمل الشيخ- رحمه الله- إمامًا وخطيبًا بوزارة الأوقاف، وذلك بقرية البركة، مركز ملوى، بمحافظة المنيا في صعيد مصر، ثم مدرسًا بمدرسة طهطا الثانوية الزراعية، فمدرسًا بقسم اللغويات في كلية اللغة العربية بأسيوط، إلى أن صار أستاذًا من عام ١٩٨٨م، ثم ترأس القسم اعتبارًا من ١٣/١٠/١٩٨٨م.

لقد كان الشيخ- رحمه الله- قرآنيًا في قوله وفعله، في سلوكه وسمته، مقتديًا في ذلك بإمام الأنبياء، وقدوة الأصفياء، محمد ﷺ، الذى قالت عنه زوجه عائشة رضي الله عنها- فيما رواه مسلم وغيره-: «كان خلقه القرآن، كان قرآنًا يمشي على الأرض».

عاش الشيخ- رحمه الله- صابغًا حياته بالقرآن، تلاوة وعملًا حيث جعل له وردًا يوميًا يتلوه بعد صلاة الفجر لا



يتخلف عن ذلك بحال، فضلاً عن تلاوته له في أسفاره وفراغه، في السيارة وفي القطار، بل كان إذا انتظر شيئًا فإنه يحبس وقته له، ولقد رافقت الشيخ كثيرًا، فلطالما كان يشغل وقته بتلاوة القرآن.

وكان يعتز بحفظه أكثر من اعتزازه بما سواه، وأشهد أن الشيخ صرح لي: إن اعتزازه بحفظه للقرآن أكثر من اعتزازه بكونه أستاذًا في الجامعة، أو عضوًا في لجنتها العلمية لترقية الأساتذة.

وبجانب تعدد وسائل الشيخ الدعوية من خطابة ودروس ونداوت وتصنيف، أضاف -رحمه الله- وسيلة أخرى إلى منظومة وسائله في الدعوة والإصلاح، ألا وهي الصحف والمجلات، حيث أدرك الشيخ أثرهَا الكبير في التوجيه والتأثير، فطرق مَيْدَانَها واعتلى منْبَرَهَا بجملة وافرة من الكتابات والمقالات والتعقيبات.

ومن أكثر الصحف التي كتب فيها الشيخ.. الأهرام، آفاق عربية، الوفد، وثلاثتها صحف مصرية، ومن المجلات.. الوعي الإسلامي (الكويت)، ومنار الإسلام (الإمارات)، والحج (السعودية).

لقد مَنّ الله على الشيخ بحسن الخاتمة، حيث جاءت خاتمة أيامه السبعة مليئة بالأعمال الصالحة، وكما قال ابن كثير- رحمه الله-: من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه.

فقبل أسبوع من موته ظل الشيخ في بلدته فترة طويلة يصل الرحم، ويزور المرضى، ويواسي أهل من مات من أقربائه، ثم يعود إلى أسيوط يوم الجمعة ١٩/٢/٢٠١٠م.

وفي يوم السبت ٢٠/٢ استضاف الشيخ في منزله نفرًا من تلاميذه الذين لهم معه موعد دوري، يتضمن برنامجًا من العلم النافع والذكر، وفيه نزل الشيخ بنفسه ليشتري الفاكهة المتنوعة نظرًا لعدم وجود أحد من أبنائه في المنزل، وكنت واحدًا من الحضور يومئذ.

وقد شيع جنازته إلى مثواه الأخير زهاء الخمسة عشر ألف مشيع يدعون له بالرحمة والمغفرة.

فجزى الله الشيخ عن العلم وطلابه خير الجزاء وأجزل له المثوبة والعطاء، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

* أستاذ في جامعة الأزهر

ندوة تطور العلوم الفقهية في مسقط

الفقه الحضاري.. فقه العمران

مصطفى عاشور

اختتمت في العاصمة العمانية مسقط أخيراً ندوة «تطور العلوم الفقهية.. الفقه الحضاري- فقه العمران» بعد أربعة أيام من الانعقاد، تم خلالها مناقشة ما يقرب من ٤٤ ورقة بحثية تناولت جوانب الفقه الحضاري وفقه العمران، واستعرضت خلالها محاور عدة تتعلق بالبيئة ونشأة المدن وطبيعة العلاقات بينهما. واعتبرت الندوة في توصياتها أن الفقه الحضاري في الرؤية الإسلامية لا يقتصر على الجوانب المادية والإنشائية فقط، وإنما يتخطاهما إلى الجوانب المعنوية، فيظلل العمران في الرؤية الإسلامية قيم العدل والإخاء والمساواة.

ورأت الندوة أن الإسلام فتح آفاق المسلم لرؤية الكون وعمارته، وأن تلك العمارة مؤسسة على نصوص الوحي والسنة، وأن الفقه الحضاري لا يستقيم عوده إلا بالرواء من ينابيع الدين الصافية.

وطالبت الندوة بإعداد مدونة واسعة عن الفقه الحضاري الإسلامي ومجالاته، كمسائل العمران والبيئة والمياه، وهو ما يسمح بتأسيس فقه مؤصل ومفصل في تلك المجالات على أيدي فقهاء محدثين يربطون الفقه الحضاري بالفقه الموروث وفق المذاهب المتعددة، تمهيدًا لوضع إطار مستقبلي لاستيعاب مستجدات الحياة المعاصرة.

ورأت الندوة ضرورة التأكيد على رؤية الإسلام العميقة والأصيلة المتعلقة بالحرية الفردية، ورؤية الإسلام التي تحفظ البيئة من التلوثات المختلفة، ولذا طالبت الندوة بالمساهمة في وضع حد لظاهرة الاحتباس الحراري والتصحر، مع الاهتمام بالتشجير، مع إحياء الآداب والأخلاقيات التي أرساها الإسلام في استعمالات الماء، مع وضع ميثاق أخلاقي لاستهلاك المياه، والاستفادة من الرؤى الفقهية في مجالات التقسيم والاستثمار العقاري بما يخدم أهداف التنمية.

لكل حضارة طابعها الخاص والطابع المميز لحضارة الإسلام هو الطابع الأخلاقي

وأوصت الندوة بألا يقتصر دور المسجد على أداء العبادات فقط، بل من الضروري أن يشمل كل جوانب الحياة وأنشطتها، وهو ما يفرض أن يُراعى عند إنشاء المساجد أن يتم تزويدها بالمرافق والمساحات التي تخدم رسالتها.

وقد ناقشت الندوة التي استمرت أربعة أيام (١٨-٢١ ربيع الثاني١٤٣١هـ، ٣-٦ إبريل٢٠١٠م)، عددًا من المحاور منها: فقه المجتمع، فقه المهن وأربابها، فقه البيئة والكائنات، فقه الأسواق، فقه الطريق، وفقه المدينة والعمران؛ على اعتبار أن الإنسان مدني بطبعه، وهذه المدنية تفرض شبكة من العلاقات والحاجات، وهي أمور نظرت إليها الشريعة الإسلامية نظرة اعتبار وأولتها قدرًا من أحكامها، ورتبت جزءًا من أمورها.

وفي كلمته الافتتاحية للندوة أكد مفتي عمان فضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي أن لكل حضارة طابعها الخاص، وأن الطابع المميز لحضارة الإسلام هو الطابع الأخلاقي، ولذا كان عنصر الأخلاق واضحًا في كل تشريع.

أما رئيس اللجنة المنظمة ورئيس تحرير مجلة التسامح د.عبدالرحمن السالمي فأكد أن هدف الندوة إنتاج رؤية جديدة ووعي جديد بالعمران الحضاري في الرؤية الإسلامية كأحد السبل المطروحة للخروج من المأزق الحضاري الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فالهدف ليس التمدح في الخبرة التاريخية الإسلامية في المجال العمراني.. وإنما تجديد الرؤية والعزيمة من أجل تواصل قوي وفعال بين الرؤية الإسلامية للعمران والعصر الذي يحيا فيه المسلمون.

ومن الأوراق التي ناقشتها الندوة ورقة المفكر اللبناني د.رضوان السيد بعنوان «مفهوم الفقه الحضاري.. الوظيفة والغاية»، وأشار إلى أن أول من تحدث عن فقه الحضارة والعمران البشري كان عبدالرحمن بن خلدون، وأن حالة الضعف والتراجع التي عاشها المسلمون في عصره دفعته إلى البحث عن علم جديد يدرس فيه قوانين وسنن الاجتماع البشري وتطور الحضارات، وكان هذا البحث «الخلدوني» فاتحًا لظهور علم العمران كعلم جديد بعيدًا عن علوم الكلام والفقه.

وحدد رضوان السيد ثلاثة أسس للفقه الحضاري الجديد هي:

ـــ المعرفة الشاملة بالحضارات والديانات وبحضارة العصر، وتجربة

* باحث وصحفي

المسلمين قديمًا وحديثًا.

ـــ القول بالاستخلاف والتكليف، بحيث يسعى المسلم للعمل على تحقيق المقتضيات والاستحقاق.

- القول بالحوار وتبادل التجارب والخبرات مع العالم الخارجي، تحقيقًا للتعارف والتكامل.

أما أستاذ القانون بجامعة الإسكندرية د.محمد كمال إمام في بحثه «الحسبة ودورها الرقابي» فأشار إلى أنه لا خلاف عند فقهاء جميع المذاهب الإسلامية على حرمة الحياة الخاصة، وأن الفقه الشرعي أقام بعض فروعه على أساس من هذه الحرمة، مثل وجوب الاستئذان، ولفت إمام النظر إلى ما أولته الشريعة الإسلامية من أحكام لحماية الحرمة والحرية الخاصة.

أما الفقيه السوري د.وهبه الزحيلي فقدم ورقة بعنوان «المصادر التشريعية لفقه العمران»، عرضت للمصادر العلمية لفقه العمران، وأورد ما يقارب من سبعين مصدرًا ومرجعًا في فقه العمران.

ورأى الأمين العام المساعد للمجلس الأوروبي للإفتاء د.عبدالمجيد النجار «في ورقته» «فقه المهاجرين في ظل التحديات المادية» أن تغير أهداف الوجود الإسلامي بالغرب من الهجرة إلى الاستقرار يوجب تطوير الفقه الإفتائي ليحقق أحكام الدين ومقاصده.

أما د.إبراهيم البيومي غانم، في ورقته « فقه إدارة المياه وحماية البيئة في الإسلام من خلال نظام الوقف»، فأشار إلى أن الماء ورد ذكره في حوالي خمسمائة آية من القرآن الكريم، وأن الفقه الإسلامي القديم قام بدوره كاملًا في مسألة المياه وحماية البيئة، أما الفقه الحديث فمطالب بالاجتهاد لإنتاج فقه حضاري يعالج مشكلات المياة، خاصة وأن المياه من قضايا الصراع الدولي في الوقت الحاضر



جانب من الندوة

ومن المحتمل نشوب حروب حولها.

وفي الندوة دار جدل فقهي بين د.عبدالمجيد النجار ود.وهبه الزحيلي حول الموقف الفقهي من بقاء السيدة حديثة العهد بالإسلام مع زوجها في حال إسلامها، حيث رفض الزحيلي تلك الفتوى، وأشار إلى أن المذاهب الفقهية الأربعة تؤيد التفريق بين المرأة التي تشهر إسلامها وبين زوجها غير المسلم، معتبرًا أن البقاء هو نوع من المخالفة الشرعية للنصوص القطعية في القرآن الكريم؛ في حين رأى النجار جواز بقاء المرأة التي تشهر إسلامها مع زوجها غير المسلم في الدول الغربية بشروط معينة، مراعاة للظروف الاجتماعية، وأشار إلى أن المجلس الأوروبي للإفتاء أقر تلك الفتوى، وأن تلك الفتوى مؤيدة بأقوال ١٣ فقيهًا من كبار فقهاء الإسلام الأوائل.

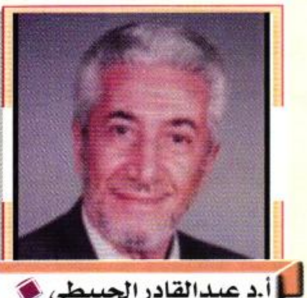
أما الطبيب خالص جلبي في ورقته «فقه أدب مهنة الطب» فأشار إلى أن الطب الحالي في الغرب مصاب بثلاث علل قاتلة هي: الروح العدمية، والمسار العبثي، والمصير الإلحادي، وأرجع تلك العلل إلى الدور الذي لعبته الكنيسة في فترات سابقة من التاريخ الغربي، فأنتجت تشوهات في فلسفة الطب وأخلاقياته.

أما المؤرخ المغربي د.عبدالهادي التازي فكانت ورقته بعنوان «نظم المدن الإسلامية»، وأكد أن بناء المدينة الإسلامية كان يستجيب لحاجات ساكنيها، فكان بناء المدينة جزءًا من بناء الشخصية والأخلاق والهوية؛ ومن ثم فتخطيط المدينة لم يكن عملًا ارتجاليًا ينجز دون رؤية وتفكير، فالبناء عمل يحتاج لدراسة مستقبلية، ويحتاج لمعرفة سائر الحاجيات اليومية والفصلية والموسمية، على صعيد الاقتصاد والصناعة والثقافة.

أما المفكر والفقيه السعودي عبدالله فدعق فكانت ورقته بعنوان «مقاصد الشريعة وحماية البيئة»، وطرح عددًا من المقاصد الشرعية في حماية البيئة على الجانبين الاجتماعي والثقافي، وأكد أن المحافظة على مكونات البيئة يعد أمرًا شرعيًا؛ حتى لا يحدث خلل في الكون، ودعى فدعق إلى تربية النشء على الوعي البيئي وتبصيره بحقيقة الموقف الإسلامي الأصيل من البيئة ورعايتها عبر وسائل التثقيف المختلفة، وإيقاظ الضمير الديني في رعاية البيئة.

صداع الشقيقة

- علاجه في الطب التقليدي والطب البديل -



أ.د عبدالقادر الحبيطي

صداع الشقيقة (أو الصداع النصفي) يختلف عن الصداع العادي (وجع الرأس) بأنه صداع شديد يأتي للمصاب على شكل نوبة يصحبها الألم الشديد في جهة من الرأس على الأغلب ويسبقها إنذار يعرفه المريض المصاب ويختلف من مريض لآخر. فبعضهم يرى ومضات ضوئية تنذره بقرب النوبة الألمية التي غالبًا ما تكون معطلة للمريض عن عمله فلا يملك إلا الإخلاد للسكون والراحة والبقاء في غرفة معتمة، إذ يصبح الضوء العادي مصدر ألم للمريض أثناء نوبة الشقيقة في غالب الأحيان، وقد يسمع طنينًا أو ما يشبه صوت الجرس قبل النوبة وقد تترافق النوبة بألم حول العينين، كما قد تثير الدموع وفي بعضهم تثير الميل إلى القيء والتألم من الضوء ومحاولة البقاء في غرفة مظلمة وغالبًا ما يأتي الصداع على شكل نوبة قد تستمر قليلًا ولكنها شديدة جدًا إذ تصيب نصف الرأس والوجه وتوصف بأنها شبيهة بالتيار الكهربائي، وفي هذه الحالة يكون مصدر الألم العصب مثلث التوائم وهو ألم عصبي المنشأ، كما أنه قد يترافق بألم وعائي المنشأ، وفي هذه الحالة يدوم لمدة أطول.

يتم تشخيص الشقيقة بملاحظة الأعراض التي ترافقها كخدر الأطراف وتصلب الرقبة واضطراب التوازن وضعف القدرة على الإبصار، وليس للتشخيص الشعاعي والمخبري دور في الكشف عن الإصابة بالشقيقة.

ومن الملاحظ أن نسبة النساء اللواتي تصيبهن الشقيقة أكثر من الرجال، كما يلاحظ أن حوالي (٩٠٪) من الإصابات ناجمة عن التوتر العاطفي النفسي Stress، وحوالي (٨٪) ذات منشأ وعائي، والباقي منها ناجم عن أسباب مختلفة وقد تكون بسبب إصابات عضوية. ونظرًا لاختلاف أسباب الإصابة فإن طرق المعالجة تختلف، وقد تفيد فيها العملية الجراحية أحيانًا. كما أن الطب التقليدي قد طور أدوية علاجية مختلفة للتغلب على نوبة الصداع، وتشمل المسكنات أو مضادات الالتهاب الستيروئيدية أو أدوية أخرى قد طورت خصيصًا للشقيقة. وبما أن النوبة التي تصيب المريض ناتجة عن التروية الدموية الزائدة للدماغ بسبب توسع الشريان الصدغي وزيادة جريان الدم فيه فإن مهمة هذه الأدوية هي إنقاص التروية الدماغية مما يؤدي إلى توقف نوبة الصداع عند استعمالها. ويرى بعض المختصين بالجراحة العصبية أن معالجة الصداع النصفي (الشقيقة) تسير في طريق خاطئ بسبب الاعتقاد (نظرية علمية) بأن توسع الأوعية الدموية داخل الدماغ يشارك في آلية حدوث الصداع.

وقد جعل هذا المفهوم (أو النظرية كما أسلفنا) شركات الأدوية الكيميائية تصدر الجيل تلو الجيل من أدوية الشقيقة التي تعمل بآلية التقبض الوعائي للتخلص من نوبة الصداع، متغاضين عن خطورة هذا النوع من الأدوية التي قد تسبب للمريض احتشاءً في العضلة القلبية Infarction إضافة إلى خطورتها على المرأة الحامل.

اكتشاف علمي جديد

وثمة اكتشاف علمي أوجد تغييرًا جذريًا في معالجة الشقيقة وهو أن الأوعية الدموية الخارجية أي خارج الدماغ (أي الأوعية الدموية الجلدية) هي فقط المسؤولة عن جميع أنواع الصداع النصفي بينما تشارك الأوعية الدموية داخل الدماغ في إحداث الأعراض الثانوية المصاحبة للصداع مثل الإقياء والعلامات العصبية المختلفة المذكورة آنفًا.

وقد توصل أحد الأطباء إلى اكتشاف نقطة محددة على أحد الشرايين في فروة الرأس كافية لإزالة الصداع بشكل كامل مع الأعراض المرافقة له عند الضغط المباشر بالإصبع فوق هذا الشريان وإغلاقه تمامًا علمًا بأن ربط أو إغلاق هذه الأوعية الجلدية لا يسبب أي مشكلة للمريض، وبناءً على اكتشافه هذا فقد بدأ هذا الطبيب بإجراء عمليات جراحية تتم بالتخدير الموضعي ولا تسبب أية أعراض جانبية وذلك لربط هذا الشريان، علمًا بأن الشريان الفرعي الذي يربط (أو يغلق) هو شريان جلدي سطحي فقط ولا يذهب إلى أية جهة سوى فروة الرأس، مع العلم بأن التروية الدموية في فروة الرأس وافرة جدًا بحيث لا يتأثر الجلد ولا الشعر مطلقًا من جراء ربط هذا الشريان، وكان العمل الجراحي الذي يقوم به هذا الطبيب كافيًا لإنهاء المعاناة من آلام الشقيقة ونوباتها.

وقد قام هذا الطبيب الموفق بتقديم هذا الإجراء الجراحي على شكل بحث إلى المؤتمر السنوي للجراحين العصبيين في الولايات المتحدة الأميركية عام ٢٠٠١ في مدينة سان دييغو تحت رقم (١٧٣) وتم قبول البحث وإجازته وإعطاؤه براءة اختراع خاصة سجلت باسمه لأجل بحثه المبتكر هذا.

القوس المعدني بدلًا من الجراحة

وبما أن كثيرًا من الناس يتخوفون من فكرة إجراء عمل جراحي في رؤوسهم فقد قام هذا الجراح بصنع قوس معدني يوفر إمكانية الضغط فوق الشريان المتوسع، ويجب على المريض ارتداؤه عند أول شعوره

• أستاذ في جامعة أم القرى سابقًا

بإنذار حصول النوبة وبذلك يزول خوف المريض من قدوم نوبة الألم لسهولة التخلص منها.

وقد أدت هذه الطريقة الفذة إلى استغناء المريض عن تناول أي دواء مسكن أو دواء نوعي للشقيقة (وهي أدوية لها خطورتها كما أسلفنا) علمًا بأن هذا القوس لا يقتصر على إزالة صداع الشقيقة بل كل أنواع الصداع الوعائية المنشأ التي تتضمن:

الصداع العنقودي

صداع التوتر والإجهاد (مثل صداع الكمبيوتر وصداع السفر وصداع الشدة وغيرها ...).

صداع التشنج العضلي القفوي التالي لمرض الديسك الرقبي.

ولهذا القوس المعدني نوعان:

النوع الأول: للصداع الأمامي من الرأس إذ يؤمن الضغط فوق المنطقة الخالية من الشعر بين صيوان الأذن وحافة الشعر، حيث يمر الشريان الصدغي السطحي وهو شريان جلدي يتفرع إلى فرعين يذهب أحدهما إلى الأمام وهو الفرع الجبهي، والفرع الآخر يكمل طريقه للأعلى ويدعى الفرع الجداري.

ولكي يزول الألم تمامًا يجب إغلاق الشريان قبل تفرعه أي في المنطقة التي تقع أمام فتحة الأذن الخارجية.

أما النوع الثاني من القوس: فهو للصداع الخلفي من الرأس حيث يؤمن الضغط فوق المنطقة التي تقع خلف الأذن بحوالي (٧) سم في الخط الوهمي الذي يصل أعلى صيواني الأذنين من الخلف، حيث يمر من منطقة النتوء العظمي للعظم القفوي من كل جانب، علمًا بأنه يمر من هذه المنطقة الشريان القفوي وهو أيضًا شريان سطحي جلدي، ويؤمن الضغط فوقه وإغلاقه عند هذه النقطة زوالًا كاملًا للصداع في المنطقة الخلفية من الرأس، وقد صار استعمال هذا القوس شائعًا في أميركا الشمالية وفي أميركا الجنوبية أيضًا، بعد أن تبنت هذا النمط من العلاج بعض الهيئات الطبية المعنية بموضوع الشقيقة.

محاذير القوس المعدني

ومن المحاذير التي يجب مراعاتها عدم ارتداء القوس بشكل دائم وأثناء النوم، كما لا يسمح بارتدائه للأطفال دون الثامنة من العمر.

كما يجب ألا يكون الضغط الذي يطبقه القوس شديدًا مؤلمًا ولا ضعيفًا لا يؤمن الإغلاق التام للشريان المحدد.

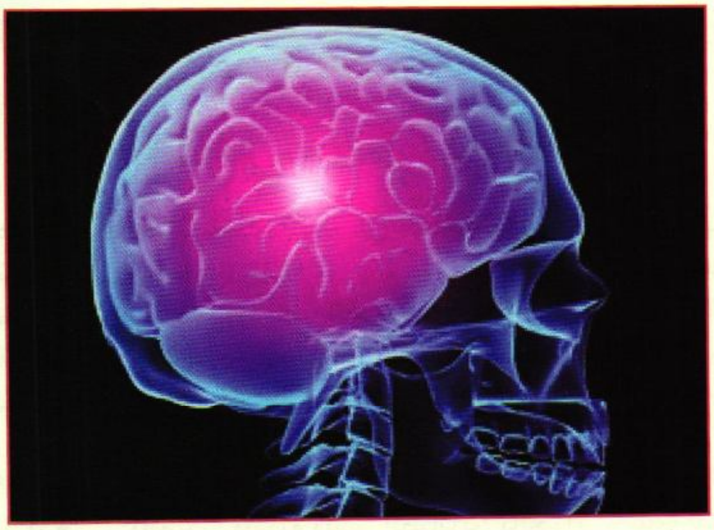
الخاتمة

وفي خاتمة المطاف يبقى الاهتمام العلمي منصرفًا إلى البحث عن إمكانية الشفاء التام من هذا المرض المؤلم والمعقد سواء أكانت المعالجة جراحية أو فيزيائية أو دوائية ولا يزال البحث العلمي دائبًا بهدف التوصل إلى هذه الغاية المرجوّة، علمًا بأن رسول الله ﷺ قد بشرنا من قبل بأنه ليس ثمة داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله. وعلى الإنسان أن يبحث ويسعى للتوصل لدواء الداء وعندئذٍ يبرأ بإذن الله.

خبرة كاتب المقال

أعلمني ابني الذي يعمل في شركة للعمارة في جدة في ميدان البرمجة الهندسية أن مديره في الشركة مصاب بالشقيقة وأنه يبقى في كل نوبة ألم ٣-٤ أيام في المنزل ولا يستطيع أن يواجه الضوء. وقد ذهب إلى ألمانيا وبريطانيا للعلاج فلم ينل الشفاء الذي كان يرجوه. ومن وصف الأعراض علمت أن الشقيقة لديه من منشأ وعائي وليس من منشأ عصبي أو غير ذلك. ورأيت بناءً على ذلك أنه يمكن أن يستفيد من الحجامة إذا طبقت له بأصولها الصحيحة. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول بما معناه: «خير ما تداويتم به الحجامة».

ولما نقل ابني هذه المعلومة لمديره قال: أنىّ لي أن أجد أحدًا يطبق عليّ الحجامة بشكل صحي وعلمي؟ فالحجامة في هذه المنطقة يقوم بها البدو بطريقة بدائية وغير صحية.



وعندئذ أعلمه ابني أنّي أتقن إجراء الحجامة بشكل صحي وعلمي. ولما أخبرني برغبة مديره بأن أجري له الحجامة ذهبت من مكة إلى جدة حيث أجريت له الحجامة على منطقة الكاهل، وفي ذلك اليوم كانت قد بدأت معه نوبة ألم شقيقة شديدة حبسته في البيت في غرفة معتمة.

ولما كانت المحاجم تمتص الدم لأول مرة في ظهره انقشعت النوبة عنه وشعر براحة عجيبة فلم يملك نفسه من البكاء فرحًا، فقلت له: صلِّ على هذا الرسول الكريم الذي حثنا على القيام بهذا الإجراء الصحي، على الأقل مرة واحدة في السنة، كإجراء وقائي من أمراض كثيرة وليست الشقيقة إلا واحدًا من هذه الأمراض.

ولقد انضم المدير فيما بعد إلى مجموعة من الموظفين في شركته الذين اعتادوا على إجراء الحجامة مرة في كل عام ولم تعاوده آلام الشقيقة ولا نوباتها بعد ذلك أبدًا.

وقد أحببت نقل هذه الخبرة العملية تكملة لموضوع الشقيقة، وهي تنتمي إلى مجموعة إجراءات الطب النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، ولا أزال بعدها أوصي بالحجامة لعلاج الشقيقة وكثيرًا ما كانت الحجامة وحدها كافية للحصول على الشفاء التام (وليس في معالجة الأعراض فقط دون الشفاء كما تفعل الأدوية الكيمياوية الضارة).

هذا وقد أصبحت الحجامة تطبق في أقسام خاصة لبعض المستشفيات في أميركا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا، كما تستخدم لعلاج بعض الأمراض في الصين واليابان أيضًا.

إعداد: خالد خلاوي

الصبر.. سر النجاح

سـأل شـاب رجـل أعـمـال عـن سر نجاحه، فقال له: الصبر هو سرّ نجاحي، إنّ أيَّ شيء في الدنيا يمكن عمله، إذا تـدرع الإنسـان بالصبر، فـقال الشـاب: ولكن هناك أمور لا يمكن عملها، مهما كان الإنسان صبورا!

فقال رجل الأعمال: وما هي؟

قـال الـشـاب: مـثـلاً: نـقـلُ المـاء في المنخل!

فـردَّ عليه رجل الأعمال في الحال: حتى هذا يمكن عملُه بالصبر، إذا انتظر الإنسانُ الماء حتى يجمدَ ويكون ثلجا.

ومـن هـذا الموقف نتعلم أن الصبر سفينة النجاح التي يجب أن يقودها ربان مـاهـر حتى تـرسـو على شـاطئ التميز، والصبر على طريق النجاح يختلف بلا شك عن الصبر على البلاء، وإن كان كلاهما يحتاج إلـى إتـقـان، فإتقان الصبر على البلاء أن يكون بلا جزع ولا شكوى، وهو ما سماه القرآن الكريم الصبر الجميل، أما الصبر على طريق النجاح فإتقانه يعني أن يواكب الصبر العمل الحثيث والإصرار على تحقيق الأهداف المنشودة مهما كانت العقبات والتحديات، وهذا ما عناه ديل كارنيجي بقوله: «الإنسان الذي يمكنه إتقان الصبر يمكنه إتقان أي شيء آخر»، ويقول بنيامين فرانكلين: «ما العبقرية إلا مقدرة طبيعية على الصبر».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إني رأيت وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثـر
وقلّ من جد في أمر يؤمله
واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقـوة الصبر مـن قـوة الإيمـان وثقة العبد بربه وتوكله عليه، فالصبر مفتاح لكل خير، وهو خير ما يهبه الله لعبده، قـال رسـول الـلـه ﷺ: «مـا أعـطـي أحـد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر» (الجامع الصحيح: ١٤٦٩).

وقد ورد ذكر الصبر أكثر من تسعين مـرة فـي الـقـرآن الـكـريم، وذكـرت كلمة الصبر بلفظها ١٠٢ مرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، وأمر الله نبيه ﷺ بالصبر، وبشره وبشر الصابرين بالجزاء الحسن، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود: ٤٩).

وكان سر تفوق وتميز قادة وعظماء الإسلام الصبر وتحمل المشاق حتى بلوغ الغاية، وكان لعلماء المسلمين صبر عجيب على طلب العلم وتعليمه، ولذلك نجحوا في إنجاز أعمال عظيمة، فهذا الإمام البخاري ظل ستة عشر عامًا يجوب البلدان ليجمع الأحاديث النبوية الصحيحة في كتابه المعروف «صحيح البخاري».

ويـروي الـنـووي فـي كـتـابـه بـسـتـان الـعـارفـين عـن أحـد الـعـلـمـاء: «ولـم أر ولـم أسمع أحـدًا أكثر اجتهادا منه في الاشتغال، كان دائم الاشتغال في الليل والنهار»، وقال: «جاورته، بيتي فوق بيته اثني عشر عاما، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي في ساعة من ساعات الليل إلا وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشتغل بالعلم، وحتى كان في حال الأكل الكتب عنده يشتغل فيها».

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: «وإني أخبر عن حـالي، مـا أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أره فكأني وقعت على كنز، فلو قلت إني قد طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد فـي طـلـب الـكـتـب، فـاسـتـفـدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعـاداتـهـم وغـرائـب عـلـوم لا يعرفها من لم يطالع».

ويقول الإمـام ابن قيم الجوزية عن طلب العلم حتى في حال المرض: «وأعرف من أصابه مرض من صداع وحمى وكان الكتاب عند رأسـه، فـإذا وجـد إفـاقـة قرأ فيه، فإذا غُلِب وضعه، فدخل عليه الطبيب يوما وهو كذلك فقال: إن هذا لا يحل لك فإنك تعين على نفسك وتكون سببا لفوات مطلوبه».

والمطالع لسير العظماء من الشرق والـغـرب يجد الـصـبـر رفـيـق نجاحهم، ودليل تميزهم، فهذا توماس إديسون قبل أن ينجح في اختراع المصباح الكهربائي فشل ٩٩٩٩ مرة، وعندما حاول من حوله أن يثبطوا من همته ولقبوه بأنه فاشل كبير كان دائما يقول: «أنا لم أفشل في شـيء، وإنمـا اكتشفت ٩٩٩٩ طريقة لا تصلح لعمل المصباح الكهربائي».

ويقول إسحق نيوتن: «إذا كنت بالفعل قد توصلت إلى اكتشافات ذات قيمة، فإن مرجع ذلك الملاحظة الصبورة أكثر من أي موهبة أخرى».

ويقول ألبرت اينشتاين: «إنني أفكر وأفـكـر لأشـهـر وسـنـوات، وأصـل إلـى استنتاجات خاطئة في ٩٩ مرة، ولكنني أصل إلـى الـصـواب في المرة المائة، فلا علاقة للأمر بالذكاء، بل بالقدرة على المثابرة مع ما أواجهه من إشكاليات».

ويقول الجيولوجي هيوميلر عن سر نجاحه: «إنني أنسب نجاحي- في البحث والتنقيب- إلـى الصبر، الأمـر الـذي لا يستطيع أحد أن يجاريني أو يفوقني فيه، ولاشك عندي أن الصبر إذا استعمل حق الاستعمال نتجت عنه نتائج خارقة للعادة، لا يقدر على بلوغها إلا من كانت له موهبة خاصة».

والآن إليك هذه الوصفة لبلوغ الصبر، والـتـي كتبها خبير البرمجة اللغوية

العصبية د.إبراهيم الفقي في كتابه المفاتيح العشرة للنجاح:

دون أحد التحديات التي واجهتك.

دون خمس طرق يمكنك استخدامها للتغلب على هذا التحدي.

ابحث عن شخص ينال احترامك وتثق في خبرته وتعتقد أنه يمكن أن يساعدك في حل لمواجهة هذا التحدي.

قم بتقييم جميع الحلول الممكنة.

تصرف فورًا بالتزام وحماس قوي واصبر فمن الممكن أن تكون على بعد خطوتين من النجاح.

صور من حياة المتميزين

صبر الإمام أحمد بن حنبل

لقد ظهر اهتمام الإمام أحمد بن حنبل وحرصه على طلب العلم منذ الصغر، فقد حرص على حضور مجالس العلم، وصنع تميزه بالصبر على طلب العلم، وتحمل المشاق ومواجهة العقبات لتحقيق هدفه، ولم يترك فرصة تمر دون استفادة، شاغلاً وقته في طلب الحديث، ولقد تنقل الإمام أحمد كثيرًا في طلب العلم، فرحل إلى اليمن، ورحل إلى مكة وإلى البصرة وإلى الكوفة وبغداد والري، وروي أنه عمل حمالاً من بغداد إلى مكة حتى يأخذ حديثًا.

وضرب الإمام أحمد أروع الأمثلة في الصبر والثبات في محنته التي عرفت بفتنة خلق القرآن، وقد نجح في الدفاع عن كتاب الله تعالى، وجعله الله سببًا في حفظ كتابه الكريم من عبث العابثين، فقد عاش الإمام أحمد في عصر المأمون وكانت صولة المعتزلة وجولتهم في أعلى ذروتها في هذا العصر، وقالوا بخلق القرآن، أي إن القرآن حادث مخلوق، وليس كلام الله الأزلي القديم، وتبنى المأمون هذا القول، وفي سنة ٢١٨ هجرية أرسل كتابا إلى نائبه في بغداد، وهو إسحق ابن إبراهيم، يأمره بجمع كل العلماء من أهل السنة وتهديدهم بقطع أرزاقهم ومنع الجراية عنهم إن هم رفضوا هذا القول، وكان الإمام أحمد من بين الثلة التي رفضت ولم تتراجع، فقيدوا جميعا بالأغلال وذهب بهم إلى طرطوس وفي الطريق تراجع البعض خوفا ومات البعض الآخر، ولم يبق إلا الإمام أحمد الذي جاءه خادم المأمون وقال له: إن المأمون أقسم على قتلك إن لم تجبه، ولكن الإمام أحمد رفض التراجع عن الحق، وتوفي المأمون قبل أن يصل الإمام أحمد إلى طرطوس فأعيد إلى بغداد وأودع السجن، وظل في السجن في عهد الخليفة المعتصم ثم الخليفة الواثق، وكان يضرب ويعذب فصبر على ما أوذي حماية لكتاب الله تعالى، وحتى لا يضل الآلاف من تلامذته ومحبيه الذين سيقولون بقوله إن وافق على قول المعتزلة، وظل في سجنه حتى جاء عهد المتوكل وكان محبا لأهل السنة فأطلق سراح الإمام أحمد وأكرمه.

كلمات في التميز

لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر.

الحارث المحاسبي

الصبر صبران.. أحسنهما أن تصبر على ما ترجو فيه الغنم في العاقبة.

الجاحظ

الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء.

ابن سينا

بالتقوى تبلغ ما تريد وبالصبر يلين لك الحديد.

حكيم

أصبر الناس من كان رأيه رادًا لهواه.

معاوية بن أبي سفيان

الصبر والتحمل أول شيء يجب على الطفل تعلمه، وهذا هو أكثر شيء سيحتاج لمعرفته.

جان جاك روسو

صبر الحازم تجلد، وصبر العاجز تبلد.

أحمد شوقي

يسلم الإنسان من العيوب إذا كان الصبر قائده والعقل أميره والشكر رائده.

حكيم

كيف ترضى لنفسك أن تكون رقما في الهامش؟

كل فرد قد خلق لمهمة خاصة غير المهمة العامة والتي هي العبادة المطلقة لخالق هذا الكون- رب العالمين- والمهمة الخاصة هي لرجل الدعوة وجندي الفكرة، أي المهمة الدعوية، وتتفاوت درجات الاهتمام بتلك المهمة من فرد لآخر تبعًا لعوامل عديدة منها الإحساس بالمسؤولية وأثر المردود التربوي للوسائل التربوية والمعايشة والرغبة في الثواب وعوامل أخرى كالرغبة في الإنجاز.

والجماعة ما هي إلا مجموعة من الأفراد لديهم هذا التفاوت في التعامل مع المهام المنوطة بهم، وعلى الرغم من هذا الاختلاف الذي يبدو واضحًا إلا فإنك تجد تلك اللحمة الشديدة في العلاقات الإنسانية الرحيمة التي تبدو بين أفراد الصف وتلحظها علي قسمات الوجه والسمت الجميل الذي يبدو على المحيا من خلال البسمة- تبسمك في وجه أخيك صدقة- وهذه الروح تخفف وتسدد وتقارب وتضحي وتسد الثغرة حتى لو كان ذلك رفع حجر من الطريق وتبذل كل ذلك ابتغاء مرضاة الله والتفاوت بين الأفراد إنما هو سنة واقعية، لذا يجب حسن التعامل مع هذه الطبيعة المتفاوتة بين الأفراد حتى لا تنفرط حبات العقد بمشكلة هنا وأخرى هناك ثم نقضي الليالي الطوال في إزالة رواسب النفس وهذا السلوك يؤخر عن الهدف الكبير العظيم.

وواجب علينا أن نتعامل مع كل فرد من خلال مدخله النفسي حتى يسهل علينا أن نملك مفاتيح القلب، ولا يجب النظر إلى الجميع على أنهم فرد واحد، فهذا خطأ جسيم لأننا نوحد ونجمد ونختزل تلك المسافات الشعورية لآلاف الأفراد في قرار أو تكليف أو مهمة.

إن التعامل مع الكل ككتلة واحدة فقط يكون في التعامل مع الثوابت الشرعية التي لا يحق لفرد مهما كانت ظروفه أن يتنازل أو يكسل أو يفرط فيها كالصلاة مثلا فيجب على المسلم أن يصلي مهما كانت ظروفه المرضية، لذا شرعت صلاة السفر وصلاة الخوف والحرب والجمع بين صلاتين لعذر كالمطر.

أما فيما يخص التكاليف الدعوية التي يجري عليها التطور والتغيير بتغير المكان والزمان والظروف فيجوز فيها أن ينزل التكليف على حسب ظروف ومعطيات الفرد حتى لا نشق عليه ونحرجه، ومن الحكمة أن يكون التكليف البشري الدعوي مراعيًا ظروف الفرد قدر المستطاع.

ومن هذا المنطلق كان لزامًا على الأفراد أن تكون لديهم همة وعزيمة تساعد على إنجاز المهام العامة والخاصة.

والفرد صاحب الهمة سريع الوصول والحصول على المطلوب ما لم تعقه العوائق وتقطعه العلائق، وهذا الفرد صاحب الفكرة الناضجة في النفس رقم فاعل ومؤثر وله كيانه الخاص، وله رأيه الذي يحترمه الآخرون. وله نشاطه وحركته التي تجعله في المقدمات يوجه وينصح ويشير ويبعث الروح في المجموع وهذا الرقم يحسب له الآخرون حسابًا هاما من التقدير والاحترام لإخلاصه وصوابه وشجاعته وإقدامه وتفانيه وكل صفة من هذه الصفات لها علامات يدركها ويلمسها الجميع ممن يحسنون فهم الآخر، والرقم الفاعل هو من يؤثر في الأرقام من حوله القسمة والضرب والجمع وحتى الطرح.

والرقم الحسابي له دلالات مجردة، أما الفرد في الدعوة فهو رقم فيه الحياة ويتحرك في كل اتجاه.

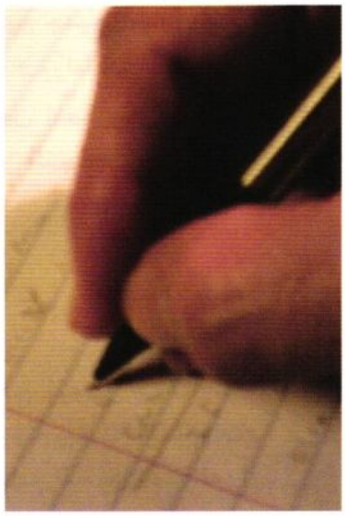
والهوامش هي بمنزلة اختزال لمجموعة من الأرقام رضيت لنفسها أن تكون بعيدة عن دائرة الضوء وليس زهدًا في الشهر، والزعامة ولكن زهدًا في العمل وارتاحت لذلك وقنعت بالقليل وضربت بالطموح عرض الحائط واعتمدت على رصيد الماضي ونسيت أن لكل أوان أعماله ونسيت الختام النهائي وأن الواحد سيبعث على ما مات عليه، فهل نرضى لأنفسنا أن نموت ونحن في الهامش لا يعلم عنا أحد شيئًا.

والتغيير كلمة نرددها لأنها صارت في الواقع حقيقة ومن أصول ثقافة الحاضر، لكن آليات التغيير مازالت غامضة عند الكثيرين من سكان الهوامش.. تلك الأرقام التي رضيت لنفسها الكسل والقعود أزمنة متوالية.

والواقع الذي نحياه سريعة ومتلاحقة أحداثه فلم يعدلدينا وقت نضيعه أو جهد ندخره أو مال نبخل به فقاموس ثقافتنا فيه: وسارعوا - وسابقوا- وأنفقوا...

فنريد أن نخرج تلك الأرقام الهامشية من مكمنها حتى تصير من أصحاب المهام الصعبة حتى تقترب ساعة الحسم وننال شرف شهود مرحلة التتويج.

محمد أبوعيد



خطأ وتصحيح

يرجى الانتباه إلى أنه قد وقع خطأ مطبعي وهو نسيان لفظ الجلالة بالآية (٧١) من سورة التوبة بمقال الرقابة في الإسلام رباعية الأبعاد ص ٦٠ في استشهاد الكاتب الموقر بالآية الكريمة ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٧١) في العدد ٥٣٥ ربيع الأول ١٤٣١هـ - مارس ٢٠١٠م.

أحمد عبدالرحيم العايدي

المحرر: شكرًا على ملاحظتكم ونأمل من الإخوة القراء أن يكونوا دائمًا عونًا وسندًا لنا .. وصدورنا مفتوحة لكل الملاحظات والآراء والمقترحات.

الوشم

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة (رواه البخاري ومسلم).

١- الوشم هو أن يغرز الجلد بإبرة أو نحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى كحلًا أو غيره حتى يخضر أو يسود.

٢- النمص هو إزالة شعر الوجه بالمنقاش وقيل يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما.

٣- الفلج هو انفراج ما بين الثنيتين والتفلج أن يفرج بين المتلاصقتين بالمبرد أو نحوه وهو مختص عادة بالثنايا والرباعيات.

٤- الواصلة هي التي تصل الشعر بشعر آخر سواء كان لنفسها أو لغيرها.

٥- المستوصلة هي التي تطلب فعل ذلك ويفعل بها.

محمد خالد عبدالله

الخط العربي

الخط العربي لسان لغتنا العربية الجميلة، ويدها التي تبدع، ومرآتها التي تعكس ماضيها على صفحة حاضرها جيلًا بعد جيل، ولم يكن يوما ما مجرد زخرفات شكلية أو لوحات فنية فحسب، بل بات الوعاء الثري لهذه اللغة ووسيلة ابلاغها ويحمل معانيها الزاخرة من الفكر والمعرفة، ويعكس بجلاء جوانب الشخصية السوية ويعبر عن الوجدان الأصيل، ومن هنا تأتي شدة ارتباطه الوثيق بلغته الأم (اللغة العربية).

ولما كانت الكتابة إرثا حضاريًا ومعجزة بيانية بها كتب القرآن الكريم أصبح لزامًا على هذه الأمة شأنها شأن كل الأمم أن تضع هذا الفن في مصاف الفنون الراقية.

والخط العربي علم وفن له قواعد وأصول وهو من أصعب الخطوط في رسمه لأنه لا يلزم صورة واحدة مثل حروف كثيرة من اللغات الأخرى، ومن ثم فإن الخط العربي بمعناه الفني يحتاج إلى دربة كبيرة أو مهارة أصلية، فهو كالشعر لا يمارسه إلا من وهب الملكة، وهو ثوب قشيب يزين أوجه المكتوب من اللغة كما يزين جمال اللغة وسلامة الوجه المنطوق فيها.

زين محمود عبدالوهاب

لماذا تكذب؟

لكي يكذب الإنسان يحتاج لقدرات ذهنية.. تفكير جيد وذاكرة قوية ومنطق متطور وخيال واسع وتبريرات جاهزة، وقدرات نفسية وانفعالية ليتحكم بمشاعره وتعابير وجهه وتصرفاته ويكيفها حسب الوضع الذي يخلقه عندما يكذب، وهذه القدرات اللازمة للكذب يجب ان يرافقها استعداد الشخص أخلاقيًا وتربويًا للكذب.

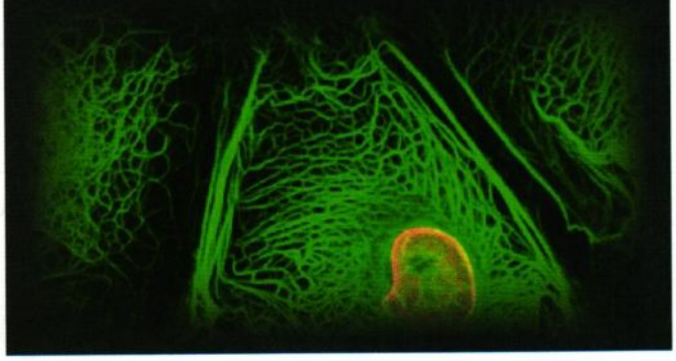
وبشكل عام فالضعيف والشخص الذي قدراته محدودة يكون لديه دوافع أكثر للكذب، بعكس القوي الذي يملك الكثير من القدرات تكون دوافعه للكذب أقل، وهذا ليس صحيح دومًا، والكذب صفة لدى غالبية الأطفال، وإن كان طبيعيا في صغار السن نتيجة الغموض القائم في أذهانهم وعدم التمييز بين الحقيقة والخيال، وفي كيفية تطور الكذب عند الطفل يقول الخبراء: في عمر ثلاث أو أربع سنوات يكتشف الولد أن هناك خيارًا جديدًا في الحياة، وهو أنه يستطيع ألا يقول كل شيء! بعدها يكتشف أنه بإمكانه أن يقول أشياء غير موجودة (مثل اختراع القصة) فإن الانتقال من الاكتشاف الأول إلى الاكتشاف الثاني مرتبط بشكل وثيق جدا بتطور النطق، فالكذب عند الطفل هو تأكيد له أن عالم الخيال الداخلي يبقى له هو وملكه الشخصي، من هنا تأتي رغبته ألا يقول كل شيء وأن يخفي بعض الأشياء عن الآخرين، وبما أن الطفل في هذه المرحلة، لا يملك القدرة الذهنية لتمييز العالم الحقيقي من العالم الخيالي، آخذين بعين الاعتبار النمط السريع لتطور النطق المرافق لهذه المرحلة، نفهم لماذا يستمتع الطفل باختراع وتأليف القصص أمام الآخرين، لكن في عمر ست وسبع سنوات، يبدأ الولد بالتمييز بوضوح بين الصحيح والخطأ في محيطه، وهذا أمر طبيعي في مجرى التطور الأخلاقي عند الإنسان، ففي مثل هذا العمر تترسخ الأخلاق والقيم الاجتماعية الصالحة بشكل وطيد، وهكذا يتعلم الطفل من ناحية أن قول الحقيقة شيء مرغوب فيه اجتماعيًا، ومن ناحية أخرى يتعلم أن الكذب قد يساعده في الدفاع عن نفسه في ظروف معينة، والطفل يتعلم الصدق من المحيطين به إذا كانوا يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم، والطفل الذي يعيش في بيت يكثر فيه الكذب لاشك أنه يتعلمه بسهولة، خصوصًا إذا كان يتمتع بالقدرة الكلامية واللباقة وخصوبة الخيال، لأن الطفل يقلد من حوله، والكذب سلوك مكتسب، وليس سلوكًا موروثًا، وهو عند الأطفال أنواع مختلفة تختلف باختلاف الأسباب الدافعة إليه.

عادل سعد عبيد

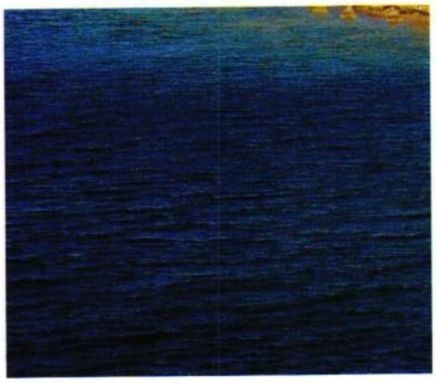
إعداد: هالة محمد

الجينات وأنماط الحياة

قال العلماء المسؤولون عن واحد من أكبر المشاريع الصحية في التاريخ إنهم على وشك الوصول إلى هدفهم الرامي لحشد نصف مليون شخص متبرع للمشاركة بدراسة حول الجينات وأنماط الحياة والصحة، وقد أعرب البنك البيولوجي البريطاني (يوكي بيوبانك) عن أمله أن تساعد التجربة في ايجاد سبيل ناجع لمنع الأمراض الخطيرة مثل السرطان والتهاب المفاصل وذلك من خلال معرفة سبب إصابة بعض الأشخاص بهذه الأمراض بينما لا يصاب بها آخرون.



الماء على سطح الأرض.. من أين؟



وجد العلماء أدلة جديدة تشير إلى أن الماء وصل إلى الأرض عن طريق سقوط كويكب فوقها خلال السنوات المبكرة من عمر مجموعة النظام الشمسي، وجاء هذا الدليل بعد اكتشاف فريقين علميين كانا يعملان بشكل مستقل عن بعضهما الكويكب «المبلل» مما يفتح الباب واسعًا لأول دليل اختباري عن لغز قديم ظل يحيط بأصل الماء على سطح الأرض، ويرى العلماء أن الأرض تشكلت أولا عاقرا وخلال فترة تعرضت لقصف مكثف بالشهب والكويكبات، حيث وقع قبل فترة زمنية تتراوح ما بين ٤,١ مليارات و ٣٨ مليار سنة وإن من الممكن أن تكون هذه الأجسام قد جذبت معها المياه، وظل هناك اعتقاد سائد أن هذه الكويكبات التي سقطت على الأرض آنذاك قد جفت الآن.

المنشطات سم قاتل



أكدت دراسة علمية أن نسبة ٧٠ في المائة من حبوب تضخيم العضلات أو تنشيف الدهون من الجسم وتخسيسه يتم تسريبها وتداولها في السوق السوداء عبر عملاء ومهربين.

وتشير الدراسة - التي أجراها المدرب اللبناني والبطل العالمي في التايكوندو أمين ديب بالتعاون مع الدكتورة جانيت ناصيف - إلى أن نسبة ٢٣ في المائة من هذه العقاقير يتم تناقلها وبيعها عبر أندية رياضية، ونسبة ٧ في المائة منها يتم بيعها سرا في صيدليات غير قانونية.

وأكدت الدراسة أن هذه الأدوية تتسبب بالموت المفاجئ لمئات الشباب نتيجة جلطات قلبية ودماغية، فضلًا عن تسببها بأمراض سرطانية، وفي الكبد والكلى، واعتبرت أن خطر الهورمونات والمنشطات على الصحة يوازي خطر المخدرات.

جديد الثورة التقنية

يستطيع عقل القطة التعرف على الوجوه بشكل أسرع وأكثر كفاءة من الحاسوب العملاق، لذلك تم اتخاذ هذا العقل كنموذج لمشروع الكمبيوتر البيولوجي الذي تعمل عليه حاليا جامعة ميتشغان.

فقد قام مهندس الكمبيوتر، وي لو، بالخطوة الأولى نحو تطوير هذا النوع من الحواسب، الذي يعد ثورة في عالم التقنية، إذ يمكنه التعلم والتعرف على الاشياء والأشخاص، كما أنه قادر على اتخاذ قرارات معقدة وأداء مهام أكثر بكثير من المهام التي تؤديها الحواسب العادية.

واستطاع وي لو أن ينشئ وحدة بيولوجية لتحل محل الترانزيستور العادية، أطلق عليها اسم (MEMRISTOR) وهذه الوحدة لديها القدرة على تذكر الفولتات الكهربية التي تعرضت لها، ثم قام بإثبات أن تلك الوحدة من الممكن ربطها بالدوائر التقليدية لتدعيم العمليات التي هي أساس الذاكرة والتعلم في النظم البيولوجية.



عصفور الزيبرا مثل فريد لعلم الخلايا العصبية



للمرة الأولى تمكن علماء من فك الشيفرة الجينية لطائر مغرد وتعرفوا على أكثر من ٨٠٠ جين لها صلة بتعلم الغناء وذلك في اكتشاف ربما يلقي الضوء على الاضطراب في النطق والتحدث لدى الإنسان.

وتتعلم عصافير الزيبرا الصغيرة الغناء عمليا بالطريقة نفسها التي يتعلم بها الأطفال من بني البشر التحدث، عن طريق تقليد اقرانهم الأكبر سنا، وهو ما يعني أن الطائر الصغير هو مثال جيد لفهم كيفية تعلم البشر.

وعصفور الزيبرا الاسترالي الذي يزن أقل من نصف أوقية (١٤ غرامًا) هو ثاني طائر فقط يتم وضع الخريطة الجينية له بعد الدجاجة في ٢٠٠٤.

وصغار العصافير- مثل أطفال بني البشر- تبدأ بإصدار أصوات غير مفهومة قبل أن يتعلم صغار الذكور تقليد غناء آبائهم، وفي النهاية ينقلونه إلى الجيل التالي، ولأنها تتعلم بمثل هذه الطريقة التي يمكن توقعها والكثير من جيناتها توجد أيضا في البشر، فإن العصافير يمكن أن تقدم نافذة على أسباب اضطرابات التحدث مثل مرض التوحد (أوتيزم) والجلطات والتهتهة ومرض باركنسونز (الشلل الرعاش).

وقال فريق من العلماء الدوليين يقوده ويس وارين من مركز خرائط الجينوم بجامعة واشنطن في دورية «نيتشر» إن هذا يجعل من جينوم عصفور الزيبرا «مثيلا فريدًا لعلم الخلايا العصبية البشرية».

جين الوزن مسؤول عن انكماش الدماغ

وجدت دراسة جديدة أن أكثر من ثلث الأميركيين معرضون للإصابة بأمراض مثل الزهايمر بسبب جين يزيد خطر البدانة وله علاقة بانكماش الدماغ، وقال الباحثون في جامعة كاليفورنيا إن جين «إف، تي، أو» يزيد خطر زيادة الوزن وفي الوقت نفسه له علاقة بانكماش الدماغ.

قنوات فضائية بكابلات الطاقة المنزلية

طورت شركة «ويفولو» الألمانية المتخصصة في إنتاج شبكات الطاقة والأجهزة الكهربائية نظامًا جديدًا لبث المحطات التلفزيونية من خلال كابلات الطاقة فحسب، ويستقبل النظام الجديد (لان. تي. في. سات) ١٣٠٠ «انش دي» إشارات المحطات التلفزيونية التي تبثها الأقمار الصناعية ذات الصورة العالية وتستخدم شبكة تغذية المنزل بالطاقة في عملية توزيع الإشارة من طبق استقبال اشارات القمر الصناعي لجهاز الاستقبال، ما يعني أن المستخدم يمكنه الاستغناء عن كابلات التوصيل الخاصة بنقل الإشارة.

من هنا وهناك

● ارتفع عدد التشيك الذين اشتروا أراضي على سطح القمر إلى عشرين ألف شخص فيما وصل العدد في سلوفاكيا المجاورة الى خمسة آلاف، الأمر الذي يجعل أرباح ما يسمى بالسفارة القمرية الخاصة بالبلدية والتي تتخذ من براغ مقرًا لها تتنامى.

● أصبحت الاماراتية إلهام القاسمي أول سيدة تقف على رأس العالم بكل ما في الكلمة من معنى بعد أن أصبحت أول عربية تصل الى القطب الشمالي.

● كشفت دراسات حديثة أن الزلزال العنيف الذي ضرب تشيلي في أميركا الجنوبية في فبراير الماضي بقوة ٨,٨ درجات على مقياس ريختر قد أبطأ هامشيا من سرعة دوران الأرض وزاد طول اليوم بما يعادل ١,٣ ميكرو ثانية، وجاءت النتيجة خلاصة لقياسات قام بها خبراء من معهد فيينا الجيوفيزيائي لقياس الأرض لمنطقة (كونسبسيون) ثالث أكبر مدن تشيلي والمدن المحيطة بها قبل وبعد الهزة المدمرة الأعنف منذ عقود.

● قال علماء آثار إنهم عثروا اخيرًا على بقايا سفينة النبي نوح عليه السلام على ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم فوق أحد الجبال التركية (جبل أرارات) وفقًا لما أوردته كبريات الصحف العالمية، وتجدر الاشارة الى انه تم ذكر سفينة نوح في الكتب المقدسة (التوراة والانجيل والقرآن) لكن العلماء لم يعثروا على شيء حتى تاريخ إعلان العثور على تلك البقايا أخيرًا على جبل أرارات التركي.

● في إطار الاحتفال باليوم الاربعين للأرض نظم رجل الأعمال الأميركي دافيد روكفلر وزوجته مزادًا خصص دخله لانقاذ الكرة الأرضية من الملوثات البيئية التي لحقت بها.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

تصوير الصحابة والجنة

فتوى رقم (٥٢١٨)

ورد إلينا كتاب يحوي صورة ترمز إلى الجنة بصورة محسوسة من صور الدنيا، وأخرى للصحابة، لذا نرجو إفادتنا عن الفتوى الشرعية لمثل هذه الصور.

أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع من نشر هذه الصور للصحابة- رضي الله عنهم- ما دامت ليست للخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين، وليس فيها ما يدل على امتهان أحد من الصحابة الكرام أو غيرهم، ولأن فيها مصلحة مشروعة للأطفال.

أما صور الجنة فنحن لا نرى جواز نشرها؛ لأنها صورة لا توحي بعظم الجنة التي عرْضها السموات والأرض، ولأنه لا يمكن إعطاء صورة مقاربة عن الجنة مهما بذل في ذلك من جهد؛ لأنها من الغيبيات، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

سكتة الإمام

فتوى رقم (٥٢٢٦)

هل يجوز للإمام أن يسكت بعد قراءة الفاتحة ليقرأ مَن خلفه الفاتحة؟ وهل فعل رسول ﷺ ذلك؟

ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يستحسن للإمام أن يسكت بعد قراءة الفاتحة والتأمين قدر قراءة المأموم الفاتحة، وذلك في الصلاة الجهرية، ليتمكن المأموم من قراءة الفاتحة مع الإنصات لقراءة الإمام.

وذهب الحنيفة والمالكية إلى أنه لا يستحب له ذلك.

وأما بخصوص فعل رسول ﷺ فقد روى ابن ماجة أن سمرة رضي الله عنه حدث: «أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فأنكر عليه عمران، فكتبنا في ذلك إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فكان في كتابه إليهم: أن سمرة فقد حفظ».

قال أبوسلمة بن عبدالرحمن: للإمام سكتتان، فاغتنموا فيهما القراءة بفاتحة الكتاب: إذا دخل في الصلاة، وإذا قال ولا الضالين. والله أعلم.

صرف الزكاة في إعلانات توعوية

فتوى رقم (٢٠٢٩)

السؤال الأول: هل يجوز الصرف من أموال الصدقات والزكاة العامة، والتي لم يحدد أصحابها جهة صرفها، على الإعلان التوعوي (إعلان التوعية الصحية والإسلامية المتعلقة بأهداف الصندوق)؟

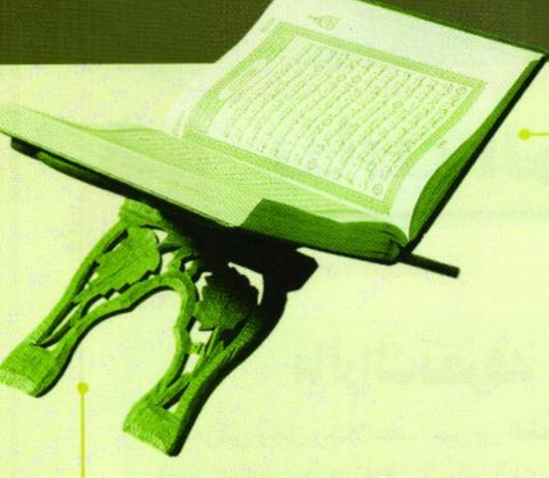
السؤال الثاني: هل يجوز الصرف من أموال الصدقات والزكاة العامة، والتي لم يحدد أصحابها جهة صرفها، على الإعلان الدعائي (إعلان الدعاية عن أنشطة الصندوق)؟

صرف أموال الزكاة محدد بنص القرآن الكريم في ثمانية مصارف، بينتها الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠)، وليس الإعلان والتوعية المستفتى عنهما في الفقرتين الأولى والثانية من استفتائكم واحدًا منها، أما الصدقات العامة المطلقة غير المحددة المصرف فيجوز صرفها على الإعلان التوعوي والدعائي على قدر الحاجة الماسة، بما لا يضر بمصالح المستحقين الآخرين لهذه الصدقات.

تغطية القبور بالإسمنت وذكر معلومات عن المتوفى

فتوى رقم(٥٣٠٢)

ما حكم تغطية القبر بالإسمنت «الصبة»؟ وما حكم كتابة الاسم وتاريخ الوفاة مع ذكر لفظ شهيد أو مرحوم، وكتابة آية قرآنية للتبرك بها؟ وهل تجب الإزالة على القائمين على شؤون إزالة ما يخالف الشريعة الإسلامية؟



إن مبدأ إعلان الناس عن القبر وصاحبه أمر مشروع؛ لأن رسول الله ﷺ وضع بيده الشريفة حجرًا على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقال: «أعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي» (رواه أبوداود)، وبناء على ذلك يجوز أن يكون الإعلام بالكتابة بذكر صاحب القبر وتاريخ وفاته ونحو ذلك من البيانات الأساسية التي قد يحتاج إليها، ولا يبالغ في ذلك، ويجب الحرص على ألا يكتب شيء من القرآن الكريم تنزيهًا له عن الابتذال، أما تغطية القبر بالإسمنت فلا مانع منها على ألا يزيد ارتفاعه عن الأرض أكثر من شبر، ولولي الأمر أن يطلب من أقارب الموتى إزالة ما على قبور أقاربهم من أبنية اسمنتية أو غيرها مما يزيد على المسموح به شرعًا، وأن يمهلهم مدة كافية لذلك، فإن مضت المدة دون إزالة كان لولي الأمر إزالتها.

تزوج دون إذن والديه

فتوى رقم (٥٣٩٣)

حضر إلى اللجنة السيد: يوسف، ومعه زوجته السيدة: لطيفة، وقدما الاستفتاء التالي: ما الحكم فيمن تزوج بغير رضا الوالدين؟ وهل يأثم إن طلبا أن يطلقها فلم يفعل؟ وهل يعتبر ذلك عقوقا؟

إذا كانت الزوجة من ذوات الدين والخلق ولا يوجد ما يوجب طلاقها فلا يجب ولا يجوز للزوج طلاقها ولو طلب منه أبوه ذلك، وليس ذلك داخلًا في عقوق الوالدين؛ لأن الطلاق بغير مبرر ممنوع شرعًا، لحديث النبي ﷺ: «أبغض الحلال عند الله الطلاق» (أخرجه أبوداود وابن ماجة والحاكم وصححه البيهقي)، وللقاعدة الفقهية الكلية: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والله أعلم.

وقد نصحت اللجنة المستفتي باسترضاء والديه والتقرب إليهما وطاعتهما في المعروف، ونصحت الزوجة بارتداء الحجاب الإسلامي والالتزام بضوابطه امتثالًا لشرع الله تعالى، ولعل الله أن يزيل هذا التوتر ببركة الامتثال لشرعه وطاعته.

التكسب بحلق اللحى

فتوى رقم (٥٤٨٣)

سألني رجل يريد أن يفتح صالون حلاقة للرجال فقال: إذا جاءني من يريد أن يحلق لحيته أفأحلقها له ولا إثم علي؛ لأنني أقوم على مصلحة معاشي وتحسين دخلي، ويكون إثمه عليه وحده لأنه الراغب في ذلك- أي بالحلق-؟ أم كلانا آثم، ولا يجوز لي أن أحلق لأحد لحيته فأسد على نفسي باب رزقي، أو يؤثر على دخلي؟ فلم أجبه بشيء وأردت معرفة رأي لجنتكم الموقرة في هذا الموضوع لأجيبه بجوابكم.

جمهور الفقهاء على وجوب إعفاء اللحية وحرمة حلقها، وذلك لما جاء عن النبي ﷺ من الأمر بإعفائها في قوله: «أعفوا اللحية»، وبناء على ذلك فلا يجوز حلق اللحية في الصالون وغيره، ويأثم من أمر بحلق لحيته ومن باشر حلقها، ولا يباح أخذ الأجرة على ذلك، وعلى المستفتي أن يمتنع عن حلاقة اللحية ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن التحكيم في المنازعات

قرر ما يلي:

أولًا: التحكيم، اتفاق طرفي خصومة معينة على تولية من يفصل في منازعة بينهما بحكم ملزم، يطبق الشريعة الإسلامية، وهو مشروع سواء كان بين الأفراد أم في مجال المنازعات الدولية.

ثانيًا: التحكيم عقد غير لازم لكل من الطرفين المحتكمين والحكم، فيجوز لكل من الطرفين الرجوع فيه ما لم يشرع الحكم في التحكيم، ويجوز للحكم أن يعزل نفسه- ولو بعد قبوله- ما دام لم يصدر حكمه، ولا يجوز له أن يستخلف غيره دون إذن الطرفين؛ لأن الرضا مرتبط بشخصه.

ثالثًا: لا يجوز التحكيم في كل ما هو حق لله تعالى كالحدود، ولا فيما استلزم الحكمُ فيه إثبات حكم أو نفيه بالنسبة لغير المتحاكمين ممن لا ولاية للحَكَم عليه، كاللعان، لتعلق حق الولد به، ولا فيما ينفرد القضاء دون غيره بالنظر فيه. فإذا قضى الحكم فيما لا يجوز فيه التحكيم فحكمه باطل ولا ينفذ.

رابعًا: يشترط في الحكم بحسب الأصل توافر شروط القضاء.

خامسًا: الأصل أن يتم تنفيذ حكم المُحكّم طواعية، فإن أبى أحد المحتكمين، عرض الأمر على القضاء لتنفيذه، وليس للقضاء نقضه، ما لم يكن جورًا بينًا، أو مخالفًا لحكم الشرع.

سادسًا: إذا لم تكن هناك محاكم دولية إسلامية، يجوز احتكام الدول أو المؤسسات الإسلامية إلى محاكم دولية غير إسلامية؛ توصلًا لما هو جائز شرعًا.

ويوصي المجمع بما يلي:

دعوة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى استكمال الإجراءات اللازمة لإقامة محكمة العدل الإسلامية الدولية، وتمكينها من أداء مهامها المنصوص عليها في نظامها.

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

ما أراكَ تعرفه

«زكّى رجلٌ رجلًا عند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال له عمر: صَحبته في السَّفر الذي يُستَدَل به على مكارم الأخلاق؟ فقال الرجل: لا. قال عمر: ما أراك تعرفه».

وعن بعض السَّلف: «إذا أثنى على الرَّجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السَّفر فلا تشكوا في صلاحه إذ ذاك؛ لأنَّ السَّفر يسيء الأخلاق، ويكثر الضَّجر، ويُخْرِجُ مكامِنَ النَّفس مِنَ الشحِّ والشَّره».

(الوَعظ المطلوب للقاسمي)

أَعْرَابيٌ عنْدَ الحجَّاج

سمعَ الحَجَّاجُ صوتَ أَعرابي في الوادي رافعا صوته بالتلبية، فقال الحجاج: عليَّ بالمُلبِّي، فأُتي به فقال: من أي البلاد أنت؟ قال من أهل اليمن. فسأله الحجاج عن سيرة أخيه، محمد بن يوسف الثقفي، بين الناس، فقال الأعرابي: خَلَّفتُه ظَلُومًا، غَشُومًا، عاصيًا للخالق، مُطيعًا للمخلوق! فازْوَرَّ من ذلك الحجاج، وقال: ما أقدَمَك على هذا وأنت تعلم مكانته مني!

فقال الأعرابيُّ: أَفَتَراهُ بمكانة أعزَّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا وافدُ بيته، وقاض دَيْنَهُ، ومصدقٌ نبيَّهُ ﷺ !

فَوَجَمَ لها الحجاجَ، ولم يُحِرْ لهُ جوابًا، حتى خرج الرجلُ بلا إذن!

(العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي)

أصل الفضائل والرذائل

«أصول الفضائل كلّها أَربعة، ومنها تتركب كل فضيلة، وهي: العدل، والفهم، والنَّجدة، والجود».

«أصول الرذائل كلّها أربعة، عنها تتركب كل رذيلة، وهي أضداد التي ذكرنا وهي: الجور، والجهل، والجبن، والشّح».

أول مَنْ أسس علم الأصول

الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الهاشمي، القُرَشي، المطَّلبي، الغزِّي ولادةً، المكيّ نشأةً، المصري وفاةً، أبوعبدالله.

وهو أول مَنْ أسس علم الأصول في الفقه، وصنَّف فيه كتابه الشهير «الرسالة» وهو مطبوع، منه نسخة خطيَّة كُتِبَتْ سنة (٦٢٥هـ)، محفوظة في دار الكتب المصرية. (معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين)

ابتسامة (مَرَضُ الروح)

قِيْلَ للشعبي: هل تمرض الروح؟.

قال: «نعم، تمرض من ظِلِّ الثُّقَلاء».

وَمَرَّ به بعض الثقلاء فوجده بَيْنَ ثَقِيْلَيْن، فقال له: كيف الروح اليوم؟!

فقال: «في النزعِ الأَخير».

وذاك شُبِّه بشيخه

اتصف الإمامُ أبوداود بصفات عالية، فكان رحمه الله ممَّن عُرِفَ باتباع السنَّة وتمثُّلها في سمته ودلِّه، ولذلك فقد شُبِّهَ بشيخه الإمام أحمد، والذي شُبِّهَ بشيخه وكيع في ذلك، وهو شُبِّهَ بشيخه علقمة، وذاك شُبِّهَ بشيخه ابن مسعود رضي الله عنه الذي شُبِّهَ برسول الله ﷺ في سمته ودَلِّه .

(المدخل إلى سنن الإمام أبي داود)

الحفظ لا يغني عن التقييد

روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قَيِّدوا العلم بالكتاب» (تاريخ دمشق لابن عساكر).

- شكا رجلٌ إلى النبي ﷺ النسيانَ فقال له ﷺ : «استعمل يدك»، أي اكتب حتى ترجعَ إذا نسيت إلى ما كتبت.(الطبراني)
- قال الخليل بن أحمد رحمه الله: «اجعل ما في الكتب رأسَ المال، وما في القلب النَّفقةَ».
- قال أحد الحكماء: «ولولا ما عقدتهُ الكتب من تَجارِب الأولين، لانحلَّ معَ النِّسيان عُقُودُ الآخرينَ».
- وقال بعض البلغاء: «إنَّ هذه الآداب نوافر تَندُّ عنَ عَقْلِ الأذهانِ فاجعلوا الكتَبَ عنها حُماةً، والأقلامَ لها رُعاةً».

(أدب الدنيا والدين للماوردي)

من حِكَم ابن مسعود

- من أعطي خيرًا فالله أعطاه، ومن وقي شرًّا فالله وقاه.
- المتقون سادة، والفقهاء قادة ومجالسهم زيادة.
- منَ الناس مَن لا يأتي الجمعة إلا دُبرًا ولا يذكر الله إلا هجرًا.
- ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملِك يُفتح له.
- إنـي لأحسـب الـرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها.
- لو سَخرْتُ من كلبٍ لخشيتُ أن أُحَوَّلَ كلبًا.
- ربَّ شهوة تورثُ حزنًا طويلًا.
- مـا علـى وجـه الأرض شـيء أحوج إلى طول سَجن من لسان.

(الفوائد لابن القيّم/ ص ١٩٠).

فَصَاحَة

تظلَّم رجلٌ إلى المأمون من عامل له، فقال: يا أمير المؤمنين، ما ترك لي فضّة إلا فضّها، ولا ذهبًا إلا ذهب به، ولا غلَّة إلا غلها، ولا ضَيْعَة إلا أضاعها، ولا علْقا إلا عَلقَه، ولا عَرَضا إلا عَرض له، ولا ماشية إلاَ امْتشّها، ولا جليلًا إلا أجْلاَه، ولا دقيقا إلا أدَقّـه . فعجب من فصاحته وقضى حاجته.

(زهرة الآداب للقيرواني)

أعجبتني حتى أضحكتني

قـال سلمان الفـارسـي: «ثـلاث أعجبتني حتى أَضحكتني:

- مؤمل الدنيا والموت يطلبه.
- غافل وليس يُغْفل عنه.
- وضاحك ملء فيه ولا يدري أَساخطٌ ربّ العالمين عليه أَمْ راض.

(موسوعة أقوال الحكماء)

لا تكن كحاطب ليل

إن الله عز وجل قيَّض أهل الحديث للدفاع عن سنة رسوله ﷺ وزادهم شرفًا وفضلًا بالذود عن شريعته، فقاموا بذلك خير قيام، حيث أمدهم وأعطاهم وأعانهم ووفقهم في السعي المتواصل، والرحلة الطويلة والصبر على مفارقة الأهل والأوطان، وركوب الصعاب والذلول، وطرح الراحة وتحمل المشاق وبذل المال والمهج والأنفس، دون تقاعس أو كسل بل بهمة عالية منقطعة النظير، فكم سار المُحدِّثون ليلًا ونهارًا، وكم تحملوا وكم تعبوا، وكم دخلوا من المدن والأمصار حتى يحصلوا على السماع واللّقى، منْ أجل إبقاء هذه الخصوصية في هذه الأمة، ولأجل ذلك وتحريضًا على طلب العلوم بأسانيدها إلى قائليها، وعدم التهاون في تحصيلها من منابعها الأصلية.. قال الإمام الشافعي: «مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثلِ حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى وهو لا يدري» (فيض القدير للمناوي).

من وصايا لقمان الحكيم

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، العلمُ حسن، وهو معَ الحلم أحْسَن، والصمتُ حَسَن، وهـو مـعَ الحكمة أَحْسَـن، يا بُنَي إنَّ اللِّسان هو ناب الجسد، فاحْذر أنْ يخرج منْ لسانكَ ما يُهلِك جَسَدك، أو يُسخط عليك ربَّك».

(الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

جَنَتْ على أَهْلهَا «بَرَاقْش»

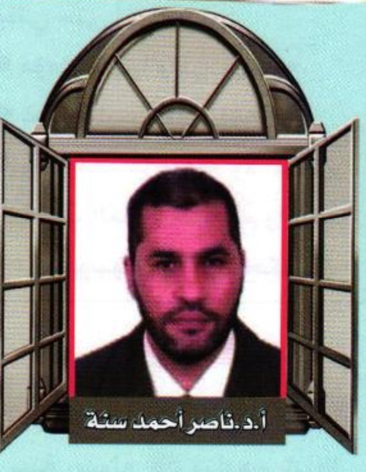
كان لقوم كلبة تُدعى «بَرَاْقش»، وذات ليلة جاء أعداء لهم يبحثون عنهم في الظلام، فلم يهتدوا إليهم، فيئِسوا، وهمُّوا بالرجوع، فلما أَحست بهم الكلبة نبحت عليهم، فعرفوا منْ نباحها مكان القوم، فهاجموهم وقضوا عليهم وعلى كلبتهم، فقيل: جَنَتْ على أهلها بَرَاقِش.

يحفظ «ألف ألف» حديث

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبا زرعة يقول: كان أحمد بن حنبل يحفظ «ألف ألف» حديث، فقيل له: وما يدريك؟. قال: ذاكرتُه، فأخذت عليه الأبواب.

وقيل لأبي زرعة: مَنْ رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟. فقال: «أحمد بن حنبل، حرزت كتبه في اليوم الذي مات فيه، فبلغت اثني عشر حملًا، وعدلًا، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان، وكل ذلك كان يحفظه أحمد عن ظهر قلب». (مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي)

مسك الختام



أ.د. ناصر أحمد سنة

لماذا الشكوى ونعم الله تترى؟

ما إن تقابل أخا أو تحادث صديقًا أو تتواصل مع زميل لم تره منذ مدة، أو تجلس مجلسًا غير مجالس المسجد، إلا وترتفع أصواتهم، وتتابع أحاديثهم معبرة عن صورة أو أخرى من صور الشكوى، وهي كثيرة متنوعة، وقد صادفت بيتًا من الشعر، لعل قائله قد عانى تلك المقابلات، وسمع تلك الأحاديث، وجلس إلى هذه المجالس فتساءل قائلًا:

كل من لاقيت يشكو دهره

ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

وإذا طرح هذا أو ذاك الذي يضج بالشكوى على نفسه سؤالًا: ما الذي يريده من دنياه التي أنعم الله تعالى عليه بأن خلقه من عدم، فأوجده فيها؟

وقبل أن يصول هذا السؤال ويجول بخاطرهم، فتتباين الأقوال تدفعها أهواء، ليس لها أساس من واقع معيش، يدحض كل دعوى بالشكوى، هاهو رسولنا المعصوم ﷺ - مرجعيتنا- إذا ما تباينت المواقف والأقوال والرؤى، ومن لم يكن له مرجعية من قرآن وسنة ضل وتاه في متاهات الفكر والحياة، هاهو رسولنا ﷺ يقول: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن غريب، من حديث عبيدالله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه).

وإذا ما أحال هذا الذي يقابلك مشتكيًا، وغيره كثير، نفسه وظروف وملابسات شكواه على هذه المرجعية من الهداية النبوية لوجد شكواه لا سند لها، ولا قرار، ولا محل لها من الإعراب.

ما الذي يريده الناس من دنياهم غير:

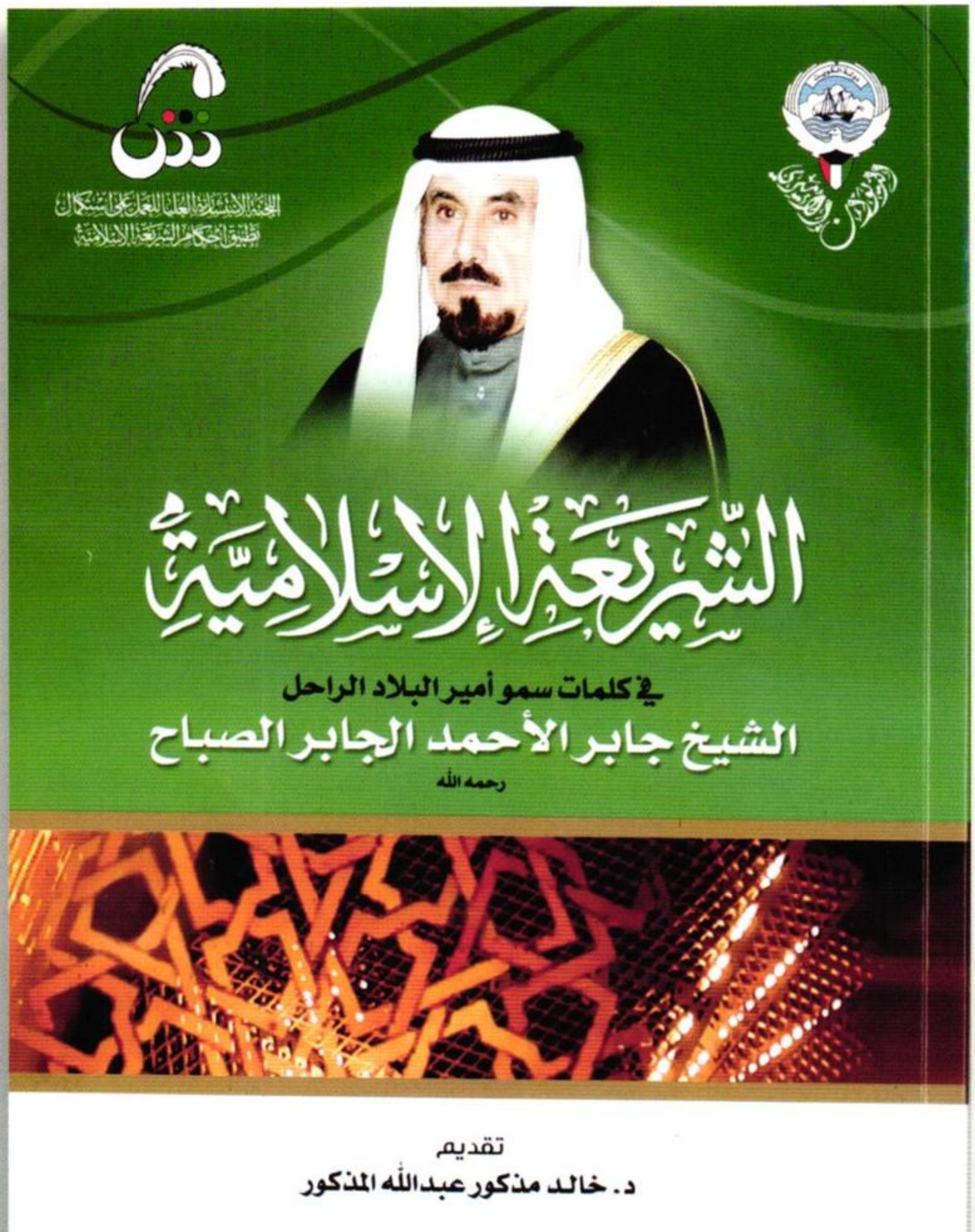
- «أمن خاص وعام» يكتنفهم فيصبحون غير خائفين ولا مهددين في سربهم.
- «أمن صحي، وعافية بدنية، وسعادة نفسية»، نعمة وتاج على رؤوس الأصحاء.
- «أمن غذائي.. قوت يومه»، وفق وسطية الإسلام واعتداله في كل شؤونه، ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١)، ويقول رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده» (أخرجه البخاري في اللباس)، ويقول ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صُلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (رواه الترمذي)، وقال حديث حسن، من حديث أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه.

لقد امتن الله تعالى على قريش بإطعامهم وبتوفير نعمة الأمن لهم، يقول تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش: ٣-٤)، ولأهمية هذه النعمة فإنها قد تسبق نعمة الرزق من الثمرات، يقول تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرمًا آمنًا يُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (القصص: ٥٧)، ويقول تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (البقرة: ١٢٦).

أيها المشتكون، هلا راجعتم أنفسكم فشكرتم الله تعالى على نعمه تترى، والشكر يستوجب المزيد: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (إبراهيم: ٧)، قال الطبري: «وإنما جرى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله: «وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم»، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم، فالواجب في المفهوم أن يكون معنى الكلام: زادهم من نعمه، لا مما لم يجر له ذكر من «الطاعة» إلا أن يكون أريد به: لئن شكرتم فأطعتموني بالشكر، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه، فيكون ذلك وجهًا.

أيها المشتكون: لنلهج جميعًا بالحمد والشكر لله تعالى، بدلًا من الشكوى والضجر.

الشريعة الإسلامية في كلمات سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح



أصدرت اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية كتاب (الشريعة الإسلامية في كلمات سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح) الذي ضم بين دفتيه كلمات وخطابات الأمير الراحل التي تناول فيها الشريعة الإسلامية، وسماتها ومميزاتها، وأهمية التمسك بها، والعمل بأحكامها، والتخلق بأخلاقها، وأثرها العظيم في بناء الأمة.

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



الشيخ حمزة يوسف:

مسلمو أوروبا ضحايا الإهمال والهجرة الاقتصادية

الوظيفة أمانة



الدروس المستفادة من أزمة اليونان

التقعيد الفقهي المقاصدي وأثره في فقه الدعوة

أجهزة الإنعاش.. حقيقتها وحكمها

أرشيف

الوعي الإسلامي

نداء

إلى كل محبي وقراء المجلة

يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية

من مجلة « الوعي الإسلامي » من الأعداد:

٢ ٣ ٤ ٧ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٩

٣٠ ٣٦ ٣٨ ٤٠ ٤٢ ٤٧ ٥١ ٥٢ ٥٤ ٥٥ ٧٢

التواصل مع ادارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الافتتاحية

الصيف ضيعت...

ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له، والوقت في نظر العقلاء هو أعلى ما في الوجود وهو رأس مال الإنسان في حياته، وكل شيء نستطيع استرداده إلا الوقت، فإنه إذا ضاع لا يعوض، فلا تضيع صحة جسدك، وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة ربك، والثقة بسالف عملك، فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل زمان مسعدك، ولا ما فات مستدركا.

وللفراغِ زيغ أو ندم، وإن يكن الشغل مَجْهَدة، فالفراغ مفسدة، ولا تمض يومك في غير منفعة، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والعاقل أجل من أن يفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره، أما علمتم أن كل جزء من الزمان يذهب بمثله من الأعمار؟ أما تحققتم أن العمر رأس مال الإنسان؟

وتتفاوت أحوال الناس مع الأوقات، من عدم تحديد الهدف من الحياة، والجهل بقيمة وأهمية الأيام والساعات، مع ضعف العزيمة والإرادات.

فيا مُضيّع الأوقات، لو علمت نفاستها ما أضعتها؛ فإن الله قد حفظ لكل عامل عمله، وأحصى على كل عاص زلله.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

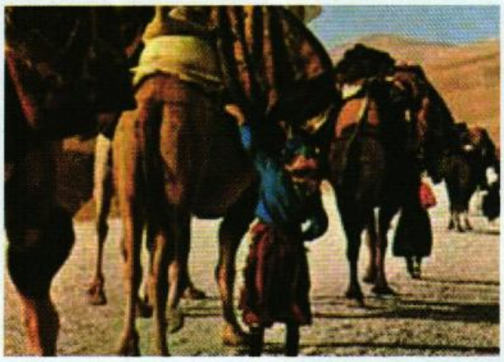
العدد ٥٤٠

العام السابع والأربعون

شعبان ١٤٣١ هـ

يوليو - اغسطس ٢٠١٠ م





«الأوقاف» تقيم مجالس سماع صحيح البخاري ٦

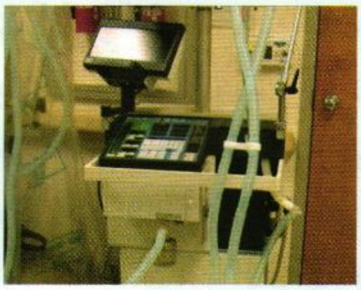
هل العرب في العصر الجاهلي كانو أمة منغلقة؟ ١٠





الدروس المستفادة من أزمة اليونان اليونان ١٦

الاستنساخ وصراع المشروعية ٤٠





أجهزة الإنعاش.. حقيقتها وحكمها ٤٨

الطفل التوحدي.. كيف نفهم طبيعته؟ ٧٦

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

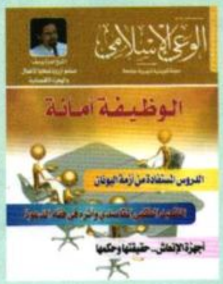
التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)
- اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

موضوع الغلاف



الإخلاص في العمل الوظيفي والإتقان في العمل عمومًا أمر دنيوي لكنه تعبدي يتقرب به العباد إلى رب العباد.

داخل العدد

حوار مع الداعية الأميركي حمزة يوسف ١٤

التراتيب الإدارية في عهد الفاروق رضي الله عنه ٢٣

فن التعامل مع الضغوط من حولك ٣٤

المنهج السياقي ودوره في فهم النص ٣٦

اللغة بين اختلاف المواضعة وتفرد الوظائف اللغوية ٥٦

العلامة الشيخ عبدالله الغديان في ذمة الله ٨٣

كلمة العدد

قراءنا الكرام

التسيب الوظيفي والفساد الإداري الذي استشرى في العديد من الدول العربية والإسلامية وأصابها في مقتل وأثر سلبًا في عملية التنمية في شتى مجالاتها الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية... الخ، دفعنا الى التركيز على الملف الوظيفي حيث نشرنا على نهجه عدة موضوعات لعل أبرزها: الأمانة الوظيفية، التراتيب الإدارية في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه، مثل عليا في السلوك الإداري، حوار مع الخبير الإداري عادل الجمل، اتقان العمل في الإسلام، فن التعامل مع الضغوط التي تصاحب العمل الوظيفي.

كما خصصنا ملفًا آخر للدراسات الشرعية تضمن عددًا من الموضوعات لعل أهمها: المنهج السياقي ودوره في فهم النص، الاستنساخ وصراع المشروعية، التقعيد الفقهي المقاصدي، أجهزة الانعاش.. حقيقتها وحكمها، واذا ما اضفنا لهذين الملفين ملفين آخرين هما ملف الأدب واللغة وملف الأسرة ادركنا تمامًا اهمية الكتابة التخصصية القائمة على البحث والطرح الموضوعي الهادف والتي تسعى المجلة لتأصيلها وترسيخها بعيدًا عن التكرار والإنشاء والتهميش والله الهادي الى سواء السبيل.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلس ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريالا ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

بحضور أكثر من ١٠٠٠ مشارك ومشاركة سمعوا أكثر من ٧ آلاف حديث

«الأوقاف» تقيم مجالس سماع صحيح البخاري

التحرير

انطلاقاً من الحرص على إقامة مجالس العلم التي تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة دشنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مجالس سماع صحيح الإمام البخاري التي تنظمها إدارة الثقافة الإسلامية تحت رعاية نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية و وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد في مسجد الدولة الكبير خلال الفترة من ١٤-٢١/٥/٢٠١٠ بحضور طلبة العلم والباحثين، إضافة إلى وفود خليجية كبيرة.

والعلماء المسندون لهذه المجالس هم: الشيخ أحمد علي السورتي «من المملكة المتحدة» والشيخ صبحي جاسم السامرائي «من العراق» والشيخ محمد قاسم الوشلي «من اليمن» والشيخ ثناء الله ابن عيسى خان «من باكستان» والشيخ محمد إسرائيل الندوي «من الهند» والشيخ عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي «من المملكة العربية السعودية» والشيخ محمد الشجاع آبادي «من باكستان» والشيخ وليد عبدالله المنيس «من الكويت».

إن هذه المجالس تكللت بالنجاح وحققت المبتغى منها، وذلك يرجع إلى أنها تعنى بقراءة حديث الرسول الأكرم محمد ﷺ والذي جاء منقولا في صحيح البخاري عن طريق عديد من الأسانيد الصحيحة الواردة في الصحيح، فحديث النبي هو خير الأحاديث وأطيبها، وإقامة مثل هذه المجالس والاهتمام بها يدل على إيمان إدارة الثقافة بأهمية الحديث النبوي الشريف والعمل على نشره وتعليمه للناس، حيث إن الحديث نقل على يد أفضل الأسانيد الصحيحة والمعتمدة عند علماء المسلمين، وبحمد الله فقد تم خلالها قراءة أكثر من ٧ آلاف حديث وأثر في صحيح الإمام البخاري.

إن إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أبدت حرصًا كبيرًا لاهتمامها بالسنة النبوية الشريفة، وذلك من خلال عزمها على تنظيم هذه

المجالس تدل على إيمان الوزارة بأهمية الحديث النبوي والعمل على نشره وتعليمه للناس

المجالس لسماع صحيح الإمام البخاري، خاصة أن الأمة تعيش في زمن قل فيه العلم وكثر فيه الجهل، فطلب الحديث وبثه بين الناس من أروع الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى.

إن علماء الأمة الأوائل صنفوا المصنفات الضخمة في الحديث النبوي وقعّدوا قواعد تلقيه من حيث سنده ومضمونه واجتهدوا في وضع معايير لتعديل الرواة ثم شرعوا في وضع الشروح المتنوعة لذلك الكنز العظيم من أحاديث الرسول ﷺ لما لها من المرتبة العظيمة، كونها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد جاءت مفسرة وشارحة لآيات القرآن الكريم، فهما صنوان لا يفترقان ومنبعان متعاضدان، من خلال أقواله ﷺ وأفعاله التقريرية التي صحت نسبتها إليه.

وفي الإفتتاح قال وكيل وزارة الأوقاف د.عادل الفلاح: إن الوزارة حرصت في خطتها الاستراتيجية، والتي جعلت غايتها الكبرى خدمة العلوم الشرعية، أن تفرد لمجالس السماع مناسبات حميدة خلال السنة، ولهذا أقامت عدة مجالس لسماع الحديث النبوي من خلال قراءة الصحاح والمسانيد والسنن، وأضاف «إننا اليوم نقيم هذا المجلس المبارك لسماع أصح كتاب في الحديث النبوي تلقته الأمة بالقبول والتقدير وأعطته المكانة اللائقة بسنة النبي ﷺ ألا وهو صحيح الإمام البخاري».

وزاد أن فضائل هذه السنة الحميدة لا تعد ولا تحصى إذ يكفيها فخرًا أنها إحياء لسنة تدارس العلم النبوي الشريف بين شبابنا وشاباتنا ورجالنا ونسائنا ويكفيها مباركة أنها داخلة بإذن الله في مسمى «الذين تحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده» ويكفيها حسنًا أنها تأتي لتعطي قراءة كتب الحديث قيمتها العلمية والتربوية من خلال الحرص على أن يتصدى لإقرائها المتخصصون الذين



جانب من مجلس السماع



الشيخ أحمد علي السورتي



الشيخ ثناء الله خان



الشيخ محمد آبادي



الشيخ صبحي السامرائي



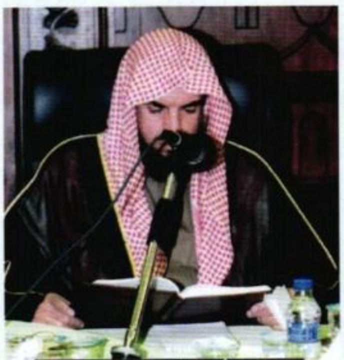
الشيخ عبد الوكيل الهاشمي



الشيخ محمد الندوي



الشيخ محمد الوشلي



الشيخ أ.د. وليد المنيس

أتقنوا هذا الفن رواية ودراية.

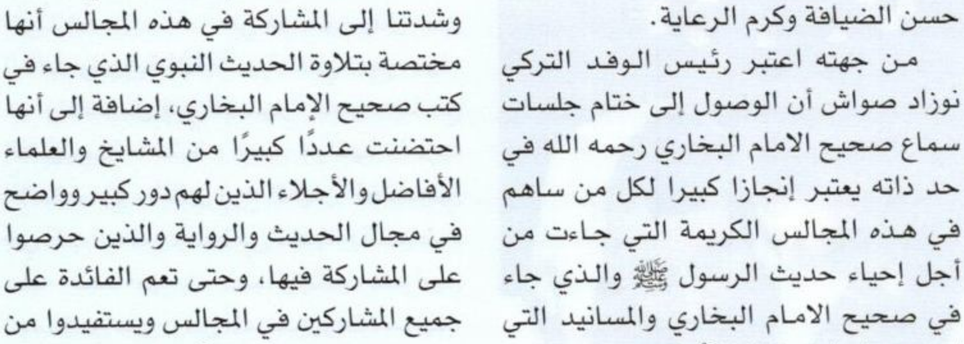
من جانب آخر قال رئيس وفد دولة قطر د. سعيد المري في كلمة ألقاها نيابة عن الوفود المشاركة: إن هذه المجالس وبهذه الصورة التي هي عليها اليوم في الكويت ما كنا نراها إلا في كتاب، بل ولم تكن إلا في عصور متقدمة، إذ لم نر ولم نسمع باجتماع ما يربو على الألف مستمع في هذا العصر ولا في العصور السالفة القريبة حتى خص الله سبحانه وتعالى بذلك دولة الكويت في هذه الأيام مع مزجها في هذا السماع بين الأصالة والمعاصرة.

وأشار إلى أهمية هذه المجالس في تلاقي أهل العلم من ذوي الخبرة، والمدارس المختلفة، واستفادة بعضهم من بعض، والوقوف على عديد من أقوال أهل العلم في أحكام الدين، مما يسهم في سعة أفق طالب العلم، ويوقفه على وسطية الإسلام وعدالته، إضافة إلى تنزل الرحمات والبركات ودفع النقم والآفات.

وشكر المري دولة الكويت حكومة وشعبًا، وخص بالشكر وزارة الأوقاف الكويتية ممثلة بوزيرها ووكيل الوزارة والوكيل المساعد على حسن الضيافة وكرم الرعاية.

من جهته اعتبر رئيس الوفد التركي نوزاد صواش أن الوصول إلى ختام جلسات سماع صحيح الامام البخاري رحمه الله في حد ذاته يعتبر إنجازا كبيرا لكل من ساهم في هذه المجالس الكريمة التي جاءت من أجل إحياء حديث الرسول ﷺ والذي جاء في صحيح الامام البخاري والمسانيد التي اعتمد عليها في نقله للأحاديث.

وأضاف: من أهم الأمور التي جذبتنا وشدتنا إلى المشاركة في هذه المجالس أنها مختصة بتلاوة الحديث النبوي الذي جاء في كتب صحيح الإمام البخاري، إضافة إلى أنها احتضنت عددًا كبيرًا من المشايخ والعلماء الأفاضل والأجلاء الذين لهم دور كبير وواضح في مجال الحديث والرواية والذين حرصوا على المشاركة فيها، وحتى تعم الفائدة على جميع المشاركين في المجالس ويستفيدوا من هذه التلاوات المباركة للأحاديث.



وكيل الوزارة مع الضيوف

ثقوب في البناء الفكري

السنوسي محمد السنوسي

يظل العقل المسلم مُطالَبًا باستمرار لأن يعمل على تحصين بنائه الفكري ومنهجه الربّاني المتفرِّد، وأن يكون يقظًا من أن يتسرب إلى وعيه ما يناقض أصوله، أو يبدِّل ثوابته، أو يصرفه- ولو قليلًا- عن مهمته ومسؤوليته. ومن المعلوم- لدى دارسي تاريخ الحضارات وطرق تفاعلها وتلاقحها- أن الأفكار لا تتسرب من حضارة إلى أخرى دفعة واحدة؛ إنما تبدأ في الانتقال تدريجيًا فكرة بعد فكرة لتأخذ مكانًا ثابتًا في الحضارة المنقولة إليها حتى تشكِّل- حينئذ- ثقوبًا في البناء الفكري لتلك الحضارة يصعب الفكاك منها أو تنقيتها.

والأداة التي تسلكها الأفكار والمفاهيم للنفاذ والانتقال؛ تتمثل بالدرجة الأولى في «المصطلحات»، ومن هنا تأتي أهمية النظر والتدقيق في استعمال المصطلحات الوافدة قبل إدخالها في البناء الفكري والخصائص الذاتية لحضارتنا؛ لأن المصطلحات- في أية لغة- ليست وعاءً لغويًا فحسب، إنما هي مضمون يدل على الذات والهوية الحضارية التي تنبع منها.

والمتأمل في مسيرة صراعنا مع الصهيونية- مثلًا- ومن ورائها الغرب الاستعماري، الذي زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي لتفتيته والسيطرة عليه؛ يجد أنهم قد شنّوا بجانب عدوانهم العسكري على أرض المسلمين ومقدساتهم، حربًا أخرى موازية- لا تقل ضراوة- على المنهج الإسلامي بأفكاره وقيمه وثوابته، واستخدموا في ذلك عشرات بل مئات المصطلحات؛ لتشويه الحقائق، وتزييف التاريخ، وإحداث ثقوب وخروقات في بنائنا الفكري بحيث أصبحنا نعيش في زمن تغيير الخرائط «الإدراكية» والمصطلحات والمفاهيم، كما هو الحال في تغيير الخرائط «الجغرافية»!!

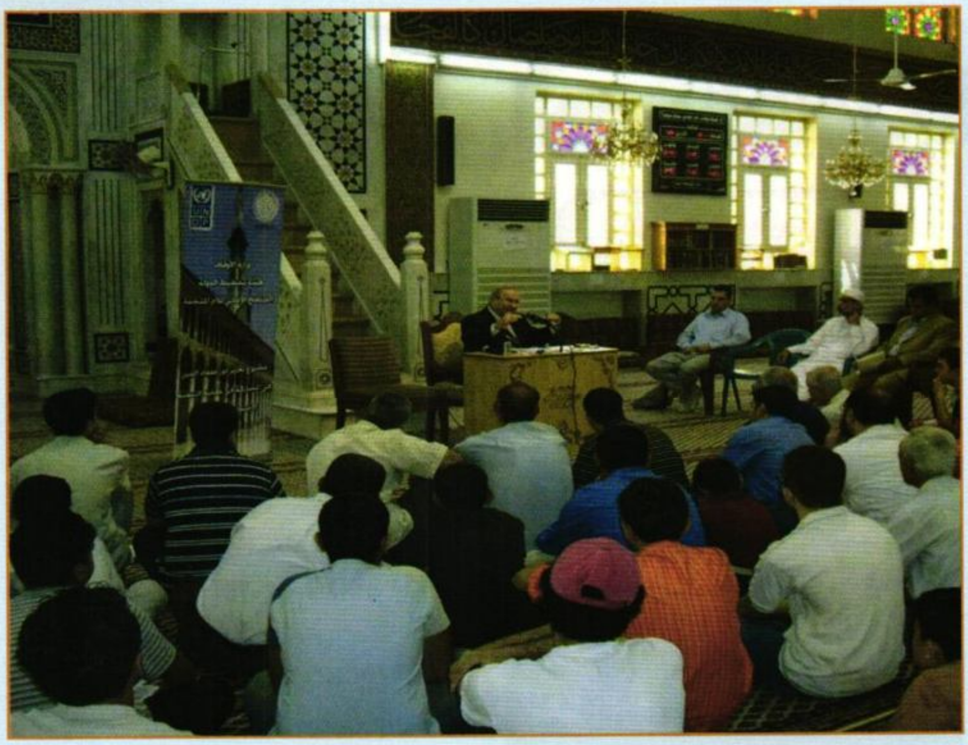
فهم حين يتحدثون عن «الشرق الأوسط»، يهدفون إلى تغيير هوية البلاد العربية والإسلامية، وإدخال الكيان الصهيوني في علاقات ثقافية واقتصادية مع الشعوب العربية، وحين يتحدثون عن «القدس الشرقية والقدس الغربية» فإنهم يقصدون انتزاع حق المسلمين الثابت في استعادة كامل مقدساتهم، كما أنهم يطلقون وصف «الإرهاب والعنف» على جماعات المقاومة؛ ويعملون على الخلط بين حق الشعوب في الدفاع عن نفسها وبين أعمال العنف والقتل غير المبررة شرعًا وقانونًا، ويتحدثون أيضًا عن «المدنيين» الإسرائيليين، في محاولة منهم للإيحاء بأن الكيان الصهيوني مثل باقي دول العالم، به مدنيون وعسكريون، بينما يتعامون عن حقيقة ثابتة وهي أن الكيان الصهيوني جيش له دولة، وليس دولة لها جيش!!

والأدهى من ذلك أن نجد من بين العرب مَن يتحدث عن عذابات اليهود



* باحث وصحفي في مجلة «التبيان»

القرآن الكريم حذر من استخدام الألفاظ التي يستخدمها غير المسلمين خاصة إذا اختلفت دلالاتها



على مرّ التاريخ، وأن الوقت قد حان لإنهاء كل هذه المعاناة! في حين يتجاهل تمامًا الحديث عن الاضطهاد الواقع على الفلسطينيين، مع أن سبب معاناة الفلسطينيين هم اليهود، في الوقت الذي لم يكن فيه الفلسطينيون يومًا سببًا لمعاناة اليهود!

بل وجدنا من يحاول إبراز اغتصاب اليهود لفلسطين والصراع بينهما، وكأنه أمر يخص الفلسطينيين والإسرائيليين وحدهما، وليس صراعًا يشمل الأمة الإسلامية كلها؛ دفاعًا عن مقدساتها وأرضها الإسلامية.

إن الإسلام كما عُني بتصحيح العقائد والتصورات، ونَقْل الناس من عبادة الأوثان إلى التوحيد الخالص، والإيمان النقي، والفطرة السليمة، فإنه عُني- أيضًا- بضبط الألفاظ التي هي وعاء لتلك التصورات، ليكون الوعاء والمضمون متناسقين غير متناقضين، لذا نبَّه القرآن الكريم إلى ضرورة التفرقة بين لفظ وآخر حين يختلف معناهما، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات:١٤)، فقد أمر الأعراب باستعمال لفظ «الإسلام» بدلًا من «الإيمان»، وأخبرهم أنهم قد دخلوا في الإسلام ولكن لم تتحقق قلوبهم بعد بالإيمان.

وحذر القرآن- أيضًا- من استعمال الألفاظ التي يستعملها غير المسلمين، خاصة إذا اختلفت دلالتها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤).

قال القرطبي في تفسيره: «حقيقة راعنا في اللغة: أرْعِنا ولنَرْعك؛ لأن المفاعلة بين اثنين؛ فتكون من رعاك الله، أي: احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن تكون من: أرعنا سمعك، أي: فرِّغ سمعنا لكلامك، قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا على جهة الطلب والرغبة- من المراعاة- أي: التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًّا، أي: اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبّه سرًّا فالآن نسبه جهرًا؛ فكانوا يخاطبون النبي ﷺ ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟! فنزلت الآية، ونُهوا عنها؛ لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد».

إن المصطلحات ليست منبتة الصلة عن الحضارة التي تنشأ في أحضانها؛ فالحضارة- أيُّ حضارة- بما تنتجه من قيم ومفاهيم ومصطلحات تشبه- كما يذهب نفر من الباحثين- الكيانَ العضويَّ الواحد، بحيث لا نستطيع أن نفصل عضوًا عن بقية الأعضاء.. بل يكون كل عضو بحاجة إلى بقية الأعضاء حتى يؤدي هو ذاته عملَه على أتم وجه!

ومن ثم، نستطيع أن نقرر أن نقل الألفاظ من بيئة حضارية إلى بيئة حضارية أخرى، دون الأخذ في الاعتبار الأجواء والملابسات التي تولّدت فيها تلك الألفاظ، يؤدي بالضرورة إلى حالة من التلبيس والتدليس الفكري.

ولسنا بتأكيدنا على ضرورة استخدام المصطلحات التي عرفت بها حضارتنا وتميزت بها، ندعو إلى الانكفاء على الذات، أو الانغلاق عن التواصل مع الآخرين، أو نرفض الاستفادة من الخبرات والمنجزات الحضارية، التي هي إرث مشترك للإنسانية كافة، إنما نقصد التأكيد على ذاتنا الحضارية وتعميقها، ورفض الذوبان أو «الدمج» في الحضارات الأخرى، كما نشدد بذلك على ضرورة التحاور مع الآخرين من مواقعنا، وقيمنا الثابتة، وبنائنا الفكري المتفرِّد.

تهمة لابد من دفعها

هل العرب في العصر الجاهلي كانوا أمة منغلقة؟

د. رفيق حسن الحليمي

يبدو أن لدى شريحة من المفكرين العرب ولدى كثرة من غير العرب صورًا نمطية سائدة في كثير من المؤلفات والأدبيات ومدارس التعليم.. وهي أن العرب في العصر الجاهلي كانوا أمة منغلقة على نفسها، ولم يكن لهم صلات مباشرة مع غيرهم من الأمم والشعوب التي كانت في الجوار وعلى مقربة منهم! وردت هذه المقولة على لسان أحد المثقفين من غير العرب في حوار ثقافي أجري أخيرًا، ويبدو أن هناك جملة أخرى من الأحكام المتسرعة المغرضة يطلقها غير المنصفين بلا هوادة على العرب والمسلمين على حد سواء، بعض هذه الأحكام يصدر عن جهالة عمياء وقلة اطلاع، وبعضها الآخر يصدر عن نزغات شيطانية ونفوس مريضة تستهدف النيل منهم وتشويه صورتهم.

وللحقيقة نقول: إذا كان هناك انغلاق وعدم اتصال مباشر مع الآخرين فإن هذا ينطبق على مجموعات القبائل العربية التي عاشت وسط الجزيرة وكانت رمال الصحراء المتحركة تحول دون تواصل واتصال مباشر مع غيرهم من الأمم والشعوب المجاورة، وقد كان لهذا «الانغلاق» أثر كبير وفائدة عظيمة على مستوى نقاء اللغة (سيأتي الحديث عنه لاحقًا)، أما العرب الذين عاشوا في الحواضر مثل مكة (أم القرى) والمدينة والطائف والأنبار والحيرة فقد كانوا منفتحين إلى أبعد الحدود وإلى أكثر مما يتصوره دعاة الانفتاح في هذه الأيام.. وبين أيدينا من التراث التاريخي والأدبي واللغوي الصحيح الذي يزهو بصدقه ويعلو ببرهانه ما يؤكد بطلان تهمة الانغلاق المزعوم.

هجرات القبائل المختلفة

يقسم الباحثون سكان الجزيرة إلى أهل المدر (وهم الحضر أهل المدن)، وأهل الوبر (وهم سكان البوادي والصحراء) الذين يعتمدون في حياتهم على الرعي والتنقل وتتبع مواطن الكلأ (العشب)، وهناك قسم ثالث جمع في حياته ومعيشته بين أهل المدر وأهل الوبر فكانوا بين بين، فلا هم بدو رحل منغلقون انغلاقًا تامًا، ولا هم حضريون منفتحون انفتاحًا شاملًا (١).

أكاديمي فلسطيني

> **لعل أروع ما قدمه عرب الجاهلية للحضارة الإنسانية النظام العشري عمدة الحساب وركيزته**

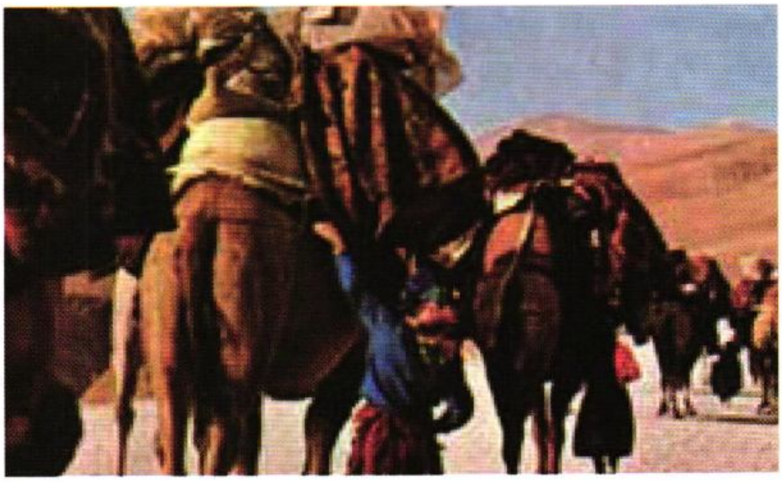
في تاريخ الجزيرة قبل الإسلام خرجت إلى الفرات وبلاد الشام الكبرى ومصر والحبشة موجات متلاحقة من هجرة القبائل، يعتقد أن بدايتها كانت بسبب انهيار سد مأرب، ويصعب في هذه العجالة تتبع هجرات تلك القبائل ويكفي أن نشير إلى بعضها.. فقبيلة تغلب وإياد وهما قبيلتان عربيتان سكنتا الفرات، وقبيلة بني كلب وهي من كبرى القبائل العربية استوطنت بلاد الشام وكان لها نفوذ واسع، وهناك من ذهب إلى أن الأحباش سكان إفريقيا عرب خلص «يعودون في أصولهم الى عرب بني الهون من خزيمة وبني الحارث من كنانة وبني المصطلق من خزاعة» (٢).

هذه هجرات من الداخل إلى الخارج، غير أن هناك هجرات عكسية كانت من الخارج إلى الداخل، فقد هاجر اليهود إلى بلاد العرب منذ قديم الزمان كلما اشتد عليهم ضغط الخصوم أو قست عليهم المجاعات، وأخذت المسيحية تتسرب إلى بلاد العرب منذ القرن الرابع الميلادي، فهذه بلاد العرب حركة دائبة من داخل إليها وخارج منها.. داخل آت بثقافات مختلفة وخارج يرجع بثقافات مختلفة حتى قيل: لم يصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والعجم إلا من العرب، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب، وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني إسرائيل واليونان، وهذا الحراك الحيوي يدفع إلى إنكار العزلة المدعاة إنكارًا شديدًا (٢).

الرحلات التجارية

كان للعرب في العصر الجاهلي رحلتان أساسيتان، ورد ذكرهما في القرآن الكريم «رحلة الشتاء والصيف» ففي الشتاء يرتحلون إلى الجنوب (اليمن) حيث كانت مركزًا تجاريًا لكل من يأتيها عبر البحار، وفي الصيف يرتحلون إلى بلاد الشام التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية، وإلى جانب هاتين الرحلتين كانت هناك رحلات ثانوية إلى الحبشة وإلى بلاد فارس، ولم تكن لتتم تلك الرحلات إلا بمعرفة دقيقة لمسالك المفاوز وممرات الطرق، ومواقع النجوم ليهتدوا بها في سيرهم ليلًا، وكان لابد لتحقق ذلك من تأمين طرق القوافل بالمعاهدات والتحالفات (الإيلاف) مع من يمرون عبر أراضيهم داخل الجزيرة وخارجها «فكانت هناك العهود الخارجية التي تعقد بينهم وبين الرومان أو الفرس أو اليمنيين أو الحبشيين أو غيرهم لجلب التجارة والسماح بالاتجار» (٣)، فكان هاشم بن عبدمناف قد أخذ كتاب أمان من قيصر الروم فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مرّ بحيّ من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافًا (٤)، وخرج عبدالمطلب بن عبدمناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهدًا

لمن تجر إليهم من قريش، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم، وخرج عبدشمس بن عبدمناف إلى الحبشة فأخذ إيلافًا، وخرج نوفل بن عبدالمطلب فأخذ عهدًا من كسرى وإيلافًا ممن مرّ به من العرب (٥)، وكان يحرس القوافل التجارية جموع غفيرة من الأحباش المقيمين في مكة، كانوا قد أخذوا الولاء من قبيلة قريش (٦).



كان يتقدم تلك القوافل أرباب التجارة وأصحاب رؤوس الأموال من زعماء القبائل ورؤسائها، والتاجر الفطن لا تقف عيناه على عروض التجارة والبيع والشراء فقط، وإنما يراقب عن قرب حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم ووسائل معيشتهم من مأكل وملبس وعمارات وقصور مشيدة وزراعة وصناعة، وهل هناك مظهر أقوى من التبادل التجاري للتعبير عن الانفتاح الحضاري بين الأمم والشعوب المختلفة والوقوف على أنماط الحياة وألوان المعيشة.

التعريب

بدأت حركة التعريب منذ العصر الجاهلي يوم أن بدأ العرب يختلطون بغيرهم من الأمم والشعوب، وللتجار قصب السبق في ذلك، فكانوا يستمعون إلى أحاديث البشر ولغاتهم فيقتبسون منها ما كانوا بحاجة إليه لسد العجز في لغتهم، وكان الآخرون كذلك يأخذون من لغات العرب التجار ما طاب لهم من لغتهم وما لم يكن موجودًا في لغاتهم، حيث تتسرب تلك المفردات الأجنبية من كلا الطرفين- بوعي ومن دون وعي- إلى الألسنة فيخضعونها لمنطق لغاتهم ولأصواتهم التي جبلوا عليها، هكذا كان الحراك التجاري- كما هو معروف- لا يقف عند حدود البيع أو الشراء، وإنما يتخطى ذلك إلى الأخذ والعطاء وإلى التأثير والتأثر، يعود التاجر محملاً بما حظي به من عروض تجارية مختلفة، كما يعود وهو يحمل إلى جانب لغته بضع كلمات أجنبية «دخيلة» فيطوعها إلى منطق لغته فيكون التعريب، ويدخل اللسان العربي (المعجمية) ما صح تعريبه فيستعمله العرب من خاصة وعامة من دون نفور أو غضاضة لأنه أصبح- بعد التعريب- عربيا أو كالعربي، وأما ما يستعصي على لسانه ولا يخضع لعملية التعريب فيظل دخيلًا أجنبيًا لا تعترف به اللغة على أنه عربي أو كالعربي.

ويفعل الرجل الأجنبي بما سمع من كلام العرب مثلما فعل العربي، فيخضع المفردات العربية التي اقتبسها إلى منطق لسانه فيبدل بعد الأصوات التي لا تتلاءم مع لغته، وقد يحذف بعضها حتى ينطقها بالكيفية التي يستطيعها لسانه، وتصبح الكلمات العربية أصلاً مفردات أجنبية، ويستعملها المتحدثون على أنه من لغتهم وتدخل المعجم الأجنبي.

ولا نستغرب- بعد هذا- أن نجد كتاب «المعرّب» للإمام الجواليقي وقد حصر فيه المفردات المعربة التي انتهت إلى أسماعه، ولعل جولة سريعة في هذا العمل المعجمي تكشف عن مصادر المفردات المعربة من بلاد شتى، كان للعرب التجار الدور الأكبر في نقلها وتعريبها، ولا يخلو معجم عربي من الإشارة إلى أصول الكلمات المعربة، كما لا يخلو معجم أجنبي مطول (غير مدرسي) من الإشارة إلى أصول الكلمات التي انتهت إليهم.

أساليب الحكم في الجاهلية

من المعروف أن لكل قبيلة زعيمًا تكون مقاليد القبيلة في حلها وترحالها وفي سلمها وحربها وفي أنماط حياتها ومقدراتها بيد زعيم هذه القبيلة أو تلك، وحكمه نافذ إذا ما قضى أمرًا، وفي مجلسه تعقد المشاورات لفض النزاعات واتخاذ القرارات للحرب أو السلم أو للإغارة والغزو، وأكثر ما يكون ذلك في البوادي (أهل الوبر)، وأما في المدن وبخاصة في مكة فالأمر يختلف فلكل قبيلة زعيم، ويلتقي زعماء القبائل والعشائر في مجلس يضم الزعماء، جميعًا، وغالبًا ما يرأس ذلك المجلس زعيم واحد، للتشاور في كبريات الأمور وعقد العهود والمواثيق والأحلاف، وقد أغرى هذا المظهر الحضاري (تجمع زعماء القبائل للتشاور في الأمور) بعض الباحثين إلى القول: إن مكة عرفت نوعًا من الحكومة الجمهورية في أيامها الجاهلية (٧)، وكان لهذه الجمهورية دار تتداول فيها الرأي في مختلف مشكلاتها التجارية والسياسية والاجتماعية، وتعقد فيها المعاهدات السياسية وقد يكون الاجتماع حول الكعبة، ولا يغيب عنا «حلف الفضول» الذي شهده النبي ﷺ وهو فتى، ثم حلف قريش ضد بني هاشم بعد ظهور النبي ﷺ وكتابتهم «الصحيفة» المشهورة وتعليقها في جوف الكعبة توكيدًا لأنفسهم (٨).

وذهب د.طه حسين إلى أبعد من ذلك عندما قرر أن الأنصار في المدينة ربما اطلعوا على نظام الحكم في أثينا (وجود وزيرين يحكمان معًا، وتقاسم السلطة بينهما)، فعندما اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة إثر وفاة النبي ﷺ لاختيار من يخلفه قالوا: منا وزير ومنكم وزير، ورد عليهم المهاجرون بقولهم: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وبشهادة بعض الباحثين فإن المسلمين عندما خرجوا للفتوحات الإسلامية لمحاربة الوثنية ونشر العقيدة، وأصبحت لهم دولة تمتد في مشارق الأرض ومغاربها قد نجحوا في أمرين

أولهما: التجارة، وقد نجحوا فيها منذ العصر الجاهلي، وتحولت معها مكة إلى أكبر مركز مالي وحق لها أن تسمى «أم القرى» لما كان يؤمها في موسم الحج من قوافل

الحجيج، تأتيها من كل فج عميق ليشهدوا عكاظ وليطوفوا بالبيت العتيق، وفي عكاظ كانت تعرض أنواع التجارة المختلفة فتتزود بها القبائل من شرق الجزيرة وغربها وشمالها وجنوبها، تعقد فيها الندوات وينشد الشعر ويصدر الحَكم حكمه فيسير الشعر الجيد وينتشر في البوادي والحواضر، يحمله الحجيج كما يحملون متاعهم من عروض البيوع والتجارة.

ثانيهما: نظام الحكم، حيث أقاموه على العدل والمساواة والتسامح تحت مظلة الدين الحنيف، واحترام الشعوب المنضوية تحت لواء الإسلام، وإعطاء تلك الشعوب حقوقهم التي أقرتها لهم العقيدة الإسلامية، وفي صعيد تلك الدولة قبل المسلمون التعددية العرقية، والتنوع الحضاري والثقافي، ولم يصطدموا مع تلك الشعوب- على كثرتها وتنوعها- على أساس من التمايز العرقي أو الديني.

النظام العشري

وهو طريقة مبسطة لكتابة القيم الحقيقة للأعداد، بدأ بالعد على الأصابع واستعمال اليدين باعتبارهما عدادًا مريحًا (٩)، وهو فرز توصل إليه العربي من خلال الحساب في البيع والشراء فكان العربي- حتى لا يضل ولا ينسى- يعد بأصابع يديه الخمس أو العشر ويعقد إصبعًا كلما عدّ رقمًا، وقد انتقلت ظاهرة العد بالأصابع وعقد كل إصبع عند كل رقم إلى قراءة القرآن وعدّ آياته لمزيد من التثبت والتحوط، فكانت تتنزل خمس آيات أو عشر أو أكثر أو أقل وكان بعض المسلمين يعدون الآيات في الصلاة، وكان الرسول ﷺ أول من سن عقد الأصابع في عدّ الآيات في الصلاة، وكان إذا حدث فيما يتصل بالأعداد عدّ كما تعدّ الأعراب (١٠).

أصبح العد على الأصابع ظاهرة شائعة في مختلف البيوع، سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، وعندما أرادوا تدوين الحساب في شكل أرقام حسابية اصطدموا في بادئ الأمر بالرقم عشرة «١٠» كيف يكتبونه، ثم هدتهم بديهتم إلى اختراع «الصفر» (بمعنى العدم) وهو دائرة صغيرة توضع على يمين الرقم، وكانت الأرقام المستخدمة آنذاك عند العرب هي الأرقام الأجنبية المستخدمة في الغرب حتى الآن، أخذها الغرب عن العرب، وأما الأرقام المستخدمة عند العرب في هذه الأيام «١-٢-٣» فهي أرقام هندية أخذها العرب عن الهنود.

ولعل أروع ما قدمه عرب الجاهلية للحضارة الإنسانية النظام العشري، عمدة الحساب وركيزته، وأما الصفر فقد أخذه الغرب مع ما أخذ عن العرب، وكانت الأرقام الرومانية: (واحد اثنان ثلاثة أربعة) (١-١١-١١١-١٧) قد خلت من الصفر ومازالت تكتب على بعض أنواع الساعات، ولم يكتف الغرب باستعارة الصفر، بل أخذوا الكلمة وأصبحت «زيرو» (zero)، كما أخذوا كلمة «صك» وأصبحت «شيك» (check)، وهناك آلاف الكلمات العربية ذات الدلالات العلمية والفلكية أخذها الغرب مباشرة عن العرب في عصور لاحقة للعصر الجاهلي عندما خرجوا للفتوحات وهي ليست موضوعنا، ويعتقد أن الخوارزمي (ت ٨٥٠م) وهو من علماء المسلمين في القرن الثالث الهجري له الفضل في تعريف العرب والأوروبيين بنظام الأعداد الهندي.

الانغلاق المحمود

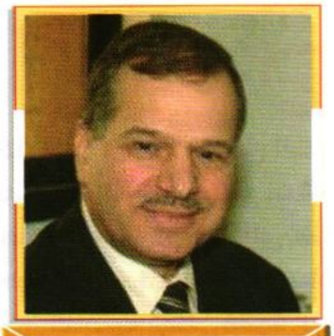
لعل كلمة «الانغلاق» تنطبق أكثر ما تنطبق على القبائل العربية التي عاشت في وسط الجزيرة، تحيط بها الصحاري الممتدة والرمال المتحركة من كل جانب، بحيث أصبح احتكاكها بغيرها من الأمم والشعوب المجاورة أمرًا متعذرًا من دون اختراق تلك الرمال، واجتياز الصحاري، وقد أدت تلك العزلة المفروضة عليهم إلى المحافظة على لهجاتهم والإبقاء على نقائها وأصالتها وسلامتها من شوائب العجمة ومن الأجنبي الدخيل من الكلمات، وهو أمر اختلف كثيرًا عن القبائل التي عاشت على أطراف الجزيرة، وكانت على احتكاك دائم واتصال مستمر تجاريًا وثقافيًا مع غيرها من الشعوب، فتأثرت ألسنتهم بلغات الأجانب، وقد أدرك العرب وفي مقدمتهم قبيلة قريش منذ العصر الجاهلي ذلك الأمر فدفعهم ذلك إلى أن يرسلوا أبناءهم الى مواطن الفصاحة والأصالة والنقاء اللغوي ليشبوا أصحاء في أبدانهم ولغاتهم، ويؤثر عن النبي ﷺ قوله: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر» (١١)، وهذا يدل على أن بعض القبائل كانت تزهو على سائر القبائل بفصاحتها (١٢)، وقد أدرك العرب هذه الحقيقة فاتخذوا خطوات عملية للتغلب على ظاهرة فساد الألسنة (المحتمل) والسعي إلى تنشئة الأجيال في بيئات لغوية سليمة تتمتع بدرجة عالية من الأصالة والنقاء، بعيدًا عن المؤثرات الأجنبية الدخيلة، وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة قريش تعد أفصح القبائل العربية، غير أنها لم تسلم من المفردات الأجنبية لأنها أصبحت في الإسلام حاضرة وعاصمة ودار إقامة لعامة المسلمين، وعندما أراد اللغويون في القرن الثامن للهجرة جمع اللغة العربية ووضع قواعدها وتأصيل أصولها بعيدًا عن اللهجات التي تأثرت بالأجنبي لم يأخذوا عن لغة قريش ولا عن غيرها ممن جاوروا الأمم، ووجدوا ضالتهم المنشودة في لغات تلك القبائل «المغلقة» التي تعذر اتصالها بالأمم المجاورة، حقًا إنه الانغلاق المجد المحمود.

المراجع

١- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص ٦١٨.
٢- حسين نصار نشأة الكتابة ص ١٦ -١٧.
٣- المرجع السابق ص ٢٠.
٤- الإيلاف هو عهد بأمان الطريق فقط بغير حلف فيأمن صاحبه في أراضي غيره السير والمرور بتجارته من دون أن يعتدى عليه. انظر: القالي، الأمالي- النوادر ص ١٩٩.
٥- الأمالي- النوادر ص ١٩٩-٢٠٠، وانظر: نشأة الكتابة ص ١٦.
٦- كانت قريش تقسم إلى قريش البطحاء، وهم الأصلاء وكانوا يسكنون في مكة، وقريش الظواهر وكانوا يسكنون خارج مكة وفي الشعاب والتلال، وهم خليط من العوام والأحباش والموالي (الموسوعة العربية ص ١٣٧٨).
٧- نشأة الكتابة ص ٢١.
٨- المرجع السابق ص ٢١-٢٢.
٩- الموسوعة ص ٨٧٨.
١٠- أبوعمرو الداني، البيان في عد آي القرآن ص ٤١.
١١- السيوطي: المزهر ص ١٢٠.
١٢- عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية ص ٢٨٣.

حــــراء

جذوة متوقدة في دنيا الإعلام الإسلامي، أدرك القائمون عليها أهمية الجمع بين الشكل والمضمون، وبين المبنى والمعنى، فجاءت تحفةً فنيةً تضم أطايبَ الكلام وأفانينَ الفكر والعلم والمعرفة.



د.محمد حسان الطيان

ما تَقَعُ العَينُ منها حينَ تَلحَظُها
إلّا عَلَى فِتنَةٍ من أجملِ الفتَنِ

إن من يتصفح مجلة حراء يشعر منذ النظرة الأولى أنه أمام نوع مختلف من أنواع المجلات، رصدت له أعظم الإمكانات، وحشدت فيه أرقى التقنيات الفنية وأكثرها إحكاما وإبداعا، بدءا من نوعية الورق ومرورا بتناسق الألوان وانتهاءً بروعة الإخراج.

فإذا مضى في قراءة مقالاتها وتنقل بين عقول كاتبيها ومبدعيها أدرك أيَّ فكر راق تشتمل عليه هذه الإضمامة.. وأيَّ أدب رفيع يقطر من يراع كاتبيها.. وأيّ علم غزير يتفجر من سلسالها، وسرعان ما يتبدّى له أنها مجلة استوفت معايير الجودة، وبلغت أمد الغاية إتقانا وإخراجا وفكرا ومعرفة ورفعة وأدبًا.

ولا غرو فقد تناوشتها أقلامٌ قلما اجتمعت في مجلة!

فمن معقلها في تركيا يطل علينا فتح الله كولن المفكر الشاعر والكاتب المبدع بفيوضاته وفتوحاته، ومن جارتها سورية يلقانا الأستاذ د. سعيد رمضان البوطي بفكره وقلبه، ومن أرض الكنانة تتبدى لنا آيات الإعجاز العلمي في مقالات أ د.زغلول النجار، ويتفجر الفكر الأصيل في مباحث الأستاذ الدكتور محمد عمارة، وتسمو الروح ويتوقد الوجدان مع سماحة المفتي د.علي جمعة، ومن أقاصي المغرب يطالعنا أ د.الشاهد البوشيخي بنصاعة أسلوبه وغزارة علمه، ومن الأردن تحلق بنا الشاعرة نبيلة الخطيب في عالم شعر يلامس القلوب والأرواح قبل الأنظار والأسماع، ومن العراق الجريح- فرج الله كربته- يتحفنا د. عمادالدين خليل برؤاه العميقة في التاريخ والأدب.

ومن الجزائر وماليزيا.. ومن اليمن وفلسطين.. بل من كل صقع عربي وإسلامي تستقطب حراء أروع الأقلام وأبدع الأفكار وأحلى الكلام، في مشكاة تمتزج بأجزاء النفس لطافةً.. وبالهواء رقةً.. وبالماء عذوبةً.. وبالنغم العلوي الأصيل إيقاعا وجرسًا.

إنها الكلمة الطيبة تؤتي أكلها في أبهى صورها وأزكى حالاتها ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾ (سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥)

فليهنكم يا من تقومون على هذا الصرح الإعلامي الإسلامي إنتاجكم.. وليهنكم ما قدمت أيديكم.. وليهنكم ما أثمرت قرائحكم في هذه المجلة.

ليهنكم ما تخيَّرتم من اسمها «حــراء» مبعث النور والهداية والصفاء.

وليهنكم ما صنعتم في شكلها ووصفها حتى غدت أمثولة للحسن والبهاء.

وليهنكم ما استقطبتم لها من بارع الكتّاب والشعراء حتى تفردت بأجمل العطاء.

وليهنكم ماحققتم بها وفيها من تألق ونجاح حتى غدت نبراسا للإعلام الإسلامي المعاصر.

وليهننا معشر القراء أن فزنا بها، وإنها وايم الحق لمغنم عظيم.

ولايسعني في الختام إلا أن أتوجّه إلى كل من قام عليها بقول أمير الشعراء:

إنَّ القُلوبَ وَأنتَ ملءُ صَميمِها
رفعَت تَهانيها منَ الأَعماقِ

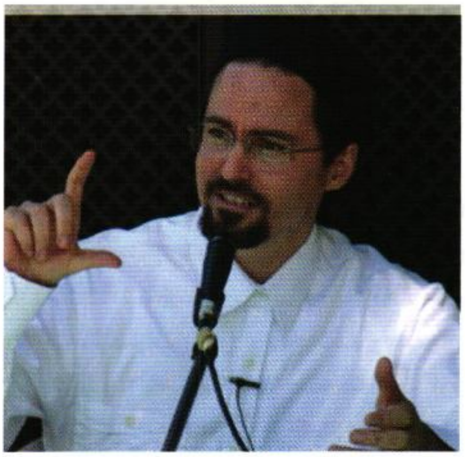
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة - الكويت

الداعية الأميركي الشيخ حمزة يوسف في حوار خاص:

مسلمو الغرب ضحايا الإهمال والهجرة الاقتصادية

حوار: تمام الصباغ وعبادة نوح



أكد الداعية الأميركي الشيخ حمزة يوسف أن المسلمين في أميركا يجمعهم الوحدة والحالة المادية المتوسطة، ويفرقهم طبيعة الحياة السريعة مبينا أن الجالية المسلمة في أمس الحاجة إلى عناية مركزة لأن الهجرة إليها كانت اقتصادية. وقال في حوار خاص لـ «الوعي الإسلامي» على هامش زيارته للكويت مؤخرا: إن بعض المسلمين تدينهم شكلي فقط، بينما في المعاملات بلا دين، وبالتالي يقدمون صورة سيئة جدا تشوه الإسلام لافتا إلى أن الإسلام في موريتانيا فطري وليس عندهم تصنع في إسلامهم. وأوضح أن المعماريين المنصفين من الغرب عندما يتحدثون عن أعظم المباني من الناحية الهندسية يذكرون دائما تاج محل في الهند وقصر الحمراء في غرناطة باعتباره أعظم مكان للزيارة في أوروبا.. واليكم نص الحوار:

■ حدثنا عن مسيرتكم الدعوية في أميركا.. كيف بدأت وأين وصلت؟

في أواخر الثمانينيات بدأت أكون دورات علمية والحمد لله انتشرت الفكرة التي كنت أدعو إليها حتى إن الكثير من المؤسسات الدعوية في أميركا تعمل بنفس المنهج الآن.

وقد كنت أرى أن الجالية المسلمة في أميركا بحاجة إلى عناية مركزة لأن الهجرة إليها كانت اقتصادية والمسلمون غرقوا في بحر المادية وكثير من الأبناء كانوا ينشأون في جو مغاير للمفاهيم الإسلامية، حيث إنه يجد شيئا في البيت ثم يذهب إلى المدرسة فيجد عكس ذلك، وبالتالي باتت المغريات كثيرة فركزنا على الشباب ووجدنا الاستجابة وانتشرت الدعوة.

ومنذ عشر سنوات أسسنا معهد الزيتونة لننتقل من مرحلة الدورات المركزة إلى شيء ثابت مستمر، والحمد لله افتتحنا بكالوريوس تجريبية في كاليفورنيا منذ خمس سنوات، وتخرج فوج تدريبي ونجحوا مع إمام زيد شاكر والآن ارتقينا إلى كلية فأسسنا كلية الزيتونة.

■ ما أبرز مشكلات المسلمين في أميركا؟ وهل مشكلتهم مع أنفسهم أم تعود لأسباب خارجية؟

- الأمة الإسلامية عموما تعاني التخلف داخل العالم الإسلامي وخارجه، فأنا تربيت في كاليفورنيا ودرست بأحسن المدارس في أميركا، وعندما أسلمت كأنني تبنيت هذا التخلف لأن الذي ينضم إلى الإسلام كأنه ينضم إلى مجتمع متخلف في أمور كثيرة، ولكن بدأنا التخلص من هذا في أميركا عن طريق إزالة العوائق والنظر إلى أعلى والمشاركة بما يليق بهذا الدين، فعندنا إدارة متميزة ومجلس أمناء على مستوى جيد وكلهم تخرجوا من كبرى الشركات في أميركا، فنحن نرى التيارات الأخرى بضاعتها فاسدة ولكنها تعرض بطريقة جذابة والشباب ينجرفون وراءها.

■ كيف نحسن من بضاعتنا في الغرب؟

- نحن في أميركا نهتم بأمر المسلمين وهذا من واجباتنا، ونريد أن نفهم الشعب بأن الكون فيه علاقات، ونفهمهم أن الظلم مشكلة، فهناك من في العالم العربي يريد الانتقام منهم، ولكن نحن نريد مساعدتهم لأن الرسول كان يحب البشر والناس جميعا حتى اليهود.

■ انتم الآن تتبنون موضوع التعليم.. لماذا التعليم بالذات؟

- هناك تركيز على التعليم لأننا نرى أن الجهل اكبر عدو للإنسان سواء المسلم أو غير المسلم، وليس فقط الجهل في العلوم فعندهم علوم يبنون بها الجسور ويصلون بها إلى القمر، لكن العلوم الإنسانية والمتعلقة بالسماء غائبة، فهناك كون وهناك خالق له وهناك أشياء تؤثر على الإنسان وأفعاله، فالإسلام دين عبرة.

■ ما دور وسائل الإعلام في دعم عملية التعليم؟

- في الماضي كان العالم الإسلامي يضم علماء في كل التخصصات والثقافة واسعة، لكن مع ذلك يسر الله لنا إيصال الرسالة بطرق أخرى، فنحن نقوم بالبث المباشر وغير المباشر من المسجد والوسائل الحديثة مثل الحاسوب والانترنت.

■ هل مشكلة أميركا مع الإسلام نفسه أم مع المسلمين؟

- لا نستطيع تعميم المشكلة، فهناك عشرات الملايين من المسلمين والمكسيكيين الذين لا يعرفون أي فكرة عن الإسلام، وهناك عشرات الملايين من السود الذين يحبون الإسلام وليس عندهم أي مانع،

التيارات الأخرى بضاعتها فاسدة ولكنها تعرضها بطريقة جذابة
السياحة الحقيقية تعني السير في الأرض والنظر إلى العبر

وهناك من النصارى من يكره الإسلام ككرهه لأي دين مثل اليهودية، وهناك في الإدارة الأميركية أناس ليس عندهم أي عداوة تجاه الإسلام، وفي المقابل هناك أناس عندهم عداوة، لذا فإن أميركا فيها أشكال وأنواع.

■ **يقال إن الدعوة الإسلامية في أميركا تنتشر بين السود أكثر من البيض.. هل هذا صحيح؟**

- نعم هذا صحيح، أولا لأن السود من أصول افريقية وعندهم ميول لهذا الشيء، فكثير من الذين أتوا إلى أميركا كانوا عبيدا مسلمين وهذا ثابت في التاريخ، وعندما تكون هناك أقلية مضطهدة في مكان ما فإنها تبحث عن بديل ولا تريد أن تحاكي من يظلمها، ثم إن الدين في نظرهم هو الرجل النصراني المعلق أمامهم وهو رجل ابيض كما ذكر الكثير منهم فكيف اعبد اله البيض وهم يظلمونني، يعني بعض اللاهوتيين عندهم قالوا بإن هذا الإله عنصري، لكن الآن المكسيكيون يسلمون والبيض يسلمون، ففي فرنسا ٢٥٪ من اللواتي تنقبن ممن اعتنقن الإسلام، وهذا يزعجهم ويخافون منه.

ولكن للأسف نجد أن بعض المسلمين تدينهم شكلي فقط، ففي المعاملات يفتقدون الى أحكام الدين، فمثلا في أوروبا نجد أن نسبة الجرائم لدى المسلمين أعلى بكثير من غيرهم، وبالتالي يقدمون صورة سيئة جدا تشوه الإسلام، ونحن نريد للإسلام أن ينتشر بشكله الصحيح.

■ **لماذا يتعجب الغربيون عموما من انتشار معدلات الفساد في العالم الإسلامي؟**

- نعم هم يتعجبون، لأنهم وجدوا عبر منظمات الأمم المتحدة في تقارير الشفافية أن الفساد في دول العالم الإسلامي أعلى المعدلات في العالم، فكلفوا أناسا في بريطانيا لمعرفة هل الإسلام فعلا يجعل الفساد ينتشر بين المسلمين.

■ **هل يتحدث المنصفون من الغرب بموضوعية عن الإسلام؟**

- نعم هناك منصفون، فالمعماريون عندما يتحدثون عن أعظم المباني من الناحية الهندسية يذكرون دائما تاج محل في الهند وقصر الحمراء في غرناطة، باعتباره أعظم مكان للزيارة في أوروبا بواقع ٢٥ مليون زائر سنويا، لان الإخلاص والإحسان في العمل ظاهر في هذه المباني، بينما وجدت أن أقبح المباني في العالم الآن موجودة عندنا وحتى في الدول الإسلامية الغنية.

■ **ألا ترون أن للسياحة دورا في اطلاع الآخرين على ثقافتنا وحضارتنا؟**

- عندنا أزمة سياحية في كثير من دول العالم الإسلامي، وللأسف السياحة الآن أصبحت وسيلة للفساد، ولكن السياحة الحقيقية تعني السير في الأرض والنظر إلى العبر، والتزاور من أعظم أسباب التعرف على الشعوب، وهناك أناس اسلموا عند زيارتهم للمغرب حيث أعجبوا بالحضارة وتساءلوا من بنى هذه الحضارة.

■ **مسلمو أميركا.. ماذا يجمعهم وماذا يفرقهم؟**

- الذي يجمع المسلمين عموما أنهم متوسطو الحال وهذا شيء جيد، يعني الفقر عندنا اقل من الأميركيين العاديين، عندنا فقراء لكن ليس مثل العالم الإسلامي، وأيضا الحزبية لم تتمكن منهم إلى حد كبير، الجميع يصلون في نفس المسجد مهما كانت اختلافاتهم الفكرية والمذهبية. أما الذي يفرقهم فهو طبيعة الحياة في أميركا، فالحياة سريعة والإنسان منهمك في مهامه وأشغاله، وقليلا ما يجد فرصة للتزاور والتواصل الاجتماعي.

■ **ما رأيك في القرارات الأخيرة التي أصدرتها بعض الدول الأوروبية بخصوص الحجاب والنقاب؟**

- هم عندهم إحساس بأن المسلمين لا يضيفون شيئا ايجابيا إلى مجتمعاتهم، بينما في أميركا يوجد مسلمون أطباء ومهندسون يشاركون في الحياة العامة لذا تجد نسبة العنصرية اقل، لكن في أوروبا المسلمون للأسف ضحايا إهمال، فكثير من آبائهم هاجروا كعمال غير متعلمين وثقافتهم محدودة وسكنوا في أماكن صعبة حيث تنتشر المخدرات والزنا، فهم ينشأون في هذه البيئة.

■ **هل هناك خوف من الحكومات الغربية من جراء اعتناق الغربيين للإسلام؟**

- هم يخافون أن يعتنق المسلم فكرا جهاديا، فأنا لا أنكر أن الجهاد أصل في ديننا وإن كل دولة لها الحق في الدفاع عن نفسها، لكن العنف العشوائي الذي نجده في هذا العصر والمنظمات الإرهابية هذه ليست من الإسلام، فعندما أعيش في أميركا يجب علي أن احترم القانون وان أؤدي واجبي كمواطن صالح.

■ **ما هي رؤيتك لمستقبل العالم الإسلامي؟**

- أنا لست بكاهن، الله يقول العاقبة للمتقين والعاقبة لنا إن شاء الله، ونحن مؤمنون والتفاؤل من ديننا والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل وكان يتفاءل خيرا وكان يقول تفاءلوا بالخير تجدوه، فنحن نؤمن بإله كريم ورحيم والمستقبل إن شاء الله مزدهر، ورسولنا يقول إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها، ونحن غرسنا الزيتونة في أميركا وإن شاء الله تؤتي ثمارها.

الدروس المستفادة من الأزمة الاقتصادية في اليونان

عبدالحافظ الصاوي

حلم الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي داعب الكثير من الدول، سواء كان هذا الانضمام في صورة عضوية كاملة، أو الدخول في اتفاقيات تمكن بعض البلدان من تعامل نشط اقتصاديا مع الاتحاد، وفي كلتا الحالتين دفعت هذه الدول ثمنًا باهظًا لهذه العلاقة مع الاتحاد الأوروبي، تمثل في قبول أجندة العولمة المحررة من كافة القيود، مما أوجد نوعًا من المعضلات الاجتماعية، وتركيز الغنى في شرائح محدودة، واتساع رقعة الفقر، وتفريط الدولة في ملكيتها للمشروعات العامة، والدخول في مشروعات إنشاء وتحسين للبنية الأساسية كلفت هذه الدول الكثير وحملتها بالديون، وفي نفس الوقت لم تجد من الاستثمارات الخارجية ما يعوضها عن هذه التكلفة.

اليونان واحدة من الدول التي نالت عضوية الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠١، وتنازلت عن عملتها الوطنية ودخلت فيما سُمي بالوحدة النقدية لليورو، وكانت النتيجة بعد نحو عشر سنوات وجود اقتصاد هش، قائم على الفساد وتكدس الثروة، وأحلام واهية لتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر، وسرعان ما انكشفت عورة هذا الاقتصاد في مواجهة الأزمة المالية العالمية.

ملامح بنية الاقتصاد اليوناني

يبلغ عدد سكان اليونان نحو ١١ مليون نسمة، ويعتمد الاقتصاد بشكل أساسي على نشاطي السياحة والصناعات البحرية، ويبلغ الناتج المحلي لليونان في العام الواحد نحو ٢٤٠ مليار يورو، وقد بلغ العجز بالموازنة العامة لليونان حسب آخر التقديرات ١٢,٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وقدرت ديون اليونان، بنحو ٣٠٠ مليار يورو.

وفي ظل شروط الانضمام للاتحاد الأوروبي، التي تم التوصل إليها في اتفاقية ماسترخت، فإن معدل العجز بالموازنة العامة يجب ألا يزيد عن ٣٪، كما أن الدين العام يجب ألا يزيد عن نسبة ٦٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وفي حالة اليونان وصل إلى ١١٥٪.

ومن هنا نجد أن هناك مخالفات من قبل الاقتصاد اليوناني لشروط الانضمام للاتحاد الأوروبي، تمثلت في زيادة العجز بالموازنة العامة لما يزيد عن أربعة أمثال السقف المتفق عليه، وكذلك الدين العام زاد بمعدل ٥٥٪ عن المعدلات المسموح بها، وهو ما يطرح تساؤلًا مهما عن دور الأجهزة الرقابية على صعيد الاقتصاد اليوناني، ومؤسسات الاتحاد الأوروبي.

لا توجد وصفة جاهزة للنمو والتنمية تصلح لكافة البلدان فلكل دولة خصائصها الاقتصادية وإمكانياتها من الموارد المالية والبشرية والطبيعية

جوهر الأزمة الاقتصادية

وجد الاقتصاد اليوناني نفسه أمام حالة من الاعتماد شبه التام على الاقتراض، في ظل تبني اقتصاديات العولمة المتوحشة، حتى وصل إلى تصنيفات ائتمانية غير مقبولة، وبخاصة بعد الأزمة المالية العالمية، حيث بدت مؤسسات الإقراض أكثر تحسبًا من ذي قبل، فعجزت دولة اليونان عن دفع المرتبات والمعاشات، وكذلك عن سداد قيمة سنداتها الدولية التي حلت آجالها، مما أوجد نوعًا من الهلع في أسواق المال الأوروبية، وتلك التي تتداول فيها السندات اليونانية خارج أوروبا، ولم يتوقف الخطر على التخوف من عدم سداد اليونان لديونها فقط، ولكن لمستقبل وجودها داخل الاتحاد الأوروبي، كما أثير تساؤل حول مستقبل الوحدة النقدية الأوروبية، وبقاء اليورو كعملة موحدة للاتحاد الأوروبي، وخاصة في ظل تراجع أسعار اليورو أمام العملات الدولية الأخرى. وقد طرحت بعض التصورات لخروج اليونان من هذه الأزمة، من خلال تخليها عن عضوية الاتحاد الأوروبي، والعودة إلى عملتها الوطنية، مع إجراء تخفيضات كبيرة تمكنها من زيادة صادراتها وتنشيط اقتصادها.

العلاج المر

بعد أن تعرضت اليونان للوقوع في شبح الإفلاس، لعجزها عن دفع ديونها في مواعيدها المحددة، ووجود حالة من الهلع في أسواق المال الأوروبية، أتت الشروط الأوروبية لتفرض نفسها على حكومة اليونان، وهي في مجملها شروط إذعان تتعارض مع مصلحة الاقتصاد اليوناني. قدم الاتحاد الأوروبي قرضًا جديدًا في شكل مساعدات بفائدة سنوية قدرها ٥٪، يدفع على دفعات، بعد أن تعلن اليونان عن تطبيق جاد لحزمة من الإجراءات الاقتصادية، صدق عليها البرلمان اليوناني، وما زالت تثير مشكلات بالشارع اليوناني من خلال المظاهرات والاضرابات العامة، وتتمثل الإجراءات التي فرضها الدائنون الجدد لليونان في الآتي:

تخفيض أجور العاملين في الحكومة والقطاع العام والقطاع الخاص، ورفع

* باحث اقتصادي

الضرائب، ورفع سن المعاش إلى ٦٥ عامًا، ورفع سن التقاعد لمن يخضعون لبرامج المعاش المبكر.

هذه الإجراءات المطروحة، ستطبقها اليونان خلال السنوات الثلاث المقبلة، حيث إن المنطق الاقتصادي السليم يقول: إنه في حالة الركود ومخاوف المستثمرين من القطاع الخاص من شبح إفلاس الدولة يجب أن يزيد الإنفاق العام، ولا يقلص كما هو مطلوب من اليونان الآن، والأمر الآخر هو أن العبرة ليست في تخفيض أجور العاملين، لأن المستثمر لا يعنيه خفض أجور العاملين بقدر ما يعنيه تنشيط الطلب على منتجاته حتى يستمر في الإنتاج، فمع انخفاض أجور العمالة، واستمرار حالة الركود، لن يكون قرار المستثمر تعيين المزيد من العمالة، بل سيكون طرد ما لديه من عمالة، أو تقليص عددهم لأقل قدر ممكن.

والمثير للدهشة، أن الحل الأوروبي أتى في ظل الحكمة التي تقول: «داوني بالتي كانت هي الداء»، فاليونان تعاني من عدم قدرتها على سداد الديون، وبدلاً من أن تُقدم لها مساعدات حقيقية تتمثل في قرض حسن، بالإضافة إلى ضخ استثمارات حقيقية لمؤسسات الاتحاد الأوروبي في شريان اقتصاد اليونان، أتت المساعدة في شكل قرض بمعدل فائدة هو الأعلى في سوق الإقراض، فألمانيا تقترض من السوق العالمي بمعدل ٢,٥٪، بينما الاقتصاد المعرض للإفلاس في اليونان يتم إقراضه بنحو ٥٪.

والأخطر من ذلك أنه تم تقييم الأزمة من منظور مالي، ووضع لها العلاج في هذا الإطار، بينما الأزمة الحقيقية هي أزمة القطاع الإنتاجي، الذي تعرض للتشويه والتقليص من خلال برامج الخصخصة، ولم يتم تحقيق إضافة جديدة لبنية الاقتصاد في اليونان، ليضيف نشاطًا آخر غير السياحة والصناعات البحرية.

والجدير بالذكر أن هذه المساعدات التي قدمتها الدول الأوروبية لليونان، لم تأت في إطار مؤسسي للاتحاد الأوروبي، ولكن من خلال اتفاقيات ثنائية بين اليونان ودول أوروبية، لعدم وجود آليات داخل الاتحاد الأوروبي تنظم عمليات تقديم الدعم المالي، ومن هنا وجدنا موقف ألمانيا المتشدد تجاه الأزمة باليونان، وإعلانها أنه لا توجد آلية في الاتحاد الأوروبي لتقديم الدعم المالي، وأن تقديم دعم مالي لليونان سوف يفتح الباب لدول أخرى بالاتحاد الأوروبي، معرضة لنفس مشكلات اليونان، مثل البرتغال، وإيطاليا، واسبانيا، وايرلندا.



الدروس المستفادة

اللحاق بنادي الاتحاد الأوروبي، لا يعني بالضرورة تحقيق اقتصاديات الرفاهية والتقدم الاقتصادي، بل يعني اتجاه الدولة لترسيخ قواعد قوية لاقتصادها تتمثل في وجود قواعد إنتاجية حقيقية، يمكنها التعامل في ظل ظروف مختلفة.

دفعت اليونان مثل غيرها من الدول الكثير لتهيئة اقتصادها للدخول للاتحاد الأوروبي، وبخاصة على البنية الأساسية، وفي الوقت ذاته لم يكن هناك زيادة في معدلات الأداء والنمو الاقتصادي للاستفادة من هذه البنية الأساسية، مما جعلها عبئًا على الاقتصاد اليوناني أكثر منها ميزة يستفاد منها، ومن هنا يجب على كل الدول أن يكون نُصب أعينها أن الاستثمار في البنية الأساسية لابد أن يكون بحساب، خاصة إذا كانت عمليات تمويل مشروعات البنية الأساسية تعتمد على الاقتراض من الخارج أو الداخل، وتمثل عبئًا على الموازنة العامة للدولة.

ثمة وجود للفساد داخل الاتحاد الأوروبي كمؤسسة، أو داخل دولة، تمثلت في إخفاء اليونان لمؤشراتها الاقتصادية التي تخالف شروط عضوية الاتحاد الأوروبي، ومن هنا يجب النظر إلى تجربة الاتحاد الأوروبي على أنها في إطار ما أصاب المؤسسات المالية والاقتصادية في أميركا وغيرها من حيث تغلغل الفساد، وأن الدرس المستفاد من التجربة في اليونان وغيرها من الدول الأخرى، أن تتم عمليات مراجعة حقيقية لمواجهة الفساد وعدم التهاون مع من روجوا له أو ساعدوا على ممارسته.

لا توجد وصفة جاهزة للنمو والتنمية تصلح لكافة البلدان، فلكل دولة خصائصها الاقتصادية وامكانياتها من الموارد المالية والبشرية والطبيعية التي يجب تعظيم الاستفادة منها، ولا مانع من قبول الوصفات الخارجية في إطار أجندة وطنية تراعي خصوصيات كل دولة، ولعل تجربة ماليزيا وغيرها من البلدان الأسيوية خير مثال على ذلك.

لابد من إعادة النظر في آلية سعر الفائدة (الربا) نظرًا لما ترتب عليها من أضرار ملموسة فاقمت من أزمة المديونية والتضخم، والمقامرة في أسواق المال، وتظل المشاركة آلية مقبولة ومجربة لا ينتج عنها سلبيات سعر الفائدة.

سمحت أزمة اليونان للمؤسسات المالية الدولية (البنك والصندوق الدوليين) أن تطل برأسها مرة أخرى لتسترجع دورها، بعد أن كانت الأزمة المالية العالمية قد علمتنا بمخاطر أجندة هذه المؤسسات، وطالب العديد من المسؤولين في الدول الغربية بمراجعة سياسات هذه المؤسسات.



ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحاتA4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشوراً في الصحف والمجلات المطبوعة والالكترونية.

ملاحظة : المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

الوظيفة أمانة

إعداد : التحرير

لدى الرجوع إلى حكمة الله إذ خلق الناس ليبلوَهم في ظروف الحياة الدنيا، ثم يحاسبَهم ويَفْصلَ القضاء بينهم، ويجازيَهم في حياة أخرى، بعد برزخ فاصل بين الحياتين، يُلاحَظ أنّ الوظيفةَ في إداراتِ المجتمع الإسلاميّ فرْعٌ من فروع الأمانة العامّة التي عُرضت على النفوس الإنسانية، حين كانت في عالم الذّرّ.

لقد اعترف كلّ إنسان وهو في عالم الذّرّ لله عز وجل بربوبيّته، بعد أن أعطي الإرادة الحرّة، وقدرات الفهْم، وأعلمنا الله بهذا الاعتراف الذي نسيناه وبقيت في ذواتنا الفطرة العقلية والمشاعر الوجدانية التي تَهدينا إليه، فقال الله عز وجل في سورة الأعراف: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾.

وبعد الاعتراف لله عز وجل بربوبيته، عرض الله على الإنسان الواعي حمل أمانة الدين وشروطها ونتائجها.

وهذا العرض نفسُه عرضه الله على السماوات والأرض والجِبال، فأبين أن يحملن الأمانة، لكن الإنسان استعدّ لِحملها، طمعا بما في حملها من تشريف له وتكريم، وأملاً بالخلود السعيد في جنات النعيم.

وتتلخص هذه الأمانة بأن يعْبر رحلة امتحانه وهو يملك الإرادة الحرة، وقدرات الإدراك والفهم، ونوازع الخير والشر، والأهواء والشهوات، على أن تُسخّر له بخلق الله الأشياء والقوى في ذات نفسه وجسده، وفي الكون من حوله، ليمتحن في ظروف حياة أولى، هي حياة دنيا، وتكون مادّة امتحانه الإيمان والإسلام والعبادة.

(بتصرف من كتاب: الموظف المسلم ومسؤولياته
للشيخ: عبدالرحمن حسن حبنّكة)



الأمانة الوظيفية

رشيد الحسن

إنّ حملًا ثقيلًا وواجبًا كبيرا وأمرا خطيرا عُرض على الكون سمائه وأرضه وجباله، فوجلت من حمله، وأبت القيام به، خوفًا من عذاب الله تعالى، وعُرضت هذه الأمانة على آدم عليه السلام، فحملها واستقلّ بها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب: ٧٢)، فمن لم يؤدِّ الأمانة كان له من هذا الوصف- وصف الظلم والجهل- بحسبه، ومن قام بالأمانة فقد انتفى عنه هذا الوصف بإذن الله.

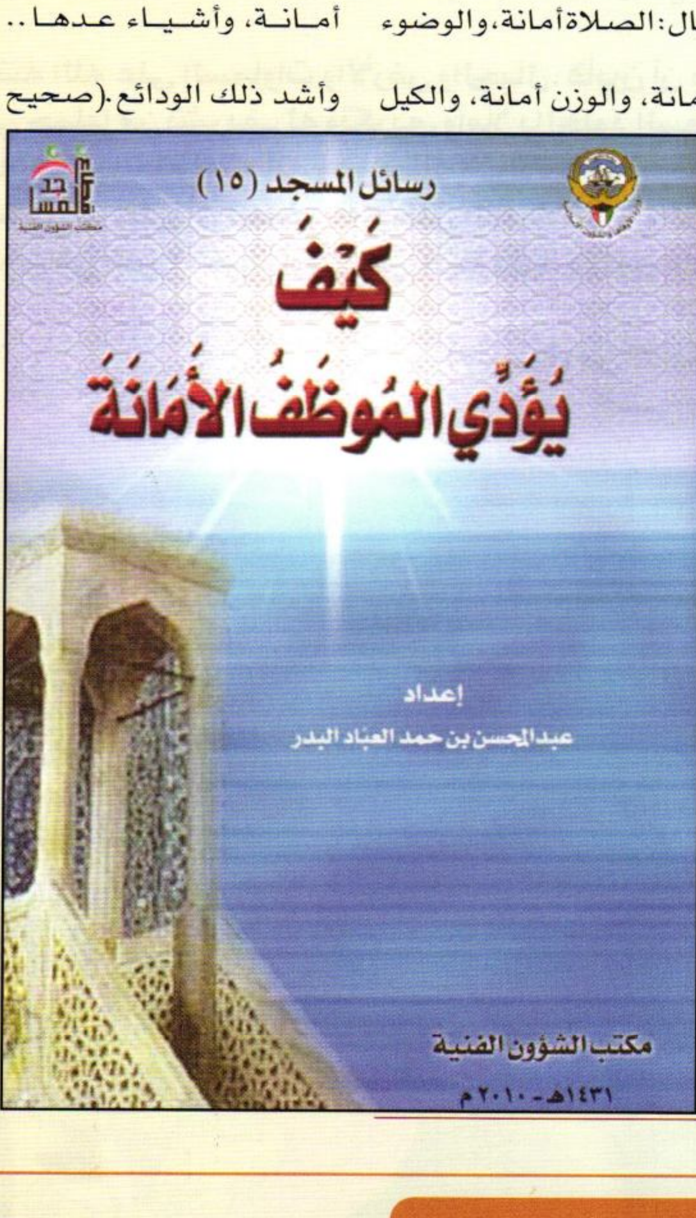
والأمانة في التعريف هي: خُلُق يعفّ به الإنسان عما ليس له به حق، ويؤدي ما عليه من الحقوق.

والأمانة كانت من أبرز صفات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. فنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام، كلٌ منهم كان يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (سورة الشعراء).

ونبينا محمدٌ ﷺ كان يُعرف بالأمين قبل النبوّة، وكان حريصًا على تولية الأمناء؛ فقد قال لأهل نجران: «لأبعثن عليكم أمينًا حقّ أمين، فاستشرف له الناس، فبعث أبا عبيدة بنَ الجراح».

وقال ﷺ: «الخازن الأمين الذي يؤدي ما أُمر به طيبةً نفسه أحد المتصدّقين»

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدها.. وأشد ذلك الودائع. (صحيح الترغيب والترهيب)



وتعتبر الوظيفة وأسرارُها أمانة عظيمة، ومن أعظم الأمانات وأجلّها شأنا وأعظمها قدرًا، والموظفُ مسؤولٌ عنها أمام الله وأمام مسؤوليه بحفظ أسرار هذه الوظيفة، وعدم التفريط بهذه الأمانة، ولذلك لما طالب أبوذر الغفاري رضي الله عنه بوظيفة ردّ عليه النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» (مسلم).

أين هذا التوجيه من وضع الكثيرين ممن يتسابقون إلى الوظيفة دون أن يفكروا في تبعاتها ومسؤولياتها، والسؤال عنها يوم القيامة! بل أين هذا التوجيه عن كثير من الموظفين الذين يتهاونون فيها وفي أوقات عملهم في حين يفترض أن يقوم الموظف بواجبه خير قيام في نطاق ما حدد له من مهام!

ومن أبرز مظاهر التهاون والتسيب الوظيفي تأخرُ الموظف عن الدوام وخروجُه في أثنائه أو قبل انتهائه، وانشغالُه طوال

• باحث شرعي

ساعاته بقراءة الصحف والحديث عبر الهاتف والمزاح مع الزملاء، وكذا خروجُه لإحضار أبنائه من المدارس، أو خروجُه لإنهاء بعض مصالحه وأعماله الشخصية، وغيرُها من السلوكات الوظيفية التي تدخل في إطار ما يسمى بالتسيب الوظيفي، ما يؤدي في نهاية الأمر إلى إهدار ساعات العمل وتعطيل مصالح الناس وخفض الإنتاجية وإغراق البلاد في الفساد وإهدار المال العام، كما يؤدي إلى تعطيل كثير من المشاريع أو تقديمها على نحو لا يتطابق مع المواصفات التي كان ينبغي أن تتقدم بها، وبالتالي يؤدي إلى غياب المساواة والعدالة بين

من أبرز مظاهر التهاون والتسيب الوظيفي تأخرُ الموظف عن الدوام

الموظفين وتعطيل المصلحة العامة، وإنفاق جزء كبير من رواتب الموظفين على غير مستحقيها.

ومن مظاهر تضييع الأمانة الوظيفية أيضًا أن يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته، فإن التشبعَ من المال العام جريمة قال ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» أبوداود، قال تعالى: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ (آل عمران: ١٦١).

ولما سئل الشيخ محمد بن عثيمين- رحمه الله- عن تأخر البعض عن وظيفته نصف ساعة، أو يخرج من الدوام أيضًا قبل نصف ساعة، أجاب:الظاهر أنّ هذا لا يحتاج إلى جواب؛ لأنّ العوض يجب أن يكون في مقابل المعوض، فكما أنّ الموظفَ لا يرضى أن تُنقص الدولة من راتبه شيئًا، فكذلك يجب ألا ينقص من حق الدولة شيئًا.

حتى بلغ الحال بالشيخ أنه كان يفتي للمؤسسات المهنية بأنه إذا كان خروج الموظفين للصلاة في المسجد سيترتب عليه التفريط في حقوق العمل، فإنّ عليهم أن يصلوا في مقرات العمل، ومن ذلك مثلًا قوله في الشرح الممتع:

«بعض الموظفين لا يخافون الله، فإذا خرجوا إلى الصلاة خرجوا إلى بيوتهم، وربما لا يرجعون، ففي هذه الحال نقول: صلوا في مكانكم، لأن هذا أحفظ للعمل وأقوم، والعمل تجب إقامته بمقتضى الالتزام والعهد».

من هنا فإني أقترح أن تكون هناك خدمة خاصة بالبريد للموظفين في كل دائرة حكومية، يقضي الموظف من خلالها كل معاملاته في كافة الدوائر دون الحاجة إلى خروجه من دوامه.

-وإذا احتج " البعض بأنه لا يوجد عمل أصًلا، لأنّ العمل قليل؟وأنه ربما يظل يومَه كاملا ولا يوقع إلا على ورقة أو ورقتين.

قلنا له: أنت مربوط بزمن لا بعمل، يعني قيل لك: هذا الراتب مقابل أن تحضر من وقت كذا إلى وقت كذا، سواء أكان هناك عمل أم لم يكن، فما دامت المكافأة مربوطة "بزمن، فلابد من أن يستوفى هذا الزمن، ولا يجوز لك أن تخرج حقيقة إلا بإذن لأنه قد يأتي- وأنا قد رأيت هذا بنفسي- في بعض الدوائر الحكومية، يأتيه المُراجع ربما في الأسبوع مرة أو



مرتين ولا يجده فيكون قد تكلف المراجع المجيء إلى هذه الدائرة ولم يجد هذا الشخص ولذا نقول: واجبا تبقى ولا يجوز لك أن تخرج إلا لشيء لابد منه.

- كما أنّ بعض الموظفين يتأخرون عن واجبهم ويخدعون أنفسهم حينما يحدثونها بأنّ هذه الأنظمة ليست أمورًا دينية، فيقولون لأنفسهم: هذه النظم ليست أمورًا دينية يجب علينا التمسك بها، أو يقولون: إنّ الأجرة أو الراتب الذي نأخذه هو من بيت المال، وهذه خدعة يغترون بها، أما قولهم:إنّ هذه النظم ليست أمورًا دينية فإنّ النظام إذا كان ولاة الأمور قد نظموه وهو لا يخالف الشريعة فإنّ الواجبَ على الرعية طاعتُهم فيه. وأما الراتبُ الذي تأخذه من بيت المال وتقولُ إنه أي: بيت المال حلال لكل أحد فإنّ هذا الراتب الذي تأخذه إنما تستحقه مقابل عمل، فإن قمت بالعمل كان الراتب حلالًا لك وإلا فما الذي يحله لك ويحرمه على الآخرين الذين ليسوا في وظيفة.

ثم إنّ هذه الأعمال عقودٌ ومواثيقُ قد وافقنا ووقعنا عليها، قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾(المائدة:١)، وقال النبي ﷺ: «المسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما». ولأنّ الوظيفة أمانة متفرِّعة عن الأمانة الكبرى التي تعني عبادة الله عزّ وجل وعمارة الكون لما فيه خيرُ الإنسانية، فإنّ من أبرز ملامح هذه الأمانة التي تودع لدى الموظف بمجرد التحاقه بالوظيفة العامة ما يلي:

- الالتزام بإنفاذ الحكم الشرعي، فالموظف فرد يقوم بعمل صالح لخدمة المجتمع، والمصلحة الأولى للمجتمع هي الالتزام بالحكم الشرعي الذي شرعه الله.

- أداء العمل بدقة وإخلاص ، فلا يستخدم الموظفُ وظيفته لتحقيق مصالحه الشخصية.

- الانضباط في وقت الدوام، لأنّ وقت الدوام ملك لعمل الموظف وليس ملكًا له.

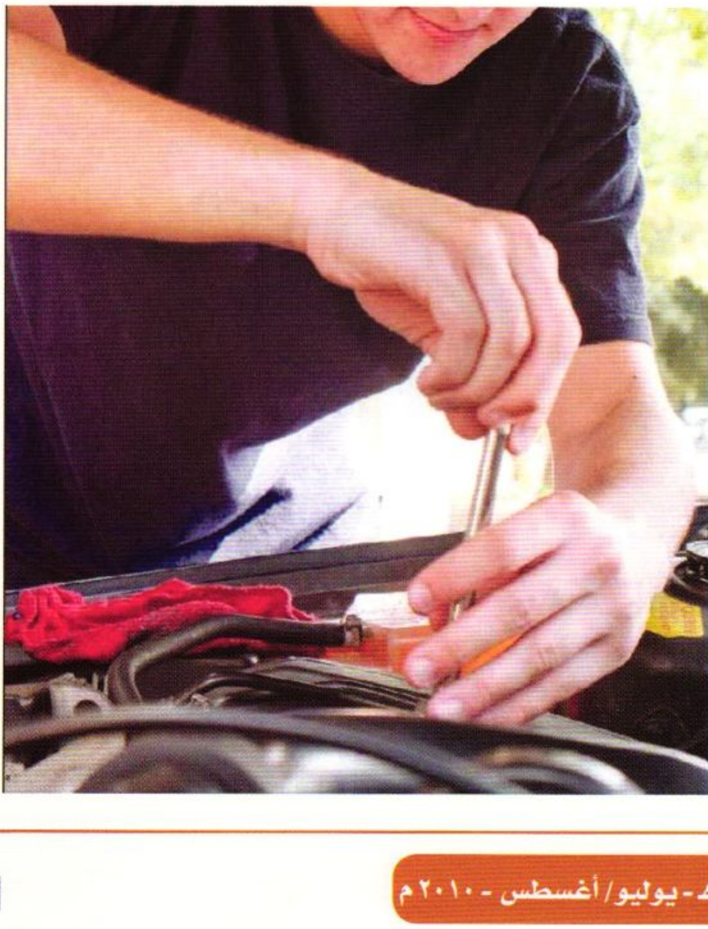
- التعامل الحضاري مع المراجعين، وذلك عن طريق حسن استقبالهم بالكلمة الطيبة وطلاقة الوجه، وأن يُشعر المراجعين بأنه لم يوجد في موقعه إلا لخدمتهم وتسهيل أمورهم، ودراسة معاملاتهم بالصدق والأمانة، وإفادتهم بما تنتهي إليه معاملاتهم بأسلوب إنساني.

ولقد صدمت حين قرأت عن بعض الموظفين الأخبار التالية:

- نظرت محكمة جنايات مدينة عربية، في قضية اختراق شرطيين قاما بالدخول إلى الشبكة المعلوماتية والنظام الإلكتروني وإلغاء مخالفات مرورية، حال كونهما موظفين يعملان في غرفة عمليات القيادة العامة للشرطة حيث طابقا الرقم العسكري مع الرقم السري وتمكنا من حذف مخالفات مرورية تقدر قيمتها بالآلاف.

ـــ وخبر ثانٍ يقول: إنّ موظفين في هيئة... كانوا يمضون ساعات طويلة يوميا مستخدمين كمبيوترات حكومية لتصفح المواقع الإباحية والتعري، في عملية إهمال كبيرة وإساءة للأمانة الوظيفية.

- وخبر ثالث يقول: قضت محكمة دولة عربية بحبس موظف ثلاثة أشهر، لتورطه في تسريب امتحانات نهاية العام الدراسي المنتهي، مستغلًا موقعه مسؤولًا عن طباعة الأسئلة وسحبها وتوزيعها على لجان الامتحانات.



أدرك أننا لسنا ملائكة، وأن الموظف العام هو إنسان مهما بلغت درجته الوظيفية، لكني أقول: «من أمن العقوبة أساء الأدب»، «ولو فكر الطائر في الذبح ما حام حول القمح».

والأمة ولله الحمد فيها الكثير من الرجال والنساء الذين يتقون الله ويراقبونه في أعمالهم الوظيفية مع أدائها بجودة وإتقان وأمانة، ويسعون لإنهاض هذه الأمة والرفع لمكانتها .اللهم وفقنا جميعًا لأداء الأمانة، وارحمنا من الإضاعة والخيانة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التراتيب الإدارية في عهد الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

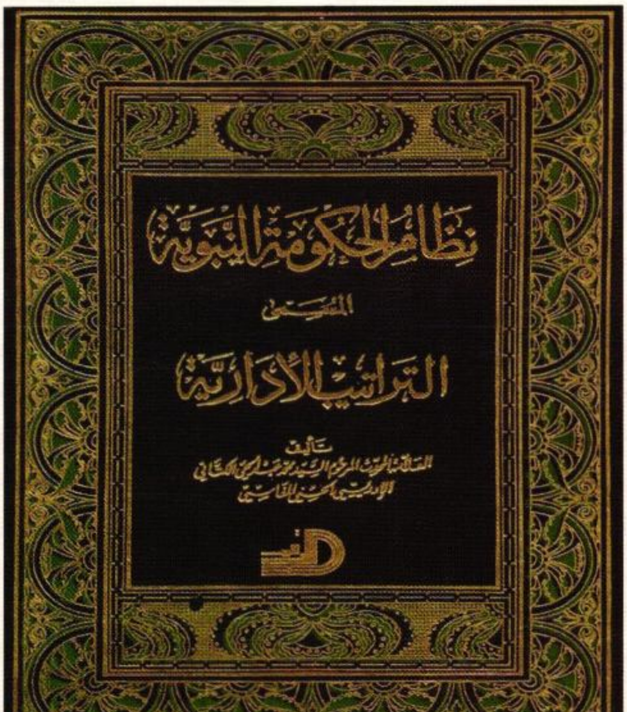
محمد بن سالم

إنَّ النُّظمَ الدولية قد تعدَّدتْ وتشعَّبتْ، وأصبحت مثارًا للجَدَل في المجامع الدولية، والمحافل الثقافية، وغدا كل فريق ينتصر لمذْهبه، وقامتِ الدولُ لتفْرض على جماهيرها النُّظُمَ والدَّساتير التي ورثتها عن الاستعمار، وكانت الدول المنتسبة إلى الإسلام في طليعة هذه الدول، ذلك أنها ابْتَعَدتْ عن المنهج الإسلامي، بل وأخذتْ تُحاربه، وتثير الشُّبَه حوله، وتتَّهمه بالجُمود، وعدم التمَشِّي مع رُوح هذا العصر.

في هذه اللمْحة المقتضبة نعرض لبعض الجوانب التنظيميَّة الإدارية، في عهْدِ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي قال عنه عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان إسلام عُمر فتْحًا، وهِجرته نصْرًا، وإمارته رحْمة»، مؤكِّدين على جوانب الكمال في تلك السياسة الراشدة، قاصدين من ذلك إثْباتَ صلاحيتها لكلِّ زمان ومكان؛ ذلك أنها تنهل من مَعين التَّعاليم الإسلامية الرَّبَّانيَّة الخالدة، والتي تُعنَى بالحياة بكلِّ دقائقها وتفاصيلها.

أ - تقسيم عُمر للولايات، واختيار الولاة ومُتابعتهم:

عندما تولَّى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخلافة، اتَّسَعَتْ في عهْده الدولةُ الإسلامية، وذلك بتوسُّع الفُتُوحات، حيث تمَّ فتْح العِراق، وفارس، والشام، ومصر، فتطلَّب منه الوضْع الجديدُ أن يضعَ نظامًا إداريًا حقيقيًا، يُعينُه في إدارة الدَّولة الواسعة، والإشراف على تنْظيم مواردها، فعمل على تقسيم الدولة إلى ولايات، أهمها: «ولاية الأهْواز والبحرين- ولاية سجستان ومكران- ولاية طبرستان- ولاية خراسان - ولاية البصْرة- ولاية الكوفة- ولاية المَوْصل- ولاية حمْص- ولاية دمَشْق - ولاية فِلَسْطين - ولايةَ مصر».



وكان عمر يختار لكلِّ إقليم واليًا، وكان يختارهم ممن يَتَوَسَّم فيهم الصلاح والمقْدرة على إدارة شؤون الولاية، والقيام بالمهام الملْقاة على عواتقهم، وكان مِن مهام الوالي: إمامة الناس في الصلاة، والقضاء بينهم بالحقِّ، وتقْسيم الغنائم والعُشور، وجَمْع الزكاة والجِزْية والخَراج.

وكان عمر يوصي أولئك الوُلاةَ بحُسْن معامَلَة الرعية، والرِّفْق بهم، وعدم تكْليفهم فوق طاقتهم، ويحملهم مسؤولية تطْبيق شرائع الإسلام وسُننه؛ فقال مُوَضِّحًا واجباتهم: «أيُّها الناس، إنِّي والله ما أرسل إليكم عمَّالاً ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أعْشاركم؛ ولكن أرسلهم ليعلِّموكم دينكم وسُنَنكم، فمَن فُعل به شيءٌ سوى ذلك، فليرفعه إليَّ، فوالَّذي نفس عمر بيده، لأقتصَّنَّ له منه».

وإذا كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يرضيه ظُلْم العمَّال للرعية، فإنه كذلك يكْرَه أن يتطاوَل أحدٌ من الرَّعيَّة على العمَّال، «فهو حينما شكا إليه أهلُ الكوفة سعدَ بن أبي وقاص، وطَلَبَ وفْدٌ منهم عَزْلَه، قال: مَن يعذرني من أهل الكوفة؟ إن ولَّيتَهم التَّقيَّ ضعَّفوه، وإن وليتهم القوي فجَّروه، فقال له المُغيرة بن شُعبة: يا أمير المؤمنين، إنَّ التَّقيَّ الضعيف له تقْواه ولك ضعْفه، وإنَّ القويَّ الفاجر لك قوته وعليه فُجُوره، فقال عمر: صدقْتَ» وولاه الكوفة.

كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتابع ولاته متابَعةً دقيقة، تنمُّ عن حرْصٍ

* كاتب موريتاني

على المصالح العامة للمسلمين، فكان إذا وفدتْ عليه وُفُود الحجيج، سألَهم عن أحوال أمرائهم وسيرتهم فيهم، فكان مما يقول لهم: «هل يعود مرْضاكم؟ هل يعول العبيد؟ كيف صنيعه بالضعيف؟ وهل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصْلة منها: لا، عَزَلَهُ».

كما كان يسأل القُضاة ويستحلفهم عن مدى تطْبيق الوالي للعدْل.

كذلك كان لعمر مُفوَّضون رسميُّون يسافِرُون إلى الأمصار، ويراجِعون أعمال الوُلاة، وكان من أطهر هؤلاء المفتِّشين محمدُ بن سلمة، وهو رجلٌ حازم فائق الأمانة.

وحرصًا منه رضي الله عنه على استقرار الوُلاة، وعدم انشغالهم بأمْر غير الولاية؛ فقد أجْرى عليهم مرتبات من شأنها أن تعينَهم على التفرُّغ لعَمَلِهم المنوط بهم، ومثال ذلك: أنه أجْرى على عمار- والي الكوفة- ستمائة درهم، له ولكاتبه ومؤذِّنيه كلَّ شهر، وأجْرى على عثمان بن حنيف رُبع شاة وخمسة دراهم كل يوم، مع عطائه - وكان خمسةَ آلاف درهم - وأجْرى على عبدالله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة كل يوم.

ب - القضاء في عهْد عمر:

أنزل الله القرآن على نبيِّه ﷺ متضمنًا الشرائعَ والأحكام، وقد كان النبي ﷺ هو الذي يتولَّى الفصل بين الناس، وتطبيق الحدود والأحكام، كما أنه استعان ببعض أصحابه في ذلك، فبعث معاذًا إلى اليمن قاضيًا ومعلِّمًا، وكذلك بعث عليًا- رضي الله عنهما.

ولما تولَّى عمر بن الخطاب، وتوسَّعَت الدولة في عهْده، واختلط العربُ بسكان البلاد المفتوحة، وازدادَت القضايا في هذه الأمصار - تعذَّر على الخليفة النظرُ فيها، وكذلك الولاة، فعمل عمر بن الخطاب على فصل القضاء عن الولاية، وشرع في تعيين القضاة في البلاد المفتوحة، فولَّى أبا الدرداء قضاءَ المدينة، وشريحًا الكندي قضاء الكوفة، وعثمانَ بن أبي العاص قضاء مصر، وأبا موسى الأشعري قضاء البصرة. وقد أجرى عمر رضي الله عنه عليهم الرواتب، فجعل للقاضي سليمان بن ربيعة خمسمائة درهم في كل شهر، وجعل لشريح مائة درهم ومؤْنته من الحنطة.

وكان رضي الله عنه يتعهَّد الولاة بالنُّصح والمتابَعة، ولا أدلَّ على ذلك من كتابه لأبي موسى الأشعري، والذي يعتبر دستورًا يَسْترشد به كلُّ مَن ولي هذه المهمةَ العظيمة.ولولا خوفي من الإطالة، لعرجت على كتابه هذا، وذكرت تفاصيله، مستخلصًا من ذلك حرْصَه رضي الله عنه على إحقاق الحق، وإقامة العدل بين الناس، مما دفع القضاةَ إلى العمل على تنفيذ أحكام الله، دون أن تأخذهم في الله لومةُ لائم، مستندين في ذلك إلى الدستور العادل، الذي يخوِّل لهم التسويةَ بين الناس، فـ«الناس سواسية كأسنان المشط»، «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». زد على ذلك ما كان يتمتَّع به القضاة من سلطات تنفيذية كاملة، تحت ظِل الخلافة الإسلامية الراشِدة.

جـ- الحسبة:

تَرد بعض الإشارات التاريخَية إلى أن الحسبة نشأتْ منذ عهْد الرسولِ ﷺ فقد مارسها بنفسه، وفوَّضها أحيانًا إلى غيره، وتبعه من بعده الخلفاء الراشدون، ثم صارت بعد ذلك ولايةً من الولايات الدينية، ويرى بعضُ المؤرخين أنها نشأت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، حيث وضع أُسسَها واختصاصاتها، وكان يقوم بها بنفسه، ثم أوكلها إلى رجل، أطلق عليه لقب «المحتسب».

وكانت مهمة المحتسب تتمثل في: مراعاة أحكام الشَّرع، وإقامة الشعائر الدينية، والمحافظة عليها، والنظر في أرباب البهائم، ومراقبة مَن يتصدَّر لتفسير القرآن الكريم، والنظر في الآداب العامة، وفي البيوع الفاسدة في السوق، والموازين والمكاييل.

وبالنظر في طبيعة تلك المهام، ندرك أن وظيفة الحسبة ومهامَّ المحتسب أشمل وأعمُّ مما تقوم به هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أيَّامنا هذه.

بل ويمكننا القول: إن



فتوحات الدولة الإسلامية حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين

الحسبة في الصدر الأول للإسلام هي نواة لنشأة ما يعرف الآن بالشؤون البلدية والقروية، وأن أمانة المدينة المنورة هي أول بلدية في الإسلام، وذلك للتشابُه بين بعض مهام المحتسب سابقًا، وما تضطلع به البلدية اليوم من مهام.

د- تدوين الدواوين:

ترجع نشأة الدواوين إلى رواية أبي يوسف، التي تفيد أنه لما قدم أبو هريرة من البحرين ومعه خمسمائة ألف درهم، خطب عمر بن الخطاب الناسَ، وقال لهم: إنه قد جاء مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا، وإن شئتم أن نعدَّ لكم عَدَدْنَا، وإن شئتم أن نزن لكم وزنًا لكم، فقال رجل من القوم: «يا أمير المؤمنين، دوِّن للناس دواوينَ يُعطون عليها، فدوَّن عمر الديوان».

ومن المعلوم أن عهْد عمر هو عهد الفُتُوحات، حيث كوَّن الجيوش، التي استطاع بها أن يفتح العراق وفارس والشام ومصر، ولضمان سير هذه الجيوش، وحرصًا على تجهيزها وتموينها؛ أنشأ ديوانَ الجند، الذي سجَّل فيه أسماء المقاتلين، ووجهتهم، ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم.

وبسبب هذه الفتوح؛ فقد تدفَّقت الأموال على المسلمين، وكان لابد لهذه الأموال من نظام يتحكَّم فيها، وينظم توزيعها، ويحفظ ما زاد منها؛ لذلك بدأَت التنظيمات الإسلامية تتبَلْور؛ نتيجة الحاجة الماسَّة إليها، واتخذت نظمًا تنسجم مع واقع العرب والدين الإسلامي، فاستحدث ديوان بيت المال.

ومن هنا؛ ندرك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول مَن وضع أُسُس التنظيم الإداري للدولة الإسلامية، بإدخاله نظامَ الدواوين، وقد عبَّر الماوردي عن أهمية خطوة عمر في استحداث الديوان؛ لكونه موضعًا لحفظ ما يتعلق بحقوق الدولة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.

وقد اهتمَّ عمر بالأموال الواردة للدولة، وكان حريصًا جدًّا على المحافظة عليها، وإعطائها لمستحقيها، وقد كان يتعامل معها كما يتعامل والي اليتيم مع ماله، فلا يأخذ منه إلا كما يأخذ أدنى رجل من المسلمين، ومما يروى عن نزاهة عمر وترفُّعه عن المال العام: ما رواه معيقيب، الذي كان يتولَّى بيت المال لعمر: «أنه كسح بيت المال يومًا، فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابن لعمر، قال معيقيب: ثم انصَرفتُ إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجئت، فإذا الدرهم في يده، فقال: ويحك يا معيقيب، أوجدتَ عليَّ في نفسك سببًا؟! أو مالي ومالك؟ فقلت: وما ذاك؟ قال: أردتَ أن تخاصمني أمَّةُ محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة».

هـ - المركزية واللامركزية في الإدارة العمرية:

يمكن القول- بصفة عامة- أن المركزية تعني: قيام الحكومة المركزية وحدها بالوظيفة الإدارية، دون مشاطرة الهيئات الأخرى لها في ذلك.

وقد وصف أحد الكُتاب عهد عمر بن الخطاب بالمركزية في الإدارة، فقال: «لقد فرضتْ ظروف الدولة الإسلامية في عهد عمر أسلوبَ المركزية في الحكم؛ بل إن عمر قد سلك أسلوبًا مركزيًّا متطرِّفًا، لا نكاد نجد له مثيلاً في التاريخ».

ثم بعد أن أورد نصوصًا من كتب عمر بن الخطاب إلى قوَّاد الجيوش، ينصح لهم ويوجههم، قال: «ولم تقف هيمنة عمر في العاصمة على الأمور العسكرية، بل امتدَّت إلى الشؤون المدنيَّة، ومن ذلك استئذان المسلمين الخليفةَ في طريقة بناء المساكن في المدن الجديدة، وحرص الخليفة على أن يُحاط علمًا بأقاليم الدولة التي لم يذهب إليها».

وقد ردَّ عليه الدكتور القطب محمد طباية، بعد أن أوْرد أقواله تلك، في كتابه «نظام الإدارة في الإسلام»، فقال: «إنه إذا كانت كتب السيرة والتاريخ قد حفظتْ لنا مثل هذه الكتب، التي يوجِّه بها عمر عمَّاله وقُواده، ويتابع أعمالهم، فإنها قد حفظت لنا كذلك آثارًا يفوِّض فيها عمرُ الرأيَ لعمَّاله وقواده لكي يتصرفوا في مواجهة المواقف، بما تقتضيه هذه المواقف.

من ذلك قوله لمحمد بن سلمة: «إن أكمل الرجال رأيًا مَن إذا لم يكن عنده عهْد من صاحبه، عمل بالحزم، أو قال به»، وقوله لمعاوية بن أبي سفيان حين بيَّن له أسباب اتِّخاذه مظاهرَ الملك: «لا آمرك ولا أنهاك»، وردُّه على أبي عبيدة حين استشاره في دخول الدروب خلف العدو بقوله: «أنت الشاهد وأنا الغائب، وأنت بحضرة عدوِّك، وعيونُك يأتونك بالأخبار»، إلى غير ذلك من النصوص التي تدلُّ على أن عمر بن الخطاب كان ينتهج المنهج اللامركزي في الإدارة، وليس معنى ذلك أنه قد رفع يده كلية عن الولايات الأخرى؛ بل إن من حقه وواجبه الإشرافَ على هذه الولايات ومراقبتها في الحدود الشرعية».

ولعل ما ذهب إليه الدكتور طباية هو الصحيح، خصوصًا إذا عرفنا أنه من الصعب جدًّا الرجوع إلى الخليفة في كل صغيرة وكبيرة في دولة مترامية الأطراف، وفي زمن لم تتقدم فيه وسائل النقل والمواصلات، والله أعلم بالصواب.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وظيفة الحسبة ومهام المحتسب أشمل وأعم مما تقوم به هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأيام

الهوامش

١- الإدارة في الإسلام: رائد محمد منا العلي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢- دراسات في النظم العربية والإسلامية: د.توفيق سلطان اليوزبكي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، طبعة ثانية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٣- عمر بن الخطاب: عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، طبعة أولى، ١٩٧٨م.
٤- عمر بن الخطاب: محمد صبيح، دار الثقافة العامة.
٥- نظام الإدارة في الإسلام: د.القطب محمد القطب طباية، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة أولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

مُثُل عليا في السلوك الإداري

الخضري عبدالمنعم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به» (رواه مسلم).

كان للسلوك الإداري في العهد الأول للحكم الإسلامي أثر عظيم في إقامة الدولة على أساس متين يشد بعضه بعضا، وأهم ما كان يتميز به السهر على مصالح الأمة، ورعاية العدل بين أبنائها، والقضاء على أسباب الفساد، لا فرق بين شريف ووضيع، وسرعة البت في الأمور حتى لا يستعصي علاجها بتواليها من غير حسم، والتحرر من الأثرة وحب الذات.

كان ذلك تطبيقًا أمينًا لقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠)

وقوله: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٨)، وقوله: ﴿كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: ٣)، إلى غير ذلك من النصوص التي توجب العدل والإحسان، والمساواة بين أصحاب الحقوق في القضاء والعطاء والقصاص وصدق الكلمة والوفاء بالعهد.

الرسول ﷺ يوزع المسؤوليات على ذويها

الرسول ﷺ كان يوزع المسؤوليات على ذويها، ويحذرهم من التفريط فيها، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» (متفق عليه)، وتراه يسوي بين الحاكم والمحكوم والشريف والوضيع في تنفيذ حدود الله، عن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فاختطب ثم قال: « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (متفق عليه).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصور مسؤولية الحاكم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مصورًا مسؤولية الحاكم في أمته «إنما مثل العرب كمثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده أين يقود؟ أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق» والجمل الأنف وهو الذي اشتكى من الحلقة التي ادخلت فيه لإخضاعه في القيادة، يقول الرسول ﷺ مشبهًا المؤمن به «...المؤمن كالجمل الأنف كلما قيد انقاد»، (وذلك للوجع الذي به، فهو ذلول منقاد).

وهكذا كان العرب في عهده أمة مطواعة، إذا أمرت ائتمرت وإذا نُهيت انتهت لما تعلمته من الآداب الإسلامية والأخلاق النبوية، وبما تركته فيهم عملية الزجر والردع من أبي بكر رضي الله عنه للمرتدين ومانعي الزكاة بعد الهزة الكبرى التي أصابت المسلمين لفراق رسول الله ﷺ، والمقصود من كلام الفاروق رضي الله عنه، ان قائد الأمة المطيعة مسؤول أعظم مسؤولية عن سلامة أمته ورخائها وطمأنينتها على مستقبلها، فعليه أن يسوسها برفق وأن يقودها إلى سبيل الأمن والعزة والكرامة والطمأنينة على مصالحها، بما يعد لها من أسباب القوة والمنعة التي ترهب العدو وتردعه، وتضمن لها السلامة من كيد الكائدين، ومكر الماكرين، ومسؤول عمن يختارهم لها من الحكام القادرين الصابرين المستيقظين الحريصين على مصالحها، الباطشين بمن يعبث بها، ولم يكتف أمير المؤمنين بذلك، بل أقسم على أن يحمل الأمة العربية على الطريق الأقوى الذي لا عوج فيه، ولا عثرات يصعب التغلب عليها، وقد بر بقسمه رضي الله عنه فقد قاد الأمة العربية قيادة حكيمة أمينة فأطاعته وأخلصت له، وتوسعت جيوشها في عهده في الفتوحات شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبا، حتى اتسعت رقعة البلاد المستظلة بظل الإسلام، الناعمة بأمنه وسلامه، الناطقة بوحدانية الرحمن الرحيم، المؤمنة بشرعية القرآن السالكة منهاجه المستقيم، كذلك يفعل القائد لأمته العظيمة.

إسناد الوظائف الإدارية

وهو ما يعبر عنه بـ «وضع الرجل المناسب في المكان المناسب» وكان النبي الكريم ﷺ لا يسند الوظائف الإدارية، على اختلاف مستوياتها وتخصصاتها، إلا لمن تثبت قدراتهم الإدارية، وملكاتهم الذهنية وخبراتهم المكتسبة، وصفاتهم الأخلاقية حتى يتسنى لهم النهوض بما يناط بهم من الأعمال، وكان ينهى عن إسناد هذه المناصب إلى من يشك في قدرتهم من الرجال، ويروى أن رجلًا سأله، متى تقوم الساعة فقال له: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وكيف اضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر لغير أهله، فانتظر الساعة».

كاتب مصري

كما نهى ﷺ عن اتخاذ العواطف والروابط الشخصية، معيارًا للاستحقاق في شغل المناصب فقال: «عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلا من عصابة- أي اختار رجلا لعمل عام أو شارك في اختياره- وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» (الجامع الصغير: ج ٢ ص ٢٧٨).

وطلب أبوذر الغفاري من الرسول ﷺ يومًا أن يعينه واليا على إحدى الولايات، فوجده الرسول ﷺ غير مستوف للشروط الخاصة بهذه الولاية أو أن هناك من هو أحق منه بها فأبى عليه ذلك، وقال له: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها إمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» (رواه مسلم).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معيار الاختيار لشغل المناصب، أو للترقي إلى المناصب الأعلى: «الرجل وقدمه، والرجل وبلاؤه» كما يقول الإمام علي رضي الله عنه «قيمة كل امرئ ما يُحسن» ويرى الماوردي في كتاب «أدب الوزير» أن نجاح العمل الإداري لا يتوقف على كثرة من يعهد إليهم بأدائه، بل يتوقف على صلاحية من يختار لهذا الاداء فيقول: «أن رجاء- أيّ نجاح- الأعمال ليس بكثرة الأعوان، ولكن بصالحي الإخوان».

ثم يقول: «الوجه الذي يستقيم تدبير الوزير في أمرهم- يقصد عماله- من قد عرف أن له من الرأي والقوة، ما يحتاج إليه»، إلى أن يقول: «اقتصر من الأعوان بحسب حاجتك إليهم، ولا تستكثر منهم لتكثر بهم، فلن يخلو الاستكثار من تنافر يقع به الخلل، أو ارتفاق يتشاكل به العمل، وليكن أعوانك وفق عملك، فإنه أنظم للشمل، وأجمع للعمل، وأبعث على النصح» ويطابق ذلك القول مبدأ من أهم المبادئ في الإدارة، ويقصد به تقدير احتياجات الأجهزة الإدارية من العاملين على اختلاف تخصصاتهم ومستوياتهم الوظيفية في ضوء القياس العملي لحجم العمل في الجهاز، ومعدلات الأداء.

ضغط الانفاق وعدم الإسراف

حرص الخلفاء وغيرهم من الحكام المسلمين على تجنب الإسراف في الانفاق من مال الدولة، حتى إن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، كان يحث على الكتابة بأقلام دقيقة، لتصغير المساحات التي تشغلها الكتابة، للاقتصاد فيما يستهلك من صحائف الكتابة ومن المداد، فقد كتب إلى عماله يقول: «إذا كتبتم فأرقوا الأقلام، وأقلوا الكلام، واقتصروا على المعاني، وقاربوا بين الحروف، واكتفوا من القراطيس- أي صحائف الكتابة- بالقليل»، وحدث أن قيل له: «ما بال هذه الطوامير - وهو نوع فسيح من صحائف الكتابة- التي تكتب بالقلم الجليل ويمد فيها، وهي من بيت مال المسلمين»، فكتب إلى العمال «لا تكتبوا في طومار، ولا يمد فيه»، وكان جعفر بن يحيى رضي الله عنه يقول لكتابه: «إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأخذ من بيت المال إلا قوته وقوت عياله، وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف، ودابتين لجهاده وحوائجه وصلاته وحجه، هذا بالنسبة لنفسه، أما عماله، فكان يرى أن الراتب حق لكل منهم، يأخذه لو كان غنيا، ثم يتصدق به إذا شاء، وكان يرزق العامل منهم بحسب حاجته، والبلد الذي يعيش فيه، وقد شرح الماوردي تقدير العطاء للجند بقوله: «إن تقدير العطاء يعتبر بالكفاية، أي بما يكفي الشخص جميع طلباته... وأن الكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه: أحدها عدد من يعول من الذراري والمماليك، والثاني عدد ما يرتبطه من الخيل والدواب، والثالث الموضع الذي يحله من حيث الغلاء والرخص».

رعاية العدل والقضاء على أسباب الفساد والسهر على مصالح الأمة من عوامل إقامة الدولة على أساس متين

المحاسبة على الكسب غير المشروع

كان النبي ﷺ يستوفي الحساب على عماله، ويحاسبهم على ما جمعوه من زكاة وغيرها، وما أنفقوه، فقد روي البخاري في صحيحه عن أبي حميد الساعدي، أن رسول الله ﷺ بعث واليًا على صدقات الأزد، فلماجاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه وقال: هذا لكم وهذا لي هدية، فقال ﷺ «ألا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا؟»، ثم قال: «ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول: هذا لكم وهذا لي هدية؟ ألا جلس في بيت أمه ليهدى له؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحد شيئًا بغير حق إلا أتي الله يحمله، فلا يأتين أحدكم ببعير له رغاء، أوبقرة لها خوار، أو شاة تيعر (تصيح) ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه ثم قال: «اللهم هل بلغت»؟ هذا منهاج من مناهج الحق والعدل التي سارت عليها الدولة الإسلامية في فجر نشأتها، فعز بها شأنها، وانتظم كل شيء فيها، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقبل من بعض عماله، دعواهم أنهم ربحوا من التجارة، وقال لهم: «إنا بعثناكم ولاة، ولم نبعثكم تجارًا».

وعلم أن عمرو بن العاص رضي الله عنه – عامله على مصر- كثرت أمواله ومتاعه وعبيده وخيله، ولم تكن له تلك الثروة حين ولاه مصر، فسأل عن ذلك فذكر أن ثروته من التجارة بمصر، فلم يقتنع عمر رضي الله عنه، وأودع ما زاد من ماله في بيت المال، ومر ببناء يبنى بحجارة وجص في المدينة فسأل: لمن هذا؟ فذكروا له أبا هريرة رضي الله عنه عامله على البحرين، فلما ناقشه في مصدر ثروته قال إن خيله تناسلت، وسهامه تلاحقت، وأنه اتجر، فقال له: «لا يحل لوال أن يتجر في سلطانه» أي في نطاق اختصاصه الوظيفي، ثم قال له «انظر رأس مالك ورزقك- أي راتبك- فخذه واجعل ما عدا ذلك في بيت المال» وكذلك فعل مع عماله في ولايات أخرى.

فمتى نعود إلى ينابيع ديننا الحنيف لنرتوي منها ونقوى بها على أعدائنا.

المراجع

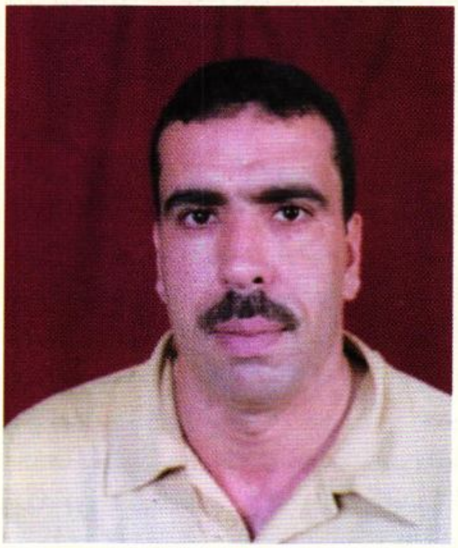
١-الأحكام السلطانية للماوردي.
٢- مجلة منار الإسلام الإماراتية العدد ٧٦.

الخبير الإداري والمدرب عادل الجمل للوعي الإسلامي:

القيادة الإدارية الناجحة يسبقها التكليف قبل التشريف والعشوائية وراء فشلها

حوار: منير أديب

يعاني العالم الإسلامي من سوء استغلال القيادة وسوء التعامل مع الوظائف وبالتالي تغيب المفاهيم والمعايير الضابطة لإيقاع العمل، فمتى تطلب الوظيفة أو القيادة؟ ومتى تكون تكليفا لا تشريفا؟ ومتى يطلق على صاحبها لفظ سارق أو مختلس؟ كلها تساؤلات حاورنا فيها عادل الجمل الخبير الإداري والتربوي والمتخصص في علم التنمية البشرية والمدرب لعلوم التنمية الإدارية، فإلى نص الحوار:



المختلس من يشغل وظيفة ليس أهلا لها ولا فرق بينه وبين من يختلس أو يسرق المال

■ متى تكون القيادة تكليفا ومتى تصبح تشريفا، وما هي التبعات إذا ما اعتبرها القائد تشريفا؟

- تعرف القيادة على أنها المنزلة أو المكانة التي من خلالها يقوم القائد او المدير بتحريك مجموعة من الافراد والتاثير فيهم وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف، وهي المهمة التي لابد أن تتوافر في القائد أو المدير باعتبارها أهم مؤهلاته وهي إحدى أهم الصفات الرئيسية في الشخصية القائدة والفنية والوظيفية المطلوبة لها، ليتحقق النجاح والاستمرار للمؤسسة او الشركة التي يقودها.

لذلك فانه لابد من وجود منهجية في عملية الاختيار للمناصب والمراكز القيادية تقدم المصلحة العامة على المصالح الخاصة والمنافع الشخصية المحدودة، كما تقدم المهارة والكفاءة على الواسطة والمعرفة والقرابة.

وحين تغيب تلك المنهجية وتحل محلها العشوائية والفوضى في الاختيار ويصل الى المناصب القيادية القائد غير الكفؤ وغير المؤهل فان الكوارث تحل على المنصب الذي يشغله وعلى الافراد الذين يقودهم وعلى المؤسسة التي يديرها.

والمنهجية ايضا تعني وضع اسس للاختيار يتم على اساسها المفاضلة بين شخصين او اكثر لاختيار من هو اصلح للقيادة، وبعد الاختيار يتم الاختبار ثم التكليف، ومن هنا نقول للذي تم اختياره وتكليفه أعانك الله.

واما التطلع الى القيادة وطلبها بدون ان تتوافر في طالبها الشروط والمؤهلات المطلوبة ولا يملك ما يقدمه سوى طلب الرفعة والمنزلة والشرف، فيعتبر دربا من دروب التهريج وضياع للمسؤولية. وشتان بين تطبيق المنهجية في الاختيار وبين تجاهلها، والمسافة بين الامرين تسع مابين الخافقين، وهي نفس المسافة مابين التكليف والتشريف.. ما بين ان يطلب المرء لمهمة وهو أهل لها، وما بين ان يطلب المرء مهمة وهو ليس اهلا لها.

ولقد كان رد النبي ﷺ واضحا وصريحا ومهذبا حينما ساله صاحبه ابوذر رضي الله عنه ان يستعمله فى احد المناصب القيادية فقال له «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» (صحيح الجامع)

■ إذن كيف يتحول القائد بوظيفته إلى خدمة الناس فيتحسس من خلالها مواطن التكليف لا التشريف؟

- في الحقيقة إن المناصب القيادية تتعدد وتتنوع وتختلف باختلاف وتنوع مجالات الحياة؛ فالمنصب القيادي في المؤسسة الاقتصادية يختلف عن مثله سواء في المؤسسات السياسية

أو العسكرية أو الاجتماعية أو الخدمية، ولكل راع رعيته، كما يقول النبي ﷺ في الصحيح: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته».

وذلك كله يحكمه الوصف الوظيفي لكل وظيفة قيادية، من هنا فان القائد الذي ينجح في مجال تقديم الخدمات للناس، والسهر على أمنهم، وتحقيق مصالحهم، وتطوير معيشتهم، وتحسين أحوالهم، وحل كافة مشاكلهم، فتظهر له ثمرة أدائه وانجازه فينال الرضى والتكريم والاستحسان لقيامه بأداء التكليف، من الممكن أن يحدث له الشرف في الدنيا والآخرة، فالتشريف هنا هو لم يطلبه ولم يسع إليه بل أتاه التشريف لقيامه بالتكليف، فالتشريف جاء أثرا للتكليف وليس العكس.

■ **ومتى يصبح صراع التكليف والتشريف صحيا لدى القائد الناجح، ومتى يطلب المرء «الولاية» لنفسه كما طلبها سيدنا يوسف كما أخبر القرآن الكريم ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (يوسف: ٥٥)**

- المسؤولية وتقديم التشريف يعد عيبا في النفس، وإساءة إلى الذات والى الناس، وأما ما كان من سيدنا يوسف عليه السلام حين كان في بيئة اختلت فيها الموازين ووسد الامر الى غير اهله فقال ذلك، فليس ذلك لشيء في نفسه (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) غير انه صاحب تفسير رؤيا الملك، بل وواضع خطة طويلة المدى لمواجهة الكارثة تمتد حتى خمسة عشر عاما، ومن ثم فليس هناك اولى ولا آمن منه على الاقتصاد ولا أحفظ منه للمخزون ولا أعلم منه بكيفية تطبيق خطته.

الأمانة الوظيفية وراء متطلبات العمل الناجح ومنهجية الوظيفة أحد أسباب النجاح

■ **ما هي متطلبات الأمانة الوظيفية من وجهة نظركم؟**

- كما انه لابد من وجود الأمانة عند الاختيار للوظيفة فانه لابد من توفر الامانة عند الأداء وهذا يقتضي من الموظف او القائد باعتباره موظفا عاما ومكلفا بأداء وظيفة معينة، حسن الأداء لانه بقبوله تحمل المسؤولية التي كلف بها بمقابل او بدون مقابل فانه بذلك يعتبر حاملا للامانة في عنقه والمطلوب منه ان يؤديها باتقان وألا يهمل او يتهاون في أدائها؛ لأن التهاون في ادائها ضياع لمصالح الناس واهدار لحقوقهم، ويعد ذلك خيانة وهو تعبير شديد الوقع وذلك لما يترتب عليه من اضرار جسيمة، كما يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ (الأنفال: ٢٧).

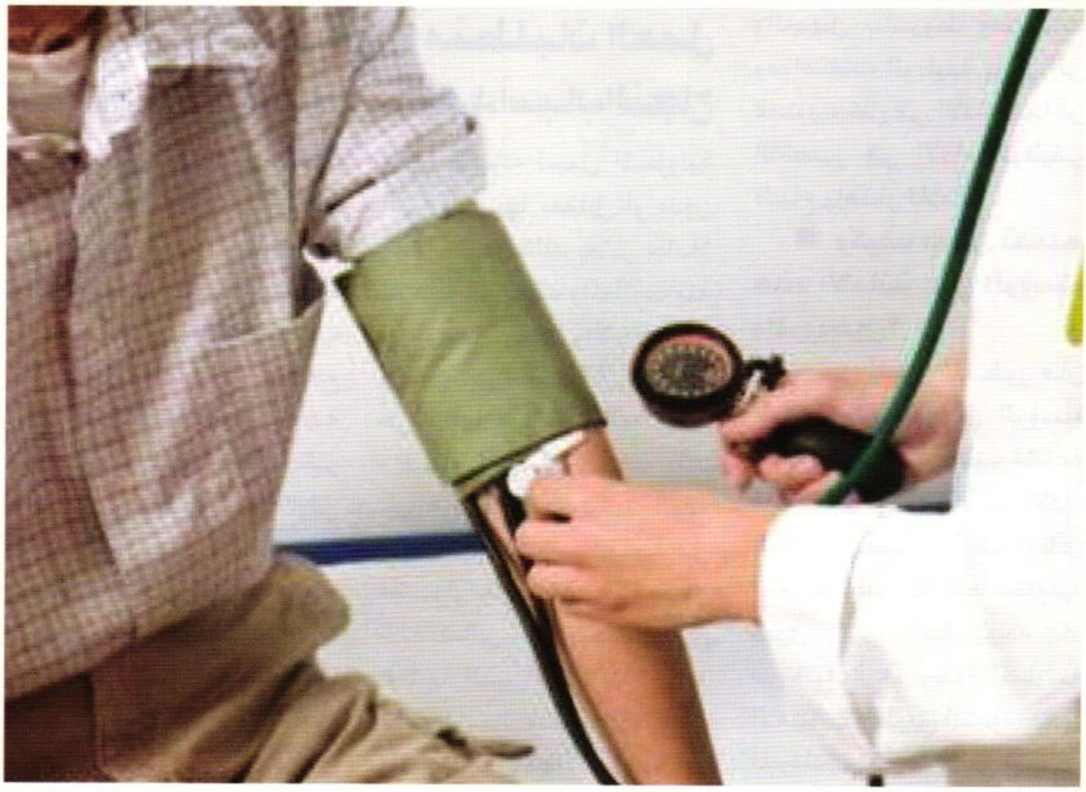
وتعد المعرفة التامة بمتطلبات وشروط ومواصفات اداء الوظيفة والقيام على تحقيقها من اهم متطلبات الامانة الوظيفية، فهما شقان لابد منهما؛ شق معرفي وشق ادائي ومهاري، لأن عدم المعرفة والجهل بشروط ومتطلبات ومواصفات الوظيفة يؤدي الى قصور وخلل في الأداء، كما أن التقصير في الأداء الوظيفي ضياع وإهدار للأمانة.

■ **وكيف يمكن تعميم هذه الأمانة على الرؤساء والمرؤوسين؟**

- في المدى المنظور فان المعرفة والتعليم بين الرؤساء والمرؤوسين الى جانب اشاعة مناخ وثقافة الأمانة في الأداء الوظيفي تعتبر من اهم وسائل التعميم، غير انه تقع مسؤولية كبرى على الرؤساء بوجه عام في اشاعة جو ومناخ الممارسة الامينة عن طريق القدوة، فعين الموظف دائما على رئيسه وكما يقولون: «عمل رجل في الف رجل خير من قول الف رجل لرجل»، وكذلك قولهم: «الاعمال اعلى صوتا من الاقوال».

مما يوجب على القيادة ان تكون مثالا يحتذى به في





القاعدة الذهبية للعمل الناجح «عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل»

الامانة والجدية والالتزام.

اما على المدى البعيد فان الامانة بكل معانيها وكافة مجالاتها تحتاج الى ان تغرس كقيمة مهمة في النشء وان يتربى عليها ويتشبع بها.

■ **متى يقبل الموظف أو القائد «وظيفة» أو «مهمة» ومتى يرفضها عملا بأن القيادة في الأساس تكليف وليست تشريفا؟**

- الوظائف او المهام هي في حد ذاتها اعباء ومسؤوليات، واستشعار المسؤول او القائد انه سوف يسأل عن تلك الاعباء والمهام سواء في الدنيا او بين يدي الله يجعله يتردد مرات ومرات قبل ان يقبل المهمة.

واصحاب المسؤولية الذين يناط بهم تسيير امور الناس وادارة شؤونهم، أمام امتحان صعب وسيحاسبون حسابا خاصا بين يدي الله يتناسب وحجم مناصبهم ووظائفهم كما يقول النبي ﷺ: «ما من إمام ولا وال بات ليلة سوداء غاشا لرعيته إلاحرم الله عليه الجنة» (المنذري في الترغيب والترهيب).

«ما من أمير عشيرة الا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفكه العدل او يوبقه الجور» (حسنه الذهبي).

فان رأى الموظف نفسه قادرا ومؤهلا لحمل المسؤولية والقيام عليها وادائها وتحمل كافة اعبائها وتبعاتها، هنا يجب عليه قبولها، والا فالاعتذار اولى واسلم واشرف له الف مرة من قبول منصب او مهمة قد يتسبب من خلالها في ضياع حقوق الناس وانتشار الفساد والظلم والاستبداد.

■ **ومتى يمكن إطلاق لفظ «مختلس» على القائد الذي يطلب القيادة لنفسه؟**

- من هذا المنظور يبدو من يحاول الوصول الى المناصب وخاصة القيادية منها بطرق غير مشروعة كالرشوة والمحسوبية والتسلق والنفاق، بجهل او بعلم ومعرفة، كالسارق الاحمق، وتعبير مختلس في حد ذاته يعكس حالة صاحبه من العمل في الخفاء للحصول على ما ليس من حقه.

ومن الممكن قياس كفاءة واداء أي موظف او مسؤول او قائد اما عن طريق الاجهزة الرقابية، أو من خلال من هو اعلى منه، او من خلال المؤشرات والنتائج، فإذا تبين ان اداءه ضعيف او سيئ او غير مناسب، ووصف بعدم الاهلية وجب عزله من منصبه وتولية من هو اولى واكفأ منه.

■ **ما هي الوسائط التي يمكن من خلالها إطلاق لفظ جريمة اختلاس على الوظيفة العامة والخاصة في الفقه الإسلامي؟**

- إذا وسد الأمر لغير أهله، فإذا شغل رجل وظيفة ولم يكن أهلا لها فقد ارتكب جريمة الاختلاس، والاختلاس المعنوي لا يقل بحال من الأحوال عن الاختلاس المادي العيني.

■ **هل هناك مراحل للتأهيل الوظيفي على القائد أن يكتسبها ولابد أن تسبق طلب الوظيفة والولاية، وفي حال بلغ المرء هذه المراحل هل يمكنه أن يطلب لنفسه الوظيفة بغض النظر عن فهم الآخرين له على أنها تكليف لا تشريف؟**

- الأمر دون تعقيد، إذا شغل المرء وظيفة وكان أهلا لها وعمل من أجلها جزاه الله بها خيرا، وإن لم يكن أهلا لها فحتما سوف يجازيه الله عليها، ولكل وظيفة مراحل من التأهيل الوظيفي لابد أن يكتسبها ولا مانع أن يطلب الرجل القيادة لنفسه إذا وجد نفسه قادرا على القيام بمهامها.

إتقان العمل في الإسلام

أشرف شعبان

في سياق حديث الإسلام عن إتقان العمل لم يجعله أمرًا دنيويًا تبغى منه منفعة دنيوية عاجلة فحسب، بل جعله أمرًا تعبديًا، يتقرب به العباد إلى رب العباد، قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» (البيهقي).

روى أحد الصحابة، أن رسول الله ﷺ، شهد جنازة، وانتهى بها إلى القبر، ثم قال ﷺ: «سووا لحد هذا» حتى ظن الناس أنه سنة، فالتفت إليهم قائلًا: «أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن» (رواه البيهقي)، أي إنه قد أمر بالإتقان في هذا الموضع الذي لا يضر الميت فيه سقوط التراب عليه، إذ ما ضر الشاة سلخها بعد ذبحها، ولكنه التوجيه إلى إتقان العمل وإجادته، فإذا كان هذا في القبر وحال الموت، فهو في غيرهما أولى وأجدر، ولو دققنا في ألفاظ هذا الحديث الشريف لوجدنا في قوله «عملا»، هكذا دون تعريف ولا تحديد لنوع العمل، إيحاء بأن الله تعالى يحب أن يكون الإتقان سلوكا عامًا للمؤمن، في كل أعماله، أيا كانت أعماله هذه، فهو يحسن القيام بمهنته وعباداته ومعاملاته، وهذا ما تؤكده الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، كقوله ﷺ «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» (رواه مسلم)، وقول الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤)، وقوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ (السجدة: ٧). ويشير القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل أتقن كل شيء، قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾ (النمل: ٨٨)، فصفة الإتقان، وصف الله تعالى بها نفسه لتنتقل إلى عباده، كما يقدم لنا القرآن الكريم مثلًا لإتقان العمل، يوضح فيه أن جهد العمال، واستخدام الأدوات، وصهر الحديد، وصب النحاس المذاب عليه، أدى إلى إقامة سد صلب منيع، بلغ من إتقانه أنه صد الأعداء عن البلاد، فلم يستطيعوا أن يتسلقوا السد لارتفاعه، ولا أن يثقبوه لصلابته، قال تعالى: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ عليه قطرًا. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ (الكهف: ٩٤-٩٧)، ومعنى هذا أن المسلم مكلف ومطالب قبل غيره بإتقان جميع ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، في كل عمل تعبدي أو سلوكي أو معاشي، لأن الله تعالى يحب ذلك، ولأن كل عمل يقوم به المسلم، سواء كان عملًا للدنيا أم للآخرة، لكي يكون عملًا مقبولا عند الله يجازي عليه، لابد أن يكون بنية العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، ولا تصح عبادة لله دون إتقان، كما أن إتقان العمل عبادة مستقلة عن العمل، فالمسلم يعمل العمل من أمور الآخرة أو الدنيا، مما ليس فيه معصية لله تعالى، بنية صالحة فيثاب على ذلك، لأن ذلك عبادة، فإن أدى ذلك العمل

إتقان العمل في مختلف مجالات الحياة محصلة التقدم والتطور التى تعيشه الشعوب المتقدمة



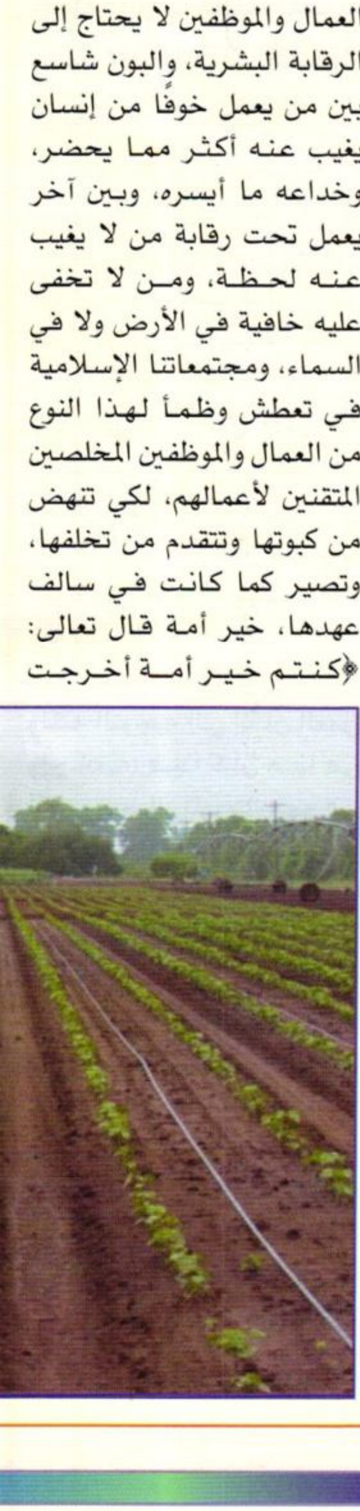
كاتب صحافي

على أكمل وخير وجه، كان ذلك عملًا إضافيًا، له أجره المستقل.

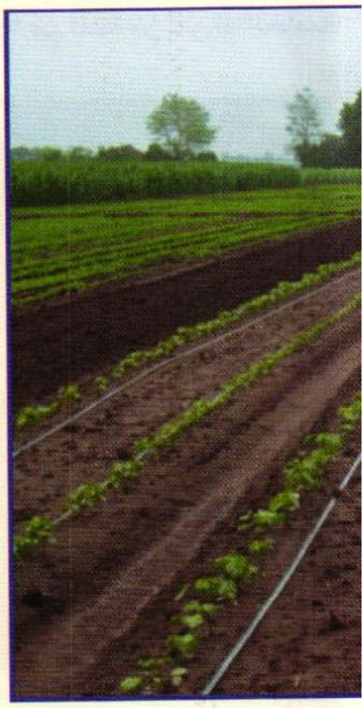
وكثير من السلبيات التي نراها في مجتمعاتنا ترجع إلى عدم قيام بعضنا بعمله على الوجه المطلوب منه، فعدم إتقان العمل يؤدي إلى إلحاق الضرر بالعامل نفسه، لأنه سيؤدي إلى زعزعة الثقة في عمله، وفي تقييم أجره على أساس عمله الهابط، ويؤدي كذلك إلى إلحاق الضرر بصاحب العمل، لأنه يدفع أجرًا لا يقابله عمل متقن، كما يؤدي إلى انصراف المتعاملين معه عن خدماته أو إنتاجه، وقد يمتد الضرر للوطن كله، فإذا كان الإنتاج عبارة عن سلع قابلة للتصدير، وكانت غير متقنة، انصرف عنها المستوردون، وبحثوا عن أسواق أخرى لاستيراد السلع منها، وإذا عم عدم الإتقان سائر الحرف وسائر أبناء المجتمع، ستكون النتيجة فقدان الثقة والاحترام بين أبناء هذا المجتمع، وانتشار الكذب والخداع بينهم، وتجرأ بعضهم على بعض بالسب والشتم وربما الدعاء بالشر، كما أن غش المسلم لأخيه في بضاعة أو عمل يدخله في دائرة قوله ﷺ «من غشنا فليس منا» (صححه الألباني)، أما إذا حاول كل واحد منا أن يتقن عمله وأن يحسن مستواه، فإن نتيجة ذلك ارتقاء الموظف في وظيفته، واكتساب الطبيب أو المعلم سمعة طيبة بين الناس، ومازال بعض الصناع يتقنون صناعتهم حتى كسبوا ثقة الناس وثناءهم في بلدهم ثم خارجها، وإتقان العمل في مختلف مجالات الحياة، السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وفي جميع المجالات، محصلته التقدم والتطور الذي تعيشه الشعوب المتقدمة، فلا يمكن لأمة أن تتطور أو تتقدم إلا إذا سادت في أجوائها قيمة الإتقان في العمل، ومن دون هذه القيمة لا يمكن لها أن تتزحزح ولو قيد أنملة عما هي فيه من تخلف، قال تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (الإسراء: ٧)، وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا﴾ (الكهف: ٣٠)، والأجر كما يقول المفسرون أجران، أجر في الدنيا وأجر في الآخرة، وقال تعالى: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ (الجاثية: ١٥).

أد عملك بإتقان وأحسن القيام بما أسند إليك من مهام وإن غفل عنك المسؤولون

ويقصد بإتقان العمل مجموعة أمور منها: إحكام أدائه دون خلل فيه، بحيث يكون مستوفيا للمواصفات المطلوبة، والالتزام بمتطلبات ذلك العمل من التقيد بالضوابط والتقنيات المنصوص عليها والمعترف بها في كل أمر، وأداؤه في الوقت المحدد دون تأخير، وبذل الجهد والوقت من أجل إخراجه في أفضل صورة ممكنة، والتفكير في تطوير ذلك العمل حتى لا يبقى العمل ضمن مستوى جامد، ومن قبل ومن بعد التوكل على الله تعالى، والدعاء بالتوفيق والسداد، والعبرة ليس بأكثرنا عملًا وإنما بأحسننا عملًا، فليس المعيار هو الكم، بل الكيف هو المهم، ومن لا يحسن لا يحمد، وقيمة كل امرئ فيما يحسن، وهناك علاقة بين الإتقان والإحسان، فالإتقان عمل يتعلق بالمهارات التي يكتسبها الإنسان، بينما الإحسان قوة داخلية تتربى في كيان المسلم، وتتعلق في ضميره، وتترجم إلى مهارة يدوية أيضا، فالإحسان أشمل وأعم دلالة من الإتقان، ولذلك كان هو المصطلح الذي ركز عليه القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل: ٩٠)، وقد وردت كلمة الإحسان بمشتقاتها المختلفة مرات كثيرة في القرآن الكريم، منها ما ورد بصيغة المصدر اثنتي عشرة مرة، بينما وردت كلمة المحسنين ثلاثا وثلاثين مرة، وبصيغ اسم الفاعل أربع مرات، واللافت للنظر أنها لم ترد بصيغة الأمر إلا مرة واحدة للجماعة، قال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (البقرة: ١٩٥) والإحسان ذو جانبين، أولهما علم الحسن أو الأحسن، ثانيهما الشعور أثناء العمل بأن الله يرانا أو كأننا نراه، وهذا هو تعريف الرسول ﷺ للإحسان بأن «تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (البخاري)، فالعامل المخلص المتقن بجانب إنه هو ذلك الإنسان الحاذق لصنعته وحرفته، والذي يقوم بما يسند إليه من أعمال ووظائف بإحكام وإجادة تامة، فهو المراقب الدائم لله في عمله، الحريص على نيل مرضاة الله من وراء عمله، وهذا النوع من العمال والموظفين لا يحتاج إلى الرقابة البشرية، والبون شاسع بين من يعمل خوفًا من إنسان يغيب عنه أكثر مما يحضر، وخداعه ما أيسره، وبين آخر يعمل تحت رقابة من لا يغيب عنه لحظة، ومن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ومجتمعاتنا الإسلامية في تعطش وظمأ لهذا النوع من العمال والموظفين المخلصين المتقنين لأعمالهم، لكي تنهض من كبوتها وتتقدم من تخلفها، وتصير كما كانت في سالف عهدها، خير أمة قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت



للناس﴾ (آل عمران: ١١٠)، وإتقان العمل غير الحرص على الدنيا الذي نهى عنه رسول الله ﷺ في أحاديث أخرى، وإذا كان حديثنا عن الإتقان قد عم الأعمال كلها، فللعبادات خصوصية في الإتقان، فالصلاة لابد من إتقانها حتى تقبل، ويكون لها أثر على الإنسان، وذلك في كل مرحلة من مراحلها، وقبل الصلاح يحتاج الإنسان إلى إحسان الوضوء والطهارة، قال ﷺ «لا يقبل الله صلاة بغير طهور» (النسائي وابن ماجه)، وفي أثناء الصلاة يحتاج الإنسان إلى الخشوع وحضور القلب والاطمئنان في الركوع والسجود، قال ﷺ «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها» (رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح



الإسناد)، وقال ﷺ «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود» (رواه النسائي وابن ماجه والبيهقي)، وفي حديث المسيء في صلاته، حيث لم يتم ركوعها وسجودها، فقال له النبي ﷺ «ارجع فصل فإنك لم تصل» والحديث متفق عليه، وفي الصلاة «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله» (رواه أبو داود)، وفي قراءة القرآن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به فهو مع السفرة الكرام البررة، ولذلك فإن الله تعالى لم يطلب منا أداء الصلاة ولكن طلب منا إقامتها، وفي قصة مشروعية الأذان حينما رأى عبدالله بن زيد الرؤيا قال له ﷺ: «ألقه على بلال فإنه أندى منك صوتا» (أبوداود)، والصوم كذلك يحتاج إلى إتقان حتى يخرج الإنسان من الصوم وقد قويت إرادته وعزيمته على الطاعة وعمل الخير وحفظ جوارحه وتعود على النظام في كل شؤون حياته، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما كان ينبغي أن يتحفظ منه كفر ما قبله» (رواه أحمد والبيهقي)، والحج كذلك فإن هذه العشيرة تحتاج إلى إتقان في كل مرحلة من مراحلها فإعداد الزاد لابد أن يكون من الحلال «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» (مسند أحمد)، ومغفرة الذنوب والتطهر منها لابد له من إتقان «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» (مسلم)، وكذلك الزكاة تحتاج إلى إتقان حتى يقبلها الله تعالى ويكون لها الأثر في طهارة المال والنفس، فينبغي أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن تكون سرا، ففي الحديث «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» (متفق عليه)، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ (البقرة: ٢٦٣)، وقال عز وجل: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾ (البقرة: ٢٦٤)، والنصوص في غيرها من الأعمال كثيرة جدا ليس هذا محل بسطها، لكنها تبين وتؤكد أهمية الإتقان في العبادات وسائر الأعمال يقول الرسول ﷺ: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه» (رواه مسلم)، وفي الحديث الصحيح في ذبح البهائم «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» (رواه مسلم)، ومن الأمور التي يجب إدراكها لتنمية الإتقان في حياتنا، ربط تصرفاتنا جميعًا برضا الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ (الكهف: ٢٨)، ويقول عزل وجل: ﴿وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ (الليل: ١٧-٢٠)، وكذلك طلب المعية من الله، قال تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (النحل: ١٢٨)، ويستلزم إتقان العمل لياقة العامل جسمانيًا وعقليًا حتى يكون قادرًا على الأداء الجيد للعمل، كما يستلزم الاهتمام بتدريبه وتعليمه واطلاعه على أحدث ما توصلت إليه فنون الإنتاج، والمجتمعات التي تهتم بإتقان العمل توفر حوافز لذلك، بحيث يجد من يتقن عمله جزاء على ذلك، بينما في المجتمعات المتخلفة لا تجد أي حوافز لذلك، فالراتب هو نفسه، بل في بعض الأحيان في هذه المجتمعات يكون المقياس هو المحسوبيات، حتى وإن عملت وأجهدت نفسك وبذلت طاقتك يأتي شخص آخر لم يعمل شيئا، لكن لعلاقته بهذا المدير أو بهذه الجهة يقدم عليك، فلماذا يتعب الإنسان نفسه مادام لا يوجد فرق في الأمر؟! كما أنه من الملاحظ أن أي عمل في بلادنا يبدأ قويًا ثم يدخل عليه الضعف، لأن وراء أي عمل مؤسسين هم حقًا المؤمنون به وبأهدافه، المضحون بكل ما لديهم من غالٍ ونفيس من أجله، أما التابعون فأغلبهم ممن أغراهم بريق النجاح الذي حققه الرواد، فالتحقوا به ليأخذوا منه لا أن يعطوا له.

أخيرًا أخي المسلم أد عملك بإتقان، وأحسن القيام بما أسند إليك من مهام، وإن غفل عنك المسؤولون، ولم يكافئك أرباب العمل، حتى وإن كان الراتب زهيدًا، لأنك بإتقانك هذا تعمل ما يحبه الله تعالى، ومادام الله تعالى مطلعًا عليك فاطمئن لأنه هو القائل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن: ٥٩)، فعليك أن تسعى لكي تتقن عملك، وتطلب التوفيق والأجر من الله، فهل نعي قيمة هذا المفهوم؟ هل نسعى بعد هذا الفهم إلى تفعيله في أوساطنا؟ هذا هو المؤمل، والله الموفق، وعليه التوكل.

فن التعامل مع الضغوط من حولك

خالد محسن الحارثي

لا تعتقد أن أحدًا يستطيع العيش بلا ضغوط، المهم كيف نتعامل مع الضغوط، ونقلل من تأثيراتها الضارة علينا، فالضغوط في مراحلها الأولى تكون عبارة عن عوامل محفزة للإنسان لأداء واجباته ولنجاحه.

أما إذا زادت عن حد احتمال الشخص، فإنها تنقلب إلى الضد، فقد ثبت أن زيادة الضغوط اليومية، تكمن وراء ٢٥ في المائة من حالات الانهيار العصبي اليومي، فقد أصبح الشخص مطاردًا بمطالب الدراسة الفائقة، والعمل، والمسؤوليات الأسرية، والأعباء المنزلية...، وأصبح كل إنسان يلهث في الحياة بلا راحة، إذ أصبحت لديه طموحات لا تنتهي.

هذه الضغوط أضافت أسبابًا جديدة للإصابة بالاكتئاب والتوتر، والإجهاد، وفقدان الرغبة في العمل، وحدة الخلافات مع الآخرين، سواء في المنزل أو العمل، لأتفه الأسباب.

كيف تتعامل مع الضغوط ؟

- عش في حدود يومك، فإن أفضل طريقة للاستعداد لمواجهة الغد، هو أن تركز جهدك وحماسك في إنهاء عمل اليوم على أحسن ما يكون، وأن تبذل قصارى جهدك في حل المشكلة الصغيرة أو الفرعية التي حملها لك اليوم على الفور، وبعدها ستتوالى الحلول لباقي المشكلات الفرعية.. ومن ثم حل المشكلة الكبرى التي تضغط عليك.

اجادة فن الاسترخاء هو الحل لمواجهة الإرهاق والقلق الناجمين عن الضغوط

- يقول «ديل كارنيجي» مؤسس معهد العلاقات الإنسانية بنيويورك: «عندما تواجه مشكلة ما، ابدأ في استخلاص جوانبها المختلفة، ثم حل هذه الجوانب بطريقة محايدة، وأخيرًا اتخذ قرارًا حاسمًا تبدأ في تنفيذه على الفور، وعندئذ ستشعر بأنك أكثر طمأنينة».

- مع حل مشكلة ما، هيئ نفسك لقبول أسوأ الاحتمالات، ثم اشرع في إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

- إذا كنت تعاني من الضغوط في حياتك، فاكتب أمامك هذه الأسئلة الأربعة، لكي تخرج بعدها بالقرار المناسب.

١- ما المشكلة بالضبط؟

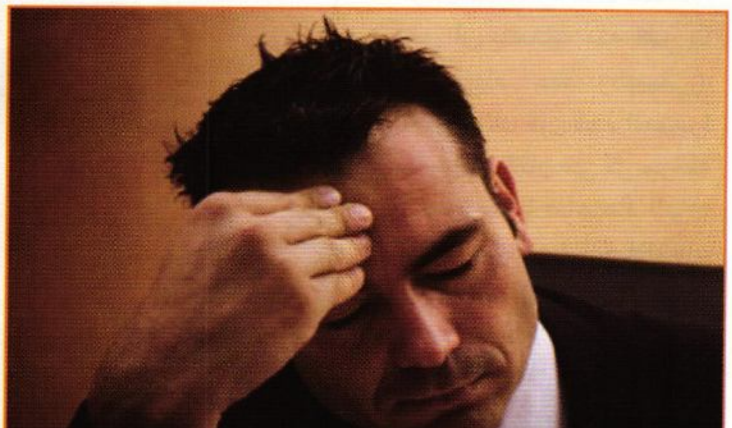
٢- ما السبب الأصلي للمشكلة؟

٣- ما الحلول الممكنة والمتاحة؟

٤- ما هو أفضل هذه الحلول التي يمكن تطبيقها عمليا، وفي أقرب وقت؟

- عندما تتأزم الضغوط، ابدأ فورًا في إحصاء الجوانب الإيجابية في حياتك، بدلا من تركيز تفكيرك في متاعبك، وفي معاناتك، وسوف تكتشف حقيقة أنه قد يكون لديك ١٠ في المائة من المشكلات التي تضغط عليك من مختلف الجوانب، لكن توجد ٩٠ في المائة من أمورك الخاصة





باحث سعودي



والعامة تسير سيرًا حسنًا.

ومن هنا، فإن تفكيرك المركز في الجوانب الإيجابية لحياتك، سوف يبعث في نفسك الطمأنينة، والثقة في النفس، لقهر الضغوط من حولك.

- تقبل الأمور السيئة بأقل انفعال ممكن، وعدم غضب من جراء الأحداث المحيطة بك.

- يؤكد أساتذة التحليل النفسي أن اجادة فن الاسترخاء، هو الحل لمواجهة الإرهاق والقلق الناجمين عن الضغوط.

- في كل مجال من مجالات حياتك، سواء في المدرسة، أو في العمل، أو في البيت، حاول أن تقوم بإنجاز الأهم، ثم المهم.. يوميًا.. فتخف وطأة الضغوط عليك.

- إذا كنت تعاني ضغوطًا مالية، فإليك نصيحة علماء الاقتصاد العالميين:

١- خصص مفكرة لكي تسجل فيها نفقاتك، حتى يمكن أن تعرف جوانب إنفاق مالك.

٢- ضع لنفسك ميزانية، توازن فيها بين «الدخل» و«النفقات» على أن تلتزم باحتياجاتك الأساسية.

٣- تعلم فن الشراء الذي يضمن لك أفضل شراء، بأقل ما يمكن من مال.

٤- دبر لنفسك رصيدًا ينفعك وقت الشدة، وابدأ حتى بقروش قليلة.. وسوف تزيد، حتى لا تضطر في يوم إلى الاقتراض.

٥- لا تحمل هموم البيت إلى العمل، ولا متاعب العمل إلى البيت.

٦- تعلم أن تقول «لا» للأشياء التي لا تستطيع القيام بها، حتى لا تلقي عليك أعباء زائدة، لا تستطيع أن تحلها.

- الرياضة علاج هائل وصحي للتوتر، وبخاصة المشي لمسافات طويلة بين أحضان الطبيعة، فهو يفرغ الشحنات الزائدة عن طاقة تحمل الشخص، كما أنه يساعد على التأمل، والتفكير المتأني الذي يوصل إلى حلول سليمة للمشكلة القائمة بضغوطها.

- النوم العميق مهم، ويساعد على ذلك المكان الهادئ، والحمام الدافئ قبل الذهاب إلى الفراش، وشرب بعض المشروبات الخفيفة مثل «النعناع» أو «الينسون».

- قلل من شرب الشاي والقهوة، لأنهما يزيدان من توترك، وفي الوقت نفسه لا تلجأ بالمرة إلى الاستعانة بالكحوليات أو المخدرات، فهي وسائل خادعة لا تعالج الضغوط وإنما تدمر الجسم.

- كلما زاد صبرك واحتمالك، زاد قبولك للأمور على ما هي عليه، بدلًا من إصرارك على أن تكون الحياة مطابقة لما تريدها أن تكون عليه، ومع نفاد الصبر تكون الحياة محبطة للغاية، ويسهل عندها ازعاجك ومضايقتك، أما الصبر فيضيف إلى حياتك بعدا من السكينة، وراحة النفس وطمأنينة القلب.

- أدرك حقيقة أن الحياة ليست مثالية، ولن تكون أبدًا كذلك، فلا تشعر بالأسى على نفسك، وذلك بتشجيع نفسك على بذل أقصى جهد فيما تقوم بعمله، واستغل كل قواك في تحسين معيشتك، أو تحسين المجتمع حولك.. تذكر أن الحياة ليست «طوارئ متصلة»، فلا تنس أن تمرح قليلًا مرحًا بريئًا، أو تعطي نفسك بعض الراحة، ولا تلم نفسك أو تعاقبها إذا لم تستطع أن تحقق أهدافًا معينة، خلقتها أنت بنفسك.. جدد أهدافك.

- اتخذ لنفسك الحكمة القائلة: «ما الحياة إلا اختبار»، فعندما تنظر إلى الحياة بتحدياتها المختلفة، على أنها اختبار، أو سلسلة من الاختبارات، تبدأ في النظر إلى كل مسألة تواجهك على أنها فرصة للنمو، والاندماج في المجتمع، ولقهر ما يتحداك، ويضغط عليك.

«المنهج السياقي» ودوره في «فهم النص» و«تحديد دلالات الألفاظ».. نماذج تطبيقية من القرآن الكريم (١/٢)

د. مسعود صحراوي

سنحاول في هذه المقالة التعريف بأداة معرفية (إجرائية) حديثة توفرَ لها قدرٌ هام من «الكفاية العلمية» الضرورية في اللسانيات المعاصرة وعلم الدلالة الحديث، فحققت نجاحا معتبرا في دراسة النصوص على اختلاف أنساقها المعرفية في حقول العلوم الإنسانية المختلفة، وهذه الأداة المنهجية هي «السياق»، وسنحاول ربط هذا المفهوم الإجرائي بأصول علمية إجرائية قال بها علماؤنا القدامى ووظفوها في فهمهم لـ«دلالات اللفظ» في النص العربي عموما والنص القرآني خصوصا، إثراء للمعرفة الإنسانية عامة وإبرازا لدور علمائنا الأجلاء في تأطير معارف عصرهم، ولأصالة بحثهم، وسنضرب أمثلة تطبيقية من نص الكتاب العزيز تظهر كيف يكون للسياق دور قوي في فهم معاني الألفاظ القرآنية وضبط دلالاتها.

الإطار المفاهيمي

لما كان «السياق» مرتبطا ارتباطا قويا بـ«النص» لأنه مجاله الذي يطبق فيه، فإننا نرى أنه من المناسب أن نُعرِّف بمفهومين أساسيين تدور عليهما محاور هذه المقالة، وهما: النص والسياق. وسنحاول التبسيط والاختصار الشديد في ذلك نزولا عند مقتضى الحال.

١- النص: من المعلوم أن المراد بمصطلح «النص» في المعرفة اللسانية المعاصرة غير المراد به في تراثنا العربي الإسلامي؛ فالمعاصرون يعرّفونه بأنه مجموعة من الأحداث الكلامية ذات معنى وغرض تواصلي، تبدأ وجودها من مرسل للحدث اللغوي وتنتهي بمتلق له، ومؤهلة لأن تكون خطابا، أي أن توجّه إلى شخص بعينه(١)، ومن ثَمّ فهم يشترطون وحدة موضوع النص ووحدة مقصده(٢). و«النص»، في تصور كثير من المعاصرين، يتجاوز الكينونة اللغوية المحدودة ولا ينحصر في مقولات اللغة على الرغم من أنه متشكل منها، بل يراعي الواقع الخارجي، ومن ثَمّ فإن النص هو المعادل اللغوي للواقع الإنساني والكوني.

أما العلماء العرب المسلمون القدامى- ولاسيما الأصوليين- فقد كان لمصطلح النص عندهم مفهوم آخر فتحدثوا في «النص» بعبارات كثيرة أشهرها ما ذكره الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) بأنه «هو المستغني بالتنزيل عن التأويل»(٣) أي هو الكلام الذي لا يحتمل تفسيرا أو تأويلا لأن ظاهره يغني عن كل ذلك، وهو الذي أبانه الله لخلقه نصا ظاهرا بينا، ويبدو أن تعريف الشافعي هذا قد لقي قبولا لدى علمائنا القدامى فرددوه من بعده، ولاسيما الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) وغيرهما... ولم يخالفوه إلا في بعض الجزئيات... (٤) وواضحٌ أننا لا نقصد هنا ما ذهب إليه أسلافنا، وإنما نريد بـ«النص» مفهومه اللساني الحديث كما يطلقه اللسانيون المعاصرون.

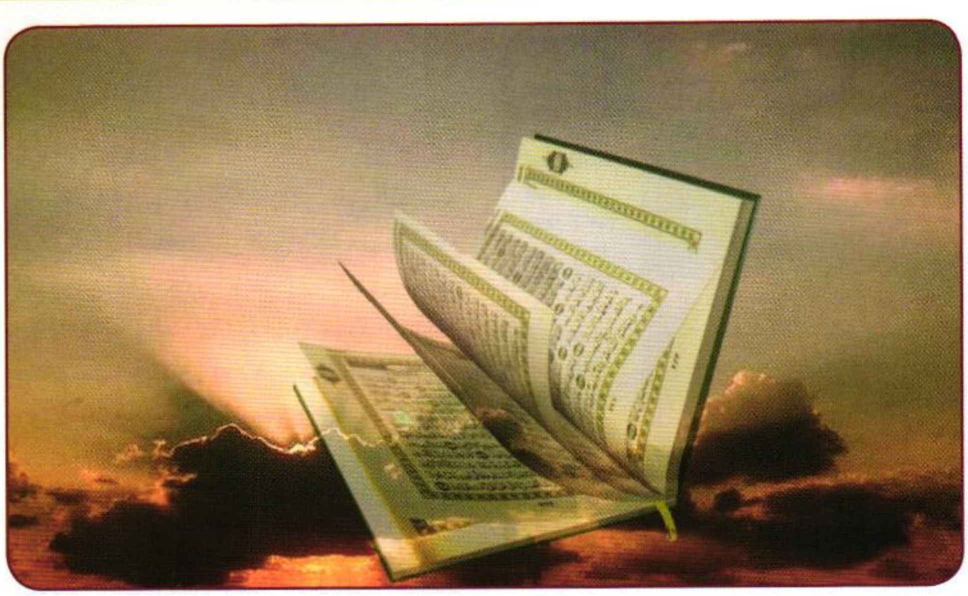
العلماء القدامى كانوا مدركين لأهمية السياق في تحديد المعنى وواعين بدوره في توجيه الدلالات اللغوية

وعليه فإن «لسانيات النص» كما نقول في المغرب الكبير أو «علم لغة النص»، كما يقول إخواننا المشارقة- هي علمٌ ناشئٌ وحقلٌ معرفي جديد تكوّن بالتدريج في السبعينيات من القرن العشرين، وبرز بديلا نقديا لنظرية الأدب الكلاسيكية التي توارت في فكر «الحداثة» و«ما بعد الحداثة».

وأما في التراث العربي فقد بحث بعض علمائنا في «النص» ونظّروا له ولم يتوقفوا عند التنظير للجملة كما يحلو لبعضهم أن يردد؛ فمن علمائنا الذين قدموا إسهاما علميا ناضجا (في مجال التنظير والتطبيق النصي) الإمام عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في «نظرية النظم» (كتاب: دلائل الإعجاز)، وتبرز قيمته «النصية» في أنه جمع بين علوم كثيرة كـ«النحو» و«علم المعاني» و«علم البيان» و«التفسير» و«دلالة الألفاظ» و«المعجمية» و«المنطق»... وألّف بين أشتاتها في تناغم عجيب واتخذ منها أدوات معرفية متضافرة على تحقيق هدف واحد هو: خدمة النص القرآني وبيان إعجازه. وقد كانت فكرة «الانسجام النصي» واضحة في ذهن عبدالقاهر وضوحا متميزا حتى إننا نجده يعبر عنها بقوله: «واعلم أن مَثَلَ واضع الكلام مَثَلُ من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيبُ بعضَها في بعض حتى تصير قطعة واحدة...»(٥).

ومنهم جمهور علماء أصول الفقه، ولاسيما الذين بحثوا منهم في حقليّ «دلالات

أستاذ التعليم العالي المساعد بجامعة الأغواط - الجزائر



الألفاظ» و«معاني الأساليب وما يترتب عليها من قواعد وأحكام»(٦)، وتعرضوا للثنائيات الدلالية التي وضعوها تحت عناوين: العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، والمحكم والمتشابه... (٧) فقد كان السادة الأصوليون جامعين للشروط العلمية والأدوات التحليلية التي تحققت لها «كفاية علمية» ممتازة في البحث النصي. وهذه الثنائيات تشمل الشروط الجوهرية والوظيفية والمعرفية للنص القرآني الكريم.. وليس المقام مناسبا لتفصيل الكلام في ذلك.

ومنهم صنفٌ آخر، هم المفسرون، والذين قاموا بجهود كبيرة في «تحليل» النص القرآني كلٌ على طريقته؛ فقد سلكوا إلى فهمه طرائق منهجية شتى أهمها طريقة «السياق» كما سنذكر لاحقا. ولكن المفسرين يتفاوتون في الأدوات المعرفية المعتمدة بين أثرية ولغوية ومنطقية.

وقد أدرج علماؤنا القدامى- ضمن مفاهيم النص- مفهوم «القصد» وهو الغرض الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب و«الفائدة» التي يرجو إبلاغها للمخاطَب، فلن يكون هناك «نص» ولا «خطاب» دون «قصد».

٢- السياق: أشار علماؤنا القدامى إلى قاعدة ذهبية مضمونها أن أفضل طريقة للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن(٨)، وتعد هذه الملاحظة، في رأينا، إشارة إلى منهج قويم في «علم الدلالة» والذي أصبح يعرف اليوم بـ«المنهج السياقي»، وهو المنهج الذي جعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالاتها، فقد اتفق اللسانيون المعاصرون على أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في «النص/ الخطاب» هي التي تحدد معناها.

وقد كان علماؤنا القدامى مدركين لأهمية السياق في تحديد المعنى وواعين بدوره الحاسم في توجيه دلالات العلامات اللغوية ولاسيما في نص القرآن الكريم؛ فقد صرح ابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) أن السياق «يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة... وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته»(١١). نجد في هذا النص الهام إشارة إلى أمرين:

■ مفهوم «السياق الأصغر» أو «السياق الخاص» للنص القرآني، ودوره في تحديد الدلالة.

■ علاقة التكامل الوظيفي/الدلالي بين السياقين «الأصغر والأكبر»، إذ كثيرا ما يفسّر أحدهما بالآخر، أي يفسّر سياق بسياق.

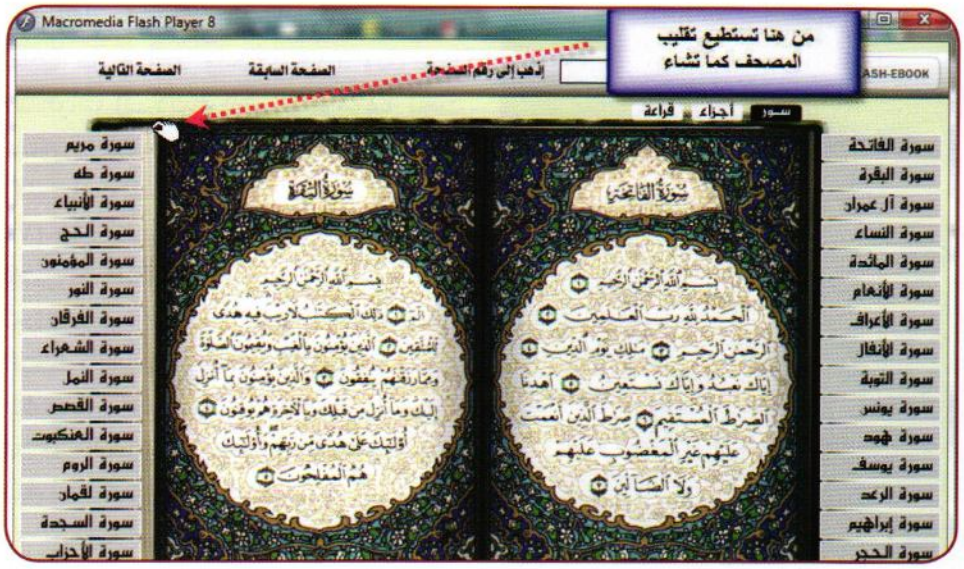
والأول (السياق الأصغر) محدود ضمن وحدات دلالية أو تركيبية معينة كالآية القرآنية مثلا، أو ما يسبق الآية وما يلحقها من الكلمات أو الآيات، بينما الثاني (السياق الأكبر) شامل لما بين دفتي المصحف لا تحده فواصل الآيات والسور والأجزاء، وهو نوعان:

- الأول يراد به النص القرآني في كينونته الكلية الشاملة، ومراعاةُ هذا النوع أمرٌ هام جدا، وهو الذي أشار إليه علماؤنا بقولهم: فما أُجمِلَ منه في موضع فقد فُسر في موضع آخر.

- ونوع يندرج ضمنه ما سموه «علم المناسبة» أي مناسبة أواخر السورة المتقدمة لأوائل السورة التي تليها، والمناسبة هي المشاكلة والمقاربة والشبه، ومرجعها في آيات القرآن إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو غير ذلك... (١٢)

ونجد في تراثنا عددا كبيرا من العلماء ممن يعتنون بالسياق الأصغر ويعتدّون به في تحديد الدلالة ويتغافلون عن السياق الأكبر، ولكن الأصل في القرآن أنه منسجم متناسب آخذ بعضه برقاب بعض، وعلى الرغم مما قد يوجد من استثناءات توحي بعدم المناسبة فإنه حقٌ على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا(١٣)، ولكن عليه أن يتفادى التكلّف في ذلك.

ومما ينم عن فهم علمائنا للسياق ودوره في بيان معنى دقيق أو تخصيص نص مطلق أو تبيان ما أشكل فيه الغرض والقصد أنهم يمتاحون من معطيات السياق ويعتضدون به مطمئنين إلى كفايته الإجرائية حتى قال قائلهم: «من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فما أُجمل منه في موضع فقد فُسر في موضع آخر»(١٤) وهي إشارة بليغة «للسياق الأكبر أو العام» للنص القرآني، وهو الإجراء الذي تسمية البنيوية المعاصرة «الناظم المنهجي» أو الذي تسميه بعض مدارسها «الرؤية المنبثقة»، وهذا يقتضي أن المعنى (أو الدلالة) ينبثق من داخل النص ولا يفرض



عليه من الخارج...

وقد أخذ بالمنهج السياقي في التفسير جمعٌ من المفسرين في مقدمتهم إمام المفسرين ابن جرير الطبري الذي «جمع بين الرواية والدراية... فهو يسرد الأقوال ويناقشها ويبين أولاها بالصواب، أو يرى رأيا آخر في الآية»(١٥)، وكثيرا ما يحتكم إلى السياق الخاص أو العام(١٦)، ومنهم فخر الدين الرازي في «مفاتيح الغيب»، ومنهم جار الله الزمخشري في «تفسير الكشاف»، ومن المحدثين محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير «التحرير والتنوير»... ونشير إلى أن حديث علمائنا الأجلاء عن السياق لا يمكن الإحاطة به في هذا المقام لكثرته وغناه. غير أنه قد يؤخَذ على مفسرينا وعلمائنا أنهم لا يلتزمون بالسياق دائما على الرغم من وعيهم بدوره في التفسير، كما قلنا، ولعل ذلك راجع إلى تعدد الأدوات المعرفية التي استخدموها في التحليل، إذ لم يكن السياق هو الأداة المنهجية المهيمنة بل كانت تزاحمها أدوات أخرى من العلوم الأثرية والمنطقية.

٣- السياقان اللغوي وغير اللغوي: هذا، ويقسم السياق إلى نوعين آخرين.. لغوي وغير لغوي:

أما السياق اللغوي (أو الكلامي) فهو النص/الخطاب ذاته بمستوياته اللغوية المعهودة: النحوية والمعجمية والدلالية، وهو سياق داخلي «منبثق»، لا يخرج عن حدود العبارة اللغوية بكينونتها النصية، وهذا النوع يتضمن من القرائن النصية (اللفظية والمعنوية) ما يرشد إلى مراد المتكلم من الخطاب، ولا يكون في سلّمه الإجرائي أيُّ مكوّن خارجي للمعنى والتأويل.

أما السياق غير اللغوي فيراد به ظروف الخطاب وملابساته الخارجية والتي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة المتباينة التي ينجز ضمنها الخطاب، والتي سماها علماؤنا: سياق الحال، أو المقام، وقالوا: «لكل مقام مقال»(١٧)، ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال الأشخاص: المتكلمين والمخاطبين... وهذا النوع يشتمل على القرائن الحالية التي تسهم في الكشف عن المراد، ومنها ما سماه المفسرون: أسباب النزول، ويندرج ضمنها بالطبع «مراعاة حال المخاطَب» و«غرض المتكلم».

وعليه فإن «البحث النصي» و«البحث السياقي القرائني» ليسا من مبتكرات عصرنا كما يروّج بعض من لا يريدون الخير للثقافة العربية، وإنما هي مفاهيم واردةٌ في كتب أسلافنا من نحاة وبلاغيين وأصوليين ومفسرين.. غير أن التطورات المعرفية النوعية التي شهدها عصرنا قد طبعت هذه المفاهيم بطابع علمي صارم وأطرتها ضمن أطر علمية واضحة فخطت خطوة نوعية وانتقلت من مجرد مفاهيم بسيطة إلى إجراءات منهجية دقيقة، وصار البحث فيها مقصودا لذاته، ولم تعد- كما كانت في القديم- مجرد أدوات ومداخل يُراد بها غيرها من العلوم الأخرى.

نحو علم «للنص القرآني»

من الضرورات المعرفية والدعوية الملحّة التي تقع على عاتق القادرين من المسلمين اليوم إعادة تأسيس علم جديد، أو إحيائه ولكن بأدوات معرفية جديدة(١٨)؛ يمكن تسميته: علم النص القرآني ويكون همه تحديد دلالات الألفاظ القرآنية وفق الخبرات والإمكانات العلمية الجديدة، وضبط المناهج التفسيرية والتأويلية، ومن ثَمّ وضع الحدود المفاهيمية للمصطلحات القرآنية ولمنظومة القرآن/الإسلام المعرفية، في عصر يشهد تطورات نوعية أثرت بقوة وعنف على كل المنظومات الفكرية القديمة ومنها دون شك المنظومة المعرفية الإسلامية، ومن خيارات هذا العلم النصي أن يستعين أرقى النماذج التفسيرية/ التحليلية (أو التأويلية) للقرآن ذات التأسيس العلمي الرصين والتي ساهم بها بعض التأويليين القرآنيين المعاصرين ولا يقطع صلته بها.

وهذا العلم النصي القرآني المنشود (الذي ندعو إليه ونرى حاجة الإسلام والمسلمين إليه ماسة) لا يهمل، من الناحية المبدئية، التراث الإسلامي العظيم مثل كثير من مباحث علوم القرآن، والمباحث النحوية والبلاغية والأصولية وحتى الكلامية والفلسفية... ولا يحق له أن يرفضها فينبَتّ عن أصوله ومصادره التاريخية بل يأخذ من هذا التراث الثري الغزير ما يخدم المنظومة الإسلامية في عصرنا، ولاسيما واجهتها الدعوية التي يخاطِب بها الغربيون، على أن يسعى إلى الفصل بين محليات القرآن وعالمياته، وظنياته وقطعياته، وظرفياته وأبدياته، مع حذره الواعي من محاذير الأخذ بنظريات تأويلية

عربية قديمة أثبت علم اللغة المعاصر عدم كفايتها العلمية كـ«نظرية العامل النحوية»، كما لا يُهمل ما أنتجته المعرفة اللسانية المعاصرة (وحتى غير اللسانية)، بل يأخذ بها ولكن لا يتبنى كل مفاهيمها النظرية والإجرائية، وخاصة دلالاتها الفلسفية الوضعية المادية التعسفية.

فنحن نرى أن هذا العلم النصي القرآني كفيل بتشكيل وعي إسلامي هام وصناعة ثقافة إسلامية معاصرة. وإذا نجح المسلمون المعاصرون (أو الأجيال التي تأتي بعدهم) في تأسيس وبلورة مبادئ ومفاهيم هذا العلم القديم الذي من الضروري أن يجدد.. وإذا ما قُدِّرَ له أن يستقل عن غيره من العلوم الإسلامية التقليدية (مع أنه يمتاح منها)، فإنني آمل أنه ستترتب على ذلك كثير من النتائج الطيبة وأذكر منها:

أ- بناء منظومة معرفية إسلامية معاصرة تؤطر حركة ونشاط المسلمين المعاصرين على اختلاف طوائفهم وأيديولوجياتهم وتعيد إحياء وعيهم الديني والمعرفي والعلمي والحضاري.

ب- التقريب بين طوائف المسلمين المختلفة عقائديا على الصعيد العلمي والنفسي، ومن ثَمّ التشريعي والاجتماعي، وتضييق هوة الخلاف بينهم.

ت- جعل هذا العلم، في مرحلة لاحقة من مسيرة نضجه، مصدرا يمد الساحة الدعوية والمعرفية والتشريعية بمعطيات جديدة مؤسّسة علميا ومؤصلة إسلاميا.

ث- وضع حد لكثير من المحاولات الرديئة الغثة (وهي كثيرة في أيامنا...) التي تمارس تفسير القرآن وتَدَبُّره وتحليله دون استجماع أدواته الأساسية، القديمة والحديثة، وميزة هذه الأدوات أنها متجددة دائما، كما ألمحنا آنفا.

ج- تحقيق التجديد الديني والحضاري المنشود وإعادة النظر في الأحكام الشرعية الضعيفة والاجتهادات الخاطئة وتخليص الساحة الثقافية الإسلامية من الفوضى الفكرية السائدة فيها.

وعلى الجامعات التي توصف بـ«الإسلامية» في العالمين العربي والإسلامي أن تُدرج هذا العلم القديم/ الجديد في برامجها وأن تحرص على الإفادة من معطياته، ولاسيما الأساتذة والطلبة المختصين في علوم القرآن والتفسير والدعوة؛ فحرامٌ ألا تستفيد أجيال المسلمين الحالية والقادمة من التطورات النوعية المعرفية الهائلة التي يشهدها عصرنا وألا توظفها في خدمة الدعوة بما يظهر إنسانية الإسلام وعالمية القرآن وخلوده وثراءه.. فالناس الذين ينبغي أن نخاطبهم نحن المسلمون من الآن فصاعدا إنما نخاطبهم بالقرآن الذي يقنعهم ويبهرهم ويستوعب ما لديهم استيعابا يتجاوز موروثاتهم الروحية ويصحح ما فيها(١٩) ويقوّض بُناهم الدينية المحرّفة ومنظوماتهم المهترئة.

ولذلك نكرر أن الخطاب الذي يشد أبناء المسلمين وغير المسلمين إليه هو ما يلبي حاجة في نفوسهم ويملأ فراغا وجوديا وروحيا ومعرفيا حقيقيا عندهم، ويستجيب لتحديات ومقتضيات الوعي الكوني الراهن.

وهذا العلم المأمول تأسيسه أو تجديده، أيا ما كان ذلك، والذي لا يهمل أدوات الفهم وآلياته الاستكشافية وقواعده المنهجية التي أنجزها العقل البشري في عصوره المختلفة- كما قلنا- لا يجوز له، بل ليس من حقه، أن ينسى أن بعض تلك الخصائص والأدوات والقواعد المنهجية هي من وحي وتوجيه آيات الذكر الحكيم، فقد يكون من هذه الآليات والقواعد المنهجية ما هو توجيهٌ إلهيٌّ خالص في القرآن الكريم ذاته، فليس لدارس القرآن إلا أن يتقيد بها ويقف عندها ويسلّم أمره إليها، والتسليم للنصوص الإلهية القرآنية علمٌ وعزٌ.. وهذه خاصية هامة من خصائص القرآن الكريم، فهو «يحدثنا عن نفسه»، أي عن «بعض خصائصه وأدواته المنهجية والمعرفية.

الهوامش

(١) انظر: روبار دو بوغراند و وولفغانغ دراسلر، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص ٣٦. وانظر أيضا: وولفغانغ هاينه من وديتر فيهفايغر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، نشر جامعة الملك سعود، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦، ص ١٢٣.

(٢) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص/المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العامة للنشر، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٠٩.

(٣) محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، ص ١٤.

(٤) انظر: ابن حزم الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، مج ١، ج ٣، ص ٣٩١. وأبوحامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار الفكر، ج١، ص ١٤.

(٥) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠٠، ص ٣٨٨.

(٦) لمن أراد التفصيل يمكن الرجوع إلى: مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين/ دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، بحث ألقي في ملتقى «علم النص والتداولية» المنعقد بتاريخ: ٩-١٠- ١١/ ديسمبر ٢٠٠٣، بجامعة الجزائر/ قسم اللغة العربية وآدابها.

(٧) انظر: مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي (مقالة)، نشرت في: مجلة الدراسات اللغوية، إصدار: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات والإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد الخامس/ العدد الأول، ٢٠٠٣، ص ٤٤/١١.

(٨) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الجيل بيروت، ج٢، ص ١٧٥.

(١١) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتب العربية، بيروت، ج ٤، ص٩-١٠. ويبدو أنه نقله عن أستاذه ابن تيمية، انظر: أحمد ابن تيمية، أصول التفسير، ص ٩٣.

(١٢) انظر: عبدالجبار توامي، نقد ترجمات القرآن في ضوء المنهج السياقي (مقالة)، نشرت في مجلة الدراسات اللغوية، إصدار: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات والإسلامية، المجلد الخامس/ العدد الأول، ٢٠٠٣، ص ٢٩٧/٢٥٧.

(١٣) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ج ١، ص ٨١.

(١٤) انظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ج٢، ص٢٢٥.

(١٥) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢١٧.

(١٦) انظر مثلا تفسيره لقوله تعالى: ﴿إن هو إلا وحيٌ يُوحى﴾ (النجم - ٤).

(١٧) انظر: مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، ص ٤٢/٥.

(١٨) من الذين دعوا إلى إعادة إحياء وتجديد مناهج التفسير بما يتلاءم مع معطيات العصر المعرفية الفيلسوف المرحوم مالك بن نبي في كتابه القيّم: الظاهرة القرآنية، دار الفكر،١٩٨١، الصفحات من ٥٧ إلى ٦٧.

(١٩) أبوالقاسم الحاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٥، ج ١، ص ١٣٥.

الاستنساخ وصراع المشروعية

د. لشهب أبوبكر



الاستنساخ من النوازل التي تحتاج إلى موقف فردي أو جماعي، رسمي أو غير رسمي، ولا يكفي فيه، ولا يكفي فيها المواقف العفوية غير المؤسسية. إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالتبصر في الأنفس ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢١)، وأخبر سبحانه وتعالى بما يبينه تعالى لعباده من الآيات ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت: ٥٣)، قال ابن كثير في تفسير الآية: «...ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع...»

الاستنساخ بلاشك ولاريب له من المنافع والأضرار ما يدعو إلى تناوله بالدراسة والتحليل والتمحيص من أهل الاختصاص في علوم شتى، فإذا كان المراد منه علاج أمراض تدخل في حفظ النفس البشرية فهو مطلوب ومشروع ما لم تتحول إلى أخطار دفعها مقدم على جلب تلك المنافع، فهو فرع من فروع علم الأحياء ومجال من مجالات الهندسة الوراثية، ونوع من أنواع العلم، والإسلام دين العلم، العلم النافع، فإذا بان ضرره وجب منعه باعتبار نتائجه، وإن كان في ذاته مشروعا.

والسؤال الذي نطرحه هل الاستنساخ هدف في ذاته أم وسيلة؟

وللإجابة عن التساؤل السابق، نحاول تصوير المسألة، ثم تكييفها، ونردف بالأسباب والأهداف وأخيرا الحكم، ونبدأ بالتصوير.

أولا: التصوير وندخله من التعريف

في اللغة: نسخ الشيء أي أزاله، ونسخ الكتاب: نقله وكتبه حرفا حرفا، وتناسخت الأزمنة تتابعت، والنُسخة جمع نُسخ... والتناسخ والمناسخة (المناسخات) في الميراث موت ورثة، وأصل الميراث قائم لم يقسم، وتناسخ الأزمنة تداولها أو انقراض قرن بعد قرن آخر، أما في مصطلح علم البيولوجيا فإنهم يريدون به ما يلي :

١- تكون كائن حي كنسخة مطابقة تماما من حيث الخصائص الوراثية، والفيزيولوجية، والشكلية، لكائن حي آخر، مثل فردي توأم البيضة (البويضة)

• باحث شرعي

الاستنساخ يحصل عن طريق تنشيط البويضة تطبيقا لفكرة التكاثر العذري الموجودة في الطبيعة

الواحدة.

فهو إذن توالد لاجنسي لا يحدث من إخصاب لبيضة الأنثى بنطفة الذكر، بحيث تشرع الخلية في التوالد اللاجنسي، بتكوين الجنين ومن ثم الفرد البالغ دون مشاركة الذكر فيولد الفرد المستنسخ بدون أب.

٢- ويمكن القول: إن الاستنساخ هو: تلك العملية البيولوجية التي بمقتضاها تتكون مجموعة من الخلايا (وليس شرطا أن تكون متجانسة) وذلك عبر الانقسامات المتوازية والمتابعة لخلية واحدة فقط. وهو ما يحصل في تكاثر بعض الكائنات الحية التي تتكاثر عن طريق التكاثر اللاجنسي بحيث يتم تكوين خلايا أو أنسجة أو أعضاء أو أجنة من خلية سابقة واحدة، ولعله مما سبق يتبين أن هناك نقاط التقاء ونقاط افتراق بين الاستنساخ والتلقيح الاصطناعي.

كيفية الإستنساخ؟

الاستنساخ عبارة عن نقل خلايا جسدية تحتوي على ٤٦ كروموزوما مكان نواة بيضة تحتوي على ٢٣ كروموزوما وتتولى السيتوبلازما المحيطة بالنواة الجديدة حث أو تحفيز النواة المزروعة على الانقسام، فتبدأ في الانقسام مكونة الخلايا الأولى للجنين الذي سيصبح فيما بعد إنسانا يتطابق مع الأصل الذي أخذت منه النواة الجسدية في المظهر.

أما التلقيح الاصطناعي: فهو الذي يتم فيه الجراحة... من المرأة، ثم يوضع البيض في وسط مغذ- الحصول على البيض- عن طريقه وملائم للنمو، يضاف إليه السائل المنوي للأب- زوج المرأة التي أخذ منها البيض- ثم تتم عملية مراقبة الإخصاب والتلاقح.

وعندما يصل الجنين مرحلة الخلايا الأربع فأكثر يعاد إلى المرأة، بغرس السائل في رحم المرأة- الأم والزوجة- بعد تهيئتها للحمل إما طبيعيا أو بحقنها بهرمونات مساعدة، وبزرع عادة أكثر من جنين للوصول إلى ولادة طفل واحد، وقد يحصل حمل لأكثر من طفل.

في حين نجد أن الاستنساخ يحصل عن طريق تنشيط البويضة تطبيقا لفكرة التكاثر العذري الموجودة في الطبيعة كما هو موجود في بعض الحشرات كدودة القز والنحل، وبعض الحيوانات اللافقارية، والبرمائيات، وبعض أنواع الثدييات، فيتم فيه- الاستنساخ- تحفيز وحث البويضة غير الملقحة بعدة وسائل منها المواد الكيماوية والصدمات الحرارية، أو الكهربائية المفاجئة، محاكاة للفعل المنشط للحيوان المنوي.

والنتيجة تكوين أجنة أحادية المجموعة الكروموزومية وهو مجال لإجراء مثل هذه التجارب على البشر، محاكاة لما يحصل عند غيره من الكائنات والحشرات.

ملاحظة: هذا وقد يكون التلقيح الصناعي استنساخا، لأن التلقيح الصناعي هو زراعة نواة بويضة تحتوي على ٢٣ كروموزوما وتحتاج إلى ٢٣ كروموزوما لتندمج معها لتكون الخلايا الأولى للجنين، فإن أضيفت للنواة خلية جسدية تحتوي على ٤٦ كروموزوما يصبح مجموع الكروموزومات ٤٦ + ٢٣ (٦٩)، ويقوم العلماء بفصل النواة عن البويضة فتصبح خالية من نواتها، ويضع فيها نواة الخلية الجسدية التي تحتوي على ٤٦ كروموزوما، وحتى يتم الأمر بشكل طبيعي يعمد العلماء إلى تحضير الخلية كهربائيا للانقسام ثم تتم إعادتها إلى الأم ليتم النمو في رحمها ويتكون الجنين. وبهذا يكون التلقيح الصناعي مشابهًا للاستنساخ!

دوافع الاستنساخ

قد تكون دوافعه:

١- علمية طبية علاجية.

٢- اقتصادية.

٣- وقد تكون غير ذلك. وهو ما سنوضحه في الأسباب والأهداف لاحقا.

التكييف أو تكييف المسألة

مما سبق في التصوير يتبين أن الاستنساخ إما أن يدرج ضمن وسائل الإنجاب، أو ضمن العلاقات- بين الرجل والمرأة- غير العادية، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يكون مجالا من مجالات البحث العلمي، وهو كذلك. أو مجالا لربح الأموال.

وقد يحقق مصالح للإنسانية، أو يسبب أضرارا، على المستويات الفردية والجماعية. وكل هذه المجالات إما أن تكون مضبوطة بالشرع وتعاليمه، والقوانين ونصوصها، أو تكون في حاجة إلى ضبط.

وهذا كله سنوضحه في المحور الرابع من هذا العمل.

الأسباب

ونبدأ بالأسباب:

١- أسباب علمية: تتابعت التجارب العلمية في هذا المجال منذ أزيد من عقد كامل، نتيجة لتطور تقنيات البيولوجيا الجزئية، منذ دراسة وظائف الجينات بتقنية الاستبدال الجيني المستهدف.

٢- أسباب اقتصادية: إذ إن الأسباب العلمية لا تنفصل عن الأسباب والدوافع الاقتصادية، بحيث بلغ رأس المال الإجمالي المنفق في هذا المجال في الولايات المتحدة وحدها إلى سنة ١٩٩٩ ما يزيد على ٤٢ مليار دولار تقريبا.

وبلغ اهتمام العلماء وأصحاب الأموال في آن واحد بهذا الموضوع، ما جعل بمجرد ما يكشف أي عالم أو خبير في البيولوجيا أو الجينات عن اكتشاف ما يتسابق الجميع لإنشاء مؤسسة للتقنية الحيوية، وتبدأ المضاربات المالية، والتي في الغالب يتحكم فيها أصحاب الأموال،



بتوظيف العلم لكسب المال ولو على حساب الإنسانية!

إذن فالجانب التجاري ساهم ويساهم في تقدم وإجراء التجارب، والتجارة بأي اكتشاف ولو بجينات الإنسان وحياته التي هي منحة الإله؟

وإذا كانت هذه نظرة موجزة في الأسباب فإن الأهداف لا تنفك عنها، ومعقدة أكثر.. وتسهيلا للبحث- فقط- نقسمها إلى أهداف إيجابية وأخرى سلبية، ونبدأ بالأولى.

الأهداف

أ- الأهداف الإيجابية

١) تحسين أنواع من النباتات، أو تحسين والحفاظ على أنواع من الحيوانات ذات الخصائص الوراثية المتميزة مثل: الأغنام والأبقار، وخيول السباق.

٢) عمليات معالجة العقم من خلال نقل نصف الكروموزومات من خلية جسدية للزوج إلى نواة البويضة المستخرجة من رحم زوجته والتي تحتوي على نصف العدد من الكروموزومات.

٣) قد تفيد البحوث في الاستنساخ في الكشف عن أسباب الإجهاض المبكر، والذي يحصل دون معرفة أسبابه، بحيث إذا عرفت هذه الأسباب أصبح بالإمكان منع الجنين من الانزلاق داخل الرحم، وبهذا يتم منع الحمل قبل بداية التلقيح، ومنع الإجهاض والإسقاط والانزلاق بعد تكون الجنين.

٤) كما أنه يحتمل أن الاستمرار في البحث في الاستنساخ قد يمكن الباحثين من استنبات أجزاء لمبايض وخصي بشرية مخبريا تمكن من الحصول على بويضات ونطاف باستمرار، وربما الوصول إلى إنتاج أعضاء بشرية، وأيضا معرفة أسباب سرعة انقسام الخلايا السرطانية، وإذا ما عرف ذلك فإنه يمكن استخدام وسيلة لإيقاف انقسام الخلايا السرطانية.

٥) يمكن تلافي إصابة الأبناء بأمراض إذا كان الآباء والأمهات يحملون أمراضًا، معينة، عن طريق المسح الجنيني.

٦) من خلال التعاون بين الاستنساخ والهندسة الوراثية يمكن تغيير وظائف فيزيولوجية لبعض أنواع البكتيريا من أجل إنتاج أنواع ذات صفات معينة لها قدرات خاصة، إما من أجل استعمالها لعلاج بعض الأمراض، أو استعمالها في الحروب.

٧) التحكم في جنس الطفل في المستقبل.

٨) إنتاج مجموعات من الأشخاص متطابقين للقيام بمهام خاصة كمجالات الحروب والجوسسة.

٩) الحصول على أولاد نجباء وعباقرة وقياديين وأبطال.

١٠) الاستفادة منه في زراعة الأعضاء.

ب- الأهداف السلبية

١) النتائج غير مضمونة، وغير مضبوطة، بحيث من ٢٧٧ تجربة اندماج تمكن الفريق الطبي الإسكتلندي من النجاح في النعجة دوللي، أي أن نسبة النجاح = ٣٦٪، بالإضافة إلى أن نسبة الإجهاض كانت عالية جدا وكذلك التشوهات الخلقية.

٢) وعلى فرض إيجاد قطيع من الغنم أو الأبقار بطريق الاستنساخ فإن تأثر كل القطيع بالعوامل البيئية سيكون واحدا، مما يؤدي إلى أن الضرر سيكون واسعا أو كليًّا مثل النفع.

لهذا ذكر د.ليون كامسي، الأخصائي في البيولوجيا الجزئية أن الاستنساخ: هو استمرار طابع وراثي معين يحقق استمرارا مصطنعا من جيل لآخر... ويمكن تخيل مخاطر هذا الإجراء على الجنس البشري بسيادة بعضه وانقراض الآخرين!

٣) استنساخ أشخاص يعانون من أمراض.

٤) قد يؤدي إلى استئجار الأرحام.

٥) يؤدي إلى بيع البويضات.

٦) فقدان ما يجب أن يتمتع به كل فرد من صفات ذاتية تميزه.

٧) لكل خلية عمر افتراضي، والاستنساخ باستعمال خلايا لشخص يبلغ من العمر ٦٠ سنة.. هل يعد استكمالا لعمره. أم هو عمر جديد للجنين المستنسخ؟

الحكم

انعقدت في عام ١٩٩٧ الندوة الفقهية الطبية التاسعة تحت عنوان: رؤية

إذا دعت الضرورة إلى الاستنساخ باعتباره وسيلة علاج وعملا طبيًا فإنه لابد من الموازنة بين السلبيات والإيجابيات

إسلامية لبعض المشاكل الطبية، ما بين ١٤ و١٧ يونيو ١٩٩٧ وفي ذات السنة والشهر انعقد المؤتمر العاشر لمجمع الفقه الإسلامي بجدة (٢٨ يونيو و٣ يوليو ١٩٩٧) واختتم المؤتمران بتوصيات أفادت في مجملها:

١- التحفظ حول موضوع الاستنساخ.

٢- طلب البحث من أجل وضع قوانين تنظم هذه المسألة.

وانطلاقا من كل ما سبق فإنه يمكن القول بالمنع: الحرمة. ودليل ذلك في النقاط التالية:

١- لأنه شغل لرحم المرأة بغير وجه مشروع ولا يجوز شغل رحم المرأة إلا بماء زوجها.

٢- لأنه سبب في ضياع الأنساب، وسبب في نشأة طفل من غير أب، وسبب لإغفال وإهمال دور الأب في الحياة، وجعل الإنجاب مقتصرا على المرأة لوحدها، وهو مخالف للشرائع والطبيعة والأعراف.

٣- كون الإنجاب مشتركا بين الرجل والمرأة، بطريقة شرعية، يقوي الصلة بين الأفراد، بل فيه معنى نشأة المجتمع لما يحمله من معاني وصور التعاون وحصره على المرأة قضاء على قيام المجتمعات لما تحمله وتستوجبه من حقوق متبادلة، فلا قيمة للإنسان بقيت، ولا صورة للمجتمع قامت.

٤- تكريم الإنسان عن غيره من الأحياء، اختصاصه بحقوق منها: الأبوة، الرعاية والنسب، الإرث... وكل هذه المعاني لا بقاء لها مع الاستنساخ بالمفاهيم السالفة للاستنساخ.

٥- انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا. لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا. ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ (النساء: ١١٧ - ١١٩) دلت هذه الآية على تحريم تغيير خلق الله، وأنه مما يأمر به الشيطان.

وقوله عز وجل: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم: ٣٠). وعموم الآية يدل على أن زرع الخلية الجسدية لإنتاج المولود هو تغيير في نظام التكاثر الذي يتم عن طريق الاتصال الجنسي.

وتأييد ذلك أن الله تبارك وتعالى قال في سورة النمل الآية ٧٢: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾. وفي سورة النساء الآية ١ قال عز وجل: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء...﴾.

أما في سورة الإنسان الآية ٢ فجاء قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾.

ومن مجموع هذه الآيات والدلائل، فإن لم نستطع الجزم بأن الاستنساخ زنا ولم يوجه دون وجه حق، فإنه يمكن الجزم بأنه جريمة في حق المجتمع، وجريمة في حق الإنسان يجعله حقلا للتجارب.

٦- معلوم أن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف وليس العكس، وأنه إذا تعارضت المفاسد روعي أعظمها ضررا بارتكاب الأخف، والامتناع عن الاستنساخ أخف ضررا من ارتكابه.

فمن باب الاحتياط إذن يكون تركه مقدمًا على الاستمرار فيه، والضرورات تقدر بقدرها ويستثنى من المنع حالة: إذا أخذنا خلية جسدية من الزوج العقيم وزرعناها في بويضة ورحم زوجته في حال قيام العلاقة الزوجية الشرعية، والحياة.

الخاتمة

الاستنساخ عمل طبي، والأعمال الطبية جائزة شرعا وقانونا بشروط منها:

١- التحقق من حصول المصلحة الشخصية الفردية المباشرة المقيدة شرعا.

٢- أن يكون احتمال النجاح وحصول النفع مؤكدا أو قريبا من المؤكد.

٣- ألا يكون فيه إضرار بالغير، والاستنساخ فيه إضرار بالغير أكيد، إضرار بالطفل المستنسخ من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والدينية بالخروج عن الفطرة، بحيث يوجد ابن لمخبر، وليس لأب معلوم.

٤- إذا قدر لهذا العمل النجاح فإنه سيصبح بإمكان أي مخبر القيام بإنجاز الأفراد كما يريد صاحب المخبر، أو كما يريد صاحب الصفقة المالية.

وبالتالي: فهو وسيلة إلى الاتجار بالإنسان واستعباده، إضافة إلى إهدار الكرامة الإنسانية الثابتة.. والوسيلة تأخذ حكم الغاية.

والمادة الثابتة من قانون حماية الصحة الجزائري تنص على: ترمي الأهداف المسطرة في مجال الصحة إلى حماية الإنسان من الأمراض والأخطار وتحسين ظروف المعيشة والعمل، بتوفير العلاج والحماية الصحية، والتربية الصحية.

إذن إذا دعت الضرورة إلى الاستنساخ باعتباره وسيلة علاج وعملا طبيًا فإنه لابد من الموازنة بين السلبيات والإيجابيات.

هذا والوسيلة الطبيعية والشرعية والقانونية للإنجاب هي الزواج على أساس تكوين نظام اجتماعي، وهو ما تنص عليه المادة الرابعة من قانون الأسرة الجزائري، واعتبرت المادة أربعون منه الزواج هو الوسيلة الوحيدة لإثبات النسب وكذا المادة ٤١ و٤٢، فلا أنساب، ولا أبوة، ولا أسرة بالاستنساخ لما فيه من مخالفة للآداب الشرعية، والفطرة السليمة، والنصوص الشرعية والقانونية، وما فيه من الأخطار والمخاطرة على الأفراد والمجتمعات.

فلم يبق للقول بإباحة الاستنساخ احتمال ولا مجال.

التقعيد الفقهي المقاصدي وأثره في فقه الدعوة

د. محمد الأنصاري

إن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى صياغة عقلية فقهية حية تجديدية مقاصدية، تعمل على بلورة مفاهيم الإسلام ونظمه، بلورة معاصرة تستجيب لقضايا العصر ومستجدات الحياة، وتسعى إلى حل كل المشكلات المتراكمة في واقع الأمة المسلمة خاصة والبشرية عامة، وفق رؤية شرعية مقاصدية.

ومن هذا المنطلق فإن إحداث أي تغيير إسلامي منشود لا يمكن أن يتم إلا إذا تغير مسلم اليوم عقلا وفكرا وسلوكا تغييرا حضاريا، وكان ذلك في إطار منهج إسلامي رشيد، يرشد عمل العاملين في حقل الدعوة إلى الله، إذ بقدر رشدنا وفقهنا في المنهج يكون مستوى انطلاقنا وإقلاعنا الحضاري كمًا وكيفًا. وعلى هذا الأساس فإن إعادة الاعتبار للمنهج القرآني الفطري في الدعوة وإقامة الدين والشهادة على الناس وإخراج الأمة المعيار:﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(آل عمران:١١٠)، لا تتأتى إلا بالاهتداء بقواعد الفقه المقاصدي الذي ينير السبيل أمام دعاة الخير والصلاح في كل عصر ومصر.

١- إثبات القاعدة

اخترت قاعدة من القواعد الفقهية المقاصدية في الفقه الدعوي، وهي القاعدة التالية

«تتفاوت رتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتفاوت رتب المأمور به والمنهي عنه».

هذه القاعدة الفقهية الدعوية من أهم القواعد التي ترسم ملامح المنهج الدعوي الفطري في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو لب الإصلاح المطلوب شرعا، وأساس إخراج هذه الأمة إلى الناس كافة.

٢. التأصيل الشرعي للقاعدة

الأصل فيها من حيث وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران:١٠٤)، وقوله ﷺ: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، مثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فاذوهم فقالوا، لو خرقنا في نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا) (١).

وأما أصلها من حيث رتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقوله ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (٢)، وهذا الحديث كما قال ابن العربي من غريب الفقه، فالرسول ﷺ بدأ في البيان بالأخير في الفعل وهو تغيير المنكر باليد، وإنما يبدأ باللسان والبيان، فإن لم يكن فباليد (٣).

وكذلك قوله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٤)، إذ جعل كلمة الحق أفضل الجهاد لأن المنكر قد بذل نفسه بحيث لا يقدر على تخليصها بخلاف المجاهد فإنه يتوقع أن يقتل قربة ويتوقع أن يخلص فلم يكن بذله لنفسه كبذل المنكر على السلطان الجائر، حيث النتيجة معروفة.

٣ – بيانها وفقه أولوياتها:

وفي بيان هذه القاعدة الدعوية أورد نصا ذهبيا في الفقه المقاصدي الدعوي لسلطان العلماء العز ابن عبدالسلام يقول فيه: «الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، ورتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة المأمور به في باب المصالح، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل.. وكذلك النهي عن المنكر المنهي عنه، ورتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة درء مفسدة الفعل المنهي عنه في باب المفاسد، ثم تترتب رتبه على رتب المفاسد إلى أن تنتهي إلى أصغر الصغائر، فالنهي عن الكفر بالله أفضل من كل نهي في باب النهي عن المنكر» (٥).

وبهذا يتضح أن الإمام العز يحدد من خلال هذا النص التقعيدي في الفقه المقاصدي منهجا جليا في أولويات الدعوة إلى الله، فالأمر بتصحيح الإيمان والتحقق بكليات الدين الغيبية ، وتصحيح التصور نحو الكون والحياة في عالم الشهادة هو أولى الأولويات في الدعوة.

والدعوة إلى تصحيح التدين بتقديم ما يستحق التقديم منه ، فالفرائض مقدمة على النوافل ، ثم إحياء معالمه التي ضمرت في نفوس الناس حيث أصبح التدين عندهم مظهرا جامدا تقليديا ضيقا لا يشمل إلا بعض جوانب الحياة، في حين أن التدين الصحيح في مفهوم الإسلام هو

* باحث في جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال في المغرب

التدين الحي الواعي الشامل الذي يرسم منهج حياة للفرد والمجتمع والأمة في السلوك والأخلاق والمعاملات.

ثم الدعوة إلى تصحيح الالتزام لإخراج الأمة المعيار المؤهلة لحمل أمانة الدعوة والتبليغ، أفرادا ومجتمعا ومؤسسات ودولة.

إن ترتيب أولويات هذه القاعدة في الفقه الدعوي المقاصدي، تقتبس معالمها من فقه الموازنات بين المصالح فيما بينها والمفاسد فيما بينها، وبين المصالح والمفاسد، وقد بين سيد قطب بعض أولوياتها فقال: «إن الأمر بالمعروف يجب أن يتجه أولا إلى الأمر بالمعروف الأكبر، وهو تقرير ألوهية الله وحده سبحانه، وتحقيق قيام المجتمع المسلم، والنهي عن المنكر يجب أن يتجه أولا إلى النهي عن المنكر الأكبر، وهو حكم الطاغوت وتعبيد الناس لغير الله عن طريق حكمهم بغير شريعة الله.. ومفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يدرك وفق مقتضى الواقع فلا يبدأ بالمعروف الفرعي والمنكر الفرعي قبل الانتهاء من المعروف الأكبر والمنكر الأكبر، كما وقع أول مرة عند نشأة المجتمع المسلم» (٦).

٤ - ضوابط منهجية في قاعدة الأمر والنهي

إن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أناطها الله بأمة الرسالة الشاهدة على العالمين لا تكون هادفة وناجحة إلا إذا انضبط القائمون بأمر الدعوة بالشروط والضوابط المنهجية الدعوية الآتية:

أ- أن يعلم ما يأمر به وينهى عنه: فالجاهل بالحكم لا يحل له النهي عما يراه ولا الأمر به، ولهذا قال الإمام العز بن عبدالسلام: «الإنكار متعلق بما أجمع على إيجابه أو تحريمه، فمن ترك ما اختلف في وجوبه، أو فعل ما اختلف في تحريمه.. فإن كان جاهلا لم ينكر عليه، ولا بأس بإرشاده إلى الأصلح، لأنه لم يرتكب محرما.. وعلى هذا فلا يجوز الإنكار إلا لمن علم أن الفعل الذي نهى عنه مجمع على تحريمه وأن الفعل الذي يأمر به مجمع على إيجابه» (٧).

ب- ألا يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه: كأن ينهى عن شرب الخمر فيؤدي نهيه عنه إلى قتل النفس أو نحوه، وهنا الأمر يتطلب معرفة طبائع الناس ونفوسهم وأصنافهم وأحوالهم، بل وإيجاد بديل لهم مباح أو أقل ضررا مما هم فيه، وقد أدرك فقهاؤنا أهمية هذا المنهج فاعتنوا بتسجيله، فهذا ابن القيم رحمه الله يقول في هذا الشأن: «وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك.. وهذا باب واسع، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، قلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم» (٨).

وما أحوج الدعاة اليوم إلى هذا الفقه المقاصدي النير، الذي يقوم على أساس منهج ترتيب الأولويات والموازنة بين مصالح الأمور ومفاسدها، إذ به يمكن للفقه الإسلامي الحي المتجدد أن يحدث تغييرا كبيرا في المجتمع، وأن يخلف أثرا بالغا في الناس، ومن شأنه أيضا أن ينير طريق الدعوة إلى الله ويجلي معالمها، وأن يرشد المصلحين إلى أقوم نهج وأحسن سبيل، اهتداء بهدايات الوحي وبصائره المنهاجية في التفكير الدعوي والتعبير الدعوي والتدبير الدعوي، قال تعالى مقررا ذلك: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩)، وقال سبحانه: ﴿ هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٣)، بصائر القرآن بصائر حجة، من أبصرها وأبصر بها، كان مبصرا ببصيرته للحق



والنور والهدى: ﴿قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: ١٠٥)، فالإبصار هنا إبصار للحق بميزان الحق القرآني والهدى الرباني.

ج- أن يغلب عن ظنه أن إنكاره المنكر مزيل له، وأن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله: وفي تقرير هذا الشرط يقول سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: «فإن علم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن أمره ونهيه لا يجديان ولا يفيدان شيئا، أو غلب على ظنه سقط الوجوب لأنه وسيلة ويبقى الاستحباب، والوسائل تسقط بسقوط المقاصد، وقد كان ﷺ يدخل إلى المسجد الحرام وفيه الأنصاب والأوثان ولم يكن ينكر ذلك كلما رآه، وكذلك لم يكن كلما رأى المشركين ينكر عليهم، وكذلك كان السلف لا ينكرون على الفسقة والظلمة فسوقهم وظلمهم وفجورهم كلما رأوهم، مع علمهم أنه لا يجدي إنكارهم، وقد يكون من الفسقة من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيزداد فسوقا إلى فسوقهم، وفجورا إلى فجورهم» (٩).

وبتوفر هذه الشروط الثلاثة يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا على الفور ولا يقبل التراخي أو التقاعد عنه، وقد نقل الإمام القرافي الإجماع على ذلك، وبالمقابل فإذا تخلف أحد الشرطين الأولين وجب التحريم، وإذا تخلف الشرط الثالث سقط الوجوب وبقي الجواز والندب (١٠).

٥ - آراء الفقهاء في قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن النكر

اختلف الفقهاء في بعض جوانب هذه القاعدة، ومن ذلك هل يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الكفاية أم على العين؟ وقد سلكوا في ذلك مسلكين مختلفين هما كما يلي

أ المسلك الأول: مسلك أصحاب الوجوب على العين

وقد قرر هذا الاتجاه الإمام الطوسي وغيره حيث قال: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان من فرائض الإسلام، وهما فرضان على الأعيان، لا يسع أحدا تركهما والإخلال بهما» (١١).

قريب منه ما ذهب إليه الإمام ابن عبدالبر حيث نقل القرطبي عنه قوله بإجماع المسلمين على وجوب تغيير المنكر على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك (١٢).

وإلى هذا المسلك أيضا أشار سيف الدين إسماعيل بقوله: والحسنة في إطار القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجب على العالم كما تجب على ولاة الأمور وهي كذلك واجبة على مجموع الأمة كل حسب الوسع، يؤديها المسلم حسب طاقته، وليس المطلوب الأمر بالمعروف الذي لا يعرفه إلا المجتهدون، أو النهي عن المنكر الذي لا يدركه إلا العالمون، أو لا يستطيعه إلا أولوا الأمر، فكل معروف ينبغي الأمر به، وكل منكر ظهر فعله ينبغي النهي عنه، غير أنه يجب التفرقة بين المحتسب الفرد والوالي (١٣).

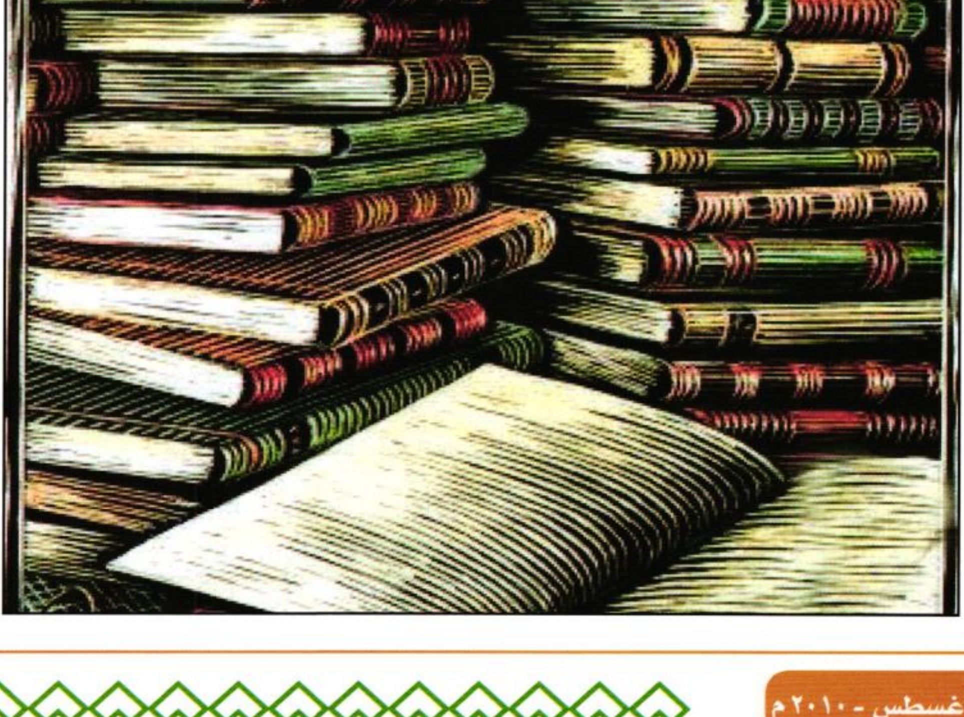
وبهذا يتضح أن أصحاب هذا الرأي يرون أن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تشمل جميع أفراد الأمة كل حسب موقعه الاجتماعي وقدرته وعلمه ابتداء بالحكام وولاة الأمور، ومرورا بالعلماء والدعاة المصلحين ورثة الأنبياء، وانتهاء بالرعية.

ب المسلك الثاني: مسلك أصحاب الوجوب على الكفاية

فأصحاب هذا الاتجاه يرون أن وظيفة الحسبة في إطار ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبة على الكفاية، بدليل قوله تعالى:﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وفي معنى هذه الآية يقول ابن قدامة: «وفي هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين، لأنه قال ﴿ولتكن منكم أمة﴾، ولم يقل، كونوا كلكم آمرين بالمعروف، فإذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، واختص الفلاح بالقائمين المباشرين له».

وفي نظرنا أن الراجح والأصوب- توفيقا بين الرأيين- هو أن وجوب الحسبة - في إطار الأمر والنهي- على العين يكون في حال عدم وجود الكفاية في ذلك أو في حال عدم وجود الدولة المسلمة التي تقوم على الشرعية الدينية المتمثلة في قيامها على الإسلام قولا وفعلا، ثم توليها الرعاية والإمامة والسيادة عن طريق الشورى، ثم حفاظها على منهج الشرعية ولاء لله والرسول والمؤمنين، ففي هذه الحال يجب على كل أفراد المجتمع القيام بالدعوة أمرا ونهيا، وذلك بحسب العلم والقدرة والإمكان ودون إخلال، إذ إن واجب التمكين لدين الله والدعوة له، والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أبعادها العقيدية والتعبدية والسلوكية وغيرها، وفي كل المجالات التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، مع مراعاة الإمكانيات والظروف والأحوال والإنسان وفقه المآل، يجب على الأمة كلها أفرادا ومؤسسات ومجتمعا لقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران:١١٠).

أما الوجوب على الكفاية فيكون في حال قيام الدولة المسلمة التي تقوم على الدعائم الشرعية السابقة، فحينئذ يكون ولاة الأمر وأئمة العدل إلى جانب مؤسسة ولاية العلماء والدعاة ورثة الأنبياء هم المسؤولون على توعية الناس ودعوتهم إلى التدين الواعي الشامل الإيجابي، وهم المسؤولون أيضا عن القيام بوظيفة الحسبة في إطار ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مقيد بحصول الكفاية في الدعوة والقيام بالأمر والنهي، وشمول ذلك الداني والقاصي من أفراد المجتمع بحيث لا تبقى من لا تصله الدعوة والأمر



ما أحوج الدعاة اليوم إلى الفقه المقاصدي النير الذي يقوم على أساس منهج ترتيب الأولويات والموازنة بين مصالح الأمور ومفاسدها

والنهي في المجتمع، فإذا لم تحصل الكفاية بهذا المفهوم انتقل الحكم من الكفاية إلى العين.

ومن خلال ما تقدم يمكن استخلاص ما يلي

١- إن القيام برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتجاوز أمر الحكام وولاة الأمور، إذ لا يشترط في ذلك إذنهم، إلا إذا كانت الدولة المسلمة قد خصصت لهذا الميدان مؤسسة من أهل العلم والصلاح يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، فحينئذ يسقط الأمر والنهي عن الباقين كلما تحققت الكفاية في ذلك بهم.

وفي هذه الحالة قد يجوز تقنين وظيفة الحسبة استصلاحا إذا كان في ذلك مصلحة للأمة يقدرها العلماء المشاورون- أهل الشورى والحل والعقد- في مؤسستهم الشرعية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد اشترط قوم إذن الإمام أو الوالي في القيام برسالة الحسبة، وقد أنكر هذا الرأي ابن قدامة وغيره حيث قال: «وهذا فاسد لأن الآيات والأخبار عامة تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عنه عصي، فالتخصيص بإذن الإمام تحكم» (١٤)، وهذا رأي متجه سديد، لأنه لا يمكن أن ننتظر من الأئمة إذا كانوا من أهل الفسق والظلم أن يرخصوا للعلماء والدعاة الأخيار، ولأهل الغيرة على الدين بالقيام بوظيفة الحسبة في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم قد يستهدفون بذلك أيضا.

٢- إن المراد برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إقامة الدين في كل أبعاده الفردية والجماعية، الإيمانية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية، السياسية والاجتماعية وغير ذلك، حتى يصبح المجتمع آمنا سالما من كل الفتن والمهلكات، وقد قرر هذا العلماء، فهذا ابن قدامة يقول في ذلك: «اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي بعث الله به النبيين، ولو طوي بساطه، لاضمحلت الديانة، وظهر الفساد وخربت البلاد» (١٥).

٣- إن من أهم أسباب الفساد والانحراف والتخلف الحاصل في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم هو غياب الدور الرسالي لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع أهل الخير والصلاح من الإصلاح ونشر الخير والأمن، وبالمقابل فسح المجال للهيئات والمؤسسات غير الشرعية العلمانية لإضلال الناس وإبعادهم عن هويتهم الحضارية، فكثر الفساد والإفساد وعم البلاء والفتن ما ظهر منها وما بطن، بسبب كثرة دعاة الشر والضلال وكثر مؤسساتهم التي زاحمت المؤسسة الشرعية لولاية العلماء والدعاة المخلصين وورثة الأنبياء الربانيين.

٤-إن القيام برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على اختلاف مراتبها ودرجاتها في التفاوت أو التساوي، تحتاج إلى رفق وحلم، لقوله ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانه» (١٦)، فالرفق صفة جليلة يتصف بها الحق سبحانه وتعالى، وحري بالدعاة أن يكونوا هم أول من يقتدي بالرب في هذ الصفة تحققا وتخلقا، قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف» (١٧)، والرفق مطلوب في الأمر كله وهو مطلوب في مجال الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر من غيره، ولهذا قال بعض السلف: «لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه» (١٨)، وقد أشار ابن تيمية إلى هذا المعنى اللطيف الجميل للرفق في الدعوة إلى الله تعالى أمرا ونهيا حيث قال في كتابه الاستقامة: «والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: «ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر» (١٩)

خاتمة

هذه بعض المعالم والأسس المنهجية والعلمية التي تشملها قاعدة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» هذه القاعدة الفقهية الدعوية التي تبرز بوضوح أهمية التقعيد الفقهي المقاصدي، وأثره في فقه الدين وفقه الدعوة وفقه الواقع وفقه التنزيل للدين بمنهج الدعوة الفطري، فيسهم بذلك في ترشيد المناهج الدعوية التي يجب أن تقوم على هذه المعالم الأساسية إقامة للدين وبعثا للفطرة السوية التي فطر الله الناس جميعا عليها، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم:٣٠).

الهوامش

١- ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: حديث رقم: ١٣٢٥.
٢- صحيح مسلم- كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان - حديث : ٩٥، وسنن ابن ماجه- كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- حديث :٤٠١١.
٣- أحكام القرآن : ١ / ٢٩٣.
٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الفتن والملاحم حديث: ٨٦٢١. وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث: ٤٠٠٩.
٥- قواعد الأحكام في مصالح الآنام: ١ / ١٢٧.
٦- في ظلال القرآن : ١١/ ٥٠.
٧- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال : ٤٢٨.
٨- إعلام الموقعين : ٣ / ١٦.
٩- قواعد الأحكام : ١/ ١٢٨، ١٢٩.
١٠- الفروق: ٤ / ٢٥٥، ٢٥٧.
١١- النهاية في مجرد الفقه والفتوى: ٢٩٩.
١٢- الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٤٨ ، ٤٩.
١٣ - التجديد السياسي «رؤية إسلامية» : ١٧٤.
١٤- منهاج القاصدين: ١٢٤.
١٥- منهاج القاصدين: ١٢٣.
١٦- صحيح ابن حبان كتاب البر والاحسان باب الرفق حديث ٥٥٢.
١٧- موطأ الإمام مالك كتاب الاستئذان باب ما يؤمر به في السفر من العمل حديث: ١٧٨٢.
١٨- منهاج القاصدين: ١٢٣.
١٩- الاستقامة : ٢ / ٢١٠.

أجهزة الإنعاش.. حقيقتها وحكمها

د. سيد حبيب بن أحمد ◆

أوّلًا: حقيقة الإنعاش ومفهومه

أ- مفهوم الإنعاش

يقصد بالإنعاش في عالم الطب: «المعالجة المكثفة التي يقوم بها طبيب أو مجموعة من الأطباء ومساعدوهم لمساعدة الأجهزة الحياتية حتى تقوم بوظائفها، أو لتعويض بعض الأجهزة المعطلة قصد الوصول إلى تفاعل منسجم بينها».

والأجهزة الحياتية الأساسية للإنسان هي الدماغ، القلب، الرئة، الكلى، الدم للتوازن بين الماء والأملاح.(١)

وعليه فحقيقة الإنعاش تقوم على محاولة الطبيب إعطاء المصاب فرصة ليعود فيها تنفسه وقلبه ودماغه إلى الوضع الطبيعي، أو إلى ما هو أدنى من ذلك، أو أفضل مما كان عليه قبل الإصابة باستخدام أجهزة معينة.(٢)

ب- المراد بأجهزة الإنعاش(٣)

هي عبارة عن مجموعة من الأجهزة، والعقاقير، وأهم من ذلك المجموعة المدربة من الأطباء والممرضين التي تستخدم هذه الأجهزة بمهارة في إسعاف المصاب، وتتمثل هذه الأجهزة في الآتي:

١- المنفسة (المنْفاس)

وهي أنواع مختلفة متعددة، والمستخدم منها في الإنعاش هو النوع الذي تقوم فيه المنفسة بعمل الجهاز التنفسي.. وتحرك بذلك القفص الصدري في حركة تشبه حركتي الشهيق والزفير الطبيعيتين.

ويستخدم هذا النوع من المنفسة

(١) عندما يرى الطبيب- مثلا- أن التنفس قد توقف أو أوشك على التوقف، فإنه يقوم حينئذ بإدخال أنبوبة إلى القصبة الهوائية، ويوصل ذلك إلى المنفسة.

(٢) ويستخدم هذا الجهاز أيضا أثناء العمليات التي يستخدم فيها التخدير الكامل.

٢- أجهزة إنعاش القلب.. ومنها

أ- جهاز مانع ذبذبات القلب (مزيل رجفان القلب)

وهو جهاز يعطي صدمة كهربائية لقلب اضطرب نظمه، أو توقف توقفا بسيطا.

يوضع الجهاز على الصدر، ويمرر تيار كهربائي محدثا تنبيها للقلب، فيؤدي ذلك إلى انتظام ضربات القلب، أو يعيد القلب للعمل من جديد في حال التوقف.

ب- جهاز منظم ضربات القلب (ناظم الخطى)

وهو عبارة عن جهاز صغير، موصل بسلك، يتم إدخال هذا السلك إلى أجواف القلب، وبعدها يبدأ الجهاز بتوليد شرارات كهربائية بشكل منتظم، مما يؤدي لتحريض ضربات القلب بشكل منتظم.

ويستخدم هذا الجهاز إذا كانت ضربات القلب بطيئة جدا، أو مضطربة جدا، مما يؤدي لهبوط ضغط الدم، أو توقف تام للقلب.

٣- أجهزة الكلية الصناعية

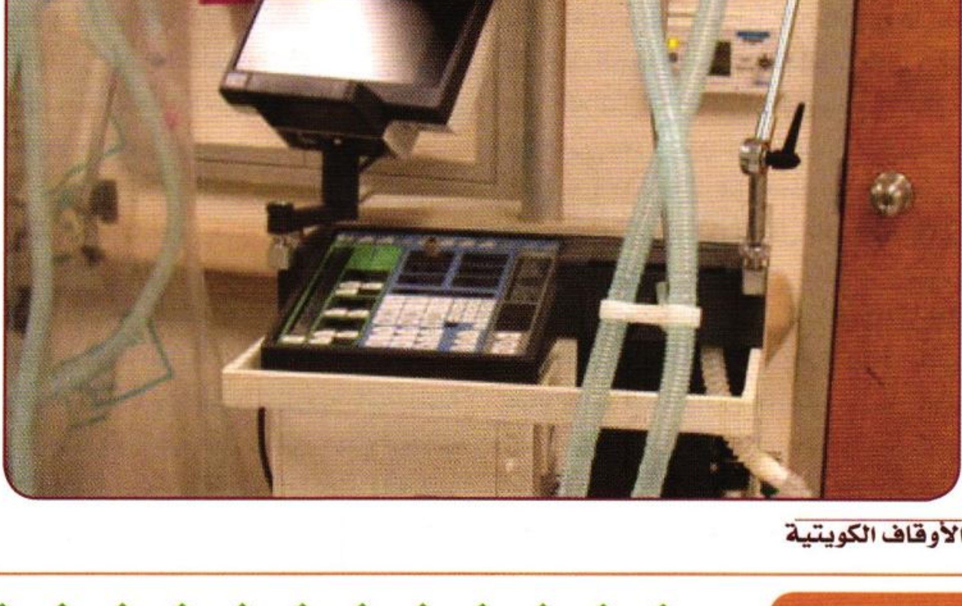
وهي عبارة عن أجهزة تعوض عن وظيفة الكلى في تنقية الدم والجسم من السموم والماء المحتبس فيه.

٤- مجموعة من العقاقير: يستخدمها الطبيب لإنعاش التنفس أو القلب أو تنظيم ضرباته.(٤)

ثانيًا: الأسباب الداعية لوضع أجهزة الإنعاش على المريض

الأسباب الداعية لوضع أجهزة الإنعاش على المريض ثلاثة.. وهي

(١) توقف تنفس المريض فجأة لأي سبب من الأسباب.. غرق، حرق، تنفس



◆ باحث شرعي في مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف الكويتية

مواد سامة.

(٢) توقف قلبه فجأة.. مرض بالقلب، اضطرابات النبض، مواد سامة... الخ.

(٣) إصابة دماغية في حادث سيارة مثلا، أو أثناء عملية جراحية لإزالة ورم بالدماغ.(٥)

ثالثا: الأسباب الداعية لرفع أجهزة الإنعاش عن المريض

(١) شفاء المريض ورجوعه إلى الحالة الأولى.

(٢) وفاة المريض.

(٣) موت دماغه، أو جذع دماغه بحكم الأطباء.

من الأسباب التي تدعو إلى إيقاف وسائل الإنعاش عن المريض هو موت دماغه بجميع أجزائه، أو موت جذع الدماغ فقط (مما يؤكد عدم رجوع الحياة نهائيا) مما يترتب على إبقاء المريض مرتبطا بجهاز الإنعاش رغم تلف دماغه النهائي من الأضرار الكثيرة، ومنها

١- أن في ذلك بذل جهد كبير فيما لا طائل تحته، بل يقرب من كونه نوعا من العبث؛ حيث أثبتت الدراسات العلمية أن من توفرت فيه كل شروط تشخيص موت الدماغ قد وصل إلى نقطة اللاعودة، وأن توقف بقية الأعضاء عن العمل لابد أن يحدث بعده بمدة.

٢- غرف العناية المركزة في كل مستشفيات العالم محدودة العدد ومخصصة لإعطاء عناية متواصلة في كل ثانية، حتى تستقر حالة المريض الصحية، وهو بحاجة ماسة لمثل هذه المراقبة والعناية، ووجود مريض تلف دماغه نهائيا على هذه الأجهزة يحجز مكان مريض آخر يكون إنقاذ حياته ممكنا بإذن الله تعالى.

٣- تكاليف العناية المركزة باهظة سواء تحملتها الدولة أو الفرد، فمن الأولى إنفاقها فيما يعود بالنفع على المريض أو أسرته بدلا من إهدارها بما لا جدوى منه.

من أسباب إيقاف وسائل الإنعاش عن المريض موت دماغه بجميع أجزائه

٤- العاملون في وحدات العناية المركزة يصابون بالإحباط لمعرفتهم أن مآل جهودهم آلي، ويؤثر ذلك على مستوى عنايتهم بالمرضى الآخرين.

٥- زيادة آلام أقارب المريض وذويه ومعاناتهم بتكرار رؤيتهم له جثة هامدة(٦).

٦- وجود مرضى آخرين هم بحاجة إليها (التزاحم على الأجهزة).

رابعا: حكم الإنعاش (حكم وضع أجهزة الإنعاش على المريض)

الإنعاش شكل من أشكال التداوي، إلاّ أنه شكل خاص جدا، ويختلف الحكم باختلاف الغرض والقصد من الإنعاش الصناعي، ولا يخلو الغرض من الإنعاش من أمرين

الأمر الأول: أن يكون الإنعاش لمحاولة إنقاذ الأرواح التي يتعرض أصحابها لأزمات وقتية وعلاجها (وهذا هو الغالب من غرض الإنعاش)

حكم هذه الحالة: اتفق العلماء على جواز الإنعاش في هذه الصورة شرعا.(٧)

وإنما اختلفوا في كونه واجبا كفائيا أو مندوبا إليه على قولين:

القول الأول: أنّه واجب كفائي(٨)، وهو الراجح؛ لأن وضعية المصاب في هذه الحالة هي كوضعية الغريق الذي يصارع الموج وهو لا يحسن السباحة، أو كوضعية من وقع تحت ركام من الهدم، فالإنقاذ واجب كفائي.

فأما كونه واجبًا: فذلك أن حالة الإنعاش لا تختلف عن أي حالة من حالات الاضطرار التي تقلب حتى حكم التحريم إلى الوجوب حفاظا على الحياة التي هي من المقاصد الضرورية الخمس، على أن المصاب في كثير من حالات الإنعاش يكون فاقدا للوعي أو هو تحت تأثير وطأة الإصابة لا يتمكن من أخذ القرار المبني على التأمل.

وأما كونه كفائيًا: فإن خاصية الواجب الكفائي أن الخطاب يتوجه إلى كل فرد من الأفراد المؤهلين للقيام بالعمل، وإذا قام به البعض وتحققت المصلحة سقط الطلب، وهذا يقتضي:

١- أن إعداد الاختصاصيين في الإنعاش واجب، تأثم الأمة كلها إذا لم تعن بتخريج هذا النوع من الأطباء.

٢- أن إعداد الأجهزة وأدوية الإنعاش بالقدر الكافي والمُمَكّن من الاستفادة منه هو واجب كفائي أيضًا، تتحمله الدولة أولا.

٣- أن واجب الاختصاصي أو المجموعة موالاة رقابة المصاب مراقبة تحقق الهدف من الإنعاش، وهنا يكون كل تقصير متعمد موجبا لتحمل المقصر مسؤولية نتائج التقصير.(٩)

القول الثاني: أنّه مندوب إليه، وممن قال به الشيخ عبدالقديم يوسف؛ وذلك من قبيل الأخذ بما ترجح عنده في حكم التداوي، وأنه مندوب إليه.(١٠)

الأمر الثاني: أن يكون الإنعاش بهدف إطالة الموت، واحتكار الميت الموجود في المرحلة الثالثة للموت (وهي الموت الخلوي) لجهاز الإنعاش، لا لسبب إلاّ لتأجيل إعلان الموت.

حكم هذه الحالة: لا يجوز استعمال أو تشغيل أجهزة الإنعاش في هذه الحالة؛ لأن مراكز الرعاية الطبية المركزة بالمستشفيات هي لإنقاذ الأرواح، وليس لدفع الموت أو تأجيله.(١١)

تكييف الإنعاش

اختلف العلماء في تكييف الإنعاش، فمنهم من جعله من باب التداوي، فيكون مندوبا إليه، ومنهم من جعله من قبيل إنقاذ الغريق، فيكون واجبا، والراجح أنه من باب الإنقاذ، فيكون واجبا كفائيا.

خامسًا: حالات رفع الأجهزة عن المريض مع حكم كل حالة

إذا قرر الأطباء وجوب وضع المريض على أجهزة الإنعاش، فلا يسوغ لهم رفع تلك الأجهزة إلاّ إذا زال السبب الذي استدعى وضع تلك الأجهزة.

ولا يخلو أحوال المريض في غرفة الإنعاش من أربع حالات.. هي

الحالة الأولى: أن تعود أجهزة المريض من التنفس، وانتظام ضربات القلب إلى حالتها الطبيعية وهو البرء التام أو الأخذ في طريق النقاهة، وحينئذ يقرر الطبيب رفع الجهاز؛ لتحقق السلامة وزوال الخطر.

الحالة الثانية: التوقف التام للقلب والتنفس، وعدم القابلية لآلة الطبيب، وحينئذ يقرر الطبيب موت المريض تماما بموت أجهزته من الدماغ والقلب، ومفارقة الحياة لهما، وعليه يقرر الطبيب رفع الجهاز؛ لتحقق الوفاة.

الحكم الشرعي لرفع أجهزة الإنعاش في هاتين الحالتين

يجوز- بل يلزم- (١٢) رفع أجهزة الإنعاش في هاتين الصورتين عن المريض بلا خلاف بين العلماء والأطباء، وفي قوانين جميع دول العالم؛ لزوال السبب الذي استدعى وضع تلك الأجهزة على المريض، وذلك لسلامة المريض في الحالة الأولى، وتحقق موته في الثانية.(١٣)

الحالة الثالثة: هي حالة موت الدماغ، بأن مات دماغه بجميع أجزائه، أو مات جذع دماغه فقط.

وبيان ذلك: أن يتوقف الدماغ عن قبول أي غذاء، وتستمر الأجهزة الأخرى في العمل بواسطة القيام بالمعالجة المكثفة (أجهزة الإنعاش) فالآلة تحرك الرئتين، والتعديل الدموي يقوم به المراقبون، ويتبع هذا أن المصاب يجري الدم في عروقه ويفرز افرازاته، وقد تدوم هذه الحالة الشهر والشهرين أو أكثر، فالحياة الذاتية قد ذهبت إلى غير رجعة، وهي الحياة الحيوانية التي يقودها المخ توزيعا وتنظيما؛ لأن مركز القيادة (جذع الدماغ) قد دمر تدميرا كاملا، وتبقى حياة صناعية أو نباتية كما يعبر عنها(١٤).

الحكم الشرعي لرفع أجهزة الإنعاش في هذه الحال

أكثر العلماء المعاصرين- بل كادوا أن يتفقوا- (١٥) على جواز رفع أجهزة الإنعاش عن الشخص الذي مات دماغه بجميع أجزائه، أو مات جذع دماغه بشروط- مع اختلافهم في اعتبار موت الدماغ موتا شرعيا- وقد جاء على جواز رفع الأجهزة في تلك الحالة:

١- القرار التاريخي لمجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي ١٤٠٧هـ، حيث إن القرار أجاز رفع أجهزة الإنعاش عن المريض في هذه الحال، كما اعتبر أيضا موت الدماغ موتا شرعيا تترتب عليه جميع الأحكام المقررة على الموت شرعا .(١٦)

٢- قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي ١٤٠٨هـ، حيث أجاز القرار رفع الأجهزة في مثل هذه الحال، إلاّ أنّه لم يعتبر الشخص ميتا من الناحية الشرعية، ولا تسري عليه أحكام الموت إلاّ بعد توقف قلبه ودورته الدموية.(١٧)

٣- توصية ندوة «الحياة الإنسانية.. بدايتها ونهايتها» المنعقدة بتاريخ ١٤٠٥/٤/٢٤هـ في الكويت.(١٨)

٤- فتوى لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف الكويتية في جلستها المنعقدة في ١٩٨١/١٢/١٤.(١٩)

٥- ونص عليه جماعة من العلماء الأجلاء.(٢٠)

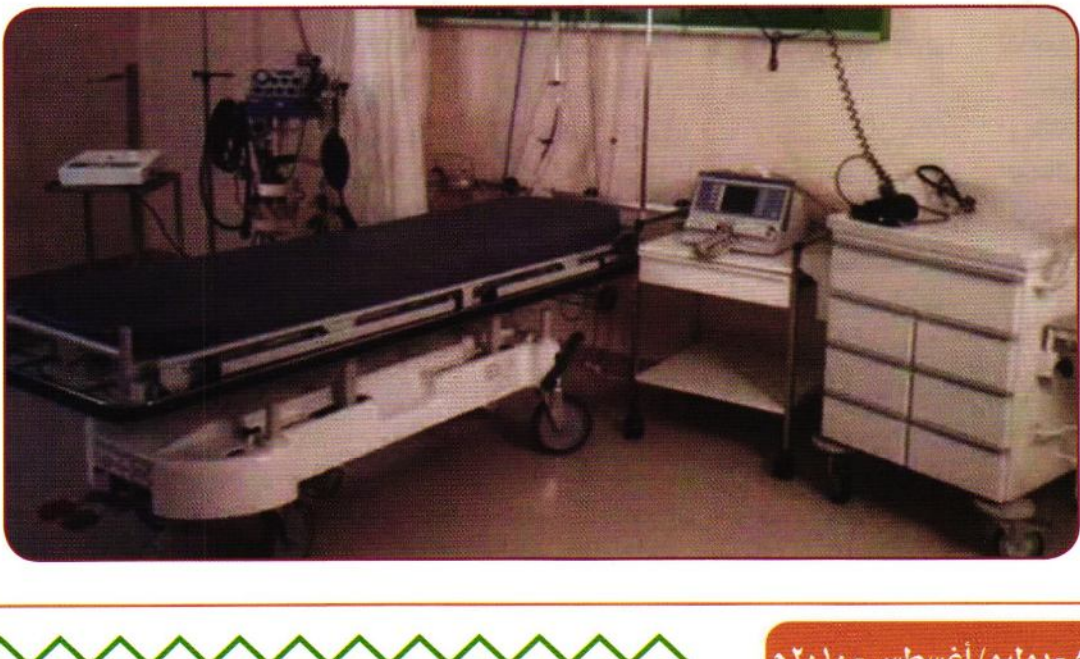
شروط جواز رفع أجهزة الإنعاش في حالة موت الدماغ

اشترط الذين قالوا بجواز رفع الأجهزة في هذه الحال شروطا، وهي:

١- أن يكون الشخص ميؤوساً منه، ولا يوجد أدنى أمل في شفائه.(٢١)

٢- أن يكون قرار موت الدماغ من لجنة مكونة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء.(٢٢)

٣- أن يكون الفريق الطبي الذي يعلن موت الدماغ لا مصلحة له، ولا يشترك في أخذ الأعضاء من هذا المصاب الذي توفي دماغه، بل إن الفريق الذي سينقل الأعضاء ليس له الحق مطلقا في إعلان موت الدماغ.(٢٣)



٤- أن يتضمن قرار الأطباء بيان أن جميع وظائف دماغه قد تعطلت تعطلا نهائيا وأن هذا التعطل لا رجعة فيه.

٥- أن يأخذ دماغ المصاب في التحلل.(٢٤)

٦- توفر الداعي لفصل الأجهزة.. وهو أحد أمرين:

أ- إذا كانت أجهزة الإنعاش التي تخصصت لهذا الذي مات دماغه والتي أبقيناها على هذا الجسم قد وجد من هو أحوج لهذه الأجهزة منه من حيث تحقق شفائه بها أو وجود حياة كاملة فيه.

ب- إذا كانت النفقات التي يتطلبها مواصلة الإنعاش تلتهم من الرصيد المالي ما يعود بالضرر على مستوى العلاج لبقية المرضى كحال الدول التي لا تمتلك قوة مالية.(٢٥)

أدلة القائلين بجواز رفع الأجهزة

١- بالنسبة للذين اعتبروا موت الدماغ موتا شرعيا، كفاه دليلا على جواز رفع أجهزة الإنعاش اعتباره هذا.

٢- أن إبقاء المريض مرتبطا بجهاز الإنعاش رغم تلف دماغه النهائي يترتب عليه الأضرار التي تقدم ذكرها في الأسباب الداعية لرفع أجهزة الإنعاش.

٣- أنّه برفع الأجهزة لا يوقف علاجا يرجى منه شفاء، وإنما يوقف إجراء لا طائل من ورائه في شخص محتضر.

٤- أن فيه إنهاء لما يؤلمه من حالة النزع والاحتضار.

٥- أن التداوي إنما يجب أو يسن عندما يتيقن الشفاء به أو يترجح، أما إذا لم يكن هذا أو ذاك فلا يشرع.(٢٦)

هل عارض أحد في رفع الأجهزة عن ميت الدماغ؟

قد أشار بعض المؤلفين إلى من عارض في ذلك، ومنهم:

١- الباحثة ندى محمد نعيم الدقر حيث قالت: «وهناك فريق صغير من المعارضين لموت الدماغ لم يجز رفع أجهزة الإنعاش».(٢٧)

يجوز رفع أجهزة الإنعاش إلا أن المريض لا يعتبر ميتا من الناحية الشرعية

٢- الشيخ محمد المختار الشنقيطي، حيث قال: «وهناك بلدان تعتبر هذا العمل إجراما، وتعد المريض حيا في هذه الحالة، فلا تجيز سحب الأجهزة عنه مطلقا».(٢٨)

٣- ما استخلص من رأي الشيخ عبدالله البسام، وهو قوله: «من هذا كله أنا أخلص إلى أن أجهزة الإنعاش، أرى أنها تبقى في المريض مهما كانت حالته ومهما كان مرضه، تبقى فيه حتى تنتهي حياته نهاية طبيعية».(٢٩)

فيفهم من إطلاقه عدم جواز رفع أجهزة الإنعاش عن ميت الدماغ، ولكن هذا النص يفقد أهميته بتوقيع الشيخ على قرار مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي القاضي بجواز رفع أجهزة الإنعاش إذا تعطلت جميع وظائف دماغ المريض نهائيا.

الحالة الرابعة: مغمى عليه، لكنه حي الدماغ، وميؤوس منه ويعيش حياة نباتية.

أقوال المعاصرين في هذه الحالة (الميؤوس منه غير ميت الدماغ)

لم نجد أحدا نصّ على رفع الأجهزة عنه، والذي تم الوقوف عليه هو التصريح بعدم رفع الأجهزة عنه؛ لأنه لا تزال به الحياة، اللهم إلاّ عند تزاحم الأجهزة، فهذا موضوع آخر.

وهذه بعض أقوال المعاصرين في ذلك:

١-قول الشيخ عبدالله البسام: «حالة الإنعاش في حكم الأحياء، فزوجته لا تزال باقية في عصمته، ولو تقدم على موته موت قريب له فإنه يرثه، ولو اعتدي عليه اعتبر الاعتداء على حي، فبناء عليه أنّه في هذه الحالة معدود في حكم الأحياء، وإن كانت حياته ميؤوسا منها، أو سواء كانت مرجوة، إذا علمنا هذا فكيف نجهز عليه ونقضي على حياته بسحب هذه الأجهزة، فما سحب هذه الأجهزة إلاّ كترك غريق في لجة البحر، أو كترك حريق يحترق في النار لا فرق بين هذا وهذا، كلهم قابل للحياة.

من هذا كله أنا أخلص إلى أن أجهزة الإنعاش، أرى أنها تبقى في المريض مهما كانت حالته ومهما كان مرضه، تبقى فيه حتى تنتهي حياته نهاية طبيعية».(٣٠)

فهذا نص صريح منه بعدم جواز رفع أجهزة الإنعاش عن المريض الميؤوس منه.

٢- قول الشيخ محمد المختار السلامي: «اعتقد أن ما جاء من إثارة فضيلة الشيخ عبدالله البسام هو غير وارد أصلا؛ لأنه إذا بقيت الحياة فلا يجوز رفع أجهزة الإنعاش أصلا».(٣١)

٣-الشيخ أشرف الكردي أيضا له كلام حول هذا حيث اعتبر رفع أجهزة الإنعاش في هذه الحالة جريمة لا تغتفر.

سادسًا: قول الشيخ ابن باز- رحمه الله- في رفع الأجهزة عموما

وقفت له على قول يتعلق برفع أجهزة الإنعاش عن ميت الدماغ، حيث سئل سماحته: هل يحكم بموت المتوفى دماغيًا؟

فأجاب: «لا يحكم بموته، ولا يستعجل عليه، وينتظر حتى يموت موتا لاشك فيه، وهذه عجلة من بعض الأطباء حتى يأخذوا منه قطعا وأعضاء ويتلاعبوا بالموتى، وهذا كله لا يجوز».(٣٢)

هذا ما تيسر جمعه في هذه المسألة، فإن كان صوابا فمن الله تعالى، وله الحمد والفضل، وإن كان غير ذلك، فمني، وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) انظر: بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨١/٢/٣)؛ المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٣٧/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام، لندى محمد نعيم الدقر (٢١١).

(٢) وهذه الإصابة تكون لأحد ثلاثة أسباب، سيأتي ذكرها في «الأسباب الداعية لوضع أجهزة الإنعاش على المريض».

(٣) المصطلحات المترادفة لأجهزة الإنعاش: أجهزة الإنعاش المعقدة، العناية المكثفة، العناية المركزة، إبقاء آلة الطبيب. كل هذه المصطلحات أسماء لمسمى واحد. انظر: فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢١٧/١).

(٤) انظر: موت القلب أو موت الدماغ للدكتور البار (٨٤- ٨٧)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام لندى محمد نعيم الدقر (٢١١- ٢١٢)؛ المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٣٨/٢- ٣٩).

(٥) انظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٣٧/٢)؛ فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢١٧/١)؛ موت القلب أو الدماغ للبار (٨٩).

(٦) دراسة وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية عن موت الدماغ، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٧٤١/٢/٣) وانظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤٣/٢-٤٤)؛ موت القلب أو موت الدماغ للدكتور البار (١٠٠-١٠١).

(٧) انظر نقل الاتفاق في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (٨١/١٨).

(٨) وممن قال به: الشيخ محمد المختار السلامي. وكونه واجبا كفائيا هو بالنسبة للمجتمع الإسلامي، إن قام به بعضهم سقط عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع. أما بالنسبة للمريض فهو واجب، يأثم بتركه، إذ يعرض حياته للخطر؛ قال تعالى: ﴿ولا تلقو بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال البغوي: «إذا علم الشفاء بالمداوة وجبت».

(٩) بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨١/١/٢- ٤٨٢) وانظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤١/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام لندى محمد نعيم الدقر (٢١٤).

(١٠) ومما قاله في ذلك: «وإذا عرفنا أن حكم التداوي الندب، سهل علينا أن نعرف حكم استعمال أجهزة الإنعاش الطبية الصناعية الحديثة، فيكون حكمها جواز استعمالها، وتكون مندوبة خاصة لمن يرى الأطباء أنها لازمة لتركب على جسمه، ومادام استعمالها مندوبا فإن بقاءها مشغلة على من ركبت على جسمه حتى تموت أجهزة جسمه الرئيسة ليس بواجب»، انظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤٢/٢).

(١١) وقد أصدر الشيخ جاد الحق فتوى بأنه «يمنع شرعا تعذيب المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية، متى بان للطبيب أن هذا كله لا جدوى منه، وأن الحياة في البدن ذاهبة لا محالة إلى الموت الكلي» انظر: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (٨٢/١٨).

(١٢) قال الشيخ بكر أبوزيد: «فإذا قرر الطبيب المختص المتجرد من أي غرض أن الشخص ميؤوس منه جاز رفع آلة الطبيب، بل يتوجه أنّه لا ينبغي إبقاء آلة الطبيب والحالة هذه؛ لأنه يطيل عليه ما يؤلمه من حالة النزع والاحتضار» فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢٣٤/٢).

(١٣) انظر: فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢٣١/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام للندى (٢١٥)؛ بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨٢/١/٢- ٤٨٣).

(١٤) بحث «الإنعاش» للشيخ محمد المختار السلامي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤٨٢/١/٢- ٤٨٣).

(١٥) فقد قالت مؤلفة كتاب موت الدماغ بين الطب والإسلام (٢١٨) : «وهناك فريق صغير من المعارضين لموت الدماغ لم يجز رفع أجهزة الإنعاش»، ولكنها لم تذكر من هم هؤلاء، كما أنها لم تذكر أدلتهم على ذلك.

(١٦) ونص القرار التاريخي الذي صدر من مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورته التي عقدت في الأردن من (١٨/٣/١٤٠٧هـ) القرار رقم(٥/د٣/٠٧/٨٦) بشأن أجهزة الإنعاش:

«يعبر شرعا أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعا للوفاة عند ذلك، إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١- إذا توقف قلبه وتنفسه توقفا تاما وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢- إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلا نهائيا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل.

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلا لا يزال يعمل آليا بفعل الأجهزة المركبة» مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٨٠٩/٢/٣) وانظر: الطبيب أدبه وفقهه (٢٠٢).

(١٧) نص قرار المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة ١٤٠٨/٢/٢٤هـ إلى ١٤٠٨/٢/٢٨هـ:

«المريض الذي ركبت على جسمه أجهزة الإنعاش يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلا نهائيا، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آليا بفعل الأجهزة المركبة، لكن لا يحكم بموته شرعا إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفا تامًا بعد رفع هذه الأجهزة» انظر: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (٥٩/٤).

(١٨) ونص التوصية: «سادسا: بناء على ما تقدم اتفق الرأي على أنّه إذا تحقق موت جذع الدماغ بتقرير لجنة طبية مختصة جاز حينئذ إيقاف أجهزة الإنعاش الصناعية» انظر: موت القلب أو موت الدماغ للبار (١٦٧)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام (٢١٧). هذا مع أن توصيات هذه الندوة لم تعتبر صراحة موت الدماغ موتا، وإنما ألحقته بحكم المذبوح.

(١٩) انظر: المسائل الطبية المستجدة (٤٤/٢).

(٢٠) منهم: د .توفيق الواعي، والشيخ محمد مختار السلامي، والشيخ بكر أبوزيد، ود.محمد سعيد رمضان البوطي، والشيخ عبدالقادر محمد العماري القاضي بالمحكمة الشرعية بقطر، والشيخ القرضاوي، وغيرهم. انظر: المرجع السابق، وموت الدماغ بين الطب والإسلام (٢١٦- ٢١٧).

(٢١) فإن كان الشخص غير ميؤوس منه، أو هناك أدنى أمل في شفائه، فلا ترفع الأجهزة حتى يصل إلى حد اليأس، أو يصل إلى السلامة. انظر: فقه النوازل (٢٣٤/٢).

(٢٢) اشترط هذا الشرط المجمع الفقهي الإسلامي للرابطة، كما تقدم في قرارهم. وانظر أيضا قرارات المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي(٢١). ويلاحظ أنّه لم يقيد الأطباء بالمسلمين العدول، وأما قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي فلم يأت على ذكر العدد. وأيضا الشيخ بكر أبوزيد لم يشترط العدد في الأطباء، بل قال: «إذا قرر الطبيب المختص المتجرد من أي غرض أن الشخص ميؤوس منه . . .» فقه النوازل (٢٣٤/٢).

(٢٣) انظر: موت القلب أو موت الدماغ للبار ص (١٠٢)؛ فقه النوازل (٢٣٤/٢).

(٢٤) زاد هذا الشرط مجمع الفقه الإسلامي للمنظمة، كما تقدم في قرارهم.

(٢٥) انظر: المسائل الطبية المستجدة للحجازي (٤٤/٢- ٤٦).

(٢٦) انظر: المسائل الطبية المستجدة ص (٤٦- ٤٧)؛ فقه النوازل لبكر أبي زيد (٢٣٤/٢)؛ موت الدماغ بين الطب والإسلام ص (٢١٦-٢١٧).

(٢٧) موت الدماغ بين الطب والإسلام، ص (٢١٨).

(٢٨) أحكام الجراحة الطبية ص (٣١٩).

(٢٩) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥٠٠/١/٢).

(٣٠) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥٠٠/١/٢).

(٣١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٥٠١/١/٢).

(٣٢) مجموع فتاوى ومقالات له (٣٦٦/٣).

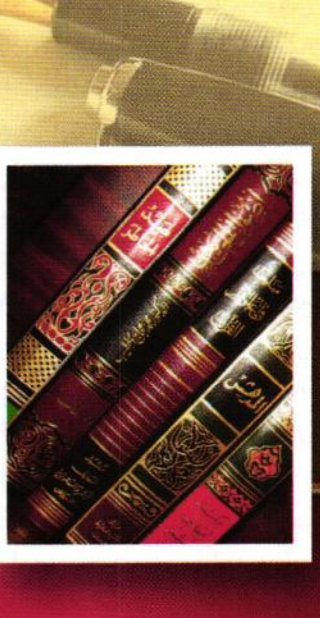
لغة وأدب

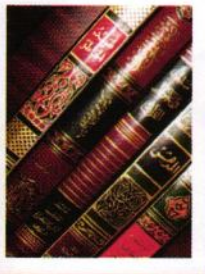
تجربة لغوية رائدة

خطوة طيبة خطتها ماليزيا حين أدخلت مادة اللغة العربية كمادة إلزامية في مناهج التعليم ابتداء من الصف الأول الابتدائي حتى التعليم الجامعي، وذلك إلى جانب اللغتين المالاوية والانجليزية، وتهدف هذه الخطوة إلى تقوية روابط الماليزيين بدينهم على اعتبار أن القرآن الكريم لا يمكن تلاوته وفهم أحكامه وتدبر آياته إلا باللغة العربية، هذه التجربة آتت أكلها حين رأينا أعدادًا كبيرة من الطلبة الماليزيين يتقدمون إلى مسابقات حفظ القرآن الكريم وتجويده، وينالون مراتب متقدمة في هذه المسابقات التي تقام على مستوى العالم الإسلامي.

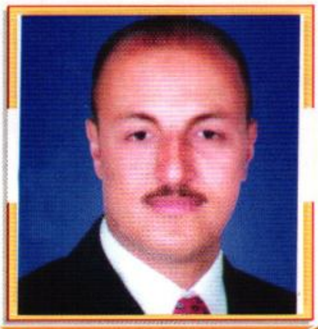
إن تجربة ماليزيا هذه تحتاج إلى دراسة وتأصيل من قبل الدول الإسلامية كافة، لأن اللغة العربية ليسيت لغة العرب وحدهم وحاجة المسلمين من غير العرب إليها أشد، مما دفع بعض الباحثين إلى القول بأنها فريضة دينية على جميع المسلمين من غير العرب والاعجمين، إذ الإيمان بالإسلام يستلزم الإيمان بالقرآن والقرآن عربي لا يتلى ولا يُتعبد بتلاوته بغيرالعربية، فهل تكون هذه التجربة نقطة البداية نحو وحدة إسلامية جامعة تتناول جميع مجالات الحياة الاقتصادية والفكرية والسياسية.. والله الهادي الى سواء السبيل.

المحرر





لغتنا العربية وتحديات العصر



محمد خلف الكاشف

العالم العربي أو مجموعة الدول العربية أو الأمة العربية لها خصوصية هامة تتميز بها عن دول العالم أجمع وهو أن اللغة العربية تجمعها، فإن الإحصائيات الرسمية تظهر أن اللغة العربية هي ثالثة اللغات انتشارًا في العالم من حيث عدد الدول التي تعتمدها لغة رسمية لها وذلك بعد الإنجليزية والفرنسية، ولكن الخصوصية العربية هي أن مجموعة الدول التي تعتمد اللغة العربية تمتد على رقعة جغرافية من المحيط إلى الخليج(١).

إن وجود أكثر من عشرين دولة مترابطة جغرافيًا وتاريخيًا تتحدث لغة واحدة هي نقطة قوة يجب أن نركز عليها وننميها ولا نتنازل عنها، ومسألة اللغة العربية هي أهم المقومات التي يجب أن نؤصلها ونؤكد عليها والتي يمكن أن تكون هي الأساس الرئيسي اليوم لوحدتنا، فنحن نرى المجتمعات حولنا تبحث عن أسس وأصول لتأكيد وحدتها، ونترك نحن الأساس، وهو اللغة الواحدة، يعبث بها العابثون، ولا تتحرك الأجهزة الرسمية أو غير الرسمية في مجال التعليم وفي مجال الإعلام لتضع خطة، أي خطة، لمواجهة هذا الهدم للغة العربية، صحيح أن الهدم يأتي من الخارج ولكنه دائمًا يجد المعاونة في الداخل من تغريب اللغة وتدميرها والاستهزاء بها، ومحاولات إحلال اللهجات المحلية محلها.

وما لاشك فيه أن انتشار النظام الجديد (العولمة) يجعل كل عربي يقف متسائلًا عن فحوى الاختلافات بين الثقافات وبالتالي عن مصير هوية كل شعب من شعوب الدول النامية ومصير لغتنا العربية بين اللغات الأخرى وأي مصير ينتظرها.

العولمة وثورة الإتصالات والفضائيات من أبرز التحديات التي تواجهها اللغة العربية

فاللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، إذ إن هدفها الأساسي التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها، يقول الفيلسوف «كاسيرر»(٢): إن الدور الرئيسي للغة في مختلف النشاطات الإنسانية لا ينحصر في التعبير عن عواطف الإنسان وأفكاره وإبلاغها للآخرين بل يتعدى ذلك ليشمل عملية «التوجه» نحو الداخل (الذات والنفس) والخارج (العالم والواقع) على حد سواء، وهو ينطلق من نظرية نفسية تقول إن مرحلة التكلم عند الطفل تكون مشروطة بانفعاله وحاجاته المباشرة لا برغبته بالتواصل مع الآخرين، ليؤكد أن اللغة تبقى أساس الحياة النفسية الداخلية على صعيد الخيال كما هي على صعيد النشاط الفكري والروحي.

إن أهم الأمور التي تلح على الإنسان العربي أولها تعزيز حضوره الفعال وتثبيت هويته الخاصة به في ساحات المعترك الحقيقي الذي يعيشه العالم بين الثقافات المختلفة بين وجود ثقافة واندثار ثقافات أخرى، ذلك أن تحديد اللغة يقع في صلب تحديد الهوية، كلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي نشهدها في الزمن الحاضر، فالهوية تقوم على تفاعل متعدد المستويات بين الفرد ومجتمعه، فإن اللغة وهي الأداة الأولى والأهم في عمليات التواصل والاندماج داخل المجتمع هي كذلك الأداة الأساسية لتحديد الهوية والتعرف على الذات عند الفرد كما عند الجماعة الواحدة، كذلك إذا نظرنا إلى التميز بين هذين النوعين من الهوية «الفردية والاجتماعية» وإلى طرق بنائهما خلال حياة الفرد الواحد وفي تطور المجتمع البشري الواحد، لرأينا أن اللغة تقع في أساسها جميعا، وتنفرد اللغة العربية في هذا المجال عن غيرها من اللغات العالمية بأنها كانت ولا تزال المحور الذي تلتصق به من ناحية هوية الفرد، ومن ناحية هوية الجماعة، وبين هذه وتلك هوية الدين، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا باللغة العربية، لأنها لغة القرآن الكريم، لغة الإعجاز البياني ولغة الحديث النبوي الشريف، ولكي نعرف مدى هذا الارتباط بين اللغة والثقافة والأمة لابد من العودة إلى مفاهيم اللسانيات الحديثة التي تدرس الكلام وتهتم بالخطاب الفعلي بقدر ما تهتم

* باحث لغوي

بالبنية الأساسية للغة.

فالدراسات اللغوية المتطورة تقوم على مبدأ ألا وجود للغة خارج الزمان والمكان، وأن اللفظة تتغير مدلولاتها بتغيرهما، إن كلا من اللغة والفكر يستمد غذاءه المشترك وديناميكيته الخلاقة من الممارسة الفعلية عبر الزمن والتاريخ، تاريخ الفرد وتاريخ المجتمع على حد سواء، إذن لغة الإنسان العربي تحدد هويته، وهوية الإنسان العربي ترتبط في الوقت نفسه بذاكرة لغته وبممارسته الحالية لها، بمعنى أنه ينتمي إلى حضارة عظيمة ساهمت في تطور البشرية وأرست من القيم السامية والممارسات الإنسانية ما جعل أبنائها يفخرون بها، فاللغة العربية في أمس الحاجة اليوم إلى نظرات وتأملات من أجل المحافظة عليها، خاصة أن هذه اللغة تعبر عن أخص خصائص الأمة الإسلامية فهي القاسم المشترك بين الشعوب الإسلامية قاطبة.

كما أن هناك تحديات مختلفة تواجه اللغة العربية مثل تحديات العولمة وثورة الاتصالات والقنوات الفضائية وغيرها من الطفرات العلمية التي طالما نتتبعها صباح مساء، فلم تعد مسألة اختيار أن نقبل أو نرفض ذلك، إنما الأمر يحتاج من العقل العربي أن يحدد الأوليات للمحافظة على إحدى ثوابت الشخصية المسلمة وإحدى الدعائم والركائز الأساسية في بناء الإنسان العربي المعاصر، فاللغة الجيدة تعبر عن الفكر الجيد، والأمم الجادة هي التي تعنى بلغتها وترسم المناهج الملائمة للمحافظة عليها، فتحديات اليوم أشد وأقوى من تحديات الأمس، لأن التقنية المعاصرة لها دور كبير وخطير في سرعة الاتصال والبث - عبر القنوات الفضائية - لثقافة وفكر الآخر وبالتالي التأثير على اللغة، في مقابل ذلك يظهر عدم تسلح الشباب العربي بالثقافة الإسلامية الجادة، مع الأخذ في الاعتبار أن لغة العلم المعاصر لم تعد اللغة العربية كما كانت في عصور الإسلام الزاهرة.



ويمكننا(٣) أن نطرح بعض التصورات لمواجهة الضعف في اللغة العربية ومواجهة تحديات العصر في المرحلة القادمة وهي:

- **الأمر الأول:** التوعية الإعلامية بأهمية ومكانة اللغة العربية بطريقة ميسرة تلائم حس العصر، ولا مانع من الاستفادة من التقنية المعاصرة مثل الكمبيوتر في وضع برامج بين المادة العلمية الجيدة والطريقة التربوية السيكلوجية المشوقة، وهذا الأمر لا يمكن أن يتوفر عليه فرد بعينه وإنما يحتاج إلى مؤسسة علمية تتبنى هذا الأمر وأن يتوفر عليه علماء من تخصصات مختلفة كاللغة العربية والتربية وعلم النفس والاجتماع ليضعوا برنامجًا يخاطب عقل ووجدان وحس الإنسان المعاصر خاصة أننا نشاهد البرامج الغربية لتعليم اللغات الأجنبية تتمتع بمثل هذه الروح، فلماذا لا نحذو حذوهم فيما يفيد لغتنا العربية؟

- **الأمر الثاني:** أن تكون مادة اللغة العربية مادة أساسية وخاصة النحو والصرف في المرحلة الجامعية بقسميها الأدبي والعلمي، فاللغة العربية قاسم مشترك بيننا جميعًا، ونحن جميعًا أبناء وطن واحد ونتعامل بلغة واحدة ومعتقداتنا بلغة واحدة، والمخاطر التي تداهمنا واحدة، ومن ثم فالمسؤولية شراكة تضامنية للارتقاء باللغة العربية.

- **الأمر الثالث:** تشجيع وتحفيز حفظ القرآن الكريم، وخاصة في الكتاتيب، إذ إن القرآن هو السياج للحفاظ على سلامة اللغة من الضعف، ولا مانع من أن نستحدث وسائل جديدة لمساعدة وتشجيع ذلك.

- **الأمر الرابع:** العالم العربي منوط به مسؤوليات جسام تتمثل في أن يحتل مواقع عديدة على شبكات الإنترنت، لتعليم وتبسيط اللغة العربية للناطقين بها، ولغير الناطقين بها، وذلك الأمر يحتاج إلى صحوة من عالمنا العربي من المحيط إلى الخليج، كما أن مجامع اللغة العربية في وطننا العربي بما تحوي من مجهودات كبيرة في مراجعة وتطوير اللغة لتلائم مستجدات العصر في أمس الحاجة اليوم إلى التنسيق فيما بينها من أي وقت مضى، وتوجيه الرأي العام والمواطن العربي بالأسلوب الأمثل للمحافظة على شخصيته وعلى هويته، وعلى أخص خصائص كينونته.

مراجع

(١) ناصر الأنصاري: مرجع سابق، ص:٣٧.

(٢) د. بسام بركة، مجلة العربي - دولة الكويت - العدد ٥٢٨ مرجع سابق ص: ٨٣.

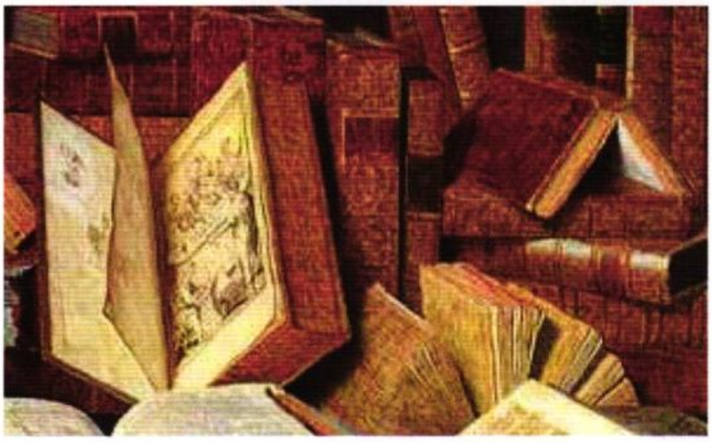
(٣) د. جمال رجب سيدبي (مقال بعنوان: لغتنا العربية وتحديات العصر) مجلة منير الإسلام، العدد (١) المحرم ١٤٢٢- ٥إبريل٢٠٠١ ص: ٧٨.



اللغة بين اختلاف المواضعة وتفرد الوظائف اللغوية

د. بليغ حمدي إسماعيل

اللغة ككرة، أصلها لغو، من باب دعا وسعى ورضى، ووزنها فعة، حذفت لامها، وعوض عنها هاء التأنيث، وتجمع على لغى، ولغات، ولغون، وهي الصوت مطلقًا، واللهج: الولوع بالشيء والخطأ والسقط: ما لا يعتد به، والنطق والهذيان، والباطل، ولم ترد لفظة لغة في القرآن الكريم، وإنما ورد مكانها اللسان، بينما وردت لفظة «اللغو» في غير معنى اللغة.



أما بالنسبة إلى مفهوم اللغة اصطلاحًا فإن إيجاد تعريف ملائم للغة أمر في غاية من الصعوبة، وقد أمضى علماء اللغة والفلاسفة القرون العديدة في محاولة إيجاد تعريف ملائم للمصطلح، والتعريف ما هو في حقيقة الأمر إلا نظرية مركزة، والنظرية ببساطة ما هي إلا تعريف موسع.

وقد اهتم القدماء والمحدثون من اللغويين بتقديم تعريف للغة يوضح معناها، ويبين المقصود بها، وقد نال التعريف الذي قال به «ابن جني» شهرة واسعة لدى المحدثين من اللغويين العرب، واهتم الكثيرون بشرحه وبيان مقصده، ويرى ابن جني اللغة على أنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم». وهذا التعريف دقيق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكد على جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، ويبين أيضًا أن وظيفتها الاجتماعية هي التعبير ونقل الأفكار في إطار البيئة اللغوية.

وقد تعددت تعريفات اللغة بتعدد المذاهب والاتجاهات المختلفة التي تنظر إلى اللغة سواء باعتبارها أداة يتبادل أفراد المجتمع الواحد بواسطتها الأفكار، والمعارف، أو باعتبارها وسيطا يسهل عملية الاتصال بين أفراد المجتمع، وفي ضوء هذين الاتجاهين تعددت التعريفات واختلفت فيما بينها.

ويرى ميللر Miller اللغة على أنها «استعمال رموز صوتية مقطعية يعبر بمقتضاها عن الفكر»، ويعرفها جون كارول John Carroll بأنها «النظام المتشكل من الأصوات اللفظية الاتفاقية وتتابعات هذه الأصوات التي تستخدم أو يمكن أن تستخدم في الاتصال المتبادل بين جماعة من الناس، والتي يمكن أن تصف بشكل عام الأشياء والأحداث والعمليات في البيئة الإنسانية».

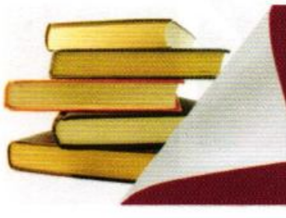
بينما يرى موريس MORRIS اللغة بأنها «مجموعة من علامات ذات دلالة جمعية مشتركة ممكنة النطق بين أفراد المجتمع المتكلم بها كافة»، وهي ذات ثبات نسبي في كل موقف تظهر فيه، ويكون لها نظام محدد تتآلف بموجبه حسب أصول معينة وذلك لتركيب علامات أكثر تعقيدًا.

وتعرف دائرة المعارف الأميركية اللغة بأنها «نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية»، ويعرفها سابير بأنها «وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان تمكنه من تبادل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة رموز صوتية اصطلاحية على وجه التغليب والتعميم يصدرها أعضاء النطق إراديًا».

وتعرف الموسوعة الفرنسية اللغة بأنها «علامات مركبة تولد في الشعور إحساسات متباينة، إما مستثارة أو مباشرة، أو مخمنة عن طريق الارتباط». ويعرف ماكس موللر اللغة بأنها «تستعمل رموزًا صوتية مقطعية، يعبر بمقتضاها عن الفكر».

وعرّف علماء النفس اللغة فرأوا أنها مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، أو أنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرّة أخرى بأذهاننا وأذهان غيرنا، وذلك بتأليف كلماتٍ ووضعها في ترتيب خاص.

• كاتب مصري



وهناك تعريفات عديدة أخرى، تتفق حينًا وتختلف حينًا آخر. ولعلّ مصدر التباين في هذه التعريفات ناشئٌ عن منطلقات أصحابها الفكرية. فمن تعريف وصفي خارجي، إلى تعريف نفسي داخلي، إلى آخر يمثل نظرة فلسفيةً معينةً لواقع الإنسان ووجوده ونشأته.

علمًا أن الناظر إلى واقع اللغة الإنسانية- وصفًا و تقريرًا- يجد أنها أصوات وألفاظ و تراكيب منسقة في نظام خاص بها ، لها دلالاتٌ و مضامين معينة، يعبّر بها كل قوم عن حاجاتهم الجسدية وحالاتهم النفسية ونشاطاتهم الفكرية.

وفي ضوء المواضعات السابقة للغة نجد أنها مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور المختلفة، أي عن حالات الإنسان الفكرية والعاطفية والإرادية، وهي الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها المميزة، والتي يمكن بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا، وأذهان غيرنا من أفراد المجتمع الواحد، وذلك بوضعها في ترتيب وتنظيم خاص.

كما أن اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموع من المعارف اللغوية، بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد

اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموع من المعارف اللغوية بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد

التي تنظمها جميعًا. كما أنها نظام من الرموز الصوتية يتألف من أصوات تنجم عن جهاز النطق البشري، وإنساني فهو نتاج للجهد الجماعي البشري، ونظامي لأنه يخضع لقواعد تقرر تركيبه. وعندما نحاول التوفيق بين المواضعات المختلفة للغة نستطيع أن نخرج بمجموعة من السمات الخاصة التي تصف اللغة، وهي:

١- اللغة لها طبيعة منظمة وتوليدية.

٢- اللغة مجموعة من الرموز العشوائية.

٣- هذه الرموز صوتية ولكنها قد تكون مرئية.

٤- الرموز تستعمل للاتصال بين الجماعات.

٥-اللغة توجد في مجتمع وثقافة.

٦-الأفراد يكتسبون اللغة بنفس الطريقة تقريبًا، أي أن اللغة والتعليم اللغوي لهما جميعًا صفات عامة متماثلة.

٧- اللغة أداة للفكر، وتعبير عن العاطفة.

٨- اللغة جزء من كيان الإنسان الروحي.

٩- اللغة عملية فيزيائية اجتماعية على غاية من التعقيد.

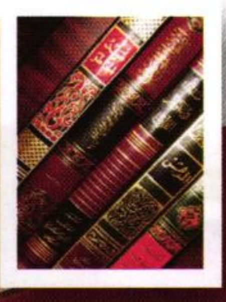
ولقد تناول علماء اللغة ، وعلماء النفس قضية اكتساب اللغة، في محاولة- قد تكون جادة- لتفسير كيفية اكتساب الفرد للغة. وقد اختلفت الآراء بشأن تلك القضية أو الظاهرة، بحسب فلسفتهم وإطارهم المرجعي، ولم تعد اهتمامات علم اللغة الحديث مقتصرة على الجوانب النظرية والتحليلية في دراسة اللغة فقط، بل أضيفت إليها اهتمامات، ومهام جديدة- خاصة بعد ظهور علم اللغة التطبيقي- تهدف إلى خدمة المجتمع، ومن هذه المهام: الاهتمام بدراسة عيوب النطق ومشكلات التخاطب والكلام، وعلاجها إن أمكن، ومنها أيضًا الاهتمام بدراسة نمو الطفل اللغوي، ومنها أيضًا الاهتمام بدراسة ظاهرة اكتساب اللغة، بالإضافة إلى دراسة مهارات الاتصال اللغوي، وغير ذلك من الموضوعات التي لها علاقة وثيقة باللغة والمجتمع.

وللغة بصفة عامة وظائف مهمة رصدها العلماء واللغويون والباحثون دون التفرقة بين اللغة المكتوبة، أو المسموعة، أو المنطوقة، حيث إن هذه الاعتبارات الثلاثة تؤدي وظيفة واحدة هي التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، ولاريب في أن وجود عدة لغات وقت التنزيل أظهر لنا فضل العربية، وشرفها على سائر اللغات، وتكريم الله بالاختيار كلغة لكتابه الأخير ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾.

وإذا كانت الأدبيات اللغوية أسهبت في الحديث عن أهمية ووظيفة اللغة وتعدد مناحي استخداماتها، فيمكن أن نحدد أهمية ووظيفة اللغة في مظهرين اثنين، الفردي والاجتماعي، ولعل هذا التقسيم يتفق مع ما يسمى بالكفاءة اللغوية.

فأما على المستوى الفردي، فاللغة تسهم في إخراج الفكرة من ذهن صاحبها إلى عالم الإدراك الخارجي، فتترجمها إلى صورة بارزة ذات كيان ومعالم، فالإنسان تجول في خاطره مجموعة من الأفكار والمعاني تظل كامنة إلى أن يقدمها في صورة مكتوبة، أو منطوقة، ويستطيع أن يصور ويجسد بذلك مشاعره واتجاهاته المختلفة، واللغة بذلك تعد أداة للفكر ووسيلة للتعبير عما يدور في خاطر الإنسان من أفكار، وما في وجدانه من مشاعر وأحاسيس.

ويرى أصحاب النظرة الفكرية للغة أن اللغة نظام لاكتساب العادات، ويكتسب الفرد من خلالها الخبرة عن طريق التجربة، وأن آليات الذهن اللغوية تعتبر مدخلا عامًا لفهم طبيعة عمل الآليات الأخرى كالإدراك البصري



والحدث.

ويرى «فندريس» أن اللغة في بعض الأحيان تستطيع أن تعدل من العقلية وتنظمها، فعادة وضع العقل في مكان بعينه دائمًا يمكن أن تؤدي إلى صورة خاصة في التفكير، وأن يكون لها أثر في طرق الاستدلال، ويؤكد فندريس أن اللغة إذا كانت مرنة وخفيفة ومقتصرة على الحد الأدنى من القواعد النحوية سمحت للفكرة بالظهور في وضوح تام وأتاحت لها حرية الحركة.

وتبرز أهمية اللغة في علاقتها بالفكر والتفكير، حيث إن هناك علاقة وطيدة ومباشرة بين اللغة والفكر تتضح لنا ما إن نربط بين تجريدية الفكر وحقيقة أن اللغة نظام يعمل على مستوى المفاهيم والمجردات من مقولات وعلاقات وسمات، كما أن اللغة وسيلة لإدراك ظواهر ثنائية مثل الزمان والمكان، حيث إنها تعبر عن الماضي والحاضر والمستقبل، والتوقف والاستئناف والاستمرار.

وفي إطار العلاقة التبادلية بين اللغة والفكر تبدو العلاقة التبادلية في أوضح صورها، فكما يسمو الفكر بلغته، يمكن للغة أن تسمو بفكر صاحبها، ويشهد تاريخ الفكر الإنساني أن اللغة كانت أشد الأسلحة الأيديولوجية ضراوة، وهي الوسيلة والأداة القوية في السيطرة على الفكر.

وعن طريق اللغة يقوم الإنسان بالعمليات التفكيرية من تفسير وتحليل وموازنة وإدراك للعلاقات، واستخراج للنتائج وتجريد وتعميم، ثم يصب ناتج كل هذه العمليات عندما تمده اللغة بالرموز التي تحدد له المعاني وتحمل له الأفكار.

لذا أصبح من الواضح لنا بشكل مطرد أن الحديث عن التفكير مع تجاهل اللغة يفتقد كثيرًا إلى التوازن نظرًا لأن الألفاظ ليست فقط ذات أهمية قصوى في تعلم المفاهيم ولكنها أيضًا الوسط أو القناة الموصلة لجميع أنواع التفكير.

وقد قدم عالم النفس فيجوتسكي Vygotsky أفضل تحليل مستنير للتفاعل بين اللغة والتفكير في كتابه «التفكير واللغة» عام ١٩٦٢، حيث يرى أن للغة وظيفتين لهما نفس المستوى من الأهمية، أولهما الاتصال الخارجي، والثانية التحكم الداخلي بأفكاره الداخلية.

ولقد بسط العلماء العلاقة بين اللغة والتفكير مثل سابير وهكتر هامرلي وبارلي ماكلافن، حيث إن المعاني غير محددة وغير ثابتة وفي حالة تشكل دائمًا تكون مبهمة مختلطة بغيرها حتى إذا جاء اللفظ عمد إلى تحليل المعاني وتصنيفها، ومن ثم تحديدها وتثبيتها.

ونقرب لهذا مثلًا من اللغة العربية، فالإيمان معنى كامن في النفس نحس به ونستشعره دون أن نقوى على تحديده، فإذا عبرنا عنه بالألفاظ ميزنا الإيمان عن الإسلام عن التقوى عن الإحسان، وقلنا إن الإيمان ما اعتقده القلب وصدقته الجوارح.

أما على المستوى الجمعي فإن اللغة هي المستودع التعليمي للمعارف والمعايير الثقافية والتاريخ الاجتماعي المتوارث عن طريق العملية التعليمية، وتعمل اللغة «كالغراء الاجتماعي الذي يتم بموجبه الشعور بالماضي والحاضر والمستقبل».

واللغة بهذا المنظور الاجتماعي بلاشك أبرز ملامح ثقافتنا العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطًا بالهوية، وهي اللغة التي مازالت سجلًا أمينًا لحضارة أمتها في ازدهارها وانتكاسها، لذا فاللغة اجتماعيا سلاح قوي في مواجهة تفتيت التكتل الإسلامي في ظل العولمة.

وتزداد يومًا بعد يوم مساهمة اللغة في تحديد الأداء الكلي للمجتمع الحديث، فهي تساعد في تدعيم العلاقات التي تربط المجتمع، وأهم العوامل التي تحدد ثقله الاستراتيجي.

وإذا نظرنا للغة باعتبار مهاراتها الأربع، نرى الدور المهم لها في حياة المجتمع، حيث إنها سلاح الفرد في مواجهة كثير من المواقف التي تتطلب الكلام أو الاستماع أو القراءة أو الكتابة، وهذه المهارات أدوات مهمة في إحداث عملية التفاهم في جميع نواحيها، ولاشك أن من أهم الوظائف الاجتماعية للغة ما تبرزه الخطب السياسية والمقالات وأساليب الدعاية.

واللغة ليست أداة صناعية خارجة عن علاقاتها بالمجتمع الذي تعيش فيه، بل هي صورة له، نابضة بالحياة، فإذا كان المجتمع متخلفًا ظهرت آثار التخلف في لغته، متخلفة معه، وإذا كان مجتمعًا راقيًا بدا الرقي في لغته، كذلك فالشعوب البدائية يتكلمون لغة مادية لا تعرف الفكر أو المعاني الكلية، أما الشعوب الراقية ذات الثقافة والفكر فتحمل لغاتها سمات حياتها العامة والخاصة التي تستطيع أن تعبر في صور متعددة، وعبارات لا تحتاج إلى الإشارات، واللغة العربية تجنح إلى العقلية والخيال والتعبير عن الشيء منظورًا إليه من جهات متعددة.

ولم تعد اللغة مجرد أداة اتصال نعبر بواسطتها عن المفاهيم والأفكار والقيم ونحفظ بها التراث الثقافي والعلمي فحسب، وإنما أخذت تلعب دورًا رئيسًا في عملية التنمية الروحية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية، وأصبحت وسيلة أساسية لتوحيد الأمة سياسيا، لما في اللغة من قوة تتجاوز أهميتها من التعبير إلى التغيير.

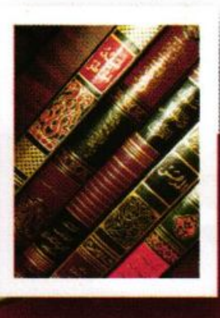
مجالس الأدب

وليد عبدالباري الخطيب •

حضرنا منتدى الأدبِ
ونلنا غاية الأربِ
بأشعارٍ مهذبةٍ
تناغم حِسَّنا الأدبي
ونوقد شمعة أخرى
فتطوي ظلمة الحجبِ
تبادلنا بلا مللٍ
ولا لهوٍ ولا لعبِ
قطوفًا من قصائدنا
وما قد جاء في الكتبِ
فيصحو الليل مبتسمًا
على إيقاعنا العربي
ونبدو في سعادتنا
وما منَّا بمكتئبِ
يطوفُ من يحاضرنا
بنا في عالمٍ رحبِ
بفكرٍ نيرٍ وسطٍ
بلا وهمٍ ولا كذبِ

بلا كلٍّ ولا سأمٍ
ولا يشكو من التعبِ
يجلي فكرة نضجت
بإسهابٍ ومقتضبِ
بعمقٍ في ثقافتهِ
وفكرٍ واسعٍ خصبِ
فما أحلى تسامرنا
مع الأشعار والنخبِ
نجوم الليل تحسدنا
وتبغي القرب.. واعجبي!
ألا تدنو فتبصرنا
أخا الإسلام والنسبِ
فنحن القوم ينهضنا
بحق منتدى الأدبِ
نهلنا منه معرفة
وما بتنا على سغبِ
فأقبل نحونا رملاً
ولو أقبلت مِن حلبِ
فمن يحضر مجالسنا
فلا يأسَ على الذهبِ

• شاعر سوري



د.صلاح عبدالتواب رئيس قسم الأدب والنقد في جامعة الأزهر:

الأدب الإسلامي يراعى حقوق الطفل ويتفاعل مع فضائل الحياة

حوار: فاروق الدسوقي

للدكتور صلاح الدين عبدالتواب، رئيس قسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر، آراؤه المميزة في الأدب الإسلامي التي كونها خلال رحلة طويلة عاشها معلمًا ودارسًا لهذا الفن الراقي من الأدب الذي يعبر عن الإنسان منذ مراحل الطفولة، وجميع مراحل الحياة، حيث يرى أن الأدب الإسلامي يرعى حقوق الطفل ويتفاعل مع فضائل الحياة.

ويضيف أن الأدب الإسلامي لم يفته أن يعطي للطفولة حقها تصورًا وتصويرًا، وتأثرًا وتأثيرًا بما يجعل الأطفال يشعرون منذ نعومة أظفارهم بأنهم كيان ينبض ويحس ويؤثر ويتأثر وينفعل ويتفاعل مع كل ما يدور حولهم في الحياة.

وقال في حواره لـ«الوعي الإسلامي»: لهذا كان إحساس الأدباء الكبار بأهمية الأدب الإسلامي، والأعمال الأدبية التي يقدمونها للأطفال، فأهميته بالنسبة للطفولة ترجع إلى أن الأطفال هم الذين تتاح لهم الفرصة في هذه الحياة ليمتد بهم العمر لفترة أطول مما يتاح للكبار، ومن ثم فإن ما يتعلمه الأطفال ويتأدبون عليه منذ صغرهم يمتد معهم طيلة عمرهم في هذه الحياة.

يؤكد الدكتور صلاح الدين عبد التواب أن الأطفال أسرع استجابة من الكبار، وأشد قبولًا وتأثرًا بكل ما ينشأون عليه من علم وأدب، وقد قيل: إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ومن هنا كانت العناية واضحة بهذا الأدب الخاص بالأطفال منذ القديم، ويؤكد هذه العناية ما حفلت به كتب التراث في أدبنا العربي والإسلامي، ولعنا نذكر في هذا المقام ما كان يعرف بأشعار الترقيص وأغاني المهد، حيث كان هذا الفن الأدبي الذي يخاطب به الصغار مجالًا لتصوير عاطفة الأبوة والأمومة تجاه الأطفال وفلذات الأكباد، وقد كان الآباء والأمهات لا يتركون فرصة سانحة لهم مع أطفالهم إلا ويتغنون لهم بما يبعث روح البهجة والمرح في نفوس أطفالهم، وهم يأملون فيهم ولهم الخير والسعادة في مستقبل حياتهم.

ويقول: وكان الشعر في نظره بلسمًا به تسمو المهج والأرواح، وواضح انه لم يكن الشعر وحده في ميدان أدب الطفولة، فقد كان هناك من روائع النثر الأدبي ما عني بالناشئة من الأبناء والبنات، وفي أمهات كتب التراث الكثير والكثير من تلك الفرائد، وكان مما ذكره صاحب العقد الفريد في هذا المجال، قول سليمان الحكيم لابنه وهو يعظه: «يا بني، استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر، يا بني، لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها، وما خلق الله خلقًا أهون عليه منها؛ فإنه لم يجعل نعيمها ثوابًا للمطيعين، ولا بلاءها عقوبة للعاصين، يا بني، لا تضحك من غير عجب، ولا تمش من غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك، يا بني، لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت، يا بني إنه من يرحم يرحم، ومن يصمت يسم، ومن يقل الخير يغنم، ولم يقل الباطل يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم، يا بني زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك؛ فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء».

ولعل هذه العظة البليغة، وهي تعد من روائع الأدب الرفيع، تذكرنا بما حكاه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن لقمان في عظته لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، ثم يتابع القرآن الكريم ذكر وصايا لقمان لابنه فيقول الله تعالى في آياته: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

ويضيف د.عبدالتواب قائلًا: ومع متابعتنا لروائع الأدب مما ذكرته كتب التراث عن توجيه الآباء للأبناء نجد من وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبدالله رضي الله عنه قوله: «فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له،



صغارنا في أمسّ الحاجة للقيم والأخلاقيات التي يجب أن يضمنها أدباؤنا في أشعارهم وقصائدهم الدينية

ولا جديد لمن لا خلق له».

وكان مما قاله علي بن أبي طالب إلى ولده محمد بن الحنفية- رضي الله عنهما-: «أذك قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب، واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصحبة الأحمق شؤم، ومن الكرم منع الحرم، ومن حلم ساد، ومن تفهم ازداد ...».

وانطلاقًا من هذه القيم الرفيعة الخلاقة التي تناقلناها عبر الأجيال، والتي حفلت بها أمهات الكتب من تراثنا العظيم، وبتأثير من هذا الأدب الهادف استمرت مسيرة الأدب الإسلامي على مر السنين، ثم تلقف الراية أدبنا العربي والإسلامي في العصر الحديث، فوجد أمامه كنزًا لا ينفد، ومعينًا لا ينضب من أسمى القيم وأعلاها، وأرفع المثل وأغلاها، تمثلت أولًا في كتاب الله الخالد المعجز الذي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، بما فيه من عقائد وتشريعات، وحكم وأحكام، وقصص وأخلاقيات، وعبر وعظات، وعلم وعمل، ثم تمثلت بعد ذلك في القدوة الطيبة التي أهداها الله لأمة الإسلام، والرحمة العامة التي أرسلها الله للعالمين، وكانت هذه الرحمة المهداة ببعثة سيدنا محمد ﷺ، فكان سيدنا محمد بحق الرسول القدوة، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وكان محمد بحق كما قال ربه في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ويمضي رئيس قسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر قائلًا: لقد اكتملت عظمة الرسالة مع عظمة الرسول ﷺ، فكانت خير أمة أخرجت للناس، ولم يكن ذلك قولًا، بل كان فعلًا سجله التاريخ وصدقته الوقائع والأحداث، وشهده وعاشه واقعًا عمليًا كل من عاش وقائعه وأحداثه، فلم يكن عجيبًا بعد كل هذا أن يتلقف ذلك كله الأمناء من الأدباء في عصرنا الحديث، ويصورونه أدبًا صادقًا حيًّا يستلهم منه الكبار والصغار على السواء معاني العزة والكرامة والبطولة والتضحية والفداء.

ولما كان صغارنا وفلذات أكبادنا في أمسِّ الحاجة إلى مثل هذه القيم والأخلاقيات وتلك المثل والبطولات، فقد شمر المخلصون من أدبائنا في العصر الحديث عن سواعد الجد، وأبرزوا لأطفالنا أمجاد أمتهم، وبطولات قادتهم، وبينوا لهم سمو رسالتهم، وذلك حتى تقوى عزائمهم وتعلو هممهم، ثم يمضون في مسيرتهم حتى يكونوا خير خلف لخير سلف، ومن ثم كانت انطلاقة أدب الأطفال في عصرنا الحديث، وبرز في هذا الأدب رواد جديرون بكل إعزاز وتقدير، من أمثال الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي فتح الأذهان إلى ميدان أدب الطفولة في العصر الحديث، وكان كتابه «المرشد الأمين للبنات والبنين» من بواكير الأعمال الأدبية والتربوية التي تعنى بأبناء الأمة وبناتها، وتلفت أنظار الكبار إلى وسيلة من وسائل تعليم وتأديب وتربية الصغار، وكان مما قاله الشيخ رفاعة في مقدمة كتابه: «وعمت هذه المجموعة التي جاءت وفق المراد ولم تدع في هذا المعنى المتمنى مطمعًا، ولا لقوس الاقتراح منزعًا، زفت إليها- أي إلى هذه المجموعة- أبكار المعالي، وسميتها المرشد الأمين للبنات والبنين».

وكان مما قاله الشيخ رفاعة الطهطاوي في كتابه، الذي اشتمل على عدة فصول ومطالب، تحت عنوان «مطلب في ترك المرأة تربية أولادها لغيرها»، قال فيه: «ومن سوء التربية أن الأم تكل تربية أولادها إلى غيرها بدون أن تلاحظ تربية أولادها بنفسها، فإن الأم بما أودع فيها من الشفقة والرأفة على أولادها، هي أولى وأرفق بالتربية ولتعديل مزاج أبنائها، فإذا ربت امرأة أولادها إلى سن التمييز تربية حسنة أو معنوية، ينقش في أذهان الأبناء اعتدال المزاج والاتصاف بمكارم الأخلاق وتهذيبها».

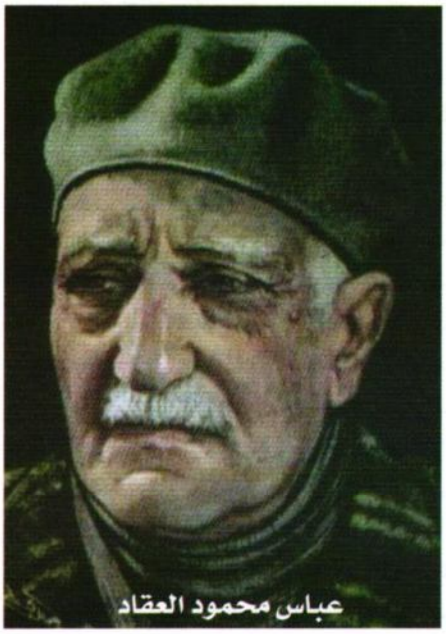
وتمضي المسيرة مع رواد أدب الأطفال في العصر الحديث، فنجد محمد عثمان جلال، أحد رواد القصة الشعرية على لسان الحيوان والطير في أدبنا العربي المعاصر، ومن أشهر مؤلفاته في أدب الأطفال «العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ»، ويشتمل على مائتي قصة شعرية، وكلها تهدف إلى النصح والإرشاد واستلهام العبرة والعظة من المواقف والأحداث التي تجري في هذه القصص بين أنواع الحيوان والطير، من مثل حكاية «الغراب والثعلب»، فهي تهدف إلى بيان قيمة التفكير الصحيح قبل التسرع في اتخاذ قرار، والحرص على اليقظة وعدم الانخداع بمعسول الكلام، وأهمية الرجوع إلى الحق وصوابه قبل فوات الأوان، وقد تجلى هذا وغيره في حكاية الغراب مع الثعلب، حيث انخدع بمكر الثعلب المخادع، حتى ضاع منه ما كان قد حصل عليه من الطعام، ثم ندم وتاب..

وعلى هذا النمط مضى محمد عثمان جلال في عرض قصصه الشعرية من أجل الأطفال وتوعيتهم وضرب الأمثال لهم، وواضح أن هذا الكتاب كان مرحلة تالية لما بدأه رفاعة الطهطاوي في كتابه المرشد الأمين، فإذا كان المرشد الأمين وضع المنهج التربوي للآباء والأمهات والمربين لتعليم وتأديب الأطفال، وقدم النماذج المختارة من الأمثال والمواعظ، وكان يتصل بأدب الأطفال.. فإنه كان بحاجة إلى المربي الوسيط الذي يقوم بتقديم هذه القصص الشعرية للأطفال، خاصة إذا كانوا في مرحلة من العمر مبكرة، وقراءتها لهم قراءة صحيحة ومعبرة مع شرح أبعاد القصة بعد توضيح مضمونها.

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه

د. أيمن محمد الجندي

كان لهذا الكتاب الرائع، «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» لمؤلفه الأستاذ عباس محمود العقاد أبلغ الأثر في وجداني عبر رحلة العمر، ذلك أن العقاد احترم عقل القارئ مستخدما علمه الموسوعي في المقارنة بين العقائد المختلفة ليقنع القارئ العادي كم هو الإسلام جوهرة ثمينة تستحق منا أن نصونها في سويداء القلب، ما يجب التنويه إليه مقدما أن عموم منهج العقاد في تناوله للكتب السماوية السابقة يعتمد على النسخ المتاحة والموجودة حاليا، وليس على الأصل السماوي الذي تم تحريفه حسب عقيدة المسلمين.



عباس محمود العقاد

١- العقيدة الإلهية

القرآن هو الكتاب الوحيد الذي قدم الصورة المتكاملة للإله الخالق التي لهثت البشرية وراءها، فالعهد القديم- في نسخته الحالية- يقدم لنا إلها يحب رائحة الشواء ويتمشى في ظلال الحديقة ليتبرد بهوائها، يصارع عباده ويصرعونه، إنه «يهوا» إله شعب إسرائيل الخاص بالقبيلة الذي يعبدونه لأنه أقدر على حمايتهم من الآلهة الأخرى ولذلك يعتبر الكفر به خيانة وطنية لا أكثر، كان النبي آرميا يقول على لسان الرب «إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوا وسجدوا لها».

عقيدة شعب مختار بين الشعوب في إله مختار بين الآلهة، وليس في العقيدة إيمان بالتوحيد ولا هي تتسع لديانة إنسانية أو مقدمة للإيمان بالإله الذي يدعو إليه الإسلام.

وحتى الفلاسفة تخبطوا أيما تخبط في صفات الخالق رغم ملكاتهم النقدية الرائعة، ها هو أرسطو يتصوره كمالا مطلقا لا يعمل «لأن العمل طلب لشيء والإله غني عن الطلب» ولا يريد «لأن الإرادة اختيار بين أمرين والله لديه الأصلح والأفضل» ولا يهتم بالخلق «لأن الخلق يجب أن يطلبوا الكمال بالسعي إليه» باختصار.. كمال مطلق يوشك أن يكون والعدم سواء.

أما إله الإسلام فهو ملك الناس إله الناس ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾، خالق الموت والحياة ﴿ولله خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ واحد بلا شركاء ﴿لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾. متكامل الصفات ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ يعلم كل شيء ﴿وسع ربنا كل شيء علما﴾ لا يأخذ أحدا بذنب أحد ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يصحح تلك الصورة الخاطئة التي جاءت في فلسفة أرسطو بأنه لا يعقل ذاته ولا دونها ليؤكد أنه عالم الغيب والشهادة ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة﴾ وهو سبحانه وتعالى ﴿بكل خلق عليم﴾ ليس غافلا عما يفعله العباد ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ فاعل بإرادته كيفما شاء ﴿ألا له الخلق والأمر﴾

٢- النبوة

كانت النبوة تختلط مع السحر والكهانة والجنون المقدس وتقوم على الغرائب والأعاجيب، وقد عرفت ديانات العبريين نبوءات السحر والكهانة والتنجيم كما عرفتها الشعوب البدائية، كانوا يقصدون صموئيل ليدلهم على مكان الماشية الضائعة وينقدونه أجرا على ردها، وكانوا يعولون على النبي يعقوب عليه السلام في التنجيم. ووجب على النبي في عرفهم أن يكون مستعدا بكراماته ومعجزاته في كل وقت كلما أريدت منه.. بل وصل الأمر إلى ما يشبه مباريات الرياضة بين فريقين متنافسين وقد ثبت لهم غلبة أنبياء «يهوا» على أنبياء «بعل» على أثر مباراة في التنبؤ والإنذار بالأخطار.

ثم جاء محمد ﷺ، رجل ليس بساحر ولا بكاهن ولا مجنون ولكنه إنسان كسائر الناس، لا يعلم الغيب، لا يملك خزائن الأرض ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾، لا يستطيع دفع السوء

* كاتب وباحث اكاديمي

عن نفسه فضلا عن قومه ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ فالأمر كله لله عز وجل ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.

لا يعرف صناعة الخوارق والمعجزات فيقول لمن يطالبه بها ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ وحينما أتته المعجزة طائعة بكسوف الشمس وقت دفن ابنه إبراهيم وتهامس المسلمون أنها كسفت حزنا عليه لم ينسه الحزن أمانة الهداية للمؤمنين فبادرهم بقوله «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» وكان بوسعه ﷺ أن يسكت فلا يدعيها ولا ينكرها.

٣- الإنسان

الإنسان في القرآن الكريم لا يعرف الخطيئة الموروثة ولا يحاسب بذنب أبيه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، ارتفاعه وهبوطه منوطان بالتكليف وقوامه الحرية والتبعة فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة وقابل أيضا للهبوط إلى أسفل سافلين.

بهذه الأمانة ارتفع فوق مكانة الملائكة لأنه قادر على الخير والشر فله فضل على من جبل على الخير لأنه لا يقدر على غيره ولا يعرف سواه، وربما هبط إلى دون منزلة الشياطين ولا يزال في الحالتين إنسانا مكلفا قابلا للنهوض بنفسه بعد العثرة قابلا للتوبة بعد الخطيئة بعد أن تكرم الله بفتح باب التوبة مهما أذنب العبد.

٤- الشيطان

عرف الإنسان الشر والخير منذ قديم الأزل وكانت عقيدة الهند أن المادة كلها شر فلا خلاص منه إلا بالخلاص من الجسد بينما كانت عقيدة مجوس فارس أن الشر من عند إله الظلام والخير من إله النور. مصر الفرعونية تصورت أن الإله ست شرير مع خصومه خير مع أتباعه. ولم تتميز الديانة العبرانية بفاصل حاسم وكانوا ينسبون العمل الواحد إلى «يهوا» مرة وإلى الشيطان مرة فجاء في كتاب صموئيل الثاني أن الرب حينما غضب على إسرائيل أمر داود بإخصائهم بينما جاء في كتاب الأيام أن الشيطان هو الذي وسوس لداود.

الشيطان في الإسلام قوة الشر ولكنها قوة بلا سلطان

وانفصلت الصفات الإلهية والشيطانية بعد ظهور المسيحية وأصبح للإله عمل وللشيطان عمل ولكنه عمل جسيم لأنه سمي في الأناجيل باسم رئيس هذا العالم فقد كانت له مملكة الدنيا ولله ملكوت السموات وبلغ من نفوذه سقوط الجنس البشري بعد الخطيئة ووجوب الكفارة بالفداء.

الشيطان في الإسلام هو قوة الشر ولكنها قوة بلا سلطان على ضمير الإنسان ما لم يستسلم لها بهواه وضعفه ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ و ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ و﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾، والشيطان لا يعرف الغيب، ﴿لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾، وبهذه العقيدة الوجدانية الفكرية أقام الإسلام عرش الضمير.

٥- العبادات

العبادة المثلى هي تلك التي تنبه ضمير الإنسان إلى وجوده الروحي وتشغله بمطلب غير مطالب جسده، وعبادة المسلم تنبهه إلى ذلك فهو في صلاته يستقبل النهار والليل واقفا بين يدي الله مستهديا إياه في عمله، متذكرا حق الروح في صيامه، ومتذكرا نصيب الإنسانية في زكاته، معانقا إياها في فريضة الحج التي تتمثل فيها الأخوة الإنسانية في أبلغ صورها وكأنها صلة الرحم مع البشرية بأسرها. ومما تتميز به العبادات الإسلامية أنها لا تحتاج لوسيط أو كهانة. يصلي حيث أدركه موعد الصلاة ولا تتقيد صلاته الجامعة بمراسم كهانة ويؤمه في هذه الصلاة من هو أهل للإمامة. ويصوم ويفطر ويزكي ويحج إلى بيت لا سلطان فيه ولا حق عنده لأحد.

٦ الديموقراطية الإسلامية

معجزة الديموقراطية الإسلامية أنها لم تكن نباتا نما في الجاهلية وورثه الإسلام ولا منقولا عن تربة أجنبية، بل كانت معجزة إلهية تقوم على المساواة ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، والمسؤولية الفردية ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ وقيام الحكم على الشورى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، وهي العناصر الثلاثة التي نادى بها الإسلام لأول مرة في تاريخ الأديان. ونبي الإسلام هو القائل ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى» وهو القائل في خطبة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب». وهو القائل: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبدالمطلب ما أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا».

خراسان (٢-٢)

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرّفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثير من الباحثين، وأنا واحد من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د.محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

تحدَّثت في المقال السابق عن خراسان بما يتناسبُ مع حجم المقالة، ويحسن أن أبدأ هذا المقالَ عن «خراسان» بقول تاج الدين السبكيّ حيث قال:

«وخراسان عمدتُها مدائن أربع، كأنما هي قوائمُها المبنية عليها، وهي مرو، ونيسابور، وبلخ، وهراة؛ هذه مدنُها العظام، ولا ملامَ عليك لو قلت: بل هي مدنُ الإسلام؛ إذ هي كانت ديارُ العلم على اختلاف فنونه، والملكُ والوزارةُ على عظمتها إذ ذاك» (١).

وفي هذا المقال سأتحدَّث عن أمرين:

تعليق على ما ذكرتُ في المقال السابق عن فتح خراسان.

وُلاة خراسان، وخراسان من ولاية واحدة إلى ثلاثة أقاليم تتقاسمُها دولٌ ثلاثٌ.

أمّا الموضوع الأول: فيرى فريقٌ من الباحثين(٢) أنّ الحملات الأولى التي وجَّهها أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه إلى خراسان لم يكن المقصودُ منها الفتح والسيطرة، وأنها لا تعدو أن تكون من ضمن الحملات الوقائية التي هدفُها منعُ هجوم محتَمَل على الدولة الإسلامية، التي كانت توجَّه في الفترة نفسها إلى بلاد الشام والعراق.

وبذلك فإنّ مَن وجَّه الجيوشَ لفتح خراسان والسيطرة عليها هو الخليفة عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه، الذي أوكل قيادتَها إلى والي البصرة آنذاك عبدالله بن عامر، وقد بدأت تلك الحملات سنة (٣١هـ).

على أنّ هذا الفتح لم يكن ثابتًا، بدليل ما نجد من المحاولات المتكررة التي لحقت تلك الفترة لتثبيت النفوذ الإسلاميِّ هناك، والتي كانت لأجل إخماد بعض الثورات التي كانت تستهدفُ المنطقةَ بين الحين والآخر.

أمّا الموضوع الثاني: فسأتحدَّثُ فيه عن وُلاة خراسان من بداية العهد الإسلاميِّ إلى بداية عهد الدويلات، ثم أذكر الدول التي تعاقبت على ولاية خراسان كلها أو بعضها، ثم ما وصلت إليه خراسان من التقسيم إلى الدول الثلاث التي تتقاسمُها الآن.

وأنا لا أهتمُّ عمومًا بهذه الناحية في المقالات التي تُنشَر في هذه المجلة، إلا أنّ الحديثَ عن إقليم خراسان بأكمله، وكذلك بقية الأقاليم - كإقليم ماوراء النهر- سأنتهجُ فيه توضيحَ هذا الجانب، لأنّ هذا سيُغني عن الحديث في هذا الأمر عندما أكتب عن مدُن هذه الأقاليم، كما أنّ هذا يُعطي فكرةً عامةً عن الإقليم، والأحداث التي توالت عليه على مرِّ العصور.

كانت خراسان في البداية - بعد الفتح- تتبعُ الوالي في البصرة، وهو يرسلُ إليها نائبًا عنه، ثم أصبحَ والي خراسان يُعيَّنُ من قبل الخليفة، وإن كان يتبع البصرة، أو أنّ والي المشرق يقترحُ ذلك على الخليفة فيعيِّن على أساس مشورته.

أشهر وُلاة «خراسان»

المهلَّب بن أبي صفرة (٧-٨٣)، ولّاه الحجَّاجُ بنُ يوسف، والي المشرق من قبل عبدالملك بن مروان.

وبعد وفاته سنة (٨٣هـ) خلَفَه ابنُه يزيد، وبعد ست سنوات عُزِلَ برأي الحجّاج، الذي كان يخشى بأسَه، وتولّى مكانَه قتيبةُ بنُ مسلم الباهلي، الذي فتحَ بلادَ «ماوراء النهر».

ثم أعيدَ يزيد بن المهلب إلى ولاية خراسان بعد وفاة الوليد بن عبدالملك، وتولية أخيه سليمان، وبقي يزيد على خراسان حتى استُخلف عمرُ بنُ عبدالعزيز - رحمه الله تعالى -، فعزله عمر وسجنَه بحلب.

ثم ولي خراسان عمرُ بنُ هبيرة الفزاري (ت١١٠هـ) أيام يزيد بن عبدالملك.

ثم عُزلَ ابنُ هبيرة في أيام هشام بن عبدالملك، وسُجن، وتولى مكانه خالدُ بنُ عبدالله القسريِ (٦٦-١٢٦هـ)، فكان أمير العراقَين، فأرسلَ أخاه أسدًا (ت١٢٠هـ) إلى خراسان، فبقي هناك حتى عام ١٢٠هـ حيث توفي.

وكان هشام قد عزلَ أخاه خالدًا سنة (١٢٠هـ)، وأقامَ مكانَه يوسفَ بنَ عمر الثقفي (ت١٢٧هـ)، فسجنَه يوسف، وعذَّبَه، ثم قتلَه، ثم عيَّنَ نصرَ بنَ سيار (٤٦-١٣١هـ)، وقد عَزلَ يزيدُ بنُ الوليد يوسفَ بنَ عمر، وحبسَه في دمشق، وقُتِل في السجن عام (١٢٧هـ)!.

هذا الخلافُ بين الولاة، واستبدالُهم بشكلٍ مستمر، خلقَ شيئًا من الفوضى في البلاد، وبدأت العصبيات تذرُّ قرونَها، خاصة ما كان بين اليمانية (ومن زعمائهم، أسد بن عبدالله القسري) والمضرية (ومن زعمائهم، نصر بن سيار)، وأحسَّ والي خراسان نصرُ بنُ سيار بهذه التفرقة، وشعر بخطر العصبية، ولكن بعد أن فات الأوان، وقد استنجدَ يزيدَ بن عمر بن هبيرة (ت١٢٧هـ) واليَ العراقَين، فلم يجد منه ما كان يؤمِّلُه، وكتبَ أيضًا إلى مروان بن محمد، يُعلمُه حالَ أبي مسلم وخروجَه وكثرة مَن معه.

ولكنه لم يجد نجدةً من أحد، واستطاعَ أبومسلم أن يسيطرَ على خراسان، ثم دالت دولةُ بني أمية، وقامت دولةُ بني العباس، ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعد.

وأولُ والٍ في عهد بني العباس: أبوسلمة حفص بن سليمان (١٣٢هـ)، ثم أبومسلم عبدالرحمن بن مسلم الخراساني (ت١٣٧) مؤسس الدولة العباسية.

لم يمض وقتٌ حتى بدأ عصرُ الدويلات في خراسان، وكانت شبه مستقلة، وإليك بيانها بإيجاز:

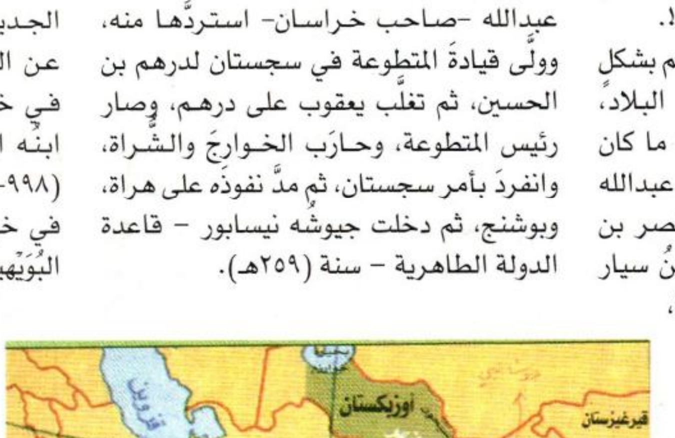
الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ)

هذه الدولةُ بدأت بإسناد المأمون ولايةَ خراسان - بل جميع البلاد الواقعة شرقي بغداد- إلى طاهر بن الحسين، وبعد وفاته سنة (٢٠٧هـ) ولَّى ابنَه طلحة (ت٢١٣هـ)، ثم خلفَه محمدُ بن طاهر، وكان ضعيفًا، وسقطت الدولةُ الطاهرية على أيدي الصفاريين سنة (ت٢٥٩هـ - ٨٣٣م) بدخولهم مدينةَ نيسابور.

والدولةُ الطاهريةُ كان مقرُّها مدينةَ «نيسابور»، وبذلك كانت خراسان حاكمةً على جميع المناطق التابعة لهذه الدولة.

الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ)

مؤسسُ هذه الدولة هو يعقوبُ بنُ الليث الصفَّار، وكان هو وأخوه عمرو من المتطوعة المجاهدين في سجستان، وصار يعقوب من كبار المتطوعة، واشتهرَ أمرُه سنة (٢٣٧هـ)، واستولى على سجستان، ولكن طاهرَ بن عبدالله -صاحب خراسان- استردَّها منه، وولَّى قيادةَ المتطوعة في سجستان لدرهم بن الحسين، ثم تغلَّب يعقوب على درهم، وصار رئيس المتطوعة، وحارَب الخوارجَ والشُّراة، وانفردَ بأمر سجستان، ثم مدَّ نفوذَه على هراة، وبوشنج، ثم دخلت جيوشُه نيسابور - قاعدة الدولة الطاهرية - سنة (٢٥٩هـ).



ثم وسَّع مؤسس الدولة الصفارية حدودَ دولته، وامتدَّ سلطانُه على كلٍ من: خراسان، وطبرستان، وجرجان، وجزء من بلاد ماوراء النهر، وكرمان، والسند، والأهواز، حتى إنهم تحرشوا بدولة الخلافة، وإن كانوا يدينون لها بالطاعة الاسمية، وعجزَ الخليفةُ المعتمد، وأخوه طلحة الموفق، عن الثبات لهم.

وكان مركزُ دولة الصفاريين سجستان.

الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ)

الدولةُ السَّامانيَّة أسَّسَها أحمدُ بنُ سامان عام (٢٦١هـ)، واستمرَّت (١٧٠) عامًا، وانتهَت على أيدي الغزنويين سنة (٣٨٩هـ)، وهم آلُ سبكتَكين الذين كانوا من مدينة «غزنَة» التي تقعُ اليوم في الجنوب الشرقيِّ من أفغانستان.

وكان مركزُ هذه الدولة مدينةُ «بخارى»، وقد ازدهرت هذه المدينةُ في أيامهم عمرانيًا وثقافيًا، وكان عصرُهم بالنسبة لمدينة بخارى عصرًا ذهبيًا.

الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢هـ)

الغزنويون هم أولاد «سبكتكين»، وكان واليَ السامانيين على «غزنَة» بعد فتحهم لها سنة ٩٦٢م، ثم تطور الأمر فصارَ الوالي الجديد يحكم المنطقةَ باستقلال شبه تام عن السامانيين، ثم ضمَّ إليه مناطِقَ أخرى في خراسان، ثم توفي سنة ٩٩٧م، وخلفَه ابنُه المجاهدُ المعروف محمود بن سبكتكين (٩٩٨-١٠٣٠م)، وقضى على الوجود الساماني في خراسان (سنة ٩٩٩م)، وهو الذي حاربَ البُوَيْهيين، واستولى على الرَّيِّ سنة ١٠٢٩م، وبدأ منذ ١٠٠١م في القيام بحملات منظَّمة لغزو الهند، وفتحَ بعضَ مُدُنه، ثمَّ خلفَه ابنُه مسعود (١٠٣٠-١٠٤٠م)، وركَّزَ كلَّ جهوده نحو الهند، ثم بدأت دولةُ الغزنويين في انحسار أمام حملات السلاجقة من ناحية، والغُوْريين من ناحية أخرى، فاستولى الغُوريُّون على مدينة «غزنة» سنة ١١٥٠م، وعلى مدينة «لاهور» سنة ١١٨٦م وأنهوا الوجود الغزنويَّ فيها، وبذلك انتهت دولةُ الغزنويين.

وكانت مدينة «غزنة» قاعدةَ الغزنويين من سنة ٩٧٧م إلى سنة ١١٥٦م، ثم اختاروا مدينة «لاهور» الواقعةَ في باكستان عاصمةً لهم، واستمرُّوا فيها حتى نهاية دولتهم.

الدولة الغورية (٥٥٠-٦١٢هـ)

الغُوريون من منطقة «غور» الواقعة في وسط أفغانستان، وهم من قبيلة الشنسباني، وكانت تخدمُ الغزنويين منذ سنة ١٠١٠م، ومنذ سنة ١٠٩٩م أصبحت هذه القبيلةُ ولاةً على «غزنة» من قبل الغزنويين، ثم أسسوا إمارة في «فيرُوزْكُهْ» منذ ١١٤٦م، ثم استولوا على غزنة سنة ١١٥٠م، ثم سيطروا وحتى ١١٦١م على كل المناطق التي كانت تحت حكم الغزنويين في خراسان، ومنذ سنة ١١٧٨م بدأوا حملاتهم على الهند، بدءًا من بشاور والساحل حتى السند، وباستيلائهم سنة ١١٨٦م على مدينة "لاهور" قضوا على الغزنويين نهائيًا.

وفي سنة ١١٩٣م استولى الغوريون على دهلي (دلهي)، ثم وسَّعوا مملكتَهم

حتى "كجرات" جنوبًا والبنغال شرقًا (١٢٠٢)، وكان مقتل معز الدين سنة ١٢٠٦م بدايةَ النهاية للدولة الغورية، حيث سقطت أفغانستان (١٢١٢م) في أيدي «الخُوارَزْمْشاهات»، والهند (١٢٠٦م) في أيدي القائد التركي أيبك، الذي أسس دولة المماليك في الهند (سلطنة دلهي).

الدولة الخوارزمية (١٠٧٧-١٢٢٠)

نشأت الدولةُ الخوارزميةُ بين أحضان دولة السلاجقة، التي حكمت مناطق واسعة في الشرق الإسلامي، وأولُ مَن برزَ في هذه الدولة هو «أنوشتكين»، وكان مملوكًا للسلطان السلجوقي «ملكشاه»، ونجحَ في أن يحظى بتقدير السلطان ونيلِ ثقته، فجعله واليًا على إقليم «خوارزم»، وظلّ على ولايته حتى وفاته سنة (٤٩٠هـ-١٠٩٧م)، فخلفه ابنُه محمد، وكان على مقدرة وكفاية مثل أبيه، فظلّ يحكم باسم الدولة السلجوقية ثلاثين عامًا، نجح في أثنائها في تثبيت سلطانه، ومد نفوذه، وتأسيس دولته وعُرف باسم «خوارزم شاه»، أي أمير خوارزم، والتصق به اللقب وعُرف به.

وبعد وفاته سنة (٥٢٢هـ -١١٢٨م) خلفه ابنه «أتسز» بموافقة السلطان السلجوقي سنجر، وكان أتسز واليًا طموحًا مد بصره فرأى دولة السلاجقة توشك على الانهيار، فتطلع إلى بسط نفوذه على حسابها، واقتطاع أراضيها وإخضاعها لحكمه، ودخل في حروب مع السلطان سنجر الذي وقف بالمرصاد لطموحات أتسز، ولم يمكنه من تحقيق أطماعه، وأجبره على الاعتراف بتبعيته له، وظل يحكم خوارزم تحت سيادة السلاجقة حتى وفاته في سنة (٥٥١هـ- ١١٥٦م).

وفي الوقت الذي بدأ الضعفُ يدبُّ في أوصال الدولة السلجوقية؛ كانت الدولةُ الخوارزميةُ تزداد قوة وشبابًا، حتى تمكنت من إزاحة دولة السلاجقة، والاستيلاء على ما كان تحت يديها من بلاد، وكان السلطان "تكش" بطل هذه المرحلة، وتعد فترة حكمه التي امتدت أكثر من ربع قرن (٥٦٨-٥٩٦هـ -١١٧٣-١٢٠٠م) العصر الذهبي للدولة الخوارزمية.

وتزامن مع اتساع الدولة الخوارزمية وازدياد نفوذها ظهورُ المغول، وبروزُ دولتهم على يد «تيموجين»، المعروف بجنكيزخان، الذي نجح في السيطرة على قبائل المغول، وإحكام قبضته عليهم، وما كاد يهل عام (٦٠٢هـ -١٢٠٦م) حتى كان قد أخضع لسلطانه كل بدو صحراء جوبي، واتخذ من مدينة «قراقورم» مقرًا له، ثم مد بصره إلى بلاد الصين، حيث الخصب والنماء، فشن حملات عليها، واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين وتوج جهوده بالسيطرة على العاصمة بكين سنة (٦١٢هـ -١٢١٥م).

وبعد أن أكمل جنكيزخان استعداداته انطلق بجيشه نحو بلاد ماوراء النهر في خريف سنة (٦١٦هـ - ١٢١٩م) وهو يعتقد أنه سيقابل خصمًا قويًا، يحسب له ألف حساب، وبدلًا من أن يخرج الجيش الخوارزمي لملاقاة المغول استقر رأي قادته على ترك المغول يعبرون نهر سيحون، واصطيادهم بعد ذلك في بلاد ماوراء النهر التي لا يعرفون مسالكها، بحيث تنقطع الإمدادات عنهم.

لكن الأمور جرت على العكس تماماً فقد سقطت المدن الخوارزمية الواحدة تلو الأخرى.

وبعد أن أجهز جنكيزخان على بخارى اتجه إلى سمرقند حاضرة إقليم ماوراء النهر، وضرب حولها حصارًا شديدًا، ودار قتال عنيف هلك فيه أكثر الجند الخوارزمي؛ ما أضعف مقاومة أهل سمرقند فطلبوا الأمان نظير تسليم المدينة، فأجابهم المغول، وما إن دخلوا المدينة التعسة حتى أعملوا فيها السيف بعد أن جردوهم من أسلحتهم، وأحرقوا المدينة ومسجدها على من فيه من الناس.

وفرَّ السلطانُ الخوارزميُّ، وطاردته الجيوشُ المغوليةُ من بلد إلى بلد، حتى وصل إلى همذان، وتوفي سنة ٦١٧هـ-١٢٢٠م غما وكمدًا، رحمه الله، وتم استيلاءُ المغول على خوارزم، وعلى بقية مناطق خراسان وسجستان وما جاورَها.

وبذلك انتهت دولةُ «الخوارزمْشاهات» بيد التتار، وقد أبادَ التتار خلقًا لا يُحصون، ودمَّروا مدنًا كثيرة، منها بعضُ المدن الكبيرة الخراسانية.

خراسان بعد عهد جنكيز

بعد جنكيز تقاسمَ أبناؤه إمبراطوريَّته الواسعة، فأسست الدولةُ الإيلخانيةُ في فارس، وحكمت أكثرَ أجزاء خراسان، وقامت الدولة الجغتائيةُ في ماوراء النهر، وحكمت منطقةَ «طخارستان» وحاضرتُها «بلخ»، بينما كانت «هراة» في حكم «الكرت»، الذين حكموها في البداية باسم الإيلخانيين، ثم استقلوا بالحكم، وقد حكموا معظمَ أجزاء خراسان فيما يقرب من قرنين من الزمان.

ثم برزَ تيمور، الذي اتخذ من سمرقند عاصمةً له، واستولى على خراسان، واستمرت أسرتُه تحكمُها إلى عام (٩٠٠هـ)، حيث حصلَ النزاعُ بين خلفاء تيمور و«التركمان» الذين ظهروا في شرقي بحر الخزر، ومع «الأوزبك» الذين سيطروا على جميع خراسان.

وعندما أسست الدولةُ الصفويةُ امتدَّ نفوذها حتى شملَ خراسان، وانزاحَ الأوزبك عن مواقعهم، ولم يبقَ لهم من خراسان سوى بقاع ضيقة جنوبيّ وغربيّ نهر جيحون «آمو دريا».

وفي هذا الوقت كان الروسُ يمدُّون نفوذَهم على أواسط آسيا، ويسيطرون على تلك المناطق جزءًا بعد جزء، فغزوا الجزءَ الأوزبكي بين عامَي (١٢٩٠-١٣٠٥هـ)، إذ دخلوا «خيوة» سنة (١٢٩٠هـ)، و«مرو» سنة (١٣٠٣هـ).

بينما ضُمَّت طخارستان إلى أفغانستان.

وبذلك أصبحت خراسان التي كانت ولايةً واحدةً تتبعُ دولًا ثلاث:

١ - الاتحاد السوفييتي (روسيا)، وكانت تسيطرُ على جمهورية «تركمانستان»، وقد استقلت عن روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي.

٢ - أفغانستان، والتي تتبعُها منطقة «طخارستان»، و«هراة».

٣ - إيران، التي تتبعُها «نيسابور»، و«طوس»، و«طبرستان» (٣).

الهوامش

(١) (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي (٢٣٣/١).
(٢) انظر: «خراسان في العهد الغزنوي» (ص/ب).
(٣) ملخصا من رسالة «خراسان» لمحمود شاكر (ص/٢٨-٤١)، و«خراسان في العهد الغزنوي» د.محمد حسن عبد الكريم العمادي (ص/٧) وما بعدها.

أسرتي

علموا أبناءكم كيف يتحدثون؟

الأبناء أمانة عند والديهم وسيسألون عنهم يوم القيامة، هل ربوهم التربية الصالحة وهل علموهم محاسن الأخلاق وطيب الكلام واختيار الالفاظ عند مخاطبة الناس، وهل جعلوا ألسنتهم رطبة بذكر الله وتلاوة القرآن، وتدبر آياته وحفظ حديث رسول الله ﷺ وتدبر معانيه وقراءة سير التابعين والصالحين والاقتداء بآثارهم.

كل هذه المعاني الجميلة والآداب الرفيعة لابد أن يلقنها الأبوان لابنائهم منذ الصغر حتى يشبوا عليها عند الكبر، وقد جمع لنا العلماء والمربون باقة من آداب الكلام وقواعده عسى أن نلقنها لأبنائنا ومن أبرزها:

- اختيار أجمل الكلام وأحسن الألفاظ عند مخاطبة الآخرين.
- التمهل في الكلام حتى يفهم المستمع المراد.
- تجنب الحديث في مواضيع مشكوك في صحتها.
- اجتناب الثرثرة واللغو الذي لا طائل من ورائه واختصار الكلام.. فخير الكلام ما قلَّ ودلَّ.
- التعقل في الكلام قبل النطق به.. لأن الصمت خير من الكلام في كثير من الأوقات.
- الإصغاء للآخرين وعدم مقاطعتهم اثناء الحديث.
- وصدق الله العظيم: ﴿وهُدوا الى الطيب من القول وهُدوا الى صراط الحميد﴾ (الحج: ٢٤).

سليمان الرومي

هل يراعي الآخرون مشاعرك؟!

أميرة سليمان أبوجبة

● لماذا يجب علي أن أراعي مشاعر الآخرين، بينما لا أحد يراعي مشاعري، أو يحترم حقوقي؟

هل سمعت هذه العبارة تتردد من حولك، أو تحدثت بها إلى نفسك من قبل؟!

● في اعتقادك.. هل غابت المعاملات الإنسانية الراقية بين الناس، وخصوصًا خارج إطار العائلة والأصدقاء وأحيانًا داخله؟

● في رأيك.. هل هناك حاجة ملحة لتعليم أصول اللياقة وآداب السلوك بين الناس في الشارع والبيت والمدرسة والمرافق العامة وغيرها؟

● لا يمكن أن تكون مراعاة مشاعر الآخرين قد أصبحت «موضة» قديمة لا تساير الزمن، هل توافق على هذه العبارة؟

إن أجبت بالإيجاب على معظم هذه الأسئلة فأنت تتوق- مثلي- إلى عالم يسوده الحب والاحترام، وتتطلع معي إلى حياة تزدهر فيها بشكل أكبر أواصر الود وأسباب التراحم ومظاهر المودة.

● إن القول بأن الناس جميعهم لا يبدون على الإطلاق أي مراعاة لمشاعر الآخرين أو اهتمام بحقوقهم، أمر مبالغ فيه، فدائمًا هناك من حولنا أمثله مشرقة- وقد تكون أحدها- لأولئك الذين يحرصون دائمًا على الاهتمام بمراعاة الآخرين من حولهم، ولكن المناخ الاجتماعي في عالمنا قد أصبح، بشكل عام، أقل انسجامًا وأكثر خشونة، ويشكو كثيرون من أن العيش في سلام وتناغم مع الآخرين يزداد صعوبة مع مرور الأيام بعد أن أصبحنا بشكل ما، أقل اكتراثًا للآخرين أو اهتمامًا بمشاعرهم.

● قد نرى من حولنا نماذج لبعض الأفراد الذين يحققون أهدافهم أو مصالحهم في الحياة معتمدين على ما يزعمونه من قوة كالتشمير عن عضلاتهم، أو الاختباء وراء أصولهم العالية أو استغلال النفوذ، أو بالالتجاء إلى التهور وعدم الاكتراث أو غيرها من أشكال القوة الزائفة، وذلك كله على حساب الأشخاص الذين يبدون أضعف لأنهم أكثر اهتمامًا بمشاعر الآخرين، ولا يميلون بطبيعتهم إلى العنف أو الاستعراض.

● وقد كان عدم الاهتمام بمشاعر الآخرين يوصف دائمًا بأنه من النقائض أو الرذائل، بينما يصنف في المجتمعات الحديثة اليوم، كنوع من الفضائل مثل القوة في تأكيد الذات على سبيل المثال.

الأنانية والحرية الشخصية

هناك العديد من الأسباب وراء ظاهرة الافتقار إلى مراعاة الآخرين أهمها الأنانية التي تدفع الشخص إلى التركيز على أولوية تحقيق رغباته الشخصية واحتياجاته الخاصة، ولو على حساب الآخرين، وكذلك سوء فهم الحرية الشخصية ، واساءة استخدامها.

ابدأ الآن واتبع قانون اليوم

طالما نعيش على كوكبنا الأرض فإنه يحتم علينا أن نتعايش مع بعضنا البعض، فإن إظهار اهتمامنا بالآخرين ومشاعرهم هو بطريقة ما عامل من عوامل البقاء، وسر من أسرار الاستمتاع بالحياة.

● لم يفت الوقت بعد لنخرج من أنفسنا، ولنطرح عنا أنانيتنا ولنغير من سلوكنا بتصحيح مفهومنا الخاطئ عن معنى الحرية الشخصية، حتى نستطيع أن نبعث دفئًا من العلاقات الإنسانية من حولنا، ونحصد معًا مزيدًا من الفرح والسعادة، ابدأ الآن واتبع قانون «تعامل مع الآخرين كما تحب أن يتعامل معك الآخرون»، وإن وجدت صعوبة في تنفيذ هذا القانون، فاطلب المدد من الله عز وجل وعندها تحصد فرحًا في قلبك وسلامًا من حولك.



● كاتبة صحافية

أم للمرة الأولى!

د. ناني علي إبراهيم

الآن وبعد أن اكتملت أشهر الحمل، وقد وضعت طفلك بالسلامة، ستجدين نفسك وجهًا لوجه مع هذا المخلوق الصغير الجميل الذي تشعرين منذ اللحظة الأولى أنك المسؤولة عن تأمين كل شيء في حياته، الغذاء، الراحة، النوم، النظافة، الصحة، اللعب والتسلية.

ولكنك لست الوحيدة المسؤولة عن كل ذلك، فزوجك والد طفلك له دور كبير لا يقل عن دورك، فالبرغم من كونك المسؤولة الأولى عن اطعامه، إلا أن دور الأب لا يتوقف فقط على حمل الطفل في أثناء استيقاظه واللعب معه، وعندما يبكي يتركه لك لتهدئته.

فالأب يمكنه تقديم كثير لك ولطفلكما، وللأب أقول: أنت عندما تحمل طفلك وتقربه إلى نفسك وإلى قلبك، وتجعله يشعر بحنانك، وعندما تساعد زوجتك في إعداد الطعام لطفلك، أو في تغيير ملابسه، فهذا لا يقلل من قدرك، أو من رجولتك، بل يجعلك تشعر بأحاسيس جميلة وعميقة، لا يمكنك الشعور بها إلا إذا جربتها بالفعل، وفي الوقت نفسه فإنك تقدم يد العون والمساعدة لزوجتك كي لا تكون كل المسؤوليات والأعمال الخاصة بالطفل وبالبيت ملقاة على عاتقها، فتجد بعض الوقت لالتقاط أنفاسها، وللاهتمام بك، وبنفسها أيضًا.

● كيف تتعاملان مع طفلكما؟

من المهم- من البداية- توفير جو مريح وصحي للطفل الوليد، أي الاهتمام بتغذيته الغذاء الطبيعي من لبن الأم، في مواعيد منتظمة، ثم حمل الطفل بعد تمام الشبع في وضع مستقيم مستندا عليك، والرتب بخفة على ظهره حتى يتجشأ «يخرج الهواء الذي ابتلعه في اثناء الرضاعة»

وعادة يصحب ذلك خروج بعض اللبن الزائد عن حاجة الطفل، ولكن يجب عدم وضع الطفل على بطنه بعد الرضاعة، بل وضعه على جانبه مع إسناد ظهره بوسادة صغيرة ناعمة ولينة، واحذري أن يكون وجه الطفل ملاصقًا للوسادة حتى لا يصاب بالاختناق.

● احرصي على عدم إزعاج الطفل، وذلك بحمله بسبب، أو بدون سبب، فمادام الطفل نائمًا وهادئًا، فلا داعي لإزعاجه.

● إذا جاءك ضيوف أو أصدقاء لتهنئتك على المولود، فلا داعي لأن يحمله كل شخص فيتنقل بين أيديهم حتى لا يصاب بأذى، وأيضًا يجب عدم تقبيل الطفل في وجهه إذ يمكنه- بسهوله- التقاط أي ميكروب من الشخص الكبير.

● يجب عدم الإكثار من وضع الأغطية الثقيلة فوق الطفل، وبخاصة اذا كان الجو دافئًا، وأيضا عدم تركه بملابس خفيفة لا تتناسب مع الجو.

● ويمكنك الاطمئنان إلى درجة دفء الطفل عن طريق لمس يده كما يجب عدم ترك الطفل أمام مصدر هواء مباشر، وبخاصة في الأشهر الثلاثة الأولى، ويمكن إدارة المروحة إذا كان الجو حارًا على ألا توجه إلى مكان الطفل مباشرة، اذا كان الطفل كثير البكاء، حتى بعد شعوره بالشبع فالاحتمال الكبير انه يشعر بالألم في بطنه، لذلك يجب ان يتناول الماء بين الرضعة والأخرى، مع وضعه على بطنه فوق ركبتيك والرتب بخفة على ظهره حتى يشعر بالارتياح.

● يجب عدم الخروج بالطفل الوليد إلا للضرورة، فتغيير الجو وارتفاع نسبة الرطوبة، ووجود الأتربة بالجو يمكن أن تسبب له الأمراض، كما يمكن أن تسبب له الحساسية بالعينين أو الجلد.

● لا تعطي الطفل الدواء بناء على نصيحة صديقتك أو جارتك أو أي شخص آخر، ويجب عليك استشارة الطبيب قبل استكمال أي دواء يحتاج إليه، الطفل.

● لا تنزعجا ولا تغضبا إذا لم تتمكنا من الخروج لمناسبة ما، أو للنزهة أو السفر بسبب مرض الطفل، أو عدم استقرار الجو أو عدم مناسبة المكان له فمكانة الطفل وأهميته تأتي دائمًا في المقدمة.

ومن المهم ان يشعر الطفل بحبكما وحنانكما، وذلك باحتضانه دائما وعمل حوار معه، فبالرغم من انه طفل فإنه يشعر بحبكما وعنايتكما به.



● كاتبة وباحثة

أخلاقيات الجوال

أ.د. ناصر أحمد سنة

تقدم شاب لخطبة فتاة رآها ذات خُلق ودين ومن أسرة تلتزم أخلاق ومعاملات الإسلام، بيد أنه في اختبار عملي لقياس أخلاق ذلك الخاطب، والتزامه أيضًا، طلبت العروس من أخيها في اجتماع ضم أفراد الأسرتين تصفح هاتف الخاطب الجوال قبل أن تقرر الموافقة على الارتباط به، وجاءت النتيجة في غير صالحه، إذ طفح هاتفه بعدد كبير من الصور المخلة، فأعلنت العروس وأهلها رفضهم له، في حين حاول الدفاع عن نفسه، لكن دون جدوى.



الإنسان بطبعه كائن اجتماعي لديه حاجات فطرية ومُلحة للتواصل والتفاعل والتلاقي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). أمور أخذت أشكالًا وأنماطًا متعددة عبر التاريخ الإنساني، وأثمرت حضارة، وتاريخًا، وفنونًا، وثقافة.. شفهية وكتابية، بيد أنه بات التواصل الخلوي، وتسارع نمو وتطور آلياته وتجهيزاته وأجهزته وخدماته، يتربع على عرش أكثر وسائل التواصل والاتصال شيوعًا على كوكب الأرض، فمن البيت للعمل، لقاعات الدرس.. في وسائل المواصلات، وعلى متن السفن والطائرات، وفي الطرقات والأندية والمتنزهات والحفلات والاحتفالات... الخ، تجده يلازم الناس كظلهم، ولم تعد غاية هذا التواصل تبادل الكلمات أو نقل الرسائل القصيرة، بل تعدى الأمر وتشعب أكثر من هذا بكثير، الأمر الذي يوجب التعامل معه وفق ضوابط شرعنا الحنيف نظرة أخلاقية واجتماعية (سوسيولوجية) في آن معًا.

لم يعرف العالم اختراعا، والاختراعات محايدة الاستعمال، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، انتشر استخدامه بالسرعة التي انتشرت بها أجهزة الجوال (المحمول - الخلوي) والتي تجاوز عددها ملياري جهاز! والمرشحة للتضاعف خلال أعوام مقبلة، كما ينتظر الناس بشوق كبير انطلاق خدمات جديدة متجددة أصبحت الشغل الشاغل للعديد من شركات الاتصال رغبة في جذب وكسب أعداد أكبر من المستهلكين لتلك الخدمات.

لقد تغيرت اهتمامات المجتمعات.. أمسى الهاتف الجوال شغلًا شاغلًا للكثير وللعديد من طبقات الناس.. فحيثما حللت أو ارتحلت ساد وسيطر رنين أجراسه، وطغت كاميراته.. رنين مستمر، ومحادثات بصوت جهوري، بين غضب وثورة، وبين محبة ولوعة، وتحية باردة، وأخري مراوغة، وثالثة بوعد سيتحقق أو لا يتحقق، أو بوعيد مُحقق، والتقاط وتبادل صور وأغان، بمقابل وبالمجان.. انتهكت الخصوصيات، وأعلنت المحادثات، ولم يعد ثمة خجل من كشف مستور، أو الإعلان عن تجارة وهي تبور.

وثمة تهرب من التواصل والاتصال والرد علي البيت أو الأهل، ثم التعلل بأعذار، قد تنطلي عليهم، لكن أين هي ممن يعلم السر وأخفي؟ وترى أناسًا يتواصلون لكن باحتقار، واستهزاء وسخرية ممن يتحدث إليهم، وآخرين يموهون بأسماء وهمية مستعارة لمن يتصلون بهم كي لا يعرفها ذووهم خشية منهم: ﴿... فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ...﴾ (التوبة: ١٣).

وتتواصل مع آخرين ف:

يسقيك من طرف اللسان حلاوة

ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ويعطيك من الكلام معسوله، وهو يبغي غاية في نفسه إذا قضاها راغ منك وكأنه لا يعرفك. «أعطني رقمك كي أتواصل معك» فيعطي تهربا منه رقمًا وهميا أو مقفلًا أو خارج الخدمة... الخ. والبعض يبث من خلاله عواطف صادقة أو مكذوبة، ، وتوجسًا وتجسسًا وتخونًا، وغيره يطلق زوجته عبر رسالة من جواله، وآخر يتتبع عورات الناس

باحث أكاديمي

فيصورها، لينشرها... الخ.

أين كل ذلك، وغيره، من أخلاقيات التواصل والتعامل و«الدين المعاملة» بين الناس، وتحري تقوى الله تعالى في الأمور كلها.. عقيدة وعبادة، وفكرًا وثقافة، سلمًا وحربًا، وتجارة وعمارة، وحبًّا وبغضًا، وزواجًا وطلاقًا...الخ.

الهاتف الجوال وغيره من وسائل التواصل والاتصال إنما هي سبل لتحسين العلاقات بين الناس والمجتمعات، ورأب ما تصدع، وجبر ما انكسر منها، وهو ذاكرة تحفظ الأسماء والأرقام المهمة للاستعانة بها، وينبغي بدء المحادثات بالسلام، وإنهاؤها كما بدأت، مع التزام المناداة بأجمل الأسماء، وهذه من الأمور المحببة للنفس، ومراعاة الاتصال بالمكالمات التي لم يرد عليها، لتدلل على الاهتمام بالأشخاص المتصلين... الخ. تلكم الأمور المشروعة المنضبطة بتعاليم وأخلاق ديننا الحنيف.

إن ديننا الحنيف يأمرنا بالتزام شرعه وشرائعه وقيمه، ومنها الإحسان في كل شيء، وحسن الخلق، والنصيحة لكل مسلم، والوفاء في المعاملات والعقود والعهود، والصدق في كل الأقوال والأفعال دون فصام نكد، قال تعالى: ﴿يأيها الّذينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

صفات يتحلى بها من تواصل إلى زوجه أو أهله أو إخوانه أو أصدقائه، أو زبائنه، أو الناس أجمعين.. حبا وإخلاصا، ووفاء، ومروءةً، وسترًا للمعايب، ودعوة لله تعالى، ومعاملة للناس كما يحب المرء أن يُعامل بها، ورغبة في الخير والهداية للناس أجمعين.

جملة القول: لاشك ان للهاتف فوائد جمة ويمكن استثماره بصور أفضل وفق أخلاقياتنا الإسلامية، وتبقى الحاجة ماسة لضبط إيقاع استخدام مثل تلك التقنيات الحديثة وفق النسق الشرعي والأخلاقي والاجتماعي لمجتمعاتنا العربية الإسلامية، ومداواة سلبيات البعض في استخدامها قبل استفحال الداء، واستعصاء الدواء، فلا نريد فشلًا للزيجات أو غير ذلك من المعاملات، كما حدث لهذا الخاطب لما تقدم للزواج من تلكم الفتاة النجباء.

حق المرأة في الإسلام.. وغبش هذا الزمان

هدى الكاشف

المرأة في هذا العصر تتنازعها تيارات متعددة، منها ما هو متمسك بكل عرف وتقليد قديم بغض النظر إن كان شرعيًا أو غير شرعي، ومنها ما هو رافض لكل قديم، متمرد عليه، جانح إلى التقليد الأعمى لكل ما هو غربي، منقاد مستجيب، وكأن غبشًا قد ران على القلوب، فكثير منهن ضللن الطريق وأضللن من حولهن، فأصبحت المرأة على مفترق طرق، تجد أحيانًا من يهاجمها بشراسة متفننًا في سلب حقوقها، وأحيانًا أخرى من ينادي بحقها تباكيا عليها بدعايات مضللة، فالتبس الحق بالباطل، تجدها تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، والتيار عال جامح، فلا تستطيع فهم موقفها الحقيقي من شرع الله تعالى، ولا رفض الفاسد من الوافد، فتثار القضايا الخاصة بحقوقها، فكلما دار الفلك دورته نفاجأ بقضية جديدة، والحقيقة أننا لدينا ثروة فقهية هائلة تراكمت عبر أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، نجدها لم تهضم يومًا حق امرأة، ولم تمقت لها مكانة، بل حظيت المرأة المسلمة في ظلها بالتكريم، فكانت قبل الإسلام تباع وتشترى، وتورث وتعضل، بل كانت تقتل خشية العار والفقر، فوهبها الإسلام فرصتها الكاملة في الحياة كالرجل مع الحفاظ على فطرتها وحيائها، فسجل التاريخ صفحات بارزة لصحابيات قمن بأدوار لم يقم بها الرجل، وأخريات كن معلمات لأفضل العلماء، فلقد باشرت نسيبة بنت كعب -رضي الله عنها- القتال يوم أحد دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وكانت سمية، أم عمار بن ياسر، أول شهيدة في الإسلام، وقال عروة بن الزبير عن السيدة عائشة رضي الله عنهما، ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا فقه ولا شعر من عائشة أم المؤمنين، ولكن كم عانت الأمة من أفكار وكتابات لمستشرقين ومستغربين وغيرهم ممن يسعون للعبث بالعقول والسعي الدؤوب لاستخراج أفكار مغلوطة من بطون كتب التراث، وما هي إلا ظلم بين أو جهل فاضح، نقلا لأفكار معينة دون وعي بأسبابها، وظروفها، وملابساتها، ولنتدبر قول المصطفى ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

ولكن مع كل هذه التحديات لا تزال بوارق الأمل باقية في نفوس وعقول كثير من النساء اللاتي عرفن الحق حقا فرزقهن الله اتباعه، والباطل باطلًا فرزقهن اجتنابه، بعيدًا عن كل غلو وتعصب، أو إفراط وتفريط، محكمين عقولهن في دعايات التقدم المنشود لتأصيل ثقافات بعينها متدبرين قوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾، حتى يحظى الجميع بالسكن والسكينة في قوله تعالى ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾، فنجد من ينشئ الأطفال ويخرج لنا الرجال، لذا فطرح قضايا المرأة على هذا المنوال ينال من قدسيتها، فأولويات حياتها ومصالحها الملحة تكمن فيما هو أهم من كل هذا الهراء الجدلي، فيكفي فقط استعادة الجهد الكبير المبذول من علماء الفقه والقانون لإنجاز كل يتعلق بقضايا المرأة، فلا نترك الأمر هكذا، ولدينا ثروة فكرية ليست لدى غيرنا من الأمم حتى لا تتعثر خطانا فنضل الطريق متذكرين قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

مرض تكيس المبايض

د. حنان عبدالعال

مرض تكيس المبايض يصيب المبايض محدثا فيها اضطرابا لعملية الإباضة الطبيعية نتيجة خلل هرموني، وهو يكون أحيانا متلازما مع أعراض عدة تظهر على المريضة، وحينها يسمى بمتلازمة تكيس المبايض مثل: اضطرابات الدورة الشهرية، وازدياد وزن الجسم، وظهور الشعر الخشن في مناطق مختلفة من جسم المرأة، وأحيانا لا يكون للمرض أي أعراض ويكتشف مصادفة أثناء الفحص الروتيني، تتراوح نسبة انتشار المرض بين ٥-١٠٪ بين النساء.

الأسباب الحقيقية لمرضى تكيس المبايض غير معروفة، ويعتقد أن هناك طبيعة وراثية للمرض، وأكثر الأعمار إصابة بهذا المرض من هن في سن المراهقة، حيث تحدث زيادة سريعة للوزن في هذا العمر وكذلك تحدث تغيرات هرمونية سريعة أيضا، وبعض الدراسات تبين أن مستقبلات هرمون الأنسولين لها علاقة بالمرض وأيضا بعض الأدوية التي تستخدم في علاج الصرع.

أعراضه

اضطرابات في الدورة الشهرية، وهذا الاضطراب يكون على شكل انقطاع في الدورة الشهرية أو تباعد في الدورة في ٧٠٪ من الحالات، ومنها ضعف أو اضطراب في عملية التبويض، وهذا يؤدي إلى تأخر الحمل أو عقم في ٥٠٪ من الحالات، وكذلك زيادة في الوزن في ٥٠٪ من الحالات نتيجة اضطراب في مستوى الدهنيات في الجسم.

ظهور شعر خشن في مناطق مختلفة من جسم المرأة وذلك نتيجة خلل في الهرمون الذكري ويحدث ذلك في ٥٠٪ من الحالات.

زيادة نسبة الإصابة بحب الشباب وتصبح البشرة دهنية، ثم الإجهاض المتكرر.

مضاعفات بعيدة الأمد

وله مضاعفات بعيدة الأمد مثل: مرض السكري، سرطان الرحم، ارتفاع ضغط الدم، أمراض القلب والشرايين، والعقم.

تشخيصه

أولا: الفحص السريري للمريض ووجود الأعراض المذكورة سابقا.

ثانيا: الفحوصات المخبرية مثل:

١- ارتفاع هرمون LH وانخفاض هرمون FSH.

٢- ارتفاع الهرمون الذكري TESTOSTERONE.

٣- ارتفاع هرمون الأنسولين، رغم أن مستوى السكري في الدم يكون طبيعيا.

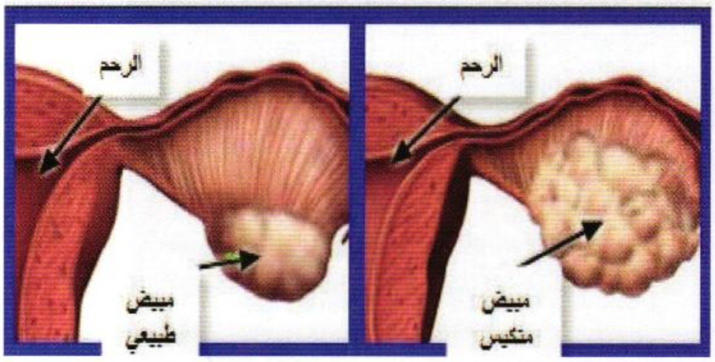
٤- ارتفاع هرمون الحليب PROLACTIN.

٥- ارتفاع هرمون الاستراديابول والاسترون ESTROGEN.

٦- انخفاض مستوى مستقبلات الهرمونات الجنسية.

٧- أحيانا يكون المرض مصاحبا لاضطرابات في هرمونات الغدة الدرقية.

ثالثا: الطريق الأمثل لتشخيص الحالة، هو إجراء أشعة بالموجات فوق الصوتية عن طريق البطن أو المهبل، ويفضل الفحص المهبلي حيث تصل دقته إلى ١٠٠٪ في تشخيص المرض، حيث إن هناك احتمالات للخطأ في الفحص البطني بنسبة ٣٠٪، والمنظر المعروف لتكيس المبايض هو ظهور أكياس صغيرة يتراوح عددها من ١٠-١٢ أو أكثر بقياس ٨-١٠ ملم منتشرة على شكل حلقة مثل حبات اللؤلؤ، وكذلك يحدث تضخم في حجم المبيض حيث يزداد حجمه مرة ونصف إلى ثلاث مرات عن الحجم الطبيعي.



العلاج

يعتمد علاج المرض على علاج الأعراض المصاحبة له.

أولا: العقم، ويقسم علاجه إلى نوعين:

العلاج الدوائي، وينقسم إلى نوعين:

النوع الأول، هو حبوب ال METFORMINE التي تساعد على انتظام هرمونات الجسم، وتقلل من شدة المرض، وتزيد من استجابة المبايض للعلاجات المنشطة، ويجب الاستمرار على هذه العلاجات لمدة تتراوح بين ٣-١٢ شهرا.

النوع الثاني، هو إعطاء المريضة هرمون تحريض

باحث أكاديمي

الإباضة إما على شكل حبوب ال CLOMID أو الحقن بهرمونات FSH، LH مع المراقبة الدقيقة للمبايض، وتحديد أيام الإباضة وعند حدوث الإباضة تكون نسبة الحمل حوالي ٤٠٪.

العلاج الجراحي، عن طريق العمليات الحديثة بإجراء تثقيب للمبايض عن طريق المنظار البطني، ومن مميزات التثقيب ارتفاع نسبة حدوث الحمل إلى ٧٠٪، و انخفاض نسبة حدوث الالتصاقات والتي بدورها تؤدي إلى العقم.

أما الطريقة القديمة فهي عن طريق التدخل الجراحي بفتح البطن واستئصال جزء من المبيض ومع هذه الطريقة تزداد نسبة حدوث الالتصاقات والنزيف ونسبة حدوث الحمل بهذه الطريقة ٥٠٪.

ثانيا: اضطرابات الدورة الشهرية، ويمكن معالجتها باستخدام حبوب منع الحمل COCS أو حبوب البروجستيرون مع استخدام حبوب METFORMINE بعيار يتناسب مع وزن المريضة، مع الاستمرار في أخذها لحين انتظام هرمونات الجسم، أو بالكحت إذا فشل هذا العلاج، وأيضا للاطمئنان انه لا توجد تغييرات سرطانية داخل الرحم.

ثالثا: ظهور الشعر الخشن HIRSUTISM، يمكن معالجته باستخدام حبوب مضادة للهرمون الذكري DIANE ٣٥، ولكن هذه العلاجات تحتاج لفترة طويلة تتراوح بين ٦-٨ شهور لحين حدوث تغيير في خشونة الشعر، لذا ينصح باستخدام طرق أخرى لحين بدء عمل هذه العلاجات مثل الكي بالليزر أو استخدام مزيلات الشعر.

رابعا: زيادة الوزن، حيث توجد علاقة طردية بين زيادة الوزن ومرض تكيس المبايض، ينصح باستخدام البرامج الغذائية، وممارسة الرياضة لتخفيف الوزن لكي يتوازن هذا الاضطراب الهرموني.

محيط حب المرأة

د. زيد بن محمد الرماني *

يبدأ فنّ الزواج عند المرأة بأن تتعرف طبائع ذلك الرجل الذي سيكون زوجًا لها، وتتفهم أغراضه ومراميه الجسمية والنفسية.

إن الزوجة التي تريد الخير بنفسها ينبغي أن تدرك لأول وهلة أن أنانية زوجها طبيعة لا يمكن مقاومتها، إذ تراها تتجلى في كل عمل من أعماله اليومية، ولا يحسن بها أن تسيء الظن به، إذ يتحول عن مداعبتها بعض التحول، بينما هي في شوق إليه، فقد تشغله شؤون الحياة فتضطره إلى الركون إلى السكون.

بل قد يصيب عواطفه بعض الفتور من جرّاء أعماله والاشتغال بها، ولقد كان هذا الفتور في الرجل موضع دهشة المرأة وتفكيرها، على أنه كثيرًا ما يكون مبعث هذا الجمود اشتغال الرجل بابتكار مشاريع خاصة بالعيش والبحث فيها وهموم العيش تدق أعناق الرجال وتسترقهم.

وحسنٌ بالمرأة أن تعرف في الرجل مواطن ضعفه، ومواطن قوته، وأن تسعى في إثارة عواطفه الخفية الكامنة والعمل على إيقاظها بما عندها من قوة هي في نفسها راكزة، بل هي متأصلة فيها منذ حياتها الأولى، فتعمل بجهدها على أن تجرّ زوجها جرًا إلى ميدان الحب وتكرّر هذا العمل، فتراه ينقاد إليها.

ففي قلب الرجل ناحية تظل ملتهبة، تحنو إلى الحب وتحنّ إليه أبدًا حتى في الهرم.

وفي ظل الزيجة السعيدة يرى كل من الرجل في المرأة والمرأة في الرجل فضائل وحسنات تتجدد في طوال السنين، بل إنهما يريان في كل يوم فضيلة جديدة وحسنة جديدة، وبذا تظل حياتهما سعيدة، بل يرى كل منهما في الآخر حياة بريئة ليس فيها عيوب ألبتة.

إن المرأة في ذاتها سلوان الرجل منا، ففي طفولتنا نلتجئ إليها فتحنو علينا وتحنّ إلينا، وإذ ذاك نسترشد برشدها ونهتدي بهديها، وفي رجولتنا نسعى إليها فنستظل بعطفها ونستعين بها ونأتنس إليها، فقد وهبها الله عاطفة السلوان، وكثيرًا ما يسقط الرجال في ميدان الحياة مكلومي الأفئدة فيسعون إلى من يضمّد جراحهم ويقوّي عزيمتهم فلا يجدون ذلك إلا عند المرأة، إذ تأخذ بأيديهم وتضمهم إلى صدرها وتمسح عن خدودهم دموعهم.

وها هو العلاّمة «لبلاس» يقرّر أن علمه الذي جمعه في أساطيره، لا يساوي قطرة من محيط حب المرأة.

* المستشار وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية

غرف «الدردشة»..

خيانات زوجية وتجسس وأشياء أخرى!

تحقيق: محمد عبد الشافي القوصي

مثلما تمثل غرف الدردشة الالكترونية (room chat) خطرا حقيقيا على الأسرة العربية وبالأخص على العلاقات الزوجية- حتى إنها في بعض الأحيان قد تؤدي إلى الانفصال والطلاق أو خيانة أحد الزوجين للآخر- فإن هذه الغرف تؤثر على الشباب العربي من الجنسين، الذي يعد أكبر شريحة في المجتمع تستخدم غرف الدردشة والحوار، فأحدث الإحصاءات تؤكد أن بعض النساء يقضين مدة ٨٠ ساعة أسبوعيًا في الحوارات عبر شبكة الإنترنت، ولا عجب- إذن- عندما نسمع أن شبكة الانترنت أصبح لها أرامل من النساء اللائي فقدن أزواجهن لأسباب أغلبها غير معلوم إلى الآن!

تأتي العلاقات العاطفية على قائمة أولويات الشباب-من الجنسين- في حواراتهم عبر شبكة الإنترنت، وقيام الشباب باستخدام غرف الدردشة للحديث في الحب والعلاقات العاطفية غالبًا ما يكون بعيدًا عن أعين الأهل، وهذا ما يؤكده الشباب، حيث يرون أن الإنترنت وحجرات الدردشة أفضل وسيلة للحديث مع من يحبون، وذلك لأن مكالمات الهاتف مكلفة ولأن الآباء يمنعونهم من الحديث مع الفتيات هاتفيًا، ولا يجدون في النهاية سوى اللجوء إلى أحد مقاهي الإنترنت للحديث مع الصديقة الإلكترونية!

من ناحية أخرى تقول الآنسة «هدى»: إن الدردشة وسيلة لقتل الملل والروتين اليومي في الحياة، كما أن العادات والتقاليد العربية تمنع الفتاة من الحديث مع أي شخص خارج الأسرة وهو ما توفره غرف المحادثة عبر الإنترنت. وهذا ما يجعل الفتيات يسعين إلى تكوين صداقات عديدة عن طريق هذه الغرف، وبالطبع هذه الصداقات ليست كلها بريئة، فغالبًا ما يشوبها الخطأ والتجاوزات، وهو ما أكدته «هدى» فهي تقول: إن الذين يدخلون إلى غرف المحادثة من فئة المراهقين والمراهقات تدور بينهم أحاديث سرية ومناقشات حول موضوعات غاية في الحساسية، كالجنس وخلافه.

احذروا هذه المواقع!

ويذكر الباحث الحقوقي جمال عبدالعزيز أن هناك العديد من المواقع التي تعرضت للحجب والمنع بالوطن العربي، وهي المواقع المنافية للآداب العامة والقيم الدينية كمواقع

مواقع على شبكة الانترنت لشراء الفتيات القاصرات وتعليمهن البغاء!

«المثليين العرب»، وموقع «إعلان عن الوجود»، فهذه الفئات الاجتماعية الوحيدة التي لم تكن وحتى ظهور الانترنت تستطيع الإعلان عن هويتها بالعالم العربي.. فالإعلان عن «المثلية» يضع الإنسان أمام مشاكل لا حصر لها، وسوف تكون له نتائج سيئة للغاية، لكن هذه الفئة موجودة، وقد أتاح لهم الانترنت فرصة الإعلان عن هذا الوجود، من خلال العديد من المواقع التي تعلن عنهم وعن أفكارهم وهمومهم، بل وزيادة التعارف بينهم، ولعل موقع «جمعية المثليين والمثليات العرب- glass.org» هو الموقع الأقدم والأشهر إلى وقت قريب، ثم تلاه العديد من المواقع الناطقة باسم مثليي الميول الجنسية العرب، وكذلك المواقع الأجنبية التي تفرد للمثليين العرب أقسامًا بها.

مزيد من الزوار لهذه المواقع

وقد بدأت تلك المواقع المعبرة عن المثليين تزداد، لاسيما بعد الحملات الأمنية ضدهم وازدياد أعداد مستخدمي الانترنت في المنطقة، وبدأت تظهر مواقع تعبر عن مجموعات أكثر تحديدًا، مثل موقع مثليي مصر، والمثليين العرب، ومثليي لبنان، وغيرها من المواقع الأخرى. وبالرغم من حجب العديد من تلك المواقع ومنعها في أغلب الدول العربية فإنها مازالت تلاقي رواجًا هي الأخرى، بحيث أصبحت أخبار القمع الذي تواجه به من السلطات الحاكمة، مثل الحملة الأمنية الموجهة ضد المثليين المصريين، عاملًا جاذبًا لمزيد من الزوار للتعرف على آخر أخبار تلك الحملة!

مشكلة الأسماء المستعارة!

جرائم الجنس عبر الإنترنت تزداد يومًا بعد يوم، وهناك جهود عدة تبذل من جانب الدول العربية للوقوف ضد هؤلاء الخارجين على القانون، فقد نشرت الصحف خلال الأسابيع الماضية أن أكثر جرائم الجنس كانت تختص بالشواذ وتبين وجود شبكة دولية من شباب يمارسون الشذوذ وقامت أجهزة الأمن بمطاردة هؤلاء الشباب الشواذ المقيمين في مصر والقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة وألقي القبض على أكثر من ٤٠٠ شخص، وقد قادت الجهود إلى ضبط شاب كان يتخذ من منزله وكرًا لاستقطاب الرجال وأعد لنفسه موقعًا على شبكة الإنترنت ونجح في إقامة علاقة مع شخص يدعى «راؤول» عن طريق موقعه وقد استخدمت إدارة المباحث اسم «راؤول» وهو اسم مستعار لاصطياد هؤلاء الخارجين على القانون.

الشرطة المصرية تلاحق «الشذوذ»

وفي الوقت الذي تسعى فيه الدول العربية إلى الوقوف ضد هذه الجرائم، خاصة ما يتعلق منها بالشذوذ نجد منظمة مثل «هيومان

رايتس ووتش» تصدر بيانًا باسم المنظمة على الإنترنت يؤكد أن مصر يجب أن تتوقف عن الإيقاع بذوي الميول الجنسية المثلية عن طريق الإنترنت ومقاضاتهم، مؤكدة أن إحدى المحاكم المصرية أصدرت حكمًا ضد أحد الشواذ المصريين وأن الشرطة المصرية بدأت في الإيقاع بأشخاص مشتبه فيهم بأنهم مثليون جنسيًا، وطالبت المنظمة بإلغاء حكم الإدانة كما حثت السلطات المصرية على إعادة النظر في جميع الأحكام التي صدرت في مثل هذه القضايا، وأكدت المنظمة أن الشرطة المصرية نجحت في إحباط ١٧٤٠ موقعًا جنسيًا خاصًا للشواذ، لينخفض عدد المواقع من ٢٥٥٥ إلى ٢٦٠ موقعًا فقط!

جواري الانترنت

وقد تم ضبط إحدى العصابات التي تقوم بتجميع الفتيات القاصرات وتعليمهن الرقص بدعوى إعدادهن للعمل في مجال الإعلانات وفرق الفنون الشعبية، ولكن اكتشف في النهاية أنه يسعى إلى تشغيلهن في أعمال منافية للآداب أو تسفيرهن للعمل كخادمات في بعض الدول العربية والأجنبية بمبالغ مغرية أو تزويجهن لبعض الأثرياء الذين لا يهتمون كثيرًا بما يدفعون مقابل شراء جاريات جميلات يقمن بخدمتهم وتمريضهم وتلبية رغباتهم.

تجاوزات صارخة!

وقد يعتقد البعض أن تلك النشاطات المشبوهة بعيدة تمامًا عن أعين رجال الأمن والشرطة وهو اعتقاد خاطئ تمامًا، ويبدو ذلك بوضوح في مسلسل جرائم الكمبيوتر التي يتم ضبطها يوميًا وأصبحت تتصدر صفحة الحوادث في صحفنا اليومية.

هذه هي مجرد أمثلة لبعض ما يجري على شبكة الإنترنت من تجاوزات صارخة وجرائم حقيقية يعاقب عليها القانون، وعادة يكون ضحاياها بعض الذين يحلمون بالثراء السريع ولا يريدون أن يصعدوا سلم النجاح خطوة خطوة في إطار من القيم والأخلاق ثم يجدون أنفسهم في النهاية في قاع المجتمع.

«إسرائيل» تستخدم برامج الدردشة للتجسس على مجتمعاتنا!

الهروب من المشاكل

وتعليقا على ذلك تقول أستاذة علم الاجتماع بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية د .هالة سليمان: إن الشباب يحاول الهروب بهذه المشاكل إلى خارج المنزل أو إلى الانطواء بها بعيدًا عن الآخرين أو محاولة التحرر من كل القيود التي يفرضها عليهم أولياء أمورهم وهي قيود طبيعية إلى حد بعيد بسبب التقاليد التي تحكم علاقة الرجل بالمرأة في مجتمعاتنا العربية، ومن هنا فإن هروب الفتيان والفتيات إلى مقاهي الإنترنت أو قضاء ساعات كثيرة



أمام الكمبيوتر داخل المنزل والتحدث مع الجنس الآخر أمر طبيعي، ولكن خطورة غرف المحادثة تكمن في الحوارات الغير أخلاقية وتنكر الشباب في أسماء بنات والعكس لأن الهدف من وراء هذا التنكر يكون غير واضح المعالم في معظم الأحيان.

هذا، وترجع أستاذ علم الاجتماع د .سوزان أبورية السبب في اقتصار أغلب الحوارات بين الشباب العربي عبر شبكة الإنترنت على الموضوعات السياسية أو الجنسية، إلى أن الشباب العربي لديه نوع من الإحباط والكبت الجنسي والسياسي والذي يمكن تفريغه عبر شبكة الإنترنت، كما أن بعض العرب يشعرون بالخوف والتشكك إزاء بعضهم وهم لا يستطيعون التعبير عن ذلك على أرضية الواقع فيظهرونه عبر الإنترنت.

اعترافات مسؤولين إسرائيليين!

قد يكون ما سبق إيضاحه أمر عادي- بالرغم من خطورته- إلا أن أخطر ما يواجه الشباب العربي هو التحدث عبر برنامج للدردشة أنتجته المخابرات الإسرائيلية وهو برنامج «ICQ» وهو من أشهر برامج المحادثة التي يستخدمها الشباب المصري بالإضافة إلى أنه يتيح التحدث بأكثر من ٢١ لغة، هذا إلى جانب الخدمات الأخرى التي يوفرها البرنامج مثل رسائل الجوال المجانية، والبريد الإلكتروني، وهذا البرنامج قدمته إحدى الشركات الإسرائيلية في ١٥ نوفمبر ١٩٩٦، واعترف المسؤولون الإسرائيليون أن هذا البرنامج هو إحدى وسائلهم لمعرفة ما يدور في العالم، وتكمن الخطورة الحقيقية في برامج الدردشة في استدراج الشباب للإدلاء بمعلومات تضر بالأمن القومي العربي، وهذا ما حدث لـ«عمرو الخواجة» من مصر والذي يستعمل «ICQ» منذ ثلاث سنوات ويقول: إنه تحدث مع أحد الإسرائيليين من قبل عبر هذا البرنامج وقد طلب منه أن يحدثه حول الإرهاب والمشكلات الاقتصادية في مصر فرفض عمرو الحديث معه، وقد تكررت هذه الواقعة مع العديد من الشباب العربي الذي يتحدث مع فتيات أجانب يحاولن استدراجهم بالإدلاء عن حياتهم والصعوبات التي يواجهونها.

وعلى الصعيد ذاته يقول «ذكي الطويل» من مصر إنه ظل لمدة عام كامل يتحدث مع فتاة أميركية عن الأحلام والطموحات والآراء الشخصية وقد توطدت علاقتهما حتى إنها طلبت منه تغيير ديانته ومحاولة الحصول على الجنسية الأميركية فرفض رفضًا قاطعًا، فاصطنعت السعادة وأن ما فعلته كان مجرد اختبار له، ثم طلبت منه بعد ذلك معلومات عن أصدقائه الذين يعملون بالمؤسسات الرسمية وطبيعة عملهم والمشكلات التي يواجهونها، فقرر التوقف عن مراسلتها نهائيًا وعدم مراسلة الأجانب أو الدردشة معهم مرة أخرى!

الطفل التوحدي (الذاتوي) كيف نفهم طبيعته وما سُبُل التعامل معه؟

وفيق صفوت مختار

الأوتيزم Autism يُسمى بالعربية «التوحد» ونسمى الطفل الذي تظهر عليه أعراض هذا الاضطراب بالطفل «التوحدي» أو «الذاتوي»

وقد عرف الباحثان «مورين آرونز» Moureem Arons و«تيسا جينز» Tessa Gittens هذا الاضطراب بأنَّه: صعوبة التواصل فى العلاقات الاجتماعية، مع قلة الاهتمام بالعالم المُحيط. ويُقرِّر علماء الصحَّة النفسية أن «الأوتيزم» إعاقة متعلقة بالنمو، عادة ما تظهر خلال السنوات الثلاث الأولى من عُمْر الطفل، وتتراوح نسبة الإصابة به بين ٣-٥ أطفال لكل ١٠ آلاف طفل، وتزيد النسبة في الذكور عنها فى الإناث بنسبة ٤ : ١.

المظاهر العامة للطفل التوحدي

تتحدَّث الأمّ وهي تصف سلوك طفلها قائلة: لا يستجيب لضمتي له إلى صدري، ينفر من قبلاتي الحانية على وجنتيه، يتجنَّب النظر في عيوني، لا يستجيب لمشاعري ومشاعر أبيه، يعشق الوحدة والصمت.

وهو طفل يُعاني من مشكلات التواصل، أي يكون تطوُّر اللغة لديه بطيئًا وقد لا يتطوَّر بتاتًا، ويكون التواصل عن طريق الإشارات بدلًا من الكلمات، ويكون الانتباه والتركيز لمدة قصيرة، وكذلك التفاعُل الاجتماعي يكون قليلًا فلا صداقات ولا ابتسامات ولا اندماج مع الآخرين. وهذا الطفل يُعاني أيضًا من نقص فى اللَّعب التلقائي أو الابتكاري أو حتى التقليدي، وسلوكه يكون نشطًا أكثر من المعتاد، أو أقل من المعتاد مع نوبات من السلوك غير السوي.

سمات السلوك المعتادة

يقوم الطفل التوحدى (الذاتوي) بطقوس أو حركات متكررة مثل الجري فى دوائر، أو التأرجح المستمر دون كلل أو ملل، وقد يستمر ساعات طويلة فى اللَّعب بالماء مثلًا، أو تقطيع الورق إلى قطع صغيرة، وهو طفل يميل إلى اللَّعب بمفرده، ويصل احتمال النوبات الصرعية فيهم إلى نسبة ٢٠٪، أمَّا عن مستوى الذكاء فهناك ٢٥٪ منهم يكون ذكاؤهم طبيعيًا أو أقل من الطبيعي بنسبة بسيطة، حتى إن الجمعية القوميةً للتوحد توصلت إلى أن الأطفال التوحديين ليسوا متخلفين عقليًا. ومن الغريب أن بعض هؤلاء الأطفال يُظهرون بعض القدرات التى يتفوقون فيها على أقرانهم مثل: القدرات الحسابية والموسيقية.

> **هناك أطفال توحديون حققوا تحصيلا دراسيا عاليا والأمر يتوقف على حماس الأسرة وإصرارهم على برامج تدريب ابنهم التوحدي**

أسباب الإصابة باضطراب التوحد

الأسباب غير معروفة بالتحديد إلى الآن، إلاَّ أن بعض الدراسات أظهرت علاقة بين وجود أحد الكروموزومات في الجسم وبين ظهور هذا الاضطراب في ١٧٪ من الحالات التى أجريت عليها الدراسة.

وهناك أيضًا إصابات الجنين أثناء فترة الحمل إمَّا ببعض الفيروسات أو نتيجة إجهاض منذر وخاصَّة في أول ثلاثة شهور للحمل، هذا إلى جانب أسباب عضوية في الجهاز العصبي، فقد وُجدت بين هؤلاء الأطفال نسبة كبيرة من المصابين بضمور فى بعض أجزاء المخ وخاصَّة المخيخ، وقد ينشأ كذلك عن نقص الأوكسجين للطفل عند الولادة.

التشخيص

يعتمد تشخيص هذا الاضطراب فقط على الصورة الإكلينيكية التي يأتي بها الطفل، والتي يجب التفريق بينها وبين بعض الاضطرابات المشابهة مثل: القصور الفكري، الذي يكون فيه الطفل ذهنيًا، وهنا يجب ملاحظة أن الأوتيزم أو التوحد متلازمة وليست مرضاً، وتكفي علامات ثلاث- حتى ولو لم تكن كلها في حالات واحدة- منها لتشخيص الحالة، ومنها ما هو حالات خفيفة أو اعتقادية أو بدرجة توحد الطفل وانعزاله واضطراب مزاجه بفرح أو بكاء لا يتناسب مع الموقف الذي هو فيه، وهذا لا يعني أننا أمام حالة صعبة على الإطلاق، فقد رأينا أطفالاً توحديين حققوا تحصيلًا دراسيًا عاليًا، والبعض الآخر تحسن لدرجة سرد قصة وعمل

• خبير في الشؤون الأسرية



محادثة. ونحن لا ننكر أن بعض الحالات عنيدة، ولكن عناد الاضطراب يذوب مع حماس الأسرة وإصرارها على الاستمرار في برامج التدريب فردية أو جماعية.

وسائل العلاج المتاحة

١- ضرورة تلقى مثل هؤلاء الأطفال للعلاج الطبي والنفسي بجانب العلاج التعليمي، لأن علاجهم ميسور بمزيد من الجهد ومزيد من التعرف على خصائصهم.

٢- يكون العلاج في صورة تعديل للسلوكات غير المرغوب فيها، وبالتدريب على اللغة والكلام في جلسات التخاطب.

٣- قد يحتاج البعض منهم إلى التدخل بالعلاج العقاقيري في حالة وجود نوبات صرعية.

٤- يمكن علاج مثل هؤلاء الأطفال بالموسيقى حيث إن لهم أذنا حساسة بالموسيقى وبعضهم موهوب فيها بطريقة فائقة، كما أن استجابتهم لها تفوق الوصف ممَّا يجعلها أداة علاجية، وقد تبيَّن في العديد من الدراسات العلمية أن أسهل شيء يكتسبه هؤلاء الأطفال التوحديون هو الشيء المُلحن الذي له إطار غنائي مثل الإعلان أو أذان الصلاة وغيرها ، وهذا ما ينبغي أن يتم معهم في تدريبات التخاطب.

٥- يجب دمج هؤلاء الأطفال في جميع المدارس العربيَّة مع أقرانهم العاديين بلا سخرية منهم أو ملل لأنَّهم بالفعل يحتاجون لاكتساب مهارات التواصل مع قرنائهم وهذا شيء مهم لعلاجهم، وقبل هذا الدمج لابد أن يعرف كل المُعلِّمين والمربين خصائص اضطراب الأوتيزم وكل أساليب العلاج حتى يكونوا على دراية وخبرة بمعاملة هؤلاء المعاملة اللائقة التي تجعلهم يصلون إلى أعلى المراتب العلمية وأدق المهارات الشخصيَّة وتجعلهم يحصلون على الشفاء العاجل والأكيد بمزيدٍ من العلم والصبر وقوة الإرادة.

الأسرة.. وسُبُل التعامُل مع الطفل التوحدي

١- تحديد الأشياء التى يفضلها الطفل والسلوكات أو الأشياء التي تُثير ضيقه وانزعاجه.

٢- التعرُّف على النظام الروتيني الذي يحبه الطفل واتباعه.

٣- التقرُّب إليه بعلاقة جسدية من الملامسة والكلمات الرقيقة.

٤- توجيه النشاط الزائد باستخدام الأشياء التي يفضلها الطفل من أجل استقراره.

٥- مواصلة التحدث مع الطفل حتى وإن لم يرد، ما دمنا متأكدين من سلامة السمع .

٦- تجنب استخدام كلمات كثيرة أو أوامر وتعليمات طويله مربكة.

٧- تشجيع هؤلاء الأطفال على ممارسة الرسم والعزف على إحدى الآلات الموسيقية أو التعامل مع الحاسوب.

٨- التعرُّف على أنسب الطرق التي تستهويهم للتعليم من خلال الحروف أو الكلمات.

٩- حماية هؤلاء الأطفال من الأصوات المرتفعة لأن حساسيتهم عالية.

١٠- عدم تعرُّضهم للأضواء العاكسة الوهاجة التي تسبب الإزعاج لهم.

١١- يمكن للآباء التواصل معهم وهم يلعبون.

١٢- على الأسرة أن تتجنب عدم تعجيل النتائج ومعرفة أن التغييرات التي تطرأ عليهم للأحسن بطيئة وتتم بصورة بسيطة ومتدرجة.

١٣- عدم دفعهم إلى القيام بأعمال تفوق قدراتهم حتى لا يعتريهم الإحباط.. الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من الانطواء والانزواء.

١٤- تشجيع الطفل على إقامة علاقات مع أقرانه والاعتناء بمظهره الشخصي.

١٥- عدم تدليل الطفل تدليلاً زائدًا، ومحاولة إشراكه في بعض الأنشطة المناسبة له داخل الأسرة حتى يتعوَّد الاندماج مع الجماعة ويتفاعل معها.

المراجع

أهم المراجع و المصادر

١- د.محمَّد محمَّد عيسوي الفيومي، انيميا الذات لدى الأطفال، مجلة الخفجي، جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ.

٢- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

٣- وفيق صفوت مختار، سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، القاهرة، دار غريب، ٢٠١٠م.

٤. كريمة الخطيب: التوحد، مجلة العربي، الكويت، وزارة الإعلام، يناير ١٩٩٤م، العدد: ٤٢٢.

٥ - إسماعيل عبدالفتاح عبدالكا... الأوتيزم، مجلة الخفجي، ذو الحجة ١٤٢٤هـ / يناير - فبراير ٢٠٠٤م.

٦ - محمد علي كامل: الأوتيزم .. الإعاقة الغامضة بين الفهم والعلاج، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٣ م.

فكر

البطانة وأثرها في الأمة

محمد شعبان

كثيرًا ما ينتابنا شعور بالغم والهم والحزن من أولئك المتسلقين الذين يتقربون، لأجل منافع شخصية محضة، من أصحاب القرار في أي إدارة أو مؤسسة أو دولة، إنهم بكل سهولة يصفون أنفسهم بأنهم أهل الثقة، أهل الحظوة والقرب، الذين يرون ما لا يراه الآخرون!

والحق أنني كثيرًا ما بحثتُ عن الأسباب السيكولوجية والأخلاقية التي تدفع هؤلاء إلى فعل ما يفعلون، فوجدتُ أمرين يدفعان هؤلاء في طريقهم المجهول، أما السبب الأول، فيكمن في الشعور بالنقص، وعدم الثقة في الذات، وأما الثاني فالبحث عن المصلحة الشخصية المحضة التي تغمط حقوق الآخرين، ومن ثم تقوي شوكتهم، وتجعلهم مثل «حكومات خفية» في ظل الشرعية المتعارف عليها بين الجميع، كل هذا في غياب التربية الإيمانية والعملية الصحيحة.

لقد حسب هؤلاء أنهم يُحسنون صنعًا لأنفسهم وللآخرين حينما يُقحمون رأيهم لأصحاب القرار، وحول رؤيتهم الثاقبة للآليات المثلى لإدارة أي مكان كان، فالدور المحوري لهم يكمن في كونهم- من وجهة نظرهم- أنشط العناصر الفاعلة في إنجاز العمل- الذي يعني سرعة + جودة- إنهم، كما يرون، «لُقطة» لأي مؤسسة كانت، وغرة على جبين جميع الموظفين الآخرين الذين يفتقدون للباقتهم وحسهم المهني العالي... هذه هي أوهامهم، وتلك هي فلسفتهم، فغايتهم في الحياة أن يكونوا من أهل الثقة، ومن دونهم مجموعة من التروس الجاهلة التي تدور في موتور المؤسسة الكبير!

ومن اللافت أن الإسلام قد حذّر كل أمير ووال ومسؤول من بطانة السوء، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ١١٨)، ونرى الإمام ابن كثير (رحمه الله) يُفسر هذه الآية الكريمة بقوله: «يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يُطلعونهم على سرائرهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي يَسْعَوْنَ في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعْنِتُ المؤمنين ويخرجهم ويُشقّ عليهم» والآية، وإن

من أسباب انهيار حكم فرعون تقريبه لأهل الظلم والفساد وعلى رأسهم هامان

كانت مخصوصة بالمنافقين والكفار وغيرهم، تحذّر بصفة عامة من اتخاذ بطانة السوء وأهل الهوى ومعدومي الكفاءة والخبرة، كما حذّر النبي ﷺ كل أمير ومسؤول فقال ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى» (البخاري: كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام، وأهل مشورته- ٦٧٧٣)، وفي رواية النسائي: «ما من وال إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا، فمن وُقِيَ شرّها فقد وقي، وهو من التي تغلِبُ عليه منهما» (سنن النسائي: كتاب البيعة، باب بطانة الإمام (٤٢٠١)، وقال الألباني صحيح)، فتأمل أيها القارئ العزيز هذا الحديث الشريف، بتلك الروايتين الصحيحتين اللتين تخبرانا بحقيقة خالدة تبرز نفس الإنسان، وتكشف ستر أهل الثقة العظيم.

إن الحديث الشريف ينصح كل أمير ووال، فينبهه إلى البطانة الصالحة التي تأمره بالمعروف، وإن كان كلامها ثقيلًا على النفس؛ ليطلب ودها، ويقربها إليه، كما يحذّره من البطانة الفاسدة، وإن كان كلامها محببًا إلى النفس، وأفعالها الظاهرة تُحسبك أنهم من أحب أحبائك.

لكن اللافت في رواية الإمام النسائي، قوله ﷺ: «وهو من التي تغلِبُ عليه منهما»: أي والوالي أو الأمير أو أي مسؤول كان، يتأثر بمن حوله، فإن كان مقربًا لأهل المعروف والخير كان منهم، وإن كان يسمع لأهل السوء، وبطانة الفساد فهو منهم؛ فـ«الرجل على دين خليله» (سنن الترمذي- ٢٣٧٨، وسنن أبي داود - ٤٨٣٣، وقال أبوعيسى الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن). وبالمناسبة فلا أحد يستطيع أن يتهم أهل الثقة الحقيقيين بشيء، ولا نستطيع أن نقول في حقهم نصف كلمة، إن كانوا أهل ثقة فعلًا، فإن كانوا ممن يتقنون أعمالهم، ولا يتلونون حسب المواقف والوقائع فلا غبار عليهم، ولا مشاحّة فيهم، لكن البطانة التي تحسب نفسها أهل ثقة، وهي في نظر الجميع ليست كذلك، فهي واهمة كل الوهم، تعيش في ظلمات وهي لا تعي، ثم تكون عواقب مشوراتها مدمرة!

ولقد حذّر النبي ﷺ النمامين الذين ينقلون الوقائع والكلام بغية الإفساد بين الإخوة، ولرغبة نابعة من حسد دفين لمحو الحب والاحترام المتبادل بين المتحابين، فقال ﷺ: «أَلَا لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ» (سنن أبو داود ٤٨٦٠، ومسند أحمد ٣٧٥٩، وسنن البيهقي الكبرى ١٦٦/٨، حديث رقم ١٦٤٥٢، ومسند أبي يعلى ٥٣٨٨، قال الألباني: ضعيف- الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود ٣٦٠/١٠).

ولذلك فقد تنبّه كثير من أمراء وخلفاء الإسلام لهذا الأمر، وكانت القاعدة التي يفهمونها جيدًا، ويعملون بها تكمن في حسن الظن بجميع الرعية حتى يثبت العكس بالأدلة والشواهد والبينات، وعندها يعملون وفق ضوابط التشريع الحكيم، لا ما يمليه عليهم الهوى أو الانتقام، ولذلك لم يكن الخليفة الأموي

* كاتب صحافي

عبدالملك بن مروان يسمح لأحد أن يداهنه أو يتحدّث عن أحد من الرعية بدون وجه حق، أو يضيع وقته فيما لا يفيد، فقد رُوِيَ أن رجلاً «سأل عبد الملك أن يخلو به، فأمر عبدالملك مَن عنده بالانصراف، فلما خلا به، وأراد الرجل أن يتكلم، قال له عبدالملك: احذر من كلامك ثلاثًا: إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعى إليّ بأحد من الرعية فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى جوري وظلمي، وإن شئت أقلتك، فقال الرجل: أقلني فأقاله» (ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٤٢/٣٧)، وإنه مما يلفت الانتباه حقا أن المنهج الإسلامي في التعامل مع البشر يقوم وفق فلسفة الميزان، أي معرفة حسنات المرء وسيئاته، ومعرفة تاريخه وحقيقة أخلاقه العامة، ثم التعامل معه وفق الغالب على أمره، هذا التعامل لا يكون وفق الهوى الشخصي المحض بل يتكئ على شرع الله المنزّه، ولنا في تعامل النبي ﷺ مع الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة أسوة حسنة، وقدوة طيبة للتدليل على ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه، قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخ (مكان قريب من المدينة)، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً (أي امرأة في هودج) مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟ قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ؛ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ. فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، قَالَ عَمْرٌو (بن دينار أحد رواة الحديث): وَنَزَلَتْ فِيهِ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾» (البخاري: كتاب التفسير، باب سورة الممتحنة- ٤٦٠٨)، فهذه الحادثة الجليلة التي حدثت من صحابي شهد بدرًا، قوبلت من رسول الله ﷺ، وهو القائد الأعظم لهذه الأمة بموقف كله حلم وأناة، حيث نظر إلى تاريخ حاطب رضي الله عنه فوجده مشرقًا، ومجاهدًا في سبيل الله، فقارنه بما اقترفه من جرم- وهو جرم لا ريب عظيم- فلم يكن منه ﷺ إلا أن يعفو عنه، في ظل إلحاح من عمر رضي الله عنه ليقتله.



إن هذه النظرة المقاصدية للأمور الحياتية العامة ترشدنا إلى الآليات الحقيقية في التعامل مع بعضنا البعض، فالموقف رغم أهميته، لا يجب أن يكون العامل الأول والأخير في الحكم على الشخص المعني، فتاريخه خير شاهد عليه، ثم شهادة الجميع عليه- لا ثلة قليلة اختزلت الرأي لنفسها- أفضل حاكم وشاهد.

ولا ريب أنه كانت للبطانة الفاسدة دورها المحوري العظيم في انهيار الأمم، ومما يلفت الانتباه في قصة فرعون موسى، أن أحد الأسباب الرئيسة التي أودت بحكمه وملكه، وانهيار قوته وهلاكه، تكمن في تقريبه لأهل الظلم والفساد والبغي، وعلى رأسهم هامان؛ فلقد ذكره القرآن الكريم في ستة مواضع، ثلاثة في سورة القصص، وواحد في سورة العنكبوت، واثنين في سورة غافر، كلها تصفه بالمجرم العاتي، المتزعم البطانة الفاسدة التي وقفت أمام الحق، واستهزأت بالبرهان الواضح، والدليل البين الذي جاء به موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه.

ولنا في تاريخنا الإسلامي عشرات الأمثلة التي تؤكد لنا خطر البطانة الفاسدة على هذه الأمة، فابن العلقمي وزير المستعصم آخر خلفاء الدولة العباسية، كان له أثره البالغ في انهيار الخلافة، ومقتل أهل بغداد عن بكرة أبيهم، وزوال الملايين من الكتب الشرعية والعلمية نتيجة إغراقها في النهر، وما ذلك إلا لتعاونه مع التتار الغزاة، فضلا عن مشوراته الفاسدة التي قللت عدد الجيش من مائة ألف مقاتل إلى عشرة آلاف، ونهيه الناس أن يقاتلوا التتار، وغيرها من قراراته الهادمة.

وفي مصر الحديثة، وجد الخديو إسماعيل في عام ١٨٦٣م أن النظام القضائي الذي يخضع له الأجانب في حالة فوضى شديدة، وفكر إسماعيل في إنهاء كل هذه الفوضى وإعادة الحكم بالشريعة الإسلامية، ولكن بطانة السوء التي لا تأمر إلا بالشر ولا تدعو إلى خير أبدا خذلته عن ذلك، حيث عمل الحاقد نوبار الذي كان يعمل وزيرا للخارجية إلى إيجاد فكرة المحاكم المختلطة، وقد وافقت الدول صاحبة الامتيازات على فكرة نوبار باشا، لأنها تهدف في المقام الأول لإقصاء الشريعة، وبالفعل قامت المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٠م، وقد اشترطت الدول الأجنبية أن تكون مصادر تلك المحاكم المختلطة مستمدة من القوانين الفرنسية! وقد كلف محام فرنسي يدعي مونوري بوضع القوانين التي ستطبق في تلك المحاكم!

ومما سبق نتيقن أن للبطانة دورها المحوري العظيم في قيام الأمم وانهيارها، ولذلك حذّر الإسلام كل مسؤول من اتخاذ بطانة السوء، وأعوان الباطل، فهم المنتفعون الحقيقيون بهذا القرب، وتلك النجوى، وصدق معاوية بن يزيد بن معاوية حينما قال- عندما خلع نفسه من الخلافة وجعل الأمر شورى- لمن أرادوا أن يعدلوه عن قراره هذا؛ أو يجعلوا أمره في أهل بيته: والله ما ذُقْتُ حلاوة خلافتكم، فكيف أتقلد وزرها وتتعجلون أنتم حلاوتها، وأتعجل مرارتها؟!

المراجع

- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١٠٦/٢.
- انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٢٣٤/١٣.
- دكتور عبدالحق حميش، بحث بعنوان «عوامل انحسار القضاء الشرعي في بعض المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر»، مؤتمر القضاء الشرعي في العصر الحاضر: الواقع والآمال، كلية الشريعة جامعة الشارقة، ١٣ - ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ ١١-١٣ أبريل ٢٠٠٦م.
- المسعودي: مروج الذهب ٨٢/٢.

مسجد «قوَّة الإسلام» أو «قُطب مَنار» في دلهي

قال ابن بطوطة ت: ٧٧٩هـ في كتابه تحفة النظّار: «... دِلْهي قاعدة بلاد الهند، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة، الجامعة بين الحسن والحصانة، وعليها السور الذي لا يُعلم له في بلاد الدنيا نظير، وهي أعظم مدن الهند ...».

تقع دلهي في موقع جغرافي متميز، حيث تحيط بها التلال من جهتين، ونهر جمنة من الجهة الثالثة، وهي إقليم يتألف من ثلاث مناطق: دلهي القديمة، ودلهي الجديدة نيودلهي، ومعسكر دلهي، وتبلغ مساحة الإقليم ١٤٨٣كم٢، وعدد سكانه ١٣مليون نسمة، يشكل المسلمون فيه أكبر أقليَّة.

وتتألف دلهي القديمة من متاهة من الشوارع الضيِّقة الملتوية، تتخللها بعض الشوارع العريضة، وتضم أجمل المعالم الإسلاميَّة، مثل منارة مسجد «قُطب منار» التي أسست سنة ٥٩١هـ .١١٩٣م، ومسجد «دلهي الجامع»، أكبر مساجد الهند، ومن أعظم مساجد الدنيا وأجملها، أمَرَ ببنائه السلطان «شاه جهان» سنة١٦٦٠م، ومسجد «اللؤلؤة» الذي بناه «أورنجزيب» خليفة «شاه جهان»، وهو مسجد صغير، لكنه تحفة فنية نفيسة.

كما توجد في دلهي جامعات عدة منها: جامعة دلهي، وجامعة نهرو، والجامعة المِلِّية الإسلامية، كما يوجد فيها الكثير من الأكاديميات الخاصة بالفنون التطبيقية واللغات، وغيرها.

وتعد اللغة الهندية الأكثر شيوعًا في الهند، كما تستخدم اللغة الإنجليزية بكثرة، ومن اللغات الأخرى المستخدمة البنجابية، والأوردية، والبنغالية.

تنقلت العاصمة الهندية بين عدة مدن؛ فنقلها «تيمورلنك» من «دلهي» إلى «آكر»، ثم أعادها «بابر» إلى دلهي التي تعرضت لهجوم كاسح في عهد «نادر شاه» سنة ١٧٣٩م، ثم استولى عليها البريطانيون عام ١٨٠٣م، واتخذوا «كلكتا» عاصمة للهند البريطانية، وفي سنة ١٩١١م أعلن الملك «جورج الخامس» أثناء زيارته للهند نقل العاصمة إلى «دلهي» التي ظلت عاصمة للبلاد بعد أن نالت استقلالها سنة ١٩٤٧م.

الإسلام في الهند

الإسلام في الهند ثاني أكثر الديانات، وتعتبر الهند ثالث أكبر بلد من حيث عدد المسلمين في العالم حيث بلغ عدد المسلمين فيها أكثر من ١٠٠ مليون، بحسب آخر الإحصاءات، حيث يشكلون فيها وحدة حضارية لها شخصية مستقلة تستمد مكوناتها من التراث العربي الأصيل والحضارة الهندية العريقة.

ويرجع فضل انتشار الإسلام في شبه القارة الهندية إلى دعاة العرب الذين تشبعوا بروح الإسلام السمحة، فأناروا الطريق لنشر الدعوة الإسلامية في ربوعها عقب ظهورها في الجزيرة العربية مباشرة، وبذلوا الجهود في سبيل نشر دين الله الحنيف بطريق الموعظة والإرشاد والقدوة الحسنة، الأمر الذي ساعد على استمرار السيادة الإسلامية على الهند ما يقارب ألف سنة.

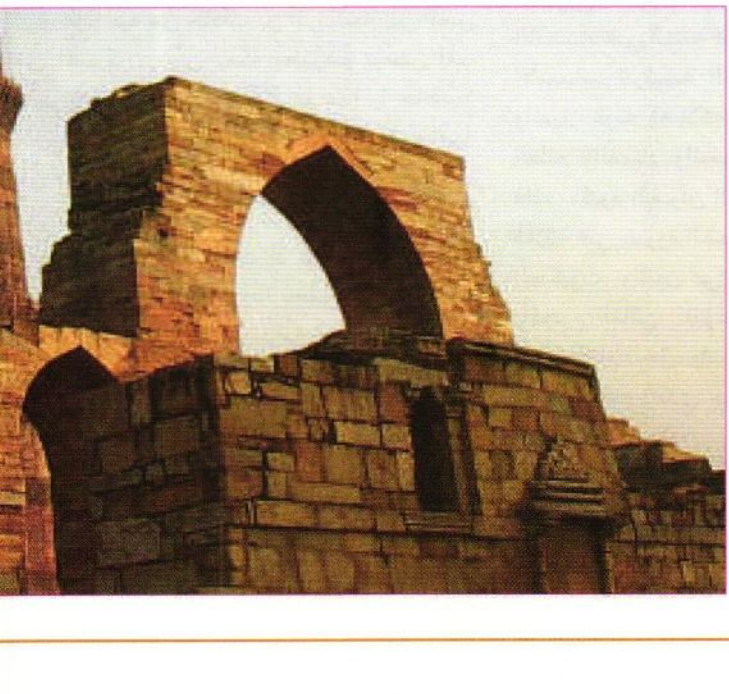
كان محمد بن القاسم ت: ٩٥هـ أول قائد مسلم تظلل راياته أطراف الهند، إلا أنَّ الفتح الشامل لم يتم إلا في عهد الأمير الغزنوي «سبكتكين» وابنه «محمود» في الفترة من ٩٧٧م حتى ٩٩٧م، ثم أعقبتها الدولة الغورية التي امتدت حتى العام ١٢١٥م، وكان السلطان «محمد الغوري» يشتري المماليك ويخصّهم بعنايته، ويعدهم للغزو والجهاد، ويرقي منهم من تؤهله ملكاته ومواهبه للقيادة ومناصب الحكم، وعُرف من بين هؤلاء المماليك «قطب الدين أيبك» ت: ٦٠٨هـ- ١٢١٠م الذي ولّاه «الغوري» ولاية دلهي.

بعد وفاة السلطان «محمد الغوري» تهيأت الظروف لأن تبرز مدينة دلهي، باعتبارها عاصمة لدولة سلاطين المماليك بالهند، وانفرد «قطب الدين أيبك» بحكمها، بموافقة القادة الأتراك، الذين كانوا يعلمون برغبة السلطان في أن يظل «أيبك» في منصبه، فعمل على تصريف الأمور واستتباب الأمن



تركي محمد النصر ●

● إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية



فـي ولايـتـه، حيـث كـان قـائـدًا مـاهـرًا وحاكمًا عـادلًا، يتمسك بالإسلام، ويكره الظلم، ويبغض نظام الطبقات الذي كان سائدًا في الهند، ويُنسب له في دلهي مسجد رائـع ضخـم ذو منـارة شاهقة شامخة، لا تـزال قائمة حتى اليوم تُعْرف باسمه «قطب منار».

أسماؤه

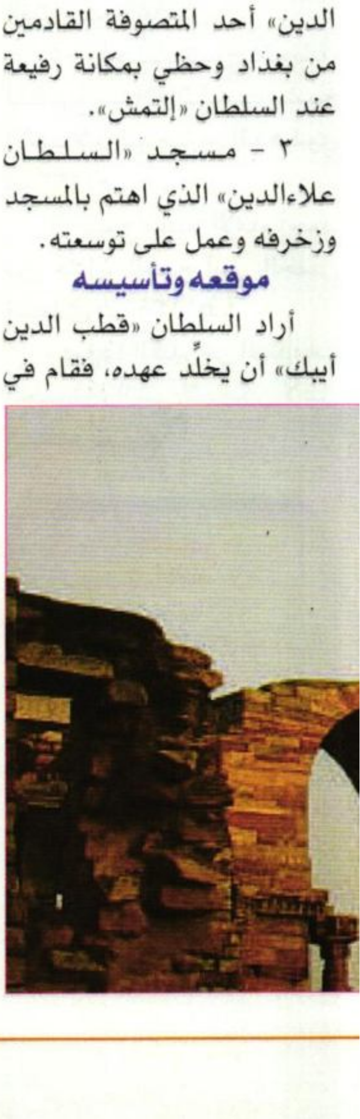
١- مسجد «قـوَّة الإسلام»، نسبة إلى فترة القوَّة والمَنَعَة التي كانت تتمتع بها دولـة المماليك أثناء بناء المسجد.

٢ - مسجد «قُطب مَنار»، نسبة للسلطان «قُطب الدين أيبك» أول سلاطين المماليك في الهند، أو نسبة إلى «خواجه قطب الدين» أحد المتصوفة القادمين من بغداد وحظي بمكانة رفيعة عند السلطان «إلتمش».

٣ - مسجد «السلطان علاءالدين» الذي اهتم بالمسجد وزخرفه وعمل على توسعته.

موقعه وتأسيسه

أراد السلطان «قطب الدين أيبك» أن يخلِّد عهده، فقام في



أوَّل مسجد بُني في دلهي عام٥٩١هـ ... وهو أضخم المعالم التاريخية في الهند

سنة ١١٩٣م ببدء الأعمال لبناء مسجد ضخم لا مثيل له في الهند، إلا أن الظروف لم تسعفه إلا في إكمال المستوى الأول، حيث وقع من على ظهر فرسه وتوفي سنة ٦٠٨هـ- ١٢١٠م، فقام بعده السلطان إلتمش (ت: ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م) بإضافة ثلاثة مستويات أخرى، ثم قام فيروز شـاه (ت: ١٣٨٨م) بإضافة المستوى الخامس وهو آخرها.

تم تخطيط هـذا المسجد ليتكون من فناء أوسط، يكتنفه من جهة القبلة بيت الصلاة، ومنبر جميل مصنوع من الحجر الجيري والرخام، أما المجنبتان فتتكون كل منهما من رواقين، بينما تتكون مؤخرة المسجد من ثلاثة أروقة. وأهم ما يمتاز به المسجد تلك المئذنة الهائلة التي تسمى بالقطب منـارة، وهي أشبه بنصب تذكاري، حيث يبلغ ارتفاعها نحو ٧٣م تقريبًا، ويزيد قطر قاعدتها على ١٥م، ثم تضيق المئذنة في صعودها شيئًا فشيئًا حتى يصل قطر أعلاها إلى ٣ أمتار، ويوجد بداخلها درج حلزوني يعد٣٧٩ درجة، يمكن عن طريقه الوصول إلى القمة، قال ابن بطوطة في وصفها: «... وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرِّها، بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة...».

أما بدن المئذنة فهو مضلَّع الشكل، تتخلَّله ثلاث شُرفات للأذان، ترتكز كل شُرْفة منها على صفوف من المقرنصات.

يجمع المسجد بين أسلوبي العمارة الإسلامي والهندي، واستُعملت في بنائه الأحجار الرمليَّة حمراء اللون، بينما أكمل المستويان الأخيران بالرخام الأبيض، وتم زخرفة جدران المبنى بالنقوش والآيات القرآنية، وتعتبر جدرانه العالية، وقبابه البصلية من أهم المعالم التي ميَّزت المسجد من الناحية المعمارية، حيث يُعتبر أعلى مبنى حجري في الهند، وأحد المعالم الإسلامية الفريدة من نوعها.

وإلى الغرب من المسجد يوجد ضريح السلطان «إلتمش» شُيِّد عام ١٢٣٥مـ، الأمر الذي لم يألفه أهل الهند، لأن العادة جرت عندهم أن يتم حرق جثث الموتى لا دفنها.

تجديده

وقد جُدِّد المسجد ووُسِّعت مساحته مرات عدَّة:

التجديد الأول، في سنة١٢٢٠م، حيث تم زيادة المسجد زيادة ضخمة ضاعفت مساحته أكثر من ثلاث مرات، مع العناية به وبتجميله.

التجديد الثاني، في سنة ١٢٩٥م، حيث تم زيادة مساحة المسجد مرة ثانية، فوصل طوله إلى ٢٢٥ مترًا، وعرضه١٥٠مترًا، لتصبح مساحته الإجمالية نحو ٣٤ألف كم٢، وصار يتسع لنحو٧٠ ألف مصلٍ دفعة واحدة.

التجديد الثالث، في سنة ١٣٠٥م، حيث فتحت في سور المسجد أبواب عدة، جُعِلَ كل واحد منها على صورة مصلًّى صغير، تقوم فوقه قبة.

التجديد الرابع، في سنة ١٣١٠م، وما بعدها، حيث كانت تقوم أعمال الترميم الدورية في المسجد.

وغير بعيد عن المسجد يوجد عمود حديدي ضخم يبلغ طوله ٧ أمتار، يعود تاريخه إلى القرن السابع للميلاد، قام بتنصيبه «الراجا كوبتا»، على شرف «فيشنا» آلهة هندوسية، استطاع هذا العمود أن يصمد أكثر من ١٦٠٠عام في وجه الصدأ والمناخ الرطب في الهند.

تاريخه العلمي

كان لمسجد دلهي الجامع أثر كبير في تأسيس وتنامي النهضة العلمية والدينية في البلاد، حيث أُنشئ المسجد في فترة زمنية كانت البلاد تنعم خلالها بالقوة والمنعة والعزَّة، فبالإضافة إلى الدور الذي قام به المسجد من أداء للصلوات الخمس، وخطبة الجمعة، وصلاة التراويح، وغيرها من المناسبات الدينية.. امتلأت زواياه بحلقات العلم التي كانت تدرِّس شتى الفنون الدينية من قراءة قرآن، وفقه، وعقيدة، ولغة عربية، وغيرها من الفنون، ومسجد بهذه المكانة والعراقة والقدم لابد أن يكون علماء الهند الكبار قد وفدوا إليه واستقوا مما فيه، خصوصًا أولئك الذين أدوا أدوارًا رائعة، وتركوا آثارًا خالدة في مجال الدعوة والتصنيف والتأليف، منهم:

● في القرآن وعلومه:

١. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، كان حيًّا سنة ٧٢٨هـ، هو أول من فسر القرآن باللغة العربية في الهند، وكتابه «غرائب القرآن

ورغائب الفرقان».

٢. علي علاء الدين بن أحمد بن علي المهائمي الهندي، ت٨٣٥هـ، وهو من أعلام الهند ومن علماء الأحناف الأجلاء، وكتابه «تيسير المنان في تفسير القرآن».

في الحديث، فقد كان له علماؤه النجباء، منهم:

١. رضي الدين حسن بن محمد الصاغاني، ت: ٦٥٠هـ، وهو من أشهر المحدثين الفقهاء في زمانه، ومن أشهر مؤلفاته «مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية».

٢. عبدالأول بن العلاء الحسيني الجونفوري، ت:٩٦٨هـ، وكتابه «فيض الباري في شرح صحيح البخاري».

● في الفقه، حيث اهتم علماء الهند بالفقه اهتمامًا كبيرًا، وركزوا عنايتهم على الفقه الحنفي، وأشهرهم:

سراج الدين الغزنوي الهندي، ت:٧٧٣هـ، أو «سراج الهند» قاضي الحنفية، تفقه على «وجيه الرازي»، وله كتب عديدة منها «زبدة الحكام في اختلاف الأئمة الأعلام»، و«الغرة المنيفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة»، و«الفتاوى الحمادية»، وهو من أهم ما كتب في شبه القارة عن الفقه الحنفي.

● في التاريخ الذي حظي باهتمام بالغ، ومن أشهر المؤلفين في مجال التاريخ: الشيخ زين الدين بن عبدالعزيز الشافعي المليباري، ت:٩٨٧هـ، صاحب كتاب «تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكاليين»، وكتاب «إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد».

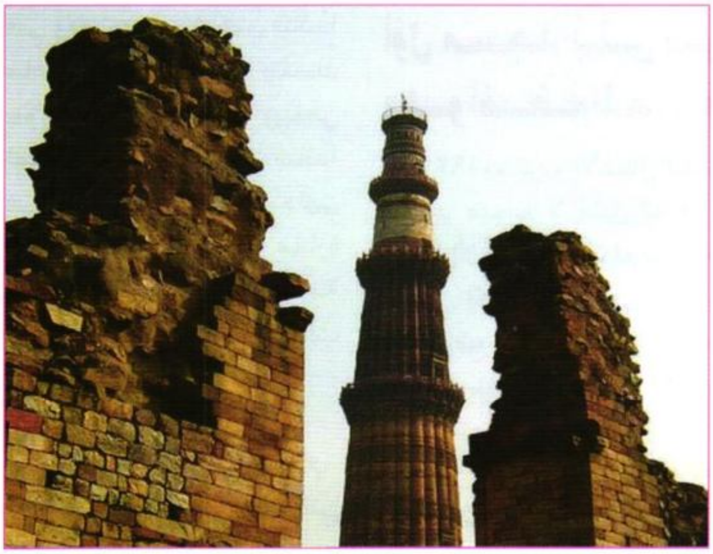
● في اللغة العربية حيث أسهم علماء مسجد «قوَّة الإسلام» وغيرهم من علماء الهند في استقرار اللغة العربية في الأرجاء الهندية، وراح الهنود يقبلون على تعلم اللغة على أنها لغة دينهم، فكان منهم:

● أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي، ت:٧٢٥هـ، الإمام العلامة الذي قيل إنه أشهر مشاهير الشعراء في الهند، والعلامة السيد عبدالجليل الحسيني الواسطي، ت:١١٣٨هـ.

● في الأدب، الشيخ الأديب: عبدالحق الدهلوي، ت: ١٦٤٢م، المحدث والأديب الهندي الكبير، ألَّف بالعربية والفارسية، وأهم آثاره: «مدارج النبي»، و«تاريخ حقي» أو «تاريخ عبدالحق».

● في الزهد اشتهر الشيخ الإمام: ركن الدين الملتاني، ت: ٧٣٥هـ، أبوالفتح بن محمد بن زكريا القرشي، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، له شأن كبير في إرشاد الناس وهدايتهم إلى طاعة الله.

هذا ولا يتسع المقام لذكر العلماء والمحدثين والأدباء والفلاسفة والمفكرين الذين وفدوا، ودرسوا، وتخرجوا من المسجد، حيث كوَّنوا مع بقية علماء الهند أشبه بجامعة شاملة للفنون كافة، حيث تُعَدُّ الهند اليوم بآثارهم من المراكز الرئيسية للثقافة الإسلامية في العالم؛ إذ تضم مئات المعاهد والمدارس التي تقوم بتعليم الكتب الحديثية، واللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية وتراثها، وأهمها المدرسة الإسلامية التي أقيمت عام ٣٨٤هـ، وكانت نواة لعدد من المعاهد الدينية التي شيدت بعد ذلك على غرارها، هذا إلى جانب الجامعات الحكومية والمؤسسات الرسمية العديدة التي تعنى بالبحوث الإسلامية في شتى جوانبها، ولكن من الملاحظ أنه قلّما نجد أحدًا في البلاد العربية يتحدث عن الحضارة الإسلامية واللغة العربية في شبه القارة الهندية، لا عن عصبية جنسية أو نزعة سياسية، ولكن لقلة وجود المصادر العربية والمراجع العلمية في هذا المجال.



هذا، ولا يمكن أن تُنسى الخدمات الجليلة التي تركها علماء دلهي خاصة والهند عامة في خدمة كتب الحديث المسندة وشرحها والاعتناء بها، وفيما يلي بعض هذه الجهود غير ما تم ذكره أعلاه:

١- شرح تراجم أبواب صحيح البخاري، للشاه ولي الله الدهلوي ت: ١١٧٦هـ.

٢- المعلم في شرح مسلم، للشيخ يعقوب البناني ت: ١٠٩٨هـ.

٣ - فتح الودود حاشية على سنن أبي داود، للشيخ محمد بن عبدالهادي السندي ت: ١١٣٩هـ.

٤- شرح على جامع الترمذي، للشيخ محمد طاهر الفتني ت: ٩٨٦هـ.

٥- المحلّى شرح الموطأ، للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام البخاري الدهلوي ت:١٢٣٣هـ.

٦- شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل، للشيخ أبي الحسن السندي ت: ١١٣٨هـ.

وغيرها الكثير من الخدمات الجليلة، التي لا يمكن لأهل الصنعة نسيانها.

المصادر

١-الكامل لابن الأثير.
٢- رحلة ابن بطوطة.
٣- من أعلام الفكر العربي، د.ليلي الضباع.
٤- تاريخ المساجد الشهيرة في العالم.
٥- اللغة العربية في الهند عبر العصور، لخورشيد أشرف إقبال الندوي.
٦- الأعلام للزركلي.
٧- جهود محدِّثي شبه القارة الهندية، د.سهيل حسن عبدالغفار.

العلامة الشيخ عبدالله الغديان - يرحمه الله-

١٣٤٥-١٤٣١هـ

أ.د. وليد المنيس

فقد العالم الإسلامي وعلى الأخص منطقة الجزيرة العربية علمًا وعالمًا مبرزًا هو العالم العلامة الأصولي الفقيه الشيخ عبدالله الغديان الذي توفي في الرياض، ظهر الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ عن عمر يناهز الحادي والثمانين عامًا رحمه الله تعالى.

- التعريف بالشيخ ومولده:

هو العلامة الفقيه الأصولي عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرزاق بن قاسم آل غديان، من بني تميم، كان عضوًا في هيئة كبار العلماء وعضوًا للجنة الدائمة للإفتاء، انتفع به العلماء وطلاب العلم والمسلمون كافة سنين طويلة، ولد عام ١٣٤٥هـ في مدينة الزلفي، وسافر الى الرياض مبكرًا عام ١٣٦٣هـ وهي التي أمضى فيها جل عمره.

- طلبه للعلم ومشايخه:

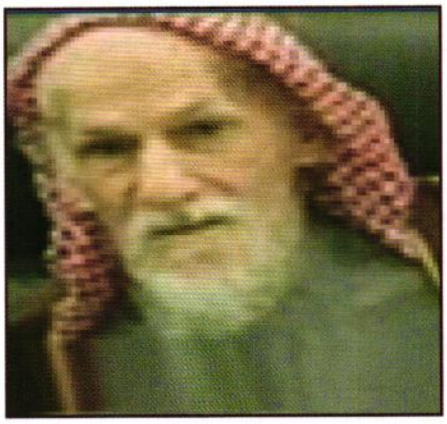
طلب العلم مبكرًا كعادة أهل زمانه، حيث قرأ في صغره على عدد من المشايخ بسعي ومتابعة من والده، منهم عبدالله بن عبدالعزيز السحيمي، وعبدالله بن عبدالرحمن الغيث، وفالح الرومي، كما تلقى مبادئ الفقه والتوحيد والنحو والفرائض على الشيخ حمدان بن علي الباتل، ثم أكمل دراسته في مدارس الرياض، فدرس الابتدائية وأكملها عام ١٣٦٨هـ، وعين مدرسًا في المدرسة العزيزية، ثم دخل المعهد العلمي عام ١٣٧١هـ وفي أثناء ذلك كان يتلقى العلم على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم واصل دراسته إلى أن تخرج في كلية الشريعة عام ١٣٧٦هـ، ثم عين رئيسًا لمحكمة الخبر، ثم نقل للتدريس في المعهد العلمي عام ١٣٧٨هـ، وفي عام ١٣٨٠هـ عين مدرسًا في كلية الشريعة، وفي عام ١٣٨٦هـ نقل كعضو للإفتاء في دار الإفتاء، وفي عام ١٣٩١هـ عين عضوًا للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إضافة الى عضوية هيئة كبار العلماء.

- انتفاعه بكبار العلماء:

استفاد الشيخ عبدالله بن غديان رحمه الله من كبار علماء زمانه وانتفع بهم، ومن أبرزهم العلامة البحر الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي العام، والعلامة المفسر محمد الأمين الشنقيطي في الفقه والتفسير، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله الخليفي في الفقه وغيرهم مما زوده بحصيلة وافرة من العلم مع ما وهبه الله من همة عالية وذكاء فطري فانتفع به الناس.

- طرف من سجاياه ومنهجه وسمته في مجالسه العلمية:

امتاز العلامة الشيخ ابن غديان بعدد من السجايا كما أن له منهجًا في دروسه العلمية، ظهرت في كتابات تلامذته ومن لازمه مدة طويلة، وكذلك يتلمسها كل من جلس الى الشيخ أو سمعه أو شاهده وهي:



- قربه من طلبته في مجالسه العلمية:

يشاهد هذا في مجالسه العلمية الخاصة في مسجد الإفتاء حيث إن له مجالس علمية تتكرر في الأسبوع يُقرأ فيها عليه عدد من الأبواب والفصول من فنون العلم المختلفة، وقد شاهدت هذا بنفسي، وكيف يعرف الشيخ كل طالب باسمه أثناء القراءة عليه.

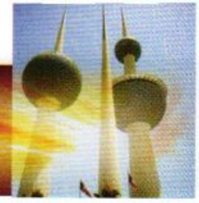
- وضوح لغته مع ترسله في العرض:

يلاحظ على الشيخ كذلك أنه واضح في لغته ويتحدث بالفصحى أحيانًا، مع تأن واضح في كلامه وترسل بحيث لو تابعه أحد الجالسين بقلمه لأمكنه تقييد كل كلامه بسهولة ويسر.

- تأصيله وتقعيده لإجاباته:

المتأمل لإجابات الشيخ عن الاسئلة الواردة إليه أو أثناء شرحه لدروسه يجد أن الشيخ كثيرًا ما يؤصل إجاباته ويقعدها فيربطها بالقواعد الأصولية والفقهية ما يوضح إجاباته ويجعلها سهلة الفهم للمتأملين والمتابعين.

• أستاذ في جامعة الكويت



كان الشيخ الغديان واضحاً في لغته يتحدث بالفصحى أحياناً مع التأني في كلامه

- قراءة أكثر من فن في المجلس الواحد:

يلاحظ في مجلسه العلمي أنه يقُرأ بين يديه عدد كبير من العلوم والفنون في المجلس الواحد مما يدل على غزارة علمه وحسن فهمه وشرحه لكل فن بحسب حاجة المجلس.

- تنوع شروحه بحسب المقام:

يلاحظ على الشيخ كذلك، تنوع درجات شرحه ولغته بحسب المقام، فتجد شرحه في الإذاعة في برنامج «نور على الدرب» يعتمد اللغة المباشرة فيجيب بحسب حاجة السائل الذي يحتاج إلى الاجابة المباشرة والقصيرة، وتجد شرحه في الحرم المكي في دروسه أكثر تفصيلًا لخصوصيته لمن يجلس إليه ما لم يكن مجلسًا عامًا، وكذلك تجد طريقته تأخذ منهجًا خاصًا إذا كان الدرس في مسجده، وكذلك في محاضراته في الجامعة أو مناقشته الرسائل العلمية ونحو ذلك مما يدل على مقدرته في مراعاة أحوال مجالس العلم.

- تبسطه وعدم تكلفه:

امتاز الشيخ رحمه الله كذلك بتبسطه وتواضعه في هيئته وملبسه مع مهابة وسمت لا يفارقه، فلا يجد المتحدث إليه أو الجالس صعوبة في الحديث إلى الشيخ خاصة إذا لمس من الطالب التأدب وحسن الكلام.

- الإمامة:

رغم مشاغله، رحمه الله، إلا أنه يتولى الإمامة في مسجد دار الإفتاء وكان سكنه قريبًا منه حينذاك وكانت صلاته تامة مخففة، ويطيل القراءة أحيانًا في المغرب، وصوته وترتيله على الطريقة النجدية، ما أحسنها حتى إني سجلت قراءته في إحدى الصلوات، واذكر أني صليت خلفه صلاة الظهر فلما قضيت الصلاة، جلس سماحة الشيخ ابن باز وشرح الآية ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾(التوبة:٦٧) مع ضد ذلك فكان شرحه من أحسن ما سمعت عليه الرحمة والرضوان.

- وصف مفصل لمجلس من مجالسه العلمية:

كنت أسافر سنويًا إلى الرياض في فترات سابقة وكنت أحرص على زيارة دار الإفتاء وكنت أزور الشيخ في مكتبه وكان يرحب ويستأنس بي، وقد طلبت منه أن أقرأ عليه قواعد العلامة ابن سعدي فوافق مشكورًا، وهاهنا وصف كامل لهذا المجلس **بقدر الوسع:**

كان المجلس بعد صلاة العشاء في مسجده والطلبة جالسون على شكل حلقة والشيخ ظهره للمحراب في مقدم المسجد وينتقل المكرفون من طالب إلى آخر كل يقرأ من الكتاب الذي اعتاد أن يقرأ منه، وعلى يمين الشيخ ويساره طلبته المقربون، وفي تلك الجلسة كانت الكتب التالية التي قرئت بين يدي الشيخ وأنا أسمع، كل يقرأ ما تيسر له بحسب ما يسمح المجلس، والشيخ يعلق باختصار:

١- «الكوكب المنير» لابن النجار في أصول فقه الحنابلة.

٢- «قواعد المقري» في المذهب المالكي.

٣- «الرسالة» للإمام الشافعي.

٤- «الموافقات» للشاطبي.

٥- «نيل الأوطار» للشوكاني.

٦- «فتح المغيث» للعراقي.

٧- «الجمع بين الصحيحين» للأشبيلي.

٨- «رفع الملام» لابن تيمية.

٩- «الإيمان» لابن تيمية.

١٠- «تشنيف السامع لجمع الجوامع» للسبكي.

١١- «قواعد الأحكام» للعز بن عبدالسلام.

١٢- «الكافي» في الفقه لابن قدامة.

١٣- «الإنصاف» للمرداوي (ج١٢).

١٤- «الفروق» للقرافي.

١٥- «القواعد والأصول الجامعة» لابن سعدي.

«القراءة من القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة»، وهي ستون قاعدة.

● فائدة من الشيخ: لما سألته عن الفرق بين القاعدة الفقهية والأصولية في مكتبه؟

- أجاب الشيخ عبدالله الغديان - رحمه الله- ولما شرع في الكلام أخرجت القلم لأكتب فقال لي: أولًا افهم ثم اكتب، ثم قال: القواعد الفقهية متعلقة بأفعال العباد والمكلفين، والمكلفون أصناف أربعة:

١- مشرك خالص وكافر .

٢- مؤمن خالص ممتثل.

٣- جزئي وهو مؤمن لكنه يزني ويشرب الخمر.

٤- صاحب نية حسنة لكن فعله غير صواب وهم المبتدعة، أحوال هؤلاء مباحث القواعد الفقهية، أما القواعد الكلية فهي قواعد كلية تتعلق بأحكام الدين، ثم قال لي لما زرته في مكتبه، ماذكرته لك هو فرق واحد وهناك خمسة فروق سأكتبها لك في ورقة (١٤رجب ١٤٢٠ هـ)..

- مختارات لأقواله أثناء القراءة عليه في القواعد الفقهية:

القاعدة الأولى

الشارع لا يأمر بما مصلحته خالصة أو راجحة ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة.

- قال العلامة الشيخ عبدالله الغديان:

لا يستثنى إلا بدليل مثل قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ (الأنعام: ١٠٨) فحرم السب لسد ذريعة سب الله تعالى.

القاعدة الثانية

«الوسائل لها أحكام المقاصد، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات ثابتة لها، ووسيلة المباح مباحة، ويتفرع عليها أن توابع الأعمال ومكملاتها تابعة لها».

قال العلامة الشيخ عبدالله الغديان

أي لها حكم الغايات، فالواجب وسائله واجبة والحرام وسائله حرام، والمباح وسائله مباحة، وقال عن قوله «توابع الأعمال... الخ» هذه غير الوسائل فهي مكملات كالشروط، فرجوعه الى بلده بعد الحج تابع، ودعوته في الصلاة تابع، والتوابع عبارة عن أمور متعلقة بالشيء الذي أمر به لكنها تقع بعد الانتهاء منه.

القاعدة الثالثة

«الوجوب يتعلق بالاستطاعة، فلا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة»

قال العلامة الشيخ عبدالله الغديان.

هذه القاعدة متفرعة من القاعدة الثالثة: «المشقة تجلب التيسير».

القاعدة الرابعة

الشريعة مبنية على أصلين: الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ.

قال شيخنا العلامة عبدالله الغديان:

هذه متفرعة من قاعدة «الأمور بمقاصدها»، وهذه القاعدة مركبة من ركنين أو شرطين: الإخلاص للقلب، والمتابعة وهي موافقة الشرع، والإخلاص مدخل المنافقين إذ لا إخلاص عندهم، والمتابعة مدخل المبتدعة إذ عندهم إخلاص لكن عملهم باطل.

ختامًا هذه مختارات لبعض أقوال الشيخ أثناء قراءتي عليه في مجلسه في مسجد دار الإفتاء في رجب ١٤٢٠هـ، وقد تيسر إتمام سماع تعليقه على القواعد فيما بعد.

● أقوال بعض طلابه الملازمين له،فمن طلابه الذين لازموه طويلا الأخ الشيخ أنس بن عبدالرحمن بن العلامة شيخنا عبدالله بن عقيل الذي لازم العلامة الشيخ ابن غديان من عام ١٤١٨ هـ إلى عام ١٤٣١ هـ وإلى قبل وفاته بأشهر رحمه الله.

يقول الشيخ أنس العقيل أبرز سمات الشيخ مايلي:

١- تبسط الشيخ في الملبس، فيلبس ملابس أوساط الناس وتشعر فيه مفهوم حديث «البذاذة من الإيمان».

٢- انفتاحه وتبسطه مع طلبته خاصة من سبرهم وعرف حالهم وتلطفه معهم على غير ما يظنه البعض أن فيه انغلاقا لقلة معرفته به، بل ويشجعهم على إتمام دراستهم كما في نصحه لتلميذه الأخ الشيخ أنس.

٣- تقديره لكبار العلماء، فمثلًا لما علم الجد الشيخ عبدالله بن عقيل أني ملازم للشيخ ابن غديان طلب زيارته فزاره وتذاكرا معًا واستمر الود بينهما ولا أحصي المرات التي قالها الشيخ الغديان في حق الجد الشيخ عبدالله بن عقيل بقوله عنه: جدك لحق زمن الخير... واستمر التزاور بينهما فترة إلى قريب وفاة الشيخ.

٤- تقديره لأقرانه وذلك أن الشيخ عبدالله الغديان لاحظ أني انقطعت عن درسه نحو أسبوعين فسألني أين كنت، فقلت له ذهبت إلى القصيم وقرأت على المشايخ وذكرت منهم أحد أقرانه فأيد سفري، ولما سمع قرينه قال في حقه: هو ثقة ثبت خاصة في العقيدة، ولما ذكرت له الشيخ عمر بن عبدالعزيز الشيلخاني فرغب في زيارته فزرناه في الفندق وتذاكرا المسائل الأصولية، وعلمت أن الشيخ عبدالله الغديان هو الذي اقترح على الشيخ عمر بن عبدالعزيز عمل كتاب «المعدول به عن القياس عند ابن تيمية».

٥- تنوع الفنون في مجالسه، فهو يعطي مفاتيح لكل علم حيث يقرأ بين يديه معظم الفنون والمذاهب الفقهية في المجلس الواحد.

٦- يدخل في المطولات ولا يتهيب من الصغير ولا الكبير من المصنفات، ويهتم بأن يعرف منهج الكتاب وطريقته وخلاصة كتابه وطرق الخلاف حتى وإن لم يتم الكتاب فيحصل النفع لطلاب العلم.

٧-نظرته الكلية للمسائل الشرعية، فيرد المسائل إلى أصولها، ويربط العلوم ببعضها، إلى الأصول أو القواعد، أو العقائد، ويستخرج الفروق، وهو من المتقنين لكتابي «الفروق» للقرافي، و«الموافقات» للشاطبي يحسن استحضارهما كاستحضاره لآيات الكتاب.

هذا آخر ما تيسر جمعه والحمد لله رب العالمين، ورحم الله شيخنا العلامة عبدالله ابن غديان وإنا لله وإنا إليه راجعون.



الإصلاح والتجديد عند المسلمين في العصر الحديث

د. محمود مسعود

قضايا الإصلاح تشغل كل الأمم في القديم والحديث، حيث إن الإنسانية تبحث دائما عن الأصلح لها، وكيف تسير إليه؟ وما الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى الإصلاح المنشود؟ سواء أكان هذا الإصلاح سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا، أم عقليا أم دينيا أم أخلاقيا...إلخ، لكن الإصلاح العقلي والديني هما محور كل إصلاح، فالغرض الرئيس منهما هو تجديد مسار الإنسان، ليجدد هو كل المسارات الأخرى، ولما كان محور إصلاح الإنسان هو عقله وقلبه، كان الإصلاح الديني والعقلي هما أهم شواغل الإنسان، فإذا كان عقل الإنسان بمثابة القاطرة التي تقوده إلى عمل الخير وعمل ما يفيده وما يصلحه، ليصلح هو الكون من حوله، كما يمكنها أيضا أن تقوده إلى ما يضره ويضر غيره من الكائنات، فإن روحه تعد بمنزلة السفينة التي يستريح عليها من همومه لينشط في استعمار الكون؛ لهذا يبحث الإنسان عن إصلاح عقله وفكره الديني ليحسن أداء رسالته، وقد سعى الغربيون إلى ذلك فنهضوا بأمتهم من التخلف العقلي إلى قمة السلم الحضاري، وحاولوا إصلاح التفكير الديني مع حركة الإصلاح وغيرها، ونجحوا في أشياء ولم ينجحوا في أخرى، فاضطروا في نهاية الأمر أن يحولوا الدين من سفينة عامة تحمل الأمة بأسرها، إلى مراكب صغيرة يمتطيها الأفراد، وكلما تقدم الإصلاح العقلي ومستلزماته الحضارية بعدت مراكب الأفراد بعضها عن بعض وضربتها الأمواج العاتية، فأصبح الغربيون في سعة العقل وفي تيه الروح معا.

أما المسلمون فقد انشغلوا هم أيضا بالإصلاح العقلي والديني إلا أنهم ظلوا يربطون الاثنين معا لكون الإنسان لا يبقى إنسانا إلا بعقله وروحه، ومقالنا هذا عن كتاب: مصادر التجديد عند المسلمين: من جمال الدين الأفغاني إلى حسن البنا، (aux sources du renouveau musulman d'al-Afgânî à Hasan al Bannâ**.) ومؤلف الكتاب مسلم غربي، مهموم بمواطنيه المسلمين الغربيين في المقام الأول، وهو المفكر المسلم طارق رمضان، وقد قدمنا له في العدد ٥٢٧ حين قدمنا كتابه: التحديات التي تواجه المسلم الأوروبي، وغرضنا من تقديم هذا الكتاب أن نبين دور الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي وصداها الواسع اليوم، حيث إن هذا الكتاب كان في الأصل أطروحة جامعية في جامعة جنيف بسويسرا، مما يدلل على صدى الحركة الإسلامية وتتبع نشاطها الفكري وصداه في الجامعات ومراكز البحث الغربي.**

الكتاب يدور في مقدمة وثلاثة أقسام تحوي تسعة فصول، يبدأ بفصل عن مصادر الإصلاح والتجديد في القرآن والسنة، وينتهي بفصل عن إعادة التفكير في الإصلاح من جانب بعض الحركيين المسلمين في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وفي تقديمنا لهذا الكتاب سنسير بمنهج مختلف شيئا ما عما تعودنا طرحه في هذا الباب، حيث لن ننشغل بعناصر الكتاب وبتفاصيل الجانب التاريخي بقدر انشغالنا بالقسم الأول منه وهو مصادر الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث، وهل الإسلام يمكن أن يكون عونا للإنسانية، بفتح آفاق جديدة من التعارف والتقارب والتعاون.. قدم لهذا الكتاب «ألان جرش» رئيس تحرير جريدة «لوموند دبلوماتيك» وقال: إن صوتا إصلاحيا مثل طارق رمضان يمكنه أن يوقف الصدام بين الحضارتين الغربية والإسلامية. ومن جانبنا نظن أن أي صوت إسلامي حقيقي ومتعقل يمكنه أن يتصالح مع الآخر، إذ إن الإسلام رسالة حانية على الإنسان تحب له الخير والأمن والسلام.

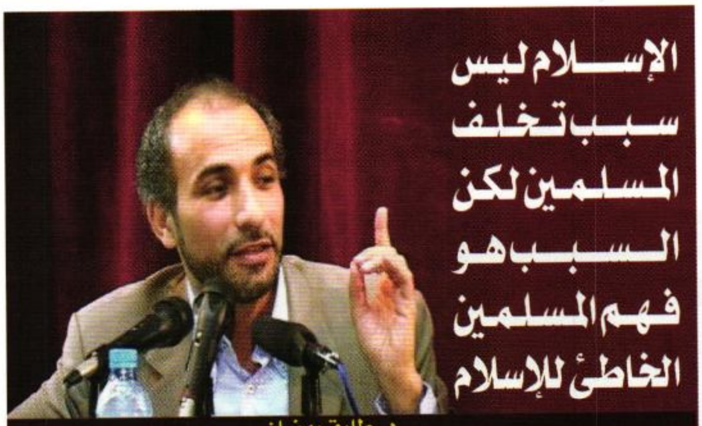
يبدأ مؤلف الكتاب حديثه مبينا أن القرن التاسع عشر كان محطة مهمة من محطات الإصلاح في العالم الإسلامي، حيث نظر المسلمون فوجدوا أن الغربيين قد قطعوا شوطا طويلا في التقدم العلمي والحضاري، وأنهم- أي المسلمين- تخلفوا عن ركب الحضارة، فلابد من الإصلاح وكان هناك رؤيتان عند المسلمين للتجديد والإصلاح، رؤية أرادت أن تلحق بالغرب عن طريق الغرب نفسه، فتجدد الإسلام كما جدد الغربيون المسيحية في القرن الخامس عشر، وعلى رأس هذه المدرسة كان هناك منصور فهمي وطه حسين وعلي عبدالرازق وغيرهم، وأخرى كانت ترى أن التجديد لابد أن ينطلق من ثوابت الإسلام نفسه، وإن لم تمانع من الإفادة من الغرب المتقدم في الجانب الحضاري، غير أنها كانت ترى أن الإصلاح الديني للغرب المسيحي لا يعنيها، ومن هؤلاء جل أتباع الحركة الإصلاحية المسلمين.

وانشغل المؤلف كثيرا في القسم الأول بدور جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، اللذين رسما خطوط الإصلاح والتجديد العقلي والديني للمسلمين مستندين على رسالة الإسلام ومنفتحين على غيرهم

• أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

مـن الأمم والـشـعـوب الأخـرى، وما صارت إليه من تقدم مادي وحضاري، وفي حين كان الإصلاح السياسي الديني المحور الرئيس عـنـد الأفـغـانـي كـان الإصـلاح التربوي الديني هـو الأهـم عند تلميذه محمد عبده، وكل إصلاح جاء بعد هذين الرجلين استند إليهمـا، فـالـقـومـيـون يـرون في كتابات عبده الوطنية مصدرا لهم، والإسلاميون يرون في فكر محمد عبده الإصلاحي أيضا مـصـدرا لـهـم، وقـد عـمـلـوا على تعميقه ومحاولة تطبيقه، وكان الإمام حسن البنا أكثرهم ميلا لهذا التطبيق العملي.

وفكرة تجاوز النظرة الضيقة والسطحية لنصوص الوحي، ومحاولة إيجاد نظرة حية وقادرة على العطاء والاستمرار، فيما يسمى بالتجديد ليست فكرة جديدة على المسلمين، فقد ظهرت منذ أن انحنى مؤشر الصعود الحضاري للأمة في نهاية القرن الخامس الهجري، فحاول علماء أفذاذ كأبي حامد الغزالي وابن تيمية أن يعيدا مؤشر الصعود للأمة من خلال تجديد النظر في نصوص الوحي وفهم المراد منها في عصرهم، ومنذ ذلك الحين والمسلمون يبحثون عن طرق التجديد، خاصة في القرن الخامس عشر الميلادي عندما فتح العثمانيون القسطنطينية في عـام ١٤٥٣م ونجحـوا في تجديد الوعي الديني والحضاري بإحياء التنظيمات السياسية والاجتماعية والتربوية، وبصفة خـاصـة فـي عـصـر الـسـلـطـان سليمان القانوني، لكنه بدءا من الـقـرن الـسـابـع عـشـر المـيـلادي عـاد مؤشر النهضة والتجديد في العالم الإسلامي إلى الوراء،



د. طارق رمضان

وغلب التقليد والنظرة السطحية للنصوص على فكر المسلمين، فجاءت محاولات الإصلاح تمهد الطريق للمسلمين ليفهموا رسالة الإسلام وفق عصرهم، ولم تكن حـركـات الإصـلاح تسـيـر على وتيـرة واحـدة، ففـي حـين كانت حركة محمد بن عبدالوهاب ترى أن إصلاح العقيدة هو الركيزة الرئيسة والأهـم، كانت محاولة السلطان محمود الثاني في عام ١٨٠٨م هي بناء جيش قوي على منوال الجيوش الغربية.

وحاول جمال الدين الأفغاني أن يسير على نهج ابن تيمية في محاولته «درء تعارض العقل والنقل» حيث ذهب الأفغاني إلى أن إصلاح المسلمين لا يأتي إلا بالعودة إلى فهم السلف لرسالة الإسـلام، فذهب إلى أن القرآن هو الذي فتح الطريق للمسلمين الأوائل للتفكير والتفلسف، ومن ثم تعقل السلف رسالة الإسلام، لـهـذا يجب على المسلمين إن أرادوا العودة لسلفهم الصالح أن يقدروا العقل قدره كما فعل أسلافهم، وأن يعطوا الفلسفة (الحكمة) مكانها اللائق بها، فالإسلام مرجع دائم والوحي مصدر الإحياء و«العقل» وسيلة تستبين بها رؤية الوحي ومراده وطريقته، ومعنى أن تفهم الإسلام عند الأفغاني يعني أنك تفهم فلسفة العلم والحضارة، حيث يتعانق الإسلام مع العقل ومع العلم، فإذا وصلنا للإمام محمد عبده كنا على أعتاب فهم أوسع لدور العقل والإصلاح العقلي في رسالة الإسلام، فالإسلام كما يفهمه عبده ليس فقط يتعانق مع العقل ويدفع نحو احترامه، إنما هو ذاته مصدر العقل والعقلانية، إذ إن رسالة الإسلام ذاتها لا تفهم بتمامها إلا بنور العقل، الذي هو نفسه هبة من الله تعالى، والعقل عنده هو وسيلة لفهم الرسالة ومـراد المرسل، فهو الذي يناط به إدراك أن الله موجود وأنه يرسل رسلا ويفهم الغرض من إرسالهم، كما يستطيع هذا العقل أن يتحقق من صحة الرسالة أو تحريفها، بل يذهب محمد عبده إلى أن القرآن ليس كتابا في الفنون والآداب إنما هو مرشد للعقل لكي يتغير من حال إلى حال، أملا في الوصول لسعادة الدارين، والقرآن يحث المسلمين ليكتشفوا العالم حولهم ويحلوا شفرات الكون ويكتشفوا أسرار الطبيعة، ومع ذلك فالقرآن ليس كتابا في العلم الطبيعي أو غيره. وحارب الإمام محمد عبده التقليد ودعا إلى الاجتهاد الذي كان يسير عليه السلف، وربط إصلاح المسلمين بإصلاح عقولهم وتفكيرهم وفتح باب الاجتهاد وتقوية شوكته ومحاربة الأمية التي تمنع القدرة من الانطلاق الواسع في هذا الباب، مما جعل د.محمد عمارة يصفه بالسلفي العقلاني، واستمرت محاولات الإصلاح بعد محمد عبده تأتي بثمارها خاصة عند رشيد رضا الذي سار على نفس خطوات أستاذه، ثم جاء سعيد النورسي في تركيا ليغرس ثمار تلك الإصلاحات في رسائل قصيرة وهي «رسائل النور»، وفي مدرسته الـزهـراء الـتـي أنـشـأهـا على غرار الأزهر، وكذلك مصطفى كامل في محاربته للاستعمار وتزعمه للحزب الوطني الحر، ثم استمرت محاولات الإصلاح على يد عبدالحميد بن باديس في المغرب العربي، الذي أسس نوعا جديدا من الإصلاح المرتكز على الجانب العملي بتعليم اللغة العربية والدين، وإنشاء المدارس والصحف ثم في تأسيسه لجمعية علماء المسلمين الجزائرية، وقد تعاصر معه في المشرق الإسلامي محمد إقبال الذي استمر على نهج الإصلاحيين السابقين في تطبيقه الإصلاح عمليا بمحاربته البدع الصوفية، وتقليد المسلمين للغرب، ومحاولته إعادة غرس الجانب الروحي للإسلام من خلال رسالة الإسلام ذاتها، وليس من خلال التقاليد التي تراكمت حولها.

وهـكـذا نـتـوقـف مـع هـؤلاء الإصلاحيين الذين شغلوا القسم الأول من هذا الكتاب القيم وربما تكون لنا عودة مع القسم الثاني الذي خصصه لحسن البنا ومدرسته كأهم تجربة إصلاحية حدثت عند المسلمين في العصر الحديث.

إعداد: خالد خلاوي

استعن بالله ولا تعجز

كان العالم والطبيب المسلم ابن سينا إذا أشكلت عليه مسألة في العلم توضأ وقصد المسجد الجامع ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له..

إذا حددت هدفك بدقة واتخذت كل الأسباب الممكنة لتحقيقه فأنت بحاجة ولاشك إلى عون الله تعالى للنجاح والتميز، وإذا تعرضت إلى الصعاب وأحسست بالعجز فاستعن بالله ولا تعجز وردد مع القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي «إلهي، قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل».

فالتماس التوفيق من الله تعالى طريق التميز الحقيقي، فهو سبحانه بيده مقاليد كل شيء، قال رسول الله ﷺ موصيًا عبدالله بن عباس «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» (من حديث رواه الترمذي).

وفي غزوة بدر أعد الرسول ﷺ جيشه وأخذ بكل أسباب النصر الأرضية ثم دخل عريشه وجعل يدعو الله عز وجل يلتمس منه العون والنصر ويقول كما جاء في صحيح البخاري : «اللهمّ أنشدك عهدك ووعدك، اللهمّ إن شئت لم تُعبد، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك» فقال أبوبكر: حَسْبُك فإن الله سينجز لك وعده، فخرج ﷺ من العريش وهو يقول : «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ».



وكان من دعاء الرسول ﷺ في طلب العون من الله عز وجل: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى علي» (رواه الترمذي).

وكان ﷺ يقول: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تَعْجَز.. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله، وما شاء فعل، فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم).

والصلاة هي أهم وسائل الاستعانة بالله، وهي التي يردد المسلم فيها في كل ركعة من ركعاتها مخاطبًا المولى عز وجل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: ما أفقرنا إلى من يلهمنا الصواب، ويهدينا إلى الحق كلما اشتبهت علينا الأمور، والإنسان معرض للآلام من كل ناحية فيه، إنه كمدينة مفتوحة يمكن أن تدك في أي وقت ومن أية جهة، والمرء إذا نظر إلى بدنه وجد أن كل ذرة فيه يمكن أن تكون منفذًا لمرض عضال يبعثه على الأنين العالي، وإذا نظر إلى شأنه كله وجد أن أي أمر من أموره يمكن أن ينقلب عليه ليجر وراءه الشقاء الطويل، ما أفقرنا إلى استدامة النعمة، واتقاء النقمة، والاسترواح في الحياة، إلى ما يجعل الله في الحياة من يسر وبركة وسكينة.. إن هذا كله هو ما تكفله الصلاة للمؤمن.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل.. فمن أعانه الله، فهو المُعانُ، ومن خذله فهو المخذولُ، وهذا تحقيقُ معنى قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

ويقول ابن القيم عن الاستعانة بالله: والاستعانة تجمع أصلين، الثقة بالله والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه، في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه؛ فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به.

وقد كان بعض الصالحين يوصي إخوانه بكلمات نافعة عظيمة الأثر يقول: أما بعد: فإن كان الله معك فمن تخاف، وإن كان عليك فمن ترجو؟

صور من حياة المتميزين

نورالدين زنكي

نورالدين محمود زنكي (١١ فبراير ١١١٨ - ١٥ مايو ١١٧٤) أحد الأبطال الذين تركوا بصمة كبيرة في التاريخ الإسلامي وقد حقق انتصارات كبيرة على الصليبيين، وهو من حكام المسلمين الذين عرفوا بالعدل والورع وحسن الاستعانة بالله، والتوكل عليه مع الأخذ بكل أسباب النصر.

قال عنه ابن كثير: «كان يقوم في أحكامه بالمعاملة الحسنة واتباع الشرع المطهر.. وأظهر ببلاده السنة وأمات البدعة»

ويصفه ابن الأثير بأنه: «كان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنًا من كان، القوي والضعيف عنده في الحق سواء، فكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف ذلك بنفسه، ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير، فلا جرم أن سار ذكره في شرق الأرض وغربها».

وكان نورالدين يصلي كثيرًا بالليل وحكي عنه أنه يصلي فيطيل الصلاة، وله أوراد في النهار، فإذا جاء الليل وصلى العشاء نام، ثم يستيقظ نصف الليل، ويقوم إلى الوضوء والصلاة والدعاء إلى بكرة، ثم يظهر للركوب ويشتغل بمهام الدولة.

وكان يدعو الله قبل كل معركة قائلًا: «اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودًا.. من محمود حتى ينصر»، وكان يدعو أيضًا: «إنك يا رب إن نصرت فدينك نصرت، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود، إن كان غير مستحق للنصر».

ونورالدين محمود هو الابن الثاني لعماد الدين زنكي وبعد وفاة والده حكم حلب أولًا وحارب الصليبيين واسترجع منهم مدينة «الرها» سنة ١١٤٦م، وتمكن نورالدين بالاستعانة بالله وجمع الصف والحرص على وحدة المسلمين أن يحقق انتصارات كبيرة على الصليبيين وقد استولى منهم على إمارة أنطاكية وبعض الإمارات والقلاع، ومستعينا بالله تم على يديه إفشال الحملة الصليبية الثانية على الشام سنة ١١٤٧م والتي تزعمها لويس السابع وكونراد الثالث، وضم بعدها إلى سلطانه كل الشام ومصر وأصبحت دمشق عاصمة دولته. وقد مهدت انتصارات نورالدين الطريق لتحرير القدس على يد صلاح الدين في معركة حطين.

كلمات في التميز

الاستعانة بالله

لا تستعن بغير الله، فيكِلَكَ الله إليه.

الحسن البصري

لا يقلق من كان له أب، فكيف بمن كان له رب.

الشيخ الشعراوي

إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه وجعل دونك حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك.

طاوس بن كيسان

يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، عجبتُ لمن يعرفك كيف يستعين بسواك.

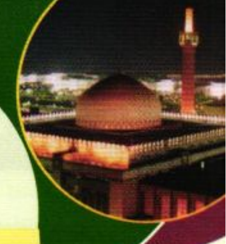
أحد الصالحين

إذا لم يكن عون من الله للفتى ...
فأول ما يقضي عليه اجتهاده

شاعر

المحب الصادق، إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فحبه لله وبالله ومع الله.

ابن القيم



لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

وقت صلاة الجمعة

فتوى رقم «٥٢٤٢»

في بعض المساجد تقدم صلاة الجمعة عن وقت الظهر، وبعضها الآخر وهي الأغلبية، حتى الآن الا يصعد فيها الخطيب المنبر ويؤذن للصلاة إلا بعد دخول وقت الظهر، هل هذا الخلاف سائغ أم تفضلون توحيد الوقت للجميع تأكيدًا للوحدة ومنعًا للبلبلة وتحاشيًا للخلاف؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن أول وقت صلاة الجمعة هو أول وقت صلاة الظهر فيبدأ من زوال الشمس عن كبد السماء، وذهب الحنابلة إلى أن وقت الجمعة يبدأ من أول وقت صلاة العيد، وينتهي بخروج وقت الظهر، وقالوا: إن فعلها قبل الزوال رخصة، وتجب بالزوال، وفعلها بعد الزوال أفضل عندهم. وترى اللجنة الأخذ بما ذهب إليه الجمهور، وما هو الأفضل عند الحنابلة، لما روى سلمة بن الأكوع قال: «كنا نصلي الجمعة مع النبي ﷺ إذا زالت الشمس» (متفق عليه) وللخروج من الخلاف، وهو الأحوط. والله أعلم.

زكاة أرض استثمارية

فتوى رقم «٥٢٥٥»

لدينا أرض استثمارية ولم يتم ترخيصها من البلدية للبناء ونحن لم نحدد في حالة الترخيص للبناء هل نبنيها للاستثمار أم نبيعها أرضًا؟ هل تجب في مثل هذه الأرض زكاة أم لا؟

إذا اشتريت هذه الأرض بنية البناء عليها والتأجير، لم تجب الزكاة في قيمتها، ولكن في ريعها وإيجاراتها إذا استكملت هذه - مع باقي أموال مشتريها- شروط الزكاة الشرعية، من النصاب والحول وغير ذلك، أما إذا اشتراها بقصد بيعها فتجب الزكاة عليه في قيمتها إذا بلغت قيمتها مع أمواله نصابًا وحال عليها الحول، فإذا اشتراها بقصد البناء والإيجار ثم رأى بيعها، فلا تجب عليه زكاة قيمتها حتى يبيعها فعلًا، فإذا باعها ضم قيمتها إلى أمواله الزكوية وزكاها معها في حولها.

وجود حمامات أمام صفوف المصلين

فتوى رقم «٥٢٨٩»

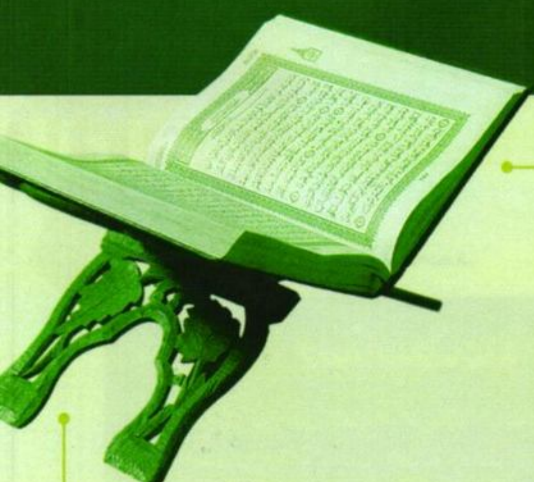
هل يجوز وجود الحمامات في المسجد داخل السور؟ هل يجوز الصلاة في مكان تقع أمامه دورة مياه، ولا يفصل بينهما سوى حائط فقط؟ وهل الأفضل الصلاة في مكان آخر؟

لا مانع من إقامة الحمامات للمساجد داخل حرمها، على أن توضع في مكان لا تنبعث منه روائحها على المصلين، وأن توضع في غير جهة القبلة ما أمكن، ويستحسن أن تبنى بحيث يتوقى فيها استدبار أو استقبال القبلة ما أمكن ذلك، ولا يؤثر وجود هذه الحمامات - في أي اتجاه كانت - على الصلاة، مادام هناك حائط يفصلها عن المسجد. والله أعلم.

عدم إرجاع العربون

ما هي شرعية عدم إرجاع العربون على ضوء ما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والفقه؟

إذا تم بيع العقار المذكور مستوفيًا لشروطه الشرعية كان لازمًا، ولا يجوز لأي من عاقديه فسخه بغير رضا الآخر، أما موضوع اخذ البائع للعربون إذا فسخ المشتري البيع بغير رضا البائع، فلم يقل به من الفقهاء غير الحنبلية، وقد أجازه الحنبلية مادام



قد شرطه البائع على المشتري في العقد، واللجنة ترى الفتوى بما ذهب إليه الجمهور لقوة دليلهم، إلا أن للعاقدين عند إرادة الفسخ الاتفاق بينهما على إقالة البيع بكامل إرادتهما على أن يكون العربون كله للبائع أو جزء منه، لأن الإقالة بيع جديد عند كثير من الفقهاء.

فتح حساب جار بدون فائدة في بنك ربوي

فتوى رقم «٥٣٢٧»

أولًا: لدي حساب الراتب ببنك ربوي، وأترك بالحساب دائمًا مائة دينار حتى لا يخصم مني مبلغ دينارين شهريًا، فهل بتركي هذا المبلغ أساهم بشكل أو بآخر في المعاملات الربوية؟

ثانيًا: بمجرد فتح حساب الراتب بهذا البنك الربوي يعطي هذا البنك كوبونًا بمبلغ ٢٥ دينارًا، فهل علي إثم باستخدامي لهذا الكوبون؟ ولو كان كذلك فما التصرف الصحيح: هل أعيده للبنك أو أصرفه وأعطيه لأحد الأشخاص؟ علمًا بأنني اخترت هذا البنك لتعامل الشركة التي أعمل بها معه، وبذلك ينزل الراتب بنفس اليوم ولا يتأخر يومين أو ثلاثة كما في البنوك الأخرى.

لا يجوز فتح الحساب الجاري الذي يترتب عليه إعطاء هدايا، لأن الحساب الجاري يعتبر قرضًا وقد شرطت فيه فائدة فيكون قرضًا بفائدة أو قرضًا جر نفعًا.

أما فتح الحساب الجاري من دون فوائد أو هدايا فمحرم لغير حاجة مشروعة، لما فيه من المساعدة على الربا، فإذا وجدت حاجة مشروعة لذلك يترتب على فواتها حرج، ولم يوجد طريق آخر لتغطية هذه الحاجة جاز ذلك، ولكن على قدرها من دون زيادة، للقواعد الفقهية الكلية التالية «الضرورات تبيح المحظورات» و «الضرورات تقدر بقدرها» و «الحاجة تنزل منزلة الضرورة».

العمل في مهنة المحاماة

فتوى رقم «٥٣٤١»

ما هو الحكم الشرعي بالعمل في مهنة المحاماة؟ وما هي المحاذير الشرعية إن وجدت؟

يجوز عمل المحاماة، إذا كان المحامي لا يعلم أن القضية التي يرافع فيها قضية باطلة، لأن ذلك من باب الوكالة في الخصومة، وهي مشروعة على ما بين الفقهاء في كتاب الدعوى، أما إذا علم أن موكله مبطل في دعواه فلا يجوز له، لأنه يعينه بذلك على الباطل، وإذا كان يجهل حال موكله فيجوز التوكل عنه بنية معرفة الحقيقة، فإذا ظهر له أنه محق واصل الدعوى، وإلا انقطع عنها.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن تحديد أرباح التجار

أولًا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارًا في بيعهم، وشرائهم، وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملًا بمطلق قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء:٢٩).

ثانيًا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق، والقناعة، والسماحة، والتيسير.

ثالثًا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته كالغش، والخديعة، والتدليس، والاستغفال، وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة.

رابعًا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلا إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ من عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة الممكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل والغلاء، والغبن الفاحش.

إعداد: هالة محمد

العام الحالي ٢٠١٠م أكثر الأعوام سخونة من ١٣٠ عامًا



ذكرت الإدارة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي في الولايات المتحدة الأميركية أن كوكب الأرض لم يشهد منذ بدء تسجيل بيانات الأرصاد الجوية في عام ١٨٨٠م درجات حرارة بهذا الارتفاع الذي شهده في العام الحالي وكانت درجات حرارة الأرض والمحيطات قد وصلت حدها الأعلى في شهر إبريل الماضي.

ووصلت خلال الفترة ما بين يناير وحتى إبريل إلى مستوى قياسي لم يشهده العالم من قبل، وتشير البيانات إلى أن عام ٢٠١٠م سيحافظ على المعدل المرتفع لدرجات الحرارة مقارنة بالسنوات الماضية وهذا يعزى للتغيرات المناخية في العالم.

خلية اصطناعية حية

نجح فريق من العلماء في الولايات المتحدة في إنتاج أول خلية اصطناعية حية في العالم وذلك عن طريق تطوير برمجة جينية في خلية جرثومية، ومن ثم زرعها في خلية مضيفة، وقال فريق الباحثين من معهد «جي كريج فينتر» إن الميكروب الحي الناجم عن الزراعة الخلوية الجديدة تصرف مثل أنواع الكائنات التي تسير بموجب الحمض النووي الاصطناعي، وقد لقي المنتج الجديد ترحيبًا من قبل العلماء المختصين والمتابعين الذين اعتبروا الإنجاز علامة فارقة في تاريخ علم دراسة الخلية وعلوم الأحياء، ويأمل العلماء في نهاية المطاف بان يتمكنوا من تصميم خلايا بكتيرية تتمكن من إنتاج أدوية ووقود وتقوم حتى بامتصاص الغازات المسببة للاحتباس الحراري.



الرؤية عند النحل أسرع من رؤية الإنسان

يرى النحل العالم حوله أسرع من الإنسان بخمس مرات.

هذا ما تؤكده دراسة جديدة أعدها علماء من جامعة الملكة ماري في لندن، أظهرت أن النحل ليس أسرع من البشر فقط في ذلك بل أسرع من جميع الحيوانات في رؤية الألوان، وهذا يمكنه من التحليق حول الشجيرات التي لا يصلها الضوء بشكل كاف من أجل البحث عن الأزهار والثمار لتلقيحها والحصول على قوته منها.

وبحسب معدي الدراسة، فإن الحشرات التي تطير بسرعة كبيرة لديها القدرة أيضًا على رؤية الأشياء حولها بسرعة كبيرة، وهذا يساعدها على الفرار من حشرات أخرى تريد التهامها، ولم يكن معروفا في السابق أن سرعة النحل في الطيران توازيها قدرتها الفائقة على رؤية الألوان، وعن هذا الأمر يقول الباحثون «لا نستطيع بسهولة مراقبة حشرة تطير بسرعة، ولكن بإمكان هذه الحشرات الطيران وراء بعضها ويعود الفضل في ذلك لقدرتها الكبيرة على رؤية الأشياء، وربما هذا يفسر صعوبة ضربها!».

والنحلة بحسب الباحثين هي أول حشرة باستطاعتها رؤية الألوان بسرعة مختلفة، وذلك يساعدها في البحث عن قوتها والتمييز بين الأشكال والاهتداء بسرعة إلى الطرق المؤدية إلى القفير، كما انها تستهلك طاقة أكبر عن رؤية أشياء ملونة وأقل إذا كانت بيضاء أو سوداء، مما يساعدها في الكشف عن الأزهار المفضلة لديها والعودة الى القفير.



جهاز يوقف السيارة أثناء عبور المشاة

كشف المعهد العالي السويدي عن أن سيارات المستقبل ستتفاعل بصورة آلية مع المشاة أثناء عبورهم الشارع، بما يعمل على تقليل نسبة الحوادث باستخدام التكنولوجيا الحديثة، وهي عبارة عن جهاز استشعار مبرمج سيتم تزويد السيارات به، بحيث يستشعر الحركات والإشارات عند مرور المشاة عبر الشوارع، ويعمل على توقف السيارة.

ويوضح الباحث في المعهد، ميكائيل يوهانسون: أن الشخص عندما يريد عبور الشارع فإنه لا يتقدم بقدمه إلى الأمام فحسب بل ويميل بجسده كله إلى الوراء أثناء رفع ساقه قبل أن يتخذ الخطوة الأولى، مشيرا إلى أن هذه الحركة هي «نوع من الحركة المتأرجحة التي تحصل بشكل أوتوماتيكي»، هذه الاشارات والحركات هي التي يدرسها المعهد حاليا، التي يستشعرها الجهاز، ولهذه الغاية يتم تصوير اختبار، ومن ثم تجري الاستعانة بها ليتم تحديد الاشارات والحركات، والشكل النهائي لهذه الصور والإشارات والحركات سيستخدم ليربط إلى جهاز الاستشعار في السيارة الذي سيحذر السائق بدوره بصورة آلية عند مرور المشاة.

فيروس إلكتروني يصيب الإنسان!

بات العالم البريطاني مارك غاسون أول إنسان في العالم يصاب بفيروس إلكتروني وذلك عن طريق رقاقة إلكترونية زرعت في يده وسرعان ما انتقل الفيروس إلى كمبيوتر المختبر الذي يعمل فيه مع احتمال أن يكون الفيروس قد انتقل إلى الرقاقات الإلكترونية في بطاقات العبور إلى جميع أجهزة الكمبيوتر في المبنى، وعرض غلاسون نفسه للإصابة بالفيروس عن عمد من أجل معرفة ما إذا كان بامكان الرقاقة الالكترونية التعرف على هوية حاملها وكيفية تحديد الترددات الراداوية RFID مثل تلك التي تستخدم في تتبع تنقلات الحيوانات وانتشار ما يعرف بالأمراض التكنولوجية.

وأظهرت التجربة أن زرع هذه الرقائق الالكترونية الطبية لمراقبة نشاط القلب سيصبح أكثر تعقيدًا ولكن أكثر فائدة خلال السنوات المقبلة لأنها ستتيح متابعة حالة المريض بشكل آمن بسبب اختزانها



للمعلومات الطبية الضرورية عنه.

وقال غاسون: «باستطاعة الفيروس التكاثر وربما أخذ نسخًا عن نفسه ووضعها على بطاقات تسمح بقراءة بطاقات الدخول التي يستخدمها الناس».

وأضاف «أظهرت التجربة أن زرع الرقاقة الالكترونية التي تتواصل مع بقية الكمبيوترات بشكل لاسلكي قد تتعرض للفيروسات والعكس هو الصحيح.

سكان آسيا جاؤوا من الجنوب!

اسفرت جهود علمية دولية حديثة عن فك أسرار «الخارطة» الجينية المسؤولة عن التنوع في قارة آسيا، وذلك في دراسة اجرتها جمعية «الأشكال المتعددة للتركيبات النووية المنفردة» التابعة لمنظمة الخارطة الوراثية (الجينية) البشرية (هوغر) وذكر تقرير أن نتائج الدراسة التي أجريت على قرابة ٢٠٠٠ شخص من أنحاء مختلفة من القارة تدعم الفرضية القائلة إن آسيا أصبحت منطقة مأهولة بالسكان بشكل أساسي عن طريق موجة هجرة واحدة بدأت من الجنوب وانتشرت في ربوع القارة المختلفة.

ملاذات آمنة على سطح القمر!

يأمل علماء الفضاء استغلال قنوات الحمم البركانية على سطح القمر كملاذات آمنة بعد اكتشاف فريق الباحثين الألمان ما يعتقدون أنه (كوة) أنبوب أو قناة حمم بركانية بدت شديدة الوضوح في الصورة التي التقطها مسبار الفضاء الياباني «سيلين»، وفي هذا الشأن كتب الفريق العلمي الياباني في وكالة الفضاء اليابانية «جاكسا» أن أنابيب الحمم البركانية قد تمثل موقعًا مهمًا لبناء قواعد على سطح القمر في المستقبل سواء للاستكشاف المحلي والتطوير أو كموقع خارجي لخدمة استكشافات ما وراء القمر.

من هنا وهناك

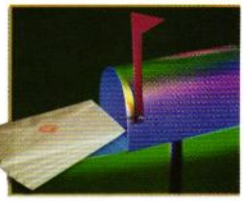
● أعلن المجلس الاعلى للآثار المصرية العثور على ١٤ مقبرة في منطقة عين الزاوية بالقرب من مدينة الباويطي في الواحات البحرية (٣٠٠ كم جنوب غرب القاهرة) تعود للعصر اليوناني - الروماني (٣٠٠ ق.م) وفيها مومياء مكتملة الى جانب قطع أثرية اخرى.

● تشهد ولاية بافاريا الألمانية ثورة في تكنولوجيا تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية، وقد اجتاحت هذه التكنولوجيا أراضي الولاية الزراعية الأمر الذي دفع بالعديد من المناهضين لهذا التوسع غير المسبوق في استخدامات الطاقة الشمسية على حساب الأرض الزراعية الى رفع شعار «لن نأكل الشمس» في تعبير مجازي عن الغضب من تقلص حقول الولاية الخضراء.

● ذكرت دراسة جديدة ان فحصًا قد يساعد في تحديد المرضى المعرضين للاصابة بالنوبة القلبية وان لم تكن مستويات الكوليسترول مرتفعة لديهم.

● قال علماء اميركيون إن أخذ قيلولة قصيرة بعد تعلم أمر جديد يساعد الدماغ على تذكر ما تعلمه شرط ان يحلم به.

● توصل باحثون دانمركيون إلى أن الجنين الذي عمره يبلغ ٢١ أسبوعًا يستطيع حماية نفسه من الإصابة عن طريق الاستعانة بجهازه المناعي وخلاياه وليس الاعتماد على الأجسام المضادة التي يحصل عليها من الأم، وسيمهد الاكتشاف الطريق لايجاد أمصال فعالة وجديدة للاجنة والأطفال حديثي الولادة من الاصابات والعدوى الميكروبية.



المرأة بين التكريم والإهانة

الإسلام ضمن للمرأة الكرامة والعزة إذا التزمت بالدين فهو سبيل السعادة في الآجلة والعاجلة، بيد أن ما نراه بالنسبة للمرأة في هذا الزمان يدمي القلوب ويبكي العيون فقد اختلط الحابل بالنابل في كل شيء، أصبحت المرأة تقلد الرجل وفي بعض الأحيان يختلط الأمر ولا نعرف ولا نميز بين الرجل والمرأة، ولا ننسى أن اللعنة تنزل على الذي يقلد الآخر سواء كان رجلًا أو امرأة، لماذا لا يكون هناك تقليد في العمل واتقانه والاخلاص له، وفي التنافس في العلم.

إن التقليد المنبوذ هو التقليد الأعمى الذي يكون في الأشياء الضارة الفاسدة التي لا يقبلها العقل ولا الشرع.

ومهما يكن من شيء فإن الإسلام ضمن للمرأة العزة والكرامة وحذرها من شياطين الجن والإنس ومن دعاة الباطل والفساد الذين يريدون اخراج المرأة من العز والسعادة إلى الردى والإهانة لتصبح لا وزن لها ولا قدر، ويجب الاعتبار من النساء اللتي وقعن في التعاسة، والندامة، بل إن بعضهن يئسن من الحياة وأقدمن على الانتحار مع ما وصلن إليه من شهرة في الفن.

قال الله تعالى: ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (الحج: ١٨).

ويقول سبحانه فيمن اطاعه واتبع سبيله ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١).

عبدالسلام سومع

خطوات على الرمل

إن من علامات الإخلاص حب الخفاء وكراهية الشهرة ويصحب ذلك الزهد في الكلام والعمل في صمت ومسابقة الزمان قبل أن تطوى صفحات العمر دون أن يشعر الإنسان. والمسلم في رحلة حياته يجب أن ينهض بالأعمال العظيمة كي يترك الأثر الطيب الذي يخلد ذكراه بعد رحيله عن هذه الحياة، فهذه سمة الصادقين المخلصين العاملين فالأثر الطيب بهذا المعنى يعتبر صدقة جارية للعبد المؤمن في حياته وبعد مماته ولقد أشار الكتاب الخالد الى الأخلاق في قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ (البينة: ٥).

ويقول الحبيب ﷺ «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ومنهم البراء بن مالك» (أخرجه ملسم من حديث أبي هريرة).

ودخل عمر رضي الله عنه المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال ما يبكيك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (رواه المنذري في الترغيب والترهب).

فيجب أن تكون خطوات حياتنا دون ضجيج ولا صياح خطوات هادئة متزنة وعاقلة تتم عن عقلانية، صاحبها كمن يمشي على الرمال لا يسمع عنه أحد أي يعمل في صمت والمسلم الفاهم يعمل في صمت خشية أن يحبط عمله ورجاء في أن يكون من الأخفياء الأتقياء، وان المسلمين في هذا الظرف الراهن أحوج ما يكونون لهذه الصفة - العمل في صمت- التي تربي الرجال الأقوياء الذين يتحملون المشاق في سبيل دعوتهم الاسلامية فلقد اقتضت الظروف ان نعيش هذه المرحلة الخطيرة من عمر أمتنا- مرحلة التنازع والمنافسة والاضطراب والتكالب مرحلة انطمست فيها المعالم ووقف على رأس كل طريق داع يدعو إليه في ليل دامس معتكر - مرحلة الفوضى والسلبية والتخاذل وأصبح إسلام الناس كأنه صناعة غربية اميركية صهيونية هكذا يريدنا الأعداء أن نأكل ونشرب ونتمتع بالحياة بعيدًا عن الايمان.. ألا فليخسأوا فالاسلام ناهض وقادم ووعد الله صادق والأمة التي تنهض لتحقيق وعد الله لا يصلح لها المسكنات أو أمنيات القاعدين وإنما تحتاج الى نفوس مؤمنة وعزيمة قوية صادقة وسخاء وتضحيات وإقدام عند الملمات، وسبيلنا في ذلك الدين الذي يحيي الضمير ويوقظ الشعور وينبه القلوب.. الدين الذي يجمع أشتات الفضائل ويلم أطراف المكارم الدين الذي يدعو الى التضحية العزيزة الغالية.. الدين الذي يحرك فينا كوامن الخير والفطر السليمة والذي يشتري من المرء أعراض الدنيا الزائلة بسعادة دائمة ولا تنتهي: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ (النحل: ٩٦) الدين الذي يسمو بالوفاء الى درجة الشهادة ويعده فريضة ويعتبر الوفاء دليلا على الرجولة الحقة.

محمد أبوعبيد

قارئ لا ينسى وملهم لا يمحى

يهفو المسلم إلى قرآنه ويلوذ بكتابه ويتعبد به إذ إنه خطاب ربه والكلم الجامع والذي يخشع به السامع ويهطل دمع الدامع ويطمئن الفازع، وهذا القرآن الكريم له تجليات على بعض مريديه أداء وعملا وتلاوة فتجلى الله عليهم فمنحهم من فيوضاته أصواتا ليست ككل الاصوات وتلاوة ليست ككل التلاوات ولهذا ظلت محفورة في القلوب على مر السنوات مهما تغيرت العصور والأوقات.. ومن هؤلاء، القارئ والعبقري الراحل فضيلة الشيخ محمد صديق المنشاوي، والذي لم يتكرر إلى الآن حتى وان تشابه معه بعض الإخوان فهو من الكتيبة التي قال عنها الشيخ الشعراوي: إن هذه الكتيبة من القراء الذين شدوا بألحان السماء وبتأليف الله لهم لم يكونوا مكررين لا أداء ولا أصواتا ولا لحنا بل لكل واحد منهم نغم يخدم النص.

الحسن محمد حميد

حاكم وقضية

في سنة ١٨ هـ أصيب المسلمون بمجاعة شديدة وذلك بسبب انقطاع المطر وسمي هذا العام بعام الرمادة لأن الرياح الشديدة كانت تسفي رمادًا يلسع الجلود أو لأن رمل الأرض صار في لون الرماد أو لأن وجوه الناس كلحت من الضعف والمرض أو لأن الرمادة في اللغة بمعنى الهلاك.

● ما الإجراءات التي اتخذها عمر بن الخطاب عام الرمادة؟

١- إعلان القضية على الأمة لتتحمل المسؤولية معه.

٢- اللجوء الى الله سبحانه وتعالى وذلك عن طريق الدعاء والتضرع والابتهال والبكاء ومن كلامه «اللهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم»، والاستغفار والذكر قال تعالى ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارًا﴾.

٣- فقه الحاكم، لم يقطع يد السارق للأكل خشية الموت من الجوع وهذا من باب الاضطرار.

٤- تجاوب طوائف الشعب والأمة مع الحاكم فلم نر فرقة ثائرة خارجة تقول بأن عمر ينعم بالحياة وهم في شقاء.

٥- مخاطبة ولاة الأمصار بخطاب استغاثة وطلب العون من المسلمين في المشارق والمغارب، فكتب الى عمرو بن العاص في مصر يطلب منه العون والمساعدة وكاتب معاوية بن أبي سفيان في بلاد الشام، واستجاب الجميع فأرسل عمرو بن العاص دقيقا وسمنا وملابس برا وبحرا، ألف بعير تحمل الدقيق في البر وعشرين سفينة تحمل الدقيق والزيت.

٦- حسن الظن بالله، فعندما استغاث عمر بن الخطاب وأمن الناس على دعائه كانوا على يقين وايمان راسخين أن الخير قادم، وبعد ان بلغ الجهد مبلغه وبكى الصغير ورق الكبير واخذ عمر بالاسباب تنزلت رحمات الله وانهمر الماء وانكشفت الغمة.

٧- تذكير أصحاب النعيم بما تحت أيديهم من فضل الله حتى يقفوا بجانب إخوانهم، وذلك من خلال المكاتبات، فقال لعمرو: «أفتراني هالكًا ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك، فياغوثاه».

٨- قوة الحاكم وجلده في تحمل الشدائد، فقد كان عمر ثابتًا في تلك الشدة ولم يهتز ولم يتزعزع.

وفي اشد لحظات المحنة إيلامًا كانت المنحة والمطر الغزير وكان النصر على النفس وعلى الواقع وعلى المحن، فخرج عمر والمسلمون منها أفضل وأقوى عودا وقد عاشوا التضحية والثبات والأخوة النادرة.

مسلم غيور

انتفاع الميت بعمل غيره

قال الله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩).

هذه الآية الكريمة من النصوص المهمة التي يتمسك بها كثير ممن يجرون وراء ظواهر الألفاظ وعمومات النصوص المطلقة دون مراعاة للأصول والقرائن الأخرى التي تفيد تخصيصًا أو تقييدًا للنص، والتي يجب ألا تفهم النصوص العلمية إلا بها لتدور جميعًا في فلك واحد وتأتي متناسبة مترابطة في نسق واحد يليق بصاحب الشريعة المحفوظ من التناقض والتعارض، إذ ﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع انتفاع الإنسان بعمل غيره. جاء في تفسير صفوة البيان لمعاني القرآن، للشيخ حسين مخلوف قال: نقل العلامة الجمل في حاشيته على الجلالين بحثًا نفيسًا لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى، ننقل خلاصته لمزيد فائدته قال: من اعتقد أن الانسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الاجماع، وذلك باطل من وجوه أحدها: أن الانسان ينتفع بدعاء غيره.

والشواهد والأدلة في ذلك كثيرة لا داعي لسردها هنا، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة؟! اهـ.

قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، او صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته» (صحيح الجامع).

وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم في الصحيح).

قال ابن أبي العز في شرح «العقيدة الطحاوية»: وأما استدلالهم بقوله ﷺ: ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله» فاستدلال ساقط، فانه لم يقل انقطع انتفاعه، وانما اخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فان وهبه له وصل اليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الانسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين. أ هـ.

وسئل الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قراءة أهل الميت تصل إليه؟ والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير إذا أهداه الى الميت يصل إليه ثوابه أم لا؟

فأجاب: يصل إلى الميت قراءة أهله وتسبيحهم وتكبيرهم وسائر ذكرهم لله إذا أهدوه إلى الميت وصل إليه والله أعلم.

واختلف العلماء في الصوم عنه، والراجح جوازه عنه، والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرآن لا يصل ثوابها للميت، وذهب أحمد وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعي إلى أنها تصل، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهم أوصل ثواب ما قرأته الى فلان، ونحو ذلك.

فؤاد الغريب

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

مناظرة شعرية

تناظر الشَّافعي، وبشر المريسي رحمهما الله، في حضرة هارون الرشيد، فقال بشر:

أَهابُكَ يا عمرو ما هِبْتَني
وخاف بِشَراكَ إذ هِبتني
وتزعُمُ أمِّي عن أبيهِ منْ
أولاد حام بها عِبْتني

فأجاب الشافعي بقوله:

أُحبُّ مَكارِم الأخلاق جَهدي
وأَكره أن أَعيب، وأن أُعابا
وأَصفحُ عنْ سِبابِ النَّاس حِلمًا
وشَرُّ النَّاس مَنْ يهوى السِّبابا!
سليمُ العِرْض مَنْ حَذرَ الجَوابا
ومَنْ دارى الرِّجالَ فقد أَصابا
ومَنْ هابَ الرِّجالَ تهيَّبُوهُ
ومَنْ حَقَر الرِّجَالَ، فَلَنْ يُهابا

(حلية الأولياء للأصبهاني)

الحليم وأعوانه

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أوَّل عوض الحليم مِنْ حلمه، أنَّ النَّاس كلهم أعوانه على الجاهل».

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «لا يبلغ الرجل مبلغَ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم».

وقال أكثم بن صيفي: «دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر، وخير الأمور العفو».

(الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

سَفَّانة تصفُ النبيَ ﷺ

لَمَّا أطلق النبي ﷺ سفَّانة بنت حاتم الطائي من الأسر، رجعت إلى أخيها عَدِي، وقالت له: يا أخي إيتِ هذا الرجل -تعني النبي ﷺ- قبل أن تعلقك حباله، فإني رأيت هديًا ورأيًا، سيغلب أهل الغلبة، ورأيت خصالًا تعجبني.

رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبيًّا فللسابق فضله، وإن يكن ملكًا فلن تزال في عزِّ ملكه.

فقدمَ عدي إلى الرسول ﷺ فأسلم، وأسلمت أخته سفَّانة.

(أخبار العرب ١/٥٣).

مصاحبة الأحمق

قال المعتمر بن سليمان: سمعت أبي يقول: كان يُقال: «تنكبوا عن مجاراة الأحمق فإنكم إن جاريتموه كنتم مثله، واجتنبوا صحبته فإنها الدَّاء العضال الذي لا دواء له».

وقال الحسن البصري: «إياكم وصحبة الأحمق، فإنَّ مصادقته جالبة العداوة، وعليكم بأهل التقى والعلم فإنكم لن تعدموا منهم رشدًا».

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب)

أبٌ يعظُ ابنه

كان صالح اللَّخمي الدمشقي شاعرًا وحكيماً وقد ذكر عنه أنه وعظ ابنه مرة وقال: يا بني إذا مر بك يوم وليلة قد سلم فيهما دينك، وجسمك، ومالك، فأكثر الشكر لله تعالى، فكم من مسلوب دينه، ومنزوع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية.

(طرائف عربية)

من حِكَم ابن حزم

- «مَنْ شَغل نفسه بأدنى العلوم وترك أعلاها وهو قادر عليه، كان كزارع الذرة في الأرض التي يجود فيها البر، وكغارس الشَّعراء حيث يزكو النخل والزيتون».
- «نشر العلم عند مَنْ ليس من أهله مفسد لهم، كإطعامك العسل والحلواء مَنْ به احتراق وحُمَّى، أو كتشميمك المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء».
- «الباخل بالعلم، ألأم من الباخل بالمال، لأَنَّ الباخل بالمال أَشفق مِنْ فَنَاءِ ما بيده، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة، ولا يفارقه مع البذل».

(مداواة النفوس)

لا يُستغنى عن السند

إن من تعلم ووصل إلى درجة عالية من العلم وفتح عليه بإلهام من الله فعليه أن يدخل تحت السند تأدبًا مع صاحب الشريعة، لأنه لو كان هناك أحد مستغنيًا عن السند لكان حبيبنا وسيدنا محمد ﷺ ومع هذا فإنه تلقى عن جبريل عليه السلام - رغم أن نبينا ﷺ أفضل منه -عن اللوح المحفوظ عن رب العزة سبحانه، وفي تلقي الفاضل عن المفضول يكمن سر الشريعة الإسلامية، ورحم الله القائل:

كتاب الله أفضل قيل
رواه محمد عن جبرائيل
عن اللوح المحيط بكل مسلم
من العلم الرفيع عن الجليل

أمر عجيب وأصل ظريف

قال ابن الجوزي رحمه الله: «تأملت أمرًا عجيبًا، وأصلًا ظريفًا، وهو انهيال الابتلاء على المؤمن، وعرض صورة اللذات عليه مع قدرته على نيلها، وخصوصًا ما كان في غير كلفة من تحصيله كمحبوب موافق في خلوة حصينة، فقلت: سبحان الله، هاهنا يبين أثر الإيمان لا في صلاة ركعتين، والله ما صعد يوسف عليه السلام ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام، فبالله عليكم يا إخواني، تأملوا حاله لو كان وافق هواه، من كان يكون؟» (صيد الخاطر لابن الجوزي)

الثُقلاء

قال ابنُ عبدِالبَرِّ: سُئِلَ جَعفَرُ بن محمد: المؤمنُ يكونُ بغيضًا؟. قال: لا.. ولكنْ يكونُ ثقيلًا .(شرح منظومة الآداب للحجاويّ).

وكان أبوهريرةَ رضي الله عنه إذا اسْتَثْقَلَ رجُلًا، قال: «اللهم اغْفِرْ لنا ولهُ وأرِحْنا منه» (التاريخ الكبير للبخاري)

وكانَ حمَّادُ بن سَلَمَةَ إذا رأى ما يَسْتَثْقِلُه، قال: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾(الدخان: ١٢) (ذم الثقلاء لابن المرزبان)

«وسَلَّمَ ثقيل على إبراهيمَ بنَ عبدالله القارئ صاحب هارون، فقال له: يا هذا! قَدْ والله بَلَغْتَ منِّي غايةَ الأذَى، أَسْلِفْنِي سَلَامَ شَهْرٍ، وأَرِحْني مِنْك». (شرح منظومة الآداب للحجاوي)

جوامع نوافع

قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه: علِّمني كلماتٍ جوامعَ نوافعَ، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: اعبد الله لا تشرك به شيئًا وزُل مع القرآن حيث زال، ومَنْ جاءك بالحقّ فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومَنْ جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيبًا قريبًا.

(الفوائد لابن القيّم ص ١٩٤).

أرجو أن يكون كلانا على خَيْر

كتب عبدالله العمري العابد إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله يحضّه على الانفراد والعمل. فكتب إليه مالك: «إنَّ الله قَسَمَ الأعمال كما قَسَمَ الأرزاق، فرُبَّ رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخرُ فتح له في الجهاد، فنَشْرُ العلم منْ أفضل أعمال البرّ، وقد رضيتُ بما فتح لي فيه، وما أظنُّ ما أنا فيه بدونِ ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبرّ» . (التمهيد لابن عبدالبر)

تَنَازُل بسرعة

ادعى مُدَّعٍ النُّبوَّة، فطُلبَ ودُعي له بالسَّيف والنَّطع؛ فقال: ما تَصْنعونَ؟ قالوا: نقتُلُكَ، قال: ولِمَ تقتلونَني؟ قالوا: لأنَّك ادعيتَ النُّبوَّة، قال: فَلَسْتُ أدَّعيهَا، قيلَ له: فأيُّ شيءٍ أنت؟ قال: أنا صدِّيق، فدُعي له بالسِّياط، فقَال: لِمَ تَضربونَني؟ قالوا: لادِّعائك أنَّك صدِّيق، قال: لا أدَّعي ذلك، قالوا: فمن أنت؟ قال: من التابعين لهم بإحسان، فدُعي له بالدُّرَّة، قال: ولِمَ ذلكَ؟ قالوا: لادِّعائك ما ليسَ فيك، فقال: ويحكُم! أَدْخُل عليكُمْ وأنا نبيّ، تريدون أن تحطّوني في ساعة واحدة إلى مرتبةِ العوامّ! اصبروا عليَّ إلى غدٍ حتى أصيرَ لكم ما شِئْتُم!. (نهاية الارب في فنون الأدب للنويري).

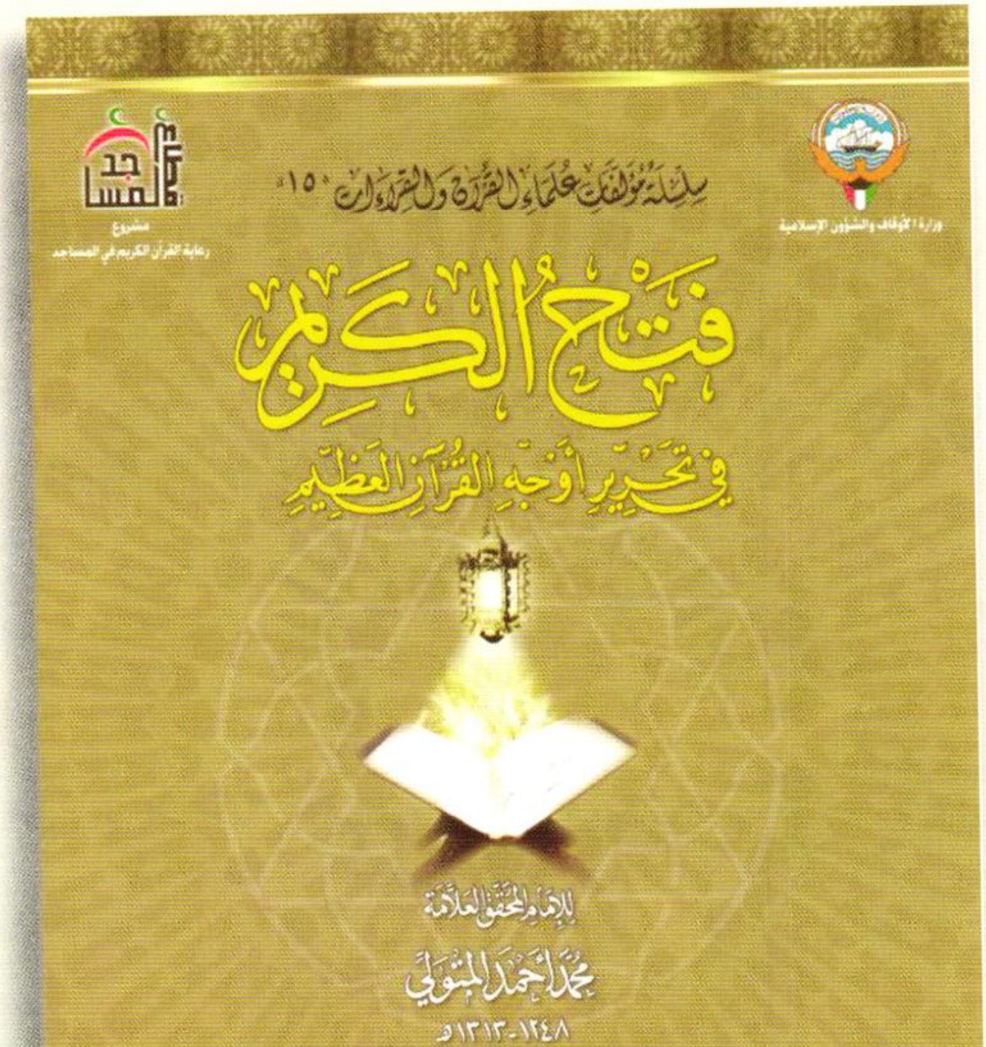
الكنز الثمين

د. يحيى سنبل

هل رأيت شخصًا يملك كنزًا ثمينًا، ويعيش عيشة الفقراء؟
كنز من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان، يذهل عنه صاحبه، ويسأل الناس الكفاف!
هل تعلم من صاحب هذا الكنز الثمين؟!
أنا وأنت! وكل مسلم وكل مسلمة!
وهل تعلم ما هو هذا الكنز؟!
القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.
ننبهر بمناهج الغرب، وفلسفات الشرق، والتقدم الأميركي، وأناقة الرجل الأوروبي، وإصرار الياباني، ونشاط الصيني.
وعندنا الكنز، الروح، الدستور، سلاسل الذهب والفضة، وقطع الماس الحر، واللؤلؤ والمرجان، والياقوت، والزمرد.
كان الطب بدائيًا، وساذجًا، والقرآن الكريم يأتي بالقول الفصل: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلًا...﴾ (غافر: ٦٧)
﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (النحل: ٤)، ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤).
كان الناس لا يعرفون شيئًا عن السماء والجبال والدواب، إلا القشور، فهم لا يلتفتون إليها، ولا يتفكرون في خلقها، وكان القرآن يأتي بالهداية: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ (لقمان: ١٠).
كان الناس في ضلال، يبغي بعضهم على بعض، وكان القرآن يأتي هاديًا ومرشدًا، وناصحا ومعلمًا: ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحًا إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان: ١٨-١٩).
والآن يعيش العالم في انحلال أخلاقي، ويدعو إلى الحرية الجنسية والعري، والزنى، واللواط، والسحاق، وعندنا الكنز: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)
﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بها رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ (النور: ٢).
﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ (النساء: ١٦).
يعيش العالم بالتعامل الربوي، وعندنا الكنز: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩)، وقبلهما قطعة الماس: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة: ٢٧٥)، هذا هو الكنز! انتبهوا أيها السادة!

من إصدارات مشروع رعاية القرآن الكريم في المساجد

«فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن الكريم»



هذه المنظومة المسمّاة « فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم » للشيخ محمد أحمد المتولي (ت/١٣١٣هـ) من المنظومات الجليلة النافعة في بابها، وهي منسوجة نظمًا ووزنًا على منوال الشاطبية، وبهما يتم لطالب العلم القراءات مبتغاه من هذا العلم الشريف.

أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

البعد الحضاري لأيام العطلة الأسبوعية



الإمساكية الرمضانية

الكويت في عيون الشعراء

المنهج السياقي ودوره في فهم النص

دور المرأة المكية في إنعاش الحركة العلمية

الوعي الإسلامي

مبارك عليكم الشهر

أسرة التحرير
تهنئكم بحلول

شهر رمضان المبارك

الافتتاحية

شهر القرآن

دعانا الله إلى بابه، وأنعم علينا بإنزال كتابه، أنزله ليكون للعالمين سراجًا منيرًا، وأرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، فالقرآن حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو العروة الوثقى، لا تنقضي عجائبه، ولا تتناهى غرائبه، لا يحيط بفرائده عند أهل العلم تحديد، ولا يخلقه عند أهل التلاوة ترديد، وقد جاء القرآن العظيم، في مثل هذا الشهر الكريم، يقص على الناس من أنباء السابقين، لترى فيها الأجيال المتعاقبة صور الماضي، فتعرف الخير وأسبابه، والشر وأعقابه.

ولقد استجاب أسلافنا للقرآن، فاستجاب الله لهم، ومكّن لهم في الأرض دينهم الذي ارتضى لهم.

وفي شهر رمضان أنزل القرآن، ليكون المعجزة لسيد ولد عدنان، ولقد عُني المسلمون منذ فجر الإسلام، في ربوع العالم بالقرآن الكريم، مصدر الهداية، ومنبع الإشراق، وكان له آثاره المباركة الطيبة في حياة الإنسان، ولقد تكفل الله بحفظه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

إن القرآن يهدي الساري، ويرشد العابر، من سار على ضوئه نجا ووصل، ومن أعرض عنه ضل وهلك.

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن للتالين مستمتع، ويتلى فيه بين أظهرنا ويسمع، وهو الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع، فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى أن ينفع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة! وكم يتوالى علينا الشهر وحالنا فيه كحال أهل الشقوة! لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة.

تقربوا إلى الله بتلاوة القرآن، واشغلوا ألسنتكم بالذكر، وسيظل نور القرآن ساطعًا يبهر الأبصار، ويجلجل الأسماع، حتى يبلغ الكتاب أجله، وهو شهر حافل بالأحداث العظيمة التي نصر الله فيها دينه، وأعلى كلمته.. رزقنا حلاوة مناجاته، وجعل قرة أعيننا في تلاوة آياته.

ولا تزكين واردًا لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة وجود الإمطار، وإنما المراد منها وجود الإثمار.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤١

العام السابع والأربعون

رمضان ١٤٣١ هـ

اغسطس - سبتمبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

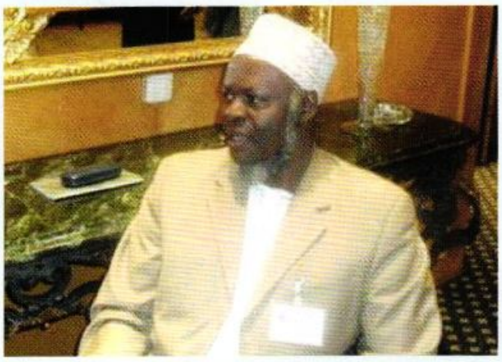
التحرير
تمام أحمد الصباغ

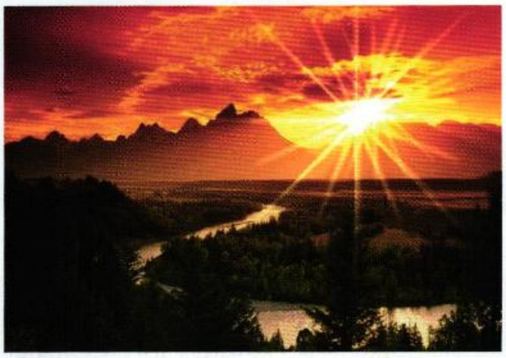
د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك
أبورواش زكي محمد

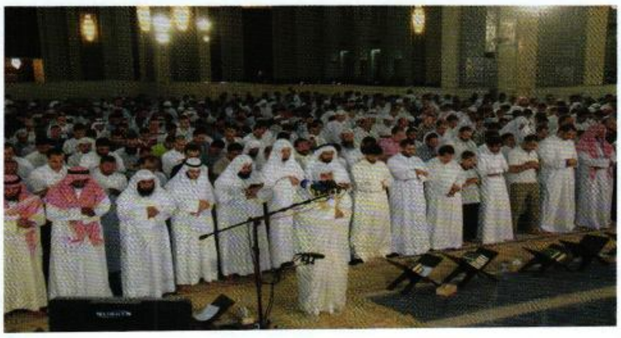
الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع





الشعور بالمسؤولية ٦

حوار مع مفتي أوغندا الشيخ موجابي ٨





مفهوم الأمية في العصر الجاهلي ١٤

الصوم وأثره في تعزيز قيم الحرية ٢٢

الصلاة على الكرسي ٣٨





ضوابط التداوي بالأعشاب الطبية ٤٦

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)

• اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر

• لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢

• مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام

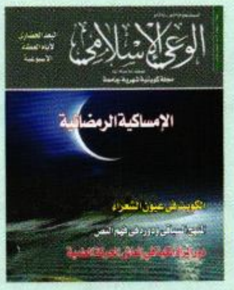
• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

موضوع الغلاف



الأمة المسلمة وهي تعيش أجواء شهر رمضان أحوج ما تكون إلى الوعي الكامل بمفهوم العبادات وغاياتها ودورها في تسديد وترشيد المسيرة النهضوية المجتمعية.

داخل العدد

البعد الحضاري لأيام العطلة الأسبوعية ١٠

المنهج السياقي ودوره في فهم النص ٣٤

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ٥٤

رحيل الصهيونية والبحث عن البديل ٦٢

أسرتي الرمضانية.. كيف أرعاها؟ ٧٦

لماذا يتصادم الآباء مع الأبناء؟ ٧٨

كلمة العدد

حقيقة رمضان

نهنئكم اولاً بحلول شهر رمضان المبارك ونبارك لكم وللأمة الإسلامية قاطبة هذا الشهر الفضيل، ونذكركم بأننا حين نستقبل رمضان تلو رمضان لابد أن نطرح سؤالًا على أنفسنا: هل ترك رمضان أثره في النفوس؟ وهل عاش المسلمون معناه واستظلوا بظلاله الوارفة، وهل جعلوا منه محطة لتدارك الأخطاء، ونقطة الانطلاق نحو واقع جديد يعيد لهم دورهم الإيجابي الرائد في سُلَّم الحضارة الإنسانية؟.

جملة من التساؤلات لابد أن تعيها أمتنا وتفهم مدلولاتها وهي تعيش أوضاعًا سلبية في معظم مجالات الحياة، مع وجود إضاءات إيجابية لابد من تفعيلها خصوصًا وأن رمضان يحمل في طياته قوة التغيير لتكون لنا بصمة واضحة ودور رائد في النهضة المنشودة، كذلك ينبغي للأمة أن تأخذ من رمضان درسًا تستفيد منه في تحديد وجهة المسار نحو هدف واحد يحقق طموحاتها ومصالحها، وبالتالي نماء مجتمعاتها، وهذا ما حاولنا التركيز عليه من خلال ملف العدد، وكل عاماً وأمتنا بخير وصحة وعافية.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: 105).

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريالا ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

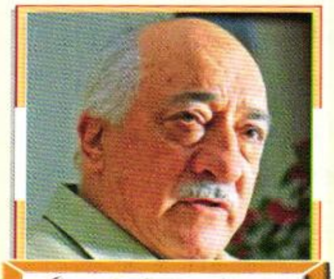
الاشتراكات

- **داخل الكويت :** للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية :** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم :** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات :** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الشعور بالمسؤولية



فتح الله كولن

الحركة والنهوض للحملة أهم عمق للصيرورة والتواجد. السكون اسم رديف للانحلال والموت. أما ارتباط الحركة بالمسؤولية فهو البُعد الإنساني الأول لها. ولا يمكن ادعاء الكمال في حركة أو نهوض لحملة من غير ضبطها بالمسؤولية.

أكثر الناس يسعون حثيثا إلى مقاصد وغايات مختلفة. ومن الهراء انتظار خير من سعي ولهاث بغير ضبطهما بالمسؤوليات. فإذا عمل طلاب المنافع، الدائرة أعينهم كالرحى طمعًا وحرصا، من غير توان وكلل، وخطب السياسيون في الأرجاء خطبًا سحرية، وهَرّج الإعلام في برامج الأخبار والحوار والمنوعات الأخرى، وتنفست جهاتٌ هواءَ الابتذال أيام السنة كلها، وهرول رجال يكتسون أردية الدين نحو حق التمتع بلا فتور، واستيقظت سوق الأوراق والصرف على التوقعات وباتت مع التوقعات، وبذلت بعض دوائر الدولة الفرص لبعض الأيديولوجيات، وتطلع أهل الدراية من غير اهتمام في ذهول على كل ما يقع من عظائم الأمور، ومعنى ذلك أن من يسحق يغنم، ومن ينسحق يمضي في سبيله مبررًا الحال «بالانتخاب الطبيعي!» ومستسلمًا وراضخًا لكل شيء باعتباره طبيعيا، فإن ما يلزم عمله يومئذ قد تعسّر وصعب، واشتد وثقل... حتى إذا نهض رجل فقال لأبطال(!) هذه الحركات والتكونات المشؤومة، أو للبؤساء المسحوقين بين أسنان هذه الدواليب المرعبة:

قفوا... إلى أين أنتم ماضون؟

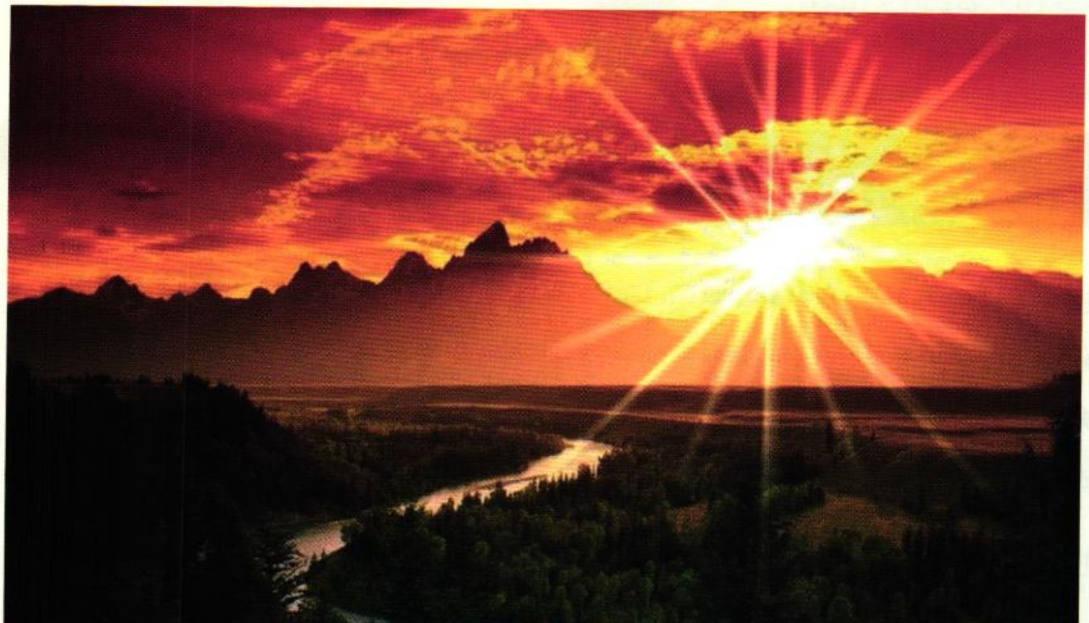
محضُ كذب إن قيل قد يحيا مجتمَعٌ والحسُ فيه منعدمُ

أروني أمة ماتت معنوياتُها، ثم هم بعدها سلِموا «١»

فإن لم يصفعوه ولم يبصقوا في وجهه، فسيعزروه بكلام غليظ أو يتخذوه هزوًا. وربما قالوا: «كل شاة تناط برجليها» أو قالوا في عدم اهتمام: «الربان الماهر هو الذي ينقذ سفينته» «٢» مستهزئين من شعوره بالمسؤولية. بل ربما نفثوا هذيانًا ينُمّ عن إنسان منفلت غير مبال: «ما همني أن تعيش ألف سَنة حيةٌ لا تلدغني!». فيخفق وجدانه النبيه مضطربًا. ومن يدري بما يصدم فكره النقي ومشاعره البريئة في هذا القفر من شؤون وأشجان!

ليس شيء من هذا مما يخطر على قلب مؤمن أو حساس. ولكن لا يلَيق بشعوّرنا بالمسؤولية أن نقول: سفسطة وهذيان، ثم نمضي في سبيلنا. لا يليق بمسؤوليتنا ولا يأتلف معها، لأننا محاصرون -شعبًا- بالعداوات وبالأعداء. وما دمنا في أسر هذا الحصار، فلا يمكن أن نحقق ذاتنا في الحس والفكر والاعتقاد والفن والتصرف الحر، وأن نحمي كرامتنا الإسلامية وعفتنا «المليّة»، وننقذ سفينتنا ونوصلها إلى بر الأمان، ونبني عالمنا الخاص ونحيا كما نريد، ونكون ورثة الأرض ونصل إلى الله. فينبغي أن نفتح عيوننا فنرى الحقيقة، ونعمل ببصيرتنا فنصون خواصنا المنتقلة إلينا من أمس إلى اليوم، ونطرد ما يمضغ وجودنا وشخصيتنا من دواخلنا. وإن لم نفعل، فسوف نرى يومًا نعجز فيه عن الحفاظ حتى على حالنا الحاضر.

كان الجهل والفقر والتفرق



■ مفكر تركي

والتعصب وما يشبه ذلك، هم أعداؤنا في زمن ماض. واليوم زيد عليهم الخداع والتسلط والسفاهة والخلاعة واللامبالاة وضياع الهوية. وليعذرني هذه المرة الذين يحملون في جنباتهم قلق النزاهة الدينية والصفوة الفكرية والحماسة «المليّة»، إذ أقول بأن أجيال الشباب وقسما من أنقياء السريرة من الشيب يضَلّون منذ مدة طويلة بالحماس البريء النقي، ويعيشون غدر وعذاب الشخصية الصدوق-المنخدعة، ويُغرّرون بأيديولوجيات منحرفة ما فيها إلا الكلمات المنمقة. ومهما انحصرت الظاهرة في شرائح معينة من الشعب، فإن هذا الانحراف الفكري والتحول والانزلاق في الشخصية يعني احتلال هذا الوطن المبارك تارة أخرى. احتلالٌ يسمّ محمد الفاتح، ويطعن مراد خداونديكار في أحشائه بخنجر، ويقتل يلدرم بايزيد همًّا، ويقهر ياووز سليم بكفّ الأسد.«٣» احتلال فاضح يقتل روح «الملّة» التي خرجت ظافرة بالنصر من كفاح الاستقلال، لتذبح بسيئات العصر وغفلة المثقفين وإهمال الجمهور.

ونحن حملنا على عاتقنا مسؤولية بث روح جديدة في دنيانا، مشبعة بالإيمان وحب الإنسان والحـرية، وتجهيز البيئة لترسيخ الجذور المعنوية لشجرة مباركة تنمو وتزدهر أفنانها بهذه المعطيات، وتزهو حقولًا جديدة بامتداد تلك الجذور. ولاشك أن إنجاز ما تمليه هذه المسؤولية مرتبط ارتباطًا وثيقًا بأبطال يصونون مصير الوطن ويحمون تاريخ إنساننا ودينه وأعرافه وتقاليده ومقدساته كلها... أبطال طافحين بحب العلم، مُنْشَدّين إلى الإعمار والإنشاء، متدينين أخلص من الخُلّص، محبين للشعب، ومرابطين أبدًا على أداء واجباتهم بشعور المسؤولية. فبهؤلاء وبجهودهم ستهيمن أفكارنا، ومحصلة هذه المفاهيم والأفكار، على حياة شعبنا... ويعلو في كل إنسان حس نذر النفس لخدمة المجتمع، وينتعش من جديد مفهوم تقاسم الواجبات والتعاون المتبادل، وتبرز كرّة أخرى خصلة ظهور الشيء الواحد بأوجهه الكثيرة في علاقة رب العمل بالعامل، وصاحب الأرض بالزارع، والموظف برجل الشارع، وصاحب البيت بالمستأجر، والفنان بمحب الفن، والموكل بالوكيل، والمعلم بالطالب، ويتحقق كل ما كنا ننتظر منذ عصور. نحن نعيش في زمن نسبك فيه رؤانا في أفكار مثالية، ونؤمن أن مسؤولي العصر سيحققونها بتوقيت جيد حين تَأْزف ساعتها.

هذا هو أس رؤيانا وخيالنا منذ عصور. والشعور بالمسؤولية وأخلاق المسؤولية هو أول وسيلة لتحقيق رؤيانا وخيالنا. ولما كان السكون والجمود موتًا وانحلالًا، واللامسؤولية في الحركة فوضى ولغطًا، فلا مفر من ضبط تصرفاتنا بالمسؤولية. فينبغي شد كل جهد لنا بالمسؤولية. طريقنا طريق الحق، وقضيتنا حمل الحق، وغايتنا تحري رضا الله في كل رفّة عين. والأصل أن هذه صَدَقة كينونة الإنسان وحكمة وجود الإرادة. نحن نحسب أنفسنا مضطرين إلى التحري عن غاية الحياة في حياتنا، والتوصل إلى العشق في أرواحنا، والوعي بشعور المسؤولية في وجداننا، وإرشاد المستيقظين على منبع نظام أساسه وأصوله الإيمان، ومصدر قوته العشق، ونوره العلم والفن والأخلاق والحكمة.. فنحتسب أنفسنا عبيدًا لهذه الرسالة عبودية لا انعتاق منها. وستكون بداية لنهضة عالمية ثانية، هذه الجهود التي نرجو انتشارها وتطورها في استقامة وروحانية جميع الأولياء والأصفياء والأبرار والمقربين منذ البداية إلى اليوم.

الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل سيلم شعث أشلاء «أمتنا» المباركة الممزعة

لقد كان لكل عصر كرامة. فولدت الإنسانية من جديد بالإسلام في القرن السادس الميلادي، وعاد كثير من أقوام الترك إلى الحياة كرة أخرى بالإسلام في القرن العاشر الميلادي، وانشقت بالاستحالة شرنقة عن فراشة في «سوكود» «٤» في القرن الرابع عشر الميلادي. وأظن أن كرامة القرن الحادي والعشرين ستظهر بملء شعبنا والشعوب المرتبطة به مكانه اللائق في الموازنات الدولية. وسيدور هذا التكون الجديد الذي يغير وجهة تاريخ العالم ومسيرته، في أفلاك الروح والأخلاق والعشق والفضيلة. نعم، نؤمن أننا بهذا الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل أيضًا، سنلم شعث أشلاء «أمتنا» المباركة الممزعة البئيسة والمشردة في أرجاء الأرض المختلفة، لتجتمع الأجيال التي ظلت بلا راع ولا غاية حتى اليوم في ظل الفِكر، فتعيش «الانبعاث بعد الموت» من جديد في نشوة الوصل بـ «لواء الحمد».

الهوامش

«١» ترجمة بيت لمحمد عاكف، ديوان «الصفحات»، ص ٢٧٢. (المترجم)

«٢» المثل الأول يقال للنهي عن التدخل في شؤون الآخرين أو مسؤولية كل إنسان عن عمله بنفسه. والمثل الثاني لمن ينصرف إلى النجاة بذاته غير مبال بغيره. (المترجم)

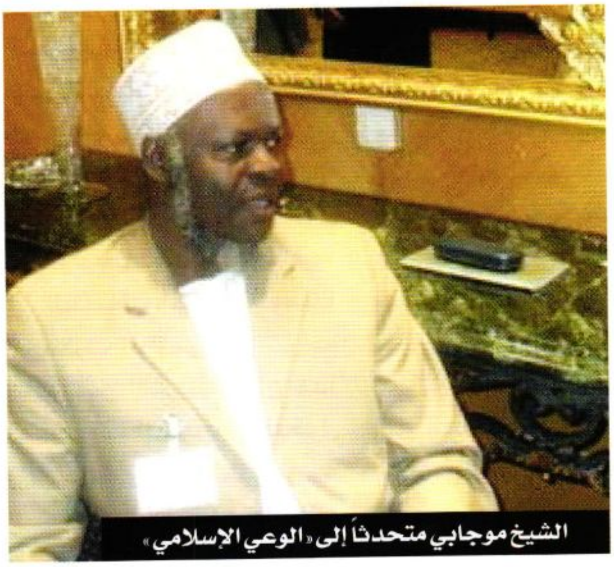
«٣» إشارة إلى دس السم لمحمد الفاتح، وطعن الصربي الغادر للسلطان مراد بخنجر في ميدان المعركة بعد نيل الأمان، وموت السلطان بايزيد همًّا بعد وقوعه في أسر تيمورلنك وإذلاله، ووفاة ياووز سليم بورَم سرطاني متقيح في كتفه يسمى «شيربنجه»، والكلمة فارسية معناها «كف الأسد». (المترجم)

«٤» إشارة إلى انبثاق براعم الدولة العثمانية في قصبة «سوكود»، وهي من أنحاء الأناضول التركية حاليًا، والكلمة نفسها اسم لشجرة، فالجملة تتزين بحُسن الجناس. (المترجم)

الشيخ موجابي يناشد عبر «الوعي الاسلامي» المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي
مساعدة مسلمي إفريقيا لمواجهة مخططات التنصير

مفتي أوغندا: لابد من تطوير خطاب إسلامي يواجه ثقافة الجهل والخرافة في المجتمعات الإسلامية

حوار: محمد خليل


الشيخ موجابي متحدثاً إلى «الوعي الإسلامي»

ناشد مفتي أوغندا ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى الشيخ شعبان رمضان موجابي المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي عبر «الوعي الإسلامي» المبادرة إلى دعم المسلمين في إفريقيا ثقافيًا ودينيًا لتحصينهم ضد الأفكار الهدامة، ومخططات التنصير من قبل الكنائس الغربية التي تستغل حالة الفقر والتخلف والجهل، التي تعاني منها المجتمعات الإفريقية، وتدخل إلى هذه المجتمعات متخفية تحت ستار المؤسسات الخيرية التي تقدم المساعدات الإنسانية، مؤكدًا ضرورة قيام هذه المؤسسات بتطوير خطابها الديني الذي يدعو إلى الأخذ بأسباب التنمية والتقدم العلمي، ومحاربة الجهل والخرافة. وأضاف الشيخ موجابي على هامش زيارته للقاهرة مؤخرًا: إن العالم الإسلامي بحاجة إلى تبني مشروع نهضوي يحقق آمال وطموحات الشعوب الإسلامية، ويخرجها من حالة اليأس والإحباط التي تمر بها، مؤكدًا أهمية تبني أقطار العالم الإسلامي لبرامج اقتصادية وثقافية تساعد على تحقيق التكامل والتعاون فيما بينها، وتوظيف ما يزخر به العالم الإسلامي من موارد طبيعية لخدمة المسلمين. كما تطرق الحديث إلى بعض ما يدور على الساحة الآن من أحداث، فضلًا عن أحول المسلمين في أوغندا، واليكم نص الحوار:

• نريد إلقاء نظرة سريعة تقرأون من خلالها أحوال العالم الإسلامي، خاصة ما يعانيه من مشكلات، وكيف يمكن التغلب عليها؟

- العالم الإسلامي يعاني من مشكلات مزمنة أدت إلى تخلفه عن ركب الحضارة والتقدم منذ فترة ليست قصيرة، وكما نعلم جميعًا أن العالم الإسلامي مر عبر تاريخه بمراحل عدة شهد خلالها تقدمًا وتأخرًا وصعودًا وهبوطًا، والذي يعنينا هنا هو مرحلة التأخر عن ركب الحضارة والتقدم، ومعرفة الأسباب التي أدت لذلك، والعمل على معالجتها، ومن أخطر الأسباب التي أدت إلى تخلف المسلمين.. أسباب خارجية وأخرى داخلية، فالخارجية تتمثل في الاستعمار الذي عمل على إضعاف قوة المسلمين ونهب ثرواتهم وزرع الفتن بينهم، فضلًا عن تحالف بعض القوى الاستعمارية لاحتلال فلسطين والعمل على ضرب وحدة المسلمين وجرهم إلى حروب ومشكلات أدت إلى إضعافهم اقتصاديًا وسياسيًا، أما الأسباب الداخلية فتتمثل في عدم الاهتمام بالعلم والجري وراء الخرافة، وكثرة النزاعات والخلافات بين البلدان الإسلامية، وعدم أخذ المبادرات الجادة التي تؤكد وترسخ مفهوم الوحدة بين المسلمين، عملًا بقول الله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾ (المؤمنون: ٥٢).

• أشرتم إلى الأسباب، فما هي وسائل العلاج التي تقترحونها من وجهة نظركم؟

- أقول من حيث انتهيت: يجب على العالم الإسلامي العمل بقول الله تعالي ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾، ولا يخفى علينا أن العالم الإسلامي أصبح الآن بحاجة ماسة إلى تبني مشروع نهضوي يحقق آمال وطموحات الشعوب الإسلامية ويخرجها من حالة اليأس والإحباط التي تمر بها، وهذا المشروع يتمثل في أهمية تبني أقطار العالم الإسلامي لبرامج اقتصادية وثقافية تساعد على تحقيق التكامل والتعاون فيما بينها، وتوظيف ما يزخر به العالم الإسلامي من موارد طبيعية لخدمة المسلمين وتنميتهم اقتصاديًا وعلميًا، فضلًا عن أهمية قيام المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي بتطوير خطابها الديني الذي يدعو إلى الأخذ بأسباب التنمية والتقدم العلمي، ومحاربة الجهل والخرافة.

• نريد تسليط الضوء على أوضاع

«الإسلاموفوبيا» غير موجودة في أوغندا لكن توجد حملات قوية للتشكيك في الإسلام

المسلمين في أوغندا والمشكلات التي يعانون منها؟

- يبلغ تعداد المسلمين في أوغندا حوالي ٩ مليون نسمة من جملة عدد السكان البالغ حوالي٣٠ مليون نسمة، ويمثل المسلمين في أوغندا المجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه المفتي، وهذا المجلس يشرف على حوالي٧٥٠٠ مسجد، بالإضافة إلى البرامج الدعوية التي يتولاها قسم الدعوة بالمجلس، وهذه البرامج هدفها تبليغ كلمة الإسلام وتوعية المسلمين بصحيح الإسلام، وذلك من خلال إعداد قوافل تقوم برحلات دعوية إلى المساجد بمختلف المناطق في أوغندا، أيضًا يوجد بجانب هذه القوافل الدعوية وسائل أخرى للقيام بمهمة التوعية الدينية للمسلمين في أوغندا، مثل إذاعة صوت إفريقيا، وهي تابعة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وإذاعة صوت بلال، وهي إذاعة تابعة للمجلس الإسلامي الأعلى في أوغندا، وهاتان الإذاعتان جميع برامجهما إسلامية، فضلًا عن ذلك فإن المجلس الإسلامي الأوغندي أوشك على الانتهاء من إجراءات إطلاق إذاعة جديدة باسم «إذاعة جبل نسابة»، وهذه الإذاعات الثلاث التي تعمل في خدمة الدعوة الإسلامية، يقابلها أكثر من ٢٠٠ إذاعة أهلية تبث معظمها برامج تسيء للعقيدة الإسلامية، وتعمل على تشويه الإسلام، لتشكيك المسلمين في دينهم، بالرغم من أننا حريصون على إقامة علاقات طيبة مع أتباع الديانات الأخرى وعدم التعرض لهذه الأديان بشيء يسيء إليها، وذلك من منطلق أن الإسلام دين عالمي، وأن إيمان المسلم لا يكتمل إلا إذا آمن بجميع الرسالات السماوية السابقة على الإسلام، لكن للأسف نجد أن معظم هذه الإذاعات تبث برامج تهدف إلى تنصير المسلمين أو العمل على تشكيكهم في عقيدتهم.

● كيف يمكنكم التغلب على هذه المشكلة؟ ألا تلجأون إلى الحوار كوسيلة لإقناع أصحاب هذه الإذاعات ومن يفكرون في الإساءة إلى الإسلام بتبني فكرة التفاهم والحوار وتصحيح المعلومات الخاطئة لديهم عن الإسلام؟

- نعم، هذا صحيح وقد جربنا كل هذه الوسائل وغيرها إلا انه لم تتحقق لنا أية نتائج، وهذه الأعمال مستمرة وفي تزايد.

● ألم تفكروا في وسائل أخرى؟

- الوسائل التي قد تحقق شيئًا طيبًا بالنسبة لنا هي دعم المؤسسات الإسلامية وعلى رأسها الأزهر، وكذلك الجمعيات الإسلامية العاملة في أوغندا، وبعض الشخصيات الإسلامية سواء من علماء المسلمين أو الأثرياء في العالم الإسلامي، والتي قد تدعمنا في العمل على توسيع أنشطتنا الدعوية للحفاظ على الهوية الدينية لأبناء المسلمين في أوغندا، خاصة وأننا نحتاج إلى إطلاق قناة تليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية في أوغندا، لا سيما مع وجود عشر قنوات تليفزيونية ليس للمسلمين قناة واحدة منها، كما انه يوجد في أوغندا، بالرغم من الجهود الجبارة التي تبذل لتنصير المسلمين وتشويه صورة الإسلام، إقبال كبير على اعتناق الإسلام، فلا يمر يوم إلا ويدخل إلى حظيرة الإسلام مسلمون جدد.

● لاشك أن هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام حديثًا يحتاجون إلى رعاية مادية ومعنوية، وإلى توعية وتعريف بحقيقة الإسلام؛ حتى يقوى إيمانهم ولا يتعرضون إلى التشكيك والارتداد عن الإسلام مرة أخرى، فهل توفرون لهم تلك الرعاية؟

- نعم، نحن لم نقصر في حق هؤلاء، فبدأنا على الفور في بناء دور لهم تسمى «دور الإيمان للمهتدين الجدد» في المناطق الشرقية والشمالية من أوغندا، فعلى سبيل المثال تمت إقامة خمسة مراكز (دور) للمهتدين، وكل دار تأوي ستين مهتديًا جديدًا لمدة أسبوعين يتلقون خلالهما المعرفة بمبادئ وتعاليم الإسلام، كما يوجد حوالي ٣٥٠ مدرسة قرآنية تعمل في حقل تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية للنشء، سواء على مستوى المرحلة الابتدائية أو الإعدادية، وذلك بجانب خمسين معهدًا دينيًا يعلمون مبادئ الإسلام، كما توجد جامعة إسلامية تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهذه الجامعة تهتم بتعليم أبناء المسلمين صحيح الإسلام، وتقبل غير المسلمين للدراسة بها في حدود ١٠٪ من إجمالي عدد الدارسين، حسب الاتفاق المبرم بين منظمة المؤتمر الإسلامي والحكومة الأوغندية.

● ذكرتم أن هناك بعض الإذاعات تتعمد الإساءة إلى الإسلام ونشر البلبلة بين صفوف المسلمين بهدف تحويلهم عن دينهم، هل هذا يأتي في إطار انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام «الاسلاموفوبيا» التي تجتاح كثيرًا من البلدان في العالم؟

- لا، هذا ليس صحيحًا، الاسلاموفوبيا غير موجودة في أوغندا، لكن توجد كما قلت جهود جبارة من خلال حملات قوية تهدف إلى تنصير المسلمين، والتشكيك في الإسلام، وذلك لأن سياسة الرئيس الأوغندي وحكومته عدم التدخل في أمور الأديان، وهذا يتطلب من المؤسسات الإسلامية والأثرياء في العالم الإسلامي أن يسارعوا إلى تقديم يد العون للمسلمين في أوغندا، لأننا لاحظنا في السنوات الأخيرة نشاطًا هائلًا للمؤسسات الكنسية الغربية التي تسعى بقوة لتنفيذ مخططات لتنصير المسلمين، ليس في أوغندا فقط ولكن في عموم قارة إفريقيا، وهذه المؤسسات لها برامج مدروسة، ودائمًا ما تأتي إلى المناطق الفقيرة التي يعاني سكانها من الجهل والفقر والأمراض، وهي ترفع شعار المؤسسات الخيرية التي تقدم المساعدات والمعونات الإنسانية، وهذا يتطلب من المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي الانتباه إلى هذه المخططات والدعوة إلى دعم مسلمي إفريقيا ماديًا وثقافيًا للحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية في مواجهة مخططات التنصير.

حين نضل الطريق ونتبع اليهود والنصارى

البعد الحضاري لأيام العطلة الأسبوعية

أحمد عيساوي

مبررات المسألة: في البلاد والمجتمعات التي شهدت في فترات من تاريخها تبعية تسلطية واستكبارية يكثر الجدل فيها حول الثوابت والمحددات المقدسة، كما يحتدم النقاش فيها أيضا حول الأطر المرجعية التي تحكم كثيرا من القضايا، وتوجه دفة الحياة فيها على المستوى الفردي والاجتماعي والسياسي.

بحكم التبعية المطلقة للغرب، الذي استعبد حيزا جيوسياسيا وثقافيا وحضاريا من الأمم عامة، ومن الأمة الإسلامية خاصة، وبحكم عمليات الاستئصال والمسخ والتشويه... لكل المقومات والقيم والأطر الحضارية المرجعية للأمم المستعبدة صار كل شيء فيها قابلا للجدال وللمناقشة بعد أن أعفت عليه عوامل الغزو والاستئصال الاستعماري.

وبفعل عمليات الإبادة والاستئصال التي مورست ضد جيوب الممانعة الروحية والمقاومة الثقافية والحضارية لتلك الشعوب صار كل شيء فيها قابلا للنقاش والحوار بما في ذلك الأطر المرجعية المقدسة وإيحاءاتها في الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية والدينية للعرب وللمسلمين.

وبفعل قرون الهيمنة التي استمرأها الاستكبار العالمي ضد الأمم المستعبدة صار الغرب الوثني مسكونا بهاجس تبعية الأمم الأخرى إليه، تبعية مطلقة لقيمه الثقافية، ولمثله الحضارية الوثنية. ولم يعد يتصور- بفعل المرضية الاستعبادية وعقدة المركزية الكامنة فيه تاريخيا- بروز حصون ممانعة ثقافية، أو مقاومة دينية مناوئة لمشروعه الاستكباري، الذي يحمل في الوقت نفسه عوامل إفناء المدنية الغربية نفسها.

وبفعل وجود الولاءات، وجيوب الإخلاص والوفاء للتبعية، وبفعل القابلية

أكاديمي جزائري

يزعم اليهود أن الرب قد سبت يوم السبت واستراح من وعثاء الخلق

للتبعية والاستماتة في خدمة مشاريع الآخر القوي في الكثير من البلاد العربية والإسلامية على مستوى الدوائر الرسمية وغير الرسمية يطرح للنقاش اليوم موضوع يوم العطلة الرسمية، ومدى جدوى أو عدم جدوى بقائه مخالفا لما عليه في الغرب، بحجج التفتح والتقدم والتطور ومواكبة عصر العولمة.

ولنا أن نتساءل هنا، لماذا تصّر علينا بعض دوائر التبعية للغرب أن نبدل يوم عطلتنا؟ وتصّر معه جيوب التبعية المتحكمة فينا أيضا إلى إحداث مثل هذا التغيير الخطير في تاريخ ومستقبل وتوجه الأمة؟ ولماذا لا يغير اليهود يوم عطلتهم السبت بيوم الجمعة نظرا لوجودهم ضمن محيط عربي كبير؟ بل يصرون على تسبيت سبتهم حتى لو خسروا أهم معاركهم. (١)

إن القضية في اعتقادنا لها أبعادها الحضارية البحتة، حتى وإن وجدت السند الإعلامي والدعائي المقنع الذي يضمن لها تمرير مخططها في المنطقة المغاربية، حيث العطلة في كل من المغرب وتونس يوما السبت والأحد، وستتبعهما كل من موريتانيا والجزائر التي بدأت بالونات الاختبار ترسل فيها لمعاينة روح الممانعة الثقافية والحضارية فيها. كما لها سندها العقلي، إذ بينت الدراسات العلمية الحدية حاجة الإنسان الماسة ليوم أو يومين من الراحة يستجم فيهما من وعثاء العمل والتعب الأسبوعي، يصل حتى التقديس في المجتمعات المتطورة التي تضحي بكل شيء إلاّ بيوم عطلتها.

وإيمانا منا بالبعد الحضاري والديني ليوم العطلة أصّلنا المسألة على النحو التالي.

• <u>البعد الديني ليوم العطلة الأسبوعية</u>: إن أيام العطلة والراحة الأسبوعية التي تتقاسم شعوب الأرض مقسمة حسب الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية. المسيحية. الإسلام)، فيما تبقى الأديان الوثنية الأخرى كالكونفوشيسية والبوذية والبراهمية والمجوسية... تبعا لبقية الأديان السماوية الثلاثة، وذلك لعدم تضمنها على تشريعات تحكم وتنظم سائر شؤونها، كما هو الشأن في الأديان السماوية التي تنص على قداسة يوم بعينه من أيام الأسبوع، استنادا إلى المرجعية الدينية لكل دين.

وتبقى لهذه الأديان رؤيتها وتصوراتها العقدية المقدسة الخاصة بها في اختيار يوم وتفضيله على يوم آخر، ولذا فإننا نجد أنفسنا أمام ثلاثة أيام رئيسة هي:

١- السبت لليهودية واليهود.

٢- الأحد للمسيحية والمسيحيين.

٣- الجمعة للإسلام والمسلمين.

ولكن ما هي الأبعاد والخلفيات الدينية العقدية التي اعتمدتها هذه الأديان في اختيار يوم راحتها الأسبوعية المقدس؟

١- سابات اليوم الذي استراح فيه

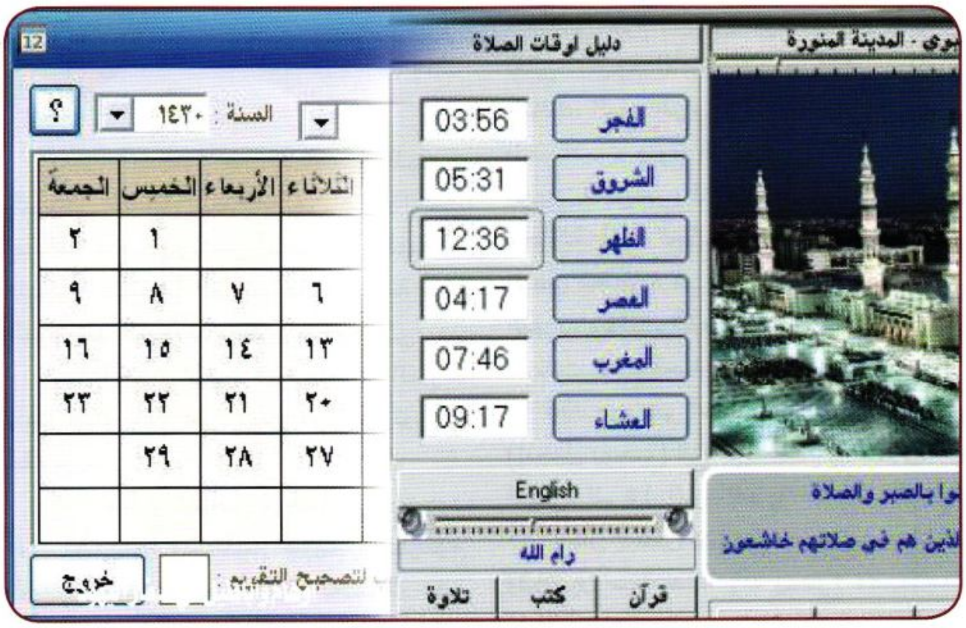
الرب جاء في سفر التكوين في الإصحاح الثالث من توراة العهد القديم عن خلق الخليقة، وقصة خلق الكون والحياة والتكوين وآدم ما يلي:

«... إن الله خلق النور في اليوم الأول، والسماء في اليوم الثاني، والأرض في اليوم الثالث، والنبات في اليوم الرابع، والشمس والقمر والنجوم والطير في اليوم الخامس، وخلق الحيوان والإنسان في اليوم السادس، ثم تعب الرب من العمل، والجهد فاستراح في اليوم السابع وسبت...». (٢)

وبغض النظر عن بطلان الطرح العقدي الذي ساقته التوراة افتراء على الله تبارك وتعالى، والذي يصف المولى تبارك وتعالى بالتعب، ويصوره كإنسان يعمل ثم يشعر بالتعب والنصب، فيطلب لنفسه الراحة، فيختار اليوم السابع ليسبت، ويستريح. وعلى هذا فإن اليهود يعظمون اليوم السابع، أي يوم السبت، لأن الرب قد سبت فيه، واستراح من وعثاء الخلق والتكوين، ولذا فإنهم يقدسونه دينيا، ويسبتون فيه من مغيب يوم الجمعة إلى مغيب يوم السبت، لا يصنعون في ذلك اليوم شيئا، ولهم طقوس تعبدية في هذا اليوم المقدس. (٣)

وقد جاء في «سفر الخروج» في الإصحاح العشرين من الفقرة ١ إلى الفقرة ١٧ الحديث عن قدسية يوم السبت عند اليهود، فقد أوردت التوراة مايلي: «.. إني أنا الرب إلهكم، الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.. اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب إلهك. لا تصنع عملا أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وبهيمتك، ونزيلك الذي هو داخل أبوابك، لأن الرب صنع السماء والأرض والبحر، وكل ما في الأرض والكون، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه..». (٤)

وهاهو نص آخر من توراة العهد القديم



يشير صراحة إلى تقديس هذا اليوم، وفيه يأمرهم الرب إلههم بالسكون والثبات، فيجب عليهم ألا يكثروا من الحركة، ولا يقوموا بأي عمل أو مجهود للأصناف المذكورة في النص، بدءا من السيد وانتهاء بالضيف والبهيمة والعبد.. حتى أنهم تقديسا لهذا اليوم يُعدون طعامهم بالقرب من مجامير الفحم ليبقى ساخنا، ويجتهدون في ذلك اليوم على الإقلال من لمس الأشياء طاعة لربهم، الذي سبت واستراح يوم السبت، بعد أن تعب من صناعة وتكوين العالم بزعمهم.(٥)

ويعتز اليهود بقدسية هذا اليوم، حتى أنهم يصرون على تنفيذ أركان عقيدتهم الدينية في المجتمعات التي يعيشون فيها كأقليات، ففي سورية وفي جامعة حلب وفي كلية الطب رفض طالب يهودي إجراء الامتحان النهائي يوم السبت، لأنه مقدس بالنسبة إليه، وقابل رئيس الجامعة بكثير من الجرأة والوقاحة لأن يغير له توقيت الامتحان لأنه جاء في يوم عيده الأسبوعي، أو يغير توقيت الامتحان لجميع الطلبة احتراما لمشاعره الدينية، واحتراما لعقيدته الدينية التي تُحرم عليه فعل أي شيء يومي الجمعة والسبت، ولن يفعل أي شيء حتى لو كان امتحانه النهائي والمصيري، مما اضطر إدارة الجامعة- لاعتبارات سياسية ودعائية وإعلامية قد يستغلها اليود- إلى تغيير وتعديل تاريخ الامتحان ليتناسب وطقوس هذا الطالب اليهودي المتدين والمتمسك بعقيدته ويم عطلته.

وقد ورد تقديس هذا اليوم عند اليهود العديد من المرات، فسفر التكوين، والخروج، والتثنية، والعدد، وصموئيل أول، وصموئيل ثاني، وعزرا، ونحميا، ويونا، ودانييل، وحزقيال وعاموس.. كلها قد أولت أهمية كبرى، وعناية خاصة بهذا اليوم.

ومن أهم ما ورد في تقديسه ما جاء في سفر التثنية في الإصحاح الخامس، حيث تقول التوراة: «...احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك، ستة أيام تشتغل، وتعمل جميع أعمالك، وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك، ولا تعمل فيه عملا أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك، وكل بهائمك، ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك، واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة، وذراع معدودة ممدودة، لأجل ذلك وصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت.. هذه كلمات كلم بها الرب كل جماعتكم في الجبل، وكتبتها على لوحين من الحجر، وأعطاني إياها...». (٦)

ودون الدخول في تفاصيل الطرح التوراتي نسجل انطلاقا من هذا النص اتفاقه مع غيره من النصوص السالفة المذكورة وغيرها التأكيد على قداسة هذا اليوم عند اليهود، ويمكن رصد التالي:

١ – اختيار اليهود ليوم العطلة السبت إنما جاء بناء على نص مرجعي توراتي مقدس.

٢ – مدى تفاني وإخلاص اليهود في تقديس وتعظيم كتبهم وتعاليمهم الإلهية، ولو مظهريا بغية الحفاظ على مسحة التمايز الشكلانية بين الديانات والحضارات الأخرى.

٣ – تعظيم اليهود وتقديسهم لأعيادهم الدينية، ومنها يوم السبت (سابات)، الذي سبت في الرب بزعمهم.

٤ – تحملهم المشاق في سبيل الحفاظ على الهوية الحضارية اليهودية بتمايزاتها.

٥ – عدم الخجل أو الخوف من إظهار العقيدة اليهودية، بل يسعون جاهدين إلى إبراز مظاهر الاعتزاز بالعقيدة والدين اليهودي.

٦ – محاولاتهم الدائمة والدائبة لفرض طروحاتهم وعقائدهم على الآخرين، دون احترام للفوارق.

وفي المنظور اليهودي هذا يوم العطلة المقدس، الذي يفاخرون به ضمن المحيط العربي والإسلامي، غير آبهين بدين وثقافة المحيط الكبير، ويعملون جاهدين على التمايز، ضاربين عرض الحائط بكل الشعارات المزيفة التي يسوقونها عبر الهيئات والمنظمات الدولية والشعبية، كحقوق الإنسان والحرية الفردية..

٢ – آحاد.. اليوم الذي خالف فيه المسيحيون اليهود:

كان اليهود يرتبون الأيام على الشكل التالي فيقولون: «يوم آحاد أو يوم ريشون، يوم شيني، يوم شليشي، يوم ربيعي، يوم حميشي، يوم شيشي، يوم سابات»، وهي تعني: اليوم الأول، اليوم الثاني، اليوم الثالث، اليوم الرابع، اليوم الخامس، اليوم السادس، يوم السبت، فجاءت تعاليم الدين المسيحي لتخالفهم في اعتقادهم محاولة منها لجلب القداسة إلى اليوم الذي تختاره هي وتخالف فيه اعتقاد اليهود، ولتنفي القداسة والإجلال عن يوم السبت الذي تجله يهود.

وقد ورد في أسفار العهد الجديد في (إنجيل يوحنا) في الإصحاح الخامس من الفقرة الـ ١٥ إلى الفقرة الـ ١٨ ما يلي: «... وكان إنسان هناك به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة هذا رآه يسوع مضطجعا وعلم أن له وَمَنَا- مرضا- كثيرا، فقال له: أتريد أن تبرأ؟ فأجابه المريض: يا سيدي ليس لي إنسان يلقيني في هذه البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر. قال له يسوع: قم احمل أنت سريرك وامش. فحالا برئ الإنسان، وحمل سريره ومشي. وكان ذلك في يوم سبت.

فقال اليهودي للذي شفي: إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك. أجابهم: إن الذي أبراني هو قال لي احمل سريرك وامش. فسألوه من هو الإنسان الذي قال لك ذلك؟ أما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو؟ لأن يسوع اعتزل إذ كان في الموضع جمع. بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له: ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أشر. فمضى الإنسان، وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه. ولهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سبت.

فأجابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا إن الله أبوه معادلا نفسه بالله....» (٧)

كما ورد مثل هذا الطعن في قدسية يوم السبت في إنجيل يوحنا في الإصحاح التاسع عشر في الفقرتين الـ ٣١ والـ ٣٢، وكذلك في إنجيل لوقا في الإصحاح السادس في الفقرة الـ ٢ إلى فقرة الـ ٥ وفي غيره من الأناجيل. (٨)



ودون الدخول في متاهات التحليل للنص الإنجيلي المليء أيضا بالأباطيل والترهات نشير فقط إلى الحقائق التالية:

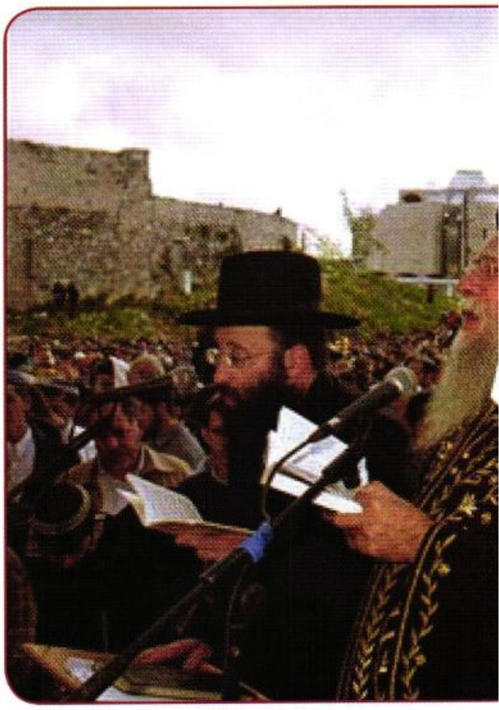
١- مخالفة المسيحيين لليهود في تقديس يوم السبت، واستعاضتهم عنه بيوم الأحد.

٢- تقديس المسيحيين ليوم راحتهم الجديد الأحد، وتمسكهم به وعنادهم بمخالفة اليهود.

٣- محاولاتهم الدائمة لفرض وتعميم يوم الأحد كعطلة رسمية عالمية ولاسيما في البلاد المستعبدة، بشتى مظاهر الاستعباد والاستتباع الثقافي والفكري والعقدي والاقتصادي والإعلامي..

٤- تقديم يوم الأحد كيوم عطلة بديل، له الصبغة الرسمية والعالمية لينافس يومي السبت والجمعة.

٣- الجمعة اليوم الذي اجتمع فيه المسلمون كان العرب في الجاهلية يطلقون على يوم الجمعة يوم العروبة أي الرحمة، وأول من سمى يوم الجمعة في الجاهلية جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم كعب بن لؤي، كما كان أول من صلى



بالمسلمين الجمعة في الإسلام الصحابي الجليل أسعد بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه، كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة الأولى بالمسلمين في بني سالم بن عوف بالقرب من المدينة المنورة أثناء هجرته. (٩)

ويروى عن أسباب نزول سورة الجمعة أن اليهود كانوا قد افتخروا على جماعة المسلمين في ثلاث هن: «أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم أهل كتابة وعلم وقراءة، وأن العرب أمة لا علم عندهم ولا كتابة، ولا كتاب. وأن لهم يوم الراحة السبت، ولا يوجد عند العرب مثله. فكذبهم الله في الأولى بقوله: (... فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)، وسفههم في الثانية بقوله الكريم: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا..)، وشرع للمسلمين يوم الجمعة ليغيظ به يهود. (١٠)

كما ورد في فضل يوم الجمعة في الأثر الكثير من البر والخير، من ذاك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه تقوم الساعة ، وهوعند الله يوم المزيد». (١١)

دون الدخول في تفاسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها من الآثار والأخبار الصحاح، نقتصر على تناول قدسية يوم الجمعة من الأطر والمحددات الإسلامية المقدسة (القرآن- السنة- الآثار) ونتبين ما يلي:

١- قدسية يوم الجمعة بنصوص صريحة وواضحة، وقطعية الدلالة والثبوت.

٢- ضرورة مخالفة اليهود والمسيحيين في أيام عطلتهم وراحتهم وتعبدهم وأعيادهم.

٣- عدم اتباع ملة يهود ونصارى في اتخاذ يوم عطلتهم عوضا عن يوم الجمعة المقدس لدى المسلمين.

٤- ضرورة احترام النص الشرعي الملزم بإجلال قداسة هذا اليوم، وعدم التلاعب بمشاعر المسلمين واحترام شعائر الله، وعدم مناصبتها العداء.

٥- ضرورة الحفاظ على يوم الجمعة كيوم عطلة وراحة متميزة تتميز بها الأمة الإسلامية وكمظهر من مظاهر رفض التبعية الاستعبادية المطلقة للغرب اليهودي والصليبي.

٦- اعتبار يوم الجمعة وسائر الأعياد الدينية الأخرى مظهرا من مظاهر التفوق والتمايز والأصالة.

٧- عدم الخجل من التمسك بالعقيدة الإسلامية في قرن الأديان والإيمان.

خاتمة ونتيجة

وبعد.. إن يوم الراحة هو يوم ذو أبعاد دينية وحضارية وروحية لدى الأمم، كما أنه عامل تمييز وتأصيل واعتزاز حضاري لكل أمة. فهل يعقل ويستساغ أن يتمسك اليهود بيومهم السبت، ويدافعون عنه، ويحاولون فرضه على الغير؟ ويتمسك النصارى بيومهم الأحد، ويدافعون عنه، ويحاولون فرضه بالقوة على الغير؟ ونتنازل نحن العرب والمسلمين عن يوم الجمعة المنصوص عليه قطعيا في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة بحجج واهية، وشعارات وهمية زائفة الغرض منها إرضاء اليهود والنصارى الذين لن يرضوا عنا حتى ولو اتبعنا ملتهم: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير). (١٢)

الهوامش

(١) خسر اليهود حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ الموافق ليوم ٠٦/١٠/١٩٧٣م التي وافقت يوم عيدهم كيبور المقدس،
وهو العيد الذي لا يلمسون فيه شيئا ويتفرغون فيه للعبادة.
(٢)العهد القديم. سفر التكوين. الإصحاح الثالث. مطبعة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٩٣٦م. ص ٣٣.
(٣) راجع عبدالخالق بكر (دكتور). محاضرات اليهودية. محاضرات مرقونة. قسم الدراسات العليا. معهد أصول الدين. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م. ص ٢١. بتصرف.
(٤) العهد القديم. سفر الخروج. الاصحاح العشرون. الفقرات ١... ١٧. بتصرف.
(٥) محمد الهواري (دكتور). التشريع عند اليهود. محاضرات مرقونة. قسم الدراسات العليا. معهد أصول الدين. جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م. ص ٤٣.. بتصرف.
(٦)العهد القديم. سفر التثنية. الإصحاح الخامس.
(٧) العهد الجديد. انجيل يوحنا. الإصحاح الخامس. الفقرة ١٥.. إلى ١٨. مطبوعات دار نور على نور. فرنسا. ص ٢٤. ٢٥.
(٨) العهد الجديد. انجيل يوحنا. الإصحاح التاسع عشر. الفقرة ٣١. ٣٢. ص ١١٤. وانجيل لوقا. الإصحاح السادس. الفقرات ٢.. إلى ٥. ص ١١.
(٩) انظر مثلا: محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير. دار الشهاب. الجزائر. الطبعة الأولى. ١٩٨٨م. ١٤٠٨هـ. ج ٣. ص ٣٨٢. وغيره من تفاسير الرواية والدراية.
(١٠) الصابوني. صفوة التفاسير. ج ٣. ص ٣٨٢.
(١١)انظر تفاسير الرواية والدراية في المسألة.
(١٢) سورة البقرة. آية ١١٩.

مفهوم الأمية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام (١-٢)

د. رفيق حسن الحليمي

هناك وهنا وفي كثير من الأمكنة وفي مختلف الأزمنة وفي بعض البيئات الأدبية القديمة والحديثة اعتقاد نمطي سائد بأن العرب في العصر الجاهلي كانوا أمة أمية، وقد انصرف ذلك الاعتقاد الى معنى أمية الكتابة، أي الأمة التي لا تقرأ ولا تكتب، وعزز ذلك الاعتقاد في بعض الأدبيات مفهوم «الجاهلية» بمعنى الجهالة في مختلف مناحي الحياة، وغدا هذا المفهوم عنوانًا سمي به العصر الأدبي الذي سبق الإسلام، وهي تسمية قديمة حديثة أطلقها الدارسون قديمًا، وتشبث بها المعاصرون في مناهجهم الدراسية، وفي تقسيم العصور الأدبية إلى جاهلي - إسلامي- أموي - عباسي.

كان من آثار شيوع هذين المفهومين (الأمية - الجاهلية) مصطلحات: الأدب الجاهلي - الشعر الجاهلي - شاعر جاهلي - حياة جاهلية... إلى جانب أمة لا تقرأ ولا تكتب، وأصبح الوعي العربي منذ بداية تكوينه في مراحل الدراسة الأولية - تهيمن عليه خرافة ذلك الاعتقاد بكل معطياته السلبية التي تختزل الحياة في ذلك العصر «الجاهلي» بأنها كانت «قليلة الحظ من كل عمران ورقي، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الحضارة والمدنية، وأن العرب كانوا أمة أمية جاهلة، ولا حظ لها من علم أو معرفة أو كتابة» (١).

ظل هذا المفهوم السلبي مهيمنًا على كثير من النخب المثقفة من العرب ومن غير العرب، وكشفت عنه حوارات جرت أخيرًا في أحد الملتقيات الثقافية (...) حيث بدا واضحًا أن هذا المفهوم لدى تلك النخب ينسحب على الأمية الكتابية، اعتقادًا منها بأن أمية الكتابة هي التي كانت سائدة متفشية بين عرب الجاهلية، وكأنهم لم يمسكوا قلمًا وقرطاسًا ولم يعرفوا الكتابة والتدوين البتة، ولم يخطر ببال المثقفين من تلك النخب أن صفة الأمية تلك التي التصقت بالعرب اعتباطًا، وشوهت صورتهم تعني في حقيقة الأمر «الأمية الدينية» حيث كانوا في الأغلب الأعم وثنيين، يعبدون الأصنام حسب العادة المتوارثة والتقليد المتبع، ولم يكن لهم كتاب يتلونه ويتدارسونه، كما لم يكن للوثنية كتاب يشرحها ويفصل طرق أدائها (٢)، كما هي الحال بالنسبة الى اليهود والنصارى، ولعل مراجعة سريعة لما كان عليه العرب في الجاهلية تؤكد من قريب أن المقصود بالأمية هو «أمية الاعتقاد الديني» قياسًا الى التوراة والإنجيل، واعتبار ان الوثنية اعتقاد فاسد، وليس لها كتاب يقرأه العرب! وسوف تحاول هذه الدراسة أن تثبت أن العرب عرفوا قدرًا لا بأس به من القراءة والكتابة معرفة كانت تتناسب طردًا وفقًا لاحتياجاتهم وضرورات حياتهم، وقد كان ذلك لا يقل عن غيرهم من الأمم والشعوب المجاورة لهم قياسًا الى السياق الزمني في نشأة الأمم وتطورها نحو المعرفة والعلم والتحضر.

دلالة الجاهلية

لعل أول ما نستجلي به الأمر- وصولًا الى الحقيقة - التوقف عند معنى الجاهلية، ففي القاموس المحيط الجهل: ضد العلم، ويتوسع المعجم الوسيط في الدلالة معتمدًا في ذلك على بعض الآيات القرآنية، فالجهل نقيض الحلم، والجهالة بمعنى الجفا والتسافه كما في قوله تعالى: ﴿قالوا أتتخذنا هزوًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ (البقرة: ٦٧)، وجهل الشيء وجهل به: ضياع الحق وعدم المعرفة، والجاهلية ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهل والضلال (٣)، قال تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ (الأحزاب: ٣٣)، فكانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت العتيق عراة، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون ويصفقون (٤)، «وهي زمان الفترة ما بين رسولين، وقال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أصدق من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾ (المائدة: ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ (آل عمران: ١٥٤)، «وهي في اصطلاح أهل الكلام: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه» (٥).

أقول: وقد ينصرف معناها إلى الحمية والأنفة والغضب والنزق والطيش، كما في قوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ (الفتح: ٢٦)، كما في قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

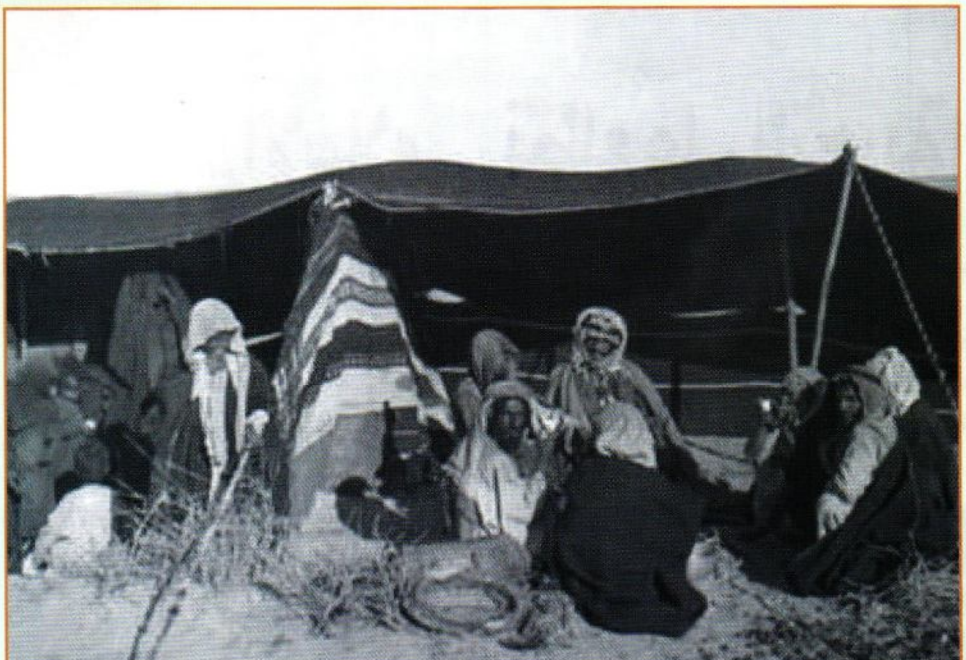
فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٦)

ويقابل هذا المعنى: السكينة والوقار.

ويستخلص من هذه الدلالات جميعًا أن ما كان عليه عرب الجاهلية من صفات (الجاهلية الأولى- حمية الجاهلية- حكم الجاهلية- ظن الجاهلية) تعنى الضلال والجهل بالحق والاعتقاد الفاسد، ولا ينسحب شيء من هذه المعاني على أمية الكتابة أو الجهل بها.

• أكاديمي فلسطيني

استناداً إلى القرآن الكريم فإن الأمية تنصرف في مدلولها إلى الأمية الدينية



دلالة الأمية

في اللغة الأمي: من لا يقرأ ولا يكتب، والأمية الغفلة والجهالة (٧)، وقد وردت كلمة أمي ومشتقاتها في القرآن الكريم عدة مرات ولها دلالتان:

(١) وصف النبي ﷺ بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ (الأعراف: ١٥٧) وقال تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾ (الأعراف: ١٥٨).

(٢) وصف العرب قاطبة بأنهم أميون في مقابل أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم﴾ (آل عمران: ٢٠)، وتفسيرها: ﴿الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب﴾ (٨) وهو خلاف اليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ (آل عمران: ٧٥)، جاء في تفسيرها: «لا يتطرق علينا إثم وذم في شأن الأميين، يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب، وكانوا (اليهود) يستحلون ظلم من خالفهم، وكانوا يقولون: لم يجعل لهم في كتابنا حرمة» (٨)، وقوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة:٢)، والأميون في هذه الآيات هم العرب الوثنيون الذين لا كتاب لهم قياسًا باليهود والنصارى، وهذا أكبر برهان على أن تلك الصفة «تعني الأمية الدينية أي أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب ديني، ومن هنا كانوا أميين دينيًا ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى (٩)، ومما يؤكد هذا أن الأمية الدينية لحقت بفريق من أهل الكتاب ممن حرفوه بأيديهم، وجهلوا ما فيه، قال تعالى ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة: ٧٨-٧٩)، «فأمية هذا الفريق ليست أمية كتابية لأنه قد أخبر أنهم كانوا يكتبون بأيديهم، وإنما هي أمية دينية، أي جهل بالدين وإنكار له» (٩).

وأما ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً...﴾، «أن لله تعالى بعث رجلاً أميا في قوم أميين» (١٠) والتعقيب على ذلك بقوله: «والأمي منسوب إلى أمة العرب، لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرأون من بين الأمم» (١١) يجافي الواقع ويتناقض مع الحقيقة ويتعارض مع ما ذهب إليه صاحب التفسير نفسه إذا يقول «بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من الأنبار» (١٢)، وكيف يقر بأن بعض العرب عرفوا الكتابة والقراءة ثم يعمم حكمه عليهم، ويصفهم بأنهم أميون؟ ولو ذهب الى أن أكثر العرب كانوا أميين وأن الأمية كانت متفشية لكان قوله سليمًا، لأن بني البشر جميعًا يولدون أميين ثم يكتسبون تعلم القراءة والكتابة إذا ما تهيأت لهم الظروف المناسبة للتعلم، وبذلك تبقى «الأمية» التي شاعت في كثير من الأدبيات تنصرف أو ينبغي أن تنصرف في مدلولها إلى الأمية الدينية وليس الى الأمية الكتابية استنادًا الى ما ورد في الذكر الحكيم من آيات تحمل بصريح القول هذه الدلالة، والله أعلم.

الهوامش

١- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص٤٢
٢- ظهر كتاب الأصنام لابن الكلبي (محمد بن السائب الكلبي ت ٧٦٣م) في القرن الثاني الهجري، وقيل: ذكر فيه جميع الأصنام التي كانت عند العرب والقبائل التي تدين بها، وذكر بعض الأشعار الباقية التي تحمل شيئًا من الاعتقاد الوثني، انظر الموسوعة الميسرة ص١١٣٣
٣- المعجم الوسيط مادة «جهل»
٤- تفسير النسفي ج٢ ص١٠٣
٥- المعجم الوسيط
٦- الأنباري شرح القصائد السبع الطوال ص٤٢٦
٧- المعجم الوسيط مادة «أمم»
٨- تفسير النسفي ج١ص١٦٥
٩- مصادر الشعر الجاهلي ص٤٥
١٠- تفسير النسفي ج٤ ص٢٥٤
١١- المصدر نفسه
١٢- المصدر نفسه

«الوعي الإسلامي» تطلع على التجربة التركية في الصحافة

التحرير

في إطار التعاون الكويتي - التركي زار وفد مجلة «الوعي الإسلامي» برئاسة رئيس التحرير فيصل يوسف العلي مجلة «حراء» التركية باسطنبول أخيرا للاطلاع على التجربة الصحافية الناجحة هناك وتبادل الخبرات والتعاون المشترك.
وجاءت الزيارة بهدف تعزيز التواصل الثقافي والفكري بين المجلتين، وتبادل الخبرات، والرؤى الإعلامية، بشأن قضايا الأمة المختلفة، وتوقيع بروتوكولات التعاون والتبادل الصحافي.


رئيس التحرير يتحدث في الملتقى


جانب من المعرض

شهدت الزيارة تنظيم مجلة «حراء» للملتقى الإعلامي التركي - الكويتي للاحتفاء برائدة المجلات الهادفة مجلة «الوعي الإسلامي» وذلك في مدرسة «فم»، بالإضافة إلى أن الملتقى نظم ندوة إعلامية تعريفية بمجلة «الوعي الإسلامي» ودورها التاريخي في تأصيل القضايا الشرعية والفكرية والثقافية، بالإضافة إلى التعريف بدور الجهات الإعلامية التركية المشهورة كمجموعة ثمان يلو التلفزيونية، ومجموعة زمان الإعلامية، ووكالة جيهان للأنباء.

وقد تضمنت الزيارة الالتقاء بالقائمين على مركز البحوث الإسلامية (ايسام) المعنية بالموسوعة الإسلامية والتابع لـ «وقف الديانة التركي»، حيث أعطى رئيس المركز د. محمد عاكف شرحًا وافيًا عن طبيعة عمل الموسوعة الإسلامية ونشأتها وخططها المستقبلية، وأوجه التعاون مع المجلة من خلال إثراء الثقافة الإسلامية في ربوع الإنسانية، مشيرا إلى أن المركز يحتوي على مخطوطات نادرة عن الكويت.

كذلك التقى الوفد في المركز بمفتي اسطنبول أ.د. مصطفى جاغرجي الذي قدم صورة عن طبيعة عمل دار الإفتاء ورؤيتها للقضايا الإسلامية في تركيا، وإنجازاتها في الساحة الإسلامية، حيث أوضح أنه يوجد مفت في كل محافظة بتركيا، فيوجد ٣٠ مفتيا في اسطنبول، واختيار المفتي يكون بتعيين من جانب الدولة، خاصة أن الإفتاء وظيفة رسمية قانونية وهي ليس لها حد زمني معين، ويجوز أن يكون المفتي متخرجا من كلية شرعية خارج الدولة مثل الأزهر، والإفتاء عموما يكون على المذهب الحنفي، وبين أنه يوجد نائبات للمفتين أو واعظات للنساء.

بالإضافة إلى الالتقاء برئيس جامعة «٢٩ مايو» أ.د. إبراهيم كافي دونماز الذي أعطى ملخصا عاما عن نشأة الجامعة، وكلياتها وتخصصاتها، وأبرز مميزاتها، حيث قال إن جامعتنا تهتم بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتحرص على ضم طلاب دول القوقاز والبلقان، وكذلك البلدان العربية والإسلامية، وهناك أربع كليات بالجامعة (كلية الآداب وكلية العلوم الاقتصادية والإدارية وكلية العلوم الصحية وكلية التربية) بالإضافة إلى معهد العلوم الاجتماعية ومعهد العلوم الصحية للدراسات العليا، وهناك مشروع لمدينة جامعية في المستقبل القريب.

وشهد الملتقى أيضا على هامشه معرضا للجهات المشاركة للتعرف على إصدارات المشاركين الثقافية والفكرية والعلمية، وتوقيع بروتوكول تبادل صحافي بين مجلتي «الوعي الإسلامي» و«حراء» الذي نص على توحيد الرؤى في معالجة قضايا الأمة، وتبادل الوثائق والمذكرات التفسيرية، وتبادل نشر بعض المقالات المميزة، وإقامة دورات تدريبية لتأهيل الكوادر، ونشر إعلان مجاني للعدد الجديد، ونشر خبر صحافي للعدد الجديد.

شاشة شهر الخير.. غير!

سمية محمد الميمني

أتصدقونني؟! في رمضان الماضي تجرأت وشاهدت التلفاز، وخالفت اللوائح المنزلية الصارمة التي تعودنا عليها منذ المهد والتي تنص على إغلاق الشاشات الصغيرة في هذا الشهر الكبير، لكنني بشقاوتي اكتشفت العام الماضي تلفازا بثوب جديد وشكل فريد، جهاز عظيم بمختلف قنواته وبرامجه، وجدته بتأثيراته الصوتية والبصرية بين دفتي القرآن الكريم.

صحيح أننا نقرأ القرآن دوما، وفي شهر الخيرات على وجه الخصوص، نتسابق لنحصل على أكبر رقم من الختمات، وبالتالي سرعة التلاوة تتجاوز مؤشرها الطبيعي، ولكن السنة الماضية عشت تجربة من أروع التجارب الحياتية.. لذة تفوق كل أطعمة السحور والإفطار، متعة وإثارة تتعدى أخطر الألعاب في أضخم ملاهي العالم، كانت قراءتي هذه المرة مرافقة لتفسير الآيات، ومحاولات متواضعة للولوج في أعماق التفاسير والإبحار فيها.

حينما اندمجت في تلاوة الفرقان مع تدبر آياته وتفكر في أحداثه... وجدت نفسي أعيش عصورا ولى زمنها، مع شخصيات لها من عبق التاريخ عطورا فواحة، وانتقلت بين مواقع وأمكنة مع أحداث مثيرة تختلط فيها مفاهيم المشاعر، لا تساويها أي مسلسلات وبرامج رمضانية تتهافت القنوات لبثها، وتتنافس لجذب أكبر عيون مشاهدة لها في شهر فضيل، لكسب المال والشهرة على حساب أوقات العبادة لدى المسلمين، مسلسلات اجتماعية بالغة الحكمة والحبكة الدرامية، وقضايا في منتهى الواقعية، تراها وتسمعها وأنت تتنقل بين الآيات القرآنية، تتخيل نفسك في بداية خلق البشرية مع حكاية أبينا آدم عليه السلام، وكيف جاءت وسوسة الشيطان الرجيم للأكل من الشجرة المنهي عنها، ثم ينتابك شعور الندم عند غضب الله على آدم وحواء وهبوطهما في الأرض، ومن تلك اللحظة نشأت هذه العداوة الأبدية بين الإنس ومعشر الشياطين، كم تحقد على إبليس الذي لايزال يوسوس لأبناء الأبوين الكرام، وسيبقى إلى يوم الدين حسب ادعائه اللعين.

ثم تستمتع وأنت تبحر بسفينة نوح، ومعك أزواج من مختلف الكائنات الحية، وتستمع لحوار شيق بين الأب الحنون وابنه العاصي، الذي لا يخاف غضب ربه ويعاند أباه، وأخرى قصة يوسف وغيرة إخوته منه، والفتن التي مر بها في حياته منذ غيابة الجب أثناء اللعب، إلى بلوغ الجمال وولع الحب، ثم من قهر السجن خلف القضبان، إلى المجد والسلطان وعودة الإخوان بعد فراق الأزمان، يا لها من حكايات كان يا ما كان.

ويا لروعة أحداث الكليم موسى، منذ أن ألقي باليم وهو طفل رضيع، تقرأ الآيات وتكتشف العجاب، في حياة من وقف بوجه مدعي الألوهية، ثم منظر السحرة الذي يسحر الألباب عندما يسجدون لله أمام جبروت فرعون، مؤمنين برب موسى وهارون، ثم تتابع زواج موسى من التي جاءت على استحياء، وجبل الطور والحوار الذي يدور بين الرب والعبد المأمور، أي برامج على مر العصور تشمل جمال هذه الأمور؟!

متعة من نوع آخر عندما تتمعن في حياة عيسى، معجزة الطفل الذي ولد من غير أب، وتضحيات أم عذراء تواجه نظرات العالم وحدها مع صغيرها، أمام هذا الحدث التاريخي الذي يعجز العقل المحدود عن فهمه، ويكبر الطفل ويعالج الأسقام بإذن ربه، دون أن يدرس أصول الطب وأنواع العقاقير، ثم يرفع إلى الله بعد انتشار الفساد في الأرض، ونبقى جميعنا بانتظاره، إنها حقائق تاريخية ليست من نسيج المؤلفين للأفلام السينمائية.

خيال علمي آخر حين ترتل الآيات وتجد خليل الله إبراهيم، في حيرة من أمره كالتائهين، يا لها من حيرة في البحث عن رب العالمين، بين النجم والقمر والشمس، فكلهم من الآفلين، ويجادل والده آزر ويخالف نهج الأميين، ثم يرمى في نار الظالمين، ويخرج منها باردا سليما برحمة أرحم الراحمين.

مهما أسهب.. فماذا أكتب؟! كل نبي حياته خبرة وأيامه عبرة، فصبر أيوب وحكمة لقمان وحكم سليمان الذي أبهر الزمان، وعلوم كثيرة نقطفها من أشجار يعقوب ويحيى وزكريا، جميعهم رسل الله عليهم أفضل الصلاة والسلام، تستحق سيرتهم ومسيرتهم وقفات جادة منا، لنضيء ظلام حياتنا بوميض نورهم.

ناهيك عن آيات جنات النعيم، وسخاء المولى في العطاء الكريم، من حور وغلمان وأنهار ووديان، يا له من جود وهاب عظيم، ثم تعتريك رعشة خوف عند آيات الجحيم، عندما تغوص بين سطور العذاب والعقاب وغضب رب الأرباب، يتجسد أمامك ذاك المنظر الأليم.. وحدة القبر وميدان الحشر وهول القيامة ثم الصراط المستقيم، ماذا أعددنا لذاك اليوم.. أيها القارئ الحكيم؟

والآن يقف قلمي عاجزا أمام أعظم شخصية عرفها التاريخ، أمام حقيقة صنعت المعجزات، أمام ذاك القلب الذي حمل كلام الله العظيم واحتواه، إنه خير البشر الرسول الأمي محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء والمرسلين، والذي ستشعر بهيبته وعظمته وأنت تقرأ كلمات هذا الكتاب المنزل عليه.

إن هذا الكتاب المعجز بكلماته العذبة، مهما تشرب منه فلن ترتوي، وفي كل مرة ومع كل قطرة هناك مذاق جديد، فكم هو جميل أن نفتح هذه الشاشة القرآنية، ونغلق الشاشات التلفازية الفاسدة في شهر الخير، وكل عام وأنتم بخير.

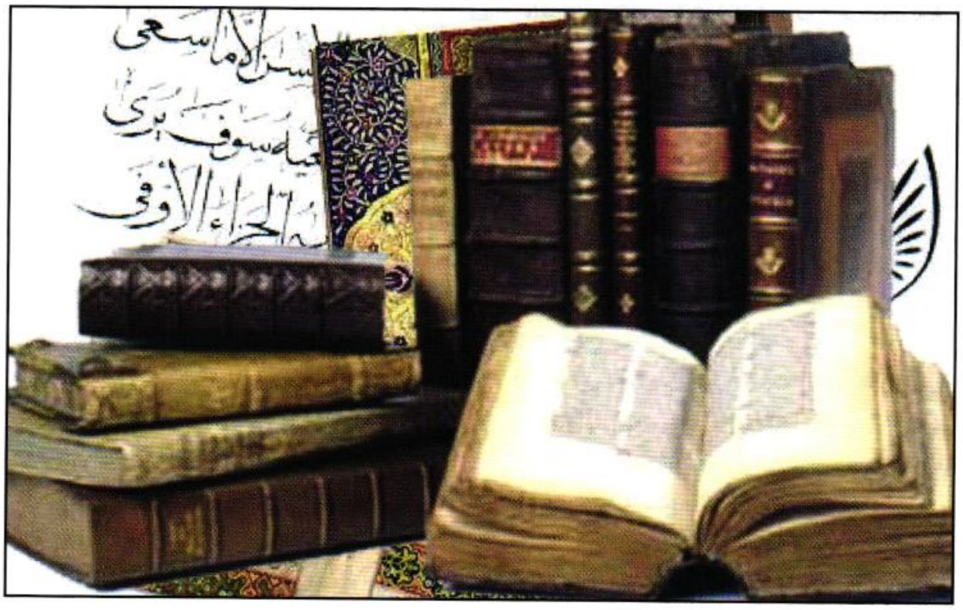
• كاتبة صحافية

المنظومات العلمية

عبدالله محمد الكندري *

إن المتأمل في طريقة عرض الحضارة الإسلامية لمؤلفاتها، والمتابع لصور التأليف والتصنيف عند علمائها يداخله العجب العجاب، ويملؤه الفخر والاعتزاز للكمّ الضخم لهذا التراث الإسلامي المجيد، والتنوع المتناسق في مادته العلمية.

فقد تفنن علماء هذه الأمة المباركة في طرق جمع مادتهم العلمية، وتنافسوا في رسم أجمل الصور لها، فمنذ بداية فجر التأليف والتصنيف، الذي تميز في أولياته بالمادة الشرعية الخالصة، من حديث وآثار وفقه وعقيدة، وما عرض لهذه الأمة من أحوال وأخبار، وما دونوه من تراجم وسير، وما صاحب ذلك من مادة علمية مساعدة كعلوم الآلة من اللغة وآدابها وفنونها.



وقد تم تدوين هذا كله في بداياته بطابع الرواية المسندة، وانسحب ذلك حتى على كتب المادة العلمية البحتة مثل الطب والفلك والرياضيات، مما أضفى على ما قيدوه جلال المصداقية وبهاء العلم، لذا سُميت هذه الأمة بحق، أمة الإسناد.

ومن الوسائل التي سلكها هؤلاء العلماء الأفذاذ من المصنفين لتسهيل عرض وحفظ هذه المادة العلمية، تخفيفاً على طلبة العلم ومعاونتهم على مدارستها، صياغتها في صور شعرية سلسة سُمّيت بالمنظومات، والتي أصبحت فيما بعد من العلامات المميزة لحضارتنا الإسلامية.

والنفس الإنسانية بطبعها يسهل عليها قراءة الشعر والتلذذ بسماعه، فطالب العلم يسهل عليه حفظ مجموعة من الأبيات الشعرية تشتمل على المادة العلمية، أسرعَ بكثير من مطالعة نصوص جامدة، فإذا حفظ هذه الأبيات استطاع أن يتابع مادتها العلمية بسهولة، مستدركًا شواهدها مستدلاً بها في كل وقت وحين.

وربما جاءت هذه المنظومات في بيتين أو ثلاثة، لتجمع فائدةً من الفقه، أو حادثة في السيرة، أو غير ذلك من الفوائد واللطائف، ومن ذلك قول الإمام المؤرخ برهان الدين البقاعي الشافعي (ت٨٨٥هـ) رحمه الله تعالى، جامعًا أسماء أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في بيتين:

تـوفي خيـرُ الخلـق بعـدَ خديجة
وأزواجـهُ تِسْـعٌ: صَـفِـيّـةُ، حفصة
وعـائـشـة، ميـمـونـة، مـع رملة
جُوَيْرِيّة، هِنْدٌ، وزينبُ، سودة

ومن مشاهير هذه المنظومات والتي جاوزت أبياتها المئات: «ألفية ابن مالك» في النحو، و«ألفية السيرة» للحافظ العراقي (ت٨٠٦هـ)، وقد بلغ بعضها عدة آلاف مثل كتاب العلامة الأديب جمال الدين الصرصري الحنبلي (ت٦٥٦هـ) رحمه الله تعالى، في الفقه الحنبلي، والذي سماه «الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة» والتي بلغ عدد أبياتها (٢٧٧٤) بيتاً.

وقد طُبع كثيرٌ من هذه المنظومات، وكثيرٌ منها لا يزال حبيس خزائن المخطوطات، وقد اخترنا من بين هذه المنظومات، منظومةً لطيفة في نسب إمام أهل السنة والجماعة، الإمام المبجّل، والحبر الأنبل، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى، نظمها: العلامة محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الحنبلي (ت١٢١٦هـ) رحمه الله تعالى، جاءت ضمن ما أورده في ترجمته الشيخ عبدالله بن إبراهيم الغملاس (ت١٣٥٤/١٩٢٥م) رحمه الله تعالى، في كتابه «الإعلام بأعيان بلد الزبير بن العوّام»؛ والعلامة الشيخ محمد بن حمد العسّافي (ت١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) رحمه الله تعالى، في «تراجم الفضلاء» وكلاهما لا يزال مخطوطًا بانتظار همم المشمّرين في خدمة هذا الدين، نوردها هنا للطافتها وندرتها، خاتمين بها هذا

* اختصاصي مخطوطات بجامعة الكويت

المقال، والله المستعان في كل حال:

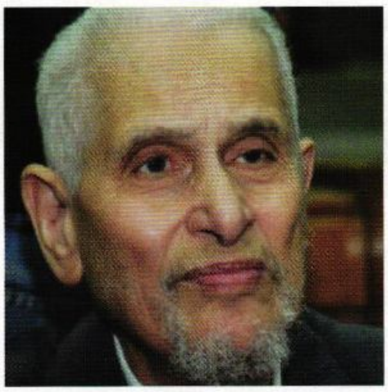
قال العلامة محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الحنبلي (ت١٢١٦هـ) رحمه الله تعالى:

حمدتُ إلهي حَمْدَ عَبْدٍ بِه الْتَمَسْ
إزالةَ ما شان السّجايا من الشَّرسْ
وصَلّيْتُ ما لاحَتْ بروقٌ على الذي
بأنواره ظُلْمُ الضلالِ قد انْطَمَسْ
محمّدِ الهادي وآلٍ وصُحْبَةٍ
بَدَى فَضْلُهُمْ في العالمينَ بلا لَبَسْ
وبعدُ فذي أبياتُ شِعْرٍ مُشيرَةٌ
إلى نَسَبِ الحَبْرِ المُؤيّدِ بالقَبَسْ
عَنَيْتُ إمامَ الزُّهْدِ أحمدَ مَنْ عَلَتْ
مقاماتُهُ في ديننا الثابتِ الأُسُسْ
فَاسْمُ أبي هذا التّقيّ محمّدٌ
وحنبلٌ الجَدُّ الرفيعُ الذي نَفَسْ
هلالٌ وأَسَدٌ ثمّ إدريسُ بعدهُ
أتاكَ اسم عبدالله حياتهم أَنَسْ
وعوفٌ يليهِ قاسطُ ثم مازن
وشيبانُ من ذُهلٍ وثعلبةُ اقتبسْ
عكابةُ صعبٌ من عليّ بن بَكْرِهم
ووايلُهُمْ من قاسطٍ كيفَ ما يُبَسْ (1)
وهِنْبٌ وأَفْصَى بن دُعْمَى جديلةٌ
ومن أَسَدٍ ذا من ربيعَةَ قدْ رَأَسْ
نِزارُ مَعَدِ بن عدنانَ هاهنا
اتّصالُ إمامِ الزُّهْدِ بالذي يُقْتَبَسْ
مصابيحُ نورِ الحَقِّ من نورِ قوله
ولَمّا بدَا ظُلْمُ الضلالِ بِهِ انْحَبَسْ
إمامٌ قَفَى أَثَرَ النّبيّ محمّدٍ
نبيٌّ به دينُ الضلالِ قد انْدَرَسْ
عليهِ صلاةُ اللهِ ما لاحَ بارقٌ
وما حَيِيَتْ بالمُزْنِ قاحِلَةٌ يَبَسْ
وآلٍ وأصحابٍ كرامٍ أفاضلٍ
بهم طَهَّرَ اللهُ الوُجودَ من النَّجَسْ

١- في الحاشية بخط العسافي: (نسخة: يسس)

العسال.. داعية رباني

د. جاسر عودة



الشيخ الدكتور أحمد العسال- رحمه الله- أحد النوادر الذين إذا ما سمعت بموتهم فعلى قدر ما يصيبك من الحزن على قدر ما تحس من السرور والبشرى! ولا نتألى على الله، فهو أعلم بعباده، ولكنني أحسب أن أستاذنا الدكتور العسال قد أفضى إلى رب كريم قد آنسه وبشره وأرضاه وقربه، ﴿يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي﴾ (الفجر:٢٧-٣٠)... فهنيئًا له والعزاء لنا!

الشيخ العسال علمني معنى العالم الرباني، فعلًا لا قولًا، وسلوكًا لا ادعاءً، الشيخ كان من الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا، ولكنه- والله حسيبه- كان له من كل خير نصيب، وفي كل جهاد سهم، وعلى كل طالب علم فضل، وعلى كل رائد نصيحة، ولكل دعوة إلى الخير حماس وإضافة، لا يتصنع التواضع وإنما يحس فعلًا أنه دون ما يصنع لا فوق ما يصنع، فكان التواضع فيه سجية لا تحتاج إلى استحضار، وصفة لا تحتاج إلى تفكير، وبالتواضع رفعه الله- كما رفعه بالعلم- ذلك أن «من تواضع لله رفعه» (صححه الألباني) وأنه ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة:١١)، ومن يتواضع إلا العلماء الحقيقيون؟

الشيخ العسال- رحمه الله- كان مثالًا للإنسان المسلم الصحيح البدن، القوي الشكيمة، العف اللسان، السليم الصدر، الدمث الأخلاق، وكان مثالًا لرب الأسرة الصديق الرحيم الودود النصوح، وكان مثالًا للعالم الأزهري الذي لا يدعي على العالمين سلطانًا إلا النصيحة والتوجيه بالحسنى، ومثالًا لأبناء الأمة الذين حصلوا على أعلى الشهادات وأرقى المناصب.

واهتمام الشيخ- رحمه الله- بالقرآن تلاوةً وتفكرا واستيعابا ومرجعًا وملاذًا، هو اهتمام ليس بالبسيط في معناه ومغزاه، فقد أدرك بثاقب بصره وبصيرته رحمه الله أن هذا الكتاب هو عمدة الدين وثابت الشريعة ومدار العقيدة، وأن تنوع الآراء فيه مقبول، بل مطلوب ما دامت تدور في دائرته وتتمحور حول محكماته.

وليس لمثلي أن يكتب عن الشيخ الدكتور أحمد العسال، وإنما هي دمعة وفاء وتنهيدة فقدان من أحد التلاميذ- وما أكثرهم! عسى أن نلحق بك يا سيدي على خير وأن يجمعنا الله بكرمه وعفوه وجميل ستره وواسع فضله- في مستقر رحمته.

جدير بالذكر أن الدكتور العسال ابتعث إلى قطر للتدريس بعدها حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية من جامعة كامبردج في لندن، وعمل في تحقيق المخطوطات بالجامعة نفسها».

وانتقل العسال إلى المملكة العربية السعودية، حيث تولى رئاسة قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود في أوائل السبعينات وحتى منتصف الثمانينات، ثم رئيسا لقسم الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود، وبعد ذلك عمل استاذاً بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد، فنائباً لها ثم رئيسا ثم مستشاراً».



وقفات مع شهر البركات

لكل غائب طالتْ غَيبتُه استقبالٌ يليقُ بجلاله، ولكل حبيب أوشكتْ رجعته اهتمامٌ يتناسب مع مكانته، ويتوافق مع منزلته في نفس من يستقبل ذلك العزيز الحبيب الغائب، فإذا جفوت حبيبك الغائب جفاك وأخفى عنك هداياه وربما عاداك، وادخر أعطياته لغيرك ممن يحسن استقباله ويعدُّ العدة للحفاوة به وإكرامه.

وإن أعظم مسافر أوشك أن ينزل ديارنا، ويحط رحاله في أوطاننا شهرُ رمضَانَ العظيم، سيد شهور السنة، الذي يأتي حاملًا معه النفحات الربانيةَ، والعطاءات الإلهيةَ، فتنبّه الغافل وتذكّر الناسي وتجدّد همة الذاكر، وتجمع شتات الناس، وتجمع من تفرق من أهل الحي الواحد خلف إمام يقرأ لهم آيات ربهم؛ فتذرف دموع الحسرة على التفريط، وتنسكب دموع الألم على ما مضى من العمر في معصية الله، ليتذكّرَ أهل الحي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ثوبان ﷺ عن النبي: «إن العبد ليلتمس مرضاة الله، ولا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلانًا عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم، حتى يقولها أهل السموات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض»، ثم يسبح المصلون في أنحاء السموات وجنبات الأرض وبين الآيات الكونية العظيمة وهم واقفون، لا تبرح أقدامهم مكانهم، وذلك عندما يتلو إمامهم قول الله: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران: ٩٠-٩١)، وهكذا كلما مر إمامهم بآية قام في نفوسهم من الفيوضات الربانية، والأحاسيس الإيمانية، ما يناسب تلك الآية الرحمانية.

فكيف نعدّ العدة لاستقبال هذا الحبيب الذي أوشك أن يصل من غيبته؟ وكيف نهتم باستقبال هذا الشهر الكريم شهر رمضان؟

إن الصادق منّا يجب عليه أولًا أن يوطّن نفسه وأهله على تلاوة القرآن في شهر رمضان، ومراجعة ما حفظه منه، ثم النية الأكيدة والعزم الصادق على الالتزام بصلاة التراويح بقدر الإمكان، وأن يتعلّم ثانيًا أحكام الصيام وآدابه إن كان جاهلًا بها، أو مراجعتها وتذكرها إن كان عالمًا بها، وملازمة حلق العلم التي تقام في شهر رمضان من أجل هذا الغرض، ثم عليه ثالثًا العزم على التوبة، فأبواب رحمة الله لا تزال مفتوحة، كما لابد من العزم على ترك العادات الرذيلة والخصال القبيحة، كالسباب والشتم والغيبة والنميمة وغير ذلك من الخصال السيئة الأخرى.

وإن في شهر رمضان لأعظم فرصة لترك كل قبيحة وعادة سيئة.

رمَضَانُ مدرسَةُ إصْلاح

علاء الدين حسَن

شهر رمضان مدرسة للأمّة من أجل الإصلاح والتحول من الخلاف إلى الائتلاف، ولقد كان من الطبيعي أن يُفرَض الصوم على الأمّة لتقرير منهج الله في الأرض، وتدريب المؤمن على خاصيَّة الصبر، والصبر أنواع ثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن المحارم، وصبر على أقدار الله، وهذه الأنواع الثلاثة تلتقي في رمضان. رمضانُ تربية وتقوى: ﴿يَاأيُّها الّذين آمَنوا كُتب عليكمُ الصِّيام كمَا كُتب عَلى الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

رمضان- زمانًا وتأريخًا- عالم مفعم بأعظم صور التجارب الارتقائية لمعرفة الله وتوحيده وعبادته.

رمضان زمن البطولات الإيمانية أينما كان موضع هذه البطولات، سواء في النفس أو خارج النفس، فرمضان سلسلة مترابطة من هذه اللحظات الكفاحية المشهودة.

رمضان تذكير بحق الفقراء، فالصائم يحس بشيء من الجوع الذي يدفعه إلى العطف على المساكين، وفي ذلك تزكية وسخاء، وترويض للنفس على ترك الشح والبخل: ﴿وَمَن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هُمُ المفلحُون﴾. (الحشر: ٩). و(التَّغابن: ١٦)

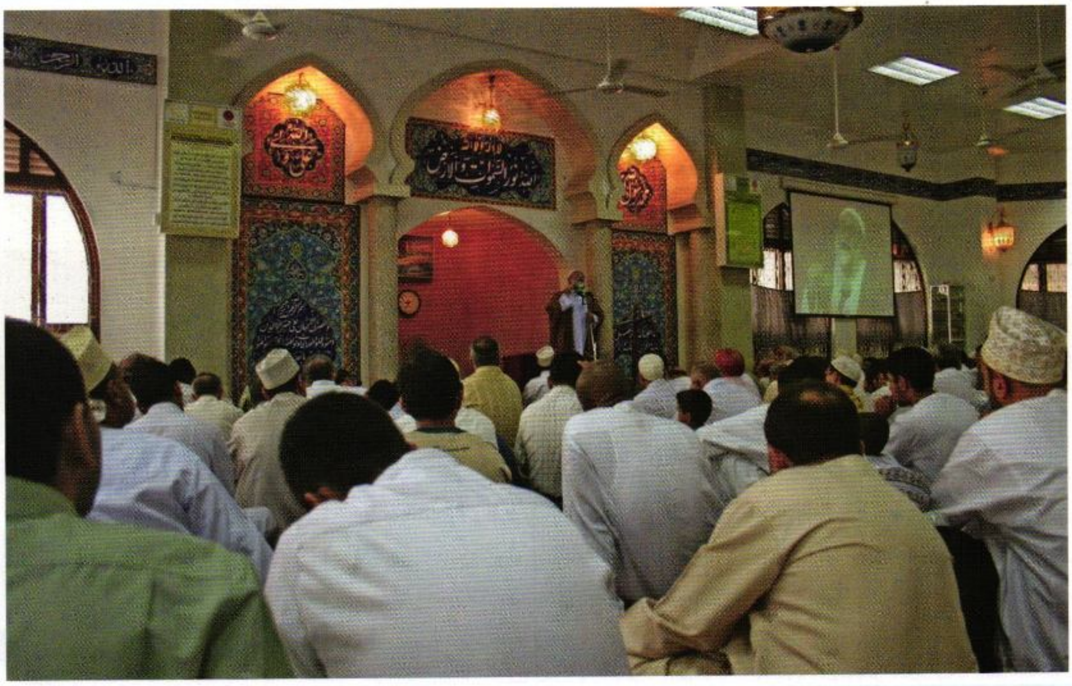
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان في دارسة القرآن، فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» (١).

فمن خصائص رمضان: إخراج الصدقة والزكاة فيه، وربنا كريم يحب كل كريم.

والإنفاق من صفات المؤمنين، وفي رواية مسلم من حديث أبي مالك: «الصدقة برهان» (٢). برهان على صحة الإيمان، وبرهان على اليقين بثواب الله: ﴿مثَلُ الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثَل حبَّة أنبتت سبع سنابل في كلِّ سنبلة مئة حبَّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾. (البقرة: ٢٦١).

وفي حديث رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني:

باحث سوري



«مَن أنفق نفقة في سبيل الله، كتب الله له سبعمئة ضعف» (٣).

والصوم يعلِّم الأمَّة معنى النظام؛ فالجميع يفطرون في وقت واحد، لا يتقدم أحد على الآخر، ويمتنع الجميع عن الطعام والشراب في وقت واحد، وما هذا الالتزام في حقيقته إلا مظهر من مظاهر الوحدة والمساواة.

والصوم من أكبر الوسائل في تخفيف حدَّة النهَم، وهذا يدعو إلى الحفاظ على صحة الإنسان. عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأى آدمي وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه» (٤).

وكل أوقات رمضان مباركة، وبين ثنايا أوقاته، ليلة القدر التي تتلألأ بأنوارها الإلهية؛ فيشرق الوجود كله بالضياء الذي يعمر الأفئدة بعبق الإيمان: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزَّل الملائكة والرُّوح فيها بإذن ربِّهم من كلِّ أمر . سلام هي حتَّى مطلع الفجر﴾ . القدر: ٣ –٥).

إنها ليلة أوصلت الأرض بالسماء، فأثمرت كل معاني الرحمة والعطاء: ﴿إنَّا أنزلناه في ليلة مباركة إنَّا كنَّا منذرين . فيها يُفرَق كلُّ أمر حكيم . أمرًا من عندنا إنَّا كنَّا مرسلين . رحمةً من ربِّك إنَّه هو السَّميع العليم﴾ . (الدُّخان: ٣ – ٦).

إنها ليلة من ليالي هذا الشهر الكريم: ﴿شهر رمضان الَّذي أُنزل فيه القرآن هدىً للنَّاس وبيِّنات من الهدى والفرقان﴾ . (البقرة: ١٨٥). أُنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

إنها ليلة عظيمة القدر تعدل بحساب السنوات ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر.

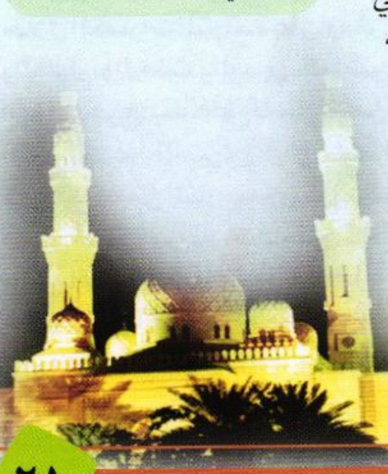
وللصوم دور كبير في تنمية الشخصية؛ لأنه في مدلوله الروحي عمل يقوم به الإنسان تقرُّبًا إلى خالقه، وطاعة لأمره. جاء في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به» (٥).

رمضان أحرف خمسة: الراء رجاء ورحمة. الميم مودَّة ومغفرة. الضاد ضياء وضمان. الألف أمن وأمان. النون نور ونعمة.

وبعد رمضان، يأتي العيد، والعيد فرع عن التصور الكامل للإنسان والحياة والكون.. العيد مرتبط بالأخلاق والمعاملة والسلوك، وفي العيد ثناء على الله بالتكبير، وإظهار للشكر لذاته عز وجل.. إنَّه يوم البراءة والنقاء وتنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتوطيد الروابط ماديًا ومعنويًا عبر الزيارات المتبادلة لنشر المحبة والصفاء، والمودة والإخاء، ونبذ التخاصم والبغضاء.

الهوامش

صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٦.
صحيح مسلم، كتاب الطهارة، حديث ٥٥٦.
سنن النَّسائي، كتاب ٢٥، باب ٤٦، ومسند أحمد، ج٣، ص٣١.
سنن الترمذي، كتاب الزهد ،حديث ٢٥٥٤.
صحيح البخاري، كتاب ٣٠، باب ٢، صحيح مسلم، كتاب ١٣، حديث ١٦٤.



الصوم وأثره في تعزيز قيم الحريَّة

محمد علي الخطيب



الحريَّة إحدى مقومات الشخصية السوية التامة، وأساس أيِّ مجتمع إنساني كريم، وشرطٌ ضروري لكل إصلاح أو تطوير، ونعني بالحريَّة: «استقلال الإرادة الإنسانية وحريتها في اختيار أفعالها، في حدود العقل والشرع والمصلحة»، وهي بهذا المعنى غاية سامية يتعلق بها شرف المرء وكرامته وآدميته وسعادته في داري الدنيا والآخرة، حتى إنتاجه المادي والمعنوي، فهو مرتهن بها؛ لذا فإن تحقيق الحريَّة للناس كافةً يعتبر من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية، وحقاً من حقوق الإنسان الأساسية يقترن بحقه في الحياة نفسها، إذ لا معنى للحياة ولا قيمة لها دون حرية، ومن هنا فقد حرص الإسلام على تحرير الإنسانية من نظام الرِّق المهين، وعمل لتحقيق هذا المقصد من خلال منهج تربوي وعملي متكامل، بالعتق والمكاتبة من وجه، ورفع قدْر الرَّقيق واحترام إنسانيتهم وصوْن آدميتهم من وجه آخر، ثُمَّ أن الشريعة فتحت باب العتق وتحرير العبيد على مصراعيه، عن طريق الإلزام من خلال الكفارات المترتبة على بعض الذنوب، مثل: القتل الخطأ، والظهار، والحنث باليمين، كما شجع الإسلام على عتق الرِّقاب أيما تشجيع، بالتطوع المطلق، فعن أبي أمامة وغيره من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ وَأَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُمَا عُضْوًا مِنْهُ وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فَكَاكَهَا مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهَا». (رواه الترمذي وأبوداود وأحمد وغيرهم).

مدرس تربية اسلامية

والحريَّة لا تقتصر على التحرر من الرِّق لكنه المعنى المعهود لها عند العرب. فالحريَّة لها صورٌ وأشكالٌ، كذا ضوابط وأحكام، وتشمل حرية الاعتقاد وحرية الاقتصاد والحريَّة السياسية والحريَّة الاجتماعية... إلى آخره، وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة في تقرير هذه الحريات جميعها، لا مجال لإيرادها، كما جاء النهي عن الإكراه في الدِّين، وفي التبادلات المالية وسواها، صريحًا لا لبس فيه. وحاصلُ ذلكم أنه ما أوتي الإنسان نعمَة بعد الحياة أشرف من الحريَّة ولا أكرم ولا أعظم، ولا غرو بعد ذلك إذا بذل الإنسان حياته لنيل حريته. وأكتفي بهذه الإشارات والشذرات، لأن الكلام فيها يطول، وليس هنا محل تفصيله، لكن غرضي فقط بيان الارتباط بين الصيام وتحقيق الحريَّة وأثره في استقلال الإرادة الإنسانية وتخلصها من أسر القيود التي تغل حركتها، وتعرقل سيرها.

والسؤال المطروح هنا:

ما أثر الصوم في تحقيق التحرر للإنسان بهذا المفهوم؟

أولاً: في الصوم تحقيق للعبودية التامة الصادقة الخالصة لله تعالى، إذ يترك طعامه وشرابه وشهوته، وهي ماثلة أمام ناظريه، حاضرة بين يديه، ونفسه متعلقة بها، يتركها من أجل الله، أليست هذه هي العبودية الخالصة للرب سبحانه وبالمقابل الحرية الحقَّة للعبد؟ أليس الصوم هو السر بين العبد والرب سبحانه، وهو خصوصية في عبادة الصوم، امتاز بها عن سائر العبادات؟

وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»، وحاصل الكلام أن الصوم فيه إتمام لحقيقة العبودية، وفي تمام العبودية لله تمام الحريَّة للإنسان (١)، ولا تناقض بينهما، أي بين عبودية الإنسان لربه وذلك بين يديه وبين تكريمه إياه وتحريره لإرادته وقدراته، لأن مقام العبودية هو أرفع مكان يبلغه الإنسان، وفي تمام العبودية تمام الحريَّة له وتمام الكرامة، لأنه يتحرر بها من عبودية الأشخاص والأشياء والأهواء، فيصون كرامته، ويحقق إنسانيته، وبهذا التصور النقي الخالص، تطهرت عقيدة الإسلام مما تدنست به عقائد النصارى والبراهمة وسواهم من عبادة الأشخاص والأشياء وتقديس البشر والبقر والحجر، فتدبر

في الصوم إتمام لحقيقة العبودية لله وفي تمام العبودية تمام الحرية للإنسان

هذا، فإنه نظر دقيق، وبالله التوفيق.

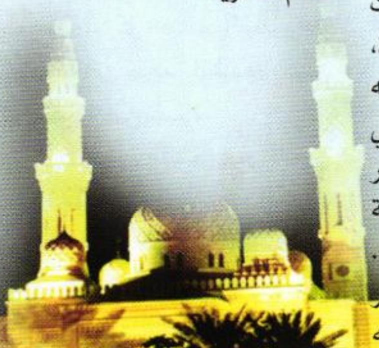
ثانيًا: في الصوم يتحقق للإنسان التحرر النفسي والجسدي من أسر الضرورات، نعم، هو لا يستطيع الاستغناء عنها، ولا يمكنه العيش دونها غير أنه يقدر على الاستعلاء عليها. فالطعام والشراب وإن كان بهما قوام الحياة وحفظ البدن غير أن الصائم يمتنع عنهما بإرادته، لتتوافق مع إرادة الله الشرعية، وتحقيق مرضاته سبحانه. وبهذا التحرر والاستعلاء الذي يحققه الصائم فإنه يكون أقوى على التحرر من سيطرة الطغاة الذين يحاولون استغلال الناس واستعبادهم وإذلالهم وفتنتهم بالطعام والشراب والشهوات، إمَّا منعًا بالتجويع والتضييق والحصار وإمَّا إطلاقًا وإباحة وإفاضة للمال والجاه والمكاسب والمناصب. فالصائم حقيقة الصيام لا يخضعه ترغيب ولا ترهيب، ولا يعبأ بشهوات ومغريات، ولا يلين بمساومات ومفاوضات.

ثالثًا: أكثر ما يذل الإنسان، ويسلبه حريته أو ينتقص منها شهواتُه، وخاصة معدته التي كثيرًا ما تشقيه وتورده المهالك، وهو في الصوم يذر طعامه وشهوته، ويهجر ملذاته، وبذلك يتخلص من أسر الهوى، وتتحرر الإرادة والعقل من ضغوط الدوافع والحاجات النفسية والجسدية. وهذا معنى نفيس للحريَّة، لم تهتد إليه الحضارة المادية المعاصرة التي ترى الحرية انطلاقًا وراء الشهوات، وسائر الرغبات، وإنما هي الفوضى والطغيان والحياة البهيمية المحضة والعبوديةُ الذليلةُ. والحق الذي ليس بعده إلا الباطل أن تحرير الإرادة والعقل من أسر الأهواء هو جوهر الحريَّة الحقَّة ولبها، وإلا غدت شكلًا لا قيمة له، إذ يعيش الإنسان عبدًا للدنيا وأعراضها، يعكف على خدمتها ومراعاتها، مأسور القلب للمال والجاه والمنصب ونحوه، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» (البخاري)، وهو الذي أشار الله تعالى إليه في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣). يقول ابن تيمية رحمه الله في فتاواه وهو يشرح حقيقة الحرية: إن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقًا مستعبدًا متيمًا لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب. وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب؛ فإن المسلم لو أسره كافر، أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك إذا كان قائما بما يقدر عليه من الواجبات، ومن استعبد بحق إذا أدى حق الله وحق مواليه، له أجران ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك، وأما من استعبد قلبه فصار عبدًا لغير الله فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس. فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى النفس، قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (متفق عليه)، وهذا لعمري إذا كان قد استعبدَ قلبَه صورةٌ مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة، فهذا هو العذاب الذي لا يدان فيه. انتهى كلام شيخ الإسلام.

رابعًا: والصوم أيضًا يحقق التحرر من أسر العادات السيئة الخاطئة، مثل: المسكرات والمخدرات والإدمان بجميع صوره وأشكاله، كذا العادات السيئة في النوم واستغلال الوقت، والأنماط الاستهلاكية، وكثير من العلاقات الاجتماعية السلبية... إلى آخره.

ومن المعروف أن تغيير العادات وفطامُ النفس عن المألوف شديدٌ عليها، قلَّما تنجح في تحقيقه لكن الصوم علاج حاسم ودواء ناجع لتغيير العادات المرذولة والمألوفات الفاسدة، والصوم هنا ينظر إليه على أنه منهج حياة ومدرسة تربي في النفس والجماعة معاني الصبر والمصابرة والمرابطة والمراقبة والإرادة والشجاعة والتحدي. وهذه القيم العليا هي التي تغير في الإنسان نفسه، وتجدد فيه قلبه خاصة، فيستردُّ القلبُ المأسورُ بالهوى سلطانَه على جسده وجوارحه، فيأمرها فتطيعه، وتخالف عوائدها وهواها؛ ليخرج المؤمن الصائم من رمضان عندئذ إنسانًا جديدًا وخلقًا آخر، وهذا إذا عشنا الصوم كما ينبغي، فالصوم ليس صوم البطن والفرج فحسب، بل صوم العين والأذن واللسان والقلب وسائر الأعضاء. ثم إذا كان الصائم يترك طعامه وشرابه، ألا يقدر على هجر عاداته السيئة، كالتدخين مثلا، أو أن يمتلك نفسه عند الغضب، أو يتحكم بعاطفته؟. كيف وقد تعلم من مدرسة رمضان أن يقول إذا سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ: «إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (متفق عليه)؟. ألا يترك ذلك أثره على شخصية الصائم بعد توديعه رمضانَ شهرَ الحريَّة الحقَّة، ومدرسةَ الأحرارِ الشرفاء؟!. نعم، يترك أثره -لا ريب- ويعظم من خلال تعهد ثمرات الصوم وتنميتها وإحياء معانيه وقيمه في النفس والمجتمع.

١- يقول أحمد بن خَضْرَوَيْه البلخي، كنيته أبوحامد، وهو من كبار المشايخ بخراسان ، ومن قرناء أبي يزيد البسطامي، توفى سنة ٢٤٠ هـ : « في الحريَّة تمامُ العُبُوديَّة، وفي تحقيق العُبُودِيَّة تمامُ الحريَّة».





على دروب الصوم نرتقي

د.خالد النجار*

الناس في شهر رمضان دروبهم شتى ومسالكهم لا تعد ولا تحصى، فهم بين متعبد ومبتعد.. منهم الصوام القوام ومنهم النومان الكسلان.. منهم سهره في القيام ومنهم سهره مع القيان والخلان.. منهم النهم للقرآن ومنهم النهم للأكل والحلوان.. منهم الخلوق ومنهم الغضوب.. منهم من يظل على حاله من الإيمان ومنهم من يتغير بعد رمضان.

والعابدون في رمضان سادة الناس الذين أدركوا بنور بصيرتهم أن رمضان فرصة قد لا تعود إليهم، وربما لن يعيشوا ليدركوها ثانية، فاغتنموا كل لحظاته وساعاته وأيامه بالتقرب إلى الله توبة وعبادة، وعطفا على الفقراء، وصلة للأرحام، وزيارة للبيت الحرام، وغيرها من أنواع البر والإحسان، فرمضان شهر عطاء وإقبال وبذل وأوبة؛ إنه شهر القرآن والصدقات والصفاء والصدق، وقمينٌ بنا تعزيز هذه المظاهر الرمضانية الإيجابية في دواخلنا وفي مجتمعنا، فالله لا يغير ما بقوم- ولم يقل ما بشخص- حتى يغيروا ما بأنفسهم.

هناك علاقة قوية بين الصوم كتشريع والأخلاق كسلوك والعقيدة كأساس وقاعدة

عندما تهب نفحات هذا الشهر الكريم فإنها تعلن عن ثورة على المألوف، وتحول وتغيير كامل في منظومة الحياة الكونية والتعبدية والاجتماعية والوظيفية.. نجد كل شيء قد تغيرَ من أجل رمضان.. فهذه أبواب الجنة قد فتحت، وغلّقت أبواب النار، وصفّد الأعداء الألداء من الشياطين ومردة الجن، وتنزل الملائكة الكرام بالرحمات، خاصة في سيدة الليالي «ليلةِ القدر»، ويشهد البشر موسم خيرات فريد، يبسط الرحمن فيه يده فيعطي ويجزل، ويضاعف فيه ثواب الأعمال، ويسطع فيه نجم الإيمان، وتقل فيه دواعي المعصية.. كل هذه التغييرات تحدث في سيد الشهور على غير عادة في غيره.

إن ثورة التغيير التي أحدثها هذا الضيفُ الكريم في عالمنا وحياتنا تكتسح ما بدواخلنا لإحداث نقلةٍ رُوحية وجسدية، فالقلوب فيه مقبلة على ربها، والهمم فيه سامية عن الشهوات، والنفوس متخلصة من أسْر المعاصي، والقوى الحيوانية في الإنسان خاضعة للقوى الروحية.

ولذلك ينبغي أن يكون هذا الشهر الفضيل شهر مراجعة وتفكير وتأمل ومحاسبة للنفس، وفرصة سانحة للوقوف مع الذات وتصحيح المسار، إذ حينما يمتنع الإنسان في هذا الشهر الكريم عن الطعام والشراب، وبقية الشهوات التي يلتصق بها يوميًا، فإنه يكون قد تخلص من تلك الانجذابات الأرضية، مما يعطيه فرصة للانتباه نحو ذاته العليا، وتأتي تلك الأجواء الروحية والإيمانية الرائعة، لتحسّن من فرص الاستفادة من هذه النفحة الربانية.

ولذلك فقد كان السلفُ يسمُّون رمضان «المطهّر»، ويسألون الله تعالى قبل قدومه بزمن طويل أن يبلغهم الشهر الكريم.

معالجة النفس

هناك علاقة قوية لا تنفصم بين الصوم كتشريع والأخلاق كسلوك والعقيدة كأساس وقاعدة، أما عن العلاقة بين الصوم والأخلاق فيلخصها جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه التوجيهات الرائعة، حيث يقول: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من المحارم، ولسانك من الكذب، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء».

وعلاقة الصوم بالعقيدة واضحة من خلال توجيه النداء بالصيام إلى «المؤمنين»، الذين يؤدون التكاليف لصحة وكمال اعتقادهم بالله العلي الحكيم؛ قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة: ١٨٣).

ففي رمضان تسلم القلوبُ من وَحَرها وحسدها وحقدها وغشها وخيانتها، وتسلم من الشحناء والبغضاء، ومن التهاجر والتقاطع، لتعود إلى فطرتها الحقيقية؛ قال ﷺ: «صومُ شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن وَحَرَ الصدر» (صحيح الجامع: ٣٨٠٤)، وسلامة القلب سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

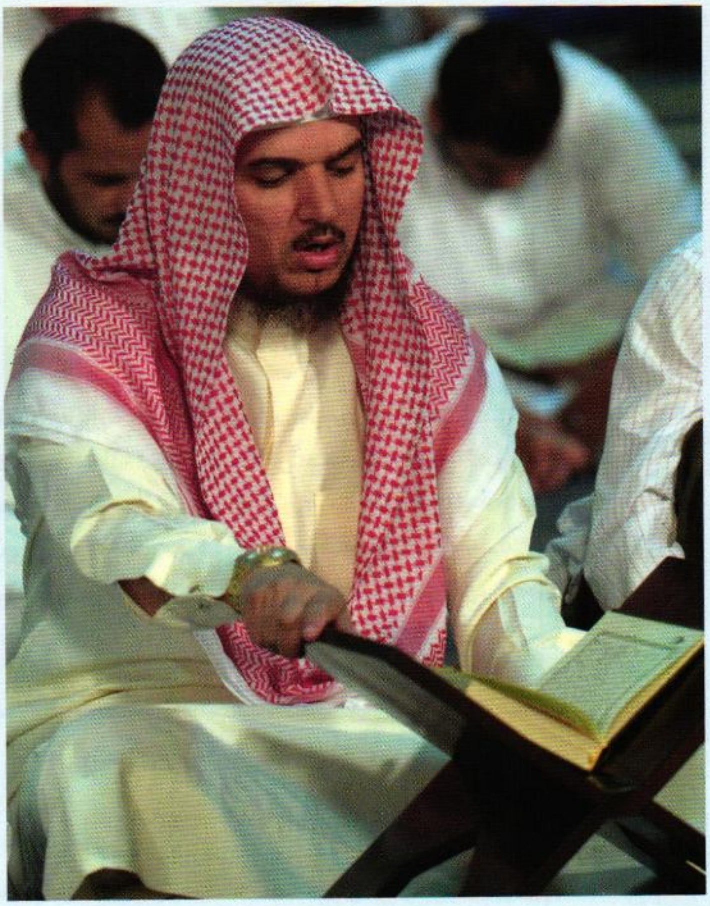
وبالصيام يسلم اللسانُ من قول الزور، واللغو، واللعن، والباطل، والكذب، ومن الغيبة والنميمة وغيرها؛ قال رسول الهدى ﷺ: «من لم يدَعْ قولَ الزور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه» (البخاري: ١٩٠٣)، وقال أيضا: «ليس الصيامُ من الأكل والشرب، إنما الصيامُ

* طبيب مصري

من اللغو والرفث؛ فإن سابك أحد أو جهل عليك فقُل: إني صائم إني صائم» (صحيح الجامع: ٥٣٧٦) وهكذا بقية الجوارح، وبقية الأعمال، تدخل دورة تربوية لتصلح وتتغير نحو الأفضل لمن صدق مع خالقه، فيصدقه فيما يعمل.

إن غاية الصيام معالجةُ النفس وإصلاحها لتكتسب بعدها الإرادةَ الصارمة، والعزيمة الجادة على طريق الإصلاح، فالصوم تجربة فريدة في ترويض النفس لتتهذب بأجمل الآداب، وتقوية العزيمة لترتقي نحو الكمال، وتحرير الإرادة لتتخلص من أسر الشهوات.. إنها تجربة جديرة في ذاتها بالتقدير والاعتبار، لما لها من أثر بالغ في دعم شخصية المسلم، وصقلها، وتنقيتها من أدران الضعف والوهن والخمول.

رمضان مصدر يمدنا بطاقة إيمانية لسائر عامنا، والمحرومُ من حَرَمه كسله من التزود من تلكم الطاقة اللازمة لصناعة الأعمال الصالحة؛ المسعدة في الدنيا، والمنجية في الآخرة.. ما أجمل أن يكون شهر رمضان موسم استقطاب وتحسين وتغيير للأفضل وبثٍّ للروح الإيجابية في ناشئة العرب والمسلمين ورجالهم ونسائهم؛ حتى يعلم كلُّ واحد منهم أنه على ثغرٍ في عملِهِ القلبي والظاهر وفي سلوكه ولباسه وحديثه، وفي واجبه تجاه مجتمعه الصغير والكبير، وحينها سترتفعُ عن أمتنا الذلة



وتؤول المسكنة إلى أهلها، ونكون خير أمة أخرجت للناس.

إن الوصول إلى معالي الأمور لن يكون إلا على جسور الصبر والتعب، ورمضان محطة الصبر والجلد، جاء ليربي في المسلمين قوة الإرادة ورباطة الجأش، ويربي فيهم ملكة الصبر، ويعودهم على احتمال الشدائد، والجلد أمام العقبات ومصاعب الحياة.

قال ابن رجب: «والصبر ثلاثة أنواع: صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن محارم الله، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم؛ فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عمّا حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرًا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن».

إن رمضان شهر الخلوة والمخاض من أجل ولادة سنوية جديدة.. فرغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف من لم يجدد التوبة والأوبة والعودة إلى رحاب الإيمان، ورغم أنف من لم يكسر عاداته القبيحة، ويقوم بعملية برمجة جديدة لنظام حياته، خاصة أن الجو الإيماني في هذا الشهر مهيأ، والنفوس صافية، والرحمات غزيرة، والبركات وفيرة.

رمضان فرصة لتنظر في أملك في هذه الدنيا، وفي حياتك طولها وقصرها، وفي الدنيا وغرورها، وفتنتها، وفي الناس وآفاتهم.. فرمضان قد جاءك لتغيير ذلك كله، لتحي بروح جديدة.

إن رمضان شهر تربوي، حيوي، تفاعلي، تلاحمي.. رمضان هو شهر انتصار الإنسان، بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، انتصار على الشيطان، انتصار على الشهوات، انتصار على السيئات، انتصار نفخة الروح على طينة الأرض.. رمضان فرصة لتغيير شخصياتنا إلى الأفضل، لتحويلها إلى شخصية ودودة أكثر اجتماعية، وأكثر تدينا، وأكثر تلاحما وترابطا مع أفراد الأسرة بل والمجتمع والأمة بأسرها.. رمضان شهر الجود، وطيب النفس، ليس شهر الخمول والتكاسل وضيق الصدر والتضجر من كل شيء.

المراجع

- رمضان بوابة التحسين والتغيير، أحمد بن عبدالمحسن العسّاف.
- رمضان شهر المراجعات الذاتية، محمد إبراهيم زيدان.
- رمضانُ وفرصةُ التغيير، الشيخ حسين مسعود القحطاني.
- لطائف المعارف/ ٢٨٤.



شهر الخشوع والطمأنينة في قصائد الشعراء

في ضياء رمضان

محمد مروان مراد

تحدث الفقهاء عن حكمة الصوم، وأثره في التهذيب، ومغزاه الأخلاقي، وفي كتب الحديث نرى المحدثين قد أفردوا أبوابًا لفضله، والترغيب به، وأجر الصائمين، كما أشاد علماء الاجتماع المستنيرون بأثره في وحدة الأمة، وتعاضدها، وتكاتفها، غير أن للشعراء إحساسهم الخاص، وطريقتهم في استلهام معانيه وروحه، وقد حفل الشعر العربي قديمًا وحديثًا بالقصائد والمقطوعات التي تناولت شهر رمضان في كل جوانبه.

لما كان لهذا الشهر الفضيل حرمة لا يجوز انتهاكها، فقد استطاع بعض الشعراء أن يترجموا شعرًا معنى الحديث النبوي «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» فهذا محمد بن علي السنوسي يقول:

رمضان رُبَّ فم تمنَّعَ
عن شَراب أو طعامْ
ظن الصيام عن الغذاء
هو الحقيقة في الصيامْ
وهوى على الأعراض
ينهشها ويقطع كالحمام
ياليته إذ صام صام
عن النمائم والحرام.

ويؤكد هذا المعنى الشريف الرضي بقوله:

إذا ما المرء صام عن الدنايا
فكل شهوره شهر الصيام.

وينصح أبوبكر عطية الأندلسي الصائمين بقوله:

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة
تلهيك فيه من القبيح فتونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله
حتى تكون تصومه وتصونه

ويمضي الشاعر السوري محمود محمد كلزي متناولًا هذا المعنى في نسق شعري حديث:

وتطل في صوت المؤذن
في أذان الفجر والإمساكْ
لا الصوم عن لقم تجوب الحلق
أو ماء يبلل فاكْ
الصوم عن ذاك اللسان

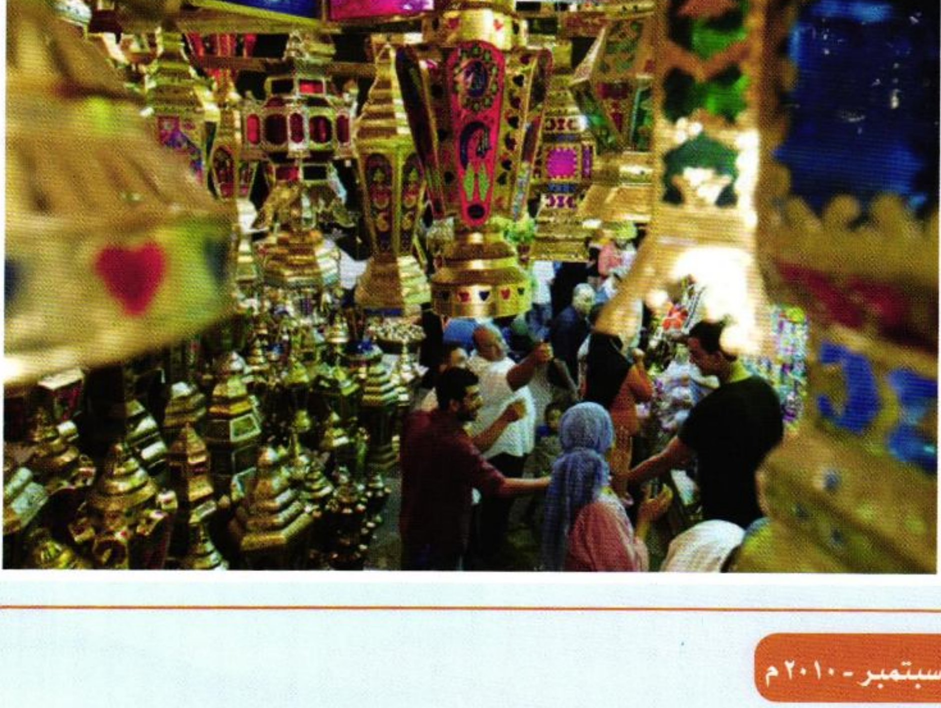
وفي جهاد النفس في دنيا الملذات الحرام.

وتتقارب العبارات والصيغ الشعرية التي تتناول هذه الحرمة الرمضانية، يقول الشاعر جمال علوش:

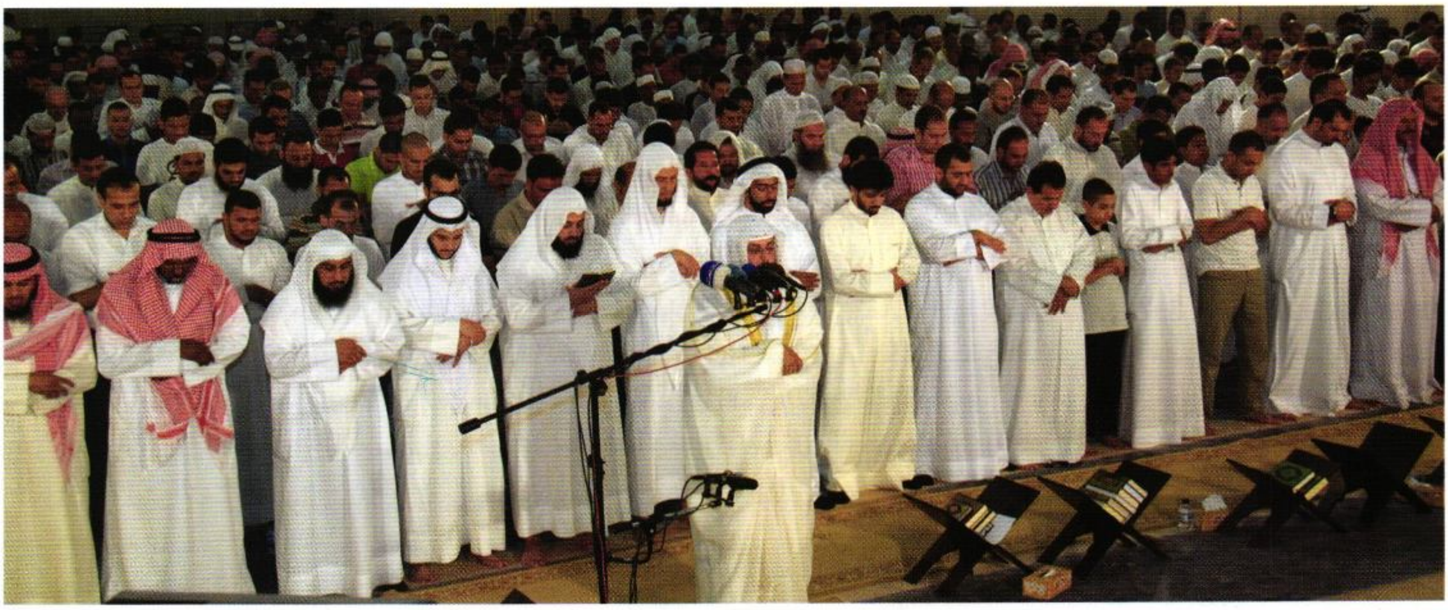
«صوم عن الشهوات ... لا عمّا يلذ من الطعام أو الشراب
صوم عن الدنيا وما فيها من الحسن الخراب
صوم عن الركض المريض وراء خادعة السراب.

هلال رمضان

ويستذكر الناس حرمة شهر رمضان بخشوع وطمأنينة منذ أن يأخذوا في ترقب هلال الشهر الفضيل، وأول من سنّ سنة الاحتفال برؤية الهلال، القاضي أبوعبدالرحمن عبدالله بن لهيعة قاضي الفسطاط، فقد خرج سنة ١٥٥ هـ، ومعه الناس، ودأب القضاة من بعده على الخروج



• داعية إسلامي



في موكب رائع كل عام إلى جامع في سفح جبل المقطم، حيث أعدت دكة على مكان مرتفع بالقرب من ذلك الجامع يمكن منها مشاهدة الهلال.

والشعراء على اختلاف مشاربهم، وظرفهم، وتقواهم يحتفلون بالتعبير عن هلال رمضان، ومن أروع الشعر قول ابن حمديس الصقلي:

قلت والناس يرقبون هلالًا
يشبه الصبَّ في نحافة جسمه
من يكن صائمًا فذا رمضان
خطّ بالنور للورى أول اسمه

أما الشاعر محمد هارون الحلو من الرياض فيملأ البشر عليه أركان وجوده عند رؤيته الهلال:

الله أكبر لاح وجه المشرق
بهلاله وجبينه المتألق
رمضان أقبل بالبشائر والهدى
وبسلسل من برّه المتدفق
ما شاء كل منهمُ أن يستقي

السحور

كان بلال بن رباح رضي الله عنه يسحّر الناس بصوته العذب الجميل، أما في العصر العباسي، فقد كان المسحّر يسحّر الناس بشعر شعبي كان يرتله يدعى «القوما».

يقول أبوطالب المأموني في طعام السحور:

عندي للأكل إذا
ما قمت للتسحرِ
ملتوتة بسمنها
وسمسم مقشر

ووظف الشاعر محمود كلزي المشهد وأعاد صياغته شعريًا معبرًا عن بهجة السحور:

ورؤى تموج في «الفوانيس» البهجة
في يد الأطفال تنشد في ابتهال:

يا أيها الصائم
قم وحّد الدائم
ما فاز من أغفى
في عالمٍ نائم

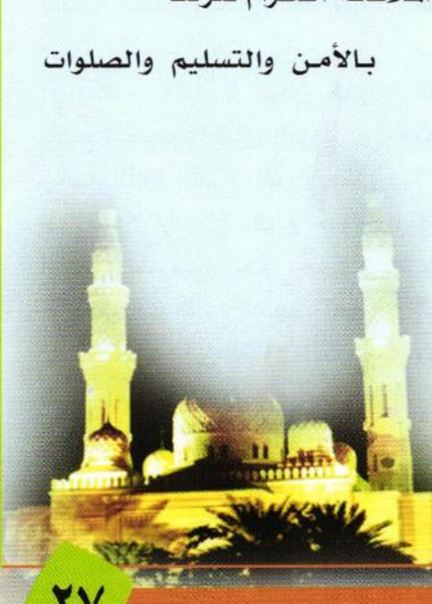
ليلة القدر

أفاض الشعراء في امتداح ليلة القدر، وبيان أثرها ومكانتها وعّدوها ليلة استثنائية وفق ما أورده القرآن الكريم. يقول الشاعر محمد عبده غانم:

ليلة لا تعد بين الليالي
فلتة الدهر في السنى والجلال
ليلة النور طهرّي عالم الأرض
بفيض من قدسك المنهالِ
نحن في عالم كثير الخطايا
مثقل الظهر بالذنوب الثقال

ويقول الشاعر سيف المرّي من الإمارات:

وحويت من أسنى العطايا ليلة
للقدر ظاهرة على الليلاتِ
قد فاق فضلًا ألف شهر خيرها
مخبوءة في أشرف الأوقات
فيها الملائكة الكرام تنزلت
بالأمن والتسليم والصلوات





الإمساكية الرَّمَضَانية

التحرير

جرَتْ عادة كثير من البلاد العربية والإسلامية ومنها دولة الكويت المحروسة على طباعة مواقيت الصلوات في شهر رمضان المبارك، وتحديد وقت للإمساك عن المفطرات، وهو في العادة عشر دقائق تقديرًا، وذلك من باب الاحتياط، وقد وَزّعت مجلّة «الوعي الإسلامي» في الأعوام السابقة وهذا العام ما يسمى بالإمساكية، فظنّ بعض الناس أنّ الإمساكية لا أصل لها، وأنها مخالفة لظاهر القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، ومن باب مذاكرة العلم، وإزالة اللّبْس رأينا من الواجب أن نوضح الأمر لمن التبس عليه، ونناقش هذه المسألة ونبيّن وجهة نظرنا.

ابتداءً: فإنّ الحرص على صيام المسلمين، والاهتمامَ بأمرهم، ومراعاة الخير لهم، واجبٌ على الجميع، ولكن لنا على المعترض ملاحظات، أهمها:

- أنّ اعتراضه سيق مَساق المتّفَق عليه، مع أنّ المسألة اجتهادية خلافية، والقاعدة: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد»، ومسألتُنا هذه دائرةٌ بين الجائز والمباح ليس إلاّ، ودليل ذلك ما رواه البخاري (١٩١٩) ومسلم (١٠٩٢)- رحمهما الله تعالى- عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما أنّ بلالا كَانَ يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُوم، فَإِنَّهُ لا يُؤَذِّنُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ». قال النووي - رحمه الله- (شرح النووي على مسلم: ٢٠٢/٧): فيه جوازُ الأكل والشّرب والجماع وسائر الأشياء إلى طلوع الفجر. اهـ.

ولاحظْ أخي القارئ الكريم قول الإمام النوويّ: «فيه جواز...»؛ فليس الأمر سوى كونه جائزًا، بمعنى: يجوز لمُريد الصوم أن يؤخّر إمساكه إلى تبيُّن طلوع الفجر بالأذان الثاني، ويجوز له أن يتقدّم به إلى ما قبل الأذان الثاني؛ لا إيجابًا، ولكن حَذَرًا واحتياطًا.

- أنّ تحديد وقت للإمساك إنّما هو من باب إعانة الصائم على الاحتياط لدينه، خاصّةً مع تداخل الأوقات وقلّة ضبطها، ولهذا شاهدٌ في السّنة وفهم العلماء، فقد بوّب البخاري -رحمه الله- في جامعه الصحيح بقوله: «باب قَدْرِ كَمْ بَيْنَ السَّحُورِ وَصَلاةِ الْفَجْرِ»، وساق فيه حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِت، قَالَ: «تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ عليه السلام، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاة» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الأَذَانِ وَالسَّحُورِ؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً». قال ابن بطال- رحمه الله- في شرحه (٤٤/٤): قال المهلّب: هذا يدلّ على تأخير السّحور ليتقوّى به على الصوم، وإنما كان يؤخّره إلى الفجر الأول الذي هو البياض المعترض في الأفق، ولذلك جعل الله الفجر الأول حدًّا للأكل بقدر ما يُتمّ أكله ويطلع الفجر الثاني، ولولا هذا الفجر الأول لصعب ضبط هذا الوقت على الناس. اهـ.

وهذا فيه نوع تقدير وتقويم كما لا يخفى.

ومثله ما قاله الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كما في (الفتح ٢ / ٣٥٨): «والمدّة التي بين الفراغ من السّحور والدّخول في الصّلاة قَدْرُ ثُلُث خُمُس ساعة، ولعلّها مقدارُ ما يتوضّأ»، وقدْ نَقَل عن القرطبي المالكي- رحمه الله- أنه قال: «فيه دلالة على أنّ الفراغ من السّحور كان قبل طلوع الفجر».

الاحتياط في العبادة

والاحتياط- كما هو معلومٌ- له أصلٌ نبويّ صحيحٌ، وهو ما ثبت في الصحيح من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس فمن اتقى الشّبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه...»، وفي شرح هذا الحديث يقول ابن رجب- رحمه الله- (جامع العلوم والحكم: ٨ / ٢١): «..جعل مَن يرعى حول الحمى، أو قريبًا منه جديراً بأنْ يدخلَ الحمى ويرتع فيه، فكذلك من تعدّى الحلال، ووقع في الشبهات، فإنّه قد قارب الحرام غايةَ المقاربة، فما أخلقه بأنْ يُخالطَ الحرام المحض ويقع فيه، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّه ينبغي التباعد عن المحرّمات، وأنْ يجعل الإنسان بينه وبينها حاجزاً».

وربْطًا لمبدأ الاحتياط بمسألتنا؛ فإنّ العلماء يُوَجّهون قوله تعالى: ﴿حتى يتبيّن لكم...﴾ فيقولون: إنّ المعنى منه إذا قاربتم تبيُّن الخيط، فإنّ هذا هو الأشبه بوضع الشريعة وحرمة العبادة، وإذا جاء الليل فأكلتَ لم تخف مواقعة المحظور، وإذا دنا الصباح لم يحلّ لك الأكل، لأنه ربما أوقعك في المحظور غالبًا.

ثم إنّ معرفة دخول وقت الفجر لا يتحصّل لأيّ كان؛ في البيت أو العمل ونحوه، بل إنّ الغالب من الصائمين إنّما يتسحرون في بيوتهم، ممّا يجعل مراقبتهم للفجر معدومة؛

وبلادٌ أخرى ذات غيوم ثقيلة، وأخرى ذات ليل متواصل أو نهار متواصل، كل هذه الأحوال ممّا يجعل الحيطة لازمة والحذر للعبادة أكيدًا، ولا يكون ذلك إلا بالإمساك قبل الوقت للاحتياط.

ومع ذلك؛ فإنّ الفقهاء يقرّرون أنّ مَن أكل أو شرب بعدما أمسك قبل الأذان، فلا شيء عليه وصيامُه صحيحٌ؛ لأن العبرة بطلوع الفجر، وفي دليل الطالب (ص: ٧٨): «ولا يضرّ إن أتى بعد النيّة بمنافٍ للصّوم»، أي: بعد نية الإمساك؛ ما لم يطلع الفجر.

المسألة خلافية

وعَوْداً على رأس المسألة حين ذكرنا أنّها خلافيةٌ؛ فإن ممّا يشهد لها من كلام أهل العلم ما قرّره المرداويّ- رحمه الله- حين قال (الإنصاف ٣/ ٢٣١): «قطعَ جماعةٌ من الأصحابِ بوجوب الإمساك في أصولِ الفقه وفروعه، وأنّه ممّا لا يَتمّ الواجبُ إلاّ به». ومما يشهد للخلاف الواقع في المسألة كذلك ما جاء في (قواعد ابن اللحام: ١/ ١٣١): «هل يجب على الصائم إمساك جزء من الليل أم لا؟ في المسألة قولان؛ قال ابن الجوزي: أصحهما: لا يجب، وقَطَع جماعةٌ بوجوبه».

هذا، وقد ذكر ابن بدران الحنبلي- رحمه الله- (المدخل ١/١٥١) تفريعًا على القاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ بعد أن ذكر قول مَن أوجب: «..وقيل: لا يجب، وإن لم يكن الذي لا يتم الواجب إلا به شرطًا، كمسح جزء من الرأس في غسل الوجه في الوضوء، وإمساك جزء من الليل مع النهار في الصوم؛ فمثل هذا لا يجب؛ خلافًا للأكثرين حيث قالوا بوجوبه، قلت: المختار الوجوب؛ لأنّ ما لابد منه في الواجب هو من لوازمه، والأمر بالملزوم أمرٌ باللازم»ا.هـ.

الإمساكية إجراء متبعٌ معروف عند العلماء المعاصرين ولا يرون به بأسًا

- الآية التي يستدل بها المعترض للتدليل على ما اختاره، وهي قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، ليستَ عند العلماء بالتفسير والفقه على طريقة واحدة من الفهم والاستنباط، بل إنّ المالكية وجماعةً من الفقهاء غيرَهم ممّن رأى وجوبَ إمساك جزء من اللّيل؛ ذهبوا إلى ذلكَ بداعي الاحتياط؛ لا مخالفةً لظاهر الآية، بل حملوا الآيةَ على المراقب للفجر، وهو قليلٌ في مجرى العادة؛ فأطلقوا القوْل بناءً على الغالب، وهو عدم المراقبة.

وهذا ما قرّره ابن الشّاط في تعقيبه على القرافيّ- رحمه الله- في فروقه (الفرق الرابع والمائة).

فتوى وزارة الأوقاف

هذا وقد ساق المعترض- تقويةً لجانبه- فتوى لوزارة الأوقاف الكويتية، وهي جوابُها لسائل سأل: أيكون الإمساك عند بدايةِ الأذان، أم عند قول المؤذّن: الصلاة خير من النوم؟ فأجابت اللجنة مشكورة بأن الإمساك يكون عند بداية الأذان.

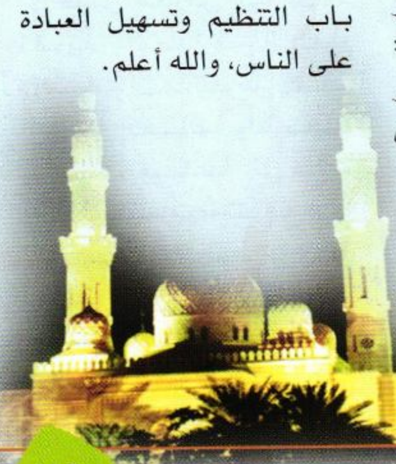
وهذه الفتوى ليست في محلّ النزاع الذي تدور عليه مسألتنا، ولكنها في فتوى سائل عن الإمساك، أهو عند بدايةِ الأذان، أو عند التثويب! وكما لا يخفى على طالب العلم: لو كان السؤال: أيجوز أنْ أمسك قبل الأذان بعشر دقائق أو بساعة، لكانت الفتيا: نعم يجوز، بغضّ النظر عن الأفضل والأكمل. وكان يمكن للفتوى أن تَعْضد خيار المعترض لو كانت بهذه الصيغة: «لابد أن تمسك عند بداية الأذان، لا قبله ولا بعده»، وليست صيغتها كذلك، فلا فائدة من إيرادها.

ومن المعلوم أنّ لوزارة الأوقاف فتوى أخرى وهي في محلّ النزاع برقم (٥٩/ع٩٧)، ذكر فيها السّائل أنّ رجلاً قال: إنّ الإمساكية بدعةٌ وغير صحيحة؛ فكان جواب اللجنة: «إعلان الإمساك في آخر الليل مستحسَنٌ لما فيه من الاحتياط لصحّة العبادة، وما رآه المسلمون حَسَنًا فهو عند الله حسنٌ، وهو غير ملزم، بل يباح الأكل والشّرب بعده إلى طلوع الفجر للآية الكريمة: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.

ومن باب زيادة الخير والفائدة؛ يقول الشيخ ابن باز - رحمه الله- (مجموع فتاوى ابن باز ١٥ / ٢٨٤): «والأحوط للمؤمن والمؤمنة الحرص على إنهاء السحور قبل الفجر؛ عملا بقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقوله ﷺ: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

والإمساكية إجراء متبعٌ معروف عند العلماء المعاصرين، لا يرون به بأسًا، بل قد جرت على الانتظام به شعوبٌ مسلمةٌ بأسرها، فلا معنى للاعتراض عليها.

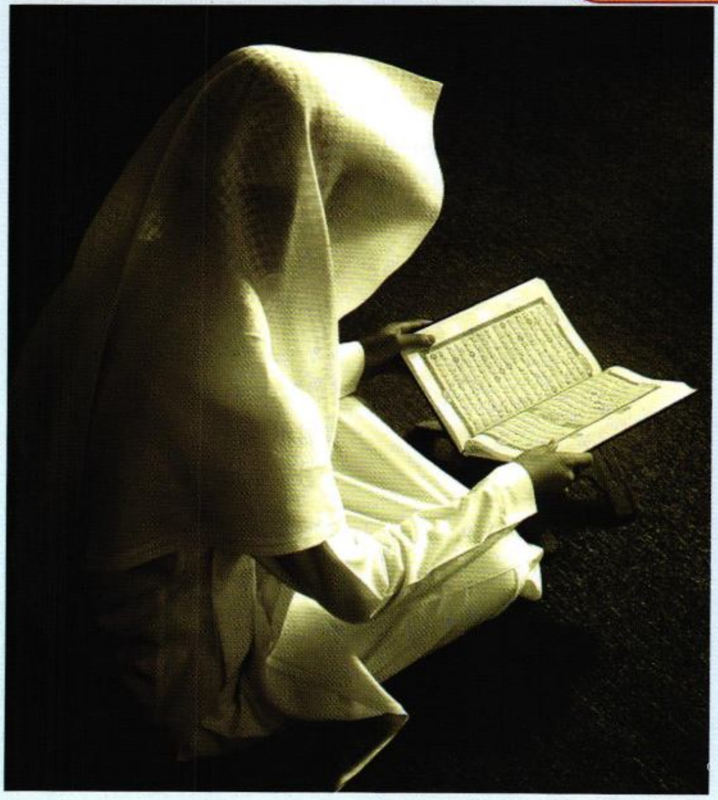
ونختم هذا التوضيح بالتذكير بأنّ تقاويم دولة الكويت قام على إعدادها نخبةٌ من علماء الشّرع والفلك، وعلى رأسهم الفلكيّ الدكتور صالح العجيري- حفظه الله-، وكذلك تقويم أم القرى الذي مضى على اعتماده عشرات السنوات، والذي حاز ثقة العلماء وتزكيتهم، وليست هي إلاّ من باب التنظيم وتسهيل العبادة على الناس، والله أعلم.





دور الصوم في التربية النفسية

د. محمد السيد المليجي ◆



لم تظفر بعد ميادين علم النفس المختلفة بمثل ما ظفرت به الشريعة الإسلامية من آداب أخلاقية تهذب النفس وتنقي سرائرها وتكسوها الكمال والجمال الأخلاقي.. لم توجد وسيلة تربوية تهذيبية تقوم على النفس وتكسر شوكتها وتحجم من رعونتها أفضل من الصوم، وقد دلت آيات القرآن الكريم على الغاية التهذيبية للصوم حين قال: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

فالصوم - كما عرفه ابن كثير في تفسيره - هو «الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة... ولأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان» (١).

فإذا لم تتحقق التقوى عند الصائم فلا رجاء فيه ولا في صيامه وقد أكد رسول الله ﷺ مراد القرآن من الصوم حين قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (٢).

فليس الغرض من الصوم تفريغ المعدة من الطعام والشراب، وإنما الغرض اكساب النفس القناعة والارتقاء بسجاياها وطباعها إلى منزلة أخلاقية سامية تترفع فيها عن دنس المعاصي ورجس الشهوات، ومن ثم فالصوم «فرض لغاية سامية وحكمة مقدسة، هي تربية النفوس والسمو بها إلى آفاق عليا من التطهير والصفاء، فلا تتحكم فيها نزعات الإثم ووساوس الشر، وشهوات الجسد، وإنما تكون دائمًا نقية تقية تخشى الله وترجوا رحمته وتهاب حسابه» (٣).

منهج الإسلام في تهذيب النفس بالصوم

علم الله سبحانه أن الصوم مشقة للعبد وجهاد لنفسه، فرغبه فيه وحببه إليه عندما غيب عنه جزاءه وجعله سرًا بينه وبين عبده حتى يخلص المؤمن في صومه ليحظى بطيب العيش والنعيم المقيم في الآخرة، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه» (٤)

وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٥).

فقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى الجزاء الوفير الذي أعده الله تعالي للصائم يوم القيامة، وما ذلك الا لأن الصيام ينفرد دون سائر العبادات بخصائص كثيرة، أهمها: أنه سر بين العبد وربه، وأنه عبادة شاقة فهو لون من الجهاد أو هو الجهاد الأكبر، كما ورد في بعض الأحاديث النبوية فكان في حاجة إلى أن يجيء أن الحديث عنه على هذا النحو من الترغيب والتحبيب لتقبل عليه النفوس راسخة الإيمان، قوية اليقين، لا ترى فيه عبئًا ثقيلًا تنوء به ولكن تراه نعمة وخيرًا للمؤمنين وأنه فريضة خالدة في كل دين،

◆ باحث أكاديمي



يصل القلوب بالله ويحملها على استشعار خشيته ومراقبته وتقواه» (٦)

ومن جزاء الصوم أيضا ما روي عن مالك بن دينار- رحمه الله- حين قال «قرأت في بعض الكتب: يا معشر الصديقين تنعموا بذكري، فإن ذكري لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء».

وقال في حديث آخر: آثرتموني على شهواتكم، ورضيتم بي بدلاً من خلقي، فبي فافرحوا، وبذكري فتنعموا، فوعزتي ما خلقت الجنان إلا من أجلكم» (٧).

وإذا كان موفور الجزاء من الله موقوف على جهاد النفس وحجبها عن المأكل والمشرب وغيرها من الطيبات التي أحلها الله للناس، فليس هذا مسوغًا لتعذيب وتحميلها فوق ما لا تطيقه، كما جاء عن غلاة الصوفية في ذلك، وإنما الغرض من ذلك تهذيبها وتأديبها حتى لا تجنح إلى الإسراف، وهذا ما سنوضحه في النقطة التالية.

الاقتصاد في الصوم

سبقت الإشارة إلى الغرض من الصوم وهو ترويض النفس وتربيتها على الأخلاق الكريمة والإرادة القوية والهمة العالية من خلال الامتناع عن الطعام والشراب وكل ما تميل إليه النفس من الطيبات.

ولكن يجب أن يدرك المسلم أن الدين يسر وأن الله لا يكلف النفس إلا بما تطيقه حتى تأخذ الثواب على هذه

ينفرد الصوم بخصائص كثيرة أهمها أنه عبادة شاقة ولون من الجهاد

الاستطاعة، قال تعالى: ﴿ **لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ البقرة: (٢٨٦).

وقال أيضًا ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقال في الصوم نفسه ﴿ **فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرًا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ (البقرة: ١٨٤).

وفي ذلك يقول ابن كثير «أي أن المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران ويقضيان بعد ذلك من أيام أخر.

وأما الصحيح المقيم الذي لا يطيق فكان مخيرًا بين الصيام وبين الطعام، إن شاء صام، وإن شاء أفطر وأطعم كل يوم مسكينًا، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير، وإن صام فهو أفضل من الطعام» (٨).

كذلك أكدت السنة المطهرة الاقتصاد في الصوم وحمل النفس على ما تطيق فعندما جاء نفر من المؤمنين يستشفعون بالسيدة عائشة رضي الله عنها ليأذن لهم رسول الله ﷺ في وصال الصوم، قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، فقال: إني لست كهيئتكم، اني يطعمني ربي ويسقين» (٩).

وفي موضع آخر قال ﷺ: «إياكم والوصال مرتين، قيل إنك تواصل، قال إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فأتوا من العمل ما تطيقون» (١٠).

فهؤلاء الذين يشقون على أنفسهم ويريدون الوصال في الصوم كان غرضهم جهاد النفس وإرهاقها حتى تسكن إلى الله وتقر بنعمه عليها وتنقطع عن طيبات النعم ورغدة العيش، لكنهم تحققوا من صاحب الرسالة أن الدين لا يعرف الإسراف وأن الله لا يكلف النفس بما لا تطيقه، وأنه سبحانه لم يحرم على النفس أن تهنأ بطيب العيش ما دامت قائمة على حدود الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ (المائدة: ٨٧).

وقال أيضا: ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة...** ﴾ (الأعراف: ٣٢).

وعلى ذلك يكون الإسراف في الحلال غير مقبول عند الله ورسوله، بل مأخوذ عليه في التشديد والإسراف، وهذا مغاير لمنهج الله في خلقه.

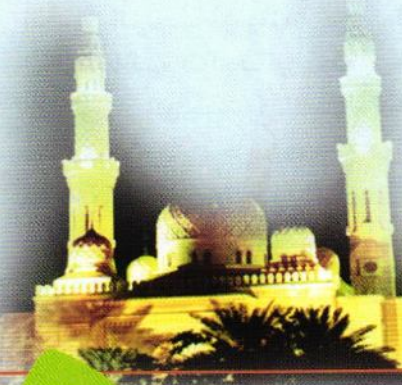
ومما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الشأن أنه سئل ذات يوم عن شاب عقد مع الله تعالى عهدًا على أن يصوم يومًا ويفطر يومًا طوال الدهر، وقد فعل ذلك سنة وهو متأهل، كما أنه ذو مرض ويحتاج إلى نفسه في حفظ صحته، فلما أحس بقدرته على دوام الصوم زاد من همته في حفظ القرآن الكريم، ثم زاد بقيام الليل وطول التهجد، فأثر مجموع ذلك خللاً في ذهنه، من ذهول وصداع يلحقه في رأسه، وبلادة في فهمه، فأصبح لا يحيط بمعنى الكلام إذا سمعه، كما ظهر أثر ذلك في عينيه حتى كادتا أن تغورا، فهل صوم هذا الشاب يوافق رضا الله؟

أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله «الحمد لله، جواب هذه المسألة مبني على أصلين:

أحدهما: موجب الشرع.

والثاني: مقتضى العهد والنذر.

أما الأول: فإن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله ﷺ هو الاقتصاد في





العبادة، كما قال النبي ﷺ «عليكم هديًا قاصدًا.. عليكم هديًا قاصدًا» (١١).

وقال: «إن هذا الدين متين، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فاستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا» (١٢).

وقال أبي بن كعب «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة» فمتى كانت العبادة توجب له ضررًا بمنعه عن فعل واجب انفع له منها كانت محرمة، مثل أن يصوم صومًا يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العقل أو الفهم الواجب أو يمنعه عن الجهاد الواجب، وكذلك اذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها، مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف الى أموال الناس ويسألهم.

وأما إن أضعفته عما أصلح منها، وأوقعته في مكروهات، فإنها مكروهة، وقد أنزل الله تعالي في ذلك قوله: ﴿ص يحب المعتدين﴾ (المائدة:) (٨٧)

أما الأصل الثاني وهو العهد الذي عقده هذا الشاب مع الله تعالى، فيقول عنه ابن تيمية «فالأصل فيه ما جاء في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» (١٣).

فإذا كان النذر الذي عاهد الله عليه يتضمن ضررًا غير مباح يفضي إلى ترك واجب، أو فعل محرم، فهذا معصية لا يجب الوفاء به، بل لو نذر عبادة مكروهة مثل قيام الليل كله وصيام النهار كله، لم يجب الوفاء بهذا النذر».

ثم يوجز شيخ الإسلام وجهة نظره في هذه القضية بقوله: «الأمر المشروع المسنون جميعه مبناه على العدل والاقتصاد والتوسط الذي هو خير الأمور وأعلاها، كالفردوس فإنه أعلى الجنه وأوسط الجنة فمن كان كذلك فمصيره إليه إن شاء الله» (١٤).

وجماع الأمر عندنا في هذه القضية أن الوسطية التي ميزت أمة محمد ﷺ عن سائر الأمم هي الأساس الذي أقيمت عليه مبادئ الإسلام وشريعته السمحاء ومنهجه القويم، والخروج عن هذه الوسطية يعد دليلًا على الخروج عن معالم الشخصية السوية التي تنسجم بفطرتها مع الوسطية الإسلامية.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير: ٢١٣/١ مكتبة الدعوة الإسلامية- القاهرة- طبعة- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢- أخرجه البخاري في صحيحه: ٣٣/٣ كتاب الصوم عن أبي هريرة رضي الله عنه- طبعة دار الشعب- القاهرة.
٣- د.محمد الدسوقي: الصيام في القرآن، ص ٢٤ دار المعارف- مصر بدون تاريخ.
٤-البخاري- كتاب الصوم- باب هل يقول إني صائم إذا شتم- ٣٤/٣.
٥- البخاري- كتاب الصوم- باب «من صام رمضانًا إيمانًا واحتسابًا- ٣٣/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٦- الصيام في القرآن: ص ٣٢ مرجع سابق.
٧- الحكيم الترمذي: أسرار مجاهدة النفس، ص ٦٠ تحقيق إبراهيم محمد الجمل- مطبعة التقدم- القاهرة.
٨- انظر تفسير ابن كثير: ٢١٤/١.
٩- البخاري- باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام - ٤٨/٣.
١٠- البخاري- نفس الباب- ٤٩/٣.
١١- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ٣٥٠/٥، ٣٦١ -٤٢٢/٦.
١٢-أخرجه البخاري في صحيحه- الباب الثامن عشر من كتاب الرقائق.
١٣- أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأيمان - ٢٨، ٣١.
١٤- انظر: ابن تيمية: احكام الصيام، ص ٨٣، ٨٤، ٩٩٤ بتصرف- مجموعة رسائل لشيخ الإسلام- تحقيق: محمد عبدالقادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م.

من مفهوم العبادة في الإسلام

محمد مصطفى ناصيف

العبادة تعني الطاعة، وهي أمر إلهي أوجبه الله على عباده ليعبدوه كما أمر وكما أوضحته السنة المشرفة بقول وفعل قدوة الإنسانية ومعلمها الخير ﷺ تهذيبًا للإنسان من الناحيتين الروحية والمادية، وتنظيم شؤون الفرد وترتيب شؤون الجماعة، وفيها رعاية أحوال الدنيا، وبها صلاح حال الدين كما أنها غذاء للإيمان وعلامة الصدق فيه وهي متجددة متكررة حتى يظل المسلم في دائرة الطهر والنقاء، مجذوبًا بهذه العبادة إلى رحبات الله كلما دفعته ماديات الحياة إلى البعد عن هذه الرحبات الإيمانية.

العبادات في الإسلام تنحصر في أركانه، حيث يمكن أن نستوضح الهدف من فرضها، ونستلهم المزايا منها، فبعض الأحكام لا يتفق الناس على فهم أسبابها، وإن غموض بعض العلل مثل اختلاف عدد الركعات من صلاة إلى أخرى، ومثل النصاب في بعض ما تجب الزكاة فيه وغيرها فلسفة لها مغزاها المهم، فإذا ظهرت لنا العلة واضحة في الصلاة والزكاة مثلًا فليس هناك داع أن نتتبّع كل الجزئيات بالتعليل والبحث عن الأسباب (ولو أمعن هؤلاء جيدًا وألهموا الشفافية الروحانية الإيمانية الصادقة لأحسوا بها وتذوقوا كنهها).

وعلى العباد أن يطيعوا ربهم كما أراد، فهموا مغزى العبادة أم لم يفهموها، ولو ناقش خادم سيده في كل أوامره وأبى أن يستجيب إلا لما يفهم سببه من هذه الأوامر وكذلك الجندي أمر قائده، أو المرضى نصائح طبيبهم.. لما طالت الصلة بينهما، ولأسرعت العلاقة بينهما إلى الانفصام.

ثم إن هناك فرقًا ملحوظًا بين أن تتوضأ قاصدًا النظافة، وأن تصلي قاصدًا رياضة البدن، وبين أن تتوضأ وتصلي قاصدًا الطاعة والامتثال إرضاء لله تعالى، ولاشك أن حالة الطاعة المطلقة تكون العبادة فيها أمثل وأصدق تعبيرًا عن المقصود (وأعيدك إلى مفهوم الإسلام الذي هو الانقياد والاستسلام لأمر الله ورسوله)، فمن قصد بالوضوء النظافة فقط فهجرته إلى غير الله، ومن قصد الرياضة بالصلاة فهجرته إلى غير الله، ومن قصد بالصوم العلاج الصحي فقط فهجرته إلى غير الله، وهكذا من يفعل العبادات لغير الله فهجرته إلى ذلك الغير.

وكذلك إذا كان الهدف من الصوم مثلًا أن يحس الصائم بجوع الفقير، أو أن يتعود الجوع استعدادًا لما ينزل به من مشقات طارئة، فلماذا لا يعفي المريض نفسه من الصوم؟ ولماذا لا يعفى من الزكاة كريم اليد السخي بالعطاء؟ وقس على مثل هذا في باقي العبادات.

وللإجابة على هذا نوضح أن الفلسفات التي سبق أن أوردناها.. إنما هي ألوان من الاجتهاد الإنساني على مر العصور للبحث عن أسباب هذه العبادات وليس بعيدًا أن تكون هناك أسباب لمّا نعرفها بعد، أو تكون عقولنا قاصرة عن إدراك أسباب حقيقية ستظل مطوية أو مغيّبة عنّا.

والكثيرون يقصرون العبادة على أركان الإسلام الخمسة المعروفة، جهلًا وعدم تفقه ومعرفة بأمور الدين، كما يقصرها الآخرون في بعض الأديان على الصلاة مثلًا، والحقيقة أن العبادة في الإسلام شاملة جامعة لكل أمور الدين والدنيا، فهي تشمل كل نشاط يقوم به الإنسان.. تعلق هذا النشاط بربه أو نفسه أو أسرته أو مجتمعه أو أمته، وتلك هي الدائرة الواسعة التي تحتويها حياة المسلم، وما حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» إلا أحد الأدلة على شمولية العبادة لكامل حياة المسلم، وهنا لابد من ذكر بعض أنواع العبادات والطاعات في الإسلام.

أدعك مثلًا تطوف العالم الإسلامي في رمضان لترى صومًا هنا وصومًا هناك، وصلاة الجمعة أو الجماعة هنا، وصلاة الجمعة أو الجماعة هناك.. لأدركت سمو الهدف الذي قصد إليه الإسلام ارتقاءً وسموًا لجماعة المسلمين.

فالعبادات شعائر توقيفية، تؤخذ بأصولها وأشكالها.. فالله تعالى أعلم بما يحدد في هذه العلاقة وينظمها، فشرع الله عز وجل العبادات لتنظيم هذه العلاقة وفق ما شرع بالصورة التي وضعها الخالق جل وعلا، والله سبحانه وتعالى المشرِّع ونحن مكلفون بالاتباع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١).

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» (رواه مسلم).

ولا مجال في العبادات لطرح الآراء والاجتهادات وفقًا للشكوك والاختلاف، فيضعف التحقيق والالتزام.. والاستسلام لأمر الله ورسوله هو ما يميز المسلم عن سواه، وتظل أسرار العبادات وأوصافها كما ارتضاها الله ورسوله فنحن أمة متبعة لأمر الله ورسوله، ولسنا أمة ابتداع، وتبقى آثارها مشعة في قلب من تذوقها (ومن ذاق عرف).



عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

«المنهج السياقي» ودوره في «فهم النص» و«تحديد دلالات الألفاظ».. نماذج تطبيقية من القرآن الكريم (٢/٢)

د. مسعود صحراوي

نريد في هذه العجالة تقديم بعض النماذج من الآيات القرآنية مطبقين عليها أداة «السياق اللغوي» كما عرّفنا به باقتضاب في الحلقة الأولى في صورته الصغرى خصوصا لكثرة حديث العلماء فيه، على الرغم من أنهم تحدثوا أيضا في «السياق الأكبر العام»؛ فقد قال الزركشي: «وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض، بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة»(١)، وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى أن تناسب الآيات وتعلقها ببعضها البعض، وهو ما سميناه «السياق الأصغر»، أعظم شأنا من سياق تناسب السور، وذلك بسبب القرائن القوية المؤيّدة له.

ومن الأمثلة التي اهتدينا فيها إلى ذلك، وقد تحدث عن بعضها بعض العلماء، ونعتقد أنها توضّح ما قلناه بصورة جلية، الكلمات الآتية «المحصَنات، الكتاب، مسّ، الأمي، الروح».

■ كلمة «المحصنات» التي وردت في عدة سياقات قرآنية دالة في كل سياق على معنى مختلف عن الآخر، ومن ذلك:

- أنها وردت بمعنى: «المتزوّجات» كما في قوله تعالى ﴿والمحصناتُ من النساء إلا ما ملكت أيمانكم...﴾ (النساء: ٢٤).

- ووردت بمعنى «الحرائر» كما في الآية ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ (النساء: ٢٥)، والقرينة الدالة على المدلول الذي ذكرناه هي مقابلة «المحصنات» بـ «ما ملكت أيمانكم».

■ كلمة «كتاب» فقد وردت في مواضع قرآنية كثيرة، وكان لها معان ودلالات مختلفة ترتبط كلها بالسياق الذي وردت فيه؛ إذ ملاحظة ما قبلها وما بعدها من الكلمات والآيات كفيلة بتوجيه المفسر والباحث نحو المقصود، ونذكر هنا أشهر تلك المعاني وأكثرها ورودا في الكتاب العزيز:

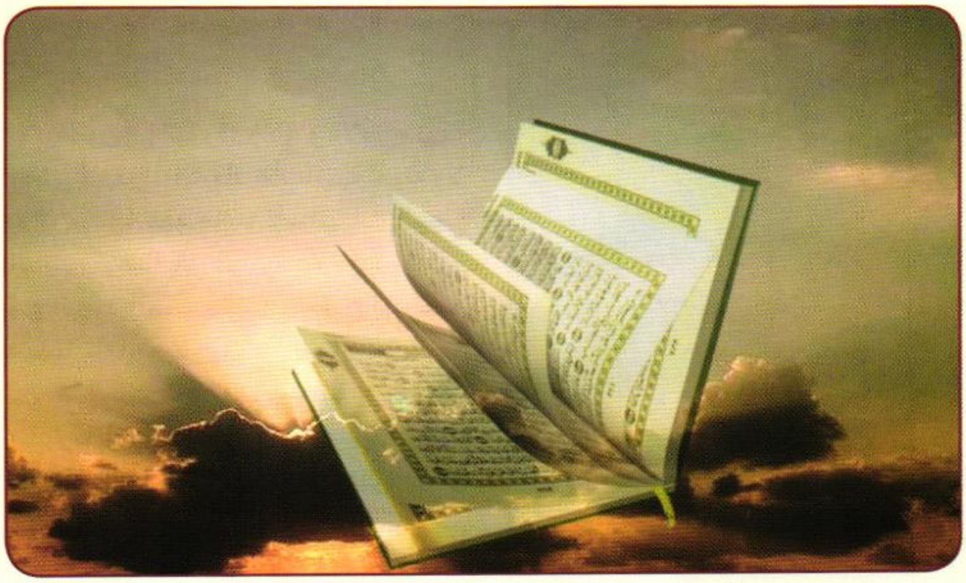
- فقد وردت بمعنى: «القرآن» ونجد ذلك في مثل قوله تعالى ﴿كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود: ١)، وكقوله سبحانه: ﴿ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة: ٢)، وكقوله سبحانه: ﴿وقد نُزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آياتِ الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره...﴾ (النساء: ١٤٠)، ومنها قول الحق سبحانه: ﴿إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ (الأحقاف: ٣٠)، والقرينة هي قوله قبلها: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن﴾ (الأحقاف: ٢٩).

- فملاحظة السياقات الصغرى لهذه الكلمة (كتاب) في الآيات السابقة والمواضع التي وردت فيها وملاحظة ما قبلها وما بعدها تحدد بدقة معناها المراد، ألا وهو «القرآن» لا غيره.

- ووردت كلمة «كتاب» في النص القرآني بمعنى: «التوراة والإنجيل» مجتمعين أو منفردين، فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تَغلوا في دينكم﴾ (النساء: ١٧١)، ويراد بها هنا الإنجيل بقرينة قوله ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله...﴾ فهذه قرينة قوية في تخصيص هذا المعنى وتحديده بما قلناه، وكلما اقترنت كلمة «كتاب» بـ «أهل» كان معناها قطعا اليهود والنصارى مجتمعين أو متفرقين حسب السياق، ومن الآيات التي تُصرف فيها الدلالة قطعا إلى «التوراة» قوله تعالى: ﴿ومن قَبله كتابُ موسى إماما ورحمة﴾ (الأَحقاف: ١٢)، إذ المعروف أن كتاب موسى هو «التوراة» لا غيرها.

- ووردت كلمة «كتاب» بمعنى: «الكتاب الإلهي الذي أُثبتَ فيه علم الله الشامل لعالَمَيْ الغيب والشهادة» وهذا معنى مقصود بهذه الكلمة في عدد من آيات الذكر الحكيم، منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام: ٣٨) إذ المراد هنا المعنى الذي أشرنا إليه آنفا وهذا ما يدل عليه سياقها، على عكس ما فهمه كثير من المفسرين قديما وبعض فضلاء عصرنا حديثا(٢) فهم يصرفونها إلى معنى «القرآن»، وليس في السياقين الأصغر والأكبر ما يشير إلى هذا المعنى البتة، وفي هذا من القرائن القوية الشيء الكثير؛ أهمها سياق الآية الأصغر نفسه أي ما جاء قبلها وبعدها مباشرة في الآية: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام: ٣٨) فالقرائن

* أستاذ التعليم العالي المساعد بجامعة الأغواط - الجزائر

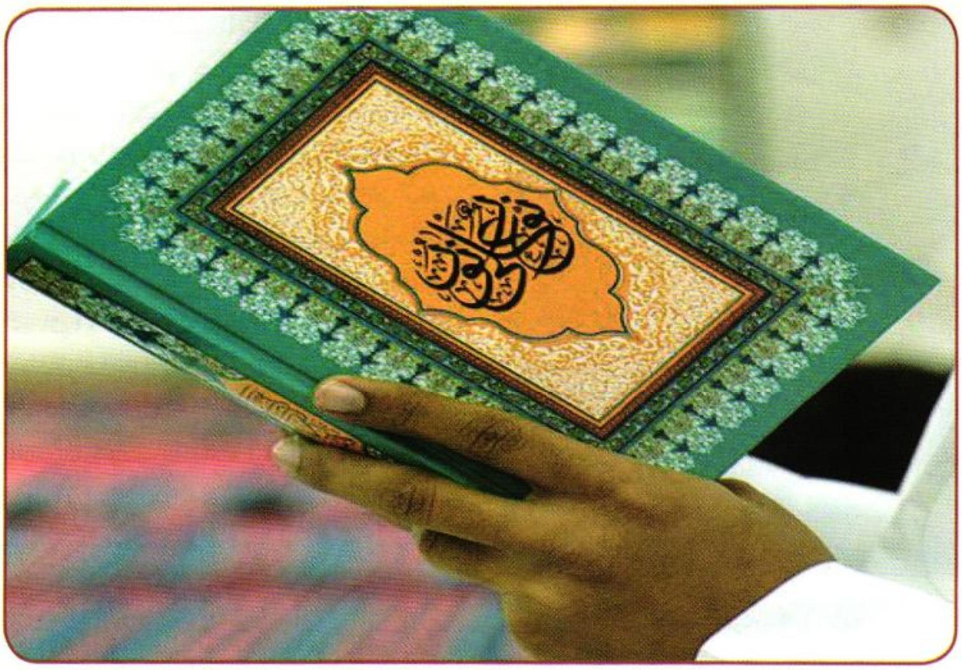


الهادية إلى المعنى الذي قلناه كثيرة منها أن السياق قد مهّد لهذا المعنى (أي الكتاب الكوني الشامل المحيط بكل شيء) بالحديث عن ظواهر ومخلوقات كونية: الدابة في الأرض، الطائر يطير بجناحيه، ونصّ على كونها «أمما»، وذكر «أمميتها» يتطلب الإحاطة بأنماط حياتها وأكلها وشربها وأنواعها وأصنافها وتكاثرها وتاريخها ومآلاتها الوجودية... إلى غير ذلك من خصائصها ومصائرها التي ذكرتها آيات أخرى في السياق القرآني الأكبر... ثم عرّفنا السياق أن ذلك كله مسطور في الكتاب الذي لا يفرط في شيء!! والسؤال الذي يطرح هنا: أي كتاب هو هذا الذي أحصيت فيه الكائنات كلها بأنواعها وأنماطها من أصغر ذرة في الوجود إلى أكبر جرم فلكي فيه؟! أَذُكر ذلك في القرآن كما يتمحّل كثيرون فيحمّلون القرآن والإسلام ما ليس فيه! إنهم يُحرجون أنفسهم أمام المغرضين والمكابرين فيسألونهم عن تفاصيل علوم الذرة في القرآن وعن تفاصيل علوم الحاسوب، وعن تفاصيل علم الكيمياء وعن وعن... وإذا سألوهم ذلك فهم لا يجيبون بالطبع، وإذا أجابوا تمحلوا أيضا فقالوا: إن القرآن أرشدَ إلى أصولها العامة ولم ينصّ على جزئياتها صراحة... الخ، نحن نعتقد أن ذلك اجتهاد خاطئ أدى إليه التغافل عن السياق وقرائنه التي ترشد إلى غامضه فتوضحه، ونحن نرى- والله أعلم- أن هذا الكتاب الذي لا يفرط في شيء هو «الكتاب الإلهي الذي أُثبتَ فيه علم الله الشامل لعالَميّ الغيب والشهادة»، كما قلنا، ومن القرائن التي تؤيد هذا المعنى في السياق الأكبر أنه قد ذكر هذا الكتاب الشامل المحيط في مواضع أخرى من القرآن، منها قول الحق تبارك وتعالى في نفس السورة: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (الأنعام: ٥٩)، ومنها قول الحق تبارك وتعالى في سورة هود: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ (هود: ٦)، ومنها قول الحق تبارك وتعالى في سورة أخرى في حوار موسى وفرعون: ﴿قال فما بال القرون الأولى. قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ (طه: ٥١- ٥٢)، وهذا الكتاب ينطوي على العلم الإلهي الذي قال فيه: ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا﴾ (الجن: ٢٨)، فكل شيء محصى إحصاء عدديا حسابيا رياضيا في ذلك الكتاب، وقال فيه: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ (النمل: ٧٥) وهذا الكتاب الشامل المحيط هو الإمام الذي قال فيه: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس: ١٢)، فـ «الإمام المبين» هو نفسه «الكتاب المبين» وهو نفسه «الكتاب الذي لم يفرط في شيء» المذكور في آية الأنعام.

■ كلمة «أمّيّ» التي يبدو أنها وردت بمعنيين في القرآن كله ليس لهما ثالث! وهما ليسا مما يشيع عند كثير من الباحثين والمفسرين قديما وحديثا، وهذان المعنيان أحدهما أشد تكرارا من الآخر، ولذا كان القرآن أحرص عليه لغاية دينية قصد إليها القرآن قصدا هي تميز الرسول محمد ﷺ عن الرسل وتميز أمته الأمة الأمية (أي العربية) عن غيرها من أهل الكتاب، في سياق تطور أدوار النبوة ومراحلها ومهامها من عصر إلى عصر.

- المعنى الأول لكلمة «أمـي» في النص القرآني هو «غير الكتابي»، أو «الذي ليس من أهل الكتاب» أي الذي ليس يهوديا ولا نصرانيا، فلم يكن له دين سماوي سابق ولا كتاب سماوي نازل إليه، وهذا هو المراد من عدة نصوص، منها قوله تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم...﴾ (الجمعة: ٢) والمراد «أمة العربِ»، وهذا يعني أن هناك أمتين مختلفتين أُمِر الرسول بخطابهما ودعوتهما: إحداهمَا أمة «الذين أوتوا الكتاب» والأخرى أمة «الأميين»، أي الذين لا كتاب لهم.

- المعنى الثاني لكلمة «أمّيّ» في النص القرآني هو «الأمية المفهومية»، أي التي يكون صاحبها عالما بأبجدية القراءة والكتابة، ومع ذلك لا نجد عنده وعيا صحيحا أو فكرة واضحة أو مفهوما سليما أو معرفة سليمة أو تصورا واضحا مكتملا عما يقرأه ويكتبه، وهذا المعنى هو المراد في قول الحق سبحانه: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم



إلا يظنون﴾ (البقرة: ٧٨)، و«الأمّيّ» بهذا المعنى لا يدرك الأبعاد الأساسية لدينه ولا يوازن بينها فهو فاقد لأساسيات الوعي الديني، وهذا رد قرآني على ادعاء قوم من اليهود أنهم مهتدون متبعون لشرعهم اتباعا تاما نموذجيا.

■ كلمة: «مسّ» التي جاءت في القرآن مشتركا لفظيا يتعدد إلى معنيين أيضا، وليس منهما معنى «اللمس» على عكس ما هو شائع، وكما تنسبه أغلب المعاجم من معنى «اللمس» لـ «المس» زاعمة الترادف بينهما في القرآن الكريم، هذان المعنيان يوضحهما في القرآن السياقان الأصغر والأكبر، كالآتي:

- معنى «الإدراك والإصابة» وهو الذي نجده في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿لا يمسّه إلا المطهّرون﴾ (الواقعة: ٧٩)، فالمس غير اللمس؛ إذ اللمس هو الجسّ باليد أو غيرها من مواضع الجسد، وهو مباشرة ظاهرية لشيء مجسم، أما المسّ فهو «الإصابة» كما جاء في قوله تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ (آل عمران:١٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القومَ قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران: ١٤٠) فـ «المسّ» في هذه السياقات وأشباهها من الآيات التي تحدثت عن «مسّ الضر» بمعنى «الإصابة» كما هو واضح، و«مس القرآن» في سياق هذه الآية يكون بمعنى إصابته وإدراكه معنويا، أي فهمه وتذوقه، وقد ورد شيءٌ من هذا الفهم أو ما يقاربه عند بعض القدماء فقد قال الفراء: «لا يمسه: أي لا يجد طعمه ونفعه إلا المطهّرون.. من آمن به»، وقال الراغب الأصفهاني: «أي لا يبلغ حقائقه إلا من طهر نفسه وتنقى من درن الفساد»، وقال الشوكاني: «قال الحسين بن الفضل في تفسيرها: لا يعرف تفسيره ولا تأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق». وكل هذه الظلال المعنوية التي تفيأها بعض أسلافنا إنما تؤيدها عدة قرائن أهمها الصيغة الصرفية «المطهّرون» بصيغة المفعول، أي الذين طُهّروا خَلقا وفطرة أي خضعوا لعملية تطهير روحية ربانية نورانية... وليسوا الذين «تطهروا» (بصيغة تفعّل)- ماديا أي بالماء بإرادتهم- أو بالتعبير القرآني العربي الآخر: «اطّهّروا» الذي ورد بصيغة «اتفعّل: للمبالغة» أي من تلقاء أنفسهم وبإرادتهم بالماء، ومن هذا المعنى «مس الشيطان» أي إصابته الإنسان بالأمراض النفسية والجسدية، كما قال الحق سبحانه: ﴿واذكُر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ (ص- ٤١).

هذا، وقد يكون معنى الآية مقصودا به غير البشر- أعني الملائكة- بإفادة بعض قرائن السياق أيضا؛ فقد جاء سياق الآيات كالآتي: ﴿...إنه لقرآن كريم. في كِتاب مكنون. لا يمسُّه إلا المطهّرون. تنزيلٌ من رب العالَمين﴾ (الواقعة: ٧٧- ٨٠)، ففي هذا السياق حديث عن منزلة القرآن في الملأ الأعلى، فهو مستقرّ في «كتاب مكنون» وهذا «الكتاب المكنون» بعيد المكان والمكانة منيع الجانب في موضع مطهّر مقدّس إلى درجة أنه لا يدركه إلا «المطهّرون»، هكذا بدلالة الصيغة الصرفية: صيغة المفعول، وليسوا الذين «تطهروا» بإرادتهم- أو بالتعبير القرآني «اطّهّروا»- من تلقاء أنفسهم وبإرادتهم، فهؤلاء «المطّهّرون» هم البشر المؤمنون، أما أولئك «المطَهّرون» فلن يكونوا إلا ملائكة، وهو رأي ابن عباس كما روى الفراء، لأن الشياطين معزولون عن تلقي القرآن وسماعه كما جاء في آية كريمة أخرى، هذا، والفرق بين الصيغتين الصرفيتين: «مُطّهّرون» بتضعيف الطاء والهاء معا، و«مطَهّرون» بتضعيف الهاء فقط- يعرفه علماء اللسان العربي الذي نزل به القرآن الحكيم (بل الأطفال المتمدرسون في عصرنا!)، فالأولى على صيغة «فاعل» للدلالة على معنى «الفاعلية»، والثانية بصيغة «مُفعّل» للدلالة على معنى «المفعولية»، وسياق الآية يتحدث عن الثاني.

هذا، والذين يفسرون «المس» بـ «اللمس» في القرآن الكريم يغفلون عن شيء أشار إليه القرآن العظيم في مستوى آخر هو ما سميناه «السياق الأكبر»، وهو

أن «اللمس» المادي لا يكون للوحي أي لكلمات الله المنزلة؛ فهذا غير معقول تصورُه إلا في حالة واحدة: إذا كتبت تلكَ الكلمات في كتاب، فتجسّدت، وعند ذلك يسعفنا القرآن بتعبير اصطلاحي آخر لتكتمل عندنا الصورة وتتضح، ونجده في هذه الآية الكريمة: ﴿ولو نزّلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنّ هذا إلا سحرٌ مبين﴾ (الأنعام: ٧)، وهذا يقتضي أن الذي من خصائصه أن يُلمس هو القرطاس، فهو يُلمس ولا يُمّس، بخلاف القرآن الذي يمس أي يدرك بالنفس والعقل والروح، والقرآن دقيق في التعبير.

- والمعنى الثاني الذي تفيده كلمة «مسّ» هو تعبير مجازي، هو: الكناية عن «الجماع»، وهو الذي نجده في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى على لسان مريم عليها السلام: ﴿قالت ربي أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ (آل عمران: ٤٧)، وقد تكرر هذا في عدة آيات، ونجده في قوله: ﴿لا جناحَ عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسُّوهن أو تفرضوا لهنّ فريضة...﴾ (البقرة: ٢٣٦). فإنه لا يراد بالمس هنا غير الذي ذكرناه، وأجمع عليه الفقهاء والمفسرون، ويستحيل أن يكون المراد به حقيقته كـ«الإصابة» مثلا أو «الإدراك»، كما لا يمكن أن نتصور أنه يراد به «اللمس باليد»؛ فلمس الرجل المرأة بيده- بعد عقد زواجه عليها- لا تترتب عليه أحكام مخصوصة في الصداق والعدّة لمجرد أنه لمسها بيده (و«اللمس» غيرَ «الملامسة») كما يعلمنا الله تعالى بالقرآن؛ فقد ذكر في نهاية الآية العظيمة ﴿... أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسِع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المتقين﴾ (البقرة: ٢٣٦)، ولكن تترتب الأحكام المالية المتعلقة بحق المرأة على الرجل إذا تزوجها فباشرها جنسيا ثم طلقها، وكذلك الأمر في الظهار إذ قال جلّ من قائل: ﴿... فتحريرُ رقبةٍ من قبل أن يتماسّا﴾ (المجادلة: ٣) فهو تعبير مجازي سواء في الآيات التي تقص قصة مريم أو آيات الطلاق في «البقرة» و«الأحزاب» وآية الظهار في «المجادلة»، وهذا يقتضي أن المجاز موجود في القرآن لا يمكن إنكاره وهذه الآية مثال عنه.

من الضرورات العلمية أن تستثمر أداة السياق في فهم «النص» قرآناً وسنّةً.

■ كلمة: «الـرُّوح» بضمّ الراء التي جاءت في القرآن مشترَكا َلفظيا يتسع ليشمل عددا من المعاني أيضا، بحسب السياقين القرآنيين الأصغر والأكبر، ومن تلك المعاني:

- معنى «الوحي القرآني» وهي الدلالة التي نجدها في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروحُ من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء: ٨٥)، أن مضمون الوحي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل هو «التوحيد»، وهذا الإنذار بالوحي هو المذكور بهذا المصطلح نفسه في سورة غافر: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق. يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء...﴾ (غافر: ١٥-١٦)، والقرينة النصية هنا كسابقتها هي قوله: لينذر يوم التلاق، أي يوم القيامة، إذ أعظم رسالة يقوم بإبلاغها الأنبياء والرسل- بعد التوحيد والإيمان بالله- هي أن يعتقد الناس بهذا اليوم يوم القيامة، و«الرُّوح» بضم الراء غير «الرّوح» بفتحها، والمراد الأول.

- وللروح في القرآن الكريم معنى ثان هو الملَك «جبريل» عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل من رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥)، فالسياق يتحدث عن القرآن وأنه تنزيل من الله تعالى وأن الذي نزل به هو جبريل من أجل الإنذار وأنه بلسان عربي مبين، ومن أشد القرائن على ذلك كلمة «أمين» التي هي وصف لجبريل. وقد وُصف جبريل بهذه الصفة (الأمانة) في آية أخرى في سورة التكوير: ﴿مُطاع ثَمّ أمين﴾ (التكوير: ٢١) هذا وللروح معانٍ أخرى في القرآن الكريم.

فهذه نماذج تطبيقية عن القيمة المنهجية لأداة «السياق»، كما كنا نلحّ عليها ونعيد، وقد أشرنا إلى أنه من الضرورات العلمية أن تستثمر في «علم النص» الحديث ولاسيما في «علم النص القرآني» المنشود، وقد نجد المعاصرين من علماء النص الغربيين يبسطون مفاهيم إجرائية قريبة مما نقول كمفهوم: «الانسجام والترابط النصي» وغيره من مفاهيم النص المتعلقة بجهات الانتظام وأشكاله كالبنية والنظام والتفاعل والتأثير والاتصال والبنية الكبرى والبنية الصغرى والسياق، ولعل القراء الكرام قد لاحظوا أننا لم نتوسع فيها كثيرا، والسبب أن المقام لا يتيح ذلك، ولولا مخافة التطويل لذكرنا أمثلة أخرى، وخاصة في الألفاظ القرآنية الآتية: الآية، الأرض، الجنة، الرحمة، الظلم، الذّكر...، فهذه كلها كلماتٌ تندرج ضمن الظاهرة الدلالية التي تسمى المشترك اللفظي أو (تعدد المعنى) الواردة بكثرة في القرآن العظيم، والتي يكشف عن المراد بدلالاتها السياق القرآني.

الهوامش

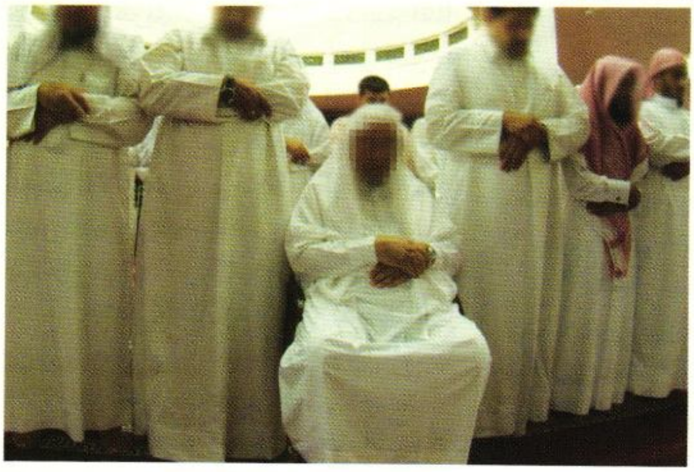
(١) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٩.

(٢) منهم المرحوم مالك بن نبي في كتابه القيم: الظاهرة القرآنية، ص ١٨٧، ومنهم أيضا: سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الكتب العربية، بيروت، ص ١٥٥.

الصلاة على الكرسي

التحرير

الصلاة على الكرسي من المسائل المستجدَّة في المساجد، والنوازل الآخذة في الانتشار بشكل واسع غريب، ولو رجع القارئ الكريم إلى عهد قريب لا يزيد عن عشرين سنة تقريبًا لَمَا وجد لهذه الظاهرة أثرًا في مساجد المسلمين شرقًا وغربًا، ولَمّا عمّت البلوى بهذه المسألة تباحثها أهل العلم المعاصرون في بعض رسائلهم، ومن خلال فتاواهم وربما في وسط تفاريعهم الفقهية.



كنا نشرنا في «الوعي الإسلامي» (عدد ٥٣١) مقالاً بعنوان «إرشاد الغافل وتنبيه الناسي إلى حكم الصلاة على الكراسي» لكاتبه د.ياسر إبراهيم المزروعي، خلص فيه إلى أنّ المعذور له أن يصلي قاعدًا سواء كان على كرسي أو على الأرض، وذكر في ثنايا مقاله ضوابط وآدابا ينبغي مراعاتها لمن صلى على كرسي، سواء كان ذلك في النافلة أو الفريضة.

وقد وردتْ إلينا تعقيباتٌ من داخل الكويت وخارجها على المقال السالف، وكلّها تدلّ على أن المقال المشار إليه أتى بثمراته؛ ومنها هذه التعقيبات المتتالية التي من شأنها زيادة توضيح المسألة من زوايا أخرى، ربما لم يتطرّق إليها المقال الأصل، وفي هذه التعقيبات أحسن العلاج لمشكلة زيادة تساهل الناس، وعدم انضباطهم بالشروط الشرعية الواجبة في الصلاة؛ ممّا يُخلّ بأعظم ركن من أركان دينهم بعد التوحيد.

وقبل أن نذكر مستدرَكات التعقيبات على المقال نقول ابتداء:

صدّر صاحب المقال، د.المزروعي مقالته بقوله: وفي شرح الغاية: «وكيف قعد جاز» وهي من الرخص في هذا الدين للذي لا يستطيع أن يصلي قائما، بأن يصلي جالسا على أي هيئة كانت، سواء كان على كرسي أو على الأرض أو نحوهما.

وهذا النقل عليه ملاحظتان:

__الأولى:__ أنّ الجملة المقوّسة فقط من شرح الغاية، وأما الباقي فهو فهم خاصٌّ بصاحب المقال.

__الثانية:__ أنّ المقصود بـ «وكيف قعد جاز» القعود المعروف في الزمن الأول وهو ما كان على الأرض، بدليل أننا نجد شرّاح المذهب الحنبلي وغيرهم إذا تعرضوا للأعذار المانعة من القيام في الصلاة قالوا- كما في حاشية الروض المربع لابن قاسم (٣٤٩/٣)-: «فإن لم يستطع» بأن عجز عن القيام أو شَقّ عليه، لضرر أو زيادة مرض «فقاعدا» متربّعا ندْبًا ويَثْني رجليه في ركوع وسجود؛ «فإن عجز» أو شَقّ عليه القعود كما تقدم «فعلى جنبه»... وهذا هو عيْن المذكور في كشاف القناع، وكشف المخدرات للبعلي، ومطالب أولي النهى في باب صلاة أهل الأعذار.

ففي جميع الشروح التفصيلُ حول كيفية القَعْدة على الأرض، أهي التربُّع أم الافتراش أم التورّك أم الاستلقاء أم غير ذلك؟ وليس فيها أبدًا حديثٌ عن الصلاة على الكراسي.

ولم يذكر أحدهم التسوية بين القعود على الأرض والقعود على الكرسي؛ فضلًا عن الجـزْم بها؛ كما فَعَل صاحب المقال!

وأمّا التعقيبات فيرجع حاصلها إلى التنبيهات الآتية:

التنبيه الأول

أجمع العلماء على أنّ للصّلاة أركانًا لا تصحُّ إلا بها: مثلَ القِيام والرّكوع والسّجودِ وغيرها من الأركان، فمن ترك منها ركنا قادرا عليه عالما به مختارًا لفعله: فصلاته باطلة بالإجماع، وقد دلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعينَ﴾ (البقرة: ٤٣)، وقوله تعالى: ﴿وقُومُوا لله قَانِتينَ﴾ (البَقَرَة : ٢٣٨)، وقوله تعالى: ﴿يَأيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُم﴾ (الحج: ٧٧)، وقوله ﷺ: «صَلُّوا كما رَأيْتُمُوني أُصَلّي»، وقوله

ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا» (أخرجهما البخاريّ)، وهذا في صلاة الفريضة.

أمّا إذا صلى المتطوع صلاة النّافلة جالسًا وهو عاجزٌ عن القيامِ فإنّ أجره تام، لأنّه معذور في ترك القيام، أمّا إذا ترك القيام وهو قادر عليه؛ فإنّ أجره يكون على النصف من أجر القائم، قال رسول الله ﷺ: «من صلى قائمًا فهو أفضل، ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم» (رواه البخاري)، وقال ﷺ: «صلاة الرجل قاعدًا نصف الصلاة» (رواه مسلم ٧٣٥) من حديث عبدالله بن عمرو-رضي الله عنهما، هذا مع لزوم مراعاة هيئات الصلاة وشروطها.

كما أجمع العلماء أيضًا على أنّ تحقيقَ أركانِ الصّلاة مُتوقِّفٌ على الاستطاعةِ والقدرة، فكلُّ مسلم عاجز عن القيام بأحدَ أركانِ الصّلاة، فهوَ معذورٌ شرعًا وعقلًا، لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقوله تعالى: ﴿فاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُم﴾ (التغابن:١٦)، و قوله ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُم بأمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم» (متّفقٌ عليه)، وقوله ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لم تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لم تَسْتَطِعْ فَعَلى جَنْبٍ» (رواه البخاريّ).

وتحقيقًا أيضًا للقاعدة الفقهيّة: المشقّةُ تجلبُ التّيسير، وقاعدة: لا واجب مع العجز.

يُوضِّحُهُ: أنّ من عجز عن القيام في الصّلاة صلّى

نقل الثقات عن بعض الفقهاء المعاصرين حرصهم وهم عجزة على الصلاة على الأرض لا على الكرسي

جالسًا، ومن عجز عن الرّكوع أوْمأ برأسه حال قيامه، ومن عجز عن السّجود أوْمأ برأسه حال جلوسه، ويكون سجوده أخفضَ من ركوعه وُجوبًا، ويكون في جلوسه مفترشًا أو متورِّكًا، وقيل: يجلسُ مُتربِّعًا، لقول عائشة رضي الله عنها: «رَأَيْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يُصَلِّي مُتَرَبِّعًا» (رواه النّسائيّ).

ومن عجز أيضًا عن القيام والرّكوع والسّجود: صلّى على جنبه، وقيل: مستلقيًا على ظهره، ووجهه ورجلاه إلى القبلة ليكونَ إيماؤُه إليها.

وأَمّا إن عجز المسلمُ أن يُصلّي على جنبه: صلّى على أيِّ حال تيسَّرتْ له.

التنبيه الثاني

حديث الباب، وهو حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، حيث قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلاة؛ فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» (رواه البخاري). منطوقه دالٌّ على أنّ للمصلي في صلاته ثلاث حالات:

١- أداء المكتوبة قائما ٢- فإن عجز عن القيام فقاعدا
٣- فإن عجز فعلى جنب.

هذا هو منطوق الحديث، وليس منه الصلاة على الكرسيّ، وهنا يُسأل المجيز للمعذور الصلاة على الكرسي مطلقا، تُرى هل كان رسول الله ﷺ ناسيًا أو غافلا عن النطق بالصلاة على الكرسي إذا لم يستطع المصلي أداءها قائما؟

هل ورد عن رسول الله ﷺ أنه صلى على الكرسي مرّة واحدة؟ مع العلم أنه أسَنّ وثقُل ﷺ في آخر عمره الشريف، حتى كان كثيرٌ من صلاته وهو جالس، كما صحّ من غير وجه من حديث عائشة رضي الله عنها: أنّ النبي ﷺ لم يمت حتى كان أكثر صلاته وهو جالس. أي سوى المكتوبة، كما ثبت ذلك من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: والذي تَوَفَّى نفسه، ما تُوُفي حتى كان كثير من صلاته قاعدًا إلا المكتوبة.

هل ورد عن الصحابة الكرام أو التابعين ومن بعدهم، مرورا بالأعلام الأربعة وغيرهم، وإلى ما قبل بُدُوّ هذه الظاهرة الغريبة نصٌّ أو فعل يفيد جواز «الصلاة على الكراسي»؟

مع أن الثابت عند أهل العلم شيء آخر، حيث ما كانوا يذكرون سوى التفصيل في هيئات القعود على الأرض، ودونك مصنّف عبدالرزاق - رحمه الله- (٢/ ٤٦٦)، حيث عقد بابا كاملا لهذا الأمر، وهو «باب كيف يكون جلوسه إذا صلى قاعدا»، وساق تحته من الأحاديث والآثار التالية كثيرا، وهذه أهمها:

٤١٠١ ... عن عطاء قال: يصلي الرجل وهو جالس في التطوع إن شاء متربعا وإن شاء محتبيا، قال: وابسط رجلك إن شئت بعد ما تتشهد، قال قلت: فمتكئا؟ قال: لا.

٤١٠٢ ...عن ابن المسيب أنه كان يحتبي في آخر صلاته في التطوع.

٤١٠٣ ...عن ابن المسيب قال: إذا أراد أن يسجد ثنى رجله وسجد.

٤١٠٤ ...عن إبراهيم قال:ك إذا أراد الرجل أن يصلي جالسا متربعا فإذا أراد أن يركع ثنى فخذه كما يجلس في الصلاة ثم ركع وسجد وقول: ابن المسيب أحب إلى سفيان.

٤١٠٥ ...عن مجاهد أنه كان يصلي جالسا متربعا.

٤١٠٧ ...عن الثوري عن شيخ من الأنصار قال: رأيت أنسا يصلي متربعا.

وهذا الإمام النسائي عقد هو الآخر في سننه «باب الجلوس على الكراسي» ذكر فيه حديث أبي رفاعة الآتي، فقط.

فلم لَمْ يذكروا الصلاة على الكرسيّ لو كان الأمر فيه واسعًا؟

التنبيه الثالث

ردًّا على من يقول: إن اعتماد الصحابة على العصيّ دليل على جواز اتخاذ الكرسي.

يُقال: إن اعتمادهم على العصيّ إنما كان في صلاة التراويح، وقد كانت غاية في الطول، لا في صلاة الفريضة، كما في الموطأ من رواية السائب بن يزيد قال: أَمَر عمر بن الخطاب أُبَيّ

بن كعب وتميما الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصيّ من طول القيام، وما كنّا ننصرف إلا في فروع الفجر!

ثم إنّ التعبُّديات لا مدخل للقياس فيها، بل الأصل فيها الامتثال دون التفات إلى العلل والحكم، والصلاة من أعظم ما يتعبّد به الناس لربهم، فلا يجري فيها القياس، فقياس البعض جواز الصلاة على الكرسيّ بصلاة الصحابة للتراويح قياس مع الفارق؛ فهو فاسد الاعتبار لما مرّ من الفرق بين الفريضة والنافلة.

التنبيه الرابع

ترى هل كان الفقهاء المجتهدون خلال عهودهم التي تنوعت بتنوُّع أماكنهم وأزمانهم غافلين عن هذا الحكم أو «الكيفية» للصلاة على الكراسي، ولم يخطر على بال واحد منهم، حتى ظهرت الحاجة اليوم إلى تبيين الحكم الذي تركوه وغفلوا عنه؟ أم كان أئمتُنا المرضيون ملتزمين نصَّ الحديث؟ والكراسي موجودة في أيامهم (في دورهم ومجالسهم وأماكن محلاتهم)، بل هي موجودة زمن النبي ﷺ وما قبله منذ أيام نبي الله سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وربما وُجدت قبل ذلك أيضًا.

ومن الدليل على ما ذكرنا:

- في صحيح مسلم قَالَ أَبُورِفَاعَةَ رضي الله عنه: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ؛ قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؛ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا.

- في مسند الإمام أحمد عن عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه أُتِيَ بِكُرْسِيٍّ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أُتِيَ بِكُوزٍ؛ قَالَ حَجَّاجٌ: بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلاثًا وَمَضْمَضَ ثَلاثًا.

- وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي عون عن شريح أنّ رجلا لقي رجلًا بكرسي فصدمه فقتله، فقال شريح: ضمن الصادم للمصدوم.

فعلى هذا لا يبعد القول بأن إحداث الصلاة على الكراسي في المساجد أمر غريبٌ يحتاج إلى وقفة جادّة، لأنّها هيئةٌ جديدةٌ لا تتفق ونصَّ الحديث وفعلَ المصطفى وعملَ الراشدين وسنةَ الصحابة أجمعين والتابعين ومن بعدهم.

كما لا تندرج تحت قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، لأن النبيّ ﷺ بيّن لأمته ما باستطاعة المصلي أن يفعله إن عجز عن أداء الصلاة قائما بقوله الآنف الذِّكر، وبقوله الآخر كما في الصحيح: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقد صلى ﷺ قائما، ثم لما عجز عن القيام صلّى قاعدًا على الأرض (لا على الكرسي)، وإذا كانت الآية مجملة فقد بينتْها سنة النبيّ ﷺ القولية والفعلية.

التنبيه الخامس

إنّ انتشار هذه الظاهرة يُسهم في تثبيت الشّبه بين مساجدنا ومعابد غيرنا الذين يصلون على الكراسي، وقد عشنا حتى رأينا كثيرًا من المساجد تُصفّ فيها الكراسي وتُرصّ من كثرتها! بعد أن كانت مساجدنا في زمن قريب على الفطرة خالية من هذه المظاهر الحادثة، حتى إنّ سنة النبيّ ﷺ في الصلاة قاعدًا على الأرض تركت، فلا تكاد ترى أحدًا من هؤلاء المعذورين يُصلّي على تلك الهيئة المباركة المبرورة!

التنبيه السادس

غالبية المصلين على الكراسي، من العوام الذين يقلّد بعضهم بعضًا، وربما استطاب بعضهم الجلوس على الكرسيّ، لأنه أكثر راحةً؛ لا أنه عاجزٌ عن القيام أو الوقوف، وهو مبطلٌ لصلاته، لأنه ترك ما هو قادر عليه وإن ناله شيء من المشقة، واختار ما يريحه لا ما يستطيعه، والفرق بين الحالين واضحٌ، والحديث نَصَّ على الجواز عند عدم الاستطاعة.

هذا فضلا عن كونه يُضيّق على المصلّين ويجعل صفوفهم غير منتظمة ولا مستوية، ومعلوم أنّ استواء الصفوف من تمام الصلاة ذاتها.

التنبيه السابع

نقل الثقات عن بعض الفقهاء المعاصرين حرصهم وهم عجزة على الصلاة على الأرض لا على الكرسي، ومنهم الشيخ العلامة محمد بن سليمان الجرّاح رحمه الله، وقد نقل ذلك عنه تلميذه أ.د.وليد بن عبد الله المنيّس، قال: وقد شاهدنا شيخنا العلامة محمد بن جراح رحمه الله (١٣٢٢-١٤١٧هـ) يصلي جالسا لما اشتد عليه المرض، ولم يجلس على الكرسي.

وهذا من الفقه المستنبط من المنقول الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم، حيث كانوا يجتهدون ويبذلون الغاية من جهدهم للقيام في الصلاة؛ فإن عجزوا قعدوا على الأرض، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»، أي يحملانه بينهما ويمسكانه بعضديه عونًا له على المشي؛ لضعفه ومرضه، ولم يقل حتى يجلس في الصفّ.

التنبيه الثامن

كثيرٌ من المصلّين على الكراسي يفعلون ذلك بعذر السِّمنة، وقد لا تكون سمنتهم بالقدر الذي يجعلهم معذورين، ومع ذلك الأولى أن يُنصحوا بمعالجة أنفسهم بالحمية وغيرها ممّا ينصحهم به الأطبّاء، حتى تصحّ أبدانهم، ويستطيعوا تأدية وظائفهم الشرعية على الوجه المطلوب شرعًا، لأنّ القاعدة: أنّ ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب، وما لا يتم ترك الحرام إلاّ به فتركه واجب.

أمّا أن يفتح لهذا المبتلى بالسِّمن بابُ الشراهة فلا يعرف للمأكولات حدًّا، ثم يُقال هو معذور، فذلك من الغبن الذي يأباه العقلاء، ويتنزّه عنه الأسْوياء.

التنبيه التاسع

خلاصة ما مرّ أنّ صلاة الفريضة على الكراسي لا تخلو من صُوَر:

الصّورة الأولى: منْ يُصلي الفريضة على الكراسي، وهو قادرٌ على السّجود، بحجّة أنّه إذا صلّى جالسًا على الأرض لن يستطيعَ القيام سواءٌ في أوّل صلاته أو في أثنائها فصلاتهُ باطلةٌ بالإجماع، لأنّه ترك ركنًا قادرًا عليه شرعًا وطبعًا، وتَكَلّف ركنًا ومعذورٌ فيه شرعًا! وذلك لكونه قد ترك كثيرًا من أركان الصّلاة مع قدرته عليها، وهي: السّجودُ، والجلسةُ بين السّجدتين، والجلوسُ للتشهّد وغيرها، وقد صحّ عنه ﷺ -كما في الصّحيحيْن- أنه صلى جالسًا حينما سقط عن فرسه، ولم يتكلّف حينها الصّلاة على الكرسيّ!

كما أنّه بصلاته على الكرسيّ قد خالف تسويةَ الصّفوف، وذلك من خلال تقدّمه أو تأخّره على أهل الصّفّ، سواءٌ بصدره أو برجله، وكلاهما فيه مخالفةٌ شرعيّةٌ؛ لقوله ﷺ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوْفَكُم أو لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وُجُوْهِكم» (متفق عليه).

لذَا؛ كان واجبًا على مَن هذه حاله أنْ يُصلّيَ بحسب الاستطاعة والقدرة، فكلّ ركنٍ يستطيعه أتى به، وما لا يستطيعه فهو معذورٌ فيه شرعًا!

الصّورة الثّانية: من يعجَزُ عن السّجود فقط، بحجّةِ أنَّ في سجوده ضررًا يشقّ عليه. فمن هذه حاله، فصلاته باطلةٌ اتّفاقًا، لأنّه ترك ركنَ القيام والرّكوع والجلوس بين السّجدتين والجلوس للتّشهّد!

لذا كان عليه شرعًا أن يصلّيَ قائمًا؛ حتّى إذا أراد السّجود جلس على الأرض، ثمّ أومأ للسّجود برأسه، وهكذا يفعل في جميع صلاته.

الصّورة الثّالثة: من يعجز عن الجلوس على الأرض أصلًا، بحجّة أنّ في جلوسه عليها ضررًا يشقّ عليه. فهذا أيضًا صلاته باطلةٌ اتّفاقًا، لأنّه ترك ركن القيام والرّكوع، لذا كان عليه شرعًا أن يصلّيَ قائمًا، حتّى إذا أراد السّجود جلس على الكرسيّ، إذا أشار بذلك الطّبيب الثّقة، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُوْنَ﴾ (الأنبياء :٧)، وأومأ عند السّجود برأسه، وهكذا في جميع صلاته.



الصّورة الرّابعة: من يُصلّي متوكّئًا على العصا، حتّى إذا أراد الرّكوع أو السّجود صلّى على الكرسيّ مع قدرته عليهما! فمن هذه حاله؛ فصلاته غير صحيحة؛ لأنّه ترك ركن الرّكوع والسّجود والجلوس عمدًا.

لذا كان عليه شرعًا: أنْ يُصلّيَ متوكّئًا على العصا حال قيامه وركوعه وجوبًا، دون الجلوس على الكرسيّ، حتى إذا أراد السّجود جلس على الأرض وسجد، وهكذا يفعل في صلاته.

وأمّا بطلان صلاة أهل الكراسي ممّن جاء ذكرهم في الصّور الأربع، فهو متوقّفٌ على كون المصلّي منهم: عالمًا ذاكرًا مختارًا في صلاته، وإلاّ فصلاتهم صحيحةٌ بعذر الجهل أو النّسيان أو الإكراه.

الصّور الّتي تصحّ فيها الصّلاة على الكراسي

الأولى: مَن ضعُفت قُواهُ عن حمله قائمًا وجالسًا على حدّ سواء، وهو أشبه اليوم بحال مرضى العظام، أو بالمصابين بالشّلل، أو غيرهم ممّن يعجزون عن القيام والجلوس على الأرض، فمن هذه حالهم؛ فعليهم شرعًا أن يصلّوا على الكراسي ابتداء، ويُومئون برؤوسهم عند الرّكوع والسّجود.

الثّانية: مَنْ كان يعجز فقط عن الجلوس على الأرض، لخوف مرض، أو لرجاء برء بعد استشارة طبيب ثقة، فمثْل هذا عليه شرعًا أن يصلّيَ قائمًا وراكعًا؛ حتّى إذا أراد السّجود جلس على الكرسي، وأومأ برأسه بنيّة السّجود، ثمّ ينوي الجلوس بين السّجدتين، وهكذا يفعل في صلاته كلّها.

وفي الختام فإنّ المقصود من هذه المسألة ليس هو التضييق على النّاس، ولا التشديد عليهم، ولكنه بيان حكم الله تعالى في أعظم أركان الدين بعد شهادة التوحيد، لئلاّ يترك النّاس ما وجب عليهم بيقين، ويتساهلوا فيما لا تصحّ صلاتهم إلا به، ولِيَعرفوا مقدار العذر الذي نزل بهم، فيُقدّروه قدْره، ولا يتمادَوْن في مُسايَرَة أهواء النّفس فإنّ النفوس طمّاعة لا تشبع، ومَن أحبّ الله بصدق تقرّب إليه كما شرع، ولنحافظ على مساجدنا ونصونها عن مشابهة أماكن عبادة غيرنا، فإنّ مساجدنا مضتْ سُنّتها على الفطرة والتواضع في النُّزُولَ إلى الأرض، وغيرُ المسلمين تُصفّ الكراسيّ في معابدهم صفًّا.

والله تعالى أعلم

إعادة زراعة أعضاء الإنسان بعد قطعها في حدٍ أو قصاص

د. سيد حبيب بن أحمد



أولًا: تصوير المسألة وبيان إمكانية حصولها

أ-تصوير المسألة: هل يجوز شرعًا إعادة زرع العضو المقطوع من الشخص الذي أقيم عليه حد أو قصاص إلى محله بعد قطعه في تنفيذ الحد أو القصاص؟

ب-إمكانية حصولها: أما بالنسبة للقصاص إذا كان في الأنف، أو الأذن، أو العين أو غيرها من الأعضاء التي تسهل إعادتها إلى مكانها الأصلي، فإن إمكانية حصولها ممكنة، بل هي واقعة، وقد يعود العضو في أغلب الأحيان إلى مكانه الأصلي وكأنّ شيئًا لم يكن، وقد حصل ذلك من زمن قديم، حتى ثبت أن النبي ﷺ أعاد عين أحد الصحابة رضي الله عنه فكانت أحسن عين وأحدّ بصرًا.

أما بالنسبة للحد- وهو قطع اليد أو الرجل- أو القصاص فيهما، فإن مجال الطب مع تطوره الباهر لم يتوصل إلى النجاح الكامل في إعادة هذه الجوارح إلى محلها الأصلي، فهي على ما تتكلفه من نفقات باهظة وجهد شاق فإنها لا تعمل عملها السابق، حتى إن الأعضاء المصنوعة من الخشب أو الحديد تكون أكثر فعالية من الأعضاء الأصلية المزروعة(١).

ثانيًا: إعادة العضو المبان من جانب المعتدى عليه

إذا انفصل عضو من جسد الإنسان أو جزء من أجزائه بآفة أو جناية، فهل يجوز له أن يعيد عضوه المبان إلى محله؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: لا يجوز إعادة العضو المبان إلى محله الأصلي. وهذا القول حكاه القرطبي عن الإمام الشافعي، وعطاء، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن الحسن رحمهم الله، واستدلوا لذلك بأن العضو بعد إبانته من الجسد صار نجسًا كالميتة، فلا تجوز إعادته؛ لئلا يؤدي إلى بطلان العبادة، ولأن جزء الآدمي بعد الانفصال يستحق الدفن، فلا يجوز صرفه عن جهة استحقاقه.

القول الثاني: تجوز إعادة العضو المبان إلى محله، ويبقى طاهرًا، ولا يؤمر بقلعه. وهو قول جمهور العلماء، وهو المذهب عند الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة.

واستدلوا لذلك بجملة من الأدلة، منها:

(١) ما روي «أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه سقطت عينه على وجنته يوم أحد، فردّها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عين، وأحد بصراً »(٢).

(٢) ما ورد «أن النبي ﷺ ردّ يد معوذ بن عفراء يوم بدر بعد أن قطعها عكرمة بن أبي جهل، وألصقها فلصقت بعد أن ندرت من الكتف»(٣).

(٣) ما ورد أيضًا «أن النبي ﷺ ردّ يد خبيب بن يساف، وكان ضرب يوم بدر على عاتقه، فردّه المصطفى ﷺ ونفث عليه حتى صح»(٤).

والراجح هو ما ذهب إليه الجمهور، لما يلي:

١-للأحاديث التي استدلوا بها، فهي

• باحث في مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف الكويتية

نص في موضع النزاع.

٢- أن فيه دفعًا للمشقة والحرج الموجودين في حال فقد ذلك العضو المبتور، والشريعة الإسلامية راعت دفع الحرج والمشقة عن المكلفين.

٣- أن ما أبين من حي فهو كميتته، وميتة الآدمي طاهرة، فوجب أن يكون ذلك العضو الذي أبين طاهرًا، وإذا كان كذلك انتفى ما ذكروه من الحكم بنجاسته، ومن ثم لم تلزم إبانته ثانية(٥).

ثالثًا: إعادة العضو المبان من جانب الجاني بعد إقامة الحد أو القصاص عليه.

اختلف العلماء قديمًا في حكم إعادة العضو المبان في القصاص على قولين:

القول الأول، يجوز للجاني أن يعيد العضو المبان قصاصًا، ولا يحق للمجني عليه إبانته ثانيًا؛ لأنه استوفى القصاص ولم يبق له قبله حق. وهو اختيار بعض الشافعية، وبعض الحنابلة، وقال به سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني.

ومن أدلتهم:

١-أن المجني عليه قد استوفى القصاص ولم يبق له قِبَل الجاني أيّ حق.

٢-قياسًا على زراعة الأعضاء للغير، فكما يجوز نقل وزراعة الأعضاء من إنسان لإنقاذ إنسان آخر، فمن باب أولى أن يجوز للإنسان أن يعيد ما قطع من أعضائه.

٣-سماحة الإسلام ورحمة الله بعباده تؤكد ان القول بإعادة العضو المقطوع.

القول الثاني، ليس للجاني إعادته، وإن أعاده فللمجني عليه إبانته ثانيًا. وهو الصحيح من مذهب الحنابلة، وقال به سفيان الثوري.

ومن أدلتهم:

١-قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ (النحل: ١٢٦). وقوله: ﴿والجروح قصاص﴾ (المائدة: ٤٥).

شُرع القصاص لإقامة العدل وإنصاف المجني عليه وصون حق الحياة للمجتمع

وجه الدلالة: أن إعادة العضو الذي أبين بالقصاص تؤدي إلى عدم المماثلة التي أوجبتها الآيتان الكريمتان.

٢-قوله تعالى في شأن الزاني والزانية: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ (النور: ٢).

وجه الدلالة: أن الآية دلت على حرمة الرأفة بالمعتدي على حدود الله، والقول بجواز إعادة العضو المقطوع منه فيه رأفة به، فلا يجوز لذلك.

٣- لأنّ القصاص شرع ليستوي الجاني مع المجني عليه في الشين، والشين بإعادة العضو يزول، فلا تجوز الإعادة، ولو أعاده أقيد مرة ثانية؛ لتحقق المقاصة.

٤-ولأن العضو المقطوع قصاصًا يدفن تكريمًا لصاحبه، فلا يجوز صرفه عن جهة استحقاقه.

٥- ولأن الجاني أبان من المجني عليه عضوًا على الدوام، فوجبت إبانته منه دوامًا، وبذلك يكون تمام القصاص(٦).

أقوال العلماء المعاصرين في هذه المسألة

اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة على أربعة أقوال، وهي: المنع مطلقًا، الجواز مطلقًا، التفريق بين رضى المجني عليه وعدم رضاه، وكذلك التفريق بين إعادة المجني عليه العضو فيجوز للجاني كذلك، وبين عدم إعادته فلا يجوز للجاني إعادته.

اختلف العلماء في حكم إعادة العضو المبان المقطوع في القصاص بين الجواز وعدمه

ثم التفريق بين أن يمنعه المجني عليه من الإعادة، فلا تجوز له الإعادة، وبين ألا يمنعه(٧)، ثم قرار مجمع الفقه الإسلامي (رقم ٦٠ /٦/٩/٦) وهو عدم جواز الإعادة إلا في حالتين، وهو القول الراجح لما في ذلك من جمع بين الأدلة، وهذا نص القرار:

بما أن القصاص قد شرع لإقامة العدل وإنصاف المجني عليه، وصون حق الحياة للمجتمع، وتوفير الأمن والاستقرار، فإنه لا يجوز إعادة عضو استؤصل تنفيذًا للقصاص، إلا في الحالات التالية:

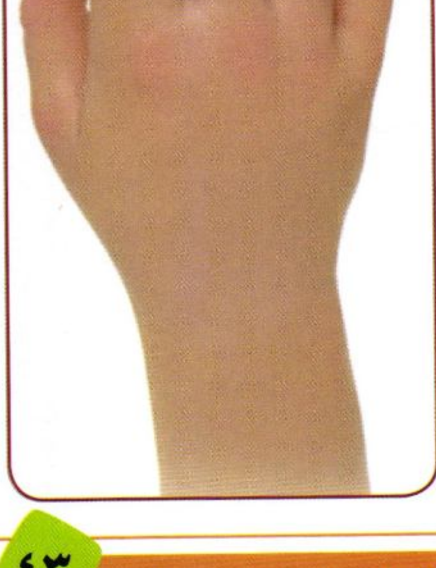
أ- أن يأذن المجني عليه بعد تنفيذ القصاص بإعادة العضو المقطوع.

ب- أن يكون المجني عليه قد تمكن من إعادة العضو المقطوع منه.

ج- يجوز إعادة العضو الذي استؤصل في حد أو قصاص بسبب خطأ في الحكم أو التنفيذ.

حكم إعادة العضو المبان من الحد

لا يوجد نص في الكتاب ولا في السنة، ولا يوجد نص صريح لأحد من الفقهاء القدامى في حكم إعادة العضو المبان حدًا، مثل اليد والرجل في السرقة



والحرابة.

وقد اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول، لا تجوز إعادة ما قطع بحد، سواء تاب مرتكب الجريمة أو لم يتب، وسواء أذن صاحب الحق (المجني عليه) أم لم يأذن. وهو قول أكثر المعاصرين(٨).

وبهذا القول صدر قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية(٩)، وصدر قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي بجدة(١٠).

واستدلوا لذلك بمجموعة من الأدلة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسب نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ (المائدة: ٣٨) وجه الدلالة من وجهين:

الوجه الأول، أن الجزاء لا يتم إلا بالقطع، والنكال لا يتم إلا برؤية اليد المقطوعة، وإعادتها مفوت للثاني، فلا تشرع لكونها مفوتة للنكال المنصوص عليه في الآية الكريمة.

والوجه الثاني، أن هذا الحكم بالقطع يوجب فصلها عن البدن على التأبيد، وفي إعادتها مخالفة لحكم الشرع فلا يجوز فعلها.

٢- قوله تعالى في شأن الزاني والزانية: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النور: ٢).

وجه الدلالة: أن الآية الكريمة دلت على حرمة الرأفة بالمتعدي لحدود الله، والجاني بالسرقة أو الحرابة متعدٍ لمحارم الله وحدوده، فلا تشرع الرأفة به، والقول بجواز إعادة العضو المقطوع منه فيه رأفة به، فلا يجوز.

٣-حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال في السّارق: «اذهبوا به فاقطعوه، ثم احسموه» (رواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أمر بحسم يد السارق، والحسم مانع من إعادتها.

٤-حديث فضالة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أتي بسارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه» (رواه أحمد، وأصحاب السنن).

وجه الدلالة: أن تعليق يد السارق في عنقه حكم شرعي يعتبر من تمام العقوبة والحد، وإعادتها توجب تفويت ذلك، فلا يجوز فعلها.

٥- من المعقول: أن في إعادة يد السارق سترًا على جريمته الكبرى، والشرع قاصد لفضحه: فلا يجوز فعلها.

ان الحكمة من إيجاب الحد والقصاص منع المجرم من المعاودة إلى عدوانه، وردع غيره عن ارتكاب مثل جريمته، والإعادة مفوتة لهذه الحكمة، فلا يشرع فعلها.

القول الثاني: تجوز إعادة ما قطع



بالحد، وهو قول بعض المعاصرين(١١).

ومن أدلتهم:

١- أنه تم تنفيذ الحد بمجرد القطع والبتر، وبذلك تم إعمال النص الشرعي الآمر به، وبقي ما عداه على أصل الإباحة الشرعية.

الرد عليه: أنّه ليس المقصود منه مجرد الفصل، وإنما المقصود الفصل على الدوام لتفويت منفعته على الجاني جزاء وفق عمله، وليكون عبرة لغيره.

٢-أن الحدود من جملة حقوق الله تعالى، وهي مبنية على المسامحة، فلا بأس بالسماح له بإعادته.

الرد عليه: نعم، الحدود من حقوق الله تعالى، وهذا العضو المبتور تمحض حقًّا لله تعالى وحقًّا لعبد آخر، فارتفعت حقوق المقطوع منه عن ذلك العضو شرعًا.

٣-قياس الحد على القصاص، فكما يجوز إعادة العضو المبان في القصاص فكذلك في الحد.

الرد عليه: هناك فرق بين الحد والقصاص، وهو أن المقصود من القصاص أن يصيب الجاني ضرر مماثل لضرر المجني عليه، وذلك حاصل بإبانة عضوه أول مرة، بخلاف إبانة العضو في الحد، فإنه ليس مقابلًا لضرر مماثل، وإنما هو مقدر من الله تعالى ابتداء، وليس المقصود منه مجرد الإبانة، وإنما المقصود إبانته على الدوام لتفويت منفعته على الجاني جزاء وفق عمله.

٤- لقد تحققت جميع الأهداف المقصودة من إقامة الحد، من إيلام وزجر وتشهير، وكل ذلك تحقق بإقامة الحد الشرعي.

القول الثالث: التوقف. وهو قول أحد المعاصرين، وهو القاضي محمد تقي العثماني، قال: أما البحث عن مسألة العضو المقطوع في السرقة أو الحرابة، فلا يتعلق بالواقع ولذلك، فلا أرى البتّ في هذه المسألة حتى نشاهدها تقع عيانًا (١٢).

ومن أدلته:

١-أن هذه المسألة غير متصورة الوقوع حتى اليوم، فهو من السؤال قبل وقوع الواقعة، وقد نهى السلف عن مثل هذه الأسئلة.

٢-ولكون غالب الدول الإسلامية- وللأسف- لا تقيم شرع الله تعالى في تطبيق الحدود، فالخوض فيها لا طائلة فيه.

الرد عليه:

أولًا، أن المسألة واقعة وحاصلة في هذا العصر، فلابد من معرفة حكمها.

ثانيًا، وعلى فرض صحة قوله، فإنه لا يمنع من معرفة الحكم في المسألة وتأصيلها تأصيلًا علميًّا؛ حتى إذا ما وقعت كان البحث عن حكمها ميسرًا.

الترجيح: الذي يترجح- والله أعلم- هو القول بعدم جواز إعادة العضو الذي أبين في حد؛ لصحة دلالة النقل والعقل على هذا كما هو واضح في أدلة أصحاب القول الأول، وقد تقدمت الأجوبة عن أدلة القولين الآخرين، والله أعلم(١٣).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي، للشيخ عصمت الله ص ٨٠، الموقف الفقهي والأخلاقي من قضية زرع الأعضاء، للدكتور محمد علي البار ص ٤١ وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٧/١٤) والحاكم في المستدرك (٢٩٥/٣) ولم يعقبه الذهبي بشيء. وانظر أيضا: الانتفاع بأجزاء الآدمي، للشيخ عصمت الله ص ٦٩.

(٣) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي، للشيخ عصمت الله ص ٦٩.

(٤) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي للشيخ، عصمت الله ص ٧٠ نقلا عن كتاب دلائل النبوة للأصفهاني، والشفاء لقاضي عياض.

(٥) انظر: أحكام الجراحة الطبية، للدكتور الشنقيطي ص ٣٨٦-٣٨٨، الانتفاع بأجزاء الآدمي، لعصمت الله ص ٦٨-٧٠، زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢١٩٢-٢١٩٧.

(٦) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي للشيخ عصمت الله ص٧٣، زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع٦/٢١٨٨.

(٧) انظر: زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢١٩١؛ الانتفاع بأجزاء الآدمي في الفقه الإسلامي ص ٧٤؛ زراعة عضو استؤصل في حد، للدكتور الزحيلي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢٢٢٠؛ أحكام الجراحة الطبية ص ٣٩٦.

(٨) واختاره الشيخ بكر أبوزيد، والشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع، والشيخ محمد عبد الرحمن آل الشيخ، والأستاذ محمد أحمد جمال، والشيخ مولاي مصطفى العلوي، والشيخ الدكتور محمد محمد المختار الشنقيطي، والشيخ عصمت الله عناية الله، والدكتور عقيل العقيلي وغيرهم. انظر: أحكام الجراحة الطبية ص ٣٨٩، الانتفاع بأجزاء الآدمي للشيخ عصمت الله ص ٧٦، الموقف الفقهي والأخلاقي من قضية زرع الأعضا د.علي البار ص ١١٩، حكم نقل الأعضاء للدكتور العقيلي ص ١٦، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ٦، الجزء ٣.

(٩) قرار رقم ١٣٦ وتاريخ ١٤٠٦/٦/١٧هـ، في دورته السابعة والعشرين العادية المنعقدة بمدينة الرياض، قرر المجلس بالإجماع: «أنه لا يجوز إعادة اليد المقطوعة في حد إلى صاحبها؛ لأن المقصود من القطع الزجر والردع لا الإيلام فقط».

(١٠) قرار رقم (٦/٩/٦٠) بشأن زراعة عضو استؤصل في حد أو قصاص. قرر: «١- لا يجوز شرعًا إعادة العضو المقطوع تنفيذًا للحد؛ لأن في بقاء أثر الحد تحقيقا كاملا للعقوبة المقررة شرعًا، ومنعًا للتهاون في استيفائها، وتفاديًا لمصادمة حكم الشرع في الظاهر».

(١١) وممن قال به: د.وهبة الزحيلي، د.محمد أنيس عبادة، د.عبدالمنصف محمود، والشيخ إبراهيم الوقفي، والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ. انظر: زراعة عضو استؤصل في حد، للدكتور الزحيلي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢٢٢٠.

(١٢) انظر: زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢١٩٩.

(١٣) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص٣٩٠-٣٩٩، الانتفاع بأجزاء الآدمي ص٧٥-٧٦.

ضوابط التداوي بالأعشاب الطبية قديمًا وحديثًا

د. محمود مهدي



منذ فترة ليست بالوجيزة بدأ انتشار باعة الأعشاب الطبية، حيث يفترشون الطرقات عارضين بضاعتهم، كاتبين على عبواتها أسماء أمراض يدّعون أنها تعالجها، وكثرت في الأحياء دكاكين امتزج فيها بيع التوابل والعطور بالنباتات الطبية، إذ يقوم الباعة فيها بسماع شكوى المرضى ثم يبيعون لهم بعض النباتات «المعالجة لأمراضهم!»، ولم يقف الأمر عند حد هؤلاء، بل زاد الطين بلة أن قنوات تلفازية عديدة تقوم بحملات إعلانية منظمة ومكثفة عن أعشاب طبية تداوي أمراضا، أنّ الناسُ من آلامها، وعجزت الأدوية الكيميائية عن علاجها، ولما تحطمت آمال المرضَى على عتبات الأطباء المغالين في أجورهم، وأرهقهم سعر الدواء الكيميائي، دفعهم ما تبقى لديهم من أمل لطَرْق باب باعة الأعشاب الطبية، لعله يتحقق لهم من خلاله ما يرجونه، وساهم في اتجاههم لهذا الباب رخص ثمن المعروض حينا، والاغترار بما في الإعلانات التلفازية من جذب وإغراء بالشفاء حينا آخر.

تَــرْكُ الأمــر بـهـذه الـصـورة العشوائية الاستغلالية، وغياب الرقابة، نذير خطر يجب أن نتنبه له، وأن نعير الموضوع الاهتمام اللائق به كشفًا للحقائق؛ ليعلم الناس إلى أين يتجهون، ومع مَن يتعاملون؟ وأن التداوي بالأعشاب ليس بهذه السهولة، فالأعشاب ليست كلها صالحة للتداوي، والصالح منها قد تكون له آثار ضارة أكثر مما فيه من فوائد، كما أن جُلّ المتصدين لبيع الأعشاب يجهلون ما بها من مادة فاعلة، وطريقة تحضيرها، ومقدار جرعاتها، وقليل منهم اعتمد على المصادر القديمة فأخذ ما بها من معلومات قد لا تتناسب الآن مع ما تفشى بين الناس من أمراض لم يعرفها القدامى، كما تغيرت كثير من خصائص النبات نتيجة للتلوث البيئي مما جعل المادة الفاعلة في بعض النباتات غير مجدية؛ وعليه فالأمر يحتاج لضوابط يجب أن تُعْلَم لتكون الفائدة أرجى.

التداوي بالأعشاب قديمًا

ليس كل ما أنبتته الأرض يعد مصدرًا دوائيًا، لكن الذي له علاقة بالتداوي من النبات هو ما احتوى كله أو بعض أجزائه على مواد فعّالة ذات قيمة دوائية علاجية، أو واقية من الأمراض التي قد تصيب الإنسان أو حتى الحيوان(١). ويرجع اهتمام كثير من علماء الصيدلة العرب بالنبات لأنه أحد أصول العقاقير الثلاثة: النبات، الحيوان، المعادن.

• دكتوراه في الدراسات التراثية وتاريخ الصيدلة

ولم يُعْنَ بالنبات تدوينًا ودراسةً إلا بعد أن تُرجمت العلوم، واطلع العلماء على كتاب ديسقوريدس(٢)، فبدأت التآليف العربية تسلك طريقها لترسيخ قواعد هذا العلم وتطويره، وبعد استقلال الصيدلة عن الطب، وتخصُّص العلماء فيها، وإفرادها بالتأليف اهتم العلماء بالبحث الميداني عن النباتات في مظان وجودها، فخرجوا إلى السهول والجبال، وجابوا البلدان لاكتشاف المزيد منها، للتحقق من أعيانها، ومعرفة زمن نباتها، ومراحل نموها، وموعد جَنْيها، ووصفها وصفًا دقيقًا للتفريق بين المتشابهات منها، حتى لا يُنسب تأثير دواء لآخر.

وكان ابن البيطار ممن عُنُوا بهذا الأمر، إلا أن رشيدالدين الصُّوري قد انفرد بطريقة جديدة وصفها ابن أبي أصيبعة بقوله: «وكان يصحب مُصوِّرًا ومعه الأصباغ واللِّيَق(٣) على اختلافها وتنوعها، وكان يتوجه إلى المواضع التي بها النبات، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات، فيشاهد النبات ويحققه، ويريه للمصور، فيعتبر لونَه ومقدارَ ورقه وأغصانَه وأصولَه، ويصوِّرها بجنسها ويجتهد في محاكاتها. ثم إنه سلك في تصوير النبات مسلكًا مفيدًا، وذلك أنه كان يُري النباتَ للمُصَوِّر في إبّان نباته وطراوته فيصوره، ثم يريه إياه أيضا وقت كماله وظهور بذوره فيصوره تلو ذلك، ثم يريه إياه أيضا في وقت ذواه(٤) ويبسه فيصوره(٥)». وهذا المنهج منح العلماءَ فرصةَ التعرف على مراحل نمو النبات ومراقبته وإجراء التجارب عليه في كل مرحلة للوقوف على فوائده العلاجية.

ليس كل ما أنبتته الأرض يعد مصدراً دوائياً ومن الخطر ترك التداوي بالأعشاب من دون رقابة

الدواء النباتي والحرارة

كما استطاع العلماء العرب من خلال التجربة والاختبار التعرف على كثير من العوامل المؤثرة في قوة فاعلية الدواء النباتي وضعفها، فعرفوا أن الحرارة تؤثر بالسلب في بعض النباتات، كالخيار شنبر(٦) إذا طبخ (غلي) سقطت قوته؛ لذا لا يمس بنار(٧)، وعرَفوا أن لكل جزء من النبات طريقة تناسبه في إعداده ليصلح دواء؛ فالعصارات لا تطبخ مطلقًا. والأصول (الجذور) إن كانت من أشجار وجب طبخها. والثمار والأوراق تُحدَّد طريقة طبخها حسب حالة جرمها(٨).

ووقفوا على تأثير مجاورة بعض الأدوية في بعض. فقد تكون المجاورة محمودة مفيدة كمجاورة الفُلفُل والكافور والتين لدُهن النِّفط، ومجاورة الساذج(٩) للزنجبيل. وقد تكون مضرة كمجاورة الحلتيت(١٠) للعنبر. وحذروا من اجتماع بعضها مع بعض في تركيب واحد، فالإهليلجات(١١) لا تدخل في تركيب الحقنة لما فيها من العفوصة(١٢) والقبض فتحبس الدواء. ورأوا عدم المبالغة في سحق بعضها كالغافث(١٣) والصموغ، وحذروا من سحق الكندر(١٤) والفستق والأشّق(١٥) في النحاس لأنه يتحلل منه زنجار(١٦) يفسد الدواء.

العلماء العرب من خلال التجربة والاختبار استطاعوا التعرف على كثير من العوامل المؤثرة في قوة فاعلية الدواء النباتي وضعفها

وأدركوا فوائد حرق بعضها، ومقدار ما تحتاجه من حرارة. وأيها يُغسل قبل استعمالها، وأيها يفسده الغسل؛ فالهندباء(١٧) لا تمس بماء لمفارقة جوهرها اللطيف بمجرد الغسل(١٨). وحذروا من غسل البقول، وحثوا على غسل الفواكه وخاصة العنب.

وعُنوا بطرق تخزينها وحفظها؛ فلا توضع العصارات مع الأصول الأجنبية(١٩)، ولا الأوراق مع الثمار، ولا الحَّب والورق. وخير ما حُفظ النبات إذا كان مقلوعًا في أوانه مجفَّفًا من الرطوبة البالّة. وتُحفظ الصموغ في أخشابها، أو في الرصاص أوالفضة. ولا تُجعل الأوراق في زجاج، وإذا أريد تخزينها فيجب أن تختار سليمة من الغش. وحددوا موعد تخزين كثير من النباتات(٢٠)، وأوقات جنيها؛ فالأوراق تجنى بعد تمام النمو، وقبل تغير لونها أو سقوطها. والبذور تلتقط بعد أن يستحكم جرمها وتنتفي عنها الفجاجة(٢١) والمائية. وتؤخذ الأصول بعد سقوط الأوراق، وتجنى القضبان وقد أدركت ولم تأخذ في الذبول. والزهر يُجمع بعد التفتح التام، ويفضل جني المحصول في حالة صفاء الجو، والحذر من جنيه في حالة رطوبة الهواء، أو قرب العهد بالمطر، وتجنى الصموغ بعد الانعقاد وقبل الجفاف التام(٢٢). وعرفوا تأثير البيئة في النبات؛ فالعقاقير البرية أقوى تأثيرا من البستانية، والجبلية أقوى من السّهلية، كما عرفوا مقادير الجرعات الدوائية، وآثارها الجانبية، وكيفية التغلب عليها، وبديل الدواء النباتي عند

عدم وجوده.

فمعرفة الصيادلة العرب كل هذه الخصائص أعانتهم على تجويد عملهم، وتحقيق أكبر قدر من الفائدة العلاجية.

التداوي بالأعشاب حديثاً

وفي العصر الحديث تطورت الأبحاث الدوائية، وسيطر على صناعة الدواء عدة دول أوروبية تنتج تقريبا ٧٥٪ من الإنتاج العالمي، واستطاعت تحقيق أرباح كبيرة نتيجة تصدير الأدوية للدول الأخرى، ومن هذه الأدوية نسبة كبيرة تتكون من مواد كيميائية مخلّقة، وأدرك العالم أن كثيرا من الأدوية الكيميائية أصبحت آثارُها الجانبية أكبر من فوائدها، وأن هناك حالات مَرَضيّةً يصعب معها استخدام العقاقير الكيميائية خوفا من تفاقم حالة المريض، وإصابته بأعراض ضارة، ولمواجهة هذه المخاطر الاجتماعية والصحية كان لمنظمة الصحة العالمية وقفة أصدرت على إثرها تقريرًا بتاريخ ٥ من نوفمبر ١٩٧٧م يحض على الإفادة من مصادر الطب الشعبي؛ لتوفير الرعاية الصحية للكثير من الشعوب(٢٣). وأن النباتات الطبية التي تحققت لها الضوابط الصحيحة أثبتت فاعلية في علاج مثل هذه الحالات. واللجوء إليها في العلاج سيقلل من الآثار الضارة التي حاقت بالناس، وأنها

أثبتت التجارب والتحاليل الكيميائية أن النباتات الطبية التي تزرع زراعة منظمة تكون المادة الفعالة فيها أكثر كمًّا وتركيزا

ستوفر بدائل رخيصة الثمن لأدوية مصنّعة باهظة الثمن، ويمكن إدماج الأدوية النباتية مع الكيماوية المصنعة للإفادة من الجوانب الإيجابية لكلا النوعين، وبذلك تتوفر أدوية مأمونة رخيصة الثمن، تفيد في مقاومة وعلاج الكثير من الأمراض.

وبالفعل بدأت دول غربية عديدة كألمانيا وكندا وأستراليا تهتم بالأعشاب الطبيعية، وخصصت بعض الدول كالهند والصين كليات ومعاهدَ تُعنَى بتخريج أجيال متخصِّصة في العلاج بالنبات(٢٤). وفي باكستان يوجد عدد من كليات الطب تسمّى «كليات الطب الشرقي» تُخرّج أطباء تعتمد وصفاتهم العلاجية على النبات والأعشاب، وأنشئ مجلس قومي للطب الشعبي مهمته وضع المعايير، وعقد الامتحانات، وتحديد المناهج الدراسية(٢٥)، وهذا دليل على أن اللجوء للتداوي بالنبات لابد أن يكون



خلاصة النباتات في أوان زجاجية ... للعلاج

تحت إشراف علمي متخصص.

التجارب والتحاليل الكيميائية

وقد أثبتت التجارب والتحاليل الكيميائية أن النباتات الطبية التي تـزرع زراعـة منظمة تكون المادة الفعالة فيها أكثر كمًا وتركيزًا؛ لأنها تـزرع فـي مواعيد مناسبة، وأرض ملائمة، وبتقاوٍ مُنتخَبة موثوق بها، وريّ مناسبٍ، وتسميد بالمواد العضويةّ الطبيعية، ووقايةً من الآفات، وبُعْدٍ عن أماكن التلوثً البتروكيماوي، وحصادٍ عند اكتمال نضجها، ووصـول المـواد الفعالة فيها إلى أقصى درجات التركيز، وتجفيفها بواسطة أشعة الشمس غير المباشرة، أو بالأفران الكهربائية المخصصة لذلك، وعدم تكديس بعضها فوق بعض إلا بعد تمام جفافها، حتى لا تصاب بفطريات العفن أثناء التخزين.

هذه النباتات تكون أفضل من غيرها التي لا تلقى ذلك.

وحتى تؤدي هذه الأدوية الغاية منها على أكمل وجه لابد من مراعاة عدة أمور:

١ - وجود الطبيب الماهر القادر على تشخيص الداء، العالم بالدواء النباتي الذي يعالج به، الملم بما في المادة النباتية من أثر فعال، القادر على تحديد كمية الجرعة الدوائية، ووقت استخدامها، وطريقة تجهيزها وعدم تداخلها وتضادها، وكيفية إصلاح مضارها، وبديلها عند عدم وجودها.

٢ - لابد من تقييم المادة النباتية الطبية بالتعرف عليها ودرجة نقاوتها وقيمتها؛ وذلك بأخذ العينة المناسبة من الكمية والممثّلة للحالة التي عليها هذه المادة، ويكون تحديدها باختبار الشكل والحجم واللون والمظهر والملمس والرائحة والطعم والمميزات الأخرى ومطابقتها للمواصفات المعروفة لها، وقد يستخدم الاختبار المجهري لمكونات الأنسجة والخلايا.

وتعتمد النقاوة على خلو المادة النباتية من الشوائب العضوية والمعدنية، كزيادة نسبة أجزاء السيقان، أو أجزاء من نباتات أخرى وغيرها في الأوراق، أو وجود بعض الحشرات، أو مخلفات الحيوانات، أو رمال وأتربة بها، كما تحدد نسبة الرطوبة بها، واختبار وجود الألياف ونسبتها في بعضها. كما تقدر قيمتها بتحديد تركيز المادة الفاعلة بها عادة على أساس الوزن إلى الوزن الجاف بالنسبة المئوية (٢٦).

وهذه الدعوة توضح إلى أي مدى يمكن للنباتات الطبية المساهمة في علاج ومواجهة العديد من الأمراض إن أُعدّ القائمون عليها والمشتغلون بها إعدادًا علميا صحيحًا، وروعي في زراعتها وجمْعها وتخزينها الضوابط السليمة، فهل راعى باعة الأعشاب الطبية، والمعلنون المتربحون هذه الضوابط؟

الهوامش

١ - على هامش النباتات الطبية واستخداماتها: مصطفى كامل، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧ص ٣.

٢ - ديسقوريدوس: طبيب يوناني، ولد سنة ٤٠م تقريبا بعين زربة، درس الطب بأثينا، شغل بدراسة الأعشاب الطبية، وله كتاب شهير يعرفه العرب باسم «كتاب الحشائش» أو «المقالات الخمس» أو «الأدوية المفردة»، وتوفي سنة ٩٠م.

٣ - الليق: جمع ليقة، وهو ما في الدواة من صوف متشبع بالحبر، والمراد الدواة.

٤ - أي في وقت ذبوله.

٥ - عيون الأنباء: ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د.عامر النجار، الهيئة العامة للكتاب، بدون تاريخ: ٤/ ٢٧٠.

٦ - خيار شنبر «جنبر»: شجرة كقدر شجرة الجوز، وورقه كورقه، إلا أنه أصلب منه وأصغر قليلا، وأطرافه حادة، وله زهر عجيب في حسنه كأنها عرجون زهر، واسمه العلمي: Fistula L. Cassin.

٧ - تذكرة أولي الألباب: داود بن عمر الأنطاكي، المكتبة التوفيقية، القاهرة: ١/ ٣٣.

٨ - الجرم: هو جسد الشيء أو جسمه.

٩ - الساذج: ورق يظهر على وجه الماء، بمنزلة عدس الماء، وليس له أصل، يجمع ويشك في خيوط كتان ويجفف، وهو من فصيلة: Lauraceae، واسمه العلمي: Cinnamomum.

١٠ - الحلتيت: صمغ راتنجي، يعرف بأبي كبير.

١١ - الإهليلج: شجر ينبت بالهند وكابل والصين، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار.

١٢ - العفوصة: بشاعة ومرارة وتقبض في طعم المأكول أو المشروب يعسر معها الابتلاع.

١٣ - الغافث: عشبة معمرة من الفصيلة الوردية تتواجد في منحدرات الجبال، وهي من الأدوية القابضة.

١٤ - الكندر: هو اللبان الذكر.

١٥ - الأشق: ويقال أشّج. صَمْغ شجرة كشجرة القثاء في الشكل، صغيرة دقيقة الساق، مزغبة إلى بياض، زهرها بين حُمْرَة وزرقة. من فصيلة: Umbelliferae، واسم نباته العلمي: Dorema ammoniacum.

١٦ - الزنجار: صدأ النحاس.

١٧ - هندباء: يمد مع كسر الدال، ويقصر مع فتحها، وهي بقلة من فصيلة: Compositae، واسمها العلمي: C. endivia L..

١٨ - تذكرة أولي الألباب: ١/ ٣٣.

١٩ - أي مع جذور أشجار غير أشجارها.

٢٠ - المصدر السابق: ١/ ٣٤، ٣٥.

٢١ - الفجاجة: عدم النضج.

٢٢ - القانون في الطب: ابن سينا، تحقيق: إدوار القش، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨/١٩٨٧: ٣٦٢/١.

٢٣ - النبات الطبي والعلاج العشبي عند العرب: عادل زايد، بحث ضمن بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم، جامعة بغداد، مطبعة الرشاد، بغداد: ١/ ٧٤.

٢٤ - الأعشاب دواء لكل داء: فيصل بن محمد العراقي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ ص١٣.

٢٥ - التداوي بالأعشاب والنباتات: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة: ١٢.

٢٦ - على هامش النباتات الطبية: مصطفى كامل، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧، ص ١٩، ٢٠.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

مدرسة الابتلاء

من المعلوم أن الإنسان يمر في هذه الدنيا بمختلف الحالات من العواطف والانفعالات باعتبار انه بشر مكون من روح وجسد ، وبالتالي يتعرض للمتغيرات الحياتية بأقدار إلهية من خلال عمله في سبيل إتمام العبودية بهذه الدار.

ونحن إذ نستقبل شهر رمضان الكريم- أعاده الله علينا وعليكم باليمن والبركات- نقدم وصفات إيمانية، ولمسات وجدانية لإنسان يتعايش مع المرض الخبيث، راجيا من الله الشفاء التام، ومن الناس الدعاء في ظهر الغيب، ومن النفس الرضا بقضاء الله وقدره.

ولعل الابتلاء بالمرض يكون مدرسة تربوية لمن وعى حقيقته، وفهم مقاصده، وعلم مغزاه، فإذا كان المرء مؤمنًا حقًّا فإن كل أمره خير، وما أصابه سبب في تكفير خطاياه التي اقترفها بقلبه وسمعه وبصره ولسانه، وسائر جوارحه، وقد يكون للعبد منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، ولكن العبد لم يكن له من العمل ما يبلغه إياها، فيبتليه الله بالمرض وبما يكره، حتى يكون أهلاً لتلك المنزلة ويصل إليها.

والمحنة تتحول إلى منحة إذا فقه المؤمن فلسفة الداء، وعلم ما وراء المرض، وهذا ما وجد في قلب من أصيب بالمرض الخبيث ليقدم خلاصة ما استشعره وفهمه من تجربة الصراع مع الداء، وكيف يمكن الانتصار عليه بسهولة ويسر.

فقد علمه المرض الزهد في الدنيا، حتى شعر بأنه غريب أو عابر سبيل كما قال رسولنا المصطفى ﷺ، فالإنسان عندما يبتلى بداء خطير يرى أنه وحيد في هذه الدنيا ولن ينفعه احد إلا عمله باعتبار أنها معركة حياة أو موت، ولكن يتيقن أن هذه الدار فانية، وأن هناك دارًا أعظم منها وأجل قدرًا ألا وهي الجنة.

وعلمه أن الابتلاء يعدل مسار حياة الشارد، فمن يسير في طريقين متناقضين من قول وفعل، يحتاج إلى علامات وآيات توقظه من سباته، وترده إلى ربه، وتذكره بمولاه بعد أن كان غافلاً عنه، وتكفه عن معصيته بعد أن كان منهمكًا فيها.

وعلمه مفهوم الاحتساب، فكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيها الناس احتسبوا أعمالكم.. فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته» وهذا ما يتلمسه في كل وخزة إبرة أو ألم جسدي أو ضيق نفسي.

وعلمه عمليا نصف الإيمان، ألا وهو الصبر، خاصة أن المرض مقدر من عند الله، وهذا مصداقا لقوله تعالى ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (التوبة:٥١)، فعندما يعلم المؤمن أن محبة الله له تكون مع عظم الابتلاء، وأن الله هو الحكيم يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، يرى أن ما أصابه هو عين الحكمة، كما أنه عين الرحمة، وهذا مصداقا لقول رسولنا ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم».

وعلمه معنى مقاومة كل ما ينافي الفطرة السليمة، وكيف يمكن أن تجاهد النفس الشريرة، وتجابه المفسدين، وتحارب المعاصي والذنوب، وتقاوم المنكرات ومداخل الشيطان ومزالق الطريق.

وعلمه أن قيمة الإنسان لا تقاس بمظهره وإنما بجوهره، فبالرغم من شحوب الوجه وتساقط الشعر، فإن الجوهر مازال مرتبطا بالخالق الأحد، وهذا مصداقا لقول رسولنا الكريم ﷺ «إنّ اللّهَ لا يَنْظُرُ إلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (رواه مسلم).

وعلمه الثبات والنجاة في وقت المحن، فلا نعلق القلب بغيره سبحانه، ولا نظن أن المخلوق يملك لنا شيئًا حتى ولو كان أكبر طبيب استشاري في العالم، ولنعلم أن المقادير، وأن الكون كله بيده سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧)

وعلمه أنه في قمة المحن تأتي البشارات الربانية للقلوب برضا الله لتتلاشى معها أشكال البلاء كافة، وهذا ما تحقق للمريض مع اليسر في العملية الجراحية، ونتائج الأشعة والتحاليل، والرؤى المنامية، والاطمئنان النفسي، وسؤال الأحبة والإخوان.

أخيرا هذه المحطات تعلمها من مدرسة المرض الخبيث، وفيها نفحات قلبية ووقفات روحانية للعبرة والعظة، فالبلاء حاصل لهذه الأمة، وخاصة من يقوم بأمر الله ويعمل لدينه، ولكن من أراد أن يحيا كبيرا ويموت كبيرا فعليه أن ينتصر على كل ما هو خبيث وضال.. والله ولي التوفيق.

لغة وأدب

قضية لا تحتمل التسويف

حمى الحق سبحانه وتعالى القرآن الكريم معنى ولغة عندما قال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩)، وبهذا كتب للغة العربية الدوام والحماية من الاندثار والزوال كما اندثرت اللغات الأخرى، وتعرف اللغة العربية عالميا بلغة الضاد، لأنها تنفرد بهذا الحرف دون لغات العالم قاطبة، بالاضافة الى انها تحتوي على حروف الثاء والحاء والذال والظاء والعين والغين وغيرها، وكل هذه الحروف أو بعضها ليس موجودا باللغات الأخرى، فمثلا حرفا الحاء والخاء ليسا موجودين باللغة الإنجليزية. كما تشتمل اللغة العربية على الحركات الاعرابية من فتحة وضمة وكسرة، ولهذا وغيره تعتبر اللغة العربية من أغنى لغات العالم، وتعريب العلوم يعني تطوير واستخدام اللغة العربية لعرض العلوم باعتبارها لغة من لغات العلم والتكنولوجيا كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وهذا يستدعي ترجمة الألفاظ والمصطلحات وتعريب التعليم بحيث تكون اللغة العربية لغة التعليم في كل مراحله.

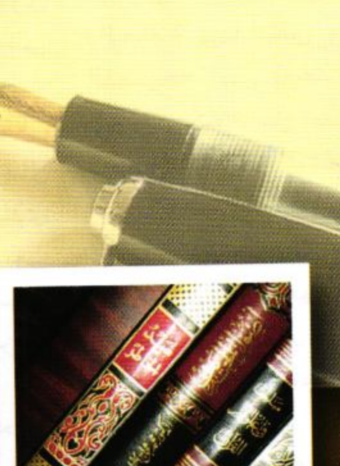
إن الدراسة باللغة الأم خاصة إذا كانت هذه اللغة عريقة كاللغة العربية من شأنها أن تسهل استيعاب المادة العلمية وتخرجها الى ثقافة الجماهير بدلا من أن تظل حبيسة قلة من الدارسين والمتخصصين وهذا من شأنه أن يعمل على نشر العلم بين أبناء الأمة العربية والإسلامية حتى نكسر ذلك الستار الحديدي الذي يعزل المجتمع عما يدور بأروقة البحث العلمي نتيجة تحدث العلميين بلغة أجنبية لا يفهمها سواد الأمة.

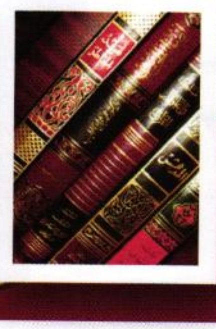
وتعريب العلوم له دور آخر وهو توحيد جهود الأمة العربية نحو هدف سام والالتفاف حوله مدفوعين بهدف واحد ومصير واحد ودين واحد وبالتالي نستطيع الخروج من دائرة التخلف يدا واحدة ونوهن طوق التبعيات الاقتصادية والثقافية والعسكرية التي مازالت تسيطر على أجزاء من الوطن العربي.

إن الجامعات في اليابان تدرس العلوم والتكنولوجيا بلغتها الأم منذ عهد امبراطورها «المايجي».

والصين تدرس بلغتها الأم وفرنسا وألمانيا وإيطاليا كذلك، دون أن يكون هناك انخفاض في المستوى العلمي لأي من هذه الدول مقارنة بالمستوى العالمي.

الشافعي منصور





«اللغة العربية في الإعلام» في مجمع اللغة العربية

محمد عويس

اللغة العربية هي وعاء العصر في كل المجالات العلمية والثقافية والأدبية، بالإضافة الى المجالات السياسية والفنية، حيث يصب في خطاب اللغة في الإعلام كل ما ينتجه العصر ويبدعه من خلال التأليف والترجمة والتعريب والنحت والقياس والاشتقاق والمجاز بصوره المختلفة، وهذا يجعلنا نستشعر خطورة دور تأثير اللغة المستخدمة في وسائل الإعلام إيجابا وسلبا وتعاظمه يوما بعد يوم، ويسعى مجمع اللغة العربية إلى إحداث التوازن المعقول بين عوامل المحافظة وعوامل التجديد، لذا تتوافر تساؤلات عدة: إلى أي حد يمكن ان تتبنى وسائل الإعلام العربية لغة صحيحة سهلة، بعيدة عن التقعر واستخدام المهجور من المفردات والتراكيب؟ وإلى أي حد يمكن مواجهة ما فشا من إعلانات في الصحافة وفي الإذاعة والتلفزيون والفضائيات باللهجات العامية والمحلية؟ وهل يمكن للمجامع اللغوية أن تنسق فيما بينها من أجل استكمال مشروع الرصد اللغوي الوظيفي الذي يمثل اللغة الأساسية في الاستخدام التعليمي التربوي والاعلامي والعلمي والمجمعي؟.. ومن هنا جاءت أهمية مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي (اللغة العربية في الإعلام) في دورته السادسة والسبعين حيث تناولت أوراق المؤتمر المحاور التالية: تأثير وسائل الإعلام في اللغة العربية، وسائل الإعلام والاستجابة الآنيّة لاحتياجات اللغة، لغة الإعلام بين الفصحى واللهجات العامية، مظاهر الحداثة في الفصحى المعاصرة من خلال وسائل الإعلام، لغة الإعلام والتوسع المعجمي للفصحى المعاصرة، دور الفصحى في التعبير عن الهوية العربية من خلال وسائل الإعلام، وسائل الإعلام والإعلان بالعامية وبالألفاظ الأجنبية، أهمية الإعداد اللغوي للإعلاميين على مستوى الدراسة الأكاديمية وفي مجالات العمل.

رئيس مجمع اللغة العربية د.محمود حافظ دعا علماء المؤتمر والمشاركين فيه إلى وضع استراتيجية وآلية للنهوض باللغة العربية والإعلام على حد سواء، والتفاعل بينهما في الاتجاهات وعلى أوسع نطاق، وطالب حافظ بإقامة مؤتمر عالمي للغة العربية تقوم به المجامع اللغوية في الوطن العربي والجامعة العربية وكافة الهيئات والجمعيات اللغوية والثقافية، يتناول بالدراسة والبحث والتحليل حاضر اللغة العربية ومستقبلها، ويضع الحلول لتعود اللغة العربية إلى سابق عزها ومجدها.

شارك في المؤتمر أعضاء المجمع من داخل مصر وخارجها، والأعضاء المراسلون العرب والأجانب، وخبراء المجمع المصريون، وصفوة العلماء الأعلام في اللغة والأدب ومختلف العلوم والفنون في مصر وجميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى كبار الشخصيات العامة المصرية والعربية والأجنبية من الدول المختلفة، منها ليبيا والأردن وفلسطين والعراق وقطر والسودان والجزائر وتونس والمغرب والسعودية وسورية واليمن والكويت وإيران وموريتانيا وإسبانيا وأميركا والمجر وإنجلترا وتركيا وهولندا ورومانيا والسنغال ونيجريا وإندونيسيا والصين وباكستان وأوزبكستان واليابان والهند وأذربيجان وكازاخستان...وغيرها.

ومن الأبحاث التي ناقشها المجمعيون «الإعلام والإعلان» للدكتور عوض بن حمد القوزي من السعودية، والذي أشار إلى أن إعلامنا العربي وقع تحت تأثير الربح والخسارة بفعل المنافسة الفضائية، وانتقال معظم قنواته إلى أيدي القطاع الخاص الذي يسعى إلى الكسب المادي فضحى بالمكتسبات اللغوية، وعرض القيم التي كانت مرعية في المجتمع العربي إلى مباحات عالمية، واتجه في لغته إلى العامية التي تيسر له الرواج فأسهم هذا التوجه في تكوين الحصيلة اللغوية لدى أفراد المجتمع بشكل عام، والأطفال بشكل خاص، ويلفت القوزي إلى أن هذا المكون لم يراع الهدف اللغوي الذي تنشده الأمة، الهدف الذي ينمي الحصيلة اللغوية لدى الناشئة والعامة بما يتفق والعربية الفصيحة التي توحد الوطن العربي كله، بل أسهم في ترسيخ العاميات المنتشرة على طول الوطن وعرضه.

واستعرض عادل نورالدين رئيس معهد الإذاعة والتلفزيون المصري في ورقته واقع وطموحات تدريب اللغة العربية في المؤسسات الإعلامية المسموعة والمرئية، مشيرا إلى وجود مشكلة حقيقية في ممارسة اللغة العربية وتعليمها وتدريسها

صحفي مصري

فـي المنطقـة العـربيـة ترمـي بظلالها على الأداء الإعلامي الـعـربـي بـشـكـل عـام وعلـى مـستـوى الإعـلامـيـين لـغـويا، وتحـتـاج الـى اهـتـمـام ووعـي بأعراضها ونتائجها بالقدر نفسه الـذي تحـتـاج فـيـه إلى علاج مواطن الخلل والضعف، بالإضافة إلى افتقاد معظم هـذه المؤسـسـات إلـى وجـود كتاب الأسلوب Stylebook الذي يُعد مرجعا لا غنى عنه لـكل إعـلامـي وكـل مؤسسـة إعلامية، فهو لا يحدد فقط الـصـواب والخـطـأ فـي كتابة وقراءة اللغة العربية، بل يتسع أكثر من ذلك ليوحد استخدام المـفـردات والجـمـل اللـغـويـة حتـى لا نجـد قـافـلـة يسير كل عضو من أعضائها في اتجاه، وحتى تكتمل شخصية الوسيلة الإعلامية وتتميز عما سواها.

وتـوقـف د.عـبـدالـكـريـم خليفـة رئـيـس مجـمـع اللـغـة العربية الأردنـي فـي دراسته «مـن مـزالـق لـغـة الإعــلام العربي» عند بعض الكلمات والمـصـطـلـحـات الـشـائـعـة الاستعمال فـي لغة الإعـلام العـربـي فـي الـوقـت الحـاضـر من حيث دلالاتها وما تحمله من إيحـاءات، وقدرتها على الإبانـة، وأيضـا على التمويه والـغـمـوض وتغيير المفاهيم والاتجاهات من أجل تحقيق أهـداف خـارجيـة تـعـادي فـي



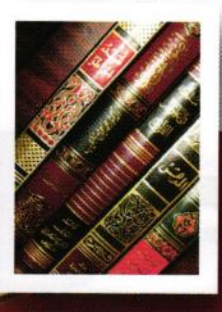
جانب من المؤتمر

جوهرها مصالح الأمة العربية وأهـدافـهـا الأصـيـلـة وقيمها، ومــن هــذه الألـفـاظ لـفـظـة «مـسـتـعـمـرة» وإحــلال كلمة «مستوطنة» مكانها فـي لغة الإعـلام في الوقت الحاضر، والسلطات الصهيونية درجت عـلـى استعمال المصطلحات باللغة الانجليزية«SETTLE» ومشتقاتها««TOSETTLE» و «SETTLEMENT» وتجـنـبـت اسـتـعـمـال «COLONY» ومشتقاتها، كما تحرص جميع الأدبيات العالمية التي تترجم في الوقت الحـاضـر هـذه المصطلحات العربية ولاسيما الانجليزية والـفـرنـسـيـة عـلـى استعمالها بمـعـانـيـهـا وإيـحـاءاتـهـا في الـسـكـن والإقـامـة الـدائـمـة بعيدة عن معنى «الاستعمار»

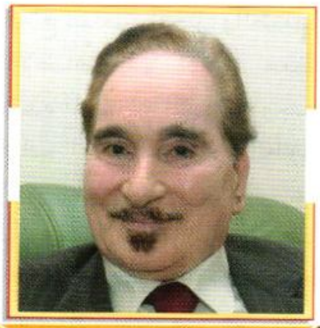
و«المـسـتـعـمـرات» وإيحـاءاتـها التاريخية.

وعـن دور الـفـصـحـى في التعبير عـن الـهـويـة العربية مـن خـلال وسـائـل الإعـلام أشار د.عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسـلامـيـة للتربية والعلوم والـثـقـافـة (ايسيسكو) إلـى دراسة إحصائية حديثة بينت أن عدد القنوات التلفزيونية الفضائية المجانية وصل إلى ٤٧٤ قناة في العالم العربي، وأن عـدد هـذه القنوات قد نما بنسبة ٢٨,١٪، وتصدرت القنوات العامة المملوكة من قبل القطاع الخـاص قائمة الـقـنـوات المجـانـيـة، وتليها الـقـنـوات المملوكة مـن قبل الجـهـات الحـكـومـيـة، وجـل هـذه القنوات لا تحترم اللغة

العربية، ولا تراعي سلامتها وصحتها فيما تبثه من برامج، لـذلـك يـرى الـتـويـجـري أن قيام وسائل الإعـلام العربية بـالإسـهـام فـي نـشـر الثقافة العربية الإسلامية من خلال برامجها المختلفة سيكون له اثـر كبير فـي تعزيز الـهـويـة الـعـربـيـة وتـرسـيـخ مقوماتها في عقول الجماهير العربية، وهذا لن يتأتى إلا بسياسات إعلامية جادة تمنع التسطيح الثقافي واللغو الفني والركاكة اللغوية السائدة، والمسؤولية هنا تقع في المقام الأول على وزارات الإعــلام الـتـي من مهامها الإشراف على العمل الاعلامي في الدول العربية، ولـهـا حـق سـن الـتـشـريـعـات والتنظيمات والضوابط التي تحكم هذا العمل.



اللغة العربية لغير الناطقين بها.. دوافع تعلّمها والصعوبات التي تعترض ذلك



د. محمد أحمد عبد الهادي *

اللغة منة الله العظمى، وميزة الإنسان الكبرى، لها قيمتها في مختلف ميادين الحياة البشرية، وهي الخاصية التي تميز بها الإنسان عن سائر الحيوان، فلغة الإنسان مقرونة بالفكر في إصدار الأصوات وتلقيها، يحكمها العقل وينظم عملياتها ولا يجعلها أصواتًا خالية من المعنى.

وتتطور اللغة وترتقي بتطور نضج الإنسان، ونضج عقله ورقي تفكيره. واللغة بهذا المعنى من خصائص الإنسان وحده دون سائر المخلوقات الأرضية الحية الأخرى، وكما أنها من خصائص الإنسان فإنها غاية منشودة في حياته الفردية والاجتماعية.

منزلة اللغة العربية

تبوأت اللغة العربية مكانة رفيعة بين اللغات، فقد اختارها خالق البشر وعاء الكتابه الخالد، كما أشار إليه قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين.على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٢ -١٩٥).

ومع نزول القرآن المجيد بهذه اللغة أصبحت هي اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين. ومن هنا يمكننا القول بأن اللغة العربية ربطت بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري لفظي، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي بل إن إعجازه منوط باللغة العربية. وأن العربية بقدراتها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة التفاهم بين الشعوب المسلمة في كل مكان وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها.

وترجع أهمية نشر اللغة العربية شرقا وغربا لمجموعة نقاط منها:

- أن اللغة العربية تلعب دورًا مهمًا وفعالا في مواجهة التحديات المعاصرة وذلك لأن انتشارها بين المسلمين المنتشرين في أرجاء العالم يساعدهم على تفهم دينهم ويزيدهم تمسكا بطاقتهم الروحية.
- أن اللغة العربية هي وعاء القرآن الكريم؛ فهي تساعد على توطيد ركن التعارف وتوثيق عرى التفاهم بين أبناء الوطن العربي وبين أبناء البلدان غير الناطقة بها.
- أن اللغة العربية تساعد على التفاهم المتبادل فيما بين المسلمين حتى يتيسر إيجاد تفاهم مشترك يمكنهم من مقاومة التخريب الفكري الذي تمارسه الجهات المغرضة لتشويه تعاليم الإسلام الحقه وتقطيع ذلك الرباط الذي يربط بين أبناء الأمة الإسلامية برباط فكري وروحي.

وهناك طائفة أخرى من الدوافع أدت وساعدت على نشر اللغة العربية منها:



الدوافع الدينية

إن الدوافع الدينية قديمة قدم الإسلام نفسه، وواسعة باتساع انتشاره في مختلف أنحاء البسيطة، منذ مجيء نصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا حتى وقتنا الحاضر.

وبدافع الدين الحنيف يندفع مئات الدارسين سنويا من الدول الإسلامية إلى الوطن العربي لتعلم العربية ابتغاء تحقيق فهم أفضل لتعاليم الدين، وليكونوا بعد عودتهم لأوطانهم علماء دين أو أئمة أو معلمين أو قضاة أو دعاة.

الدوافع العلمية

هذه الدوافع بدأ بعضها

* أستاذ اللغة في جامعة قطر



لولا حفظ الله تعالى للأمة الإسلامية وحفظ عقيدتها لزالت اللغة العربية مع توالي الهجمات عليها

منذ أمد بعيد، ولا يزال مستمرا حتى وقتنا الحاضر ممثلا بالمستشرقين من الدول الأوروبية المختلفة، وبعضها جديد متمثل بعشرات بل مئات الطلبة الوافدين إلى الأقطار العربية من الدول الصديقة النامية في آسيا وإفريقيا للدراسة في كلياتنا ومعاهدنا العليا والتخصص باللغة العربية أو العلوم التطبيقية والنظرية كالهندسة والطب والزراعة، والعلوم الإنسانية كالاقتصاد والإدارة والقانون.

الدوافع السياسية

هي دوافع تخص الكثير من الدبلوماسيين والصحفيين والمراسلين الأجانب المقيمين في الوطن العربي الذين يقدمون على تعلم العربية بهدف تحقيق فهم أفضل للحياة الاجتماعية والسياسية للبلد المقيمين فيه عن طريق الاستماع إلى الناس أو وسائل الإعلام وقراءة الصحف، وقد ينجذب هؤلاء إلى اللغة العربية بشكل يدفعهم إلى التعمق بدراسة الآداب والحضارة والعلوم العربية، ويكونون بذلك في بداية الطريق نحو الاستشراق أو الاستعراب الكامل.

الدوافع الاجتماعية

تتمثل هذه الدوافع في أعداد كبيرة من الزوجات الأجنبيات اللاتي قررن البقاء مع أزواجهن العرب والمعيشة في الوطن العربي بصفة مستمرة، ولتحقيق ذلك نجد هؤلاء الزوجات يندفعن إلى تعلم اللغة العربية لتحقيق قبولهن اجتماعيا، كما تتمثل في الكثير من الأجانب – وخاصة المسلمين منهم– الذين قرروا العمل والاستقرار في الوطن العربي.

إن البرامج المعدة لهؤلاء تركز على الجوانب الاجتماعية في المجتمع العربي المعاصر ابتغاء تسهيل الفهم الأفضل للحياة الاجتماعية والاندماج فيها.

الدوافع العملية

تحت هذه الدوافع نضع نوعيات متعددة من الخبراء الأجانب والفنيين والتجار والعاملين الآخرين في الوطن العربي كأساتذة وأطباء أو مهندسين ممن يتوجهون لتعلم ما يكفيهم من اللغة العربية، خاصة لغة المحادثة وبعض المصطلحات التي تتعلق باختصاصاتهم وأعمالهم، ويميل هؤلاء إلى المطالبة بتعلم اللهجات الدارجة في الأقطار التي يعملون بها، ولكنه اتجاه لا ينبغي إطلاقا تشجيعه لأن العامية لا تلبي أغراض المتعلمين الأجانب على المدى البعيد. ومن هنا وجب اختيار اللغة الفصحى منطلقا لتعليم العربية لغير العرب لأسباب علمية وعملية ومنهجية.

وهنا يثور سؤال وهو: ما هي هذه الأسباب العلمية والعملية والمنهجية التي دعت لوجوب اختيار اللغة العربية الفصحى لهذا النوع من التعليم؟

والإجابة على ذلك ترجع إلى طائفة من العوامل المهمة منها:

– أن العامية تختلف من بلد عربي إلى بلد عربي آخر، وهي صورة من صور الكلام تحمل في طياتها فروقا متعددة، واختلافات شتى، سواء في الحروف أو النطق أو التراكيب الكلامية بحيث تخلو من خاصية الوحدة اللغوية التي تمثل العرب من حيث المجموع كأمة واحدة. ومن هنا تصبح هذه العاميات عاجزة عن سد حاجة المتعلم الأجنبي في الإطار العربي العام.

– أن العمل على نشر العامية في التعليم فيه مجانبة للصواب، ومخالفة للواقع المحسوس، أضف إلى ذلك أن العربية الفصحى إنما هي همزة الوصل بين أبناء الوطن العربي وبين مئات الملايين من المسلمين في البلاد غير العربية لكونها لغة القرآن الكريم ولغة العبادات ولغة العلوم الإسلامية.

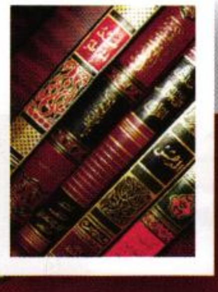
– أن الفصحى تلبي أغراض الدارس الأجنبي وتفي بحاجته على المدى البعيد بحيث يسهل عليه الاستماع إلى أي عربي وفي أي بلد والتفاهم معه في صورة موحدة أو شبه موحدة، فلا يتعب في فهم العاميات المختلفة ذات المسميات المحلية الخاصة ببلد عربي دون آخر.

عرفنا أن اللغة العربية الفصحى هي الوعاء الحقيقي للقرآن الكريم والسنة والعلوم الإسلامية، وعلى ذلك فان الدارسين للغة العربية من أجل فهم القرآن والعلوم الإسلامية سيواجهون مشكلات كبرى وعديدة لو قدمت إليهم اللهجات العامية.

وجدير بالذكر أن اللغة العربية الفصحى لا تزال – بفضل القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وغيرها – تنتظم مجموعة من الخواص الأساسية للغة العربية، فجميع قواعدها ثابتة ومحددة بحيث يسهل فهمها وتناولها والتعايش مع التدريبات اللغوية وفقا لقواعد الإعراب وقوانين نظم الكلام وأحكام الصياغة والتصريف وغيرها.

الصعوبات التي تواجه تعليم اللغة العربية

– منذ القدم واللغة العربية تواجه الدعوات الهدامة التي تريد أن تفت في عضدها، وتقضي عليها، فالشعوبيون أول من هاجم العربية، وتبدل هذا الهجوم على مر الزمن بتبدل العصور، ولولا حفظ الله لهذه الأمة وحفظ عقيدتها لزالت هذه اللغة مع توالي الهجمات،



فكما حفظت هذه اللغة عقيدتنا الإسلامية فان الإسلام حفظها أيضا برغم كيد الماكرين وعنت الشعوبيين الجدد، إذ باءت كل هذه المحاولات بالفشل، ولا تزال لغتنا لغة حية.

- التخلف الحضاري الذي تعانيه الشعوب العربية، فاللغة تنشط بنشاط شعوبها وتحضرهم، وتجمد بجمودهم وتخلفهم، والشعوب العربية اليوم غير ناشطة حضاريا، مما يجعل لغتهم مقصورة ومقيدة بهم، لذا رماها أعداؤها بالعقم والقدم والضعف فتركت حياتها بيد خالقها وهي التي قالت على لسان حافظ إبراهيم منذ مائة عام:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني

عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وتشير إلى العز الذي وصل إليه رجال الغرب بفضل لغاتهم التي أعزوها فأعزتهم، وبذلك أتوا بالمعجزات التي حققوها تفننا لبلادهم، ويا ليت أبناء العربية يأتون بالكلمات:

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة

وقد عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا

فيا ليتكم تأتون بالكلمات

- حداثة المؤسسات التعليمية، مما جعل طرق التدريس في طور الارتجال والتجارب الشخصية، ومقارنة بسيطة بين تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتعليم الانجليزية لغير الناطقين بها تبرز لنا الفروق الواسعة بينهما.

فاللغة الانجليزية بلغت مرحلة متطورة ومتقدمة في مناهجها ووسائلها وموادها، وكل ما يتعلق بتعليمها لغير الناطقين بها، وهذا ليس بغريب لنتاج عمره يتجاوز قرنين من الزمان، بينما لا يزال تعليم العربية لغير الناطقين بها في مراحله الأولية.

- تدني مستوى بعض مدرسي العربية في كثير من بلداننا العربية، مما يمثل عقبة في نشرها صحيحة سليمة، وكذلك الأخطاء الفاحشة والعديدة التي يقع فيها محررو الصحف والمجلات العربية، وكذلك مذيعو المذياع والتلفاز، وبهذا الصدد يقول الشاعر المعاصر وليد قصاب:

وإذا يعلم في المعاهد عالم

أقصيت عن علم له وقضاء

ومذيع أخبار يطيش لسانه

ما ماز سينا قالها من ثاء

وعن الأخطاء التي يقع فيها محررو الصحف قال حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية:

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا

من القبر يدنيني بغير أناة

- ومن الصعوبات التي حرمت لغتنا العربية من أبنائها النابغين الذين قد يسهمون في تطوير وسائل تعليمها وطرق تدريسها، اتجاه هؤلاء الأبناء أنفسهم إلى تعلم العلوم التجريبية، بهدف تحقيق الأهداف المادية وإهمال تعليم اللغة العربية النظرية.

- الزحف الحضاري الغربي، فالتيارات الغربية التي تجتاح لغتنا في عقر دارها، تفسد أذواق أبنائنا، وبشيء من التفكير يستطيع المرء أن يحصي كثيرا من الكلمات الأجنبية المنتشرة في حياتنا اليومية، بل العلمية أحيانا، فنحن نقول «بوتاجاز» ونقول «الراديو» ونقول «التلفزيون» ونقول «التليفون» ونقول «البنطلون» ونقول «ديمقراطية»

كلمات عديدة - ليست عربية - تستعمل في حياتنا اليومية. وهذا مما جعل الشاعر الغيور يقول:

كم زاحمتني ألسن عجمية

وعدت علي رطانة الهجناء

وبهذا الصدد أيضا قال شاعر النيل:

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى

لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة

مشكلة الألوان مختلفات

علاج ومقترحات

بعد هذا العرض الموجز لقدرات اللغة العربية الفصحى، والمعوقات التي تعوق تعليمها، ينبغي لنا أن نبين بعض المقترحات المفيدة، التي تسهم في رفع مستوى اللغة العربية وهي في إيجاز:

١- إعادة النظر في بناء مجتمعاتنا فكريا وحضاريا، وإعادة الثقة لأفراده بلغتهم ومبادئهم ومثلهم، ومنحهم الصفة المميزة لهم.

٢- إعداد معلم اللغة العربية إعدادا سليما علميا وتربويا، والارتقاء بكليات التربية وتمديد فترة الدراسة بها إلى خمس سنوات بدلا من أربع.

٣- إعداد البرامج الإذاعية والمرئية المناسبة لتدريس اللغة العربية وتصحيح الأخطاء الشائعة على ألسنة العامة والدارسين.

٤- السعي على المدى الطويل إلى إحلال الفصحى مكان العامية في لغة التخاطب اليومي.

٥- استخدام النظريات المتطورة في تدريس اللغات، ومدى ملاءمتها للعربية.

٦- التأكيد والإسراع والاستمرار في عمليات التعريب وتهذيب المجتمعات العربية من الكلمات الأجنبية الشائعة.

المراجع

أحمد زكي صالح، نظريات التعلم، القاهرة ١٩٧١

داود عبده، نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا، الكويت ١٩٧٩

محمد أحمد عبدالهادي وزميله، التربية وطرق تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية، جدة ١٩٨٣

محمد أحمد عبدالهادي، المربي والتربية الإسلامية، جدة ١٩٨٤

محمد قدري لطفي، مشكلة ضعف الطلاب في اللغة العربية، محاضرات الموسم الثقافي - جامعة الملك سعود ١٩٧٣

محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية، دار المعارف.

لماذا أحبك؟

أسامة كامل الخريبي ●

أقلب في صحائف ذكرياتي
وأسأل- في غمار الصدق- ذاتي
لماذا كل هذا الحب يجري
بأعماقي ويصدح في لهاتي؟
لماذا يخفق القلب ابتهاجا
إذا ذكر الحبيب على شفاتي؟
وتلمع بالضياء حداق عيني
إذا ما مر طيفك في سباتي
ألست معرفي بالله ربا
تنزه عن ضلال الترهات
وبالإيمان والإسلام دينا
يضم سعادتي و به نجاتي
ألست حبيب رب العرش حتى
لترفع في الأذان وفي الصلاة
وتقرن باسمه في كل أمر
ومفتاح القلوب المؤمنات
وآواك المهيمن بعد يتم
وصانك عن فساد المرضعات
وعن نزق الجهالة في شباب
وعن خرف العقول المظلمات
فعشت مطهرا من كل عيب
وإن عصفت رياح المنكرات
وعشت الصادق المصدوق حتى
ليعنو تحت حكمك كل عات
ألست حبيبه حتى تصلي
بجمع الأنبياء من الهداة
وزادك فوقهم قدرا وفضلا
لتشفع للورى بعد الممات

وتحت لواء حبك كل حي
يريد الخلد في الجنات آتي
ومفتاح الجنان لديك سر
كأسرار الغيوب المحجبات
ألست مرقق الأرواح حتى
تحلق في سموات العظات
وتسمو حول بابك ثم تسمو
لتأتي بعدها بالمعجزات
فلا الشهوات تخطر في خيال
ترفع عن دنايا الموبقات
ولا الآثام تطرق باب عبد
تجرد للعبادة والصلاة
وإن حمي الوطيس فهم أسود
تبث الرعب في روع البغاة
صنعت بهم عبيدة والمثنى
وخالد للبطولة والثبات
لهم منك اقتداء واتباع
وتاريخا من القمم السراة
ألست موجه التاريخ حتى
بدا فجر الحضارة فى الفلاة
وتجتمع القلوب عليك حتى
تثوب إليك من ظلم الشتات
وتغزو بالعقيدة أرض كسرى
وتهزم قيصر الروم الكماة
ملكت حضارة الدنيا فقامت
تصفق للعلوم الشامخات
وزال ظلامها في كل قطر
لتسطع بالنجوم الزاهرات

تسائل كل صقع عن منار
أضاء بعلمه شتى الجهات
وعن حسن وجابر وابن سينا
ومن بعثوا العلوم النافعات
لهم من حب سيدهم نصيب
ومن أثر الوصايا الباقيات
لقد تبعوا النبي هدى ونورا
يبث الروح في قلب الموات
وتنتفض الحقيقة حين يمشي
كأن الخطو من عبق الحياة
وتهتز الحدائق بعد جدب
وتبسم بالشقائق معجبات
فبين مسلم يحنو ويدنو
وبين مظلل لك فى المشاة
وتدنو الشمس في عرس بهيج
بأضواء الكواكب مشرعات
أليس محمد في الكون نورا
تجسد في إهاب المكرمات
يضيء الكون في حلك الدياجي
بأضواء اليقين الناصعات
ويكشف بالهداية عن طريق
إلى الجنات مؤتلق السمات
فأنعم بالنبي رسول صدق
وبالقرآن نبع المعجزات
وزدني يا إله الكون حبا
لآل محمد الغر الأباة
فحب محمد يمحو الخطايا
وحب محمد طوق النجاة

● عضو رابطة الأدب الاسلامي العالمية



الكويت في عيون الشعراء

عبدالهادي صافي *

لكل عاصمة من العواصم العربية والإسلامية بريقها وجاذبيتها ومذاقها الخاص، والكويت هذه المدينة التي تقبع على الخليج العربي، وتمتد إلى جوف الصحراء، وبين البحر والصحراء عمارة وحضارة وتاريخ من الكفاح والنضال من أجل الحياة والبقاء.

وقد كان للشعراء العرب الذين عاشوا على أرضها وقفات في قصائدهم وأشعارهم، فقد رأوها في عيونهم وخيالهم الخصب واحة وملجأ لكل الأحرار في ليالي الضنى والأسى، وحين امتدت براثن الغدر والخيانة، وغزاها جارها بجيشه الوحشي، بكاها شعراء الغربة، ووقفوا معها بكل صدق وإخلاص، يبثونها نوازع الحزن والأسى لما صارت إليه من خراب ودمار بعدما كانت آية من الحسن والجمال، وقد عصفت بها الليالي ودمرتها رياح الجريمة النكراء في أغسطس الأسود.

لقد شارك شعراء الكويت محنتها، كما شاركوها الفرحة يوم نصرها واندحار العدو الغاشم:

في يوم فقدك قد بكيتْ
ولفقدي أمي ما بكيتُ
فلأنت أجملُ ما عشقتُ
وأنتِ أحلى ما رأيتْ
كنتِ الأمانَ لخافقي
في النائباتِ حمىً وبيَتْ

هذه المدينة الطيبة، هذه المدنية التقية النقية، كانت ملاذًا لكل من يبحث عن الأمن والأمان والحرية، ضمت الجميع إلى صدرها الحنون، وهذا أحد الشعراء يوم محنتها يبكي طفل الكويت في أتون محنتها فيقول:

هدْهدي يا كويت ليل الطفولة
فليالي الأطفال باتت ثقيلة
كنت أمنا من المحبة رحبًا
يغمر الطفل بالأماني الجميلة
فأفاقتْ منه الجوارحُ يومًا
ليرى الريح تستبيح الخميلة
ليرى في النهار شمسًا توارت
ويرى الليل كيف أرخى سدولهْ

وأنشد الشعراء أجمل القصائد وأروعها في تخليد مجدها ومآثرها وبطولتها، وصوروا في أشعارهم شجاعة أهل الكويت وبأسهم على عدوهم، كالآساد تدافع عن عرينها:

لا تسأل الآسادَ عن بأسها
أهل الكويت سيوفهم صارمةْ
الطامعون بأرضهم أدبروا
لما رأوا حصونهم راجمة
إن كشر الحاقد عن نابه
تبقى الكويت لغيظها كاظمةْ (١)

ولم يشعر المقيمون على أرضها الطيبة بالغربة والوحشة لأنهم في وطنهم وبلادهم، فشاركوا أهلها العطاء والبناء، يدًا بيد، وجعلوا من الكويت واحة في الصحراء:

ما ذقت في رهف احتضانك غربةً
ما رمت إلا أن يقر فؤادي
فعلى ثراك الخطو صار قصائدي
وعلى خطاك تحققي وجهادي

وهل كانت الكويت بالنسبة للعرب الوافدين مصدر رزق فحسب وبقعة نفط وكفى، يعود على أهلها وعليهم بالخير والنماء؟! أبدًا.. لم تكن في قصائد الشعراء هذه النظرة ولا هذه المعاني المادية، ولكنها كانت لهم مصدر السعادة والحرية، يعملون ويعبرون عن رأيهم بحرية تامة، ويعيشون يكتبون في صحفها بمنتهى الصدق والشفافية، وها هي الكويت تتحدث عن حالها وتصور نفسيتها وواقعها:

أنا لست من رملٍ وماءٍ إنني
من عسجد وزبرجد وقّاد
لا تحسبوني محض زيتٍ أسود
هذي مقولة حاسدٍ حقّاد

وها هي الكويت مرة أخرى تصرح على لسان أحد الشعراء الوافدين وتصف حالها وترسم صورتها واضحة جلية، فهي الصبح والندى للأحرار المخلصين، وهي الموت والدمار إن غزاها الغازي:

أنا بنتُ هذا الصبح رققه الندى
وأنا المنية إن غزاني العادي
عيناي من وهجٍ وقلبي جمرة
من ذا يباري صولتي وجلادي

حقًا لقد لوّنت الكويت أحلام هؤلاء الوافدين بألوان مترفة وخيالات خصبة، لم

* ناقد أدبي

يأت إليها إنسان إلا وقد أحبها، لأنها مدينة الأحلام والرؤى المخضلة بعبير الإيمان الملأى بمنابر الثقافة والعلم والأدب:

أنا قصد أحلام البرية كلها

أنا للوجود حديقة الإسعاد

أنا خفقة التوحيد في قلب الورى

قدسيّةُ الترتيل والأوراد

أنا أمكم.. أنا بنتكم.. أنا أختكم

والعشق محض تميمة بقلادي(٢)

يا لها من مدينة حرّة أبيّة، أهلها يتصفون بالشجاعة والكرم، والوافدون إليها من مختلف أصقاع الدنيا يشعرون فيها بالأمن والاستقرار، ويعيشون في كنفها في سعادة ورخاء، وهذا ما رصدته من قصائد فوّاحة بحب الكويت وأهلها من دواوين ومجلات صادرة في «الكويت»، وكم في الكويت من كتب وشعراء وكم حملت على أرضها من محبين معترفين بفضلها غير ناكرين مآثرها وخيرها وعطائها، وكم عاش على أرضها من شعراء كانت لهم في الكويت صور فنية رائعة، عاشوها في عقولهم وخيالهم ووجدانهم،

أجمع الشعراء الذين كتبوا عن الكويت على مدحها والثناء عليها والاعتراف بفضلها

وكانت لهم معينًا لا ينضب من المشاهد والصور.. فصاغتها قرائحهم شعرًا فنيا راقيًا لا تعوزه الفكرة، ولا يعوزه الوجدان ولا التعبير الفني، والصورة الشعرية في القصائد التي عرضت أبياتًا منها حية تفيض بالمشاعر وتمتزج بالأحاسيس، فهي ليست صورًا لفظية أو مشاهد باردة لا حياة فيها، وإنما كتبَت بنبضات القلوب، وإيحاءات الخيال معًا.

ولكن شاعرًا أراد أن يسدي النصيحة لابن الكويت كي يأخذ طريقه إلى معارج المجد والعلا، فهو يحثه على تحصيل العلم ليخدم وطنه ويبني حضارته.. فبنور الإيمان والقلم تبنى الأمم:

لك المجد يا ابن الكويت الأبي

من الشام ظلك للمغرب

لكي تسترد الكويت الجلال

تقحم بعلمك كلّ مجالْ

خُلقنا لنبلغ حَد الكمال

ونبني الحضارة صحبًا وآلْ

تقوم الكويت بعالي الهمم

وتبني بنور الهدى والقلمْ

بعلمك تغدو أعز الأمم

وتلحق بالركب أهل القممْ (٣)

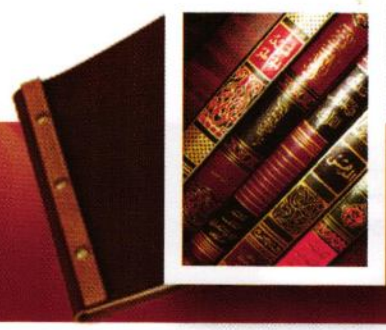
وهكذا نجد أن هؤلاء الشعراء الذين عرضت شيئًا من شعرهم، قد اجتمعوا على مدحها والثناء عليها، والاعتراف بفضلها، وتصوير محاسنها ومآثرها، ولم نجد منهم مَنْ بالغ في وصف شعوره نحوها وأسرف في تقديرها وإنما كانت مشاعرهم صادقة لا يعتريها شيء من رياء ونفاق.. هاتين الصفتين اللتين ما دخلتا الشعر إلا أفسدته وقتلته، وأحس القارئ بالنفرة من هذا الشعر وقائليه.

هل كانت هذه الأشعار خالية من الروح الشعرية، مفتقدة لأهم مقومات الشعر وعناصره وهو التصوير؟! أبدًا فقد جاءت تحافظ على هذا العنصر المهم الذي يكسب الشعر الجمال والجلال، ويخصب عقل القارئ بالاستعارات والمجازات اللغوية والبلاغية، ناهيك عن رصانة الأسلوب، فقد أتت هذ الأبيات يتوافر فيها الأسلوب الشعري الصحيح الذي يوحي ولا يعلن، يرمز ولا يفصح، يبوح ولا يصرح، وهذا ما يميز الشعر من النثر.



الهوامش

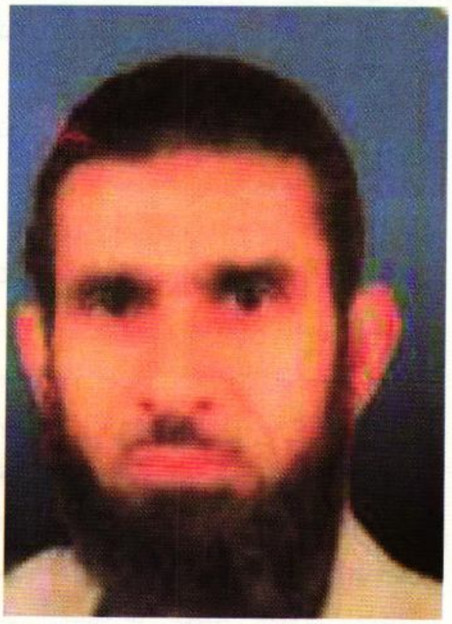
١- ديوان نسيم الصباح، ص و ق صافي.
٢- مجلة الهوية، مختار عيسى.
٣- ديوان مخطوط، محمد دركوشي



شيخ الخطّاطين الأديب محمد أبوقمر لـ«الوعي الاسلامي»:

«الخط العربي» ألبس لغة القرآن ثياب الروعة والبهاء والجمال

حوار/ محمد عبدالشافي



هذا اللقاء مع أديب إسلامي، وشاعر كبير، احترف رسم وكتابة وتجويد «الخط العربي» بجميع أشكاله وألوانه ومدارسه، فبرز فيه، وبلغ غايته، وصار شارة من شاراته، وعلمًا من أعلامه.. وإنْ شئت قلْ: صاحب مدرسة في الخط العربي! لعلّ من أهم أعماله وأشهرها وأخلدها - بالطبع- كتابة «المصحف الشريف» بصورة جديدة وجذابة وعبقرية لم يسبق لها مثيل، مما جعل وزارة التعليم المصرية تعهد إليه بكتابة مصحف خاص بها كيْ تعتمده وتقرره على الطلاب.. ولوْ لمْ يفعل غير هذا الإنجاز الجليل لكفاه! إنه الشيخ/ محمد عبده أبوقمر- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الذي شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الأدبية والثقافية، وأسهم فيها إسهامًا كبيرًا بأشعاره وقصائده، التي اتسمت بجزالتها، وطولها، ونكهتها غير المألوفة لدى المستمع الجيد، والذائق الفهم.. التقيناه لاستلهام رأيه حول رحلته مع الخط العربي، ومسيرته متى وكيف بدأت وماذا جنى من ورائها؟ وسألناه عن شيوخه وأساتذته في تلك المدرسة.. ماذا تعلم؟ وماذا أفاد منهم؟ إلى غير ذلك من التساؤلات.. وإليكم نص الحوار.:

■ ماذا يمثل لك الخط العربي في رحلتك الحياتية؟

- الخط العربي رسالة، وليس مجرد فن رفيع وجميل جدًا، فهو يُلبس لغة القرآن ثياب الجمال والروعة، فيضيف إلى شموخها شموخًا، وإلى جمالها جمالًا، كما أنه يمثل روضًا خصيبًا ومرتعًا رطيبًا للحديث النبوي والشعر وأقوال الحكماء وشتى مجالات الأدب والفكر، كما أن الخط العربي يعتبر تاجًا من تيجان العرب، فهو صرح من صروح حضارة هذه الأمة التي حُسدت ولا تزال محسودة عليه حتى وقتنا هذا، لدرجة أن الخط العربي الآن مستهدفًا من أعدائه، وهم لا يألون جهدًا في محاربته والنيل منه بشتى السبل، ولا يوجد حرف مكتوب في لغة من لغات العالم القديم أو الحديث يستطيع أن يقف أمام الحرف العربي، وقد أُثر أن «بيكاسو» قال: ما رسمتُ خطًا في لوحاتي إلا ووجدت أن الخط العربي سبقني إليه! وقد استطاع الخطاط العربي الفنان أن يكوّن من الحرف الواحد منه لوحة فنية رائعة لا تستطيع العين أن تمر عليها حتى تقف أمامها وقفات، بل وتؤدي فروض الثناء، وتبدي مشاعر الإعجاب، وهذا لا يتأتى لأي حرف غير العربي في كل لغات العالم، وهو الخط الوحيد الذي تعقد له المؤتمرات وتقام له المسابقات وترصد الميزانيات، وتقام له المعاهد وتمنح الأنواط، وتعطى له أعلى الشهادات حتى شهادة الدولة التقديرية التي حصل عليها العديد من عمالقته مثل الأستاذ/ محمد عبدالقادر عبدالله- رحمه الله- والأستاذ/ محمد سعد حداد - أمدّ الله عمره- وغيرهم.

وللخط العربي في التاريخ أعلام مثل: المعتصمي، وابن مقلة، وابن البواب، وغيرهم كثير.. أولئك الذين قعّدوا للخط، وأصّلوه، وطوّروه حتى وصل إلينا على هذه الصورة التي لا أظن أن بعدها مزيد.

فمن أعطاه الله هذه الموهبة فاشتغل بها، عليه أن يعلم أنه صاحب رسالة، وليس فقط صاحب مهنة.. وإذا جلس له فليعد هذه الجلسة جلسة تعبد



لله، ولكن في محراب الجمال والفن، ولا يكتب إلا ما يرضي ربه ويرتاح إليه ضميره ولا يعلن به إلا عن خير.

■ هل بلغ بك الإعجاب بالخط العربي إلى درجة العشق؟

– نعم.. فالخط يُعشق وصماء ينطق وجمال مغدق، الجلوس في محرابه متعة ما بعدها متعة لا تشعر معه بالوقت، فلا ملل فيه ولا كلل، وكلما جودته طلب الزيادة، وإن كانت كل مهنة تصيب بالسأم منها، إلا الخط فهو بحر له أول وليس له آخر، لا يشعر السابح مهما طالت المسافة، فإن غرق فيه فلا يحب أن يطفو فعمقه أجمل من شاطئه، فبينما يجمع الجالس على شاطئه الرمل والحصى والصدف، فإن الغارق فيه يجمع اللؤلؤ والمرجان، فقد رُفع بهذا الفن أقوام.. رفعوا لواءه، وجعلوا منه رسالة ترفع شأنهم في الحياة، وتبقي ذكرهم بعد الوفاة!

■ قمتَ منذ عدة سنوات خلتْ، بكتابة المصحف الشريف.. إلى أي مدى وفِّقت في هذه المهمة الشاقة؟

– حكايتي مع «المصحف الشريف» كانت بدايتها عندما راودتني فكرة كتابته وللعلم فإن جهابذة الخط العربي وعمالقته الذين علّموا الأجيال قد رحلوا عن الدنيا دون أن يكتبوه ولا

مدرسة الخطوط العربية مستهدفة من أعداء الأمة وخصومها التقليديين

يزال على الساحة الآن من إذا شاء الله له أن يكتبه كتبه وربما أفضل مني، فأنا لا أدّعي أنني أحسن من غيري في هذا المجال، إلا أن الأمر يتعلق فقط بتوفيق الله تعالى واختياره واصطفائه لمن يكتب كتابه الكريم ويحظى بهذا الشرف الذي ما بعده شرف لكل من أمسك بالقلم وخط به حرف، ولذلك تجد من كتبوه في مصر لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، ومنهم الأستاذ/ محمد سعد حداد، وهو أفضل من كتبه بعد الشيخ مصطفى نظيف– رحمه الله– فقد كتبه الأستاذ/ محمد سعد حداد ست مرات، أما المهندس/ عبدالمتعال إبراهيم– رحمه الله تعالى– رغم أنه لم يؤت مهارة وفن الأستاذ حداد، إلا أنه كان غزير الإنتاج، فقد كتب المصحف الشريف عشرين مرة على مدى عمره المديد الذي ناهز الخمسة والتسعين عامًا، ومات رحمه الله وهو يكتب النسخة الحادية والعشرين ويحلم بأن يكتب النسخة الثلاثين!

كان عليّ أن أذهب إلى من سبقني قبل أن أبدأ الكتابة على الأقل لأخذ النصيحة وكان أقربهم مني سكنًا المهندس/ عبدالمتعال، فذهبت إلى بيته وعرفته على نفسي وأطلعته على بعض النماذج الخطية للنسخ المصحفي وبيّنت له رغبتي في كتابة المصحف، ولم أكن أتوقع أبدًا ما رأيته من الرجل، فقد وجدت كمية من التواضع والتشجيع لم أرها في إنسان غيره قط، فما إن وقعت عينه على نماذجي والتحقق منها حتى قبّلها بفمه ووضعها على رأسه وقال: كيف تكون على هذا المستوى ولم تبدأ حتى الآن؟! قلت: جئت لأتلقى النصائح والتوجيهات حتى أبدأ وأنا على بينة من أمري، فأطلعني مشكورًا على بعض أعماله وحجم ورقة المصحف وسطورها وأنواع الأحبار وسمك الورق وأشياء أخرى كنت في حاجة إليها، فبدأت وكنت كلما قطعت شوطًا ذهبت لزيارته وكنت في كل مرة أرجع من عنده بذخيرة من التشجيع والثناء والدعاء، وكان رحمه الله دائمًا يقول لي لا تترك كتابة المصحف ولا تتوقف أبدًا، ولا تنظر إلى تسويقه، فكتابة المصحف عبادة، وكنت دائم الاتصال به وهو أيضًا حتى تعرفت على الأستاذ/ محمد سعد حداد أطال الله بقاءه، فلقيت منه من التشجيع والثناء مثل ما لقيت من المهندس عبدالمتعال رحمه الله، حتى أتم الله علي من فضله كتابة النسخة الخامسة، وقد طلبت مني مؤسسة الأهرام، فكتبت لها مصحف الأهرام والذي تقرر على وزارة التربية والتعليم بمصر، ومن فضل الله تعالى أيضًا الآن عندي ما يقرب من ثلاث نسخ من المصحف الشريف جاهزة للتسويق والطبع، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

■ في الختام.. ما هي النصائح التي يمكن أن توجهها إلى جيل الشباب من الخطاطين، أو الذين سوف يسلكون هذا المسلك يومًا ما؟

– نصيحتي لكل خطاط هي أن يتقي الله فيما استأمنه عليه من هذه الموهبة وألا يخط بيده إلا ما يحب أن يراه يوم القيامة ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ...﴾(آل عمران: ٣٠) فالأرزاق مضمونة وهي في السماء، وأن ما عند الله لا يُنال بمعصيته، وأن يجدّ ويجتهد، وأن يجعل لنفسه وردًا من الكتابة يوميًا كورد القرآن الكريم، فكلاهما عبادة، وأن يتواضع لتلميذه كما يتواضع لأستاذه، وأن يداوم التدريب مهما علا شأنه، وأن ينشد الكمال دائمًا، وأن يطلع على الجديد باستمرار وأن يحتسب كل أعماله لوجه الله، فلا يغالي في الأسعار.. فقليل من البركة خير من كثير من المال.

الأسطورة الزائفة

رحيل الصهيونية والبحث عن البديل

د. مصطفى رجب

لم تكن الصهيونية يومًا إلا حركة يهودية تاريخية استغلت شيوع ما يسمى بالمسألة اليهودية وهفت إلى حلها بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» لتعتلي مسرح الأحداث التاريخية المتوترة إبان فترة تكوينها كحركة، ثم يسدل الستار في النهاية بتحقيق الهدف الأسمى، وهو قيام كيان يهودي مستقل بعيدًا عن حياة الشتات التي عاشها اليهود.

فإثر تلك الحروب والنزاعات الداخلية والخارجية التي تقودها الدولة الصهيونية (إسرائيل) راح الأدباء الإسرائيليون يعبرون عن تقييمهم لواقع الأيديولوجية الصهيونية في أي شيء نجحت أو أخفقت، وتميزت الرواية العبرية المعاصرة بلهجة نقدية لاذعة في الكشف عن ضعف الصهيونية وعن ضعف قدرتها على مواجهة التحديات التي تواجهها دولة إسرائيل وعن إخفاقها في تحقيق بعض أهدافها مثل تجميع الشتات اليهودي، وعن إعداد ورثة لجيل المؤسسين وعن توفير الأمن للجموع اليهودية، بحيث أصبحت العلاقة بين الدولة والأيديولوجية الصهيونية في حاجة إلى مراجعة شاملة وتدقيق، واتهمت الرواية العبرية المعاصرة الصهيونية بالفشل وبأنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها الدولة.

عن هذه العلاقة صدر كتاب «الأسطورة الزائفة.. رحيل الصهيونية والبحث عن البديل» تأليف د.عمرو عبدالعلي علام، وهو عبارة عن دراسة نقدية في الأدب الإسرائيلي، أصدرته دار العلوم للنشر والتوزيع، من القطع المتوسط.

يبدأ الكاتب في الفصل الأول الذي يحمل عنوان «تطور العلاقة بين الأدب العبري والصهيونية» بتناول العلاقة التي جمعت بين الأدب العبري الحديث والقضايا اليهودية منذ فترة «الهكسالاة» وحتى نهايات القرن العشرين، فتكلم عن نشأة الصهيونية وأهدافها، وتطور العلاقة بين الأدب العبري والصهيونية.

فقد أسهم الأدب العبري الحديث في نجاح الحركة الصهيونية سياسيًا منذ فشل حركة «الهكسالاة» التي مهدت الطريق إلى ظهور الحركة الصهيونية في ظل قيام بعض الحركات التحررية الأوروبية، فارتبط الأدب العبري الحديث ارتباطًا قويًا بالأحداث السياسية والاجتماعية التي مر بها اليهود عبر الأزمان، وكان مرآة تعكس الواقع النفسي الذي عاشه مجتمع اليهود إثر الأحداث السياسية المتتالية.

وفي حقيقة الأمر لعب الأدب العبري الحديث دورًا هامًا في نقل أفكار الحركة الصهيونية في ذلك الوقت حيث قاموا بتمهيد الطريق للأفكار الصهيونية فأثاروا حمية اليهود عن طريق كتاباتهم، ويمكن القول أنه لولا هؤلاء الأدباء والمفكرون لما نجحت الصهيونية في تحقيق هدفها الأسمى وهو تكوين كيان مستقل في فلسطين، وهكذا حمل الأدب العبري الحديث الفكرة الصهيونية على أكتافه وعبر بها إلى حيز الوجود ليحققا معا حلمهما وهو إنشاء هذا الكيان الصهيوني المستقل حتى نجحا في النهاية في إقامة دولة إسرائيل كدولة يتجمع فيها يهود الشتات، وأيضًا لعب دورًا هامًا في إرساء دعائم هذا الكيان الصهيوني الذي لولاه لتغير وجه التاريخ اليهودي بأكمله، ومن هنا نجد أن العلاقة التي كانت تربط الصهيونية والأدب العبري الحديث كانت علاقة تكامل، فالظروف التي خلقتها الصهيونية لهذا الأدب التي تحدث عنها بن أور- الأديب الإسرائيلي- أدت في النهاية إلى قيام دولة إسرائيل، فالصهيونية ودولة إسرائيل استخدما القدر اليهودي وأحداث النازية كحجة حاسمة لدخول فلسطين.

ولقد كشفت حرب ١٩٤٨م عن الوجه الحقيقي للصهيونية التي أولت اهتمامًا كبيرًا للأهداف الجماعية دون النظر لأهداف الفرد ذاته، وتحولت هذه الحرب إلى فخ نفسي وأزمة نفسية لهؤلاء الأدباء الإسرائيليين، وأصبح الأدب الإسرائيلي ساحة قتال، وأصيب الأدباء بالتخبط خصوصًا بعد أن كشفت الصهيونية القناع عن هدفها غير الأخلاقي وهو تفريغ فلسطين بالكامل من سكانها الأصليين عن طريق الطرد بالقوة ونزع الملكيات وهدم المنازل.

وبعد ذلك جاءت حرب يوليو ١٩٦٧م التي خاضتها إسرائيل ضد ثلاث دول عربية وهي مصر وسوريا والأردن واحتلت على إثرها أجزاء عديدة من أراضي هذه البلاد، الأمر الذي أثقل كاهل النفسية الإسرائيلية للأدباء، فعلى الرغم من الانتصار الذي حققته إسرائيل هذه المرة فإنها أضافت أزمة جديدة في الساحة الإسرائيلية من الأزمات التي تتفجر بعد كل حرب تخوضها إسرائيل، وإثر هذه الحرب اعتلت الأجواء الأدبية في إسرائيل آراء عدة حول قيام دولتهم باحتلال أرض العرب، فكان هناك اتجاه يرى بأن هذه الأراضي التي تم

* باحث أكاديمي

احتلالها هي جزء من أرض إسرائيل الكبرى التي يجب أخذها بالقوة، وهناك اتجاه آخر معتدل يؤمن بأن هذه الأراضي هي ورقة مساومة على السلام داخل المنطقة، ورأي آخر يرفض فكرة احتلال إسرائيل لأراضي الغير وينظر إليها على أنها دولة استعمارية بما يتناقض مع مبادئ الصهيونية وسمت هذه الأراضي بالأراضي المحتلة.

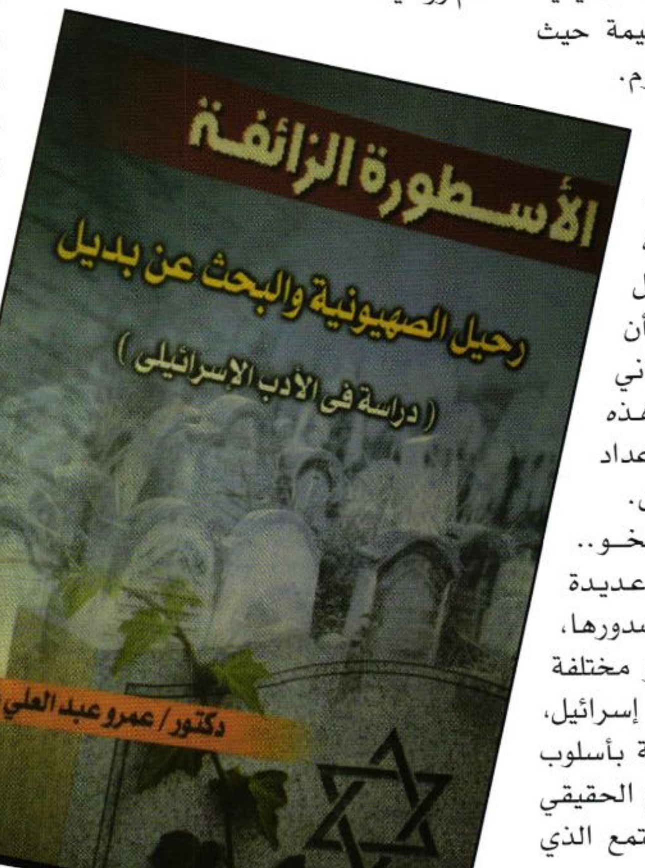
وكان للحروب المتتالية التي خاضتها إسرائيل وخاصة حرب ١٩٧٣م أثرها الكبير في الجو النفسي الإسرائيلي في حدوث تغيرات جذرية والنظر في إعادة تقييم الصهيونية وأهدافها ومساعيها، وبات الجو مهيأ لفكرة التنكر لكل مبدأ صهيوني يسعى لترسيخ مفاهيم العنف والاحتلال وبدا في الأفق أن الوقت قد حان لتشييع الصهيونية إلى مثواها الأخير.

وجاء الفصل الثاني بعنوان البحث عن صهيونية جديدة في رواية مولخو ليهوشواع، ليتعرض فيه لمحاور نقد الصهيونية لرواية مولخو حسب رؤية يهوشواع عن ضرورة البحث عن بديل للصهيونية الكلاسيكية بعدما أصبحت أيديولوجية عقيمة حيث باتت تظهر أخطاؤها يومًا بعد يوم.

حيث كشف يهوشواع عن تحطم بوتقة الانصهار والانخراط في المجتمع المحيط اللذين حلمت بهما الصهيونية، وأصبح النزوح عن إسرائيل في تزايد مستمر شأنه شأن تزايد الصراع الديني والعلماني بداخل إسرائيل، وأصبحت هذه الأيديولوجية غير قادرة على إعداد جيل لورثة المؤسسين في إسرائيل.

لقد أثارت رواية «مولخو.. الفصول الأربعة» ردود فعل عديدة لدى الأدباء الإسرائيليين فور صدورها، وتم تفسيرها بوجهات نظر مختلفة ترتبط بالواقع السياسي لدولة إسرائيل، فلقد صاغ يهوشواع هذه الرواية بأسلوب رمزي وطرح خلالها الواقع الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي، ذلك المجتمع الذي ارتسمت حوله علامات استفهام عدة عن أهداف الصهيونية ومغزاها الرئيسي، فالكيان الصهيوني يتكون من خليط من المجتمعات البشرية التي تفصل بينها خيوط عرقية وثقافية، والآن وبعد مرور أكثر من خمسين عامًا لا تزال فكرة بوتقة الانصهار الصهيونية موضوعة على المحك، فبسبب تعمق الحاخامات في حياة المجتمع الصهيوني خلقوا حاجزًا منيعًا لدى المجتمع الصهيوني من الاختلاط والاحتكاك بالمجتمعات المجاورة الأخرى مما جعل فكرة بوتقة الانصهار يتضاءل أملها في التحقق شيئًا فشيئًا.

تكلم الكاتب بعد ذلك عن مسألة النزوح عن إسرائيل فقال إن يهوشواع عبر عن هذه المسألة وتأصل الشتات في النفس اليهودية وذلك في روايته من خلال شخصية «نينا» تلك المهاجرة الروسية التي لم يمض على إقامتها في إسرائيل سوى تسعة أشهر فقط لم تتأقلم خلالها على العيش في إسرائيل وأصرت على العودة إلى وطنها الأم روسيا.



ولكون الشتات طبيعة متأصلة في النفس اليهودية كما يقول يهوشواع فقد جاءت معظم شخصيات هذه الرواية لتتفق على مبدأ العودة للوطن الأم، ومن هنا كان النزوح عن إسرائيل وتفضيل الشتات على العيش فيها أمرا يحلو لعدد غفير من اليهود، وإذا كان هؤلاء الشُتات يفكرون بأمر الوطن الموحد (إسرائيل) فإنهم يترددون كثيرًا في الهجرة إليه، ولقد أكد يهوشواع في روايته هذا المفهوم إشارة إلى ما يواجهه المهاجر اليهودي من مشكلات داخلية وتضارب قيم وأهداف الصهيونية وكشف هدفها الدنيء باحتلال أراضي الغير مما يجعله يفر وينزح عن المجتمع الإسرائيلي عائدًا إلى وطنه الأم الذي نشأ فيه وتربى على تقاليده.

ولقد عمد يهوشواع أيضًا إلى الإشارة في هذه الرواية إلى افتقاد الصهيونية للبعد الإنساني في حركتها، حيث عمدت فقط إلى جمع يهود الشتات في إسرائيل دون أن تدرك ما يشعر به الفرد المهاجر من وطنه إلى وطن آخر، ويمكن القول أن يهوشواع قد بين لنا كيف تحطمت بوتقة الانصهار عبر النزوح عن إسرائيل والرجوع للوطن الحقيقي، وكيف تحطمت إحدى مبادئ الصهيونية بعدم العودة إلى بلاد الشتات مرة أخرى، وكيف فشلت الصهيونية في صهر جموع اليهود داخل إسرائيل، ونجح يهوشواع إلى حد كبير في التعبير عن هذا الفشل الذي حالف الصهيونية بتأييد معظم شخصيات هذه الرواية للنزوح عن إسرائيل والعودة للوطن الأم (بلاد الشتات)، بعدما تفاقمت المشكلات وانكشف القناع عن وجه الصهيونية الحقيقي.

ثم تحدث الكاتب بعد ذلك عن الصراع الديني العلماني في إسرائيل الذي كان من أهم الأسباب المرسخة لفكرة النزوح عند يهود الشتات فقال فيه: بدأت أبعاد هذا الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين مع نشأة حركة «الهكسالاة»- حركة التنوير اليهودية- التي

هدفت إلى تحطيم النفوذ الديني وسيطرته واستبداده على النفس اليهودية من الداخل، وإلى تحطيم أسوار الجيتو (تجمعات اليهود في بلاد الشتات)، التي كانت تفصل بين اليهود ووجوه الحياة العلمانية في الدول التي كان يعيشون فيها.

وهكذا أصبح الانقسام اليهودي الديني العلماني من أكثر القضايا التي تقلق المجتمع الإسرائيلي وأصبحت أشكال الصراع الدائر بين اليهود الدينيين والعلمانيين في إسرائيل من المظاهر التي تميز طبيعة الواقع اليهودي في إسرائيل، ومن أهم قضايا الخلاف بين الدينيين والعلمانيين في إسرائيل قضية حرمة يوم السبت التي استمرت حتى قال أحد علماء الاجتماع اليهود مناحم فريدمان: إننا أصبحنا نعيش على الجرف، ولم نعد يطيق بعضنا بعضا.

وقد فشلت الصهيونية في إعداد ورثة لجيل المؤسسين ليستكملوا الطريق، وذلك من الأمور التي اهتم بها الأدباء الإسرائيليون وأولوها اهتمامًا كبيرًا في إنتاجاتهم الأدبية، فلقد انتحى مشروع المؤسسين جانبًا وهجر ودمر على يد الأبناء، ومن هنا باءت محاولات الآباء المؤسسين بالفشل في إعداد وريث يواصل الهدف الصهيوني بحماس.

ثم تعرض الكاتب في الفصل الثالث لرواية «رواية روسية» لمئير شاليف، حيث أوضحت الرواية موقف شاليف من القوى الصهيونية وبصورة مباشرة، حيث ترى هذه الرواية أن افتراض الصهيونية بأن هناك حلفًا تاريخيًا خاصًا بين الشعب اليهودي وأرض فلسطين هو ما يكسب اليهود ملكية خاصة وأزلية على هذه الأرض، وهو ما يصفه شاليف بأنه افتراض خاطئ وأسطورة خرافية تجبُّ حقوق العرب الفلسطينيين، حيث إنه لا توجد حقوق مادية للشعب اليهودي في فلسطين كما تزعم الصهيونية وهو بذلك يدحض أسطورة العودة إلى الطبيعة بعودة الشتات إلى فلسطين، وينظر إلى ادعاءات الصهيونية على أنهم أصحاب الحق في أرض فلسطين على أنها أساطير خرافية ابتدعها الصهاينة ليشجعوا الشتات على الهجرة إلى أرض فلسطين (إسرائيل).

وأثبتت «رواية روسية» فشل المشروع الصهيوني على هذه الأرض التي تحولت إلى «مقبرة جماعية للرواد الصهاينة» لتعود وتقوم بدورها الذي كانت تقوم به في الماضي، ويشير لنا عنوان هذه الرواية إلى أنها تتعرض لقصة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على خلفية قصة اغتصاب «يعقوب» للباكورة من أخيه «عيسو» وهو ما أدى لاحتدام الصراع بينهما، ولم يعبأ مئير شاليف بموجة الغضب العارمة التي شهدتها الساحة الأدبية في إسرائيل بعد صدور هذه الرواية.

وفوجئ النقاد الإسرائيليون برواية جديدة لشاليف تواصل تهكمها على المشروع الصهيوني، وتدحض كل الأساطير الصهيونية التي روجت لها لتأتي لنا بعملية تقييم أخرى لكل الإخفاقات التي وقعت فيها الصهيونية على كل المستويات السياسية والأيديولوجية.

ولقد أثرت هاتان الروايتان لمئير شاليف في موقف المؤرخين اليهود مع الأيديولوجية الصهيونية على أنها حركة قومية مثل الحركات القومية الأوروبية التي نشأت في القرن التاسع عشر، ولكنه لم يستطع في نفس الوقت إنكار أنها تختلف عن سائر الحركات القومية الأوروبية في افتقارها لسمة القومية مثل الأرض واللغة.

ثم انتقل الكاتب بعد ذلك إلى مناقشة مسألة الوعد الإلهي بين العهد القديم والحاخامات اليهود فقال إن ادعاءات الصهيونية ترجع الحق الديني لليهود في أرض فلسطين إلى فكرة الوعد الإلهي لليهود بتخصيص هذه الأرض لهم وفقًا لما جاء في العهد القديم من وعود، ويتكرر هذا الوعد مرارًا وتكرارًا في كتب العهد القديم لدى إبراهيم ويعقوب وإسحاق وعيسو... الخ، وفي العصر الحديث اتخذ الحاخامات اليهود ذريعة من أجل شحذ همم الإسرائيليين نحو التمسك بهذه الأرض التي وعدهم الرب حسب ادعاءاتهم، واتخذت فتاواهم منحنى خطيرا في التعامل مع الفلسطينيين أصحاب هذه الأرض بكل قسوة وعنف بحيث أصبح القتل والدمار والتخريب والاغتصاب من أهم الطقوس الدينية لدى اليهود تجاه الفلسطينيين.

ولم يجهد شاليف القارئ كثيرًا في محاولة الكشف عن هدفه في هذه الرواية فقد كان صريحًا ومباشرًا من البداية من عنوان الرواية بأن قضيته الأولى عبر أحداث الرواية هي أسطورة «المقرا» الشهيرة.. قصة عيسو ويعقوب والوعد الإلهي ليعقوب بالأرض التي اتخذتها الصهيونية كمبدأ لحل الصراع ما بين فلسطين وإسرائيل على أرض الواقع، فقد كان موقف شاليف من أسطورة المقرا مغايرًا تمامًا لموقف الصهيونية والمعسكر الصهيوني اليميني المتطرف في إسرائيل، فبينما حسمت الجولة الأولى من الصراع ليعقوب واتخذ اليمينيون الإسرائيليون ذريعة لحل الصراع بكل بساطة، فإن شاليف يحذر في هذه الرواية من الاعتماد على مثل هذه الأساطير التي تحل الصراع بأخذ أحد الطرفين الأرض كلها مشيرًا إلى أن الاعتماد على مثل تلك الأساطير التي تفتقر إلى الحكمة والعقل تنذر بعواقب وخيمة.

ولم ير الكاتب بدا في الفصل الرابع من مناقشة موضوع الصهيونية في ميزان النقد من المنظور الديني الأسطوري في رواية «عيسو» لمئير شاليف، والذي تعرض فيه للصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي لخدمة هدفه في دحض ادعاءات الصهيونية بأن هناك حلفًا دينيًا خاصًا بين اليهود والرب، وشهدت الساحة الأدبية في إسرائيل سجالًا جديدًا بين النقاد حول رواية عيسو، وهدف شاليف من ورائها، وخاصة أنه تعامل مع العهد القديم على أنه مجموعة من الأساطير غير الموثوق فيها،

الأمر الذي من شأنه أن تعرض شاليف لهجوم شرس من النقاد الإسرائيليين.

ويشير لنا عنوان الرواية إلى أنها تتعرض لقصة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على خلفية قصة اغتصاب يعقوب للباكورة من أخيه البكر، الأمر الذي أدى إلى احتدام الصراع بينهما، ويقول الناقد الإسرائيلي هليل فايس، في معرض التحليل لهذه الرواية «إنها رواية تحكي لنا عن التنازل الكبير الذي حدث، والذي لم يكن تنازلًا عن الباكورة فحسب، بل هو تنازل عن المرأة والحب، وعن المخبز والخبز، فهذا التنازل لم يكن فقط عن الأرض (فلسطين) وإنما كان تنازلًا عن الحياة كلها».

فيرجع ادعاء الصهيونية بالحق الديني لليهود في أرض فلسطين إلى فكرة الوعد الإلهي لليهود بتخصيص هذه الأرض لهم وفقًا لما جاء في العهد القديم من وعود، ويتلخص مفهوم هذه الفكرة إلى أن الآباء الإسرائيليين ابتداءً من آدم إلى نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، قد تلقوا وعودًا إلهية، وأن التاريخ الإسرائيلي اللاحق هو المسرح الذي تحققت فيه هذه الوعود.

إذن فكان موقف شاليف من أسطورة المقرا التي تحل الصراع بإبقاء الميراث في يد أحد الأخوين واضحًا عبر صفحات هذه الرواية حوله لإثبات الحق العربي الفلسطيني في هذه الأرض، وسواء كان هذا عن قصد أو عن غير قصد، فقد نجح شاليف إلى حد كبير في إثبات هذا الحق، لاسيما أنه قد طالعنا على لسان بعض شخصيات الرواية بكلمات وجمل وأماكن عربية عديدة تشير جميعها إلى جذرية الوجود العربي في هذه الأرض المقدسة من ناحية، وتدحض أسطورة الصهيونية وتحطمها من ناحية أخرى، وهو ما فعله أيضًا في روايته السابقة «رواية روسية»، لتؤكد من جديد على استحاله انتهاء دائرة الصراع بهذا الشكل.

وأخيرًا ختم الكاتب كتابه بالتعرض إلى رواية «الحالة الثالثة» لعاموس عوز التي تناقش الصهيونية وصراعات القوى السياسية في إسرائيل، فتأتي رواية الحالة الثالثة ضمن الروايات التي تعرضت للصهيونية بالنقد الشديد وإن كانت أكثر حدة من الروايات الأخرى في تناولها للصراع السياسي في إسرائيل ونقده حيث تعبر عن التطورات السياسية المختلفة التي يتعرض لها المجتمع الإسرائيلي خلال فترة وجيزة مما جعله مجتمعًا يفتقر إلى الاستقرار والطبيعة ويختلف تمامًا عن بقية المجتمعات الأخرى .

ويرى عوز أن الصهيونية كانت في الأصل حركة لتحرير النفس اليهودية وليست الأرض اليهودية، ولم تكن الصهيونية بمنأى عن انتقادات عوز لها فقد نظر إليها على أنها المتهم الأول لكل ما آل إليه المجتمع الإسرائيلي من انهيار وتخبط في ظل قيادة اليمين الإسرائيلي تارة واليسار تارة أخرى، واحتوت عريضة اتهامات على كثير من المحن التي ظلت تؤرق هذا المجتمع مما أفقدته هويته وهدفه، حيث تفشى الانحلال الأخلاقي في ظل تعاليم الصهيونية التي انهارت على مذابحها نفسية الشباب الإسرائيلي وجعلته يتشكك ويتخبط في اتجاهاته نحو كثير من القضايا مثل السلام وغيرها...، ولقد ركزت اتهامات عوز للصهيونية على تمسك اليمين الصهيوني ومحاولة فرض برامجها على اليسار بقوة مما خلق حالة من التردد والتشكك في قطاع كبير من المجتمع في جدوى الصهيونية وهدفها لاسيما وقد تزايدت إخفاقاتها في الواقع المعيش يومًا بعد يوم.

فالحالات السياسية السريعة التي يتعرض لها المجتمع الإسرائيلي في ظل قيادة كل من اليمين واليسار مع اختلاف التوجهات بينهما يستلزم حلًا أو حالة ثالثة قد تخرجه من مستنقع التشرذم، قد ردها عوز في إمكانية خلق حالة من الانسجام أو الامتزاج بين اليمين واليسار من خلال حكومات الوحدة الوطنية بالرغم من أنها فكرة أو حالة معرضة للفشل في غالب الأحيان.

كما كان إخفاق الصهيونية في إعداد ورثة لجيل المؤسسين من الأمور التي اهتم بها عوز في هذه الرواية، حيث اهتم بمسألة الميراث ومشكلة المرشحين له من جيل الأبناء، حيث يكمن هذا الفشل الصهيوني في آباء الأسرة الصهيونية الذين أسسوا الضيعة الأسرية التي نمت وتحصنت لتدل على هدف الصهيونية في استخدام الميراث على مدار أجيال عديدة، فلم تنجح نبوءات المؤسس في تحقيق ذلك في الأجيال اللاحقة، وانتحى مشروع المؤسس جانبًا وهجر ودمر على يد نسله بعدما ظهر الوريث المستهدف مستهترًا لا يمكن الاعتماد عليه، ومن هنا باءت محاولات الآباء المؤسسين بالفشل في إعداد وريث يواصل المسيرة بنفس الحماس، وبالتالي فإن مرحلة النجاح في الاستيطان الصهيوني أعقبتها في فترة متأخرة من سنوات قيام الدولة مرحلة الفشل وهي نفس الرؤية التي أكد عليها يهوشواع وشاليف في رواياتهم السابقة.

وهكذا لم تجن الصهيونية من تعاليمها سوى حالة من القلق الوجودي في عالم مليء بالإثارة والعنف، فالأطفال الإسرائيليون لا يعيشون مثل باقي أطفال العالم، فقد ساقتهم الصهيونية للعيش في عالم آخر، ليس عالم الأطفال الأبرياء، فخلقت منهم شبابًا مريضًا يكره المجتمع الذي يعيش فيه، وقد علق الأديب الإسرائيلي أورن على ذلك فقال: «إننا منغمسون في حالة لا مخرج لها منذ أن تعلم الأطفال القتل، فالمرأة تخاف أن تضاجع زوجها حتى لا تلد طفلًا يصبح مثل هذه الأطفال».

وفي النهاية ، في ظل هذه الإخفاقات الصهيونية المتتالية أجمع بعض المفكرين والأدباء على ضرورة رحيل هذه الصهيونية والبحث عن بديل، ورأوا أنه لابد من انفصال الدولة الإسرائيلية عن الصهيونية وبالتالي لقد آن الأوان لتشييعها إلى مثواها الأخير.

الفضائيات الإسلامية ودورها في بناء الشخصية المسلمة

د.عبدالله بدران

يدرك معظم الباحثين أن الاهتمام ببناء الشخصية المسلمة يعني الاهتمام ببناء الأمة الإسلامية ومستقبلها، وأن الإعلام يُعدُّ أنجح الوسائل في تحقيق الأهداف التربوية، إذا استُعمِل بطريقة صحيحة، ولتحقيق هدف واحد، ألا وهو تحقيق الشخصية المسلمة المتكاملة من جميع النواحي: العلمية، والعبادية، والاجتماعية والنفسية، والأخلاقية، والصحية.

ويرى هؤلاء الباحثون أن الفضائيات الإسلامية تؤدي دورا مهما في بناء الشخصية المسلمة، وتسهم في تنمية شخصية المسلم وتعزيز حضورها في شتى المجالات .

وهذا الأمر كان موضوع رسالة الماجستير التي نالت بها الباحثة الكويتية ليلى سعود الخياط شهادة الماجستير من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بإشراف أ.د.محمد منير سعدالدين وتعرضت فيها لنماذج الفضائيات الكويتية بالتفصيل.

وركزت الدراسة على الفضائيات الإسلامية ودورها في بناء وتشكيل الشخصية المسلمة من جميع جوانبها، وبدأت بأنواع وسائل الإعلام الإسلامي المعاصر، ثم تطرقت إلى تعريف الفضائيات الإسلامية، وعددت بعض الفضائيات الإسلامية وأهدافها وخصائصها ووظائفها، ثم بيّنت الصعوبات والتحديات التي تواجهها الفضائيات الإسلامية، وركزت في الختام على نتائج الدراسة الميدانية التي تناولت دور مشاهدة الفضائيات الإسلامية على عينة من المشاهدين من الشباب الكويتيين من طلاب جامعة الكويت.

أهداف الدراسة

قالت الباحثة في مقدمة الدراسة إن الهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو معرفة دور الفضائيات الإسلامية في بناء الشخصية المسلمة، لذا تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف إلى وسائل الإعلام الإسلامي المعاصر.
- بيان أهداف وخصائص ووظائف الفضائيات الإسلامية .
- التعرف إلى بعض الفضائيات الإسلامية في العصر الحديث.
- إبراز التحديات والصعوبات التي تواجهها الفضائيات الإسلامية في عالمنا الإسلامي.
- تحديد حجم مشاهدة الفضائيات الإسلامية.

توصيات الدراسة

رأت الباحثة أن للفضائيات الإسلامية تأثيرا كبيرا ودورا مهما في بناء الشخصية المسلمة، وفي مواجهة الحرب الإعلامية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، كما أن لها أهدافا ووظائف كثيرة ومتنوعة لكنها تواجه تحديات داخلية وخارجية كثيرة تمنعها من أن تكون بالمستوى المطلوب والمأمول منها لتحقق هذه الأهداف والوظائف ولتجذب عددا أكبر من المشاهدين لتؤثر تأثيرًا إيجابيًا عليهم.

ودعت إلى انطلاق فضائية إسلامية شاملة لجميع جوانب الإسلام تمثل الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين، وأن تكون قوية وإيجابية وصادقة وشاملة ومستقلة وواقعية ومتزنة وواضحة ومقنعة وهادفة وعالمية كدينها الإسلام، وأن لا تختص الفضائية الإسلامية بالبرامج الدينية والعبادية والعقدية، بل تحقق جميع وظائف ومهام الإعلام كالوظيفة الإنسانية بتبليغ الدعوة ونشر الرسالة والدفاع عن الدين الإسلامي وتصحيح صورة المسلمين، وتحقيق الوظيفة الثقافية والسياسية والإخبارية والتعليمية والتربوية والترفيهية والترويحية، وأن تؤدي وظيفة الخدمات العامة للمشاهدين وأن تحقق الشورى، وتعبر عن رأي المشاهدين وتحقق وظيفة التمية الخلقية والفكرية والعقائدية والتعليمية، وأداء الوظيفة الاجتماعية لتساهم بوحدة المسلمين وصيانة المجتمع المسلم.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من التوصيات منها:

١- الاهتمام بمحتوى الفضائيات الإسلامية ودعمها وتطويرها لتساهم في نشر الدين والثقافة الإسلامية، ولتؤدي دورها في بناء الشخصية المسلمة.

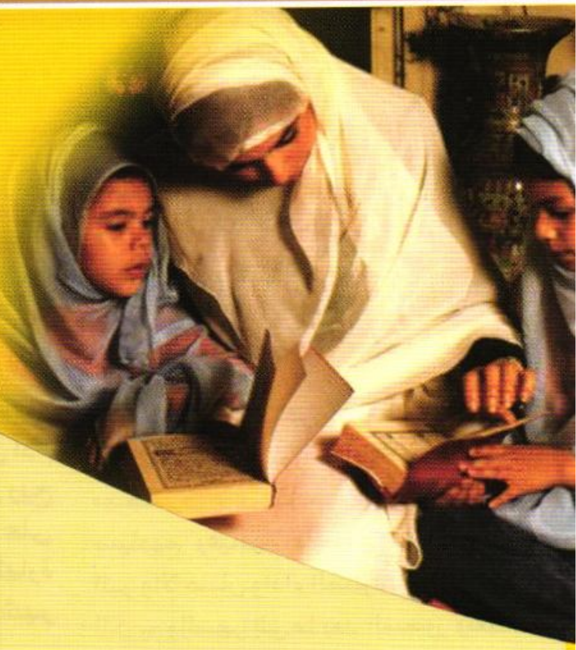
٢- توعية الأسر بالآثار الإيجابية للبرامج التي تعرضها القنوات الفضائية الإسلامية، والترويج لها في وسائل الإعلام المناسبة ليستفيد منها أكبر عدد ممكن من المشاهدين.

٣-إجراء دراسات دورية لتقويم الفضائيات الإسلامية نظرًا لانطلاق العديد من الفضائيات الإسلامية، وتحذير الجمهور من الفضائيات الإسلامية المشبوهة.

٤-تطوير أجهزة الفضائيات الإسلامية والاستفادة من الخبرات الأجنبية البشرية والتقنية المتخصصة، لتساهم بجذب عدد أكبر من المشاهدين.

٥- تشجيع الإنتاج المشترك بين الفضائيات الإسلامية، وإجراء لقاءات مشتركة بين مديري القنوات الفضائية الإسلامية للاستفادة من الخبرات والمساهمة في تحقيق التعاون وتبادل البرامج بين الفضائيات الإسلامية.

• صحافي في وكالة كونا الكويتية



أسرتي

كلكم مسؤول

نظام شهر رمضان يختلف كليًا عن باقي شهور العام، ففيه يجتمع أفراد الأسرة على مائدة إفطار واحدة بعد أن غاب هذا الاجتماع عن كثير من الأسر خلال أيام العام بسبب مشاغل الحياة وهمومها، ولاشك أنها مناسبة طيبة ليقوم الوالدان بدورهما التربوي ويؤديا واجبهما ويقوما به خير قيام، وفي هذا قال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...»

فرمضان فرصة ليعوض الوالدان ما فاتهما من تقصير إن وجد من خلال غرس المفاهيم والقيم الإسلامية النبيلة في نفوس الأبناء حتى يكونوا قرة أعينهما عندما يكبرون، فالعبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركانًا في الإيمان ليست طقوسًا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة ويكلفه بأعمال غامضة وحركات لا معنى لها، بل هي فرائض تعوّد المؤمن أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل مستمسكًا بهذه الأخلاق والفضائل النبيلة مهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال.

إنها مهمة عظيمة يجب ألا يتناساها الآباء والأمهات وهم يعيشون مع أبنائهم أيام هذا الشهر العظيم، حيث شرعت الأبواب لكل من أراد أن يدخل في طاعة ربه ويكسب مغفرته ورضوانه.

سلمان الرومي

المرأة المسلمة وترشيد الاستهلاك في شهر رمضان

رفعت بروبي

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. وقال نبينا ﷺ: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (أخرجه البخاري)، فالصيام عبادة روحية فرضها المولى عز وجل على المسلم والمسلمة ولرمضان دور بارز في راحة النفس البشرية وتهذيبها وطهارة قلب المسلم والمسلمة والزهد عن كل شيء يتعلق بماديات الحياة، كما أنه شهر التسامح والتصالح مع الآخرين.



بالنسبة للمرأة المسلمة في شهر الصوم الكريم عليها ألا تسرف في أمور كثيرة لها صلة وثيقة بأحوال معيشة الأسرة في شهر رمضان المبارك، وحتى في غير شهر الصوم، سواء في المأكل أو المشرب أو الملبس أو الانفاق للمال في غير موضعه، كالإنفاق على المحادثات الهاتفية والاستغراق فيها، وهو ما تفعله بعض النساء مما يعطلهن عن الطاعة والعبادة وأداء الواجبات الأخروية وإضاعة الوقت فيما لا يفيد ولا ينفع.

والإسراف ممقوت في كل شيء حتى مع السعة، فقد جاء التوجيه النبوي الكريم لمن أراد الوضوء بعدم الإسراف في الماء ولو كان على نهر جار، فكيف الإسراف فيما لا نفع فيه؟

ويلاحظ على بعض الأسر المسلمة في شهر الخير والبركة والإحسان تزاحمهم على الحوانيت والأسواق المركزية الكبيرة والصغيرة وإقبالهم الشديد على اكتناز وتجميع ما يحتاجونه وما لا يحتاجونه بشكل لافت للنظر، حتى يخيل لمن يشاهدهم على هذه الحال بأن الشهر الفضيل شهر موائد مليئة بالطعام والشراب التي حرموا منها في الأيام والليالي الخوالي، وأن إمساكهم عن وجبة الغداء تجيز لهم تحويلها الى وجبتين أو ثلاث أو أكثر في أثناء الليل ويتحولون من مخلوقات بشرية عادية إلى مخلوقات «مجترة» لاعتقادهم أن ما بذلوه في صيامهم وقيامهم بالسعي للمساجد والى البر والإحسان وأداء الصلوات وتلاوة القرآن الكريم والسهر إلى ما بعد السحور وبعد أداء صلاة الفجر يحتاج إلى زيادة كميات الطعام والشراب.. مع أن الغرض من الصوم هو الإحساس بالجوع والعطش والإمساك عن أمور أخرى تخدش الصوم لنشعر بمشاعر المحرومين في أوقات الفطر وتلين قلوبنا وتسمو نفوسنا وتصفو إحساساتنا وتزكو أفهامنا وتصح أبداننا وتهذب جوارحنا.

وللصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، وفرحة فطره لا تكون بالاندفاع من منتصف رمضان الى الأسواق والى المتاجر بأرتال بشرية بحجة الاستعداد لهذه الفرحة، فتشتري المرأة كل ما يلزم الأسرة وما لا يلزمها من ملابس وأزياء وبخور، وزهور وحلوى وزينة وأحذية وخلافه وتغيير فرش المنزل، وعمل التجديدات والطلاءات وغير ذلك، وإنما الفرحة تكتمل في قصد السبيل والاقتصاد في النفقة والاعتدال في كل شيء طلبًا لرضا الله سبحانه وتعالى والابتعاد عن نواهيه وزواجره، ولقد أمرنا الله عز وجل فقال: ﴿ولاتسرفوا﴾ (الأعراف: ٣١)

اذن الفرحة ليست في لبس النفيس والغالي وإنما الفرحة في القبول ورضا الله والسعي للفوز بالجنة إن شاء الله تعالى.

جعل الله نساءنا من العابدات الصائمات المقبولات إن شاء الله، وبارك الله لنا في الشهر الكريم وقبله منا على ما يحب ويرضى، ووفقنا فيه للخير من العمل الصالح والعبادة الخالصة وأكرم الأمة الاسلامية بالفتح المبين والنصر العظيم.

• كاتب صحافي

لماذا اليمين وليس الشمال؟

بشرى شاكر

خلال استطلاع أقامته القناة الفضائية المصرية (دريم) لعدد من الأشخاص يسألونهم ماذا يمثل لهم دخول البيت بالرجل اليمنى؟ معظمهم كان ردهم أنها عادة وشكليات وأمور صورية فقط وانه لا يهم دخول البيت باليمين أو بالشمال، وللأسف غالبية من كان ردهم هكذا، كانوا من الفتيات المحجبات! فبتنا نتساءل هل الحجاب هو غطاء للرأس فقط أم قبله إيمان يقيني بديننا الإسلام ودراية بتعاليمه؟

ولكي لا نخوض أكثر في مثل هذا السؤال، نعود لموضوعنا وهو لماذا ندخل البيت باليمين وهل ذلك مجرد شكليات وتقاليد تعارف الناس عليها أم إن ذلك من صميم الإسلام؟

من سنن سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام أن ندخل البيت بيميننا وأن نلقي السلام حتى ولو كان البيت فارغًا، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾، والسلام دعوة للأمن والأمان ويكفي أن من أسماءه الحسنى سبحانه وتعالى «السلام»، ويعد المؤمنين بدخول دار السلام، إذ قال في سورة الأنعام: «لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون».

كما أن من سننه عليه الصلاة والسلام أن يقول: «اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا».

بالعودة للدخول باليمين، أولًا كلنا نريد أن نكون من أهل اليمين، والسنة أن نبدأ بكل شيء حسن باليمين، كدخول البيت ودخول المسجد وعكس ذلك باليسار مثل دخول الخلاء.

ولكن هل لدخول البيت باليمين سبب علمي؟

الجواب نعم، فكلنا ونحن نعود لبيوتنا مرهقين من العمل أو من قضاء حاجاتنا خارج البيت، نعود بسرعة، وأدمغتنا تفكر فيما انجزناه وما نسيناه، وننسى إن كنا قد قدمنا اليمين أم الشمال، ولكن إن عودنا نفسنا على الانتباه لهذه السنة الحميدة فإننا نقف، لنختار الرجل اليمنى لكي نلج البيت، وهنا يحدث الاختلاف، ليس عند الدخول بالتحديد ولكن عند نقطة الوقوف، فالوقوف عند المدخل والتريث، هو أحد النقاط التي باتت تتحدث عنها البرمجة اللغوية العصبية، إذ إنه من قوانينها، أن نتريث بين الحدث والآخر، نقف ونتأمل ثم نبدأ الحدث الثاني المغاير للأول، وهنا الحدث الأول هو العودة إلى البيت من خارجه والحدث الثاني هو دخول البيت والانقطاع عما يدور خارجه.

بمعنى أننا نفصل بين أحداث الخارج، والأحداث الجديدة التي يجب أن تكون بداخل البيت، فالوقوف عند البيت للاستعداد بدخوله باليمين هو في حد ذاته وقفة تأمل وتنصل من مشكلات الخارج، وهمومه للاستعداد لدخول بيت السكن والرحمة والمودة، فلا نحمل همومنا وغضبنا لداخل البيت فما جعل البيت إلا مكان دفء اسري ومبعث طمأنينة وسكن للزوج والزوجة وأبنائهما.

إذن الوقوف عند المدخل للدخول باليمين، هو نوع من الفصل بين مكانين وبين زمنين، وهو ما يسمى بالتحفظ في المكان والزمان، أي تغيير المكان من خارج البيت إلى داخله وتغيير الزمان من الفترة التي كنت فيها خارج البيت إلى فترة جديدة تدخل فيها بيتك لترتاح وتستقر.

إلا أن غالبية الناس باتوا في عصرنا هذا، يصلون الخارج بالداخل، فيتحدثون بعصبية إلى أهل بيتهم بسبب مشكلة عانوا منها خارجًا، دون التفكير في أن هؤلاء لا ذنب لهم فيما حدث، وطبعًا من يقوم بهذا في هذا العصر الذي باتت السرعة والعجلة عنوانه، هو شخص لم يمنح لنفسه فرصة الفصل ولا الوقوف وبالتالي هو شخص لم يدخل بيمينه ولم يستعد لدخول بيته فتساوى لديه المكانين وتساوت أيضًا الفترات والأوقات.

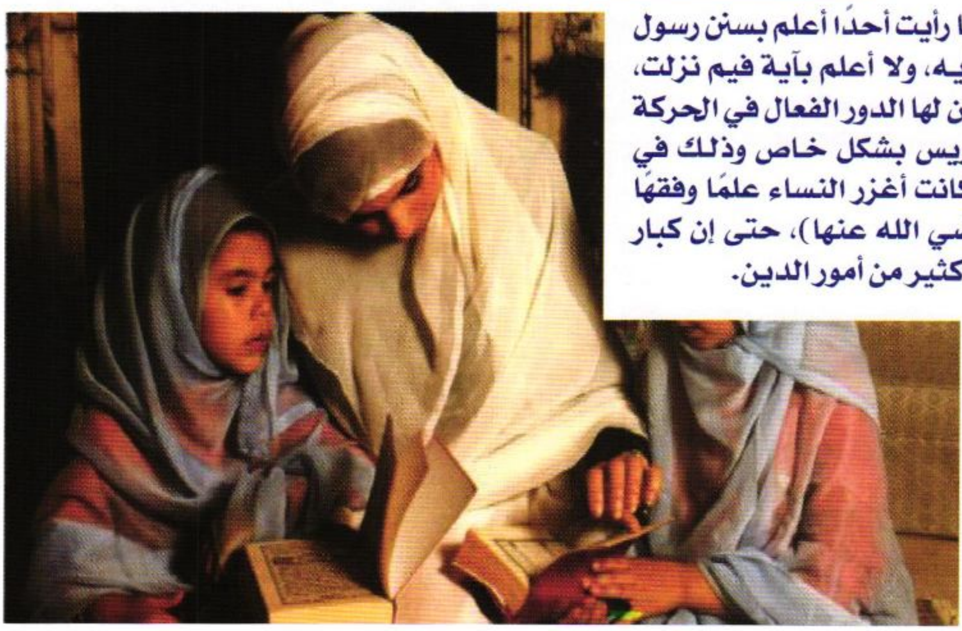
نحن لا نقول أن من يدخل باليمين لا يتحدث بمشكلاته خارج البيت إلى أهله وإنما يكون أكثر روية وأكثر حلمًا وأقل عصبية واستعدادًا لشرح ما حصل له بأسلوب سليم لا يشوبه قلق ولا توتر فينقله لباقي أهل بيته.

الوقوف عند المدخل للاستعداد لدخول البيت، ليس عادة ولا تقليدًا وإنما هي سنة حسنة لخاتم المرسلين ﷺ نقتدي بها ونمشي على نهجها، وهي فرصة لاستعادة رباطة الجأش وهدوء النفس، ويزيد ذلك إن خلا بيتك من الشيطان، فلا طمأنينة ولا سكينة وهو يتربص بك بين أرجاء بيتك، ولذلك يجب أن نذكر الله ونسميه عند دخول البيت، ففي رواية عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، فإذا دخل ولم يذكر الله قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء».

* كاتبة مغربية

دور المرأة المكية في إنعاش الحركة العلمية

ليلى محمد محمد



عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بسنن رسول الله ﷺ ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيم نزلت، من عائشة (١)وتفيد الدراسات أن المرأة كان لها الدور الفعال في الحركة العلمية بشكل عام، ومزاولة مهنة التدريس بشكل خاص وذلك في القرنين السابع والثامن الهجريين، ولقد كانت أغزر النساء علمًا وفقهًا في صدر الإسلام أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، حتى إن كبار الصحابة والتابعين كانوا يلجأون إليها في كثير من أمور الدين.

شهد القرنان الهجريان السابع والثامن اهتمامًا بالعلم من قبل ثلة مباركة من نساء مكة من مثل: عائشة بنت محمد بن أحمد بن علي القيسي المكية، بنت الشيخ قطب الدين القسطلاني، المولودة بمكة والمتوفاة بها ٦٤٣ -٧١٦هـ، حيث سمعت من كثيرين، كما سمع منها بعض طلبة الحديث ونالت الإجازة من بعض المشائخ، وكذلك أم الحسين سعادة ابنة عبدالملك بن محمد البكري التونسي المكي، وقد سمعت في سنة ٧٨٩ هـ من كثير من المشايخ الكبار، كالجمال الأسيوطي، ونالت الإجازة منهم ومن غيرهم.

ومن النساء المكيات اللاتي تولين التدريس والرواية في مكة في تلك الفترة الزمنية من تاريخ مكة، حيث كن يجمعن بين رواية الحديث ودرايته كل من :

- فاطمة بنت طنطاشي بن كمشتكين البغدادية المقرئة المتوفاة سنة ٦٥٠هـ، وقد حدثت وسمع منها الحافظان قطب الدين القسطلاني وشرف الدين الدمياطي ببغداد، وسكنت مكة.

- زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني، سمعت من حنبل في سنة ٦٨٨ هـ، وقد تولت التدريس وازدحم عليها الطلبة.

- عائشة بنت إبراهيم بن أحمد الطائي ٦٤٥-٧١٨ هـ، سمع منها البرزالي (٢)، وإن سماعه منها يدل على علو شأنها، وأجازت لعدد من المحدثين مثل البرهان بن أحمد البعلي الشامي، وقد جاورت بمكة سنين.

- ست الأهل القرشية، وهي من بين نساء مكة اللاتي أجزن بالاستدعاءات أي كتبوا إليهن «استدعاءات» يطلبون فيها إجازتهم (٣).

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد، ان الرحلة لم تقتصر على الرجال، وإنما النساء كن يرحلن أيضا مثل عائشة الطائي، وفاطمة البغدادية، وان كلًا من القسطلاني والدمياطي قد سمعا من عائشة، حيث يعدان من المحدثين البارزين في زمانهما.

ولقد شهدت مكة في هذه الفترة من تاريخها عددًا من النساء المكيات اللاتي تلقين اجازات الشيوخ، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر بعضهن:

- أم ريم بنت علي بن ثاقب، القرشية السهمية المكية التي أجاز لها في سنة ٧١٣هـ الدشتي والقاضي سليمان بن حمزة والمطعم وجماعة من أولاد القاضي جمال الدين بن فهد، وقد توفيت بالمدينة سنة ٧٦٨ هـ.

- أم كلثوم بنت القاضي محمد بن عبدالله من آل فهد القرشية المتوفاة سنة ٧٧٧هـ بمكة، أجاز لها الرضي الطبري وأبوالعباس الحجار وأحمد بن كتندي والقطب الحلبي والدمياطي وغيرهم.

وكما أجاز ابن القاري، وابن عقيل والبهاء بن خليل لـ «أم الحسن بنت أبي الخير محمد بن محمد بن آل فهد، الهاشمية المكية المتوفاة في مكة سنة ٨٢٧ هـ، وأيضًا أجاز لـ «صفية بنت محمد بن محمد المدني» البرهان الشامي وابن ابي المجد عبدالله الحرستاني، وأحمد بن علي بن عبدالحق، وأبوهريرة بن الذهبي وغيرهم.. ومن اللافت للانتباه، ان «خديجة بنت محمد بن حسن بن الزين القسطلاني المكي»، و«زينب بنت يوسف بن إبراهيم بن أحمد المدني» و«كمالية بنت علي بن أحمد الهاشمي العقيلي النويري»، قد أُجِزنَ بالمراسلة، ومن النساء المكيات اللاتي حصلَن على اجازات من علماء الأقطار الأخرى، على سبيل المثال:

١- عائشة بنت محمد القيسي المتوفاة سنة ٧١٦ هـ.

٢- فاطمة بنت الشيخ قطب الدين

باحثة شرعية

القسطلاني، المتوفاة سنة ٧٢١هـ.

٣- ست الكل بنت أحمد بن محمد القيسي القسطلاني - المتوفاة سنة ٨٠٣ هـ.

ولم يقتصر دورهن على انعاش الحركة العلمية في مكة، وإنما شمل اهتمامهن بالحرمين، حيث تركن آثارًا حميدة في البقاع المقدسة، من خلال مشاركتهن في الأعمال الخيرية، ومن أبرز أولئك النسوة:

- والدة الشيخ قطب الدين القسطلاني

لقد اوقفت والدة الشيخ قطب الدين القسطلاني مع جماعة من النسوة، رباط الساحة في القرن السابع الهجري على الفقيرات الغريبات المتدينات.

- أم الحسين بنت شهاب الدين الطبري

أوقفت السيدة أم الحسين بنت شهاب الدين الطبري في سنة ٧٨٤هـ رباط السيدة أم الحسين على الفقراء والمساكين.

- أم الخليل خديجة وأم عيسى مريم

أوقف رباط ابن السوداء سنة ٥٩٠ هـ على النساء الزاهدات المتدينات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب من قبل كل من أم الخليل وأم عيسى (٤)

- ابنة علي بن عبدالله بن عطية الرفاعي

أوقفت ابنة علي بن عبدالله بن عطية الرفاعي رباط عائشة على المقيمات في الرباط.

ولعبت المرأة المكية دورًا بارزًا في الحياة العلمية ولاسيما المساهمات الخيرية في القرنين السابع والثامن الهجري، حتى لقد نبغ عدد كبير من النساء في علوم القرآن والفقه والحديث وغدون معلمات من الطراز الأول ولاسيما اللاتي تصدين للتدريس والرواية، والمشاركة في الأعمال الخيرية.

الهوامش

١- ابن الأثير، أبوالحسن عزالدين علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة (١٩٧٠م) ج ٧، ص ٢٩١.

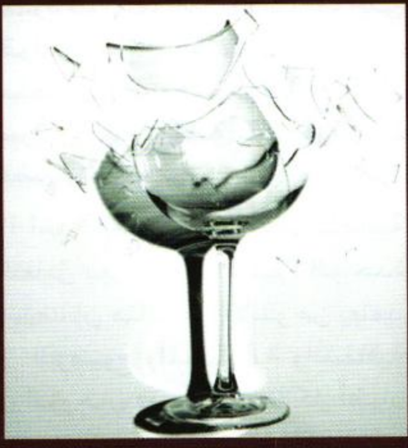
٢- البرزالي يعد من أكابر المحدثين.

٣- أجاز لها في سنة ٧٨٨هـ النشاوري والصردي وابن حاتم العراقي والهيثمي.

٤- ابنتا القائد أبي ثامر المبارك بن عبدالله القاسمي.

لكي يعبر الأبناء عاصفة الطلاق بأمان

أميرة سليمان محمد



الأبناء أعضاء أساسيون في الأسرة، لكن إذا فشلت الحياة الزوجية بين الوالدين فانهم يظلون بحاجة إلى الأب وإلى الأم بنفس القدر، ومن هنا يكون الحديث شائكا عن أسباب الأنفصال والطلاق.

فماذا يجب أن تقوله الأم في هذه الحالة، خاصة أنها تكون غالبًا الطرف الحاضن للأبناء؟، توضح د.علوية عبدالباقي استاذ الطب النفسي للأطفال والمراهقين بجامعة عين شمس أن الأبناء يفهمون ما يحدث حتى لو لم تتكلم معهم الأم، فيكفيهم ملاحظة التغيرات في علامات وجهها وتصرفاتها، لذلك لابد أن تحرص الأم دائمًا على البقاء في حالة من الايجابية والتفاؤل ولابد أن تحافظ على التوازن بين الأطفال في الكلام مع التسليم بأنه من المتسحيل أن تتظاهر الأم بالصبر والهدوء وهي تعاني وتحتاج إلى البكاء والتنفيس بعد انهيار حياتها الزوجية، ولكن يجب أن تكون الأم صبورة لأن أبناءها أحيانا يكررون سؤالهم عن أسباب ما حدث للأسرة، فالأولاد يحتاجون إلى سماع المعلومات مرارًا لترسيخها في الذهن، وتضيف أن الزوجة يجب ألا تتكلم بالسلب عن طليقها أمام أبنائها لأن الأولاد جزء من والدهم وأي انتقاد من أحدهما للآخر يجعلهم يشعرون بأن الانتقاد موجه إليهم شخصيًا، وبالنسبة لكيفية المناقشة مع الأطفال حول هذا الموضوع تنصح د.علوية عبدالباقي بأن تحترم الأم حاجة أولادها إلى مناقشة هواجسهم لأنه أمر طبيعي ولا ينبغي تلافيه وعليها التقرب منهم لأنم يحتاجون إلى سماع الأجوبة ولكن لا ينبغي أن يعلموا بالتفاصيل التي أدت إلى الطلاق فهذه يمكنها أن تحتفظ بها لنفسها وإذا شعرت بأنهم يلحون لمعرفة المزيد من التفاصيل فيمكنها أن تقول لهم بكل وضوح أن هناك أمورًا تتعلق بالكبار وحدهم، وأنه حتى لو كانت مستعدة للإجابة عن كل شيء فهناك تفاصيل لا ينبغي أن تناقشها.

وهناك أمر مهم على الأم أن تراعيه وهو عدم توقع انحياز الأبناء لها تمامًا والموافقة على كل قراراتها لأنه مهما كانت علاقتها بشريكها السابق فعليها أن تتوقع أن يرغب الأبناء في إقامة علاقة جيدة معه وعليها مساعدتهم في ذلك تحديدًا، مطلوب من الأم في حالة الانفصال عدم التحدث مع الأولاد عن المصاريف لأنها مسألة تخص الكبار وحدهم وعليها أن تجنب الأولاد الخوض فيها حتى لو تأخر شريكها السابق في إرسال مصاريف لتظل صورة الأب جيدة في مخيلتهم.

باحثة تربوية

الشفافية والاستقرار الأسري

أ. د. أمان قحيف

كثيرة هي العوامل والأسباب التي تؤدي بالأسرة إلى أن تحيا حياة هادئة مستقرة، وكثيرة ايضا هي العوامل والأسباب التي تنزع من الحياة الأسرية الهدوء والاستقرار، ومن هذه العوامل ما يتعلق بظروف عصرنا وطبيعة مجتمعاتنا المعاصرة، ومنها ما يتعلق بالأسلوب أو المنهج الذي يتعامل به أفراد الأسرة الواحدة مع بعضهم البعض.

إذا أخذنا جانب المصارحة والشفافية في التعامل بين أفراد الأسرة الواحدة فسنكتشف أن هناك من الأسر من يعتمد طريق الوضوح والمصارحة والشفافية لا بين الزوجين فقط، بل بين كل أفراد الأسرة من الأب والأم إلى الأبناء والبنات جميعًا، وهناك على الجانب الآخر نجد بعض الأسر التي لا تطبق هذا الأسلوب ولا تتعامل به، فيحتفظ كل فرد منهم بانفعالاته بداخله ولا يكاشف أفراد عائلته بما يدور في سريرته ولا يتحدث إليهم بما يتولد أو يعتمل في ذهنه من أفكار وخواطر، وشيئًا فشيئًا يتحول أفراد الأسرة- وفق هذا الأسلوب في التعامل- إلى ما يشبه الجزر المنفصلة التي لا يعرف بعضها عن بعض إلا أقل القليل.

لماذا تراجعت ظاهرة المصارحة؟!

كثيرًا ما قرأنا في كتب التاريخ والاجتماعيات أنه كانت تسود الأسر، لاسيما الأسر العربية، روح المصارحة والمكاشفة بين جميع أفرادها من الأب إلى الأم إلى الأبناء جميعًا ذكورًا وإناثًا، غير ان الملاحظ في مرحلتنا الراهنة أن هذه الروح قد تراجعت، بل تكاد تكون قد اختفت وتوارت عن الفضاءات الأسرية خلف العديد من العوامل والمسببات التي نذكر منها ما يلي:

__أولًا: ذيوع وانتشار النزعة الفردية في__ العالم أجمع، فهناك حالة من النزوع إلى الذاتية والفردية- التي تؤدي إلى الانكفاء على الذات والتقوقع على النفس- تسود العالم أجمع، حتى أضحى التواصل الإنساني في أقل صوره وأضعف أشكاله في أوضاعنا الاجتماعية الحالية.. وليس ادل على ذلك من تراجع ظاهرة الصداقة بين الناس، فلقد مرت أزمان على البشرية لم يكن الشخص يستطيع العيش فيها من دون صديق أو مجموعة من الأصدقاء، وكان يمكن التعرف إلى اخلاقيات المرء وقيمه ومستواه العلمي ووضعه الاجتماعي من خلال معرفة أصدقائه، حتى لقد قيل في هذا السياق «قل لي من تصادق أقل لك من انت»، ولقد انعكست هذه الحالة النفسية على شبكة العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، فاتسعت المسافات وتباعدت الخطى بين الأفراد داخل البيت الواحد، ما أدى إلى تغييب وتهميش روح الحوار بين الجميع، فندرت المصارحة وتغيبت الشفافية وتوارت الحميمية إلى حد كبير.

__ثانيًا: تنوع الاهتمامات وتعددها،__ كان السائد في الأزمنة السابقة علينا أن اهتمام الرجل ينصب كله على أفراد عائلته، فهو مشغول بتوفير لقمة العيش لهم، ومشغول بتحقيق مطالب كل فرد منهم على حدة، ومشغول برعايتهم من الصغير إلى الكبير، وكان مجهود ولي الامر في الأسرة موزعًا ومستنفدًا كله في تحقيق هذه المطالب وتلبية تلك الرغبات.

__ثالثًا: تعدد الانتماءات خارج مؤسسة__ الأسرة، تتميز المرحلة الحضارية التي نحياها الآن بتعدد الأنشطة وتنوع الولاءات، وفي المقابل كان الشباب في الزمن الماضي ينتمي إلى اسرته كأقصى ما يكون الانتماء، وكان يصب جل اهتمامه على افراد بيته وعائلته، بينما الحالة الحضارية الراهنة أدت إلى انجذاب الشباب إلى الاهتمام بالعديد من القضايا التي تدور وتحدث خارج نطاق الأسرة، ومن تلكم القضايا ما استحوذ على نسبة كبيرة من اهتمام الشباب وشواغلهم، خذ مثلا مباريات الكرة وانتماء الشباب إلى بعض الأندية دون الأخرى، هذه مسألة انتشرت وتعمقت داخل نفوس شبابنا وشبابا العالم أجمع بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل، لقد اهتم الشباب بمتابعة الفريق المحبوب اكثر من الاهتمام بمتابعة دراسته العلمية او مشروعاته المستقبلية، فالشاب قد يعرف عن حياة لاعبي الفريق الذي يشجعه وينتمي إليه أكثر مما يعرف عن المشكلات الدراسية أو الحياتية التي تواجه أخاه أو أخته أو تواجهه شخصيًا!! ولقد جاء الاهتمام والانتماء للأندية الرياضية ومتابعة النجوم من اللاعبين واللهث وراء أخبارهم على حساب الانتماء الأسري، وبالتالي فقد أثر ذلك بشكل سلبي على مدى الشفافية في تعامل وانتماء الشباب إلى هموم وقضايا أهله وذويه.

__رابعًا: تسارع عجلة الحياة،__ إن أبسط ما يمكن أن تتصف به المرحلة الحضارية الراهنة هو أن عجلة الحياة متسارعة فيها بصورة لم يسبق لها مثيل، وبقدر ما تتسارع حركة الحياة بقدر ما تزداد انشغالات الآباء عن ابنائهم نتيجة لاستحواذ الظروف الحياتية على تفكيرهم واهتماماتهم، وكلما تعمقت هذه الحالة من الاستلاب والانشغال عن الأسرة كلما تغيبت الحوارات داخل المنازل والبيوت،

• باحث أكاديمي

الأمر الذي يؤدي إلى تعميق المسافة واتساع الهوة بين افراد الأسرة الواحدة، وهذا ما يؤدي بالتالي إلى غياب وتغييب الشفافية في التفاهم والتحاور بين الجميع.

خامسًا: قد يؤدي اسلوب التربية القائم على الضغط والتعنيف إلى الخوف او التردد من التحدث في الموضوعات ذات الحساسية او الموضوعات التي يتوقع الشاب او الفتاة أنها ستعرضه إلى مزيد من التعنيف او التوبيخ او ما شاكل ذلك من اساليب اللوم او العقاب وربما التسفيه، الأمر الذي يحتم على الآباء واولياء الأمور الاعتماد بقدر الإمكان على اسلوب الحوار والمناقشة الهادئة، مع الوعي بأن محاورة الشباب والبنات- لاسيما الذين يمرون بفترة المراهقة منهم- تحتاج إلى رحابة صدر وسعة افق، ويكون ذلك كله مصحوبًا بالصبر وضبط النفس، لأن الشاب- او الفتاة- الذي يمر بمرحلة المراهقة يكون في غاية الحساسية تجاه الأوامر والنواهي، وهو جاهز دائمًا للانفعال والتوتر من داخله، الأمر الذي يفرض على محاوره ضرورة بل حتمية التحلي بالصبر وسعة الصدر والتأني قبل اصدار الأحكام أو اتخاذ المواقف.

من هنا يعد أسلوب التربية المنتشر في منطقتنا العربية القائم على السلطة الأبوية هو احد الأسباب والعوامل البارزة التي ادت إلى غياب الشفافية في التعامل بين الآباء والأبناء.

نماذج من المصارحة في القرآن الكريم

وإذا كنا قد رصدنا تراجع ظاهرة الشفافية في التعامل بين افراد الأسرة الواحدة في عالمنا العربي، واذا كنا قد حاولنا وضع أيدينا على اسباب انتشار هذه الظاهرة في مجتمعاتنا، لاسيما بين الأزواج لدرجة جعلت بعضنا يتحدث عن ظاهرة تسمى «الخرس الزوجي»، اذ يصمت كل من الزوجين لفترات طويلة ولا يخاطب بعضهما البعض حتى ليظن المرء أنهما يعانيان من داء الخرس! الأمر الذي يعكس المدى الذي وصلت إليه طبيعة

> **ظاهرة «الخرس الزوجي» أصابت كثيراً من الأزواج في عالمنا العربي ولابد من وضع حلول للحد من نسبة الطلاق**

العلاقات الزوجية في معظم أسرنا العربية، ويحتم على الباحثين والمفكرين تناول تلكم الظاهرة بالدراسة والتحليل، من أجل وضع الحلول العلمية الناجعة لها حتى لا تتفاقم المشكلة وترتفع نسب الطلاق أكثر من المستوى- وهو مستوى مرتفع بطبيعة الحال- الذي وصلت اليه الآن.

والغريب ان تصل مجتمعاتنا إلى هذه الحالة بينما موروثنا الديني يستهجن أسلوب تغييب الشفافية في التعامل، بل يكشف البحث المدقق في القرآن الكريم أن هذا الأسلوب ليس من الإسلام في شيء، بل إن الإسلام يرفضه ولا يقبل به كمنهج للتعامل بين الأفراد والجماعات.

فلقد أشار القرآن الكريم إلى صراحة وشفافية نبي الله إبراهيم- عليه السلام- عندما ذكر أن إبراهيم طلب من ربه سبحانه وتعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى- لاحظ أن سؤال ابراهيم كان عن الكيفية ولم يكن عن شك في مقدرة الله تعالى على الإحياء- قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي...﴾(البقرة:٢٦٠)، وهنا تتضح الشفافية في أسمى معانيها، حيث لم يتردد نبي الله إبراهيم في أن يسأل ربه أن يوضح له كيفية إحياء الموتى، واللافت للانتباه أن الله تعالى لم يوجه نوعًا من اللوم أو حتى العتاب إلى ابراهيم- عليه السلام- جراء هذا المطلب بل حقق له رغبته، وكشف له النقاب عن الأسلوب الذي يلجأ إليه ليدرك بنفسه كيف يحيي الله الموتى، ثم انظر إلى رسول الله ﷺ عندما أسر إلى بعض نسائه بحديث معين فلم تحتفظ به بل نشرته وحدثت به غيرها، بينما هو سر لا يجب التحدث به مع أحد، فأخبر الله تعالى نبيه بذلك، ولم يسكت القرآن الكريم عن تلك المسألة بل عالجها بمنتهى الوضوح والشفافية حين قال الله تعالى ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا، قال نبأني العليم الخبير﴾ (التحريم:٣)، وهنا أيضا تظهر المصارحة والشفافية في أعلى صورها وأسمى معانيها، حيث صارح الرسول ﷺ زوجه بما كان منها وما عرفه عنها، ولم يلجأ إلى المداراة، ولم يخف الأمر في صدره ولم يتكتم عليه.

يضاف إلى ذلك أيضًا ما ورد في القرآن الكريم من أوجه العتاب للنبي ﷺ، فهناك بعض المواقف التي عاتب فيها ربنا سبحانه نبيه الكريم نحو قوله تعالى ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى﴾ (عبس:١-١٠)، وهناك من صور الشفافية أيضًا أن القرآن الكريم كان واضحًا في توجيه النبي ﷺ حيث تعامل معه بدرجة عالية من الشفافية والوضوح في مجال الإرشاد والتوجيه، نحو قوله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

الخلاصة

هكذا يتأكد لدينا بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام أراد من المسلمين التحلي بالمصداقية والشفافية داخل الأسرة، ولا يعني ذلك عدم التركيز على التعامل بوضوح وشفافية خارج هذا النطاق الأسري، بل المسلم مطالب بذلك في كل المواقف وجميع الأوقات، لأن الإسلام هو دين الفطرة، ودين الوضوح، ودين الالتزام في القول والعمل.

ثقافة الزوجة.. تجدد وارتقاء

محمد إسماعيل

إن العلاقة الزوجية الناجحة من أهم أسباب سعادة الزوجين واستقرارهما، ومصدر خير لهما وللمجتمع من حولهما، ولذا فإنها تستحق منا أن نوليها من العناية والرعاية ما تستحقه.

ورغم أن أية علاقة بين طرفين يتحقق نجاحها واستمرارها بدعم من هذين الطرفين، فإن المرأة المسلمة التي تعرف حق ربها وحق زوجها ستبقى هي الطرف الأحرص والأقدر على الارتقاء بنفسها وبأسرتها إلى الآفاق الأكثر سموًا؛ شعورًا وسلوكًا، يحدوها إلى ذلك علمها بقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (الشمس: ٩)، وقول النبي ﷺ «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» (رواه الترمذي وابن ماجه)، كما أنها تعلم أن الزوجة هي ربة البيت وملكته، ومسؤوليتها في رعايته، والعناية به، والارتقاء به- هي من ألزم واجباتها، وأكثرها أهمية، وأبعدها أثرًا في رضا ربها ومن ثم زوجها، وضمانة أكيدة لتماسك أسرتها وصلاحها، قال ﷺ «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» (متفق عليه).

إذا كنا نتحدث عن تميز ما نَنشده، وسعادة أكبر، ومزيج من وهج الهناءة والتألق في علاقتنا الزوجية، فهذا يتطلب منّا مزيدًا من البذل والعلم.

إذ كلنا يعلم، أو ربما يسمع، عن كثير من تلك العلاقات الزوجية التي كانت متوهجة متنعمة، فانطفأ وهجها، وكانت ممتلئة حيوية وحبورًا، فغَدتْ خالية الوفاض منهما، ذلك أن مضي الحياة الزوجية على وتيرة واحدة يولد الملل، حيث لا جديد يستحق الاهتمام، فيحصل مع مرور الوقت لدى الزوجين درجة من التشبُّع، فكل منهما عرف الآخر معرفة كاملة، فيصل الزوج إلى قناعة بعدم جدوى النقاش أو النصيحة؛ لعلمه سلفًا بحدود زوجته المعرفية، وطاقتها الثقافية، فيصبح التصلب والصمت هما سيد الموقف (١)، ويرى الزوج أن السكوت أجدَى عليه من حديث يدرك أبعاده ومنتهاه، بل وربما انعدام جدواه، حتى ولو كان محتاجًا للرأي والمشورة، أو استلهام حلول لمشكلة تؤرقه، أو انسجام تفاعلي يلائم مستواه الثقافي المعرفي، ولا شك أن هذا الصمت سيُفسر من قبل الزوجة بتفسيرات لعل أقلها سوءًا لن يكون جيدًا في انعكاساته على راحتها النفسية، فضلًا عن تفجيره للعديد من المشاكل التي ليس لها من مسوغ معقول أو مقبول.

وليس من دواء أنجع ولا أنجح لمثل هذه الحالات إلا أن تعلو قدرة أحد الطرفين على استشراف وملامسة آفاق الطرف الآخر، وإثارة شهيته وإعجابه؛ للانطلاق به إلى حيث يحب ويرضى.

مضي الحياة الزوجية على وتيرة واحدة يولد الملل

أو بمعنى أخص، وهو ما يهمنا هنا، أن تثبت الزوجة أن إمكانيات التجديد والتغيير ما زالت موجودة، وأن قدرتها على الإبداع لم تَجِفّ بعدُ، ويتجسد هذا في مقدرتها على إتحاف الزوج ومفاجأته بين كل حين وآخر بتغيير ما في رأيها، أو مواقفها، أو تفسيرها تجاه بعض المسائل أو الأشخاص أو العادات نحو الأفضل والأجود (٢).

وثقي بأنك إن جربت هذا الأمر وأشَعْته في حياتك الأسرية، فسوف تشعرين بأنكِ تولدين من جديد، وستلوح لك في الأفق طيوف عيش مختلف أكثر إشراقًا وتجديدًا، وحيوية وسعادة.

خطوات عملية لحياة أسعد

ولتحققي ما سبق يمكنك البدء التدريجي في الاستفادة من الإرشادات التي نوردها في النقاط التالية:

١- القراءة أفضل بداية:

قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق:١) فالقراءة نعمة عظيمة، وهي من أعظم وسائل تكوين المعرفة الإنسانية، وأفضل طريقة لتحسين التفكير، وإمداد القارئ بأمداء لا محدودة من القدرات العقلية والروحية، ولا يتأتى هذا للزوجة المسلمة بالقراءة في مجال واحد، بل تفتح نوافذ فكرها وعقلها، لتقرأ في شتى الكتب والمجلات العلمية والأدبية والثقافية، لتُلمّ من كل شيء بطرف، ما يوسع أفقها، وينشط ذهنها، وينمي ملكاتها، وسيكون من نافلة القول هنا التنبيه إلى أهمية تكوين مكتبة في المنزل تضم طائفة نافعة من الكتب والمجلات النافعة والمسلية في ألوان مختلفة من المعارف.

ولئن كانت القراءة المتنوعة مهمة، فإن متابعة الجديد من الأخبار والمبتكرات يعد رافدًا حيويًا في بناء شخصية المسلمة المثقفة، فمثل هذه الأمور تشكل وعيًا أعمق، ومعرفة أكثر، وفرصة أوسع لحديث نافع وجديد، وربما مبهر، كما أنه يعد وسيلة لاكتشاف إمكانات مخبوءة لديك تستطيعين بها إسعاد الزوج، أو مَن يَهُمُّه أمرهم، وسيكون من أسباب سعادة كثير من الأزواج أن يجدوا لدى زوجاتهم المعرفة بآخر الأحداث، والقدرة على تلخيصها بشكل جيد، والوعي بمضامينها، ما ينعكس إيجابًا بمزيد من الثقة والتقدير، والشعور بالتأنق لدى الطرفين، ويمكن للزوجة أن تحقق ذلك من خلال:

◆ باحث مصري

أ- متابعة نشرة إخبارية يوميًا قبل رجوع الزوج من العمل، وتلخيصها سواء بالكتابة أو حفظًا.

ب- متابعة بعض البرامج الثقافية الجادة والهادفة التي تتناول أحدث القضايا بأسلوب علمي، بحسب المتاح من وقتها.

ج- الاشتراك في مجلة ثقافية علمية أدبية، شهرية أو أسبوعية، أو استعارتها من بعض الصديقات أو الجيران.

د- الاطلاع على أحدث خطوط الموضة وفنون الطهي، وأحدث المبتكرات والاختراعات، والاستفادة من الملائم منها.

٢- الاستفادة من التقنيات المعاصرة:

تعد القدرة على استخدام التقنيات الحديثة وتطبيقاتها إحدى أهم العلامات التي تميز الإنسان العصري عمومًا، والمثقف خاصة، وبالتالي فإن جهل الزوجة المسلمة العصرية بإمكانات وبعض استخدامات الحاسوب والإنترنت، ستكون دليلًا على تأخرها عن ركب عصرها، كيف لا وقد صار الأطفال دون السابعة قادرين على استخدام الكثير من هذه التقنيات، والتفاعل معها بسهولة ويسر؟!

ولست أعني بالقدرة هنا أن تتعلمي التعامل مع هذه التقنيات- أيًا كانت- لمجرد التعرف عليها، وإمكان استخدامها فقط، بل المراد أن تتفاعلي معها في حدود المستطاع؛ للاستفادة من إمكاناتها الهائلة وقدراتها اللامحدودة في تعلم كل جديد، واكتشاف كل مفيد ما أمكنك ذلك، لتنفعي نفسك وأسرتك، وتكوني مهيأة دائمًا لإفادة زوجك، أو استكمال ما يبدو لك من نقص في معارفك حول بعض القضايا أو الأحداث، فتبقي بذلك على صلة دائمة بجديد عصرك ومستجداته، مما يمنحك تألقًا مستمرًا، وتجددًا دائمًا في عيون زوجك وعقله.

وقد تعددت مراكز التدريب والتطوير والتعليم، فمهما أمكنك أن تضيفي جديدًا إلى مهاراتك وخبراتك فافعلي، ومن ذلك مثلًا:

أ- الانتظام في دورة لتعلُّم تطبيقات الكمبيوتر.



ب- الالتحاق بدورة لاكتساب مهارات التعامل مع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والاستفادة منها.

ج- الإلمام بلغة أجنبية سواء عن طريق الالتحاق بمعهد خاص، أو دورة ما، أو أقراص CD، أو سوى ذلك من الوسائل المتاحة.

د- متابعة الدورات التي تعنى بتربية الأولاد، وأفضل الطرق لتعليمهم، وتنمية مهاراتهم، واكتشاف قدراتهم واستثمارها.

٣- الاستشارة إنارة:

مهما زادت قدرتنا على الاطلاع والقراءة والفهم، فإن نظرتنا للأمور ستبقى جزئية، وسيبقى إدراكنا لها منقوصًا لأسباب عديدة، بعضها موضوعي، لكن لكي تكون نظرتنا أشمل، وفجوة النقص أضيق، ينبغي أن نستخير، لأن العلم المطلق بما فيه المصلحة والخير هو لله وحده، كما أن علينا أن نستشير، لأن فوق كل ذي علم عليم، وصدقت الحكمة القائلة: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

ولعل هذا ما يفسر لنا سر الشعور بالحاجة الدائمة إلى من يساعدنا على تكوين رؤية أعمق وأشمل لما يجري من حولنا، أو لما يصيبنا نحن أنفسنا من حيرة، أو إحباط، أو انعدام اتزان في بعض الظروف والأحوال، وهذا في الحقيقة لا يتم بكثرة سماع الأخبار، أو القراءة، وإنما من خلال ما توفره الخبرات العميقة لدى أولئك الأشخاص الذين يتميزون بأنهم أكثر خبرة، وأعمق فكرًا، وأنضج فهمًا، وهذا ما يعني ألاّ نكف أبدًا عن استشارة الأعلم والأكثر خبرة، خاصة فيما يتعلق بأسرار النجاح، وفيما يُشكل علينا من الأمور، ويُعين على توفير بعض المعلومات حول بعض القضايا.

٤- حضور الندوات والمحاضرات:

يمثل حضور بعض الندوات أو المحاضرات المتعلقة بقضية من القضايا أو مسألة ما، أحد عوامل إزالة الغموض الذي يكتنف هذه القضية أو المسألة، ورؤية الأبعاد المختلفة لها، والعلاقات المتشابكة بينها وبين قضية أخرى، ما يشكل لعقولنا ووعينا حماية من نظرة البعد الواحد، أو الاستسلام لسلطان الشائعات، أو الظن والهوى في التعامل مع هذه القضية أو تلك المسألة، وسيكون من المفيد في هذا الصدد التركيز على الندوات والمحاضرات التي تولي عناية خاصة للعلاقات الزوجية، وكيفية التعامل مع الزوج، فمن غير المقبول أو المعقول أن تفقه الزوجة المسلمة الكثير من الأمور والشؤون، ولا يكون في مقدمة ذلك وفي أولويته علاقتها الدائمة بزوجها، وأسباب نجاحها، وهي مسؤوليتها الأولى، وواجبها الأول والألزم شرعًا وعُرفًا.

الهوامش

١- عصرنا والعيش في زمانه الصعب، د. عبدالكريم بكار، دار القلم- دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٣١٧، بتصرف.

٢- عصرنا والعيش في زمانه الصعب، د.عبدالكريم بكار، دار القلم- دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٣١٧، بتصرف.

أسرتي الرمضانية.. كيف أرعاها؟

منى السعيد الشريف

رمضان ضيف عزيز، وشهر كريم، فيه تقال العثرات وتنهمر الرحمات، وتنعم الأسرة المسلمة بأجواء إيمانية ذات مذاق خاص، وتواصل اجتماعي متميز، تستعيد فيه الكثير من القيم والسلوكات الإيجابية والمشاعر الدافئة التي ضاعت منا في «زحمة» الحياة، ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نولي هذا الشهر عناية خاصة تليق به، ونتعامل معه على أنه شهر عبادة وتجديد لا شهر طعام وتبديد.

للقدوة دور كبير في تربية وتوجيه أبنائنا، خاصة في شهر رمضان حيث التواصل الاجتماعي فيه أكبر من أي شهر آخر، فلابد أن يلاحظ الصغير فينا التميز الخلقي والسلوكي الراقي كأحد مكاسب صومنا، وألا نجعل الصوم مبررا لعصبيتنا أو تضجرنا من أقل شيء، ولنعلم جيدا أننا بسلوكاتنا السلبية نرسخ في أذهان أحبابنا الصغار مفهوم ارتباط رمضان بالتشنج والتوتر تحت ذريعة أننا صائمون، ومن ثم يفقدون الإحساس بميزة هذا الشهر وتفضله على سائر الشهور، بل ربما يكرهون قدومه.

لا يدرك الطفل حتى سن الخامسة تقريبا ما تعنيه الفرائض الدينية ولا ما يعنيه شهر رمضان، لكن يمكننا الاستفادة من قدرة الطفل الخصبة على التخيل في هذه المرحلة العمرية ونساعده على توسيع مداركه وترك العنان لخياله مع الأنوار والزينات الملونة في كل مكان، واجتماع الأسرة كلها على مائدة طعام واحدة في موعد محدد كل يوم، كل ذلك يعد فرصة طيبة لتعميق العلاقات الأسرية واستمتاع الأبناء بالدفء الأسري الذي تسببت ظروف الحياة في حرمانهم منه باقي شهور السنة.

إن رمضان فرصة سانحة- أخي المربي وأختي المربية- لتدرب ابنك فيها على الصيام، الذي يعلمه الصبر والإرادة، ويرفع في نفسه قدر العبادة، وبالصيام نبدأ؛ لأنه عنوان هذا الشهر المبارك، وكما هو معلوم أن السن التي يجب فيها الصوم شرعا هي سن البلوغ، أما الوقت الذي يطالب فيه الطفل بالصوم قبل البلوغ هو سن الإطاقة، بمعنى قدرة الطفل على الصوم دون أي مضاعفات تضره، وهو يختلف باختلاف البنية الجسمية للطفل، وقد حددها بعض العلماء بعشر سنين، قال الخرقي: وإذا كان الغلام له عشر سنين وأطاق الصيام أُخِذ به، قال ابن قدامة: يعني أنه يُلْزم الصيام ويؤمر به.

وقد نصّ أهل العلم على أن الولي يَأمُر من له ولاية عليه من الصغار بالصوم مِن أجل أن يتمرنوا عليه ويألفوه، وتنطبع أُصول الإسلام في نُفُوسهم حتى تكون كالغريزة لهم، ولكن إذا كان يشق عليهم أو يضرهم فإنهم لا يلزمون بذلك، ولا يشترط أن يصوم الطفل الشهر كله في البداية أو يصوم اليوم كله إلى نهايته، بل يتدرج معه فهو لم يبلغ سن التكليف بعد.

يمكن للآباء تشجيع أبنائهم على الصوم بوسائل متعددة، أهمها توضيح ثمار الصوم في الدنيا والآخرة، وتارة بالهدية وشراء ما يحبون، أو بالثناء عليهم وتشجيعهم، أو التنافس الشريف، وكذلك الحال في تلاوة القرآن الكريم، وإعطاء الصدقات،

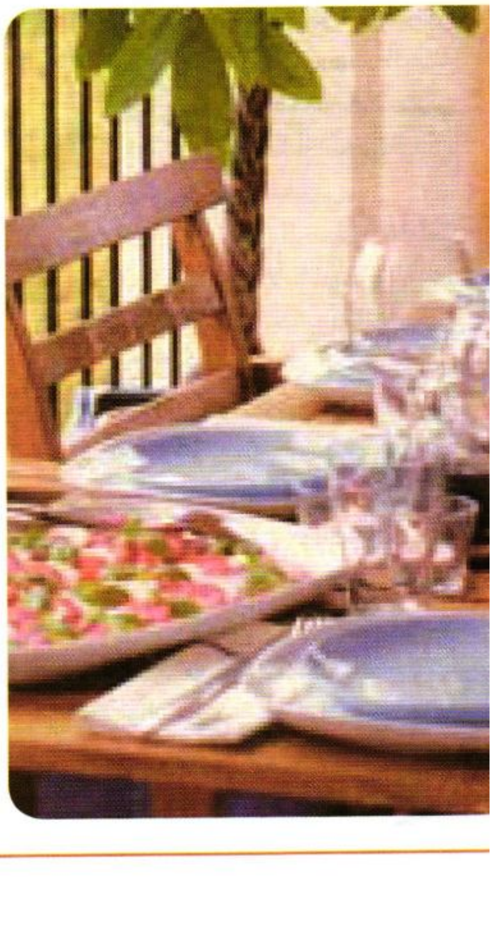


استشارية أسرية

والانشغال بالذكر، وإفطار الصائمين، وصلاة التراويح والتهجد، مع توفير الأشرطة السمعية والمرئية والبرامج الثقافية الرمضانية الجذابة المبرمجة على الحاسوب أو غير ذلك من الوسائل المطبوعة وغير المطبوعة.

من الأسس التربوية التي يجب على الآباء والأمهات مراعاتها في تحبيب العبادة إلى نفوس الأولاد أن يكون الدافع إلى العبادات حب الله تعالى، فهذا أجدى من الحافز المادي، أو بريق الثواب ولهيب العقاب، فالمربي الناجح هو الذي يؤثر في أطفاله، حتى يحبوا الله عز وجل، ومن ثم يعبدونه، لأنهم يحبونه، فالأطفال مفطورون على كره العقاب، فإذا أحبوا الله عبدوه بحب، وليس معنى ذلك إلغاء الثواب والعقاب.

من المهم كذلك التنويع في الثواب والبدء به، وتأخير العقاب بعد استنفاد وسائل الثواب، وأن يكون العقاب مناسبًا دون إفراط ولا تفريط، وأن يكون الضرب



من الأسس التربوية في تحبيب العبادة للأطفال أن يكون الدافع هو حب الله تعالى

آخر وسائل العقاب وبضوابطه التربوية، كما ينبغي أن يحرص الآباء والأمهات على إفهام الأطفال معنى كل عبادة، وما يدور في العبادات من قول وعمل، فذلك يدفع أطفالنا إلى الإقبال على العبادة، ذلك أن فهمهم للعبادة يعطيهم روحها، فيتذوقون حلاوتها، ومن ثم يتعلقون بها.

حاولي أن تنظمي أوقات أبنائك في رمضان، والاستفادة المتوازنة بين العبادة والمذاكرة واللعب، ولو بوضع نظام خاص لهذا الشهر الفضيل بالمناقشة معهم، ولابد أن يعرف الأولاد بأنك أنت أيضا من حقك الاستفادة من رمضان؛ لذلك يجب عليهم مساعدتك في أعمال المنزل حتى تأخذي حظك من العبادات، ولتنمي فيهم روح الإيجابية وتحمل المسؤولية، فحددي لكل منهم أعمالاً واضحة يستطيع أداءها، وخاصة الأعمال التي تتعلق بشؤونهم، كتنظيم غرفهم وملابسهم وكتبهم وكل ما يخصهم.

من الضروري أن ترشد الأم ابنها بعدم بذل مجهود عنيف في المدرسة، كي لا تنفد طاقته سريعا وتتسارع مشقة الصيام إليه، وينجح في إكمال صيام يومه، وعند العودة إلي المنزل يفضل أخذ حمام، والنوم لمدة ساعتين، ومن المهم الاستفادة من السكريات والفيتامينات التي توفرها العصائر الطبيعية في وجبة الفطور والسحور كي نحافظ على حيوية كل أفراد الأسرة طيلة اليوم.

يراعى في البرنامج الرمضاني الفروق الفردية بين أفراد الأسرة، فليس بالضرورة ما يصلح لأحد الأفراد يصلح للآخر، فلا مانع من أن تحفزي أحد أبنائك على حفظ القرآن مثلا، وآخر على التلاوة، ومن الأولاد من يصلح في العلاقات الاجتماعية كمساعدة الغير وتولي توزيع زكاة الفطر والمشاركة في الخدمة في الإفطارات الجماعية، ومن الأبناء المنطوي الذي يتميز في العبادات أكثر، فمن المستحب أن تصطحبيه معك في صلاة التراويح وغيرها من مواطن وأوقات العبادة... وهكذا.

ما أجمل الحرص على الاستفادة من الأجواء الاجتماعية في رمضان، وبالأخص اصطحاب الأبناء في كل يوم بعد صلاة التراويح لزيارة قصيرة إلى أحد الأقارب، ولا بأس أن نلفت نظرهم بإيجاز إلى قيمة صلة الرحم وأثره في البركة في الأرزاق والأعمار.

اجعلي وجبتي الإفطار والسحور بالنسبة للأطفال الذين لا يصومون هما الأساسيتين؛ ليسمعوا الدعاء ويشاركوا الكبار فرحتهم.

شهر رمضان فرصة للتخلص من العادات الغذائية الخاطئة التي تعتمد على الكمية وليس النوعية، فمن المهم تجنب الوجبات الدسمة واختيار الأصناف الخفيفة التي لا تثقل كاهل البدن ولا تبعث على الخمول فتفقد العبادة في هذا الشهر رونقها ولذتها، وقد كان الهدي النبوي في الإفطار أن يجعل- عليه أفضل الصلاة والسلام- من قوته قيامًا لصلبه لا تكثيرًا لشحمه، فكان يكسر صومه تدريجيًا ويأكل بكميات قليلة تبدأ بالتمر والماء.

ما يقوم به كثير من الناس في عصرنا هذا من السهر في رمضان فإنه عادة سيئة لعدة أسباب منها أنه لم يعهد عن السلف الصالح سهر الليل كله، وقد كان السلف يقضون جلّ وقتهم في عبادة الله بينما كثير من الناس في عصرنا هذا يقضون جل وقتهم فيما لا فائدة فيه، ولم يعهد عند السلف نوم نهار رمضان بينما نجد في عصرنا هذا من ينام جلّ يوم رمضان، وكانت الغاية من سهر رمضان عند السلف هي العبادة بينما الغاية عند بعض الناس في عصرنا هذا التسلية والترفيه، كل تلك الأمور تجعل السهر في رمضان في وقتنا الحاضر عادة خاطئة ينبغي التخلص منها.

لماذا يتصادم الآباء مع الأبناء؟!

د.عبدالرحمن النمر

بلهفة بالغة وشوق عظيم، يرقب الزوجان وصول المولود الأول، لكن ما إنْ يخرج صاحب الجلالة إلى الوجود حتى تتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق! فالصغير المنتظر «شيطان مصور» يعيث في البيت فسادًا، ويملأ الدنيا ضجيجًا وعويلًا، ويسلب والديه راحة البال! كيف تتحول نعمة الذرية إلى نقمة على الآباء؟! هل صحيح أن الصغار «عفاريت»؟ أم أن الآباء ليسوا ملائكة؟! كيف تتحول رابطة الأبوة والبنوة إلى صراع يذهب ضحيته الطرفان؟!

طب الأطفال النفسي ينظر إلى هذه المشكلة الخطيرة الشائعة بعين الجد والاهتمام، لمعرفة أسبابها ووضع أسس العلاج لها.. وعلى هذه السطور نمضي مع طب الأطفال النفسي لنرى ماذا يقول في هذه المشكلة.

ميلاد الصراع

حين يتوقع الوالدان وصول المولود الأول، تكبر أحلامهما وأمانيهما حول الوليد، وينسجان خيوط مستقبله، ويرسمان نهج حياته من قبل حتى أن يخرج الصغير إلى نور الحياة! فإذا جاء المولود ذكرًا، فيجب إعداده للتاج والعُرس، وإذا جاء المولود أنثى، فيجب إعدادها لتكون «وَلّادة بنت المُسْتَكْفي» لزمانها!

ولا ضير على الوالدين في التمادي في الأحلام والاستنامة إلى الأماني، فتلك فطرة طبيعية تحفز الآباء على حسن السهر على الأبناء، ولكن آفة أحلام الإنسان إذا تمادى فيها أنها تصبغ سلوكه وتهيمن عليه، بحيث تؤدى كثيرًا إلى الصدام مع الواقع، فما إنْ ينمو الصغير ويصل إلى الشهر الثامن عشر من عمره، حين يبدأ في الحركة النشيطة وتعلم الكلام، حتى تنهال عليه الأوامر من كل حدب وصوب، وفي كل وقت وحين!

فالصغير المسكين الذي بدأ لتوه يدب على الأرض بعد أنْ كان يحبو عليها، والذي بدأ- مستعينًا بقدرته على الحركة- في استكشاف بيئته بجميع حواسه، بعد أن كان يستكشفها بسمعه وبصره، يفاجأ بالمحظورات والممنوعات! لا تقترب من كذا.. لا تلمس كذا.. لا تفعل كذا... إلى آخر قائمة الممنوعات.

فإذا كبر الطفل شهورًا أخرى، وزادت قدرته على الحركة والكلام زادت قائمة الممنوعات والمحظورات، إذْ لا يليق بطفل يقوم والداه بإعداده للتاج والعرس أن يُسْقِط الطعام من فمه، أو أن يصيح وهو جالس على المائدة، أو أن ينثر الطعام من صحفته على ثيابه! ولا يليق بطفلة يجري إعدادها لأن تكون «ولادة» زمانها، أن تضحك على رأس جدها الصلعاء، أو أن تقذف دمية لا تعجبها وقد أهديت إليها في التوّ، ولا أن تعبث بشارب أبيها وهو يحملها ليداعبها!

بتعبير آخر فإن الوالدين يعاملان الصغير كبالغ عاقل مكتمل النضج، ويطلبان منه التصرف على النحو اللائق بالشخصية التي صنعاها له من أحلامهما، ومن هنا يولد الصراع! وهو صراع ناشئ من صدام التوقعات مع الواقع، فمن المخطئ ومن المصيب؟!

قليل من الآباء من يذكر كيف كان «عفريتًا» في طفولته! وأقل من هؤلاء من يسمح لصغاره بتقمص الدور الشيطاني الذي لعبه مئات المرات في سني حياته الأولى، والغالبية من الآباء تتوقع من الصغار التصرف بحكمة الكبار ورزانة الشيوخ ونبل الأمراء! وغني عن الذكر أن توقعات الآباء في هذه الحالة في غير محلها، ولا يمكن اعتبارها توقعات معقولة بأي مقياس من المقاييس.

لذا تأتي الخطوة الأولى لحل صراع الآباء والأبناء من الوالدين، وذلك بإدراك معنى الطفولة والنزول إلى مفهومها الواقعي، وليس بمطالبة الصغار بالارتفاع إلى مستوى أحلام وأماني آبائهم. وهذه النظرة الواقعية إلى عالم الصغار كفيلة بتغيير الموقف تغييرًا جذريًا، فالصغير نبتة نامية، من حقها استكشاف بيئتها والعالم من حولها، في حرية فطرية لا تعرف قيود الكبار، ثم إن الصغير كائن بريء لا



• طبيب مصري

يتقن التمثيل بَعْدُ، ولا يجيد فنّ ارتداء الأقنعة، لذلك لا يجب أن تفرض عليه قيود «التمثيل الاجتماعي» التي يتقنها الكبار ويسمونها «إتيكيت»، وإنما يجب أن تترك له حرية التعبير البريء مطلقة من كل قيد.

اكتساب السلوك

هناك حقيقة مهمة يُغْفلُها كثير من الآباء عند التعامل مع صغارهم، وهي أن الصغير يتعلم بالتقليد أكثر مما يتعلم بالتوجيه، فالصغير يتعلم اللغة بمحاكاة أبويه وليس بدراسة قواعد اللغة! وقل مثل ذلك عن باقي المهارات وأنماط السلوك التي يكتسبها الصغير في سنوات حياته الأولى.

ومن عجب أن كثيرًا من الآباء يتصرف بطريقة معينة في مواقف معينة، ولكنه يصرّ على ألا يتصرف صغاره على نفس المنوال، ويزعم أنه يريد تعليمهم السلوك الأقوم! ومرة أخرى، فإن هذا المسلك من جانب الوالدين يكون مصدرًا لصراع من نوع جديد، وواضح في هذه الحالة أن الوالدين نَسيا أن صغيرهما مطبوع على التَقليد والمحاكاة.. هكذا خُلق، وهكذا يتعلم في السنوات الأولى من عمره، وطبيعي أن حل هذا النوع من الصراع يكمن في أن يسلك الآباء نفس السلوك الذي يطلبونه من صغارهم.

خذ مثلًا ذلك الأب الذي لا يكف عن استخدام ألفاظ نابية في حديثه، فهي تجري على لسانه مجرى الدم في عروقه، وصغاره من حوله يتعلمون تلك الألفاظ ويضيفونها إلى قاموس معرفتهم، فإذا ردّد الصغار نفس الألفاظ النابية التي تعلموها من رائدهم، جاءهم النّهْرُ والزّجْرُ! فإذا عادوا إلى مثلها كان التهديد والوعيد، ثم العقاب! فمن المخطئ ومن المصيب؟!

ليس يفيد أن يعطي الآباء أبناءهم عشرات التوجيهات والنصائح والأوامر كل يوم عما يليق وما لا يليق، بقدر ما يفيد أن يكون سلوك الوالدين قدوة لصغارهما.

والزوجة التي تكذب على زوجها، تزرع بذور الكذب في صغارها دون أن تشعر، ولن يفيد بعد ذلك أن يتلقى الصغير عشرات النصائح عن فضيلة الصدق.

الوالد غير المنظم في بيته ونفسه وهندامه يغرس الفوضى في صغاره بسلوكه

الوالد غير المنظم في بيته ونفسه وهندامه، يغرس الفوضى في صغاره بسلوكه، ولن يجدي بعد ذلك أن يُؤمَر الصغير بالنظام وحُسْن الهندام، والأم التي لا تعتني بنظافة نفسها وبيتها، تعلم صغارها عدم النظافة، ولا قيمة لأي نصيحة توجه للصغار من بعد عن أهمية النظافة وضرورة مراعاتها.

سلوك الآباء إذن يدخل عنصرًا أساسيًّا في صراع الآباء والأبناء، ولمّا كان سلوك الصغار مكتسبًا بتقليد سلوك آبائهم، فيجب أن يكون الآباء قدوة في السلوك القويم، ليست هناك حاجة إلى عشرات التوجيهات اليومية إذا توفر السلوك الفعلي، يكفي أن يفعل الآباء شيئًا فيحاكيهم الصغار بتعبير أبسط، فإن سلوك الطفل مرآة لسلوك أبويه، وفي هذا ما يكفي لإلغاء حملة التوجيهات التي تجعل الآباء في حالة عصبية، وتجعل الصغار في حالة تمرد وعصيان.

الثواب والعقاب

قد يُفهم من الكلام السابق أن الأطفال ملائكة مَحْضٌ، وأن الآباء زبانية جهنم! والحقيقة أن دوافع الآباء نبيلة، وتصرفات الصغار بريئة، وصراع الآباء والأبناء ليس إلا صدامًا بين تلك الدوافع وتلك التصرفات، ومرة أخرى فإن فض النزاع يتوقف على فهم الآباء للطفولة ومراحلها المختلفة، وما يمكن توقعه من الصغير في مراحل نموه المختلفة.

على أي حال، وإقرارًا للحق، فإن للصغار «شيطنتهم» وتصرفاتهم التي تذهب بعقول الكبار! وحين ينظر طب الأطفال النفسي إلى «شيطنة» الصغار، فإنه يجد لها مبررات كثيرة، على أن أهم مبرر- أو دافع- وراء شيطنة الصغار هو جذب الاهتمام، ولعل أكثر نوبات غضب الصغار وصراخهم راجعة إلى عدم اهتمام الوالدين أو أحدهما بهم، فالصغير في حاجة إلى اهتمام طول الوقت، وإلى مداعبة وملاطفة معظم الوقت، ولا تسمح له سنُّهُ الصغيرة باستيعاب حجم المسؤوليات المنوطة بالكبار.

إلا أننا يجب أن نلفت الانتباه هنا إلى الطفل الذي يبكي طول الوقت كوسيلة لجذب الانتباه إليه، في الشهور الثماني عشرة الأولى من العمر يكون بكاء الطفل وسيلته الوحيدة للتعبير، فيبكي عندما يجوع، ويبكي عندما يخاف، ويبكي عندما يحتاج إلى اهتمام أمه، لكنّ بعد ذلك العمر، يكون البكاء حيلة من الطفل يستخدمها لأغراض كثيرة، على رأسها جذب الاهتمام، والطفل الذي يبكي باستمرار يجب تعليمه وسيلة أخرى لجذب الاهتمام بدلًا من البكاء والصراخ، والطريقة ببساطة هي تجاهل بكاء الصغير حتى يسكت من تلقاء نفسه، دون أن يكون في ذلك تعريض الصغير لخطر من أي نوع، وإذا تكرر إهمال الوالدين لبكاء صغيرهما المستمر، فإن ذلك سيكون مَدْعاةً لسكوته عن البكاء، وانتهاج سبيل آخر للتعبير عن رغبته في اهتمام الآخرين به.

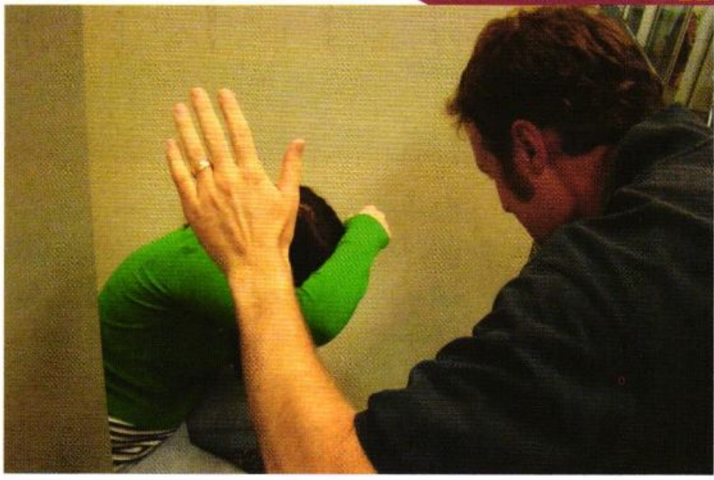
والصغير لا يتميز فحسب برغبته القوية في جذب الاهتمام إليه، ولكنه يتميز كذلك بقوة غريزة حب التملك؛ لذلك ينفجر الصغير غاضبًا في نوبة بكاء عنيفة، كلما انتهكت تلك الغريزة بصورة أو بأخرى! فمثلا: استئثار أخ أو أخت باهتمام الوالدين، سيدفع الصغير لا محالة للبكاء بعنف، وهذا التصرف الذي يوصف

بأنه غيرة من الصغير، ليس في الواقع إلا تعبيرًا عن غريزة حب التملك، ومثل ذلك يقال عن أخذ لعبة أثيرة لدى الصغير من بين يديه، إلى غير ذلك من الأسباب.

هنا يأتي دور الثواب والعقاب، لتعليم الصغير كيف يكبح جماع غرائزه ويكتسب سلوكًا مهذبًا لائقًا. فمثلًا يجب أن يثاب الصغير عندما يقتسم حلواه المفضلة مع شقيقه أو شقيقته، أو عندما يتخلى طائعًا عن لعبته المفضلة ليلعب بها أخوه أو أخته بعض الوقت، والثواب يجب أن يكون فوريًا ومن جنس شيء يحبه الصغير ويهواه، أحيانًا يكفي أن تضم الأم صغيرها إليها وتقبله ليعرف الصغير أنه قام بعمل حميد، والثواب من شأنه أن يرسّخ السلوك المراد اكتسابه في نفس الطفل، ويقوي بواعث الصغير لمعاودة السلوك ذاته.

ومما يقال عن الثواب أن دوره أكبر بكثير في تهذيب سلوك الصغار وترويض غرائزهم من دور العقاب، ويكفي أن يثاب الصغير على كل فعل حسن يقوم به حتى تتحول أفعاله وتصرفاته كلها إلى السلوك القويم المراد اكتسابه.

أما العقاب فيمكن أن يحل الحزم محله، وفي أحيان كثيرة يكفي تجاهل الصغير، وتجاهل الخطأ الذي ارتكبه، ليدرك الطفل من تلقاء نفسه، فداحة ما أقدم عليه، أمَّا تصيد أخطاء الصغير والوقوف له بالمرصاد، ومعاقبته على كل خطأ يبدر منه، فهي سياسة خاطئة بكل تأكيد، حسبما يؤكد طب الأطفال



بعض الآباء يعطى أبناءه عشرات التوجيهات والنصائح والأوامر كل يوم عما يليق وما لا يليق

النفسي، بل أكثر من ذلك، فإن مشاهدات علم السلوك تؤكد أن عقاب الصغار المتكرر يؤدي إلى عنادهم وإصرارهم على معاودة نفس العمل الذي عوقبوا عليه!

وعلى ذلك، فيجب أن يكون العقاب حلًا أخيرًا يلجأ إليه الآباء عند الضرورة القصوى، وحتى في هذه الحالة فيجب أن يكون العقاب معقولًا ومقبولًا ويمكن أن يؤدي إلى النتيجة المطلوبة، أما تخويف الطفل بأنه سيحبس في غرفة مظلمة بمفرده مع الفئران، أو أن أباه سوف يستدعي رجل الشرطة، أو أن أمه ستأخذه إلى الطبيب ليخزه بالإبرة، كل هذا يدخل في إطار العقاب العقيم، إذْ سرعان ما سيدرك الصغير أن كل تلك التهديدات غير جادة، وأن شيئًا منها لن يحدث! فضلًا عن أن تخويف الطفل بهذه الأشياء يخلق عنده مخاوف وحساسيات تؤثر على حياته في المستقبل، وكثير من البالغين ما زال يخاف الفئران ويخشى سطوتها، بسبب تخويفه المستمر بها في طفولته الباكرة! كذلك يكره أكثر الأطفال عيادات الأطباء بسبب الخوف من وخز الإبرة!

أقصى عقوبة توقع على الصغير هي الحرمان.. الحرمان مما يحبه الصغير ويهواه، إلا أن هذه العقوبة لا يجب اللجوء إليها بين حين وآخر، ولمعاقبة الصغير على أخطاء تافهة، فالحرمان المتكرر له عواقب وخيمة على نمو الطفل النفسي والعقلي! لذلك نعاود التنبيه على أن هذه العقوبة لا يجب فرضها على الصغير إلا في الحالات النادرة التي يصعب فيها تقويم سلوك الصغير بالأساليب الأخرى التي سلف بيانها، وأهمها تجاهل الصغير بعض الوقت.

ويأتي الضرب كسبب رئيسي من أسباب عناد الصغار، ومثله مثل الحرمان المتكرر، يقتل كرامة الصغير ويؤذي نفسه، لذلك فيجب عدم اللجوء إلى هذا النوع من العقاب إلا لضرورة بالغة، وفي هذه الحالة يكفي ضرب الصغير على كف يده مرة أو مرتين برفق، إذْ الهدف من الضرب التأديبُ وليس تكسير عظام الطفل!

ولكي يؤتي الثواب والعقاب ثمرته المطلوبة، يجب ألا يعاقب الطفل على تصرف، ثم يثاب عليه في اليوم التالي أو العكس، إذْ يجب أنْ يكون الاتجاه ثابتًا حتى لا يقع الصغير في حيرة، وحتى يستطيع اكتساب السلوك المراد، بعض الآباء يصفق لصغيره ويضمه في فرحة بالغة عندما يَسُبّ الصغير أحد أقرانه في اللعب، فإذا عاد الصغير وسب شقيقه، مثلًا، فإنه يعاقب بأشد صنوف العقاب! وهذا تصرف لا حكمة ولا إنصاف فيه، لأنه كوفئ مرة على سلوك ثم عوقب على نفس السلوك في مرة أخرى.

وخلاصة ما تقدم، أن صراع الآباء والأبناء يرجع في أساسه إلى عجز كثير من الآباء عن فهم أبعاد الطفولة والتعامل معها بما يناسبها، وكثير من أنماط السلوك التي يعاقب عليها الصغير تكون مكتسبة من الكبار! ولا يكون حل الصراع بتجريب كل أنواع العقاب على الصغير، بقدر ما يكون بتوفير قدوة سلوكية من الوالدين، مع التصرف بحكمة تسمح للصغير أن يعيش طفولته في حرية وبراءة.

من أقدم منارات العلم في العالم الإسلامي

دار الحديث الأَشْرَفِيَّة (الجُوَّانِيِّة) في دمشق



تركي محمد النصر ◆

إنَّ مَنْ ينظر في أسماء شيوخ دار الحديث ومدرسيها لا يملك إلا أن يمتلئ فخرًا وإعجابًا، لأنهم كانوا رؤساء العلم في عصرهم وشيوخه، ليس في دمشق وحدها، بل في جميع البلدان الإسلامية. في الأشرفيَّة صُنِّفَت أُمهات الكتب في الحديث وغيره، فكانت مراجع أساسية اشتهرت شهرة فائقة لا تعادلها شهرة، مثل: «علوم الحديث لابن الصلاح، وتهذيب الكمال للمزي، وتفسير ابن كثير...» إذا كانت دور الحديث حصونًا تاريخيةً ذادت عن سنة رسول الله ﷺ، فإن مدينة دمشق تفخر بأنها أول مدينة ضمت دارًا للحديث قبل أي مدينة في العالم.



كان الملك «الأشرف مظفر الدين موسى» من خيار ملوك الدولة الأيوبية عدلًا وعلمًا وجهادًا، وُلد بالقاهرة سنة (٥٧٦هـ) وروى عن «ابن طبرزذ»، وسمع منه «صحيح البخاري» في ثمانية أيام، وكان مليح الهيئة، حلو الشمائل، قام بتخريب خان العقيبة وجعله جامعًا، كما بنى: «مسجد باب النصر، ودار السعادة، ومسجد أبي الدرداء، وجامع جراح، وداري الحديث بالبلد... وغيرها».

وحكم دمشق، وساس الرعية بالعدل فأحبوه، واستمرت حياته على هذا النهج حتى توفاه الله سنة (٦٣٥هـ)، تاركًا وراءه آثارًا، ما يزال باقيًا منها حتى يوم الناس هذا مؤسسات تؤدي رسالتها التي أُنيطت بها كدار الحديث الأشرفَيَّة (الجوانيَّة) للشافعية وتولى مشيختها العلامة المحدِّث «ابن الصلاح»، وتُعدُّ ثاني دارًا للحديث إنشاءً في العالم الإسلامي بعد «دار الحديث النوريِّة» التي بناها نور الدين زنكي في دمشق، وتولى مشيختها المؤرخ «ابن عساكر»، وفيها كتب تاريخه.

وقد طار صِيتُ الأشرفيَّة في الآفاق وتردد ذِكرها في كتب التاريخ وملأت تراجم شيوخها وروادها صفحاتها، ولعل سبب شهرتها يرجع إلى ما عُرفت به من فضائل وما اتسمت به من صفات، وما التزمت من منهج علمي متقدم، كما شيَّد - رحمه الله دار الحديث الأشرفيَّة (البرانيِّة) للحنابلة. تأسست سنة (٦٣٤هـ)- بصالحية دمشق، وتولَّى مشيختها الشيخ الفقيه «عبدالرحمن بن أبي عمر المقدسي».

زار «ابن جبير الأندلسي» دمشق سنة (٥٨٠هـ) واطلع على الجانب العلمي فيها فقال: «لا عذر لطالب العلم إن قصَّر في السعي إليه؛ لأنَّ كل الأمور المعينات عليه متوافرة له في دمشق وأهمها فراغ البال والمعيشة الميسورة».

موقعها وتاريخها

تقع دار الحديث الأشرفية (الجُوَّانيَّة) في مدينة دمشق القديمة، بمنطقة العصرونية، بجوار الباب الشرقي لقلعة صلاح الدين.

بدأ ببنائها «الملك الأشرف مظفر الدين موسى» سنة (٦٢٨هـ)، بعد أن اشترى أرضها التي كانت دارًا للأمير «صارم الدين قايماز» وافتتحها سنة (٦٣٠هـ)، وسُميت بـ «الأشرفيَّة» نسبة له، وشرط أن يجمع شيخها بين الرواية والدراية، فاختار العلامة «تقي الدين ابن الصلاح» -صاحب المقدمة- وأوقف عليها الأوقاف، وجعل تدريسها للشافعية كما ذكر ابن كثير في طبقاته.

وكان بها نعل النبي ﷺ، هذه النعل التي وَرِثَها التاجر الدمشقي «أبوالحديد السلمي» من أجداده، وأوصى بها بعد موته للملك الأشرف، ففرح به وأقره بدار الحديث الأشرفيَّة.

وقفيتها

قال ابن طولون الدمشقي (ت:٩٥٣هـ) في كتابه «اللّمعات البرقية في النكت التاريخية»:

◆ إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

رأيت في الفتاوى السبكيَّة الكبرى، في كتاب الوقف، صورة كتاب وقف دار الحديث الأشرفيَّة الدمشقية مختصرًا: «هذا ما وقفه السلطان الملك الأشرف أبوالفتح موسى بن العادل ، جميع ما يأتي ذكره فيه، فمنه الدار، ومنه الحانوتين من شرق بابها، وجميع الحانوت من غرب الشباك، وجميع الحجرة من غرب ما يأتي ذكره، ومنه جميع القيسارية السفل والعلو، وجميع الساباط قبالتها، ودار أخرى، ومنه ثلث حزرمها وقفًا مؤبدًا، فالدار دار حديث...».

هذا وكان يُصرف على الدار من أوقافها، وما فضل من ذلك كان مصروفًا إلى أهل الدار من أصحاب الحديث والمشتغلين بعلمه، والسامعين له، والقرَّاء للسبع، والشيخ المحدث، والإمام والمؤذن وسائر المرتبين بالمكان المتعلقين به.

شيوخ دار الحديث وأعمالهم

تولى دار الحديث الأشرفية كوكبة من العلماء الأجلاء، والمحدثين الفضلاء، والمتتبع لتراجمهم يجد أنهم أشهر علماء الحديث في العالم الإسلامي (دراية، ورواية، وتأليفًا)، مع العلم الجم والزهد والتقى، فنجد:

١- «العلامة ابن الصلاح» (ت:٦٤٣هـ) أوّل شيخ ومحدِّث للدار، قد ألَّفَ وأملى كتابه (علوم الحديث) فيها، وأَقرأَ كتاب «السنن الكبرى للبيهقي» سنة (٦٣٥هـ).

٢- والعلامة «أبوشامة المقدسي» (ت:٦٦٥هـ) مؤلف: «شرح الشاطبية، والروضتين» وغيرهما، يصف لنا درسه الأول في دار الحديث فيقول: «حضر عندي قاضي القضاة «ابن خلكان»، وأعيان البلد من المدرسين والمحدثين...».

٣- أمَّا «الإمام النووي» (ت:٦٧٦هـ) الذي قال عنه السبكي: «لم يتولَّ الدار أورع منه»، فقد حدَّث رحمه الله «بالصحيحين، وسنن أبي داود، وشرح معاني الآثار» وغيرها، سماعًا وبحثًا، واهتمَّ بمكتبتها اهتمامًا كبيرًا، وكان يشتري لها الكتب بما يتقاضاه من أجر.

٤- والإمام «الفارقي»(ت: ٧٠٣هـ) الذي لا يمكن أن يُنسى فضله، حيث باشر أوقاف الدار وجددها بعد تخريبها على أيدي التتار سنة (٦٩٩هـ).

٥- وأَقرأَ شيخها الإمام «ابن الوكيل» (ت: ٧١٦هـ) مواضع متفرقة من «صحيح مسلم» فيها.

٦- وفيها درَّسَ وحدَّثَ الإمامُ «المزِّي» (ت:٧٤٢هـ)، الذي كان أعجوبة زمانه، وصنَّف وأقرأ فيها كتبه «تهذيب الكمال، والأطراف»، كما شاركته زوجته فيها بتعليم النساء والأطفال.

٧- أما شيخها العلامة «تقي الدين السبكي» (ت:٧٥٦هـ)، الذي قال عنه ابنه تاج الدين: «الذي نراه أنَّه ما دخلها - أي دار الحديث - أعلم منه، ولا أحفظ من المزّي، ولا أورع من النووي وابن الصلاح»، فقد اجتهد فيها بالتدريس ومجالس السماع.

٨- وتولّى الدار العلامة المحدِّث الحافظ «ابن كثير الدمشقي» سنة (٧٧٤هـ) الذي كان زوجًا لابنة شيخه «المزّي»، فقد ألَّفَ وأَقرأَ فيها عددًا من



الباب الخارجي للدار

الكتب مثل «التفسير، والتاريخ، وتهذيب الكمال، وطبقات الشافعية،وغيرها»،وجلس رحمه الله لإسماع «صحيح البخاري» في الدار سنة (٧٦١هـ)، ومما سمعه على شيخه المزِّي بدار الحديث الأشرفية كتاب «غرائب شعبة»، وهو مخطوط في المكتبة الظاهرية، ووُجِدَت الإجازة بخطه رحمه الله.

٩- وممَّن تولى الدار العلامة الحافظ «ابن ناصر الدين» (ت:٨٤٢هـ)، وألَّف وأملى فيها كتابه «توضيح المشتبه»، الذي يُعَد خاتمة كتب رجال الحديث توثيقًا، وقد قرئ عليه رحمه الله الكثيرُ من الكتب في الدار منها: «البخاري، مسلم، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، كتاب الموطأ، مسند الشافعي، مسند الدارمي، مسند الحميدي، غالب مسند أحمد، السيرة النبوية لابن إسحاق، تهذيب سيرة ابن هشام»، وغيرها.

١٠- كما تولاها العلامة «سراج الدين عمر بن أرسلان البلقيني» (٨٠٥هـ)، الذي قال فيه ابن طولون: «إمام الأئمة وعالم الأمة، وخاتمة المجتهدين»، أجاز له الحافظ المزّي والذهبي، ولازم البهاء ابن عقيل وتزوّج ابنته.

١١- وتولَّى الدار قاضي القضاة العلامة «برهان الدين ابن جماعة» (٨١٩هـ)، صاحب التفسير، وكان رحمه الله كبير القدر بين العلماء حسن السمت، كامل الوصف والنعت، سمع وروى وأفاد في دار الحديث ما لا يُحصى من الكتب.

١٢. ثم تولّى الدار بعده القاضي «المعرّي» (ت: ٧٩٩هـ).

١٣. ثم تولى بعده العلامة «شهاب الدين أبوالعباس القرشي» (ت: ٧٩٣هـ).

وتولى غيرهم الكثيرُ من العلماء وأهل الفضل الذين لا يتسع المقام لذكرهم، (ذكرهم د.محمد مطيع الحافظ، في كتابه دار الحديث الأشرفية).

وكان ممن تولَّى مشيخة الدار أيضًا:

١٤- «الأمير عبدالقادر الجزائري» (ت: ١٣٠٠هـ)، الذي عُرِفَ بحلمه وورعه وزهده، وكان معظمًا عند الملوك..

١٥- العلامة القطب والمُسند المحدِّث، الشيخ «بدر الدين بن يوسف الحسني» (ت:١٣٥٤هـ)، قال فيه السيد الكبير الكتاني المغربي: «إنه منذ خمسمائة سنة لم يوجد له نظير» الذي تسلَّم مشيختها، وأعاد لها عزّها ومجدها وفخرها، فأحيا بها دوارس الحلقات، ورواية الحديث، فعادت المدرسة دارًا للحديث والعلم بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، وبعد وفاته سنة (١٣٥٤هـ)، أشرف عليها بعده العلامة «يحيى المكتبي» تلميذ الشيخ ومرافقه، وقد تولى الإمامة والخطابة بها، وتردد عليها الشيخ «محمود

الـرنـكـوسـي» (ت: ١٤٠٥هـــ) لتنفيذ وصية شيخة «الحسني» الـذي كـان يقـول لـه: «لا تترك دار الحديث» فتولّى مشيختها، وقام بمؤازرة أهل الإيمان والكرم بتشييد بنائها وتجديده، وأدخلوا مياه عين الفيجة إليها، وقاموا بتأسيس معهدها الشرعي.

ثم عمل الشيخ على تأسيس الجمعية الخيرية التعليمية بمقر دار الحديث، وقام بتأمين احتياجات طلابها من مسكن ومأكل وملبس وعلاج طبي.

وفـي عـام (١٩٥٤م) تم تجديد ترخيص المدرسة بمرسوم جمهوري موقعًا من رئيس الجمهورية «هاشم الأتاسي» لتصبح بعد ذلك مدرسة نظامية، وشهادتها تعادل شهادة الدراسة النظامية.

وفي عام (١٩٦١م) تم توسيع الدَّار، وكثَّفَ الشيخ الرنكوسي الجانب العلمي الحديثي فيها؛ فعقد مجالس السماع والتدريس وأقرأ فيها: «الترغيب والترهيب، حياة الصحابة، سيرة ابن هشام، مراقي الفلاح، الاختيار شرح المختار، اللباب في شرح الكتاب، زاد المعاد، صحيح البخاري».

وبعد وفاة الشيخ الرنكوسي رحمه الله، تولى مشيختها بعده تلميذه الشيخ «حسين صعيبية» الذي سار على نهج شيخه.

وبفضل الله استمر العمل في الدار على هذا النهج المبارك إلى يومنا هذا، حيث يتخرج من دار الحديث في كل عام كوكبة من طلاب العلم، فيكون منهم الواعظ، والخطيب، والإمام، والمدرس.

شيوخ القرَّاء في دار الحديث

مـن شـروط مـدرسـة دار الحديث أن يكون فيها مشيخة للقرَّاء يتولاها حافظ للقراءات السبع، وأن يشرف على عشرة من القراء لتعليمهم القراءات السبع، وبهذه الشروط كان لدار الحديث دور هام في تعليم القرآن والقراءات، وأصبح كبار قرَّاء دمشق يتولون هذا العمل فكان منهم:

١- إبـراهـيـم بـن فـلاح الإسكندري، (ت: ٧٠٢هـ) درَّس وأفتى، وتصدَّر للإقراء فيها.

٢- أحمد بن عبدالرحمن البعلبكي المعروف بابن النقيب، (ت: ٧٦٤هـ)تولّى مشيخة الإقراء بالدَّار، وكان بارعًا في القراءات، وله يد في الفقه والنحو وغيره.

٣- أحـمـد بـن أحـمـد بن محمد الرملي، (ت:٩٢٣هـ) تولّى مشيخة الإقراء بالدَّار وبالجامع الأموي.

الأئمة في مسجد دار الحديث

من شروط من يتولى الإمامة في مسجد دار الحديث أن يكون حافظًا للقرآن جامعًا للقراءات، فتولَّى ذلك كبار القرَّاء ومنهم:

١- شرف الدين السيسي، (ت: ٦٦١هـ) وهو أوَّل مَنْ أَمَّ بدار الحديث الأشرفية.

٢- يحيى بن عبدالله الفارقي، (٧٦٣هـ) وكان من أحسن النَّاس صوتًا.

٣ -محمد سعيد الهرباوي العربيلي، (ت: ١٩٨٣م) تعلم ودرَّسَ وتولّى الإمامة فيها.

كبار الرواة في دار الحديث

١- الحسين بن المبارك الزبيدي، (ت: ٦٣١هـ) روى ببغداد وكان إمامًا، متواضعًا، صادقا، ورد الدَّار، وأسمع فيها الصِّحاح، ومسند الشافعي، وغيرها.

٢- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت: ٨١٧هـ) ورد دمشق فسمع بها من تقي الدين السبكي، وقرأ صحيح مسلم في الدَّار على ابن جهبل في ثلاثة أيام.

٣- عبدالقادر بدران، (ت: ١٣٤٦هـ) سكن بدار الحديث ودرس ودرَّس وألَّف فيها العديد من كتبه.

سميت دار الحديث بـ «الأشرفية» نسبة إلى الملك الأشرف مظفر الدين موسى وهو من خيار ملوك الدولة الأيوبية عدلاً وعلماً وجهاداً

خزانة كتب دار الحديث

عندما أنشأ «الملك الأشرف» دار الحديث جعل فيها مكتبة ضمَّت أُمهات الكتب التي يرجع إليها الطلبة، وقد ألَّف شيوخ الدار فيها كثيرًا من مؤلفاتهم وأوقفوها على المكتبة، وأوقف «الإمام النووي» رحمه الله الكثير من الكتب على مكتبة الدار، إلا أن الكثير منها أُتْلِفَ في الحريق الذي طال الدار في سنة (١٣٣٠هـ).

ومن الكتب الموجودة في وقفية مكتبة دار الحديث:

١- كتاب «جمل الأصول الدال على الفروع» في الفقه، وهو للعلامة محمد بن أحمد بن الربيع الشافعي (ت: ٣٣٥هـ)، وهو في مجلدين .

٢- كتاب «مناقب الإمام الشافعي» للإمام القراب الهروي (ت:٤١٤هـ) وهو في مجلدين، وغيرها من الكتب والمخطوطات القيِّمة التي لا يتسع المقال لذكرها.

الفترة العلمية

إن فترة تأسيس «دار الحديث الأشرفية» في دمشق كانت فترة علميَّة بامتياز حيث شهدت تأسيس العشرات من دور القرآن والحديث، منها:

١- دار القرآن الجزرية، أسسها وتولّى مشيختها العلامة محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (ت:٨٣٣هـ).

٢- دار القرآن الخيضرية، أسسها وتولّى مشيختها القاضي العلامة قطب الدين الخيضري (ت: ٨٩٤هـ).

٣- دار الحديث البهائية تأسست سنة (٧٢٣هـ) وولي مشيختها الإمام العلامة «الشهاب الأذرعي» (ت: ٧٨٣هـ) نسبة إلى أذرعات الشام (درعا اليوم) شيخ الشافعية في عصره.

٤. دار الحديث السكرية، تولّى مشيختها الشيخ العلامة الإمام «عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية» (ت:٦٨٢هـ) والد شيخ الإسلام «تقي الدين ابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ». وغيرها الكثير من دور الحديث والمدارس والمنارات العلمية في دمشق الشام مدينة العلم والعلماء، ذكرها مفصلة الإمام «النعيمي، ت:٩٢٧هـ» في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس» فليراجَع.

خاتمة

وهكذا يتبين لنا مما سبق ذكره الدور الريادي الرفيع الذي كانت تحتله دار الحديث الأشرفية في النهضة الدينية العلمية في بلاد الشام، حيث جذبت كبار العلماء والحفاظ إليها ليدْرُسوا ويدرِّسوا فيها شتى العلوم، فقد كانت بحق منارة للإشعاع الثقافي.

الشيخ بكر عبدالله أبوزيد «يرحمه الله»

التحرير

هو بكر بن عبدالله أبوزيد بن محمد بن عبدالله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى، وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام ١٣٦٥هـ.

حياته العلمية

درس في الكتاب حتى الصف الثاني الابتدائي، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ، وفيها واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرج عام ٨٧ / ١٣٨٨هـ من كلية الشريعة بالرياض منتسبا، وكان ترتيبه الأول.

وفي عام ١٣٨٤هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أمينا للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية.

وكان بجانب دراسته النظامية يلازم حلق عدد من المشايخ في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

ففي الرياض أخذ علم الميقات من الشيخ القاضي صالح بن مطلق، وقرأ عليه خمسا وعشرين مقامة من مقامات الحريري، وكان- رحمه الله- يحفظها، وفي الفقه: زاد المستقنع للحجاوي، كتاب البيوع فقط.

وفي مكة قرأ على سماحة شيخه، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز كتاب الحج، من «المنتقى» للمجد ابن تيمية، في حج عام ١٣٨٥هـ بالمسجد الحرام.

واجازه المدرس بالمسجد الحرام الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان، إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنة.

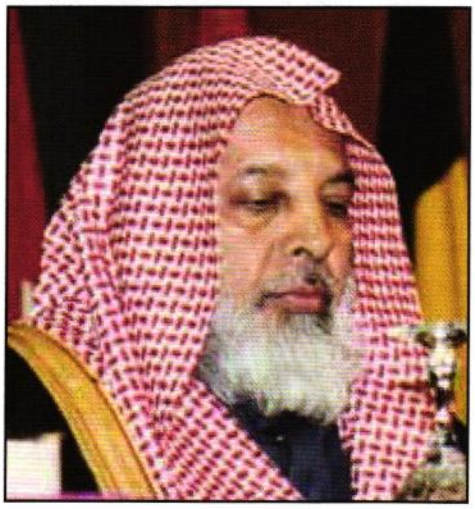
وفي المدينة قرأ على سماحة شيخه الشيخ ابن باز في «فتح الباري» و «بلوغ المرام» وعددا من الرسائل في الفقه والتوحيد والحديث في بيته، إذ لازمه نحو سنتين وأجازه.

ولازم سماحة شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نحو عشر سنين، منذ انتقل إلى المدينة المنورة، حتى توفي الشيخ في حج عام ١٣٩٣هـ- رحمه الله تعالى- فقرأ عليه في تفسيره «أضواء البيان»، ورسالته «آداب البحث والمناظرة»، وانفرد بأخذ علم النسب عنه، فقرأ عليه «القصد والأمم» لابن عبدالبر، وبعض «الإنباه» لابن عبدالبر أيضا، وقرأ عليه بعض الرسائل، وله معه مباحثات واستفادات، ولديه نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها، وقد جمعها في ثبت مستقل.

وفي عام ١٣٩٩هـ/ ١٤٠٠هـ، درس في المعهد العالي للقضاء منتسبا، فنال شهادة العالمية (الماجستير)، وفي عام ١٤٠٣هـ تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه).

حياته العملية

لما تخرج الشيخ من كلية الشريعة في عام ٨٧ هـ /١٣٨٨هـ اختير للقضاء في مدينة النبي ﷺ فصدر أمر ملكي كريم بتعيينه في القضاء في المدينة المنورة، فاستمر في قضائها حتى عام ١٤٠٠هـ.



وفي عام ١٣٩٠هـ عين مدرسا في المسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى عام ١٤٠٠ هـ.

وفي عام ١٣٩١هـ صدر أمر ملكي بتعيينه إماما وخطيبا في المسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى مطلع عام ١٣٩٦هـ.

وفي عام ١٤٠٠هـ اختير وكيلا عاما لوزارة العدل، فصدر قرار مجلس الوزراء بذلك، واستمر حتى نهاية عام ١٤١٢هـ، وفيه صدر أمر ملكي كريم بتعيينه بالمرتبة الممتازة، عضوا في لجنة الفتوى، وهيئة كبار العلماء.

وفي عام ١٤٠٥هـ صدر أمر ملكي كريم بتعيينه ممثلا للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، واختير رئيسا للمجمع.

وفي عام ١٤٠٦هـ عين عضوا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وكانت له في أثناء ذلك مشاركة في عدد من اللجان والمؤتمرات داخل المملكة

وخارجها، ودرس في المعهد العالي للقضاء، وفي الدراسات العليا في كلية الشريعة بالرياض.

مؤلفاته

وله مشاركة في التأليف في الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة، طبع منها ما يأتي:

أولا.. في الفقه

١- فقه القضايا المعاصرة (فقه النوازل) ثلاثة مجلدات فيها خمس عشرة قضية فقهية مستجدة في خمس عشرة رسالة:

التقنين والإلزام، المواضعة في الاصطلاح، أجهزة الإنعاش وعلامة الوفاة، طفل الأنابيب، خطاب الضمان البنكي، الحساب الفلكي، البوصلة، التأمين، التشريح وزراعة الأعضاء، تغريب الألقاب العلمية، بطاقة الائتمان، بطاقة التخفيض، اليوبيل، المثامنة في العقار، التمثيل.

٢- التقريب لعلوم ابن القيم (مجلد).

٣- الحدود والتعزيرات (مجلد).

٤- الجناية على النفس وما دونها (مجلد).

٥- اختيارات ابن تيمية، للبرهان ابن القيم (تحقيق).

٦- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (مجلد).

٧- معجم المناهي اللفظية (مجلد).

٨- لا جديد في أحكام الصلاة.

٩- تصنيف الناس بين الظن واليقين.

١٠- التعالم.

١١- حلية طالب العلم.

١٢- آداب طالب الحديث من الجامع للخطيب.

١٣- الرقابة على التراث.

١٤- تسمية المولود.

١٥- أدب الهاتف.

١٦- الفرق بين حد الثوب والأزرة.

١٧- أذكار طرفي النهار.

١٨- المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (مجلدان).

١٩- البلغة في فقه الإمام أحمد بن حنبل، للفخر ابن تيمية (مجلد، تحقيق).

٢٠- فتوى السائل عن مهمات المسائل.

ولد عام ١٣٦٥هـ في نجد وينتهي نسبه إلى قبيلة بني زيد القضاعية وتوفي عام ١٤٢٩هـ وأوصى أن يصلى عليه في مسجد بجوار بيته

ثانيا.. في الحديث وعلومه

١- التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل. ثلاث مجلدات، طبع منها الأول.

٢- معرفة النسخ والصحف الحديثة.

٣- التحديث بما لا يصح فيه حديث.

٤- الجد الحثيث في معرفة ما ليس بحديث للغزي.

٥- الأجزاء الحديثية (مجلد)، فيه خمس رسائل هي:

أ- مرويات دعاء ختم القرآن الكريم، جزء.

ب- نصوص الحوالة، جزء.

ج- زيارة النساء للقبور، جزء.

د- مسح الوجه باليدين بعد رفعهما بالدعاء، جزء.

هـ- ضعف حديث العجن، جزء.

ثالثا.. في المعارف العامة

١- النظائر (مجلد)، ويحتوي على أربع رسائل:

أ- العزاب من العلماء وغيرهم.

ب- التحول المذهبي.

ج- التراجم الذاتية.

د- لطائف الكلم في العلم.

٢- طبقات النسابين (مجلد).

٣- ابن القيم.. حياته، آثاره، موارده (مجلد).

٤- الردود (مجلد)، ويحتوي على خمس رسائل:

أ- الرد على المخالف.

ب- تحريف النصوص.

ج- براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة.

د- عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها.

هـ- التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير.

٥- بدع القراء (رسالة).

٧- خصائص جزيرة العرب.

٨- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (٣ مجلدات)، للشيخ محمد بن عبدالله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة ت سنة ١٢٩٦هـ- رحمه الله تعالى- تحقيق بالاشتراك.

٩- تسهيل السابلة إلى معرفة علماء الحنابلة للشيخ/ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين البردي- رحمه الله تعالى-.

١٠- علماء الحنابلة من الإمام أحمد إلى وفيات القرن الخامس عشر الهجري.

١٩- دعاء القنوت.

١١- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ حامد بن محمد الشارقي- رحمه الله تعالى- (مجلد، تحقيق).

١٢- نظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان.

١٣- تقريب آداب البحث والمناظرة.

١٤- جبل إلال بعرفات، تحقيقات تاريخية وشرعية.

١٥- مدينة النبي ﷺ رأي العين.

١٦- قبة الصخرة، تحقيقات في تاريخ عمارتها وترميمها.

وفاته

توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء ٢٨ من محرم ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/٢/٥م، إثر مرض عانى منه ما يقارب خمس سنوات وأوصى أن يصلى عليه في المسجد الذي بجوار بيته لوصيته بذلك كما سمعت وأوصى بتعجيله وعدم تأخيره كعادته وحرصه على السنة حيًا وميتاً- رحمه الله- وصلى عليه خلق كثير.

علم المناعة؟

د. يحيى سنبل

الإنسان معرض لأعداد هائلة من الميكروبات، موجودة في كل مكان، وعلى كل شيء، في الهواء والماء، وفي الطعام والشراب، وفي الأرض التي نعيش عليها وفي الأدوات التي نستخدمها، بل إن هذه الميكروبات موجودة على جلدنا، وفي أحشائنا، وفي تجويف الفم، وفتحتي الأنف.

هناك أنواع متعددة من الميكروبات، فالبكتيريا والفيروسات والفطريات والطفيليات، كلها عوالم عجيبة، لا تراها العين، لكنها موجودة، ولها تأثير كبير في حياة البشر.

لكن عظمة الخالق لم تترك الإنسان فريسة سهلة لهذه الميكروبات، بل أمدته بجهاز مناعي لحمايته منها، والتغلب عليها.

الجلد الذي يحيط بجسم الانسان يحميه من الميكروبات، ويقف كالحصن المنيع ضد الميكروبات التي تحاول أن تخترقه وتصل إلى داخله، والعرق الذي تفرزه الغدد العرقية الموجودة بالجلد يحتوي على إنزيمات تقتل الميكروبات، أما اللعاب الذي تفرزه الغدد اللعابية فيحتوي على أجسام مضادة تقتل الميكروبات، وإفرازات الأنف هي الأخرى تحتوي على أجسام مضادة تقتل الميكروبات، فالجسم محصن ضد الاعداء الذين يحاولون إيذاءه.

لكن ما هي هذه الاجسام المضادة الموجودة في اللعاب وإفرازات الجسم، مع العلم بأنها موجودة أيضا في الدم، هذه الأجسام المضادة هي أجسام صغيرة جدًا من الجليكوبروتين أي إنها تتكون من البروتين الذي يمثل الجزء الأكبر ونسبته من ٨٢-٩٦ في المائة والكربوهيدرات التي تمثل من ٤-١٨ في المائة، هذه الأجسام المضادة تعمل كما يعمل رجال الشرطة الذين يقفون بالمرصاد للصوص والمجرمين يقومون بالقبض عليهم، وكما يعمل رجال الجيش الذين يحمون البلد، ويحرسون الوطن من الأعداء، ويفتكون بمن يعتدى على أي شبر من الأرض.

معظم الأمراض الخطيرة في العالم تسببها الفيروسات وهي حبيبات متناهية في الصغر

لكن كيف تعرف العلماء على هذه الأجسام المضادة؟ وكيف عرفوا أن هناك جهازا مناعيا لحماية الجسم؟ وكيف تطور هذا العلم حتى صار علما معقدًا؟ هذه قصة طويلة جدا، يقول العلماء إنها بدأت في الصين، وإن الصينيين القدماء كانوا أول من عرف فكرة المناعة.

في ذلك الزمن كان مرض الجدري منتشرا بين الناس، ومرض الجدري في هذا الوقت مرض قاتل، حيث يؤدي إلى موت من ٥-٤٠ في المائة من المصابين به وهو مرض يؤدي الى طفح جلدي، حبوب وبثور وفقاقيع سيئة الشكل، وبعد أن تجف تترك ندوبًا، مثل أماكن الجروح القديمة، وتشوه وجه الشخص الذي يشفى من المرض.

قام الصينيون القدماء بأخذ القشور الموجودة على الطفح الجلدي لمرض الجدري وصنعوا منها مسحوقا يستنشقه الأطفال لوقايتهم من الإصابة بالمرض.

هذا هو العلم.. يبدأ بفكرة، قد تكون بسيطة وبدائية، ثم تتطور، وتصبح علما معقدًا.

كما نرى اليوم حملات التطعيم ضد مرض شلل الأطفال، والتطعيمات ضد الأمراض الأخرى مثل الدرن، والدفتيريا، والسعال الديكي، والتيتانوس، والحصبة، والنكاف، والحصبة الألماني، وغيرها من الأمراض.

العلم يبدأ بفكرة، ويتقدم بفكرة، وما تشهده البشرية من إنجازات، كانت كلها مجرد أفكار.

الفكرة التالية في علم المناعة قام بها طبيب انجليزي اسمه ادوارد جنر Edward Jenner، كانت هي الاخرى فكرة بسيطة، فقد كانت الابقار تصاب بمرض مشابه للجدري يسمى جدري الابقار cowpox، كما أن جدري الابقار يصيب الانسان، لاحظ ادوارد جنر ان الشخص الذي يصاب بجدري الابقار يكتسب مناعة ضد مرض الجدري، فقام بأخذ السائل الموجود في الطفح الجلدي لجدري الابقار، وحقنه في عضد صبي عمره ٨ سنوات، في محاولة لتحصينه ضد مرض الجدري، وبالفعل نجحت المحاولة، ونشر ادوارد جنر تجربته عام ١٧٩٨ ولاقت قبولا واسعا في الأوساط العلمية في هذا الوقت، وكان إنجاز إدوارد جنر أنه استخدم الإفرازات المجودة في الطفح الجلدي لمرض أقل خطورة وهو جدري الأبقار للوقاية من مرض خطير وقاتل وهو مرض الجدري.

مرض الجدري يسببه فيروس الجدري، ومرض جدري الأبقار يسببه فيروس جدري الأبقار.

والفيروسات عالم عجيب متنوع، وهي متناهية الصغر، تحتوي على جزء من المادة الوراثية إما أن تكون الدنا DNA أو الرنا RNA، هذا الجزء يكون محاطًا بغطاء بروتيني يسمى كابسد Capsid.

ومعظم الأمراض الخطيرة التي يشهدها العالم في هذا العصر تسببها الفيروسات، مرض الإيدز، مرض الالتهاب الكبدي الفيروسي، إنفلونزا الطيور، إنفلونزا الخنازير، مرض شلل الأطفال، وغيرها من الأمراض الفيروسية التي تقلق العالم،

باحث إسلامي

تسببها هذه الحبيبات المتناهية الصغر التي تسمى الفيروسات.

أكثر من ٣٠٠ فيروس تصيب الإنسان وتسبب ٥٠ متلازمة (مرضًا) مختلفة. مع العلم بأن الفيروس الواحد يستطيع أن يسبب أمراضًا مختلفة، والمرض الواحد تسببه فيروسات مختلفة.

استطاع إدوارد جنر (١٧٤٩-١٨٢٣) أن يضع حجر الأساس لعلم المناعة الحديث، وجاء العلماء من بعده ليكملوا مسيرة هذا العلم الخطير.

الفكرة التالية في علم المناعة كانت للعالم الكبير لويس باستير (١٨٢٢-١٨٩٥) وهو عالم في البكتيريا والكائنات الدقيقة، كان باستير يقوم بزرع البكتيريا على أوساط غذائية مناسبة، ويجري عليها تجاربه، كانت لديه مزرعة لنوع من البكتيريا يسمى باستيرلا أفيسبتكا، والذي سمي بعد ذلك كوليرا الدجاج، ترك باستير المزرعة أثناء إجازة، ولاحظ بعد انتهاء فترة الإجازة أن هذه البكتيريا فقدت قدرتها على إحداث المرض للدجاج، كما لاحظ أن الحيوانات التي يتم حقنها بهذه البكتيريا الضعيفة تكتسب مناعة ضد السلالات القوية.



استنتج باستير أن البكتيريا الضعيفة يمكن استخدامها في التحصين ضد السلالات القوية، وظل هذا الإنجاز مستخدمًا حتى اليوم في التطعيمات ضد الأمراض، حيث تعطى للأطفال بصفة منتظمة في الوحدات الصحية ومراكز رعاية الأمومة والطفولة.

قام لويس باستير بتأكيد إنجازه بدراسة التحصين ضد مرض الجمرة الخبيثة Anthrax عام ١٨٨١، وقام العلماء بعد لويس باستير أمثال ريخيت Richet، وهيريكورت Héricourt، وكارين charrin، وروجر Roger بدراسة أمصال الدم، ومصل الدم هو السائل الرائق الذي ينفصل عن الدم المتجلط، وهو الذي يحتوي على الأجسام المضادة، وقد لاحظ العالم فودور Fodor عام ١٨٨٦ التأثير المباشر لمصل الدم الذي اكتسب مناعة ضد مرض الجمرة الخبيثة على البكتيريا العضوية المسببة لهذا المرض.

الدم، هذا السائل العجيب بما يحتويه من خلايا حمراء وبيضاء وصفائح دموية وبلازما، والذي يتجلط إذا تم سحب عينة منه، ووضعت في أنبوبة اختبار، بشرط عدم استخدام مانع تجلط، وإذا تجلط الدم يظهر سائل رائق وهو مصل الدم، وأصبحت دراسة أمصال الدم علما كبيرا يسمى علم الأمصال Serology، وفي عام ١٩٠٢ حصل إميل فون بهرنج على جائزة نوبل لقيامه بدراسة العلاج بالأمصال، خصوصا ضد مرض الدفتيريا، ليكون أول عالم يحصل على جائزة نوبل في علم المناعة.

وفي الوقت الذي كان بعض العلماء يدرسون فيه أمصال الدم ويجرون التجارب على حيوانات تسمى خنازير غينيا Guinea Pigs، كان هناك علماء آخرون يدرسون خلايا الدم البيض، وكيف تتعامل مع الميكروبات، فعالم الحيوان الروسي إيليا متشنيكوف (١٨٤٥ -١٩١٦) حصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٨ على مجهوده في دراسة الخلايا المتحركة الموجودة في جسم يرقة حيوان نجم البحر الشفافة، ودور هذه الخلايا في الدفاع ضد الأجسام الغريبة التي تقتحم جسم اليرقة، حيث قام بإدخال نبات شائك في جسم اليرقة ولاحظ بعد ساعات قليلة أن هذا النبات الشائك أصبح محاطا بخلايا متحركة وهي الخلايا المناعية، وتأكدت دراسة متشنيكوف بواسطة العالمين كوخ ونايسر Neisser لله Koch، حيث أكدا أن البكتيريا توجد داخل خلايا الدم البيض، وقد كان من المعتقد أن البكتيريا تغزو خلايا الدم البيض لكن متشنيكوف بيَّن أن خلايا الدم البيض في الواقع تلتهم البكتيريا وغيرها من الكائنات الدقيقة، وبذلك يكون هو المكتشف لالتهام الخلايا Phago Cytosis هذا الاكتشاف الذي جعله يستحق جائزة نوبل.

لقد بدأ علم المناعة خطوة خطوة، بالملاحظة، والتفكير، وإجراء التجارب، ومراجعة الأفكار، والتأمل الطويل، وهذا هو العلم، وهذه هي أساليب البحث العلمي، وقد ذكرنا مجهودات بعض العلماء، لكن العلماء الذين أسهموا في تطور علم المناعة كُثُر، ولا يتسع المجال لذكرهم جميعًا.

وما نعرفه اليوم عن علم المناعة وقدرة الجهاز المناعي على التعرف على نوع الميكروب، ومهاجمة كل ميكروب بطريقة خاصة، يجعلنا نتعجب ونتأمل في قدرة الخالق- جل شأنه- وندرك أن الجهاز المناعي في جسم الإنسان عالم كبير تتصرف الخلايا فيه كما يتصرف الجيش في حالة الحرب والسلم، بنظام دقيق، وبأوامر، ويستخدم الأسلحة بدقة ومهارة، ولديه وسائل اتصال، وترتيبات. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩).

ويقول جل شأنه: ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾ (الجاثية:٤) فسبحان الله العظيم.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

كيف يصوم طاقم الطائرة؟

توى رقم ١٧٣١

أيهما أفضل، الصيام بالسفر أم الإفطار في شهر رمضان وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بطاقم الطائرة؟

الأفضل للمسافر في رمضان أن يفعل ما هو أيسر عليه من الصوم في رمضان أو الإفطار فيه مع القضاء، فإن كان إفطار الطيار فيه مزيد سلامة وبعد عن الخطر له وللطائرة وللركاب فيكونُ الإفطار أفضل وإن كان في صومه خطورة ولو بنسبة قليلة وجب عليه الإفطار.

إفطار راكبي الطائرة حسب الأرض التي تحتها

توى رقم ١٧٣٧

مسافر يركب الطائرة وهو صائم وحان وقت الإفطار في الدولة التي تحلق فوقها الطائرة، ولكن للارتفاع الشاهق للطائرة فإن الشمس لا تزال ظاهرة، فهل له أن يفطر أم ينتظر مغيب الشمس؟

هذه المسألة لم تطلع اللجنة على كلام للفقهاء في موضوعها ومع أن اللجنة تميل إلى أن العبرة بغروب الشمس على المكان الذي تحلق الطائرة فوقه، لأن الطائرة ليست مستقرًا لمن هم عليها ولا أصلا بذاتها وإنما هي تابعة للأرض وبالخصوص للمكان التي فوقه وطبقات العلو تابعة لما تحتها في الأحكام الفقهية ولكن لا يزال الموضوع يحتاج لبحث للاستناد إلى دليل ظاهر، والاحتياط هو في البقاء على الصوم حتى تغرب الشمس على الطائرة ليفطر بيقين.

لصقات النيكوتينيل في نهار رمضان

توى رقم ٥٢٧٢

استعمال لصقات نيكوتينيل خلال شهر رمضان علما بأن هذه اللصقات لصقات طبية تستعمل للعلاج وتساعد المدخنين على التغلب على عادة التدخين.

استعمال هذه اللصقات على الجلد في نهار رمضان لا يفطر الصائم.

بيع طعام لمفطر في نهار رمضان

توى رقم ١٤٣٣

هل يجوز بيع الطعام لمن يتناوله بالنهار في رمضان للمسلمين أو لغير المسلمين؟

لا يجوز بيع الطعام لمن يعلم أنه يتناوله في نهار رمضان من المسلمين إلا أن يكون له عذر يبيح له الفطر كأن يكون مسافرا أو مريضا أما بيعه لغير المسلمين فجائز.

الغوص في نهار رمضان

توى رقم «٤٦٤٠»

سؤال من القاعدة البحرية (فرع الغواصين) عن حكم الغوص في شهر رمضان المبارك، حيث انه يوجد شبهة للغواصين في حالة الغوص واحتمال دخول الماء في الجوف أثناء التدريب والعمليات، فيرجى إفادتنا بفتوى بجواز الغوص في شهر رمضان إن كان للتدريب أو الواجبات والعمليات التي يقوم بها أثناء الدوام الرسمي.

إذا غلب على الظن دخول الماء إلى جوف الغائص أثناء الغوص، فإن كان من الممكن الاستغناء عن الغوص في نهار رمضان فلا يجوز لهم الغوص تحرزا عن إفطارهم.

أما إن تحتم عليهم الغوص في نهار رمضان، فإنه يجوز لهم القيام به، وعلى الغائص أن يبذل جهده في اتقاء دخول الماء إلى جوفه قدر الإمكان، فإذا دخل الماء إلى جوفه رغم الاحتياط فإنه يفطر وعليه الإمساك بقية اليوم، ثم قضاء هذا اليوم بعد انتهاء عيد الفطر، والأولى تأخير هذه التدريبات إلى ما بعد الفطر، ما لم يترتب على ذلك إضرار بالمصلحة العامة.



فدية المريض في رمضان

توى رقم «٤٦٤٢»

يعاني شخص ما من خفقان سريع بدقات القلب ويتحتم عليه تناول الدواء ثلاث مرات في اليوم مدى الحياة، وإن ترك هذا الدواء تحصل له مضاعفات، فهل يجب عليه الصوم أم لا؟ وإذا لم يجب عليه فماذا يفعل حسب حكم الشرع.

إذا كان بإمكان هذا المريض تناول دوائه في أثناء الليل ما بين غياب الشمس إلى طلوع الفجر دون ضرر يلحق به وكان الصيام لا يضره فلا يجوز له الفطر، وإن كان الصيام يضره أو كان لابد من تناول بعض الدواء في النهار بحسب مشورة طبيب مسلم عدل فإن له الفطر، وما دام مرضه هذا لا يظن منه الشفاء بعد ذلك فان علية أن يدفع الفدية عن كل يوم يفطر فيه إذا كان مستطيعا وهى إطعام مسكين لقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ (البقرة: الآية ١٨٤) ويقدر ذلك في الكويت الآن بدينار كويتي تقريبا عن كل يوم يفطر فيه.

حقن الإبرة في نهار رمضان

توى رقم «٤٦٤٤»

فتاة لديها تكسر في الدم تأخذ كل يوم إبرة في منطقة البطن لتقليل مستوى الحديد في الجسم لتعيش، فهل يجوز لها الصيام أو لا؟ وهل الإبرة تؤدي إلى إفطارها؟ وإذا كانت صائمة وفي عكس ذلك ماذا عليها أن تفعل حسب حكم الشريعة؟

الإبرة إذا كانت في العضل أو في الوريد أو جدار البطن ولم تصل إلى الجهاز الهضمي مباشرة فإنها لا تفطر الصائم، أما إذا وصلت إلى الجهاز الهضمي مباشرة فإنها مفطرة إذا كانت أثناء النهار، وعليه إذا كان الصوم لا يضر بالمستفتية بحسب إخبار طبيب مسلم عدل فإن عليها أن تصوم وتأخذ الإبرة في الليل إذا كان في الوريد أو في جدار البطن، أما إذا كان الصوم يضرها بحسب إخبار ذلك الطبيب أو لم يمكن أخذ الإبرة في الليل وهي في المعدة أو في الجهاز الهضمي فعليها قضاء ما أفطرته بعد شفائها، وإن كان الشفاء منه غير مرجو فإنها تفدي ما أفطرته من الأيام كل يوم بإطعام مسكين.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)
العمل بالرؤية في إثبات الأهلة

اطلع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الرابعة المنعقدة بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في الفترة ما بين السابع والسابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠١هـ على صورة خطاب «الدعوة الإسلامية» في سنغافورة المؤرخ بـ١٦ شوال ١٣٩٩هـ الموافق ٨ أغسطس ١٩٧٩م الموجه لسعادة القائم بأعمال سفارة المملكة العربية السعودية هناك والذي يتضمن أنه حصل خلاف بين هذه الجمعية وبين المجلس الإسلامي في سنغافورة في بداية شهر رمضان ونهايته سنة ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م، حيث رأت الجمعية ابتداء شهر رمضان وانتهاءه على أساس الرؤية الشرعية، وفقًا لعموم الأدلة الشرعية، بينما رأى المجلس الإسلامي في سنغافورة ابتداء ونهاية رمضان المذكور بالحساب الفلكي، معللاً ذلك بقوله: «بالنسبة لدول منطقة آسيا، حيث كانت سماؤها محجوبة بالغمام، وعلى وجه الخصوص سنغافورة، فالأماكن لرؤية الهلال أكثرها محجوبة عن الرؤية، وهذا يعتبر من الأعذار التي لابد منها، لذا يجب التقدير عن طريق الحساب». وبعد أن قام أعضاء مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بدراسة وافية لهذا الموضوع على ضوء النصوص الشرعية، قرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي تأييده لجمعية الدعوة الإسلامية فيما ذهبت إليه، لوضوح الأدلة الشرعية في ذلك. كما يقرر أنه بالنسبة لهذا الوضع الذي يوجد في أماكن مثل سنغافورة وبعض مناطق آسيا وغيرها، حيث تكون سماؤها محجوبة بما يمنع الرؤية، فإن للمسلمين في تلك المناطق وما شابهها تأخذ بمن تثق به من البلاد الإسلامية التي تعتمد على الرؤية البصرية للهلال، دون الحساب بأي شكل من الأشكال، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا لِرُؤْيَته وأَفطرُوا لرُؤْيَته، فَإنْ غُمّ عَلَيْكُم فأكْملُوا العدَّةَ ثَلاثين»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تَصُوموا حتَى تَرَوُا الهلالَ أوْ تُكملُوا العدّةَ، ولا تُفْطروا حتَى تَرَوُا الهلالَ أوْ تُكملُوا العدَّةَ»، وما جاء في معناهما من الأحاديث.

إعداد: خالد خلاوي

ماذا علمنا رمضان عن الإرادة؟

الإرادة هي قصد الفعل والإصرار على تحقيق الهدف، وغالبًا ما تكون إرادة العمل الصالح مخالفة لهوى النفس، مما يعني ضرورة ضبط النفس وحملها على تقبل ما لم تألفه من حرمان أو تعب ومشقة من أجل الغاية النبيلة التي يسعى صاحبها للعمل لها، وهذا ما نتعلمه في مدرسة رمضان بامتياز، فالصوم من أهم وسائل ضبط النفس والتدريب على الإرادة وتقويتها، والفكرة العامة التي تنبني عليها وسائل تقوية الإرادة هي أن تُكره نفسك على فعل أشياء لا تحبها، بل هي ثقيلة عليها، ورويدًا رويدًا تألفها النفس وتصبح عادة لها، ولا تعود تجزع من ملاقاة العقبات والصعاب.

وشهر رمضان بمنزلة مدرسة لتربية الإرادة وتقويتها، فطوال ثلاثين يومًا يمتنع المسلم بإرادته واختياره عن الأكل والشرب والشهوة، ومن تمام الصوم الامتناع عن القبائح والرذائل، وعن اللغو واللَّهو وهذه المدة الزمنية كافية لتربية الإرادة، وتقويتها، وشحذها بالقوة والصلابة، ولا يمكن للإنسان أن يكون قويًا، وناجحًا، وعظيمًا، إلا عندما يتسلح بإرادة قوية وإصرار على تحقيق غايته، فإذا أردت أن تقوي إرادتك، فعليك بالصوم ليس في رمضان وحسب، وإنما أيضًا في بعض الأيام المستحبة من السنة؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: «والصوم جُنَّة» (أي وقاية) (رواه الترمذي).

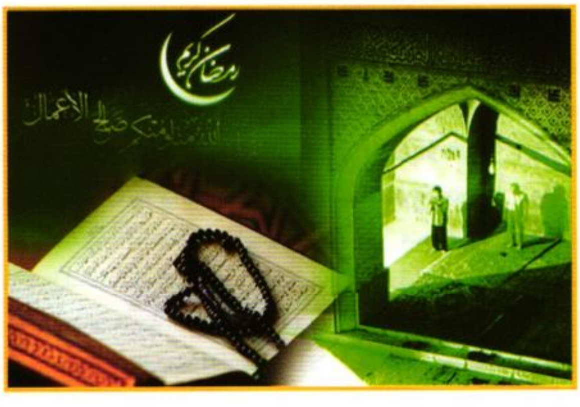
وإلى جانب الصوم يمكن تقوية الإرادة بحرمان النفس من بعض عاداتها التي ألفتها مثل حرمانها من نوع معين من الطعام أو الشراب، أو حرمانها من اللعب بلعبة تحبها على الكمبيوتر أو حرمانها من النوم في فراش وثير، والنومُ على الأرض بلا فراش أو على الحصير.

ومن وسائل تقوية الإرادة أيضًا ضبط النفس في عادات النوم والاستيقاظ وذلك بتقليل عدد ساعات النوم لتوفير وقت للأعمال الصالحة، وقد وصف الله تعالى المتقين بأنهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات: ١٧)، ومن ضبط النفس في الاستيقاظ سرعة القيام من الفراش وتجنب البقاء في الفراش والتقلب فيه لأنه يدفع إلى الخمول والتكاسل، وكان من هدي الرسول ﷺ في الاستيقاظ مسح أثر النوم عن الوجه باليد، لحديث «فاستيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده» (رواه مسلم).

ويحكى عن المفكر الفرنسي «سان سيمون» أنه علم خادمه أن يوقظه كل صباح في فراشه وهو يقول «انهض سيدي الكونت فإن أمامك مهام عظيمة لتؤديها للبشرية».

ومن وسائل تقوية الإرادة النفسية تعويد النفس على تحمل المشاق والمتاعب وذلك بممارسة بعض أنواع الرياضة الشاقة مثل المشي لمسافات طويلة أو العدو أو رفع الأثقال أو السباحة لمسافات طويلة، ومن أكثر أنواع الرياضة تدريبًا على الإرادة تسلق الجبال الشاهقة أو تسلق الحوائط بواسطة الحبال.

وكل هذه الوسائل التي أشرنا إليها تحتاج إلى المداومة على العمل حتى تعتاده النفس، قال رسول الله ﷺ «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (رواه البخاري).



وقيل: النجاح ليس أمرًا طارئًا بل هو عمل هادف يتكرر يوميًا.

ويقول أحد الصالحين: كابدت قيام الليل عشرين عامًا ثم تلذذت به عشرين عامًا.

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نفسي، مرة لي ومرة علي.

ومن ربى نفسه على الإرادة وعلو الهمة كانت له قوة في مواجهة الصعاب والتحديات، يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: الرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وبصر لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت ولا تصرفه وفق هواها، إنه هو الذي يستفيد منها ويحتفظ بخصائصه أمامها، كبذور الأزهار التي تطمر تحت أكوام السبخ، ثم هي تشق الطريق إلى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة !! لقد حولت الحمأ المسنون والماء الكدر إلى لون بهيج وعطر فواح.. كذلك الإنسان إذا ملك نفسه وملك وقته واحتفظ بحرية الحركة تجاه ما يواجه من شؤون كريهة، إنه يقدر على فعل الكثير دون انتظار أمداد خارجية تساعده على ما يريد.

وكثير من العلماء تحدوا ما واجههم من صعاب وأنتجوا لنا أعمالا عظيمة، فهذا الإمام ابن تيمية رحمه الله حُبس فأخرج من حبسه علمًا جمًا. والإمام السرخسي رُمي ببئر معطلة فأخرج ٢٠ مجلدًا في الفقه، وأيضًا ابن الجوزي نُفي من بغداد فجود القراءات السبع..

وكان أبوالوفاء ابن عقيل. من فقهاء الحنابلة

ينشد وهو في الثمانين معبرًا عن قوة إرادته وعلو همته:

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي
ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي
وإنما اعتاض شعري غير صبغته
والشيب في الشعر غير الشيب في الهمم.

أسرع عداء في العالم

أحكي لكم قصة جميلة متداولة عن قوة الإرادة، بطلها صبي صغير كان يأتي مبكرا إلى المدرسة كل يوم لإشعال النار لتدفئة الحجرة قبل وصول المعلم وزملائه، وذات صباح وصلوا إلى المدرسة ليجدوها تحترق فقاموا بسحب الصبي الصغير وهو فاقد للوعي وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة.. فقد أصيب بجروح شديدة في نصف جسده السفلي فقاموا باصطحابه إلى مستشفى المقاطعة القريب، وبينما كان راقدًا في سريره مصابا بحروق شديدة وفي نصف وعيه، سمع الصبي الصغير الطبيب وهو يتحدث إلى أمه، فقد أخبر الطبيب الأم أن طفلها ميت لا محالة وهو الأفضل بالنسبة له، حيث شوهت النار الجزء السفلي من جسده، ولكن لم يكن الصبي الصغير يريد أن يموت وصمم على النجاة، وبطريقة ما أذهلت الطبيب تمكن من النجاة، وعندما زال الخطر المميت سمع الطبيب ووالدته يتحدثان بصوت منخفض، فقد أخبرها الطبيب أن الموت أفضل بالنسبة له، حيث دمرت النار اللحم الموجود في الجزء الأسفل من جسده وأنه سيقضي بقية حياته معاقا وغير قادر على تحريك أطرافه، ومرة أخرى صمم الصبي الشجاع على أنه لن يكون معاقا أبدا، وأنه سوف يمشي ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك أي قوة دافعة لتحريك نصفه السفلي فقدماه النحيلتان موجودتان ولكنهما بلا حياة، وأخيرا خرج من المستشفى، وكانت والدته تقوم بتدليك رجليه كل يوم ولكن لم يكن بهما أي إحساس أو تحكم أو أي شيء غير أن تصميمه على المشي كان أقوى من ذي قبل، فعندما لا يكون في السرير كان يجلس على كرسي متحرك.

وفي أحد الأيام المشرقة دفعته أمه إلى ساحة المنزل ليستنشق بعض الهواء المنعش وفي هذا اليوم وبدلا من الجلوس على المقعد المتحرك ألقى بنفسه من عليه وأخذ يسحب جسده على الحشائش جارا رجليه خلفه، وظل كذلك حتى وصل إلى السور الأبيض الذي يحيط بحديقتهم وبعد جهد كبير استطاع رفع نفسه على السور واستند على السور وبدأ في سحب نفسه بطول السور مقتنعا بأنه سوف يمشي وبدأ في القيام بهذا كل يوم حتى تمكن من السير بسهولة حول السور، فلم يرغب الصبي الصغير في أي شيء أكثر من إعادة الحياة إلى رجليه، ومن خلال التدليك اليومي وبإرادة جديدة وعزم قوي تمكن من الوقوف ثم بدأ يمشي متكئا على شيء ثم استطاع المشي بنفسه وأخيرا تمكن من الجري، ولاحقا.. كوّن فريقا للجري في الجامعة، وأخيرا، وفي حديقة ميدان ماديسون مازال يوجد ذلك الصبي الصغير الذي لم يكن من المتوقع أن يعيش، والذي لم يكن ليمشي ولم يكن لديه أمل في الجري...

وبالعزيمة والإرادة استطاع جلين كنجهام إحراز لقب أسرع عداء في العالم..

كلمات في التميز

الإرادة

لا يصل الناس إلى حديقة النجاح، دون أن يمروا بمحطات التعب والفشل واليأس، وصاحب الإرادة القوية لا يطيل الوقوف في هذه المحطات.

جون تشارلز سالاك

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

أبو الطيب المتنبي

إرادة النجاح مهمة، لكن الأهم منها إرادة التحضير للنجاح.

بوبي نايت

تتحقق الكثير من الأشياء المهمة في هذا العالم لأولئك الذين أصروا على المحاولة على الرغم من عدم وجود الأمل.

ديل كارنيجي

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

أبو جعفر المنصور

إعداد: هالة محمد

الاحتباس الحراري بدأ قبل التاريخ

قال باحثون أميركيون إن الاحتباس الحراري الذي جاء بسبب نشاط الإنسان قد لا يكون ظاهرة جديدة لأن إنسان ما قبل التاريخ أيضًا قد يكون أثر كذلك في بيئته، وأعلنت منظمة الاتحاد الجيوفيزيائي الأميركي أن الصيادين الأوائل الذين ساهموا في انقراض فيلة الماموث منذ ١٥ ألف عام تقريبًا، ربما ساهموا أيضا في التأثير سلبًا على الأرض وارتفاع درجات حرارتها، وقال الباحثون: إن حيوانات الماموث في المناطق الشمالية ربما كانت تقتات على شجر القضبان وتترك الأعشاب، ومع انخفاض عدد تلك الحيوانات وانقراضها بسبب اصطياد الإنسان لها، انتشرت أشجار القضبان وتغلبت على الأعشاب.



جراح سعودي يشارك في تصنيع قلب باستخدام الخلايا الجذعية

نجح فريق طبي ياباني بمشاركة جراح سعودي في تطوير أنسجة بشرية صنعت قلبًا ينبض في المختبر، وذلك في خطوة علمية طبية غير مسبوقة.

وجرت بعد ذلك زراعة الأنسجة القلبية الجديدة بنجاح في جسم المريض، مما يعني حال اعتمادها دوليا، الاستغناء عن زراعة القلوب البشرية التي تنقل من أشخاص متبرعين، وستعني أيضًا احتمال نجاحها في زراعة بقية الأعضاء البشرية مثل الكبد والكلى والبنكرياس وغيرها.

وقد جرب الفريق في الجامعة اليابانية تصنيع القلب على خمسة مرضى يعانون من الفشل القلبي، وقدرت حياتهم طبيًا بنحو ستة أشهر، ونجحت جميعها وبعضهم عاد يزاول حياته المعتادة بقلب قوي ينبض بصورة طبيعية.

ففي واقعة أقرب إلى الخيال العلمي تمكن فريق في جامعة أوساكا اليابانية من تصنيع أنسجة قلبية بشكل ناجح للمرة الأولى بعد خمسة عشر عاما من المحاولات الطبية العلمية الفاشلة سابقا.

المحيطات أدوية المستقبل



ينظر إلى المحيطات على أنها مصدر هائل للكثير من الثروات في العالم ولكن دراسة جديدة تتوقع بأن تكون أيضًا مصدرًا مهمًا لجيل جديد من الأدوية لعلاج أمراض خطرة في مقدمها السرطان.

ويدرس مركز الاستكشاف البيولوجي البحري في جامعة أبردين احتمال صنع أدوية جديدة من الكائنات البحرية، ويعتقد أن المحيطات ستساعد على فتح آفاق جديدة أمامهم، وسيكون المركز واحدًا من بين ثلاثة مراكز في أوروبا لاستكشاف المصادر الطبيعية في البحار والمحيطات لأغراض علمية، مثل إيجاد أدوية مضادة للالتهابات والأمراض الطفيلية وعلاج أمراض مثل السرطان وغيرها.

حديد تحت الماء!

يعتبر العلماء أن شبكة واسعة من البراكين تحت سطح البحر تضخ مياها غنية بالحديد في المحيط الجنوبي وتلعب دورًا رئيسيًا في امتصاص كميات كبيرة من ثاني اكسيد الكربون، ما يحد من تغيرات المناخ.

وتوصلت مجموعة من العلماء الأستراليين والفرنسيين إلى أن البراكين مصدر رئيسي للحديد الذي تحتاجه نباتات ذات خلية واحدة تعرف باسم النباتات المعلقة (فيتوبلانكتون) لتنمو، وخلال هذه العملية تمتص ثاني اكسيد الكربون وهو المسبب الرئيسي لظاهرة الاحتباس الحراري.

وتمتص المحيطات نحو ربع ثاني أكسيد الكربون الناتج عن حرق الوقود الاحفوري وقطع الأشجار، ويعتبر المحيط الجنوبي الواقع بين أستراليا والقارة القطبية الجنوبية من أكبر المحيطات التي يتم فيها تخزين الكربون.



لسنا وحدنا في الكون!



بعد قضاء نصف قرن في التحقيق جزم عالم أميركي بأن الأجسام الطائرة المجهولة أو الأطباق الطائرة حقيقية وأن الحكومة الأميركية مدركة لذلك وتفرض نظامًا من السرية على الأمر منذ عام ١٩٤٧م.

وقال ستانون فريدمان، وهو فيزيائي وعالم متخصص في صناعة الصواريخ لشبكة «OAL»: بعض الأجسام الغريبة ليست سوى مركبات فضاء يجري التحكم فيها بذكاء، وقال: إن التستر الواسع على وجود تلك الأجسام الغريبة «أكبر قصص الألفية»، وأضاف: بعد ٥٣ عامًا من التحقيق.. أنا على قناعة بأننا نتعامل مع ووترغيت كونية.. هذا يعني أن عددًا قليلًا من الناس داخل حكومات كبيرة كانت تعرف ومنذ عام ١٩٤٧ على الأقل بأن الأجسام الطائرة الغريبة هي مركبات لمخلوقات فضائية، واستشهد بحادثة «روزويل» التي وقعت عام ١٩٤٧ حيث أقرت الحكومة الأميركية بتحطم طبق طائر، إلا أنها سرعان ما تراجعت عن تصريحاتها بالإشارة إلى أنه بالون لرصد الأحوال الجوية.

وانتقد صمت العلماء قائلًا: لماذا يرفض علماء بارزون فرضية أن الأرض ربما بقعة لقضاء العطلات لمسافرين من الفضاء الخارجي؟ واستطرد: أنا على قناعة بأن هناك عوالم أخرى في هذا الكون الفسيح، وبوجود جيران لنا في المجرة.

وكان سلاح الجو الأميركي قد أعلن عام ١٩٩٤، أن الحطام الذي استرده من الموقع عام ١٩٤٧، ليس سوى بالون (منطاد) لرصد الأحوال الجوية تحطم في مزرعة بمنطقة «روزويل» في نيو مكسيكو.

من هنا وهناك

● بدأت السلطات البحرية الروسية عملية إحياء الطراز المتميز الروسي المنشأ من السفن الطائرة، وهذه السفن تعمل بظاهرة فيزيائية تدعى «مبدأ التأثير الأرضي».

● أظهرت دراسة حديثة إمكانية أن يتوصل الإنسان في المستقبل إلى تخليق خلايا في الجسم البشري مضادة لفيروس مرض نقص المناعة.

● يعمل علماء أميركيون بالتعاون مع الاتحاد الوطني الأميركي للمكفوفين على تطوير سيارة للمكفوفين وسيعرضون نموذجًا أوليًا لها العام المقبل.

● أبدى كثير من علماء الأحياء قلقهم من جراء تعرض عشرات الأجناس من الطيور والأسماك للانقراض بسبب كارثة خليج المكسيك الناتجة عن التسرب النفطي في مياه البحر.

● رصد علماء الفلك الأوروبيون ثقبًا أسود على مسافة قياسية من الأرض ويقع هذا الثقب الذي يعتبره علماء المرصد الفلكي الأوروبي بمنزلة نجوم آفلة في مجرة (رن جي سي ٣٠٠) الحلزونية التي على بعد نحو ستة ملايين سنة ضوئية من الأرض حسبما أعلن المرصد.

أصغر كوكب فضائي

اكتشف علماء الفضاء في المعهد التكنولوجي في كاليفورنيا ثاني أصغر كوكب فضائي يدور خارج المجموعة الشمسية. فحتى عام ١٩٩٠، لم يشاهد العلماء أيا من هذه الكواكب ولكنهم، ومنذ ذلك الحين والى الوقت الحاضر استطاعوا اكتشاف نحو ٤٠٠ كوكب منها.

ففي أحد المواضع في «هاواي» يوجد تلسكوب موجه نحو النجمة ١٥٦٦٦٨، والتي تنتمي إلى مجموعة هرقل، وتبعد عن الأرض نحو ٨٠ عامًا ضوئيًا، لقد اكتشف العلماء كوكبًا جديدًا اعتبره العلماء أصغر الكواكب القريبة من الأرض تقريبًا.

تفكيك شيفرة جينات الجمل العربي

توصل خبراء سعوديون وصينيون إلى فك شيفرة الجينات الوراثية للجمل العربي الذي يحظى باهتمام كبير في منطقة الخليج، وفق ما أفاد رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية محمد بن إبراهيم السويل.

وقال السويل: إن فريقًا من الباحثين في المدينة ومعهد بكين للجينوم في الصين تمكنوا من فك الشيفرة الوراثية للجمل العربي (جينوم الجمل) في إنجاز علمي هو الأول من نوعه على مستوى العالم، وبذلك يدخل الجمل العربي «النادي الحصري» الذي يضم عددًا قليلًا من الحيوانات التي تم فك شيفراتها الوراثية.

وأوضح السويل أن الانجاز سيعود على الاقتصاد الوطني بفوائد كثيرة، حيث سيؤدي إلى تطوير وتحسين السلالات من خلال تعريف الجينات المتعلقة بالإنتاجية وبناء النسيج اللحمي في الجمال، كما سينجم عنه تطوير طرق الفحص والكشف على الأمراض التي تصيب الجمال ودراسة جهازها المناعي المتميز.

المسجد هو العلاج

ظاهرة الانحرافات الدينية التي ظهرت في بعض المجتمعات المعاصرة تلقي عبئًا على المجتمع في محاولة علاجها، وفي اعتقادنا أن علاج هذه الانحرافات لا يكون إلا ببث الوعي الديني السليم في نفوس الشباب وتعميق جذور الإيمان الحق في قلوبهم.

إن المسجد له دور خطير في التربية الدينية للشباب، ذلك لأن المساجد هي مراكز الإشعاع الديني في المجتمع وهي الرباط المقدس الذي يصل الأرض بالسماء، ولقد كان المسجد في عهد الرسول ﷺ والخلفاء من بعده مدرسة جامعة فيه يتعلم المسلمون أمور دينهم ويناقشون أمور دنياهم، وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ غداة هجرته إلى المدينة أن شرع في بناء المسجد وكانت تعقد فيه الاجتماعات الدينية والسياسية وتناقش فيه الخطط الحربية وشؤون المجتمع على اختلافها ولقد كان المسجد في عصور الإسلام المختلفة منارة للعلم ومركز إشعاع للثقافة الدينية على اختلاف فروعها، فعسى أن يستعيد المسجد في عصرنا الحالي مكانته المرموقة التي كانت له من قبل.

محمد السعيد

إلى المُغفَّلِين !

طالما تعجبتُ كثيرا، وأبحرت في لُجَج الحيرة، وسافرت في فيافي الشك، وقطعت القفار الفكرية ، باحثًا عن جواب يرسو بسفينة أفكاري على شواطئ اليقين والحقيقة.

وكثيرًا ما تساءلتُ: أنحن الآن نحيا في القرن الحادي والعشرين، أم أننا نعيش في الجاهلية وضلالها وخرافاتها وأوهامها، على الرغم من أحدث وسائل العلم والحضارة التي توصلنا لها؟

وكم أشعرُ بالعجب عندما أنظر في شاشة فأرى مشعوذًا يُتمتم بطلاسمَ، أنا على يقين تامٍّ أنه لا يعرف معناها، ولا يستطيع أن يفك أسرارها، أو أن يسبر أغوارها، ويحلل عباراتها، ثم أحدِّق مندهشًا عندما أرى أن هذا المشعوذَ قد أصبح طبيبًا يداوي المرضى عن طريق ذبذبات الهاتف، ولم أكن أتوقع يومًا ما أن أشاهد طبيبًا يصف دواءً على الهاتف، فهذا الدواء اللاسلكيُّ ما سمعنا به من قبل، ولن نسمع به إلا عند الدجالين والمشعوذين.

على كل حال، ليت الأمرَ اقتصر على الطِّب، بل أصبح المشعوذ يدعي أنه يعلم السرَّ وأخفى، والجهر والنجوى، بل أصبح طبيبًا يعلم الأمراض الظاهرة والباطنة، ولكل داء عنده دواءُ، وهو أيضًا محلل نَفسي، يُرشد الحيارى والتائهين الذين أثقلهم الهم والأسى، وأقعدهم الحزن والشقاء، وهو فيلسوفٌ يعالج الأمور بحكمة لم يسمع بها أفلاطون ولا سقراط ولا لقمانُ الحكيم، وهو يتنبأ بالغيب.

وهذا المشعوذُ ينجّم ، ويقرأ الكفّ، يسترق السمع فيتبعه شهابٌ ثاقبٌ، ولكنْ، ليس من السماء فحسبُ، بل من الفكر النيّر، والعقيدة الصحيحة، التي تكشف زيفه وكَذبه، وترد كيدَه في نحره.. لكنَّ الاستفهام يظل متحفّزًا:

لماذا نعرفُ أنه مشعوذ وكذاب أشِرٌ، وساحرٌ أفّاكٌ، وفي الوقت نفسه نرى كثيرًا من الناس يصدقون كَلامه.

لماذا نقرأ في كل يوم خبرًا عن فضيحة مشعوذ، أو عنْ قبض على دجال، أو عن فتاة تعرضتْ للأذى على يد معتد أثيم، أو امرأة تبعت هذا الدجالَ، حتى فرقَ بينها وبين زوجها وأولادها، أو عن رجل بدّد أمواله سدىً معتمدًا على المنجمين والدجالين.. نقرأ ذلك ونظن أن هذا آخر خبر سنقرأه من هذا النوع، لأن السعيدَ من اتّعظ بغيره، والمؤمنَ لا يُلدغ من جحر مرتين.. ثم لا يُطلّ علينا فجرٌ جديد إلا بخبر جديد عن دجال جديد وعن ضحية جديد!

لماذا نرى، على الرغم من التقدم العلمي والفكري، وعلى الرغم من المسافة الشاسعة التي

الابتلاء

الابتلاء سنة من السنن الإلهية في دنيا البشر، فقد قال الحق تبارك وتعالى في أول سورة العنكبوت: ﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت:١، ٢).

وثابت في السنة المطهرة أنه كلما اشتد البلاء كان ذلك دليلا على قوة الإيمان والحب الإلهي، فالرسول ﷺ يقول: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه» (صححه



الألباني) والآية الكريمة التي نحن بصددها تواكب الأحداث التي نعيشها وقد قال الله سبحانه: ﴿وبشر الصابرين﴾ وهذه هي الثمرة، فنجد الحق سبحانه يمسح تعب السنين وشقاء الحياة باللمسة الحانية فينسى صاحب البلاء التعب والمعاناة من أثر تلك المعية.

محمد أبوعيد

تفصل بيننا وبين الجاهلية الأولى، وعلى الرغم من الثقافة التي نتعلمها من القرآن والسنة، والتي فضحت المشعوذين، وأظهرت كيد السحرة الكائدين، وعلى الرغم من الثقافة العصرية التي تحوط بنا من كل جانب، من برامجَ علمية إلى صحف فكرية، ومجلات منهجية وإذاعات هادفة.. لماذا نرى على الرغم من ذلك كثيرًا من المغفلين الإمّعات الذين إذا قيل لهم:

هناك رجل بتمتماته وطلاسمه يجعل العقيمَ ولودًا، ويجعل الشقي سعيدًا، والغني فقيرًا، والعَزَبَ متزوجاً، والطالبَ الكسول متفوقًا.

إن كل هذا يحتم علينا ألا نكتفي بلوم المشعوذين فحسب، بل يجب أن نكافحهم- بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى- لأنهم مفسدون في الأرض، ويَعيثون فيها فساداً وجهلا وضلالاً وفوضى.. وعلينا أن نُنَبِّهَ البسطاءَ، وننيرَ عقولهم بنور العلم والمعرفة، وأن نضعَ سياجًا منيعًا، وحصنًا رفيعًا يحول بين المشعوذين وبين تحقيق مآربهم من خلال المغفلين، حصنٌ مبنيٌّ من الهدى والفهم، على أُسٍّ متين من الفكر الحرّ النيّر، واتباع الحق والرشادً.

مصطفى قاسم عباس

النعمة الكبرى والهدية العظمى

﴿فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ (الماعون: ٤-٥)

إن الصلاة تشفي كثيرًا من الأمراض النفسية، ففيها الأمل الكبير والدعاء المفيد.

وكان السلف الصالح يحرصون على قيام الليل وإحياء ساعاته بالصلاة والاستغفار، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.

وقد ورد في السنة «وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (الترغيب والترهيب).

وقوله ﷺ «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم...» (مجمع الزوائد)، ولقيام الليل لذة لا يحس بها إلا من جربها.

وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل ولقاء الإخوان في الله والصلاة في الجماعة.

ولقد ذكرت الصلاة مع اخواتها في القرآن الكريم مائة وثماني عشرة مرة.

والصلاة هي العمود الفقري للدين، والصلة بين العبد وربه.

والمؤمنون يحافظون على أداء صلواتهم في أوقاتها بإخلاص وتأن واتقان وخشوع.

يقول الله تعالى ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ (المعارج: ٣٤).

وصفوة القول: إن الصلاة نعمة كبري وهدية عظيمة أتى بها منقذ الإنسانية من السماء من عند رب العالمين.. وهنيئا لمن يؤديها بخشوع وتأن وتدبر واخلاص.

وتبا لكل من وجبت عليه ولم يركعها قط في حياته.

وويل لكل المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ماسلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين﴾ (المدثر: ٤٢- ٤٣).

عبدالسلام سومع

لماذا جعل الله الصيام في شهر رمضان؟

لقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بالصيام في شهر رمضان حيث جعل هذا الركن العظيم في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ولم يجعله في شهر آخر، .. قد يتساءل المرء لماذا اختار الخالق جل شأنه شهر رمضان للصيام؟ إن القرآن الكريم لا يترك الإجابة عن السؤال الباحث عن حكمة هذا التوقيت للاجتهاد من دون الاستنتاج، فآياته البينات قد تحدثت عن «لحظة الميلاد» للأمة الإسلامية الخاتمة تلك التي تجسدت في لحظة الظهور للدين الذي ميز هذه الأمة وجعل من دينها الدين الخاتم لرسالات السماء.

والشريعة العالمية التي استكملت وأكملت للإنسان مكارم الأخلاق، ولقد كانت بداية هذه اللحظة هي نزول الروح الأمين على الصادق الأمين بأولى آيات القرآن الكريم لحظة مطلع الفجر في ليلة من الليالي الوتر في العشر الآواخر من شهر رمضان في غار حراء.

في هذه اللحظة التي أضاءت فيها الأرض بنداء السماء ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ بدأ نزول القرآن في ليلة القدر وهي لحظة «مطلع الفجر» الذي هو مولد النهار وفيها نزل الكتاب الذي ولدت منه الأمة عندما خرجت عقيدتها وشريعتها وحضارتها ووحدتها من بين دفتي الكتاب الكريم.

ولقد كان ذلك الميلاد في شهر رمضان فكان صومه من دون غيره من الشهور الاحتفال الإسلامي بميلاد هذه الأمة في مطلع الفجر من ليلة القدر في رمضان في السنة التي سبقت الهجرة النبوية بثلاثة عشر عامًا.

حسين سباهي

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

إلا الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كلُّ عملِ ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائمٌ، إني صائمٌ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

(البخاري ومسلم).

باب الريَّان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبوبكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال ﷺ: «نعم ، وأرجو أن تكون منهم» (البخاري)

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم).

خصوص الخصوص

الصوم عموم وخصوص، وخصوص الخصوص، فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة، وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية.

(المستطرف للأبشيهي ١/ ٢٨)

يا باغي الخير أقبل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، و ينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»

(الترمذي)

دعاء «رمضان»

كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال في رمضان يقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام .. هلال خير ورشد .. ربي وربك الله» وفي بعض الروايات أنه ﷺ كان يقول: «الله أكبر.. اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام.. ربي وربك الله»

(الترمذي)

أقوات القلوب

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «القلب إذا أُكره عَميَ».
- قال ابن مسعود رضي الله عنه: «العلم أكثرُ من أن يُؤتى على آخره، فخذ من كل شيء أحسنَهُ».
- قال الحسن رحمه الله: «حادِثُوا هذه القلوب، فإنها سريعةُ الدُّثور، واقْدَعُوا هذه الأنفسَ، فإنها طُلَعَةٌ، وإنَّكم إلا تَزَعُوها تَنْزِعُ بكم إلى شَرِّ غاية».
- وقال أَنُوشَرْوانُ: «القلوب تحتاج إلى الحكمة، كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء».
- قال أحد الحكماء: «لا ينبغي للعاقل أن يُخلي نفسه من واحدة من أربع: عدَّة لمعاد، أو إصلاح لمعاش، أو فكرٍ يقفُ به على ما يُصلِحُهُ مما يفسده، أو لذَّةٍ في غير محرمٍ يستعينُ بها على الحالات الثلاث».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد)

الوزير الصغير

مرَّ أحدُ الملوك بغلام وهو يسوق حمارًا، فحادثه فرأى منه عجبًا، فقال له الملك: عظني فإني أراك حكيمًا.

فقال: أيها الملك إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب، وإذا هنَّأتك العافية، فحدث نفسك بالبلاء، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية العمل فاذكر الموت، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها في الإساءة نصيبًا. فأعجب الملك بكلامه، وقال: لولا أنك حديث السن لاستوزرتك. فقال: لن يعدم الفضل من رزق العقل. قال: فهل تصلح لذلك؟ قال: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها. فاستوزره فوجده ذا رأي صائب، وفهم ثاقب، ومشورة تقع موقع التوفيق.

(حياة الحيوان الكبرى ١/٢٤٩).

وصية في تحصيل العلوم

قد عُلم قصر العمر وكثرة العلم فيبتدئ بالقرآن وحفظه، وينظر في تفسيره... وإن صح له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتداء بأصول الحديث من حيث النقل كالصحاح و المسانيد والسنن ، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك ....، ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغني عنه...، ثم ليقبل على الفقه فلينظر في المذهب و الخلاف، ويتشاغل بأصول الفقه وبالفرائض، وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم... فإن اتسع الزمان للتزيد من العلم، فليكن من الفقه فإنه الأنفع، مهما فسح له في المهل فأمكنه تصنيف في علم، فإنه يخلف بذلك خلفه خلفًا صالحًا، مع اجتهاده في التسبب إلى اتخاذ الولد، ثم يعلم أن الدنيا معبرة فيلتفت إلى فهم معاملة الله عز وجل، فإن مجموع ما حصله من العلم يدله عليه.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

الصيام جُنَّة

الصيام جُنَّة من النار ، وفضيلة من درجات الأبرار، إذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم، فإذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحًا، ولا كان صوم هذا صالحًا وصحيحًا.

(الوعظ المطلوب من قوت القلوب ص٨٦)

من حِكَم السلف

● قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : «سادات النَّاس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء»

● وقال حكيم العرب أكثم بن صيفي: «ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقوِّدوها إلى المحامد، وعلِّموها المكارم، ولا تقيموا على خُلُق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلُّوا بالجود يُكسِبكم المحبَّة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا بالفقر».

(أخبار العرب ١/١٢).

قيل في الجود

● قيل لأحدِ الحُكماء: مَنْ أجود الناس؟

قال: مَنْ جادَ مِنْ قِلّة، وصانَ نفسه عن المذلّة.

● وقيل: أكملُ الخصالِ ثلاث: وقارٌ بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وحلمٌ بغير ذُلّ.

● وقيل: لقد انتهى الجود في الجاهلية إلى ثلاثة نفر: حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، وهَرِم بن سِنان المُرّي، وكعب بن مامة الأيادي.

(أخبار العرب ١/١٣).

ثلاثة لن يرى الناس مثلهم

قال إبراهيم الحربي: «أدركتُ ثلاثة لن يرى الناس مثلهم أبدًا، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، فما مَثَّلْتُهُ إلا بجبل نُفخ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث، فما شَبَّهْتُهُ إلا برجل عُجِنَ من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل، فرأيته كأن الله جَمعَ له علم الأولين و الآخرين من كل صنف، يقول ما شاء، ويُمسك ما شاء». (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران)

اعتكاف أم اعتلاف؟

هل نحن نأكل لنعيش أم نعيش لنأكل؟ علمونا في المدرسة الابتدائية اذا سألنا هل نحن نأكل لنعيش أم نعيش لنأكل؟ أن نجيب بأننا نأكل لنعيش ، ومرت السنوات وحفظنا هذه العبارة نحن نأكل لنعيش، وفي شهر رمضان بالذات كنت أسأل نفسي عن مصداقية هذه العبارة، هل نحن فعلاً نأكل لنعيش أم انقلبت فأصبحت (على الأقل في شهر رمضان وخاصة أيام الاعتكاف) نعيش لنأكل، هل أنت تأكل لتعيش أم تعيش لتأكل؟

لا يمر يوم واحد إلا ونجد عشاء بمناسبة المنزل الجديد، عشاء بمناسبة تخرج الملازم، دعوة لحضور زفاف وعشاء، عشاء على شرف... عشاء... إلخ.

فهل نحن فعلاً نعيش لنأكل أم نأكل لنعيش؟

وعلى مدى أكثر من عشر سنوات اعتدت ومجموعة من الأصدقاء الاعتكاف في المسجد الجامع في إحدى المدن في مصر، وكنا نجلس لتناول الإفطار بعد صلاة المغرب حتى تقام العشاء والبعض يشرب الشاي ويأكل المكسرات، وبعد صلاة التراويح نجلس ساعة نشرب الشاي ونأكل الفاكهة والمكسرات ثم بعد صلاة التهجد وقبل الفجر بساعة ونصف نجلس لتناول السحور حتى أذان الفجر.

أربع ساعات تقريبًا في تناول الطعام وساعة في قضاء الحاجة، يعني تقريبًا ربع اليوم يضيع في تناول الطعام، وكنت أقول لهم: هل نحن في اعتكاف أم في اعتلاف؟ هل جئنا لنعتكف ام جئنا لنعتلف؟

وبالطبع كان يزيد الوزن بعد الاعتكاف قرابة ٢ كيلو للفرد! وكان من لوزام الاعتكاف أقراص الحموضة لمعالجة امتلاء المعدة وأقراص الفحم لامتصاص الغازات وأقراص المغص لتنوع المأكولات.

وكان يحلو لي أن أذكرهم بالأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي صاحب فهارس القرآن والسنة ووقت تناوله للطعام. إذ تذكر مجلة العربي أنه كان يديم الصوم وكان يشتري في أول كل شهر ثلاثين علبة من الخضار المحفوظ (علبة البازلاء ليوم كذا.. وعلبة الفاصوليا ليوم كذا... إلخ) وطعامه يبدأ بملعقتين من العسل الأبيض ثم علبة اليوم ثم الزبادي والفاكهة وفنجان القهوة، وبهذا ينتهي طعامه ولا يكلف إنسانًا من أهل بيته مشقة ما في طعامه أو شرابه (يعني حوالي ربع ساعة) وهذا ما يجب أن يفعله المعتكف.

ثم حضرت الى الكويت وحسبت أن الوضع سيتغير ، فإذا بالطعام- ولكرم أهل الكويت - أضعافًا مضاعفة من كل شكل ولون، ومائدة الإفطار والسحور عليها ما يكفي عشرة أمثال الجالسين .

وأقول للكرماء الطيبين ولسائر المسلمين إن ربع هذه الكمية من الطعام أو نصفها يكفي إن شاء الله، ولنا إخوة في دارفور في السودان وإخوة في بنجلاديش يعانون من الجوع، أليس من الخير ان نرسل لهم بنصف الكمية والنصف الآخر يكفي ويزيد إن شاء الله؟

يقول رسول الله ﷺ «طعام الواحد يكفي الاثنين» (البخاري)

والآن يا أخي المسلم: اسأل نفسك هل حضرت المسجد للاعتكاف أم...؟

وهل جئت المسجد لتعتكف أم...؟

وأرجو أن يكون الجواب إنما جئنا لنعتكف، والله الهادي الى سواء السبيل.

جادالله فرحات عبدالباري

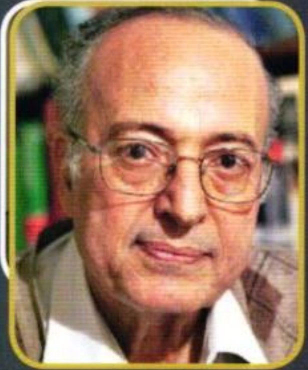
تأسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٤٢) شوال ١٤٣١هـ - سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٠م



د. عبدالوهاب المسيري.. العقل الموسوعي الإسلامي

بين التربية والتعليم



منارات.. المدرسة التنكزية

رثاء الشيخ عبدالله الدحيان في الشعر النبطي الكويتي

مفهوم القديم والجديد عند الإمام الشافعي


الوعي الإسلامي
كل عام وأنتم بخير
أسرة التحرير تهنئكم بحلول عيد الفطر السعيد

الافتتاحية

من يكفر ولا يشعر

إن الله سبحانه وتعالى كلف خلقه، وألزمهم مفترضاته، وبعث إليهم رسله، وشرع لهم دينه، لغير حاجة دعته إلى تكليفهم، ولا من ضرورة قادته إلى تعبدهم، وإنما قصد نفعهم، وجعل ما تبعدهم به مأخوذًا من عقل متبوع، وشرع مسموع، لأن الشرع لا يرد بما يمنع العقل، والعقل لا يتبع فيما يمنع منه الشرع، له الحكمة البالغة فيما كلف به الإنسان، وجعل أفرض الفرائض التوحيد والإيمان، بعث الله رسوله بالهدى، وأذهب بأنواره ظلمات الجاهلية الجهلاء، وعصبيتها وفخرها بالآباء، واستقسامها بالأزلام، وتشاؤمها بالأيام والأنواء، وفِعْلَ بعض الوسائل غير المشروعة لرفع البلاء، من سوء الظن بالله سبحانه، وأن ما أصابه لم يكن بقدر وحكمة، فقنط من رحمته، وأيس من روحه، وأنه لا يجمع عبيده للثواب والعقاب، واستهزأ بالآيات واستخف بالربوبية والرسالات، وبالعلم وأهله، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء، وزعم «إنما كنا نخوض ونلعب»، وطلب البركة والرجاء- واعتقادها في تلك الأشياء، وفعل بعض العزائم والشعوذات، ما يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويؤثر، فهو يكفر ولا يشعر، فقد أمرنا الله بالعدل والإحسان، وكتب في قلوب عباده التوحيد وحبب إليهم الإيمان، وكرّه إليهم الكفر والعصيان، ومن لم يترفع بالإحسان انخفض عند وضع الميزان، فمالنا أضللنا القلوب فلا دليل عليها مرشد، وأهملنا النفوس فكل إلى عَطَبه مُخْلِد، وأثقلنا الظهور بما ليس لنا على حمله مُسْعِد، وقد سمعنا ما كرر الله علينا في قصص أنباء القرى، وما وعظنا به من مصارع من سلف في الورى، فما للعيون ناظرة لا تبصر؟ وما للقلوب قاسية لا تفكر؟ وما للنفوس ناسية لا تذكر؟ وما للعقول طائشة تكفر ولا تشعر؟

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٢

العام السابع والأربعون

شوال ١٤٣١ هـ

سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

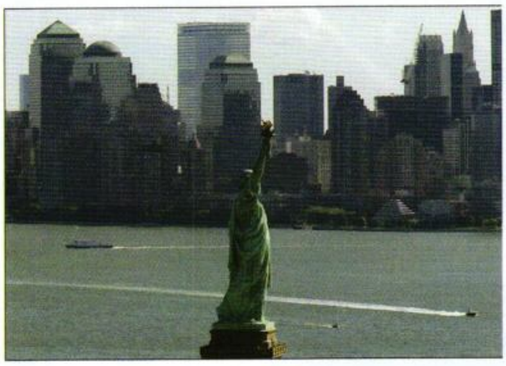
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

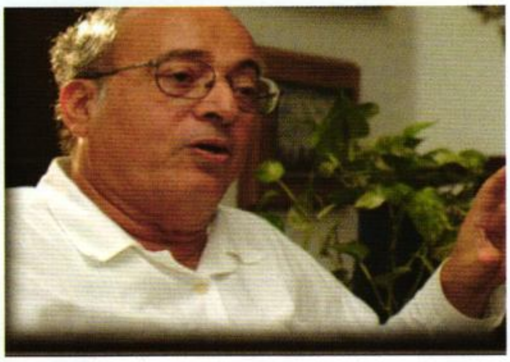
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

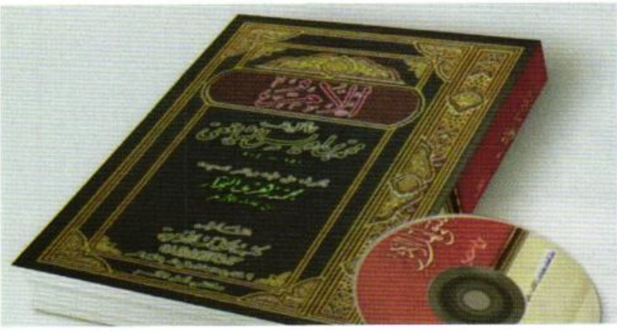
manager@alwaei.com





د. عبدالوهاب المسيري العقل الموسوعي ٦

حوار مع الباحثة الأميركية عائشة هنري ١٠





الجامعات العربية ومكانتنا المستقبلية ٢٤

مفهوم القديم والجديد عند الإمام الشافعي ٣٨

لماذا نخاف من تعريب الطب؟ ٦١





كيف نتعامل مع أسئلة الطفل الجنسية؟ ٧٢

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)

• اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر

• لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/ ١٨٤

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥. رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢

• مصر - القاهرة - شارع الجلاء. رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام

• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية. رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

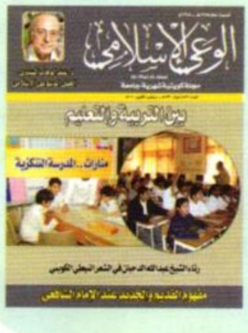
• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤).

كلمات خالدة

إن المجلات في الدنيا بلا عدد
وفخرها كلها في الوعي الإسلامي
إن كنت تبغي العلا فالزم قراءتها
فنطقها دائمًا في الوعي الإسلامي
والمسلم الفذ لا يرضى الخمول ولا
يرضى الحياة بغير الوعي الإسلامي

العلامة محمد الوشلي/اليمن

موضوع الغلاف



مدارسنا وجامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية ومراكز البحوث والدراسات أساس نهضتنا الشاملة إن نحن صوَّبنا ورشدنا سياساتنا التعليمية بعيدًا عن التبعية والتكديس والاستيراد والارتهان.

داخل العدد

التربية بالجمال 12
آداب مزاولة مهنة الطب 34
سلبيات فصل العلوم من أصلها القرآني 44
حواشي منهجية على مصطلحات علوم القرآن 64

كلمة العدد

كل عام وانتم بخير

نضع هذا العدد بين أيديكم مع شروق أول أيام عيد الفطر السعيد، أعاده الله عليكم وعلينا وعلى المسلمين جميعًا باليُمن والخير والبركات، وقد تحققت أمانيهم واستعادوا أمجادهم ودورهم الإيجابي الرائد في سلم الحضارة الإنسانية، وبهذه المناسبة الطيبة نود الإشارة إلى أن الأعياد في الإسلام تختلف كليًا عن الأعياد عند غير المسلمين فهي أعياد بريئة خالية من المعاصي وكل ما يغضب الله، وهي تجيء بعد أداء عبادة أو نسك، فتفرح الأمة بإنجاز هذه الطاعة وتعقد العزم على مواصلة الدرب الذي يوصلها ويقربها إلى الله.

ففرحة العيد في الإسلام فرحة الشكر لله على ما أنعم.. فرحة انتصار على النفس في المعركة الدائرة بين الخير والشر منذ خلق الله الإنسان على وجه هذه البسيطة وحتى يرث الأرض وما عليها، فهل يتمثل المسلمون في أعيادهم هذه المعاني والغايات الحقيقية؟ هذا ما نأمله، والله الهادي إلى سواء السبيل.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

● الكويت : ٥٠٠ فلس ● السعودية : ٧ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٧ ريالات ● الإمارات : ٧ دراهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن : دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ● السودان : ٥٠٠ جنيه ● موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ● تونس : ٢ دينار ● الجزائر : ١٠ دنانير ● اليمن : ٧٠ ريالا ● لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ● سورية : ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● ليبيا : دينار واحد ● اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ● اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- **داخل الكويت :** للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية :** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم :** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات :** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

عبدالوهاب المسيري.. العقل الموسوعي الإسلامي في بحثه عن الإنسان

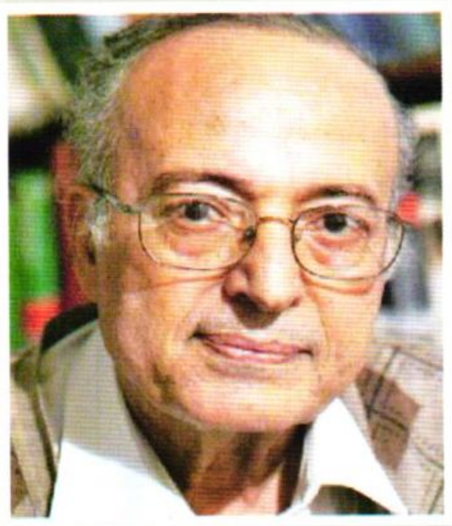
د. هبة رؤوف عزت ●

يستوقف المتجول في عالم عبدالوهاب المسيري الأوجه المختلفة لهذا المفكر، فمن كتاباته في الأدب الإنجليزي، لسيرته الذاتية التي هي مسيرته الفكرية، إلى نقد ونقض الفكر الصهيوني والتأريخ للجماعات اليهودية، إلى قصص الأطفال التي نال عنها جوائز عديدة، إلى كتاباته الصحفية التي تبسط للقارئ المفاهيم الكبرى وتربطها بالظواهر التي يعيشها في ظل العولمة.. لكن يظل هناك منطق متصل وروح متجانسة في كل ما كتب عبدالوهاب المسيري، وهو أنه كان مفكرًا إنسانيًا.

يمكن اعتبار الخيط الناظم في فكر المسيري هو تقديم الرؤية الإنسانية التي تميز المنظور التوحيدي الإسلامي حتى وإن لم يستخدم المفاهيم المألوفة أو يفرط في الاستشهاد بالآيات والأحاديث، فقد نفذ المسيري إلى قلب المنظومة المقاصدية وفهم أن المقصد الأعلى هو تأكيد إنسانية الإنسان من خلال تأكيد تنزه الله الذي ليس كمثله شيء، والتمييز بين الإنساني والطبيعي والغيبي وإدراك الفارق بين هذه المستويات التي حاولت المنظومة العلمانية اختزالها في مركزية الإنسان ومساواته بالطبيعة، وإقصاء سؤال الألوهية والربوبية من التفكير.

لذا فقد صاغ المسيري هذه الفكرة بلغة يفهمها السياق الثقافي وأسهم في جدل نقد الحداثة الذي مر في فترة الثمانينيات بجدل الدولة الدينية في مواجهة العلمانية وشهد مناظرات بين العلماء ورموز العلمانية الثقافية والفلسفية لم تثمر عن الشيء الكثير، ولابد من الاعتراف أن المسيري قد نقل هذا الجدل نقلة نوعية بتحليل العلمانية في منظورها الفلسفي وتقديم خطاب إسلامي جديد يعيد الاعتبار للإنسان ودوره سيرًا على نهج مفكرين من أمثال مالك بن نبي وعلي شريعتي.

● مدرس العلوم السياسية جامعة القاهرة



الإنسان والطبيعة

لقد أكد المسيري في كتابيه «العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة» و«دفاعًا عن الإنسان» على أسبقية الإنساني على الطبيعي، لأن الإنسان قادر على تجاوز النظام الطبيعي المادي وعلى تجاوز ذاته الطبيعية المادية، ولأن فيه بعدا غيبيا يستعصي على الاختزال والتشييء.

إذا مُحيَ هذا الفارق، حينئذ تسري على الإنسان القوانين المادية الحتمية التى تسري على الطبيعة والمادة، مما يعني تقويض الإنسان وتفكيكه ورده إلى ما هو دونه، أي المادة.

فالأساس الفلسفي للإنسانية الإلحادية أساس واه، فمع غياب الشعور بوجود الله أو تهميش هذا الشعور يتحرك الإنسان داخل السقف المادي وحده، لا يمكنه الفكاك منه ويتحول إلى كائن طبيعي (مادي) فيفقد ما يميزه كإنسان (حرية الاختيار- المقدرة على التجاوز...إلخ).

لا يحفظ للإنسان إنسانيته سوى الإله سبحانه وتعالى، فوجوده هو ضمان إنسانية الإنسان. فالإيمان بإله متجاوز مفارق للمادة يعني أنه يوجد داخل الإنسان ما يميزه عن الكائنات الطبيعية المادية الأخرى.

من هنا فإن سمات الإنسانية الإسلامية هي تأكيد الفارق بين الإنسان والطبيعة ورفض النموذج المادي باعتباره النموذج الذي يودي بالإنسان، فمشروع الحداثة هو مشروع تأسيسي يعيد تركيب المجتمع على أساس أنه غابة يتصارع فيها الإنسان مع الحيوان، والإنسان مع الإنسان، والإنسان مع الطبيعة، فهي الحرب للجميع ضد الجميع، وهذا ما أفرز في النهاية ما نسميه الحداثة الداروينية.

الفكر والسياسة

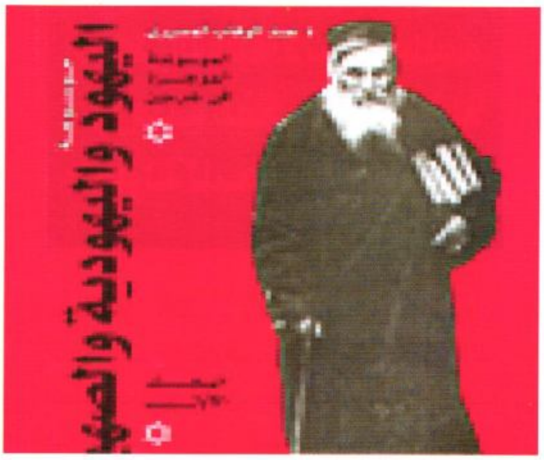
وقد ربط المسيري بين الفلسفي الفكري والتحليل السياسي، فقد رأى كيف ساعد هذا النموذج الفكري على الهيمنة على العالم وأدى لتزايد نفوذ الدولة القومية ذات السلطة المطلقة كما صورها هيجل، وانتشار النظريات السياسية التي ظهرت لتبرير هذا الوضع، واتساع نطاق القطاع الاقتصادي التجاري، وشيوع النظريات العقلانية المتطرفة

والنفعية. وجوهر كل هذه النظريات مادي آلي، فهي تجعل هدف الوجود غاية مجردة إنسانية مثل الدولة (في المجال السياسي) أو القانون العام (في المجال العلمي والتحليلي بشكل عام) أو الربح ومراكمة الثروة (في المجال الاقتصادي) والمنفعة الشخصية (في المجال الأخلاقي).

وقد تابع المسيري التيارات الإنسانية في الغرب التي تراجع مسلمات الحداثة وتبحث عن استعادة إنسانية الإنسان واعتبرها جزءًا من جبهة الدفاع عن الإنسان وجزءًا من هذا التوجه الذي يحتل فيه الإسلام موقعًا فريدا، وبذا منح الرؤية الإسلامية أفقًا جديدًا يستعيد فكرة حلف الفضول، فهؤلاء يدركون أن الانتصارات التي تحققها حضارتهم باسم الإنسان الطبيعي/ المادي تؤدي إلى وأد شيء مهم جدًا في الإنسان، شيء لصيق بإنسانيته، نسميه «القبس الإلهي»، ولكنهم لا يسمونه.. وإنما يدورون حوله، ويتجلى بشكل خفي في كتاباتهم، ولذا، فإن المسيري قد نعته بأنه «الإله الخفي» في الكتابات النقدية الغربية.

وما الحديث عن «حتمية الميتافيزيقا» إلا حديث عن الإله الخفي. فقد لوحظ أن الإنسان مهما بلغ من مادية فإنه لا يقبل المادة المتغيرة إطارا مرجعيا، وإنما يبحث عن مركز للعالم، وعن إطار، وعن أرض ثابتة يقف عليها وعن كليات تتجاوز الأجزاء.

وقد أدرك نيتشه أن هذا تعبير عن الإله الخفي، واختار مصطلح «ظلال الإله» ليشير إليه. وقد أدرك فلاسفة ما بعد الحداثة ذلك، ولذا فإن مشروعهم لا يتلخص في الهجوم على الميتافيزيقا الدينية أو المثالية وحسب، وإنما في تحطيم فكرة الحقيقة نفسها، حتى تتم إزالة «ظلال الإله» وتحطيم الميتافيزيقا بلا رجعة. وكان حلمهم المقترح هو التخلص من ثنائية المطلق/ النسبي



لصالح مطلق نسبي (ثابت متغير).

فتظل هناك ثنائيات الخير والشر، والمقدس والمدنس، والمطلق والنسبي النابعة من إدراكهم الفطري لثنائية الإنساني والطبيعي/ المادي. ولذ ا تؤكد

استطاع تأسيس خطاب اسلامي جديد يتجدد وفق حاجات الأمة وضروراتها

العلاقات الإنسانية الفطرية نفسها بطريقة تتحدى النموذج المادي الفعال وبطريقة غير مباشرة كان يفترض التخلي عنها بحيث تخضع مثل هذه العلاقات للتفاوض وبحيث يحل محلها علاقات تعاقدية عقلانية صلبة. ولكن العلاقات الإنسانية الفطرية، مع هذا، تستمر وتؤكد نفسها. وهو تأكيد يبين أن العنصر الرباني في الإنسان لا يمكن محوه.

ومن الممكن القول بأن هذا العنصر الرباني اللصيق بإنسانية الإنسان وفطرته، وهو عنصر يأخذ شكل الإله الخفي -هو ما يمنع النموذج الطبيعي/ المادي من التحقق الكامل، ومن الوصول إلى اللحظة النماذجية الكاملة ونقطة الصفر المادية.

الروح الإسلامية

كانت الروح الإسلامية إذًا عند المسيري لا تنفصل عن الرؤية الإنسانية وعندما وصل إلى مرحلة تحوله للمنظومة الفكرية الإسلامية كان ذلك على طريق اهتمامه المبكر بالبحث عن كينونة الإنسان في المذاهب والمعارف الفكرية المختلفة، فصادف الماركسية وأعجبه جنوحها للعدالة والمساواة، لكن شعر بالغربة في ماديتها المفرطة، حتى تمكن من التعرف على المنظور المعرفي التوحيدي الإسلامي، ومن هذا المدخل رفض مادية المعرفة الغربية وأشار إلى ضرورة تأسيس فقه للتحيز، وأسس جهدًا بنائيًا من خلال نقد ونقض بعض المصطلحات الفكرية والمعرفية والمنهجية والبحثية، ثم دعوته لمراجعة مسلمات العلوم التي انبنت على فلسفة الحداثة..واستعادة الإنسان في رؤيتها.

وقد استطاع من خلال الناظم الإسلامي الإنساني أن يؤسس لمعالم خطاب إسلامي جديد يتجدد وفق حاجات الأمة وضروراتها وفقه النهوض الذي يتعلق بكيانها في صراعها الفكري من أجل تحرير الإنسان وليس من أجل تأسيس دولة فقط كما ذهبت تيارات الإسلام السياسية.

ومن هنا فقد تكون لديه معجمه المفاهيمي، وواجه المصطلحات التي تفت في عضد الأمة وحذر من مصطلحات العدو وتسربها، ونبه إلى وحدات تحليل جديدة، وربط النماذج المعرفية بالتعامل المنهجي، وانتقد ما يمكن تسميته بالسببية الصلبة وتحدث بصفة دائمة عن النسق المفتوح والرؤية الواسعة واستهدف جوهر الإنسان الذي يخرج المعاني التي تتعلق بالثقافة والحضارة على شاكلته (النظام المعرفي، الخرائط الإدراكية، الخرائط المعرفية، المفاهيم التفسيرية.. .الخ)، كما قدم المسيري نماذج وأدوات تفسيرية غاية في الأهمية ومقولات لتفسير الواقع وتقويمه بل

وتغييره، وكانت له أجندة بحثية شاملة وعامرة فهو دائم الحديث عن مشروعاته العلمية المنفتحة والمفتوحة، وركز على أهمية الخريطة الإدراكية والنماذج الفكرية والمعرفية، مؤكدًا أن المعركة الحقيقية الآن هي معركة المعاني؛ حيث يتم تكوين الصورة الإدراكية أو الخريطة المعرفية وعمليات إبقاء بعض عناصر الواقع وتضخيمها ومنحها مركزية واستبعاد أو تهميش البعض الآخر حسب معايير النموذج الداخلية وبعده المعرفي الكلي والنهائي، فصياغة النموذج، عملية مركبة وإبداعية، تتضمن عمليات عقلية عديدة متنوعة، وظل يكتب حتى فارق الحياة راضيًا مرضيًا في علمه وفي عمله دون أن يهمل الوظيفة الكفاحية للعالم بنزوله الشارع السياسي ضد الاستبداد بالسلطة ودفاعًا عن المشاركة الشعبية في صنع السياسة.

ولم يكن دورانه مع مقصد الإنسانية يماثل الميل الليبرالي إلى الفردية، فالمجتمع عنده كيان مركب متماسك يتسم بقدر من الوعي وله أسبقية على الفرد مهما بلغت درجة إبداع هذا الفرد، فالفرد ينتمي إلى المجتمع وليس المجتمع هو الذي ينتمي إلى الفرد، إلا إذا كان مجتمعًا شموليًا، والمنظومة العلمانية الشاملة ليست مقصورة على العالم الغربي فهي رؤية للكون اكتسحت العالم بأسره وحولته إلى مادة استعمالية بحيث تصبح كل الأمور متساوية، كل الأمور نسبية، إلا أن الرؤية للعالم وتميزها هو الذي يخرج المعرفة ويشكل الثقافات ويؤسس الحضارات، ومن هنا اهتم المسيري بالنماذج المعرفية والبناء الحضاري من مثل: المنهج. المفاهيم. الخرائط (الإدراكية - المعرفية - الذهنية - الفكرية).

من هنا فإن الخطاب الإنساني الذي قدمه المسيري هو خطاب إسلامي

أكد على إنسانية الإسلام وعالميته .. ورحلته الفكرية والمعرفية محاولة للبحث عن الحقيقة

بامتياز، فقد عرَّف الدكتور المسيري الخطاب الإسلامي بأنه ليس كلام الله الذي يسمو على الزمان والمكان، وإنما هو اجتهادات عقول المسلمين داخل الزمان والمكان. ومن ثم فهو - أيضًا- متعدد ومتنوع، وتاريخ الحضارة التي بناها المسلمون هو تعبير عن هذه الكثرة والتعددية، وتحدث كذلك عن مستويات لهذا الخطاب:

الخطاب الإسلامي

- خطاب إسلامي ظهر مع دخول الاستعمار العالم الإسلامي، وحاول أن يقدم استجابة إسلامية لظاهرتي التحديث والاستعمار، وقد ظل هو الخطاب المهيمن حتى منتصف الستينيات، وهو ما نشير إليه بالخطاب الإسلامي القديم، والذي يعادي الغرب دون أن يفهم منطقه الفلسفي، بل يكتفي بمقاومة تجليه الاستعماري.

- خطاب آخر كان هامشيًا، ولكن معالمه بدأت تتضح تدريجيًا في منتصف الستينيات، وهو ما نشير إليه بالخطاب الإسلامي الجديد. ونقطة الاختلاف بين الخطابين هي الموقف من الحداثة الغربية لا باعتبارها ضد الشعوب المستعمرة بل باعتبارها ضد الإنسان في جوهره (وهو ما يؤدي لحروب الإبادة بأشكالها)

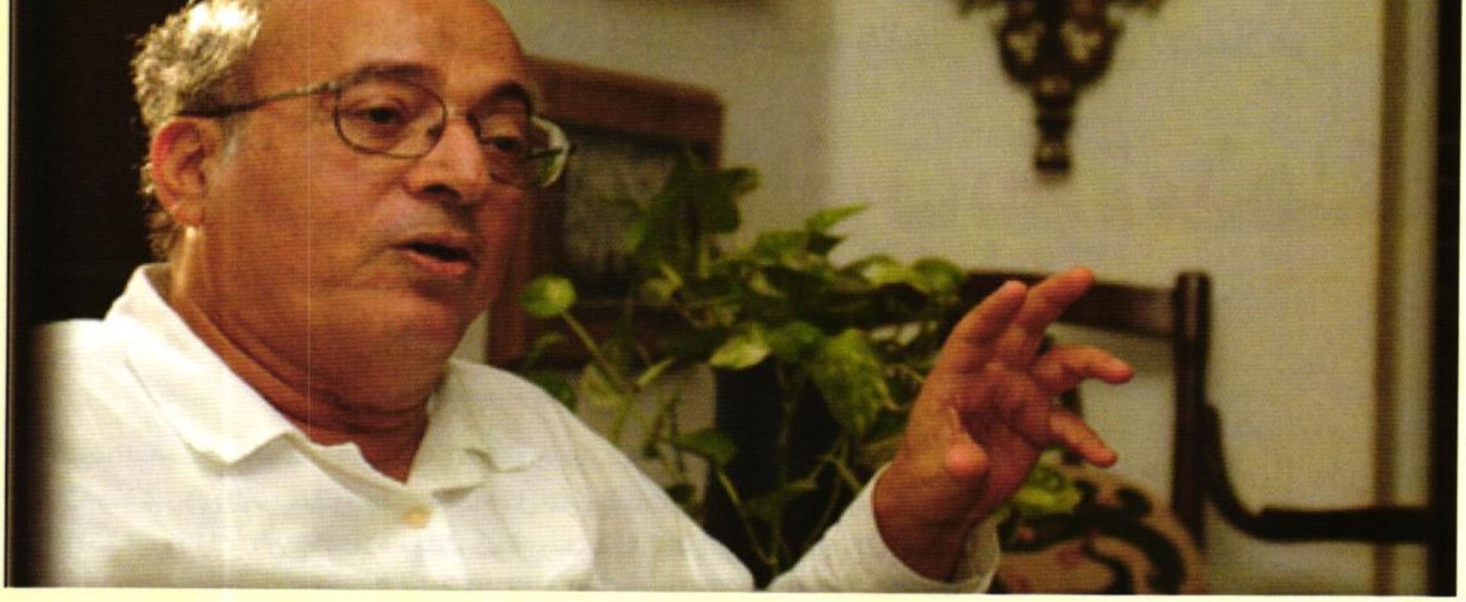
كما يصنف الخطاب من حيث الجمهور إلى الخطاب الجماهيري (أو الاستغاثي أو الشعبي): وهو خطاب القاعدة العريضة من الجماهير الإسلامية التي شعرت بفطرتها أن عمليات التحديث والعلمنة والعولمة لم يكن فيها خير ولا صلاح لها، كما لاحظت أن هذه العمليات هي في جوهرها عمليات تغريب سلبتها موروثها الديني والثقافي، ولم تعطها شيئًا في المقابل، لكنها لا تصوغ رؤى فكرية.

- الخطاب السياسي: وهو خطاب بعض أعضاء الطبقة المتوسطة ممن شعروا- أيضًا- بالحاجة إلى عمل إسلامي يحمي هذه الأمة، وقد رأوا أن العمل السياسي هو السبيل إلى هذا، فقاموا بتنظيم أنفسهم على هيئة تنظيمات سياسية لا تلجأ للعنف، تتبعها تنظيمات شبابية ومؤسسات تربوية، واهتمام حملة هذا الخطاب يكاد ينحصر في المجال السياسي والتربوي.

- الخطاب الفكري: هو الخطاب الذي يتعامل أساسًا مع الجانب التنظيري الفكري داخل الصحوة الإسلامية.

وتحدث عن استجابات الخطاب الإسلامي لتحدي الحداثة الغربية مفرقًا في ذلك بين موقف الخطابين القديم والجديد في ذلك الأمر، وأن كلا الجيلين -القديم والجديد- لم يؤسسا منظومتهما الفكرية انطلاقًا من المنظومة الإسلامية فحسب، وإنما نتيجة تفاعلهما مع الحضارة الغربية في الوقت ذاته، وهذا أمر طبيعي؛ فهي الحضارة التي فرضت سيطرتها على العالم في تلك اللحظة التاريخية، واكتسبت مركزية بحكم الانتصارات العسكرية التي حققتها، وطرحت رؤيتها في كل المجتمعات، وفرضت نفسها باعتبارها مستقبل البشرية جمعاء. وألقت بالتحدي الذي كان على الجميع الاستجابة له، وباختلاف نوع التحدي وحدَّته اختلفت الاستجابة، وقد وجد المصلحون الأوائل جوانب إيجابية كثيرة في هذه الحضارة الغربية، بل إنهم انبهروا بها، وهذا ما عبر عنه الشيخ رفاعة الطهطاوي والشيخ محمد عبده ولذا كانت استجابة الجيل الأول للتحدي الغربي هي: كيف يمكن أن نلحق بالغرب؟

لكن ظهر بعد ذلك نقد إسلامي للحداثة، وهذا النقد الإسلامي للحداثة يختلف عن أشكال نقد الحداثة في بقية



العالم، إذ أنه يدرك مدى ارتباط منظومة الحداثة الغربية بالإمبريالية الغربية، ويدرك صعوبة فصل الواحد عن الآخر (والإمبريالية كانت هي أول تجربة لنا مع الحداثة، والاستعمار الاستيطاني الصهيوني هو آخرها ولا ينفك عنها).

كما أن النقد الإسلامي للحداثة يتسم بأنه متفائل لأنه يطرح حلولًا على عكس النقد الغربي للحداثة فهو متشائم عدمي، يطرح الشروط الأساسية لتطوير المشروع الحداثى الإنسانى العربى، فضلا عن المنطلقات الأساسية البنائية لهذا المشروع.

وتحدث المسيري عن سمات الخطاب الإسلامي الجديد الذي تحتاجه الأمة اليوم للنهضة، ومعالمه هي:

- رفض فكرة المركزية الغربية.
- الرؤية المتكاملة والانفتاح والنقد.
- خطاب جذري توليدي استكشافي.
- يصدر عن رؤية معرفية شاملة.
- القدرة على الاستفادة من الحداثة الغربية.
- القدرة على إدراك أبعاد إنسانية جديدة.
- القدرة على اكتشاف الإمكانات الخلاقة للمنظومة الإسلامية.
- تأسيس معجم حضاري متكامل ومستقل.
- إدراك المكون والبعد الحضاري للظواهر والأشياء المستحدثة.
- تأسيس رؤية إسلامية مستقلة في التنمية.
- الإيمان بالحركة والتدافع كأساس للحياة.
- إدراك مشكلات ما بعد الحداثة.
- تجاوز الإطلاقات المتناقضة والسماح بالتعددية.
- القدرة على الرؤية المتكاملة للشريعة ومقاصدها وإنزالها على الواقع المعاصر.
- القدرة على صياغة نموذج معرفي إسلامي والاحتكام إليه.
- الاهتمام بالأمة كيانًا يتجاوز الدولة المركزية.
- محاولة تطوير رؤية شاملة للفنون الإسلامية.
- تجاوز المنظور الغربي في قراءة التاريخ.

وفي مجمل أعماله يدعو المسيري إلى إقامة نسق فكري عربي إسلامي يقوم على الثنائية والتجاور والإنسان الروحاني الديني الرباني مقابل الإرث الغربي المادي الطبيعي الجسدي.

إن الخطاب الإسلامي عند المسيري كان لابد أن يكون إنسانيًا، والمسلم المرتبط بالفطرة يجب أن يكون ربانيًا وعالميًا، ذلك هو المنطلق الذي آمن به الدكتور المسيرى، حينما أكد على إنسانية الإسلام وعالميته، ورحلته الفكرية والمعرفية كانت محاولة للبحث عن الإنسان، ذلك أن الوصف الأدق لرحلته هو وصف «رحلة البحث عن الحقيقة»، فرغم التحولات التي مر بها، فإن مكونات رؤيته وعناصرها الأساسية لم تتغير، رغم تغير بعض الأسس الفلسفية، ورغم تغير المنهج، حتى ذهب البعض إلى أن العامل الإنساني أو «المشترك الإنساني» هو مفتاح العالم النقدي للمسيري وهو الذي منح رؤيته الإسلامية سمتها الأصيل في نقدها للغرب وكشفها للمشروع الصهيوني واحتفائها باللغة والمجاز وإعادة صياغتها لرؤى الأطفال في قصصه البسيطة وحفاوته بالمقاومة التي تتحدى حسابات الهيمنة والقوة الغاشمة، وسيره في مظاهرات الديمقراطية يواجه خوذات الأمن وهراوات الشرطة.

حياة ثرية ودروس كبرى وعالم من المفاهيم والقضايا يحتاج إمعان نظر، وميراث من الحكمة يحتاج ورثة يبنون على ما قدم، وشخصية فريدة تعلمنا منها التواضع والصبر والتسليم للقدر والعزة بالله والشموخ في أزمنة الانكسار. يرحمه الله.

الكاتبة والباحثة الأميركية عائشة هنري لـ«الوعي الإسلامي»:

الإسلام ينتشر في الغرب بقوة مذهلة

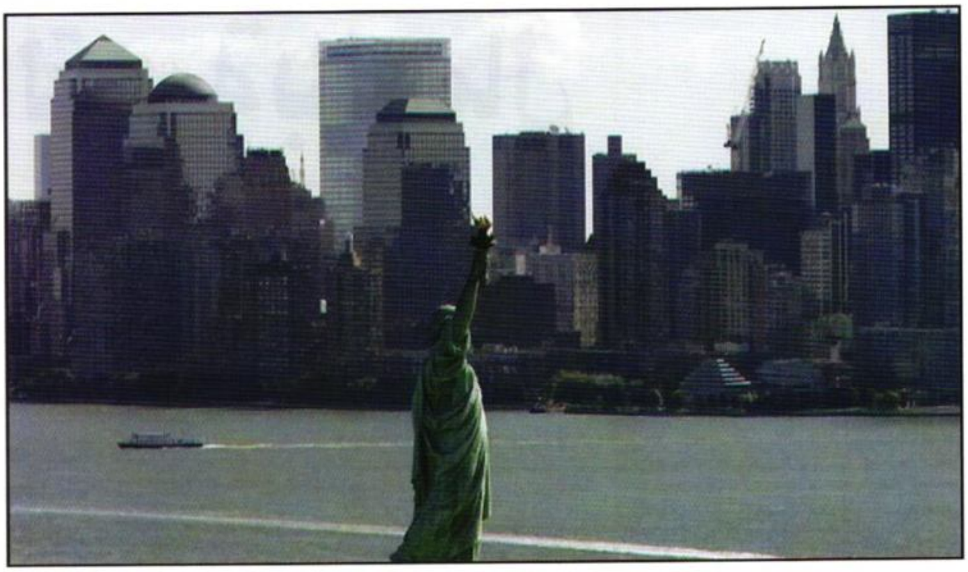
حوار: هبة أبوالفتوح

أكدت الباحثة والكاتبة الأميركية الدكتورة عائشة (فرجينيا) جراي هنري أن الإسلام ينتشر في الغرب بقوة مذهلة أمام كل المخططات الرامية لاحتوائه ومنعه من الانتشار، وذلك لأن الإسلام يملك قوة روحية دافعة لكل مقومات الحضارة والتقدم، وأشارت إلى أن بذور النهضة والتقدم العلمي والحضاري الذي ينعم به الغرب ترجع في الأساس إلى المنهج العلمي التجريبي الذي يرجع الفضل في اكتشافه إلى علماء الحضارة الإسلامية، وقالت الدكتورة عائشة جراي لـ«الوعي الإسلامي»: على هامش زيارتها للقاهرة إن الغرب عندما خرج من ظلمات القرون الوسطى ونهض من تخلفه الرهيب تنكر لذلك وقام بغزوات استعمارية للعالم الإسلامي بدلا من رد الجميل، ووصفت الحملة التي يتعرض لها الإسلام في الغرب بأنها مخطط غربي لعرقلة انتشار الإسلام في الأوساط الغربية والأميركية بسرعة مذهلة، نظرا للفراغ الروحي الذي يعانيه الإنسان في ظل الحضارة الغربية وما أبدعته تلك الحضارة المادية من أشياء ساهمت في تدهور الجانب الروحي في حياة الإنسان، وأضافت أن الإسلام يملك قوة روحية دافعة لكل مقومات الحضارة والتقدم، وأن كل من يعرف حقيقة الإسلام من غير المسلمين في الغرب والولايات المتحدة الأميركية ينجذب إليه بقوة واقتناع، خاصة أن الدين الإسلامي جاء برسالة عالمية خاتمة لكل الأديان السماوية، وجاء بتشريعات تتلاءم مع الفطرة الانسانية ومع الواقع المعاصر، كما تحدثت الدكتورة عائشة عن حوار الأديان وغير ذلك من الموضوعات التي تطرق إليها هذا الحوار، وإليكم نص الحوار:

■ ما تفسيرك للحملة الشعواء التي تشنها بعض وسائل الإعلام في معظم بلدان الغرب وفي الولايات المتحدة الأميركية ضد الاسلام؟

- نعم بصفتي مسلمة أميركية اعتنقت الإسلام منذ أكثر من ثلاثين عاما كنت في المرحلة التي سبقت اعتناقي للإسلام وحتى بعد اعتناقي للإسلام أقرأ وأسمع من حين لآخر عن الإسلام، بأنه دين يدعو أتباعه إلى العنف والتأخر وإلى الكسل والحياة البدائية والجري وراء إشباع الملذات والشهوات من النساء وغير ذلك من الأوصاف المنفرة، فضلا عن إرجاع السلبيات التي يرتكبها بعض المسلمين في أي مكان في العالم إلى الدين الاسلامي والعمل على تعميم هذه السيئات وتضخيمها أحيانا، نكاية في الإسلام والمسلمين، وبعد أن هداني الله عز وجل إلى الإسلام تعرفت على السبب الرئيسي الذي جعل مؤسسات ومنظمات معينة في الغرب تسعى لإعطاء فكرة سيئة عن الإسلام وتتعمد تشويه صورته النقية عن طريق إبداع مخططات لعرقلة انتشار الإسلام في الأوساط الغربية والأميركية، حيث أخذ في الانتشار بسرعة مذهلة، نظرا للفراغ الروحي الذي يعانيه الإنسان في ظل الحضارة الغربية وما أبدعته تلك الحضارة المادية من أشياء ساهمت في تدهور الجانب الروحي والخلقي في حياة الإنسان، فحرم الإنسان الغربي نعمة الإيمان والاطمئنان النفسي والاستقرار في حياته، وبالتالي فإن معظم الناس في الغرب وفي بلادي الولايات المتحدة الأميركية يتطلعون إلى الإيمان والحاجة إلى الأمان النفسي، وهذا لا يوجد إلا في الإسلام، فضلا عن أن بذور النهضة والتقدم العلمي والحضاري الذي ينعم به الغرب الآن ترجع بشكل أساسي إلى المنهج العلمي التجريبي الذي يرجع الفضل في اكتشافه إلى علماء الحضارة الإسلامية الذين استلهموه من القران الكريم، لكن للأسف فإن الغرب عندما خرج من ظلمات القرون الوسطى تنكر لذلك وقام بشن حملات استعمارية ضد العالم الاسلامي بدلا من رد الجميل والاعتراف بالفضل للإسلام والمسلمين.

■ كيف يمكن من وجهة نظرك تصحيح الصورة السلبية التي



مستقبل الإسلام في الغرب يبشر بالخير رغم التحديات والصعوبات

يحاول الإعلام الغربي ترسيخها في أذهان الغربيين؟

- عن طريق إبراز الصورة الصحيحة بالحوار، وكذلك إبراز القيم النافعة التي جاء بها الإسلام للإنسانية جمعاء، كالرحمة والكرم وعدم التفرقة بين إنسان وإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه وعقيدته، ويجب على المسلمين عرض الإسلام وشرح مفاهيمه بطريقة صحيحة، وأن يعقدوا حوارات ولقاءات مع غير المسلمين لبيان حقيقة الإسلام بشرط ألا يكون الحوار في العقائد أو مقارنة عقيدة بعقيدة أخرى، لكن يجب أن ينصب موضوع الحوار على القيم المشتركة التي جاءت من أجلها الأديان السماوية والتي تدعو إلى التعايش بين الناس بسلام، ويجب ألا يتطرق المتحاورون في حوار الأديان إلى ما يقوله تراث كل عقيدة عن المعتقد في الله، ولكن المهم في هذا الأمر ما يقوله هذا الدين أو ذاك من تعليمات لإصلاح الإنسان وضمان حياة كريمة له، أيضا يجب على المسلمين لتصحيح صورة الإسلام أن يقدموا المعاني المستبطنة التي جاء بها الإسلام والتي يمكن أن ينجذب الناس من خلالها إلى الإسلام مثل المعاملة الطيبة وحسن الخلق وكل سلوك حسن يمثل الإسلام قولا وفعلا، فيجب ألا نقول إن الكتاب والسنة فقط هما المرجعية التي يجب أن نتمسك بهما، فحسن المعاملة والأدب مع الناس الذي علمنا النبي صلى الله عليه وسلم إياه ضروريان، أيضا يجب أن نتكلم اللغة التي يفهمها الآخرون، وألا نصدمهم برؤانا فقط.

■ ما هو توقعك لمستقبل الإسلام في أميركا والغرب خلال السنوات القادمة؟

- مستقبل الإسلام سواء في الغرب أو أي بلد آخر في العالم يبشر بالخير، ذلك لأن الإسلام يتميز بخاصية هامة لا تتوافر في أي ديانة أخرى، وهي صفة العالمية وصلاحيته لكل زمان ومكان، والإسلام يملك منهجا متكاملا للحياة، فيجب ألا نخشى على الإسلام، ولكن المطلوب منا نحن المسلمين أن نعمل لخدمة ديننا بإخلاص وتفان وأن نقدم النماذج الطيبة التي تصور للناس الإسلام الصحيح، وذلك من خلال الدعاة المهرة الذين يجيدون فن الدعوة إلى الله بيسر وسهولة والذين يبشرون بسماحة الإسلام ولا ينفرون.

■ ما هو دورك كامرأة مسلمة في تبليغ كلمة الإسلام إلى غير المسلمين في مجتمعك الأميركي؟

- أي مسلم، سواء كان رجلا أو امرأة، يجب أن يعلم انه مطالب بنصرة دينه والدفاع عنه، خاصة في الوقت الحالي الذي يتعرض فيه الإسلام لهجوم عنيف، فمثلا قمت منذ أن أسلمت بتأسيس جمعية في الولايات الأميركية تحت اسم «جمعية النصوص الإسلامية»، وهي تابعة لدار نشر خاصة بي اسمها الكوثر، وفي جمعية النصوص الأميركية نترجم ونطبع بعض كتب الفقه، خاصة الفقه على المذاهب الأربعة، وكتب ابن عطاء الله السكندري، وغير ذلك من المؤلفات وكتب التراث التي تعنى بتنمية الجانب الروحي في الإنسان، وقمنا بنشر هذه الكتب وتوزيعها على السجون والمصحات النفسية، وكانت لها رد فعل ايجابي.

■ ما تعليقك على الهجمات الوحشية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في قطاع غزة على أيدي جيش الاحتلال الاسرائيلي؟

- هذا العدوان البشع يتنافى مع كل الأعراف الإنسانية وما جاءت به الشرائع السماوية من قيم إنسانية، وهذا يتطلب من العالم الإسلامي التكاتف والتضامن لإنقاذ المسلمين من هذا العدوان الذي تحاول وسائل الإعلام الصهيونية في أميركا والغرب تصويره بأنه دفاع عن النفس والمقاومة الفلسطينية إرهاب.

التربية بالجمال

م. محمد إلهامي

لا يكاد يحب العربية أحد ولا يحفظ شيئا من أشعار امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد وأبي نواس وأمثالهما من «الماجنين»، كما لا يكاد يحب العربية أحد من طائفة المصلحين والعلماء والدعاة ولا يحفظ شيئا من أشعار المتنبي مثلا، والمتنبي لا يُنسب إلى صلاح ولا تعرف به التقوى! فلم بقيت أشعار هؤلاء، وإن كانت ماجنة، واختفت كثير من أشعار الصالحين؟ إنه.. الجمال، سحر البيان، وهذا وصف نبينا ﷺ إذ قال «إن من البيان لسحرا» (البخاري)، بهذا السحر وحده خلدت هذه الأسماء ثم خلدت بها سيرتها وأثرها، ولا أظننا في حاجة لإثبات أن الشعراء المجيدين أقرب إلى الخلود والأثر من عامة ذوي العقول والنظر.

نحاول في تلك السطور القادمة أن نطرق بابا، هو على حد علمي، لم يطرق إلى الآن بما يكفي على مستوى التنظير، وأشد منه ألما ومرارة حاله على مستوى التطبيق.

الحق وحده لا يكفي

ربما لا يلتفت كثير من العلماء وأهل التربية والدعوة إلى أن القرآن لم يكن حقا فحسب، وإنما كان حقا جميلا، بل معجزا في جماله.

وبهذا الجمال تحدى.. تحدى العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة منه، وما استطاعوا.

وبهذا الإعجاز في الجمال أثبت أنه كتاب الله لا كتاب البشر، وأنه وحي الله لا وحي البشر ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣)، وقف قليلا عند قوله ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ فهنا جملة الرد، وهنا موضع التحدي.

ولأنهم يعلمون أنه لسان عربي مبين ومعجز، قالوا ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ (فصلت:٢٦) فكأنهم أقروا أن سامعه لا يقاوم هذا الجمال إلا أن يؤمن به.

وحين ذهب عتبة بن ربيعة، وهو الخبير بالشعر، يفاوض النبي ﷺ فسمع منه القرآن عاد إلى قريش وقد سلبه جمال القرآن عقله حتى إنه لم يتذكر منه شيئا، ثم قال «والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى وإنه ليحطم ما تحته» (١)

ولا حاجة بنا للإطالة في هذا، فنحن نخاطب أهل التربية والدعوة، وإنما الغرض أن نقول إن القرآن لم يكن حقا فقط، بل كان حقا جميلا باهرا إلى حد الإعجاز والتحدي، ولو كان الإنسان عقلا فقط فلربما كان الأوفق له أن يكون كتاب حقائق علمية، ولكن فطرة الله في الإنسان أنه يتذوق الجمال، فوق كونه يعقل المنطق.

ونحن حين ندرك هذا، ندرك معه أنه لا ينفع الناس أن نعظهم بمجرد الحقائق، بل بلطائف الجمال كذلك، وهذا يشمل كل الناس من الطفل إلى الشيخ، ومن الجاهل حتى العالم، ومن لا يشعر بالجمال ولا يتأثر به فلربما شككنا في سلامة فطرته.

وسنرى كذلك أن النبي ﷺ لم يكن داعية حق محض فحسب، بل هو من الجمال بمكان، لقد هيأه الله للرسالة فكان أجمل الناس خُلُقا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) ولكن ينبغي أن نتذكر كذلك أنه كان أجمل الناس خَلْقا، روى البراء بن عازب فقال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير» (متفق عليه)، ولما سئل البراء أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا.. بل مثل القمر» (متفق عليه).

ولقد أوتي القرآن ومثله معه (٢) كذلك، انتبه: إنه لم يؤت القرآن فقط، بل أوتي السنة وقد وصفها بكونها «مثل القرآن» فهي مثله في الحكمة، ومثله في البلاغة والجمال والإعجاز كذلك، وذكر النبي ﷺ فضله على الأنبياء فكان مما قال «أعطيت جوامع الكَلِم» (مسلم).

وإننا نجد سيدنا موسى حين كُلِّف بدعوة فرعون، أدرك أهمية حسن البيان فدعا الله فقال ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (القصص:٣٤).

ولا يحسن أن ننسى أبدا حال المنافقين، وهل في خصال البشر أسوأ من النفاق والانطواء على السوء؟ إن هذا الباطل المحض والسوء المنفر حين كُسِيَ بالجمال صار أهلا لأن يحذر الله منهم نبيه وعباده المؤمنين، قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ (المنافقون:٤) قال ابن كثير: «كانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم» (٣).

خَلْقُ الله: وظيفة وجمال

نرى الإشارة إلى الجمال صفة ثابتة في منهج القرآن الكريم في مواطن التذكير بالنعم، وهذه الإشارة هي فاتحة المسار نحو تأمل هذه الطبيعة المضطردة في خلق الله تبارك وتعالى عبر الكون «كتاب الله المنظور».

لقد امتن الله على عباده بالجبال التي تثبت الأرض وتحفظها، فهي الأوتاد وهي الرواسي، ولكن تلك الجبال التي تقوم بمهمتها خير قيام

• باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية وصاحب مدونة المؤرخ



الدخول إلى النفس من باب الجمال منهج قرآني ونبوي والأفضل للداعية أن يتحدث عن جمال الإسلام بدل الحديث عن تكاليفه

كانت أيضا ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر:٢٧) فكان «جمال» الجبال واختلاف ألوانها من نعم الله، ومن الأدلة عليه.

وذكر الله كذلك نعمته على عباده بما سخر لهم من دواب، تلك الدواب التي تنجز لهم أعمالهم وتحمل أثقالهم وتقطع بهم المسافات كانت كذلك من الجمال، اسمع قوله تعالى ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٥- ٨)

بل قد يذكر الله الجمال أولا وقبل الوظيفة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك:٥)، فهنا كانت المصابيح زينة السماء قبل أن تكون رجوم الشياطين.

بل وربما ذكر الجمال فحسب، فتكون منة الله على عباده الجمال وحده ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل:١٣)، ففي «اختلاف الألوان» تكمن الآية، ومثل هذا أن يلفت الله النظر في ذات الشيء إلى الجمال وحده، إننا نجد الله حين قرر حق الفقراء في ثمار الأغنياء قال ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأنعام:١٤١) ولكنه وفي آية أخرى في نفس السياق تحدث عن جمال الثمار فحسب فقال ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (الأنعام:٩٩) فهنا حديث عن الجمال الذي تراه العين وأمر بالتأمل فيه.

إن هذا المنهج القرآني حري أن نتوقف عنده طويلا، ونتعلم.. نتعلم كيف نعرض الحقائق في الثوب الجميل، باللفظ الجميل، بالعبارة الجميلة، فلقد خلق الله الإنسان ولكنه أنزل إليه لباسا وريشا.

ولقد أبدع في وصف هذا المنهج الأستاذ محمد قطب فقال في كتابه قبسات من الرسول ﷺ: الجمال فطرة الطبيعة، فطرة الحياة التي خلقها الله، والحياة لا تكتفي بقضاء الضرورة، ولكنها تهدف دائما إلى الإحسان في الأداء.

أرأيت هذه الزهرة الجميلة الفياحة الشذى المتناسقة الألوان؟ أتظن ذلك «ضرورة»؟

قالوا: لتجتذب إليها النحل فينتج منها العسل غذاء وشفاء للناس! وتساعد كذلك في تلقيح النباتات!

فهل تظن ذلك؟

هل من «الضرورة» بالقياس إلى النحل أن يكون في الزهرة كل هذا الجمال؟

كلا والله! فالنحل خلق متواضع! وإنه ليحط على الزهرة الرائعة التناسق كما يحط على الزهرة العادية الجمال.

ثم يزيد هذا الأمر توضيحا في كتابه (منهج التربية الإسلامية) فيقول: «إن الجبال لا تكتفي بأن تكون جبالا.. ولكنها تكون جميلة ورائعة مكسوة بالثلوج، أو مكسوة بالغابات!

إن السحاب لا يكتفي بأن يكون سحابا يحمل الماء.. ولكنه كذلك يكون جميلا بأشكاله وألوانه، ثم ينتشر عليه في بعض الأحيان، طيف الشمس (قوس قزح) في منظر رائع جميل!

إن النبات لا يكتفي بأن يكون نباتا، ولكنه يُورق ويزهر، ويستمتع منه الإنسان بزهره الأريج وشكله البهيج!

إن الطير لا يكتفي بأن يكون طيرا، ولكنه يسقسق ويغرد ويلعب ويقفز، وتزهو منه الألوان!

إن الحيوان لا يكتفي بأن يكون حيوانا، ولكنه يقفز ويمرح، و «يتخابث» في لطف ويُستألف للإنسان (٥)

الدعوة بالجمال

حين خاطب الله تعالى الناس ليؤمنوا، والمؤمنين ليثبتوا ويزدادوا إيمانا، كان الخطاب القرآني فوق بلاغته يشير إلى الجمال المنثور في الكون، وبهذا الجمال وإتقان الصنعة كان القرآن يقول للناس آمنوا بالله.

فالله هو الذي خلق لكم، وأنزل لكم، وسخر لكم، وإن جعل عليكم النهار سرمدا فلن يأتيكم أحد بليل، ولو جعل عليكم الليل سرمدا فلن يأتيكم أحد بنهار، وآيات القرآن في هذا الشأن يمتزج فيها إتقان الخلق، بجمال الخلق.

وقس على هذا كثير، ونحن هنا في مقام الإشارة، ثم نحن نخاطب أهل التربية وهم في هذا المقام أفذاذ ألمعيون.

وبمثل هذا النهج كان حرص النبي ﷺ على الدعوة بالجمال، وقد سبق أن قلنا إن الله حسَّن خلْقه، ولكنه ﷺ وكما روى جرير بن عبد الله قال «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في

وجهي» (متفق عليه).

وكان ﷺ محتفيا بالجمال إلى الحد الذي يقرر فيه أن «الطهور شطر الإيمان» (البخاري).

وقال «لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس، لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» (أحمد و النسائي).

ولقد أعلن النبي ﷺ أنه يحب الطيب فقال: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» (البخاري)، وكان من عادته ﷺ إذا أتي بطيب لم يرده (النسائي) ، بل وأوصى ﷺ فقال: «من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه طيب الرايح خفيف المحمل» (مسلم).

وعندما صنعت لرسول الله ﷺ بردة سوداء ولبسها فلما عرق فيها وجد ريح الصوف فقذفها(أبوداود).

ولهذا كان من وصف خادم النبي ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: «ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ (مسلم).

وتعددت وصايا النبي ﷺ في هذا الشأن، يروي: أبوالأحوص عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته (أبوداود والترمذي والنسائي).

وأوصى فقال ﷺ «ما على أحدكم إن وَجَدَ- أو ما على أحدكم إن وجدتم- أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ؟!» (أبوداود وابن ماجة).

وخلاصة المنهج الإسلامي مع الجمال تكمن في قوله ﷺ «إن الله جميل يحب الجمال» (مسلم).

وبالجملة فإن المصطفى ﷺ «لم يتسخ له ثوب قط قيل لأنه لا يبدو منه إلا طيب».

كما كان ﷺ صاحب ذوق رفيع، وهو نوع آخر من الجمال كذلك، فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ «كان إذا صافح رجلا لم يترك يده حتى يكون هو التارك ليد رسول الله ﷺ» (السلسلة الصحيحة للألباني).

ونهى ﷺ أن يجلس الرجل بين الرجلين إلا بإذنهما (السلسة الصحيحة للألباني).

وقال ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه» (متفق عليه).

وقال ﷺ «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» (البيهقي وحسنه الألباني).

حتى في مناداة العبد والخادم أوصى النبي ﷺ «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: فتاي وفتاتي» (مسلم).

هذا المنهج تعلمه صحابة النبي ﷺ فعرفوا أن للجمال أثرا في الدعوة، وأي أثر! فحين ذهب ابن عباس رضي الله عنه كرسول من علي بن أبي طالب لمحاورة الخوارج الحرورية وإقناعهم بالحق، إنه لجدير أن نقف عنده وهو يختار أن يلبس لهذه المهمة أفضل ما لديه من ثياب، روى أبوداود عنه أنه قال لما خرجت الحرورية أتيت عليا رضي الله عنه فقال: ائت هؤلاء القوم فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن قال أبوزميل وكان ابن عباس رجلا جميلا جهيرا، قال ابن عباس فأتيتهم فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس ما هذه الحلة؟ قال ما تعيبون علي لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل (أبوداود).

وأثر الجمال في النفوس فهمه أيضا سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، حتى يحكي الإمام المناوي قائلا «وقد كانت ثياب شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف في غاية النقاء والنظافة والبياض إلى حد لا يبلغه ثياب الملوك في عصره كأنه مع ثيابه قطعة نور» (ثم يضيف المناوي) والنظافة مما تزيد في العين مهابة، وفي القلب جلالة (٦) وفي هذا المقام نرجو من إخواننا وشيوخنا الدعاة والمربين مراجعة سيرة الإمام الليث بن سعد.

العزة بالجمال

ذلك ما فهمه معاوية بن سفيان رضي الله عنه حين كان في ولاية الشام على عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فحين خرج عمر بن الخطاب إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه وراح إليه في موكب فقال له عمر: يا معاوية تروح في موكب وتغدو في مثله وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك، قال: يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منا ولهم عيون وجواسيس فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا فقال له عمر: إن هذا لكيد رجل لبيب أو خدعة رجل أريب (٧)

ويروي المقري عن العصر الذهبي للأندلس زيارة ملك الجلالقة أردون (أوردونيو) ودخوله إلى قصر الزهراء بين يدي الحكم المستنصر (حكم منذ ٣٥٠ هـ إلى ٣٦٦ هـ) فما كاد الملك يتماسك مما رآه من أبهة وجمال، حتى إنه سجد بين يدي الخليفة مرارا وظل لوقت ساكتا من الجلال: «فلما قابل السرير (كرسي الخليفة) خر ساجدا سويعة، ثم استوى قائما، ثم نهض خطوات، وعاد إلى السجود، ووالى ذلك مرارا إلى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى إلى يده فناوله إياها وكر راكعا مقهقرا على عقبه إلى وساد ديباج مثقل بالذهب، جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير (كرسي الخليفة) فجلس عليه والبَهْرُ قد علاه.. فأطرق الحكم عن تكليم الملك أردون إثر قعوده أمامه وقتا كيما يُفْرِخ روعه، فلما رأى أن قد خُفِّض عليه افتتح تكليمه.. تطلق وجه أردون وانحط عن مرتبته فقبل البساط وقال أنا عبد أمير المؤمنين.. فكرر أردون الخضوع وأسهب في الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولي الخليفة ظهره وقد تكنفه الفتيان فأخرجوه إلى المجلس الغربي في السطح وقد علاه البهر وأذهله الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزة، فلما أن دخل المجلس ووقعت

• باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية وصاحب مدونة المؤرخ

عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه انحط ساجدا إعظاما له (وأمر له الخليفة بخلعة) كانت دراعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين العلج تجلة فخر ساجدا وأعلن بالدعاء.

واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الإسلام فيه ما أفاضوا في التبجح به والتحدث عنه أياما، فمن ذلك قول عبدالملك بن سعيد المرادي:

مُلك الخليفة آيةُ الإقبال
وسُعوده موصولة بتوالي
والمسلمون بعزة وبرفعة
والمشركون بذلة وسفال» (٨)

وإن نظرة إلى قصر الحمراء في غرناطة لتملأ النفس الإنسانية إعجابا وانبهارا، وتملأ نفوس المسلمين خصوصا فوق الإعجاب حسرة وحزنا وشوقا وفخرا.

ولا أحسب أحدا يجادل في أن جماهير من تغربوا أو انخدعوا بالغرب بهرهم جماله وتفوقه لا فلسفته وثقافته.

الخلاصة

أن الدخول إلى النفس من باب الجمال، هو منهج قرآني ونبوي، وهو قرين الدخول إلى الإنسان من باب العقل والإقناع، بل ربما أحيانا يسبقه، والعبرة في هذا بطائفة المخاطبين أو الطلاب والتلاميذ، وكلما كان المخاطَب طفلا أو غلاما كلما ازدادت الحاجة إلى الجمال أكثر من الإقناع.

وإنه ليحسن للداعية أن يتحدث عن «جمال الإسلام» بدل أن يتحدث عن «قيود الإسلام» أو «تكاليف الإسلام» والمعنى في الحالين واحد ولكن المدخل في الأولى ألطف وأقرب وأحب إلى النفس.

ولاشك عندي في أن نفس الداعية مستحضرة للحق متحيزة له، ولكن الأمر لا يتطلب كثير وقت لتحسين المداخل وتجويد العبارة.

وليتذكر أن الخلود مشروط بالجمال، طالما كان الموضوع في ميدان النفس ولم يكن في ميدان العلوم البحتة، ولعله حين يشرد مفكرا في الجمال سيجد في رأسه بيتا للمتنبي أو أبي نواس، فيعلم أن فطرة النفوس وإن رفضت المعنى فقد قبلت الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف:٢٦).

الهوامش

١- انظر: الألباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى. ص١٥٨، ١٦٠. وإبراهيم العلي: صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م. ص٥٨

٢- حديث «ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه» أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٦٤٣.

٣- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م ١٢٦/٨

٤- محمد قطب: قبسات من الرسول ص١٠٥: ١٠٧.

٥- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية ص١٥٠.

٦- المناوي: فيض القدير دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م (٢٨٥/٢).

٧- لطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٦٥/٣.

٨- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م. ٣٨٨/١: ٣٩٣ باختصار.

الشيخ عبدالملك الشافعي في ذمة الله



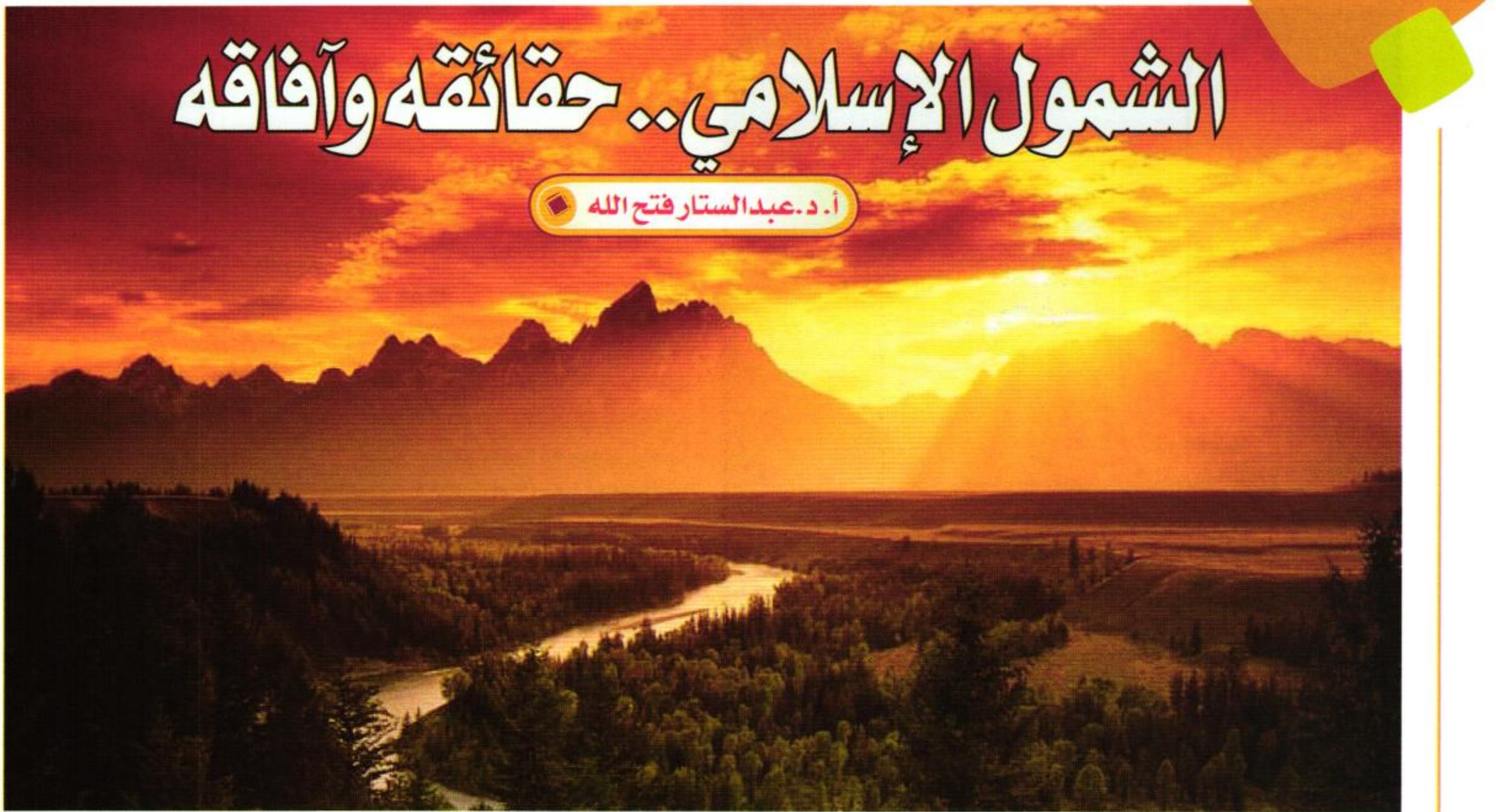
توفي في الكويت يوم الأحد ٢٠١٠/٧/١١ الشيخ عبدالملك الشافعي الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة بعدما هاجر من موطنه الأصلي مصر في أوائل السبعينيات، حيث كان مسجده يغص بالمصلين في صلاة التراويح لعذوبة صوته.

وقد عمل الشيخ الشافعي مدرساً للتجويد في دور القرآن في الكويت لسنوات عدة، وتتلمذ على يديه الكثير من طلبة العلم.

كان الشيخ يلقب بكروان القرآن لعذوبة صوته، وكان عند اقتراب موعد الصلاة دائمًا ما يذكرنا فعله بحديث رسول الله ﷺ «أرحنا بها يا بلال»، فكان يروح ويجيء ذهابًا وإيابًا متعجلًا الذهاب، ثم يقصد المسجد قبل الصلاة بما يزيد على الساعة، وكان وقورًا له سمت العلماء لا يتحدث إلا فيما يعلم، قليل الكلام ولا يذكر أحدًا بسوء، فكان كلما جاءت أخبار الظلمة والظالمين لا يرد إلا بقول واحد «والله من ورائهم محيط» مكررًا إياها أكثر من مرة، كان شبابه جهادًا في سبيل الله، حيث جاهد ضد الإستعمار الإنجليزي والإحتلال الصهيوني، وسطر مع إخوانه أروع الملاحم التي أغفلها الظالمون، وكانت حياته كلها في خدمة القرآن، ومتعته في دراسته، وكان دائم قيام الليل حتى في شيخوخته، وكان شهمًا مخلصًا إذا طلبت منه خدمة لوجه الله تعالى لباها في التو واللحظة، حتى تسأل نفسك أكانت الخدمة له أم لغيره من فرط حرصه على أدائها مهما كانت ظروفه.

رحم الله شيخنا الجليل ورزقه الفردوس الأعلى، اللهم وسع مدخله، وأكرم نزله، وزد فى إحسانه، وتجاوز عن سيئاته، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره، واحشرنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الشمول الإسلامي.. حقائقه وآفاقه



أ. د. عبدالستار فتح الله ◈

لقد أحكم الله الدين قبل نشأة الأمم، أو قيام الحضارات البشرية، وعلّمه للإنسان منذ أول الطريق، حين أُهبط على الأرض؛ لأنه أساس هدايته، وضرورة معاشه ومعاده، كما قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤)، وهذا خبر الحق والصدق الذي لا يتخلف أبدًا: بأن شريعة الله لعباده هي الهداية الخالصة التي تعصمهم من الضلال والضياع في كل شؤون الحياة، والتي تفضي بهم إلى سعادة الأبد في الآخرة. ثم هذا نذير قاطع بأن الإعراض عنها يؤدي إلى ضنك الحياة، وشقاء العيش، وعماية النهاية، ضرورة أن الإنسان لا يعيش في فراغ، فمن أعرض عن الحق لابد أن يقع في الأباطيل، وأن يتمرغ في أوحالها وأهوالها، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ (يونس: ٣٢)، وهذا تقرير واضح بشمول الهدي الإلهي لكل ما يحتاجه الإنسان في معاشه ومعاده، حتى يتأكد الاتباع، ولا يضطر الإنسان إلى الإعراض في شيء من جوانب الحياة البشرية المتلاطمة.

الشريعة الدائمة العادلة

وعلى هذا الهدي تتابعت الرسل- عليهم السلام- بدين الله الجامع الشامل، وجاءوا بمنهج واحد مؤتلف غير مختلف، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)، ذلك لأن الشارع الموحي واحد لا شريك له.

والرسالة عبر أولي العزم جميعًا رسالة صادقة هادية، من فجر التاريخ النبوي الشريف إلى ختامه بمحمد ﷺ ثم امتداده إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وهذه آية جامعة لخصائص الرسالة الإلهية، وأنها تقصد قصدًا إلى تحقيق العدل، وإقامة القسط بين الناس، خاصة إذا تنازعوا واختلفوا، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣).

الرسالة الخاتمة

وكان كل رسول يُبعث إلى قومه بالشريعة الإلهية الجامعة، وتعادلت كثرة الرسل- عليهم السلام- مع تعدُّد الأقوام والأمم، إلى أن بعث الله- تعالى- محمدًا ﷺ بالرسالة الخاتمة، فقام بعموم رسالته مقام الكثرة السابقة، واجتمع له ﷺ الشمول من أطرافه جميعًا، خاصة بالمعجزة الخاتمة (معجزة القرآن الكريم) أو الفرقان الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، وجعله تعالى حجته الدائمة على جميع البشر جميعًا، وصوت النبوة الممدودة إلى آخر الدهر.

وفي هذه الرسالة الخاتمة اتسعت جوانب الشمول الإسلامي، وامتدت طولًا وعرضًا وعمقًا حتى استوعبت جميع الأفراد والأمم، وقررت كلّ طيّب من المبادئ والنُّظم، وتوجهت بالخطاب الأعلى لكل الأزمنة

◈ أستاذ العقيدة في جامعة الأزهر سابقاً

والأمكنة، مع غاية التبيان في الخطاب، وقوة الحجة، وصحة الدليل والبرهان.

هذا الإجمال يحتاج إلى تفصيل وبيان واستدلال من صريح الوحي الإلهي الجليل، المحفوظ بأصليه الجامعَين (القرآن الكريم، والسُّنة المطهرة) كما قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١) وكما قال تعالى، مخاطبًا رسوله الأمين، ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

آفاق الشمول الإسلامي

تعددت جوانب الشمول الإسلامي، واتسعت آفاقه في هذه الرسالة الخاتمة، التي أراد الله- تعالى- لها أن تكون خطابه الدائم إلى يوم القيامة، وحجته الممدوة في حياة الرسول الخاتم ﷺ وبعد وفاته عليه السلام. ويتمثل ذلك في ثلاثة أقسام:

الشمول الظرفي

ونعني به أن الإسلام خطاب إلهي موجّه لكل البقاع في الأرض، ولكل الأزمنة منذ بُعث رسول الله ﷺ إلى أن ينفخ إسرافيل في الصور إيذانًا بتصدع الكون، وانتهاء مرحلة التكليف والاختبار في حياة الإنسان؛ ولذلك كان خطابًا لأهل مكة الذين بدأ بهم رسول الله ﷺ كما أمره تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤).

الشمول الشخصي

ونعني به استيعاب جميع الأشخاص العقلاء البالغين في توجيه الخطاب الإسلامي إليهم، سواء كانوا أفرادًا أو جماعات محدودة كالأسرة أو القبيلة، أو كانوا شعوبًا وأممًا تحكمهم الأعراف والتقاليد في البوادي، أو تحكمهم حكومات في دولة منظمة ذات قوانين.

إن كل من يدرج على أرض الله مخاطَب بهذه الرسالة، ومكلّف بها في أي مكان درج، وفي أي زمان وُجد، كما قال تعالى في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله- عز وجل-: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، فقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ خطاب لأهل مكة أو العرب عامة برسالة القرآن، وقوله تعالى: ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ أي إنه خطاب لكل من بلغه القرآن، أو لكل من بلغ سن التكليف، واللفظ عام في العرب وغيرهم في معنييه:

الإسلام خطاب إلهي موجه لكل البقاع في الأرض ولكل الأزمنة منذ البعثة المحمدية إلى يوم القيامة

- الأول، من البلاغ بمعنى العلم به على وجه صحيح.
- الثاني، من البلوغ وهو حد التكليف الملزِم بالخطاب الإلهي.

الشمول التشريعي

وهو الأساس الثابت في الدين الإلهي للناس، على ألسنة الرسل- عليهم السلام- في كل العصور، مع مراعاة بعض الفروق والتفاوتات المناسبة للأزمنة أو الأمكنة أو الأقوام، حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية المبنية على العلم المحيط.

والأصل في هذا هو قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ (الشورى: ١٣).

وفي الرسالة الخاتمة بالذات أكثَرَ القرآن من تقرير الشمول الجامع، بصيغ عديدة غاية في الصراحة والوضوح، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

والتبيان أبلغ من البيان، والشمول مأخوذ نصًّا من قوله تعالى ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يحتاجه الناس في شؤون حياتهم إيمانًا وأخلاقًا وعبادات ومعاملات.

وقال تعالى في ختام العهد المكي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، والآية الكريمة نزلت في حجة الوداع في يوم عرفة من السنة العاشرة للهجرة.

والإكمال يرجع إلى معاني الجودة في الصفات (الكيف)، والإتمام يرجع إلى معاني الشمول في الأعداد (الكم).

فتعين من هذا أن الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده مستجمع لكل الصفات الجيدة، ولأعداد الأحكام في كل جوانب الحياة، لأن الله تعالى هو الذي يشرّع لعباده، ولا يعطيهم دينًا ناقصًا أبدًا، كما قال تعالى ذلك من قبل في العهد المكي: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١- ١٦٣).

إن الإسلام شامل لكل شؤون الحياة الخاصة والعامة، والفردية والجماعية، وجامع لكل ما يحتاجه الناس في الأصول والفروع، والمبادئ والأحكام، سواء أريد بالعدد المذكور معنى التحديد الذي تضم فيه كل شعبة قضايا ومسائل متكاثرة لا تكاد تُحصر أيضًا، وبذلك يتفق الأمران في النتيجة الواحدة، المثبتة لمعنى الشمول.

ولعلماء الإسلام بحوث مستفيضة في شرح هذه الشعب الكثيرة، كما فعل الإمام البيهقي في كتابه الكبير «شُعب الإيمان».

وكما فعل الحافظ ابن حجر في كتابه «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، حيث استوعب بهذه الشعب أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن، وما يتعلق بالفرد، والجماعة، والدولة، في تفصيل نفيس، وبيان جامع نافع، وعد للمبادئ والأحكام التي تغطي جميع جوانب الحياة البشرية، من خلال هذه الشعب التي جاءت في الحديث النبوي على هذا الضرب من الإيجاز والإعجاز. (انظر فتح الباري، ج١، ص٥٢،- ٥٣).

وبذلك يتقرر الشمول الإسلامي في كل جوانب الحياة، على وصفه النبوي، وعلى وصفة القرآن من حيث الإكمال والإتمام، ولذلك كان خليقًا بأن يتوج بأعظم شهادة في الوجود: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ (المائدة: ٣)، وكفى بذلك تشريفًا وتمجيدًا.. وكفى بالله شهيدًا.

إسلامية التربية

أ.د. سعيد إسماعيل علي

لا يسع الإنسان المنتمي لعقيدة دينية إلا أن يقر منذ اللحظة الأولى أن مقصد العقيدة لا يمكن أن يقف عند حد الإيمان بما تتضمنه هذه العقيدة من معارف، مهما وصل الإيمان بها إلى حد اليقين المطلق، مثلما يؤمن المسلم بإله واحد وأن محمدا رسول الله، وبما سبق أن أرسلهم المولى سبحانه وتعالى من رسل وأنبياء، وما جاء على أيديهم من كتب، ومابشروا به من بعث لحياة آخرة تتم فيها المحاسبة: إما إلى نار جهنم أو إلى جنة عرضها السموات والأرض، وإنما جوهر الإيمان الحقيقي، يتبدى- بالإضافة إلى العقيدة- فيما يسلكه المؤمن تجاه نفسه وتجاه غيره، ومن قبل ومن بعد، تجاه الخالق عز وجل.

بناء على هذه الحقيقة، فإن العروة لابد أن تكون وثقى بين التربية وبين الدين، إلى الحد الذي يمكن أن نؤكد معه أن دينا مثل الإسلام بصفة خاصة ذو طابع تربوي أصيل.

وإذا كنا نتيقن من الطابع التربوي للإسلام، فلابد من التوقف بعض الشيء أمام الجانب الآخر، وهو إمكان أن تكون التربية «إسلامية»، حيث يستنكر البعض هذا، مثلما يستنكرونه في مجالات أخرى، فلا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة، والأمر كذلك بالنسبة للاقتصاد وغيره.

فقبل أن تشن الحملة الضارية على معظم ما ينطلق منطلقا وإسلاميا، والتي فاقت كل الحدود والتوقعات بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م في نيويورك، كانت قد ارتفعت دعوة إلى ما عرف بأسلمة المعرفة أو إسلاميتها، والتي قوبلت برد فعل مضاد ساخر مستنكر، وكان من المعتاد أن يضرب مثل من العلوم الطبيعية والك ونية بصفة خاصة لتأكيد الاستنكار والسخرية، بأنه ليست هناك كيمياء إسلامية وأخرى غير إسلامية، وليست هناك فيزياء إسلامية وفيزياء غير إسلامية، وقياسا على هذا فليست هناك تربية إسلامية وتربية غير إسلامية، فالتربية هي التربية في كل مكان.

كانت مثل هذه الأمثلة مدعاة لأن يبدو هذا الإنكار وقد حمل قدرا كبيرًا من المصداقية، ذلك أن موضوعات مثل هذه العلوم تتعلق بالمادة، والمادة لا علاقة لها بالعقيدة والفلسفة والتوجه، فتكون الكيمياء في روسيا هي نفسها الكيمياء في أميركا، وهي نفسها في البرازيل أو في مصر وسوريا ... وهكذا.

لكن الأمر لم يكن كذلك في حقيقة الأمر، فالذين أطلقوا دعوة إسلامية المعرفة، كانوا يقصدون

• أستاذ أصول التربية بكلية التربية في جامعة عين شمس

بين التربية والتعليم

ارتبط العلم بالإسلام منذ نزول الوحي على الرسول ﷺ عندما كان في غار حراء ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق:١-٥).

ثم توالى نزول الآيات التي تحض على طلب العلم لأن الإنسان المستخلف لا يمكن أن يؤدي مهام الاستخلاف ويحقق غاياته إلا إذا أتقن العملية التعليمية، وهضم العلوم والمعارف، وجعل العلم مفتاح الاستخلاف، ويوم أقبلت أمتنا على العلم وبنت مؤسساته على قواعد متينة من الكتاب والسنة امتلكت دفة الريادة وبوصلتها في الأرض، وبنت حضارة امتدت قرونًا عديدة.

إن فجوة التخلف العلمي التي تعانيها أمتنا اليوم لا يمكن تجاوزها إلا إذا قمنا بعملية مراجعة شاملة لمؤسساتنا التعليمية وربطها بعملية التنمية المجتمعية.

يقول أحد المفكرين مشخصًا وضع التعليم في عالمنا العربي والإسلامي: «إن الإشكالية ليست في عدد الجامعات ولا عدد الرسائل الجامعية، ولا قلة الخريجين، ولا عدد المجلات المحكمة، ولا عدد كليات التربية، وإعداد المعلمين، كما أنها ليست في كمية الإنفاق الحكومي وإنما الإشكالية في حقيقتها يمكن أن توصف بأنها أزمة ذاتية أو علة ذاتية في التعليم ذاته، وهي في الذهنية والمنهجية والنوعية».

إن عملية النهوض الحضاري لابد أن تبدأ بالعلم والتعليم، كما بدأت أول مرة من خلال رسالة «اقرأ»، وعملية التعليم لابد أن تبنى على استراتيجية علمية واضحة المعالم والرؤى والأهداف، حتى نحول التخلف إلى أداة لإيقاظ الأمة من سباتها وإخراجها من كبوتها التي طال عليها الأمد.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

«الوعي الإسلامي»

بصفة خاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإلى حد ما بعض الجوانب في غيرها من العلوم، وكان أبرز ما حظي بالجهد العلمي الكبير والمتواصل هو ما أصبح معروفا باسم الاقتصاد الإسلامي.

وإذا كانت جهود إسلامية الاقتصاد لم تعرف طريقها إلى الظهور إلا منذ السبعينيات على وجه التقريب، فإن من الغريب أن تكون جهود التربية الإسلامية، قد عرفت طريقها قبيل ذلك بكثير، في الأربعينيات على وجه التقريب، عندما أنجز د. أحمد فؤاد الأهواني رسالته للدكتوراه في آداب القاهرة، في أوائل الأربعينيات عن التعليم في رأي القابسي.

والفكرة هنا أنه ما من علم إلا ويقوم على عدد من المنطلقات والمسلمات والأطر الفكرية التي يكون لها دورها الفاعل في تحديد الأهداف، وتشكيل المسارات، وفتح الآفاق، وفضلا عن هذا وذاك، ترتبط به منظومة من القيم الأخلاقية التي يلتزم بها العاملون في هذا القطاع أو ذاك، مما يجيز لنا وسم هذا النسق أو ذاك بصفة الإسلامية.

والغريب حقا أننا عرفنا قبل هذا، ومنذ عقود عدة، ما أصبح معروفا بالعمارة الإسلامية، حيث الموضوع هنا موضوع «حجر» لا بشر، فكيف يمكن وسم الدراسات المتصلة بالحجارة بسمة عقيدة بعينها؟ لقد كان مقبولا أن نقول: عمارة فرعونية وأخرى بيزنطية، مثلا، حيث تكون

التربية .. عملية تنفيذية في بناء الإنسان وتحتاج إلى تصميم عدد المسارات والاتجاهات

الغلبة هنا لبيئة معينة، ومكان بالذات، أما أن يكون الدافع للتسمية هو العقيدة فهذا ما يستدعي وقفة، ربما تساعدنا على فهم الدعوة إلى إسلامية التربية، والتي نشارك كثيرين في الدعوة إليها.

الحق أنني لا أزعم معرفة بالعمارة الإسلامية، وإنما هي صفحات قليلة للغاية، ومناقشات كانت تجري بيني وبين ابنتي التي تخصصت في العمارة منذ الثمانينيات، حيث لاحظت بالفعل سمات بعينها تخص هذا النوع من العمارة.

فهناك مثلا الجدر السميكة التي، فضلا عن فعلها في عزل الداخل عن حرارة الجو خارجه، لها دورها الثقافي والاجتماعي من حيث الحفاظ على سرية ما يتم من أحاديث داخل المكان، فلا يسمع الأولاد ما يدور بين الأب والأم مما هو جائز وما هو غير جائز، وكذلك لا يتاح هذا أيضا للجيران، بينما سمك جدار اليوم لا يراعى ذلك أبدا.

إن مثل هذا الشأن يعكس وجها من أوجه المنظومة القيمية في الإسلام من حيث «الحرمة»، فالعلاقات بين الرجل والمرأة ليس من المسموح أن تتكشف للآخرين.

وفي ظل هذا النسق المعماري، كانت هناك «المشربية» التي تتيح لأهل الدار أن ينظروا إلى خارج السكن، دون أن «ينكشفوا» على الآخرين.

وكانت الأبواب والنوافذ مستطيلة، لها جزء بأعلاها ينفتح مستقلا، متيحا الفرصة لدخول الهواء، ومن ثم حيث يتيح الفرصة أيضا لمن هم بالداخل أن ينكشفوا، ويتعروا أحيانا دون اضطرار للإغلاق، حيث حرارة الجو، وقبل ظهور أجهزة التكييف.

وفي المساجد والمدارس التي عرفت بالإسلامية



من حيث طرازها المعماري، كانت القاعدة عند التصميم الهندسي أن تحدد جهات المبنى بناء على تحديد «جدار القبلة»، فإذا كانت الصلاة واجبة بالضرورة في المسجد، فإن المدرسة اقتدت به، فضلا عما كان من تصميم يقوم على التعامد بين الجهات الأربعة، حيث كانت كثير من المدارس مفتوحة للجميع من أبناء المسلمين، وفقا للمذاهب الأربعة، التي كانت ركنا أساسيا في التمييز بين الناس، فهذا فلان الحنبلي، وذاك المالكي، والآخر هو الشافعي والرابع هو الحنفي.

وبينما كانت تزين الجدران في الكثرة الغالبة من المباني، كان من المستحيل أن نجد رسوما لأشخاص، حيث شاع تحريم التصوير لكل ذي روح، فكان أن تفنن الفنانون المسلمون في كتابة اللغة العربية بأشكال وأحجام وأوضاع جعلت منها منبعا مذهلا للأشكال الفنية البديعة، وخاصة كتابة آيات القرآن الكريم.

كذلك وجدنا الفنان المسلم يلجأ إلى تكرر وحدة الموضوع بطول الجدر.

وارتبطت المآذن والمنابر أيضا بأشكال متعددة من الفنون الزخرفية والتشكيلية، مما أدرجها بدورها تحت مظلة العمارة الإسلامية والفن الإسلامي.

فكيف تأتي لنا أن نصف كل هذا وذاك، مما يرتبط بجوامد، بالعقيدة؟

لقد مثلت العقيدة منظومة من الأفكار والقيم والتوجهات

والمفاهيم شكلت بنية أساسية للمعماري المسلم والفنان المسلم.

هكذا يصبح من الجائز إلى أقصى حد أن نتصور وجود تربية تقوم على منظومة القيم والأفكار والمنطلقات والمفاهيم المستمدة من العقيدة الإسلامية، خاصة ونحن هنا نكون إزاء بناء «إنسان» ذي وجدان ومشاعر وإرادة وعقل وتفكير وقلب.

إننا نردد دائما مقولة مؤداها أن عملية التربية هي عملية «تنفيذية» في بناء الإنسان، وهي بهذا الاعتبار تكون بحاجة ماسة إلى «تصميم»، مثل كل عملية بناء، يحدد المسارات والاتجاهات والوظائف والأهداف. إن الذي يبني «فيلا»، غير الذي يبني «قصرا» غير الذي يبني «جسرا»، غير الذي يبني منشأة حكومية... وهكذا، هناك وظائف، وهناك أهداف لكل «بناء» يحدد المصمم ما يرسمه بناء عليها، وبناء على شخصية من يريد هذا البناء أو ذاك، وقدراته المالية والعقلية والاجتماعية.

هكذا الأمر بالنسبة لبناء إنسان مسلم، هو يشترك بالتأكيد في الكثير من الجوانب مع غيره من أبناء الأمم والشعوب، وخاصة فيما هو متصل اتصالا وثيقا بالفطرة، لكن هناك «منظومة قيم» وهناك «منظومة ثقافة» لابد أن تكون لهما السيطرة على التشكيل والبناء. إن مادة الأكل التي تدخل جوف الإنسان تكاد تتشابه مع آلاف الملايين من الناس، لكن.. لكل شعب مذاقه وأساليبه وعاداته وتقاليده المتصلة بهذه الحاجة الفطرية، حتى أصبح مقبولا أن نقول بأن هذا مطعم صيني، وذاك سوري، وذاك إيطالي... وهكذا، فما بالنا ببناء إنسان، ليس مجرد جسم، بل جسم يتصل بحواس ومشاعر وعقل وعواطف وقلب وتاريخ وثقافة ووجهة نظر، وما على هذا وذاك مما هو إنساني؟ أليس هو الأجدر بأن تنطبع عملية هذا البناء البشري بالمرجعية الإسلامية التي أرسى قواعدها خالق كل شيء؟ ليست المسألة تعصبا دينيا بقدر ما هو انحياز كذلك إلى منطق العقل وأصول التربية.

لقد عرفنا لعقود طويلة ما كان يسمى بالتربية الماركسية والتربية الاشتراكية، بغض النظر عن رأينا في كل منهما، ولم يستنكر أحد تلك التسمية، لأنها تربية كانت تعكس فلسفة وإطارا فكريا بعينه.

وأمكن لنا أن نقول بتربية «مثالية»، وأخرى «واقعية»، وثالثة «طبيعية»، ورابعة «براجماتية»، وخامسة «نقدية»... وهكذا، وهذا الاختلاف والتعدد في التسمية يعكس «الأسس الفلسفية» و«الأطر المرجعية» التي تقوم عليها كل تربية من هذه التربيات.

وقد يقول قائل إن التربية بطبيعتها عملية متغيرة، تخضع لمتغيرات الزمان والمكان، فكيف يمكن ربطها بعقيدة تقول إنها خاتمة العقائد، ولا تقبل التغيير والتطوير؟

الحق أن هذه القضية ربما تحتاج إلى مبحث مستقل، لكننا نختزل ما يمكن قوله، في أن العقيدة مثلها مثل الإنسان، فكل منا له هيئته الجسمية وجملة ما تقوم عليه شخصيته، مما يجعل من فلان هو نفسه فلان، عبر سنوات عمره التي قد تمتد عدة عقود، ولا يخطئ أحد في تسميته وتحديده، ولا يكون ذلك إلا لأن هناك معالم عامة وأصولا كلية خاصة بهذا الإنسان دون كثيرين، لكن ذلك لا يمنع أنه يتغير في كثير من الجوانب.

كذلك، فللعقيدة ما عرف باسم الأصول وما عرف باسم الفروع، فليس هناك مجال لأن يختصر أحد عدد مرات الصلوات الخمس لتصبح أقل من ذلك أو أزيد، أو أن يغير صوم رمضان، أو يغير في فريضة الزكاة وهكذا، لكن، هناك الكثير مما يتضمن مساحات شاسعة من الاجتهاد البشري، وإلا فما تفسير وجود الشيعة والسنة؟ وما تفسير وجود مذاهب أربعة داخل السنة، ومذاهب متعددة داخل الشيعة؟

وهل يمكن أن نتغافل عما قال به رسول الله ﷺ من أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها؟

ومن حسن الحظ أن المسائل التربوية، في كثير منها، مما يدخل في ساحة الاختلاف والتباين والتعدد، وفقا لتغير المكان والزمان، شريطة استمرار الالتزام بما هو من الأصول والثوابت مما أشرنا إلى أمثلة لها.

وفضلا عن ذلك فإن مما لا سبيل إلى جحده أن الإنسان وهو يقرأ النصوص القرآنية والنبوية، إنما يقرأها من خلال عقل بشري، يتأثر من غير شك بظروف الزمان والمكان في فهمه وتأويله وبحث سبل التطبيق والتنفيذ، لكن مثل هذا إنما لابد له من ضوابط وقواعد، حتى لا ينفلت الأمر فيأتي هذا وذاك ليزعم أنه هكذا فهم وفقا لزمانه وسياقه الثقافي، ومن هنا فإن للاجتهاد، كما هو معروف، شروطا لا بأس من التدقيق بل والتشدد فيها.

ولقد وردت آيات عديدة في الكثير من سور القرآن الكريم، نتبين من خلالها أن الله عز وجل قد نزّل هذا الكتاب لنتلوه ونذكره ونتفهمه ونعمل به وننصت إلى من يقرأه ويتدبر ما فيه من الآيات، وأن نعكف عليها متأملين متفكرين، وأن هذا القرآن «مبين» بمعنى أنه يبين لنا الصحيح من غيره، وما بين الحق والباطل من فروق، ويبين لنا كيف نسلك السلوك السليم، وكيف نستقيم على الطريق، وها هي أمثلة من بعض آيات القرآن الكريم:

ففي سورة النساء ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...﴾ (٨٢).

وفي سورة الإسراء ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩).

وفي سورة الزمر ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧).

وفي سورة القمر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (١٧).

ومصطلح الكتاب الذي يرد في آيات كثيرة، ينصرف في بعض الآيات إلى القرآن الكريم، حيث نجد أيضا حثا على القراءة والتدبر والتفكر والتلاوة والذكر، فمن ذلك:

فـي سـورة البـقـرة، يقول تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.﴾، فهاهنا قطع وتأكيد بأن القرآن الكريم يهدي الإنسان للتي هي أقوم، والهدى هنا صفة مطلقة تشير إلى الحصول على أروع وأفعل ثمرات السلوك المستقيم، لا بمجرد قـراءة القـرآن، وإنما بتمثله تفكيرا وسلوكا وعملا ونهجا.

وفـي سـورة البـقـرة أيضا نقرأ قوله سبحانه ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ (الآية: ١٢١)، فالنص على ﴿حق تلاوته﴾ أي التلاوة الصحيحة، التي تلتزم بأصول وقواعد قراءة القرآن، ثم تتعدى ذلك لتتمثله فكرا وعملا، لأن القراءة في حد ذاتها لا تضيف جديدا بالمعنى الحقيقي، وإنما ما تؤدي إليه القراءة من تغيير في حياة الناس، هو الذي يؤكد على القراءة الحقيقية.

وفـي سـورة آل عـمـران، إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)، نجد أنه يشدد على ضرورة القيام بمهمة تعليم الناس ما في الكتب السماوية من مفاهيم وقيم ونظم وتوجهات، وأن الذين لم يمتثلوا لهذا الأمر الإلـهـي، استحقوا غضبه ولعنته.

وفي سورة إبراهيم ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)، فعملية دراسة القرآن وفهمه واستيعابه وتطبيقه هي بمنزلة إخراج للناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والتحلل والتخبط والانحراف إلى نور الإيمان والاستقامة والهداية.

المسلم مطالب بأن يجعل القرآن نهجه والرسول قدوته لضبط طريق الحياة البشرية

أما بالنسبة لطاعة رسول الله ﷺ، والتي تتم من خلال اتباع سنته القولية والعملية والتقريرية، فهي ركن أساسي في صحيح الإيمان، وفي ذلك جاءت آيات قرآنية متعددة، مثل:

في سورة آل عمران، يقول عز وجل ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (٣٢)، فطاعة الرسول قرينة طاعة الله، ولا تتم طاعته ﷺ إلا بمعرفة ما قال وما فعل وما أقر من أفعال.

وفي سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)، حيث نلاحظ هنا تكرارا للأمر بالطاعة، فلم يقل، كما قال في آيات أخرى أن نطيع الله ورسوله، بل خص رسوله بفعل الطاعة مثلما خص ذاته العلية به، تقديرا لأهمية هذه الطاعة لرسول الله، وأنها ركن أساسي من أركان الإسلام لا يصح إسلام المرء إلا به.



ويجيء النص صريحا بغير غموض، في سورة النساء ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ (٨٠) فيذكر الأمر بطاعة رسول الله، باعتبار أن ذلك من طاعة الله، وذلك لعلة منطقية، فما يجيء به الرسول إنما هو ما أوحى الله إليه به، ومن هنا جاء قوله سبحانه في سورة الرعد ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ (٣٨).

فهذه الآيات القرآنية، وهناك الكثير غيرها مما سار على نفس الدرب، واتجه نفس الاتجاه، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل مسلم ملزم بأن يجعل القرآن نهجه، والرسول قدوته، وفي هذا وذاك ما يجعل التربية التي ننهج فيها هذا النهج تربية إسلامية بالفعل، تستلهم الأصول الربانية والنبوية، وتتجه إلى الحياة البشرية، تُقَوِّم معوجها وتضبط قبلتها وتسدد على طريق الحق خطاها.

ومن هذا المنطلق، فإنه لمما يثلج الصدر حقا أن تتوافر لدينا في العدد الحالي من المجلة مجموعة من الدراسات التي بذل أصحابها في سبيل إتمامها جهدا علميا متميزا، يضيفون به لبنات جديدة إلى بناء البحث التربوي الإسلامي، مما يجعلنا نرحب بهذه الدراسات، ونقبل عليها قارئين ومتفهمين ومفكرين.

قراءة في كتاب

الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية

د. علي عفيفي علي غازي

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء النسيج الاجتماعي، والأسرة قديمة قدم الخليقة، ولذا فقد استوعبت عبر تاريخها الطويل ذلك الركام الهائل من الثقافة الإنسانية، الذي يعكس كل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمعات، ولهذا كونت النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، فهي الوسط الطبيعي الاجتماعي الذي يترعرع فيه الفرد، ويبذل الأبوان الغالي والنفيس من أجل تربية أبنائهم وتنشئتهم وتعليمهم، فالأبناء أمانة في أعناق آبائهم، يولدون بقلوبهم الطاهرة الخالية من كل نقش وصورة، قابلين لكل ما ينقش عليها، ففي كثير من الأحيان يجد الفرد داخل إطار أسرته المناخ المناسب للإبداع الأدبي أو العلمي، فالأسرة هي المنشأ الذي تتفتح عليه عيون الفرد، ومن خلالها يتهيأ للتعامل مع مجتمعه الأكبر أو وطنه المحيط به، فإذا ما نبت في أسرة علمية فإن ميوله - في الأغلب الأعم - ستكون ميولاً علمية، ويأتي ذلك من عامل الوراثة الذي يعني انتقال صفات الأفراد من جيل إلى آخر؛ فالطفل يرث من أبويه الصفات الجسمانية، كما يرث أيضا القدرات العقلية، وأبرز هذه القدرات التي تورث هي الذكاء.

الأسرة هي مدرسةُ أفرادها، التي تقوم بتنشئتهم اجتماعيًا، كما أنها تعمل على نقل الاهتمامات والميول من جيل إلى جيل، وتعودهم على التقاليد، وخاصة الآداب العامة والسلوك والدين والعلوم، ومن ثم فإن وظيفتها هي إعداد الفرد ليصبح نواة في المجتمع وأساسًا من أسس تكوينه، الأمر الذي يساعد على تقويمه وتقويته، وهذه العوامل الوراثية ليست بالعامل الهين، وليست بالعامل الوحيد، ولكنها تؤثر تأثيرًا إيجابيًا مهمًا في توريث ميول واهتمامات الآباء لأبنائهم، الأمر الذي يميز أسرًا بعينها؛ ينبغ أفرادها في مجالات علمية واحدة، هذا ما يقدمه د. خالد حربي من خلال تساؤله الذي يطرحه: هل شهد تاريخ علوم الحضارة الإسلامية وجود أسر علمية تربطها علاقات دم أو قرابة؟ سؤال مهم يحاول أن يجيب عنه في كتابه «الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية»، الذي صدر في مصر أخيرًا عن المكتب الجامعي الحديث بالإسكندرية، ليؤكد على أن عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، الذي عاشه العالم الإسلامي قد شهد نبوغ أسر أو عائلات اشتغلت بالعلم، وكانت تربطها علاقات دم أو قرابة، عملت وفق أطر معينة ومنهج محدد من أجل ازدهار وتقدم العلوم التي احتوتها حركة النهضة العلمية.

ومؤلف الكتاب د. خالد حربي أستاذُ وخبيرُ المخطوطاتِ بجامعة الإسكندرية ومن المهتمين بالتراث الإسلامي، وله أكثر من أربعين مؤلفًا، تهتم بالتراث العلمي الإسلامي، وله مسيرة علمية حافلة، توجها أخيرًا بحصوله على جائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق، والتي تعد من أرقى الجوائز العربية والعالمية، وجائزة الكويت للتقدم العلمي.

يؤكد من خلال مؤلفه هذا على أن تاريخ علوم الحضارة الإسلامية قد شهد العديد من الأسر العلمية التي يربط أفرادها قبل الاشتغال بالعلم علاقات دم أو قرابة، وربما كانت هذه العلاقات أحد الأسباب الرئيسية التي ساعدت على نبوغ تلك الأسر في المجال العلمي، وتعد مثل هذه الأسر ظاهرة فريدة تنفرد بها الحضارة العربية الإسلامية عن سائر الحضارات، هذه الأسر قامت بينها علاقات تعاون وتنافس وصراع، ومن أمثلة هذه الأسر أسرة بختشيوع، التي نبغ أفرادها في علم الطب إلى درجة أنهم خدموا الخلفاء ابتداءً من الجد الأكبر ومرورًا ببعض الأبناء والأحفاد، فضلًا عن إسهاماتها في حركة النقل والترجمة، وأسرة حنين بن إسحق التي اشتهرت في مجال الترجمة، وأسرة ثابت بن قرة، وأسرة موسى بن شاكر، التي نبغت في الفلك والهندسة والميكانيكا والمساحة والفيزياء، وأسرة بني زُهر في المجال الطبي، الأمر الذي يؤكد أن تاريخ العالم العربي الإسلامي قد شهد أسرًا علمية نبغت في مجالات علمية واحدة، ويحاول المؤلف أن يؤكد على أن النماذج التي قدمها للأسر العلمية التي شهدها التاريخ العلمي الإسلامي ليست كل الأسر بل هي عبارة عن نماذج تحاول أن تجيب عن التساؤل الذي طرحته الدراسة (ص٦).

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى مقدمة وبابين، اشتمل كل باب على فصلين، ثم اختتم بفصل أخير عن نتائج الدراسة.

في الباب الأول عرف بأسر حركة الترجمة والنقل، وهي أسر بني حنين بن إسحق، وبني قرة، وبني بختشيوع، وفي الباب الثاني عرض لأسر العلوم البحتة، وهي أسر بني موسى بن شاكر، وبني زُهر، وخلص الباحث في النهاية إلى أن النهضة العلمية التي عاشها العالم الإسلامي كان من أبرز سماتها وجود أسر علمية نشطة تعمل وفق منهج محدد من أجل ازدهار العلوم، ولعبت دورًا بارزًا في حركة تقدم العلوم.

ومن تحليله لهذه الأسر العلمية وتتبعها اتضح مدى التواصل العلمي بين أفراد الأسر والجماعات العلمية المختلفة، رغبة في العلم الذي خلع على أهله في ذلك العصر إجلالًا وتوقيرًا من العامة والخاصة.

• دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

وقد ساد بين هذه الأسر نُظُمٌ من العلاقات قائمة على التعاون والمحبة تربط بعضهم ببعض من أجل تحقيق أهداف الأسرة ككل.

كما اتضح من خلال البحث أن النشاط العلمي لمعظم الأسر العلمية التي تناولها المؤلف لم يقتصر على أفراد الأسرة ذات النسب القائم على قربى الدم؛ بل إن الأسرة الواحدة ضمت في بنيتها العلمية أفرادًا لا تربطهم بالأسرة صلات دم أو قرابة.

وفي الفصل الأول قدم المؤلف نموذجًا لأسرة نبغت في مجال حركة الترجمة والنقل في العلوم الطبية، وهي أسرة حنين بن إسحق، وذلك بترجمة مؤسسها وخصائص عمله العلمي من إرساء قواعد علمية ثابتة، واتساع مجال نشاط الأسرة إلى تحقيق النصوص الإغريقية، وترجمة الكتب من علوم الحضارات الأخرى إلى اللغة العربية، ثم عرف بإسحق بن حنين الذي تفرد عن أبيه وأستاذه بميزة مهمة في تقاليد الأسرة، وهي تنوع التخصصات في ممارسة العلم، فإذا كانت مدرسة حنين بن إسحق تخصصت في ترجمة ونقل الكتب الطبية؛ فإن إسحق بن حنين ترجم كتبًا في الفلسفة والمنطق لأشهر الفلاسفة اليونانيين كأرسطو، كما ضمت الأسرة حبيش بن الأعسم ابن أخت مؤسسها، وكان أقرب تلاميذه إليه وأكثرهم قربًا وملازمةً له، الأمر الذي يجعله أحد دعائم الأسرة الرئيسة التي ارتكزت عليها مدرسة حنين بن إسحق في الترجمة.

وفي الفصل الثاني تناول د.حربي أسرتين برزتا كذلك في مجال الترجمة هما: بنو قرة، وبنو بختشيوع. ضمت الأولى ثابت بن قرة الذي انصب جهده على ترجمة ونقل المؤلفات الطبية، فضلًا عن بعض الترجمات الفلسفية، وابنه سنان، وحفيده ثابت بن سنان، وضمت هذه الأسرة أفرادًا لا ترتبط بهم بصلات دم أو قرابة، كعيسى بن أُسيد؛ الذي تتلمذ على يد مؤسس الأسرة، وأظهر نبوغًا، واستحق تقديم ثابت بن قرة له، للدرجة التي سمح له بمناظرته، وهو تقليد علمي لا يوجد إلا في المجتمعات العلمية المتقدمة الراقية في العلم.

وأسرة بختشيوع التي قدمت إلى بغداد ونبغت في الترجمات الطبية دون غيرها، واختصت كذلك بالتعليم الطبي، وأول من وفد منها إلى بغداد جورجيس بن بختشيوع الذي استقدمه الخليفة العباسي المنصور، وصار طبيبه الخاص إلى أن توفي في خلافته، ثم استقدم المهدي من جنديسابور ولده بختشيوع ليحل محل والده جورجيس، فظل في خدمته وخدمة الهادي والرشيد طبيبًا حاذقًا، وبعد وفاته استقدم الرشيد ابنه جبرائيل وصار طبيبه الخاص وجعله رئيسًا للأطباء، وظل كذلك زمن الأمين والمأمون حتى توفي في خلافة الأخير.

وفي الفصل الثالث توقف الباحث أمام نقد وتقييم أسر الترجمة والنقل، وإلى أي مدى ينطبق عليها مفهوم الأسرة العلمية، ودورها في النهوض بالحضارة الإسلامية، ليؤكد على أن المجتمع العلمي الإسلامي قد شهد إبان عصر الترجمة وجود أسرٍ علمية، شهدت تعاونًا، وتنافسًا، انعكس أثره على نهضة الحضارة الإسلامية.

الأســــرة مــدرســـة تــقــوم بتـنـشـئـة أفــرادهــا اجـتـمـاعـيـاً وأدبـيــاً وسـلـوكـيـاً

وفي الفصل الرابع عرض لأسرة نبغت في العلوم البحتة كالفلك والهندسة والميكانيكا والمساحة والفيزياء، وهي أسرة بني موسى بن شاكر التي ضمت الأبناء الثلاثة (محمد وأحمد والحسن) لموسى بن شاكر، الذي لم يُقدر له أن يعمل في تلك الجماعة العلمية لأنه توفي وهم أطفال صغار، فكون هؤلاء الأخوة الثلاثة جماعةً علميةً متآزرة قدمت أعمالًا جليلةً، وازدادت حصيلتهم العلمية، وتطورت أساليبهم التطبيقية إلى الدرجة التي مكنتهم من القيام بأول وأهم وأخطر عمل، وهو قياس محيط الأرض، الأمر الذي مكن هذه الأسرة من أن تلعب دورًا في تاريخ العلم وتشكل مكانًا رئيسًا في تاريخ التكنولوجيا بصفة خاصة، وقد تناول هذه الأسرة من خلال توضيح تكوينها العلمي وكيفية عملها، ومنهجها العلمي والتطبيقي، وأهم إنجازاتها العلمية، وأثرها في النهضة الإسلامية، للدرجة التي جعلت مؤرخي العلم يجمعون على أن أعمال هذه الأسرة تدل على عبقرية وذهن متوقد مبدع.

أما الفصل الخامس، فكان لأسرة بني زُهر التي ظهرت في الأندلس، ونبغت في مجال العلوم الطبية، وشكلت مكانًا رئيسًا في الطب العربي والعالمي، فرأينا رأس هذه العائلة أبا مروان يتقن صناعة الطب حتى صار خبيرًا بأعمالها، ومشهورًا بالحذق فيها إلى الدرجة التي انتشرت معها أخباره في مختلف أقطار الأندلس، ثم حرص على نقل خبرته إلى ابنه أبي العلاء الذي أظهر نبوغًا مبكرًا واستمرارًا للتواصل العلمي بين أفراد الأسرة، وقد لحق أبومروان بن أبي العلاء بأبيه في صناعة الطب درسًا وممارسة؛ حتى أصبح لا يوجد من يماثله في إدراكه لأعمال الطب، ثم برز الحفيد أبوبكر محمد بن أبي مروان لتتأكد به وتستمر التقاليد العلمية في أسرة بني زُهر لتتواصل إنجازات الأسرة العلمية التي عملت على تطور وتقدم علم الطب في العصور اللاحقة بما قدمته من إنجازات طبية أفادت منها البشرية كلها.

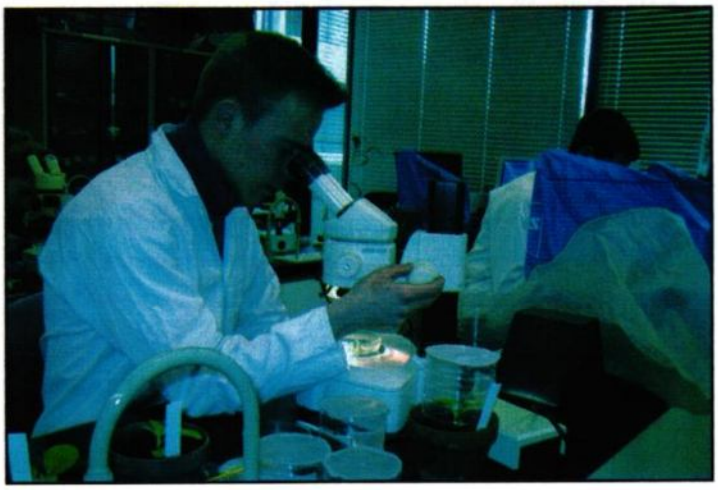
وفي نهاية الكتاب خلص د.حربي إلى نتيجة نهائية مهمة تدعو الباحثين إلى الاهتمام بدراسة الأسر العلمية في تاريخ الحضارة الإسلامية، بالبحث والتنقيب عن مؤلفاتهم التي لا تزال تهجع بسلام على أرفف المكتبات مخطوطة، وذلك بتحقيقها ونشرها لتفيد منها الإنسانية في مختلف فروع العلوم، وتؤرخ لدور العرب والمسلمين في تاريخ العلم العالمي لنتعرف على الأوجه المشرقة في التاريخ العربي والإسلامي.

ومن الجدير بالذكر أن النتائج التي توصل إليها الباحث تعد إضافة لحقل تاريخ العلوم عند العرب، وفلسفة العلوم والحضارة الإسلامية، كما أنه اعتمد في إعداد الكتاب على مصادر أصلية، واعتمد أيضًا على مراجع علمية رصينة، كما التزم بالموضوعية والحيدة، الأمر الذي يجعل كتابه إضافة لحقل العلوم الإنسانية.

الجامعات العربية.. ومكانتنا المستقبلية

أ.د. ناصر أحمد سنه

تدرك الدول المتقدمة أهمية دور الجامعات العلمي والتعليمي والبحثي المتعاظم، ودورها في صناعة المستقبل وتبوء المكانة اللائقة فيه، فنراها قد سخرت إمكاناتها البشرية والمادية والمعنوية لدعمها، وفتحت كل القنوات لتسويق منتجاتها العلمية والمعرفية والتقنية، مما أوجد لها مردودًا إنتاجيًا استثماريًا، بينما مازالت جامعات عربية تسعى من أجل «زيادة الرواتب»، فمتى نسعى سعيهم، وننهج نهجهم؟ وذلك ضمن رؤية ترى العلم والتعلم والتعليم عمومًا والجامعي خصوصًا قضية «أمن قومي عربي»، و«ضرورة مستقبلية» تحسم الصراع في منطقة الشرق الأوسط. وفي سبيل سبر أغوار تلك القضية تحاول هذه السطور الإجابة عن الأسئلة التالية: ما الذي أصاب الجامعات العربية؟ وما أسباب الداء وأعراضه؟ وما الدواء؟



في بلد اعتمد على حكوماته المتعاقبة في إنشاء المشاريع الكبيرة، لكن مع آمال كبيرة في اضطلاعها بدور حضاري منشود، تم القفز إلى إنشاء الجامعة الأهلية المصرية (جامعة القاهرة حاليًا) في شهر ديسمبر عام ١٩٠٨م، بإرادة شعبية (أبرزت الدور الكبير لما يسمى الآن بالمجتمع المدني) فقد قامت حملة اكتتاب شعبي واسعة وفرت الأموال اللازمة للمشروع، فتم جمع ٢٣,٦٥٣ جنيهًا و٦٥٧ مليمًا (مبلغ ضخم بمقياس عصره).

فلقد أوقف العديد من الأثرياء والأعيان والوجهاء الكثير من أملاكهم لأجلها، وتبرعوا من أموالهم لإنشائها، وبرز موقف الأميرة «فاطمة» بنت الخديو «إسماعيل» عام ١٩١٣م، وتبرعها السخي مما أعطى دعمًا قويًا لاستمرار المشروع، وكانت قد أوقفت ٦٦١ فدانا من أجود ما تملك من الأراضي بمديرية الدقهلية، فضلا عن ستين فدانا من أملاكها ببولاق الدكرور، منها ستة أفدنة تبرعت بها نهائيا لإقامة مباني الجامعة المصرية، كما تبرعت بمجموعة من مجوهراتها الشخصية الثمينة بيعت بأغلى الأثمان، كما أوقف الأمير «يوسف كمال» ١٢٥ فدانًا من أطيانه بمحافظة القليوبية، وهو نفسه الذي أتحف الجمعية الجغرافية المصرية (أقدم جمعية علمية عربية.. أنشأت بمرسوم من الخديو إسماعيل في ١٨٧٥/٥/١٩م) بأطلس يضم خرائط قديمة نادرة لبلدان قارة إفريقيا وغيرها من بلدان العالم. كما أوقف كلا من: الست «أشنديل» هانم ٩٠ فدانًا بأسيوط، و«عوض عريان» أفندي من أعيان بني سويف ٧٣ فدانًا يتبعها عزبة وحديقة، وإقرار بمآل هذه الأرض وما يتبعها للجامعة بعد وفاته، و«حسن بك زايد» من أعيان المنوفية ٥٠ فدانا وقيراطين و١٨ سهمًا، و«مصطفى كامل الغمراوي» ستة أفدنة بقيمة لا تقل عن ٩٠٠جنيه مصري)(١).

من أجل تدبير المزيد من الأموال، وإثبات جدية الطلاب في الدراسة، فرضت الجامعة على طلابها من خريجي المدارس العليا رسومًا قدرها مائة قرش سنويًا، أما خريجي باقي المعاهد الأخرى الملتحقين بالجامعة فيدفعون أربعين قرشًا سنويًا، نظير الدراسة التي كانت في بدايتها مسائية (٥- ٨ مساء)، واقتصرت على أربعة دروس: تاريخ الحضارة القديمة في الشرق (٣٦٠ طالب)، تاريخ الحضارة الإسلامية (٤٠٤ طالب)، تاريخ الآداب العربية (٣٢٦ طالب)، وتاريخ الآداب الفرنسية (٢٨٨ طالب) والإنجليزية (٢٧٥طالب)، على أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية، مع السماح للأساتذة الأجانب بإلقاء دروسهم بالفرنسية والإنجليزية(٢).

لكن مع غياب «البعد الاقتصادي» للجامعة، ساءت أحوالها المالية، ومع نية الحكومة المصرية إنشاء جامعة حكومية أخرى، آلت الجامعة التي أقامها المصريون بأموالهم، إلى الحكومة (جامعة فؤاد الأول، ثم جامعة القاهرة) بمرسوم ملكي عام ١٩٢٥م. كان من ضمن بنود الاتفاق الذي وقعه رئيسها «حسن رشدي باشا» والقاضي بتسليم الجامعة للحكومة في ديسمبر ١٩٢٣م: «أن تحترم الحكومة التزامات الجامعة الأهلية المصرية نحو الأساتذة والموظفين الموجودين فيها، وأن

• كاتب وأكاديمي من مصر

يتم استغلال المبالغ الموجودة في ميزانية الجامعة لإقامة مبان لها احترامًا لأصحاب الوقف».

مشكلات وصعوبات وتحديات

بمآل الجامعة الأهلية المصرية إلى الحكومة دخلت الجامعات المصرية، ومثيلاتها العربية (ما يزيد على ٢٠٠ جامعة) «شباك البيروقراطية»، و«الجب الحكومي»، وأصاب الترهل بنيتها المؤسسية والهيكلية والإدارية، وشاع أسلوب «التحكم والتدخل السياسي الحكومي في شؤونها، وتعيين كافة قياداتها»، وفشا الترويج للمنجزات، دون مناقشة السلبيات، مع «الافتقار إلى فلسفة تعليمية وبحثية واضحة ذات أولويات مجتمعية وصناعية»(٣). وبدا واضحًا فقدان «درة التاج الجامعي» ألا وهي «الاستقلال والحرية الأكاديمية والطلابية» وفق قاعدة: «من يدفع فله حق التقرير والتوجيه والتحكم».

ومن المشكلات الجامعية عدم توافر الفرص الكافية لتنمية القدرات التعليمية والبحثية لأعضاء هيئات تدريسها، وتباين نصاب ساعاتهم التعليمية مع تفرغهم للبحث العلمي .

وتتبنى فلسفة التعليم الجامعي في مجملها «النظرة القديمة» التي تركز على التكرار والسلبية ورد الفعل، والتي تقوم على «التلقين والحفظ والاستظهار»، ورفض كل تفكير مجدد ناقد مبدع متطور نشط، وتكرس «الحشد» الطلابي العددي الكمي وليس الكيفي، مما باعد المسافة (عزلة حقيقية بين الطلاب وأساتذتهم) تمثلت في غياب التفاعل الإنساني والإرشاد الأكاديمي والنفسي الحقيقي بينهما. كما لم تستجب تلك الفلسفة لمقاييس الجودة المتعلقة

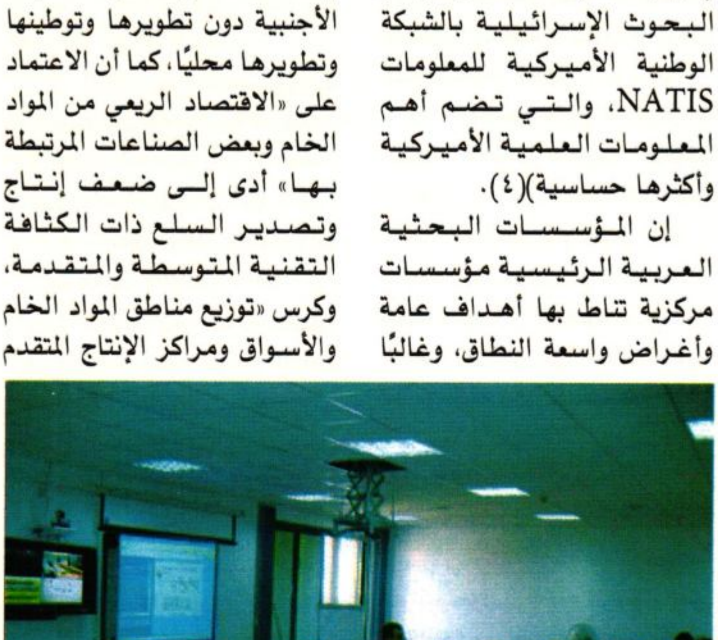
غياب الحلول الإستراتيجية المبنية على العلوم والتقنية جعل التنمية العربية غير متوازنة

بكفاءات ومهارات ومؤهلات الخريجين التي تلبي احتياجات المجتمع، وأسواق العمل.

تم «تقديس الكتاب الجامعي» كمقرر أساس ووحيد للمعرفة، ونما «غول الامتحانات، والدروس الخصوصية» بغية الحصول على «شهادات» دون تحقيق كفاءات، وقل الاحتكاك العلمي الدوري بالمراكز والجامعات المتقدمة، حيث إن ٩٥٪ من العلوم الحديثة توجد في مجتمعات تشكل ٢٠٪ من سكان العالم. ومن المعلوم أن تطور كفاءة الجامعات رهن بقدرتها على إقامة شبكة علاقات علمية تبادلية، وصقل الخبرات مع الجامعات الدولية (ترتبط الجامعات ومراكز البحوث الإسرائيلية بالشبكة الوطنية الأميركية للمعلومات NATIS، والتي تضم أهم المعلومات العلمية الأميركية وأكثرها حساسية)(٤).

إن المؤسسات البحثية العربية الرئيسية مؤسسات مركزية تناط بها أهداف عامة وأغراض واسعة النطاق، وغالبًا ما يعاني القائمون عليها من قصور التمويل والتعاون مع باقي القطاعات الإنتاجية والصناعية، حيث إن هناك ارتباطًا طرديًا بين نسبة تمويل الشركات المنتجة والصناديق الخاصة وبين التقدم العلمي والتكنولوجي، ففي اليابان توجد أعلى نسبة تمويل (٨١٪)، السويد(٦٢,٩٪)، سنغافورة (٦٢,٥٪)، الهند (١٦,٤٪)، هونج كونج (٢,٨٪)، بينما يكاد ينعدم تمويل الشركات المنتجة وصناديق التمويل الخاصة لنشاطات البحث العلمي في مصر(٥).

إن غياب الحلول الإستراتيجية المبنية على العلوم والتقنية، جعل التنمية العربية غير متوازنة، ومعتمدة على «نقل» التقنيات الأجنبية دون تطويرها وتوطينها وتطويرها محليًا، كما أن الاعتماد على «الاقتصاد الريعي من المواد الخام وبعض الصناعات المرتبطة بها» أدى إلى ضعف إنتاج وتصدير السلع ذات الكثافة التقنية المتوسطة والمتقدمة، وكرس «توزيع مناطق المواد الخام والأسواق ومراكز الإنتاج المتقدم



والمتطور عالميًا»، مما انعكس على الدخل القومي الإجمالي العربي (لم يتجاوز ٣٨١ بليون دولار لأهم ١١ دولة عربية، عدد سكانها ٢٢٤ مليون نسمة في عام ١٩٩٩م، وهو أقل من كوريا الجنوبية التي كان دخلها القومي ٣٩٨ بليون دولار، وعدد سكانها ٤٧ مليون نسمة للعام ذاته).

ما العمل لبلوغ المراتب الأولى؟

١- **إقامة العديد من الجامعات العربية الأهلية المستقلة (غير الربحية)**، وتلبية نفقاتها، ونفقات المشتغلين بها (شأن العديد من الجامعات الأهلية العالمية العريقة والمرموقة).. يحول دون انتهاك «براءة الجامعة» ومراكز البحث العلمي من أجل الحصول على دعم خارجي مقابل مطالب محددة يريدها «الممولون».

عبر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية كان للوقف وأعماله دور فاعل في شتى جنبات الحياة، فحري به الاضطلاع بدوره في هذا المجال. ينبغي الإشارة إلى أن دولة الكويت تعد مثالا رائدا في مستويات دعم التعليم والبحث العلمي، كما توجد «طفرة علمية طبية وبحثية» في المملكة العربية السعودية، بينما تولي قطر أهمية كبرى للنهوض العلمي والتعليمي. كانت لفتة كريمة من سمو الشيخ د. سلطان القاسمي حاكم إمارة الشارقة بإقامته مشكورًا مكتبة تكلف إنشائها ١٣ مليون جنيه في كلية الزراعة جامعة القاهرة (وفاءً للكلية التي تخرج فيها)، كما أنشأ معملًا نوعيًا تكلف ١٥ مليون جنيه.

٢- **تبلغ الجامعات العربية مراتبها المرجوة بتقوية هياكلها التنظيمية والإدارية والمؤسسية والرقابية والمالية**، وبحسن إدارة

المتاح من التمويل، وعبر السعي لتفعيل المشاركة المجتمعية، وتنمية التعاون بين الأطراف المستفيدة من الاستثمار في التعليم الجامعي كمؤسسات المجتمع المدني، والجمعيات الأهلية، وجمعيات الخريجين، والمؤسسات الإنتاجية والصناعية والخدمية، وتوفير التمويل الإضافي من القادرين والأثرياء.

٣- تعظيم مبدأ استقلال الجامعات العربية، وعدم فرض توجهات سياسية وإدارية على مؤسساتها، وإجراء تعديلات تشريعية لقوانين عملها يحقق استقلاليتها المالية والمعنوية، وإجراء تكامل وتناغم بين شتى الأنظمة لإيجاد هيئة سليمة تعين وفق الإنجازات والسمعة الأكاديمية، وتشرف على «حرم» جامعي و«حياة جامعية منشودة»، تعبر عن حرياتها الأكاديمية والطلابية المسؤولة، وترفع من «المواطنية الأكاديمية»، يقول «باولو فريري»: «إننا نتعلم قراءة الكلمة لكي نتمكن من تعلم قراءة العالم».

٤- تطبيق مفاهيم الجودة Quality وآلياتها التي تسعى للحفاظ على القدرة التنافسية لمخرجات التعليم الجامعي العربي، ويتحقق معها التواجد على خريطة الجامعات المتميزة الإقليمية والدولية، وذلك عبر الاستجابة المرنة للتحسين المستمر، والوصول للمستوى المطلوب من قطاعات الإنتاج والمجتمع، وعلى هدى مبادئ الفعالية، ونظم التقييم، وتحقيق الكفاءة الاستثمارية في استخدام الموارد والوقت (٦).

٥- بلوغ المراتب المتقدمة والمكانة المستقبلية يتأتى بتبني فلسفة ومناهج صالحة ومناسبة ومتناسقة مع تكوين المجتمع السليم، وطرائق تدريس تحقق التنوع والابتكار والإبداع والمبادرة، وتحول التعليم الجامعي إلى تعلم مستمر مدى الحياة، معتمد على الذات، ميزته الإتقان والجودة، يهدف إلى إنتاج المعرفة وإدارتها.

٦- التأكيد على التنمية البشرية، ورفع كفاءة أداء أعضاء هيئة التدريس العرب ومعاونيهم، وإيجاد سبل تقويم مهنية وبحثية وتخصصية تحقق تنمية مهنية ومادية ومعنوية مستمرة من حيث المهارات الحديثة المطلوبة، كما تمكن من إطلاق الطاقات الحضارية الإبداعية للجامعات بهيئات تدريسها وطلابها (معايير الجودة النوعية هي مقياس حصول الطلبة على الدرجة العلمية/ المؤهل الجامعي).

٧- الاتجاه نحو سياسة الجامعات العربية صغيرة الحجم، وتحسين بيئة العمل العلمي الجاذبة والدافعة إلى المبادرة والعطاء والتميز، وإشاعة «الديموقراطية الفكرية العلمية»، وزيادة التعبير الحر عن الحقيقة المجردة ونشرها.. تنويرًا للواقع واستشرافًا للمستقبل، مع المرونة العلمية التي تستوعب عوامل التغيير التي تحيط بالمجتمعات المحلية والإنسانية.

٨- في ظل «اقتصاد وإدارة المعرفة»، وكما لم يفعل من قبل يقود التعليم- عموما والجامعي خصوصًا- المستقبل، لذلك ينبغي تشكيل البيئة المعرفية الجديدة عبر تغيير شكل وجوهر العملية التعليمية والبحثية، والارتفاع بقواعد الإنجاز والنشر الأكاديمي الرفيع، والتفرغ للإبداع والابتكار والاختراع، وتكوين مدارس علمية ومؤسسات ومحاضن ترعى المواهب والكفاءات العربية، وتوجد أجيالًا بحثية ذات كفاءة ودربة.

تنفق الولايات المتحدة الأميركية واليابان والاتحاد الأوروبي ما يزيد عن ثلاثة أرباع إجمالي الإنفاق العالمي عام ١٩٩٦م على البحث والتطوير

٩- يمكن للجامعات العربية اختراق العولمة ومنافستها، من خلال إتاحة شبكات الاتصالات والمعلومات والحاسبات الآلية، ووجود معامل اللغات والمختبرات الحديثة، مما يستلزم إمكانيات مالية عالية، لتحقيق معايير الجودة النوعية، مع التمكين من اكتساب القدرة الفارزة لما تطرحه الشبكات الإلكترونية من فيض/ سيل المعلومات، والحكم على صدقيتها، وفرز ما بها من اتساق/ تناقض، صحة/ زيف، علم/ دعاية، أخلاق/ مفاسد.

١٠- وضوح الرؤية لأولويات البحث العلمي العربي، فالعلم المتطور وحلول المشكلات ليس نتاجًا للجامعات والمعاهد العليا فقط، (لا يمكن لأي جامعة أن تتميز في كل التخصصات كل الأوقات)، لكن من اللازم تفعيل مراكز البحوث المتخصصة التي تقوم بتوصيل نتائج البحوث وفق الحاجات المجتمعية المحلية والإقليمية.

١١- تبلغ الجامعات العربية مراتب أولى عند النظر إلى التعليم وما ينفق عليه ليس كبند استهلاكي ولكن كعمل إنتاجي واستثماري، فهو استثمار لأغلى مواردنا وهي الموارد البشرية.

صفوة القول: لاشك أن كل ما يتعلق بجامعاتنا ودورها الريادي المستقبلي أمر مهم، ومحور نقاش مستفيض. فالجامعات هي «دولة العقل»، و«قاطرة التقدم»، و«معمل» إعداد الأجيال المتعاقبة وتأهيلهم، و«منارة التنوير» التي تسعى لحراسة العلوم والثقافة والفنون، و«الدعامة الفكرية» التي تستشرف المستقبل، وتحل المشكلات. وهي «حرم» تُقدس في رحابه روح البحث والكشف، وبهجة الفكر والتجربة والتعلم والتأمل. وعلى كل المعنيين بشأنها المسارعة بعلاج كل مظاهر الضعف، وكلما ظهرت بوادره، كي لا يستشري فيها داء عضال، فتستسلم لهجمات أعداء الأمة.. الطامعين في خيراتها، والراغبين في تكريس تبعيتها، والحائلين دون نهضتها، وتبوء مكانتها المستقبلية.

الهوامش

١- سلسلة «أيام مصرية» ضمن مطبوعات جامعة القاهرة في الاحتفال بمئويتها ١٩٠٨- ٢٠٠٨م.

٢- المصدر السابق سلسلة «أيام مصرية».

٣- للمزيد انظر . د. ناصر أحمد سنه: «أمتنا وأزمة التعليم والبحث العلمي»، مجلة الوعي الإسلامي : ٤٦٥ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ - يونيو/ يوليو ٢٠٠٤م ص:٥٦ .٦١، الكويت.

٤- يوسف الحسن: اندماج دراسة العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل في ضوء اتفاقيات التعاون الإستراتيجي والتجارة الحرة بينهما، دار المستقبل العربي بيروت ١٩٨٦م، ص ١٦١. وأيضًا أ.د. ناصر أحمد سنه: التحدي العلمي والمعلوماتي والتقني الإسرائيلي: قراءة لاستنهاض الذات. مجلة الرابطة (رابطة العالم الإسلامي)، العدد: ٤٨٤ رمضان ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م، السعودية، ص:٣٨-٤٣.

٥- المصدر السابق، وانظر أيضًا د.حسن كامل بهاء الدين: التعليم والمستقبل، دار المعارف، ١٩٩٧م.

٦- للمزيد يمكن الاطلاع على عدد من المواقع الإلكترونية على الشبكة الدولية للمعلومات تتناول موضوع معايير الجودة في مجال التعليم. وكذلك انظر د. عزيز حنا داود: مطالب العولمة من وعلى التعليم، جريدة الأهرام المصرية الصادرة في ٢٥/٦/ ١٩٩٩م.

دور المدرسة في تغيير سلوك الأبناء

أحمد إبراهيم برعي

أتيحت للإنسان بفضل التقدم في ميادين الطب والعلوم الاجتماعية والإنسانية فرص أفضل من ذي قبل لتوجيه ذاته، ورغم أنه مازال هناك كثير مما لا نعرفه، فإن الإنسان في الوقت الحالي وصل إلى معرفة كافية عن السلوك ووسائل تعديله، وكيفية نمو الأطفال وتطورهم، ويتفاوت المدرسون في مستوى معرفتهم لهذه المسائل، إلا أنه بقدر دراستهم للتلاميذ، يستطيعون أن ينموا من قدرتهم على استخدام هذه المعرفة، وقد كشفت بعض الدراسات أن التغيير الذي يطرأ على التلميذ يعتبر من أهم نتائج دراسة المدرس من خلال تعلمه، والعمل في الموقف التالي يوضح ذلك:

كان هناك تلميذ في الصف السادس يحدث اضطرابات شديدة في الفصل وخارجه، وبناء على اقتراح الإخصائي الاجتماعي دعي المدرس- الذي كان شديد الضيق بسلوك ذلك التلميذ- إلى الدراسة، وتضمنت تلك الدراسة شتى المعلومات المطلوبة عن ظروفه المنزلية، بما في ذلك علاقاته بأخواته وإخوانه، فضلا عن إعداد يوميات يسجل فيها سلوكه، وفي الاجتماع الأسبوعي لهيئة التدريس كانت هذه المعلومات توضع تحت المناقشة من دون أن يطرأ أي تغيير على البرنامج أو التلميذ في الفصل، إذ كان الغرض من هذه المناقشات مجرد الحصول على صورة مفصلة عن التلميذ كإنسان، وتفهم وجهة نظره. وبعد مرور أربعة أسابيع قال المدرس: «لا أعتقد أننا في حاجة إلى دراسة سلوك التلميذ أكثر من ذلك، إذ يبدو أنه قد تغير»، والواقع أن نقطة التحول في خبرة التلميذ بالمدرسة لا تحدث نتيجة مبادأته بتغير سلوكه، وإنما نتيجة لتغيير المدرسة نفسها فقد اكتسب هذا المدرس تجاوبا مع التلميذ خلال ملاحظته ومناقشته في أزماته، مما أدى إلى حدوث تغير عميق في اتجاهاته وسلوكه نحوه، وقد استجاب التلميذ لذلك مؤكدا الحقيقة المعروفة، وهي أن اتجاهات الناس نحو بعضهم تلعب دورا هائلا في تحديد سمات السلوك الإنساني.

لا يمكن الحديث عن المواقف والتجارب التعليمية بشكل واف، ولكن يمكن أن نشير إلى بعض المسائل الأساسية وهي:

- تجنب إصدار أحكام سطحية على التلاميذ وغالبا، إن لم يكن في جميع الأحوال، يكون السلوك المعوج من أغراض اضطراب نفسي عميق، ومن ثم، فإن الاهتمام بالأعراض يمنع المدرسين وغيرهم من تفهم أسباب السلوك. أو بعبارة أخرى يصبح من الواجب على الشخص المهني أن يدرك العلاقة الوثيقة بين السلوك والاحتياجات الداخلية للتلاميذ، حتى يمكن إحداث التغييرات الأساسية لهم، سواء عن طريق تعديل أوضاعهم البيئية أو بواسطة إعادة تربيتهم.

- من الواجهة المثالية كل ما يفعله التلميذ جدير بالملاحظة، مادام كل سلوك يقوم به ينم عن معنى لديه، ومهما يكن الأمر، فمادام هناك وقت محدد قد كرس للملاحظة، فيجب على المدرس أن يختار الخبرات الجديرة بالملاحظة، ولذلك ينبغي اختيار السلوك البارز والمواقف المهمة المختلفة قدر الإمكان.

- إن الملاحظة المنظمة للتلاميذ تؤدي الى فهم أفضل لهم، فعلى سبيل المثال: تلميذة كانت كلما دخلت حجرة الدراسة تتوجه دائما إلى المدرسة متذرعة بسبب أو بآخر، وقد كشفت التلميذة للمدرسة في أثناء زيارات قصيرة لمنزل التلميذة عن معلومات كثيرة عن أحداث في المنزل، فقد ذكرت ما كان يقوله والداها وما يقومان به معا، وما كان يعطيانها وما إلى ذلك.

وقد اتضح أن هناك ما يدل على أنها كانت تحظى باهتمام أكثر مما يجب في المنزل وقد توصلت المدرسة في استنتاجها إلى أن مشكلتها كانت تتضمن قدرا من العناية الزائدة عن الحد، وأنها كانت في حاجة إلى أن تساعد كي تصبح مستقلة معتمدة على نفسها وقد أدى ذلك في النهاية إلى أن تضع المدرسة في اعتبارها الوسيلة التي يتكون بها إدراك الذات.

لاحظت أن هناك تفاوتا في كفاءة المدرسين في بعض المدارس المصرية، ولكن مما لا شك فيه أن غالبية المدارس، من أكبرها إلى أصغرها بها مدرسون ذوو كفاءة مخلصون، ومدى استثمار إمكانات المدرس يعتمد كثيرا على كفاءة القيادة الإدارية في المدرسة، فحيثما تتوافر الثقة لدى القيادة المدرسية في قدرة ورغبة المدرسين في النمو، فإن ذلك يهيئ لكفاءتهم الفرص للكشف عن نفسها.. إن أي برنامج لدراسة سلوك التلاميذ ليس سوى مجهود منتظم يستهدف معرفة واستثمار ما يعرفه غالبية المدرسين فعلا، وتشير بعض الدراسات إلى أن المدرسين، سواء المدربون منهم تدريبا ممتازا ، ومن لم يحظ إلا بالقليل من هذا التدريب يستطيعون أن يعملوا وينتجوا عن طريق برامج جيدة التصميم لدراسة سلوك التلاميذ، ومن خلال الدراسة المستمرة لسلوك التلاميذ، تظل المبادئ التي تحدد السلوك الإنساني ثابتة في الذهن.

ومن الممكن تلخيص هذه المبادئ على النحو التالي:

لا يريد أي إنسان عن عمد أن يصبح غبيا أو مريضا أو معتلا، وعندما تحدد الأسباب وتزال العوائق ينطلق الأفراد صوب أهداف مقبولة.

وهيئة التدريس بدورها لديها التزامات نحو مدير المدرسة، وإذا كان المدير من واجباته أن يعمل على تحسين العلاقات المدرسية فهو يحمل كذلك عبئا ومسؤولية كبيرة، إذ يعمل تحت ضغوط عديدة من داخل المدرسة وخارجها، وغالبا ما تنتقد جهوده بدلا من أن تقدر، وقد لاحظت هذا في بعض المعاهد الأزهرية والمدارس المصرية التي قمت بزيارتها وإجراء لقاءات فيها.

• كاتب موريتاني

المنهج الإسلامي في ولاية التعليم.. الأطوار والقواعد والشروط

- دراسة في التأصيل والتجديد من خلال هدايات الوحي وتجارب علماء المسلمين -

د. محمد الأنصاري

في هذا الموضوع يتم الحديث عن المنهج الإسلامي في ولاية التعليم من خلال هدايات الوحي وتجربة علماء المسلمين، وذلك ببيان أطواره وقواعده وشروطه المنهجية والعلمية والخلقية، المستمدة من هدايات الوحي قرآنا وسنة، والمستمدة من سيرة الرسول ﷺ، ثم من تجربة العلماء وخبرتهم في التربية والتعليم.

وقد اخترت الحديث عن الأطوار والقواعد والشروط لأهميتها، وحاجة الأمة إليها في بلورة رؤاها وتصوراتها ومناهجها، حول قضية التربية والتعليم، وخاصة في هذا العصر الذي حادت فيه أمة الإسلام عن هدي الوحي ونهج العلماء المجربين الوارثين للنبوة في أعظم ولاية شرعية وخطة دينية هي ولاية العلم والتربية والتعليم، وأصبحت تستورد رؤى ومناهج تعليمية وتربوية غريبة عن ثقافة الإسلام وتعاليمه، وعن تراث الأمة العلمي والمنهجي والتربوي وعن هويتها الحضارية.

إن الحديث عن المنهج في ولاية التعليم الإسلامية يحتاج إلى بحوث علمية رصينة في إطار جهود علمية متواصلة فردية وجماعية، ذلك لما للمنهج من أهمية خاصة، إذ بقدر الفقه في المنهج التعليمي في مؤسسات التربية والتعليم يكون مستوى انطلاق أمتنا العلمي والحضاري، ويكون مستوى التجديد والاجتهاد، ومن ثم مستوى الشهود الحضاري المنشود للأمة في عالم اليوم.

ومن هذا المنطلق كان الاهتداء في المنهج للتي هي أقوم من أوجب الواجبات الشرعية في هذا الزمان وفي كل زمان، قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩)، وقال سبحانه: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ (المائدة: ٤٨). ونظرا لهذه الأهمية التي يستمدها المنهج من الوحي فقد اخترت الحديث عن بعض قضاياه الأساسية، وذلك في مبحثين

أطوار المنهج الإسلامي في ولاية التعليم من خلال هدايات الوحي وتجارب علماء المسلمين

في هذا المطلب يتم بيان الأطوار التربوية التعليمية في المنهج الإسلامي في ولاية التعليم، فالدارس لمنظومة ولاية التعليم عند علماء المسلمين يرى أنها كانت تتكون من ثلاثة أطوار كبرى، يتم عرضها في ثلاثة مطالب

من الضرورة استثمار مرحلة الطفولة باعتبارها أفضل مراحل العمر للحفظ

المطلب الأول: الطور الأساسي

وهو الطور الأول من ولاية التعليم، وفيه يتلقى المتعلم المقدمات الأولى للعلم، فيتعلم خلالها مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في مرحلة الصغر، ويلقن مبادئ الإسلام وقواعده الأولى، وبعض التعاليم والآداب الإسلامية الضرورية للطفل، حتى ينشأ على تعاليم الدين ومبادئه وقيمه وأخلاقه، فترسخ في عقله وسلوكه منذ صغره.

يقول ابن الجوزي في بيان المواد الأساسية التي ينبغي تعليمها للمتعلم في هذا الطور: «أول ما ينبغي تقديمه مقدمة في الاعتقاد، تشتمل على الدليل على معرفة الله سبحانه، ويذكر فيها ما لابد منه، ثم يعرف الواجبات، ثم حفظ القرآن، ثم سماع الحديث، ولابد من حفظ مقدمة في النحو يقوم بها اللسان». ويتضح من خلال نصوص العلماء، أن تلقي العلوم المقررة في هذا الطور، يتم بالتدرج عبر مراحل، تناسب عمر المتعلم ومستواه وفهمه، وتقوم على الأولوية بحسب الأهمية والأفضلية في كل علم، وبحسب اليسر والعسر في كل مادة تدرس، فيقدم الأسهل على الأصعب لأنه الأليق بفهم المبتدئ في التعلم، ومما يومئ إلى هذا المعنى قول الإمام الشاطبي: «ثم وضع الله فيهم العلم بذلك على التدرج والتربية، تارة بالإلهام كما يلهم العربي التقام الثدي ومصه، وتارة بالتعليم، فطلب الناس بالتعلم والتعليم لجميع ما يستجلب به من المصالح، وكافة ما تدرأ به المفاسد، إنهاضا لما جبل فيهم من تلك الغرائز الفطرية، والمطالب الإلهامية لأن ذلك كالأصل للقيام بتفاصيل المصالح، كان ذلك من قبيل الأفعال أو الأقوال أو العلوم والاعتقادات أو الآداب الشرعية أو العادية».

ويقوم المنهج التعليمي لهذا الطور على عدة اعتبارات منها:

أ- **أن القرآن الكريم، كان عند المسلمين الأوائل منذ عصر الرسالة والخلافة إلى عصور لاحقة**، يعتبر أهم شيء يتعلمه المسلم،لأن القرآن هو الروح التي بها يحيى الإنسان الفرد والإنسان المجتمع، والإنسان الأمة، ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (الشورى: ٥٢)، فالقرآن « إذا حل في كيان

* أستاذ التعليم العالي / تخصص الفقه والأصول في المغرب

فرد أو جماعة... حلولا حقيقيا نقل هذا الكائن من حال الموت إلى حال الحياة، قال الله تعالى: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ (الأنعام: ١٢٢)، وقال جل من قائل: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال:٢٤)، فلا حياة لابن آدم إلا بالوحي.

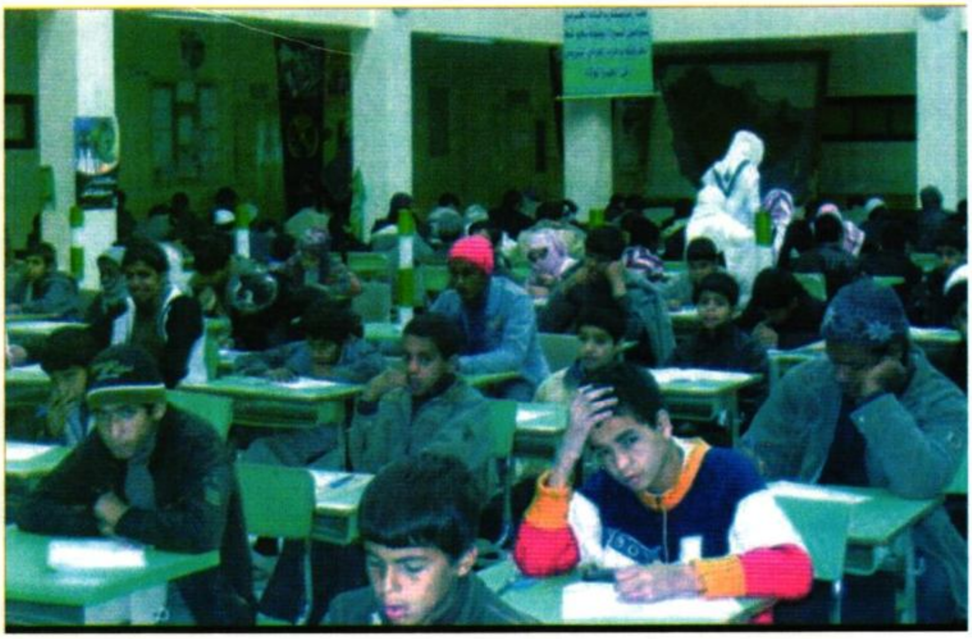
ولهذا فبمجرد دخول الطفل إلى مؤسسات ولاية التربية والتعليم، التي كان المسجد أحد أعظم مراكزها، كان يحفظ القرآن باعتباره أصل الأصول وإمام كل العلوم، وكل ما سيتعلمه لاحقا فهو خادم للقرآن ومتفرع عنه، حتى إذا توقف المتعلم عن التعلم لسبب أو لآخر عند هذا الطور، فإنه يكون قد حصل أهم شيء في العلوم، بحيث يمكنه أن يكمل تعليمه في أي فترة من فترات حياته، متى أراد ذلك دون عناء كبير.

ب- أن القرآن الكريم هو أغنى وأصح نص عربي على الإطلاق، فمن حفظه فقد امتلك أحسن ثروة لغوية، وأفضل ملكة عربية تفيد الطفل في مستقبله العلمي في تقويم لغته وفصاحة لسانه.

ج- أن اللسان العربي هو المدخل الأساس لمعرفة كتاب الله عز وجل والتحقق من أحكامه ومقاصده وتشريعاته، وفهم رسالته والمراد منه، واستخلاص هداياته المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير، ولن يتحقق ذلك إلا بتعلم لسان القرآن ولغته، لأنه نزل ﴿بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥)، ولهذا كانت العناية باللسان العربي واللغة العربية منذ هذا الطور عناية كبيرة.

د- أن مرحلة الطفولة هي أفضل مراحل العمر للحفظ، إذ كلما تقدم العمر صعب الحفظ، فكان استثمار هذه المرحلة المتميزة من عمر الإنسان، في حفظ كتاب الله تعالى قبل غيره، وفي ترسيخ كليات الإيمان والعبادات والأخلاق التي ينبغي أن يتربى عليها المتعلم منذ الصغر.

وبهذا تتبين الدقة في الخطة التعليمية في ولاية التعليم على المستوى المنهجي والعلمي، قصد غرس كليات الدين وأموره



الأساسية في تربية الإنسان وتعليمه، حتى ينشأ على الإسلام جملة وتفصيلاً.

المطلب الثاني: الطور الإعدادي

وهو الطور الثاني من أطوار المنهاج التعليمي التي كان يمر بها المتعلم المسلم في ولاية التعليم، وفيه يتلقى الطالب علومًا أخرى بعضها خادم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من حيث فهمهما واستنباط أحكامهما، وإدراك أسرارهما، كعلوم الآلة مثل اللغة العربية بشكل أدق وأعمق مما يتلقاه في الطور الأول، ويتعلم كل ما يتصل بها من نحو وبلاغة وغيرهما، ومثل علم أصول الفقه، فهذه العلوم تعتبر مقدمات ومفاتيح لدراسة القرآن والسنة وغيرهما من العلوم الشرعية المتصلة بهما.

ويدرس أيضا علم المنطق والحساب، وما يجري مجراهما من حيث كونها وسائل لعلوم أخرى.

ويهدف هذا الطور إلى إكساب الطالب المناهج العلمية الإسلامية التي تمكنه من القدرة على التعامل السليم والسديد مع الوحي قرآنا وسنة بفهمهما فهما صحيحا، وهذا الفهم يصطلح عليه بفقه الدين، ثم العلم بتنزيلهما على الواقع تنزيلا قويمًا وحكيمًا، وهو ما يسمى بفقه التنزيل أو سنة التنزيل.

وواضح أن هذا التعامل المنهجي العلمي يترتب عنه فقهان آخران: فقه الواقع، الذي يراد تنزيل أحكام الشرع المستنبطة من الوحي عليه، وفقه المقاصد الشرعية ومآلات أحكامها، وبه يتمكن العالم والمتعلم من معرفة علل الأحكام وأسرارها، وما تجلبه من مصالح وتدرؤه من مفاسد، فيكسب بذلك ملكة قوية على التعامل بمرونة في تطبيق الأحكام وفق ما تقتضيه مقاصدها ومآلاتها وحكمها.

وبهذا تتكون لديه عقلية إسلامية موزونة بميزان هدايات الوحي المنهاجية والمقاصدية، يقدر بها على معالجة المشكلات والحوادث المستجدة من أي نوع كانت في إطار قواعد الدين وأحكامه ومقاصده.

المطلب الثالث: الطور التأهيلي

وهو الطور الثالث من أطوار ولاية التعليم التي يمر بها الراغب في التعلم والتفقه في علوم الدين والدنيا، المادية والإنسانية والاجتماعية.

وهذا الطور هو طور التخصص العلمي إلى درجة النبوغ والاجتهاد في العلوم الشرعية والكونية.

وفيه يدخل الطالب مرحلة جديدة من مراحل التعليم والتربية، إذ يدرس فيه العلوم الكونية المادية كعلم الهندسة والزراعة والطب والفيزياء والكيمياء وغيرها دراسة عميقة.

ورغم كونها علوما غير شرعية، إلا أن دراستها تتم في إطار ميزان الإسلام

وتوجيهاته، حيث يعمل على جعلها تنحو في المنحى الذي يخدم الدين والدنيا معا، وأن يكون القصد من ذلك خدمة العباد بجلب الصلاح لهم ودرء الفساد عنهم، وأن يبتغي من وراء ذلك صاحبها وجه الله تعالى فيتعبد بها ربه.

ومن مميزات هذه المرحلة أن الطالب المتخصص في علم من العلوم السابقة، يكون قد حصل من العلوم الشرعية ما يحصنه ويمنعه من الزيغ والانحراف الفكري، ومن جملة ذلك اكتسابه الميزان الشرعي الذي يزن به كل شيء، فما كان موافقا أخذ به، وما كان مخالفا طرحه.

وفي هذا الطور أيضا ينتهض من الطلاب من يتخصص في العلوم الشرعية فينبغ فيها، ويرسخ إلى درجة تمكنه من الاجتهاد الشرعي في العلم الذي تخصص فيه.

وقد أشار إلى بعض ملامح هذا الطور والغرض منه الإمام الشاطبي فقال: «فعند ذلك ينتهض الطلب على كل مكلف في نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهض فيه، ويتعين على الناظرين فيهم الالتفات إلى تلك الجهات فيراعونهم بحسبها، ويراعونها إلى أن تخرج في أيديهم على السراط المستقيم، ويعينونهم على القيام بها، ويحرضونهم على الدوام فيها حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط، ثم يخلى بينهم وبين أهلها فيعاملونهم بما يليق بهم ليكونوا من أهلها إذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية، فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية».

ويضيف قائلا مبرزًا أهمية التخصص العلمي والغرض منه في هذه المرحلة التعليمية: «فإذا انتهض عزمه إلى أن صار يحذق القرآن صار من رعيتهم وصاروا هم رعاة له كذلك، ومثله إن طلب الحديث والتفقه في الدين إلى سائر ما يتعلق بالشريعة من العلوم، وهكذا الترتيب فيمن ظهر عليه الإقدام والشجاعة وتدبير الأمور فيمال به نحو ذلك، ويعلم آدابه المشتركة، ثم يصار به إلى ما هو الأولى فالأولى من صنائع التدبير كالعرافة أو النقابة أو الجندية أو الهداية أو الإمامة أو غير ذلك مما يليق به وما ظهر له فيه نجابة ونهوض، وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم ينتهضون به، فيجتهدون في البحث والتعمق فيه إلى أن يصلوا إلى أقصى الغايات في الفروضات الكفائية، وفي التي يندر من يصل إليها كالاجتهاد في الشريعة والإمارة، وبهذا تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة».

إن هذا النص الذهبي للإمام الشاطبي، يبرز العمق العلمي والمنهجي لدى علماء الإسلام في ولاية التعليم عبر أطوارها ومراحلها المبنية على قاعدة التدرج والأولوية، وعلى غيرها من القواعد المنهجية والعلمية والاعتبارات النفسية والزمنية.

وخلاصة الأمر.. فإن المنهج التعليمي خلال هذه الأطوار الثلاثة يعتمد برنامجا تعليميا وتربويا أركانه ثلاثة

- **الأول:** الوحي ونصوص الوحي، والمراد بذلك الوحي بشقيه القرآن والسنة البيان، فالمنهج التربوي في ولاية التعليم الإسلامية يعتمد الوحي ونصوص الوحي أساسا وقاعدة في التربية والتعليم أولا وأخيرا، بدءا وانتهاء، إذ لا يقدم على الوحي حفظا وفهما غير الوحي، لأن الوحي هو الأساس العلمي والمنهجي والتربوي للعلوم والمعارف كلها، وللمعلمين والمتعلمين جميعهم.

فالوحي بهذا الاعتبار المنهجي هو القاعدة والأساس الذي ينبغي أن يربى عليه الناس، وهو الميزان الذي توزن به الموزونات وفي ضوئه تعار الأمور، فلا يجوز أن يقدم الموزون على الميزان ولا المعار على المعيار، فالله تعالى بعث رسوله لهذا الغرض فقال: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (آل عمران: ١٦٤).

والتعامل مع الوحي هاهنا يتم بطريقتين اثنتين:

أ - طريقة الحفظ، وذلك بحفظ نصوصه تحققا، فحفظها حفظ للوحي، ونقلها إنما يتم بالتداول، وحفظ القيم والهدايات المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير في مجال التربية والتعليم وغيرها من المجالات الأخرى، وحفظ المبادئ والقواعد الحضارية للأمة الشاهدة على الأمم، إنما سبيله حفظ هذا الوحي، وحفظ الوحي حفظ لمراد الله تعالى:﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(الحجر:٩).

ب - حفظ الوحي بمعنى حفظ قيمه والعمل به وبمقتضياته والتخلق بأخلاقه، فيصير هذا الحفظ منهاج حياة للفرد والأسرة والمجتمع والأمة. وهذا الحفظ هو المراد بقول عائشة أم المؤمنين لما سئلت عن خلق الرسول ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» (الألباني)، وبهذا يتم الربط في المنهاج التربوي التعليمي بين العلم والعمل وبين التحقق والتخلق، فالعلم إمام والعمل تابعه.

والمطلوب في الحفظين معًا إتقان صناعتهما إتقانًا كافيًا يحقق مراد الله تعالى منهما، وهو المقصد الذي بعث الله تعالى لأجله خاتم رسله، قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢)، وأي تقصير فيهما أو في واحد منهما إخلال بالواجب الشرعي الذي يأثم عليه المخل معلما كان أو متعلما، فردا كان أو مؤسسة، مجتمعا أو دولة، كل بحسب مسؤوليته ودرجة إخلاله.

- **الثاني:** علوم الوحي، والمراد بها العلوم الشرعية المستخلصة من الوحي والمشتقة منه، وهي علوم خادمة للوحي، بها يتمكن المتعلم من فهمه والتعامل مع نصوصه ضبطًا وتوثيقًا، فهمًا واستيعابًا، عملًا وإعمالًا، وبها يتمكن الباحث من اكتساب ملكة الاستنباط والقدرة على المقارنة والترجيح، وبها يكتسب عقلية المقايسة وملكة الاجتهاد، وهذا أمر منهجي مهم في التعليم والعودة بالوحي وعلومه، وبطلبة العلم الشرعي والباحثين فيه إلى الرسوخ العلمي والمنهجي، ومن ثم الانتقال بالعلوم الشرعية من مرحلة الجمود والتقليد إلى مرحلة الاجتهاد والتجديد.

والمطلوب في تدريس العلوم الشرعية من قرآن وعلومه وحديث وعلومه وفقه وأصوله وشريعة ومقاصدها وعقيدة

ومقتضياتها وسيرة وتنزيلاتها ومكارم أخلاق وتزكية لأنفس أصحابها وغيرها، المطلوب في دراستها وتدريسها الاتجاه نحو التمكن من تقعيد هذه العلوم لما للتقعيد من أهمية كبيرة في ضبطها واستيعابها وكيفية تنزيلها واعتبار مآلاتها، فخلاصة العلوم كلها كما قال العلماء في قواعدها.

ثم الاتجاه نحو إيجاد الكتاب المدرسي لجميع الأطوار التعليمية عامة والتعليم العتيق خاصة في إطار هذه الرؤية العلمية والمنهجية المستلهمة من الوحي المعصوم، وتجربة الرسول المسدد بالوحي، واجتهادات علماء الأمة عبر تاريخها، وخاصة في الأعصر الذهبية التي كانت الهيمنة فيها للوحي وعلومه. فالكتاب المدرسي بهذا المعيار لجميع المستويات والأطوار هو الكفيل بتقريب التراث العلمي الشرعي من طلبته.

الثالث: اللسان العربي المبين، فاللسان العربي هو لسان الوحي وهو أداة فهمه وفهم علوم الشريعة واستيعابها، إذ لا سبيل إلى ذلك إلا به، ولا يتحقق ذلك إلا إذا عني بالعربية وعلومها عناية خاصة في المنهج التعليمي المنشود، كما عني بها أول الأمر في ولاية التعليم الإسلامية، إذ لا يجوز أن تنافس أو تزاحم بأي لغة أخرى، وخاصة في الأطوار التعليمية الأولى للمتعلمين حتى يتمكن الطلبة من العربية لسانًا ولغة.

وهنا لابد من التفريق بين اللغة واللسان، فاللغة إتقان القواعد واللسان التمكن من البيان، لذا فإن امتلاك اللغة واللسان لا يتم إلا بأمرين هما أ - تعلم اللغة بتعلم قواعد نحوها وصرفها ومعجمها وكل ما يتعلق بها وبعلومها.

ب - تعلم اللسان تعلمًا يمكن من البيان والقدرة على البلاغ المبين، ومما يمكن من ذلك قدرة التفاعل النفسي مع الوحي وعلومه، وذلك إنما يتم بالمعاناة وكثرة التعامل معه حفظًا وفهمًا، دراسة وتدارسًا.

القواعد المنهجية والعلمية والخلقية في ولاية التعليم الإسلامية

إن المراد بالقواعد المنهجية والعلمية والخلقية تلك القواعد التي يهدي إليها الوحي والسيرة في التعليم والتزكية أو قررها العلماء اجتهادا فأعملوها وحثوا على إعمالها في التدريس والتعليم.

وقد استخلصت منها الكثير، لذا سأعمل على اختصار الكلام في عدد منها، حرصا على الإجمال وعدم الاستطراد.

وفيما يأتي بيانها واحدة واحدة:

١- أن تكون القراءة والتعلم والتعليم باسم الله

فالقراءة بهذه الصفة شرط منهجي في ولاية التعليم، ذلك أن القراءة التي أمر بها القرآن في آياته الأولى ليست مجرد قراءة، إنما هي قراءة باسم الله الخالق، ومعنى أنها باسمه سبحانه: أي بإذنه وأمره، وأنها موجهة إليه، موصولة به، فليست باسم صنم يعبد، ولا طاغوت يطاع، ولا بشر يعظم من دون الله، فهي قراءة مؤمنة بالله، خالصة له، مقيدة بأحكامه، بها يقرأ الوحي وعلوم الشريعة كلها، وبها تقرأ العلوم الكونية المادية والإنسانية.

إن الانطلاق من هذه القاعدة المنهاجية أساس في بناء المناهج والبرامج التربوية والتعليمية، وأساس منهجي في بناء نظام تعليمي تربوي إسلامي يحقق مراد الله تعالى في تخريج الخريج المنشود الذي يطلبه الوحي ويحتاجه الواقع ويستوجبه العصر، الخريج الذي يحقق الشهود الحضاري للأمة الشاهدة، وينتقل بها بإذن الله تعالى من الواقع المشهود إلى الموقع المنشود.

إن الخريج المطلوب تخريجه اليوم من مؤسسات التربية والتعليم هو من جنس الخريج الذي اشتغل الرسول ﷺ طيلة حياته الدعوية والتربوية بتخريجه عملا بمقتضى قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة:٢).

لهذا الغرض كان الانطلاق مما انطلق منه القرآن شرطًا منهجيًا في بناء النظام التربوي: مقاصد ومناهج، برامج ووسائل، أطرًا ومؤسسات، وقاعدة أساس في الدراسة والتخطيط لواقع ومستقبل التربية والتعليم في مؤسسات التعليم العتيق خاصة ومؤسسات التربية والتعليم عامة.

إن هذا المنطلق المنهجي هو منطلق: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق:١)، يقول الدكتور الشاهد البوشيخي في هذا الأمر: «لا جرم أن سرًّا عظيمًا في استهلال التنزيل بهذا الأمر ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فالفرد يجب أن يبدأ من هاهنا السير، والأسرة يجب أن تبدأ من هاهنا السير، والجماعة يجب أن تبدأ من هاهنا السير، والدولة يجب أن تبدأ من هاهنا السير، متى أرادت أن تأخذ بيد الناس حقًّا إلى الخير».

٢- إحكام الأصول قبل الفروع

فالعلم بأسس العلم وقواعده وأصوله، هو سبيل ضبط الفروع وإحكامها، ولهذا كان إحكام الأصول أولا، هو المنهج السديد الذي سلكه العلماء في طلبهم للعلم، وينبغي أن يسلكه كل طالب، إذ به يتحقق المقصود من ولاية التعليم وأما بدونه فلا. وقد أحسن أبوالقاسم حيث قال: «إن من حق البحث والنظر، الإضراب عن الكلام في فروع لم تحكم أصولها والتماس ثمرة لم تغرس شجرتها، وطلب نتيجة لم تعرف مقدمتها».

إن المنهج القائم على العناية بالأصول التي هي منطلق العلوم كلها وأصلها، هو المنهج الذي سلكه علماء السلف في التعلم والتعليم، فسادوا وتعلموا ونبغوا في العلم والمعرفة، ولن يتحقق لطلاب العلم في زماننا ما تحقق لأسلافنا إلا بالعودة إلى هذا المنهج، والنهل من أصول الدين والشريعة، وقد قرر هذه الحقيقة ابن عبدالبر فقال: «فعليك يا أخي بحفظ الأصول والعناية بها، واعلم أن من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء فجعلها عونًا له على اجتهاده ومفتاحًا لطرائق النظر، ولم يقلد أحدًا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد لها على كل حال دون نظر... واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر... وحمدهم على صوابهم... فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه والمعاين لرشده، والمتبع لسنة نبيه ﷺ وهدي صحابته رضي الله عنهم».

وقد أنكر ابن عبدالبر على أهل زمانه عدم عنايتهم بحفظ الأصول وضبطها، واهتمامهم بغيرها مما لا يغني عنها، ويجعل

طالب العلم واقفًا على غير أساس فقال: «ولو علموا أصول الدين وطريق الأحكام وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم، ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه وعادوا صاحبه».

٣- البداية بأوائل العلم ومقدماته لينتهي إلى أواخره وحقائقه

يقول الماوردي في تقرير هذه القاعدة المنهجية في التعلم والتعليم: «واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة، لأن البناء على غير أس لا يبنى، والثمر من غير غرس لا يجنى».

فهذه القاعدة تحدد للمتعلم منهج الأولويات في خطة التعلم فيهتدي بها إلى طلب الأولى فالأولى.

٤- الابتداء بالأسهل فالأسهل وصولا إلى الأصعب

فهذه قاعدة عظيمة في تلقي العلم وتلقينه، تستوجب على العلماء والمتعلمين الاهتداء بها، والعمل بمقتضاها وخاصة إذا كانت أصول علم من العلوم أسهل من فروعه، فإن الابتداء بها أجدى وأنفع، ثم ينتقل إلى التفصيلات الأصعب بعد ذلك.

وبدون هذا المنهج في طلب العلم وتعليمه يضيع العلم، ولا يتحقق مفهوم الربانية في ولاية التعليم، ولهذا فقد سمى بعض العلماء هذه القاعدة بقاعدة: «إعطاء المتعلم صغار العلم قبل كباره» أخذا من قوله تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩)، فالرباني العالم الحكيم الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، والمراد أنه يعلمهم ما وضح من مسائل العلم، قبل تعليمهم ما دق منها وصعب.

٥- تقديم الأهم فالأهم من العلوم دون إخلال بقاعدة الترتيب

فتعلم العلم وتعليمه يقتضي تقديم الأهم ثم الذي يليه في الأهمية، حيث ينبغي أن يتعلم المتعلم أولا العلم بالله تعالى وكل ما يتعلق بكليات الإيمان ومسائله، ثم بعد ذلك يتفقه في دينه بمعرفة ما يلزمه من عبادات وأخلاق ومعاملات، ثم ينتقل بعد ذلك إلى علم آخر أولى من غيره، وهكذا حتى يبلغ المراد فيكون بهذا المنهج قد جمع بين قاعدة: «العلم بالأصول أولا» وقاعدة: «الترتيب والأولوية في التعلم ثانيا»، يقول الراغب في بيان هذا المعنى: «ويجب أن يقدم الأهم فالأهم من غير إخلال بالترتيب، وكثير من الناس ثكلوا الوصول بتركهم الأصول، وحقه أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ به إلى ما فوقه حتى يبلغ به النهاية، والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة والمصدوقة».

٦- سلوك منهج التدرج في رتب العلم ودرجاته

فسلوك مسلك التدرج في ولاية التعلم والتعليم شرط منهجي، وقاعدة أساس في تلقي العلم والترقي في رتبه، لأن التمكن من العلم يقتضي ذلك، عملا بسنة التدرج التي هي من سنن الله تعالى في المخلوقات كلها، ومن تجاوز سنة الله هذه عوقب بالحرمان، يقول ابن عبدالبر في تقرير هذا المعنى: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامدًا ضل، ومن تعداه مجتهدًا زل، فأول العلم حفظ كتاب الله تعالى وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول إن حفظه كله فرض، ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالمًا ليس من باب الفرض».



ومن خلال هذا النص الذهبي وغيره مما جاء في معناه، يتضح لنا المنهج الذي كان علماء السلف الربانيين يسلكونه في التعلم والتعليم، وهو المنهج الذي ربى الرسول ﷺ به أصحابه، ولهذا كان جل الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء الصالحين يحفظون القرآن الكريم في سن مبكرة قبل غيره.

٧- تقديم المتفق عليه قبل المختلف فيه

إن من مقتضيات ربانية ولاية التعليم، أن يسلك العالم المدرس، والداعية المربي في تعليم العلم وتبليغه، ما هو متفق عليه على ما هو مختلف فيه بين العلماء، إذ إن البدء بالمختلف فيه من شأنه أن يفضي إلى إرباك التفكير في المتعلم، وإفساد تربيته وتكوينه، وفي هذا المعنى يقول الغزالي: «أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس، سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا، أو من علوم الآخرة، فإن ذلك يدهش عقله، ويحير ذهنه، ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع».

ولا يعني هذا التقليل من أهمية علم الاختلاف، وخاصة لطالبي الاجتهاد، إلا أن تقديم العلم المتفق عليه، يكون أولى لمن لا يزال في مدارج البداية على المختلف فيه.

٨- ألا يدع طالب العلم فنًا من العلوم المحمودة، ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه، فإن العلوم متعاونة، وبعضها مرتبط ببعض، ويستفيد منه في حال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله، فالناس لما جهلوا أعداء، قال تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ (الأحقاف: ١١)، «فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى، أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة، ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود، والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور، ولكل واحد رتبة، وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى».

٩ - ألا يخوض المتعلم في فن جديد حتى يستوفي الفن الذي قبله

فالعلوم مراتب يفضي بعضها إلى بعض، يقول الغزالي: «فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج، قال الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ (البقرة:١٢١)، أي لا يجاوزون فنًا حتى يحكموه علمًا وعملًا، وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقي إلى ما هو فوقه».

١٠- التثبت في أخذ العلم وعدم الإكثار منه

وقد قرر هذه القاعدة المنهجية في التعلم الخطيب البغدادي حيث قال: «وينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر، بل يأخذ قليلًا قليلًا حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب من فهمه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾(الفرقان:٣٢).

وقد أوصى أبوحنيفة تلميذه حمادًا بكيفية أخذ العلم دون الإكثار منه، حتى يكون ذلك عونا له على الحفظ والفهم، فقال: «تعلم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد عليها شيئا حتى يتفق لك شيء من العلم»، فتعلم وتفقه في الدين، حتى أصبح يشار إليه بالبنان.

الفقه المنهجي في مجال التعلم والتعليم مستمد من نصوص الوحي وعطاء التجربة والخبرة الميدانية

ومن خلال هذه النصوص التراثية يتبين الفقه المنهجي الذي كان عند علماء السلف، في مجال التعلم والتعليم، وهو فقه مستمد من نصوص الوحي وعطاء التجربة والخبرة الميدانية، والمعاناة الدائمة في استخراج العلم والمنهج من القرآن والسنة.

١١ - الاقتصار على تعلم القدر الذي تحتمله طاقته فلا يزيد عنه

يقول الخطيب في هذا المعنى: «وينبغي أن يجعل لنفسه مقدارًا كلما بلغه وقف وقفته أيامًا لا يريد تعلمًا، فإن ذلك بمنزلة البنيان، لو بناه البناء كله في يوم واحد لم يكن بالذي يستجاد، وربما انهدم بسرعة، وإن بقي كان غير محكم، فكذلك المتعلم ينبغي أن يجعل لنفسه حدًا كلما انتهى إليه وقف عنده، يستقر ما في قلبه ويريح بتلك الوقفة نفسه، فإذا اشتهى التعلم بنشاط عاد إليه، وإن اشتهاه بغير نشاط لم يعرض له».

والأصل في هذا قوله ﷺ: «عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا» (البخاري).

١٢ - استصلاح النفس بقسط من الراحة بعد الطلب والتعب أمر ضروري في التعلم والتعليم.

فمناهج الدراسة والتربية لا تكون فعالة، وفي المستوى المطلوب من حيث العطاء والمردودية، دون مراعاة لهذه القاعدة، يقول الخطيب: «ويستصلح المعلم نفسه ببعض الأمر من أخذه نصيبا من الدعة والراحة واللذة، فإن ذلك يعقبه منفعة بينة»، وقال قسامة بن زهير: «روحوا القلوب تعي الذكر».

١٣- أخذ العلم عن أهله المتحققين بمقتضاه

لقد تقدم أن العلم شرعًا هو ما ينبني عليه عمل، فهذا العلم لا يؤخذ عن كل عالم به، وإنما يؤخذ عن أهله، وهم العلماء المعتبرون شرعًا الذين صار العلم وصفًا وخلقًا لهم، فلا يتحركون إلا بمقتضاه، فهذا هو السبيل المفضي إلى التعلم والانتفاع بالعلم، يقول الشاطبي مقررًا هذا المعنى: «من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به، أخذه عن أهله، المتحققين به على الكمال والتمام»، ويقول الخطيب: «ينبغي للمتعلم أن يقصد من الفقهاء من اشتهر بالديانة وعرف بالستر والصيانة»، فالعلم أمانة توجب على المتعلم الحرص على تلقيه من العلماء الربانيين، ولهذا قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذونه»، وقد روي مثل هذا الكلام عن الإمام مالك، قال رحمه الله: «إن هذا العلم دين، فانظروا عن من تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال فلان، قال رسول الله ﷺ عند الأساطين.. فما أخذت عنهم شيئًا، وأن أحدهم لو اؤتمن على مال لكان أمينا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن».

خاتمة

تلك كانت بعض قضايا المنهج الإسلامي في ولاية التعليم الإسلامية، وهي قضايا الأمة في أمس الحاجة إليها اليوم في مؤسسات تعليمها الخاصة والعامة، وفي مختلف مستوياتها وأطوارها، إذ اعتماد هذه القضايا والقواعد العلمية والمنهجية المستلهمة من هدايات الوحي وخبرة العلماء المجربين المجتهدين من شأنها أن تبصر العالم والمتعلم وأن تهديهما إلى التي هي أقوم وأرشد في المنهج التربوي التعليمي، الذي به يمكن تخريج الخريج المنشود فكرًا وتعبيرًا وتدبيرًا، كما يمكن به إذا كانت الهمم عالية والنوايا خالصة والنفوس زكية والإمكانات المادية والمعنوية والبشرية مسخرة في خدمة مؤسسات ولاية التعليم مناهج وبرامج ووسائل، علماء ومتعلمين، أطرًا ومؤسسات أن تنقل الأمة بإذن الله تعالى في وقت وجيز من الواقع المشهود إلى الموقع المنشود المحقق لمراد الله تعالى في الشهود الحضاري لهذه الأمة على الأمم كلها، وما ذلك على الله بعزيز.

آداب مزاولة مهنة الطب من منظور إسلامي

أ.د. عبدالفتاح محمود إدريس*

إن للطب آدابًا يجب على من يمارس أعماله أن يترسمها، وألا يتنكب عنها، حتى لا يتعرض للمساءلة من الجهات التي تراقب مدى التزامه بآداب مهنته، والتي قد تؤاخذه على تقصيره في مراعاة هذه الآداب، بحرمانه من ممارسة عمله، وإلغاء ترخيصه بمزاولة هذه المهنة، وإغلاق عيادته أو المشفى الذي تم الترخيص له به، وقد تحيله هذه الجهات إلى المحاكم الجنائية، إذا كان إخلاله بهذه الآداب يمثل جريمة يعاقب عليها القانون.

لقد كانت الشريعة الإسلامية سباقة في بيان الآداب الشرعية، التي ينبغي على من يعمل في مجال الطب أن ينهجها، وإلا كان آثمًا شرعًا، وهذه الآداب يمكن حصرها في الاتجاهات التالية

١-آداب عامة يراعيها الأطباء في سلوكهم وعند مزاولة مهنتهم.

٢-آداب يراعيها الطبيب نحو المريض الذي يعالجه.

٣- آداب يراعيها الطبيب نحو المجتمع الذي يمارس فيه مهنته.

٤-آداب يراعيها الطبيب نحو زملائه في المهنة.

الآداب العامة

وتتمثل هذه الآداب فيما يلي

١-أن يحافظ الطبيب على السلوك السوي لمهنته، وأن تكون حياته الخاصة والعامة بعيدة عن الشبهات، ويتأتى هذا بعدم مشاركته في الأنشطة التي لا تتفق وآداب مهنته، وأن يلتزم بالمبادئ العامة للأخلاق كما دعا إليها الإسلام إن كان مسلمًا، أو كما دعت إليها الشرائع السماوية؛ فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» (١).

٢ - أن يتخذ الطبيب لنفسه غاية في ممارسته لمهنته، وهي واجب المحافظة على الحياة الإنسانية، والدفاع عنها، وعلاج المرضى وتخفيف الألم عنهم، وذلك كله بقدر الاستطاعة، وأن يبذل جهده في تحقيق هذه الغاية، ولا ينبغي أن يكون دافعه من ممارستها تحقيق المنفعة الشخصية أو الكسب المادي. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨) وينبغي عليه أن يؤمن بأنه لن يحصل من سعيه إلا ما قدره الله له، وأنه لن يموت حتى يستوفي ذلك كله؛ فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب؛ خذوا ما حل، ودعوا ما حرم» (٢)، وأن رزقه يسعى إليه كما يسعى إليه أجله المحتوم، فقد روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر يوم غزوة تبوك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يأيها الناس إني ما آمركم إلا بما أمركم الله ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه، فأجملوا في الطلب فوالذي نفس أبي القاسم بيده إن أحدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله، فإن تعسر عليكم شيء منه فاطلبوه بطاعة الله عز وجل (٣).

الطبيب مطالب بأن يعامل زملاءه بما يحب أن يعاملوه به

٣- ألا يوجه الطبيب إمكاناته وخبراته للأذى أو التدمير، أو إلحاق الضرر البدني أو النفسي بالإنسان، مهما كانت الاعتبارات السياسية أو العسكرية، فقد نهى الشارع عن الضرر ومضارَّة المسلم؛ إذ روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» (٤)، وروي عن أبي صرمة . رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال: «من ضارّ مسلمًا ضارّه الله» (٥).

٤- أن يعمل على تنمية خبرته في الطب؛ وذلك بالاطلاع على الأبحاث المتخصصة في مجال عمله، وحضور الندوات والمؤتمرات التي تناقش فيها الأعمال الطبية، والوقوف على ما قد يرد على النظريات المختلفة في التشخيص والعلاج من تعديل أو إضافة، وعلى الجديد في وسائل المداواة والمعالجة وغيرها من المجالات الطبية؛ فقد رغب الشارع في طلب العلم والتزود منه في نصوص كثيرة، منها: قول الله

* أستاذ الفقه المقارن بجامعتي الأزهر والإمارات والجامعة الأميركية المفتوحة.

تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿طه: ١١٤﴾، وقوله سبحانه «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة:١١) وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السماوات والأرضين، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير (٦).

وروى عن صفوان بن عسال رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب» (٧).

٥ . للطبيب أن يقوم بإجراء البحوث العلمية في مجال تخصصه، على ألا تشتمل حريته في البحث العلمي على قهر الإنسان أو قتله أو الإضرار به، أو تعريضه لضرر محتمل، أو التدليس عليه أو استغلال حاجاته المادية، ولا ينبغي أن تشتمل خطوات البحث العلمي أو تطبيقاته على أمر يعد من المحرمات التي حرمها الإسلام كالزنا، أو اختلاط الأنساب، أو التشويه والعبث بمقومات الشخصية الإنسانية عن طريق الهندسة الوراثية، لنهي الشارع عن ذلك كله، ومن الأدلة الدالة على تحريم ذلك قول الله تعالى في تحريم الزنا: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ ﴿الإسراء: ٣٢﴾، وقد ورد في تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه ما رواه سعد بن أبي وقاص وأبوبكرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من ادعى أبًا في الإسلام غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام» (٨)، كما ورد في تحريم إلحاق نسب مولود بمن ليس منهم ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يُدخلها الله جنته» (٩). وورد في تحريم العبث بمقومات الشخصية الإنسانية عن طريق استعمال الهندسة الوراثية، واتباع الشيطان في غوايته إلى تغيير خلق الله تعالى قول الله سبحانه عن محاولة إبليس إيقاع الإنسان في هذه المعصية: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١١٩)، ثم قال سبحانه محذرًا من اتباع الشيطان في ذلك: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٩)، وروى علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؟ فقال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) (١٠)، فهذه الأدلة وغيرها دليل على حرمة تغيير خلق الله تعالى والعبث في الصورة الإنسانية التي فطر الله تعالى الناس عليها، عن طريق إجراء التجارب التي يقصد منها هذا العبث.



الآداب المتعلقة بالمريض

وتتمثل هذه الآداب فيما يلي:

١- أن يبذل الطبيب لمريضه النصح، وأن يفيده إفادة تامة عن كل ما يتعلق بمرضه؛ فقد روي عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة -ثلاثًا- قلنا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» (١١).

٢ - أن يصارح الطبيب مريضه بعلته إن كان في ذلك ما يفيده، وأن يختار الطريقة المناسبة لإنهاء حقيقة مرضه إليه، وليتلطف معه، وأن يعمل على إذكاء إيمان المريض وإنزال السكينة في نفسه، وتوثيق رباطه بالله ثقة يهون بها ما سواه، فقد روي عن عبد الملك بن عمير «أن رسول الله ﷺ لما زار أم العلاء الأنصارية وهي تتوجع، قال لها: أبشري يا أم العلاء! فإن مرض المسلم يحط الله به عنه خطاياه، كما يحط عن الشجرة أوراقها في الخريف»، وفي رواية أخرى بلفظ: «فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة» (١٢).

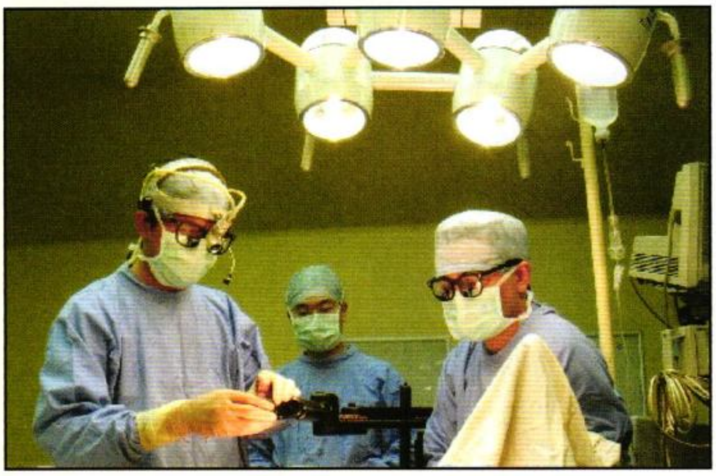
٣- أن يؤنس الطبيب مريضه ببشاشته وطلاقة وجهه؛ فقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (١٣)، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم لا تَسَعون الناس بأموالكم، ولكن ليسَعْهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» (١٤).

وينبغي على الطبيب أن يهوّن عن المريض ما هو فيه من مرض، وإن رأى في مرضه ضررًا عليه تلطف في إبعاده عنه، واعدًا إياه بذلك تطييبًا لنفسه؛ فقد روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يسّروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» (١٥).

٤- أن يكون عمل الطبيب مجردًا عن العوامل النفسية التي قد تؤثر في أدائه؛ فليس له أن يفرق بين المرضى بحسب الدين أو العقيدة، أو الفكر أو الجنس أو اللون أو نحو ذلك؛ فقد قال الحق . سبحانه . في النهي عن اتباع الهوى فيما يقوم به المرء: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥)

٥- أن يعالج الطبيبُ العدوّ كما يعالج الصديق؛ فليس له أن يغير من طريقة علاجه مع أعدائه، وعلى الأطباء في المجتمع الإسلامي بوصفهم أعضاء في المجتمع الطبي الدولي أن يتعاونوا على الصعيد العالمي للدفاع عن الحياة ومعالجة المرضى، بحيث تؤدي هذه الغاية إلى تحقيق رسالة الطبيب في الحياة بالنسبة لجميع المرضى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨).

٦- أن يحافظ الطبيب على أسرار مريضه، سواء وصلت إليه عن طريق القول من المريض أو من ذويه، أو عن طريق الفحص أو التحليل، أو رآها الطبيب أو استنتجها من حالة المريض، وأن يحيطها بسياج من الكتمان، احترامًا للثقة الموضوعة فيه، بحسبان هذه الأسرار أمانة أودعها المريض أو ذووه عنده، أو أودعت عنده بمقتضى عمله، وقد أمر الله . تعالى . بحفظ الأمانات ورعايتها وعدم الخيانة فيها، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٧)، وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨)، وقد اعتبر رسول الله ﷺ خيانة الأمانة إحدى خصال النفاق؛ إذ روى عنه أبوهريرة رضي الله عنه أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» (١٦)، ولا يخلق بمسلم أن يتصف بصفة من صفات المنافقين.



٧- أن يجند الطبيب كل علمه وخبرته في أن يجتاز المريض ما بقي له من العمر في حسن رعاية، من غير ألم ولا عذاب، وذلك بما تهيأ له من أسباب العلاج والرعاية، وأن يبذل جهده في تحقيق ذلك؛ إذ أمر الله تعالى بالوفاء بما ألزم الإنسان نفسه به بمقتضى العقود، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة:١)، ونهى عن الخيانة فيما يؤديه الإنسان من عمل، وذلك بأدائه على الوجه الذي يؤدي إلى النتيجة المرجوة من أدائه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٧).

٨- ألا يصف الطبيب دواء يقتل المريض أو يضر به، أو دواء يسقط الأجنة أو يؤدي إلى العقم من غير ضرورة إليه، أو أن يفعل بالمريض ما يضر به، لنهي الشارع عن الإضرار بالغير أو التسبب فيه.

٩- أن يستشير الطبيبُ غيرَه من الأطباء الذين لهم خبرة بالمرض الذي يعالجه، إن كان يجهل كيفية تشخيصه أو طريقة معالجته، لقول الحق سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء:٧)، وعليه أن يتنحى عن معالجة المريض، ليتركها لمن يكون أقدر عليها من الأطباء، إن كان لا يأنس من نفسه القدرة على ذلك؛ فقد روي عن زيد ابن أسلم «أن رجلاً في زمن رسول الله ﷺ أصابه جرح، فاحتقن الدم، وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظرا إليه، فزعم أن رسول الله ﷺ قال لهما: أيكما أطبُّ؟ فقالا: أوَ في الطب خير يا رسول الله؟ فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال: أنزل الدواءَ الذي أنزل الأدواء» (١٧).

١٠- ألا يُنهي الطبيب حياة مريض ميؤوس من برئه متعذب من آلامه، بل ينبغي عليه أن يخفف من آلامه بقدر الاستطاعة حتى يأتي أجله المحتوم؛ لأن إنهاء حياته قتل له بغير حق، وقد جاءت نصوص كثيرة تنهى عن ذلك، منها قول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٣٣)، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات! قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (١٨).

الآداب المتعلقة بالمجتمع

وتتمثل هذه الآداب فيما يلي

١- يجب على الطبيب في المجتمع المسلم أن يكون على علم بأحكام الإسلام التي تتعلق بمهنته، وأن يلتزم بها، حتى لا يكون منه فعل أو وصف مخالف لهذه الأحكام، ومن ذلك: الأحكام المتعلقة بما تشتمل عليه الأدوية من مفردات مباحة أو محرمة، والأحكام المتعلقة بالإجهاض والتلقيح الصناعي، وتنظيم النسل، والتعقيم، ومداواة أحد الجنسين للجنس الآخر، وما يتعلق بذلك من أحكام الخلوة، والنظر إلى ما يعد عورة، ومس ذلك من المريض أو المريضة، ونحو ذلك.

٢- أن يراعي طبيعة المجتمع وما جرت عليه عادات أفراده، وذلك لتقرير ما يأخذ وما يدع من السياسات الطبية، حتى لا يكون فيما يتبعه من ذلك شذوذ، قد يضر بأفراد المجتمع الذي يمارس فيه مهنته، ولا يأتي بأفعال فيها مجافاة لما درج عليه المجتمع من عادات.

٣- ألا يقتصر دور الطبيب على مداواة المرضى، بل يجب أن يمتد ليشمل التنبيه على أساليب الوقاية من الأمراض المختلفة، وأن يهتم بمكافحة العادات التي تضر بأفراد المجتمع، كشرب المسكرات أو المخدرات، وأن يبين الأضرار التي تنشأ عن ذلك، أو عن عدم التمسك بالفضيلة والعفة أو بآداب الشرع الحنيف، لأن هذا من قبيل النصح الذي هو أحد ركائز الدين الحنيف.

٤- أن يشارك الطبيب فقهاء الشريعة في إصدار الفتاوى بالحل أو الحرمة، فيما يصل إليه التقدم العلمي في مجال الطب أو الدواء، بحيث تكون الفتوى جهدًا مشتركًا بين المسلمين من أهل التخصص في الفقه وأهل التخصص في الطب وأن يشارك بالرأي في المسائل التي يعتبر الترخص فيها بسبب المرض متوقفًا على رأي أهل الخبرة من الأطباء، وتلك التي يتوقف الحكم الشرعي فيها على قولهم، بحسبان ذلك شهادة منه فيما يتوقف الحكم الشرعي على قوله فيه؛ وقد نهى الحق . سبحانه . عن كتمان الشهادة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

الآداب المتعلقة بزملاء العمل

يجب على الطبيب أن يعامل زملاءه بما يحب أن يعاملوه به، وأن يحافظ على علاقته الطيبة بهم، وألا يقلل من علمهم أو خبرتهم أو مهارتهم؛ فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا» (١٩).

الهوامش

(١) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين (عون الباري على البخاري ٢١٧/١ - ٢١٩، السراج الوهاج على مسلم ٥٤/٦).

٢- أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك والشافعي في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان وابن عبد البر في التمهيد، وسكت عنه المنذري (مسند الشافعي ٢٣٣/١، شعب الإيمان ٦٧/٢، التمهيد ٢٨٤/١، الترغيب والترهيب ٣٣٩/٢).

٣- أخرجه ابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير باسناد جيد كما قال المنذري، وذكره الهيثمي في موارد الظمآن (صحيح ابن حبان ٣١/٨، المعجم الكبير ٨٤/٣ ، موارد الظمآن ٢٦٧/١، الترغيب والترهيب ٣٤٠/٢).

٤- أخرجه الحاكم وصحح إسناده (المستدرك ٥٧/٢).

٥- أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة في سننهم، وسكت عنه أبو داود والسيوطي، وقال فيه الترمذي: حسن غريب (سنن أبي داود ٣١٥/٣، سنن الترمذي ١٨١/٦، سنن ابن ماجة ٧٨٥/٢، الجامع الصغير ١٨١/٢).

٦- اخرجه الترمذي في سننه وقال: حديث غريب، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة (سنن الترمذي ٤٢/٥، الجامع الصغير ٧٩/٢).

٧- اخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وأبوداود الطيالسي في مسنده، والحاكم في المستدرك وصحح إسناده، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن (صحيح ابن خزيمة ١٣/١، صحح ابن حبان ٢٨٩/١، المستدرك ١٨٠/١، والجامع الصغير ٨٦/١).

٨- أخرجه مسلم في صحيحه ٨٠/١.

٩- أخرجه ابن حبان في صحيحه وأبوداود والنسائي في سننيهما وسكتا عنه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١٦٣/٦، سنن أبي داود ٢٧٩/٢، سنن النسائي ١٧٩/٦ . ١٨٠).

١٠- الواشمة: هى التي تقوم بغرز الإبرة في الموضع الذى يراد وشمه، ثم تضع عليه الكحل أو النؤور وهو النيلج، والمستوشمة: هى التي تطلب الوشم، والنامصة: هي التي تزيل الشعر من وجه نفسها أو غيرها، والمتنمصة: هي التي تستدعى نتف الشعر من وجهها، والمتفلجة: هي التي تبرد ما بين الأسنان والثنايا والرباعيات، من الفلج وهو الفرجة بين الثنايا والرباعيات، تفعله العجوز ومن قاربها في السن إظهارًا للصغر وحسن الأسنان (نيل الأوطار ١٩١/٦- ١٩٢)، والحديث أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين. (فتح الباري٣٧٧/١٠، شرح النووي على مسلم ١٠٢/٤ - ١٠٣).

١١- أخرجه مسلم في صحيحه (السراج الوهاج ٢٨٩/٧).

١٢- أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وأبوداود في سننه وسكت عنه المنذري، وأخرجه الطبراني في الكبير (مسند عبد بن حميد ٤٥١/١، سنن أبي داود ١٨٤/٣، المعجم الكبير ١٤١/٢٥، الترغيب والترهيب ١٤٨/٤).

١٣- أخرجه مسلم في صحيحه ٤٤٦/٢.

١٤- أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح، وأخرجه البزار في زوائده، والبيهقي في شعب الإيمان، وأبونعيم في الحلية، وذكره السيوطى في الجامع الصغير ورمز له بالحسن (المستدرك١٢٤/١، حلية الأولياء٢٥/١٠، الجامع الصغير ١٠٣/١).

١٥- أخرجه البخاري في صحيحه (عون الباري على البخاري ١ / ٢٥١).

١٦- أخرجه الشيخان في صحيحيهما (عون الباري على البخاري ١٧١/١، شرح النووي على مسلم ٤٦/٢).

١٧- أخرجه مالك في الموطأ وابن أبي شيبة في مصنفه مرسلاً، وذكره ابن حجر في فتح الباري وسكت عنه، وذكره ابن عبدالبر في التمهيد (الموطأ / ٦٧٣، مصنف ابن أبي شيبة ٣/٨، فتح الباري ٣٨٨/٢٣، التمهيد ٢٦٣/٥).

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٩٢/١.

(١٩) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٢٣/٢.

مفهوم القديم والجديد عند الإمام الشافعي

رشيد الحسن

يكاد يتفرد المذهبُ الشافعيُ بين سائر المذاهب الفقهية في كونه قدَّمَ رأيين لبعض المسائل الفقهية، أحدُهما يسمى القديمَ والآخرُ الجديدَ، وقد ترتب على ذلك أنْ كانت الفتوى في بعض المسائل بحسب الرأي القديم، وفي أخرى على الجديد. وقبل الخوض في غمار هذا البحث، لابدَّ لي أولا من بيان معنى مصطلحي «القول القديم، والقول الجديد» عند الشافعية، ومظانّ وجودهما.

فقد قسَّم فقهاءُ الشافعية اجتهادات الشافعيِّ إلى قسمين: قديم وجديد، واختلفوا في تحديد المقصود بهما على قولين

القول الأول

القديمُ: ما قاله أو نَصَّ عليه الشافعيُّ ببغدادَ تصنيفًا أو إملاءً أو إفتاءً، سواء أكان قد رجع عنه وهو الغالب، أم لم يرجع عنه وهو قليل، قال النووي رحمه الله: قوله «وقال في القديم» يعني الكتاب الذي صنفه الشافعيُّ في بغداد واسمه «الحجة» (١).

والجديد: ما قالَه أو نَصَّ عليه بمصرَ تصنيفًا أو إملاءً أو إفتاءً، هذا هو المشهور، كما نَصَّ عليه أغلب شُرَّاح «المنهاج» كالدَّميريّ (ت٨٠٨هـ)، والمحَلِّي (ت٨٦٤هـ)، والخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، فتحديدُهم يجعل المكان هو الضابطَ لِجِدَّةِ القول وقِدَمِهِ (٢).

القول الثاني

القديمُ: ما قاله أو نَصَّ عليه الشافعيُّ قبل دخوله مصر، والجديدُ: ما قالَه أو نَصَّ عليه بعد دخوله مصر.

وهو قول الشيخ ابن حجر والشمس الرملي ومن تَبِعهما من المتأخرين (٣). وينصُّون على أنَّ هذا التحديدَ أولى، ليشملَ ما قاله الشافعيُّ ببغداد وما نُقل عنه وهو في طريقه إلى مصر قبل دخولها، فلا اعتبارَ للمكان، ولكنَّ الاعتبارَ لزمن الدخول إلى مصر.

ومما يَرِدُ على القول الأول: أنَّ ما نُقِلَ عن الإمام في الطريق بين بغدادَ ومصرَ يحتاجُ إلى بَحْث في تحديد تأخُّرِه وتقَدُّمه، فالمتأخرُ جديد، والمتقدِّمُ قديم (٤).

فتاوى الإمام في مصر أشدُّ من فتاواه في العراق التي يغلب عليها التيسير وبنى مذهبه الجديدَ على الاحتياط وعدم القول بالمصالح المرسلة

وهذا الرأيُ غيرُ دقيق وغيرُ منضبط، ويصعب تطبيقه على أقوال الإمام، وبسبب عدم انضباط هذا الرأي يترجح الرأيُ الثاني، والله أعلم.

ولم يُشر أصحابُ الرأي الثاني إلى الأقوال التي قالها الإمامُ الشافعيُّ بمكة قبل انتقاله إلى بغدادَ، وعرضه لمذهبه فيها، ويؤكد د.لمين ناجي من خلال استقراء أقوال الإمام الشافعيِّ القديمة والجديدة، ومن خلال المصادر المتوافرة حاليًا شمولَ القول القديم لكلِّ أقوال الإمام منذ بداية استقلاله بمذهبه في مكة عام ١٨٦هـ (٥).

ومما يشهد لهذا الاعتبار أيضا: كونُ الإمام الشافعيِّ ألَّف «الرسالة» وبعضَ مؤلفاته بمكة، وأنَّ مكثه ببغدادَ سنتين مدة وجيزة لا تكفي لتأليف مؤلفات وعرضها، فوجب أنْ تكونَ بعضُ مؤلفاته ألفها بمكة، مما يجعل اعتبارَ أقواله بمكة من القديم. وعند استقراء مسائله في القديم، وُجد أنَّ بعضَها قالها بمكة قبل دخوله بغداد، بناء على روايات بعض أصحابه (٦).

فيتضح من ذلك أنَّ الفترة الزمنية للقديم تمتد من ١٨٦هـ إلى السنة التي خرج فيها إلى مصر ٢٠٠هـ.

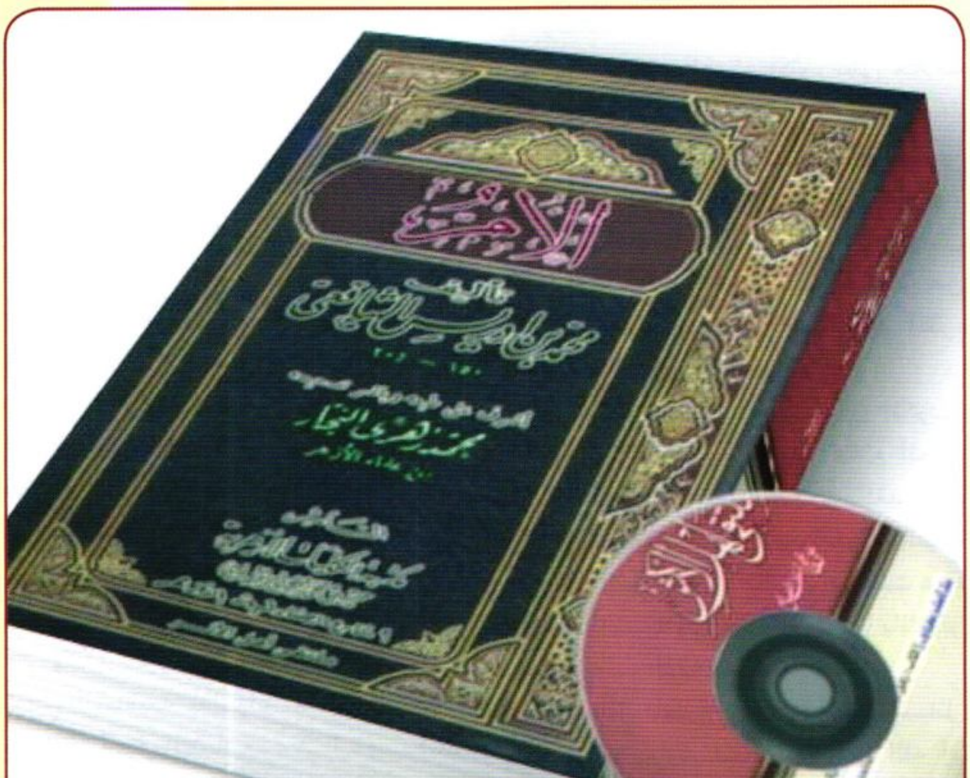
مظانُّ وجودهما

يمثل القولَ القديم كتابُ «الحجة» الذي يرويه الحسنُ الزعفراني (ت٢٦٠هـ) أهمُّ رواةِ القول القديم، وهو الذي أطلقَ عليه هذا الاسمَ، والكتابُ في عداد المفقود، بسبب عدم الاعتناء بالأقوال القديمة.

وبسبب هذا صار لا يمكن الوصولُ للقول القديم للشافعي إلا بوساطة المصادر المتقدمة، كـ«التلخيص» لابن القاص (ت٣٣٥هـ)، و«التقريب» للقفال الشاشي (ت٤٠٠هـ)، (٧) و«جمع الجوامع» لأبي سهل بن العفريس الزوزني (ت٣٦٢هـ)، و«الحاوي» للماوردي (ت٤٥٠هـ)، و«نهاية المطلب»لإمام الحرمين (ت٤٧٨هـ)، أو المصادر المتأخرة، مثل «فتح العزيز» للرافعي و«المجموع» للنووي.

ومن أجلِ من روى القولَ القديمَ من

• إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية



أصحاب الشافعي أربعة: أحمدُ بنُ حنبل، وأبوثور، والزعفرانيُّ، والكرابيسي.

ويمثل القولَ الجديد كتابُ «الأم» (٨) وهو عبارة عن الإملاءات التي جمعها الربيع المرادي (ت٢٧٠هـ)، وهو الذي أطلقَ عليها هذه التسمية، إشارة إلى كونه أمًّا وجامعًا لمصنفات الشافعي في الفقه التي رواها، وهو يحتوي على مجموعة كتب، منها في الفروع، ومنها في الأصول كـ«الرسالة»، ومنها في الفقه المقارن كاختلاف مالك واختلاف أبي حنيفة، ومنها في تفسير آيات الأحكام، ومنها في أحاديث الأحكام وآثارها (٩).

وكتاب «الأم» من المراجع المهمة لمعرفة نصوص الشافعي الجديدة، إلا أنَّ فقهاء الشافعية لم يولُوا هذا الكتابَ عناية بالشرح أو الاختصار أو التعليق، بل انصبَّ جُلّ اهتمامهم على مختصر المُزَنيّ، وهذه ظاهرة تستحق الدراسة. قال النووي: وصنفَ كتبَه الجديدة ـ كلَّها بمصر (١٠)، قال الربيع: أقام الشافعي هاهنا (يعني بمصر) أربعَ سنين. فأملى ألفًا وخمسَمائة ورقة، وخرَّج كتاب «الأم» في ألفي ورقة، وكتابَ السنن، وأشياء كثيرة، كلها في مدة أربع سنين (١١).

ورواة هذا المذهب كثر، من أجلِّهم: البويطيُّ، والمُزَنيُّ، والربيع المراديُّ، وحرملة، ويونسُ بنُ عبدالأعلى والثلاثة الأوَل هم الذين تصدوْا لذلك وقاموا به، والباقون نُقلت عنهم أشياءُ محصورة على تفاوت بينهم (١٢).

والسؤالُ المهمُّ الآن هو: هل القولُ القديمُ المرجوعُ عنه لا يُعمل به؟ أم يُعد مذهبًا للشافعي ويُعمل به؟ وما هو موقفُ الأصحاب منه؟ وهل عدل الشافعيُّ عن كل مذهبه بدون استثناء أم لا؟ ولماذا؟

للإجابة عن هذه التساؤلات لابُّد من طرح كلِّ فقرة على حدة، أمّا الشطرُ الأولُ من السؤال وهو: هل القولُ القديمُ المرجوعُ عنه لا يُعمل به؟

فللإجابة عن هذا السؤال لابدَّ من بيان أنَّ الأقوالَ القديمةَ لها ثلاثُ حالات

الحالة الأولى: أنْ يكونَ الشافعيُّ قد نصَّ في الجديد من قوليه على خلافها، وهذا موضعُ خلاف عند فقهاء الشافعية، عند الجمهور تُعتبر مرجوعا عنها، ولا فتوى عليها، ولا يُعملُ بها، وليست مذهب للشافعي، قال النوويُّ عن إمام الحرمين: معتقدي أنَّ الأقوالَ القديمةَ ليست من مذهب الشافعي حيث كانت، لأنه جزمَ في الجديد بخلافها، والمرجوعُ عنه ليس بمذهب للراجع (١٣).

ويرى بعضُ فقهاء الشافعية أنَّ الأقوالَ القديمة لا تُعدُّ مرجوعًا عنها، قال النوويُّ «قال بعضُ أصحابنا: إذا نصَّ المجتهدُ على خلاف قوله لا يكون رجوعًا عن الأول، بل يكونُ له قولان» (١٤).

لكنَّ النوويَّ عقَّبَ على هذا الرأي فقال: وهذا غيرُ صحيح، لأنَّ القولين كنصين للشارع، وفي حالة التعارض وعدم إمكان الجمع بينهما يُعمل بالثاني، ويُترك الأول (١٥).

الحالة الثانية: ألا يَنصَّ الشافعيُّ في الجديد على خلافها ولم يتعرضْ لتلك الأقوال في الجديد من قوله وسكتَ عنها، فإنَّ الفتوى تكون عليها ويُعمل بها، وهو مذهبٌ للشافعي (١٦).

قال النوويٌّ، واعلم أنَّ قولَهم: القديمُ ليس مذهبًا للشافعي، أو مرجوعًا عنه، أولا فتوى عليه، المرادُ به: قديم نُصَّ في الجديد على خلافه، أما قديمٌ لم يخالفْه في الجديد، ولم يتعرضْ لتلك المسألة في الجديد فهو مذهبُ الشافعي واعتقاده، ويُعمل به ويُفتى عليه، فإنه قاله ولم يرجع عنه (١٧).

وهذا النوعُ وقع منه مسائلُ كثيرة.

وقال أيضا: وإنما أطلقوا أنَّ القديمَ مرجوعٌ عنه، ولا عملَ عليه لكون غالبه كذلك (١٨).

الحالة الثالثة: أنْ يكونَ القديمُ عضده حديثٌ صحيحٌ لا معارضَ له، فهذا يُعدُّ أيضا مذهبًا للشافعي يُعمل به وعليه

الفتوى.

قال الشافعي- رحمه الله- فيما رواه الرازيُّ بسنده عن حرملة بن يحيى: كلُّ ما قلت، وكان عن النبي ﷺ خلافُ قولي ممَّا يصح، فحديثُ النبيِّ ﷺ أولى،لا تقلدوني (١٩).

قال النوويُّ رحمه الله: إنَّ مذهبَ الشافعيِّ كذا وهو ما نصَّ عليه في الجديد، هذا كلُّه في قديم لم يعضده حديث صحيح، أما قديمٌ عضده نصُّ حديث صحيح لا معارضَ له فهو مذهبُ الشافعيِّ رحمه الله ومنسوبٌ إليه (٢٠).

وهذا الأمر في الحقيقة هو الذي جعل بعضَ الشافعية إذا رأى حديثًا صحيحًا يخالف قولَ الشافعي، قال: ومذهبُ الشافعي كذا على موجب الحديث.

ولكن لابدَّ من القول: أنَّ هذا الأمرَ ليس في مقدور كلِّ فقيه، فإنه قد يصحُّ الحديثُ على خلاف قول الإمام الشافعيِّ، لكنَّ الحديثَ هذا بلغه بعينه وكان له فيه تأويلٌ معين، أو عارضه عنده حديثٌ أقوى منه سندًا أو أصرحُ منه دلالة، أو يكونُ له مقيدًا أو مخصصًا، أو يكونُ معارضًا لقواعد الشريعة المقطوع بها، أو غير ذلك من الأمور، فيترك العمل بهذا الحديث.

ولذا لا يجوز لأحد وَجد حديثًا ما على خلاف قول الشافعي أن يقول: هذا قولُ الشافعي، إلا بعد البحث التام والاستقصاء في كتب المذهب، هل بلغه هذا الحديثُ أم لا؟ وإذا كان بلغه فما الأسبابُ التي جعلته يتركُ العمل به؟ بعده يمكنه أنْ يَنسب للشافعيِّ ما يدلُّ على هذا الحديث.

وبالنسبة للأقوال القديمة فهناك مسائلُ معدودةٌ استثناها فقهاءُ الشافعية المجتهدون في المذهب يُفتى فيها على القديم من قولي الإمام، وذلك لغلبة ظنهم على أنَّ الشافعيَّ رحمه الله لم يقفْ على هذا الحديث العاضد للقديم، أو لم يعلم مدى صحته (٢١).

وعددُ هذه المسائل يتراوح بين ثلاثة إلى عشرين مسألة، أو أكثرَ، على خلاف بين الفقهاء في تحديدها.

قال النوويُّ رحمه الله: كلُّ مسألة فيها قولان للشافعيِّ رحمه الله قديم وجديد، فالجديدُ هو الصحيح وعليه العمل،لأنَّ القديم مرجوعٌ عنه، واستثنى جماعة من أصحابنا نحوَ عشرين مسألة أو أكثر، وقالوا: يُفتى بها بالقديم (٢٢).

والعلامة الشيخ محمد أمين الكردي الشافعي يقول: ولو تتبعتَ كلامَ أئمَتنا لـزادتْ المسائلُ على ثلاثينَ بكثير،لأنَّ هاتين المسألتين اللتين زدتُهما من متعلّقات النجاسة فقط... » ثم قال: «وإذا كانت هذه المسائلُ بالنسبة للنجاسة فقط فما بالُكَ لو تتبعتَ أبوابَ الفقه» (٢٣).

والسؤال المطروح هو: هل هذه المسائلُ المستثناة منسوبة للشافعي رحمه الله أم لا؟

أجاب النووي رحمه الله عن هذا السؤال فقال: «ثمَّ إنَّ أصحابنا أفتوْا بهذه المسائل من القديم، مع أنَّ الشافعيَّ رجع عنه، فلم يبقَ مذهبا له» ثم قال: «فإذا علمت حال القديم، ووجدنا أصحابنا أفتوْا بهذه المسائل على القديم، حملنا ذلك على أنه أداهم اجتهادهم إلى القديم لظهور دليل عليه، وهم مجتهدون فأفتوا به، ولا يلزم من ذلك نسبتُه إلى الشافعي، ولم يقلْ أحدٌ من المنتقدين في هذه المسائل إنها مذهب الشافعي، أو أنه استثناها» (٢٤).

وعلى هذا فمن ليس أهلا للتخريج والاجتهاد لزمه اتباعُ الجديد، ومَن كان أهلا لزمه اتباع ما اقتضاه الدليل في العمل والفتوى، مبينًا أنَّ هذا رأيُه، وأنَّ مذهبَ الشافعي كذا.

ويبقى السؤال الكبير وهو: هل عدل الشافعي عن كل مذهبه بدون استثناء عندما قدم مصر أم لا؟ ولماذا؟

عند التدقيق يظهرُ في الحقيقة أنَّ مذهبَ الشافعيِّ واحدٌ، وأنَّ القولَ الجديدَ امتدادٌ للقول القديم وتطويرٌ له، والكتبُ الجديدةُ هي تمحيصٌ وزيادةٌ للكُتُب القديمة، فكتابُ «الحجة» هو نفسُهُ كتابُ «الأم»، ولَم يسمِّهما الشافعيُّ بهذين الاسمين بل سمَّاهما مَنْ رَواهما، والشافعيُّ استنسخَ كتابه القديمَ وأضاف إليه في الجديد وعدَّلَ وحَذَفَ، ذلك لأنَّ الشافعيَّ طالما كان يفحَصُ آراءَهُ كما يفحَصُ آراءَ غيره، ثم يكرِّرُ وزنَها على ما يستخرجُ من أصول فيُبقي أو يُعَدِّلُ، وهذا شأنُ الباحث الذي يطلبُ الحقَّ لا يبغي سواه، والمجَدِّدَ الحيّ في تفكيره واجتهاده.

يُؤكِّدُ هذا البيهقيُّ (ت٤٥٨هـ) في «مناقب الشافعي» حيث يقول: ثم أعادَ تصنيفَ هذه الكتب في الجديد غيرَ كُتُب معدودة منها: كتابُ الصيام، وكتابُ الصَّداق، وكتاب الحدود، وكتابَ الرَّهن الصغير، وكتابُ الإجارة ، وكتابُ الجنائزَ، فكانَ يأمرُ بقراءَة هذه الكتب عليه في الجديد، ثم يأمرُ بتخريق ما تغيَّرَ اجتهادُهُ فيها، وربما يَدَعُهُ اكتفاءً بما ذَكَرَ في مَوضِعٍ آخرَ (٢٥).

فالإمامُ لم يقطَعْ نظرَهُ عن كتبه القديمة بل من خلالها أبقى وعَدَّلَ وحَذَفَ، فأصلُ المذهَب واحدٌ (٢٦).

وكذلك يدلُّ على ما قلت قولُ ابن النَّديم (ت٤٣٨هـ) في «الفهرست» عند ذكره لكتابِ «المبسوط» الذي رواه الزَّعْفَرَانيُّ: وروى المبسوطَ عن الشافعيِّ على ترتيب ما رواه الربيع، وفيه خُلفٌ يسيرٌ ، وليسَ يرغبُ الناس فيه ولا يعملونَ عليه، وإنما يعملُ الفقهاءُ على ما رواه الربيع، فيدلُّ على أن أصلَ الكُتُب واحدٌ وهي بنفس الترتيب (٢٧).

وقد أكد هذا الأمرَ د.لمين ناجي في رسالته القيمة «القديم والجديد في فقه الشافعي»، وكان ممّا قال: الأصولُ التي بنى عليها الشافعيُّ فقهه القديمَ هي نفسُها التي اعتمد عليها في الجديد، بل الجديدُ إنْ هو إلا امتدادٌ للفقه القديم، يدخل في إطاره ويتمشى مع أصوله (٢٨).

وقال أيضا: وليس لظاهرة القديم والجديد ميزة خاصة تفصلها عن الظاهرة العامة في فقه الشافعي، ولو قدر له أن

يتحول إلى غير مصر لرجع عن أقوال كثيرة أيضًا (٢٩).

ويقول الشيخ محمد بن عمر الكاف في كتابه «المعتمد عند الشافعية»: «توهمُ عباراتُ كثير ممن أرَّخوا للشافعيِّ أنَّ القولَ الجديدَ والقولَ القديمَ مذهبانِ مُستقلان، أو أنَّ الشافعيَّ أملى كتبًا جديدةً مستقلةً عن الكتب القديمة، وقد استكثرَ بعض الكُتَّاب أن تكونَ السنواتُ الأربع التي أقامها الشافعي بمصرَ كافيةً لتأسيس مذهب جديد وتصنيف كتب جديدة، ولكن عندَ التدقيقِ يظهرُ أنَ مذهبَ الشافعيِّ في الحقيقة واحدٌ، وأن القولَ الجديدَ امتدادٌ للقولِ القديم وتطويرٌ له». (٣٠).

وليس الشافعيُّ في هذا بدعًا من المجتهدين، فالأئمة الثلاثة أبوحنيفة ومالكُ وأحمدُ بنُ حنبلَ رحمهم الله جميعا، وغيرهم كثيرًا ما رأوْا رأيًا فثبت لديهم غيرُه بالأثر أو النظر فرجعوا عن الأول، وكثيرًا ما يَنقل رواة المذهب روايتين أو أكثرَ في مسألة واحدة عن إمامهم، فيَظنُّ من لا علم له أنَّ تعددَ المذاهب يولِّد النقصَ فيه، إلا أنَّ ذلك يزيدُ من علوِّ منزلته ورفع مرتبته، إذ لا ينشأ ذلك إلا عن شدة ورعٍ واحتياط في دين الله، ونبذ للتعصب للرأي.

لماذا رجع الإمام الشافعي عن أقواله القديمة؟

فمع أنَّ المشهورَ بين عموم المثقفين، وكثير من المتخصصين أنَّ الشافعيَّ رجع عن مذهبه القديم إلى مذهبه الجديد لمَّا قدم مصرَ بسبب ما رآه بها من اختلاف العادات والأعراف، إلا أنه رأيٌ بعيدٌ عن الواقع بالفعل.

ولو كان الأمرُ كذلك لبقي أصحابُ الشافعي بالعراق على مذهبه القديم لكونه أنسبَ لبلدهم!

هذا والمتتبعُ للمسائل التي خالف فيها القديمَ الجديدُ يجد أنَّ البحثَ فيها متعلقٌ بالترجيح من حيث الدليل.

كما أنَّ المسائلَ التي رأى فيها فقهاءُ الشافعية أنَّ القديمَ أرجحُ فيها من الجديد، إنما رأوْا ذلك لرجحان دليل القديم، لا لكونهم عراقيين.

لو كان الأمرُ مجردَ فتاوى تناسبُ كلَّ بلد لما أمر - رحمه الله - بشطب كتبه التي ألَّفها في العراق وحرَّم على الناس روايتها

سئل الإمام أحمدُ رحمه الله: ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أحبُّ إليك أو التي بمصر؟

قال: عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمْها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك (٣١).

ويقول عمرو بنُ سواد السرحي: قال لي الشافعيُّ: ما لك لا تكتب كتبي؟ فسكتُّ، فقال له رجل: إنه يزعم أنك كتبت ثم غيرت، ثم كتبت ثم غيرت، فقال الشافعيُّ: الآن حَميَ الوطيس.

يريد رحمه الله: أنه قد تعيَّن شرحُ جلية الأمر، وتحتَّمَ الكشفُ عن حقيقة السر، وذلك أنَّ المجتهدَ إذا ما صحَّ الدليلُ لديه وجبَ عليه العملُ بموجبه، فإذا تبيَّنَ له بعد ذلك دليلٌ أقوى منه يدلُّ على خلاف حكمه الأول، وجب عليه الرجوعُ عن الحكم الأول إلى الحكم الثاني، فالتغييرُ لم ينشأ عن شك واضطراب، بل عن بحث واجتهاد وتحرٍّ للصواب.

وللوقوف على أسباب عدول الإمام الشافعي عن مذهبه القديم لابدَّ أولًا من معرفة الأمور التالية:

- امتازت حياةُ الإمام الشافعي بكثرة الترحال في طلب العلم، حيث رأى في كلِّ بلد ما هو مختلفٌ عن الآخر من كل النواحي، في مكة والمدينة وبغداد واليمن ومصر، ولئن كانت رحلة الشافعي إلى العراق أخصبَ رحلاته وأنفعَه.. فإنَّ رحلته إلى مصر لا تقلُّ عنها إنْ لم تكن أجدرَ وأغزر وأبقى، ولكنَّ الفضلَ للمتقدم.

- توفَّر للشافعيِّ ما لم يتوفرْ لغيره من أئمة المذاهب، فقد دوَّن أصولَه وبيَّن القواعدَ والضوابطَ التي يُرجع إليها في استنباط الأحكام.

- اطِّلاع الشافعي- رحمه الله- على كثير من الأحاديث والآثار التي لم يطَّلع عليها من قبل، وهذا السببُ من أقوى الأسباب.. وذلك أنَّ اطلاع العالم على نصوص أخرى يورثُ معارضة أو ترجيحًا لأحد الأقوال أو نسخًا أو تخصيصًا أو تقييدًا أو غيرَ ذلك.

- تقدم السنِّ مع زيادة الخبرة والنضج العلمي والفقهيِّ، الذي نتج عن رحلاته ولقاءاته بكثير من العلماء وتنقله في البلاد.

- اختلاف بيئات المجتهدين والأحداث التي تنزلُ بهم وطرق علاجها.

- النضوج الفكريِّ الناشئ من طول النظر، وكثرة البحث ومداومة الاطلاع، ولذلك يقول الشيخ محمد أبوزهرة رحمه الله: وإن شئت أنْ تقول إنَّ ذلك الدورَ هو دورُ التمحيص، فقل؛ فقد درَّس فيه آراءه كلها، درَّس فيه أصوله ناقدًا لها فاحصًا كاشفًا (٣٢).

-الشافعيُّ كان دائمَ الفحص في الأدلة ينقدها ويُمحِّصها، ودائمَ المناظرة مع تلامذته ومع غيرهم، ولذلك فهو يقول القول ثم يرجع عنه، وقد يرجع إلى القول الأول مرة أخرى إذا ما عنَّ له مبررٌ للرجوع، وقد يقول قولين أو أقوالًا، ولا يتبين له وجهُ الترجيح فيترك المسألة هكذا.

- تنوع المناهج العلمية لشيوخه الذين أخذ عنهم، فمن مسلم الزنجيِّ في مكة، إلى الإمام مالك في المدينة، إلى محمد بن الحسن في العراق، وكلُّ فقيه من هؤلاء له فكرُه ومشربُه الخاص.

- تغيُّر بعض الآراء الأصولية، وقد أشار بعضُ الأصوليين من الشافعية إلى بعض الأقوال التي اختلف فيها رأيُ الشافعي من القديم إلى الجديد، كحجية قول الصحابي وحجية المرسل، كما أنه يميل كثيرًا في الجديد إلى الأخذ بالاحتياط والتمسك بظواهر النصوص.

- ثمَّ إنَّ الشافعيَّ لا يقولُ بأصل سد الذرائع، وهو أصلٌ مرتبطٌ بمراعاة مقاصد

الـنـاس، واخـتـلاف أحـوالـهـم وأزمـانـهـم وأمكنتهم، ولذلك فهو يُبيح بيع العِينة مثلا، لانعقاد البيع في هذه الصورة صحيحا.

ولبيان جليِّة المسألة أكثرَ أقول: من المعلوم أنه ما عظُم في نفس الشافعيِّ أحدٌ من شيوخه كما عظُم الإمامُ مالك، وبعده سفيانُ بنُ عيينة، وكان يقول: ما أحدٌ أمنَّ عليَّ من مالك، وعنه أخذتُ العلم (٣٣).

ويقـال: إنَّ القـديمَ مـا كـان الشافعيُّ متبعًا فيه مذهبَ مالك وهو ما ردَّه الإمامُ النوويُّ رحمه الله (٣٤).

ولاشكَّ أنَّ هذا الكلامَ مبالغٌ فيه كثيرًا، فالشافعيُّ في بغداد كان مجتهدًا مطلقًا،لا يتقيدُ بقول أحد، لكنه لم يصرحْ بمخالفة مالك.

ولكنْ حدثَ ما اضطرَّ الشافعيَّ إلى أنْ يتجه لآراء شيخه بالنقد والتمحيص، ذلك أنه بلغه أنَّ مالكًا تُقَدَّس آثارُه وثيابُه في بعض البلاد الإسلامية، وأنَّ من المسلمين ناسًا يُتحدثُ إليهم بحديث رسول الله ﷺ فيعارضون الحديث بقول مالك! عندئذ ثارت نفسُ الشافعيِّ؛ لأنه يرى أنَّ الناسَ تعدَّوْا بمالك منزلته، وأنهم مُقدمون على أمر خطير، إذ يعارضون بأحاديث الرسول أقــوالَ نـاس يُـصيـبـون ويُـخـطـئـون، ومـا كـان لأحد مع الحديث رأي؛ لذلك تقدمَ الشافعيُّ- الـذي لقَّبه العلماءُ في عصره بناصر الحديث- لنصرة الحديث، فنقد آراء مالك، وبيَّن الحقَّ منها: ليعلمَ الناسَ أنَّ مالكًا بشرٌ يخطئ ويصيب، وأنه لا رأيَ له مع الحديث، وألَّف في ذلك كتابًا سماه «خلاف مالك»، ولكنّه تردَّد في إعلانه وفاءً لمالك شيخه وأستاذه.ولم ينقد الشافعيُّ آراءَ مـالـك فقـط، بل نقد مـن قَبلُ آراءَ العراقيين.. أبي حنيفة وأصحابه وغيرهم من فقهاء العراق، فالشافعيُّ لما قدم مصرَ ورأى من أتباع مالك أنه لا يقنعهم إلا قولُه، وإن وهنت في بعض قوله الحجةُ، صرَّح بمخالفته، وردَّ على المالكية، يقولُ الشافعي رحمه الله: «قدمتُ مصرَ ولا أعـرفُ أنَّ مالكًا يُخالف مَن أحاديثه إلا ستة عشر حديثا، فنظرت فإذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع، ويقول بالفرع ويدع الأصل» (٣٥).

ثمَّ إنَّ الربيعَ قـال: سألني الشافعيُّ عن أهل مصر- أي قبل أن يدخل مصر- فقلت هـم فرقتان، فرقة مالت إلـى قول مالك وناضلتْ عليه، وفرقة مالت إلى أبي حنيفة وناضلتْ عليه، فقال الشافعيُّ: أرجو أن أقدُم مصرَ إن شاء الله، فآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعًا.

وما يدري إلا اللهُ ماذا يكون لو أنَّ الله كتب للشافعيِّ عمرًا أطولَ من أربع سنوات في مصر؟ إذ الشافعي - رحمه الله- دخل مصر سنة ١٩٩ هـ، وقيل سـنـة٢٠٠ هـ، وتوفي سنة٢٠٤ هـ، قال النووي رحمه الله: ولعله قدم آخر سنة ١٩٩ هـ، جمعا بين الروايتين (٣٦).

وأما سبب اختياره أرضَ الكنانة مصر، فقد قيل فيه عدةُ أقوال

- منهم من قال:إنَّ السببَ هو مصاحبته للوالي العباسي العباس بن عبدالله والي مصر.

- ومـنـهـم مـن قــال:إنَّ الـسـبـبَ سـوءُ الأوضـــاع الاقـتـصـاديـة فـي أيـام خـلافـة المأمون، من غلبة العنصر الفارسي على العنصر العربي، ودنوِّ المعتزلة والمتكلمين من الخليفة، الذي كان يحمل فكرهم.

- ومنهم من قال:إنَّ السببَ هو البحثُ عن تلاميذَ أكفاء، ليحملوا عنه علمه.

إذن الإمـام الشافعيُّ إنمـا تـراجـع عن أقواله القديمة لأسباب مقنعة، وليس كما قيل لأنه رأى في مصر عرفًا وحضارة، إذ ليست مسافة العادات، والناس، والمكان، والـزمـان كبيرة بين مصر والـعـراق بحيث يؤدي هذا إلى التراجع الكبير عن مسائلِ القديم. ثم إنَّ الشافعية والذين هم أدرى بإمامهم ومذهبه لم يـذكـروا هـذا السبب وهو تغيرُ الأعـراف، والنوويُّ في مقدمته الطويلة التي قدَّم بها شرحه على «المهذب» للشيرازي المسمى بـ «المجموع» تعرضَ للمسائل التي فيها قديم وجديد ولم يُشرْ إلى هذا الأمر.. فالذي يظهر أنَّ الإمامَ غيَّر آراءه واجتهاداته لما ترجَّح لديه من ضعفها وصوابية آرائه الجديدة لا لشيء آخر.

وإنما يرجع سببُ الاختلاف إلى إحكام مذهبه وضبطه بالأدلـة الشرعية كما قال تلميذه الإمام أحمدُ بنُ حنبل: عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمْها، ثم رجع إلى مصر فأحكم ذلك.

فهذا تلميذُه وأعـرف الناس به أرجعَ سببَ تغير مـذهـب إمـامه إلـى الإحـكـام والضبط، ولو كان للبيئة والمجتمع سبب في ذلك لذكره»

وقـد أكّـد هـذا الأمــر د. لمـين نـاجـي فـي رسـالـتـه «الـقـديـم والـجـديـد فـي فقه الشافعي» قـال: ولقد وُجد من المحدَثين من ادعـى أنَّ مـن الأسـبـاب الرئيسة في تغير بعض آراء الشافعي اختلاف البيئة المصرية عن البيئة العراقية والحجازية! ومـن الذين رأيتهم روَّجـوا لهذه المقولة.. أحمد أمين وعبدالرحمن الشرقاوي.. ثم ردَّ عليهما(٣٧).

ثم قال بعد كلام طويل: وهذه الأمثلة- وغـيـرُهـا فـي كـتـاب الأم كـثـيـر- تـوضـح بجلاء هـذه الـظـاهـرة فـي فقه الشافعي، وهـي كثرة الأقـوال فـي المسألة الـواحـدة. وفي إطار هذه الظاهرة نضع الآراء التي رجع عنها الشافعيُّ عندما قدم مصر، فهو لو بقيَ في العراق مثلا، لكانَ من الممكن بل من المرجَّح جدًا أنْ يُغيرَ الكثيرَ من آرائه إذا عنَّ له ما يقتضي ذلك.

وأرى أنَّ الوسيلة العملية للتحقق من هذه المقالة هو دراسة المسائل التي فيها قديم وجديد، يقول صاحب كتاب «القديم والجديد في فقه الشافعي»: ولقد جمعتُ هذه المسائلَ في دراسة سابقة، وأحصيتها، ثم درست هذه المسائل واحدة واحدة، فما وجدت في أي منها أنَّ السببَ في انتقال الشافعي من قول قديم إلى آخرَ جديد هو ما وجد عليه أهلَ مصر من عادة كذاً أو عرف كذا. ولا وجدتُ الشافعية ذكروا ذلك (٣٨).

ويقول الشيخ علي عبدالقادر السقاف: لم يثبت أنه كان للإمام الشافعيّ- رحمه الله- فتاوى تناسبُ أهلَ العراق وأخرى تناسب أهلَ مصر...، إلى أنْ قال: وهذا المذهبُ الجديد قيل إنه تشكَّل قبيل مغادرته العراق إلى مكة، وقيل قبل مغادرته مكة، لكنْ من المقطوع به أنه كتبه وأصَّله في مصر، فهو إذن لا علاقة له بكونه في مصر أو في العراق.

وممـا يدلُّ على ذلك:

- أنه لو كان الأمرُ مجردَ فتاوى تناسبُ كلَّ بلدٍ لما أمر - رحمه الله- بشطب كتبه التي ألَّفها في العراق وحرَّم على الناس روايتها، فقد كان يقول: ليس في حل من روى عني القديم (٣٩). بل لجعل لكل بلد فتاواه التي تناسبه.

- ولو كان الأمر كما يزعم هؤلاء لأفتى أصحابه بالعراق بأقواله القديمة والواقع خلاف ذلك.

- ثم إنَّ أئمة المذهب الشافعيِّ صرَّحوا بأنه لا يجوزُ تقليدُ الشَافعيِّ في مذهبه القديم ولو كان المقلِّد من أهل العراق، فكيف يزعم هؤلاء أنَّ السبب اختلافُ البيئة واختلافُ المكان.

والعجيب في الأمر أنَّ الذين يزعمون أنه غيَّر مذهبه لتغيُّر عوائد الناس وطبائعهم إنما يريدون بهذا الزعم إصدارَ فتاوى تيسِّر على الناس ولو خالفت الدليل زاعمين أنَّ الإمامَ الشافعيَّ أفتى بفتاوى تناسب أهلَ مصرَ تيسيرًا عليهم، وجهلَ أولئك أنَّ فتاوى الإمام حسب أصوله في مصر أشدُّ من فتاواه في العراق، ومذهبَه في العراق أقربُ إلى التيسير، وأنه بنى مذهبه الجديدَ على الاحتياط، وعدم القول بالمصالح المرسلة التي يدندن حولها القوم، ولا عبرة بالعرف عنده بل العبرة بالنصِّ والالتزام بظاهر النصوص.

ومن أمثلة الفتاوى التي أفتى بها في مصر وكان رأيُه فيها أشدَّ من رأيه في العراق استعمالُ أواني الذهب والفضة، ففي القديم: يُكره كراهة تنزيه، وفي الجديد: يكره كراهة تحريم، ومنها ترك الفاتحة نسيانًا، في القديم: تسقط عنه القراءة بالنسيان، وفي الجديد: لا تسقط.

هذا ومن الباحثين مَن أرجعَ السببَ في تراجع الشافعي عن أقواله القديمة إلى اطلاعه على فقه الليثِ بن سعد (ت١٧٥هـ) من خلالِ تلاميذه هناك، وإفادته من عدد من كبار تلاميذ شيخه الإمام مالكٍ مثل أشهبِ بن عبدالعزيز وغيره. وهو في الحقيقة سبب ضعيف، وذلك لعدم اهتمام الشافعيِّ نفسه بذكر الليث بن سعد في مصنفاته، ولا تلاميذه من بعده، ولا يَبعد أنْ يكون الشافعيُّ قد أخذ بعضَ المسائل من فقه الليث بن سعد.. فقد كان الشافعيُّ يرفع من شأن الليث وفقهه، وكان يتأسف لعدم لقياه والأخذ عنه، قال: ما اشتدَّ عليَّ فوتُ أحد من العلماء مثل فوت ابن أبي ذئب، والليثٍ بن سعد.

الهوامش

١- تحرير ألفاظ التنبيه أو لغة الفقه، للنووي، عبدالغني الدقرط ا، ١٩٨٨م، دار العلم، دمشق، بيروت ص٣٢، فرائدالفوائد في اختلاف القوالين لمجتهد واحد، شمس الدين محمد السلمي الشهير بالمناوي، تحقيق: أبي عبدالله محمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٥، ١ ص ٥٦، الشربيني مغني المحتاج. (١/١٣) المجموع (١/٦٦) ومابعدها، نهاية المحتاج (١/٤٥)، حاشية عميرة (١/١٥)، (حاشية قليوبي) (١/١٥).

٢- المجموع، النووي، ت: محمود مطرجي، ط الأولى:١٩٩٦، دار الفكر، بيروت، (١/٦٦) وما بعدها، الرملي، النهاية، (١/٥)، مغني المحتاج (١٠٩-١/١٠٨)، نهاية المحتاج (١/٤٥)، حاشية عميرة (١/١٥)، حاشية قليوبي (١٥/١).

٣- تحفة المحتاج، ابن حجر، (١/٥٩)، نهاية المحتاج، الرملي بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤م ١/٥٠، سلم المتعلم المحتاج إلى معرفة رموز المنهاج، السيد أحمد ميقري شميلة الأهدل، «المطبوع مع شرح الدميري للمنهاج»، (دار المنهاج) (١/١١٢)، الفوائد المدنية فيمن يفتى بقوله من متأخري الشافعية محمد أمين الكردي، مصر، الباب الحلبي، ص ٢٤٣.

٤- مغني المحتاج ، الشربيني، (١/١٣).

٥- القديم والجديد في فقه الشافعي، د. لمين الناجي، دار ابن القيم، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ) (٢/٢٢٤).

٦-القديم والجديد في فقه الشافعي (٢/٢٤٩).

٧- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي ت: د.محمد الطناحي، عبدالفتاح محمد الحلو، ط ٢، ١٩٩٢م، دار الهجرة، جيزة، (٣/٤٧٢).

٨-طبع قديما عام ١٣٨١هـ ببولاق بتصحيح الشيخ محمد زهري النجار، وأعيد طبعه في دار المعرفة ببيروت في ثمانية أجزاء، وطبع في دار قتيبة ببيروت عام ١٤١٧هـ بتحقيق د. أحمد بدرالدين حسون باسم «موسوعة الإمام الشافعي»، وطبع في دار الكتب العلمية بتغليف وتخريج الشيخ محمود مطرجي، وطبع بتحقيق د. رفعت فوزي عبدالمطلب بدار الوفاء، وهي أفضل وأتقن طبعات الأم، ومما يجدر التنبيه عليه أن في بعض طبعات الأم أضيفت كتب أخرى كمختصر المزني ومسند الشافعي الذي جمعه أبوبكر الأصم.

٩- الأم ، الشافعي، تحقيق: د.رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء، مصر، ط ١، ١٤٢٢، (١/١٦).

١٠- مقدمة المجموع. ج١/ص ١٦.

١١- مناقب الشافعي، ج ٢، البيهقي ص ٢٩١.

١٢- مغني المحتاج، ج١، ص ١٠٨.

١٣- المجموع، ج١، ص ١٠٣.

١٤- المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣.

١٥- المرجع السابق، ج ١، ص١٠٣.

١٦- العزيز شرح الوجيز، الرافعي، ت: علي معوض، عادل عبدالموجود، ط١، ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، المقدمة، ص ١٠١.

١٧ - المجموع ج١، ص ١٠٣.

١٨- المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣.

١٩- آداب الشافعي ومناقبه، فخر الدي الرازي، أحمد حجازي السقا، ط ١، ١٩٨٦م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ص ٦٧-٦٨، وأورده ابن كثير أيضًا في مناقب الشافعي، ص ١٨٠.

٢٠- المجموع، المقدمة، ص ١٠٤.

٢١-المرجع السابق، ج١، ص ٩٩.

٢٢- المرجع السابق، ج ١ ص ١٠٢.

٢٣- الفوائد المدنية، الكردي، ص ٢٥٥.

٢٤- المجموع، ج١، ص ١٠٣.

٢٥- مناقب الشافعي، البيهقي، (١/٢٥٥).

٢٦- الشافعي- حياته وعصره- آراؤه وفقه، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ص ١٦٠، الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد، د.أحمد نحراوي عبدالسلام الاندونيسي، ط١، ١٩٨٨، مصر ص ٢١٨.

٢٧- الفهرست، ابن النديم، دارالمعرفة، بيروت: ١٩٧٨م (١/٢٩٧).

٢٨- القديم والجديد في فقه الشافعي (١/٣٤٦-٣٤٧).

٢٩- المرجع السابق (١/٤٠٩).

٣٠- المعتمد عند الشافعية (دراسة نظرية تطبيقية)، محمد بن عمر الكاف، دراسة قيمة أعدت لنيل درجة الماجستير.

٣١- مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي، (١/٢٦٣)، مناقب الشافعي، لابن أبي حاتم، مطبعة السعادة، ١٩٥٣م، ص ٦٠.

٣٢- الشافعي- حياته وعصره- آراؤه وفقهه، محمد أبوزهرة.

٣٣- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض، ت: محمد بن تاويت الطنجي، الرباط، ١٩٦٥م، ص ٣٨٥.

٣٤- مقدمة تحقيق كتاب: أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ت:محمد محمد تامر ط ١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٩-١٠.

٣٥- توالي التأسيس لمعالي محمد بن ادريس، ابن حجر، ت: أبوالفداء عبدالله القاضي، ط١، ١٩٨٦م، ص ٧٦.

٣٦-تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ادارة الطباعة المنيرية، مصر، ج ١، ص٤٨.

٣٧- القديم والجديد في فقه الشافعي د. لمين ناجي ٣٤٦/١-٣٤٧.

٣٨-القديم والجديد في فقه الشافعي د. لمين، مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، ص ٢٦٩ -٢٧٠.

٣٩- البحر المحيط للزركشي، ت: عبدالقادر عبدالله العاني، (٤/٥٨٤).

سلبيات فصل العلوم من أصلها القرآني

د. أحمد بن أحمد شرشال

إن علوم الشريعة ومباحثها كلها، إذا فصلت من أصلها وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم اقتصر عليها كمقررات دراسية لا تجد فيها ما تجده من الطراوة والحلاوة والجمال عندما تأخذها، وهي موصولة بأصلها القرآني، وإن بقي شيء منها، فإنك تجد فيه جفافًا وخفوتًا وهزالًا، ولا تجد تلك الحيوية والقوة والنضارة عندما تأخذ الأحكام والعلوم من أصلها القرآني، لأنها - والحال هذه- موصولة بما يغذيها، فسترى فيها قوة وجمالًا وروعة وحيوية، وستبعث في صاحبها قوة العمل بما علم، هذا ما علمته بالتجربة التي لا تخطئ.

علوم الشريعة كلها أصولها وفروعها ومباحثها كلها، تأبى الانفصال والاستقلال، إذ لا تبقى لها تلك الطراوة والجمال إذا بترت من أصلها القرآني، ثم اعتمد عليها كمقررات دراسية كما هو الحال في الجامعات، وقد يدخل فيها ما ليس منها، ويخرج منها ما هو منها، لأنها فقدت الحماية والحفظ، وقد تموت كالغصن إذا بان من الشجرة، فغذاؤها لا يكون إلا إذا كانت موصولة بأصلها وتؤخذ غضة طرية، ودليلي على هذا ما يلي:

أولًا: إن أول ما يفقده الطالب لعلوم الشريعة كلها إذا كانت منفصلة عن الأصل القرآني إعجاز القرآن ووجوهه المتعددة، فإعجاز القرآن إذا لم تأخذه من أصله لا تجده أبدًا بحال من الأحوال، فعلى الطالب أن يجعل القرآن الكريم مصدر علومه ومعارفه، ويربط جميع المقررات به، لأن الوقوف على مواطن الإعجاز في القرآن الكريم أمر لا يدرك إلا وهو في القرآن، ولا يمكن تحديده، ولا إقامة الأدلة المنطقية عليه، ولكنه يدرك بالتأمل والتدبر والذوق اللغوي الرفيع، ولا يمكن نقله إلى الآخرين.

إن الذي يعيش مع القرآن تأملًا وتدبرًا واستنباطًا يدرك إعجاز القرآن بقدر ما عنده من علوم اللغة من معينها الصافي الذي لم تكدره الدلاء، لأن وصف العلماء لوجوه الإعجاز قاصر جدًا، ولو وصفوه وحددوه بالحد المطابق للمحدود لما كان معجزًا.

وقد صرح بالعجز د.محمد عبدالله دراز، وهو يحاول أن ينقل ما أدركه ويترجم ما أحسه فقال: «ولقد وردت مناهل القول وتذوقت طعومها فما وجدت كالقرآن أعذب موردًا، والآن آمنت أنه نسيج وحده، وأنه يعلو وما يعلى، وأنه يحطم ما تحته، غير أنني- وقد أدركت من قوة الأسلوب القرآني وحلاوته ما أدركت- لم يزل الذي أحس به من ذلك معنى يتجمجم في الصدر لا أحسن تفسيره ولا أملك تعليله» (١).

وقد قرر أبوسليمان الخطابي من قبله عجز العلماء عن إبراز تفاصيل وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فقال: «ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أن وجوه الإعجاز من جهة البلاغة، لكن صعب عليهم تفصيلها، وصغوا فيه إلى حكم الذوق» (٢).

وقال العلامة ابن خلدون: «الإعجاز تقصر الأفهام عن إدراكه، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه» (٣).

وتحدث الإمام السكاكي عن إعجاز القرآن، وهو لا يرى إدراكه بالوصف وإنما بالذوق وطول الممارسة لعلوم البلاغة فقال: «واعلم ان شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها» (٤).

وإذا كان الأمر على ما قرره هؤلاء العلماء، فان إعجاز القرآن أول ما تفقده عندما تتفقه في غير القرآن الكريم، ولو كانت هذه العلوم من علوم الدين، فإن إعجاز القرآن يدرك بالوجدان ولا يترجم بالاقلام ولا تحيط به السطور، ومن ثم كان التفقه في القرآن وحده هو السبيل الوحيد الذي يلج منه الدارس والمتعلم إلى استشعار هذا الإعجاز بحاسته الذوقية وملكاته البيانية، وبغير ذلك فإنه سيظل أسيراً لما تذوقه الآخرون من معان وبيان وأحكام وحكم، وليس فيها موضع للإعجاز، فلا سبيل لأحد ان ينقل اعجاز القرآن الى الآخرين، ولا سبيل لأحد ان يدرك اعجاز القرآن من دراسة الآخرين إلا بقدر ضئيل لا يفي بالغرض، فلم يبق له إلا أن يطلبه من معينه الصافي، من أصله القرآن الكريم، وعليه أن يتسلق سلم علوم البلاغة ليرقى إلى مستوى الإعجاز، فالإعجاز لا ينزل إلى مستواك.

ثانيًا: الأثر السلبي الذي يحدثه انفصال علوم الشريعة من اصلها القرآن الكريم، التجزئة والتبعيض، وهذا مؤثر قوي لا محالة، اذا كانت

• أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

هذه العلوم مبتوتة الصلة من اصلها، فتحدث اعوجاجًا خفيًا في فكر الدارسين، شعروا بذلك أم لم يشعروا، وقد يؤدي الاقتصار على بعض العلوم المفصولة من أصلها القرآني الى الميل والشطط والغلو والتعصب، وقد حصل شيء من هذا كما هو مشهود في الواقع، وكل ما نراه من فروق واضحة جلية بين الناس ترجع إلى الاقتصار على التجزئة والتبعيض مفصولة من القرآن، وإن كانت تعتمد على القرآن، فالفصل وحده كاف لإحداث هذا.

فإن الفقه في القرآن والتفقه فيه دون غيره لا يعرف هذا التبعيض ولا هذه التجزئة ولا هذا الانفصال، فمقاصده متشابكة يغذي بعضها بعضًا ويلتحم بعضها ببعض ولا ينفصلان، حيث تختلط فيها العبادات مع العقيدة ومع الأخلاق ومع الأحكام ومع المعاملات المختلفة، وكل هذه الأحكام تمتزج بالعقيدة، وترتبط بها ارتباط الشرط بجوابه.

قال ابن القيم: «ولم يكن للصحابة- رضي الله عنهم- كتاب يدرسونه وكلام محفوظ يتفقهون فيه إلا القرآن وما سمعوه من نبيهم ﷺ ولم يكونوا في مجالسهم يتذاكرون إلا في ذلك، فخلف من بعدهم قوم يقرأون القرآن ولا يفهمونه، وآخرون يتفقهون في كلام غيرهم ويدرسونه، وآخرون يشتغلون في علومٍ أخرى وصنعة اصطلاحية» (٥).

الذي يعيش مع القرآن تأملاً وتدبراً واستنباطا يدرك إعجازه بقدر ما عنده من علوم اللغة من معينها الصافي

ثم لا يستطيع الانسان أن يجزم بأن هذه الآيات في الأحكام فحسب، وتلك في العقيدة فقط، وقد تعلقت الأحكام بالعقيدة تعلق الشرط بجوابه، ولذلك لم يتفق العلماء على عدد آيات الأحكام، وكان من الموفقين في ذلك الامام القرطبي حيث سمى كتابه: «الجامع لأحكام القرآن» وفسر القرآن كله، وفصل الأحكام كلها أكثر مما هي عند الذين اقتصروا عليها، ولم يستغن عن بعضها، ولم يستطع أن يفصل هذه الأحكام من أصلها، كما فعل أبوبكر الجصاص في أحكامه، وكما فعل ابن العربي في أحكامه.

وأوضِّحُ هذا الربط المحكم لبعض المضوعات التي يظن أنها انتهت، وبدأ موضوع جديد، فقد ظهر لي هذا التماسك وهذا الترابط المحكم في قوله تعالى: ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ (البقرة: ٢٠٣)، وهي آخر آية تتعلق بأحكام الحج، وعلى هذا نرى بادي الرأي أن المعنى قد انقطع، وما بعدها سياق جديد لموضوع آخر لا صلة له بالأول، وهو الحديث عن المنافق: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ (البقرة: ٢٠٤)، ولكن إذا أعدنا التأمل والتدبر مرة أخرى وجدنا أن هذه الآية التي بعد تمام أحكام الحج متصلة اتصالاً وثيقًا بما قبلها وبما بعدها ومترابطة معهما أشد ما يكون الارتباط حيث إن الله ذكر أربعة من أصناف الناس أو صنفين ونموذجين، اثنين منهما في أحكام الحج واثنين بعدها.

الأول: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ (البقرة: ٢٠٠).

الثاني: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (البقرة: ٢٠١).

ثم ذكر الله الثالث والرابع بعد تمام أحكام الحج.

الثالث: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ (البقرة: ٢٠٤).

الرابع: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (البقرة: ٢٠٧).

فالمثال الثالث وهو مذكور بعد نهاية أحكام الحج، نموذج للأول المذكور في سياق أحكام الحج، والمثال الرابع وهو مذكور بعد تمام أحكام الحج نموذج للثاني وهو مذكور في سياق الحج، فلا سبيل لأحد أن يفصل بين أجزاء القرآن وموضوعاته، وما نفعله في التفسير





الموضوعي من باب الفهم فقط.

وقد نقل الشيخ الطاهر مذهب مالك في التفرقة والتجزئة فقال: «وفي جامع العتبية في سماع ابن القاسم عن مالك: «سئل مالك رحمه الله عن القرآن يكتب أسداسًا وأسباعًا في المصاحف، فكره ذلك كراهة شديدة وعابها، وقال: «لا يفرق القرآن وقد جمعه الله، وهؤلاء يفرقونه ولا أرى ذلك» أ هـ.

ثم قال: قال ابن رشد في البيان والتحصيل: «القرآن أنزل على النبي ﷺ شيئًا بعد شيء حتى كمل واجتمع جملة واحدة. فوجب أن يحافظ على كونه مجموعًا فهذا وجه كراهية مالك لتفريقه: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ (القيامة: ١٧).

ولعل مستند كراهة مالك فيما رآه أن اليهود جعلوا التوراة قراطيس، وهم فعلوا ذلك لغرض إبداء بعض وإخفاء الكثير وهذا هو محل الذم، وشتان ما بين الأمرين، والجهة منفكة، إن أهل الكتاب يفرقونه لغرض الكتمان، وأهل القرآن يفرقونه في أجزاء منفصلة لقصد الاستعانة على الحفظ كما كتبوه في الألواح لغرض الحفظ والتلاوة.

ولقد أنكر القرآن الكريم على بني إسرائيل أشد الإنكار، وتوعدهم بالخزي والعذاب على التفريق بين أحكامه فقال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ (البقرة: ٨٥).

وقد حذر الله نبيه ﷺ- وهو تحذير لكل أمته- أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزل الله عليه من القرآن فلا يحكم به ولا يعمل بموجبه - وحاشاه- فقال: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ (المائدة: ٤٩).

قال د.ناصر بن عبدالكريم العقل: «إن التفريق بين الشريعة والعقيدة إنما هو تفريق نظري فني طارئ جرت إليه ضرورة التأليف والتصنيف والتبحر بالعلوم والتخصص فيها، والتشقيق لفروعها، فلا تجد في نصوص القرآن والسنة، ولا في أقوال الصحابة وأئمة الدين في القرون الثلاثة الفاضلة هذا التفريق المتكلف الذي اضطر إليه المسلمون فيما بعد حينما كثر الافتراق وتشعبت العلوم وكثر التصنيف وتعددت المناهج والمشارب والأساليب» (٧).

وخلاصة القول: لا ينبغي أن تكون هذه المقررات الدراسية والكتب المؤلفة المفصولة من أصلها القرآني الغاية النهائية، فهي مرحلية لأجل التيسير والتعليم والفهم والاستيعاب فقط.

ثم بعد ذلك يجب أن نعود إلى أصلها ونصلها في سياقها السابق واللاحق، ونردها في نسيجها ليبقى لها الحفظ والحماية والبقاء. فيجب ربط جميع علوم الشريعة وأصول الدين والدعوة بأصولها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فغذاؤها لا يكون إلا من أصلها، وقد تموت إذا بترت من أصلها.

فلا ينبغي أن يبقى القرآن والسنة دليلًا فقط، وانما هما الدليل والمدلول عليه، فيجب فقه هذا الدليل واستخراج الأحكام منه، فالانفصال والاستقلال لجميع المقررات الدراسية من أصلها يفقدها الحماية والحفظ الذي ضمنه الله لكتابه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩). والله أعلم.

الهوامش

١- النبأ العظيم ١٢٦، ١٤٢.
٢- النص في البرهان ٢/٢٣٣، والإتقان ١/٢٦١، البيان ١١٧.
٣- حول إعجاز القرآن ١٧، ١٨.
٤- نقله الزركشي في البرهان ٢/٢٣١، والسيوطي في الاتقان ١/٢٦٠.
٥- الصواعق المرسلة ٤٤١.
٦- التحرير والتنوير ٧/٣٦٥، ٣٦٦.
٧- التلازم بين العقيدة والشريعة ص١٢.

منع الحيض والحمل أو تأخيرهما

- دراسة فقهية طبية -

د. سيد حبيب بن أحمد ●

صورة المسألة: هناك أنواع من الأساليب والطرق الحديثة تستخدمها المرأة لمنع العادة الشهرية، أو لمنع حدوث الحمل، من أنواع الأقراص المختلفة وغيرها، فما الحكم الشرعي لاستخدام هذه الأنواع من الأدوية لمنع الحيض أو الحمل أو تأخيرهما؟ هذا ما نريد أن نصل إليه في هذا البحث إن شاء الله تعالى.



تختلف الأسباب عند النساء في السبب الباعث على تأخير الحيض، أو ما يُعرف بالعادة الشهرية، من امرأة إلى أخرى، ونجمل هذه الأسباب فيما يأتي:

- إتمام الصيام مع المسلمين في شهر رمضان.

- أداء مناسك الحج كاملة في أوقاتها.

- امرأة تريد الزواج وتخشى من مجيء العادة أول أيام زواجها فترغب في تأخيره لأجل الزوج.

- الإضرار بالزوج، فتريد بتأخير الحيض تطويل مدة العدة ليزداد على زوجها نفقتها إذا كانت معتدة منه على وجه تجب عليه نفقتها.

الأضرار الناتجة عن منع الحيض

لا شك أن كل شيء طبيعي- كالحيض- يمنعه الإنسان عن طبيعته لا يخلو من أضرار على الجسم البشري بشكل أو بآخر، ولكنها قد تختلف باختلاف النساء، ويمكن أن نجمل الأضرار الناتجة عن استعمال ما يمنع الحيض فيما يأتي:

- أنَّه يخالف الفطرة التي فطر الناس عليها؛ لأن خروج دم الحيض خروج طبيعي كتبه الله على بنات آدم، فلابد للمرأة أن تصبر على ذلك وتحتسب، ولا تحاول إيقافه.

- أنَّه يخلط على المرأة عادتها فتختلف عليها، حينئذ تبقى في قلق وشك من صلاتها ومن مباشرة زوجها وغيرها.

- أنَّه سبب لتقرح الرحم.

- أنَّه سبب لتغير الدم واضطرابه.

- أنَّه سبب لتشوه الأجنة في المستقبل.

- أنَّه سبب في وجود العقم للمرأة التي لم تتزوج(١).

وبهذه المناسبة أنقل كلام الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- لأنه في غاية المناسبة، حيث قال: «وبهذه المناسبة أحذر النساء تحذيرًا بالغًا من استعمال هذه الحبوب المانعة من الحيض؛ لأن هذه الحبوب- كما تقرر عندي من أطباء سألتهم، كلهم مجمعون على أن هذه الحبوب ضارة، وقد كتب لي بعضهم عدد المضار التي فيها فكتب لي أربع عشرة مضرة...» (٢).

الحكم الشرعي في ذلك، ونقل فتاوى علماء العصر

روي عن الإمام أحمد- رحمه الله- أنه قال: «لا بأس أن تشرب المرأة دواء يقطع عنها الحيض إذا كان دواءً معروفا»(٣).

وقد ورود عن الإمام مالك- رحمه الله- أنَّه منع أن تتناول المرأة دواء لقطع الحيض.

لكن فسَّر ابن رشد- رحمه الله- قوله هذا بما إذا كان يلحق المرأة ضرر من ذلك(٤).

وعليه فيتفق قوله مع قول الإمام أحمد.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في حكم استعمال حبوب منع الحيض: «استعمال ما يمنع الحمل جائز بشرطين:

الأول: ألا يخشى الضرر عليها، فإن خشي الضرر عليها من ذلك فلا يجوز؛ لقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥) وقوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾(النساء: ٢٩).

الثاني: أن يكون ذلك بإذن الزوج إن كان له تعلق به، مثل أن تكون معتدة منه وتجب عليه نفقتها، فتستعمل ما يمنع الحيض لتطول المدة وتزداد عليه نفقتها، فلا يجوز لها أن تستعمل ما يمنع الحيض حينئذ إلا

● باحث دراسات اسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

بإذنه» (٥).

ومن فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في منع العادة الشهرية أو تأخيرها: «يجوز وقت الحج خوفًا من العادة بعد استشارة طبيب مختص على سلامة المرأة، وهكذا في رمضان إذا أحبت الصوم مع الناس»(٦).

وبناء على ما تقدم ذكره يجوز للمرأة تأخير العادة الشهرية بأخذ الحبوب الخاصة بذلك بثلاثة شروط:

(١) عدم لحوق الضرر بها.

(٢) وأن يكون بعد استشارة الطبيب المختص.

(٣) ولا يكون ذلك إلا بإذن الزوج.

مشروعية الزواج والإكثار من النسل

جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، تدل على مشروعية النكاح، والإكثار من النسل، والترغيب فيه.

فمنع الحمل أو تأخيره مخالف لهذا الأصل.

العزل وخلاف الفقهاء فيه مع الأدلة والترجيح

العزل هو: أن يجامع زوجته وينزع عند الإنزال، فينزل خارج الفرج.

وقد اختلف العلماء في حكمه فمنهم من أباحه مطلقًا، ومنهم من حرمه مطلقًا، ومنهم من فرق بين الحرة والأمة، ومنهم من فرق بين الإذن وعدمه، ويمكن أن نجمل الخلاف فيه في قولين:

القول الأول: قول جمهور العلماء- ومنهم الأئمة الأربعة- أن له أن يعزل عن زوجته الحرة بإذنها، وعن أمته بإذنها أو بدون إذنها (أي أن العزل رخصة).

أدلتهم:

١- حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل».

٢- وفي صحيح مسلم عنه «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا».

القول الثاني: أنه لا يجوز العزل، وهو قول ابن حزم، ووجه عند الشافعية، ورواية عند الحنابلة. دليلهم:

ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث عائشة عن جدامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في أناس فسألوه عن العزل؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك الوأد الخفي».

قالوا: وهذا ناسخ لأخبار الإباحة فإنه ناقل عن الأصل.

والذي يترجح- والعلم عند الله تعالى- هو القول بإباحة العزل لصحة الأحاديث الكثيرة في ذلك وصراحتها.

وأجيب عن حديث جدامة بأنه محمول على التنزيه.

وأما دعوى أنَّه ناسخ لأحاديث الإباحة فتحتاج إلى دليل(٧).

الأسباب الداعية لمنع الحمل أو تأخيره

يمكن تقسيم الأسباب الداعية لمنع الحمل أو تأخيره إلى قسمين:

القسم الأول: دواعي وأسباب منكرة منافية للشرع، اعتمد عليها أعداء الإسلام دعاة تحديد النسل، ومن أبرزها:

- خشية أن تضيق الأرض بالسكان إذا لم يحدد النسل!

- خشية أن تضيق بهم وسائل العيش من كثرتهم!

- صيانة الأسرة مما يهددها من خطر كثرة الأولاد!

- أن منع الحمل أو تحديد النسل يحفظ للمرأة صحتها وجمالها!

فهذه- وأمثالها- شُبَه أوهى من بيت العنكبوت من أعداء الإسلام الذين يدعون إلى تحديد النسل (وهي دعوة يهودية خبيثة) وهي لا تصلح مبررًا له، بل هي غير صحيحة لمناقضتها الواقع ومنافاتها لمقتضى الفطرة والإسلام(٨).

القسم الثاني: دواعي أخرى تقع قليلًا أو نادرًا فيحكم فيها بما يناسبها من الأحكام، ومنها:

- أن يكون بالمرأة ما تتعذر معه الولادة العادية فيخرج الولد بإجراء عملية جراحية، وربما كان في ذلك خطورة على الأم- كما إذا تكرر ذلك- وقضاء على حياتها.

- أن تكون المرأة كثيرة الحمل، والحمل يرهقها فتحب أن تنظم حملها. ويقرر أهل الخبرة إن كان عليها من تتابعه خطورة.

- ظن الرجل أن وطء امرأته وهي ترضع يضر بالولد، فيمتنع من ذلك محافظة على صحة الرضيع وحرصًا على سلامته(٩).

-التأثر بعوامل خارجية، كأن تكون الدولة تفرض على الشعب تحديد النسل.

الأضرار الناتجة عن استعمال ما يمنع الحمل أو يؤخره

إن لاستعمال ما يمنع الحمل أو يؤخره مضارًّا كثيرة دينية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية وجسمية، ونفسية.

وسائل المنع الدائم والمؤقت للحمل

أولًا: وسائل المنع الدائم للحمل:

- تعقيم الزوجة بربط عنق رحم المرأة.

- قلب الرحم.

- استئصال الرحم.

- تعقيم الرجل بقطع الحبل المنوي.

- الاختصاء بالنسبة للرجل.

ثانيًا: وسائل المنع المؤقت للحمل:

وهي تنقسم إلى قسمين:

أ- وسائل منع الحمل المؤقتة الطبيعية، ومن أبرزها:

- العزل.

- الجماع بدون الفرج (المفاخذة).

- الرضاعة.

- الامتناع عن غشيان الزوجة فترة من الزمن(١٠).

ب-الوسائل الحديثة المؤقتة لمنع الحمل، وهي كثيرة، ومن أهمها:

- الرفال (الواقي الذكري، الكبوت، القراب).

- الحاجز المهبلي (القبعة الهولندية) وهو عبارة عن حاجز مطاطي بحلقة معدنية سميكة تضعها المرأة في عنق الرحم قبل الجماع.

- اسفنجة المهبل: وهي اسفنجة مبللة بالخل أو مادة طبية خاصة تضعها المرأة في

المهبل قبل الجماع، وذلك لقتل الحيوانات المهبلية.

- كريمات أو مراهم مهبلية لقتل الحيوانات المنوية.

- أقراص أو تحاميل مهبلية توضع كذلك داخل الرحم لقتل الحيوانات المنوية.

- اللولب، وهو عبارة عن شريط من البلاستيك مصنوع من مادة غير ضارة للجسم توضع داخل الرحم، وظيفته منع وصول الحيوانات المنوية إلى قناة الرحم، أو تقليل قدرتها على التلقيح(١١).

حكم المنع الدائم للحمل

قد دلت الشريعة الإسلامية بعمومها على تحريم الاختصاء أو ما في معناه، وبالتالي تحريم منع الحمل الدائم، ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ (النساء: ١١٩).

حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتُّل، ولو أذن لاختصينا».

كما أن في المنع الدائم للحمل مصادمة لمقصد من مقاصد الشريعة، وهو تكثير النسل.

إضافة إلى قياس التعقيم الدائم على الوأد؛ بجامع أن كلًا منهما مؤد إلى قطع النسل.

فالأصل فيه الحرمة إلا إذا دعت إليه ضرورة، مثل خوف ضرر يلحق بالمرأة من جراء الحمل فلا بأس حينئذ- مع مراعاة شروطها- كما أفتى علماء العصر بذلك.

نقل بعض فتاوى علماء العصر في ذلك

قد اتفقت فتاوى علماء العصر على تحريم المنع الدائم للحمل إذا كان القصد منه خشية الإملاق، وأفتوا بجوازه في حالات فردية خاصة لوجود ضرر محقق على الزوجة، وفيما يلي بعض نماذج منها:

- قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي أنه: «يحرم استئصال القدرة على الإنجاب في الرجل والمرأة، وهو ما يُعرف بالإعقام أو التعقيم ما لم يدع إلى ذلك الضرورة بمعاييرها الشرعية»(١٢).

- صدر قرار لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في منع الحمل ما نصه:

«لا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق، أما إذا كان لضرورة محققة ككون المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد، أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل أو تأخيره عملًا بما جاء في الأحاديث الصحيحة، وما روي عن جمع من الصحابة- رضوان الله عليهم- من جواز العزل، وتمشيًا مع ما صرح به بعض الفقهاء من جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة قبل الأربعين، بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرورة المحققة»(١٣).

حكم تأخير الحمل (منع الحمل المؤقت)

هذه المسألة مبنية على مسألة حكم العزل السابقة، وقد علمنا أن قول جمهور العلماء على جوازه. فيكون الحكم هنا الجواز- مع مراعاة الشروط والضوابط التي ذكرها العلماء- إلا أن يلحق بالمرأة ضرر من جراء استخدام هذه الحبوب فلا يجوز حينئذ.



وقد قرر فيه مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ما يلي: «يجوز التحكم المؤقت في الإنجاب بقصد المباعدة بين فترات الحمل، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان إذا دعت إليه حاجة معتبرة شرعا بحسب تقدير الزوجين عن تشاور بينهما وتراض، بشرط ألا يترتب على ذلك ضرر، وأن تكون الوسيلة مشروعة، وألا يكون فيها اعتداء على حمل قائم»(١٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله: «الثاني: أن يمنعه «أي الحمل» منعًا مؤقتًا مثل أن تكون المرأة كثيرة الحمل، والحمل يرهقها فتحب أن تنظم حملها كل سنتين أو نحو ذلك، فهذا جائز بشرط أن يأذن به زوجها، وألا يكون به ضرر عليها.

ودليله: أن الصحابة كانوا يعزلون عن نسائهم في عهد النبي ﷺ من أجل ألا تحمل نساؤهم، فلم ينهوا عن ذلك»(١٥).

الهوامش

(١) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١١/٢٨٢-٢٨٣).
(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١١/٢٨٢-٢٨٣).
(٣) انظر: المغني (١/٤٥٠).
(٤) انظر: البيان والتحصيل (٣/٤٦٠).
(٥) الدماء الطبيعية للنساء، للشيخ ابن عثيمين ص (٣٣١).
(٦) الأحكام والفتاوى الشرعية لكثير من المسائل الطبية، للرميخان ص (١٠٩).
(٧) انظر: المرجع السابق؛ وأبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٤٣٣-٤٣٧).
(٨) انظر: مناقشة هذه الشبه والرد عليها مفصلا في: أبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٤٢٣-٤٣١).
(٩) انظر: أبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٤٣١-٤٣٢).
(١٠) انظر: الطبيب أدبه وفقهه ص (٢٧٩).
(١١) انظر: الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص (١٢٨-١٢٩).
(١٢) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١/٧٤٨)، وانظر أيضا: الطبيب أدبه وفقهه ص(٣٠٨).
(١٣) مجلة البحوث الإسلامية (٣٠/٢٩١-٢٩٢). وتوقف فضيلة الشيخ عبدالله بن غديان في حكم الاستثناء. ولمجلس المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي قرار مماثل لقرار هيئة كبار العلماء المذكور، انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٣٠/٢٨٦).
(١٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٣٠/٢٨٧).
(١٥) الدماء الطبيعية للنساء ص (٣٣٢).

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

تحرير النفوس

يعتقد بعض الناس أن تحرر الأوطان من الاستعمار بأشكاله المختلفة مقرون دائمًا بالحكم المستقل والسيطرة على المقدرات والثروات، خاصة أن كثيرًا من بلدان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تعرضت، ومازالت، إلى الاستعمار العسكري أو الناعم، في الوقت الذي يتناسون فيه حقيقة مفهوم التحرير المتمثل في الاستعلاء على المادية الدنيوية والاستهداء بفضائل ديننا الحنيف.

ويشاع عند السواد الأعظم من الشعوب أن عملية تحرير الأوطان تكون من خلال إجلاء المحتل، دونما التمعن في عواقب هذا التحرر المؤقت من آثار وعمليات قد تكون أكثر تأثيرًا من القوة العسكرية.

فلا أحد ينكر روح المقاومة لدى جنودنا، وعدم الاستسلام، والتضحية بالأرواح والدماء من أجل استعادة الأرض وإنهاء الاحتلال واسترداد كرامة الأوطان، ولكن هذا الاستقلال مؤقت ما لم يقترن بالاستقلال الحقيقي للإنسان من هوى النفس وحب الدنيا ووساوس الشيطان.

الغريب أن المتنطعين من بني جلدتنا، والذين يقولون ما لا يفعلون، يتغنون دائمًا بضرورة تحرير الأراضي الإسلامية، ويجمعون الأموال ويجوبون العالم لنشر القضية، ومع ذلك لا تتحرك عملية التحرير قيد أنملة، لأنهم تناسوا حقيقة تحرير نفوسهم الخربة المحتلة عسكريًا من الذنوب والمعاصي والأهواء والشهوات التي لم تترك مكانًا في جسدهم إلا واحتلته، وهذا مصداقًا لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، فهذه الآية تؤصل لقاعدة دعوية مهمة، ألا وهي «تحرير النفوس أساس تحرير الأوطان».

ولا يتم تحرير النفوس والضمائر إلا وفق تعاليم الإسلام، من خلال بناء قوالب قيمية، وصياغة مبادئ نهضوية، وإيقاظ روح الإيمان، واستثارة القوى الخفية، وتعزيز البناء الحضاري الهادف.

إذا افترض البعض أن ترك الصلاة أمر بسيط، فإن هذا الأمر كارثة عند أصحاب الهموم، لأن ترك فريضة لا تستغرق دقائق يولد انهيار قيم المقاومة وعدم الرغبة في الجهاد والاستشهاد ما يمهد للعدوان الباغي اليسر في بسط النفوذ والاستمرارية الاستعمارية، باعتبار أن مجاهدة النفس قد انعدمت في عبادة مثل الصلاة، فكيف بجهاد العدو الغاشم؟!

إننا اليوم في أمس الحاجة لتغيير منظومة المفاهيم القيمية في الحياة، فقبل تحرير شعوبنا من براثن الغزو العسكري والفكري والثقافي والاقتصادي، ينبغي تحرير النفوس من الذنوب والمعاصي، وغيرها من آفات القلوب والسلوك، لأن النفس معيار السعادة الدنيوية والنعيم الأخروي.

ولعل التحرير الحقيقي الذي يطمح إليه الجميع يتمحور حول مبادئ الاستقامة والعزة، وصياغة نفوس قادرة على خدمة الحق، واحتقار ما يضيع الإيمان في الدنيا من شهوات وزخارف ومثبطات ومظاهر انحلال، وهذا مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى».

نريد أن نعيد للإسلام مكانته الحقيقية في سيادة الكون، وتحقيق العبودية، حتى يعيننا رب السموات والأرض في تحرير جميع بلاد المسلمين والأقصى...ألا إن نصر الله قريب إذا حررنا أنفسنا من المعاصي والذنوب، وابتعدنا عن المحرمات، واجتنبنا الكبائر، وإذا أطعنا الله عز وجل في كل الأمور.. فلنقم الإسلام في صدورنا يقم لنا على أرضنا.. والله ولي التوفيق.



لغة وأدب

إسلامية الأدب.. هل تنافي إنسانيته؟

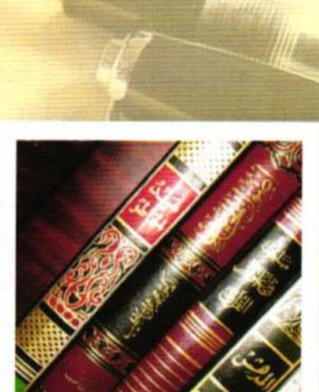
في خضم المعارك الدائرة حول أيديولوجيات الأدب ومناهجه يعلو صوتان، أحدهما ينافح عن الحُلَّة الإسلامية التي تكسوه ويراها حتمية، لا سيما في وجود، بل وذيوع، صبغات أخرى يتزيى بها (الأدب الماركسي- الأدب الشيوعي- الأدب العلماني... إلخ)، وينحو بالقضية منحى آخر ليخرجها عن مجرد كونها قضية أدبية إلى صراع حضاري أو نزاع فكري، إذ يرى أن الهجوم على الأدب الإسلامي إنما هو لقطة في لوحة الهجوم على الإسلام كله.

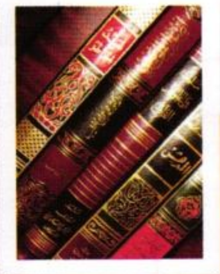
والآخر يرى أن الأدب لابد أن يتخلى عن أي صبغة غير الصبغة الإنسانية التي يرى أنها بيت القصيد، ولا يرى معنى في أي سمة أخرى قد يتسم بها.

وكون الأدب إسلاميًا لا يرفع عنه إنسانيته وارتباطه بوجدان مبدعه، ومن ثم سريانه إلى متلقيه، وكذلك فإن الأدب الإسلامي ليس مقتصرًا، أو هكذا ينبغي أن يكون، على المدائح النبوية والسيرة والفتوحات الإسلامية والمغازي... إلخ، بل إن كل أدب راقٍ يسمو بالأذواق ويمتع العقول والألباب، ويترفع عن مغازلة الغرائز والشهوات هو أدب إسلامي صميم، سمي بذلك أو لم يسم، فالتسميات لا تعنينا كثيرًا.

لكن الذين يحاربون الأدب الإسلامي بدعوى تجريد الأدب مما سوى الإنسانية لا نراهم ينزعجون من الأدب الماركسي أو الشيوعي أو العلماني أو غير ذلك من الآداب التي تتبنى أيديولوجيات وعقائد شتى.. فهل حقًا أن هذا هجوم على كل ما هو إسلامي؟!

عامر أحمد





لغة وأدب

رثاء الشيخ عبدالله الخلف الدحيان

في الشعر النبطي الكويتي



د. يعقوب الغنيم

عندما توفي الشيخ الصالح عبدالله الخلف الدحيان، كانت لوفاته رنة أسى في الكويت وما جاورها، وكان ذكره الطيب ومآثره الجمة وعلمه الغزير ونفعه لطلابه من الأمور التي جمعت حوله القلوب، وهي القلوب التي ملأها الحزن عند وفاته، بادر الشعراء إلى رثاء الفقيد بعدد من القصائد.. بل قام بعضهم بتقديم أكثر من قصيدة بهذه المناسبة، وهذا أمر له دلالته على محبة الشاعر للفقيد وتقديره لعلمه وفضله، من هؤلاء شاعر الكويت صقر الشبيب الذي كتب قصيدتين في الرثاء، ومنهم الشيخ عبدالله النوري الذي كتب هو الآخر قصيدتين، وفيما عداهما نذكر قصائد كل من خالد محمد الفرج، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ يوسف بن حمود، والسيد مساعد بن سيد عبدالله الرفاعي، والسيد عبدالرزاق الناصري وهو من خارج الكويت.

كان الخال الشيخ إبراهيم سليمان الجراح ممن شارك في الرثاء، فقال قصيدة لطيفة بدأها بقوله:

ألا أيها الناعي علام تلعثم
أفأنت في وقت المصيبة أبكم
أفشمس أهل العلم كور نورها
فأحاط بالإسلام ليل مظلم
أم كان عبدالله ودعنا فما
أقسى وداع مودع لا يقدم
حقا أبا خلف لقد أوحشتنا
فقلوبنا أسفا عليك تحطم
غادرتنا وبكل قلب خفقة
وبكل عين دمعة لا تكتم

ولقد ضمن قصيدته هذه الكثير من مشاعره تجاه شيخه وعبر عن نفسه، وعن زملائه من تلاميذ الشيخ فجاءت القصيدة ملأى بالعاطفة، ودالة على الألم الشديد لفقد هذا العالم الجليل الذي لا يزال ذكره يتردد إلى يومنا هذا، ويكفي ذلك للدلالة على مكانته في نفوس الجميع.

هذا ولم يكن الشعر الفصيح وحيدًا في ميدان الرثاء، فقد قام برثاء الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عدد من الشعراء الذين اعتادوا على أن يكون تعبيرهم الشعري باللهجة الدارجة فيما يسمى «الشعر النبطي»، وهنا أود أن أستعرض ما رثي به الشيخ بهذا النمط من الشعر، ففيه إشارة إلى مكانته، وعظم المصيبة بوفاته.

ذلك أني لما وجدت أن هذا النمط من الشعر لم يتطرق أحد إليه ولم ينشره ضمن المراثي التي قيلت في الشيخ الجليل فإنني وجدت أنه من الأفضل أن أقدم شيئًا منه هنا.

وقبل أن أعرض ما لدي من شعر نبطي أقدم هذه النبذة عن حياة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، ولقد كانت حياة رجل عالم فقيه من أهل الخير يستحق ما كتب عنه.

هذا الرجل من علماء الكويت القدماء الذين ورد ذكرهم في مختلف مجالات الحياة، فهو قاض ومعلم وخطيب ومشارك في الأنشطة المختلفة في البلاد، وهو قبل كل ذلك رجل فقيه ورع، يُعَدُّ من الصالحين الذين وثق الناس بهم، فصار مستودع الأسرار وموضع الفتيا، يتلقى الناس أحكامه بالقبول ويستمعون إلى نصائحه، ويتبعون ما يشير به عليهم.

ولد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان في سنة ١٢٩٢ هـ التي توافق سنة ١٨٧٥م، وقرأ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على أبيه، ولازم الشيخ محمد بن فارس منذ كان في سن الثانية عشرة، ورحل في طلب العلم إلى عدة بلدان، وعندما سافر إلى مكة المكرمة بعد ذلك بنية الحج لقي عددًا من علمائها.

كان مشهودًا له بالعلم الغزير والصلاح والوداعة والأخلاق الحميدة والزهد في الدنيا، يستشعر دائمًا تقوى الله، ويتحلى بالورع، ولذا فقد كان مسجد البدر الذي يؤم فيه الناس ويخطب فيه خطبة الجمعة يغص بالناس الراغبين في سماع خطبته رغبة في الاستفادة مما يقدمه في هذا اليوم من أحاديث وعظات قيمة، وما يستمعون إليه منه من إرشاد وتوجيه، وبالمثل فإن منزله كان قبلة لطلبة العلم يأتون إليه ويتلقون عنه العلم، ولذا فإننا نجد عددًا كبيرًا من علماء الكويت قد تتلمذوا عليه، ونجد عددًا آخر من رجال البلاد كانوا من تلاميذه، ولشدة ورعه فإنه كان يأبى العمل في سلك القضاء، وعندما ألزمه الشيخ أحمد الجابر الصباح بذلك في سنة ١٩٢٩م باعتبار عدم وجود من هو أجدر بهذا المنصب منه فإنه لم يستمر فيه إلا سنة واحدة لم يأخذ عليها أجرًا.

ترك مكتبة كبيرة تحتفظ بها وزارة

* وزير التربية الأسبق في دولة الكويت

الأوقاف والشؤون الإسلامية، وألف عددًا من المؤلفات النافعة منها المسائل الفقهية والفتوحات الربانية، ورسالة في مناسك الحج، وخطب الجمعة والعيدين. وله شعر جيد منه القصيدة الخاصة بالحج، التي يعرفها محبوه، توفي في سنة ١٣٤٩هـ التي توافق سنة ١٩٣١م، رحمه الله وأحسن مثواه.
هذا وقد قام مركز البحوث والدراسات الكويتية بإصدار كتاب عنه تحت عنوان: «علامة الكويت، الشيخ عبدالله الخلف الدحيان» ألفه الأخ الشيخ محمد بن ناصر العجمي، واستطاع أن يجمع فيه كثيرًا من المعلومات عن هذا الرجل المبارك الذي لا تزال آثاره العلمية موجودة بيننا في الكتب وفي البشر الذين يتناقلون العلم بينهم منذ وفاته إلى اليوم.

أما الشعر الذي ألمحت إليه فيتمثل بقصيدتين قالهما الشاعر سلطان بن قبلان المطيري، ونشرهما الشاعر مسعود بن سند بن سحيان في كتابه: «التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية» الذي صدر في سنة ١٣٨٩هـ التي توافق سنة ١٩٦٩م، ويبدو أن قائل القصيدتين ممن كان قريبًا إلى الشيخ بحيث يعرف كثيرًا من صفاته الكريمة، بدأ قصيدته الأولى بقوله:

الله من خطب دها يوم الاثنين
شهر الصيام وفي توالي ارمضان
خطب عظيم يوم ثامن وعشرين
خطب دهاني ما دها مودماني

(مودماني: إنسان).

واستمر يصف وقع خبر النعي عليه، وكيف أنه شعر بكدر عظيم، وأنه لم يستطع السيطرة على نفسه، ويبدو أنه قد حضر جنازة الشيخ عبدالله لأنه وصف في قصيدته هذه ما حدث من الغسل والتكفين إلى الدفن، ومن ثم قام بالترحم على الشيخ، وأخذ يعدد شيئًا من أعماله الطيبة مثل قوله:

مرحوم يا شيخ الهدى راسخ الدين
يا فاعل المعروف سرو بياني
مرحوم يا ريف الضعوف المساكين
يا مال طيبا يا عريب المجاني
مرحوم يا شيخ على العسر واللين
سهل الجناب الطيب المرحباني

إلى أن يصف أحكامه العادلة حين تولى القضاء، ويذكر مساواته بين الناس، وأنه درع للمظلومين ثم يعتذر عن قصر قصيدته مع أنها جاءت في أربع وعشرين بيتًا فيقول:

حبيت أطولها ولا أدركت تمكين
هو جاس قلبي قاصر من لساني

ويظهر لنا من هذا البيت أن الشاعر، بعد أن كتب قصيدته هذه أحس أن في نفسه أشياء يود لو كان قد عبر عنها، فاستأنف حديثه بقصيدة أخرى، يبدو أنه قالها بعد فترة وجيزة من قصيدته الأولى، وبعد أن مرت عليه بضعة أيام دون أن يغادره الحزن على فراق الشيخ وجاءت هذه في سبعة وعشرين بيتا مطلعها:

البارحة بالصوت جاوبت الحمام
ساهر ودموع عيني ساهرين
يا حزين القلب مثلي لا تنام
ويل للي بالمضاجع نايمين

وقد تحدث فيها عن أحزانه، وقدم النصح للغافلين من الناس، وذكر بالموت الذي يقطع كالسيف الحاد، ثم قال: إن البلاد أظلمت عندما انهدم ركن من أركان الدين ويتساءل: أين شيخ الدين، راعي الحق، ويضيف:

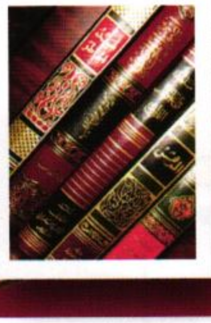
ابكوا المحمود يا جمع الأنام
ابكوا المحمود من قلب حزين
من بكى شيخ الشريعة ما يلام
له بكن عيوننا والحاضرين
ذروة الإسلام في راس السنام
مرتكي للحق والله ما يلين
ما أخذ رشوه ولا ذاق الحرام
مخلص لله رب العالمين

ثم يعود للترحم على الفقيد، ويطلب من السامعين أن يقوموا بالدعاء له فهو يستحق أن نقف له داعين مترحمين، ذاكرين لأفعاله الكريمة، محتفظين بذكراه النيرة على مر السنين.

وبعد استعراض هاتين القصيدتين فإنه يتبين لنا أن الشاعر كان شديد التأثر بوفاة الشيخ عبدالله الخلف، وكان قريبًا منه بحيث شعر بدوره في الحياة وإفادته للناس في كثير من المواقف، وقد دلت مشاركة الشعر النبطي على أن كافة الناس في الكويت كانوا يرون أن في وفاة هذا المصلح خسارة كبيرة لهم وللكويت بصفة عامة، وهذا هو ما أعطى القصائد كلها روحًا قوية معبرة. رحم الله الشيخ وأجزل مثوبته.

السيرة الذاتية

ولد عام ١٩٤١ في مدينة الكويت.
تخرج في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٦١، وحاصل على الماجستير والدكتوراه في النحو والصرف من الكلية نفسها.
عمل في بداية حياته العملية في مجال التدريس، ثم الإعلام، ثم وكيلا لوزارة التربية، فوزيرا لها.
له مشاركات متعددة في مجالات الشعر والثقافة والتأليف.
دواوين شعرية: حكاية وطن ٢٠٠١ «أوبريت» لحن وأنشد في احتفالات وزارة التربية بمناسبة العيد الوطني الأربعين، وعيد التحرير العاشر.
من مؤلفاته: المقرب في النحو لابن عصفور «دراسة وتحقيق» -ابن عصفور النحوي «حياته وآثاره ومنهجه» -كاظمة في الأدب والتاريخ- أحمد البشر الرومي... قراءة في أوراقه الخاصة - الألفاظ الكويتية في كتاب لسان العرب - الكويت تواجه الأطماع - همس الذكريات- ملامح من تاريخ الكويت - السيدان.. قبس من ماضي الكويت - راشد السيف.. حياته وشعره «بالاشتراك»، وعدد آخر من الكتب.



«الهوية الإسلامية» في مواجهة طوفان الحداثة والتغريب

تحقيق محمد القوصي

أكدّ الأدباء والنقاد والكُتّاب أن فكرة «الأدب الإسلامي» جاءت رد فعل للطوفان الهادر من حامض الفكر ونفايات الثقافة وكناسة الشعر الذي أفرزه غواة الحداثة وعبيد الشعر الحر.. وأوضحوا أن الفكرة كانت فكرة رائدة، ورؤية صائبة، ونظرة ثاقبة، اضطلع بها نفر من أولي الألباب، والغيورين من أدباء وعلماء ومثقفي الأمة، العالمين بدينهم ودنياهم والأوفياء لحضارتهم وأوطانهم والأمناء على تراثهم وهويتهم الذين حملوا بين جوانحهم همًا عربيًا وإسلاميًا، وهم أقدر الناس على التمييز بين الأدب واللاأدب!

أوضحوا أن الذين أنشأوا «رابطة الأدب الإسلامي» كي يواجهوا بها طوفان المذاهب الأدبية الوافدة، والفلسفات الغربية الشاذة التي تسللت إلى أوطاننا لأسباب لا تخفى على عاقل.. كذلك التصدي لدعاوى العلمنة والتغريب، والتسطيح والابتذال، والركض المحموم واللهاث وراء الآخر، والتبعية المطلقة، والاستدانة الفكرية، واستيراد الأشكال والمضامين بطريقة فجة... وإلى التفاصيل:

رد فعل للهجمة التغريبية

في البداية يؤكد الدكتور مصطفى الشكعة- العميد الأسبق لآداب عين شمس- أن الدعوة إلى إنشاء هذه الرابطة جاءت من منطلق الكلمة الأصيلة الملتزمة، بسبب غربة الأدب الإسلامي وسيطرة الأدب الوافد وتياراته التغريبية على العالمين العربي والإسلامي، مما بعث الأمل في نفوس الأدباء الأصلاء بميلاد تلك الرابطة التي من شأنها أن تجمع صفوفهم وتشد عضد كل واحد منهم بأخيه، وترفع صوتهم في العمل على تأصيل الأدب الإسلامي لمواجهة النظريات والمذاهب الأدبية التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام.

المهم أن هذه الرابطة نجحت- بالفعل- في تحقيق بعض الغايات المرجوة منها والمنوطة بها، كإيجاد حلقة تواصل وإقامة جسور تعاون بين أدباء العالم الإسلامي على اختلاف لغاتهم وأجناسهم ليكونوا قوة إسلامية سلاحها الكلمة الأصيلة الملتزمة بالعقيدة، وتحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامي، وتكوين شخصية مستقلة له بعيدًا عن التبعية والنزعات العرقية والبعد عن القوالب المستوردة والأساليب المبهمة، والرد على المحاولات الداعية إلى الانفصام بين أدب أمتنا في الماضي والحاضر، ودراسة الأدب الإسلامي المعاصر في البلاد الإسلامية وإظهار الخصائص المشتركة، وتعريف الشعوب الإسلامية بآداب بعضها عن طريق ترجمة آثارها الأدبية إلى عدد من اللغات الأخرى.

عالمية الأدب الإسلامي

من جانبه يرى أحمد سويلم- المدير السابق لأدب الطفل بدار المعارف- أن الأدباء الإسلاميين نجحوا في إفشال المشروع الحداثي الذي يقود زمامه «أدونيس» وحواريه وجواريه في المنطقة العربية، وأشار إلى أن الأدب الإسلامي ليس بدعًا من القول، فالقاعدة تقول: كل ما هو ليس ضد الإسلام فهو من الإسلام، إذن فالأدب كله شعرًا أو قصة أو مسرحية أدب إسلامي، ما لم يكن فيه فحش في القول أو تطاول على القيم أو تهكم من المعتقدات أو تجرؤ على الثوابت المتعارف عليها، وقد ظهرت بوادر الأدب الإسلامي منذ العصر الجاهلي، والذي انتظم عددًا كبيرًا من شعراء عصر ما قبل الإسلام. وقد كان حال الأدب العربي كله وإلى وقت قريب أدبًا إسلاميًا يدعو إلى القيم ومكارم الأخلاق والتوجيه الخلقي الرفيع ونصرة المظلوم، وإحقاق الحق وزجر الباطل، والثناء على البطولات والغزوات، والصلح بين المتخاصمين، وغير ذلك من القيم السامية، والفضائل العليا، ومكارم الأخلاق.

> **الذين استنكروا الأدب الإسلامي.. لماذا لم يستنكروا الماركسية أو الوجودية؟**

الأدب العربي محضن الأدب الإسلامي

أما الناقد الدكتور جابر قميحة فيشير إلى أن «الأدب العربي» هو محضن الأدب الإسلامي الأول، وميدانه الأهم، ولكنه ليس ميدانه الأوحد، فعندما انتصر الإسلام خارج الأقطار العربية، ودخلت فيه شعوب أخرى، وتأثرت به آدابها، نبتت لهذا الأدب أجنحة جديدة، أعطته بعدًا إنسانيًا عالميًا، فقد ظهر في الأدب الفارسي منذ القرن الثالث الهجري تيار إسلامي استفاد من الأدب العربي شعره ونثره، واستفاد من القرآن والسنة، وحمل قضايا إسلامية كثيرة، وأصبح تيارًا موازيًا للتيار الإسلامي في الأدب العربي، وربما يتفوق عليه في بعض القضايا و الفنون، وما لبث الأدب التركي أن استفاد من الأدبين الفارسي والعربي، ونهل مما نهل منه الأدبان المذكوران من المعاني القرآنية، فامتد الأدب الإسلامي إلى لغات وشعوب أخرى.

إذن، فالأدب الإسلامي لا يلغي شيئًا من الأدب العربي ولا ينكر الأدب الجاهلي أو الأموي

«الأدب الإسلامي» ثورة تصحيح لإنقاذ الأدب من براثن العلمنة والتبعية

أو العباسي، بل يرى في الأدب العربي ميدانه الأكبر، ونحن عندما نتحدث عن أدب إسلامي، لا نرفض تراثًا عريقًا، ولا ندعو إلى أدب بلا جذور، بل عكس ذلك، فنحن ندعو إلى التمسك بالجذور والأصول والتراث، وليس إلى الاستدانة من الآخرين!

إسلامية الأدب ضرورة

ويؤكد الأديب صلاح حسن رشيد أن ما يعيشه المسلمون في العصر الحديث يلح عليهم بشدة في تأصيل الأدب والفن، لمحاربة الانحراف والمروق، والتصدي للهجوم على الإسلام والمسلمين، فالأدب هو الذي يبرز التفاعل العميق بين الإسلام والكلمة الجميلة المؤثرة، ويبني الشخصية الأدبية الإسلامية التي تحمي أدباءنا من اللهاث وراء الشرق والغرب.

ويقول صلاح رشيد: «في ظني أن الواقع الذي يعيشه المسلم يجعله أحوج من أي وقت مضى إلى الكيان الإسلامي المتكامل والشخصية الإسلامية المتميزة في بنيانها الفكري والاقتصادي والفني والأدبي، خاصة بعدما غدا الأدب من أدوات الغزو الفكري الفتاكة».

مليشيات الحداثة!

هذا، وقد أوضح الشاعر والأديب ياسر غريب أن الأدب الإسلامي لا يحتاج إلى من ينافح عنه، لأنه شيء واقع نعيشه في حياتنا، ولا داعي للرد على فلول المنكرين، لأن هؤلاء رافضون للإسلام أصلًا، ولعلي أسأل دعاة التغريب ومليشيات الحداثة العرب: من الذي أفسد جمال الكلمة سواكم؟ ومن المسؤول عن تشويه ذائقة الأمة الأدبية غيركم؟ ومن وراء تغريب الفكر وتذويب هوية الأمة الثقافية إلا أنتم؟ ومن هؤلاء الذين خلّفوا أطنانًا من كناسة الشعر وحامض النثر سواكم؟!

ويستطرد ياسر غريب قائلًا: إنني أسأل دعاة الحداثة والتغريب: من أين جئتم بالتقاليع العجيبة ما دامت المجتمعات الإنسانية ترفضها وتنكرها؟ ومن أين جئتم بهذه التعقيدات الأدبية؟ ولمن تتوجهون بهذا العبث؟ فما المقصود بقصائد المثلثات أو المربعات والمستطيلات، إننا لم نسمع بفنان يسمح لنفسه بالهلوسة ويجد حوله نقادًا يصفقون له ويرفعون رايته ويقولون للعالم إن هذا هو الفن الصحيح.

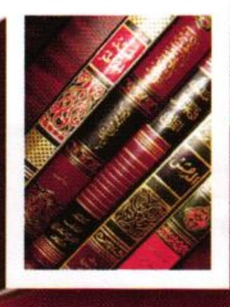
قد يكون للغرب مبرراته لاعتناق مثل هذه الأيديولوجيات الوضعية، لكن أوطاننا ومجتمعاتنا العربية ما أغناها عن معرفة هذه الموضات والتقاليع الفكرية التي يخترعها مستشرقون جاهلون أو مبشرون حاقدون أو أدباء ماجنون!

إن هؤلاء الحداثيين بالتعاون مع سادتهم وكبرائهم «يغربنون» العالم العربي والإسلامي، ويركّعونه، ليحوّلوه عبيدًا وخدمًا بألف وسيلة، بالترويج للمذاهب والفلسفات الغربية، والتسويق للنظريات الاستهلاكية الشاذة، والتفريغ الفكري والثقافي، وإثارة الطائفيات العرقية والأقليات الدينية، واستغلال الجروح التاريخية، وفرض المخاوف الاجتماعية والمشكلات المستعارة والمصطنعة، وتشويه القيم التي تعارفت عليها المجتمعات، وتدمير الروح المعنوية للأمة، ونشر الضياع والفوضى والانحلال الأخلاقي.

أولئك الحداثيون من سماسرة الفكر وتجار المذاهب المستوردة التي تلقّفوها من تحت قمامة الفكر الغربي، وروّجوا لها عبر صحفهم ومجلاتهم، فصنعوا بها واقعًا مريرًا، ودنيا مختلطة، وراحوا يطالبون الآخرين بأن يعتنقوها ويؤمنوا بها، بل يرهبون مخالفيهم بشتى الوسائل، كما فعل سلفهم الطالح الذين قالوا ﴿لنخرجنّكم من أرضنا أوْ لتعودنّ في ملتنا﴾! والحمد لله صفعناهم بوابل من المؤلفات الحارقة مثل سقوط الحداثة، والصفحات السوداء لمدرسة التغريب والحداثة والتنوير، وغيرها من الكتب التي ألجمت أفواههم!

واختتم ياسر غريب كلامه قائلًا: إن هؤلاء الذين تجرأوا على الأدب الإسلامي، لم نسمع منهم استنكارًا للأدب الوجودي أو الماركسي أو العلماني، بل على العكس، فقد كانوا ومازالوا سفراء فوق العادة لهذه المدارس التغريبية الشاذة!

والحمد لله أن رابطة الأدب الإسلامي قطعت أكثر من عقدين من الزمان، وتخطت فكرتها اليابس والماء، فالآن حصحص الحق، وبدا الصبح لكل ذي عينين، وتبين للجميع أن الحق أبلج، وأن الأيام لا تخبئ شيئًا، بل قادرة على أن تزيح الستار، عن الذين يختانون أنفسهم، والذين يلبسون الحق بالباطل، والذين يتآمرون على هوية الأمة وثقافتها.. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!.



(قصة قصيرة)

اللّعين..!

بعد غياب طويل، رجعتُ إلى مسقط رأسي، فرأيتُ كل شيء قد تغير، حتى أسماء الشوارع وسكانها.. سألتُ عن الشيخ: فأخبروني أنه مريض منذ عام أوْ يزيد.

على الفور، ذهبت لزيارته.. فوجدتُ الباب مغلقًا على غير المعهود، طرقتُ الباب.. لم يردّ أحد.. لكني سمعتُ أصواتًا تتخللها قهقهة عالية!

أعدتُ الطرق مرة بعد مرة.. فإذا بالخادم يفتح لي الباب، ولم يتمالك نفسه من فرط الضحك! سألته عن الشيخ، فقال: اذهب إليه في البيت الآخَر.

قلتُ: من الذي كان يتكلم معك؟ فقال عندما هممتُ بالخروج: وجدتُ إبليس اللّعين على عتبة الدار، فسألته عن حاله مع العباد، فقال: في الماضي كنتُ أُعلّم الناسَ طُرُق الضلال، أمّا الآن.. فأنا أتعلّم منهم طرق الضلال!

تعجّبتُ لكلامه.. وتركته لحاله، واتجهتُ إلى الشيخ في المنزل الآخَر، وفي أثناء الطريق بدا لي ألا أذهب في الحر الشديد، ترددتُ قليلاً.. ثم واصلتُ السير ببطء، فكأني بمن يقول لي: ربما لا تجد أحدًا هناك بعد هذا العناء!

أوشكتُ أن أرجع.. لولا أنه لم يبقَ سوى مسافة قصيرة بيني وبين العنوان الذي قصدتُه!

لما دخلتُ على الشيخ؛ وجدتُ عنده جمعًا غفيرًا من الناس، لم أعرف منهم سوى ثلاثة أوْ أربعة فقط من الشباب.. وقد سأله أحدهم عن سر مرضه، فقال الشيخ: رأيتُ «اللعين الأول» في المنام كأنه عريان، فقلتُ له: أمَا تستحي من الناس؟ فقال يا لله! أهؤلاء تحسبهم من الناس؟! لوْ كانوا منهم ما تلاعبتُ بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء، فقلتُ: ومَنْ هم؟ قال: جماعة موجودون في الجامع المهجور أقصى المدينة.. هؤلاء أضنوا قلبي، وأنحلوا جسمي، كلما هممتُ، أشاروا بالله.. حتى كادوا يحرقونني!

ما إنْ سمعتُ هذه القصة حتى استأذنتُ واتجهتُ على الفور إلى الجامع المهجور.. وفي الطريق الطويل، اعترضني شيخ عليه علامات الهيبة والوقار، وسألني في صالحال: أين تذهب؟ قلتُ: إلى الجامع المهجور، فقال- وهو يرتجف: أنصحك بالرجوع، ففي الطريق أسد ضار!

أصابني رعب شديد! ولَم أستطع السير يمينًا أوْ شمالاً.. حتى أبصرتُ شجرة صغيرة نائية، فاتجهتُ نحوها لأستظل بها.. فوجدتُ تحتها امرأة فاتنة، عليها من كل ألوان الزينة وأشكال الحلل والمفاتن، وكانت تبكي بكاءً حارًا.. فاقتربتُ منها، وسألتها ما بها؟ فقالت: انقطعتْ بي السبل، ولم أجد إنسانًا مُشفقًا أبيتُ عنده للغد، فاعتذرتُ لها بحجة أنَ مسكني بعيد جدًا، وأنني على سفر، فقالت: ألا تدلّني على محطة القطار؟ فقلت: لا يوجد هنا محطة للقطار، قالت: ألا تذهب معي إلى السوق لأبيع بعض المصوغات الذهبية.

فأصابني وجل شديد، وتوجستُ منها.. فاستعذتُ بالله، وهربتُ مواصلاً مسيرتي التي ابتدأتها منذ الصباح.. حتى وصلتُ الجامع المهجور بأقصى المدينة، فوجدتُ هناك نفرًا من العُبّاد في ركن بعيد، فلما اقتربتُ منهم، أومأ أحدهم برأسه قائلاً: أنت كلما قيل لكَ شيئًا تقبله!

ثم قال الآخر: هنيئًا لك.. لقد نجوتَ اليوم من «اللعين الأول»!

ولما طلبتُ منهم أن أُقيم عندهم.. أبوا بشدة، وقالوا: لن تحتمل! فلما ألححتُ عليهم في الطلب، قالوا: إذا خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله، فارحل من عندنا!

علمتُ أنني لن أحتمل.. وأثناء رجوعي، استوقفتني سيارة شرطة سوداء، خرج منها ضابط مكفهر الوجه، مقطب الجبين، وقال: اركب، قلتُ: لماذا؟ قال: اركب وستعرف بعد قليل.. ركبتُ السيارة فوجدتُ آخَرين محجوزين في السيارة، منهم نساء وأطفال صغار!

تنقلت بنا السيارة من مخفر إلى مخفر، ومن سجن إلى سجن.. وهناك استقبلونا بالشتيمة والضرب المبرح، دون أن نعرف ما السبب! بعدها ألقوا بنا في زنازين ضيقة مظلمة، فرأينا ما تشيبُ له الولدان..رأينا أُناسًا قد مضى على سجنهم خمسون عامًا! ورأينا موتى لا أحد يعرف لهم عنوان! سألتُ مَنْ بجواري: لماذا جاءوا بك إلى هنا؟ قال: كما جيء بك! وسألتُ آخر السؤال ذاته.. فقال: كنتُ أشتري «كيلو بلح» لجارتي المريضة، فجرّني مخبر إلى هنا، وقال: يبدو أنكَ من هؤلاء الذين يصومون «الاثنين» و«الخميس»! قاطعنا

طفل صغير، قائلاً: أمّا أنا فقد كنتُ مرتديًا جلبابًا أبيض، فاتهموني بالانتماء للجماعات الدينية المتشددة!

في منتصف الليل، فتح مدير السجن الزنزانة.. وضرب أحد المساجين على وجهه بقوة، وسأله: ما هذه اللحية؟ فأجابه باستهزاء: أُسوةً بـ «البابا»!

أُصيبَ الضابط بصدمة شديدة، ونكّس رأسه خجلاً.. وعندما همّ بالرحيل طلب منه أحد المساجين- وكان رجلاً كهلاً مريضًا- أن يسمح له بالصلاة.. فردّ بازدراء وتجهّم: ما دمتَ تفكّر في الصلاة، فلن تخرج من هنا أبدًا!

اشتاط المساجين غيظًا من غطرسة مدير السجن وحماقته! وبلغ بهم الغضب مبلغه، مما جعل أحدهم يصرخ بأعلى صوته: إن إبليس اللعين- يا باشا- لا يستطع أن يمنع أحدًا من الصلاة!

فقال الرجل المريض- بصوت خاشع: لأنّ «اللّعين» كيده ضعيف!

أضاف آخر: نعم.. اللّعين الأول أرحم بكثير! فليس لديه وسائل التعذيب الجهنمية.. وليست عنده سجون ولا زنازين.. مثل هؤلاء الطغاة!

وقعت هذه الكلمات على مسامع المساجين، فأيقظتهم من غفلة طويلة، وفجّرت مواجعهم المكتومة، وأشعلت لهيب قلوبهم المحترقة.. وفي الحال؛ أمسكوا بمدير السجن وألقوه أرضًا، وانهالوا عليه ضربًا بالحجارة والأحذية، حتى أفقدوه وعيه.. وانطلق آخرون فهدموا جدران الزنازين وفتحوا أبوابها الموصدة، وراحوا يهتفون بأعلى أصواتهم: يحيا اللّعين الأول.. يحيا اللّعين الأول!

• **محمد عبد الشافي**

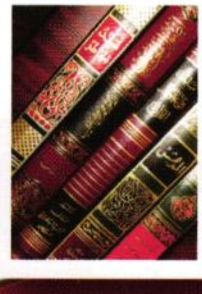
الصديق الأول

عبدالعزيز العسكر

جاءتك من نبع الهدى عصماء
تدعو شقيًا قد براه الداء
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
وزن الأنام فما الأنام سواء (١)
هذا محب قد سعى لغنيمة
قد سابقته لنيلها اللؤماء
وكذا الصديق فإنه في عصرنا
قد شاقه في صحبه الأسماء
متربص في وجده وسكونه
ومراده أن يغفل الآباء
لينال حظا من حظوظ مزاجه
قد حذّرت من فعله الحكماء
إنيّ بلوت الأصدقاء جميعهم
فوجدت حبا قد علاه خواء
إلا صحابا قد سمو بعلومهم
وصلاحهم تاج لهم وسناء
فهم الرجال ومن لنا بوجودهم
عند الشدائد إن دعت هيجاء
أما الأب الملهوف فهو سنادنا
في النائبات ودرعنا الوقاء
ذاك الحبيب وقلبه حبل الوفاء
لحبيبه ومراده إعلاء
يهب الوليد همومه ونقوده
وما عاقه عن دربه إغواء
هو مصلح هو ناصح لصغاره
هو مشفق إن يبتلى الأبناء
من أجلهم قد ضيعت أحلامه
ما ناله في سعيه إعياء
يقسو ولكن في سبيل صلاحهم
ويظل في هم وهم طلقاء
إن يقدموا تعلو نسائم بشره
وإذا مضوا فدموعه الأصداء
أما أبي فمقامه ومكانه
في ذروة من مهجتي بيضاء
يا لائمي فيما أقول وأدعي
خل الملام فكلنا خطاء
فلكم بكت في أهلنا من أعين
لما سعت في صدنا الأهواء
هم أرشدونا للفضيلة والتقى
وصلاحنا من فضلهم آلاء
قد علمونا ما ينير طريقنا
ومنارهم في دربنا وضاء
يارب فاجز الوالدين بجنة
وأدم سعادتهم وهم أحياء

١- الشطر الأول من البيت مقتبس من قول أبي تمام:
نقل فؤادك حيث شئت عن الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

• شاعر سعودي



ظاهرة الهروب إلى النصير في الشعر الديني المعاصر

علاء الدين رمضان

التيار الديني باب فسيح من أبواب الموضوعات الشعرية، حيث يضم تحت لوائه كلَّ ما يتعلق بمشاعر ووجدان الشعراء وأشواقهم ورغباتهم وتطلعاتهم واتجاهاتهم العقدية ورؤياتهم تجاه الأحداث والشخصيات والمناسبات الدينية المختلفة، مع تأثرهم بالقيم والمثل الإسلامية.



التيار يعني تكريس الشاعر نصوصه لخدمة الغرض الديني الذي يجعله منطلقًا رئيسًا لقصائده، بخلاف المشاركة الدينية التي تعني أن الاتجاه الديني ليس هو المنطلق الأيديولوجي للشعراء، بل إنهم يكتبون قصائدهم الدينية بوصفها غرضا من بين أغراضهم الشعرية، وأعلاها قيمة ودلالة على منهجه هو التيار.

لكن هذا التيار الشعري الديني ينطوي على اختلاف مبين في المصطلح الدال عليه؛ إذ إنني أرى فروقًا بين الشعر الديني والإسلامي والملتزم، وأعلاها قمة- فيما أعتقد- هو الملتزم الذي اتخذ فيه شاعره من البعد العقدي روحًا لتفكيره، وجعل من تلك الروح قاعدة ومنطلقا وصبغة، حتى إنه يعيش حياته مصطبغًا بصبغة الله عز وجل، ويليه الشعر الإسلامي الذي يوافق ما جاء به الإسلام من شرائع وأحكام موافقة إما أن تكون صريحة وتقريرية إقرارية (في النظم)، حيث ينصُّ الشاعر في شعره على كل ما له علاقة بالدين من شرائع وأحكام بصورة إقرارية تقريرية ناظمة غالبًا، أو أن تكون تلك الموافقة غير صريحة وغير إقرارية أو تقريرية (في الشعر الفني)، وإنما موافقته لها آنئذ موافقةُ تشبُّع وتشرُّب، لكن بقصد ظاهر عند الصياغة الشعرية.

أما مصطلح الشعر الديني فهو أكبر عمومية من التيارين الإسلامي والملتزم، من حيث المنهج والاتجاه، حيث يدخل تحت مظلته كل شعر ديني على اختلاف العقائد والشرائع التي ينتمي إليها الشعراء.

الاتجاه العقدي في الشعر

المضامين الشعرية التي عالجها شعراء التيار الديني تتضمن عددًا من القضايا والألوان والأغراض والموضوعات، منها قصائد الحب الإلهي ومناجاة الله عز وجل واللجوء إليه، والقصائد النبوية، بما فيها مدح الرسول الكريم والاستنجاد به والذود عنه، والتوسل والتشفع، والاحتفاء بذكرى مولده الكريم...، والتزهد والإعراض عن زخارف الدنيا، والاحتفال بالأعياد والاحتفاء بالمناسبات الدينية كصوم رمضان وعيد الفطر والحج وعيد الأضحى، وتوظيف التاريخ الإسلامي وأحداثه، وتسجيل وتأريخ الأحداث الكبرى، ويدخل ضمن هذا النطاق أيضًا استدعاء تلك الأحداث في الشعر استدعاء أقنعة، كذلك تناولوا مواقف أعلام الإسلام ورجالاته، وإعلاء قيمة الإنسان من المسلمين الأولين عامة والشهداء منهم خاصة، سواء أكانوا رجالًا أم نساء، كما تناولوا الإصلاح والتوجيه، والحديث عن المقدسات والجهاد والدعوة إلى مواجهة الأعداء والحث على الثبات عند ملاقاتهم، ومنه أيضًا التربية والحكمة،

• كاتب مصري



والقيم الدينية الشرعية، وترسيخ السلوك الإسلامي، ومنه الشعر الإصلاحي الذي يتخذ من النقد الاجتماعي طريقًا لطرح موضوعاته.

ومن أبرز خصائص القصيدة الدينية الاعتماد على الاستمداد التعبيري والاقتباس من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والآثار الحكيمة التي تنسب إلى السلف الصالح، ويعد التشبع بالعقيدة من أهم المقاييس الموضوعية والفنية في دراسة القصيدة الدينية عامة.

قصيدة الهروب إلى النصير

يعد الهروب إلى النصير من أشد أبواب الشعر الديني اتساعًا، حيث تدخل في الأغراض والموضوعات الأخرى، ومن الشعرا من جعل الهروب إلى النصير غرضًا مستقلا، كما فعل الشاعر الكبير جميل عبدالرحمن، فكان في قصيدته «رسالة إلى رسول الله»، صاحبَ مذاق إبداعي وموضوعي مختلف، حيث تحولت القصيدة بين يديه إلى لواعج متقدة تشكو إلى حضرة النبي ﷺ حال الأمة وما أصابها، فتحولت من المظهر السردي الذي استهل به الشاعر قصيدته بما يوحي بأنها تأريخ لحادثة الإسراء والمعراج (البراق انتظر.. مسرجًا شوقه للقاء)، ثم إذا بالشاعر لا يتحدث عن تلك الحادثة وإنما البراق المنتظر ليس سوى براق أرواحنا، والأمل يترقب من بين أسدال الليالي الحبالى بالوهن من بين ظلمات بعضها فوق بعض تدوس على قلوبنا، إنه الهروب إلى النصير:

البُراقُ انتظرْ
مُسْرجًا شوقه للقاء
والليالي الحَبَالى بعقم السيوف وخوف
الحتوفِ وجَدْبِ الرجالِ تُسائلُ عنك
فهلا ركبت البراق وصليت بالحائرين

الشاعر هنا يستمد رجاءه في الصلاة من قول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿...إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(من الآية: ١٠٣)، ويبدأ الشاعر تطوافه على أحوالنا وأوضاع أمتنا حتى يصل إلى الدلالة الهدف، أو القصد الرئيس من درته الشعرية رسالة إلى رسول الله:

إيه يا سيدي
كيف نكبح ردّة أيامنا الفاجرة
والنصال بأعماقنا غائرة؟
اسرج الآن هذا البراق
وهات من الكوثر العذب
ماء الحياةِ يفك اليقين السجين..
وأعد...

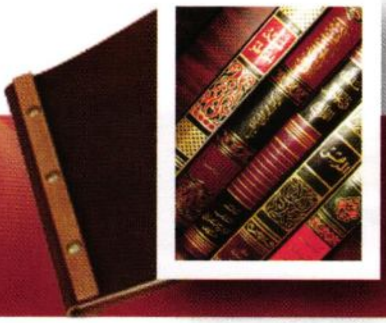
الشاعر جميل عبدالرحمن صفت جذوته وتعمّقت رؤيته، فصار يزن الألفاظ ودلالاتها بميزان الذهب، فكما أوقفني إلى لفظ الصلاة في مطلع القصيدة، هاهو ذا يدفعني لتأمل مطالبه التي قدمها إلى رسول الله ﷺ، وقد جعل إطلاق اليقين السجين في رأسها، لأن كل أمورنا دون اليقين هباء، ثم تترى من بعد اليقين أمور تقيم أركان الحياة الأبية الكريمة:

أعد للسيوف الظُبَى
وأعد خالدًا في القلوب.. أعد صوته
والخيول حواليه تصهل
فأعد في القلوب اشتعال اليقين
وأعد للمواقيت فرسانها
وأعد للمواقيت فرسانها
وأعد للرؤى عزمها
وأعد راية الفتح من نومها

فإذا تأملنا تلك المطالب وجدنا أننا قد فقدنا أسباب وجودنا الحقيقية، وأن ما نحن فيه نتاج طبعي لأمة مهينة بلا قائد وقوات، بلا يقين وعقيدة، بلا علامات هدى وقدوات، بلا رغبة في الفعل أو العطاء، أمة بلا بأس، إذا اندفعت صوب الضياع يُقال لا بأس.

وكما هرب جميل عبدالرحمن إلى رسول الله يشكو لواعج زمانه، عالج الشاعر يوسف أبوالقاسم الشريف بالمنهج نفسه قصيدته إلى البيت الحرام، حيث استخدم فكرة الهروب إلى النصير، فهرب إلى البيت الحرام:

إني أنا العاصي الذي قد هده
ذنب وأرّقه فأين المهرب؟
ما حيلتي والشوق ملءُ جوانحي
والبيتُ ما أصبو إليه وأرغبُ؟
لما بدا في ناظريَ جلاله
والنور من فيض الجلال مُشَرَبُ
حارت تباريحي وخار تجلدي
ووقفتُ مأخوذًا به أتصبب
هذا مقام العارفين فلذ به
والعارفون لذي المقام تهيبوا
هذا هو البيت الحرام وكعبةُ
النور التي للعالمين المطلبُ
يممت قلبي شطره متبتلًا
هيمان تسبقني دموع تسكبُ
وجوارحي تبكي من الوجد الذي
سكن الفؤاد وبالجوى تتلهبُ



وبالمنطوق نفسه هرب الشاعر جميل عبدالرحمن أيضًا إلى القرآن الكريم يستمد منه ويستنجد به مما آلت إليه أحواله وأحوال الواقع من حوله:

لا تصدق دموعي
فعهود الهوان استباحت خضوعي
ولصوص التواريخ دسوا الشحوب
بكل شموس السطوع
فتنامى على ربوة الروح وردُ الصقيع
وأنا من زمان بعيد كُسِرْتُ
انطفأتُ وماتت أمام الرياح شموعي

ويبلغ الشاعر ذروة احتشاده الوجداني مستمدا من القرآن الكريم دعمه للتجربة موضوعيًا وفنيًا:.

الشياطينُ من كل واد تحاصرني بالرماح
ومدانا مرايا الجراح
آه يا سورة الرعد
ردي على سورة الزلزلة
أطلقي سورة الانشقاق
ببشرى عذاب أليم
آه يا سورة القارعة
ابدئي بالتلاوة ..
صُكّي وجوه البشاعة
دوسي رؤوس الوضاعَة
وامسخيهم على غدرهم خاسئين

وإذا كنت أعد قصيدة استدعاء النصير أو الهروب إليه لونًا من ألوان القصيدة الإصلاحية داخل التيار الديني، فذلك لأن دائرة القصيدة الإصلاحية قد اتسعت وتنوعت لكثرة تناول الشعراء لهذا الغرض في قصائدهم والتشبث بالمسحة الدينية والعقدية بهذا الخصوص، حتى في القصائد غير المكرسة للاتجاه الديني، وتبدأ الخطوة الإصلاحية بالشكوى من الزمن والواقع، يقول الشاعر أحمد المنشاوي في قصيدته الاجتماعية «حريتي»:

لله أشكو غربة النفس التي
رحلت بعمري دونما استئذان

فالشاعر يلجأ إلى الله عز وجل، كما لجأ الشاعر يوسف أبوالقاسم، شاكيًا زمنه قائلا:

ربـاه مـا زمـنـي سـوى
زمـن بـه الـشـر انـطـلـق
والخـيـر فـارق أرضـنـا
والنور في القلب احترق

ولم يكن البعد الإصلاحي عند الشعراء مقصورًا على الرصد الناقد للأحوال المتردية أو النصح أو التوجيه أو تناول موضوعات تقويمية أو تقييمية، بل تناول موضوعات تعد جديدة على القصيدة الدينية، مثل التعريض بإحكام القبضة على الملتزمين من المسلمين أو مواجهة السلطة المتربصة بهم، يقول الشاعر يوسف أبوالقاسم في قصيدته «الجرم أنا مسلمون»:

سلم على أهل البقيع
واذهب إلى قبر النبي
أخبره أن البحر هاج
والموجُ يعصف بالسفينة
رُبانها ضل الطريق
أشلاؤها فوق الوجوه المستكينة
إنا نسائل سيدي كيف الخلاص؟

هذا فيما يخص فكرة الهروب إلى النصير في سياق القضايا الموضوعية للتيار الديني، أما القضايا الفنية فكان أبرزها قضية الالتزام السلوكي والتعبيري، ويجب أن نفرق هنا بين لونين من الشعر الديني الحديث:

أولهما الشعر الصوفي، والحكم الفني هنا لا علاقة له بالأحكام الشرعية، والآخر الشعر الملتزم بمعايير أهل السنة، وهو شعر مقيد في أفكاره من بعض الجوانب التي خاض فيها الشعر الصوفي كالامتزاج والذوبان والحلول والتماهي والالتباس الكنهي واختلاط الهوية بين الذات العلية والمحب، وما شابه ذلك مما ينافي عقيدة أهل السنة.

فالشعر الصوفي أباح لنفسه التوسل والمغالاة في الاتكالية وتضخيم حالة ترقب المدد من خارج الذات، وهو لون سادر في سلبيته بعيد عن التيار الحقيقي للمجتمع، بينما الشعر الملتزم بمعايير أهل السنة، وأنا أتكلم هنا عن القصيدة الفنية لا النظم، فهو شعر فاعل محرض على التمسك بالقيمة الذاتية للفرد داخل إطار النطاق الديني الجمعي، وهو شعر يدعو إلى الإيجابية في تناول القضايا والمساهمة في التغيير والإصلاح.

الهوامش

■ نماذج المقالة مستمدة من دواوين الشعراء:
■ جميل عبدالرحمن: نزيف النخيل، هيئة الكتاب، القاهرة ٢٠٠٨م.(ودواوين أخرى).

لماذا نخاف من تعريب الطب؟

د. يحيى محمود أبوالمعاطي

● باحث أكاديمي

عندما نقرأ كتب التراث، نجد أوصافًا لجسم الإنسان، وأسماء لأمراض، نحار فيما هو مقصود بها، على الرغم من أنها كلمات عربية فصيحة، لكن هذه الألفاظ أصبحت غير متداولة بين الناس، ولا تتناقلها ألسنة الأطباء، وأصبحت هناك ألفاظ أخرى هي المستعملة، مما جعل هذه الألفاظ الموجودة في كتب التراث مستهجنة، وأدى ذلك إلى شيء آخر قد يكون أكثر خطورة وهو خوف الأطباء من تعريب الطب، وظنهم أن استعمال اللغة العربية سيجعل الطب أكثر صعوبة من حيث الفهم، والتواصل مع ما هو جديد في عالم الطب.

وحتى يكون هذا الطرح واضحًا نورد بعض الأمثلة، كلمة مثل «بؤبؤ»: ويقصد بها إنسان العين، «الأمق»: ويقصد بها زاوية العين ناحية الأنف، «الأطرة»: ما أحاط بالظفر من لحم، «الفريصة»: عضلة الصدر، «خِنَّابتا الأنف»: فتحتا الأنف، «الوجنة»: أما ارتفع من الخدين، «الصماخ»: قناة الأذن التي توصل إلى الطبلة، «الوتين»: شريان الأورطي.

وهذه ألفاظ عربية سهلة، لكنها لا تستخدم، ولو استخدمت لأصبحت أفضل بكثير من الألفاظ الأجنبية، وبعض الأطباء يفضل استخدام الألفاظ الأجنبية، يقول: لماذا نقول: «كعبرة»، كلمة «radius» أفضل منها، لماذا نقول: «زند»، كلمة «uina» أفضل منها، لماذا نقول: ك «دهليز»، كلمة «vvestibule» أفضل، ويتوقف البعض عند أسماء الأمراض، ويفضل الألفاظ الأجنبية، على سبيل المثال:

- مرض التضخم الطرفي - acromegaly
- مرض خزب الجلد- scleroderma
- احتشاء عضلة القلب myocardial intarchion
- ارتشاح رئوي- pulmanaary
- ذات الرئة -pneumania
- ذات الجنب- pleurisy

ولا أدري ما الذي يمنع استخدام هذه الأسماء العربية؟ وما الذي يجعل الأسماء الأجنبية أفضل منها؟

صحيح أن الأطباء حاليًا لا يقولون: ذات الرئة، ويستخدمون مصطلح التهاب رئوي، ولا يقولون: ذات الجنب ويقولون: التهاب الغشاء البلوري:، وهنا لا توجد مشكلة من استخدام هذا اللفظ أو ذاك مادام لفظًا عربيًا فصيحًا.



وقد تكون المشكلة في التعريب، حيث يتم ترك كلمة سهلة، واستخدام كلمة صعبة نادرة الاستخدام، ومثال على ذلك كلمة «أنسي» تستخدم كترجمة لكلمة «medial» وأفضل منها كلمة «وسطي» كما هو موجود في بعض القواميس وكلمة «وحشي» وتستخدم كترجمة لكلمة «lateral» وأفضل منها كملة «جانبي»، فالذي يتصدى لعملية التعريب يجب عليه استخدام الكلمات السهلة، غير المستهجنة، حتى لا يصد الناس عن استخدام الألفاظ العربية.

ولاشك في أن استخدام اللغة العربية في دراسة الطب يجعل للكلمات معنى عميقا لا يتأتى مع استخدام اللغات الأجنبية، مما يجعل تقدمنا العلمي مرهونا باستخدام اللغة العربية، التي نفكر بها، ونتعامل بها، وقد رأينا الدول المتقدمة تستخدم لغاتها في دراسة الطب والعلم، مع العلم بأن بعض هذه اللغات لا ينطق بها إلا بضعة ملايين، أما لغتنا العربية فينطق بها مئات الملايين من العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم، وهي لغة القرآن الكريم الذي يجمع الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف: ٢).

إن المخاوف التي تراود البعض من تعريب الطب والعلم ما هي إلا أوهام لا أساس لها، ومما يبدد هذه المخاوف أن يكتب الأطباء والعلماء الموضوعات الطبية والعلمية باللغة العربية، وان يتحدثوا في المؤتمرات والندوات العلمية باللغة العربية، وبالتدريج ستصبح اللغة العربية هي لغة الطب والعلم، وعندها ستبدأ النهضة الطبية والعلمية الحقيقية.

المراجع

- القرآن الكريم.
- البعلبكي، المورد الحديث، دار العلم للملايين ٢٠٠٨.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة [illegible] والتعليم، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق عبدالله المنشاوي، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

مصابيح الجامع

- شرحُ الجامع الصحيح للإمام البخاريّ المشتملُ على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه و إعرابه -

التحرير

إن خدمة السنة النبوية وحماية حماها من أعظم الأعمال وأشرف العلوم، لذلك فقد تنافس العلماء في نيل ذلك الشرف الأسمى، وتلك المكانة العليا، فكان الإمام البخاري، رحمه الله، ممن حاز قصب السبق في هذا المجال، فجمع قسمًا من السنة في كتابه الجامع الصحيح فنال كتابه القبول عند الأمة، حيث إنه وُسم بأصحّ كتاب بعد كتاب الله عز وجل؛ لأجل ذلك تسابق علماء الإسلام إلى تداوله والعناية به حفظًا ودراسة وشرحًا واختصارًا، فكثرت التصانيف حوله، وكان من بين تلك التصانيف هذا الكتاب الذي وصفه مؤلفه بأنه: «نكت ساطعة الأنوار، عالية المقدار، ماحية ظلم المشكلات البهيمة، هادية إلى أوضح الطرق المستقيمة، مصابيح تحسدها الثريا، وتبدو لمجتلي معانيها محاسنها مشرقة المحيا، تحتوي على غريب يؤنس بتفسيره، وإعراب تفتقر أعجاز الكلمات إلى صدوره، وفائدة بيانية يشهد الذوق السليم بحلاوة مجانيها، ودليل يحتمله متن الحديث، وفرع غريب قلّ من ذكره من قديم وحديث، وتنبيه طالما كانت العيون عنه وسنة، ونكت هي في وجه هذا التأليف حسنة، إلى غير ذلك من مباحث حلوة الجنى، وفوائد يصبح مالكها في غنى عن العنى».

لقد ألف الدماميني، رحمه الله، هذا الكتاب للسلطان أحمد شاه بن محمد شاه بن مظفر شاه، أحد ملوك الهند، كما أنه قد كتبه وهو على جناح السفر.

التعريف بالكتاب

الفن: شرح الحديث.

سنة النشر: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

رقم الطبعة: الأولى.

عدد المجلدات: ١٠ مجلدات.

إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

التعريف بالمصنِّف

هو القاضي العلامة محمد بن أبي بكر الدماميني المالكي، وُلد سنة ٧٦٣هـ، ونشأ في الإسكندرية وبها تعلّم وتفقّه وبرز بين أقرانه، ثم قدم على القاهرة وتصدر للإقراء بالأزهر الشريف، ورحل إلى اليمن ونال بها شهرة علمية ورياسة تعليمية، ومنها ارتحل إلى الهند فعظمه طلبة العلم وأهل الخير أيما تعظيم وبقي فيها إلى وفاته سنة ٨٢٧هـ.

من مؤلفاته

-تحفة الغريب، في النحو، وهو حاشية على «مغني اللبيب» لابن هشام.

-نزول الغيث، وهو انتقادٌ لكتاب «الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم» للصلاح الصفدي.

-إظهار التعليل المغلق لوجوب حذف عامل المفعول المطلق.

-تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد.

-جواهر البحور، وهي قصيدة في العَروض.

-مصابيح الجامع، وهو كتابنا هذا الذي نعرِّف به.

-منهج الدماميني في كتابه مصابيح الجامع

-شرح غريب الألفاظ والمعاني.

-إيراد الفوائد البيانية.

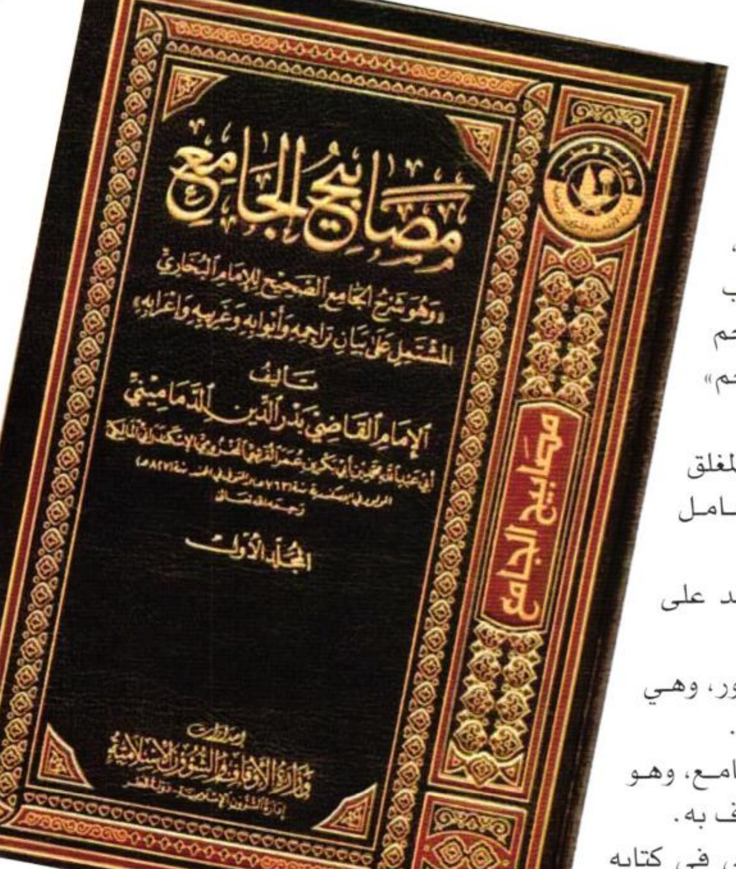
-سياق الأدلة القرآنية والنبوية.

-مناقشة الفروع الفقهية والحديثية الغريبة.

-إيراد النكت العلمية البديعة.

-مراعاة الاختصار قدر الإمكان.

-انتقاد كثير من الأئمة في مسائل علمية، أكثرها في النحو والعربية، من أبرزهم الإمام الزركشي.



من موارد المصنف في كتابه

-اعتمد، رحمه الله، على جملة مصادر منها:

-التنقيح لشرح الجامع الصحيح للزركشي.

-شرح ابن المنير على البخاري.

-مغني اللبيب لابن هشام.

-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

-الإبهاج للسبكي.

-الإحكام لابن دقيق العيد.

-أساس البلاغة للزمخشري.

-الأمالي النحوية لابن الحاجب.

-عيون الأثر لابن سيد الناس.

-الكتاب لسيبويه.

-الفائق في غريب الحديث للزمخشري.

-الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب.

-التسهيل لابن مالك.

-تغليق التعليق لابن حجر.

أهمية الكتاب

- يعد كتاب المصابيح من أهم مصادر شروح صحيح البخاري.. في الغريب وتحقيق الرواية وحل مشكلات الإعراب وتوضيح مبهمات الإسناد، وغيرها.

- كثرة التعقبات والاستدراكات والمناقشات المتناثرة في الكتاب، مما يجعله مفيدًا للناظر المحقق.

آداب العيد

محمد مصطفى ناصيف

ارتبطت الأعياد في الإسلام بمواقف مشهودة وعبادات جليلة وأمجاد يتحقق فيها البعد الروحي العميق، ويكون لها من العموم والشمول ما يجعل الناس جميعا يشاركون في تحقيقها ويستشعرون آثارها المباركة.. حيث سمي العيد لعوده بالخير والغبطة والسرور على أهله بعد قيامهم بواجب دوري يتكرر أو احتفالا بذكرى غالية، وللمسلمين عيدان سنويان هما: عيد الفطر ويرتبط بشهر رمضان المبارك، وعيد الأضحى ويرتبط بمناسك الحج، وهناك عيد أسبوعي يلتقي فيه المسلمون على صلاة جامعة وتوجيه راشد هو يوم الجمعة.

والعيد هو يوم الشكر لله على ما أنعم وتفضل وهو يوم مكافأة إلهية كريمة.. أباح فيه الإسلام إظهار الفرح والأخذ من الطيبات والراحة والاستجمام وشيئا من اللهو المباح لإعادة شحن قوى النفس، ومحطة لمواصلة الطريق على الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله ورسوله ﷺ موصولا بمعاني الآخرة وغير مقتصر على مظاهر التسلية المؤقتة.

وللعيد آداب إسلامية، على المسلم عدم تجاوزها، وأعراف عليه ألا يتعداها فيطلق لنفسه العنان لتستبيح ما حرم الله، وإفساد أيام قضاها في الطاعة والعبادة.. نذكر منها:

■ إحياء ليلة العيد بأنواع العبادات والقربات وأن يجعل منها آخر أيام اعتكافه.. كما كان يفعل رسول البشرية ﷺ، فعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة، ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر» رواه ابن عساكر.

■ إخراج زكاة الفطر قبل الصلاة والتبكير في إخراجها، وجوازه في رمضان، والاغتسال وتطييب البدن ولبس أجمل الثياب والإكثار من التكبير من ليلة العيد (للفطر) وحتى الدخول في صلاتها، بينما التكبير لعيد الأضحى يستمر عقب صلاة جميع الفرائض من صباح يوم عرفة إلى غروب شمس اليوم الثالث من أيام التشريق.

■ إظهار البشاشة والفرح والسرور والإكثار من ألوان البر والصدقات.

■ التبكير في التوجه إلى صلاة العيدين وتناول شيء من الطعام قبل صلاة الفطر، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا (رواه البخاري) ولا يأكل يوم الأضحى ولا ينحر أضحيته حتى يرجع من الصلاة.

■ السلام على الأهل والإخوة والأصدقاء والجيران والمعارف وجميع المسلمين بعد الصلاة قائلا: تقبل الله منا ومنكم.

■ زيادة الطاعات والإكثار من أعمال الخير والبر وتجنب المعاصي والذنوب والملاهي المحرمة.

فليس العيد لمن لبس الجديد.. إنما العيد لمن طاعته تزيد.

وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة.. إنما العيد لمن أمن عذاب الآخرة.

ومن عصى الله يوم العيد.. كمن عصاه يوم الوعيد.

وكل يوم نعود فيه إلى رحاب الله نصلح من شأننا.. هو يوم عيد.

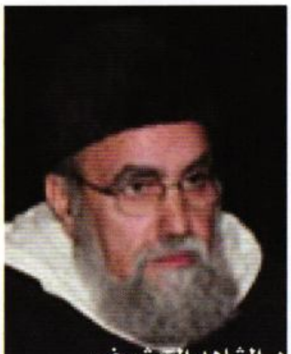
ومن السنة إظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد، ويدعو الإسلام إلى التواصل والتراحم، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة.. فعن جبير بن نقير قال: « كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك».

◆ عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

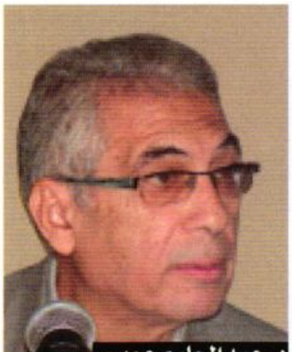
حواشي منهجية على مشروع «مصطلحات علوم القرآن»

د. محمد إقبال عروي

طبيعة الإنجاز في مشروع «مصطلحات علوم القرآن» داعية إلى الشعور بالغبطة والسرور، ذلك أنه تجاوز الجهود الفردية التي مهما أجاد أصحابها وأفادوا، تبقى قاصرة عن استيعاب حجم المطلوب، منهجيا وعلميا وحضاريا، واختار أن يرتاد آفاق العمل المؤسسي القائم على تكامل الجهود الفردية والجماعية وفق خطة بحثية وإشراف تحريري وعلمي مشترك.



د. الشاهد البوشيخي



د. عبدالحليم عويس

الحقيقة أن مشروع «مصطلحات علوم القرآن» الذي أنجزه فريق العمل بإشراف الدكتور عبدالحليم عويس ينتمي إلى مشروع أضخم وهو «موسوعة مصطلحات الحضارة الإسلامية».

ويكفي المشروع فخرًا أنه مشروع علمي متكامل، يستوعب أهم مجالات الفكر الإسلامي وأرحبها.

فكرة المشروع.. والقائمون عليه

تتلخص فكرة هذا المشروع في «إعداد مصدر علمي ميسر واسع الانتشار، يستمد مادته من التراث الحضاري الإسلامي وحده، محددا مصطلحاته المتداولة فيه تحديدا علميا دقيقا حسب استعماله في مصادر التراث»(١).

وقد جاء الإنجاز الأول من المشروع خاصا بمصطلحات علوم القرآن، على أن تعقبه مجاميع أخرى تخص مصطلحات علوم الحديث والفقه والأصول وغيرها من العلوم التي نمت وازدهرت في ظل الحضارة الإسلامية.

والقائمون على هذا المشروع نخبة من أهل الفكر والاجتهاد، وفي مقدمتهم د.عبدالحليم عويس، ود.محمد سليم العوا، ود.محمد عمارة، والدكتور محمد زقزوق، والدكتور علي جمعة، ود.علي عبدالحميد محمود، ود.توفيق الواعي، ود.حسن الشافعي، ود.جمال الدين عطية، ود.عبده زايد، ود.محمد هيثم الخياط، إضافة إلى هيئة التحرير التي تضم ١٣ باحثا.

ملحوظات منهجية حول الموسوعة

ونحن حين نسعى إلى تقديم بعض الحواشي المنهجية على الجزء المنجز من المشروع، لا ننكر الجوانب الإيجابية الكثيرة التي حققها، ولا نغفل النتائج الطيبة التي توصل إليها، لكن جرى العرف العلمي والأكاديمي على أن تقديم الملحوظات يعد عملا داخلا في باب الحرص على تجويد الأداء، خاصة أن المشروع في مراحله الأولى.

مصطلحات علوم القرآن أم مفردات القرآن الكريم؟

يفاجأ الدارس لأجزاء الموسوعة الثلاثة حين يلاحظ أن هناك مزجا بين مصطلحات علوم القرآن والمفردات القرآنية، وتتقوى مفاجأته حين لا يجد أي تفسير منهجي لهذا المزج في مقدمة الكتاب، مما يعطي للسؤال مشروعيته: فهل نحن إزاء مصطلحات علوم القرآن، أم أن الأمر متصل بمفردات ألفاظ القرآن؟

فإذا كان الأمر مقتصرا على مصطلحات علوم القرآن، فإن هذه المصطلحات معروفة لدى المتعاملين مع كتب علوم القرآن والتفسير والمختصين فيه، بل إنها معهودة عند طلبة تلك العلوم، ولا يقع ضمن مجالها كلمات من مثل: الأفواج، والأفول، والانزلاق والأنساب، والقصف، والمثول، والنفع، والخصم، والظفر، والعقر، والبرد، وغيرها من المفردات التي ملأت مساحات واسعة من الموسوعة.

أما إذا كان الأمر عاما في مفردات ألفاظ القرآن، فلا معنى لأن تأتي صفحات الموسوعة خالية من ذكر العديد من المفردات القرآنية، من مثل: الحسنة والباطل والهوان والتزكية والبديع والفصل وغيرها، إذ كل مفردات القرآن تصير، وفق الرؤية السابقة، قابلة لأن تدرج ضمن الموسوعة.

حقيقة أن بعض مصطلحات علوم القرآن ترتد إلى مفردات القرآن الكريم، من مثل: الآية والسورة والنسخ والنزول والقرآن والوحي والفاصلة القرآنية، لكنها صارت من ضمن مصطلحات علوم القرآن من خلال الاستعمال العلمي الخاص بها لدى علماء التفسير والمصنفين في علوم القرآن، ولم تكتسب اصطلاحيتها من خلال سياق ورودها القرآني.

وهذا يكشف عن خلل منهجي واضح

* مستشار بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

في بناء الموسوعة، إذ لا يصل الدارس إلى جواب واضح حول أي رؤية اعتمدتها الموسوعة، هل اعتمدت رؤية الاقتصار على مصطلحات علوم القرآن، بالمعنى الاصطلاحي للمصطلح، وبالمعنى المجالي لعلوم القرآن، أم أنها اعتمدت رؤية المفردات القرآنية الشاملة، أم اختارت رؤية المفردات القرآنية التي غدت مصطلحات لعلوم القرآن؟

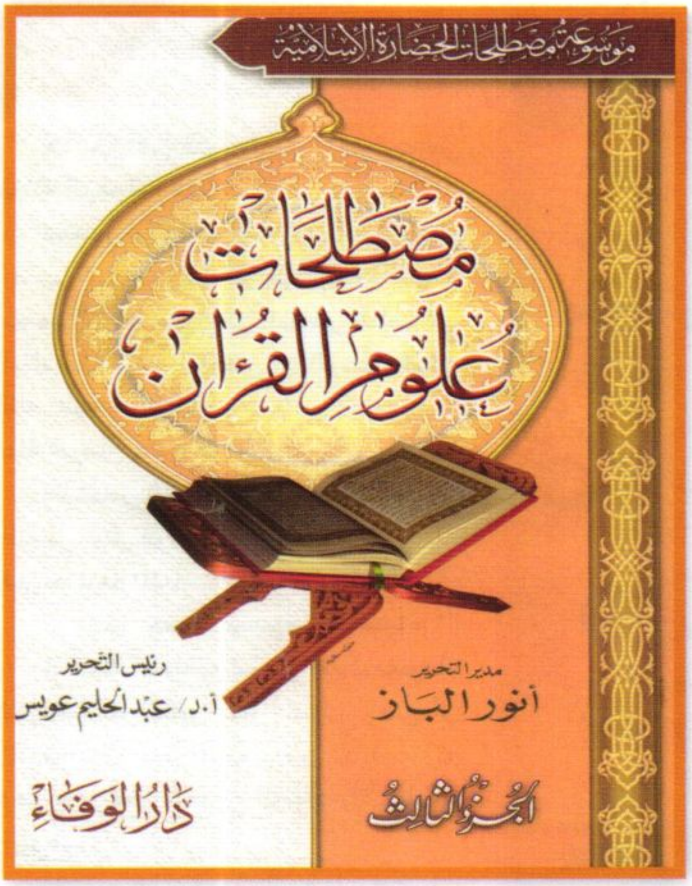
وفي جميع الأحوال، فإن الرؤية الثانية، أي جمع جميع المفردات القرآنية، لا تعلق لها بالدراسة المصطلحية، ولا كبير فائدة يرجى منها، لأنها شبيهة بالتفسير الذي تستوعبه مجلدات التفسير قديما وحديثا، مما يغني ويفي، وقد يجعل حقل الموسوعة شبيها بحاطب ليل.

بين مصطلحات علوم القرآن ومصطلحات البلاغة القرآنية اندماج أم استقلال؟

يصل الدارس للموسوعة إلى معطى جوهري، وهو أن المشرفين عليها آثروا أن يدمجوا مصطلحات البلاغة القرآنية ضمن مصطلحات علوم القرآن، ولم يكن صنيعهم هذا بدعا، إذ إن كتب التراث شاهدة على هذا الدمج من أمثال «البرهان في علوم القرآن» للزركشي و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي وغيرهما، لكن الاستدراك يرد من جهة أن التطور التاريخي لعلم البلاغة جعل هذا العلم يستقل، ويشكل له إطاره المعرفي والمنهجي والمصطلحي داخل البيئة الحضارية الإسلامية، مما يستدعي إفراد علم البلاغة بمجلد خاص، فهي لا تقل أهمية، في استقلاليتها وقوتها وعطائها الكمي والنوعي، عن حقول التفسير والفقه والأصول والمنطق وغيرها.

ومما يقوي درجة هذا الاستدراك وفعاليته المنهجية والمعرفية أن الموسوعة، وهي تدمج مصطلحات البلاغة القرآنية ضمن مصطلحات علوم القرآن، وقعت في الهنات الآتية:

أ- لم تستقص جميع مصطلحات البلاغة القرآنية، واكتفت ببعضها.



ب- لم توضح أبعاد الحقل البلاغي ومكوناته وأقسامه بين يدي تعريفها لمصطلح البلاغة، إذ لا يعثر القارئ على أي إشارة لتقسيماتها إلى «بيان» و«معاني» و«بديع»، ولم يحدد الموقف من تلك التقسيمات، هل هي تقسيمات أصيلة في التراث البلاغي، وهذا بعيد، أم أنها تقسيمات تاريخية جاءت وليدة التأثير المنطقي في البلاغة العربية، وثمرة من ثمرات الافتتان بالأجناس والأنواع والأقسام؟ ولعل هذا هو الراجح(٢).

ج- لم تلتفت إلى الفروق الدلالية في بعض المصطلحات، فتعاملت معها باعتبارها من المترادفات، بينما يقع بينها فروق في مقوماتها الدلالية، مما يستدعي إفراد كل واحد منها بدلالته الخاصة، وسأقتصر على مثال واحد، وهو: «التعليل» و«حسن التعليل»، فقد جعلتهما الموسوعة مصطلحين، وهذا هو الأصل، لكنها عرفتهما تعريفا واحدا، مما يجعلهما، في نهاية المحصلة، مصطلحا واحدا تنحصر دلالته في «ذكر الحكم مصحوبا بالعلة»(٣) أو «ذكر علة الحكم المراد وقوعه»(٤)، ولا فرق بينهما سوى أنه في حسن التعليل، من خلال مذهب الموسوعة، تذكر العلة أولا، ثم الحكم ثانيا، بينما في التعليل، يذكر الحكم أولا، ثم العلة ثانيا.

والتحقيق العلمي مفض إلى اعتبارهما مصطلحين متباينين في مقوماتهما الدلالية، وخاصة في مقومي «التحقيق» و«التخييل». ففي التعليل تكون العلة حقيقية واقعية، أما في حسن التعليل ، فتكون العلة متخيلة متوهمة من إبداع خيال الشاعر، ولا صلة لها بالواقع والحقيقة.

ومن أمثلة التعليل قوله تعالى على لسان قوم قارون:﴿لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا...﴾(سورة القصص/٨٢)، بمعنى أن نجاتهم من الخسف كانت بسبب منة الله عليهم ورحمته بهم.

وليس في القرآن حسن التعليل، لأن القرآن خطاب من الحق تعالى، لا يتصور فيه تخييل أو توهم.

ومن أمثلة حسن التعليل قول الشيخ يوسف النبهاني في قصيدته في مدح الرسول الكريمﷺ:

المشروع يستمد مادته من التراث الحضاري الإسلامي محدداً مصطلحاته تحديداً علمياً دقيقاً

هو حي في قبره ولهذا حُرِمت من
تراثه الزهراءُ (٥)

فمعلوم أن علة حرمان فاطمة الزهراء رضي الله عنها من ميراث والدها محمدﷺ أنه نبي، لكن الشاعر تلطف في إيراد علة متخيلة، وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مازال حيا في قبره، وهذا علة حرمان عقبه من الإرث..

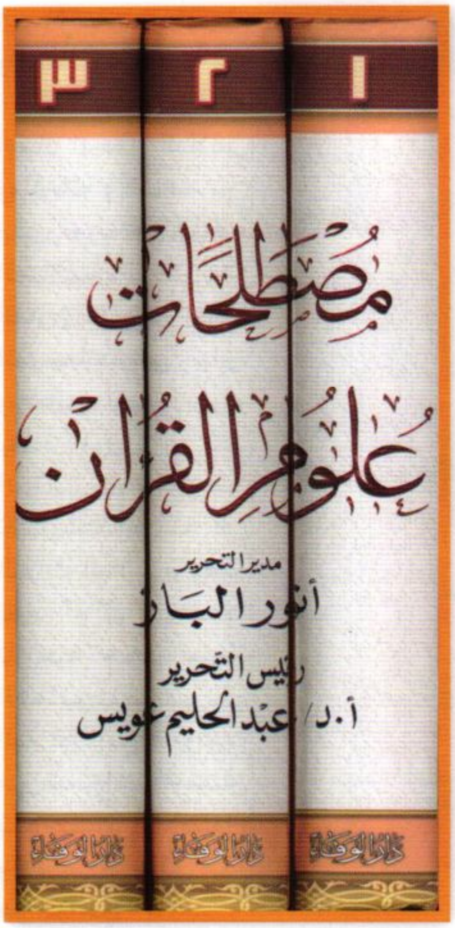
والشعر العربي زاخر بأمثلة حسن التعليل، مثل قول المتنبي:

لم تحك نائلَك السحابُ
وإنما حُمت فصبيبها الرُحَضاءُ(٦)

إذ العلة المنطقية لنزول الغيث معلومة، لكن الشاعر تخيل علة أخرى، وهي أن السحاب أصيب بالحمى من شدة غيرته وهو يرى فعل الممدوح الجواد بالأعطيات والهبات.

واعتمادا على ثنائية «التحقيق» و«التخييل»، رفض بعض الدارسين إلحاق حسن التحليل ببلاغة القرآن الكريم، لأن في ذلك مظنة وصفه بالتوهم، أو إلحاقه بخيالات الشعراء، يقول د.الشحات محمد أبوستيت: «وينبغي التنبيه إلى الاختلاف بين حسن التعليل والتعليل الحقيقي، فحسن التعليل لون بديعي يقوم على التخييل والادعاء، لا على الحقيقة، والعلل فيه علل خيالية غير مطابقة للواقع.. ومن هنا لا توجد شواهد له في القرآن الكريم، لأنه لون مرتبط بالخيال والبعد عن الواقع والحقيقة، والقرآن الكريم كتاب الحق الذي ينطق بالحق، ويتحدث بالحقيقة»(٧).

ولهذا، فالدارس يعترض على ما ذهب إليه د.أحمد مطلوب في معجمه حول مصطلحات البلاغة العربية وتطورها، فقد أفرد للتعليل بابا في صفحة(٢٩٠)، ثم ذكر «حسن التعليل» في صفحة (٤٦٣)، وقال عنه: «هو التعليل»، وهذا غير صحيح، إذ بينهما اختلاف جوهري ألا وهو «التحقيق» و«التخييل».



بين مصطلحات علوم القرآن ومصطلحات علم النحو.. استقلال أم اندماج؟

والأمر نفسه جار مع مصطلحات علم النحو، فقد اختارت الموسوعة أن تدمجها مع مصطلحات علوم القرآن، من مثل: الإبدال والإقلاب والترادف والحرف المشدد وغيرها، مع العلم أن التطور التاريخي انتهى بعلم النحو إلى أن يصير علما مستقلا في مجاله وآلياته ومصطلحاته، فلمَ لا يفرد له جزء أو أجزاء خاصة؟

مع الإشارة إلى أن الموسوعة أخلت، مرة ثانية، بشرط الاستقصاء والتتبع، فكونها أدخلت مصطلحات علم النحو ضمن مصطلحات علوم القرآن، فإن ذلك يتطلب منها، من باب اللزوم والاقتضاء، أن تذكر جميع مصطلحات علم النحو، وهذا لم يحصل، فدخل الموسوعة، بسببه، نقص ملحوظ، لن يجبر إلا باستدراك منهجي قوامه الفصل بين الحقلين، حقل مصطلحات علوم القرآن وحقل مصطلحات علم النحو، وتخصيص أجزاء للثاني استجابة لمنطق الاستقلال الذي انتهت إليه تلك العلوم في الحضارة الإسلامية.

وهذا لا يعني إغفال التداخل والتوارد والتشابه المصطلحي والدلالي في عديد من مصطلحات علوم القرآن وعلم النحو وغيرها من المصطلحات، لكن المنهج يقتضي إيراد المصطلحات بالدلالة العلمية لها، فقد يكون المصطلح يستعمل في أكثر من حقل معرفي، لكن بدلالات مختلفة، والتوصيف قاض بذكرها مع سياقاتها المتباينة، استكمالا لمنهج الاستقراء والاستقصاء والجمع الموسوعي.

يظهر هذا جليا مع مصطلحات كثيرة، نقتصر على واحد منها وهو «الإسناد»، فظاهر أنه يستعمل في علم النحو بدلالة معينة، لكنه يستعمل في علم القراءات القرآنية بدلالة مغايرة تتصل بالسند الذي يعد أبرز أركان تلقي القراءات، لكن الموسوعة ذكرته بالدلالة القرائية، ولم توره بالدلالة النحوية، مع أنها عرفت ببعض المصطلحات النحوية.

بين مصطلحات علوم القرآن ومصطلحات الفكر الإسلامي.. استقلال أم اندماج؟

وتنصرف الملاحظة نفسها على مصطلحات الفكر الإسلامي، فمعلوم أن مآلات هذا الحقل جعلته يستقل عن بقية العلوم الإسلامية، ويكوّن له منهجا خاصا في الاصطلاح والاستدلال والبرهان، بل كان له رواده ومدارسه واتجاهاته، مما يجعل الأصل أن يفرد، هو الآخر، بأجزاء خاصة به.

لكن الموسوعة أغفلت هذا، وركنت إلى الدمج، فأوردت مصطلحات تنتمي إلى إلى الفكر الإسلامي ضمن مصطلحات علوم القرآن، من مثل: الأخذ بالأسباب، والأخلاق، والاستخلاف، والانهيار الحضاري، والتدافع، ودار الحرب، ودار

الإسلام، والفكر الحضاري وغيرها، لكنه دمج فقد قوته المنهجية والمعرفية من خلال ضمور البناء المنهجي والمعرفي لتلك المصطلحات، ومن خلال هيمنة الاقتصار على إيراد الدلالة اللغوية لها إلا نادرا.

خلو الموسوعة من مصطلحات تنتمي إلى علوم القرآن

عنوان الأجزاء المنجزة من موسوعة «مصطلحات الحضارة الإسلامية» دال على مضمونها، فهو «مصطلحات علوم القرآن»، مما يدل على أن المعيار المحتكم إليه في إدراج أي مصطلح هو علاقته بعلوم القرآن، ومن عجب أن الموسوعة أدخلت مفردات لا صلة لها بعلوم القرآن، وأهملت مصطلحات تعد من لحمة علوم القرآن وسداها، وذلك من مثل: الترجيح، وقواعد التفسير، والتناسب، والسياق، والفاصلة القرآنية، ومناهج التفسير، واتجاهات التفسير، ومدارس التفسير، والمشكل، والاستخدام وغيرها...

ولم يقتصر الوضع على هذا الإهمال المصطلحي، بل رافقه إهمال دلالي ملحوظ، وذلك حين إيراد الموسوعة لمصطلحات واردة في علوم القرآن، لكنها قدمت لها دلالات عدة، وأهملت الدلالة الاصطلاحية في مجال علوم القرآن، وقد ظهر هذا في نماذج عديدة، نقتصر على واحد منها، وهو مصطلح «التنكيس»، فقد وردت مادة «نكس» في الجزء الثالث من الموسوعة، (ص:٤٧٠)، وقدمت لها دلالاتها اللغوية، لكن لم يلتفت إلى دلالتها الاصطلاحية في علم القراءات القرآنية، وفيها بقية من الدلالة اللغوية، وهي: قراءة الكلمة أو الآية أو السورة من آخرها إلى مقدمتها، وهو فعل منهي عنه في الكلمة والآية والسورة، وجائز، على الأعم في القرآن الكريم، بمعنى قراءة سورة آل عمران ثم العودة إلى سورة البقرة.

غياب المراجع المصطلحية في الموسوعة

جرى العرف الأكاديمي والمنهجي والمعرفي أن المراجع المعتمدة في أي مشروع إنما هي مسانيد وركائز ومنارات في طريق البحث، والملاحظ أن موسوعة «مصطلحات علوم القرآن» اعتمدت على مصادر ومراجع متعددة ومتنوعة في حقولها المعرفية، لكنها أغفلت الاعتماد على مصادر ومراجع تدخل في صلب الجهود المصطلحية على المستوى النظري والمنهجي والتطبيقي، فلا يعثر القارئ على مراجع في «علم المصطلح» و«المصطلحية» و«الدراسات المصطلحية»، مما صار علما له مدارسه واتجاهاته وأعلامه ومعاهده، وهي مراجع من مشرق العالم العربي ومغربه، منها ما أنتجه د.علي القاسمي ود.عبدالسلام المسدي ود.إدريس نقوري ود.فهمي حجازي ود.سعيد شبار ود.فريد الأنصاري، رحمه الله، ود.الشاهد البوشيخي الذي يرأس معهدا خاصا بالدراسات المصطلحية، وينجز ويشرف على عديد من الأطاريح في مختلف مصطلحات القرآن الكريم والحضارة الإسلامية.

القائمون على المشروع ثلة من أهل الفكر والاجتهاد يسعون إلى إنتاج «موسوعة مصطلحات الحضارة الإسلامية»

إن غياب الاستعانة بهذه المراجع ألحق بالبناء المنهجي لموسوعة «مصطلحات علوم القرآن» بعض الهنات، منها:

- غياب المرجعية المصطلحية المتكاملة.

- فقر المقدمة المنهجية في خطة إيراد المصطلحات، إذ يفتقد القارئ للموسوعة إلى «البوصلة» المنهجية التي تعرفه بآليات إيراد المصطلح وطبيعة التعامل معه من قبل المحررين للمادة العلمية بالموسوعة، والتي تجيبه على كل ما يعن له من استفهامات وإشكالات.

- غياب هوية تاريخية للمصطلح، فلا حديث عن النشأة والتطور والمآل، ويتم القفز من المعنى اللغوي إلى المعاني الدلالية بدون تلمس للمراحل التي قضتها المفردة إلى أن استوت مصطلحا دالا على مفهومه دلالة دقيقة مستوعبة.

- غياب الهوية الإبداعية للمصطلح، إذ لم يتم الالتفات إلى من أبدع المصطلح، ومن قذف به في حلبة التداول المصطلحي، وقد تكون هذه أزمة عامة في مصطلحات الحضارة الإسلامية، لكن البحث العلمي يستدعي بذل الجهود، والسعي، قدر المستطاع، إلى الوقوف على النسب الشرعي للمصطلح، من أبدعه؟ ومن استعمله لأول مرة؟ وهكذا...

هذه جملة من الحواشي نقدمها بين يدي القراءة المنهجية لمشروع «مصطلحات علوم القرآن»، وهو مشروع طموح في منطلقاته وأهدافه ورسالته، ندعو الله للمشرفين عليه أن يمنحهم القوة، ويمدهم بالعون من أجل تجاوز مختلف العوائق والصعوبات.. إنه سميع مجيب.

الهوامش

١- «مصطلحات علوم القرآن»، رئيس التحرير والمشرف على الموسوعة د.عبدالحليم عويس، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط:١، ٢٠٠٦، ج: ١، ص: ٥.

٢ - تراجع الدراسة النقدية التي أنجزها الكاتب في هذه الإشكالية بعنوان: «بديع القرآن: دراسة تاريخية نقدية»، وقد صدرت في مجلدين ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ط:١، ٢٠٠٩.

٣ -انظر «مصطلحات علوم القرآن»، ج:١، ص: ٤٧٩.

٤ - المرجع نفسه، ج:٢، ص: ٤٨.

٥ - «المنتقى من الطيبة الغرا» للشيخ يوسف النبهاني، انتقاء: محمد وائل الحنبلي، دار نور الصباح، دمشق، ص: ٢٨.

٦ - «ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري»، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، دار الفكر، ج:١، ص: ٣٠.

٧ - د.الشحات محمد أبوستيت: «دراسات منهجية في علم البديع»، ط:١،١٩٩٤، ص: ١٥٩.

توجيه الأولاد

النصيحة والتوجيه من الكلمات الجامعة التي تلازم الدين ويلازمها، ولا تنفك عنه ولا ينفك عنها، فالنصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمي ذلك كله دينًا، وإذا كانت النصيحة واجبة على كل مسلم ومسلمة تجاه الآخرين، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ في حديث رواه تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: «إن الدين النصيحة، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم)، أقول: إذا كانت النصيحة تجاه الآخرين واجبة فإنها أوجب تجاه الأبناء الذين هم أمانة في أعناق والديهم وهم مسؤولون عنهم يوم القيامة، وعلى الوالدين ألا يبخلوا بالنصيحة والتوجيه والحوار البناء إذا ما أخطأ أبناؤهم لإصلاح اعوجاجهم وتجنيبهم مواطن الذلل والزيغ، وبذلك يشب الأولاد على الحياة التي أرادها الله، وليعلم الوالدن أن التقصير في هذا الجانب بحجة الانشغال بالعمل وعدم توافر الوقت سيكلفهما غاليًا وسيصيبهما بالندم في وقت لا ينفع فيه الندم والتأسف على ما فات.

التحرير

المال والشهرة.. هل يكفيان الأسرة؟!

نعيم السلاموني

المال في عصرنا نعمة ونقمة، فبعض من يملك المال يتصور أنه قد ملك الدنيا ومن عليها، وقد ملك قارون في زمانه أموال الدنيا كلها ولكنه بغى وتكبر فحلت عليه اللعنة وجاءت حكمة الله سبحانه وتعالى ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ (القصص ٨١)، والمال إذا تملك الإنسان أهلكه وأرسله إلى أسفل سافلين، والأسرة المسلمة أصبحت تعيش في عالم متغير سادت فيه مشاعر المادية والأنانية.. كما أن الرفاهية المفرطة أصبحت دافعًا لبعض الجرائم البشعة والانتحار، ويؤكد ذلك أن أعلى نسبة انتحار في العالم توجد في السويد التي تعد الدولة الأولى في العالم من حيث الرفاهية ومستوى الدخل.

إن الترف فيه مفسدة كبرى للإنسان لأنه يبعده عن مكارم الأخلاق ويجعله عبدًا لحياة المتعة والرفاهية، وفي هذا يقول الرسول ﷺ «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة»، إن الترف مفسدة للجماعة إذا سادت قيم البذخ والإسراف والتبذير على الحياة الاجتماعية في المجتمع المسلم ولهذا قرنه القرآن الكريم بالظلم والإجرام ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ (هود: ١١٦) والترف في نظر الإسلام من أخطر أسباب الانحلال الاجتماعي والتدمير المعنوي، يقول المولى عز وجل ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا﴾(الإسراء: ١٦).

وبالرغم من أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب المال الحقيقي ومالكه الوحيد فقد حذر الله عباده من مسؤولية المال بقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم﴾ (المنافقون: ٩) وقوله تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (التغابن: ١٥) وقوله تعالى: ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ (الهمزة:٣) وقوله تعالى ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ (التكاثر: ٨)، إن الغنى وغياب الدين يحولان الإنسان الى وحش يعيش في غابة يسعى الى الاستمتاع بحياته ولو على دماء وجثث الآخرين ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾ (العلق: ٦-٧)، ﴿وتأكلون التراث أكلا لما. وتحبون المال حبا جما﴾ (الفجر: ١٩-٢٠).

والإنسان إذا ابتعد عن الدين سيطرت على نفسه الإمارة بالسوء، لهذا فهو لا يخشى الله وينتهك الحرمات ويرتكب الموبقات لأن طغيان وسطوة المال ونشوة الشهرة يجعلانه قادراً على فعل كل شيء دون رقيب أو حساب ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس: ٧- ٨) ويفتقد كثير من الأزواج إلى معنى السعادة الزوجية في بيوتهم حيث يفشلون في تحقيق الراحة والسعادة.. الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم المشاكل الزوجية.

أسس بناء الزواج السعيد

١- السكن والمودة والتراحم وقد أبرز القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم: ٢١) والسكن تعني سكن القلوب، والمودة تعني الاستقرار النفسي وحسن المعاملة، والرضا والرحمة هي نبع الأخلاق العظيمة، إنها حكمة الله الخافية عن العقول في الزواج وهو أن يبنى على الأسس القابلة للدوام والاستمرار وليس على الأسس الواهنة المعرضة للانهيار.

إن من أسماء الله الحسنى الودود والرحيم وبذلك تكون المودة والرحمة من بعض صفاته سبحانه وتعالى لذلك لا حدود لمعاني الود والرحمة، فالمودة مطلوبة في السراء والرحمة في الضراء، والمودة هي اللين والبشاشة والمؤانسة والبساطة والتواضع والصفاء والألفة والتآلف، والرحمة هي التسامح والمغفرة وسعة

* استشاري أسري



الصدر والتفهم والتنازل والعطف والشفقة والحماية والصبر وكظم الغيظ والسيطرة على الغضب والابتعاد عن القسوة والعنف والعطاء بلا حدود والتحرر من الأنانية، وتظل السعادة مستمرة ما استمرت المودة والرحمة.. وما لحظات العنف إلا لحظة جفاف كامل للمودة والرحمة وانتزاعها من القلب.

٢- الصبر والتسامح من مقومات الحياة الزوجية الناجحة.. بها تدوم السعادة والألفة بين الزوجين.

٣- إن الحوار والتفاهم أساس مهم للسعادة الأسرية وان اختفاء الحوار الناجح في كثير من الأسر هو الذي أدى إلى ظهور المشكلات وتفاقمها وان من فوائد الحوار بين الزوجين الارتباط فيما بينهما واشعار كل طرف بأنه قريب من الآخر.

٤- دعا الإسلام الى الاتزان في شؤون الحياة كافة بل ان هناك قيمة وقائية لممارسة بعض العبادات مثل الصلاة خمس مرات في اليوم والتي تعمل على تشكيل جهاز عصبي في صورة متزنة.

٥- يجب ألا يكون الإنسان سريع الغضب عملًا بوصية الرسول حين أتى إليه رجل ليوصيه فقال له رسول الله ﷺ «لا تغضب» وعندما استزاده كررها عليه ثلاث مرات وكأنه يقرأ الغيب حين يعلمنا أن كل الأخطاء في حق الآخرين وفي حق أنفسنا تبدأ بالغضب والانفعال، يقول ﷺ «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب».

٦- إن الإسلام حث على اختيار أي من الزوجين لقرينه حسب معايير موضوعية معينة وهي اختيار الصالح من الزوجة والزوج لقوله تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (النور: ٣٢).

٧- كثيرًا ما يتطلع المرء إلى المال والشهرة أو الجمال الفاتن، ولا ينظر الإنسان إلى كمال النفوس وحسن التربية فتكون ثمرة الزواج مرة وتنتهي بنتائج ضارة.

٨- من شروط الصحة النفسية للفرد النضج الانفعالى والتي حرص الإسلام على أن يتسم المؤمن بها وعلى أن يحيا معافًا جسميًا ونفسيًا وعقليًا، كما حرص القرآن الكريم على حماية المؤمن مما يؤثر على قواه العقلية فنهى عن تناول الخمور، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة: ٩٠).

٩- أفضل علاج من قبل الزوجة ألا تقابل الإساءة بالإساءة ولكن تسعى وتجتهد لتغير هذا الطبع في الزوج عن طريق حسن المعاملة، والإسلام رسم الحياة المثلى ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه ١٢٣-١٢٤).

١٠- الصفح والعفو هما بحق خير وسيلة لتضميد العلاقات الإنسانية المجروحة وإعادة الدفء للمشاعر المتبلدة، ولهذا فهما من الوصايا الإلهية مصداقًا لقوله تعالى، ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر: ٨٥)، ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ (النور: ٢٢)، ﴿خذ العفو﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقول المصطفى ﷺ ﴿الكلمة الطيبة صدقة﴾ و﴿خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي﴾

فإذا ساءت العلاقة بين الزوجين فعلى كل منهما العفو والتسامح، ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا﴾ (النساء: ١٩)، وإذا لم يجد سبيلًا للاصلاح فلا يبقى إلا الفراق بلا ظلم.

١١- الوسطية في التربية هي التي تخرج الإنسان السوي الصالح، أما التدليل فهو أكبر خطأ في التربية.

١٢- تصحيح مسار أجهزة الإعلام وخاصة المرئية منها، حيث تتزايد جرعة العنف التي تتضمنها الأعمال الدرامية، وهذا يغذي بداخل الشباب نوازع الشر ويجعلها أكثر ميلًا إلى العدوان وارتكاب جريمة القتل وتقديم برامج توعية تدعم قيم التسامح والتعاون والسلام الاجتماعي ليسود الأمن والأمان ربوع الأمة الإسلامية.

١٣- يقول خبراء الإجتماع لابد من وجود التوافق الزوجي والإحساس العاطفي الذي يولد عن طريق حسن الظن والثقة بين الطرفين.

١٤- يجب أن يأخذ الزوجان في اعتبارهما ألا زواج بغير خلاف، والمشكلة ليست في الخلافات ولكن المشكلة في كيفية أن يعتاد الزوجان تسوية الخلافات بالتسامح والعقل والمنطق.

المال والشهرة لا يكفيان

إن السعادة الحقة في النفس المطمئنة.. الضمير المستريح الذي يسعى دائما نحو الهدف النبيل الذي يخطط له الإنسان في حياته بطرق مشروعة، قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا﴾ (الكهف: ٤٦)، إن طريق السعادة يحمل من الفضائل ما يجعل الإنسان يسلكه لإسعاد أسرته، ومهما بلغ المال بالإنسان من الصيت والشهرة فلن يبلغ ما وصل قارون والذي قال الله تعالى فيه ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة...﴾ (القصص: ٧٦).

إن السعادة الكاملة في الرضا بما قسم الله للإنسان والشكر على نعمته ولنتذكر معًا قول الرسول ﷺ «من أصبح آمنًا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

إن السعادة لاتشترى بالمال والشهرة بل تنبع بنور الإيمان وتتدفق من قلب مؤمن عامر باليقين .

قواعد السعادة الحقيقية

مليكة محمد الحامدي

كثيرًا ما نتساءل، وبشكل يصل إلى حد الإلحاح المزعج أحيانًا، عن ماهية السعادة، وسبل الوصول إليها، ونتساءل عن المعايير العلمية أو حتى الافتراضية لقياسها. فهل تقتصر السعادة على أن نفعل ما نشاء وقتما نشاء دون قيود تفرض علينا، أي أن نكون أحرارًا بكل ما تحمل الحرية من معان، أم أنها شعور داخلي جميل حتى وإن لم يُترجم هذا الشعور إلى تصرفات وأفعالٍ؟

هل نصبح سعداء إذا ملأنا الدنيا أنغامًا وأشعارًا ورقصًا وطربًا؟

هل نصبح سعداء إذا ملكنا أموال قارون؟

هل تأتي السعادة بتجاهل القيم والمبادئ والأعراف؟

هل السعادة تأخذ أم تنزع انتزاعًا من بين أشواك الهموم والأحزان؟

هل السعادة فردية أم جماعية أم الاثنان معًا؟

ماذا يعني أن أكون سعيدًا؟، وما سُبل الممارسة للوصول إلى السعادة؟

آلاف الكتب والمجلات تحدثت عن السعادة بكل اللغات وكل التعابير، وكَتب كُل متخصص وكل متطوع عن السعادة، ومن أجل السعادة وسُبل السعادة، ومع ذلك لم يُحدد حسب علمي قانون ثابت إن صح التعبير من شأنه أن يريح النفس ويطمئن الفكر للوصول إلى السعادة الحقيقية بطرق صحيحة سليمة.

وإنني على المستوى الذاتي، وبعد تساؤلي المطول وأسئلتي الكثيرة، وبما جمعته في ذاكرتي من مقالات ومقولات كثيرة عن السعادة، ومن حصيلة تجاربي الذاتية وتجارب من هم حولي توصلت إلى أجوبة عن تلك التساؤلات تنم عن قناعة مطلقة بأن السعادة الحقيقية في هذه الدنيا لا تتم إلا بتحصيل أو بتوافر عدة قواعد تنظمها كلمة السعادة نفسها.

فلو جزأنا كلمة «سعادة» إلى حروف، وأخذنا منها كل حرف على حدة، فإننا نجد أن حرف السين: يرمز إلى السلام، وللسلام أبواب وشروط كثيرة منوطة بكل صاحب مسؤولية ولا مجال لذكرها هنا، لكن أولها وأهمها الاعتراف بحق الآخر واحترامه.

فإن عاش الإنسان بسلام مع نفسه وأهله ومجتمعه ووطنه دخل بداية عالم السعادة التي تترجم هنا إلى الشعور بالأمان والطمأنينة والراحة النفسية (الاستقرار)، وقد بشر الله عز وجل عباده المتقين بأن يُدخلهم الجنة بسلام آمنين، لأنه يعلم أنهم لن يتذوقوا جمالها وحلاوتها ونعمها إلا إذا دخلوها بأمان من دون خوف ولا وجل.

قال الله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون. ادخلوها بسلام آمنين﴾ (الحجر: ٤٥ -٤٦)، ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا ...﴾ (الأعراف: ٥٨)، ﴿وهذا صراط ربك مستقيمًا قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون. لهم دارُ السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ (الأنعام: ١٢٦-١٢٧).

العلم ضرورة حتمية لتغذية العقول وتنميتها واتساع مداركها فكلما ازداد المرء علمًا ارتقى أعلى المراتب

أما حرف العين: فيشير إلى العلم: والعلم ضرورة حتمية لتغذية العقول وتنميتها واتساع مداركها، فكلما ازداد المرء علمًا ارتقى أعلى مراتب الرقي والحضارة الإنسانية والمدنية، وكان أكثر مرونة وحكمة وقدرة على حل مشكلات الحياة الكثيرة وتجاوز صعابها بأبخس ثمن أو بدونه، علاوة على أن النجاح سيكُون حليفه دائمًا، وبالتالي ستحصل لديه السعادة التي يعرب عنها هنا بالاعتزاز والثقة بالنفس والصبر.

والعلم الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى يبتغي صاحبه الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا، والعلماء الحقيقيون هم الذين يعلمون باطن الحياة الدنيا وهو الآخرة.

قال العليم الحكيم: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يُحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧).

﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ (القصص: ٨٠)، ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩).

وحرف الألف: إيمان.. ويشمل أولًا الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ثم الإيمان بالنفس والأسرة والمجتمع والوطن والمبادئ.

فإن آمن الإنسان بكل ما سبق ذكره أدرك أن هذه الدنيا هي معبر لحياة أخرى أبدية، وعليه أن يسير عليه بكل

استشارية أسرية

صبر وحزم وقوة وثبات حتى يصل إلى بر الأمان ولا يسقط في سحيق الهاوية والخزي والعار، وحتى يسير بتلك الخطا الثابتة، عليه أن يدرك أن محيطه أو مجتمعه إنما هو خلية واحدة ينظم بعضها بعضًا حينها سيدرك حقا ما عليه من واجبات تجاهها وما له من حقوق عليها، فيتسع قلبه لهذا الكون حتى تصغر في عينيه هموم الدنيا ولو كانت بحجم الجبال، وهنا ينال السعادة التي تترجمها الفعالية والانتماء والترابط والعطاء، قال جل وعلا ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف: ٣٢).

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (إبراهيم:٢٧).

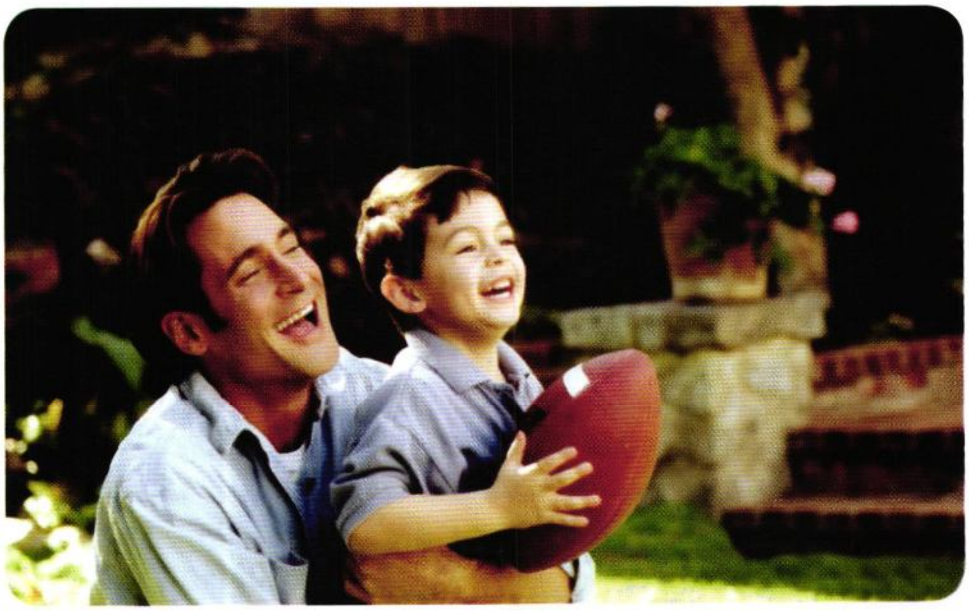
﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (العنكبوت: ٢-٣).

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾ (الجاثية:٣٠).

وأما حرف الدال فيدل على الدين.. الدين الإسلامي الحنيف الذي ينشر الحب والتسامح والعفة والأمانة، الدين الذي يحمي الفرد والمجتمع من كل ما يهدد كيانه، بالانهيار الأخلاقي والصحي والإنساني والاجتماعي، هذا الدين ينبذ الكسل ويحض على العمل الصالح.. يناصر المظلومين ويقمع الظالمين، فإن التزم المرء بدينه الإسلامي الصحيح القويم بلغ قمة هرم السعادة التي يكون مبعثها التراحم والتعاطف والتعاون والتضحية والإيثار.

قال العزيز الرحيم: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩).

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾



(آل عمران:٨٥)، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣)، ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين. وأمرتُ لأن أكون أول المسلمين﴾ (الزمر: ١٠-١٢).

- وأما حرف التاء، فيرسم لنا دائرة التواصل الذي هو الأساس الأهم في استمرارية العلاقات الاجتماعية البناءة، فإن قطع الإنسان حبال التواصل بينه وبين الاخرين، عاش وحيدًا منعزلًا عن العالم منطويًا على نفسه وأصابه التجمد الثقافي والحسي والإنساني، فهو حينئذ أبعد ما يكون عن السعادة التي لن تتفاعل بداخلنا إلا إذا تواجهنا بمشاعرنا وأفكارنا وثقافتنا نحو الآخر بالحوار والتفاهم الذي هو جواز السفر إلى قلوب وعقول الآخرين.

وحينها يكون التعارف وتبادل الآراء والعادات والتقاليد والقيم المالية ترجمان السعادة للإنسان ودافعها.

قال الله عز وجل: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣).

﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد:٢٢- ٢٣).

﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (الحجرات:١٠).

﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ (الرعد: ٢٠-٢٢).

نستخلص من كل ما سبق تعريف السعادة بأنها: سلوك خارجي مستقيم نابع من شعور داخلي جميل كونه الإحساس بالأمان والاعتزاز والانتماء والتعاون والحوار.

ولكل من يسعى لامتلاك السعادة أن يسعى إلى السلام والعلم والإيمان والدين والتواصل.

كيف نتعامل مع أسئلة الطفل الجنسية؟

محمد علي الخطيب

بعض الآباء يضيق ذرعًا بأسئلة أطفاله الكثيرة التي تنهمر كمطر وابل، ولا تترك للأب فرصة، ليلتقط أنفاسه: (ما هذا؟ من؟ ماذا؟ كيف؟ أين؟ ولماذا؟)! وعلامة الاستفهام المتحركة هذه تلاحق الآباء والكبار باستمرار، وتسبب لهم الحرج والارتباك والضجر، وهذا غير مستغرب من الطفل في هذه السن، فهو طلعة بطبعه وفضولي، ويحب المعرفة والاستكشاف، ولذلك فإن التضجر منه والتبرم به وإهمال أسئلته يضعف عنده هذه الخاصية.

إذا كان الأب والأم أو الكبير عامة يضيق صدرًا بأسئلة أطفاله العامة فمن باب أولى أسئلته الجنسية!

بعضهم قد تصيبه صدمة من السؤال لا يفيق منها إلا بعد برهة، ليستجمع قواه، ويلتقط أنفاسه، ويفتش عن حيلة أو مخرج من الورطة التي أوقعه بها طفله الذي لا يتجاوز الرابعة أو الخامسة من عمره بعد!

لا داعي للاستغراب والدهشة من سؤال الطفل، ولا تحاول التهرب من سؤاله أو أسئلته المحرجة أو أن تلقي مسؤولية الإجابة على عاتق شخص آخر من أفراد الأسرة أو خارجها إلا ما يتعلق بالبنت، فالأولى أن تقوم بهذه المهمة أمها إذا كانت تمتلك أدوات المعرفة الصحيحة والنضوج والحكمة أيضًا.

وسأعالج هذه القضية المهمة والخطيرة، على ضوء الكتاب والسنة، من خلال نقاط عدة هي:

عناية الإسلام بالتربية الجنسية

ربما يكون من الضروري التنويه والتنبيه على عناية الإسلام بالتربية الجنسية للكبار والصغار والذكور والإناث على حد سواء، رغم ما يكتنف الخوض في موضوعاتها من الخجل والحرج والحساسية، وهذا أمر فطري وخاصة عند الإناث لخصوصية هذه الموضوعات، لكن الشريعة الربانية كسرت هذا الحاجز النفسي، لتبليغ التكاليف الشرعية، وتعليم الناس ما يجب عليهم من أحكام الطهارة والحيض والنفاس، والغسل من الجنابة، والوضوء، وأبواب ستر العورة، والعلاقات الزوجية، وآداب الاستئذان واللباس والزينة والعبادات والعلاقات الأسرية

تولد الغريزة الجنسية مع الآدمي منذ ولادته شأن جميع الغرائز والدوافع الأخرى

والاجتماعية وغيرها كثير، هذا وفي الذكر الحكيم أسئلة عن المحيض والجماع، وإن الله لا يستحيي من الحق، فهذا أبوموسى الأشعري رضي الله عنه يأتي عائشة زوج النبي ﷺ، فيسألها: الرجل يُصيب أهله، ثم يكسل ولا ينزل؟ فقالت: إذا جاوز الختان الختانَ، فقد وجب الغسل!.

وهذه أم سليم رضي الله عنها دخلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، فسألته عن الاحتلام!.. قالت: يا رسول الله، أرأيت المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل؟، قالت أم سلمة: تبًا لك! فضحت النساء، قالت: إن الله لا يستحي من الحق، فقال رسول الله ﷺ: من رأى ذلك منكن فلتغتسل.

ولو شئت لأوردت من هذه الأسئلة الكثير، لكن هل وقع في السيرة المطهرة- وموضوعنا عن أسئلة الأطفال الجنسية- أسئلة من هذا القبيل على ألسنة الغلمان أو الطفل الذين لم يبلغوا؟ نعم، جاء في رواية «للموطأ» عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، قال: «سألت عائشة زوج النبي ﷺ وهو ابن أختها من الرضاعة، وكان صبيًا لم يبلغ الحلم: ما يوجب الغسل؟ فقالت: هل تدري ما مثلك يا أبا سلمة؟ مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ، فيصرخ معها، إذا جاوز الختانُ الختانَ، فقد وجب الغسل».

وقولها: مثل الفروج يعني أنه كان صبيًا قبل البلوغ، فسأل عن مسائل الجماع الذي لا يعرفه ولم يبلغ حده.

والحديث يفيد أنه لو صدر السؤال المحرج في مثل هذه الأمور عن الصغير، فإن إعطاءه المعلومات الصحيحة الدقيقة، بالقدر الذي يناسب مداركه ولا يضره، أمر مشروع، ونهج تربوي صحيح.

متى يبدأ الطفل طرح أسئلته الجنسية؟

يؤكد كثير ممن يسمون علماء النفس والتربية أن حياة الطفل الجنسية أو شعوره باللذة الجنسية تبدأ منذ الولادة، وأن رضاع الطفل من أمه تصاحبه أو تدفعه إليه لذة جنسية كذا لمسة الأم وقبلة الأب... هكذا!

ولا ريب أن هذا محض خيال ومغالطة علمية وفكرية ونفسية، فقد يشعر الطفل بلذة لكنها ليست حتمًا لذة جنسية، لأنه ليس لها دور في هذه المرحلة من العمر، ولأنها تتنافى مع الفطرة والبراءة، وتصادم العلاقات العاطفية الإنسانية التي تقوم بين الآباء وأطفالهم، ثم ما الذي يؤكد أنها كذلك؟ وما مستندها العلمي؟ إن هي إلا تصورات هابطة وهلوسات مريضة، وينقضي العجب إذا علمت أن بطلها ومنشئها هو عالم النفس السويسري اليهودي «سيجموند فرويد» صاحب التفسير الجنسي للسلوك البشري المؤسس على فكرة حيوانية الإنسان.

نعم، تولد الغريزة الجنسية (الطاقة الجنسية)، مع الآدمي منذ ولادته شأن جميع الغرائز والدوافع الأخرى، وهذا ما تؤكده أبحاث علم النفس التربوي وتجاربه، لكنها تبقى كامنة، ثم تبدأ بالظهور بالتدريج وحسب السنن الإلهي، لتؤدي في نهاية الأمر وظيفتها الطبيعية ودورها الفطري في الحياة.

طبعًا لا يمكن أن ننظر إلى أطفالنا على أنهم صغار ولا يمتلكون مشاعر جنسية أو على الأقل ألا ننظر إليهم كنظرة آبائنا الأولين، فالمتغيرات الكثيرة المتسارعة يجب أن تؤخذ

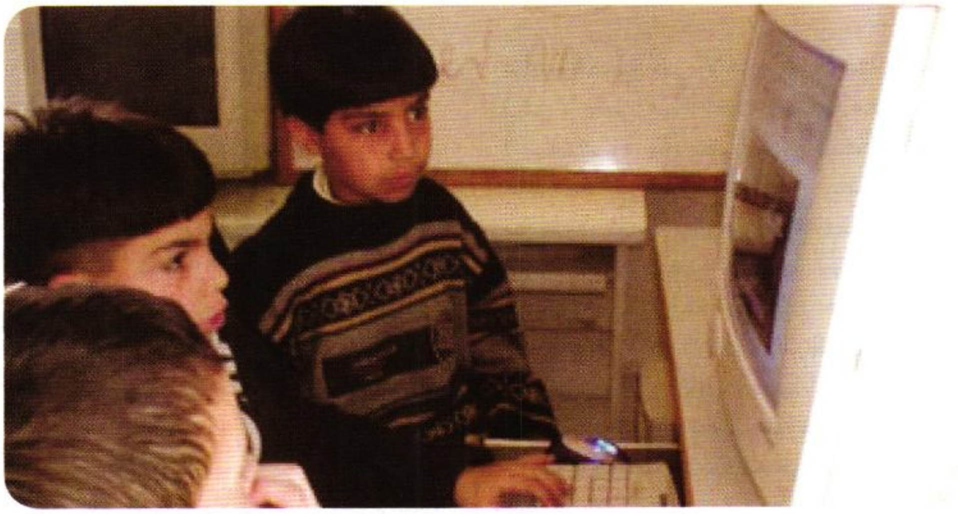
مدرس التربية الإسلامية في الكويت

بعين الاعتبار، وينبغي أن نعلم أن طفل اليوم لم يعد كطفل الأمس، لأنه يقع تحت تأثير الإيحاءات والمهيجات الجنسية المباشرة، من خلال ما تعرضه القنوات الفضائية اليوم من أفلام ومسلسلات وإعلانات تجارية وحتى الأخبار والبرامج الرياضية لا تخلو منها، بل إن أفلام الكرتون وبرامج الأطفال الخاصة بهم تمتلئ بإيحاءات ومحرضات جنسية، تفتح ذهن الطفل، وتثير اهتمامه على اكتشاف هذا العالم والولوج إليه.

وهذا كله يضغط علينا بضرورة معرفة ما يتعلق بأسئلة الطفل الجنسية!

- يبدأ الطفل طرح أسئلته الجنسية غالبًا منذ الثالثة أو الرابعة من عمره، وهذا معروف، حيث تزيد أسئلة الطفل عن الحمل والولادة غالبًا، وخاصة إذا كانت أمه أو أخته حاملاً، وقد يكون السؤال عن الأعضاء الجنسية لديه أو عند المخالف له من الجنس، وعن سبب هذه الفروق والاختلافات، كما تزيد رغبة الطفل في الاستطلاع والفضول، وقد يتعدى الطفل أحيانًا مجرد السؤال إلى اللعب بأعضائه التناسلية أو حتى تفحص الأعضاء التناسلية للجنس الآخر سواء المشابه له في الجنس أو المختلف عنه، وهذه تصرفات عادية بريئة، تثير انتباه الطفل، ولا يجوز إساءة تفسيرها أو تضخيمها أو معاقبة الولد عليها، لكن يكتفى بزجره وتفهيمه، ليستقر في خلده أن هذه الأعضاء لها خصوصية، ولا يحق لأحد العبث بها، ومن الضروري غرس بعض المفهومات الشرعية كالحياء والستر والعورة والحلال والحرام ونحوه، وهذا قد يحميه من التحرش الجنسي من قبل الشاذين والمرضى نفسيًا ونحوهم.

وفي هذه المرحلة قد يسأل الطفل عن أعضاء الجسم بما فيها الأعضاء التناسلية، ومن المفضل هنا أن يعرف الطفل هذه الأعضاء بأسمائها الحقيقية مثلاً فيسمى له عضو الذكر بـ «القضيب» أو باسمه المستعمل على الألسنة، ولا يقال له «الحمامة» مثلاً: وتسمى «الخصيتين» باسمهما، وهكذا الشرج والثدي ونحو ذلك، فالمنهج العلمي يقتضي تسمية الأسماء بأسمائها، ولأن الجهل بأسماء هذه الأعضاء يعوقه عن التكيف الاجتماعي، ويوقعه في حرج في بعض الأحيان بسبب جهله بأسماء أعضائه التناسلية... الخ



ويجدر بنا أيضا أن نفهم الطفل أن الحديث عن هذه الأعضاء له خصوصيته، وأن الخوض فيه ينبغي ألا يتعدى نطاق الأسرة أو الأبوين أو المعلم في المدرسة داخل الفصل الدراسي طبعًا، وأن ينأى بنفسه عن الخوض فيه مع الأقران ونحوهم.

وبعد أن يتجاوز الطفل الخامسة من عمره يرى كثير من التربويين والخبراء أنه يمكن للوالدين أن يشرحا للطفل وظائف الأعضاء التناسلية، بغية مساعدته على أن يميز بين الذكر والأنثى وبين أعضاء الاثنين ودور كل منهما من الناحية الجنسية والحياتية، ولا أميل إلى هذا الرأي بتفاصيله، لأنه استعجال للشيء قبل أوانه، بل أجد فيه ضربًا من المغامرة، إلا أنه لا بأس من تلقين أو تفهيم الطفل بعض المعلومات الضرورية حول بعض وظائف الأعضاء التناسلية، في حال مبادرته بالسؤال عنها مع التأكيد على ضرورة أن تكون الإجابات علمية ودقيقة، لكن ينصح هنا ألا تتطوع في إدخال معلومات إضافية، لا تثير اهتمام الطفل أو لم يطلبها، ثم في مرحلة متقدمة أي إذا تجاوز الطفل التاسعة أو العاشرة من عمره أي ناهز الحلم يمكن أن يتعرف على بعض وظائف الأعضاء التناسلية بل يصبح ضروريًا لإعداد كل من الذكر أو الأنثى لولوج مرحلة البلوغ، ومساعدته لاستقبالها والتهيؤ لها والتكيف معها وقبول التغيرات النفسية والجسدية التي تطرأ عليه عادة، فلابد أن تعرف البنت مثلاً ما يتعلق بالحيض من ناحية بيولوجية وشرعية، وكذلك الذكر يعرف المني وخصائصه... إلخ.

الإجابة على الأسئلة الجنسية

قد تسأل: نعم، أنا مؤمن بأهمية التربية الجنسية، وعلى قناعة تامة بضرورة الإجابة عن أسئلة أطفالي، وتوفير المعلومات اللازمة لهم، لكن كيف سنزودهم بهذه المعلومات؟ وهل سيفهمون ما نقوله لهم؟ ألن يترك ذلك أضرارًا عليهم؟ وكيف نربيهم من الناحية الجنسية؟

أ- هل تنتظر من الطفل طرح أسئلته الجنسية؟

سبقت الإشارة إلى أن الطفل بطبعه سيطرح كثيرًا من الاسئلة الجنسية، وخاصة ما يتعلق بالفروق بين الجنسين والحمل ونحوه، فيقوم الأبوان بالإجابة عن أسئلته وإشباع حاجته الفطرية إلى المعرفة والاطلاع، لكن إذا افترضنا أن الولد لا يجرؤ على السؤال، لأسباب نفسية وتربوية واجتماعية، فهنا لابد من إثارته وتشجيعه على السؤال أو طرح أسئلة مباشرة عليه، لأنه لابد للطفل في أي مرحلة عمرية من قدر ما من الثقافة الجنسية الضرورية.

ب- لكل مرحلة معينة من العمر نوع وقدر من المعلومات

لكن هناك نوعا من المعلومات التي تتعلق بالحياة الجنسية وبقدر ينبغي ألا يقدم للطفل إلا في مرحلة معينة من العمر، فالكلام مثلا عن الاستمناء أو الحيض لطفل في السابعة أو الثامنة من عمره خطأ، ولا حاجة إليه، ولأنه سيشغل باله ويحتل حيزًا من تفكيره، لكن عندما يناهز الطفل البلوغ، أي تبلغ البنت الحادية عشرة من عمرها، ويبلغ الصبي الثالثة عشرة، فإنه لابد من تعليمه كل ما يتعلق بالبلوغ وعلاماته وما يطرأ عليه من تغيرات نفسية وجسدية.

ج- الإجابة على الأسئلة الجنسية ليست واحدة

الإجابة على الأسئلة الجنسية تتنوع وتختلف من حيث قدر المعلومة ونوعها والأسلوب والوسائل واللغة، باختلاف السن والجنس والبيئة والمستوى العقلي والنضج الاجتماعي، لكن في جميع الأحوال يجب أن تكون إجاباتنا واضحة بسيطة علمية.

د- اللغة المستخدمة في التربية الجنسية

اللغة التي تستخدمها في التربية الجنسية والرد على أسئلة الأطفال في هذا المجال، يجب أن تكون سهلة واضحة قصيرة تنزل إلى مستوى الطفل، مع الاستمرار بالإجابة على الأسئلة المصاحبة دون تهرب أو تضجر.

هـ - التدرج في الإجابة

من الضروري التدرج في الإجابة والتأسيس لها من خلال البناء المعرفي الهرمي، وقبل أن تعلم طفلك الحياة أو الثقافة الجنسية ينبغي أن تكون قد علمته وظيفته في الكون والحياة ومفهوم عمارة الأرض وضرورة التناسل وبقاء النوع، عندئذ ستتغير نظرته للجنس، واعتباره وسيلة لا غاية، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - في سنن البيهقي- «والله إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبح».

ومن ناحية أخرى لا تعط المعرفة كلها دفعة واحدة وخاصة المعرفة الجنسية، لئلا تشوش على الطفل، ويعجز عن ترتيب المعلومات والمفاهيم ترتيبًا سليمًا.

و- تصحيح الثقافة المشوهة

أحيانًا يتطلب تعليم الأطفال تصحيح معلوماتهم وتصوراتهم المشوهة أو المنحرفة للجنس والتي اكتسبوها عن طريق الأقران والرفاق غير الناضجين أو غير الأسوياء في بعض الحالات.

ز- لا تكذب على طفلك

لا تقدم للطفل إجابة أو معلومة غير صحيحة عن سؤاله، لأنه سيكتشف عاجلاً أو آجلاً خطأ المعلومة، وقد يعتبرها كذبًا عليه واستخفافًا بعقله أو يعتبرك جاهلاً ضحل المعرفة، وبالتالي يفقد ثقته بك والطفل لا ينسى وهو سريع الحفظ قوي الذاكرة، يقوم بتخزين المعلومات التي تقدمها له، ولذلك يجب التزام الصدق في الإجابة عن أسئلة الطفل، لكن لا يعني هذا بحال تقديم معلومة لا تناسب عمره، وقد تضره، وإن كانت صحيحة، فالمناسب في هذه الحالة هو إعطاء إجابات بسيطة أو تقديم معلومات عامة فقط، وتأجيل بعض المعلومات غير المناسبة لسنه ومستوى إدراكه ونضجه وإغفالها مؤقتًا، هذا، ولا يعدم الأب أو المربي هنا الأسلوب الحكيم لتلافي الخوض فيها أو الإجابة عنها، ومن الممكن أن يعد الأب ابنه بأنه سيشرحها له في وقت آخر أو ريثما يبحث عن مسألته في المراجع العلمية مثلاً أو يقوم بالانسحاب بطريقة لبقة لا تثير فضول الطفل وشكوكه.

ح- التربية بالأمثلة القريبة

لكي يفهم الطفل الحقائق المرتبطة بالجنس والتكاثر لا بأس بالاستعانة بتقديم أمثلة من عالم الحيوان المشابه في الحياة الجنسية للإنسان، وهو عالم قريب مألوف للطفل كالقطط والدجاج والبهائم ونحوها.

ط- الحوار مع الطفل

من الأهمية بمكان الحوار والتواصل والتفاعل مع الطفل، لأنها وسيلة أساسية لاكتشاف عالمه الخاص وما يدور في خلده وما يقع في دائرة اهتمامه وما يثير تفكيره، وبالتالي تقديم المعرفة لأطفالنا والإرشاد والعلاج في حال اكتشافنا مشكلات نفسية أو سلوكية أو معرفية عندهم، وهذا يتطلب منا أن نسمع لأطفالنا ولأسئلتهم المباشرة وغير المباشرة، ونجيبهم بكل صراحة ووضوح ودقة، كما يجب علينا احترام أفكارهم وتصوراتهم ولغتهم، التي قد ينقصها أحيانًا التورية والتجمل واللياقة الاجتماعية، وعدم السخرية بها أو التعنيف عليها.

مرحلة المراهقة

في هذه المرحلة يظهر أو يشتد ميل المراهق إلى الجنس الآخر، ويبدأ يشغل باله، ويستغرق تفكيره وتعتبر سن المراهقة وما قبلها، (من ١٢ إلى ١٥) المرحلة المناسبة التي ينبغي أن يقوم فيها الآباء والمربون بالشرح التفصيلي لما يحدث من تغيرات جسدية ونفسية، حتى لا يتعرض الطفل لمعرفة خاطئة واستغلال جسدي وجنسي من قبل بعض الكبار المنحرفين أو الأقران أحيانًا أو من قبل الشاذين جنسيًا وعصابات الانحراف والجريمة، خاصة في البيئات التي تتفشى فيها المثلية والشذوذ الجنسي.

الأمور التي تجب معرفتها في هذه المرحلة

- خروج المني من المراهق بالاستمناء أو الاحتلام، فيجب تعليمه أن خروج المني أمر طبيعي وفطري، ومن علامات البلوغ وأنه أصبح رجلًا ومكلفًا، ويتحمل المسؤولية التكليفية القانونية والشرعية والاجتماعية، وأنه لم يعد طفلًا أو ينظر إليه هكذا.
- كذلك معرفة الواجبات الشرعية وأحكام الطهارة والاستمناء والاغتسال والصلاة واحكام الاختلاط بالنساء والخلوة والنظر وبقية التكاليف، ويجب تعليمه ما يحرم على الجنب وما يباح له... إلخ.
- ومن الأمور المهمة في رأيي أن يتعلم المراهقون الفرق بين المني والمذي، إذ كثيرًا ما يعجز عن التمييز بينهما، ويسبب له هذا الجهل حرجًا شديدًا فيما يتعلق بالطهارة والاغتسال والصلاة وتلاوة القرآن.
- كذلك يجب أن تعرف الفتاة كل شيء عن العادة الشهرية والحيض من الجانب البيولوجي والصحي والشرعي.
- كما يلزم المراهقين أن يعرفوا كل شيء عن الأعضاء الجنسية والتناسلية ووظائفها، ولا بد أن يتعلم المراهقون الفرق بين العلاقة الجنسية في الحياة الزوجية وبين الزنا.
- وكذلك من المهم أن يطلع المراهقون على الأمراض التناسلية كالزهري والسيلان والإيدز وغيرها.

الختام

فإننا إذ نطرح هذه الموضوعات التي تتعلق بالتربية الجنسية، فإننا لا ندعو إلى تقليد المجتمعات الغربية في الحرية الجنسية وإطلاق الدوافع الجنسية، دون رقيب ولا حسيب، فهذا نموذج سيئ ثبت فشله وفساده، وأودى بالأمة الغربية إلى حياة بهيمية بل هم أضل سبيلاً، لكن لا نرضى أيضًا بأسلوب تربيتنا المنغلقة التي درجنا عليها، ولا النظر إلى الجنس نظرة دون أو ازدراء، أو أن الكلام فيه محظور، «وعيب وقلة أدب وهتك لستر الحياء»، فنعرض أطفالنا لخطر الثقافة الجنسية المشوهة!

حقوق المطلقات

نجاح عبد القادر سرور

مما يلاحظ في عالمنا الإسلامي منذ سنوات ليست بالقليلة أن الاهتمام ببيان حقوق الأم، وبيان حقوق الزوجة، وبيان حقوق الفتاة والطفلة يأخذ حيزا كبيرا من اهتمام الكتاب ووسائل الاعلام، وقلما تجد ذلك إذا ما تعلق الأمر بالمطلقة!



الباحث في شرعنا الحنيف يجد القرآن والسنة يؤكدان حقوق المطلقات، وعدم التفريط فيها.

لقد اعتنت الشريعة المطهرة بالمطلقة، اعتنت بها في نفسها وفي مالها، وفي النفقة عليها وعلى أولادها، ومن هذه الحقوق:

١- أن تقضي عدة الطلاق في بيت زوجها، مع التزامه بالنفقة والسكن حتى تنقضي عدتها، صونا لها ولكرامتها، وحرصا على راحتها.. يقول الله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن...﴾(الطلاق:٦) وعلى الزوج ألا يخرجها من البيت، وألا يطردها منه كما تفعل الغالبية العظمى، وإنما تبقى في البيت حتى تنقضي العدة، يقول الله تعالى: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه...﴾ (الطلاق: ١).

ومعلوم أن العدة ثلاثة قروء، أي ثلاث حيضات للمرأة التي تحيض، يقول الله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء...﴾ (البقرة: ٢٢٨)، أما المرأة التي لا تحيض وهي الآيسة، فعدتها كعدة الصغيرة التي لم تصل الى سن الحيض ومدتها ثلاثة أشهر، لقوله تعالى ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن...﴾ (الطلاق: ٤)، وأما عدة الحامل، فتمامها وضع الحمل، لقوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن...﴾ (الطلاق: ٤).

وأما المطلقة التي لم يدخل بها زوجها، فلا عدة عليها، وذلك لقول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحًا جميلًا﴾ (الاحزاب: ٤٩).

٢- ومن حقوق المطلقة التي صانتها شريعة الإسلام وجوب نفقة العدة في ذمة الزوج، ويجب عليه الوفاء بها، كما تجب عليه نفقة الرضاع، لقوله تعالى: ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن...﴾ (الطلاق:٦)

٣- ومن حقوقها أن يفارقها بالحسنى، ويسرحها بإحسان، لقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان...﴾ (البقرة: ٢٢٩).

٤- ومن حقوقها أن يعطيها مؤخر الصداق كاملا، لقوله تعالى: ﴿... وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئا﴾ (البقرة: ٢٢٩) إلا إذا كانت الزوجة هي التي طلبت الطلاق فعليها أن تفتدي نفسها، وهو ما يسمى بالخلع، لقوله تعالى: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ (البقرة ٢٢٩).

٥- ومن حقوقها ألا يفرق بينها وبين ولدها، فهي حاضنته الأولى، لقوله ﷺ: «من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين الأحباء يوم القيامة».

٦- ومن حقوقها أن تقدر لها نفقة متعة، يقول الله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقًا على المتقين﴾ (البقرة ٢٤١).

كل هذه الحقوق حفظتها الشريعة السمحة، واعتنت بها السنة المطهرة صيانة للمطلقة، وهي كما رأينا تحفظ وتصون كرامة المرأة، وترد إليها اعتبارها، فاتقوا الله في المطلقات، وتذكروا قول رسول الله ﷺ: «الله الله في النساء...» وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* شاعر وكاتب إسلامي

قصة

البحث عن طفل!

يونس جلال

طرقات عنيفة انتبهتُ إليها بعد أن أغرقت عيني وتفكيري حول مسألة في برنامج تلفزيوني، خفضت صوت التلفاز قليلاً ثم ذهبت نحو الباب بخطى ثابتة كأني واثق أن كل شيء على ما يرام وأن هذه ليست سوى دقات عادية سيعقبها سكون مسائي يخيم على الأرجاء كل مساء.. فتحت الباب بكل جرأة معهودة من دون السؤال عن الطارق.. لأرى أمامي أختي الصغرى ذات العشر سنوات وقد أصبح وجهها شاحبًا وملامح الإعياء بادية عليها من كثرة الجري.

- ماذا بك؟ لماذا أنت منهكة هكذا؟

وفي كلام يطغى عليه الخوف والحيرة.

- لقد ضاع منا عبدالرحيم ونحن في الطريق إلى هنا.

- ضاع! كيف؟

أدركت وأنا أسألها أن المصيبة عظيمة والفاجعة الأعظم هي إن لم نجده وسط زحام المدينة الخانق، وتذكرت حينها صورة ابنة عمي فاطمة والتي لاشك أنها ستكون مكبودة ومكلومة خصوصًا أن هذا ولدها الوحيد.

- أين أمي؟ أين فاطمة؟

- إنهما قرب المنزل ينتظرانك.

أحسست فجأة في غمرتي هاته أن مسؤولية أخرى ستلقى علي، وقبل أن تكمل أختي الصغرى كلامها الممزوج بالخوف والبراءة ذهبت مسرعًا أختصر درج المنزل نحو الأسفل كصقر مكسور الجناحين يبحث عن بعض أشلائه المفقودة، وفي زمن قياسي معلوم وصلت إلى خارج الدار لأجد أمي في انتظاري وسط لهفة وحيرة رغم أنها من قبل كانت تحاول جاهدة مداراة خوفها وقلقها أمام الناس، أما ابنة عمي فقد نسيت كل شيء حتى نفسها لتغرق في بكاء تحول لاحقًا إلى صراخ يتعالى مع أصوات السيارات وحركة الناس بنظراتهم التي لا تكل... تجاهلت كل هذا بعد أن أمرتني أمي بالبحث عنه في الأرجاء القريبة لعله يجوبها عاجلاً أم آجلاً بحثًا



عنهم إن لم تدهسه سيارة أو يخطفه أحد، (لا قدر الله).

انطلقت بعد كلام أمي كأني طائر مأمور يخرج من قفصه الوهمي الجميل ليعود إليه إما بنصر أو هزيمة أو لا يعود أبدًا.

وفي محاولة لإخماد بركان الأم الموقود لحقت بابنة عمي فاطمة لمواساتها بعد أن أصبحت هائمة على وجهها في فزع تجوب أزقة الحي المجاورة وكأن الجنون المطبق استحوذ على عقلها.

- لا تقلقي سأبحث عنه، ارجعي الآن إلى المنزل.

لم تعرني أي انتباه وسط موجة الخوف التي اعترتها وعوض إجابتي دفعتني نحو الأمام بكل قوة آدمية، واندفع بها جسمي النحيل كأني هباء ضئيل وسط هواء المدينة البارد.

- أرجوك أحضر لي ابني.. أرجوك.. أريد ابني.

لم أستطع أن أتمادى في وقوفي أمامها نصاحًا ومواسيًا، خصوصًا بعد أن سمعت رجاءها المتكرر الذي يصور جليًا حنان الأم الأزلي، كان صوتها المبحوح هو الوحيد الذي دخل أذني عنوة دون كل الأصوات المحيطة بي، لم أكن أسمع سوى صوتها ولم أر حينها أمام عيني سوى صورة ابنها، تركتها بعد ذلك مذعنًا لأخوض في الشارع العريض وسط زحامه البشري الهائل وليمتلئ ذهني بوساوس كثيرة وأسئلة عديدة تبحث هي الأخرى عن أجوبة مفقودة.

- أين عبدالرحيم؟ في أي شارع هو؟ كيف سأجده؟

وفي خطوات سريعة بين المشي والجري بدأت البحث وسط الشوارع الصاخبة والواسعة كأني أبحث عن إبرة وسط كومة قش، كنت أرى صورته المبهمة تختفي شيئًا فشيئًا مع مرور الوقت كأنها صورة لطائر صغير يحلق بعيدًا إلى وجهة غير معروفة، وفي لحظة الغروب المشهود وقبل أن يعتريني اليأس رأيت طفلاً صغيرًا يتخلله الظلام قرب محطة البنزين، إنه يشبه عبدالرحيم كثيرًا، اقتربت قليلاً لأتيقن منه أكثر، وفجأة بدا لي ذلك الطفل الوحيد كأنه يبحث عن شخص ما، ليبدأ الأمل بعدها يغمرني شيئًا فشيئًا وتبدأ الوساوس الشيطانية بالانجلاء ولأقترب في سرعة جنونية نحوه إلى أن أصبح بيني وبينه أمتار معدودة، حينها فقط عرفت يقينًا أنه عبدالرحيم، وقبل أن أنادي عليه حمدت الله في نفسي كثيرًا فلولا ألطافه الخفية لأصبحنا جسدًا ينقصه عضو ولأصبحت ذكراه تطاردنا في منامنا ويقظتنا كل يوم وليلة.

• باحث مغربي

من أعلام النساء.. بلقيس ملكة سبأ

نجاح إبراهيم منصور

تقع بلدة سبأ في بلاد اليمن، وكانت بها مملكة قوية عامرة، وفي زمن نبي الله سليمان عليه السلام، كانت هناك ملكة تسمى بلقيس هي التي تحكم مملكة سبأ، وقد حدثت قصة مثيرة بين بلقيس ملكة سبأ وبين نبي الله سليمان عليه السلام، وكان أهل سبأ في ذلك الوقت كفارا يعبدون الشمس من دون الله.

في أحد الأيام كان نبي الله سليمان يفحص أحوال جيشه، كان الله قد سخر له الجن والإنس والطير، وكان هناك هدهد يعمل في خدمة سليمان عليه السلام، في ذلك اليوم لم يجد سليمان عليه السلام الهدهد بين الجنود، فسأل سليمان عن الهدهد، وقال لابد أن أعاقب الهدهد بسبب غيابه، إلا إذا قدم عذرًا وسببًا لهذا الغياب، وعندما جاء الهدهد وعلم ما قاله سليمان عليه السلام أسرع إليه ليفسر له سبب غيابه، قال الهدهد لسليمان عليه السلام، لقد عرفت أخبارًا هامة عن مملكة تسمى سبأ، تحكمها ملكة تسمى بلقيس، وهذه المملكة تتمتع بالقوة والعمران، وتجلس هذه الملكة على كرسي فخم فيه كثير من الجواهر والزخارف (والكرسي الذي يجلس عليه الملوك يسمى العرش)، ثم أضاف الهدهد: ولقد علمت أيضًا أن ملكة سبأ وأهل سبأ أيضًا يعبدون الشمس من دون الله، وهذا يدل على ضلالهم، وبعد أن عرف سليمان أن الهدهد كان صادقًا استدعاه إليه وأمره أن يحمل رسالة إلى ملكة سبأ، وأن يلقي هذه الرسالة في مجلس الملكة دون أن تشعر به.

ونفذ الهدهد أوامر سليمان، ووصل الخطاب إلى بلقيس ملكة سبأ، فجمعت قومها وأخبرتهم الخبر، قالت لهم إنها جاءتها رسالة من ملك يسمى سليمان، وإن الرسالة تقول إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين، أي إن الرسالة تطلب من ملكة سبأ أن تأتي مع كبراء قومها إلى سليمان وأن تعلن إسلامها لله وخضوعها لحكم سليمان عليه السلام.

كانت بلقيس ملكة سبأ تتمتع بالذكاء والحكمة، فقررت ألا تتهور وترفض الرسالة، بل أرادت أن تعرف المزيد من المعلومات عن سليمان ومملكته، فأعدت هدية فخمة وأرسلتها مع عدد من رجالها إلى سليمان على أساس أن الهدية ربما ترضي سليمان فيتراجع عن مطالبته بإسلامها واستسلامها.

جاء الرجال يحملون الهدية الفخمة إلى سليمان، قال سليمان للوفد الذي أرسلته بلقيس يحمل الهدية إنه لا يحتاج إلى هدايا وأموال، لأن لديه أفضل منها وأكثر، وأنه لابد أن تأتي بلقيس وكبار قومها ليعلنوا إسلامهم واستسلامهم لسليمان، وإلا فإنه سيأتي إلى مملكة سبأ على رأس جيش قوي لا يستطيع أهل سبأ مواجهته.

رجع وفد بلقيس إليها، وأخبروها بما حدث، وحدثوها عن القوة الكبيرة والثراء العريق الذي يتمتع به سليمان فقررت أن تذهب بنفسها إلى سليمان على رأس وفد من كبار أهل سبأ.

أراد سليمان أن يقدم مفاجأة لبلقيس ملكة سبأ، كان العرش الذي تجلس عليه، أي الكرسي الذي تجلس عليه في قاعة الحكم، هو أغلى وأعظم الأشياء في مملكة سبأ، قرر سليمان أن يأتي بهذا الكرسي قبل أن تصل بلقيس إلى مملكة سليمان.

جمع سليمان بعض رجاله وجنوده من الإنس والجن والطير وقال لهم: من يستطيع أن يحضر كرسي الملكة بلقيس قبل وصولها.

قال عفريت من الجن أنا أستطيع أن أحضر هذا الكرسي قبل أن ينتهي هذا المجلس.

قال أحد الحاضرين- وكان من العلماء- أنا أستطيع أن أحضره قبل أن تغمض عينيك وتفتحها- أي في لحظة قصيرة جدًا.

أمره سليمان بأن ينفذ ذلك، فقام هذا الشخص بإحضار كرسي العرش من اليمن إلى فلسطين في برهة قصيرة جدًا.

عندما رأى سليمان كرسي العرش أمامه قال الحمد لله الذي سخر لي كل هؤلاء الجنود من العلماء والجن والطير.

ادخل سليمان تعديلات بسيطة على الكرسي حتى لا تكتشفه بلقيس بمجرد نظرة واحدة.

بعد فترة من الزمن وصلت بلقيس ومن معها، قال لها سليمان مشيرًا إلى كرسي العرش، هل عرشك مثل هذا العرش؟

نظرت بلقيس إلى الكرسي طويلًا، وأخذت تفحصه وقالت إنه يشبهه تمامًا، فكأنه هو نفسه.

كان سليمان قد أعد لبلقيس وأهلها مفاجأة أخرى، أمر سليمان الجن والإنس ببناء قصر عظيم داخل البحر، بحيث لا يربطه بالشاطئ إلا طريق واحد يمتد فوقه زجاج شفاف يظهر الماء والسمك من تحته، كما أمر أن تكون أرضية القصر من هذا الزجاج الشفاف أيضًا.

عندما وصلت بلقيس إلى القصر، طلب منها سليمان أن تدخل إلى القصر، فنظرت إلى أرض القصر والطريق إليه فظنت أنها مملوءة بالماء، ولم تكن تدري أن هذا زجاج صلب شفاف، عندئذ رفعت ثوبها عن ساقيها حتى لا يبتل بالماء، عندئذ ضحك سليمان وأخبرها أنه ليس ماء بل زجاج صلب شفاف، وأن عليها أن تمشي عليه دون أن تخاف أن تبتل ثيابها، عندئذ أدركت بلقيس أنها أمام نبي صادق وملك عظيم فأعلنت إسلامها وقالت: ﴿ربِّ إني ظلمت نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين﴾.

- أديبة وكاتبة إسلامية

زيارات مفقودة ووجوه صامتة وجيران لا يعرفون بعضهم!!

مرض عصري اسمه «اختفاء صلة الجيرة»

شعبان محمود شعبان

تقاربت المسافات بين الجيران ولكن تباعدت القلوب، الأبواب تفصلها أمتار قليلة ولكن القلوب تفصلها مسافات شاسعة، فمعظم الناس أصبحوا يقطنون شققًا متجاورة لكنهم لا يعرفون بعضهم البعض، لا صلة ولا تزاور، وقد يرى الواحد فيهم الآخر فيقرئه السلام أو لا يفعل.

هل اختفاء «صلة الجيرة» هي مرض العصر؟

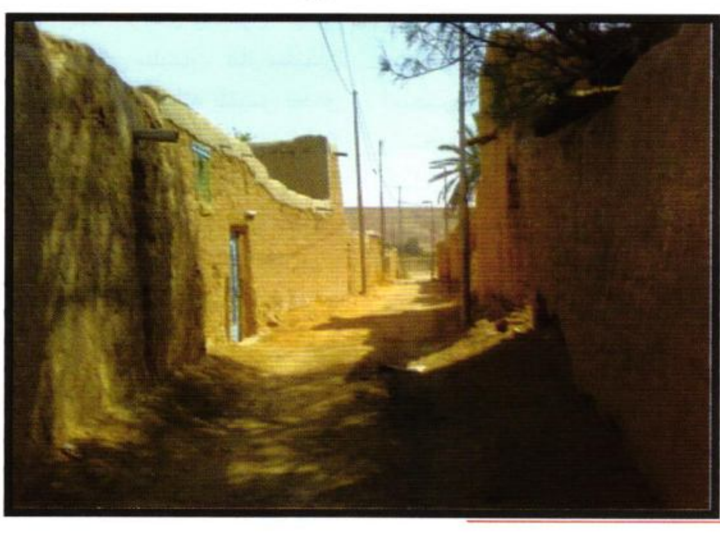
في الماضي كان الجيران كلهم كالأهل، ولقد كان مبدؤهم في اختيار مساكنهم «الجار قبل الدار»، بل إن الجار القريب أحيانًا أحسن من الأخ البعيد، وكان الناس في الماضي يتزاورون ويتواصلون باستمرار ويقفون مع بعضهم البعض في السراء والضراء، والترابط الاجتماعي كان قويًا جدًا بينهم، فالكل في الحارة الواحدة متعارفون ومتحابون ويقفون معًا كعائلة واحدة ضد أي شيء ولكن للأسف اليوم وبسبب كثرة المشاغل الحياتية والمسؤوليات أصبحت زيارات الجيران والعلاقات الاجتماعية قليلة نسبيًا وأصبحت تقتصر على نطاق ضيق جدًا مثل الأعياد أو الزواج أو الوفاة.

العمة خيرية «أم محمود» ٦٥ سنة تقول: الوضع الآن اختلف، في الماضي كان الوضع أفضل فلقد كنت أسكن في بيت شعبي بسيط في حارة وأعرف الجيران كلهم وأزورهم وأفرح لفرحهم وأحزن لحزنهم أزور مريضهم وأعين محتاجهم ونسأل عنهم إذا غابوا حتى إذا جاء خطيب لإحدى البنات فالسيدات في الحارة يتشاورن في أمره وكأن الأمر يهمهن كلهن، ونزور النفساء ونبارك بالمولود الجديد ونحمل لها «الحليب» و«الشوربة» وغير ذلك.

الحياة كانت بسيطة وحلوة ولكن الآن الجار أمام جاره لا يزوره ولا يسأل عنه ولا يهتم به، الناس قست قلوبها وتغيرت بحجة «الشغل».

ديننا الإسلامي الحنيف يحترم الجار ويوقره ولا يسمح بإيذائه مهما كان دينه أو جنسه أو لونه ومن حقوق جارنا علينا أن نزوره إذا مرض ونعينه إذا احتاج ونحافظ على أهله ونسأل عنه إذا غاب، ومن الأمور المهمة أيضًا عدم إيذاء الجار بأية صورة من الصور سواء بالإزعاج، خصوصًا في أوقات نومه وراحته، أو رفع البناء عليه وحجب الشمس والهواء عنه أو فتح النوافذ على بيته والإطلال منها على خصوصياته وكشف عوراته، أو ضرب أولاده أو طرح القمامة عند عتبة داره أو التجسس والتسمع عليه، ولقد قال تعالى عز من قائل في سورة الحجرات: ﴿ولا تجسسوا﴾.

ولكن ماذا إذا كان الجار نفسه مؤذيًا ومتطاولًا على غيره؟



الإجابة نجدها في هذا الحديث الشريف:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارًا يؤذيني، فقال له ﷺ: «أخرج متاعك فضعه على الطريق»، فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق، فجعل كل من مر به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني، فيقول: اللهم العنه، اللهم أخزه، قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك، وقال: لا أؤذيك أبدًا. (قال أحمد شاكر: اسانيده صحيحه).

فالدرس المستفاد من ذلك أن الصبر على الجار المؤذي ومعاملته بفطنة وذكاء هي من الوسائل المناسبة لإصلاح حاله ورجوعه عن غلطه وأذاه لجيرانه.

وعلاقات الجيرة الآن لم تعد بنفس القوة التي كانت عليها من قبل لأسباب رئيسية، منها طراز المباني التي نسكن فيها الآن والتي جعلت من الجار أكبر مصدر إزعاج لجيرانه وبالتالي بث روح الكراهية في نفسه لجاره والحياة الحديثة بمشاغلها والعلاقات المادية البحتة أبعدت النفوس عن بعضها البعض، ليس الجيران فحسب بل حتى الأهل وأصبح البعض يروج لمقولة «صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي» والآباء والأجداد بصراحة هم الذين يعرفون قيمة الجار أما الآن فالوضع اختلف، ولكن يبقى للجار حق وهو حق حسن الجوار وعدم الإيذاء ورعايته.

• باحث تربوي

آفات في طريق الدعاة

عمر سالم المطوع

من توفيق الله للعبد أن يجعله داعية إليه، قال الله تعالى ﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت: ٣٣)، قال الحسن البصري عن هذه الآية: «هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين».

لا يخفى عليك أخي الداعية فضل الدعوة إلى الله عز وجل وعظيم ثوابها، وكذلك أه ميتها وضرورتها لبناء المجتمع المسلم في ظل تلك الهجمات الشرسة التي تريدنا أن ننسلخ من قيم ديننا الحنيف، لذا احذر أن توقف مسيرتك في الدعوة إلى الله بحجة أن تكتفي بصلاح نفسك وأهلك، فوالله إن رضينا بذلك ليتسلل الفساد إلى منازلنا، وإلى الأجيال القادمة، والحمد لله، نحن نعيش في زمن باتت وسائل الدعوة إلى الله فيه كثيرة جدًّا، بدءًا من الدعوة الفردية، إلى الشبكة العنكبوتية، إلى القنوات الفضائية، ولقد أثمر حضور الدعاة والعلماء في تلك الوسائل، وخاصة القنوات الفضائية أثرًا طيبًا مباركًا.

ولاشك أن الداعية أثناء ممارسته للعملية الدعوية بشكل خاص أو بشكل عام يتعرض لبعض الآفات والمنزلقات التي تؤدي به إلى الهلاك والعطب، لذا أحببت أن أشارك إخواني الدعاة إلى الله، وأضع بين أيديهم بعض تلك الآفات، حتى يحذروا منها، ولا تكون عائقًا لهم في مواصلة مسير الدعوة إلى الله، قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

موت القلب

هي آفة خطيرة تصيب العلماء والدعاة ، قال الحسن البصري: «عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة» وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله: «إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالمًا تلعب به الدنيا»، قال يحيى بن معاذ: «إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا».

فاحذر أخي الداعية من هذا الداء العضال الذي بدأ يتفشى في كثير من الدعاة، فأصبحت كلماتهم جامدة لا حياة فيها وانكبابهم على الدنيا أصبح منفرًا للمخلصين والمحبين لهم، ومن أمثلة ذلك أنهم قبل أن يلقوا المحاضرة يسألون عن المكافأة المادية، ويحزنون إن لم يتم حجز مقاعد لهم في الدرجة الأولى وغيرها من الأمثلة المزعجة. يروى أن الأستاذ عمر التلمساني ألقى محاضرة في إحدى الدول العربية، وبعد انتهاء المحاضرة أتى مسؤول تنسيق المحاضرات ليعطي الأستاذ مبلغا من المال نظير محاضرته، فأبى الأستاذ أن يأخذ المبلغ وقال لو أعلم أنكم تعطون مالًا لمن يدعو إلى الله لما أتيت وألقيت المحاضرة، فرد عليه مسؤول التنسيق: ولكن كل المحاضرين يأخذون تلك المكافآت! فقال له الأستاذ عمر: ولكني لست من هؤلاء إنما أنا عبد على باب الله، قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافقًا عليمًا قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

لا تترك ميدانك الدعوي

لقد افتقدنا في الآونة الأخيرة الداعية الميداني، فلقد ركز كثير من الدعاة على الظهور الإعلامي وتركوا الدعوة في الاحياء التي يعيشون فيها، فلا تجد لهم أثرًا حتى على أقاربهم، فالداعية الهمام الصادق الذي ما إن يحل في مكان حتى تجد نسمات الدعوة إلى الله تنطلق في المحيط الذي هو فيه، والمساجد تعمر بالمصلين، وجموع الشباب تعود إلى الله، فهو أينما حل وارتحل يترك أثرًا طيبًا، فهو الأب المربي القدوة لأبنائه، وهوالذي يخالط الناس ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم ويتحين الأوقات المناسبة ليدعوهم إلى الله، وهو الموظف المثابر الذي ينصح زملاءه ويساعدهم، فهو مؤثر بمن حوله بحاله ومقاله، وكما قيل «إن دعوة الحال أبلغ من دعوة المقال»، وقال سفيان الثوري رحمه الله: «يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل».

غيبة العلماء والدعاة

ومما يحزن المرء في هذه الأيام ما نراه من قدح الدعاة والعلماء بعضهم في بعض، في الجرائد والمجلات، حتى إن طلبة العلم تجرأوا في ذلك، وأصبحت مجالسهم مليئة بتجريح العلماء والدعاة والمؤسسات والجمعيات الخيرية، قال النبي ﷺ «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره، قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» (رواه مسلم)، وقال النبي ﷺ «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» (رواه الترمذي)، وقال الحافظ ابن عساكر، رحمه الله، «واعلم بأن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالسلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب»، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وغيبة العلماء ليست كغيبة عامة الناس، لأنّ العلماء لهم من الفضل والتقدير والاحترام ما يليق بحالهم، ولأن غيبة العلماء تؤدي إلى احتقارهم وسقوطهم من أعين الناس، وبالتالي إلى احتقار ما يقولون من شريعة الله وعدم اعتبارها، وحينئذ تضيع الشريعة بسبب غيبة العلماء، ويلجأ الناس إلى جهال يفتون بغير علم»، ومن جميل ما قاله الإمام البنا في ذلك، وهو يوصي الداعية في الله: «تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات ولا تتكلم إلا بخير».

• داعية كويتي

الاكتئاب بين الدين وعلم النفس

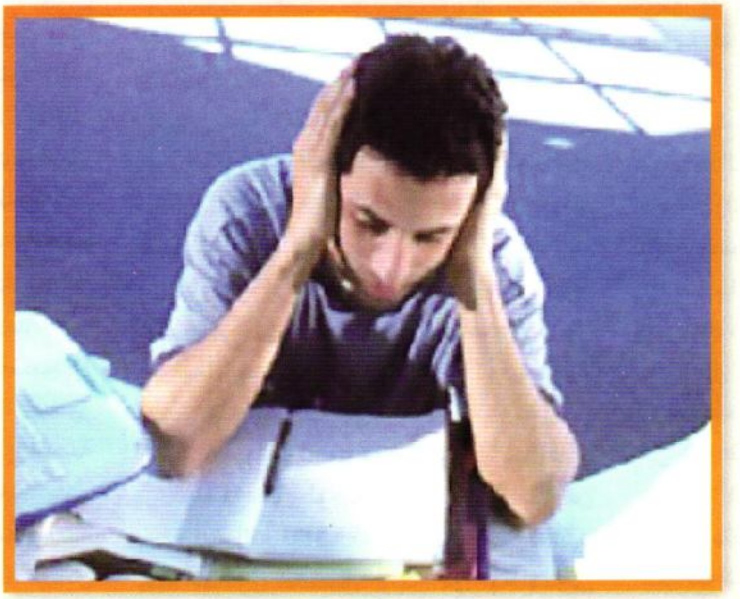
بشرى شاكر

الاكتئاب أو مرض العصر، أصبح أكثر الأمراض النفسية انتشارًا بين الأشخاص في عصرنا هذا، ويعد أحد أبرز أسباب الأمراض العضوية أيضًا، قد يكون سبب الاكتئاب عضويًا مثل مرض مزمن مثلًا، أو مرض لم يفلح العلاج معه، أو استعمال بعض الأدوية لعلاجه فينجم عنها الإحساس بالكآبة، كما أن تناول المشروبات الكحولية التي يظن بعض الناس ممن يحسون بالحزن والاكتئاب أنها تخرجهم من جوهم الحزين، سبب لزيادة حالة الاكتئاب، وإن الكيماوية الموجودة فيها تتفاعل في الكبد لتجعل الإنسان أكثر قابلية للكآبة، ولعل من الملاحظة البسيطة للأشخاص الذين يتناولون هاته المشروبات يمكن أن نفهم ذلك، حيث تتغير تصرفاتهم من الضحك إلى الضحك الهستيري ثم البكاء، وهناك أدوية كما أسلفنا، تقوم بنفس الشيء وتكون سببًا لزيادة الاكتئاب والغريب أن معظمها تعطى لمعالجة حالات الاكتئاب!

للاكتئاب عوامل نفسية بحتة، فقد يكون فقد إنسان عزيز سببًا في إصابتنا بهذا المرض، بمعنى آخر عدم قدرتنا على القيام بما يسمى في علم النفس بالحداد- deuuil- أي عدم اجتياز مرحلة الصدمة لمرحلة التقبل وإعلان الحداد على ما فات، وهناك عوامل نفسية أخرى مثل الأرق والتوتر بالعمل والمشكلات العائلية وأحيانًا مشكلات بعيدة زمنًا مثل مشكلات الطفولة.

وعمومًا الاكتئاب أو مايعرف لدى البعض بالكآبة، هو إحساس الشخص المصاب بالحزن الشديد والتشاؤم والفراغ، حيث تخلو أيامه من أي منبع للسرور أو المتعة، فيحس بنوع من الخمول يترجم بغياب أي حافز حيوي وبانطواء على الذات، ويحس الشخص أنه لكي يقوم بأي عمل اعتيادي يجب أن يقوم بمجهود كبير جدًا وإن كان العمل سهلا وبسيطًا وكل يوم يمضي تزداد صعوبة القيام بالأعمال اليومية العادية، مما يحدث ضمورًا في الفكر ويؤدي إلى شل الدماغ والخلايا العصبية إذا لم يتدارك الإنسان أو أهله الأمر، وغالبًا ما يحس الإنسان المكتئب بألم في مفاصله وبالصداع النفصي وقد يصاب بقرحة المعدة أيضا ولا يستطيع النوم ويصاب بالأرق.

وقد يصل الأمر بالإنسان المكتئب إلى التفكير بالانتحار وأحيانًا كثيرة يقدم على هذا الفعل، وتبدأ هذه الأفكار حينما يبدأ بالإحساس بضيق شديد وأنه لا يمكن أن يكون إنسانًا ناجحًا وأنه لا شيء على ما يرام ومهما فعل فسيظل كما هو، فينفذ صبره وأيضًا قدرته على التحمل فيلجأ للتخلص من حياته لأنها أصبحت تشكل عبئًا لم يعد يحتمله، وقد يلجأ العقل للتخلص من الإحساس بالاكتئاب فيكون الجنون، وهو نوع آخر من الهروب من حالة الكآبة والحزن والضيق الشديد إلى عالم اللاوعي.



الحزن الشديد هو أبرز مظاهر بداية الاكتئاب وهو السمة التي ترافق المكتئب في كل مراحله، وعادة ما يكون للاكتئاب سبب وجيه فينتهي الاكتئاب بانتهاء العلة، ولكن أحيانًا أخرى يكون ذلك من دون سبب مسبق أو غير معروف على الأقل، ومن علاماته أن يقوم الشخص متجهمًا منذ الصباح متعبًا وحزينًا.

العلاج بالعقاقير لا يؤدي غالبًا إلى المفعول المطلوب، فقد يحدث عن تناولها نوع الإدمان فيزيد الطين بلة أو تكون وقتية ويعود الشخص لحالته الأولى، والعلاج النفسي أنجح بكثير ولكنه يكون أفضل إذا اقترن بعلاج ديني قويم، فالإسلام جاء شاملًا جامعًا ولم يغفل عن أي إحساس إنساني، وقد جاء ذكر الحزن في مواقع كثيرة من القرآن، فنجد مثلًا في سورة النحل، قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء﴾، ويقول

* كاتبة مغربية

في سورة هود: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾.

والعلاج من الحزن أساسه الإيمان بالقدر خيره وشره الذي يقتضي أساسًا الإيمان المطلق بالله تعالى، قال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، وقال أيضًا في سورة المائدة: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

والإيمان بالقدر يخفف من الحزن على ما فات أو ما أصابنا أو ما سيصيبنا أو الخوف من المستقبل ومن الغد، إذ قال سبحانه وتعالى في سورة الحديد: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾.

فلو علمنا أن ما يصيب الأرض وما يصيب أنفسنا في لوح محفوظ من قبل أن تخلق الأرض والأنفس، لوثقنا أنه ما أصابنا ما كان ليخطئنا وما أخطأنا ما كان ليصيبنا، هكذا تخف حدة الحزن على الفقدان أو على الإصابة، ونقول تخف ولا تختفي لأن الحزن إحساس نفسي طبيعي ولا يمكن أن تكون هناك فرحة بدون أن نعرف ملامح الحزن، وإنما كثرة الحزن وشدته هي التي تقلب الأمر الى كآبة واكتئاب.

وقد يكون الضيق والحاجة سببًا في الشعور بالحزن الذي يتحول إلى اكتئاب، وهنا نرى أن الإسلام أكد على ضرورة التكافل الاجتماعي ودعا المسلمين إلى فك ضيقة بعضهم البعض، إذ قال رسولنا الكريم ﷺ «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله، عز وجل، في ظله يوم لا ظل إلا ظله» (رواه أحمد) فيا له من فضل أن نستظل يوم القيامة ونتقي لفح جهنم، والعياذ بالله، وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾.

كما أن الله أخبر المؤمنين: «أنه لا يوجد عسر إلا ومعه يسر، فقال سبحانه وتعالى في سورة الشرح: ﴿فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا﴾، العسر واحد ومعرف واليسر اثنين وغير معرف بمعنى تكرار اليسر مرتين لعسر واحد، ومعناه أن مع كل عسر يصيبنا يسرين ملتصقين به، فلا يقفل الله بابًا حتى يفتح بابين، يكونان أمامنا في ذات لحظة إقفال الباب الأول المعروف أي العسر والحمد لله رب العالمين.

حينما نفكر بهذه الطريقة ونعيش راضين قنوعين بما يصيبنا صابرين مؤمنين، فإن الحزن لن يتحول إلى اكتئاب كما أن للترابط الأسري دورًا كبيرًا في معالجة الحالات التي قد تتحول إلى اكتئاب، ولذلك نصح الإسلام بتكوين أسرة مؤمنة مستقرة، إذ قال تعالى في سورة النحل: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾ وقال أيضا في سورة الروم ﴿ومن آياته أن



خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ فحيث يتواجد السكن يرحل الحزن والغم والنكد، فالسكن استقرار للروح ومتعة للقلب، ولذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون بيوت المؤمنين سكنًا لهم وأن يزيدوها استقرارا وراحة بالمودة والرحمة التي تشيع الاطمئنان والحب وتشيع الأفراح وتبعد الحزن والتشاؤم.

ولعل من أهم أسباب استقرار المجتمعات أيضًا معاملات الناس وسلوكاتهم تجاه بعضهم البعض، فباللين والحلم والقول الحسن نبعد الشيطان الذي ينفث السم بين الناس، إذ أمرنا أن نحسن في كل شيء بدءًا بالقول، فقال سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغُ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا﴾.

كما يساعد ذكر الله النفس البشرية على التخلص من كل خوف أو حزن أو اكتئاب ويجعلها تطمئن وتسكن، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

ومن حديثه عليه أفضل الصلوات والسلام: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب» (صححه ابن باز)

فالذكر إذن يجلي الهموم ويبعد الضيق وينهي الأحزان وعكسه يؤدي إلىحياة ضنكة حزينة وخالية من أي رغبة في الاستمرار، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٤)

فمن آمن بالله واتقاه وتوكل عليه لا يصيبه حزن أو كمد، وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾.

فلنتوكل على الله ونعيش الحياة مؤمنين به وبقدره، متقين مهتدين، متسامحين وصبورين فبذلك فقط نتجنب مرض العصر، والذي هو الاكتئاب.

المدرسة التنكزية

المدرسة التنكزية في بيت المقدس واحدة من أشهر المدارس المقدسية وأحلاها وهي نموذج رفيع للمدارس الإسلامية، ومنها تخرج عدد كبير من علماء بيت المقدس، قال مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ) في وصفها: «إنها مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها». (الأنس الجليل ٢/ ٨٧).



تركي محمد النصر *

نبذة تاريخية

تقع مدينة القدس على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق، ومحيط المدينة صخري قاحل، لا سهل فيه، ولا بحيرة ولا ينابيع، وهي ليست على بحر ولا على طريق تجاري، ومع هذا كلّه فإنك تجد فيها خيرات الأرض كلها، بل تجد فيها المنتجات الزراعية الصيفية في فصل الشتاء.

ويرجع تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، وهي بذلك تعدّ واحدة من أقدم مدن العالم، وتدلّ الأسماء الكثيرة التي أطلقت عليها على العمق التاريخي للمدينة المباركة.

ويُعتبر عصر المماليك (١٢٥٠- ١٥١٧م) في القدس من أكثر العصور ازدهارا؛ حيث إنّ المماليك اهتموا بالقدس اهتمامهم بالحرم الشريف في مكّة، وسُمِّيَ عصرهم فيها بالعصر الأبيض، وذلك لكثرة ما قاموا به من عمارة وترميم في المدينة المباركة، وربما يكون النّاصر محمد بن قلاوون (ت: ٧٤١هـ) الذي أولى للقدس اهتمامًا كبيرًا، وأقام فيها أعمالاً عمرانيّة لا مثيل لها، أكثر اسم يُذكر في هذه النقوش.

ولقد اشتهر عهده رحمه الله بإنشاء الأبنية الكثيرة والمآثر الحضاريّة المختلفة، فشهدت المدينة المباركة على يديه ويدي نائبه أمير الشام تنكز الناصري حركة عمرانية لا مثيل لها في العهد المملوكي، ومن هذه المنشآت رباط الكرد سنة ٦٩٣هـ، والمدرسة الدويداريّة سنة ٦٩٥هـ، والتربة الأوحديّة سنة ٦٩٧هـ، والمدرسة السلاميّة الموصليّة سنة ٧٠٠هـ، وزاوية المغاربة سنة ٧٠٣هـ، وجامع قلعة القدس سنة ٧١٠هـ، والمدرسة الكريميّة سنة ٧١٨هـ، والمدرسة الأمنيّة سنة ٧٣٠هـ، والمدرسة الملكيّة المالكيّة سنة ٧٤٠هـ.

وربما كان الأبرز من أعمال الأمير تنكز تلك المدرسة التي مازالت تُعرف باسم «المدرسة التنكزية» نسبة له، حيث بناها ضمن مشروع ثقافيّ يشمل علوم عصر ذلك الزّمان.

تأسيسها

أسس هذه المدرسة أمير الشام سيف الدين تنكز بن عبدالله النّاصري، ووقفها سنة (٧٢٩هـ . ١٣٢٨م)، كما يبدو في نقش كتابيّ على واجهتها الخارجيّة، فوق الباب الشمالي، ونصُّه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أنشأ هذا المكان المبارك راجيًا ثواب الله وعفوه المقر الكريم، السيفي تنكز الملكي النّاصري، عفا الله عنه وأثابه، وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وسبعماية».

موقعها ووصفها

تقع المدرسة التنكزيّة بين باب السلسلة شمالا وحائط البراق المحتل جنوبا، ويقع جزء منها داخل الرواق الغربي للمسجد الأقصى، وجزء خارجه، فالداخل إلى المسجد الأقصى من باب السلسلة يشاهد المدرسة التنكزيّة عن يمينه.

وهي من المدارس الشهيرة في القدس، ومبناها الذي لا يزال قائمًا حتى اليوم يقدم أفضل الأمثلة على المدرسة ذات التخطيط المتميّز في المدينة المباركة.

وتطلّ واجهة المدرسة الشماليّة على ساحة صغيرة بباب السلسلة، وواجهتها الشرقيّة تطلّ على رواق المسجد الأقصى، والواجهة



* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

الجنوبيّة تشرف على حائط البراق، والواجهة الغربيّة على المباني المجاورة لها، وقد تجلّى الفن المعماري المملوكي بصورة رائعة في بناء المدرسة الذي حفل بالزخارف والمقرنصات التي تزيّن بوابتها العالية والأحجار الملوَّنة.

تتألف المدرسة من أجنحة عدّة، وتشتمل، بالإضافة إلى المدرسة العامة، على دار للحديث، وخانقاه للصوفيّة، ورباط للعجائز من النساء، فالمدرسة تشغل الطابق الأرضي من المبنى، أما الخانقاه ففوق رواق الحرم، كما كان فوق سطح المدرسة بيت كبير طوله خمسة وأربعون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا مخصص لرباط النساء.

ويغلق على هذه المدرسة باب كبير بمصراعين من خشب الجوز وصفائح النحاس الأصفر ببوابة معقودة بالحجر النحيت الأبيض والأسود، وبها طرز مذهّب مكتوب فيه اسم الواقف، وتشتمل هذه المدرسة المذكورة على أربعة أواوين معقودة بالكلس والحجر، في واحد منها شباك حديد مطل على حارة المغاربة، وجدرانها وأرضها من الرخام الملوَّن.

وفي وسط هذه المدرسة المذكورة بركة مثمَّنة يجري بها الماء من قناة العروب، ولها مكان للطهارة يشتمل على خمسة بيوت مبنية بالحجارة والكلس وأحدها مستحم، وفي كل بيت منها جرن حجر، يجري إليه الماء من قناة العروب المذكورة.

وجميع أواوين هذه المدرسة المذكورة مبلطة بالبلاط الأبيض، وحائط هذه المدرسة القلبي مبني على أقباء رومية، يتطرق إليها من حارة المغاربة بباب خاص.

وتعتبر المدرسة التنكزية من حيث بنيانها الهندسي من الروائع المملوكية، وقد أوقف عليها الأمير «تنكز» وعلى ملحقاتها الأخرى ضمن مشروعه الثقافي منشآت أخرى مثل سوق القطانين وحمّامَي العين والشّفاء وخان تنكز بالقدس القديمة.



المدرسة من أشهر منارات القدس العلمية حيث تضم داراً للحديث وللقرآن ومدرسة عامة

التاريخ العلمي للمدرسة

كانت القدس في العصر المملوكي تعتبر مدينة البحث العلمي، ومدينة الدارسين، ومن أشهر مناراتها العلميّة المدرسة التنكزية التي تضم دارًا للحديث، ودارًا للقرآن، ومدرسة عامّة، وقد قامت هذه المدرسة بدور رائد في الحركة العلميّة في بيت المقدس.

وتولى مشيختها والتدريس فيها عدد من العلماء، وكان بعضهم يدرس بالمدرسة الصلاحيَّة والمعظميَّة، وذلك إلى جانب التدريس بالتنكزية.

وتم تحديد الدراسة في مدرسة الحديث بأربع سنوات، وكان واقفها يشترط أن يكون المدرس حافظاً لكتاب الله تعالى، عالماً بمذهب الإمام أبي حنيفة، وأن يكون إمامًا في الصلوات الخمس، كما اشترط أن يكون شيخ الحديث عالي الرواية مقصودًا بالسماع عليه حسن الضبط، كما اشتَرطَ أن يكون طلابها من أهل الخير، وتم تقسيمهم إلى طبقة المبتدئين، وطبقة المتوسطين، وطبقة المنتهين، وأن يواظبوا على دروسهم.

أمّا طالب دار الحديث فعليه أن يقرأ في الدرس الديني من صحيح البخاري، ثم من صحيح مسلم، وأن يحفظ كل يوم حديثا واحدا، ويعرضه على شيخ الحديث.

من أشهر من تولى مشيخة المدرسة ودرَّس فيها

١. القاضي علاءالدين بن منصور المقدسي، (ت: ٧٤٨هـ، ١٣٤٧م).

٢. الشيخ صلاح الدين أبوسعيد العلائي، (ت: ٧٦١هـ، ١٣٥٩م).

٣. الشيخ شهاب الدين محمود الأسدي المقدسي، الذي تولّى مشيخة التنكزيّة بعد وفاة العلائي سنة ٧٦٢هـ ١٣٥٩م.

٤. الحافظ جمال الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي الشافعي، (ت: ٧٦٥هـ، ١٣٦٣م)، صاحب كتاب «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام»، والذي يعد من المصادر الرئيسية لدراسة تاريخ القدس، درَّس، رحمه الله، بالتنكزية بعد وفاة العلائي واستمر مشتغلاً بالتدريس حتى وفاته.

٥- الشيخ شمس الدين بن النقيب، (ت: ٨٧٧هـ، ١٤٧٢م).

٦- الشيخ محمود بن القاضي أحمد الديري، الذي عُيِّنَ بها قارئا سنة

(٩٧١هـ).

٧- الشيخ محمد بن حافظ السروري المقدسي بن غانم، (ت: ١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م).

واستمرت المدرسة تؤدي دورها حتى أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ثم اتُّخذت مركزا للقضاء والنوّاب، وديوانا للقضاة، ودارا للسكن السلطاني في عهد السلطان قايتباي، (ت: ٩١٠هـ)، ثمَّ عادت لتقوم بدورها الفكري في أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ثم حوِّلت إلى محكمة شرعيَّة في العصر العثماني، ثم اتخذت مقرا للمؤتمر الإسلامي، ثم مقرا للمعهد الأقصى العلمي، ثم مدرسة لتعليم الفقه الإسلامي.

خاتمة

ظلت هذه المنارة تنشر العلم على أنها مدرسة لتعليم الفقه الإسلامي حتى دنستها يد الغدر وأطفأت نورها، وبدأت المصائب والنكبات تتوالى عليها، ففي سنة ١٩٦٩م قام الجيش الصهيوني باقتحامها واحتلالها والمرابطة فيها، ومنعوا أيَّ أحد من الدخول إليها أو الاقتراب منها، حيث أصبحت ثكنة عسكرية تنصب على أسطحها المتاريس والرشاشات والأسلحة.



وفي سنة ١٩٩٦م وبسبب موقعها المطل على ساحات المسجد الأقصى استخدم الصهاينة سطحها لارتكاب ما يُعرف بمجزرة النفق، حيث قام الصهاينة بحفر نفق تحت المدرسة وأطلقوا عليه اسم «نفق الحشمونائيم».

وفي سنة ٢٠٠٦م قام الصهاينة بإعلان النفق كنيسًا يهوديًا، وفي سنة ٢٠٠٧م عبث الصهاينة بأوقافها فوضعوا أيديهم على حمام العين- أحد أوقافها- القريب منها لتحويله إلى كنيس يهودي وأطلقوا عليه اسم «أوهيل يتسحاق».

ثم واصل المحتلون استهدافهم للمدرسة، فافتتحوا ما أطلقوا عليه اسم «متحف قافلة الأجيال»، وهو مكون من سبع غرف يعرض فيها تاريخ القدس من وجهة نظر صهيونية، بواسطة وسائل إيضاح وعروض الصوت والضوء، وقد أُنفقت عليه مبالغ خيالية لإظهاره بتلك الصورة، في خطوة ملحوظة لمسح الفكر العالمي وتشويه الثقافة، إذ يقع هذا المتحف خلف المدرسة التنكزية مباشرة، ويشكل اتصالاً لأَنْفَاق الحائط الغربي وتهديدًا لمحيط المسجد الأقصى ككل.

وما زالت رشاشات جنود الاحتلال مصوّبة من فوق هذه المدرسة نحو ساحات الحرم القدسي الشريف، تنذر بعمليات قتل وتدمير أخرى.

هذه هي التنكزيّة

صرح علمي مميز يتمتع بماضٍ رفيع شهد له المؤرخون والكُتَّاب، وأحد أبنيّة ومعالم المسجد الأقصى المبارك، وأجمل مدارسه، وجزء لا يتجزأ منه.

حُوِّلَت هذه المنارة الثقافيّة إلى مقرٍّ لحرس الحدود الصهاينة والجيش الإسرائيلي، ومازالت رشاشاتهم مصوّبة من فوقها نحو المصلين والمرابطين داخل المسجد الأقصى تُنذر بمجازر مرتقبة، وخطر يحاك تحت الأقصى وفي محيطه وملاصقًا به.

حوَّل الصهاينة مسجدها إلى كنيس يهودي ومحرابها إلى مكبٍّ للنفايات، وقواعدها إلى كنيس قنطرة، وجدرانها إلى معرض لقافلة الأجيال اليهودية، وساحاتها إلى حائط بكاءٍ، ومازلنا نرتقب.

المصادر:

١- السلوك لمعرفة الملوك، لتقي الدين المقريزي، ت: ٨٤٥هـ.
٢- تحفة النُّظَّار في غرائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة).
٣- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي، ت: ٩٢٧هـ.
٤- بيت المقدس، لنافذ أبوحسنة.
٥- دليل المسجد الأقصى المبارك.
٦- المسجد الأقصى.. الحقيقة والتاريخ لعيسى القدُّومي.
٧- بيت المقدس والمسجد الأقصى لمحمد محمد حسن شُرَّاب.

الخمور وتأثيرها على صحة الإنسان

د. يحيى سنبل

من رحمة الله بعباده أنه- جل شأنه- أحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ومن هذه الخبائث الخمور بجميع أنواعها ومسمياتها والمشروبات الكحولية الأخرى، وجدير بالذكر أن كل الخمور من الناحية العلمية يطلق عليها «كحول Alcoholic» كما يطلق على مدمن الخمور كلمة كحولي وهو السكير، ويطلق على إدمان الخمور وما يترتب عليها من تسمم واغتيال للعقل الكحولية أو الغولية «Alcoholism».



تعاطي الخمور الذي يمثل مشكلة كبيرة في الدول الغربية، ولايرى الغربيون حرجًا في تعاطيها، بدأ ينتشر في مجتمعاتنا العربية، خصوصًا في الأفراح في المدن والقرى، وفي طبقات اجتماعية لم يكن يخطر ببالها قديمًا أن تتعاطى هذه السموم، فهل يراد بنا أن نصبح مثل الأمريكان الذين انتشرت فيهم الخمور لدرجة أن ٩٠ ٪ منهم يشربون الخمر في فترة من فترات حياتهم، و٣٠-٤٠٪ من الرجال حديثي السن لديهم مشكلات من الخمور، وإدمان الخمر الذي يمثل مشكلة طيلة العمر يعاني منه ٥-١٠٪ من الرجال، و٣-٥ ٪ من النساء.

والخمور تؤدي إلى مشكلات طبية ونفسية واجتماعية، فهي تدمر صحة الإنسان، وتصيبه بالأمراض النفسية، وتمزق الأسرة، وتجلب الخراب والدمار، وقد يصل الأمر إلى إيداع مدمن الخمور في مستشفى عام أو مستشفى للأمراض العقلية.

الإيثانول ethanol هو المكون النشط في جميع أنواع الخمور، ويتم امتصاص الخمور (الكحول) كما هي من المعدة والأمعاء الدقيقة، ويمكن رصد الخمور في الدم خلال خمس دقائق من تعاطيها، لكنها تصل إلى أعلى تركيز في الدم في خلال نصف ساعة إلى ساعة ونصف الساعة، مع العلم أن الماء يسهل امتصاص الكحول، أما اللبن والأطعمة الدهنية فإنها تعيق امتصاصه، وعلى النقيض من الرأي السائد بين مدمني الخمور فإن محتوى فيتامينات (ب) في البيرة والمشروبات الأخرى منخفض بدرجة تجعله ذا قيمة غذائية منخفضة.

هذه الخمور عندما يدمنها الإنسان وتتمكن منه فإنها تدمر أجهزة الجسم المختلفة، ولعل أهم هذه الأجهزة الجهاز العصبي، هذا الجهاز الذي يسيطر على أجهزة الجسم يصاب بالخلل والاضطراب، حيث يحدث اعتلال الأعصاب المتعدد، والتحلل المخيخي، وضمور المخ، واعتلال العصب البصري، وغير ذلك، مما يجعل المريض يعاني من هلاوس ورعشة وهذيان، وقد يدخل في غيبوبة، إنه يفقد عقله الذي كرمه الله به، وقد يصل به الأمر إلى حالة من العته الكحولي Alcahalic dementia .

كما يصاب الكبد بالتليف، والفشل الكبدي، وتصاب العضلات بالاعتلال بما في ذلك عضلة القلب، ويحدث هبوط القلب الذي لا يستجيب للعلاج.

كما أن مدمن الخمر بدلًا من أن يستيقظ من نومه مرتاحًا، هادئًا، فإنه يستيقظ في حالة من الغثيان والقيء، كما يعاني من عدم ارتياح البطن وقرحة المعدة، وقد يصل الأمر إلى القيء الدموي، كما يصاب البنكرياس بالالتهابات الحادة والمزمنة.

إن أبلغ وصف لهذه الخمور هو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

هذه هي الخمور، وهذه بعض أضرارها، وقد لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة: «عاصرها، ومعتصرها- أي طالب عصرها- وشاربها وحاملها والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له». (رواه الترمذي وابن ماجة).

الأمير الشيخ عليّ بن عبدالله آل ثاني

(١٣١٢-١٣٩٤هـ، ١٨٩٤-١٩٧٤م)

التحرير



هو الشيخ الجليل علي بن عبدالله بن قاسم بن محمد بن ثاني، ينتهي نسبه إلى مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم العدناني.

فهو ينتمي إلى سلسلة متينة من النسب العربي الصريح، وينحدر من سلالة عربية تقية، ومن فرع كريم من فروع بني تميم العدنانيين، فهو سليل المجد والعلياء، ووريث آباء وأجداد خيار نجباء شهروا بحسن فعالهم، ونقاء أنسابهم. فأسرة آل ثاني تزعمت القبائل القطرية منذ القرن التاسع عشر، واستطاعت أن تبني إمارة عربية مستقلة في عهد الشيخ محمد بن ثاني.

تسلم والده الشيخ عبدالله. ولد سنة ١٢٧١هـ. الحكم سنة ١٣٣١هـ، ١٩١٣م، وتنازل عنه لابنه الشيخ علي سنة ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م، بعد ٣٧ سنة وهي أطول مدة حكمها حاكم من آل ثاني.

ولد الشيخ علي بن عبدالله في الدوحة بقطر سنة ١٣١٢هـ ١٨٩٤م، وهذه المرحلة كانت من أشد مراحل التاريخ القطري اضطرابًا، حيث التنازع بين الأتراك والإنجليز الذي وقعت البلاد فريسة له، فأنهك البلاد، ووقف سدًا أمام تقدمها وتطورها، وكان الشيخ قاسم بن محمد حاكمًا للبلاد في هذه الظروف الصعبة التي ولد فيها حفيده الشيخ علي بن عبدالله رحمهما الله.

تزوج الشيخ علي غير مرة ورُزق أحد عشر من الذكور، أكبرهم قاسم، وأصغرهم الوليد، كما رزق بثلاث بنات.

نشأ الشيخ علي في كنف أسرته الحاكمة التي وليت شؤون السلطة في قطر في أواسط القرن التاسع عشر، وتربى الشيخ علي في أحضان جده الشيخ قاسم بن محمد وأمضى عنده العقدين الأولين من عمره، حيث تعلم منه السيادة والشجاعة والكرم والحنكة والتدين والشاعرية، فشب الحفيد على الفروسية والشجاعة والجلد، ونشأ محافظًا على شعائر الدين، مواظبًا على الصلاة، متعهدًا القرآن الكريم بالحفظ والتلاوة.

برزت شخصية والده الشيخ عبدالله بن قاسم لتكون ثاني الشخصيات التي تركت بصماتها الواضحة في نشأته الأولى، فجمع الشيخ علي بين خصال الجد والأب، ونشأ على ما ينشأ عليه أبناء الملوك آنذاك من التمسك بأصول الشريعة، والتحصن بالفضائل الإسلامية والأخلاق الحميدة.

كما تأثر الشيخ علي بشخصيتين نجديتين مهمتين كانتا تقيمان في قطر هذه الأثناء.. هما

١- العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع، الذي قاد الحركة العلمية في البلاد على مدى ربع قرن من الزمان، ما بين (١٣٣٤هـ إلى ١٣٥٧هـ)، وكان من ثمار تأثر الشيخ علي به أن عينه مستشارًا خاصًا له أثناء توليه الحكم.

٢- العلامة الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين، شاعر نجد حيث كان وثيق الصلة بالشيخ علي ورفيقه ونديمه، فتعلم منه الشعر والأدب.

وهكذا كانت المعالم الرئيسية في نشأة الشيخ علي دينية علمية أدبية صالحة ممتزجة بخبرة جده وأبيه، وأهمها البصر بأصول الحكم والتمرس بشؤون الحياة.

اتجاهه العلمي

اتجه الشيخ علي إلى طلب العلم منذ نعومة أظفاره فالتحق بالكتاتيب، وحصّل جملة من العلوم كالقرآن الكريم، والفقه الإسلامي على المذهب الحنبلي، والسيرة النبوية، ومبادئ اللغة العربية، ومبادئ الحساب، وكان من أبرز شيوخه في هذا الطور

١- الشيخ محمد الجابر، وهو أحد العلماء الأوائل في قطر، وقاضيها سنة ١٣٥٨هـ.

٢- الشيخ أحمد بن درهم، الذي أمسك بزمام القضاء في قطر أربعًا وعشرين سنة.

٣- الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، مدير المدرسة الأثرية التي تخرج منها الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني بعد أن تلقى على شيخه ابن مانع شتى العلوم كالعقيدة والفقه والتفسير، وغيرها.

اهتمامه بالعلم والعلماء

تنامى اتجاه الشيخ علي العلمي عندما

ولي شؤون البلاد، فأضحى راعي العلم والعلماء، وأفسح للعلم مجالاً رحبًا في مجالسه، بل كانت مجالسه العلمية من أهم مظاهر الحياة العلمية آنذاك، وجرت العادة على عقد هذه المجالس التي يشهدها لفيف من العلماء والأدباء والمثقفين.

كان المجلس يستهل بالاستماع لآيات من القرآن الكريم، وقراءة لبعض الأحاديث النبوية الشريفة، ثم يتحول الجلساء في الاستماع إلى محاضرة أو مناقشة في التوحيد، أوالفقه، أو التاريخ، أو الأدب، وكان الشيخ علي يشارك في النقاش الدائر مطالعًا الحضور برأيه الحصيف، ونقده العلمي، وتوجيهه المفيد، كما كان الشيخ محمد بن مانع يتبوأ الصدارة في النقاش.

هذا وقد قرب الشيخ علي منه عددًا من العلماء مثل:

١- الشيخ عبدالله الأنصاري، رحمه الله.

٢- الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، رحمه الله.

٣- الشيخ محمد بن نصيف، رحمه الله.

٤- الشيخ زهير الشاويش، حفظه الله.

ووسّع الشيخ علي من اهتمامه بمجالس العلم والعلماء، ومن الأمثلة على ذلك

١- تنظيم مجالس خاصة بالأدب في كل مساء، يحضرها عشرات الشعراء والأدباء.

٢- تنظيم مجالس الفقه والتاريخ في قصره ودعوة النخبة من العلماء للمشاركة فيها.

عقيدته ومذهبه

كانت أسرة آل ثاني من أشد أنصار الدعوة السلفية في منطقة الخليج، وقد عُرف الشيخان قاسم بن محمد وابنه عبدالله بميولهما السلفية الشديدة، وكانا في الوقت نفسه من أشد المتحمسين لنشر المذهب الحنبلي في البلاد، فنشأ الشيخ علي معتنقًا لعقيدة السلف ومتمذهبًا بالمذهب الحنبلي، وظل طوال حياته مخلصًا لهما، وليس أدل على ذلك من حماسه المنقطع لنشر عشرات الأصول العقدية والفقهية



الأمير مع الشيخ زهير الشاويش

التي تؤيد هذه الوجهة.. ومن أهمها

١- كتب الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله.

٢- كتب العلامة ابن الجوزي، رحمه الله.

٣- كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله.

٤- كتب العلامة ابن القيم، رحمه الله.

وغيرها كثير من كتب التراث الإسلامي.. الأمر الذي أدى إلى وصفه بالأمير العالم.

قال فيه الشيخ محب الدين الخطيب: «الأمير العالم العامل الملتزم لسنة السلف في سيرته وسريرته وروابطه بإخوانه المسلمين» (سمط النجوم العوالي ٣/١).

ووصفه الشيخ ابن مانع بقوله: «يكره كتب أهل البدع المحتوية على الشرك والدعوة إليه، والتجهّم والاعتزال، ولا يسمح بإدخالها في مكاتبه» (ديوان ابن درّاج القسطلي).

وعلى الرغم من تمسكه، رحمه الله، بالدعوة السلفية واعتزازه بحنبليته، إلا أنه لم يكن متعصبًا منغلقًا، بل كان عقله رحبًا يقبل الحوار.

توليه الحكم وتنازله عنه

في سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م) تولّى الشيخ علي مقاليد حكم قطر بعد أن تنازل له عن الحكم والده الشيخ عبدالله بن قاسم، وكان آنذاك في الخامسة والخمسين من عمره، وجلس في المجلس الذي حضره أعيان الأسرة لتحرير وثيقة بهذا الأمر في ١٣٦٨/١٠/٢٥هـ الموافق ١٩٤٩/٨/٢٠م، فكانت سنة مفصلية تحولت فيها قطر ودخلت مرحلة جديدة من التطور والنماء.

استمر الشيخ علي في سدة الحكم اثني عشر عامًا انتعشت فيها البلاد، وفاض الخير، وظهرت البركة وعمّ الأمن.

ونتيجة لزهده في الدنيا ورغبته في الانقطاع للعبادة، وتمشيًا مع بعض الصراعات والظروف المحيطة قرر الشيخ علي أن يتنازل عن الحكم لابنه الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني خليفة له، وتم ذلك في يوم الأربعاء ٤ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠/١٠/٢٤م، وأوصاهما الشيخ بتقوى الله، بعد أن قاد السفينة إلى بر الأمان، وجنّبها الفتن.

وفاته

تفرّغ الشيخ علي، رحمه الله، بعد نزوله عن الحكم لأعمال الخير التي كان يقوم عليها، فقد جدّ في إحياء عشرات الآثار الفقهية والعقدية والحديثية والأدبية ونشرها (وقفًا) على حسابه.

تنقل الشيخ في آخر سنوات حياته بين الدوحة ومكة ولبنان وسويسرا، وكان يقضي جل وقته في بيته في بيروت، ويعود في الشتاء إلى الدوحة، ويسافر في رمضان إلى مكة المكرمة، وبعدها إلى سويسرا للعلاج، حيث إن الشيخ كان يعاني من مرض في القلب، ثم عاد الشيخ إلى بيروت واستقر بها آخر أيامه.

وبعد حياة علمية وعملية حافلة، وبعد عقود من العمل والكفاح الجادّين، وبعد مسير عطاء استمرت ثمانين عامًا، توفي الشيخ ضحى يوم السبت ١٣ شعبان ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤/٨/٣١م، في بيروت، وجرى غسله وتكفينه فيها، ثم نُقل جثمانه جوًّا إلى الدوحة، حيث كان في استقباله ابن أخيه الشيخ خليفة بن حمد. أمير البلاد آنذاك. وشيّعه أبناء الأسرة الحاكمة والشعب القطري، وصلى عليه قاضي قطر العلامة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود.

المصادر

١- الأمير الراشد الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، لمحمد محمود الدروبي.

٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على الشبكة العنكبوتية.

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

الوصية الواجبة

فتوى رقم «٥٤٤٣»

توفيت فتحية عن بنتين، وابن، وبنت (متوفاة) خلال حياة والدتها (فتحية)، وهذه البنت اسمها «نوال» عندها من الأولاد ابنان وبنت ولها زوج.

والسؤال هل ترث «نوال» من والدتها مع أنها توفيت خلال حياة والدتها أم لا؟ وما نصيبها الشرعي؟ أفتونا مأجورين، والتركة عبارة عن منزل مساحته ١٠٠متر، وكم مقدار الأسهم الشرعية؟ الرجاء التوضيح مع الشكر.

بموجب قانون الأحوال الشخصية المصري يستحق أولاد هذه البنت حصة أمهم من أمها على فرض وفاة أمهم بعد أمها لا قبلها على ألا يزيد ذلك على ثلث التركة، وألا تكون جدتهم قد وهبتهم في حياتها أو أوصت لهم بعد موتها بما يعادل حصتهم في الوصية الواجبة، ويقسم ذلك بينهم للذكر مثل حظ الانثيين على أنه وصية واجبة.

الصلاة على سجادة فيها تصاوير

فتوى رقم «٥٤٥٤»

ما حكم الصلاة على السجادة التي فيها صور المساجد والقباب التي على القبور والمنارات وأمثالها؟

تكره الصلاة على بساط أو سجاد فيه صور واضحة تشغل بال المصلي عن الصلاة، أما إذا كانت الصور أو الرسوم على البساط أو السجاد لا تشوش عليه صلاته فلا تكره الصلاة عليها.

مسابقة تزيد فيها أجرة المكالمة

فتوى رقم «٥٤٨٠»

قمت بالكتابة إليكم حتى أتبين مدى شرعية هذا العمل التجاري، وهو أن تقوم بالاتصال الدولي بجهة معينة لتجيب عن بعض الأسئلة، وإن كانت إجابتك صحيحة فلك الحق في دخول مسابقة أخرى وهي السحب من المجموعة التي أجابت صحيحًا، وقد تفوز بتذكرة إلى جهة معينة والدخول في مسابقة لربح مليون ريال، هذه إحدى الطرق (الأموال تأتي من سعر المكالمات للمشاركين في المسابقة وسعر المكالمة للدقيقة الواحدة أعلى من المتعارف عليه).

أما عن الطريقة التي أنا بصدد القيام بها، فهي تعتمد على الطريقة السابقة نفسها، علمًا بأن سعر المكالمات الدولية للدقيقة قد يضاعف ولكن بعلم ودراية الشخص المتصل

يجوز الاشتراك في المسابقة المستفتى عنها إذا تحقق وجود الشرطين التاليين:

١-ألا يدفع المتسابق شيئًا من قيمة جوائز المسابقة.

٢-إذا ربح المتسابق شيئًا في أي مرحلة فإنه لا يخسره، ولا يخسر شيئًا وإن أخطأ في الإجابة التي تلي ذلك، وإلا لم يجز الاشتراك في هذه المسابقة، والله أعلم.

زراعة الشعر للمرأة

فتوى رقم «٥٤٩١»

زراعة الشعر حلال أم حرام؟

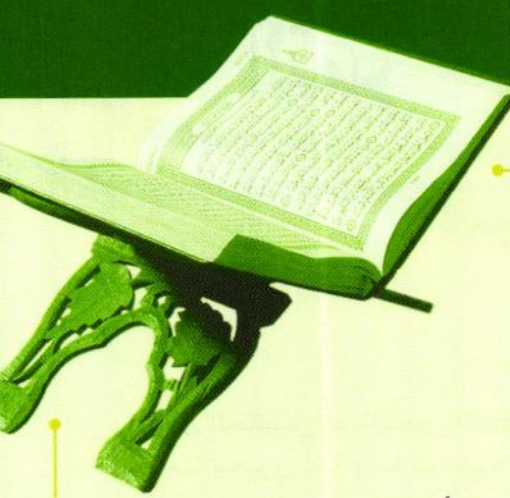
يجوز عند الحاجة للرجل وللمرأة زراعة الشعر كنوع من أنواع العلاج. والله أعلم.

أداء الشهادة على ما سمع ولم يره

فتوى رقم «٥٥٠١»

ما حكم الشهادة إذا جاءت على شيء لم يسمع، ولكن المشهود له هو الذي أبلغ الشاهد أن يشهد له بالشهادة.

الشهادة على الحقوق بين الناس لا يجوز أن يقوم بها الشاهد إلا إذا كان عالمًا بالشيء به ومتأكدًا من صحة ما يشهد به تأكدًا كاملًا، وإلا كان آثما في شهادته، وترد شهادته إذا علم القاضي بعدم تأكده منها



ويعاقبه عليها، وإذا طلب احد من المسلم أن يشهد له بأمر لم يعلم هو به من قبل ولم يشاهده بنفسه، فعليه الامتناع عن الشهادة به، وإلا كان شاهد زور، وشهادة الزور من اكبر الكبائر، فقد روي عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال» قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت» وفي رواية:«فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» (رواه البخاري)، والله أعلم.

عدم الإفصاح عن سبب الموت

فتوى رقم «٥٥٠٢»

نحن مجموعة من الأطباء، نقوم بعلاج مرضى مصابين بمرض الإيدز وكم تعلمون مدى حساسية هذا المرض في مجتمعنا الذي نعيش فيه وانعكاساته السلبية على سمعة العائلة والفرد، ومن أجل المحافظة على خصوصية المريض وعلى سمعة العائلة، فإننا نضطر لعدم الإفصاح عن سبب الوفاة الحقيقي في شهادة الوفاة، والاكتفاء بكتابة سبب عام لا يوحي بأن سبب الوفاة هو مرض الإيدز، وقد يكون في هذا إخلال بالإحصاءات العامة لوزارة الصحة، ويكون في هذا نوع من الكذب والتدليس، فهل عملنا هذا جائز أم لا.

مادام نظام الدولة يوجب أن يقدم الطبيب المختص شهادة وفاة لمن فارقته الحياة تتضمن سبب الوفاة، فإن الطبيب يجب عليه في كل الأحوال أن يدون في الوثيقة الصادرة منه ما رآه وما علمه عن سبب الوفاة، لأنها شهادة، وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ (البقرة: الآية ٢٨٣).

ولا بأس بأن يجعل ذلك في تقرير سري لا يطلع عليه غير السلطات المسؤولة في الدولة، إذا كانت الأنظمة تسمح بذلك.

معالجة مريض بمرض خطير يحتمل شفاؤه

فتوى رقم «٥٥١٠»

لدي طفل حديث الولادة جدًا وهو مريض بأمراض عديدة خطيرة كما هو مبين في التقرير الطبي المرفق، ويحتاج إلى عدة عمليات جراحية، ولذلك فأنا في حيرة من أمري: هل أوافق على إجراء تلك العمليات له مع قلة نسبة النجاح فيها؟ أم لا أوافق وأتركه لقدر الله عز وجل، وهل أنا في الحالتين أو إحداهما أكون مقصرًا في حقه؟ وما الذي يجب علي العمل به ليرتاح قلبي؟

على المستفتي أن يعالج ابنه المذكور بالعلاجات العادية دون اللجوء إلى إجراء العمليات الخطيرة التي نسبة نجاحها محدودة ويكل أمره إلى الله تعالى ولا يسأل عن أكثر من ذلك.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن خطاب الضمان

بعد النظر فيما أعد في خطاب الضمان من بحوث ودراسات وبعد المداولات والمناقشات المستفيضة التي تبين منها:

أولا: خطاب الضمان بأنواعه الابتدائي والانتهائي لا يخلو إما أن يكون بغطاء أو بدونه، فإن كان بدون غطاء، فهو ضم ذمة الضامن إلى ذمة غيره فيما يلزم حالا أو مآلا، وهذه هي حقيقة ما يعرف في الفقه الإسلامي باسم الضمان أو الكفالة

وان كان خطاب الضمان بغطاء فالعلاقة بين طالب خطاب الضمان وبين مصدره هي الوكالة، والوكالة تصح بأجر أو بدونه مع بقاء علاقة الكفالة لصالح المستفيد (المكفول له)

ثانيا: الكفالة هي عقد تبرع يقصد به الإرفاق والإحسان.

وقد قرر الفقهاء عدم جواز أخذ العوض على الكفالة، لأنه في حالة أداء الكفيل مبلغ الضمان يشبه القرض الذي جر نفعًا على المقروض، وذلك ممنوع شرعا

قرر ما يلي:

أولا: خطاب الضمان لا يجوز أخذ الأجر عليه لقاء عملية الضمان - التي يراعى فيها عادة مبلغ الضمان ومدته - سواء أكان بغطاء أم بدونه.

ثانيًا: المصاريف الإدارية لإصدار خطاب الضمان بنوعيه جائزة شرعًا، مع مراعاة عدم الزيادة على أجر المثل، وفي حالة تقديم غطاء كلي أو جزئي، يجوز أن يراعى في تقدير المصاريف لإصدار خطاب الضمان ما قد تتطلبه المهمة الفعلية لأداء ذلك الغطاء.

إعداد: خالد خلاوي

أمل يصحبه عمل

الأمل الحقيقي هو الشعور الإيجابي تجاه ما يجري لنا وما نواجهه من مشاكل وتحديات، ويجب أن يصحب هذا الشعور عمل دؤوب يكون هو الطريق إلى النجاح والتميز، أما غير ذلك فهي مجرد أماني وأحلام لا ينبني عليها شيء، يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: إن المجد والنجاح والإنتاج تظل أحلامًا لذيذة في نفوس أصحابها وما تتحول حقائق حية إلا إذا نفخ فيها العاملون من روحهم ووصلوها بما في الدنيا من حس وحركة.

وقد حكى الرسول ﷺ لصحابته قصة رجل قتل تسعة وتسعين نَفْسًا، وأراد أن يتوب إلى الله تعالى فسأل أحد العباد الزهاد: هل تجوز لي التوبة؟

فأجابه ذلك العابد: لا. فاغتاظ الرجل وقتله وأكمل به المائة، وبعد أن قتله زادت حيرته وندمه، فسأل عالمًا صالحًا: هل لي من توبة؟

فقال له: نعم. تجوز لك التوبة، ولكن عليك أن تترك القرية التي تقيم فيها لسوء أهلها وتذهب إلى قرية أخرى أهلها صالحون، لكي تعبد الله معهم.

فخرج الرجل مهاجرًا من قريته إلى القرية الصالحة، وكله أمل أن يتقبل الله توبته، لكنه مات في الطريق قبل أن يصل إلى القرية الصالحة، فنزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، واختلفوا فيما بينهم أيهم يأخذه، فأوحى الله إليهم أن يقيسوا المسافة التي مات عندها الرجل، فإن كان قريبًا إلى القرية الصالحة كتب في سجلات ملائكة الرحمة، وإلا فهو من نصيب ملائكة العذاب، ثم أوحى الله سبحانه إلى الأرض التي بينه وبين القرية الصالحة أن تَقَارَبي، وإلى الأخرى أن تَبَاعَدي، فكان الرجل من نصيب ملائكة الرحمة، وقبل الله توبته، لأنه هاجر راجيًا رحمته سبحانه، وطامعًا في مغفرته ورحمته (القصة أصلها في الصحيحين).

لقد كان للقاتل أمل في التوبة ولكنها بحاجة إلى العمل لتتحقق وهو الذهاب إلى القرية الصالحة، وهكذا يوجه الأمل مسيرة الحياة توجيهًا إيجابيًا ويبعث في النفس السرور والعزيمة الصادقة على التغيير والعمل والإنجاز.

قال الشاعر:

لا خير في اليأس، كُلُّ الخير في الأمل
أَصْلُ الشجاعة والإقدام في الرَّجُلِ

وفي القرآن الكريم نجد أن الرجاء في الله عز وجل والأمل في عفوه ومغفرته مرتبط بالعمل، قال الله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ (الكهف ١١٠).

وقال رسول الله ﷺ: «حسن الظن من حسن العبادة» (رواه أحمد).

وقال ﷺ أيضًا باعثًا الأمل في كل مسلم: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة (نخلة صغيرة)، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسَها فليَغرسْها» (رواه أحمد).

والأمل والتفاؤل قرينان وعكسهما اليأس والتشاؤم، سئل برنارد شو: من المتفائل ومن المتشائم؟ فقال: المتفائل هو الذي يرى نورًا، وكل ما حوله ظلام، والمتشائم هو الذي يرى ظلامًا، وكل ما حوله نور.

ويقول أنور الجندي رحمه الله: علينا ألا نغالي في الاتجاه نحو التفاؤل أو التشاؤم، فالتشاؤم يصدر عن ضعف الثقة في النفس والمبالغة في الخوف من الفشل، فعلينا أن نتجاوزه إلى التفاؤل وعلينا ألا نغالي في التفاؤل أيضًا بل وعلينا أن نكون على ثقة في الله فلا نخاف المستقبل ولا نرهبه.

والأمل كان دافع العظماء والمخترعين في تحقيق إنجازاتهم العظيمة، بعد عدد من المحاولات الفاشلة، وكان لاختراع المصباح الكهربائي قصة مؤثرة في حياة إدسون، ففي أحد الأيام مرضت والدته مرضًا شديدًا، وتطلب الأمر إجراء عملية جراحية لها، إلا أن الطبيب لم يتمكن من إجراء العملية ليلًا نظرًا لعدم وجود الضوء الكافي، واضطر للانتظار للصباح، ومن هنا تولد العزم والإصرار عند إدسون لكي يضيء الليل بضوء أقوى من ضوء الشموع، فانكب على تجاربه ومحاولاته العديدة من أجل تنفيذ فكرته حتى إنه خاض أكثر من ٩٠٠ تجربة في إطار





سعيه من أجل نجاح اختراعه، وبرغم ذلك لم ييأس، وقال عندما تكرر فشله في تجاربه «هذا عظيم.. لقد أثبتنا أن هذه أيضا وسيلة فاشلة في الوصول للاختراع الذي نحلم به»، وواصل عمله بمنتهى الهمة باذلاً المزيد من الجهد إلى أن كلل تعبه بالنجاح فتم اختراع المصباح الكهربائي في عام ١٨٨٧م.

وعن دور الأمل في إنجازاته كان إدسون يقول: الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء.

صور من حياة المتميزين

الأمل في حياة الرسول ﷺ

الأمل والرجاء في نصر الله وتوفيقه مهما ساءت الظروف وكثرت التحديات كانا من خلق الرسول ﷺ، فكان يواصل دعوة قومه ليلًا ونهارًا بلا يأس مهما لاقى منهم من إيذاء، وكان ﷺ يشحذ همة أصحابه نحو المزيد من العمل وبذل المجهود وكله أمل وثقة في نصر الله تعالى.

يروى عن خباب بن الأرت أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله، فقعد، وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله . زاد بيان الراوي . والذئب على غنمه» وفي رواية: «ولكنكم تستعجلون».

يقول صاحب الرحيق المختوم: وأمام هذه البشارات بالمستقبل المجيد المستنير في الدنيا، مع ما فيه من الرجاء الصالح الكبير البالغ إلى النهاية في الفوز بالجنة كان الصحابة يرون أن الاضطهادات التي تتوالى عليهم من كل جانب، والمصائب التي تحيط بهم من كل الأرجاء ليست إلا: «سحابة صيف عن قليل تقشع».

وكان رسول الله ﷺ نفسه يقوم بمثل هذه البشارات بين آونة وأخرى، فكان إذا وافى الموسم، وقام بين الناس في عُكاظ، ومَجَنَّة، وذي المَجَاز لتبليغ الرسالة، لم يكن يبشرهم بالجنة فحسب، بل يقول لهم بكل صراحة: «يأيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكًا في الجنة». وجاء جبريل عليه السلام للنبي ﷺ بعد رحلة الطائف الشاقة، وقال له: لقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبيْن (اسم جبلين)، فقال ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» (متفق عليه)

كلمات في التميز

التفاؤل

الفرق بين نظرة الإسلام والنظرة التشاؤمية، هو أن الإسلام ينظر للحياة كما ينبغي أن تكون، أما التشاؤم فإنه ينظر للحياة كما هي.

علي أدهم

يجب أن يكون إحساسك إيجابيًا مهما كانت الظروف، ومهما كانت التحديات، ومهما كان المؤثر الخارجي.

إبراهيم الفقي

هناك من يتذمر لأن للورد شوكًا، وهناك من يتفاءل لأن فوق الشوك وردة.

جبران خليل جبران

إذا نظرت بعين التفاؤل إلى الوجود، لرأيت الجمال شائعًا في كل ذراته.

مصطفى السباعي

في القلب حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله.

ابن القيم

المتفائل هو من يوجد الهدف من العقبات التي تعترضه.

فيلسوف

التفاؤل والأمل مثلهما مثل الضعف واليأس يمكن تعلمهما.

دنيال جولمان

إعداد: هالة محمد

آثار القدس غير يهودية



أعلن علماء آثار في القدس أنهم عثروا في المدينة المقدسة على قطعة من لوح من الصلصال عمره ٣٤٠٠ عام ونقشت عليه كتابات أكادية.

ويبلغ طول هذه القطعة سنتيمترين وعرضها ٢.٨ سم، وهي تحمل كتابة مسمارية بالأحرف الأكادية، اللغة التي كانت سائدة في التخاطب الدبلوماسي في تلك الحقبة.

وأكد العلماء أن هذا الاكتشاف يدل على أهمية المدينة منذ العصر البرونزي.

واكتشفت هذه القطعة في الشطر الشرقي من مدينة القدس، الذي احتلته إسرائيل في ١٩٦٧ وضمته إليها بعد ذلك في قرار لم يعترف به المجتمع الدولي، في منطقة تقع جنوب الحرم القدسي الذي يزعم اليهود أنه بني فوق الهيكل الذي دمر في سنة ٧٠ للميلاد.

وحال صغر حجم القطعة دون التمكن من فك جملة كاملة، غير أن واين هورويتز المسؤول عن فك المخطوطات في جامعة القدس العبرية رأى أن النوعية الممتازة للكتابة تؤكد أن « من خط هذه القطعة هو كاتب رفيع المستوى، ربما كان يعمل في خدمة ملك من ملوك القدس».

ويشتبه الباحثون في أن هذه القطعة كانت رسالة من ذلك الملك إلى فرعون مصر اخناتون.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، عثر في موقع تل العمارنة في مصر على قطع من النوع نفسه تعود إلى الحقبة ذاتها، تحمل نداءات للمساعدة وجهتها الأساطيل المصرية في سورية وفلسطين إلى الفرعون.

ويعلن علماء الآثار في القدس من حين إلى آخر عن اكتشاف قطع أثرية تعود إلى عهود مختلفة، فقد عثروا منتصف فبراير الماضي على حجر رخامي نادر حفرت عليه كتابة بالخط العربي يعود إلى القرن العاشر، ويعود النقش إلى عام ٩١٠، ويشير إلى منح الخليفة العباسي المقتدر قطعة أرض إلى أحد أقاربه.

كما أعلنوا في الشهر نفسه عن العثور على درب قديم كان يسلكه الحجاج المسيحيون ويعود إلى الحقبة البيزنطية قبل ١٥٠٠ سنة في قلب القدس.

الهزات الأرضية وجاذبية الشمس والقمر



جاذبية الشمس والقمر التي تمتد إلى الأرض، هي التي تسبب عملية المد والجزر في البحار والمحيطات، لكنها قد تسبب أيضا الهزات الأرضية التي تضرب أطرافًا من الكوكب الأرضي.

هذا ما يقوله علماء من جامعة كاليفورنيا، بعد أن حللوا الوقائع الجيولوجية لمنطقة «سان اندرسي» التي تمتد حدودها بين شمال أميركا والمحيط الباسفيكي.

وقد وجدوا أن هذه المنطقة تعرضت إلى عدد من الهزات الأرضية الخفيفة التي حدثت بفعل تأثير جاذبية الشمس والقمر.

اكتشاف كوكب عملاق

اكتشف علماء الفلك نجمًا عملاقًا تبلغ درجة سطوعه عشرة ملايين ضعف درجة سطوع الشمس.

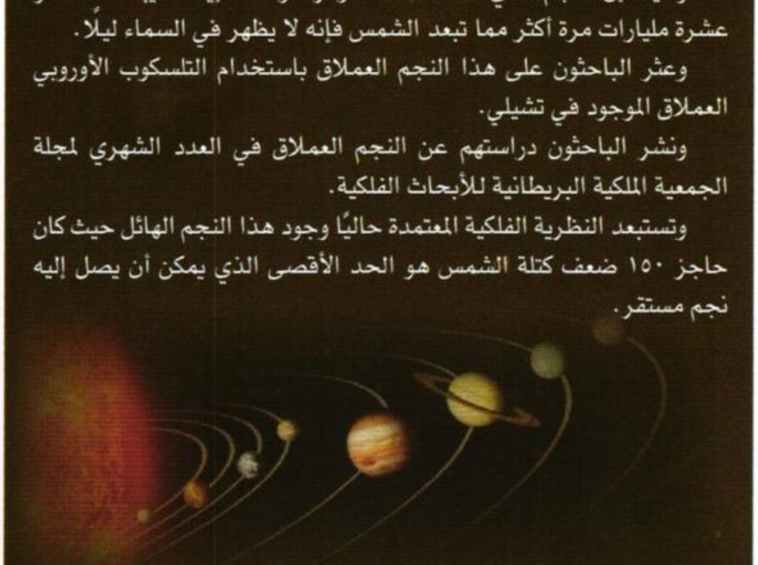
وأكد الباحثون البريطانيون- تحت إشراف البAروفيسور بول كروز من جامعة شيفيلد البريطانية- على أن هذا النجم الذي حقق رقمًا قياسيًا في درجة السطوع ليس فقط الأكثر سطوعًا بين النجوم التي تم اكتشافها حتى الآن، ولكنه أيضًا الأكبر كتلة حيث يمتلك كتلة تزيد عن حجم كتلة المجموعة النجمية التي تحيط بنا ٢٦٥ مرة.

وحيث إن النجم الذي أعطاه العلماء رمز «آر ١٣٦ إيه ١» يبعد عنا نحو عشرة مليارات مرة أكثر مما تبعد الشمس فإنه لا يظهر في السماء ليلًا.

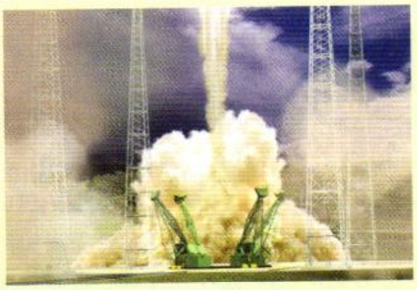
وعثر الباحثون على هذا النجم العملاق باستخدام التلسكوب الأوروبي العملاق الموجود في تشيلي.

ونشر الباحثون دراستهم عن النجم العملاق في العدد الشهري لمجلة الجمعية الملكية البريطانية للأبحاث الفلكية.

وتستبعد النظرية الفلكية المعتمدة حاليًا وجود هذا النجم الهائل حيث كان حاجز ١٥٠ ضعف كتلة الشمس هو الحد الأقصى الذي يمكن أن يصل إليه نجم مستقر.



إنفجار لأشعة «إكس»



ذكر علماء الفلك أن انفجارًا قياسيًا لأشعة إكس وقع أوائل هذا الصيف كان ضخمًا للغاية حتى لقمر صناعي خاص مصمم لتسجيل تلك الأشياء.

وقال أستاذ علوم الفلك والطبيعة الفلكية في جامعة ولاية بنسلفانيا ديفيد بوروز: إن مرصد الفضاء «سويفت» التابع لوكالة الطيران والفضاء الأميركية (ناسا) أصيب «بعمى مؤقت» بسبب انفجار لأشعة إكس هو الأكثر بريقًا، مما وراء مجرة درب التبانة.

وذكر فيل إيفانس من جامعة ليسيستر البريطانية، وهو من مصممي البرمجيات، أن الانفجار أغلق البرمجيات الخاصة بتحليل البيانات لمرصد سويفت.

وأضاف «انطلقت الكثير جدًا من الوفوتونات على جهاز الاستشعار كل ثانية إلى حد أنه لم يكن بالإمكان إحصاؤها بسرعة كافية، إن ذلك يشبه محاولة استخدام مقياس الأمطار ودلو لقياس معدل التدفق لموجة تسونامي».

وقال علماء: إن أشعة إكس قطعت حوالي خمسة مليارات سنة خلال الفضاء وتوجهت نحو قمر «سويفت» الصناعي في ٢١ يونيو الماضي، وكان من المرجح أن يأتي الانفجار «غير المتوقع وغير المسبوق» من انفجار أشعة غاما الناجمة عن انفجار نجم ضخم بينما كان يتحول إلى ثقب أسود.

وقال بوروز «انفجار أشعة إكس هذا هو أكثر مصادر الضوء إشراقًا حتى الآن والتي يجري مشاهدتها في الأطوال الموجية لأشعة إكس في الأبعاد الكونية».

طائرة شمسية تطير ليلاً!



من المخترعات الحديثة اختراع طائرة تعمل بالطاقة الشمسية وتطير ليلاً، ومن المقرر أن تقلع الطائرة في يوم مشمس بواسطة الطاقة الشمسية من مطار في سويسرا، وبعد إقلاعها ستأخذ الطائرة في شحن الخلايا الشمسية الموجودة في جناحيها بالطاقة، وتعمل على تخزين ما يكفي من الطاقة لكي تجعل المحركات الكهربائية تستمر في العمل حتى الفجر، ومن المقرر خلال عامين أن تنطلق الطائرة في أول رحلة يقودها طيار عبر المحيط الأطلسي في عام ٢٠١٣م.

الإنسان الآلي خطر على الإنسان!

توصل علماء ألمان في دراسة ركزت على ما يمكن أن يحدث في حالة حصول تصادم بين الإنسان الآلي المجهز بآلات حادة والإنسان الطبيعي، وقد استخدم العلماء ذراعًا آلية لها آلات حادة مبرمجة على إصابة الأنسجة البشرية الرخوة على سبيل الاختبار، وفي بعض الحالات وجد العلماء أن الإنسان الآلي قادر على إحداث جروح مميتة إذا ما اعتدى على الإنسان الطبيعي.

من هنا وهناك

● ربط علماء أميركيون بين استخدام ربات المنازل للمواد المنظفة وبين الإصابة بسرطان الثدي.

وذكرت مجلة «الصحة البيئية» أن المواد المنظفة والمعطرة للهواء والأخرى المستخدمة لإزالة الرواسب المتعفنة في المنزل والمبيدات الحشرية قد تؤثر في مركبات كيميائية مضرة للغدة الصماء وقد تتسبب بسرطان الثدي.

● تحاول معظم مراكز البحث العلمي التي تسعى إلى استخراج أنواع غير مكلفة من الوقود البيولوجي التركيز على النباتات غير المستخدمة في الاستهلاك البشري كغذاء، خاصة في المراحل الأولى من محاولات إنتاج هذا النوع من الوقود.

● أطلقت شركة «إل جي اليكترونيكس» جهاز الإسقاط الضوئي «سي.إف ٣.دي» الذي يعتبر أول جهاز ثلاثي الأبعاد في العالم مدعوم بتقنية الوضوح الكامل، ويأتي الجهاز الجديد مع محرك إسقاط مزدوج لخلق تأثير الصورة ثلاثية الأبعاد بدقة تصل إلى ١٠٨٠ بيكسلا، وبتردد تروموشن ١٢٠ هرتزا، ومن المتوقع أن يستقطب الجهاز الجديد الباحثين عن تجربة العرض المثالية في المنزل مع الأفلام المصورة بتقنية الأبعاد الثلاثية.

● تمكن علماء آثار من اكتشاف كنيسة بيزنطية قديمة عمرها ٩٠٠ سنة كانت مدفونة تحت أرض أنطاكيا المطلة على البحر المتوسط.

● تمكن المخترع المصري صبري عبده عطا الله الألفي من اختراع آلة تنتج طاقة وتعمل بدون أي وقود وتستمد طاقتها من الجاذبية الأرضية ولا تتعارض مع قوانين الديناميكا الحرارية.

● أعلنت وزارة الثقافة المصرية عن اكتشاف مقبرتين لرئيس كتبة الملك ونجله في الدولة الفرعونية القديمة منحوتتين في الصخر، يرجع تاريخهما لنحو ٤٣٠٠ عام.

الجمال آية

قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾.

إن المتأمل في آيات الله سبحانه وتعالى الكونية عبد تحققت في ذاته أسمى معاني العبودية، وهي النظر والتدبر والتفكر في عظمة الخالق وعظمة الصانع سبحانه وتعالى الذي أتقن كل شيء.

إن هذا التأمل ينمي في الفرد ملكة الإحساس بالجمال، وهذا الإحساس يعمق وينمي في الفرد نعمة الشكر لله العظيم المبدع للجمال.

إن تأثر النفس الإنسانية بالجمال فطرة فطر الله الناس عليها، وفي تنمية هذا الإحساس بالجمال عبادة فيها الشكر لله العظيم مبدع الجمال.

أحمد محمد شفيق

لحم الخنزير حرام.. لماذا؟!

النص القرآني جاء بتحريم لحم الخنزير في أربعة مواضع:

١- قوله تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (البقرة:١٧٣).

٢- قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع﴾ (المائدة: ٣).

٣- وقوله ﴿قُل لا أجد في ما أوحي إليّ محرّمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾ (الأنعام: ١٤٥).

٤- وقوله: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾ (النحل: ١١٥).

ويقول د.الطبيب محمد نزار الدقر في بحثه:

الخنير حيوان لاحم عشبي تجتمع فيه الصفات السبعية والبهيمية، فهو آكل كل شيء، وهو نهم كانس كنس الحقل والزريبة، فيأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشراهة ونهم، وهو مفترس يأكل الجرذ والفئران وغيرها كما يأكل الجيف حتى جيف أقرانه.

يقول الإمام الدميري: إن الخنزير شرس الطباع شديد الجماع شبق تكتنف حياته الجنسية الفوضى ولا يخصص لنفسه أنثى معينة.

ويروي د.هانس هايترش قصة طريفة جرت في أحد المشافي العسكرية حيث كانت هناك حظيرة للخنازير ملحقة بالمشفى وتعيش على النفايات والفضلات ويذبح أحدها كل شهر طعامًا للمرضى والعاملين في المشفى،

تعقيب على مقال «الحياة الزوجية في الإسلام»

لقد طالعت العدد رقم ٥٣٧ الصادر في جمادى الأولى/ مايو ٢٠١٠ من مجلتكم الغراء «الوعي الإسلامي» والتي أحرص على ضرورة الاطلاع على كل أعدادها لما لها من قيمة ثقافية ودينية رفيعة، وتوقفت عند موضوع بعنوان «الحياة الروحية في الإسلام» لعبدالفتاح العيسوي، حيث جاء على لسانه «أن الإنسان يتكون من عنصر مادي وعنصر روحي وأن العنصر الروحي هو المسؤول عن الخلق الذميم والبغض والحقد وغير ذلك»، في حين أن الإنسان يولد على الفطرة وأن كافة الجوانب الذميمة والأخلاق الفاسدة مكتسبة من البيئة، وهناك نظريات عدة أبدت هذا من زمن بعيد وإلا وفق ما يقرره الموضوع فإنه لا يمكن محاسبة المجرم على إجرامه.

كما جاء في الموضوع «إن التقدم التكنولوجي جاء بالدمار على العالم» وهذا غير صحيح فالدين الإسلامي يدعو إلى العلم والتقدم ﴿وقل رب زدني علمًا﴾ ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾ ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾، ولاشك أن التقدم العلمي سهل على البشرية صعوبات الحياة فقرب المسافات ومكن الإنسان أن يشق عنان السماء ويغوص في أعماق البحار كما اكتشف كثيرًا من أنواع العلاجات للأمراض الخطيرة.

وما ينتج عنه من أخطار إنما ترجع لسوء استخدام التكنولوجيا على يد مرضى النفوس.

ويبرهن الكاتب برأيي أحد العلماء غير المسلمين وهو انديركو نوامي ايفي وهو عالم يهودي معروف بعدائه للإسلام والمسلمين ويعمل استاذ للفسيولوجيا بجامعة شيكاغو حيث يقرر الكاتب على لسانه أن النواحي الروحية والأخلاقية من حياة الإنسان هي المسؤولة عن سلامته ورفاهيته وشعوره بالسعادة.

والعجيب أن الكاتب لم يجد في المنهج الإسلامي وفي علماء المسلمين ما يؤيد قوله وكأن الإسلام في حاجة أن تستكمل مناهجه علي يد غير المسلمين ونسي قول الحق: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾.

وقد جانب الصواب وبدلا من أن يضيف مميزات للمنهج الإسلامي وصفه بالقصور والعجز الذي يستكمله من علماء غير المسلمين اليهود، ومن المدهش والغريب أن يدعم كلامه بأن هناك جمعية في سويسرا تدعى «جمعية التسلح الخلقي» تدعو إلى السمو الأخلاقي والديني ونسي الكاتب أن سويسرا قد سنت قانونا يمنع إقامة المآذن وقد أثار هذا القانون معظم العواصم الإسلامية، كما قد حرمت ومنعت

وفي أحد الأيام تدافعت الخنازير على الفرن المملوء بالضمادات المضمخة بالقيح والمهيأة للحرق فالتهمتها.

وتوفيرًا للعلف قررت إدارة المستشفى من ثم أن يصبح نصف الضمادات المبللة بالقيح طعامًا للخنازير، وهكذا أصبحت دماء تلك الخنازير مفعمة بالسموم، ولنتصور الآن مرضى هذا المشفى وأكثرهم مصابون بنواسير كعقابيل للكسور الناجمة عن الطلقات النارية، إنهم يغذون بلحم خنزير مشبع بالسموم، فبدلا من الشفاء يولد عندهم هذا اللحم هجمة جديدة من الالتهاب والتقيح.

هذا ويحمل الخنزير ٤٥٠ مرضًا وبائيًا، منها الزحار والأسكاريس والانسمام الوشيقي والديدان القنفذية والكبدية والمفلطحة وشوكية الرأس والدودة المسلحة الخنزيرية والشعيرات الحلزونية وغيرها.

أميرة سلمان محمد

الآن حصحص الحق

يجري الله الحق على ألسنة الخلق حتى ولو لان أهل الحق أو ذلوا من الخلق، واليوم تعلن هيلين توماس اليهودية الأميركية أن أرض فلسطين ليست أرض اليهود والصهاينة وإنما أرض العرب من أبناء فلسطين، وقالت يجب على بني صهيون أن يرحلوا إلى بولندا من حيث أتوا، وهنا ثار عليها اللوبي الصهيوني بالولايات المتحدة، وعلى الفور وصفها المتحدث باسم البيت الأبيض بالكريهة البغيضة، ولم يرحم شيبتها وعنَّفها ونادها بالاعتذار لإسرائيل فورًا.

والسيدة الأخرى والتي لا تقل روعة هي اليهودية من الناصرة بفلسطين تالي فحيما، والتي أسلمت بعد الاعتداء على أسطول الحرية وقالت: أنا أعتقد أن الله اختارني وانتشلني من الصهيونية إلى طريق الهداية الإسلامية، ولقد عذبوها واعتقلوها في السجون الإسرائيلية.

وقالت: لقد فقدت الأمل في القيادات الإسلامية نظرًا لعدم تطبيقها للمبادئ الإسلامية.

انها نماذج مشرفة في ميدان الحق والإنسانية.

ناهد السيد شعبان

ارتداء النقاب، فمن المشكوك فيه أن نستعير منها بعض الجوانب الأخلاقية التي تنقص الإسلام «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي» كان جديرا بالكاتب أن يستشهد بأئمة الفقهاء وعلماء المسلمين وهم ولله الحمد فوق الحصر، كما أنه في المملكة العربية السعودية ينعم المسلمون من كل فج بالحياة الروحية في ظل الحرمين الشريفين وخاصة في رمضان وهو ما يظهر بجلاء ويقرره علماء المسلمين وغير المسلمين.

وللأسف فالكاتب جانب الصواب إذ ينشر هذه الموضوعات في مجلة إسلامية وعريقة تخدم الإسلام والدعوة الإسلامية منذ أكثر من خمسين عامًا وتصدر من بلد عربي عريق ينفق أهلها ملايين الدولارات سنويًا في إقامة دور العبادات داخل وطنهم وخارجه لتدعيم الجوانب الروحية في الإسلام والتي تنبع من داخلهم وليسوا في حاجة إلى الاستنارة بغير المسلمين.

د.أحمد إبراهيم الجرزاوي

«البيوت العنكبوتية في مجتمعنا الإسلامي»

لماذا أصبح الكثير من بيوتنا المسلمة اليوم أشبه ببيت العنكبوت؟

سؤال يتبادر إلى ذهني وأنا أطالع كل يوم في الصحف تلك الجرائم التي ترتكب داخل الأسرة.

إما من الزوجة التي تنحرف وتخون فتقتل الزوج للتخلص منه.

وإما من الزوج الذي يقتل الزوجة انتقامًا لشرفه الضائع.

وإما من الأولاد العاقين الذين يعتدون على الأب أو الأم بالضرب أو القتل.

وإما من بنات المسلمين اللاتي ينحرفن فيجلبن العار لأهلهن.

جرائم نطالعها كل يوم حتى احتلت الجرائم الأسرية نسبة كبيرة من الحوادث اليومية.

فلماذا غاب الدين والإيمان والرحمة والمودة عن الأسرة المسلمة حتى صارت كبيت العنكبوت بل أهون وأضعف؟ ولماذا صارت المرأة المسلمة في بعض البيوت كالأرملة السوداء أو أنثى العنكبوت التي تقتل الزوج بمجرد أن تقضي منه وترها وتستغنى عنه؟

ولماذا تهتكت العلاقات الأسرية ووصلت إلى هذا المستوى من الانحطاط الخلقي والاجتماعي في العديد من البيوت؟

إن البيوت والأسر التي تنتشر فيها الجرائم اليوم لأوهن من بيت العنكبوت، وإن غياب الدين عن بيوتنا وهدم النظام الأسري الإسلامي الذي يسعى الغرب إلى تحقيقه من خلال المؤتمرات العالمية للمرأة سيحول بيوت المسلمين إلى بيوت عنكبوتية هشة يتصارع فيها أفرادها وكأنهم في حلبة مصارعة، القوي يأكل الضعيف والزوجة تتربص بالزوج وربما تقتله، والأب يطرد الابن والابن يقتل الأم والأب والبنت تخرج من البيت والزوج يستغل الزوجة.. بعد أن غاب الدين عن هذه البيوت وانزوت الأخلاق والقيم جانبًا وسادت القيم المادية والنفعية.

محمد السيد عامر

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

معرفة حق الأديب

قال الشّافعي رحمه الله تعالى:

أصبحت مُطّرَحًا في مَعْشَرٍ جَهِلُوا
حــق الأديب فباعوا الرّأس بالذّنبِ
والنّـاسُ يَجمعُهم شـملٌ وبينَهُمُ
في العَقلِ فَرْقٌ وفي الآداب والحَسَبِ
كَمثلِ ما الذّهَبَ الإبريزِ يَشـرَكُهُ
في لونِهِ الصُّفرُ والتّفضيلُ للذّهَـبِ
والعُودُ لو لم تَطبْ منهُ روائحُـهُ
لمْ يَفْرِقِ النّاسُ بينَ العُود والحَطَبِ

(ديوان الإمام الشافعي)

متاع الغرور

من تفكر بعواقب الدنيا، أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر. ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه! وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، تغلبك نفسك على ما تظن، ولا تغلبها على ما تستيقن، أعجب العجائب، سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خبئ لك، تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم، وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم، لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، وأبدى مضجع سواك- قبل الممات- مضجعك، وقد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

أفضلُ الأصحاب

حضّ أحدُ جُلَساء محمد بن حُمَيد الطوسي على قتل من وقع في قبضته من أعدائه، إلا أنه أدخله مجلسه وأطعمه وأكرمه، ولم يعاتبه على جُرُم ولا جناية، ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حَضّ الصاحبَ على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسّن لصاحبه أن يجازيَ الإحسان بضعفه، والإساءة بصفحه؛ إنّا إذا جازينا من أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أُتيح مِنَ الظفر؟ إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يُمْسِكَ إلا عن قولٍ سديد وأمرٍ رشيد، فإن ذلك أدوم للنِّعمة، وأَجْمَعُ للأُلفة.

(نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري).

أوّل الخلفاء

أبوبكر الصدّيق رضي الله عنه أوّل الخلفاء الراشدين، وأوّل مَنْ سُمي خليفة عند المسلمين، كان سيدًا من سادات قريش، ومن كبار موسريهم، وممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية فلم يعاقرها، وفي الإسلام تحمّل الشدائد وبذل الأموال، وبويع بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وهو أوّل خليفة ولي وأبوه على قيد الحياة، وهو أوّل من فَرَضَت له رعيته العطاء، وهو أوّل مَنْ استخلف من الخلفاء.

(الأوائل لأبي الهلال العسكري، معجم الأوائل)

وصية لقمان لابنه

قال لقمان لابنه: «يا بُني إنّي موصيك بخصال إنْ تمَسّكت بهنّ لن تَزل سَيّدًا، ابسط حلمك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، وصِلْ أقرباءك، وليكن إخوانك الذين إذا فارقوك وفارقتهم لم تعب بهم».

(الحلم، للحافظ ابن أبي الدنيا)

عجبت من الكذّاب

أوصى أحد الحكماء ولده فقال: «إياك والكذب فإنّه يزري بقائله وإن كان شريفًا في أصله، ويذله وإن كان عزيزًا في أهله»

وقال آخر: عجبت من الكذّاب لكذبه، فهو إنما يدل الناس على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، وإن قال حقًا لم يصدق، وإن أراد خيرًا لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، الدال على فضيحته بمقاله، فما صحّ من صدقه نسب إلى غيره، وما صحّ من كذب غيره نُسب إليه.

ويقال: الكذب جماع النّفاق، وعماد مساوئ الأخلاق، عار لازم، وذل دائم، يخيف صاحبه من نفسه وهو آمن.

(أخبار العرب ٣/٦٤).

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد)

العاقل والقرائن الدالة عليه

قيل لبعض الحكماء:
بماذا يُعرف عقل الرجل؟
فقال: بقلة سقطه في الكلام وكثرة إصابته فيه.
فقيل له: وإن كان غائبًا؟
فقال: بإحدى ثلاث:
إما برسوله، وإما بكتابه، وإما بهديته
فإن رسوله قائم مقام نفسه، وكتابه وصف نطق لسانه، وهديته عنوان همته. فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم على صاحبها.

(طرائف عربية)

الأمانة

روى الصيمري عن مليح بن وكيع عن أبيه قال: كنت عند أبي حنيفة فأتت امرأة بثوب خَزّ فقالت له: بعه لي، فقال: «بكَم قِيل لك تبيعينه؟» قالت: بمائة، قال: «هو خير من مائة»، حتى قال: «كم تقولين؟» فزادت مائة حتى قالت: أربعمائة، قال: «هو خير»، فقالت: تهزأ بي؟ قال: «هاتي رجلًا». فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم.

(أخبار أبي حنيفة للصيرمي)

أشدُّ النّاس حسرة يوم القيامة

«أَشَدُّ النّاس حسرةً يوم القيامة ثلاثةٌ:
١. مملوكٌ صالحٌ يَدْخُلُ الجنّةَ ومولاه يدخلُ النّار.
٢. ورجلٌ جَمعَ المالَ مِنْ حلٍّ وحَرَم، ومنعَ حقوقَ الله منه، فيموتُ فيدخُلُ النّار بسببه، فيأتي وارثهُ فيجدهُ مجموعًا، فيبذلُهُ في محَالّه مِنْ أَوْجُه الخير؛ فيدْخُلُ الجنّة، فالأَوّلُ جَمَعَهُ ودخَلَ به النّارَ، والثاني أَنْفَقَهُ ودخَلَ به دارَ القَرار.
٣. وعالمُ سُوءٍ يُنْجِي النّاسَ بِعلمِه وهو يصيرُ إلى النّار.

(القول العلي للسّفَاريني)

زمزم

سميت زمزم لضم هاجر لها حين انفجرت وزمّها الماء.
وقيل بل من زمزمة جبريل وكلامه عليها.
وقيل هو اسم عَلم.
ولها ستة وأربعون اسمًا، منها المضنونة، وشراب الأبرار، وصافية، وميمونة، ومغذية، وطاهرة، وسقاية الحاج، وغيرها.
وذكر الأزرقي بسنده عن الضحّاك بن مزاحم أن الله تعالى يرفع المياه العذاب قبل يوم القيامة غير زمزم، وتغور المياه غير زمزم.

(تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد ص: ١١٩).

المَدْحُ والذّم

قال ابن حزمٍ رحمه الله: «مَنْ حقق النّظر، وراضَ نفسهُ على السُّكون على الحَقائِق- وإنْ آلَمَتْها في أَوّلِ صدمَة- كانَ اغتباطُه بذمّ النّاسِ إيّاه، وإنْ كانَ بحق وبلغَه مَدحهم له، أسرى ذلكَ فيه العُجب، فأَفْسدَ بذلكَ فضائلَه، وإنْ كانَ بباطلٍ فبلغَه فسرّه، فقدْ صَارَ مسرورًا بالكذب، وهذا نقصٌ شديد.
وأَمّا ذمّ الناس إيّاه، فإنْ كانَ بحقٍ فبلغَهُ، فربّما كانَ ذلكَ سببًا إلى تجنبه ما يُعابُ عليه، وهذا حظٌّ عظيم، لا يَزْهدُ فيه إلا ناقص، وإنْ كانَ بباطلٍ وبَلغَهُ فصَبرَ، اكتسبَ فضلًا زائدًا بالحلم والصبر، وكانَ مع ذلكَ غانمًا، لأنّهُ يأخُذُ حسنات مَنْ ذمّهُ بالباطِل، فيحظَى بها فَي دارِ الجزَاء.....».

(مداواة النُفوس لابن حزم)

نسيت ما لم ينسه أحد

قال هشام بن الكلبي: «حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، أما الذي حفظه: قال «كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتًا وحلفت ألا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام».
وأما الذي نسيه: قال: «ونظرت يومًا في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة، فأخذت ما فوق القبضة».

(الأذكياء١/ ٣٥)

الإبداع العلمي.. طريق نهضة الأمة

بالإبداع تنهض الأمم والشعوب لتلحق بركب الحضارة، ولعل من أبرز ما تتسم به لوحته هذا الحراك الذي يدفع باتجاه التقدم والتطور الحقيقي الفاعل بعيدًا عن الزيف والخداع والتضليل.

فكم هو جميلٌ حين يُثمن نتاج المبدع، ففي هذا إنصاف له من جهة، ومن جهة أخرى يكون بمثابة التشجيع والحافز له ولأقرانه، فيعيشون حينئذ حالة إبداعية تجعل كل واحد منهم يعمل ليقدم ما بوسعه حتى يستطيع أن يثبتَ في عالم أو سوق الإبداع، قال تعالى في محكم تنزيله ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر:٩).

وما من شك أن الإبداع حالة يعيشها المبدع مفجرًا طاقاته وإمكاناته ليقذفها من بركان قدراته ومهاراته فيتدفق سيلها ليسقي وردًا يفوح بعطر ستذكره الأجيال طويلاً .. يسقي أيضًا أشجارًا تتكلل بثمار يانعة وشهية.

والإبداع هو نتاج ثقافة معرفية أو مخزون علمي يؤهل صاحبه كي يبرز ما لديه، ربما تخدمه ظروف معينة تمكنه من ذلك فتحقق له شهرة، لا يعني هذا أن كل مبدع هو محط أنظار أجهزة الإعلام، فكثير من المبدعين قد لا تصادفهم مثل تلك الظروف، وبالتالي تبقى إبداعاتهم في الأدراج إلى أن يأتي مَنْ يقدرها أو مَنْ يستطيع فهمها ويعمل بصدق لكشفها وإظهارها.

ولا يقتصر مفهوم الإبداع على الجديد الذي يقدم النفع والفائدة للبشرية، إنما يمتد أيضًا ليشمل البحث في مجالات مطروقة سابقًا، أو أنها طرحت يومًا على بساط البحث، كل ذلك ليقدمها بصورة أو بشكل يلحظ تقدم الزمن ونشأة حاجات جديدة.

وبوضوح أكثر فإن المبدع يستطيع أن يقنع الآخر بما حققه أو أنجزه ليقبل عليه، لا بل ألا يتوانى عن دعمه وتشجيعه لأنه وجد في نتاج المبدع ضالته المنشودة فيما يبحث عنه من أفكار وحلول وتقنيات وأساليب حديثة أو إنتاج فني وغيره من أعمال تكتسي ثوب الإبداع.

مبدعون كثيرون بينهم قواسم مشتركة يأتي في مقدمتها الصبر والتفاؤل والأمل، وكذلك المقدرة على معالجة المشكلات بطريقة لافتة تجعل جميع الجادين يرفعون قبعاتهم عاليا احترامًا وتقديرًا للمبدعين الحقيقيين.

ويقيني كبير بأن القارئ الكريم سيتوقف عند مفردة «الحقيقيين» لأن هناك أعدادًا من الموهومين الذين يظنون أن ما قدموه هو الإبداع من غير أن يدركوا أنه ليس أكثر من فشل لن يقودهم إلا إلى الإخفاق وعدم ثقة الغير بهم وبما يروجون له من أكاذيب أو حركات خسيسة وأساليب ملتوية لا تؤهل أصحابها إلا للنزول والهبوط السريع أو الدخول بقوة في أعماق حاويات النفايات، هذا إذا تمكنت فعلاً من استقبالهم واستيعابهم فيما لو كانت إبداعاتهم (خزعبلاتهم) تؤهلهم لمثل هذا الدخول، أي ربما يكونون خارج فضاءاتها، وهنا المشكلة الأكبر فهؤلاء حتمًا سيبقون عابثين في ساحاتنا الثقافية بشكل يقلق أو يعرقل مسيرة مبدعينا الذين يتسمون باحترام الوقت وبالصدق وبالتفاني في العمل الجاد والخيّر.

إن نظرة متأنية لحال وواقع الأنظمة الفاسدة توضح بما لا يدع مجالاً للشك بأن الطفيليين هم أشد الناس عداوة للمبدعين وأن الأنظمة التي تبنتهم وقدموا خدماتهم وتنازلاتهم لها تسهم بدرجة كبيرة في إفراغ الساحة من المبدعين والعمل على إبقاء المزيفين الذين لا هم لهم غير طعن أو توجيه سهام الغدر نحو صدر كل مَنْ يحاول أن يفكر بالمضي في درب الإبداع لأن في هذا فضح لمكرهم وخداعهم.

وأركز في هذه النقطة على دور تلك الأنظمة في تهميش المبدعين، وربما ملاحقتهم أو مطاردتهم، فكثير من هؤلاء تعرض لذلك نتيجة اختراع قد يعرقل مصالح فئات معينة لا تسعى لغير تحقيق مكاسب نفعية وانتهازية، لأن هذه لن تبقى وستزول حتمًا إذا ما اخترع أو اكتشف أحدهم تقنية ما في وقت يعملون هم على استيرادها من الخارج بموجب صفقات تحت الطاولات يكون لهم حصص من عائداتها، أو أن هؤلاء لن يهدأ بالهم إذا ما اكتشف أحدهم محطة لإنتاج الطاقة والتي ينحصر إنتاجها وتوزيعها بأسيادهم..لن يرتاحوا أيضًا إذا كان هذا الجديد يخترق شبكة اتصالات منظومة عملت طويلاً على تبني ثقافة تدمير كل ما هو إبداعي وأصيل.

د.فاتح ممدوح عبدالحليم

أرشيف الوعي الإسلامي

نداء
إلى كل محبي وقراء المجلة

يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية
من مجلة « الوعي الإسلامي » من الأعداد:

٢ - ٣ - ٤ - ٧ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٩

التواصل مع ادارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

سست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



د. يعقوب الغنيم يكتب عن:
شعراء من أصحاب رسول الله ﷺ

العدد (٥٤٣) ذو القعدة ١٤٣١هـ ـ أكتوبر- نوفمبر ٢٠١٠م

الرياضة بين المسموح والممنوع



د. مازن المبارك
وحديث الذكريات

النيابة عن الغير في
أداء فريضة الحج

حياتنا الفكرية بين النقل الحرفي والنقد الغائب

الافتتاحية

حرفة الوعظ

لقد شاع في البلاد واشتهر فيما بين العباد والعُبّاد اتخاذ الدعوة إلى الله حرفة ومكسبًا لجمع الدنيا وسبيلا، يشترون بآيات الله ثمنًا قليلا، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فهم كحاطب ليل، لا يفرقون بين نفع وضر.

تعيب دنيا وناسًا راغبين لها ... وأنتِ أكثر منهم رغبة فيها

فالواجب على العاقل ألا يكون مفرطًا في الحرص على الدنيا فيصبح مذمومًا في الدارين، بل يكون قصده إقامة فرائض الله، ويكون لبغيته نهاية يرجع إليها، لأن من لم يكن لقصده منها نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه.

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذاك مضر منك بالدين

فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يُعْم بصره الطمع، ومن أحب أن يكون حرًا فلا يهوى ما ليس له، لأنّ الطمع فقر، كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذل وخضع، كما أن من قنع عف واستغنى.

ولا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا، ويكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا، لأن الذي يسَّرَ لك هذا العمل هو الله «والله خلقكم وما تعملون».

كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك؟ أم كيف تطلب الجزاء على صِدقٍ هو مهديه إليك؟ «وما بكم من نعمة فمن الله».

والذي يدفعني إلى الحوار بهذه المشكاة ما يلقاه الإسلام اليوم من هزائم متتابعة لضعف المتحدثين عنه وكثرة الآكلين به والمرائين، نخاف على ديننا من متحدث جاهل، أو منافق عليم اللسان، أو سياسي يتخذ إلهه هواه!

«من كان يريد حرث الآخرة»، أي كسب الآخرة، والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة «نزد له في حرثه» أي بالتضعيف، ونزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات له، «ومن كان يريد حرث الدنيا» يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرًا لها على الآخرة «نؤته منها» أي ما قدر وقسم منها «وما له في الآخرة من نصيب» يعني لأنه لم يعمل لها.

وذلك أن الإحسان إلى الغير تارة يكون لأجل الله تعالى لا يريد به غيره، وهذا هو الإخلاص، وتارة يكون لطلب المكافأة وأخرى لطلب الحمد من الناس، وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى، لأن فيهما شركا ورياءً، فنفوا ذلك عنهم بقولهم «إنما نطعمكم لوجه الله».

أين الصحابة من أصحابنا؟ هيهات ما القوم من أضرابنا، ولا ثوابهم في الأخرى مثل ثوابنا، آثر الصحابة الفقر والمجاعة، واشتغلوا عن الدنيا بالطاعة، أفينا مثل أبي حنيفة ومالك أو كالشافعي الهادي إلى السالك؟ أفينا أعلى من الحسن وأنبل، أو ابن سيرين الذي بالورع تُقبِّل، أو كأحمد الذي بذل نفسه وسبّل؟

يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، أي يريدونه بأعمالهم، كانوا يصبرون على المجاعة، ويخلصون الطاعة، ولا يضيعون ساعة، فيا فخرهم إذا قامت الساعة!

وكان المنصور يعظم عمرو بن عبيد- لنا زهده وإخلاصه- فقال له عظني فوعظه، ثم قال يا أبا عثمان هل من حاجة؟ قال: لا تبعث إلي فقال المنصور يعظمه:

كلكم يمشي رويد ... كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

وقال عبدالله بن المبارك واعظا ابن عُلَيَّة:

يا جاعل العلم له بازيا ... يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونًا بها بعدما ... كنت دواء المجانين

وأنت تدرك أن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا لم يكن الداعية والواعظ موصولا بالله فإن دعوته إلى الله لا تثمر ولا تنفع وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، لابد أن يكون فعلا عاشقًا لدينه ولربه ولنبيه، ومحبًا لنقل الخير إلى الناس بعشق ورغبة شديدة، وأما الصناعة فإنها قد تصلح في كل شيء إلا في الدعوة إلى الله.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٣

العام السابع والأربعون

ذو القعدة ١٤٣١ هـ

أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

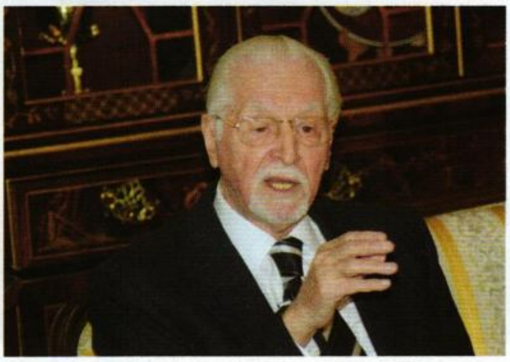
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com





د. مازن المبارك وحديث الذكريات ٨

الرياضة في ميزان الإسلام ١٩





النيابة عن الغير في الحج ٤٠

نزار قباني في مدح الرسول ﷺ ٥٤





الانترنت خطر يتهدد المجتمع ٧٢

دار الحديث بتلمسان منارة دعوية ٨١

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)

• اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر

• لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤

• سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥. رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢

• مصر - القاهرة - شارع الجلاء. رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦

• المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة

• مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع

• الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام

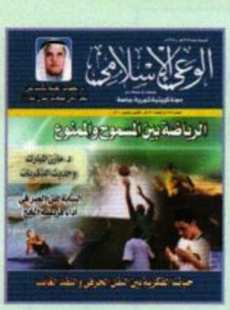
• المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف

• سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية. رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع

• قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

• المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

موضوع الغلاف



إذا كانت رياضة الجسد قد أخذت بعدًا كبيرًا في مجتمعاتنا المعاصرة وتركت في كثير من الأحيان سلبيات لا تعد ولا تحصى، فإن رياضة الإيمان والروح إذا ما اقترنت برياضة الجسد أعطت الإنسان طاقة ايجابية نافعة لصالح المجتمعات الإنسانية كافة.

داخل العدد

فضل السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ٦

أحكام وضوابط ممارسة النساء للرياضة ٣٠

شعراء من أصحاب رسول الله ﷺ ٥٨

الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام أمران مختلفان ٦٤

الداعية المسلم بين العاطفة والعقل ٧٨

صحة غدة البروستاتا ٨٧

كلمة العدد

خير جليس

تسعى إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» من خلال إصداراتها التراثية والفكرية إلى ترسيخ وتأصيل دور الكتاب كمنهل من مناهل المعرفة، والفكر والعلوم والآداب على مر العصور، وفي هذا السياق أصدرت الإدارة على سبيل المثال لا الحصر عددًا من الكتب التراثية والمتخصصة نذكر منها: رياض الأفهام في عمدة الأحكام (خمسة مجلدات)، الأعمال الكاملة لشيخ الأزهر السابق محمد الخضر حسين (خمسة عشر مجلدًا)، لا إنكار في مسائل الاجتهاد، التجديد في التفسير، المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح، مجموعة مقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز، مجموعة مقالات الشيخ محمد الغزالي.

إننا ونحن نكثف إصدارتنا التراثية نعلم علم اليقين أن عالم اليوم يتعرض لسيل إعلامي جارف وزخم ثقافي هائل يحمل في طياته شتى صنوف المعرفة وذلك عبر الفضائيات والشبكة العنكبوتية وغيرها، وهو ما أثر بلاشك على دور الكتاب المعرفي، لكن على الرغم من ذلك فلايزال الكتاب خير جليس عند شريحة كبيرة من العلماء والمفكرين والباحثين حيث يغوصون في أعماقه ويبحرون بين سطوره وينهلون من درره ولآلئه، بينما تكون حالهم مع وسائل المعرفة الحديثة أقل تفاعلًا ومتابعة مما يضفى على الكتاب متعة لا تضاهى، وصدق الشاعر إذ يقول:

أعز مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الأنام كتاب

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم

التحرير

هي اختيار العظيم العلي للنبي ﷺ، ومذ طفولتها تعرف بالعز الأبي، ولها عقل الكبار في سن الصبي، وهل يضرها قول الجهول الغبي، أو يقدح في ريح المسك الذكي إلا بهيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

ما تزوج الرسول ﷺ بكرًا سواها، ولا أحب زوجة كحبه إياها، جاء بها الملك في سَرقة فجلاها، وتكلم الله ببراءتها سبحان من أعطاها، وما يرمي الأصحاء بالسقم إلا سقيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

واعجبًا لمبغضيها! مَن هم؟ إن فهمت قولي قلت إن هم، ضرهم والله ما صدر عنهم، خفت والله عقولهم والآفة تهيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

ما خفي على حسادها طهارة ذيلها، غير أن الطباع الردية في ميلها، هجمت عليها الأحزان برجلها وخيلها، فكانت طول نهارها وليلها تبكي بكاء اليتيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

مدوا أبواعهم إلى عرضها فما نالوا، وأكثروا القول ظاهرًا وباطنًا واحتالوا، ونوعوا أسباب القذف وتكلموا وأطالوا، وهي على طهارتها مما قالوا في مقعد مقيم﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

تكلموا فيها بترهات، وراموا ذم السماء وهيهات، يا عائبها إن عرفت عيبًا فهات، كفانا الله شر عقوق الأمهات، فإنه قبيح ذميم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

ما كان سوى غيم ثم تجلى، وانصرف الحزن وتولى بالفرح الذي تولى، ولبس الممدوح أحسن الحلى وتحلى، وحمل القاذف إثمًا وكلًا، أيقدح العقلاء في أمهاتهم، القاذفون كلا هي منهم عقيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

حُوشيت من ريب أو فجور، إنما زيدت بما جرى في الأجور، تنزهت أم العُدول أن تجور، إنما وقعت في أغباش ليل ظلام دَيْجور، ثم بان النورُ في سورة النور، فنزل في الكلام القديم: ﴿والذي تولَّى كِبْره منهم له عذاب عظيم﴾.

من «التبصرة» لابن الجوزي

الصّدّيقة المبرّأة

وَحَقَّ مَنْ بَعْلُهَا النَّبِي وَمَنْ
وَالـدُهَـا المرْتَضَى أَبُوبَكْرِ
لا حُلْتُ عن مدْحَتي لَهَا أَبَدًا
حَتَّى أُوَارَى فِي ظلْمة القبْرِ
قَد تَيَقَّنْتُ أَنَّ وَالِدَهَا
يَشْفعُ فِيَّ صَبيحَةَ الحَشْرِ
طَاهِرَةٌ تَنْتَمِيْ إِلَى نَسَبِ
شَرَّفَهُ اللّهُ منه بِالفَخْرِ
لَمَّا رَمَوْهَا لا دَرَّ دَرُّهُمُ
بِالزُّورِ والإِفْك عُصْبَةُ الشَّرِّ
بَرَّأَهَا اللّهُ مِنْ مَقَالَتهِمْ
بِغَيْرِ شَكٍّ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
وَكَمْ لَهَا مِنْ فَضِيلَة نَطَقَتْ
بِهَا وذِكْرٍ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
فَلَا رَعَى اللّهُ مَنْ تَنَقَّصَهَا
فَمَا لَهُ فِي المعَادِ مِنْ عُذْرِ
وَأَيُّ عُذْرٍ لِمُبْدِعٍ رِجْسٍ
مَذْهَبُهُ شَتْمُ زَوْجَةِ الطُّهْرِ

حصان رزان ما تزن بريبة

حصانٌ رزانٌ ما تزنُّ بريبة
وتُصبِحُ غَرْثَى من لحومِ الغوافلِ

حليلة خير الناس دينًا ومنصبًا
نبيِّ الهدى والمكرُماتِ الفَوَاضلِ

عقيلةُ حيٍّ من لؤيٍ بنِ غالبِ
كرامِ المساعي مجدها غيرُ زائلِ

مهذبةٌ قد طيبَ اللهُ خيمها
وطهَّرها من كل سوءٍ و باطل

فإن كنتُ قد قلت الذي قد زعمتمُ
فلا رَفَعَتْ سَوْطي إليّ أناملي

وإن الذي قد قيلَ ليسَ بلائطِ
بها الدهرَ بل قولُ امرئٍ بيَ ماحلِ

فكَيْفَ وَوُدّي ما حَييتُ ونُصرَتي
لآلِ نبيّ اللهِ زينِ المحافلِ

لهُ رتبٌ عالٍ على الناسِ كلهم
تقاصرُ عنهُ سَورةُ المتطاول

رأيتكِ، وليغفر لكِ اللهُ، حرةً
منَ المحُصَناتِ غيرَ ذاتِ غوائلِ

من ديوان حسان بن ثابت

العلامة د. مازن المبارك في حديث الذكريات لـ«الوعي الإسلامي»:

ناصرت الرافعي أمام طه حسين في الدراسات العليا (١-٢)



حوار: د. محمد حسان الطيان

الأستاذ الدكتور مازن المبارك أحد أعلام العربية المعاصرين، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، يمثل تاريخًا طويلًا في الجهاد في سبيل العربية وتحت رايتها، علمًا وتعليمًا وتأليفًا وتحقيقًا ومشاركة فعالة في مختلف أوجه النشاط المعرفي، وهو إلى هذا وذاك من أقدم كتّاب مجلة «الوعي الإسلامي». وانطلاقًا من حرص المجلة على تقدير العلماء والمفكرين والمثقفين التقت بـ«المبارك» في دمشق للحديث عن الذكريات بأشكالها المختلفة لتكون دروسًا وعبرًا للأجيال.. وإليكم نص الحوار:

بداية أين كانت النشأة؟ وما تأثيرها في تكوينكم العلمي؟

كانت النشأة في بيت والدي الشيخ عبدالقادر المبارك، وهو أحد مؤسسي مجمع اللغة العربية بدمشق، وأحد أساطين اللغة وأعاجيبها ونوادرها في النصف الأول من القرن العشرين، وقد توفي سنة ١٩٤٥م وعمري لا يتجاوز الخامسة عشرة، فتولى رعايتي وتعليمي أخي الشيخ محمد المبارك. وكان لهذه النشأة أثر بالغ في إرشادي وتعليمي، كما أن الأيام الأولى التي أدركتها كان فيها عدد كبير من المعلمين الذين يعدون الطلاب أبناءهم.. فيشرفون على تربيتهم، ويولونهم رعايتهم من جميع النواحي، وكان من لطف الله بي أني أدركت نفرًا من هؤلاء المعلمين في كل مرحلة من مراحل تعليمي، يعني مثلًا الأستاذ الأفغاني درسني في المدرسة الإعدادية ثم درسني في الجامعة. وفي الإعدادي، في الصفين السابع والثامن، وكان يدور بي على الشعب التي يدرسها لأقرأ لهم النص الذي يريد تدريسه إياهم وهو يقول: انتبهوا إلى مخارج زميلكم مازن، فلفت نظري إلى استمرار العناية بمخارج الحروف. وسبب إتقاني مخارج الحروف أن والدي، يرحمه الله، كان قد عين لنا أستاذًا يقرئنا القرآن فجر كل يوم صيفًا وشتاء، يأتي معه بعد صلاة الفجر ونجلس بين يديه واحدًا واحدًا وواحدةً واحدةً ذكورًا وإناثًا، كان شيخا ضريرًا من حفاظ القرآن ومجوديه، لكل منا صفحة واحدة في اليوم، من أخي محمد المبارك إلى أصغر إخوتي. وممن درسني في الجامعة شقيقي الأستاذ محمد المبارك، والأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا، والأستاذ الشيخ بهجت البيطار، والدكتور أمجد الطرابلسي، والأستاذ شفيق جبري. هؤلاء كلهم ممن نعمت بالتلمذة عليهم في الجامعة.

■ **يقودني هذا السؤال إلى سؤال آخر يتعلق بأعلام كبار لقيتموهم أو أخذتم عنهم.. راجيًا إيجاز انطباعاتكم عنهم بدءًا من الشاعر محمد البزم.**

محمد البزم عرفته وأنا صغير؛ لأنه كان زميلًا لوالدي، وكانا يحضران في بعض المجالسات والمذاكرات العلمية.

■ **إذن.. فهو صديق الوالد؟**

زميل وليس صديقًا؛ لأنني لم أره في بيتنا ولم أر والدي في بيته، ولكنهما كانا يذهبان معًا إلى كثير من الجلسات العلمية كجلسة الأمير طاهر الجزائري- هذا غير الشيخ طاهر- في زقاق النقيب في حي العمارة، حيث كانت له جلسة أسبوعية، وهي جلسة مذاكرة علمية كثيرًا ما كان يحضرها الأستاذ البزم، وحدثت بيني وبينه صلة قوية حين أوفد أحد الأساتذة من ثانوية جودت الهاشمي فكلف الأستاذ البزم تدريسنا الأدب في صف الكفاءة، وكان آخر عهده بالتدريس، فكنت أساعده في وضع الدرجات التي يمليها عليّ؛ لأنه كان قد قل نظره وتعذرت عليه الكتابة، فكان يسأل الطلاب ويقدِّر العلامة ويقول لي: ضع لأخينا علامة كذا فأضع له.

وبعد مدة وجدته في الطريق بحالة سيئة فكتبت مقالة بعنوان «كتاب مفتوح إلى وزير المعارف» طلبت فيه أن يعين أستاذنا البزم مفتيًا لغويًا للإذاعة بحيث يبقى في بيته لعجزه عن السير والذهاب، والمذيع يتصل به هاتفيًا ليسأله عن الكلمات التي ستمر في نشرة الأخبار، أو أن يقرأ عليه نشرة الأخبار وبذلك تكون الإذاعة أستاذًا لغويًا لكل السامعين، ويكون مصدرها اللغوي ثقة هو الأستاذ محمد البزم.

■ الله اكبر.. والله إنها خطة عظيمة جدًا ما أحوجنا إليها اليوم!

اليوم.. نحن اليوم أشد حاجة إليها، المهم أنه استدعاني حين قرأ المقالة فذهبت مع ابنه إلى بيته، وكانت أول مقابلة شخصية خارجة عن نطاق الدرس. قال: ما دعاك إلى ما كتبت؟ قلت له: إني رأيتك في الطريق وأنت أستاذي فكتبتها. قال: هل دفع بك أحد إلى ذلك؟ قلت: لا. قال: أتعرف الصلة التي كانت بيني وبين أبيك؟ قلت: لا أعرف سوى شيء واحد. قال: ما هو؟ قلت له: حين جئتنا أستاذًا في صف الكفاءة في ثانوية جودت الهاشمي ذهبت إلى والدي وقلت له: ذهب أستاذ اللغة العربية وجاءنا أستاذ جديد، قال: من الذي جاءكم؟ قلت له: اسمه محمد البزم، قال لي: يا مازن أخبر زملاءك أن هذا عالم حاولوا أن تستفيدوا منه ما استطعتم. قال لي: أهكذا قال أبوك؟ قلت له: اي والله يا أستاذ. قال لي: هل تعلم ما كان بيني وبين أخيك؟ قلت له: أعلم أنك اعترضت على إحدى اللجان التي كان فيها ثلاثة أساتذة عادوا حديثًا من فرنسا، فجعلوهم مفتشين أو أساتذة للغة العربية، ووضعوا اسمك معهم فرفضت، وعددتهم شبانًا ناشئين، فاستجابت الوزارة بحذف اثنين منهم وأبقت أخي معك فوافقت، هذا الذي أعرفه. قال: أنا أشكرك على ما كتبت، ولكني ما كنت أنتظر الوفاء من أحد من هذه الأمة وخاصة من هذه العائلة. قلت له: يا أستاذ، هل جئت بي لتشكرني أم لتشتمني؟ فضحك وقال: لا تثريب عليك، ماذا تدرس؟ قلت له أدرس في كلية الآداب، وسأتخصص في النحو. قال: إذا شئت أن تقرأ علي كتاب المغني فإنك تستطيع أن تبدأ ذلك من الغد. قلت له: والله هذا شرف عظيم وفرصة سأغتنمها، لكن اسمح لي أن أتأخر شهرًا حتى أنتهي من امتحانات الإجازة- وكنت في السنة الرابعة في كلية الآداب وأنا أريد أن انتهي من الكلية- قال: حسنًا، اتصل بعد الإجازة. وحين سألت بعد الإجازة قالوا لي إن الرئيس الشيشكلي نقله حين سمع بمرضه إلى المستشفى العسكري، وبقي فيه إلى أن توفي رحمة الله عليه.

ما وجدت في حياتي رجلًا بعد والدي دخلت اللغة دمه وفهم أسرارها وأسرار التعبير فيها وفهم نصوصها كما يريد أصحابها مثل محمود شاكر

وأذكر أنه حدثني في تلك الجلسة عن كتابه «في الجحيم» الذي ما زال ضائعًا إلى اليوم، ما خرج إلى النور ولا نعلم أين بقي.

■ الأستاذ علي الطنطاوي:

عرفته منذ كنت صغيرًا جدًا، كان يزورنا مع أنور العطار، الشاعر الشامي المعروف، وكانا يجلسان طويلًا عند والدي، واستمرت صلتي به إلى ما قبل وفاته بسنة أو سنتين، حيث زرته في المملكة السعودية، وسهرت عنده سهرة طويلة ذكّرته فيها بأيام طفولتي وأيام شبابه عليه رحمة الله. وما رأيت أشد عصبية منه، ولا أكثر ذكاءً ولا أوسع ثقافةً، كان رجلًا عجيبًا في فطنته وذكائه ووفائه وأدبه رحمه الله تعالى. وهذا يحتاج إلى كتاب كالكتاب الذي أخرجته عن أستاذي سعيد الأفغاني.

■ الأستاذ عزالدين التنوخي:

عزالدين التنوخي كان يلفت نظري في ارتجاله الشعر، وفي كل مناسبة، ولو كنت واعيًا في تلك الأيام التي كان يحضر فيها عند والدي، أو في بيت الأستاذ الشيخ بهجت البيطار، وأحيانًا عندنا في البيت، وأحيانًا في مجمع اللغة العربية- وكان اسمه المجمع العلمي العربي- لو كنت واعيًا لتلك الجلسات التي حضرت فيها مع والدي لسجلت له أشعارًا رائعة. ثم حظيت به أستاذًا للبلاغة في كلية الآداب، درّسنا تهذيب الإيضاح بأجزائه الثلاثة، وكان من أصفى الناس قلبًا، لا يحقد على إنسان، ورافقته في رحلة إلى تركيا أيام الرئيس حسني الزعيم، إذ أحب أن يقرب المسافة بين السوريين والأتراك، فألغى مخافر الحدود، وجلب ضباطًا أتراكًا لتدريب الجيش السوري، وطلب إلى جامعة دمشق أن ترسل بعثة إلى تركيا، فاختارت عشرين طالبًا كنت واحدًا منهم، وكان على رأس هذه البعثة الأستاذ عزالدين التنوخي، ورافقنا فيها الأستاذ سعيد الأفغاني والدكتور عبدالكريم اليافي.

■ الدكتور طه حسين:

الدكتور طه حسين بقيت على صلة به مدة سنتين تقريبًا، وفي إحدى السنتين كنت أحضر له أسبوعيًا حين كان يدرس طلاب الدراسات العليا، وكنت أنا الذي أقرأ في الكتاب الذي يحضره إلى القاعة، وهو الذي يشرح ما أقرأ، يعطيني مرافقه- كان اسمه الدكتور فريد شحاتة تقريبا- كان يعطيني الكتاب ويعين لي المكان وأنا أقرأ سطرين أو ثلاثة أسطر حتى يدق الدكتور على المنصة فأسكت، فيشرح، وإذا انتهى شرحًا يقول: تابع، كان يعرفني من صوتي فبمجرد أن أتحدث إليه أو ألقي السلام عليه يقول: مَن؟

الطالب الشامي؟

وكان من أجمل الناس أسلوبا، ومن أجمل الناس موسيقى كلام، ومن أكثر الناس حفظا، يلقي المحاضرة ساعة وأحيانا ساعة ونصف الساعة، وأحيانا ساعتين، يستريح بينهما خمس دقائق، لا يتلجلج ولا يتردد ولا يقف عند استشهاد ببيت من أبيات الشعر من أي عصر من العصور، لم أعثر له على لحن واحد، يعني كنا نتلذذ بأسلوبه والاستماع إليه، وفي مقابل ذلك كان شديد الجبر، يعني إذا استشعر أن سؤالك له فيه شيء من الاعتراض أو التردد في قبول ما يلقيه فالويل لك، وقد حدث بيني وبينه شيء من هذا القبيل، حين تعرض للمنفلوطي وللرافعي، وهاجم الرافعي هجوما شنيعًا ومدح المنفلوطي، فقلبت الآية أنا بأسلوب سؤال، وقلت له: عفوًا دكتور، أتعني أن الذي أخذ عن الغرب وفهم ما أخذ وتمثل ما أخذ وأفهم ما فهم و... إلى آخره هو الرافعي، وأن الذي لم يفهم هو المنفلوطي؟ فضحك وأضحك الناس عليّ، وقال أهكذا فهمت؟ قلت له: نعم، قال: من أين؟ قلت: مما قرأت. وبدأ يحاورني إلى أن غضب حين شعر بأنني أناصر الرافعي، وكأن الرافعي انتصب من قبره أمامه، وقطع الدرس، وقال: أتحداك وأتحدى من تُبَلِّغه وأتحدى من يسمع هذا الكلام- وكان المدرج ممتلئا إذ كانت الأساتذة تحضر معنا مع أن عددنا معشر طلاب الدراسات العليا كان قليلًا- فتحدى الجميع أن يلخصوا له كتابا واحدا من آثار الرافعي. قلت له: حاضر، قال: موعدنا الأربعاء القادم- لأن درسه كان كل أربعاء- لخص لي «أوراق الورد» أو «رسائل الأحزان»، قلت له: عفوًا يا دكتور هذه رسائل وجدانية لا تلخص، ولكني ألخص لك «تحت راية القرآن»، فقال: لخص ما شئت، ثم ضرب على المنصة ونهض وخرج من القاعة، فلحقني الطلاب وبشروني بأني سأكون خارج الجامعة، وسأرجع إلى بلدي عن قريب، ولا يمكن لي أن أتابع الدراسة لأنني ورطت نفسي، ولم يكن قد مضى على وجودي في مصر شهر، يعني أني لا أعرف كل هذا الجو- وكان هذا سنة ١٩٥٥م- فأسرعت إليه في رئاسة القسم حيث يجلس يشرب القهوة بين الدرسين، قلت له: السلام عليكم. فلم يرد، بل قال: مَن؟ الطالب الشامي؟ قلت له: نعم، أنا يا دكتور جئت أسأل ولم أقف لأعترض، أنا تلميذكم قبل أن أصل إلى مصر، أنا قرأت كل ما كتب الدكتور طه حسين قبل أن آتي إلى مصر، وأنا الآن جئت لأستزيد ولم أجئ لأردد ما قرأت، ولذلك فأنا أعتذر عن محاضرة الأسبوع القادم، وأرجو أن ننسى ما حصل، وأن كذا وأن كذا، قال: لا بأس، لك ما شئت. قلت له: السلام عليكم فلم يرد.

الدكتور أمجد الطرابلسي كان الأستاذ الذي أثبت لنا في بواكير حياتنا أن الفصحى يمكن أن تكون لغة الدرس ولغة الحديث اليومي

ووقع في المحظور زميل مصري اسمه عبدالمحسن طه بدر فلخص رسالة ليست للرافعي، وإنما في موضوع آخر لا علاقة له بالرافعي، ومع ذلك فقد كنا في درس الأربعاء نضحك في أثناء إلقائه لكثرة ما كان يعلق الدكتور طه من تعليقات مضحكة.

وفي إحدى المرات سألني ماذا تدرس؟ قلت له: أدرس النحو، قال: هل اطلعت على «إحياء النحو»- وهو كتاب لإبراهيم مصطفى- قلت له: إذا سمح أستاذنا أقول له رأيي فيما جاء في مقدمة الكتاب- والذي كتب المقدمة هو طه حسين طبعا- فقد بالغ الكاتب جدًا في إصراره على تسمية الكتاب «إحياء النحو» والكتاب جيد ولكنه ليس إحياءً، ولو اطلع صاحبه على كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي لوجد غير ذلك، طبعا أنا كنت قد بدأت بدراسة الإيضاح- وهو موضوع دراستي للماجستير- فقال لي الدكتور طه، رحمة الله عليه: والله يا بني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لتركت كثيرًا مما كتبت، ولبدأت بكتابة النحو من الصفر.

■ الأستاذ محمود محمد شاكر:

هي كلمة واحدة: ما وجدت في حياتي رجلًا بعد والدي دخلت اللغة دمه وفهم أسرارها وأسرار التعبير فيها، وفهم نصوصها كما يريد أصحابها مثل محمود شاكر. كانت لنا حلقة نحرص عليها يحضرها أحيانا الدكتور ناصرالدين الأسد ويحضرها الأستاذ فرحان الفرحان والدكتور يعقوب الغنيم والدكتور خالد جمعة والأستاذ راتب النفاخ. درسنا عليه بعض قصائد المفضليات فكنا كمن يسبح فوق الماء وكان هو الغواص الذي يعطينا ما كنا لا ندركه إلا بسباحته هو وبغوصه، واستمرت صلتي به وصلته بي، وكان يزورني في دمشق وفي الدوحة، وزارني بدبي حين أرسلت له دعوة فاعتذر، فقلت له: لابد أن تأتي، قال لي: أنت في دبي، قلت له: نعم، قال أنا سأذهب إلى الكويت، قلت له: متى وصلت إلى الكويت خبرني كي نستقبلك بعدها، واستقبلناه بدعوة من السيد جمعة الماجد، وبقي عندنا أسبوعا زار الكلية وزار المركز الثقافي، وكان في غاية السرور، وكان في تلك الفترة على كرسي رافقته ابنته الآنسة «زلفى» وتمتعنا معه أسبوعا لا ننساه.

حياتنا الفكرية بين النقل الحرفي والنقد الغائب



د. غازي التوبة

تتَسم حياتنا الفكرية بشكل عام- ما عدا بعض الاستثناءات- بالنقل الحرفي عن الحضارة الغربية، ومحدودية النقد- إن لم يكن غيابه فيما يتعلق بواقعنا الفكري، وولد هذا الوضع فقرًا ثقافيًا وعدم إبداع، ويمكن أن نمثّل لذلك بأدلّة من التيارات القومية والليبرالية والشيوعية والإسلامية.

بدأ الفكر القومي العربي نشاطه في القرن التاسع عشر، وأشعل الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦، وكان الأصل في قيام عدّة دول بعد الحرب العالمية الأولى، وقد اعتبر الأمّة العربية تقوم على عنصري اللغة والتاريخ، وهو في هذا ينقل ما قرّرته المدرسة الألمانية في بناء الأمّة وتكوّنها، لذلك تنكّر الفكر القومي العربي للدين كما تنكّرت القومية الأوروبية للدين، وهو لم يقم بدراسة الواقع العربي الذي يؤكّد أنّ الدين الإسلامي عنصر أساسي في بناء هذه الأمّة وتكوينها، ويدخل بشكل واضح في بناء العادات والتقاليد والثقافة، والآمال والتطلّعات، ويدخل في بناء النفس والعقل والتفكير والوجدان... إلخ.

إن النقل الحرفي للفكر القومي الأوروبي بشكل عام والألماني بشكل خاص، وإسقاطه على واقع أمّتنا دون أدنى محاولة لتمحيص هذا المفهوم، ورؤية المباينات بين الواقعين العربي والألماني أثّر تأثيرًا كبيرًا على تأخير قيام نهضتنا، عدا أنه قام بدور تخريبي في بناء الأمّة الثقافي والاجتماعي والاقتصادي... إلخ.

وتواجد التيار الليبرالي في عالمنا العربي منذ القرن التاسع عشر، ودعا إليه بعض الكتّاب والمفكّرين، ثم حكم التيار الليبرالي عددًا من الدول العربية بعد الحرب العالمية الأولى بدء من العراق، ومرورًا بمصر وسورية ولبنان والأردن، وانتهاء بتونس. وقد قامت في هذه الدول نُظم ديموقراطية، وضعت الدساتير التي تنص على فصل السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) وأُجريت الانتخابات، وقامت الأحزاب، وصدرت الصُحُف، وأُقرّت الحريات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية... إلخ، وكان كل هذا تقليدًا لتجارب أوروبا الليبرالية ونسخًا عنها، وبلغت ذروة النقل للتجربة الليبرالية في دعوة طه حسين إلى أخذ الحضارة الغربية.. حلوها ومرّها دون أدنى تمييز، واعتباره أنّ هذا هو طريق النهضة والتقدّم والنور والخير، وحاول أن يجد لذلك مبرّرات من مثل اعتباره أنّ العقل المصري عقل أوروبي، وأنّ مصر جزء من الغرب باستمرار.

يجد المتابع لتجربة التيار الليبرالي في منطقتنا، أنها تجربة نقل حرفي لما كانت عليه الليبرالية في أوروبا والغرب، ولم ينظر التيار الليبرالي إلى ظروف المنطقة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ، كما لم يراع ظروف أبنائها النفسية والثقافية والعقلية... إلخ، كما لم ينظر إلى بعض المشاكل والأزمات التي تعاني منها، إنّ هذا النقل الحرفي لليبرالية كان أحد العوامل في عدم تجذّرها في المنطقة، وانزياحها- بعد ذلك- بسهولة عن ساحة الأحداث بعد الحرب العالمية الثانية.

تشكّلت الأحزاب الشيوعية في معظم البلدان العربية بعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧، ودعت إلى تطبيق الماركسية والشيوعية، ثم أقامت مصر العلاقات مع الاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٥، واشترت سلاحًا منه، ثم طبّقت مصر القوانين الاشتراكية في الستينيات، وانتقلت هذه الصورة من التطبيقات الاشتراكية إلى عدد من الدول العربية وهي سوريا، والعراق، والجزائر، وليبيا، والسودان، وعدن، والصومال، واليمن... إلخ.

والجدير بالملاحظة أنّ كل الدعوات الاشتراكية التي قامت في العالم العربي نقلت أقوال الاشتراكية العلمية وتطبيقاتها بشكل حرفي دون أدنى مراعاة لظروف

• مفكر فلسطيني

المنطقة وتطوّراتها التاريخية ومشكلاتها، لذلك ارتفعت وتيرة المجاهرة بمعاداة الدين والدعوة إلى المادية والاستهزاء بالغيب، واعتباره أساس التخلف كما كان واقعًا في الغرب في العصور الوسطى، كما ارتفعت وتيرة الدعوة إلى العنف الثوري، وإلى استئصال الطبقة البرجوازية والإقطاعية، لأنهما أصل الرجعية والتخلّف والعمالة للأجنبي، كما سادت الدعوة إلى تأميم كل الشركات، وإلغاء القطاع الخاص وتحويله إلى قطاع عام، لاشك أنّ هذه الدعوات والتطبيقات تركت أسوأ الأثر في بناء الأمّة، فازدادت مساحة الفقر، وتدهور الاقتصاد، وتخلّف الإنتاج.

وقد نتج كل ذلك بسبب النقل الحرفي لمقولات الاشتراكية العلمية دون أدنى إبداع في النظر إلى الواقع المطبّق، مع أنّ النظر إلى الواقع يدعونا إلى القول بأنّ الدين الإسلامي لم يكن في يوم من الأيام «أفيونًا» للشعب كما طرحت الاشتراكية العلمية، بل كان الدين عنصرًا من عناصر التعبئة الثورية في أكثر من مكان في العالم الإسلامي، وقد كان الأصل في تثوير الجماهير ضدّ الاستعمار، وكان المحرك الأساسي في استقلالها.

ولم تكن لدينا طبقة برجوازية وإقطاعية بالمعنى الذي طرحته الاشتراكية العلمية، لذلك لم يكن هناك داع للدعوة إلى العنف الثوري والصراع الطّبقي، وكان يمكن تحقيق العدالة الاقتصادية بدماء أقل. ولم تكن لدينا شركات رأسمالية بالمعنى الذي طرحته الاشتراكية العلمية، وحتى ماركس اعتبر أنّ هناك نموذجًا آخر في المنطقة الآسيوية هو النموذج الآسيوي للإنتاج لم تعرفه أوروبا، ومع ذلك لم يسع الاشتراكيين في العالم العربي ما وسع ماركس، بل أصرّوا على تطبيق مقولات الاشتراكية العلمية بصورة حرفية مما أدّى إلى خلخلة في البناء الثقافي،

المتابع لتجربة التيار الليبرالي في منطقتنا يجد أنها نقل حرفي لما عليه الليبرالية الأروبية

وفوضى في الأخلاق، واضطراب في القيَم، وتأخّر في الاقتصاد... إلخ.

تشكّل تيار إسلامي بعد الحرب العالمية الأولى ذو ملامح خاصة مرتبطة بالظروف المحيطة به من مثل سقوط الخلافة العثمانية، وتجزئة البلاد العربية، وقيام السيطرة الاستعمارية، ووجود الغزو الفكري من قِبَل الحضارة الغربية لثقافة أمّتنا... إلخ، وقد احتوى هذا التيّار عدّة حركات في أقطار مختلفة، فكان الإخوان المسلمون بقيادة حسن البنّا في مصر، وكان حزب التحرير بقيادة تقي الدين النبهاني في فلسطين، وكانت جماعة النور التابعة لمحمد سعيد النورسي في تركيا، وكانت الجماعة الإسلامية بقيادة أبي الأعلى المودودي في باكستان، وهناك جماعات أخرى في الهند وإندونيسيا والجزائر... إلخ.

لم تستطع أيّ حركة من الحركات الإسلامية أن تنجح في تحقيق الأهداف التي كانت تنشدها الأمّة من قيامها، وهي ترسيخ مشروع حضاري إسلامي من خلال دولة إسلامية فاعلة ذات قيادة سياسية رائدة.

وأعتقد أنّ هناك أسباباً عدة وراء هذا الفشل، لكنّ أبرزها هو محدودية النقد لأعمالها وللواقع المحيط بها، إن لم يكن غياب هذا النقد في بعض الأحيان، ووجود هذا النقد يشير إلى الفاعلية العقلية التي هي من أهم العناصر التي نحتاجها في بناء أوضاعنا الحالية، وغيابه يدل على غياب الفاعلية العقلية التي تعني الجمود والركود والتأخّر والفقر الثقافي... إلخ، وأحبّ أن أنبّه منذ البداية على أمرين:

الأول: إنّ النقد الذي أتحدّث عنه لا يعني المدح أو القدح في المنقود، لكنه يعني النظر العلمي الموضوعي إلى ما هو منقود، وتقويمه وتوضيح ما فيه من إيجابيات وسلبيات، وإلى تحليله والتمييز بين العناصر الجديدة المضافة والعناصر القديمة المنقولة عن غيره، وإلى مدى قيمة هذا المنقود وفائدته للأمّة والأفراد، وإلى فرز ما هو منقود وترتيبه حسب الأهمية، وإلى الترجيح بينه وبين مشابهاته... إلخ.

الثاني: إنّ النقد منهج قرآني أصيل، فقد انتقد القرآن الكريم تصرّفات الصحابة- رضي الله عنهم- في بعض الغزوات ووجّههم إلى ما هو أصوب، فانتقد في غزوة بدر اختلافهم على الأنفال، وردّها إلى الله والرسول، فقال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (الأنفال:١)، ثم انتقد رغبتهم في غير ذات الشوكة، لكنّ الله أمضى إرادته ومشيئته فكانت غزوة بدر، فقال تعالى: «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» (الأنفال: ٧)، وإذا تتبعنا بقية الأحداث والغزوات التي حدثت في حياة الرسول ﷺ كغزوات أُحُد والأحزاب وحُنَيْن وبني المصطلق وجيش العُسْرَة وفتح مكّة... إلخ، فسنجد مئات الآيات التي توجّه الصحابة، وتقوّم تصرّفاتهم وتعلّمهم، وتأمرهم وتنهاهم، وتخفض بعض الأخلاق وترفع بعضها الآخر.

وما حفل القرآن الكريم بهذا النقد والتقويم والتوجيه الحفول الكبير إلا ليُرسّخ هذه القيمة في حياة المسلمين، ويعلّمهم أهمية النقد والمراجعة والتمحيص والتقويم في حياتهم

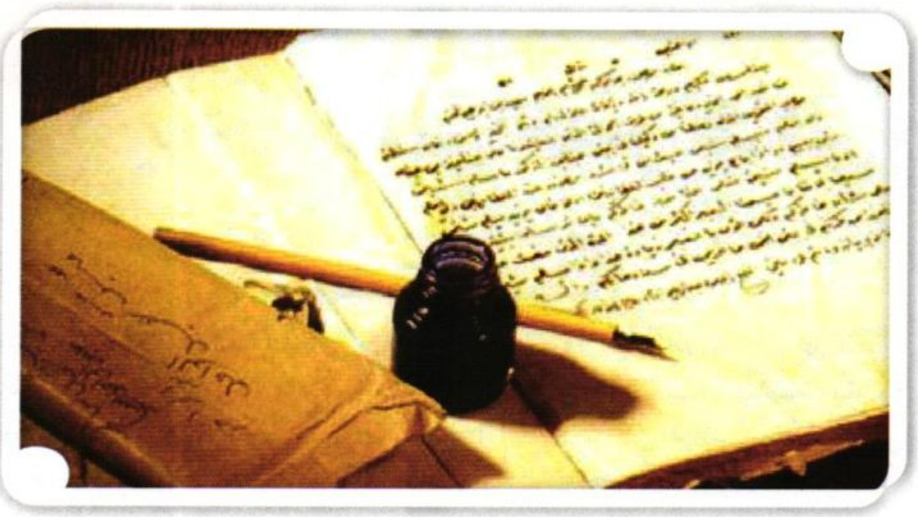
المستقبلية، وأنه يجب أن يكون مرادفًا لوجودهم.

وقد استوعب المسلمون هذا الدرس في العصور السابقة، فانتقد الشافعي مالكًا، وهو أستاذه، ودَوّنَ «اختلاف مالك» في كتاب «الأمّ»، وانتقد موقفه من حديث الآحاد، كما انتقد الأشعري الذين عاصروه والذين سبقوه، وقس على ذلك الجُوَيْني والغزالي وابن تيمية والعزّ بن عبدالسلام، والشاطبي... إلخ، فستجد كتبهم مملوءة بنقد ما هو سابق سواء أكانوا أشخاصًا أم كانوا مناهج وأفكارًا.

لكنّ المسلمين للأسف نسوا هذا الدرس خلال المائة سنة الماضية، فنجد أنّ هناك حركات متعدّدة تشكّلت، وتجارب قامت، وأفكارًا كثيرة طُرحت، وعلماء كثيرين نهضوا وتحدّثوا وكتبوا، ولكن بالمقابل نجد نقدًا محدودًا لهذه الحركات والتجارب والأفكار والعلماء، فلو أردت أن تحصي الكتب التي تحدّثت عن الحركات الإسلامية، وعن إيجابيّاتها وسلبيّاتها من مثل حركات الإخوان المسلمين، وحزب التحرير، والجماعة الإسلامية في باكستان، وجماعة النور في تركيا... إلخ، فستجد بعض الكتب المحدودة، هذا إذا وجدت بُغيتك، وستجد بعضها لا قيمة له ولا فائدة منه.

وإذا أردت أن تحصي الكتب التي قوّمت ونقدت أعمال العلماء والكتّاب والمفكّرين المعاصرين من أمثال محمد البهي والبهي الخولي وعبدالقادر عودة ومحمد الغزالي وسعيد حوّى ومصطفى السباعي ومحمد رشيد رضا ومحمد عبد الله دراز ومحمد عزة دروزة وعلاّل الفاسي ومحمد فريد وجدي... إلخ، ستجد حينًا نقدًا محدودًا، وحينًا آخر نقدًا لا غناء فيه، وحينًا ثالثًا لا تجد أيّ نقد.

وإذا أردت أن تحصي الدراسات التي نقدت وقوّمت التجارب المعاصرة التي كان التيار الإسلامي وقودًا لها من مثل الثورة في سوريا عام ١٩٨١، وتجربة الحكم الإسلامي للسودان عام ١٩٨٩ وأسباب تعثّرها، وتجربة الثورة الإسلامية في الفلبين بقيادة جبهة تحرير مورو... إلخ فلن تجد شيئًا ذا قيمة.



ويمكن أن أنتقل من التعميم إلى التخصيص من خلال مثالين:

الأول، الفكر القومي العربي وساطع الحصري:

حكم الفكر القومي العربي المنطقة خلال المائة سنة الماضية، وكان له أثر كبير في توجيه المنطقة وصياغتها والتأثير فيها، ويعتبر ساطع الحصري من أبرز أعلامه إن لم يكن أبرزهم وأغزرهم إنتاجًا، وأعمقهم على الإطلاق، فلو تساءلنا: أين الكتابات الإسلامية التي تناولت الفكر القومي العربي وساطع الحصري بمنظار إسلامي وبرؤية إسلامية؟ لا تجد شيئًا. لكنك ستجد بعض الدراسات التي تناولت ساطع الحصري بعيون ماركسية، كما فعل إلياس مرقص في نقده لساطع الحصري في كتاب «نقد الفكر القومي»، وستجد بعض الدراسات التي تناولت ساطع الحصري من منظار قومي أيضًا.

الثاني، تجربة الجهاد الأفغاني التي وقعت بين عامي ١٩٧٩-١٩٩٢:

ساهمت معظم الحركات الإسلامية، والعلماء المسلمون، وجمهور المسلمين في الجهاد الأفغاني، وقدّمت الأمّة الإسلامية الدماء والأموال والجهود في سبيل دحض الشيوعية، وكانت تجربة غنية، فلو تساءلنا: أين الدراسات التي رصدت تلك التجربة بكل تفاصيلها: المالية، والإدارية، والقتالية؟ وأين التقويم لهذه التجربة؟ وما نتائجها على الأمّة؟ وأين النجاح وأين كان الفشل؟ أين الكتابات التي رصدت كل ذلك؟ لا تجد أي كتابات ذات قيمة بمنظار إسلامي، وإنما تجد بعض الكتابات المحدودة التي تتناول أجزاء متفرّقة من هذه التجربة. مع أنه يفترض أن نجد عشرات المؤلّفات التي تتناول التجربة بكل تفصيلاتها لأنها كانت منعطفًا في حياة الأمّة، وفي آثارها عليها.

الخلاصة

إنّ الركود الذي تعانيه الأمّة، وإنّ النهضة التي لم تتحقّق، لم يأتيا من فراغ إنما جاءا نتيجة غلبة النقل الحرفي لمعطيات الحضارة الغربية إلى واقعنا دون اجتهاد في مراعاة الواقع الموضوعي للأمّة عند الأخذ بهذه المعطيات، وإلى محدودية النقد والتقويم عند التيار الإسلامي لعشرات التجارب والحركات المعاصرة، ولمئات الكتّاب والعلماء المعاصرين إن لم نقل غياب هذا النقد والتقويم.

مفهوم الأمية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام (٢-٢)

د. رفيق حسن الحليمي

تأسيسًا على ما كنا طرحناه في مقالنا الأول عن الاعتقاد الخاطئ السائد بأن وصف العرب بالأمية يلزم منه الجهالة والتخلف والنعت بأسوأ الأوصاف، نواصل اليوم حديثنا عن مظاهر التمدين في العرب ورجوعه إلى تاريخ قديم جدًا.

مدى انتشار الكتابة في الجاهلية

يقول أحد الباحثين: «الكتابة العربية- ولا ريب- وليدة الكتابة النبطية التي كانت في شمال الحجاز وجنوبي بلاد الشام في القرون الأولى من الميلاد، تلك الكتابة المتفرعة عن الخط الآرامي في القرن الأول قبل الميلاد، وقد أخذت هذه الكتابة تتطور تطورًا سريعًا وتأخذ مسحتها النبطية في الزوال وتصطبغ بالصبغة العربية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، وفي القرن الخامس والسادس من الميلاد انمحت الكتابة النبطية وزالت تمامًا، ولكنها بعثت في صورة أخرى هي الكتابة العربية» (١)، ومن المؤكد أن مجرد التفكير في استعارة الكتابة النبطية في وقت مبكر، ومحاولة توطينها في بلادهم، ثم تطويرها ذلك التطوير السريع وصبغها بالصبغة العربية لا يتم إلا في بيئة تتقبل الكتابة وتدرك أثرها ومبلغ أهميتها في الحياة العملية، ومن المعروف «أن الكتابة من الأشياء الضرورية للتجارة، وأهل الحجاز قوام حياتهم التجارة، وهي مورد رزقهم الأول» (٢)، وقد ذكر القرآن ما كان للعرب من رحلتين تجاريتين (رحلة الشتاء والصيف)، والتاجر بحاجة إلى معرفة الكتابة وتدوين ما لديه وما له وما عليه من دراهم ودنانير، ومعرفة نصيبه منها، كما يحتاج إلى إبرام العقود والمعاهدات وكتابة الصكوك مع الآخرين، داخل بلاد العرب وخارجها (٣)، «ولم يقتصر أمر ظهور الكتابة على هذه المواطن المتحضرة، بل تسربت إلى البادية نفسها» (٤)، فقد أخذها طلاب العلم عن معلمين «كانوا منقطعين إلى تعليمها في أماكن خاصة أعدت لتلقي هذه الضروب من المعرفة (...)، وقد عقدت بعض المصادر العربية فصلًا خاصًا أثبتت فيه جريدة بأسماء المعلمين في الجاهلية (٥)، وقد تجاوز نفر من العرب معرفة الكتابة العربية إلى معرفة أنواع أخرى من الكتابات مثل: الحميرية والنبطية والفارسية والرومانية والحبشية (٦).

مجالات الكتابة

يذهب باحثون إلى أن الكتابة امتدت إلى تدوين أفضل ما كان لديهم من الشعر (المعلقات)، وكتابته بماء الذهب وتعليقه على جدران الكعبة، قال ابن الكلبي: «أول شعر علق أيام المواسم شعر امرئ القيس، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم، ثم أحدر (أسقط) فعلقت الشعراء ذلك بعده، وكان ذلك فخر العرب في الجاهلية» (٧).

ولا يغب عنا أن أهل الكتاب من يهود ونصارى كانت كتبهم مدونة بين أيديهم يتلونها (٨)، ومن العرب من شاركهم في كتابة شيء منها، كما هي عند ورقة بن نوفل الذي كان «يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب» (٩).

وإلى جانب ذلك ما كان يقوم به بعض العرب من كتابة العهود والمواثيق وكتب الأمان والرسائل القصيرة (١٠).

الكتابة والتدوين في صدر الإسلام

كان ذلك كله مما أشرنا إليه اختصارًا في العصر الجاهلي ولا نكاد نصل إلى بداية الدعوة حتى نجد أن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾ (العلق: ١-٤)، مع أن النبي ﷺ وهو ما اقتضته العناية الإلهية كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب (١١)، وقد كان لهذا الأمر الإلهي (اقرأ... اقرأ) دلالة كبيرة وأثر بالغ الأهمية في حياة المسلمين، فقد دفعهم إلى تعلم القراءة والكتابة (والتعلم بالقلم) حفاظًا على كتاب الله وسنة نبيه أينما حلوا وأينما ارتحلوا، ولابد من التذكير بأن بداية الدعوة ارتبطت بحركة «تدوين» ما كان ينزل منجمًا من القرآن، وفي مرحلة مبكرة جدًا، أقول: ومنذ أن كانت الدعوة سرًا بين السابقين، يستدل على هذا بقصة إسلام عمر ابن الخطاب، فقد دخل مغاضبًا دار أخته فاطمة وزوجها سعيد بعد أن علم بإسلامهما، وكان خباب بن الأرت- كما تقول الرواية- يقرأ عليهما من «صحيفة» كتب فيها آيات من سورة سبأ ومن سورة طه، فأخفت أخته الصحيفة عنه... وبعد أن سكت عنه الغضب كان ما قرأه من تلك الصحيفة سببًا في إسلامه (١٢)،

* أكاديمي فلسطيني

اتهام العرب في الجاهلية بأنهم أمة أمية هو اتهام بلا دليل



ويستدل من هذه القصة أن المسلمين الأوائل ومنذ أن كانت الدعو سرا شرعوا في تدوين ما كان يتنزل من القرآن.

كانت مكة تمثل المركز التجاري للجزيرة قد تهيأت من كل جانت تحتاج إليه عملية التدوين بما يسمح بكتابة ما كان يوحى إلى النبي ﷺ، وما هي إلا فترة بُعَيْد الهجرة إلى المدينة حتى أخذت الكتابة تتسع يوما بعد يوم وتزداد الحاجة إلى تعلمها وطلب أدواتها ومختلف وسائلها في ظل حكومة إسلامية ناشئة أصبحت بأمس الحاجة إلى الكتابة والتدوين والمكاتبات، ولعلنا نذكر جميعًا موقف الرسول من أسرى معركة بدر فقد جعل تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة مقابل الفدية، ولا تحتاج عملية تعلم الكتابة آنذاك إلى وقت طويل، فربما تتم في بعض ساعات لمعرفة الرموز الكتابية فقط، والعربي لا يحتاج إلى تعلم اللغة لانها لغته، بل كان بحاجة إلى معرفة الحروف الدالة على الأصوات اللغوية، ثم ينطلق بعدها تدريجيًا وذاتيًا في القراءة والكتابة.. وفي القرآن آيات تحث على تعلم الكتابة (آية الدين) كما هي الحال في بعض الأحاديث، فقد أثر عن النبي قوله: «قيدوا العلم بالكتابة» (١٣).

وفي المدينة ظهر ما يسمى بكُتّاب الوحي وهم جماعة من الصحابة انقطعوا وتفرغوا لكتابة كل ما يوحى إلى النبي ﷺ بأمر منه، فضلاً عن جماعة أخرى كانوا يكتبون ما يريد النبي ﷺ كتابته من رسائل عهود، ويكفي أن نلقي نظرة سريعة على كتاب المصاحف لندرك كثرة تلك المصاحف ومدى انتشارها في حياة النبي ﷺ أو بُعَيْد التحاقه بالرفيق الأعلى بوقت قصير، ولنتصور معها مدى انتشار الكتابة.

أنواع الخطوط العربية

تجدر الاشارة إلى أن عملية التدوين في أكثر من حاضرة من حواضر المسلمين قد رافقها ظهور أنواع مختلفة من الخطوط العربية صليبة، فقد عرف الخط المكي والخط المدني والخط الكوفي والخط البصري، وقد عرف العرب بعض هذه الخطوط قبل الإسلام، وبعضها عرفوه بعد الإسلام ، وهذا الأمر بالنسبة إلى مواطن الخطوط، واما بالنسبة إلى أشكالها فهناك خط النسخ والرقعة والثلث والريحاني والديواني والطومار، ونال الخط العربي قسطا من التجويد والابتداع فيه، واهتم الأمويون في الشام بالكتابة العربية اهتمامًا فائقًا (١٥)، بحيث يمكن أن نستدل من كثرة تلك الخطوط على قيام ما يشبه المدارس في الخطوط العربية تلازمت ونافست، وعبرت كل واحدة من تلكم المدارس على مرحلة تاريخية بعينها ساد فيها نوع منها أكثر من غيرها.

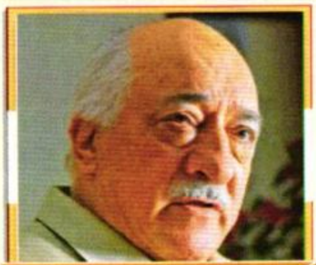
أبَعْدَ هذا يتهم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام بأنهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب؟! ويكفي أنهم استوطنوا الكتابة النبطية وطوروها وصبغوها بالصبغة العربية قبل قرنين أو أكثر من البعثة النبوية.

الهوامش

١- حسين نصار، نشأة الكتابة العربية ص١٩.
وانظر: ناصرالدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي ص٣٨.
٢- نشأة الكتابة (الموضع السابق)
٣- نفسه ص ٢٠-٢١.
٤- نشأة الكتابة ص٢٣.
٥- مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٠.
٦- نشأة الكتابة ص٢٥، مصادر الشعر الجاهلي ص٦١.
وجاء فيه «أن بعض العرب كانوا يكتبون بالعبرانية والسريانية».
٧- الأنباري شرح القصائد السبع المطولات (مقدمة المحقق ص١١).
٨- مصادر الشعر ص٦١.
٩- نفسه ص٥٥.
١٠- انظر تفصيل ذلك في: مصادر الشعر الجاهلي ص٦٦ وما بعدها.
١١- القراءة: تكون اما بالنطق بألفاظها عن نظر العين كأن نقرأ من كتاب أو من صحيفة، واما عن حفظ من الذاكرة او عن اعادة لما يقوله الآخر، وهي بخلاف المحادثة والحوار (قاموس).
١٢- الباقلاني، اعجاز القرآن ص٢٧.
١٣- السيوطي، المزهر ج٢ ص٣٠٢.
١٤- ابوداود السجستاني، المصاحف ص٥٠-٨٨.
١٥- الموسوعة العربية ص٧٥٨.

التواضع.. وسيلة التقرب إلى الحق والخلق

التواضع هو التذلل، عكسُه التكبّر، ويمكن أن نعرّفه أيضًا بأنه شعور الإنسان بموقعه الحقيقي أمام الحق سبحانه، وتقييم مكانته لدى الخلق من زاوية هذا الفهم، وعدّ نفسه كأحد من الناس، أو كأي جزء من أجزاء الوجود. وأيًا كان التعريف فمتى ما تقبل الإنسان- بروح متواضعة- أن تكون نفسُه عتبة الباب، موطئ البيت، حجر الرصيف، حصاة الجداول، تبن السنابل، تمكّن أن يعبّر كما عبّر «الإمام الوارلي»:



فتح الله كولن

الكلّ حسنٌ إلاّ أنا

الكلّ قمح والتبن أنا

فيكون مرفوع الرأس، مرموقًا مقبولاً لدى أسمى المقامات من أهل الأرض والسموات، أمَا يقول الصادق المصدّق ﷺ في حديثه الطيب الجميل المسند إليه «مَنْ تَواضَع لله رَفعَه اللهُ ومَن تَكَبّر وَضَعه الله»(١) بمعنى أن الكبير والمتكبر والمتواضع والوضيع يتناسبان تناسبا عكسيًا.

ويرى البعض أن التواضع هو ألا يرى الإنسان في نفسه قيمة، ويقول البعض الآخر: هو احترام الناس بما يليق بإنسانيتهم ومعاملتهم بإنكار الذات، وآخرون: أن يعدّ نفسه أشرّ الناس ما لم يتغمده الله بعنايته سبحانه عناية فائقة، وآخرون: اتخاذ موقف تجاه أي نأمة داخلية للأنانية في نفسه صغيرة كانت أم كبيرة، وبذل الجهد لخنقها في موضعها. فكل واحد من هؤلاء له فهمه وطرز تلقيه الخاص، بيد أن الأخير يتعلق بالمقربين والمخلصين أكثر.

قال عروة بن الزبير: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا، فقال- من نصب خباءته في مقام القرب: لمّا أتتني الوفود بالسمع والطاعة، دخلتْ في نفسي نخوة- حاشاه أن تكون نخوة كما نفهمها نحن نوعًا من الكدورة- فأحببتُ أن أكسرها، ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها.(٢) وكذا حمله الدقيق على ظهره. ولوم نفسه على المنبر(٣) وسكوته عمّن عاتبه(٤).. كل ذلك من قبيل كسر النفس والتواضع.

إن من يستمع إلى كتاب الله الجليل والسنة المطهرة لا تبقى لديه أي شبهة من أن العبودية الحقة هي التواضع والمحوية لكثرة حثهما على التواضع، فقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾ (الفرقان:٦٣) صوت خالص زكيّ لهم، و﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:٥٤) نَفَسٌ رقيق لطيف تفجّر في قلوبهم وانعكس على سلوكهم. وأيضًا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ (الفتح:٢٩) التفاتة وتكرمة لهم تفوق التصور.

وينثر المثل الكامل للإنسان ﷺ دررًا نفيسة أمام أنظار قلوبنا، منها:

١- «إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».(٥)

٢- «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ».(٦)

٣- «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللهِ دَرَجَةً وَضَعَهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ».(٧)

٤- «اللّهمّ اجعلني شَكورًا واجعَلني صَبورًا واجعلني في عَيني صغيرًا وفي أعيُن الناس كبيرًا».(٨)

وأمثال هذه الدرر كثيرة وكثيرة، أمَا قضى ﷺ حياته المباركة على هذا النمط؟ فلنذكر نتفا منها:

أ- كان ﷺ يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم.(٩)

ب- وكانت الأمَـةُ تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت.(١٠)

جـ- وكان ﷺ في بيته في خدمة أهله.(١١)

د- ويشترك في العمل مع الآخرين.(١٢)

هـ- وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة، ويعلف البعير.(١٣)

و- وكان يأكل مع الخادم.(١٤)

ز- ويجالس المساكين.(١٥)

حـ- ويمشي مع الأرامل(١٦) والأيتام (١٧) في حاجاتهم.

ط- ويعود المريض، ويشيّع الجنائز، ويجيب دعوة العبد.(١٨)

فبدءً بالرسول الكريم ﷺ إلى سيدنا عمر وسيدنا عمر بن عبدالعزيز ثم إلى الآلاف ومئات الآلاف من الأولياء والأصفياء والأبرار والمقربين، وأرباب القلوب العظام في هذا العصر.. كلهم

مفكر تركي

سـاروا على النهج نفسه.. وأقـروا: «إن مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع. أما الناقصون القاصرون فميزان الصغر فيهم هو التكبر»(١٩) وبينوا الطريق إلى الإنسان الكامل لمن لم يفقدوا مواهبهم الفطرية.

إن التـواضـع الحـق هـو أن يحـدّد المـرء موقعـه تجـاه عظمة الحـق تعالى ولا تناهيه، بأنه «صفـر» ولا شـيء إلى المطلق غير المحـدود، ويملّك ذاتـه هذا المعنى. فالكاملون الذين توغل هذا الفكر في طبعهم، وبه بلغوا فطرة ثانية، هم متواضعون في علاقاتهم مع الناس وفي محويّة معهم مع الرزانة التامة. أجل، إن الذين حدّدوا موقعهم أمام الله سبحانه، هم في توازن دائمي سـواء في حياتهم الدينية أو في علاقاتهم ومعاملاتهم مع الناس أو في مراقباتهم النفسية الخاصة بهم:

١- فهم فـي تواضـع ومحـويّة تجاه الدين، فلا إشكال لهم، لا بمنقوله ولا بمعقوله. لأنهـم فـي استـسـلام تـام له وإذعان بكل ما ثبت بالبيان القرآني النير والسنة الصحيحة والحسنة، لا يعارضون ما بلّغه الرسول ﷺ ولاسيما ما ثبت من أفعاله، حتى لو رأوا مـا يخالف العقل والقياس والـذوق والسياسة. علمًا أنه ليس في روح الـدين مـا يخالف العقل القويم والقياس الصحيح والذوق السليم والسياسة الشرعية.

٢- وهم كذلك يعتقدون أنه لا سماح حتى لأصغر البدائل في تمثيل ما عُرّف بالتبليغ؛ لذا فهم منغلقون كليًا على ما هو خارج عن بيان الشارع الجليل. وإذا ما عرضت لأذواقهم ومداركهم ملاحظات مختلفة يؤوّلونها بقصر باعهم في الأمر ويجابهونها:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحًا
وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ(٢٠)

٣- وهم كذلك مدركونَ تمام الإدراك أنه لا خلاص في السبل المخالفة للكتاب والسـنة، ويـجـدون أعـظم منابع قوتهم في العبودية لله، وفي الحقيقة لن يكون العـبد عـبدًا لـله حقًـا ويـكون لما سـواه مسترقًا، فالذين لا يستطيعون النجاة من ذل العبودية لغير الله لا يُنتظر منهم العبودية الخالصة لله. وما أجمل ما قاله بديع الـزمـان النورسي: «أيها الإنسان! إن من دساتير القرآن الكريم وأحكامه الثابتة ألا تحسبنَّ مـا سـوى الله تعالى أعظمَ منك فترفعَه إلى مرتبة العبادة، ولا تحَسـبنَّ أنـك أعـظم مـن شـيء من الأشياء بحيث تتكبّر عليه، إذ يتساوى ما سواه تعالى في البعد عن المعبودية وفي نسبة المخلوقية».(٢١)

٤- إنهم لا يكلون ثمرات سعيهم إلى أنفسهم قطعًا، ولا يعدّون ما تفضل الله عليهم من قـدم للامتحان تقدمًا على غيرهم، ولا يجعلون بـذل الجهد- بأية نية كانت- وسيلةً للتكبّر على الآخرين، ولا يعتمدون على حُسن ظن الناس بهم وتوجّههم إليهم ولا ينتظرون العوَض، بل يعدّون حبّ الناس وتوقيرهم لهم ابتلاء مـن الـلـه، فـلا يستغلون إحسـان الحق عليهم وسيلة تحكّم بالناس، لما يرون من أن ألطاف الله بهم وسـائل منّة وأذى بمن حولهم.

الخلاصة

إن التواضع هو الباب الرئيس لقَصر خُلُق الله، فهو أيضًا في مقدمة الوسائل للتقرب إلـى الحق وإلـى الخلق، فـالـوَردُ ينبت فـي الـتـراب، والإنـسـان محصول الأرض لا السماء، والمؤمن أقرب ما يكون إلى الله في السجود عندما يكون الرأس والقدم معًا في موضع واحد.(٢٢)

الهوامش

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/١٤٠؛ مجمع الـزوائـد للهيثمي، ١٠/٣٥٢. وانـظـر: أحاديث مشابهة في المسند للإمام أحمد، ٣/٧٦؛ كتاب الزهد لابن أبي عاصم، ١٥٦؛ المسند لأبي يعلى، ٢/٣٥٨.

(٢) الرسالة للقشيري، ص:٢٤٤.

(٣) «روي أن عمر بن الخطاب رقى المنبر وجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس لقد رأيتُني وما لي من أكال يأكله الناس إلا أنَّ لي خالاتٍ من بني مخزوم فكنتُ أستعْذبُ لهن الماءَ فيُقَبِّضْنَ لي القبضات من الزبيب. قالَ ثم نزل عن المنبر فقيل له ما أردتَ إلى هذا يا أمير المؤمنين؟ قال إني وجدتُ في نفسي شيئًا فأردت أن أطأطئ منها». (الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣/٢٩٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٣١٤؛ مجمع الزوائد للهيثمي ٤/٢٨٤.

(٥) مسلم، الجنة ٦٤؛ أبوداود، الأدب ٤٨؛ ابن ماجة، الزهد ١٦.

(٦) الترمذي، صفة القيامة ٤٥.

(٧) المسند للامام أحمد، رقم الحديث: ١١٢٩٩.

(٨) المسند للديلمي، ١/٤٧٣؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ١٠/١٨١.

(٩) «عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مَرَّ عَلَى صبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وقال كان النبي ﷺ يَفْعَلُهُ». (البخاري، الاستئذان ١٥؛ مسلم، السلام ١٥).

(١٠) الشفا للقاضي عياض، ١/١٣١، ١٣٣.

(١١) «عن الأسود بن يزيد سألتُ عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يَصنَعُ في البَيْت قالتْ: كان يكون في مهْنَة أهْله فإذا سمعَ الأذانَ خَرَجَ». (البخاري، النفقاتَ ٨، الأدب ٤٠؛ الترمذي، صفات القيامة ٤٥).

(١٢) المسند للإمام أحمد، ٢/٣٨٣؛ السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٢٤.

(١٣) الترمذي، الشمائل ٧٨؛ المسند للإمام أحمد، ٦/٢٥٦.

(١٤) «عن النبي ﷺ قال: إذا أتَى أحدَكُم خَادمُه بطعامه فَإنْ لَمْ يُجْلسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ أكْلَةً أوْ أكْلَتَيْن أوْ لُقْمَةً أوْ لُقْمَتَيْن فَإنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلاَجَهُ». (البخاري، الأطعمة ٥٥؛ مسلم، الإيمان ٤٢).

(١٥) الشفا للقاضي عياض، ١/١٣١.

(١٦) «عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: السَّاعِي عَلَى الأرْمَلَة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القَائِم اللَّيْلَ الصَّائِم النَّهَارَ». (البخاري، النفقات؛ مسلم، الزهد ٤١).

(١٧) «قال رسول الله ﷺ: أنَا وَكَافِلُ اليَتِيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفَرَّجَ بينهما شيئًا». (البخاري، الطلاق ٢٥؛ مسلم، الزهد ٤٢).

(١٨) البخاري، تفسير سورة التوبة ١٢؛ مسلم، المنافقين ٣.

(١٩) الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي، اللوامع.

(٢٠) المتنبي في ديوانه، ٤/٢٤٦.

(٢١) اللمعات لبديع الزمان سعيد النورسي، اللمعة السابعة عشرة، المذكرة الثانية.

(٢٢) انظر: مسلم، الصلاة ٢١٥؛ النسائي، التطبيق ٧٨؛ المسند للإمام أحمد ٢/٤٢١.

الرياضة في الإسلام.. أه

رشيد ناجي الحسن

الرّياضة لغة: مَصدر راضَ، يقال: راضَ المُهر يَروضُه رياضًا ورياضةً فهو مروّض أي ذلّله وأسلسَ قيادَه، ورياضة البدن معالجتُه بألوان من الحركة لتهيئة أعضائه لأداء وظائفها بسهولة.

وقد عرّف السعدي، رحمه الله، الرياضة بأجمل تعريف فقال: هي التمرن والتمرين على الأمور التي تنفع في العاجل والآجل، والتدريبُ على سلوك الوسائل النافعة التي تُدرك بها المقاصد الجلية.

ودونَ الدخول في أهمية الرياضة وفوائدها على كل الأصعدة، والتي لا يختلف فيها اثنان، وآدابها وأخلاقها التي يجب التزامُها، والتي يتردد بين الناس أنّ الرياضة أخلاق، مع أنّ الأخلاقَ هي التي تقود الرياضة، وهي التي توجهها نحو هدفها الصحيح أو الخاطئ. دون الدخول في كل ذلك لابد لي من خلال هذا البحث المتواضع من بيان نظرة الإسلام إلى الرياضة، وما حكمها؟ وهل شجع الدين على ممارستها للجنسين معًا أم لا؟ وهل وضع لممارستها ضوابط؟ وما هي؟

من المسلَّم أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل شريعته رحمة بعباده شاملة لجميع مناحي الحياة، واستوعبت أحكامُها حاجات الإنسان كلّها، وأولت عناية كبيرة للإنسان بدنًا وروحًا وعقلًا، ليتسنى له الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والقيامُ بمهمة الاستخلاف في الأرض كما اقتضت المشيئة الإلهية، ولاشكّ أنّ أداءَ هذه المهمة على الوجه الصحيح يحتاج إلى إمكانات وطاقات عقلية وجسدية مميزة.

من هنا نرى الإسلام أعطى للرياضة عناية خاصة باعتبارها مظهرًا وسلوكًا لازمًا للإنسان منذ نشأته، حيث دعت آيات كثيرة من القرآن الكريم إلى تحصيل القوة البدنية وغير البدنية، فقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ (الأنفال ٦٠)، كما امتنّ الله عز وجل على عبده الصالح (طالوت) الذي بعثه ملكا على بني إسرائيل إذ وهبه مع العلم بُنية جسمية قوية، فقال سبحانه: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسْم﴾ (البقرة ٢٤٧)، وقد أثنى رسولَ الله ﷺ على المؤمن القوي فقال: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله منَ المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير» (رواه مسلم)، والمقصود بالقوة هنا معناها الواسعُ وهو قوة الهمة والإرادة والشخصية، ومعها القوة الجسدية الضرورية للقيام بمتطلبات العبادة والجهاد. وقد كان ﷺ نفسُه ذا جسم متكامل وقوي وضخم، فقد جاء في كتب السنة أنه ﷺ كان قويّ البنية، عظيمَ الصدر، عريضَ المنكبين، ضخمَ العظام، قويّ العضدين والذراعين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ومن الطريف أن نلاحظ

* باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

الرِّياضة الهادفة

أقرَ الإسلامُ الرِّياضةَ الهادفةَ النّظيفة، بل حضّ عليها ورغّب فيها، بشرط أن تكون وسيلة لا غاية، وعندما تبتغي وسيلة للمسلم المتميّز بجسْمه القويّ، وخُلقه الكريم، وعقْله الوقّاد، وعليه فلا حرجَ في الاستمتاع بالرياضة، ما لم تكن تعَصُبًا أو همجية أو تخلفًا عن واجبات شرعيّة أو اجتماعية أهمّ وأولى.

ولاشكَ أنّ منْ طرائق اكتساب القوة البدنية، مزاولة بعض الرّياضات النافعة، كالرماية، والسّباحة، والمصارعة، والعدْو، وغيرها.. فهذه ألوانٌ من الرّياضة النزيهة كانتْ معروفةً من أيام الجاهلية، فلما جاء الإسلام أقرها، بل رغّب المسلمين في مُزاولتها أو مشاهدتها، لأنها تهيّئ النفوسَ للإقبال على العبادات والواجبات الأخرى، إذ النفوس إذا كلّت من العمل ملّته.

وإنّما المحظور الواقع في بعض أنواع الرياضات اليوم ما يشوبها من المحظورات الشرعية: فرياضة المصارعة جائزة، فإذا تحوّلت إلى استعراض للعُري والابتذال، حرُمت؛ لضرورة سَتْر الأجساد.

وسباقُ الخيل من أجود الرياضات وألْيقها بالرّجال، ولكن عندما تصبح هذه المنافسات مجالًا خصبًا للمراهنات والمقامرات، فإنّها تدخل دائرة الميْسر والقمار المحرّم.

والملاحظ أنّ الرياضة- وبخاصّة كرة القدم- صارتْ بلاءً حينَ انحرفتْ عن طريقها المقبول، وزادتْ عن حدّها المعقول، فالجماهيرُ تتْرُك أعمالها وأوجب واجباتها من أجلها، والألوف تتابعها بحرْص وشغَف، وضجيج وصياح، وسَبّ وتنابُز، وتعصُب مقيت، يجر في كثير من الأحيان إلى خلافات عنيفة، وخصومات هائجة، بينَ الأصدقاء والمعارف، بل بين الأزواج والزّوجات، وبين الأبناء والآباء!

فلينظر محبّ الرياضة لنفسه، هل هو في دائرة المباح منها أم في الدائرة الأخرى؟!

...ميتها.. حكمها.. ضوابطها



أن هذه الأجزاءَ من الجسم هي التي تقاس اليوم بدقة واهتمام في بطولات كمال الأجسام، فمن كان جسمه بهذه الأوصاف، كان صاحبها البطل.

ثم إنَ الملاحظ أنّ معظمَ العبادات التي شرعها الله في الإسلام تعدٌ ضربًا من ضروب الرياضة البدنية، فالصلاة بحركاتها وسكناتها رياضة تحرك الأعضاء، وتحرر المفاصل، وتنشط الجسم، وفي الصوم الشرعي من أسباب حفظ الصحة، ورياضة البدن والنفس، ما لا يدفعه صحيحُ الفطرة، والحجُّ أشبهُ ما يكون بدورة رياضية سنوية منظمة، فالطوافُ حول الكعبة، والسعيُ بين الصفا والمروة، والوقوفُ بعرفة، ثم الإفاضة منها إلى المشعر الحرام في مزدلفة، ومنها إلى منى.. كل تلك ممارسات رياضية تنشط الجسم وتقوّيه، فوق أنها قربة إلى الله عز وجل، كما زاد ابن القيم، رحمه الله، علاوة على ذلك: المشيَ في الحوائج، وإلى الإخوان، وقضاء حقوقهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، والمشي إلى المساجد للجمعات والجماعات، وحركة الوضوء والاغتسال وغير ذلك.

إذن فالرياضة في الإسلام ليست تسلية أو عبثًا كما هي حال كثير من الرياضات المستحدثة اليوم، بل هي قوة دافعة موجهة للخير.

كما كان ﷺ يحثُّ أصحابه على بعض أنواع الرياضة، لعلّ أهمها الرميُ والتصويب واللعب بالسهام والنبال. فقد صح أنّ النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي (التصويب) فيشجعهم ويقول: «ارموا وأنا معكم» (رواه البخاري).

وقال في قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ «ألا إنّ القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (رواه مسلم).

غير أنه ﷺ حذر اللاعبين من أن يتخذوا من الدواجن ونحوها من الأحياء غرضًا لتصويبهم وتدريبهم. كما حثّ ﷺ على رياضة الفروسية وهي القدرة على ركوب وترويض الجواد والتحكم في حركاته والقدرة على التجانس معه في وحدة متناسقة من الحركات، ففي الصحيحين أنه ﷺ سابق بين الخيل، بل وأعطى السابق منهم، أي كافأه، كما في مسند أحمد، وإنما شجع الإسلام على هذه الرياضة، ورفع من شأنها، لارتباطها بالجهاد في سبيل الله، وفي إعداد القوة والمنعة للدفاع عن الأمة والوطن.

وكذلك حثّ ﷺ على السباحة على الرغم من عدم وجود بحار أو أنهار في مكة والمدينة أو حولهما، وهي رياضة تعتبر الأكثر نفعًا للجسم دون غيرها من الرياضات. لأنها تقوِّي الجملة العصبية، وتنمّي العضلات، قال ﷺ: «كلُّ شيء ليس من ذكر الله عز وجل، فهو لغو ولهو، أو سهو، إلا أربعَ خصال: مشي الرجل بين الغرضين (أي للرمي والتصويب) وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة». (رواه النسائي بإسناد صحيح).

ومما حثّ عليه أيضا: المبارزة واللعب بالسيوف، حيث سمح ﷺ للأحباش أن يلعبوا بحرابهم في مسجده ﷺ، كما صحّ في الحديث.

ومن الرياضات التي مارسها ﷺ رياضة المشي حتى إنّ أبا هريرة رضي الله عنه وصفه فقال: «ما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ لكأنما تطوى له الأرض، وكنا إذا مشينا نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.. وفي رواية وإنا لنجهد أنفسنا ولا يبدو عليه الجهد». وقد ذهب ﷺ من مكة إلى الطائف والتي تبعد حوالى (١١٠) كم، ماشيًا على قدميه.

كما شارك ﷺ في المسابقات الرياضية التي كان أصحابه يمارسونها، وقد اشتهر منهم في لعبة الرمي كثيرون، كان في طليعتهم حمزة رضي الله عنه عمُّ النبي ﷺ وعديُّ بنُ حاتم رضي الله عنهما وغيرهما. وفي العدْو كان عليٌّ رضي الله عنه عَدّاءً سريعَ العدو، وكذلك كان سلمةُ بنُ الأكوع وغيرُه من الصحابة.

إذن فالرياضة في الإسلام موجهة نحو غاية، تهدف إلى القوة، وهي في نظر المشرّع سبحانه وسيلة لتحقيق الصحة والقوة البدنية لأفراد الأمة، وذلك حتى تكون الأمة المحمدية مرهوبة الجانب، منيعة محمية عزيزة كريمة.

أما حكم الألعاب الرياضية في الإسلام: فإنّا نرى أنّ مَنْ نظر في النصوص الجزئية للشريعة لا يجد في مُحْكم القرآن الكريم، ولا في صحيح السنة النبوية، ما يحظر اللهو واللعب، إلا ما صاحبَه أمر محرم شرعًا، أو أدّى إلى مفسدة محققة أو مرجّحة.

وقد نظر الإسلام على أنه إذا كان الغرض من الرياضة هو إعداد الجسم ليكون صالحًا لأداء فريضة الجهاد، قادرًا على إعلاء كلمة الله، فالرياضة مطلوبة، ولذا ندب الإسلام إلى القيام بأنواع من اللعب لما فيها من فوائد، وإذا كان الغرض هو الترويح عن النفس ونحو ذلك، فالرياضة مباحة، وإذا اشتملت على محرم كتضييع الصلاة، أو كشف العورات أو اختلاط بالنساء ونحو ذلك كانت حرامًا. وقد تكره أو تحرم أنواع أخرى حسب ما يقترن بها من أفعال مكروهة أو محرمة، أو لأن صورة ممارستها مكروهة أو محرمة شرعًا.

فَمِنَ اللَّعب المُباح (١) المُسَابَقَةُ المَشْرُوعَةُ عَلَى الأقدامَ والخيل وَنَحْوِ ذَلك. ويدخل تحت الألعاب المباحة أيضًا ألعاب القوى كالمشي والجري والقفز والوثب والرماية ورفع الأثقال وغيرها، وكذا الألعاب الكروية ككرة القدم والسلة ونحوهما. ولكنّ المباحات في الإسلام لها ضوابطها التي تتقيد بها، فلا يجوز لها أن تخرج عنها، ومنها عدم الإسراف والمبالغة فيها، كما قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف:٣١). فالإسراف في المباح يجعله حرامًا، أو يقربه إلى دائرة الحرام.

ومِنَ اللعب المستحب: المُنَاضَلَةُ عَلَى السِّهَامِ وَالرِّمَاحِ، والفروسية، والسباحة، وَكُل نَافع فِي الْحَرْب.



ومنَ المكروه: اللَعِبُ بالطير والحمام لأَنّهُ لاَ يَلِيقُ بأَصْحَاب المروءات، وربما يكون حرامًا؛ لما رواه أحمد وأبوداود أن النبي ﷺ رأى رجلًا يتبع حمامة، فقال: «شيطان يتبع شيطانة»، وكذا يُلحق بالمكروه كلُّ لهو غير نافع، لما فيه من تضييع الوقت والانشغال عن ذكر الله وعن الصلاة (٢).

وَمِنَ اللَّعبِ المُحَرّم: كلُّ لعبة فيها قمار، وهو أن يغنم أحدهما، ويغرم الآخر، لأنه من الميسر أي القمار الذي أمر الله باجتنابه. ومن الألعاب المحرمة كذلك المصارعة الحرة والملاكمة، وتحريش الديكة على بعضها، ودفع المواشي إلى التناطح ومصارعة الثيران ونحوها، وذلك لما تحدثه من أضرار في حياة الإنسان أو الحيوان، فإن لم يكن في الملاكمة أو المصارعة ضرر بأحد الطرفين كانت مباحة، وكذلك تباح إن كان فيها تعويد الإنسان على القوة والقتال والدفاع عن النفس، وقد صارع رسول الله ﷺ ركانة وغلبه.

ومن الألعاب- بل كثير منها- ما يكون جائزًا، وقد يرتقي إلى الكراهة، أو إلى التحريم كالصيد، فالصيد لحاجة جائز، وأما الصيد الذي ليس فيه إلا اللهو واللعب فمكروه، أمّا إنْ كان فيه ظلم للناس بالعدوان على زرعهم وأموالهم، أو إسراف مبين فحرام. وقد حذر النبي ﷺ من العبث في الصيد فقال: «ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله عنها. قيل: يا رسول الله، وما حقها؟ قال: أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها» (رواه النسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي)، وقال: «من قتل عصفورًا عبثًا عَجّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني منفعة» (رواه النسائي وابن حبان في صحيحه). وعجّ: رفع صوته.

وأما الاحتراف: وهو ممارسة الشخص للرياضة باعتبارها حرفة، بصفة مستمرة ومنتظمة، على أن يكون العائد الذي يتحقق من هذا النشاط هو مصدر رزقه الأساسي.. فقد اختلفت أقوال العلماء المعاصرين فيه على ثلاثة أقوال، التحريم مطلقا، الجواز مع الكراهة، الجواز بالشروط وبالضوابط.

هذا، وإنّ تنوعَ الرياضات في عصرنا هذا، ودخولَ الكثير من المخالفات الشرعية فيها، إمّا في نظام الرياضة ذاتها، أو في كيفية أدائها استدعى معرفة الضوابط الشرعية اللازمة في ممارستها، والتي استنبطها الفقهاء من كتاب الله عز وجل، وأقوال النبي ﷺ، ومن مقاصد الشريعة. ولعلّ خير من توسع في ذكر تلك الضوابط هو ابن القيم، رحمه الله، حيث قال في كتاب (الذرائع، ٨٥/١): وَالْمَقْصُودُ أَنّه مَتَى شَغَلَ اللهو عَمّا يَجِبُ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا فهو

حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. وَكَذَلِكَ لَوْ شَغَلَ عَنْ وَاجِبٍ مِنْ غَيْرِ الصَّلَاةِ مِنْ مَصْلَحَةِ النَّفْسِ أَوْ الْأَهْلِ، أَوْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ صِلَةِ الرَّحِمِ أَوْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ مِنْ نَظَرٍ فِي وِلَايَةٍ أَوْ إمَامَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأُمُورِ وَكَذَلِكَ إذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى مُحَرَّمٍ أَوْ اسْتَلْزَمَتْ مُحَرَّمًا. فَإِنَّهَا تَحْرُمُ بِالِاتِّفَاقِ، مِثْلَ اشْتِمَالِهَا عَلَى الْكَذِبِ وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ وَكَذَلِكَ إذَا قُدِّرَ أَنَّهَا مُسْتَلْزِمَةٌ فَسَادًا غَيْرَ ذَلِكَ مِثْلَ اجْتِمَاعٍ عَلَى مُقَدِّمَاتِ الْفَوَاحِشِ، أَوْ التَّعَاوُنِ عَلَى الْعُدْوَانِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ مِثْلَ أَنْ يُفْضِيَ اللَّعِبُ بِهَا إلَى الْكَثْرَةِ وَالظُّهُورِ الَّذِي يُشْتَمَلُ مَعَهُ عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ، فَهَذِهِ الصُّوَرُ وَأَمْثَالُهَا مِمَّا يَتَّفِقُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِهَا فِيهَا.

ويقول ابن حجر في فتح الباري، ٩١/١١: إذا شُغل اللاهي بأمر عن طاعة الله، كمن التهى بشيء من الأشياء مطلقًا سواء كان مأذونًا في فعله أو منهيًا عنه، كمن اشتغل بصلاة نافلة أو بتلاوة أو ذكر أو تفكر في معاني القرآن مثلًا، حتى خرج وقتُ الصلاة المفروضة عمدًا فإنه يدخل تحت هذا الضابط وإذا كان هذا في الأشياء المرغّب فيها المطلوب فعلُها فكيف حال ما دونها.

ومن الضوابط أيضا: مراعاة المقاصد الحسنة (الشرعية) عند مزاولة الرياضة حتى يُؤْجَر المرء في ذلك، لأنّ الأمور بمقاصدها، ولذا تُعَدّ الرياضة من الأمور التي يثاب عليها المسلم إذا استحضر نيته، يقول الإمام النووي رحمه الله: إنّ الأمرَ المباحَ إذا قُصد به وجهُ الله تعالى صار طاعة، ويُثاب عليه، وقد نبّه النبي ﷺ إلى هذا بقوله: «حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك صدقة» (البخاري).

ومنها: المحافظة على ستر العورات المحظور كشفها.

الرياضة في الإسلام ليست تسلية أو عبثًا بل هي قوة دافعة موجهة للخير

وأشد من ذلك وأغلظ ما يتعلق بعورات النساء.

ومنها: ألا يترتب على إقامة المسابقات الرياضية موالاة أو معاداة بسبب تلك المسابقات، فإنّ الموالاة والمعاداة إنما تكون لله وفي الله فقط، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (التوبة:٧١). قال القرطبي: أي قلوبهم متحدة في التوادِّ والتحاب والتعاطف.

ومنها: عدم اشتمال الرياضة على خطر محقق أو غالب الظن، فإن كانت الرياضة خطرة، أو يغلب على الظن أنها خطرة، سواء أكان هذا الأذى والضرر يلحق باللاعب، أو يلحقه هو بغيره، فإنها ممنوعة، لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر. وقد قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥). وقال ﷺ: «لا ضرر، ولا ضرار» (البيهقي).

ومنها: وجوبُ الابتعاد عن الاختلاط في ممارسة الرياضة، فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء» (البخاري).

ومنها: البعد عن المكاسب المحرمة في الرياضة، خصوصًا وأنّ أكثر أنواع سباقات الخيل اليوم فيها قمار، ومراهنات ممنوعة.

ومنها: ألا يستخدمها إلا في طاعة الله، ومساعدة الآخرين، ونصرة الحق، ولذلك قال الله تعالى عن موسى: ﴿قال ربِّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين﴾ (القصص: ١٧)، فهو عليه السلام يريد لما يمده الله به من نعم أن تكون مسخرة في الدفاع عن المظلومين ونصرة الحق، وليس آلة بيد الظالمين.

ومنها: عدم إيقاع الأذى المقصود بالمخلوقات من الناس أو الحيوانات، كاتخاذ الطيور أهدافًا للتدريب على الرماية، أو تعذيب الحيوان، أو التحريش بين الطيور والحيوانات بقصد اللهو كمصارعة الثيران.

ومنها: أن تعود فائدة ممارسة الرياضة بالخير على الأمة المسلمة بكل ما ينفعها، وإلا كانت عبثًا، وقد قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (المؤمنون: ١١٥). وقال عن نفسه: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ (الدخان: ٣٨).

ومنها: ممارسة الرياضة بالقدر المعتدل، إذ مما يلاحظ اليوم ولع الكثير من شبابنا وفتياتنا بالرياضة، ما وصل إلى حد الإسراف في ذلك مما هو ممقوت شرعًا، والذي يؤدي بدوره إلى تخلف الأمة وضعفها.



شاب الصبا والتصابي لم يشب
وضاع وقتك بين اللهو واللعب

وأما عن حكم ممارسة المرأة للرياضة فلابدّ لي من القول أولا بأنّ المرأة أكثرُ احتياجًا للرياضة من الرجل، وذلك بحكم قلة حركتها وطبيعة عملها، ثم إنّ طبيعة الحياة

الفسيولوجية عند المرأة والممثلة بالحمل والولادة وظروف ما بعد الحمل والدورة الشهرية، كلُّ ذلك يجعلها بحاجة ماسة إلى الرياضة. ثمّ إنّ الملاحظ أنّ المرأة الرياضية الرشيقة، هي المفضلة اليوم عند الرجل على غيرها من صاحباتها. والمرأة أصلًا مأمورة بالمحافظة على نفسها وجسمها، من باب قوله ﷺ: «إذا نظر إليها سرته، وان أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وفي ماله» (أبوداود).

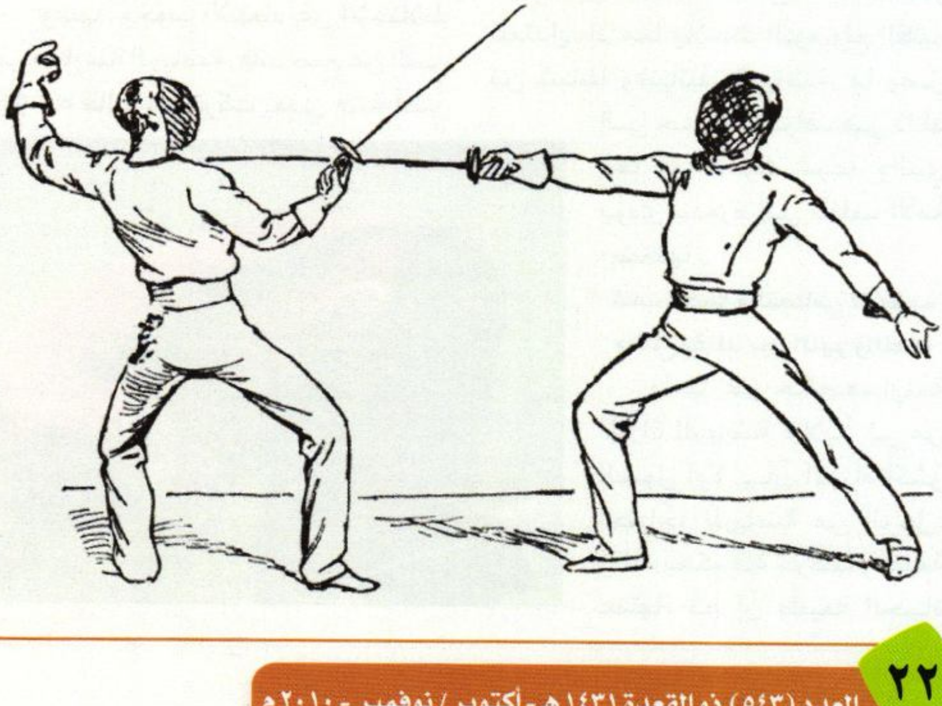
ولطالما أنّ الأصلَ عمومُ الأحكام الشرعية للرجال والنساء جميعًا، إلاّ ما قام الدليل على تخصيص الرجال أو النساء به، وأنّ الأصلَ في الرياضة الجواز، لذا يمكن القولُ بجواز ممارسة المرأة للرياضة، لكن بشروط وضوابط، وقد صحّ أنّ النبيّ ﷺ سابق زوجه عائشة، أكثرَ من مرة، بل إنّ النصوصَ الشرعية التي تحدثت عن فضل الإعداد بالقوة عامة لكل المسلمين، رجالًا ونساءً، كلٌّ بحسبه، والمرأة شقيقة الرجال، تحتاج مثلهم إلى بناء جسمها، لتقوم بأداء واجباتها تجاه ربها، وأسرتها، ومجتمعها، وهي داخلة في عموم النصوص الشرعية المذكورة، وقد صحّ أنّ كثيرًا من النساء في العصر النبوي وغيره شاركن في الجهاد كنسيبة بنت كعب التي رمت بالنبل لحماية النبي ﷺ، وخولة بنت الأزور أيام معركة اليرموك التي طاردت شجعان الروم حتى سقط سيفها فقاتلت بعصي الخيمة وفكت أسر المسلمين، أو الخنساء يوم القادسية وغيرهن من نساء المسلمات ممن خدمن أزواجهن أيضًا داخل البيت وخارجه، كفاطمة رضي الله عنها، وأسماء بنت أبي بكر، التي كانت تحمل النوى من بساتين الزبير إلى علف حيواناته، وكانت تقوم على خيله.

دينـنا فيه فسحة لكن احذروا نسيان الغرض الشريف الذي شُرعت الرياضة لأجله

ولاشك بأن الأوْلى والأفضلَ للمرأة أنْ تمارس الرياضة المناسبة لها في بيتها، أما إن احتاجت إلى ممارسة الرياضة خارج البيت فلابد من مراعاة الضوابط الشرعية في ذلك، وقد ذكرتُ بعضا منها سابقًا، ويزيد النساء عليها بما يلي

- أن يكون المكان الذي تمارس فيه المرأة الرياضة خاليًا من الرجال ومستورًا عن الأعين، ولا حتى من يعملون معهن من عمالة، وألا يكون هناك خلوة مع الأجانب، وأن يُتأكد من عدم تركيب كاميرات تصوير ولذلك نلاحظ أن النبي ﷺ عندما تسابق مع السيدة عائشة- رضي الله عنها- قدّم الرجال وأخّر عائشة عنهم، وهذا يدلُّ على أمرين مهمين، الأول: مشروعية الرياضة للنساء، والثاني: الضوابط الشرعية وخصوصية النساء في هذا المجال.
- الاحتشام بارتداء الزي الإسلامي، وعدم كشف ما لا يحلُّ كشفه من العورات، وأنْ تكون الملابس التي يرتدينها فضفاضة، حتى ولو كنّ نساء مع بعضهن البعض.
- أن تمارس المرأة الرياضات المناسبة لتكوينها وطبيعتها الفطرية والنفسية، بعيدًا عن أية رياضة عنيفة كرياضة الوثب، أو كمال الأجسام، أو رفع الأثقال، التي قد تضر بجسدها، وربما تفقدها بعض الخصائص التي أودعها الله فيها.
- أن يقوم على هذه الأماكن الرياضية نساء مؤمنات ثقات حازمات ذكيات، حتى ينتبهن إلى أية مخالفة.
- ألا تشغلها الرياضة عما خلقت من أجله، كعبادة الله سبحانه، وحفظ حق الزوج، وحسن تربية أولادها، وخدمة دينها.

أما عن مشاركة المرأة في البطولات الرياضية في الخارج فلابد من القول بأنّ تلك البطولات تكتنفها محاذير كثيرة تضع إشارات الاستفهام والتعجب، فهل هذه البطولات نقية من الاختلاط؟ أو التصوير؟ أو البث الحي الذي ينقل للناس ما يحدث في الداخل؟ مؤكد أنّ هذا مستحيل، لأنّ البطولات الدولية لها قوانينها الخاصة، ومنها ما يعارض





شريعتنا الإسلامية، وفيها اختلاط شديد للرجال مع النساء، وفيها من التعري ما الله به عليم، وكذا التصوير الواسع، لذا وبناء على اعتبار فقه المآلات في المسألة، يمكن القول بأنه لا يجوز للمسلمة والحالة هذه المشاركة في هذه المسابقات.

ومن المفاسد في ذلك أيضا: كثرة خروج المرأة من بيتها بحجة الرياضة، وعدم قرارها في بيتها. والله قد أمرها بالقرار في بيتها وعدم الخروج إلا لحاجة.

ومنها: بقاء البيت بلا راعٍ يقوم بشؤونه وشؤون الأولاد.

وأما مشاهدة المباريات، فليس حكمها داخلا في الرياضة، بل في حكم النظر، والصحيح في حكمها أنها جائزة ما لم يكن هناك تكشف للعورات، أو إدمان للمشاهدة كحال بعض الشباب اليوم، بل إنّ جداول الاختبارات والامتحانات الدراسية في بعض دولنا الإسلامية تأثرت بجداول المباريات، وكذا أوقاتُ الدوام والأشغال، ومن شروط جواز المشاهدة أيضا ألا يكون هناك تعصب ممقوت قد يؤدي بدوره إلى فتنة عمياء، ولن ينسى التاريخ بأن حربًا قامت واستمرت ١٠٠ ساعة بين دولتين جارتين في أميركا الوسطى هما هندوراس والسلفادور وانتهت بكارثة، أكثر من ٤٠٠٠ قتيل، ومعهم ١٠ آلاف مشوّه، و١٢٠ ألف مشرد، ودمار مئات البيوت والمنشآت التي تزيد قيمتها اليوم على ثمانية مليارات دولار، وبرأيي ليس عيبا أن تخسر مباراة، لكن العيب أن تخسر مبادئك ومثاليتك وتاريخًا صُنع في سنين.

ناشدتكم بالله والقرآن يا جيل الكرة
أعلمتم أن اليهود على الديار معسكرة
أيسجل التاريخ أنا أمة مستهترة
شهدت سقوط بلادها وعيونها فوق الكرة

وهل المرأة كالرجال في حكم مشاهدة المباريات؟ أجاب الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله، في فتاوى المرأة المسلمة ٢/ ٩٧٣، فقال: النظرة المجردة التي لا شهوة فيها ولا تمتع، لا شيء فيها على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهي جائزة لما ثبت في الصحيحين «أنّ عائشة رضي الله عنها كانت تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، وكان النبيُّ ﷺ يسترها عنهم»، وأقرّها على ذلك. ولأنّ النساءَ يمشين في الأسواق، وينظرن إلى الرجال وإنْ كنّ محتجبات، فالمرأة تنظر إلى الرجل، وإن كان هو لا ينظرها، بشرط ألا تكون هناك شهوة وفتنة فإن كانت شهوة أو فتنة، فالنظرة محرمة في التلفزيون وغيره. ويضاف إلى ذلك شرط مهم أيضا وهو ألا يكون النظر إلى عورة.

وأخيرا أتوجه بالحديث إلى شبابنا وفتياتنا فأقول لهم: روّحوا عن أنفسكم بما هو مباح في الرياضة بالقدر المطلوب، فديننا فيه فسحة، لكن احذروا نسيان الغرض الشريف الذي شُرعت الرياضة لأجله، وهو التقوّي على الجهاد من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل في الأرض، وذلك بأن يُعبدَ اللهُ وحده، ويُستقامَ على شرعه، حتى يسعدَ الناسُ في دنياهم وأخراهم، ولتكن الرياضة زيادة في حسناتكم لا نقصًا من درجاتكم وثوابكم.

المراجع

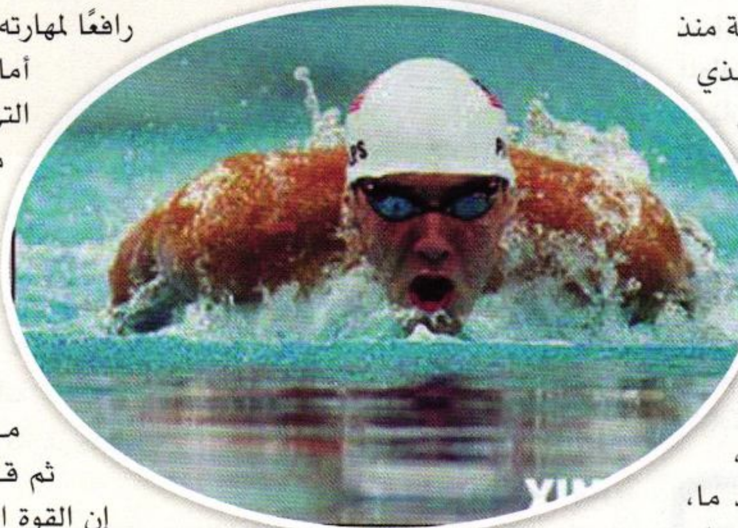
١- مغني المحتاج ٤/ ٣١١، ٤٢٨، المغني ٨/ ٦٥١ وما بعدها و٩/ ١٧٠ وما بعدها، القوانين الفقهية ص١٥٤، بدائع الصنائع ٦/ ٢٠٦.
٢- بدائع الصنائع ٦/ ٢٦٩، الخرشي ٧/ ١٧٧، شرح الزرقاني ٧/ ١٥٩، مغني المحتاج ٤/ ٤٢٨، ٤٣٢، المغني ٩/ ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، كشاف القناع ٦/ ٤٢٣.
٣- الألعاب الرياضية، علي حسين أمين يونس، الأردن، ١٤٢٣هـ.
٤- الرياضات المسنونة وأثرها في صحة الفرد والمجتمع، د. محمد نزار الدقر.
٥- فقه اللهو والترويح، د. يوسف القرضاوي.
٦- الصلاة والرياضة والبدن، عدنان الطرشة.
٧- الرياضة والمجتمع، د. أمين أنور الخولي.
٨- رياضة المرأة.. دراسة فقهية معاصرة شاملة، رسالة ماجستير، نهلة الرديني.

المنافسات الرياضية.. الفوز والهزيمة في ميزان الإسلام

كمال عبدالمنعم خليل

الرياضة البدنية لها أهميتها في الإسلام من منطلق قول الله عز وجل: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ (الأنفال: ٦٠). وقول الرسول ﷺ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، والرياضة باب من أبواب الترويح عن النفس، فالنفس تكل وتمل، ولابد لها من فترات تجدد فيها نشاطها وتستعيد فيها قوتها، وقد قيل: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت»، وعلى الرغم من أهمية ممارسة الرياضة البدنية، فإنها قد تجر صاحبها إلى كثير من المخالفات الشرعية، فكان لابد من تحديد الضوابط الشرعية التي تحكم ممارستها، وتبعد صاحبها عن كل ما فيه إثم ومضرة في الدين والدنيا والآخرة.

لقد عرفت الرياضة البدنية منذ الأزمنة الأولى لبني البشر، والذي يؤكد ذلك ما وجده العلماء من رسومات وحفريات على جدران الآثار القديمة الموجودة منذ آلاف السنين، ولاشك أن هذه الرياضات تنوعت وتعددت وتطورت حتى وصلت إلى ما نراه اليوم، فقد وصلت أنواعها إلى أكثر من ألف نوع، منها ما هو شائع ومعروف لدى كل الأقطار، ومنها ما تقتصر ممارسته على بلد ما، ومنها ما هو رسمي تقام فيه المسابقات، ومنها ما هو غير رسمي، ولكننا إذا أردنا أن نفاضل بين هذه الأنواع ونحدد أنفعها لوجدنا أن الرياضات التي كانت تمارس على عهد الرسول ﷺ، بل كان يمارسها بنفسه، ويشجع أصحابه على ممارستها وإتقانها هي أفضل أنواع الرياضات، ومن هذه الرياضات رياضة العدو (الجري)، وهي موجودة في كل المنافسات، بل هي من أشهرها، وقد قام المنظمون لمسابقات ألعاب القوى على المستوى الدولي بتقسيمها إلى عدة أنواع تبعًا للمسافات التي يتم قطعها، وقد مارس الرسول ﷺ رياضة العدو، وتسابق مع السيدة عائشة، رضي الله عنها، فسبقته مرة وسبقها الثانية، فقد



روى أحمد وأبوداود عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: «سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم (أي: سمنت) فسابقني فسبقني فقال: هذه بتلك»، كذلك فإن رياضة المصارعة من الألعاب التي تقوي البدن والعزيمة شريطة أن تكون بعيدة عن الرغبة في الانتقام والقضاء على الخصم، وتروي كتب السيرة أن الرسول ﷺ صارع «ركانة» وكان يعرف بقوته، فصرعه الرسول ﷺ غير مرة، وفي غزوة أحد أمر الرسول ﷺ كلًا من سمرة بن جندب ورافع بن خديج أن يتصارعا أمامه ليجيز أقواهما لصغر سنهما فصرع سمرة رافعًا، فأجازه الرسول ﷺ للاشتراك في غزوة أحد لقوته، وأجاز رافعًا لمهارته في الرمي.

أما الرماية فهي من الرياضات التي أمر الإسلام بتعلمها لما لها من أهمية كبيرة في الحرب والسلم، فقد روى مسلم في صحيحه أن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ (الأنفال: ٦٠)، ثم قال: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»، وفي رواية «من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا»، أو «فقد عصى»، وقد أتقنها أصحاب الرسول ﷺ نظرًا لظروف الجهاد في سبيل الله ضد الأعداء، حيث كان القتال رجلًا لرجل، والسيف أمام السيف، والرمح أمام الرمح، كما كان الرمي يستخدم بكثرة في الصيد البري، أما السباحة والفروسية فهما من الرياضات المفيدة للبدن والنافعة في كل الأحوال، وقد ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه القول: «علموا أبناءكم السباحة والرماية، ومروهم أن يثبوا على ظهور الخيل وثبا»، والذي يتابع البطولات والمسابقات الدولية والمحلية يجد كل هذه الرياضات أساسية فيها، ليتنافس فيها الكثير من مختلف الأقطار.

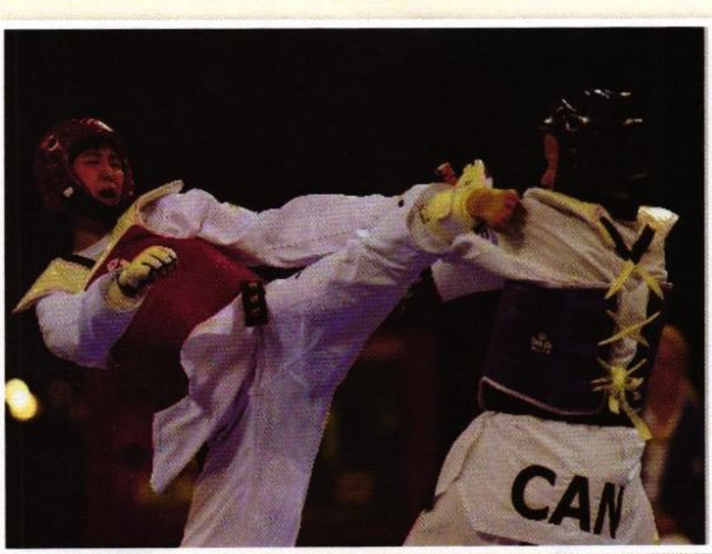
• باحث شرعي

رياضات محرمة

رغم ما للرياضة من فوائد فإن هناك بعض هذه الرياضات تصل أضرارها إلى حد تعريض الحياة للموت في أي وقت وباحتمالات كبيرة، لذلك فإن الإسلام يرفض مثل هذه الألعاب، بل ويحرم ممارستها، ومن الألعاب الخطيرة الضارة ملاكمة المحترفين، حيث يسعى كل لاعب إلى القضاء على خصمه بضربة يسمونها «قاضية»، وإذا لم يمت اللاعب على حلبة الملاكمة، فإن أثر هذه اللكمات على الوجه والمخ يكون بالغا، وقد ظهرت إحصائية في أواخر الثمانينيات تقول: إن هناك ما يقرب من ثلاثمائة وستين ملاكما ماتوا في الخمس سنوات الأخيرة إما على الحلبة أو بتأثير الضربات التي وجهت إليهم، حيث تتسبب في حدوث ارتجاجات في المخ، يتوفون على إثرها، وقد نهى الإسلام عن الضرب على الوجه لأن فيه ذلة ومهانة.

ومثلها مصارعة المحترفين، حيث السعي إلى المال والشهرة والرغبة في الانتقام، وفي هذه الرياضة العنيفة يستخدم اللاعبون كل أساليب الضرب من لكم وركل وخنق وشنق بالأحبال الموجودة على جوانب الحلبة، وأظن أن أي عاقل يعلم بداهة أن الإسلام حرم هذا لأنه من باب الاعتداء الذي يؤدي إلى قتل النفس بغير حق، وقد جعل الإسلام من ضمن مقاصده العليا الحفاظ على النفس.

أما مصارعة الثيران المنتشرة في أوروبا خاصة في أسبانيا، فإن المصارع يواجه حيوانًا لا عقل له، ويعمل جاهدًا على قتله بغرس السهام في جسده، وهذه الرياضة محرمة من وجهين: الأول، تعرض المصارع لخطر القتل- وهو ما يحدث بكثرة- وقد نهى الإسلام عن قتل النفس



فقال تعالى: ﴿ولاتقتلوا أنفسكم﴾ (النساء: ٢٩)، أما الوجه الثاني للتحريم فهو قتل الحيوان بغير جريرة، فقد نهى الإسلام عن اتخاذ الروح غرضا وهدفا لأجل اللعب واللهو، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه «مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا»، وفي هذه الرياضة يقتل الحيوان بطريقة يعذب فيها، وهو ما حرمه الإسلام أيضًا، فقد روى مسلم عن شداد بن أبوس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»، ثم إنه لا طائل من وراء ممارسة تلك الرياضة، وقد أفتى كثير من العلماء المعاصرين بحرمة ممارسة هذه الرياضة.

حينما أباح الإسلام أي رياضة أو تنافس حرم المقامرة فيها، وقد سمى النبي ﷺ الخيل المعد للقمار بغرس الشيطان، فقد روى المنذري في الترغيب والترهيب أن رسول الله ﷺ قال عن مثل هذه الخيول: «الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان... ثم قال: وأما فرس الشيطان فالذي يقامر عليه يراهن...»، وقد أباح الإسلام الرهان بين المتسابقين وهو جعل يبذل من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط، أما إذا بذل كل منهما جعلًا على أن يأخذ الفائز الجعلين فهذا هو القمار والميسر الذي نهى الله تعالى عنه، قال سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة: ٩٠).

النساء وممارسة الرياضة

لم يمنع الإسلام النساء من ممارسة الرياضة، ولكن أحاطها بسياج من القواعد الشرعية والضوابط التي تحفظ للمرأة حياءها وأنوثتها، كما تبعدها عن غضب الله وسخطه، وممارسة النساء للرياضة لها أصل في السنة، وهو حديث عائشة المتقدم حيث كانت تمارس رياضة الجري وتسابق النبي ﷺ، إلا أننا لو نظرنا إلى الرياضات النسائية في الوقت الحالي لوجدنا الآتي:

<u>أولًا</u>: معظم الرياضات التي تمارسها النساء تكشف فيها العورات أمام الرجال بل أمام العالم أجمع عبر شاشات الفضائيات، وهو ما يتنافى مع الشرع الحنيف لأنه يثير الفتن، ويهيج الغرائز.

<u>ثانيًا</u>: الإجهاد البدني الغير عادي الذي لا يتناسب مع طبيعة المرأة وأنوثتها، وذلك يؤثر على الجوانب الأخرى في حياتها مثل الحمل والرضاعة وتربية الأبناء، وأثبتت الإحصاءات أن ٨٠٪ من النساء اللائي يمارسن الرياضة العنيفة لا يرغبن في الزواج، وان تزوجن لا يرغبن في الحمل والإنجاب، وقد يتعرض بعضهن للعقم بسبب ممارسة هذه الألعاب العنيفة والشاقة.

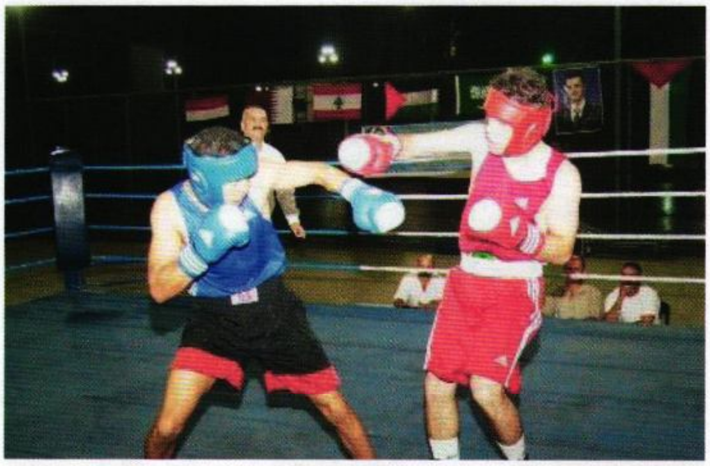
<u>ثالثًا</u>: اختلاط الرجال بالنساء هو

الشائع عند ممارسة النساء للرياضة، فهذه الفرقة النسائية تحتاج إلى مدرب رجل واي فريق إداري من الرجال، أو على أقل تقدير يدير المباراة رجل ويشاهدها المتفرجون من الجنسين، وهو باب عظيم من أبواب الشر والفساد، وقد حرم الله تعالى الاختلاط وحث على البعد عنه حتى عند أداء أعظم عبادة وهي الصلاة، فقد روى الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وشر صفوف النساء أولها، وخيرها آخرها»، إذا كان هذا في مجال العبادة، فما بالك إذا كان الأمر يتعلق برياضات فيها الأجساد عارية، والعورات منكشفة؟

رابعًا: النساء عند ممارستهن للرياضة يتشبهن بالرجال في كل شيء.. في الزي الرياضي وفي نوع الرياضة وحتى في الحركات التي تحدث، وهذا منهي عنه، فقد روى أبوداود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»، والغرب هم الذين يسعون إلى نشر الرياضة بين النساء بالأسلوب والكيفية التي نراها اليوم، وقد نجحوا في ذلك، فسار في ركابهم الكثير من الدول المسلمة، فشجعوا النساء على التبرج والسفور وكشف العورات والتشبه بالرجال في صورة من التقليد الأعمى المذموم، الذي يحرق الشرع الإسلامي الحنيف.

الرياضة فائز ومهزوم

نرى الكثير من الممارسات اللاأخلاقية في ميدان الرياضة في وقتنا هذا، ووصل الأمر في بعضها إلى حد إصدار البيانات الرسمية الرئاسية خاصة إذا تعلق الأمر بمكسب وخسارة، وفوز وهزيمة، وصعود وهبوط، ونرى أثر ذلك على الأفراد والمجتمعات والمصالح الاقتصادية، حيث



لم يمنع الإسلام النساء من ممارسة الرياضة لكن أحاطها بسياج من القواعد الشرعية

تدمر المنشآت، وتخرب المدن ووسائل المواصلات بسبب خسارة فريق أمام آخر، بل يصل الأمر إلى الاصابات وأحيانا القتل بين جمهور الفريقين، والمتابع للأحداث الرياضية يتبين له هذه الأمور، وتعد إنجلترا أكثر الدول التي يحدث فيها ذلك، فالجمهور الإنجليزي من أعنف الجماهير، حيث يتعصب تعصبا أعمى لفريقه ولا يرضى له إلا الفوز، وللأسف فقد انتقلت هذه الممارسات الخاطئة إلى ملاعبنا نحن كمسلمين، فنرى الكثير من الأحداث المؤسفة التي لا يرضاها الإسلام، سواء كان ذلك بين الفرق وبعضها في البلد الواحد أو بين فرقة وأخرى على المستوى الدولي.

ولا يقتصر أضرار هذه السلوكيات على المشاركين فيها بل يتعدى إلى المشاهدين لها في المنازل، وذلك عندما تنهال السيول من السباب والشتائم على كل فريق من الجماهير المشاهدة في موقع الحدث، أو على الحكام الذين يديرون المباريات وتصل ألفاظها التي تخدش الحياء إلى مسامع المشاهدين، وقد نهى الإسلام عن السباب والشتائم، فقد روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، وروى البخاري ومسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

الفائز والمهزوم في المنظور الإسلامي

بقي أن نوضح أخلاق الفائزين والمهزومين في الإطار الذي أمر به الإسلام وحث عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وبداية يجب أن يعلم الممارسون للرياضة والمتنافسون في مجالاتها على المستوى المحلي أو الدولي أن أساس التعامل بينهما هو الأخوة الإسلامية أو الأخوة الإنسانية، والتي يقررها قول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة...﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا...﴾ (الحجرات: ١٣)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (متفق عليه عن أنس رضي الله عنه)، كذلك يجب العلم بأن الحياة دول ولا تستقيم على حال، فمن فاز اليوم قد يخسر غدًا، ومن لم يوفق اليوم قد يحالفه الفوز غدا، المهم أن يحرص كل منهما على الخلق الحسن وصلاح ذات البين، وأن يعلم كل منهما أن الفوز والهزيمة من تقدير الله تعالى مهما كانت الأسباب والمعطيات، ونحن نجد ذلك ويتأكد لنا هذا الأمر فيما نتابعه من منافسات فقد يهزم فريق قوي من فريق ضعيف، وقد يهزم بطل العالم في لعبة ما على يد منافس مغمور غير مشهور، والفائز لابد أن يتخلق بالآتي:

- عدم التعالي والكبر وإظهار العجب خاصة أمام المهزوم، فالله تعالى يقول: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق

الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ (الإسراء: ٣٧)، ويقول سبحانه ﴿إن الله لايحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦)، فلا ينبغي للفائز أن يدفعه توفيق الله له إلى ارتكاب ما نهى الله عنه، بل عليه أن يتواضع ويعترف بفضل الله عليه، وأن يسجد لله شكرًا، ونرى والحمد لله سجدات الشكر في كل ميادين الرياضة، ما دفع بعض الحاقدين إلى تقديم الشكاوى للمنظمات والهيئات الرياضية الدولية يطالبون فيها بمعاقبة من يسجد عقب الفوز أو عقب إحراز الهدف في مباريات كرة القدم، في الوقت الذي يغضون الطرف عن غير المسلمين حينما يعبرون عن فرحتهم بإشارات لها مدلول ديني وعقدي.

- ينبغي للفائز عدم إظهار الشماتة للمهزوم لأن ذلك يؤجج نار الحقد والبغض في الصدور، وقد نهى الإسلام عن هذا السلوك، فقد روى الترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك» قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا» (حزنا) أما المهزوم فعليه أن يلتزم الآتي:

- الصبر عند الهزيمة، لأن ما قدره الله كان، ولا فائدة في الجزع والسخط، والإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، فقد روى أحمد وأبوداود بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ قال: «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تومن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار».



في المنافسات الرياضية نهى الإسلام عن إظهار الفائز الشماته للمهزوم لأن ذلك يؤجج نار الحقد والباطل

- كظم الغيظ، وقد مدح الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران: ١٣٤)، والغيظ والغضب قد يؤديان بصاحبهما إلى التلفظ بما لا يرضاه الله ورسوله، فالمهزوم ينبغي عليه أن يضبط تصرفاته القولية والفعلية، حتى لا يتضاعف الضرر فيكون دنيويًا بالهزيمة في المنافسة، وأخرويًا بارتكاب الذنوب والآثام بسبب السب والقذف والضرب، وكثيرًا ما نصح الرسول ﷺ بعدم الغضب والانفعال لأبسط الأمور، فقال فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب فردد مرارًا قال: لا تغضب»، كما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وفي رواية «ليس الشديد من غلب الناس، وإنما الشديد من غلب نفسه»، وغلب النفس قهرها وضبطها وكسر شهوتها للانتقام.

- الاستعداد لما هو آت، لأن ما فات انتهى أمره، فعليه أن يتدارك الأخطاء ويعمل على تجنبها أملاً في نصر قادم بإذن الله تعالى، وذلك يتم بحسن الأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله تعالى.

إن الرياضة البدنية عند ممارستها ينبغي أن تحاط بقواعد تحكمها لتحقق الغرض منها في إطار من الشرع الإسلامي الذي يمدح كل خلق قويم كريم، فقد روى الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون (كثيرو الكلام تكلفًا)، والمتشدقون (الذين يظهرون التعاظم والعلو)، والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون».

فالرياضة ينبغي ان تبتعد عن كل ما يغضب الله تعالى، كما ينبغي القصد في الإنفاق على الأنشطة الرياضة، فالقصد في كل الأمور مطلوب، كذلك يجب ألا تكون ممارسة الرياضة ومتابعتها سببًا في ترك فرائض الله تعالى أو حتى التقصير في أدائها كالصلاة المفروضة، كذلك فإنه من الواجب على كل رياضي مسلم أن يظهر تفرده وتميزه رياضيا وبدنيا وقبل ذلك خلقًا ودينًا، فإن العالم ينظر إلى المسلم نظرة مختلفة خاصة في وقتنا الحالي بعدما زيفت الحقائق واختلطت الأمور، فلا يصح للمسلم أن يظهر في صورة تسيء إليه وإلى دينه الذي ينتمي إليه ويدين به.

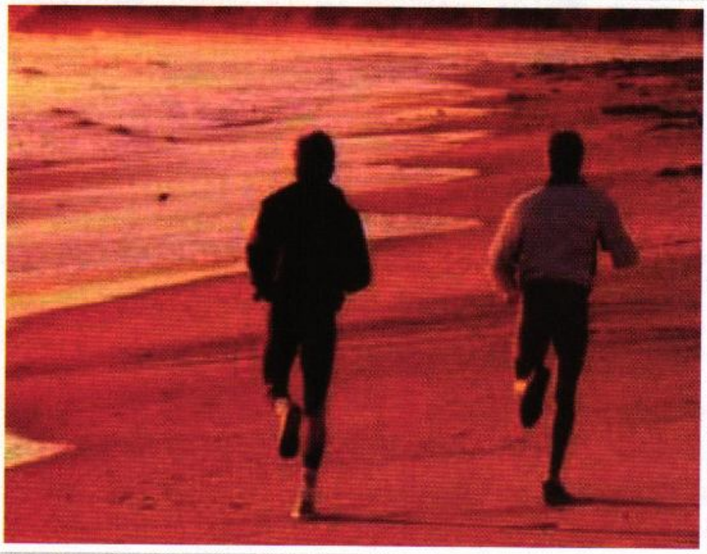
وأخيرًا .. نقول للفائز: أبشر ولا تعجب أو تفخر، وللمهزوم: اصبر ولا تجزع أو تغضب، فهذه سنة الله في خلقه، أن تكون أحوالهم متقلبة دائمًا، هدانا الله جميعًا إلى سواء السبيل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الرياضة وأثرها في شخصية المسلم

محمد عبدالرؤوف عثمان *

نالت الرياضة مكانة مرموقة في حضارات قديمة كاليونانية والرومانية وغيرها، كما حظيت باهتمام كبير من قبل المسلمين حيث التدربُ على الفروسية وقتال السيف وما يتطلبانه من أجسام قوية مرنة ماهرة.

وقد حثت تعاليم الإسلام على كل ما من شأنه أن يعمل على تنمية شخصية المسلم حتى يصبح قادرًا على تحمل أعباء الدعوة إلى الله سبحانه، والقيام بمهمة الخلافة في الأرض، ولهذا فقد حضت التربية النبوية الكريمة الفردَ المسلمَ على بناء حياته على أساس من القوة على الصعد كافة، ومما لاشك فيه أن الرياضة بشتى صورها إذا مُورسَتْ وفق الضوابط الشرعية المحددة فإنها تلعب دورًا بارزًا في تكامل بناء شخصية الإنسان جسدًا وروحًا وعقلًا.



أولًا: أثر الرياضة على الناحية البدنية

تعمل الرياضة في الإسلام على توجيه النمو الجسدي ليأخذ منحى الصحة والقوة والمهارة، فتزداد مقاومته للأمراض وتزداد قدرته على ممارسة الأنشطة والأعمال التي تعتمد على القوة الجسدية، وقد أمر الله سبحانه وتعالى الأمة المحمدية أن تعد العدة لتكون أمة منيعة محمية كريمة مهيبة الجانب فقال سبحانه ﴿وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: ٦٠) والتهيؤ البدني داخل تحت عموم الأمر في هذه الآية.

وقد مدح الله جل جلاله الملك صاحب الجسد القوي القادر على تحمل الشدائد والمصاعب وجعل موهبته من العلم والقوة سببًا لترشحه للملك قال تعالى: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة:٢٤٧).

وقد حفلت سنة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة بالمواقف والوقائع والأحداث والأقوال التي تشهد بمكانة الرياضة والنشاط البدني في الإسلام لما له من أثر في تكامل تكوين شخصية المسلم، فلقد كان رسول الله قويًا يحب القوة.. ولا غرو فالإسلام دينُ قوة وغلبة فضلًا عن كونه شريعة ودستور حياة، قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير»(١) وفي صحيح مسلم عن عُقْبَةَ بنِ عَامر قال: سمعت رَسُولَ اللّه ﷺ وهو على المَنبر يقول: «وَأَعدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ من قُوّة، ألا إنّ القُوّةَ الرّمْيُ، ألا إنّ القُوّةَ الرّمْيُ، ألا إنّ القُوّةَ الرّمْيُ» (٢). كما أكد النبي ﷺ على أهمية رياضات مختلفة كركوب الخيل لما فيها من فوائد جمة، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يُضَمّرُ الخيل يسابق بها(٣).

ثانيًا: أثر الرياضة في الجانب النفسي

تساعد الرياضة على النضج الانفعالي عند الإنسان، فالتربية البدنية تعود المتعلم الصبر والتحكم بالانفعال والعواطف، كما أن نمو الصفات الرياضية تضم في جملة معانيها اتجاهات غيرية تجعل الرياضي يقبل النّتائج أيًا كانت، وهذا معناه أنه بلغ مرحلة الضبط الانفعالي لذاته، وأن إرادته قد نمت وأصبح قادرًا على مغالبة أهوائه واندفاعاته وإخضاعها لأحكام العقل. وهذا ما نجده جليًا في سيرة النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت لرسول الله ﷺ ناقة تسمى العضباء، وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ حقًا على الله ألا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه»(٤). وفي هذا الحديث درسٌ بليغٌ للمسلمين في تقبل النتائج أيًا كانت، وضبطِ النفس والتحكم

* باحث شرعي

بها. ومن ناحية أخرى يبعث النمو الجسدي السليم شعورًا بالارتياح الجسدي والنفسي لدى المرء، فيزداد اطمئنانه على صحته، وثقته بذاته الجسدية، وتسهم الرياضة وما فيها من ترويح للنفس في تحقيق التوازن بينّ متطلبات الإنسان المختلفة، ففي الأوقات التي تكون الغلبة فيها لجانب من جوانبه المختلفة، يأتي الترويح ليحقق التوازن بين ذلك الجانب الغالب وبين بقية الجوانب الأخرى المُتَغَلّبِ عليها، كما أن شيوع التوتر والقلق في عصرنا (عصر التقنية) بصورة مخيفة، نجم عنه عدد كبير من الأمراض النفسية الخطرة، والمشكلات الاجتماعية المتشعبة، مما جعل من الترويح الهادف أحد أهم متطلبات هذا الوقت؛ لما له من تأثير واضح وقدرة فائقة على الحدّ من السلّبيات النّاجمة عن هذّه الوضعيةَ المؤسفة(٥).

وثمة ألوان كثيرة من اللهو وفنون اللعب، شرعها النبي ﷺ للمسلمين ترفيهًا عنهم، وترويحًا لهم. وهي في الوقت نفسه تهيئ نفوسهم للإقبال على العبادات والواجبات الأخرى أكثر نشاطًا وأشد عزيمة، وهي مع ذلك في كثير منها رياضات تدربهم على معاني القوة، وتعدهم لميادين الجهاد في سبيل الله. فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الأقدام، والنبي ﷺ يقرهم عليه.

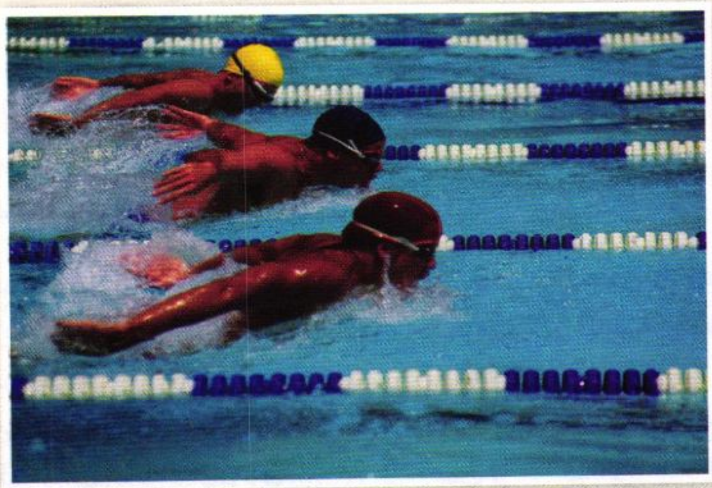
وكان النبي نفسه صلوات الله عليه يسابق زوجه عائشة رضي الله عنها مباسطة لها، وتطييبًا لنفسها، وتعليمًا لأصحابه.

قالت عائشة رضي الله عنها: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم أي سمنت سابَقَني فَسَبَقَني، فقال: «هذه بتلك» يشير إلى المرة الأولى (٦).

الحذر الحذر من الأخلاق الذميمة التي ترافق بعض الرياضات

ثالثًا: أثر الرياضة على العقل

تعمل الرياضة على إنماء الوظائف الفكرية، فالعناية بالجسد وتحسين صحته ونموه يساعد في تنشيط الأعمال الفكرية، ولا تخفى العلاقة بين الجسد والنشاط الفكري ولاسيما تأثير الأول في الثاني. فالألعاب الرياضية تنشط بعض الوظائف العقلية كالانتباه والإدراك والمحاكمة وتساعد على نموها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتوافرة في أغلب الألعاب الرياضية، مثل كرة السلة وكرة القدم والرماية وغيرها، وقد أكدت السيرة النبوية اهتمام النبي ﷺ برياضة الرماية، وذلك لما فيها من إعداد للجهاد، ولما تتطلبه هذه الرياضة من تركيز وانتباه، فاللاعب لابد أن يستخدم قواه الجسدية والعقلية ليحقق انتباهًا دقيقًا وإدراكًا سريعًا ومحاكمةً سليمةً، وبالتالي سلوكًا حركيًا ماهرًا. فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «مرّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون (أي يتسابقون في الرمي)، فقال: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الطرفين



بأيديهم. فقال ﷺ: ما لكم لا ترمون، قالوا كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ ارموا وأنا معكم كلكم»(٧).

وهكذا نرى أن الرياضة المشروعة تؤثر في شخص الإنسان جسدًا وروحًا وعقلًا كما أنها تعمل على تكوين جملة من الأخلاق الحميدة التي ترسم خطوطًا عريضة في ملامح شخصية المسلم، فالتدرب على التعب وعلى تقبل نتائج النجاح أو الفشل في المباريات ينمي الصبر، وتمرينات الجرأة والمهارة تنمي الشجاعة والعزم، والشعور بالمسؤولية نحو الجماعة، كما تسهم الألعاب الرياضية المشروعة في تحسين التكيف الاجتماعي عن طريق تنمية العادات الاجتماعية التكيفية، كالتعامل مع الآخرين والنظام والانضباط. لذا فهذه دعوة لممارسة الرياضات المشروعة بكافة أنواعها لما لها من أثر في تكامل بناء الفرد المسلم بدنيًا وعقليًا ونفسيًا واجتماعيًا. والحذر الحذر من السلبيات والأخلاق الذميمة التي يمكن أن ترافق بعض الرياضات المختلفة فيما لو مورست بعيدًا عن ضوابط الشرع وأخلاق الإسلام.

المراجع

١- رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد في المسند (٨٧٩١)، وابن ماجه في المقدمة (٧٩)، والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٣٨٦)، عن أبي هريرة.
٢- رواه مسلم في كتاب الجهاد(١٩١٧) والترمذي (٣٠٨٣) وأبوداود (٢٥١٤) عن عقبة بن عامر.
٣- سنن أبي داود رقم (٢٥٧٦).
٤- رواه البخاري (٢٧١٧).
٥- الترويح عن النفس في الإسلام، فيصل بن علي البعداني، موقع الألوكة
٦- رواه أحمد (١٤١١٨) وأبوداود (٢٥٧٨).
٧- رواه البخاري (٢٧٤٣).

أحكام وضوابط ممارسة النساء الرياضة

محمود فتحي سفور

لقد عني الإسلام بالمرأة عناية كبيرة، وأولاها اهتمامًا بالغًا، ويتجلى ذلك في الأصلين الكبيرين العظيمين في هذا الدين الحنيف وهما القرآن والسنة، وإن كل من يقرأ القرآن ويتبصر في السنة بنظرة حرة واعية يرى جليًا مدى عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بالمرأة حيث كفل لها حقوقها المادية والمعنوية بما يتفق مع تكوينها الخلقي.

فالمرأة نوع من الجنس البشري الذي يقوم على رجل وامرأة، قال تعالى ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ (الحجرات: ١٣)، وكل ما في هذا الدين من عقائد وتشريع وأخلاق موجه للجنس البشري بنوعيه (الرجل والمرأة)، وقد خُص كل من النوعين بأحكام تتناسب مع تكوينه الخلقي (جسدًا وعقلًا وقلبًا) فإذا حاول الرجل أن يتجاوز ما خُص به من تشريعات، أو حاولت المرأة ذلك فستقف أمامهما البنية التكوينية، وهي الطبيعة التي خُلق كل واحد منهما عليها. ومن هذه المقدمة نخلص إلى ما نحن بصدده من البحث في موضوع «أحكام وضوابط ممارسة النساء الرياضة».

الرياضة هي ممارسة بشرية وينبغي أن ينظر إليها في هذا السياق من حيث انسجامها مع قواعد هذا الدين وأحكامه ومقاصده قبل أن نصبغها بأي حكم شرعي.

فلابد عند ممارسة الرياضة من تحقيق مقاصد الدين، وعدم الإخلال بأي منها، وهذا هو المنطلق في الحكم على أنواع الرياضات المختلفة بغض النظر عن مصدرها سواء أكانت شرقية أو غربية، فعلينا أن نضعها في ميزان الشريعة الإسلامية ونتبين حكمها وفقًا لذلك دون تأثر بمؤثرات خارجية.

وباعتبار الرياضة ممارسة بشرية فالرجل والمرأة فيها سواء من حيث جواز أصل الممارسة، ولكن عندما نحدد أنواعًا من الرياضات ونسميها ونصفها فيختلف الحكم لعدة اعتبارات، منها: ما يتعلق بطبيعة الرياضة ذاتها، ومنها ما يتعلق بمناسبة الرياضة لطبيعة المرأة، ومنها ما يتعلق بأسلوب وطريقة ممارستها وما يتبع ذلك من ظروف محيطة بها.

وقبل أن نشرع في بيان أحكام



ممارسة المرأة للرياضة وضوابطها لابد أن نذكر بعض الآثار التي تدل على ممارسة المرأة للرياضة في عصر النبوة ومن أشهرها ما رواه أبوسلمة بن عبدالرحمن أن عائشة رضي الله عنها قالت: «سابقني رسول الله ﷺ فسبقته» أخرجه أحمد في مسنده، وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال ﷺ: «هذه بتلك السبقة» (سنن أبي داود)، فهذا الحديث يدل على جواز ممارسة المرأة الرياضة، فإن العدو أحد أنواع الرياضة المعروفة.

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

بل إن هناك أسبابًا كثيرة تجعل من ممارسة المرأة الرياضة أمرًا مشروعًا في التصور الإسلامي، بل تجعل حاجتها لممارسة الرياضة أشد من حاجة الرجل إليها في بعض الحالات ومن ذلك:

أولا: إن التطور والتقدم وتنوع أسباب الراحة والرفاهية جعل طبيعة حياة المرأة وعملها لا يحتاج إلى جهد كبير وهذا مما قد يعرضها للسمنة وغيرها من المشكلات الجسدية، ولذلك فإنها قد تحتاج إلى حركة ونشاط تعويضي من خلال ممارسة النشاط الرياضي.

ثانيًا: إن تعرض المرأة إلى تقلبات صحية في فترات الحيض والحمل والولادة تتأثر معها صحتها ونشاطها وتصبح بحاجة ماسة للنشاط الرياضي،

باحث دراسات إسلامية

ولكن لابد من بيان أحكام النشاطات الرياضية وضوابطها حتى تكون المرأة منسجمة مع تعاليم دينها في كل شؤون حياتها كما هو الرجل.

وتنقسم الرياضات المحرمة على المرأة، وفقا للاعتبارات السابقة، ثلاثة أقسام:

الأول: رياضات محرمة لذاتها، ويستوي في حكمها الرجال والنساء، وهي الرياضات التي تتضمن محرمًا في ذات اللعبة كالنرد والميسر وألعاب التحريش بين الحيوانات... ونحو ذلك من الألعاب التي دلت الأدلة الشرعية على تحريمها.

الثاني: رياضات لا تنسجم وتكوين المرأة كالملاكمة ورفع الأثقال ونحو ذلك من الألعاب التي تؤثر في جسد المرأة وتخرجه عن طابعه الأنثوي مما يجعلها شبيهة بالرجال، وفي ذلك نهي صريح ووعيد شديد فقد ورد عن ابن عباس قال: لعن النبي ﷺ المُخَنَّثِينَ مِن الرجال والمُتَرَجِّلات من النساء، وقال «أَخْرِجُوهم من بُيُوتِكُم» قال: فأخرج النبي ﷺ فلانًا، وأخرج عُمَرُ فلانا. (البخاري)

الثالث: رياضات محرمة لغيرها وهي رياضات في أصلها جائزة كالجري ونحوه ولكن التحريم أتى لوجود مخالفات شرعية في الظروف المحيطة بها كالاختلاط وكشف العورات والنظر.

لذلك شَرَعَ اللهُ للرجل في الحج والعمرة الرَّمَلَ (المشي السريع مع هز الكتفين) بين الميلين الأخضرين في السعي بين الصفا والمروة، وفى الأشواط الثلاثة الأولى للطواف حول الكعبة ومنعَ المرأة منه، وليس هذا المنع لذات العدو، وإنما لأمر آخر مجاور وهو رؤية الرجال لها بدليل أن النبي ﷺ سابق عائشة كما سبق، وقد ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال لأصحابه «تقدموا» ثم قال لعائشة: «تعالي حتى أسابقك»

هناك أسباب كثيرة تجعل من ممارسة المرأة الرياضة أمراً مشروعاً في التصور الإسلامي

فلما انتفى هذا المانع الشرعي واطمأن الرسول ﷺ إلى أنه لا أحد يرى عائشة وهي تسابقه، سابقها فلما انتفى المانع رجعت ممارسة المرأة رياضة الجري إلى الحكم الأصلي وهو الإباحة.

وفي الختام نذكر بعض الضوابط الشرعية الخاصة بممارسة المرأة الرياضة المباحة:

أولا: لابد للمرأة أن تحرص على الستر وحفظ العورة وعدم إبدائها للرجال، فالله يحب الستر، والمرأة المسلمة تقدم أمر ربها على هوى نفسها ولا تركن إلى زيغ مجتمعها ودعوات من يحاول أن يغرر بها لتنزلق في أودية الضلال، قال تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾.

ثانيا: أن تجتنب ممارسة الرياضة في الأماكن المكشوفة أو أمام أجهزة التصوير حيث يراها الرجال مهما تكن المغريات كالبطولات العالمية ونحوها..

لأن الرياضة حينها تخرج عن النسق الإسلامي لتنسجم مع طبيعة حياة المرأة الغربية وظروفها وهو ما لا يتفق ومقاصد الشريعة التي عرضنا لها في مقدمات هذا البحث. كما أن خير مكان تمارس فيه المرأة الأنشطة الرياضية هو بيتها، قال النبي ﷺ «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» (البخاري) وهناك وسائل حديثة متنوعة تُسهل للمرأة ممارسة الرياضة في بيتها وهي مطمئنة آمنة.

وأما ممارسة الرياضة في الأندية فهو أمر تعتريه مخاطر كثيرة لاسيما في هذا الزمان الذي تطورت فيه وسائل الاتصال بشكل مرعب، حتى غدت أجهزة التصوير ذات أحجام صغيرة جدًا يمكن أن تُخفى في أي مكان، وغدت طرق التصوير متنوعة فالهواتف النقالة وغيرها في متناول كل أحد، ولئن تحققت الثقة بالقائمين عليها فأنى لها أن تتحقق بروادها؟! والتصوير هو إحدى هذه المخاوف، وأما اللعب بالأعراض والإغراء والصحبة السيئة وغير ذلك فهو أشد وأدهى.. ومع ذلك نقول: إذا انتفت كل هذه الموانع يرجع الأمر إلى الحل وإن كان هو خلاف الأولى.

وكذلك ممارسة المرأة المشي في الميادين العامة المفتوحة مادامت المرأة آمنة على نفسها وعرضها، وبشرط التزامها بحشمتها أثناء مشيها.



وأخيرًا نقول: ينبغي ألا تشغل الرياضة المرأة عن واجباتها الأصلية، من رعاية زوجها، أو أولادها، أو تعليمها، أو وظيفتها التي تقبض أجرها، وألا تزيد مدة مزاولة الرياضة عن القدر المعتاد، وألا تحول الرياضة بينها وبين عباداتها الواجبة من صوم وصلاة في أوقاتها المشروعة، فرضى الله هو غايتنا وغاية كل مؤمن.

والحمد لله رب العالمين.

التكامل النفسي والأخلاقي في التطبيقات النبوية

د. محمد بنيعيش

تساؤل قد يرد في ذهن الباحث المبتدئ في علم النفس وسيبقى دائما موضع الطرح جيلا بعد جيل مضمنه هو: ما الامتدادات التي قد تطالها الدراسات النفسية عند الإنسان وما الحدود التي تقف عندها؟ وهل هذه الحقول قد تهم الجانب الجوهري في النفس أم الجانب العرضي المتمثل في ظواهرها كنافذة وحيدة يمكننا من خلالها الاطلاع على قيمتها وتساميها وصحتها أو علتها؟



إن النفس قد تمثل الإنسان في حد ذاته، ولكن ما هو هذا الإنسان؟ هل هو تلك الصورة المرئية التي تشخص بتحديد البصر الحسي وتلمس وتسمع حركاتها وأصواتها؟ أم إن النفس هي مزيج مشترك بين هذا المظهر الحسي وعنصر آخر مغاير لما ألفته قواه المادية وحكمت عليه القوى النظرية تحديدا وتعريفا؟

للإجابة عن هذه التساؤلات قد يلجأ المرء إلى عدة تفسيرات وتبنّي عدة مناهج للوصول إلى الحقيقة، منها ذات المنبع الديني المعتمد على النص ومنها ذات المذهب الشخصي المرتكز على الأدوات المعرفية العادية وهي العقل والحس والشعور الوجداني.

وبما أن الموضوع خاص بالحديث عن قضايا النفس في القرآن فإننا سنعرض للإجابة عن هذه التساؤلات من خلال النص الديني القرآني خصوصا، حيث يقول الله تعالى عن الشخصية الإنسانية وتكوينها: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾(ص: ٧١- ٧٢).

إذ في هذا النص يحدد لنا القرآن بنية الإنسان وطبيعة كينونته، فهو مخلوق من طين ثم مضاف إليه نفخة بعد التسوية كما يقول الله تعالى مخاطبا ملائكته ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ وهذه الإضافة الروحية إلى الله تعالى قد جاءت بالمعنى الذي يليق بتنزيهه عن المماثلة والمشابهة مع روح هذا الإنسان، كما أنه بعد هذه النفخة قد أصبح كائنا كريما أمر الله الملائكة بالسجود له، مع العلم بأن هؤلاء الملائكة كائنات حية ولها وعي تام مجرد عن العوارض المادية ولها أرواح خاصة بها، في حين أننا لم نجد ذكر نفخ الروح في غير هذا الإنسان، ولئن سمي بعض الملائكة روحا كما في قول الله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾(القدر: ٤)، فإن هذا الوصف إن أخذناه على ظاهره فقد يمثل شطرا من شخصية الإنسان التي هي الروح المضافة إليه بعد تكوين الجسد، كما أن هذه التسمية لجبريل بالروح قد تكاد تميل بنا نحو القول بأحادية الشخصية الملائكية وتجردها الكلي، لكن الرأي سرعان ما يتغير من خلال استدعائنا لآيات أخرى تبين لنا

• أكاديمي مغربي

أن: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران: ١٨٥) والملائكة يدخلون تحت هذه الكلية كما قد وردت أحاديث بأن آخر ملك تنزع روحه هو ملك الموت نفسه.

فالموت إذن لدى بعض الكائنات غير الإنسان قد يتمثل في نزع الروح من ذات أو محل معين، وبهذا أمكن القول بحسب ظواهر النصوص أن من المخلوقات غير الإنسان قد جعلها الله تعالى مركبة من عنصر روحي محرك وآخر مغاير له قد يمثل الهيكل الذي تنصب فيه ويخضع في حركته لتلك الروح الأساس، والله أعلم بحقيقة ذلك، لأنه أمر غيبي قد لا يقاس بالمقاييس العقلية والحسية المحدودة الإدراك.

لكن خصوصيات الروح المتعلقة بالإنسان هي أنها قد اتسمت بنفخ إلهي لا ندري ما حقيقته ومعناه، بل قد يبقى في مقام التنزيه بلا كيف ولا تمثيل، فلا ينبغي أن يؤخذ النفخ بالمفهوم الإنساني المتداول، كما أن الروح الإنسانية لا ينبغي أن يعتقد فيها بأنها تمثل جزءا أو نسبة إلى روح الله سبحانه وتعالى، إذ إن مثل هذه التصورات فيها تشبيه وخروج عن عقيدة التوحيد الخالص، بل المنهج الأسلم في تحديد المفهوم الحقيقي لهذه العملية هو الوقوف عند ظاهر النص مع تفويض المعنى إلى الله تعالى، وذلك لعجز الأداة العقلية ذات المستند الحسي عن الوصول إلى عمق القضية وتفسيرها باللغة المتداولة.

ونظرا لصعوبة هذا المرتقى ووعورته فقد كان الجواب في القرآن الكريم واضحا كل الوضوح في وضع حد لهذا الفضول العلمي مع عدم الإقرار ضمنا بالاستحالة الكلية لفهم أسرار الروح لدى بعض الراسخين في العلم والمعرفة، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾(الإسراء: ٨٥).

خصوصيات الروح الإنسانية أنها اتسمت بنفخ إلهي لا ندري ما حقيقته ومعناه

بهذا الجواب يكون القرآن قد فصل في القضية وحسم في أمر معرفتها، فلا مجال إذن للتوسع في دراسة هذه الذات من الوجهة النظرية المحضة.

لكن كيف يمكن الصبر عنها وهي موجودة بين جنبينا، أوليس الإنسان مطالبا بالعلم والمعرفة وخاصة بنفسه كما في قول الله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾(الذاريات: ٢١) فإلى أي مدى يمكن له أن يذهب إلى معرفة هذه الروح التي عليها المعتمد في كينونته وتحقيق سعادته وبها قد استحق ذلك التشريف الذي حباه الله تعالى به؟

إن القرآن سيوجهه إلى معرفة نفسه بفتح الباب أمامه على أوسع نطاق، قد يصل إلى حدود الكون نفسه، فتكون معرفته بنفسه موازية لمعرفته بالعالم الخارجي، ومن ثم فسيكون لديه توازن في سلوكها وتصوراتها، قد تظهر هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(فصلت: ٥٣) ويقول: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾(الروم: ٨).

وحينما نتدبر هاتين الآيتين نجد أنهما قد تربطان بين العالم الأكبر وهو الكون الخارجي وبين العالم الأصغر وهو النفس الإنسانية، وفي هذا الربط مغزى قد يمكننا استخلاصه وهو أن الدراسات النفسية واسعة الآفاق وطويلة النفس بالنسبة لباقي العلوم، وهي الدراسة الوحيدة التي لها القابلية لإيراد الاكتشافات والمفاهيم الجديدة الواحدة تلو الأخرى من غير انقطاع.

إذ بقدر اتساع آفاق الكون يكون اتساع آفاق النفس وتجدد ظواهرها المواكبة لتجدد معارفها الكونية المادية والمعنوية.. ولهذا فعلم النفس هو علم مساير لكل العصور ومتشكل بأشكالها، وامتداداته واسعة.

فالاكتشاف الكوني له صلة وثيقة بالاكتشاف النفسي عودا وبدءا، وما تحديد المناهج العلمية والطرق العقلية للوصول إلى الحقائق المعرفية الكونية إلا نموذج من نماذج صلة التقدم النفسي بالاكتشافات العلمية المادية، لأن تلك المناهج في حقيقتها ما هي إلا معرفة نفسية في حد ذاتها، وهو ما يمكن لنا تلمسه في قول الله تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾.

فالاستنتاج الذي قد يمكننا أن نخلص به من خلال تدبرنا للآيات التي مرت بنا هو أن العالم الأكبر مواز للعالم الأصغر وهو النفس في أسرارها ومظاهرها، كما أن إدراك هذه الحقيقة رهين بالحضور الواعي للإنسان بنفسه حتى تنطبع فيه صورة هذا الكون فتكون نفسه بمثابة مرآة عاكسة، وفي حالة شهوده لهذا الانعكاس تتبين له آيات الله تعالى وتمتزج الذات بالموضوع في نظام واحد فيجد الإنسان ضالته، ومن ثم فقد يطمئن إلى الحق تحقيقا وإدراكا واعيا.

الشخصية النبوية ومبدأ التشارط النفسي والأخلاقي

حينما يعرض القرآن الكريم للنفس وظواهرها فإنه في أغلب الأحيان قد يتناولها وهي مسبوقة أو متبوعة بوضعية أخلاقية توجيهية مع تبيين أسباب الصحة النفسية وخلفيات المرض

لديها وطرق علاجها، وهذا ما قد يفهم منه بأن السلامة النفسية والأخلاقية قد تمثل الانعكاس المتبادل بين النفس وأخلاقها، فلا غنية إذن للنفس عن الأخلاق في تحقيق كمالها كما لا تحقق للأخلاق في غياب سلامة النفس الكفيلة بتمكينها من الثبات والاستقرار.

فالقرآن قد يجمع بين الذات والموضوع وبين خاصية الجوهر والعرض في آن واحد من غير فصل أو حد وسط، فإذا كانت النفس هي جوهر الإنسان فإن أعراضها هي أخلاقها الواردة والصادرة عنها، وبقدر ما كان هذا الجوهر قويا في بنيته ومتماسكا في نظامه بقدر ما كانت الأعراض واضحة ومعبرة عن القوة الخفية لعنصره.

وبما أن العرض خارجي مظهرا فإنه قد يلاقي عرضا آخر خارجيا مثله ربما يتفق معه أو يتصادمان، بحسب مبدأ التناسب في قضايا وأوجه متنوعة، ومن ثم فيكون بروز هذا الجوهر إما عاملا في حد ذاته على تقوية الجوهر أو سيسعى إلى تهديمه وإعاقة نموه وحركته.

ومن هنا فالقرآن الكريم حينما أراد أن يبين المستوى الخلقي عند النبي ﷺ فقد بناه على مستوى بنيته النفسية وقوته الروحية بالتوازي مع قدرته الفائقة على التحمل والأداء، وبالتالي الثبات على سلوك منتظم ومحدد الغايات قد كان من أعظم مظاهرها كما ورد في السيرة: «لا يزيده سفه السفيه- عليه- إلا حلما».

وبما أن النبي ﷺ مكلف بتبليغ الرسالة العظمى وإرشاد الخلق نحو الفضيلة المسعدة لهم ونهيهم عن الرذيلة المشقية فإنه من الضروري أن يكون أعقل الناس وأسلمهم بنية حتى يصير القدوة الكاملة التي لا تتأثر بالظروف والحيثيات أو يتغير سلوكه بضعف البنية النفسية التي قد يتحكم فيها الانفعال.

> **الطبيعة العدوانية لدى الإنسان مصدرها البنية النفسية المكونة لشخصيته الداخلية**

فالتوازن النفسي عند النبي ﷺ وسلامة و قوة بنيته تظهر في أخلاقه التي هي معجزة له وحجة برهانية عملية على الخلق بالإقرار والأدلة، لأن كل من يدرس السيرة النبوية الشريفة فلابد وأن تبهره عظمة هذا النبي وأخلاقه ويتذوقها إن كان له إحساس وشعور بالفضيلة وسلامة الفطرة، حتى إنه قد تذرف عيناه شوقا إلى رؤيته ﷺ، وهو الذي قد ظهرت ورشحت عنه هذه الأخلاق المذكورة توثيقا متواترا في السيرة وكتب الحديث والتاريخ عموما، وهذا ما أثنى به عليه الله سبحانه وتعالى، موشحا ومصدرا له أعظم أوسمة الخلود والكمال والاستحقاق: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، فكان النبي سيدنا محمداً ﷺ يمثل بهذا الإنسان الكامل في عالم الغيب والشهادة، في بنيته النفسية والخلقية على حد سواء.

وعند الآية الثانية التي استشهدنا بها فقد نجد نفس المعنى الذي حملته الآيات الأولى، إذ إن سلامة البنية النفسية هي أساس الاستبصار والإدراك الواعي لحقائق الأمور وصوابها.

فالنفس سوية في مبدئها، وبهذه الصفة فقد أصبحت قادرة على فهم الخير والشر وإدراك الفضيلة والرذيلة والتقوى والفجور ذاتيا وبصورة مجملة بحيث صارت حينئذ مدركة للشيء وضده، وهي بين خيارين، وبهذا فقد أعطيت لها الإرادة لتحديد مصيرها امتحانا من الله تعالى.

فالفلاح لمن ساهم في تطهيرها وتجلية مرآتها باكتساب الفضائل حتى تحتفظ بصحتها الأولى من قبل انحدارها إلى ميدان الشهوات والنزعات المختلفة التي قد تشكل عقبات أمام هذا المطلب الأخلاقي الشريف.

أما الذي قد يميل إلى هذه الشهوات وينطوي على ذاته بممارسته للرذائل بأنواعها ومراتبها فإن المصير سيكون حتما هو الدس والإخفاء لمقومات النفس السوية بحيث تصير ملبدة بسحب الأهواء والمستحثات الغريزية المفرطة، وبالتالي تصبح غير قادرة للحفاظ على التوازن الذي هو سبب سلامتها وميزان العدل فيها: ﴿ويل يومئذ للمكذبين. الذين يكذبون بيوم الدين. وما يكذب به إلا كل معتد أثيم. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾(المطففين: ١٠-١٥)، ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم. طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم. فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾(محمد: ٢٠- ٢٤).

من هنا يتبين لنا أن المرض الأخلاقي ما هو إلا انعكاس للمرض النفسي الناتج عن عدم الاستقرار العقدي السليم في البواطن والقلوب، ومن ثم فإن السلوك الصادر عن هؤلاء هو سلوك غير سليم وذلك لأن بنيتهم مختلة في العمق، واختلالها هذا مؤلم بالنسبة لمن يعانون من هذا المرض، وهذا ما سيدفعهم إلى القيام بأعمال تخريبية أو إفسادية

سادية ونرجسية وهستيرية، وذلك لأن بواطنهم فاسدة ومنحلة، وهذا ما يمكن فهمه من خلال قول الله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾.

فهذا دليل على أن الطبيعة العدوانية لدى الإنسان مصدرها واقع البنية النفسية المكونة لشخصيته الداخلية مصدرة القرار والتوجه، كما أن اختلال هذه البنية ناتج عن غياب اعتناقه للعقيدة السليمة الموجهة له، أو قد يكون السبب هو التشكك في العقيدة الملتزم بها سطحيا، وبذلك فقد يبقى دائما في اضطراب وصراعات وعدم التزام بالفضيلة المطلوبة لتحقيق العدل والسعادة الإنسانية، يقول الله تعالى: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾(التوبة: ٤٤- ٤٥).

وهذا الارتياب والتردد سوف لن يبقى مستورا في الباطن بل سيظهر بكل وضوح على ظاهر الإنسان وسيتشكل سلوكه بحسب محتواه، بل إن حركاته الجسمية ونبراته الصوتية سوف تحمل رواسب هذا السلوك وسيكشف أمره بوضوح من يتمتع بفراسة ونفس سليمة وواعية بالحالات النفسية الدقيقة خفيها وجليها.

يقول الله تعالى: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾(محمد: ٢٩- ٣٠). ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾(المنافقون: ٤).

وحينما يذكر الله تعالى سلوك قوم ونتائجه المترتبة عليه قد يحيله على الحالة النفسية الداخلية لدى الإنسان سواء كان فردا أو جماعة ومجتمعا عاما، وذلك لأن مرض الباطن كما قلنا مرارا وعدم توازنه هو سبب التصرفات الطائشة ومدخل استحقاق العبد للمقت من الله تعالى، فكان هذا التنبيه من القرآن الكريم بمثابة الدعوة إلى تحقيق الاستبطان النفسي ومراجعة الذات في خللها بشكل منتظم وممنهج، لأنه بقدر إهمال النظر في الحركات النفسية الداخلية والتغافل عنها بقدر ما تكون النتيجة جد سيئة وغير أخلاقية وأبعد ما تكون عن ميدان الفضيلة وثمراتها الذهبية، وهذه النتيجة لن تبقى محدودة بالمستوى الفردي أو الشخصي كما قد يحلو لبعض زاعمي الحرية الشخصية الوهمية، بل قد تعم المجتمع ككل بسبب العدوى السلوكية والنفسية كما يقر بذلك الطب النفسي والاجتماعي الحديث، ومن هنا فسيكون مآل هذا المجتمع الموبوء هو الاضطراب والهذيان الشهوي والغضبي وستحل به أيضا الحيرة في حل الإشكالات المطروحة على الساحة العامة وهي متشابكة الخيوط والخطوط ومعقدة إلى أقصى مستويات التعقيد، وبالتالي حصول الانهيار في مرافقه العامة، كنموذج الأزمة المالية العالمية في عصرنا والتي هي في رأينا الخاص وبعيدا عن التحليلات الاقتصادية والسياسية أن سببها الرئيسي هو الإساءة إلى مصدر الأخلاق ومنبعها بل مصدر كل خير ورخاء في العالم ألا وهو رسول الله ﷺ الرحمة المهداة، وتجرؤ بعض الخبثاء من الكفار الغربيين وغيرهم بألسنتهم الملطخة بالقاذورات وأقلامهم الجافة والمتسخة على مقامه الشريف والعالي في الآفاق والذي لا يمكن أن ينال منه ولا أن ترمقه تلك النفوس الخبيثة والراقدة في مقام الحضيض نفسيا وأخلاقيا.

ومهما عملت أمة على وضع المخططات للخروج من المآزق التي تتخبط فيها من خلفيات وخلل سلوكي وأخلاقي فإنها قد لا تصل إلى العلاج الكامل والجذري لأمراضها الاجتماعية إلا إذا عملت بشكل جماعي على مراجعة الأنفس استبطانا وملاحظة خارجية وذلك بالعمل على تغيير النهج الذي تعودت عليه خطأ هذه النفوس أو تلك، يقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾(الرعد: ١١).

التلازم النفسي والخلقي في التطبيق الشرعي النبوي

إذا كان القرآن يربط بين السلوك والحالة النفسية الداخلية للإنسان، فإن سلوكه هذا سوف يتشكل بشكل النفس واستعداداتها البنيوية للتحمل والأداء: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾(البقرة: ٢٨٦).

فهذا الوسع أو التحمل قد يكون مشتركا بين كل الناس لأن بعض الأحكام الشرعية قد لا تسقط عن المكلف مهما كانت الظروف وتفاوتت الاستعدادات، كما أنه قد يكون خاصا وظرفيا على حسب مستوى الإنسان النفسي من حيث الإدراك والوعي والسلامة البدنية.

ونذكر هنا بعض الصور التي تبرز فيها الإجراءات الممتزج فيها الجانب النفسي بالجانب الاخلاقي

أ) علاج الضعف بين واقع الوالدية والمولودية

يقول الله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾(الروم: ٥٤).

فهذه المراحل العادية لنمو الإنسان سيعالجها الإسلام من حيث علاقتها بالأخلاق وبحسب مستوى النفوس التي

تتحدد من خلالها، إذ الصغير له سلوكه الخاص به نحو نفسه ونحو من هو أكبر منه سنا، وكذلك سلوك الكبير بالتشارط، والذكر له أخلاقياته الخاصة بالنسبة إلى الأنثى، والأبناء قد يعاملون الآباء والأمهات معاملة خاصة وبأخلاق معينة متصاعدة أو متنازلة، وكذلك الآباء والأمهات مطالبون بسلوك خاص وأخلاق متميزة حسب وضعهم في السلم الأسري.

وكنموذج على هذا التقسيم لأنواع المعاملات حسب النفوس واستعداداتها قد نجد قول الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾(لقمان: ١٤)، ﴿وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾(الإسراء: ٢٣- ٢٤).

فمن خلال هاتين الآيتين قد تتضح لنا بعض التطبيقات لموضوع الصلة بين النفسيات والأخلاقيات، إذ في الآية الأولى نرى أن الله تعالى يوصي بالوالدين من دون تحديد نوع أو صفة التوصية وفترتها، بحيث قد أبقى الاجتهاد لدى الابن في تحقيقها والالتزام بها على قدر المستطاع وبحسب ما تتطلبه حالة الوالدين النفسية والمادية والصحية، كما نرى أن هذه التوصية قد شملت في شطرها الأكبر جانب الأم أكثر من الأب وذلك لأنها هي الأضعف في كل مراحل تكوين شخصيتها، وأيضا فهي التي قد تحملت متاعب ومشاق أكثر في إنجاب هذا الولد محل الأمر، ومن ثم فهي قد تنتظر في قرارة نفسها، وغريزيًا، حظها من الجزاء والتعويض والذي مهما كان مستواه من حيث البذل والعطاء فإنه لن يؤدي لها ثمن لحظة ألم واحدة عند تحركه في أحشائها أو أثناء ولادتها له وإخراجه مكتمل الخلقة إلى هذا الوجود المرئي.

وبهذا فإن الأخلاق والمعاملة الحسنة ستكون تجاه الأم أكثر قوة واهتماما مما يتطلبه جانب الأب وذلك كاستجابة لما توقعته الأم في نفسها من نتائج حملها وولادتها لابنها.

أما بالنسبة للآية الثانية فإنها قد تضمنت توصية للابن نحو والديه، لكنها قد حددت الفترة اللازمة لتحقيقها بكل فقراتها الموصوفة وبما تتضمنه من صور ومظاهر وأحوال، وهي الكبر أو الضعف الشامل الذي قد يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل عمر الإنسان.

فالوالدان في هذه اللحظة قد يكونان مترقبين جَنْي ثمرة جهودهما التي قد أفرغاها في تنشئة هذا الولد حتى صار ذا قوة ومستوى مرموق في المجتمع، بحيث لم يعد عاجزا عن القيام بمتطلبات الحياة من العمل النشيط والحركة والكسب، إذ الولد يعتبر أهم المكاسب للوالدين ومن ثم فقد يكون من الواجب عليه إحسان معاملتهما لكي يشعرا بالقوة اللازمة التي كانا يتمتعان بها في مرحلة من مراحل حياتهما ومن قبل أن يصيبهما الكبر والعجز الضروري بحسب السن والصحة والتي قد يأملانها في ابنهما الذي يعتبر جزءا جوهريا منهما.

ب) نفسية النشوز وخلق التواصل في الحياة الزوجية

كما قد نجد نموذجا آخر من بين الصور المتعددة التي قد تبرز فيها الإجراءات الممتزج فيها الجانب النفسي بالجانب الأخلاقي على سبيل التلازم في موضوع نشوز الزوجة، يقول الله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾(النساء: ٣٤).

فالنشوز فقها هو استعصاء الزوجة على زوجها وعصيانها له وخاصة في حقوقه الخاصة والضرورية في بناء بيت الزوجية، وهو قد يكون لأسباب معلومة ومجهولة غير شعورية قد جعلتها تقوم بهذه التصرفات السلبية تجاه زوجها.

فعلاج هذه الظاهرة السلبية يتم على مراحل وبمستويات، فإذا كان السبب عارضا أي بمعنى أنه ظرفي وناتج عن أخطاء قد صدرت من الزوج أو عدم تفاهم حول مسألة خاصة فإن هذا الخلاف من الممكن معالجته في الحال وذلك بمجرد الوعظ والتذكير وعلى سبيل المودة والنصيحة ومحاولة إصلاح الخطأ من طرف الزوج إن كان هناك خطأ واضح من جانبه، وعندئذ فإن هذا النشوز سوف يتوقف في الحين وتعود الحياة إلى مجاريها الطبيعية، لأن المسألة لم تكن عميقة ونفسية في حد ذاتها بل هي أخلاقية وسلوكية مكتسبة وسريعة التعديل والمراجعة.

فإذا لم يفعل الوعظ أثره في الحين فإن العلاج قد يتدرج إلى مستوى تأديبي آخر متصاعد، وفي هذه الحالة سوف يحاول الزوج جس نبض نفسية زوجته عاطفيا، ومن ثم فسيكون الإجراء امتحانا نفسيا والذي قد ينحصر في الهجر والامتناع عن التواصل الجنسي والعاطفي والمعبر عنه شرعا بالهجر في المضاجع، إذ المقصود به ليس هو غياب الزوج عن زوجته كشبح وشخص ومساكنة وإنما كنفس وسلوك ومعاملة، بل قد يكون واجبا عليه أن يبقى في منزله و ينام على نفس فراش زوجته وفي نفس الوقت يوليها ظهره تأديبا واختبارا لكي يتحدد له مستوى كراهيتها له ومدى عمق نشوزها.

فإذا استمر الأمر على هذه الحالة

والتي قد تقدر مدتها بشهر على الأكثر من دون ملاحظة أي تحسن أو تقدم ولو طفيف في علاج الموضوع فإن المسألة ستكون حينئذ قد أخذت بعدا متجذرا في نفسية تلك المرأة من حيث كراهيتها لزوجها أو تعقد أدوات التواصل لديها معه والتي ربما ستكون قد قبعت في أعماق اللاشعور مما سيستدعي مرحلة الإيقاظ والاستخراج بالمنبه المناسب للحالة، بحيث إن الكراهية أو القطيعة قد أصبحت حقيقية وثابتة وليست سطحية أو عابرة، كما سيقاس الأمر بأن المرأة المحبة لزوجها والمحترمة له قد لا تتحمل كبح غرائزها وخاصة العاطفية والجنسية وهي مباشرة له في نفس الفراش أو في المنزل ككل.

فإذا حصل عدم رد فعل إيجابي لديها مع هذا العلاج الفعال فإن ذلك قد يعني أن الزوجة ربما بلغت مستوى خطيرا من الاشمئزاز النفسي وعسر التواصل مع زوجها.

بعد هذا العلاج الذي قد لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة في بعض الحالات المتقدمة من النشوز لدى بعض الزوجات عندئذ يتاح للزوج لأن ينتقل من مستوى العلاج النفسي والإيحائي إلى الوسائل المادية المتمثلة في إحداث الألم الجسدي المحدود والمقيد بمناطق غير معطبة ولا شديدة الحساسية بواسطة الضرب، والذي ينبغي أن يكون غير مبرح بالمرة ولا مكسر لعضو أو جارح له أو تارك لكدمات ملحوظة على ظاهر الزوجة.

إذ المقصود هنا ليس البدن الذي هو أصلا محل اللذة والاستمتاع بين الزوجين ولكن النفس وتهديدها هو الغاية من هذه العملية الاستثنائية في علاج النشوز (كالكي باعتباره آخر الدواء)!

فمحاولة الضرب والشروع في تنفيذه وافتعال أجوائه الساخنة توعدا وتهديدا محدودا ربما قد يعمل على إثارة التنبيه والتخويف بجدية الموقف وصرامته التي قد تؤثر على نفسية المرأة وتوقظها لتدارك موقفها أو غفلتها التي حصلت لها لأسباب لاشعورية فتحكمت في سلوكها نحو زوجها بتلك الصورة السلبية التي ظهرت عليها.

فقد يحدث هذا إذا كان المرض مازال له قابلية للاستئصال، خاصة وأن التخويف له دور مهم وفعال في العلاج النفسي لردع كثير من الناس عن أخطائهم وتحدياتهم، كما هو فاضح للبعض عما يدعونه بألسنتهم وما هو ليس بمتجذر أصلا في نفوسهم أو قلوبهم.

لهذا فبالنسبة إلى الزوجة إذا لم يعمل الضرب والتخويف عمله المرجو، فإن ذلك قد يعني أن العلاج الشخصي بواسطة الزوج نفسه غير قادر على تحقيق وظيفته فيلجأ بعد ذلك إلى العلاج الجماعي الذي هو أكثر تخويفا وتنبيها وذلك برفع المسألة إلى القضاء، حيث سيلحق بالقضية أطراف آخرون كمحاولة لحل النزاع بالإصلاح والوفاق والتحكيم، فتكون حينئذ هذه آخر مرحلة للعلاج في هذا الباب، وذلك للإبقاء على الحياة الزوجية مستمرة ومستقرة وإلا فسيكون الزوج عند الإخفاق بين خيارين وهما: إما تحمل هذا النشوز والعيش في كنفه على مضض وقلق واضطراب، وهذا مقام الصابرين والمجاهدين لأنفسهم، وإما أن يلجأ إلى فراق زوجته كأبغض الحلال: ﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾(الطلاق: ٢)، والذي قد يبقى الحل الوحيد للخروج من المأزق المستعصي في حالة استحالة استمرار المعاشرة بالتي هي أحسن.

كما أن موضوع الضرب الذي ذكرناه قد يخضع بدوره إلى مقياس أخلاقي ودعوة للتخلي عنه عند أولي العزم وذوي الصبر والحكمة من الرجال الخيار كما عبر ونصح بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «لن يضرب خياركم» لأن النساء- كما وصفهن ﷺ- قوارير قابلات للكسر المعنوي والمادي بسرعة، فهن أحوج إلى الرفق العام، ولقد كان الرسول ﷺ هو خير الناس والخلق أجمعين ولم يرد في أي خبر أنه قد ضرب أو آذى امرأة بيده ولسانه! فليقتد به في هذا من يدعي أنه يطبق سنته ويسعى إلى التقرب منه بدل الانشغال باللحى والتشدق اللفظي والصخب الوعظي من غير ذوق ولا أخلاق! بل قد نهى عن الضرب المؤذي للزوجة في نفسها ورغبتها الغريزية والجنسية خاصة، بأن «لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» و «لا يجلد أحدكم زوجته جلد العبد ثم لعله يعانقها ويجامعها من آخر اليوم»، ومن ثم «فما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم» و «استوصوا بالنساء خيرا» كآخر وصية متواترة أوصى بها حبيبنا ورسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ صحابته وأمته في خطبة الوداع، جامعا فيها بين الواقع النفسي والوصف الخلقي الحميد في ضبط التعامل والتواصل الاجتماعي العام والأسري الخاص وبالأخص مع المرأة.

هذه هي إذن بعض ملامح ربط الجانب النفسي بالخلقي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولو تتبعنا كل ما ورد فيهما بخصوص هذا الموضوع فقد لا نخلص إلى إتمام الحديث عنه في كتاب أو مجلد بل أحمال من المجلدات لأنه قد يمثل جوهر القضية النفسية في تلازمها مع الأخلاقية، بحيث لا قيمة لنفس دون أخلاق ولا أخلاق إلا عن طريق السلامة النفسية، وعن هذا المفهوم أخذ المسلمون واستمدوا أفكارهم وسلوكهم ونسجوا في بحوثهم، فكان الأثر القرآني والتطبيقات النبوية العملية الرفيعة واضحين في كل دراساتهم السلوكية وخاصة في ربط الصلة بين النفس والأخلاق.

اهتمام علماء الجزائر بـ «الصحيحين»

عبداللطيف بونشادة *

من العلوم التي اهتم بها العلماء الجزائريون منذ القديم، علم الحديث ومصطلحه، فقد اعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة وكان العمل عندهم بالكتب الستة يدرسونها ويحفظونها ويسندونها، ولكن اهتمامهم الأكبر كان بالموطأ والصحيحين، ونحاول في هذه السطور تسليط الضوء على اهتمام علماء الجزائر بصحيحي الإمامين البخاري ومسلم، رحمهما الله.

يعتبر الإمام أبوجعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي التلمساني المتوفى سنة ٤٠٢هـ صاحب السبق في ميدان شروح كتب الحديث النبوي، حيث ألف كتابه الجليل الذي حاز به الفضل على غيره من المتقدمين والمتأخرين عنه من علماء الإسلام، ذلك هو كتابه «النصيحة» الذي شرح به صحيح الإمام البخاري، فكان بهذا أول شرح وضع على هذا الكتاب الجامع على الإطلاق حيث إن كل الشروح على البخاري المعروفة وغير المعروفة جاءت بعد هذا الشرح الأول من نوعه.

والإمام أبوجعفر أحمد الداودي عدّه ابن فرحون من علماء الطبقة السابعة في «الديباج» (١) كما ترجم له القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢). له عدة مؤلفات أخرى منها:

-النامي في شرح الموطأ.

- الواعي في الفقه.

- الرد على القدرية... وغير ذلك.

ثم جاء بعده تلميذه العلامة الفقيه المحدث أبوعبدالله مروان الأسدي البوني المتوفى سنة ٤٤٠هـ الذي ألف كتابا في شرح البخاري، ذكره الإمام ابن حجر في معجمه عند ذكره لرجال أسانيده إلى البخاري.

وفي موضوع ضبط الألفاظ وبيان المعنى نجد الحافظ أبا إسحق إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي المتوفى بفاس سنة ٥٦٠هـ ألف كتابه الكبير: مطلع الأنوار على صحاح الآثار (٣) وخصه بالموطأ والصحيحين.

بالرغم من مالكية علماء الجزائر إلا أن اهتمامهم بالبخاري قد فاق صحيح مسلم بكثير

وفي نفس الإطار الزمني دائما نجد المحدث الفقيه أبا محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الأزدي الاشبيلي الذي رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا إلى غاية وفاته سنة ٥٨١هـ له تآليف جليلة القدر منها:

- الجمع بين الصحيحين: جمعه في مجلدين وقد التزم فيه بألفاظ الأصليين (٤).

- الجمع بين الكتب الستة: وهي موسوعة ضخمة جمع فيها بين الموطأ والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي.

- مختصر صحيح البخاري وهو مرتب على المسانيد (٥).

- المنهاج في رجال مسلم بن الحجاج.

وممن اهتموا بصحيح مسلم الإمام ابن يحيى السكلاني الحميري الزواوي المتوفى سنة ٧٤٣هـ والذي ألف كتاب: شرح صحيح مسلم في ١٢ مجلدا ضخما، وكذلك الإمام الحافظ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبوعبدالله السنوسي المتوفى سنة ٨٩٥هـ صاحب التصانيف المشهورة (٦) منها:

- شرح صحيح مسلم المسمى: مكمل إكمال الإكمال وهو تكملة واستدراك لشروح المازري والقاضي عياض ثم الآبي.

- مختصر الآبي على صحيح مسلم.

- شرح صحيح البخاري، ولم يكمله وصل فيه إلى باب: من استبرأ لدينه.

- شرح مشكلات البخاري.

وقبله نجد الإمامين الجليلين ابن مرزوق الجد والحفيد. أما الأول فهو الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب المتوفى بتلمسان سنة ٧٨١هـ ألف عدة كتب منها: شرح صحيح البخاري.

أما الثاني فهو الإمام المحدث أبوعبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد.

من تأليفه: شرح البخاري المسمى: «المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح والوجه الصبيح والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح».

وممن اهتم برجال الصحيحين العلامة أبوعبدالله محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي المتوفى سنة

* باحث جزائري

٨٦٨هـ وهو فقيه مالكي محدث من أهل تلمسان له من الآثار:

• الزند الواري في ضبط رجال البخاري.

• فتح المبهم في ضبط رجال مسلم (٧).

مع الوجود العثماني بالجزائر قل التأليف في علم الحديث عموما وفي شروح الكتب خصوصا وذلك راجع لوجود وفرة في الشروح العظيمة لهذه الكتب فتولى العلماء مهمة تدريس الحديث رواية وشرحا.

وممن قاموا بالتدريس في هذه الفترة الشيخ عبدالرزاق حمادوش الذي تولى سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير بالعاصمة (٨)، وأيضا الشيخ أبوحسن علي الونيسي المالكي الذي ختم شرح البخاري ومسلم عدة مرات. وترك من المؤلفات الحديثة شرح صحيح البخاري في ١٢ جزءا.

وكان الإمام أحمد المقري- رحمه الله- مشهورا برواية الحديث الذي أخذه عن علماء المغرب والمشرق. وقد تصدر لتدريس صحيح البخاري في الجامع الأزهر حتى بهر الحاضرين، كما وفد على المدينة المنورة سبع مرات وأملى الحديث النبوي هناك، وأملى أيضا صحيح البخاري بالجامع الأموي بدمشق أثناء درس كان يلقيه بعد صلاة الصبح.

ولما كثر الناس حوله خرج إلى صحن الجامع، وحضر درسه غالب أعيان دمشق وجميع الطلبة، ويصف المحبي يوم ختم البخاري قائلاً: «وكان يوم ختم البخاري حافلا جدا اجتمع فيه الألوف من الناس وعلت الأصوات بالبكاء فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن... وأتي إليه بكرسي الوعظ فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبدا. وتكلم على ترجمة البخاري.

وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر ... ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس» (٩) أ.هـ.

وممن قام بالتأليف في هذه الفترة: المحدث أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي البوني المتوفى سنة ١١٢٩هـ والذي ألف كتبا كثيرة منها:

• مختصر مقدمة فتح الباري على صحيح البخاري.

• فتح الباري بشرح غريب البخاري.

• التحقيق في أصل التعليق (معلقات البخاري).

• الإلهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه (أي الكائن في البخاري).

وترك ولده محمد بن أحمد البوني نظمين:

- **الأول**: نظم كتب صحيح البخاري.

- **الثاني**: نظم كتب صحيح مسلم.

كما قام الشيخ ابن أبي جمرة باختصار صحيح البخاري في مجلد، وكان مختصره مشهورا متداولا بين الجزائريين. وقد شعر عبدالرحمن بن عبدالقادر المجاجي أن هذا المختصر في حاجة إلى شرح يضبط ألفاظه ويقرب معانيه فقام بعمل ضخم بها الصدد وسمى شرحه «فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها ابن أبي جمرة من صحيح البخاري» (١٠).

كما نظم الشيخ محمد بن علي المعروف بأقوجيلي الجزائري منظومة سماها «عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع» (١١) وهي منظومة في مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري وعدد الأحاديث التي لكل منهم ومن هو المكثر ومن هو المقل. وتوجد نسخة منه بدار الكتب المصرية.

أما في عصرنا الحالي فنجد الأستاذ العلامة محمد بن أبي شنب ألف بحثا لطيفا قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر سنة ١٩٠٥م سماه: «وصول صحيح البخاري إلى أهل الجزائر».

كما قامت وزارة الشؤون الدينية في عهد الشيخ عبدالرحمن شيبان بإحياء سنة قراءة صحيح البخاري بالجامع الكبير بالعاصمة، وممن قاموا بشرح بعض أحاديث البخاري الشيخ العلامة محمد شارف-حفظه الله- كما قام الشيخ محمد باي بلعالم بشرح صحيح مسلم.

وفي خلاصة البحث نقول: إن علماء الجزائر برغم أنهم مغاربة مالكيون إلا أن اهتمامهم بصحيح البخاري قد فاق صحيح مسلم بكثير، ونحن نعلم من علم مصطلح الحديث أن علماء المغاربة يفضلون صحيح مسلم على صحيح البخاري (١٢).

الهوامش

١- الديباج المذهب- ابن فرحون ج ٢/ ١١٤.
٢- ترتيب المدارك- القاضي عياض ج٢/٥١.
٣- تاريخ الجزائر العام -الجيلالي ج٢/٧٨.
٤- توجد نسخة منه بالقاهرة تحت رقم أول ٣٢٥/١.
٥- توجد نسخة منه بمكتبة بطرسبورغ تحت رقم ١٢/١.
٦- تاريخ الجزائر العام- الجيلالي ج٣/٢٠٦.
٧- معجم أعلام الجزائر - عادل نويهض ص ٣٣١.
٨- تاريخ الجزائر الثقافي- سعد الله ج٢/٢٦.
٩- خلاصة الأثر-المحبي ج١/٣٠٥.
١٠- تاريخ الجزائر الثقافي- سعدالله ج٢/٣٠. وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط برقم: ١٧٧٥.
١١- تاريخ الجزائر الثقافي-سعد الله ج٢/٣٢. وتوجد نسخة منه بدار الكتب المصرية مجموع رقم ٥٢.
١٢- انظر: تدريب الراوي للسيوطي ص ٦٩، والباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر ص ٢٣.

النيابة عن الغير في أداء فريضة الحج



د . صالح النهام

لاشك أن فريضة الله في الحج على عباده ركن عظيم من أركان دينه، وقد قيل: الحج حرفان: حاء وجيم، فالحاء: حكم الحق، والجيم: جُرْم الخلق، في إشارة إلى أن الحق جل وعلا يغفر للحجاج أنواع جُرْمهم. فالحج يمتاز بأن التكليف فيه شامل للبدن والمال، ويحتاج في معظم الأحوال إلى حمل الزاد وشد الرحال، فمن وجب عليه الحج وهو قادر عليه بنفسه فعليه أن يبادر إلى أدائه ولا يؤخره عن سنة وجوبه، عملاً بقوله تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ (البقرة:١٤٨)، وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل» (١) وعليه فلا يجوز له أن ينيب غيره للحج عنه بالاتفاق(٢)، بل نقل ابن المنذر إجماع أهل العلم على ذلك (٣) فإن عجز عن السعي لعذر مرض أو موت فقد وقع خلاف في مشروعية النيابة في الحج عنه.

النيابة لغةً: مصدر للفعل ناب، يقال: ناب عنه نوبًا، ومنابًا، بمعنى: قام مقامه(٤). واصطلاحًا: قيام الشخص عن غيره بأمر من الأمور (٥) ومشروعية النيابة في الحج عن الغير فيها حالتان، إليك بيانها:

الحالة الأولى: العجز للمرض

من تحققت فيه شروط وجوب الحج لكنه عجز عن الحج بنفسه لعلة لا يرجى زوالها ككبر، أو زمانة، أو غير ذلك، بحيث لا يستطيع الثبوت على الراحلة إلا بمشقة شديدة، ويسميه الفقهاء المعضوب(٦)، ومن هذا حاله فقد اختلف في مشروعية النيابة في الحج عنه على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية(٧)، والشافعية(٨)، والحنابلة(٩)، إلى أنه يلزمه إنابة من يحج عنه إن تحققت شروط لزوم الإنابة، وهي: أن يجد من ينيبه، وأن يجد المال الذي يستنيبه به فاضلاً عن حاجته وحاجة عياله وقت الإنابة، وأن يرضى النائب بأجر المثل، فإن كان العجز لعلة يرجى زوالها لم تجز الإنابة، فإن أناب غيره لم يجزئ حجه عنه، وعليه حينئذ أن يحج عن نفسه مرة أخرى، لأن النص الوارد بجواز الإنابة ورد في الشيخ الكبير الذي لا يرجى برؤه فلا يقاس عليه إلا من كان مثله(١٠). هذا، ويجوز أن يكون النائب رجلاً عن امرأة وبالعكس بلا خلاف(١١)، إلا أن الحنفية قالوا بجوازه مع الكراهة؛ لاشتمال حجها عادة على نوع من النقصان؛ لأنها لا ترمل في الطواف، ولا في السعي، ولا تحلق(١٢)، ودليلهم على ذلك:

(أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم عام حجة الوداع، قالت: يا رسول الله: إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج، أدركت أبي شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم حجي عنه»(١٣).

(ب) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرحل والحج مكتوب عليه أفأحج عنه، قال: أنت أكبر ولده؟ قال: نعم، قال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان يجزئ ذلك عنه؟ قال: نعم، قال: فاحجج عنه»(١٤).

فتلك الأحاديث تدل على مشروعية النيابة عن الحي العاجز، ثم إن تقرير النبي ﷺ ما قاله السائلون من أن الحج مكتوب على آبائهم الكبار العجزة وتشبيهه ﷺ له بالدين يدل على أن العاجز الحي يلزمه الإنابة، أي: إنابة من يحج عنه. وقد نوقشت تلك الأحاديث بأن ظاهرها مخالف لظاهر القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩)، فيرجح ظاهر القرآن الكريم(١٥). وأجيب: بأن عموم الآية الكريمة مخصوص بتلك الأحاديث، ولا تعارض بين عام وخاص(١٦).

(ج) استدلوا بالمعقول من جهتين:

- تكبد المشقة المقصود من الحج يحصل للشخص بفعل نفسه، ويحصل له كذلك بفعل غيره إذا كان فعل الغير بماله.

- الحج عبادة تؤدى بالبدن وبالمال، فيجب اعتبار كل منهما، فلا تجوز

النيابة عند القدرة اعتبارًا للبدن، وتجوز عند العجز اعتبارًا للمال.

وقد اشترطوا لحج النائب عن المنيب الحي العاجز شرطين:

الأول: دوام العجز حتى الموت: إذا استتاب العاجز من يحج عنه ثم زال العجز وعوفي فإن كان الشفاء قبل إحرام النائب لم يجزئه حج النائب عنه بالاتفاق(١٧)، لأنه في حكم من قدر على المبدل منه قبل الشروع في البدل، كالمتيمم يجد الماء قبل الشروع في الصلاة(١٨)؛ ولذا لم تجز الإنابة.

وإن كان الشفاء في أثناء حج النائب أو بعد تمامه ففيه قولان: **الأول**: إن حج النائب لا يجزئ عن المنيب عند الحنفية والشافعية، حيث قالوا عليه أن يحج بنفسه حجة أخرى، لأن حج النائب عنه بدل إياس، فإذا عوفي تبين أنه لم يكن ميئوسًا منه فيلزمه الأصل وهو حجه بنفسه، كمن بلغت سن المحيض من زمن ولم تحض، فإذا طلقت اعتدت بالأشهر، فإن جاءها المحيض أثناء العدة اعتدت بالقروء ولغت عدة الأشهر (١٩).

وقال الحنابلة : لا يجب عليه عندئذ حج آخر؛ لأنه أتى بما أمر به فخرج من العهدة، ولأننا لو أوجبنا عليه الإعادة لأوجبنا عليه حجتين والله تعالى ما أوجب إلا حجة واحدة. وقول الحنابلة أولى بالقبول لأن من بلغت سن المحيض التي قاس عليها الأولون عند استدلالهم السابق ذكره، لو جاءها الحيض بعد انتهاء اعتدادها بالأشهر لم يجب عليها الاعتداد بالقروء ثانيًا(٢٠).

الثاني: إذن المنيب العاجز: لأن الحج عبادة فلا يقع عن العاقل البالغ الحي إلا بإذنه كالزكاة، وكما تجوز الإنابة في حج الفريضة عن الحي العاجز عند الجمهور فإنها تجوز عندهم في حج التطوع؛ لأن ما جازت الإنابة في فرضه جازت في نفله(٢١).

ثمة أحاديث نبوية تدل على مشروعية النيابة عن الحي العاجز في الحج

القول الثاني: يرى المالكية في المعتمد أن النيابة في الحج عن الحي العاجز لا تجوز لا في الفريضة ولا في النافلة، والأفضل أن يتطوع عنه وليه بغير الحج، كأن يهدي أو يتصدق عنه أو يدعو له(٢٢)، ودليلهم على ذلك.

(أ) قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ (آل عمران: ٩٧)، والعاجز غير مستطيع فلا يجب عليه الحج. وأجيب: بأن القدرة على الأداء بالغير استطاعة(٢٣).

(ب) الحج عبادة لا تدخلها النيابة مع القدرة فلا تدخلها مع العجز كالصوم والصلاة. وأجيب: بأنه قياس مع الفارق فيكون فاسدًا؛ وذلك لأن كلا من الصوم والصلاة عبادة بدنية، أما الحج فهو عبادة بدنية مالية(٢٤).

هذا، وبعد الانتهاء من أدلة الفريقين، يمكن القول: إن الصواب ما رآه جمهور الفقهاء؛ وذلك لقوة أدلتهم، ورد ما ورد عليها من مناقشات.

الحالة الثانية: النيابة عن الميت

إذا تحققت شروط وجوب الحج وانتفت الموانع فقد وجب الحج وتعلق في ذمة المكلف، فإذا حضره الموت ولم يَحج وأوصى بذلك فالفقهاء متفقون على وجوب الإحجاج عنه إذا كان له مال، وإلا فمستحب(٢٥)، وإن حدد في الوصية من يَحج عنه فمات، وجب إحجاج غيره عنه؛ لأن مقصوده من الوصية تحصيل العبادات، فإذا مات من حدده دون إيقاعها أقيم غيره مقامه(٢٦)، أما إن أوصى بتحديد المكان فعند الحنفية الأمر على ما حدده، وإن لم يحدد شيئًا، فيحج من موطنه(٢٧)، بينما المالكية(٢٨)، والحنابلة(٢٩)، فيُحج عنه إما من بلده، أو من الموضع الذي أيسر منه، أما الشافعية فمن ميقات بلده(٣٠)، وإذا لم يوص بالحج عنه، فقد اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: يرى الشافعية(٣١)، والحنابلة(٣٢)، أن المقصر الذي مات ولم يَحج بعد تمكنه من الحج، وجب أن يُحج عنه من أصل ماله، ويجبر الورثة على ذلك، لأنه حق استقر عليه، فلا يسقط بموته، ولهذا كان من جميع ماله؛ لأن النبي ﷺ شبهه بالدين فوجب مساواته له، فإن لم يكن له تركة فلا يجب على الوارث الإحجاج عنه، لكن يجوز له والأجنبي الحج عنه سواء أوصى به أو لا، وسواء أذن وليه للأجنبي أو لا(٣٣).

لكنهم اختلفوا فيمن مات ولم يَحج بدون تقصير منه، كمن أخَّر الحج لمرض يرجى برؤه فمات منه، فرأى الشافعية أنه لا يجب قضاء الحج من تركته(٣٤)، ورأى الحنابلة أنه كالمقصر يجب الحج عنه من أصل تركته(٣٥). ودليلهم على ذلك(٣٦):

(أ) - عن بريدة رضي الله عنه، قال: «بيْنَا أنا جالس عند رسول الله ﷺ، إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت، قال: فقال: وجب أجرك، وردها عليك الميراث، قالت: يا رسول الله! إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها»(٣٧). وفيه دلالة على قولهم بالحج عن الميت وإن لم يوص.

(ب) - روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة نذرت أن تحج فماتت، فأتى أخوها النبي ﷺ فسأله عن ذلك،

فقال: «أرأيت لو كان على أختك دين أكنت قاضيَه؟ قال: نعم، قال: فاقضوا الله، فهو أحق بالوفاء»(٣٨)، وإذا كان دين الآدمي يقضى من التركة كلها فما هو أحق منه بالوفاء يقضى منها كلها من باب أولى(٣٩).

القول الثاني: ويرى الحنفية(٤٠)، والمالكية(٤١)، أن من مات بعد التمكن من الحج، سقط عنه فرض الحج، إلا أن يوصي بأن يحج عنه من ثلث ماله فيجبر الورثة على ذلك، فإن تطوع عنه رجل لم يجز إذا كان له مال، وكذا لو تطوع وارث لم يجز أيضًا؛ لأن الفرض هنا متعلق بماله(٤٢)، وإن لم يوص لم يجبر الورثة، ولا يلزمهم ذلك، وقد قيل: إن حج رجل عن الميت من غير وصية أو تبرع الورثة بذلك فحج عن أبيه أو عن أمه حجة الإسلام(٤٣)، فقد قال أبوحنيفة: يجزيه ذلك إن شاء الله تعالى(٤٤).

ودليلهم على ذلك(٤٥) استدلالهم على قولهم أنه لا يحج عنه إلا إذا أوصى فيحج عنه من ثلث التركة، بأن الحج عبادة، ونية المكلف ركن في العبادة، وكذا اختياره وقد فاتا بالموت دون وصية، فلا تؤدى من ماله، فإن أوصى يكون قد نوى واختار فتنفذ الوصية من الثلث فقط لقول رسول الله ﷺ في شأن الوصية: «الثلث والثلث كثير» (٤٦).

هذا، وبعد الانتهاء من أدلة الفريقين يتضح أن دليل الحنفية والمالكية ما هو إلا اجتهاد مصادم للنص المذكور في أدلة الشافعية والحنابلة، وعليه يكون الأولى بالقبول ما رآه الشافعية والحنابلة.

شرطا النائب في الحج

الشرط الأول: أهليته لصحة حجة الإسلام منه وإجزائها عنه، وذلك بأن يكون مسلمًا عاقلًا بالغًا حرًا(٤٧).

الشرط الثاني: أن يكون قد حج عن نفسه حجة الإسلام، وفيه قولان:

الأول: ذهب جمهور العلماء من المالكية(٤٨)، والشافعية(٤٩)، والحنابلة(٥٠)، إلى أنه لا يصح حجه عن غيره إذا لم يكن قد حج عن نفسه، ولكن ينعقد إحرامه لغيره عن نفسه، وخالف في هذا الحنفية، حيث قالوا: يجوز ذلك مع الكراهة التحريمية(٥١).

واستدل الجمهور على ذلك:

(أ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول: «لبيك عن شبرمة، قال: من شبرمة؟ قال: أخ لي أو قريب لي، قال: حججت عن نفسك؟ قال: لا، قال حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة»(٥٢)، والحديث يدل على أنه لا يجوز لمن لم يحج عن نفسه أن يحج عن غيره سواء أكان مستطيعا أم كان غير مستطيع، لأن رسول الله ﷺ لم يستفصل من هذا الرجل الذي سمعه يلبي عن شبرمة، وعدم الاستفصال في وقائع الأحوال ينزل منزلة العموم في المقال، كما هي القاعدة، ثم إن إحرامه عن غيره ينعقد عن نفسه؛ لأنه ﷺ أمره أن يجعله عن نفسه، وجاء في رواية أخرى: «هذه عنك»، وذلك بعد أن لبى عن شبرمة(٥٣). فدل ذلك على أن إحرامه لم ينعقد عن غيره.

وإنما جاز أن يقع الإحرام عن غيره ويكون عن نفسه؛ لأن الذي بطل إنما هو كون إحرامه عن غيره، أما نفس الإحرام فإنه لم يبطل، لأن بطلان صفة الشيء لا يوجب بطلان أصله، فلما لم يبطل إحرامه ولم يجز أن يكون لغيره تعين أن يكون عن نفسه إذ لا يوجد ثالث(٥٤).

(ب) القياس على الصبي، فكما أن الصبي لا يجوز أن يحج عن غيره؛ لأنه لم يحج عن نفسه، فكذا النائب لا يصح أن يحج عن غيره قبل حجه عن نفسه(٥٥)، ونوقش هذا: بأنه قياس مع الفارق، لأن الصبي إذا حج عن نفسه لا يجزئه ذلك عن الفريضة بل عليه بعد بلوغه أن يحج ثانية، أما النائب فإن حج عن نفسه أجزأه ذلك(٥٦).

(جـ) الحج واجب في أول سنة من سني الإمكان، فإذا أمكن النائب أن يفعله عن نفسه لم يجز أن يفعله عن غيره؛ لأن الأول: فرض، والثاني: نفل، أي بالنسبة للنائب وإن كان فرضا عن الأصيل، ومعلوم أن الله- تعالى شأنه- لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة(٥٧)، ونوقش هذا: بأن الحج مختلف في وجوبه أهو على الفور أم على التراخي؟ وأجيب: بأن المخالفين يقولون بأن الحج واجب على الفور لا على التراخي.

أما الحنفية فاستدلوا بالتالي:

(أ) حديث المرأة الخثعمية السابق حيث قال لها النبي ﷺ: «حجي عن أبيك»، من غير سؤالها عما إذا كانت قد سبق لها الحج عن نفسها أم لا، وترك الاستفصال ينزل منزلة عموم المقال فكأنه ﷺ قال لها: حجي عن أبيك سواء أكنت حججت عن نفسك أم لا، أما سبب الكراهة التحريمية فهو: كون النائب تاركًا فرض الحج، وقد استطاع الحج بوجوده في مكة في وقته(٥٨). وأجيب: بأن ترك الاستفصال في هذا الحديث يحمل على علمه ﷺ بأنها حجت عن نفسها أولًا وإن لم يرو لنا طريق علمه بذلك، وذلك للجمع بين الحديثين، حديث شبرمة وحديث الخثعمية(٥٩).

(ب) الحج كالزكاة كلاهما تدخله النيابة، والزكاة يصح أن يؤديها عن غيره من لم يخرج زكاة نفسه، فالحج كذلك يجوز أن يؤديه عن غيره من يحج عن نفسه(٦٠). وأجيب: بأن هذا قياس مع الفارق بما يلي(٦١):

- من وجبت عليه الزكاة يجوز أن

ينوب عن غيره وقد بقي عليه بعضها، أما في الحج فلا يجوز أن يحج عن الغير من شرع في الحج ولم يتمه.

- الزكاة تجوز فيها النيابة عند القدرة، أما الحج فلا تجوز فيه النيابة عند القدرة.

النيابة في حج التطوع

وفيه مسألتان(٦٢):

المسألة الأولى: إن كان لم يؤد حجة الإسلام فلا يجوز له أن يستنيب في حج التطوع بالاتفاق، لأنه لا يصح أن يفعله بنفسه فنائبه أولى. **والمسألة الثانية:** إذا كان قد أدى حجة الإسلام ففي هذه المسألة قولان:

الأول: يرى الجواز، قال به الحنفية(٦٣)، والحنابلة في المذهب(٦٤)، لأنها حجة لا تلزمه بنفسه فجاز أن يستنيب فيها، ولأنه يتوسع في النفل ما لا يتوسع في الفرض.

الثاني: ذهب الشافعية(٦٥) إلى عدم جواز الاستنابة في حج التطوع عن حي ليس بمعضوب، ولا عن ميت لم يوص به، أما الميت الذي أوصى به، والحي المعضوب إذا استأجر من يحج عنه، ففي الحج عنهما قولان: أصحهما الجواز، وأنه يستحق الأجرة. بينما مذهب المالكية فكما مر معنا يرون المنع عن الحي المستطيع والعاجز، أما الميت فيجوز عندهم إذا أوصى بذلك(٦٦).

فنخلص في النهاية إلى أن الفقهاء متفقون على جواز الاستنابة إذا أوصى الميت بحج التطوع عنه(٦٧)، وأنه كما مر معنا من جواز الاستنابة في حج الفريضة عن الحي العاجز عند الجمهور، فإنها تجوز عندهم أيضًا في حج التطوع، لأن ما جازت الإنابة في فرضه جازت في نفله(٦٨).

والله أعلم بالصواب.

الهوامش

١- أبوداود، رقم: (١٧٣٢).
(٢) البدائع: (٢/٢١٣)، الحطاب:(٢/٥٤٣-٥٤٨)، نهاية المحتاج:(٣/٢٥٢)، شرح المنتهى:(١/٥١٩).
(٣) ذكره ابن قدامة في المغني:(٥/٢٢).
٤- مادة: (ناب)، في كل من: مختار الصحاح:(ص:٢٨٥)، المصباح المنير:(٢/٨٦٤-٨٦٥).
٥- حاشية الدسوقي: (٢/١٥).
٦- والمعضوب: بعين مهملة وضاد معجمة، من العَضْب وهو القطع، كأنه قُطِعَ عن الحركة والتصرُّف. ويقال: بالصاد المهملة، كأنه ضُرِبَ على عَصَبه فانقطعت أعضاؤه عن عملها، فيجبُ عليه الإحجاج عن نفسه بشرطه. انظر: هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك لابن جماعة الكناني: (١/٢٠٦).
٧- البدائع: (٢/٢١٣).
٨- المجموع: (٧/٦٢-٦٣).
٩- شرح المنتهى: (١/٥١٩).
١٠- الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي:(٨/٥٧).
١١- الهداية مع فتح القدير: (٢/٤٠٣)، هداية السالك: (١/٢٢٨)، الأم: (٢/١٠٥)، كشاف القناع: (٢/٣٩١).
١٢- البدائع: (٢/٢١٣).
١٣- البخاري، رقم: (١٥١٣)، ورقم: (١٨٥٢) أن امرأة من جهينة، بنحو حديث الخثعمية، مسلم، رقم: (١٣٣٤، ١٣٣٥).
١٤- مسند أحمد، رقم: (١٦١٠٨)، النسائي، رقم: (٢٦٣٩).
١٥- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٦-٥٩٧).
١٦- المحلى لابن حزم: (٧/٥٣-٦١).
١٧- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٨)، المجموع:(٧/٦٤)، كشاف القناع: (٢/٣٩١).
١٨- المجموع:(٧/٦٤)، كشاف القناع: (٢/٣٩١).
١٩- البدائع: (٢/٢١٣)، روضة الطالبين: (٢/٢٩٨).
٢٠- كشاف القناع: (٢/٣٩١).
٢١- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠)، روضة الطالبين: (٢/٢٩٩)، شرح المنتهى: (١/٥٢٠).
٢٢- الحطاب: (٢/٥٤٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:(٥/٢٢٧-٢٢٨).
٢٣- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٦-٥٩٧)، الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي: (٨/٥٤).
٢٤- المرجعين السابقين.
٢٥- لأنه من باب الإحسان. انظر: حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠)، حاشيةالدسوقي: (٢/١٧-١٨)، المجموع: (٧/٧٧-٧٨)، كشاف القناع: (٣/٣٩٣).
٢٦- حاشية ابن عابدين: (٢/٦٠٠)، حاشيةالدسوقي: (٢/١٧-١٨)، مغني المحتاج: (١/٤٦٨-٤٦٩)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٢٧- المسالك في المناسك للكرماني: (٢/٩٠).
٢٨- الشرح الكبير للدردير: (٢/١٩).
٢٩- كشاف القناع: (٢/٣٩١).
٣٠- حاشية قليوبي وعميرة: (٢/٩٠).
٣١- المهذب: (٢/٦٧٣).
٣٢- شرح المنتهى: (١/٥١٩).
٣٣- المجموع: (٧/٧٧)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٣٤- حاشية قليوبي وعميرة: (٢/٩٠).
٣٥- كشاف القناع:(٢/٢٩١،٣٩٣) .
٣٦- مغني المحتاج: (١/٤٦٨)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٣٧- مسلم، رقم: (١١٤٩).
٣٨- النسائي، رقم: (٢٦٣٣).
٣٩- المجموع: (٧/٧٨)، كشاف القناع: (٢/٣٩٣).
٤٠- تحفة الفقهاء:(١/٤٢٦).
٤١- التفريع في فروع المالكية:(١/٣١٥).
٤٢- الكافي للشيباني: (٢/٥١١).
٤٣- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠).
٤٤- بدائع: (٢/٢٢١).
٤٥- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٩-٦٠٠)، الحطاب: (٣/٥٤٣-٥٤٨).
٤٦- البخاري، رقم: (٢٧٤٣)، مسلم، رقم: (١٦٢٨).
٤٧- شرح اللباب: (ص:٢٩٩)، المجموع: (٧/٦٣)، كشاف القناع: (٢/٣٧٨-٣٨٠).
٤٨- حاشية الدسوقي: (٢/١٥).
٤٩- المجموع: (٧/٦٣).
٥٠- شرح المنتهى: (١/٥٢١).
٥١- فتح القدير: (٣/٧١).
٥٢- أبو داود، رقم: (١٨١١)، ابن ماجة، رقم: (٢٩٠٣).
٥٣- شرح المنتهى:(١/٥٢١)، وقد قال البيهقي عنه: «وهو إسناد صحيح، ليس في الباب أصح منه» انظر: معرفة السنن والآثار:(٧/٢٨-٣٠)، مختصر خلافيات البيهقي: (٣/١٢٠-١٢١).
٥٤- الشرح الكبير لشمس الدين المقدسي:(٨/٩٤).
٥٥- المرجع السابق.
٥٦- روضة الطالبين: (٢/٢٩٨)، كشاف القناع: (٢/٣٧٨-٣٧٩).
٥٧- المجموع: (٧/٧٧).
٥٨- تنوير الأبصار مع شرحه وحاشيته: (٢/٣٣١).
٥٩- المجموع: (٧/٩٠)، الإنصاف: (٣/٤١٦)، نيل الأوطار:(٥/٨).
٦٠- البناية في شرح الهداية: (٤/٤٢٦-٤٢٧).
٦١- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٧-٥٩٨)، حاشية قليوبي وعميرة: (٢/٩٠)، شرح المنتهى: (١/٥٢٠).
٦٢- الفتاوى الهندية: (١/٢٥٨)، حاشية الدسوقي: (٢/١٨)، المجموع: (٧/٦١-٦٥)، كشاف القناع: (٢/٣٩٧).
٦٣- حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩٧-٦٠٠).
٦٤- الإنصاف: (٣/٤١٨).
٦٥- المجموع: (٧/٦١-٦٥).
٦٦-الحطاب: (٢/٥٤٣-٥٤٨).
٦٧- فتح القدير: (٣/١٤٤)، الحطاب: (٢/٥٤٣-٥٤٨)، المجموع: (٧/١١٤)، المغني: (٣/٢٤٤)، وفي قول عند الشافعية منع الاستنابة فيه؛ لأنه إنما جاز الاستنابة في الفروض للضرورة، ولا يجوز في النفل.
٦٨- فتح القدير: (٣/١٤٤)، روضة الطالبين: (٢/٢٩٩)، شرح المنتهى: (١/٥٢٠).

البنات في التراث العربي والإسلامي

صلاح الشهاوي

البنوة في التصور الإسلامي حقيقة كبرى من حقائق الخلق وإبداع الخالق سبحانه، ومما استأثر به.. تلك الحقيقة هي الإنجاب للبنين والبنات والعقم، وتوزيع ذلك بين الناس لحكم قد لا يظهر لنا بعضها، ولكن أجلى الحكم في ذلك هي الابتلاء الذي يعقبه الثواب العظيم والأجر الجزيل أو العقاب والوزر، يقول تعالى ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠)

كان المجتمع العربي في الجاهلية يخضع لنظام القبيلة، حيث للأبوة في هذا النظام مقام جليل وشأن ذو خطر ذلك لأن القبيلة في أصلها لا تعدو أن تكون فروعا تكاثرت من جذر واحد هو الأب الذي تنتمي إليه، ثم بمضي الزمن تنمو الفروع فيغدو كل منها قبيلة مستقلة، وطبيعة هذا النظام تجعل شيخ القبيلة -الذي هو في الواقع أبوها الكبير- ملكا غير متوج، كما كان تكريم الآباء تقليدا متبعا، فالعرب يبدأون تاريخهم الديني بقصة جدهم الذبيح الذي كاد أن يجود بالحياة طاعة لأبيه وتجنبيا له من ذنب عصيان الخالق ثم يختمون تاريخهم الديني في الجاهلية بقصة بني عبدالمطلب الذين ما ترددوا في طاعته يوم أخبرهم بنذره ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة لو بلغوا عشرة، بل لبوا طائعين ومضوا يحملون قدرهم إلى الكعبة حيث وقفوا هنالك بجانب أبيهم الشيخ ينتظرون أيهم يكون الذبيح (١).

ونظام القبيلة الذي جعل للأبوة مثل تلك المكانة في الجاهلية هو نفسه الذي جعل العرب يتعلقون بالبنين ويحرصون على الإنجاب ويباهون بكثرة الولد؛ إذ كانت القوة والكثرة هما مناط العزة والمنعة وقوام الحياة في مجتمع كهذا يقوم على التنافس بين القبائل والتزاحم على موارد العيش، ومع تعلقهم بالبنين كرهوا أن تولد لهم أنثى، وهي كراهة تتمثل في صور شتى أهونها الغيظ المكبوت أو المعلن وأقساها الوأد (٢)، وليس هناك دليل على كراهية بعض من العرب الجاهليين للبنات أكثر من قوله تعالى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (النحل: ٥٨-٥٩). وقد بالغ بعض العرب في بغضهم للبنات عند ولادتهن إلى حد الوأد، وهو أن يحفر للمولودة حفرة ثم يضع ابنته فيها ويهيل عليها التراب فيدفنها حية، وقد اختلف الباحثون في توضيح أسباب الوأد، فأرجع بعضهم سبب الوأد إلى شعور العربي في الجاهلية بالغيرة والخوف من العار الذي تجلبه بناته إذا كبرن وتعرضن للسبي (٣)، كما ورد في القرآن الكريم أن بعضهم كان يئد بناته خشية الفقر والإملاق، قال تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ (الإسراء: ٣١)، ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ (الأنعام: ١٥١)، ويرى المفسرون أن تقديم رزق الآباء على الأبناء في الآية الثانية يتضمن توقع الفقر والخوف منه، والآية يقصد بها الآباء الأغنياء، أما تقديم رزق الأبناء على الآباء في الآية الأولى فيشير إلى حدوث فقر والمقصود بأولئك الآباء الفقراء منهم بالفعل (٤).

كما أرجع بعض الباحثين سبب الوأد إلى صفات في الموءودة كأن يتشاءم منها أهلها، فكان بعضهم يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء (٥).

وأرجع بعض الباحثين ذلك إلى عوامل اجتماعية، منها ما له علاقة بصحة الطفل إذا ولد ضعيفا أو مشوها وإذا أصيب بمرض لا يرجى منه الشفاء بحيث يصبح عالة على أهله ومنها ما له علاقة بكثرة عدد البنات (٦)، ويرى البعض أنها بقية متخلفة من عبادة قديمة قدمت فيها الإناث قرابين إلى الآلهة على نحو ما عرف عن مصر قبل الإسلام من تقديم عروس للنيل ضحية وقربانا، ولعل هذا هو ما يشير إليه القرآن الكريم في آيات عدة شنع فيها على القوم بسبب أنهم يجعلون لله البنات ويستأثرون بالبنين ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (النحل: ٥٧)، ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ (الطور: ٣٩) (٧).

وكان الوأد لأسباب دينية عند اليونان والرومان وشعوب أخرى كالهنود والصينيين والأفارقة (٨).

وقد أدى بغض البنات في العصر الجاهلي إلى تغلغل هذا السلوك المشين في نفوس بعض العرب حتى من لم يئد، فكان الحزن يملأ قلبه، وليس بغريب في هذا العصر حال العربي الجاهلي الذي

• باحث تراثي

ولد له سبع بنات ومن خوفه من بنت ثامنة طاف بالكعبة وقبلها الأوثان وهو ينشد:

يا رب حسبي من بنات حسبي
شيبن رأسي وأكلن كسبي
إن زدتني أخرى خلعت قلبي
وزدتني هما يدق صلبي

ومن مأثور قولهم لمن رزق بأنثى «أمنكم الله عارها وكفاكم مؤنتها وصاهرتم القبر» فكانوا يئدونهن إشفاقا عليهن، وحمية لهن من أن يتبذلهن اللئام، وكان من تحوّب من قتل البنات لرقة ومحبة، كان موتهن أحب إليه، وآثر عنده.

قال عقيل بن عُلّفة لما خُطبت ابنته الجرباء:

لكل أبى بنت يرجى بقاؤها
ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها
وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال آخر:

إني وإن سيق إلي المهر
ألف وعبدان وذود عشر
أحب أمهاري إلي القبر

كما شاع فيهم القول المأثور «دفن البنات من المكرمات»، ولعل تدني قيمة البنت (الأنثى) في زمن العرب الأول لا تدلل عنه حجة أقوى من القرآن الكريم الذي وصف الأعرابي وهو يتوارى عن وجوه القوم وكأن عارا نزل به أن زوجته أنجبت أنثى، حتى إن أحد الأعراب أنشد قصيدة يفخر فيها بوأده ابنته ومطلعها:

سميتها إذ ولدت تموت
والقبر نزل طيب وبيت

الإسلام نظر إلى البنت نظرة عميقة فجعل القيام عليها كالجهاد في سبيل الله

ومع ذلك نرى أن وأد البنات في الجاهلية على كثرة ما جاء من أخباره عمل فردي رفضه أولو الألباب وحقروا مقترفيه، ولكن الحديث والإفاضة التي تحدث بها البعض عن وأد البنات في العصر الجاهلي تجعلنا نعجب! إذ كيف جاءت كل هذه القبائل، وكل هؤلاء الأفراد الذين نسمع عنهم في هذا التاريخ وهذا العصر؟! (٩).

فقد كان كثير من العرب يعطفون على بناتهم ويدللونهن، ولعل ذلك يرجع إلى ضعفهن وحنوهن على آبائهن، يذكر أبوالفرج الأصفهاني أن معن بن أوس الشاعر كان مئناثا (يولد له البنات فقط) وكانت له ثلاث بنات يؤثرهن ويحسن صحبتهن وكان يرى البنات أكثر وفاء للآباء من الصبيان فيقول:

رأيت رجالا يكرهون بناتهم
وفيهن لا يكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى
عوائد لا يمللنه ونوائح (١٠)

وهذا لبيد يشفق على ابنتيه أن تحزنا عليه بعد موته فتخمشا الوجه وتحلقا الشعر فينصحهما بعدم التمادي في الحزن فيقول:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
وفي ابن نزار أسوة إن جزعتما
وإن تسألاهم تخبرا منهم الخبر
فإن حان يوم أن يموت أبوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا خليله
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر(١١).

وكما أسلفنا فإن هناك من الجاهليين من عطف على البنات وأحبهن، كما في قول شاعرهم حطان ابن المعلى:

لولا بنيات كزغب القطا
رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع
في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض

لذا فمن الإنصاف للتاريخ والأدب الجاهلي أن نسجل له حب كثير من الآباء العرب لبناتهم حبا صادقا عبر عنه امرؤ القيس الذي يصور لنا في بعض أشعاره كيف كانت البنات مدللات في صغرهن ولهن ما لهن من الملابس الجميلة



واللعب والعرائس الطريفة الكثيرة بقوله:

وهي إذ ذاك عليها مئزر
ولها بيت جوار من لعب

وفي تاريخ العرب الجاهلي وجد أناس كانوا يسعون إلى منع الوأد وذلك بشراء الموءودة مثل صعصعة بن ناحية المجاشعي جد الفرزدق الشاعر الذي أنقذ ثمانين ومائتي موءوده اشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل (١٢).

وكذلك حدثوا أن زيد بن عمر بن نفيل كان إذا سمع بفقير هم بوأد ابنته مضى إليه فقال: «لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها» فإذا كبرت عاد بها إلى أبيها فراجعه في أمرها وخيره بين استردادها أو بقائها حيث هي في كنف الذي استحياها.

قال ابن إسحق في السيرة «حدثت أن سعيد بن زيد بن عمرو وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله ﷺ أنستغفر لزيد؟ قال: نعم، فإنه يبعث أمة وحده» (١٣).

ومن مظاهر إعزاز الآباء لبناتهم في الجاهلية رغم أخبار الوأد المنتشرة وكراهة البنت أن كان بعضهم يكنى بأسماء بناته فكان ربيعة بن رباح والد زهير الشاعر يكنى بأبي سلمى (١٤).

والنابغة الذبياني كان يكنى بأبي أمامة (١٥)، وحاتم الطائي بأبي سفانة، ومن ذلك أن رجلا يدعى أبا حمزة الضبي وضعت زوجته أنثى فهجرها وأخذ يبيت عند جيرانه فمر بخبائها يوما فسمعها تقول لابنتها:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

فأسف الرجل عند سماع ذلك وأقبل إلى زوجته وصالحها بأن قبل رأس امرأته وابنتها وقال: «ظلمتكما ورب الكعبة» (١٦).

وكثير من عرب الجاهلية لم يكن يرجو لابنته إلا أن تنمو فتصير جارية حسناء طيبة الريح عذبة الفم كريمة النفس والخلق ترضي زوجها، قال أحدهم وهو يرقص ابنته:

كريمة يحبها أبوها
مليحة العينين عذب فوها
لا تحسن السب وان سبوها

وقال عربي آخر في ابنته:

بنيتي ريحانة أشمها
فديت بنتي وفدتني أمها (١٧)

وبعد أن رأينا موقف الجاهلية السلبي القبيح من البنت، ورأينا أيضا أنه رغم هذه الجاهلية العربية فإنه كان هناك الكثير من أولي الألباب الذين رفضوا ذلك وحقروا مقترفيه، فإنه يجب أن نرى كيف غير الإسلام هذه المفاهيم واعتبرها ضيق أفق وادعاء وتطاولا على الخالق الأعظم واهب النعم.

صورة البنات في التراث الإسلامي

إن الدين الإسلامي جاء بما يصلح حياة الناس ومناهجهم ويدل كذلك على نقاء فطرة وسريرة العربي التي تعود سريعة إلى الحق، إن هي دلت على طريقة، ولسنا هنا في حاجة إلى عد الحقوق الإنسانية والشرعية والمادية التي حماها الإسلام للمرأة أو بيان المنزلة الكريمة التي وضعها فيها، لأن الحديث عن عناية الإسلام بالمرأة وإنزالها مكانتها التي تليق بها حديث لا ينتهي أبدا (١٨).

فالإسلام قد احتفى بالمرأة وحمى مواقعها في كل أدوار حياتها، وما يهمنا هنا هو احتفاؤه بها وهي في بداية حياتها وهي «ابنة» فعاب وحرم الوأد للبنات في قوله تعالى: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ (الأنعام: ١٣).

والقرآن الكريم دستور الإسلام في خبرته الفذة بطبيعة البشر وتقديره الحكيم لما تخضع له من شتى المؤثرات، لم يرج من القوم أول الأمر أن يقهروا في مشاعرهم نوازع الوراثة العاطفية، لكنه كذلك في تساميه بالإنسانية لم ييأس من رياضة المسلمين على الرضا بالبنات وحمايتهن من أثر الظلم والكراهية، فتتابعت آياته الكريمة حاثة على اتقاء الله فيهن، حاضة على إنصافهن ومساواتهن بالبنين قدر ما تحتمل الطبائع والأوضاع (١٩). ﴿وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت﴾ (الكوثر: ٨-٩)، ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ (الإسراء: ٣١)، ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ (الأنعام: ١٥١). ونظر الإسلام إلى البنت نظرة كبيرة عميقة فجعل القيام عليها كالجهاد في سبيل الله، حيث جعل البنت الطاهرة جهاد أبيها وأمها في الدنيا والفوز به يكون بأسباب الصبر والإيمان - فالبنت هي أم ودار، وأبواها فيما يكابدان من إحسان تربيتها وتأديبها وحياطتها والصبر عليها واليقظة لها، كأنهما يحملان الأحجار على ظهريهما حجرا حجرا ليبنيا تلك الدار، فليس ينبغي أن ينظر الأب إلى بنته إلا على أنها بنته ثم أم أولادها ثم أم أحفاده فهي بذلك أكبر من نفسها، وحقها عليه أكبر من الحق، فيه حرمتها وحرمة الإنسانية معا، والأب في ذلك يقرض الله إحسانا وحنانا ورحمة، فحق على الله أن يوفيه من مثلها وأن يضعف له... والبنت ترى نفسها في بيت أهلها ضعيفة كالمنقطعة وكالعالة، وليس لها إلا الله ورحمة أبويها، فإن رحماها وأكرماها

فوق الرحمة وسراها فوق الكرامة وقاما بحق تأديبها وتفقيهها في الدين وحفظا نفسها طاهرة كريمة مسرورة مؤدبة فقد وضعا بين يدي الله عملا كاملا من أعمالهما الصالحة، كما وضعاه بين يدي الإنسانية، فإذا صارا إلى الله كان حقا لهما أن يجدا في الآخرة يمينا وشمالا يذهبان بينهما إلى عفو الله وكرمه. وكما قال رسول الله ﷺ : «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (٢٠).

صورة البنات في السنة المطهرة

ثم كانت السنة النبوية الكريمة توضح مكانة البنت وعظم فضلها وفضل تربيتها، فهذا رسول الله ﷺ يرسخ ذلك في أذهان المسلمين قولا وعملا، ومن ذلك أن قيس بن عاصم المنقري كان يتحدث بين يد النبي ﷺ عن ضحاياه من الموءودات وأنه ذهب باثنتي عشرة منهن، فقال عليه الصلاة والسلام «من لا يرحم لا يرحم» وأمره أن يعتق بكل واحدة جارية مؤمنة (٢١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: جاءتني امرأة معها ابنتاها تسألني، فلم أجد غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار» (رواه البخاري) وقال ﷺ عن ابنته فاطمة رضي الله عنها «فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها» (صحيح البخاري) وحدث البخاري عن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها. بل وأكثر من ذلك، حيث ذكر رسول الله ﷺ أن البنات يكن سببا في إدخال الوالد الجنة بإذن الله تعالى وذلك لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يكون لأحدكم ثلاث بنات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة» وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ «من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار» (رواه الترمذي) «

الرسول القدوة

لم ير أكرم من النبي ﷺ في معاملة بناته والترفق بهن والانتصاف لهن والإشفاق عليهن، ولا نعلم أحدا ممن عاصروه وحاربوه وناصبوه العداء قد مس حبه الغامر لبناته، فقد كان الرسول ﷺ دائم الإعلان عن حبه لبناته وبنات المسلمين فهو أب لأربع بنات قد كانت معاملة النبي ﷺ للإناث، خاصة على قرب العهد بالجاهلية، فوق الذي طمعن فيه من عزة وكرامة ومروءة، وما من ريب في أن البيئة كانت محتاجة إلى هذا المثل الصالح والقدوة الطيبة في شخص الرسول الكريم ﷺ لتقاوم ما ألفته في معاملة البنات، فلقد كان عليه الصلاة والسلام يفرح بلقاء ابنته فاطمة ويسر برؤيتها ويهش للقائها كما كان يسر برؤية أولادها ويرحب بمقدم زوجها علي بن أبي طالب وكان يعتبرها بضعة منه وفيها يقول: حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» (صححه الترمذي) وليس أدل على حب رسول الله لابنته من أنها كانت تدعى بأجمل وأرق كنية عرفتها لغات العالم وأدلها على هذا الحب، فقد كانت تدعى: أم أبيها، فلا غرو إذن أن يقول ابن جريج «قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه»

وعلى هديه ﷺ سار الصحابة والتابعون والمسلمون، فكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهادا لحاجتهن إليه وشغله بهن والعناية بتربيتهن.

ثم أصبح العرب في ظل الإسلام يقولون: من يمن المرأة أن تلد الأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث. حيث يقول تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (الشورى: ٤٩) ورأوا البنات نسمات عليلة يخففن وهج الحياة في صغرهن، وهن الحانيات في الكبر، المستجيبات لكل همسة، المطيعات لكل إشارة، وهن بلطفهن وطيب نفوسهن تفاحة القلب، كما قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن ابنته عائشة (٢٤).

الهوامش

١- د.بنت الشاطئ، بنات النبي ﷺ الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص ١٦.
٢- المصدر السابق، ص ٢٨.
٣- د.السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، ص ٢١٢.
٤- ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، الجزء الثاني، ص ١٨٨.
٥- محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار المعارف، مصر، الجزء الثالث، ص ٤٣.
٦- د.أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ١٦١.
٧- د.بنت الشاطئ، مصدر سابق، ص ٣١.
٨- د.سيد عبدالعزيز سالم، مصدر سابق، ص ٣٩٩.
٩- الشيخ محمد الغزالي، قضايا المرأة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩ ص ٦٢.
١٠- أبوالفرج الأصفهاني، الأغاني، الجزء العاشر، ص ٣٤٧.
١١- المصدر السابق ص ٢٨٨.
١٢- النويري، نهاية الأرب، ج٣ ص ١٣٧.
١٣- د.بنت الشاطئ، مصدر سابق، ص ٣٢.
١٤- الأغاني، ج٩ ص ٢٩٤.
١٥- الأغاني، ج٩ ص ٣٢٩.
١٦- الجاحظ، البيان والتبيين، ج١ ص ١٦٣.
١٧- صالح بن إبراهيم الحسن، إليك يا إبراهيم في مهدك المجلة العربية رجب ١٤٢١ ص ٥٩.
١٨- الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، المرأة كيف عاملها الإسلام، كتيب المجلة العربية، ٤٠ص ١٧.
١٩- د.بنت الشاطئ، مصدر سابق، ص ٤٣.
٢٠ - مصطفى صادق الرافعي، من وحي القلم، الجزء الأول، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ص ٩٦.
٢١- الشيخ حسن آل الشيخ، مصدر سابق ص ١٨.
٢٢- صالح بن إبراهيم الحسن، مصدر سابق، ص ٥٩.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

البناء القيمي



تعتبر القيم المحرك الأساسي للأفكار والأقوال والسلوكات في المجتمع، وأساس المحافظة على البقاء والنمو والتطور، والتاريخ يؤكد أنه ما نهضت أمة من الأمم إلا على قاعدة ثابتة من التمسك والالتزام بقيمها الأصيلة.

فمجتمعاتنا اليوم تعيش حالة من الفراغ القيمي والفقر الأخلاقي نتيجة ضعف الأطروحات الجدية في التنمية الإنسانية والمجتمعية، فصارت تعاني من مشاكل وصراعات لا حصر لها حتى تذيلت الركب وابتعدت عن الصراط المستقيم.

ولعل غياب المفهوم القيمي للأخلاق، بمعناه الإنساني والإسلامي، عن دائرة حياتنا أسهم في تأجيج الخلافات والصراعات والمفاهيم المغلوطة، وباتت أغلب مجتمعاتنا مرتعًا للفساد والإفساد، وتناست دورها العالمي في إرشاد البشرية إلى الخير والصلاح.

ولاشك أن انعدام القيم يشكل حقيقة واقعية، حيث تبدلت المفاهيم الإنسانية- خاصة الإسلامية- من التعاون إلى التصارع والتدافع، ومن الترابط إلى الإقصاء والمغالبة، ومن احترام الآخر والمحافظة على خصوصيته إلى العمل على تذويبه وتسطيحه.

كذلك اختفت القواسم المشتركة بين المجتمعات، وظهرت مداخل الاختلاف التي تنهي أي عملية إصلاح حقيقية، وتكشف طبيعة الأمراض الخبيثة التي تنخر في المجتمعات وتسعى إلى إشباع الشهوات لا العقول والأرواح.

فسلوكات المسلمين تعكس هذه الرؤى بمفاهيمها ومعانيها الشاملة، فترى الأخلاقيات منعدمة، والشهوات متأججة، والعقول فارغة، والأرواح خاوية، والمبادئ منتهية، والقيم حيوانية، والقلوب متقلبة.. فلماذا لا نحيي القيم في قلوبنا ونترك القشور العقيمة؟ ولماذا نتفرغ للمهاترات والصراعات والمساجلات بدلاً من التفرغ للعمل الدءوب؟

وما تفرزه مجتمعاتنا في الوقت الراهن نتيجة عمليات التنشئة الاجتماعية السلبية، والخواء القيمي وسيادة مفاهيم خاطئة مثل التعميم والأحكام المسبقة، والتحزب والتعصب، وضيق الأفق، والعنصرية، وغيرها من الثقافات الشيطانية ما هو إلا نتيجة تضييع مرجعيتنا، والعبث بقيمنا الأصيلة.

وكثير من أتباع هذا الدين العظيم يتغنون بالأمجاد والتاريخ والشعارات ويتناسون أن النهضة لن تتحقق أبدًا إلا بالعبودية الحقة لله والوعي العملي بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية.

إن عدم استغلالنا للغات القيمية، وتقوقعنا في ثقافات التبعية الفجة أفقدنا الريادة التي نطمح إليها، فأين نحن اليوم من الإتقان والجودة والأمانة والعمل والإبداع والنظافة والشجاعة الأدبية؟

إن أمتنا في حاجة ماسة إلى إعادة بناء الصرح القيمي في قلوب وعقول الأجيال القادمة من أجل عملية تنموية مستدامة لا تنظر للقشور والتوافه والمثبطات لأنها تعلم جيدًا أن طريقها مرسوم بعناية الهية، فكلما اتسع وقوي البناء القيمي في نفس الإنسان كلما نمت مشاعره ومفاهيمه وأعماله وإنجازاته واعتلى أعلى المراتب المجتمعية.

والمشروع النهضوي في سلم أولوياتنا لابد أن يتمحور حول البناء القيمي في مراحل التربية والتعليم المختلفة من أجل إيجاد مبادئ حضارية قادرة على قيادة النفوس والعقول نحو الخير والسلام والأمن والاستقرار. والله ولي التوفيق.

معلبات نقدية

دأب كثير من النقاد على طرح الأحكام النقدية المعلبة في جنبات الساحة النقدية، متغافلين حقيقة تعد ذروة سنام ما يمكن أن يوصف به العمل الأدبي، وهي مغايرته لنظرائه من الأعمال الأخرى، فما يصح أن يحكم به على عمل ليس بالضرورة بالغًا المبلغ نفسه من غيره من الأعمال، ولا يعد هذا تصديقًا ولا تكذيبًا للحكم ، بل إن مرجعية ذلك تعود إلى طبيعة النص وملابساته وأجوائه.

ومن تلك المعلبات النقدية العيب على من تكررت لديه جملة أو لفظة أو حتى مشتقات جذر لغوي واحد، ولعل من الأمثلة الشهيرة على ذلك ما عابه النقاد على الشاعر جرير من تكرار مادة «وزن» في بيته الذي يقول فيه:

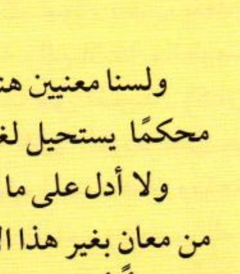
ولو وُزنتْ حلومُ بني نمير   على الميزان ما وزنت ذبابًا

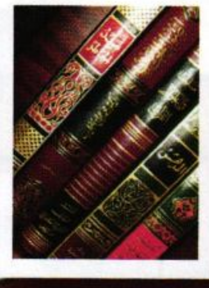
ولسنا معنيين هنا بمناقشة هذا الحَكم، ، إنما تعنينا الإشارة إلى أن التكرار ليس على الدوام عيبًا، بل إنه قد يوظف توظيفًا محكمًا يستحيل لغيره من الأساليب إيصال ما يؤديه من معنى، والإيحاء بما يحمله من دلالة.

ولا أدل على ما نقول مما نراه في كتاب الله سبحانه وتعالى، ، فكيف كان من الممكن أن يصل ما تحمله سورة «الكافرون» من معان بغير هذا الإحكام في الأسلوب الذي يقوم في الأساس على التكرار؟.

ثم أرأيت ما في قول الله سبحانه وتعالى ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلًا ولن تجد لسنة الله تحويلًا﴾ من بلاغة وبيان، وما بين الآية والتعبير بـ «فلن تجد لسنة الله تبديلًا ولا تحويلًا» من فروق شاسعة ليس ثَمَّ مجال لبسطها؟ ومثل ذلك يقال في قوله تعالى ﴿والله أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلًا﴾

عامر أحمد عامر



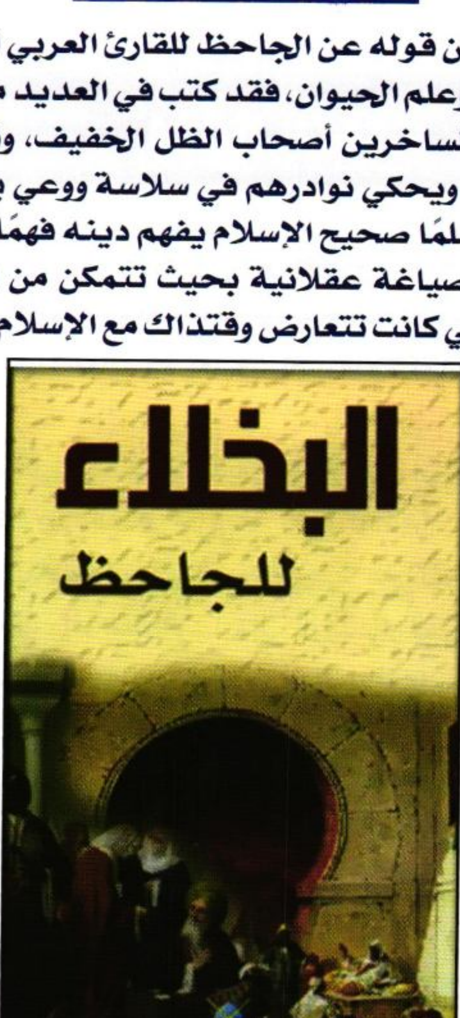


الجاحظ والعقلانية الإسلامية

أ.د. أمان عبدالمؤمن قحيف *

يتصور كاتب السطور أن خير ما يمكن قوله عن الجاحظ للقارئ العربي المعاصر هو أن الرجل كان مفكرًا وأديبًا وباحثًا في الإسلاميات والاجتماعيات وعلم الحيوان، فقد كتب في العديد من التخصصات التي تؤكد موسوعيته وسعة أفقه المعرفي، وكان من الكتاب الساخرين أصحاب الظل الخفيف، وناقدًا اجتماعيًا يمتلك حاسة نقدية متميزة جعلته يلتقط صفات البخلاء ويحكي نوادرهم في سلاسة ووعي يندر أن نقف على مثلهما في مكتبتنا العربية والإسلامية، وكان الجاحظ مسلمًا صحيح الإسلام يفهم دينه فهمًا عقلانيًا فهو سليل مدرسة «المعتزلة» التي حاولت صياغة الفكر الإسلامي صياغة عقلانية بحيث تتمكن من الرد على الملحدين والمجوس واليهود والنصارى، وغيرهم من الملل والنحل التي كانت تتعارض وقتذاك مع الإسلام.

صاحبنا هو أبوعثمان عمرو بن بحر، الملقب بالجاحظ لبروز عينيه من حدقتيهما، ولد في البصرة نحو عام (١٥٩هـ - ٧٧٥م)، وتوفي بها أيضا عام (٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م)، فقد والده وهو في عمر الطفولة، الأمر الذي جعله يتعيش من كسب يده، فلم يكن له من يوفر له لقمة العيش أو يعوله في متطلبات حياته، لذا ذهب يبيع الخبز والسمك بالبصرة، غير أن هذه الظروف القاسية على من هو في مثل سنه لم تمنعه من الذهاب إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم مع أولاد القصابين، مما يكشف لنا عن حبه الشديد للعلم والتعلم منذ سنوات حياته الأولى.



كانت البصرة وقتذاك من أكبر حواضر العلم والأدب والثقافة بعد بغداد، تعج بالأدباء والنحويين وأهل اللغة والثقافة والفكر، فكان من الطبيعي أن يحرص الجاحظ - وهو صاحب العقلية المتطلعة إلى العلم والمعرفة - على مجالسة هؤلاء العلماء والأخذ عنهم كل ما يمكنه تعلمه وفهمه واستيعابه، وخالط المسجديين - قوم كان يطول مكثهم بالمسجد ويشتغلون بالدراسات الدينية والأدبية فعرفوا بهذا الاسم - وأخذ عنهم الكثير من أوجه العلم والمعرفة والأدب والثقافة، ولقد أسعفه ذكاؤه المتوقد وقدرته على الفهم والاستيعاب في تحصيل ما يعز على الكثيرين من أمثاله استيعابه في مثل تلك الظروف والأحوال.

ولما اشتد عوده ذهب يتعلم شيئًا من الخطابة والبلاغة والشعر على خطباء العرب في المربد، وكان - في نفس الوقت - كثير التردد على حوانيت الوراقين، يقرأ عندهم، ويتعلم في تواضع شديد للعلم، ويقضي الساعات الطوال قارئًا ومدققًا لدرجة أنه كان يبيت بعض الليالي داخل تلك الحوانيت لأن النوم كثيرًا ما كان يغلب عليه وهو مستغرق في القراءة والاطلاع.

بعد ذلك أراد الجاحظ أن يوسع من مداركه ويعمق من أفكاره فقصد بغداد، وهناك اتجه إلى كبار علماء الدين والأدب، الذين أشعروه من خلال علمهم الغزير أن ما تلقاه سابقًا من علم ومعرفة لا يمثل إلا البدايات المعرفية وأوليات العلوم، من ثم فقد أكثر من التردد على ابن وهب وابن الزيات فأخذ عنهما ما لم يجده عند الشعراء والأدباء

* باحث أكاديمي



من أهل البصرة.

وهكذا انطلق الجاحظ يحصل العلوم والمعارف فاتسعت معارفه، وتنامت مداركه، وتكونت رؤاه الفكرية في الكثير من الموضوعات والمسائل المهمة في الأدب والثقافة والدين، وبدأ يخط بقلمه بعض الكتب والدراسات التي نجح في كتابتها وتأليفها، غير أنه احتال في تقديم مؤلفاته للناس في أول الأمر، حيث كان يكتب الكتب والمؤلفات وينسبها إلى «ابن المقفع» «سهل بن هارون» حتى تسير ويقبل الناس عليها لأن اسمه لم يكن معروفًا بين المؤلفين ولم يكن من الكتّاب الذين يتجه القارئ وقتذاك إلى متابعة إنتاجهم أو الاهتمام بأفكارهم.

ونشير إلى أن الجاحظ لم يكن بدعًا في ذلك، فهناك العديد من الكتاب والباحثين الذين مارسوا هذا الفعل في بداية حياتهم، ويضيق المجال بنا عن الإشارة إليهم لكثرتهم ولشهرتهم في تاريخنا الثقافي والأدبي.

وما هي إلا سنوات عدة حتى ظهرت موهبة الجاحظ واشتهر بين الباحثين وتكونت له رؤية فكرية، فكتب في هذه الفترة العديد من المؤلفات التي يعد «كتاب الإمامة» من أشهرها وأهمها، وحدث أن المأمون قرأ هذا الكتاب وأعجب بأسلوبه وبمهارة مصنفه وقدرته على التحليل والتعليل والنقد والمقارنة، فطلب استقدام الجاحظ إليه وسأله أن يكتب له رسالة في العباسية والاحتجاج لها.

ولما أعجب المأمون بكتابات الجاحظ وبإمكاناته العقلية أسند إليه ديوان «الرسائل»، وتلك مكانة لا يتبوأها إلا من اتصف بالوقار والنبوغ والحنكة والوفرة المعرفية في العديد من المجالات الأدبية والعلمية والسياسية، غير أن صاحبنا لم يمكث في هذا الموقع سوى ثلاثة أيام ترك بعدها المكان والوظيفة الرفيعة المقام طلبًا للحرية الذهنية والانطلاقات العقلية ورفضًا للدخول في الصراعات التي تنشب بين كبار الموظفين والعاملين في المناصب العليا والدواوين.

دافع الجاحظ عن الإسلام بضراوة ضد الزنادقة والمجوسية

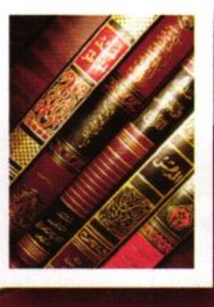
وبعد تركه لديوان الخليفة توطدت عرى الصلة بينه وبين محمد بن عبدالملك، وشهرته ابن الزيات- الذي كان يعمل وزيرًا في عهد المعتصم ثم الواثق من بعده، ومعلوم أن ابن الزيات هذا كان من المهتمين بالأدب والثقافة، وكان محبًا للمبدعين والكتاب لأنه كان منهم وله مؤلفات عدة، لذلك أهداه الجاحظ كتاب «الحيوان»، فمنحه الوزير خمسة آلاف دينار كهدية ومكافأة له وتقديرًا لفكره ومجهوده العلمي، بعدها أكثر الجاحظ من السفر إلى دمشق وانطاكية وربما جاء إلى مصر.

ولقد هرب الجاحظ سنة ٨٤٧ م عندما قُتل ابن الزيات لأن الخليفة كان يعرف العلاقة التي كانت تربط بين الجاحظ وابن الزيات، ولأن المتوكل كان لا يحب المعتزلة والحرية الفكرية، وذلك هو الاتجاه الذي كان الجاحظ ينتمي إليه ويعتنقه، غير أن الجاحظ نجح بعد ذلك في إقامة علاقة جيدة مع ابن أبي دؤاد الذي يبدو أنه لم يكن حسن الصلة بابن الزيات، ولقد ورد أن الجاحظ قدَّم كتاب «البيان والتبيين» لابن أبي دؤاد فمنحه الأخير خمسة آلاف دينار.

وتوطدت عرى المحبة بين الجاحظ والفتح بن خاقان وزير المتوكل، وقدم له كتاب «مناقب الترك وعامة جند الخلافة»، واستمرت بينهما المراسلة والمودة، وكان الفتح يثني على الجاحظ كثيرًا عند المتوكل، وأخذ له العديد من الجوائز والمنح من المتوكل الذي لم يسمح بتقرب الجاحظ منه.

وتعد كتب الجاحظ من أثمن الكتب والمؤلفات التي توجد في المكتبة العربية والإسلامية لما فيها من علم غزير، وجهد وفير، وثقافة عميقة، ومحاجة عن الدين ضد خصومه من الزنادقة والملحدين.

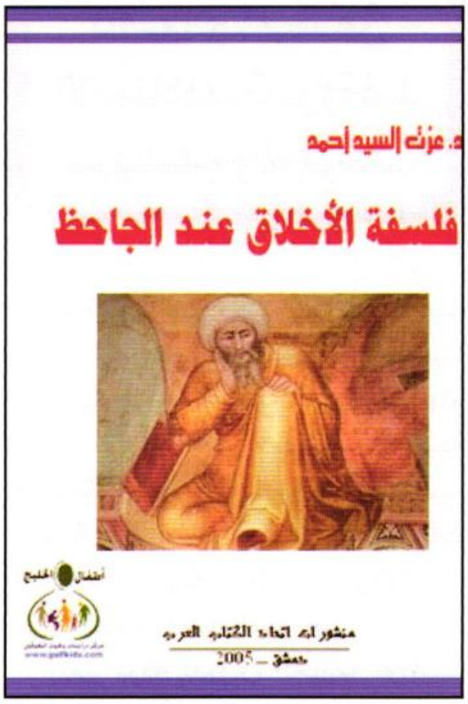
ولقد لاقت دروس الجاحظ ومحاضراته قبولًا شديدًا، لذا ألقى الكثير من الدروس في مختلف المناطق من العالم العربي، وتتلمذ عليه العديد من الدارسين المسلمين من بلاد العرب والبلاد الإسلامية الأخرى، ويرجع الفضل في ذلك إلى جرأته في وضع الأمور في وضعها الصحيح مع رفضه للتقاليد البالية التي تتعارض مع العقل والقيم النبيلة، وإلى اتساع آفاق المعرفة لكثرة اطلاعه على الكتب المترجمة عن الفارسية واليونانية والهندية خلاف حصاده الكبير من الثقافة العربية الإسلامية، يضاف إلى هذا كله أسلوبه الساحر الذي يذهب الملل لحب النفس له وارتياحه إليه في كثير من الأحيان.



ويعد الجاحظ من أكثر الأدباء تأثيرًا في الأجيال التي جاءت من بعده، وتعد مؤلفاته من أثمن المؤلفات فكرًا وأرفعها ثقافة في عالمنا العربي والإسلامي، حتى إن ابن خلدون قد أشار إلى قيمة كتاب «البيان والتبيين» عندما ذكر أنه سمع من شيوخه «أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي» المقدمة ٥٥٣ طبعة بيروت.

ولقد كان للجاحظ عظيم الأثر فيمن جاء بعده من الأدباء، والدليل على ذلك أن هناك من المؤلفين من التزم منهجه في الكتابة والتبويب، فحفلت كتبهم بالعديد من الموضوعات والقضايا مثلما كان يفعل الجاحظ وهذا واضح في كتاب «الكامل»لابن قتيبة، و«العقد الفريد» لابن عبدربه، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري، وهناك من يرجح أن رسالة «التربيع والتدوير» للجاحظ تعد من أسباب ظهور فن المقامات في الأدب العربي (راجع في ذلك الأب حنا الفاخوري، الجاحظ، ص ٤٩).

وإذا كنا قد ألمحنا إلى جهود الجاحظ في خدمة الدين الإسلامي فإن من الأحرى الإشارة إلى أن فيلسوفنا قد ناقش أفكار الزنادقة في زمانه وحاور أفكارهم وأثبت بطلانها واضمحلال محتواها الفكري، ومن أراد المزيد فعليه تقليب صفحات الجزء الرابع من كتاب «الحيوان»، فسيجد فيه الكثير من مناقشة الزنادقة ودحض أفكارهم، أيضًا ناقش الجاحظ أفكار المانوية- أتباع ماني وتلامذته- وتحدث عن جهل هؤلاء القوم، وكشف النقاب عن ضحالة أفكارهم وسطحيتها وهشاشتها، وكان المجوس أيضًا ممن جادلهم الجاحظ وحاور أفكارهم وتصوراتهم ورؤاهم، الفكرية والفلسفية، وسفه فكرتهم الزائفة والمضللة عن الرسول محمد ﷺ، وأكد تهافت رؤاهم وأقوالهم، مبينًا أن مثل تلك التصورات لا تستطيع الصمود أمام النقد المنطقي أو أسس التفكير السليم.



ولم تقتصر جهود الجاحظ في مجال الفكر الديني على مناقشة الزنادقة والمانوية والمجوسية وغيرهم من الفرق الضالة المضلة، بل إن الرجل كتب في براهين نبوة محمد ﷺ، وكتب كتابًا رائعًا أسماه «الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير»، وهو كتاب يعتمد على التأمل والتدبر، وفيه ومن خلاله يبرهن الجاحظ على وجود الخالق الأعظم والمدبر الأعلى والأكبر للكون الذي نعيش فيه ونتحرك في نطاقه، والكتاب مليء بالتأملات في حكمة الخلق والتدبير، ويطيب لنا أن ننقل عنه هنا لفتة طيبة عن خلق الله تعالى للنار، حيث يقول في صفحة (١٣) من الكتاب المذكور: «فتأمل حكمة الباري في التدبير في خلق النار على ما هي عليه فإنه لم يكن يصلح أن تكون مبثوثة كالنسيم والماء، إذ كانت تحرق العالم بما فيه، ولم يكن بد من ظهورها في الأحايين لعنايتها في كثير من المصالح، فجعلت كالمخزونة في الأجسام الحافظة لها تستبعث عند الحاجة إليها، فتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها ثم تخبو فلا هي تمسك أبدًا بالمادة والحطب فتعظم المؤنة في ذلك، ولا هي تظهر مبثوثة في العالم فتحرق كل ما هي عليه، بل هي على هيئة وتقدير اجتمع فيه الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها».

هكذا يستمر الكتاب في سرد رائع للعديد من الملاحظات الدقيقة التي تابعها الجاحظ واكتشف فيها تدبير الله تعالى للكون على أفضل وأروع ما يكون التدبير، ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى الإشارة إلى أن العقل السليم والفكر المنظم لا يستطيع أن يفهم الكون ويتواصل معه تواصلًا سليمًا وواعيًا إلا من خلال الإيمان بوجود الله تعالى خالق الأشياء وموجدها وواجب الوجود الذي لا وجود لموجود بغير إرادته.

وطار المشعل

آدم حاتم آدم

وقف الناس في ترقب يشاهدون الموقف بفزع شديد، فقد سقط حامل المشعل أرضًا وطار الضوء إلى الأعلى، وهو مصدر النور الوحيد الذي على هداه تسير القافلة، ولو سقط أرضًا فإنه سينطفئ حتمًا، وتعود القافلة من جديد إلى الضياع.

المشعل يقترب من الأرض، وأعصاب القافلة تحترق.. صرخ أحد العجائز في شاب فتي إلى جواره: اذهب والتقطه.. قفز الشاب إلى الأعلى ومد يديه إلى الأعلى أكثر، وبأمان تام أنجزت المهمة، فلقد استقر المشعل بين يديه كأنما ما طار إلا ليقع فيها.

نزل الفتى أرضًا والتفت يبحث عن إنسان يحمل المشعل ليواصل المسير، لكنه فوجئ بأن الجميع وقفوا ينظرون إليه بأمل بالغ، ووجد أنه قد أصبح في المقدمة وأن عليه المسير.

برفق شديد.. دفعته يد من الخلف وقال صاحبها: توكل على الله، وفوجئ بأنه على إثر الخطوة التى خطاها إلى الأمام تحركت القافلة كلها إلى الأمام.. أزعجه الأمر كثيرًا، فهو يحب أن يمشي كيفما اتفق، ولا يحب أن يتقيد بطريق.. وهو يدرك الآن جيدًا أنه لم يعد يملك الخيار، فليس أمامه سوى هذا الطريق.. وابتدأ المسير.

في البداية كان مترددًا، يقدم قدمًا ثم يسحبها.. رأى الفزع في عيني أم تحمل على ذراعها طفلا صغيرًا، وكأن الخوف في عينيها يرجوه أن يحافظ على مستقبل هذا الصغير، لكنه حسم أمره.. وتحرك بثبات.

وعندما شعر بشيء من الثقة، بدأت خطواته تتسارع- فهو شاب قوي قادر على قطع الطريق بسرعة- لكنه انتبه أنه بات يبتعد عن القافلة سريعًا، فبعضهم ضعاف لا يقوى على المسير.. عندها تحامل على نفسه وسار بروية من أجل الضعفاء.

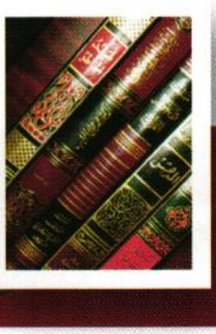
وفي أثناء المسير مرّت القافلة على مدق فرعي، وحدثته نفسه أن يستكشفه.. لكنه عدل سريعًا عن الفكرة، فالقافلة لا تستطيع أن تجرب الطريق ثم تصدم بأنه مسدود أو خاطئ، ومرة أخرى تحامل على رغبته وسار بالقافلة في الطريق.

وعلى الطريق سار يدندن مع نفسه بكلمات مما حفظ وهو صغير، لكنه فوجئ بأن دندنته صارت أنشودة تتغنى بها القافلة من ورائه، وصارت حداءً يدعوها إلى المسير، تعقد الأمر عندما وخزته شوكة في قدمه وأراد أن يصرخ.. لكنه تذكر أن صرخته قد تغدو أغنية للجمع الذي سار على آثار شعلته.. واعتصر ألمه من جديد وسار مبتسمًا لا يشكو ولا يتوجع.



ومع قوته وشدة جسده إلا أنه لاحظ أن السير بالقافلة، وتحمل تبعات الإمساك بالمشعل قد أرهقته، ومع ذلك هو لا يملك أن يرتاح ولا أن يجلس لبعض الوقت.. فالمشعل قد ينفد قبل بلوغ المدينة.. لكن آلامه تشتد- وهو لا يصرخ- وقد زادت المشقة كثيرًا- ولا يملك أن يرتاح- لكنه قرر أن يستمر في السير حتى تنفد كل قواه، وسار.. وسار الناس من خلفه، وانحنى منه الظهر، وتعبت منه الأرجل، لكنه استمر حتى شعر بأن لحظته الأخيرة قد حانت، عندها صاح بآخر رمق فيه: «أن تحمل المشعل يعني أنك لا تستطيع أن تكون كما تريد»، ثم سقط أرضًا.. وطار المشعل إلى الأعلى.. ووقفت القافلة تترقب

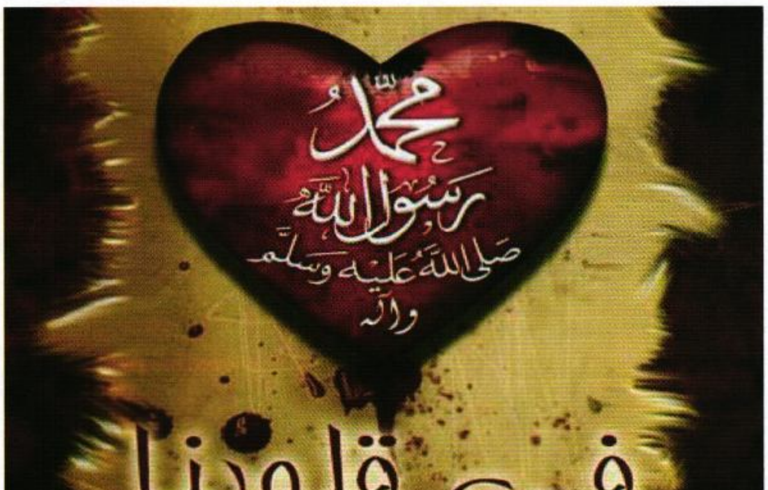
طالب بالسنة الخامسة- كلية طب الأزهر



نزار قباني في مدح الرسول ﷺ

عبدالهادي الصافي

هل يعقل أن نجد قصيدة للشاعر نزار قباني يمدح فيها الرسول ﷺ ويختم بها حياته الشعرية المليئة بذكر النساء والتغزل بهن؟! وهناك بعض الشعراء في تاريخ الأدب العربي كانت لهم بعض الوقفات الدينية، وأشعار تعبر عن وجدانهم في لحظات مراجعة النفس، تصور إحساسهم العميق بالدين، ومنهم على سبيل المثال أبونواس، الشاعر الماجن الذي امتلأ شعره بالشك والعبث والمجون، ومع ذلك نجد له أشعارًا في منتهى التدين والزهد والاعتذار عما ارتكب من معاصٍ وآثام.



هذا الشعر.. شعر الاعتذار والاستعطاف الديني نجده في شعرنا القديم، وهو شائع في الأدب العربي، وعلى رأس هؤلاء الشعراء يأتي كعب بن زهير الذي قال بعدما أهدر الرسول ﷺ دمه قصيدة رائعة يستعطفه فيها ويرجوه العفو عنه فقال يمدحه:

إن الرسول لنورٌ يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلولُ

ثم جاء البوصيري وقد هده المرض، فرأى الرسول ﷺ في منامه يلقي عليه بردته، وعندما استيقظ من منامه رأى نفسه معافى، فقال قصيدة البردة المشهورة:

أمن تذكر جيرانٍ بذي سلم
مزجت دمعًا جرى من مقلةٍ بدم

أم هَبتُ الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم

وبعد البوصيري جاء أحمد شوقي فقال في مدح الرسول ﷺ نهج البردة، جرى فيها على وزن قصيدة البوصيري وقافيتها:

ريمُ على القاع بين البانِ والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحُرمِ

ثم قال همزيته الشهيرة:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماءً ما طاولتها سماءُ

ولكن نزار قباني لم يبدأ قصيدته كما بدأها البوصيري وشوقي، عند مدحه الرسول ﷺ، في الوقوف على الأماكن الخالية والتغزل بأهلها وذكر الهوى والغرام.. لكنه بدأها على نحو مغاير وأسلوب مختلف، فما كان لنزار أن يقلد أحدًا من الشعراء قبله، لأن له منهجًا خاصًا في كتابة الشعر وطريقة معينة في ولوجه.

وبما أن نزار كان له ماض في الشعر والأدب، أراد أن يعبر عن هذا الشعور وعن الحالة التي كان عليها عندما زار المدينة، ووقف على قبر الرسول ﷺ، فأعلن أن الوصول إليه كان صعبًا والورود إلى حوض المصطفى كان عزيزًا، وأن الجميع قد وردوا المنهل العذب، وتزودوا من معين الصفو، ونالوا الرضا، وبقي

ناقد أدبي



هو مؤرقًا مطرودًا عن نبع السنى يعاني قسوة الحرمان:

عزّ الورودُ.. وطال فيك أوامُ
وأرقْتُ وحدي والأنامُ نيامُ

ولا ندري على أي حال السبب الذي منعه من زيارة الرسول ﷺ، لكنه يشير إلى ذلك إشارة واضحة في هذه الأبيات:

وردَ الجميعُ ومن سناك تزودوا
وطُردْتُ عن نبع السنى وأقاموا
ومنعتُ حتى أن أحومَ ولم أكدْ
وتقطعتْ نفسي عليك وحاموا
قصدوك وامتدحوا ودوني أغلقت
أبواب مدحك والحروف عقامُ

وليس من شرط هذا البحث أن نرصد الناحية الفنية في هذه القصيدة التي لا نعرف غيرها لنزار، وقد تفاجأت عندما أعطيت لي، وقد استخرجتها وقرأتها وأنا بين شاك ومصدق، ولكن عندما قرأتها عرفت أنها من شعر نزار الذي لايخطئه أحد. وكنت قد درست بإسهاب شعر نزار السياسي، وكانت تمر بي بعض الأبيات التي تنم عن شعور ديني غامض أو نحوه من تقدير واعتزاز بالماضي الإسلامي المجيد، وذكر للمدن والعواصم الإسلامية التي لها دور كبير في التاريخ الإسلامي، وتوظيف للشخصيات الإسلامية مثل خالد بن الوليد وصلاح الدين وطارق بن زياد، ووقوف عند المدن الإسلامية القديمة مثل القدس وغرناطة وقرطبة والحضارة الإسلامية وقصر الحمراء في الأندلس، وتحسر دائم في شعره على ضياع الأندلس والقدس والحضارة العربية الإسلامية.

قصيدة نزار في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كانت أشبه بالإعتذار عن خطاياه

والمأساة التي تعرضها هذه القصيددة هي قضية «الطرد والمنع والإغلاق» من دون وصول الشاعر إلى المدينة المنورة، واعتباره مارقًا عن الدين، خارجًا عن المِلّة، وهذه المأساة لاشك واضحة في الأبيات التي عرضتها من قبل (عز الورود- وردَ الجمعُ- طُردْتَ عن نبع السنى ومنعت حتى أن أحوم - قصدوك وامتدحوا ودوني أغلقت أبواب مدحك)، وبعدالحديث عن هذه المعاناة القاسية والتجربة المريرة التي مر بها نزار يمكن أن نتحدث عن القصيدة من خلال محاور عدة أهمها:

١- الاعتراف بالذنب والاعتذار عن الخطايا:

فالشاعر في هذا المحور يعترف بذنوبه الكثيرة التي كبلت مكانته الشعرية، وأفقدته القدرة على قول الشعر وهو الذي ملك صهوته:

وزري يكبلني ويخرسني الأسى
فيموت في طرف اللسان كلامُ
أدنو فأذكر ما جنيتُ فأنثني
خجلًا تضيق بحمليَ الأقدامُ

كان يعيش في الحضيض، وفي مستنقع الرذائل، والآن يريد أن يتخلص من آثامه وأوزاره، ويريد أن يتخلص من ماضٍ قديم غير جميل ولا مرضٍ ولكن هيهات إن المقام سام جدا لا يستطيع أن يطوله أو يصل إليه:

أمن الحضيض أريد لمسًا للذرى
جلَ المقامُ فلا يطالُ مقامُ
أرجو الوصول قليل عمري غابة
أشواكها الأوزار والآلامُ
أأعود ظمآنًا وغيري يرتوي
أيرد عن حوض النبي هيامُ
كيف الدخول إلى رحاب المصطفى
والنفس حيرى والذنوب جسامُ

٢- تصوير وقوفه أمام قبر الرسول ﷺ:

وهو في هذه الأبيات التي تصور حالة الانبهار والحيرة التي اعترته وتعتري كل من يقف أمام المقام الشريف، قد أحسن التصوير وأجاد الوصف.. وصف الحيرة والتمزق والبكاء وتدفق الإحساس والإلهام:

ودنوت مذهولًا أسيرًا لا أرى
حيران يلجمُ شعري الإحجامُ
وتمزقَتْ نفسي كطفل حائر
قد عاقه عمّنْ يحبُّ زحامُ
حتى وقفت أمام قبرك باكيًا
فتدفق الإحساسُ والإلهامُ

ولاشك أن هذا الإحساس يعتري كل واحد يزور قبر الرسول ﷺ ولا يتمالك نفسه من الذهول والحيرة ولا ينفك عن البكاء.

ومهما حاولت أن أكتب عن هذا الشعور بالتمزق وبالطفولية الحائرة أمام ناشر النور والإيمان عليه الصلاة والسلام فخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الحق واليقين، أقول مهما أحاول تصوير هذا الشعور فلن أوفق لأنه فوق

كل وصف وتصوير.

٣- تصوير المشاهد التي تتراءى أمام زائر الرسول ﷺ:

هذه المشاهد تتراءى أمام كل من زار النبي ﷺ وهي صور من الماضي المجيد وتاريخ النبي وبطولاته، ونضاله المشرق أمام مشركي مكة، ونشر راية التوحيد والإيمان، التوحيد الخالص من كل شرك، وتحطيم الأصنام عندما دخل مكة فاتحًا، هذه الأصنام التي يعبدها المشركون وعرب الجزيرة العربية:

وتوالت الصور المضيئة كالرؤى
وطوى الفؤاد سكينةٌ وسلامُ
حوربْتَ لم تَخضعْ ولم تخشَ العدا
من يحمه الرحمنُ كيف يضامُ
وملأت هذاالكون نورًا فاختفت
صورُ الظلام وقوضَتْ أصنامُ

لقد لخص الشاعر تاريخ الرسول ﷺ وبطولاته في هذه الأبيات القليلة، وقد اعتمد أسلوب الإيجاز الذي يصور المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وقد كانت منه إشارات مضيئة إلى محاربة الرسول ﷺ من قبل الكفار، ولكنه لم يخش أحدًا

فمضى في حروبه وغزواته يدافع عن هذه الرسالة الخالدة، وقد ملأ هذا الكون بالنور والضياء وملأه بالحق والعدل ومحى الظلام وحطم الأصنام.

٤- تصوير حالة الأمة العربية والإسلامية:

وقد تضمنت الأبيات الأخيرة من القصيدة أروع ما في هذه القصيدة من تصوير حالة العرب والمسلمين وحالة الضياع الذي نعيشه والذل والهوان اللذين سيطرا علينا، والحزن والأسى اللذين نصبح ونمسي عليهما من شدة سواد الليل الحالك الذي يحيط بأمتنا، ومن كثرة الأهوال والمصائب، وكل ذلك- برأي نزار- سببه تعامي المسلمين عن سلوك الطريق الصحيح الذي يوصل إلى بر الأمان وشاطئ السلام.. يقول مخاطبا الرسول ﷺ:

الحزن يملأ يا حبيب جوارحي
فالمسلمون عن الطريقِ تعافوا
والذلّ خيّم فالنفوس كئيبةُ
وعلى الكبار تطاول الأقزام
الحزنُ أصبح خبزَنا فمساؤنا
شجن وطعْمُ صباحنا أسقامُ
واليأس ألقى ظلّه بنفوسنا
فكأن وجه النيرين ظلامُ
أنى اتجهْتَ ففي العيون غشاوة
وعلى القلوب من الظلام رُكامُ
الكرب أرقنا وسهّدَ ليلَنا
مَنْ مهدُهُ الأشواك كيف ينامُ

ويمضي الشاعر التائب في الاتجاه السياسي- كعادته- همّه الذاتي، وحزنه الشخصي، وآلامه الخاصة، كلها تتحول إلى هم عام يتصل بالأمة، فيسهب في الحديث عن العرب والمسلمين، فقد ضلّوا الطريق وأدلجوا في الظلمات، فعاشوا بين الأمم كالأغنام، سُلبَ حقهم، وسُرِقَتْ أرضهم، وضاعت أحلامهم:

يا طيبة الخيرات ذلّ المسلمون
ولا مجيرَ وضُيعت أحلامُ
يَغْضونَ إن سلب الغريبُ ديارهمْ
وعلى القريب شذى الترابِ حرامُ
باتوا أسارى حيرة وتمزقًا
فكأنهم بين الورى أغنام
ناموا فنامَ الذلُّ فوق جفونهم
لا غَرْوَ ضاعَ الحزمُ والإقدامُ

ثم يختم قصيدته بأحسن ختام وأروعه، كما أحسن مطلعها متوجهًا إلى النبي ﷺ بقلب يفيض حزنًا ولوعة، يطلب منه دعوة لهذه الأمة الحيرى الغافلة لعلها تستيقظ من سباتها وغفلتها فتنهض من جديد:

يا هادي الثقلين هلْ مِنْ دعوةٍ
تُدْعى بها يستيقظ النوّامُ

لاشك- عندي- أن القصيدة فريدة نادرة، لذلك أحببت أن تنشر في مجلتنا الغراء، لأنها تنشر كل رائع مفيد عليه طابع الدين والإسلام، وأعتقد أن القصيدة يتيمة بين الدرر، ولو أننا ظفرنا بمثلها لكان لنا في شعر نزار الوجداني ما نستطيع أن نجمعه وندرسه ونحلله تحليلا موضوعيا، ولكن الشعر يقاس بالكيف لا بالكم، لا يُقيم بعدد القصائد ولكن يوزن بقيمته وقدرته على التصوير، وأكاد أجزم أن نزاراً قدغطى على أكثر عيوبه وأحسن ختام حياته بهذه القصيدة في مدح الرسول ﷺ والثناء عليه والاعتذار عن خطاياه واعترافه بأن المسلمين قد تعاموا عن الطريق، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأهيب بالباحثين أن يفتشوا عن أمثالها، لتنضم إلى هذه الفريدة فيكون لنا من شعر نزار قباني قصائد إسلامية بمعنى الكلمة، كما كان للشاعر عمر أبوريشة وغيره من شعراء العربية.

الصدق والأقنعة السراب

يس الفيل

الناس في الدنيا.. وإن ملكوا المدى
بسواك أنت.. جميع ما ملكوا سدى
هم يحسبون حمى الديانة ساحة
للأدعياء، بها يسود من اعتدى
لم يدركوا أن اليقين على المدى
لمن استقام خطى.. وبالسلف اقتدى
وأقام فوق الأرض ألف مظلة
للأنقياء.. تظل إن عصف الردى
وامتد في الزمن المناوئ فرحة
تهب الوجود الحب يزخر بالندى
لم يدركوا.. يا ليت أن من ادعى
منهم.. يرى ما قد يحيق به غدا
صلف الغرور.. إذا احتمى بخداعه
في الأرض.. جاهر بالعداء.. وعربدا
أن يدعى ما ليس يؤمن مدع
فهو التحدي.. يستفز من اهتدى
للشرك وجه نزدريه.. ومنطق
بالصدق نكشفه.. تنكر.. أم بدا
والادعاء بألف وجه.. يعتلي
قمما.. ويهبط.. ليس يعدم موردًا
إبليس حاوره.. وشد وثاقه
وبه كبا.. وعن الفضائل أبعدا
يا كل أقنعة الخداع تمهلي
شطحاتك الحمقى.. تجاوزت المدى
رفقًا بنا.. وبما يؤكد أننا
أملٌ أطل.. ولن يحيد عن الهدى

الناس في زمني.. بهم لعب الهوى
منذ استباحهم ادعاء ألحدا
والقابضون على اليقين.. تدافعوا
مهجًا.. تحاول أن تكون له الفدا
لكنما كُتلُ الظلام ترده
أشلاء زحف، لا تحقق مقصدا
أترى تمردهم أطار صوابهم
وأضلهم فغدا الجهاد بهم سدى؟
أم أنهم ألفوا بلاهة موقف
شطر القوى.. وعلى الضعاف تمردا
أنا لستُ أمتلك الجواب.. وإن أكن
- خلف الغيوم- أرى المصير تلبدا
مرض المحبة في الحياة أصابنا
وأصاب ما ترك الأباة من الصدى
فمتى نفيق؟ وكيف ننهض.. والهوى
حمل الشراع إلى النعاس فأخلدا؟
عذرا إلهي.. إن تمرد منطقي
وهو المؤمل، جاء يلتمس الهدى
ذبحي بنصل الأدعياء شهادة
أن الذي تحييه.. يعصف بالردى
ويقين أعماقي.. بعدلك يزدري
شهوات نفس.. لا يحيط بها مدى
لكن قتل الأبرياء سماجة
باسم التدين- قد يثير من اهتدى
أقدارنا بيديك أنت، وخوفنا
مما تخبئ.. ليس يخلف موعدا
لكننا بشر.. وتلك حياتنا
صال الدعي بها، وساد من اعتدى

شاعر مصري

شعراء من أصحاب رسول الله ﷺ

على عكس ما كان متوقعا فإن الشعر لم يخبُ على عهد رسول الله ﷺ، فكثر عدد الشعراء وكلهم كانوا من أصحاب الرسول الكريم المحيطين به المصدقين برسالته. وكان هؤلاء يقومون بمهمة كبيرة في سبيل الدفاع عن الرسول ﷺ وعن الدين الحنيف، ويردون بأعنف الردود على الشعراء المناوئين، وهؤلاء ان شاء الله مستثنون من وصف بعض الشعراء الوارد في الآية الكريمة التي تقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ فقد منَّ الله على الشعراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن الصادقين الصالحين من الشعراء فقال عز وجل: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا وانتصروا من بعد ما ظلموا...﴾(الشعراء: ٢٢٤ -٢٢٧).



د. يعقوب الغنيم

وجدت أن رجال هذا العهد الشريف من الشعراء يستحقون الذكر، وإن كان لبعضهم دواوين مطبوعة وأخرى مخطوطة، وجرى ذكر عدد منهم في أمهات كتب التاريخ والأدب، إلا أن جمعهم والحديث عنهم في موقع واحد قد يكون مفيدًا، وهذا ما أفعله الآن، وقد اخترت من هؤلاء اثني عشر شاعرا لأعرض كل ما وجدته عنهم على أن يكون لكل واحد منهم مقال منفرد، وسوف أبدأ برجل بارز من هؤلاء الشعراء هو الصحابي الجليل حسان بن ثابت.

حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، الشاعر الذي كان له دور في الدفاع عن رسول الله ﷺ وعن الدين الإسلامي الحنيف، وكانت لشعره مكانة، وله قيمة فنية بحيث كان مؤثرًا، وكانت ردوده بليغة مسكتة أصابت الشعراء الذين تجرأوا فهجوا رسول الله ﷺ ولكنهم اصطدموا بشاعر فحل يرد عليهم، ويذكر كثيرًا من مثالب أولئك الذين هم من ورائهم، وما يذكر أنه بعد اشتداد الهجاء من قبل قريش وشعرائها دعا الرسول الكريم حسان بن ثابت وأمره بالرد عليهم قائلا: اهجهم وائت أبا بكر يخبرك بمثالبهم، وكان أبوبكر رضي الله عنه من أعلم الناس بقريش، فقام حسان بدوره كاملا وقد قيل إن رسول الله ﷺ قال له: اهجهم وجبريل معك، وقيل: اهجهم وروح القدس يؤيدك.

ومما يدل على درايته بالمثالب، ومعرفته بطرق الدخول إلى هجاء القوم دون أن يكون لذلك أثر على مكانة من يستحق منهم الإجلال والتوقير، وخاصة أن فيهم من هو من أقارب رسول الله ﷺ، ومما يدل على أنه أخذ هذه الدراية من سيدنا أبي بكر الصديق - وفقا للاشارة النبوية التي جاءته- ما جاء في ديوانه من أنه هجا أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، لأنه كان في الصف المعادي للإسلام، وجاء الهجاء في سبعة أبيات، ذمه فيها وامتدح القوم، ولم يحد عن الحد المرسوم، ولقد قال أبوسفيان يومئذ: «هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة» يقصد بذلك الصديق، وهذا يدل على تمكن الشاعر، ومعرفة المعلم، وعلى دراية أولئك الذين يوجه إليهم القول بفنون الشعر، ومنابعه.

ذكر محمد بن سلام الجمحي هذا الشاعر ضمن شعراء القرى العربية، وكانت المدينة أكثر انتاجا للشعر والشعراء وكان فيها عدد من الفحول منهم حسان بن ثابت وهو ابرزهم وكان خزرجيا من بني النجار.

يقول ابن سلام: ومن شعره الرائع، الجيد، ما مدح به بني حفنة من غسان ملوك الشام:

لله درّ عصابة نادمتهم
يوماً بجِلّقَ في الزمان الأولِ
يسقون من ورد البريص عليهم
بَرَدى يصفّق بالرحيق السلسلِ
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبلِ
أولاد جفنة حول قبر أبيهمُ
قبر ابن مارية الكريم المفضلِ

وذكر نماذج من قصائد أخرى ليس هذا مكان عرضها.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هذا الشاعر الذي امتدح أولاد جفنة بما سبق أن نقلناه عنه، ظل متذكرًا لعهدهم حتى اخر عمره، ومما ذكر من بر آل جفنة بحسان ما جرى من جبلة بن الأيهم وهو آخر ملوكهم وكان مقيما عند الروم بعد

* وزير التربية الأسبق في دولة الكويت



أن ارتد في حادث معروف في التاريخ على عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان عمر قد أرسل إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، وكان المرسل هو جثامة بن مساحق الكناني، فعرض عليه هرقل أن يلقى جبلة، وقد حكى جثامة الكثير عن مجلس ابن الأيهم وما فيه من البذخ، وقد جاء اسم حسان بن ثابت على لسانه، فقال جثامة: أما إنه لمضرور البصر كبير السن، فقدم له جبلة خمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج، وقال: ادفع هذا إلى حسان وأقرئه مني السلام.

وعاد الرسول إلى عمر بن الخطاب وحدثه عن كل ما شاهد وأبلغه بهدية جبلة لحسان بن ثابت، ودعي الشاعر لاستلام هذه الهدية، وهنا سأل حامل الهدية قائلا: ماذا قال لك؟

قال: قال إن وجدته حيا فادفعها إليه، وإن وجدته ميتا فاطرح الثياب على قبره، وابتع بهذه الدنانير بُدنا فانحرها على قبره، فقال حسان: ليتك وجدتني ميتا ففعلت ذلك بي.

وقد شهد له بالفحولة الشعرية عدد من النقاد القدماء ومن الشعراء، وقد ذكر أبوعبيدة معمر بن المثنى أن هذا الشاعر قد فاق الشعراء في زمنه، وقال عمرو بن العلاء: «حسان أشعر أهل الحضر»، وقال أبو الفرج الأصفهاني: «حسان فحل من فحول الشعراء»، وقال الأصمعي مثل ذلك، وقد تحدث بعضهم أن شعر حسان قبل الإسلام كان أفضل ولكنه ضعف بعد ذلك، ولكن دراسة شعره الذي قاله في هذه الفترة تبين عكس ما قيل فقصائده التي امتدح فيها الرسول الكريم شاهدة على ذلك.

طرق حسان بن ثابت كل أغراض الشعر فقال في الغزل وفي الفخر والحماسة والمدح والهجاء، وتوفي في سنة خمسين للهجرة التي توافق سنة سبعين وستمائة للميلاد.

ولد حسان في سنة ٥٤٠م ونشأ في المدينة المنورة، وشهد حروب الاوس والخزرج في الجاهلية، كا شهد الوقائع في الإسلام، ولما كان يخاف الحروب فقد كان سلاحه هو شعره، وكان فيه كافيا أشد الكفاية، ولقد صار شعره فيما بعد سجلا للاحداث منذ هجرة الرسول الكريم حتى الايام الاخيرة من حياته، حيث توقف عن قول الشعر لأنه بلغ من الكبر عتيا، وضعف فلم يعد في أحسن حالاته.

وكان إسلام حسان متقدما، ومن الأدلة على ذلك قصيدته الهمزية الشهيرة التي أنشدها قبل فتح مكة يدافع بها عن رسول الله ﷺ، وهي قصيدة طويلة مطلعها قوله:

عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء

وعندما اجتاز في قصيدته مرحلة وصف الديار كما هو جاري عادة الشعراء الأولين وصف الخيل وهي تتقدم إلى مكة في ذلك العام المهم من الأعوام التي مرت برسول الله ﷺ وصحبه، وهو يوجه حديثه إلى أهل مكة قائلا:

عدمنا خيلنا، إنْ لَم تروها
تثيرُ النقعَ، موعدها كداءُ
يبارينَ الأسنةَ مصعدات
عَلى أكتافها الأسلُ الظماءُ

ثم يقول لهم:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكانَ الفتحُ، وانكشفَ الغطاءُ
وإلا، فاصبروا لجلاد يوم
يعزُ اللهُ فيهِ منْ يشاءُ

ومما قاله حسان بن ثابت في مدح رسول الله ﷺ:

وأحسنُ منك لم ترَ قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خُلقت كما تشاء

ومن ذلك أيضا قوله:

أغرّ عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وكانت له في مدح رسول الله ﷺ وذكر أعماله وغزواته قصائد أخرى كثيرة، حتى إذا أرادت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تصف النبي الكريم قالت: كان والله كما قال فيه حسان:

متى يبدُ في الداجي البهيم جبينه
يلُحْ مثل مصابح الدجى المتوقد
فمن كان، أو من قد يكون كأحمد
نظام لحق، أو نكال لملحد

وعندما توفي رسولنا الكريم كان لذلك الحدث الجلل وقع الصاعقة على نفوس المسلمين جميعا، ولكننا وجدنا حسان بن ثابت يستقبل هذا الأمر بكل مشاعره التي جعلته يضطرب كثيرًا، ويبادر إلى انشاد عدد من القصائد في رثائه ﷺ، وعلى الرغم من أنه أكثر من ذلك، فإنه لم يستطع يوم الدفن إلا قول بيت واحد هو:

ألا دفنتم رسول الله في سفط
من الألوة والكافور منضود

وإلى جانب ذلك فإنه اهتم برثاء عدد من قادة الإسلام فقد رثى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وحمزة بن عبدالمطلب، وذكر يوم أحد وكثيراً من المواقع التي شهدها أو حضر زمنها، وهجا المشركين والمنافقين وامتدح الصالحين في عصره، وبالجملة فقد كان بحق شاعر رسول الله ﷺ، وكان شاعر الإسلام المنافح عنه المجابه لأعدائه.

رضي الله عنه بقدر ما قدم، وبقدر ما نراه له في سيرته النيرة من عمل كريم.

موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعالم بلاد المغرب

التحرير

اسم الكتاب: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعالم بلاد المغرب

المؤلف: العلامة محمد الخضر حسين

المحقق: علي رضا الحسيني

إصدار: مجلة «الوعي الإسلامي»

الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م

عدد الأجزاء: ١٥ مجلدًا.

يحدثنا لسانُ التاريخ الإسلامي المعاصر- وهو صادقٌ أمين فيما يتحدّث به- أنّ الإمامَ محمد الخضر حسين عَلَمٌ من أعلام الإسلام، عمل فأجاد وأفاد، وجاهد فانتصر، وغرس فحصد، وأنتج فيضًا زاخرًا مباركًا من العلوم التي ضمّتها هذه الموسوعة، المسماة بـ: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعالم بلاد المغرب.

وقد نَهَجَتِ الموسوعاتُ العلميةُ الكُبرى أن تذكر في مطالعها لمحات عن المؤلِّف، والمؤلَّف، والمحتوى، وهو منهاج حسن، ومن هذا المنطلق، وخدمة للمكتبة الإسلامية، والسعي المخلص لإثرائها بالكتب القيّمة للإمام محمد الخضر حسين التي تُطبع لأول مرة في موسوعة منسّقة، مرتبة، أنيقة، حوت أعمالَه الكاملة التي وصل إليها التحقيقُ والبحث حتى اليوم.

ويَسُـرُّ مجلة «الوعي الإسلامي» بوزارة الأوقاف الكويتية، أن تبتهج بهذا الإنجاز العلميّ المُشرق الذي طالما تطلّع إليه المغربُ الإسلامي مع المشرق الإسلامي، وبعد طول انتظار وترقّب وإلحاح من المؤسسات الفكرية والعلمية، سواء الدينية منها أو الأدبية، ومن قِبَل الأفراد والجماعات الذين يهتمّون بعظماء أُمَمهم، ويفاخرون ويباهون في الحديث عنهم بنواديهم ومجالسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، ووسائل إعلامهم.

هذه الموسوعة التي يجد فيها الباحث والدارس وطالبُ المعرفة والقارئ طِلْبَته ومُبتغاه في كلّ عِلم من العلوم التي أتاها الإمام من أبوابها الواسعة، فهو البحر لا تكدره الدلاء، يصدر عنه السابح مُندهشا بعُبابه وسعته!!

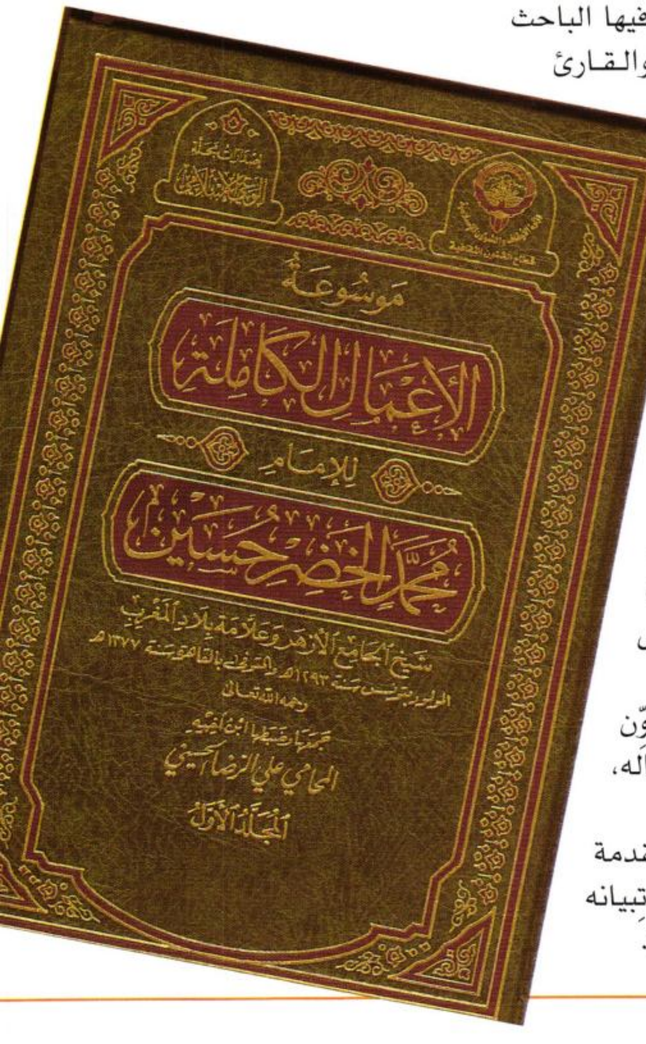
وإذا رغبنا في هذا العرْض أن نقدّم ترجمة لحياته، وجدنا أنفسنا أمام بحر لا ساحلَ له، ولا ندري من أين نغوص؟ وكيف نلتقط الدّرر؟ ولاحتاجَ الأمرُ منّا إلى كتابة أسفار ومجلدات.

كيف نقدمه، وماذا ندوّن من صفاته، ونسطّر من أعماله، ونقدّم جواهر كتبه وآثاره؟

ونتساءل: هل تفي هذه المقدمة في تصوير المشهد الذي نَنْشُد تبيانه في مطلع هذه الموسوعة؟ كلا.

إنه طراز نادر من العلماء المجاهدين، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وإنه من عظماء الإسلام، كلما كتبتَ عنهم، وخُضْتَ في سيرتهم، وعرضتَ مآثرهم وآثارهم، وأسعدتَ البصائر والعقول والقلوب ببحوثهم وآرائهم ودراستهم، قال لك القلم: هل من مزيد؟

إن أطلقتَ عليه صفةَ: المفسر، المحدّث، الزيتوني، القاضي، المجاهد، الخطيب،



المحاضر، المصلح، اللغوي، الرحالة، الأديب، الشاعر، الناقض والناقد، وإمام مشيخة الأزهر، وجدتَ كلّ وصف من هذه الأوصاف العلمية ملازمًا له حقًّا وصدقًا، وقد أنصفتَ فيما وصفت، لاسيما بعد أن تطالع آثارَه العلمية كافة.

لا نكتب هذا من باب الإنشاء والمبالغة في البلاغة والبيان، وتزيين المقدمة بكلمات تثير كوامن الإنسان، إنما ندع القارئ وجهًا لوجه أمام هذه المواهب المتعددة التي وضعها الله سبحانه وتعالى فيه؛ ليستخلص منها المنزلة التي وصل إليها هذا الإمام العَلَم.

أجمع معاصروه وتلامذته ودارسوه من بَعْده على تقواه وصلاحه، وغزارة علمه ومعارفه، ومكارم أخلاقه، وطهارة سريرته، وأنه وَقف حياته بليلها ونهارها لخدمة الإسلام، ويدلنا على هذا الأمر: إنتاجه الغزير، وعطاؤه الوفير، وسيرته العطرة، وهذه التآليف المتعددة في اختصاصها وفنونها، وصدقها وأمانتها.

صرفَ اهتمامه إلى علوم الشريعة واللغة والأدب، فاعتنى بالتفسير والحديث والفتاوى والأحكام، وتحدث عن أبطال الإسلام، وترجم لهم، وفي المقدمة: سيرةُ المصطفى ﷺ، وسيرة السلف الصالح.

اتخذ القرآنَ الكريم إمامًا، والسنة النبوية قدوة، وفي هذا السبيل كانت رحلة حياته المباركة.

اتخذ من الآية الكريمة: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (المائدة: ١٥، ١٦) سبيلَه وطريقَه المستقيم طوالَ عمره.

وجد في الكتاب المبين دُستورًا حكيمًا عادلًا للناس كافة، إذا اتبعوه، سلموا في الدنيا والآخرة، وإن تركوه، خسروا الحياتين.

ووجد في النور المحمديّ الذي سرى ضياؤه في الشرق والغرب، وأنقذ العالم من ظلمات الشرك والجهالة والفوضى إلى نور الإيمان والعلم والنظام، المثل الأعلى للهدى والهداية، والرشد والإرشاد.

طراز نادر من العلماء المجاهدين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه

ترى الإمام محمد الخضر حسين وضع نُصْبَ عينيه هاتين النعمتين العظيمتين، اللتين منّ الله بهما على عباده: القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ، وعلى هديهما توكّل على الله في رحلة الإيمان، بدءًا من مدينة «نَفْطَة» مكانِ ولادته، وانتهاءً بالقاهرة، وإمامته مشيخةَ الأزهر، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

المولد والنشأة

ولد بمدينة نَفْطَة التونسية في (٢٦ رجب ١٢٩٣هـ= ١٦ أغسطس ١٨٧٦م)، ونشأ في أسرة كريمة تعتز بعراقة النسب وكرم الأصل، وتفخر بمن أنجبت من العلماء والأدباء، وفي هذا الجو المعبق بأريج العلم نشأ «الخضر حسين»؛ فحفظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، وشدا شيئًا من الأدب والعلوم الشرعية، ثم انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة سنة (١٣٠٥هـ= ١٨٨٧م) وهو في الثانية عشرة من عمره، والتحق بجامع الزيتونة، وأكبّ على التحصيل والتلقّي، وكانت الدراسة فيه صورة مصغرة من التعليم في الجامع الأزهر في ذلك الوقت، تُقرأ فيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقيدة، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان، وكان من أبرز شيوخه الذين اتصل بهم وتتلمذ لهم: عمر بن الشيخ، ومحمد النجار، وكانا يدرّسان تفسير القرآن الكريم، والشيخ سالم بوحاجب وكان يدرس صحيح البخاري، وقد تأثر به الخضر الحسين وبطريقته في التدريس.

بعد التخرج

تخرج محمد الخضر الحسين في الزيتونة، غزير العلم، واسع الأفق، فصيح العبارة، محبًّا للإصلاح، فأنشأ مجلة «السعادة العظمى» سنة (١٣٢١هـ= ١٩٠٢م) لتنشر محاسن الإسلام، وترشد الناس إلى مبادئه وشرائعه، وتوقظ الغافلين من أبناء أمته، وتفضح أساليب الاستعمار، وقد لفت الأنظار إليه بحماسه المتقد ونظراته الصائبة، فعُهد إليه بقضاء «بَنْزَرْت»، والخطابة بجامعها الكبير سنة (١٣٢٤هـ= ١٩٠٥م)، لكنه لم يمكث في منصبه طويلًا، وعاد إلى التدريس بجامع الزيتونة وتولى تنظيم خزائن كتبه، ثم اختير للتدريس بالمدرسة الصادقية وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس، وقام بنشاط واسع في إلقاء المحاضرات التي تستنهض الهمم، وتنير العقول وتثير الوجدان، وأحدثت هذه المحاضرات صدى واسعًا في تونس.

ولما قامت الحرب الطرابلسية بين الدولة العثمانية وإيطاليا، وقف الخضر حسين قلمه ولسانه إلى جانب دولة الخلافة، ودعا الناس إلى عونها ومساندتها، وحين حاولت الحكومة ضمه إلى العمل في محكمة فرنسية رفض الاشتراك فيها، وبدأ الاستعمار الفرنسي يضيّق عليه ويتهمه ببث روح العداء له؛ فاضطر الشيخ محمد الخضر الحسين إلى مغادرة البلاد سنة (١٣٢٩هـ= ١٩١٠م) واتجه إلى إستانبول.

بين إستانبول ودمشق

بدأ الخضر حسين رحلته بزيارة مصر وهو في طريقه إلى دمشق، ثم سافر إلى إستانبول ولم يمكث بها طويلًا، فعاد إلى بلاده ظانًّا أن الأمور قد هدأت بها، لكنه أصيب بخيبة أمل وقرّر الهجرة مرة ثانية، واختار دمشق وطنًا له، وعُيّن بها مدرسًا للغة العربية في المدرسة السلطانية سنة (١٣٣١هـ= ١٩١٢م)، ثم سافر إلى إستانبول،

واتصل بأنور باشا وزير الحربية، فاختاره محررًا عربيًّا بالوزارة، ثم بعثه إلى برلين في مهمة رسمية، فقضى بها تسعة أشهر، وعاد إلى العاصمة العثمانية، فاستقر بها فترة قصيرة لم ترقه الحياة فيها، فعاد إلى دمشق.

وفي أثناء إقامته تعرّض لنقمة الطاغية «أحمد جمال باشا» حاكم الشام، فاعتقل سنة (١٣٣٤هـ= ١٩١٥م)، وبعد الإفراج عنه عاد إلى إستانبول، وما كاد يستقر بها حتى أوفده أنور باشا مرة أخرى إلى ألمانيا سنة (١٣٣٥هـ= ١٩١٦م)، والتقى هناك بزعماء الحركات الإسلامية من أمثال: عبدالعزيز جاويش، وعبدالحميد سعيد، وأحمد فؤاد، ثم عاد إلى إستانبول، ومنها إلى دمشق حيث عاد إلى التدريس بالمدرسة السلطانية، ودرّس لطلبته كتاب «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام النحوي المعروف، حتى إذا تعرضت الشام للاحتلال الفرنسي، اضطر الخضر الحسين إلى مغادرة دمشق والتوجه صوب القاهرة.

الاستقرار في القاهرة

نزل محمد الخضر الحسين القاهرة سنة (١٣٣٩هـ= ١٩٢٠م)، واشتغل بالبحث وكتابة المقالات، ثم عمل محررًا بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، واتصل بأعلام النهضة الإسلامية في مصر وتوثقت علاقته بهم، ثم تجنّس المصرية، وتقدّم لامتحان شهادة العالمية بالأزهر، وعقدت له لجنة الامتحان برئاسة العلامة عبدالمجيد اللبان مع نخبة من علماء الأزهر الأفذاذ، وأبدى الطالب (الشيخ) من رسوخ القدم ما أدهش الممتحنين، وكانت اللجنة كلما تعمّقت في الأسئلة وجدت من الطالب عمقًا في الإجابة وغزارة في العلم، وقوة في الحجة، فمنحته اللجنة شهادة العالمية، وبلغ من إعجاب رئيس اللجنة بالطالب

> **اتخذ القرآنَ الكريم إمامًا والسنة النبوية قدوة وفي هذا السبيل كانت رحلة حياته المباركة**

العالم أن قال: «هذا بحْر لا ساحل له، فكيف نقف معه في حِجاج».

معاركه الفكرية

شاء الله تعالى أن يَمتحن الحياة الفكرية بعاصفة عاتية أثارها كتابا: «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، و«في الشعر الجاهلي» لطه حسين، وكان الشيخ محمد الخضر حسين واحدًا ممن خاضوا هذه المعركة بالحجة القوية والاستدلال الواضح والعلم الغزير.

وقد نهض الشيخ محمد الخضر حسين لتفنيد دعاوى الكتاب فأصدر كتابه: «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» سنة (١٣٤٤هـ= ١٩٢٦م) تتبع فيه أبواب كتاب علي عبد الرازق، فكان يبدأ بتلخيص الباب، ثم يورد الفقرة التي تعبّر عن الفكرة موضوع النقد فيفندها، ونقد استخدام المؤلف للمصادر، وكشف أنه يقتطع الجمل من سياقها، فتؤدي المعنى الذي يقصده هو، لا المعنى الذي يريده المؤلف.

وقد كشف الخضر الحسين في هذا الكتاب عن علم غزير وإحاطة متمكنة بأصول الفقه وقواعد الحجاج وبصيرة نافذة بالتشريع الإسلامي، ومعرفة واسعة بالتاريخ الإسلامي ورجاله وحوادثه.

وأمّا الكتاب الآخر فقد ظهر سنة (١٣٤٥هـ= ١٩٢٧م)، وأحدث ضجة هائلة، فرد الشيخ محمد الخضر حسين عليه وألّف كتابا شافيا أسماه: «نقض كتاب في الشعر الجاهلي» فنّد ما جاء فيه، وأقام الأدلة على أصالة الشعر الجاهلي، وكشف عن مجافاة طه حسين للحقّ، واعتماده على ما كتبه المستشرق الإنجليزي مرجليوث

مضامين الموسوعة

الجزء الأول: التفسير المسمى: أسرار التنزيل.

الجزء الثاني: بلاغة القرآن، دراسات في الشريعة الإسلامية.

الجزء الثالث: محمد رسول الله ﷺ، تراجم الرجال.

الجزء الرابع: الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ومحاضرات إسلامية.

الجزء الخامس: رسائل الإصلاح، الدعوة إلى الإصلاح.

الجزء السادس: دراسات في العربية وتاريخها، دراسات في اللغة.

الجزء السابع: الخيال في الشعر العربي، ديوان خواطر الحياة.

الجزء الثامن: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، أسباب انتحال الشعر، الشعر والشعراء.

الجزء التاسع: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، القاديانية والبهائية.

الجزء العاشر: الهداية الإسلامية، أحاديث في رحاب الأزهر.

الجزء الحادي عشر: تونس وجامع الزيتونة، رسائل الخضر، الرحلات.

الجزء الثاني عشر: هدى ونور، السعادة العظمى، المغني عن الحفظ والكتاب.

الجزء الثالث عشر: الإرث الفكري للإمام الخضر حسين.

الجزء الرابع عشر: كتابات حول الإمام الخضر حسين.

الجزء الخامس عشر: ملتقى الإمام الخضر حسين في الجزائر، الإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي بتونس.

دون أن يذكر ذلك.

في ميادين الإصلاح

اتجه الشيخ إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية، فاشترك مع جماعة من الغيورين على الإسلام سنة (١٣٤٦هـ= ١٩٢٨م) في إنشاء جمعية الشبان المسلمين، ووضع لائحتها الأولى مع صديقه محب الدين الخطيب، وقامت الجمعية بنشر مبادئ الإسلام والدفاع عن قيمه الخالصة، ومحاربة الإلحاد العلمي، ولا تزال هذه الجمعية بفروعها المختلفة تؤدي بعضا من رسالتها القديمة، وأنشأ أيضا «جمعية الهداية الإسلامية» وكان نشاطها علميا أكثر منه اجتماعيا، وضمّت عددا من شيوخ الأزهر وشبابه وطائفة من المثقفين، وكوّن بها مكتبة كبيرة كانت مكتبته الخاصة نواة لها، وأصدر مجلة باسمها كانت تحمل الروائع من التفسير والتشريع واللغة والتاريخ، وإلى جانب هذا النشاط الوافر تولى رياسة تحرير مجلة نور الإسلام- الأزهر الآن- التي أصدرها الأزهر في (المحرم ١٣٤٩هـ= ١٩٣١م)، ودامت رئاسته لها ثلاثة أعوام، كما تولى رئاسة تحرير مجلة لواء الإسلام سنة (١٣٦٦هـ= ١٩٤٦م)، وتحمل إلى هذه الأعباء التدريس بكلية أصول الدين، فالتف حوله الطلاب، وأفادوا من علمه الغزير وثقافته الواسعة، وعندما أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٣٥٠هـ=١٩٣٢م) كان من الرعيل الأول الذين اختيروا لعضويته، كما اختير عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وأثرى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ببحوثه القيمة عن صحة الاستشهاد بالحديث النبوي، والمجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية، وطرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية.

مشيخة الأزهر

نال الشيخ عضوية جماعة كبار العلماء برسالته القيمة «القياس في اللغة العربية» سنة (١٣٧٠هـ= ١٩٥٠م)، ثم لم يلبث أن وقع عليه الاختيار شيخا للجامع الأزهر في (٢٦ ذي الحجة ١٣٧١هـ= ١٦ سبتمبر ١٩٥٢م)، وكان الاختيار مفاجئًا له فلم يكن يتوقعه أو ينتظره بعدما كبر في السن وضعفت صحته، لكن مشيئة الله أبت إلا أن تكرم أحد المناضلين في ميادين الإصلاح، حيث اعتلى أكبر منصب ديني في العالم الإسلامي.

وكان في ذهن الشيخ حين ولي المنصب الكبير وسائل لبعث النهضة في مؤسسة الأزهر، وبرامج للإصلاح، لكنه لم يتمكن من ذلك، ولم تساعده صحته على مغالبة العقبات، ثم لم يلبث أن قدم استقالته احتجاجًا على اندماج القضاء الشرعي في القضاء الأهلي، وكان من رأيه أن العكس هو الصحيح، فيجب اندماج القضاء الأهلي في القضاء الشرعي؛ لأن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تكون المصدر الأساسي للتشريع، وكانت استقالته في (٢ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ= ٧ يناير ١٩٥٤م)، ويذكر له في أثناء توليه مشيخة الأزهر قولته: «إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي، فلا أقل من ألا يحصل له نقص»، وكان كثيرا ما يردد: «يكفيني كوب لبن وكسرة خبز وعلى الدنيا بعدها العفاء».

مؤلفاته

كان الشيخ عالما فقيها لغويا أديبا كاتبا من الرعيل الأول، أسهم في الحركة الفكرية بنصيب وافر وترك للمكتبة العربية زادا ثريا من مؤلفاته، منها:

- رسائل الإصلاح، وهي في ثلاثة أجزاء، أبرز فيها منهجه في الدعوة الإسلامية ووسائل النهوض بالعالم الإسلامي.
- الخيال في الشعر العربي.
- آداب الحرب في الإسلام.
- تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبي.
- ديوان شعر «خواطر الحياة».

بالإضافة إلى بحوث ومقالات نشرت في مجلة الأزهر (نور الإسلام)، ولواء الإسلام، والهداية الإسلامية.

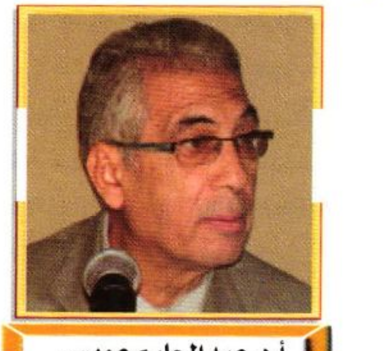
وفاته

بعد استقالته من المشيخة تفرغ للبحث والمحاضرة حتى لبى نداء ربه في مساء الأحد (١٣ من رجب ١٣٧٧هـ= ٢٨ من فبراير ١٩٥٨م)، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية منه، ونعاه العلامة محمد علي النجار بقوله: «إن الشيخ اجتمع فيه من الفضائل ما لم يجتمع في غيره إلا في النّدْرَى، فقد كان عالما ضليعا بأحوال المجتمع ومراميه، لا يشذ عنه مقاصد الناس ومعاقد شؤونهم، حفيظا على العروبة والدين، يردّ ما يوجه إليهما وما يصدر من الأفكار منابذًا لهما، قوي الحجة، حسن الجدال، عف اللسان والقلم».

من مصادر الدراسة

- أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا- الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة (١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م).
- علي عبدالعظيم: مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن- مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة (١٣٩٩ هـ= ١٩٧٩م).
- محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين- دار القلم- دمشق (١٤١٥ هـ= ١٩٩٥م).
- محمد مهدي علام: المجمعيون في خمسين عاما- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م).
- محمد علي النجار: كلمة في تأبين الشيخ محمد الخضر حسين- محاضر جلسات مجمع اللغة العربية- الجزء الحادي والعشرون.

الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام.. أمران مختلفان



أ.د. عبدالحليم عويس

يخلط بعض الناس بين الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام، فإذا كانت الدولة الأموية (٤١- ١٣٢هـ) قد فتحت العالم فإن ذلك شيء، وانتشار الإسلام في العالم شيء آخر، وحسبنا أن عدد المسلمين في مصر في القرن الثاني الهجري- أي بعد قرن ونصف من الفتوحات- لم يتجاوز عشرين في المائة من السكان، فالفتوحات موقف سياسي يؤمن مصالح الدولة الإسلامية المدافعة دائمًا، بينما انتشار الإسلام أمر يخضع لعناصر أخرى غير الفتح، وعلى رأسها سلوك المسلمين وتطبيقهم العملي للإسلام وإحسانهم لكل مَنْ حولهم، حيث إن الكتابيّين المواطنين هم مواطنون كالمسلمين سواء بسواء، ويزيدون عنهم أنهم في ذمة الله ورسوله وحسبهم أن يقول الرسول فيهم: «مَنْ عادى ذميًا فقد عاداني».

من العوامل الأساسية في انتشار الإسلام، ذهاب هؤلاء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين للاستيطان في الأمصار المختلفة، ليس لسرقة مال عندهم، كما يفعل «الاستعمار» أو بالتعبيرين الصحيحين «الاستدمار والاستحمار»، بل ليعطوا أكثر مما يأخذون، وكان منهم تجّار مهرة وخاصة أهل حضرموت وعُمَان واليمن، فعاش أهل البلاد في أكنافهم، وأعطوهم مما أعطاهم الله، فأحبوهم حُبًا كبيرًا من أعماق قلوبهم، وليس بظاهر ألسنتهم، وزاد من حبهم لهم العدل الذي يتحقق بين المسلمين وغير المسلمين، سواء كانوا من أهل البلاد الأصليين أو الوافدين، فالعدل مطلق في الإسلام وهو كل لا يتجزأ يستوي أمامه المسلمون والهندوس، عبدة البقر والبوذيون، عبدة بوذا وأهل الكتاب، أصحاب الأقانيم الثلاثة وغيرهم.

وفي قصة المصري الذي ظلمه ابن عمرو بن العاص دلالة كبيرة على هذا، فقد روي أن ابن عمرو ضرب أحد الأقباط النصارى فشكاه إلى الخليفة عمر بن الخطاب فاستضافه الخليفة واستدعى عمرو بن العاص وابنه، وصمم أن يقتص المصري من ابن عمرو بن العاص وهو فاتح مصر وحاكمها.

كما زاد من حب أهل السكان الأصليين حرية العبادة التي كفلها الإسلام في حدود القانون الشرعي الإسلامي، ولم يصبح السكان الأصليون مواطنين فحسب، بل أصبحوا مواطنين وذميين لهم ذمة الله وعهده وعهد رسوله ﷺ، وقد بلغ الأمر أن الامام ابن تيمية لما وقع بعض المصريين أسرى في يدي تيمور لنك توسط لإخراجهم فأخرج الامبراطور التتري المسلمين من السجون، فرفض ابن تيمية وقال: لابد من إخراج المواطنين النصارى، لأنهم مواطنون وذميون لهم ما لنا وعليهم ما علينا ما أطاعوا شريعة الله والتزموا بحقوق المواطنة الشرعية الإسلامية.

وقد دخل أرض مصر عدد من الصحابة والتابعين، وحسبنا أن نشير إلى **نماذج قليلة، من أشهرهم:**

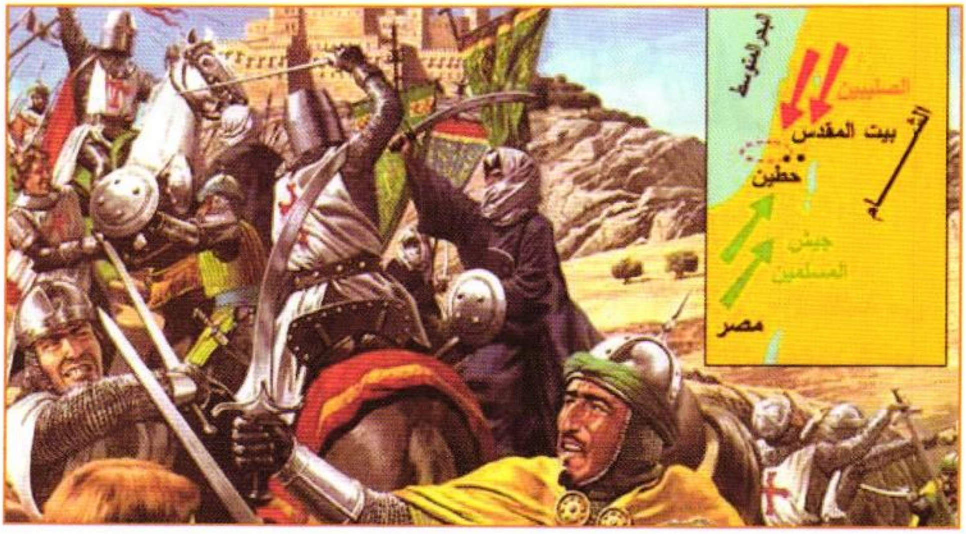
- عمرو بن العاص.
- عبدالله بن عمرو بن العاص.
- عقبة بن عامر بن عبس الجهني.
- محمد بن أبي حذيفة.
- مسلمة بن مخلد الأنصاري.
- عبدالله بن الحارث.
- قيس بن أبي العاص.
- سعد بن أبي وقاص.
- عبدالله بن سعد بن أبي السرح.
- الزبير بن العوام.
- عبيد بن محمد أبوأمية المعهافري (قيل إنه أول مَنْ أقرأ القرآن بمصر).
- عبدالرحمن بن أبي بكر.
- سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل.
- زيد بن ثابت بن الضحاك.
- جابر بن عبدالله.
- جبير بن المطعم بن عدي.
- أبوهريرة.
- عبدالرحمن بن زيد.
- عبدالله بن أبي بكر الصديق.
- شيبة بن عثمان بن طلحة.
- سندر أبوعبدالله، وقيل أبوالأسود.
- سفيان بن هاني بن جبير.
- زياد بن الحارث الصبائي.
- ابن حرام الأنصاري.
- ديلم بن يوشع الجيشاني الحميري اليمني.

وفيما يلي نشير إلى بعض الصحابة والتابعين الذين دخلوا أمصارًا مختلفة وتنقلوا بين عدد من البلاد، مثل العراق:

(أ) الكوفة:

- عبدالله بن مسعود.
- المغيرة بن شعبة.
- جرير بن عبدالله.

* رئيس تحرير مجلة التبيان المصرية



- عبدالله بن يزيد بن زيد.
- عمرو بن حريث بن عمرو المخزومي.
- طارق بن شهاب البجلي.
- عبدالله بن أبي أوفى.
- عمار بن ياسر.
- علي بن أبي طالب.

(ب) البصرة:

- أنس بن مالك بن النضر.
- أبوموسى الأشعري.
- معقل بن يسار المزني.
- عبدالله بن المفضل المزني.
- سمرة بن جندب الغزاري.
- عمران بن حصين.
- عبدالله بن عباس.

ودخل الشام:

- معاوية بن أبي سفيان.
- أبوأمامة الباهلي.
- عوف بن مالك الأشجعي.
- وائلة بن الأسقع بن كعب.
- فضالة بن عبدي بن نافذ الأنصاري.
- عبدالله بن بسر السلمي.
- عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري.
- ثوبان بن يجدر، ويقال ابن حجدر (نزل الرملة ثم حمصا إلى أن مات بها سنة ٥٤هـ).
- دحية بن خليفة الكلبي (نزل دمشق وسكن المزّة).
- عبيد بن النذر، وهو شامي له صحبة ورواية.
- شداد بن أوس.
- بلال بن رباح.

ودخل اليمن:

- معاذ بن جبل.
- أبوموسى الأشعري.

ودخل المغرب:

- عبدالله بن عمر بن الخطاب.
- عبدالله بن الزبير.
- عبدالملك بن مروان.
- يحيى بن الحكم بن العاص.
- عبدالله بن عباس.
- أبوزمعة البلوي.
- روثة بن ثابت الأنصاري.
- عقبة بن نافع.
- رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري.
- رافع بن خدرج.

ودخل نيسابور:

- إبراهيم بن طهمان.
- حفص بن عبدالله.

ودخل مرو:

- بردة بن الحُصَيْب

ودخل بلاد السند والهند:

- الحكم بن عمرو (البصرة، ثم خراسان، وفتح السند).
- الخويت بن راشد الناجي السامي (بلاد فارس).
- الربيع بن زياد الحارثي، المذجحي (خراسان).
- منان بن سلمة بن المحبق الهذلي (ثغر الهند).
- سهل بن عدي الأنصاري (كرمان).
- صحار بن عباس العبدي (مكران).
- المنذر بن الجارود(صحابي أو تابعي) (عاش فى الهند والسند).
- عبدالله بن سوار العبدي (أدرك النبي ولم يره) (الهند).
- عبدالله بن سويد الشقري (أدرك النبي ولم يره) (الهند).

وهكذا كان الأمر في كل البلاد التي دخلها المسلمون، لقد كانوا بحق أئمة هدى، وخير أمة أخرجت للناس، والأمة الوسط الشهيدة على الناس، المؤمنة بالله، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، السائرة على خطى نبيها ﷺ ﴿وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

المراجع

- البلاذري: فتوح البلدان، الكتب العلمية، ب. ت، رضوان محمد.
- د.حسين مؤنس: الإسلام الفاتح، الزهراء للإعلام العربي، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء، ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله عبدالحكم بن أعين القرشي المصري: فتوح مصر وأخبارها، دار الفكر - بيروت - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، دار المعارف ٢٠٠٧م، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.
- عبدالشافي محمد عبداللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، القاهرة، دار الحديث.
- أبوعبدالله بن عمر الواقدي: فتوح الشام، ط دار الجيل، ب. ت.
- المغازي، تحقيق مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي، ب.ت.ط

أبوسعد يحقق أمنية بـ«طنجة» الإسلام

د. محمد سعيد صمدي

أيام ربيعية جميلة قضاها د. مصطفى أبوسعد مع جمهور البوغاز في دورة «مهارات الذكاء الوجداني» المنظمة من قبل المركز الدولي لمهارات الحياة، وخلال الأمسية الثقافية المجانية التي حضر أنشطتها د. أبوسعد أمام جمهور غفير من محبيه، ألقى نداء آخر كان قد سبق أن أطلقه منذ سنوات بجهة طنجة وتطوان، باحثا عن أحد الذين بصموا بصمة خالدة في حياته المدرسية الطفولية بإحدى مدارس مدينة الدار البيضاء المغربية.

تعود القصة إلى ست وثلاثين سنة حيث كان الطفل أبوسعد يدرس بالصف الرابع، وقد كان يُدرِّس له معلمٌ رائدٌ أثّر في الطفل تأثيرا بالغًا في نفسيته وتعديل مسار حياته المدرسية والسلوكية والقيمية، قدّم المحاضر شهادة مؤثرة بحق رجل حبب إليه- وبطبيعة الحال لباقي أقرانه- اللغة العربيةَ وقواعدَها والدينَ والسيرةَ، وأجملُ ما تأثر به ذلك الطفل من هذا المعلم الفريد هو المدح والتشجيع اللذين دفعا الطفل إلى التحليق عاليا في عالم الاجتهاد والتحصيل والالتزام بالقيم الدينية والخلقية، واسم ذلك المعلم هو «محمد سماحة»، والطفل يتذكر منذ ست وثلاثين سنة، أي منذ كان عمره تسع سنوات، أن معلمه- المبحوث عنه- كان ينحدر من مدينة طنجة وعُيِّن وقتئذ بالبيضاء، وبالتالي يتمنى لو أن أحدا من هذا الجمهور الطنجي الغفير يعرف شيئا عنه لكي يجدد معه اللقاء ويقبل رأسه ويده على جميل فضله وكبير جهده، وفاءً وامتنانا واعترافا، لم تمض أربع وعشرون ساعة حتى هاتفه المركز المستضيف ببهو الفندق يصف له في المكالمة أحدُ السادة ملامحَ معلم يحمل الاسم نفسه، فكانت الصفات هي هي، فتطوع السيد المتصل للبحث عن بيته حتى تعرف عليه، وفي اليوم التالي والدورة توشك على نهايتها، بل تشرف على حفل توزيع الدبلومات على المستفيدين من الدورة، كانت اللحظة (الأمنية) المؤثرة التي هزت مشاعر الحاضرين، ويعلم الله مشاعرَ الطفل -عفوا- الدكتور والمدرب العالمي في التنمية البشرية، ويعلم الله مشاعرَ ذلك المعلم الشيخ الوقور ذي اللحية البيضاء وفي يدهَ عصا يتوكأ عليه، الكل في دهشة وانبهار بلحظة قلما زفّها الزمن الحداثي، المعلم «الشيخ محمد سماحة» في دهشة وصدمة غير مألوفتين مع رتابة الحياة وتقدم السن وتعثر الذاكرة، وهو يقاوم لحظةَ حفاوة غامرة أمام أضواء كاشفة، واحتضانٌ بقاعةٍ عامرة بفندق متميز، وسأمرّ على لحظة اللقاء لأنها جدٌّ مؤثرة، لأنتقل إلى لحظة الاستذكار والتذكير ببعض الذكريات، بدأ د. أبوسعد يذكر معلمه ببعض البصمات التي كان الشيخ يبصمها في أولى مراحل حياته التربوية على ناشئة الدار البيضاء، والشيخ منبهر متوقد العينين كأنه لا يصدق ما يسمع، بل لعله لم يتوقع أبدا أن يحضر احتفالية- بدون سابق إعداد- بمثل هذا الثقل والفجائية والرمزية مع واحد من تلامذته الأبرار.

بطبيعة الحال الصغيرُ يتذكر الكبيرَ والعكس غير صحيح في أغلب الأحيان، فالسيد محمد سماحة، وقد تخرجت على يديه أجيال تلو أخرى، لم تستطع ذاكرته تذكر هذا الولد الصالح الذي طالما بحث عنه كلما حل بشمال المغرب، بعد كل رحلة من بلاد الخليج، حيث يزور بلادَه ربيعا وصيفا كلّ حَوْل، ولم ينته اللقاء عند هذا بل تكرم مصطفى أبوسعد بتقديم وتشريف شيخه لكي يقدم ديبلومات الدورة للمستفيدات والمستفيدين.

وبعد ذلك قدم كاتب هذه السطور للشيخ محمد سماحة لمحة موجزة عن تلميذه السابق المدرب العالمي والمربي الحالي وآثاره المكتوبة والمسموعة عبر الأثير وأنه يَذْكُرُه في كل المنتديات والدورات التي يحلُّ بها، ولم يستطع أحدهما أن يفارق الآخر تلك الليلة.

فهنيئا لك بهذا التلميذ البار الذي أحياك الله وأطال عمرك حتى وقفتَ على ثمرة من ثمار جهودك في زهرة هذه الحياة الدنيا.

وهنيئا لك أخي مصطفى بهذا اللقاء الفريد وبهذا الوفاء وبهذا التألق، وحفظك الله في حلك وترحالك.

• أكاديمي مغربي

أسرتي

فضائيات الأطفال

انتشرت في الآونة الأخيرة القنوات الفضائية المتخصصة لشريحة الأطفال، وباتت الشغل الشاغل لكل أسرة؛ لما تمثله من وسيلة فاعلة في التكوين والتربية، ويدل هذا الأمر على مدى وعي القائمين على الإعلام بأهمية هذه الفئة التي كانت مغيبة عن الإعلام المرئي لفترة طويلة.

ولعل أثر هذه الفضائيات يتفاوت من قناة لأخرى وفقًا لأجندة من وراءها، فهناك قنوات قيمية هادفة مثل براعم، والجزيرة أطفال، وطيور الجنة، وهناك قنوات تجارية بحتة مثل «سبيس تون» و«ام بي سي٣» وغيرها.

ولقد ظهر بشكل واضح مدى نجاح بعض هذه القنوات على فلذات أكبادنا في حواراتهم ومناقشاتهم مع أفراد الأسرة، وقدرتها على تنمية قدراتهم الذهنية والفكرية، وتطويرهم اجتماعيًا من خلال اختلاطهم بالأطفال، ولكن ينبغي الأخذ في الاعتبار ضرورة مراقبة مضمون هذه البرامج والمغامرات، ومتابعة الرسوم الكارتونية، وألا يؤثر تعلق الطفل بالقناة على تفاعلاته الأخرى مع مجتمعه الصغير.

كذلك لابد من غرس بعض القيم الطفولية في أبنائنا مثل: أهمية الوقت، وتحديد الأولويات، والحرص على ألعاب الذكاء، والاختلاط بالناس، مع انتقاء القنوات المفيدة والمثمرة في تربية أطفالنا، لاسيما أن الإعلام بات المؤثر الأول في الحياة الاجتماعية في العصر الحالي وفق الدراسات والإحصاءات العلمية.

التحرير

تكوين الأسرة.. وإصلاح المجتمع في المنظور الإسلامي

حسين يحي الدين سباهي

من خلال التعاليم التي جاء بها الإسلام.. نجد أن على كل فرد منا أن يختار ذلك الطريق المستقيم الذي هدانا الله إليه بمحكم تنزيل كتابه الكريم وسنة رسوله، لما فيه من إيمان واطمئنان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه».

وبهذا فقط نضمن السعادتين الدنيوية و الأخروية، هذا هو الطريق الذي التقينا عليه نحن المسلمين، وسرنا على هديه، فمن أين يبدأ؟ وما هي مراحله؟ وكيف ينتهي؟ والجدير بالذكر هنا أن الإسلام اعتبر نقطة البداية هي الفرد، فهو النواة الأولى للمجتمع، وفي صلاحه صلاح الأسرة، وفي صلاح الأسرة صلاح الأمة.

وعند الحديث عن تكوين الأسرة في الإسلام لابد من الإجابة عن هذين السؤالين: مم تنشأ الأسرة؟ ومم ينشأ المجتمع؟



باحث سوري

تكوين الأسرة المسلمة

الحياة الزوجية، هي الأساس في تكوين الأسرة والمجتمع، فمن هذه الحياة التي قوامها الزوج والزوجة ينشأ الأولاد، ومن الأولاد يكون الإخوة والأخوات ثم الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ومن هؤلاء جميعًا تتكون الأسرة الخاصة أو المجتمع الأصغر، ومن الأسرة الخاصة تنشأ الأسرة العامة، فالأسرة إذن هي الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع الكبير، فإن كانت هذه الخلية سليمة قوية، سلم المجتمع وقوي، ولهذا شرّع الله الزواج حفظًا للنوع الإنساني وصيانة للناس من الأمراض والآثام واحترامًا للإنسان بإلحاق الأولاد بآبائهم ومساعدة كلا الزوجين للآخر، ولهذا قال تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ (النحل: ٧٢). وقال أيضًا ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١).

لهذا كان من أهم واجبات الفرد في الإسلام أن يحرص على تكوين الأسرة المسلمة، وذلك بأن يحمل أهله على اعتقاد فكرته وتبنيها والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وذلك لا يكون إلا بحسن اختيار الزوجة وتعليمها واجباتها وحقوقها وحسن تربية الأولاد والأسرة

على مبادئ الإسلام.

ونحب أن نشير هنا إلى أن كثيرًا من الأفراد يفشلون في هذه التجربة الهينة فنجده بمجرد زواجه، يقل نشاطه في الدعوة، ويتعلل بقول الرسول: «وإن لأهلك عليك حقا»، على هؤلاء أن يذكروا قول الله: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ (الأنفال: ٢٧- ٢٨)، وليذكروا دائمًا قول الخنساء الخالد على مرّ الزمان حينما علمت بمقتل أولادها الأربعة في القادسية فقالت: «الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم»، ومازلنا رغم أننا حملنا أمانة الدعوة أسرى عادات جاهلية.. نزيد المهور، ونعقّد الإجراءات، وإذا تقدّم لنا من نرضى دينه وأمانته بحثنا عن حسبه ونسبه وغناه وفقره، ونسينا أننا حملة رسالة وأصحاب عقيدة تعمل لاجتناب كل نظام فاسد لا يقوم على العبودية لله، والتحلي بآداب الإسلام.

إصلاح المجتمع بما يتفق والآداب الإسلامية

للبيئة أثر هام في تربية الفرد، فالأفراد الذين ترعرعوا في المجتمع الإسلامي الأول لم يكونوا بحاجة إلى من يربيهم على الإسلام ويصقلهم بالإيمان، لأن مجتمعهم كان يقوم على أساس إسلامي. فكل من نشأ فيه واستنشق هذا العبير لابد أن يتخلّق بعادات مجتمعه.

ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية تحرص على إيجاد الواحة الإسلامية لأفرادها حتى يهرعوا إليها ليتقوا بظلها مرّ الفساد ونار الفتنة. ولكن هل نكتفي بذلك المجتمع الصغير ونعتزل الناس في واحتنا هذه مخالفين بذلك الأمر الصريح من الله:

إصلاح المجتمع لا يكون إلا بنشر دعوة خيرية فيه مع محاربة الرذائل والمنكرات

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقول الرسول ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»؟

ومعنى ذلك أن نأخذ على أيدي الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وما هو كذلك.

وإصلاح المجتمع لا يكون إلا بنشر دعوة خيرية فيه ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف والمبادرة إلى فعل الخير وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية. ولا يكون هذا إلا بأن نجعل الدعوة مسألة هامة يتحدث بها الناس في مجالسهم ومنازلهم مع أصدقائهم وأهليهم.

علينا أن نهتم بالتربية الإسلامية وأن نقتحم بها كل مجلس وناد، ونتحين لها كل فرصة مناسبة، ولا نكف عن الكتابة والخطابة والحديث والسعي والعمل حتى يحيا الإسلام وتعاليمه في الضمائر ويشتغل به الناس جميعًا في حضورنا وغيابنا، وبهذا تكون الفكرة الإسلامية سيدة الأفكار في المجتمع.

ولا ننسى أنا ندعو إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن ديننا دين القيمة أي الوصاية على الدنيا القاصرة.. فغايتنا لا تقف عند حد إسعاد المسلمين، ولكنها تمتد حتى تتم هداية الناس أجمعين ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ (الأنعام: ١٢٥).



الأسرة واللباقة مع الآخرين

أمين عبدالسميع حسن *

لسنا- بفضل الله- هواة كلام نلوكه ونثرثره، ونطلقه على عواهنه بلا ضابط من منطق يضبطه أو عقل يعقله.. وليس من همنا أن نكرر ما قيل دون إعمال فكر أو تدقيق نظر.. ولو فعلنا هذا لم نأت بجديد ولم نر ما يوجب- أصلاً - ميلاد هذا المقال المتواضع.

اللباقة في اللغة

حذق كل عمل، أو القدرة على اجتذاب ذهن الشخص الآخر.

لبُق بمعنى ظرف، ويقال اللبقُ: ذو اللباقة.

وقد تكون اللباقة من العوامل الفعالة التي تساعد كثيرًا على إظهار الحب والصداقة للآخرين، وبالتالي فهي بمثابة السلاح السحري لاكتساب الشخصية الجذابة الناجحة.

كيف تكون مسلما لبقًا؟

هناك عدة طرق- عن تجربة- يمكن من خلالها أن تصبح مسلمًا لبقًا، نوجز أهمها في الآتي:

١- أن تروي للآخرين ما يمتعهم مما قرأت أو شاهدت، ولا تهمل المجاملات العابرة، والثناء على المخاطبين بما يميز كل واحد منهم.

٢- عليك قدر المستطاع أن تتذكر الأسماء والوجه، فالشخص الذي يتعلل بقوله: معذرة أنا لا أتذكر اسمك! هو شخص كسلان بطبعه، لا يحاول أن يكون لبقًا في مجتمعه.

٣- لا تسخر من الآخرين، ولا تقلل من شأنهم، ولقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساءٍ عسى أن يكن خيرًا منهن﴾ (الحجرات: ١١).

٤- القول المناسب في الوقت المناسب هو قمة اللباقة، بمعنى أن تجعل لكل مقام مقال، دون أن تخلط الحابل بالنابل.

٥- إذا أدركت أنك مخطئ، فسلم بذلك، ولا يأخذك الكبر، وبادر بالمعذرة حتى لا تقع في الدائرة المذمومة التي نهانا عنها الله سبحانه في قوله عز وجل:

﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ (الزمر: ٧٢). وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» رواه مسلم (٨٩/٢) باب الايمان عن ابن مسعود وأبوداود (٤٠٧٣).

٦- من اللباقة أن تسمع أكثر مما تتكلم، وأن تبتسم أكثر مما تعبس، دون أن تخرج عن حدود «اللياقة».

٧- حاول أن تقدم فعلك على قولك، وقد نبهنا رب العزة في كتابه العزيز: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ (الصف: ٢).

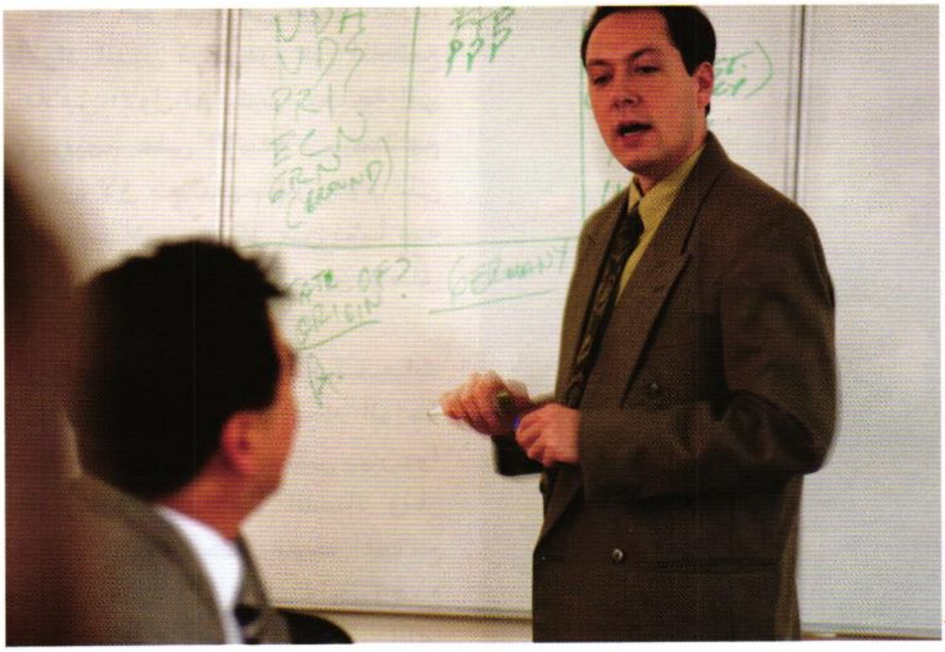
خاتمة ونهاية المطاف

إذن فاللباقة أمر لا غنى عنه في مجتمعنا الإسلامي المعاصر، وإن صح القول فاللباقة علم وفن مثل إدارة الأعمال ودراسة جدوى منظومات الأسواق وتحديد احتياجاته ورغباته.

عزيزي القارئ..

هذه المقالة وإن كانت موجزة، فإني أرجو أن تبرز بعض جوانب الحق فيها، وإنما الموفق من وفقه الله وعصمه.

والله المستعان



* باحث تربوي

بالحب لا بالتوبيخ تدعم الثقة داخل الأسرة

د. محمد عيسوي الفيومي

الأسرة بما يسودها من علاقات الود والألفة والمحبة تعتبر المصدر الرئيسي الذي يشعر الأبناء في ظله بالحب والحنان والدفء والأمن والأمان، وفي ظلها ينمى دافع الانتماء، فالعلاقات داخل الأسرة لا تتوافر في أي بيئة أخرى، ولذا وجب على الآباء أن يجعلوا من مناخ الأسرة الصحي رحيقًا يسعد الجميع في ظله بالطمأنينة ويجد فيه ما يشبع حاجاته وينمي قدراته ويظهر مواهبه الكافية بعيدًا عن الصد والزجر.

إن توبيخ الطفل وتأنيبه على كل صغيرة وكبيرة وسيلة تربوية خاطئة وغير سليمة وهي لا تقل ضررًا عن الضرب، فالتوبيخ نوع من العنف يجب عدم اللجوء إليه ولو بدعوى التهذيب والتأديب لأنه يؤدي إلى قهر الطفل وإلى افتقاده الإحساس بالأمان، والطفل الذي يتعرض للتوبيخ المستمر يشعر بأنه عاجز ويفقد الثقة في نفسه وفي إمكاناته وقدراته وفي كل من حوله، ويخاف الآخرين.. إن الخوف في حد ذاته ينبوع العدوان الذي يتخذ صورا متعددة منها تعذيب الذات، بل تتحول الشحنات العدوانية داخله إلى عدوان صريح ومباشر فمعظم أصحاب السلوك الضعيف هم في الأصل ضحايا ظروف اجتماعية وتربوية مفرطة في الشدة والقسوة وسوء المعاملة، ينصح خبراء التربية وعلم النفس الآباء والأمهات بتربية الأبناء على الحوار والمناقشة واعتبارهم شركاء داخل الأسرة فيؤخذ رأيهم في المسائل المتعلقة بهم وفي القرارات التي يتحتم على الأسرة اتخاذها بشأن بعض الأمور، كذلك يجب أن تقوم تربية الأبناء على التسامح والتفاهم وترسيخ مفهوم الثقة المتبادلة.

وتذكر د.باربارا أبولند مؤلفة كتاب «لا توجد تعليمات محددة لضمان نجاح ابنك في الحياة» أنه يجب أن يعرف الآباء والأمهات متى يخففون عن أبنائهم الضغوط.. مؤكدة أن هناك عدة طرق تساعد على نجاح الأبناء في الحياة منها تشجيعهم على الاستقلالية وتنمية قدراتهم الشخصية ومنحهم الثقة بالنفس لأن معظم الآباء يتصورون أن أولادهم لابد أن يكونوا صورة طبق الأصل منهم في حين أنهم يجب أن يكونوا على أفضل صورة لأنفسهم.

علمي طفلك الحب

يتعلم الأطفال الحب إذا نشأوا في جو من الحب والتفاهم والوئام، ويتعلمون الكرم إذا شاهدوا آباءهم يكرمون الضيف ويعطفون على الفقير، ويتعلمون الثقة بالنفس إذا نشأوا في جو من الاستحسان لأفعالهم. هذا بعض ما جاء في كتاب «الأطفال يتعلمون ما يعايشونه» للخبيرة الأميركية في علم الحياة دورني لونولتي التي شاركتها في كتابته د.راشيل هاريس وهي معالجة نفسية متخصصة في علاج القضايا الأسرية.. الكتاب يشرح العديد من الأفكار مع ذكر بعض الأمثلة والقصص الإنسانية الحية والمؤثرة التي تؤكد أن الأهل هم القدوة لأطفالهم وهم الذين يساعدون على ترسيخ القيم في نفوسهم، هذه الحقائق تؤكدها أيضًا د.فيفان أحمد فؤاد أستاذة الطب النفسي العلاجي في جامعة حلوان قائلة: إن الصغار يتعلمون الخجل إذا نشأوا في جو من السخرية بأفعالهم وقدراتهم، كما يعرفون الحسد إذا نشأوا في جو من الغيرة والحقد والكراهية، أما الثقة بالنفس وهي أساس نجاح الإنسان في حياته فيتعلمها الصغار إذا نشأوا في جو من الاحترام والتشجيع، كما يعرفون الصبر إذا تدربوا من صغرهم على الجلد والقدرة على التحمل، كما يتعلم الطفل الصدق إذا نشأ بين والدين لا يكذبان أمامه ولا ينكران انفسهما عن الآخرين وإذا نشأ أيضا في جو من الصراحة والوضوح في كل الأمور والمواقف.

إن الصغار يتعلمون السلوك العدواني إذا نشأوا في جو يتسم بالقسوة والعداوة، ولذلك يجب على الوالدين الابتعاد عن الانتقاد لتصرفات الأبناء بشكل مستمر حتى لا يتعلموا السخط على الآخرين، كما يجب أن يعامل الوالدان أبناءهما بالرحمة والشفقة مهما اقترفوا من أخطاء، كما يجب الابتعاد عن العقاب الصارم حتى لا يتعلم الأبناء العدوانية والقسوة، أبعدوهم عن أجواء الخوف حتى لا يشوه القلق والتوتر حياتهم ولا تشفقوا على حالكم أمام الصغار حتى لا يتعلموا الرثاء على حالهم في المستقبل، كما يجب على الكبار عدم السخرية من أولادهم حتى لا يفقدوهم الثقة بأنفسهم ويهرعوا للاختفاء وراء صفة غير مستحبة وهي الخجل.

باحث أكاديمي

الإنترنت خطر يتهدد المجتمع وجريمة تبحث عن عقاب

تحقيق: فوقية أحمد هاشم

انتشرت جرائم الإنترنت في الفترة الأخيرة بعد ثورة التكنولوجيا التي شهدها المجتمع وأصبح ضحاياها بالمئات يوميا، والأعجب في هذه الظاهرة أن المتهمين فيها أغلبهم من الشباب، وكثير منهم يعمل في تخصصات الهندسة والحاسوب دون أن يكون هناك رادع قوي، وفي الوقت نفسه تغيب التشريعات القانونية عن معاقبة الجناة في ذلك.. حول أسباب انتشار هذه الظاهرة وتأثيرها على المجتمع، ورأي الدين فيها، ونماذج من الجرائم التي ارتكبت في حق آخرين كان لنا هذا التحقيق.

كثيرًا ما نتساءل، وبشكل يصل إلى حد الإلحاح المزعج أحيانًا، عن ماهية السعادة، وسبل الوصول إليها، ونتساءل عن المعايير العلمية أو حتى الافتراضية لقياسها.فهل تقتصر السعادة على أن نفعل ما نشاء وقتما نشاء دون قيود تفرض علينا، أي أن نكون أحرارًا بكل ما تحمل الحرية من معانٍ، أم أنها شعور داخلي جميل حتى وإن لم يُترجم هذا الشعور إلى تصرفات وأفعال؟

ضحايا الإنترنت

تقول شيري شديد، تعرضت لجريمة تشهير فقد كنت ضحية لأحد مستخدمي الإنترنت، عندما قام بنشر أخبار تقلل من شأني وتشوه صورتي على الموقع الاجتماعي «الفيس بوك»، وانتهت بقيام هذا المتهم بإرسال آلاف «الإيميلات» والرسائل على تلفونات الأصدقاء وزملاء العمل مما أصابني وأسرتي بصدمة كبيرة.

وتضيف: إن هذا الشخص المتهم الآن أخذ يسترسل في جريمته بنشره أخبارا يومية كاذبة ونشر رقم محضر وهمي حتى يضفي شيئا من المصداقية.

تؤكد: إن هذه الشائعة تركت آثارا وبصمات مازالت عالقة بشخصيتي بعد الضغوط المعنوية التي تعرضت لها، وساعد على ذلك المجتمع الذي تنتشر فيه الشائعات بسهولة وسرعة شديدتين دون التحقق والتبين منها.

وتستكمل حديثها: لم أجد بدا إلا اللجوء للشرطة فكان حلًا حتميًا بالنسبة لي، وقد أشارت إليّ به إحدى الصديقات ممن تعرضن لحالة مماثلة، وبالفعل ذهبت إلى مبنى جرائم الإنترنت بوزارة الداخلية، وقاموا باستقبالي وتتبعوا المتهم حتى تم القبض عليه.

وأنهت كلامها بضرورة السيطرة والرقابة على الإنترنت للتقليل من الجرائم التي ترتكب يوميا حتى يكون هناك رادع قوي أمام عدم تكرار هذه الجرائم.

غياب القيم وامتلاك الشباب لقدرات عقلية وراء اتجاههم للجرائم الإلكترونية

سرقة مع سبق الإصرار والترصد

تقول فاطمة عفيفي: تعرضت لإحدى جرائم الإنترنت من قبل بعض الشباب «الهاكرز» الذي لم يتعد عمره ٢٠ عاما ويدرس بإحدى كليات الهندسة.

تحكي فاطمة: قام الشاب باختراق جهاز الكمبيوتر الخاص بي عن طريق كاميرا الويب الموصولة بالجهاز، فضلا عن بعض البرامج الأخرى المستخدمة في الشأن نفسه، وبالتالي قام بنسخ كل البرامج والملفات الخاصة على جهازي بما فيها الصور.

وأضافت: هذا الشاب قام باختراق جهاز الكمبيوتر الخاص بي عن طريق «الإيميل» حتى حصل على «الباسورد» وبالتالي قام بفتح وغلق جهاز الكمبيوتر في الوقت الذي يحدده.

وذكرت أن أغلب هؤلاء الشباب حاد الذكاء، وبعضهم شباب غرر به، وبالتالي لا يتم التعامل معهم على أنهم مجرمون، وإنما على خلفية ذكائهم الحاد، وقدراتهم الفائقة في التعامل مع أجهزة الكمبيوتر.

برامج الحماية

يقول المهندس أحمد سمعان تقني كمبيوتر: يستغل الشباب في عمليات السرقة التي يقومون بها جهل الآخرين، وبالتالي يقومون بالسطو على ملفاتهم الخاصة، ويضرب مثالًا لذلك بالملفات التي يقبلها البعض، وهي في الأساس ملفات «هاكرز» مما يؤدي لتحميل هذه البرامج، وبالتالي يساعد على سرقة جميع الملفات الموجودة.

ويضيف: لابد لكل مستخدمي الإنترنت أن يرفضوا كل الرسائل الخاصة بطلب قبول تحميل برامج «الهاكرز»، ولابد في هذه الحالة أن يتعامل مستخدم الإنترنت إما بغلق الجهاز أو برفض طلب الملف.

ولفت إلى أهمية أن يقوم كل مستخدمي الإنترنت بتحصين أجهزتهم

ببرامج الحماية حتى لا يستطيع بعض مجرمي «الإنترنت والهاكرز» السيطرة على أجهزتهم ومن ثم سرقة ما بها من بيانات.

ومن الوسائل التي يسرق بها بعض المجرمين الإلكترونيين ما يسمى بـ «النت العشوائي» عن طريق «الريسيفر» وطبق قمر صناعي ويلتقط أي مواد طائرة يرسلها بعض المتصفحين للنت عن طريق «الإيميل».

وطالب برقابة أكبر من قبل المعنيين بمراقبة أجهزة الاستقبال والإرسال بمجلس الوزراء حتى يقطع الطريق على كل من يحاول سرقة بيانات غيره.



غياب التشريع القانوني

يقول حسن أبوالمجد قناوي المحامي بالنقض، إن القانون المصري لم يتدخل بنص صريح يعالج جرائم الإنترنت التي بدأت تنتشر بصورة مقلقلة.

وأضاف: إن التشريع المصري اعتمد في ذلك على قانون العقوبات فيما يتعلق بجزئية السب والقذف، سواء كان ذلك بالنشر عبر الوسائل المقروءة أو المسموعة أو المذاعة بأي وسيلة.

وذكر أن القانون المصري لم يعالج من خلال تشريعاته الجرائم الإلكترونية كجرائم مستحدثة، رغم أن الدولة العثمانية منذ عقود عديدة عالجت هذه الجرائم فقد كانوا سباقين في هذه المعالجة، ومازالت الأردن، على سبيل المثال، تطبق هذا القانون.

ولفت إلى أن القانون المصري تدارك هذه الجزئية عندما أنشأ المحاكم الاقتصادية وخصص فيها جزءا للاتصالات، وبالتالي أنشئت أقسام خاصة بمديريات الأمن تتعلق بجرائم الإنترنت وتعالج جرائم الحاسوب، غير أنه لا يوجد تشريع قانوني خاص بهذه الجرائم.

غياب القيم

وأرجعت د.أمينة بدوي أستاذة علم النفس بجامعة بنها، انتشار هذه الجرائم لغياب القيم، فرغم أن هؤلاء الشباب يمتلكون قدرات عقلية فائقة وهائلة أوصلتهم لهذه الأخطاء إلا أنهم يفتقدون مع هذه القدرات وجود قيم حاكمة.

وفسرت ذلك بتراجع الدور الرقابي للمجتمع بأكمله بدءا من الأسرة والمدرسة حتى المؤسسة التعليمية التي بدأت تفرط عن عمد في رقابتها.

وحول تفسير أسباب قيام هؤلاء الشباب بهذه الجرائم قالت: إن مرحلة المراهقة وحب المغامرة وراء نشاط هؤلاء الشباب الزائد والفاسد في نفس الوقت.

وطالبت بدور علاجي لهذه الجرائم قبل أن تقع وليس بعد أن تقع والتحذير الدائم من خطورتها وكيفية الوقاية من آثارها.

موقف الشرع

يقول د.طه أبوكريشة الأستاذ بجامعة الأزهر: إن أي فعل من هذه الأفعال يعد اعتداء على الأعراض ينطبق عليه ما ينطبق على العرض المباشر بالسب أو القذف أو التشهير أو التزوير.

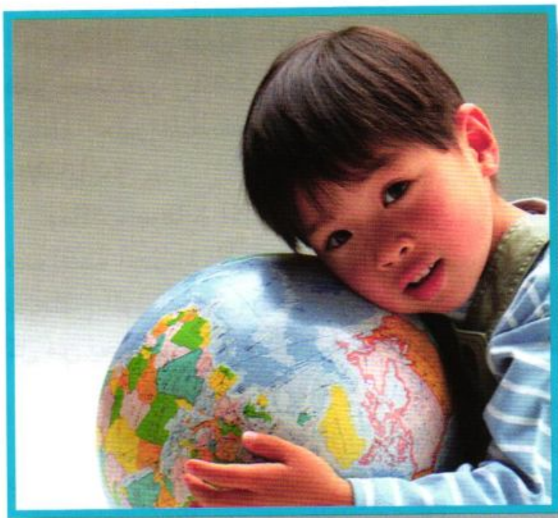
وأضاف: إن هؤلاء المعتدين عن طريق الإنترنت يستحقون عقابا مضاعفا لأنه يمثل انتهاكا لحرمة الأعراض فضلا عن انتهاك الستر الذي ستر الله به عباده وبالتالي يكون عقابه أشد وأنكى، وينطبق عليه الآية الكريمة ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾.

وذكر أن الحكم الشرعي واضح في أن الذي ينظر إلى العورات أو يخترق سترها عن طريق هذه الأداة (الإنترنت) لا يختلف أمره عن أمر من ينظر إلى العوارات الحسية المنظورة فالقصد واحد والنتيجة واحدة، وجميعه مخالف لما يدعو إليه الإسلام من حيث التخلق بخلق الإسلام، وهو الاستحياء من الله حق الحياء.

وأكد أن اختفاء الحياء هو نوع من الفحش الذي أشار إليه النبي ﷺ في قوله «ما كان الحياء في شيء قط إلا زانه وما كان الفحش في شيء قط إلا شانه»، وبالتالي لا ينبغي لأحد أن يظن أن مثل هذه الأفعال بعيدة كل البعد عن التسجيل في الكتاب الذي يسجل فيه أعمال الإنسان عن طريق الملائكة الحفظة كما قال تعالى «وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما يفعلون».

تجنبي الأخطاء الشائعة في تنشئة الأبناء

آمال عبدالرحمن محمد



لم تعد التربية عملًا ارتجاليًا بل أصبحت علمًا وفنًا يدرس في كليات التربية حيث التقدم الهائل في وسائل الاتصالات الذي ألغى الفواصل وقرب المسافات وأصبح العالم كقرية صغيرة تتأثر بكل ما يحدث في العالم وكل تقدم في العلم والتكنولوجيا، وكان على التربية أن تواكب كل هذا التقدم والتغير حتى ننجب أبناء وأجيالا قادرة على مسايرة التقدم الهائل في شتى شؤون الحياة، وخاصة أن التربية أداة المجتمع في صنع أفراده حيث يقع كثير من الآباء والأمهات في أخطاء شائعة عند القيام بأدوارهم تجاه أبنائهم.. ظنا منهم أن كل ما يقومون به من قسوة وتشدد أحيانًا يسهم في تنشئة الأبناء وتربيتهم.

ويكشف لنا د.ياسر نصر مدرس الأمراض النفسية والاستشاري التربوي عن بعض هذه الأخطاء الشائعة لنتلافاها، ونحن نربي أبناءنا فيقول: إن أهم هذه الأخطاء الشائعة هي:

١- فرض الأوامر على الطفل طوال اليوم

وهذا الخطأ نابع من فكرة السلطة والديكتاتورية فنجد الأمهات يصدرن أوامر للطفل ولا يتركن له حرية الاختيار في أي شيء فتقول الأم: «قم.. نم.. البس» هكذا طوال اليوم.

والنتيجة أن الطفل يتظاهر بأنه لا يسمع شيئا وبالتالي لا يستجيب، لذلك ينبغي إعطاء حرية للطفل بحيث يتمكن من الاختيار والشعور بشخصيته حتى لا نفقده الثقة في نفسه ونشعره بالعجز.

٢- عدم الاتفاق على نهج تربوي موحد بين الوالدين

هذا الخطأ هو نتيجة التضاد في المفاهيم بين الاثنين مما يؤثر على نفسية الطفل بشكل كبير لأنه لا يعرف من منهما على صواب، الأم أم الأب، وهو ما يجعله ينجذب لأحدهما دون الآخر، ويؤثر على احترامه وثقته فيه خصوصا إذا تمت المشاجرات أمامه لذلك يجب الاتفاق على منهج تربوي واضح بين الوالدين وحتى إذا تعارضا في موقع معين ينبغي أن يصدق أحدهما على قرار الآخر ومعروف أن الصدق هو مصلحة الصغير.

٣- التفرقة في المعاملة بين الأبناء

وهي كارثة على الرغم من نفي معظم الآباء والأمهات لهذه التفرقة إلا أن أبناء كثيرين يشعرون بها والمطلوب هو التوازن والعدالة عند قدوم الطفل الثاني الذي غالبًا ما يكون أكثر هدوءًا وجاذبًا للانتباه نتيجة اكتساب الأبوين لخبرة في التربية، ومن هنا تبدأ التفرقة سواء المعنوية أو المادية، وهذا من شأنه أن يشعر الأبناء بالغيرة حيث صورها القرآن الكريم أبلغ صورة في قصة سيدنا يوسف عندما تهامس إخوة يوسف قائلين: ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتصبحوا من بعده قومًا صالحين وذلك لظنهم أن أباهم يفضل يوسف عليهم، ولنأخذ من ذلك العبرة.

٤- المقارنة بين الأبناء

وهي طريقة غير عادلة في التربية لأن الفروق بين الأولاد ستبقى موجودة، وتلك سمة من سمات عظمة الخالق أن هناك اختلافا بين البشر في الطول ولون البشرة والذكاء وغير ذلك، ولكل إنسان قدراته، وتؤدي المقارنة إلى زرع المرارة بين الإخوة والحط من قدرات الأقل تقديرًا وقول الأم «أنا أقارن لكي أحفز» غير صحيح من خلال الواقع العلمي، وإنما تكون المقارنة من خلال سرد قصص الأشخاص النابغين والعلماء وبطريقة هادئة من دون انفعال حتى لا تترك أثرا سيئًا في نفوس الأبناء.

٥- عدم إشباع حاجة الطفل للرحمة والحب والحنان

هناك يتعاملون مع أبنائهم بقسوة وعنف كأنهم عسكريون أو ماكينات ويتم توبيخهم ونقدهم في كل صغيرة وكبيرة، هذا الخطأ يترك في نفس الطفل آثارًا

استشارية تربوية

سيئة كثيرة ومنها أن الطفل يفقد الثقة في نفسه ويقلل من قيمة ذاته، لذلك يجب أن تكون هناك دائمًا مساحة من المرح والترويح مع التعامل الهادئ المطمئن بحب وحنان ليسود التفاهم بين الجميع.

٦- **الإهمال**

يؤثر إهمال الأبناء على الأسرة بأكلمها ويجعل الطفل يشعر بالغيرة من أقرانه الذين يحظون باهتمام والديهم وينعكس ذلك على تصرفاته التي تتسم بالعدوانية في مدرسته ليلفت الانتباه له، حتى وإن كان عن طريق العدوان أو أي طريق غير مشروع فينبغي إشباع الحب والحنان وإشعار الطفل بأنه محبوب ومرغوب فيه ونغذي الأمل لديه.

٧-**التدليل**

هذا الخطأ يجعل الطفل يشعر دائمًا بأنه لابد أن يكون محور اهتمام الجميع ويتوقع من كل الناس نفس المعاملة، وبالطبع هذا لا يحدث مما يجعل انفعالاته طفولية ويتأخر نضجه الاجتماعي والانفعالي وتقل قدرته على تحمل المسؤولية ويعتمد على الآخرين في تصريف شؤونه ويتقولب.

٨- **عدم بشاشة وجه الأم والأب في المنزل**

وهو خطأ غاية في الخطورة ويقع فيه كثير من الآباء والأمهات لاعتقادهم أن علامات الشدة المرسومة على الوجه عامل مهم لتربية الأبناء حتى إذا حاول الطفل أن يغير سلوكه نحو الأفضل فإنه يجد نفس رد الفعل فيتوقف عن المحاولة وهنا تظهر الفجوة التي تجعل الأطفال يكرهون والديهم حتى لو وفرا لهم كل احتياجاتهم.

أخيرًا يؤكد خبراء التربية وعلم النفس أن وسيلة الضرب غير مقبولة وأنها تعكس شخصية قليلة الحيلة لا تجد إلا الضرب وسيلة للتقويم.

الحلم الكبير

نسيبة محمود طالب

رأيتها تتمايل في ذاك الثوب الأبيض، كزهرة متفتحة يسري ماء الحياة في عروقها، وتتلألأ بالسعادة الغامرة مقلتاها، كانت تفيض فرحًا وتفاؤلاً.

بدت لي كحمامة بيضاء صافية ودّعت عش أمها بعد أن مكثت فيه طويلًا، وانطلقت نحو الفضاء الواسع بسعادة يرافقها طائر حمام حنون يحميها بجناحيه الدافئين ويكونان معًا عشًا صغيرًا يملآنه حبًا وصغارًا.

عدت إلى منزلي ونظرت إلى المرآة فرأيت فيها زهرة قد بدأ برد الشتاء يتسلل إلى أطرافها ويسرق نضارة أوراقها، وبدأ الاصفرار يغزوها شيئًا فشيئًا، تأملت بصمت وأنا أحلم أن أكون يومًا تلك الحمامة البيضاء التي رأيتها في زفاف صديقتي، حلم ولد صغيرًا في قلبي وراح يكبر مع مرور الأيام، إنه حلم كل فتاة، بل هو فطرة فطرها الله تعالى داخلها، فكل واحدة منا تحلم بذاك الثوب الأبيض.. تحلم بشريك لحياتها، يكون لها عونًا على تحقيق أهدافها، يعطيها الحنان فتعطيه كل ما في قلبها من مشاعر وأحاسيس دافئة.

شعرت كم أنا بحاجة إلى ذاك الشريك لنترافق معًا ونسير سويًا في طريق الطاعات والعبادات، يعينني على البر والإحسان، والقرب أكثر من الله، نرقى سويًا حتى نبلغ أعلى درجات الجنان.

كم أنا بحاجة إلى رؤية تلك البذرة الصغيرة وهي تنمو شيئًا فشيئًا، أفرغ فيها ما في داخلي من مشاعر الأمومة، أرعاها وأحتضنها، أرويها بماء المبادئ والفضائل، أغذيها بحب الله تعالى وحب رسول الله ﷺ، حتى تنمو وتصبح شجرة باسقة تقف في وجه رياح الشر والفساد، كم أحلم أن أكون يومًا والدة عمر وصلاح الدين، أن أنجب رجالًا يكونون درعًا يدافع عن دينهم ومقدّساتهم، شعرت بحرقة شديدة تسري في جسدي، تكاد تفتك بقلبي، ورحت أتساءل: أنى لحلمي هذا أن يتحقق، وأكثر شبابنا بات همهم الأول في اختيار الزوجة هو جمال الشكل؟ جمال لم أكن أملك الشيء الكثير منه، مع أني أملك الدين والأخلاق والعلم ولكن للأسف قلّة هم من باتوا ينظرون إلى تلك الأمور، بل أكاد أراها باتت صفات ثانوية في الفتاة بينما أصبح الجمال هو المطلب الأول لدى الكثيرين، شعرت بدموع ساخنة تسيل على خدي.. دموع حاولت منعها كثيرًا لكنها أبت إلا أن تخرج لتزيد من شعوري بالألم والضعف. وعندها سمعت ذلك النداء الأزلي ينطلق ليملأ الكون: «الله أكبر الله أكبر» فشعرت بإشراقة كبيرة في داخلي، وبسكينة تملأ روحي، وبرضا يغمر قلبي، كيف لي أن أحزن والله معي لن ينساني، وما قدر لي شيئًا في هذه الحياة إلا لعلم منه بأنه الخير لي، ولذلك لن أحزن ثانية ولن أجزع لأني على يقين مطلق بأن الخير فيما اختاره الله وأن فرج الله آت.

● كاتبة صحافية

الحوار بين الزوجين

بشرى شاكر

إذا كان الحوار أساس تفاهم الحضارات وقرب المجتمعات فإنه من الأولى أن يكون أساس اللبنة الأولى المؤسسة لكل مجتمع وبالتالي للأمة جمعاء وهي الأسرة، إن ما نعانيه الآن من ارتفاع في نسبة الطلاق أو انفصال فكري وروحي أو تدهور حالة شبابنا ما هو سوى نتيجة لانعدام الحوار داخل أسرنا، أسر كانت مبنية من قبل على الحوار والتفاهم والتشاور.

والحوار بين الزوج وزوجته عادة ما يبدو مستعصيا في بداية الحياة الزوجية، وإن كان يدوم الحال بالنسبة لبعض الأزواج حتى بعد سنوات طويلة من الارتباط، وتتجلى صعوبة الحوار في كون الرجل والمرأة مختلفين، كما دل على ذلك بوضوح الاخصائي النفساني «جون غراي» في كتابه «الرجال قادمون من المريخ والنساء من الزهرة»، حيث أبرز أن المرأة والرجل يلتقيان بطباع مختلفة، لأنهما عاشا في بيئتين مختلفتين وبين أناس مختلفين، فمن البديهي أن تكون هناك صدامات معرفية وفكرية وسلوكية بين الزوجين في بداية حياتهما، ولكنها تتحول إلى تفاهم مع نقاش وحوار مفيد وبناء منصت للآخر ومستمع له، حيث يقر كل طرف بالحق حينما يكون على خطأ ويحاول الإصلاح حينما يكون على صواب دون جرح الطرف الآخر أو التقليل من شأنه.

كما يتحدث الأخصائي نفسه عن كون النساء في حوارهن يقدمن العاطفة، فيمكنهن أن يتحدثن لوقت أطول في أمر يمكن أن يقوله الرجل في كلمتين فقط، وهنا أيضا يجب أن تتقبل المرأة الطابع الرجولي والذي يحب الحوار المقتضب المباشر وتتقبل رغبته في الصمت أحيانا، وأيضا على الرجل أن يتقبل تعبير زوجته الذي يراه البعض مملا ويراه آخرون ممن يستطيعون استيعاب الحديث ممتعا ومفيدا.

> **الحوار بين الزوجين ليس معركة لكن لابد من اشتماله على الرفق واللين**

فعلميا، الرجل حينما يحاور فانه يعتمد الوقائع فيريد أن يوصل فكرة بدقة متناهية، ولكن المرأة لا يمكنها أن توصل الفكرة بنفس الطريقة، فالفكرة لديها تشمل كل ما يتعلق بها من أحاسيس وعاطفة، فهي لا تتجزأ عن محيطها الشعوري، ولذلك فالمرأة عادة أكثر تأثيرا في حوارها والرجل أكثر عملية، وهما الاثنان زوج وزوجة، فالهدف ليس أن نبحث لمن ستكون الغلبة ولكن الهدف هو كيف نصل إلى حل يرضي الجميع ويكون سليما وشرعيا وكيف نتعلم ان نتحاور داخل بيوتنا دون ان ينشب الصراع، فالحوار يجب ان يجمعنا ويقربنا من بعضنا البعض وان يوحدنا على طريق وهدف مشترك لا أن يبعدنا ويشتتنا،



* كاتبة مغربية

الحوار يساعد الأزواج على فهم بعضهم البعض وعلى تفادي المشاكل والعقبات، فكم من انفصال كان يمكن تجنبه لو أن الطرفين تحاورا وتناقشا وعرف كل منهما ما يضره من الآخر وحاول أن يغير منه.

كما أنه ليس من الضرورة أن نقول كل ما يجول بخاطرنا دون تفكير، فيمكننا أن نصحح وضعا بنصيحة، ويمكننا أن نفاقمه إذا لم نختر الوقت لمناقشة موضوع شائك بالنسبة للآخر، وعلينا أن نحترم أيضا رغبة الآخر في الحديث أو رغبته في البقاء وحده حينما يكون غاضبا من أمر ما مثلا، لأننا إن جعلناه يتحدث حينها فغالبا ما يصب جام غضبه علينا او يحسب بالضيق والحنق، وفي كلتا الحالتين فإن الحوار هنا لن يكون سوى جدلٍ عقيم لا معنى له، وبالتأكيد سوف تكونُ له عواقب سلبية وقد تكون وخيمة مثل الطلاق.

قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ واللباس يلتصق بالجسم فيعرف تضاريسه ويستر عيبه ويواري سوأته، والزوجة والزوج يعرفان مزاج بعضهما البعض من نظرة واحدة، فالعشرة والحياة المشتركة والمودة، كل هذه الأشياء، كفيلة بجعلهما يتفاهمان ويختاران الوقت المناسب لمناقشة موضوع ما ويحلان مشاكلهما معا ولا ينشرانها على الملأ.

الصدمات الفكرية بين الأزواج تتحول مع الوقت إلى تفاهم عن طريق الحوار المفيد

كما أنه في أي نقاش بين الزوج وزوجه يكون التزام القول الحسن مطلوبا، بل ويؤجر عليه كلا الطرفين، فضلا عن انه من الواجب أن نتجنب لهجة التحدي وفرض آرائنا حتى وان كانت خاطئة، بل إن رأينا حتى وان كان صوابا فعلى الزوجين ان يعرفا كيف يدليان به دون مشاكل، فالحق وإن كان حقا الا انه يصعب تقبله من قبل طرف مخطئ متعنت، ولذا كان يقول الإمام الشافعي: «ما حاورت أحدا الا وتمنيت ان يكون الحق إلى جانبه».



كما أننا نرى العديد من الأزواج يستخفون بمشاورة زوجاتهن ولا يثقون بحديثهن فينعدم ذلك الحوار البناء بينهما، ولهؤلاء نقول: إن خير الأنام ﷺ قد شاور النساء ونحن نسير على نهجه ونقتدي به، ولعل خير مثال على ذلك يوم الحديبية حينما قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا، فما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا».

ولعل أكثر ما يقتل الحوار بين الزوجين هو طريقته، كأن ينهي احدهما الحوار دون أن يستأذن من الثاني ويخبره انه لا فائدة من النقاش أو يلقي احدهما اللوم على الآخر أو لا يعترف بخطئه أو ينعت احد الزوجين الآخر بعدم الفهم واستحالة النقاش معه ورفع الصوت بدون سبب وكأنهما يخوضان معركة.

فإذا كانت المرونة في الحوار واللين فيه والرفق من الأمور الضرورية في الحوار مع الغير فالأجدى أن تكون بين الزوجين، إذ قال سبحانه وتعالى في سورة الروم: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾، فعلى الزوجين أن يسكنا لبعضهما البعض وان يحاورا بعضهما بمودة ورحمة.

إننا ان تعاملنا في بيوتنا هكذا فإننا سننقل روح الحوار لأبنائنا فنجعلهم أكثر تقبلا لمجتمعهم واكثر اقبالا عليه ونبعدهم عن الانزواء والوحدة ونجعل منهم فاعلين داخل محيطهم ومصلحين لأمتهم.

الداعية المسلم بين العاطفة والعقل

عصام تليمة

المسلم مطالب بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فهي فريضة لازمة، كل بحسب طاقته، وبحسب مقدرته العلمية والوسائلية، ومن مستلزمات الداعية الناجح أن يدعو إلى الله على بصيرة، يقول تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف: ١٠٨) ويقول تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل:١٢٥)، فلاشك أن مؤهلات الداعية ليست مجرد علوم يحصلها، عن طريق الكتب والمحاضرات، بل لابد أن تعركه التجربة والخبرة، وأن يأخذ قسطًا مهمًا من صفات الداعية النفسية المطلوبة، فليس الداعية مجرد آلة تنفذ ما تفهمه من كتاب الله وسنة رسوله.

مما لاشك فيه أن من هذه الصفات النفسية المهمة التأني والحلم، وعدم الغضب والتعجل. فإن أكبر آفة تصيب الداعية هي العاطفة المتعجلة، سواء في فهمه للدعوة، أو في تطبيقه لمبادئها.

والإنسان مكون من عدة عناصر، فهو مكون من الجسد، والعقل، والروح، ولكل مكون منها مكانته وأهميته وتأثيره، فهو إن غلب عليه جانب الجسد صار ماديًا بحتًا، وإن غلب عليه جانب العقل صار ديناميكيًا بحتًا، وإن غلب عليه جانب الروح صار عاطفيًا بحتًا، وفي طغيان جانب على بقية الجوانب مخاطر.. على الداعية أن يتجنب الوقوع فيها، فهو يحتاج أن يكون متوازنًا في كل هذه الأمور، بحيث يجمع بين العاطفة والعقل، بين الروح والجسد.

وليس ما ننكره هنا على الداعية المسلم، أن يكون لديه عاطفة جياشة، بل ما ننكره هنا أن تغلب عليه هذه العاطفة التي تؤدي إلى العجلة، على التعقل وتبصر مواضع الأمور، وتودي به وبدعوته إلى حيث لا يريد، وإلى حيث لا نتيجة إلا انتهاء دعوته، أو قصور وتوقف مشروعه الدعوي، ودخوله في صدام مع الناس والمجتمع، بل وأحيانًا مع الدولة، بلا داع لذلك، ولا أثر يذكر لما قام به، يقول الشيخ الغزالي، رحمه الله، مخاطبًا الدعاة المتعجلين من الشباب: إن الواحد منكم يقف على المنبر، يقول الكلمة، لا يقطع بها ذَنَب عنزة، إنما يقطع بها رقبته!

أسباب زيادة العاطفة المتعجلة

إن للعاطفة التي تخرج عن حد الاعتدال إلى التعجل أو الشدة والحدة أسبابًا، منها ما هو شخصي (فطري)، ومنها ما هو سنّيٌ أو عمري، ومنها ما هو بيئي، ومنها ما هو ثقافي.

أولا: السبب الفطري

وهو العامل الشخصي (الفطري)، ويدخل في تكوين الإنسان الفسيولوجي، فهو بطبيعته فيه حمية وغيرة وانفعال، يجعل عاطفته تتأثر لأقل موقف، ولأي موقف، وترمومتر عاطفته دومًا مرتفع، لا يعرف استقرارًا، ولا يقف عند الدرجة التي يستحقها الموقف، وهذا السبب موجود في كل البشر بنسب متفاوتة، وقد وجدنا في الصحابة من عنده العاطفة السريعة الانفعال، السريعة التأثر، كما وجد ذلك في أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم، ومثال ذلك.. لما نصر الله المسلمين في غزوة بدر، وشاور النبي ﷺ أصحابه في أمر الأسرى من المشركين، فذكرت لنا كتب السيرة ردين لصحابيين من كبار صحابة رسول الله ﷺ، الأول: عمر بن الخطاب، والآخر: أبوبكر الصديق، أشار عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بأن قال: أرى يا رسول الله أن آخذ فلانًا قريبي، فأقتله، وتأخذ أنت فلانًا (عقيل بن أبي طالب) وتقتله، وكل واحد منا يأخذ قريبًا له من الأسرى فيقتله.

وقال أبوبكر: يا رسول الله هؤلاء هم عشيرتك وذوو رحمك، أرى أن تعفو عنهم.

فقال ﷺ: إن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام، أي يقصد في عاطفته الشديدة، في قوله تعالى على لسان موسى يدعو على فرعون وقومه: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (يونس: ٨٨). وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم وعيسى عليهما السلام، يقصد بذلك قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك

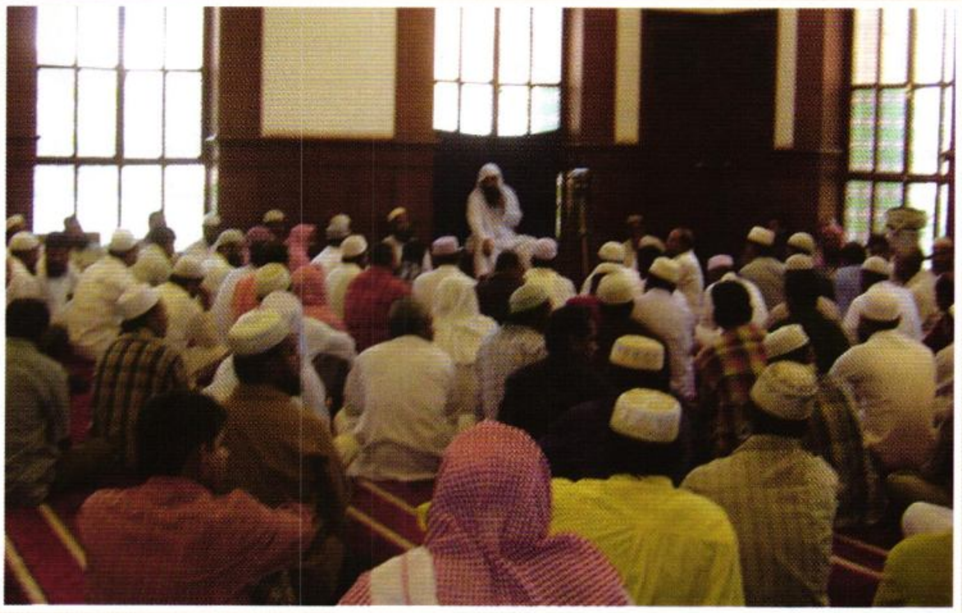
• باحث إسلامي في قطر

مؤهلات الداعية ليست مجرد علوم يحصلها بل لابد أن تعركه التجربة والخبرة

غفور رحيم﴾ (إبراهيم: ٣٦) وقول عيسى عليه السلام: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (المائدة: ١١٨)[١].

ولسنا هنا في مقام التمييز والمفاضلة بين صحابة رسول الله ﷺ، وتقسيمهم إلى عاطفي وغير عاطفي، بل أردنا أن نبين في هذا الاستشهاد أن لكل إنسان درجة من العاطفة تزيد وتنقص كل حسب فطرته التي فطره الله عليها، وإن ذكرنا هنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أهل العاطفة الحماسية، فهي حماسية في الحق، ومع عاطفته وحماسته للحق، إلا أنه كان وقافًا عند حدود الله، كما حدث لامرأة عمر أن رأتها امرأة تخرج للمسجد، فقالت لها امرأة: أوما تخشين من عمر أن يمنعك من الذهاب للمسجد؟! فقالت امرأة عمر: لا، بل يمنعه هو قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[٢].

ومن ذلك.. ما روته السنة عندما قدم وفد عبدالقيس، يحكي أحدهم قائلا: «لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه، ثم أتى النبي ﷺ فقال له: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»، قال: يا رسول الله! أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله»[٣].



ومن هذا المثال أيضًا قول رسول الله ﷺ لجد سعيد بن المسيب، واسمه حزْن، أي صعب، عندما سأله ﷺ: ما اسمك؟ قال: حَزْنٌ، قال ﷺ: بل أنت سهل، فقال: والله لا أغير اسمًا سمّانيه أبي، يقول سعيد بن المسيب: فمازالت الحزونة فينا بعد[٤].

فهذا سبب فطري شخصي في الإنسان، يجبل عليه، يولد به، وينشأ عليه، أو يكون من عوامل الوراثة في عائلته، وليس معنى ذلك أنه عامل يصعب تغييره، بل له علاج بلاشك، ولكن أردنا فقط أن نوضح أنه من مخزون فطرة الإنسان، ومما جبل عليه.

ثانيا: السبب العُمْري

سبب سني عمري ونعني به صغر السن، أو عنفوان الشباب، فلاشك أن العاطفة تكون عند الشاب أغلب على العقل، وتكون الحكمة والحنكة والتروي أكثر عند الشيخ، أو من تخطى مرحلة الشباب، نرى ذلك واضحًا في موقف الرسول ﷺ في غزوة أحد، فقد كان رأيه ﷺ البقاء في المدينة، وتكون المعركة معركة شعبية من داخل طرقات المدينة، ولكن الشباب الذين فاتهم شرف الجهاد في غزوة بدر ارتأوا أن يخرجوا لملاقاة كفار قريش، وكانت الغلبة لرأي الشباب، ولما أحس الشباب أنهم ضغطوا بالرأي، على رسول الله ﷺ، وكأنه لم يكن راضيًا تمامًا عن الخروج، فذهبوا إليه يعتذرون، ويردون له الأمر، فنزل على رأيهم[٥].

ثالثا: السبب البيئي

وهناك عامل ثالث وهو البيئة، فهناك بيئة يغلب عليها العاطفة، والعاطفة المتقدة الجياشة، التي لا تستطيع أن تتحكم في نفسها، ولا أن تتروى في تصرفاتها، وقد يجد الإنسان هذا الأمر في بلد واحد، وقد يراه يختلف من بلدة إلى بلدة، ففي مصر. مثلا. تختلف العاطفة في الوجه البحري عن الوجه القبلي، وفي القرى عن المدن، وفي المناطق الجبلية عن المناطق البحرية، فالعاطفة تغلب على العقل في مكان عن مكان. وكذلك على مستوى الدول، فترى بلادًا يحكمها العقل والتروي، ولا تستثار لأقل موقف، بل تتحكم في أعصابها وعاطفتها، وهناك بلاد ترى فيها العاطفة الحامية الشديدة في موضعها وغير موضعها، وذلك ناتج عن البيئة التي يحيا فيها الإنسان.

وكذلك البيئة الجبلية غير البيئة الساحلية، وفي ذلك ورد الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ: «من بدا جفا»[6]. وهو ما أسهب فيه علماء الاجتماع، وأولهم ابن خلدون، رحمه الله، في مقدمته، وعلماء النفس في دراساتهم المختلفة.

رابعا: السبب الثقافي

والعامل الرابع، هو عامل ثقافي، ينتج عن الموروث الثقافي والعلمي، فلاشك أن من يقصر اطلاعه وقراءاته على كتاب تغلب على كتابتهم العاطفة على العقل، يتأثر بما يكتبون، ويستجيب لما ينظِّرون له، وما يشيرون به، فهناك دعاة عندما يتناولون قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو تغيير البدعة، يتبنون وجهة النظر القائلة بتغيير المنكر على الفور، وهناك من يرى أن البدعة أو المنكر يغير على التراخي، حسب وقت محدد يراه مناسبًا للتغيير، وحسب خطة مدروسة، تقوم على دراسة الواقع المعيش، ومراعاة ظروف المجتمع المراد تغيير المنكر فيه، ولكل وجهة، المهم أن هذا العامل أيضًا يشكل عاطفة الإنسان الداعية القارئ.

هذه هي أهم الأسباب أو العوامل التي تصنع العاطفة الجياشة، أو تؤجج العاطفة عند الداعية، وقد عرفنا الأسباب، ونستطيع بعد ذلك أن نقف معًا على العلاج، وفي حديثي معك أتكلم عن العاطفة التي تنفر الناس من حولك، وتبدد جهودك، لا العاطفة الصحيحة التي في موضعها.

علاج العاطفة المتعجلة

١- على الداعية أن يروض نفسه على التأني والتريث، وأن يجلس فيفكر بينه وبين نفسه قبل أن يتخذ القرار، أو يعمل العمل، ويزن الأمور بمعيار السلبيات والإيجابيات المترتبة على العمل أو القول، وفي الأثر: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم»[7].

٢- اتباع سنة التدرج: إن الله عز وجل علم بني البشر سنة التدرج من خلقه للسموات والأرض، فالله عز وجل خلق السموات والأرض في ستة أيام، قال تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (الأعراف: ٥٤)، ولو أراد أن يخلقهما في لحظة لفعل، فهو على كل شيء قدير ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (يس: ٨٢)، ولكن ليعلم بنو آدم أن كل شيء بقدر، وله وقته.

وهذا ما أرساه القرآن الكريم في تشريعه للناس، فالربا لم يحرم جملة واحدة، بل حرم على مراحل، وكذلك الخمر حرمت على أربع مراحل، بل إن التشريع الإسلامي لم ينزل جملة واحدة، فقد خلا العهد المكي من التشريع إلا قليلاً، وركز على شرح العقيدة الإسلامية، بل القرآن نفسه لم ينزل جملة واحدة، بل نزل مفرّقًا، ليعالج مواقف حياتية في حياة المسلم.

٣- اكتساب الخبرة: على الداعية أن يكتسب الخبرة في التعامل مع المدعوين والناس، وذلك بأن يلزم ويقترب من الدعاة الكبار ذوي الخبرة في الدعوة، ممن عركتهم الحياة الدعوية، وصقلتهم بدروسها وعبرها، فهذا مما لاشك فيه يصقله أيضًا، ويصحح له ما يقع فيه، وهذا ما تعلمه نبي الله موسى، وهو من أولي العزم من الرسل، من الرجل الصالح في مواقفه الثلاثة، في القصة المعروفة المذكورة في سورة الكهف، فطول صحبة العلماء ذوي الخبرة يورث الأناة والحلم، وعدم التعجل لدى الدعاة الشباب.

٤- دراسة تاريخ الدعوات: على الداعية كذلك أن يدرس تاريخ الدعوات الإصلاحية جيدًا، وسير الدعاة الكبار من الصحابة والتابعين والسلف إلى العصر الحديث جيدًا، ويستفيد من أخطائهم، وبخاصة التجارب التي بنيت على العاطفة المتقدة، والتي لم تتحل بزينة التعقل، والتفكر والتدبر في مآلات الأفعال، فهذا يجعل الداعية يتبصر مواضع قدميه.

هذه بعض وقفات مع العاطفة المتعجلة التي تصيب الداعية، ومحاولة الوقوف على علاجها، لأن المتأمل لتأخر مسار الدعوة الإسلامية في كثير من بلاد المسلمين، يجد وراءها عاطفة مشوبة بالتعجل، أو عدم تخطيط جيد لمسارها، فهذه آفة خطرة نسأل الله تعالى أن يجنب دعاتنا الوقوع فيها، اللهم آمين.

الهوامش

١- رواه البيهقي في الكبرى (١٢٦٢٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٩/٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
٢- رواه البخاري (٨٥٨) ومسلم (٤٤٢) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.
٣- رواه أحمد (١٧٨٦٢) عن أشج بن عصر، وأبوداود (٥٢٢٥) عن زارع رضي الله عنه، وصحح إسناده محققو مسند أحمد، وحسن إسناده الشيخ الألباني.
٤- رواه البخاري عن المسيب والد سعيد برقم (٦١٩٠).
٥- الخبر ذكره كتاب السير، وحسن إسناده ابن حجر في تلخيص الحبير (١٣٠/٣).
٦- رواه أحمد (٨٨٢٣) والطبراني في الأوسط (٥٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وضعف إسناده محققو المسند، ورواه أبويعلى (١٦٥٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وضعف إسناده حسين سليم أسد.
٧- رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٣٩) وأبونعيم في الحلية (١٧٤/٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء (١٤١/٣).

حصن من حصون العلم في الجزائر

دار الحديث في تلمسان



تركي محمد النصر *

«يا أبناء تلمسان كانت عندكم أمانة من تاريخنا المجيد فأديتموها، فنعم الأمناء أنتم» (ابن باديس).

تلمسان جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في مكان نظيف، كأنها مَلِكٌ على رأسه تاجُه، وحَوَاليْه من الدوحات حَشَمُه وأَعْلاجُه، هواها المقصور بها فريد، وهواؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد.

تلمسان احتفت بالعلم جارا ... وما كالعلم للبلدان جار
لقد لبست من الإصلاح تاجا ... يحق به لأهليها الفخار
تلمسان اكشفي عن رائعات ... من الآثار جللّها الغبار

تقع مدينة تلمسان على مسافة ٦٠٠كم إلى الغرب من الجزائر العاصمة وهي محاذية للحدود المغربية، وتعتبر من أهم مراكز التاريخ والآثار في الجزائر وبخاصة تراثها المعماري العربي الإسلامي، وتتميز بمساجدها وبيوتها البيضاء ووقوعها على هضبة تحيط بها أشجار الزيتون وكروم العنب فاستحقت لقب: «المدينة المتحف»، تأسست في القرن الرابع الميلادي على يد الرومان، وصارت مستعمرة رومانية تحوي كنيسة رومانية كاثوليكية كبيرة قبل أن يفتحها المسلمون في القرن الثامن الميلادي في العام ٧٠٨م، حيث أصبحت المدينة تحت حكم المسلمين، وفي القرن الحادي عشر الميلادي، في ظل دولة المرابطين شهدت المدينة انطلاقتها كأحد أبرز المراكز التجارية على البحر المتوسط، وازدهرت بمراكزها الدينية ومساجدها التاريخية الرائعة كالجامع الكبير، وجامع سيدي بلحسن، ثم ما لبث أن أصبحت في عام ١٢٨٢م عاصمةً لمملكة تلمسان.

ولما انهارت الأندلس لعبت المدينة دورًا كبيرًا في التاريخ الإسلامي حيث استقبلت الوافدين عليها من قرطبة وغرناطة بعد سقوطهما ثم عانت المدينة بعد ذلك من غزو الإسبان الذين بدأوا بتنصير المدينة وإكسابها الطابع الكاثوليكي حتى أوقفهم العثمانيون بعد سيطرتهم على تلمسان في عام ١٥٥٣م.

وفي عام ١٨٤٤م سقطت المدينة تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي الذي استمر حتى الستينيات من القرن العشرين عندما نالت الجزائر استقلالها، فأصبحت تلمسان عاصمة لولاية تحمل اسمها، واكتسبت المدينة تنوعا إنسانيا واسع النطاق نتيجة لمرور العديد من الأجناس عليها من عرب وبربر وأسبان وفرنسيين، فظهرت فيها الثقافة والآداب والعادات الاجتماعية في مزيج فريد قلما تجده في مدينة أخرى.

فتلمسان قاعدة المغرب الأوسط، ودار مملكة زَنَاتَة، وموسطة قبائل البربر، ومقصد تجار الآفاق، لها أسواق ومساجد، وأشجار وأنهار، ولها خمسة أبواب: باب الحمام في القبلة، وباب وهب، وباب الخوخة، وباب العقبة في الشرق، وباب أبي قرة في الغرب، وفيها للأول آثار قديمة، كما اعتبر كثير من المؤرخين أنها صندوق العلم لكثرة العلماء فيها ومن أشهرهم: أحمد بن موسى الشريف الإدريسي، أحمد بن الحسن الغماري التلمساني، الفقيه الأصولي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، أحمد بن عبدالرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني، محمد بن محمد بن يحيى السنوسي التلمساني، يعقوب بن يوسف بن عبدالواحد المغراوي التلمساني. وغيرهم كثير.

وهذه الصفات العظيمة لمدينة تلمسان جعلت ابن خلدون يصفها بقوله: «أعظم أمصار المغرب... وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية».

فكرة بناء دار الحديث

في عام ١٩٣٢م، استقبلت تلمسان الشيخ الأديب العلامة «محمد البشير الإبراهيمي، ت: ١٣٨٥هـ» ابن قسنطينة، الذي كان له كبير الأثر في تفعيل فكرة بناء مدرسة للحديث والعلوم الشرعية في البلاد لتكون قلعة من قلاع الإصلاح الديني الإسلامي في الجزائر، وذلك من خلال الدور التوعوي والنشاط العلمي الذي تمثل في خطبه ودروسه وتوعيته للناس في المساجد، قال رحمه الله عن نشاطه في تلمسان: «كنت ألقي عشرة دروس في اليوم، أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، وأختمها بدرس في

* إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

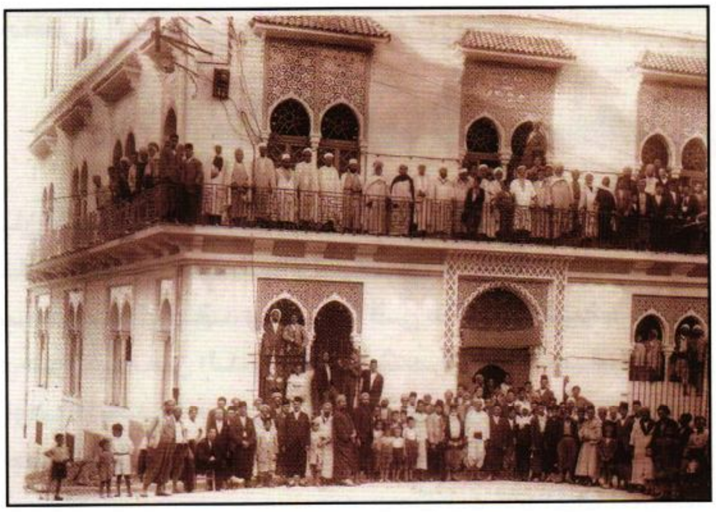
التفسير بين المغرب والعشاء، وبعد صلاة العتمة أنصرف إلى أحد النوادي فألقي محاضرة في التاريخ الإسلامي»، وفي بداية الثلاثينيات خَطَت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطوات جبارة في ميدان التعليم باللغة العربية عن طريق إنشاء مدارس حرّة غير ممولة من طرف الاستعمار الفرنسي الذي أسس ودعم مدارس كبيرة للتعليم باللغة الفرنسية، وسخر كل الإمكانيات الموجودة لها.

وكان لتعاون «الإبراهيمي» مع الجمعية الدينية الإسلامية التي تأسست في سبتمبر ١٩٣١م، أثره الكبير في بناء مدرسة دار الحديث، حيث اجتمعت الجمعية المذكورة بحضور الشيخ «الإبراهيمي»، في ١٩٣٤/١٢/٢٣م، وتم الاتفاق على السماح للجمعية بالحصول على قطعة أرض لبناء مدرسة أو محل للجمعية، وتحديد عدد الأعضاء بـ ٣٢ عضوًا، ومسائل عامة غيرها.

في عام ١٩٣٥م، تم شراء قطعة أرض وكانت عبارة عن دكان ليهودي مخصصة لبيع الحبوب، تقع على مرتفع عظيم، وكان ثمنها ١٢٥ ألف فرنك، تم جمعه من جميع الأوساط والعائلات التلمسانية سواء البارزة منها أو المتواضعة دون تمييز، وبهذا تكون العائلات على اختلاف مستوياتها قد أسهمت في عملية التبرع بمبلغ لبناء دار الحديث.

بناؤها ووصفها

انطلقت لجنة تشييد وبناء مدرسة دار الحديث في أعمالها في ١٩٣٦/٢/١٧م تحت إشراف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ومشاركة أهالي تلمسان فمنهم بماله، ومنهم بقوته وعرقه، ومنهم بدعائه، وكلٌ على حسب طاقته بمشهد



وصف ابن خلدون مدينة تلمسان بأنها «أعظم أمصار المغرب»

اجتماعي مهيب ونادر لا تراه إلا في مجتمع الجسد الواحد.

لقد كان لهذه المدرسة طابعها الحضاري الإسلامي، بتصميم فريد من المهندس الجزائري عبدالرحمن بوشامة، رحمه الله تعالى، وهي تتكون من:

١- الطابق الأرضي: فيه مسجد للصلاة، وقاعة وضوء.

٢- الطابق الأول: فيه قاعة محاضرات وخشبة مسرح، ومكتب إدارة المدرسة.

٣- الطابق الثاني: فيه خمسة أقسام للدراسة هذا قبيل الاستعمار، لكن بعد الاستقلال تم توسعة الدار بزيادة العديد من أقسام الدراسة.

كما توجد في المدرسة مكتبة رائعة تحوي العديد من الكتب الحديثية والعلمية المتنوعة، وفيها قاعة للمطالعة، كما تم إضافة قاعة للانترنت في المكتبة شملته توسعة ما بعد الاستقلال.

افتتاح دار الحديث

في يوم ١٩٣٧/٩/٢٧م، خرج أهالي مدينة تلمسان كبارها وصغارها في مشهد مهيب للقاء رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبدالحميد بن باديس، ت:١٣٨٥هـ رحمه الله الذي جاء لافتتاح مدرسة دار الحديث بحضور ثلة من أهل العلم ومن دعاة الإصلاح الإسلامي كالشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي وغيرهم.

لقد كان يوم افتتاح الدار يومًا مشهودًا عظيمًا في تاريخ الجزائر عامة، وتلمسان خاصّة، حيث توافد الناس من كافة أنحاء البلاد لحضور افتتاحها، وكان عددهم أكثر من ثلاثة آلاف شخص منهم سبعمائة ضيف، والبقية من أهالي تلمسان.

بدأ الشيخ البشير الإبراهيمي هذا المشهد العظيم بمناولة مفتاح الدار للشيخ عبدالحميد بن باديس عند باب المدرسة، ثم تشرف ابن باديس بأخذ المفتاح وفتح باب دار الحديث ودخلا معا وبرفقتهم العلماء والضيوف، وبدأت الجموع في الخارج تطالب برؤية ابن باديس فاستجاب لرغبتهم، وأطل عليهم هو والإبراهيمي والعلماء من الشرفة في الطابق الأول، وخاطبهم قائلا: «يا أبناء تلمسان، يا أبناء الجزائر، إن العروبة من عهد تبع إلى الآن تحييكم.. وإن الإسلام من عهد محمد ﷺ إلى اليوم يحييكم، وإن أجيال الجزائر من هذا اليوم إلى يوم القيامة تشكركم وتثني عليكم وتذكر صنيعكم بالجميل، ومن أجمل ما قيل في هذه المناسبات خطاب رئيس الجمعية الدينية التلمسانية السيد طالب عبدالسلام، والذي ختمه بقوله: «ولقد شعرتم بمجدكم وتاريخكم أيها التلمسانيون وأعنتم على تشييد هذا البناء الضخم بكل ما في وسعكم وطاقتكم فجزاكم الله عن العلم والدين خيرا».

وبعد هذا المشهد العظيم بدأت

تلمسان تشع وتتوقد بتوافد رجالات الإصلاح والتعليم للسير نحو النهضة العلمية الإسلامية المباركة، حيث كان هذا الصرح منطلقًا نحو المجد العلمي الذي عاشته الجزائر وأهلها بعد ذلك.

وكان ابن باديس قد وعد أهالي تلمسان بإرسال من تتوفر فيه كل الشروط لقيادة هذه النهضة العلمية المباركة في تلمسان، وعندما عاد إلى قسنطينة أبدى رغبته لأخيه ورفيقه في الكفاح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الالتحاق بتلمسان ليكوّن بها مركزًا للإشعاع الإصلاحي، والنهضة العلمية والأدبية في الغرب كله؛ فاستجاب الإبراهيمي لهذه الميزة التي خصه بها ابن باديس، وسافر إلى تلمسان التي استقبلته بكبارها وصغارها الذين وفدوا إليه ليستفيدوا من علمه وخبرته.

بدأ الإبراهيمي رسالته بإقامة الدروس والمحاضرات واللقاءات في النوادي التي تأسست آنذاك، وفي مراكز جمعيات ثقافية، وفي الأحواش والبساتين التي استحالت كلها إلى مدارس، وقد ضم إليه الشاعر الأديب الأستاذ الهادي السنوسي، ت: ١٣٩٤هـ، لمساعدته في تعليم الصغار بأحد هذه النوادي.

وعندما تدخل من باب دار الحديث تواجهك لوحة رخامية مثبتة على الحائط تقرأ عليها ما يلي:

«تأسست مدرسة دار الحديث على يد العلامة الفاضل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمساعدة شعب تلمسان، وقد افتتحها صاحب الفضيلة الإمام عبدالحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الاثنين ٢١ رجب ١٣٥٦هـ الموافق ليوم ٢٧ سبتمبر ١٩٣٧م»، لقد أحدث عمل



ابن باديس



البشير الإبراهيمي

الإبراهيمي رحمه الله في مدة قصيرة انقلابًا مدهشًا في العقيدة، وتطورًا سريعًا في العلم والأفكار، وكوّن أرضية صلبة وخصبة، وعقولًا نيرة وذلك من خلال مدرسة جمعت الطلاب ومسجد آوى إليه كبار الناس لأداء شعائرهم، ولسماع دروس الوعظ والإرشاد.

عثرات في الطريق

تعرضت مدرسة دار الحديث لكل ما تتعرض له المدارس العلمية الدينية من مضايقات واتهامات، فأغلقها الاحتلال الفرنسي في سنة ١٩٣٨م، وأثار قرار غلقها غضبًا شعبيًا عارمًا، وظلت المدرسة مغلقة إلى أن أعيد فتحها بعد شهور قليلة، بفضل الله تعالى ثم بالمساعي الحميدة التي قام بها الشيخ الإبراهيمي والأمة التلمسانية والنواب المسلمون، ثم أغلقت المدرسة مرة ثانية عندما نشبت الحرب العالمية الثانية ونُفي شيخها الإبراهيمي خارج البلاد في سنة ١٩٣٩م وقضى في منفاه ثلاثة أعوام، وبعد عودته إلى البلاد في سنة ١٩٤٣م، تم فتح المدرسة واستأنفت نشاطها من جديد، إلا أن الشيخ انتقل إلى الجزائر العاصمة في آخر سنة ١٩٤٣م ليقود جمعية العلماء الجزائريين بعد أن كان قد عين رئيسًا لها وهو في المنفى بعد وفاة الشيخ عبدالحميد بن باديس عام ١٩٤٠م. واستمرت المدرسة في نشاطها حتى عام ١٩٥٦م، حيث أغلقتها القوات الفرنسية مع كثير من المدارس الدينية في البلاد، وفي عام ١٩٦٢م تم افتتاح المدرسة من جديد بعد استقلال البلاد، وتمت التوسعة المباركة فيها.

كادر التدريس في دار الحديث

عمل في المدرسة بعد افتتاحها الكثير من العلماء والأساتذة والإداريين، وكثير من المعلمين الفضلاء، والمعلمات الفاضلات، جميعهم من طلاب وطالبات دار الحديث، ومن المعلمين والمعلمات فيها، وكان لهم الأثر الكبير بعد انضمامهم إلى الثورة التحريرية ضد الاحتلال الفرنسي (١٩٥٤-١٩٦٢م)، وكانوا من جنودها الأوفياء.

ولا يفوتني أن أذكر أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي وُلد في غرب مدينة قسنطينة الجزائرية سنة ١٣٠٦هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٨٥هـ، وكتب في الأصول والتشريع الإسلامي، وألف في اللغة وقضاياها الدقيقة، وفي الأخلاق والفضائل الإسلامية قد ترك آثارًا معنوية ومادية تذكر فتشكر، لايزال الناس يذكرونها، وترك آثارًا عمرانية مازالت تملأ العيون وتشرح النفوس وتبعث على الافتخار فازدادت بها تلمسان بهاء على بهاء وجمالًا على ما حباها الله به من جمال، وتبقى دار الحديث من أروع معالمها.

المصادر

١- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان.

٢- عدة مقالات لعبدالحق آل أحمد، وخالد مرزوق، والمختار بن عامر.

٣- مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان.

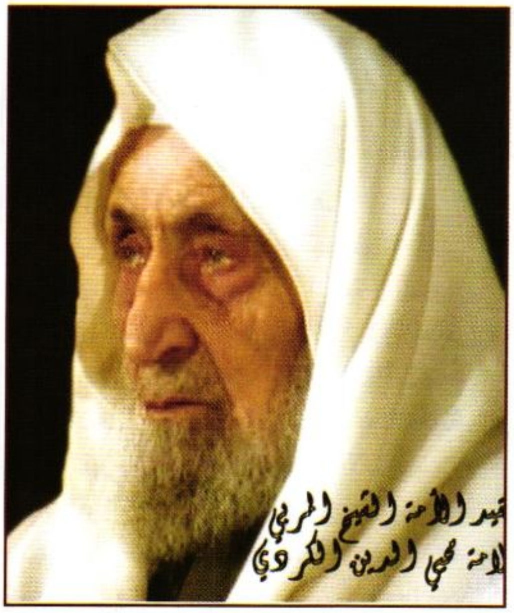
٤- المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، للأديب محمد الحسن فضلاء.

٥- البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان، لابن مريم التلمساني.



الشيخ محيي الدين الكردي (أبو الحسن)

مأمون الجويجاتي *



قرن من الزمان في طاعة الله وخدمة كتابه والدعوة إلى دينه انصرم بوفاة هذا الحفاظ الجامع الشيخ محيي الدين الكردي - رحمه الله تعالى- وكانت ولادته عام ١٣٣١هـ وانتقل إلى رحمته تعالى عام ١٤٣٠هـ، ولقد كتب في رثائه وخطب العلماء والحفاظ وقد أعظم الله النفع به فحفظ على يديه مباشرة المئات من الرجال والنساء ثم حفظ على يدي طلابه وفي حياته مئات كذلك، وانتشر من أخذ عنه في أنحاء العالم الإسلامي بالرغم من أن الشيخ لم يكن له شهرة ولم يطلبها بل طلب رضا الله تعالى فرضي عنه وأرضى عنه خلقه، وإذا كان الحفاظ في كلامهم يذكرون مآثره في ذلك، من رفقه بالمتعلمين والصبر على لأوائهم وإثارته الحماس في نفوسهم وبث الهمة والجدية فيهم، وإذا كانوا في رجوعهم إليه في معضلات القراءة والتجويد يجدون الجواب الشافي والحرص على تعظيم كتاب الله وضبطه وحسن التعامل معه خشوعًا وتدبرًا وخدمة وإتقانًا ولهم في ذلك ذكريات لا تمحى وفوائد لا تبلى

إنني وإن لم أكن من حفاظ كتاب الله إلا أنني انتفعت بصحبته جدًا، لقد أكرمني الله بحفظ ابني البكر وابنتي على يديه ثم جمع ابني القراءات على تلميذه وصهره الحافظ الشيخ أسامة حجازي وكتب الله أن يتزوج سبطه الحافظ الشيخ خالد كوكي من ابنتي فتسنى لي فرص من قطف ثمار جنية من دوحته، وتنسم عبير السلف الصالح من صحبته، وقد شاء الله أن يقيض لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، وقد فهم بعض العلماء من الحديث الوارد في ذلك أنه لا يزال يوجد أشخاص متعددون في كل آن وحين، يحيون ما اندرس من معالم الدين ويذكرون ما تناسى الناس من شأنه، ويبينون للناس بقولهم وعملهم الكيفية التي يعيشون بها على منهج الله كما أمر بذلك وكما سن رسول الله ﷺ.

وكما أن في الأخبار المنقولة سندًا ما قد يتواتر حتى يوجب العلم القطعي فكذلك في الأحوال المعاشة سند خفي يعطيك فكرة صحيحة عملية عن أحوال السلف، لذلك لا تزال تسمع عن شخص من هؤلاء الربانيين أنه بقية السلف الصالح أو كأنه قطعة من السلف، ووراثة العلماء للأنبياء تتحقق بهذا المعنى في تجسيدهم لسلوكهم البشري الذي أراده الله أسوة حسنة لمن كان يريد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا.

لقد كان الشيخ محيي الدين أحد أولئك العلماء الذين يعملون في صمت، إن نظرت في قلبه رأيته نقيًا خاليًا من غل أو حسد أو حب للدنيا أو تطلع لجاه أو شهرة، وكان جده قد أتلف ثروة وصلت إليه من أسلافه فاضطر والد الشيخ إلى احتراف مهنة الجزارة ونشأ وهو يعمل فيها وكان الحي الذي يقطنونه مرتعًا للمهربين ومدمني الخمر والمخدرات، وأهل الدين مقموعون مهددون، ومع ذلك كان الشيخ منذ صغره مائلًا إلى العلماء يحضر مجالسهم ولو بعدت الشقة ويصاحبهم ولو تعرض للمخاطر، فتردد إلى درس المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني والداعية الشيخ علي الدقر في ميعة صباه ثم حضر دروس الشيخ رشيد شميس ومحمد بركات وحسني البغال في منطقته، وهناك أرشد إلى الشيخ عز الدين عرقسوسي الذي أقرأه نصف القرآن خلال عام كامل حتى يتقن الإتقان الكامل ثم سارع إلى إنهائه وصار يتدارس معه، فكان المقدار اليومي لمدارستهما عشرة أجزاء، ثم إن شيخه وجهه إلى التمكن في الفقة ودُل على الشيخ صالح العقاد الملقب بالشافعي الصغير وكان تاجرًا ورعًا متمكنًا فلازمه مدة اثنتي عشرة سنة إلى أن قال لهم: يكفيكم ما قرأتم، ومن مجلس الشيخ صالح تعرف إلى الشيخ محمود فايز دير عطاني حيث جمع القراءات عليه هو والشيخ محمد سكر يتناوبان القراءة على شيخهما، واستغرق ذلك خمس سنوات كان هذا في الجانب العلمي، أما في الجانب الدعوي فقد صحب الشيخ عبدالكريم الرفاعي الذي كان قد تخرج على الشيخين بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر

* باحث سوري

ونذر نفسه للدعوة إلى الله وإحياء العمل بالدين وكان عونًا له على مهمة تعليم العلم وإقراء القرآن إلى أن بدأ الشباب بالإقبال على عملهما بعد قرابة ثلاثين عامًا من العمل مع الكبار دون كبير تغيير، ولا يمكن أن يضيع الله لعامل جهدًا ولا ينقصه أجرًا فإن تلك السنوات كانت تأسيسا لجيل أبناء أولئك الكبار واكتسب من خلال عمله مع الشيخ وعيًا بالأحداث والمتغيرات والتيارات ساعدته على أن يعوم فوقها دون التورط في صراعات لا طائل منها ، وقد حرص الشيخ على تشجيع الطلاب على التفوق في كلا المجالين الديني والدنيوي، حتى إن المسجد الذي أمَّ فيه قرابة ستين عامًا كان كالكهف يدرس فيه الطلاب ويبيتون ويعتكفون وهم في حماية الشيخ لهم من اعتراض العوام الذين ربما لا يقدرون عقول الشباب الناشئين وطبائعهم، وبدأ عدد الشباب المندفعين إلى حفظ القرآن الكريم يتزايد واقترح الشيخ عبدالكريم اصدار شهادة لمن أتقن الرواية السائدة «حفص عن عاصم» يكتب فيها السند المتصل إلى النبي ﷺ بذلك، فطبعت بخط جميل وإطار أنيق وصارت تُعقد مجالس يحتفل فيها بالحافظ الناشئ ويكرم ويسلم تلك الشهادة، مما أحدث تنافسًا واهتمامًا وحركة كان ثقلها يتجه للشيخ رحمه الله، فكان يجلس للإقراء منذ الفجر ولا يفرغ إلا بعد العشاء بساعتين ويعتمد على من أتقن وأجيز ليقرئ المبتدئين ويمتحنهم ويجيزهم، وكان هناك فتح آخر عندما لاحظ الشيخ ضعف حفظ القرآن عند النساء رغم تصاعد اهتمامهن بالدين فأحدث الشيخ في منزله حجرة فيها ستارة فاصلة يجلس خلفها ليحفظ الداعيات، ودبّت الحركة في الصف النسائي وأخذ عدد الحافظات المجازات يصل إلى المئات، وهو بترتيبه الإداري يسيّر تلك الحركة في صمت وتواضع فتنتشر ويتوفى الشيخ عبدالكريم، ولكن التيار الذي أنشأه لا يتوقف ويظل الشيخ الكردي - رحمه

كان الاستغناء بالقرآن شعاره وعدم التكسب به ديدنه وكان أبغض شيء إليه المدح والثناء

الله- مرجعًا ومستشارًا لهم وحارسًا أمينًا لحركة القرآن الكريم في بلدة دمشق وظل كذلك إلى أن جاوز التاسعة والتسعين وكلّت حركته وهاجمه المرض، خلال تلك الفترة لم ينقطع الشيخ عن العلم فكان يعلم الفقه والحديث والسيرة، وقد أكرمني الله أن قرأت عليه من كتاب رياض الصالحين للإمام النووي، ومن سيرة زاد المعاد لابن قيم الجوزية ورغم وصوله في الفقة الشافعي إلى الذروة لكنه أحب جمع تعلم الفقه الحنبلي الى ذلك، وقد صحب الشيخ أحمد الشامي مفتي الحنابلة بدوما مدة عشر سنوات وكان عمره عندما ذهب إليه حوالي الستين سنة يصطحب معه تلاميذه الخلص، ولا يأنف أن يكون معهم في موضع الطلب والتلمذة، ومن حضر دروس الشيخ -رحمه الله- ومجالسه يلاحظ أنها ذات نكهة روحية مميزة يتجلّى فيها توقير السنة والتأكيد على الاتباع مع انفتاح على الآراء الأخرى يناقشها بعلم ورفق يجادلها بالتي هي أحسن وبأدب جم، وقد تعلمت الورع والاحتياط ومع ذلك ربما نزل عن ذلك لتوجيه من الشيخ عبدالكريم الرفاعي بما يناسب مشكلات المجتمع وما هو أرفق بالناس تأليفًا لقلوبهم وتشجيعًا لهم على الرجوع إلى الشرع في أحوالهم، وكمثال على ذلك كان يرفض التصوير ويستر وجهه عندما يحاول بعضهم التقاط صورة له، ولم يتخلف الشيخ في مضمار العبادة والعمل فقد ثابر على الخروج للحج كلما أمكنه ذلك، وعدت حجاته فبلغت خمسين حجة، وكان لختمه القرآن الكريم أثناء صلاة التراويح في رمضان وتشجيعه لطلابه على ذلك أثر في إحياء هذه السنة بعدما كادت أن تندثر.

وكان يثابر على حضور المجالس الوعظية للشيخ عبدالكريم وطلابه ويجلس منهم مجلس المستمع مشجعًا لهم وفي أثناء ذلك كان يحمل عبء إعالة عائلته التي بلغت خمسة عشر شخصًا (١)، يعتمد على الاقتصاد في إدارة مرتبه المتواضع ويستعف بذلك عن مد يده للناس، بل كان الاستغناء بالقرآن شعاره، وعدم التكسب به ديدنه، يرفض أن يعينه أحد في مهامه أو يأخذ من طلابه شيئًا وكان أبغض شيء إليه المدح والثناء يأخذه حال من الخشوع وكراهية ذلك عندما يسمعه، ويعلق نافيًا ذاك الكلام، وترأس لجنة لعمارة المساجد كان أعضاؤها من طلاب الشيخ عبدالكريم عملت ردحًا من الزمن في تشييد بيوت الله فيحضر مشجعًا لهم ومرجعًا فيما يختلفون فيه، هذا مع مخالطته للناس في مجالسهم الاجتماعية بما لا يتعارض مع التزاماته القرآنية والعلمية وبحيث لا يكون في المكان الذي يحضره منكر، وبهذا الخلق من التواضع كانت له محبة من جميع الناس على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وتياراتهم وتبدى ذلك واضحًا في أثناء قبول التعازي به، فلم يحصل أن شوهد مكان أشد أزدحامًا من مكان التعزية بوفاته، وكان له احترام عند كافة الجهات الرسمية والدينية والشعبية، ولا نستطيع أن نحيط بخلاله من زهد وتواضع وصبر ومثابرة وهمة ودأب وحب لنشر الدعوة وحسن خلق مع الصغير والكبير والغني والفقير، ولا عجب في ذلك من رجل خالط القرآن لحمه ودمه وعصبه، فكان خلقه القرآن.

إن المدهش حقًا اجتماع تلك الخصائص والصفات في شخص واحد، عمل بصمت، وأنتج الكثير ونفع الله به الأمة وكان ممن حفظ كتاب الله لفظًا وكتابة ومعنى وعملًا رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

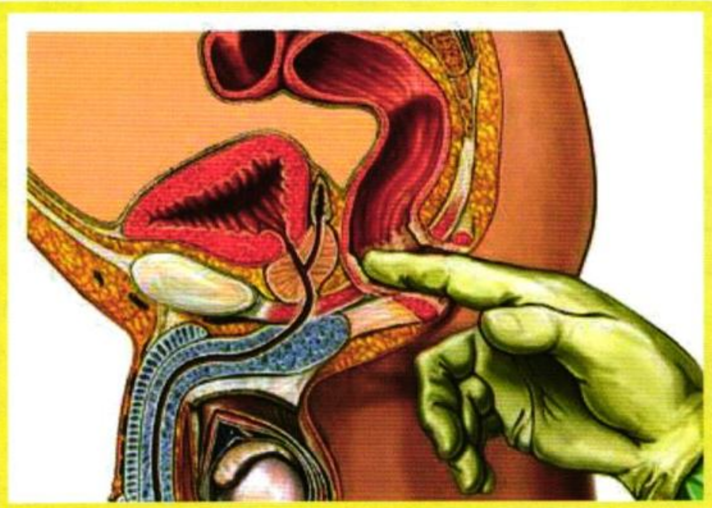
غدة البروستات

د. عبدالقادر الحبيطي

البروستات Prostate غدة بحجم ثمرة الجوز Walnut، وهي جزء من جهاز التكاثر لدى الذكور، إذ أنها تنتج السائل الذي يمتزج مع النطف ويحملها أثناء قذفها، وموضعها عميق ضمن الحوض وفوق الاحليل (أي الانبوب الذي يصل بين المثانة والقضيب)، واذا وصلت الغدة الى حجمها عند البلوغ فإنها تغلف الاحليل لتعتصر فيه مفرزاتها، وتتألف الغدة من فلقتين تغلفهما طبقة خارجية من الخلايا، وتقع البروستات أمام المستقيم وتحت المثانة تمامًا حيث يختزن البول قبل إخراجه. ولم يتوصل العلم حتى الآن الى معرفة كل وظائف البروستات. غير أن أحد وظائفها الأساسية هو انتاج السائل الذي يعتصر في الاحليل فيمتزج بالنطف ويحملها في دفقتها اثناء الذروة الجنسية sexual climax وينشط هذا السائل النطف ويقلل من حامضية قناة المهبل آنيًا وقاية للنطف.

من الأعراض الشائعة أن تتضخم غدة البروستات مع تقدم العمر، ويسمى هذا التضخم حميدًا (تفريقًا له عن الورم السرطاني) Benign ProstatieHyperplacia (BPH) or Hyper Trophy، والتضخم هو في حقيقته عبارة عن فرط تكاثر خلايا الغدة.

وتمر الغدة أثناء التقدم نحو البلوغ بمرحلتين من النمو، ففي أول البلوغ يتضاعف حجم الغدة، وعندما يصل الرجل الى الخامسة والعشرين تقريبًا تبدأ الغدة بالنمو مرة أخرى، وإذا استمر هذا النمو فإنه يحدث بعد عدة سنوات تضخمًا حميدًا، وقد يستمر هذا النمو طوال حياة الرجل، ولكن نادرا ما ينجم عن تضخمها الحميد أية أعراض قبل بلوغ الأربعين من العمر، بينما يعاني أكثر من نصف الرجال في الستينات من عمرها من بعض أعراض تضخم البروستات الحميد، وفي السبعينيات والثمانينيات من العمر يعاني حوالي ٩٠ في المائة منهم من هذه الأعراض.



وأثناء تضخم الغدة، تقوم طبقة من الخلايا المحيطة بها بمنع تمددها نحو الخارج مما يجعلها تضغط على الاحليل تحتها كأنها مقبض أو ملزم محكم حول انبوب الاحليل فتضيق مجراه وتصبح جدران المثانة اكثر سمكًا وهيوجية Irriable وتبدأ بالتقلص حتى ولو كان محتواها من البول قليلاً مما يجعل التبول متكرراً، وبمضي الوقت تضعف المثانة وتفقد قدرتها على إفراغ كامل محتواها من البول، فيبقى جزء منه في المثانة مسبباً عدة مشكلات ومنها الإنتانات التي تترافق أحيانًا مع تضخم غدة البروستات وتضيق مجرى الاحليل.

مشكلات البروستات

ومن المشكلات الصحية الثانوية التي تصاب بها الغدة وصول العدوى البكتيرية إليها من المثانة نظرًا لركود البول فيها فترة طويلة وهي حالة نادرة على أي حال.

كما أن غدة البروستات قد تصاب بالسرطان أحيانًا، غير أن سرطان البروستات نادر قبل سن الخمسين، ولكن يحتمل ان تصل نسبة الاصابة به إلى ٥٠٪ عند من تتراوح أعمارهم بين ٧٠ الى ٨٠ عامًا وما بعد.

وثمة بحث جديد صادر عن جامعة كاليفورنيا في أميركا ثبت عن طريقه أن عصير الرمان له خصائص كابحة لخلايا السرطان ما يؤدي الى توقف النمو السرطاني في البروستات، وثمة تفاؤل لدى القائمين على البحث بأن عصير الرمان يمكن أن يعوض بكفاءة عن العلاج الكيميائي لسرطان البروستات.

الأعراض

كثير من أعراض التضخم الحميد للبروستات ناجم عن ضيق مجرى الاحليل جزئيًا أو انسداده كليًا، وفقدان المثانة

• أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة (سابقا)

وظيفتها تدريجيًا فلا تعود تفرغ محتواها كاملاً، وتتلخص المشكلات في التبول الذي يكون ضعيف الرشق متقطعًا ومتكررًا، وخاصة في الليل، وقد تتطور الاعراض فتصل الى سلس البول Incontinence وهي حالة مرضية صعبة، وقد تتطور الحالة الى درجة يسد معها مجرى البول سدًا كاملاً فيعجز المصاب عن التبول وتسمى هذه الحالة الاحتباس الحاد للبول AcuteUrinaryRetention، وعندئذ لابد من اجراء القشطرة لتفريغ المثانة تفاديًا للتسمم، ويسبب هذا الاحتباس بعض الادوية المستخدمة لمعالجة الزكام والانفلونزا (وخاصة مضادات الاحتقان) إذ تؤثر على صمام المثانة فتمنعه من الانفتاح، وهذه إحدى أعراضها الجانبية الضارة، كما قد يسبب تعاطي الكحول احتباس البول، وكذلك فإن عدم الحركة لفترة طويلة، كما في حالات التمريض الطويل، قد يؤدي الى احتباس البول ايضًا.

وقد يؤدي احتباس البول وما يسببه من توتر واجهاد في المثانة الى التهاب المثانة واصابتها بعدوى مرضية، كما قد يؤدي في النهاية الى اتلاف المثانة والكليتين والى تشكل حصوات فيهما، وإذا وصلت الأعراض الى هذا الحد صار علاجها صعبًا، وقد لا يجدي شيئًا، ولذلك فالمفروض المبادرة بالعلاج عند أول ظهور الأعراض.

العلاج الكيميائي

يصف الأطباء عادة دواءين اثنين أو كليهما لمن يشكو من أعراض تضخم البروستاتا وهما proscar وCardura وغالبًا ما يبدأون بالدواء Cardura بمقدار ١ و ٢ ملغ/ يوميًا، وقد يرفقونه مع دواء proscar إذا كانت الحالة تستدعي ذلك، وكلا الدواءين الكيميائيين فعال في ايقاف الغدة عند حد معين، فلا يزداد تضخمها، ولكن للدواءين تأثير جانبي سلبي على النشاط الجنسي للرجل، إذ يسبب له العنة impotence، فضلاً عن غلاء ثمن الدواءين.

وقد ثبتت فعالية كثير من الأدوية العشبية لعلاج تضخم البروستات مع رخص ثمنها وخلوها من الآثار الجانبية التي تحدثها الأدوية الكيميائية، فما هي هذه الأعشاب؟

العلاجات العشبية

لقد صار استحداث الأدوية العشبية شائعًا ومتزايدًا في معظم أنحاء العالم، وبخاصة في ألمانيا وفرنسا وحتى أميركا، وخاصة لعلاج تضخم غدة البروستات ولعلاج مشكلات المسالك البولية، سنقتصر في هذا البحث على الأدوية العشبية الأهم والمتوافرة على نطاق واسع وهي:

١- عنبات البلميط المنشاري Saw Paalmetto Berry.

٢- لحاء البايجيام Pygeum.

٣- عنبات العرعر Juniper Berry.

٤- خيوط الذرة (شباشيل الذرة) Corn Silk.

٥- جذر القراص (القريص) Nettle Root.

وقد تبين أن جذر القراص ولحاء البايجيوم فعالان لعلاج أعراض تضخم البروستات الحميد، فيمنعان نمو الخلايا وخاصة القراص وهو مبذول على حافات الأنهار والسواقي، ويخفض التضخم في نسج الغدة، ويكافح الالتهاب، وللبايجيوم (لحاء شجرة إفريقية) تأثير مضاد للالتهاب أيضًا كما أنه يقلل من تضخم الغدة، ويمكن استخدام هذين العشبين مع البلميط المنشاري لزيادة مفعول كل منهما.

وثمة شركات أميركية متخصصة في إنتاج هذه الأدوية العشبية المذكورة آنفًا وتسويقها على أساس أنها مكملات غذائية

أهمية الغذاء

ينصح الأطباء باستخدام مركبات الزنك لدعم صحة البروستات، وكذلك لدعم جهاز المناعة لدى الإنسان، ويقلل الزنك من حجم البروستات ويقلل أعراض تضخمها بزيادة فعالية (S- Alpha Reductaase) يمكن أخذ أملاح الزنك بمعدل ٢٠- ٦٠ملغ/ يوميًا ويمكن ارفاقها مع العلاجات النباتية المذكورة آنفا، كما يوصي أخصائيو التغذية باستخدام فيتامين (E) بمعدل ٢٠-٤٠ وحدة دولية يوميا لفعاليته في صحة البروستات ومنع تضخمها، إضافة لفعاليته المضادة للأكسدة، وبالتالي فهو نافع للقلب والأوعية الدموية وواق لها من مفعول الجذور الحرة (radiicaals free).

الأسبرين

أفادت دراسة بحثية حديثة أن الأسبرين قد يقلل بشكل كبير من خطورة تضخم البروستات، ووفقًا لموقع «بي بي سي أونلاين» «BBC online» الذي أورد الدراسة، فإن مرض تضخم البروستات يتسبب في صعوبة التبول أو في التبول مرارًا وخاصة في الليل.

وقالت الدراسة التي ظهرت في صحيفة أميركية متخصصة في علم الأوبئة ان العقاقير المتاحة في الأسواق والمضادة للالتهابات يمكن أن تقلص من آثار المرض لكنها غير مناسبة لكل فئات المرضى، وأوضح القائمون على الدراسة أن الأسبرين من شأنه تقليص نسبة الإصابة بمرض تضخم البروستات إلى النصف تقريبًا.

نذكر في آخر البحث أنه يمكن التثبت من صحة البروستات باللجوء، إلى الفحص المخبري ولمادة (prostate Specific Antigen (PSA) إذ يجد المرء أن نسبتها قد انخفضت إلى الحدود الطبيعية بعد تطبيقه لهذه العلاجات الطبيعية.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

إكراه الخدم على الدخول في الإسلام

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من مدير العلاقات العامة والإعلام في لجنة خيرية، ونصه:

في بعض الحالات يتم إجبار الخادمات على الدخول في الإسلام من قبل كفلائهن رغمًا عن إرادتهن بالتهديد، فيشهرن إسلامهن في اللجنة مكرهات، مما قد يسبب ارتدادهن عن الإسلام، واللجنة تسأل:

١- ما الحكم الشرعي في إكراه الكفلاء خادماتهن على الدخول في الإسلام؟

٢- كيف تتصرف اللجنة في مثل هذه الحالات؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز إكراه الخادمة غير المسلمة على الدخول في الإسلام بغير رضاها لقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولو أكره أحد خادمته على الدخول في الإسلام بغير رضاها لم يعتد بإسلامها وعلى ذلك لا تعد مرتدة لو عادت إلى دينها السابق.

وعلى لجنتكم أن تبين الأمر قبل أن تعرض الإسلام على مثل هذه الخادمة وتحاول تحبيبها في الإسلام ببيان محاسنه. فإن استجابت فبها، وإلا فإن عليها أن تنصح الكفيل بالتريث مع ترغيبها وإرشادها إلى محاسن الإسلام بالكلمة والسلوك الإسلامي حتى تقتنع بالإسلام وترغب به طواعية من غير ضغط ولا إحراج. فإذا أبى الكفيل إلا الإكراه، فلا حرج على اللجنة في عدم تلقينها الإسلام وإشهار إسلامها. والله أعلم.

وضع شريط قرآن في بدالة التلفون

فتوى رقم (٣١٩٠)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من أبوخالد في شركة للتجارة العامة والمقاولات، ونصه:

نرجو إفادتنا عن شرعية وضع شريط قرآن بدلا من الموسيقى في بدالة التلفون، مع ملاحظة أنه في حالة الاتصالات سوف يوضع المتصل على الانتظار فيسمع للقرآن، ومن ثمّ يتم تحويله للشخص المطلوب فتقطع بذلك تلاوة القرآن، هل هذا يكون في دائرة عدم احترام القرآن الكريم من خلال هذا القطع وهكذا.

● أجابت اللجنة بما يلي:

يجب تنزيه القرآن الكريم عن كل ما من شأنه أن ينقص من قدره وسمو منزلته، كالإعراض عن استماعه أو اتخاذه لغير ما أنزل له.

وعليه فلا يجوز استعمال تسجيل القرآن الكريم على الصورة الواردة في السؤال لما فيه من الإعراض عن الاستماع والإنصات إليه، ولما في قطع الآيات من إخلال بمعانيها لاحتمال الوقف في غير الموضع الصحيح مما يخل بالنظم والمعنى. والله أعلم.

الطهارة لطواف الإفاضة في الحج

فتوى رقم (٣٢٨٦)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من عبدالعزيز، ونصه:

رجل طاف طواف الإفاضة وبعد الانتهاء من الطواف والرجوع إلى السكن تذكر أنه لم يكن على وضوء، ولم يعد الطواف.

والسؤال هو: ماحكم الحج بهذه الحالة؟ وما هو المطلوب لتصحيح

الحج؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

اختارت اللجنة المذهب الفقهي القائل: إن الطهارة ليست شرطًا لصحة طواف الإفاضة، فمن كان محدثًا ثم تذكر ذلك فعليه إعادة الطواف مادام بمكة، فإن غادرها وعاد لبلده فعليه دم، لأن الطهارة من واجبات الطواف، وترك الواجب يُجبر بدم يذبح في الحرم. والله أعلم.

سفر المُعتدّة إلى الحج

فتوى رقم (٣٢٨٤)

حضر إلى اللجنة خالد وقدم الاستفتاء التالي:

إن أختي مطلقة طلقة أولى رجعية حسب إشهاد الطلاق المرفق مع الاستفتاء، وزوجها لا يرغب بمراجعتها وهي الآن تريد أن تسافر لتأدية مناسك الحج معي، وهي حجة الفرض بالنسبة لها أي الحجة الأولى، فما حكم سفرها للحج وهي الآن معتدة من الطلاق؟

● أجابت بما يلي:

لا يجوز للمطلقة طلاقًا رجعيًا الخروج إلى الحج مع أخيها مادامت في العدة، فإذا انقضت العدة أو راجعها زوجها فيها حل لها الخروج. والله أعلم.

حضور المرأة المتبرجة في الاجتماعات مع الرجال

فتوى رقم (٣٥١١)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من مبارك، ونصه:

بالنسبة لمجالس إدارات الشركات والمؤسسات المكون من رجال ونساء. هل يجوز شرعًا عقد الاجتماعات لتلك المجالس بشكل مختلط وتكون النساء في لباس غير شرعي ومكشوفات الرأس أمام الأعضاء الآخرين من الرجال؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها أو تبرز للرجال الأجانب، دون حجاب يستر جميع بدنها ولا يظهر منها غير الوجه والكفين، كما لا يجوز إعانتها على ذلك أو إقرارها عليه، وهي آثمة معرضة نفسها وغيرها للفتنة.

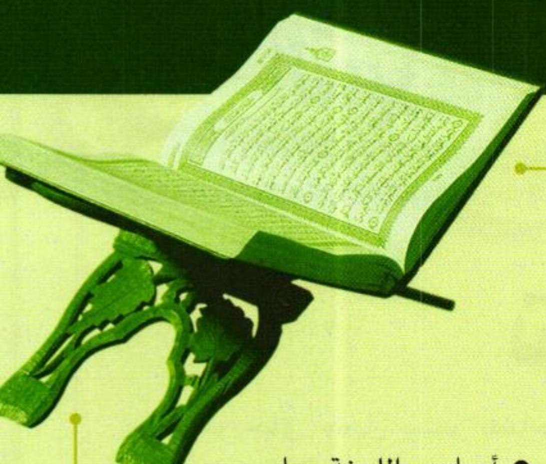
إلا أن الحاجة والمصلحة قد يقتضيان التعامل مع المرأة المتبرجة خاصة مع شيوع التبرج وانتشاره وعدم التزام الكثير من النساء بالحجاب الشرعي، حتى أصبح ترك التعامل مطلقًا مع المتبرجات مما يوقع في الحرج وقد يفوت الكثير من المصالح، ومن المقرر شرعا أن الأمر إذا ضاق اتسع، وأن المشقة تجلب التيسير، لذا ترى اللجنة: أنه إذا تحققت الحاجة والمصلحة الشرعيتان جاز عقد الاجتماع لتلك المجالس إذا ترتب على تركه مفسدة أعظم من مفسدة التبرج حيث تدفع أعظم المفسدتين بتحمل أخفهما، ويقيد ذلك بأمن الفتنة والبعد عن مواطن الشبه والتهم والتزام غض البصر ما أمكن ذلك، والله أعلم.

النظر إلى الموظفات المتبرجات لإنجاز المعاملة

فتوى رقم (٣٥١٨)

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من صلاح، ونصه:

حث الإسلام على غض البصر بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء، لكن ما هي حدود غض البصر بالنسبة للرجل، حيث إنني أواجه في عملي وفي بعض الوزارات عند مراجعتي لها نساء متفاوتات في نوعية اللباس، منهن كاملة اللباس الشرعي، من نقاب ولباس فضفاض صفيق، ومنهن سافرات كاشفات عن رؤوسهن وعن أجسادهن، فإذا كنت أتعامل معهن لإنجاز معاملة ما، وأنظر إليهن دون شهوة (فقط لإنجاز المعاملة) فهل في ذلك إثم عليّ؟ وإن كان النظر لشهوة تتولد بعد النظر فهل هناك إثم؟



● أجابت اللجنة بما يلي:

غض البصر عن عورة غير الزوج والزوجة واجب على كل مسلم ومسلمة، وهو صرفه لنظره عن التطلع إلى عورات الآخرين عن قصد، أما النظر غير المقصود وهو نظر الفجاءة فلا يحرم دفعاً للحرج، لأنه يتعسر اتقاؤه، والحرج مرفوع شرعاً، بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

إلا أنه يجب على من امتد نظره فجأة إلى عورة لا يحل النظر إليها أن يصرفه عن ذلك فورًا ولا يستمر فيه، بشهوة كان أو بغير شهوة على قدر إمكانه لقول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة» رواه الترمذي وحسنه.

إلا أن المسلم إذا احتاج إلى النظر في أمر ضروري أو حاجة، كنظر الطبيب إلى العورة إذا كانت محل المرض، ونظر القاضي إلى المدعي والمدعى عليه والشهود عند التقاضي، ومنه نظر الرجل إلى المرأة في حالة البيع والشراء ومتابعة المعاملات الرسمية وما أشبه ذلك، فإنه جائز في حدود الضرورة والحاجة، دفعًا للحرج المرفوع شرعًا كما تقدم، إلا أن على الناظر في هذه الحال أن يتنزه عن قصد الشهوة حال النظر، ولا يقصد التفكر فيه بعده دفعًا للشهوة، فإذا وقعت الشهوة بعد النظر بغير قصد منه، بل مع مغالبته لها، لم يأثم، لعدم القصد، ولاستفراغ الجهد في الدفع، والله أعلم.

إعداد: خالد خلاوي

تميز بعفوك وتسامحك

العفو خلق جميل يسمو بصاحبه إلى مصاف العظماء فهو شجرة باسقة تسقى بالحلم، وجذورها من سلامة الصدر وفروعها من التسامح، إن المتميز بعفوه وتسامحه ليس لديه وقت لمقارعة الجاهلين ومدافعة السفهاء والحاقدين، إن العمر أقصر من ذلك والإساءات لن تنتهي، ولذلك أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالإعراض عن الجاهلين فقال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩) وأمره سبحانه بالصفح العام قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

قال القرطبي: وهذا وإن كان خطابًا لنبيه عليه الصلاة والسلام فهو تأديبٌ لجميع خلقه.

يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أحد مواقف عفو النبي ﷺ وصفحه فيقول: «كنت أمشي مع النبي ﷺ، وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر منصور الكريزي:

سألزم نفسي الصفحَ عن كلّ مذنب
وإن كثرت منه إلي الجرائم
فما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثة
شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مقاومُ
فأما الذي فوقي فأعرف فضله
وأتبعُ فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن
إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا
تفضلت إن الحلم للفضل حاكم

إن العفو والتسامح تفريغ لشحنات الغضب والكراهية التي تؤذي النفس والجسم، فالمتسامح يتمتع بسعادة وطمأنينة وراحة نفسية عندما ينام وهو قرير العين مرتاح الضمير لا يحمل في صدره شيئًا لأحد ولا تحرق قلبه نار الغضب والضغائن، ولا يصرف وقته وهمته إلى التخطيط للانتقام بدلًا من الاشتغال بما ينفع، فليس هناك خير في عقل مليء بالكراهية.

ولأهمية التسامح والعفو كعلاج نفسي وسلوكي من مرض الكراهية أصبح هناك متخصصون في بعض الجامعات الغربية يعلمون التسامح ويدربون الناس عليه، نشرت صحيفة الشرق الأوسط خبرًا من جامعة «ليدز» شمال إنجلترا يذكر أن أستاذ علم النفس بالجامعة يقوم بتعليم البريطانيين التسامح، وقد سجل أكثر من سبعين شخصًا أسماءهم للالتحاق بالدورة التعليمية التي تستمر عشرين أسبوعًا وتعتبر الأولى من نوعها في العالم، كما يقولون، وقد صرح الأستاذ «كين هارت» القائم على المشروع أن الكراهية التي نشعر بها داخلنا ورمٌ خبيث. وأضاف: إن كبت الغضب يؤدي إلى أمراض مثل ارتفاع في ضغط الدم وأمراض قلبية، وأصبحت الكراهية والمرارة والرغبة في الثأر السبب الحقيقي وراء تأزمهم.

يقول شكسبير: لا توقد في صدرك فرنًا لعدوك فتحترق فيه أنت.

وقال الفضيل بنُ عياض- رحمه الله: «إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا فقل: يا أخي، اعفُ عنه؛ فإنّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمِل قلبي العفوَ ولكن أنتصر كما أمرَني الله عزّ وجلّ، فقل له: إن كنتَ تحسن أن تنتَصر، وإلاّ فارجع إلى باب العفو؛ فإنّه بابٌ واسع، فإنه من عفا وأصلحَ فأجره على الله، وصاحبُ العفو ينام علَى فراشه باللّيل، وصاحب الانتصار يقلّب الأمور؛ لأنّ الفُتُوّة هي العفوُ عن الإخوان».

وقال أحد الحكماء: لذة التسامح أطيب من لذة التشفي، فالأولى يلحقها حمد العاقبة والثانية يلحقها الندم.

وسطرت كتب السير والتراجم عشرات المواقف والقصص والكلمات لعظماء الإسلام في العفو والتسامح.

قام رجل يسبُّ أبا بكر الصديق ويقول: والله لأسبنّك سبًّا يدخل معك قبرك، فقال أبوبكر: بل يدخل معك قبرك أنت.

وخرج عمر بن عبدالعزيز ذات ليلة ومعه شرطي، فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم به، فرفع الرجل رأسه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، وهمّ الشرطي أن يضرب الرجل. فقال عمر: مهلًا إنما سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

وسبّ رجلٌ الإمام الشعبي فقال الشعبي: إن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقًا فغفر الله لي.

وزاحم رجل سالم بن عبدالله في الطواف، وضيق عليه ثم قال له: «أنت رجل سوء».

فقال سالم: ما عرفني إلا أنت.

و قال سفيان الثوري: كان ابن عياش المتنوف يقع في عمر بن ذرّ ويشتمه، فلقيه عمر فقال: يا هذا، لا تفرط في شتمنا، وأبق للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

صور من حياة المتميزين

مفتاح السعادة

وضع شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة مهمة في حسن المعاملة مع الناس تقوم على العفو والتسامح طلبًا لعفو الله ومغفرته فقال: مفتاح السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم.

وأصدر عفوًا عامًا عن كل من أذاه فقال: أحللت كل مسلم عن إيذائه لي. وقال أيضًا: وأنا أحب الخير لكل المسلمين وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي.

وبرز تسامحه وعفوه في العديد من المواقف التي مر بها في حياته وروتها كتب السير والتراجم.

قال عنه أحد خصومه: ما رأيت كريمًا واسع الصدر مثل ابن تيمية، فقد أثرنا الدولة ضده، ولكنه عفا عنا بعد المقدرة، حتى دافع عن أنفسنا وقام بحمايتنا، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

وانطلق إليه أحد تلاميذه ذات يوم يزف إليه بفرح خبر وفاة أحد خصومه، فما كان من الإمام إلا أن زجره وأعرض عنه وقرأ ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وذهب لساعته إلى منزل المتوفى، فعزى أهله، وقال: «اعتبروني خليفة له، ونائبًا عنه، وأساعدكم في كل ما تحتاجون إليه» وتحدث معهم بلطف وإكرام بعث فيهم السرور، فبالغ في الدعاء لهم حتى تعجبوا منه.

وذات يوم تجمع الجند والناس على ابن تيمية يطالبون بنصرته وأن يشير عليهم بما يراه مناسبًا للانتقام من أحد خصومه فأجابهم شيخ الإسلام بما يلي:

أنا ما أنتصر لنفسي!!

فماج الناس والجند وأكثروا عليه وألحوا في طلب الانتقام، فقال لهم:

إما أن يكون الحق لي، أو لكم، أو لله، فإن كان الحق لي فهم في حِل، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني، وافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ومتى يشاء.

ومن العجيب أن خصمه هذا هرب من ملاحقة جند السلطان فآواه الإمام ابن تيمية في بيته ثم شفع له عند السلطان فعفا عنه.

كلمات في التميز

التسامح

إذا سمعت الكلمة تؤذيك، فطأطئ لها حتى تتخطاك.

عمر بن الخطاب

إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرًا، فقل: لعل له عذرًا لا أعلمه.

أبوقلابة الجرمي

من الجيد أن تغفر للناس زلاتهم، ولكن الأفضل من ذلك أن تتناسا.

إبراهيم الفقي

من عاشر الناس بالمسامحة، دام استمتاعه بهم.

أبوحيان التوحيدي

عظمة الرجال تقاس بمدى استعدادهم للعفو والتسامح عن الذين أساءوا إليهم.

تولستوي

مسؤولية التسامح تقع على من لديهم أفق أوسع.

جورج اليوت

لكي تعرف الجميع عليك أن تسامح الجميع.

ديل كارنيغي

إعداد: هالة محمد

قيادة السيارة بنظرات العين

وضع العلماء الألمان معنى جديدًا للقول المأثور القديم «اجعل عينك على الطريق» بالاستعانة ببرنامج ثوري يسمح للسائقين بقيادة أي سيارة بنظرات العين. وبرنامج «آي درايفر» أو «القيادة بالعين» هو استخدام مماثل لقيادة نموذج لسيارة أبحاث تسمى «روح برلين» أو «سبيريت أوف برلين» باستخدام حركة العينين. والبرنامج صممه علماء كمبيوتر في جامعة برلين الحرة، بالتعاون مع شركة سينسو موتوريك إنسترومت.

ويتم التقاط حركة العينين وتحويلها إلى إشارات للتحكم في عجلة القيادة. ويتم التحكم في السرعة بشكل منفصل وهي غير متضمنة في البرنامج، أي أن الشخص يستطيع أن يقود أي سيارة فقط بحركة العينين. ويتلقى برنامج «آي درايفر» من الكمبيوتر الموضوع في السيارة أوضاع المشاهدة على فترات منتظمة عبر الشبكة ويستخدمها للتحكم في عجلة القيادة. ويمكن للسائق أن يختار بين نظامين: «القيادة الحرة» و«التوجيه». وفي نظام «القيادة الحرة» يتم ربط أوضاع المشاهدة مباشرة مع محرك عجلة القيادة. وهذا يعني أن التنسيقات السابقة لوضع المشاهدة تستخدم لحساب الوضع المرغوب لعجلة القيادة. فكلما نظر السائق إلى اليسار أو اليمين تحولت عجلة القيادة في الاتجاه الذي ينظر إليه. ويتم ضبط سرعة السيارة مسبقًا وتبقى ثابتة طالما تم التعرف على وضع النظر.

وفي نظام «التوجيه»، تسير السيارة بشكل تلقائي في معظم الوقت. وعندما يكون هناك تفرع في الطريق أو تقاطع، فإن السيارة تتوقف وتطلب من السائق اختيار التوجيه التالي.

المجال المغناطيسي للأرض يتأثر بموجة الحر



حذر علماء فضاء من أن الكرة الأرضية قد تتعرض لموجة ساخنة عابرة للفضاء نتيجة لانفجار كبير شهدته الشمس خلال الأيام القليلة الماضية.

وكانت أقمار صناعية عدة قد رصدت الانفجار الشمسي خلال الفترة الأخيرة بما فيها قمر تابع لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا).

وهذا الانفجار الذي يماثل حجمه حجم الكرة الأرضية مرتبط بثورات أخرى شهدها سطح الشمس أخيرًا.

وذكر العلماء أن الانفجار الذي حدث في المنطقة المواجهة للأرض أرسل موجة أطلق عليها العلماء اسم «تسونامي شمسي» وامتد لمسافة ٩٣ مليون ميل عبر الفضاء، وأضافوا: إن موجة الحر التي صدرت عن الشمس ستصل إلى الأرض وأنها ستؤثر على المجال المغناطيسي للكرة الأرضية.

جزيرة جليدية جديدة تنفصل!

قال علماء أن جزيرة جليدية يزيد حجمها أربعة أمثال حجم «مانهاتن» انفصلت عن أحد النهرين الجليديين الرئيسيين في «غرينلاند» في أكبر حدث من نوعه في القطب الشمالي، وستدخل الجزيرة الجليدية التي انفصلت في مكان بعيد يسمى مضيق «ناريس» على بعد حوالي ألف كيلو متر من القطب الشمالي بين غرينلاند وكندا.

وقال أستاذ علوم المحيطات والهندسة في جامعة «ديلاوير» أندريس مونتشو: إن مساحة الجزيرة الجليدية تبلغ ٢٦٠ كيلو مترًا مربعًا ويصل سمكها إلى نصف ارتفاع مبنى «امباير» في أميركا، وأضاف: إن المياه العذبة الموجودة داخل هذه الجزيرة الجليدية يمكنها أن تحافظ على تدفق نهر «ديلاوير» أو نهر «هدسون» لأكثر من عامين كما يمكنها أن تحافظ على تدفق مياه الصنبور للشعب الأميركي بأكمله لمدة ١٢٠ يومًا.

وقال العلماء: إن الأشهر الستة الأولى من عام ٢٠١٠ هي الأكثر حرارة بعدما تم تسجيلها عالميًا، وساهمت ظاهرة النينو الجوية في ارتفاع درجات الحرارة، لكن العديد من العلماء يقولون: إن المستويات المرتفعة من غازات الانبعاث الحراري الناتجة عن الإنسان تدفع درجات الحرارة إلى الارتفاع.



دراسة كندية حديثة تقول:

التفكير بالله يطمئن المؤمنين ويقلق الملحدين

أظهرت دراسة كندية جديدة أن التفكير بالله يطمئن المؤمنين ويخفف من احتمال ارتكابهم الأخطاء المتعلقة بالقلق، غير أنه قد يزيد من إرباك الملحدين ويعرضهم للأخطاء.

وذكر موقع «لايف ساينس» أن الباحثين في جامعة «تورنتو سكاربوروغ» قاموا بقياس الموجات الدماغية المتعلقة بنوع معين من ردات الفعل القلقة عندما ارتكب المشاركون أخطاء في الاختبار.

وظهر أن الأشخاص الذين استعدوا قبل الاختبار بأفكار دينية كانوا أقل عرضة لارتكاب الأخطاء مقارنة بالذين لم يستعدوا.

وأظهرت الدراسة أنه حين يفكر الناس بالله والدين، تكون ردة فعل أدمغتهم مختلفة مما يحدّ من احتمال ارتكابهم الأخطاء الناتجة عن القلق.

وقد كتب المشاركون كلمات تتعلق بالله قبل الاختبار، ثم قاس الباحثون نشاطهم الدماغي بينما كانوا يقومون باختبار على الحاسوب تم اختياره بدقة لاحتمال ارتكاب الكثير من الأخطاء فيه.

وظهر أنه حين يفكر الأشخاص المؤمنون بالله يتراجع النشاط الدماغي في منطقة معينة من الدماغ التي تنذر الإنسان حين يرتكب خطأ ما.

غير أن ردة فعل الملحد كانت مختلفة، فحين يفكر الناس بالله يمنحهم ذلك شعورًا بنظام معين في العالم وشرح الأحداث العشوائية مما يخفف شعورهم بالقلق، غير أن تفكير الملحد قد يتعارض مع المعتقد الذي يعتنقونه وهو ما قد يسبب القلق ويدفع إلى ارتكاب المزيد من الأخطاء.

لقاح جديد ضد مرض السرطان

تمكن علماء أميركيون من تطوير لقاح تبيّن أنه يستطيع مهاجمة أنواع من مرض السرطان في مراحل متقدمة. وذكر موقع «هلث دي نيوز» أن هذا اللقاح أدى خلال التجارب التي أجريت على البشر الى تعزيز ردة الفعل المناعية ضد الأورام. وقال الطبيب المساعد في مركز «فوكس تشاز كانسر» بفيلادلفيا آدم كوهن، الذي لم يشارك في الدراسة: إنه أمكن خلق ردة فعل مناعية عبر اللقاح، وهذا أمر جيد لكننا ما زلنا بحاجة للقليل من المعلومات،



وأشار إلى أنه رغم ردة الفعل المناعية الواعدة التي ظهرت على الأشخاص الذين اختبر اللقاح عليهم، لكن الأمر مازال بحاجة للاختبار على عدد أكبر من المرضى لتقييم الفائدة العملية للقاح.

من هنا وهناك

■ ذكر باحثون أن الأطباء التايوانيين نجحوا في السيطرة على ورم في القوارض باستخدام العلاج بالجينات ويعتزمون إجراء اختبارات سريرية على الإنسان قريبًا.

■ طالبت المفوضية الأوروبية حكومات الدول المنتمية للاتحاد الأوروبي بسرعة التصرف للحيلولة دون حدوث نقص وشيك في النظائر المشعة. وتعد النظائر المشعة ذات أهمية بالغة بالنسبة للطب النووي الذي يستعين بهذه المواد في تشخيص مرض السرطان.

■ أظهرت دراسة أميركية جديدة أن أجزاء الدماغ وخلاياه تتفاعل وتعمل بشكل يشبه إلى حد كبير عمل شبكة الانترنت وتفاعلها وأن الدماغ أشبه بشبكة مسطحة تتواصل كل الأطراف بعضها ببعض بشكل مباشر وعادل.

■ قدم علماء من وكالة (ناسا) أدلة قاطعة على وجود كميات كبيرة من غاز الميثان في الغلاف الجوي لكوكب المريخ وهو مؤشر على نشاط بيولوجي أو جيولوجي هناك، وينتج الميثان عبر كائنات حية أو بوسائل بيولوجية أخرى منها أكسدة الحديد، ويدل اكتشافه على وجود حياة على سطح الكوكب.

■ أبدى كثير من علماء الأحياء في العالم قلقهم من جراء تعرض عشرات الأجناس من الطيور والأسماك للانقراض بسبب كارثة خليج المكسيك الناتجة عن التلوث النفطي.

■ استحدث باحثون نظام تبريد لحاسوب خارق بالمياه الساخنة بحث تستخدم مياه حرارتها ما بين ٥٠ إلى ٦٠ درجة مئوية من أجل تبريد معالج المعلومات.

مساكين أهل الدنيا

إن محبة المخلوق لغير الله عذاب للمحب ووبال عليه، وما يحصل له بها من التألم أعظم مما يحصل له من اللذة. لا شيء احب الى القلوب من خالقها، وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها، ومحييها. فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح وسرور النفوس وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل عليه بذلك اتم من كل نعيم كما أخبر بعض المحبين عن حاله بقوله: «إنه ليمر بالقلب أوقات اقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا النعيم انهم لفي عيش طيب».

وقال ثان: «إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربًا بأنسه بالله وحبه له».

وقال ثالث: «مساكين أهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقو أطيب ما فيها» وقال آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف».

علي سليم

السرية والكتمان عند الماسونية

الماسونية أو «البناء الحر» من أقدم وأخطر الجمعيات السرية في العالم، والتي مازالت لها شُعب وفروع في معظم البلاد المتمدنة والمتقدمة.

أما أصلها فقد اختلف الباحثون فيه، وفي المكان الأول الذي نشأت به، والهدف الذي أنشئت من أجله، ومرد هذا الاختلاف يرجع إلى الصفة السرية التي تمتاز بها هذه الجمعية واستماتة الماسون في حفظ أسرارهم وكتمانها.. هذه الأسرار التي تخفى حتى على المنتظمين فيها والمنخرطين في سلكها «إن كل شيء عندنا قد أسدل عليه ستار من السر».

وبقوة الوحدة والكتمان تنتصر في المعارك الفاصلة، وإن في محاولة الماسون كتمان وحفظ أسرارهم ما يجعلنا نجزم بخطورة الأهداف الهدامة التي تضمرها هذه الجمعية وتخفيها عن الناس.

والستر دون الفاحشات ولا
يلقاك دون الخير من سِتْرِ

ويزعم الماسون أن سبب هذا الكتمان، هو ضبط النفس والنظام.

من أهم وظائف الماسونية كتمان السر الذي هو وليد النظام وإن الكتمان الطبيعي يدل على ضبط النفس والدقة، وعند التعاون مع غير الماسوني في صدد البحث عن الماسونية، لابد

عدُوَّان

يتصور البعض أن عدو الأمة الوحيد هو العدو الأجنبي- الخارجي- الذي يخطط ويدبر ويكيد ويكيل ويمكر ويغدر ويقول ويعمل، ما بين احتلال وغزو عسكري واقتصادي واجتماعي وثقافي وفكري وإعلامي وتعليمي وهيمنة وتبعية، وما نحن فيه من وهن وسقم سببه هذا العدو الغاشم.

نعم، إن عدونا الخارجي يتربص بنا ويجهز علينا ويقتلنا ويضع لنا دومًا السم الزعاف في عقولنا ولايريد أبدًا أن يعلو لنا شأن أو ترفع لنا هامة ويريدنا في آخر الركب أذلاء، بل يريد ألا نكون في الركب مطلقًا، نستهلك ولا ننتج، ونستورد ولا نصدر ونعيش مهمشين، لا نزرع ونأكل زرغ غيرنا، لا نصنع ونستهلك نتاج تكنولوجيا غيرنا، بلادنا أسواق مربحة جدا لغيرنا، العدو يريدنا دومًا في تشاحن وتباغض وانقسام وصراع وفوضى، كل وشأنه لا يهتم بأخيه المسلم، العدو يريدنا دوما تابعين متفرجين منبهرين بعطاء الحضارة الغربية المادي اللامع البراق.

أما آن الأوان للاستيقاظ من النوم والصحوة من الغفلة والنهوض من الكبوة.

إن عدونا الآخر الذي لا يقل ضراوة عن عدونا الخارجي هو نحن- أنفسنا- نعم، نحن القاتل والقتيل والجاني والمجني عليه والمتهم والضحية، ذلك أنه لما ضعف الإيمان في قلوبنا انعكس ذلك على حياتنا فضعفت الرؤية وضعفت المكانة وغابت الوسيلة والهدف والغاية، وكان التخبط والذل والهوان والظلام والتبعية والانقسام.

أما آن وقت الاستيقاظ السريع الذي يغير وجه الحياة ويعطيها المعنى والبهجة والأمل والعمل والهناء والرخاء.

إنه الإيمان، صانع البطولات ومحقق الأمجاد وصاحب المعجزات وقاهر الصعوبات، وهو روح الأمة وعقلها وقلبها وهو طريق الخلاص.

محمد علي الشريف

من الحرص على هذا الكتمان، وعلينا أن نقتدي بالأقدمين ونعض على السر بالنواجذ.

ونتيجة لهذه السرية التي امتازت بها الماسونية فقد جاءت أقوال الباحثين فيها مختلفة مضطربة متباعدة، ويشير الماسوني المستر البرت تشيراشو في كتاب له عن الاشارات والرموز فيقول:

أذيعت حتى الآن آراء ونظريات كثيرة متناقضة عن أصل جمعية إخوان البناء الحر «الماسونية» وعن زمان نشأتها ومكانه، وعن السبب الذي قامت من أجله، وعن الأقسام والرسوم المختلفة التي تنقسم إليها درجاتها المختلفة، بيد أن كل ما كتب عن ذلك حتى الآن ليس إلا نظريات لا تستند إلى حقيقة.

محمد الحسيني السحرتي

ولي عهد بريطانيا وبيئة الإسلام

زار ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز المركز الإسلامي باكسفورد وتناول في محاضرته البيئة في الإسلام وأثنى ثناء حسنًا على البيئة في الإسلام واستشهد بآي من القرآن وراح يصف الإسلام بما هو أهله، وذكر بأن المسلمين كان لهم عصرهم الذهبي حيث حافظوا على البيئة النقية الطاهرة وحيث كانت علومهم الزاخرة وأرجع فضل العلوم الإوروبية الحديثة إلى علوم المسلمين القديمة واختراعاتهم البشرية النافعة.

إنها محاضرة حق وكلمات صدق من ولي عهد بريطانيا وما أحوج الأنظمة والمنظمات الإسلامية إلى تتبع أمثال هذه الشخصيات العالمية والمؤثرة لجذبها بطرق مختلفة ووسائل عديدة لتقتنع بالإسلام وقضاياه.. لا نقول لتدخل الإسلام، ولكن من أجل الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين وعدم العداء لهما، وللأسف فإن الغالبية العظمى من مسؤولي الهيئات الإسلامية لا يفطنون إلى هذه الخطوة وما لها من أهمية عظمى وتأثير خطير على العالم.

الحسين محمد حميد

الإقامة في بيت الحمد

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن).

معنى: ثمرة فؤاده: كناية عن الولد لشدة تعلق القلب به، فصار كأنه ثمرته المقصودة.

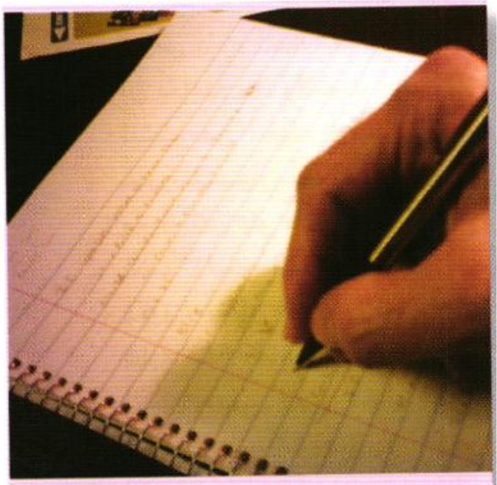
استرجع: أي قال: الحمد لله رب العالمين، إنا لله وإنا إليه راجعون، وحفظ لسانه مما يغضبه سبحانه، ولم يفعل معصية.

من فوائد هذا الحديث، أن الله عز وجل يتكرم على أبوي الأطفال فيستقبل الأبوين بالبشر والسرور وفتح أبواب الجنة لهما تقديرًا وإكرامًا، كذلك تشييد قصر في الجنة ينتظره يسمى قصر أو بيت الحمد والشكر والثناء، وتشرف بالانتساب لمولاه عز شأنه «ابنوا لعبدي».

والخلاصة: أن من صبر ورضي بالقضاء والقدر، وطلب الأجر والثواب من الله تعالى على مصيبته، واحتسب ذلك عند الله، ولم يبدر منه كلمة فيها سوء أدب مع الله، عوضه الله خيرًا عنها في الدنيا، وغمره باللطف الإلهي في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمة كبيرة وفضلًا عظيمًا في الآخرة، وهو مغفرة الذنوب والخطايا، ودخول الجنة، والإقامة في بيت الحمد.

رزقنا الله الإيمان، وربى نفوسنا على التذرع بالصبر الجميل عند كل مصيبة صغرت أم عظمت، والله المستعان، والله مع الصابرين.

فؤاد الغريب



تنويه

حصل خطأ في العدد ٥٣٩/ رجب ١٤٣١هـ حيث نشرنا مقالًا عن العلامة اللغوي محمود الملاح يرحمه الله ونسبناه للاستاذ طلال محمود النعيمي بينما الصحيح هو أن كاتبه الأستاذ محمد مصطفى الهلالي، لذا وجب التنويه ومعذرة لكاتب المقال.

التحرير

إعداد: التحرير

جُنّة العالم.. «لا أدري»

كان الإمام مالك بن أنس، رحمه الله، من المشهورين بـ «لا أدري» يُردّدها في مجالسه طولًا وعرضًا، ويقرر في ذلك قاعدة بقوله: «جُنّة العالم.. لا أدري؛ فإذا أغفلها أصيبت مقاتله» وقال ابن وهب: «لو شئتُ أنْ أملأ ألواحي منْ قول مالك: «لا أدري، لفعلت». (المدخل إلى موطأ الإمام مالك).

الإمام الرّحّالة

قال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في الإمام أبي داود: «أحدُ أئمة الحديث الرّحّالين الجوّالين في الآفاق والأقاليم».

ومن أبرز محطاته في طلب الحديث «هراة، بَغْلان، الرّيّ، نيسابور، أصبهان، بلاد طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان، بغداد، البصرة، الكوفة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، دمشق، حمص، حلب، حَرّان، الجزيرة، الرملة، طرسوس، بيروت، مصر، ثم رجع إلى خراسان، ثم إلى سجستان ثم إلى بغداد، ثم إلى البصرة وبها توفي رحمه الله. فتأمل!»

كلُّ هذا يدل على ما كان يتحلى به هؤلاء العلماء من همة عالية لا تتوافر إلا لأصحاب العزائم (المدخل إلى سنن الإمام أبي داود).

أجوبة مُسكتة

■ قيلَ لعلي رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العبادَ على كثرة عددهم؟!

فقال رضي الله عنه: كما يرزقهم على كثرة عددهم.

■ قيل للحسن رحمه الله: مَنْ شرّ النّاس؟

قال: الذي يرى أنّه خيرهم.

■ قال بعض الأكاسر لأحد أعوانه: ما أطيب الملك لو دام!

فقال له: لو دام لم يصل إليك.

■ قيل للمسيح عليه السلام: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب؟

قال: لأنّهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشّباب.

■ قال يهودي لعلي رضي الله عنه: ما إن دفنتم نبيكم حتى اختلفتم!

فقال له علي رضي الله عنه: اختلفنا عنه لا فيه، ولكن ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (الأعراف: ١٣٨) (الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت: ٣٢٢هـ).

من فوائد علم التاريخ والسير

قال ابن الأثير، رحمه الله، وهو يعدد فوائد التاريخ: «ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث، وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلاّ قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلا، ويصبح لأن يقتدى به أهلا، ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق، فإن العاقل إذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم وملك عظيم بل لا أحد من البشر؛ عَلِمَ أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم». (الشيخ العربي التبسي وأصول دعوته الإصلاحية السّلفيّة لمحمد حاج عيسى الجزائري).

أقلّ درجات الأخوّة

أقلّ درجات الأُخوّة أَنْ يُعامل المرء أَخَاهُ بما يُحبّ أَنْ يُعامله به، ولاشكّ أَنّكَ تَنْتظرُ منْ أخيْك أَنْ يَستُرَ عَوْرَتك، وأنْ يَسْكُت عن مساويك، فلو ظَهَرَ لكَ منهُ ضدُّ ذلك، اشتدَّ عليك، فكيفَ تَنْتَظر منهُ ما لا تعزم عليه له؟ (مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ت: ٧٤٢هـ).

لقاء الإخوان جلاء الأحزان

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقاء الإخوان جلاء الأحزان».

وقال خالد بن صفوان: «إنّ أعجز النّاس من قصّر في طلب الإخوان، وأعجزُ منه من ضيّع مَنْ ظفر به منهم».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن: «يا بني، الغريبُ مَنْ ليس لهُ حبيب».

وقال ابن المعز: «من اتخذ إخوانًا كانوا له أعوانًا».

وقال بعض الأدباء: «أفضل الذخائر أخٌ وفي».

وقال بعض البلغاء: «صديق مساعد عضُدٌ وساعد».(أدب الدنيا والدين للماوردي).

من الأمثال «رجعَ بخُفَّيْ حُنَين»

كان يوجد ببلاد «الحيرَة» إسكافيٌّ اسمه «حُنَيْن» دخل إلى دكانه أعرابيٌّ ليشتري خُفّين، وأخذَ الأعرابي يساوم «حنينًا» مساومة شديدة، ويغلّظ لهَ في القول؛ حتى غضب حنين، وطرده؛ فاغتاظ الأعرابي، وسبّ «حنينًا» سبًّا فاحشًا، ثمّ انصرف!!

صمّم حُنَين على الانتقام من الأعرابي؛ فأخذ الخُفين، وسبق الأعرابي من طريق مختصرة، وألقى أحد الخفّين في الطريق، ومشى مسافة، ثم ألقى الخُف الآخر، واختبأ ليرى ما سيفعله الأعرابي.

فوجئ الأعرابي بالخفّ الأول على الأرض؛ فأمسكه، وقال لنفسه: «ما أشبه هذا الخُفّ بالخفّ الذي كنت أُريد أنْ أشتريه من حنين، ولكن هذا وحده لا نفع فيه، فرماه ومضى في طريقه، ثم عثر على الخفّ الآخر؛ فترك راحلته وعاد ليأخذ الأول، فتسلّل حُنين إلى الراحلة وأخذها بما عليها، فرجع إلى قومه.

ولما سألوه: بماذا عُدت من سفرك؟

فأجاب: عدت بخفّي حُنين!

ابتسامة

جاء رجل إلى ابن عقيل فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثًا لا أتيقن أنه قد غمسني الماء ولا أني قد تطهرت فكيف أصنع؟

قال له: لا تصلّ.

فقيل له: كيف قلت هذا؟

قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى ينتبه، وعن المجنون حتى يفيق»، ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثًا ويظن أنه ما اغتسل فهو مجنون!

(الأذكياء ١/٣٨)

أنا ابن الخليفتين

تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أم كلثوم» بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبنت فاطمة الزهراء، وحفيدة رسول الله ﷺ، فولدت له زيدًا.

كان زيد بن عمر بن الخطاب يقول: أنا ابن الخليفتين يقصد «عمر بن الخطاب» و«علي بن أبي طالب» رضي الله عنهما. (الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة).

مَنْ يُصْحَبُ من النّاس

«قيل لأحد العلماء: مَنْ يُصحَبُ منَ النّاس؟ قَالَ: مَنْ يَرْفَعُ عَنْكَ ثقلَ التّكَلُّف، وتَسْقُطُ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مُؤْنَة التّحَفُّظ»

وقال جَعْفَرُ الصّادق: «أثقلُ إخْوَاني عَلَيّ مَنْ يَتَكلّف لي وأتَحَفّظ منْه، وأخَفُّهم على قَلبي مَنْ أكُون مَعَهُ كَمَا أكُون وَحْدي»

(الوَعظ المطلوب للقاسمي).

روائع المعاني

■ قال الشافعي رحمه الله: ما جادلت أحدًا إلا تمنيت أن يُظهر الله الحق على لسانه دوني.

■ قال السباعي رحمه الله: ما رأيت كالأب يهدم أولاده بنيانه وهو بهم فرح، وينغّصون عليه عيشه وهو منهم مسرور.

■ قال أحد الحكماء: زئير الأسد لا يكفي لقتل الفريسة.

■ قال أحد الحكماء: قد يجد الجبان ٣٦ حلًا لمشكلته، ولكنه لا يعجبه إلا حلٌ واحدٌ وهو الفرار.

■ قال أحد العارفين: مصيبتان لم يُسمَع بمثلهما تُصيبان العبد عند موته: يؤخذ ماله كله، ويُسأل عنه كله. (روائع المعاني).

مِنْ عجائب الدنيا

مِنْ عجائب الدُّنيا قوم غلبت عليهم آمال فاسدة، لا يحصلون منها إلا على إتعاب النّفس عاجلًا، ثم الهمّ والإثم آجلًا، كمَنْ يتمنّى غلَاء الأقوات التي في غلائها هلاك النّاس، وكمَنْ يتمنّى بعض الأمور التي فيها ضَرر لغيره، وإن كانت له فيها منفعة، فإنّ تأميله ما يُؤمل منْ ذلك لا يُعَجّل له ذلك قبل وقته، ولا يأتيه من ذلك بما ليس في علم الله تعالى تكوّنه، فلو تمنّى الخير والرّخَاء، لتعجّل الأجر والرّاحة والفضيلة، ولم يُتعب نفسه طَرْفَة عين فما فوقها، فاعجبوا لفساد هذه الأخلاق بلا منفعة. (مداواة النفوس)

العلاقات المسمومة وترياقها

ليس من الإيجابية أو النقد البناء، أو الدقة، أو الإنصاف في شيء.. التعميم في أمور لا تحتمل ذلك، كما أن أولى خطوات الوقاية، أو وصف العلاج والترياق، توصيف الداء، وبأخذ هذين الأمرين في الحسبان تستوقفك بعض العلاقات والأجواء المسمومة التي يتسبب بها أناس: زملاء عمل، معارف، أصدقاء، جيران، أو حتى داخل الأسر.. صغيرها وكبيرها. وتتأمل في كونهم يتجاورون مكانًا.. ويتباعدون كيانًا، وفكرًا، وجهدًا، وثمرًا، وتراهم يتحادثون أحيانًا، بيد أنهم منغلقون على أنفسهم بأقفال عتيدة، ولعلها قد صدئت من طول إغلاقها.

ينظرون لبعضهم البعض، بيد أن «لكلٍ وجهة هو موليها».. توجهاتهم وقلوبهم شتى، لا يشغلهم الشأن والنفع العام، بل مشغولون دومًا بشأنهم الخاص، يلتقون وجوهًا، فإذا غاب غائب سلقوه بألسنة حداد، وسهام شداد.. غيبة ونميمة، وأحيانا بهتانًا، تعاليًا، وسخرية، واستهزاءً، وتقليلًا من شأنه، واستهجانًا.. أمور «لو مزجت بماء البحر لمزجته».

يضمر لزميله، جاره، رفيقه الحقد، و«ينهش» في الآخرين، وينفجر دونما داع غيظًا وحنقًا وتحقيرًا وإهانة، وليس نقدًا نزيهًا موضوعيًا مجردًا، يبتغي الإصلاح لا التجريح. إذا «اكتال على الناس يستوفي»، في حين يجحف حقوق غيره «فينهب منها» ما له ليس بحق: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين: ١-٣). لا يكترثون لضحاياهم وضحايا مطامعهم واستغلالهم.

وثمة من لا يعرف قدر نفسه، فيتطاول على قامات، أو يقذف الحجارة على علامات.. ليس بغية نيل الثمر المستطاب، بل تمردًا ونكاية، وكبرًا واستكبارًا: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

وهناك أناس يطوفون حول ذواتهم العلمية والبحثية والدراسية، ويريدون ممن حولهم طوعًا أو كرهًا «الطواف» حولهم كي تكتمل الصورة، يريدون نسخًا مكررة، وبخاصة في بعض جوانب العلم والبحث والدرس، فيتم قتل الحماسة والاستقلالية والتفرد والتميز البحثي.

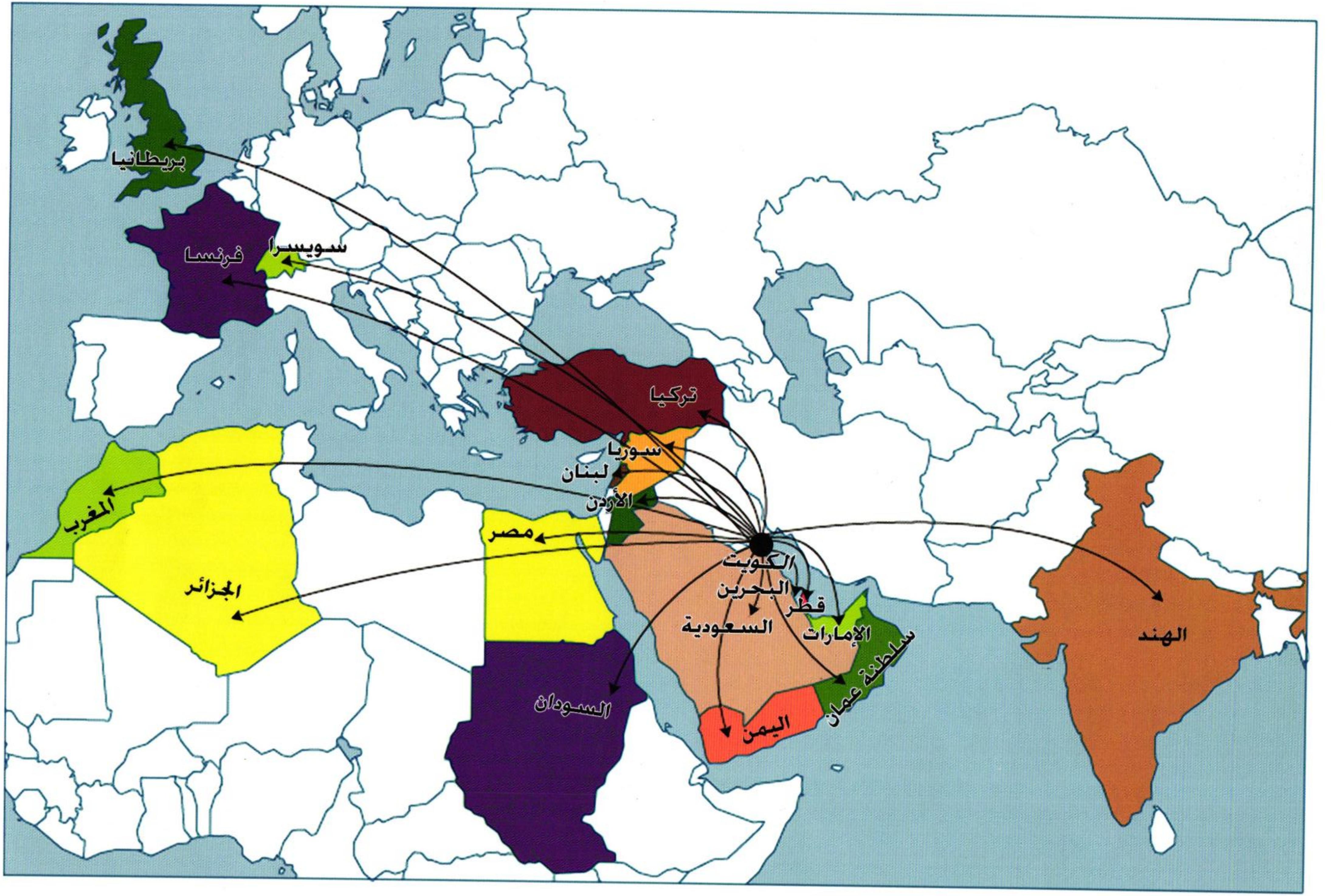
يتحدثون كثيرًا، يعملون قليلًا، بينما يبدون مشغولين، يتسلقون السلم سريعًا وهم صغار، ولا يُخفون أنفسهم ويتواضعون وهم كبار، ليظهر غيرهم، بل يستبدون بزمام الأمور حتى القبور، ويستبد بهم سيل من التطلعات والرغبات غير المتوافق مع الإمكانات، فتسوقهم إلى طرق ملتوية لتحقيقها. مع ذلك تراهم كثيري الشكوى والتبرم على الرغم مما يمتلكون ويكنزون.

وهناك من هم أصحاب مواقف «اللاموقف»، حيث «تمييع الأمور» والطعن في الثوابت، وإجادة الأكاذيب وزخرفتها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢). وتراه لا يعترف بعيوبه ولا يراها، جاهزًا لتبرير أخطائه، بل يُنكرها.. كذبًا، وبهتانًا. هل ثمة احترام لمن تخصص في خداع الناس وتضليلهم، أو من أجج نيران الفتن الطائفية والمذهبية، أو من حاد عن الوسطية والاعتدال إلى «تدين مغشوش»؟.

وترى البعض يشتركون ظاهرًا في أمر ما، بيد أن ثمة من يعيق المسير، ويقطع السبيل، ولا ينضبط بقانون، أو ينتظم بإرشاد أو توجيه، يفعل ما يحلو له، وكأن انتظامه ونظامه انتقاص من قدره ومكانه ومكانته، إن كان له ثمة مكان ومكانة، فيقل الإنتاج، وتعم الخسائر، وتعاد الكرة إلى مربعها الأول.. رصدًا لأسباب التدهور والتأخر والتخلف، ووضع الخطط ومحاولات النهوض والاستنهاض، والتنفيذ والمتابعة والتقويم ثم تعود الكرة مرة أخرى بذات النتائج المدمرة.

إن ملامح حياة عملية وعلمية وفكرية وثقافية واجتماعية نفث فيها أمثال تلكم الشخصيات المعوقة للإنتاج، المتضخمة المعتلة الذوات، سمومهم، وحملت بصماتهم، وأعملوا فيها معاولهم مصيرها إما فناء عاجل، إذ ما أسهل الهدم، وما أصعب البناء، أو جمود دون نماء أو رقي أو ازدهار.

أ.د. ناصر أحمد سنة



نقاط توزيع مجلة الوعي الإسلامي في العالم

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م



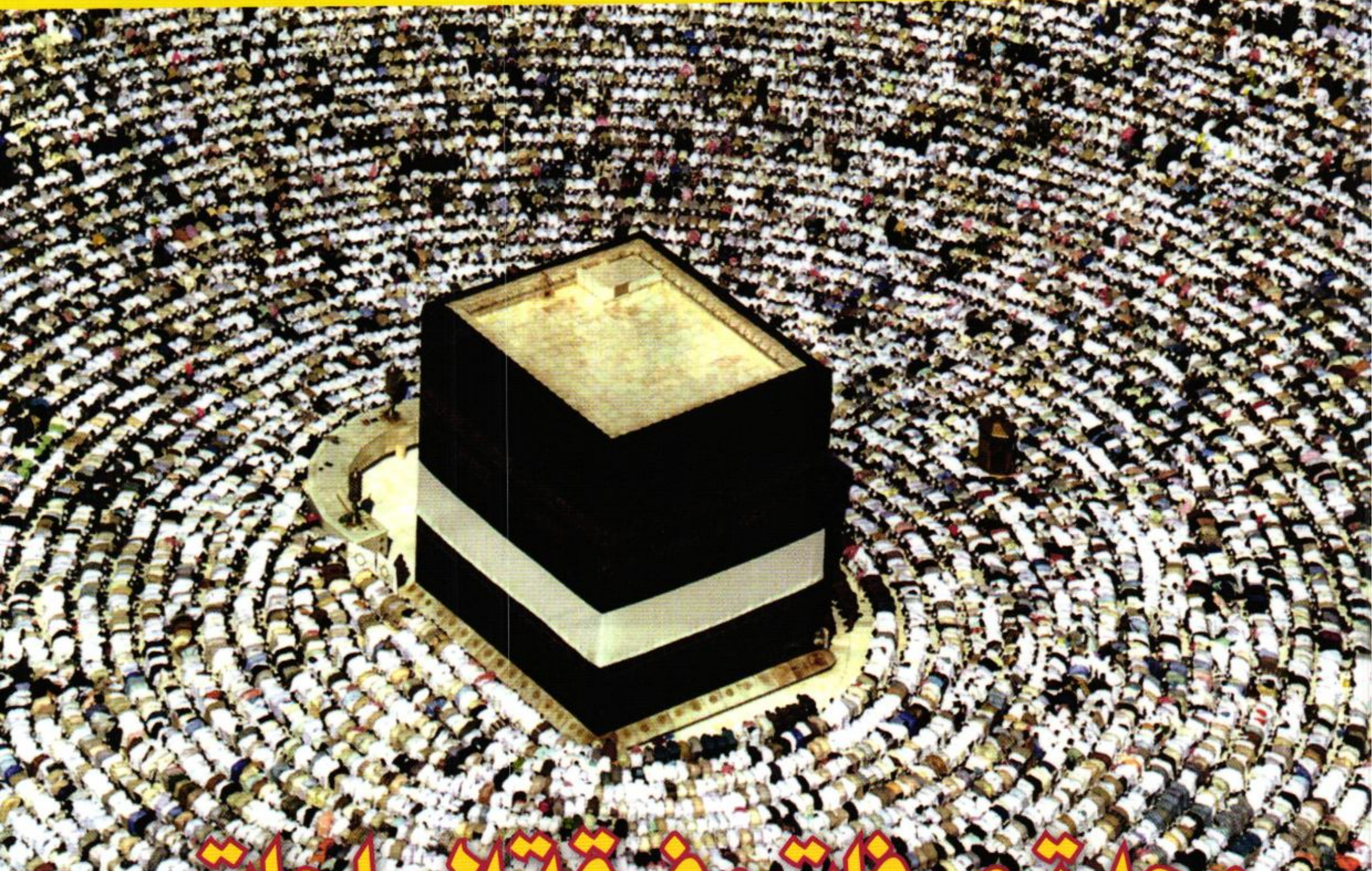
الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

د. محمد العقلا: الوحدة العربية الاقتصادية باتت اليوم حلماً

العدد (٥٤٤) ذو الحجة ١٤٣١هـ - نوفمبر- ديسمبر ٢٠١٠م



وحدة عرفات وفرقة الساحات

أسباب تعارض الأدلة في نظر المجتهد

صفحات مجهولة في تاريخ الأندلس

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

أسرة التحرير
تهنئكم بحلول
عيد الأضحى المبارك

كل عام وأنتم بخير

رحماء بينهم

التمسك بكتاب الله، والاجتماع على ما فيه من الصلاح والائتلاف، والبعد عن الشقاق والاختلاف، وهو اجتماع على مصالح الأمور، والعمل على سلامة الصدور، والحذر من العداوة والبغضاء، والحقد والاختلاف في الآراء، فإن الله عقد بيننا أخوة الإيمان، وجعل بعضنا لبعض كالبنيان، وشرع لنا التشاور والتناصر، والأخذ على يد الظالم بأن نقصره على الحق الظاهر، والقيام بالمعروف وإزالة المناكر.

هذه هي التعاليم الحكيمة، والإرشادات القويمة، والنصائح العظيمة، التي أرشد بها الرسول ﷺ أمته، في خطبة الوداع، فلقد عدد الله في كتابه الكريم أوصاف المؤمنين ونعتهم بنعوت كريمة، وصفهم بأنهم إخوة متراحمون متحابون، وأودع في قلوبهم الرحمة والرأفة، وأن بعضهم أولياء بعض، متحلون بالمودة، وقلوبهم مؤلّفة.

لم يشهد تاريخ مثل المؤاخاة في العهد الأول، فلم يتم من خلال قمع ولا إجبار، ولكن بدعوة الرسول ﷺ، وبرغبة واندفاع من المتآخين، وهو المثال الحي على هذا المستوى في الأرض، ومدى القدرة على أن تتمثل في سائر الخلق، فالله خلق الخلق بتدبيره، فكان من لطيف ما دبر، وبديع ما قدر أن خلقهم محتاجين، وفطرهم عاجزين، ثم جعل الإنسان أكثر حاجة من جميع الحيوان، لأن من الحيوان ما يستقل بنفسه عن جنسه، والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، وإنما خص الله تعالى الإنسان بكثرة الحاجة، وظهور العجز، نعمة عليه، ولطفًا به، ليكون ذل الحاجة، ومهانة العجز، يمنعانه من طغيان الغنى، لأن الطغيان مركوز في طبعه إذا استغنى، وقد أنبأ الله تعالى بذلك فقال ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾، فائتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون، فإذا تساوى حينئذ جميعهم، لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلًا، وإذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالمعونة، متواصلين بالحاجة، وقد قال الله تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾.

وأما ما يصلح حال الإنسان فثلاثة أشياء، هي قواعد أمره، ونظام حاله وهي: نفس مطيعة إلى رشدها، منتهية عن غيها، وألفة جامعة تنعطف القلوب عليها، ويندفع المكروه بها، ومادة كافية تسكن نفس الإنسان إليها، ويستقيم أَوَدُهُ بها، فالألفة تجمع الشمل، وتمنع الذل، وأسبابها: الدين، والنسب، والمصاهرة والمودة والبر، والمؤاخاة بالمودة، هي من أسباب الألفة، لأنها تكسب بصادق الميل إخلاصًا ومصافاة، وتحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة، وهذا أعلى مراتب الألفة، ولذلك آخى الرسول ﷺ بين أصحابه، لتزيد ألفتهم، ويقوى تضافرهم وتناصرهم.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد





حوار مع د. محمد العقلا ١٦

يوم عرفة يوم الوحدة الإسلامية ٢٤





دلالات الصورة الرمزية في شعائر الحج ٢٨

دعوة إلى جهاد الدعوة ٤٢





ضرورة تشخيص الوفاة ٤٦

البعد الجمالي للوصف في الرواية العربية ٥٦

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٤

العام السابع والأربعون

ذو الحجة ١٤٣١ هـ

نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

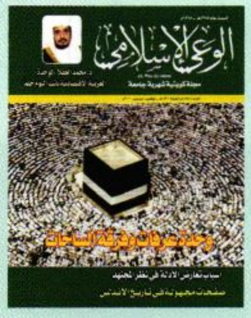
التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)
- اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/ ١٨٤
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

موضوع الغلاف



اجتماع غرفة المهيب مظهر من مظاهر الوحدة الإسلامية ومَعلم من معالم الأخوة الإيمانية.

داخل العدد

■ صفحات مجهولة من تاريخ الأندلس ١٠

■ المسؤولية المجتمعية بين تأصيل الإسلام وانحراف الغرب ١٢

■ النهج الإسلامي في مواجهة الأوبئة ٣٥

■ أسباب تعارض الأدلة في نظر المجتهد ٣٨

■ العلامة محمد عبدالله دراز ٨٠

■ جامع السيد هاشم في غزة ٨٢

كلمة العدد

لبيك اللهم لبيك

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك نتقدم إلى قرائنا الكرام وإلى المسلمين قاطبة بأسمى آيات التهاني والتبريكات داعين الله عز وجل أن يعيده عليهم باليمن والخير والبركة وان يوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم ويسدد خطاهم لما فيه عزتهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة، كما نتضرع إليه جل وعلا أن تتمثل في نفوس حجاج بيت الله الحرام المنافع التي ارادها الله لعباده من وراء هذه الفريضة الجليلة التي هي حق من حقوق الخالق على الخلق.. حق الكريم الذي أحسن وأنعم على من أحسن إليه وأنعم عليه ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ولاشك ان روعة الحج وفضله تتجلى في الحديث الذي رواه أبوهريرة ﷺ قال: «سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» (متفق عليه).

لقد حاولنا من خلال هذا العدد تسليط الضوء على هذه الفريضة واثرها في وحدة الأمة وتماسكها، فالوحدة الإسلامية والأخوة الإسلامية فوق كل العصبيات أيًا كان اسمها ونوعها وهي وصية الأنبياء جميعًا: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: 13).

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية : ٧ ريالات ●البحرين : ٥٠٠ فلس ●قطر : ٧ ريالات ●الإمارات : ٧ دراهم ●سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن : دينار واحد ●مصر : ٢ جنيه ●السودان : ٥٠٠ جنيه ●موريتانيا : ٢٠٠ أوقية ●تونس : ٢ دينار ●الجزائر : ١٠ دنانير ●اليمن : ٧٠ ريالا ●لبنان : ٢٠٠٠ ليرة ●سورية : ٣٠ ليرة ●المغرب : ١٠دراهم ●ليبيا : دينار واحد ●اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله ●اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

● للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

العلامة د. مازن المبارك في حديث الذكريات لـ «الوعي الإسلامي»:

اللغة تعلّم الأخلاق وتبني الفكر وتقوي الشخصية (٢-٢)



حوار: د. محمد حسان الطيان

الأستاذ الدكتور مازن المبارك أحد أعلام العربية المعاصرين، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، يمثل تاريخًا طويلًا في الجهاد في سبيل العربية وتحت رايتها، علمًا وتعليمًا وتأليفًا وتحقيقًا ومشاركة فعالة في مختلف أوجه النشاط المعرفي، وهو إلى هذا وذاك من أقدم كتّاب مجلة «الوعي الإسلامي». وانطلاقًا من حرص المجلة على تقدير العلماء والمفكرين والمثقفين التقت بـ«المبارك» في دمشق للحديث عن الذكريات بأشكالها المختلفة لتكون دروسًا وعبرًا للأجيال.. وإليكم نص الحوار:

■ **ما رأيك في الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع القاهرة سابقًا:**

شوقي ضيف كتبت عنه مقالا طويلا في الكتاب الذي صدر بمناسبة ميلاده السبعين، بعنوان: رحلتي النحوية مع أستاذي الكبير شوقي ضيف. كتبت كل ما أعرفه عن دماثته وخلقه وتواضعه. يعني أنا أحمد الله أنني في مصر لقيت أناسا تعلمت منهم الأخلاق والأدب كما تعلمت العلم، مثل الدكتور شوقي ضيف والدكتور عبدالحليم النجار والشيخ علي النجار ومصطفى السقا، وهؤلاء، والله، تعلمت منهم الأدب والخلق قبل أن أتعلم العلم.

■ **الدكتور أمجد الطرابلسي:**

الدكتور أمجد الطرابلسي كان الأستاذ الذي أثبت لنا في بواكير حياتنا أن الفصحى يمكن أن تكون لغة الدرس ولغة الحديث اليومي، كان لا يتحدث إلينا إلا بلغة ذات مخارج وصفات معينة، وهذه صفة لغته المتميزة، وكان يحدثنا بما لا يستطيع المعلمون اليوم أن يحدثوا بمثله.. طلاقة لسان وحلاوة تراكيب، ومن هنا أدركت فيما بعد قضية لا أدري إن كان الناس يعرفونها، حين كنت طالبا في الإعدادي والثانوي وكان الأستاذ البزم يحضر المناسبات الوطنية والقومية والدينية ويُكلّف بإلقاء قصائد، ما سمعت الأستاذ البزم يلقي في حياتي غير مرة واحدة، وأما بقية المرات كلها فكان يناديني قائلا: خذ هذه القصيدة، قل لأمجد أن يقرأها عني، فأذهب إلى الأستاذ أمجد، وكان أستاذا معه في التجهيز، وأقول له: يقول لك الأستاذ البزم أن تلقي هذه القصيدة أنت عوضا عنه، فكان يخرج إلى المنبر ويلقي القصيدة في أكثر من عيد وفي أكثر من مناسبة، لا يكلف غير أمجد الطرابلسي بقراءة شعره، وكنت أقول في نفسي لأنه يحبه أو لأنه صديقه، لكن حين أصبحت تلميذًا في الكلية لأمجد الطرابلسي وكنت أسمع هذه اللغة، عرفت لماذا كان الأستاذ يختاره لقراءة شعره.

■ **الأستاذ الكبير سعيد الأفغاني وقد كتبتم عنه كتابكم المعروف، ولكن أريد خلاصة رأيكم بالرجل.**

الأستاذ الأفغاني لم يترك له تمسكه بالحق صاحبا، لذلك بعد أن خرج على المعاش قلّ من ذهب إلى بيته أو زاره.

■ **لقد لاحظت ذلك ياسيدي وكان من فضل الله علي أني كنت أزوره بين الفينة والأخرى مع الأستاذ يوسف الصيداوي.**

يوسف الصيداوي كان من أوفى الناس للأستاذ الأفغاني، أنا كنت أزوره باستمرار حين نكون في دمشق، وكان كثيرا ما يتصل بي، ويقول لي: لا تأتِ يا مازن أنا أريد أن آتي، فيأتي إلى بيتي، زارني مرارًا في هذه القاعة وفي الصالون، وفي آخر عمره كنت أستأذن منه وأستقبله في الطابق الأرضي عند أهلي حتى لا أكلفه صعود الدرج، رحمة الله عليه، ما كان أصلب الرأي عنده، وما كان أصعب إقناعه بأمر من الأمور لا يريدها.

وآخر ما صدر له كتاب أوصي بقراءته لأنه يجلو أشياء كثيرة من آرائه لم تكن مكتوبة لا في كتبه ولا في دروسه.. كتاب صدر كلفت ابنته الأستاذ حسن إسماعيل مروة بمراجعته، أصدرته دار البشائر قريبا اسمه «عصارة فكر وتجربة حياة»، وهو مجموع مقالات سعيد الأفغاني التي نشرت في العراق والسعودية والمغرب ومصر وسورية، يعني حاولنا جمع ما أمكن جمعه في كتاب ضخم وجيد وجميل.

■ أذكر أني قرأت بعضًا من مقالات الأستاذ سعيد الأفغاني فراعني رقي الأسلوب الذي يكتب به، ناهيك عن علمه وتخصصه.

ستجد في هذا الكتاب التنوع يعني مقالات اجتماعية، مقالات تاريخية، مقالات لغوية، مقالات نحوية، ردود على فلان، شكر لفلان، يعني هو كتاب ضخم جدًا ومبوب بحسب الموضوعات ولذلك أنا أوصي بقراءته.

■ حين أعددت سؤالي هذا لم أكن أتوقع أن أحظى بهذا التدفق وهذه المعلومات المهمة، وأنا أرى أن ما تفضلتم به يصلح أن يكون نواة لكتاب يعرض لمن عرفتم من الأعلام، ففي ذلك خير كثير.

أدركت في مصر أناسًا كثيرين، بعض زملائي المصريين لا يعرفونهم، مثل الأستاذ حسن الزيات والأستاذ عباس محمود العقاد، فأنا جلست إليهم، إبراهيم مصطفى صاحب إحياء النحو زرته أكثر من مرة، أما الأستاذ أحمد حسن الزيات فالفضل في معرفته يعود إلى أستاذي الأفغاني الذي أرسل إليه رسالة معي فزرته وسلمته الرسالة وتعرف علي وطلب إلي ألا أنقطع عن زيارته، وأما الأستاذ العقاد فكان أخي الأستاذ محمد المبارك يزوره كلما جاء إلى القاهرة، فكنت أرافقه ثم أصبحت عادة لي أن أزوره ولو لم يكن أخي موجودًا لأنه عرفني، وهكذا سمحت لي الظروف أن أتعرف إلى كل هؤلاء فكنت في غاية السرور.

والله مازلت أذكر حين دخلت إلى الصالون في بيت الأستاذ أحمد حسن الزيات ودخل هو للسلام والاستقبال كأنني أرى أمامي افتتاحية من افتتاحياته التي يكتبها في مجلة الرسالة بإشراقها وضيائها، أنت تعرف أسلوبه، كنا نقرأ مقالته فلا يهمنا ما فيها من فكر بقدر ما تعجبنا إشراقها وجمال أسلوبها، يدخل الرجل بالقميص الأبيض الناصع والبدلة الكحلية الغامقة مع الربطة الحمراء أو الزرقاء المناسبة والطربوش على رأسه- وهو في بيته- وبحذاء يلمع كالمرآة في غاية الأناقة. والله هذه قطعة من البيان، لوحة تصويرية تتراءى لي- وهو يتحدث- بين منظره وبين المقال، ثم النظارة التي يختارها لتغطي حواجبه العراض. كنت أحلل كل ذلك قبل أن أعتاد أساليب التحليل الأدبي.

■ يعني تحققت المقولة التي تقول: الأسلوب هو الرجل.

كذلك إذا انتقلت إلى أسلوب العقاد تجده إنسانا لا يهتم بالمظهر، طاولة خشبية متواضعة جدا جدا جدا، يستقبلني أحيانا بـ «البجامة» وقد لف على عنقه شالاً صوفيا سميكا كحلي اللون لا يرفعه، لا أدري لماذا، يلفه حول عنقه ويترك نصفه على صدره ونصفه الآخر على ظهره، ثم يجلس بنظارته، ويلقي عليك الكلام وكأنه قائد عسكري يعطيك أوامر تكليف لتشعر أنك لست في موضع تستطيع أن تسأل أو تعترض، بل هو يقرر شيئا عليك أن تقبله، كل ذلك بكلام موجز لا تستطيع أن تحذف منه شيئا إذ لا فضول في كلامه. على نقيض الدكتور طه حسين إذ تستطيع أن تحذف نصف الكلام دون أن يتغير المعنى ويبدو أن العاهة ذات أثر في هذا فهو يكرر لتفهم بينما جمل الأستاذ العقاد- رحمه الله- موجزة شديدة يلقيها بعنف، وقد كنت أحتال في توجيه بعض ما أعددت من أسئلة دون أن أوجهها مباشرة خشية أن أقع معه بما وقعت مع طه حسين كي لا يظن أنني أعترض على رأي من آرائه، إذ كنت أتحاشى ذلك جدًا.

■ الأستاذ أحمد راتب النفاخ:

الأستاذ راتب، رحمه الله، فيه شبه من أخلاق الأستاذ محمود شاكر، رحمه الله، يعني أنا عرفت الأستاذ «راتب» لأنه كان يتقدمنا بسنة، فأنا دخلت كلية الآداب ولم يكن فيها سنة رابعة، كان أعلى شيء فيها السنة الثالثة لأنها كانت حديثة التأسيس، أسست سنة ١٩٤٦، وأنا دخلت سنة ١٩٤٨، فكان أعلى الطلاب يمثلهم الدكتور صالح الأشتر وهو في السنة الثالثة، وكان في السنة الثانية راتب النفاخ وعزت حسن وهذه الطبقة، وكنا في السنة الأولى مازن المبارك، وعبدالكريم الأشتر، وعاصم البيطار، يعني الأستاذ راتب كان يسبقني بسنة، ولذلك تخرج قبلي بسنة، ودرّس في درعا، ثم عُيّن معيدًا، وأوفد بعدي بسنة أو سنتين إلى القاهرة، وكنت على صلة به منذ كان طالبًا ثم معيدًا ثم موفدًا، ورافقته في القاهرة، ثم كان صديقًا كأحسن ما يكون الصديق، وهو الذي أخذني إلى محمود شاكر.. فقد بقيت سنة في مصر لم أزر الأستاذ محمود شاكر ولا عرفته، وكان الأخ راتب يطلب إليّ مرارًا أن أرافقه في زيارته، إلى أن أجبرني إجبارًا فذهبت معه وكان اللقاء الأول، واستمرت الصلة.

والحق أن الرجل كان على درجة من العلم لا يحتاج فيها إلى شهادة مني أو من أمثالي، وكثيرًا ما كان بعض الطلاب يسألونني عن تفسير بعض الأبيات أو القضايا المتصلة بالأدب القديم، وكانت ساعة الأستاذ راتب بعد ساعتي، وكان أحيانًا يجافيني، فكان الطلاب يسألونني عن بعض الأسئلة فأجيبهم عما يتصل بالنحو وأقول لهم: هذا السؤال الثاني أتركه لزميلي فلان فهو أعلم به مني.

■ **الدكتور شاكر الفحام:**

الدكتور شاكر الفحام- يا سيدي- عرفته حوالي عام ١٩٥٢، اشتركنا في تصحيح الثانوية (البكالوريا)، وأنا شاركت في تصحيح الثانوية قبل زملائي بسنة كاملة، لأنني كنت الناجح الأول فأكرمتني الوزارة- وزارة المعارف..لم يكن ثمة تعليم عال- ودعتني إلى التصحيح مع أنني لم أكن أستاذًا بل كنت طالبًا متخرجًا، ففي تلك السنة كان الأستاذ شاكر الفحام وإحسان النص وصبري الأشتر وأمثالهم مازالوا أساتذة، وحين كنت في مصر أوفد قسم منهم عن طريق الاختيار- اختارته الوزارة- وقسم عن طريق المسابقة، فجاء إلى مصر الدكتور عبدالكريم الأشتر والدكتورة عزيزة مريدن والدكتور عمر الدقاق والدكتور محمد خير فارس والدكتور إحسان النص والدكتور صبري الأشتر والدكتور شاكر الفحام.

■ **المعروف أن د.شاكر درس الدراسة الجامعية العادية هناك.**

لم يكن في سورية أحد ممن حاز شهادة ماجستير ودكتوراه من مصر قبل مازن مبارك، لأن الذين أخذوا قبلي درسوا أصلًا في مصر، أعني في الجامعة إذ لم يكن عندنا جامعة. فزكي المحاسني وشكري فيصل وشاكر الفحام وأنور الرفاعي هؤلاء درسوا في مصر لأنه لم يكن عندنا جامعة، درسوا بعد البكالوريا. أما أنا فكنت أول طالب سوري يحمل الإجازة- يعني البكالوريوس على لهجتهم- لذلك حين ذهبت إلى مصر صدر قرار قبولي في السنة الثانية من كلية الآداب، ولما ذهبت إلى العميد لأحتج قال لي وضعناك مع فلان وفلان من حملة دار المعلمين لأنك تحمل الإجازة، قلت له: هؤلاء طلابي.. أنا الذي أعطيتهم شهادة دار المعلمين، أما أنا فمعي إجازة بعد دراسة أربع سنوات، قال: أين الشهادة؟ فأبرزت له الشهادة، وأقسم بالله خاطبني بالفرنسية: VOUS AVEZ QUATRE SERTAFIKA؟

قلت له: نعم معي أربع «سرتفيكات» لأنه كان عندنا نظام الشهادات مجموعها يساوي الإجازة، قال لي «الإجازة يعني إيه»؟ قلت له: يعني البكالوريوس أو الليسانس، قال: أنتم السوريون تعربون وتضعون ما شئتم من المصطلحات وحدكم دون أن تعلمونا بها، ما أدرانا أن الإجازة تعني الليسانس، خذ يا بني قدم لي ظُلامة لأعدل لك القرار. وفعلًا جلست عنده وقدمت ظلامة، وبعد ثلاثة أيام عُدِّل القرار فقُبلت في الماجستير، فأنا أول سوري يحمل إجازة سورية ويقبل في الجامعة المصرية ويتابع الدراسات العليا. أما الذين سبقوني من السوريين فدراساتهم الجامعية الأصلية كانت هناك.

> **لولا الإسلام والتمسك بالقرآن لتأخرنا وتأخرت لغتنا أكثر من ذلك بكثير**

■ **يقول الرافعي- رحمه الله: «ما ذَلّتْ لغة شعب إلا ذلّ ولا انحطّت إلا كان أمره إلى ذهاب وإدبار».. كيف ترون أثر العربية في واقعنا؟ وما مقدار تحقق مقولة الرافعي- رحمه الله- اليوم في أمتنا وفي لغتنا؟**

والله أنا أرى كلام الأستاذ الرافعي- رحمه الله- صحيحًا، وأرى عكسه صحيحًا أيضًا. يعني ما ذلت لغة قوم إلا ذلوا، وأرى أنه ما ذل قوم إلا ذلت لغتهم كما هي حالنا اليوم، فالمعادلة طردية.. تقوى الأمة فتقوى لغتها وتقوى اللغة فتقوى الأمة، لأن اللغة تعلم أبناءها المروءة، وتعلمهم الأخلاق، وتقوي الشخصية، وتبني الفكر. هذه المعاني الآن غائبة عن كثير من المثقفين، يظنون موضوع اللغة وتمسكنا بالفصحى عبارة عن تعصب لا لزوم له، وأن العلم يمكن أن يكون بأي لغة، على حين أن الأمة التي تتقدم علميًا تتقدم لغتها، وحين تتقدم لغتها تتقدم، فهناك معادلة طردية بين اللغة وبين الأمة، فنحن يمكن أن نُعزّ بإعزاز اللغة ويمكن أن تعز اللغة بإعزازنا، والتاريخ أكبر دليل على ذلك، حين نرى اللغات الأوروبية الحية ونرى اللغة العربية متى كان عزها؟ أين كان العرب حين كانت العربية عزيزة، كيف كان الحكم العربي حين كانت العربية؟ كيف كان العلم العربي الذي نقل عن طريق إسبانيا وعن طريق صقلية إلى أوروبا؟ وكيف كان العالم يخضع للعرب حضاريًا وسياسيًا ولغويًا؟ ثم انسحب العرب وأفلت شمسهم فانحصر ظل لغتهم، ومازلنا نتراجع، أو نقف على الأقل، ونحن حين نقف ويتقدم غيرنا فمعنى ذلك أننا تأخرنا، ولذلك فكلام الرافعي صحيح، نحن عزنا بلغتنا وعز لغتنا بنا، وأعتقد أنه لولا بقايا الإسلام والتمسك بالقرآن لكنا تأخرنا وتأخرت لغتنا أكثر من ذلك بكثير.

■ **ما السبيل إلى تغيير واقعنا اللغوي الذي نعيشه؟ وكيف لنا أن نرقى بلغتنا؟**

لا حول ولا قوة إلا بالله، والله أنا أفضّل أن نوجه بعض الجهود إلى إحياء الوعي اللغوي لا إلى إحياء اللغة نفسها، لأنني أرى العامية التي تطغى في الإعلام وفي الحياة اليومية، وأرى أن ما يدعى بالمعركة بين الفصحى والعامية لا حاجة إليها ولا لزوم لها، كل ما هنالك أن اللغة العامية لا تزول بقرار سياسي، اللغة بصورة عامة ملك الناس وليست ملك الحاكم، ومن الصعب أن يصدر قرار فيغير لغة، لأن ذلك يحتاج إلى زمن، أهم شيء أن

يحب العامي الذي يتحدث العامية اللغة الفصحى، وأن يتمنى أن يكون من أصحاب اللغة الفصحى، هذا الحب وحده في هذه المرحلة يكفيني، أن يشعر العرب بالحب نحو لغتهم حتى ولو لم يكونوا قادرين على حمايتها، حتى ولو لم يكونوا قادرين على استعمالها، يستعملها من يستطيع منهم ذلك، لكنه يجد التشجيع ويجد الاحترام ويجد الإمكان المفتوح له، أما أن نجد الصدود والمقاومة من المستغربين العرب فهذا من أعجب العجب! يعني نحن الآن نجد صدودًا ونجد مقاومة من كثير من الناس، وهذا بلاشك لا أعتقد أنه عن سوء نية بقدر ما هو عن جهل، فإذا استطعنا أن نحببهم في اللغة العربية وأن نرغبهم فيها وفي أدبها فقد أفلحنا.

يا أخي إن مثل هؤلاء كالمؤمن الذي يرتكب المعصية لكنه يعلم أنه لا يرتكبها مكابرة لله ولا تحديًا لله وإنما يرتكبها لأن نفسه ضعفت ويتمنى ألا يرتكبها. أنا أريد الآن أن يكون هناك وعي لغوي كالوعي الديني. العامي لا يعرف أصول الفقه ولا يعرف أحكام الفقه ومع ذلك لا يرضى أن يشتم الدين ولا يرضى أن يترك الدين، كذلك لو أننا ننشر الوعي الشعبي عند الناس ليصبح اللحام والبقال والحلاق يحترمون العربية ويحبون العربية ويزدرون المثقف الذي لا يحترم العربية. فهذا الآن يكفيني.

■ **صدقتم وقد وجدت فعلًا في نشر ما يسمى بجماليات العربية من أفانين الشعر والنثر والطرائف أكبر الأثر في تحبيب العربية إلى نفوس الناس.**

هذا طريق ممتاز ويجب أن يجمع هذا وينشر.

■ **ينحو بعض الناس وبعض الصحفيين باللائمة على المجامع ويتهمونها بالتقصير في أداء رسالتها، فأين هي من هذه اللغة؟ ماذا فعلت من أجلها؟ وما السبيل إلى أن يكون تأثيرها أبلغ وأوسع وأعظم؟**

والله- يا سيدي- نحن لا ننكر أن المجامع مقصرة وأن مجمعنا مقصر ورسالة المجمع أصبحت واسعة جدًا، وبعض الناس الذين يتهمونه بالتقصير يرون ظاهر الأمر دون باطنه، وهذا أيضًا يعود لتقصير المجمع، فمجمعنا عمره «كذا سنة» ومع ذلك لم يمض على تأسيس مكتب إعلامي فيه سنة واحدة، أي أن ما يحدث في المجمع لا يعلم به إلا الذي يعيش داخل المجمع، فالآن فيه ما لا يقل عن اثنتي عشرة لجنة، فيه لجنة فيزياء، وكيمياء، ونبات، وحضارة، وحياة يومية، وكل لجنة وضعت مئات المصطلحات بعد دراسة وتمحيص، وهذه المصطلحات لم يدر بها أحد إلى الآن لأن عندنا رتابة أي روتين، فهي يجب أن تعرض على اللجنة ثم على مجلس المجمع ثم على المؤتمر السنوي الذي يحضره أعضاء مجامع اللغة العربية ليناقشوها ويقروها، بعد ذلك تطبع على شكل مشروع لأخذ آراء الذين يطلعون عليه، ثم يطبع نهائيًا وهذا يحتاج- يمكن- إلى سنة أخرى.

لقد أنجز قسم كبير من معجم الفيزياء أو المعجم كله، وكذلك ألفاظ الحضارة، لكن هذا لا يكفي، كذلك لجنة الأصول واللغة العربية تأتيها رسائل وفتاوى فتجيب عنها وتصدر كلمات كثيرة ومصطلحات كثيرة وتفصّح من العامية ألفاظًا كثيرة، لكنها تنتظر حتى تعرض على المجمع ثم تعرض على المؤتمر السنوي ثم تنشر. وعما قريب أعتقد أن مجمع دمشق سينشر مجموعة كبيرة من هذه الكتب التي تتضمن مثل هذه المصطلحات. لكن بصورة عامة اللغة ليست من الأمور التي يمكن إصلاحها بين عشية وضحاها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالمجمع وحده لا يكفي، أنا أحب أن تكون الجماهير ملتفة حول المجمع يعني مثلًا أنا حضرت في المجمع عشرين محاضرة ما وجدت عشرين واحدًا من أساتذة اللغة العربية الجامعيين يحضرون المحاضرات، أين هم؟

■ **فعلًا أنا أشعر بجفاء بين قسم اللغة العربية وبين المجمع.. لماذا؟**

هذا بين المثقفين عامة، كمثال أنا حضرت المجمع القديم، في المجمع القديم لم يكن هنالك جفوة، كان كثير من التجار والصناعيين يحضرون محاضرات الشيخ عبدالقادر المبارك والشيخ عبدالقادر المغربي والأمير مصطفى الشهابي وأمثال هؤلاء وأمثال كرد علي وكان هذا يشجعهم أحيانًا على مد يد العون إلى المجمع، فإمكاناته المادية قليلة جًدا، أنا في اعتقادي أن المبنى الذي يحوي المجمع الآن لا يصلح للمجمع، نحن حتى الآن ليس عندنا قاعة مكتبة في المجمع، فإذا أراد عضو المجمع أن يجلس في قاعة المكتبة ليراجع- كما كنت وأنا ابن عضو مجمع أدخل مكتبة المجمع وأراجع أيام كرد علي وأيام الشهابي وأيام حسني سبح وأيام المجمع القديم- لم يجد قاعة يركن إليها.

■ **هل من كلمة ختامية لقراء المجلة ولمحبي العربية في كل مكان؟**

والله أنا أوجه نحو حب العربية وتنشئة الأولاد على حب العربية، فهي الرابطة بتاريخك العربي، وهي الجسر إلى كتابك الديني، فلا قرآن بلا عربية ولا فهم للإسلام بلا عربية، ولا اتصال بالعرب إلا عن طريق العربية، فسواء كنت قوميًا أو كنت إسلاميًا فلابد أن تكون العربية هي الرابط لك، ومتى ضاعت ضاع مستقبلنا، وأنا لست أسرف في التفاؤل، ولكنني متفائل مع شيء من الحذر، وضرورة البقاء في حالة وعي وفطنة لما يُكتب لهذه الأمة وللغتها، ولا أرى داعيًا للتشاؤم ولا القنوط، فالأمة في حالة صحوة والحمد لله والكثيرون يؤمنون أن المستقبل لهذه اللغة.

صفحات مجهولة من تاريخ الأندلس

المنشاوي الورداني

يوم سرقت غرناطة! في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وفي الوقت الذي سقطت قواعد العرب في إسبانيا مثل قرطبة وإشبيلية وبلنسية ومرسية تحدثت أنباء عن قيام مملكة غرناطة الإسلامية الصغيرة على أنقاض الأندلس الكبرى، وذلك في الركن الجنوبي من شبة الجزيرة الإسبانية، فيما بين نهر الوادي الكبير والبحر على مقربة من العدوة المغربية لتكون ملاذها وقت الخطر الداهم، وشاء القدر أن تنهض هذه الأندلس الصغرى وأن تستطيع إعادة دولة الحضارة مرة أخرى كما شاء القدر أن ينطفئ نور هذه الحضارة حينما شهر الملكان الكاثوليكيان «فرناندو» و«ايزابيلا» (ملكا إسبانيا المتحدة) حربهما المدمرة للقضاء على مملكة غرناطة وسرقة معالم هذه الحضارة.

لقد كشف د.خوسيه غوميث سولينيو عن عثوره على وثيقة انجليزية تؤكد أن سقوط غرناطة الإسلامية والحصار الذي عانت منه المدينة «كان أكثر شراسة مما هو معروف حتى الآن».

ومؤلف وثيقة «سقوط غرناطة» شخص انجليزي متخصص بقوانين الكنيسة ويدعى ويليام ويدمونهام، وكان أحد المدعوين لحضور الصلاة والاحتفال في كنيسة سان بابلو بمناسبة سقوط غرناطة الإسلامية.

وتتحدث الوثيقة عن حجم الأسلحة التى كانت بحوزة الغرناطيين ومدى الترف والأبهة التي تميزت بها القصور الغرناطية والبلاط الملكي، وأثر الحصار الذي فرضته القوات الإسبانية على أهالي مدينة غرناطة، حتى اضطرهم إلى أكل الكلاب والقطط، ويخلص إلى أن العرب دفعوا ثمنًا باهظًا للغاية بسقوط آخر جوهرة لهم في أوروبا.

ويذكر المؤلف أن القوات التي حاصرت غرناطة كانت أكبر بكثير من عدد القوات الغرناطية، مخالفًا بذلك الرواية المتواترة من أن جيش غرناطة كان كثيرًا. وتضيف الوثيقة «إن أهالى غرناطة مروا بمعاناة قاسية خلال أعوام الحصار، وقامت القوات الإسبانية بتحطيم وحرق الحقول المجاورة للمدينة، ما تسبب في مجاعة رهيبة بين سكان غرناطة، ولهذا السبب أكلوا الخيول والكلاب والقطط».

وتتعرض الوثيقة أيضًا للكنوز الهائلة التي سرقها الإسبان بعد انتصارهم.. «ففي مسجد غرناطة كان هناك ٣٠٠ مصباح من الذهب والفضة.. وعثر ملك إسبانيا على كميات هائلة من الذهب، وبها بنى الكنيسة مكان المسجد»، ويذكر المؤلف أيضًا «إن جدران أحد القصور كانت مبنية من البازلت ومرصعة بالأحجار الكريمة، لذلك تم الاستيلاء على كميات هائلة من تلك الجواهر والأحجار الكريمة في قصور غرناطة».

ويذكر المؤلف الإنجليزي «إن الملك فرناندو لم يسمح للمسلمين إلا بما يستطيع كل واحد منهم أن يحمله على ظهره من حاجات، ماعدا الذهب والفضة والسلاح»، ولهذا فإن الجيش الإسباني وجد عند دخوله المدينة الآلاف من الأسلحة من سيوف ودروع ومجانيق.

وحسب الوثيقة تم الاستيلاء على «٢٢٠٠٠» سيف، منها «١٠٠٠٠» مطلية بالذهب من الطرفين.

ويشير د.غوميث سولينيو إلى أن الوثيقة تذكر أن افتتاح غرناطة تم عام ١٤٩١م، والصحيح هو ١٤٩٢م، والسبب هو أن السنة الجديدة لدى الإنجليز كانت تبدأ في ٢٥ مارس آذار، وليس الأول من شهر جانفي /كانون الثاني (يناير).

ويذكر د.غوميث سولينيو ملاحظة أخرى وهي أن الوثيقة تشير إلى أن سقوط غرناطة تم يوم ١جانفي /كانون الثاني، والصحيح هو يوم ٢ أي في اليوم التالي، ويعلل ذلك بأن الملك فرناندو كان قد أعلم قواته المرابطة في مدينة سانتافي القريبة من غرناطة يوم ١ جانفي / كانون الثاني (يناير) بأن اتفاق الاستسلام قد تم، وأنه سيدخل المدينة في اليوم التالي، أي ٢ جانفي / كانون الثاني (يناير).

ثم يتساءل د.غوميث سولينيو: كيف يمكن لشخص انجليزي أن يعطي أخبار حرب غرناطة؟

إن السبب في ذلك هو أن الملك فرناندو والملكة ايزابيلا كانا قد سعيا إلى الحصول على موافقة من البابا اينوثينو الثامن بإعلان الحرب الصليبية على غرناطة، وما إن أعلن البابا هذه الحرب حتى هب ملوك أوروبا لمساعدة الجيش الإسباني بإرسالهم الفرق العسكرية، ومنها فرقة كبيرة شارك فيها أحد أقرباء هنري السابع ملك انجلترا، وكان هؤلاء يعدون الخطط لمهاجمة غرناطة مع الملك

مترجم بالتلفزيون المصري

فرناندو.

ويختم د.غوميث سولينيو بحثه حول تبعات سقوط غرناطة فيقول: إن انهيار الحكم العربي في هذه المدينة كان له صدى كبير وواسع جدًا ليس فقط في إسبانيا وإنما في كل أوروبا، فأقيمت الصلوات في العديد من المناطق، ومنها صلوات في انجلترا، حيث أقيمت صلاة في ساحة سان بابلو المقابلة للكاتدرائية التي تحمل نفس الاسم، وحضرها أسقف كانتربري وأسقف لندن ورئيس بلدية لندن وأعضاء المجلس البلدي لتقديم الشكر بهذه المناسبة.

وعندما غدت بقايا الأمة الأندلسية العظيمة كالعبيد في ظل الحكم الإسباني، لم يكن يدور بخلدهم شيء مما دبرته السياسة الإسبانية، من مشاريع بعيدة المدى، للقضاء على وطنهم ودينهم وتراثهم، وكل مقوماتهم الحضارية والروحية، وبدأت السياسة الإسبانية بفرض التنصير المغصوب على أبناء الأمة المغلوبة.

ثم قرن الكاردينال خمنيس، منفذ هذه السياسة، عمله بإجراء مدمر آخر، هو أنه أمر بجمع كل ما يستطيع جمعه من الكتب العربية، من أهالي غرناطة وأرباضها، ونظمت أكوامًا هائلة في ميدان باب الرملة، أعظم ساحات المدينة، ومنها كثير من المصاحف البديعة الزخرف، وآلاف من كتب الآداب والعلوم، وأضرمت فيها النار جميعًا، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم، حملت إلى الجامعة التي أنشأها في قلعة هنارس، وذهب ضحية هذا الإجراء الهمجي عشرات الألوف من الكتب العربية هي خلاصة ما تبقى من التفكير الإسلامي في الأندلس.

واستمرت مطاردة السياسة الإسبانية للكتب العربية بعد فعلة خمنيس، فجمعت منها خلال النصف الأول من القرن السادس عشر مقادير عظيمة أخرى، من



ملك إسبانيا استولى على ٣٠٠ مصباح من الذهب و «٢٢٠٠٠» سيف مطلية بالذهب

غرناطة ومن مختلف القواعد الأندلسية القديمة، ولاسيما بلنسية ومرسية، حيث كانت لدى المورسكيين والعرب المتنصرين منها مجموعات كبيرة. ولكنها لم تعد ولم تحرق هذه المرة، بل لقيت سبيلها إلى المكتبة الملكية في الاسكوريال أيام فيليب الثاني.

وفي سنة ١٦١٢م وقع حادث ترتب عليه أن ضوعفت المجموعة العربية بالمكتبة الملكية وذلك أن أسطولاً إسبانيًا بقيادة دون بيدرو دي لارا، وكان يجوس خلال المياه المغربية تجاه ثغرا آسفي، ففاجأ قافلة من السفن المغربية كانت تصحب ملك المغرب مولاي زيدان الحسني، وكانت من بينها سفينة مشحونة بالتحف، وبها نحو ثلاثة آلاف سفر من كتب الفلسفة والأدب والدين، فاستولى عليها الإسبان، وكانت هذه الكتب من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة.

وكان مولاي زيدان قد اضطر تحت ضغط خصومه أن يغادر عاصمة مراكش، وأن يحمل معه تحفه وكتبه، فاستلبها الإسبان على هذا النحو، وحملت غنيمة إلى قصر الاسكوريال، وبذلك بلغت المجموعة العربية في الاسكوريال في أوائل القرن السابع عشر نحو عشرة آلاف مجلد.

وبقيت هذه الآلاف العشرة من المخطوطات الأندلسية والمغربية في قصر الاسكوريال زهاء نصف قرن، وكانت أغنى وأنفس مجموعة من نوعها في إسبانيا، وفي أوروبا كلها. ولكن محنة جديدة أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس الفكري.

ففي سنة ١٦٧١م شبت النار في قصر الاسكوريال والتهمت معظم هذا الكنز الفريد، ولم ينقذ منه سوى زهاء ألفين هي التي تثوي اليوم في أقبية الاسكوريال.

ويذكر د.محمد عبدالله عنان في كتابه عن نهاية دولة الأندلس أن محاولات عديدة بذلت من ملوك المغرب لاسترداد تراث العرب من الأندلس بعد فراقها ولكنها كانت دون جدوى.

وإحساسًا بعظم النكبة التي حدثت للمسلمين في الأندلس قام العلامة اللغوي حسن الكومي بإنجاز عمل موسوعي ضخم كتبه هنري تشارلزلي بعنوان «محاكم التفتيش في إسبانيا» (A History of the Inquisition in Spain).

وقال إن من دوافعه لترجمة الكتاب عدم وجود بحث تاريخي عن العرب والمسلمين في إسبانيا بعد سقوط غرناطة.. موضحًا أن ما جرى للعرب والمسلمين من اضطهاد وقهر وانتزاع أملاك وأموال وسرقة وطرد وتشريد وغير ذلك يشبه ما جرى ويجرى لعرب فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي لبلدهم وإنشاء دولة إسرائيل فيه.. كما يشبه ما حدث من فوضى وسرقات من جانب قوات الاحتلال الأميركي بعد سقوط بغداد.

المسؤولية المجتمعية بين تأصيل الإسلام وانحراف الغرب.. رؤية مقارنة

أحمد الشلقامي ◆

قدم الإسلام رؤية تأصيلية متكاملة للعمل وفق المسؤولية المجتمعية، فالزكاة حدد مصارفها وجعلها واجبًا على الغني وحقًا للفقير دون مقصد علو الغني على الفقير، بل إرساءً لمبدأ التكافؤ، لقد حقق الإسلام صيغة متوازنة بين أداء الفرد مسؤولياته تجاه المجموع وإعطائه فرصًا لتحقيق ذاته.

يعتبر مفهوم المسؤولية المجتمعية من أهم المفاهيم المتداولة والمثارة على مستوى الساحة الاجتماعية، وذلك لاقتران المفهوم بحاجات البشر، ومفهوم المسؤولية المجتمعية هو مفهوم أصيل، وجد بوجود الإنسان وسعيه نحو تحقيق مصالحه، وقد أصل الإسلام له ووضع له ثوابت، وأكدت مبادئه أن العلاقة تقوم على التلاحم الذي يفرض الواجبات والحقوق، فالعلاقة بين المؤمنين في مجتمع الإسلام علاقة تعايش، قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (صحيح البخاري)، إلا أن هذه الرؤية أصابها التشويه والانحراف نتيجة سيادة المنظور الغربي بروافده وتعدد مداخله، ولذلك رأينا أن نستعرض هذه الرؤى في عودة نحو الأصل، وبحثًا عن الحق في رؤية مقارنة بين تأصلين: إسلامي قيمي حضاري وغربي مادي علماني، وذلك في محاولة للتأصيل لبناء المفهوم.

◆ باحث دراسات إسلامية

المسؤولية المجتمعية في المنظور الغربي

المنظور الغربي في تأصيله للمسؤولية المجتمعية قدم رؤيتين أساسيتين، الأولى هي الرأسمالية العلمانية، والتي اهتمت بالفرد وأعلت به حتى أوصلته لمرحلة التقديس، وسعى أصحابها إلى بناء توجه ثقافي يمكّن الإنسان من التسيد، ومع هذا التقديس لعالم الأشخاص (مصطلح مالك بن نبي) وتحول الرؤية للإنسان من مؤتمن على ما سُخّر له أصبح الإنسان هو السيد والمسيطر والمتحكم وفق حالة الصراع التي هي أساس هذا المنظور، ولذلك نجد الإنسان الغربي منعزلًا عن كل ما يتعلق بالمجتمع (أسرته، كنيسته، دينه، عائلته)، ولقد دفع ذلك إلى إعادة هيكلة المجتمع وخلق مؤسسات تهتم برعاية الفئات التي ضيعها طغيان المادية العلمانية المفرطة كبديل وكملجأ لإلقاء المسؤولية من على عاتق حاملها، وبذلك.. فالمسؤولية لم تكن بغرض التكاتف أو عودة الإنسان إلى الواجبات التي كلف بها، فعندما يصاب أحد بإعاقة ما فيتم وضعه في دور رعاية للمعاقين أو عندما يتقدم أحد الأبوين في السن فمكانه دور رعاية المسنين وهكذا في مختلف صور الحياة.

أما الثانية فهي الماركسية، وقامت تلك الرؤية لمواجهة طغيان تسيد الإنسان على حساب المجتمع، والتي أصلت لها الرؤية المادية الرأسمالية، وقد أعلت هذه الرؤية من قيمة المجتمع والدولة على حساب الفرد، حيث يسعى الكل إلى البناء من أجل المجتمع حتى أصبحت الدولة ليثًا يتحكم في رقاب الناس، والمسؤولية ما هي إلا وظيفة تؤدى دون وازع داخلي أو إحساس بأنها واجب، وهو ما أخل بالنظام العام نتيجة الفساد والركون إلى الدولة في كل شيء، حيث أصبح الخاص منتهكًا لصالح العام.

وقد ساعد على إحداث هذا الخلل في منطلقات المنظور الغربي بتعدد روافده قيامه في الأصل على تصورات العقيدة المسيحية، والتي لم يكن لها أن تصنع الضوابط وتنظم العلاقات المجتمعية بقدر ما هيأت هذه المجتمعات للاستعداد لاستقبال الرسالة الخاتمة الشاملة التي وضعت الأسس ونظمت الحقوق والواجبات، وربطت مسؤولية الفرد تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه بعالمه الذي يعيش فيه دون أن تغفل علاقته بمن وهبه هذا الكون.

المسؤولية المجتمعية في المنظور الإسلامي

إن النظرة المتأنية لتعاليم الإسلام

وشريعته الغراء تبين وتؤكد أن المسؤولية هي أحد أهم المبادئ والأسس التي حرص على غرسها في نفوس أتباعه؛ لقد قدم الإسلام إطارًا متكاملًا من الأسس والضوابط والقواعد التي تحكم المجتمع وتنظم علاقاته، فلا إفراط لصالح المجتمع ولا طغيان لصالح الفرد، فالإنسان سُخر له الكون والكون هو موضع استخلاف الله لعباده، عليهم أن يعمروه من منطلق النعمة والشكر.

التأصيل الشرعي لمفهوم المسؤولية المجتمعية

المسؤولية المجتمعية في تأصيلها الشرعي في الإسلام هي جوهر لروح تعاليمه، فجوهر الشرع تحقيق المقاصد بجلب المصالح ودرء المفاسد، وهذا هو غاية المسؤولية المجتمعية في أصلها، فهي سعي لتحقيق المصالح، والتكاتف والتعاضد لدرء المفاسد، ولقد تعددت الدلالات من الآيات والأحاديث الشريفة في التأصيل للمسؤولية المجتمعية في حياة المسلم، والإسلام أصّل للمسؤولية المجتمعية في أطر وأسس دون تقييد بشكل محدد لها تتمثل في:

التأصيل الأول: اتسعت دائرة المسؤولية التي فرضها الإسلام على عاتق الفرد بحيث وجه الإسلام علاقة الإنسان على ثلاثة محاور: علاقة الإنسان بربه، ثم علاقة الإنسان بالكون، ثم علاقة الإنسان بالإنسان.

التأصيل الثاني: المسؤولية مرتبطة بالحق والواجب، فهي ليست اجتهادًا من الشخص وليست تطوعًا وإن اشتركت مع التطوع في التضحية، فكل إنسان عليه التزام تجاه ما استرعاه الله عليه، الكل له حقوق وعليه واجبات، قال ﷺ: «كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(صحيح البخاري).

المنظور الغربي شوه الرؤية الإسلامية للمسؤولية المجتمعية وأصابها بالإنحراف

التأصيل الثالث: المسؤولية المجتمعية مرتبطة بالثواب والعقاب، فمن أدى فله الأجر ومن قصر فعليه الوزر ويعاقب، وهناك عقاب دنيوي وعقاب في الآخرة كما الثواب في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: «دخلت امرأة النار من جراء هرة لها، أو هر، ربطتها فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها ترمرم من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلا»، وقال أيضا: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(صحيح البخاري).

التأصيل الرابع: أن الأمة جميعها ملزمة بأداء المسؤولية، فكما جعل الله للفقير من مال الغني نصيبًا ليس تفضلًا من الغني، جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو قمة ما ترنو إليه المسؤولية المجتمعية، مقترنًا بخيريتنا، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(آل عمران:١١٠).

التأصيل الخامس: وضع الشارع أطرًا للمسؤولية لكنه لم يقيدها بشكل محدد أو صفة محددة أو فعل محدد، بل رغب فيها بكل صورها وأشكالها، قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»(صحيح البخاري).

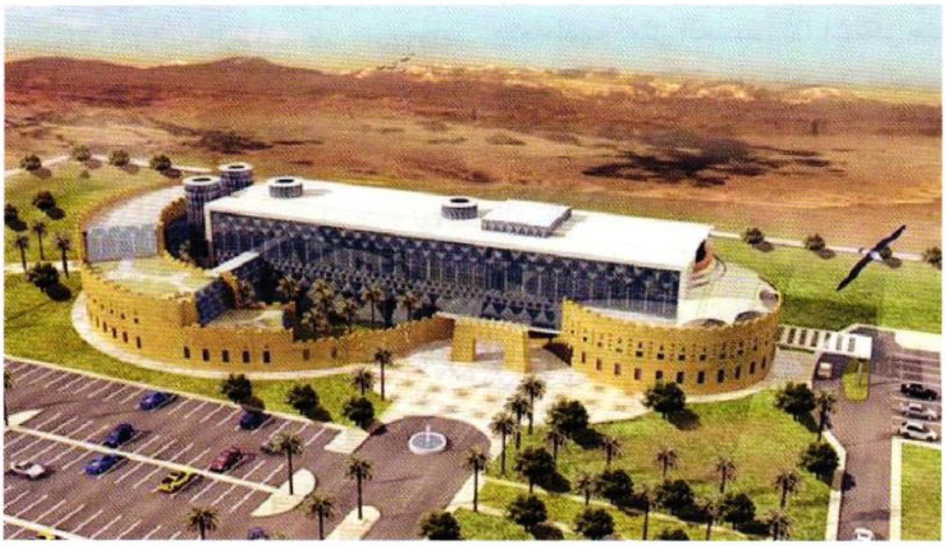
التأصيل السادس: أكد الإسلام على واحدية المجتمع وتضامنه كحديث النبي ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(صحيح مسلم).

إننا ومن خلال هذه المقارنة للمنطلقات الفكرية التي رسمت حدود التأصيل لدى الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية، نرى أن الإسلام قدم رؤية تأصيلية متكاملة للعمل وفق المسؤولية المجتمعية، وقد فرض الزكاة وحدد مصارفها وجعلها واجبًا على الغني وحقًا للفقير دون مقصد علو الغني على الفقير، بل إرساءً لمبدأ التكافؤ، كما أن الإسلام حقق صيغة متوازنة بين أداء الفرد مسؤولياته تجاه المجموع وإعطائه فرصًا لتحقيق ذاته، فقد شجع الإسلام العمل والبيع والشراء وحرم الربا وجعل محاربته مسؤولية المجتمع والدولة، وذلك لأن المنطق والرؤية الإسلامية تقومان على التدافع لا الصراع ولا المثالية، على النقيض في المنظور الغربي الذي خلق إنسانًا ضعيفًا في إنسانيته، قويًا كاسرًا في ماديته، مسهبًا في الاستهلاكية، محملًا بهيجان الشهوة متساهلًا أمام الإغراءات والخروقات، مقتولًا من داخلة يكره التضحية ولا يرى سوى الذاتية الشخصية.

ركائز التنمية الاقتصادية في الإسلام

د. محمد عمر الحاجي

لطالما اهتم الإسلام بالجانب الاقتصادي في شريعته السمحة، وسعى إلى تعزيز دوره ليكون من أهم الأسس في نهضة الأمة وترسيخ وجودها، وتعزيز سؤددها وبقائها قوية حرة بين الأمم. ولاشك أن هذا الاهتمام نابع من الأهمية الكبيرة للاقتصاد في حياة الأمم والشعوب، ودوره المهم في تحصين الأمة الإسلامية من براثن عدد كبير من الآفات والويلات التي أودت بحياة الأمم السابقة، وفي تحقيق الأهداف المنشودة من هذه الشريعة الخالدة.



ثمة ركائز أساسية يجب توافرها في التنمية الاقتصادية في الإسلام حتى تؤتي ثمارها وتحقق الأهداف المنوطة بها، وهي:

١ــــ صلاحية المناخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فمما لاشك فيه أن تقليد الأنماط التنظيمية لبعض المجتمعات السائدة في البلدان المتقدمة في الغرب والشرق ربما لا تهدف إلى التنمية بل قد تسبب المزيد من التدهور الاقتصادي، فالمجتمع لا يتقبل الأفكار والتنظيمات الغريبة عنه ولا يتجاوب معها.. وتؤدي الجهود الإنمائية، في مثل هذه الظروف المتميزة بالازدواجية الاجتماعية، إلى فقدان الناس تدريجيا لقدرتهم الذاتية على التحرك الصحيح في اتجاه التنمية، ومن هنا فإنه حتى يتفاعل المجتمع مع أهداف التنمية لابد من وجود اتساق متكامل مع قيم وظروف المجتمع، وهذا يعني بالنسبة للدول الإسلامية التمسك بالقيم التي أرساها خالق هذا الكون سبحانه، والتعامل بمقتضاها.

٢ــــ ارتفاع معدل التكوين الرأسمالي، والمقصود من ذلك استخدام موارد المجتمع للمحافظة على الطاقة الإنتاجية القائمة أو التوسع فيها، ويتحقق ذلك من خلال الاستثمار المتميز والمجدي والنافع.

ويمكن ترتيب أولويات الاستثمار على النحو التالي:

أ- الأنشطة التي تشبع الحاجة الأساسية للسكان، كالمأكل والملبس والتعليم والصحة.

ب- الاستثمار في الصناعات العسكرية، لما لها من أهمية في حماية الدولة ومكتسباتها وقيمها من الأعداء.

ج- رعاية وتسهيل التبادل التجاري.

٣ــــ التقدم المستمر في الفنون الإنتاجية (التقنية)، وهذا أمر مهم جدا يعبر عنه الخبير الاقتصادي العالمي شومبتير بقوله: إن عملية التجديد هي لب عملية النمو الاقتصادي، وإن التقدم التقني هو أبرز عناصر هذه العملية حيث يتيح ارتفاع معدلات الاستثمار وبالتالي ارتفاع معدلات نمو الدخل القومي.

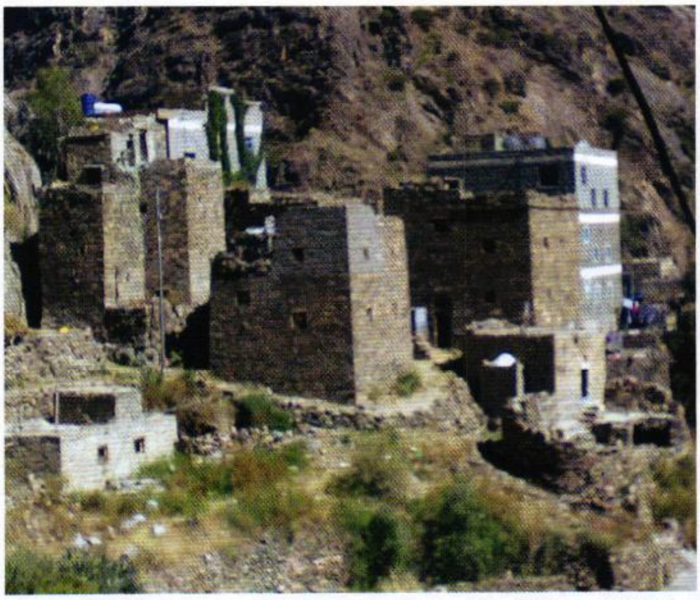
وتعرف التقنية بأنها: مجموعة المعارف والخبرات والمهارات المتراكمة والمتاحة، والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية التي يستخدمها الإنسان في أداء وظيفة ما لإشباع الحاجات المادية والمعنوية سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

وليس الهدف من التقنية الاستحواذ على الآلات المعقدة والصناعات الثقيلة، إنما الهدف أن تكون قادرة على الابتكار والتجديد والتطوير والتعديل بما يخدم مصالحها، أما الاعتماد على شراء منجزات التقنية فطريق ليس له نهاية حيث يبقى المجتمع معتمدا على الاستيراد.

ومن أهم قنوات نقل التقنية (مرتبة

باحث أكاديمي





من المهم إلى الأهم) ما يلي:

أ- استيراد السلع والمعدات؛ لأنها في الغالب تجسد تقنيات معينة.

ب-الأفلام والمنشورات والمتاحف والمعارض العلمية.

ج- مشاريع تسليم المفتاح.

د- اتفاقيات استخدام التراخيص وبراءات الاختراع والعلامات التجارية.

هـ- الاستثمارات المباشرة.

ز- استقطاب الخبراء، لاسيما العقول العربية والإسلامية المهاجرة.

ح- خدمات المكاتب الاستشارية ودور التصميم وغيرها.

ط- التعليم والتدريب.

أما الهدف المرسوم على المدى البعيد فهو بناء القدرات التقنية الذاتية عن طريق رسم السياسات ووضع الاستراتيجيات المناسبة.

لكن تجب ملاحظة أن للتقنية بعض الآثار السلبية، خاصة تلك التي تؤثر في العادات الاجتماعية والقيم السائدة في المجتمع وفي الأخلاق التي يتحلى بها أفراد المجتمع، لذلك لابد أن تكون التقنية نابعة من الواقع ومتسقة مع الظروف المحلية.

توافر البيئة المناسبة للنمو وتنظيم السوق أفضل الطرق للخروج من المشكلة

وفي الفكر الاقتصادي الإسلامي نجد أن هناك توافرا للبيئة المناسبة لنمو التقنية، فتوفير حد الكفاية لأفراد المجتمع ضرورة تلتزم الدول الإسلامية بتحقيقها، والتي تتطلب مع الوقت تحسين وتطوير الهيكل الإنتاجي، وهذا بدوره يتطلب إيجاد التقنية المناسبة التي تتفق والفلسفة الإسلامية للإنتاج.

ولعل من المعروف أن من أهداف الدولة الإسلامية ضمان الاستقلال السياسي والاقتصادي والتقني، وهذا يتطلب تطويرا لوسائل الإدارة والتشغيل والإنتاج والنظم، إضافة إلى جيش قوي يحميها، ومن هنا فإن طلب التقنية يجب أن يكون جزءا من استراتيجية التنمية في أي دولة إسلامية.

٤ـــ وجود السوق، عندما تتبنى الدول النامية ومنها الإسلامية برامج طموحة في التصنيع تصطدم بعقوبات داخلية، أهمها عدم توفر السوق القادرة على استيعاب منتجاتها، والتي تزيد في ارتفاع تكاليف الإنتاج، وتصطدم بعقوبات خارجية أهمها صعوبة دخول منتجات هذه الدول الأسواق الأجنبية لعدم قدرتها على المنافسة، ووجود بعض القيود على السلع الأجنبية (الحماية) في بعض الأحيان.

وقد تعاني الدول النامية أيضا من انخفاض الطلب الأجنبي على منتجاتها التي تتكون معظمها من المواد الأولية، وذلك لظهور البدائل الصناعية لهذه المواد وابتعاد السوق عن المنافسة التامة بصورها المختلفة، وهذا يعني أن ضيق السوق داخليا و خارجيا يعيق الاستثمار القومي وبالتالي يحد من الطموحات ومعدلات التنمية.

من هنا لابد من توضيح أن تنظيم السوق في الإسلام له أهمية كبيرة نظرا لدور السوق ومنزلته في المجتمع الإسلامي، وأفضل الحالات علاجا للخروج من هذه المشكلة هي إنشاء أسواق مشتركة، أو من خلال الاتفاقات التجارية الثنائية والإقليمية للحد من مشكلة ضيق السوق التي تعانيها معظم الدول الإسلامية.

مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة د. محمد العقلا لـ«الوعي الإسلامي»:

الجامعة تدرس جميع المذاهب.. واتهامها بـ«التصنيف» غير صحيح

حوار: إحسان السيد

أكد الدكتور محمد بن علي العقلا مدير «الجامعة الإسلامية» بالمدينة المنورة وأستاذ الاقتصاد الإسلامي أن اتهام الجامعة بالتصنيف والانحياز لصالح مذهب ديني على حساب باقي المذاهب الإسلامية غير صحيح، وأن الجامعة تعمل لصالح الجميع، فهي جامعة «سنية» تدرس المذاهب الأربعة، ويتم الاستدلال بالمذاهب الأخرى. وقال في حواره لـ«الوعي الإسلامي» إن تطوير مناهج التعليم في الجامعة مستمر، ويشمل كثيرا من الأقسام العلمية، ونؤمن بأن التطوير أسلوب يجب أن تنتهجه جميع جامعات العالم العربي والإسلامي في تطوير مناهج التعليم بها، حتى تتواكب مع المستجدات العصرية.

وشدد على أن التدخل الغربي في شؤون الدول العربية والإسلامية لم يكن له أثر يذكر حتى وقعت الانقسامات السياسية التي عصفت بالأمة، ما مكن من وجود أثر لهذه التدخلات الغربية في كل المجالات وخاصة على المستوى الاقتصادي.

وقال: إن تحقيق الوحدة الاقتصادية في الدول العربية والإسلامية أصبح يُشَبّه بالحلم الآن، فأي خلاف سياسي ينشأ بين دولتين ينعكس سلبا علي وضع التجمع أو التكتل الاقتصادي الإسلامي في حين تحدث خلافات وصراعات سياسية في دول أوروبا، ولكنها بمنأى عن الجوانب الاقتصادية.. وإليكم نص الحوار:

■ تواجه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العديد من الاتهامات، التي من بينها «التصنيف» والانحياز لـ«مذهب» على حساب باقي المذاهب الإسلامية.. فكيف ترى ذلك؟

- ينبغي أن ندرك حقيقة غاية في الأهمية، وهي أن اتهام الجامعة بالتصنيف والانحياز لصالح مذهب ديني على حساب باقي المذاهب الإسلامية غير صحيح، لأن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تعمل لصالح الجميع، فهي جامعة سنية تقوم بتدريس المذاهب الأربعة، ويتم لدينا التوسع بالاستدلال بالمذاهب الأخرى، ونحن في إدارة الجامعة نعمل لصالح الجميع وقد أمضيت في إدارة الجامعة العديد من السنوات، ولم أشعر أن الجامعة تتجاهل تدريس بعض المذاهب، إلا أن البعض لديه مخاوف فقط.

■ وماذا عن تطوير مناهج الجامعة؟

- إن تطوير المناهج مستمر ومن الطبيعي أن يشمل كثيرا من الأقسام العلمية كما حدث أخيرا في مقرر «فقه النوازل» وفي عدد من الرسائل والمناهج العلمية.. فالتطوير أسلوب يجب أن تنتهجه جميع جامعات العالم العربي والإسلامي في تطوير مناهج التعليم بها، حتى تتواكب مع المستجدات العصرية وركب التقدم الحضاري الذي نشهده مع الاحتفاظ بالثوابت الدينية والعقائدية.. حتى نستطيع مواكبة مستجدات العصر الذي نعيشه.

■ إذا انتقلنا للحديث عن مخاوف البعض من أن التدخلات الغربية في المنطقة العربية هي التي تسبب العديد من المشاكل والأزمات، خاصة الاقتصادية منها.. فكيف ترى ذلك؟

- إذا نظرنا في الأسباب الحقيقية التي أوقعتنا في هذه المشكلة، فلا يخفى على أحد أن غزو العراق للكويت كان مبررا قويًا لوجود القوات الأجنبية، وسببًا من أسباب التشرذم والانقسام العربي الحاد التي تعاني منه المنطقة ومن آثاره حتى وقتنا الحاضر.. ولا يفوتني أن أؤكد أن التدخل الغربي في شؤون



نواصل تطوير المناهج.. ونؤمن بأهمية مواكبة مستجدات العصر

الدول العربية والإسلامية لم يكن له أثر يذكر حتى وقعت الانقسامات السياسية التي عصفت بالأمة، ما مكن من وجود أثر لهذه التدخلات الغربية في كل المجالات وخاصة على المستوى الاقتصادي.

تطوير العلاقات

■ باعتبارك أحد المتخصصين في الاقتصاد.. كيف ترى الدعوة إلى محاكاة النموذج الأوروبي، في توجهاته نحو الوحدة الاقتصادية؟

- لقد أصبح تحقيق الوحدة الاقتصادية في الدول العربية والإسلامية أشبه بالحلم الآن، فالدول الأوروبية ما اتجهت للوحدة وسعت لتنفيذها إلا بالتنسيق بين سياساتها الاقتصادية وتوحيد أنظمتها الضريبية ومنع الازدواج الضريبي وتشجيع الاستثمارات، فيستثمر الإيطالي في فرنسا كأنه يستثمر في إيطاليا والعكس، وحتى نصل لهذه المرحلة ينبغي أن نستفيد من تجاربهم ولا نجعل الخلافات السياسية تعصف بأي تطوير للعلاقات الاقتصادية، وهذا للأسف الشديد هو الملاحظ فيما بين الدول الإسلامية، أي خلاف سياسي ينشأ بين دولتين ينعكس سلبا علي وضع التجمع أو التكتل الاقتصادي الإسلامي، في حين تحدث خلافات وصراعات سياسية في دول أوروبا، ولكنها بمنأى عن الجوانب الاقتصادية.

وإذا ذكرنا، على سبيل المثال، الحلم العربي بإنشاء «السوق الإسلامية المشتركة»، فنجد أنه حلم يحتاج لمرحلة انتقالية وخطة زمنية تقسم لثلاث مراحل انتقالية من أجل وصول الدول الإسلامية لحالة الانصهار والتكامل.

أموال مهاجرة

■ وما الطريق الأمثل الذي يجب أن تعمل من خلاله الدول الإسلامية لعودة أموالها المهاجرة للخارج وجذب الاستثمارات لها؟

- يجب أن يدرك جميع المستثمرين من عرب ومسلمين أن الغرب مهما حاول أن يستقطب ويستميل ويظهر الود لهم إلا أنه في الحقيقة لا يؤمن جانبه، فبعد أحداث سبتمبر في نيويورك سقطت الأقنعة عن تلك الوجوه المزيفة وحدثت مضايقات واستفزازات لرجال الأعمال العرب والمسلمين أدت في كثير من الأحيان لتجميد بعض الأرصدة والاستثمارات، وبدأت نظرات الشك والريبة تحيط بكل ما تحتاجه المنطقة العربية من استثمارات، فمن هنا يجب إعادة النظر لدى الدول العربية والإسلامية في خططها الاستثمارية وتنظيمها وإعداد التشريعات المناسبة التي تعمل على جذب وعودة الأموال من الخارج، مع العمل على إعداد تشريعات تضمن في حالة العودة وجود مناخ جيد للاستثمار من تغيير وجهة نظر القائمين على جذب الاستثمار في الداخل، لأن معظمهم ليس على المستوى المطلوب بما يؤثر سلبا على المستثمر العائد، ولا يخفى على الجميع أننا في عصر السرعة والتقنية الحديثة التي لا تتطلب أي

تأخير أو تعقيد.

الاستثمار الأجنبي

■ دأبت في الفترة الأخيرة العديد من الدول الإسلامية على جذب المستثمر الأجنبي للعمل أملاً في تحقيق نهضة اقتصادية بها.. فما هي رؤيتك لهذا الاتجاه؟

- الاستثمار الأجنبي في الدول الإسلامية له آثار إيجابية وأخرى سلبية، لكن من الصعب التوصل لنتيجة قاطعة ودقيقة عن محصلة هذه الآثار بسبب محدودية البيانات المتوافرة عن هذه الاستثمارات المباشرة في هذه الدول ومدى إسهامها في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية بها، إلا أن الحقيقة التي لا يمكن لأحد أن يتجاهلها هي أن هذا الاستثمار وإن كانت له آثار إيجابية إلا أنها محدودة ولا تتناسب مع حجم الفوائد والمكاسب التي حققها من جراء توطنه في الدول الإسلامية، بالإضافة إلى أنه يهدف في المقام الأول لتحقيق مصلحته الذاتية، ولا أدل على ذلك من حرصه على تقوية تخصص هذه الدول في الإنتاج الأولي لأغراض التصدير واهتمامه بتمويل الصناعات الخفيفة مثل المشروبات الغازية والغذائية.

وكذلك توسيعه من نطاق قطاع الخدمات بنسبة كبيرة، وفيما يتعلق باتجاه تشجيع صناعات إحلال الواردات تجد أن اتجاهه ضعيف للغاية في الوقت الذي تزداد فيه واردات الدول الإسلامية عامًا بعد آخر، بالإضافة لتشجيعه لأنماط استهلاكية تتعارض مع مصالح السكان ولا تتماشى مع حث الدين الإسلامي الحنيف على التوسط في الاستهلاك والابتعاد عن الإسراف والتبذير، فضلًا عن دورها في إضعاف المدخرات المحلية بما يترتب على وجود هذه الاستثمارات من نقل آراء وأفكار وممارسات بعضها غير مشروع ينشأ عنها إفساد وأخلاق وعقائد وسلوكيات المسلمين.

تدخل الغرب في شؤوننا لم يكن له تأثير حتى وقع الانقسام السياسي بيننا

ومن خلال هذه الحقائق التي ذكرنا نجد أن الاقتصاد الإسلامي يسعى لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، ولتحقيق هذه المبادئ وفق أحكام المنهج الإسلامي للتنمية والاستثمار لجأت بعض الدول الإسلامية التي تعاني من نقص واضح وملموس في مواردها المحلية إلى سر هذه الفجوة بين مواردها من خلال اللجوء إلى التمويل الخارجي والاقتصاد الإسلامي، ليبيح لتلك الدول في حال تعذرها اللجوء للمستثمرين الأجانب عند الحاجة، والرسول ﷺ عندما فتح خيبر قرر إجلاء اليهود، فطلبوا منه البقاء في الأرض مقابل القيام باستصلاحها وزراعتها، فوافق الرسول ﷺ على هذا الطلب بسبب انشغال المسلمين بالجهاد في سبيل الله وعدم وجود عمالة إسلامية كافية، وهو ما يؤكد جواز الاستعانة بالمستثمرين الأجانب عند الحاجة في بعض المجالات بشرط أن يكون هذا الاستثمار تحت إشراف ومتابعة ومراقبة الدول الإسلامية ولمدة زمنية محدودة تتمكن الدولة بعدها من القيام بهذا الاستثمار، وإلزام المستثمر الأجنبي بإعادة استثمار جزء من أرباحه داخل الدول الإسلامية.

اقتصاد نظري

■ العديد من الدول الغربية أعلنت أنها استفادت من الاقتصاد الإسلامي في تقدمها.. فكيف يمكن أن نستفيد مثلهم من اقتصادنا؟

- الاقتصاد الإسلامي نظري في الكتب عندنا، وليس مطبقًا عمليًا، فالبعض يتخيل أن الاقتصاد الإسلامي عبارة عن ختم مكتوب عليه كلمة «إسلامية» يوضع أمام كل مشروع، وهذا كله كلام خاطئ، والبعض يأتي بتجارب رأسمالية ويحاول تطويعها إسلاميًا وهذا غير صحيح، لأن هناك بعض الأمور ذات أبعاد فكرية وعقائدية تنجح في مجتمع بفكر وعقيدة معينة، لكنها لا تنجح في مجتمع آخر، فليس كل ما ينفع في أوروبا ينفع في العالم الإسلامي، وهو ما نحاول استيراده في الوقت الحاضر، فنحن نستورد الأفكار الغربية ونحاول تطويعها إسلاميًا ببعض الأفكار، وفي النهاية نقول عنه اقتصاد إسلامي، وهذا غير صحيح.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

هشاشة المتدينين

يظن كثير من المتدينين أو الإسلاميين أن انتقادهم هو انتقاد للإسلام، وأن مناقشتهم تعني مناقشة الإسلام! لكن حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين، فالدين، كما يقول أحد المفكرين، هو التعاليم التي هي شرع إلهي، والتدين هو التشرع بتلك التعاليم، باعتباره كسبًا إنسانيًا.

مما لاشك فيه أن نفرًا من الإسلاميين اليوم باتت قيمهم وأفكارهم تذوب في مدرسة العلمانيين المتحللة، فنرى التناقض بين المبدأ والواقع، ونجد تفريغ قيم الإسلام وشعائر الدين من محتوياتها، وأصبح هناك تركيز على الأشكال أكثر من المقاصد، وقد كتب الإمام الغزالي «إحياء علوم الدين» لينبه إلى أن علوم الدين تموت إذا تحولت إلى مجرد أشكال وإلى صناعة تجميلية لا غير، وبات إصلاح العقول والقلوب والناس بمقاصد الإسلام في آخر الركب.

ولقد نوقشت هذه القضية باستفاضة أخيرًا بين ثلة من العلماء الذين أكدوا أن التدين عند المسلمين الآن ليس بالضرورة يعبر عن روح الإسلام الذي بعث به الرسول ﷺ، مبينين أن أعمال المسلمين ليست حجة، نحن أحيانًا نجعل من النوافل فرائض ومن المستحبات أصولاً، وأحيانا نتعلق بأشياء ليست من الأهمية بمكان.

ولا يمكن للتدين- حسب قول هؤلاء العلماء- أن يكون مطابقًا تمام المطابقة للأصل، فالدنيا ليست مجالاً لتحقيق الكمال، بل هي مجال النسبية، وليس هنالك تحقق كامل لقيم الدين في أي شخص بعد المعصوم رسول الله ﷺ، وحسب الناس أن يقتربوا من النموذج النبوي الذي كان خلقه القرآن.

وتتمحور المشكلة في نظر هؤلاء العلماء حول فهم أولئك النفر، فإما أنهم عوام ليس عندهم قدرة على فهم النص، أو عندهم لوثة فكرية في عدم معرفة طبيعة الدين وسهولته، لأن الدين أحيانًا يؤخذ مأخذًا فلسفيًا، فيبتعد عن روحه وطبيعته العربية الميسرة التي يدندن حولها الشاطبي في الموافقات، وأحيانًا يأتي بعض الناس لجهلهم يبتدعون في دين الله، وهذا هو الذي أضر بالإسلام، فمهمة العالم والداعية والمفكر الصادق المسلم أن يعيد الإنسان لروح الإسلام أو نصوصه الثابتة في دين الله.

إن هناك انشطارًا في عالم المسلم بين حياته الدينية وحياته المجتمعية والاقتصادية، فهو يمارس الدين ربما ممارسة جيدة، صلاة وصيامًا وحجًا، ولكنه إذ يذهب إلى عالم الاقتصاد والاجتماع والسياسة يتصرف تصرفًا نستطيع أن نقول عنه إنه علماني في الحقيقة، بمعنى أنه مجرد عن عالمه الديني، وبالتالي المهمة الأساسية للإصلاح هي إصلاح هذه العلاقة بين الحياة الدينية والحياة الاجتماعية والسياسية، فالشورى مثلا رغم أن ورودها في سورة الشورى جاء مرتبطا بالصلاة مباشرة ﴿... وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(الشورى:٣٨) لم تعد معمولاً بها، ولم تعد ذات ارتباط بالصلاة والزكاة، أي بحياتنا العملية والاقتصادية، فالأمر يحتاج إلى تجديد، وبالتالي لم يخطئ المصلحون إذ أكدوا أن معنى التوحيد أنه لابد أن نقنع أمة الإسلام مجددًا بأن «لا إله إلا الله» لا تعني أن نعبد الله في المسجد فقط، وإنما أن نعبده في السوق وفي المدرسة وفي المحكمة وفي وسائل الإعلام وفي علاقاتنا مع جيراننا وفي علاقاتنا مع من نحب ومع من لا نحب.

إن الإسلام جملة من التعاليم الربانية، وهو دين وحياة ودولة، لكن المشكلة أن عندنا قصورًا في السياسة وقصورًا في الاقتصاد والفكر والأدب والحياة الاجتماعية، فنحن نعيش الهشاشة والهامشية، نحن في عصر ضعف ووهن، وكثير من المسلمين انشغلوا بالفرعيات عن الكليات.

إن الإسلام مطلوب كله من المسلمين، ولكن هناك أولويات، فهناك أولوية للعقيدة، وهناك أولوية للعلم على العمل، وهناك أولوية لعالم القلوب على عالم الظواهر، وهناك أولوية لحاجات الأغلبية على حاجات الأقلية، وأولوية لقضايا الأمة على القضايا القطرية.. والله ولي التوفيق.

في رحاب الرُّكن الأخير

علاء الدين حسن

الكعبة هي أوّل بيت وضعه الله للنّاس لأداء مناسك الحجّ، وهي قبلة المسلمين، يتّجهون إليها بقلوبهم ووجوههم أينما كانوا، قال الله تعالى ﴿إنّ أوّل بيت وُضع للنّاس للّذي ببكّة مباركًا وهدىً للعالمين. فيه آياتٌ بيّنات مَقامُ إبراهيم وَمَنْ دخلهُ كانَ آمنًا وَلله على النّاس حجُّ البيت مَن استطاعَ إليه سبيلًا وَمَن كفرَ فإنَّ الله غنيٌّ عن العَالمين﴾ (آل عمران: ٩٦ - ٩٧).

إنّه بيت الله الحرام.. إليه حَجَّ الأنبياء، وإليه صلّى إمام الحنفاء.. من مكّة شعَّ نور الهدى، وانطلقت رسالة التوحيد، حتى عمّت أرجاء الأرض، وغيّرت العالم، وأرست أجمل وأعظم حضارة عرفها التاريخ.. مكة مركز العالم، ورمز وحدة المسلمين، ومصدر النور للعالمين.. أفضل البقاع عند الله، وأحب البقاع عند رسول الله ﷺ.

مكّة المكرّمة أمُّ القرى، بها ميلاد أشرف الورى، على رباها نشأ وترعرع، وفي أرجائها مشى وما تضعضع، نصف قرن من الزمان شهدت حياة النبي ﷺ في مكة، فأيّ شرف يعلو هذا الشرف، ولو نطقت هذي الربى فأيّ سيرة ستذكر، وأيّ تاريخ ستسرد؟

في هذه البقاع نزل جبريل عليه السلام بالوحي، وصدع النّبيُّ ﷺ بالتوحيد من جبل الصفا.

لو حدثتكم الكعبة، أو حكى زمزم والمقام، لقالوا: كان هنا أبوبكر وعمر، وكان عثمان وعلي... وغيرهم من الصحب الكرام- رضوان الله عليهم أجمعين- أضاءوا الدنيا وطهروا الأرض، واعترك التوحيد مع الوثنية حتى أظهر الله الدّين.

هناك وقف النّبيُّ ﷺ أمام الكعبة؛ ليقرّر مبادئ الدين العظمى، ويرسم نهج الإنسانية الأرقى، الذي عجزت عن تحقيقه كل حضارات البشر إلى يومنا هذا.

ولقد تولّى إبراهيم عليه السلام، مع ولده إسماعيل عليه السلام، رفع قواعد هذا البيت، وحدث في بعض السنين أن تهدّمت جدران الكعبة، ولما أرادت قريش إعادة بنائها، تنازعوا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود، قال أحدهم: نحكّم بيننا أوّل من يدخل إلينا. ولأمر قدّره الله، دخل محمّد ﷺ، فبسط رداءه، ووضع الحجر في وسطه، فلمّا قاربوا مكان الحجر من البيت، تناوله النبي الكريم بيده الشريفة، وحسم الخلاف.

وقد قال لي بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة: إنَّ الإسلام مازال متأثرًا ببقيّة وثنية، عبر الطواف واستلام الحجر وما يحيط به من معاني التكريم. فقلت: إنَّ هذا الزعم بعيد عن الصواب، فالمسلم الذي يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر، يعتقد اعتقادًا جازمًا أنها جميعًا لا تضر ولا تنفع، ولكنه يحقق معنى العبودية والطاعة المطلقة لله تعالى،

* كاتب سوري

اجتماع عرفة المهيب

أتيناك بالفقر يا ذا الغنى
وأنت الذي لم تزل محسنا
وعودتنا كل فضل عسى
يدوم الذي منك عودتنا
فما في الغنى أحد مثلكم
وفي الفقر لا أحد مثلنا

اجتماع عرفة المهيب بآثاره الحميدة، وحكمه السامية مظهرٌ من مظاهر الوحدة الإسلامية ﴿إنما المؤمنون إخوةٌ﴾ (الحجرات:١٠) ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ (الأنبياء:٩٢)، ومعْلمٌ من معالم الأخوة الإيمانية التي جاء بها هذا الدين الإسلامي الحنيف، الذي أكمله الله وأتمه للبشرية، ورضيه لها دينًا، فلا يقبل الله من أحد دينًا سواه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥).

لقد جاءت هذه الشريعة السمحة فأشرقت على أصقاع المعمورة أنوار الإيمان، ورفرفت على أرجائها رايات العز والأمن والاطمئنان، بعد أن كانت البشرية غارقة في أوحال الشرك والوثنية، ومستنقعات الرذيلة والإباحية، وأودية البغي والظلم والجاهلية، فحمل المصطفى ﷺ راية الدعوة إلى الحنيفية السمحة، فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وكانت دعوته ﷺ مرتكزة على قضية العقيدة وتوحيد الله جل وعلا، فلا إله غيره، ولا رب للناس سواه.

إن أمة الإسلام تعيش في هذه الأعصار ليالي حالكة، وسراديب مظلمة، يسودها تفرق واختلاف، وتناحر وتطاحن، فمتحتم عليها أن تُفيق من سباتها، وتجمع صفوفها، وتأخذ من هذه المناسبة، وهذا التجمع الإسلامي العظيم فرصة التصحيح لروح الإخاء واليقين لحقيقة الرابطة، والتجسيد لمنابع الحج التي أهمها وأعظمها الوئام والتكاتف ضد أعداء الأمة المتربصين بها الدوائر.

ويجب استشعار هذه الوحدة والبعد عن التنكر لها أو استبعادها، مهما كان على الديار الإسلامية من سحائب الشقاق، وغيوم التفرق، فكتاب ربنا محفوظ، وسنة نبينا بينة، وهما المرجع في كل خصام، والحكم في جميع ما اختلف فيه.

لماذا لا يكون ذلك ونبينا محمدٌ ﷺ قد وضعنا على المحجة، وقال في مثل هذا الموسم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي»، فالإيمان بهذه الحقيقة، واطمئنان القلب إليها يُوقظان في أعماق النفس النداء النبوي الكريم في مثل هذه المناسبة، حيث قال ﷺ: «ألا لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» فبمثل هذا التوجه، وعلى هذا النحو تقتحم الصعاب، وتتحقق الآمال، وتكون للمسلمين عزة وقوة، قوة لا للتخريب والاستلاب، ولكن لدفع شر المعتدي، واسترداد الحق من المغتصب.

والـذي يعظّم علم بلده يعلم أنَّه في ذاته قطعة نسيج، ولكنَّه يشعر في الـوقت نفسه أنَّـه يـرمـز إلى معاني المجد والـعـلاء، والكعبة راية الله يمثّل بها للنّاس أوضح معاني الإخـاء، ليكونوا كالبنيان المرصوص.

وإذا كان المسلم في حاجة إلى غذاء للقلب والعاطفة، فإنَّ البيت العتيق وما حوله من شعائر، والحج وما فيه من مناسك، خير ما يحقق به الإنسان عاطفته، فالشوق إلى لقاء الله يدفع إلى الشوق لأسباب اللقاء.. ولقد قال قيس بن الملوح عن ديار ليلى التي رآها بعد طول غياب:

أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلى
أقبِّل ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حبُّ الديار شغفنَ قلبي
ولكنْ حبُّ مَن سكنَ الدِّيارا

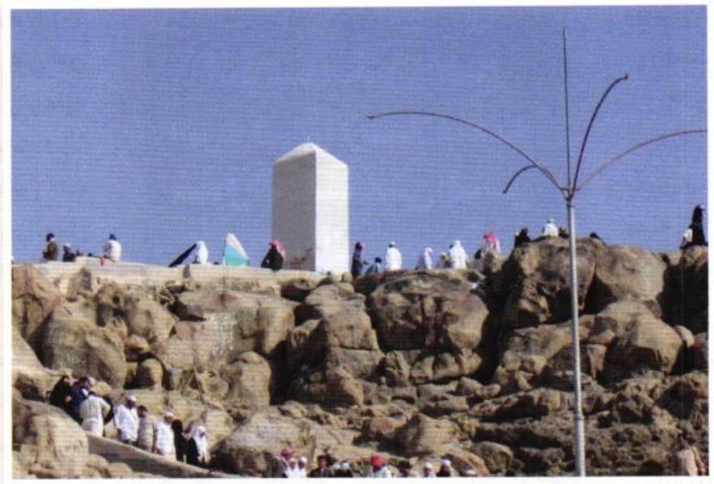
فإذا كان هـذا شأن الإنسان مع إنسان مثله، فكيف ينبغي أن يكون شأنه مع خالقه؟ وإذا كان البيت مضافًا إلى الله، فمن الطبيعي أن يشتاق إليه المحب لمجرد هذه الإضافة، فضلًا عن طلب الأجر والثواب.

وحتى لو لـم يكن الحـج ركنًا من أركـان الإســلام، لحتّم شوق القلب على المؤمن أن يرحل إلـى بيت الله؛ ليشهد- على الأقل- مهابط الوحي الأمـين، وأنـوار خـاتم الأنبياء والمرسلين، عليه أفضل الصَّلاة وَأتمُّ التَّسليم.

وإذا كـانـت المساجد بيوت اللـه في الأرض، فكيف بأجر التقرّب في بيت أوصله الله بالسماء؟ وبهذا يكون الحجر الأسود ذا قداسة؛ لأنَّه من البناء، وله مهمَّة معترف بها حتى عند أهل المصادفة.. فالأحجار في حصن العدو عدو، وعندما أستولي على ذلك الحصن أنصرف إلى محبته.. وهكذا حين اتخذ المشركون من الأحجار آلهة تُعبد من دون الله أمر الإسلام بتحطيمها، أمَّا وقتما جعل الله الحجر رمز نُسُك فقد جاء الأمر بتعظيمه، فلا شأن إذن لذاتية الحجر، وإنَّما الشأن كلّه لما يعرض له.

والمسلم يـحـتـاج إلـى أن يشهد موسم الحج الـذي يُعَدُّ ملتقى المخلصين، ومهوى أفئدة الهائمين، وأبلغ أثر في تمام الإذعان لله ربِّ العالمين، والحج بمناسكه وأركانه، كله طاعة وانقياد، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى، وعرفات والمزدلفة، تمامًا كحال العشاق، ثم هو يسعى بين الصفا والمروة، ويقصم بالحصى ظهر الشيطان، ويحقق غاية الأمل المنشود.

وتبقى نسبة البيت إلى الله قائمة على مرّ الزمن.. أما قال عبدالمطلب لأبرهة: أمَّا الإبل فهي لي، وأمّا البيت فله ربٌّ يحميه؟



آدابٌ وَمعانٍ

ولقد شُرع الحج لآدابٍ إنسانيّة، ومعانٍ روحيّة، وذلك حين يبذل المؤمن ماله ويفارقُ أهـلـه؛ لتكتحل عيناه بـرؤيـة مكَّة وآثارهـا الخالدة، وبرؤية المدينة وأنوارها المتلألئة.

وحتى يعود المسلم بعد أداء هذه الفريضة كيوم ولدته أمُّـه، لابدَّ له من توبة إلـى الله صادقة، وردِّ الحقوق والأمانات إلى أهلها.

وفـي الحـج يلتقي المسلمون على تباعد ديارهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، يتعارفون ويتآلفون ؛ فتتأكد الروابط الأخويّة بين أبناء الأمَّة الإسلاميّة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال : «الحجَّاج والعُمَّار وفد الله، إنْ دَعَوه أجابهم، وإنْ استغفروه غفر لهم» (سنن ابن ماجه).

وقـد يسأل سـائل: مـادام ﴿الحـجّ أشهر معلومات﴾ وهـي: شـوال، وذو القعدة، وذو الحـجـة، فلـمـاذا لا يتكرر الحـج فـي هـذه الأشـهـر مـرات عـدة؟ والجـواب: إنَّ الحج عبادة فرضها الله ونفذها رسوله، وعلَّمها للمسلمين، فتواترت أعمال الحج عمليًا، ونقلته أجيال الأمَّة جيـلًا بـعـد آخــر.. والـعـبـادات لا مجال فيها للابتداع بحيث نغيّر زمـانـهـا أو مـكـانـهـا أو كيفيتها، فالأصل فيها الاتبـاع والتسليم، ولأنَّ الحـج مرتبط بـزمـان محدد ومكان معين، فلا يجوز نقله من مكانه الخـاص، كما لا يجوز نقله من زمانه المعلوم.. ومن أحدث في الإسلام ما ليس منه فهو مرفوض وردٌّ عليه.

والحـج مبنيٌّ على التيسير، ومـا سُئل النبي ﷺ عن شـيء قُدِّم أو أُخِّر إلا قال: «افعل ولا حرج» (صحيح البخاري).

والحج ينطوي على: التقرّب إلى الله في الفكر والعمل، واجتناب الطاغوت بـالـرُّوح والجسد، وهذان العنصران هما مادَّة الإسلام ﴿ولقد بعثنا في كلِّ أمَّة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطَّاغوت﴾ (النَّحل: ٣٦).

والآيـات التي تتحدَّث عن الحـج، تتجه على الدوام نحو هذين العنصرين، والتقرب إلـى الـلـه يتطلب ذكـرًا وصـلاة وإحـرامًـا، واجتناب الطاغوت يستلزم تنقية القلب من الأهــواء، ليتزوَّد الحـاج بالتقوى، وبالتقوى تزداد حصانة الأمَّـة الإسلاميّة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسـول الله ﷺ سُئل: أيّ العمل أفضل؟ قـال: «إيمـان بالله ورسـولـه». قيل: ثمَّ مـاذا؟ قـال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «حج مبرور» (صـحـيـح الـبـخـاري). وقـال عليه الـصَّـلاة وَالـسَّــلام: «الحجُّ المبرور ليس لـه جـزاء إلا الجنَّة» (صحيح البخاري).

مساواة لا سابقة لها

وفـي الحـج يتساوى المسلمون بلباسهم ومواقفهم، يُنسبون إلى دين واحد، ويهتفون بدعاء واحد، لرب واحد: «لبَّيك اللهم لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والملك، لا شـريك لـك»، كلمات تنساب عذوبة ورقَّة، وتعبِّر عن أسمى معاني الخضوع لله ربِّ العالمين.

والضمانات التي نلمحها في الحج، لا يمكن أن تتوافر في المؤتمرات التي هي من إعداد البشر، فمؤتمر الحج الذي يُقام برعاية الله كلَّ عام، ما هو- في بعض مقاصده- إلا تذكير للإنسان بأخيه الإنسان، على أنّه لا مفاضلة بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح، وبذلك يتلقّى الإنسان درسًا لا تبلغه أقوى العبارات.

● والحج عبادة شاملة، فصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه، والنفقة في الحج نفقة في سبيل الله، وفي الحج صوم عن الزينة، وفيه توحيد ينزّه الله عن كل ادعاءات المشركين، وفي الحج تأدّب مع الجماد في تقبيل الحجر الأسود، وتأدّب مع النبات في النهي عن قطعه، وفيه تأدب مع الحيوان في تحريم صيده، ومع الإنسان في عدم مجادلته.

مناسك وغايات

ومناسك الحج إرشاد للمسلم في سائر أحواله.. فالإحرام الأبيض رمز لما يجب أن يكون عليه قلب المؤمن من حب ونقاء، والطواف دعوة لجمع كلمة الأمّة، وعرفات ترفُّع عن المغريات، ويوم حجَّ النبي ﷺ مع أمَّته، نزل قوله تعالى في يوم عرفة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة : ٣).

في ذلك اليوم، يوم عرفة من العام العاشر، من هجرة المصطفى ﷺ، أكمل الله لهذه الأمَّة دينها، وأتمَّ عليه النعمة، ورضي لها الإسلام دينًا، وهذه منّة عظيمة من الله على عباده، وكلّما وقف المسلمون على عرفة تذكّروا هذا الفضل، وشكروا الله على جزيل إنعامه، حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله- تعالى- خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكلّ ما أخبر به فهو حق وصدق.

أمَّا الرمي، فهو تجسيد لصدق العزيمة، واحتقار لعوامل الشر، وأمَّا الذبح، فهو إراقة لدم الرذيلة بيدٍ اشتد ساعدها في بناء الفضيلة.

لو لم يكن الحج من أركان الإسلام لحتم شوق القلب على المؤمن أن يرحل إلى بيت الله

وفي السعي بين الصفا والمروة، يتذكر الحاج قصة السيدة هاجَر مع ولدها إسماعيل- عليهما السلام- يوم تركهما إبراهيم عليه السلام بوحي من الله، فامتثلت هاجر وصبرت، وبكى الطفل يطلب الماء والطعام، في ذلك الموقف، يستعيد الحاج في ذهنه حَيرة الأم تجاه ولدها وهي تتضرع إلى الله، تمدُّ بصرها في كل اتجاه، علّها تجد من يعين ولدها، واستجاب الله دعاء هاجر وإبراهيم، وتفجّرت الأرض نبع ماء في واد غير ذي زرع، وازدحم المكان بالناس يومًا بعد آخر.. ذكريات ما أجلّها، ندرك معها أنَّ الله تعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين الصادقين.

وفي الحج يرى المسلمون المواطن الأولى التي انطلقت منها رسالة محمَّد ﷺ، فيتذكرون صبره وجهاده، وتضحيات الصحابة من أجل هذا الدِّين العظيم.

● وما إن تأتي أشهر الحج حتى نرى المسلمين يتوافدون على بيت الله من كل طريق بعيد، فالحج فرض على كلّ مسلم مستطيع مرة واحدة في العمر، ومن استطاع ولم يحج فهو آثم، والمقصود بالاستطاعة: أن يكون الطريق آمنًا، وأن يتوافر الزاد وواسطة السفر، وأن يكون ذلك زائدًا عن الدَّين ومؤنة الأسرة مدة الذهاب والإياب.

وللبيت العتيق مكانته ومآثره، من دخله كان آمنًا ﴿ومن يُرد فيه بإلحادٍ بظلم نُذِقْهُ منْ عذابٍ أليم﴾ (الحجّ : ٢٥).

ولعلَّه من الطبيعي إذا أدَّى المسلم حجَّه أن يتوق إلى مهاجر خاتم المرسلين، فيصلي في المسجد الذي تعدل ركعة فيه ألف ركعة فيما سواه، ويقف في مواقف الشهداء والصديقين، فيستمد منها الصدق والإيمان، ويسلّم على رسول الله ﷺ الذي أخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

● وإذا كان الحج أعظم تجمُّع عبادي عرفته الحياة، فإنَّه ينبغي على المسلم أن يكون صورة صادقة للنظام الأخلاقي في ظل قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكنَّ خيرًا منهنَّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب...﴾ (الحجرات : ١١).

و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (رواه البخاري)، و«الكلمة الطيّبة صدقة» (رواه البخاري). كما يجب على المسلم في الحج أن يكون مراقبًا لله في سلوكه ومعاملته، وأن يتواضع لإخوانه المؤمنين، وأن يتحلى بالحِلم والأناة، وأن يتجنب الغضب والخصام.

● ومن مقاصد الحج الرئيسة: تجديد الصلة بأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومن ثم تجديد الصلة بمحمَّد ﷺ الذي أصبح الحج في ظل رسالته مركزًا للهداية والأمان، يلتقي فيه الحكماء والزعماء، والرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، مؤكدين أنهم بوحدتهم أقوياء، وأنَّ هذا اللقاء هو سبيل البناء والعطاء، فالحج مؤتمر عالمي، دعا إليه ربٌّ واحد، وحدَّد دوراته في زمن واحد، ورسم منهجه في كتاب واحد، واستجاب له المؤمنون بزيٍّ واحد، تزيدهم غبرتهم جمالاً، وتزيدهم شعثتهم وقارا، مع الزحام في سلام، نشيدهم، لبيك وسعديك، ضجيجهم ضراعة، وأملهم قبول طاعة، سيماهم في خشوع، ودعواهم في خضوع، وفي جلال وحدتهم ذابت الألوان واللغات، والفروق والطبقات، فلا نسب إلاّ الإسلام، ولا حسب إلاّ الإيمان، تتعاون الطاقات، وتتكامل الإمكانات، وتتجدد الذكريات:

شعثًا أتوك حداهم الإيمانُ
والشوق والتسليم والإذعانُ
جاءوك يا ربَّ الأنام لعلّهم
إذ يرجعون يظلُّهم غفرانُ

والأمَّة مازالت متمسكة بالإيمان، ومازالت ترى هذا الركن منطلقًا إلى حياة راشدة، وعزَّة شامخة.

الفريضة الخامسة.. مسارات ومدارات

د. هبة رؤوف عزت*

تستحضر الأركان الخمسة للإسلام معالم منظومة التوحيد بعمق يعيد المرء اكتشافه كلما تأمل فيه، فلا يكاد يبلغ من الفهم إلا نزرًا يسيرًا تتجلى أبعاده بشكل مركب في كل مرة قوية صافية لتزيد المؤمنين يقينًا في إحكام هذا الدين الظاهر والباطن في مقاصد أحكامه وتفاصيلها الدقيقة.

الحج- تلك الفريضة الخامسة- هو اكتمال منظومة النموذج المعرفي الإسلامي بامتياز، وإذا كان الحج لا يجب إلا في حق من استطاع إليه سبيلا إلا أنه يظل مدرسة للأمة وخريطة لمعالم طريق التوحيد.

وترمي شعائر الحج لتكريس خمسة معان مركزية متضافرة ممتزجة في كل شعيرة من شعائر الحج منفردة وفي الشعائر مجتمعة في مشهد الحج متكاملًا: التوحيد والعبادة، وتجدد الوعي بالإنسانية، ومركزية الزمن، والتاريخ ودوره، ووحدة الأمة وتنوعها في إطار هذه الوحدة، وعلاقة الإنسان بالمكان وبالكون.

أما الخضوع لله بالإسلام والتوحيد فيبدأ بالإحرام، ويتوجه إلى الكعبة، وهي مدار الطواف الذي ينتظم المسلمون فيه كما تنتظم الأفلاك، مركز ودوائر، فيشعر الناظر بالتناغم بين مكة والوجود كله، يأتي الناس من مساراتهم المتنوعة ويغادرون سعيهم في الدنيا ليدوروا في مدار العبادة لله، تاركين وراءهم حياتهم اليومية ومرتدين ما يشبه الكفن تذكيرا بأن مآل الموت ينتظر، فتصبح «لبيك» كلمة إسلام وعبادة وتجرد وخشوع، مسير لله وحده- خطوة بخطوة في أيام الحج المتتالية وشعائره، كل خطوة وكل سجدة وكل شعيرة ترفع درجة وتحط خطيئة حتى يعود المرء بريئًا من خطاياه كيوم ولدته أمه، مردا ورجعى.

في الحج نقلة خارج الزمن الآني وانغماس في زمن وجداني فريد هو زمن التوحيد

وأما الوعي بالإنسانية فيظهر من خلال التجرد من الدنيا ومسار الزهد الذي يسلكه الحاج ليستعيد الوعي بالفطرة والإدراك لحدود الجسد وإعادة التماس أبعاد الروح وتسليم العقل والتمازج مع أمواج من البشر، وفي الحج معلم الإنسانية الواحدة الذي يعلم رجال الأمة مع نسائها استحضار شعور الأم في لهف هاجر في الصفا والمروة، ويعلم نساء الأمة مع رجالها قصة الاستخلاف في بناء إبراهيم للكعبة ودرس الفداء.

ويلاحظ المتأمل في مشهد الحج استعادة الوعي بالزمن، ما بين تجديد عهد الله الذي جاء رسول الإسلام ليذكرنا به، وقصة الأزل في خلق آدم وتحدي الشيطان، ورمي الجمرات، تأكيدا للتوحيد وتجديدا لفهم عداوة الشيطان لبني آدم، والزمن يستعاد في معايشة قصة إبراهيم وتذكر حجة الوداع، والزمن حاضر في ذاكرة جامعة تربط المسلم بمناهج العبادة ومسارات الإسلام في تواريخه المترابطة، ورغم الدقة الملزمة في المواقيت في أداء الشعائر في أيام الله والتنقل من مكان إلى مكان، إلا أن التجربة برمتها تبدو وكأنها نقلة خارج الزمن الآني وانغماس في زمن وجداني فريد هو زمن التوحيد.

أما الأمة فهي الدرس، أمة واحدة تأتي من مشارق الأرض ومغاربها لتجتمع على توحيد الله وتتوحد بذلك رغم الألوان والأجناس والطبقات، تتعارف وتتكاتف وتتأدب في أرض اختصها الله في تلك اللحظات بأن تكون بوتقة الصهر- توحيدًا واتحادًا- لا رفث ولا فسوق ولا جدال، يجتمع عوامها وعلماؤها وتتواصل حلقاتها وتتضافر قوتها وتسجد لربها وتجدد شعورها بأمانتها واستخلافها وشهادتها على العالمين.

وأما المكان فساحة لأداء الحج انتقالا من نقطة الإحرام.. مسارات ومدارات.. وصولًا لنقطة عرفة، لكل مساحة شعيرة تميزها ولكل مكان طبيعة تحدد دوره، منه ما يحل عليه الحاج ضيفًا، ومنه ما هو خلاء يخلق الحج له طبيعة اجتماعية تنعقد ثم تنفض، ورغم ازدحام الناس يبدو المكان حاضرًا كأنه يتنفس، ويتعلم الناس فيه ومنه دروسًا كثيرة، لا مكان يعدل آخر، ولا مجال للقعود، والدرس أنه لا مجال لتحرر الإنسان وانفكاكه عن المكان، إلا بتحرر الروح من الجسد، لكن الحياة رحلة انتقال في المكان والتنقل بين الأزمنة والتقلب بين التواريخ.

الحج.. تلك الفريضة الخامسة.. قصة الخلق وذكرى الفداء ومسيرة التوحيد ومدرسة التجرد وبوتقة الأمة وانصهار المكان والزمان وتجرد الجسد، وصحوة الروح ما بين كعبة وعرفة المكان، وكعبة وعرفة التوحيد والعِرفان.

* مدرس العلوم السياسية في جامعة القاهرة

يوم عرفة والوحدة الإسلامية

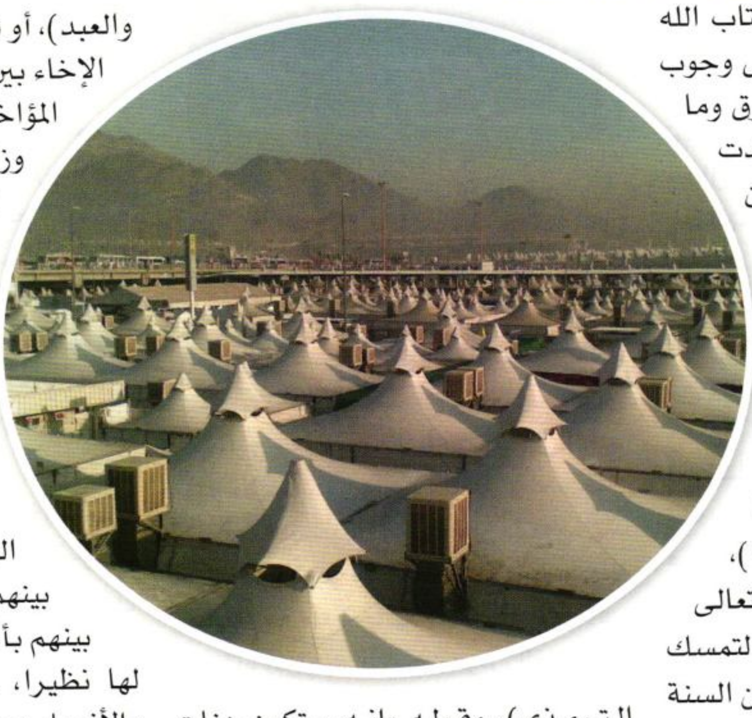
رشيد الحسن *

لو سرنا في الأرض وقرأنا تاريخ الأمم والحضارات الماضية، ثم رجعنا البصر كرتين في فهم السر في قوة وعظمة تلك الحضارات وازدهارها، لاكتشفنا أنَّ أعظمَ سر يقبع خلف ذلك إنما هو الوحدة، تلك القوة العظيمة التي تسند وجود الأمة وكرامتها، وتجعل من الكيان السقيم سورًا حصينًا تخشى الوحوش هيبته.

وحين كان المسلمون أمةً واحدةً، وعلى قلب واحد، سادوا الدنيا بالعدل قرونًا من الزمان، ومن يتصفح تاريخ الانتصارات الإسلامية في الغزوات والفتوحات، أو ردَّ فعل المسلمين على هجوم أعدائهم في حالات ضعفهم الطارئ عليهم، كما حدث في استعادة القدس من الصليبيين، ثم طردهم من بلاد الإسلام، وكما حدث في مواجهة التتار، يجدها جميعًا رهينة بتحقق وحدة هذه الأمة.

لقد استفاضت الأدلة من كتاب الله عزّ وجلّ ومن سنة نبيه ﷺ على وجوب لزوم الجماعة والحذر من التفرق وما يؤدي إليه مهما كان نوعه، كما أكدت على أهمية التآخي والتآزر، من ذلك قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وقوله ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ (آل عمران: ١٠٥) وقوله ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات:١٠).

وكما تعددت الأدلة من كتاب الله تعالى في النهي عن التفرق، ووجوب التمسك بالجماعة تعددت الأدلة كذلك من السنة النبوية على هذا الجانب المهم في العقيدة الإسلامية، ومما ورد في ذلك قوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري)، وقوله «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم)، وقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» (رواه مسلم)، وقوله «عليكم بالجماعة وإياكم الفرقة» (رواه الترمذي)، وقوله «إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان» (رواه مسلم).



والإسلام واجه في الجزيرة العربية مجتمعًا كانت اللغة أو اللون أو النسب هي معايير التمييز والتفضيل بين أبنائه، وما إن انتصرت كلمة الإسلام حتى أوجد مجتمعًا رافضًا لكل تمييز عنصري (الأسود والأبيض)، أو طبقي (السيد والعبد)، أو قبلي (قريش وغيرها)، وساد الإخاء بين أفراده، وقد تجلى ذلك في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وزال الصراع الدامي بين القبائل العربية وانتهى عهد الرق والاستغلال الجاهلي، قال تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقد دعا الإسلام إلى الوحدة بين المؤمنين والتآخي بينهم، وقد ضرب النبي ﷺ المثل بينهم بأخوة مثالية لم يعرف التاريخ لها نظيرا، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار بعضهم مع بعض، أخوة تجعل أحد الأخوين يشاطر الآخر ماله، وتجعله من أهله ولو لم تربطه به قرابة ولا رحم موصلة، فكان الإسلام وحده هو الرحم الواصلة، فانتشر الإسلام جامعا تحت لوائه قلوبا متحدة، وإن تفرقت الأقاليم، وتخالفت الألوان، وتباينت الأجناس، حتى إن أحدهم لما تفاخر بنسبه وقال لسلمان الفارسي رضي الله عنه: ابنُ من أنت؟ قال: أنا ابن الإسلام. وبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فبكى ثم قال:

* باحث دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

وأنا ابنُ الإسلام وأخذ يكررها ودموعه تذرف.

وشعائر الإسلام الكبرى (الصلاة والصيام والزكاة والحج) تجمع المسلمين على توجه واحد وتوحيد واحد وممارسة واحدة، وتتجلى فيها جميعا وحدة المسلمين واتحاد شعائرهم ومشاعرهم، تؤدى كلّها في أوقات معلومة، فالصلاة أوقاتها خمسةٌ معلومة، والصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يصوم المسلم مع إخوانه في وقت واحد، يتسحر مع سحورهم، ويفطر مع إفطارهم، ويعيِّد معهم في يوم واحد، والزكاة وقتها معلوم ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، وهي توحيد بين الأغنياء والفقراء حتى لا يحقد الفقير على الغني، وحتى يتحابَّ الناسُ بعضهم مع بعض، أما الحج فالوحدة فيه أوضح ظهورا وأعظم نورا، لمن فهم معناه، فثياب الإحرام البيضاء التي نرتديها، هي رمز الوحدة الكبرى التي تذوب فيها الأجناس، ويتساوى فيها الفقير والغني، لأنَّ في هذا الثوب البسيط معنى الأخوة والمساواة، برغم تفاوت المراتب والثروات.

أمَّا اليومُ المشهود وهو يوم عرفة فإنه أفضلُ الأيام وأبركها، وليس ثمة يوم طلعت فيه الشمس، أو غربت، هو خير منه أبدا، وتأتي أهمية هذا اليوم في كونه أحدَ أيام الأشهر الحرم، وأحدَ أيام أشهر الحج، و أحد الأيام المعلومات التي أثنى الله عليها في كتابه قال الله عز وجل ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ (الحج: ٢٨).

وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الملة، وأتمَّ فيه النعمة، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، بل إنَّ أعظمَ الدعاء دعاءُ يوم عرفة، كما قال ﷺ، وقد صحَّ أنَّ الله يباهي بأهل عرفة أهلَ السماء، وفيه يُكثرُ اللهُ العتقَ من النار، قال ﷺ «إنَّ الله يباهي بأهل عرفات أهلَ السماء» (رواه أحمد)، و«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة» (رواه مسلم).

يوم عرفة هو يوم توحيد الأمة على صعيد واحد وفي وقت واحد وشعارهم واحد

ولو تساءل أحدنا لماذا كلُّ هذا الفضل لهذا اليوم، لكانت الإجابة لأنه يوم الوحدة الإسلامية التي لن تجدها إلا في هذا اليوم، فالناس في يوم عرفة لون ثيابهم واحد هو البياض، ولباسهم الإزار والرداء، ولغتهم التلبية والتسبيح والتكبير والتهليل، والدعاء والاستغفار، ومشاعرهم مشاعر الضراعة والقرب، فيوم عرفة يومُ التوحيد، لأنه يجمع الشعوب المختلفة، والألوان المتنوعة، والطبقات المتفاوتة، كلّ هؤلاء يجمعهم في صعيد واحد، في وقت واحد، وشعارهم واحد، ونداؤهم واحد، وحداؤهم واحد، ولباسهم واحد، تجردوا عن الأزياء التي تفرق عادةً الناس بعضهم عن بعض، إلى قبلة واحدة، وهدف واحد، يتلقون فيه من الله، ويتجهون إليه، ويسيرون بأمره، فحضورهم بأمره، وأفعالهم بأمره، وانصرافهم بأمره، وكل هذا صهر للأمة في بوتقة الوحدة، وفي ذلك الدرس المبين لأمتنا العربية والإسلامية، أمة الإله الواحد، والقرآن الواحد، والتاريخ الواحد، والمصير الواحد.

وقيل في معنى عرفة أنه سُمِّي بذلك لأن الناس يتعارفون هناك، كالرَّكب الشامي مثلا، يعرف أخبار العراقي، والعراقي أخبار اليماني، وهكذا.

لذا فالوقوف بعرفة فرصة للتعارف والتقارب والتفاهم والتشاور والتعاون، وإنشاء الصلات الجديدة- المظللة بالمحبة والإخاء- بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأقطارهم وطبقاتهم وقدراتهم وأذواقهم.

ونحن بحاجة كذلك إلى أن يتذكر الحاج- وهو واقف بعرفة- ما هو أكثر من مجرد الوقوف والدعاء.. إذ في هذا المكان كانت حجة الوداع والبلاغ، تلك الحجة التي كانت مؤتمرًا جامعًا قرر فيها ﷺ الحقوق المدنية الإسلامية، وذلك في خطبة الوداع الشهيرة، تلك الخطبة التي لم يستطع كاتب بريطاني غير مسلم، وهو «هربرت جورج» حين قرأ تلك الخطبة إلا أن يقول معترفا: إنها أسَّسَت في العالَم تقاليدَ عظيمةً للتعامُل العادلَ الكريم، وإنها لتنفخُ في الناس رُوحَ الكرم والسماحة، كما أنها إنسانيةُ السِّمة مُمكنةُ التنفيذ؛ فإنها خَلقَت جماعَةً إنسانيَّةً يقل فيها ما يَغمُرُ الدنيا من قَسوةٍ وظُلم اجتماعيٍّ عما في



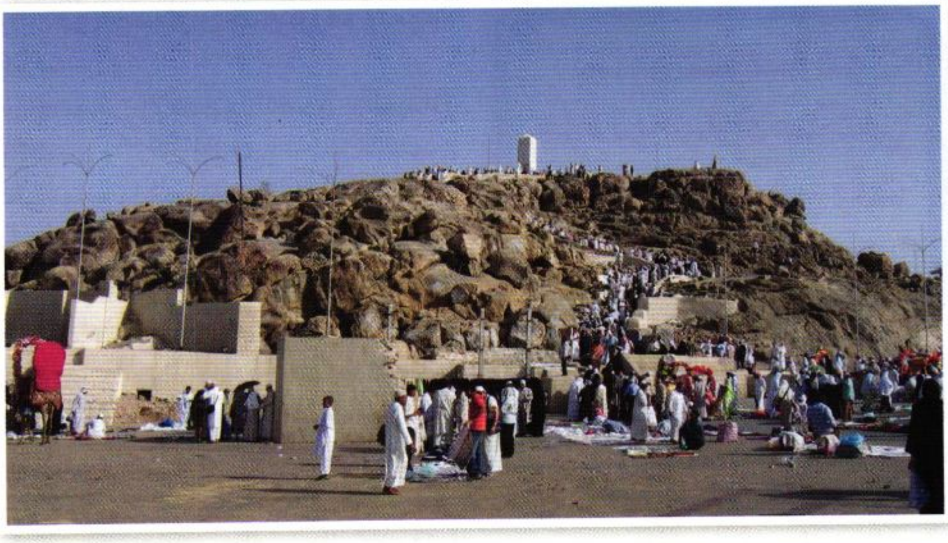
أيِّ جماعة أخرى سبقَتها. (معالم تاريخ الإنسانية لولز ٣/ ٦٤٠-٦٤١).

تلك الخطبة الربانية المصدر، والتي تعتمد على إيقاظ الضمائر المؤمنة في نفوس المؤمنين ليمتثلوا هذه الأحكام بقناعة وخوف من الله ورجاء ثوابه سبحانه.

تلك الخطبة التي ضمنها رسول الله ﷺ أهم ما أراد أن تجتمع عليه أمته وأن تتمسّك به، لتواصل المسيرة ورفع راية الإسلام، والتي لم ننجح للأسف في صونها. ولقد سبق له صلوات الله عليه أن قال في خطبة الجهاد في أُحُد «إنَّ الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجْز والضعف، وهو مما لا يحبه الله ولا يعطى عليه النصر والظفر، إنَّ المؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر الجسد». ولو قمنا بتلخيص أهم معالم خطبة عرفة الجامعة لكانت التقوى وخشية الله ، وتحريم دم المسلم وماله على المسلم، وتأدية الأمانة وترك أعمال الجاهلية، وخشية الله في معاملة النساء، وأخوّة المؤمنين، ومساواة قتل المسلم للمسلم بالكفر، ونصاب الوصية ونسب الابن لأبيه.

ولاشك أنَّ أهم هذه النقاط هي حرمة قتل المسلم لأخيه المسلم، وقد رفع رسولنا ﷺ هذه الحُرمة وسوّاها بدرجة حُرمة الحج، وهو ركن من أركان الإسلام.

فأين نحن من كل ما استأمننا عليه رسولنا الكريم؟! فبينما نحن اليوم متناحرون يقوم اليهود بإعداد عدّتهم لهدم المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، لذا فبدلا من الانسياق في فتن نسجها لنا عدوّنا، وبدلا من الاعتداء على إخوان لنا في الدين، علينا أن نعتصم بحبل الله جميعا وألا نتفرق، وأن نكون عبادًا لله إخوانا، صفا واحدا كالبنيان المرصوص للدفاع عن ديننا، وعن أرضنا، وعن وصية سيد الخلق محمد رسول الله ﷺ في خطبة يوم عرفة.



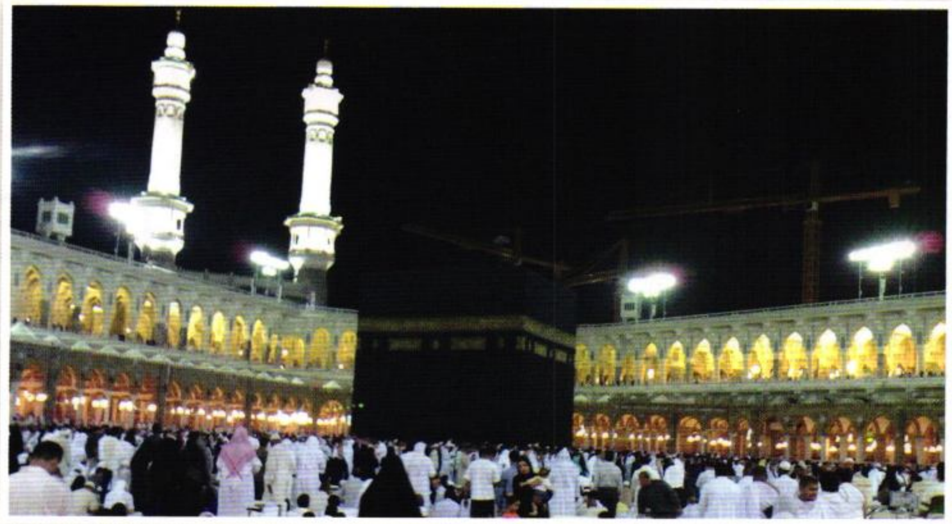
أين نحن مما استأمننا عليه رسولنا الكريم فبينما نحن متناحرون يعد اليهود العدة لهدم المسجد الأقصى

وعلى فرض أنه حدث خلاف بين الإخوة المسلمين، ألم يقل الله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (الحجرات: ١٠).

فأفادت الآيات أنَّ النزاعَ بين المسلمين لا يؤثر في عقيدتهم الدينية، وإن وصل إلى حد التقاتل، ففي الآية ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ فجعلهما من المؤمنين مع اقتتالهما، فأفاد بهذا أنَّ اقتتالهما لا يؤثر في عقيدتهما، ولم يستثن من هذا طائفة منهما، مع أنَّه لابدَّ أنَّ واحدة منهما هي التي على حق في هذا التقاتل، والأخرى على باطل، ولكنه باطل في السياسة لا يؤثر بشيء في الدين، ولا يقدح في أصل العقيدة.

ثم أفادت الآيات أنَّ ذلك التقاتلَ بين الطائفتين لا يؤثر في أخوَّتهما لنا، فأبقى بيننا وبينهما هذه الأخوة، كما أبقى لهما عقيدتهما، ولم يفرق في هذا أيضا بين محق ومبطل، فكل منهما تبقى أخوته لنا، ولا يؤثر فيها خصومتهما، بل قد يفيد ذلك بقاء هذه الأخوة بين الطائفتين، كما تبقى بين أخوين في النسب يقاتل أحدهما الآخر.

وقد أمر في الآيتين بالصلح بين الطائفتين، فإن أبت إحداهما الصلح وبغت على الأخرى وجب قتالها إلى أن تفيء إلى الصلح، وترضى بما يقضى به بينهما بالعدل، وما أسمى القرآن الكريم حين يأمرنا بالصلح أولا بين الطائفتين المقتتلتين، مع أنَّ فيهما محقة ومبطلة، وما أكثر ما تندفع الطبيعة البشرية إلى الانضمام في التقاتل إلى الطائفة المحقة، ولكن القرآن أسمى من أن يندفع مع هذه الطبيعة البشرية، لأنَّ مثل هذا يزيد في الخلاف بين الطائفتين، وإنما الواجب السعي في الصلح بينهما أولا، فإن بغت إحداهما على الأخرى عوملت بالقوة، حتى تفيء إلى أمر الله، وترجع إلى طاعة ولي الأمر، فيكون قتالها



مشروعا يدعو إليه الشرع، ووجوب طاعة المحكوم للحاكم.

ولا شك أنَّ القرآن يدعونا بهذا إلى الأخذ بالتسامح في خلافنا مع بعضنا، لأنه لم يصل إلى قطع ما بيننا من رابطة الإيمان، و لم يؤدّ به إلى قطع أخوة الإسلام، ليمكن الوصول إلى الصلح فيه بسهولة، فإذا انتهى بالصلح لم يكن له أثر فيما يتعلق بالعقيدة الدينية، بل ينتهي بانتهائه كلُّ أثر له، ولا يبقى منه ما يكدر ما حصل من صلح، بل يرجع كل من الطائفتين إلى الأخرى كما يرجع الأخ إلى أخيه، لم يقطع نزاعهما ما بينهما من صلة النسب، ولم يوهن ما بينهما من رابطة القرابة.

وعودا على بدء فإنه ولأهمية الحج عموما ويوم عرفة خصوصا في توحيد المسلمين رأينا كيف كان المسلمون الأوائل حريصين على جعله سبيلا للتعارف الإسلامي، والدراسات الفقهية ورواية الأحاديث النبوية، كما كان الخلفاء الراشدون حريصين على أنْ يرأسوا وفد الحج بأنفسهم، وظلَّ عمر رضي الله عنه حريصا على أن يلتقي بعمال الأمصار جميعا في موسم الحج يتعرفُ على أحوال من وراءهم، وكان ينزل إلى الحجاج من كل إقليم إسلامي يتعرف على شؤونهم وأحوالهم ومعاملة الحكام لهم، وكثيرا ما كان يخطب في عرفات خطبة جامعة يبين فيها علاقة الحاكم بالمحكوم، كما كان العلماء وأئمة الفقه حريصين على حضور موسم الحج ليلتقي العلماء بعضهم ببعض، ويتذاكروا مسائل العلم وأحوال المسلمين، وقد سنَّ النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع سنة التعريف بالإسلام وحقائقه، وهكذا كان الحج في الماضي وسيلة عظيمة من وسائل التعارف الإسلامي، ولذا لن تكون لنا قوة في الأرض إلا إذا فهمنا معاني العبادات الإسلامية ومقاصدها وغاياتها. ولنعلم أنَّ يومَ عرفة الذي جمعنا، يصيح بنا أن نحذر من التفرق، وتمزق الكلمة، واختلاف القلوب؛ فإنَّ ذلك يوجب الفشل والخذلان، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦) ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾ أي: لا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم.

الجانب الكبير من تفشي النعرات الطائفية اليوم إنما يعود إلى جهل المسلمين

﴿فَتَفْشَلُوا﴾ أي: فتضعفوا وتجبنوا. ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: تذهب قوتكم وبأسكم ووحدتكم، وتنقطع دولتكم، ويدخلكم الوهن والخلل.

هذا وإنَّ القوة والنصر مع الوحدة والجماعة: وحدة الرأي، ووحدة القيادة، ووحدة القوة، وإنَّ الهزيمة والفشل مع الفرقة والاختلاف وتعدد القيادات حتى لو كثر العدد، وإذا لم يتجمع المسلمون فسيصيرون مزقا لغيرهم، ونهبا مقسوما بين الناس، أما إن اجتمعوا فسيكونون قوة تنفع نفسها، وتنقذ جزءا من العالم وتصيح بلسان القرآن الكريم: ﴿يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾.

فيا أيها الحاج الكريم: يوم عرفة في وفوده وحشوده تأكيدٌ لهذه الارتباطات وتجسيدٌ لتلك المشاعر.. صفوفٌ في الأبدان وشهودٌ في الأفئدة.. إنه رمز الوحدة والتوحيد وعنوان البذل والتضحية.. لذا فعليك بحفظ حقوق الإخوان والالتزام بآداب الإسلام؛ لأن ذلك يمحو آثار الذنوب وظلمة الآثام، ولقد أودع فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيته الأخيرة، بأنَّ كلَّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، ونهانا أن نعود من بعده كفارا يضرب بعضنا رقاب بعض، فجعل تفرقنا من عناوين الكفر بنعمة الوحدة والتوحيد. وللأسف فإن الجانب الكبير من تفشي النعرات الطائفية اليوم إنما يعود إلى جهل المسلمين، فرعاع الناس كانوا دومًا وقود النزاعات الطائفية، وأداة بيد المغرضين يستغلون تعصبهم الأعمى إلى هذه الجهة أو تلك، فيثيرون المعارك والاشتباكات.

إنَّ السموم لتأتي من تفرقنا

ووحدة الصف عزم بعد إمداد

دلالات الصورة الرمزية في شعائر الحج

د.عبدالكريم حامدي

يهلّ على المسلمين بعد انقضاء شهر رمضان أشهر الحجّ المباركة، ويشرعون في الاستعداد والتحضير للذّهاب إلى البيت الحرام، وأفئدتهم تهفو وتحنّ للوصول إلى تلك البقاع المقدّسة، استجابة لنداء الرحمن: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم﴾ (الحج : ٢٧)، وتعظيما لشعائر الله وتقديسًا لها كما أمر: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (الحج: ٣٢)، والشعائر هي: «المتعبدات التي أشعرها الله تعالى، أي جعلها أعلاما للناس من الموقف، والسعي، والنحر، والشعار: العلامة» (١)، فهي تلك المناسك التي يؤديها الحاج من إحرام، وتلبية، وطواف، وسعي، ووقوف بعرفة، ورمي للجمرات، ونحر للهدي، وحلق وتقصير، وهي تبرز في أشكال وصور متنوعة ترمز إلى معان ودلالات خفية لا يتم حج المرء إلا باتباعها والتقيد بمظاهرها، فما دلالات تلك الصور الرمزية المقصودة منها؟

أول حقيقة يجدر التذكير بها أن العبادات في الأصل ما شرعت إلا لتحقيق معاني العبودية الخالصة، فهي شعائر توقيفية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها، ولا موجب للعقل للتحكم فيها بالاقتراح والتعديل، وليس معنى ذلك أن هذه الأوضاع لا تُعرف لها أسباب تدعو إليها وتفسر لنا اتباعها (٢).

والحقيقة الثانية، أن جميع العبادات مهما اختلفت صورها وأوضاعها تهدف إلى تنبيه المتدين على الدوام إلى أمرين اثنين: أولهما تنبيه ضمير الإنسان إلى وجوده الروحي الذي ينبغي أن يشغله على الدوام بمطالب غير مطالبه الجسدية وغير شهواته الحيوانية، والآخر أن تنبه إلى وجوده الخالد الباقي إلى جانب وجوده الزائل المحدود (٣).

من هنا فإن البحث عن دلالات لتفسير الصور الرمزية لأشكال العبادات وأوضاعها ليس مستهجنًا ولا محظورًا، بل يكون أحيانًا مطلوبا لتقريب الفهم، أو تجديد الصلة الروحية، أو إبطال الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بغية صد المسلمين عنها، أو إزالة التفسيرات الخرافية التي مستها وشوهت صورتها التعبدية الطاهرة.

فمن الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام أن الطواف بالكعبة، واستلام الحجر الأسود، وما يحيط بذلك من معاني التقديس والتكريم إن هو إلا مظهر من مظاهر التأثر بوثنية العرب قبل مجيء الإسلام (٤)، ومما زعموه افتراء على الله أن الحج في أصله عبادة وثنية، وأنه من اختراع العرب، وأنهم كانوا يقدسون الكعبة بيت الأصنام، ويطوفون بها منذ القدم، فلما جاء الإسلام أبقى على تلك الشعائر برسومها وصورها الرمزية، لما فيها من الفوائد المادية للعرب عامة ولأهل مكة خاصة، وهذا الزعم باطل من جهتين: ففيه غفلة عن منشأ الحج في الإسلام، وفيه غفلة عن الغاية منه (٥).

أما ما يخص منشأ الحج، فإن الأخبار الثابتة ثبوتا متواترا تدلّ على أن الكعبة أول بيت وضع للناس في الأرض، ورفع قواعده الخليل وابنه اسماعيل- عليهما السلام- بأمر من الله تعالى، قال تعالى:



﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾ (آل عمران: ٩٦)، وقوله سبحانه: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ (البقرة: ١٢٧)، وأمر الله خليله أن يطهره ويؤذن للناس بالحج إليه، فقال: ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج﴾ (الحج: ٢٦)، أما وضع الأصنام في الكعبة فقد جاء متأخرا بعد تقادم العهد بديانة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام).

وأما الغاية من الحج فليس كما زعموا، فقد غير الإسلام الكثير من مظاهر الوثنية التي أدخلت على مناسك الحج وشعائره زورا وبهتانا، وطهر الكعبة من الأصنام التي كانت محيطة بها، وجعل الغاية الكبرى من الحج تعظيم شعائر الله وتقوى القلوب، قال تعالى: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (الحج: ٣٢)، وقال: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾ (الحج: ٣٧).

أما دعوى المنافع المادية من الحج، فليست هي الغاية الأولى منه كما يزعمون، بل المنفعة منه عامة ومطلقة، لم تقيد بنوع دون نوع، وهي بعمومها وإطلاقها شاملة لكل ما ينفع الفرد والجماعة، من طهارة النفس، والتقرب إلى الله، وتشاور أهل الرأي في رسم خطط العلم والثقافة، وفي جمع الكلمة على نشر الدعوة، والعمل على إظهار سماحة الإسلام وأحكامه الرشيدة، وإعداد العدة للمحافظة على الشخصية الإسلامية من التحلل والذوبان، وغير ذلك من منافع الحج (٦).

أما ما يتعلق بالصور الرمزية في



الحاج لا يقدّس الرموز الحجرية لذاتها إنما يقدس ما ترمز إليه من معان وقيم ومشاعر ودلالاتٍ

شعائر الحج وتعظيمها، فإنها ليست بدعة في الدين، ولا أثرا من آثار الجاهلية الأولى، ولا رمزا للتأثر بالوثنية التي ألصقت بالأديان، ذلك أن المسلم لما يقوم بتلك الشعائر وما اشتملت عليه من أشكال وصور، فإنه لا يقدس تلك الرموز الحجرية لذاتها، إنما يقدس ما ترمز إليه من معان، وقيم ومشاعر ودلالات، فالمقدس هو المعنى الرّمزي البديع، معاني الأخوة الإنسانية، والوحدة العالمية الجامعة، ولا غرابة في ذلك، فإن الرمزية هي اللغة الوحيدة القادرة على استيعاب المعاني الدقيقة، والمشاعر النبيلة، التي تعجز الألفاظ والعبارات عن تمثيلها وتصويرها، ولا يشك عاقل أن الذي يعظم علم وطنه إنما يعظمه تعبيرا عن أدق العواطف والمشاعر والأحاسيس، من وطنية صادقة وحب خالص وفداء وتضحية وغيرها، مع علمه أنه قطعة من نسيج لا قيمة لها ماديا، وكذلك الكعبة المشرفة فهي علم الله المركوز في أرضه، رمزًا للتوحيد، ومظهرًا للوحدة الإسلامية، فأين هذه المعاني الرمزية القدسية من تلك المظاهر الوثنية الشركية؟ (٧). وهناك معنى آخر لظهور هذه الشعائر في تلك الصور الرمزية، ذلك أن فطرة الإنسان تهفو لمعرفة الله تعالى، ولما كان ذلك غير ممكن في هذه الدنيا فإن الله تعالى جعل هذه الشعائر علامة عليه، ودليلا على قربه من عباده، فمن معاني الشعائر العلامة والتذكار (٨)، فيستشعر العبد بها تلك الحقيقة الكبرى وهو يؤديها، ومن ثم فهي ليست غاية في ذاتها، بل هي مجرد علامة على الوجود الأعلى كغيرها من العلامات المركوزة في هذا الكون.

وشعائر الحج أقيمت بهذه الأشكال والصور تصحيحًا لصور التعبد الصحيح، فهي إصلاح لخطأ بشري تاريخي قديم، تمثل في عبادة الرسوم والأشكال بوسائل باطلة منحرفة، من أجل تسكين تلك العاطفة الهياجة التي كان يبحث الإنسان القديم عن تسكينها (٩)»، فقد اتخذت الشعوب والقبائل صورا قديمة رمزا لإجلال معبوداتها وتقديسها، واستمر الحال على ذلك دون أن ينزل وحي من السماء بهذا النوع من العبادة في تنظيمه ولا في أصله، حتى هيأ الله الأمر لإبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة والأمر بالحج (١٠)، فجاء التصحيح الإلهي بشعائر رمزية توقيفية لا دخل للعقل فيها، ودعت الحاجة إلى إظهارها في تلك الصور الرمزية، لتصحيح الرؤى والتصورات، وتصفية العبادة من رموز الشرك والضلالة، وتوحيد الأمة من الاختلاف في أقدس المقدسات.

وإذا اتضح المعنى الإجمالي للصورة الرمزية لشعائر الحج، فلا بأس أن نشير إلى المعاني الجزئية لكل شعيرة من هذه الشعائر، نظرا لاختلاف أوضاعها وتباين

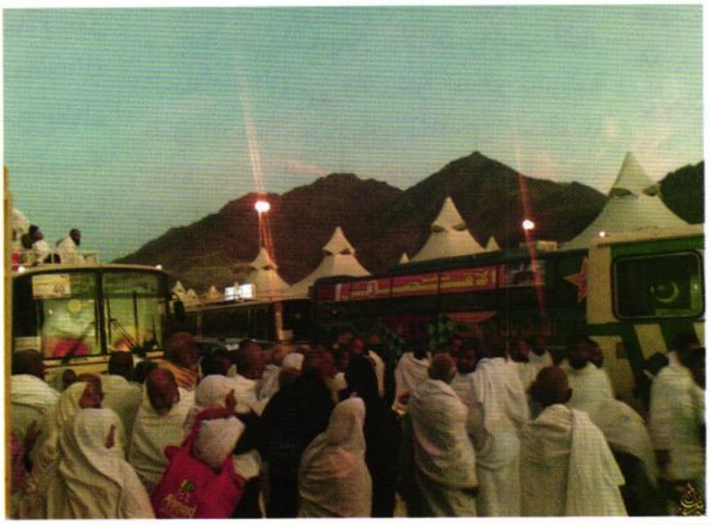
أشكالها:

- دلالة السفر: الذهاب إلى الحج وما يسبقه من إعداد وتحضير ومشاعر فياضة ولهفة وشوق وحنين، لا تستطيع إبرازه العبارات ولا تحيط به الدلالات، إنما يرمز إلى «السفر البعيد، سفر الموت الذي لا مرد له، فبسفره الصغير يتذكر سفره الكبير، وبوداعه الأهل والخلان يتذكر وداعه الأهل والأقارب عند سكرات الموت واحتضاره، ويتذكر بمفارقة الوطن ومباينة المستقر الخروج من الدنيا ونضارتها (١١)، إنه الشوق إلى لقاء الديان في جوار الكعبة المشرفة، وأي مؤمن لا يهفو قلبه إلى نيل تلك الكرامة في الحج؟!

- **دلالة الميقات الزماني**: اختار الله للحج ميقاتا زمانيا وهو الأشهر الحرم المذكورة في قوله: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ (البقرة: ١٩٧)، وهي تبدأ بشوال وتنتهي بذي الحجة، وقد أمر الله تعالى بتعظيمها وتقديسها بالبعد عن القتال فيها، وسفك الدماء وسائر المظالم، وجعل ذلك من شعائر الله فقال: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام﴾ (المائدة: ٢)، والمعنى الذي ترمز إليه أن الله حرم فيها كل أسباب العدوان المثير للحروب القاضي على الهناء والاطمئنان، المفسد لخلافة الإنسان في الأرض، وفرض فيها هدنة إجبارية عامة بين سكان المعمورة لفتح فرص التفاهم والتشاور والمراجعة من أجل الوصول إلى إقرار السلم وبسط الأمن في العالم (١٢).

- **دلالة الإحرام**: يتمثل الإحرام في نية الحج والتجرد من المخيط والمحيط وكل مظاهر الزينة، والاقتصار على لبس إزار ورداء، وكذا التلبية بألفاظ مخصوصة، وذلك يرمز إلى دلالات عدة، لعل أولاها تذكر حالة الميت وهو يلف في أكفان بيضاء (١٣)»، كذا التجرد من صنعة الدنيا وألوانها ومظاهر طبقاتها وتفاوتها، والعودة بالنفس إلى وحدة المظهر التي تحاكي وحدة العقيدة والإيمان، والتجرد من شهوات النفس والهوى وحبسها عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله وجماله (١٤)، وكذا توحيد الزي الإسلامي في تلك البقاع المقدسة أيامًا معدودة لتأليف قلوب المسلمين، والتقريب بينهم، وإزالة الفوارق التي صنعتها الحياة الدنيا (١٥)، ويرمز أيضاً الى رياضة النفس على المشقة واحتمال المكروه (١٦)، والصبر على الملذات طيلة الإحرام، مما يكون له أثر قوي في تربية النفس وتقويم سلوكها.

«لبيك اللهم لبيك»
شعار العبودية منذ القدم
ورمز وحدة العابدين
أمام وحدة المعبود



- **دلالة التلبية**: وأما التلبية فهي شعار العبودية منذ القدم، هتفت بها الملايين البشرية إلى اليوم وإلى يوم الدين، فهي ترمز إلى وحدة العابدين أمام وحدانية المعبود (١٧)، كما أنها تمثل الصورة السافرة المعلنة التي يعبر بها الحاج بأبلغ تعبير عن مبدأ ديني إنساني عالمي هو الإخلاص لله وحده الذي لا شرك فيه مع الله تعالى (١٨).

- **دلالة محرمات الإحرام**: الإحرام هو نية الحج، وبه يمتنع المحرم عن أفعال معينة محدودة، كإزالة الشعر من الرأس أو البدن، وتقليم الأظافر، واستعمال الطيب والدهن في البدن أو الثوب، وعقد الزواج لنفسه أو لغيره، كل ذلك يرمز إلى تعويد المسلمين على وعثاء السفر (١٩)، وكذا الامتناع عن التعرض لصيد البر وقتل الحيوان غير المؤذي، لغرس حب السلم والدعوة إليه عمليا، فالحج رحلة سلام، إلى أرض سلام، في زمن سلام (٢٠)، وكذا الامتناع عن قطع نبات الحرم وحشيشه والتعرض لشجره، تعظيما لتلك البقاع المقدسة بتوفير الزينة لها وعمارتها وإيناس أهلها حتى لا تصير صحراء جرداء توحش ساكنيها (٢١).

- **دلالة الطواف بالكعبة**: ترمز الكعبة والطواف حولها الى جملة من الدلالات التاريخية والروحية، فالمسلم يقرأ فيها التاريخ المثالي للعبودية والتضحية والفداء (٢٢) في سبيل رفع قواعدها على يد الخليل عليه السلام فتهتز مشاعر الوجد وعواطف الحب لهذا النبي الكريم وهو يرى صورة الكعبة، فيبادر الى الصلاة عند المقام استجابة لنداء الرحمن: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(البقرة: ١٢٥)، فتذكو مشاعر القربى والزلفى في لحظة وجيزة من الزمن، كما أن الطواف بها

لا يعني هذه الحركات الجسمانية التي تؤدي في الغالب إلى الزحام والقسوة بين الطائفين، بل ترمز الى التفاف القلوب ودورانها حول قدسية الله، صنع المحب الهائم من المحبوب، ذي الجلال والإكرام الذي ترى نعمه ولا تدرك ذاته (٢٣)، كما ان في الطواف تشبها بالملائكة الحافين حول العرش، الطائفين به، المسبحين بحمد ربهم، مما يرفع أشواق الروح ويسمو بها الى أعلى عليين (٢٤).

- **دلالة السعي بين الصفا والمروة:** إن السعي بينهما يرمز الى معاني التضحية والفداء من السيدة هاجر بالبقاء في مكان مهجور أجدب بعد أن غاب عنها الخليل، والبحث عن مصدر للماء لها ولابنها إسماعيل عليه السلام، فكان ذلك عنوانا على التوكل على الله والأخذ بالأسباب الموصلة للغايات والحاجات، فهو يرمز للسعي إلى الله في كشف الضر وغفران الذنوب، وصلاح النفوس، وغيرها، لأن في ذلك الموضع كشف الله الضر عن هاجر وولدها إسماعيل، وفجر لهما ينابيع الرحمة من ماء زمزم (٢٥).

- **دلالة الوقوف بعرفة:** هذا هو الركن الأعظم في شعائر الحج، لأن به يتحقق الرمز الأكبر الى وحدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولأنه لايمكنهم من الاجتماع مرة واحدة في الكعبة أو المسعى لضيق المكان، فكان سهل عرفة هو الموقف الذي يجمعهم تحت شعار واحد، هو شعار العبودية لله رب العالمين، وكان الوقوف رمزًا عمليًا للوحدة الإسلامية (٢٦) ورمز أيضا للضراعة بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين (٢٧).

- **دلالة رمي الجمار:** ليس الرمي إلا رمزا صادقا من الحاج على مقت عوامل الشر، واحتقار نزعات النفس الأمارة بالسوء، وطرد وساوس الشيطان الرجيم، الذي تعرض للخليل عليه السلام في تلك المواطن في محاولة يائسة لصده عن السبيل، كما أنه رمز عملي مادي محسوس يعبر به الحاج عن صدق عزيمته وإرادته في طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات (٢٨).

- **دلالة ذبح الهدي:** ينهي الحاج أعمال الحج بنحر الهدي، وهي من شعائر الله المذكورة في قوله: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾(الحج: ٣٦)، والخير الظاهر المحسوس هو ما ذكرته الآية من إطعام القانع والمعتر، أما الخير الخفي فهو ما يرمز إليه الذبح من تضحية وفداء، وإراقة لدم الرذيلة (٢٩).

هذه أهم دلالات الحج الظاهرة والخفية القريبة والبعيدة، وهي ترمز في مجموعها إلى عظمة هذه الشعائر التي أمر الباري بتعظيمها وتقديسها. فالحج أكبر مؤتمر سنوي يشهده العالم من جميع القارات، شرعه الله للناس، لما فيه من المنافع العامة والخاصة، الفردية والجماعية، الروحية والمادية، فعلى المسلمين وذوي الرأي فيهم أن يعيدوا لهذه الشعائر حرمتها وقداستها بالالتفات إلى معانيها ودلالاتها، لتوحيد كلمتهم وإجماع أمرهم ونصرة دينهم، فالحج سياحة روحية إيمانية، وتربوية خلقية، ودعوية إسلامية وعلمية ثقافية، وخيرية إنسانية، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله علام الغيوب.

الهوامش

١- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط/ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م ، (١٧٦/٢).
٢- عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار الإسلام، مصر، ص :١٠٥.
٣- العقاد: المرجع نفسه، ١٠٦.
٤- الشيخ يوسف القرضاوي: العبادة في الإسلام، نقلا عن مقال للشيخ حسن البنا في مجلة الشهاب، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص: ٢٨٤.
٥- عبدالمتعال الصعيدي: التوجيه الأدبي للعبادات في الإسلام، ط١/ دار الفكر العربي، مصر، ص: ١٣٧،١٣٨.
٦- انظر: محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، مصر، ط ١٨/ ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م، ص: ١٣١، ١٣٢.
٧-انظر: العبادة في الإسلام للشيخ القرضاوي- مرجع سابق- بتصرف.
٨- أبوالحسن علي الندوي: الأركان الأربعة، دار القلم، دمشق، ط١/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص: ٥٣.
٩- وحيد الدين خان: حقيقة الحج، دار الصحوة للنشر، مصر، ط١/١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ص: ٥٤.
١٠- شلتوت: من توجيهات الإسلام، دار الشروق، ط/ ٨ ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م، ص: ٢٢٣.
١١- عبدالقادر الكردي: مواهب البديع في حكمة التشريع، مطبعة كردستان العلمية، مصر، ط١/١٣٢٩ هـ، ص: ٢٩.
١٢- انظر: الإسلام عقيدة وشريعة لشلتوت، مرجع سابق، ص: ١١٨- بتصرف.
١٣- مواهب البديع، مرجع سابق ، ص: ٢٩.
١٤- من توجيهات الإسلام ، مرجع سابق، ص: ٢١٩، ٢٣٠.
١٥- التوجيه الأدبي، مرجع سابق، ص: ١٥٧.
١٦- عفيف طبارة: روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٢٧ / ١٩٨٨م، ص: ٢٦٢.
١٧- من توجيهات الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٣٢.
١٨- عبدالحليم محمود: أسرار العبادات في الإسلام، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص: ١١٩.
١٩- التوجيه الأدبي، مرجع سابق، ص: ١٥٨.
٢٠- العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢٩١.
٢١- التوجيه الأدبي، مرجع سابق، ص: ١٥٨.
٢٢- حقيقة الحج، مرجع سابق، ص: ٥٧.
٢٣- من توجيهات الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٣١.
٢٤- انظر: روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص: ٢٦٣.
٢٥- انظر: المرجع نفسه، ص: ٢٦٤.
٢٦- انظر: التوجيه الأدبي للعبادات، مرجع سابق، ص: ١٥٤.
٢٧- الإسلام عقيدة وشريعة، مرجع سابق، ص: ١٢٩.
٢٨- من توجيهات الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٣١.
٢٩- الإسلام عقيدة وشريعة، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

الحج وفلسفة البناء

أحمد عبدالجواد زايدة

الحج مدرسة لبناء الأمة وبناء أسسها ودعائمها التي بها تنهض وتقوم وتستطيع أن تُدافع وتتدافع في ركب التدافع الحضاري الإنساني بما يؤهلها لتحقيق شهودها على الأمم والعالمين، وهو الدور والرسالة المنوط بها تحقيقه تطبيقًا لقول الله عزوجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقوله سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨).

الحج مدرسة، تُدرّس فيها الكثير من المعاني السامية والمقاصد العالية التي تحتاجها الأمة في حياتها وعملها وبنائها، مقاصد تؤسس العمران- عمران الإنسان والبنيان والسلطان والاستخلاف- فمن مقاصد الحج وفلسفته وآثاره تُنسج خيوط الحضارة، وتُبنى دعائم النهضة وتستبين إشارات النجاة.

في الحج معانٍ وفوائد ودروس تتخطى الفردية والذاتية- مع وجود البناء الروحي والتزكية- إلى الجماعة والمجموع والمجتمع، في بناء الأمة ونظامها السياسي والاجتماعي والفكري والاقتصادي، معاني ودروس تتجاوز الإحساس بالمصلحة الشخصية إلى الاهتمام بالمصلحة العامة، فآثار الحج تتجاوز تأدية المظهر الشعائري إلى المظهر الاجتماعي، فتُحقق الإصلاح الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري، وهذا موجود في أركان الإسلام الخمسة بوضوح لا يخفى على ناظر متدبر، فضلًا عن وجوده في كل أحكام الإسلام وأوامره وتكاليفه .

وللشيخ العلامة عبدالله المحفوظ بن بيه كلام يكتب بماء الذهب يقول فيه: «الوحدة هي التي تستعلي على كل العصبيات القومية والخلافات المذهبية والنزعات السياسية، إنها وحدة تتمظهر في وحدة الشعور والشعار والمشاعر والشعائر.. ألفاظ أربعة مشتقة من جذر شعر:

-**الشعور**، فإن شعور الحجيج هو شعور واحد، هو الافتقار إلى الخالق البارئ العظيم والخضوع له.

-**أما شعارهم**، فهو الملابس البيضاء والتلبية.

- أما الشعائر، فهي أعمال الحج التي يقوم بها الجميع بهيئة واحدة، من إحرام ووقوف بعرفات، أو نزول بمنى، ورمي للجمرات وطواف... إلى آخره.

- **أما المشاعر**، فهي الأماكن التي يغشاها الحجيج لتأدية الشعائر، فعرفة مشعر، والمزدلفة المشعر الحرام، ومنى ومكة كلها مشاعر، لأنها مكان أداء الشعائر» (أ.هـ).

وتتجلى الوحدة كذلك في أمرين:

أ- وحدة العقيدة التي يعتنقها الحجيج جميعًا، فيأتي المسلمون من كل أنحاء العالم إلى موسم الحج ليلتقوا بأهل الذكر من العلماء فيصفو ما كدر ويُوضح ما اشتبه، فيعود الناس إلى بلادهم مُصَحِّحين مطمئنين، وهذا ما عبر عنه العلامةُ الشيخُ أبوالحسن الندوي حين قال: «الحج عرضة سنوية للملة، يرجع إليها الفضل في نقائها وأصالتها، وفي بقاء هذا الدين بعيدا عن التحريف والغموض والالتباس، وفي بقاء هذه الأمة بعيدة عن الانقطاع عن الأصل والمصدر والأساس، محفوظة عن المؤامرات والمغالطات التي وقعت أمم كثيرة فريستها في الزمن الماضي، وعن طريق هذه المؤسسة العظيمة الحكيمة تبقى هذه الأمة العظيمة الخالدة محتفظة بطبيعتها الإبراهيمية، وبها تستعرض هذه الأمة مجموعها في صعيد واحد فينفي بذلك علماؤها وزعماؤها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وخرافة المخرفين، ويردونها إلى الأصل الإبراهيمي الحنيف، وإلى الشرعة المحمدية الصافية، وإلى الدين الخالص».

ب- الوحدة في اتباع ذات الأركان والشعائر، فيحدث ترابط روحي وثيق برباط الأخوة العظيم.. أخوة العقيدة والدين، فيشعر المسلمون بوحدتهم وتجمعهم وهم يؤدون المناسك نفسها في الوقت نفسه، ويعبدون إلهًا واحدًا هو الله الواحد القهار، حين تظهر الأُمة موحدة في مناسكها.. متحدة في شعائرها.. في التوقيت نفسه وبالثياب نفسها، يطوفون معًا، ويكبرون معًا، ويلبون معًا، يقفون يوم عرفة معًا ينزلون منه عند وقت معين، ذروة الوحدة والاعتصام كأنهم شخص واحد في جسد واحد، هم بالفعل يبدون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له

• باحث دراسات إسلامية

سائر الجسد بالسهر والحُمى.

إن الأمة إذا أدركت ثقل المهمة الملقاة على عاتقها أيقنت حقًا أنه لا وقت للخلافات الفرعية، والجدالات السطحية التي تستنزف الوقت والجهد والأعصاب! إن انشغالنا- أفراد الأمة- بالخلاف حول الفرعيات إنما هو نتاج تخلفنا وتأخرنا في تحقيق الضروريات والقيام بالواجبات، فلو سعينا لتحقيق المقاصد العالية المستنبطة من الحج وجَهدنا إلى تدعيم آثاره وتنزيل معانيه وتطبيقها في تفاصيل حياتنا وعظيم أمورنا لما بقي وقت للحديث عن فروع الفروع.. فقط لانشغالنا بالأصول.

وإن الناظر في واقع الأمة والباحث في أمورها ليلمس تفرقًا وتشرذما سلبيا وليس إيجابيا، أي أنه ليس من التنوع الذي يحقق التكامل والتعاضد في أداء الأدوار، بل إنه تفرق السبيل الأوحد إذ ان كل فريق هو الفرقة الناجية، ولربما يكون هذا نتاج انحراف المنهج، لكن لربما يكون أيضًا نتاج فساد القلوب وغلبة الأهواء، وتعبير عن الظلم النفسي والاجتماعي والسياسي عبر قنوات وأوعية الدين، وتدفع الأمة-وحدها- الثمن غاليًا.

وأهم الأسباب التي أدت إلى هذا هو الغياب عن الواقع الحقيقي وفقد إدراكه الناتج عن الغياب عن العمل والبناء وفق روح الوحي وهديه، فإذا عرفت الأمة دورها ومهامها لن تجد وقتًا للتناحر والتدابر.

فأمة الخير يجب أن تؤدي رسالتها وإن لم تؤدها فالخوف من الاستبدال يجب أن يقض مضاجعنا، وهذه الرسالة وهذا الدور لن يتحققا دون الوحدة والأخوة والترابط والمساواة والعدالة، وهذا لن يتأتى إلا بمحبة ومنهج يتم التضافر والاجتماع والتوحد من خلالهما عبر الأصول ومراعاة حق الاختلاف والتعدد في الفروع؛ لأن أداء هذا الواجب من قبل الأمة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فخير ما تتوحد به الأمة من وسائل إنما يبدأ بتزكية نفوس أفرادها وتنقيتها من الأهواء والحظوظ وتعميق مشاعر الأخوة والوحدة والمحبة في الله، والتوحد والاجتماع حول الأصول وحق الاختلاف في الفروع، والسعي نحو العمل والبناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي ليتحقق الناتج الحضاري.

الحديث عن مقاصد الحج ليس حديثًا عن مندوبات بل هو حديث عن واجبات، فإن كان الحج بشعائره وأركانه ومناسكه قول فإن تفعيل آثاره وتحقيق مقاصده في الواقع والمجتمع والأمة والكون عمل، فإذا حدث انفصال وانفصام بين الأمرين- القول والعمل- تعرضنا لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣) ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

حجة الوداع ميثاق لوحدة الأمة

هو خطاب ألقاه رسول الله ﷺ وهو يشعر أنه مُودع فقال: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب»، والأمر بالوحدة والاعتصام وعدم التفرق ينضح من جنبات خطابه ﷺ وخطابه ﷺ أيضًا أشبه ما يكون بوثيقة حقوق مدنية وإنسانية تتضمن أسسًا يمكن للأمة أن تجتمع حولها وتتمسك بتطبيقها: «أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا، أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. أيها الناس، أتدرون في أي شهر أنتم؟ وفي أي يوم أنتم؟ وفي أي بلد أنتم؟ قالوا: في يوم حرام، وفي شهر حرام، وبلد حرام. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم..ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبدالمطلب، فإنه موضوع كله.

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيها الناس، إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله وسنة رسوله، يأيها الناس، اسمعوا وأطيعوا وإن أُمر عليكم عبد حبشي مجدَع ما أقام فيكم كتاب الله تعالى.

أرقاءَكم أرقاءَكم.. أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، وإن جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه. تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ وستلقون ربكم فلا ترجعوا بعدي ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد(ثلاث مرات)».

صلى عليك الله وسلم يا رسول الله، فكل كلام بعد كلامك نقصان.

من قصص الحج

زيد بن محمد الرماني

قصد البيت الحرام لأداء أعمال مخصوصة في زمن مخصوص، لمن استطاع إليه سبيلا، هذا هو الحج.. الركن الخامس من أركان الإسلام، الذي فرضه الله تعالى على كل بالغ عاقل مستطيع، يقول عز وجل: ﴿الحج أشهر معلومات...﴾ (البقرة: ١٩٧) ويقول سبحانه: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا...﴾ (آل عمران: ٩٧)، ويقول جل ذكره: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا...﴾ (الحج: ٢٧).

إن لفريضة الحج من الروائع والفضائل ما يعجز عن العد والوصف

عن الحج المبرور يقول رسول الهدى ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (متفق عليه)، ويقول الرسول الكريم ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (متفق عليه).

إن لفريضة الحج وفي موسمه وأيامه من الروائع والفضائل ما يعجز عن العد والوصف، بيد أنه يمكن إيراد بعض المواقف والقصص لاستجلاء بعض الدروس والعبر والفوائد.

■ يقول أبوسعيد الخدري رضي الله عنه: حججنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول خلافته، فدخل المسجد الحرام حتى وقف على الحجر ثم قال: إنك حجر لا تضر ولاتنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

■ وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلت له: أصلحك الله! انهم الأعراب وهم يرضون باليسير! فقال عبدالله بن عمر: إن أبا هذا كان ودًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبر البرِّ صلة الولد أهل ود أبيًا».

ومن هاتين القصتين نفهم كيف يكون التأسي والاقتداء برسول الهدى ﷺ، وكيف يكون بِّر الوالدين بعد فوتهما، ويالها من دروس.

■ رأى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، رجلًا يحمل امرأة عجوزًا على ظهره ويطوف بها البيت الحرام. فسأله: من هذه؟ فقال له: إنها أمي، أتراني قد وفيتها حقها يا ابن عمر؟ قال له ابن عمر: والله مهما فعلت بها فلن يعدل ذلك طلقة واحدة طلقتها فيك ساعة ولادتها.

الله أكبر ما أعظم حق الأم وأجل شأنها! فياليتنا نقوم بذلك الحق على الوجه الذي يُرضي ربنا.

■ كان لحاتم بن الأصّم أولاد، فقال لهم: إني أريد الحجّ هذا العام. فبكوا، وقالوا: إلى مَنْ تكلنا يا أبانا؟ فقالت إحدى بناته: كفوا عن البكاء ودعوا أبانا يحّج، فليس هو برازق، ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (الذاريات: ٥٨).

نام الأولاد جياعا وجعلوا يلومون أختهم، فقالت: اللهم لا تؤجرني بينهم، فمرّ أمير البلد بهذا المكان وطلب ماءً فناوله أحدهم كوزًا جديدًا وفيه ماء بارد، فشرب الأمير فسأل الأمير: دار مَنْ هذه؟ قال: دار حاتم بن الأصمّ فرمى الأمير قطعة من ذهب، وقال لأصحابه: مَنْ أحبني فعل مثلي، فرموا كلهم مثله، فبكت بنت حاتم الأصم فقالت لها أمها: ما يبكيك وقد وسّع الله علينا؟ فقالت يا أماه، مخلوق نظر إلينا فاستغنينا وشكرنا، فما ظنك بالله جل وعلا لو نظر إلينا.

إلهي لستُ للفردوس أهلاً
ولا أقوى على نار الجحيم
فهبْ لي توبةً واغفرْ ذنوبي
فإنك غافر الذنب العظيم

■ حجّ عبدالله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكًا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفًا، وقال: اعتقهم لله تعالى، لعله سبحانه يعتقني من النار.

هكذا فهم السلف الصالح هذا الشهر الفضيل وهذا الموسم الكريم، موسم الرحمات والغفران شهر التوب والإنابة والسمو والصفاء.

■ حكي عن معروف القاضي أن الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو، فخشع قلبه وبكى فقال بلغته: اللهم إن كنت تعلم أني لا أحسن شيئًا من الدعاء، فأسألك ما يطلبون منك بما دعوا، فرأى بعض الصالحين في منامه أن الله قبل حجّ الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر إلى نفسه بالفقر والفاقة والعجز.

أكاديمي سعودي

النهج الإسلامي في مواجهة الأوبئة

عبدالمقصود السعيد

غاية الإسلام الكبرى هي الحفاظ على صحة الإنسان، وصيانة نفسه، ونهجه في ذلك نبع غزير العطاء، المتأمل فيه يقف مشدوها لما تضمنه من إعجاز بهر عقول أكثر شيوخ العلماء والأطباء بتعاليمه الصحية وأساليبه الوقائية التي تأسست منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام قبل أن تعرف الدنيا أنوار العلم والتقدم، فأصبحت منذ أزمان أعمدة أصيلة من أعمدة رسالة الإسلام، فوقاية الأبدان ونجاتها من المهالك تتحقق بهما سلامة الإنسان الذي أوكل الحق- تبارك وتعالى- إليه إعمار الأرض، ولأداء تلك الرسالة لابد من نهج وقائي صحي ونفسي علمي يعينه على تحقيق أمانة الاستخلاف.

إذا استعرضنا ما حفل به النهج الإسلامي لسلامة الأبدان والنفوس، فسنجد الكثير الذي نرتوي من بعض قطوفه، التي أسست لمواجهة الأوبئة وأخطارها، ومن ذلك:

أولا: الاهتمام بنظافة الساحات والطرقات والمساكن

فإلقاء المخلفات والقاذورات والنفايات في الساحات والطرقات والأماكن الخالية يوفر البيئة المناسبة لنمو وتكاثر الحشرات، ومنها:

الذباب الذي ينقل كثيرا من الأمراض بتلويثه الأغذية والجروح، والتهابات العيون، وجميعها تؤدي إلى مضاعفات خطيرة، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء» (رواه البخاري).

وفي سنن ابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «في أحد جناحي الذباب سم وفي الآخر شفاء فإذا وقع في الطعام فامقلوه فيه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء» (رواه ابن ماجه)، وفي هذا الحديث أمران:

أمر فقهي: في الحديث دلالة واضحة على أن الذباب إذا مات في ماء أو مائع، فإنه لا ينجسه، وهو قول جمهور العلماء، فقد أمر النبي ﷺ بمقله- أي غمسه- في الطعام فيموت من ذلك، ولاسيما إذا كان الطعام حارًا، ولو كان ينجسه لأمر ﷺ بإفساد الطعام، وهو ما ينطبق أيضا على النحلة والزنبور والعنكبوت وأشباهها، لأن الحكم يعم بعموم علته، وينتفي لانتفاء سببه، فسبب التنجيس هو الدم المحتقن في الحيوان بعد موته، ولما كان ذلك مفقودا فيما لا دم له انتفى التنجيس.

أمر طبي: في قوله «امقلوه» أي اغمسوه ليخرج منه الشفاء كما خرج الداء، وبما أن الذباب قوة سمية فقد أمر النبي ﷺ بمقابلة تلك السمية بما أودعه الله- عز وجل- في جناحه من الشفاء، حتى تتقابل المادتان، السمية والشافية، فيزول ضررها.

الصراصير: تنقل الكثير من الأمراض بحركتها الدؤوبة السريعة بين تلال القاذورات وفي مجاري الصرف الصحي، ولها دور كبير في تلوث الأطعمة.

الفئران: التي تنتشر في الأماكن الخربة، وأماكن النفايات وعلى حواف مجاري المياه الراكدة، وفي بحثها الدؤوب عن الطعام والغذاء تنقل للإنسان العديد من الأمراض، أخطرها الطاعون والتيفود، وقانا الله منهما، وهما وباءان خطيران يسببان هلاكا للبشر، بما يحدثانه من تلوث للهواء نتيجة تعفن القاذورات ونتنها وسميتها، خاصة في فصل الصيف حيث ترتفع حرارة القاذورات، وتتعفن، وتتفاعل فتحدث المرض إذا صادفت أجسادا قابلة للإصابة، ونظرا لخطورة الطاعون على وجه الخصوص فقد نهى النبي ﷺ عن الدخول إلى أماكن انتشاره أو الخروج منها.

روى مسلم في صحيحه قوله ﷺ «إن هذا الطاعون رجز سلط على من كان قبلكم، أو على بني إسرائيل، فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها».

وفي النهي عن الخروج معنيان:

أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته والرضا بها.

والثاني: الخروج من أرض الوباء والسفر منها يتطلب جهدا وحركة شديدة فتزيد العلة، وينتشر الوباء، الذي يحتاج في علاجه إلى السكون والدعة.

وفي المنع من الدخول إلى الأرض الموبوءة به:

- تجنب الأسباب المؤذية، والبعد عنها.
- الأخذ بالعافية التي هي مادة

◆ كاتب وباحث مصري

المعاش والمعاد.

- عدم استنشاق الهواء الفاسد.

- عدم مخالطة المرضى، لمنع انتشار العدوى.

- وفي الأماكن الخربة والنفايات تتوالد العقارب وتتكاثر وتشكل خطرا كبيرا على المجتمع الإنساني، خاصة مع كمونها في حواف الترع والمصارف والأتربة، وسكونها في المخلفات الملقاة بالأبنية والخرابات المهجورة، ومن هديه ﷺ للوقاية من لدغ العقرب، ومنع تمام تأثيرها حفظا للصحة، ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، فقال: أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك».

ولم تغفل السنة النبوية وصف العلاج- إذا وقعت الواقعة وحدث اللدغ- روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات ليلة يصلي، فوضع يده على الأرض، فلدغته عقرب، فناولها رسول الله ﷺ بنعله فقتلها، فلما انصرف قال: لعن الله العقرب، ما تدع مصليا ولا غيره- أو نبيا أو غيره- ثم دعا بملح وماء، فجعله في إناء، ثم جعل يصبه على أصبعه حيث لدغته ويمسحها، ويعوذها بالمعوذتين» (الألباني في تخريج مشكاة المصابيح).

وفي تراكم القاذورات والمخلفات في الساحات والطرقات وعلى أسطح المنازل تنمو وتتوالد وتتكاثر أنواع عديدة من الديدان واليرقات والميكروبات والهوام التي تصيب الإنسان بالأذى البالغ نتيجة ملامستها لأيدي الأطفال أثناء لهوهم، وللكبار الحفاة، كما تؤدي التخمرات والتفاعلات التي تنشأ نتيجة عدم رفع تلك المخلفات ونظافة المكان إلى تلوث الهواء بروائح العفن فضلا عن تعرض البشر للعديد من الأمراض الصدرية والجلدية، والتهابات الحلق والإسهال والحمى الروماتيزمية والدرن.

> **السبب الرئيس في تفشي الأمراض الفتاكة هو اعتماد كثير من الشعوب على لحوم الخنازير في أغذيتها**

وفي مواجهة ذلك يبرز دور السنة لدرء تلك المخاطر التي نتعرض لها من خلال حثنا على الاهتمام بنظافة الطرقات والمساكن وإماطة كل ما يجلب الأذى للإنسان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين. قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم» (رواه أبو داود).

وإماطة الأذى (قاذورات، حجارة، أشواك... إلخ) عن الطريق واجب ديني يستحق فاعله شكر الله عز وجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك فأخذه، فشكر الله فغفر له» (رواه البخاري).

ومن النبع نفسه نرتوي ونلمس النهج الشريف الذي يغرس في نفس المسلم سلوكا إسلاميا نهجته دول الغرب بوعيها وحرصها على نظافة الطرق وتزيين الشوارع وتجميلها، وحققت انتصارا على أكوام القاذورات والمخلفات، وحققت منها الاستفادة الاقتصادية حيث أنتجت منها الطاقة وأنواعا عديدة من الأسمدة، فتمكنت من تقليل أسباب ونسب التلوث في مجتمعاتها وسيطرت على مكامن الأمراض والأوبئة، بينما أمة الإسلام صاحبة هذا النبع تعاني من آثار التلوث لأنها لم تدرك أخطاره حتى الآن.

فمتى نعي تلك النصوص؟ ومتى نجعل إضاءتها نبراسا يقضي على سلبيتنا السلوكية لنفوز بنعيم تطبيقها في دنيانا، والجزاء الأوفى لتمسكنا بها في أخرانا؟

ثانيا: تخليص المجتمعات البيئية من الحيوانات الضارة تحقيقا لسلامة الإنسان

لفتت رسالة الإسلام، منذ أطلت على الدنيا، أنظار البشر إلى الرفق بالحيوان وعدم تعذيبه باعتباره نافعا لهم في حياتهم، وتعتبر الحيوانات مصدرا مهما لكثير من غذاء الإنسان وكسائه ودوائه، ويستخدمها في حمل أثقاله ويركبها في تنقلاته... إلخ، وفي عصرنا الحديث قدمت الحيوانات تضحيات كبرى من أجل سعادة البشر حينما استخدمها- غصبا- في العديد من مجالات البحوث والتجارب العلمية.

وعلى جانب آخر وضمانا لحماية المجتمعات البشرية أمر الإسلام بقتل الضار منها الذي فيه هلاك للإنسان.

فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن: الغراب، والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور» (رواه البخاري).

ورواه مسلم بلفظ وترتيب آخر: «خمس من الدواب كلها فواسق، تقتل في الحرم، الغراب، والحدأة، والكلب العقور، والعقرب، والفأرة». وروى الترمذي: «اقتلوا الأسودين في الصلاة: العقرب والحية».

إنه الهدي النبوي الذي ظلل الآفاق منذ أزمان بعيدة لتحقيق أمن المجتمعات والبشر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتخذ كلبا، إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع نقص من أجره كل يوم قيراط» (رواه مسلم).

ففي مخالطتها للإنسان أضرار كثيرة، وقد شدد الشارع في نجاسة الكلب بما

لم يعهد في نجاسة أخرى حتى ما كان منها سما زعافا وحكمة ذلك:

زيادة التحفظ من أثره، فإن الداء الفتاك وهو داء الكلب لا ينشأ غالبا إلا من الكلب، وقد قال بعض أطباء الغرب: إن للعاب الكلب ميكروبا لا يقتله إلا مزيج التراب والماء.

وجدير بنا إزاء كل هذه المخاطر أن نعي ما تقدم ونعمل على نشره مرئيا ومسموعا في أوساطنا الريفية والشعبية- على وجه الخصوص- لتستغني تماما عن تربية الكلاب واقتنائها إلا فيما رُخص فيه، تنفيذا لأحكام فقهنا الإسلامي الذي زرع في نفوسنا أن «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، فهو أصل من أصول شريعتنا السمحة، وحتى تطهر مجتمعاتنا البيئية مما لحق بها من أضرار، وما يحيط بها من أخطار حفاظا على البشر ليظلوا أصحاء وأقوياء.

وهناك أمراض خطيرة تنقلها الخنازير إلى الإنسان لأنه يؤوي في جسمه عددا كبيرا من أنواع الطفيليات، أكثر من عشرين منها يصيب الإنسان وهي تدخل فيما يسمى «الأمراض الزونوسية Zoonoses» المشتركة بين الإنسان والحيوان، أو بين الإنسان وغيره من الفقاريات، وبعض هذه الأمراض لا ينتقل بأكل لحم الخنزير، وإنما ينتقل مباشرة من الخنزير الحي إلى من يقومون على تربيته.

ومن الفيروسات فيروسات مرض الكلب والحمى الصفراء وسلالات من الأنفلونزا.

ومن البروتوزوا (الحيوانات الأولية) الطفيل المسبب للزمار البلنتيدي، وهو من طفيليات الأمعاء الغلاظ في الخنازير والقردة، ويسبب للإنسان حالات مرضية من إسهال إلى دوسنتاريا مزمنة، وقروح



عميقة في الأمعاء إلى أن يصبح القولون كتلة من القروح، تؤدي إلى الوفاة.

ومن الديدان المفلطحة التريماتودا وأهمها:

دودة البلهارسيا اليابانية، التي يصاب بها الخنزير وتمر بويضاتها مع روث الحيوان.

السستودا أو الشريطيات، دودة السمك الشريطية أو دودة الإنسان الشريطية العريضة.

الديدان الشوكية الرأس، الديدان الخيطية أو الأسطوانية، النيماتودا، ومنها التريكانا الحلزونية، وتعيش ديدانها البالغة في الأمعاء الدقيقة للإنسان والحيوان، وتجري اليرقات مع دورة الدم مارة بالقلب والرئتين، وتستقر بين العضلات المنتشرة في أعضاء مختلفة من الجسم.

في تحريم الخنازير آيات

- فالخنازير: حيوانات لها قدرة كبيرة على سرعة النمو وكثرة الإنجاب تبدأ من العام الأول، ومدة حملها بين ثلاثة إلى خمسة أشهر، وقد تنجب الأنثى أكثر من مرتين في العام، وتلد في المرة الواحدة عشرة صغار، وللأنثى حلمات كبيرة ترضع بها خلفتها، التي تتزاحم وتتلاصق وهي ترضع، وإلى ذلك ترجع أسباب ميل الخنازير البالغة إلى التجمع والتلاصق، ومن أسوأ عاداتها ولعها بالتمرغ في الطين والأوحال، لتبرد أجسادها وتتخلص مما يضايقها من حشرات.

وجاء تحريم الخنزير لعلة مستقرة فيه وهو تحريم معلل، فإنه رجس والرجس هو القذر، والشيء القذر، والحرام، واللعنة، وكل ما استقر من العمل، وهي كلمة جامعة لكل معاني القبح والقذر والضرر، وهو حيوان رمّي يأكل ما يجده من قمامة ونفايات وفضلات الإنسان والحيوان، وخطمه دائما في الرغام.

والأدهى أن الخنازير تعد عاملاً كبيرا لنقل العديد من الأمراض إلى الإنسان، بل إلى بقية قطعان الخنازير، فتربيتها على القمامة وأكلها للقاذورات، يتيح لأغلب القطيع تناول بقايا لحوم الخنازير الميتة والمصابة، الملقاة في مزارعها، بل العديد منها يأكل أذيال البعض الآخر، فضلا عن الفئران التي تنتشر بأماكن التربية، والقمامة التي تعد عاملا كبيرا في نشر العديد من الأمراض.

يرجع الكثير من الباحثين والعلماء أسباب تفشي الأمراض الفتاكة (الإيدز وسارس) الذي اجتاح العالم أخيرا وسرعة انتشارها إلى اعتماد كثير من الشعوب التي انتشرت بها هذه الأمراض على لحوم الخنازير في أغذيتها، حتى وإن عولج اللحم بالكوبالت والسيزيوم المشعين الذين يسببان عقم الديدان الناشئة مما فيها من يرقات، لكن هذا الإجراء فني ودقيق ومكلف، وقد أثبتت تقارير خبراء الصحة العالمية أن كل أميركي من آكلي لحم الخنازير يتناول في حياته نحو مائتي وجبة من اللحم المصاب، وتشير التقارير إلى أن مزارع الخنازير التي لم تتخذ القمامة فيها غذاء للحيوانات في الولايات المتحدة بلغت نسبة الإصابة فيها أكثر من ٥٠ بالمائة، وثبت في تلك الحالة أن الخنازير أخذت العدوى من الجرذان.

أسباب تعارض الأدلة في نظر المجتهد



د . صالح النهام

من المعلوم لدى العلماء أن المجتهد غير معصوم من الخطأ، ولذا فإن تعارض الأدلة ينسب إلى نظره؛ لأنه قد يصادف عند اجتهاده تعارضًا بين الأدلة، كأن يكون أحد الدليلين المتعارضين مثبتًا لحكم والآخر ينفيه، أو يكون بعض الأدلة يبيح العمل بحكم بينما الآخر يحرمه، فهذا النوع من التعارض بين الأدلة ليس على حقيقته؛ لأنه لا يوجد دليلان صحيحان يجمع المسلمون على تعارضهما إلا إذا كان أحدهما ناسخًا للآخر، وذلك مقطوع به عند كل من تحقق أصول الشريعة، وأدرك مناط المسائل على الوجه الصحيح (١).

قال الشافعي في هذا الصدد- كما نقل عنه الصيرفي-: «لا يصح عن النبي ﷺ حديثان صحيحان متضادان، ينفي أحدهما ما يثبته الآخر من غير جهة الخصوص والعموم والإجمال والتفسير إلا على وجه النسخ، وإن لم يجده» (٢).

أما أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التعارض، فبيانها كما يلي:

السبب الأول: عدم علم المجتهد بالناسخ والمنسوخ.

قال السرخسي: «وإنما يقع التعارض لجهلنا بالتاريخ، فإنه يتعذر به علينا التمييز بين الناسخ والمنسوخ، ألا ترى أن عند العلم بالتاريخ لا تقع المعارضة بوجه، ولكن المتأخر ناسخ للمتقدم، فعرفنا أن الواجب في الأصل طلب التاريخ؛ ليعلم به الناسخ من المنسوخ، وإذا لم يوجد ذلك يقع التعارض بينهما في حقنا، من غير أن يتمكن التعارض فيما هو حكم الله في الحادثة» (٣).

ومن الأمثلة على هذا:

(أ) عن علقمة والأسود- رضي الله عنهما - أنهما دخلا على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال: «أصلَّى مَنْ خلفكم؟ قالا: نعم. فقام بينهما، وجعل أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، ثم ركعنا فوضعنا أيدينا على رُكبنا، فضرب أيدينا ثم طبق بين يديه، ثم جعلهما بين فخذيه، فلما صلى قال: هكذا فعل رسول الله ﷺ» (٤).

(ب) عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال: «صليت إلى جنب أبي، فطبقت بين كفي ثم وضعتها بين فخذي، فنهاني أبي، وقال: كنا نفعله فنهينا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الرُكب» (٥).

وجه التعارض بين الحديثين: أن الحديث الأول يدل على مشروعية التطبيق (٦)، بينما يدل الحديث الثاني على مشروعية وضع الكفين على الركبتين في الركوع، وقد ذهب العلماء كافة إلى أن السنة وضع اليدين على الركبتين (٧)، وكراهة التطبيق، إلا أن ابن مسعود وصاحبيه يقولون: إن السنة التطبيق. وقد علل ذلك أن الناسخ لم يبلغهم.(٨)

السبب الثاني: عدم علم المجتهد بالتأويل الصحيح.

ويقصد بهذا: أن المجتهد إذا غاب عنه منهج التأويل الصحيح فستتعارض لديه النصوص، ولن يتمكن من حمل أحد المتعارضين على الآخر في حال كان المقتضى واحدًا، أو أن يحمل أحدهما على الفعل في حال، والآخر على الترك في حال أخرى، وإلى غير ذلك، وبما أن طرق التأويل كثيرة، فسأكتفي بمثالين أبين بهما التأويل الصحيح من غيره.

ومثال التأويل الصحيح: قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ (المائدة: ٦)، فإن القيام إلى الصلاة قد صرف عن معناه الظاهر إلى معنى قريب محتمل وهو: العزم على أداء الصلاة، والمراد: إذا عزمتم على أداء الصلاة، والذي رجح هذا الاحتمال هو: أن الشارع لا يطلب الوضوء من المكلفين بعد الشروع في الصلاة (٩).

ومثال التأويل غير الصحيح: (١٠)

ما جاء في الحديث الشريف أن فيروز الديلمي أسلم على أختين (أي أنه أسلم وعنده زوجتان هما أختان) فقال النبي ﷺ: «أمسك أيتهما شئت وفارق الأخرى» (١١).

فالمعنى الظاهر المتبادر إلى الفهم أن

النبي ﷺ أذن لفيروز أن يفارق أيتهما شاء ويمسك الأخرى، إلا أن الحنفية أولوا هذا الحديث، فقالوا: إن معناه إمساك الزوجة الأولى ومفارقة الأخرى إذا كان الزواج بهما جرى في عقد واحد. ودليل تأويلهم: القياس على المسلم إذا تزوج أختين في عقد واحد أو في عقدين متتالين. ولاشك أن هذا التأويل بعيد جدًا؛ لأن رسول الله ﷺ لم يسأل فيروز عن كيفية زواجه بهما، وهل جرى في عقد واحد أو عقدين، ولو كان تأويلهم صحيحًا لَسُئِلَ فيروز هذا السؤال، أو لبين له الحكم ابتداءً، لأنه حديث عهد بأحكام الإسلام، فينبغي تعريفه بها، وما دام لم يحدث شيء من هذا فإن تأويلهم ضعيف وبعيد (١٢).

السبب الثالث: الاختلاف باعتبار العموم والخصوص.

ومعنى الاختلاف باعتبار العموم والخصوص أن يرد لفظ عام في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، يراد به العموم، وآخر يراد به الخصوص، وقد يرد كذلك بصيغة الخصوص، فيخيل إلى المجتهد أن بين هذه الألفاظ- من حيث دلالتها على المعنى- اختلافًا، لكنه ليس باختلاف في الحقيقة.

حالات تعارض العام والخاص

الحالة الأولى: تعارض العام والخاص مطلقًا، ومثاله:

(أ) عن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر» (١٣).

(ب) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة» (١٤).

وجه التعارض بين الحديثين:

أن الحديث الأول جاء شاملًا كل ما يخرج من الأرض، قليلًا كان أو كثيرًا، دون أن يُشترَط مقدارٌ محددٌ يَخرجُ منه هذا العشر، فيكون مقتضى هذا العموم وجوب العشر في الزروع والثمار من غير تفرقة بين القليل والكثير، بينما جاء الحديث الثاني دالا على اشتراط النصاب الذي يجب فيه إخراج الزكاة، فيكون ما دون خمسة أوسق لا تجب فيه الزكاة، فوقع التعارض بين الحديثين فيما هو النصاب، وبناء عليه فقد اختلف العلماء في دفع التعارض بين الحديثين إلى قولين:

الأول: وبه قال جمهور العلماء من المالكية (١٥)، والشافعية (١٦)، والحنابلة (١٧)، وهو أن حديث: «ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة» يخصص حديث «فيما سقت السماء والعيون...العشر» العام.

الثاني: قال به جمهور الحنفية، وهو تقديم حديث «فيما سقت السماء والعيون... العشر» العام، وأن العام باق دون تخصيص (١٨).

فالحديثان متفقان على وجوب العشر فيما زاد عن خمسة أوسق- وهذا هو العموم بينهما- مختلفان فيما دون ذلك، وهذا هو الخصوص بينهما.

الحالة الثانية: تعارض العموم والخصوص من وجه دون وجه، ومثاله:

(أ) روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس» (١٩).

(ب) روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من نام عن صلاة أو نسيها، فليصلها إذا ذكرها» (٢٠).

وجه التعارض بين الحديثين:

تعارض الأدلة عند المجتهد ينسب إلى نظره .. وهناك أسباب عدة لمثل هذا التعارض

أن الحديث الأول يدل على عدم جواز الصلاة مطلقًا في أوقات النهي، فهو خاص في الوقت، عام في الصلوات، سواء أكانت فائتة أم لا، وسواء أكان لها سبب أم لا، بينما الحديث الثاني يدل على جواز قضاء الصلاة الفائتة بنوم أو نسيان مطلقًا- أي في جميع الأوقات- فهو خاص في الصلاة الفائتة، أو التي لها سبب عام في الأوقات، أي سواء أكانت أوقات نهي أم لا، ومن هنا وقع التعارض بين الحديثين؛ لأن كل واحد منهما قد تناول ما وقع الاختلاف فيه (٢١)، وبناء عليه، اختلف العلماء إلى قولين:

الأول: ذهب جمهور العلماء من المالكية (٢٢)، والشافعية (٢٣)، والحنابلة (٢٤)، إلى الجمع بين الدليلين والعمل بهما؛ وذلك بأن جوزوا قضاء الصلوات المفروضة والتي فاتت بنسيان أو نوم في أي وقت، ويدخل تحتها الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها.

الثاني: ذهب الحنفية (٢٥)، إلى أن حديث: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها» لا يخصص أحاديث النهي عن الصلاة في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها؛ لأن شرط التخصيص يتوقف على كونه مقارنًا لها. وقال بعضهم: إن المراد بقوله «فليصلها إذا ذكرها» أي يصليها على وجه يصح أو في وقت تصح فيه الصلاة، ألا ترى أنه لا يجوز الصلاة في زمن الحيض، وإن تذكرت المرأة فيه الصلاة.

السبب الرابع: الاختلاف باعتبار تباين الأحوال.

ويقصد بذلك اختلاف الحالين اللذين سن فيهما رسول الله ﷺ السُّنتين، فلم تكن حياة رسول الله ﷺ بين أصحابه الكرام تسير على نمط واحد لا تفارقه، وهذا أمر بدهي في الحياة، فقد يحكم رسول الله ﷺ حكمًا في حالة، وحكمًا آخر بالنسبة للمسألة ذاتها في حالة

أخرى، ثم يروي بعض الرواة الحكم الأول، ويروي بعض آخر الحكم الثاني، فيُظن أنه تعارض، لكنه ليس بتعارض، وإنما اختلف الحكمان، فاختلف الحالان.

وبهذا الصدد قال الإمام الشافعي: «ويسن في الشيء سنة وفيما يخالفه أخرى، فلا يخلص بعض السامعين بين اختلاف الحالتين اللتين سن فيهما» (٢٦).

ومن الأمثلة على هذا:

(أ) ما ثبت أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم» (٢٧).

(ب) عن خباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال: أتينا إلى رسول الله ﷺ فشكونا إليه حر الرمضاء فلم يُشْكِنا (٢٨).

وجه التعارض بين الحديثين:

أن مقتضى حديث أبي هريرة تأخير الصلاة والإبراد بها عند شدة الحر، ومقتضى حديث خباب عدم تأخير الصلاة للرمضاء، وهي شدة الحر، فجاء في ذهن المجتهد أن هناك تعارضًا، وفي الحقيقة لا تعارض بينهما؛ لتغاير الأحوال، وقد اختلف العلماء في تلك المسألة إلى قولين:

الأول: ذهب جمهور العلماء من الحنفية (٢٩) والمالكية (٣٠) والشافعية (٣١) والحنابلة (٣٢) إلى تأخير الصلاة للرمضاء والإبراد بها عند شدة الحر.

الثاني: ذهب بعض العلماء إلى عدم تأخير الصلاة للرمضاء (٣٣).

فأخذ جمهور العلماء بمسلك الجمع بين الحديثين، وهو أن الأفضل في شدة الحر الإبراد، لأن الحر الشديد يشغل المصلي ويذهب خشوعه، وحرارة الأرض باقية، لأن بردها يتأخر في شدة الحر كثيرًا، فيحتاج المصلون إلى السجود على حائل، وليس المراد بالإبراد المطلوب أن تبرد الأرض، وإنما المراد أن تنكسر حِدة حرارة الشمس وتبرد الأجسام، بينما المخالفون أخذوا بظاهر حديث خباب في عدم السماح بالإبراد (٣٤).

السبب الخامس: اختلاف الرواة في الحفظ.

ومعنى هذا: أن رسول الله ﷺ كان يجيب عن أسئلة الصحابة الكرام، وذلك ببيان ما يشكل عليهم وتوضيحه، وأن بعضًا منهم قد يسمع حديثًا يكون جوابًا عن سؤال، فينسى السؤال ويحفظ الإجابة، ويفهم الحكم على عمومه، فيؤدي نسيان سبب الحكم إلى تعارضه مع حديث آخر، فيظن الواقف على الحديثين أنهما مختلفان، والحقيقة أن كل حديث له محل وسبب غير محل الآخر (٣٥).

وفي هذا قال الشافعي: «ويحدث عنه الرجل الحديث قد أدرك جوابه ولم يدرك المسألة، فيدُله على حقيقة الجواب بمعرفته السبب الذي يخرج عليه الجواب» (٣٦).

ثم يضرب مثالًا لهذا السبب المؤدي إلى التعارض الظاهري بما يلي (٣٧).

(أ) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ «ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، إلا مثلًا بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يدًا بيد» (٣٨).

(ب) عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: أخبرني أسامة بن زيد، أن النبي ﷺ قال: «لا ربا إلا في النسيئة» (٣٩).

وجه التعارض بين الحديثين:

أن حديث عبادة بن الصامت يدل بمنطوقه على حرمة التفاضل في بيع شيء بجنسه، بينما يدل حديث أسامة على قصر الربا على ما كان نسيئة، فتعارض الدليلان في تحريم بيع الشيء بجنسه متفاضلا.

وقد اتفق الفقهاء الأربعة- الحنفية (٤٠) والمالكية (٤١) والشافعية (٤٢) والحنابلة (٤٣) على تحريم التفاضل في بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة، سواء أكان حاضرًا أم غائبًا، عملا بحديث عبادة بن الصامت وما شابهه من الروايات، إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم في كيفية الجمع بين حديث عبادة وحديث أسامة على أقوال كثيرة، أهمها ما ذكره الشافعي حيث قال: «قد يحتمل أن يكون سمع- أي أسامة- رسول الله ﷺ يسأل عن الربا في صنفين مختلفين: ذهب بفضة وتمر بحنطة، فقال: «إنما الربا في النسيئة»، فحفظه، فأدى قول النبي ﷺ ولم يؤد مسألة السائل، فكان ما أدى منه عند من سمعه: أن لا ربا في النسيئة» (٤٤).

فالشافعي يرى أن حديث أسامة ليس دليلًا على حصر الربا في النسيئة، لكنه يحتمل أن يكون جوابًا لمسألة عن بيع صنف ربوي بصنف آخر ليس من جنسه، ومن ثم ينتفي الربا في التفاضل بين الأجناس الواحدة المتماثلة.

وقد روى الحاكم أن ابن عباس رجع عن قوله بأنه «لا ربا إلا في النسيئة»، واستغفر الله من القول به (٤٥).

السبب السادس: اختلاف الرواة في الأداء.

ويقصد بهذا: أن يؤدي أحد الرواة الحديث كاملًا، ويؤديه راوٍ آخر مختصرًا، وذلك لأن كل واحد منهما يؤدي حسب ما سمع، فيخيل للناظر أن بين الحديثين تعارضًا واختلافًا، وفي الحقيقة ما هو إلا أن الخبر روي كاملًا مرة، وروي مختصرًا مرة أخرى.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الشافعي: «ويسأل- أي رسول الله ﷺ- عن الشيء فيجيب على قدر المسألة، ويؤدي المخبر عنه الخبر متقصيًا والخبر مختصرًا، فيأتي ببعض معناه دون بعض» (٤٦).

ومن الأمثلة على هذا، ما وقع من الاختلاف في ألفاظ التشهد في الصلاة في الأحاديث التالية:

(أ) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله هو السلام، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات ....» (٤٧).

(ب)عن عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول: «والتحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ....» (٤٨).

(جـ) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «التحيات الطيبات الصلوات لله . . . » (٤٩).

(د) قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر يعلم الناس التشهد: «التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات لله...» (٥٠).

وجه التعارض بين الأحاديث:

لقد دلت الأحاديث المتقدمة- بسبب اختلاف ألفاظها- على أنها متعارضة، وقد اختلف العلماء في أي حديث يقدم منها، وهؤلاء سلكوا مسلك الترجيح فيما بين الأحاديث، بينما عمل غيرهم بكل الروايات، وهو الأولى؛ للأسباب التالية:

- ثبوت تلك الأحاديث وصحتها.
- اختلاف ألفاظها لا يخرجها عن معناها الواحد.
- اختلافهم جاء في تعيين الأفضل منها.
- إعمال الأدلة أولى من إهمال بعضها (٥١).

السبب السابع: كون النص ظني الدلالة.

ومعنى كون النص ظني الدلالة: أي من حيث دلالته على الأحكام؛ لأن النص إما أن يكون قطعيًا في دلالته على الأحكام، أو ظنيًا.

فالنص القطعي الدلالة هو: ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، ولا يحتمل التأويل؛ لكونه يدل على معنى متعين فهمه كما في الأمثلة التالية الدالة على أن الأعداد من ألفاظ الخصوص، وهي قطعية الدلالة (٥٢).

(أ) في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ (التوبة: ٢).

(ب) وقول رسول الله ﷺ عن زكاة الإبل: «في كل خمس من الإبل شاة» (٥٣).

فمثل هذه النصوص لا يقع فيها خلاف؛ لأنها لا تحتمل تأويلًا، ولا يوجد لها إلا معنى واحد يدل عليها.

أما النص الظني فهو: ما يحتمل أكثر من معنى كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٨٢٢)، فكلمة قروء مفردها قرء، وهو في اللغة له معنيان: الطهر، والحيض. وبما أن لفظ القرء له أكثر من معنى، فقد ترتب عليه خلاف بين العلماء في عدة المطلقة: أهي ثلاثة أطهار؟ أم ثلاث حيضات؟.

فالمعنى الأول قال به المالكية (٥٤)، والشافعية (٥٥)، بينما المعنى الثاني قال به الحنفية (٥٦) والحنابلة. (٥٧).

الهوامش

١- تيسير التحرير: (١٣٦/٣)، تنقيح الفصول: (ص: ٤١٧-٤١٩)، البحر المحيط: (١١٣/٦)، التمهيد: (٣٤٩/٤).
٢- إرشاد الفحول: (ص: ٤٥٨).
٣- أصول السرخسي: (١٢/٢).
٤- مسلم، رقم: (٥٣٤).
٥- البخاري، رقم: (٧٩٠).
٦- التطبيق هو : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه في الركوع.
٧- الهداية: (٥٠/١)، حاشية أبي الحسن علي العدوي: (٢٣٠/١-٢٣١)، المهذب: (٧٥/١)، دقائق أولي النهى شرح المنتهى: (١٩٨/١).
٨- قال الطحاوي: «وما روي عن ابن مسعود في ذلك منسوخ بحديث سعد: ألا ترى قوله : «كنا نفعله فنهينا عنه». انظر: شرح معاني الآثار: (١٣٠/١).
٩- الجامع لمسائل أصول الفقه: (ص:١٩٤).
١٠- التأويل الصحيح : هو الذي يكون فيه الدليل الذي دل على صرف اللفظ عن المعنى الراجح الظاهر إلى المعنى الخفي المرجوح قوياً في النفس ، لا في ظن المؤول. انظر : الجامع لمسائل أصول الفقه (ص: ١٩٤).
١١- الترمذي، رقم (١١٢٩).
١٢- تحفة الأحوذي: (٦٢/٥)، الوجيز للدكتور عبدالكريم زيدان: (ص ٣٤٢-٣٤٣).
١٣- البخاري، رقم: (١٤٨٣).
١٤- البخاري، رقم: (١٤٨٤).
١٥- مختصر خليل: (ص:٦١).
١٦- حاشية قليوبي وعميرة على منهاج الطالبين: (١٩/٢).
١٧- معونة أولي النهى شرح المنتهى: (٦٣٧/٢-٦٣٨).
١٨- الهداية (١٠٧/١).
١٩- البخاري رقم: ٥٨٨.
٢٠- البخاري رقم (٥٩٧).
٢١- العدة: (٦٢٧/٢-٦٢٨).
٢٢- بداية المجتهد: (٩٠/١).
٢٣- الرسالة: (ص :٣٢٤).
٢٤- كشاف القناع: (٥٢٩/١-٥٣١).
٢٥- فتح القدير: (٢٣١/١-٢٣٩).
٢٦- الرسالة: (ص:٢١٤).
٢٧- البخاري: رقم: (٥٣٣-٥٣٤).
٢٨- مسلم رقم: (٦١٩).
٢٩-ملتقى الأبحر: (٥٧/١).
٣٠- مختصر خليل: (ص:٢١).
٣١- المهذب: (٥٣/١).
٣٢- المغني لابن قدامة: (٤٣١/١).
٣٣- نيل الأوطار: (١٠٧/٦--١٠٩).
٣٤- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للشيخ عبدالله البسام: (٢٥١/١).
٣٥- منهج التوفيق والترجيح للدكتور السوسوة: (ص:٨٩).
٣٦- الرسالة: (ص:٢٠٤).
٣٧- اختلاف الحديث: (ص:١٤٦-١٤٨).
٣٨- مسلم رقم: (١٥٨٧).
٣٩- البخاري رقم: (٢١٧٨-٢١٧٩).
٤٠- الهداية: (٦٠/٣).
٤١- حاشية الدسوقي: (٧٠/٣).
٤٢- مغني المحتاج: (٣٦٤/٢).
٤٣-كشاف القناع: (٢٥١/٣).
٤٤- اختلاف الحديث: (ص:٥٣١).
٤٥- الاعتبار: (ص:١٦٧).
٤٦- الرسالة: (٢١٣).
٤٧- البخاري: رقم (٨٣١).
٤٨- مسلم رقم (٤٠٣).
٤٩- مسلم رقم (٤٠٤).
٥٠- الموطأ: (٩٠/١).
٥١- فتح الباري: (٣١١/٢-٣١٧).
٥٢- اللباب: (٢٩/٢)، بداية المجتهد: (٩/٢)،مغني المحتاج: (١٧٦/٣-١٧٧)، كشاف القناع: (١٩/١٨/٥).
٥٣- البخاري: رقم (١٤٥٤).
٥٤-بداية المجتهد: (٢٨٨/٢-٢٨٩).
٥٥- مغني المحتاج: (٣٨٥/٣).
٥٦- بدائع الصنائع: (١٩٤/٣-١٦٨).
٥٧- كشاف القناع: (٤١٧/٥).

دعوة إلى جهاد الدعوة

خباب مروان الحمد



قال الإمام ابن القيّم رحمه الله: «ولهذا كان الجهاد نوعين: الأول جهادٌ باليَد والسِّنَان، وهذا المُشَارِكُ فيه كَثيرٌ! والثاني: الجهَادُ بالحُجَّة وَالبَيان، وَهذا جِهَادُ الخَاصَّة منْ أتْبَاع الرُّسُل وَهْوَ جِهَادُ الأئِمَّة، وَهوَ أفْضَلُ الجِهَادَيْنِ لعظَم مَنْفَعَته، وَشِدَّة مُؤْنَته، وَكَثْرَة أعْدَائه، قَال الله تَعالى في سُورة الفرقان وهيَ مكية: ﴿ولو شئْنا لبعثنا في كل قريةٍ نذيرًا. فلا تُطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا﴾. فهذا جِهادٌ لهم بالقرآن وهو أكبرُ الجهَادَيْن» (١).

ثـمّـة ضـرورة فـي واقعـنـا الـدعـوي المعاصر، هي ضرورة التبشير والجهاد الـدعـوي فـي بـثّ هـذا الـديـن بـأرجـاء المعمورة، فلقد بات ذلك ذا أهميّة كبرى فـي سبيـل نـصـرة الـفـكـرة، والاهـتـمـام بنشر الثقافة والتبشير بها، والتلويح بأهميتها القصوى بين حين وآخر، فالأمّة الإسلامية اليوم بحاجة ماسّة وأكيدة إلى دعاة ربانيين يحملون على أكتافهم وعواتقهم منهج الدعوة إلى الله بأسلوب حضاري، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتراث والحداثة، وفقه منهج السلف وفهم الواقع المعاصر؛ ببذل الجهد والغاية في نشر الدعوة إلى الله بين المسلمين والكافرين، في زمان خيّم على كثير من أبناء الإسلام الجهل، وأطبق على كثير من بناته الغفلة والفراغ، فبات الشباب والفتيات يتسمّرون على أجهزة الرائي (التلفاز) وشبكة المعلومات العنكبوتيّة وهـم فـي غفلة شـديـدة عـمّـا يـراد بهم ولهم.

ولـو بحثنا بحثا مضنيا بـين دعـاة الإسلام في هذا الزمان الذين يجمعون بين العلم الشرعي، ولو نزراً يسيراً منه يعينهم في دعوتهم، مع أساليب الدعوة إلى الله وطرق النذارة والبشارة للناس؛ لخرجنا بنتيجة تقول: إنّ هؤلاء الدعاة رغم وجودهم فإنّهم أندر في الواقع من الكبريت الأحمر، فلو عددنا كميّة الدعاة إلى الله في هذا الزمان ما بين مليار وثلث مليار، لعلمنا كم هم قليل بالقياس إلى احتياجات الناس لوجود دعاة ربّانيين بينهم!

بل إنّ الفضائيات الإسلامية التي تقوم بدور رائد في نشر الدعوة إلى الله، ودخول الدعاة إلى الله من خلال هذه الشاشات الفضيّة في كثير من بيوتات المسلمين، حيث يستمع الناس لكلامهم وشيء من حججهم ودعوتهم؛ فلن تكون هذه الفضائيات ولن يكون الدعاة إلى الله فيها قد قاموا بالدور الكافي في ذلك، ليس تقصيراً من بعضهم، بل لقلّة الدعاة إلى الله أصالة وبداءة، مما يؤدي لكثرة انتشار الفساد وأهله، وتفنُّنِهم في عرض طرق فسادهم وإفسادهم.

كـمـا أنّ بـعـض الـدعـاة عـلـى هـذه الفضائيات قد يتحدّث في قضايا ليست ذات أولويّة في واقعنا الدعوي المعاصر؛ أو أنّ هنالك من القضايا يمكن أن تكون من قبيل الإغراق في الجزئيات، أو تقديم الفروع على الأصول، أو الجزئيات على الكليات.

وعليه؛ فنحن بالفعل بحاجة أكيدة لحثّ من لديه قدر من المعرفة والعلم أن يبذل هذا العلم ويدعو الناس إلى الله وطريق الحق والهدى، فالوضع الراهن لا يحتمل فسادًا وسوءًا أكثر مما هو عليه الآن.

وفـي بـلادنـا الإسـلامـيـة كـذلـك نـجـد ضآلة الدعاة..

* باحث سعودي

فأين دور الدعاة إلى الله في الجامعات والتي تحوي الغث والسمين والطيب والخبيث والمثقف والجاهل ذكورًا وإناثًا؟!

وأين دور الدعاة إلى الله في نشر دعوتهم في النوادي والمقاهي ومجامع الناس؟!

وأين دورهم في دعوة علية القوم من أغنياء المسلمين وتجّارهم ومحاولة التأثير عليهم، لعل الله يهدي قلب واحد منهم فيبذل ما لديه من إمكانية لخدمة دين الله؟!

وأين دور الدعاة إلى الله في دعوة الأقارب؟!

وأين الدور الدعوي في عملية التواصل والاتصال من خلال شبكة الإنترنت والتأثير على عموم المستخدمين لهذه الشبكة؟!

وأين دورهم في دعوة البيوت، وجمع عدد من معارفهم، لكي يجمع كل منهم في بيته عددًا ممّن يعرف لكي يأتي الداعية ويقول لهم كلمة خير وفضيلة وصلاح؟!

وأعيد وأكرّر: لا يعني هذا انعدام وجود الدعاة، بل القصد قلّة الداعين إلى الله في زمننا هذا، والذي يحتاج إلى عملية نفير دعوي جماعي، امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

هل الدعوة بحاجة إلى جهاد؟

جاء في تقرير إحصائي قدّمته الأمم المتحدة قبل مدة قصيرة عن الديانات في العالم: «إنّ الإسلام أكثر الأديان انتشارا على وجه الأرض، وأنه في سرعة انتشاره يزيد بستة أضعاف على الديانة الثانية بعده»، وما دمنا نلحظ ونشاهد أنّ دين الإسلام ينتشر مع ضعف الإمكانات وقلّة الدعاة ومحاربة الكفار للمسلمين الهداة، فهذا كذلك يحتّم علينا القيام بأمر الدعوة إلى الله.

أين دور الدعاة في الجامعات التي تحوي الغث والسمين والطيب والخبيث ذكوراً وإناثاً؟

والمسلم في هذا الوجود الذي خلقه الرب المعبود جلّ وتعالى، بحاجة إلى بذل الجهد في أي شيء كان، سواء في الدراسة حيث هو بحاجة لأن يبذل جهدا ووقتا في سبيل النجاح، أو في الطلب للمعيشة أو الوظيفة كل ذل بحاجة للجهد، ومثل ذلك يقال حين البحث عن زوجة، فسيبذل الجهد والغاية في اختيار المرأة المناسبة، وهكذا...

والدعوة إلى الله تعالى كذلك، لن يقوم قائمها ولن يعلو أفقها، ولن تسمو حركتها إلاّ ببذل الجهد والغاية في نشرها بين الخافقين، والاهتمام بأمرها، فهي تجارة ربّانية ناجحة لن تبور والربح فيها مؤكّد، فكما يقوم التاجر ببذل جهده وغايته في بيع السلعة وتسويق البضاعة والنجاح في الصفقة التجاريّة، ولربما يسأل الله تعالى نجاحه في ذلك، فهكذا التاجر الرباني والداعية الإيماني سيبذل جهده وغايته لتوصيل الحق إلى الخلق لإيصالهم بالرب الحق تبارك وتعالى.

ذكر ابن كثير: «أنّ رسول الله ﷺ حينما قدم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم- إذا كانت- على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به» (٢).

ولم يتلكأ رسول الله ﷺ في دعوته أو يتراجع أو يحجم، رغم ما لقيه من عذابات وآلام وأشواك على طريق الدعوة، ومع أنّه لقي ربّه عزّ وجل في رحلة المعراج وكان بإمكانه أن يسأله تعالى المقام عنده، لكنّه أدرك أنّ أهل الأرض بحاجة لدعوة رب السماء، لعلّهم يعودوا إلى جنان الخلد، وفي هذا الصدد يقول المفكر المسلم محمد إقبال: «إن النبي الكريم عندما صعد إلى السموات العلى، وكان ذلك الصعود ألذ رياضة روحية، لم يبق هناك؛ وإنما عاد إلى الأرض ليشق طريقه في موكب الزمان؛ ابتغاء التحكم في ضبط قوى التاريخ، وتوجيهها على نحو ينشئ به عالمًا من المثل العليا جديدًا» (٣).

مفهوم الجهاد الدعوي

قد يفهم بعض الناس أنّ الجهاد في سبيل الله هو القتال والمعاركة لأعداء الدين فحسب، وهذا حق لا ريب فيه، ولكنّه نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، فالجهاد في سبيل الله في القرآن والسنّة عام يدخل فيه جهاد الحجّة والبيان وجهاد السيف والسنان، والجهاد بحاجة لمشقة وبذل الجهد والطاقة في نصرة شيء ما، وهنا نقصد ضرورة تكوين عدد من المجاهدين في سبيل الله من الرجال والنساء شيبا وشبابا صغاراً وكباراً لبذل ما لديهم من طاقة وإمكانيّة لنشر دين الله في الأرض، فيكون قائماً قياماً لله تعالى مقتدياً بما قاله تعالى:﴿قم فأنذر. وربك فكبر﴾ (المدثر: ٢-٣).

ولهذا فالإنسان سيكون في خسارة كبيرة في هذه الدنيا إن لم يؤمن بربه وكذلك من آمن بربه سيكون خاسرا إن لم يعمل بما آمن به، وكذلك العامل سيكون خاسرا أجرا كبيرا إن لم يؤدّ واجب الوقت في الدعوة إلى الله بعدما علم وعمل، والداعية المؤمن العامل، في خسارة أكيدة إن لم يصطبر على دعوته ويعاني الأمرّين في سبيل نشرها ونصرتها ويلخص ذلك قول الله تعالى وهو أصدق القائلين:﴿والعصر. إنّ الإنسان لفي خسر. إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (سورة العصر)
ولقد عرف قدر هذه السورة الإمام الشافعي فقال في حقّها: «لو ما أنزل الله على عباده حجّة إلا هذه السورة لكفتهم أو لوسعتهم».

فالقضية إذن بحاجة لإيمان وعمل وتواص بالحق وهي الدعوة إلى الله وتواص بالصبر، لكي يكون الجهاد في نشر الدعوة إلى الله منصورا، ولقد قال رسول الله ﷺ: «وإنّ النصر مع الصبر». (رواه أحمد في المسند وقال أحمد شاكر إسناده صحيح)

فعلى الداعية إلى الله أن يدرك حقيقة الجهاد في سبيل الله لنشر الدعوة إلى الله، فالدعوة إلى الله تشريف وتكليف، وهمّ وهمّة، ونية وإرادة، وعزيمة صادقة، لن تؤتي أكلها إلاّ بنشرها نشرا كبيرا، ولقد وصّى الله تعالى رسوله ﷺ بهذا الجهاد الدعوي فقال: ﴿وجاهدهم به جهادًا كبيرًا﴾، (الفرقان: ٥٢) وهنيئًا لمن قام بهذا الجهاد والذي سيكتبه الله تعالى له، كما قال الحسن البصري رحمه الله: «إن الرجل ليجاهد وما ضرب يومًا من الدهر بسيف» (٤).

جهاد الحجّة والبيان

روى البخاري في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا».

والسفينة هنا بنزلة المجتمع، وهو بحاجة أكيدة لمن يقوم بأمر تبليغ هذا الدين بشتّى الوسائل والأساليب، حتّى لا ينال الدعاة إلى الله بعض الوزر، أو أن يعمهم الله بعقاب من عنده بسبب عدم قيامهم بكل ما لديهم من طاقات وإمكانات لتبليغ هذا الدين إلى الناس.

وقد ثبت في الحديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خطب فقال: «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِه الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَا وَضَعَهَا اللَّهُ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥) سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يُنْكِرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِه» (أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح).

يقول ابن القيم -رحمه الله- «وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضيع، ودينه يترك، وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب! ساكت اللسان! شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم فلا مبالاة بما جرى على الدين» (٥)

ولنتأمل في حال رسول الله ﷺ فلقد كان يقوم بالدعوة إلى الله ويصدح بها في آذان الناس، ويجاهد في سبيل ذلك جهادا كبيرا، وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه - أي الجهاد - واستولى على أنواعه كلها، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده، ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا، وأعظمهم قدرا، وأمره الله - جل وعلا - بجهاد الكافرين من حين بعثه الله، فقال تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا. فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيرًا﴾ (الفرقان: ٥١-٥٢).

هل الدعوة مقتصرة على أهل العلم؟

يفهم كثير من الناس أنّ الدعوة إلى الله مقتصرة على فئة من أهل العلم الكبار، أو ممّن يحملون شهادات في الشريعة والدراسات الإسلامية، فضلا عن أن يفهموا أنّ الدعوة إلى الله تكون في المساجد أو الفضائيات أو الإذاعات والتي هي شيء يسير جدا من وسائل الدعوة إلى الله.

أن يكون لدى الشخص روح دعوية دافعة له إلى الدعوة إلى الله، فهذه نعمة عظيمة لا تضاهيها نعمة، بل هو إكرام من الله تعالى للعبد القائم بحق الدعوة، ولأجل ذلك كان الإمام عبدالقادر الجيلاني رحمه الله يحمد الله ويسبحه على أن وفقه لهذه النعمة، فكان يقول: «سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي» (٦)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول ﷺ وهم أمته وقد وصفهم الله بذلك: كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، فهذه في حقه ﷺ وفي حقهم قوله: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾ الآية، وقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...﴾ الآية، وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو فرض كفاية يسقط عن البعض بالبعض كقوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير...﴾ الآية، فجميع الأمة تقوم مقامه في الدعوة: فبهذا إجماعهم حجة وإذا تنازعوا في شيء ردوه إلى الله ورسوله» (٧).

إنّ الناس بحاجة منك لأن تدعو إلى

الله ولو بكلمة ولو لمرّة لا تدري لعلّ الله يفتح على يديك هدايته أو يحدث بعد ذلك أمرا، ولقد أخبرنا رسول الهدى ﷺ فقال: «بلغوا عني ولو آية» (أخرجه البخاري).

وقال ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه؛ فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه» (٨)

كان د.عبدالرحمن السميط داعية إلى الله وهو طبيب ودكتور، ولم ينظر لنفسه على أنّه دكتور وليس عليه إلاّ مداواة الناس، وتقديم العلاج لهم، بل فهم أنّ عمله فيه مجال خصب للدعوة إلى الله فأدّى ما عليه وقام بالدعوة إلى الله خير قيام، حتى إنّه في حديثه مع أحمد منصور، قال في برنامج «بلا حدود»:إنّ الله تعالى هدى على يديه وعلى يد من هدي عليه قرابة أربعة ملايين شخص!!

ولم يكن د.خالد الجبير عالما أو بروفسورا في الشريعة، بل كان دكتورا ماهرا في جراحة القلب، ومع هذا أثّر تأثيرا بالغا وهدى الله على يديه أمما من الناس، وكان يقول كثيرا :إنّ طب القلوب وجراحتها دمويا، يحتاج إلى طب القلوب وإسعافها دينيا، حتى فتح الله على يديه عددا هائلا من عصاة المسلمين.

لقد قام هؤلاء الدعاة جزاهم الله خيرا بواجبهم الدعوي ولعلّ الله تعالى يأجرهم أجرا كبيرا في ذلك، ولكم تذكرت ما قاله الإمام ابن القيّم: «ولا يكون من أتباع الرسول على الحقيقة إلا من دعا إلى الله على بصيرة. قال الله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف: ١٠٨) تفسيرا لسبيله التي هو عليها، فسبيله وسبيل أتباعه: الدعوة إلى الله، فمن لم يدع إلى الله فليس على سبيله»

فالعبرة إذن بأن يعرف الإنسان نفسه ويضعها في المكان اللائق بها من ناحية العمل والشغل أو الوظيفة، ولكن عليه عبء كبير لابدّ من التهيؤ له وانتداب النفس للخوض فيه، ومعاناة معاني الدعوة إلى الله، ومن لم يعانِ لم يدرك المعاني..

الدعوة بحاجة إلى تربية

أن يقوم شخص ما، رجل أو امرأة ويقول كلمة خيّرة أمام مجمع من الناس، ينفع الله بها فإنّ تلك الكلمة لن تذهب سدى عند الله تعالى، ولكن ما أجمل أن يعتني كل داعية إلى الله بمجموعة من المدعويين المستهدفين للقيام على شأنهم دينيا وإصلاحهم تربويا ومتابعة أمورهم، من خلال توعية مستدامة، وسقي لأفئدتهم بماء الوحي، فالذي ثبت من خلال تجارب دعويّة أنّ الداعية المؤثر لابّد أن تكون له عناية بفئة من المدعوين، فالكلمة الحكيمة يهدي الله بها أناسا، ولكنّ الكلمة الدعوية الهدية أول قدم في طريق المدعو إلى الهداية، وبعدها فالمدعو بحاجة لأن يعرف كيف يعبد الله، وكيف يتخلى عن الرواسب الفكرية، والرفقة السيئة، والمعاصي والذنوب الخفيّة، وهذا كله لن يأتي الإقلاع عنه خلال يوم وليلة، بل لو تخلّى المدعو عنه خلال يوم وليلة، فإنّه لابدّ وأن يملأ وقته بشيء من النفع والفائدة، وأن تكون له رفقة ناجحة وصالحة.

ولربما شاهدنا أناسا من الشباب يقولون: لقد هدانا الله تعالى، ولكن ما الطريق إلى تثبيت الهداية في قلوبنا؟ فالمرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه، فهو بحاجة ماسّة وأكيدة إلى عمليّة تربوية تستهدفه إلى أن يستطيع أن يكون قائما على ساقه، يمكنه بعدها أن يقوم على نفسه بما يسميّه علماء التربية بـ«التربية الذاتية».

فلابدّ إذن من تعاهد هذه النبتة الدعوية والاهتمام بها، ليكون لها مستقبل دعوي مشرق، وكما يقال في المثل: لأن تُعَلِّمَ الجائع صيد السمك خيرٌ من أن تعطيه ألف سمكة، وذلك من تمام النصيحة للمسلمين، وقد قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (أخرجه مسلم).

إنّني أشبِّه تلك النبتة الدعويّة التي بدأت تنمو في كف الداعية كحال الفلاح حينما يبذر الحب، فإن تعاهده بالسقي والرعي والري، خرج ذلك النبات بإذن الله على أتم ما يرام، ﴿كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه﴾ (الفتح: ٢٩) وإن لم يتعاهد ذلك الفلاح نبتته ماتت وذبلت، ولم يكن منها فائدة.

في الختام

أن تكون الدعوة إلى الله موافقة لمراد الله ومراد رسول الله ﷺ، حقيقة يجب ألا تغيب عن بال كل داعية إلى الله، ومبلغ ومنذر لدين الله، وأن تكون دعوته لله وإلى الله.

والقلب ما لم يكن بالله مرتبطا
فإنَما هو بالأهواء جوَاب

الهوامش

١ - مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧١)
٢ - البداية (٣/ ١٣٨)
٣ - «تجديد التفكير الديني في الإسلام» محمد إقبال: ١٤٢.
٤ - تفسير ابن كثير لقوله تعالى (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) في سورة العنكبوت آية (٦)
٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين: (٢/ ١٧٦).
٦ - الفتح الرباني والفيض الرحماني لعبد القادر الجيلاني ص١٤
٧ - مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥)
٨- الترمذي العلم (٢٦٥٦) وحسّنه، أبوداود العلم (٣٦٦٠)، ابن ماجه المقدمة (٢٣٠)، أحمد (٥/ ١٨٣)، الدارمي المقدمة (٢٢٩)، وحسّنه الألباني في صحيح الترمذي برقم:(٢٦٥٦)

خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين (١-٢)

د. محمد المختار الشنقيطي

اخترت هؤلاء الخمسة من بين علماء الإسلام ومفكريه في القرن العشرين بناءً على معايير ثلاثة، هي: الجمع بين ثقافتيْ الشرق والغرب، وبين الفهم الشرعي والموقف الشرعي، وبين عمق الفكرة وإشراق الروح. وأرجو أن تعين هذه المقالات القارئ الكريم على الإلمام السريع بحياة هؤلاء الأكابر، ثم ببعض الأفكار الكبرى التي صاغوها، لعل ذلك يستحثه على البحث بنفسه عن المزيد من نفائس الأفكار التي خلفوها لنا في كتبهم، والعبرة التي تنبض بها سير حياتهم، وسنعرض في هذا الجزء ثلاثة من هؤلاء العلماء

محمد إقبـال.. أعجـميٌ ذو لحْنٍ حجازيّ

كان الفيلسوف ابن سينا يقول: «اللهم إني أسألك عمرا عريضا».. أي عمرا حافلا بالإنجاز. ويمكن القول إن حياة الفيلسوف الشاعر محمد إقبال قد تحقق فيها هذا الدعاء. ولد إقبال في مدينة «سيالكوت» بمقاطعة البنجاب الهندية عام ١٨٧٧م، لأسرة من البراهمة النبلاء اعتنقت الإسلام في عصور متأخرة.

وكان والده متصوفا عميق التدين. درس إقبال في مدرسة إنجليزية ثم في كلية حكومية بلاهور عاصمة البنجاب، وتميز في اللغتين العربية والإنجليزية، وحصل على شهادتيْ البكالوريوس والماجستير في الفلسفة.

فعمل مدرسا للتاريخ والفلسفة السياسية في الكلية الشرقية بلاهور، وبدأ ينشر بواكير شعره الذي هز الحياة الأدبية والفكرية في الهند. رحل إلى أوروبا عام ١٨٩٥، فتابع تحصيله العلمي في جامعتي كامبريدج البريطانية وميونيخ الألمانية حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة وشهادة المحاماة في القانون، وعاد إلى الهند عام ١٨٩٨ بحصاد علمي وافر في برهة زمنية وجيزة.

عمل إقبال بعد عودته إلى الهند محاميًا، لكن اهتمامه بالفلسفة والشعر والسياسة شغله عن ذلك، فانضم إلى عدد من الجمعيات والمنظمات الساعية إلى حماية الوجود الإسلامي في الهند بعد أن بدأت بواكير تقرير المصير الهندي ورحيل المستعمر البريطاني تلوح في الأفق. وكان إقبال أول من اقترح فكرة تأسيس دولة خاصة بالمسلمين في القارة الهندية، تحفظ وجودهم وهُويتهم، وتمنع تراثهم وحضارتهم الإسلامية من الاندثار، وهو الذي أقنع السياسي البارز محمد علي جناح بهذه الفكرة عبر المراسلات بينهما، فحولها جناح إلى برنامج عملي. وبعد عمر عريض من العلم والعمل رحل إقبال عن هذه الدنيا فجر يوم ١٩ ابريل ١٩٣٨. وتجسدت فكرته عن الدولة المسلمة في القارة الهندية يوم ميلاد باكستان، بعد وفاته بعقد من الزمان.

■ بحر من الأفكار والأشعار:

خلّف إقبال بحرًا من الأفكار والخواطر البديعة التي ضمنها دواوينه الشعرية وكتبه النثرية. فقد ألف تسعة دواوين شعرية، ضمت حوالي اثني عشر ألف بيت من الشعر، منها حوالي سبعة آلاف بيت بالفارسية، وخمسة آلاف بيت بالأوردية. ومن دواوينه: «جناح جبريل» و«رسالة المشرق» و«ضرب الكليم» و«هدية الحجاز» و«الأسرار والرموز». كما ألف بضعة كتب نثرية تبرهن على أنه كان متمرسًا بفلسفة الشرق والغرب. وأهم هذه الكتب: «تجديد الفكر الديني في الإسلام»، و«تطور الفكر الميتافيزيقي في بلاد فارس» The Development of Metaphysics in Persia. وقد ترجمت إلى العربية كل دواوينه وواحد – على الأقل – من كتبه النثرية، هو «تجديد الفكر الديني في الإسلام». ولعل أحسن الترجمات العربية لشعر إقبال هي ترجمة سفير مصر بباكستان في الخمسينات، الأديب عبد الوهاب عزام، والشيخ الأزهري الضرير الصاوي شعلان، ثم الصياغات الشعرية البديعة التي صاغ فيها الأديب السوري زهير ظاظا الترجمة النثرية لديوان «جناح جبريل»، ومنها نقتبس جُلّ الأبيات الشعرية الواردة في هذا المقال.

■ هندي الهوية حجازي الهوى:

كتب أحد المؤلفين الهندوس ساخرًا من إقبال، فقال: إن إقبال «رجل ظمآن

◆ أكاديمي موريتاني

على ضفاف نهر «الغانغ» يبحث عن الماء في صحراء العرب». ونسي الكاتب المغرور أن صحراء العرب عند إقبال هي النبع الذي استقت منه كل الإنسانية، فارتوت بماء الإسلام الزلال. كما نسي أن الصحراء عند إقبال هي رمز الرجولة والشجاعة والشهامة، وهذه هي الفضائل التي تعبر عن فلسفة «إثبات الذات» التي نادى بها إقبال. واسمع قول إقبال في قصيدته «الشاهين»، وهو يفتخر بصحرائه، ويزهو بكبريائه:

أنا نجل الصحراء والزهد ديني
وهما في سجيّتي ودمائي
أجهلُ الزهرَ والنسيمَ وما في
لوعة العندليب عند المساءِ
وجمال البستان يُغري، ولكن
ليس يغري مُنَشَّأ في العراءِ
أين مجدي إذا شَقيتُ لجوع
وأذلّتْ حمامة كبريائي؟

نشأ إقبال في أجواء الثقافة الهندوسية، ثم اغترف الثقافة الغربية من منبعها، وارتضع لبانها، في وقت قلّ فيه وجود المسلم الملمّ بثقافة الغرب بعمق... فما زاده كل ذلكَ إلا ولَهًا بجمال الإسلام، وإيمانًا بأن رسالة الإسلام لا تطاولها رسالة أخرى، وأن اللحن الإسلامي لا يضاهيه لحن آخر. وفي ذلك يقول:

ليس في ضوضاء هذي الأمم
نغمةٌ إلا أذان المسلم

وسواء كان طالبًا في بريطانيا، أوَ باحثا في ألمانيا، أو سائحا في إيطاليا، كان قلب إقبال دائما معلقا بصحراء الحجاز وجباله، ولم يجد في بلاد الشرق والغرب ما يسحر قلبه أو يسبي لبّه مثل ما فعلتْ به أرض الحجاز. كان إقبال رجل المحبة بحق، أحب الإسلام وكل ما يمت له بصلة، وأحب العرب لارتباطهم بتاريخ الإسلام وثقافته، لكن حبه تجلّى أعمق ما تجلّي في تعلقه بالحجاز، أرض النبوة ومهبط الوحي. كان هنديّ الهوية حجازيّ الهوى، وفي ذلك كتب:

أنا أعجمي الحب إلا أنني
أطلقت في الحرم الشريف لساني
كم ثوبَ إحرام على متضرِّع
مزّقْتُه باللحن من ألحاني

وكتب:

صوت قيثارتي التي سمعوها
أعجميٌ لكنّ لحْني حجازي

وكانت أمنية إقبال في هذه الحياة أن يكون جذوة من جذوات الحرم الشريف. وفي ذلك يقول:

تمعَّن بقلبك واستفته
ولا تسأل الشيخ عن شانهِ
خلا حرم الله من أهله
فكن أنت جذوة أركانهِ

وحينما رحل إقبال عن عالم الفناء إلى عالم البقاء يوم ٢١ ابريل ١٩٣٨ حمل معه الوله المزمن بالحجاز، فكان من آخر ما نطق به وهو يحتضر بيتيّ شعر يقول فيهما:

نغماتٌ مضيْنَ لي هل تعودُ؟
أنسيمٌ من الحجاز يعودُ؟
آذنَتْ عيشتي بوشْك رحيل
هل لعلم الأسرار قلب جديدُ؟

فلسفة محمد إقبال في الحياة كانت عز العبودية لله

عز العبوديّة لله

يمكن تلخيص فلسفة إقبال ونظرته للحياة في ثلاث كلمات هي «عز العبودية لله». ويعبر إقبال عن هذه الفكرة أحيانا بمصطلح «زهد الملوك» و«زهد المقتدر».

وتتألف فلسفة عز العبودية من شقين: أحدهما يدعوه إقبال «نفي الذات»، والثاني يدعوه «إثبات الذات». والمقصود بنفي الذات: التواضع والخضوع المطلق في العلاقة بالخالق، وبإثبات الذات: العزة والثقة بالنفس في العلاقة بالمخلوق. فالعزة عند إقبال ليست فكرة ساذجة من الاستعلاء على الغير، أو الانكفاء على الذات، بل هي مفهوم مركّب من العلاقة بالخالق وبالمخلوق. وقد كان إقبال في مسار حياته مثالا للمسلم المعتز بدينه، في وقت قلّ فيه وجود الأعزة بين المسلمين. وما ذلك إلا لأن إقبالا كان يرى كل ما سوى العبودية لله ذلا وتسولا ومهانة. وفي ذلك يقول:

أنت عبدالله فالزمْ
ليس للحُرِّ تحوُّلْ
ما سوى عز العبودية لله تسوُّلْ

على درب القلب والحب

كان إقبال مثالا للعالم المتبحر ذي العقل الكبير، فقد تعلم سبع لغات، وأتقن عدة تخصصات. على أن روح إقبال ومرآة فكره الصافية تتجلى في شعره أكثر من نثره، فقد آثر لغة القلب على لغة العقل - رغم تمرّسه بالصنعتين - فاختار الشعر مطية لأفكاره، لأن الشعر دفقات من الوجدان وومضات من العبقرية تقتحم القلوب دون استئذان، بينما يدخل الفكر إلى العقول ببرودة، وعبر مسار متعرج من المقدمات المنطقية الجافة. وقد قال إقبال بحق: «إن جفاف المنطق لا يقْوى على مقارعة نضرة الشعر».

آمن إقبال بأن أساس الالتزام الإسلامي هو المحبة القلبية الوالهة، لا المعرفة الذهنية الباردة. فالحب أعمق أثرا من العلم، والقلب أقوى سلطانا من العقل، وما يحتاجه المسلم للوصول إلى مقام «عز العبودية لله» أكثر بكثير من

مجرد المعرفة الذهنية بالإسلام، أو الإلمام التاريخي بأيام المسلمين. إنه يحتاج إلى تمثل تعاليم الإسلام بقلبه، حقائق من لحم ودم، لا قوالب ذهنية مجردة. لم يكن إقبال في يوم من الأيام حياديا بين العقل والقلب، بل مال إلى جانب القلب دائما. وقد عبر عن ذلك واصفا تجربته الشخصية في الحياة، فقال:

مضى إقبال هَوْنًا في
دروب الفكر واجتازا
فلما جاء درب الحبّ
مال القلبُ وانحازا

وفي مقارنة بديعة بين القلب باعتباره مستودع الأسرار والحقائق، والعقل باعتباره الدليل إلى سطحها الخارجي، يقول إقبال إن ما يحتاجه المسلم اليوم هو «دواء البصيرة» الذي يحرر من «داء البصر»، وإن القلب المؤمن المفعم بحب الله ورسوله هو مصدر الهداية ومنبع الرشد:

دواء البصيرة هذا الدواءْ
رجاؤك في كشف داء البصرْ
وما العقل إلا جدال العلومْ
وحرب الظنون ورجم النظرْ
مصيرك أعظم من وقفة
وأول معناه ذوق السفرْ
وسر اللآلئ خُلْد البريقْ
وإلا فمعدنها من حجرْ
وما هي جدوى دم في العروق
إذا كان يطفئ نار الفكرْ؟

على أن لغة القلب والحب عند إقبال لا شأن لها بخضوع الإنسان لأهوائه الأرضية. بل الحب عنده قرين للكرامة ومرادف للعز، ذلك العز الذي يجسّده الخليل عليه السلام وهو يحطم الأصنام:

وجائزة الحرّ غيرُ الخمور
وغير الغواني وغير الخيامْ
على الطُعْم يسقط من لا يطيرْ
ومن لا يحلّق فوق الغمامْ
هو الحب ينسيك وقع الجراحْ
وتفضح سرّك آثارُهُ
وما الحب إن لم تمتْ عزةً؟
وما العيش جلّله عارُهُ؟

رحم الله العلامة محمد إقبال الشاعر الأعجمي ذا اللحن الحجازي.

محمد عبدالله دراز.. عاشق القرآن الكريم

■ **سيرة حياة:**

ولد العلامة الدكتور محمد عبدالله دراز عام ١٨٩٤، بمحافظة «كفر الشيخ» المصرية. ونشأ في أسرة ذات علم وورع. فوالده الشيخ عبدالله دراز من علماء الأزهر المبرّزين، وهو شارح كتاب «الموافقات» للإمام الشاطبي. أكمل دراز حفظ القرآن الكريم وهو فتى يافع لما يكمل العقد الأول من سنيه بعد، وحصل على شهادة العالمية عام ١٩١٦. عمل مدرسا بجامعة الأزهر عام ١٩٢٨، وسافر إلى الحج عام ١٩٣٦. وفي العام ذاته حصل على منحة دراسية للدراسة بجامعة السوربون الفرنسية. فأقام في فرنسا اثنتي عشرة سنة مضت كلها جدا وانكبابا على استيعاب الثقافة الغربية من منابعها الأصلية، وتأملا مقارنا لتلك الحصيلة بمبادئ علم الأخلاق في القرآن الكريم.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون، ونالت أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان «أخلاق القرآن» La Morale Du Koran إعجاب كبار المستشرقين الفرنسيين، ومنهم ليوي ماسينيون وليفي بروفنسال. وكانت مناقشتها يوم ١٩٤٧/١٢/١٥. وبعد عودته من رحلته العلمية المديدة، أصبح دراز عضوا في هيئة كبار العلماء عام ١٩٤٩. كما عمل محاضرا بعدد من الجامعات المصرية في تاريخ الأديان والتفسير وفلسفة الأخلاق. انتقل العلامة دراز إلى ربه في مدينة لاهور الباكستانية عام ١٩٥٨ وهو مشارك في مؤتمر الثقافة الإسلامية هناك، فنعاه الأكابر في مصر والعالم الإسلامي.

■ **عِرْق مغاربي:**

ويبدو أن أسرة دراز نزع بها عرق وقرابة عقلية خاصة مع المغرب العربي، ربما لانتساب الأسرة تقليديا إلى المذهب المالكي. فقد شرح الشيخ عبدالله دراز – والد الدكتور محمد عبدالله دراز – كتاب «الموافقات» لفقيه الأندلس أبي إسحق الشاطبي، وحقق دراز الابن الكتاب، ثم كتب دراسة عن كتاب «الاعتصام» للشاطبي أيضا، وحاول توليد أفكار الاعتصام وتجديدها في كتابه «الميزان بين السنة والبدعة» الذي توفي قبل إكماله، رحمه الله.

وحينما كان دراز يتابع دراسته في فرنسا منتصفَ القرن العشرين ارتبط برباط وثيق مع الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي، وظهر بين الرجلين شبَه كبير في الاهتمام الفكري، وفي النتائج التي توصلا إليها، خصوصا في مجال تجديد الدراسات القرآنية. وقد صرح دراز بذلك في تقديمه لكتاب بن نبي: «الظاهرة القرآنية»، ولا تخطئ عين المقارن لكتاب بن نبي هذا مع كتابيْ دراز: «النبأ العظيم» و«مدخل إلى القرآن الكريم»، القرابة الفكرية بين هذين العلَمين من خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين.

على أن الأمر تجاوز الرباط الفكري والقرابة العقلية إلى التضامن الأخوي والنضال المشترك، فقد وقف دراز بشجاعة مع المطالبين باستقلال دول

العلامة محمد دراز اشترط لقبول مشيخة الأزهر أن يتمتع الأزهر باستقلالية أكاديمية

المغرب العربي عن فرنسا، وخاطر بوضعه طالبا ومهاجرا مقيما في فرنسا في سبيل ذلك. وأرجو أن تكون هذه الأسطر ردا لشيء من الجميل العلمي والعملي الذي ندين به في المغرب العربي، وتدين به كل الأمة، لهذه الأسرة العلمية اللامعة.

■ **نفس أبيّة:**

كان دراز يحمل بين جنبيه نفسا أبيّة، وكان يتصف بشمائل نادرة، أجملَها شيخُ أهلِ قَطَر عبدالله الأنصاري، فعدّ منها: «الفِطنة، والذكاء، والحِلم، والأناة، والتواضع، والوداعة، والوفاء، والجرأة، والإقدام، والشهامة، والصلابة في الحق، ولباقة الحديث، ولين العريكة، والحدب على المرافقين». كان يدرك قيمة الرسالة القرآنية التي يحملها، كما كان يحمل همّ الأمة أينما حل وارتحل، حتى كتب عنه تلميذه العلامة يوسف القرضاوي: «ما حدثنا وجلسنا إليه إلا وجدناه مشغولا بأمر الإسلام وهموم المسلمين». ومن مظاهر عزة نفسه دعمه العلني - وهو مقيم بفرنسا. لحركات التحرر في المغرب العربي الذي كانت فرنسا تحتله آنذاك. وحينما عرض عليه رجال الثورة المصرية أن يكون شيخا للأزهر اشترط أن يتمتع الأزهر باستقلالية أكاديمية عن السلطة. ولما رفض رجال الثورة ذلك اعتذر دراز عن قبول المنصب، وأصرّ على رفضه له رغم المحاولات والعروض المتكررة.

■ **فكر تركيبي:**

كان دراز «ابن الأزهر، وابن السوربون» كما وسمه العلامة القرضاوي. وقد أتاحت له الدراسة المعمّقة لكلٍّ من الثقافة الإسلامية والثقافة الغربيةً من منابعهما الأصلية بناء رؤية تركيبية تحليلية فريدة، بعيدا عن السطحية التبسيطية، وعن «سوء الهضم العقلي» الذي أصاب الكثيرين ممن وقفوا عند حدود الثقافة الموروثة الراكدة أو الغريبة الوافدة. كان متعمقا في روحانيات الغزالي والحكيم الترمذي وأبي طالب المكي، متضلعا بفلسفة «ديكارت» و«كانت» و«برجسون». وقد امتاز دراز بفضل هذا الفكر التركيبي برحابة الأفق، وعمق التحليل، ودقة الاستدلال، مع حجاج مقنع، وبلاغة ساحرة استمدّها من بلاغة القرآن الكريم.

■ **عاشق القرآن:**

كانت أهم سمة من سمات شخصية دراز، والمنبع الذي فاضت منه كل مآثره العلمية والعملية هي الوَلَه بالقرآن الكريم. كان رجل القرآن بحق، فقد ملكت عليه محبة القرآن لبه، وشغفت قلبه، فكان شغله الشاغل، لا يكاد يُرى إلا وهو منكب على قراءته وتدبُّره، أو قائم يصلي به. وقد انصب اهتمامه العلمي على القرآن حصرًا، فلا يكاد يوجد له عمل علمي إلا والقرآن محوره ولبابه. ولا يستطيع دراز كفكفة عشقه لكتاب الله وتعلقه القلبي به، فهو يتتبّع ألفاظ القرآن تتبع الوالِه، ويصفها بحق بأنها «حبات درية».

ثابر دراز على قراءة ستة أجزاء من القرآن كل يوم دون كلل أو ملل. وكان معظِّمًا للقرآن، يسجد سجود التلاوة أثناء محاضراته في التفسير، ويطلب من طلابه التوضأ قبل بداية المحاضرة استعدادًا لذلك. وقد كتب عنه رفيق رحلته إلى المؤتمر الإسلامي بلاهور، الشيخ محمد أبوزهرة: «كان يؤمُّنا في صلاة العشاء، ثم يأوي كل منا إلى فراشه، ويأوي هو إلى صلاته وقرآنه. وكنت لا تراه إلا قارئا للقرآن أو مصليا».

■ **منهج وسطي:**

كان الشيخ دراز إماما من أئمة الوسطية الإسلامية السمحة. وقد تجلت وسطيته في تناوله لعدد من الثنائيات الكبرى التي حيرت الفكر الإسلامي واستنزفته. وهي: العقل والنقل، السنة والبدعة، الجبر والاختيار، السلم والحرب، العلم والدين، الخلق والقانون...الخ. وقد تتبعتُ تناول دراز لهذه الثنائيات الكبرى بتفصيل في دراسة عنه ستصدر قريبا إن شاء الله عن «مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد» بالدوحة. ولا يسمح المقام بأي بسط هنا، وإنما أنوه الآن ببعض إشاراته في مسألة العقل والنقل. فهو يرى أن «التمييز بين الخير والشر... إلهام داخلي مركوز في النفس الإنسانية قبل أن يكون شِرْعة سماوية». بيد أن الشرع الإلهي «يكمل الشرع الأخلاقي الفطري»، وهي تكملة ضرورية للفطرة الإنسانية التي تشوبها شوائبُ صادّةٌ عن الحق والخير، أو ظلمات قائدة إلى الحيرة والاضطراب.

ومن دون نور الوحي، فإن البشر يظلون في صراع دائب حول تعريف الخير والشر «ولسوف تُقاوَم عقول بعقول، كما تُقاوَم عواطف بعواطف». وقد أفادنا تاريخ البشرية بضروب من هذا التخبط لا حدود لها، من تقشف «النرفانا» البوذية، إلى إباحية الرواقية اليونانية. وهي كلها شهود على أن نور الوحي ونور الفطرة يجب أن يظلا فرسيّ رهان، كما أراد لهما خالق الشريعة الفطرية، منزل الشريعة السماوية.

■ **ريادة وتجديد:**

لا يكاد عمل من أعمال دراز الفكرية

يخلو من نظرات تجديدية ثاقبة. لكن تجديده تجلّى أكثر ما تجلى في الدراسات القرآنية. ففي هذا المضمار يمكن القول دون مجازفة إن دراز أسس علمين جديدين، هما علم «أخلاق القرآن» وعلم «مصدر القرآن». ففي الأول كتب كتابه «دستور الأخلاق في القرآن» وفي الثاني ألف كتابيه: «النبأ العظيم» و«مدخل إلى القرآن الكريم». وقد أدرك دراز أنه يسلك دروبا غير مطروقة، وأن عليه أن يبدأ عملا تأسيسيا في هذين العلمين. ومن هنا كانت إضافته في هذا المضمار ثمينة حقا، وهي حصيلة جهد ومعاناة فكرية عميقة لا يقدرها إلا من تمرّس بكتبه واكتشف ما فيها من أصالة وعمق وصدق.

ويتجلى تجديد دراز في علوم القرآن من خلال المنهج الذي اتبعه. فقد اعتاد علماء الإسلام أن يبرهنوا على أصالة القرآن الكريم من خلال المدخل اللغوي البياني بالأساس. أما دراز فانطلق من الدراسة التحليلية للرسالة القرآنية منطقيا وتاريخيا. وهذه منهجية تجديدية مفارقة للمنهج المتوارث. ومن ثمراتها نقل القرآن من السياق الثقافي العربي، ووضعه في سياق العالمية.

رحم الله الدكتور محمد عبدالله دراز.. فيلسوف القرآن الكريم.

مالك بن نبي.. فيلسوف الحضارة الإسلامية:

■ في غسق الاستعمار:

ولد المفكر الإسلامي مالك بن نبي في مدينة قسنطينة الجزائرية عام ١٩٠٥ لأسرة متواضعة الحال، حيث كان أبوه عمر موظفا بسيطا في إدارة مدينة تبسّة، وأمه زهيرة ربة بيت تعمل في الحياكة. لكن الأسرة كانت عميقة التدين، عزيزة الأنفس. وقد تحدث مالك في مذكراته (شاهد القرن) عن هجرة أجداده لأمه إلى تونس والجزائر بداية الغزو الفرنسي، خوفا من انتهاك أعراض بناتهم على أيدي الجند الفرنسيين المتغطرسين. كانت أحاديث جدته هي النافذة التي فهم منها مالك جرائم الاستعمار الفرنسي، وأهمية الاعتزاز بالعقيدة الإسلامية واللغة العربية، ثم كانت صلة أسرته بالحركات الإصلاحية وبالطرق الصوفية، خصوصا «الزاوية العيسوية»، دافعا له إلى الاهتمام بقضايا الإصلاح والنهضة والتجديد.

والدة مالك بن نبي قامت برهن سريرها لتدفع أجرة المعلم الذي يعلمه القرآن

ثم كان حرص والدته على تعليمه القرآن - حتى إنها رهنت سريرها مرة لدفع أجرة المعلم - دافعا آخر عمق في نفسه حب القرآن وحمّلَ راية الدفاع عنه ضد المستشرقين في كتابه القيم «الظاهرة القرآنية». جمع مالك بين الدراسة في الكتّاب وفي المدارس الفرنسية بالجزائر، ثم تخرج من معهد إسلامي بالجزائر (مدرسة سيدي الجليس) وواصل دراسته العليا في فرنسا فتخرج مهندسا عام ١٩٣٥. والحق أن مالكا كان معلم نفسه، فولعه بالقراءة شديد، وجلده في التعلم الذاتي لا يضاهى، وذلك أكبر مصدر من مصادر المعرفة لديه.

■ بين المشرق والمغرب:

بعد ثلاثين عاما من العيش في فرنسا، رحل فيلسوفنا إلى مصر عام ١٩٥٦. وفي القاهرة عمّق مالك معرفته باللغة العربية، وقد كانت الفرنسية غالبة على لسانه وقلمه من قبل، وهناك ترجم له د.عبدالصبور شاهين عددا من أهم كتبه ترجمة بديعة، فاشتهر ذكر مالك وتعرّف عليه الأكابر بمصر والشام. كما بنى مالك صلة بالرئيس عبدالناصر، وخصصت له القيادة المصرية راتبا شهريا مكنه من التفرغ للكتابة والمحاضرات خلال سبع سنين.. وفي مرحلته القاهرية اندلعت الثورة الجزائرية المجيدة، فجرد مالك قلمه لها، وكتب الكثير عنها. عاد مالك إلى الجزائر عام ١٩٦٣ وفيها تقلد عدة مناصب أكاديمية، منها منصب مستشار للتعليم العالي، ثم مدير جامعة الجزائر، ثم مدير التعليم العالي، لكنه استقال عام ١٩٦٧ مؤثرا التفرغ للعمل الفكري إلى أن وافاه الأجل يوم ٣١ أكتوبر ١٩٧٣. وخلف مالك ثروة فكرية رائعة من حوالي ثلاثين كتابا، نشر منها حتى الآن حوالي العشرين، ولا تزال بعض أعماله مخطوطة لم تنشر. ويمكن اعتبار أهم أعماله هي: «الظاهرة القرآنية»، و«وجهة العالم الإسلامي» و«شروط النهضة» و«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي».

■ ثائر موطّأ الأكناف!

يقول علامة فاس ومؤرخها د.عبدالسلام الهراس - وهو ممن عايشوا مالك بن نبي في نفس المنزل بمصر - إن مالكا كان متواضعا بسيطا في حياته وعلاقاته الشخصية: «مالك بن نبي كان يعيش معنا بسيطا جدا، البساطة التامة، كان عندما بدأ يتلقى النقود على كتبه، ويدفع حظه في البيت، فنحاسبه كما نحاسب بعضنا، فيخضع لنا ولا يرى في ذلك غضاضة. يقول: هل أساعدكم؟ فنقول: لا، ثم يثق فينا ثقة كبيرة...»، لكن مالكا كان عزيز النفس أبيًّا يعرف قيمة الفكر والعلم الذي يحمله. وكان فيه شدة وفورة غضب أحيانا، تجعل

رفقاءه يتجنبونه حتى يهدأ غضبه. لكنه إذا لم يكن غاضبا فهو موطأ الأكناف، رقيق القلب، شديد الوفاء لرفقائه. يقول الهراس: «ما أعتز به هو أن مالك بن نبي أبى أن يودّعني في الدار بالقاهرة، عندما أتممت دراستي (ليسانس) وعزمت على العودة إلى المغرب. فأبى إلا أن يودعني في بورسعيد على باب الباخرة».

■ **حامل همّ النهضة:**

يمكن إجمالَ الجهد التجديدي لمالك بن نبي في مجالين: مجال الدراسات القرآنية ومجال فكر النهضة. ففي الدراسات القرآنية ابتكر مالك - بالتوازي مع د.محمد عبدالله دراز الذي قدم له كتابه «الظاهرة القرآنية» - منهجا جديدا للبرهنة على أصالة الرسالة القرآنية، يعتمد التحليل المنطقي والتاريخي أكثر من التحليل البياني اللغوي. وفي مجال النهضة كتب مالك جل كتبه، وهو ما نركز عليه هنا.

لقد قدم مالك بن نبي إسهامات جليلة في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر، وتنقية المنبع الفكري الذي استمدت منه حركة النهضة منذ ختام القرن التاسع عشر. وأصبحت بعض المصطلحات التي نحتها مالك على كل لسان. ومن ذا الذي لم يسمع بمقولاته حول العلاقة بين «الاستعمار» و«القابلية للاستعمار»؟ والصلة بين «الأفكار الميتة» و«الأفكار المميتة»؟ ومراحل تطور الحضارة الإسلامية من «طور الروح/ الصعود»، إلى «طور العقل/الامتداد»، إلى «طور الغريزة/الانحطاط»؟

وقد توصل مالك بن نبي إلى أن أزمة المجتمع المسلم هي أزمة منهجية عملية في الأساس، وأن التحدي الرئيس الذي يواجه المسلمين هو تحدي النهضة. وصاغ نظريته في التغيير الاجتماعي على أساس مبدإ الفاعلية. وقد أخذ مالك على بعض حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم الإسلامي مطلع القرن العشرين إغراقها في الحديث عن العقائد المجردة على طريقة علم الكلام القديم، وتفريطها فيما دعاه «الفكر الفني الذي يعجل بحركة التاريخ». ففقدت هذه الحركات رسالتها ودورها التاريخي، كما يقول مالك، لأن «المسلم لم يتخل مطلقا عن عقيدته، فلقد ظل مؤمنا.. ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي... وعليه فليست المشكلة أن نعلّم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها، وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي. وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده».

■ **تغيير جوهر الإنسان:**

وحين قارن مالك بين منهج محمد عبده ومنهج محمد إقبال اكتشف الفرق بين المدرستين: مدرسة كلامية تتعامل مع المشكلة الإسلامية في الإطار الذهني المجرد، ومدرسة عملية تهدف إلى تغيير جوهر الإنسان ومحيطه الاجتماعي. وقد كتب مالك عن ذلك يقول: «إن المدرسة الإصلاحية «بقيادة الشيخ محمد عبده» صاغتها بلغة علم الكلام، بينما صاغها إقبال في مصطلحات أخرى، حين نبّه على أن المطلوب ليس العلم بالله، ولكنه - في أوسع وأدق معانيه - الاتصال بالله. ليس المطلوب مفهوما كلاميا، ولكنه انكشاف للحقيقة الخالدة، وبحسب تعبيره هو: «تجلي هذه الذات العلوية». ولذلك لا عجب أن المدرسة الإصلاحية بقيادة عبده «ظلت تعاليم تهدف إلى تخريج متخصصين بارعين، أكثر مما تتجه إلى تكوين دعاة مخلصين» حسب تعبيره. والمتخصص البارع الذي لا يحمل هما ولا رسالة، إنما يغذي وقود الجدل على حساب العمل.

وقد ذهب مالك بنْ نبي إلى أن المدرسة الإصلاحية كان في وسعها أن تؤثّر في مسار المجتمعات الإسلامية تأثيرا أكثر إيجابية «لو أنها استطاعت أن تقوم بتركيب أفكارها، وتجميع عناصرها، لتوحد ما بين الأفكار الأصول التي ذهب إليها الشيخ محمد عبده، وبين الآراء السياسية والاجتماعية التي نادى بها جمال الدين، الأمر الذي كان سيؤدي حتما إلى طريق أفضل من مجرد إصلاح مبادئ العقيدة».

وكان إقبال قد سبق مالكا في التشديد على أن النفوس المؤمنة إذا لم يشفها تدبر القرآن واستنطاقه بمنهجية عملية، فلا الذوق الصوفي (الكشف) بمغن عنها، ولا الجدل الكلامي (الكشاف) بنافعها. يقول إقبال في ديوانه: «جناح جبريل»:

نفسٌ إذا القرآن ما انتفعت به

لا الكشف ينفعها ولا الكشّافُ

والسر في هذا التشخيص الذي اتفق عليه إقبال ومالك وغيرهما من خيرة العقول المسلمة، هو أن علم الكلام - الذي رمز إليه إقبال بكتاب «الكشاف» للزمخشري - يزيّف المشكلة الإسلامية من أساسها، كما دلت عليه التجربة التاريخية للمسلمين «حيث لم يكن المتجادلون يبحثون عن حقائق وإنما عن براهين»، كما يقول مالك. ذلك أن «علم الكلام لا يواجه مشكلة الوظيفة الاجتماعية للدين»، وهي جوهر أزمة المجتمع المسلم الآن، ومن أجل استرجاعها ظهرت الحركات الإصلاحية المعاصرة، بل يشغل الناس بالجدل حول أمور غيبية لا مجال لحسمها من الناحية العلمية، ولا تترتب عليها ثمرة عملية.

رحم الله مالك بن نبي.. منظر النهضة الإسلامية.

ضرورة تشخيص الوفاة

د. عبدالرحمن النمر *

أدى التقدم الطبي الهائل في النصف الأخير من القرن العشرين إلى نشأة مشكلات وقضايا أخلاقية وقانونية ودينية عديدة، أثارت جدلًا واسعًا في شتى أرجاء المعمورة، وقد أمكن حل بعض تلك المشاكل والتوصل إلى صيغة مرضية في بعض الأقضية، ومن ذلك قضية تشخيص الموت.

ونظرًا للأهمية الشرعية للوفاة، باعتبارها النهاية الحتمية لكل إنسان، وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، فإننا ننظر إلى الجوانب المختلفة لتلك القضية المهمة على السطور التالية:

لمحة تاريخية

لو سألت إنسانًا، بغض النظر عن مستواه الثقافي، ما هو الموت؟ لأجاب ببساطة: إنه توقف القلب عن الخفقان، أو قد تكون الإجابة: إنه انقطاع التنفس. وقد يتحرى المجيب دقة أكبر لتعريف الموت، فيجمع توقف القلب عن الوجيب وانقطاع النفس من الصدر. وإلى سنوات قليلة خلت، كان هذا التعريف البسيط للموت هو السائد في الأوساط الطبية، فلأزمان متطاولة كان تعريف الوفاة هو: توقف القلب عن النبض وانقطاع النفس من الصدر وسكون الحركة في سائر الجسد.

لم يكن ذلك التعريف البسيط للموت مقصورًا على أطباء الأزمان الماضية، بل كان التعريف المعتبر لدى رجال الدين ورجال القانون كذلك، إذ لم يكن إعلان الوفاة مقبولًا دينيًا ولا سائغًا قانونيًا حتى ينقطع نفس الحياة عن التردد في حنايا الصدر، ويتوقف القلب عن الخفقان، وتخمد الحركة في سائر الجسد، وكان ذلك الفهم لحقيقة الموت أقصى ما في وسع المعرفة الطبية تقديمه في تلك الأزمان الماضية، وإلى زمن غير بعيد!

> **الإنسان يموت حين يموت مخه وليس حين يتوقف قلبه عن الخفقان ولا حين إنقطاع النفس**

الإغماء العميق

أدى تقدم المعرفة الطبية في النصف الأخير من القرن العشرين إلى فهم ووصف الحالة المسماة «الإغماء العميق» (deep coma)، وقد وُصفت تلك الحالة بادئ الأمر على أنها نتيجة لإصابات الرأس أو التسمم، ثم تبين مع مزيد التقدم الطبي أن الإغماء العميق قد يحدث لأسباب شتى، علاوة على السببين المذكورين سلفًا، من ذلك الانخفاض الشديد في درجة حرارة الجسم، وانخفاض ضغط الدم، وانخفاض نسبة سكر الدم، وغير ذلك.

والمصاب بالإغماء العميق قد يعود إلى الوعي وقد لا يعود، ونتيجة الموقف النهائية مرهونة بعوامل عدة، منها الحالة الصحية العامة للمصاب، وسبب الإغماء، ونوع وتوقيت المساعدة الطبية التي يتلقاها.

المصاب بالإغماء العميق لا ينبض قلبه، ولا تتردد أنفاس الحياة في صدره ولا يتحرك جسمه، وبالمفهوم القديم للوفاة يكون هذا الشخص ميتًا.

ويجب التنويه هنا إلى أن «الإغماء العميق» حالة تختلف عن «الغيبوبة» (أو فقدان الوعي) (unconsciousness)، ذلك أن المصاب بالغيبوبة ينبض قلبه، ويمكن إثارة الحركة في أجزاء جسمه باستعمال منبهات خارجية مثل الوخز بإبرة، وما هكذا الحال مع المصاب بالإغماء العميق.

أيًا ما كان الأمر، فإن التقدم الطبي الذي مكن من فهم حالة «الإغماء العميق»، لم يحل معضلة تعريف الوفاة، بل زاد الأمور تعقيدًا! فإذا كان توقف القلب عن الخفقان وانقطاع النفس من الصدر ليسا علامة على الموت، فما هي العلامة إذن؟! وكيف يمكن والحال كذلك الحكم على إنسان بأنه ميت، سواء من الناحية الطبية، أو من الناحية الدينية والقضائية؟!

أجهزة دعم الحياة

تفاقمت الحيرة حول تعريف الوفاة حين ابتكر الإنسان أجهزة ووسائل جديدة لعلاج حالة الإغماء العميق، وقد تطورت تلك الأجهزة والوسائل تطورًا مذهلًا بسرعة فائقة، فصار منها ما يمكن أن يقوم بعمل القلب فيضخ الدم إلى سائر الجسد، ومنها ما يقوم بعمل الرئتين فيدفع غاز

* طبيب مصري



الأوكسجين داخل الصدر بتركيز دقيق عند ضغط محسوب!

في غضون سنوات قلائل من ابتكار «أجهزة دعم الحياة»- كما تسمى في الحقل الطبي- اتسع نطاق استعمالها، وتعددت أنواعها، بحيث أنشئ لها وحدات خاصة في المستشفيات الكبرى، تعرف باسم «وحدات العناية الفائقة» أو «وحدات العناية المركزة» (ICU)، ويقوم على تشغيل تلك الوحدات وعلاج المرضى فيها فرق طبية على درجة عالية من التخصص الطبي ومهارة التشغيل، وفي تلك الوحدات، يمكن نظريًا المحافظة على الحياة إلى أمد غير محدود! هنا ثار جدل جديد، وأطلت حيرة لم تكن واردة من قبل: إذا كان في وسع الطب الحديث أن يحافظ على الحياة في جسد ممدد، باستخدام أجهزته ووسائله، فهل هذه هي الحياة؟!

وإذا استمر إنسان في التقاط أنفاس الحياة من تلك الآلات، واستمر قلبه يخفق بمعونة تلك الماكينات، ودام الحال كذلك زمنا غير محدود- كما هو مفترض نظريًا- فمتى يمكن اعتباره ميتا؟!

أجابت أجهزة دعم الحياة بنفسها عن بعض تلك التساؤلات، إذ اتضح عمليًا أن جسم الإنسان يستجيب لتلك الآلات العجيبة وقتًا معينًا، يطول أو يقصر من إنسان لآخر! فإن كان لإنسان بقية عمر عاد إلى الحياة متوكئًا على أجهزة دعم الحياة، وإلا، فإن أجهزة الجسم تتوقف عن الاستجابة لتلك الأجهزة فيما يسمى طبيًا «حالة عصيان» (Refractoriness)! ومعنى ذلك امتناع الحياة عن سائر أعضاء الجسم وأجهزته، على الرغم من استمرار اتصال الجسم بأجهزة دعم الحياة!

غرس الأعضاء

بدأ فصل جديد في قضية تعريف الوفاة أو تشخيص الموت، مع ميلاد جراحة غرس(×) الأعضاء، ففي مطلع الستينيات من القرن العشرين، زاول الإنسان لأول مرة في تاريخه المعروف جراحة غرس الأعضاء (الشائعة باسم جراحة زراعة الأعضاء) (organ transplant).

أثارت جراحة غرس الأعضاء في مستهل أمرها كثيرًا من الجدل واحتدام الآراء، إذْ على الرغم من كون هذا النوع من الجراحة إنجازًا طبيًا منقطع النظير، فإنه في ذات الوقت ممارسة طبية غير مألوفة ولا معروفة، وكل جديد له مؤيد ومعارض، واستمر الحال كذلك زمنًا يسيرًا إلى أن برزت إلى السطح مسألة قادت إلى منحنى خطير! إذْ تبين للأطباء أن غرس أعضاء «ميتة» في جسم إنسان «حي» يؤدي إلى ظاهرة تسمى في الطب «الرفض» «rejection» (أي أن الجسم الحي لا يقبل العضو الميت المغروس فيه).

ظاهرة الرفض تعني ضمنا فشل الجراحة! وتعني كذلك أن الجسم المستقبِل سيموت في العاجل ما لم يستخرَج العضو المرفوض، أو تكبح ظاهرة الرفض بوسائل علاجية مختلفة.

لذا قرر الأطباء أنه إذا أريد لجراحة غرس الأعضاء أن تنجح فلابد من



توفير العضو المراد غرسه ودماء الحياة لا تزال جارية فيه!

تبادر إلى أذهان كثير من الناس أن المعنى الضمني لما يقوله الأطباء هو تحويل معجزة طبية إلى مجزرة آدمية، باسم العلم والتقدم الطبي!

عندئذ ثارت ثائرة رجال الدين ورجال القانون، واهتز الرأي العام في كل مكان، حتى في بلاد لم تكن تعرف عن جراحة غرس الأعضاء أكثر من عناوين عريضة في الصحف!

موت المخ

هنالك اتضح أن حسم معضلة تعريف الوفاة بات ضرورة قصوى، وقد جاء الفصل الختامي في هذه القضية مقبولاً لدى جميع الأطراف، وذلك حين توصل الأطباء إلى أن الإنسان يموت حين يموت مخه، وليس حين يتوقف قلبه عن الوجيب، ولا حين ينقطع النفس عن التردد بين حنايا الصدر.

وقد ثبت بالتجربة العملية، ومن الخبرة الطبية، أنه متى مات المخ فلا أمل في عودة إلى الحياة، حتى وإن بقي القلب ينبض، وحتى إذا استمر النفس يتردد بين الضلوع، كما ثبت بالدليل القاطع أن القلب يمكن أن يستمر في النبض بـ «آلية ذاتية» (automaticity) بعد موت المخ، مدة تصل إلى نصف ساعة أو أقل أو أكثر قليلاً!

أدى المفهوم الجديد للوفاة إلى حل مشكلة غرس الأعضاء، إذ عند موت مخ أحد المتطوعين يمكن استقطاع العضو المراد غرسه، بينما دماء الحياة لاتزال جارية فيه.

وتحسبًا لأى محاذير أو أخطاء في تشخيص الموت، فقد رأت الأوساط الطبية ضرورة التأكد من موت جذع المخ قبل إعلان وفاة أى إنسان، ووضعت لذلك قائمة اختبارات، تعرف مجتمعة باسم «اختبارات موت المخ».

وقد ناقش مجلس المجمع الفقهي الإسلامي موت المخ في دورة مؤتمره الثالث الذى انعقد في العاصمة الأردنية عمان في شهر صفر من عام ١٤٠٧هـ (الموافق أكتوبر/ تشرين أول من عام ١٩٨٦م) وقرر ما يلي:

يعتبر شرعًا أن الإنسان قد مات، وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعًا للوفاة عند ذلك، إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١- إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢- إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلًا نهائيًا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه.. والله أعلم.

المراجع

١- د.أحمد شوقي عمر أبوخطوة: دراسة تحليلية مقارنة لمشروع نقل وزراعة الأعضاء، جامعة المنصورة، مصر، ١٩٨٦.

٢- محمد علي البار: موت القلب أو موت الدماغ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

٣- شوقي عبده الساهي: الفكر الإسلامي والقضايا الطبية المعاصرة، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤- أعمال ندوة الحياة الانسانية.. بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي، سلسلة مطبوعات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية- دولة الكويت، ١٩٩١م.

٥- قيس بن محمد آل الشيخ مبارك: التداوي والمسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية، ط ١، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٦- مجلة البحوث الإسلامية: أعمال مجلس مجمع الفقه الإسلامي في دورته المنعقدة في عمّان عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، العدد (٣٣) ربيع الأول- جمادى الآخرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٧- محمد سعيد رمضان البوطي: قضايا فقهية معاصرة، ط٤، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٢٢م.

٨- ندى محمد نعيم الدقر: موت الدماغ بين الطب والإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م.

حول ماهية العمل الأدبي

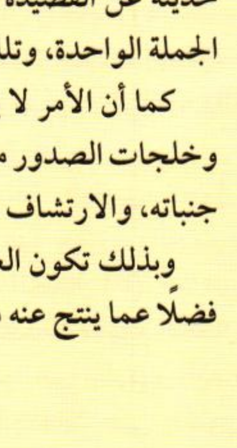
ليس العمل الأدبي المستحق حمل هذا اللقب مجرد كلمات مرصوصة تنقل معنى إلى مطالعها، وإن خلا من اللحن نحوها، وصح صرفها، وحسن نظمها، بل واستقام عند الخليلِ وزنها، وراق لمجر عينيه فيها تنميقها، وإن مَثَّلت كل هذه الأمور فقرة رئيسة في مقدمة كتاب العمل الأدبي، وعنصرًا فعَّالًا في لوحته، إذ بغيرِها يسقط العمل أصلًا من التعداد، غير أن الكتاب يحوي من الفصول والأبواب غيرها جمًّا كثيرًا، واللوحة فيها من العناصر ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة.

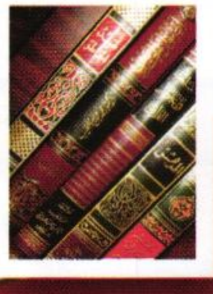
لكنه جسد يشد بعضه بعضًا، إذا ضعف منه عضو تراءى ذلك في سائر الجسد، وعلى حد وصف أحد النقاد إبان حديثه عن القصيدة الجيدة بأنها «تنتظمها علاقات أفقية وأخرى رأسية»، وعنى بذلك تلك العلاقات التي تربط ألفاظ الجملة الواحدة، وتلك التي تحكم ترابط الجمل كلها.

كما أن الأمر لا يتوقف- وما ينبغي له- عند هذا الحد، إذ هناك تكون مخبوءات النفوس بادية، وبنات العقل جلية، وخلجات الصدور مرئية، أريدَ ذلك أم لم يُرَد، والعمل الذي يستطيع أن يفرض على متلقيه الحياة في أجوائه، والعيش بين جنباته، والارتشاف من عذب تعبيراته يكتب لنفسه ولصاحبه الخلود.

وبذلك تكون العناصر التي احتوتها الفقرة الأولى بمنزلة الجسد، والأخرى بمنزلة الروح، ولا قيمة للجسد بلا روح، فضلًا عما ينتج عنه من أذى، كما أنه لا عيش حقيقيًا لروح لا تتلبس بجسد.

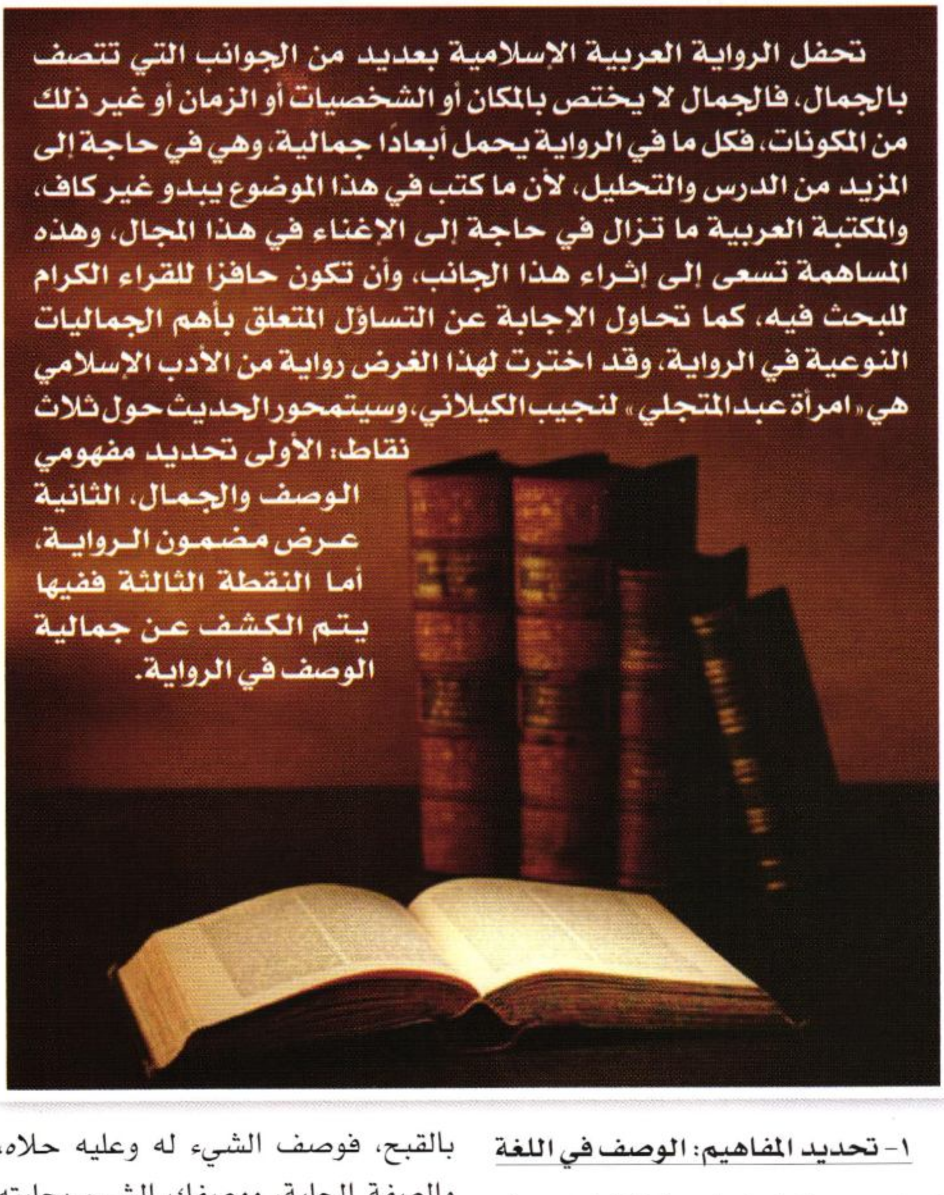
عامر أحمد عامر





البعد الجمالي للوصف في الرواية العربية

عبد اللطيف خروبة



تحفل الرواية العربية الإسلامية بعديد من الجوانب التي تتصف بالجمال، فالجمال لا يختص بالمكان أو الشخصيات أو الزمان أو غير ذلك من المكونات، فكل ما في الرواية يحمل أبعادًا جمالية، وهي في حاجة إلى المزيد من الدرس والتحليل، لأن ما كتب في هذا الموضوع يبدو غير كاف، والمكتبة العربية ما تزال في حاجة إلى الإغناء في هذا المجال، وهذه المساهمة تسعى إلى إثراء هذا الجانب، وأن تكون حافزا للقراء الكرام للبحث فيه، كما تحاول الإجابة عن التساؤل المتعلق بأهم الجماليات النوعية في الرواية، وقد اخترت لهذا الغرض رواية من الأدب الإسلامي هي «امرأة عبد المتجلي» لنجيب الكيلاني، وسيتمحور الحديث حول ثلاث نقاط: الأولى تحديد مفهومي الوصف والجمال، الثانية عرض مضمون الرواية، أما النقطة الثالثة ففيها يتم الكشف عن جمالية الوصف في الرواية.

١- تحديد المفاهيم: الوصف في اللغة

لا يخرج عن كونه نعتا وحلية للشخص أو المكان أو الشيء نعتا معينا بالحسن أو بالقبح، فوصف الشيء له وعليه حلاه، والصفة الحلية، ووصفك الشيء بحليته ونعته، وتواصفوا الشيء من الوصف، واستوصفه الشيء سأله أن يصفه له، واتصف الشيء صار موصوفا(١)، ووصف المهر والناقة ونحوها وصفًا ووصوفًا، الثوب والجسم أظهر حاله، وبيَّن هيئته (٢).

أما في الاصطلاح الأدبي فقد عرفه بعض الأدباء بأنه: «ذلك الخطاب الذي ينصب على ما هو جغرافي أو مكاني أو شيء أو مظهر فيزيونومي، أو أي شيء آخر، سواء انصب على الداخل أو الخارج»(٣)، فهو ترجمة ما هو مرئي أو محسوس إلى ما هو لفظي، أي نقل ما تراه العين أو تشعر به الحواس من ألوان أو أشكال وأحجام وهيئات ونتوءات إلى جمل وعبارات(٤)، وبعبارة أخرى، الوصف: نقل الأشياء الواقعية والطبيعية إلى أفكار ومشاعر.

والجمال لغة: الحسن، فجمل جمالاً حسن خلقه، فهو جميل، والجمع جُملاء، وتجمل تكلف الجمال (٥)، أما في الأدب فإنه يصعب تحديد مفهوم الجمال، لكون الأدباء اختلفوا في نظرتهم إليه بحسب المذاهب والاتجاهات التي ينتمون إليها، ولكن على العموم يكون الجمال في الأدب هو كل ما يبعث في النفس سرورًا، وفي الخيال متعة، وفي الفكر لذة وانجذابًا، بفعل ائتلاف الكلمات والجمل والعبارات بعضها مع بعض، واستعمال الصور الفنية والرموز.

٢- مضمون الرواية

تدور أحداث رواية «امرأة عبد المتجلي»

باحث وأديب مغربي

في قرية صغيرة من قرى مصر حول أسرة صغيرة، الزوج عبدالمتجلي موظف بسيط في مجلس القرية، نزيه في عمله، يتفانى في خدمة بلده، يحظى بشعبية واسعة وسط شباب البلدة، ضاع «ونش» (×) للدولة فبحث عنه بكل الوسائل، ولما اقترب من الكشف عن الجاني لفقت له تهمة الإخلال بأمن الدولة، فأدخل السجن وكان لاكتشافه زيف الإدارة أثر وخيم على صحته، ونظرًا لدخله المتواضع قررت زوجته أم صابرين القيام بعمل تجاري صغير لتساعده في نفقات البيت، وأقنعته بأهمية المبادرة، ثم كبر المشروع التجاري وتطور، وتغير حال الأسرة، وصار لأم صابرين أنصار وأعداء من الحكومة ومن السكان رغم كونها كريمة سخية مع كل الناس، ولا تميز بين صديق وعدو في سخائها، وأنها بنت بعض المنشآت ليستفيد منها أهل البلدة، وفي تعاملها التجاري تختلف عن بقية التجار الذين كانوا يحتكرون البضائع، ولذلك انتقم منها حسادها، فأحرقوا بيتها. لم يثن ذلك من عزيمتها، فقد تابعت مسيرة تجارتها، ومن طيب خلقها أنها عفت عن الجاني بعدما تم اكتشافه.

أما زوجها عبدالمتجلي فقد كان غير راض على طريقة تعاملها مع رجال السلطة، ومع الناس، وقد كان شيخ المسجد يزيد من غضبه على زوجته، حين أوحى إليه بأن أموالها تختلط بالحرام، وعندما ازداد تضايقه منها طلقها، فغادرته وعم البيت حزن شديد، وندم على ذلك لأنه يحبها كثيرًا، فصار يبحث عنها في كل مكان، وكانت أقاويل أهل البلدة عنها متعددة وجارحة، الشيء الذي ضاعف من همه وغمه وندمه على

الوصف في رواية «امرأة عبد المتجلي» يسوق القارئ إلى الإيمان والتصديق بالخالق عز وجل

تصرفه، وبعدما تصالحا، عادت معه إلى البيت في جنح الظلام، فقررت أخذه في رحلة إلى البحر ليستريح من متاعب العمل وليتغير طبعه، وفي المخيم كان في غاية السعادة، وبعد عودتهما من الرحلة كلفته بإدارة أعمالها التجارية في حين تتفرغ هي للبيت والأبناء، لكنه لم ينجح لأنه تسرع في بعض التصرفات التي دفعت الحاقدين عليها إلى الانتقام منها، فتعود إلى إدارة تجارتها من جديد، ويعود هو لعمله، وفي ليلة مقمرة جلست مع أطفالها في حديقة البيت تنتظر عودته من اجتماع في مجلس القرية، وبينما هي كذلك أطلق عليها الرصاص فأرداها قتيلة، وعند التحقيق مع زوجها لم يوجه التهمة إلى أحد بل وجهها إلى السلطة التي عذبته وهو يبحث عن «الونش» المسروق، فأحاله القاضي إلى طبيب الأمراض العقلية حماية له ولأسرته.

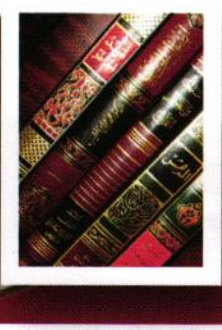
٣- جمالية الوصف في الرواية

في رواية امرأة عبدالمتجلي تتنوع المواصفات وتتعدد، فالوصف فيها ينصب على الشخصيات من الداخل ومن الخارج، وعلى الأشكال والألوان، والأماكن وغيرها، وجمال الوصف فيها ينبعث من الموصوفات نفسها، ومن لغة الوصف، فكل شيء في النص له جماليته، وسيتم التركيز على جمالية الوصف في الشخصيات والمكان وما يشتمل عليه من أثاث، لأن المقام لا يتسع للوقوف عندها كاملة.

جمالية وصف الشخصيات

يركز وصف الشخصيات على ناحيتين، الفيزيقية (الخارجية)، والداخلية (النفسية)، فالوصف الخارجي ينشغل بالملامح والوجه واللباس والطول والقصر وما إلى ذلك، في حين الوصف الداخلي ينصب على الأحوال النفسية والدوافع والنوازع، وفي هذا المقام سأقتصر على شخصيتين بارزتين في الرواية هما: أم صابرين وعبدالمتجلي، فأم صابرين تتميز بصفاء السريرة، قلبها يخلو من الحقد والضغينة، «عادت إلى بيتها في هدوء تحت جنح الظلام، كانت القرية نائمة» (٦)، إنها امرأة تأخذ بعين الاعتبار الأصول والأخلاق، وهذا ما يظهر من قول رمانة أم عبدالمتجلي عندما عادت زوجته إلى البيت «نورت بيتك يا بنت الأصول» (٧)، إنه وصف جميل لأم صابرين التي تحترم أصول الدين والأخلاق الحميدة، فهي رغم ما صدر من زوجها عبدالمتجلي تقدره وتتفانى في خدمته، وفي إسعاد الأسرة، وجمع شملها، وحفظ أسرارها مهما كانت الظروف والأحوال، فما أجمل أن يعرف الناس طيبة إنسان وحسن أخلاقه ونظافة تعامله «أيتها المرأة الطيبة.. الناس يعرفونك حق المعرفة، حتى الأعداء يسلمون بطهارة ذيلك» (٨).

إنها المرأة الطيبة العفيفة التي لا تكثر من الصخب والكلام وكثرة الشكوى، وتستطيع أن تزيل الأفكار السيئة من

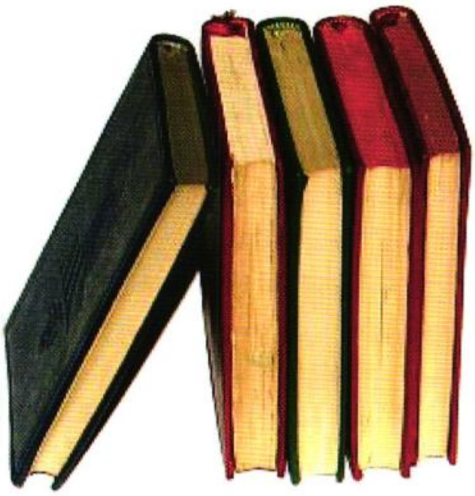


رأس زوجها وتعيد إلى قلبه الدفء والطمأنينة وتفتح له بوابة الأحلام السعيدة، «ضحكت في براعة واستطاعت أن تستل من رأسه خيوط الأفكار السوداء والتوترات المرهقة، وعاد الدفء إلى جسده، غاب في عينيها الجميلتين، رأى أشرعة الأحلام على شاطئ أزرق (٩)، «ماذا بك يا عبدالمتجلي؟ هل نسيت من أكون؟ أنا امرأة تخاف الله، ولن أتخلى عن الحشمة والوقار، ولو أوتيت مال قارون» (١٠)، إن الخوف من الله يكسب صاحبه جلالا وجمالاً منقطع النظير، «وأم صابرين جالسة في الحديقة الصغيرة أمام بيتها يحيط بها سور أخضر تختلط فيه النباتات والورود بالأسلاك الشائكة، وكانت تداعب الأطفال الثلاثة في سعادة ما بعدها سعادة، لقد مضى اليوم ناجحًا من الناحية التجارية والناحية النفسية أيضا، إنها في انتظار عودة عبدالمتجلي» (١١)، إنه وصف يحمل في طياته الود والمحبة والإخلاص الذي يغمر الأسرة بالسعادة والوئام، كما يرفع من مقام هذه الشخصية ويعلي من شأنها «أم صابرين امرأة فذة غير عادية، حينما استطاعت أن تفرض نفسها في هذا العالم المخيف» (١٢) إنها شخصية رائعة لم يزدها المال إلا حسنًا ووقارًا ومكانة في القلوب.

إن ما أصبغ من وصف على أم صابرين في الرواية ينفي التهم عنها، أو إخلالها بواجباتها الأسرية، ويبرئ ساحتها من كل ما قد قيل أو يقال عنها، مما يلوث سمعتها وشرفها، إنها لا تتكاسل ولا تتهاون في القيام بواجباتها كما تفعل كثيرات من نساء قريتها، كما أنها لا تتخلف عن مساعدة أسرتها وعن خدمة المجتمع.

إنه وصف جميل يعكس حقيقة المرأة المسلمة التي تشارك في الحياة العامة، وتجتهد في خدمة الوطن والأمة، ويدفع عنها الجمود والتخلف، ويكشف مدى التحرر في ممارسة الأعمال وإدارتها بحرية، والنجاح فيها.

عبدالمتجلي.. إنه شخصية تتميز بتقلب المزاج، فالظروف التي مر بها أثرت عليه تأثيرًا قويًا، ولولا زوجته أم صابرين التي أخذت بيده وأخرجته من عالمه المظلم لضاع إلى الأبد، «وفي هذه الليلة نام نومًا عميقًا دون أن يتعاطى قرصًا من الدواء، أو كأسًا من اللبن الدافئ» (١٣)، جميل أن الرجل عبدالمتجلي وجد الجو الأسري الدافئ الذي خفف عنه الأتعاب فتجاوب معه ونام دون مهدئات «تذكر عبدالمتجلي أيام الفقر الذاهبة»، وما فيها من عنت ومشقة، فتمتم في خشوع «هذا من فضل الله» (١٤)، إنه الإحساس بالجمال الذي يؤدي إلى شكر النعمة، والشكر يؤدي إلى دوامها، وهذا حال المسلم، فهو يجمل حياته بالشكر على العيش الرغد الذي رزق به وبتواضع للخالق عز وجل، فتصير الحياة بلا نكد ولا هم «عاد إلى الحقل، راكبًا حماره، ساحبًا بهائمه، تاركًا هموم الدنيا وراءه» (١٥)، إن الشيء الجميل في شخصية عبدالمتجلي أنه سرعان ما ينسى المشاكل ويندمج في الأجواء الجديدة التي تحيط به. «اندمج عبدالمتجلي في ضوضاء المصيف وزحامه، تناسى مشاكل الحياة وهمومها، كان كل يوم يجلس على موائد السمك المشوي اللذيذ، ويأكل



الجمبري بشهية، كان يشارك الأطفال في أكل «الآيس كريم» والحلوى والشيكولاته، وكان حريصًا في الوقت نفسه على تأدية الفرائض» (١٦)، إن الجمال يزداد حين يأتي الشخص ما لذ وطاب من النعم في الحياة، وفي نفس الوقت يباشر عبادة ربه ويؤدي ما عليه من الفرائض، ويسارع إلى الندم والتوبة على الأفعال السيئة التي بدرت منه، فعندما طلق زوجته، تذكر في الحين أنه كان متسرعًا في اتخاذ هذا القرار المجحف في حقها، فهي الزوجة التي لم يسمع ولم ير منها ما يسيء إليه أو إلى اسرته أو إلى دينه، أدرك في الحال أن الغضب جنى عليه، فعشرتها طيبة، ولذلك بادر إلى إصلاح ما وقع فيه من تصرف غير لائق، وإرجاعها إلى البيت، «دخل عليها عبدالمتجلي غرفتها في مخبئها، كانت تبدو له أكثر شحوبًا ونحافة وأناقة وجمالاً، قرأ في عينيها قصائد العتاب العذاب، لمح في وجهها

إشراقات الود القديم، كان معه العمدة والمأذون، عانقها وقبلها بخياله، وهام في الدنيا الرائعة التي وشتها بإخلاصها وحبها وكلماتها الصادقة طول فترة الزواج العامرة بالعواطف والأحداث» (١٧)، صفات جميلة إيجابية تعمق الوعي بالذات التي تغير وضعها إلى الأحسن، وتدل دلالة رائعة على جمال الحب الصافي، والمودة الخالصة التي يكنها زوج لزوجته، والعواطف الصادقة البعيدة عن العبث والمراوغة.

جمالية وصف المكان

المكان سواء كان فضاء واقعيًا أو متخيلًا، مغلقًا أو مفتوحًا، أليفًا أو متوحشًا، فارغًا أو مؤثثًا، يشكل عصب الوصف في الرواية، لأنه بمنزلة خزان للأفكار والمشاعر والأحداث، ففيه تتحرك الشخصيات، وتعبر عن وجهات نظرها، وفيه تنمو العلاقات فيما بينها، وفيه تجري الأحداث، فيؤثر كل طرف في الآخر، ولذلك يعد أحد العناصر الفنية البارزة في الرواية، لأنه: «ليس عنصرًا زائدًا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل إنه أحيانا قد يكون هو الهدف من وجود العمل كله» (١٨)، وسأكتفي بالحديث عن المكان الخاص ممثلا في بيت عبدالمتجلي وإبراز معالمه الجمالية التي تمتع القارئ «البيت الجميل الذي بنته زوجته والأثاث الفاخر تتناسق قطعه وألوانه والخدم يسهرون على راحتهم» (١٩)، إن جمال المكان فيه تمجيد للشخصية الموصوفة، وهو يدل على تغير أحوالها المادية، وعلى الراحة النفسية والهدوء والطمأنينة ويخلق فيها إحساسًا جماليًا عظيمًا، وتأثرًا واستجابة، إن وصف المكان هنا يعكس مزاج شخصية عبدالمتجلي، فهو يبدو صافي المزاج، هادئ البال لين الطبع، فبيت عبدالمتجلي صار أليفًا جميلا على حد تعبير باشلار (٢٠)، ولذلك فلا مجال للقلق والتشنج والضيق.

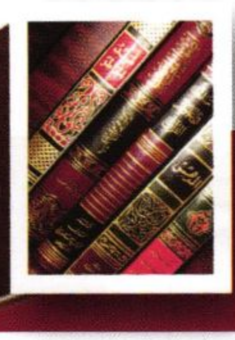
جمالية الأثاث

للأثاث ارتباط وثيق بالمكان، فهو قيمة مضافة له، يعكس جماليته، وأبعاده الاجتماعية والفكرية، فأثاث بيت عبدالمتجلي الجديد زاده أناقة ورونقًا يشعر فيه بالأمن ورغد العيش الذي طالما حرم منه قبل أن تشتغل زوجته في التجارة، فهو بيت متسع يحتوي على كل وسائل الراحة، «المراوح الكهربائية ترسل نسيما عليلا، والفواكه الموسمية الطازجة موضوعة في أطباقها ذات الأشكال البديعة، والسجاد الفاخر يغطي الأرض الرحبة، والثريات المتألقة تتدلى من السقف، والصور التذكارية له ولأم صابرين والأولاد تشرق بالفرحة بين أطر مذهبة على الحائط النظيف» (٢١)، فالبيت أنيق، أثاثه منظم، يكشف عن المستوى الاجتماعي الراقي، فلم يعد عبدالمتجلي ذاك الموظف الفقير البسيط، بل صار ينتمي إلى طبقة الميسورين.

إن الوصف عمل ذو أهمية بالغة في الرواية المذكورة، ذلك أنه كشف عن مظاهر الجمال في كل مكوناتها، فهو وصف لا يكشف السوءات، ولا يهتك الأستار، لا يستهزئ ولا يحتقر، لا يفحش القول ولا يغلظ فيه، لا يوغل في التجريد ولا يبالغ في الواقعية، إنه وصف إيجابي وليس عبثيًا، يبني ولا يهدم، لا يخالف المعتقدات والقيم، بعيد عن الابتذال، خصوصا فيما يتعلق بوصف المرأة، فضلا عن كونه أكسب النص شعريته وجماليته وأنه يساعد بشكل كبير في تبليغ الخطاب إلى المتلقي، فيجعله يحس بجمال الموصوفات، ويتلذذ بتجلياتها، وينجذب إلى النص ويتابعه، ويسوقه في الأخير إلى الإيمان والتصديق بالخالق عز وجل.

الهوامش

١- لسان العرب، ابن منظور. ط.دار صادر بيروت.
٢- المعجم الوسيط د.إبراهيم أنيس وآخرون ج١ ط٢، ١٩٧٢.
٣- وظيفة الوصف في الرواية، ص٦ عبداللطيف محفوظ، ط١ دار اليسر ١٩٨٩.
٤- نفسه ص ٦.
٥- المعجم الوسيط (سابق).
٦- الرواية ص ١٣٧.
٧- نفسه ص ١٣٧.
٨- نفسه ص ١٣٨.
٩- نفسه ص ٢٩.
١٠- نفسه ص ١٥٦.
١١- نفسه ص ١٧٩.
١٢- نفسه ص ١٤٢.
١٣- نفسه ص ٣٠.
١٤- نفسه ص ١٥٢.
١٥- نفسه ص ٢٥.
١٦- نفسه ص ١٥٧.
١٧- نفسه ص ١٣٦.
١٨ - بنية الشكل الروائي، ص ٣٣ حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٠.
١٩- الرواية ص ١٥٢.
٢٠- جمالية المكان ص ٣٣، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلس، ط٢ المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت ١٩٨٤.
٢١- الرواية ص ١٥٢.



«محمد ﷺ» في شعر النّصارى العرب!

محمد عبدالشافي القوصي *

للشعراء النصارى العرب أثر كبير في الأدب العربي قديمه وحديثه، إذْ احتوتْ قصائدهم على إشارات إلى الحوادث التي عاشوها كالحروب والمعارك السياسية والعلاقات الاجتماعية وغيرها، إلا أنه لم يصل إلينا من مؤلفاتهم الأدبية إلا دواوين الشعر والحكم. والملاحظ أن المسيحية العربية كانت مسالمة لا تحدوها مطامح سياسية، لذلك لم تعشِ المسيحية العربية - كأقلية دَينية - خطر التقوقع والانغلاق على الذات والانطواء على النفس داخل المجتمع الإسلامي، بل اندمجت مع المجتمع من حولها، فكانت على مسيحيتها أقرب روحًا إلى المسلمين العرب منها إلى أبناء طائفتها فانخرطت في المحيط الإسلامي وذابت فيه، وبذلك شكلت المسيحية العربية واقعًا اجتماعيًا وثقافيًا فرض نفسه في بلاد المشرق.

واحتفظت المسيحية العربية بخواص تميزها عن جميع المسيحيين الآخرين في المجتمعات الأخرى، فكانت أقرب الفئات روحًا وثقافة إلى المسلمين ولها صلات حضارية تفوق ما للفئات المسيحية الأخرى، فهيأتْ الطريق في قلوب العرب لقبول الدعوة الإسلامية حتى انتصرت على الوثنية.

هذا وقد حفل العصر الحديث بعدد وافر من الشعراء النصارى العرب، أمثال: خليل مطران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبي ماضي، وميخائيل خليل ويردي، والشاعر القروي، وجبران، والأخطل الصغير، وشبلي ملاط، وإلياس فرحات، وجورج صيدح، وجاك صبري شماس، وغيرهم من الذين حملوا على عاتقهم رسالة الأدب الرفيع والدفاع عن مقدرات الأمة الثقافية، فنافحوا عن لغة الضاد، وعن أعلام ورموز ومقدسات الأمة، كما رأينا منهم من تصدى بالرد على المتطاولين على الإسلام وحضارته، والدفاع عن الرسول الأكرم ﷺ.

وها نحن نسوق ألوانًا من الشعر العذب الجميل الذي تغنى به العرب النصارى، مما يؤكد أن عروبة هؤلاء وانتمائهم لسيّد العرب والعجم محمد ﷺ هو انتماء مفاخرة وحنين ونسب يعلو على كل رابطة أخرى.

أبرز ما يميز شعر المسيحيين العرب عذوبة الألفاظ وصدق العاطفة

فهذا هو الشاعر حليم دمّوس (١٨٨٨-١٩٥٧) الذي ولدَ في «لبنان» وسافرَ إلى البرازيل ثم عادَ إلى بلاده، شاركَ في تحرير جريدة «المهذّب» واستوطنَ دمشق بقيّةَ حياته، وكانت له نزعة خاصة في الشعر، وقد نظمه وهو في العاشرة من عمره، قبل أن يتعلم أصوله ويدرسه، ومن أعماله الإبداعية: «ديوانُ حليم»، ومجموعة شعرية بديعة مصورة بعنوان «المثالثُ والمثاني»، ومجموعة شعرية أخرى باسم «صدى الجنان» وهي تضم قصائد التهنئة والمراسلات، و«الأغاني الوطنيّة» و«رباعيات وتأملات» وهي مجموعة شعرية نثرية أخرجها تباعًا في عشرين جزءًا تحوي أقوالًا بليغة وقصائد حكيمة فيها عِبرة وذكرى مستمدة من صميم الحياة ومن التجارب التي مرت بالشاعر الثائر على النظم العقيمة والتقاليد البالية.. كما نظم ملحمة كبيرة ضمنها بطولات العرب وآثارهم وفتوحاتهم ومدنيتهم، وتعتبر فتحًا جديدًا في الأدب العربي، وله مؤلفات أخرى مثل: «قاموس الأعلام» و«يقظةُ الرّوح»، وغيرها، ومن شعره في الرسول الأكرم ﷺ:

أمحمدٌ والمجد بعض صفاته ... مجّدتَ في تعليمك الأديانا

بُعِثَ الجهادُ لدن بُعثتَ وجُرّدتْ ... أسياف صحبك تفتح البلدانا

ورفعت ذكر الله في أميّة ... وثنية ونفحتها الإيمانا

مرحى لأميٍّ يُعلّم سفرهُ ... نبغاء يعرب حكمة وبيانا

إني مسيحيٌّ أحبُّ محمدًا ... وأراهُ في فلك العُلا عنوانا

وفي قصيدة أخرى طويلة، يقول الشاعر حليم دموس:

تغنَّىْ عروسَ الشّعر باسم محمد ... وهزي بني الدنيا بسيرة أحمدِ

لعمركَ ما الأديانُ إلا نوافذٌ ... ترى الله منها مقلة المتعبد

فألمحُ في القرآن عيسى بن مريم ... وأشهدُ في الإنجيل روح محمد

وهذا، شاعر القطرين «خليل مطران» يقول في قصيدته: «رسالة محمد.. رسالة الله»:

* عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

عانى «محمد» ما عانى بهجرته
لمأربٍ في سبيل الله محمودِ
وكمْ غزاةٍ وكمْ حربٍ تجشّمها
حتى يعودَ بتمكينٍ وتأييد
كذا الحياةُ جهادٌ، والجهادُ على
قدْرِ الحياة، ومن فادى بها فُودي!

وعن أثر الرسول يقول شاعر القطرين:

بأيّ حلمٍ مُبيدِ الجهل عن ثقة
وأيّ عزمٍ مذلّ القادة الصيد
أعاد ذاك الفتى الأمّيّ أمته
شملًا جميعًا من الغرّ الأماجيد
صعبان راضهما: توحيد معشرهم
وأخذهم بعد إشراك بتوحيد
وزاد في الأرض تمهيدًا لدعوته
بعهده للمسيحيين والهود
وبدئه الحكم بالشورى يتم به
ما شاءهُ اللهُ عن عدلٍ وعن جُود
هذا هو الحق والإجماع أيده
فمن يفنّده أولى بتفنيد!

أما الشاعر المهجري «جورج صيدح» الذي نال شهرة واسعة بين معاصريه، فكثيرًا ما كان يوظّف المعاني والدلالات القرآنية بما يخدم به أفكاره ورؤاه الإبداعية، فيقول في قصيدته «صحراء يثرب»:

شرَفًا حراءَ الغار هل
كحراءَ في الدنيا مكان؟
أخذ الشهادةَ من شفا
ه المصطفى أخذ البنانْ
في صدره ضمَّ النّجيَّ
وصانَ معجزةَ الزمانْ
وتنزّلتْ أمُّ الكتابِ
على اليتيم مع اللّبانْ
فهدى الأعاربَ ذلك الـ
أمّيُّ بالسُّور الحسانْ
أضحوا وفي الدنيا لهم
شأنٌ وعند الله شانْ

«مطران والقروي وميخائيل ويردي» أشهر من مدحوا الرسول ﷺ

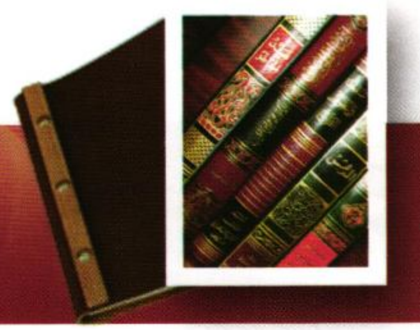
يا صاحبيَّ بأيّ آلاء
النبيّ تكذّبان؟
يا مَن سريت على البرا
ق وجُزْتَ أشواطَ العنان
آن الأوان لأنْ تجدّ
دَ ليلةَ المعراج.. آن
أنتَ الذي علّمتهمْ
دفعَ المهانة بالسنانْ
ونذرت للشهداء جنا
ت وخيرات حسانْ
يا صاحبيَّ بأيّ آلاء
النبيّ تكذّبانْ؟

كذلك من المسيحيين الذين أشادوا بعظمة رسول الله ﷺ، الشاعر «إلياس قنصل» وهو من شعراء المهجر الجنوبي، وهو صاحب المطولة العظيمة التي سماها «النبيّ العربي الكريم» وطبعها في ملزمة مستقلة في ٣٢ صفحة من القطع المتوسط وعدد أبياتها ٨٣ بيتًا، افتتحها بمقدمة قال فيها من بين ما قال: «قرأت لأحد الكتّاب مقالة، فإذا هي التحامل الكافر على الأمة العربية، والتلميح الفاجر إلى جمودها لتمسكها بالقرآن الكريم.. وكرَرْت إلى التاريخ أراجع مرة جديدة، سيرة النبي الهاشمي ﷺ فإذا بي مرة جديدة أمام دنيا من الأخلاق السامية والمواقف الجبارة، خططت للعالمين صراط الحق والهدى والعدالة الاجتماعية الصحيحة التي يبحث عنها الناس، ويسفكون بين الفترة والفترة لتركيزها دماءهم! واستعرضتُ أعمال الذين يدّعون أنهم يريدون أن يقودوا العالم إلى رياض السلام والطمأنينة فلم أجد إلا أظافرهم تمزق المقدسات الإنسانية، وإلا الكذب والخداع فيما يبدون وفيما يكتمون، فخفّ استغرابي لتحامل الكاتب وتضليله، ورأيتني أتقدم إلى الرّد عليه بسلسلة من المقالات كشفت نياته، وفضحت ترهاته، وجعلته من القوم الخاسرين، ثم اندفعتُ إلى جلاء الشعور الذي ساورني، وأنا أمعن في استقصاء البطولات التي ظهرت في أمتي- وفرعها في السماء- فكانت قصيدتي هذه.. أنا لم أطالع في سيرة الرسول حياة نبي دعا الناس إلى عبادة الواحد القهار فحسب.. وإنما طالعت فيها- إلى ذلك- استعراضًا لوقائع العزة والكرامة وصورًا عما تستطيع أمتنا أن تأتيه من الأفعال لو عمدتْ إلى هذه الأخلاق فجعلتْ منها النور الذي يهديها سواء السبيل» ثم يصدّر إلياس قنصل قصيدته في مدح النبيّ مُحمّد ﷺ بقوله:

ماذا تهمّ طوارق الحدثان
خلق الجهاد لكلّ ذي وجدان
الحقّ شرعك فامض فيه مؤمّلا
ما آبَ غيرَ الكفر بالخذلان
عميتْ نفوسُ الناس من أهوائها
فأعدْ جمال النور للعميان
لا فرق بين ملفّف بضلاله
وملفّف بنواصع الأكفان

ثم ينتقل الشاعر «إلياس قنصل» بعد ذلك إلى الحديث عن أحداث ووقائع من السيرة العطرة، وثبات الرسول ﷺ في دعوته، والتصدي لإغراءات القوم التي عرضوها عليه من مالٍ وجاهٍ وسلطان، فيقول:

إني ذكرتكَ يا مُحمّدُ والعدى
يتألبون تألّبَ الذؤبانِ
ضَرَبَتْ على أبصارهم وقلوبهم
ليلَ الفسادِ أصابعُ الشيطانِ



لغة وأدب

إني ذكرتُك يا محمدُ مُصغيًا
لحديثِ عمٍّ ناصحٍ حيرانِ
يغريكَ بالذهبِ الوفيرِ وكم عنَتْ
للفلسِ من مُهَجٍ ومن أذهانِ
إنْ كنتَ تبغي أن تكونَ مسوّدًا
جاءتْ إليكَ سيادةُ الأقرانِ
ما المالُ حين تقيسهُ برسالةٍ
عُلْويةٍ؟ ما المجدُ؟ ما القمرانِ؟
مَثَلٌ من الخُلُقِ الجليلِ تركتَهُ
درسًا لكلِ مناضلٍ متفانِ

ويختتم الشاعر «إلياس قنصل» قصيدته، معتذرًا عما إذا كان قد قصّر فيما كان يصبو إليه من مدح وثناء أو خانه التعبير في الوصول إلى الكمال المحمدي، فيقول:

يا مَنْ يثيرُ حماستي بكمالهِ
عذرًا إذا شاهدتَ ضعفَ لساني
هي باقةٌ تُهدى إليكَ زهورها
من خيرِ ما يزهو به بستاني

ومن أشهر شعراء المهجر الجنوبي يبرز لنا اسم «رشيد سليم الخوري» الذي اشتهر بلقب «الشاعر القروي» وقد صاغ قصيدة رائعة بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف بعنوان «عيد البرية» يشيد بهذه المناسبة العطرة، وما فيها من ذكريات غالية، فيقول:

عيد البرية عيد المولد النبوي
في المشرقين له والمغربين دوي
عيد النبي ابن عبدالله من طلعتْ
شمس الهداية من قرآنه العلوي
بدا من القفر نورًا للورى وهدى
يا للتمدّن عمّ الكون من بدوي

ثم يمضي الشاعر «القروي» في قصيدته ليستحث المسلمين لاستعادة مجدهم القديم منها، ويقرئ رسول الله ﷺ سلاماته وحبه وتحياته فيهتف:

يا فاتحَ الأرض ميدانًا لدولته
صارتْ بلادكَ ميدانًا لكلّ قوي
يا قوم هذا مسيحيٌّ يذكّركُمْ
لا يُنْهضُ الشرقَ إلا حبنا الأخوي
فإنْ ذكرتُمْ رسولَ اللهِ تكْرمةً
فبلّغوه سلامَ الشاعرِ القروي

ولا يفوتنا في هذا المجال أن نذكر الشاعر المسيحي «عبدالله يوركي حلاق» الذي أمضى عمره يباهى بالإسلام، ويمتدح الرسول محمدًا ﷺ مُظهرًا إعجابه الكبير به، حتى إنه لم يترك مناسبة ثقافية أو لقاءً إعلاميًا يجرى معه إلا وتحدث بإسهاب عن الإسلام دينًا إنسانيًا ساميًا هدى البشرية إلى النور والحب والعدل والسلام، وعن القرآن الكريم معجزة إلهية تعنو لبلاغتها الجباه.. وفي عام ١٩٣١م أسس «مجلة الضاد» في حلب وقد أصدر عبد الله يوركي حلاق كتبًا عدة، إلى جانب أربعة دواوين شعرية، وترك أكثر من عشرين ديوانًا مخطوطًا تتولى الجهات الثقافية الرسمية في سورية الآن إصدارها تباعا.

يقول «رياض حلاق» ابن الشاعر: كان الشاعر «عبدالله حلاق» حريصًا على قراءة الكتب الدينية المسيحية المقدَّسة، ولكن حرصه كان أشد على قراءة القرآن الكريم يوميا، وما زلتُ أذكر كيف كان يرتله بخشوع في البيت ويحرص على أن نستمع إليه وهو يرتل، ثم يتوقف ليشرح لنا المعاني السامية التي فيه، والبلاغة العظيمة في آياته.

هذا الجانب من الإعجاب الشديد بالإسلام وكل ما يتعلق بالإسلام عكسه «عبدالله حلاق» طوال حياته في أشعاره ولقاءاته الصحفية، ومن يقرأ أشعاره يجد هذا الجانب واضحا، وما زالت جوامع ومساجد مدينة حلب حتى اليوم تردد في الاحتفالات الدينية، وفي تسابيح التهجد قبل صلاة الفجر الأشعار التي كتبها «عبدالله حلاق» في مديح النبي محمد ﷺ، وهي أشعار كثيرة مبثوثة بين صفحات دواوينه المطبوعة والمخطوطة، ولعل أشهرها قصيدته النونية التي ألقاها في مهرجان الشعر الدوري السادس الذي أُقيم في دمشق يوم ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١م التي مطلعها:

قبسٌ من الصحراء شعشع نوره
فجلا ظلام الجهل عن دنيانا
ومشى وفي أردانه عبق الهدى
وأريج فضل عطّر الأكوانا
بعث الشريعة من غياهب رمسها
فرعى الحقوق وفتّح الأذهانا
مرحى لأميٍّ يعلّم سِفْرَهُ
نبغاء يعْرب حكمة وبيانا
من ذا يجاذبهُ الفخار وقد حمى
أمّ اللغات وشرّف العُربانا؟
إنّي مسيحيٌّ أجلُّ محمدًا
وأراهُ في سِفْرِ العُلا عنوانا
وأُطأطئ الرأس الرفيع لذكْر مَنْ
صاغ الحديث وعلّم القرآنا
إنّي أُباهي بالرسول، لأنهُ
صقَلَ النفوس وهذّب الوجدانا
ولأنهُ داس الجهالةَ وانتضى
سيف الجهاد فحطّم الأصناما

وأما الشاعر النصراني «رياض المعلوف» وهو من شعراء المهجر، نراه يفاخر بحضارة الإسلام في قصيدة له بعنوان «وحّد الله» فيقول:

وحّد الله فالمؤذن وحّد
وبذكر النبي في العيد أنشد
عيدك اليوم غبطة وابتهاج
لجميع الأعراب والله يشهد
إيه قرآنك الكريم كتاب
رائعٌ كله ودُرٌّ منضّد

عِـبَـرٌ كـلـه وقــول كـريم
كـلـمـا طـال عـمـرهُ يـتـجـدد
وكفى العُرب فخرهم بانتساب
لـنـبـيٍّ هـو الـنـبـي محمد

هـذا، وهـنـاك قصيدة نظمها شاعر حمص «وصفي قرنفلي» أعلن فيها عظمة محمد ﷺ وحبه لمبادئه السامية، وفيها يرد على من يتهمه بعدم إخلاصه، يقول في مطلع القصيدة:

قـدْ يـقـولـون: شـاعـرٌ نـصـرانـي
يـرسـل الحب فـي كـذاب البيـان
أوَعـــارٌ عـلـى فـتـى يـعـربـي
أنْ تـغـنّـى بـالـسـيّد الـعـدنـانـي
صـاح بـالـشـرق واسـتـثـار نـبـيّه
فـتـنـادوا بـالـفـرس والـرومـان
أفكُنّا لـولا الـرسـول سـوى العبدا
نِ ســاءت مـعـيـشـة الـعـبـدانِ
فـالـتـحيّاتُ والـسـلامُ أبـا الـقـاسم
تُـهـدى إلـيـك فـي كـل آن
مـا تـراءيـتُ بـالـهـوى، بـلْ سقاني
طـائـف الـحـب والـهـوى مـا سقاني

والشاعر اللبناني الكبير «شبلي ملاط» كان واحدًا ممن جاءوا إلى مصر سنة ١٩٢٧م ممثلًا دولته في مبايعة شوقي لإمارة الشّعر، وكان قد ألقى قصيدة رائعة، قالوا عنها إنها أحسن ما يقال! حتى إن الحفل الكبير قد قام لها وقعد مرتجًا بعواصف التصفيق والتهليل، ذكَّر فيها العرب والمسلمين بأمجادهم التي عمّت الدنيا في الماضي، وطالبهم بالعمل واليقظة لانتشال العالم من وطأة الطغيان والفوضى التي صارت قانونًا. المهم أنه تحدث فيها عن فضل الرسول الكريم على العرب خاصة، وعلى الدنيا بصفة عامة، وكان مما قاله:

مَـنْ لـلـزمـان بـمـثـل فضل مُـحـمّـد
وعـدالـة كـعـدالـة الـخـطّـاب؟



«قرنفلي وحلاق وجاك شماس» أكثر من كتبوا في الإسلاميات

رفـع الـرسـولُ عـمـاد أُمّـة يـعـرب
وأمـدّهـا بـالآل والأصـحـاب
غشت الـفـتـوح، وصـفّـقت رايـاتـها
فـي الـشـرق فـوق أبـاطـح وهـضـاب

كما نرى الشاعر اللبناني «جورج سلمتي» يمدح نبيّ الإسلام ويجيد أيما إجادة في البيان الساحر العذب، لكنه قبل أن ينهي قصيدته، نراه يتوجّه بالاعتذار لرسول الله ﷺ، خشية أن يكون قد خانه التعبير فتلعثم لسانه ولم يصل إلى مبتغاه، فيقول:

يـا سـيّدي يـا رسـول الـله معـذرةً
إذا كبا فيك تبياني وتقصيري
وأنـت ربّ الـبـيـان الـفـذ فـي لغة
تشأو اللغى حسن تنميق وتصوير
مـاذا أوفـيـك مـن حـق وتـكـرمـة
وأنـت تـعـلـو عـلى ظنّي وتقديري

وهـذا الشاعر المبدع الجميل «جاك صبري شماس» عضو اتحاد كتّاب سورية، يستهل ديوانه «هواجس في أعماق شاعر» بقصيدته «أوراق اعتمادي» والتي يقول مطلعها:

إنّـي مـسـيـحيٌّ أُجِـلُّ مُـحـمّـدًا
وأُجِـلُّ ضـادًا مـهـدهـا الإسـلامُ
وأُجِـلُّ أصـحـاب الـرسـول وأهـلـه
حيث الـصـحـابـة مـوقـف وإمـام
كحّلتُ شعري بـالـعـروبـة والـهـوى
ولأجـل «طـه» تـفـخـر الأقـلامُ
أودعـتُ روحـي فـي هـيـام مُحمّد
دانـتْ لـه الأعـرابُ والأعـجـامُ

ويقول في قصيدة رائعة بعنوان «هذا هو الإسلام»:

مـاذا أُسطّـر عـن نـبـوغ «مـحـمّـد»
ومـبـادئ شـمـخـتْ بـهـا الـعـلـيـاءُ؟
وتـنـاقـلـت عـبـر الأثـيـر يـرومـهـا
مـن كـل فـجٍّ مـؤمـنٌ ودعـاءُ
نـاشـدتُ طـهـرك يـا رسـولُ محبّذًا
دينًـا تـوشّـح طـهـرهُ الـنـعـمـاءُ

وفي قصيدة أخرى، حملت عنوان «خاتم الرسل» يقول شاعرنا جاك شماس:

يمّمتُ «طـه» المرسـل الـروحـانـي
ويُجلُّ «طـه» الـشـاعـر الـنـصـرانـي
يـا خـاتم الـرسـل الموشح بـالـهـدى
ورسـول نُـبـل شـامـخ الـبـنـيـانِ
مـاذا أُسطّـرُ فـي نـبـوغ «مـحـمـد»
درب الـنـجـاة وشـعـلـة الـفـرقـان
أنـا يـا «مُـحـمّـدُ» مـن سـلالـة يعرب
أهـــواك ديـنَ مـحـبـةٍ وتـفـانِ
وأزودُ عـنـكَ مـولّـهـا ومـتـيّـمًا
حـتـى ولـوْ أُجـزى بـقـطـع لـسـانِ
أكـبـرتُ شـأوكَ فـي فصيح بلاغتي
وشـغـاف قـلـبـي مُـهـجـتـي وبـيـانـي
مهما مـدحـتـكَ يـا «رسـول» فـإنكم
فـوق المـديـح وفـوق كـل بـيـانِ

أخيرًا؛ يكفي هذا القدر من الشواهد الدالة- من شهادات المسيحيين العرب العقلاء والمبدعين الحقيقيين الشرفاء- على عظمة الرسول مُحمّد ﷺ وما جاء به من النور والهدى إلى الناس جميعًا.. ويكفي من القلادة ما يحيط بالعنق!

شعراء من أصحاب رسول الله ﷺ

كعب بن مالك



د. يعقوب الغنيم
* وزير التربية الأسبق في دولة الكويت

على عكس ما كان متوقعا فإن الشعر لم يخبُ على عهد رسول الله ﷺ، فكثر عدد الشعراء وكلهم كانوا من أصحاب الرسول الكريم المحيطين به المصدقين برسالته. وكان هؤلاء يقومون بمهمة كبيرة في سبيل الدفاع عن الرسول ﷺ وعن الدين الحنيف، ويردون بأعنف الردود على الشعراء المناوئين، وهؤلاء ان شاء الله مستثنون من وصف بعض الشعراء الوارد في الآية الكريمة التي تقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ فقد منّ الله على الشعراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن الصادقين الصالحين من الشعراء فقال عز وجل: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا وانتصروا من بعد ما ظلموا...﴾(الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧).

هـذا هـو الشـاعـر الـذي سيكـون موضوع مقالنا هـذا بعد المقال الذي سقناه فيما سبق عن الشاعر حسان بن ثابت، انه الشاعر كعب بن مالك بن أبي كعب الملقب بالأنصاري لأنه من أنصار رسـول الله ﷺ من أهل المدينة، وكان خزرجيًا من أصل يماني، ولكنه نشأ فـي المدينة، وتـزوج بها وأنجـب عـددًا كبيرًا من الأولاد والبنات.

واشتهر بقول الشعر، ولـه اهتمام بالحديث الشريف فقد رويت له أحاديث نبوية يصل عددها إلى ثمانين حديثًا، وهو إلى جانب ذلك ثقة لا يتردد أحد في الأخذ بمروياته.

كان كعب بن مالك من أوائل مسلمي أهل المدينة، وقيل إنه أسلم في وقت لم يكن معه فيه أكثر من أربعين مسلمًا من أهلها، وقد صلى الجمعة فيها قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ إليها، وقدم إلى الرسول الكريم ﷺ وبايعه بيعة العقبة الثانيـة ومعـه سبـعون رجـلا وامـرأة، وقد تحدث كثيرًا عن هذا الأمـر منذ خـروجهـم بـرئـاسـة الصحابي الجليل البراء بن معرور.

روت كتب التاريخ، وتلك التي سجلت سير الصحابة رضـوان الله عليهم ما حدث في هذه الرحلة، وكيف تم اللقاء بـرسـول الله ﷺ، وكيف تمت البيعة، وكـان من أكثر ما أدخل السـرور على قلب كعب بن مالك في هذه الرحلة ما ذكره بقوله: «دخلنا المسجد، فإذا رسول الله ﷺ وعمه العباس جالسين ناحية المسجد فسلمنا ثم جلسنا، فقال رسول الـلـه ﷺ للعبـاس: هـل تـعـرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ فقال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، فوالله ما أنسى قول رسـول الله ﷺ: الشاعر؟ قال: نعم.

لقد شعر الشاعر بالفخر أن عرفه الرسول الكريم، وكانت سعادته بهذه الكلمة كبيرة جدًا.

وانتشر الإسـلام فيما بعد، وذلك بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ثم بدأت المـغـازي الـتـي ذكـرهـا تـاريـخ الإسـلام منذ بدايته وكانت أولها غـزوة بدر ثم غزوة أحد، وكان كعب بن مالك رضي الله عنه مشاركًا في المغازي كلها إلا أنه تخلف في إحداها وهـي غزوة تبوك، ولما جرى لـه بعد ذلك حديث طـويل لا مجال لسرده في هذه العجالة، ولكننا نعرف أنه تخلف مع اثنين من أصحاب رسول الله ﷺ ولـم يكن لهم عذر في ذلك، وكانت مكانتهم في الإسـلام سببًا من أسباب مؤاخذتهم، ولكن توبتهم فيما بعد كانت صادقة ومعاناتهم جراء هذا الـذي صنعوه، كانت معاناة لا تطاق، ولقد مَنّ الله سبحانه عليهم بالعفو في كتابه الكريم (انظر الآيتين رقم ١١٧ ورقـم ١١٨ من سـورة التوبة)، ولمعرفة تفصيل ما حدث فإنك تجد في كتاب اللؤلؤ المرجان على لسان كعب بن مالك كل ما تريد معرفته.

كان كعب بن مالك شاعرًا مشهورًا منذ ما قبل الإسلام بدليل سماع رسول الله ﷺ به، وإبلاغه بذلك في أول لقاء تم بينهما، وكـان يقول لـه فيما بعد: «إنك لحسن الشعر»، وعدَّه نقاد الشعر القدماء من فحول الشعراء، ومن هؤلاء



ابن سلام الجمحي الذي عده من فحول شعراء المدن العربية، وإذا كنا نتحدث عنه بصفته شاعرًا من شعراء رسول الله ﷺ، فإننا سنضرب صفحًا عن شعره الذي قاله قبل الإسلام وإن كان شعرًا جيدًا عرف به بين الشعراء، وليس أمامنا هنا إلا استعراض شعره الذي قاله في الفترة الإسلامية.

لا يختلف اثنان من رواة الشعر في أن شعر كعب بن مالك كان قويًا وكان غزيرًا، وهو بمنزلة سجل للتاريخ الإسلامي في تلك الفترة المتقدمة التي عاش فيها، ذكر الرسول الكريم كثيرًا وأثنى عليه، وعندما حلت الكارثة بوفاة سيد الخلق كان هذا الشاعر من أوائل من رثاه وبكى فقده، ولم يقتصر على قصيدة واحدة، بل إن له لأكثر من قصيدة لم يثبت الديوان إلا اثنتين منها، إحداهما:

يا عين فابكي بدمع ذرَى
لخير البرية والمصطفى
وبكّي الرسول وحُقَّ البكا
ء عليه لدى الحرب عند اللقا
على خير من حملت ناقة
وأتقى البريَّة عند التُّقى

والثانية منهما:

وباكية حرَّاء تُحزن بالبكا
وتلطمُ منها خدها والمقلدا
على هالك بعد النبيِّ محمد
ولو علمت لم تبك إلا محمدًا
فُجعنا بخير الناس حيًا وميتا
وأدناه من رب البريَّة مقعدا

واشتد حزنه على حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، فبكاه بقصائد عدة وصلت إلينا منها أربع أوردها جامع الديوان، وتحدث عن غزوة بدر وعن غزوة أحد والخندق وغيرها من الوقائع التي تمت في زمنه، وكان له في كل واحدة منها أكثر من قصيدة، واستفزه ما حدث للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان يحث قومه على نصرة خليفة رسول الله ﷺ، وعندما وقع ما لم يكن يتمناه فقتل الخليفة رثاه في قصائد عدة، ولقد امتلأ شعره بالرد على مناوئي الإسلامي وأعدائه، والحث على نصرة الدين القويم، وشعره يمتلئ بالحماسة والدعوة إلى الدفاع عن الحرمات ولو كان ما بين أيدينا منه كاملًا لوجدنا الشيء الكثير مما نحس به عند قراءة أشعاره من روح قوية ملأها الإسلام نورًا ووعيًا وحبا لله ولرسوله.

ذكر محمد بن عمران المرزباني الشاعر كعب بن مالك في كتابه «معجم الشعراء»، فقال إنه يكنى: أبا عبدالله، وإنه شاعر رسول الله ﷺ، وإنه توفي في زمن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكر أن الشاعر قد كبر حتى ضعفت قواه وكُفَّ بصره، وقال المرزباني: إن الشاعر قد قال أفخر بيت قالته العرب وهو:

وببئر بدر إذ يرد وجوههم
جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقد روي أن الرسول الكريم ﷺ قال: يا كعب ما نسي ربك، أو: ما كان ربك ناسيا بيتا قلته، قال كعب: وما هو يا رسول الله، فقال: أنشده يا أبا بكر، فأنشده البيت التالي:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها
وليُغلَبنَّ مغالب الغلاب

وذَكر كعب بن مالك في موضع آخر هو من المواضع المهمة من كتب اللغة والأدب، فقد أورد عبدالقادر بن عمر البغدادي بيتًا من الأبيات التي اتخذت شاهدًا من شواهد النحو وهو قوله:

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها
بله الأكف كأنها لم تخلق

ثم أورد القصيدة التي منها هذا البيت وهي من قصائد ديوان كعب بن مالك، ولكنه قبل ذلك ذكر بيتًا آخر من هذه القصيدة، وقال: «والبيتان من قصيدة لكعب بن مالك، شاعر رسول الله ﷺ، قالها في وقعة الأحزاب (الخندق)، وأوردها أصحاب السير والمغازي في كتبهم».

وبعد أن أورد القصيدة قام بشرحها شرحًا وافيًا في شرح أبيات مغنى اللبيب ج ٦ ص ٢١٦.

وبعد، فهذا رجل من الرجال الذين كانوا حول رسول الله ﷺ، جاهد بشعره وحارب بسلاحه، وكانت حياته نموذجًا طيبًا لأولئك الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا طليعة أمة محمد ﷺ.

كتاب «ماءات القرآن»

التحرير

صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت كتاب «الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة» لأبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي المتوفى سنة ٥٤٢هـ.

وقد قام بتحقيقه واستدراك ما فاته من الماءات وخرّج ما فيه وشرحه وناقشه وكتب حواشيه وفهارسه مُحبّ العربية د.محمد بن أحمد الدالي، وقد صدر الكتاب في مجلدٍ كبير بلغت صفحاته ٦٠٨ صفحات من القطع العادي.

في هذا الكتاب- كما يقول محققه-: «فوائد كثيرة، منها إحصاء ماءات القرآن الكريم، وذكر مواضعها من الآي في سورها على ترتيب التلاوة، وتخريج الماءات على الوجوه التي ذكرها أرباب صناعة العربية، وإعراب كثير مما أورده من الآي المشتملة على الماءات، وما أورده من القراءات المتواترة والشاذة، وبيان معانيها المروية عن أهل التفسير وأهل العربية، ومواضع الوقف والابتداء في بعض الآي، واختلاف أقوالهم مما تراه فيه».

مضمون الكتاب

من عنوان الكتاب يتبين موضوعه، وهو الكلام على «ما» في القرآن الكريم، من أول سورة منه إلى آخره، وبيان نوعها في مواضعها، وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أئمة العربية فيها، وقد بلغ ما ذكره المؤلف في كتابه هذا من ماءات القرآن ٢٣٩٨ «ما» في قراءة حفص، واستدرك عليه المحقق ٢١٨ «ما»، وذكر المصنف خمس ماءات وقعت في غير قراءة حفص، فتكون عدة ماءات القرآن بالقراءات المختلفة ٢٦٢١ «ما» على التحقيق وفق ما جاء في مقدمة المحقق.

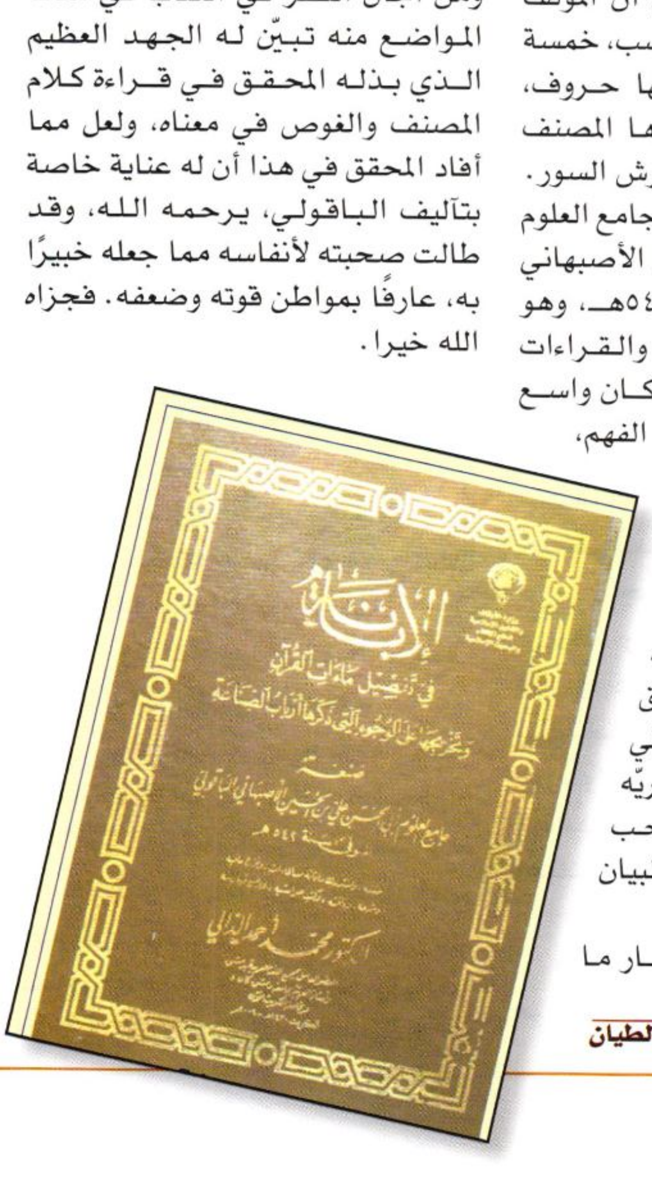
وتحسن الإشارة إلى أن النحاة ذكروا لـ «ما» في العربية أكثر من ٢٥ وجهًا مختلفًا، بل إن بعضهم أوصلها إلى ما يزيد على ٥٠ وجهًا، على أن المؤلف أرجعها إلى عشرة أوجه فحسب، خمسة منها أسماء، وخمسة منها حروف، وهذه الأوجه العشرة ذكرها المصنف في المقدمة قبل أن يسرد فرش السور.

وأما مؤلف الكتاب: فهو جامع العلوم أبوالحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي، المتوفى سنة ٥٤٢هـ، وهو من جِلّة أعيان أهل اللغة والقراءات والتفسير في عصره، كان واسع الاطلاع، غزير العلم، دقيق الفهم، بصيرًا بمذاهب أهل العربية، شديد الانكباب على كتاب سيبويه، متمكنًا في علومه، كاشفًا لآثار أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني، غوّاصًا على دقائق علم العربية، واحد زمانه في علم العربية كما قال عصريّه الإمام الطبرسي صاحب التفسير المشهور بمجمع البيان (ت: ٥٤٨هـ).

وقد خلف من الآثار ما يشهد بعلو كعبه، وغزارة علمه، وسعة اطلاعه. فمن ذلك كتاب الاستدراك على أبي علي، وكشف المشكلات وإيضاح المعضلات، والإبانة في تفصيل ماءات القرآن، وجواهر القرآن ونتائج الصنعة.

عمل المحقق

اجتهد المحقق الكريم في عنايته بالكتاب على غير النمط الذي تعوّدنا رؤيته في كثير من كتب التراث المُخرجة، ومَن أجال النظر في الكتاب في مئات المواضع منه تبيّن له الجهد العظيم الذي بذله المحقق في قراءة كلام المصنف والغوص في معناه، ولعل مما أفاد المحقق في هذا أن له عناية خاصة بتآليف الباقولي، يرحمه الله، وقد طالت صحبته لأنفاسه مما جعله خبيرًا به، عارفًا بمواطن قوته وضعفه. فجزاه الله خيرا.



المادة مستفادة من مقدمة المحقق ومن كلمة عن الكتاب للدكتور محمد حسان الطيان

أسـرتي

التربية والرعاية

التربية عند كثير من الأسر عبارة عن رعاية مالية ومعنوية فقط، فقد يظن رب الأسرة أنه يمارس فنون التربية الحديثة في تعاملاته مع أبنائه، ولكنه في الحقيقة يفتقد جوهر تربية الأبناء.

وللتربية أصول واضحة تتمحور حول خمس نقاط رئيسة وهي: تشكيل القناعات، وتنمية المهارات، وتعزيز العلاقات، وتهذيب السلوكات، وبناء القدوات.

هذه الأصول تساعد على بناء الشخصية السوية القادرة على العطاء والبناء بجد وإخلاص، لذا ينبغي على أرباب الأسر العمل بجدية في تربية أبنائهم وفق الأصول العلمية وليس وفق العادات والتقاليد القديمة.

إن تطور العلم الحديث يتطلب من الجميع مواكبته، كل في مجاله، بحيث نستطيع الاستفادة بالنافع منه في تنشئة الأجيال القادمة لتصبح قادرة على الإنتاج والإبداع والقيادة.

ومما لا شك فيه أن الرعاية بأشكالها المختلفة مطلوبة مع التربية الحسنة لكل أسرة ناجحة في مجتمعاتنا، ولنعلم أن الطفل لبنة فطرية تشكل وفق ما يمليه الأبوان من أقوال وأفعال، مصداقًا لقول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

التحرير

الصحة النفسية.. ومشكلة التبول اللاإرادي عند الأطفال

فيصل سليمان حسن

لم يكن سامي، الطفل ذو الأعوام السبعة، يحب اللعب مع أقرانه في الحي أو في المدرسة، لأنهم كانوا يعيرونه بالتبول في ثيابه كالرضع، بل كثيرًا ما كان يميل الى الهروب من مواجهة أمه وأبيه وإخوته الكبار، ويختار زاوية في غرفته الصغيرة ويركن صامتًا تعلو وجهه مسحة حزن طفولي عميق وتنتابه مشاعر الخوف والرهبة وتجعل قلبه يخفق كديك مذبوح، وهذا ليس لأنه لا يحب والديه وإخوته، فهو يود أن يرى أباه يدعوه فاتحًا له ذراعيه ليركض إليه كالنسمة الضاحكة، ويحن الى حضن أمه الذي فقد الشعور بدفئه منذ كان في الثالثة من عمره، كما يتمنى أن يشارك إخوته الكبار حياتهم، لكن الذي يمنعه من ذلك كله تلك العادة السيئة التي علقت به ولم يكن يملك عليها إرادة، فغالبًا ما كانت تنهال عليه أمه بالأكف المؤلمة وهي تتحسس بللًا في فراشه في الصباح الباكر، فيأتي الأب ليكمل مشهد الحزن فيدعو عليه ببعض الألفاظ التي يود سامي لو يدفن حيًا قبل أن يسمعها أمام إخوته المستهزئين!



تربوي سوري

ليست مشكلة الطفل الصغير سامي بالتبول اللاإرادي بعيدة عن مجتمعنا وأسرنا، التي غالبًا ما تنطوي على مشكلات تعود في أصلها الى اضطراب في الصحة النفسية لدى أطفالنا، كالقلق المرضي والخوف المرضي والتأخر الدراسي والاكتئاب والتوحد والتبول اللاإرادي وغيرها، وعلينا أن نعترف بوجود هذه المشكلات بوعي وتأمل كخطوة أولى لابد منها للتعرف عليها ودراسة أسبابها وظروفها وآثارها وصولًا لمعالجتها والوقاية منها.

والحقيقة أن الخلل في الصحة النفسية عند الأطفال يؤدي إلى مشكلات شديدة الخطورة على شخصياتهم وإنتاجياتهم الدراسية والعملية وسوية علاقاتهم الاجتماعية، لذلك راح الاهتمام يتزايد بمفهوم الصحة النفسية من قبل علماء النفس والمربين والفلاسفة، ولاسيما في العقود الأخيرة المعاصرة التي شهدت تحولًا جوهريًا عندما تحول الاهتمام بالصحة النفسية من مجرد تنظيرات وأفكار مجردة إلى دراسات عملية تجريبية، ونذكر من هؤلاء المربين والفلاسفة وعلماء النفس: «فرويد، إريكسون M. Ericson، ليو كانر L. Kanner، ماسلو، اسكنر، دنكين Duncan، بافلوف، باكوين وساكوين»، وغيرهم الكثير ممن أعطوا جل اهتماماتهم للصحة النفسية لدى الأطفال وتأثيراتها على نمو شخصياتهم وانتاجياتهم الدراسية والعلمية وعلاقاتهم الاجتماعية، وبعض الاضطرابات النفسية

العضوية كالتبول اللاإرادي الذي نحن بصدد الحديث عنه.

لقد كان التبول اللاإرادي وأثر فقدان الصحة النفسية في وجوده وتطوره محط دراسات وتجارب وأبحاث قام بها علماء نفس ومربون كثر، ففي الدراسات التجريبية التي قام بها جونسون تبين أن نسبة التبول اللاإرادي لدى الأطفال الذكور والإناث في عمر (٤-٥ سنوات) تتراوح بين ٢٠ و٢٥٪، وتصل هذه النسبة الى ٥٪ لدى الأطفال الذكور والإناث في عمر (٦-١٠ سنوات)، ولكن نسبة ١٥٪ منهم فقط يتمكنون فيما بعد من التحكم الإرادي بعملية التبول ويتخلصون من المشكلة بدواع كثيرة من أهمها الجو النفسي السليم الذي يوفره المحيط الاجتماعي، على أن هذه النسب المعروضة تختلف من منطقة سكانية لأخرى وباختلاف عمر الطفل وجنسه.

ويعرف التبول اللاإرادي طبيًا بأنه: «انسكاب البول بصورة لاإرادية وفي حالة مستمرة الى حد ما، لدى أطفال تجاوزت أعمارهم الـ (٤-١١) سنة، نتيجة خلل عضوي أو سبب وراثي مثل تشوه في الجهاز العصبي وحساسيته الزائدة أو التهاب المثانة أو الحالب أو حصوات بالكلى». وينظر إليه علماء التحليل النفسي على أنه: «شكل من أشكال الهستيريا التحويلية ترجع الى تجارب مؤلمة ذات طابع جنسي أو عاطفي مر بها الطفل خلال طفولته، وتعرضت هذه التجارب للكبت الى أن ظهرت بشكل عرضي جسمي هو التبول اللاإرادي».

ومن الملاحظ في هذين التعريفين أنهما يجتمعان في أن التبول اللاإرادي هو نتيجة خلل عضوي أو نفسي يكون الطفل معه غير قادر على التحكم الإرادي بانسكاب البول بالرغم من أنه تجاوز مرحلة الطفولة

على الوالدين البحث في أسباب التبول اللا إرادي عند طفلهما ثم العمل على نزع نوعية الأسباب بعضها عن بعض

الأولى (من الولادة وحتى عمر السنتين) وبلغ مرحلة يستطيع أقرانه الأسوياء التحكم الإرادي بانسكاب البول، كما أن هذا التبول اللاإرادي ينطوي على سبب مؤلم مرضي جسميًا ونفسيًا، وهنا ينبغي أن يلتفت الأولياء والمربون الى أن الأطفال الذين يعانون مشكلة التبول اللاإرادي أطفال مرضى قبل كل شيء، وهم ضحايا خلل مرضي نفسي أو عضوي وليسوا أحرارًا فيما يفعلون، وبالتالي يجب أن يبادروا الى التضامن والاقتراب من هؤلاء



المرضى الصغار للكشف عن طبيعة الخلل وعلاجه.

غير أن التبول اللاإرادي ليس واحدًا، حيث خرجت الدراسات التجريبية التي قام بها المربون وعلماء النفس والأطباء المختصون بنوعين رئيسين متباينين هما:

١- التبول اللاإرادي الأولي: ويقصد به حالات التبول اللاإرادي التي بدأت مع الطفل بعد ولادته واستمرت إلى مرحلة متقدمة من عمره، حيث لا يكون لدى الطفل القدرة على ضبط عملية التبول لديه، كما أن الطفل لم يصدف أن مر بمرحلة السيطرة على مثانته، وهذا مؤشر على عدم النضج العضوي العصبي.

٢- التبول اللاإرادي الثانوي: ويكون الطفل في هذا النوع من التبول اللاإرادي قد تمكن أو تعلم بعد ولادته التحكم بتبوله بشكل جيد لفترة من الزمن، ثم عاد الى التبول اللاإرادي فيما بعد على شكل انتكاس، كما هو الحال لدى الطفل سامي الذي تعرضنا لمشكلته.

والواقع أن حالات التبول اللاإرادي بنوعيه إنما تعود لخلل في مستوى الصحة النفسية التي يعيشها الطفل سامي ومن في مثل حالته، وقد تدخل أسباب تربوية واجتماعية على محور التأثير السلبي فيزداد توتر الطفل لتزداد مع هذا التوتر حدة المشكلة وعمقها في آن معًا، وبالتالي على أولياء الأمور البحث في الأسباب، ثم العمل على عزل نوعية الأسباب بعضها عن بعض.

إن الخلل في مستوى الصحة النفسية الذي يعانيه هؤلاء الأطفال من الممكن أن يزيد مشكلة التبول اللاإرادي حدة وتعقيدًا في آن واحد، ذلك لأن الخلل في مستوى الصحة النفسية يعد العامل الأساسي في وجود مثل هذا النمط من المشكلات لدى الأطفال في عمر سامي، فقد اعتبر علماء النفس المتخصصون بعلم نفس الطفولة في دراسات

وأبحاث معمقة ان الأسباب النفسية (خلل في مستوى الصحة النفسية) تشكل ما يقرب من ٩٥٪ من أسباب حدوث التبول اللاإرادي عند الأطفال، في حين لا تتجاوز الأسباب العضوية نسبة الـ ٥٪، وهذا معناه أن مشكلة الطفل سامي وأمثاله مشكلة نفسية في المقام الأول، غالبًا ما تكون تعبيرًا غير مباشر عن القلق الذي يعانيه أو محاولة يائسة منه لجذب انتباه الوالدين، أو دلالة على الحرمان العاطفي، وربما تكون عدوانًا لاشعوريًا على الوالدين، انطلاقًا من أن وراء كل سلوك دوافع شعورية أو لاشعورية كما تقول مسلمات علم النفس.

ونظرًا للدور الأساسي الذي يمثله الخلل في الصحة النفسية في حدوث مشكلة التبول اللاإرادي فإن علماء النفس راحوا يؤكدون مجموعة من الأسباب النفسية المفسرة للتبول اللاإرادي نجملها فيما يلي:

١- قلق الطفل: ولاسيما ما يتصل منه بقلق انفصال الطفل عن أمه، أو فقدان أحد الوالدين أو كليهما مما يسبب تمزقًا داخليًا لدى الطفل يفسر كثيرًا من حالات الغضب والانطواء التي يميل إليها الطفل عندما يفشل في تجاوز مرحلة التعلق بالأم تجاوزًا سليمًا لمواجهة الحياة الاستقلالية الجديدة.

٢- تعبير لكراهية لاشعورية تجاه أحد الوالدين أو كليهما، نتيجة وجود تجارب وخبرات مؤلمة مع أحد الوالدين أو كليهما وتم كبتها في الوعي، لكنها في حقيقة الأمر نزلت الى منطقة اللاوعي (اللاشعور) وخرجت في ظروف من التوتر النفسي على شكل تبول لاإرادي، وهنا لابد أن يكون الوالدان حذرين حيال أي تجارب مؤلمة مع الأطفال، لأن تأثيراتها غالبًا ما يقوم الأطفال بكبتها وتترسخ في لاشعورهم لتظهر فيما بعد على شكل ظواهر مرضية، كحال سامي.

معالجة مشكلة التبول اللا إرادي أمر نفسي في المقام الأول

٣- التبول اللاإرادي أسلوب نكوصي ورغبة لاشعورية في الرجوع لحالة الطفولة السابقة وما فيها من عطف وحنان، فقد يكون سامي مثلًا يحصل على عطف كاف في مرحلة ما (مرحلة الطفولة الأولى حتى نهاية السنة الثانية) ثم وجد بعد ذلك نقصًا بالعطف والحنان قياسًا بالمرحلة الأولى، وفشل في تحصيل النسبة الآمنة لذلك نكص لاشعوريًا إلى المرحلة الأولى بعملية التبول اللاإرادي للحصول على النسبة الآمنة والبقاء في دائرة الضوء، وهنا لابد للوالدين من أخذ هذه الحالات بعين الاعتبار.

إن معالجة التبول اللاإرادي أمر نفسي بالمقام الأول، وينبغي على الوالدين الابتعاد عن التصرفات التقليدية السلبية المألوفة كانتقاد الطفل المتبول وعقابه بعنف على فعلته، أو إهماله واحتقاره وعدم الاكثرات بمعاناته، لأن هذه التصرفات تزيد الطفل قلقًا وتثبط همته في مواجهة مشكلته بثقة فتصبح معالجته أكثر صعوبة، وتزداد مشكلته سوءًا.

لابد من أن يبحث الوالدان عن الأسباب النفسية والخلل النفسي الذي يعانيه الطفل كما عرضناها آنفًا حتى تقبل الحالة بكل هدوء وصبر وواقعية، وترميم الأسباب المعروضة آنفًا لخلق الجو النفسي والوجداني الآمن الذي يساعد الطفل المتبول بشكل لاإرادي على استعادة الثقة بنفسه وقدرته كسائر الأطفال الأصحاء على التحكم بالبول، لاسيما ما يتصل بزيادة الاهتمام بهذا الطفل والاقتراب الأبوي من نفسه القلقة وتقديم قدر كاف من العطف والحنان يقلل من حدة القلق الذي يعيشه، فضلًا عن تشجيعه وإظهار الثقة به وبقدرته على ضبط سلوكه في نهاية الأمر، وهذه نصائح يجب أن تتبع في حالة سامي.

لقد أثبتت التجارب والدراسات التي قام بها علماء النفس والمربون المختصون أن هذه النصائح التي عرضناها آنفًا قد كان لها الأثر الكبير في علاج كثير من حالات التبول اللاإرادي عند أطفال صغار من سنوات مختلفة ولاسيما إذا ما تم دعمها ببعض الإجراءات التربوية التالية:

- الابتعاد عن التدليل الزائد أو الحماية الزائدة.
- الابتعاد عن القسوة الزائدة في التعامل مع الأطفال، والحرص على ترك هامش من العطف والحنان أثناء العقاب التربوي الأبوي.
- إبعاد الأطفال عن المشكلات الزوجية بكل أنواعها وتأثيراتها، كالصراع السلبي بين الزوجين، والتفكك الأسري.
- مراعاة وضع الطفل في مراحل حساسة من نموه، كمرحلة الفطام ومرحلة الانفصال عن الأم ومرحلة دخول المدرسة، والتعامل مع الطفل خلالها بكل لطف ووعي وصبر، وعدم إيصال الشعور بنقص الحب والحنان للطفل، بل زيادة جرعات الحب والحنان في مراحل معينة يقدرها الوالدان بفطرتهما الأبوية.

المراجع

١- الصحة النفسية: د.كمال بلان، د.مطاع بركات، د.رغداء نعيسة، منشورات جامعة دمشق.

٢- علم النفس التربوي: د.علي منصور، د.أمينة رزق، منشورات جامعة دمشق.

٣- سيكولوجية اللعب: د.أمل الأحمد، د.علي منصور، منشورات جامعة دمشق.

زواج الأقارب.. سلبياته أكثر من إيجابياته

نعيم السلاموني

زواج الأقارب قضية تهم كل الأسر على مستوى العالم كله، وفي الدول العربية والاسلامية ينتشر هذا النوع من الزواج، ويلجأ البعض إلى التفكير فيه ولايزال يشكل نسبة عالية بين العائلات في الريف، أملًا في أن يكون أقل حدة من حيث الأعباء المادية والنفسية لكلا الطرفين.

بالرغم من المميزات التي يتمتع بها زواج الأقارب فإن الكثير من العيوب قد تطغى على المميزات، وذلك عندما يدفع الثمن فلذات الأكباد بالأمراض الوراثية التي هم في غنى عنها وعن آلامها.

ومن الآثار الايجابية والسلبية المترتبة على زواج الأقارب ما يلي:

الآثار الايجابية

١- تدعيم الروابط الأسرية بين العائلات.

٢- هذا الزواج يقلل من التكاليف حيث أظهرت الدراسات أن الشباب يعزف عن الزواج نتيجة لغلاء المهور.

٣- زواج الأقارب يساهم في حل مشكلة السكن إلى حد ما.

٤- زواج الأقارب يدعم الأسرة المركبة بمعنى أن الأبناء والبنات عندما يتزوجون كأقارب يستمرون في كنف الأسرة الكبيرة.

الآثار السلبية

١- ثبت أن ثلث حالات الإعاقة بسبب العوامل الوراثية.

٢- ثبت أن ضمور المخ من الأمراض العصبية الوراثية ونسبة كبيرة منه تحدث نتيجة لزواج الأقارب.

٣- ثبت أن أمراض الدم ومنها الأنيميا المنجلية والثلاسيميا المنتشرة في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي هي أمراض خطيرة يتوارثها الأطفال عن الوالدين، وخطورة هذه الأمراض تكمن في تسببها في تكسير وتحليل كرات الدم الحمراء ما يؤدي إلى الأنيميا المزمنة وترسيب الحديد في انسجة القلب والكبد.

وتعد الثلاسيميا من أخطر الأمراض التي تسعى الدول للتخلص منها عن طريق الحد من زواج الأقارب والفحص الطبي قبل الزواج حتى لا نحصل على طفل مصاب بهذا المرض.

٣- تلعب الوراثة دورًا كبيرًا في انتشار مرض السكر وعمى الالوان والصمم الخلقي.

٤- ثبت أن مرض السرطان ينتشر في العائلات التي بها مرض السرطان.

٥- أكدت دراسة علمية حديثة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بمصر أن زواج الأقارب سبب رئيس لحالات التخلف العقلي، وقد أجريت الدراسة على ١٠٠ حالة إعاقة ذهنية من مختلف المحافظات تبين أن ٧٦ ٪ منها ترجع إلى زواج الأقارب.

٦- زواج الأقارب له علاقة أيضًا بالجهاز العصبي حيث يتأثر الطفل إذا أصابت الأمراض الموروثة جهازه العصبي نتيجة لزواج الأقارب، فهي تؤثر على ذكائه وعلى قدرته الذهنية وعلى حركة أطرافه فلا يستطيع السيطرة عليها.

٧- من أهم الصفات الوراثية التي تظهر من ناحية المرأة كزوجة وام أن هناك أمراضا وأعراضا كثيرة تؤثر أحيانًا على خصوصيتها وقدرتها على الحمل، كما أنها تؤثر على الحمل نفسه من حيث زيادة نسبة الاجهاض وأيضاً الاجهاض المتكرر وضعف الجنين وحدوث مضاعفات له وللأم نفسها أثناء الحمل وبعد الولادة، وإصابتها بالسكر وضغط الدم والأمراض الوراثية والخبيثة وولادة التوائم.

إن الأمراض الوراثية في الانسان تصل الى ما يزيد عن ١٠,٠٠٠ مرض وراثي تم التعرف عليها في مرجع علمي دولي على الانترنت يلجأ إليه جميع علماء الوراثة البشرية في العالم.

وبناء على ما سبق يجب أن نتجنب زواج الأقارب، وفي حالة الرغبة في الزواج من الأقارب ينبغي أن يكون الزوجان بحالة صحية جيدة.

إن أحاديث الرسول ﷺ توضح أن زواج الأباعد يؤدي إلى انتاج نسل قوي ذكي.

يقول الرسول ﷺ «تخيروا لنطفكم فإنكحوا الأكفاء».

والاكفاء هم الأصحاء الخالون من الأمراض والعاهات الظاهرة والباطنة، وذلك يؤدي الى انتاج جيل من الأقوياء الأصحاء القادرين على النهوض بالأمة، وحتى لا يأتي النسل ضعيفًا، لأن الزوجين كلما تباعدا كانت الرغبة أشد والعاطفة أقوى والرابطة تزداد يومًا بعد يوم بخلاف زواج الأقارب.

كاتبة صحافية

العشرة بالمعروف ركن مهم في استقرار الأسرة

شعبان محمود شعبان

إن الزواج رباط له قداسته عند الله وعند الناس وقد أطلق الله عليه في القرآن الميثاق الغليظ، فقال تعالى: ﴿وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا﴾ وهو في الوقت نفسه سنة الحياة، ليست حياة الإنسان فحسب بل حياة كل شيء، قال تعالى: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾، وقد مضت الآيات تحذر من الاقتراب من الزنا وتسد كل المنافذ التي تؤدي إليه، فتأمر بغض البصر، وإخفاء الزينة والاستئذان عند دخول المنازل، وتصون الأعراض من أن تنالها الألسنة بأي سوء... إلخ.

التشريع الحكيم إذا حظر على الناس أمرًا مما تميل إليهم طباعهم عوضهم عنه بما هو خير منه، فقد حظر الزنا، لكنه أباح الزواج الذي هو خير منه استمتاعًا، وأثبت أصولاً، وأنمى ثمرة.. يتبادل فيه الزوجان الحب الصادق والتعاون، ويثمر البنين والبنات يقبلون على الأبوين بالسعادة والهناء.

ولا كذلك المولود سفاحًا فيكون نذيرًا بهدم الذات وتنغيص العيش، ومذكراً بعقبى الطيش، فيتلقى كما يتلقى العدو وتدور المعركة المشؤومة، التي كثيرًا ما تقضي على ذلك النذير الضعيف فيقتل عمدا وهو فلذة الكبد، أو يلقى به إلى عرض الطريق حيث تنتظره حياة الضياع والتشرد.

لنتأمل هذا- وما خفي كان أعظم- ثم نقارنه بحياة الزواج وتكوين الأسرة في قوله تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾، والزواج الناجح هو الذي يقوم على هذا السكن والاستقرار المشبع بالمحبة والرحمة وتحمل المسؤولية.

معاملة المرأة وعشرتها تحتاج إلى شيء من الخبرة بطبيعتها، وكثيرًا ما يصف الأدباء والكتاب المرأة بأنها لغز، يصعب حله وفهمه، ذلك أن المرأة محيرة في رضاها وغضبها، في غيرتها، في لسانها، في تقلبها، هي إذا رضيت قد تقول لزوجها: إنك أعظم رجل في العالم، وإذا غضبت فلا يستبعد أن تقول له إنك النقطة السوداء الوحيدة في حياتي!

ومن هنا حار الكتاب في لغز المرأة، لكن النبي ﷺ يساعدنا في فهم المرأة لأن الفهم يجعل الرجل: يريح ويستريح بقدر الإمكان، فيقول ﷺ «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء» (رواه البخاري ومسلم وفي رواية مسلم «وكسرها طلاقها»، ذلك هو السر إذن- وإذا عرفت السبب بطل العجب.

والرجل الذي لا يفهم طبيعة المرأة يحس أن كرامته قد أصبحت في الوحل فهو يسرع إلى الطلاق ظنا منه أنه أنجح وسيلة تمكنه من الثأر لكرامته، وهذا هو ما يحذرنا منه الرسول ﷺ قال «وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» قال بعض شراح الحديث: أي رأسها الذي فيه لسانها «فإن ذهبت تقيمه كسرته، وكسرها: طلاقها» وهيهات أن يكون الطلاق هو الحل الصحيح، ولسوف يشعر الزوج بالندم بعد خمس دقائق فقط من إيقاعه لهذا الطلاق، ولسوف يعرف انه كان الأجدى به أن يرحم ضعف زوجته فلا ينتهز فرصة ما هي فيه من ضيق لكي يضيق عليها أكثر، فليست هناك امرأة تريد أن تهدم عشها، فإذا وصل بها الأمر إلى طلب الطلاق فليس معنى هذا أنها تعني ما تقول، وإنما تعني أنها: إما في ضيق حقيقي، أو أنها لا تقدر معنى ما تقول فإذا كانت في ضيق حقيقي فما أحوجها إلى مساعدة أقرب الناس إليها وهو زوجها، ومساعدتها هنا لن تكون بالطلاق وإنما تكون بمد يد الرحمة والحب التي تتلمس أسباب الضيق وتحاول أن تجد له حلا، وحتى إذا كانت لا تقدر معنى ما تقول فإن العلاج لا يكون كسرًا وإنما يكون بشيء من الحكمة والموعظة الحسنى ولتكن في حينها ووقتها المناسب، على أن رسول الله ﷺ يحذر المرأة من العواقب البعيدة لعدم التقدير للحياة الزوجية فيقول: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس- أي في غير ضرورة ملحة- فحرام عليها رائحة الجنة».

ويقول للرجال محذرًا: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» ويأمر الله تعالى بحسن العشرة حتى مع وجود الكراهية فيقول تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا﴾.

فما أجمل هذا المعنى: إن الإسلام يرجع بالكاره إلى ربه عسى أن يهبه ما سلبته زوجته إياه، فإن كرهتموهن فأمسكوهن بالمعروف، فعسى أن يكون في الصبر على صحبتهن الخير الكثير.. رزق وفير أو ولد تنقلب به الكراهية إلى محبة.

كاتب صحفي

قصة

من الجاني؟

نسيبة محمد طالب

منذُ أن فتحت عيني على هذه الدنيا وأنا أشعر بوحدة كبيرة، رغم أني أعيش ضمن أسرة مكونة من ستة أشخاص، فنحن أربع أخوات بالإضافة إلى أبي وأمي.. أبي المشغول دائمًا عنّا، ففي النهار هو في عمله وفي المساء مع أصدقائه وقلما يجلس معنا أو يحادثنا.

وأمي مشغولة طوال الوقت بأعمال المنزل، أو بعض الزيارات الاجتماعية، والكثير من المكالمات الهاتفية.

وأخواتي مشغولات طوال الوقت بدراستهن أو مع صديقاتهن أو بأحاديث خاصة تدور بينهن وكن يبعدنني عنهن لصغر سني، فقد كنت الأصغر سنًا والأقل جمالاً، ولهذا كنت أشعر أن لا أحد في هذه العائلة يحبني، أو يهتم بي.

بل في أحيان كثيرة كنت أشعر أنهم يكرهونني، فأخواتي دائمًا ينعتنني بالغبية القبيحة. وأمي.. لا أذكر متى كانت آخر مرة ضمتني فيها لصدرها، أو طبعت قبلة على خدي، أما أبي فلا أذكر أنه أجلسني يومًا إلى جانبه وقام بمحادثتي أو مداعبتي.. شخص واحد هو من كان يحبني، إنه ذلك القريب الذي كان يقدرني ويهتم بي، يأخذني نزهات جميلة، ويلعب معي، ويسعى لإسعادي وفي كل مرة يزورنا فيها كان يحضر لي الهدايا ويقبلني بحنان، ويصفني بأني أجمل وأذكى طفلة في العالم، كان يسمعني من كلمات الإطراء والمحبة الكثير.

كلمات كنت دائمًا أتمنى سماعها من أمي أو أبي أو إحدى أخواتي. كان يحنو علي، ويشعرني بأني إنسانة لها كيانها وبأن لي قيمة ويرفض السخرية الشديدة التي كنت أتعرض لها من قبل أخواتي، لقد وجدت عنده ما كنت أفتقده عند والدي من عاطفة رغم أني أظن أن والدي لا يحبانني وقد كانا مشغولين عني طوال الوقت، أو أنهما قد ظنا أنني حين بلغت السابعة قد أصبحت شابة وكبيرة على المشاعر الدافئة ولم أعد بحاجة إلى لمسات الحنان أو كلمات العطف ولم يقدّرا أني أصبحت بحاجة أكثر للإرواء العاطفي وللشعور بأني إنسانة لها أهميتها في حياتهم. لقد استطاع هذا القريب أن يملأ نفسي حبًا وقلبي فرحًا، ولم أكن وأنا الطفلة الصغيرة أعتقد أن خلف محبته هذه قد اختفت نوايا خبيثة، إلى أن جاء ذلك اليوم عندما حضر لمنزلنا واصطحبني إلى حديقة الألعاب، لعبنا وضحكنا واستمتعنا كثيرًا وفي طريق العودة عرّجنا على منزله وهناك.. حدث ما حدث!! كنت صغيرة فلم أدر ما حدث ولا ما ضرره ولكني أحسست في داخلي أنه شيء خاطئ يجب ألا يحدث ولكن رغم شعوري ذاك لم أرفض أو أقاوم! كيف أرفض أمرًا جاء من أكثر الناس حبًا لي واهتمامًا بي، تكررت زياراته لنا واصطحابي لمنزله وفي كل مرة كنت أشعر بسوء ما يحدث وأن علي أن أرفض إلا أني كنت أنقاد برضًا غريب، لقد كنت في كل مرة أقدم ضريبة محبته لي وعطفه علي، حاولت أكثر من مرة أن أخبر أمي بما يحدث ولكنها كانت دائمًا مشغولة عني وليس لديها الوقت لسماع أحاديثي المملة- كما كانت تصفها دائمًا- ولم أجرؤ أن أخبر والدي لأنه كان سريع الغضب يصرخ ويضرب ويعاقب بشدة لأتفه الأسباب أما أخواتي فلم يكن هناك إمكانية لأن أبوح بذاك الأمر لأي منهن كيف لا؟! وأنا بنظرهن الغبية الخرقاء القبيحة، أما السبب الأقوى خلف صمتي فهو خوفي الشديد لأن أفقد نبع المحبة والحنان في حياتي، أن أفقد من يزرع داخلي الثقة بالنفس والاعتزاز بها.. من يشعرني بأهميتي ويسعى لإرضائي، يفرح لفرحي، ويخفف من حزني. ومرت عدة سنوات أصبحت فيها شابة ولم أعد أراه ولم يعد له وجود في حياتي سوى ذكرى سيئة تركت حرقة في قلبي وألما في روحي، وفي كل مرة كنت أجلس فيها مع نفسي أذكر الماضي بألم فأجد أني كنت الضحية، ولكني إلى الآن لم أعرف من هو الجاني الحقيقي.

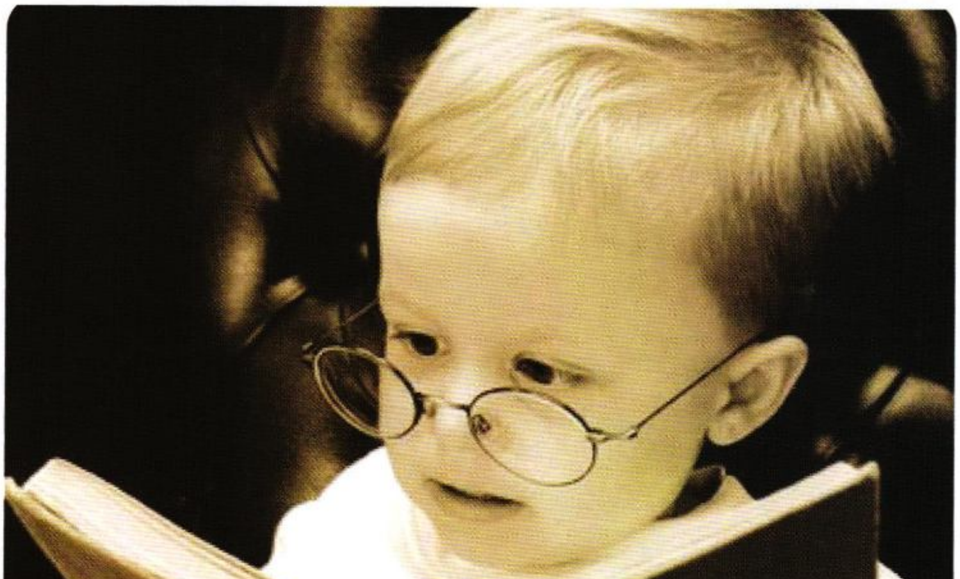
هل هو ذاك الشخص القريب الذي أعطاني المحبة وأخذ مني الطهر والبراءة أم هما والداي أم أخواتي أو ربما كنت أنا؟! أم كلنا معًا.. حقًا إلى الآن لم أعرف من الجاني.

باحثة أسرية

تحكمي في انفعالات طفلك تسعدي

آمال عبدالرحمن

إذا لاحظت أن ابنك مستغرق في أداء عمل بمنتهى الحماس والدقة دون أن يدري بمن حوله أو بالوقت الذي يمر عليه لدرجة أنه نسي أن يأكل أو يشرب فلا تنزعجي فهو يعيش حالة تعرف علميًا بـ «التدفق النفسي»، وهي حالة لها العديد من ردود الأفعال الإيجابية، لذلك دعيه يفعل ما يريد ومكنيه من تحقيق ذاته وعرفيه في الوقت نفسه حقوقه وواجباته وعلميه الالتزام والتمسك بكليهما، فأنت بذلك تحققين له ما يعرف بـ «جودة الحياة» التي تدعو إليها أحدث فروع علم النفس وهو علم النفس، الإيجابي الذي يعمل على إبراز الجوانب الإيجابية في الفرد وتنمية شخصيته، هذا هو أقرب مثال لتوضيح معنى «جودة الحياة» ذلك المصطلح الذي يتردد كثيرًا وهو محل اهتمام المتخصصين في الآونة الأخيرة، وقد خصصت له كلية التربية بجامعة عين شمس مؤتمرها العلمي السابع.



وفي بحث لها تم طرحه من خلال المؤتمر أوضحت د.آمال عبدالسميع عميد كلية التربية ورئيس المؤتمر «مفهوم التدفق النفسي» فوصفته بأنه الحالة المثلى للإنسان حين يوظف إمكاناته العقلية والانفعالية ويكون أداؤه سريعًا مصحوبًا بالرضا ونسيان الذات والوقت، ومن تأثيراته الإيجابية خفض الشعور بالخوف والملل واللامبالاة والتفكير الإبداعي والتخيلي والعقلي الذي يزيد من مستوى الطموح والانجاز وينمي القدرة على مواجهة التحديات والفاعلية وتحمل المسؤولية والثقة بالنفس والاستقلالية، وتكون الدافعية في أقوى حالاتها لديه ويصبح الوقت مثمرا وفعالا، ويمكن استغلال هذه اللحظة في تنمية بعض الجوانب لديه كالقدرة علىالابتكار والوصول إلى ما هو جديد.

أما د.محمد إبراهيم المنوفي أستاذ أصول التربية ووكيل الكلية ومقرر المؤتمر فقد اعتبر التنمية البشرية ركيزة لـ«جودة الحياة» موضحًا من خلال بحث له أن جودة الحياة تعني تنمية كل إنسان أينما كان موقعه بتوفير أقصى احتياجاته وتمكينه من إشباع حاجاته، ومن تحقيق ذاته مع اقتران حقوقه بواجباته، وخلص إلى أن الاختلالات والتشوهات التي تعانيها الثقافة التقليدية تنعكس على قدرات الإنسان وعلى احتياجاته المرتبطة بكرامته، مثل حقه في الأمن والحرية والعمل وتكافؤ الفرص.

وفي توضيح آخر لـ «جودة الحياة» يقول د.عصام الدين علي هلال أستاذ

ورئيس قسم أصول التربية بجامعة كفر الشيخ إنها تعني ممارسة الحياة كما وكيفا بدرجة عالية من التوفيق والنجاح، وطالب بدراسة الجانب التربوي في أعمال نجيب محفوظ خاصة في «الثلاثية» حيث حمل عنوان ورقة العمل التي قدمها «سي السيد ونفي جودة الحياة» لأن مثل هذه الدراسة سيكون لها نتائجها المهمة في إعادة بناء الأسرة العربية.

وتعددت الأبحاث التي طرحت في المؤتمر، وركزت على أهمية النظم التربوية في المدارس وفي كليات التربية، والتأثيرات النفسية على ذوي الاعاقات، ودور علم النفس وعلم التربية وغيرها من الموضوعات ذات الصلة بـ«جودة الحياة» ليتضح في النهاية مفهومها والذي لخصه الخبراء التربويون في كلمات بسيطة مفادها أن عمر الإنسان لا يقاس بالسنين وإنما بقدر ما حقق لنفسه وللآخرين، فما جدوى أن يعيش الإنسان حياة طويلة ولكنها مملوءة بالتعاسة والإحباط، أليس من الأفضل أن تكون الحياة رحلة يسعى شركاؤها لإسعاد بعضهم والعيش في أمن وأمان ومحبة وتعاون ونبذ الحقد، والعيش في سعادة؟ تلك القيم التي ينبغي أن تسعى التربية لتحقيقها وغرسها في نفوس الصغار، ليشبوا متحلين بها، وبذلك يسعد الجميع يتمتعون بمناخ صحي.

والصغار يتميزون بصفة عامة بتقليد الكبار في أقوالهم وتصرفاتهم، وبذلك تتكون شخصياتهم، لكن كيف نجعلهم يقلدوننا فيما يفيدهم فقط ولا يسبب خللا في شخصياتهم، وكيف نكون قدوة لهم؟ يكون ذلك بعدم الصياح أو التحدث بصوت عال أو الصراخ في وجه الابن عند قيامه بأي شيء خطأ:

- عدم العصبية في أي موقف أمام الأطفال وعدم تحطيم أي شيء بحجة الانفعال، لأن ذلك السلوك ينتقل إلى الطفل ويعتقد أن تكسير الأشياء أثناء الانفعال أو الغضب هو السبيل لهدوء الأعصاب.
- الامتناع نهائيًا عن لطم الطفل على وجهه لأن ذلك يجعله جبانًا ذا شخصية ضعيفة في المستقبل يخاف من أي إنسان يلوح بيده في وجهه.
- عدم التدخين أمام الطفل حتى لا تضر صحته ولا يقلدنا فيضع أي شيء بفمه ويبدأ رحلة التدخين مبكرًا.
- مراعاة عدم التشاجر أمام الصغير لأن ذلك يؤدي إلى الانكسار الأمني لديه عندما يرى أحب الناس إلى قلبه ليسا على وفاق.
- لابد من إعطاء الطفل فرصة ليجرب أن يأكل بنفسه حتى ولو أحدث مشكلات في المرات الأولى ولكن بتوجيهات بسيطة وبدون انفعال وتوفير الأدوات التي لا تتكسر فيتعود على الصواب.
- تعويد الطفل على الكرم مع زملائه في الحضانة أو أطفال الجيران أو محيط الأسرة ممن هم في مثل سنه.
- وأخيرًا تنصح د.هدى عبدالوهاب الأم بألا تنسى العادات الصحية السليمة وأن تقوم بعملها أمام الطفل حتى يقلدها ثم يتعود عليها بعد ذلك مثل غسل الأسنان وغسل الأيدي قبل وبعد الأكل والأكل باليد اليمنى وتنظيم الملابس والأدوات والنظافة الشخصية وغسل اليدين بعد استخدام الحمام وغيرها من العادات الصحية التي يكتسبها الإنسان منذ صغره وهي مؤشر من مؤشرات الرقي والتقدم، فضلا عن أنها قيم تتماشى مع سماحة الدين، فالنظافة من الإيمان، والإيمان لابد أن يكون مقرونا بتأدية الصلاة فهي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين، وبتأدية الصلاة يسعد الفرد بالنظافة، يقول أحد الحكماء: لو لم تكن رأس العبادة الصلاة لكانت من العادات المحبوبة.. طهارة أجسام ورياضة أبدان.



المراجع

١- عبدالرحمن العيسوي- الإسلام والعلاج النفسي- دار الفكر الجامعي- الإسكندرية، ١٩٨٢.
٢- خالد زهران- العلاج النفسي- دار الملايين، القاهرة، ١٩٩٢.
٣- محمد عبدالظاهر الطيب- تيارات جديدة في العلاج النفسي، دار المعارف بالقاهرة، ٢٠٠٢.
٤- محمد محمد الفيومي - أثر برنامج تربوي في خفض العدوان لدى الجانحين، ٢٠٠٥.
٥- سعد جلال - المرجع في علم النفس- دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢.

د. ياسر نصر: التربية علم يجب أن يجيده من يحملون لواء الأبوة والأمومة

حوار: تسنيم الريدي

التربية ومشاكلها وأساليبها وتوجيهاتها ميراث طويل عبر الأجيال يتخذ طرقًا مختلفة لتعديل السلوك، منها الصالح والطالح، ومنها الغث والسمين، ومنها الصواب والخطأ.

لكن التربية تتم الآن في غفلة من الآباء والأمهات حيث صارت شيئًا تلقائيًا، وأصبح الكل يعتقد أنه يعرف كيف يربي ويوجه، والكل أسلوبه صحيح موثوق بنتائجه.

نتزوج ثم ننجب، فنحمل لواء الأبوة والأمومة على أعناقنا، ومن غير خلفية واضحة أو تعلم مسبق أو توجيه علمي أو ديني نبدأ مشوار التربية، ولا مرجعية إلا ما نعتقد، أو رأيت أو شعرت أنه الأصوب، بل صار الكثيرون يعتمدون سياسة التخويف والإرهاب في كل صغيرة وكبيرة معتمدين على فكرة جعل الأطفال رجالًا منذ الصغر دون ترك مساحات للخطأ، وهكذا دون ترك مساحة للابن ليثق في نفسه ويكون شخصية هادئة مطمئنة.

«الوعي الإسلامي» توجهت إلى د. ياسر نصر مدرس الطب النفسي بكلية الطب جامعة القاهرة، وعضو مركز لندبيك البحثي- بقسم الشرق الأوسط- بلجيكا، ومقدم برنامج «ساعة تربية» بقناة الناس الفضائية.. وإليكم نص الحوار:

• بداية ما الفرق بين التعنيف والعقاب؟ وما مفهوم استخدام العنف في التربية وما أنواعه؟

- التعنيف هو إخراج شحنة توجيه بطريقة حادة تجاه شخص ما عن طريق الكلام بأسلوب فيه توجيه بشكل تقليل أو تحقير، وقد يكون تحفيزًا في بعض الأوقات القليلة، وإن كان يحمل كثيرًا من النقد والاتهام.

أما العقاب فهو وضع نظام مسبق مع الطفل يحدد نتائج أفعاله دون انفعال أو تجهم، وهذا أفضل أنواع التعديل السلوكي، ألَّا أخلط ما بين علاقتي بالطفل وابتسامتي وعاطفتي، وبين العقاب بالحرمان مثلًا، أو المنع في وقت آخر.

واستخدام العنف ليس القاعدة، ولكن استثناء لحالات بعينها، وأقول عنه: إنه ليس عنفًا كما نسمع اليوم، فهي تعديات شبه مضطربة لا يحكمها عقل ولا منطق ولا عاطفة، ولكن أقصد تقنين التوجيه باللفظ، فالعنف أنواع، يمكن أن يكون بالكلمة، ونبرة الصوت، أو حتى بالإيحاء، وبالتهديد، والتواصل الجسدي كالضرب بأنواعه المختلفة.

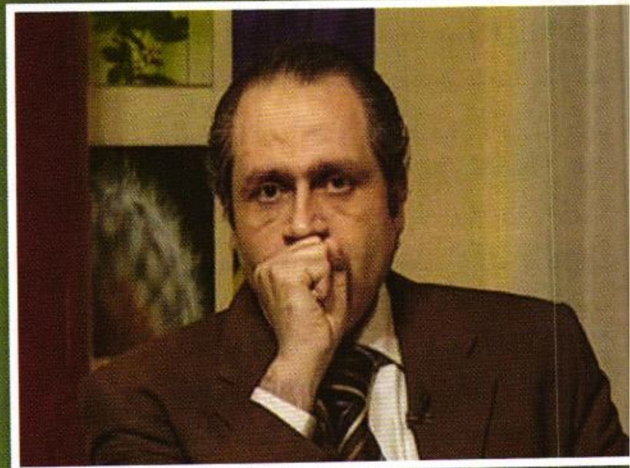
وأؤكد أننا لسنا في حاجة - إن كانت خلفيتنا التربوية والتوجيهية كافية- لمثل هذه الممارسات إلا في حدود ضيقة، وفي أعمار سنية محدودة يسمح بها المختصون وأصحاب الخبرة التي لها بعد علمي ومنطق ومنطلق ثابت.

• برأيكم ما الأسباب التي تجعل الآباء يستخدمون العنف في تربية الأبناء؟ مع رؤية البعض أن العنف ليس إلا تفريغًا لغضب الآباء والأمهات.. ما مدى صحة ذلك؟

العنف كأسلوب وأداة تعتبر- إن لم يكن في الموضع السليم- قلة حيلة من القائمين على التوجيه، أو بتعبير آخر أعيتهم الأساليب والأفكار في حل المشكلات، فوجدوا السهل أن يحقروا ويعنفوا ويضربوا، ولا يدرك القائمون على التوجيه- الآباء والأمهات- أن هذا سيرحل الأمر إلى المستقبل بمشاكل في نضج الشخصية ونمائها نماءً طبيعيًا، وقد يكون السبب للأسف اتباع المربي لنهج التربية الذي نشأ عليه مع والديه.

وللأسف، بعض الآباء عندما يستذكرون الدروس للأبناء، ويكونون

لسنا في حاجة إلى استخدام العنف مع الأبناء إلا في حدود ضيقة وفي أعمار سنية محدودة



تحت ضغط من الانشغال وعدم استيعاب الطفل بشكل سريع- كما يرغب الآباء- يلجأون إلى الضرب العنيف، بحجة أن الطفل لا يركز في الدراسة أو استيعابه قليل، لكن هذا ليس السبب الحقيقي للضرب، إنما هو ضغط الآباء أنفسهم وقلة حيلتهم أمام عدم استجابة الأطفال للتعلم، وأن الجو العام مشحون في البيت، خاصة أوقات الامتحانات أو الأزمات، فيلجأون إلى العنف، وهنا يجب أن يكون لدينا بدائل في التحصيل الدراسي، وتخفيف طاقة الضغط على الأطفال والتشجيع المستمر في المجالات الأخرى، ليتحسن مستوى التحصيل الدراسي والتعليمي، وعمومًا يجب أن يمنع المربي نفسه تمامًا من استخدام الضرب أو العنف في حالة الغضب.

فكما قلنا: غالبًا ما يكون العنف تنفيسًا عن الغضب أو الضغط الذي يقع على الأم أو الأب، نتيجة لظروف أخرى غالبًا ما تكون خارج نطاق الطفل، ولكن تفرغ الشحنة كاملة فيه، فتخرج في شكل صرخة من العنف المقيت الذي يدمر شخصية الطفل ونفسيته، دون أن يلاحظ الأب أو الأم ذلك.

• مع ضغوط ما بعد الولادة تتعصب الأمهات أحيانا على الطفل الرضيع إذا ظل يبكي باستمرار مثلا.. ما مخاطر ذلك؟

في هذه الفترة يبكي الطفل كثيرًا، وعلى الأم أن تعلم ذلك لأنها الطريقة الوحيدة التي يعبر بها الطفل عما يحدث له، من جوع، أو مغص، أو بلل، أو خوف، أو رغبة في النوم، أو الجوع، أو غيرها.

وعلى الأم أن تعلم إذا كانت حالة البكاء لحاجة فعليها حمل الطفل وتحمل البكاء حتى تؤدي دورها في حل سبب البكاء، سواء الجوع أو الخوف أو الرغبة في النوم أو تغيير الحفاظ، وإن لم يكن هناك سبب فيجب ألا يتعود الطفل على حمله طوال الوقت، كما يجب على الأم أن تضبط عاطفة الأمومة لديها وأن تكون في موضعها، ولابد من تنظيم نوم الطفل لترتاح وتستطيع مواصلة يومها التالي بشكل جيد.

وعلى الأم أن تتذكر دائمًا أن عصبيتها المفرطة وغضبها الزائد لن تنتج إلا شخصية شديدة العصبية والغضب، بل قد لا يستطيع الطفل الرد بالثورة والغضب عندما يكبر فيلجأ للانطواء والاكتئاب.

• هل هناك أخطاء يجب أن يعاقب عليها الطفل بالتعنيف؟

- نعم هناك بعض المشكلات التي يمكن أن يعنف عليها الطفل مثل:

١- تكرار الخطأ مرات كثيرة.

٢- عدم الالتزام بنظام الثواب والعقاب.

٣- حالات فرط الحركة وقلة الانتباه.

٤- حالات الانحراف السلوكي.

٥- حالات فشل معها مبدأ الاتفاق الودي فترة تزيد عن ٤ أشهر.

٦- ضرب الولد لأخته بشكل مستمر خاصة بعد سن ١٠ سنوات.

٧- خطر داهم على الطفل وسلامته.

• برأيكم كيف تكون شخصية الشاب أو الفتاة التي تمت تربيتهم بالضرب والعنف خلال تعامله مع نفسه ومع المجتمع؟

للأسف هي شخصية ضعيفة مشوهة للغاية حيث تعاني من:

١- قلة الثقة.

٢- عدم احترام الذات.

٣- الحدة في التعامل مع الآخرين.

٤- الكسل عن القيام بالواجبات اليومية.

٥- عدم الإحساس بالأمان.

٦- الانطوائية والحساسية الشديدة.

٧- عدم تقبل النقد.

٨-الاكتئاب والقلق.

٩- العنف المضاد مع الآخرين.

١٠- الشعور بالذنب عند إتمام أي عمل والإحساس بعدم الرضا.

١١- مشاكل مع أبنائه في المستقبل حيث سيفشل في التعامل معهم.

١٢- جبن في الشخصية.

١٣- الضعف في قدرته على التواصل مع الآخرين.

• هناك الكثير من الأطفال يعانون من تأخر في النطق، أو التبول اللاإرادي الملحوظ، هل لهذا علاقة بطرق تعامل والديه معه؟

طبعًا هناك علاقة وثيقة بين كلتا المشكلتين، وتعاملات الآباء والأمهات، وما نقصده هنا في التأخر في النطق هو التهتهة لسبب نفسي وليس عضوي، نتيجة للعنف والعصبية والخلافات الأسرية، أو عدم تحضير الطفل لاستقبال أخيه المولود الجديد، بل تصبح التهتهة- التي سببها الآباء والأمهات- نقمة على الطفل، فبدلاً من احتوائه والتعامل معه بحنو وعطف، يتم التعامل معه بقسوة وعنف.

أما التبول اللاإرادي فقد يكون سببه نفسيًا نتيجة الطرق الحادة في التعامل مع الطفل وتوجيهه، أو العقاب المبالغ فيه، وقد يكون بسبب عادات سلبية مثل الإفراط في شرب الماء قبل النوم، أو عدم انتظام نوم الطفل، أو عدم اتباع الطرق الصحيحة في تعليم الطفل التعود على قضاء الحاجة في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة.

وعمومًا فإن مشكلة التبول اللاإرادي لدى الطفل تسبب له بعض المشكلات النفسية خاصة التي يكون سببها الآباء والأمهات حيث:

- تصيب الطفل بالخجل الشديد خاصة بعد سن الخمس سنوات أمام إخوانه مما يجعله موضعا للسخرية.
- تسبب للطفل شعورا بالنقص وفقدان الشعور بالأمان الذي يؤدي غالبا للفشل الدراسي وتسبب بعض نوبات العصبية.
- النوم المضطرب والأحلام المزعجة وتدهور الحالة النفسية والعصبية.

هذه المشكلة تقود الطفل إلى العناد والتخريب والميل إلى الانتقام في محاولة للثأر لنفسه.

كثير من الأمهات يستدركن أخطاءهن في الطفل الثاني وهنا تحدث أزمة شخصية ما بين الطفل الأول والطفل الثاني

• يواجه الآباء والأمهات أحيانًا مشكلة العنف التربوي في المدرسة، ما السبيل الأمثل للتعامل مع المدرس في هذه الحالة؟

- نقص الخبرة التربوية يؤدي إلى نقص الأساليب السليمة في التوجيه داخل الفصل، ومع تكدس الفصول يصبح الحمل على المعلم حملين، حمل نقص الخبرة، وحمل عدم القدرة على السيطرة على عدد الأطفال الكبير في الصف الواحد، وهنا تكون حالات العنف الذي وصل أحيانًا إلى حد الوفاة!! وهنا يجب أن نحل هذه المشكلة في ضوء المعايير التالية:

- التواصل مع المعلمين بخصوص مشاكل الأولاد.
- تقدير المعلم وإعطاؤه مكانته الطبيعية.
- عقاب منزلي أو اتباع نظام الثواب والعقاب لسلوك الطفل الخطأ داخل الفصل.
- فهم بعض المشاكل التي تحتاج إلى مختصين مثل فرط الحركة وقلة الانتباه وصعوبات التعلم، ونسبة الطلاب الذين لديهم هذه المشاكل تترواح ما بين ١٠٪ إلى ١٧٪ من مجموع الطلاب.

• بماذا تنصح الأمهات الجدد للحفاظ على وسائل التربية الصحيحة مع الطفل الأول؟

■ لاشك أن هناك أزمة في مفاهيم التربية، واختلافًا بين طموحات الأمهات والوسائل المستخدمة للوصول لهذه الطموحات، واختلافًا ثانيًا بين الطموحات لمستقبل أولادهن وبين افتقار الكثير للعلم بوسائل التربية الحديثة، واختلافًا آخر وهو أن المثالية في تربية الطفل الأول تعد كارثة على رأس الطفل الثاني، لأن الكثير من الأمهات يستدركن أخطاءهن في الطفل الثاني ومن هنا تحدث أزمة ما بين شخصية الطفل الأول والطفل الثاني، ولتلافي ذلك يجب أن يكون لدى الآباء مرونة في الشخصية، بدلاً من قوالب الشخصية غير المتحولة، وهو نظام: «هو كذلك ولا نعرف غير هذا، ولم نتربَّ إلا على ذلك».

كما أن التعلم والمعرفة جزء من التحول من هذا النمط إلى إيقاظ العقول وإيجاد الأسباب والوسائل البديلة للتعامل مع الطفل، كما أنه لا يوجد ما يعرف بالطفل المثالي في كل شيء، فهناك طفل يخطئ ونحاول أن نعيد الصياغة بصبر وتمهل.

وأخيرًا يجب أن تتفهم كل أم دورها، ولا تعلن فشلها كأم، وعليها أن تسأل المختصين في مجال التربية، لأن سؤال الأهل والجيران والأقارب قد يعود بطريقة سلبية على الطفل.

كما يجب أن تعلم الأم أن الطفل الأول إذا خرج بشكل مناسب من ثقة بالنفس وتحمل للمسؤولية وتعاون، ولم يعانِ من عيوب وأخطاء في التربية سيخرج مثالاً صالحًا لإخوته الصغار، وهذا يقلل الجهد المبذول في تربية باقي الأبناء.

عندما يكذب الأطفال

د. نجيب محمد الجباري

وضع الإسلام أقوم التشريعات وأوضح التعاليم التي تكون المجتمع السليم والسوي والجدير بالريادة البشرية نحو القيم العليا والمثل الفاضلة، لذلك حرّم كل ما من شأنه تعكير صفو هذا المجتمع والمس بمقوماته وأسسه المتينة وتقويض دعائمه وإفساد العلاقات السائدة بين مكوناته، فحرم من ضمن ماحرم الكذب، وذلك لخطره على المجتمع والفرد.

يقول الرسول ﷺ «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» (مسند أحمد).

ومن هنا سعى الإسلام إلى تربية الطفل تربية خلقية إسلامية صالحة تجعل منه النموذج الأمثل في الفضائل والصفات، وتظل الأسرة المسؤولة الأولى عن هذه التربية وتقديم النشأة لأطفالها، لذلك يتحتم عليها اتخاذ الموقف الملائم والصحيح من هذه القيم والأخلاق، فلا يتصرف الآباء والأمهات تصرف الفاسدين والمسرفين، لأن القدوة تبدو مؤثرة في نفسية الطفل لصيقة بذهنه وتفكيره، فإن كانت قدوة خير وصلاح وصواب أثرت في الطفل وأرشدته إلى طريق الخير والعكس بالعكس، لكن لماذا يلجأ بعض أطفالنا إلى الكذب؟

إذا عرفنا الأسباب أمكننا أن نجنب أطفالنا هذه الكبيرة.

في دراسة أعدها فريق من علماء النفس في القاهرة ونشرتها صحيفة الأهرام مؤخراً خلص هذا الفريق إلى أهم الدوافع التي تكمن وراء كذب الأطفال، أولها الخوف من سلطة الأبوين والمعلمين، فإذا قام الطفل بفعل شنيع أو قصر في أداء واجب منزلي وتعرض لعقاب شديد جراء ذلك لجأ إلى الكذب والتبرير وانتحال الأعذار، وهكذا كلما قام بفعل من ذلك القبيل، لذا وجب على الآباء وأولي الأمر الالتزام بالهدوء مع أطفالهم والتعامل فيما بينهم وتبادل المصالح والمنافع، وإذا لم يكونوا على حالة من الصدق الواضح فإن هذه العلاقات والمصالح الأسرية ستتعرض إلى الفساد والقطيعة، أما ثاني الأسباب فهو السعي لإرضاء الأبوين والمعلمين، فنجد الطفل يلجأ إلى من يقوم بواجبه المدرسي، وقد يكون الأب أو الأم حتى لنيل رضى معلمه والحصول على درجة مميزة، وهو يعلم أنه لا يستحقها، ومن هنا يتعلم الطفل الكذب والغش اللذين سيفسدان حياته في المستقبل.

ومن أسباب الكذب أيضا سعي بعض الأطفال إلى إثبات ذواتهم والحصول على مكانة اجتماعية، فيدعون أنهم أثرياء أو أن لديهم ممتلكات أكبر مما لدى زملائهم وأقرانهم وما شابه ذلك، وواجب الآباء هنا يتمثل في غرس الإيمان بالله في قلوب أبنائهم وتعويدهم على الصدق، والتأكيد لهم أن مكانة الفرد ليست فيما يتوفر عليه من ماديات، وإنما بما عليه من إيمان وتقوى الله، وما يحظى به من أخلاق فاضلة وتحصيل علمي جيد، وقد يكذب الطفل رغبة في الانتقام من الآخرين، سواء أكانوا إخوته أم زملاءه في المدرسة نتيجة تمييز الآباء والمعلمين بين الأطفال.

وقد يشهد الطفل، بانتقاله إلى المدرسة صورًا من الانحراف عن الحق والصدق حين يرتكب بعض المعلمين -وللأسف- أخطاء كبيرة في حق تنشئة الأطفال، تعلمهم الكذب، في وقت كان من المنتظر أن يكونوا هم القدوة الحسنة والنماذج الصادقة، وهذه قصة أخرى.

ومهما تكن أسباب الكذب ودوافعه، فإنه رذيلة ونقيصة نهى الله ورسوله عنها ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ (الجاثية: ٧)، والذين يرتكبون الكذبة الصغيرة أو «الكذبة البيضاء» لا يتورعون عن الكذبة الكبرى والمعصية العظمى، «قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم، أيكون المؤمن بخيلًا: قال: نعم، أيكون المؤمن كذابًا؟ قال: لا» (قال الألباني: إسناده صحيح مرسل)

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: كيف نعود أطفالنا على تحري الصدق واجتناب الكذب؟

ينبغي للأسرة والمدرسة والمجتمع وضع أسس لقول الصدق والحقيقة، والأمانة وغرس القيم الإسلامية الصحيحة في أطفالنا مهما كان الثمن، والتأكد من تطبيق هذه القيم على الجميع، فلا يكذب الأب ولا تكذب الأم ولا تكذب المعلمة أمام الأطفال.

وعلى الكل أن يتذكر بأن العنف قد يجبر الطفل على قول الحقيقة، ولكنه قد يزيد من عناده وإصراره على الكذب، ويؤثر سلبًا على علاقاته الاجتماعية لاحقا في الحياة.

لهذا كله نجد الرسول ﷺ وهو المربي الأول والمرشد الأكمل قد حذر الآباء والمربين من الكذب أمام صغارهم ولو بهدف الممازحة أو الإلهاء أو الترغيب حتى لا تكتب عليهم عند الله كذبة، روى أبوداود والبيهقي عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال: «دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم

اختصاصي أكاديمي

رسالة لها تاريخ

أحمد مصطفى فضلية

الرسالة التي أقدمها للقراء من روائع فكر الشيخ محمد عبدالله دراز التي كتبها في شبابه، والتي لم تنشر من قبل أقدمها للشباب المسلم لينسجوا على منواله ويسيروا على دربه ويكونوا أصحاب همة عالية وأهداف سامية، ننشرها اعترافًا بفضل الشيخ ووفاء لحقه وتقديرًا لفكره وأدبه فجزه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

ويرجع تاريخ هذه الرسالة الى سنة ١٩١٣م حيث كتبها د.دراز وهو طالب بالسنة الرابعة الثانوية استجابة لطلب مشيخة المعهد الأحمدي بطنطا.

يقول الشيخ بين يدي الرسالة «لما كان أحق شيء وأجدره بكل طالب علم قد نزل منه العلم منزلة الحمى من ربه أو العرض من صاحبه، أن يوضح محبته لمن كان فيه مستريبا ويحمي حقيقته من وصمات من كان له معاندا وعنه معرضًا، رأيت أن أجعل ذلك موضوع كلمتي هذه، ثم أستطرد إلى بيان مهمة العالم في هذا المجتمع الإنساني».

«نص الرسالة»

أيها العلم: هذه كلمة من أحد طلابك المستمسكين بأسبابك يزف عرائسها عليك، وإنما هي منك وإليك، ويقدمها لعرشك الرفيع مقرا بأنه مهما ضاعف فيها الثناء وبلغ بها حد الإطراء فلم يكن بذلك مدحه إسرافًا وكيله جزافا، بل لم يكن ليبلغ فيها معشار حقيقتك أو يكْتُنُه بها شريف قيمتك.

أيها العلم.. لقد تصفحنا كل الفضائل واستقربنا كل الكمالات ونقدنا آداب الدين والدنيا وتفقدنا سعادات الآخرة والأولى فألفيناها كلها أنهارًا أنت ينبوعها، ونتيجة أنت مقدمتها، وبيتًا أنت دعامته وأساسه،



وجسمًا أنت قلبه ورأسه، نعم فأنت لمرتاد الفضائل الرائد الصادق لا يكذب أهله، وللمسترشد إلى الحق المرشد البصير لا يضلل سائله، وللمستنصح في حوادث الأيام الناصح الأمين، وللمستبصر في حوالك الظلمات المصباح المنير، ولمن كان همه السبق في ميدان الكمال على منوال «إنما الرجال بالأعمال» أنت محك أعماله ومعمل تحليلها، والصريف الذي يميز له جيدها من زائفها، وطيبها من خبيثها، وينتقي له منها ما يرفع مكانته ويحفظ كرامته، وما يحله من القلوب سويداءها ومن العيون سوادها، ولمن كان أمله التمتع بمرافق هذه الحياة والاندماج في سلك السراة، أنت كنزه الثمين لا ينفد، وماله التليد لا يبلى والآلة القوية التي بها يدمر سجون التعاسة، والمرقاة العالية التي عليها يرقى قصور العز والسعادة، ولمن كانت كعبة أمانيه الدار الآخرة يرجو نعيمها المقيم ويخاف عذابها الأليم أنت له أعظم قربة وأمنع جنة، العلم يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة، وبالجملة فأنت لملتمس الدنيا أو الآخرة مذلل، وفي قبضة كليهما مسخر كآلة في كل مطلب ووسيلة لكل مأمول ومقصد، من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معًا فعليه بالعلم.

أجل أيها العلم.. ألست أنت الأساس المتين الذي عليه تقوم صروح الممالك وتشيد أركانها؟ والعين اليقظة التي بها يستتب نظامها ويسود عدلها وأمنها وتقام منها الحصون والمعاقل وتدبر الجيوش وتملك نواصى العز؟ أم ألست أنت لها السياج المحكم والسور المنيع الذي يحفظها من عوادي الأغيار ويقيها من عار الصغار على ممر الإعصار؟

أم ألست للمالك الوزير الناصح والمشير الصالح الذي نبراس رؤيته يهتدى في قيادة ملكه واستبقاء ملكه، وللمملوك الحاجز الحصين الذي

باحث أزهري

يوقفه عند منزلته ويبصره بقيمته ويري كل ذي قدر قدره، فلا يتجاوز طوره، وبذا يتم النظام بين الأنام ويرتفع الخصام ويسود الأمن العام؟

أولست أنت للفقير المال وللغني الجمال؟ أوليس لولاك ما كان كل كمال؟ بلى، بلى، ولأنت المفتاح الصالح لفتح كل مغلق واليد الفعالة الممهدة كل صعب والمذللة كل حزن.

مقارنة بين العلم والجهل

أيها العاقل:

هذه سجية العلم وميزته، ومن يقارن، في كل تلك المقاصد، بينه وبين ضده يعرف كيف كانت كفة هذا هي الخاسرة لخيري الدنيا والآخرة، فإنه ليس بعد عمى الجهل عمى ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

أما من صادفته من أولئك العمي فصوب سهما الى غرضه أو أتي بيتا من بابه أو ناله من حظوظ الدنيا فما تلك منه إلا رمية من غير رام، إن أصابت مرات أخطأت مئات، وهذه سنة الجهل التي فطره الله عليها ولن تجد لفطرة الله تبديلا.

فياليت شعري ماذا يحاول أولئك القوم الذين طبع الله على قلوبهم وجعل على أبصارهم غشاوة فصاروا يرمقون العلم شذرا ويقولون بألسنة ملئت بهتانا وكذبا: مالنا ولهذه الفضيلة وليس بين صاحبها وبين الفقر حجاب ولا هو متمتع بطيبات الدنيا.

قلنا لهم يا قوم لا تلبسوا الحق بالباطل وهذه المشاهدة تناديكم إذ إنكم رجلان عالم وجاهل- وتبين لكم في المقارنة بينهما من الفوارق الدينية والمزايا الحيوية بل الأماني الدنيوية ما ينكمش له كل معاند ويقتنع له كل معارض فهلا تبصرون؟

يخاطب العلم فيقول: أنت للفقير المال وللغني الجمال ولولاك ما كان الكل تمام

ثم نقول تنزلا يا قوم بالله ماذا يضير العلم ان يكون جارًا للفقر أو قرينا للقل؟ ولئن فاته هذا المتاع المشوب القصير فلن يفوته ذلك النعيم الخالص المقيم، ثم ليت شعري ماذا بعد الغنى والجهل غنمتم؟ وبماذا قد رجعتم؟ ما هو إلا ظلمات بعضها فوق بعض «إن الإنسان- الجاهل- ليطغى أن رآه استغنى» ﴿فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا. فإن الجحيم هي المأوى﴾.

فإن كنتم لنا متربصين فهل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، ولكن نحن نتربص بكم سقوطًا في الدنيا والآخرة فتربصوا إنا معكم متربصون، من ذلك كله عكف العاكفون من العقلاء على طلب العلم الشريف ونفضوا أيديهم من الجهل، بما معه من تليد وطريف وهأنا أنادي مع مناديهم:

«والذي نفس محمد بيده لو أن لي ما في الأرض جميعًا ومثله معه، أو لو أن الشمس في يمناي والقمر في يسراي بدلًا عن عروة العلم الوثقى وسببه المتين لأقولن بئس الجاهلين بدلًا ولأكونن مع العالمين».

مهمة العالم

وبعد فما كان العلم ليأخذ في الشرف بهذا الحظ الأوفى ويحظى منه بذاك القدح المعلى لولا شرف غايته وفضل ثمرته- وهي العلم به، ألا وإنه لا يتحقق في العالم اسم ذلك العمل حتى يأخذ بشعبتيه الفردية والاجتماعية ويستحوذ على ضبعيهما جميعًا، أولاً أن يأتمر هو بأوامره ويتمسك بآدابه وفضائله ويهتدي بمراشده حتى لا يكون مثل علمه معه كمثل السراج أمام الأكمه أو الاسفار في يد الأبله، وأما ثانيا فأن ينشر أولوية علمه على أفراد أمته وأبناء جلدته وطبقات قومه أداء لواجب ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾، وقيامًا بذلك الفرض الاجتماعي المقدس والمهمة الإنسانية العالية التي تندبه إليها مصلحة الحياة القومية وتحتمها عليه وظيفة الخلافة الدينية والوراثة النبوية، حتى لا يكون كمن حمِّل فلم يحملها أو كمن اؤتمن فخان.

نعم تلك مهمة العالم في هذا المجتمع الإنساني، فنعما هي وعزت مسندًا وكبرت وظيفة، ولقد حق على ذويها، وحاجة الناس إليهم حاجتهم الى الأنبياء، أن يقوموا فيمثلوا أدوارهم الشريفة التي كابدوا في الحصول على مقدماتها المشاق وبلغت منهم الجهد، ويغرسوا في قلوب أممهم حب الفضيلة وينتشلوهم من حضيض الجهالة والرذيلة، وينشروا بينهم فضائل الدين، ويجددوا ما اندرس فيهم من معالم اليقين، لاسيما وقد طغى سيل «التبشير المسيحي» الجارف وصار يتهدد معالم الإسلام بالطوفان فضلًا عما هو بين ظهرانينا وبمرأى ومسمع منا من مذابح الفضائل والمروءات التي كاد خرير دمائها يصم الآذان ومعالم الرذائل والمنكرات التي ملأت الدار والسوق والديوان حتى استحسنت القبائح وذووها واستقبحت المحاسن وأهلوها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

جامع السيد هاشم في مدينة غزة... آثار وأمجاد

بهيج بهجت سكيك

مَنْ منا لم يشاهد على شاشات الفضائيات غزة وقطاعها وهي تُقصف من العدو الصهيوني؟ أو لم يسمع صوت الصواريخ تدمر كل أثر حي في القطاع؟ وتصب «رصاصها المصبوب» بكل ما تملك من حقد على الشجر والبشر.. تحت سمع وبصر العالم الذي لم يحرك ساكنًا، وموافقة بعض من ذوي القربى، شاركوا في حصارها وتجويعها.

إنها «غزة» الصابرة الصامدة المجاهدة، الباسلة.. أعطت اسمها لشريط ساحلي جنوب فلسطين لا تزيد مساحته عن ٣٥٠ كم مربعًا، بعد حرب عام ١٩٤٨م وقيام دولة إسرائيل كانت تديره الشقيقة الكبرى «مصر» حتى عام ١٩٦٧م واجتياح إسرائيل لباقي أجزاء فلسطين – قطاع غزة– والضفة الغربية وسيناء والجولان من مصر وسورية، فخضع قطاع غزة بمدينة غزة، دير البلح، خان يونس، رفح وقراه لحكم الطاغوث وجبروته حتى يومنا هذا.

وغزة أو عزه وهو اسمها الكنعاني القديم لِعزة موقعها ومناعته من أقدم خمس مدن في فلسطين أقامها الكنعانيون مع «عاقر، وغات، وعسقلان، قبل نزول التوراة وادعاءات اليهود الباطلة في أرض فلسطين.

السيد هاشم

غزة قديمة قدم التاريخ، عرفت كثيرًا من الغزاة، تصدت لهم وصمدت في وجوههم وطردتهم منهم المعينيون والسبأيون والفراعنة والهكسوس والأشوريون والبابليون والفرس واليونان والرومان، وانتقلت غزة من الوثنية إلى المسيحية، ثم استظلت بمظلة الإسلام.

ظلت غزة وعلى مدى قرون متلاحقة على اتصال بالعرب في شبه الجزيرة العربية، وكانوا يتوافدون عليها بقصد التجارة وبضائعهم التي تصل إلى ميناء غزة– ميمونيا– لأنها واقعة عند ملتقى عدد كبير من الطرق التجارية، وكانت قوافل العرب تسير بين اليمن والشام (رحلة الشتاء والصيف).

وكان «هاشم بن عبد مناف» جد الرسول الأعظم ﷺ في إحدى رحلاته إلى بلاد الشام مات ودفن في غزة.

كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعمل في التجارة، وزار غزة مرات عدة وعمل فيها «مبرطسًا» أي في تخليص البضائع (قومسيون) ويعرفها جيدًا، وزارها بعد الفتح وصلى في المسجد الذي حمل اسمه (المسجد العمري الكبير). وبعد الإسلام كانت غزة أول بلد دخله العرب في فتوحاتهم لفلسطين بعد معركة على أبوابها عرفت باسم «داثن–الدميثة» يوم الجمعة ٤ فبراير ٦٣٤م بقيادة عمرو بن العاص وفي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

دخلت غزة حظيرة الإسلام ولاعتزاز «الغزيين» بوجود قبر جد الرسول «هاشم بن عبد مناف» قرنوا اسم غزة باسمه فصارت تعرف بـ «غزة هاشم».

المسجد

لا يعرف على وجه التحديد متى عرف الغزيون واهتدوا إلى القبر المدفون فيه هاشم بن عبد مناف بنوا مسجدًا على مقربة من القبر وكان في الأصل مغارة (كهف) يقع في حي «الدرج» أحد أحياء غزة القديمة، وكان مرتفعا عن باقي الأحياء (الزيتون– وحي التفاح– وحي الشجاعية)، ويصعد إليه بدرجات.

وقد تحولت المنطقة حوله إلى مقبرة كبيرة عرفت باسم مقبرة «الأوزاعي» نسبة إلى الشيخ عبدالرحمن الأوزاعي– الدمشقي– الذي قدم إلى غزة في القرن العاشر الهجري ويرجع نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري، وهو بالطبع غير «الإمام الأوزاعي» الفقيه المعروف والمدفون في بيروت وله مقام فيها.

كتب المؤرخ مصطفى الدباغ في كتابه «بلادنا فلسطين» الجزء الأول، الفصل الثاني، أن المماليك هم أول من شيد مسجدًا للسيد هاشم، وكانت غزة تحت سيطرتهم وحذا حذوه المؤرخ عارف العارف في كتابة «تاريخ غزة» ص ٣٣٦.

مسجد السيد هاشم بن عبد مناف بشكله الحالي بني في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد الثاني وبأمر منه سنة ١٨٥١ ميلادية بناء على طلب من الحاج أحمد بن محي الدين عبدالحي الحسيني مفتى الأحناف بغزة.

وقد تبرع أهالي غزة بأموال وافرة لبناء المسجد واستعملوا في بنائه الحجارة المتبقية من جامع «الجاولي» الذي هدم وكان يقع قرب محطة سكة الحديد في غزة، ومسجد البيمارستان الذي هدم هو الآخر وكان يقع شرقي المسجد العمري الكبير، قرب مدافن آل الغصين.

يدل على ذلك الأعمدة الرخامية الجميلة التي تزين مدخل وباب مسجد

باحث أكاديمي

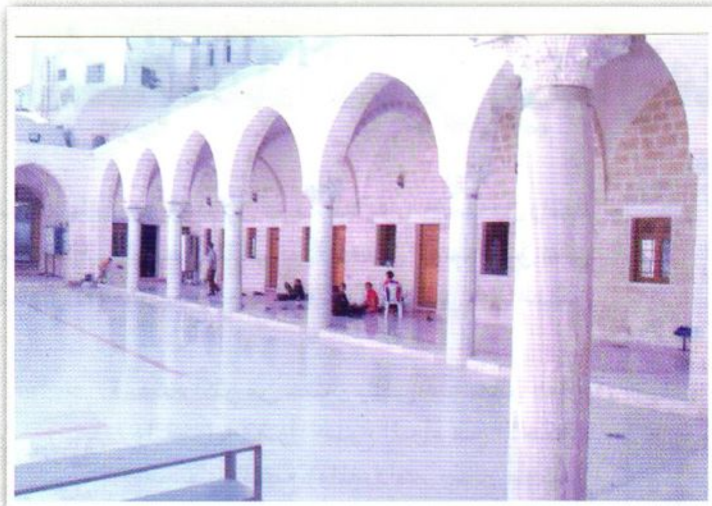
السيد هاشم والرنوك التي تزين أبواب الغرف الغربية من المسجد، تبلغ مساحة المسجد حوالي ٤٠٠٠ متر مربع يحتل الصحن (الفناء) الخارجي نصف المساحة، أما الصحن الداخلي حيث المنبر والمحراب فلا يتسع لأكثر من ٥٠٠ مصل، في الزاوية الشمالية الغربية، توجد الغرفة المدفون بها السيد هاشم بن عبد المناف وفوقها قبة كبيرة ترى بوضوح من الجهة الشمالية والغربية يحاذيها مجموعة من الغرف يأوي إليها الغرباء تحولت فيما بعد إلى مدرسة للمكفوفين.

قريبًا من المسجد توجد أملاك ودور لآل «الحسيني» وعلى الأخص ما عرف بـ «قصر الباشا» للسيد محي الدين بن عبدالحي الحسيني، مفتي غزة، أقيم على مساحة كبيرة يشقها شارع أقيم فوقه قنطره تصل أجزاء القصر الشمالية والجنوبية وعرف هذا الجسر باسم «سُباط المفتي» ولايزال قائمًا إلى اليوم، كما أن لهم مدفنا خاصا في الجهة الشرقية، وكان المفتي يتولى إقامة الصلاة وخطبة الجمعة في مسجد السيد هاشم.

وكان الغزيون يولون اهتمامًا كبيرًا لإمامة المسجد والخطباء، فكان أعلم رجال الدين يتولى الإمامة والخطبة في المسجد العمري- أكبر مساجد غزة- نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يليه إمام وخطيب جامع السيد هاشم ثم إمام وخطيب جامع ابن عثمان في الشجاعية، ويتوزع باقي الأئمة والخطباء على مساجد غزة الكثيرة.

المولد النبوي والعيد

كانت غزة تحت حكم المماليك - البرجية والبحرية - الذين حكموا مصر وأجزاء من الشام وحل محلهم العثمانيون الأتراك وفي هذين العصرين انتشر الجهل والأمية، وازدهرت الحركات



هو هاشم بن عبد مناف جد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث مات ودفن في غزة

الصوفية والفرق الدينية (الشاذلية- العلوية- وغيرهما) فكان الاحتفال بالمولد النبوي يبدأ قبل موعده بأسبوع، وتخرج هذه الفرق من مقراتها بعد صلاة العصر تصاحبها فرق موسيقية ومنشدون وأعلام صفراء وخضراء تجوب الشوارع لتنتهي إلى مسجد السيد هاشم مع صلاة المغرب، وهناك تمارس بعض أنواع الشعوذة كضرب السيوف والحراب وهذا ما يستهوي العامة والسوقة من الناس، بقي هذا الحال من نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين حتى العدوان الثلاثي ١٩٥٦م واحتلال إسرائيل لقطاع غزة وانسحابها منه يوم ٧ مارس ١٩٥٧م ووجود قوات الأمم المتحدة في القطاع من ٢٧ دولة، فاستغلت هذه الاحتفالات لتصويرها وتشويه صورة الإسلام في بلادها (السويد- النرويج- كندا- الدانمارك- البرازيل- الهند، وغيرها) فقام الحاكم الإداري العام لقطاع غزة اللواء أحمد حسن عبد اللطيف- مصري- بإلغاء هذه الاحتفالات وما يشوبها من شعوذة .. وإلى الأبد.

أما موضوع «العيد» ويقصد به الاحتفال بأيام العيدين- عيد الفطر المبارك وعيد الأضحى المجيد- فكانت تنصب «الأراجيح» والألعاب في ساحة كبيرة شرقي مسجد السيد هاشم يتجمع فيها مئات الأولاد للاحتفال بالعيد على غرار «مدينة الملاهي» اليوم، يمرحون ويقضون أيام العيدين التي أطلق عليها اسم «أيام المواسم».

غزة بعد النكبة

قبل عام ١٩٤٨م، كان كثير من الغزيين متزوجين من سيدات من باقي مدن فلسطين، وبعد النكبة انقسمت فلسطين إلى ٣ أجزاء: ٧٧٪ احتله اليهود باسم إسرائيل، ٢١٪ باسم «الضفة الغربية» ضمه الملك عبد الله جد الملك حسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية إلى مملكته وما تبقى وهو شريط ساحلي ضيق ملاصق لمصر تديره باسم قطاع غزة.

إن مسجد السيد هاشم، شبه مهجور اليوم، جدرانه متهالكة متداعية، هجرت جيرته الأسر الكريمة، وهو بحاجة إلى مؤسسة إسلامية أو متبرعين كرام يقومون بترميمه وتجديده وتوسعته وإعادة مكانته إليه!

نرى اليوم المحتل الغاصب يقتلع شعبنا من أرضه، ويقتلع حجارة الوطن وأشجاره ويدمر مدنه وقراه، يمحو حضارته ويحل محلها حضارة مصطنعة لشعب مجلوب!

ما أصعب أن تكتب عن الوطن حين يكون الوطن بعيدًا! أو أنت مبعد عنه.

ولا يسعني إلا أن أعلن شوقي وحنيني «لغزة هاشم» كما أعلنه الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي ولد وعاش فيها فترة من الزمن:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة ..
وإن خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها..
كحلت به من شدة الشوق أجفاني

الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود

هو العالم العامل الشريف عبدالله بن زيد بن عبدالله بن محمد بن راشد بن حمد آل محمود، يرتقي نسبه إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، فهو من أشراف أهل نجد المنسوبين إلى اليمامة التي هي مسكن الأشراف القدماء.

ولادته ونشأته

ولد الشيخ -رحمه الله- بحوطة بني تميم في شهر ذي القعدة من عام (١٣٢٧هـ) وهي بلدة تقع جنوب الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية.

نشأ يتيمًا لكون والده توفي وهو صغير، فصار يلي أمره والدتُه نورة بنت عبدالعزيز أبوسعود الشثري، وهي امرأة صالحة صوّامة قوامة كثيرة الصدقة وكثيرة الدعاء والتضرع إلى الله في سجودها وكل حالاتها.

ومن دعائها: «اللهم احفظ عبدالله بن زيد في دينه ودنياه وانشر فضله على خلقه كما نشرت شمسك على العباد، وأمده بالمال والبنين، واجعله يعطي بيمينه ما لا تعلم شماله».

طلبه للعلم

كان الشيخ عاشقًا للعلم من صغره فحفظ القرآن بشكل متقن بعد أن استكمل سبع عشرة سنة حيث قدموه في صلاح التراويح والقيام منذ حفظ القرآن، وبدأت دراسته عند الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ، ثم لازم خاله الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري ملازمة تامة، فكان يقرأ عليه في الليل وفي النهار، ويسافر معه، ولم يزل منقطعًا إلى عام ١٣٥٠هـ، ثم التحق بالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية، فأخذ يتعلم عليه.

وفي سنة ١٣٥٥ هـ، سافر إلى قطر ليأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع، وكان مشهورًا بسعة العلم والاطلاع والاجتهاد التام، فمكث عنده أكثر من سنتين يتلقى عنه سائر العلوم والفنون، فقرأ: «بلوغ المرام في الأحكام، ومختصر المقنع، والمفردات، ونظم مختصر ابن عبدالقوي إلى باب الزكاة، وألفية الحديث للأسيوطي، وألفية ابن مالك في النحو، وكتاب قطر الندى».

وفي عام ١٣٥٧ هـ، التحق بفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مرة أخرى للأخذ عنه.

التدريس في الحرم المكي الشريف

كان من نعم الله تعالى على الشيخ عبدالله أن شرّفه للقيام بمهمة التدريس ونشر ما تعلمه من كبار المشايخ وأساتذته المهرة البارعين، ومن حسن حظه أنه قد سنحت له هذه الفرصة الثمينة في أشرف بقعة وأفضل مكان لتأدية هذا الواجب العظيم ألا وهو بيت الله الحرام، حيث اختاره الشيخ محمد بن إبراهيم ضمن ثمانية من أبرز تلاميذه للذهاب إلى مكة للوعظ والتدريس بها، فتوجه الشيخ إلى مكة ومكث بها فترة للدراسة ثم خصص له كرسي للتدريس في المسجد الحرام، يقول الشيخ جاسم بن علي بن عبدالله: «سافرنا للحج عام ١٣٥٩ هـ مع الجد الشيخ عبدالله بن جاسم رحمه الله، وسمعنا ونحن بالحرم عن شيخ اسمه ابن محمود له درس، فبحثنا عنه وسألنا حتى دلونا عليه، وكان شابًا أبيض ذو لحية خفيفة، وكان يلقي درسًا عن أحكام الحج، فجلسنا نستمع وكانت هذه أول مرة أراه فيها».

توليه القضاء في قطر

في منتصف ذي القعدة من عام ١٣٥٩هـ قدم الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر، إلى مكة قاصدًا الحج وبصحبته ابنه



الشيخ حمد بن عبدالله وعدد من كبار أفراد الأسرة الحاكمة والأعيان. وبعد أداء فريضة الحج طلبا من الملك عبدالعزيز آل سعود أن يبعث معهم برجل يصلح للقضاء والفتيا حيث كانت قطر في ذلك الوقت بدون قاض بعد أن غادرها الشيخ محمد بن مانع الذي طلبه الملك عبدالعزيز من الشيخ عبدالله بن قاسم ليتولى الإشراف على التعليم في المملكة الوليدة، وقد وقع اختيارهم على الشيخ عبدالله بن زيد بإيعاز من الشيخ محمد بن مانع الذي رشحه لما رآه منه من سعة العلم والاطلاع. وقد صدر الأمر إليه بالتوجه معهما في نفس السنة حيث تقلد أمانة القضاء في ١٥ من ذي الحجة عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م).

كانت الفترة التي تولى فيها الشيخ القضاء هي في بداية تكوين الدولة وكانت أجهزة الحكومة بسيطة وقليلة وإمكاناتها محدودة، وقد مر عليها ظرف اقتصادي صعب مع انهيار اللؤلؤ الطبيعي، وقد تولى الشيخ القضاء مع نشوب الحرب العالمية الثانية التي استمرت ست سنوات، وتضررت منها دول الخليج حيث انقطعت المؤن التي كانت تصل عن طريق البحر، وأدى ذلك إلى ازدياد نشاط التهريب وارتفعت أسعار السلع إلى عشرة أضعاف أو أكثر مما تسبب في

عجز الكثيرين عن توفير لقمة العيش وكثرت الوفيات بسبب الجوع والأمراض.

تصدى في بداية عمله للكثير من المشاكل المعقدة والمزمنة وبعضها خلافات تراكمت عليها سنون لم يتم حلها، فكان موفقًا في حل أي مشكلة مستعصية، وقد استطاع في مدة وجيزة أن يحل الكثير من الخلافات القبلية خاصة في مناطق الشمال بحيث استقرت العلاقات بين القبائل هناك.

وقد اشتهر في قضائه بتحري العدل والنزاهة، وكان لا يفرق في قضائه بين كبير وصغير فالجميع أمام الحق سواء، ويتناقل الناس كثيرًا من المواقف التي حكم فيها لصالح أشخاص ضعاف ضد شيوخ ووجهاء، وهو يعتبر بحق مؤسس القضاء الشرعي في قطر، حيث وضع نظام تسجيل الأحكام والقضايا لحفظها، ولم يكن القضاة قبله يسجلون أحكامهم في سجلات، أو يكتبون الأحكام في صكوك، وإنما يكتفون بكتابة ورقة مختصرة في يد صاحب الحق تثبت حقه ولا يوجد ما يقابلها لدى القاضي.

مؤلفاته

١- الحكم الجامعة في شتى العلوم النافعة.

٢- يسر الإسلام في جواز رمي الجمار قبل الزوال.

٣-مباحث التحقيق مع الصاحب الصديق .

٤- سنة الرسول شقيقة القرآن.

٥-الدلائل العقلية والنقلية بتفضيل الصدقة عن الميت على الضحية.

٦-حجر ثمود.

٧- الجهاد المشروع في الإسلام.

٨- اجتماع أهل الإسلام على صعيد واحد كل عام.

٩- أحكام عقود التأمين ومكانها من شريعة الدين.

١٠-جواز الاقتطاف من المسجد والمقبرة في حالة الحاجة وعموم المصلحة.

١١- رسالة الخليج في منع الاختلاط وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق.

١٢- الإيمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر.

١٣- عقيدة الإسلام والمسلمين.

١٤- انحراف الشباب عن الدين والتحاقهم بالمرتدين.

١٥- واجب المتعلمين والمسؤولين في المحافظة على أمور الدين.

١٦- حكمة التفاضل في الميراث بين الذكور والإناث.

١٧- حكمة تعدد الزوجات.

١٨- كلمة الحق في الاحتفال بمولد سيد الخلق.

١٩- كراهية التزوج بأهل الكتاب وعموم ضرره على البنين والبنات.

٢٠- إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء.

٢١- الأخلاق الحميدة للمرأة المسلمة.

٢٢- القول السديد في تحقيق الأمر المفيد.

٢٣- نهاية المرأة الغربية بداية المرأة العربية.

٢٤- منع تصوير شخصية الرسول ﷺ.

٢٥- المسكرات وعموم ضررها على الدين وعلى العقل وعلى المال والأهل والنسل والمجتمع.

٢٦- حماية الدين والوطن من أفلام الخلاعة والفتن.

٢٧- جواز تحديد الصَداق وضعف معارضة المرأة في ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢٨- الحكم الشرعي في إثبات رؤية الهلال.

٢٩-. كتاب الصيام.

٣٠- الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم.

٣١- تثقيف الأذهان بعقيدة الإسلام والإيمان.

٣٢- الأحكام الشرعية ومنافاتها للقوانين الوضعية.

٣٣- تحريم الربا بأنواعه.

٣٤- محق التبايع بالحرام ومنه التبايع بما يسمى البورصة.

٣٥- أحكام قصر الصلاة في السفر.

٣٦- الحكم الشرعي في الطلاق السني والبدعي.

٣٧- الملحق بالجهاد المشروع في الإسلام.

٣٨- بطلان نكاح المتعة.

٣٩- أحكام منسك حج بيت الله الحرام.

٤٠- الاشتراكية الماركسية ومقاصدها السيئة.

٤١- الجندية عموم نفعها وحاجة المجتمع إليها.

٤٢- الحكم الإقناعي في إبطال التلقيح الصناعي وما يسمى بشتل الجنين.

٤٣- الحكم الشرعي في الطلاق السني والبدعي.

٤٤- دعوة لحكام المسلمين للاهتمام بموضوع المبتعثين.

٤٥- لا مهديَ يُنتظر بعد الرسول محمد ﷺ خير البشر.

وفاته

بعد حياة حافلة في خدمة الإسلام والمسلمين أدى فيها الشيخ دورًا مهمًا وفاعلاً في الحياة العلمية والاجتماعية على نحو مشرف وغاية سامية نبيلة؛ انتقل الشيخ إلى جوار ربه سبحانه وتعالى في حوالي الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس في أواخر العشر المباركة من شهر رمضان المبارك، وذلك في اليوم الثامن والعشرين منه من عام ١٤١٧ هـ الموافق للسادس من فبراير لعام ١٩٩٧م عن عمر ناهز التسعين عامًا.

صلي عليه بالمسجد الكبير، بعد صلاة عصر يوم الخميس، وقد أم المصلين للصلاة عليه فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي وقدازدحمت جنبات المقبرة وغصت بالناس وقد بكاه أهل قطر رجالاً ونساء، وقد رؤيت له رؤى حسنة قبل وفاته وبعدها .فجزاه الله خيرًا وأدخله فسيح جناته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المصادر

١- تحفة الودود في ترجمة علامة قطر عبدالله بن زيد آل محمود، لعمر تهاني ناجي مختار.

٢- موقع أسرة آل محمود على الشبكة العنكبوتية.

بعد ٣٥ سنة من البحث عن الحقيقة..

سويسري يسمع نداء الفطرة

سويسرا: محمد مصطفى

كثيرة هي قصص من أسلموا من الغرب ، حتى بتنا نسمع كثير من المعجزات والآيات التي يتقطع منها القلب ، ولكن فلسفة التغيير العقدي تحتاج إلى وقفات لأخذ الدروس والعبر لعظمة ديننا الحنيف في أمصار الأرض كافة ، والتأكيد على أن هذا الدين «ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار...» «الوعي الإسلامي» حاورت أحد المهتمين الجدد من سويسرا ليطلعنا على قصة إسلامه .. واليكم نص الحوار:

● أولا، أستاذ ذاكر داغوزان مرحبا بك، هل لك أن تعرف القارئ العربي بنفسك؟

شكرا أخي، اسمي جون بولس داغوزان، عمري ٦٢ سنة من مواليد تولوز بفرنسا، حاليا مقيم بسويسرا منذ أكثر من ٣٠ سنة، وقبل مجيئي لسويسرا كنت درست الفلسفة والديانات عموما كاليهودية والمسيحية والبوذية وبعض الفلسفات الأخرى ذات الصلة بالديانات والمعتقدات، وتخصصت في الإعلام حيث اشتغلت في عالم الاتصال والسينما والإذاعة والتلفزيون سنوات وسنوات، وحاليا أنا أدير شركة للإعلام الآلي بمقاطعة فو السويسرية.

● وعن علاقتك بالدين..

(مقاطعا)

أنا قادم إليه، الغريب أو الطبيعي في حياتي أني منذ نعومة أظفاري كان لدي إحساس أن الله واحد، رغم أني ولدت مسيحيا، فلم أستطع هضم صورة أو «طبيعة» الرب (عز وجل) كما تقدمه لي الكنيسة الكاثوليكية، فالمسيح عليه السلام لا يمكن- في نظري وأنا طفل- أن يكون رجلا وإلها، لكن كنبي مرسل هذا لم يراودني فيه أدنى شك، أو كشاهد على عصره بالتأكيد نعم، لكن لا ولن يكون ربا أو شريكا للرب المعبود الخالق المكون المبدع سبحانه وتعالى.. كانت هذه الأفكار تراودني دائما ذهنيا وعاطفيا.. تشككني في المعتقد الإلهي كما تقدمه لنا الكنيسة بمختلف مدارسها.

أما بالنسبة للإسلام العزيز الذي أتشرف اليوم بالانتساب إليه، فتعود إرهاصاته الأولى إلى أكثر من ٣٥ سنة خلت، درست فيها الديانات، كاليهودية والمسيحية والبوذية وبعض الفلسفات الأخرى ذات الصلة بالديانات والمعتقدات في العالم، وقد ساقني القدر إلى الاطلاع على ترجمات القرآن باللغة الفرنسية، منها ترجمة محمد حميدالله وحمزة أبوبكر- رحمة الله عليهما- وغيرهما، فوجدت في القرآن ضالتي، بل وجدت التحليل المنطقي الذي لا يتناقض مع المنطق ومع الواقع .. فقلت يومها بصوت مرتفع «الله أكبر» هذا ربي هذا منطقي ومقنع.. وهناك أمر لم أجد له تفسيرا منذ طفولتي الأولى، هو صوت الأذان أو النداء للصلاة الذي كان يرن دائما في أذني وأجد فيه متعتي وراحتي، دون معرفتي لألفاظه ومعانيها، ووجدت نفسي أحفظ مقاطعه، دون علم، لكن أحن دائما لسماعه وأجد فيه راحة ولذة عجيبة.

● وبدأ ذاكر يردد: «الله أكبر، الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله...»، فقاطعته قائلا له: ماذا يعني بالنسبة إليك هذا الأمر؟

رد ذاكر والبسمة تعلو محياه: دون علمي يا سيدي، فأنا أحمل في طياتي رسالة التوحيد، رسالة فطرة الإسلام، هذه البذرة التي غرسها الله فيّ وأنا لا أعرف شيئا عن الإسلام، وأنا طفل هائم أبحث عن الحقيقة في أدغال المادية الغربية، ثم قرأ قول الله تعالى في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣).

● وهل يفهم من هذا أنك كنت تسبح ضد تيار الستينات الفرنسي، وبقيت كذلك لحد الساعة؟

يا أستاذي، أنا أمشي وفق قناعاتي، ودليل وجودي اليوم بين المسلمين، هو ثمرة هذه الصحبة الطاهرة العفيفة النظيفة، واليوم بعد إسلامي، لن أنسى الأخوين صالح وتوفيق، صالح صاحب وكالة أسفار بـ «لوزان»، وتوفيق أستاذ بـ «جامعة لوزان»، ساعدوني كثيرا لقطف ثمار هذه السفرة الممتعة التي حطت بي اليوم في بيت الله هذا (المجمع الإسلامي بمدينة لوزان السويسرية)، بحيث كان كل من صالح وتوفيق يرددان لي باستمرار: «إن كنت مستعدا داخليا لتقبل الإسلام، فالله يرحب بي بطريقة أعلى وأغلى.. لا توصف ولا تقاس بثمن» وأنا صاحب القرار طبعا أولا وآخرا بعد إرادة الله سبحانه وفضله وكرمه.

وقبل فترة وجيزة شعرت برغبة

جامحة للاقتراب منه أكثر.. ليلتها أمضيت نوما متقطعا أحلم في العديد من المرات بشخص الذي يقدم لي القرآن ويقول لي: لبِّ نداء الله.. لبِّ نداء الله يا ذاكر.. لبِّ نداء الله»، فأقوم مفزوعا وأقول في نفسي، ما هذا؟! ثم أقول في نفسي: ما هي إلا أضغاث أحلام، ثم أنام.. وهكذا تكرر الأمر عدة مرات في نفس الليلة.. وفي الصباح قمت متعطشا لمعرفة كنه أحلامي، فقلت في نفسي: هل هو حقا نداء الإسلام؟ أم تراني من كثرة التدبر في الديانات والفلسفة علقت هذه الأفكار بذهني، وأصبحت أحلم بها نائما ويقظا؟

• ثم ماذا كان قرارك؟

اتصلت حينها بزميلي صالح، وحكيت له القصة، فأجابني مسرعا: «لقد حان وقتك، أبشر برحمة من الله ورضوان.. استعد لنذهب للصلاة سويًا.. سأمر عليك يوم الجمعة بحول الله»، وفعلا بعد ٣ أيام كان صالح قد رتب لنا لقاء مع أحد أئمة المجمع الإسلامي.. إنه القدر، بل إنه المكتوب، لأن كلمة مكتوب ينظر إليها بمعان مختلفة في الغرب حسب علماء الدين واللاهوت، فبالنسبة لبعضهم القدر ينحصر في النتائج المحصول عليها بعيدا عن إرادة الشخص، وبالنسبة لآخرين يتعدى ذلك إلى ما يفعله وما لا يفعله الشخص.. ولكنني أرتاح أكثر إلى تفسير الإمام أحمد بن حنبل، الذي أعطى وصفا قاطعا للقدر أو المكتوب.

• قاطعته قائلا: القدر في القاموس لغة: التقدير، يقال: قدر الشيء أي بيّن مقداره وقدّر الشيء بالشيء، أي قاسه به وجعله على مقداره. وقدّر الأمر، دبّره، قضى وحكم به. ويرد بمعنى القوة والطاقة أيضًا.

ونجد من مجموع هذه المعاني أن القدر اصطلاحًا هو: ما قدّره الله سبحانه من القضاء وحكم به.

شكرا على هذه المعلومات القيمة، المهم بالنسبة لي أن القدر تفويض كل شيء قبل وجوده في مخطط علمي إلى الله تعالى.. وبالتالي فالقدر هو اقتران ما خلقه الله سبحانه بكسب الإنسان، أي أن الإنسان يباشر عملا ما، فيؤدي بإرادته ذلك العمل... وهكذا فالقدر هو تقدير الله سبحانه بعلمه المحيط بالأزل والأبد بوجود الأشياء، قبل وجودها وبعد وجودها وما ستؤول إليه في المستقبل. لذا نقول: مثلما نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، كذلك نؤمن بالقدر.

• جيد لنرجع إلى بقية السؤال..

معذرة.. لقد جرتني الفلسفة للخروج عن حوارنا، قلت لك: توجهت يومها مع الأخ صالح للمجمع الثقافي الإسلامي بمدينة لوزان (العاصمة الأولمبية الدولية)، وكان ذلك اليوم المشهود أحسن أيام حياتي، استقبلنا الأستاذ مصطفى أحد خطباء المسجد مع الشيخ مشيش حمدان العالمي رئيس المجلس العلمي بجامعة فاس المغربية، الذي حل ضيفا على المراكز الإسلامية في سويسرا كمحاضر وواعظ، وجلسنا في قاعة الاستقبال حول مائدة شاي مغاربية ، تجاذبنا فيها أطراف الحديث حول الأمور التي أقنعتني بالإسلام كدين ومنهج حياة، وبعد أن صلينا صلاة العشاء خلف الشيخ مشيش حمدان العالمي، دنا مني الأستاذ مصطفى وطلب مني أن أقترب قصد إعلان الشهادة، وترديدها باللغة العربية وراء د.مشيش.. حين أنهيت شهادتي غمرتني فرحة لا أستطيع التعبير عنها، وتصببت عرقا، وتقدم إلي أعضاء من إدارة المجمع الإسلامي والعديد من المسلمين يهنئونني باعتناقي الإسلام، حينها شعرت فعلا بفرحة تغمرهم كأني أحد أفراد عائلاتهم، علما بأني لم أتشرف بلقاء أي منهم فيما سبق!!

من يومها ورائحة عطرة كرائحة المسك، لم أشمها قط من قبل، لم تفارقني وتصحبني دائما عند ذهابي للمسجد، بل أشعر بقوة داخلية لا أفهم كنهها ودوافعها .. لقد أصبحت خلقا جديدا، بل شعرت أني بعثت من جديد، كأسعد رجل في المعمورة.. فالحمد لله أولا وآخرا، والشكر لمن أخذ بيدي في هذا اليوم المشهود إلى المسجد!

• أخيرا كيف تعيش حياتك الجديدة كمسلم صاحب رسالة يعيش في الغرب على أرض أجداده؟

أولا أحب أن أركز على أن رسالة المسلم في الغرب تختلف نوعا ما عن رسالته في باقي البلاد الإسلامية، فوفق ثقافتي وعاداتي فأنا مسلم أوروبي، لأن هناك العديد من الطرق للعيش كمسلم وفق قوانين وإكراهات أحيانا يجب أن يراعيها الداعية المسلم في هذه الديار، مع التمسك طبعا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، هذه ثوابت لا أحيد عنها قيد أنملة، لا أدعي أن سيرتي وحياتي كلها وفق ما جاء به سيدنا محمد ﷺ، لكني أسعى كل مرة أن أتحسن وأتطور رغم أني في خريف عمري، فقد عاهدت نفسي وربي أن أخدم وأساعد كل إخواني الذين أسلموا حديثا مثلي، خاصة الذين مازالوا يعيشون دينهم خفية وتسترا، لم يشهروا ذلك أحيانا حتى في أضيق الدوائر.. لأسباب كثيرة، أعرف من أشهر إسلامه مثلي لكن لا يريد أن يأتي للمسجد، وأعرف من أسلم منذ سنوات لكن يخشى أن يسحب منه البساط في شغله فيكتم إيمانه.. فيهم من يخشى أن ينظر إليه بعد إسلامه أنه أصبح إرهابيا، أو أدخل في زمرة دين يقوم على العنف، كما يزعم بعض المضللين، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر.. حتى أنا، لما علمت عائلتي بإسلامي في البداية استغربت كيف اخترت الإسلام هذا الدين المخيف (في نظرهم)، ولم أختر دينا آخر، فهم لا يعلمون حقيقة هذا الدين الفطري ولا يشعرون بحجم السعادة التي تغمرني .

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

الاقتداء بالمسبوق

فتوى رقم «٢٢٧٨»

دخل شخص المسجد ووجد مصليًا اقتدى بإمام، مسبوقا بركعتين أو أقل أو أكثر، وقد أخذ هذا المسبوق يتم الصلاة بعد أن سلم الإمام، فجاء الشخص الداخل واقتدى به كإمام له، فما حكم صلاة المقتدي بالمصلي المسبوق هل هي صحيحة؟

أجابت اللجنة بما يلي:

بأن جمهور الفقهاء على عدم جواز أن ينتقل المأموم إماما، وعليه فلا يصح أن يأتم الشخص الداخل بالمسبوق، والله أعلم.

تزيّن المرأة على يد الرجل الأجنبي

ما الحكم الشرعي بعمل الرجل كحلاق بصالون حلاقة وتجميل السيدات.

أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز أن يعمل الرجل في صالونات تجميل السيدات، لما في ذلك من عدة مخالفات شرعية، منها الاطلاع على عورات النساء، ولمس ما لا يحل له منهن، والخلوة المحتملة بهن، وهذه من الأمور المقطوع بها، المجمع على تحريمها، ولا خلاف فيها بين العلماء.

ولا يخفى أن كل هذا من الترف الذي لا ضرورة فيه، وبناء عليه فلا يجوز السماح للرجال بممارسة هذه المهنة، والله أعلم.

العلاج بالقرآن الكريم

فتوى رقم «٢٢٥٩»

ما حكم الشرع في طريقة العلاج بالقرآن حسب الأوراق المرفقة؟

وقد اطلعت اللجنة على الأوراق المرفقة مع الاستفتاء وهي عبارة عن مجموعة آيات قرآنية وكل آية مخصصة لعلاج نوع معين من الأمراض.

أجابت اللجنة بما يلي:

تجوز الرقية بشروط ثلاثة:

أولها: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته أو بالأدعية المأثورة.

ثانيها: أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته.

لما روى عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال ﷺ: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك» (أخرجه مسلم).

أما الرقى المرفقة بالفتوى فهي وإن كانت من آيات القرآن الكريم إلا أن تخصيص الآيات المذكورة بما يقابلها من أمراض مخصوصة على أن تقرأ مرات بعدد معين هو تخصيص بلا مخصص، فلا يكون العمل به مشروعا. فضلًا عما فيها من حمل للآيات على غير معانيها كما في ألم الأذن والاصفرار والحصر والدم ونحوها كثير.

كما أنه قد وردت بعض الصيغ فيها تحريف لنص الآيات الكريمة على النحو الوارد في السؤال. والله أعلم.

وتنبه اللجنة إلى عدم الاغترار بالصفحة الأولى المرفقة والتي تحمل توصية بعض العلماء في بيان ما يأتيه المسلم من أذكار بعد كل فريضة. فإن هذا لا علاقة له بالرقى المرفقة. والله أعلم.

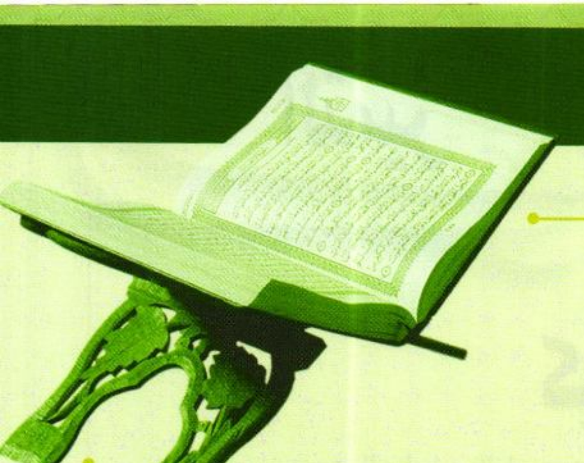
طلاء الساعة بالذهب

فتوى رقم «١٠٢٧»

ما حكم الساعة المطلية بالذهب، أو يكون أجزاء منها ذهبًا خالصًا؟

أجابت اللجنة:

بجواز لبس الساعة المطلية بالذهب إذا كان يسيرًا بحيث لا يمكن استخلاص الذهب منها، أما إذا كانت في الساعة أجزاء من الذهب الخالص، ولم تكن متخذة للحلية، وكانت الأجزاء مرئية فإنه لا يجوز لبسها مطلقًا، أما إذا كانت الأجزاء فيها بعض الحلية فيجوز لبسها للنساء دون الرجال، وكذلك الحكم في الساعة المتخذة للحلية بالنسبة للنساء. والله أعلم.



الإجهاض لتشوه الجنين

فتوى رقم «١٩٩٥»

أرجو الإفادة من سيادتكم، جزاكم الله خيرًا، حول جنين في الأسبوع الثالث والعشرين أظهرت الفحوصات المتقدمة في مستشفى الصباح ومستشفى المواساة أن به تشوهًا واضحًا في جميع الأطراف، كذلك عنده مرض تكسر العظام، فالعمود الفقري والقفص الصدري بهما ضعف شديد، وحصل لي هذا الأمر في مرة سابقة حيث ولد طفل في الشهر الثامن وبه نفس العيوب وتوفي بعد ولادته بساعتين، أرجو الإفادة وشكرًا

■ وحضر السائل إلى اللجنة، وأفاد بأن زوجته كان لها أول مولود مصاب بهذا المرض وأنّه لمّا ولد بقي يومين ثم مات وجاءت زوجته بثلاثة أولاد بعد المولود الأول سالمين لا شيء فيهم وهذا هو المولود الخامس، وقد أخذت له أشعة أربع مرات في مستشفيات مختلفة جاءت الفحوصات كلها تؤكد بأنه سيولد مشوهًا، وقال الأطباء هذه حالة تحدث كل أربع مرات، وقالوا: بأنه سيولد كومة من لحم.

■ وسألته اللجنة: هل على الأم خطر في حياتها؟ فأجاب: لا خطر على الأم في حياتها.

وأجابت اللجنة بما يلي:

قد سبق أن أبدت لجنة الفتوى رأيها في مثل هذا الموضوع وهو:

أولًا: يحظر على الطبيب إجهاض امرأة حامل أتمت مائة وعشرين يومًا من حين العلوق إلا لإنقاذ حياتها من خطر محقق من الحمل.

ثانيًا: لا يجوز الإجهاض إلاّ في الحالتين الآتيتين:

أ. إذا كان بقاء الحمل يضر بصحة الأم ضررًا جسيمًا لا يمكن احتماله أو يدوم بعد الولادة.

ب. إذا ثبت أن الجنين سيولد مصابًا على نحو جسيم بتشوه بدني أو قصور بدني أو قصور عقلي لا يرجى البرء منهما ويجب أن تجرى عملية الإجهاض في غير حالات الضرورة العاجلة في مستشفى حكومي ولا تجرى فيما بعد الأربعين يومًا إلا بقرار من لجنة طبية مشكلة من ثلاثة أطباء اختصاصيين أحدهم على الأقل متخصص في أمراض النساء والتوليد على أن يوافق على القرار اثنان من الأطباء المسلمين الظاهري العدالة والله أعلم.

إطعام الحيوانات من عظام وشحوم حيوانات ميتة

فتوى رقم «١٩٥٤»

هل يجوز إطعام الأغنام أعلافًا مشتقة من عظام وشحوم حيوانات ميتة؟

■ وقد حضر المستفتي في هذه الجلسة وأفاد بأن لدى شركته فكرة لإنشاء مصنع لعلف الدواجن وهذا المصنع يعتمد في تصنيع العلف على المواد التالية:

■ هناك حيوانات تموت حتف أنفها أي حيوانات ميتة تجمع وتوضع في المصنع وتطحن وتجفف وتصبح عبارة عن مسحوق (بودرة) أي دقيق وتضاف هذه (البودرة) إلى طعام الحيوانات بنسبة ٥٪ في الغالب أو ٢٪ أو ٣٪.

هناك لحم عند الجزارين يفسد ويصبح غير صالح للاستعمال البشري وهو مذبوح طبقًا للشريعة الإسلامية، فبدلًا من رمي هذا اللحم الفاسد تأخذه الشركة وتعمل منه علفًا للحيوانات بأن يطحن في المصنع ويجفف ويصبح عبارة عن مسحوق (بودرة) علمًا بأن هذا اللحم عندما يدخل في المصنع ويطحن لا تتغير المادة الأساسية فيه ولا يتحول إلى مادة أخرى وإنما تبقى المادة الأساسية فيه ويدخل تحت درجة حرارة ما بين مائة درجة أو تسعين درجة ثم يسخن وبعدها يجفف.

وهناك العظام والشحوم وكذلك تجمع وتصنع علفًا للحيوانات مثل الطرق السابقة والغرض من إدخال هذه المواد في علف الحيوانات هو زيادة تسمين الحيوانات عندنا بزيادة البروتين في طعامها.

والسؤال هو عن الحيوانات الميتة هل يجوز تصنيعها علفًا وتضاف إلى الأعلاف الطبيعية وكذلك دم الحيوانات التي تذبح في الكويت هل يجوز إدخاله في الأعلاف علمًا بأن هناك فوائد من وراء هذا المشروع وهي:

تقليل التكاليف في الحصول على العلف الحيواني وذلك لتوفر هذه الحيوانات الميتة والحصول عليها بسهولة.

القضاء على هذه الفضلات والحيوانات الميتة من أجل النظافة وعدم انتشار الأمراض.

وقد أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز إطعام الأغنام وغيرها من الحيوانات المأكولة اللحم أعلافًا يدخل في تكوينها العظام والشحوم واللحوم المأخوذة من ذبائح مذكّاة ولو كانت تلك اللحوم غير صالحة للاستعمال البشريّ لانتهاء مدة صلاحيتها أو لغير ذلك من الأسباب، لأن هذه المواد المضافة إلى العلف الطبيعي طاهرة يجوز الانتفاع بها.

أمّا إضافة لحوم وشحوم وعظام الحيوانات الميتة، أو الدم ولو من حيوان مذكى؛ فهو مكروه لأن فيه انتفاعًا بالنجاسات، والأصل عدم جوازه، ومع هذا يجوز أكل لحم الحيوانات المعلوفة بما دخل فيه الدم أو الميتة بنسبٍ قليلة بحيث لاينتن اللحم من هذا العلف، فلا يأخذ حكم الحيوانات الجلالة وهي التي جميع أكلها أو غالبه من النجاسات بحيث ينتن لحمها وتظهر منه رائحة النتن. والله أعلم.

إعداد: خالد خلاوي

كيف تتقن فن الشكر؟

كان من سمت العظماء والناجحين استشعار ما هم فيه من نعمة وما لله عليهم من فضل ومنة، فكانوا يبدأون يومهم بحمد الله وشكره، بكلمات تمنحهم طاقة كبيرة ودافعًا قويًا وشحذًا للهمم لمزيد من العمل والإنجاز. يروى أن رسول الله ﷺ كان منذ أول لحظة بعد استيقاظه من النوم مباشرة يحمد الله تعالى قائلًا: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، وكان إذا أصبح وإذا أمسى يقول: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر، وأخبر أن «من قالها حين يصبح فقد أدّى شكر يومه، ومن قالها حين يمسي فقد أدّى شكر ليلته» (أخرجه أبوداود).

فشكر الله على النعمة يعني طلب المزيد منها، وشكر الله على النجاح والتوفيق يعني مزيدًا منهما، وحسبنا قوله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾.

ويقول خبير التنمية البشرية جيمس راي: إن قوة الشكر كبيرة جدًا، فأنا أبدأ يومي كلما استيقظت صباحًا بعبارة «الحمد لله»، لأنني وجدتها مفيدة جدًا وتمنحني طاقة عظيمة، ليس هذا فحسب، بل إنني أشكر الله على كل صغيرة وكبيرة، وهذا سر نجاحي، إنني أقول «الحمد لله» وأكررها مرارًا طوال اليوم.

ويقول لي برو مؤسس شركة تفعيل الطاقة لإحراز الثروة: «اجعل الشكر عادة تمارسها كل صباح، أن تبدأ بشكر الله، ثم تشكر الناس خلال ممارسة أعمالك اليومية لكل عمل أو معروف يقدّم لك، وخلال أيام قليلة ستشعر بقوة غريبة وجديدة من نوعها تسهل طريق النجاح لك».

وشكر الناس من شكر الله، لأن الله أمرنا بشكرهم، وقيل: كلما ازداد المؤمن إيمانًا ازداد شكرًا للناس، وقال رسول ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» (رواه الترمذي) وقال أيضًا: «إن أشكر الناس لله- عز وجل- أشكرهم للناس» (رواه أحمد)

والشكر من أفضل وسائل إدخال السرور على الناس، وتوثيق الروابط فيما بينهم، فالشكر يكسب الشاكر أصدقاء جددًا، ويجعلهم في حالة من السعادة والارتياح النفسي، وعلى استعداد وترحيب دائم ببذل المزيد من العمل والجهد، وتتعدد وسائل وفنون التعبير عن الشكر ومن أهمها:

الشكر بالعمل: وهو أبلغ وأقوى أنواع الشكر، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقوم الليل كله حتى تتورم قدماه، رغم أنه غفر له ما تقدم من ذنبه، وعندما سئل في ذلك قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»، وقال الله تعالى ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾، ومن وسائل شكر الله بالعمل سجدة الشكر لله عند حدوث نعمة أو دفع بلاء.

وأما شكر الناس بالعمل فيعني أن تكافئ من صنع لك معروفًا بمعروف مثله أو أفضل منه، تعبيرًا عن امتنانك وشكرك لما قدم لك.

الشكر بالقول: وهو التعبير بالكلمات عن الشكر والامتنان، ويجب على الشاكر أن يتفنن في اختيار أرق وأجمل الكلمات لكي تصل عبارة الشكر إلى غايتها القلبية، ومن أبلغ كلمات الشكر أن نقول للمشكور: «جزاك الله خيرًا»، قال رسول الله ﷺ: «من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء» (صحيح الجامع)، ويفضل أن يكون الشكر بالقول بصوت مسموع وواضح، فهذا يضاعف من تأثير كلمات الشكر، ويجب أن تنظر لمن تشكره، فالتواصل البصري مهم في توصيل المشاعر والأحاسيس الصادقة، وإذا كان الشكر على مسمع من آخرين فاذكر اسم من تشكره ولا تكتفي بكلمة أشكرك أو تقول على سبيل المثال: نشكر من قام بهذا العمل، فالأفضل أن تقول: وأريد أن أشكر السيد فلان على جهوده في هذا العمل.

الشكر بالابتسامة: والابتسامة وسيلة من وسائل التعبير عن الشكر، لها فعل السحر في النفوس في أثناء مشاغل الحياة اليومية.

رسالة الشكر: ورسالة الشكر أيضًا من الوسائل الجميلة في التعبير عن الشكر، وتتميز باحتفاظ المشكور بها لتكون دليلًا على حسن تقدير الآخرين لعمله وجهوده.

وكثيرا ما ننسى أن نشكر أقرب الناس لنا، ومن نراهم من حولنا كل يوم في زحام الحياة، وخاصة الأبناء الصغار، فكلمات الشكر على كل عمل يقومون به، حتى ولو كان صغيرا، تزيد من حماسهم وتساعد على تنمية نشاطهم ومواهبهم وقدرتهم على الإبداع والابتكار وتضاعف جهودهم في دراستهم.

وما أسهل كلمة «شكرًا» مغلفة بابتسامة جميلة تأسر بها قلوب كل من يقابلك ويسدي لك خدمة أو معروفًا مهما كان بسيطًا حتى ولو كان ذلك من واجبات عمله، ابتداء من العامل البسيط الذي يفتح لك باب المصعد ومرورًا بكل من يلقاك في الأماكن العامة أو العمل.

صور من حياة المتميزين

مواقف شكر

■ روي أن سائلًا كان يسأل، فلم يجد الرسول ﷺ معه إلا تمرة، فأعطاها الرجل، فَأَعْرَضَ عَنْها مُسْتخفًّا بهَا، وَمَرّ سائل آخر، فأعطاه تمرة، فقبلها وشكر عليها، وقال مُعتزًّا بها مُتبَارِكًا: «تمرة من رسول الله ﷺ»، فأرسل الرسول ﷺ وأحضر له أربعين درهمًا.

■ ويروى أن رجلًا ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد الله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضّلني على كثير ممن خلق تفضيلًا، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى المقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟ فقال له: يا هذا، أَشْكُرُ الله أن وهبني لسانًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا وبدنًا على البلاء صابرًا.

■ ورأى بكر بن عبدالله المزني حمالًا عليه حمله وهو يقول: «الحمد لله، أستغفر الله»، قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره وقلت له: أما تحسن غير هذا؟ قال: بلى أحسن خيرًا كثيرًا، أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمه السابغة وأستغفره لذنوبي.

فقلت: الحمال أفقه من بكر.

■ ويحكى أن رجلًا ذهب إلى أحد العلماء، وشكا إليه فقره، فقال العالم: أَيسُرُّكَ أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا، فقال العالم: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا، فقال العالم: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا، فقال العالم: أيسرك أنك مقطوع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟ فقال الرجل: لا، فقال العالم، أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك نعم بخمسين ألفًا.

فعرف الرجل مدى نعمة الله عليه، وظل يشكر ربه ويرضى بحاله ولا يشتكي إلى أحد أبدًا.

كلمات في التميز

الشكر

إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

تذكروا النعم، فإنّ ذكرها شكرٌ.

عمر بن عبدالعزيز

كلما شكرتَ نعمة تَجَـدّدَ لك بالشكر أعظم منها.

الحسن البصري

الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة

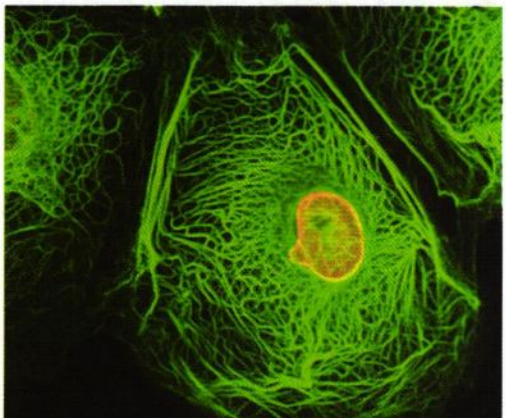
ابن القيم

عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم.

الفضيل بن عياض

إعداد: هالة محمد

نجاح علمي في إكثار الخلايا الجذعية البشرية



أكد فريق من العلماء الدوليين إمكانية اكثار خلايا جذعية بشرية دون إضافة أجزاء حيوانية أو أجزاء غريبة أثناء الاستنبات في المعمل.

ويعتبر هذا الإكثار شرطا هاما لتعديل الصفات الجينية في الخلايا الجذعية ولبعض التطبيقات الطبية، وذلك حسبما ذكر الباحثون في مجلة «نيتشر ماتيريالز».

وأفاد الباحثون أنه من الممكن ليس فقط اكثار الخلايا الجذعية الجنينية في المعمل بل أيضا الخلايا المستحثة متعددة الوظائف التي يمكن إعادة برمجتها من خلايا ناضجة.

وأشاروا في الوقت نفسه إلى عدم فعالية هذه الطريقة حتى الآن، وأنه من الضروري غالبا إضافة خلايا إضافية أو بروتينات من الفئران، مما يصعب إمكانية استخدام هذه الخلايا طبيا في مراحل تالية، حيث من الممكن أن تثير هذه الخلايا الحيوانية الغريبة على جسم الإنسان ردود فعل نافرة لدى المرضى. وأشار الباحثون إلى وجود طرق علمية تستغني حاليا عن إضافة عناصر حيوانية عند استكثار الخلايا الجذعية البشرية، إلا أن هذه الطريقة تحتاج للعديد من الخلايا الجذعية، غير أن اكثار الخلايا الجذعية يكون ضروريا في بعض عمليات التعديل الجيني وخاصة الخلايا التي تحمل الصفات الوراثية المطلوبة.

فطريات قاتلة!



عصبة قاتلة من فطر طفيلي أثارت قلقًا كبيراً عند علماء الأحياء في ولاية أوريفون في الولايات المتحدة الأميركية، ويخشى العلماء من انتشار هذا الفطر في ولاية كاليفورنيا ومناطق مجاورة أخرى، وشدد العلماء على أن الإصابات الناجمة عن هذا النوع الجديد من الفطريات المجهرية المعروفة باسم (سي غاتي) الموجود في الجو أو في الأرض نادرة جدًا، وقد تم اكتشاف العصبة الجديدة الأكثر فتكًا للمرة الأولى في عام ٢٠٠٥م، وخلافًا للانفلونزا والأمراض المعدية الأخرى فإن انتقال عدوى هذه الفطريات تحول دون حصول وباء، إذ إن العدوى لا تنتقل بين البشر ومن حيوانات مصابة بها.

الجينات الوراثية يمكن التحكم فيها

أكد عالم الأحياء الألماني «جورج بليش» في كتابه «الجينات ليست قدرًا» أن الجينات ليست جامدة وثابتة، ولكن يتم توجيهها في جسم الانسان من خلال بنيتين، إحداهما مجموعة «ميثيلية» والأخرى مجموعة «اسيتيلية». والعلم المتعلق بهذا الشأن فرع من الأحياء ويتخصص في دراسة المتغيرات التي تطرأ على الجينات الوراثية للخلايا، وهو علم أخذ في الازدهار، وتعتبر الأم أول من يمكن أن يؤثر في التغير الجيني للإنسان حيث تبين من خلال التجارب على الفئران أن تعاطي المرأة الحامل للكحول يخفض- على سبيل المثال على المدى البعيد- نشاط ثلاثة جينات مسؤولة عن النمو وثلاثة أخرى مسؤولة عن تطور الأعصاب.

وشدد بليش على خطأ استخدام الجينات الوراثية كمبرر للإصابة بالسمنة أو بالسكر وقال إنه من غير الممكن تقريبا التنبؤ بإصابة إنسان بالسكر بسبب اكتشاف جينات السكر المزعومة لديه، مشيرا إلى أن دراسة شملت ٥٠ ألف امرأة أظهرت وجود علاقة واضحة بين السكر وكثرة مشاهدة التلفاز، وأن خطر إصابة امرأة بالسكر يتزايد بنسبة ١٤٪ عن كل ساعتين مشاهدة للتلفاز يوميا، وأن الأمر مشابه أيضا فيما يتعلق بالإصابة بالبدانة.

الكمبيوتر يكتشف نجمًا جديدًا

اكتشف فلكيون هواة من الولايات المتحدة وألمانيا نجما نابضا جديدا في أدغال الفضاء وأعماقه، وذلك من خلال وضع قدرات أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم تحت تصرف مشروع «اينشتاين آت هوم» العلمي الذي شارك فيه ٥٠٠ ألف متطوع، من ١٩٢ دولة عبر الانترنت.

ويحمل النجم رمز «بي اس ار جي ٢٧٢٢+٢٠٠٧»، وهو نجم نيتروني يدور حول محوره ٤١ مرة في الثانية، وهو موجود في درب اللبانة، أو التبانة، على مسافة نحو ١٧ ألف سنة ضوئية من الأرض، في برج الثعلب، حسبما أوضح الباحثون بمعهد ماكس بلانك للفيزياء المعروف بمعهد ألبرت أينشتاين في مدينة هانوفر الألمانية.

وتتكون النجوم النيترونية في نهاية «حياة نجمية»، حيث يعقب انفجار نجم وتحوله إلى مستعر أعظم تساقط بقاياه وتحولها إلى مادة بالغة الكثافة يمكن أن يزن سنتيمتر مكعب منها حوالي تريليون كيلوجرام.

ويعتبر هذا النجم النابض حالة فريدة بين النجوم من هذا النوع والتي تدور بسرعة وباستمرار، حسبما أشار الباحثون الذين قالوا: إن هذا النجم لا يمتلك نجما دوارا حوله مما يجعل علماء الفلك يولون اهتماما خاصا بهذا المشروع، لأنهم يرجحون أن يكون هذا النجم «نجما نابضا نترونيا تكون من بقايا نجم آخر مجاور له وحصل منه على قوة دفع لدورانه ولكنه فقد النجم الذي كان مرافقا له».

تكنولوجيا بيولوجية تسبق الإصابة بالأمراض

طرحت الشركة اليابانية للالكترونيات «فوجيتسو» تقنية جديدة للرصد البيولوجي في وسعها استباق مخاطر الاصابة بالأمراض وتحسين السلامة الغذائية وتسريع الوقاية الصحية.

وأعلنت «فوجيتسو» انها طورت نظاما كهروكيميائيا غير مسبوق يرصد وجود مختلف انواع البروتينات وكمياتها في جسم الانسان في دقائق عدة، عبر اختصار المراحل المعتمدة في التقنيات السابقة.

وتقضي التقنية الجديدة بتحليل تغيرات سلسلة من الحمض النووي الريبي المنقوص الاكسوجين الصناعي، تتثبت عليها البروتينات المطلوبة.

وأوضح ميشيهيكو اكي، أحد مصممي التقنية، ان هذه الطريقة الجديدة اسرع بكثير من تلك المقترحة حتى الساعة وستعتمد مستقبلا في التشخيص الطبي.

ويحتوي جسم الانسان على عشرات الآلاف



من البروتينات التي يمكن ان تشير تغيراتها في الجسم الى امكانية الإصابة بمرض ما.

وقُدّمت المنهجية التي وضعتها «فوجيتسو» بالتعاون مع فريق ياباني-ألماني من جامعة ميونخ، على انها اسرع بمائة مرة من الوسائل المعتمدة حاليا، ويلزمها عينات اصغر بمائة مرة، وفق «فوجيتسو».

وتابع اكي «نفكر في تطبيقها في مجال السلامة الغذائية (الوقاية من التسمم عبر رصد بروتينات مضرة)، او في ظروف صحية طارئة (رصد سريع لانتشار امراض معدية)».

من هنا وهناك

■ أكدت دراسة بريطانية هي الأولى من نوعها أعدها علماء في حدائق «كيو» النباتية الملكية وجاء فيها أن نحو مائة ألف نوع نباتي مهدد بالانقراض.

■ اكتشف في وسط اسبانيا جنس جديد من الديناصورات، وهو حيوان مفترس لاحم له حدبة غريبة وزوائد شبيهة بريش الطيور على الساعدين، وقال العلماء الاسبان: إن هذا الحيوان يعود الى ما بين ١٢٠-١٥٠ مليون سنة، ويبلغ ارتفاعه ستة أمتار، وكان يسير على قائمتيه الخلفيتين.

■ نجح علماء الفلك في ألمانيا في تطوير نوع من الميزان الفلكي لمعرفة أوزان كواكب المجموعة الشمسية بما فيها الأقمار والحلقات التابعة باستخدام الإشارات الضوئية التي ترسلها أجرام سماوية مضيئة.

■ شهد كوكب الأرض خلال شهر سبتمبر الماضي ظاهرة فلكية نادرة، حيث مرَّ كويكبان بالقرب منه بسلام، في حدث يستوجب مراقبة مدار الأرض للتأكد من عدم وجود أجسام فضائية قد تؤثر على كوكب الارض.

■ أطلقت «توشيبا» إضافة جديدة لتأمين البيانات إلى مجموعتها من أقراص التخزين الصلبة المزودة بتكنولوجيا التشفير الذاتي «إس إي دي»، وأوضحت الشركة أن تكنولوجيا «المسح النهائي للبيانات» المتوفرة لأقراص «إس إي دي» قادرة على حذف معلومات المستخدم الحساسة بشكل آمن من القرص الصلب عند إغلاق النظام أو عند إزالة القرص الصلب من النظام.

عماد الدين عويس

الحسين محمد

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي النصر

ليس يخشى الخليلُ غدر الخليل

أُدْنُ منِّي ولا تخافنَّ غدري
ليس يخشى الخليلُ غَدْرَ الخليلِ
إن أدنى الذي ينالك مني
سَتْرُ ما يُتَّقى وبثُ الجميلِ

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب)

الجُنُون

تقول العرب لجنونِ الإبل: الهيام، وهو داء يأخذها فتجن وتهيم.

ويُقال لجنون الشاء: الثَّوَل، وهي شاة ثولاء.

ولجنون الكَلب: الكَلَب، وهو كَلْب كَلِب.

والسَّعَر ضرب من جنون النوق، وتقول العرب: ناقة مسعورة إذا كانت مجنونة.

أما الجنون عند البشر فعلى ضروب منها: المعتوه: وهو الذي يُولد مجنونًا. ومنها الممرور: وهو الذي أحرقته المِرَّة. ومنها الممسوس: وهو الذي تَخبَّطه الجنُّ والشياطين. ومنها العاشق: وهو الذي تيَّمه الحب وأجنَّه، وفيه قال عبدالله بن بهلول:

وما عاقل في الناس يحمد أمره
ويذكر إلا وهو في الحب أحمق
وما من فتىً ما ذاق بؤس معيشة
من النَّاس إلا ذاقها حين يعشق

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب)

الإفتاء

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به. ويكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول الله ﷺ، والناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا باللغة، بصيرًا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون بعد هذ مشرفًا على اختلاف أهل الأمصار ، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هذا فله أن يتكلم ليفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي».

(اعلام الموقعين لابن القيم)

إذا مات العالم

إذا مات العالِمُ: أَحيا الله ذكرَه، ونشرَ له في العالمين حُسْنَ الثَّناء، فهو ميتٌ، وهو حيٌّ بين النَّاس، كما أَنَّ الجاهل في حياته حيٌّ، وهو ميتٌ بين العَالَم، كما قيل:

وفي الجهلِ قبلَ الموت موتٌ لأَهله
وليس لهم حتَّى النُّشور نشورُ
فأرواحُهم في وَحشةٍ من جُسومهم
وأجسامُهم قبلَ القُبور قبورُ

(القول العلي للسَّفَّاريني)

أفرس الناس

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة، صاحب يوسف حين قال لامرأته ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، وصاحبة موسى حين قالت ﴿أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب.

لما أعرض عنه الإمام أحمد؟

عن أبي بكر المروزي: أن شيخًا كان يجالس الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله- ذا هيبة، وكان أحمد يقبل منه ويكرمه، فبلغه عنه أنه طيَّن حائط داره من خارج، فأعرض عنه في المجلس، فاستنكر الشيخ ذلك، فقال: يا أبا عبدالله، هل بلغك عني حدث أحدثته؟ قال: نعم، طينت حائطك من خارج. قال: ولا يجوز؟! قال: لا، لأنك قد أخذت من طريق المسلمين أنملة.

قال: فكيف أصنع؟ قال: إما أن تكشط ما طينته، وإما أن تهدم الحائط وتؤخره إلى ما وراء مقدار إصبع ثمَّ تُطَيِّنه من خارج. قال: فهدم الرجل الحائط وأخَّره أصبعاً ثمَّ طيَّنه من خارج.

قال: فأقبل عليه أبو عبدالله كما كان.

(الوعظ المطلوب من قوت القلوب ص: ١٠٤)

ابتسامة بخيل عجيب

قال رجل لبعض البخلاء: لم لا تدعوني إلى طعامك؟ قال البخيل: لأنك جيد المضغ، سريع البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى.

قال الرجل: يا أخي، أتريد إذا كنت عندك أن أصلّي ركعتين بعد كل لقمتين؟

(حلية النوادر)

لا سلامة منْ ألسنة النَّاس

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

وَمَا أَحَدٌ مِنْ أَلْسِنِ النَّاسِ سـالِمًا
ولـــو أَنَّهُ ذاكَ النَّبيُّ المُطهَّـــرُ

فإنْ كان سِكِّيتًا يقولون: أَبْكَـــمُ
وإنْ كان منْطِيقًا يقولـــون: أَهْذَرُ

وإنْ كان صَوَّامًا وبالليل قائمـــًا
يقولون: زَرَّاقٌ يُرائي ويُنْكِـــرُ

فلا تَخْشَ إلا الله جَـلَّ جـلالهُ
هُوَ الواحدُ المَنَّانُ الله أَكْبَـــرُ

(ديوان الإمام الشَّافعي)

الحجر الأسود

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) مرفوعًا: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن، فسوَّدته خطايا بني آدم» (أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح).

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أيضًا مرفوعًا: «إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين يشهدان لمن استلمه يوم القيامة بحق» (أخرجه ابن خزيمة، وقال الترمذي: حسن صحيح).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «مسح الحجر والركن اليماني يحطّ الخطايا حطًّا» (رواه أحمد وابن حبان).

و ذكر صاحب تحفة الراكع والساجد (ص:٨٧): أن أبا طاهر القرمطي لمَّا وافى مكة اقتلع الحجر من مكانه وحمله إلى الكوفة وهلك تحته في الطريق إليها أربعون جملًا، ثم حُمِلَ الحجر إلى «هَجَر» سنة ٣١٧هـ، وبقي الحجر عند القرامطة اثنين وعشرين سنة إلا شهرًا، ثم رُدَّ إلى مكانه في ذي الحجة سنة ٣٣٩هـ.

الحسنة والسيئة

قال عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما): إن للحسنة نورًا في القلب، وزينا في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس، وإن للسيئة ظلمة في القلب، وشيناً في الوجه، وضعفًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا **في قلوب الخلق. (طرائف عربية)**

عجائب

من عجائب الجـزاء في الدنيا أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف وشروه بثمن بخس امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: وتصدق علينا، ولما صبر هو يوم الهمة ملك المرأة حلالًا، ولما بغت عليه بدعواها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءا؟ أنطقها الحق بقولها: أنا راودته، ولو أن شخصًا ترك معصية لأجل الله تعالى لرأى ثمرة ذلك، وكذلك إذا فعل طاعة. وفي الحديث: قال الإمام علي كرم الله وجهه: «إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة، أي عاملوه لزيادةالأرباح العاجلة».

ولقد رأينا من سامح نفسه بما يمنع منه الشرع، طلبًا للراحة العاجلة، انقلبت أحواله إلى التنغص العاجل، وعكست عليه المقاصد.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

أوَّل وزير في الإسلام

أبو سَلَمَة الخَلَّال حفص بن سليمان، الهمداني ولاءً، الكوفي إقامةً، أبو سلمة، الملقب بالخلَّال ووزير آل محمد، هو أوَّل وزير في الإسلام، وهو أوَّل مَنْ وقع عليه اسم الوزير، وشُهرَ بالوزارة في دولة بني العباس، ولم يكن من قبل يُعرف بهذا النعت، لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول، وكان السَّفَّاح يأنس به، لأنه كان ذا مفاكهة حسنة، وممتعًا في حديثه، أديبًا، عالمًا بالسياسة والتدبير.

(وفيات الأعيان. الأوائل لأبي الهلال العسكري. معجم الأوائل)

مجلة «الوعي الإسلامي» كُنَيفُ مُلِئ علمًا

مجلة «الوعي الإسلامي» منبر إعلامي إسلامي جمع أفانين القول وأطايب الكلم وبدائع الفكر ورقائق الوعظ ودقائق العلم ليقدمها في لبوسٍ مجلة يسعد بها القارئ أنى كان، فيرقى فكره، ويتسع علمه، ويرقَ قلبه، وتسمو نفسه، ويجد فيها من الزاد والمعرفة ما لا يجده في الكتب ذوات العدد.

وإذا قلّبتَ عددًا من أعدادها راعك هذا التنوع المعرفي والامتداد الثقافي، والفكر الحضاري، تجود به أصفى القرائح، وتكتبه أرسخ الأقلام، فللعلوم الشرعية ركن، وللفتاوى ركن، وللتربية ركن، ولقضايا المجتمع ركن، وللاقتصاد ركن، وللتاريخ ركن، وللسياسة ركن، وللحضارة ركن، وللتنمية ركن، وللأسرة ركن، وللغة والأدب ركن، وللطب ركن، وللفكر ركن.. ولا بد أن يتخلل ذلك كله ملف للعدد يتناول موضوعًا من موضوعات الساعة، ليشبعه بحثًا ومناقشة وتأملًا، بما يعود على القارئ بأسرع الفائدة وأعظم النفع.

ومن جميل مزايا هذه المجلة الرائدة في ميدان الإعلام الإسلامي أنها جمعت بين الأصالة والحداثة، وبين القدم والجِدّة، فلها قدم راسخة في علوم الدين والفقه والتفسير والحديث، وأخرى ثابتة في علوم الكون والطب والحاسوب وجديد المعرفة.. إنها تطلع بعين على التراث ومعارفه، وتطلع بالعين الأخرى على مواقع الشابكةً (الإنترنت) وموارد الثقافة والعلوم والفنون، تصطفي منها ما يُطرف القارئ ويوسع مداركه ويغني تطلعه.

وصدق من سماها «الوعي الإسلامي»، فهي اسم على مسمى، يصدق فيها قول الشاعر:

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب
إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

فهي تحمل في طياتها الوعي لكل قارئ، ليدرك الإسلام على حقيقته، دون إفراط أو تفريط، ودون شطط أو تطرف، بل هي السماحة والوسطية والإيغال في الدين برفق، لا يخالطه عسر ولا يفسده تنفير، إنها مرآة صادقة لتعاليم الدين الحنيف، وتطبيق فعلي لقول المولى جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، وقول الرسول الكريم ﷺ: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

وهي تستعين لتبليغ رسالتها بكل ما من شأنه أن يعين على القراءة المريحة، والفهم الصحيح، والوعي السديد، إذ يعنى القائمون عليها بإخراجها في أجمل حلة وأحلى قالب، باذلين الغالي والنفيس في الإخراج والتنفيذ، بدءًا من جودة الورق، ومرورًا بتناسق الألوان والأشكال، وانتهاءً باختيار الصور وإبداع الخطوط.

إنها بكلمة واحدة قد جمعت إلى غنى المضمون والمخبر جمال الشكل والمنظر، وإلى ثراء المعنى بهاء المبنى، إنها حقًّا كُنَيفُ مُلِئ علمًا.

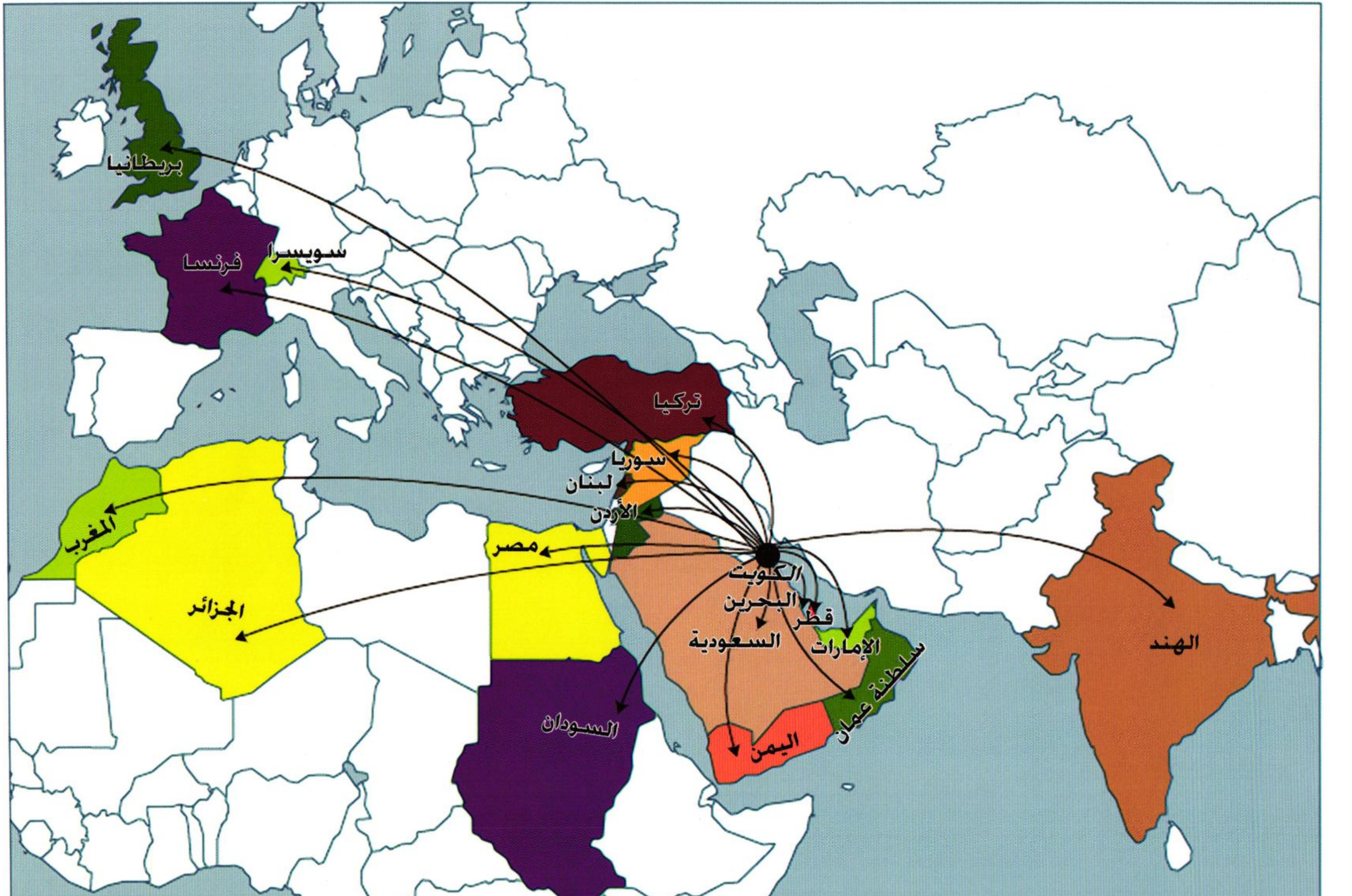
ما تَقَعُ العَيْنُ منها حينَ تَلحَظُها
إلا عَلى فتنَةٍ من أجملِ الفتَنِ

فهنيئًا للقائمين عليها إنجازهم، وهَنيئًا للكاتبين فيها جهدهم، وهنيئًا لقارئيها إسعادهم، ومازالت هذه المجلة منبرًا إعلاميًا يتردد صداه في أرجاء المعمورة، ويعم نفعه العباد والبلاد.

وبوركت جهود وزارة الأوقاف والقائمين عليها، وجزاهم المولى الجليل خير ما جزى صاحب علم ينتفع به، وصاحب مال ينفق منه، وصاحب خير يعم نفعه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

د. محمد حسان الطيان



أماكن توزيع مجلة الوعي الإسلامي في العالم